أفلاطون

المحاورات الكاملة

أفلاطون

المحاورات الكاملة

المجلّد الأوّل

الجمهوريّة

نقلها إلى العربيّة
شوقي داود تمراز

الأهلية للنشر والتوزيع

إلى أخي الإنسان، الّذي تخلّص
من عالم الظلال، فسمت روحه
بالعلم والعمل، إلى أنْ لحق
بغاية الإبداع، العقل الأرفع.

بَيروت ١٩٩٤
إصدار: الأهليّة للنشر والتوزيع
بَيروت - الحَمراء، بناية الدُورادو
ص.ب.: ١١٣٥٤٣٣ - هَاتِف: ٣٥٤١٥٧

المحتويات:

مدخل

لأوّل مرة في تاريخ اللغة العربية تطلع علينا محاورات هذا الفيلسوف الإغريقي أفلاطون معرَّبةً بأكملها. إنّه لإنجازٌ كبير هذا العمل الذي قام به الأُستاذ شوقي تمراز الذي قضى الوقت الطويل، وعانى الكثير في تعريب هذه المحاورات جميعها من الإنكليزية. إنّه إنجاز كبير للأسباب الآتية:

أوّلاً، لأنّ الأستاذ شوقي تمراز، بإتقانه اللغتين العربية والإنكليزية على السواء، وبمعرفته للفلسفة بعامة وللفلسفة الأفلاطونية بخاصة، إستطاع أنْ يجعل من تعريبه لمحاورات أفلاطون عملاً دقيقاً وصحيحاً من جهة، وبليغاً واضحاً من جهة أخرى. ويمكننا القول إنّه كان في تعريبه هذا قريباً إلى روح فلسفة أفلاطون إذ اختار لعمله هذا إحدى أفضل الترجمات الإنكليزية فاعتمدها في تعريبه ذاك.

ثانياً، لا نستطيع فهم أفلاطون فهماً دقيقاً إلاّ إذا درسنا أعماله في ضوء ترتيبها ترتيباً زمنياً، وذلك لكي يتسنّى لنا تتبّع تطور فكر هذا الفيلسوف. وهو أمر في غاية من الضرورة لفهم الفلسفة الأفلاطونية. ولم يكن هذا الأمر ليتمّ إلاّ بالاطّلاع على أعماله كاملةً غير مجتزأة. وقد كان هذا الاطّلاع متعذراً في اللغة العربية، فجاء عمل الأستاذ شوقي تمراز ليزيل هذا النقص ويقدّم للمكتبة العربية محاورات أفلاطون غير منقوصة.

ثالثاً، إنّ محاورات أفلاطون تختلف الواحدة عن الأُخرى اختلافاً كبيراً، إنْ من حيث المضمون أم الأسلوب أم المقاربة. وقد يحول هذا الاختلاف دون فهم فلسفة هذا الحكيم العظيم فهماً صحيحاً، ممّا يجعل القارىء يكوّن فكرة ناقصةً

وبالتالي خاطئة، إن هو اكتفى بقراءة بعض هذه المحاورات دون بعضها الآخر. لذلك كان لزاماً على القارىء، كما نبّه الدكتور جيروم غيث في كتابه أفلاطون (بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٧٠، ص ٥)، أن يدرس هذه المحاورات بأكملها درساً دقيقاً ليتسنّى له إدراك « الوحدة الداخلية الخفية » التي تربط المحاورات بعضها ببعض. وبذلك يتسنّى له إدراك الفكرة الأساسيّة عند أفلاطون التي هي « خلق الإنسان الكامل في المجتمع الكامل، ومصيره السعيد في الدنيا والآخرة ».

وبالحقيقة أنّ عدم توافر محاورات أفلاطون في العربية كاملةً قديماً جعل الفلاسفة العرب لا يدركون هذه الفلسفة الأفلاطونية إدراكاً صحيحاً متكاملاً، إذْ بنوا آراءهم فيها على بعض أعمال أفلاطون دون بعضها الآخر. وقد زاد في نقصان فهمهم لهذه الفلسفة عدم دقّة الناقلين القدامى. وما حدث في الماضي حدث للدارس العربي في الحاضر فلم يستطع الاطّلاع على فلسفة أفلاطون متكاملةً إلاّ من خلال لغة أجنبية؛ إذْ لم يُنقَل إلى العربية في العصور الحديثة إلاّ بعض هذه المحاورات. من هنا جاء عمل الأستاذ شوقي تمراز ليسدّ ثغرة واسعة وخطرة معاً في تاريخ الفلسفة. لقد أصبح في مقدور القارىء العربي اليوم، وللمرة الأولى، أن يطّلع، على محاورات أفلاطون كاملةً في اللّغة العربية. فللأستاذ شوقي تمراز الشكر الجزيل والتقدير الكبير على هذا العمل الرائد.

٥ كانون الأول ١٩٩٣

الدكتور سامي مكارم
استاذ الأدب العربي والفكر الاسلامي
الجامعة الاميركية في بيروت

المقدّمة

لم يترك أفلاطون مجالاً من مجالات العلم والمعرفة، إلا وحاور فيه وقسمه، وأعطى له تعريفاً جدلياً وبرهاناً عقلياً. كان هدفه الأوّل والأخير هو معرفة الحقيقة والإيمان والالتزام بهما، تلك الحقيقةَ التي تهدي الإنسان إلى معرفة نفسه، هذه المعرفة التي يشرحها سقراط في المحاورات الأفلاطونيّة، وبالتالي معرفة الخير المحض الأزلي مبدع الوجود.

لقد كتب أفلاطون ما مجموعه ثمانٍ وعشرون محاورة، وهي التي وصلت إلينا عدا الرسائل، وغير الفلسفة السريّة التي لم تُعطَ إلاّ لخواص المريدين. ومع ذلك، فإنّ هذه المحاورات الثماني والعشرين، ذات الرقم السبعي المربّع، تُعتبر أصل كل فكر عالمي حق؛ إنّها الينبوع الذي استقى منه كل مفكّر خلاق، والمصباح الذي أنار الطريق لكل عقلٍ إنساني، يشهد بذلك كل من عدل وكان من العارفين. وإنّه لمن المفيد أن أُورد ما قاله أحد المفكرين البريطانيين بشأن هذا الموضوع:

« وهذا يؤدي بنا إلى نهاية العرض الموجز الذي قدَّمناه لأهم نظريات أفلاطون. والواقع أن قليلاً من الفلاسفة هم الذين بلغوا ما بلغه من اتساع مدى الفكر وعمقه، إن كان أحد قد ناظره على الإطلاق، ولكنّ أحداً من الفلاسفة لم يتجاوزه، ولا شك أنّ أي شخص يود الاشتغال بالبحث الفلسفي يكون قد ارتكب خطأً جسيماً إذا تجاهله »[1]

ولسنا هنا لنورد كل ما قيل عن هذا الفيلسوف المبدع.

أمّا المحاورات التي كتبها أفلاطون فهي على الشكل التالي:

١ــ كارمايدس، محاورة تبحث في معنى الاعتدال. يبدأ سقراط بسؤال كارمايدس، الشاب الجميل المعتدل، ما هو الاعتدال؟ ويجيبه إنّه نوع من الهدوء، ثم إنّه الحشمة أو التواضع، وتالياً إنّه عمل كل شخص لعمله الخاص. وينقض سقراط كل هذه التعريفات للاعتدال. ويأتي كريشياس السوفسطائي، ليقول: إنّ الإعتدال هو « إنجاز » وليس « عمل »، ويؤكد أن هناك فرقاً بين الإنجاز والعمل. وبكلمة أدق، إنّ الاعتدال هو إنجاز الأعمال الصّالحة. وما الاعتدال إلاّ معرفة النفس، يا سقراط. لكن سقراط، لا يرتاح لكل هذه التعريفات، وينهي المحاورة قائلاً: كلما كان الإنسان أكثر اعتدالاً كان أكثر سعادة.

٢ــ ليسيس أو الصداقة، وهي مناقشة ذات قسمين، يتحاور فيها سقراط وليسيس في غياب مينيكسينوس، وذلك عندما يسأل سقراط ليسيس إن كان والداه يحبّانه ويجيب بالتأكيد، لكنهما لا يدعانه يفعل ما يريد وذلك لصغر سنّه، ويعهدان بذلك إلى العبد الموجود عندهما.

إنّني لا أعتقد أن ذلك هو السبب، يا ليسيس، بل السبب هو أنّك لا تمتلك المعرفة لتفعل كل ما يحلو لك. وعندما تعرف ستفعل ما هو خير ومفيد للجميع؛ وعندها سيحبّك الكل.

وبعد عودة مينيكسينوس، يوجه سقراط إليه سؤالاً بطلب من ليسيس: ما هي الصداقة، يا مينيكسينوس؟ وعندما يحب الإنسان نظيره، أيهما يكون الصديق، الذي يُحِبُّ أو الذي يُحَبُّ؟ أم أن كليهما يكون الصّديق؟ لا أحد منهما. من يكون الصديق إذن؟ هل يكون الشّبيه صديق الشّبيه، أو الّلاشبيه صديق الّلاشبيه، أو يكون المعتدل هو الصديق؟

لكن سقراط لم يرضَ عن كل التعريفات التي أعطيت، ويسأل: ألا يجب أن تكون الصداقة لأجل غايةٍ ما أبعد؟ وهل السبب النهائي أو الغاية للصداقة غيرٌ من الخير؟ ومع ذلك، فنحن نعترف أنّ المسألة لم تُحلّ، والأصدقاء الثلاثة سقراط، ليسيس، ومينيكسينوس، ما زالوا غير قادرين على تعريف الصداقة.

٣ـ **لاخيس أو الشجاعة**، يسأل ليسيماخوس، وميليسياس، القائدين العسكريّين نيخياس، ولاخيس، أن ينصحوهما كيف سيعلّمان أولادهما؟ ويجيبهما نيخياس، إنّ الرياضة الحربية هي فن جدير بالتعليم، غير أنّ لاخيس يعارض ذلك ولا يرى فيه أي شيء جدير بالتعليم السّامي على الإطلاق.

وبعد ذلك يريد كل منهما أن يعرف رأي سقراط. يقول سقراط: إذا كنّا نريد أن نتعلم علينا أن نسأل من هم معلّمونا، وبشكل أدق أن نسأل ما هي الفضيلة؟ وإذا أردنا أن نقتصر على سؤالٍ عن ذلك الجزء من الفضيلة الذي يختص باستعمال السلاح فينبغي أن نسأل، ما هي الشجاعة؟ ويجيب لاخيس: إنّ الشجاع هو من يثبت في موقعه أثناء المعركة، وإن الشجاع هو من يصبر. ويتدخل نيخياس ليقول: إنّ الشجاعة هي الذكاء، ثم إنّ الشجاع يكون إمّا كاهناً أو إلهاً.

ويقول سقراط: إنّ الشجاعة هي معرفة الخير والشرّ بشكل عام، ومن يمتلك هذه المعرفة، ينبغي أن يمتلك الاعتدال والعدل أيضاً، وكذلك أن يمتلك كل فضيلة.

وبرغم كل ما قيل، فالمتحاورون لم يعرفوا معنى الشجاعة، وعليهم أن يذهبوا إلى المدرسة ويتلقّوا التعليم من جديد.

٤ـ **إيون**، وهي محاورة جرت بين سقراط وإيون الراوي المحترف للقصائد الملحميّة. يقول إيون: إنّه يقدر أن يتكلم عن هوميروس أفضل من أي رجل آخر. ويسأله سقراط: ألا يستطيع نبيّ أن يتكلم عنه وعن بقية الشعراء أفضل منك، يا إيون؟ وما الراوي المحترف للقصائد الملحميّة مثلك، إلاّ الشخص الملهم الذي يستمدُّ قوته السريَّة من الشاعر ولا ترشده قواعد القانون، كذلك الشاعر فهو من ألهمه الله ليقول ما يقوله. يمكننا أن نقارن الشعراء ومفسّري الشعر بسلسلة من الحلقات المغنطة معلقة بعضها ببعض وبالمغناطيس. المغناطيس هو إلهة الشعر، والحلقة التي تتبع بالتتالي هي الشاعر نفسه؛ ويتدلى منها الشعراء الآخرون.

يفرح إيون بوصف سقراط له، ويسأله إذا كان يقدر أن يتكلم جيّداً عن كل

شيء في قصائد هوميروس. ويجيبه أنّه يتمكّن، وحتى في المسائل التي لا يمتلك معرفة عنها. ويتابع سقراط سائلاً: عندما يتكلم هوميروس عن الفنون، كمثال قيادة العربة، أو عن فن الطب، أو عن النبوّة، أو عن فن الملاحة البحريّة، فهل ستكون أنت، يا إيون، أكثر معرفة بها وحكماً عليها من سائق العربة، والطبيب، والنبيّ، وقائد الدفة في السفينة؟

ويضطرّ إيون للاعتراف بأنّ كل إنسان سيكون قاضياً أفضل في فنه الخاص به من الراوي المحترف للقصائد الملحميّة، امثالك. لكنني أؤكّد لك، يا سقراط، أنني أفهم فنّ القائد الحربي مثلما يفهمه أي قائد آخر. ولماذا لم يعينوك في أثينا كقائد حربي، يا إيون؟ لأنني غريب ولست بأثيني، يا سقراط. كلا ليس هذا هو السبب الحقيقي، هناك أمثلة عديدة تشهد على عكس ما تقول، وأنت تتلاعب بالألفاظ، وتحوّل نفسك إلى أشكالٍ مُخْتلفة، وستهرب متخفياً في ثوب جنرال آخر الأمر، فماذا سندعوك، مُلهماً أو مُضلِّلاً؟

٥ــ **بروتاغوراس**، إستقصاء في معنى المعرفة وفي الفضائل، وفيما إذا كان تعليم هذه الفضائل ممكناً أو غير ممكن. حوار يدور بشكل رئيسي بين سقراط وبروتاغوراس الذي قال إنّه قدم إلى أثينا حاملاً لواء العلم والتعليم، وإنّه يعلّم علم أو معرفة الحياة الإنسانيّة. لكنّ سقراط، يدحض كل التعريفات التي يعطيها بروتاغوراس.

٦ــ **يوثيديموس**، يقصّ سقراط لكريتون الحوار الذي دار بينه وبين ديونيسيدوراس ويوثيديموس، الأخوين البارعين في علم الكلام وفي الحرب بالسلاح، وكذلك الحرب بالكلمات، وهم على استعداد تام لتعليم هذا الفن. يتوصل سقراط في الحوار إلى أنّ المعرفة والحكمة هما الخير فقط، وأنّ الجهل والغباء هما الشرّ فقط، وما علينا إلاّ أن ننال الحكمة، لكن هل يمكن تعليم الحكمة؟

غير أنّ الأخوين يستخدمان فن الحرب بالكلمات، ويقلبان كل استنتاج رأساً

على عقب، ويتغيران إلى أشكال عديدة، ويستخدمان أساليب مضحكة، وهما في الحقيقة سوفسطائيّين من نوع جديد.

إنّ محاورة يوثيديموس تمتلك أكثر العناصر المهمّة في علم المنطق.

٧ـ مينون، هل تستطيع أن تخبرني، يا سقراط، هل الفضيلة تُكتَسَبُ بالتعليم أو بالتمرين؛ وإن لا فَهَلْ تأتي إلى الإنسان بالطّبيعة، أو بِأيّةِ طريقة أخرى؟ يجب أن نعرف، يا مينون، ما هي الفضيلة قبل أن نقول إنّها تعلّم أو لا تُعلّم. ليس هناك من الصعب، يا سقراط، الإجابة على هذا السّؤال، فهناك فضيلة الرجل، المرأة، الرجل المسنّ، والطّفل. هناك فضيلة لكلّ سنّ وحالة في الحياة، والتي يمكن وصف كل منها بكل سهولة. إنني أقول إنّ الفضيلة هي قوّة حكم الجنس البشريّ. لكن ألّا يجب أن تضيف لذلك، يا مينون، قوّة حكم الجنس البشريّ بالعدل وليس بالظُّلم، وأن نُثْبِتَ أنّ هناك فضائِلَ ثلاثاً أُخرى غيرَ العدل وهي الشجاعة، الاعتدال، والحكمة؟ وأن طرق الحياة النبيلة هي فضائل كذلك؟ ومع ذلك، فهل تستطيع أن تعطي تعريفاً آخر للفضيلة؟ أقول لك، يا سقراط، إنّ الفضيلة هي رغبة بالأشياء الممتعة مع قوّة حيازتها. ومن يرغب الأشياء التي تكون ممتعة. ألا يرغب الخير أيضاً، يا مينون؟ لأنّ من لا يرغب الخير لا يريد أن يمتلك الشرّ ويكون بائساً وشقيّاً. نعم، يا سقراط، لكنني أعتقد أنّ الخير هو الصحة والغنى، وامتلاك الذّهب والفضة والمنصب والتكريم في الدولة.

إنني سمعت، يا مينون، ما قاله الكهنة والكاهنات وبيندار أنّ الروح خالدة ولا تفنى، وأنّها تتذكر كل شيء عرفته عن الفضيلة بعد رحيلها، وأنّ كل التّساؤلات والعلوم تكون تذكّراً، وأنّه لا يوجد تعليم بل تذكّر فقط. ولنحاول أن نختبر مسألة في الهندسة على عبدك، الذي لم يذهب إلى المدرسة ولم يتعلم من أحد، كبرهان. ألا ترى أنّه يجيب على أسئلتي بدون صعوبة؟ إنّه يستردُّ معرفته بدون أيّ تعليم، وهذا الاسترداد هو التذكّر.

وبعدُ، إذا كانت الفضيلة نوعاً من المعرفة فيمكن أن تُعلَّم، وإذا لم تكن فلا يمكن تعليمها. دعنا نتأمل مليّاً خيرات الروح. أليست هي الاعتدال، العدل، الشجاعة، سرعة الفهم، الذّكرى، طرق الحياة النبيلة وما شابه؟ إنّ الفضيلة يجب أن تكون نوعاً من الحكمة وهي نافعة، وإنّ كل الأشياء الأخرى تتعلق بالروح، وكل الأشياء التي تخصّ الروح نفسها تتعلّق بالحكمة، إذا كانت هذه الأشياء صالحة. وهكذا لقد توصلنا إلى استنتاج أنّ الفضيلة تكون حكمة إمّا جزئياً أو كليّاً. أما الأخيّار إذا لم يكونوا أخياراً بالطّبيعة، فهل يجعلهم التعليم أخياراً؟ إنّ أي شيء يُعَلَّم ألا يتطلّب ذلك وجود معلمين ورفاق لتعليمه؟ لكن، يا سقراط، ألا تعتقد أن هناك معلمين للفضيلة؟ إذا أردت، يا أنيتوس أنْ تعلّم إبنك الطب أو الموسيقى أو أي علم آخر، أفلا تعهد به إلى معلم الطب والموسيقى وغيرهما كي يعلموه؟ لكنّك إذا أردت تعليمه الفضيلة فإلى من ستعهد به؟ هل ستعهد به إلى السوفسطائيّين؟ ألَمْ يُفسد السوفسطائيّون كل شيء؟ لقد بقي بروتاغوراس يفسد هيلاس كلها لأكثر من أربعين سنة، وحتى هو لم يسمعه أحد يقول إنّ باستطاعته تعليم الفضيلة، بل كان يسخر ممن يقول ذلك، لكنه كان يعتقد أنّه يجب تعليم الرجال أن يحسنوا الكلام، وأنّ ثيوجينس الشاعر قال إنّ الفضيلة لا يمكن تعليمها. ولماذا لم يستطع بيركليس ولا أي رجل دولة آخر أن يعلّموا الفضيلة لأولادهم؟ أؤكّدُ لك وللعالم كلّه أنّه لا يوجد معلمون ولا من يتعلم الفضيلة، بل هنالك الرأي الحقّ الذي يكون هادياً خيّراً ليصلح الأعمال مثل المعرفة، وليس هو بأقلّ منفعة منها. ورجال الدول يقودون دولهم بالرأي الحقّ، أما علاقتهم بالحكمة فهي كعلاقة الإلهيين والأنبياء الذين يقولون أشياء متعددة بحق عندما يكونون ملهمين، لكنهم لا يعرفون ما يقولون، وكذلك الشعراء.

إنّ الفضيلة لا تعلّم، لذلك فهي ليست معرفة. وخلاصة القول إنّ الفضيلة تأتي بهبة إلهية لأولئك الذين تأتي إليهم.

٨ــ يوثيفرو، محاورة تجري بين سقراط ويوثيفرو في قاعة الملك آرخون بشأن معنى التقوى، بعد أن اتُّهم سقراط بأنه يفسد عقول شباب أثينا، وأنّه يؤمن بآلهة غير آلهتها.

٩ــ ابولوجي (الدفاع)، وقفة الرجولة والشهامة التي وقفها سقراط في المحكمة دفاعاً عن الحقيقة والفلسفة وضدّ من اتّهمه بإفساد عقول شباب أثينا وبالإيمان بآلهة غير آلهة الدولة، وبالإلحاد. وفيها ينقُضُ سقراط ادّعاء متهميه، ويبين لقضاة أثينا عن اعتقاده الحقيقيّ، وعن سبب اتّهامه، لكنّهم يحكمون عليه بالموت بشرب السّمّ ظلماً وتعسفاً، شأنهم في ذلك شأن كل شعب يقضي على أخياره وأفذاذ رجاله. لقد أنذرهم بما سيحلّ بهم بعد موته، ثم قال لهم: إنّ ساعة الانطلاق قد حانت، ونحن سائرون في طريقنا، أنا لأموت وأنتم لتعيشوا، أيهما أفضل؟ الله وحده يعلم.

١٠ــ كريتون، سميت هذه المحاورة باسم صديق سقراط، الذي حاول أن يقنعه بالهرب من سجنه، بعد أن أعدّ كل شيء لهذه الغاية بما فيها رشوة الحرّاس. لكنّ سقراط رفض الهرب لأنه لا يريد أن يسبّب الأخطاء لأحد، لا لقوانين أثينا ولا للقضاة الذين أدانوه، برغم أذيّتهم له، وهو لا يحب أن يرد الأذيّة بمثلها. وقال: بما أنّ الإشارة النبويّة المعتادة التي تأتي إليّ، لم تبدِ أيَّ اعتراض على ذلك، فما علينا إلاّ أن نمتثل لارادة الله ونتبع حيث يهدينا.

١١ــ فيدون، وهي المحاورة التي جرت بين سقراط وبين سيمياس وسيبس بشكل رئيسيّ، وبين فلاسفة أتوا لزيارة سقراط في سجنه قبل استشهاده. وهنا يؤكد سقراط خلود الروح ببراهين عقليّة منطقية قاطعة، ويعطي البرهان الأول بعد أن يستفسر سيمياس ما إذا كان سقراط سيأخذ أفكاره معه بعد وفاته، ويجيبه سقراط، أنّ الموت ما هو إلا انفصال الروح والجسد، وما الموت إلا دراسة الفلاسفة الخاصة وعليهم أن لا يهابوه، وأنّ الأفكار ستكون بصحبة الروح بعد تركها

الجسد. وهنا يسأل سيبس أن يعطيه سقراط براهين أكثر عن خلود الروح، ويأذن له سقراط بالتأمّل مليّاً بمجمل السؤال وهو خلود الروح أو عدمه، ليس بالنّسبة إلى الإنسان فقط بل بالنسبة إلى الحيوانات بشكل عامّ، وإلى النبات، وإلى كل شيء يمتلك نشوءاً وسيكون الجواب أسهل. ولنسأل، أليست كل الأشياء التي تمتلك مضادات تنشأ من مضاداتها، أعني هكذا مضادات كالجمال والقبح، العدل والظلم، وتوجد عدة حالات أخرى لا تحصى كهذه. دعنا نتأمّل مليّاً لذلك إذا ما كان ضرورياً أنّ الشيء يجب أن يأتي إلى الوجود من ضده الخاص، إذا ما كان لديه واحد، وليس من أي مصدر آخر، كمثال: إن الشيء الذي يصبح أكبر يصبح أكبر بعد أن كان صغيراً، وذلك الذي يصبح أقل فمعنى ذلك أنّه كان أكثر وأمسى بعدها أقل. وتولّد الضعيف من الأقوى، والأسرع من الأبطأ، والأسوأ تولّد من الأفضل، والأكثر عدلاً من الأكثر ظلماً، وإنّ هذا يصحّ على كل المتضادات. وفي هذا التضاد الشامل لكل الأشياء، ألا توجد عمليتان متوسطتان أيضاً هما مستمرتان أبداً، من المضاد الواحد إلى الآخر، وتعودان مرة ثانية؛ كمثال: حيث يوجد أكثر وأقل توجد أيضاً عملية وسطٌ للزّيادة والنّقصان، وهكذا يُقال إنّ الشيء يزيد أو ينقص. وهكذا تتولد الحرارة من البرودة، والرطوبة من اليبوسة والعكس بالعكس. وكذلك يتولد الليل من النهار والنهار من الليل، والنائم يتولد من المستيقظ والمستيقظ من النائم، ولا يمكننا الافتراض بأنّ الإنسان ينام ولا يستيقظ أو يستيقظ ولا ينام. وأخيراً، فكما أنّ هناك مستيقظاً سينام ونائماً سيستيقظ فهناك إنسان يحيا ويموت ليحيا من جديد وهكذا دواليك. ولا يمكننا أن نعتقد أبداً أنّه يحيا ويموت ولا يحيا من جديد. إنّ ذلك كمن يفترض أن الطبيعة هي عرجاء وتسير على رجل واحدة، وهذا ليس منطقياً بل المنطق يقول إنّ هناك حياة ثم موتاً ثم حياة من جديد وهكذا دواليك. وما ولادة الأموات إلاّ ولادتهم إلى عدد الأحياء بدون زيادة أو نقصان. وهنا لا نستطيع أن نفترض أنّ الولادة تسير حسب

خط مستقيم، وأنّه لا يوجد تعويض أو دائرة في الطبيعة، لا رجعة أو عودة للعناصر إلى مضاداتها، سنعرف كلنا عندئذ أنّ كل الأشياء ستفنى بالموت أخيراً ولن يكون لها ولادة ونشوءٌ بعد ذلك. وما التذكّر بعد الحياة من جديد إلا برهان شامل لخلود الروح عبر الأزمان. والعلم كله هو تذكّر بكل بساطة والجهل نسيان.

هنا يطلب سيمياس مزيداً من البراهين بشأن خلود الروح، ويورد تشبيهاً للروح والجسم بالعود وتناسب الألحان، ويقول: لنفترض انّ الروح تشبه تناسب الألحان والجسم يشبه العود، فعندما يتحطّم العود ألا يحلّ الفناء بتناسب الألحان؟ كذلك عندما يتحطم الجسم المركّب بالموت يحل الفناء بالروح. ولو افترضنا أنّها أكثر قابليةً للبقاء من تناسب الألحان، فإنّها ستموت بعد عدة ولادات. ويسأله سقراط: أيهما كان قبلاً، العود أو تناسب الألحان؟ ويجيبه سيبياس أنّ العود كان قبلاً، ثم يسأله، أيهما كان قبلاً الروح أو الجسم المركّب؟ ويجيب سيبياس، أن الروح كانت قبل أن يوجد الجسم. ويرد عليه سقراط: إن افتراضك، يا سيبياس، هو افتراض خاطىء، إذْ انّ الروح قد سبقت الجسم في الوجود عكس تناسب الألحان. وأقول: إنّ الروح تشبه الإلهي والجسم يشبه الفاني، ولا مجال للشك في ذلك. والإلهي والبسيط خالد والمركّب يفنى.

لهذا ما علينا سوى العناية بأرواحنا وإنقاذها من شرورها، وذلك بحصولها على أعلى درجات الحكمة والفضيلة، وأن نتشبه بالله حسب الطاقة الإنسانية. [جرت هذه المحاورة قبيل تناول سقراط السمّ بساعات].

إنّ هذه المحاورة هي بحق قطعة من روائع الأدب العالمي.

١٢ــ **سيمبوزيوم أو المائدة**، وهي رائعة من روائع الفكر العالمي، تستكشف معنى الحب الحقيقي وأسراره، ويشترك فيها كل من أغاثون، فيدروس، أريكسيماخوس، بوسانياس، واريستوفاينس. يعطي كل واحد منهم رأيه فيما يظنه الحب. ثم يأتي دور سقراط ليرى ما قالته له النبيّة ديوتيما من مانتينيا شارحة

المراتب المختلفة لهذا البحث السّامي. تبدأ ديوتيما بتعريف طبيعة الحب وولادته وتقول: إنّ أول مرتبة من مراتبه هي حب جسم جميل أو أجسام جميلة وهو حب محدود، وشتان بين هذا الجمال والجمال الروحي الذي هو أثمن بكثير من جمال الأشكال الخارجيّة، ثم ينطلق الإنسان من حب النفوس إلى حب الأعمال وتنظيم الدول وحب القوانين، ويرتقي صعداً إلى حب العلوم. وبارتقائه من قمّة إلى أخرى ينسى الاسترقاق الّذي قصره على جسم واحد أو نفس واحدة أو عمل واحد. ومن تلك القمة التي وصلها يرسل ببصره إلى محيط العالم بأجمعه، ويبقى في هذا التأمل مدة طويلة يتغذى منه لينشيء فلسفة متسعة الأفق في أفكارها وكلماتها. وهكذا تقوى نظرته بعد أن دُعمت على هذا النحو، على تحمّل ومضة الكشف الأخير.

أما ما يدركه الإنسان في هذا التنوير الفجائي فهو الجمال الواحد الأسمى، جمال أخّاذ سرمديّ قبل كل شيء، لا يعرف الولادة أو الموت، ولا النمو والفساد، جمال محض. إنّه جمال إذا ما رأيته مرّة، فلن تُرى بعده باحثاً عن مقياس الذهب، والأثواب، وجمال الأولاد والشباب، والذي حضوره سيسلب لبك. إنّه الجمال الإلهي، أعني الجمال الصافي والنقي وغير المزيف، جمال غير ملوّث بأدناس الجسد، جمال يرتشف من يتأمله من الفضيلة الحقة لا من شبح الفضيلة، فيصبح خليلاً للإله وينفذ إلى الخلود رغم كونه فانياً. ويمكن وصف هذا الحب بشكل عام أنّه الامتلاك السرمدي للخير. هذه هي أعلى مراتب الحبّ الذي يصفونه بالحب الأفلاطوني.

١٣ــ **هيبياس الكبرى**، بحث في معنى الجمال. يبدأ سقراط بسؤال هيبياس: ما هو الجمال؟ ويقول هيبياس، إنّ هذا السؤال سهل جداً، ويقدر أن يجيب عليه. إنّ كل الأشياء الجميلة، يا سقراط، هي جميلة بالجمال، والجمال موجود، وإنّ الذهب جميل، وكذلك المناسب، والغنى، والصحة، والحياة الطويلة، والتكريم الذي

يناله الإنسان في حياته وبعد موته، في فتوته وهرمه. ويعود سقراط ليذكر هيبياس أنّه يريد منه أن يخبره ما هو الجمال بنفسه، الجمال الذي يكون جميلاً على الدوام وكل الأوقات. ويرد هيبياس، إنّ القوّة هي الجمال، ولربما يمكن أن يكون المفيد هو الجمال. أو أنّ الجميل الحقيقي والشيء الثمين هو القوة لأن تنقذ حياتك، ممتلكاتك، وأصدقاءك بالكلام البليغ والمنطقي. وينهي سقراط المحادثة بقوله: إنّ كل ما يكون جميلاً يكون صعباً. ذلك بعد أن نقض كل تعريفات هيبياس، السوفسطائي، للجمال.

١٤ــ **هيبياس الصغرى**، أبحاث في إلياذة هوميروس وأوديسته، إنّها محاورة التفرقة بين الحق والباطل.

١٥ــ **السيبيادس الأولى**، وفيها يتحاور سقراط مع السيبيادس حول اللاقيدايمونيين، الأثينيين، والبيوتيان، وعن الفرس، واليونانيين، والأوروبيين، والآسيويين، إلى أن ينتقلا ليبحثا عن العدل والظلم، الشرف والخسة، الخير والشر، المناسب وغير المناسب، العارف والجاهل. ثم يتناول أصل اللاقيدايمونيين وملوك الفرس ويمدحهم. ويأتي إلى موضوع الإنسان الذي شغل به عقله في كل المحاورات، ويقول إنّه جسد وروح وإنّ الروح هي الإنسان في الحقيقة. وعلى الإنسان أن يعرف نفسه، ومعرفة النفس هي حكمة، ومن لا يعرف نفسه لا يمكنه معرفة الخير والشرّ، إلى أن ينال غايته وهي أننا نصل لمعرفة أنفسنا بمساعدة الله.

١٦ــ **مينكسينوس**، وهي تبحث في صفة التّمرين الخطابي.

١٧ــ **جورجياس**، وفيها يتجاور كلّ من سقراط، بولس، جورجياس، وكاليكلس. يبدأ جورجياس (أو غورجياس) بالبحث في علم الكلام، ثم يعرّفه أخيراً بأنّه فنٌ الإقناع في المحاكم القانونيّة والجمعيات العموميّة الأخرى. ويأتي دور بولس الذي أراد من سقراط أن يعرّف علم الكلام، ويقول سقراط: إنّ علم الكلام ليس فناً على الإطلاق، بل هو نوع من الحذق العملي ويشبه الطهو. فكما أنّ

الطهيو يرضي أذواق الآكلين ويهبهم اللّذّة، كذلك علم الكلام ينتج نوعاً من البهجة والإرضاء للمستمعين. لذلك فعلم الكلام ما هو سوى جزء من المداهنة والنفاق إذا أسيء استعماله، لكنّ إذا حسن استعماله، فما ينبغي إلاّ أن يُستخدم لرفع شأن الإنسان وحثه على ممارسة الفضيلة بشكل عام.

١٨ــ بارمنيدس، تلك المحاورة الشيقة التي بنى عليها علماء المنطق علمهم وعلى رأسهم أرسطو. يبدأ بارمنيدسْ بالبحث في المثل، ثم ينتقل إلى الواحد وهل هو كل أو له أجزاء، وهل له بداية ونهاية، هل هو متحرك أو ساكن، وهل هو في الزمن. وهل الواحد يكون أو لايكون، وإذا يكون فما هي العواقب وكذلك إذا لا يكون. ويحاور كذلك في الوجود واللاوجود، وإذا الوجود يكون أو لا يكون، وإذا اللاوجود يوجد أو لا يوجد. ويتطرق إلى الكسور والأعداد والذرّات وعلاقتها بالواحد وبالوجود، ثم يبحث في الغير والشّيء نفسه وعلاقتهما بالوجود والواحد. وتختصر المحاورة بكلمة صادقة وهي إذا الواحد لا يكون، فلا شيء يكون.

١٩ــ كراتيلوس، محاورة في أصل الأسماء. يقول سقراط فيها إنّ معرفة الأسماء، هي جزء كبير من المعرفة. وإنّ القانون يعطينا الأسماء والآلهة هم من يسمّي الأشياء بأسمائها الحقيقيّة والطبيعيّة وهم من أعطاها أسماءَها الأولى. ويعرّف سقراط كذلك معنى إسم العقل، المعرفة، العدل، الشجاعة، الظلم، الفضيلة، الرذيلة، الرأي، التفكير، الضرورة، الحقّ، الباطل، الخير، وغيرها وغيرها.

٢٠ــ فيدروس، وهي رائعة أدبيّة من روائع الفكر الأفلاطوني، تبحث في طبيعة وقوة الحب، في ماهية المحبين واللامحبين، في الحب العقلاني واللاعقلاني، وحلول النفس في الجسد. وكذلك في طبيعة الروح وخلودها، وأنها مصدر كل حركة، وتحدد هيئتها التي يمكن وصفها في شكل طبيعي مثل مركبة من عربة وجوادين مجنّحين. ويشرح كيفية هذين الجوادين. وتصف هذه المحاورة الحالات التي تمر بها الأرواح، وعلاقتها بالمعرفة في قربها للآلهة أو بعدها عنهم، وتتضمن

تشديداً على الحب الرّوحي وما فيه من خير وحق وجمال، وعلى نبذ للشّهوات الحسيّة الّتي تُبعد الإنسان عن قيمه الإنسانية وسموّ تطلعاته. وهذه وسيلتها المباحث العقلية التي بها يحيا الإنسان.

أما المباحث العقليّة فقاعدتها الأوليّة هي أن يعرف الإنسان الحقيقة وأن يتكلّمها، كما يقول المثل الأسبرطي (إنّ الفنّ الحقيقيّ هو الحقيقة)، في حين يكون علم الكلام فن السّحر والشعوذة الذي يجعل الأشياء تظهر صالحة وسيئة. أمّا الفن الحقيقي فهو الفلسفة، وما لم يعرف الإنسان الحقيقة والأسلوب في تهيئتها لطبائع الآخرين، فلن يستطيع أن يكون خطيباً صالحاً.

ونعلن بموجب هذه الوثيقة لكل المؤلفين في العالم، الشعراء، الخطباء، والمشرعين، أنهم إذا أسسوا مؤلفاتهم على هذه القواعد، فحينئذ لن يكونوا شعراء، خطباء، ومشرعين فقط بل فلاسفة أيضاً. وما كل الآخرين إلا مجرّد مداهنين يضعون الكلمات معاً وهي كلمات جوفاء كاذبة.

٢١ـ ثياتيتوس، يبدأ ثياتيتوس الذي تُشبه كلماته بنهر زيت متدفق، والذي يصف نفسه أنّه شبيه بسقراط في تقاطيع وجهه، يبدأ المحاورة. يقول عنه سقراط إنّه ليس شبيهاً به في الخلقة فقط، بل إنّه فيلسوف وليس رسّاماً يدويّاً، أي مقلّداً، وهو إنسان علم، وكما حكم على تقارب وجهينا في الشكل فيمكنه أن يكون حكماً على ذكائنا كذلك. (وثياتيتوس هذا هو رياضي مشهور تفوّق في الحساب والهندسة معاً، واخترع طريقة عامة لحساب الجذور الرباعيّة الصمّاء، وأكمل نظرية الأجسام الصلبة المنتظمة)[٢]

يسأل سقراط ثياتيتوس: ما هي المعرفة؟ ويجيبه: أنّ المعرفة هي ما تعلمه من ثيودوروس، كالهندسة والحساب، وأنّ هناك أنواعاً أخرى للمعرفة كصناعة الأحذية، النجارة وما شابه. وبعد مرور وقت من الحوار يرى سقراط أنّ ثياتيتوس يواجه مشاكل في بحثه عن ماهية المعرفة، ليقول له: تعال إليّ يا ثياتيتوس، أنا القابل

القانوني الذي أنقذ أرواح الرّجال، وأفعل ذلك من شعور ودّي نحوك، إنّ الإله الّذي بداخلي هو صديق للإنسان، مع أنّه لن يسمح لي أن أخفي الحقيقة. مرّة ثانية، يا ثياتيتوس، إنّني أكرر سؤالي القديم، ما هي المعرفة؟ تَشَجَّعْ، وستكتشف الجواب بمساعدة الله.

أجيبك، يا سقراط، أنّ المعرفة هي إدراك حِسّيّ. أعتقد أنّ هذه النظرية هي نظرية بروتاغوراس الّذي يقول إنّ الإنسان هو مقياس كل شيء، وهو رجل عاقل وعلينا أن نحاول فهمه. لقد قال إنّ كل الأشياء تكون نسبيّة، لا شيء يكون كبيراً أو صغيراً، ثقيلاً أو خفيفاً، أو واحداً بل إنّ كلّ شيء في حركة وفي تبدّل وسيلان وولادة، وليس « وجوداً » كما نؤكد نحن، بل « صيرورة ». الكثيرون وافقوا على هذا التحديد ما عدا بارمينديس، إيمبادوكليس، هيراقليطس وآخرون. أمّا شعراء الملهاة كأبيخارموس وشعراء المأساة كهوميروس فكلهم وافقوا على ما يقوله بروتاغوراس، ويقولون إنّ الكل يتحرك، وإنّ للحركة نوعين: الفعل والانفعال اللذين ينبعث منهما ظواهر غير متناهية، ولها أيضاً شكلان اثنان: الإحساس والمدرك بالحسّ، وأنّ الكل يكون نسبياً.

أمّا نحن فنقول أولاً، مثل كل شيء، لا شيء يستطيع أن يكون أكثر أو أقلّ في حين يبقى متساوياً؛ ثانياً، لا يمكن أن يكون هناك مناسبة للأكثر والأقل بدون جمع أو طرح؛ ثالثاً، أنّ ما يكون وما لم يكن لا يستطيع ذلك ما لم يصبح.

ولنفترض جدلاً، يا ثيودوروس، أنّ ما يقوله بروتاغوراس صحيح من أن ما يظهر يكون، فهل يقول بروتاغوراس إنّ ما يظهر للخنزير أو للقردْ أو لأي حيوان غريب الشكل يحسُّ، يكون مقياس كل شيء. لأنّه إذا كانت الحواس على حق دائماً، وإذا كانت بصيرة الإنسان، كل إنسان، جيدة كبصيرة الآخر، وكان كل إنسان هو قاضي نفسه، وإنّ كل شيء يحكم به هو حق وصدق، فما حاجة بروتاغوراس لأن يكون معلماً في شخصية سامية عندئذ، إذا كان الإنسان هو

مقياس كل شيء؟ ولنسأل سؤالاً جوهرياً إذا كان يقدر الإنسان أن يعرف ولا يعرف في الوقت عينه، بعد أن رأينا أنّه إذا أغمض الإنسان إحدى عينيه يقدر أن يرى وأن لا يرى في الشيء عينه؟ وإذا كان ما يظهر لكل إنسان يكون، فلماذا يعتقد كل الجنس البشريّ أن بعضهم يكون أعقل من الآخرين في وجهات نظرٍ ما، وبعضهم أقلّ حكمة في وجهات نظر أخرى؟ وهم مستعدون في ساعات الخطر لأن يجثوا ويعبدوا أي شخص هو أسمى منهم في الحكمة وكأنّه إله، والعالم كلّه مليءٌ برجال آخرين يسألون كي يتعلموا، وهم مستعدون ليكونوا محكومين، وممتلىء برجال مستعدين ليحكموا ويعلّموا. كل هذا يدل على أنّ الرجال يحكمون على انطباعات بعضهم بعضاً، ويعتقدون أن بعضهم حكيم والآخر غبي. فكيف سيجيب بروتاغوراس على هذه المحاورة؟ أمّا نحن فنقول إنّ الله هو مقياس كلّ شيء وليس الإنسان، وإن ما يظهر للإنسان العاقل هو الكائن.

ونعترف نحن أن الإدراك الحسّي المباشر للحار، والبارد، وما شابه يبدو لكل شخص كما هو، ومع ذلك فإنّ هذه الفرضية لا يمكنها أن تمتد إلى ما يحكم به العقل أو الآراء، الصحيح والخطأ، التقيّ والفاجر وغيرها كثير.

إنني أقول، يا ثياتيتوس، إن الفيلسوف هو سيد والمحامي خادم. إنّ المحامي شبيه بالسوفسطائي. لقد تعلم فن المداهنة، وهو كامل في ممارسة الطرائق الملتوية، وبارع في التضليل والكذب، ويصبح مفسداً ومنحرفاً بدون أية صحّة أو حرية أو إخلاص فيه عندما يبلغ سن الرجولة، إنّه سيّدٌ في المكر والخداع.

أمّا أسياد الفلسفة فلم يتعلموا قط طرائق التقاضي؛ إنّهم لم يسمعوا أو يروا قوانين الدولة وأصواتها، مكتوبة أو مرويّة، ولم يألفوا المجتمعات سواء كانت سياسية أو مهرجانية، ولم تدخل الندوات أو المغنّيات حتى في أحلامهم. ولم يعرفوا ولا يستطيعون أن يخبروا عن فضائح سالفيهم ذكوراً كانوا أو إناثاً، ولا يعرفون عن عدد الليترات في المحيطات، ولا هم يستحون بجهلهم، لأنّهم لا يمارسون

الخصوصية كي يحصلوا على الشهرة، لكنّ الحقيقة هي أنّ شكلهم الخارجي يسكن في المدينة الداخلية للإنسان (أي النفس) فقط. وكما يقول بيندار، فإنّها ذاهبة في رحلة استكشافيّة، تقيس الأشياء التي تحت الأرض وفي باطنها كما يقاس بالخط والمسطرة، مستجوبة الطّبيعة كلها، لكنها غير متنازِلة لتراقب ما يكون قربها. إن الفيلسوف يبحث في جوهر الإنسان على الدوام.

ويا ثيودوروس، أقول لك إنّ الشرّ يجب أن يبقى هكذا في العالم ليكون مضاداً للخير، خارجاً عن طريقة الآلهة في السماء. في حين أنّه يجب علينا أن نطير من أنفسنا إليهم. وما الطيران إليهم إلاّ أن نصبح شبهاً بهم. ومع ذلك، فالحقيقة هي أنّ الله قويم، وأكثر الناس شبهاً به هو الأكثر استقامة. والحكمة هي أن تعرف هذا؛ وفي مقارنة مع ذلك فإن حكمة الفنون أو الحكمة الظاهرية للسياسيين تكون دنيئة وعاديّة.

والحقيقة أنه يوجد حركة وسكون، وليس الكل في حركة كما يقول بروتاغوراس. ونحن نقول إنّ المعرفة تكون ولا تكون إدراكاً حسيّاً، إنّها تكون من خلال الأعضاء الموجودة في جسمنا، ولا تكون إداركاً حسياً عندما تفهم الروح المجردات، والوجود هو أكثر المجردات شمولية. أمّا الخير والجمال فهما مجردان من نوع آخر، يوجدان في نفسيهما ويدركهما العقل بنفسه. كمثال، نحن نعرف شيئاً ما أنّه صلبٌ أو رخو بحاسة اللّمس المعطاة إلى الرجال والحيوانات منذ ولادتهم، لكن ماهية الصّلب والرّخو نتعلمها ببطء بالملاحظة الناشئة عن تفكير طويل وبالخبرة. إنّ الإدراك الحسّي المجرد لا يصل إلى الوجود. ولذلك يقصر عن اكتناه الحقيقة؛ ومن أجل هذا لا يمتلك حصّة في المعرفة. لكن إن كان هكذا، فالمعرفة ليست إدراكاً حسيّاً.

وبعدُ، ما هي المعرفة، يا ثياتيتوس؟ هل سنقول إنّها رأي صحيح؟

نعم، يا سقراط، إنّها رأي صحيح مرفق بتحديدٍ أو تفسير.

لكننا بعد أن بحثنا كل الأفكار كي نكتشف ماهية المعرفة، وجدنا أنّ المعرفة ليست إدراكاً حسيّاً، ولا رأياً صحيحاً، ولا حتى رأياً صحيحاً مرفقاً بتحديد أو شرح. وإذا كنت لا تزال منهمكاً، يا ثياتيتوس، في البحث عن أفكار جديدة لتحدد بها المعرفة، أنصحك أن تتخلص منها، وإذا لم يكن لديك أيّ منها فالأفضل لك أن لا تتوهم أنّك تعرف ما لا تعرفه. لاحظ لذلك حدود فنّي الذي هو كفن أمّي، وهو فن القابلة؛ هي تنقذ النساء وأنا أُنقذ أرواح الرّجال، وإنني لا أتظاهر في أن أتقارن مع الخيّر والحكيم لا في هذا العصر ولا في العصور الغابرة أو التي ستلي.

٢٢ــ السوفسطائي، وفيها يتم تقسيم العلوم، وتقسيم الفنون، وذلك كي نعرف من هو السوفسطائي وما هو عمله. إنّ السوفسطائي يدّعي العلم فقط وهو مخاصم ويعلّم فن الخصام عن الأشياء الإلهيّة التي هي محجوبة عن الناس بشكل عام، وكذلك عن الأشياء المرئية في السماء وعلى الأرض وما شابههما، ويعلّم فن الجدال في المحادثات الخاصة عن إثبات النشوء والماهيّة، وعن القانون والسّياسة. وباختصار فإنّ السوفسطائي ما هو إلا ساحر ومقلّد وكلامه كاذب وخادع. وهناك فرق كبير بين الفيلسوف الذي يرتبط علمه بفن الدياليكتيك وهو علم صاف وحق، وبين ما يرتبط به السوفسطائي، ومرتبته مع المقلّدين بحق وليس بين هؤلاء الذين يمتلكون معرفة. لذلك فإنّ الجهل الأكبر هو أن يدّعي المرء أنّه يعرف عندما لا يعرف، وهذه قمة الجهل، وهذا ما يفعله السوفسطائي بكل تأكيد.

٢٣ــ بوليتيكوس أو رجل الدولة، وتبحث هذه المحاورة في ما سيكون عليه رجل الدولة، الذي يجب أن يرتبط علمه بعلم الملك الحقيقي ـ الله ـ وعمله ليس يدوياً ولا جسدياً. وإنّما يتممه بقوة ذكائه وعقله. والعلوم المعرفية قسمان: الآمرة والقاضية. الأولى تخصّ الملك، والثانية تخص رجل الدولة. ويقسّم سقراط الجنس البشريّ الذي سيرئسه رجل الدولة إلى قسمين: ذكور وأناث. وكذلك يقسّم

الحيوانات إلى قسمين: أليفة وبريّة، والعلوم السياسيّة تخصّ الأليفة والاجتماعية بالذات. ثم يبحث في ماهية الراعي الإلهي الذي يقول إنّه أعلى من الملك، إلى أن يصل إلى علم الحكومة الإنسانية، ويؤكد أن علينا اكتشاف السياسيين المزيفين وفصلهم عن الملك العاقل، ويحدّد ما هي الحكومة الحقّة، ويفرّق بين علم السياسة وعلم الكلام وعلم السفسطة.

٢٤ـ فيليبوس، ويدور النقاش في هذه المحاورة بين سقراط، فيليبوس، وبروتارخوس عن السعادة الحقيقية للروح. يقول سقراط: إنّ سعادتها ليست في الأشياء المادية التي تؤدّيها الملذّات الجسديّة، بل سعادتها في معرفة الخير وعمل الخير واكتساب الحكمة. وما الملذّات الجسديّة إلا ظلال، والملذّات الروحية العقلية هي الحقيقة. إنّ العقل هو حاكم العالم، وهو يختص بالنّوع الذي نسميه السبب. أمّا اللّذة فمكانها الطبيعي في المحل الممزوج الّذي رُكّزت فيه الصّحة والتناسب. إنّ الأخيار الذين هم أصدقاء الآلهة يرون الصّور الحقيقية، والأشرار يرون الصور الكاذبة. هناك الملذات الصافية في نفسها التي تشتق من طلب المعرفة، وهذه تنشأ من عمل تالٍ للملاحظة الناشئة عن تفكير طويل، وقلةٌ ينالونها. إنّ أصدق الفنون جميعها في تقدير كل إنسان عاقل هو علم الجدل، أو علم الوجود، الذي سينسانا ويتبرأ منّا، إذا نسيناه وتبرأنا منه. أمّا العلوم الأخرى بشكل عام فهي منهمكة بقضايا الرأي وبإنتاج وعمل وشهوات هذا العالم الحسّي. لكن الحقيقة الأسمى هي تلك التي تكون أزلية وغير متغيرة، والعقل والحكمة يختصان بالأزليّ. وما سنسمح له بالدخول من الملذّات: الأولى الملذّات النقية، الثانية الملذّات الضروريّة. أمّا إدخال بقية الملذّات فستكون مسرورة بدخولها مع الحكمة. أمّا مدخل الخير فله ثلاثة عناصر: الحقيقة، التناسق، والجمال.

إنّ اللذّة إذن، لا تُصنّف الأولى في ميزان الخير، بل القياس والتناسق الأزلي. يأتي ثانياً التناسق والجمال والكمال.

ثالثاً، العقل والحكمة.

رابعاً، العلوم والفنون والآراء الحقيقية.

خامساً، الملذّات غير المؤلمة.

وليس لديّ شيء لأقوله عن النوع السّادس. وهكذا، يمكن للعقل واللذة كليهما أن يحلنا المطالبة بالمكان الأول. غير أنّ العقل يكون عشرة آلاف مرّة أقرب إلى الخير الرئيسي من اللّذة. إنّ اللّذّة تُرتّب في المقام الخامس وليس الأول، حتى لو أكّدت حيوانات العالم كلّه عكس ذلك.

٢٥ـ طيماوس، وهي بحث شامل في الوجود والتكوين. وطيماوس هذا إيطالي الجنسية فيثاغوري الأفكار والالتزام، وهو عالم بعلم النجوم. يقول أفلاطون بلسان طيماوس، إنّ العالم مخلوق له بداية وهو خالد، والله خلقه وهو مصنوع بشكل دائريّ، والكواكب السيّارة السبعة الموجودة فيه لكل منها حركاته وتأثيره على العالم السفلي. وقبل وجودها لم يكن هناك ما يسمى بالوقت، ولم يكن هناك أيام وليال وشهور وأعوام. ويقول بأنّ الأرض تخلق الليل والنهار بدورانها. ويخلق القمر الشهر، وتخلق الشمس السنة، ثم يأتي دور خلق الإنسان، الذي يقول عنه إنّه أكثر الحيوانات تديّناً وديانة. ويتطرق إلى ولادة الروح وولادة الجسم وأجزائه، وعمل كل منها في الجسد كالقلب والطحال والكبد والمرارة والكلية. ويبحث في عملية الهضم والتنفس وعمل الحواس الخمس، ويقول إن البصر أشرفها. ثم يتكلم في بداية الأمراض، ويقول بأنّ أمراض الرّوح هي الشرور بشكل عام وبأنّ الفضائل هي علاجها، ويصف الجهل بأنّه أكبر أمراض الروح.

ثم يعرّج على الأفلاك، ويثبت أنّها بدورانها خلقتْ العدد، ومنحتنا تصوّراً للزمن والقوة كي نتساءَل عن طبيعة العالم، ومن هذا المصدر استمددنا الفلسفة التي لا خير أعظم منها أعطته أو ستعطيه الآلهة للإنسان.

ويتقصّى بعد ذلك التحوّلات الكيميائية، وكيفية تحلّل العناصر وامتزاجها

ببعضها البعض، ثم يدرس طبائع الأشياء، وينتقل منها إلى الهندسة وكيفية اشتباك مثلّثاتها، إلى أن يقول إنّ الهرم هو المادة الرئيسيّة للنار وهو بذرتها، ويتطرق إلى عملية تحويل المعادن وعلى رأسها الذهب. ويعالج في هذه المحاورة عدداً من المسائل العلميّة الأخرى. (لكنّ ما هو مهم فيها هو النظرية الذّريّة الهندسية عند أفلاطون وتحوّلاتها التي تستبق النظريات الفيزيائية الحديثة بصورة ملفتة. فأفلاطون يتجاوز كثيراً النّظريّة المادّيّة عند ديموقريطس. ومن الواضح أنّ المثلثات الأساسية التي يتحدث عنها هي المقابل لما يطلق عليه في الفيزياء الحديثة اسم الجزيئات الذّرّية أو الأوّلية، التي هي مكونات الجزيئات الأساسيّة. يظهر أفلاطون في هذه النواحي سابقاً التراث الأساسي للعلم الحديث. فالرأي القائل إنّ كل شيء يمكن ردُّه إلى الهندسة، أصبح يقول به ديكارت صراحة، كما يقول به آينشتين، ولكن بصورة مختلفة، وهكذا يكون لدينا نموذج رياضي للتّفسير الفيزيائي، وهذا هو بعينه، من حيث المنهج، هدف الفيزياء الحاضرة. كما أنّ أفلاطون يرى أنّ بداية السّلسلة الرّقمية هي الصفر بدلاً من الواحد، مما يتيح له وضع نظرية عامة للأعداد الصّمّاء. وبالمثل أصبح في الهندسة ينظر إلى الخط المستقيم على أنّه ينشأ من حركة نقطة، وهو رأي يلعب دوراً أساسياً في نظرية المعادلات المتغيرة عند نيوتن، التي كانت من الصور الأولى لما أصبح يُعرف بعد ذلك بحساب التفاضل)[٣]

وإننا نرى بوضوح كيف يسهم أفلاطون في توحيد الحساب والهندسة في إطار روح الدياليكتيك التي رسمها في هذه المحاورة وهي جلية لكل متبصر في العلوم.

٢٦ــ كريشياس، وهي المحاورة الوحيدة التي لم تكتمل في عمل أفلاطون. إنّها جزء ثانٍ من أجزاء محاورة طيماوس ولها صلة بمحاورة الجمهورية. تبحث في حرب أثينا مع جزيرة أطلنتيس التي غرقت واندرست آثارها، (ولقد أعطت هذه المحاورة ولادة الأدب القصصي العالمي، وتأتي من حيث الأهمية، بعد قصّة حرب

طروادة وأسطورة آرثر. وقيل إنّها ألهمت بعضاً من ملاحي القرن السادس عشر الأوائل، ألهمتهم في أعمالهم بالواقع)[٤]

٢٧ـ النواميس، ويتولّى هذه المحاورة ثلاثة متحاورين هم: أثيني غريب، كلينياس الكريتي، وميغيلوس اللاقيدايموني في غياب سقراط. إنّها تتألّف من إثني عشر كتاباً. يبدأ الغريب الأثيني في الكتاب الأوّل بسؤال كلينياس ما إذا كان مشرّع القوانين هذه إلهاً أو إنساناً، ويجيب أنّ الله مشرّعها بكل تأكيد. يبدأ البحث في التقارُب بين قوانين البلدان الثلاثة، وفي أسباب الحرب والسّلام، وفي أنواع الخيرات، والعلاقات الجنسيّة، وشرب الخمر، وصفات القائد، وخير العلم، وأي وقت يبدأ التعليم وما هي مميزاته، وفي فن علم السياسة.

والثاني، يبحث في الطبائع الإنسانيّة، وهل ينبثق تحسنها من شراب منظم جيداً، أو من فوائد أخرى أكبر ويجب أن نرغب بها. ويحض فيه على تعليم الموسيقى ونبذ شرب الخمور حتى تحريمها بشكل كلّي.

والثالث، يتبصّر في أصل الحكومات وأسباب تغيرها، وفي أخلاق سكّان الجبال وسكان المدن، وما هو المجتمع الحق، وفي أية حكومة يتم تشكيلها. ويؤكد أن على العاقل أن يقود وعلى الجاهل أن يتبع. ويقول الأثيني، بلسان أفلاطون، إنّ الملكية والديموقراطية هما أُمّات الدول. وأخيراً يعطي فكرة عن مقومات الدولة السعيدة.

والرابع، يقترح موقعاً مناسباً لهذه المدينة ـ الدولة، ويتساءَل هل ستكون بجانب البحر أو داخل البلاد؟ وما هي مقوماتها. وكيف تُقلب الحكومات وتُغيَّر القوانين، وأي اسمٍ سيُعطى لها، وكيف سنحيا بها، وما هي واجبات الأولاد نحو آبائهم، ومن هم شعراؤها، وكيف يتم التزاوج بين ساكنيها؟

والخامس، يبحث في القوانين الخاصة بالآلهة والأسلاف الذين يفضلون الفضيلة على الجمال والذهب وكل المقتنيات الأرضيّة، وأنّ على الإنسان أن لا يُغرِقَ في جمع المال، بل عليه أن يتبع الحقيقة التي هي الرئيسة لكل الأشياء الخيرة، للآلهة

والرجال على السواء، وأنّ الجاهل والذي لا يوثق به لا يمتلكان أصدقاء، وأن يمتنع الإنسان عن الغلو في حب نفسه ويقلل من الضحك ومن الدموع ويتبع الخير. ثم يتطرق إلى توزيع الأرض بين القاطنين. والحكمة تقول إن الأصدقاء يجب أن يشتركوا في ملكية الأشياء. وعلى المواطن فيها أن يكون سعيداً بكل معنى الكلمة، والسعادة تكمن في الخير والفضيلة. ويجب منع الرّبا، والحرص على الجسم والروح. يتم الأول بالرياضة والثاني بالتعليم. ويقول إن علينا إبطال التّعامل بالذهب والفضّة، وينبغي أن نعلّم أبناءنا الحساب لأن فوائد جليلة وعميمة تصدر عنه. ولم يغرب عن باله تأكيد ما لتأثير المكان والرّياح والحرارة والماء والطعام على الرّوح، وعلى الإنسان أن يتكيّف حسب مقتضاها.

والسّادس، يبدأ في تعيين هيئة الحكّام والقُضاة، ويشرح كيف ستكون أخلاقهم وأعمالهم وتصرفاتهم وفضائلهم وتهذيبهم، ويشدد على أن يكون الدِّين هدفهم الأساسي، ويؤكد على ضمان الرقم ٥٠٤٠ [5040] في تحديد عدد ساكني مدينتهم، وعلينا أن لا ننسى تقديم النصائح للراغبين في الزواج منهم، ومعاقبة من لا يتزوج في سن معيّنة، وعدم شرعية الشراب وخاصة عند الزواج كي لا ننجب أطفالاً غير كاملين عقلياً وجسدياً، والعيش المستقل بعيداً عن الأهل بعد الزواج. كذلك يجب أن نبني المدن بشكل دائري وذلك لأغراض الدفاع والنقاء. وهناك قانون للنساء وللأطفال وكيف سيتم تعليمهم وإطعامهم وإنجابهم، وماذا سنفعل إذا لم ينجب الآباء الأطفال بعد سن معينة.

والسابع، يشرح كيف سنطعم أطفالنا، وما هي الغاية من التعليم، ومنافع الرياضة للجنين، وعلينا أن لا ندع أطفالنا يمشون حتى سن الثالثة كي تصبح عظامهم صلبة ولا تتقوس. وما هي منافع الحركة للأطفال، وكيف نُنيمهم، وما هي عادات الأطفال، وما هي الحياة الحقيقية التي سنهبها لهم، وكيف سنعامل المرأة خلال الحمل، وكيف سنعتني بالأطفال بعد بلوغهم سن الثالثة والسادسة، وينبغي

أن ندعهم يستعملون كلتا يديهم ولا نشلُّ عضواً على حساب الآخر. أمّا تعليم الرياضة فذلك لتقويم الجسم كما أنّ الموسيقى هي لتقويم روحهم، لذلك يجب أن نلقنهم الأغاني التي تناسب إحساسهم المرهف لإدخال الاعتدال إلى أرواحهم، وعلينا أن نعلّمهم الدّين وعلاقتهم بالله. أمّا المرأة فعليها أن تشارك الرجل في معظم الأعمال، وهناك قانون خاص بها. أمّا النوم فقليله نافع. ثم نذهب إلى الرجل ونحِضّه على ما سيتعلّمه، وننمّي فيه روح التعليم الحقيقي، ونبعده عن المزالق الخطِرة فيه، ونختم كتابنا بدعاء إلى الشباب.

والثامن، علينا، بمساعدة كاهن دلفي، أن نقيم احتفالات دينيّة، ونسنّ قوانين عنها، وأن نقرر أيّ التضحيات صالحة ولأيٍّ من الآلهة سنقدمها، ويجب تنظيم تقديمها في أوقات مناسبة. كما وينبغي أن نسنّ قوانين للحرب، وأن نميت الخوف في نفوس رجالنا، ومن ثم أن نحثهم على أن لا يكونوا أغنياء، شارحين لهم مساوىء ذلك، وعلى هيكليّة الدولة بمجملها، ونتقدم بعدها لنشرح مساوىء الحكومات ثم نحدد العلاقات الجنسيّة، ونحرّم اللّواط، ونحثّ على الصداقة، ونمنع الزنى والفواحش، ونبيّن لهم معنى النصر الحقيقي، ونشرح لهم سُمُوَّ العذريّة. ثم ننتقل إلى إفهامهم أن لتغيير الحدود بين الجيران جزاء، وأنّ للمياه قانوناً، وأن نحسن ضيافة الغريب، ونسنّ قانوناً لتوزيع المياه وهكذا.

والتاسع، يبحث في مجموعة القوانين، تلك المجموعة التي تختص بالزّراعة والأهم فيها، وما هي العقوبات التي ستُنزلُ بمن يقوم بأيّ اعتداء في هذا المنحى، ومن سيكون القُضاةُ في هذا المجال. ويحذر الغريب الأثيني من مساوىء الغنى، وعواقب الطموح، اللذين يبعدان الإنسان عن السعادة. ويقول عن فن السياسة إنه يختص بالخير العام وليس بالخير الشخصي، والخير العام يربط الدول معاً والخاص يفرّقها، ولذلك فإنّ الدولة أهم من الفرد. ومهما كان هناك من قوانين فلا قانون أو نظام يرتفع فوق المعرفة، والعقل التّقي سيد الجميع.

والعاشر، يلخص أعمال العنف وما هي طرق وقفها، ويصدر قوانين صارمة ضد المعتدين على الدّين. ثم يلتفت إلى الطبيعيّين وما يتقوّلونه في الدين، وما يزعمونه بشأن تكوين الأشياء، حيثُ يقولون إنّ بعضاً منها يأتي إلى الوجود بالطبيعة، وبعضاً بالفن، وبعضاً بالصُّدفة، ويدحض تقوّلاتهم وخاصة عقيدتهم التي تقول إن الحقّ الأعلى للقوة. ثم يعود إلى موضوع الروح والجسم، وأنّ الروح هي أولى الأشياء وقبل كل الأجسام، وهي المسبّب الرئيسي لتغيرها ونقلها، ويشرح خصائص كلّ منهما. بعد ذلك، يؤكد خلود الروح ووجودها قبل الأجسام الطبيعية وأنّها تمتلك حركة خاصة بها من بين حركات عشر، ويعرّفها أنها الحركة التي تحرّك نفسها، وهذه الحركة هي منبع التغيير والحركة في كل شيء. والروح هذه هي التي تنظّم وتسكن كل شيء يتحرك، كيفما تحرك، وهي تنظم السّماوات. أمّا السّماء فهي تتحرك بروح العقل. ويشرح الحركتين: حركة العقل والحركة المضادة، وأنّ الروح الأكثر كمالاً هي التي تحمل السّماوات بشكل دائري، وما روح الشّمس إلاّ أفضل منها وهي التي تحركها، وروحها هي الله. وماذا سنقول لمن ينكر وجود الله؟ وماذا سنقول للمؤمن بوجود الله ولا يؤمن بعنايته بالشّؤون الإنسانيّة؟ ويؤكد الغريب الأثيني على أنّ الإهمال والكسل والترف ليست فضائل، ويعطي برهاناً على أنّ الله يعتني بالشؤون الإنسانية، وعنايته تشمل كل شيء، وأنّه ينظم كل شيء. أما خلاصنا فهو بالعدل والاعتدال والحكمة.

والحادي عشر، الآن ينبغي أن ننظّم علاقة المعاملة بين الإنسان والإنسان، وعلينا أن نمتلك العدل في الروح الذي هو أفضل من امتلاك الغنى. وننتقل إلى تنظيم العلائق بين السّيّد والعبد، وكيف سنرتبها في المبادلات، وماذا سيحلّ بالزاني والزانية، وبمن يقسم كذباً ويشهد زوراً، وكيف ستُدار تجارة التجزئة وتجارة الجملة، وعلى أية قواعد سيبني التاجر تجارته، ومن سيدخل عالم التجارة، وكم سيربح التّاجر من تجارته، وذلك من أجل أن لا يوجد غنى فاحش ولا فقر مدقع، لأنّ

الأول يُفسد روح الإنسان بالترف، والثاني يقوده الألم إلى قلّة الحياء. وما على الإنسان إلاّ أن يتأمل مليّاً ساعة موته. قانوننا يقول إنّ الفرد وممتلكاته للعائلة والممتلكات والعائلة للدولة، وكيف سيتم التعامل بين الأفراد، وعلينا أن نحترم الوالدين ونعاملهما بالإحسان. والآن، بماذا سنعاقب من يسمّم للآخرين؟ وسنعاقب السّحرة، ونمنع الغيبة، ونحرّم التسوّل، ولن نسمح للكتّاب الهزليّين بممارسة أعمالهم، وسنحكم بالموت على من يشهد بالزور، وكذلك على السوفسطائي. وهذا هو العدل الذي هو محضِّر الإنسانية بحق.

والثاني عشر لقد جاء دور سفرائنا، فكيف سيكون عقابهم إذا لم يتصرفوا بحكمة؟ وسنشرح ما هي قوانين الحرب والرقص، وكيف سنعامل الموتى وأن لا بكاء ولا نحيب بعد وفاتهم. ثم يعرّف الغريب الأثيني الحضارة، وأن العقل هو القائد وهو منقذ الكل. وتوجد بدون ريب أربع فضائل أساسيّة في الإنسان وهي: الشجاعة، الاعتدال، الحكمة، والعدل، ويعطي برهانين لوجود الآلهة.

هذا هو باختصار ما كتبه أفلاطون الخلاق، عدا الرسائل الثلاث عشرة. لكن تبقى الجمهورية، التي لم يؤلف محاورة مثلها لها نفس سعة الرؤيا وكمال الشكل، ولا واحدة تبين معرفة حقيقية متساوية للعالم، أو تحتوي أكثر تلك الأفكار التي هي جديدة كما أنها قديمة، وتصلح ليس لعصر فقط بل لكل العصور والأزمان. وليس هناك في أي مكان من عمل أفلاطون ما هو أعمق سخرية أو أغنى فكاهة وخيالاً، أو أغزر قوة إثارةٍ للفكر، ولا في أية محاورة أخرى من كتاباته، وجدت المحاولة لحبك تأملات الحياة أو لوصل علم الفلسفة بعلم السياسة.

إن جمهورية أفلاطون هي المركز الذي تدور حوله كل محاوراته، حيث يتم البحث في الكتب الثلاثة الأولى منها عن العدالة بشكل رئيسي، التي هي بحق الحضارة الإنسانية، كما يقول. ثم يعطي التعريف الحقيقي لمعناها، ويبحث الكتاب الرابع في هيكلية الدولة وكيف يجب بناؤه. أمّا الكتب الثلاثة: الخامس، السادس،

والسابع، فلقد وصلت الفلسفة فيها إلى أعلى قممها، ولها المفكرون العابرون أبداً بلغوا. ويستعرض مختلف أنظمة الدول وحكامها في الكتابين الثامن والتاسع، ويقسّم الدول إلى خمس هي: الملكيّة، الديموقراطيّة، التيموقراطيّة، الاوليغاركيّة، والاستبداديّة، ويصفها وصفاً رائعاً كما يكشف النقاب عن نفسيّة من يرئسها. وتُختتم الجمهورية بكتاب عاشر فيه استنتاج شامل لِما سبقه من إبداع، وتشديد على دَوْر الشعر، وأنّ الشعر الذي سيُدخله إلى الدولة هو الشّعر الذي يتغنى بالعِزّة الإلهية ويمجّد الأبطال الإلهيين ويتناول مسألة خلود الروح.

إنّ أفلاطون هو العبقري الأعظم، العالم بالغيبيات، الذي لم يرَ العالم له مثيلاً، وفيه، أكبر من أي مفكر آخر تُختَزَنُ أصول المعرفة المستقبليّة. فعلوم المنطق، وعلم النفس، وعلم العدد، التي أعطت العديد من أدوات الفكر للأجيال القادمة كلها مرتكزة على تحاليل أفلاطون وسقراط، ومن ثمّ التعريف الرئيسي لموضوع البحث، قانون التناقض، مغالطة الحوار في دائرة، الفارق بين الجواهر والأعراض لفكرة أو لشيء، والتمييز بين الوسائل والغايات، بين الأسباب والحالات. ويأتي أيضاً تقسيم العقل إلى المعقول والشهواني، وتقسيم العناصر الغضبيّة أو الملذات، ثم تقسيم الشهوات إلى ما هو ضروريّ وغير ضروريّ، ما هو صالح منها وما هو سيِّىء. هذه وغيرها من صور الفكر الكبرى، توجد كلها في الجمهوريّة، وهي كتأكيد مطلق من استنباط أفلاطون. إن أعظم الحقائق المنطقيّة ككل، وواجدة، تلك التي يكون الكتّاب عن الفلسفة عرضة لزياغ البصيرة فيها، ألا وهي الفرق بين الكلمات والأشياء. إنّ أفلاطون كان الأكثر إصراراً عليها.

أفلاطون الحكيم، هو أبو المثاليّات في الفلسفة، في السياسة وفي الأدب. إن العديد من الإدراكات الأخيرة لرجال الدول والمفكرين المحدثين، كوحدة المعرفة، سيادة القانون، والمساواة بين الجنسين على أعلى المستويات سبق غيرهُ معرفة له والتزاماً به. والحقيقة الثابتة هي أنّ فلسفة أفلاطون سلسلة متصلة حلقاتها، لا يمكن

لأي باحث عن الحقيقة والعلم فصلها. فأفكاره يتمم بعضها بعضاً، ولها غاية تبحث عنها وتصل إليها بعد عدة محاورات. لذلك، على دارسها أن يسبر أغوارها كلها ليحصل على الحقيقة المبتغاة.

كما وينبغي أن نقرر أن ما نعرفه عن فلسفة أفلاطون ليس كل ما كتبه في هذا المجال، بل كانت هناك فلسفةٌ وأفكار سرّيّة لم تُعط إلاّ لخواص المريدين والتلاميذ في الأكاديمية، كما يقول أرسطو، تلك الأكاديمية التي دامت أكثر من ألف سنة تُخرّج عباقرة الفكر الإنساني، إلى أن أغلقها جوستينيان، الأمبراطور الروماني، سنة ٥٢٩ [529] ميلادية. ولا عجب أن حافظ أفلاطون على جوهر الفلسفة بإعطائها لأهلها، فذلك معروف في كل عصر وزمان. كذلك فإنّ أفلاطون اقتبس العلم من فوثاغوروس، وكانت نظرياته في العدد، الرياضيات، الوحدة، الوجود، التقمص، التذكر بعد الوفاة، وحدة المعرفة، والتعاليم السّرّية الأخرى هي الأساس الذي شاد أفلاطون معارفه وأفكاره عليه، عندما خطّ بالقلم، وهي لمعلمه فوثاغوروس.

كذلك، فإنّ ما كان للعالم القديم، وخاصة لمصر الفرعونية، من علاقات روحيّة مع فلاسفة اليونان، وكم من مرّة زاروها وزارها أفلاطون وعاش في هياكلها، وآقتبس من كهنتها ووهبهم العلم الحقيقيّ، وهذا ما كان له الأثر العميق في ترسيخ دعائم الفكر الفلسفي في هذه الأرض الطّاهرة. وإذا يممنا بالفكر شطر الشرق العريق في الحضارة والإبداع الروحي والعقلي، وعرفنا ما أنتجه الفكر الفلسفي الصيني، الهندي، الفارسي، والهلال الخصيب لتأكّدنا من عمق الصّلات الفلسفية العقلية التي توثّق ما بين حكمة اليونان وإشراق الشرق، ولتثبتنا من أن وحدة الفكر الإنساني في تقصّيه عن الحقيقة وتقديسه لها، هي نفسها لم تتغيّر على الدوام، بل تطوّرت من حيث الزمان والمكان والإمكان وقوة العلم.

كما وأنّه لا يغرب عن بالنا كم كان لهذا الفيلسوف الرفيع العماد، من تأثير

على منحى وتطور الفكر الموسوي والكنسي المسيحي، فتأثر به فيلون، وكليمانت، واوريجينوس الإسكندري، وبويتيوس الروماني، والقديس اوغسطينوس، وشيشرون في جمهوريته، والسيد توماس مور في طوباويته، وتوما الاكويني، وروجر بايكن، وكانط، وكثير من المفكرين الكبار الذين صمّموا أعمالهم وأسّسوا أبحاثهم حسب منطوق جمهورية أفلاطون. وإذا قارناها بالكتاب المقدس لوجدنا التشابه الفكري العميق بينهما.

ثم أتت مدرسة الإسكندرية بأفلاطونييها المحدثين، وكان من أبرز أعلامها الشيخ الإسكندراني، أفلوطين، واضع أسس الأفلاطونية الحديثة، ذاك الفيلسوف القادر على الإبداع، وتلك المدرسة التي واصلت رسالة المعلم البارّ، والتي أغنت الشرق والغرب معاً بالفكر الحق.

إلى أن جاء الإسلام وتوحيده العظيم، وكان لمفكري المسلمين، عميق الأثر في نشر وتعميم الفكر الفلسفي الأفلاطوني، وسار على خطى الجمهورية أعظم فلاسفتهم على الإطلاق: أبو نصر الفارابي، فكتب أراء أهل المدينة الفاضلة وغيرها من الكتب، متأثراً بأفكار وجمهورية أفلاطون.

ونجد في العصر الحديث أصدقاء أفلاطون وأرسطو، وقد أسسوا جمعية خاصة بهم في جامعتي أوكسفورد وكامبريدج، أول جامعتين بنيتا في العالم بعد أكاديمية أفلاطون!

ومجمل القول انّ أفلاطون انبعثت منه كل الأفكار الحقيقية في العالم لخدمة الإنسانيّة وهداية الجنس البشري إلى الحق.

هذا هو أفلاطون، الحكيم الحي أُقدّمه لأجيالنا في هذه الترجمة الجديدة، واضعاً الصّدق والأمانة والدّقّة وصفاء العقل ووضوح الهدف في خدمة هذا العمل الشريف، معتمداً بالدرجة الأولى على، ترجمة بنجامين جوّيت، الأستاذ الجامعي للُغة اليونانية في جامعة أوكسفورد، وهي على حد شهادة فلاسفة كثيرين، أفضل

وأدقّ ما ترجم لأفلاطون. وكذلك كانت لنا دراسات جامعيّة متعددة لمشاهير رجال الفكر اقتضى درسها سنوات عديدة، أمضيتها في بلاد الاغتراب كندا وفي وطني، وكذلك على درس وفهم أفكار أفلاطون ومعانيه التي تُرى بالعين الروحية، وتدرك بنفس شفّافة مرهفة صافية.

أحبّ أن ألفت القارىء الكريم، أنني لم أتقيد بحرفية اللغة الإنكليزية في الترجمة، بل تقيدت بنقل المعنى الحقيقي قدر استطاعتي، وهذا هو الأهم. كما اعتمدت على عدد كبير من الذين يتقنون اللغات القديمة واخصها اليونانية القديمة. ولا يُخفى على العارف المحقق كم هناك من فرق بين اللغات وقواعدها ومصطلحاتها، وآمل من العارفين نصحي وتصحيح أخطائي.

وإنّه لجدير هنا أن أستشهد بما قاله عميد الأدب العربي، طه حسين، في هذا المجال: « إنّ الناقل ليس حَرِيّاً أن يحسن اللّغة العربية التي ينقل إليها، واللغة الأجنبيّة التي ينقل عنها فحسب، بل هو خليق أن يُحسنَ الفنّ الذي ينقله إحساناً تاماً، وأن يكون من إجادته بحيث يستطيع النقد والمناقشة إذا كان موضوعه علميّاً أو فلسفيّاً. إن الترجمة في الفن والأدب ليست وضع لفظ عربي موضع لفظ أجنبي، إذ الألفاظ شديدة القصور عن وصف الشعور في اللّغة الطبيعيّة، فكيف بها في لغة أخرى؟ إنما الترجمة الأدبيّة والفنّية عبارة عن عملين مختلفين كلاهما صعب عسير: الأول أن يشعر المترجم بما يشعر به المؤلف، وأن تأخذ حواسه وملكاته من التأثير والانفعال الصورة عينها التي أخذتها حواسّ المؤلف وملكاته إن صحّ هذا التعبير. والثاني أن يحاول المترجم الإعراب عن هذه الصّورة والإفصاح عن دقائقها وخفاياها بأشد الألفاظ تمثيلاً لها وأوضحها دلالة عليها ».

كم نحن بحاجة، في هذا العصر خاصة، كما في كل عصر، للعودة إلى ينابيع المعرفة والعلم والأخلاق، والحق والخيروالجمال، وخاصة الشباب منّا « حيث كل عمل عظيم »، كي يستقيم ظاهرنا وباطننا، علمنا وعملنا، والمولى ولي الهداية.

شوقي داود تمراز

الكتاب الأول

افكار الكتاب الرئيسئة

١ ـ بحث في العدل بين سقراط وبوليمارخوس.

٢ ـ يعطي بوليمارخوس تعريفه للعدل قائلاً: إن العدل هو دفع الدين. فينقض سقراط هذا التعريف للعدل. ثم يعرّفه بوليمارخوس ثانية: انه نفع الأصدقاء وضرر الأعداء، وعمل الخير للصالحين، والأذى للأشرار. ويدحض سقراط هذا التعريف للعدل.

٣ ـ يستلم ثراسيماخوس المحاورة بعدئذ، ويعرّف العدل أنه لا شيء آخر سوى فائدة الأقوى. وينقض سقراط هذا التعريف للعدل، بتعريفه للفنون، وهو أن كل فن له غاية يقف عندها، وهي كمال ذلك الفن. وبما أن العدل فنٌّ سامٍ في غايته وكماله، كما كلّ الفنون الأخرى، يجب حسبانه فضيلة وخيراً، ولهذا لا يمكن للعدل أن يكون فائدة الأقوى.

أشخاص الحوار

سقراط كلوكون

اديامنتوس بوليمارخوس

سيفالوس ثراسيماخوس

كلاتيوفون

وآخرون ممن كانوا مستمعين صامتين

المشهد: بيت سيفالوس في البيريوس. وكل الحوار قصّهُ سقراط بعد يوم من أخذه مكانه الحقيقي، لأشخاصٍ لم يُسمّوا قط.

سقراط: ذهبت البارحة إلى البيريوس مع كلوكون بن أريسطون لتقديم صلواتي إلى الآلهة. ولأنني أردت رؤية كيفية احتفالهم بالعيد الذي كان شيئاً جديداً، كنت مسروراً أثناءه بموكب القاطنين، مع أن الذي يخص التراقيين كان مساوياً له، إن لم يكن أكثر جمالاً. عندما أنهينا صلواتنا وعاينّا المشهد، توجّهنا نحو المدينة. وصدف أن بوليمارخوس بن سيفالوس رآنا عن بعد ونحن عائدون إلى البيت، فأمر خادمه بأن يسرع إلينا ويطلب أن ننتظره. أمسكني الخادم بثوبي من الخلف وقال: يرغب بوليمارخوس منك أن تنتظره. إستدرت، وسألته أين سيده.

قال الصبي: إنه هناك، آتٍ يتعقّبك، إذا انتظرته قليلاً.

قال كلوكون: سننتظرُه بالتأكيد. ثم ظهر بوليملرخوس للعيان بعد دقائق، ومعه اديامنتوس، أخو كلوكون، ونيكارتوس بن نيخياس، من الذين كان يُحتمل وجودهم في الموكب.

قال بوليمارخوس: أعي، يا سقراط، بأنك ورفاقك، قافلون الآن إلى المدينة.

سقراط: لست مخطئاً.

بوليمارخوس: ولكن ألا ترى، كم عددنا؟

سقراط: طبعاً.

بوليمارخوس: وهل أنت الأقوى من كل هؤلاء؟ وإن لا، فلسوف تبقى حيث أنت.

سقراط: أليس هناك مجال لإقناعك فتدعنا نذهب؟

بوليمارخوس: ولكن أتستطيع إقناعنا إذا رفضنا الاستماع لك؟

أجاب كلوكون: لا بالتأكيد.

بوليمارخوس: لن نستمع لك، إذن، كن متأكداً من ذلك.

أضاف اديامنتوس عندها: ألم يخبرك أحدٌ بسباق المشاعل على متون الخيل تكريماً للآلهة، والذي سيجري في المساء؟

سقراط: الخيل! أجبته: هذا شيء جديد. وهل سيحمل الفوارس المشاعل وهم على ظهرها ويتبادلونها أثناء السباق؟

قال بوليمارخوس: نعم. ليس هذا فقط بل ستتواصل الاحتفالات بالعيد طيلة الليل. وذلك ما يجب أن ترى بالتأكيد. دعنا نذهب بعد العشاء بقليل ونرى المهرجان. سيكون هناك مجموعة من الرّجال الشبّان، وسنتحادث في المواضيع النافعة؛ إبقَ معنا ولا تعاند.

كلوكون: سنبقى نزولاً عند رغبتك.

سقراط: هكذا ذهبنا وبوليمارخوس إلى بيته. وجدنا هناك أخاه ليسياس ويوثيديماس، ومعهما ثراسيماخوس الكلدوني، وتشامنتايدس البايوني، وكلايتوفون بن اريستونيموس. وكان هناك أيضاً سيفالوس أبو بوليمارخوس، والذي لم أره منذ وقت طويل، وتظهر على قسماته علامات الشيخوخة.

كان جالساً على كرسي وثير، ويضع على رأسه إكليلاً لأنه كان يضحي منذ فترة وجيزة في المحكمة. جلسنا على كراسٍ موجودة في الغرفة مرتبة بشكل نصف دائرة كانت بجانبه، ثم حيّاني بشوق عندما رآني قائلاً: لماذا لا تأتي لتراني، يا سقراط، كما يجب غالباً؟ فلو كنتُ قادراً على الذهاب لرؤيتك لما سألتُك ذلك. إن تقدّم السنّ يعيقني عن الذهاب إلى المدينة، لهذا يجب أن تأتي غالباً إلى البيريوس. دعني أخبرك أنّه عندما تخبو الملذات الجسديّة، فالأعظم إليّ ملذات ومفاتن الحديث. لا ترفض التماسي، إجعل بيتنا ملاذك، واحتفظ بشراكتك مع هؤلاء الرجال الشبّان؛ فنحن أصدقاء قدامى، وستكون معنا كما لو كنت في بيتك بالتأكيد.

سقراط: لا شيء أحب إليّ أكثر، يا سيفالوس، من محادثتي مع الرجال المسنين الذين أعتبرهم كمسافرين في رحلة، سنقوم بها جميعاً، ويجب أن أستعلم منهم، أيكون الطريق ناعماً وسهلاً، أو وعراً وصعباً. أحب أن أطرح عليك سؤالاً بشكل خاص، لأنك وصلت إلى الحد الذي يدعوه الشاعر « مستهل الشيخوخة »، أتكون الحياة صعبة باتجاه النهاية، أو أنك تعطي لها منحى آخر؟

سيفالوس: سأخبرك، يا سقراط، ما هو شعوري. الرجال في سنّي يألف بعضهم بعضاً. نحن الطيور ذوات الريش المتشابه، كما يقول المثل القديم. وتدور أحاديثنا العامة مع معارفي الشخصيين عند لقائنا. لا أقدر أن آكل أو أشرب. باختصار، لقد ولّتْ ملذات الحبّ والشباب. كان الوقت جيداً مرّةً، وذهب كلّه الآن. لم تعد الحياة حياة. لقد وُضِعَت بعضُ الشكاوى عن اللامبالاة على كواهل الطاعنين في السنّ من قِبَلِ أقربائهم، وتداولتها ألسِنَةُ الأشرار قبل تركهم الدنيا. لقد ظنّوا أنّ الشيخوخة سبب ذلك. لكن يبدو لي يا سقراط، أن هؤلاء يلومون من ليس مخطئاً في الحقيقة. إذ لو كانت

الشيخوخة السبب، فمن الممكن أن يشعر كل مخلوق مُسنّ الشيء نفسه، وأنا بالتالي مخلوق مسنّ، لكن هذه ليست خبرتي الخاصة. لقد سُئِل مرّة الشاعر المسنّ، سوفوكلس، كيف يتلاءم الحب مع المسنّين، يا سوفُوكلس؟ هل بقيت الرجل الذي كنت؟ « سلامٌ » أجاب؛ هربت بكل سرور من الشيء الذي تتكلمون عنه وأشعر بأنني تخلّصتُ من سيّدٍ مجنونٍ وصاخب. تبدو لي كلماته صالحة كما لو كانت في الوقت الذي تفوّه بها. فالشيخوخة تملك إحساساً كبيراً بالهدوء دون شك، وحرية من الأشياء التي ذكرها. إن الرغبات الجسديّة عندما تضعف ويسترخي قيدها، وكما قال سوفوكلس، نكون متحررين ليس من قبضة سيّدٍ مجنون فقط، بل من قبضة أسياد عديدين. الحقيقة يا سقراط، أن تلك الندامات والشكاوى أيضاً عن الأقرباء، هي معزوّة للسبب عينه، وهو ليس الشيخوخة، لكنْ لأخلاق الرجال وطِباعهم، لأن الذي يكون هادئاً وسعيداً بطبعه سوف يشعر بصعوبة ضغط العمر؛ ولكنّ من تكون نزعته مضادّة، فالشباب والكهولة عنده عبئان متساويان.

سقراط: استمعت إليه بإعجاب، وكلّي رغبةٌ باجتذابه، كي يستمرّ. قلت نعم، يا سيفالوس، أظن أن الشعب على العموم لن يقتنع عندما تتكلم هكذا. سيفكّر أنّ الشيخوخة تستقر بخفة عليك، ليس بالنسبة لمزاجك المرح، بل لأنك غنيّ، ويقال، إن الغنى غالباً، يجلب العديد من المواساة.

سيفالوس: أنت محق، ونحن لا نستطيع إقناعهم بسهولة، إذ هناك شيء صحيح في ما يقولونه؛ لكن ليس لما يتخيّلون، من ناحية ثانية. وأستطيع أن أجيبهم كما أجابهم ثميستوكلس، السيرفيان، الذي كان يسيء معاملة فنّه بقوله كان شهيراً، ليس لأخلاقيته الخاصة بل لكونه أثينياً: إذا كنت ابن بلدي أو أنا إبن بلدك، سيكون كلانا شهيراً؛ أما بالنسبة لمن لا يملكون الغنى، ولا

يستطيعون الصّبر على أعباء الشيخوخة، فيمكننا إعطاؤهم الجواب نفسه بقولنا ليست الشيخوخة بالعبء الخفيف على الرّجل الصالح الفقير، ولا يستطيع الرجل السيِّىء الغنيّ امتلاك السلام مع نفسه أبداً.

سقراط: يا سيفالوس، هل كان الجزء الأكبر من حظك في الغنى موروثاً أو مكتسباً؟

سيفالوس: مكتسبٌ! يا سقراط؛ وهل تريد أن تعرف كم اكتسبت في فن حيازة الدراهم؟ كنت الطريق الوسط بين أبي وجدّي، لأن جدّي، الذي أحمل اسمه، ضاعف وثلّث قيمة ميراثه، الذي حصل عليه وكان أكثر مما لديَّ الآن؛ ولكن أبي ليسانياس خفَّض الملكيّة بأقل ما معي في الوقت الحاضر، وسأكون قانعاً إذا تركت أكثر قليلاً مما استلمت وليس أقلّ.

سقراط: لذلك سألتك، وأراك لست مفرطاً بحبك للأموال التي تكون أخلاقية من ورثها، وليس من اكتسبها. فصانعُو الحظوظ لديهم حبّ ثانٍ لها كإبداعٍ خاص بهم، متشبهين بعاطفة مؤلّفي شعرهم الخاص، أو كالآباء بأبنائهم، يحبون الأموال، وهذه طبيعتهم، لاستعمالها ومنفعتها. إنها نزعة عامة في كل الرجال. وما نأخذه عليهم كونهم عشراء سوء، إنما هو إصرارهم على قياس كل الأشياء وقيمتها بتعابير الغنى.

سيفالوس: تقول الحق.

سقراط: نعم، إنه الحق، وهل يمكنني أن أسأل سؤالاً آخر؟ ما هي برأيك النعمة الأكبر التي جنيتها من غناك؟

سيفالوس: واحدة، لم أكن أتوقع إقناع الآخرين بها بسهولة. دعني أخبرك، يا سقراط، عندما يبدأ الرجل بالتفكير أن ساعته قد قربت، يدخل الخوف والاهتمام إلى عقله، وهذان لم يكن يملكهما قبلُ مطلقاً. فقصص العالم الآخر وما يتطلب ذلك من عقاب لمآثر صُنِعَتْ هنا والتي كانت مرّة مسألة

مضحكة بالنسبة لشخص ما، هي الآن مصدر قلق جدّي له مع التفكير بكونها حقيقة: إمّا من ضعف في العمر، أو لأنه يحثُّ الخطى باتجاه العالم الآخر، ولديه رؤيا أوضح عن هذه الأشياء، وتحتشد الرّيبة والإنذار بالخطر عليه بكثافة، ويبدأ بالتفكير ملياً والتأمل بالأخطاء التي قد يكون ارتكبها بحق الآخرين. وعندما يجد مجموعة خطاياه كبيرة، سيحلم كالطفل بالهلع مرّات عديدة، ويمتلىء بالمخاوف المظلمة. لكن مَنْ لا يملك ظلماً في ضميره، الأمل الحلو، كما قال الشاعر بيندار وبجمال، هو نوع من العناية لعمره:

« الأمل » قال بيندار يعز روح من يعيش في العدالة والقداسة، إنه العناية لعمره ورفيق رحلته؛ الأمل، الأقوى للتحكم بروح الإنسان القلقة.

ما أروع كلماته! وما أكبر نعمة الغنى! لا أقول لكل رجل، ولكن للصالح والمستقيم، كونه لا يملك فرصة ليخدع ويغش الآخرين، حتى بدون تصميم. وعندما يغادر إلى العالم الآخر، ليس لديه خشية من تقديماتٍ مستحقة للآلهة أو ديون بذمته للناس. فامتلاكه الثروة هو سلام عقلي، وله عدة فوائد أخرى بالتأكيد، وما يبقى هو وضع الشيء ضد الآخر للرجل ذي الإدراك الحي بالتساوي، فستستقيم الأمور وتتحسن الأحوال.

سقراط: حسناً قلت وحقاً، يا سيفالوس؛ أما فيما يخصّ العدل، فما هو؟ لتتكلم الحقيقة وتدفع ديونك، ولا أكثر من ذلك؟ أليس جائزاً أن تُنجزَ هذه الأعمال بالعدل مرات، ومرات بالظلم؟ لنفترض صديقاً أودعني سلاحه ثم طلب مني عندما لم يكن بكامل قواه العقلية أن أعيده، أيجب أن أرجعه إليه؟ لا أحد يقدر أن يقول بأنه يجب، أو أنني سأكون على حقّ، إذا فعلت ذلك، أكثر من قولهم بأنني يجب أن أتكلّم الحقيقة دائماً.

يفالوس: إنك محق فعلاً.

سقراط: لكنَّ قول الحقيقة ودفع الديون ليسا التعريف الصحيح للعدل.

بوليمارخوس. صحيح فعلا، يا سقراط.

إذن فسايمونايدس لا يمكن تصديقه، قال سقراط مقاطعاً.

سيفالوس: داهمني الوقت. يجب أن أذهب الآن. عليَّ أن أعتني بتقديم الأضاحي وأُسلّم الحوار إلى الرفاق.

سقراط: بوليمارخُوس، إذن، وريثك؟

سيفالوس: لتكن متأكداً. [وذهب ضاحكاً لتقديم الأضاحي].

سقراط: أخبرني إذن، يا وريث الحوار، ماذا قال سايمونايدس، وهل قال الحقيقة، برأيك، عن العدل؟

بوليمارخُوس: قال دفع الديون هو العدل، وفي قوله يتراءى لي أنه محقّ.

سقراط: سأكون متأسفاً لأشكّك بكلام رجلٍ كهذا عاقلٍ ومُلهَم. إن ما يعنيه، كونه رُبّما واضحاً لك، هو عكس الوضوح بالنسبة لي. فهو لا يعني بالتأكيد، كما قلنا سابقاً، أنّني يجب أن أُرجع وديعة السّلاح أو أي شيء آخر إلى الذي يطلبها مني عندما لا يكون في كامل قواه العقلية؛ ولا يمكن إنكار الوديعة بأنها دينٌ، فوق ذلك.

بوليمارخوس: حق.

سقراط: وعندما قال سايمونايدس إن دفع الدّين هو العدل، يظهر بأنه لا يعني تضمين تلك الحالة.

بوليمارخوس: لا بالتأكيد، لأنه يفكر أنّ الصديق يجب أن يفعل الخير لصديقه دائماً، وليس الشر مطلقاً.

سقراط: تعني أن إرجاع الوديعة من الذهب التي هي لإيذاء المتسلّم، إذا كان الفريقان أصدقاء، ليست إرجاع الدين ـ ذلك ما تظنه قال؟

بوليمارخوس: نعم.

سقراط: والأعداء؟ هل سنعيد لهم كل شيء استدنّاه؟

بوليمارخوس: سنعيد كل شيء استدنّاه بالتأكيد، والعدو مدينٌ للعدو، ذلك الذي يستحق ومناسب له، ألا وهو الشر.

سقراط: يظهر سايمونايدس، وكأخلاق الشّعراء، يظهر أنه تكلّم بظلام عن طبيعة العدل. إنه عنى أنّ العدل هو إعطاء كل إنسان ما يناسبه، وهذا ما سمّاه الدين.

بوليمارخوس: ذلك ماعناه.

سقراط: أخبرني، صلِّ، إذا سألناه ما المستحق وما الشيء المناسب للذي يُعطى بالفن المسمّى طباً، ولمن، ما سيكون جوابه؟

بوليمارخوس: سيجيب بالتأكيد أن الطب يعطي العقاقير والغذاء والشراب للجسم البشري.

سقراط: وما المستحق أو الشيء المناسب للذي يُعطى بالفن المسمّى طهواً، ولمن؟

بوليمارخوس: التوابل للأكل.

سقراط: وما الذي يعطيه العدل، ولمن؟

بوليمارخوس: إذا اهتدينا، يا سقراط، قطعاً بقياس الأمثلة المتقدمة، فالعدل هو صنعُ الخير للأصدقاء والأذى للأعداء.

سقراط: ما عناه، إذن، بالعدل صُنع الخير للأصدقاء، والأذى للأعداء.

بوليمارخوس: أعتقد ذلك.

سقراط: ومن هو القادر على صنع الخير لأصدقائه والشرّ لأعدائه فيما يتعلق بالمرض والصحّة؟

بوليمارخوس: الطبيب.

سقراط: أو عندما نكون في رحلة بحريّة، وسط أخطار البحر؟

بوليمارخوس: الربّان.

سقراط: وما نوع الأعمال أو بالنظر لأية نتيجة يكون الرجل العادل أكثر قدرة على صنع الأذى لعدوّه أو منح المنفعة لأصدقائه؟

بوليمارخوس: في الذّهاب إلى الحرب ضدّ الأول وفي صُنع التحالفات مع الآخر.

سقراط: ولكن عندما يكون الرجل معافىً، يا عزيزي بوليمارخوس، فلا حاجة للطبيب؟

بوليمارخوس: لا.

سقراط: لا يصلح استعمال العدل إذن، وقت السلام؟

بوليمارخوس: لا أعتقد بأن ذلك حقٌّ مطلقاً.

سقراط: هل تعتقد بأنّ العدل يمكن استعماله وقت السلم كما الحرب؟

بوليمارخوس: نعم.

سقراط: كالزراعة لتحصيل الذُّرة؟

بوليمارخوس: نعم.

سقراط: أو كصناعة الأحذية لاكتساب الأحذية، أهذا ما تعنيه؟

بوليمارخوس: نعم.

سقراط: وما الخدمة المشابهة التي تقول أنت بأنّ العدل يقدر على استخلاصها، أو تقدر على مساعدتنا لنكتسب في وقت السلم؟

بوليمارخوس: تخدم صناعة الاتفاقات، يا سقراط.

سقراط: وبالاتفاقات تعني المشاركة؟

بوليمارخوس: بالضبط.

سقراط: وهل الرجل العادل أم اللاعب الحاذق أكثر نفعاً أو أفضل شريكاً في لعبة الداما؟

بوليمارخوس: اللاعب الحاذق.

سقراط: وفي صف أحجار الآجر والأحجار، أيكون الرجل العادل أكثر نفعاً أو أفضل شريكاً من البنّاء؟

بوليمارخوس: العكس تماماً.

سقراط: إذن في أي نوع من أنواع المشاركة يكون الرجل العادل أفضل شريكاً من البنّاء ولاعب القيثارة؟ وكما في لعب القيثارة فلاعب القيثارة يكون الشريك المفضّل بالتأكيد وليس الرجل العادل.

بوليمارخوس: أفترض، في شراكة المال.

سقراط: نعم، يا بوليمارخوس، ليس في استعمال المال، عندما يعقد الشركاء العزم لشراء أو بيع حصان؛ . فالرجل الذي يكون خبيراً بالأحصنة هو الأفضل لذلك، أليس كذلك؟

بوليمارخوس: بالتأكيد.

سقراط: وعندما تريد شراء باخرة، فمن سيكون الأفضل، نجّار السفن أو القبطان؟

بوليمارخوس: حقاً، نجّار السفن.

سقراط: وماذا يكون الاستعمال المشترك للفضة والذهب، وفي أيهما يكون الرجل العادل مفضّلاً على الشركاء الآخرين؟

بوليمارخوس: عندما تريد إبقاء الوديعة آمنة.

سقراط: تعني عندما لا تستعمل الدراهم، بل تخبئها؟

بوليمارخوس: بالضبط.

سقراط: كأنك تقول، العدل يكون نافعاً عندما يكون المال مُراقباً وعديم الجدوى؟

بوليمارخوس: هذا هو الاستنتاج.

سقراط: وعندما تريد الحفاظ على منجل التشذيب آمناً، حينها، يكون العدل نافعاً للرجال إفرادياً أو في إتحادهم؛ لكن عندما تريد استعماله، فالفن لمن يشذّب الكرمة.

بوليمارخوس: بوضوح.

سقراط: وعندما تريد الاحتفاظ بالترس أو القيثارة، ولا تستعملهما، ستقول إن العدل يكون نافعاً، ولكن عندما تريد استعمالهما، ففنّ الجندي أو الموسيقيّ؟

بوليمارخوس: بالتأكيد.

سقراط: وهكذا كل الأشياء الأخرى؛ العدل يكون نافعاً عندما تكون هي عديمة الجدوى، وعديمة الجدوى عندما تكون نافعة؟

بوليمارخوس: إن الاستنتاج لكذلك.

سقراط: لا يساوي العدل شيئاً إذن، إذا تعامل فقط مع الأشياء العديمة الجدوى. لكن دعنا نعتبر النقطة التالية: أليس القادر على تسديد ضربة ممتازة في صراع الملاكمة وفي أي نوع آخر من الحرب، أليس بقادرٍ على ردِّ تلك الضربة أيضاً؟

بوليمارخوس: بالتأكيد.

سقراط: والذي يكون بارعاً في إعطاء الحماية ضد المرض، يكون القادر الأفضل على زرعها بدون أن يُراقب؟

بوليمارخوس: حقاً.

سقراط: ويكون حارس المعسكر الجيد أيضاً، هو القادر على اكتشاف مخططات العدو وإحباط أعماله؟

بوليمارخوس: بالتأكيد.

سقراط: الذي يكون حارساً جيداً إذن لأي شيء، يكون أيضاً لصاً جيداً؟

بوليمارخوس: إفترضه، مُستنتجاً.

سقراط: وإذا كان الرجل العادل كفؤاً في حفظ الدراهم، فهو كفؤ في سرقتها؟

بوليمارخوس: هذا ما تضمنته المحاورة.

سقراط: أصبح الرجل العادل بعد كل هذا نوعاً من السارق، وهذا هو الدرس الذي اشتبه أنّكم تعلّمتموه من هوميروس لأنه عندما تكلّم عن أوتوليكوس، جدِّ أوديسيوس من ناحية الأم، والذي هو محبوبه، يؤكد:

« لقد كان مثالياً وفوق كل الرجال في السرقة والحنث باليمين ».

وهكذا، يظهر أنك وهوميروس وسايمونايدس، متفقون على أن العدل هو فن السرقة ليُمارس مع ذلك « لمنفعة الأصدقاء ولإيذاء الأعداء »، وهذا ما كنت قد قلته.

بوليمارخوس: لا، ليس ذلك بالتأكيد، ولم أعرف ما قلته مع هذا؛ سوى أن العدل نافعٌ للأصدقاء ومضرٌ للأعداء.

سقراط: حسناً، هناك سؤال آخر: هل تعني بالأصدقاء والأعداء أولئك الذين هم حقاً أخيارٌ أو أشرارٌ، أو من يبدون هكذا فقط؟

بوليمارخوس: بالتأكيد، من المفترض أن يحبّ الرجل من يعتقد أنهم أخيار، ويكره من يعتقد أنهم أشرار.

سقراط: نعم، لكن الأشخاص يخطئون غالباً بشأن الخير والشر؛ فالعديد ممن ليسوا أخياراً، يتراءَون كذلك. والعكس بالعكس؟

بوليمارخوس: حقاً.

سقراط: سيعادون الأخيار إذن، ويصادقون الأشرار؟

بوليمارخوس: حقاً.

سقراط: وسيكونون محقين في عمل الخير للأشرار، والشر للأخيار، في تلك الحالة؟

بوليمارخوس: بوضوح.

سقراط: ولكن الأخيار هم العادلون ولن يفعلوا الظلم؟

بوليمارخوس: حقاً.

سقراط: العدل إذن، طبقاً لحوارك، إيذاء أولئك الذين لا يفعلون الخطأ؟

بوليمارخوس: لا، يا سقراط؛ المبدأ لا أخلاقي.

سقراط: أفترض أن العدل هو فعل الخير للعادل، والأذى للظالم؟

بوليمارخوس: أفضل ذلك.

سقراط: لكن أنظر العاقبة: رجالٌ عديدون أخطأوا في الحكم على رفاقهم

وأصدقائهم كونهم أصدقاءً أشراراً، ويجب فعل الأذية لهم في تلك الحالة، ولهم في المقابل أعداءً أخيارٌ ويجب نفعهم. فإذا طبّقنا هذه القاعدة في المعاملة نكون قد فعلنا العكس المطلق للذي أكّدناه، وعناه سايمونايدس.

بوليمارخوس: حقاً مطلقاً، وأعتقد أنه من الأفضل إصلاح الخطأ الذي يظهر أننا وقعنا فيه بتعريفنا « العدو » و« الصديق ».

سقراط: ما هو التعريف، يا بوليمارخوس؟

بوليمارخوس: لقد سلّمنا بصحة أن الصديق هو من يتراءى، أو من يُعتقد بأنه خَيِّر.

سقراط: وكيف نقدر على تصحيح الخطأ.

بوليمارخوس: يجب أن نقول، على الأصح، إنّ الصديق هو الذي يكون، كما يتراءى بأنه خيّر، والذي يتراءى فقط ولا يكون خيّراً، يتراءى فقط ولا يكون صديقاً؛ ويمكن قول الشيء نفسه للعدو.

سقراط: تعني أنّ الأخيار أصدقاؤنا والأشرار أعداؤنا؟

بوليمارخوس: نعم.

سقراط: وبدلاً من القول ببساطة وكما قلنا أولاً، إن العدل هو عمل الخير لأصدقائنا والأذى لأعدائنا، سمحت لنا بزيادة، « يكون عمل الخير عدلاً لأصدقائنا عندما يكونون أخياراً، والأذى لأعدائنا عندما يكونون أشراراً »؟

بوليمارخوس: يبدو لي أن ذلك التغيير هو تعبيرنا، وهو واضحٌ حقاً.

سقراط: لكن أيجب على العادل إيذاء أي شخص بأية حال؟

بوليمارخوس: يجب أن يؤذي أولئك الخبثاء والأعداء على حدٍّ سواء بدون شك.

سقراط: أتتحسن الأحصنة المؤذاة، أم تفسد؟

بوليمارخوس: تفسد.

سقراط: تفسد، يقال ذلك، في النوعية الجيدة للأحصنة، وليس للكلاب؟

بوليمارخوس: نعم، للأحصنة.

سقراط: وتفسد الكلاب في النوعية الجيدة للكلاب، وليس للأحصنة؟

بوليمارخوس: طبعاً.

سقراط: أو لاَ يفَسد الرجال المؤذَوْن، في ذلك الذي يكون الفضيلة المميِّزة للرجل؟

بوليمارخوس: بالتأكيد.

سقراط: والفضيلة الإنسانيّة تكون العدالة؟

بوليمارخوس: لتكن متأكداً.

سقراط: إذن، يا صديقي، يصبح الرجال المؤذَوْن أكثر ظلماً بالضرورة؟

بوليمارخوس: تلك هي النتيجة.

سقراط: ولكن أيقدر الموسيقي بفنّه أن يجعل الرجال غير موسيقيين؟

بوليمارخوس: لا بالتّأكيد.

سقراط: وهل يستطيع سائس الخيل بفنّه جعلهم سائسي خيل فاسدين؟

بوليمارخوس: مستحيل.

سقراط: وهل يستطيع العادل أن يجعل الرّجال ظالمين بالعدل؟ ولنتكلم بشكل عام، هل يقدر الخيِّر أن يجعلهم أشراراً بالفضيلة؟

بوليمارخوس: مستحيل.

سقراط: أكثر من الحرارة القادرة على إنتاج البرودة، والرطوبة اليبوسة؛ تكون تلك هي التأثيرات للأسباب المتضادة؟

بوليمارخوس: بالضبط.

سقراط: ولا يكون تأثير الخيِّر، بل ضده، سبب الضرر؟

بوليمارخوس: واضح.

سقراط: والرجل العادل يكون الخيِّر؟

بوليمارخوس: بالتأكيد.

سقراط: ولا يؤذي الرجل العادل أحداً، صديقاً أو عدوّاً، بل ذلك فعل الضد، أي الظالم؟

بوليمارخوس: أعتقد أن ما تقوله هو الحق بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: وهكذا، إذا قال إنسان إن العدل يكمن في دفع الديون، وإن الخير هو الدَينُ الذي يكون الإنسان مديناً به لأصدقائه، والشرُ هو الدَّين الذي يكون مديناً به لأعدائه، فقول ذلك ليس قولاً عقلانياً لأنه ليس حقاً. ولقد أُرينا بجلاء، أنّ إيذاء الآخرين لا يمكن أن يكون عدلاً بأية حال.

بوليمارخوس: أتفق معك، فيما تقول.

سقراط: إذن، فكلانا مستعدّ لامتشاق السّلاح ضد أي شخص يعزو قولاً كهذا إلى سايمونايدس أو بياس أو بيتاكوس أو أي رجل عاقل آخر، أو راجمٍ بالغيب؟

بوليمارخوس: سأحارب بجانبك، وإني على أتم استعداد لفعل ذلك.

سقراط: هل تريد أن أخبرك لمن هو هذا القول؟

بوليمارخوس: لمن؟

سقراط: أعتقد أنه لبرياندر أو برديكاس أو إكسيركيس أو أسيمينياس الثيبي، أو أيّ رجل قويّ وغنيّ آخر، وأعطى هذا الرأي بسبب قوته وغناه، وكان القائل الأول إن العدل هو عمل الخير لأصدقائك والضرر لأعدائك.

بوليمارخوس: تقول الحق.

سقراط: نعم، ولكن إذا نُقِض التعريف عن العدل والفعل العادل، فما التعريفُ الّذي نستطيع تقديمه؟

[حاول ثراسيماخوس عدة مرات خلال سير المناقشة جلب الحوار إلى يديه، لكن محاولته أفشلها بقية الرفاق الذين أرادوا سماع النهاية. لكن عندما أنهينا الكلام، بوليمارخوس وأنا، وكان توقف مؤقت، لم يعد ثراسيماخوس محافظاً على هدوئه، بل استجمع نفسه، وأتى نحونا كالحيوان الهائج راغباً التهامنا. كنّا بالتأكيد كمن صُدِمَ بضربة قاسية لمنظره. ثم زأر بكل الرفاق]: ما هذه الغباوة، يا سقراط، التي تملكتكم جميعاً؟ ولماذا هذا التأدّب المضحك

والمراعاة لكل منكم؟ أقول ذلك، إذا كنت تريد حقاً أن تعرف ما هو العدل، لا يجب أن تطرح الأسئلة فقط، لأنك تدرك تماماً أن الاستجواب أسهل بكثير، ولهذا تطلب الشرف لنفسك بدحض خصمك. لاا تقدَّم وأجب على السؤال، ما هو العدل. ولن أدعك تقول بأن العدل هو الواجب أو المصلحة أو الربح أو الكسب أو الفائدة، لأن هذا النوع من السفاسف لا يصلح لي؛ بل يجب أن أمتلك الصفاء والدقّة في جوابك.

سقراط: [كنت كمن صُدم لكلماته، ولم أستطع النظر إليه بدون ارتعاش. اعتقدت حقاً بأنني لو لم أسمّر عينيّ عليه أولاً، لكنت كالمصاب بالبَكَمْ! لكن عندما بدأت ضراوته في النقاش ترتفع، نظرت إليه وكنت لذلك قادراً على إجابته]. قلت له برعشة، يا ثراسيماخوس، لا تكن قاسياً علينا، فبوليمارخوس وأنا ربّما أذنبنا بغلطة صغيرة في الحوار، وأستطيع التأكيد لك بأنّ الخطأ لم يكن مُتَعَمَّداً. وإذا كنّا باحثين عن قطعة من الذهب، يجب أن لا تظنّ بأنّ كلاً منّا مختلف عن الآخر، ونفقد الأمل في إيجادها، فكيف بالأحرى عندما نكون باحثين عن العدل، الشيء الأغلى من عدة قطعٍ ذهبيّة. هل تقول إننا نذعن لبعضنا بضعف، ولا نفعل أقصى ما نستطيع للحصول على الحقيقة؟ صدّقني، يا صديقي الخيِّر، نحن الأكثر تَوْقاً لعملٍ كهذا، ولكن الحقيقة أنّنا لسنا بقادرين. ولذلك، فأنتم الأناسَ الموهوبين سترحموننا ولن تكونوا غاضبين علينا أبداً.

ثراسيماخوس: كم هي صفة مميّزة لسقراط! أجاب بضِحكة ساخرة؟ ذلك أسلوبك التهكمي! ألم أتنبأ؟ ألم أُخبركم مسبقاً بأن كل ما يُسأل عنه يرفض الإجابة عليه، ويحاول السخرية أو يتملّص ليتفادى الإجابة؟

سقراط: أنت تملك عقلاً حادّاً، يا ثراسيماخوس، وتعرف جيداً، إذا سألت شخصاً ما الأرقام التي تشكل الرقم اثني عشر، آخذاً بعناية منع الذي تسأله من

الإجابة مرّتين ستة، أو ثلاثة ضرب أربعة، أو ستة ضرب إثنين، أو أربعة ضرب ثلاثة، (لأن هذا النّوع من السّفاسف لا يصلح لي). إذا كانت هذه طريقتك في السؤال إذن، وعلى نحوٍ بَيِّنٍ، فلا أحد يقدر على إجابتك. لكن افترض بأنه يَردُّ على الشيء بمثله قائلاً: ماذا تعني، يا ثراسيماخوس؟ أإذا كان واحدٌ من تلك الأرقام التي تحرّمها هو الجواب الصحيح للسّؤال، فهل أكون أنا القائل باطلاً، من أنّ رقماً آخر ما لا يكون الواحد الصحيح؟ أهذا معناك؟ كيف ستجيبه؟

ثراسيماخوس: تماماً إذا كانت الحالتان متشابهتين!

سقراط: لماذا لا تكونان؟ وحتى إن لم تكونا، بل تتراءَيان فقط للشخص السائل، ألا يجب أن يقول بما يفكِّر، سواء إذا منعناه أنت وأنا، أو لم نمنعه؟

ثراسيماخوس: أخمّن إذن أنك ستصنع واحداً من الأجوبة المحرّمة؟

سقراط: أجرؤ على القول إنه يمكنني، إذا استحسنت، وبعد التفكير، صُنع أيٍّ منها.

ثراسيماخوس: لكن ماذا لو اعطيتك جواباً آخر عن العدل وأفضل مِن كل الّذي ذكرت، فماذا تستحق أن أفعل بك؟

سقراط: تفعل بي! سأصبح الجاهل، ويجب أن أتعلّم من العاقل . هذا ما أستحق ان تفعله بي.

ثراسيماخوس: ماذا، ولا جزاء للّذي تتعلّمه! نظرية سارّة!

سقراط: سأدفع عندما أمتلك الدراهم.

كلوكون: ولكنك تمتلكها، يا سقراط، وأنت يا ثراسيماخوس، لا تقلق لأجل المال، لأننا كلنا سنقدم المساعدة لسقراط.

ثراسيماخوس: نعم بالفعل، وسيرفض سقراط عندئذ، وكما دائماً، الإجابة بنفسه، بل سيأخذ جواب أي واحد آخر ويمزقه إرباً.

سقراط: لماذا، يا صديقي الصالح؟ كيف يقدر أي شخص إجابة من يعرف، ويقول

بأنه يعرف؟ تماماً لا شيء. حتى إذا كان يملك بعض الأفكار الخافتة الخاصة به يطلب إليه رجل ذو سلطة عدم التفوه بها. الشيء الطبيعي، أن يكون المتكلِّم شخصاً مثلك، يصرِّح بأنه يعرف ويقدر أن يكشف عمّا يعرفه. أجب بعطف إذنْ، وكعربون محبة لي، ولتنوير كلوكون والبقيّة؟

[شاركني التماسي كلوكون وبقية الرفاق، وثراسيماخوس، كأي شخص آخر كان متشوقاً أن يتكلَّم في الحقيقة؛ كان ظانّاً بأنه يملك الجواب الممتاز، ولسوف يبلي البلاء الحسن. لكنه مال إلى الإصرار على إجابتي في البداية؛ وقبل أن يبدأ، قال بعد إطالة الكلام]:

أنظر، عقل سقراط؛ الذي يرفض أن يكون المعلِّم، ويذهب ليتعلَّم من الآخرين، لم يقل لهم شكراً على الإطلاق.

سقراط: أمّا أني أتعلَّم من الآخرين، فهذا حقّ تماماً؛ ولكن أنني عاقٌّ فهذا أكذِّبه جملةً وتفصيلاً. فأنا لا أملك شيئاً من المال لكي أدفع، بل أدفع الثناء، وهو كل ما أملك. وكم أنا مستعد للثناء على أي شخص يَبِينُ لي أنّه يتكلم جيداً؛ وإنني أتوقّع منك الجودة في الكلام.

ثراسيماخوس: إسمع، إذن، فأنا أعلن أن العدل هو فائدة الأقوى ولا شيء غير ذلك. والآن لماذا لا تثني عليّ؟ لكنك بالطبع لن تفعل.

سقراط: دعني أفهمك أوّلاً، إنني لست للآن صاحياً، العدل كما تقول، هو فائدة الأقوى. ما معنى ذلك، يا ثراسيماخوس؟ أنت لا تعني أن بوليداماس البانكرتياست هو أقوانا، وتجد أكل لحم البقر مساعداً على قوته الجسديَّة، وذلك لنأكل لحم البقر، هو السبب الذي يساوينا به كوننا أضعف منه، وحق وعدل لنا.

ثراسيماخوس: ذلك مقيت منك، يا سقراط، إنك تأخذ الكلمات بشكل يضرّ بالحوار.

سقراط: لا مطلقاً، يا سيدي الصالح؛ ولكن أخبرنا معناك الأكثر وضوحاً.

ثراسيماخوس: ألم تسمع مطلقاً بأنَّ شكل الحكومات يختلف؟ فهناك الاستبداديّة، وهناك الدّيموقراطيّة، وتوجد الارستقراطيّة.

سقراط: أعرف، نعم.

ثراسيماخوس: الحكومة هي القوّة الحاكمة في الدولة ككل؟

سقراط: بالتّأكيد.

ثراسيماخوس: وتُسنُّ القوانين طبقاً لتنوع أشكال الحكومات، الديموقراطيّة، الأرستقراطيّة، والاستبداديّة، مع الرؤية المتعددة لفوائدها؛ وتعلن بتلك الوسيلة أن ما يكون مصلحة نفسها هو العدل لأولئك الحاكمين؛ ومن ينتهك هذا المبدأ يُعاقب كخارق للقانون، وظالم. هذا ما عنيته، يا سيدي، عندما قلت إنه يوجد في كل الدول المبدأ عينه للعدل، الذي هو فائدة الحكومة الرّسميّة. وكما الحكومة يجب افتراض أن لديها القوّة، فلذلك يوجد مبدأ واحدٌ للعدل، وفي كل مكان، كنتيجة معقولة، ألا وهو فائدة الأقوى.

سقراط: أفهمك الآن. وسواء كنت محقاً أم لا سأحاول أن أكتشف. دعني أعلّق على ما قلت. لقد استعملتَ عندما عرّفت العدل كلمة « فائدة » والتي منعتني من استعمالها. أليس صحيحاً؟ المهم، في تعريفك أنّ « الأقوى » كلمة زيدت.

ثراسيماخوس: زيادة صغيرة، طبعاً.

سقراط: سواءٌ أكانت كبيرة أو صغيرة فهي ليست واضحة الآن، لكن الوضوح أننا يجب أن نتحقّق أولاً إذا كان ما قلته هو الحقيقة. لقد اتّفقنا مسبقاً أنّ العدل فائدة من نوع ما، لكنك ذهبت لتقول « الأقوى »؛ ولست متأكّداً من هذه الزيادة، وينبغي أن نتأمّل ما بعد ذلك.

ثراسيماخوس: تقدّم.

سقراط: سأفعل. أخبرني أولاً، ألا تعترف، وبطريقة مماثلة، أنّ من العدل إطاعة الرّعية حكّامَها؟

ثراسيماخوس: أفعل.

سقراط: وهل حكام مختلف الدول معصومون عن الخطأ، أو هم عرضةٌ له بعض المرّات؟

ثراسيماخوس: إنّهم معرّضون للخطأ.

سقراط: في سَنّ قوانينهم إذن، من الممكن سَنُّها على نحو صحيح، بعض المرات، وبعض المرّات لا؟

ثراسيماخوس: أعتقد هكذا.

سقراط: وعندما يسنّونها على نحو صحيح، فبأنسجام مع فائدتهم؛ وعندما يخطئون، فعكسها. أتعترف بذلك؟

ثراسيماخوس: نعم.

سقراط: وأياً تكن القوانين الّتي يسنّونها يجب أن يطيعها رعاياهم . وهذا ما تدعوه بالعدل؟

ثراسيماخوس: بدون شك.

سقراط: العدل إذن، طبقاً لحوارك، ليس التقيّد بقانون فائدة الأقوى فقط، بل العكس؟

ثراسيماخوس: ما هذا الذي تقوله؟

سقراط: أردد ما قلته أنت، كما أعتقد. لكن دعنا نتأمل: ألم نتفق بأن الحكّام في إصدار أمرهم للقيام ببعض الأعمال، من الممكن أن يخطئوا ضد منفعتهم الخاصّة، ولكن يكون عدلاً لرعاياهم أن يفعلوا ما يأمر به حكامهم؟

ثراسيماخوس: أعتقد ذلك.

سقراط: لقد اعترفت بأنّ العدل أنْ تصنع الأعمال المعاكسة لمنفعة الحكومة أو

الأقوى، عندما يقرّر الحاكمون بدون قصد الأشياء التي تؤذيهم شخصياً، مدّعين معك أنّ الطاعة التي يقدّمها المرؤوس إلى رئيسه، هي العدل. وفي تلك الحالة يا أعقل الرجال، أيوجد أي مهربٌ من النتيجة، وهي أن الضعيف مأمور ليفعل، ما ليس بالفائدة له، بل بالذي يكون لأذية الأقوى؟

بوليمارخوس. لا شيء أصفى، يا سقراط.

قال كلاتيوفون مقاطعاً: إذا سُمح لك أن تكون الشّاهد معه.

بوليمارخوس: ولكن ليس هناك حاجة لأيِّ شاهد لأن ثراسيماخوس نفسه اعترف بأنّ الحكام يأمرون بعض المرّات بما يكون ضارّاً لأنفسهم وأن إطاعة الرعايا لهم هي العدل.

كلاتيوفون: نعم، يا بوليمارخوس، فتراسيماخوس، قال إن الرعايا عندما يفعلون بما يأمرهم به حكامهم هو العدل.

بوليمارخوس: نعم، ولكنه هو أيضاً مهّد بقوله، إن العدل هو فائدة الأقوى. وبينما اعترف بكلا الافتراضين، ذهب مؤكّداً أن الأقوى يمكن أن يأمر الضعفاء الذين هم من رعاياه ليفعلوا ما ليس لمنفعته الخاصة؛ يتبع ذلك أنّ العدل هو الأذى التامّ كونه كذلك منفعة الأقوى.

كلاتيوفون: بل عنى بمنفعة الأقوى، ما يظنّه الأقوى أنه منفعته، هذا ما يجب أن يفعله الضّعيف؛ وهذا ما أكّده أنّه العدل.

بوليمارخوس: لم تكن تلك كلماته.

سقراط: إذا اعترف بأنها كذلك، فدعنا نفهمه في تلك الطريقة. أخبرني، يا ثراسيماخوس، هل عنيت بتعريفك للعدل وكما يظنّ القوي أنه منفعته، سواء كان حقّاً أو لا؟

ثراسيماخوس: لا بالتّأكيد، وهل تفترض بأنّني أسمّي من يكون مخطئاً الأقوى في الوقت الذي يخطىء فيه؟

سقراط: نعم، لقد توهّمت أنك فعلت هذا، عندما اعترفت أن الحاكم ليس معصوماً بل يمكن أن يخطىء بعض المرّات.

ثراسيماخوس: أنت تحاور كالمبلّغ المحترف، يا سقراط. وهل تعني، وكَمَثَلٍ، أنّ من يخطىء بشأن المريض هو الطبيب فيما يتعلق بهذا الحكم الخاطىء؟ ومن يغلط في علم الحساب هو الخبير فيه، عندما يكون صانعاً الغلطة وفيما يتعلق بها؟ هذه هي فقط طريقة الكلام عندما نقول في الحقيقة إن الطبيب أو الخبير في علم الحساب، أو النَحوي صنع الغلطة؛ لكن الحقيقة أنّ ما مِنْ أحد من هؤلاء الأشخاص يصنع الأغلاط قطّ، وفيما يتضمَّن اسمه من بُعْدٍ. أنت محبّ للدّقّة؛ حسناً، ليس من الدّقّة القول إن الحرفيين قادرون على صنع الأخطاء، ولا يغلط أحدٌ منهم ما لم تخذله براعته، وعندَها سيكفُّ عن كونه صانعاً حاذقاً. فلا حرفي أو صوفي أو حاكم يغلط عندما يكون اسمه متضمِّنا ذلك؛ ويقال مع هذا إن الطبيب أو الحاكم يغلط بشكل عام، ولهذا يجب أن تفترض كيفية إجابتي. لقد اخترت الأسلوب العام في الكلام منذ لحظة، ولكن لأكون دقيقاً بالكمال، سنقول إن الحاكم، وفي البعد الذي يكون هو حاكماً، ليس مخطئاً. وكونه لا يخطىء، يأمر دائماً بالّذي هو لمنفعته الخاصّة. والمرؤوس مُطالَبٌ بتنفيذ أوامره. وبناء عليه، وكما قلت وأكرّر الآن، العدل هو عملٌ في منفعة الأقوى.

سقراط: حقاً، يا ثراسيماخوس، وهل أبدو لك، بأنّني أُحاور كالمبلّغ الحاذق؟

ثراسيماخوس: بالتّأكيد.

سقراط: وهل تفترض أنّني أسأل تلك الأسئلة وأنا مصمم على أذيتك في الحوار؟

ثراسيماخوس: لا، إنني أعرفها؛ ولكنّك لن تأخذني بالمفاجأة، وبقوة شفافية المحاورة، ولن تنتصر مطلقاً.

سقراط: لن أحاول، يا رَجلي العزيز؛ لكن لمنع أي سوء فهم قد يحدث في

المستقبل، دعني أسأل، بأي معنى تقول إن الحاكم أو الأقوى والذي منفعته، وكما كنت قائلاً، هو المخلوق الأعلى، والذي يجب أن ينفِّذ الوضيع كلَّ رغباته ـ أيكون هو حاكماً في المعنى الدقيق أو الشّعبي للتعبير؟

ثراسيماخوس: في أدقّ المعاني جميعها. والآن خادع والعب دور المبلِّغ الحاذق إذا قدرت؛ فأنا لا أسأل رحمةً، ولن تقدر على نقض كلامي مطلقاً، لن تقدر.

سقراط: وهل تظنّ، أنني مجنون، فأحاول خداع ثراسيماخوس؟ أكون عندئذ كمن يحاول أن يحلق للأسد.

ثراسيماخوس: حاولت لدقيقة مضت وأخفقت.

سقراط: كفى، من تلك اللطائف. لكن أخبرني: أيكون الطبيب، مأخوذاً في أدق تعبير تكلمت عنه، شافي المريض أو كاسب المال؟ وتذكَّر أنني أتكلم الآن عن الطبيب الحقيقي.

ثراسيماخوس: شافي المريض.

سقراط: والقبطان، كما يقال، القبطان الحقّ، أيكون هو قائد البحّارة أو مجرَّد بحّار؟

ثراسيماخوس: قائد البحّارة.

سقراط: فمجرَّد أنه يبحر في الباخرة، تلك حالة لا تؤخذ في الحسبان، ولا تكون تسميته بحّاراً. فإسم القبطان الذي يميِّزه، لا علاقة له بالإبحار، ولكنه يكون مهمّاً لبراعته وسيادته على البحّارين.

ثراسيماخوس: حقيقي جداً.

سقراط: أو لا يملك كل من هؤلاء الحرفيين منفعة؟

ثراسيماخوس: بالتأكيد.

سقراط: والذي على الفن أن يعتبر ويقدِّم، كونها الأصل والغرض؟

ثراسيماخوس: نعم.

سقراط: وتكمن منفعة أي فن في كونه تامّاً قدر المستطاع، ولا شيء غير ذلك.

ثراسيماخوس: ماذا تعني؟

سقراط: أعني ما يمكن شرحه سلبياً بمثال الجسم. إفترض أنك تسألني، هل يتمتع الجسم بالإكتفاء الذاتي أو هو بحاجة للمساعدة، وسأجيب أنه بحاجة للمساعدة بالتأكيد. لهذا، إختُرِعَ العلم الذي نسمّيه طبّاً. فالجسد تعتل صحّته أحياناً كثيرة، ولا يمكنه البقاء بنفسه، وتأسّس الفن ليمدّه بالأشياء المفيدة. ألست محقّاً في جوابي؟

ثراسيماخوس: محقٌّ تماماً.

سقراط: ولكن، أيكون فنّ الطّبّ، أو أي فن آخر، ذا عيوب ونقص في أية نوعيّة، مثلاً، كضعف البصر للعين، أو خفوت السمع للأذن، ويحتاج لذلك فنّاً آخر ليفيد البصر أو السمع . أيملك الفن بنفسه أي تعرض مشابه للخطأ أو النقص، وهل يحتاج كل فنّ لفنّ إضافي ليعطيه الفائدة، وهكذا آخر وآخر بدون نهاية؟ أو أنّ كلاًّ منها يكون قادراً على تحقيق الغاية الّتي وجد من أجلها؟ أو أنّ النّقص يعتري الفنّيْنْ الأساسي والإضافي، ولا يستطيعان شفاء الجسم . ولا يمكننا تسمية الفنّ فنّاً إذا كان ناقصاً وذا عيوب بالحقيقة؛ ووجد الفن حقاً ليقدّم المنافع لذوي الحاجة ومن نسميهم بالرعيّة. ويقيننا أنَّ الفن يبقى فناً نقياً وخالياً من العيب ما دام حقيقيّاً وكما يقال، ما دام كاملاً وغير فاسد. خذ الكلمات في معناها الدقيق، وأخبرني إذا ما كنت محقاً.

ثراسيماخوس: نعم، بوضوح.

سقراط: ولا يعتبر الطبّ فائدته، ولكن فائدة الجسم؟

ثراسيماخوس: حقاً.

سقراط: ولا يعتبر فن الفروسيّة فوائد فن الفروسيّة، بل فوائد الحصان. ولا تعتني الفنون الأخرى بنفسها، لأنها ليست بحاجة. إنها تعتني فقط بمرؤوس فنها؟

ثراسيماخوس: يظهر ذلك.

سقراط: وبالتأكيد، يا ثراسيماخوس، فالفنون هي الأعلى وحكّام مرؤوسيها؟

ثراسيماخوس:[وافق على هذا وبقدر كبير من الممانعة].

سقراط: ولا يوجد علمٌ أو فنٌ يعتبر أو يفرض فائدة الأقوى (أو الأعلى) بل فائدةِ المرؤوس والضعيف فقط؟

ثراسيماخوس: [حاول أن يعلن ارتيابه بصحّة هذا الافتراض أيضاً، ولكنه أذعن أخيراً].

سقراط: واصلتُ قولي؛ لا طبيب، وفي البعد الذي يكون طبيباً، يعتبر خيره في الذي يصف، ولكن خير مريضه لأن الطبيب الحقيقي، هو أيضاً حاكم ومالك للجسم الإنساني كأنه مرؤوس، وليس كمجرّد جاني دراهم؛ ذلك مسلَّم به.

ثراسيماخوس: نعم.

سقراط: ويكون القبطان بطريقة مماثلة، وفي المعنى الأدق للتعبير حاكماً للبحّارة، وليس مجرّد بحّار.

ثراسيماخوس: أعترف بهذا.

سقراط: وسيقدِّم ويصف هكذا قبطاناً وحاكماً لفائدة البحّار الذي هو أدنى منه مرتبة، وليس لفائدته الخاصة.

ثراسيماخوس: [أعطى بتثاقل كلمة] نعم.

سقراط: ولا يوجد أحد، وفي أي حكم، يا ثراسيماخوس، مَنْ، وفي البعد الحقيقي للحاكم، مَنْ يعتبر أو يفرض ما هو لفائدته. بل على العكس، الحاكم الحقيقي يخدم مرؤوسه الذي تعهّد إرشاده. يجب أن ينظر لذلك، في كلّ شيء يعمل ويقول، معتبراً ما هو مناسب لنفع مرؤوسه.

[عندما وصلنا إلى هذه النقطة في الحوار، ورأى كلٌّ منّا أن تعريف العدل

انقلب بالكامل]، سأل ثراسيماخوس بدلاً مِن أن يجيبني: أخبرني، يا سقراط، هل لديك ممرِّضة؟

سقراط: ولماذا تسأل سؤالاً كهذا، عندما يجب عليك أن تُجيب؟

ثراسيماخوس: لأنها تركتك سائل الأنف، ولم تمسحه. ولم تعلِّمك حتى معرفة الراعي من القطيع.

سقراط: ما الذي دعاك لتقول ذلك؟

ثراسيماخوس: لأنك تتوهَّم بأن راعي الغنم أو راعي البقر، يسمِّن ويرعى أغنامه وأبقاره، لغير خير نفسه أو خير سيده. ويذهب ظنُّك بعيداً، أن حكام الدول، لا يظنون رعاياهم كقطعان غنم، إذا كانوا حكاماً حقيقيين، وكأنهم لا يدرسون منفعتهم ليل نهار، أوه، لا. وهكذا تكون في أفكارك عن العادل والظالم، في ضَلالٍ مُطبق. فإنك لا تعرف أن العدل والعادل هما خير الآخر في الحقيقة، وكما يقال، فائدة الحاكم والأقوى، وليس المرؤوس والخادم؛ وأن الظّلم، ضِدّ ذلك، لأن الظّالم هو السيِّد فوق العادل البسيط الحقيقي: إنه الأقوى؛ يفعل مرؤوسوه ما هو لفائدته، وما يؤدِّي لإسعاده، ولا يعود بالنفع عليهم لا من قريب ولا من بعيد. واعتبر أبعد من ذلك، يا سقراط، الكثير الغباء، فالعادل يكون دائماً الخاسر بالمقارنة مع الظالم وفي كل المجالات. أما عديدها فكثير، أول جميعها: في الإتفاقات السرِّيَّة، حيث يكون الظالم شريك العادل، فعندَما تنحلُّ شراكتهما، يكسب الأول، ويخسر الثاني. ثانياً، في تعاملهما مع الدولة: سيدفع العادل أكثر، والظالم أقل، عندَ دفع الضرائب وعلى نفس القيمة للدخل. وعندما يتسلمان أي شيء من الدولة، يأخذ العادل القليل والظالم الكثير. راقب ما سيحدث عند تولِّيهم المناصب أيضاً؛ فإن الرجل العادل يهمل شؤونه الخاصّة، ويقاسي أسوأ الخسائر، ولا يستطيع إرضاء الجماهير، لأنه عادل. ويكون مكروهاً من كل أصدقائه

ومعارفه، لرفضه خدمتهم بالطرق غير الشّرعيّة. وما قلته لك فهو معكوس في حالة الرجل الظالم. أتكلم الآن، كما تكلمت من قبلُ، عَمَّن يحقّق الربح بأوسع السُّبُل المتاحة، وتظهر هنا المنافع الواسعة للظالم بشكلها العلني. وإذا استدرنا لحقائق أخرى مرئية وكليّة الوضوح، ألا وهي كون المجرم أسعد الرجال، فهو في الواقع الأكثر شقاء وخوفاً لأنه يفعل الظلم ويقاسي من رفض أن يُتشبه به. يقال كذلك، إن الاستبداديَّة، وهي نوع من أنواع الحكومات، تتسلم السلطة بالقوة والدجل، تسلب ممتلكات الآخرين، ليس شيئاً فشيئاً، وإنما بالبيع العام، وتصادر الممتلكات المقدسة كما الدنيويَّة، كذلك العامة منها والخاصة. لكن إذا اكتُشِف أيٌّ من حكام الاستبدادية يرتكب الخطأ إفرادياً، سيُعاقب، يُستهدف للخزي الأكبر، يُشهَّر به، كذلك سيُدعى، في الحالات الخاصة، لص الهيكل، سارق الرجال، حرامي الليل، وسالب الأموال، وممارس السرقات. أما إذا لم يُكشف، ولم يُعرف عنه، حتى بجانب أخذه لأموال المواطنين فإنه قد ألقى القبض عليهم وجعلهم عبيده، حينئذ، وبدلاً من كل تلك الأسماء المخزية، سيُدعى مباركاً وسعيداً، يدعوه كذلك كلّ من سمع به، وجميع المواطنين، وبعد أن يكون قد أنجز الظلم وأتمَّه على أكمل وجه. فالبشر ينتقدون الظلم خوفاً من احتمال أن يصبحوا ضحاياه، وليس لأنهم ينكمشون عن ارتكابه. وهكذا، كما أريتك يا سقراط، فإن الظلم، وعلى مقياس كاف، هو أكثر حرية وسيادة وقوة، من العدل؛ وقلت سابقاً بأن العدل هو فائدة الأقوى في الحقيقة، في حين، أن الظلم ربح الرجل وفائدته الخاصة، وأتمسك بما قلته.

سقراط: [لقد شنَّف آذاننا، وغمرنا بكلماته، وبما أدّاه من غزارة فكر، لكنه بعد كل هذا، أراد أن يتركنا ويذهب؛ غير أن الأصحاب لم يدعوه، بل أصرّوا على أن يبقى ويدافع عن موقعِهِ حتّى النهاية، ورجوته أن لا يتركنا. قلت له:]

يا ثراسيماخوس، أيها الرجل الممتاز، كم هي مثيرة تعليقاتك! وهل ستذهب وتولّي الأدبار، قبل أن تعلّمنا، أو تتعلّم منّا وعلى نحو جيّد، سواء أكان ما قلته حقاً أم لا؟ وهل تكون محاولة تقرير حياة الإنسان مسألة صغيرة في نظرك لتقرر كيف يجب أن نجتاز هذه الحياة وبالنفع الأقصى لكلٍّ منّا؟

ثراسيماخوس: وهل أختلف معكم في ذلك، وفي أهمية القضيّة؟

سقراط: إمّا ذلك، أو تظهر أنك لا تمتلك التفكير أو العناية بنا، سواء أعشنا أفضل أو أسوأ، من عدم معرفتك بما قلت إنك تعرفه، ألا تغير هذه المسألة اهتمامك؟ لا تحتفظ بمعرفتك لنفسك يا صديقي، فنحن مجموعة كبيرة، وستكافأ بسخاء على أيّة معرفةٍ تقدمها لنا. وأقول لك بصراحة، إنني لم أقتنع بما سمعته منك، ولا أعتقد أنّ الظلم أكثر ربحاً من العدل، حتى إذا لم يكن مقيّداً ولم يُسمح له باللّعب الحر. ولنسلّم أن الإنسان الظالم هو القادر على أن يرتكب الظّلم إمّا بالاحتيال أو بالقوّة، فما زلت غير مقتنع بتفوق منفعة الظالم. وهناك آخرون غيري من الممكن أن يشاركوني الرأي عينه والشعور نفسه. لربّما نكون على خطأ، وإذ ذاك، يجب عليك، أنت الرجل العاقل، أن تهدينا سواء السبيل، وتصحّح أخطاءنا لتفضيلنا العدل على الظلم.

ثراسيماخوس: وكيف يمكنني إقناعك، إذا لم تقتنع بسرعة وبما قدّمته لك لتوّي؟ وماذا أقدر أن أفعل أكثر لأجلك؟ وهل أستطيع وضع البرهان جسدياً في روحكم؟

سقراط: لا قدّرت السماء! أسألك الاستقامة فقط، وإذا تغيّرت تغيّر علناً، ولا تدع مجالاً للخداع؛ ويجب أن أعلّق على ما قلته، يا ثراسيماخوس، هل تتذكر ما قيل سابقاً؟ لقد ابتدأت بتعريفك الطبيب الحقيقي في معنى دقيق، ولم تراقب الدقّة المماثلة عندما تكلمت عن الرّاعي. فكّرت أن الرّاعي، كراعٍ،

يرنّي قطيعةُ ليس بالنظر لخيره الخاص، لكن كمجرّد متناول للغذاء، أو مستمتع بملذات الطعام مع رؤية مسرّات الطاولة، وثانياً، كتاجر يبيع في السوق العامّة، وليس كراعٍ. ويختص فن الرّاعي بخير رعيته بالتأكيد، وعليه أن يقدِّم الأفضل لها. لقد أكّدنا سابقاً أنّ كمال الفن هو غايته، ويكمل فن الراعي بتحقيق الغاية والإنجاز الكامل. وقلت كلاماً مشابهاً عن الحاكم، وتصورت فنّه كحاكم حقيقي، إنْ في الدولة أو في الحياة الخاصة. سيأخذ بعين الاعتبار، ولأقصى حد، خير رفاقه أو مرؤوسيه. وتُظهِرُ أنت التفكير المعاكس عندما تقول: إن الحكّام عندَما يتسلمون السلطة في الدولة فإنما يعملون لمصلحتهم ومنفعتهم.

ثراسيماخوس: أفكِّر؛ لا، إني متأكدٌ منها.

سقراط: إذن، لماذا لا يأخذ الرجال المناصب الأقل أهمية بإرادتهم وبدون أجر حتى يعتبروا أنه أمرٌ مفروغ منه أنّ حكمهم لن يكون لمصلحتهم ومنافعهم بل لمصلحة المحكومين ومنفعتهم؟ دعني أسألك: ألا يوجد اختلاف في الفنون المتعددة لأنّ كلاًّ منها لديه عملٌ معيَّن؟ قل ما تفكِّر، يا صديقي العزيز اللاّمع، لكي نحصل على تقدّم ملموس.

ثراسيماخوس: نعم، هذا هو الفرق.

سقراط: ويعطينا كُلّ فنّ الخير الخاص به، وليس مجرّد واحد عادي - يعطينا الطب، وكمثال، الصحة؛ والملاحة تعطينا الأمان في البحر، وهكذا؟

ثراسيماخوس: نعم.

سقراط: ويمتلك فن الربح عملاً معيناً خاصاً وهو الدفع؛ ولا نخلط هذا مع الفنون الأخرى. وكمثل، لا نخلط فن الطّبِّ مع فنّ القبطان، إذا كان من الممكن تحسين صحة القبطان برحلة بحرية، وأنت نفسك، لن تكون ميّالاً إلى القول إنّ الملاحة هي فن الطب، إذا تبنّينا استعمالك الدقيق للُّغة على الأقل؟

ثراسيماخوس: لا، بالتأكيد.

سقراط: ولن تقول إنّ فن الربح هو الطب لأن الإنسان عندما يستلم الدفع يكون في صحة جيدة.

ثراسيماخوس: لا.

سقراط: ولن تقول إن الطّب هو فن استلام الدّفع لأن الإنسان يأخذ أتعاباً عندما يشفي المريض؟

ثراسيماخوس: لا.

سقراط: واعترفنا أن خير كلّ فنٍّ يكون خيراً خاصاً به؟

ثراسيماخوس: اعترفنا.

سقراط: ووجود الخير المشترك لكل الحرفيين، يخص الخير المشترك لِمَا يستعملون؟

ثراسيماخوس: حقاً.

سقراط: وإذا ربح الحرفيون باستلام الدراهم، فذلك يأتيهم من فن الربح زيادة على فنهم؟

ثراسيماخوس: [وافق ببطء على ذلك].

سقراط: ولا يأخذ الحرفيون الربح أو الدفع كفن من فنونهم المتقدمة، ولكن للدقة نقول: بينما يُعطي فن الطب الصحة، ويبني البيت فن البناء، ويرتبط بهما فنٌّ آخر وهو فن الربح، يمكن لذلك، ولمختلف الفنون، أن تعمل وتنتفع بما عملت وبما ترأست. ولكن هل يستلم الحرفي أية منفعة من فنّه إذا لم يقبض الثمن؟

ثراسيماخوس: لا أفترض ذلك.

سقراط: ولكن ألا يجني منفعة عندما يعمل لأجل لا شيء؟

ثراسيماخوس: يجني منفعة، بالتأكيد.

سقراط: بعد كل الذي قلناه، يا ثراسيماخوس، لا شك على الإطلاق، بأن

الحكومات والفنون كلها لا تجني لفوائدها الخاصة، بل يحكم الرجال ويجنون فيها لإفادة مرؤوسيهم. فهُم الأضعف ولهم يعملون، ويقدمون لخيرهم وليس لخير الأقوى. ولهذا السبب، ما من فردٍ على استعداد أن يستلم الحكم، فهو لا يحب أن يهذّب الشرور بيديْه، والتي ليست من اختصاصه، بدون تعويض. ويُعتبر هو بحق الفنان الحقيقي، فهو في إعطائه الأوامر للآخرين، وفي غائية عمله، لا يهمه فائدته ومنفعته الخاصة، بل ما يخص رعيته دائماً. ولكي يحكم الحكّام يجب أن يأخذوا الثمن بأشكال ثلاثة: الدراهم، أو الشرف، أو العقاب لأجل رفضهم.

كلوكون: ماذا تعني يا سقراط، فهمت الشّكلين الأولين للدفع، لكنني لم أفهم العقاب، وهل يمكن للعقاب أن يكون دفعاً؟

سقراط: تعني أنّك لا تفهم طبيعة هذا الدفع، إنه عين الاقتناع كي يحكم أفضل الرجال. تعرف، طبعاً، وكما هي الحقيقة، أنّ الطموح والطمع خصلتان شائنتان.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: ولا يمكن أن يقبل الرجال الأفاضل بالحكم لهذا السبب، أيْ لغرض المال والحصول على المجد؛ ولا يرغب الرّجال الأخيار طلب الدفع العلني ليحكموا، فيسمّوا بالمأجورين، ولا بمساعدة أنفسهم سرّاً من الدخل العام، فيسمّوا لصوصاً. ولا يهتمون بالمجد، كونهم غير طموحين. يجب أن تُوضع الضرورة عليهم لهذا السبب، وأن يُدفعوا دفعاً للخدمة العامة خوفاً من العقاب، وقد حُسِبَ هذا مُشيناً، كما أتصور، سبب تقدُّمهم لتبوُّؤ المنصب، بدلاً من إجبارهم على ذلك. أما الجزء الأسوأ من العقاب فهو أنّ من يرفض أن يحكم، سيعرّض نفسه لأن يحكمه من هو أسوأ منه. وكما أتخيَّل، فالخوف من هذا، يحضُّ الأخيار على أن يتسنّموا المناصب، ليس بمحض

إرادتهم، بل لأن لا سبيل لهم سوى عمل ذلك. ليس بحجّة أنهم سيمتلكون أية منفعة أو متعة لأنفسهم، بل كضرورة، ولأنهم غير قادرين على إئتمانَ مهمة الحكم الصّعبة لأي شخص أفضل منهم، أو كنظير لهم حقّاً. إن هناك سبباً كي نفكِّر في أن المدينة إذا كانت مشكَّلة بمجملها من الرّجال الأخيار، فسيكون تجنب تولِّي المنصب هدفاً للتزاع إذن، بقدر ما يريد الحصول عليه، كما يفعل في الوقت الحاضر، حكّام اليوم؛ يجب حينئذ أن يكون لدينا برهان واضح، إن الحاكم الصادق لا يُعنى بالطبيعة أن يعتبر فائدته الخاصة، بل تلك التي لرعيته، وسيختار المنفعة كل شخص يعرف هذا، بدلاً من أن يتسلَّمها من الآخرين ولا يُتعب نفسه بمنحها. وعندما يقول ثراسيماخوس إنّ العدل هو فائدة الأقوى، فأنا بعيد كل البعد من الاتفاق معه إلى هذا الحدّ. وباستطاعتنا أن نبحث السؤال الأخير هذا في مناسبة قادمة. لكن عندما يقول ثراسيماخوس إنّ حياة الظالم هي أسمى من حياة العادل، فيظهر لي عرضه الجديد أنه ذو أخلاقية أكثر بعداً وخَطَراً. أيُّ منّا تكلَّم بصدق؟ وأيُّ نوع من الحياة تفضِّل، يا كلوكون؟

كلوكون: أعتبر من جهتي أن حياة العادل أكثر نفعاً.

سقراط: هل سمعت كل منافع الظالم التي ردَّدها ثراسيماخوس؟

كلوكون: نعم، سمعته، ولكنه لم يقنعني.

سقراط: هل سنحاول إيجاد طريقة ما إذن كي نقنعه، إذا قدرنا، أن ما يقوله ليس الحق؟

كلوكون: بالتأكيد الأكثر.

سقراط: إذا ألَّفنا مجموعة كلام جدِّية في مضادةٍ لهذا، معدِّدين فيها كل منافع كونك عادلاً، وهو يجيب ونحن نرد عليه، علينا عندها وضع مقاييس للخيرات المدَّعاة على كلا الجانبين، وسنحتاج إلى القضاة كي يقرِّروا في

النهاية. أما إذا واصلنا الحوار كما فعلنا مؤخراً، فسنوحّد منصبي القاضي والمحامي في شخصينا، بالاعتراف الموضوعي بالحقائق المتبادلة.

كلوكون: جيد جيداً.

سقراط: دعنا نأخذ الطريقة الفضلى لديك.

كلوكون: أفضّل الثانية.

سقراط: حسناً إذن، يا ثراسيماخوس، أفترض أنك تبدأ من الأول وأجبني. تقول إن الظلم الكامل هو أكثر ربحاً من العدل الكامل؟

ثراسيماخوس: نعم، هذا ما أقول، ولقد أعطيتك أسبابي.

سقراط: ما هو رأيك بشأنهما؟ هل تسمّي واحدهما فضيلة والآخر رذيلة؟

ثراسيماخوس: بالتأكيد.

سقراط: أفترض أنك تسمّي العدل فضيلة والظلم رذيلة؟

ثراسيماخوس: ما هذا المفهوم السحري! هكذا متوقّعاً، ترى أنني أوكد أن الظلم نافع، والعدل لا يكون أيضاً.

سقراط: وما الآخر الذي ستقوله؟

ثراسيماخوس: سأقول العكس.

سقراط: وهل ستسمّي العدل رذيلة؟

ثراسيماخوس: لا، أفضل القول أنه بساطة جليلة.

سقراط: وهل ستدعو الظلم خبثاً إذن؟

ثراسيماخوس: لا؛ أفضل أن أقول نصيحة خير.

سقراط: وهل يظهر الظالم لك ليكون عاقلاً وخيِّراً؟

ثراسيماخوس: نعم؛ فإن أولئك هم الذين يقدرون على أن يكونوا ظالمين بالتمام على كل حال، والذين لديهم القوة لإخضاع المدن والأمم؛ لكن لربما تخمِّن أنني أتكلّم عن تقطيع أكياس النقود. حتى هذه المهنة، إذا لم تُكتشف لها

منافعها، لا يمكن مقارنتها، مع ذلك، بتلك التي تكلمت عنها لتوّي.

سقراط: لا أعتقد أنني لم أفهم معناك، يا ثراسيماخوس. يبقى أنني لا أستطيع سماعك بدون دهشة، عندما ترتِّب الظلم مع العقل والفضيلة، والعدل مع ما هو ضدهما.

ثراسيماخوس: أرتِّبها هكذا، وبالتأكيد.

سقراط: إنك الآن على أرضيّة ثابتة وغير مسؤولة تقريباً ويمكن دحض ما قلته لأنك إذا اعترفت أنّ الظلم مربح واعترفت في الوقت نفسه أنه رذيلة أو ذو عاهة كما يعترف بذلك الآخرون، أرجح عندها أن بمقدورنا نقول شيئاً عن المبادىء التي صرحت بها سابقاً. لكنني أتصور الآن أنك ستسمي الظالم شريفاً وقوياً، وستنسب إلى الظالم كل النوعيّات التي نسبناها نحن إلى العادل، مبصرين أنك لم تتردد في ترتيب الظلم كعدل وفضيلة.

ثراسيماخوس: لقد تنبأت بعصمة أكثر.

سقراط: يجب أن لا أتراجع إذن بالتأكيد، عن مواصلة الحوار، طالما أملك السبب الذي يجعلني أعتقد، يا ثراسيماخوس، أنك تتكلّم ما تفكر به حقاً؛ لأنني أعتقد أن ما تقوله هو ما تؤمن به، ولست مسلّياً نفسك على حسابنا.

ثراسيماخوس: يمكن أن أؤمِنُ أو لا، لكن ما هو ذلك بالنسبة إليك؟ عملك أن تدحض المحاورة.

سقراط: حقيقي تماماً، لكن مع ذلك، هل ستجيبني، من فضلك، على سؤالٍ واحدٍ على الأكثر؟ هل يحاول الرجل العادل أن يحصل على منفعة فوق العادل؟

ثراسيماخوس: بالعكس، إذا فعل فلن يكون المخلوق البسيط الحسن التربية الذي هو.

سقراط: وهل سيحاول أن يذهب إلى ما وراء عمل العدل؟

ثراسيماخوس: لن يفعل.

سقراط: وكيف سيعتبر محاولة الحصول على منفعة فوق الظالم؟ هل سيعتبرها كعدل أو ظلم؟

ثراسيماخوس: سيفكِّر أنها عدلٌ، وسيحاول الحصول على منفعة، لكنه لن يكون قادراً.

سقراط: سواء أكان قادراً أو لاَ، ليست النقطة الرئيسيَّة. سؤالي هو فقط ما إذا كان يرغب أو يطالب أن يكون لديه أكثر من الظالم، في حين يرفض أن يمتلك أكثر من رجلٍ عادلٍ آخر؟

ثراسيماخوس: نعم، سيشاء.

سقراط: وماذا عن الظالم هل يدَّعي أن يكون لديه أكثر من الإنسان العادل ويفعل أكثرَ مما هو عدل؟

ثراسيماخوس: طبعاً، فهو يدَّعي أنه يملك أكثر من كلّ الرّجال.

سقراط: وسيكدُّ الرجل الظالم ويكافح كي يحصل على أكثر، ليملك أكثر مِمّا يملكه الجميع؟

ثراسيماخوس: حقّاً.

سقراط: سنضع القضية هكذا: لا يرغب العادل أكثر من شبيهه بل أكثر مما ليس بشبيهه، بينما يرغب الظالم أكثر منهما كليهما، شبيهه وما ليس بشبيهه؟

ثراسيماخوس: لا شيء، أفضل من هذا التعريف.

سقراط: والظالم هو العاقل والخيِّر، والعادل ليس واحداً منهما؟

ثراسيماخوس: جيد ثانيةً.

سقراط: أوَلاَ يكون الظالم شبيهاً بالعاقل والخيِّر، والعادل لا يشبه كليهما؟

ثراسيماخوس: طبعاً. من هو بطبيعة معيَّنة، يشبه أولئك الذين هم بطبيعة معيَّنة، ومن لا يكون، لا يكون.

سقراط: إن كلاً منهما، كما يكون شبيهه يكون؟

ثراسيماخوس: بالتأكيد.

سقراط: جيّد جداً، يا ثراسيماخوس، لنأخذ الآن حالة الفنون: تعترف أنّ رجلاً يكون موسيقياً وآخر ليس موسيقياً؟

ثراسيماخوس: نعم.

سقراط: وأيّاً يكون العاقل، وأيّاً الغبي؟

ثراسيماخوس: الموسيقي هو العاقل، واللاموسيقي هو الغبي.

سقراط: ومن يكن عاقلاً يكن خيراً، ومن يكن شريراً يكن غبيا؟

ثراسيماخوس: نعم.

سقراط: وتقول الشيء ذاته عن الطبيب؟

ثراسيماخوس: نعم.

سقراط: وهل تفكر، يا صديقي الممتاز، أنَّ الموسيقي عندما يعزف على العود سيشاء أو يدَّعي أو يتجاوز أو يذهب أبعد من الموسيقي في شدٍّ ورخي الخيطان؟

ثراسيماخوس: لا أفكر أنه سيفعل.

سقراط: ولكنه سيدَّعي تجاوز من لا يكون موسيقياً؟

ثراسيماخوس: طبعاً.

سقراط: وماذا ستقول عن الطبيب؟ أيرغب في الذهاب أبعد من الطبيب الآخر أو يتجاوز ما يصفه الطّبّ عندما يصف اللحم والشراب للمريض؟

ثراسيماخوس: لن يفعل.

سقراط: ولكنه سيدَّعي تجاوز من لا يكون طبيباً؟

ثراسيماخوس: نعم.

سقراط: وعن المعرفة والجهل بشكل عام. سنرى إذا ما كنت تفكر أنّ الرجل الذي يمتلك المعرفة سيختار عمداً أن يفعل ويقول أكثر من الرجل الآخرِ الذي يمتلك المعرفة، أليس من الأوفق أن يفعل ويقول، كشبيهه في الحالة عينها؟

ثراسيماخوس: أفترض. من الصعب تكذيب ذلك.

سقراط: وماذا عن الجاهل؟ ألا يرغب أن يمتلك أكثر من العارف أو الجاهل كليهما؟

ثراسيماخوس: أجرؤ قول ذلك.

سقراط: ومن يمتلك المعرفة هو العاقل؟

ثراسيماخوس: نعم.

سقراط: والعاقل هو الخيِّر؟

ثراسيماخوس: حقاً.

سقراط: لن يرغب إذن العاقل والخيِّر أن يربح أكثر من شبيهه، بل أكثر ممن يشبهه وضده؟

ثراسيماخوس: أفترض هكذا.

سقراط: بينما يرغب الجاهل والشرير أن يربح أكثر من كليهما؟

ثراسيماخوس: على ما يظهر.

سقراط: ولكن ألم نقل، يا ثراسيماخوس، أنّ الظالم يذهب إلى أبعد مما يشبهه ومما لا يشبهه كليهما؟ ألم تكن تلك كلماتك؟

ثراسيماخوس: كانت.

سقراط: قلت أيضاً إنّ العادل لن يذهب أبعد من شبيهه، بل مما ليس بشبيهه؟

ثراسيماخوس: نعم.

سقراط: فالعادل إذن، شبيه بالخيِّر والعاقل، والظالم شبيه بالشرير والجاهل؟

ثراسيماخوس: هذا هو الاستنتاج.

سقراط: وكما إعترفنا سابقاً، فإنّ كلاً منهما يكون كشبيهه؟

ثراسيماخوس: مُعترفٌ به.

سقراط: لقد تبيَّن أن العادل عاقلٌ وخيِّر، والظالم جاهل وشرير.

[قدم ثراسيماخوس كلّ تلك الاعترافات، ليس بسهولة وكما أُورِدُها، بل ببطء متناهٍ. كان يوماً من أيام الصيف الحارة، وبدأ الزفير ينصبُّ من أنفه كالسيل، ورأيت منه حينئذ، ما لم أره سابقاً. لقد أحمرّت وجنتاه خجلاً،

وتقدّمت إلى نقطة أخرى، بعد أن اتفقنا أن العدل فضيلةٌ وعقلٌ والظلم رذيلةٌ وجهل].

قلت له، حسناً، يا ثراسيماخوس، دعنا نعتبر ذلك مقرّراً، لكن ألم نقل إنّ الظالم لديه القوة؛ هل تتذكّر؟

ثراسيماخوس: نعم، أتذكّر، ولا تظن أنني صادقت على ما تقول، أو أنّني لا أملك جواباً. المهم إذا جئت لأجيبك، فستتهمني بإلقاء خطاب. إنّي متأكد تماماً من ذلك؛ لهذا دعني أقول ما أريد، أو إذا فضّلت أن تسأل، إفعل هكذا، وسأجيبك « جيد جداً »، كما يقولون للنساء المسنّات ساردات القصص، وستومىء برأسك بـ « نعم » أو « لا ».

سقراط: لا بالتأكيد، ليست إذا كانت كلماتك معاكسة لرأيك الحقيقي.

ثراسيماخوس: سأفعل، نعم، لتكن مسروراً، بما أنك لا تدعني أتكلّم، فما الآخر الذي لديك؟

سقراط: لا شيء في العالم؛ سأسألك وأنت ستجيب، إذا كان هذا قصدك.

ثراسيماخوس: تقدّم.

سقراط: سأكرّر سؤالي إذن، الذي سألتك إيّاه من قبل كي يمكن أن يتقدّم اختبارنا عن الطبيعة النسبيّة للعدل والظّلم في نظام مناسب. تُلي تقرير أن الظلم منيعٌ وأكثر قوة من العدل، لكن بما أن العدل قد عُرّف الآن بالعقل والفضيلة، أريد، آملاً، أن يُرى ليكون أقوى من الظلم، إذا كان الظلم جهلاً؛ سيكون هذا جلياً لأي شخص الآن. غير أنني أريد أن أتفحّص المسألة، يا ثراسيماخوس، في طريقة أقل بساطة بعض الشيء. لن تنكر أنّ الدولة يمكن أن تكون ظالمة ويمكن أن تحاول، بظلم، أن تستعبد الدول الأخرى، أو يمكن أنها استعبدتها مسبقاً، ومن الممكن أنها أخضعت العديد منها بقوة السلاح؟

ثراسيماخوس: حقاً، وسأزيد على ما قلته، أن الدولة الظالمة الأكثر كمالاً يتوقع منها أن تفعل هكذا.

سقراط: أعرف أن هذا كان موقفك؛ غير أنّ ما أريد اعتباره هو ما إذا كانت هذه القوة التي تملكها الدولة الأعلى (أو الأقوى) يمكن أن تبقى أو تُمارس بدون العدل، أو أنها لا تستطيع الخُلُوَّ منه؟

ثراسيماخوس: إذا كانت نظريتك صحيحة، وكان العدل عقلاً، فبالعدل حينها فقط؛ لكن إذا كنت أنا محقاً، فبالظلم حينئذ.

سقراط: إنني مسرور، يا ثراسيماخوس، إذ أراك لا تومىء برأسك قبولاً ورفضاً فقط، بل مجيباً، وهذا شيء ممتاز.

ثراسيماخوس: هذا من لطفي لك.

سقراط: إنك شفوق جداً؛ وهل ستملك الطِيبَة لتخبرني أيضاً، ما إذا كنت تفكِّر أن الدولة، أو الجيش، أو مجموعة من اللصوص والسارقين، أو أية عصابة أخرى من فاعلي الآثام تستطيع أن تفعل أو تنجز شيئاً على الإطلاق إذا آذى واحدها الآخر؟

ثراسيماخوس: لا يمكنهم فعل أي شيء، حقاً.

سقراط: أما إذا امتنعوا من أذية بعضهم بعضاً، يمكنهم حينئذ أن يفعلوا أفضل معاً؟

ثراسيماخوس: نعم.

سقراط: هذا لأنَّ الظلم يخلق الانقسامات والكراهية والفتن، والعدل يوزِّع التناسب والصداقة؛ أليس ذلك صدقاً، يا ثراسيماخوس؟

ثراسيماخوس: أوافق، لأنني لا أرغب في خصامك.

سقراط: كم هو خير منك؛ أحب أن أعرف أيضاً، ما إذا كان الظلم لن يجعلهم يكره واحدهم الآخر ويركِّز التباين بينهم، ويصيِّرهم غير قادرين على العمل المشترك، ما دام لديه الإتجاه ليعمّق البغضاء، أينما وُجِد، بين الأحرار أو بين العبيد؟

ثراسيماخوس: بالتأكيد.

سقراط: وحتى إذا وُجد الظلم في اثنين فقط، ألن يتخاصما ويتحاربا ويصبحا عدوَّي بعَضهما والعادل؟

ثراسيماخوس: سيصبحان.

سقراط: وافترض أنّ الظلم يلازم شخصاً واحداً، فماذا سيقول عقلك؟ هل سيفقد الظلم قوته الطبيعيّة، أو يبقى محتفظاً بها؟

ثراسيماخوس: دعنا نخمّن أنه يحتفظ بها.

سقراط: أوليست القوة التي يمارسها الظلم إذن من طبيعة كهذه خيثما تقيم، أكانت في المدينة، في الجيش، في العائلة، أو في أيِّ جسم آخر؟ ولنبدأ بهذا الجسم، فإنه يجعله غير قادر على العمل الموحّد بسبب الحيرة والعصيان؛ ولا يصبح عدوّ نفسه فحسب بل عدو العادل وكل من يضادّه من الآخرين. أليست هذه هي الحالة؟

ثراسيماخوس: نعم، بالتأكيد.

سقراط: أليس الظلم مُهلِكاً عندَ بقائه في شخص لمفرده بالتساوي؟ ففي المقام الأول يحبط عمله لأنّه ليس موحّداً مع نفسه، ويجعله عدوّاً لنفسه وللعادل. أليس ذلك حقيقياً، يا ثراسيماخوس؟

ثراسيماخوس: نعم.

سقراط: فالآلهة عادلون بالتأكيد؟

ثراسيماخوس: إنهم كذلك.

سقراط: وإذن، سيكون الظالم عدوَّ الآلهة، وسيكون العادل صديقهم؟

ثراسيماخوس: إحتفل بالنصر، وامتلىء من الحوار، لن أضادّك، لئلا أُغضب الصحابة.

سقراط: حسناً، تقدَّم بأجوبتك إذن، ودعني أمتلك بقية وجبتي. لأننا قد بيّنا

بوضوح سابقاً، أنّ العادلين هم الأعقل والأفضل والأقدر من الظالمين، وأنّ الظالمين عاجزون عن العمل المشترك؛ ولا أكثر، من أن نتكلم كما فعلنا عن الرجال الظالمين الذين يعملون معاً بنشاط في أي وقت، فذلك ليس صحيحاً بالضبط لأنهم إذا كانوا أشراراً بالكامل سيقبضون على بعضهم البعض. لكنه واضح أنه لا بد من وجود بقايا للعدل فيهم، تعيقهم عن فعل الأذية لبعضهم كما لضحاياهم. إنهم كانوا نصف أوغاد في مشاريعهم لأنهم إذا كانوا أوغاداً بالكامل وظالمين بالمطلق، فلن يكون بمقدورهم إنجاز أي عمل أبدا. إنّ ذلك، كما أفهمه، هو حقيقة القضيّة، وليس كما قلت أنت سابقاً. لكن سواء امتلك العادل حياة أفضل وأسعد من الظالم فهو السؤال الأبعد الذي أقترح اعتباره أيضاً. أعتقد أن العادل يمتلك تلك الحياة الفاضلة والسعيدة، وللأسباب التي أعطيتها. يبقى أنني أحب اختبار ما هو أبعد، وليست القضية التي هي قيد الرهان قضية خفيفة، إنها ليست أقل من حكم الحياة الإنسانيّة.

ثراسيماخوس: تقدّم.

سقراط: سأتقدّم وأسألك: ألن تقول إنّ الحصان له وظيفة ما، أو غاية؟

ثراسيماخوس: أفعل.

سقراط: وغاية أو استعمال الحصان، أو أي شيء آخر، ينبغي أن يكون' ذلك الذي لا يمكن إنجازه، أو لا ينجز بالكمال بأي شيء آخر؟

ثراسيماخوس: لا أفهم.

سقراط: أتستطيع أن ترى بغير عينيك؟

ثراسيماخوس: لا بالتأكيد.

سقراط: أو تسمع بغير أذنيك؟

ثراسيماخوس: لا

سقراط: يمكن القول بصدق إذن، ان هذين الشيئين هما غايتا العضوين؟

ثراسيماخوس: ممكن.

سقراط: هل تستطيع قطع غصن الدالية بالخنجر أو الإزميل أو بوسائل أخرى؟

ثراسيماخوس: طبعاً.

سقراط: ومع ذلك فليس على نحو مرضٍ كما تفعله بمقص تشذيب الأشجار المصنوع لهذه الغاية؟

ثراسيماخوس: حقاً.

سقراط: ألا يمكننا أن نقول إن هذه هي غاية مقص تشذيب الأشجار؟

ثراسيماخوس: يمكننا.

سقراط: أعتقد الآن إذن، أنه ليس لديك أية صعوبة في فهم معناي عندما سألت سؤالاً، إذا ما كان يجب أن تكون الغاية لأي شيء هي ما لا يمكن إنجازه إلا بذلك الشيء، أو أن إنجازه ليس جيداً إلاَّ به، وليس بأي شيء آخر؟

ثراسيماخوس: أفهم معناك، وأتَّفِقُ معك في هذا التحليل للغاية.

سقراط: وكل شيء تتحدَّد غايته يملك الامتياز أيضاً؟ دعنا نعُود للأمثلة عينها. نقول إن العينين لهما غاية؟

ثراسيماخوس: نعم.

سقراط: والأذنان لهما غاية، وفي النتيجة، امتياز أيضاً؟

ثراسيماخوس: حقاً.

سقراط: والشيء عينه صحيح لكل الأشياء الأخرى؛ كل منها له غاية وامتياز خاص به؟

ثراسيماخوس: إنه لكذلك.

سقراط: حسناً، وهل تحقق العينان غايتهما، إذا تملكهما النقص في الامتياز المناسب الخاص بهما واستولى عليهما العيب بدلاً من ذلك؟

ثراسيماخوس: كيف يستطيعان، إذا تملكهما العمى؟

سقراط: تعني، إذا فُقد الامتياز المناسب لهما، ألا وهو البصر. لكنني لم أصل إلى هذه النقطة بعد، تساءلت فقط ما إذا كانت الأشياء التي تحقق غاياتها، تحققها بامتيازها الخاص المناسب، وتخفق بتحقيقها في عيبها الخاص؟

ثراسيماخوس: بالتأكيد.

سقراط: يمكنني قول الشيء نفسه عن الأذنين. فهما لا تقدران على تحقيق غايتهما عند تجريدهما من امتيازهما الخاص المناسب.

ثراسيماخوس: حقاً.

سقراط: وستُطبّق عملياً الملاحظة عينها على كل الأشياء.

ثراسيماخوس: أوافق.

سقراط: حسناً. ألا تملك الروح غاية لا يقدر إتمامها أيُّ شيء آخر؟ وكمثال، لتشرف على وتأمر وتحزم أمرها وما شابه. أليست تلك الأعمال أعمالاً مناسِبة للروح، وهل يمكن تخصيصها حقاً لأي آخر؟

ثراسيماخوس: ليس لأيٍّ آخر.

سقراط: ماذا عن الحيّ ـ أليس ذلك عمل الروح؟

ثراسيماخوس: بالتأكيد.

سقراط: ونقول بأنّ هناك امتيازاً أو فضيلة للروح؟

ثراسيماخوس: نعم.

سقراط: وهل تقدر على تحقيق غاياتها الخاصة أم لا، عندَ تجريدها من امتيازها المناسب؟

ثراسيماخوس: لا تقدر.

سقراط: ويجب أن تكون الروح الشريرة بالضرورة حاكماً ومشرِفاً شريراً، والروح الخيرة سعيدة الحظ وناجحة؟

ثراسيماخوس: نعم، بالضرورة.

سقراط: ولقد اعترفنا أن العدل هو امتياز الروح، والظلم نقصها وعيبها؟

ثراسيماخوس: اعترفنا به.

سقراط: وستعيش الرّوح العادلة والإنسان العادل بصلاح، وسيحيا الرجل الظالم مريضاً.

ثراسيماخوس: هذا ما برهنته محاورتك.

سقراط: ومن يحيَ بصلاح يكن مباركاً وسعيداً، ومن يعش مريضاً يكن عكس السعيد.

ثراسيماخوس: بالتأكيد.

سقراط: ويكون العادل سعيداً إذن، والظالم شقيّاً.

ثراسيماخوس: ليكن هكذا.

سقراط: والسعادة هي النافعة، وليس الشقاء.

ثراسيماخوس: طبعاً.

سقراط: لا يكون الظلم إذن، يا ثراسيماخوس المبارك، مربحاً أكثر من العدل أبداً.

ثراسيماخوس: دع هذا، يا سقراط، أن يكون تسليتك في حفلة البنديس.

سقراط: وذلك مُدين لك به، وبما أنك أصبحت لطيفاً نحوي وتركت التوبيخ؛ المهم أنني لم أكن متسلياً بشكل جيد، لكن ذلك ليس خطأك بل خطئي. وكما يختطف النَّهِمُ الطعامَ من كل صحن أُحضر إلى الطاولة بالتتابع بدون أن يسمح لنفسه أن يتمتَّع بما جُلب سابقاً، ذهبتُ هكذا، من موضوع إلى آخر بدون أن أكتشف ما بحثت عنه أولاً، ألا وهو طبيعة العدل. تركت ذلك التساؤل، واستدرت لأعتبر ما إذا كان الفضل فضيلة وعقلاً أو شراً وحماقة؛ وعندَما نشأ سؤال آخر عن مقارنة المنافع للعدل والظلم، لم أستطع إلا المرور إليه كذلك. ولقد كانت نتيجة البحث ككل، أنني لا أعرف شيئاً

على الإطلاق، لأنني لم أعرف ما يكون العدل. ولذلك، فليس محتملاً أن أعرف ما إذا كان العدل فضيلة أو ليس كذلك، ولا أقدر القول ما إذا كان الإنسان العادل سعيداً أو غير سعيد.

الكتاب الثاني

أفكار الكتاب الرئيسية

١ ـ بحث في العدالة.

٢ ـ كلوكون واديامنتوس أخوا أفلاطون، يحاوران سقراط في معنى العدل.

٣ ـ نقدٌ لهوميروس، ولما جاء في كتابيه الشهيرين الإلياذة والأوديسة.

٤ ـ نقدُ شعراء آخرين ممن كانوا في تطابق مع هوميروس شاعر المأساة المضلّل.

٥ ـ البَدْء في تعريف حاجيّات الدولة الأساسيّة، والنظر إلى العدل في الدولة.

٦ ـ سقراط يعرّف العدل بأنه وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وأن يبرع الرجل في عمله، وأن لا يكون جندياً، وطبيباً، ومزارعاً، وحارساً في آن.

٧ ـ محبة العلم هي محبة الحكمة، التي هي الفلسفة.

٨ ـ تعليم الموسيقى والرياضة والأدب لناشئتنا، ومراقبة القصص الخياليّة التي لن نعلمها لأطفالنا لأنها ستفسد عقولهم.

٩ ـ دحضٌ لما جاء في قصائد هوميروس عن الله، وما هو إلاّ خيرٌ محض، سبب كل خير، لا يؤذي، لا يضر، ولا يصنع الشر، بل هو موجد الخير والأشياء الخيِّرة وليس الشر، ووجود الشر يُبحث عنه في مكان آخر، وليس في الله مطلقاً. وهو ليس بساحر، ولا يظهر بأشكال متعددة، ولا يخدع، بل هو ثابت في مجد ربوبيته، واحدٌ وعينه بالذات، غير قابل للتغيير، وهو الأكمل، الأجمل، والأفضل، وسبب الوجود والأحسن.

الكتاب الثاني

سقراط: اعتقدت أنني وضعت نهاية للحوار بالكلمات السابقة؛ ولكن النهاية، برهنت في الحقيقة، أنها البداية فقط، لأن كلوكون الذي يُعتبر دائماً أكثر الرجال مشاكسة، لم يرضخ بهدوءٍ لاعتزال ثراسيماخوس، وقال لي: هل ترغب حقاً، يا سقراط، أن تقنعنا، أو لتظهر أنك أقنعتنا فقط، وهو أن تكون عادلاً في كل طريق أفضل من أن تكون ظالماً؟

قلت لكلوكون: سأرغب حقاً في إقناعك، إذا قدرت.

كلوكون: لم تنجح في ذلك بالتأكيد، دعني أسألك: كيف سترتِّب الخيرات؟ أليس فيها ما نرحّب به لغاياته الخاصة، وليس لنتائجه، وكمثلٍ: المتع واللذات التي لا تؤذي وتفرحنا في وقتها، مع أنه لا شيء يتأتّى منها؟

سقراط: أوافقك التفكير، هناك نوع كهذا.

كلوكون: ألا يوجد نوع ثانٍ من الخيرات تلك، كالمعرفة، والصحة، والنظر، التي تكون مرغوبة ليس بذاتها فقط، بل لنتائجها أيضاً؟

سقراط: بالتأكيد.

كلوكون: أو لم تدرك نوعاً ثالثاً منها، كالتمارين الرياضيّة، والعلاجات الطبيّة؟ فالفن الطّبي وكل تلك الصناعات التي يتم بواسطتها تحصيل المال تفعل لنا فعلاً حسناً لكننا نعتبرها غير مقبولة؛ ولن نختارها لغايتها الخاصة، لكن لبعض النتائج أو المكافآت التي تنساب منها؟

سقراط: هذا النوع الثالث موجود، ولكن لماذا السؤال؟

كلوكون: أريد أن أعرف، في أي نوع من الأنواع الثلاثة تضع العدل؟

سقراط: أضعه في الطبقة الأعلى بين تلك الخيرات، والسعيد هو من يرغبها لنتائجها، كما لغايتها الخاصة.

كلوكون: العديد من الرجال إذن لهم تفكير آخر؛ فهم يعتقدون أن العدل محسوبٌ من النوع المزعج، بين الخيرات التي يجب ملاحقتها لغاية ما أو لجوائز أو لسُمعةٍ حميدة، لكنها في أنفسها غير مقبولة ولذا يجب الابتعاد عنها.

سقراط: أعرف، تلك أخلاقيتهم في التفكير، وهذا ما طرحه وتمسَّك به دائماً ثراسيماخوس، عندما أدان العدل وأثنى على الظلم، لكن يبدو أني متعلِّم بطيء.

كلوكون: إستمع إليَّ، من فضلك، ولربما سأجعلك تغيِّر رأيك بالإقناع. يظهر لي ثراسيماخوس كالحيَّة التي سُحِرت بصوتك أكثر ممّا يجب؛ ولم تقدر أنت حتى الآن على صياغة طبيعتَي العدل والظلم حسبما هو عالق في ذهني. أريد أن أعرف ما هما في أنفسهما، واضعين جانباً نتائجهما وجوائزهما، وكيف يكون عملهما الداخلي في الروح. لذلك، وإذا أردت، متفضلاً، سأحيي محاورة ثراسيماخوس، وسأتكلم عن طبيعة العدل أولاً وعن أصله طبقاً للنظرة العامة عنه. سأبيِّن ثانياً، أن كل الرجال الذين يمارسون العدل، إنما يمارسونه ضد إرادتهم، كضرورة، وليس كخير. وسأحاور ثالثاً، أنّ هناك سبباً لهذه الرؤيا، أي أن حياة الظالم، هي بعد كل ذلك، أفضل ببعيد من حياة العادل ـ إذا كان ما يقولونه حقاً، يا سقراط، رغم أنني لست من رأيهم. لكن يبقى أنني في حيرة عندما أسمع أصوات ثراسيماخوس والآخرين مُردّدة صداها في أذنيَّ؛ ولم أسمع مطلقاً، من الجانب الآخر حتى الآن، عُلُوَّ العدل على الظلم مؤكَّداً من أي شخص وبطريقة مقنعة. أريد أن أسمع الثناء على العدل باعتبار نفسه، وسأكون مقتنعاً بعدها، وأعتقد مخلصاً

أنك أنت الشخص الذي سيتولى هذا الشرح. وسأثني لذلك على حياة الظالم إلى أقصى قوتي حتى ذلك الحين، وسيعيِّن أسلوبي في الكلام، الطريقةَ التي أرغب سماعها منك في مدح العدل وإدانة الظلم. فهل ستوافق على اقتراحي؟

سقراط: أوافق حقاً؛ ولا أقدر أن أتصوَّر أي موضوع آخر أفضل سيتحاور بشأنه غالباً أيّ رجل ذي إدراك.

كلوكون: يخالجني الفرح عندما أسمعك تقول هذا. وسأبدأ بالكلام، كما اقترحت عن طبيعة العدل وأصله. يقولون، أن تفعل الظلم هو بالطبيعة، خير، وأن تقاسيه شر، لكنه يوجد شرٌ في الآخر أكثر من الأول. وعندما يفعل الرجال الإثنين، ويقاسون الظلم يمتلكون خبرة كليهما. ومن ليست لهم قدرة الإمتناع عن الأول والحصول على الآخر، يظنون، أنه من الأفضل، عدم الحصول على الإثنين. لذا يبدأون بسنّ القوانين وعقد المعاهدات المشتركة. وما سُنَّ بالقانون سمِّي قانونياً وعادلاً، وهذا ما دعي أصل وطبيعة العدل. فهو وسط أو اتفاق، بين أفضل الكل، الذي هو فعل الظلم بدون عقاب، وأسوأه، ألا وهو مقاساته بدون قدرة على الرد. والعدل نقطة وسط بين الإثنين، وهو مباح ليس كخير، بل كشر أقل، ويشرِّفه الرجال الضعفاء الذين لا يقدرون على ممارسته. ولا يستحق تسمية الرجل الذي إذا امتلك القوة ليفعل الظلم، سيذعن لهكذا اتّفاقية مع الآخرين ولا ينقضها؛ فهو مجنون إذا فعل ذلك. هذه هي التقديرات، يا سقراط، عن طبيعة العدل، والحالات التي تبرزه إلى الوجود.

أما الذين يمارسون العدل، فما يفعلون ذلك إلا جبراً، لأنهم لا يملكون القوة ليمارسوا الظلم. ويظهر ذلك جلياً عندَ تخيُّلنا شيئاً من هذا النوع: إذا أعطينا القوة لكل من العادل والظالم لفعل ما يريدان، ثم راقبنا ورأينا كيف

ستقودهما الرغبة في العمل. سنكتشف أن الفعل الحقيقي للرجلين يتقدم على الطريق عينه، فيما يفيد كلاً منهما. إنه الطريق الذي تسلكه كل المخلوقات، وبالغريزة، كأنه خيرها، وتكون قوة القانون ضروريَّة لإجبارهما على احترام المساواة والحريَّة اللتين نفترض أنه يمكن إعطاؤهما لهما كاملتين في شكل هكذا قوة. وقيل قديماً أن جيجس كان يمتلكها، وهو سلف كروسيوس الليدي. وطبقاً للتقاليد، فإن جيجس هذا كان راعياً في خدمة الملك الليدي الحاكم. وحيث كان يرعى غنمه، هبَّت عاصفة عظيمة وحدث زلزال، حفر فجوة عميقة في الأرض. اندهش للمنظر، وقاده حب الاستطلاع للنزول في الفجوة، حيث وجد الأعاجيب الأخرى من بين تلك التي تشكّل جزءاً من القصة. أمسك بحِصانٍ برونزي مجوَّف، له أبواب. إنحنى وتطلَّع من خلالها، فرأى تمثالاً لجسم ميت. وكما تبيَّن له، أنه أكثر من جسدٍ إنساني؛ أخذ من تلك الجثة خاتماً ذهبياً كان في اليد، ولا شيء آخر، ثم صعد من الحفرة. اجتمع بعد ذلك حوله الرعيان، وطبقاً للعادة المتَّبعة، يمكن للرعيان أن يرسلوا بتقريرهم الشهري عن القطعان إلى الملك. أتى الراعي إلى الاجتماع وفي إصبعه الخاتم الذهبي، وبينما كان جالساً بينهم، أدار بالصدفة فصَّ الخاتم إلى داخل يده، فأصبح غير مرئي لرفاقه في الحال، الذين بدأوا يتحدثون عنه وكأنه غير موجود. دُهش لذلك، ولمس الخاتم وأدار فصَّه خارجاً فظهر ثانية لرفاقه. حاول ذلك عدة مرات بعد أن وعى التجربة، وكان يحصل على النتيجة عينها دائماً: يدير فصَّ الخاتم إلى الداخل فيختفي، ويديره إلى الخارج فيظهر. رسم إذ ذاك خططاً ليكون أحد المبعوثين المختارين الذين سيُرسَلون إلى المحكمة. أغوى الملكة بعد وصوله، وتآمر ضد الملك وذبحه بمساعدتها، واستلم زمام حكم المملكة. إفترض، أنه يوجد هكذا خاتمان سحريان، ولبس العادل أحدهما، والظالم الآخر. ليس هناك رجل يمكن تخيله ذا طبيعة

حديديّة ويقف ثابتاً مع العدل. ليس هناك رجل سيرفع يديه عمّا ليس ملكه الخاص، عندما يقدر بأمان، أخذ ما يُحِب من السوق العامة، أو يدخل البيوت، ويأخذ ما يريده، ويكذب مع أيٍ كان خدمة لحواسه، أو أن يقتل، ويطلِق مَن يرغب مِن السجن. ويمكن أن نعتبره شبيها بالله بين الرجال، ويستطيع فعل ما يريد. نستنتج بأن أعمال الإنسان العادل ستكون كأعمال الظالم ، سيتجه كلاهما للهدف عينه. ونستطيع التأكيد حقاً، وبالبرهان الساطع، أنه عندما يعدل الرجل، فليس بإرادته، أو لأنه يعتقد أن العدل خيرٌ شخصيّ له، بل للضرورة. وإذا اعتقد أي شخص، بأنه إذا ظلم سيكون في مأمن من العقاب، فسيظلم. ويعتقد الرجال في قلوبهم أن الظلم هو الرابح الأكبر وليس العدل، وسوف يجادلون ويؤكدون أن هذا هو الحق، وكما افترضت سابقاً. تصوَّر شخصاً كالراعي يملك هذه القوة في التخفي والظهور، ولا يفعل الظلم أو يؤذي الآخرين، سيظنه المتفرجون أنه شقيٌّ وغبيّ، مع أنهم سيثنون عليه عندما يقابلونه، وسيمدحونه خوفاً من إمكانية معاناتهم للظلم. كفاية من هذا.

والآن، إذا كنا سنحكم على الحياتين بالحق، بعدما سمعناه، علينا أن نهمل طرفي العدل والظلم نظراً لتلك الاعتبارات، لأنه لا يوجد طريق آخر. أمّا كيف سيتأثّر التغاير، فهذا ما سأبيّنه. دع الرجل الظالم أن يكون بالكلّيّة ظالماً، والرجل العادل بالكلّيّة عادلاً، ولا شيء يمكن أخذه منهما، ويجب الإعداد لحياتهما الخاصة. فندع الإنسان العادل أَنْ يكون مميّزاً كأصحابِ الحرف، كالقبطان أو كالطبيب البارع الذي يعرف بالحدس ما الممكن وما غير الممكن في فنّه، ويبقى ضمن هذه الحدود. وإذا فشل في أية نقطة، فسيستعيد نفسه. وسندع الرجل الظالم أن يفعل النوع الحق من الأخطاء، وأن يهرب ولا يُكتشف، إذا كنا سنعلنه سيداً للظلم، وستكون علامة عجز

إذا اكتُشف لأن قمة الظلم أن يراك الناس عادلاً وحقيقتك العكس. لذلك أقول: يجب أن نفترض الظلم الأكثر كمالاً في الرجل الظالم الكامل. وعلى هذا، سنسمح له، بينما يفعل الأفعَال الأكثر ظلماً، أن ينال الشهرة الأكبر للعدل، ولن ننقص شيئاً من ذلك. وإذا سلك خطوات الباطل، عليه أن يكون قادراً على استعادة نفسه؛ وسيكون كلامه فعالاً عندَما يتكلم. وإذا ظهرت بعض أعماله للنور، وقدر على فتح طريقه بالقوة، إذا احتاجها، فما ذلك إلا بشجاعته وقوته وسطوة الغنى وكثرة الأعوان. وسنضع الرجل العادل بجانبه، في نبله وبساطته راغباً. وكما قال أخيل: ليكون وليس ليتراءى خيِّراً بالقول والفعل، لأنه إذا تراءى فقط، سيكرَّم وسيُعطى الجوائز، لذلك، سندعه يلبس العدل. وليس عليه أي غطاء آخر. ويجب أن نتخيَّله في حالة حياة ضد السابق. سنمتحنه حينئذٍ، وسنرى ما إذا كان عدله برهاناً ضد شهرة السوء واحتمالاتها. سندعه يبقى كما هو حتى ساعة موته: عادلاً وبائناً غير ظالم. وعند وصولهما إلى أقصى حد، الأول العدل، والآخر الظلم سنترك للحكَمِ أن يعطي النتيجة، أيٌّ منهمَا سيكون أسعد الإثنين.

سقراط: يا للسّماء، يا عزيزي كلوكون، كيف تصقلهما بقوة لإتخاذ القرار، وكأنهما تمثالان.

كلوكون: أفعل الأفضل، وبما أننا نعرف تشابههما، فليس هناك صعوبة في تقفّي أثر الحياة التي تنتظرهما. وسأصف ذلك، وسيكون وصفي خشناً نوعاً ما. أسألك لهذا، يا سقراط، أن تفترض أن الكلمات التي ستلي ليست كلماتي، بل لأولئك الذين يُثْنون بعلوٍّ على الظلم: سيخبروننا أن الرجل العادل الذي يُعتقد أنه ظالم، سيُجلد، ويُدمَّر، ويُكبَّل، وستحرق عيناه، وأخيراً، بعد أن يعاني كل أنواع الشرور، سيُوضع على الخازوق؛ وسيفهم آنئذ، أنه يجب عليه أن يتراءى فقط، وأن لا يكون عادلاً. ويمكن أن نردِّد كلمات أخيل

بحق أكثر عن الرجل الظالم وليس العادل الذي يقول إنّ الظالم يتبع الحق حقيقة؛ فهو لا يعيش بالمظاهر، بل يمارس ويفعل الظلم بالفعل وليس نظرياً فقط (عقله يملك أرضاً عميقة وخصبة تنبجس خارجاً منها نصائحه العاقلة). فهوّ يحكم المدينة، في المقام الأول، لأنه يُظن عادلاً. هو يستطيع أن يتزوَّج ممَّن يريد، ويمنح الزواج لمن يرغب، ويقدر أن يتاجر ويعقد الصفقات أينما يحب، ولمنفعته الخاصة دائماً، لأنه لا يمتلك الشبهات والرِّيَب بشأن الظلم، ويحصل على الأفضل في كل مبارزة مع أخصَامه، أكانت عامة أو خاصة، ويربح على حسابهم، ويصبح ثريًّا، ويقدر أن ينفع أصدقاءه، ويؤذي أعداءه بتلك الثروة، كما يمكنه تقديم الأضاحي وتكريس العطايا للآلهة بغزارةٍ وجلال. ويقدر على تكريمهم، وتكريم أي رجل آخر، في زيٍ أكثر تقدّماً من العادل. وسيكون لذلك الأعلى عند الآلهة من العادل على الأرجح. وهكذا، يا سقراط، يقولون إنّ الحياة الفضلى يقدمها الآلهة والرجال، على قدم المساواة، للظالم وليس للعادل.

سقراط: تهيَّأتُ لأقول شيئاً جواباً على كلام كلوكون، ولكن أخاه، أديامنتوس، قاطعني قائلاً: ألا تفترض، يا سقراط، أنه يوجد شيءٌ أكثر إلحاحاً مما قاله كلوكون؟ أجبته، ماذا، وما هو الآخر الموجود بحوزتك؟

اديامنتوس: لم يتم بعدُ ذكر النقطة الأساسيَّة الأقوى من الكل على الإطلاق.

سقراط: حسناً، « دع الأخ يساعد أخاه » طبقاً لقول المثل، وإذا فشل أخوك في أي جزء، فهل ستساعده؟ ويجب أن أعترف، مع ذلك، بأنّ ما قاله كلوكون لتوه كافٍ لأنّ يمرّغني في التراب، ويأخذ مني القوة لأساعد العدل.

اديامنتوس: هُراء، دعني أزيد شيئاً أكثر الآن لأستطيع إبراز ما أعتقد أن كلوكون عناه. وإنها لضرورة أن نتأمل النصائح من نوع مضاد، والتي يُثنى فيها على

العدل ويُعنِّف الظلم. يخبر الآباء والمعلمون أبناءَهم دائماً، كلمات يمدحون فيها العدل وأن عليهم أن يكونوا عادلين، فنسأل لماذا؟ طبيعي ليس لأنهم يفضلون العدل على الظلم، بل للسمعة الحسنة والأخلاق، على أمل أن يحصل أولادهم على بعض المناصب الرفيعة ويتزوجون ممن يريدون وما شابه ذلك. ولقد عدَّد كلوكون كل تلك المنافع التي ستتراكم على الرجل العادل وما سيحيط به من شهرة بسبب ذلك. أضيف إلى ما قيل، تلك الطبقة من الناس التي تتظاهر بتقديس وتمجيد الآلهة، وتتكلم عنهم كلاماً صالحاً، منها وابل المكاسب التي ستمطرها السماء على القدِّيس، ويتناسق كلامهم مع ما قاله النبيلان هيسيود وهوميروس، أول القائلين بأنّ الآلهة تصنع سنديانات العادل « لتحمل البلوطة في قمّتها، والنحل في الوسط، والأغنام منحنية بثقل أصوافها »،[٥] تقدم لهم عدة نِعم أخرى متشابهة. ويعطي هوميروس أنواعاً أخرى من الشعر نفسه، ويتكلّم عمن تكون شهرته « كشهرة الملك الطاهر الذيل، كالإله، يحفظ العدل، وله تنبت الأرض السوداء القمح والشعير، وشجرها مثقل بالفواكه، ولا تفشل قطعان غنمه في الحمل مطلقاً، والبحر يعطيه السمك »[٦]. تبقى الأعظم، هبات السماء التي يمنحها موسايوس وابنه[٧] للرجل العادل. إنهما يأخذانه للعالم الآخر، حيث القديسون متمددون على أرائك وثيرة بعد الوليمة، سكارى أبداً، ومتوَّجون بالأكاليل، يعلنون رأيهم أن السكرة الخالدة هي جائزة الفضيلة العليا، بل يمدِّدون الجوائز الموعودة البعيدة المدى بالنيابة عن الآلهة، ويقولون بأن الذريَّة الثالثة والرابعة ستبقى حيَّة من المؤمنين والعادلين. هكذا نثني على العدل ونمدحه. أما العاقّ والظالم فلهما عذاب الجحيم. سيُدفنان في الأرض الموحلة حيث العذاب، ويحمّلون عليهما الماء في منخل زيادة في الشقاء، ويُنزلون بهما عقاب الحرمان من حقوقهما المدنيَّة وهما أحياء. وكذلك فكل ما قال كلوكون بأنه

سيلحق العادل من عقاب سيكون نصيبهما، ولا من يشفق عليهما. هذا هو أسلوبهم للثناء على الأول ولوم الآخر.

وسألفت، يَا سقراط، أن نعتبر الكلام الآخر عن العدل والظلم، أننا نسمع هذا الكلام في حياتنا اليوميَّة وهو ليس مقتصراً فيما يقوله الشعراء. إن الصوت العالمي للجنس البشري، يعلن دائماً أن العدل والفضيلة شريفان، غير أنهما محزنان ومتعبان، وأن مسرّات الرذيلة والظلم سهلة المنال، ويدينها القانون والرأي العام فقط. يقولون إن الأمانة بجزئها الأكبر أقل ربحاً من الخيانة، ومستعدون لتسمية الرجال الخبثاء سعداء، ويكرمون الأغنياء في المجالات العامة والخاصة وفي أية طريقة أخرى ذات سلطة وتأثير، ويزدرون الضعفاء والفقراء في الوقت نفسه، مع أنهم يعترفون، أنهم أفضل من الآخرين. ويتكلمون عن الآلهة والفضيلة في أسلوب شديد الغرابة. يقولون، إن الآلهة وزّعوا المصائب والشقاء لعديد من الرجال الأخيار بالتساوي. أمّا الخبيث فلقد حصل على التصيب المضاد. ويذهب الأنبياء المتسولون إلى أبواب الأغنياء، ويقنعونهم بأن القوة التي يملكون إنما هي معطاة لهم من الآلهة كفّارة عن ذنوبهم وذنوب أسلافهم والتي أزيلت بالأضاحي والطلاسم، وبالأفراح والولائم، ويقدّمون خدماتهم بإيذاء عدوّهم، أكان عادلاً أم ظالماً وبثمن صغير. إنهم، وكما يقولون، يُخضعون السماء لمشيئتهم وإرادتهم بالفنون السحريَّة والتعاويذ. وما الشعراء إلا أصحاب السلطات الذين يرفعون الأمر إليهم بذلك. وليس أولئك إلا مُمَهِّدينَ لممر الرذيلة في الحقيقة، وهذا ما نظمه الشاعر هيسيود في هذا المجال: « الرذيلة ممكن امتلاكها بغزارة وبدون مشاكل؛ طريقها سهل ومكان سكنها قريب، لكن أمام الفضيلة وضعوا العناء »(٨)، وطريقها مُمِلّ وخشنٌ وعسير. واقتبسوا عن هوميروس، وكشاهد، أن الآلهة يمكن أن يتأثروا بالرجال، عندما يقول:

« الآلهة، أيضاً، يمكن تحويلهم عن أغراضهم، ويصلّي لهم الرجال، ويتفادون غيظهم بالأضاحي والتوسلات اللطيفة وبإراقة الدماء ورائحة الشحم، وذلك عندما يذنبون ويرتكبون الخطايا »[٩].

كذلك، فإنهم يوزّعون الكتب التي ألّفها ميوسايوس وآرفيوس (أطفال القمر وآلهات الشعر). هذا ما يقولون ـ طبقاً لإتمامهم شعائرهم الدينيّة. ويقنعون الأشخاص وجميع المدن بأن التكفير عن الذنوب والأفدية من الممكن تقديمها للآلهة بالأضاحي واللهو، ويملأون بذلك ساعات فراغهم، ويتساوون في خدمة الأحياء والأموات. ويسمّون النوع الأخير طقوساً دينيّة تعتقنا من آلام جهنم. لكن إذا أهملناها فلا يعرف أحدٌ ما سينتظرنا.

ثم واصل اديامنتوس قائلاً: وبعدُ، يا عزيزي، سقراط، عندما يسمع الفتيان كل الذي قيل عن الفضيلة والرذيلة، والطريقة التي صوّرت في اعتبار الآلهة والرجال لها، ألا تعتقد، بأنها ستؤثر على عقولهم القابلة لأي انطباع، ولن يكونوا بطيئين في الاستنتاج وفي تكوين منهج شخصيتهم؟ وأي طريق سيسلكون للحصول على الحياة الفضلى حسب اعتقادهم، وهم في سنّهم سريعو البديهة والذكاء كالنحل المتنقّل بأجنحته من زهرة إلى زهرة يستقر فوقها ويتناول من رحيقها؟ أليس من المحتمل، أن يردد هؤلاء الشباب كلمات الشاعر بيندار والتي يقول فيها: « أأقدر بالعدل أو بالطرُيق الملتوية الخادعة الصعود إلى البرج الشامخ والذي يمكنني جعله حصني كل أيامي؟ ». ويردّد الرجال القول كذلك بأنني لن أربح شيئاً، إذا كنت عادلاً حقاً، ولست مفتكراً عادلاً أيضاً، لن أربح سوى الألم والخسارة وهذا مما لا شك فيه. غير أنني سأمتلك شهرة العادل، وأكون موعوداً بالحياة السماوية، إذا كنت ظالماً بالفعل. ويبرهن الفلاسفة، منذ زمن بعيد، أن المظهر يطغى على الحقيقة وهو سيّد السعادة، لذلك سأكرّس نفسي له، وسأحيطه بستار وهمي

خادع من الفضيلة ليكون مدخل ومظهر بيتي الخارجي، وسأسلك طريق الثعلب المحتال المراوغ في الداخل وكما أوصى آرتشيليوس أكبر المتصوفين بذلك. غير أنني ومع كل ما قيل، أسمع شخصاً ينادي: إن إخفاء الخداع صعب في كل الأوقات. وسأجيبه، لا شيء عظيم يكون سهلاً. والذي يهمنا أن المحاورة مهّدت طريقنا، وإذا أردنا أن نكون سعداء حقاً، يجب أن نسلكه. وسنؤسس جمعيّات سريّة ونوادِ سياسّة كي تساعدنا على التخفي وإكمال المهمّة. وسنوجدُ أساتذة في علم الكلام. سنعلّمهم هذا الفن، وسيتولون إقناع المحاكم والجمعيات العامة بوجهة نظرنا. وسنحصل على أرباح غير شرعيّة بالإقناع تارة وبالقوة تارة أخرى، وسنهرب من العقاب. يبقى أنني أسمع صوتاً يقول: الآلهة لا يقدر أحدٌ أن يخدعهم، ولا يمكن إجبارهم على أي عمل.

لكن ماذا إذا لم يكن الآلهة موجودين؟ أو لنفترض أنهم لا يعتنون بالأشياء الإنسانيّة. فلماذا سنهتم بالتخفي في كلتا الحالتين؟ وحتى إذا وجد الآلهة واعتنوا بالأشياء الإنسانيّة، فنحن لا نعرف عنهم شيئاً إلاّ من التقاليد وتأريخ تسلسل الشعراء الذين سطّروا في دواوينهم أنه من الممكن التأثير على الآلهة وتحويلهم « بالأضاحي والتقدمات والالتماسات اللطيفة ». دعنا نتماسك إذن، ونصدّق الإثنين أو لا أحد منهما. وإذا تكلّم الشعراء بصدق فلماذا لا نظلم وهو الأفضل، ونقدّم بالتضحية بعضاً من فواكه الظلم، لأننا سنفقد أرباح المظالم إن كنّا عادلين، مع معرفتنا أنه من الممكن الهرب من انتقام السماء. وسنؤمّن الأرباح إذا ظلمنا، وسنرضي الآلهة بالصلوات، وبذلك نكفّر عن ذنوبنا واعتداءاتنا، ونهرب من كل أذى وخسارة. (لكنّ هناك عالماً آخر، والذي سنقاسي فيه وذريّتنا جزاء ما ارتكبنا من أعمال). نعم، يا صديقي سقراط، تلك هي الانعكاسات. وأعود فأردّد أنه يوجد الآلهة

المتسامحون الصافحون الذين يملكون القوة العظيمة، وهذا ما تعلنه المدن القويَّة؛ ويوجد أطفال الآلهة ممن كانوا شعراءهم وأنبياءهم، وتحمل كلها شهادة متطابقة.

على أية قاعدة سنختار العدل وليس أسوأ الظلم، بعد كل الذي شرحناه؟ في حين إذا وحَّدنا الآخر مع الاحترام الخادع للمظاهر، سنرضي عقولنا مع الآلهة والرجال، في الحياة وبعد الموت، كما يخبرنا العديدون وأعلى المسؤولين. وما دمنا قد عرفنا كل هذا، يا سقراط، كيف يمكن لرجل حائز على الشخصية، أو الرتبة، أو الغنى، أو أي نوع من العقل الرفيع أن يكرِّم العدل؟ وحتى إذا وُجِدَ الرجل القادر على نقض كلماتي، ويعرف فوق كل شك أن العدل هو الأفضل، فلن يكون قادراً أن يغضب مع الظالم إلا بصعوبة، بل سيكون مستعداً أن يسامحه لأنه يعرف أنّ الرجال لا يمكن أن يكونوا عادلين بإرادتهم الحرَّة، إلا إذا سكنت الألوهيَّة داخل شخص ما، أو أُوحي له صدفة .كره الظلم، وتحاشى فعله لأنه وصل إلى معرفة الحقيقة. وهذا ما لم يتوفَّر لأي شخص آخر. ويقال، من ناحية أخرى، إن الرجل يلوم الظلم لشيخوخته، وجبنه، وضعفه، ولأنه لا يملك القوة كي يمارسهُ. وعندما يحصل عليها سيبرهن حقاً أنه الظالم الأكبر وفي أية وجهة يستطيع. لقد عيَّنّا سبب كل ذلك، يا سقراط، في بداية الحوار. وأخبرناك، أخي وأنا، كم دُهشنا عندما وجدنا، أن كل تعاليم وتعليم الذين أثنوا على العدل، ابتداءً بالأبطال الغابرين الباقية لنا آثارهم التذكاريَّة، وانتهاءً برجال عصرنا لم يَلُمْ أحدٌ منهم الظلم أبداً، كما وأنه لم يمدح العدل، إلاَّ عندَ نظرته إلى المجد، أو الشرف، أو العطايا التي تنساب منهما. لم يصف أحدهم أبداً وبرأيٍ سديد نثراً أو شعراً قوة وتأثير أي منهما على الروح. ولم ترَ العين الإلهية ولا الإنسانيَّة ذلك، أو تُبيِّن بالنوعيَّات الجوهرية للروح، أنَّ العدل هو

الخير الأعظم، والظلم هو الشر الأعظم. بل أين هو المجهود العالمي فيما يختص بذلك. وهل فتّشت عن إقناعنا بهذا الشكل وإقناع شبابنا الطالعين؟ وأعتقد أنه لا يجب علينا أن نبقى محترسين ونمنع كلاً منّا أن يرتكب الخطأ، بل يجب أن يبقى ذلك مجهوداً شخصياً ويحرس كلّ منّا نفسه، خاصة لأنه يخشى أن يؤوي إلى نفسه الشرور العظام إذا فعل الأخطاء.

أجرؤ على القول، يا سقراط، إن ثراسيماخوس والآخرين، استعملوا لغةً وكلماتٍ أقوى وأقسى بكثير من تلك التي ردَّدتها عن العدل والظلم. ولقد دلُّوا بذلك على طبيعة تفكيرهم الحقيقي ومنهجيتهم. لكنني أتكلم بهذا الأسلوب الحادّ، وأعترف صراحة، لأنني ، صدقاً، أرغب بسماع الكلام الآخر المضاد منك. ولن أسألك أن تبرهن لنا أنّ العدل أسمى من الظلم فقط، بل الشيء الأبعد أثراً، ألا وهو عدم انفصالهما عن طبيعتهما، والتأثير المباشر على من يمتلكهما، كون الواحد صالحاً والآخر طالحاً. ألتمسُ منك، يا سقراط، إذا أردت، استثناء السمعة الحميدة والتمسك بمظهرها فقط، وسنفكّر بأنك مرشدنا في إبقاء الظلم ظلاماً فقط، وأنك تتفق حقاً مع ثراسيماخوس في التفكير أنَّ العدل أعلى أنواع الخيرات المرغوبة لنتائجها حقاً، لكن بدرجة أعظم لغاياتها، كالنظر، أو السمع، أو الصحة، وكذلك كأي خير خصبٍ بالطبيعة وليس مجرَّد حسبانه كذلك. سأسألك أن تعتبر نقطة رئيسيَّة واحدة في ثنائك على العدل، ألا وهي ضرورة الخير والشر وكيف يعمل العدل والظلم عملهما فيمن يمتلكهما. دع الآخرين يثنون على العدل ويوبِّخون الظلم مكبِّرين الجوائز والشرف لأحدهما وكاشفين الآخر. وهذا أسلوب الحوار الذي سيتَّبعونه، وسأكون جاهزاً لأجيز ذلك. أمَّا أنت، يا سقراط، الذي قضى العمر كله في إمعان الفكر بهذه القضيَّة، أتوقع سماع أفضل الكلمات المنطقيَّة من شفتيك. لذلك أقول، برهن لنا أنَّ العدل

أفضل من الظلم، وأرِنا عمل كل منهما في الروح، وكيف يصبح الأول خيِّراً والآخر شريراً، أكان ذلك مرئياً أو غير مرئي بالآلهة والرجال.

سقراط: [أعجبت بعبقرية كلوكون واديامنتوس دائماً، غير أنني لمّا سمعت كلماتهما، تضاعف سروري بالكليّة، وقلت لهما]: يا أبناء الأب اللامع(١٠)، لم تكن تلك بداية سيئة في قصيدة شعر رثائية نظمها المعجبون بكلوكون لتكريمك بعد أن أبليت البلاء الحسن في معركة ميغارا: « يا أبناء أريسطون، غنّى، يا ذريّة إلهية لبطل لامع ». يناسبكما اللقب حقاً، ويوجد فيكما شيء إلهيّ بالتأكيد، عندما تمتلكان المقدرة وتحاوران كما فعلتما مؤكّدين علوّ الظلم على العدل. أمّا أنا فمصرٌّ على اعتقادي ولم يقنعني حوارك، وأعتقد بأنك لست مقتنعاً بما قلته. أستدل على ذلك بأخلاقك العامة، لأنني إذا حكمت على كلامك فقط فسأكون عديم الثقة بك. أما الآن، وكما تكبر ثقتي بك، تكبر الصعوبة فيما سأجيبك على كلماتك ولا أقدر على تقديم أية مساعدة أولاً، وأشعر بعدم التكافؤ مع صعوبة العمل. وكما يقال، لقد أُحضِرَت عدم قدرتي إلى بيتي بالحقيقة. فأنتما لم تقتنعا بالجواب الذي أعطيته إلى ثراسيماخوس والذي برهنت فيه، وكما اعتقدت، سُمُوٌّ العدل على الظلم. ولا أقدر مع هذا، أن أرفض مساعدة العدل، ما دمت أملك الحياة وأقدر على الكلام، وأخشى وجود عمل لا يتسم بالتقوى عندما يُطعن العدل بالكلام السيِّء ولا أرفع يداً للدفاع عنه. وأجد من الأفضل بمكان إعطاء هذه المساعدة وحسب ما أستطيع.

[توسّل إليّ كلوكون وبقية الرفاق، كي لا أدع الأسئلة تسقط وينتهي الحوار، مهما كلّف الأمر. لكننا يجب أن نبحث، في المكان الأول، وبشمولية في طبيعة العدل والظلم ونكتشف الحقيقة، ثانية، عن منافعهما التي يتصل بعضها ببعض. لقد أخبرتهما ما اعتقدت بصدق، من أن البحث

سيكون ذا طبيعة جديَّة، وسيحتاج لعيون سليمة لمعرفة الحق. قلت لهما، كما تزيان، نحن لا نملك القدرة العقليَّة الفائقة، وأعتقد أنه من الأفضل أن نتَّبع طريقة من الممكن شرحها كما يلي: لنفترض وجود شخص ضعيف البصر، طُلِب منه أن يقرأ كلمات صغيرة عن بُعدٍ، بينما لاحظ آخر أن الكلمات عينها، نُقِشت في مكان آخر بشكل أكبر إذا كانت تلك الكلمات هي عينها، ويمكنه أن يقرأ الأحرف الكبيرة أولاً ويتقدم إلى الصغيرة بعدئذ، سيظن هذا أنه قطعة نادرة من الحظ السعيد].

أديامنتوس: حقيقة تماماً، ولكن كيف يمكننا أن نطبق هذا الشرح عمليّاً في بحثنا عن العدل؟

سقراط: سأخبرك، يُحكى عن العدل، وكما تعرف، أنه فضيلة الفرد، وفضيلة الدولة أحياناً.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: أو ليست الدولة أوسع من الفرد؟

اديامنتوس: إنها كذلك.

سقراط: يكون العدل، على الأرجح، في الأوسع إذن أكثر غزارة، ومكتشفاً بسهولة أكثر. أفترض لذلك، أننا سنبحث عن طبيعة العدل والظلم، كما يظهران في الدولة أولاً، وفي الفرد ثانياً، متقدمين من الأكبر إلى الأصغر ومقارنين بينهما.

أديامنتوس: إقتراح ممتاز.

سقراط: وإذا تخيَّلنا الدولة في بداية تكوينها، سنرى العدل والظلم في عملية نشوئهما أيضاً.

اديامنتوس: أجرؤ على القول.

سقراط: وعندما تكتمل الدولة فمن الممكن إيجاد أمل بأن هدف بحثنا سيُكتشف بسهولة أكثر.

اديامنتوس: نعم، بسهولة أكثر وأبعد.

سقراط: لكن أيجب علينا أن نحاول ونبني واحداً؟ لأننا إذا فعلنا ذلك، وكما أميل إلى التفكير، سيكون عملاً خطيراً جداً. فكّر مليّاً لذلك.

اديامنتوس: فكّرت مليّاً، وأتلهف أن تتقدّم.

سقراط: تنبثق الدولة، كما أتصوّر، من حاجات الجنس البشري؛ لا أحد يمكنه البقاء بنفسه، بل كلنا لدينا عدة متطلبات. أيمكن تصوُّر أي أصل آخر للدولة؟

اديامنتوس: لا يمكن تصوُّر أي أصلٍ آخر.

سقراط: وبما أننا نمتلك عدة احتياجات إذن، فسنحتاج لأشخاص عديدين لإمدادنا بها. يؤخذ واحد كمساعدٍ لغرض ما، وآخر لغرض آخر؛ وعندَما يُجمَّع هؤلاء الشركاء والمساعدون في مسكن موحَّدٍ معاً، سندعو هذا الجسم المأهول دولة.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: ويكون في اعتقادنا بأنه لخير الرجل الخاص، أن يعطي الإنسان الآخر أو يتسلم منه في التبادل.

اديامنتوس: حقاً يقيناً.

سقراط: دعنا إذن نبني الدولة نظرياً من البداية؛ ويظهر مع ذلك، أن الخالق الحقيقي هو الضرورة.

اديامنتوس: طبعاً.

سقراط: وبعدُ فإن أقلّ وأكبر الضروريّات هو الغذاء الذي هو سبب الحياة والبقاء.

اديامنتوس: بالتأكيد.

سقراط: الثاني المسكن، والثالث الملبس وما شابه.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: دعنا نرى الآن ما يجب أن يكون حجم المدينة القادرة على إمدادنا بهذا المطلب. يمكن أن نفترض رجلاً واحداً خبيراً في الزراعة، وآخر في البناء، وغيره في الحياكة - وهل سنضيف إليهم حَذّاءً، أو لربما آخر متعهداً للمؤن لحاجاتنا الجسديَّة؟

اديامنتوس: بوضوح.

سقراط: وكيف سيتقدمون؟ هل سيُحضِر كل منهم نتيجة عمله في المخزُون المشترك؟ الخبير في الزراعة، كمثال، منتج للأربعة، باذل الجهد أربَع مرَّات أطول وأكثر من حاجته في توفير الطعام الذي سيقدمه للآخرين كما لنفسه؛ أو أنَّ ليس لديه شيء يفعله مع الآخرين وليس عنده أية مشكلة في الإنتاج لهم، بل يقدِّم لنفسه ربع الطعام في ربع الوقت فقط، ويكون خلال ثلاثة أرباع وقته الباقي مشتغلاً في صناعة البيت أو المعطف أو زَوجَي الأُحذية، ولا يزعج نفسه بمشاركة الآخرين، لكنه يمد نفسه بكل احتياجاته الخاصة؟

اديامنتوس: يجب أن يهدف إلى تقديم الغذاء فقط، وليس في إنتاج كل شيء.

سقراط: من المحتمل، يا اديامنتوس، أن يكون ذلك الطريق الأُفضل؛ وعندما أسمعك تقول هذا، أتذكر نفسي. إننا لسنا كلنا متشابهين. هناك تنوع في طبائعنا والتي نكيِّفها في أعمالنا المختلفة.

اديامنتوس: حقيقي جداً.

سقراط: وهل سيُنجَزُ العمل أفضل عندما تحاول يد كل رجلٍ عاملٍ أن تصنع أعمالاً متعددة، أو أن تصنع اليد الواحدة عملاً واحداً فقط؟

اديامنتوس: عندما تصنع واحداً فقط.

سقراط: أبعدُ من ذلك، لا يمكن أن يكون هناك أي شك، أن العمل سيتلف عندما لا ينجز في الوقت الصحيح؟

اديامنتوس: بدون شك.

سقراط: لأن العمل ليس مطبوعاً على التأخير حتى يكون منتج العمل في وقت فراغ. يجب على العامل أن يستغل الفرصة المناسبة ويجعل العمل هدفه الأول.

اديامنتوس: يجب عليه ذلك.

سقراط: وإن هكذا، يجب أن نستنتج بأن كل الأشياء تُنتَجُ بوفرة وسهولة أكثر وبنوعية أفضل عندما يعمل الرجل الواحد شيئاً واحداً وهو الشيء الطبيعي له، ويصنعه في الوقت الصحيح، تاركاً كل الحرف الأخرى وشأنها.

اديامنتوس: بدون شك.

سقراط: سنكون بحاجة لأكثر من أربعة مواطنين لتجهيز كل الذي ذكرناه، لأن الخبير في الزراعة لن يصنع محراثه أو معوله، أو أية أدوات زراعية أخرى إذا اردناها أن تكون صالحة للعمل. وفوق ذلك، فالبنّاء لن يصنع أدواته، ويحتاج هو للعديد منها أيضاً؛ وفي نمط مماثل، الحائك وصانع الأحذية.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: ومع هذا، حتى إذا أضفنا رعاة البقر، الغنم، ورعاة القطعان الأخرى، لنمكّن خبراء زراعتنا من اقتناء الثيران ليحرثوا أرضهم، ويمكن للبنّائين كما لخبراء الزراعة ملكية قطعان الماشية التي تجر الأثقال، والحمّالين وحائكي أصواف الأغنام والدبّاغين. يبقى أن دولتنا ليست دولة واسعة جداً.

اديامنتوس: هذا حق، فالدولة التي تحتوي كل تلك الأشياء ليست صغيرة جدّاً.

سقراط: هناك في المدينة إذن، وضع ثانٍ: إنه إيجاد المكان حيث ينتفي استيراد أي شيء والذي يكاد يكون مستحيلاً تقريباً.

اديامنتوس: مستحيل.

سقراط: يجب إيجاد طبقة أخرى من المواطنين الذين سيجلبون الإمدادات الضرورية من مدينة أخرى.

اديامنتوس: يجب ذلك.

سقراط: لكن إذا ذهب التاجر صفر اليدين، ليس لديه أي شيء مما يحتاجونه في المدينة الأخرى وهم الذين سيجهزونه باحتياجاته، سيعود فارغ اليدين كذلك.

اديامنتوس: هذا محتمل.

سقراط: ولذلك، لا يكفي أن يكون ما ينتجونه في بلدهم كافياً لأنفسهم فقط، بل ما هو كافٍ لهؤلاء الذين يزودونهم باحتياجاتهم، في النوعية كذلك في الكمية.

اديامنتوس: حقيقي جداً.

سقراط: وسنكون بحاجة إلى فنيين مهرة وخبراء زراعيين أكثر؟

اديامنتوس: سنحتاج.

سقراط: مع عدم ذكر الذين يخدمون كمصدِّرين ومستوردين للبضائع والذين ندعوهم تجاراً، كما أعتقد؟

اديامنتوس: نعم.

سقراط: سنحتاج للتجار إذن؟

اديامنتوس: سنحتاج.

سقراط: وإذا ما حمَّلنا السلع فوق البحر، سنحتاج للرجال الذين عاصروا الأعمال البحريَّة المختلفة أيضاً؟

اديامنتوس: نعم، ولطبقة كبيرة منهم.

سقراط: كيف سيتبادلون منتوجاتهم داخل المدينة؟ لقد كان ضمان تلك المبادلات، كما ستتذكَّر، أحد أهدافنا الرئيسيَّة عندَما شكَّلناهم في مجتمع وأنشأنا الدولة.

اديامنتوس: سيشترون ويبيعون بوضوح.

سقراط: سيحتاجون مكاناً تجارياً حينئذ، ومصرفاً لأغراض التبادل.

اديامنتوس: بالتأكيد.

سقراط: لنفترض أن الخبير الزراعي الآن، أو الصانع الماهر، أحضر بعض المنتوجات للسّوق العامة، وليس هناك من يبادله، هل يجلس عاطلاً عن العمل في السّوق العامّة، آخذاً عطلة من عمله؟

كلا مطلقاً؛ سيجد أُناساً هناك، يتولّون مكتب المبيعات. إنهم يكونون بشكل عام، في الدول المنظمة تنظيماً جيداً، أولئك الأضعف في قواهم الجسديّة، ولذلك فعملهم قليل في أيّ غرض آخر؛ وواجبهم أن يتواجدوا في السّوق العامّة، ويدفعوا المال في مبادلات البضائع، لهؤلاء الذين يرغبون في البيع وأخذ المال من أولئك الذين يرغبون في الشراء. وتخلق هذه الحاجات طبقة من التجار بالتجزئة في دولتنا. أليس « البائع بالتجزئة » العبارة المطبّقة عملياً على أولئك الذين يجلسون في السوق العامة والمنشغلون في الشراء والبيع، بينما هؤلاء الذين يتجولون من مدينة إلى أخرى يُدعون تجاراً؟

اديامنتوس: نعم.

سقراط: وهناك طبقة أخرى من الخدم الذين يكونون عقلانيين بصعوبة وعلى مستوى الإتحاد؛ يبقى أنهم يمتلكون الكثير من القوة الجسدية للعمل، وهم يسمّون، إذا لم أكن مخطئاً، الأجراء. الإستئجار هو الإسم المعطى ثمنا لتشغيلهم.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: وسيساعدون في إكمال سكان المدينة.

اديامنتوس: نعم.

سقراط: أتكون دولتنا تامة وكاملة الآن، يا اديامنتوس؟

اديامنتوس: أعتقد ذلك.

سقراط: أين هو العدل داخلها؟ وأين هو الظلم؟ وفي أية درجة دخلا؟

اديامنتوس: من المحتمل أنهما دخلا في تعامل أولئك المواطنين مع بعضهم البعض. لا أقدر أن أقترح إمكان إيجادهما في أي مصدرٍ آخر.

سقراط: أجرؤ على القول إنك محق فيما تقترح. ومن الأفضل أن نفكِّر في المسألة مليّاً، وأن لا نتراجع وننكمش عن التساؤل.

دعنا نعتبر إذن، بادىء ذي بدء، ماذا سيكون طريقهم في الحياة. ألن يشتغلوا في محصول الذرة، والنبيذ، والثياب، والأحذية؟ وسيشتغلون في الصيف معاً، عندما يسكنون في بيوتهم، خالعين قمصانهم، حفاة، لكنهم يرتدون ثيابهم فعلياً في الشتاء ويمنتعلون أحذيتهم. سيتغذون من وجبات الشعير، وطحين القمح، خابزين الأول، وعاجنين الآخر، صانعين أرغفة وكعكات فاخرة. سيقدِّمون تلك في صوانٍ من قصب، أو على ورق الشجر النظيف، مستلقين لمدة قصيرة فوق أسرَّةٍ مغطاةٍ بأوراق خضراء من شجرة الطقوس أو شجر الآس. وسيقيمون الولائم مع أولادهم، يشربون النبيذ الذي صنعُوه؛ ويلبسون أكاليل على رؤوسهم، مسبِّحين الآلهة بالتراتيل والتمجيد، وفي حديث سعيد مع بعضهم البعض. وسيعتنون بعائلاتهم ولن يتجاوزوا الطريق الوسط فيما يختص بعددهم، غير ناسين الفقر أو الحرب في هذا المجال.

كلوكون مقاطعاً: ولكنك لم تعطهم مقبّلات لوجباتهم.

سقراط: لم أنسَ ذلك، حقاً. يجب أن نعطيهم مقبّلات، طبعاً ملح، وزيتون، وجبن، وسيَغْلُون ويشربون جذور الأعشاب والنباتات الطبيّة كتلك التي يحضِّرها الشعب في بلادنا؛ وسنعطيهم تيناً كحلوى، وبازلاء وفاصولياء؛ وسيحمِّصون ثمر شجر الآس والبلُّوط على النار، راشفين النبيذ باعتدال. ومن الممكن طمأنتهم، مع هكذا حمية، أن يعيشوا بسلام وصحة وخير حتى سن الشيخوخة وسيورّثون حياة مشابهة لأطفالهم من بعدهم.

كلوكون: نعم، يا سقراط، وإذا كنت مجهِّزاً لمدينة من الخنازير، فماذا ستطعم الوحوش غير ذلك؟

سقراط: لكن ما الذي تريد الحصول عليه، يا كلوكون؟

كلوكون: ماذا؟ عليك أن تعطيني الأشياء العاديَّة اللائقة للحياة. إن الذين يريدون الراحة معتادون على أن يتمددوا على الأرائك، ويتناولوا غذاءَهم على الطاولات، وينبغي أن تكون لديهم صحون وحلوى في الشكل العصري.

سقراط: نعم، أفهم الآن. فالسؤال الذي تلفت نظري إليه، ليس فقط كيف يجب خلق دولة، بل كيف يجب خلق دولة مترفة. وقد لا يكون في ذلك أذىً، لأننا بتمديد بحثنا لتلك الدولة، سنكون أكثر قدرة، على أية حال، على رؤية كيفية نشوء الظلم والعدل السّياسيَّيْن. وفي رأيي أن المجتمع الصحي والحقيقي للدولة هو المجتمع الذي وصفته سابقاً. لكنك إذا رغبت أن ترى الدولة في حمَّى الحرارة أيضاً فليس لديَّ اعتراض على ذلك. غير أني أتوقّع أن العديدين لن يكونوا قانعين بطريقة الحياة الأبسط. سيريدون زيادة الأرائك، والطّاولات، وغيرها من الأثاث؛ الأطعمة اللذيذة أيضاً، والعطورات، والبخور، والمومسات، والكعك، وكل تلك التي ذكرت ليست من نوع واحد فقط، بل من كل نوعيَّة. يجب أن نذهب ما وراء الضروريات التي تكلمت عنها سابقاً، كالبيوت، والثياب، والأحذية: ففنون التصوير اليدوي والتطريز ستوضع في حركة، وينبغي الحصول على كل الأنواع الماديَّة من ذهب وعاج.

كلوكون: حقاً.

سقراط: يجب أن نوسِّع حدودنا إذن لأن الدولة الصحيَّة الأساسيَّة ليست كافية بعد الآن. بل لا بد للمدينة الجديدة من أن تمتلىء وتنتفخ بتعددية الدعوات والتي لا يُفترض أنها حاجات طبيعيَّة؛ كمثل قبيلة الصيادين، والمقلدين ثانية،

والذين تعمل طبقة واسعة منهم في الأشكال والألوان. وهناك آخرون من المعجبين بالموسيقى كالشعراء ومرافقيهم، وقافلة من رواة القصائد المحترفين، اللاعبين، الراقصين، والملتزمين. أيضاً صانعي الأشياء والأنواع المتغددة، بمن فيهم أولئك الذين مهمتهم تزيين النساء. وسنحتاج لخدم أكثر. وسيكون المربُّون أيضاً من المطلوبين، والمرضعات النديّات الضّرع وضدّه، الماشطات والحلاّقين، كما صانعي الحلويات والطبّاخين. وسنكون بحاجة حينئذ إلى زريبة للخنازير التي لم نكن بحاجة إليها، ولذلك لم يكن لها مكان في دولتنا السابقة. ويجب أن لا ننسى أننا سنحتاج إلى عددٍ ضخمٍ من القطعان، إذا كنّا سنأكل اللحم.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وبما أننا سنحيا بتلك الطريقة، سنحتاج إلى أطباء أكثر بكثير من ذي قبل.

كلوكون: أكثر بكثير.

سقراط: والبلاد التي كانت كافية مرة لدعم سكانها الأصليين ستصبح الآن صغيرة جداً.

كلوكون: حقاً بالتمام.

سقراط: سنكون آنئذ بحاجة إلى قطعة من أرض جيراننا للرعي والحرث، وسيحتاجون بدورهم لقطعة من أرضنا. إذاً سيتخطّون حدود الضروريات مثلنا ويسلّمون أنفسهم للغنى المتراكم اللامحدود.

كلوكون: سيكون ذلك، يا سقراط، متعذراً اجتنابه.

سقراط: وهكذا سنذهب إلى الحَرب، يا كلوكون، أم لا؟

كلوكون: بالتأكيد الأكثر.

سقراط: إذن، وبدون تحديد ما إذا كانت الحرب ستجلب الخير أو الأذى، يمكننا أن نثبّت هذا المقدار. أما الآن فقد اكتشفنا أن الحرب تشتقّ من الأسباب

التي هي أيضاً الأسباب التقريبيّة لكل الشرور في الدول، الخاصة منها والعامة.

كلوكون: بدون شك.

سقراط: ولا بدَّ لدولتنا أن تتوسَّع مرّة ثانية، وينبغي أن لا يكون التوسع هذه المرّة بأقل من جيش كامل، والذي عليه أن يذهب ويحارب الغزاة بكل ما نملك دفاعاً عن الأشياء والناس.

كلوكون: لماذا؟ أليسوا بقادرين على الدفاع عن أنفسهم؟

سقراط: لا، ليس إذا كنا محقين في المبدأ الذي اعترفنا به جميعاً عندما شكّلنا الدولة. المبدأ هو، كما تتذكّر، أن الرجل الواحد لا يقدر أن يمارس عدة فنون وبنجاح.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: لكن أليست المجابهة المسلحة في الحرب فناً؟

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وفن بحاجة إلى كثرة الانتباه كصناعة الأحذية؟

كلوكون: حقاً تماماً.

سقراط: ولم نسمح لصانع الأحذية أن يكون خبيراً في الزراعة، أو حائكاً، أو بنّاءً، ذلك كي نحوز الحذاء الجيد الصنع. بل خُصِّص له ولكل عامل آخر عمل واحد يناسبه بالطبيعة، وعليه في ذلك أن يواصل العمل طوال حياته وليس في أي عمل آخر. لا بد له أن يستغل الفرص كلّها، وسيصبح آنئذ عاملاً جيداً. وبعدُ، أيمكن لأي شيء أن يصبح أكثر أهمية من عمل الجندي الذي أُنجِزَ تماماً؟ أو تكون الحرب فناً يُكتسب بسهولة كهذه ليكون الرجل جندياً مقاتلاً بالاحتمال ويكون أيضاً خبيراً في الزراعة، أو صانع أحذية، أو أي شيء آخر ذي حرفة؟ ولا أحد في العالم يمكنه أن يكون لاعباً جيداً في

الشطرنج وطاولة النرد إذا أخذ اللعبة كمجرد لعبة استجمام، ولم يكرّس نفسه منذ سنواته الأولى لها وليس لأي شيء آخر. إن الآلة لن تجعل الرجل عاملاً حاذقاً، أو رياضياً، ولن تكون صالحة لأي استعمال لمن لم يتعلّم كيف يمسك بها، ولم يمنح الانتباه الكافي لها أبداً. كيف يصبح من يأخذ الترس أو أية أداة حربيّة أخرى، بشكل عام، مقاتلاً جيداً في غضون يوم، أكان مع الأسلحة الثقيلة أو أي نوع آخر من السلاح العسكري؟

كلوكون: نعم، فالآلات التي ستعلّم الرجال استعمالها الخاص لا تقاس بثمن.

سقراط: وكما أن واجبات الوصيّ تفوق كل الواجبات الأخرى أهميّة، كذلك يحتاج العمل إلى التّمرين والخبرة القصوى، كما للإنتباه غير المشتت؟

كلوكون: بدون شك.

سقراط: أو لن يحتاج كذلك للجدارة الطّبيعيّة في تسميته؟

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: سيكون من واجبنا أن ننتقي إذن، إذا استطعنا، الطبائع المناسبة للعمل الشاق ألا وهو حماية المدينة.

كلوكون: إنه لكذلك.

سقراط: وليس العمل الشاق سهلاً، ذلك الذي تعهدناه، بل علينا أن نكون شجعانا، ونفعل الأفضل.

كلوكون: علينا أن نفعل ذلك.

سقراط: هل توافق على أن الشاب النبيل يشبه جداً الكلب ذا النسل الجيّد، فيما يتعلق بالحراسة والمراقبة؟

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: أعني، أنه يجب على كل منهما أن يرى بسرعة، ويفاجيء عدوه بسرعة عندما يبصره؛ وأن يكون قوياً أيضاً عندما يمسك به، ويصارعه.

كلوكون: سيحتاجون لكل تلك النوعيات، بالتأكيد.

سقراط: حسناً، ويجب أن يكون وصيّك شجاعاً إذا كان سيحارب جيداً.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وهل سيكون شجاعاً من لا يملك نفساً على أيّة حال، أكان حصاناً أو كلباً أو أي حيوان آخر؟ ألم تراقب كيف هي النفس التي لا تقهر ولا تُغلب وكيف يجعل وجودها روح أي مخلوق غير خائفة أو مهزومة بالكليّة؟

كلوكون: راقبت ذلك.

سقراط: إن لدينا الآن انطباعاً صافياً عن النّوعيّات الجسديّة التي يحتاج إليها وصيّنا.

كلوكون: حقّاً.

سقراط: وللنوعيات العقليّة أيضاً، إن روحه يجب أن تكون ممتلئة نفساً؟

كلوكون: حقاً مرة ثانية.

سقراط: لكن كيف تقدر تلك الطبائع النفسيّة الكفّ عن أن تكون فظّة بعضها مع البعض، ومع الآخرين؟

كلوكون: صعوبة ليس من السّهل التغلّب عليها.

سقراط: ولما كان من المتوجب عليهم أن يكونوا خطرين على أعدائهم وودعاء لأصدقائهم؛ وإن لا، فسوف يدمّرون أنفسهم وبذلك يوفرون على أعدائهم مشقة تدميرهم.

كلوكون: حقّاً.

سقراط: ما العمل حينئذ؟ وكيف سنجد الطبيعة الوديعة التي لديها نفسٌ سامية أيضاً، ما دامت الواحدة مناقضة للأخرى؟

كلوكون: حقاً.

سقراط: إنه لن يكون وصيّاً صالحاً من يحوز النقص في كلتا النوعيتين؛ ويظهر أن

الكتاب الثالث

سقراط: يجب سرد حكايات كهذه تتعلق بالآلهة، ولن نخبر مريدينا حكايات أخرى كتلك من وقت ايناعهم فصاعداً، إذا قصدنا أن يكرّموا الآلهة وآباءهم وأن يقدّروا قيمة الصداقة فيما بينهم.

اديامنتوس: نعم؛ وأعتقد أن مبادئنا صحيحة في قواعدها وتوجهاتها.

سقراط: لكن إذا أرادوا أن يكونوا شجعانا، لا بد أن يتعلموا دروساً أخرى بجانب الدروس تلك، ودروس هذه نوعيتها ستنزع من نفوسهم الخوف من الموت. أيقدر أن يكون شجاعاً من يسيطر عليه خوف الموت؟

اديامنتوس: لا بالتأكيد.

سقراط: أو يقدر أن يكون غير هيّابٍ الموت، وهل سيختار الموت في المعركة ولن يُهزم أو يستعبد، من يعتقد أن العالم الآخر هو عالم حقيقي ومخيف؟

اديامنتوس: مستحيل.

سقراط: علينا أن نتولّى توجيه طبقة أولئك الروّائيين للحكايات كما توجيه الآخرين، وأن نتوسل إليهم كي لا يشتموا العالم الآخر بلْ يمدحوه، محيطينهم علماً أن أوصافهم غير صحيحة، وستؤذي مستقبل مقاتلينا.

اديامنتوس: سيكون ذلك واجبنا.

سقراط: وسنطمس العديد من المقاطع الذميمة، مبتدئين بالآتية: « أفضّل أن أكون عبداً على أرضٍ لفقير ورجلاً لا ملكيّة له على أن أحكم كل الموتى الذين ذهبوا للعدم »[١٨].

ويجب أن نمحو المقطع، الذي يخبرنا كيف خاف بلوتو « خشية أن يتجهّم

ويزدري أصحاب الدار الذي يمقته الآلهة بشدَّة، ويجب أن يراه الزائلون والخالدون على حدّ سواء »[١٩]

« يا للسماوات! يقيناً في بيت مثوى الأموات توجد الرّوح وشكل الشبح، ولكن لا عقل فيها مطلقاً »[٢٠].

وعن ثيرسياس ثانية[٢١]: « إليه حتى بعد الموت وهبت بيرسيفون[٢٢] العقل ».

« لأن عليه أن يكون وحده عاقلاً؛ لكن الأرواح الأخرى ظلال تنتقل بسرعة من مكان إلى مكان »[٢٣].

وثانية: « الأرواح الطائرة من الأطراف ذهبت إلى الجحيم، نادبة حظَّها، تاركة الرجولة والشباب »[٢٤]. « والروح، بصيحة واحدة حادَّة، مرَّت كالدخان تحت الأرض »[٢٥].

و: « مثل الخفافيش في كهفها السِّرِّي، كلما هبط أيٌّ منها خارج مجموعته وانحدر من الصخرة، يطير بحدَّة ويلتصق برفاقه، وهكذا هي [أي الأرواح] تتماسك وتتحرك معاً بصيحة حادَّة »[٢٦].

وعلينا أن نستعطف هوميروس والشعراء الآخرين، كي لا يغضبوا مِنّا إذا حذفنا هذه المقاطع وأخرى مشابهة، ليس لأنّها غير شاعريَّة، أو لا تجذب الأذن الشعبيَّة، بل لأنها كلما كبر سحرها الشعري، كلما قَلَّ طَرْقها سمع آذان الأولاد والرجال الذين تعني لهم معنى كونهم أحراراً، والذين يخافون العبودية أكثر مما يخافون الموت.

اديامنتوس: بدون شكّ.

سقراط: سنرفض أيضاً كل الأسماء الرهيبة والمروِّعة التي تصف العالم السّفلي: كوكيتوس وستيكس، والأشباح تحت الأرض، والظلال الواهنة، وأي كلام آخر مشابه، الذي تشير له الأكثريَّة ويسبب ارتعاداً عند مروره إلى أعماق روح سامعيه. ولا أقول إن تلك القصص الرهيبة لا يمكن استعمالها في

منحى آخر؛ لكنّ هناك خطراً حقيقياً ألا وهو إمكانيّة تحويل حُماتنا للتهيُّج والتخنُّث عند سماعها.

اديامنتوس: هناك خطر حقيقي.

سقراط: علينا أن لا نمتلك الأكثر منها إذن.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: وسيغنّي الشعراء (شعراؤنا) في أرومة نبيلة أخرى.

اديامنتوس: بوضوح.

سقراط: وسنتقدم كي نتخلّص من البكاء والنحيب على رجالنا الممتازين.

اديامنتوس: ستذهب مع ما تبقّى.

سقراط: وهل سنكون منصفين إذا تخلّصنا منها؟ فكّر مَلِيّاً: مبدأنا أنّ الإنسان الصّالح لن يعتبر الموت رهيباً لأي إنسان صالح آخر والذي هو رفيقه.

اديامنتوس: نعم. هذا مبدأنا.

سقراط: ولذلك فهو لن يأسى لمغادرة صديقه وكما أنه نزل به شيء رهيب.

اديامنتوس: لن يفعل.

سقراط: وسنقول عنه شيئاً آخر هو أنه الأكثر إكتفاءً بنفسه وبسعادته.

اديامنتوس: حقّاً.

سقراط: ولهذا السبب فإنّ فقده للإبن أو الأخ، أو حرمانه من الحظّ، يجب أن يجعله أقلّ الناس رهبة لذلك.

اديامنتوس: بالتأكيد.

سقراط: ولذلك سيكون على الأرجح الأقلّ نحيباً، وسيتحمّل بأكبر رباطة جأش أية بليّة قد تحلّ به.

اديامنتوس: نعم سيشعر ببليّة كهذه أقل من الآخرين.

سقراط: وسنكون محقّين في تخلصنا من النّحيب على رجالنا الممتازين، تاركين

ذلك للنساء « وليس حتى للنّساء الصالحات لأي شيء » أو للرّجال الأدنى نوعيّة. أما أولئك الذين ثقّفناهم ليكونوا المدافعين عن بلدهم سيزدرون عملاً كهذا.

اديامنتوس: وإنّهم لعلى حقّ.

سقراطِ: وسنستعطف هوميروس وبقية الشعراء، مرّة أخرى، أن لا يصوِّروا أخيل(٢٧) الذي هو ابن الإلهة، مضطّجعاً على جنبه، ثم على ظهره، وبعدها على وجهه؛ وحينئذ مبتدئاً بالإبحار في شعرٍ على طول شواطىءِ البحر المجدب. وبعدُ، آخذاً بكلتا يديه الرماد الشّخامي(٢٨) وذاريه فوق رأسه، أو باكياً ومنتحباً بأشكال عديدة والتي رسم هوميروس خطوطها العريضة. أو أن يصف برايم(٢٩) مصليّاً ومتضرعاً وهو أحد أقرباء الآلهة « مُلْتَفّاً بالأوساخ، منادياً بصوت عالٍ كل رجل باسمه »(٣٠). وسنستعطفه بجدية أكثر وفوق كل الحالات أن لا يقدِّم الآلهة منتحبين وقائلين « واحسرتاه! يا لشقائي! واحسرتاه! لقد حملت الأشجع إلى أحزاني »(٣١).

وإذا وجب عليه تقديم الآلهة، لن ندَعه يجرؤ على أية حال، على تشويه حقائق أكبر الآلهة وهكذا تماماً، عندما يقول: « يا للسماوات! شاهدت بعينيّ حقاً، صديقاً عزيزاً عليّ مطارَداً في المدينة هنا وهناك، وقلبي ممتلىء حزناً »(٣٢).

أو ثانية: « واأسفاه، فذلك مقرَّر بقضاء وقدر ليكون ساربيدون(٣٣)، أعزّ الرجال لديّ، قد أُخضع على يدي باتروكلوس(٣٤) بن مينويتيوس » لأنه يا عزيزي اديامنتوس، إذا استمع رجالنا الشبّان لتلك المزاعم بجديّة، وبدلاً من الضحك عليها لتفاهتها عن الآلهة، كما يجب، فمن الصعب أن يحب أياً منهم، كونه رجلاً، إلا وسيئهان بتلك الأعمال المشابهة؛ أو أنّه لن يوبِّخ أيَّ ميلٍ من الممكن أن ينشأ في تفكيره لقول وعمل ما شابه. وبدل أن

يكون حييّاً صبوراً، فسيرافقه الأنين والنحيب في أيّة مناسبة سطحيّة.

اديامنتوس: نعم، إن ما قلته لأكثر حقيقة.

سقراط: نعم، لكن ذلك مما لا يجب أن يكون بالتأكيد، وكما برهنت لنا المحاورة منذ فترة قصيرة. وعلينا أن نلتزم بذلك البرهان حتى ننقضه بآخر أفضلَ منه.

اديامنتوس: لا يجب أن يكون.

سقراط: ولا يجب أن يستسلم حُماتنا للضّحك. فإن مناسبة الضحك المطلقة العنان تقتْضي رد فعل عنيف دائماً تقريباً.

اديامنتوس: أعتقد هكذا.

سقراط: ولا ينبغي إظهار الأشخاص الجديرين بالاحترام، حتى إذا كانوا ممن توفّوا، وكأنهم منهوكون بالضّحك. يبقى الأقل سماحاً إظهار الآلهة كذلك.

اديامنتوس: يبقى الأقل للآلهة، كما قلت.

سقراط: ولن ندع هكذا صياغة تُستعمل عن الآلهة كتلك الهوميريّة، عندما وصف كيف « ارتفع الضحك المتعذر إخماده بين الآلهة المقدّسين، عندَما رأوا هيفياستوس(٣٥) يستحث الخطى مسرعاً نحو القصر »(٣٦).

اديامنتوس: لن نقبل بها طبقاً لرؤياك.

سقراط: يجب أن لا نقبل بها فذلك مؤكّد، وطبقاً لرؤياي؛ إذا أحببت أن ترميني بتبنّيها.

ستكون الحقيقة ثانية، موضع تقديرنا السّامي؛ إذا كنا محقين في قولنا إن الباطل عديم الجدوى للآلهة، ونافعاً للرجال كالدّواء فقط. وسيكون استعمال أدوية كهذه مقتصراً على الأطباء، وليس للأفراد الشخصيّين حقُّ التصرّف بها.

اديامنتوس: لا، بوضوح.

سقراط: وإذا مُنِحَ أي شخص امتياز الكذب مطلقاً، فحكام الدولة هم أولئك

الأشخاص. ومن الممكن السّماح لهم بالكذب للصالح العام، في تعاملهم مع الأعداء أو مع مواطنيهم. لكن لن يتطفل أحد آخر ويتدخل بأي شيء من هذا النوع. ومع أن الحكام يمتلكون هذا الامتياز، فالغلطة الشائنة هي أن يكذب لهم الرجل الشّخصيّ بالمقابل، وكذلك المريض أو تلميذ التمارين الرياضية. وكذلك على البحّار أن يخبر القبطان ماذا يحدث للباخرة ولبقية الطّاقم، وكيف تجري الأمور معه ومع بقية رفاقه البحارين.

اديامنتوس: حقيقي تماماً.

سقراط: وإذا أمسك الحاكم أي شخص كاذباً بجانبه في الدولة، « أيّاً من الحرفيين، أكان كاهناً أو طبيباً أو نجّاراً »[٣٧]، سيعاقبه لإدخاله عُرْفاً يعادل في خطره تدمير وتخريب باخرة أو دولة.

اديامنتوس: بالتّأكيد الأكثر، إذا ترجمنا كلامنا عن الدولة إلى أفعال[٣٨].

سقراط: ويجب على شبابنا أن يكونوا معتدلين في المقام الثاني.

اديامنتوس: بالتّأكيد.

سقراط: أليست عناصر الاعتدال الرئيسيّة، وهنا نتكلم بشكل عام، طاعة قادتهم، وكبح جماحهم في ملذّات الأكل والشّرب والعلاقات الجنسيّة؟

اديامنتوس: حقّاً.

سقراط: وسنصادق على لغة كتلك اللغة الديوميديّة[٣٩] في هوميروس، « يا صديق، إجلس وابقَ وأطع كلامي »، وعلى المقاطع التي تلي، « اليونانيون زحفوا متنفسين بسالة[٤٠]، ... في خشوعٍ صامتٍ لقادتهم »[٤١]. وعواطف أخرى من النوع عينه.

اديامنتوس: سنفعل ما قلته.

سقراط: وماذا عن هذا السطر « يا مثقلة بالنبيذ، يا من تملكين عينا كلب وقلب أيّل »[٤٢]، والكلمات التي تلي. هل ستقول بأن تلك الكلمات وأي ارتباطٍ

بموضوع بحث مشابه، والذي من المفترض أن يوجهه الأفراد الشخصيّون إلى حكامهم، أكان نثراً أو شعراً، سيُنطق به بفظاظة أو باستحسان؟

اديامنتوس: سيُنطق به بفظاظة.

سقراط: لكنّها ربّما تقدّم بعض التّسلية، غير أنّها لا تُفضي إلى الاعتدال. ولذلك، فقد تؤذي رجالنا الشباب. ستتفق معي في ذلك؟

اديامنتوس: نعم.

سقراط: وثانية أن نجعل فوق ذلك، أن يقول أعقل الرجال لا شيء في رأيه أكثر روعة من: « عندما تكون الطاولات ممتلئة خبزاً ولحماً، وحامل الكأس يدير النبيذ الذي يجلبه من وعاء الخمر ويسكبه في الأقداح »[٤٣]. وهل سماع تلك المقاطع والكلمات مناسبٌ أو بنّاءٌ في ضبط نفوس رجالنا الشبّان؟ أو القطعة التالية: « أحْزَنُ القِسَم أن تموتَ جوعاً وتواجهَ قَدَرَك المحتوم؟ »[٤٤]. وماذا ستقول عن حكاية زيوس ثانية، الذي كان الشخص المستيقظ الوحيد بينما الآلهة والرجال الآخرون نيام، تمدّد مبتكراً خططاً، غير أنه نسيها جميعاً في لحظة من خلال شهوته الّتي قهرته تماماً عندَما رأى هيرا، حتى أنه لم يستطع الدّخول إلى كوخه، بل أراد أن يضاجعها على الأرض، معلناً أنه لم يكن في حياته بحالة النشوة كالّتي تلازمه، حتّى عندما اعتادا مقابلة بعضهما سابقاً « بدون معرفة آبائهما »[٤٥]. أو تلك الحكاية الأخرى وكيف أن هيفياستوس، ولأنه بأعمال مماثلة، كيف طرح سلسلة حول آريس وأفروديت؟[٤٦]

أرتئي بقوة أن لا يسمع شبابنا ذلك النوع من الحكايات.

غير أن أمثلة جَلَد الرجال الشهيرين واحتمالهم للأمراض المتنوعة التي يتعرضون لها، يمكن أن تُسْرَد أو تُمثّل مسرحياً. علينا أن نَدَعهم يرونها ويسمعونها. وكمثال: ما قيل في هذه المقاطع، « ضرب صدرهُ بقوة،

وبالتالي لام قلبه. تحمّل، يا قلبي، أسوأ بكثير مما تحمّلت »[٤٧].
اديامنتوس: بالتأكيد.
سقراط: ويجبَ علينا أن لا ندعهم يرتشون، أو يعشقون المال، في المقام التالي.
اديامنتوس: بالتأكيد لا.
سقراط: ولن نغنّي لهم عن « الهدايا تقنع الآلهة، والإقناع يوقِّر الملوك »[٤٨].
ولم يصادق فونيكس، معلّم أخيل، أو يُعتبر أنه أعطى تلميذه استشارة صالحة عندما أخبره، بأنه إذا عرض اليونانيون الهدايا عليه فسيتقدم لمساعدتهم[٤٩]؛ لكن لن يضع غضبه جانباً بدونها. ولن نعتقد أو نعترف أن أخيل نفسه كان عاشقاً للدراهم ويأخذ هدايا أغاممنون، أو أنه أعاد جسد هيكتور الميت عندما استلم أجراً، ولكنه لم يكن مستعداً لفعل ذلك بدون أجر.
اديامنتوس: لن نصادق على عواطف كهذه، بدون شك.
سقراط: وبما أنني أحبُّ هوميروس، أتردد بصعوبةٍ أن انسب هذه المشاعر إلى أخيل، أو أن أقبل قصة كهذه عن الآخرين، والذي أعتبره عملاً لا يتّسم بالتقوى، بكل ما في الكلمة من معنى، كضآلة اعتقادي بقصة إهانته لأبولو، حيث يقول، « أنت أخطأت معي، يا طائر الرِّقة البعيد، أكثر المعبودين بغضاً، يقيناً سأكون متساوياً معك، إذا امتلكت القوة فقط »[٥٠]. أو عصيانه على النهر ـ الإله[٥١]، وسيكون جاهزاً وضع يده على تلك الألوهيّة. أو تقدمته من شَعْرِهِ الخاص للميّت باتروكلوس[٥٢]، والذي كُرِّس في السابق لسبرتشايوس النهر ـ الإله الآخر، ولقد وفى بقسَمِهِ هذا حقاً. أو بأنه جرّ هيكتور حول ضريح باتروكلوس، وذبح الأسرى في أليبيري[٥٣]. سنعلن كل ما قيل أنه باطل، ولن نسمح لمواطنينا أن يقتنعوا أن تلميذ تشايرون العاقل إبن الإلهة من بيليوس، والذي كان أكثر الرجال تواضعاً والثالث في السلالة من زيوس، بأنه كان مرتبكاً جدّاً داخلياً، كأنه مُبتَلٍ بمرضين متضاربين على

ما يبدو، وبالخِسّة، وملوّث بالجشع، ومبالِغٌ في ازدراء الآلهة والرّجال.

اديامنتوس: إنك محقّ تماماً.

سقراط: ودعنا نرفض الاعتقاد بالتساوي أو أن نسمح بترديد حكاية ثيسيوس بن بوسايدون، أو بايريثاس بن زيوس اللّذين تقدما وارتكبا اغتصاباً بشعاً كما فعلا؛ أو أي بطل آخر أو ابن إله متجرّئاً على ارتكاب أعمال مخيفة وغير ورعة، وكما بباطل ينسبون لهم في أيامنا. ودعنا نعمل أبعد من ذلك، ألا وهو إجبار شعرائنا على أن يعلنوا بأنّ تلك الأعمال لم يقوموا بها هم، أو أنهم لم يكونوا أبناء الآلهة. لن نسمح لهم أن يؤكّدوا كليهما في اللحظة عينها. ولن نطلب إليهم محاولة إقناع شبابنا أنّ الآلهة مبدعو الشر، وأن الأبطال ليسوا بأفضل من الرّجال. آراءٌ كتلك، ليست حقيقية ولا ورعة كما كنا قائلين، ولقد برهنّا سابقاً أن الشرّ لا يأتي أبداً من الآلهة.

اديامنتوس: لا بالتأكيد.

سقراط: وأبعد من ذلك، فمن المحتمل أن تحدث التأثير السيّىء على من يسمعها؛ ولأن كل شخص سيبدأ بالصفح عمّا ارتكب من رذائل عندما يكون مقتنعاً أن شروراً مشابهة يرتكبها دائماً « أنسباء الآلهة، قرب المتحدرين من أصل زيوس، الذي يعبده أسلافه في مذبحه، عالياً في الهواء، على قمة جبل آيدا ».

ومن يمتلك « دم الآلهة متدفقاً بعد في شرايينهم »[٥٤].

ولذلك دعنا نضع نهاية لتلك الحكايات، مخافة أن تحدث انحلالاً مناقبياً بين الشباب.

اديامنتوس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: وما دمنا قد عقدنا العزم على اختيار أنواع الحكايات التي تُروى أو لا تروى، دعنا نرى أيّاً من الإثنين أسقطنا، والأسلوب الذي سنعامل به

الآلهة وأنصاف الآلهة والأبطال والعالم السُّفلي كما رسمناه سابقاً.

اديامنتوس: حقيقي جداً.

سقراط: يبقى علينا أن نقرر ما ستقوله عن الرجال.

اديامنتوس: هكذا بوضوح.

سقراط: ولكننا يا صديقي لسنا في حالة تؤهلنا للإجابة على هذا السؤال حاضراً.

اديامنتوس: لِمَ لا؟

سقراط: لأنه إذا لم أكن مخطئاً، سنكون ملزمين على أن نقول عن الرجال، والشعراء، ورواة القصص، إنَّهم مذنبون عند وضعهم البيانات الكاذبة المميتة، ويخبروننا بها أن الرجال الأشرار غالباً ما يكونون سعداء والأخيار أشقياء وأن الظلم مربحٌ عندَما لا يُكتشف وأن العدل خسارة الرجل الخاصة وربح الآخرين ـ سنمنعهم من ترديد تلك الأشياء ونجبرهم أن يغنّوا ويضعُوا ما هو ضد ذلك.

اديامنتوس: سنفعل، لتكن متأكّداً.

سقراط: لكن إذا اعترفت بأنّني كنت محقّاً فيما قلته، سأؤكّد عندها بإيراد الحجة أنك ضمَّنت المبدأ الذي ناضلنا منذ البدء من أجله.

اديامنتوس: أسلِّم بحقيقة استدلالك.

سقراط: ولا يمكننا أن نقرِّر ما يقال وما لا يقال عن الرجال من تلك الأشياء حتى نكتشف ما هو العدل، وكيف يكون نافعاً لمالكه بالطّبيعة، سواء تبيَّن كونه عادلاً أم لا.

اديامنتوس: الأكثر حقاً.

سقراط: كفاية عن مواضيع الشعر. دعنا نتكلم عن الأسلوب الآن، وسنعالج المادة والنمط كليهما تماماً.

اديامنتوس: لا أفهم ماذا تعني.

سقراط: يجب أن أجعلك تفهم. ولرُبّما بإمكاني أن أكون أكثر وضوحاً إذا وضعت المسألة بتلك الطّريقة. أنت مدرك، على ما أفترض، أن كل علم الأساطير والشعر هو قصة أحداث، إمّا في الماضي، أو الحاضر، أو الآتي.

اديامنتوس: بالتأكيد.

سقراط: والقصة يمكن أن تكون إمّا قصة بسيطة، أو تقليداً، أو مزيجاً من الإثنين.

اديامنتوس: ذلك ثانية، لا أفهمه تماماً.

سقراط: أخشى أن أكون معلماً مبهَماً وعلى نحو مضحك، وكمتكلم سيّىء. لن أحيط بمجمل الموضوع. لذلك سأجتزىء منه قطعة لإيضاح ما أعنيه. تعرف أنت الأسطر الأولى للإلياذة، والتي يقول فيها الشاعر إن كريساس صلّى لاغاممنون ليطلق سراح إبنته، وأن اغاممنون تفجّر بالهوى ولعاً به؛ وإذ ذاك، فكريساس، مخفقاً في الحصول على غرضه، تسبب في غضب الله على آتشاينز. وهذا نطاق تلك الأسطر: « وهو رجا كل اليونانيّين، وبشكلٍ خاص ابني آرثيوس، زعيمي الشعب »، الشاعر يكون هنا متكلّماً بشكله الخاص ولم يحاول قط أن يصرف انتباهنا بانتحاله شخصية أخرى. لكنه تبنّى فيما يلي شخصية كريساس، وفعل بعدها كل ما في استطاعته ليجعلنا نعتقد أن هوميروس ليس المتكلّم، بل الكاهن المسنّ ذاته. وفي هذا الشكل المزدوج، ألقى بمجمل الأحداث المرويّة التي ظهرت في طروادة وإيثاكا، وفي كل مكان من الأوديسة.

اديامنتوس: نعم.

سقراط: وتبقى قصة، في كلا الخطب التي يسردها الشاعر من وقت إلى آخر، أو في المقاطع المتوسطة.

اديامنتوس: حقيقي جداً.

سقراط: ولكن عندما يتكلم الشاعر في شخصية الآخر، ألا يمكننا القول بأنه يشبّه أسلوبه بأسلوب الشخص الذي، وكما أخبرك، سيتكلم؟

اديامنتوس: يمكننا بالتأكيد.

سقراط: ويكون تشبيه نفسه بالآخر، إمّا باستعمال الصّوت أو الإيماءَة، تقليداً للشخص الذي يتمثل شخصيته.

اديامنتوس: طبعاً.

سقراط: تنبثق قصة الشاعر هذه إذن، أكان هوميروس أو غيره، ومن الجائز القول، تَنبثق بطريقة التقليد.

اديامنتوس: حقيقي جداً.

سقراط: سيسقط التقليد حينئذ مرّة ثانية، إذا لم يقنّع الشاعر نفسه في أيّ وقت، ويصبح شِعرُهُ قِصّة بسيطة.ومن ناحية ثانية، ولكي تردّد ما لا تفهم، سأريك كيف يمكن حدوث التغيير. إذا قال هوميروس « أتى الكاهن وبيديه فدية ابنته، متضرّعاً للآيكيين، وفوق كل الأشياء »، وواصل التكلم بعدها في شخص كريستيس، بدلاً من التكلم بشخصه الخاص، والكلمات من المحتمل أنها قد كانت، ليس تقليداً، بل قصة بسيطة، والمقطع كان جارياً كالآتي « أنا لست شاعراً، ولذلك أسقطت البحر »، « أتى الكاهن وتضرّع للآلهة بالنيابة عن اليونانيين كي يتمكنوا من الاستيلاء على طروادة والرجوع إلى بلدهم سالمين، ولكنه توسّل أن يعيدوا له ابنته، ويأخذوا الفدية التي أحضرها، وأن يحترموا الآلهة ». تكلّم هكذا وبجّلَ اليونانيون الآخرون الكاهن، وصادقوا على ذلك. لكن اغاممنون كان مُحْنَقاً، وأمره بالمغادرة وبأن لا يعود ثانية، خشية أن يكون الصولجان وسُبُّحات الآلهة غير ذات نفع له، وأخبروه ذلك قبلاً بأن ابنته سيُطلق سراحها، وسيربّيها معه في آرغوس. وأعلمه حينئذ، أن يذهب بعيداً، إذا قصد العودة إلى البيت سالماً. وقفل الرجل المسنّ راجعاً في خوف وصمت، وعندَما غادر المعسكر ناشد أبولو بأسمائه المتعددة، ومذكّراً إيّاه بكل شيء فعله ليحوز رضاه، سواء في بناء هياكله أو

في تقديم الأضاحي له، ومتوسّلاً أن يقود أعمالهُ الصالحة بالخير عليه، ويمكن للآيكيين التكفير عن دموعه بسهام الله. وهكذا يصبح الكل قصة بسيطة في هذه الطريقة.

اديامنتوس: فهمت ما تعنيه.

سقراط: ويجب أن تدرك بأنها تحدث حالة مضادة عندما تسقط شروحات الشاعر وتبقى مقاطع الحوار فقط.

اديامنتوس: أفهم ذلك أيضاً، أنت تعني وكمثال، شعر المأساة.

سقراط: أدركت معناي تماماً. وأظن بأنني أقدر الآن أن أوضح لك ما أخفقت في أن تدركه قبلاً من أنّ بعض الشّعر والأساطير هي تقليد برمّتها « وكما قلت أنت، إن ما أعنيه المأساة والملهاة ». ويوجد الأسلوب المضاد بطريقة مماثلة، والذي يكون فيه الشاعر المتكلّم الوحيد ـ وتعطينا أفضل مثال على هذا، القصيدة المليئة بالعواطف والحماس؛ وهناك تآلف بينهما كليهما في الشعر الملحمي، وفي العديد من أنواع الشعر الأخرى. فهل اجتذبتك إليّ؟

اديامنتوس: نعم، وأرى الآن ما عنيت.

سقراط: سأسألك لتتذكّر ما بدأت قوله، وما أنجزناه بشأن الموضوع. ويمكننا التقدم إلى الأسلوب.

اديامنتوس: نعم، إنني أتذكّر.

سقراط: نويت في قول هذا أن أدلّ ضمناً على أنه يجب علينا أن نفهم فن التقليد والمحاكاة، وما إذا كنا سنسمح للشاعر في سرد قصصها أن يقلّد، وإن كذلك، ما إذا سيكون التقليد في الكل أو الجزء؛ وإن الآخر، ففي أية أجزاء؛ أو أننا سنحرّم كل تقليد.

اديامنتوس: تعني، على ما أعتقد، إذا ما كنا سنسمح للمأساة أو الملهاة بالدخول إلى دولتنا؟

سقراط: لربما، ولكن هناك أكثر من هذا في سؤالي. أنا لا أعرف حقيقةً

لغاية الآن، ولكن حيثما يمكن للمحاورة أن تطير، فإلى هناك سنذهب.

اديامنتوس: ولنا الإرادة في الذهاب.

سقراط: دعني أسألك إذن، يا اديامنتوس، أن تعتبر ما إذا كان حُماتنا سيولعون بالتقليد. وعلى أية حال، ألم نرسم قاعدة واضحة مسبقاً، ألا وهي أن الرجل الواحد يقدر أن ينجز عملاً واحداً جيداً فقط، وليس العديد من الأعمال، وأن الرجل الذي سيمسك بعدة أعمال سيفشل تماماً بالحصول على المكانة المرموقة في أي منها؟

اديامنتوس: بالتأكيد.

سقراط: وهذا مساوٍ للتقليد حقّاً؛ ولا أحد باستطاعته أن يقلّد أشياء عديدة كما يقلّد شيئاً واحداً بمفرده.

اديامنتوس: لا يستطيع أحد.

سقراط: ومن الصعب على الشخص نفسه أن يلعب جزءاً مهمّاً في الحياة، وأن يكون مقلّداً في الوقت عينه ويقلّد عدة أجزاء أخرى أيضاً؛ وحتى إذا وُجِدَ ضربان مجتمعان من التقليد تقريباً، فلن ينجح الأشخاص أنفسهم في كليهما. وكمثال، كتّاب المأساة والملهاة ألم تُسَمِّهم مقلّدين منذ برهة؟

اديامنتوس: نعم، فعلت، وأنت محقٌّ بأنه لا يمكن للأشخاص أنفسهم النّجاح في كليهما.

سقراط: أكثر من مقدورهم أن يكونوا شعراء ملحميّين في وقت واحد؟

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: ولا يوظّف كتاب الملهاة والمأساة الممثلين أنفسهم؛ وعلاوة على ذلك، فإن كل تلك الأشياء ما هي إلا تزييف.

اديامنتوس: إنّها لكذلك.

سقراط: ويظهر أن الطّبيعة الإنسانيّة، يا اديامنتوس، شُكّت في قطع أصغر مع هذا،

وأنها غير قادرة على تقليد عدة أشياء تماماً، كالأداء الحسن للأعمال والذي يعتبر التقليد له أنموذجاً يُحتذى.

اديامنتوس: حقّاً.

سقراط: إذا التزمنا بنظريتنا الأساسية إذن، وحملنا في عقلنا، أن حُماتنا، وقد تخلّوا عن أي عمل آخر، سيكرّسون أنفسهم للدفاع عن حرية الدولة بالكليّة، معتبرين هذه مهنتهم وغير منهمكين في أي عمل آخر وعليهم أن لا يزاولوا أو حتى يقلّدوا أي شيء ثانٍ. وإذا ما قلّدوا مطلقاً فلسوف يقلّدون تلك الشخصيّات التي تناسب مهنتهم: الشجعان، المعتدلون، المقدسون، الأحرار، وما شابه؛ ولن يصوّروا أو يكونوا مَهَرة في تقليد أي نوع من أنواع الجلافة أو الدناءَة خشية أن تكون ثمار التقليد حقيقة. ألم تلاحظ مطلقاً كيف أنّ التقليد، بَدْءَاً بسني الشباب الأولى واستمراراً حتى آخر الحياة، ينمو مع الوقت ليصبح عادة وحتى طبيعة ثانية، مؤثّراً في الجسم، والصوت، والعقل؟

اديامنتوس: نعم، بالتّأكيد.

سقراط: ولن نسمح لأولئك الذين نقرُّ أننا نعتني بهم، والذين نقول بأنهم يجب أن يكونوا أخياراً أن يقلّدوا المرأة، سواء أكانت شابّة أو مسنّة، متخاصمة مع زوجها أو مصارعة ومتبجّحة ضد الآلهة في نزوة هنائها، أو عندما تكون محزونة، أو متأسّفة، أو باكية؛ ولن تكون بالتأكيد المرأة التي في المرض، والعشق، أو المعاناة.

اديامنتوس: حقيقيّ جداً.

سقراط: ولا يجب أن يمثّلوا دور العبيد، ذكوراً أو إناثاً مؤدّين مهمّات العبيد؟

اديامنتوس: عليهم أن لا يفعلوا ذلك.

سقراط: ولن يقلّدوا الرجال الأشرار بالتّأكيد، سواء كانوا جبناء أو من أي نوع آخر، كالذين يفعلون عكس الّذي قد وصفناه لتوّنا، أو الّذين يؤنّبون أو

يسخرون أو يشتم واحدهم الآخر عندما يكونون شاربين أو غير شاربين، أو الذين يذنبون في أي أسلوب آخر ضد أنفسهم أو ضد جِيرانهم في القول والعمل. وعليهم أن لا يتدرَّبوا ليقلدوا عمل الكلام أو الرجال المجانين، بل يجب عليهم أن يكونوا قادرين على أن يميزوا الجنون والرذيلة في الرجل والمرأة، لكن لن يمارس أو يقلِّد أحد منهم أيّاً من تلك الأشياء.

اديامنتوس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: ولا يمكنهم تقليد الحدّادين والصّنّاع الآخرين، أو المجذِّف، أو عريف الملاحين، أو ما شابه.

اديامنتوس: كيفَ يمكنهم عندما لا يُسمح لهم باستعمال عقولهم لمستلزماتِ أيٍّ من هذه الأشياء؟

سقراط: ولا يمكنهم تقليد صهيل الخيل، وخوار الثيران، وخرير الأنهار وقصف المحيطات، أو الرعد، وكل نوع من تلك الأشياء.

اديامنتوس: ليس هذا فحسب بل إذا كان الجنون ممنوعاً، عليهم أن لا يحذوا حذو المجانين.

سقراط: تعني، وإذا ما كنت أفهمك على نحو صحيح، أن هناك نوعاً من أنواع الأسلوب القصصي، والذي يُرجَّح توظيفه برجل صالحٍ ومستقيم عندما يكون لديه أي شيء ليقول، وهناك نوع آخر مختلف عنه تماماً، يفضِّله الإنسان ذو التربية والأخلاق المضادَّة.

اديامنتوس: وما هما هذان النوعان؟

سقراط: عندما يحين الوقت للرجل ذي الحياة المنظَّمة ليصف أقوال وأعمال الإنسان الصالح، أعتقد بأنه سيعتزم تمثيل شخصيته ولن يخجل بهذا النوع من التقليد، وسيكون الأكثر تأهباً ليلعب دور الإنسان الصالح وخاصة عندَما يمثل بثبات وعقلانيّة؛ وأضعف من ذلك، وفي درجة قليلة، عندما يتغلَّب

عليه المرض أو الحب أو الشراب، أو عندما تقابله أيّة كارثة أخرى. ولكنه عندما يصل إلى شخصية غير جديرة به، فلن يعزم على انتحال شخصية أدنى منه منزلة ومقاماً. واذا فعل ذلك، ولأي سبب، فللحظة فقط. فهو لم يتدرَّب، أوّلاً، على تقليد شخصيات كهذه، ولأنه سيأنف من صياغة وتصوير نفسه وفقاً للنماذج الأردأ ثانياً؛ وسيشعر بأن توظيف فن كهذا، ما لم يكن في الفكاهة، غير جدير به.

اديامنتوس: سأتوقّع هكذا.

سقراط: سيتبنّى صياغة القصة إذن، وكما أوضحناها من هوميروس، ذلك لنقول، إن أسلوبه سيكون تقليديّاً وقصصيّاً؛ لكن سيوجد في القصة الطويلة فقط جزءٌ صغيرٌ من القصة السابقة، هل توافق؟

اديامنتوس: بالتّأكيد، وسيكون الأسلوب عينه الّذي يجب أن يستعمله متكلّم كهذا بالضرورة.

سقراط: لكنّ هناك نوعاً آخر للشخصية الذي سيروي أي شيء، والأسوأ هو، سيكون الأكثر تجرّداً من المبادىء الأخلاقيّة؛ لا شيء سيكون شرّاً بالنسبة إليه. وسيكون على استعداد لتقليد أي شيء، في جدية واقعية وسليمة، وأمام مجموعة كبيرة، وكما قلت الآن لتوّي، سيحاول إظهار قصف الرعد، وصوت الريح والبَرَد، أو صرير العجلات والبكرات، وأصوات الآلات الموسيقية المتنوّعة، والمزامير، والأبواق، وكل أنواع الآلات. سينبح كالكلب، ويثغو كالخروف، ويصيح كالديك، وسيتألّف جميع فنه من تقليد الأصوات والإيماء، أو أنه سيكون ممزوجاً مع القصة وبهزال.

اديامنتوس: وسيكون ذلك أسلوبه الكلاميّ.

سقراط: وهذان النوعان من الأسلوب اللذان أملكهما في فكري.

اديامنتوس: نعم.

سقراط: وهل ستوافقني على أنّ أحدهما بسيط ولديه التغيير الخفيف القليل؟ وإذا أظهر المؤلّف هذا الأسلوب في الإيقاع والوزن المناسبين للشعر، سيجد نفسه، إذا لم يُنجز عمله بإتقان، أنه باقٍ ضمن حدود الإيقاع الواحد تقريباً « لأن التغيير لم يكن كبيراً »، وسيخلق خيار الوزن الشعري المماثل في أسلوب مشابه.

اديامنتوس: يكون ذلك حقّاً تماماً.

سقراط: في حين يحتاج الآخرون لكل أنواع الإيقاعات ولكل أنواع أوزان الشعر، إذا ما انسجمت الموسيقى والأسلوب، لأن الأسلوب يملك كل أنواع التغيير.

اديامنتوس: وهذا حقيقي بالكمال أيضاً.

سقراط: أو لا يكون الأسلوبان أو امتزاجهما شاملين الشعر كلّه وكلّ أشكال التعبير الكلامي. ولا يقدر أحد قول أيّ شيء ما عدا في الواحد أو الآخر منهما، أو في كليهما مجتمعين؟

اديامنتوس: سيتضمّن الكل.

سقراط: وهل سنُدخل في دولتنا كل الأساليب الثلاثة، أو واحداً من الأسلوبين الخالصين فقط، أو أنك ستضمّن المختلط؟

اديامنتوس: أُفضّل أن أسمح لمقلّد الفضيلة النقيّة لا غير.

سقراط: نعم، يا اديامنتوس، ومع ذلك فإن الأسلوب المختلط سحريٌّ أيضاً. أمّا الأسلوب المضادّ لذلك والذي اخترته هو الأكثر شعبية حقّاً مع الأطفال ومرافقيهم، ومع الجماهير.

اديامنتوس: لا أكذّبه.

سقراط: لكنني أفترض أنك ستحاور بأن أسلوباً كهذا ليس ملائماً لدولتنا، والتي لا تكون الطبيعة الإنسانية فيها ثنائية أو متعددة، لأن الرجل الواحد يلعب دوراً واحداً فقط.

اديامنتوس: نعم؛ غير ملائم تماماً.

سقراط: وأن هذا هو السبب لما سنجد في دولتنا، وفي دولتنا فقط. سنجد صانع الأحذية صانعاً للأحذية وليس قبطاناً أيضاً، والمزارع مزارعاً وليس قاضياً أيضاً، والجنديّ جنديّاً وليس تاجراً أيضاً، والشيء عينه في كل مكان.

اديامنتوس: حقّاً.

سقراط: ولذلك عندما يأتينا واحد من أولئك الأسياد الإيمائيين البارعين في تقليد أيّ شيء، ويقترح عرضَ نفسه وشعره، فسنخرّ له ساجدين ونعبده كمخلوق مقدَّس، مدهش، وسارٌ جداً؛ لكن يجب علينا إخباره أيضاً، أننا لن نجعل وجوده ممكناً في دولتنا وكما هو. لن يسمح له القانون بذلك. وهكذا بعد أن نمسحه بزيت شجر المُرّ، ونضع على رأسه إكليلاً من الصوف، سنرسله بعيداً إلى مدينة أخرى لأننا نهتم بتنظيف صحّة أرواحنا وذلك بتوظيف أقسى وأصرم شاعر وسارد قصص يستطيعان تقليد الأسلوب الفاضل فقط، وسيتبعان تلك النماذج التي رسمناها بادىء ذي بدء عندما شرّعنا التعليم لجنودنا.

اديامنتوس: سنفعل ذلك بالتأكيد، إذا امتلكنا الطاقة.

سقراط: من الممكن إذن، يا صديقي، اعتبار ذلك الجزء من الموسيقى أو التعليم الأدبي الذي يتصِل بالقصة أو الأسطورة، اعتباره منتهياً، لأننا بحثنا في المادة والأسلوب كليهما.

اديامنتوس: أعتقد ذلك أيضاً.

سقراط: سيلي إثنان بانتظام، وهما اللحن والأغنية.

اديامنتوس: هذا بيّن.

سقراط: وسيكون كل شخص الآن قادراً على أن يكتشف ما علينا أن نقول عنهما، إذا كنا سنبقى متماسكين مع أنفسنا.

قال كلوكون ضاحكاً: أخشى أن الكلمة (كل شخص) تشملني بصعوبة، فأنا

لا أستطيع في هذه اللحظة أن أقول ما هي، ويتملّكني الشّكّ مع ذلك.

سقراط: إنك تدرك، على أيّة حال، أنّ الأغنية أو القصيدة الغنائية تتألف من ثلاثة أجزاء: الكلمات، اللحن، والوزن.

كلوكون: نعم؛ أعرف إلى ذلك الحد.

سقراط: وكما للكلمات، فليس هناك فرق بالتأكيد بين الكلمات التي وُضِعت أو التي لم توضع للموسيقى؛ سيعمل كلاها وفقاً للقوانين عينها، وذلك مما قررناه مسبقاً.

كلوكون: نعم.

سقراط: وسيكون اللّحن والوزن متطابقين مع الكلمات.

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: كنا قائلين، عندما تكلمنا عن الموضوع ـ المسألة، إننا لسنا بحاجة إلى النحيب وتوترات الحزن.

كلوكون: حقاً.

سقراط: ولكن أيُّ تآلف ألحانٍ هو المعبّر عن الحزن؟ أنت موسيقي، وتقدر أن تخبرني.

كلوكون: إنّ تناسب الألحان الذي تعنيه هو المختلط أو السّياق اللّيدي، والنغمة الكاملة الليديّة العميقة أو ما شابه.

سقراط: يجب إبعاد تلك، إذن، حتى عن النسوة اللواتي يمتلكن أخلاقاً ليؤكدن أنها غير ذات فائدة، وأقل بكثير للرّجال.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: في المكان التالي، إن السكر والليونة والبلادة غير لائقة بشخصية حماتنا على الإطلاق.

كلوكون: غير لائقة مطلقاً.

سقراط: وما هو تناسب الألحان الناعم والأنيس؟

كلوكون: إنهما الآيونيان وبعض الليديان الذي يدعى « المستريح ».

سقراط: حسناً، وهل يصلحان لمحبّي الحرب بأيٍّ معنى؟

كلوكون: العكس تماماً، وإن هكذا فالوحيدان الباقيان هما الدوريان والفريجيان اللذان أبقيتهما من تناسب الألحان.

سقراط: لا أعرف شيئاً عن تناسب الألحان، لكنّك هل ستترك لي واحداً بإمكانه أن يعيد نغمة أو نبرة الصوت التي يرددها الرجل الشجاع في عمله العسكري بكل عزيمة صلبة؟ وعندما يحلّ الفشل بقضيته، ويتعرض للجروح، أو يموت، أو تحل به الكارثة في شكل آخر، يقابل ضربات القدر، في كل أزمة كهذه بخطوات ثابتة وتصميم على الصبر. هناك نوع مضاد لأوقات السّلم وحرية العمل، عند عدم وجود ضغط الحاجة، وينشد أن يقنع الإله بالصلاة، أو الرجل بالتهذيب والتحذير، أو عندما يكون، على اليد الأخرى، معبّراً عن إرادته أن يذعن إلى إقناع أو استعطاف أو تحذير الآخرين. وعندما يبلغ غرضه بالاستعمال المشار إليه لأسلوب كهذا، فسأستدعي الموسيقى لتريه كي لا يُبهر بنجاحه، بل ليتصرف باعتدال وعقلانية في كل الحالات وأن يرضى بمجرى الأحداث. أسألك أن تتخلّى عن هذين اللحنين: نغمة الضرورة ونغمة الحريّة، النغم السيّىء الحظ والنغم المحظوظ، نغم الشجاعة، ونغم الاعتدال؛ أقول، يجب أن تترك تلك الأنغام.

كلوكون: وأن تلك هي تناسب الألحان الدوريان والفريجيان التي تكلمت عنها قبل قليل.

سقراط: وإذا كانت تلك وتلك هي الألحان التي سنستعملها في أغانينا وإيقاعاتنا فقط، فلن نريد تعدُّديّة الأوتار أو السُّلّم الموسيقي الإيقاعي.

كلوكون: لا أفترض ذلك.

سقراط: ولن نتمسك بصانعي التّايات ذات الزوايا الثلاثة والأوتار المركّبة، أو صانعي تلك الآلات الأخرى العديدة التي رُتّبت أوتارها بغرابة.

سقراط: وماذا تقول لصانعي ولاعبي التّايات؟ هل ستدخلهم في دولتنا حينما تتأمل في هذا الاستعمال المركّب لتناسب الألحان؟ إن الناي هو أسوأ الآلات الوترية؛ حتى الموسيقى الإيقاعيّة هي تقليد للنّاي فقط.

كلوكون: لا بوضوح.

سقراط: يبقى آنئذ العود والقيثارة للاستعمال في المدينة فقط، ويمكن للرعيان في البلاد أن يكون لديهم نوعٌ من المزمار.

كلوكون: وهذه هي النتيجة التي يمكن استخلاصها من الحوار بالتأكيد.

سقراط: إن تفضيل أبوللو وقطعه الموسيقيّة على مارسياس وقطعه الموسيقيّة ليس غريباً على الإطلاق.

كلوكون: لا مطلقاً.

سقراط: وهكذا، بكلب مصر، طهّرنا الدولة بدون أن نعي، والتي أسميناها دولة مترفة منذ فترة.

كلوكون: وفعلنا ذلك بعقلانية.

سقراط: دعنا ننهي التطهير إذن، وستلي الإيقاعات في انتظام بعد تناسب الألحان، وعليها أن تخضع للقوانين عينها لأنه يجب علينا أن نبحث في بحور الشعر المعقّدة وأصناف الأقدام، بل بالحريّ أن نكتشف ما هي الأنغام المعبّرة عن الشجاعة والحياة المتناسقة؛ وإذا ما وجدناها، سنوفّق بين القدم واللحن للكلمات التي لديها الشّبه عينه، وليست الكلمات للقدم واللحن، أمّا أن تقول ما هي تلك الإيقاعات فذلك واجبك وعليك أن تعلّمني إيّاها، كما سبق لك وعلّمتني تناسب الألحان.

كلوكون: لكنني لا أستطيع أن أخبرك حقاً. أعرف من المراقبة أنه يوجد بعضٌ من

ثلاثة قواعد لتناسب الألحان والتي تصاغ منها أنظمة أوزان الشعر، وكما يوجد في الأصوات أربع نغمات هي التي تُركَّبُ منها كل الألحان المتناسبة. لكن أي نوع من الحيوات يكون التقليد كلاً على حدة، فإني لا أقدر أن أقول.

سقراط: يجب أن نأخذ ديمون لينصحنا إذن، وسيخبرنا أي الأوزان تعبّر عن الدناءة، والوقاحة، أو الغضب، والأخرى التي لا قيمة لها، وما هو المدّخر للتعبير عن الأحاسيس المضادّة. أظن بأن لديَّ تذكُّراً غير واضح لفكرة الإيقاع المركَّب (الكرتيك)، وللدكتيليك أيضاً، أو البطولي، ولقد نظَّمها في أسلوب لم أفهمه تماماً جاعلاً الإيقاعات متساوية في ارتفاع وهبوط القدم في تطويل وتقصير متعاقب. وإذا لم أكن مخطئاً، لقد تكلَّم عن الإيقاع الشعري العمبقي كما التروبشي، وخصَّص لها النوعيّات القصيرة والطويلة. ظهر في بعض الحالات يثني أو يلوم حركة القدم كما الإيقاع تماماً؛ ولربما الإثنين مجتمعين. غير أنني لم أكن متأكداً مّما عَنى، ومهما يكن وكما كنت قائلاً، من الأفضل إحالة هذه القضايا إلى ديمون ذاته. وتعرف أنت أن تحليل ذلك الموضوع سيكون صعباً.

كلوكون: أقول ذلك.

سقراط: ولا تحتاج لكثير من التحليل لترى أن الرشاقة أو غيابها سيلازمان الإيقاع الجميل أو السيّىء.

كلوكون: لا مطلقاً.

سقراط: وأن الإيقاع الجميل والرديء سيماثلان الأسلوب الجميل والرديء أيضاً؛ وأن تناسب الألحان والتنافر في كيفيّة ما شابه سيتبعان الأسلوب. ومبدأنا أنّ الإيقاع وتناسب الألحان يُنَظِّمانِ بالكلمات، وليست الكلمات تُنَظِّم بهما.

كلوكون: يجب أن يتبعا الكلمات، هكذا بالضبط.

سقراط: أولن تعتمد الكلمات وشخصيّة النص على سجيّة الروح؟

كلوكون: نعم.

سقراط: وسيعتمد كل شيء آخر على الأسلوب؟

كلوكون: نعم.

سقراط: وسيعتمد إذن جمال الأسلوب وتناسب الألحان والرشاقة والوزن الصحيح على البساطة، أعني البساطة الحقيقية للعقل والشخصية المنظمتين بصدق ونبل، وليست البساطة الأخرى التي هي أحسن تعبير عن الحماقة فقط.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: وإذا كان شبابنا سينجزون عملهم في الحياة، أفلا ينبغي عليهم أن يجعلوا الرشاقة وتناسب الألحان هدفيهما الدائمين؟

كلوكون: ينبغي عليهم.

سقراط: وتكون ممتلئة منها فنون الرسم باليد بالتأكيد، وكل فن خلاّق وبنّاء آخر: كالحياكة، التطريز، الفن المعماري، وكل نوع من العمل الصناعي؛ الطبيعة أيضاً، الحيوان، النبات، توجد في جميعها الرشاقة أو تنعدم. ويتجانس القبح والنزاع والحركة غير المنتظمة تقريباً مع الكلمات البذيئة والطبيعة المريضة وكما هي الرّشاقة وتناسب الألحان الأختان التوأمان للطّيبة والنّفس الانضباطيّة وتحملان شبههما.

كلوكون: إنّ ذلك حقيقيٌ تماماً.

سقراط: أوَلَنْ تذهب ملاحظتنا أبعد من ذلك؟ أو لسنا بحاجة للشعراء كي يعبّروا عن صورة الخير في أعمالهم فقط، وعن الألم، وإذا فعلوا أي شيء آخر، فسنطردهم من دولتنا؟ أو أننا سنوسّع الرقابة عينها لتشمل فنّانينا الآخرين؟ وهل سنمنعهم أيضاً من عرض الأشكال المضادّة للرّذيلة والدّعارة والخِسّة والتّشويه في النحت والبناء والفنون الإبداعيّة الأخرى؟ ومن لا يمتثل لقانوننا

هذا يمنع من ممارسة فنه في دولتنا، مخافة أن يفسد ذوق مواطنينا. ولن ندع حماتنا يترعرعون وسط صورٍ من التّشويه العقليّ والخلقيّ، كما في بعض المراعي المضِرّة، حيث الأوراق والأغصان الخضراء، ويتغذون بالعديد من الحفنات الملأى بالحشائش والأزهار، يوماً بيوم، وشيئاً فشيئاً، حتى يجمعوا بصمتٍ كتلة فاسدة من التعفن في أرواحهم. دعنا نبحث بالأصح عن الفنانين الذين خُصُّوا بتمييز حقيقة طبيعة الجمال والرشاقة. وسيسكن شبابنا آنئذ في أرض صحيَّة، وسط مناظر وأصوات حسنة، وسيتسلمون الخيِّر من كلّ شيء، والجميل، وفيضاً من الأعمال الخلاَّبة، والتي ستنساب في العينين والأذنين كالنسيم النقي المُعطى من المنطقة الأشد صفاءً، ويستميل الروح بطريقة لا شعوريَّة من السنين الغابرة إلى التماثل والمشاركة مع الجمال العقلي.

كلوكون: لا يمكن إيجاد تدريب أنبل من ذلك.

سقراط: وبناء على ما تقدَّم، يا كلوكون، يكون التدريب الموسيقي الآلة الأكثر فعاليَّة لأن الأوزان وتناسب الألحان تجد طريقها في الأمكنة الداخلية للروح وتتوثق عليها بقوة، موزِّعة الرشاقة، وباعثة روح الذي يكون متعلماً بحق رشيقةً حقاً بدل روح من يكون تعليمه مريضاً سَمِجة. وأيضاً لأن من يتلقى هذا التعليم الحقيقي للكائن الداخلي سيدرك بدهاء الإسقاط والأغلاط في الفن أو الطبيعة، وبتذوّق حقيقيّ، في حين يثني ويبتهج بإدخال الخير إلى روحه، ويصبح نبيلاً وخيِّراً. سيكره ويلوم بعدلٍ الشرِّير، الآن في أيام شبابه، حتى قبل أن يكون قادراً على معرفة السبب ولماذا.

كلوكون: نعم، أوافق معك في التفكير تماماً أنهم سيتدربون على الموسيقى ولتلك الأسباب.

سقراط: كما في تعليمنا لنقرأ، كنا قانعين تماماً عندما عرفنا الحروف الأبجديَّة، كما

هي قليلة في كل مزيجها المتكرِّر غير مزدرين بها وكأنها قليلة الأهميَّة، سواء احتلَّت حيِّزاً كبيراً أو صغيراً، بل متشوقين أن نرسمها في كل مكان لأننا عرفنا أنه ليس بمقدورنا أن نكون كاملين في فن القراءة ما لم نستطع فعل هذا.

كلوكون: حقّاً.

سقراط: وكما تحقّقنا من انعكاس الحروف في الماء، أو في المرآة، وعندما عرفنا الأحرف نفسها فقط، فإن الدراسة والفن عينهما يعطيان معرفة كليهما.

كلوكون: بالضبط.

سقراط: حتّى هكذا، كما أُثْبِتُ، لا نستطيع نحن ولا حُماتنا الذين قلنا إنه علينا أن نثقفهم،لا نستطيع أن نصبح موسيقيين أبداً حتى نعرف وهُمْ والنماذج الضّروريَّة للاعتدال، الشجاعة، الكرم، الشهامة وأنسبائِها، وكما النماذج المعاكسة، في كل امتزاجاتها. ونقدر أن نتعرف عليها كذلك وعلى صورها أينما وجدت، غير مزدرين بها لا في الأشياء الكبيرة ولا الصغيرة، بل مؤمنين بها كلها أنها تكون داخل حيِّز الفن والدراسة الواحدة.

كلوكون: الأكثر تأكيداً.

سقراط: وعندما يكون نبل الروح مراقَباً في وحدة منسجمة مع جمال الشكل، ويكون كلاهما مُنْصَبّاً من السبيكة عينها، فسيكونان من أبهج المناظر لمن لديه عيون لتراها.

كلوكون: الأبهج حقاً.

سقراط: ويكون الأبهج الأبدع أيضاً.

كلوكون: بالإمكان اعتباره أمراً مفروغا منه.

سقراط: وتكون مع المخلوقات الإنسانيَّة التي تُظهر الأكثر من هكذا تناسب للألحان أن الإنسان الموسيقي هو الأكثر شغفاً في الحب؛ لكنه لن يحب أحداً ممن لا يمتلكها.

كلوكون: إن ذلك حقيقي، إذا كان النقص في الروح؛ لكن إذا كان هناك أيّ نقص جسدي سيكون صابراً، ويمكِن حتى أن يوافق عليه.

سقراط: أتصوَّر أنّ لديك أو قد كان لديك محبوب من هذا النّوع، وأوافق. لكن دعني أسألك سؤالاً آخر: هل لدى الإفراط في اللّذة أيّة صِلة وثيقة بالاعتدال؟

كلوكون: كيف يمكن أن يكون ذلك؟ فاللّذة تُجرِّد الإنسَان من استعمال كفاءاته، تماماً مثلما يفعل الألم.

سقراط: أو أية قرابة للفضيلة بشكل عام؟

كلوكون: لا، مهما كانت.

سقراط: وأية قرابة إلى الإسراف في الشهوات والخلاعة؟

كلوكون: نعم، القرابة الأكبر.

سقراط: هل توجد أية لذّة أكبر وأحدُّ من الحب الحِسّي؟

كلوكون: لا ولا أكثر جنوناً.

سقراط: بينما الحب الحقيقي هو حب الجمال والنظام ـ المعتدل والمتناسق؟

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: لن نسمح إذن لأي نَزَقٍ أو جنون أن يقترب من الحب الحقيقي.

كلوكون: لا بالتأكيد.

سقراط: لن يُسمح إذن أبداً للذّة الجنونية والنزِقة أن تقترب من المحبوب وحبيبه؛ ولا أن يتمكن كلاهما من امتلاك أي جزء فيها إذا أردنا أن يكون حبهما من النوع الحقيقي.

كلوكون: لا، حقّاً، يا سقراط، يجب أن لا تقترب إليهما أبداً.

سقراط: أفترض حينها أنك ستصدر قانوناً في مدينتنا التي ننشىء ونرسي دعائمها، يكون مضمونه أن الصديق لن يستعمل أي ودادٍ لحبيبه أكثر مّما يستعمل

الأب لابنه، ولأغراض نبيلة فقط، وعليه أن يحصل أولاً على قبول الآخرين. وستكون هذه القاعدة لتحدِّد كل اختلاطاته، ولن نراه يذهب أبعد من ذلك على الإطلاق. وإذا ما تجاوز الحدّ المقرَّر سيُعتبر مذنباً بالغلظة والذوق السّيِّىء.

كلوكون: أوافق تماماً.

سقراط: هذا القدر عن الموسيقى، وإن النهاية لائقة؛ وماذا ستكون غاية الموسيقى إن لم تكن حب الجمال؟

كلوكون: أوافقك تماماً.

سقراط: وتأتي الرياضة بعد الموسيقى، والتي سيتدرب فتياننا عليها لاحقاً.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: ستبدأ الرياضة بالإضافة إلى الموسيقى في السنين المبكرة. وستكون التمارين عليها غاية في العناية وستتواصل طوال الحياة. واعتقادي هو، هذه مسألة أحب أن آخذ رأيك بشأنها، أن الروح لا يحسّنها أيُّ جمال جسدي ومهما كان امتيازه، بل على العكس، فإن الروح الجميلة بامتيازها الخاصّ ستحسِّن الجسد بقدر ما يكون ذلك ممكناً، فماذا تقول؟

كلوكون: نعم، إنني أوافق.

سقراط: إذن، سنكون محقّين في أن نسلِّم عناية الجسم الأكثر خصوصية إلى العقل، وذلك عندما يتلقى التدريب وبشكل ملائم؛ ولكي نمنع الإسهاب سنعطي الخطوط العامة للموضوع فقط.

كلوكون: جيّد جداً.

سقراط: ولقد علَّقنا سابقاً أن حارسنا عليه أن يمتنع عن السّكر كليَّةً لأنه آخر من يحق له السكر.

كلوكون: نعم، ذلك أن الحارس سيحتاج لحارس آخر كي يعتني به. وهذا مدعاة للسّخريّة حقاً.

سقراط: وماذا سنقول بعدها عن غذائهم؛ فالرجال يكونون في تدريبهم لمباراة أعظم من كل المباريات الأخرى، أليس كذلك؟

كلوكون: نعم.

سقراط: وهل ستلائمهم عادة أجسام رياضيينا العاديين؟

كلوكون: لِمَ لا؟

سقراط: أخشى أن عادة جسم كهذا الذي يملكون، ليست سوى نوع بليد وخطر على الصحة من غير ريب. ألم ترَ أن أولئك الرياضيين يتخلصون من حياتهم، ويكونون معرّضين لأخطر الأمراض إذا انحرفوا درجة طفيفة عن حميتهم العاديّة؟

كلوكون: أفعل، نعم.

سقراط: سنحتاج إذن لنوع أرهف من التدريب لرياضيينا العسكريين الذين سيكونون كالكلاب اليقظة، وليروا ويسمعوا بالذكاء الأقصى؛ ووسط التغيرات المتعدّدة للماء وللغذاء أيضاً، لحرّ الصّيف وبرد الشّتاء، والذي سيتحملونه عندما يقومون بأيّة حملة، ويجب أن لا يكونوا معرّضين خلالها لأيٍّ اعتلال في صحتهم.

كلوكون: وهذه رؤياي.

سقراط: إن الرياضة الحقيقية الممتازة هي الأخت التوأم للموسيقى البسيطة والتي وصفناها لتوّنا.

كلوكون: كيف هذا؟

سقراط: لماذا؟ أتصور أن تلك البساطة فضيلة رياضية تدريبيّة كبرى، وخاصة التمارين العسكرية.

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: يمكن إدراك معناي من هوميروس؛ وهو، كما تعرف لا يطعم أبطاله سمكاً

عندما يكونون في حملة على متن السفن العسكرية، وهم موجودون مع ذلك على شواطىء هيلزبونط، ولم يكن مسموحاً لهم أن يأكلوا اللحم المسلوق بل المشوي، الذي هو الغذاء الأكثر ملاءمة للجنود. لذلك فهم يحتاجون إلى إيقاد النار فقط، وبذلك لن ينهمكوا في حمل القدور والمقالي.

كلوكون: حقاً.

سقراط: ولا أخطىء في قولي إن هوميروس لم يذكر أطباق الحلوى في أي مكان.
وهو ليس الوحيد في تحريمها مع ذلك. فالرياضيون المحترفون واعون كلهم أن الإنسان الذي سيكون في حالة جيدة لن يتناول أي شيء من هذا النوع.

كلوكون: نعم، وبمعرفتهم تلك، فهم محقّون تماماً في عدم تناولها.

سقراط: لن تصادق على المآدب السيراكوسينيّة إذن، ولا على تحسينات فن الطبخ الصّقليّ؟

كلوكون: أظن لا.

سقراط: ولن تسمح للإنسان ذي الصحة الجيدة أن يحوز فتاة كورنثية كصديقة مناسبة له؟

كلوكون: لا بالتأكيد.

سقراط: ولن تصادق على الأطعمة الشهيّة، وكما يفكّر بها صانع الحلويات الأثيني؟

كلوكون: لا بالتأكيد.

سقراط: ويمكننا أن نقارن بحق كل هكذا أطعمة وأرزاق للّحنِ والأغنية المؤلفة من نموذج الاتحاد الإيقاعي، ومن كل الأوزان الشعريّة؟

كلوكون: بالضبط.

سقراط: إن تعقيداتها تولّد الفجور، وهنا المرض؛ بينما البساطة في الموسيقى كانت علة الاعتدال في الروح؛ والبساطة في الرياضة، الصحة في الجسم.

كلوكون: الأكثر حقاً.

سقراط: لكن عندما تتكاثر المعاصي والأمراض في الدولة، فستُفتح دائماً قاعات العدالة ومستودعات الأدوية. وسيمنح فَنّا الطبيب والمحامي الهواء لأنفسهما مكتشِفَين كم ستكون الفائدة المكتسبة منها حادَّة، حتى بالعديد. من الرّجال الأحرار.

كلوكون: طبعاً.

سقراط: ومع ذلك، فأي برهان أكبر من هذا يمكن إيجاده للثقافة العامة في الدولة السيئة والشائنة. وليس الحرفيون الماهرون فقط والنوع الأدنى من طبقة الشّعب سيحتاجون إلى الفئة الأولى من الأطبّاء والقضاة، بل أيضاً أولئك الذين يتظاهرون بأنّهم امتلكوا الثقافة العقلية وما يزالون. أليس هذا شائناً وعلامة كبرى على الافتقار للثقافة، أن يُكرَهَ الإنسان على اكتساب العدل من أناس آخرين، وكما يكتسبه المَوَالي والقضاة، لأنه لا يمتلك منه شيئاً في البيت؟

كلوكون: الأكثر إشانة من كل الأشياء.

سقراط: وهل ستقول « الأكثر » عندما تتأمل أنه يوجد طورٌ أبعد للشرّ والذي لا يكون الإنسان فيه طوال حياته متقاضياً فقط، ممضياً كل أيامه في المحاكم، إما مدَّعياً أو مدَّعىً عليه، بل منقاداً فعلاً بذوقه الرديء للافتخار بنفسه على محبته للخصام وإقامة الدعاوى؟ يتخيَّل نفسه بأنه السّيّد في الخيانة، قادراً على أن يتَّخذ كلَّ دورٍ مُلْتوٍ. وأن يتلوَّى داخل وخارج كل ثقب، منثنياً كالأملود كي يفر من طريق العدالة. وكل هذا من أجل ماذا؟ ليربح بعض النقاط التي لا تستحقّ الذّكر بالتّتابع، غير عارف أن تنظيم حياته وكما يقدر على تحقيقه بدون قاض يأخذه على حين غرّة لهو الأعلى شأواً وأنبل الأشياء نوعيّة. أليس ذلك الأكثر إشانة؟

كلوكون: نعم إن ذلك يبقى أكثر إشانة.

سقراط: حسناً، ولا نحتاج لمساعدة فن الطب كي نشفي جرحاً، أو بسبب الوباء، بل بسبب الكسل وعادات الحياة التي كنا قد وصفناها. فإن الرجال يملأون أنفسهم بالمياه والريح كما لو أن أجسادهم شبيهة بالمستنقع، وبذلك يُجبرون أبناء أسكليبيوس المبدعين كي يجدوا أسماء جديدة للأمراض، مثل امتلاء البطن بالغازات والتهاب القناة التنفسيّة المصحوب بإفرازات مفرطة. ألا يكون ذلك خزياً أيضاً؟

كلوكون: نعم، وهم يمنحون بالتأكيد، أسماء غريبة جدّاً ومن ذوات المخالب للأمراض.

سقراط: نعم، ولا أعتقد أنها وُجِدت أية أنواع من الأمراض كهذه في أيام أسكليبيوس؛ وأستنتج هذا من حالة البطل يوروبيلوس تلك، وبعد أن جُرح في قصيدة هوميروس، شرب قدحاً خاصاً من النبيذ البرامنيان الذي مُزج بالحليب الساخن مع وجبة الشعير والجبن المبروش الذي نُثِر على سطح القدح بطريقة حسنة. ووجبة كهذه مثيرة بالتأكيد، ومع ذلك، فأبناء أسكليبيوس الذين حضروا الحرب في طروادة لم يلوموا الفتاة التي أعطتهم هذا الشراب، أو وبّخوا باثروكلوس الذي عالج حالته هذه.

كلوكون: حسناً، لقد كان هذا شراباً غريباً بالتأكيد ليُعطى إلى شخص في حالته تلك.

سقراط: ليس غريباً إلى هذا الحدّ، إذا وضعت نصب عينيك أنه في الأيام السالفة، كما يقال غالباً، وقبل زمن هيروديكوس، فإن نقابة تجار وصنّاع أسكليبيوس لم تطبّق عملياً مجموعة قوانين الأمراض والتي ندعوها اليوم بالطّب. لكنّ هيروديكوس إكتشف طريقة، كونه مدرّباً، وهو نفسه من قوامٍ سقيم، وبتآلف التدريب والتطبيب، إكتشف طريقة لتعذيب وتشويه نفسه أولاً وبشكل رئيسي، ومن ثمّ لبقية العالم.

كلوكون: كيف كان ذلك؟

سقراط: باختراع الموت البطيء؛ لأنه عانى من مرض قاتل لازمه على الدوام. وبما أن شفاءه كان مستحيلاً، فلقد أمضى حياته كلها وهو كثير التفكير بأمر صِحّته ولم يقدر على فعل أي شيء سوى أن يخدم نفسه، وكان في عذاب دائم ومرير كلما حادَ عن حميّته الّتي أَلِفها. وهكذا، مصارعاً الموت بصعوبة، إستطاع العيش إلى سن متقدمة في حياته بمساعدة العِلم.

كلوكون: جائزة نادرة لحذقه.

سقراط: نعمْ. وجائزة يمكن أن يتوقعها، بعدل، الإنسان الذي لم يفهم ذلك أبداً، وإذا لم يعلّم أسكليبيوس المتحدرين منه في فنون التمريض، فسينشأ الإسقاط، ليس من الجهل أو عدم الخبرة بفرع طبيّ كهذا، بل لأنه عرف أنَّ في دول حسنة التنظيم، كل فرد يملك صنعة وبها يجب أن يُعنى، ولن يحوز أحدٌ منهم وقتاً للفراغ كي يصرفه وكأنه عاجز طوال حياته. نلاحظ هذا في حالة أصحاب الحرف، ولكنه مضحك لسخافته بما فيه الكفاية. ولن تنطبق هذه القاعدة على الناس الأغنى المفترض أنّهم الأكثر خطأً.

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: أعني هذا: عندما يكون التّجار مريضاً ويسأل الطبيب عن شفاء عاجل وناجع، فدواء مقيِّيء أو تطهير أو معالجة بالكيّ أو السكّين، تلك أدويته، وإذا وصف أي شخص علاجاً له، كطريقة علم تطبيق مبادىء التغذية في إعداد الطعام للأفراد والجماعات، وأخبره بأنه يجب عليه أن يعصب رأسه، وكل أنواع تلك الأشياء، يجيب حالاً أنه ليس لديه الوقت الكافي لأن يكون مريضاً، وأنه لا يرى خيراً في حياة ستُصرف في تطبيب علته وإهمال وظيفته الاعتياديّة. ولذلك، مُصْدِراً أمره بالوداع لهذا النّوع من التطبيب، يستأنف عاداته المألوفة، فإمّا أن يتحسن ويعيش وينجز عمله، أو إذا ساءَت صحته فسيموت ولن يكون لديه مشكلة بعد ذلك.

كلوكون: نعم، ويظن أن استعمال دواء كهذا ملائم لرجل في هذا الموقع.

سقراط: لأن لديه عملاً كي ينهيه، وأن حياته غير نافعةٍ إذا لم يستطع إنجازه.

كلوكون: حقيقيّ جداً.

سقراط: ولكنّ هذا يختلف مع الإنسان الثّريّ؛ ولا نقول عنه بأن لديه نوع خاص من العمل المعيَّن ولا يملك السبب كي يعيش عندما يكون مجبراً على التخلي عنه.

كلوكون: ويفترض هذا بشكل عام.

سقراط: لم تسمع مطلقاً إذن قول فوسيلايدز، بأنه حالما يمتلك الإنسان أسباب العيش وسبُلَه فسيمارس الفضيلة؟

كلوكون: كلا، أعتقد أنّ من الأفضل أن يبدأ ذلك في وقت مبكّر.

سقراط: دعنا من إثارة النزاع معه. ومن الأفضل أن نسأل أنفسنا: أيكون هذا هو العمل الشاق الذي يجب على الرجل الثّريّ أن يزاوله إذا كانت حياته جديرة أن تُعاش؟ أيمكن أن تكون تلك هي الحِمية للفوضى، والتي تشكل عائقاً لانكباب العقل على التّجارة والفنون الميكانيكيّة؟ ألا تقف في طريق أحاسيس فوسيلايدز العاطفيّة بالتساوي؟

كلوكون: لا شك بذلك؛ وعناية مفرطة بالجسم كهذه، عندما تذهب أبعد من قوانين الرياضة، فهي الأكثر عداءً لممارسة الفضيلة.

سقراط: نعم، حقاً، لأنّها تتعارض مع إدارة البيت، ومع الخدمة العسكرية ما وراء الحدود، ومع العمل داخل البلد. والأهم هو أن تتضارب مع أي نوع من أنواع الدراسة والتفكير أو الاستبطان النفسي. ثمة شبهة دائمة هي أن وجع الرأس والدوار ينسبان إلى الفلسفة، ومن ثمّ تتوقف بالكلية كل ممارسة أو محاولة بعث للفضيلة في إدراك سامٍ متعال لأن الإنسان يكون متوهّماً أنه إنما وُجِدَ مريضاً دائماً، وهو في قلق متواصل عن حالة جسده الصحيّة.

كلوكون: نعم، قابل للتصديق كفاية.

سقراط: ولذلك، فمن الممكن افتراض حصيفنا السياسي أسكليبيوس أنه قد أظهر قوة فنه فقط للأشخاص ذوي القوام الصحّي السليم والعادات الحياتية السليمة عموماً، والذين عانوا من مرض مزمن؛ كذلك الذي أبرأ بالتطهير والعمليّات، وأمرهم أن يعيشوا كالمعتاد، مراعياً في هذا مصالح الدولة. لكن الأجسام التي توغّل فيها المرض بكل ما في الكلمة من معنى، لم يكن ليحاول أن يعالجها بالعمليّات التدريجيّة للتبوّل والتغوط والتشريب. لم يرغب في إطالة أمد حياة عديمة القيمة، أو أن يكون لديه آباء ضعفاء ينجبون أبناء أضعف. وإذا لم يكن الإنسان قادراً أن يحيا بطريقة اعتيادية محددة فلم يعتقد أنّ واجبه أن يشفيه؛ شفاء كهذا لن يكون ذا نفع لا لنفسه ولا للدولة.

كلوكون: تعتبر أسكليبيوس إذن، كرجل دولة.

سقراط: بوضوح؛ وشخصيته موضّحة إلى مدى أبعد بأبنائه. ألم تَرَ أنهم أثبتوا أنفسهم كمحاربين بارعين، ومارسوا فن الشفاء بالطريقة التي تكلمت عنها في حصار طروادة. سوف تتذكّر كيف عندما جُرِحَ بانداروس مينيلوس هم « مصّوا الدم خارج الجرح، وذرّوا الدواء الملطّف »(٥٥).

ولكنهم لم يصِفُوا أبداً ماذا سيأكل المريض ويشرب بعدها في حالة مينيلوس بأكثر من حالة يوريبولوس. فالعلاجات كما تخيّلوها كانت كافية لشفاء أي إنسان قبل أن يتمتع بصحّة جيّدة ومنتظماً في عاداته ولم يشرب أية كأس خاصة من النبيذ البرامنيان. إن صحته ستتحسن على كل حال. لكن لم يكن لديهم خيار مع معتلّي الصّحّة والمسرفين في الملذّات الذين لم تكن حيواتهم بذات نفع لهم أو للآخرين، ولم يُرسَمْ لهم فن الطّبّ ولا لخيرهم؛ وقد كانوا أغنياء مع ذلك كميداس، وبالرغم من هذا فإن أبناء أسكليبيوس سيتجنبون السّهر على صحّتهم.

كلوكون: إنهم كانوا أشخاصاً أذكياء، هؤلاء أبناء أسكلييبوس.

سقراط: هذا طبيعي، وبرغم ذلك، فلقد عصى الشعراء المأساويون وبيندار وصايانا، مع أنهم اعترفوا أن أسكلييبوس كان ابن أبوللو، وقالوا بأنه ارتشى في شفائه للرّجل الثّري الذي وصل إلى حافّة الموت، وضربته الصّاعقة لهذا السبب. إلا أننا لن نصدقهم عندما يخبروننا كلا الأمرين، طبقاً للمبدأ الّذي أكدناه سابقاً. فنحن نؤكد بإيراد الدليل أن أسكلييبوس لم يكن جشعاً، إذا كان هو ابن الله؛ وإذا كان جشعاً، فهو لم يكن ابن الله.

كلوكون: إن كل ذلك ممتاز، يا سقراط، غير أنني أحب أن أطرح عليك سؤالاً: ألا يجب أن يكون في الدولة أطباء أكفاء؟ أوَليس أفضلهم أولئك الذين عالجوا العدد الأكبر في المجتمع الجيد والرديء؟ أوَليس القضاة الأفضل، وفي أسلوب مماثل، أولئك الذين اطّلعوا على كل الطبائع الأخلاقيّة؟

سقراط: نعم، سأحوز أنا أيضاً على قضاةٍ وأطباءٍ أخيار، ولكن هل تعرف من أعتقد أنه الخيّر؟

كلوكون: هل ستخبرني؟

سقراط: سأفعل، إذا قدرت. دعني أدوّن مع ذلك أنك ربطت شيئين اثنين في السؤال عينه وهما ليسا متشابهين.

كلوكون: كيف ذلك؟

سقراط: لماذا؟ إنك ربطت الأطباء والقضاة. إن الأطباء الأكثر براعة هم أولئك الذين قد كان لديهم الاطّلاع الشامل على المرض في أشكاله الأكثر إلحاحاً، من بداية شبابهم، وبجانب تعليمهم فنّهم، وهم، بدلاً من امتلاكهم قواماً خالياً من العيب، فلقد قاسوا هم أنفسهم من كل أنواع الأمراض لأن الجسم وكما أتصور، ليس الأداة التي يشفون الجسم بها. ولا نستطيع السّماح لهم أبداً ليكونوا أو كانوا متوعكين في تلك الحالة، ولكنهم يشفون

الجسم بالعقل، والعقل الذي يصبح أو يكون مريضاً لا يقدر أن يشفي شيئاً.

كلوكون: إن ذلك حقيقي جداً.

سقراط: لكنها مع القاضي مختلفة، بما أنه يحكم العقل بالعقل، ولذلك يجب عليه أن لا يكون متدرّباً بين عقول فاسدة؛ وأن يزاملهم من شبابه فصاعداً، وأن يستغرق في مجمل لائحة الجريمة، كي يتمكّن فقط من الاستدلال بسرعة على جرائم الآخرين، كما يمكنه الاستدلال على أمراضهم الجسديّة بوعيه النفسي. فالعقل الشريف الذي سيشكّل حكماً سليماً، عليه أن لا يمتلك أية خبرة سابقة أو تلوّثاً بالعادات الشريرة عندما كان شابّاً. وهذا هو السبب لظهور الرجال الصالحين في فتوّتهم بسطاء، ويتمكن من استغلالهم المضلّلون بسهولة لأنهم لا يمتلكون الأمثلة في أرواحهم على كيفية وجود الشر.

كلوكون: نعم، إنهم معرّضون كي يُخدعوا أيضاً.

سقراط: ولذلك أقول، يجب أن لا يكون القاضي شابّاً؛ بل يجب أن يكون متعلّماً ليعرف الظّلم سابقاً في الحياة، ليس من حضوره في روحه، بل من المراقبة الطويلة لطبيعته في الآخرين، مبيّناً إياه، بتفصيل تامّ، أيَّ نوع من الشّرّ يكون. إن المعرفة ستكون دليله وليست الخبرة الشخصيّة.

كلوكون: نعم، تلك هي المثل العليا للقاضي.

سقراط: نعم، وهو سيكون رجلاً خيّراً (وهذا جوابي على سؤالك)؛ لأنه خير من يمتلك روحاً خيّرة. أما ذو الطبيعة المشبوهة والمريبة الذي تكلمنا عنه، فهو الذي ارتكب جرائم عدة، وتوهّم نفسه أنه سيّد في الأذى ومدهش في الحذر الذي يتخذه عندما يكون بين رفاقه. فهو يصدر حكمه عنهم كما هو. وعندما يجتمع مع الرجال الفضلاء الذين أعطتهم السنين الخبرة، يظهر غبيّاً بسبب الشّكّ الذي يساوره في غير أوانه. ولا يمكنه أن يميّز الشّخص الأمين، لأنه لا يملك مثال الأمانة في نفسه. وفي الوقت عينه، ولأن الأشرار

أكثر عدداً من الأخيار وهو يقابلهم، فغالباً ما يفكّر نفسه أميناً ويظنه الآخرون عاقلاً وليس غبياً.

كلوكون: الأكثر حقيقة.

سقراط: ليس القاضي الخيّر والعاقل الذي نبحث عنه هو هذا الإنسان إذن، بل الآخر، ولأن الرّذيلة لا يمكنها أن تعرف الفضيلة أبداً. غير أنّ الطّبيعة الفاضلة المتحسّنة بالتعليم، سوف تكتسب مع الوقت معرفة الفضيلة والرّذيلة كليهما. إنّ الإنسان الفاضل وليس الرذيل يمتلك الحكمة في رأيي.

كلوكون: وفي رأيي أيضاً.

سقراط: هذا هو نوع الدواء، وهذا هو نوع القانون، اللذين ستقرهما في دولتك. وستمدُّ يد العون إلى أولئك المواطنين ذوي الطبيعة السليمة، واهبي الصحة للروح والجسم. أما لأولئك الذين يظهرون عكس ذلك، المرضى في أجسامهم، سيتركونهم حتى يموتوا، وسيّذبَحُ المواطنون أنفسهم الفاسدين نفسيّاً وغير القابلين للشفاء بالمواطنين أنفسهم.

كلوكون: إن ذلك هو بوضوح أفضل الأشياء للمرضى وللدولة.

سقراط: وهكذا سيُعرِض شبابنا، الذين تثقّفوا بتلك الموسيقى البسيطة فقط، كما قلنا، والملهمون بالاعتدال، سيُعرضون عن الذّهاب إلى القانون.

كلوكون: بوضوح.

سقراط: سيكون الموسيقيّ الذي يحتفظ بالمسلك عينه، قانِعاً في ممارسة الرّياضة البسيطة، وسيكره استعمال الدواء إلاّ في بعض الحالات البالغة الشّدّة.

كلوكون: أعتقد ذلك تماماً.

سقراط: أما التمارين والمشقّات التي سيجتازها فمرادها حث العناصر النفسيّة في تنمية عضلاته كالرياضيّين العاديّين.

كلوكون: حقيقيّ تماماً.

سقراط: ولا يكون فنا الموسيقى والرياضة مصمَّمَيْنِ حقاً، كما يفترض غالباً، أحدهما لتدريب الروح، والآخر لتدريب الجسم.

كلوكون: ما هو هدفهما الحقيقي إذن؟

سقراط: أعتقد أن معلميهما كليهما يملكان رؤيا رئيسيَّة ألا وهي تحسين الروح.

كلوكون: كيف يمكن أن يكون ذلك؟

سقراط: ألم تلاحظ مطلقاً أن الحب الشديد الكلِّي للرياضة يؤثِّر على العقل نفسه، أو التأثير العكسي للحبّ الشّديد الكلِّي للموسيقى؟

كلوكون: وبأية طريقة أظهر ذلك؟

سقراط: يثمر الواحد نزعة الصّلابة والضراوة، والآخر النعومة والتخنّث.

كلوكون: نعم، وإنني لمدرك تماماً أنَّ أي رياضي سيصبح متوحشاً إلى حد كبير، وإن أي موسيقيّ سيذوب ويلين إلى ما هو أبعد من صالحه.

سقراط: وتأتي هذه الضراوة من النفس، مع ذلك، بالتّأكيد، والّتي إذا تثقفت بحقّ ستمنح الشّجاعة. أما إذا تكثفت فستكون عرضة لتصبح قاسية ووحشيّة.

كلوكون: ذلك أعتقدهُ تماماً.

سقراط: من ناحية ثانية يجب أن تأتي الدماثة من الجزء الفلسفي للطبيعة الإنسانيّة. ولكن عندما ينغمس الإنسان فيها أكثر من اللازم فسيتحول إلى النعومة. أما إذا تعلّمها بحق وواقعيّة فسيكون لطيفاً ومعتدلاً.

كلوكون: حقّاً.

سقراط: ويجب أن يحوز حُماتنا هاتين النوعيّتين في رأينا.

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: ويجب أن تكونا كلتاهما في تناسب وتناسق؟

كلوكون: ما فوق السؤال.

سقراط: وتكون الروح المتناسقة معتدلة وشجاعة؟

كلوكون: نعم.

سقراط: وتكون الروح المتنافرة جبانة وجِلْفَة؟

كلوكون: حقيقيّ جدّاً.

سقراط: وعندما يسمح الإنسان للموسيقى أن تغرّهُ وأن تنسكب في روحه من خلال قَناة أذنيه، فإن تلك الهوائيّات الرخيمة والناعمة والانقباضيّة التي تكلّمنا عنها لتوّنا، ستُغرق حياته كلها في الشدو ومباهج الغناء. ففي المرحلة الأولى لعملية الهوى أو النفس التي هي في داخله تكون مسقيّة كالحديد، وتصيّر نافعة بدلاً من أن تكون هشّة وعقيمة. أما إذا قادها إلى طور النّعومة والتّسكين، فسيبدأ بإذابة وتبديد نفسه في المرحلة التالية، حتى يضيّعها ويقطّع أوتار روحه إلى أن يصبح محارباً واهِناً.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: وإذا كان عنصُر النفس ضعيفاً فيه بالطّبيعة فالتّغيير يتمّ بسرعة، أما إذا امتلك منه مقداراً كبيراً، عندها ستُضعِف قوة الموسيقى نفسه وتجعله سريع الاهتياج يثورُ حالاً لأقل إثارة، ثم يخمد بسرعة. إنه ينمو سريع الانفعال شهوانياً وعنيداً بدلاً من امتلاكه النّفس الكريمة.

كلوكون: بالضبط.

سقراط: وهكذا مرة ثانية، إذا اضطّلع الرجل بتمارين جسديّة قاسية، وكان أكولاً وشرهاً، غير أنه كاره للموسيقى والفلسفة، فإنّ حالة جسمه بادىء ذي بدء، ستملأه بكبرياء النفس وسيصبح أكبر ممّا كان مرّتين.

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: وماذا سيحدث إذا لم يفعل شيئاً آخر ولم يقم بأية محادثة مع آلهات الغناء والشعر والفنون والعلوم؟ أليس ذكاؤه المحتمل فيه، ليس لديه أيّ تذوق لأي نوع من أنواع التعليم أو التساؤل أو الفكر أو التثقيف، وسينمو بسبب ذلك واهناً وبليداً وأعمى ولن يستيقظ عقله مطلقاً أو يتناول غذاءه؟ وأما حواسّه فليست مطهّرةً من الضباب الذي يغمرها.

كلوكون: حقاً.

سقراط: وينتهي بأن يصبح كارِهاً للفكر (أو الحوار)، همجيّاً، لا يستعمل سلاح الإقناع أبداً. إنه كالوحش البرّيّ في قسوته وعنفه، ولا يعرف التعامل بأية طريقة أخرى؛ إنه يعيش في جهل وغباء، ولا يتملّكه أي إحساس بالحشمة والكياسة.

كلوكون: إن هذا لحقيقيّ تماماً.

سقراط: وكما أنه يوجد مبدآن للطبيعة الإنسانيّة، أحدهما نفسي والآخر فلسفي، إله ما، كما سأقول، أعطى البشريّة فنّين رداً عليهما (وبصورة غير مباشرة للروح والجسم فقط)، وهذان المبدآن منظّمين ليكونا (كخيوط الآلة) بالإمكان إرخاؤهما أو شدهما بإحكام، حتى يصبحا متناسقين كما ينبغي.

كلوكون: يظهر أن ذلك هو القصد.

سقراط: والذي يمزج الموسيقى في أجمل تناسب وأفضل رقة لخدمة الروح، يمكن تسميته بحق أنه الموسيقي والمطرب الحقيقي في جمال أبعد وأسمى من موَفّق الخيطان.

كلوكون: إنك محقّ تماماً، يا سقراط.

سقراط: وسنحتاج في دولتنا دائماً لهكذا عبقريّ رئيس، إذا كان سيُكتب لحكومتنا البقاء.

كلوكون: نعم، وسيكون وجوده ضرورياً بالمطلق.

سقراط: تلك هي مبادئنا في التربية والتعليم إذن. وبعدُ، أين هو نفع الذهاب لتفاصيل أبعد عن رقص مواطنينا، أو عن صيدهم ومطاردة الكلاب للصّيد، وعن رياضتهم وفروسيّتهم؟ لأن كل هذه تتبع المبدأ العام، وعندما نجدها، فلن يكون لدينا أية صعوبة في اكتشافها.

كلوكون: أجرؤ على القول إنّه لن يكون هناك صعوبة.

سقراط: جيّد جدّاً. ما هو السّؤال التالي آنئذٍ؟ ألا يجب علينا أن نسأل من هم الحكام ومن الرعيّة؟

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: ولا شك أن الأكبر سِنّاً يجب أن يحكموا الأصغر منهم.

كلوكون: بوضوح.

سقراط: ويجب أن يحكم الأفضل.

كلوكون: وأن هذا الجليّ أيضاً.

سقراط: أليس الأفضل الأكثر إخلاصاً للزّراعة؟

كلوكون: نعم.

سقراط: وكما أنه سيكون لدينا أفضل الحُماة لمدينتنا، ألا يجب أن يكونوا أولئك الذين لديهم شخصية الحماة بشكل أكثر؟

كلوكون: نعم.

سقراط: ويجب أن يكونوا عقلاء وأكفاء لهذه الغاية، وأن يمتلكوا عناية خاصة بالدولة؟

كلوكون: حقاً.

سقراط: وسيكون أكثر احتمالاً أن يعتني الإنسان بالذي يحب؟

كلوكون: لتكن متأكداً.

سقراط: وسيكون الأكثر احتمالاً أن يحب ذلك الّذي يعتبره حائزاً على الاهتمامات عينها الّتي في نفسه، وذلك الّذي يكون مفترَضاً به أن يكون حظهُ سعيداً أو نحساً في أي وقت، سيكون له الأثر الأكبر في خاصّيّته؟

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: يجب أن يكون هناك انتقاءٌ إذن. دعنا نشير من بين حُماتنا لأولئك الّذين يُظهرون الشّوق الأكبر في حياتهم كلّها كي يحقّقوا ما هو مفترَضٌ، كونه لخير الدولة وخير بلادهم والأكبر مقتاً لفعل ما هو ضد مصالحها.

كلوكون: أولئك هم الرّجال الحقيقيّون.

سقراط: وسيراقبون في كل سنيّهم، كي يمكننا أن نرى ما إذا كانوا يستحقون قرارهم، ولن يذعنوا لا للقوة ولا للافتتان؛ هكذا كمن ينسون أو يطرحون بعيداً إحساسهم بالواجب نحو الدولة.

كلوكون: كيف سيطرحونه بعيداً؟

سقراط: سأوضح لك. قرارٌ يمكن أن يصدر من عقل الإنسان إمّا بإرادته أو ضدها؛ بإرادته عندما يتخلّص من الباطل ويتعلّم الأصلح، وضدها عندما يكون مجرّداً من الحقيقة.

كلوكون: فهمت استعداد فقدان الإرادة؛ عليّ أن أتعلم معنى اللّاإرادي مع ذلك.

سقراط: لماذا؟ ألا ترى أنّ الرجال يجرّدون من الخير بغير إرادتهم، وبإرادتهم من الشرّ؟ أليست إضاعتك الحقيقة شراً، وامتلاكك لها خيراً؟

كلوكون: نعم، أوافقك التّفكير أنّ الجنس البشري يُجرّد من الحقيقة ضد إرادته.

سقراط: أليس هذا الحرمان اللاإرادي مسبّباً إمّا بالسرقة، أو القوة، أو بالسحر؟

كلوكون: ما زلت لم أفهمك.

سقراط: كأنّني قد تكلمت بصورة مبهمة، كشعراء المأساة، وأعني بالسّرقة أنّ بعض الرجال يُغيّرون بالإقناع في حين ينسى الآخرون، فيسلب الحوار معتقدات الطّبقة الأولى، والزّمن الطّبقة الثانيّة. هل تفهمني الآن؟

كلوكون: نعم.

سقراط: وهؤلاء الذين يُجبرون، فهم أولئك الذين اضطّرهم عنف الألم أو الحزن لتغيير رأيهم.

كلوكون: أفهم، وأنت محق تماماً فيما تقول.

سقراط: وستعترف أيضاً بأن المسحورين هم أولئك الذين يغيّرون أفكارهم إمّا تحت تأثير اللّذات الأنعم، أو تأثير صدمات الخوف المتجهمة؟

كلوكون: نعم؛ وكل ما يخدع يمكننا القول عنه أنه يُسحر.

سقراط: لذلك، وكما قلت، يجب أن نستعلِم من هم أفضل الحُماة وعليهم أن يفعلوا، مقتنعين، ما يرونه الأنفع للدولة. ويجب أن نراقبهم من شبابهم فصاعداً، ونحثهم على إتمام الأعمال التي قد ينسونها أو يُخدعون بها، وسيتمّ اختيار من يتذكّر ولا يُخدع منهم، ويُرفض من يفشل. وهذه هي الطريقة.

كلوكون: نعم.

سقراط: وسنصف لهم العناء والآلام والنزال وبواسطتها يعطون أبعد برهان للنوعيّات عينها.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: ويجب أن نجرّبهم بالسحر. سيكون ذلك النوع الثّالث للإمتحان وسنرى كيفيّة سلوكهم، كأولئك الذين يصمدون لضرب الحبال المعقّدة وسط الضجيج واللّجب ليُرى ما إذا كانوا من ذوي الطبيعة الجبانة. وسنلقي بشبابنا في رُعبٍ من نوع ما وندخلهم من ثمّ في الملذات ونتثبت منهم أكثر مما نتثبت من الذهب الذي نضعه في الفرن لتصفيته، كي نتمكن من اكتشاف ما إذا كانوا مسلّحين ضد الشّعوذات، وأن سلوكهم نبيل دائماً، وأنهم حماةٌ صالحون لأنفسهم وللموسيقى التي تعلّموها ومُشتَبِقينَ على طبيعة وتناسب الألحان تحت كل الحالات الّتي هي أكثر نفعاً لأنفسهم وللدّولة. ومن يخرج من التجربة منتصراً، صبياً كان أم فتىً، سيُعيَّن حاكما وذا أمر ونهي في الدولة؛ وسيكرَّم في الحياة والموت، وسيقام له ضريح وآثار تذكارية أخرى لتكريمه كأعظم ما نقدر أن نعطيه. أمّا الذي يفشل فيجب رفضه. إنني ميّال لأظن أنّ هذه هي الطّريقة التي سيتمّ بها اختيار وتعيين حكامنا وحُماتنا. إنني أتكلم عموماً، وبغير أي دعوى دقيقة.

كلوكون: وأوافق معك في التكلّم بشكل عامّ.

سقراط: ولربّما يجب أن تكون كلمة « حامٍ » لتطبّق في معناها الأدقّ على الطّبقة الأعلى فقط، والتي تحفظنا من أعدائنا الخارجيّين وتصون السّلام بين مواطنينا في الدّاخل كي لا يتمكن الأعداء من امتلاك الإرادة والقوة على إيذائنا. إن الشّباب الذين دعوناهم حماة سابقاً، يمكن تخصيصهم ملحقين ومساعدين بملاءَمة أكثر لمبادىء حكامنا.

كلوكون: أتفق معك.

سقراط: كيف سنستنبط إذن إحدى تلك الأباطيل الضّرورية التي تكلمنا عنها مؤخراً كالكذبة الملكيّة التي بإمكانها خداع الحكّام، إذا كان ذلك ممكناً، وخداع بقية أهل المدينة على أيّة حال؟

كلوكون: وأيُّ نوع من الكذبة؟

سقراط: لا شيء جديداً؛ إنها قصة فينيقية[٥٦] قديمة كتلك الّتي حدثت غالباً في أماكن أخرى (كما يقول الشعراء، وقد جعلوا العالم يصدّقهم)، وهي مع ذلك ليست في زمننا، ولا أعرف إن كان حدث كهذا سيقع مرة ثانية، أو يمكن حتى احتمالُ حدوثه.

كلوكون: لِمَ تتلعثم الكلمات على شفتيك؟

سقراط: لن تتعجب من تلعثم كلماتي وتردّدي عندما تسمع.

كلوكون: تكلّم، ولا تخف.

سقراط: حسناً إذن، سأتكلّم، ومع ذلك لا أعرف كيف سأنظر في وجهك حقاً، وبأية كلمات سأروي القصص الخياليّة القليلة الحياء، والتي أقترح أن تتّصل تدريجياً بالحكام أولاً، وبالجنود بعدئذ، وبالشّعب أخيراً. سنخبرهم أنّ التعليم والتدريب الّذي تظاهروا أنهم تلقوه منّا في شبابهم لم يكن إلا حُلُماً؛ غير أنهم كانوا خلال ذلك الزمن في الحقيقة مكيّفين ومقتاتين من رحم الأرض، في المكان عينه الذي صنعوا فيه أنفسهم وسلاحهم وكذلك مرافقيهم.

وعندما اكتملوا، فالأرض، أمهم، أرسلتهم عالياً. وهكذا، فلقد تعهدوا بالعمل لخير بلادهم والدفاع عنها ضد الهجمات، كونها أمهم ومربيتهم أيضاً! وأن يعتبروا المواطنين الآخرين أخوة لهم وكأطفال الأرض.

كلوكون: لديك ما يبرّر خجلك من الكذبة التي كنت ستخبرنا عنها.

سقراط: لا شكّ في ذلك، لكن استمع لبقية القصّة. سنقول للمواطنين في قصتنا، أنتم أخوة، والله شكّلكم بطريقة متباينة مع ذلك. مزج البعض بالذهب، فحازوا لذلك الشرف الأعظم. وصنع آخرين من الفضة، ليكونوا مساعدين. وأنشأ آخرين من النّحاس والحديد ليكونوا زرّاعاً وحرفيّين. وستُحفظ الأنواع في الأطفال بشكل عامّ. وبما أن الجميع في نفس المخزون الأصلي عينه، فسيحوز الآباء الذهبيّون أبناء من فضة بعض المرات، والفضيّون أبناء من ذهب، وهكذا دواليك. الله أعلن للحكّام كمبدأ أوّل، وقبل أي شيء آخر أنه ما من يكونون قلقين عليه كي يحرسوه، أو فيما يتعلق بالّذي يكون ليكونوا هم حماةً أخياراً، مثل مزيج العناصر في الرّوح. فبادىء ذي بدء، إذا امتلك أيٌّ من نسلهم مزيجاً من النحاس أو الحديد، فلن يكونوا عاقلين إذا أشفقوا عليه، بل سيمنحونه الرّتبة التي يستحقّ، وسيرسلونه إلى المزارع أو الحرفي. وعلى الجانب الآخر، إذا وُجِدَ للحرفيين أبناءٌ يمتلكون مزيجاً من الذّهب والفضّة، فسيُرفعون إلى مرتبة الشّرف وسيصبحون حُماة أو مساعدين لهم. إن وحياً إلهياً يقول إنه عندما يحمي الدولة رجلٌ من النحاس أو الحديد، فسوف تدمَّر. هكذا هي الحكاية؛ هل من احتمالٍ لجعل مواطنينا يؤمنون بها؟

كلوكون: ليس في الجيل الأول؛ بل يمكن جعل أبنائهم يصدقون الحكاية، وأبناء أبنائهم وخَلَفهم من بعدهم.

سقراط: إنني أرى الصعوبة؛ وسيجعلهم تزويدهم باعتقادٍ كهذا مع ذلك، أكثر

اعتناءً بمدينتهم وبكل واحد منهم. نكتفي بهذا من القصة الخيالية، والتي يمكنها أن تطير خارجاً على جناحي الشائعات الآن، بينما نسلّح أبطالنا المولودين من الأرض ونسير بهم كي يكونوا بإمرة حكامهم. دعهم يتطلعون حولهم ثم ينتقون بقعة مناسبة من الأرض حيث يكونون قادرين على إخماد التمرّد. وإذا برهن أيٌّ منهم أنه ذو مناعة في الداخل، ويدافعون كلهم عن أنفسهم ضد أعدائهم أيضاً، سيمكّنهم هذا من النزول على أعدائهم كالذئاب المغيرة على الحظيرة من الخارج. سندعهم يقيمون مخيّماً هناك، وعندما يقيمونه، سيبدأون التّضحية إلى الآلهة المناسبة ويعدّون مساكنهم بعد ذلك.

كلوكون: هكذا تماماً.

سقراط: وسيمكّنهم هذا من تحصين أنفسهم ضد برد الشتاء وحر الصيف.

كلوكون: أفترض أنك تعني البيوت.

سقراط: نعم، ولكنها يجب أن تكون بيوت جنود وليس بيوت باعة.

كلوكون: وما هو الفرق؟

سقراط: سأحاول شرح ذلك. إن الاحتفاظ بحرّاسٍ كلاب جائعين يفتقرون للنظام، ويمتلكون العادات السيئة أو أي شيء مشين آخر، سيلتفّون على الغنم ويخيفونها، ويتصرّفون ليس ككلاب بل كذئاب، وسيكون ذلك شيئاً شنيعاً ومريعاً.

كلوكون: مريع بحقّ.

سقراط: ويجب لذلك أن تؤخذ الاحتياطات لئلا يصبح مساعدونا، كونهم أقوى من مواطنينا، كالديكتاتوريين الهمجيّين، بدلاً من الأصدقاء والحلفاء.

كلوكون: نعم، ويجب أن تؤخذ عناية كبرى لذلك.

سقراط: وإذا هم تلقّوا ثقافة صحيحة حقّاً، أفلن تمدّهم تلك الثقافة بأفضل حماية؟

كلوكون: ولكنهم تلقّوها.

سقراط: لا أقدر أن أكون واثقاً من ذلك، يا عزيزي كلوكون. غير أنني أعتقد أنّ الحقيقة هيَ كما قلت، إن الثقافة السليمة، مهما تكن، سيكون لديها المنحى الأكبر لتحضّر وتهذّب أخلاقهم في تعاملهم بعضهم مع بعض، ومع أولئك الذين هم تحت حمايتهم.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: ولن تكون ثقافتهم كذلك فقط، بل عاداتهم، وكل ما يخصهم. إنهم سيكونون كالذين لن يُتلِفوا فضيلتهم كحُماة أو يستغلونها في نهب المواطنين الآخرين. يجب أن يعترف بذلك كلّ مدرِك.

كلوكون: يجب أن يعترف.

سقراط: دعنا نعتبر الآن، ماذا ستكون طريقتهم في الحياة، وإذا كانوا سيدركون أفكارنا عنهم. ففي المقام الأول، يجب أن لا يمتلك أحدٌ منهم أيّ عقار خاصٍ به أكثر مما هو ضروري له بالمطلق. ولا يجب أن يغلقوا أيّ بيت أو مخزن بوجه يحب أن يدخل. وسيكون تموينهم ذلك الذي يحتاجه المحاربون المدرّبون الذين يمتلكون الاعتدال والشجاعة. وسيوافقون على استلام مقدار محددٍ من المدفوعات من المواطنين، ما يكفي لسدّ احتياجات المصروف السّنوي لا أكثر؛ وسيذهبون ويتجمّعون ويعيشون في معسكر معاً كالجنود. سنخبرهم أنّ الذّهب والفضّة سيحوزونهما من الله. فالمعدن الإلهي هو في داخلهم، ولذلك لا حاجة لهم لبريق المعادن الرائجة بين الرجال. ويجب أن لا يدنّسوا الإلهيات بأي خليط أرضي لأن المعدن المبتذل هو مصدر العديد من الأعمال غير المقدّسة، ولكن ما يخصهم فهو غير ملوّث. وهم الوحيدون بين المواطنين الذين لا يمكنهم لمس أو إمساك الفضة والذهب، أو أن يكونوا وإيّاها تحت سقف واحد، أو أن يلبسوها، أو يشربوا منها، وسيكون هذا

خلاصهم، وهم سينقذون الدولة. أما إذا حصل واقتنوا البيوت والأراضي والأموال لشيء خاصّ بهم، فسيصبحون أصحاب بيوت ومزارعين بدل الحماة، أو أعداء وديكتاتورين بدلاً من حلفاء المواطنين الآخرين، كارهين ومكروهين، متآمرين ومتآمَر عليهم، وسيمضون حياتهم كلها في رُعب داخلي أكبر بكثير من رعبهم من أعدائهم الخارجيّين. ولسوف تكون ساعة دمارهم وبقية الدولة في متناول اليد. ألا يمكننا القول، ولكل تلك الأسباب، إنّنا سننظّم دولتنا هكذا، وإن تلك القوانين ستكون القوانين التي نعيّنها لحماتنا فيما يخص سكنهم وكل شؤونهم الأخرى؟

كلوكون: نعم.

الكتاب الرابع

افكار الكتاب الرئيسيّة

١ ـ بحث في العدالة مرّة رابعة.

٢ ـ بحث في الدولة وقوانينها

٣ ـ مساوىء الغنى والفقر

٤ ـ فضائل التربية والتعليم وتأثيرهما المباشر على الفرد والدولة

٥ ـ تعريف الحكمة

٦ ـ تعريف الشجاعة

٧ ـ تعريف الاعتدال

٨ ـ تعريف العدل

٩ ـ تعريف الظلم

١٠ ـ بداية النظر في نشوء الدول

١١ ـ تنظيم شؤون التربية والتعليم في دولتنا الحسنة التنظيم

١٢ ـ تأثير الشّهوات على الإنسان وكيفية تهذيبها وتقويمها

الكتاب الرابع

اديامنتوس: كيف ستجيب يا سقراط، إذا قال أحدهم إنك لم تجعل هؤلاء الرجال سعداء جداً، وإنهم هم أنفسهم الذين سيقع عليهم اللّوم. فالمدينة في الحقيقة مدينتهم، لكنهم لا يجنون أية فائدة منها، في حين أنّ الرجال الآخرين يكتسبون الأراضي ويشيدون البيوت الكبيرة والجميلة، ويقدمون الأضاحي للآلهة على حسابهم الخاص ويجودون. فضلاً عن ذلك، فهم يملكون الذهب والفضة التي ذكرتها الآن منذ فترة، وكل الذي يكون مألوفاً بين الرجال الذين يؤثرون الحظّ. غير أن مواطنينا الفقراء ليسوا بأفضل من المرتزقة الذين أووا إلى المدينة والذين يمتطون الخيل كحرّاس.

سقراط: نعم؛ ويمكنك أن تضيف أنهم مطعومون فقط، وأنه لا يُعطون لهم زيادة على غذائهم كبقية الرّجال. ولذلك لا يمكنهم القيام بأية رحلة خاصة خارج البلاد إذا ما أحبوا ذلك. فهم لا يملكون المال لينفقوه على تجهيز البيوت أو أيّة زخارف أخرى، وهو السعادة، كما يراه العالم. ويمكن إضافة إتهامات عديدة أخرى من الطّبيعة عينها.

اديامنتوس: لكن، دعنا نفترض أن يكون كل هذا متضمّناً في الاتهام.

سقراط: تعني بسؤالك. ما هو جوابنا؟

اديامنتوس: نعم.

سقراط: إذا تقدمنا بموازاة الخط القديم، ففي اعتقادي أننا سنجد الجواب. وسيكون جوابنا أنه يمكن لحماتنا أن يكونوا أسعد الرجال بالاحتمال الجدّي، حتى كما هم. ولكن هدفنا في إيجاد الدولة، لم يكن السعادة غير المتجانسة لأيّة

طبقة، بل السعادة العظمى للجميع. ونعتقد أنه في الدولة المنظمة طبقاً لذلك، يمكننا أن نجد العدل بالاحتمال الأكثر، وأن نجد الظّلم في الدولة الأكثر فوضويّة. وعند إيجادهما، يمكننا أن نقرّر الجواب لسؤالنا الأول. وأعتبر حاضراً، أننا نضيع الدولة السعيدة، ليس تدريجياً، أو بالنظر لجعل أقلّيّة المواطنين سعداء، بل للجميع، وسنتقدم عما قريب لنعاين نوع الدولة المضادة. لنفترض أننا نلوّن تمثالاً، وأتى شخص ما إلينا وقال، لماذا لا تضعون الألوان الأكثر رونقاً على أجزاء الجسم الأجمل؟ فالعيون يجب أن تكون أرجوانيّة، غير أنكم جعلتموها سوداء ـ يمكننا عندئذ إجابته بحق، « يا سيد، إنك لن تدعنا نجمّل العينين بالتأكيد إلى درجة لا تعودان معها عينين مطلقاً، أعتبر بالأحرى، ما إذا كان بإعطاء هذه الصورة أو أية صور أخرى اتساقها المناسب، قد جعلناها جميلة على وجه الإجمال ». وهكذا أقول لك، لا تجبرنا على أن نخصص لحماتنا نوعاً من السعادة والتي لن تجعلهم سعداء أبداً. وإننا لقادرون أيضاً على أن نلبس مزارعينا كساءً ملكياً، وأن نضع تيجاناً من ذهب على رؤوسهم، وأن نأمرهم بحرث الأرض كما يحبون، ولا أكثر من ذلك. يمكننا أن نسمح لصانعي الخزف بالاستراحة على الأرائك، وأن يتناولوا أطيب الأطعمة بجانب المصطلى، ويتبادلون أنخاب النبيذ، بينما يكون الدولاب قريباً منهم وفي متناول يدهم، مما يمكّنهم من صنع قُدورٍ قليلة عند ميلهم للعمل. ويمكننا جعل كل طبقة سعيدة في هذه الطريقة. وعندها، كما تظنّ، فستكون الدولة كلُّها سعيدة. ولكن لا تضع هذه الفكرة في رؤوسنا لأننا إن استمعنا لك، فالمزارع لن يبقى مزارعاً بعد اليوم، وسينقطع صانع الخزف عن أن يكون كذلك، ولن يملك أي واحد شخصية أية طبقة مميّزة في الدولة. وهذه ليست الآن ذات عواقب وخيمة حيث فساد المجتمع، والتظاهر بكونك كذا وأنت منه براء، ويكون ذلك

مُقْتَصَراً على الأساكفة؛ ولكن عندما يكون حماة القوانين والحكومة كذا بمظرهم الخارجي فقط وليسوا حكاماً حقيقيين، فسترى آنئذ كيف يقلبون الدولة رأساً على عقب. وفي مجال آخر، هم وحدهم يملكون القوة لإعطاء النظام والسعادة للدولة. ما عنينا أن يكون حماتنا منقذي الدولة حقاً وليس مدمريها، في حين أن من يناوئنا يفكّر في فلاحي المهرجانات الذين يتمتعون بحياة العربدة، وليس بالمواطنين الذين يقومون بواجبهم نحو الدولة. ولكننا قد عنينا أشياء مختلفة، على نحو ما أشرنا إليه. أما هو فيتكلّم عن شيء لا يكون دولة، ولذلك، يجب أن نعتبر ما إذا كنا في تعيين حماتنا سنتطلّع إلى سعادتهم الكبرى بشكل فردي، أو ما إذا كان غرضنا هو ضمان السّعادة التي ستشمل الدولة ككلّ. بماذا يجب أن نجبر أو نقنع هؤلاء الحماة أن يفعلوا (ويمكننا قول الشيء عينه عن كل مهنة أخرى)، كي يصبحوا خبراء قدر المستطاع في عملهم المهني. وهكذا ستنمو وتترعرع الدولة كلها في نظام نبيل، وستتسلّم الطبقات المتعددة نِسَبَها من السعادة التي خصّتها الطبيعة بها.

اديامنتوس: أظنّ بأنّك محق تماماً.

سقراط: إنني أتساءَل ما إذا كنت ستوافق على ملاحظة تخطر في بالي.

اديامنتوس: ماذا يمكن أن تكون تلك؟

سقراط: يظهر لي وجود سببين في انحطاط الفنون.

اديامنتوس: ما هما؟

سقراط: الغنى والفقر.

اديامنتوس: كيف يعملان؟

سقراط: العمليّة كالآتي: عندما يصبح صانع الخزف غنياً، فكّر ملياً، هل سيقاسي أية آلام مع فته؟

اديامنتوس: لا بالتأكيد.

سقراط: سينمو أكثر وأكثر متراخياً ومهملاً.

اديامنتوس: حقيقي جداً.

سقراط: وستكون النتيجة أنه سيصبح صانع خزفٍ سيّىء؟

اديامنتوس: نعم، إنه سيفسد كثيراً جداً.

سقراط: لكن، إذا لم يكن لديه مال، من ناحية أخرى، ولم يقدر على تجهيز نفسه بالأدوات والحاجات الأخرى لحرفته، فلن يكون عمله جيّداً بالتساوي، ولن يتمكن من تعليم أولاده أو أن يعمل المتدربون عنده بجودة كذلك.

اديامنتوس: لا بالتأكيد.

سقراط: سيكون العمّال، وعملهم حينئذ، معرّضين للانحطاط على قدم المساواة وتحت تأثير كل من الفقر والغنى.

اديامنتوس: هذا جلي.

سقراط: الشرور الجديدة تُكتشف هنا إذن، والتي سيراقبها الحماة بانتباه كلّي، أو أنها ستزحف إلى المدنية مطلقةً من أي قواعد أو قانون.

اديامنتوس: ما هي الشرور؟

سقراط: الغنى، والفقر. إن الأول هو علة الترفْ والتراخي، والآخر الخسّة والرذيلة، وكلاهما ذو نفسية ثوريّة.

اديامنتوس: إن ذلك حقيقي جداً. لكن يبقى ما أحب معرفته، يا سقراط. كيف ستستطيع مدينتنا الذهاب للحرب، خاصة ضد عدو غنيّ وقويّ، إذا تجرّدت من عَصَب الحرب.

سقراط: من الواضح أن شن حرب ضد هذا النوع من الأعداء سيكون صعباً، ولكنه سيكون سهلاً عند وجود اثنين منهما.

اديامنتوس: كيف ذلك؟

سقراط: في المقام الأول، سيكون في جانبنا المحاربون المدربون على القتال، إذا ما كنا سنحارب ضدّ جيش من رجال أغنياء.

اديامنتوس: حقّاً.

سقراط: أولا نفترض، يا اديامنتوس، أن الملاكم الفرد الذي يكون كاملاً في فنّه، سيكون بسهولة نظيراً لسيّدين بدينين معافَيين ليسا ملاكمين؟

اديامنتوس: سيكون بصعوبة، خاصة إذا فاجأوه على حين غِرَّة.

سقراط: وإذا كان هو قادراً على أن يهرب ويستدير بعدها، ويسدد ضربة لأحدهما اللعي يأتي إليه أوّلاً. ولنفترض بأنه سيفعل ذلك عدة مرات تحت حرارة الشمس المحرقة، ألا يمكنه ذلك، كونه يملك الخبرة، أن يغلب أكثر من شخصية بارزة وسمينة؟

اديامنتوس: لن يكون ذلك شيئاً مدهشاً بالتأكيد.

سقراط: ويُحتمل مع ذلك أن يكون لدى الرّجال الأغنياء تعليمات في علم ومران الملاكمة، أكثر مما يمتلكون في العلم العسكري.

اديامنتوس: يُحتمل بما فيه الكفاية.

سقراط: يمكننا إذن أن نعتبر أن رياضيينا سيكونون قادرين على أن يحاربوا ضعفي أو ثلاثة أضعاف عددهم.

اديامنتوس: سأقبل ذلك، لأنني أعتقدك محقاً.

سقراط: ولنفترض أن يرسل مواطنونا هيئة من الممثّلين الديبلوماسيّين إلى إحدى المدينتين، وذلك قبل النزال، كاشفين لهم عن الحقيقة وما هي، قائلين: « لا نملك ذهباً ولا فضة وليس مسموحاً لنا حيازتهما، لكن يمكنكم، إذا أردتم أن تأتوا وتساعدونا في الحرب وتستولوا على غنائم المدينة الأخرى ». فعند سماعهم تلك الكلمات، هل سيختارون النزال ضد كلاب هزيلة ونحيلة، بدلاً من أن تكون الكلاب بجانبهم، ضد أغنام سمينة وطريَّة؟

اديامنتوس: إن ذلك ليس مرجّحاً؛ ويمكن مع هذا أن يشكّل خطراً على الدولة الفقيرة إذا اجتمعت عدة دول غنيّة ضدها في دولة واحدة.

سقراط: كم أنت بسيط عندما تعتقد أن عبارة الدولة ملائمة لأيّ غيرنا بأيّة حال!

اديامنتوس: كيف ذلك؟

سقراط: يجب أن تتكلّم عن الدول الأخرى كرقم جمعي، ولا تكون واحدة منها مدينة، بل عدة مدن، كما يقولون في اللعب. ستحتوي كل منها قسمين على الأقل، احداهما مدينة الفقراء، والأخرى مدينة الأغنياء، اللتين هما في حرب مع بعضهما؛ ويوجد داخل كل منها تقسيمات صغيرة. إذا أردت أن تعامل تلك المدن كمدينة مفردة فأنت بجانب الإشارة تماماً؛ لكنك إذا عاملتها كمدن عديدة، وأعطيت الثروة أو القوة أو الأشخاص من الواحدة إلى الأخرى، فسيكون لديك دائماً العديد من الأصدقاء والقليل من الأعداء. وما دام العاقل ينظّم دولتك وتكون له السيادة فيها كما وصفنا سابقاً، فإنها لأعظم الدول قاطبة، ولا أعني في الشّهرة أو المظهر، بل في المأثرة والحقيقة، ولا يتعدّى المدافعون عنها ألف مُدافِع، مع ذلك. إنك ستجد بالكاد دولة بمفردها بذلك الحجم، لا بين الهيلينيين ولا بين البرابرة، وستظهر العديد من الدول الأخرى وكأنها عظيمة وأكبر منها عدّة مرات.

اديامنتوس: إن ذلك الأكثر حقيقة.

سقراط: من هنا، يمكن أن يرى حكامنا أفضل حدٍّ يقدرون على ترسيخه عندما يفكرون في حجم الدولة وحيّز المنطقة التي سيشملها ذلك، ولن يذهبوا أبعد منه.

اديامنتوس: ما هو الحد الذي تقترح؟

سقراط: سأسمح للدولة أن تتزايد إلى الحد الذي يكون متماسكاً مع الوحدة؛ ذلك، أعتقده الحدّ المناسب.

اديامنتوس: جيّد جداً.

سقراط: ويوجد هنا نظام آخر سنبلّغه إلى حماتنا. دعهم يسعون ألا تصبح مدينتنا صغيرة أو كبيرة في المظهر فقط. يجب أن تحقق الحجم المناسب، ولكنها يجب أن تبقى واحدة.

اديامنتوس: ولربما، لا تعتقد أن هذا نظام صارم؟

سقراط: وهنا نظام آخر، يبقى أخف من ذلك - أعني الواجب، والذي ذكرنا بعضاً منه قبلاً، ألا وهو تجريد ذريّة حُماتنا من رُتبهم عندما يكونون من نوع وضيع، ورفع ذريّة الطبقات الأدنى إلى رتبة الحماة عندما يكونون أعلى مقاماً بالطبيعة. كان القصد، في حالة المواطنين عموماً، أن كل فرد سيوضع للنفع الذي أُعِدَّ له طبيعيّاً، الواحد لعمل واحد، وسيعمل حينئذ كل رجل عمله الخاصّ به ويصبح إنساناً واحداً وليس متعدداً وستكون الدولة واحدة وليست مجموعة دول.

اديامنتوس: نعم، ليس ذلك صعباً أبداً.

سقراط: إن الأنظمة التي نصف، يا نبيلي اديامنتوس، ليست كما يمكن افتراضها، مبادىء كبيرة الرقميّة، بل تعبث بجميعها، إذا قُدِّمت العناية، كما يقال، للشّيء الواحد العظيم - الشيء الذي سأدعوه مع ذلك، ليس عظيماً إلى حد ما، ولكنه يكفي غرضنا.

اديامنتوس: وماذا يمكن أن يكون ذلك؟

سقراط: التعليم، والتربية. فإذا تلقى مواطنونا العلم الصالح وكبروا ليصبحوا رجالاً مدركين، فسيرون طريقهم بسهولة خلال كل هذا، بالإضافة لمسائل أخرى أُسقطتْ. وكمثل، الزواج وحيازة النساء وإنجاب الأطفال، وسيلي الكل المبدأ العام هنا أنّ الأصدقاء يشتركون في امتلاك الأشياء، كما يقول المثل.

اديامنتوس: وسيكون ذلك أفضل طريق لتأهيلهم.

سقراط: وإذا بدأت الدولة ولو لمرة واحدة بجودة، فإنها ستتحرك كالدولاب ذي القوة المتراكمة، وستغرس هناك المجتمعات الخيِّرة، في المكان الذي تُصان التربية والتعليم فيه، وستتحسَّن تلك المجتمعات الخيِّرة التي تتأصّل جذورها في التعليم السّامي. ستتحسن أكثر وأكثر، وسيؤثر هذا التحسن على نسل الإنسان كما في الحيوانات الأخرى.

اديامنتوس: محتمل جداً.

سقراط: لنلخِّص إذن: إن هذا هو المبدأ الذي سيأخذ به حكامنا في كل زمان ومكان، محاذرين أن لا يزحف الإهمال إلى الموسيقى والرياضة اللذين يجب الحفاظ عليهما في شكلهما الأصلي، وعدم ابتداع أي شيء جديد. يجب عليهم أن يبذلوا قصارى جهودهم لإبقائها سالمة. وعندما يقول أي شخص إن « الجنس البشري يقدر الاغنية الأكثر حداثة التي يغنِّيها المغني »(٥٧) فسيدخل الخوف إليهم. إنه يمكن أن يكون مُمَجَّداً، ليس الأغنية الجديدة، بل الأغنية من نوع جديد؛ وهذه يجب أن لا تُمَجَّد، أو تصوُّرها أنها معنى الشاعر لأن كل ابتداعٍ موسيقي علينا تجنبه، بما يمكن احتماله أنه سيجلب الخطر للدولة ككل. هكذا يخبرني الإله دايمون، وأنا أقدر على تصديقه تماماً. فهو يقول إنّه عندما تتغير صيغ الموسيقى، فالقوانين الأصليّة للدولة ستتغيَّر معها.

اديامنتوس: نعم، ويمكنك إضافة موافقتي إلى دايمون وإليك.

سقراط: يجب على حُماتنا إذن، أن يضعوا أسس حصنهم في الموسيقى.

اديامنتوس: نعم، إنّ الفوْضى التي تكلمت عنها ستنسلّ بسهولة أيضاً.

سقراط: نعم، ستنسل في شكل الفوضى وكأنها لا تؤذي.

اديامنتوس: نعم، وستكون غير مؤذية؛ ألم تكن هذه النفسيّة الفاجرة قد وجدت بيتاً شيئاً فشيئاً، ثم تخترق الأخلاق والعادات بدقة وإلى حد بعيد، وتغزو منها

الاتفاقيّات بين الإنسان والإنسان منبعثة منها بقوّة عظيمة، ثم تذهب من الاتفاقيات إلى القوانين والمجتمعات في طيش مطبق، منتهية أخيراً، بتدمير كل الحقوق الخاصة بالإضافة إلى الحقوق العامة. أليس ذلك حقيقياً؟

سقراط: إن ذلك، لشيء حقيقي.

اديامنتوس: إن هذا لاعتقادي.

سقراط: يجب أن يتدرَّب أولادنا إذن، وكما كنت قائلاً، في نظام أشد صرامة من البداية. فإذا أصبحت هذه السّلوى الصبيانيّة فوضوية، ستنتج أطفالاً متمرّدين على القانون، غير قادرين على النّمو في سلوك حسن أبداً وعلى أن يصيروا مواطنين أفاضل.

اديامنتوس: حقيقي تماماً.

سقراط: وعندما يحقق الأولاد بداية جيّدة في العزف، فقد نالوا عادة النظام الصحيح من خلال الموسيقى، وسترافقهم هذه العادة حينئذ في كل أعمالهم وستكون قاعدةً رئيسيّة لنموّهم، وإنها لقادرة على أن تصحّح أيّ شيء في الدولة، قد ينحرف. إن هذه الصورة هي عكس ما رسمنا منذ برهة.

اديامنتوس: حقيقي تماماً.

سقراط: سيكتشف هكذا مثقفون بأنفسهم، أية قوانين أقل شأناً والتي قد أهملها أسلافهم تماماً.

اديامنتوس: ماذا تعني؟

سقراط: أعني أشياء كهذه: متى يجب على الشّباب أن يصمتوا أمام الأكبر منهم سناً؛ وكيف سيظهرون احترامهم بالنهوض من أماكنهم ودعوتهم للجلوس؛ وما الإكرام الذي يستحقه الآباء؛ وما الثياب أو الأحذية التي سيلبسون؛ ثم طريقة تصفيف الشعر؛ وسلوكهم وأخلاقهم بشكل عام. هل ستوافقني؟

اديامنتوس: نعم.

سقراط: لكن هناك، على ما أعتقد، حكمة صغيرة في سن قوانين عن مسائل كهذه، ولا يمكن لتشريعات مكتوبة دقيقة أن تخلق هذه الملاحظات، ولا يمكن جعلها ثابتة بأيّة حال.

اديامنتوس: مستحيل.

سقراط: يظهر، يا اديامنتوس، أنّ الوجهة التي بدأت في تثقيف الإنسان هي التي ستقرر حياته المستقبليّة. ألا يجذب الشبيه شبيهه على الدوام؟

اديامنتوس: لتكن متأكداً.

سقراط: وحتى نتوصل إلى نتيجة ما عظيمة يمكن أن تكون صالحة أو أن تكون عكس الصالحة.

اديامنتوس: إنّ ذلك لن يُنكر.

سقراط: ولهذا السبب، ومن جهتي، فلن أحاول أن أبْسُط التّشريعات لتفاصيل كهذه.

اديامنتوس: هذا كافٍ بالطبيعة.

سقراط: حسناً، وماذا ستقول عن عمل السّاحة العامّة في المدينة، وعن التعامل العادي بين الإنسان والإنسان؟ ومرة ثانية عن العقود مع الحِرَفيين؛ عن الإهانة والحيف، عن بدء الأعمال، وعن تعيين المحلّفين؟ ويمكن أن تنشأ أسئلة أيضاً عن أية ضرائب، وعن أشياء تؤخذ عنوة في السوق العامة والمرفأ، كمتطلباتٍ يمكن احتياجها، وعن قوانين السّوق العامة بصورة عامة، وعن الشّرطة، والموانىء، وما شابه. لكن، يا للسّماء! هل سنتنازل لسن قوانين عن أيّ من تلك الخصوصيّات؟

اديامنتوس: لا، ليس من اللياقة أن نفرض قوانين بشأنها على الرّجال الأخيار؛ هم سيكتشفون القوانين الضرورية بأنفسهم وبسرعة كافية.

سقراط: نعم، يا صديقي، إن الله سيحفظ لهم فقط القوانين التي أعطيناهم.

اديامنتوس. وبدون مساعدة إلهيّة، سيمضون في صناعة ورتق قوانينهم وحيواتهم على أمل بلوغهم الكمال إلى الأبد.
سقراط: ستقارنهم بأولئك العاجزين الذين لا يملكون ضبطاً لأنفسهم، ولن يتخلوا عما اعتادوا عليه من إفراطٍ بإشباع شهواتهم وأهوائهم.
اديامنتوس: بالضبط.
سقراط: نعم، وأية حياة سارة سيحيون! إنهم يداوون فوضويتهم دائماً بدون أية نتيجة إلا زيادتها وتعقيدها، ويتوهمون دائماً أنهم سيشفون بأية علاجات غير مُطَمئِنَةْ، ويُشارُ عليهم بتجربتها.
اديامنتوس: إن حالات كهذه هي شائعة جداً، مع عجزة من هذا النوع.
سقراط: نعم، والمدهش أنهم يحسبون من يخبرهم الحقيقة عدوهم الأسوأ. وبكل بساطة، فإنهم ما لم يكفُّوا عن النَهَم والشراب والبغي والكسل، فلا العقاقير الطبيّة، ولا الكيّ، ولا البتْر، أو الرقيّة والحجاب، أو أية علاجات أخرى ستنفع.
اديامنتوس: مدهش! إنني لا أرى شيئاً مدهشاً بالذّهاب في الشّهوة الجسديّة مع إنسان يخبرك ما هي الحقيقة.
سقراط: يظهر أن هؤلاء الأسياد لا يلقون حظوة عندك.
اديامنتوس: لا بالتأكيد.
سقراط: ولن تصادق على أن تتصرّف الدّولة بأجمعها بتلك الطريقة. ويعيدني ذلك إلى نقطتي الأساسيّة، لأن المواطنين ممنوعون من تغيير الدستور تحت طائلة عقوبة الإعدام في دول فوضويّة معيّنة. ومع ذلك، فالذي يتملّق بطريقة حلوة أكثر أولئك الذين يعيشون تحت هذا الحكم، ويشبع رغباتهم ويتزلفهم ويكون بارعاً في استباق تنفيذ رغباتهم ويرضيهم بالدعابة والضحك، فإنه سيكرّم كرجل دولة عظيم وصالح. ألا تشبه تلك الدول أولئك الأشخاص الذين وصفتهم؟

اديامنتوس: نعم، إنه الخطأ عينه، وإني لبعيد جداً من الموافقة عليه.

سقراط: لكن ماذا عن هؤلاء الوزراء الجاهزين للحكم والمتشوّقين للفساد السياسي؟ ألا تعجبك برودتهم وحذقهم في استعمال عقول الآخرين؟

اديامنتوس: نعم، يعجبونني، لكن ليس جمعيهم، غير أنّ بعضهم قد ضلّلهم تصفيق الجماهير وجعلهم يعتقدون أنهم حقاً رجال دولة.

سقراط: ماذا تعني؟ عليك أن تمتلك شعوراً أكثر نحوهم. وعندما لا يقدر الإنسان على أن يقيس، ولا يستطيع العديد من الأناس الآخرين أن يقيسوا ويعلنون أنه أربعة أذرع ارتفاعاً، أيقدر أن يحول دون تصديقهم فيما يقولون؟

اديامنتوس: لا بالتأكيد، ليس في تلك الحالة.

سقراط: حسناً إذن، لا تكن متخاصماً معهم. أليسوا صالحين كاللعب، يجرّبون أيديهم في إصلاحات تافهة كالتي وصفت؛ يتوهمون على الدوام أنهم بإصدارهم وسنّهم القوانين سيضعون نهاية للاحتيال في الاتفاقات وأعمال النذالة الأخرى التي ذكرت، جاهلين أنّهم يكونون قاطعين رؤوس الغُدار(٥٨) في الحقيقة؟

اديامنتوس: نعم، إن هذا ما هم فاعلوه تماماً.

سقراط: أتصوّر أن المشرّع الحقيقي لن يجهد نفسه بنوع من هذه التشريعات أكانت تخص القوانين أو الدستور، أكانت في دولة فوضويّة أو في دولة منظمة، لأنها غير ذات نفع في السابقة تماماً، وتكون في اللاّحقة إمّا من النوع الذي يستطيع أيّ شخص أن يبتكره، أو أنها ستنساب طبيعياً من قوانيننا السابقة.

اديامنتوس: ماذا يبقى لنا من العمل التشريعي إذن؟

سقراط: لا شيء لنا، لكن لأبوللو، إله دلفي، يبقى له تنظيم أعظم وأنبل وأعلى الأشياء كلها.

اديامنتوس: وما هي؟

سقراط: تأسيس الهياكل والتضحيات ومجمل الخدمات للآلهة وأنصاف الآلهة والأبطال؛ أيضاً تنظيم مستودعات الموتى والحقوق المقدَّسة التي يجب أن يهتم بها من سيسترضي سكان العالم السفلي. إن هذه المسائل التي نجهلها نحن أنفسنا كمؤسسي مدينة، سنكون أغبياء في منح ثقتنا لأيّ مترجم غير الذي له علاقة بأسلافنا واقتبس منهم. ويكون أبوللو، الجالس وسط الأرض، هو الذي له علاقة بأسلافنا وهو المترجم للاحظات كهذه لكلّ الجنس البشريّ.

اديامنتوس: إنك محق، وسنعمل كما تقترح.

سقراط: هكذا الآن. فقواعد مدينتك، يا ابن أريسطون قد أُكْمِلَتْ. ما الآتي بعدها؟ جهِّز نفسك بنور شعشعاني وابحث، واستدعِ أخاك بوليمارخوس وبقية الأصدقاء للسماعدة، ودعنا نرى أين نقدر أن نكتشف العدل والظلم فيها، وبماذا يمتاز أحدهما عن الآخر، وبأيِّهما سيكون الإنسان سعيداً، وأين سيمتلك قسمته، أكانت مرئيّة أو غير مرئيّة بالآلهة والرجال.

كلوكون: سفاسف! ألم تعدنا أنك ستبحث ذلك بنفسك، وقلت إنك إن لم تساعد العدل في وقت الحاجة، فسيكون ذلك عملاً لا يتَّسم بالتقوى؟

سقراط؟ إن تذْكِرَتَك لحقيقة، وسأكون نبيلاً كنبل كلماتي؛ لكن يجب عليكم المؤازرة.

كلوكون: سنفعل.

سقراط: حسناً إذن، إنني آمل أن تحصل على الاكتشاف في هذا الطريق: أعني أن تبدأ الإفتراض بأنّ دولتنا إذا كانت منظمة بحق، ستكون كاملة.

كلوكون: إن ذلك هو الأكثر تأكيداً.

سقراط: وكونها كاملة، فهي لذلك عاقلة وشجاعة ومعتدلة وعادلة.

كلوكون: إنّ هذا هو الواضح بطريقة مماثلة.

سقراط: وأيٌّ من تلك النّوعيّات سنجده في الدولة أولاً، أمّا الواحدة التي لم نجدها بعد ستكوَن الفُضالة.

كلوكون: جيّد جداً.

سقراط: إذا وُجدت أربعة أشياء في حالة ما، وكان اهتمامنا الأكبر منصباً على إحداها، والذي نشدناه منها أبصر النور أوّلاً، فلا قلق أكثر من ذلك؛ أو إذا صدف وعرفنا الثلاثة أولاً، لنعتبر أننا توصّلنا إلى هدفنا من البحث، لأنه يجب أن يكون الجزء الباقي.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: أوّلا يجب أن نتّبع طريقة مماثلة للبحث عن الفضائل، التي هي أربعة في العدد؟

كلوكون: بوضوح.

سقراط: يأتي العقل الأول إلى المشهد بين الفضائل الموجودة في الدولة، وإنني أكتشف فيه حاجة غريبة مؤكّدة.

كلوكون: ما هي؟

سقراط: تملك الدولة التي وصفناها العقل الحقيقي، كما أعتقد، وستوافق أنه خيِّرٌ في نصحه؟

كلوكون: نعم.

سقراط: وهذه النصيحة الخيِّرة هي نوع من المعرفة، إذ بالمعرفة وليس بالجهل، ينصح الرجال بصدق؟

كلوكون: بجلاء.

سقراط: وأن أنواع المعرفة في الدولة عديدة ومتنوعة.

كلوكون: طبعاً.

سقراط: هناك معرفة النجّار؛ ولكن أتكون هذه نوع المعرفة التي تعطي المدينة لقب العاقل والخيِّر في النصح؟

كلوكون: لا بالتأكيد.

سقراط: يجب إذن أن لا تسمّي المدينة عاقلة لأنها تمتلك المعرفة التي تنصح أفضل عن العدَّة الخشبيّة.

كلوكون: لا بالتأكيد.

سقراط: ولا بسبب معرفتها التي تنصح عن العِدَدِ البرونزيّة، أو كامتلاك أيّة معرفة أخرى متشابهة.

كلوكون: ليس بسبب أيٍّ منها.

سقراط: ولا بسبب المعرفة التي تحرث الأرض؛ تلك ستعطي المدينة إسماً زراعياً.

كلوكون: نعم.

سقراط: حسناً، أتوجد أيّة معرفة موجودة حديثاً في مدينتنا بين أيٍ من مواطنينا تنصح ليس عن أي شيء خاص في الدولة، بل عن الكل، وتعتبر كيف يمكنها بطريقة أفضل إدارة نفسها بالنسبة إلى نفسها وإلى الدول الأخرى؟

كلوكون: إن ذلك لمؤكّد.

سقراط: وما هي هذه المعرفة، وبين من هي موجودة؟

كلوكون: إنها معرفة الحماية، وهي موجودة في أولئك الحكّام الذّين وصفناهم الآن منذ فترة كحماة كاملين(٥٩).

سقراط: وما الإسم المشتّق للمدينة مِن امتلاكها هذا النّوع مِنَ المعرفة؟

كلوكون: الإسم الخيّر في النُّصح والعاقل الحقيقي.

سقراط: وهل سيكون الحماة الحقيقيون في دولتنا هم الأكثر أم الحدادون؟

كلوكون: سيكون الحدادون أكثر بكثير.

سقراط: ألا يحتمل أن يكون الحماة هم الأقل عدداً من كل الطبقات التي أخذت اسمها من معرفتها مهنةً ما؟

كلوكون: الأقل بكثير.

سقراط: وهكذا ستكون المدينة كلها عاقلة، كونها منظمة طبقاً للطبيعة، بسبب أقل جزء أو طبقة، وبالمعرفة التي تسكن في هذا الجزء الحاكم لنفسه والرئيسي؛ ونقدر بهذا أن نطالب بحصة في المعرفة التي تستحق أن تسمّى عاقلة، والمكرسة بالطبيعة لتكون الأقل بين كل الطبقات.

كلوكون: الأكثر حقيقة.

سقراط: لقد اكتشفنا هكذا إذن، بشكل أو بآخر، طبيعة ومكان واحدة من الفضائل الأربع في الدولة.

كلوكون: ولقد اكتُشِفت بقناعة محققة، في رأيي المتواضع.

سقراط: لا صعوبة في رؤية طبيعة الشّجاعة، مرّة ثانية، ولا في أي جزء تسكن تلك النوعيّة التّي تهب إسم الشّجاعة للدولة.

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: لماذا! إن كل شخص ممن يسمّي أية دولة شجاعة أو جبانة، سيفكّر بتلك الفئة التي تذهب إلى الحرب وتقاتل بالنيابة عن الدولة.

كلوكون: لن يفكّر أحدٌ بأي شيء آخر.

سقراط: ومن الممكن أن يكون بقية المواطنين إمّا شجعاناً أو جبناء، وكما أعتقد، فلن تؤثر شجاعتهم أو جبنهم على جعل المدينة لا الأولى ولا الثانيّة.

كلوكون: لا.

سقراط: وستكون المدينة شجاعة بجزء من نفسها أيضاً، ذلك الذي تسكنه القدرة كي تحفظ، تحت كل الظروف، ذلك الرأي عن طبيعة ووصف الأشياء التي تخيف ولقد ثقفهم عنها تشريعنا؛ وهذا هو ما تسميه شجاعة.

كلوكون: أحب أن أسمع ذلك الذي قلته مرّة ثانية لأنني لا أظن أني قد فهمتك بالتمام.

سقراط: أعني أن الشّجاعة هي نوع من الصيّانة.

كلوكون: صيانة من أيّ نوع؟

سقراط: إنها رأي احترام الأشياء التي تخيف، ما هي وما هي طبيعتها، التي يزرعها القانون من خلال الثقافة؛ وإنني أعني بالكلمات (تحت كل الظروف) لتُعلن للّذين هم في اللّذة أو الألم، أو تحت تأثير الرغبة أو الخوف. فالإنسان يحفظ ولا يفقد هذا الرأي. هل أوضح لك؟

كلوكون: من فضلك.

سقراط: تعرف أنت، أنّ الصبّاغين، عندما يريدون صباغ الصوف للحصول على لون الأرجوان البحري الحقيقي، يبدأون باختيار اللون الأبيض من بين كل الألوان الموجودة في حوزتهم. يحضّرون هذا بدقة كبيرة ومخاضٍ عسير ثم يلبسونه، كي تتمكّن الأرضيّة البيضاء من أخذ الصبغة الأرجوانيّة في نسق كامل. ويتقدم الصبّاغ حينئذٍ ويصبح كل ما يُصبغ بتلك الطريقة لوناً ثابتاً، ولن يتمكن أيُّ غَسْلٍ لا بماء القلي ولا بغيره أن يغيّر هذا الرّيّعان: لكن عندما تكون الأرضيّة غير معدّة كما يجب، فستلاحظ كم يكون المنظر شاحباً أكان لوناً أرجوانياً أو غيره.

كلوكون: نعم، أعرف أنها تملك منظراً شاحباً ومضحكاً.

سقراط: ستفهم الآن إذن أن هدفنا في اختيار جنودنا وتثقيفهم موسيقياً ورياضياً، كان متشابهاً جدّاً. لقد استنبطنا التأثيرات التي ستعدّهم ليأخذوا صبغة القانون في كمالها، وسيترسخ لون رأيهم عن الأخطار وأي رأي آخر، ولن يُمحى بهكذا صباغات قادرة على طمسه كاللّذّة ـ فاعل أقوى بكثير من أي قلي أو ماء قلي في غسل الروح، أكان بالحزن، الخوف، أو الرّغبة، الأقوى من كل مذيباتٍ أخرى. وأسمي وأؤكّد أن هذا النّوع من القوة العالميّة المنقذة للرأي الحقيقي في تطابق مع القانون عن الأخطار الحقيقية والباطلة، أسمي وأؤكّد أنها الشجاعة، إلا إذا خالفتني الرأي.

كلوكون: لكنني أوافق، غير أنني أفترض أنك تعني استثناء الاعتقاد الحقيقي المجرّد عن الأخطار، عندما ينمو بدون تعليم، كذلك الذي للحيوان المفترس أو للعبد ـ وهذا لا يتطابق مع القانون، والذي يجب أن يحوز إسماً آخر غير الشجاعة على أية حال.

سقراط: بالتأكيد الأكثر.

كلوكون: أسلّم إذن أنّ الشجاعة كما تصف.

سقراط: ممتاز، وإذا أضفت إلى ذلك كلمات (للمواطن) فلن تكون مخطئاً. وإذا وافقت بعد ذلك، فسنحمل امتحان الشجاعة إلى ما هو أبعد. لكنّنا لا نبحث الآن عن الشجاعة بل عن العدل، ولقد قلنا ما فيه الكفاية لغرض تسلؤلنا.

كلوكون: إنك محقّ.

سقراط: وتبقى فضيلتان لا بد من اكتشافها في الدولة: الأولى الاعتدال ومن ثمّ العدل الذي هو غاية بحثنا.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: وهل نقدر أن نجد العدل الآن بدون إزعاج أنفسنا عن الاعتدال؟

كلوكون: لا أعرف كيف يمكننا إتمام ذلك، ولا أرغب بتسليط الضوء على العدل وفقد رؤية الاعتدال؛ ولذلك أتمنى عليك أن تتفضّل وتنظر في الاعتدال أولاً.

سقراط: بالتأكيد، ولا مبرّر لي في رفض التماسك.

كلوكون: إعتبر إذن.

سقراط: نعم، سأفعل، وبقدر ما أن أرى في الوقت الحاضر أنّ الاعتدال له من طبيعة التناسب والائتلاف أكثر ممّا لدى الفضائل السّالفة الذّكر.

كلوكون: كيف ذلك؟

سقراط: الاعتدال، هو تنظيم وضبط رغبات معيّنة؛ وتشمل بغرابة كافة القول المشهور « الرجل الكائن سيّد نفسه »؛ ويمكن إيجاد آثار أخرى في اللّغة للتصور عينه. ألا يمكن إيجاد ذلك؟

كلوكون: بلا شك.

سقراط: يوجد شيء مضحك في العبارة « سيّد نفسه » لأن السّيّد يجب أن يكون خادماً أيضاً والخادم سيّداً. ففي كل تلك الأساليب الكلاميّة تعبير عن الشخص نفسه.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وأعتقد أن معنى هذه العبارة هو وجود مبدأ أفضل وآخر أردأ في روح الإنسان الخاصّة؛ وعندما يضبط الأفضل الأردأ، يقال حينها إنه سيد نفسه. وهذه هي عبارة ثناء. لكن عندما يُغمر المبدأ الأفضل، الذي هو الأصغر، بحجم من الأردأ أكبر، وهذا ناشىء عن الثقافة والعشرة السيّئة، فإنه في هذه الحالة هو المُلام، ويدعى عبدَ نفسه وفاسقاً.

كلوكون: نعم، وهناك سبب في ذلك.

سقراط: أنظر الآن في دولتنا المنشأة حديثاً وستجد هناك واحدة من ذينك الحالتين بوضوح، لأن الدولة، كما ستعترف، يمكن تسميتها سيّدة نفسها بحق إذا عبّرت تلك الكلمات « الاعتدال » و« سيادة النفس » عن سيطرة الجزء الأفضل في الإنسان على الأدنى.

كلوكون: أرى أنك محق فيما تقول عند نظرتي إليه.

سقراط: دعني ألاحظ ما هو أبعد، ألا وهو وجود اللذات والرغبات والآلام المعقدة والمضاعفة، وجودها بشكل عامّ، في الأطفال والنّساء والخدم، وفي ما يُسمّى بالرجال الأحرار الذين هم الأحطّ، والطبقة الأكثر عدداً.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: حيث إن الرغبات البسيطة والمعتدلة التي تتبع العقل وتكون تحت هدايته وهداية الرأي الحق، توجد في القِلَّة من النّاس فقط، هؤلاء الذين وُلِدُوا أفاضل وثُقفوا كذلك.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: وكما يمكنك أن تدرك، فهؤلاء أيضاً، لهم مكان في دولتك؛ أما الرغبات الأخسُّ، فيتم إسقاطها برغبات العقل.

كلوكون: أُدرك ذلك.

سقراط: وإذا وُجِدت أية مدينة يمكن وصفها بأنّها سيدة لذاتها ورغباتها الخاصة، وسيدة نفسها، أيمكن لدولتنا أن تطالب بمضمون كهذا؟

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: ويمكنها أيضاً أن تسمى معتدلة ولكل تلك الأسباب.

كلوكون: نعم.

سقراط: وإذا وُجدت الدّولة التي سيتّفق فيها الحكّام والرعيّة على سؤال من سيحكم، فتلك ستكون دولتنا مرّة ثانية. هل تعتقد هكذا؟

كلوكون: بإصرار.

سقراط: ووجود المواطنين أنفسهم هكذا فيما بينهم، ففي أية طبقة سنجد الاعتدال: في الحكام أو الرعيّة؟

كلوكون: سنجده في كليهما، كما أتصوّر.

سقراط: ألم تلاحظ ان موهبتنا ليست ردئية في حدسنا بأنّ الإعتدال حمل بعض شَبَه التناسق؟

كلوكون: كيف هذا؟

سقراط: لأن الاعتدال ليس شبيهاً بالشجاعة والعقل، وكل منهما يسكن في جزء فقط، أحدهما صانع لدولة عاقلة والآخر شجاعة؛ أمّا الاعتدال الذي يمتد

إلى الكل فليس كذلك. إنه يجري خلال علامات الميزان كلها ويُحدث الاتحاد الأضعف والأقوى والوسط في الطبقة، سواء افترضتها أن تكون أقوى أو أضعف في العقل والقوة أو في الأعداد والغنى، أو في أيّ شيء آخر تُسرُّ به. ويمكننا أن نعتبر، بالحقّ الأكبر، أنّ هذه الوحدة العقليّة هي الاعتدال. إنها اتفاق بين الأعلى والأدنى مرتبة بالطبيعة، كونه الذي يكون محقاً في حكم الدول والأفراد على حدّ سواء.

كلوكون: أتفق معك بالتمام.

سقراط: وهكذا يمكننا أن نعتبر أن ثلاثاً من أربع فضائل قد تم اكتشافها في دولتنا. فما هو الباقي من النّوعيّات التي تجعل الدولة فاضلة؟ لأن هذه، وهي جليّة يجب أن تكون العدل.

كلوكون: النتيجة واضحة.

سقراط: لقد حان الوقت إذن يا كلوكون، عندما سنحيط بالغطاء كالصيّادين، وننظر بحِدَّة كي لا يفلت العدل منا، ويبتعد عن بصرنا ويهرب؛ لأنه موجود بدون شك في مكان ما من هذه البلاد. راقبه لذلك وجاهد كي نلتقط رؤياه، وإذا رأيته أولاً فأخبرني.

كلوكون: سأفعل ذلك إذا قدرت! ولكنك ستفعل عين الصواب إذا اعتبرتني كرفيق لك له عينان تكفيانه ليرى ما ستُظهره له تماماً.

سقراط: صلِّ معي وإتبعني.

كلوكون: سأفعل، لكن يجب عليك أن تريني الطريق.

سقراط: لا ممرّ هنا. فالغابات مظلمة ومربكة؛ يبقى أننا سنحثُّ الخطى إلى الأمام.

سقراط: رأيت هنا شيئاً ما، يا للقداسة! لقد أدركت الطريق، وأعتقد أن طريدتنا لن تفلت.

سقراط: نحن رفاق أغبياء بحق.

كلوكون: لِمَ هذا؟

سقراط: لماذا، يا صديقي العزيز؟ لقد تمدّد العدل على أقدامنا، من بداية بحثنا البعيد، ولَم نره، ولا شيء يثير الضحك أكثر من هذا. إننا كالذاهبين للبحث عن شيء وهو في أيديهم، ولم ننظر في الشيء الذي كنا نبحث عنه، بل في ما كان بعيداً عنا بمسافة، وأفترض أن ذلك كان سببَ فقدنا له.

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: أعني أننا ولزمن بعيد مضى كنا نتكلم ونسمع عن العدل وأخفقنا مع ذلك أن ندرك أننا وصفناه حقّاً في معنى ما.

كلوكون: إنني أزداد ضجراً في تطويل استهلالك.

سقراط: حسناً إذن، أخبرني ما إذا كنت محقاً أوْ لا! إنّك تتذكر المبدأ الأصلي الذي وضعناه عند تكويننا الدولة. لقد قرّرنا وأصررنا أكثر من مرّة، أنّ على الإنسان أن يمارس عملاً واحداً فقط، ذلك الذي يتناسب مع طبيعته بشكل أفضل؛ فإما أن يكون العدل هذا المبدأ في تصوري، أو هو شكل ما منه.

كلوكون: نعم، لقد فعلنا.

سقراط: وأكدنا بعد ذلك أن العدل هو إتمام الإنسان عمله الخاص به ولن يكون فضولياً؛ قلنا هكذا ثانية وثالثة، وقال لنا آخرون عديدون عين ما قلناه.

كلوكون: نعم، قلنا ذلك.

سقراط: يمكننا التسليم إذن، أن اعتناء الفرد بعمله الخاص، بشكل ما أو بآخر، هو العدل. أتعرف دليلي على هذا؟

كلوكون: لا، لكنني أحب أن أعرف.

سقراط: لأنني أعتقد أن هذه هي النوعية الفاضلة التي تبقى في الدولة، عندما تُلخّص الفضائل الأخرى، وهي الاعتدال والشجاعة والحكمة؛ وأنها لم تجعل

ظهورها محتملاً فقط، بل تكون حافظة لها طالما هي موجودة. ولقد قلنا إننا حالما نكتشف الفضائل الثلاث الأولى، فالعدل سيكون الرابع أو الفضيلة الوحيدة الباقية.

كلوكون: يتبع ذلك بالضرورة.

سقراط: إذا سُئلنا لنحدِّد: أيٌّ من تلك النوعيات الأربع سيقدِّم وجودها امتيازاً أكثر للدولة، أكان ذلك اتفاق الحكّام أو الرّعيّة، أو وقاية الجنود للرأي الذي يرسمه القانون عن طبيعة الأخطاء الحقيقيّة، أو العقل واليقظة في الحكّام، أو تلك النوعيات الأخرى التي هي موجودة في الأطفال والنساء، في العبيد وما يسمى بالرجال الأحرار، في الحِرفي والحاكم والمحكوم (أعني نوعيّة كلّ فرد متمِّمٍ عمله، وليس كونه كائناً فضولياً). إن القرار في ذلك ليس سهلاً كما ترى.

كلوكون: نعم، هناك صعوبة في قول أي منها بالتأكيد.

سقراط: يظهر أن اهتمام كل فرد بعمله الخاص يكون، نوعيّاً، مُبارياً للحكمة والاعتدال والشجاعة، فيما يتعلق بميزة الدولة.

كلوكون: نعم.

سقراط: وأن الفضيلة الوحيدة، التي تتساوى معها في الأهمية، من وجهة النظر تلك، هي العدل.

كلوكون: بالضبط.

سقراط: دعنا ننظر في السؤال بتلك الطريقة أيضاً: أليس الحكام في الدولة هم الذين ستعهد لهم بمهمة تحديد مجموعات القوانين؟

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: أسيكون أي مبدأ أساسيّ سابق لهذا في تقرير مجموعات كهذه، ألا وهو أنه لا يمكن للإنسان أن يأخذ ما هو لغيره، أو أن يُسلَب ما هو ملكه الخاص؟

كلوكون: لا.

سقراط: لأنه يكون مبدأً أساسياً عادلاً.

كلوكون: نعم.

سقراط: وسنعترف بناءً على هذه الرؤية أيضاً، أنّ العدل هو امتلاك وفعل ما هو خاص بالإنسان، وينتمي إليه؟

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: فكِّر الآن وقل، ما إذا كنت ستتفق معي أوْ لا. إفترضْ أنَّ النجار انتُدِب ليعملَ عمل الإسكافي، أو العكس، وافترض أنهما سيتبادلان أدواتهما ومركزهما الاجتماعي، أو أن الشخص نفسه سيحاول الشروع في عمل كليهما، أو أيّاً كان التغيير؛ هل ستعتقد أنه سينتج عن ذلك ضرر كبير للدولة؟

كلوكون: ليس كثيراً.

سقراط: ولكن عندما يحاول الإسكافي، أو أي إنسان آخر ممن صُمِّمت طبيعته ليكون تاجراً، والذي قد كبر قلبه بالغنى أو القوة أو ازدياد عدد أتباعه، أو أية فائدة أخرى مشابهة، عندما يحاول أن يشق طريقه إلى طبقة المقاتلين بالقوة، أو المقاتل إلى المشرِّعين والحماة، والذي يجب عليه أن لا يحث نفسه في هذا الإتجاه، وعندما يتبادل هؤلاء أدواتهم ومركزهم الإجتماعي مع أولئك الأعلى منهم؛ أو عندما سيكون الرجل الواحد تاجراً، مشرِّعاً، ومقاتلاً، كلاً في شخص واحد، أعتقد أنك ستوافقني القول آنئذ أن هذا التبادل وهذا التطفل للواحد في عمل الآخر يكون فيه خراب الدولة.

كلوكون: الأكثر حقيقة.

سقراط: رأينا وجود ثلاث طبقات متمايزة إذن، وأي تطفل للواحدة على الأخرى، أو أي دمج للواحدة في الأخرى، هو الأذى الأكبر للدولة، ويمكن تسميته، بشكل أصح، عملاً شريراً.

كلوكون: بالضبط.

سقراط: وعمل الشرّ لمدينة الإنسان بالدرجة الأكبر، ستسميه ظلماً.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: هذا هو الظلم إذن. وفي وجه آخر، عندما تعمل كل الطبقات الرئيسيَّة الثلاث عملها، وهي التجار، والمساعدون، والحماة، فسيكون ذلك هو العدل، وسيجعل المدينة عادلة.

كلوكون: أوافق معك.

سقراط: لسنا واثقين من أنفسنا أكثر مما ينبغي حتّى الآن، لكن إذا تحققنا، بالتجربة، من هذا التصور للعدل، في الفرد كما في الدولة، فلا مكان للشّكّ بعد ذلك. أما إذا لم يؤكّد هذا التصور، علينا أن نبدأ البحث من جديد. دعنا ننهي استقصاءَنا القديم الذي بدأناه أوّلاً، وكما تتذكّر، قد كنا تحت الانطباع أننا إذا تمكّنّا من اختبار العدل بمقياس أكبر في السابق، فسيكون تبيانه في الفرد أقل صعوبة. يظهر أنّ المثال الأكبر هو الدولة، ولقد شيّدنا واحداً طِبقاً لذلك وكاملاً على قدر استطاعتنا، عارفين جيداً أنه سيوجد العدل في الدولة الصالحة. لندَع الاكتشاف الّذي حقّقناه الآن ينطبق على الفرد ـ إذا وافقوا، سنكون قانعين بعدها؛ أما إذا اختلف الحال عند الأفراد فسنعود إلى الدولة ونحاول تجربة النظريَّة مرّة أخرى. وعندما يحتك الإثنان ببعضهما يمكن لاحتكاكهما أن يشعل نور العدل الذي نقدر منه أن نوقد لهباً في أرواحنا على الدوام.

كلوكون: دعنا نفعل كما تقول، وسيكون ذلك بطريقة منتظمة.

سقراط: سأسألك، يا كلوكون، عندما يدعى شيئان، كبير وصغير بالاسم عينه، أيكونان متشابهين أو غير متشابهين في هذا الحدّ وكما يدعيان بالشيء عينه؟

كلوكون: إنهما متشابهان.

سقراط: وإذا اعتبرنا فكرة العدل فقط، سيكون الإنسان العادل إذن شبيهاً بالدّولة العادلة؟

كلوكون: صحيح.

سقراط: واعتقدنا أنّ الدولة ستكون عادلة، عندما تُتمّ الطبقات الثلاث عملها الخاص، كلاً بمفردها في الدولة؛ واعتقدنا أيضاً أنها تكون معتدلة وشجاعة وعاقلة بسبب نوعيّات وتأثيرات معيّنة للطبقات تلك عينها؟

كلوكون: حقاً.

سقراط: وهكذا الفرد. يمكننا الإفتراض أنه يملك المبادىء الثلاثة عينها في روحه والتي وجدت في الدولة؛ ويمكن وصفه بالعبارات عينها بحق لأنه يكون متأثراً بالطريقة عينها؟

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: لقد طرحنا من قبل سؤالاً سهلاً، يا صديقي، مرّة ثانية، وهو ما إذا كانت الروح تمتلك تلك المبادىء الثلاثة أم لا؟

كلوكون: هل هذا السؤال سهل؟ على الأصح أنه ليس كذلك، يا سقراط. فالمثل يقول: إنّ الخير صعب.

سقراط: حقيقي تماماً، ويجب عليّ أن أخلّف فيك انطباعاً قوياً، يا كلوكون، وهو أن مناهجنا في الحوار حاضراً لا تفي بالحل الدقيق لهذا السؤال مطلقاً في رأيي، وأنّ المنهج الحقيقي هو شيء آخر بعيد المدى.

كلوكون: أيمكننا أن لا نكون قانعين بذلك؟ إنني قانع تماماً، تحت هذه الظروف.

سقراط: سأكون قانعاً جداً إلى أبعد حدّ.

كلوكون: لا تتردد في متابعة التأملات إذن.

سقراط: ألا يجب أن نعترف بحكم الظروف، أنه يوجد في كلٍ منا المبادىء

والعادات عينها الموجودة في الدولة لأنها استمدتها من الفرد؟ لنأخذ نوعيّة الشهوة أو النفس. إنّه لمضحك أن نتصوّر بأن هذه النوعيّة، عند وجودها في الدولة، ليست مُستمدَّةً من الأفراد الّذين يُفترض أن يمتلكوها. وكمثل، التريقيّون، والسكيثيون، والأمم الشماليّة بوجه عام. ويمكن قول الشيء عينه عن حب المعرفة، الذي يمكن المطالبة به كشخصية مميّزة لهذا الجزء من العالم الخاصّ بنا، أي الهيليني، أو حب المال الذي يمكن أن ننسبه للفينيقيّين والمصريّين، بحقيقة متساوية.

كلوكون: هكذا بالضبط.

سقراط: إن هذه لحقيقة ولا صعوبة في إدراكها.

كلوكون: لا، على الإطلاق.

سقراط: لكن السؤال ليس سهلاً عندما نتقدم ونسأل ما إذا كانت تلك المبادىء ثلاثة أو واحدة، وما إذا كنّا، يقال ذلك، نتعلم بجزء واحد من طبيعتنا، وأننا في خصام مع الجزء الآخر ونرغب إشباع شهيّاتنا الطّبيعيّة في الجزء الثالث؛ وما إذا كانت الروح تأتي كلها لتلعب في كل نوعٍ من أنواع الأداء. كي نقرّر ذلك فهنا الصعوبة.

كلوكون: نعم، هناك تكمن الصعوبة.

سقراط: دعنا نحاول الآن إذن ونقرّر إن كانت الشيء عينه أو مختلفة.

كلوكون: كيف؟

سقراط: لا يقدر الشيء عينه أن يفعل بوضوح، أو أن يكون مفعولاً به في الجزء عينه، أو في النسبة للشيء عينه في الوقت عينه، في طرق مضادّة. ولذلك عندما تحدث هذه المتضادات في الأشياء، ستكون متشابهة ظاهريّاً. نحن نعرف أنها ليست متشابهة حقاً بل مختلفة.

كلوكون: جيد.

سقراط: كمثال، أيقدر الشيء عينه أن يكون في سكون وفي حركة في الوقت عينه وفي الجزء عينه؟

كلوكون: مستحيل.

سقراط: دعنا نحوز الآن كما في الماضي، فهما أكثر دقة، خشية أن نسقط فيما بعد على الطريق. تصوّر حالة رجل يكون واقفاً ومحركاً يديه ورأسه أيضاً، وافترض شخصاً يقول إنّ واحداً والشيء عينه يكون متحركاً وساكناً في اللحظة عينها. سنعترض على هذا الأسلوب في الكلام ونفضّل القول إن جزءاً واحداً منه يكون في حركة، بينما يكون الآخر ساكناً.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: وافترض أنّ المعترض سيمحص فيما أبعد من ذلك ويرسم التمييز الحسن عندما يقول، إنّه ليس الأجزاء العليا هي في حركة وسكون في الوقت عينه فقط، بل كل ما هو علوي عندما تدور وأوتادها ثابتة في موضعها (ويمكنه أن يقول الشيء عينه عن كل شيء يدور على مركزه في الموضع عينه). غير أننا لا يمكن أن نقبل اعتراضه، لأن الأشياء، في حالات كهذه، لا تكون في سكون وفي حركة في ذات الأجزاء عينها؛ ونفضّل أن نقول إنّ كلاً منها له محورّ ومحيط؛ وإنّ المحور يقف ساكناً، لأنه لا يوجد انحراف من الخط العامودي؛ وإنّ المحيط ينطلق دائريّاً. لكن إذا مال المحوران إمّا يميناً أو شمالاً، إلى الأمام أو إلى الخلف، بينما يدوران على مركزيهما، فلا يمكنهما أن يكونا ساكنين حينئذ بأي وجهة نظر.

كلوكون: ذلك هو الأسلوب الصحيح في وصفهما.

سقراط: لن تربكنا إذن، أي من تلك الاعتراضات أو تزحزح اعتقادنا بأن الشّيء عينه يمكنه أن يكون في الوقت عينه، في الجزء عينه، أو بالنسبة إلى الشّيء عينه، مُناقِضاً، أو يفعل أو أن يكون مفعولاً فيه بطرق متناقضة.

كلوكون: لا بالتأكيد، طبقاً لطريقتي في التفكير.

سقراط: ويمكن أن لا نضطرّ، مع ذلك، لاختبار كل تلك الاعتراضات، وأن نبرهن بعد مدّة أنها ليست اعتراضات حقيقية. دعنا نحسب عدم جدّيتها، وإذا كان هذا الحسبان باطلاً، ستُسحب كل الاحتمالات التي تلي.

كلوكون: نعم، وسيكون ذلك أفضل الطرق.

سقراط: حسناً، ألن تسمح للوفاق والخلاف، للقبول والامتناع، والجذب والدرء، في أن تكون كلها متضادات، سواء اعتبرناها فاعلة أو مفعولاً بها (ذلك لا يُحدث أي خلاف في حقيقة تضادها؟)

كلوكون: نعم، إنها لمتضادات.

سقراط: حسناً، أما الجوع والعطش، وكل المرامات بشكل عام، والإرادة والرغبة مرة ثانية، ستحيل كل تلك الأشياء إلى الطبقات التي ذكرناها سابقاً. ستقول: ألن تفعل ذلك؟ إن روح من يرغب إما أن تفتش عن هدف المرام أو تجذب إليها الشيء الذي ترغب امتلاكه؛ أو مرّة ثانية، يمكن أنها قبلت ببعض الشيء الذي قدّم لها لا غير - أو أنها عزت لرغباتها لتمتلكها بتنكيس الرأس كعلامة الرّضا، وكأنها قد سُئلت سؤالاً.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: وماذا ستقول عن الإكراه والكراهية، وعن غياب الرغبات؟ ألن تحيل تلك الأشياء إلى الطّبقة المضادّة للدّرء والرّفض؟

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: نعترف بأن هذا هو الرّغبة الحقيقية بشكل عامّ، دعنا نفترض نوعاً خاصاً من الرّغبات، وسنختار من بينها الجوع والعطش، كما يُدعيان، واللذين هما أكثر وضوحاً.

كلوكون: دعنا نأخذ تلك الطبقة.

سقراط: إن هدف الأول الغذاء، وهدف الآخر الشراب.

كلوكون: نعم.

سقراط: وتأتي النقطة الرئيسيّة هنا: أليس العطش رغبة تملكها الروح للشرب، وللشرب فقط، وليس شرباً مؤهّلاً بأي شيء آخر؟ كمثال، الحار والبارد، أو الكثير والقليل، أو في كلمة، شرباً من أي نوع خاص. لكن إذا وُجد حرّ مضاف إلى العطش فسيحضر معه رغبة الشّرب البارد؛ أو إذا كان بارداً فحينها الشرب الحار. وإذا كان العطش مؤهلاً بالوفرة والقلّة، فسيصبح، مرّة ثانية، رغبة لكثرة أو قلة الشّرب البسيط الصافي الذي هو الإرضاء الطّبيعي للعطش، كما هو الغذاء للجوع.

كلوكون: نعم، إن الرغبة البسيطة، كما تقول، هي في كل حالة من مقومات الهدف البسيط، والرّغبة المؤهّلة للهدف المؤهّل.

سقراط: لكن يمكن أن تنشأ هنا البلبلة؛ وسأرغب بالحماية ضد خصمٍ سيبدأ القول بأنّ الإنسان لا يرغب الشّرب فقط، بل الشّرب الطّيّب، أو الغذاء فقط، بل الغذاء الطّيّب، لأنّ الطّيبة هي الهدف العالمي للرغبة. وإذا كان العطش رغبة، فسيكون بالضّرورة عطشاً وراء الشّرب الطّيّب (أو كيفما يكون هدفه)؛ ويكون الشّيء ذاته حقيقياً لكل رغبة أخرى.

كلوكون: نعم، قد يتكلم الخصْم كلاماً ذا معنى.

سقراط: سأبقى متمسّكاً مع ذلك بأنّ النّسب لديها نوعية ملحقة إلى احد عبارة النّسابة؛ بينما تكون الأخرى بسيطة ولديها علاقاتها البسيطة المتبادلة.

كلوكون: لا أعرف ما تعني.

سقراط: حسناً، تعرف أنت طبعاً أنّ الأكبر هو نسيبٌ للأقل.

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: والأكبر كِبَراً للأكثر قِلّة.

كلوكون: نعم.

سقراط: والأكثر وقتاً ما للأقل وقتاً ما، والأكثر ليكون للأقلّ.

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: وهكذا للأكثر والأقلّ، وللعبارات الارتباطيّة الأخرى، كالضعف والنصف، أو مرّة ثانية، الأثقل والأخف، الأسرع والأبطأ؛ وعن الحرّ والبرد، وأيّة نِسَبٍ أخرى. أليست هذه حقيقة جميعها؟

كلوكون: نعم.

سقراط: أولاً يُعَدُّ المبدأ نفسه في العلوم؟ إن غرض العلم المعرفة (مُفترضاً أن يكون ذلك التعريف الحقيقي). لكن، غرض العلم الخاص هو نوع خاص من أنواع المعرفة؛ أعني كمثال، أن علم بناء البيت هو نوع من المعرفة التي تكون محدَّدة ومميَّزة عن باقي الأنواع والتي تُسمَّى الهندسة المعماريَّة.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: لأنّها تمتلك نوعية خاصة لا تمتلكها الأنواع الأخرى.

كلوكون: نعم.

سقراط: ستفهم معناي الأصلي فيما قلت عن النِّسب الآن، إذا كنت قد جعلت نفسي واضحاً. لقد كان معناي، إذا أخذت عبارة واحدة من النِّسب بمفردها، تؤخذ الأخرى بمفردها؛ وإذا كانت عبارة واحدة مؤهَّلة، فتكون الأخرى مؤهَّلة أيضاً. لا أعني القول إن العبارات النسبية يجب أن تمتلك جميعها النوعيات عينها كنسبها؛ وإن علم الصِّحة يكون صحّياً، أو إنّ للمرض مريضاً بالضّرورة، أو إنّ علوم الخير والشّرّ هي لذلك خيّرة وشرّيرة؛ لكن عندما لا تكون عبارة العلم مستعلمة بعد اليوم كليّة، بل لديها غرض مؤهَّل يكون في هذه الحالة طبيعة الصحة والمرض، ستصبح مُعرَّفة، وتسمى من ثمّ ليس مجرَّد علم، بل علم الطب.

كلوكون: أفهمك تماماً، وأفكر كما تفعل.

سقراط: ألن تقول إن العطش هو واحد من تلك العبارات النسبية الضّرورية، له نسبة بجلاء؟

كلوكون: نعم، إن العطش له نسبة إلى الشُّرب.

سقراط: ويكون نوعٌ معين من العطش نسبياً إلى نوع معين من الشُّرب. لكنّ العطش، مأخوذاً بمفرده، لا يكون كثيراً ولا قليلاً، لا صالحاً ولا طالحاً، ولا أيّ نوع خاص للشّرب، بل للشّرب فقط.

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: وترغب روح العطشان للشرب إذن فقط، بقدر ما هي عطشى، لذلك هي تتوق، ولأجله تكافح.

كلوكون: إن ذلك لواضح.

سقراط: وإذا افترضت شيئاً ما يُبْعِدُ الرّوح العطشى عن الشرب، فيجب أن يكون ذلك مغايراً لمبدأ العطش، والذي يدفعها لتشرب كالحيوان؛ لا يقدر الشّيء عينه أن يفعل في طرق متضادة في الوقت عينه مع الجزء عينه وبنفسه عن الشيء عينه، كما سبق وقلنا.

كلوكون: مستحيل.

سقراط: ليس أكثر من إمكانك أن تقول إن يَدَي الرامي تدفع وتسحب القوس في الوقت عينه، ولكن ما تقوله هو إن اليد الواحدة تدفع والأخرى تسحب.

كلوكون: هكذا بالضبط.

سقراط: أيوجد الآن وقت عندما يكون الرجال عطاشاً وممتنعين عن أن يشربوا مع ذلك.

كلوكون: سأقول هكذا.

سقراط: وأن الامتناع مشتقٌّ من التعقل في حالات كهذه، مع أنّ البواعث التي تقود وتجذب تنطلق من الشّهوات والأمراض.

كلوكون: بوضوح.

سقراط: يمكننا أن نفترض بعدل أنهما مبدآن اثنان إذن، وأن كلاً منهما يختلف عن الآخر. فالذي يتعقل به الإنسان، نقدر أن نسمّيه المبدأ العقلاني في الروح، أما المبدأ الآخر الذي به يحب الإنسان ويجوع ويعطش ويشعر بهياج أيّة رغبة أخرى، فيمكن تسميته المبدأ اللاّعقلاني في الرّوح أو الشّهواني حليف اللّذات والترضيات المنوعة.

كلوكون: نعم، يمكننا أن نفترض بعدل كونهما مبدأين مختلفين.

سقراط: هذا هو الحد إذن، لتعريف المبدأين الموجودين في الروح، فماذا الآن عن الشهوة، أو النفس؟ أهي ثالثة، أو مجانسة لمبدأ واحد قد سبق؟

كلوكون: سأميل لأقول مجانسة للرغبة.

سقراط: حسناً! هناك قصّة أتذكّر أنّني سمعتها وإنا أوليها ثقتي. القصة هي أن ليونثيوس، بن أكلايون، وبينما كان صاعداً ذات يوم من البيريوس، لاحظ بعض الأجسام الميتة تحت الحائط الشّمالي وخارجه متمدّدة على الأرض في مكان إعدامها. شعر بالرّغبة لرؤيتها. تصارع مع نفسه لبعض الوقت وغطّى عينيه أيضاً خوفاً ورُعباً منها. لكن تغلّبت الرغبة عليه مع الوقت، ففتح عينيه بقوّة وركض نحو الأجسام الميتة قائلاً: أنظر أيّها الشقي، إمتلىء من هذا المنظر الجميل.

كلوكون: سمعت القصّة بنفسي.

سقراط: مغزى القصّة هو أنّ الغضب يحارب الرغبة بعض الأوقات، وكأنهما شيئان متمايزان.

كلوكون: نعم؛ ذلك هو المعنى.

سقراط: أولاً توجد حالات أخرى متعددة نراقب فيها عندما تسود رغبات الإنسان بعنف على عقلانيته. إنه يشتُمُ نفسه ويكون غاضباً من العنف الموجود فيه،

وتكون نفسه هنا بجانب عقله في هذا الصّراع الذي يكون مشابهاً لصراع الأطراف في الدولة. لكنّ جِدّة الطّبع أو العز النّفسي يأخذ جانب الرّغبات عندما يصمّم العقل على عدم معارضتها، وإن هذا هو نوع من الشيء الذي أعتقد بأنك لم تراقبه حادثاً في نفسك مطلقاً، ولا كما أعتقد، في أي شخص آخر.

كلوكون: إنني لا أعتقد بأنّنا نسينا.

سقراط: يجب أن ندوّن في ذاكرتنا الآن أنّ الفرد الذي تؤدي عناصرُه المتعدّدةُ عملَها الخاص سيكون عادلاً، وسيعمل عمله الخاص به.

كلوكون: حقاً.

سقراط: ولكن عندما يظنُّ الرجل أنّه يقاسي الخطأ، فإنّ النفس تغلي وتتهيّج عندئذ في داخله وتكون بجانب ذلك الذي تعتقده عدلاً؛ ومع ذلك، عندما تقاسي الجوع أو البرد أو الآلام الأخرى، فهي أكثر تصميماً على المثابرة والغلبة فقط. إنّ نفساً نبيلة كهذه لن تُقمع حتى تحقّق غرضها أو تُذبح، أو حتى تُنادى من قبل العقل الداخلي، كالكلب الذي يناديه الراعي.

كلوكون: إن التصّوير تامٌّ، وكما كنا قائلين، سيكون المساعدون في دولتنا كالكلاب، وسيسمعون صوت الحكّام الذين هم رُعاتهم.

سقراط: نعم، إنك تفهمني بروعة؛ توجد نقطة مهمة، على كل حال أرغب أن تتبصّر فيها.

كلوكون: ما هي النّقطة؟

سقراط: هل تتذكّر أنّ الشهوة أو النفس ظهرت في النظرة الأولى وكأنها نوع من الرغبة؟ لكن سنقول العكس تماماً الآن؛ ففي تصادم الرّوح وقفت النّفس إلى جانب المبدأ العقلي.

كلوكون: بالتّأكيد الأكثر.

سقراط: لكن يتبادر سؤال أبعد: هل الشّهوة مختلفة عن العقل أيضاً، أو أنها نوعٌ من العقل فقط، واللذان سيكونان مبدأين في الروح، بدلاً من ثلاثة. في الحالة الأخيرة، وهذان المبدآن هما العقليّ والشّهوانيّ؟ أو بالأحرى، إذا ما كانت الدولة مؤلفة من طبقات ثلاث: التجار، المساعدين، والمستشارين، فلا يمكن لروح الفرد أن يوجد فيها عنصُر ثالث والذي هو الشهوة أو النفس التي إذا لم تفسد بالتعليم السيّىء ستكون المساعدة الطبيعيّة للعقل.

كلوكون: نعم، يجب أن يكون هناك مبدأ ثالث.

سقراط: نعم، إذا بدت الشهوة التي أبنّاها، أنّها مغايرة للرغبة، فهي مغايرة للعقل أيضاً.

كلوكون: ذلك سهل الإيضاح. يمكننا أن نلاحظ في الأطفال الصّغار بأنّهم ممتلئون نفساً حالما يولدون تقريباً، بينما لا يظهر بعضهم أنّ بإمكانهم استعمال العقل أبداً، وأكثرهم متأخرون في هذا المجال بما فيه الكفاية.

سقراط: ممتاز، ويمكنك أن ترى الشّهوة في الحيوانات المتوحّشة بالتساوي. إنّ هذا برهان أبعد لحقيقة ما تقول. يمكننا الالتجاء لكلمات هوميروس مرّة ثانية، والتي أنزلناها مسبقاً: « لطم صدره، وهكذا زجر قلبه »[٦٠] نهوميروس، افترض بوضوح في هذا المقطع، القوة التي تعقل الأفضل والأسوأ كونهما مغايرَين للغضب اللاعقلي الذي يكون مزجوراً به.

كلوكون: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وهكذا، وصلنا إلى شط الأمان، بعد كثير دفع، ونحن متفقون أنّ المبادىء عينها الموجودة في الدولة توجد في الفرد أيضاً، وأنها ثلاثة في العدد.

كلوكون: بالضبط.

سقراط: ألا يجب أن نستنتج إذن أنّ الفرد يكون عاقلاً بالطريقة عينها وبفضيلة النّوعية عينها التي تجعل الدولة عاقلة؟

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: وتكون الدولة شجاعة أيضاً بالطريقة عينها والنوعية عينها كما يكون الفرد الشّجاع، وأنها توجد العلاقة عينها في اعتبار الفضائل الأخرى؟

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: سنعترف لذلك أنّ الفرد سيكون عادلاً بالطريقة عينها التي وجدنا الدولة فيها كونها عادلة.

كلوكون: هذا تحصيل حاصل.

سقراط: لا نقدر إلاّ أن نتذكّر أنّ عدل الدولة يكمن في كلٍّ من الطبقات الثّلاث فاعلاً نفس عمل طبقته الخاصة.

كلوكون: نعم، يجب أن ندوّن تلك الحقيقة الهامّة.

سقراط: وإنها حقيقة صائبة للمبدأ العقلاني أوّلاً الذي يكون عاقلاً ويملك العناية بمجمل الرّوح كي يحكم، ولتكون النفس التابع له والحليف.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وكما كنا قائلين، سيحضرهما مزج الموسيقى والرياضة للتوافق، مقوياً عصب العقل وعاضداً له بالكلمات والدّروس النّبيلة، ومعدّلاً وملطفاً ومهذباً الشّهوات بالتناسب واللحن.

كلوكون: حقيقي بالتمام.

سقراط: إن هذين المبدأين الإثنين، هكذا هما مربّيان ومثقفان، ولقد تعلّما ليعرفا وظائفهما الخاصة بحقّ، سيحكمان فوق المبدأ الشهواني الذي يكون في كل منّا الجزء الأكبر من الروح والأكثر شراهة للربح بالطبيعة. إنهما سيبقيان يحرسان فوق هذا، مخافة أن يتشمّعا بملذات الجسد الممتلئة قوة وعظمة، كما تسمّى. أمّا الروح الشّبقة فلن تبقى محصورة بمجالها الخاصّ بعد اليوم، وستحاول أن تستبعد وتحكم أولئك الذين ليسوا رعاياها بالولادة الطبيعيّة وتخرّب حياة الإنسان ككل.

كلوكون: حقاً.

سقراط: وأن الإنسان الفرد يعتبر شجاعاً كذلك بالإشارة إلى النفس لأنّ روحه تضبط في اللّذّة كما في الألم أوامر العقل فيما يجب أن يخافه وفي ما لا يجب.

كلوكون: صدقاً.

سقراط: وأننا نسميه عاقلاً علىٰ حساب ذلك الجزء الصّغير الذي يحكم، والذي ينادي بتلك الأوامر؛ الجزء الذي تقع فيه معرفة ما هو لمنفعة كلٍّ من الأجزاء الثلاثة منفعة الجميع.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: أوَلَن تقول بأنّه يكون معتدلاً مَنْ يملك تلك العناصر نفسها في تناسب حُبِّيّ، يكون المبدأ العقلاني الأوحد الحاكم فيه، والإثنان التابعان للنفس والرغبة يتفقان بالتساوي، أنّ العقل يجب أن يحكم وهما لن يعصياه؟

كلوكون: بالتّأكيد، إنّه تقرير دقيق عن الاعتدال، أكان في الدولة أو الفرد.

سقراط: وسيكون الإنسان عادلاً بتلك الطريقة في النهاية، وبتلك النوعية التي ذكرناها غالباً.

كلوكون: إنّ ذلك لأكيدٌ تماماً.

سقراط: أو يكون العدل مُعتِماً في الفرد، وشكله متباين، أو أنّه هو عينه الذي وجدناه كائناً في الدولة؟

كلوكون: لا فرق في رأيي.

سقراط: إذ لو بقي في عقولنا أيّ شكّ، فستقنعنا عدة أدلّة عاديّة بصحة ما أقول.

كلوكون: ما نوع الأدلّة التي تَعني؟

سقراط: إذا وُضِعت لنا الحالة، أفلا يجب أن نعترف أنّ الدولة العادلة، أو الإنسان المشابه لطبيعتها الذي تدرّب في مبادىء دولةٍ كهذه، سيكون الأقل احتمالاً

من الإنسان الظالم كي ينفق وديعة الذهب أو الفضّة؟ أيمكن لأيّ شخص أن ينكر ذلك؟

كلوكون: لا أحَد.

سقراط: أسَيتَوَرَّط إنسان كهذا في تدنيس الأشياء المقدّسة أو في السرقة أو الخيانة إما لأصدقائه أو لبلاده؟

كلوكون: أبداً.

سقراط: ولن يفضّ الثقة أبداً، ولأي سبب كان، حيث وجود الأَيمان بالاتفاقات؟

كلوكون: مستحيل.

سقراط: وهو أقلّ الناس اقترافاً للزنى، وإهمالاً لأبويه، وتقصيراً في واجباته الدينيّة؟

كلوكون: صحيح.

سقراط: ويكون سبب كل هذا أنَّ كلَّ جزء منه يتمّم عمله الخاصّ سواء كان حاكماً أو محكوماً.

كلوكون: هكذا بالضبط.

سقراط: وهل أنت مقتنع إذن أنّ النّوعيّة التي تخلق هكذا رجالاً وهكذا دولاً، هي العدل، أو تأمل أن تكتشف بعضاً آخر؟

كلوكون: لست أنا، حقّاً.

سقراط: لقد تحقق حلمنا إذن، ويجب أن تكون قوة إلهيّة ما قد أزالت الشكّ الذي عبّرنا عنه في بداية عملنا الباني وأوصلتنا إلى شكل العدل الأوّلي الذي تثبّت الآن.

كلوكون: بوضوح.

سقراط: وكان العدل كهذا الذي كنا واصفين في الحقيقة، موجوداً ومهتماً مع ذلك، ليس بشؤون الإنسان الخارجيّة، بل بالعلاقة الداخليّة، الذي يكون هو نفسه مهتماً بها حقيقة أكثر لأن الرّجل العادل لن يسمح للعناصر المتعددة

في داخله أن تتداخل الواحدة منها مع الأخرى، أو أن يعمل أيٌّ منها عمل الآخر. هو يدخل النظام لحياته الداخليّة ويكون سيّدَ نفسه وقوانينه وفي سلام مع نفسه. وعندما يربط المبادىء الثلاثة التي في داخله معاً، والتي يمكن مقارنتها بالأعلى، الأدنى، والأوسط لغلامات الميزان، أي يكون وسطاً بينها - عندما يربط كل تلك العناصر جميعاً، ولا تُعدُّ متعدّدة، بل تصبح واحدة بالكليّة، ذات طبيعة معتدلة ومرتبة تماماً، سيتقدم ليفعل ما يريد آنئذ، أكان في المسائل العقاريّة أو في معاملة الجسد أو في بعض الشؤون السّياسيّة والأعمال الخاصّة. يفكّر ويسمّي دائماً، الذي يحفظ ويتعاون بهذه الحالة التناسبيّة، لفعل الخير والعدل، للمعرفة التّي ترئسهما، وهي العقل. أمّا الذي يتلف هذه الحالة في كل وقت فسيسميه فعلاً ظالماً، والرأي الذي يرئسه جهلاً.

كلوكون: إنك قلت الحقيقية الدقيقة يا سقراط.

سقراط: جيّد جداً، وإذا كنا سنجزم أننا اكتشفنا الرّجل العادل والدّولة العادلة وطبيعة العدل في كلٍّ منها، فلن نكون بعيدين عن الحقيقة؟

كلوكون: لا، بالتأكيد.

سقراط: أيمكننا قول ذلك، إذن؟

كلوكون: دعنا نقوله.

سقراط: دعنا ننظر في الظلم الآن.

كلوكون: بوضوح.

سقراط: ألا يجب أن يكون الظّلم خصاماً ينشأ بين المبادىء الثلاثة عينها: فضولي، تداخلي، وناشىء عن جزء من الرّوح ضد الكلّ، يُصِرُّ على استلام السّلطة اللاشرعيّة، والتي خُلِقت بتابع عاصٍ ضد أمير حقيقي هو الخانع الطبيعي. ما كل هذه الحيرة والضّلال إلاّ الظلم والفسق والجبن والجهل، وباختصار، كلّ شكل للرذيلة.

كلوكون: هكذا بالضبط.

سقراط: وإن تكن طبيعة العدل والظلم معروفة، يكن إذن معنى فعلك الظلم وكونك ظالماً، أو فاعلاً بعدل مرّة ثانية، قد وضح تماماً الآن.

كلوكون: كيف ذلك؟

سقراط: ماذا، إنّها تشبه المرض والصّحّة؛ كونها في الروح ككون المرض والصّحّة في الجسد تماماً.

كلوكون: كيف ذلك؟

سقراط: إنّ ذلك الذي يكون صحّيّاً يسبّب الصحة، والذي يكون سقيماً يسبّب المرض.

كلوكون: نعم.

سقراط: الأفعال العادلة تسبّب العدل، والأفعال الظالمة تسبّب الظلم.

كلوكون: إن هذا لمؤكّد.

سقراط: أليس العدل في أجزاء الروح، هو الدستور للنظام الطّبيعي والحكومة الواحدة، وبعث الظلم ثمرة حالة الأشياء المتباينة مع النظام الطبيعي؟

كلوكون: هكذا بالضبط.

سقراط: إن الفضيلة إذن هي الصحة والجمال والوجود الحسن للرّوح، والرّذيلة هي المرض والضعف والعاهة لها.

كلوكون: حقّاً.

سقراط: وكيف سننال الفضيلة والرذيلة؟ ألا يكون ذلك بممارسة الخير والشرّ؟

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: لقد حان الوقت إذن كي نجيب على السؤال النهائي للفائدة المقارنة للعدل والظلم. أيّهما أكثر ربحاً: أن تكون عادلاً بعدل وشرف، أكانت أخلاق الشخص معروفة، أو غير معروفة، أو أن تكون ظالماً وتفعل الظلم، وأن تهرب من العقاب حين ذلك، وكما يمكن القول أن لا تتهذّب؟

كلوكون: أُصبح السؤال الآن مضحكاً في حكمي، يا سقراط. نعرف نحن أنه عندما يتفكك القوام الجسدي، فالحياة لا تعود محتملة مع أنها قد أُفعِمت بكل أنواع اللحم والشّراب، وامتلكت كلّ الثروة وكل القوّة. وهل يقدر أن يخبرنا أحد أنه عندما تكون الصحة الطبيعيّةُ لمبدأنا الحيوي فاسدةً ومقوضة، هل سيبقى امتلاك الحياة ذا قيمة للإنسان؟ وإذا سُمِحَ له كذلك أن يفعل كلّ ما يجب، ما عدا اتخاذ الخطوات كي ينال العدل والفضيلة ويهرب من الظلم والرذيلة ظانَّيْنَ كِلاهما هكذا كالذي وصفنا؟

سقراط: نعم، وكما قلت، فالسّؤال مضحك. يبقى، أنّنا ما دمنا قرب البقعة التي يمكن أن نرى منها الحقيقة في أصفى حِلَّةٍ بعيوننا، دعنا أن لا نخور في الطريق.

كلوكون: لا بالتأكيد.

سقراط: تقدَّم إلى هنا إذن وامسك بأشكال الرذيلة المتنوعة، أعني التي تملك القيمة منها في نظري للنظر بها.

كلوكون: تقدَّم، إنني أتبعك.

سقراط: يظهر أنّ الحوار وصل إلى العلو الذي يمكن للإنسان، وكما من برج المراقبة، أن ينظر إلى تحت ويرى أنّ الفضيلة واحدة، ولكنّ أشكال الرذيلة لا تحصى. هناك أربعة آحاد خاصة، وهي تستحق الملاحظة.

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: أعني، أنه يظهر وجود عدة نماذج للرّوح، كما وجود نماذج مميّزة للدولة.

كلوكون: كم عددها؟

سقراط: هناك خمسة للدولة، وخمسة للروح.

كلوكون: ما هي؟

سقراط: الأولى هي التي كنا قد وصفنا، والتي يمكن إعطاؤها أحد الإسمين، الملكيّة

أو الأرستقراطيَّة، طبقاً للحكم المُمَارَس، أكان برجل واحد مميَّز بين الطبقة الحاكمة أو بأكثر من واحد.

كلوكون: حقاً.

سقراط: ولكنني أعتبر الإسمين كمن يصف نموذجاً واحداً فقط؛ فإن كانت الحكومة في يد واحدة أو في أيدٍ متعددة، وإذا تربَّى الحكام ودربّوا بالطريقة التي افترضناها، فالقوانين الأساسيَّة للدولة لن تكون مضطَّربة.

كلوكون: من المحتمل أن لا تكون.

الكتاب الخامس

أفكار الكتاب الرئيسية

١ ـ تكوين المجتمع

٢ ـ مجتمع الحماة وتنشئته

٣ ـ مساواة المرأة بالرجل على أعلى المستويات

٤ ـ واجبات النسوة

٥ ـ مقوّمات الدولة الجيدة التنظيم

٦ ـ السعادة الحقيقية للدولة حكاماً ومرؤوسين

٧ ـ أُسس الاشتراكيّة

٨ ـ الجنود في الدولة

٩ ـ الحكم للفلاسفة، ذلك هو شرط سعادة المدن، وخلاصها من شرورها وبقائها

١٠ ـ تعريف المعرفة

١٢ ـ تعريف الرأي والجهل

١٣ ـ تعريف العدل الحق والجمال الحق

١٤ ـ محبّ الحقيقية في كل شيء هو محبّ الحكمة

١٥ ـ تعريف الوجود واللاوجود

الكتاب الخامس

سقراط: أن تكون المدينة والمجتمع كتلك النماذج هو المجتمع الذي أدعوه مجتمعاً خيّراً وحقيقياً، وأن الإنسان الخيّر والحقيقي هو النموذج عينه. وإذا كان هذا حقيقياً، فكل مجتمع آخر معابٌ وخطأ. وإذا ما كنا نعتبر تنظيم المدينة أو ترتيب روح الفرد، فعلينا أن نراقب أربعة أنواع من الأخطاء.

كلوكوّن: ما هي؟

سقراط: [كنت على وشك أن أخبره النّظام الذي تتشكل فيه الأخطاء الأربعة، والتي تظهر إليّ أنها تأتي متتابعة، عندما مدّ بوليمارخوس يده للأمام، وكان جالساً بعيداً قليلاً، خلف اديامنتوس تماماً، فأمسك الجزء الأعلى لسترته من الكتف وجذبه نحوه، ثم انحنى بنفسه للأمام هامساً شيئاً ما في أذن اديامنتوس الّذي التقطت أذناه مما قاله بضع كلمات فقط] (هل سندعه يمرّ، أو ماذا سنفعل؟).

اديامنتوس: لا بالتأكيد، [رافعاً صوته].

سقراط: من ذا الذي ترفض أن تدعه يمرّ؟

اديامنتوس: أنت.

سقراط: لماذا أكون أنا الذي لن تدعني أمرّ بشكل خاص؟

اديامنتوس: لماذا؟ لأنّنا نظن أنك كسول وتضمر خداعنا خارج الفصل كله الذي هو جزء مهمّ من القصة ككل، وتتوهم أنّنا لن نلاحظ طريقتك الهوائية في التقدم. وكما إذا كانت واضحة بنفسها لكل ذي عينين، ألا وهي مسألة النساء والرجال، مسألة أنّ « الأصدقاء يملكون كل شيء مشترك »...

سقراط: أولم أكن محقّاً، يا اديامنتوس؟

اديامنتوس: نعم، ولكن ما هو حقيقي في هذه الحالة الخاصة، كما في أية حالة أخرى، يحتاج لأن يُشرح. إذ توجد طرق متعددة يمكننا أن نعتبر فيها الأشياء مشتركة، وعليك ألا تسقط قول ما تملك في عقلك. لقد توقّعنا منك، ولفترة طويلة، أن تخبرنا عن الحياة العائلية لمواطنيك - كيف سينجبون أولاداً للعالم، وكيف سيربّونهم عندما يَصِلون، وبشكل عامّ، ماذا ستكون طبيعة هذا المجتمع للنساء والاولاد. فنحن نرى أنّ الإدارة الصحيحة أو الخاطئة لمسائل كتلك، سيكون لها تأثير كبير وسامٍ على الدولة حقاً. وبما أنك تأخذ الآن في يدك دولة أخرى قبل تقرير هذا السؤال بما فيه الكفاية، فلقد عقدنا العزم، كما سمعت، أن لا ندعك تذهب حتى تمدّنا بحسابٍ شامل عن هذا كلّه.

كلوكون: ولهذا العزم،يمكنك أن تعتبرني قائلاً « موافق ».

ثراسيماخوس: وبدون لَغَطٍ أكثر، يمكنك أن تعتبرنا جميعاً موافقين على قدم المساواة.

سقراط: أتعرفون ما أنتم فاعلون، إنكم تُغيرون عليّ بعنف. وما هذا الحوار الذي ترفعون عن الدولة! لقد اعتقدت أنني انتهيت منه بقناعة، وفكرت مليّاً كم كنت محظوظاً بقبولكم لِمَا قلته آنئذ. أمّا الآن فتسألونني لأبدأ مرة ثانية من القواعد الأساسيّة، متجاهلين أيَّ وكر دبابير كلاميٍّ تثيرون، إنما عنيت إسقاط هذا البحث لأنني تنبأت كم قد يكون ذلك مزعجاً.

ثراسيماخوس: لأيِّ غرض تتصوّر أنك أتيت هنا؟ لتبحث عن الذهب، أو لتسمعنا حديثاً.

سقراط: نعم، لكنّ للحديث حدوداً.

كلوكون: نعم، يا سقراط، والحياة كلها هي الحدود الدنيا التي سيعيّنها الرجال

العقلاء فقط لسماع حديث كهذا. لكن لا تقلق لأجلنا مطلقاً؛ تشجَّع وأجب بطريقتك الخاصة على سؤال: ما هو نوع مجتمع النساء والأولاد الذي سيسود بين حماتنا؟ وماذا عن الغذاء العام للرضَّع في الفترة ما بين الولادة والتعليم؟ يبدو هذا وكأنه الجزء الأكثر مشقة في التصميم، وعليك أن تحاول شرح كيفيّة إدارة ذلك.

سقراط: نعم، يا صديقي السّاذج، لكن السؤال هو عكس السّهل؛ وسترتفع شكوك عديدة وكثيرة عن هذا أكثر من الشكوك عن استنتاجاتنا السابقة. إن الشيء العملي للذي قلناه سيصبح أمراً مشكوكاً فيه؛ ويمكننا أن نستشعر شكاً من نوع آخر. أمّا إذا كان هذا المخطّط عملياً أبداً، فسيكون للأفضل. من هنا أشعر بمعارضة لأتقدم نحو هذا الموضوع، خشية أن تنقلب تطلّعاتنا، يا صديقي العزيز، لتكون حلماً فقط.

كلوكون: لا تخف، فلن يكون أتباعك قساةً عليك؛ وليسوا هم بمشككين أو عدائيين.

سقراط: يا صديقي العزيز، أفترض أنك تعني تشجيعي بتلك الكلمات.

كلوكون: نعم.

سقراط: دعني أقول لك أنك بذلك تفعل العكس تماماً؛ ولسوف يكون التشجيع الذي تقدمه، كله حسناً جداً إذا كنت أنا واثقاً من أنني أعرف ذلك الذي تكلّمت عنه كي أعلن الحقيقة عن مسائل ذات فائدة سامية يكرّمها الرجال ويحبّونها. ويوجد بين الرجال العقلاء مَن يُتيَّم بها، ويحتاج الإنسان إلى مناسبة لا يكون في عقله حينها مكان للتملّق والخوف. أما أن تواصل الحوار عندما تكون متسائلاً متردّداً فقط، وهذه حالتي، فإنه لشيء خطير ومتقلقل. وليس الخطر أنني سأكون موضع هُزء (وهذا خوف صبياني) لكن الخوف هو أنني سأفتقد الحقيقة في حين أحتاج لأن أكون متأكّداً كثيراً من موطىء

قدميّ كي لا أتعثر، وسأجرّ أصدقائي بالتالي خلفي في عثرتي، وإني أُصلّي لناماسيس[٦١] أن لا تنتقد الكلمات التي أتفوّه بها. وأعتقد حقاً أنّ كوني قاتِلا مكرهاً لهو أقل إجراماً من أن أكون مخادعاً عن مجتمعات نبيلة وخيّرة وعادلة. وهذه مخاطرة أحب أن أجازف بها بين الأعداء وليس بين الأصدقاء. وهكذا يكون تشجيعكم ذا نوعية جيدة.

كلوكون: [ضاحكاً] حسناً إذن يا سقراط، في حال أنك سببّت أنت وحوارك لنا حيفاً خطيراً، فإنك في حِلٍّ مسبق من القتل، ولن تُعتقل كونك مخادعاً. تمسّك بالشجاعة وتكلّم.

سقراط: حسناً، يقول القانون إنّه عندما يكون الرجل في حلٍّ من التبعات باعتراف الشخص المتضرّر[٦٢] فهو مُعفىً من الإثم، وما يصح في القانون يمكن أن يكون في الحوار.

كلوكون: ولماذا ستقلق إذن؟

سقراط: حسناً، أفترض إذن، أنه يجب عليّ أن أعيد رسم خطواتي وأقول ما يجب على الأرجح أنني قد قلته سابقاً في المكان المناسب. لقد انتهت مسرحية الرجال، وأتى الآن دور النساء مناسباً بما فيه الكفاية، خاصةً بالنسبة لتصورك في التحدّي.

لا يمكن أن يوجد، في رأيي، للرجال المولودين والمثقفين كمواطنينا أيُّ حقّ في امتلاك، أو الاستفادة من النساء والأولاد، إلا إذا سلكوا الطريق التي أرسلناهم إليها واقترحنا، كما تعرف، أن نعاملهم ككلاب حراسة للقطيع.

كلوكون: حقاً.

سقراط: دعنا نَتَثبّت بتلك المقارنة في حسابنا لولادتهم وتنشئتهم، ودعنا نرى ما إذا كانت النتيجة تتطابق مع تصميمنا.

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: ما أعنيه يمكنني أن أطرحه على شكل سؤال: أيكون متوقَّعاً من كلاب الراعي الأنثويَّة أن تبقى حارسةً هي والذكور معاً؟ وأن تذهب للصّيد معهم وتتقاسم وإيَّاهم نشاطاتهم الأخرى؟ أو هل ستترك للذكور العناية الكليَّة الكاملة بالقطيع، بينما تُترك الإناث في البيت، لأنّنا نظن أنّ حمل وإرضاع جرائهن هو عمل كافٍ لهنّ؟

كلوكون: كلاّ، إنَّهنَّ سيتقاسمنَ العمل بالتساوي؛ والفرق الوحيد بينهم أن الذكور يُعتبرون الأقوى والإناث الأضعف.

سقراط: وهل بإمكاننا استعمال الحيوانات المختلفة للغرض عينه، ما لم تُربَّ وتُطعم بالطريقة عينها؟

كلوكون: لا نقدر.

سقراط: وإذا كانت النساء ستتسَلَّم واجبات الرّجال عينها، فعليهنَّ أن يتلقين التعليم عينه.

كلوكون: نعم.

سقراط: والتعليم الذي كان مختاراً للرجال، الموسيقى والرياضة.

كلوكون: نعم.

سقراط: يجب أن تتعلَّم النساء إذن الموسيقى والرياضة والتمارين العسكريَّة، ويجب معاملتهنَّ كالرجال.

كلوكون: أفترض، ذلك هو الاستدلال.

سقراط: أتوقَّع بالتمام أنّ اقتراحاتنا إذا نُفِّذت، مع كونها فريدة، يمكن أن تظهر مضحكة في عدّة نواحٍ.

كلوكون: لا شكّ فيها.

سقراط: نعم، وسيكون الشيء الأكثر إضحاكاً، منظر رؤية النساء العُراة في معهد المصارعة متمرناتٍ مع الرجال، حتى عندما يتخطَّيْنَ مرحلة الصبا. فلن

يظهرن جميلات بالتأكيد، أكثر من الرجال المتحمسين المتقدمين في السّن الذين يواصلون الذهاب لمعهد الرياضة بالرغم من تجاعيدهم وقبح منظرهم.

كلوكون: نعم، حقاً. وسيُظنُّ الإقتراحُ مضحكاً طبقاً للإنطباعات الحاضرة.

سقراط: لكن من الناحية الثانية، بما أننا قد صمّمنا على أن نعبّر عن آرائنا، فيجب ألاّ نخاف سخرية الظُّرفاء التي سيوجّهونها ضد هذا النّوع من التجديد؛ كيف سيتحدّثون عن بلوغ النساء لكلا الحقلين: الموسيقى والرياضة، وفوق كل ذلك تمنطقهنّ بالسلاح وركوبهنّ ظهور الخيل؟

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: وبما أننا قد ابتدأنا، يجب أن نتقدم مع ذلك للأماكن الصارمة من القانون. سنستعطف هؤلاء السّادة في الوقت عينه أن يكونوا ولو لمرّة واحدة جدّيين في حياتهم، كما سنذكرهم أنّ رأي الهيلينيين كان لوقت قريب، وهو لا يزال قائماً بين البرابرة بشكل عام، هو أن منظر الرجل العاري كان مضحكاً وخاطئاً. وعندما قدّم الكريتيّون الأوّلون وبعدهم الإسبرطيون القدامى عادة خلع الملابس أثناء التمارين الرياضيّة، فإنّ ظرفاء تلك الأيّام ربّما سخروا من هذا التجديد بشكل متساوٍ.

كلوكون: لا شكّ.

سقراط: لكن بدون شكّ عندما أظهرت الخبرة أن ترك أشياء كثيرة مكشوفة هو أفضل بكثير من تغطيتها، فإن التأثير المضحك للعين الظاهريّة تلاشى أمام ما برهن العقل أنّه الأفضل، وتم إدراك مدى غباء الإنسان، ذلك الذي يوجه سهام سخريته لأي منظر آخر عدا الحماقة والرّذيلة، أو يميل بجديّة ليزِن الجميل بأي مقياس آخر غير الذي هو الخير.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: إذن، دعنا نصل بادىء ذي بدء إلى فهم ما إذا كانت الطريقة التي

نقترحها ممكنة أم لا. دعنا نعترف أن أيّة حوارات وضعها مقدَّماً الممثلون الهزليون أو أشخاص أكثر جديَّة، هي ميَّالة أو متجهة لتُظهر ما إذا كانت الأنثى في السّلالة البشريَّة قادرة على أن تأخذ دوراً في كل أعمال الذَّكَر، أو في بعضٍ منها فقط، أو في لا شيء منها؛ ولأيٍّ طبقة يخصّص فن الحرب. إنّ تلك الطريقة ستكون أفضل طريقة لبدء البحث وستؤدّي لأدق النتائج والاستنتاج بالاحتمال.

كلوكون: سيكون ذلك الطريق هو الأفضل كثيراً.

سقراط: هل سنأخذ الجانب الآخر أولاً، ونبدأ بالحوار ضد أنفسنا؟ سيكون مركز العدو غير محميٍّ بهذه الطريقة.

كلوكون: لِمَ، لا.

سقراط: دعنا نُنطِقُ أخصامنا إذن. سيقولون: « يا سقراط، وكلوكون، إنكما لا تحتاجان العدو لإدانتكما، لأنكما أنتما أنفسكما، اعترفتما في بداية تأسيس الدولة بالمبدأ القائل بأنّ كل شخص وُجِدَ ليعمل عملاً واحداً يلائم طبيعته الخاصة » ولقد قدَّمنا اعترافاً كهذا بالتأكيد، إن لم أكن مخطئاً. « أولاً تختلف طبيعتا الرّجال والنّساء، حقاً وكثيراً جداً؟ ». وسنجيب: إنها تختلف طبعاً. سنُسأَلُ حينها: « هل الأعمال الشاقة المقرَّرة للرجال والنساء ستكون مختلفة، وكذلك التي تتوافق مع طبائعهم المختلفة؟ ». ستكون بالتأكيد. « لكن إن كانت فعلاً كذلك، ألم تقعا في تناقض ذاتي خطير بقولكما إن الرجال والنساء الذين تكون طبائعهم مختلفة بالكليَّة، يجب أن ينجزوا الأعمال نفسها؟ ». فما هو الدفاع الذي ستقدمه لنا، يا سيدي النبيل، ضدّ تلك الاعتراضات؟

كلوكون: ليس هذا بالسؤال السّهل كي نجيب عليه عندما يُسألُ فجأة؛ وإنني أستعطفك أن تستمّر بإطالة القضية إلى جانبنا.

سقراط: تلك هي الإعتراضات، يا كلوكون، وهناك اعتراضات أخرى عديدة من نفس النوع عينه، وهذه تنبأت بحدوثها منذ زمن بعيد. لقد جعلتني خائفاً وعازفاً عن الأخذ بأي قانون بشأن إمتلاك وتربية النساء والأطفال.

كلوكون: إنّ المسألة المُعدَّة للحلّ هي أي شيء غير المسألة السهلة.

سقراط: لِمَ لا؟ ولكن الحقيقة هي أنه عندما يكون الإنسان خارج وَسَطِهِ، أكان مستحِمّاً في قليل من الماء أو في وسط المحيط، عليه أن يسبح الشيء عينه.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: أولا يجب علينا أن نسبح ونحاول أن نصل إلى الشاطىء، بينما يحدونا الأمل أنّ دولفين آريون، أو أية مساعدة أخرى خارقة يمكنها أن تنقذنا؟

كلوكون: أفترض ذلك.

سقراط: حسناً إذن، دعنا نرى إذا أمكننا إيجاد أي طريق للهرب. اعترفنا نحن، ألم نفعل؟، بأنّ الطبائع المختلفة يجب أن تمتلك مساعي مختلفة، وأنّ طبائع الرّجال والنساء مختلفة. والآن ماذا نحن قائلون؟ إن الطبائع المختلفة يجب أن يكون لديها المساعي عينها، هذا هو التضارب الذي تُتَّهم به.

كلوكون: بالضبط.

سقراط: حقّاً يقيناً، يا كلوكون، كم هي رائعة قدرة فنّ النّقاش!

كلوكون: لماذا تقول هكذا؟

سقراط: لأنني أظنّ أنّ العديد من الرجال يمارسون خلاف إرادتهم. عندما يظنُّ الرّجل أنه يكون مفكّراً بينما هو في الحقيقة مناقشٌ، لأنّه لا يعرف تماماً كيف سيخوض في الموضوع، بالتمييز بين أوجهه المختلفة، ولكنّه يتعقّب بعض الاعتراضات اللفظيّة في المقالة التي صُنعت. ذلك هو الفرق بين النّفس النزوعية والبحث العادل.

كلوكون: نعم، إنه إخفاق عامّ بكل معنى الكلمة، ولكنه لا ينطبق علينا.

سقراط: نعم، حقاً؛ إذ هناك خطرٌ حقيقي في الحصول على الاعتراضات اللفظية بغير تعمُّد.

كلوكون: في أيَّة طريقة.

سقراط: لقد أصررنا على الحقيقة اللفظيَّة بشجاعة وَوَلَع، وهي أنّ الطبائع المختلفة يجب أن تمتلك مساعي مختلفة، غير أننا لم نتبصَّر مطلقاً في ما معنى الذاتي والمختلف في الطبيعة، أو لأي قصد ميَّزناها عندما خصَّصنا المساعي المختلفة للطبائع المختلفة، والذاتيَّة للطبائع الذاتيَّة.

كلوكون: لِمَ، لا، إن ذلك لم نتبصَّر به أبداً.

سقراط: يظهر أننا سنكون مخوَّلين لنتساءل عما إذا كان لا يوجد تعارض في الطّبيعة بين الرجال الصّلع والرّجال ذوي الشعر الكثيف. إذا إعترفنا بذلك، حينها، إذا كان الرجال الصُّلع أساكفة، فلسوف نمنع الرجال ذوي الشعر الكثيف أن يكونوا كذلك، والعكس هو الصحيح؟

كلوكون: ستكون تلك مسألة هزليَّة.

سقراط: نعم، مسألة هزليَّة؛ ولماذا؟ لأنَّنا لم نتكلم سابقاً عن الذاتي والمختلف في أي معنى؛ بل كنا مهتميِّن بكيفية التباين أو التشابه، أعني ذلك الذّي سيؤثّر في المسعى الذي يشغله الإنسان. كان علينا أن نحاور، كمثال، أن الطبيب الذي يكون في العقل طبيباً، يمكن القول عنه أنه يمتلك الطبيعة ذاتها.

كلوكون: حقاً.

سقراط: مع أن الطّبيب والنّجار لهما طبيعتان مختلفتان.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: إذا اتَّضح أنّ الجنس المذكَّر والمؤنث يختلفان في مناسبتهما لأي فن أو مسعى، فلسوف نقول بأنّ مسعىً كهذا أو فناً يجب أن يُخصص إلى الواحد أو الآمر منهما. أمّا إذا توقف الخلاف فقط في أنّ النّساء هنَّ للحمل

والرجال لإنجاب الأطفال، فهذا لا يثبت أنّ المرأة تختلف عن الرجل فيما يخص نوع التعليم الذي ستتلقّاه؛ ولذلك فسوف نواصل التّمسّك بأنّ حُماتنا وأزواجهم يجب أن يمتلكوا المساعي ذاتها.

كلوكون: بالحق التام.

سقراط: سنسأل خصمنا حينئذ، كي يخبرنا فقط، بخصوص المساعي أو الفنون للحياة المدنيّة التي تختلف فيها طبيعة المرأة عن تلك التي للرجل.

كلوكون: سيكون ذلك عدلاً تاماً.

سقراط: ولربّما سيُجِيب، كما فعلت للحظة مضت. لكن لن يكون سهلاً أن يعطي جواباً كافياً على الفور. ولن يجد صعوبة بعد ذلك إذا أُعطي وقتاً للتأمّل.

كلوكون: نعم، لربّما.

سقراط: إفترضْ إذن أننا سندْعو معترضاً كهذا ليشاركنا في الحوار على أمل أن نُريه أنه ما من مهنة خاصة للنساء تجعلهنّ بحاجة للتبصّر في إدارة الدولة.

كلوكون: بكلّ تأكيد.

سقراط: دعنا نقول له: تمهل، وسنسألك سؤالاً: عندما تكلمت عن الطبيعة الموهوبة وغير الموهوبة، في أيّ وجه، هل كنت تعني أن الرجل سيكتسب شيئاً ما بسهولة، وآخر بصعوبة؟ أسيكون الأول قادراً وبعد تعليم وجيز على أن يكتشف قدراً كبيراً بنفسه، بينما لا يقدر الآخر بعد التعليم الكثير والتطبيق أن يحتفظ بما تعلّم؟ أو هل عنيت أن الواحد له جسم وهو خادم مطيع لعقله، بينما يكون الجسم الآخر عائقاً لمالِكِهِ؟ أليس ذلك هو نوع المباينات التي تميّز الرجل الموهوب بالطبيعة من اللاّ موهوب؟

كلوكون: لا أحد سيكذّب ذلك.

سقراط: وهل تستطيع أن تذكر أيَّ مسعى للجنس البشري الذي لا يمتلك فيه الجنس المذكّر كل تلك المواهب والنوعيّات في درجة أعلى من الأنثى؟

أأحتاج لأن أهدر الوقت في الكلام عن فن الحياكة، وعن تحضير الفطائر وأنواع الكبيس، والتي يُظَنُّ أنّ نوع النساء له فيها بعض المهارة؟ وسيكون الشيء الأكثر إضحاكاً من كل الأشياء أن يضرب الرجل المرأة.

كلوكون: إنّك محق تماماً، في تمسّكك بأنّ أحد الجنسين يتفوق على الجنس الآخر في كل حقل تقريباً. إنّ العديد من النساء مع ذلك أرفع منزلة من عديد الرجال في أشياء متعددة. وما تقول فهو حقيقي بالإجمال.

سقراط: وإذ هكذا، يا صديقي، ليس هناك فرع إداري خاص في الدولة تشغله المرأة لأنها إمرأة، أو فرع يشغله الرجل بموجب جنسه. غير أن مواهب الطبيعة منتشرة فيهما بصورة متشابهة؛ ويمكن لكل مساعي الرجل أن تُعطى للنّساء أيضاً، غير أنّ المرأة تكون أضعف من الرجل في جميعها.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: هل سنفرض كل قوانيننا على الرجال إذن ولا نفرض واحداً منها على النّساء؟

كلوكون: ذلك غير مُجْدٍ.

سقراط: لأنّنا سنقول بأنّ المرأة يمكنها، أو لا يمكنها، أن تمتلك موهبة الشفاء؛ وأن الواحدة تكون موسيقيّة، والأخرى لا تمتلك موسيقى في طبيعتها.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: ونقدر أن نكذّب ذلك بصعوبة، وهو أن امرأة لديها ميلٌ إلى الرياضة والتمارين العسكريّة والأخرى لا تمتلكها، وأخرى لا تحبُّ الحرب وتكره الرياضة.

كلوكون: لا أعتقد.

سقراط: وتكون إمرأة فيلسوفة، وأخرى عدوّة الفلسفة؛ تملك الواحدة نَفْساً، وتكون الأخرى بدون نَفْس.

كلوكون: وإنّ تلك لحقيقة أيضاً.

سقراط: وستملك امرأة طبع الحامي، وأخرى لا، لأنّ تلك، كما تتذكّر، هي المواهب الطبيعيّة التي بحثنا عنها في اختيارنا للحُماة الذكور.

كلوكون: نعم.

سقراط: الرّجال والنساء يملكون النوعيات التي تصنع الحامي بالتطابق، غير أنهم يختلفون في مقارنة قوتها وضعفها فقط.

كلوكون: بوضوح.

سقراط: لذلك فإن هؤلاء النساء اللواتي يمتلكن نوعيّات كهذه، سيُختَرْنَ كرفاق وزملاء للرجال الذين يملكونها أيضاً، ويماثِلْنَهم في المقدرة والأخلاق.

كلوكون: يجب ذلك.

سقراط: لقد عدنا إلى النقطة السابقة إذن، وهي أنّه لا يوجد أيّ شيء غير طبيعي في اختيار الموسيقى للنساء الحماة والرياضة أيضاً.

كلوكون: لا بالتأكيد.

سقراط: وكان القانون الذي سَنَتّاهُ حينها موافقاً للطبيعة، ولذلك فهو ليس مستحيلاً ولا مجرّد تطلعات؛ إنها بالأحرى ممارسة مغايرة لتلك التي تسود حاضراً. إنّها مخالفة للطبيعة.

كلوكون: يظهر ذلك حقيقيّاً.

سقراط: كان علينا أن نعتبر أولاً، ما إذا كانت اقتراحاتنا ممكنة، وثانياً ما إذا كانت الأكثر نفعاً.

كلوكون: نعم.

سقراط: وسيأتي النّفع العظيم المحقق وسيوطّدُ.

كلوكون: هكذا تماماً.

سقراط: وستُسلّم أن التعليم عينه الذي يخلق الرجل حامياً جيداً، سيخلق المرأة حامية جيّدة؛ خاصة إذا كانت طبيعتهما الأصلية متساوية.

وكون: نعم.

سقراط: أحب أن أسألك سؤالاً.

كلوكون: ما هو؟

سقراط: هل ترى أن إنساناً هو أفضل من الآخر؟ أو تظنُّ أنّهم جميعاً متساوون؟

كلوكون: لا مطلقاً.

سقراط: وهل تصوّرت حُماتنا في الجمهوريّة التي كنا نؤسّس، والذين أنشأناهم على مثال نظامنا ليكونوا الأمثل والأكمل هم مثل الأساكفة الذين كان تعليمهم الأسكفة؟

كلوكون: ما هذا السؤال المضحك؟

سقراط: لقد أجبتني أنّ حماتنا هم أفضل من كل مواطنينا، في الحقيقة.

كلوكون: أفضل بكثير جداً.

سقراط: أوليست النساء الحاميات أفضل النساء؟

كلوكون: نعم، أفضل بكثير.

سقراط: هل هناك ما هو أفضل لفوائد الدولة من رجال ونساء دولة هم أخيارٌ في الواقع؟

كلوكون: ليس هناك أيٌّ شيء أفضل.

سقراط: وهذا ما ستكون عليه فنون الموسيقى والرياضة، وستفي بالغرض عندما تقدَّم في أسلوب كهذا الذي وصفناه.

كلوكون: حقاً.

سقراط: لندع إذن النساء الحاميات يخلعنَ ملابسهنَّ للرياضة لأن فضائلهنَّ ليست أرديتهنّ، ولندعهنَّ يسهمنَ في مشقّات الحرب وفي الدفاع عن البلاد؛ سيُعطى الأخف في توزيع العمل فقط، للنساء اللاتي يكنَّ من ذوات الطبائع الأضعف، غير أنهنَّ في النواحي الأخرى، سيتحمَّلْنَ الواجبات عينها. أما

الرجل الذي يضحك على النساءِ العاريات اللواتي يُدَرِّبْنَ أجسامهنَّ لبواعث فضلى، فضحكه ثمرة عقل غير ناضج، ويكون هو نفسه جاهلاً بما يضحك عليه، أو لماذا؛ لأن ذلك يكون، وسيكون دائماً، أفضل ما يقال، من أن النافع هو النبيل وأن الضار هو الدنيء.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: توجد إذن، صعوبة واحدة في قانوننا عن النساء، والتي يمكننا القول إنّنا تخلّصنا منها الآن، وإلاّ فإنّ التيّار كان سيبتلعنا ونحن أحياء لتشريعنا المتعلّق بُحماتنا من كلا الجنسين، وهو أنّهم سيمتلكون كلَّ مساعيهم مشتركة وستحمل المحاورة بنفسها الشّهادة المتينة على منفعة ومقدرة هذا الترتيب.

كلوكون: نعم، كانت موجة عاتية تلك التي تخلّصت منها.

سقراط: ولكن لا يمكنك أن تظنُّها هكذا مؤثِّرة، عندما ترى الآتي.

كلوكون: واصِلْ، دعني أرى.

سقراط: إن القانون الذي هو النتيجة لهذا ولكل الذي سبق وبحثناه، يكون لما سيتبع من تأثيرات. « إن كل هذه النساء ستكون مشتركة لكل الرجال من الرتبة عينها، لا أحد سيعيش معاً بالسّرّ؛ وأكثر من ذلك، فإن أطفالهم سيكونون مُشترَكِين، ولن يعرف أي من الوالد أو الوالدة ابنه الخاص، أو الإبن أباه ».

كلوكون: نعم، وستجدها أكثر صعوبة إقناع أي شخص، سواءٌ في امكانية قانونٍ كهذا أو منفعته.

سقراط: لا أعتقد، أنه يمكن أن يوجد أيّ خصام عن المنفعة الكبرى الجيدة لإمتلاك كلا النساء والأطفال بالإشتراك؛ أمّا الإمكانية فمسألة غير ذلك تماماً، وستكون موضوع نزاع كبير جداً بدون شكّ.

كلوكون: وأن كلا النقطتين هما موضوع نزاع ساخن بالتأكيد.

سقراط: إنك تضمّن أنه يجب توحيد كلا السؤالين، وآمل أنْ تعترف أنَّ الاقتراح كان مفيداً، وسأهرب من أحدها على الأقل، وسيبقى واحد حينها فقط، ألا وهو الإمكانيَّة.

كلوكون: ولكن محاولة الهرب قد اكتُشِفت، ولذلك إذا تفضَّلت بإعطاء دفاع عنهما كليهما.

سقراط: حسناً، إنّني أستسلم لقدري، فامنحني مع ذلك إحساناً قليلاً. دعني أُوَلِمْ عقلي بحُلُم، كما يكون الحالمون في النهار معتادين على إيلام أنفسهم عندما يسيرون وحيدين لأنهم قبل أن يكتشفوا أيّ أسلوب للتأثير على رغباتهم - وهذه مسألة لا تقلقهم أبداً بل على الأصح فهم لن يتعبوا أنفسهم في التفكير بالممكنات - ولكنْ متوهِّمين أن ما يرغبونه قد مُنِحَ لهم مسبقاً، فإنّهم يتقدمون بخطّتهم، فرحين بتفصيل ما يعنون فعله عندما تصبح رغباتهم حقيقية. إنَّه لهوّ سيتيح لخلق العقل الكسول أن يبقى أكسل. لقد ابتدأ اليأس يسيطر عليّ الآن. سأحبّ، بإذنك، التغاضي عن سؤال الإمكانيَّة في الوقت الحاضر آخذاً على نفسي إمكانية الاقتراح لذلك. سأتقدم الآن لأتساءَل كيف سينفِّذ الحكّام تلك الترتيبات، وسأوضح كيف أنّه إذا نُفِّذ تصميمنا، فستكون الفائدة الأكبر إحتمالاً لكلا الدولة والحماة. وإذا لم يكن لديك أي اعتراض، سأجتهد بمساعدتك إذن، وقبل كل شيء، كي تعتبر منافع هذا الإجراء المتخّذ؛ وسنسأل عن الإمكانية فيما بعد.

كون: تقدم، ليس لديّ أيّ اعتراض.

سقراط: أعتقد، بادىء ذي بدء، أن حكامنا ومساعديهم إذا ما كانوا يستحقون الإسم الذي يحملون، يجب أن يكونوا القوة الآمرة من جانب والإدارة التي تطيع في الجانب الآخر. يجب على الحماة أنفسهم أن يطيعوا القوانين، وأن يتشبَّهوا أيضاً بنفسيَّة الذين استُؤمِنوا على رعايتها والعناية بها في أي من تفصيلاتها.

كلوكون: إنّ ذلك لحق.

سقراط: وأنت، يا من تكون واضع قوانينهم، بما أنك قد اخترت الرجال، فستختار النساء وتعطيهم لبعضهم زواجاً. يجب أن تكون طبائعهم متشابهة قدر الإمكان، وعليهم أن يعيشوا مع بعضهم في بيوت مشتركة ويتقابلون في ولائم مشتركة. لا أحد منهم سيمتلك أي شيء خاص به أو بها. سيكونون معاً، وسيُربَّون معاً، ويشتركون في التمارين الرياضيّة. وهكذا سيُجذبون إلى الاختلاط كلّ بالآخر، بضرورة طبائعهم - ليست الضرورة كلمة جدّ قويّة، على ما أعتقد؟

كلوكون: نعم، ضرورة، ليست هندسيّة، وإنّما نوع آخر من الضرورة التي يعرفها المحبّون، والتي تكون الأكثر إقناعاً لمجموع الجنس البشري إلى حدٍ بعيد.

سقراط: حقاً، يا كلوكون، ولكنّنا نقدر الآن السّماح بصعوبة للاتّحادات المختلطة، أو لأيّ نوع آخر من أنواع الفوضى. ففي المدينة المكرّمة، تكون الدّعارة شيئاً غير مقدّس سيمنعها الحكّام.

كلوكون: نعم، ويجب عدم السّماح بها.

سقراط: سيكون الشيء القادم بوضوح، إذن، أن ترتّب الزواج الذي يكون طاهراً في أعلى درجة؛ وسيُعتبر طاهراً ما هو الأكثر نفعاً.

كلوكون: بالضبط.

سقراط: وكيف نستطيع أن نصنع الزواج الأكثر نفعاً؟ إنني أطرح هذا السّؤال عليك، فأنا أرى كلاباً للصّيد في بيتك، وعدداً لا يستهان به من الطيور الأكثر نبلاً. وبعدُ أتوسّل لك، أخبرني، هل حضرتَ تربيتها وقِرانها أبداً.

كلوكون: في أية خصوصيّات؟

سقراط: لماذا، ألا يبرهن بعضها أنّه أفضل من الآخر، في المقام الأول، مع أنها كلها من ذوات الأنساب الجيّدة؟

كلوكون: حقاً.

سقراط: وهل ستولِّدُ منها جميعاً بدون اكتراث، أو انك ستأخذ عناية لتولِّد من أفضلها؟

كلوكون: من الأفضل.

سقراط: من الأكبر عمراً أو من الأصغر عمراً، أو من تلك الناضجة عُمراً؟

كلوكون: من ذوات العمر الناضج.

سقراط: وإذا لم تُبذل العناية في التوليد، فإن كلابك وطيورك ستفسد بشكل عظيم.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وماذا عن الأحصنة والحيوانات بشكل عام؟ أيوجد أيّ فرق؟

كلوكون: كلا، سيكون غريباً إذا وُجِد.

سقراط: يا لخير السّماوات! يا صديقي العزيز. ما هٰذه البراعة التامة التي سيحتاجها حكّامنا إذا ثبتت المبادىء عينها للأنواع الإنسانيّة؟

كلوكون: إن المبادىء عينها ستثبت بالتّأكيد؛ لكن ماذا، أتحتوي هذه أية براعة خاصة؟

سقراط: لأن حكامنا يجب أن يتمرنوا على الذي تعود على تناول الدواء . تعرف أنت أنّه عندما لا يحتاج المرضى الدواء، بل سيوضعون تحت الغذاء المنظم فقط، فإنّ النوعيّة السُّفلى من المتعاطين مهنة الطب، ستعتبرها جيدة بما فيه الكفاية؛ أما عندما يجب إعطاء الدواء، فيجب حينئذ أن يكون الطبيب أكثر من رجل.

كلوكون: إن ذلك لحقيقي تماماً. ولكن إلامَ تلمِّح؟

سقراط: أعني، أن حكّامنا سيجدون أن جرعة مهمة من الكذب والخداع هي ضرورية لخير رعاياهم. لقد قلنا قبلاً(٦٣) إنّ استعمال كل تلك الأشياء يمكن أن تكون نافعة، باعتبارها كدواء.

كلوكون: وكنّا محقين تماماً.

سقراط: ويظهر أنّ الاستعمال القانوني لها ضروريٌّ على أيّة حال، كوننا بحاجة له غالباً في تنظيم الزواج والولادات.

كلوكون: كيف ذلك؟

سقراط: لماذا؟ لقد وُضِع هذا المبدأ مسبقاً، ألا وهو أنّ الأفضل من كلا الجنسين سيتّحِدُ مع الأفضل غالباً، والأدنى مع الأدنى نادراً، على قدر الإمكان؛ وسيحتضنون الذريّة للنوع الأول من الاتحاد ولكن ليس للآخر، إذا كنا سنُبقي على القطيع ذا نوعية من الدرجة الأولى. يجب أن تكون هذه المَجرَيات سِرّيّة والتي يعرفها الحكام فقط، كي نبقي على قطيعنا خالياً من الشّقاق، كما يمكن للحماة تسميته، وكما يجب أن يكون.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: ومن الأفضل أن نحدِّد أعياداً معيّنة سنُحضر فيها العرائس والعرسان معاً، وستقدَّم أثناءَها الأضاحي، وأناشيد الزفاف اللائقة التي ألّفها شعراؤنا. أمّا عدد عقود القران، فمسألة يجب أن نتركها لحكمة حكامنا الذين سيكون هدفهم أن يحافظوا على الرقم الإجمالي. عينه للحماة آخذين بعين الاعتبار الحروب، الأوبئة، وأيّة قوى مماثلة، كي يحولوا ما أمكنهم دون أن تكبر الدولة أو تصغر أكثر مما ينبغي.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: علينا أن نخترع نوعاً من اليانصيب المبدع ليتمكن الرجال الأقل قيمة أن يتهموا حظهم السيّء في كل مناسبة نحضرهم لها معاً بدل من اتهام الحكام.

كلوكون: لتكن متأكّداً.

سقراط: أعتقد أنه يمكن تقديم التسهيلات لشبيبتنا الأشجع والأفضل، وأن يتّصلوا

بالنساء المخصَّصة لهم، بالإضافة إلى تكريمهم ومنحهم الجوائز؛ وستكون شجاعتهم هي السبب في ذلك، ويجب أن يمتلك رجال كهؤلاء العديد من البنين قدر الإمكان.

كلوكون: حقاً.

سقراط: والضبّاط المناسبون، أكانوا ذكوراً أو إناثاً، لأن المناصب يجب أن يشغلها النساء كما الرجال ـ

كلوكون: نعم.

سقراط: سيأخذ الضبّاط المناسبون ذُرِّية الآباء الصّالحين إلى الزريبة أو الحظيرة، وسيودعونهم هناك مع ممرِّضات معيّنات يسكنَّ في حيٍّ منفرد. لكن إذا صدف أن ذريَّة الطبقة الأدنى أو الأفاضل كانت مشوَّهة، فستوضع في مكان معين غير معروف وسِرّيّ يلائمها.

كلوكون: نعم، ويجب عمل ذلك إذا ما كان نسل الحماة سيُحفظ صافياً من الشوائب.

سقراط: وسيوفِّرون لهم الغذاء، ويحضرون الأمهات إلى الحظيرة عندما يكنَّ ممتلئات حليباً، متخذين أكبر عناية ممكنة أن لا تعرف الأم ولدها. ويمكن لمرضات أخريات ممتلئات حليباً أن يشاركن في عملية الإرضاع هذه، إذا احتيج لهن. وستؤخذ العناية أيضاً في عدم تطويل عملية الإرضاع أكثر مما يُحتاج لها. ولن تستيقظ الأمّهات في الليل لإرضاع أطفالهن، وسنُبعِد عنهنَّ المشاكل بهذا الخصوص، وسيسلِّمون إلى الممرضات والمرافقين كل أنواع هذه الأشياء.

كلوكون: ستكون الأمومة، طبقاً لك، شيئاً سهلاً لهؤلاء النّساء والحماة.

سقراط: وهذا هو الشيء المناسب. دعنا نتقدم في برنامجنا مع ذلك. لقد قلنا إنّ الآباء يجب أن يكونوا في ريعان حياتهم.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: وما هو ريعان الحياة؟ ألا يمكن تحديده بفترة نهاية سن العشرين في حياة المرأة تقريباً، والثلاثين للرجل؟

كلوكون: أيّة سنوات تعني تضمينها؟

سقراط: يمكن أن تبدأ المرأة في حمل الأطفال للدولة في سن العشرين، وستواصل حملهم حتى سن الأربعين. ويمكن للرجل أن يبدأ في سن الخامسة والعشرين، عندما يكون قد تجاوز النقطة التي تنبض الحياة فيها بأقصى سرعة، وسيواصل إنجاب الأطفال حتى سنّ الخامسة والخمسين.

كلوكون: بالتأكيد، فإنّ تلك السنوات هي ربيع الحيويّة الجسديّ للرجال والنساء على حدّ سواء، بالإضافة إلى العقليّة.

سقراط: وكلّ شخص سيتجرأ على إنجاب الأطفال للجمهوريّة تحت أو فوق الأعمار التي وصفنا، فسيقال عنه إنه فعل شيئاً غير مقدّس وغير صحيح. أمّا الطفل الذي سيكون هو أباه، فسيُعتبَر تحت بشائر الخير، إذا ما انسلّ إلى الحياة، مختلفاً جداً عن التضحيات والصّلوات التي سيرفعها الكاهن والكاهنة وكل المدينة، في كل أنشودة زفاف، ليتمكن الجيل الجديد من أن يكون أفضل وأكثر نفعاً من آبائه الأخيار النافعين؛ في حين أن طفله سيكون من عَقِبِ الظلمة والشهوة الغريبة.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: وسيُطبّق القانون عينه على أيّ شخص من أولئك الداخلين في نطاق السّنّ التي وصفناها، والذي أقام صلة مع أيّة امرأة في ريعان شبابها بدون تصديق الحكّام؛ سنقول عنه أنه يربّي ابن زنا للدولة غير مكفول وغير مكرّس.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: وينطبق هذا القانون، على كل حال، على الرجال والنّساء ضمن السّنّ

المعيَّنة فقط. ومن المحتمل أن نسمح لهم بعد ذلك الطواف ساعة يشاؤون، عدا أنه لا يمكن للرجل أن يتزوَّج آبنته أو آبنة آبنته، أو أمَّه أو أمَّ أمِّه. ويُمنع النّساء، في الجانب الآخر، الزّواج من أبنائهن أو آبائهن، أو إبن إبنهن، أو جدّهن، وهكذا في كل إتجاه. وأننا نمنع كل هذا، مترافقاً مع الإذن والأنظمة الصّارمة، لمنع أي إبن رحم مرفوض يأتي إلى الوجود من رؤية النور؛ وإذا شقَّ أي منها طريقه للولادة، فيجب أن يفهم الآباء أنَّ عَقِبَ هكذا جماع لا يمكن الحفاظ عليه، وستُتخذ الاستعدادات الضرورية طبقاً لذلك.

كلوكون: ويكون إقتراح كهذا معقولاً أيضاً. لكن كيف سيعرفون من هم آباؤُهم وبناتهم، وهكذا دواليك؟

سقراط: لن يعرفوا ذلك أبداً. وهذا هو الطريق: سيدعو العريس الذي تزوَّج منذ تأريخ يوم نشيد الزفاف، كل الأطفال الذكور الذين ولِدوا في الشهر العاشر وما بعده، وفي السابع حقاً، سيدعوهم أولاده، وسيدعو الأطفال الإناث بناته، وسيدعونه هم أباً، وسيدعو أولادهم أحفاده، وسيدعون هم الجيل الأكبر سناً أجداد آبائهم وأجداد أمهاتهم. سيدعون كل الذين ولِدوا في وقت اجتماع أبائهم وأمهاتهم معاً إخوة وأخوات. وهؤلاء، كما كنت قائلاً، سيُحرَّم عليهم أن يتزاوجوا. إنّ هذا ليس تحريماً كلّيّاً لزواج الأخوة والأخوات مع ذلك، إذا حبذته الأكثرية، وإذا تلقوا مصادقة النبي البيثادي(٦٤) فإنّ القانون سيجيزه.

كلوكون: حقاً تامّاً.

سقراط: هكذا يكون المشروع، يا كلوكون، طبقاً لما سيكون عليه امتلاك حماتنا في دولتنا لأزواجهن وعائلاتهم مُشترَكين. أمّا أنت فستمتلكه الآن موطّداً بالحوار، وهو أن هذا المجتمع يكون متناغماً مع باقي نظامنا؛ ولا شيء يمكنه أن يكون أفضل من ذلك. ألن تفعل؟

كلوكون: بلى، بالتأكيد.

سقراط: وهل سنحاول إيجاد قواعد مشتركة، بسؤال أنفسنا عما يجب آن يكون هدف تشريعنا الرئيسي في صناعة القوانين؟ ما هو الخير الأعظم، وما هو الشرّ الأعظم، في تنظيم الدولة؟ ونعتبر بعدها ما إذا كان أسلوب الحياة الذي وصفناه لتوّنا له سِمَة الخير وليس سِمة الشرّ.

كلوكون: بكلّ تأكيد.

سقراط: أنقدر أن نسمّي أي شيء أكثر ضرراً للدولة من القوّة، أيّاً تكن تلك القوّة، التي تسبّب الخلاف والتفرقة حيث يجب أن تحكم الوحدة؟ أو أي خير أكثر من رباط الوحدة؟

كلوكون: لا.

سقراط: وتوجد الوحدة حيث يوجد مجتمع المسرّات والآلام، حيث كل المواطنين مسرورون أو محزونون بالدرجة عينها، على المناسبات عينها للفرح والحزن.

كلوكون: بلا شكّ.

سقراط: لكن حيث لا يوجد شعور مشترك بل خاصّ، فإنّ الدولة ستكون مختلّة النظام ومن ثمّ ستجد النصف مبتهجاً بالنّصْرِ، والآخر مغموراً في الحزن عند الأحداث عينها التي تقع للمدينة أو للمواطنين.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: تنشأ فروق كهذه عموماً في الخلاف على استعمال العبارات « خاصتي » و« ليست خاصتي »، « خاصته » و« ليست خاصته ».

كلوكون: هكذا بالضبط.

سقراط: أوليست الدولة الأفضل تنظيماً هي تلك التي يكون فيها العدد الأكبر من الأشخاص، مطبّقين عمليّاً العبارتين « خاصتي » و« ليست خاصتي » في الطريقة عينها للشّيء عينه؟

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: أوْ لذلك الذي يقترب، بشكل أكثر توثيقاً، من حالة الفرد؟ كما في الجسم، عندما يتعرَّض إصبع واحد للأذى، فالهيكل كله، منجذباً نحو الروح كمركز ومشكِّلاً مملكة واحدة تحت رئاسة القوة الداخليَّة الحاكمة، يُحسُّ بالأذى، ويتعاطف الجميع مع الجزء المصاب، ونقول إن الرجل لديه ألمٌ في إصبعه. ويُستعمل التعبير عينه عن أي جزء آخر من أجزاء الجسم الذي يملك إحساساً بالألم في المعاناة أو السرور في تلطيف المعاناة.

كلوكون: حقيقي جداً، وأتفق معك أنّه في الدولة الأفضل تنظيماً، يوجد اقتراب على نحو وثيق من هذا الشعور المشترك الذي وصفت.

سقراط: عندما يختبر أي شخص من المواطنين أي خير أو شرّ إذن، فستعتبر الدولة حالته خاصّة بها، فإما أنّها ستفرح أو ستحزن معه.

كلوكون: نعم، إن دولة حسنة التنظيم يجب أن تفعل هكذا.

سقراط: لقد حان الوقت الآن، كي نعود لدولتنا ونرى، ما إذا كان هذا الشّكل أو غيره هو الأكثر تطابقاً مع المبادىء الأساسيَّة التي وصفناها.

كلوكون: جيّد جداً.

سقراط: حسناً إذن، فدولتنا، ككلّ دولة أخرى، لها حكامٌ ورعايا.

كلوكون: حقاً.

سقراط: كلهم سيدعون بعضهم بعضاً مواطنين.

كلوكون: طبعاً.

سقراط: لكن ألا يوجد إسم آخر سيعطيه الشّعب لحكامه في الدول الأخرى؟

كلوكون: سيدعونهم أسياداً بشكل عام، لكن في الدول الديموقراطيَّة سيدعونهم حكاماً بكل بساطة.

سقراط: وأيُّ إسمٍ سيطلق الشعب على الحكّام في دولتنا بجانب ذلك الإسم « مواطنين »؟

كلوكون: سيدعوهم منقذين ومساعدين.

سقراط: وماذا سيدعو الحكام الشعب؟

كلوكون: حاضنيهم وآباءهم المربِّين.

سقراط: وماذا يدعونهم في الدول الأخرى؟

كلوكون: عبيداً.

سقراط: وماذا سيدعو الحكّام واحدهم الآخر في الدول الأخرى؟

كلوكون: الحكّام الرفاق.

سقراط: وماذا في دولتنا؟

كلوكون: الحماة الرفاق.

سقراط: ألا تعرف أبداً مثالاً عن حاكم في أية دولة أخرى سيتكلّم عن أحد زملائه كصديق له، وعن آخر ليس صديقه؟

كلوكون: نعم، غالباً جداً.

سقراط: ويعتبر وصف الصديق كواحد ممن يهتم به، والآخر كغريب والذي لا يوليه أيَّ إهتمام.

كلوكون: بالضبط.

سقراط: وهل يحسب أو يكلّم أيٌّ من حماتك، أيَّ حامٍ آخر كغريب؟

كلوكون: إنّه لن يفعل بالتأكيد لأنّ كل شخص ممن يقابله سيعتبره إما أخاً أو أختاً، أو أباً أو أماً، أو إبناً أو بنتاً، أو كالطّفل أو آباء أولئك الذين يكونون متّصلين بهم هكذا.

سقراط: لكن دعني أسألك مرّة ثانية: هل تقصد أن تجعلهم عائلة في الإسم فقط، أو أنهم سيكونون مستحقّين هذا الإسم في كل أفعالهم؟ كمثال، في استعمال الكلمة « أب » هل ستكون رعاية الأب شاملة، والشهادة البنويّة والواجب والطاعة للذي يأمر به القانون؛ ويعتبر المخالف لتلك الواجبات

شخصاً كافراً وأثيماً، ولن يتلقّى على الأرجح، الخير الكثير لا من يدي الله ولا من يدي الإنسان؟ أتكون تلك أو لا تكون الصفات الموروثة التي سيسمعها الأطفال، يرددها في آذانهم كلُّ المواطنين عن أولئك الذين هم من خواصهم كونهم آباءَهم وبقية أهلهم؟

كلوكون: تلك ولا شيء آخر لأن أي شيء يمكن أن يكون أكثر سخرية لهم، من أن يُردّدوا أسماء الروابط العائليّة بالشفاه فقط، وأن لا يعملوا بمحتواها الروحي.

سقراط: ستكون لغة التناسب والوئام مسموعة غالباً في مدينتنا إذن، أكثر منها في أية مدينة أخرى. كما كنت واصفاً قبلاً، فعندما يكون أيّ شخص مودَّعاً بالسّلامة أو السّوء، فستكون الكلمة العالميّة « تكون معي حسنة » أو « إنها سيئة ».

كلوكون: الأكثر حقيقة.

سقراط: وبقبولنا لهذا الأسلوب في التفكير والكلام، ألم نكن قائلين أنهم سيمتلكون مسرّاتهم وآلامهم مشتركة؟

كلوكون: نعم، إنهم سيفعلون هكذا.

سقراط: وسيكون لديهم اهتمام مشترك في الشيء عينه الذي سيدعونه متشابها « خاصتي ». وبما أن لديهم هذا الاهتمام المشترك، فسيكون لديهم الشعور والسرور والألم المشترك كذلك.

كلوكون: نعم، هكذا أكثر بكثير من الدول الأخرى.

سقراط: وسبب هذا، وأكثر منه زيادة عليه، فستكون البنية العامة للدولة، هي أن الحماة سيملكون اشتراكية النساء والأطفال.

كلوكون: سيكون ذلك السبب الرئيسي.

سقراط: واعترفنا أنّ وحدة الشعور هذه هي الخير الأكبر، كما كان متضمّناً في

مقارنتنا الخاصة عن الدولة الحسنة التنظيم ونسبتها للجسم وأعضائه، عندما يتأثر بالسرور والألم.

كلوكون: ذلك ما اعترفنا به، وبحق محقٌّق.

سقراط: إذن فإن إشتراكية النساء والأطفال بين مساعدينا، قد ظهر أنّها ينبوع النفع الأعظم للدولة.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: فضلاً عن ذلك، فهذا يتفق مع المبدأ الآخر الذي أكّدناه، أن الحماة لن يمتلكوا البيوت والأراضي أو أيّة عقارات أخرى؛ وأجرهم هو غذاؤهم الذي يتسلمونه من المواطنين الآخرين، ولا يمتلكون أيّة مصاريف أخرى خاصة بهم لأنّنا قصدنا أن يحفظوا شخصيتهم الحقيقية كحماة.

كلوكون: حقاً.

سقراط: عنيت إذن، أن قوانيننا السابقة لأولئك الذين نتكلم عنهم تميل لجعلهم حماة حقيقيين أكثر من أي وقت مضى؛ إنهم لن يمزقوا المدينة إرَباً باختلافهم فيما هو « خاصتي » و« ليست خاصتي ». كل رجل منهم يسحب أي اكتساب حقّقه إلى بيتٍ خاصٍ به، حيث لديه زوجة وأطفال قابعون منعزلون، والذين هم ينبوع مسراته وآلامه؛ غير أنهم سيتأثرون جميعاً للحد الممكن بذات المسرّات والآلام لأنهم ذوو رأي واحد بشأن الذي يكون قريباً وعزيزاً عليهم، ولذلك فهم يميلون نحو غاية مشتركة.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وكما أنهم لا يملكون أي شيء غير أشخاصهم يمكن أن يسمّوه خاصتهم، فإن الدعاوى والشّكاوى ستختفي كليّة من بينهم؛ وسيتخلّصون من كل تلك النّزاعات التي تسبّبها الأموال أو الأطفال أو القرابات.

كلوكون: سيتخلصون منها طبعاً.

سقراط: وعلى الأرجح فلن يحل أيّ تهجّم أو إهانة فيما بينهم أبداً. ولسوف نتمسك أنّ دفاع أولئك الرجال عن أنفسهم ضد الهجمات التي يتعرضون لها من أَشخاص بنفس أعمارهم هو شريف ومحق. وهكذا نجبرهم الحفاظ على أجسامهم بالتدريب.

كلوكون: إنّه لعمل جيد.

سقراط: نعم؛ وهناك جودة أبعد في القانون، أي، أنه إذا تخاصم الرجل مع الآخر فسيشفي غليله حينها وهناك، وسيكون أقلّ ميلاً للشروع في عداء دائم.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وسيُعهد للأكبر سناً بحكم وبمعاقبة الأصغر سناً.

كلوكون: بوضوح.

سقراط: ولن يكون هناك أي شك أنّ الأصغر سنّاً لن يعتدي بالضرب ولن يقوم بعملٍ من أعمال العنف على الأكبر سنّاً، ما لم يأمره المأمورون القضائيون؛ ولن يُستخف به في أية طريقة، إذ يوجد حارسان شديدان قادران على منعه، ألا وهما الحياء والخوف: الحياء، الذي يجعل الرجال يمتنعون عن رفع أيديهم على أولئك الذين يكونون أقرباء آبائهم؛ والخوف، من أن الرجل المتضرِّر سيُسعفه آخرون ممن يكونون إخوانه، أبناءَه، إو آباءَه.

كلوكون: نعم، إنه شيء طبيعي.

سقراط: ستساعد القوانين المواطنين إذن في كل طريق ليحافظوا على السلام فيما بينهم.

كلوكون: نعم، لن يكون هناك عَوَزٌ في السلام.

سقراط: وكما أن الحماة لن يتخاصموا فيما بينهم أبداً، فلا خطر في بقية المدينة من أن تكون مقسّمة، لا ضدهم أو ضد بعضهم.

كلوكون: لا شيء كيفما كان.

سقراط: وأحب أن أذكر بصعوبة حتى الدناءة الصغيرة التي سيتخلصون منه، لأنهم مراقبون. هكذا، وكمثال، تملق الفقراء للأغنياء، وكل الآلام والغصّات التي يقاسيها الرّجال في تنشئة العائلة، وفي إيجاد المال لشراء الحاجيات الضروريّة لأهل بيتهم، مُستَلِفين وناكرين، مُحصّلين الذي يقدرون عليه، واضعينه في أيدي النساء والعبيد لحفظه. إنّ الشرور العديدة والكثيرة الأنواع التي يقاسيها الشعب في هذا الطريق هي واضحة وحقيرة بما فيه الكفاية ولا تستحقّ الكلام عنها.

كلوكون: نعم، الإنسان ليس بحاجة للعيون كي يدرك ذلك.

سقراط: وسينقذون من كل تلك الشرور، وستكون حياتهم مباركة كحياة المنتصرين في الألعاب الأولومبيّة، وأكثر مباركة بكثير.

كلوكون: كيف ذلك؟

سقراط: المنتصر في الألعاب الأولومبيّة، يُعتبر سعيداً في استلام جزء من المباركة فقط التي تكون مضمونة لمواطنينا، والذين فازوا بنصرٍ أكثر مجداً ونالوا التأييد الأكثر كمالاً على حساب الجماهير لأن الانتصار الذي أحرزوه هو خلاصٌ بالتمام. والتّاج الذي يكلّل هاماتهم وهامات أطفالهم هو كل ما تحتاجه الحياة بالتمام؛ ويتسلمون الجوائز من أيدي بلدهم طالما هم على قيد الحياة، ولهم بعد الموت الدفن المكرّم.

كلوكون: نعم، إنها لجوائز مجيدة.

سقراط: هل تتذكر، كيف أنه في سياق بحثنا السابق[٦٥] عندما اتّهمنا أحد المنتقدين المُفتَرَضِينَ بأننا أخفقنا في جعل حماتنا سعداء، لأنه كان بإمكانهم وضع اليد على كل ثروة المواطنين بينما هم لا يملكون شيئاً في الحقيقة، وأجبنا، بأنّه إذا أعطيت لنا الفرصة، فلربما تمكّنّا من النظر في هذا السؤال. أمّا الذي ننصح بعمله في الوقت الحاضر، فهو أننا سنجعل حماتنا حماة

حقيقيين، وأننا نضع الدولة بقصد السعادة الأعظم، وليس لأي طبقة معيَّنة بل للجميع.

كلوكون: نعم، إنني أتذكَّر.

سقراط: وماذا تقول، بعد أن باتت حياة حماتنا أفضل كثيراً، وأبعد نبلاً من تلك التي للمنتصرين في الألعاب الألومبيَّة - هل تقارن حياة صنَّاع الأحذية، أو حياة أي حرفي آخر بها؟

كلوكون: لا بالتأكيد.

سقراط: يجب عليَّ أن أردِّد هنا في الوقت عينه ما قلته في مكان آخر، أنه إذا حاول أي من حماتنا أن يكون سعيداً بهذه الطريقة، فسينقطع بالكليَّة أن يكون حامياً، ولن يكون قانعاً بهذه الحياة المتناسقة والآمنة، والتي هي في قضاء حكمنا أفضل الحيوات كلها، ولكنه سيستعمل سلطته ليستأثر بغنى المدينة كلها لنفسه، مفتونٌ ببعض غرور السعادة التي تشق طريقها إلى رأسه. سوف ينبغي عليه عندها أن يتعلَّم كيف تكلَّم هيسيود بحكمة عندما قال: « النصف هو أكثر من الكل ».

كلوكون: وإنَّ نصيحتي له هي أن يبقى قانعاً بحياته الحاضرة.

سقراط: أنت توافق إذن، أنَّ على الرجال والنساء أن يمتلكوا طريق الحياة المشتركة كالتي وصفنا: تعليم مشترك، ذرّيَّة مشتركة. وعليهم أن يحرسوا المواطنين في شراكتهم أكانوا قاطنين في المدينة أو ذاهبين إلى الحرب. عليهم أن يحتفظوا بالحراسة معاً، وأن يصطادوا معاً كالكلاب، دائماً وفي كل الأشياء، طالما لهم قدرة على ذلك. وستشارك النساء الرجال، وسيكنَّ فاعلات الأفضل عندما يفعلن هكذا، ولن ينتهكنَ بل يصنَّ العلاقات الطبيعيَّة بين الجنسين.

كلوكون: أتَّفق معك.

سقراط: إنَّ البحث الذي لم يزل علينا إكماله هو، هل سيكون ممكناً وجود هكذا

إشتراكيّة - كما توجد بين الحيوانات الأخرى، فهكذا بين الرجال أيضاً - وإن أمكن ذلك، ففي أية طريقة؟

كلوكون: لقد سبقتني في السؤال الذي كنت على وشك اقتراحه.

سقراط: لا صعوبة في التخمين، بكيفية رؤية مواصلتهم الحرب.

كلوكون: كيف؟

سقراط: لماذا؟ سيذهبون في الحملات الحربيّة معاً بالطبع؛ وسيأخذون معهم أيّاً من أطفالهم الأقوياء بما فيه الكفاية. هكذا، مقتفين أثر أسلوب طفل الصانع الماهر ويمكنهم مشاهدة العمل الذي سيُنجزون عندما يصبحون كباراً. وبجانب مشاهدتهم تلك، سيساعدون ويكونون ذوي فائدة في الحرب، وينتظرون آباءَهم وأمهاتهم. ألم تراقب في الفنون أبداً، كيف يشاهد أولاد الخزّافين آباءَهم يعملون ويساعدونهم، قبل أن يلمسوا الدولاب بزمن طويل؟

كلوكون: نعم، إنني راقبت.

سقراط: وهل سيكون الخزّافون أكثر عناية في تعليم أطفالهم، وفي إعطائهم فرصة للرؤية ولممارسة واجباتهم مما سيكون عليه حماتنا؟

كلوكون: إن الفكرة لمضحكة.

سقراط: بصرف النظر عن هذا، فكل الحيوانات ستقاتل بشجاعة أكثر في حضور صغارها.

كلوكون: إن ذلك لحقيقي تماماً، يا سقراط؛ وإذا ما هُزموا مع ذلك، الشيء الذي يحدث غالباً في الحرب، فكم سيكون الخطر عظيماً! إن الأطفال سيُحسبون في عداد المفقودين وكذلك آباءَهم، ولن تُستردَّ الدولة بعدها أبداً.

سقراط: حقاً، لكن باديء ذي بدء، ألن تسمح لهم بإجراء أيّة مخاطرة أبداً؟

كلوكون: إنني أبعد من قول شيء كهذا.

سقراط: حسناً، لكنهم إذا لم يُجروا أية مخاطرة أبداً، ألن يفعلوها في

مناسبة أخرى إذا تخلّصوا من الدمار مثلاً؟ فهل سيكونون أفضل عندها؟

كلوكون: بوضوح.

سقراط: وما إذا كان عسكريو المستقبل سيرون الحرب، أولاً في أيام شبابهم، فتلك مسألة مهمة جداً، والتي يمكن أن يتعرضوا لأجلها لبعض المخاطر حقاً.

كلوكون: حقاً.

سقراط: لنسلّم بذلك وهو أنه يجب جعل أطفالنا مشاهدي حرب؛ بل يجب علينا بذل أقصى جهدنا كي يكونوا في مأمن من الخطر أيضاً، وسيكون حينها الجميع بخير.

كلوكون: حقاً.

سقراط: ويمكننا أن نفترض آباءَهم متبصّرين لمخاطر الحرب، غير أنّهم سيفرقون، حسب طاقة البصيرة الإنسانية، بين الحملات الآمنة والخطرة.

كلوكون: بحق.

سقراط: ولن يضعوهم تحت قيادة الضعفاء والعجزة، بل المجرَّبين المحنَّكين ذوي الأهلية الجيدة والكفاءَة العالية ليكونوا مرشديهم وخفراءَهم.

كلوكون: مناسب جداً.

سقراط: يبقى أنّنا سنذكّر أنفسنا بأن أخطار وصُدَف الحرب لا يمكن التكهّن بها قبل وقوعها دائماً.

كلوكون: صدقاً.

سقراط: يجب أن يكون أطفالنا مجهَّزين إذن بأجنحة ضد صُدَفٍ كهذه كي يتمكنوا من الطيران ساعة الحاجة والهرب حالاً.

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: أعني أنه يجب عليهم أن يمتطوا الأحصنة في سِنّ شبابهم المبكّر، وعند تعلمهم كيفية ذلك، فسنأخذهم ليروا الحرب على ظهور الخيل. ويجب أن

تكون الأحصنة ذات نفوس عالية وحربيّة وأن تكون الأسهل انقياداً، ومع ذلك الأسرع. سيحصلون بتلك الطريقة على منظر ممتاز لما سيكون عملهم فيما بعدُ وإذا استجدَّ الخطر فما عليهم إلاَّ اتّباع قوادهم الأكبر سنّاً والهر... .

كلوكون: أعتقد أنّك محقّ في ذلك.

سقراط: أما الآتي لِمَا بعد الحرب، فهو ما ستكون عليه علاقات جنودك مع بعضهم ومع أعدائهم. وسأكون ميّالاً لأقترح أن الجنديّ الذي يترك صفّه أو يرمي أسلحته أو يكون مذنباً في أيٍّ عمل جبان آخر، سيُسقط إلى رتبة المزارع أو الصّانع. ماذا تفكّر؟

كلوكون: سأقول ذلك، بكل تأكيد.

سقراط: والذي يسمح لنفسه أن يؤخد سجيناً يمكن أن نقدمه كهديّة لأعدائه؛ إنّه غنيمتهم القانونيّة، ولندعهم يفعلون به ما يحبون.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: غير أنّ البطل الذي كان مميّزاً، فماذا سيُعمل له؟ في المقام الأول سينال الإكرام من رفاقه الشباب في الجيش، وسيكلّله كل واحد منهم بالتتالي. فماذا تقول؟

كلوكون: أصادق على ذلك.

سقراط: وماذا ستقول عن تسلّمه اليد اليمنى للصحابة؟

كلوكون: أوافق على ذلك.

سقراط: ولكنّك ستوافق بصعوبة على اقتراحي الآتي.

كلوكون: ما هو اقتراحك؟

سقراط: أنّه سيقبّلهم ويقبّلونه.

كلوكون: بالتأكيد الأكثر، وسأتصرف في الذهاب أبعد من ذلك، وأقول: لا تدع

من له ميلٌ في تقبيله أن يرفض منه قبلة طيلة بقاء الحملة. وهكذا إذا وُجِدَ أيّ محبٌّ في الجيش، أكان حبيبه شاباً أو بتولاً، يمكن أن يكون أكثر شوقاً لينال جائزة الشجاعة.

سقراط: رائع! لقد تقرّر من قبلُ أنْ يحوزَ الرجل الشّجاع الفرصة الأوفر حظّاً من الباقين للزّواج؛ وسيكون مختاراً في تلك المناسبات أكثر من الآخرين، كي يمتلك ما أمكن من الأطفال.

كلوكون: موافق.

سقراط: يوجد أسلوب آخر، مرة ثانية، هو الأسلوب الذي سنكرّم فيه الشباب الشجعان، طبقاً لهوميروس؛ فهو يخبرنا كيف أنّ إجاكس[٦٦] بعد أن ميّز نفسه في المعركة كوفىء بقطعة لحم طويلة من عمود الحيوان الفقري، والتي ظهرت أنّها إطراء مناسب له في زهرة عمره، ليس كونها ثناء شرف فقط بل شيئاً معنويًّا جداً.

كلوكون: الأكثر حقيقة.

سقراط: سيكون هوميروس أستاذنا إذن، في هذا على الأقل، وسنكرّم الشجعان في تقديم الأضاحي أيضاً وما شابه من المناسبات، طبقاً لمقياس شجاعتهم. وسنكرّمهم بالتراتيل وبتلك المميّزات الأخرى التي ذكرنا، وكذلك بـ« مقاعد الصدارة، واللّحوم والأكواب الملآنة »[٦٧]. وفي تكريمنا لهم، سنحرص على تدريبهم في الوقت عينه، وذلك للرجال والنساء على قدم المساواة.

كلوكون: إن ذلك لممتاز.

سقراط: نعم، وعندما يتوفى الرجل بجلال في الحرب، ألا يجب أن نقول، في المقام الأول، إنه يكون من الطبقة الذهبيّة؟

كلوكون: لتكن متأكّداً.

سقراط: لا، أليس عندنا مرجع لهيسيود في إثبات ذلك، وهو أنه عندما يكون

رجالَ هذه الطبقة متوفين « يكونون ملائكة مقدسين فوق الأرض، مسببي الخيرات، مانعي الشرور، حماة الرجال الموهوبي الكلام؟ »(٦٨).

كلوكون: نعم؛ ونحن نقبل هذا المرجع.

سقراط: يجب أن نستعلم من الإله « أبوللو » كيف سننظِّم قبر الأشخاص الإلهيين وقبر الأبطال، وماذا ستكون رتبتهم الخاصة. ويجب علينا أن نفعل كما يأمرَ.

كلوكون: بكلّ تأكيد.

سقراط: وسنبجِّلهم على مر الأجيال ونركع أمام أضرحتهم كقبور للأبطال. ولسنا بفاعلين ذلك لهم فقط، بل لأيٍّ واحد مِمَّن يعتبر فائقاً في الخيرات. وسوف ندّخلهم في التكريم، إذا ما توفّوا لكبر السن، أو في أية طريقة أخرى.

كلوكون: إنّ ذلك لحقّ تامّ.

سقراط: كيف سيعامِل جنودُنا أعداءَهم بعدها؟ وماذا عن هذا؟

كلوكون: في أيّ خصوص تعني؟

سقراط: فيما يتعلق بالعبوديّة، قبل كل شيء. هل تعتقد أنّ استعباد الدول الهيلينيّة بعضها بعضاً شيءٌ قويمٌ؟ أليس من الأفضل أن تمنع الدول الأخرى من عمل كهذا إذا ما امتلكت القوّة؟ وأن نجعلها عادةً عامّةً تُجنِّب ذلك، آخذين بعين الإعتبار الخطر الذي يمكن أن يحدق بالسلالة كلها، وأن نقع يوماً ما تحت نير البربر؟

كلوكون: إنّ تجنب ذلك وإلى أبعد الحدود هو الأفضل.

سقراط: لن تمتلك أيّ هيليني كعبد إذن؛ وستراقب هذه القاعدة، وتنصح الهيلينيين الآخرين بمراقبتها كذلك.

كلوكون: بالتأكيد، إنّهم سيتّحدون بهذه الطريقة ضد البربر وسيرفعون أيديهم عن بعضهم بعضاً.

سقراط: إن الآتي هو ما يختص بالذبيح. أيجب على الفاتحين أن يستحوذوا على أي شيء سوى أسلحتهم؟ ألا تقدِّم ممارسة نهب الأعتدة الذريعة في عدم مواجهة المعركة؟ فالجبناء يتسلّلون خلسة إلى مقربة من الأموات، متظاهرين أنهم يقومون بتأدية واجبهم ويسلبونهم. ولهذا فقد خسر المعركة العديد من الجيوش قبل الآن نتيجة حبّهم للسلب والنهب.

كلوكون: حقيقيّ تماماً.

سقراط: أليس هناك ضيق أفق في التفكير وجشع في سرقة جثة، ودرجة من الخساسة والتخنيث أيضاً في جعل الجسد الميت هو العدوّ، في حين أن العدو الحقيقي قد فرّ هارباً وترك وراءه عدّته الحربيّة فقط؟ ألا يكون هذا كالكلب من غير ريب، الذي لا يمكنه الوصول إلى مُهاجِمِهِ، فيتشاجر مع الحجارة التي ترتطم به بدلاً من التشاجر مع راميها؟

كلوكون: ذلك مشابه للكلب تماماً.

سقراط: يجب علينا الامتناع إذن عن سرقة الموتى أو أن نعوق دفنهم.

كلوكون: نعم، يجب علينا بالتأكيد الأكثر.

سقراط: ولا أن نقدِّم السلاح في أضرحة الآلهة، والأقل من كل هذا أسلحة الهيلينيين، إذا كنا نحرص على الإبقاء على الشّعور الطّيّب مع الهيلينيين الآخرين؛ وأنّ لدينا السبب في أن نخاف حقّاً، من أن تقديم الغنائم المأخوذة من ذوي القربى يمكن أن يكون تدنيساً ما لم يأمر به الإله ذاته.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: وثانية، فماذا ستكون ممارسة جنودك فيما يتعلق بتدمير المقاطعة الهيلينيّة، أو إحراق البيوت؟

كلوكون: أيمكن أن يتملكني السرور في سماع رأيك؟

سقراط: سيكون كلاهما ممنوعاً، في حكمي. سأحصل منها على الإنتاج السّنوي ولا أكثر. هل سأخبرك لماذا؟

كلوكون: صَلِّ، إفعل.

سقراط: لماذا، ألا ترى أنه يوجد فرق بين تعريفَيْ « النزاع الأهلي »، و« الحرب »؟ أتصوّر أنّه يوجد فرق أيضاً في نوعَي كلا النزاعين. إن الأول تعبيرٌ عمّا هو داخلي ومحلي، والآخر عمّا هو خارجي وغريب. والأعمال العدائية لعدو داخلي تُسمّى نزاعاً، وتُسمّى الأعمال العدائية لآخر خارجي، حرباً.

كلوكون: إن ذلك تمييز مناسب جداً.

سقراط: ألا يمكنني أن أراقب بتناسب متساوٍ، أن الجنس الهيليني هو كله متحدٌ بروابط الدم والصداقة معاً، وغريب ومتباين بالمقارنة مع البربر؟

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: ولذلك فعندما يتحارب الهيلينيون مع البربر والبربر مع الهيلينيين، فسنصفهم كونهم في حالة حرب وأعداء بالطّبيعة، وسندعو هذا النّوع من العداء حرباً. لكن إذا ما تقاتل الهيلينيون مع بعضهم، فسنقول عندها إن هيلاس هي في حالة حمّى ونزاع، كونهم أصدقاء بالطبيعة؛ وستسمى خصومة كهذه نزاعاً.

كلوكون: أوافق.

سقراط: اعتبر إذن، أنه عندما يعترف الرّجال مسبقاً بالذي يحدث كونه نزاعاً، وتكون المدينة مقسّمة، ويدمّر كل فريق أراضي الآخر ويحرقها، ألا تظهر المعاناة خطرة؟ ولا يمكن وجود وطنيين حقيقيين في كلا الجانبين بحالة كهذه، لأن محبٌ بلاده لن يهيّيء نفسه ليمزّق حاضنته وأمّه إرباً. يمكن أن يكون هناك سبب في أن يحرم الفاتح المهزومين من غلالهم، لكن يبقى أنّهم سيحتفظون بفكرة السّلام في قلوبهم ولن يكون قصدهم الذّهاب في القتال إلى الأبد.

كلوكون: نعم، إن ذلك هو طبع متحضّرٌ أكثر بكثير من الطّبع الآخر.

سقراط: أوليست المدينة، التي أنت موجدها، مدينة هيلينيّة؟

كلوكون: يجب أن تكون.

سقراط: أليس المواطنون أخياراً ومتحضّرين إذن؟

كلوكون: نعم، إنهم متحضّرون جداً.

سقراط: أوليسوا هم محبّي هيلاس، ويفكّرون بهيلاس كأرض خاصة بهم، ويشاركون في الهياكل عينها كأخصامهم؟

كلوكون: بالتأكيد الأكثر.

سقراط: وهكذا فإنّ أيّ خلاف سينشأ فيما بينهم سيعتبرونه كخصام فقط ـ خصام بين الأصدقاء، والذي لا يمكن أن يُسمّى حتى حرباً.

كلوكون: لا، بالتّأكيد.

سقراط: سيتخاصمون إذن كأولئك الذين يبتغون أن يكونوا يوماً ما متصالحين.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وسيستعملون التصحيح الحُبّي، غير أنّهم لن يستبعدوا أو يدّمروا أخصامهم. إنّهم سيكونون مصلحين وليس أعداء.

كلوكون: هكذا بالضبط.

سقراط: وكما أنهم هم أنفسهم هيلينيّون فلن يدمّروا هيلاس، ولن يحرقوا بيوتاً، ولن يقتنعوا أبداً بأنّ كل سكّان المدينة: الرجال، والنساء، والأطفال كلّهم أعداؤهم على قدم المساواة لأنهم يعرفون أنّ إثم الحرب مقتصرٌ دائماً على أشخاص قلائل، وأن الغالبية أصدقاؤهم. لكل تلك الأسباب فهم ليسوا على استعداد كي يبدّدوا أراضيهم ويمحوا بيوتهم؛ ستبقى عداوتهم لهم حتى يُجْبِرَ العديد من المقاسين الأبرياء الأقليّة الآثمة أن تبارز.

كلوكون: أوافق، أنّ مواطنينا سيتعاملون هكذا مع أعدائهم الهيلينيين؛ ومع البربر كما يتعامل الهيلينيون بعضهم مع بعضٍ الآن.

سقراط: دعنا نشرّع هذا القانون إذن لحماتنا أيضاً. إنهم لن يدمّروا أراضي الهيلينيين ولن يحرقوا بيوتهم.

كلوكون: موافق؛ ويمكننا أن نوافق في التفكير أيضاً، وهو أنّ تلك القوانين هي جيدة جداً ككل تشريعاتنا السّابقة.

لكن يبقى ما يجب أن أقوله، يا سقراط، وهو أنه إذا سُمِحَ لك الذهاب في هذا الطريق، ستنسى كُلّيّةً السّؤال الآخر الذي استبعدته في بداية هذا البحث: أيكون نظام كهذا ممكناً، وإن مطلقاً، فكيف؟ إنني على استعداد لأن أعترف دائماً أنّ هذا التصميم الذي تقترح، إذا ما كان عمليّاً قط، فسيجلب كلَّ أنواع الخيرات للدولة. بل إنني سأضيف الذي أسقطته، وهو أن مواطنيك سيكونون أشجع المقاتلين ولن يغادروا صفوفهم على الإطلاق إذ سيعرف كل واحد منهم الآخر، وسيدعو كل واحد الآخر أباً، أو أخاً، أو إبناً. إذا افترضت أن تنضمّ النساء إلى جيوشهم، أكان ذلك في الصف عينه أو في الخطوط الخلفيّة، إما كمصدر قلق للعدو أو كمساعِداتٍ وقت الحاجة، أعرف بأنّهم سيكونون حينها غير مقهورين على الإطلاق. ويوجد كما أقدر أن أرى، العديد من المنافع الداخليّة التي يمكن ذكرها أيضاً. لكن، كما أعترف فإن تلك المنافع كلها وكما تريد الكثير والعديد غيرها، لن تحتاج لتتقدّم بوصفك لها، إذا ما كانت دولتك تلك ستأتي إلى الوجود. وما نحتاج عمله بعد ذلك هو إقناع أنفسنا بكون هذا ممكناً، وأن نبيِّن كيفية حدوثه، أمّا الباقي فيمكن تركه.

سقراط: إذا تلكّأْتُ للحظة، فإنك ستشنُّ عليّ غارة في الحال، ولن ترحم. لقد هربت من الموجات الأولى والثانية بصعوبة، ويظهر أنك لست مدركاً تماماً في إحضار الموجة الثالثة عليّ التي هي الأعظم والأثقل. وعندما ترى وتسمع الموجة الثالثة، أعتقد بأنّك ستكون أكثر رويّة وستعترف أنّ بعض الخوف

والتردد من ناحيتي كان طبيعيًّا فيما يتعلّق باقتراح غريب جداً كذلك الذي سأقرّر وأستقصي.

كلوكون: الإستغاثات الكثيرة التي تقدّمها من هذا النّوع، تجعلنا أكثر إصراراً على أنّك ستخبرنا كيف تكون دولة كهذه ممكنة. تكلّم وفي الحال.

سقراط: دعني أبدأ بتذكرتك أننا وجدنا طريقنا هناك في بحثنا عن العدل والظلم.

كلوكون: حقاً؛ لكن ماذا عن ذلك؟

سقراط: كنت متأهباً لأسألك فقط ما إذا كنا قد اكتشفناها، فهل سنحتاج عند ذلك ألاّ يفشل الإنسان العادل في أي شيء له سمة العدل المطلق؛ أو أنه يمكننا أن نقتنع بالتقريب وأن نحصل منه على درجة للعدل أعلى مما يمكن حصوله في رجال آخرين؟

كلوكون: إن التقريب لكافٍ.

سقراط: لقد كان مرتّباً أن نتملك مثلاً أعلى في بحثنا عن طبيعة العدل الكلي في شخصية الرّجل العادل الكامل المفترض، وعن الظّلم والرجل الكامل الظالم. كنا لنمعن النظر في هذين الحدّين الأقصَيَين، كي نتمكن من الحكم على سعادتنا الخاصة وشقائنا، طبقاً لمقياس السعادة والشقاء اللذين عرضناهما، والدرجة التي نشبّههما بها، لكن ليس في أية رؤية لتبين أنهما يوجدان في الحقيقة.

كلوكون: حقاً.

سقراط: أيستطيع الرّسّام، في نظرك، أن يكون أقلّ خبرة لأنّه كان غير قادر على أن يدعَ إنساناً كهذا يمكن وجوده أبداً، بعد تصويره بالفن الكامل مثالاً لإنسان كامل الجمال؟

كلوكون: لا، بالفعل.

سقراط: حسناً، أولم نكن نحن مُوجدين مثلاً أعلى للدولة الكاملة؟

كلوكون: لتكن متأكّداً.

سقراط: وهل تكون نظريتنا نظرية سيّئةً لأنّنا غير قادرين على أن نبرهن على إمكانية وجود مدينة منظّمة بالطريقة التي وصفناها؟

كلوكون: لا بالتأكيد.

سقراط: إنّها الحقيقة، وسأحاول بناءً لطلبك أن أبيّن كيف، وتحت أية حالات، تكون تلك الإمكانيّة في أوجها. ويجب أن أسألك، حاملاً هذا في رأيي، أن تُكرّر افتراضاتك السابقة.

كلوكون: أيّة افتراضات؟

سقراط: أريد أن أعرف إذا ما كان التصوُّر يدرك في الفعل بشكلٍ تام. ألا يجب أن يكون الفعل، مهما يكن تفكير الإنسان، لديه تشبثٌ بالحقيقة أقل من الكلمات في طبيعة الأشياء دائماً؟ فماذا تقول؟

كلوكون: أوافق.

سقراط: يجب أن لا تُصِرّ على برهاني إذن، وهو أن الدولة الحقيقية ستكون متطابقة مع المثل الأعلى في كلّ وجه. إذا كنا قادرين أن نكتشف فقط كيف يمكن للمدينة أن تُحكم قريباً مما اقترحنا، فستعترف بأنّنا اكتشفنا الإمكانيّة التي تطلبها؛ وستكون قانعاً، أنا متأكّد بأنني سأكون قانعاً. ألن تكون أنت؟

كلوكون: بلى، سأكون.

سقراط: دعني أجتهد من بعدُ وأُبيّن ما هو ذلك الخطأ في الدول الذي هو السبب في فساد إدارتها الحاليّة، وماذا سيكون التّغير الأقلّ الذي سيمكّن الدولة من الانتقال إلى الصورة الأصدق. دع التغيير، إذا أمكن، أن يكون في شيء واحد فقط، وإن تعذّر، ففي شيئين إثنين. دع التغييرات تكون قليلة وطفيفة قدر الإمكان، على أية حال.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: أعتقد أنه يمكن أن يكون إصلاح في الدولة إذا تحقق تغيير واحد فقط، إنه ليس تغييراً طفيفاً أو سهلاً، ولكنّه يبقى محتملاً مع ذلك.

كلوكون: ما هو؟

سقراط: إني أواجه الآن ما أشبّهه بأعظم الأمواج؛ وهل سأتفوّه بالكلمة مع ذلك؟ سجّل كلماتي حتى لو ثار الموج وأغرقني في الضّحك وقلة الإعتبار.

كلوكون: تقدّم.

سقراط: أقول: حتى يكون الفلاسفة ملوكاً في مدنهم، أو أن يمتلك ملوك وأمراء هذا العالم نفسيّة وسلطان الفلسفة، وأن يلتقي سموّ وحكمة العلوم السياسيّة في شخص واحد، وأن يجبر ذوو الطبائع المبتذلة الذين يتعقبون إخراج الآخرين، على التنحي جانباً. إذا لم يتم كّل ذلك فالمدن لن تمتلك الرّاحة من شرورها أبداً، كلا، ولا السلالة البشريّة، كما أعتقد، حينها فقط ستمتلك دولتنا المثاليّة هذه إمكانيّة الحياة وترى نور النهار. كانت تلك الأفكار، يا عزيزي كلوكون، التي لن أقوى على النُّطق بها إذا كانت ستظهر كثيرة المغالاة؛ إذ أن اقتناعك أنه لا يمكن وجود سعادة في أيّة دولة أخرى خاصّة أو عامة فهذا شيءٌ جدّ صعب.

كلوكون: ماذا تعني يا سقراط؟ أريدك أن تتبصّر. فالكلمة التي نطقت بها هي التي سيتعقبك من أجلها أشخاص عديدون، وأشخاص محترمون جداً أيضاً. أتصورهم خالعين ستراتهم في لحظة ومتشقين أي سلاح يصل إلى أيديهم، وبقوة وتصميم قبل أن تعرف أين أنت، عازمين على فعل الذي تعرفه السّماء فقط؛ وإذا لم تحضّر جواباً وتنجو بسرعة فائقة، فإنك « ستُقضّب بذكائهم الحاد »، ولا خطأ في هذا التفكير.

سقراط: لقد أوصلتني إلى السحل.

كلوكون: وكنت محقاً تماماً. المهم، أنني سأفعل كل ما أقدر عليه لحمايتك. غير أنني أقدر أن أعطيك الإرادة الصادقة والنصيحة الخيِّرة، ولربما، يمكن أن أكون قادراً أن أوفّق وأجيب على أسئلتك بأفضل مما يجيب الآخرون. ذلك كل ما أستطيع. والآن، بما أنك تملك مساعدة كهذه، يجب أن تفعل الأفضل لتُري الكَفَرَة أنك على حق.

سقراط: يجب أن أحاول، بما أنك تقدِّم إليَّ هذه المساعدة النفيسة وأعتقد بأنها إذا وُجِدت أية فرصة لهربنا، علينا أن نشرح لهم الذي نعنيه عندما نقول إن الفلاسفة هم ليحكموا في الدولة. وعند إحضارهم إلى النور سيكون دفاعنا أنه يوجد بعض الطبائع التي يجب أن تدرس الفلسفة ولتكون القادة في الدولة؛ والآخرون الذين لم يولدوا ليكونوا فلاسفة، بل معنيّون أن يكونوا رفاقاً بدلاً من أن يكونوا القادة.

كلوكون: لنذهب للتحديد بعد الآن.

سقراط: إتبعني، وآمل أن أتمكّن في طريقة ما، أو بطريقة أخرى، من إعطائك تفسيراً مقنعاً.

كلوكون: تقدَّم.

سقراط: أجرؤ على القول إنك تتذكّر، ولذلك لا أحتاج لتذكرتك أن المحب، إذا استحقّ هذا الإسم، يجب أن يُري حبيبه، ليس لبعض الجزء الواحد الذي يحبه، بل للكل.

كلوكون: يجب أن تذكّرني على ما يظهر، لأنني لم أفهم بالكامل.

سقراط: يمكن لشخص آخر أن يُجيب باعتدال كما أجبت، لكن حبيباً كنفسك سيكون عارفاً حقاً أنّ كل الذين هم في ربيع أعمارهم سيبعثون كرباً أو عاطفة في صدر محبوبهم بطريقة أو بأخرى، ويُظَنُّ بهم أنهم يستحقون اعتباراتهم المحبة. أليست هذه الطريقة التي ستتّبعها مع الجميل: الواحد له

أنف أفطس، وأنت تثني على وجهه السحري؛ وآخر له أنف أعقف وتقول عنه إنه يمتلك منظراً ملكياً؛ بينما ذلك الذي لا يملك الأفطس ولا الأعقف فهو الرشيق المتناسق. إن السماء السوداء هي للرّجولة، والشُقر أطفال الآلهة؛ وأمّا للحلو (كصغار العسل) كما يسمّونه، فماذا يكون الإسم حقاً غير اختراع الحبيب الذي يتكلّم في التصغيرات؟ أوليس النفور من الصفار إذا كان ظاهراً على خدود الشباب شيئاً محققاً؟ بكلمة، لا عذر للذي لن تصنفه، ولا شيء للذي لن تقوله، كي لا نخسر زهرة واحدة تلك التي تتفتّح في زمن ربيع الشباب.

كلوكون: إذا جعلتني ذا سلطة في مسائل الحب، فسأرضى إكراماً للحوار.

سقراط: وماذا ستقول عن محبّي النبيذ؟ ألا تراهم يفعلون الشيء نفسه؟ إنهم لمرحون في أي إدعاءٍ لشرب أي نبيذ.

كلوكون: إنهم مرحون جداً.

سقراط: ولا بد أنك لاحظت، كون الشيء عينه، طموح بعض الرجال. فإذا لم يكن بمقدورهم قيادة الجيش فهم على استعداد لقيادة شِرْذَمَة؛ وإذا لم يتمكنوا من التكريم بأشخاص كبار وذوي أهمية في الحقيقة، فإنهم سيكونون جذلين ليكرمهم أناس أحقر وأصغر لأنهم يجب أن يمتلكوا التكّريم من نوع ما.

كلوكون: بالضبط.

سقراط: دعني أسأل مرّة ثانية: أيقال للذي يرغب شيئاً ما إنه يرغب كل النّوع الذي يخصُّه، أو جزءاً واحداً فقط؟

كلوكون: الكل.

سقراط: ستقول هكذا إن الفيلسوف الذي هو العاشق، ليس جزءاً من الحكمة فقط، بل يعشق الكل.

كلوكون: حقاً.

سقراط: ومن يكره العلم، خاصة في سنّ الشباب، عندما لا يملك أيّة قوة للحكم فيما يكون خيراً وما لا يكون؟ نؤكّد أنّ شخصاً كهذا ليس فيلسوفاً أو محباً للفلسفة، تماماً كالذي يرفض غذاءه فإنه لا يكون جائعاً، ويمكن القول إنّه يمتلك شهيّة رديئة وليست جيدة.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: بينما الذي يملك تذوّقاً لكل نوع من أنواع المعرفة والذي يكون فضولياً كي يتعلم، ولا يكون قانعاً أبداً يمكن أن يسمّى فيلسوفاً بعدل. ألست محقاً؟

كلوكون: إذا خلقت الفضولية فيلسوفاً، فلسوف تجد العديد من الكائنات الغريبة التي سيكون هذا الإسم لَقَباً لها. كلُّ محبي الأبصار لهم بهجة في العلم ويجب أن يكونوا مُشْتَمَلين لذلك. إن هواة الموسيقى أيضاً، هم قوم خارج المكان بين الفلاسفة بغرابة لأنهم آخر الأشخاص في العالم الذين سيأتون إلى أي شيء شبيه بالبحث الفلسفي إذا ما استطاعوا؛ بينما يهرعون إلى الاحتفالات الأيونيسيّة وكأنهم أعاروا آذانهم للموسم ليسمعوا كل جوقة مرتلين، ولن يفقدوا أيّ أداء أكان قائماً في المدينة أو الريف. هل لنا أن نتمسّك بعد الآن بأنّ كل هؤلاء وأيّاً من الذين لهم تذوقات متشابهة، كَمَثَلِ الأساتذة في الفنون القاصرة، هم فلاسفة تماماً؟

سقراط: لا بالتّأكيد، إنهم تقليد فقط.

كلوكون: من هم الفلاسفة الحقيقيون إذن؟

سقراط: إنّهم عشّاق رؤيا الحقيقة.

كلوكون: إن ذلك جيد أيضاً، لكنني أحب أن أعرف ما الذي تعنيه؟

سقراط: قد لا أتمكن من إيضاح ذلك للغير؛ غير أنني متأكد أنك ستقبل الإقتراح الذي أنا على وشك طرحه.

كلوكون: ما هو الإقتراح؟

سقراط: بما أن الجمال هو المضاد للقبح، فهما إثنان؟

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وفي المقدار الذي يكونان فيه إثنين، فكلٌّ منهما واحد؟

كلوكون: حقيقي مرة ثانية.

سقراط: وتنطبق الملاحظة عينها على العدل والظلم، الخير والشر، وعن كل شكل آخر. إذا أُخذت إفرادياً، فكلٌّ منها واحد. لكن من تركيباتها المتنوعة مع الأعمال والأجسام وواحدها مع الآخر، فهي تُشاهد في كل أنواع الأنوار وتظهر متعددة.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: وهذا هو التمييز الذي أرسمه بين محبّي البصر، محبّي الفن، الطبقة العمليّة التي ذكرتها. وهؤلاء ممّن أتكلّم عنهم، والذين يستحقون اسم الفلاسفة فقط.

كلوكون: كيف تستطيع تمييزهم؟

سقراط: إن محبّي الأصوات والأبصار، هم كما أتصوَّر، مغرمون بالنغمات الناعمة والألوان والأشكال وكل النتائج الاصطناعيّة التي استُحدثت منها، ولكن عقلهم يكون عاجزاً عن رؤية الحقيقة أو محبة الجمال المطلق.

كلوكون: إن الحقيقة لواضحة.

سقراط: أقليّةٌ هم الذين يقدرون على أن يصلوا إلى هذا الجمال المثالي ويتأمّلونه.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: والذي يمتلك إحساساً بالأشياء الجميلة، ليس لديه إحساس بالجمال المحض، أو مَنْ إذا قاده آخر لمعرفة ذاك الجمال يكون عاجزاً أن يتابع ـ إنني أسأل عن شخص كهذا، أهو مستيقظ أو في حلم فقط؟ تأمَّل: أليس الحاكم،

نائماً كان أو مستيقظاً، هو الذي يماثل الأشياء غير المتشابهة، الذي يضع النسخة مكان الهدف الحقيقي؟

كلوكون: سأقول بالتأكيد إن واحداً كهذا كان حالماً.

سقراط: لكنه الذي، على العكس، يدرك وجود الجمال المحض ويكون قادراً أن يدرك الفكرةِ والأهداف التي تشترك فيها، غير واضع الأهداف مكان الفكرة ولا الفكرة مكان الأهداف ـ أيكون هذا حالماً أو مستيقظاً؟

كلوكون: إنه مستيقظ تماماً.

سقراط: وبما أنه يعرف، سيكون .واقعياً وصف حالة عقله كمعرفة، وحالة عقل الآخر الذي يرتئي فقط، كأنه رأي؟

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: أفترض أن الآخر سيتخاصم معنا ويحاجج تقريرنا. أنقدر أن نعطيه أيّ ودادٍ ملطّف أو نصيحة دون أن نشعره أن هناك فوضى محزنة في ذكائه؟

كلوكون: يجب أن نقدِّم له نصيحة خيِّرة.

سقراط: آتني إذن، ودعنا نفكِّر بشيء ما نقولُه لَه. هل سنبدأ بالتأكيد له أنّه سيكون مؤهلاً لأية معرفة يمكن أن يحوزها، وأنّنا سنسعد بامتلاكه لها؟ لكننا نحب أن نسأله سؤالاً: هل هو، الذي يمتلك معرفة، يعرف شيئاً ما أو لا يعرف شيئاً؟ « عليك أن تجيب لصالحِهِ ».

كلوكون: أجيب أنه يعرف شيئاً ما.

سقراط: شيء ما، الذي يكون أو لا يكون؟

كلوكون: شيء ما الذي يكون؛ إذ كيف يمكن أن يُعرف ذلك الذي لا يكون؟

سقراط: وهل نكون متأكدين بعد نظرنا في المسألة من وجهات متعددة من أنّ الحقيقي التام يكون أو يمكن كونه معروفاً بالتمام؟ لكن ذلك اللاحقيقي بالكليّة يكون غير معروف بالكليّة.

كلوكون: لا شيء يمكن أن يكون أكثر تأكيداً.

سقراط: جيد، لكن إذا وُجِدَ أيّ شيء، وهو ذو طبيعة كهذه الطبيعة التي تكون ولا تكون، فذلك سيحتل مكاناً وسطاً بين الكائن الطاهر (الحقيقة) والنقي المطلق للكائن؟

كلوكون: نعم، بينهما.

سقراط: وكما تُناسِب المعرفة للكائن، يجب أن يتناسب الجهل إلى اللاكائن بوضوح. وعلينا أن نكتشف الآن، لهذا الوسط بين الكائن واللاكائن، مطابَقةً وسطاً بين الجهل والمعرفة، إذا وُجِد مثل هذه المطابقة؟

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وهل نعترف بوجود الرّأي؟

كلوكون: بدون شك.

سقراط: بما أن الوجود له الملكة عينها كالمعرفة، أو غيرها؟

كلوكون: غيرها.

سقراط: يجب أن يفعل الرأي والمعرفة إذن مع أشياء مختلفة، كلٌّ طبقاً لمقدرته؟

كلوكون: نعم.

سقراط: وأن المعرفة نسبية وتعرف الوجود كما هو. لكن قبل أن أتقدّم إلى ما هو أبعد من ذلك يجب عليّ أن أضع تقسيماً.

كلوكون: ما هو التقسيم؟

سقراط: سأبدأ بوضع الملكات العقليّة في طبقة خاصة بها؛ إنها قوى كامنة فينا، وفي كل الأشياء الأخرى، والتي بها نفعل ما نفعله. سأدعو البصر والسمع، كمثال، ملكات. هل شرحت لك الطبقة التي أعنيها بوضوح؟

كلوكون: نعم، أفهم تماماً.

سقراط: دعني أخبرك تصوُّري عنها إذن. لا أتصور أنّ الملكة العقلية لها لون أو

شكل، أو أي من العلامات التي تمكنني من أن أميّز الشيء الواحد من الآخر في حالات متعددة. ففي التكلم عن الملكة أفكر في مجالها ونتيجتها فقط وأدعو ذلك الذي له المجال عينه والنتيجة عينها، أدعوه الملكة ذاتها. لكن الذي له مجال آخر ونتيجة أخرى، أدعوه متبايناً. أتلك هي طريقة تكلّمك؟

كلوكون: المعرفة هي ملكة بالتّأكيد، وهي أعظم الملكات.

سقراط: وهل الرأي ملكة أيضاً؟ أم أنّه مرتَّبٌ في طبقة أخرى؟

كلوكون: لا، الرّأي له تلك المقدرة التي نكون قادرين بها تماماً على تشكيل رأي.

سقراط: لكنك اعترفت، ومنذ فترة وجيزة، أنّ المعرفة ليست ذات شبه للّرأي.

كلوكون: لماذا؟ نعم، كيف يقدر أيُّ شخص عاقل أن يتحقق من ذلك الذي يكون معصوماً عن الخطأ والذي يخطىء؟

سقراط: جواب ممتاز! مبرهنين بذلك أننا واعون للتمييز بينهما تماماً.

كلوكون: نعم.

سقراط: إن المعرفة والرأي إذن، بما أن لهما قوى مميَّزة، فهما مَعْنيَّيْن أن يعملا في مجالين مميَّزين؟

كلوكون: إنّ ذلك لمؤكّد.

سقراط: إنّ الكائن هو مجال المعرفة، ووظيفة المعرفة هي أن تعرف طبيعة الكائن.

كلوكون: نعم.

سقراط: وما للرأي فهو يشكل رأياً.

كلوكون: نعم.

سقراط: وماذا عن الهدف عينه الذي يكون معروفاً للمعرفة؟ وهل سيكون الشيء نفسه معروفاً ومُرتأىً؟ أو أن ذلك ليس ممكناً؟

كلوكون: لا، فذلك قد نُقِض مسبقاً؛ إذا تضمَّن التباين في الملكة تبايناً في المجال، وإذا كان الرأي والمعرفة ملكتين مميزتين، كما قلنا، فمجالا المعرفة والرأي إذن لا يمكنهما أن يكونا الشيء ذاته.

سقراط إذا كان الوجود مجال المعرفة إذن، فشيء ما آخر غير الوجود يجب أن يكون مجال الرأي؟

كلوكون: نعم، إنّه شيء ما غيره.

سقراط: حسناً إذن، أيكون اللاوجود مجال الرأي، أو بالأحرى، كيف يمكن وجود رأي إلا عن ذلك الذي لا يكون؟ تأمّل: عندما يمتلك الإنسان رأياً، ألا يشير به لشيء ما؟ أيقدر أن يمتلك رأياً عن لا شيء؟

كلوكون: مستحيل.

سقراط: والذي يمتلك رأياً يمتلكه عن شيء واحد ما.

كلوكون: نعم.

سقراط: ولا يكون اللاّوجود شيئاً واحداً بل، ولنتكلّم بدقّة، لا شيء.

كلوكون: حقاً.

سقراط: كان الجهل محسوباً أنه الملازم للاّوجود، والوجود هو الملازم للمعرفة.

كلوكون: وبحقّ.

سقراط: لا يكون الرأي مختصّاً إذن مع الوجود أو مع اللاوجود؟

كلوكون: ليس مع كليهما.

سقراط: ولذلك لا يمكنه أن يكون جهلاً ولا معرفة.

كلوكون: يظهر أنّ ذلك حقيقة.

سقراط: لكن أيكون الرأي ليُبحث عنه بدون وما وراء كليهما، في وضوح أكبر من المعرفة، وفي ظلمة أكبر من الجهل؟

كلوكون: ليس في كليهما.

سقراط: أفترض إذن أن الرأي يظهر لك أنّه أظلم من المعرفة، لكنه أسطع من الجهل.

كلوكون: كلاهما؛ وليس في درجة صغيرة.

سقراط: وليكون في داخلهما وبينهما أيضاً.

كلوكون: نعم.

سقراط: ستستنتج إذن أنّ الرأيَ هو وسطٌ.

كلوكون: بدون سؤال.

سقراط: لكن ألم نقل مسبقاً، إنّه إذا بان أي شيء ليكون من النّوع الذي يكون ولا يكون في الوقت عينه، سيظهر الشيء من ذلك النّوع أنّه يقع في الفاصل بين الوجود الطّاهر واللاوجود المطلق؛ وأنّ المقدرة المطابقة ستكون لا معرفة ولا جهلاً، بَل ستوجد في الفاصل بينهما؟

كلوكون: حقيقي.

سقراط: ولقد اكتُشِف في ذلك الفاصل الآن شيء ما هو الذي نسميه رأياً.

كلوكون؟ قد اكتُشِف.

سقراط: ما يبقى ليُكتشَف هو الهدف الذي يشارك في طبيعة الوجود واللاوجود بالتساوي، ولا يقدر أن يُسمَّى كلاهما في الواقع طاهراً وبسيطاً. وعندما تُكتشف هذه العبارة المبهمة يمكننا أن ندعوها موضوع الرأي بحق، ونعين كُلاً لمقدرته المناسبة: الأطراف لمقدرات الأطراف والمتوسط لمقدرة المتوسط.

كلوكون: حقاً.

سقراط: كون هذا مفترضاً، إنني سأسأل السّيّد الذي يرتئي أنّه لا يوجد مثال للجمال المطلق وغير المتحوّل، بل لعدد من الأشياء الجميلة فقط ـ سأقول له، إنّ حُبّك للمناظر الجميلة، الذي لا يستطيع أن يتحمّل ما نخبره من أنّ الجميل هو واحدٌ، والعادل واحد، أو أنّ أيّ شيء آخر هو واحد ـ سأستأنف له قائلاً، هل ستكون شفوقاً جداً، يا سيد، كي تخبرنا ما إذا كان هناك واحد من تلك الأشياء الجميلة لا يمكن أن يُلاقي قبيحاً؛ أو من العادلين، لا يمكن أن يُلاقي ظالماً؛ أو من القديسين لا يمكن أن يتبيَّن أنه دنس؟

كلوكون: كلا، يجب أن توجد تلك الأشياء، ومن وجهات نظر مختلفة جميلة وقبيحة، وأنّ الشيء عينه هو حقيقي عن الباقي.

سقراط: ألا يظهر العديد الذي هو أضعاف ليس بأقل وضوحاً من كونه أنصَافاً؟

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: أولن تكون الأشياء الكبيرة والصغيرة، الثقيلة والخفيفة، متميزة بالأسماء التي يحدث أن استعملناها أولاً، أي أكثر من استعمال الأسماء المضادة؟

كلوكون: حقاً؛ سيُلحق كلا الإسمين بجميعها على الدوام.

سقراط: وما دام الأمر كذلك، أيمكن أن يقال عن أيٍّ من تلك الأشياء أنّه يكون، بدلاً من أن لا يكون، ذلك الذي سبق أن أسميناه؟

كلوكون: إنها مثل أحجية التورية التي تُسأل في الولائم أو ألغاز الأطفال عن الخِصي مصوِّباً على الخفَّاش. وكما يقولون في اللُّغز، بماذا ضربه، وفوق ماذا كان الخفَّاش جالساً. إن الأغراض الفرديَّة التي أتكلم عنها هي أحاجٍ أيضاً ولها إحساسٌ مضاعف: لا تستطيع أن تركِّزها في عقلك، لا كوجود أو غير وجود، أو كلاهما، أو لا أحد منها.

سقراط: ما الذي ستفعله معها إذن؟ أيمكنها أن تحوز مكاناً أفضل من مكان بين الوجود واللاوجود؟ لأنها لا تكون بوضوح في ظلام أو سلبية أكبر من اللاوجود، أو اكثر إمتلاءً بالنور والوجود من الوجود.

كلوكون: إن ذلك حقيقي تماماً.

سقراط: يبدو أننا اكتشفنا إذن أن التصورات العديدة التي يتسلَّى بها الجمهور عن الجميل وعن كل الأشياء الأخرى هي مدفوعة في منطقة ما تكون طريقاً وسطاً بين الوجود النقي واللاوجود النقي.

كلوكون: نعم، قد فعلنا.

سقراط: نعم؛ ولقد اتفقنا قبلاً أنّ أيّ شيء من هذا النوع الذي يمكن أن نجِده،

كان ليوصف أنه مسألة رأي وليس قضية معرفة كونه السّيلان الوسط الذي أمُسِك واحتجز بالمقدرة الوسط.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: إذن فأولئك الذين يحدّقون في الأشياء الجميلة العديدة، والذين لم يروا الجمال المحض مع ذلك، ولا يقدرون على اقتفاء الدّليل الذّي يشير إلى الطريق هناك، والذين يرون أمثلة العدل، لكن ليس العدل المطلق، وما شابه، يمكن القول في كل بيانات أشخاص كهؤلاء إنها تمتلك الرأي وليس المعرفة.

كلوكون: إن ذلك لأكيد.

سقراط: لكنّ أولئك الذين ينظرون إلى المحض والأزلي والثابت في كل شيء يمكن القول إنهم يعرفون، وليس لديهم الرأي فقط.

كلوكون: ولا يمكن إنكار ذلك.

سقراط: واحد يحب ويحتضن مواضيع المعرفة، وآخر يختص مواضيع الرأي. إنك ستتذكّر(٦٩) كما أجرؤ على القول، إنَّ الآخرين هم الشيء عينه، الذين سمعوا الأصوات الحلوة وحدّقوا في الأشياء الجميلة الألوان، هؤلاء لن يحتملوا وجود الجمال المحض.

كلوكون: نعم، إنني أتذكّر.

سقراط: هل سنكون مذنبين إذن، في عَدَم أية لياقة بتسميتهم محبيِ الرأي، أوْلى من محبي الحكمة، وهل سيكونون حانقين علينا لوصفهم هكذا؟

كلوكون: ليس إذا استمعوا إليّ؛ لا يمكن لإنسانٍ انّ يكون ساخطاً فيما هو حق.

سقراط: لكن أولئك الذين يحبّون الحقيقة في كل شيء يحقّ تسميتهم محبي الحكمة(٧٠) وليس محبّي الرأي.

الكتاب السادس

أفكار الكتاب الرئيسيّة

١ ـ ثقافة الحُمَاة كونهم فلاسفة.

٢ ـ تعريف الفيلسوف الحقّ ثانية.

٣ ـ جهل الكثرة للفيلسوف ونقدهم له بالباطل.

٤ ـ تعليم الفلسفة في الدولة المثاليّة وبحث في فضائلها الجوهريّة.

٥ ـ تعريف العدل، الإعتدال، الشجاعة، والحكمة ثانية.

٦ ـ ما هو الخير الأرفع، ومن يكون طفل الخير الذي يشبهه؟

٧ ـ تعريف المعرفة، الخير، والمتع الحسيّة.

٨ ـ ما هي الملذات الضرورية وغير الضروريّة؟

٩ ـ مثال الخير هو العقل الأرفع، أما الخير فهو فوق كلِّ تعريف وتحديد وصِفَة.

١٠ ـ تعريف العقل ـ المعرفة.

١١ ـ تعريف الفهم.

١٢ ـ تعريف الإيمان.

١٣ ـ تعريف إدراك الظلال.

١٤ ـ الفرق بين الرؤية بالعين الشحميّة، وبين الرؤية بالعين الروحيّة.

١٥ ـ مثال الخير، هو سبب العلم والحقيقة، ويُدرك بعلم المنطق.

الكتاب السادس

سقراط: وهكذا يا كلوكون، بعد أن قطعت المحاورة طريقاً شاقاً، ظهر للعيان، بعد زمن طويل، الفلاسفة الحقيقيون والمزوّرون.

كلوكون: لا أعتقد، أنه كان بإمكاننا تقصيرها.

سقراط: لا أفترض ذلك، وأعتقد مع هذا أنه كان بإمكاننا إمتلاك رؤيا أفضل لكليهما إذا ما كان سيقتصر البحث على هذا الموضوع الواحد، وإذا لم يُوجد العديد من الأسئلة الأخرى التي يجب أن تُحلّ قبل أن نقدر على رؤية الوجه الذي فيه تختلف حياة العادل عن تلك التي للظالم.

كلوكون: وما هو السؤال التالي؟

سقراط: إنه ذلك الذي سيلي بعدُ بإنتظام، بالتأكيد، بالقدر الذي يكون الفلاسفة قادرين فيه أن يكتنهوا الأزلي والثابت فقط. أما أولئك الذين يتوهون في منطقة المتعدد والمتغيِّر فليسوا فلاسفة. يجب أن أسألك أي من الطبقتين سيكونون الحكام في دولتنا؟

كلوكون: وكيف نقدر أن نُجِيب على ذلك السؤال بصدق؟

سقراط: أيُّ الإثنين يبدو الأفضل قدرة ليحمي قوانين دولتنا ومؤسساتها؟ دع الأفضل يُنصَّبُ حامياً.

كلوكون: جيد جداً.

سقراط: ولا يمكن أن يوجد شك أنَّ الحامي الذي سيحمي أي شيء سوف يمتلك عيوناً بدلاً من عدم إمتلاكه لها.

كلوكون: لا يمكن أن يوجد شك.

سقراط: أولاً يكون أولئك الذين تنقصهم معرفة الوجود الحقيقي لكلّ شيء بصدق وحق، والذين لا يملكون مثالاً طاهراً في أرواحهم وليسوا بقادرين أن ينظروا في الحقيقة المطلقة، كالرسّامين اليدويين، وإلى تلك النسخة الأصليّة كي يصطلحوا، وعندَ إمتلاكهم الرؤيا الكاملة سيصوغون منها القوانين عن الجمال، الخير، والعدل، إذا لم تكن قد صيغت مسبقاً، أو كي يحموا أو يحفظوا النظام حيث يوجد، أسألك، ألا يكون أشخاص كهؤلاء عمياناً بكُلّ بساطة؟

كلوكون: بالحق، إنهم كثرة في تلك الحالة.

سقراط: وهل سيكون هؤلاء حُماتنا عندما يوجد آخرون هم الذين، بجانب كونهم مساوين لهم في الخبرة لا تنقصهم أية فضيلة خاصة، يعرفون ذات الحقيقة لكلّ شيء؟

كلوكون: لا يمكن وجود أيّ سبب، لإختيار الآخرين، إذا كان رجالنا حقاً ليسوا أدنى مرتبة في طرق أخرى لأنهم يتفوقون فيما يكون محتملاً بالنقطة الأكثر أهمية من الجميع.

سقراط: إفترض إذن أننا صمّمنا كيف يكون هذا الإتحاد للمعرفة والخبرة في نفس الأشخاص متمّماً.

كلوكون: بكلّ تأكيد.

سقراط: ففي المقام الأول، وكما إبتدأنا بالمراقبة(٧١)، كيف يجب أن تُثبّت طبيعة الفيلسوف. يجب أن نصل إلى فهم عنه، وسنعرف عندها، إذا لم أكن مخطئاً، أن اتحاداً كهذا للنوعيّات ممكن، وأن أولئك الذين ستتوحّد فيهم، وأولئك فقط، سيكونون حكاماً في الدولة.

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: دعنا نفترض أن العقول الفلسفيّة تعشق كل شكل علمي، يعطيها ومضةً من الحقيقة الأزلية ليست مشوشة بالكون والفساد.

كلوكون: موافق.

سقراط: وأبعد من ذلك، دعنا نتفق بأنهم عشاق لكل الوجود الحقيقي؛ ليس هناك أي جزء سواء أكثر أو أقل، أو أكثر أو أدنى مكرمةً الذي يرغبون التبرؤ منه، كما قلنا سابقاً عن المحِب ورجل الطموح.

كلوكون: حقاً.

سقراط: وإذا كانوا كما وصفنا، أليس هناك نوعية أخرى يجب أن يحوزوها أيضاً؟

كلوكون: أيّة نوعيّة؟

سقراط: الصدق. لن يدخل الكذب عقولهم عن قصد، وهو ما يمقتونه، وسيحبُّون الحقيقة.

كلوكون: نعم، يمكن تأكيد ذلك عنهم بكل أمان.

سقراط: « يمكن » ليست الكلمة، يا صديقي. قل بالأحرى، « يجب أن تكون بشكل جازم » لأنّ من تكون طبيعته غزليّة لأيّ شيء لا يمكنه إلاّ محبّة كل ذلك الذي يخصّ أو يكون مماثلاً لغرض عواطفه.

كلوكون: حقاً.

سقراط: وهل يكون أي شيء أكثر مماثلة للعقل من الحقيقة؟

كلوكون: كيف يمكن وجوده؟

سقراط: أيقدر ذو الطبيعة عينها أن يكون عاشقاً للحكمة ومحباً للباطل؟

كلوكون: أبداً.

سقراط: يجب أن يرغب إذن، محب العلم الحقيقي منذ نعومة أظفاره، إلى الحد الكامن فيه، يجب أن يرغب بكلّ الحقيقة.

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: لكن كما نعرف بالخبرة، مرّة ثانية إذن، فهو الذي تكون رغباته قوية في اتجاه واحد سيمتلكها أضعف في الأخرى. سيكونون كالجدول الذي قد سُحِب في قناة أخرى.

كلوكون: حقاً.

سقراط: وهؤلاء الذين يرغبون في أن يكونوا مجذوبين باتجاه العلوم والدراسات الأخرى، سيكونون مستغرقين في مسرّات الروح، وسيأفل شوقهم للذات الجسد، أعني إذا كانوا فلاسفة حقيقيين وليس صُوَريّين.

كلوكون: إنّ ذلك الأكثر تأكيداً.

سقراط: إن أشخاصاً كهؤلاء هم معتدلون حقاً وعكس الجشعين لأن المحرّكات التي تجعل الرجال الآخرين راغبين في الغنى والإنفاق المسرف، ليس لها مكان في أخلاقهم.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: وهنا مقياس آخر للطبيعة الفلسفيّة التي ستؤخذ بعين الاعتبار أيضاً:

كلوكون: ما هو ذلك؟

سقراط: يجب أن لا توجد أية زاوية للدناءَة فيهم؛ لا شيء يمكن أن يكون أكثر خصاماً من الدناءَة للروح التي تتوق لمحاكاة مجمل الأشياء الإلهيّة والإنسانيّة.

كلوكون: الأكثر حقيقة.

سقراط: كيف يقدر إذن الذي يمتلك جلالةً عقليّة، ويكون مشاهداً لكلّ الأزمان وكل الوجود، أن يرى الحياة الإنسانيّة إلاّ كونها شيئاً عظيماً؟

كلوكون: إنه لا يستطيع.

سقراط: أو يتمكن واحدٌ كهذا أن يحسب الموت مخيفاً؟

كلوكون: لا حقاً.

سقراط: إذن، فإن ذا الطبيعة الجبانة والسافلة لا يملك جزءاً في الفلسفة الحقيقية.

كلوكون: لا بالتأكيد.

سقراط: أو مرّة ثانية: أيقدر الذي يكون منظّماً بالتناسق، الذي ليس دنيئاً وسافلاً، أو متباهياً، أو جباناً، أيقدر، أن يكون أبداً ظالماً أو صعباً في تعامله؟

كلوكون: مستحيل.

سقراط: إنُ لديك إشارة أخرى إذن هي التي تميّز الطبيعة الفلسفية، حتى في سن الشباب، من الطّبيعة اللافلسفيّة؛ وسوف تراقب إذا ما كان الإنسان عادلاً ولطيفاً أو وقحاً وغير إجتماعي.

كلوكون: حقاً.

سقراط: هناك نقطة أخرى لا بدّ من الإشارة إليها.

كلوكون: أية نقطة؟

سقراط: ما إذا يملك أو لا يملك السهولة في العلم؛ لأنك يجب أن لا تتوقعه أن يجد الرّضا الكامل في الدراسة التي تسبب له الألم والتي يتقدّم فيها بشكل طفيف بعد كثير عناء.

كلوكون: لا بالتّأكيد.

سقراط: وثانية، إذا لم يقدر أن يستبقي على الّذي تعلّمه، ألن يكون ممتلئاً بالنسيان وخالياً من المعرفة؟

كلوكون: إنّ ذلك مؤكّد.

سقراط: وهكذا كادحاً في الباطل، يجب أن ينتهي كارهاً نفسه وعمله العقيم.

كلوكون: نعم.

سقراط: إذن، لا يمكن للروح الكثيرة النسيان أن تُرتَّب أبداً بين الطبائع الفلسفيّة الأصليّة؛ يجب أن نصرّ على أنّ الفيلسوف سيمتلك ذاكرة جيّدة.

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: وأكثر من ذلك، فإنّ الطّبيعة اللامتناسقة والشائنة تقدر أن تجنح إلى عدم التناسب.

كلوكون: بدون شك.

سقراط: وهل تعتبر الحقيقة مماثلة إلى التناسب أو إلى عدم التناسب؟

كلوكون: إلى التناسب.

سقراط: يجب أن نحاول إيجاد العقل الحسن التناسب والرحوم بالطبيعة إذن، بجانب النوعيّات الأخرى، والذي سيهتدي لرؤية الوجود الحقيقيَ لكلّ الأشياء بسهولة.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: آمل أن لا تشكّ أن كل النوعيّات التي عددناها تتلازم وتكون ضرورية للروح التي سيكون لها إشتراك كامل وملآن في الوجود.

كلوكون: إنها ضرورية بالمطلق.

سقراط: ألا يجب أن تكون وظيفة طاهرة الذيل تلك التي يقدر أن يتابعها من يمتلك موهبة التذكّر الجيّد، ويكون سريعاً في التعلّم، نبيلاً، رحوماً، صديق الحقيقة، العدل، والاعتدال، التي هي أنسباؤها؟

كلوكون: لن يقدر إله الغيرة نفسه أن يجد عيباً في وظيفة كتلك.

سقراط: وستؤمّن الدولة، لرجال يشبهونه، عندما يكمّلهم العلم والزمن.

[قاطعنا هنا اديامنتوس قائلاً]: لا يستطيع أحدٌ أن يعطي جواباً، يا سقراط، لتلك التقارير؛ لكن عندما تتحدث بهذه الطريقة، فإن شعوراً غريباً يمرّ فوق عقول سامعيك. إنهم يتوهمون بأنهم انحرفوا قليلاً في كل خطوة من خطوات الحوار، وذلك لعَوَزِهم الخاص في مهارة سؤال وإجابة الأسئلة، ثم تتراكم عليهم تلك القِلَّة منها ويجدون أنهم تحملوا انقلاباً هائلاً في نهاية البحث، ويظهر أن رأيهم الأول قد انقلب رأساً على عقب. ويكونون قد أعيقوا بأضدادهم الأكثر مهارة كلاعبي الداما غير الحاذقين، وليس لديهم أيّة قطعة باستطاعتهم تحريكها. وهكذا فإنهم يجدون أنفسهم قد أُوقفوا أخيراً لأنهم لا يملكون أيّ شيء كي يقولوه في هذه اللعبة الجديدة، ومع ذلك فهم متأكدون أن الحقيقة ليست بجانبك. إنّني أتكلّم ذلك استشهاداً بما

يحدث الآن. لأن أيّ واحد منّا يمكن أن يقول إنه لا يستطيع أن يلتقي معك في كل خطوة من خطوات المحاورة. فهو يرى مع ذلك أن المنقطعين للفلسفة يصبح أكثرهم مخلوقين غرباء عندما يواصلون دراستها، ليس في سن الشباب فقط كجزء من التعليم، بل في تقدم سنيهم الناضجة. وليس لتقول محتالين بالكليّة. أما الذين يمكن إعتبارهم الأفضل بينهم فهم موجودون بدون فائدة على الأقل، بسبب هذه المهنة الممجّدة.

سقراط: حسناً، وهل تعتقد أن الذين يقولون هذا القول مخطئون؟

اديامنتوس: لا أقدر أن أخبرك، غير أنني أحبّ أن أعرف رأيك؟

سقراط: إسمع جوابي؛ إنني من الرأي القائل إنهم محقّون تماماً.

اديامنتوس: كيف يمكننا تبرير أن المدن لن تنقطع عن الشرّ ما لم يحكمها الفلاسفة، عندما اعترفنا أنّ الفلاسفة هم عديمو الفائدة للدولة؟

سقراط: إنّك تسأل سؤالاً، يمكن إعطاء إجابة له في التشبيه فقط.

اديامنتوس: نعم، يا سقراط؛ أفترض أن تلك الطريقة في الكلام لم تعتدها مطلقاً.

سقراط: أتصور، أنك متسلٍّ برحابة في إقحامي ببحثٍ بائسٍ كهذا. إسمع التشبيه الآن وسوف تتسلّى أكثر في تفاهة تخيلاتي لأنّ الأسلوب الّذي يُعامَل به أفضل الرّجال في دولهم الخاصّة مفجع لا مجال لمقارنة شيء به. ولذلك فإذا كنت سأدافع عن سببه، يجب أن أستنجد بالقصّة الخياليّة، وأصنع شكلاً مصنوعاً من عدّة أشياء، كالإتحادات الأسطورية للماعز والإبل التي توجد في الصور. تخيّل إذن أسطولاً أو باخرة يبحر فيها من يمتلكها، وهو أطول البحّارة وأقواهم، ولكنّه أصَمٌّ قليلاً، وله عاهة مشابهة في بصره، ومعرفته في علم الملاحة ليست أفضل من ذلك بكثير. أمّا البحّارة فيختلفون حول إدارة الدفّة، يرتئي كل منهم أنه يمتلك حق إدارتها، ولم يتعلّم فن الملاحة معَ ذلك أبداً ولا يستطيع أن يخبر عمن علّمه أو في أي وقت تعلّم.

وسيؤكّد أبعد من ذلك بقوله إن ذلك الفن لا يمكن تعليمه أبداً، وجميعهم على استعداد لأن يمزّقوا أي شخص يقول عكس ذلك. إنهم يحتشدون حول مالك السفينة مستعطفين ومصلّين له كي يعهد لهم بمقبض دفّة السفينة؛ وإذا لم يسودوا في أي وقت، بل وجدوا أنه آثر الآخرين عليهم، فسوف يقتلون الآخرين أو يرمونهم عن ظهر السفينة بعد أن يقيّدوا أولاً حواس مالك السفينة الممتاز بالشراب أو ببعض العقاقير المخدّرة ثم يأخذون على عاتقهم قيادة السفينة عابثين بكل ما في المخزن. وهكذا، آكلين وشاربين، يتقدمون برحلتهم بهذه الطريقة المتوقعة منهم. أمّا من شايعهم وساعدهم بحذق في مؤامرتهم لتخليص السفينة من بين أيدي مالكها، أكان بالقوة أو بالإقناع، فهم يحيّونه بإسم البحّار، القائد، والملاّح القادر، ويشتمون الإنسان من النوع الآخر، قائلين إنّه ليس قادراً على أيّة خدمة. غير أن القائد الحقيقي يجب أن يعير انتباهاً إلى السنة والفصُول والسماء والنجوم والرياح، وكل ما يخص فنّه، إذا كان عازماً أن يكون مؤهّلاً لقيادة السفينة بحق. هذا ما لم يدخل بجديَّة في تفكيرهم أبداً؛ ولم يفكّروا بإمكانيّة تعلّم بعض الفن، أو الحصول على بعض الخبرة الذي سيبقى القائد به قائداً، أكان ممنوحاً برضى الأناس الآخرين أم لا. مع ذلك فهكذا يكون فن علم الملاحة. إذا ما حصل كل ذلك، كيف ستكون نظرة البحارة المسافرين الى البحّار الحقيقي، وهم في سفينة سيئة النظام كهذه؟ ألن يسمُّوه ثرثاراً، محدِّقاً في النجوم، ولا يصلح لشيء؟

اديامنتوس: طبعاً.

سقراط: ستحتاج بصعوبة إذن، لتسمع تأويل الشكل الذي يصف الفيلسوف الحقيقي في نسبته إلى الدولة لأنك فهمت ما قلنا مسبقاً.

اديامنتوس: بالتّأكيد.

سقراط: أفترض أنك تأخذ بهذا التشبيه إذن إلى السيّد الذي تَفَاجأ في إيجادنا أن الفلاسفة ليس لهم تكريم في مدنهم؛ إشرحها له وحاول إقناعه أن امتلاكهم للتكريم لهو غير عادي أكثر بكثير.

اديامنتوس: سأفعلِ.

سقرآط: قل له، إنه محقٌّ في اعتباره أنَّ أفضل منذورات الفلسفة عديمة الجدوى لبقية العالم. لكن أخبره أيضاً أن ينسب قلة فائدتها إلى خطأ أولئك الذين لن يستعملوها، وليس لنفسها. القائد لن يستعطف البحّارة بذلّة كي يأتمروا بأمره. ذلك ليس نظام الطبيعة؛ ولا « أن يذهب العقلاء إلى أبواب الأغنياء ». فقد أخبر المؤلِّف اللوذعي كذبة في قوله هذا. لكن الحقيقة أنه عندما يكون الرجل مريضاً، أكان غنياً أو فقيراً، يجب أن يذهب إلى باب الطبيب جبراً. ومن يريد أن يكون محكوماً، فيذهب إلى من يكون قادراً أن يحكم. ألحاكم الذي يكون صالحاً لأيّ شيء يجب أن لا يستعطف رعيّته ليكونوا محكومين به. مع ذلك، فإن الحكام الحاليين للجنس البشري هم من طابع مختلف ويمكن مقارنتهم بالبحّارة في قصتنا.

اديامنتوس: هكذا بالضبط.

سقراط: لتلك الأسباب، وبين رجال كأولئك، فإن الوظيفة الأنبل لن تكون كما يبدو محترمة من قِبَل الذين يتبعون طريقة مضادة في الحياة. غير أن الفضيحة الكبرى الأعظم والأبقى تكون محمولة فوق الفلسفة بأتباعها الخاصّة المتظاهرين بها. إنه الشيء عينه الذي تفترض المدَّعي أن يقوله إنّ العدد الأكبر منهم هم أوغاد بكلّ ما في الكلمة من معنى، وإنّ أفضلهم عديمو الجدوى؛ إنني وافقت على الرأيين كليهما.

اديامنتوس: نعم.

سقراط: ولقد شرحنا سبب كون الأخيار عديمي الجدوى الآن.

اديامنتوس: حقّاً.

سقراط: هل سنتقدَّم إذن ونبيِّن أنّ فساد الأكثريَّة هو شيء محتَّم، ولا يوضع ذلك الإتهام على الفلسفة أكثر من وضعه على الآخرين؟

اديامنتوس: مهما كلَّف الأمر.

سقراط: دعنا نسأل ونجيب بالدور، راجعين إلى وصف الطبيعة المطلوبة للشخصية اللطيفة والنبيلة أولاً. كما تتذكر، الحقيقة كانت قائدته، الذي يجب أن يتبعها دائماً وفي كل شيء؛ وإذا فشل في ذلك، فإنه أفّاك، ولا يملك قليلاً أو كثيراً من الفلسفة الحقيقيّة.

اديامنتوس: نعم، قد قيل ذلك.

سقراط: حسناً، أولسيت هذه النوعية، ولكي لا نذكر الأخرى، في تباين عظيم مع ملاحظاته الحاليَّة؟

اديامنتوس: بالتّأكيد.

سقراط: أليس الحق أن نقول في الدفاع عنه إنَّ محب المعرفة الحقيقي يكون مكافحاً في أثر الوجود على الدوام. تلك هي طبيعته؛ إنه لن يرتاح في تكاثر الأفراد الذي هو مظهر فقط، بل سيواصل المسير. إن الحدَّ القاطع لن يثلَّم لا ولا قوة رغبته ستنقص حتى يصل إلى معرفة الطبيعة الحقيقية لكل جوهر بقوة جذَّابة وقريبة من الروح، مقترباً بتلك القوة ومختلطاً بالوجود الحق، ممتلكاً الحكمة والحقيقة. إنه سيحوز المعرفة وسيحيا وينمو حقاً وسينتهي حينها وحينها فقط من ضَنَكِهِ.

اديامنتوس: لا شيء، أكثر عدلاً من وصفٍ كهذا له.

سقراط: وهل محبة الكذب هي أي جزء من طبيعة الفيلسوف؟ أو لن يكره الكذب بالمطلق؟

اديامنتوس: إنه سيفعل.

سقراط: وعندما تكون الحقيقة هي القبطان، فلا نقدر على الاشتباه بأي شر من العصبة التي يقودها.

اديامنتوس: مستحيل.

سقراط: وسيكون العدل وصحة العقل من الجماعة، وسيتبع الاعتدال بعدُ.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: وليس هناك أي سبب لماذا سأرتِّب مرّة ثانية فضائل الفيلسوف. وكما تتذكّر بدون شكّ، فالشجاعة، وعِظَمُ العقل، والسرعة، التذكرة، هي مواهبه الطبيعيّة. ولقد اعترضت على ذلك، ولا يقدر أحد مع هذا أن يكذّب ما قلته حينها. يبقى، إذا ما تركت الكلمات وتطلعت في الأشخاص الموصوفين هكذا فإن بعضهم عديم الجدوى بوضوح، والقسم الأعظم فاسد الأخلاق بالكليّة؛ لقد قادنا البحث وقتها كي نتساءَل عن أسس تلك الاتهامات، وتوصّلنا إلى النقطة التساؤليّة الآن لماذا تكون الأكثريّة فاسدة. هذا السؤال الذي دفَعَنا مرّة ثانية بالضرورة إلى مميّزات الفيلسوف الحقيقي.

اديامنتوس: بالضبط.

سقراط: وسوف نتأمل فساد هذه الشخصيّة بالتالي. لماذا تكون هكذا كثرة قد أُتلِفت وهكذا قلّة قد أفلتت من التلف؟ إني اتكلّم عن أولئك الذين قيل عنهم إنّهم غير ذي نفع ولكنهم ليسوا خبثاء - وعندما نكون قد انتهينا معهم، فسوف نتكلم عن الشخصيّات الأخرى التي تقلّد هذه وتدّعي طريقة حياتها. أيُّ نمط من الرجال هم الذين يتطلّعون إلى المهنة التي هي أعلى منهم والتي لا يستحقّونها، وسيحملون عندها على الفلسفة والفلاسفة بتناقضاتهم المعقّدة؟ ذلك هو النبذُ العالمي للفلسفة الذي نتكلّم عنه.

اديامنتوس: ما هي تلك الفسادات؟

سقراط: سأرى إن كنت قادراً على شرحها. سيعترف كل شخص أن الطبيعة

تمتلك كلّ النوعيّات التي نحتاجها في الفيلسوف بالتمام. سيعترف أنها غرسة نادرة قلّما تكون منظورة بين الرجال.

اديامنتوس: نادرة حقّاً.

سقراط: وما الأسباب القادرة التي لا تحصى والتي تؤول إلى تدمير تلك الطبائع النادرة؟

اديامنتوس: ما هي الأسباب؟

سقراط: هناك فضائلهم الخاصّة في المقام الأول: شجاعتهم، إعتدالهم، وما تبقّى منها. وكل منها نوعيّات جديرة بالثناء « وتكون هذه الحالة الأكثر فرادة ». إنها تدمّر وتأخذ الروح من الفلسفة التي هي المالكة لها.

اديامنتوس: إنها فريدة تماماً.

سقراط: توجد كل خيرات الحياة العادية بأنواعها: الجمال، الصحة، القوة، المنزلة، والإرتباطات العظيمة في الدولة. وهكذا، إنك تفهم نوع الأشياء، تلك التي لها مفعول مفسد ومُلْهٍ أيضاً.

اديامنتوس: أفهم ذلك؛ لكنني أحبُ أن أعرف بدقّة أكثر ما تعني عنها؟

سقراط: أدرِك الحقيقة ككل، وفي الطريق الحق؛ إنك سترى عندها ما أعني بوضوح ولن تظهر الملاحظات السابقة غريبة عليك بعد اليوم.

اديأمنتوس: وكيف سأفعل هكذا؟

سقراط: نحن نعرف أنّ كل البذور أو الحبوب، أكانت خضاراً أو حيواناً لا تنمو ولا تكبر عندما تخفق في مقابلة الغذاء أو المناخ أو التربة المناسبة لحيويتها. فهي أكثر حساسيّة لعوز المحيط الملائم للنمو، لأن الشر هو العدو الأكبر للخير الإيجابي، أكثر لِمَا هو حياديّ.

اديامنتوس: حقيقي جداً.

سقراط: هناك سبب لذلك، في الإفتراض أنّ الطبائع الأجمل عندما تكون تحت الحالات الغريبة، ستتلقى أذيّة أكثر ممّا يتلقّاه الأدنى مرتبة.

اديامنتوس: بالتأكيد.

سقراط: أولاً يمكننا القول، يا اديامنتوس، إن العقول الأكثر موهبة، ستصبح شرّاً مستطيراً عندما تتلقى التعليم المريض؟ ألا تنشأ الجرائم الكبرى، ونفسيّة الشر الواضحة من الطبيعة النشطة المخرّبة بالتثقيف المريض؟ إنّ الطبائع الضعيفة تستطيع بالكاد القيام بخير عظيم تام أو شر عظيم تام.

اديامنتوس: أعتقد أنّك محق هنا.

سقراط: وسيتبع فيلسوفنا التناظر عينه ـ إنه كالغرسة التي لديها الغذاء الملائم، والتي يجب أن تنمو وتنضج بالضرورة في كل فضيلة، لكن إذا بُذِرت وغُرِسَت في تُربة غريبة، ستصبح الأكثر وبالاً من كل الأعشاب الضارّة، ما لم تُصَنْ بقدرة إلهيّة ما. هل تفكر حقاً، كما يقول الناس غالباً، أن شبابنا أفسدهم السوفسطائيّون، أو أنّ معلّمي الفن الخصوصيّين أفسدوهم؟ أليس الجمهور الذي يقول تلك الأشياء هو الأكبر من كل السوفسطائيّين؟ ألا يثقفون الشباب والمسنّين بالتمام، رجالاً ونساء على حد سواء، ويصوغونهم حسب توجهاتهم الخاصة؟

اديامنتوس: متى تُنجز هذه؟

سقراط: عندما يتقابلون معاً ويجلس البشر في الجمعيّة العموميّة، أو في المحاكم القانونيّة، أو في المسرح، أو المعسكر، أو في منتجع شعبي، وترتفع هناك جَلَبَةٌ عظيمة، ويثنون على بعض الأشياء التي تُقال وتُفعل، ويلومون الأشياء الأخرى، مبالغين في الحالتين على حدّ سواء صائحين ومصفقين بأيديهم، ويضاعف صدى الصخور والمكان الذين يجتمعون فيه صوت الثناء أو اللوم. ما الشجاعة التي ستبقى في وقت كهذا، كما يقولون، في قلوب الرجال الشبان؟ وهل سيمكّنهم أي تدريب خاص من الوقوف بحزم ضد الفيضان الغامر للثناء أو اللوم الشعبي؟ أو أن ذلك الجدول سيحملهم؟ ألن يسلّموا

بتصورات الخير والشر التي يقدِّمها ذلك الجمهور بشكل عام يمارسون ما يمارس، ويكونون كما يكون؟

اديامنتوس: نعم، يا سقراط، ستجبره الضرورة.

سقراط: ومع ذلك يبقى هناك حاجة أعظم، والتي لم يتم ذكرها بعدُ.

اديامنتوس: ما هي تلك الحاجة؟

سقراط: القوة اللطيفة لمصادرة حقوق المحكوم عليه أو الاستباحة أو الموت التي سيلجأ لها المعلِّمون والسوفسطائيّون، كما تعلم، عندما تكون كلماتهم عديمة القوّة.

اديامنتوس: إنهم يفعلون ذلك حقاً، وفي جديَّة حقة ومحققة.

سقراط: وما هو النصح الذي تتوقعه الآن من أي سوفسطائيّ، أو من أي شخص خاص كي يفوز في مبارزة غير متساوية كهذه؟

اديامنتوس: لا شيء.

سقراط: لا، حقاً، وإنه لجزء كبير من الغباء في أن تصنع المحاولة. لا توجد، ولم توجد، ولربما لن توجد أبداً، أيّة نوعيّة مغايرة للأخلاق التي لم تمتلك ممارسة أخرى في الفضيلة إلا تلك التي يهيّئها الرأي العام. إنني أتكلّم، يا صديقي، عن الفضيلة الإنسانيّة فقط؛ وما هو أكثر من الإنسان، كما يقول المثل، لا يكون متضمَّناً، لأنني لا أريدك أن تكون متجاهلاً، أنه في الحالة الحاضرة السيئة للحكومات، فالذي يُنقذ ويُصبح خيِّراً، يُنقذ بقوة الله، كما يمكننا القول بحق.

اديامنتوس: إنني أرضى تماماً بذلك.

سقراط: دعني ألتمس رضاك أيضاً في مراقبة أبعد.

اديامنتوس: ما الذي تنوي قوله؟

سقراط: ماذا؟ إن كل كاسبي الأتعاب غير الرسميّة، الذين يسميُّهم العديدون

بالسوفسطائيين ويعتبرونهم منافسيهم في العمل، يفعلون ويعملون في الحقيقة لا شيء إلاّ رأي الكثرة، ذلك لنقول، آراء جمعيّاتهم. وهذه هي حكمتهم. يمكنني أن أقارنهم بالرجل الذي سيدرس طباع ورغبات وحشٍ بطّاش وقوي قد غذّاه ونمّاه كي يتعلم كيف يقترب منه ويتعامل معه. كذلك في أي الأوقات ولأي الأسباب هو أكثر خطورة أو العكس، وما هو معنى صُراخه المتعدد، وبأيّ الأصوات يكون مسكّناً أو مهيّجاً عندما يرددها الآخرون. ويمكنك أن تفترض ما هو أبعد من ذلك، ألا وهو حضُورك المتواصل فوقه. إنه أصبح كاملاً في كل هذا، ويسمّي معرفته حكمة، ويخلق منها نظاماً أو فنّاً يشرع في تعليمه. ومع ذلك ليس لديه تصور عن أيٍّ من تلك الأشياء والآراء والشهوات أهي شريفة أو خسيسة حقاً، خيِّرة أو شرِّيرة، عادلة أو ظالمة؛ إن تلك ما هي إلاّ مجرّد أسماء يوزّعها في التطابق مع تذوقات وأمزجة الوحش العظيم. يلفظ الخير وكأنه ذلك الذي يبتهج الوحش فيه، والشر وكأنه ذلك الذي لا يحبه؛ لكنه لا يستطيع أن يعطي حساباً عنها أبعد من هذا. يفترض العادل والنبيل ليكون الضروري، أنّه لم يره بنفسه قط، ولا يملك القوة لشرحه إلى الآخرين، ولا طبيعة كليهما والفرق الكبير والأصلي بينهما. بالسماء، أليس الانسان المثقف كهذا نادر الوجود؟

اديامنتوس: إنه لكذلك حقاً.

سقراط: وفي أية طريقة يفكِّر ذلك الذي يعتقد أن الحكمة هي التمييز لأمزجة وتذوقات الكثرة المهرّجة، أكانت في الرسم اليدوي أو الموسيقى، أو أخيراً، في علم السياسات. أوَيختلف عنه ما وصفتُه؟ لأن الإنسان عندما يشارك مع العديدين ويعرض لهم شعره وأعماله الأخرى في الفن أو الخدمة التي قدّمها للدولة، جاعلاً إيّاها قضاته عندما لا يُضطر لذلك، وستُلزمه ما يُسمّى بضرورة الاستعانة بديوميد(٧٢) أن يقدّم كل ما يثنون عليه. ومع ذلك فإن

الأسباب التي يعطونها في تأييد تصوراتهم عن الشريف والخيِّر هي مضحكة بالكليّة. ألم تستمع لأيٍّ منها مطلقاً والتي لم تكن موجودة؟

اديامنتوس: لا، ولن أستمع لها على أيّة حال.

سقراط: دعني أسألك ما هو أبعد من ذلك، بعد أن وضعت هذا نصب عينيك، ما إذا سيكون العالم مُستمالاً ليعتقد أبداً في وجود الجمال المحض بالأخص الجمالات المتعددة، أو المطلق في كل نوع أوْلى من المتعدد في كل نوع؟

اديامنتوس: لا بالتّأكيد.

سقراط: إن العالم إذن لا يقدر أن يكون فيلسوفاً بالاحتمال؟

اديامنتوس: مستحيل.

سقراط: يجب كحتمية لذلك أن يقع الفيلسوف تحت نقد العالم.

اديامنتوس: يجب عليه.

سقراط: والأفراد الذين يشاركون الغوغاء وينشدون مراضاتهم؟

اديامنتوس: إنّ ذلك جليّ.

سقراط: هل ترى أيّة طريقة إذن يمكن حفظ فيلسوف المستقبل بواسطتها وَجَعْلهُ يصر على ندائه حتى يصل إلى قوامه التام؟ وتذكّر بأنه كان عليه أن يمتلك السرعة والتذكرة والشجاعة وسعة العقل ـ لقد سلّمنا بها أنها مواهب لتلك الطبيعة.

اديامنتوس: نعم.

سقراط: ألن يكون واحدٌ كهذا الأولَ بين الجميع وفي كل شيء منذ بدء حداثته، خاصة إذا كانت مواهبه الطبيعية الجسديّة كتلك العقليّة؟

اديامنتوس: بدون سؤال.

سقراط: وسوف يستعطفونه ويكرّمونه، جاثين على قدميه لأنهم يريدون امتلاك القوّة التي سيحوزونها يوماً ما من خلال المداهنة.

اديامنتوس: يحدث ذلك غالباً.

سقراط: وماذا يُحتمل من رجل كهذا أن يفعل في ظروف كهذه، خاصة إذا كان مواطناً من مدينة عظيمة، غنياً ونبيلاً، وشاباً طويلاً وسيماً؟ ألن يكون ممتلئاً بالتطلعات اللامحدودة، ويتوهَّم أنه يقدر على أن يدير شؤون الهيلينيّين والبربر، وعندَ دخول تلك النزوات إلى رأسه، ألن تطغى عليه الخيلاء المملوءَة تفاهة وتكبراً أحمق؟

اديامنتوس: سيكون ذلك. لتكن متأكداً.

سقراط: وعندما يكون في تلك الحالة العقليّة الآن، وإذا أتى وتقدّم شخص ما إليه بلطف وأخبره ما هي الحقيقة، وأنّه غبيّ وعليه أن يحصل على الفهم الذي يمكن أن يكسبه بالكدح، فهل تعتقد أنه سيُستمال تحت حالات معاكسة كهذه ويستمع بسهولة لِمَا يُقال له؟

اديامنتوس: إن ذلك مختلف تماماً.

سقراط: وحتى إذا وُجد الشخص الذي انفتحت عيناه قليلاً، وكان متواضعاً ومجذوباً إلى الفلسفة من خلال خيرٍ متأصلٍ فيه وعقلية طبيعيّة، فكيف سيتصرّف أصدقاؤه الذين يشعرون بأن يفقدوا المنفعة التي أملوا أن يجنوها من صحبته على الأرجح؟ ألن يفعلوا أو يقولوا أي شيء لمنعه من الاستسلام لطبيعته الأفضل وليجعلوا أستاذه عاجزاً عن تعليمه، مستعملين مكائد خاصّة لهذه الغاية بالإضافة إلى إقامة الدعوى العامّة؟

اديامنتوس: إنه ما يُتعذر اجتنابه.

سقراط: وكيف يمكن لواحد ممن يكون في حالة كهذه أن يصبح فيلسوفاً أبداً؟

اديامنتوس: إنها ليست سهلة.

سقراط: ألم نكن محقين في القول إذن، إنه حتى النوعيّات التامة التي تخلق الإنسان فيلسوفاً يمكن أن تنزع لتحوّله عن توجهاته بطريقة ما، ليس بأقل مما يسمّى بخيرات الحياة، كالغنى والأشياء الملازمة له.

اديامنتوس: كنا محقّين تماماً.

سقراط: وهكذا يكون مسبِّباً كل ذلك الخراب والإخفاق الذي كنت واصفاً به الطبائع الأفضل تكييفاً، إلى أفضل المهن كلها. إنها الطبائع التي تؤكّد بإيراد الدليل لتكون نادرة في أي زمان. ويتحدر من هذه الطبقة الرجال الذين يجلبونَ الشر الأعظم للدول والأفراد معاً، وأيضاً الخير الأعظم عندما يحملهم التيار في ذلك الإتجاه. لكن الطبيعة الوضيعة لا تفعل شيئاً عظيماً أبداً أكان للأفراد أو للدول.

اديامنتوس: إنه لأكثر حقاً.

سقراط: وهكذا تُترك الفلسفة وتُهجَر، مع طقوس زواجها ناقصاً لأن من يخصها من الرجال قد ارتدَّ عنها ونبذها. وبينما هم يقودون حياة باطلة وغير لائقة فإن أشخاصاً حقيرين، مشاهدين أنها لا تملك أهلاً لها وأقرباء ليكونوا حماتها، يدخلون ويهينونها، ويلقون فوقها التوبيخ الذي ينفثه مؤنبوها، كما تقول، مؤكّدين أن مريديها أولئك هم أشخاص عديمو القيمة وأن العدد الأكبر منهم يستحق العقاب الأصرم.

اديامنتوس: إن ذلك ما يقوله الشعب بالتأكيد.

سقراط: نعم؛ وماذا ستتوقع غير ذلك، عندما تفكّر بتلك المخلوقات السقيمة التي شاهدت هذه الأرض متروكة وغير محتلّة ـ أرض مختزنة بالأسماء المموَّهة والألقاب المبهرجة ـ كالسجناء الهاربين من السجن إلى الملاذ، يقفزون خارج مهنهم إلى الفلسفة؛ هؤلاء الذين يفعلون ذلك كونهم بالاحتمال أحذق الأيدي في صناعتهم الشقيّة؟ لأنه بالرغم من أن الفلسفة تكون في هذه الحالة السيئة، يبقى هناك كرامة فيها حتى الآن، والتي لا توجد في بقية الفنون. وهذه ما هي إلاّ جذب للعديد من ذوي الطبائع الناقصة والأرواح المعطلة والموثّقة بخساستها، كما تكون أجسادهم بمهنهم وصناعاتهم تماماً. أليس ذلك محتّماً؟

اديامنتوس: نعم.

سقراط: أليسوا هم بالضبط كالسمكري الصغير الأصلع الذي حالما خرج من السجن وأتى وورث ثروة، يستحم ويلبس ثوباً جديداً، ويتزيّن كالعريس ذاهباً ليتزوّج بنت سيّده المتروك فقيراً وبائساً؟

اديامنتوس: إنه تواز أكثر دقّة.

سقراط: كيف سيكون نتاج تزاوج كهذا، ألن يكون فاسداً وهجيناً؟

اديامنتوس: لا جدال في ذلك.

سقراط: وعندما يقترب للفلسفة أشخاص غير جديرين بالتعليم ويعقدون اتحاداً معها وهي في مرتبة أعلى منهم، فأي نوع من الأفكار والآراء يرجّح ظهوره؟ ألا يستحق أن يسمى مغالطات بصدق، ولا يمتلك أي شيء صادق فيه أو قريباً إلى الحكمة الحقيقة؟

اديامنتوس: لا شك.

سقراط: إنّ مستحقّي الفلسفة إذن، يا اديامنتوس، هم الحواريُون الذين لا يكونون إلاّ بقيّة صغيرة جداً؛ بالصدفة بعض الأشخاص النبلاء وجيّدي التعليم، محتجزين بالنفي في خدمتها يبقون مخلصين لها في غياب التأثيرات الفاسدة، أو روح ما عالية المقام وُلدت في مدينة خسيسة، تزدري بالسياسات وتستخف بها، ويمكن وجود أقلية موهوبة من الذين يتركون الفنون التي يزدرونها بعدل، ويأتون إلى الفلسفة. أو يوجد بحكم الصدفة بعض الذين هم مقيّدون بِمِكْبَحِ صديقنا ثيجس؛ لأن كل شيء في حياة ثيجس تآمر ليحوّله عن الفلسفة. لكن الصراع ضد المرض جعله يبقى بعيداً عن السياسة. أما حالة إشارتي الداخليّة فلا تستحق الذكر إلاّ بصعوبة، لأنه نادراً إن لم يكن أبداً، قد أُعطي مُنذِرٌ كهذا لأي رجل آخر. إن أولئك الذين ينتمون إلى هذه الطبقة الصغيرة تذوّقوا كم هو شيء حلو ومبارك

امتلاك الفلسفة، ورأوا كذلك بما فيه الكفاية جنون الدهماء. ويعرفون كذلك، وهذا بشكل عامّ، أن ليس من سياسي أمين، ولا يوجد أي بطل للعدل الذي يمكنهم أن يحاربوا بجانبه ويُنقذون. يمكن مقارنة واحد كهذا برجل سقط بين وحوش ضارية. فهو لن ينضمّ إلى خبث زملائه، وليس بقادر أن يقاوم كل طبائعهم العنيفة، ومشاهداً لذلك أنه لن يكون بذي فائدة إلى الدولة أو إلى أصدقائه، ومفكراً ملياً أنه سيضيّع حياته بدون أن يفعل أي خير لنفسه أو للآخرين، فيفضّل السلامة ويذهب بطريقه الخاص. إنه يكون كذلك الذي ينكفىء تحت حِمَى جدار، في عاصفة الغبار والبَرَد التي تحملها الريح المتحركة معه، ومبصراً بقية الجنس البشري ممتلئاً بالفوضى. إنه يكون قانعاً، إذا أمكنه أن يحيا حياته الخاصة ويكون طاهراً من الالتواء والمآثر التي لا تتسم بالتقوى وينطلق راحلاً من هذه الحياة في سلام ورضا مع الآمال المشعَّة.

اديامنتوس: نعم، لقد أتمَّ عملاً عظيماً قبل أن يغادر.

سقراط: عمل عظيم! نعم؛ لكن ليس الأعظم، ما لم يجد دولة ملائمة له، لأن في الدولة التي تكون مناسبة له، سوف يمتلك تطوراً أوسع وينقذ بلاده، بالإضافة لإنقاذ نفسه.

إن الأسباب التي تتلقى الفلسفة من أجلها إسماً سيئاً قد عُلِّلَ الآن كفاية. لقد أبَنَّا الإتهامات الظالمة ضدَّها كذلك، فهل تريد أن تضيف شيئاً؟

اديامنتوس: لا شيء أكثر عن هذا الموضوع. لكنني أحب أن أعرف أيُّ الحكومات الموجودة حالياً هي التي تتكيَّف معها في رأيك؟

سقراط: ولا واحدة منها، وذلك هو ما أتهمها به. ليس هناك مجتمع واحد موجود يستحق الطبيعة الفلسفيَّة. ومن ثم فإن تلك الطبيعة مشوَّهة ومُبعدة، كالبذرة الدخيلة التي غُرست في أرض غريبة متعوِّدة لتُغلب ولتُضيِّع نفسها في شكل

نبتة فطريَّة. حتى هكذا فإن تطور الفلسفة في الوقت الحاضر لا يستطيع أن يبيِّن طبيعتها المناسبة، بل تنحلُّ في شكل آخر. لكن إذا ما وجدت الفلسفة دولة كاملة كنفسها أبداً، فسوف يكون مرئياً أنها تكون إلهيَّة في الحقيقة، وأن كل الأشياء الأخرى ليست سوى إنسانية، أكانت طبائع الرجال أو المجتمعات. وأعرف أنك ستسأل الآن، ما هي تلك الدولة؟

اديامنتوس: لا، إنك على خطأ هنا، لأنني كنت مستعدّاً لأسألك سؤالاً آخر ـ سواءٌ كانت الدولة التي نحن موجدوها وصانعوها، أو أخرى غيرها؟

سقراط: نعم، إنها دولتنا في أكثر نواحيها؛ ويمكن أن تتذكر قولي سابقاً، إننا سنكون محتاجين دائماً لخبير حي في الدولة له الفكرة عينها عن المجتمع الموجِّه بك عندما كنت راسماً القوانين كمشرِّع.

اديامنتوس: قد قيل ذلك.

سقراط: نعم، لكنه لم يكن مُبَرْهَناً في أسلوب إقناعيٍّ. إنك أخفتنا باعتراضاتك المتداخلة التي أظهرتْ أن الوصف سيكون طويلاً وصعباً بالتأكيد، وما بقي هو عكس السهل.

اديامنتوس: وما هو الباقي؟

سقراط: يبقى السؤال: كيف يمكن تنظيم دراسة الفلسفة بحيث لا تشكل خراباً للدولة. إن كل المحاولات الكبرى هي محفوفة بالمخاطر، وكما يقول الرجال « الخير صعب ».

اديامنتوس: يبقى أن تفسِّر النقطة الأساسيَّة، وسيكون الوصف كاملاً حينها.

سقراط: لن أكون مَعُوقاً بأي نقص في العزيمة، لكن بنقص في القوة، إذا كان ذلك على الإطلاق. ويمكنك أن ترى حماستي بنفسك وأن تلاحظ من فضلك فيما أكون على وشك قوله، وكيف أعلن بكل جرأة وبدون تردد، أن الدول يجب أن تتتبَّع الفلسفة ليس كما تفعل الآن، بل في نفسية مختلفة.

اديامنتوس: بأي طريقة؟

سقراط: إن أولئك الذين يتبنّون الفلسفة في الوقت الحاضر هم أحداث تماماً على أية حال، وهم بالكاد إجتازوا سن الطفولة، ولم يتدِئوا بعدُ لا في تحصيل المال ولا في تدبير البيت. أنهم يُضيّعون الوقت سدىً في أكثر أجزائها صعوبة، والذي أعنيه هو دراسة الاستنتاج من المقدمات، وينتقلون عندها إلى الأشياء الأخرى. إنهم أولئك الذين يُفترض أن تكون لديهم النفسيّة الفلسفيّة الأكثر. وعندما يدعوهم شخصٌ آخر يفعل الشيء عينه، عندما يُدعون في سن شيخوختهم، لربما يمكنهم الذهاب وسماع محاضرة، وسيخلقون ضجيجاً كثيراً وجلبة من أجلها لأنهم لا يعتبرون الفلسفة كونها عملهم المناسب. أو أخيراً، عندما يتقدمون في السن، فإنهم سيكونون في الحالات الأكثر شهرة بحق، أكثر شهرة من شمس هيراقليطس(٧٣)، نظراً لأنهم لن يُضيئوا أبداً مرّة ثانية.

اديامنتوس: لكن ما الذي يجب أن تكون عليه طريقتهم.

سقراط: العكس تماماً. يجب أن تكون دراستهم في سن الطفولة والشباب، وأن يكون ما تعلموه من الفلسفة، مناسباً لأعمارهم الغضّة. خلال هذه المدّة، وبينما هم يتجهون نحوَ سن الرجولة، فإن العناية الرئيسيّة والخاصة يجب إعطاؤها لأجسامهم التي يمكن أن يستعملوها في خدمة الفلسفة؛ وكما تتقدّم الحياة ويبدأ الذكاء بالنضوج، دعهم يزيدون تمارين الروح الرياضيّة. لكن عندما تفشل قوة مواطنينا، ويكونون قد أدّوا واجباتهم المدنيّة والعسكريّة، دعهم يتجولون بحريةٍ عندها ولا ينهمكون في أي عمل آخر إلا أثناء التسلية لأننا ننوي أن نجعلهم يحيون بسعادة هنا، وأن يتوّجوا هذه الحياة بسعادة مماثلة في الحياة الثانية.

اديامنتوس: كم أنت جاد بحق، يا سقراط! إنني متأكّد من ذلك؛ ومع هذا فإن

أكثر سامعيك، إذا لم أكن مخطئاً، سيمعنون في مضادّتك على أية حال، ولن يقتنعوا أبداً؛ ثراسيماخوس أقلُّهم.

سقراط: لا تخلق نزاعاً بين ثراسيماخوس وبيني، فلقد أصبحنا صديقين حديثاً، ولم نكن عدوين مع ذلك بحق أبداً. إنني سوف أستمر مجاهداً لأقصى حد حتى أهديه والرجال الآخرين، أو أفعل شيئاً ما يمكن أن ينفعهم استعداداً لليوم الذي يحيون فيه من جديد ويحتفظون ببحث مشابه في حالة وجود أخرى.

اديامنتوس: إنك تتكلم عن الزمن الذي ليس قريباً جداً.

سقراط: على الأصح، عن الذي يكون وكأنه لا شيء في المقارنة مع الخلود. مع ذلك فإنني لا أتعجب أن الكثرة من الناس ترفض أن تصدِّق لأنهم لم يروا قط ذلك الذي نتكلم عنه مُدْرَكاً. إنهم رأوا التقليد المبتذل للفلسفة فقط، مؤلَّفاً من كلمات حُضِّرت اصطناعياً معاً، وليست كالتي تخصنا ولها إيقاع طبيعي. غير أن الكائن الإنساني الذي صيغ في القول والفعل، بقدر ما هو ممكن، إلى تناسب ومثال الفضيلة ـ إن رجلاً كهذا يحكم في مدينة تحمل المثال عينه، لم يروها أبداً على أية حال، لا واحدهم ولا كثرة منهم ـ هل تظنّ أنهم فعلوا ذلك في أي وقت؟

اديامنتوس: لاَ حَقّاً.

سقراط: لا، يا صديقي، وهم لم يسمعوا عواطف حرّة ونبيلة إلا نادراً، ولربما قد سمعوها في أي وقت، كتلك التي يرددها الرجال عندما يكونون جديين ومهما كلّف الأمر من قوّتهم باحثين عن الحقيقة إكراماً للمعرفة، بينما ينظرون ببرودة على دقيق الجدل، والذي تكون غايته رأياً ونزاعاً، سواء واجهوها في المحاكم القانونية أو في المجتمع.

اديامنتوس: إنهم غرباء، إلى الكلمات التي تنطق بها.

سقراط: لقد تنبأنا بهذا، وهو ما أجبرتنا الحقيقة على الاعتراف به، ليس بدون خوف وتردد، ذلك أنه لا المدن ولا الدول ولا الأفراد ستصل إلى الكمال حتى تُجبَرَ تلك الطبقة الصغيرة من الفلاسفة التي سمَّيناها غير نافعة ولكنها ليست فاسدة، وتكون نتيجة لصدفةٍ ما، أكانت بارادتهم أو ضدها، أن تقوم برعاية الدولة، أو حتى تفرض ضرورة مماثلة على الدولة لإطاعتهم؛ أو حتى يكون الملوك، وإذا لم يكون الملوك، فأولاد الملوك والأمراء، ملهمين إلهياً بالعشق الحق للحكمة للفلسفة الحقيقة. إنني لا أرى سبباً يدعوني إلى التأكيد، في أن يكون أي منهما أو كلاهما مستحيلاً. وإذا كان هكذا، فيمكن حقاً أن يُسخَرَ منا بعدل كحالمين وخياليّين. ألست على حق؟

اديامنتوس: محق بالتمام.

سقراط: إن يكن الفيلسوف الكامل إذن في الأدوار الماضية التي لا تحصى، أو في ساعتنا الحالية، إن يكن في إقليم غريب ما بعيد وما وراء إدراكنا، أو كان أو سيكون مجبراً في ما بعد بقوة علوية أن يتحمَّل أعباء الدولة، فإننا على استعداد لنؤكّد حتى الموت أن بنيتنا هذه كانت، وتكون، نعم، وستكون متى تكون مصدر وحي الفلسفة، ستكون ملكة. ولا استحالة في كل هذا. أما وجود صعوبة، فإننا نعترف بها من تلقائنا.

اديامنتوس: إن رأيي يتوافق مع آرائك.

سقراط: لكنك تعني مرّة ثانية أن هذا الرأي ليس رأي الأكثرية؟

اديامنتوس: إنني أتصوّر ذلك.

سقراط: ويا صديقي، لا تهاجم الدهماء في هكذا نمط كاسح. إنهم سيغيّرون تفكيرهم، إن لم يكن في نفسية عدوانيّة، لكن بلطف قصد تهدئتهم وإزالة كرههم لزيادة التعليم. أرِهم فلاسفتك كما يكونون حقاً، وصف كما فعلت لتوّك الآن شخصيتهم ومهنتهم كي لا يستمروا في الظن أنك تكون متكلّماً

عن شخص كهذا كما افترضوا. إنهم سيغيِّرون مفهُومهم عنه بالتّأكيد، إذا شاهدوه في هذا النور الجديد، ويجيبون بطريقة أخرى. ومن يقدر أن يعادي من يحبهم؟ من الذي يكون نفسه لطيفاً وخالياً من الحسد سيكون غيوراً من ذلك الذي لا غيرة عنده. لا، دعني أجيب لأجلك، أنه يمكن إيجاد هذا الطبع القاسي في القلّة لكن ليس في أكثرية الجنس البشري.

اديامنتوس: أتوافق معك تماماً.

سقراط: ألا تعتقد أيضاً، كما أفعل، أن الشعور الجاف الذي يضمره العديد نحو الفلسفة ينشأ في المدَّعين الذين اندفعوا إلى الداخل بدون دعوة، الذين يشتمون ويجدون الأخطاء في كل منهم، والذين يجعلون الهوية الشخصيّة موضوع نقاشهم الوحيد؟ ولا يمكن أن يكون أي شيء غير لائق في الفلاسفة أكثر من هذا.

اديامنتوس: إنه الأشدّ قلّة لياقة.

سقراط: إذ، يا اديامنتوس، من يكون عقله مركّزاً على الوجود الحقيقي لا يملك وقتاً بالتّأكيد كي ينظر تحتياً في مشاكل الأرض، أو أن يكون ممتلئاً بالمكر والحسد، متبارياً في مضادّة الرجال. إن عيونه مصوَّبة نحو الأشياء الثابتة وغير القابلة للتغيير، التي يراها لا تؤذي الآخرين ولا يؤذونها، ولكن الكل متحرك بانتظام طبقاً للعقل. إنه يقلّد أولئك، ويريد أولئك، وبقدر ما يمكنه، يشاكل نفسه معهم. أيقدر الإنسان أن يمتنع عن تقليد ذاك الذي يجري معه حديثاً موقّراً؟

اديامنتوس: مستحيل.

سقراط: والفيلسوف، مجرياً محادثة مع النظام الإلهيّ يصبح نظامياً وإلهياً بقدر ما تسمح به الطبيعة الإنسانيّة؛ لكنه سيقاسي من حط قدره ككل شخص آخر.

اديامنتوس: طبعاً.

سقراط: وإذا فرضت الضرورة عليه أن يكون مناضلاً ليحوّل ما يراه هناك إلى أخلاق الرجال، أكان في الدول أو الأفراد، بدلاً من صياغة نفسه فقط. فكّر، أسيكون هذا صانعاً غير بارع للعدل، للاعتدال، ولكل فضيلة مدنيّة؟

اديامنتوس: أي شيء عدا قلّة البراعة.

سقراط: وإذا تصوّر البشر أن ما نتكلّم عنه هو الحقيقة، فهل سيكونون غاضبين مع الفلسفة؟ وهل سيكفّروننا، عندما نخبرهم أنه لا يمكن لدولة أن تكون سعيدة إذا صمّمها فنّانون لا يقلّدون المثال السماوي؟

اديامنتوس: إنهم لن يكونوا غضاباً إذا فهموا، لكن كيف سيرسمون التصميم الذي تتكلّم عنه؟

سقراط: سيبدأون بتبنّي الدولة وأنماط الرجال، من الذين، وكما عن الطاولة، سيمسحون النسخة ويُبقون الوجه النظيف. إن هذا لن يكون عملاً سهلاً. لكنه سواء كان سهلاً أو لاَ، سيكمن الفرق هنا بينهم وبين كل مشرّع آخر. إنهم ليس لديهم أي شيء ليفعلوه لا مع الفرد ولا الدولة، ولن يسنّوا أية قوانين، إلى أن يتسلّموا سطحاً نظيفاً من الآخرين، أو أنهم صنعُوا ذلك بأنفسهم.

اديامنتوس: سيكونون محقين تماماً في عملهم.

سقراط: وبما أنهم قد فعلوا هذا، سيتقدّمون ليخطّوا شكل المجتمع.

اديامنتوس: بدون شك.

سقراط: وعندما يكملون العمل، كما أتصوّر، فإنهم سيحوّلون أعينهم إلى أعلى، وإلى أسفل: أعني أنهم سينظرون في العدل والجمال والاعتدال وكل الأشياء كهذه بادىء ذي بدء، كما تكون بالطبيعة، وسينظرون في النسخة الإنسانيّة مرّة ثانية وسيمزجون ويعدّلون المواد المختلفة للحياة في المثال الإنساني. وسيتصوّرون هذا وفقاً للمثال الآخر الذي يسمّيهِ هوميروس شكل وشبه الله عندما يكون موجوداً بين الرجال.

اديامنتوس: حقيقي جداً.

سقراط: وسيمحون هيئة ويضعون أخرى، حتى يسدُّون طرق الرجال، بقدر ما هو ممكن ومقبول لطرق الله.

اديامنتوس: حقاً، ولن يتمكنوا من صنع صورة أجمل منها بأيّة طريقة.

سقراط: وهل سنبدأ الآن بإقناع أولئك الذين وصفتهم وكأنهم يهجمون علينا بأقصى قوة لأن راسم المجتمع هو واحد كهذا الذي أثنينا عليه، والذي كانوا ساخطين عليه جداً لأننا سلّمنا الدولة إليه، وهل أصبحوا أقل هدوءاً بعد الذي سمعوه منا لتوّهم؟

اديامنتوس: سيصبحون أكثر هدوءاً إذا كان عندهم أي فَهْم.

سقراط: لماذا؟ وأين يمكنهم أن يجدوا أي أساس لاعتراضهم؟ وهل سيشكُّون بأن الفيلسوف هو محبٌّ للحقيقة والوجود؟

اديامنتوس: لن يكونوا هكذا غير عقلانيّين.

سقراط: أو أن طبيعته، وهي التي رسمنا خطوطها العريضة، مماثلة للخير الأرفع؟

اديامنتوس: لا يمكنهم الشك في ذلك أيضاً.

سقراط: لكنهم هل سيخبروننا مرّة ثانية أن طبيعة كهذه، عندما تتدرّب بالتناسب، ألن تكون خيّرة وعاقلة بالكمال إذا ما كان أيٌّ أبداً؟ أو أنهم سيفضّلون أولئك الذين رفضناهم؟

اديامنتوس: لا بالتأكيد.

سقراط: هل سيصرّون على غضبهم من قولنا إذن، وهو أنه ما لم يمارس الفلاسفة الحكم، فإن الدول والأفراد لن يرتاحوا من الشر، ولن تتحقق دولتنا الخياليّة هذه أبداً.

اديامنتوس: أعتقد أنهم سيكونون أقلّ غضباً.

سقراط: هل سنعتبره أمراً مفروغاً منه وهو أن لا يكونوا أقلّ غضباً فقط بل لطفاء

تماماً، وأنهم تحوّلوا للحياء في الواقع، إن لم يكن لأي سبب آخر، ولا يمكنهم رفض التوصل إلى تفاهم معنا؟

اديامنتوس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: دعنا نفترض إذن أنّ الصلح قد تحقق، هل سينفي أي شخص النقطة الرئيسة الأخرى، أنه قد يكون. هناك أولاد ملوك أو أمراء فلاسفة بالطبيعة؟

اديامنتوس: لن ينفيها أي إنسان بالتّأكيد.

سقراط: وعندما يأتون إلى الوجود، أيقدر أي شخص أن يبرهن أنهم يجب أن يدمَّروا بالضرورة، وأنه يمكن إنقاذهم بصعوبة؟ هذا ما لا يمكن أن ينكرها أحدٌ حتى نحن. غير أنه خلال كل العصور لا يمكن لأيّ فرد منهم أن يهرب. من سيجازف ليؤكّد هذا؟

اديامنتوس: من يستطع حقاً؟

سقراط: لكن واحداً يعتبر كافياً. لو كان هناك إنسان واحد، ممن لديه مدينة طيّعة لإرادته لأمكنه أن يُحضر إلى الوجود كل شيء يكون العالم في شك منه.

اديامنتوس: نعم، إن واحداً يكون كافياً.

سقراط: وعندما يفرض الحاكم القوانين والأعراف التي وصفنا، أليس من المستحيل أن يطيعها المواطنون؟

اديامنتوس: على الإطلاق.

سقراط: وأن الآخرين سيصادقون على ما صادقنا، فليست أعجوبة أو استحالة؟

اديامنتوس: لا أعتقد.

سقراط: لكننا رأينا في الذي تقدّم بما فيه الكفاية، أنه إذا كان هذا ممكنا فقط، فسيكون للأفضل بالتّأكيد.

اديامنتوس: لقد فعلنا.

سقراط: يبدو أنه بإمكاننا أن نستنتج الآن إذن، أن ليس إذا سُنّت قوانيننا فستكون للأفضل فقط، بل إن سنّها، مع أنّه صعب، فليس مستحيلاً.

اديامنتوس: يمكننا ذلك.

سقراط: وهكذا وصلنا إلى نهاية الموضوع بعد الألم والعناء. لكن يبقى ما سنبحثه أكثر: كيف سيُخلق منقذو دستورنا وبأية دراسات وملاحقات، وفي أي سِنٍّ سيضعون أنفسهم حسب دراساتهم المتعددة؟

اديامنتوس: بالتّأكيد.

سقراط: لقد أَسقطتُ مهنة امتلاك النساء الشاقة، وإنجاب الأطفال، وتعيين الحكام، لأنني عرفت أن الدولة الكاملة سيُنظر إليها بحسد وأنها صعبة التحقيق؛ لكن تلك العينة من المهارة لم تكن بذات خدمة كثيرة لي، بالرغم من أنني بحثتها مع ذلك. لقد حسمنا أمر النسّاء والأطفال الآن، لكن يجب علينا أن نستقصي السؤال الآخر عن الحكام من البداية بالذات. كنّا قائلين كما ستتذكّر، أنهم سيكونون محبين جليين لبلادهم، مجرَّبين بامتحان الملذات والآلام، ولن يفقدوا إيمانهم الراسخ، لا في الصعوبات ولا في الأخطار، ولا في أية لحظات حرجة أخرى. ومن يفشل سيكون مرفوضاً، والذي سيصعد نقياً على الدوام، كالذهب الممتحن في نار المصفّي، سيُنصَّبُ حاكماً، وليتسلَّم الكرامات والجوائز في الحياة وبعد الموت. هذا هو نوع الشيء الذي قيل. وبعدئذ، فالمحاورة تحوَّلت جانباً وسترت وجهها غير ميّالة لإثارة السؤال الذي ظهر الآن للعيان.

اديامنتوس: الأكثر حقيقة، لأنني أتذكّر تماماً.

سقراط: نعم، يا صديقي، وانكمشتُ بعدئذ عن المخاطرة بالكلمة الجسورة. لكن دعني الآن أتجرّأ وأقول: إنّ حُماتنا الكاملين يجب أن يكونوا فلاسفة.

اديامنتوس: نعم، دع ذلك يكون مثبّتاً.

سقراط: ولا تفترض أنه سيوجد العديد منهم لأن المواهب الضروريّة نادراً ما تنمو معاً؛ إنها توجد في الرقع والقطع الصغيرة في المقام الأول.

اديامنتوس: ماذا تعني؟

سقراط: إنك مدرك، أن سرعة الذكاء، التذكرة، الحصافة، الحذق، والنوعيّات المشابهة، لَا تظهر إلى حيّز الوجود معاً، وأن الأشخاص الذين يمتلكونها هم ذوو نفسيّة عالية وشهامة في نفس الوقت ولا يشكّلون بالطبيعة بحيث يعيشون في أسلوب نظامي خالٍ من الإضطراب ومستقر. إنهم يكونون مدفوعين في أيما طريق بحوافزهم، وتخرج منهم كل المبادىء الوطيدة.

اديامنتوس: حقيقي جداً.

سقراط: وفي اليد الأخرى، فإن تلك الطبائع الثابتة والراسخة تظهر أنها أكثر جدارة بالثقة التي تكون منيعة ضد الخوف وصامدة في المعركة. إنها لصامدة بالتساوي عندما يوجد أي شيء لتتعلمه؛ لكنها تكون في حالةٍ حَذِرَةً دائماً، وعرضة للتثاؤب والذهاب إلى النوم بسبب أي كدح عقلي.

اديامنتوس: حقيقي تماماً.

سقراط: ونعلن نحن مع ذلك أن نصيباً محقاً وجيداً لكلا النوعيتين هو ضروري في أولئك الذين سيُمنحون التعليم الأعلى والذين سيسهمون في أي منصب أو قيادة.

اديامنتوس: بالتّأكيد.

سقراط: وهل هم طبقة نادرة الوجود؟

اديامنتوس: نعم، حقاً.

سقراط: إن الطامح إلى المجد إذن يجب أن لا يخضع لهذا الاختبار في تلك المهمّات والأخطار والمسرّات التي ذكرناها سابقاً فقط لكنّ هناك نوعاً آخر من الاختبار الذي لم يُذكر قط، يجب أن يكون متمرّناً أيضاً في عدّة أنواع من المعرفة لنرى ما إذا كانت الروح قادرة أن تتحمل أعلى جميعها، أو أنها سَتَهِنُ تحتها، كما يفعل الرجال في الدراسات والتمارين الأخرى.

اديامنتوس: نعم، إنك محق تماماً في اختبارك هذا. لكن ماذا تعني بالمعرفة الأعلى؟

سقراط: يمكنك أنْ تتذكّر، أننا قسّمنا الروح إلى ثلاثة أجزاء وميّزنا الطبائع المتعددة للعدل، الإعتدال، الشجاعة، والحكمة، بإقامة علاقة سببيّة لكلّ منها.

اديامنتوس: حقاً، وإن كنت قد نسيت، فلن أستحق أن أسمع أكثر.

سقراط: وهل تتذكّر كلمة التحذير الذي سبق بحثها(٧٤)؟

اديامنتوس: إلى ماذا تشير؟

سقراط: لقد قلنا، إذا لم أكن مخطئاً، إن من يريد أن يراها في جمالها الكامل يجب أن يسلك طريقاً أطول وغير مباشر، والذي سيظهر في النهاية. لكننا نستطيع إضافة بيان تفسيريٍّ شعبي عنها على مستوى البحث الذي تقدَّم. وأجبت بأنّ بياناً تفسيرياً كهذا سيكون كافياً لك. وهكذا فإن البحث كان مشكّلاً في أسلوب يبدو إليّ كونه غير كافٍ في دقّتِهِ؛ اقتنعت أم لم تقتنع، أترك قولها لك.

اديامنتوس: نعم، إنني اعتقدت واعتبر الآخرون أنك أعطيتنا مقياساً عادلاً للحقيقة.

سقراط: لكن، يا صديقي، إن مقياساً لأشياء كهذه لا يكفي في أيّة درجة لسَبْرِ كُنْهِ الحقيقة. فهو ليس مقياساً عادلاً. لأن الشيء الناقص ليس مقياساً لأي شيء. مع ذلك فالأشخاص يميلون أيضاً إلى الاكتفاء بهذا ويظنون أنهم لا يحتاجون البحث في ما هو أبعد.

اديامنتوس: إنها ليست بالحالة غير المألوفة عندما يكون الناس كسالى.

سقراط: نعم، لكن حارس الدولة والقوانين هو آخر شخص يحق له إظهار الكسل.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: يجب أن يكون الحارس إذن محتاجاً ليأخذ دورة أطول، وكدحاً في العلم ليس بأقل صعوبة من التمرين البدني، أو أنه لن يصل أبداً إلى المعرفة الأرفع التي كما كنّا قائلين لتوّنا، أكثر ما تخصه.

اديامنتوس: ماذا؟ أهناك معرفة أخرى أرفع من هذه، أعلى من العدل والفضائل الأخرى؟

سقراط: نعم، يوجد. يجب أن نلاحظ في الفضائل ليس الصورة الكفافية فحسب، كما في الحاضر، فلا شيء سيقنعنا أقل من الصورة الأكثر كمالاً. عندما تكون الأشياء ذوات القيمة الصغيرة مرتبة مع الآلام اللامحدودة كي تتمكّن من أن تظهر في جمالها التام وصفائها الأقصى، كم سنكون سخفاء إن لم نفكّر أنَّ الحقائق الأرفع جديرة بالدقّة الأرفع!

اديامنتوس: أفكار صحيحة نبيلة؛ لكن هل تفترض أننا سوف نحجم عن سؤالك ما الذي تعنيه بهذه المعرفة الأرفع وما هو موضوعها؟

سقراط: لا، إسأل إذا أردت، لكنني متأكّدٌ أنك سمعت الجواب مرّات عديدة. وبعدُ إما أنك لم تفهمني، أو كما سأعتقد على الأصح، تعدٌ لإحراجي بإعاقة تقدمي. فغالباً ما أخبرتك أن مثال الخير هو المعرفة الأرفع، وأنّ كل الأشياء الأخرى، والعدل بينها، تصبح نافعة ومفيدة باستعمال هذه. إنك جاهل بصعوبة أن هذا هو ما أنا على وشك قوله، وأكثر من ذلك فإن معرفتنا لمثال الخير غير وافية. أنت تفهم أنه بدون هذه المعرفة، فلن تنفعنا أيّة معرفة أخرى أو حيازة أي نوع آخر مطلقاً منها. هل تعتقد أن امتلاك كل الأشياء الأخرى بذي قيمة إن لم تكن خيّرة؟ أو امتلاك نوع من الحكمة التي تشمل كل الأنواع، لكنها لا تمتلك التفكير بالشريف والخيّر؟

اديامنتوس: لا بالتأكيد.

سقراط: إنك لمدرك ما هو أبعد من ذلك، وهو أن الشعب بأكثريته يؤكّد أن المتع الحسيّة خيرٌ، غير أن العقول ذات النوعية الدقيقة تقول المعرفة.

اديامنتوس: نعم.

سقراط: ومدرك أيضاً أن الآخرين لا يقدرون أن يشرحوا ما هي المعرفة التي يقصدون، لكنهم ملزمون أن يقولوا معرفة الخير برغم كل شيء.

اديامنتوس: حقاً، وأن تلك لمضحكة جداً.

سقراط: نعم. إنهم سيوبّخوننا لجهلنا بالخير، ويسلّمون حينها بمعرفتنا عنه لأنهم يعرّفون الخير أنه معرفة الخير، تماماً وكأننا فهمناهم عندما يستعملون العبارة « خير » - وهذه هي مضحكة بالطبع.

اديامنتوس: أكثر حقيقة.

سقراط: ماذا عن أولئك الذين يجعلون المتع الحسيّة خيرهم؟ ألا يكونون في ارتباك متساوٍ لأنهم مجبرون على الاعتراف بوجود لذات شريرة بالإضافة إلى الخيّرة؟

اديامنتوس: بالتّأكيد.

سقراط: وبناء عليه لنعترف أن الأشياء عينها تكون شريرة وخيّرة معاً؟

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: من الجلي إذن، أن الخلافات في الرأي حول الخير كبيرة.

اديامنتوس: بدون شك.

سقراط: وليست جلية بطريقة مماثلة وهي أن العديد مقتنعون ليفعلوا أو ليملكوا أو ليظهروا لكم ما هو عادل وجميل بدون الحقيقة. لكن لا أحد يكون مقتنعاً بمظهر الخير. إنهم ينشدون الحقيقة. وفي حالة الخير، فإن مظهره يكون محتقراً بكل شخص.

اديامنتوس: حقيقي جداً.

سقراط: فيما يتعلّق بهذه الفكرة إذن، والتي تسعى روح كل إنسان لها وتضع حدّاً لكل أعماله، ومالكاً هذا الإنسان شعوراً داخلياً بأن هناك نهاية كهذه، فإنه يتردد برغم ذلك لأنه ليس بعارفٍ الطبيعة ولا مالكاً نفس التوكيد لهذه الأشياء كما للأشياء الأخرى، ويفقد كل ما يوجَدُ خيّراً في الأشياء الأخرى بسبب ذلك. أيجب لأفضل الرجال في دولتنا الذين يؤتمن لهم كل شيء، أن يكونوا في ظلام جهلهم لمبدأ كهذا؟

اديامنتوس: لا بالتأكيد.

سقراط: إنني لمتأكّد، أنّ من لا يعرف كم يكون النبيل والعادل أيضاً خيّراً لن يكون إلا حارساً حزيناً لها؛ وأشتبه بأن يجوز جاهل الخير معرفة حقيقية عنه.

اديامنتوس: إن ذلك شكٌّ لاذع منك.

سقراط: وإذا كان لدينا الحارس الذي يحوز هذه المعرفة فستكون دولتنا منظمة بالتمام؟

اديامنتوس: طبعاً، لكنني أرغب أن تخبرني ما إذا كنت تتصوّر هذا المبدأ الأسمى للخير. أهو معرفة أو متعاً حسيّة أو خلافاً لأي منها؟

سقراط: يا سيدي، أقدر أن أرى جيداً منذ البدء بشكل تام، أنك لم تكن قانعاً بآراء الآخرين فيما يخص تلك المسائل.

اديامنتوس: حقاً، يا سقراط. لكن عليَّ أنْ أقول، إنّ الشخص المشابه لك الذي قضى حياة طويلة في دراسة الفلسفة يجب أن لا يردّد آراء الآخرين دائماً، ولا يخبر الذي يخصّه أبداً.

سقراط: حسناً، لكن أيملك أي شخص الحق ليقول حقيقة ما لا يعرف؟

اديامنتوس: ليس مع الثقة باليقين المطلق؛ ليس لديه الحق في فعل ذلك. لكن يمكنه قول ما يعتقده، كمسألة رأي.

سقراط: أو لم تراقب أن كل الآراء المجردة سيئة، وأن أفضلها أعمى؟ إنك لا تنكر أنَّ الذين لديهم نظرية حقيقية بدون فهم يشبهون الرجال العميان الذين يستشعرون إتجاههم بموازاة الطريق الصحيح.

اديامنتوس: حقيقي جداً.

سقراط: وهل ترغب في الاحتفاظ بالذي هو أعمى وغير مستقيم ودنيء عندما سيخبرك الآخرون عن الإشراق والجمال؟

كلوكون: يبقى عليَّ أن أناشدك، يا سقراط، أن لا تتصرف مباشرة وكأنك بلغت الهدف؛ وسنكون قانعين إذا أعطيتنا شرحاً كالذي أعطيته مسبقاً عن العدل والاعتدال والفضائل الأخرى.

سقراط: نعم، يا صديقي، وسأكون قانعاً بالقدر نفسه، لكنني لا أقدر أن أحول دون الخوف من الفشل، وأن حماسي الطائش سيجلب عليَّ السخرية. لا، يا أسياد، لنغضّ النّظر في الوقت الحاضر عن ماهية الطبيعة الحقيقية للخير كي نصل إلى ما هو في تفكيري الآن. سيكون جهداً كبيراً عليَّ. لكنني مستعد أن أتكلَّم عن طفل الخير الذي هو الأشبه به، إذا ما كنت متأكّداً أنك راغب سماع ذلك، وإلا، فلا.

كلوكون: أخبرني عن الطفل، وسوف تبقى مديناً لنا عن حساب الآباء، مهما كلَّف الأمر.

سقراط: إنني أرغب حقاً أن أدفع، وأن تتسلم حساب الآباء، وليس عن الذريَّة فقط كما هي الحال الآن. المهم، خذ هذا الآخر بطريق الفائدة، وحاذر أن لا أدفع لك نقوداً مزيَّفة في الوقت عينه، مع أنني لا أملك تصحيحاً لخداعك.

كلوكون: نعم، سنأخذ كل الاهتمام الذي نقدر عليه. تقدَّم.

سقراط: نعم، لكنني يجب أن أصل إلى تفاهم معك بادىء ذي بدء، وأذكِّرك بالذي أشرت إليه في سياق هذا البحث، في عدة أوقات أخرى.

كلوكون: ماذا؟

سقراط: الحكاية القديمة، أن هناك عدة أشياء جميلة وعدة خيرات. وهناك جمال حقيقي، وخير حقيقي مرَّة ثانية؛ وكل الأشياء الأخرى التي أسميناها متعددة قد طُبِّقت عملياً. إنها الآن محضَّرة تحت فكرة واحدة، ومعتبرين هذه الوحدة أمراً مفروغاً منه، فنحن نتكلم عنها في كل حالة كأنها تلك التي تكون بحق.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: تكون الكثرة، كما نقول، مرئية لكن غير معروفة، وتكون الفِكَرُ معروفة لكن غير مرئية.

كلوكون: بالضبط.

سقراط: وما هو العضو الذي يمكننا بواسطته رؤية الأشياء المنظورة؟

كلوكون: البصر.

سقراط: ونسمع بآلة السمع، وندرك عن طريق الحواس الأخرى المواضيع الحسيّة الأخرى.

كلوكون: حقا.

سقراط: لكن ألم تلاحظ أن البصر هو القطعة الاكثر نفاسة وتعقيداً إلى حد بعيد التي استنبطها صانع الحواس أبداً؟

كلوكون: ليس بالضبط.

سقراط: فكّر ملياً إذن: أتملك الأذن والصوت حاجة لأية طبيعة ثالثة أو طبيعة إضافيّة كي يتمكّن الشخص من أن يسمع والآخر ليكون مسموعاً؟

كلوكون: لا شيء من هذا النوع.

سقراط: لا، حقاً، وأن الشيء عينه هو صحيح عن الكثرة، إن لم يكن عن كل الحواس الأخرى. لن تقول بأن أيّاً منها يحتاج لإضافة كهذه؟

كلوكون: لا بالتّأكيد.

سقراط: لكنك ترى أنه بدون إضافة بعض الطبائع الأخرى لا توجد رؤيا أو وجودٌ مرئي.

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: البصر موجود، كما أتصور، في العينين، ومن له العيون هو بحاجة أن يرى اللون كونه حاضراً في الأهداف، ومع ذلك ما لم توجد طبيعة ثالثة مُتخَذةً للغرض فالبصر كما تعرف، لن يرى شيئاً وستكون الألوان محجوبة.

كلوكون: عن أية طبيعة تتكلّم؟

سقراط: عن تلك التي تدعوها النور.

كلوكون: حقاً.

سقراط: الوثاق الذي يربط حاسة البصر وقوة وجود الرؤيا معاً، يكون جلياً إذن. إنه جوهرٌ أنبل من صلات أخرى كهذه ما لم يكن البصر شيئاً وضيعاً؟

كلوكون: بل عكس الوضيع.

سقراط: وأيٌّ من الآلهة في السماء ستقول كان مولى هذا العنصر؟ لمن يكون ذلك النور الذي يجعل العينين مبصرتين بالتمام والمرئي ظاهراً للعيان؟

كلوكون: يجب أن أُجيبَ ـ كما سيفعل كل الرجال، وكما تتوقع أنت بصراحة ـ الشمس.

سقراط: ألا يمكن لعلاقة البصر بهذه الألوهيّة أن توصف كما سيلي.

كلوكون: كيف؟

سقراط: لا البصر ولا العضو الذي يقيم فيه، الذي ندعوه العين، هو الشمس؟

كلوكون: لا.

سقراط: مع ذلك فإن العين هي أكثر الحواس شبهاً بالشمس؟

كلوكون: الأكثر شبهاً إلى حدّ بعيد.

سقراط: والقوة التي تمتلكها العين هي نوع من التدفّق الموزّع من الشمس؟

كلوكون: بالضبط.

سقراط: الشمس ليست البصر إذن، بل مبدعة البصر الذي يكون مُدرَكاً بالبصر.

كلوكون: حقاً.

سقراط: يجب أن تفهم، أن هذا الذي أدعوه طفل الخير الذي أنجبه الخير شبيهاً له ليكون في العالم المرئي قريب البصر وأشياء البصر، يكون ما هو الخير في العالم العقلي في قرابة إلى العقل وأشياء العقل.

كلوكون: أوضح من فضلك.

سقراط: تعرف أنت، أن العينين عندما يوجههما الشخص بإتجاه الأهداف التي لا يكون مشعّاً عليها ضوء النهار بعدُ، بل ضوء القمر والنجوم فقط، فإنه يرى بخفوت ويكون أعمى تقريباً؛ إنها تفتقر لوضوح الرؤيا فيها.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: لكن عِندَما تتوجه نحو الأهداف التي تشع الشمس عليها، فإنها ترى بجلاء ويوجد بصر فيها.

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: والروح شبيهة بالعين عندما تستقر فوق الذي تُشعّ عليها الحقيقة والوجود. فالروح تدرك عن طريق الحواس وتفهم، وتكون متقدة بالذكاء. لكنها عندما تنحرف نحو الفجر الكاذب وإلى تلك الأشياء التي تأتي إلى الوجود وتفنى، حينها تملك رأياً فقط، وتنظر بعينين طارفتين نصف مفتوحتين هنا وهناك، ثم تكون أولاً برأي وبعدَ حين بآخر، وتبين أنها لا تفهم ولا تدرك.

كلوكون: هكذا تماماً

سقراط: وبعدُ، فذلك الذي يمنح الحقيقة إلى المعروف وقوة المعرفة إلى العارف هو، كما أريدك أن تقول، مثال الخير. وهذا المثال، وهو سبب العلم والحقيقة، ستتصوّره كوجود مُدرَك بالمعرفة، ومع ذلك فهو خالٍ من العيوب كما هي الحقيقة والمعرفة كلاهما، وستكون محقاً لتجلّه كشيء مختلف عن هذه وحتى أجمل. ويمكن القول بحق، كما في المثال السابق، إنّ النور والبصر شبيهان بالشمس ومع ذلك فهما ليسا الشمس. وهكذا في المجال الآخر فإن العلم والحقيقة يمكن اعتبارهما شبيهين بالخير، لكن من الخطأ أن نعتقد أنهما الخير. الخير له مكان شريف أعلى فوق ذلك.

كلوكون: ما هذا الجمال السحري الواجب كونه، والذي هو مبدع العلم والحقيقة، ومع ذلك فإنه يتفوق عليهما في الجمال إذ لا يمكنك أن تعني بالتأكيد أن تقول إنّ الملذات الحسيّة هي الخير.

سقراط: لا سمح الله! لكن أيمكنني أن أسألك لتعتبر الصورة في وجهة نظر أخرى؟

كلوكون: في أية وجهة نظر ؟
سقراط: يمكنك القول، إن الشمس ليست مُوجِدة الرؤيا في كل الأشياء المرئية فقط، بل في الولادة والتغذية والنمو. مع ذلك فإنها نفسها ليست تولُّداً.
كلوكون: بالتأكيد.
سقراط: يجب أن تقول في أسلوب مماثل إنّ الخير يغرس قوة الوجود المعروف في كل الأشياء المعروفة، لكنه يهب فوقها وجودها وبقاءها أيضاً. ومع ذلك فإن الخير ليس الوجود، بل يمتد خلفه بعيداً في الكرامة والمنعة.
كلوكون: [بجدية مضحكة] بنور السماء، إن ذلك أبعد حقاً.
سقراط: نعم، ويمكن أن تسجِّل عليك المبالغة لأنك جعلتني أتفوه بتخيلاتي.
كلوكون: وصلّ كي تواصل التفوه بها؛ دعنا نسمع إن كان هناك أي شيء أكثر ليقال عن تشبيه الشمس على كل حال.
سقراط: نعم يوجد مقدار غير محدَّد.
كلوكون: لا تُسقط شيئاً إذن، مهما كان طفيفاً.
سقراط: أتوقع أن أُسقط مقداراً غير محدَّد، لكنني لن أفعل هذا عمداً، بقدر ما تسمح الظروف الحاضرة.
كلوكون: لا آمل ذلك.
سقراط: عليك أن تتصوَّر إذن، أن هناك قوتين حاكمتين، وأن واجدة منهما موضوعة فوق العالم العقلي، والأخرى فوق المرئي. أنا لا أقول السماء، خشية أن تتوهَّم أنني ألعب فوق الإسم أيمكنني أن أفترض بأنك تملك هذا التمييز للمرئي والمدرَك بالعقل فقط ثابتاً في عقلك.
كلوكون: إنني أملك ذلك.
سقراط: خذ الآن خطاً كان قد قُطِعَ إلى جزأين غير متساويين، وقسّم كلاً منهما بالنسبة عينها مرّة ثانية، وافترض أن أحد القسمين يطابق العالم المرئي والآخر العالم العقلي، وعندها قارن التقسيمات فيما يتعلق بوضوحها أو غموضها،

وسوف تجد أن المقطع الأول في المجال المرئي يتألف من الصور، وأعني بالصور، في المكان الأول، الظلال، وفي المكان الثاني الإنعكاسات في الماء أو في المجسّم، الأجسام الناعمة والمصقولة وما شابه. هل تفهم؟

كلوكون: نعم، إنني أفهم.

سقراط: تخيّل الجزء الآخر الآن، والذي يكون هذا شبهاً له فقط، لنضمّن كل الحيوانات التي نرى، وكل شيء ينمو ويُصنع.

كلوكون: جيد جداً.

سقراط: ألا تعترف أن جزآ القسمة كلاهما يملكان درجات مختلفة من الحقيقة، وأن النسخة تكون إلى الأصليّة كما يكون مجال الرأي إلى مجال المعرفة؟

كلوكون: الأكثر بلا ريب.

سقراط: تقدم بعده بالتالي لتعتبر الأسلوب الذي سيكون المجال العقلي فيه مقسّماً.

كلوكون: بأي طريقة؟

سقراط: هكذا: يوجد قُسَيمان، في الأسفل حيث تكون الروح مجبرةً أن تركّز تساؤلها على الفرضيّات لأنها كانت تستعمل تلك الأشياء كالصور التي كانت معكوسة في التقسيم السابق، متقدمة ليس نحو المبدأ بل نحو الإستنتاج؛ أما الروح فإنها تتقدّم من الفرضيّات، فيما هو أعلى من الإثنين وتذهب صعوداً إلى المبدأ الذي هو أعلى من الفرضيّات غير عابئة باستعمال الصور كما في الحالات السابقة، بل متقدمة في المثل أنفسها وخلالها.

كلوكون: إنني لا أفهم معناك تماماً.

سقراط: سأحاول مرّة ثانية إذن. ستفهمني بشكل أفضل عندما أضع بعض الملاحظات التمهيديّة. تدرك أن تلاميذ الهندسة، الحساب، والعلوم المتناسبة يحسبون الفرد والزوج والأشكال وثلاثة أنواع من الزوايا وما شابه، يحسبونها في فروعهم العلميّة المتعددة؛ تلك هي فرضيّاتهم التي يفترض أن

يعرفوها كما يعرفها كل شخص آخر، ولذلك لا يتفضلون كي يعطوا أي حساب عنها لا لأنفسهم ولا للآخرين، بل يبدأون بها، ويسيرون حتى يصلوا إلى الحل الذي انطلقوا لإيجاده في النهاية، وفي أسلوب متين.

كلوكون: أعرف، نعم.

سقراط: ألا تعرف ذلك مع أنهم يستعملون الأشكال المرئية ويجادلون بشأنها، فإنهم لا يفكّرون بتلك، بل بالمثل العليا التي تشبه؛ ليس بالأشكال التي يرسمون، بل بالمربع المطلق والقطر المطلق. وهكذا فالأشكال التي يرسمون أو يصنعون، والتي تمتلك الظلال نفسها التي رسموها في الماء، تكون بدورها معكوسة بها إلى صور لأنهم يطلبون رؤية الأشياء التي يُستطاع رؤيتها بعين العقل فقط.

كلوكون: إن ذلك لحقيقي.

سقراط: وهذا ما عنيته بتقسيم أجزاء المعقول في الاستكشاف عن ذلك الذي تكون الروح فيه مجبرة على استعمال الفرضيّات؛ ليست مرتقية إلى السبب الأول، لأنها غير قادرة على أن ترتفع فوق منطقة الفرضيّات، بل مستخدمة الآن تلك الأغراض التي كانت الظلال التحتية مشتقّة منها كصور؛ وحتى تلك اعتُبرت صافية ومميّزة بالمقارنة مع الظلال.

كلوكون: أفهم ما تعني، إنك تتكلّم عن مقاطعة الهندسة والفنون الشقيقة.

سقراط: وعندما أتكلّم عن التقسيم الآخر للعقلي، فسوف تفهمني لأتكلم عن ذلك النوع الآخر للمعرفة التي يصل لها العقل نفسه بقوة علم المنطق، مستعملاً الفرضيّات ليس كمبادىء رئيسيّة، بل حرفيّاً كفرضيّات ـ لِنَقُلْ، كخطى ونقاط عبور إلى العالم الذي هو فوق الفرضيّات، كي تحلّق ما وراءه إلى المبدأ الأول للكل؛ وملتصقة بهذا ومن ثمّ بذلك الذي يعتمد على هذا، ثم تهبط مرّة ثانيّة بخطى متتابعة وبدون مساعدة أي غرض حسّي، من المُثُل، خلال المُثُل، وفي المُثُل هي تنتهي.

كلوكون: أفهمك، ليس تماماً. يبدو لي أنّك تصف عملاً عظيماً بالحقيقة؛ لكن على أيّة حال، أفهمك قائلاً إن ذلك الجزء العقلي، كونه الجزء الذي يفكّر علم المنطق فيه، وإنه لأنقى من ذلك الذي يقع تحت الفنون، كما تُسمّى، والتي تأخذ الفرضيّات كمبادىء لها. ومع أن الأغراض هي من نوعية كهذه التي يجب معاينتها بالفهم وليس بالحواس، مع ذلك، فلأنها تبدأ من الفرضيّات ولا ترتقي إلى المبدأ الأول، فإن أولئك الذين يتأملونها، يظهرون لك أنهم لا يمارسون العقل الأعلى عليها. أفترض أن العادة التي تكون مختصّة بالهندسة والعلوم ذات الأصل الواحد ستسمّيها فهماً وليس عقلاً، كونها وسطاً بين الرأي والعقل.

سقراط: لقد أدركت معناي تماماً. وبعدُ، تصوّر وجود أربع قدرات في الروح متطابقة مع التقسيمات الأربع تلك ـ العقل مجيباً إلى الأعلى، الفهم إلى الثاني، الإيمان (أو الإعتقاد) إلى الثالث، وإدراك الظلال إلى الأخير ـ وتصوّر وجود مقياس لها، واتركنا نفترض أن القدرات المتعددة تملك نقاءً في الدرجة عينها التي تمتلكها أغراضها للحقيقة.

كلوكون: أفهم، وأسلّم، وأرضى بتنظيمك.

الكتاب :لسابع

أفكا_ الكتاب الرئيسئة

١ ـ قصّة الكهف ورموزها وإشاراتها.

٢ ـ تعريف عالم البصر.

٣ ـ تعريف نور النار.

٤ ـ تعريف معراج الروح في العالم العقلي.

٥ ـ تعريف عالم المعرفة، ومثال الخير.

٦ ـ المعرفة لا يمكن تعليمها، لقد وُجدت في الروح من قبلُ.

٧ ـ إرتقاء حُماتنا نحو الحقيقة التي هي الفلسفة الحقيقيّة، وفي ذلك إسعادٌ للدولة كلها.

٨ ـ تدريب حُماتنا على الموسيقى والرياضة وتعليمهم علم العدد والحساب والتشديد عليهما، وعلم الهندسة الباطنيّة، وعلم النجوم، وحركات الأفلاك.

٩ ـ تعليم حُماتنا علم الجدل بشكل خاص وهو غاية العلوم كلها، والذي بواسطته يتمكن الإنسان من الإستكشاف الحقيقي للوجود بنور العقل، ثم يصل بعدها إلى الخير المحض فنهاية العالم العقلي.

١٠ ـ علم الجدل هو العلم الوحيد الذي يلغي الفرضيّات ويذهب مباشرة إلى السبب الأول. إنه الحجر الأعلى لكل العلوم.

١١ ـ العلوم أربعة أقسام، إثنان للعقل، وإثنان لأهل الرأي. سنسمّي الأول علماً، الثاني فهماً، الثالث اعتقاداً، والرابع الإدراك الحسّي للظلال.

١٢ ـ يبدأ التعليم البنّاء في سن الطفولة طوعاً وليس بالإكراه.

١٣ ـ العقل المدرِك هو العقل الجدلي دائماً.

١٤ ـ يبدأ تعليم علم الجدل في سن الثلاثين، والتدريب عليه خمس سنين، والخبرة فيه خمس عشرة سنة.

١٥ ـ هكذا تقوم الدولة السعيدة.

الكتاب السابع

سقراط: دعني الآن، أبيِّن إلى أي مدى تكون طبيعتنا متنوِّرة أو مظلمة. أنظر: كائنات بشريَّة أُسكنت في كهف تحت الأرض له ممرٌ طويل مفتوح باتجاه النور وبإتّساع داخليَّة الكهف. لقد وُجدوا هنا منذ طفولتهم، وقُيِّدت سيقانهم وأعناقهم، ولا يمكنهم أن يتحرَّكوا أو يروا إلا ما هو أمامهم فقط لأن السلاسل منعتهم من إدارة رؤوسهم. هناك فوقهم وخلفهم نارٌ متأججة من مسافة، وهناك بين النار والسجناء طريق مرتفع. ولسوف ترى، إذا نظرت، حائطاً منخفضاً على طول الطريق، كالشريط المنخلي الذي يضعه أمامهم لاعبو الدمى المتحركة الذين يعرضون الدمى فوقه.

كلوكون: إنني أرى.

سقراط: وهل ترى، رجالاً مارِّين على طول الحائط يحملون كل أنواع الأوعيَة والتماثيل وأشكال الحيوانات مصنوعة من الخشب والحجر والمواد المتنوعة التي تظهر فوق الحائط؟ وبينما هم يحملون أعباءَهم، فإن بعضهم، كما تتوقَّع يتكلم والآخر يلتزم الصمت.

كلوكون: إنك أريتني صورة غريبة، وإنهم لسجناء غريبون.

سقراط: إنهم سجناء مثلنا. هل تعتقد في المقام الأول أنهم رأوا أي شيء عن أنفسهم، أو رأى واحدهم الآخر، ما عدا الظلال التي ترميها النار على الجهة المقابلة لحائط الكهف؟

كلوكون: كيف يمكنهم فعل ذلك، إذا لم يُسمح لهم خلال حياتهم كلها أن يحرِّكوا رؤوسهم؟

سقراط: وسيرون الظلال فقط من الأغراض المحمولة بطريقة مشابهة.

كلوكون: نعم.

سقراط: وإذا كانوا قادرين على محادثة بعضهم، ألن يفترضوا أن الأشياء التي رأوها هي الأشياء الحقيقيّة؟

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: وافترض ما هو أبعد ألاَ وهو أن السجن له صدىً آتٍ من الجانب الآخر، ألن يكونوا متأكدين في توهمهم عندما تُكَلِّم أحد المارة أن الصوت الذي سمعوه أتى من الظل المارّ؟

كلوكون: بدون سؤال.

سقراط: بالنسبة لهم، ستكون الحقيقة حرفياً لا شيء سوى الظلال والصور.

كلوكون: إن ذلك لأكيد.

سقراط: وأنظر الآن مرّة ثانية، وانظر بأيّ أسلوب سيُعْتَقون من قيودهم وسيُشفون من أخطائهم، وما إذا كانت العملية بالطبيعة كالتالي: بادىء ذي بدء، حين يكون أيٌّ منهم قد تحرَّر وأُجبر أن يقف فجأة ويدير رقبته ما حوله ويمشي وينظر باتجاه النور، فإنه سيعاني آلاماً حادَّة. سيضايقه التوهج، ولن يكون قادراً أن يرى الحقائق حيث رأى الظلال في حالته السابقة؛ وسيتصوَّر حينها شخصاً ما يقول له إن ما رآه سابقاً كان وهماً. لكن الآن، عندما يكون إقترابه أدنى إلى الوجود، وتكون عيناه مدارة نحو البقاء الأكثر حقيقة، فإنه سيمتلك الرؤية الأنقى. فماذا سيكون جوابه؟ ويمكنك أن تتصوَّر ما هو أبعد وهو أن أستاذه يشير إلى الأهداف كما تمرُّ وكما يريده أن يسمِّيها. ألن يكون مرتبكاً؟ ألن يتوهَّم أنّ الظلال التي رآها بالسابق هي أحق من الأغراض المبيّنة له الآن؟

كلوكون: أحق ببعد كبير.

سقراط: وإذا كان مُجبراً على النظر في النور رأساً، ألن تؤلمه عيناه وهذا سيضطره لأن يُقصى ويأخذ ملاذاً في الأهداف المرئية التي يمكن مشاهدتها، والتي سيتصورها لتكون في الحقيقة أصفى من الأشياء التي قد أُرِيت له الآن؟

كلوكون: حقاً.

سقراط: وافترض مرّة أخرى أنه يُسحب بتثاقل في ذلك المرقى الوعِر المنحَدِر، ثم يتوقف سريعاً حتى يكون مرغماً داخل حضرة الشمس نفسه، أليس محتَملاً أن يتألم ويثأر؟ وعندما يقترب من النور فإن عينيه سيُخطف بصرها، ولن يتمكّن أن يرى أي شيء على الإطلاق ممّا يسمّى الآن حقائق.

كلوكون: ليس الكل في لحظة.

سقراط: سيحتاج لأن يزداد تعوداً إلى مشهد العالم العلوي. وسيرى الظلال أفضل أولاً، ومن ثمّ انعكاسات الرجال والأهداف الأخرى في الماء، وبعدها الأهداف أنفسها. وعندما يتحوّل إلى الأجرام السماويّة والسماء نفسها، فلسوف يجد أن الأسهل أن يحدّق في ضوء القمر والنجوم من أن يرى الشمس أو نور الشمس في وضح النهار.

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: سيكون قادراً أن يرى الشمس في آخر الأمر بشكلها الحقيقي وليس في انعكاسها الوهمي في الماء. وسيحدق في الشمس مباشرة في مكانها الخاص المناسب متأملاً فيها مليّاً.

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: وسينتقل ليحاور بعدها أن هذا يعطي الفصول والسنين، ويحرس الكل الكائن في العالم المرئي، وفي طريق مؤكّد سبب كل الأشياء التي قد اعتاد هو ورفاقه على رؤيتها.

كلوكون: بصفاء، إنه سيصل إلى هذه النتيجة بعد الذي رآه.

سقراط: وعندما تذكّر مسكنه القديم، وحكمة الكهف ورفاقه السجناء، ألا تفترض أنه سيهنىء نفسه على التغيير، ويتشفق عليهم؟

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وإذا كانوا قد آعتادوا على منح التكريمات بين أنفسهم على أولئك الذين كانوا الأسرع ليراقبوا الظلال العابرة ويلاحظوا أيّاً منها ذهب قبلاً وأيّاً كان معاً، ومن كان أكثر قدرة في تلك المراقبات ليتكهّن بالمستقبل، هل تظن أنه سيكون مشتاقاً لهكذا كرامات وأمجاد، أو يحسد أولئك الذين نالوا شرف السؤدد بين هؤلاء الرجال؟ ألن يقول مع هوميروس: « أَفْضَلُ أن تكون عبداً يفلح الأرض، كادحاً لسيدٍ بدون أرض »؟ ولتصبر على أي شيء، أوْلى من أن تفكّر كما يفكرون وتحيا حسب منوالهم؟

كلوكون: نعم، وأعتقد أنه سيرضى أن يقاسي أي شيء أوْلى من العيش في هذا النمط التعيس.

سقراط: تخيّل مرة ثانية، واحداً كهذا نازلاً فجأة خارج نور الشمس، مُعاداً إلى مقرّه القديم، ألن يكون متأكّداً أنه سيمتلك عينين ممتلئتين ظلاماً؟

كلوكون: لتكن متأكّداً.

سقراط: وإذا كان هناك تسابق، وسوف يتبارى في قياس الظلال مع السجناء الذين لم يتحركوا خارج الكهف أبداً، بينما بصره لا يزال ضعيفاً، وقبل أن تصبح عيناه ثابتتين « والوقت الذي سيحتاجه ليكتسب هذه العادة الجديدة للبصر يمكن أن يستحق الاعتبار تماماً »، ألن يجعل نفسه مضحكاً؟ الرجال سيقولون عنه إنّه قد عاد من المكان العالي بعينين خربتين وإنه كان من الأفضل أن لا يفكّر حتى في الصعود. وإذا حاول أي شخص أن يفكّ إسار آخر ويرشده صعوداً إلى النور، وإذا ما قبضوا على الجاني، فلسوف يقدّمونه للموت.

كلوكون: بدون سؤال.

سقراط: يمكنك إرفاق هذه الإستعارة التامّة الآن، يا عزيزي كلوكون، بالمحاورة السابقة. فبيت السجن هو عالم البصر، ونور النار هو قوة الشمس. ولن تسيء فهمي إذا أنت أوّلت الرحلة إلى أعلى لتكون معراج الروح في العالم العقلي بالتطابق مع حدسي، الذي قد عبّرت عنه بناءً لرغبتك ـ سواء كان صواباً أو خطأً، الله يعرف ـ لكن، سواء كان حقاً أو باطلاً، فإن رأيي هو ذلك. ففي عالم المعرفة يظهر مثال الخير آخر الكل، ويُشاهَدُ بالجهد فقط؛ مع أنه عندما يُشَاهَد، فهو مُستدَلٌّ ليكون الفاعل العالمي لكل الأشياء الجميلة والحقيقة في العالم العقلي وبأن هذه هي القدرة التي يجب أن يركّز عينيه عليها مَنْ سيعمل بعقلانية في كلا الحياتين العامة والخاصة.

كلوكون: أوافق، ما دمت قادراً أن أفهمك.

سقراط: فضلاً عن ذلك، يجب أن توافق مرّة أخرى ولا تتعجب من أن هؤلاء الذين يصلون إلى هذه المشاهدة يمتنعون عن أخذ أي دور في الشؤون الإنسانيّة لأن أرواحهم تكون مبادِرةً أبداً إلى العالم العلوي حيث ترغب السكن؛ إنها رغبتها الطبيعيّة تماماً، إذا أمكن أن نثق باستعارتنا.

كلوكون: نعم، إنها طبيعية للغاية.

سقراط: أوَ يوجد أي شيء مفاجىء في إنسان عَبَرَ من التأملات الإلهيّة إلى حالة الإنسان الشريرة، بائناً غريب الشكل ومضحكاً إذا أُجبر على الدفاع في المحاكم القانونيّة، أو في بعض الأماكن الأخرى حول الصور أو ظلال صور العدل، بينما تكون عيناه رامشتين وقبل أن يصبح معتاداً على الظلام المحدِق، ومُجْبر أن يكدح ضد بعض المنافسين حول آراء عن تلك الأشياء التي يقبلها الرجال الذين لم يشاهدوا بعدُ العدل الحقيقي أبداً.

كلوكون: أي شيء سوى المفاجىء.

سقراط: إن الحصيف سيتذكّر أن ارتباك العينين نوعان وينشأ من سببين، إمّا من الخروج في النور أو من الدخول إلى النور، ومَقضي أن الروح يمكن أن تتأثّر بالطريقة عينها. ألن يَفسح الطريق إلى القهقهة الخرقاء عندَما يُرى أي شخص يكون نظره مرتبكاً وضعيفاً؟ أنه سيسأل، في المقام الأول، سواء أكانت روح الإنسان قد خرجت من الحياة الأبهى وغير قادرة أن ترى لأنها غير معتادة على الظلام، أو أنها تحوَّلت من الظلمة إلى النهار وتكون مخطوفة البصر بإفراط النور. وسوف يحسبُ سعيداً مَن يكون في كيفيته وحالة وجوده، والآخر يستحقّ الشفقة. أو إذا كان لديه مزاج ليضحك على الروح التي أتت من أسفل إلى النور، فهذا الضحك لن يكون مُضْحِكاً هكذا تماماً كذاك الذي يحيّي الروح التي عادت من عَلٍ خارج النور إلى الكهف.

كلوكون: إنه تمييزٌ عادل جداً.

سقراط: لكنني حيثئذٍ، إذا كنت محقّاً فيما أقول، فإن أساتذةً معينين في التعليم يجب أن يكونوا مخطئين عندَما يقولون إنهم يستطيعون أن يضعوا معرفة في الروح التي لم تكن هناك قبلاً، كوضع البصر في العيون العمياء.

كلوكون: إنهم يقولون هذا بدون شك.

سقراط: في حين أن محاورتنا تبيِّن أن قدرة وطاقة العلم تُوجَدُ في الروح سابقاً؛ وذلك كأنه إذا لم يكن ممكناً أن تتحوَّل العين من الظلام إلى النور بدون الجسد كلّه، هكذا آلة المعرفة تقدر بحركة الروح كلّها فقط أن تتحوَّل من عالم الصيرورة إلى ذلك العالم الذي للوجود وتتعلم الصبر على رؤية الوجود بالتدريج، وعلى ألمع وأفضل وجود، أو بكلماتٍ أخرى، على الخير.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: ألا يجب وجود فن يبين كيف يمكن للتحول أن يحدث في المحادثة بأسهل طريقة وأسرعها، الفن الذي لن يغرس مقدرة البصر لأن تلك وجدت

مسبقاً، لكنه سيضعها في موقع صحيح عندما تكون قد أُديرت في الاتجاه الخاطىء وتكون ناظرة بعيداً عن الحقيقة.

كلوكون: نعم، يمكن التسليم بفن كهذا.

سقراط: وفي حين أن الأشياء الأخرى وما يُسمى بفضائل الروح تبدو مماثلة للنوعيّات الجسميّة، حتى عندما لا تكون ملازمة لها أصلاً يمكن أن تُغرس بالعادة والممارسة فيما بعدُ. أما فضيلة الحكمة فإنها تحتوي عنصراً إلٰهياً أكثر من أي شيء آخر، الذي لن يفقد قدرته على الإطلاق، ويصيِّر نافعاً ومربحاً بهذا التحول أو بتحولٍ من نوع ثانٍ مؤذياً وعديم النفع. ألم تراقب أبداً الوميض العقلي الهزيل من العينين الحادَّتين لمحتال حاذق توّاق، كيف ترى روحه الحقيرة الطريق إلى نهايته بوضوح. إنه عكس الأعمى، لكن بصره الحاد يكون مجبراً على خدمة الشر، وإنه عابث بالنسبة إلى براعته.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: لكن ماذا إذا عُرِّيت طبائع كهذه تدريجياً، بدءاً من سني الطفولة، عُرِّيت من الأثقال الرصاصيّة التي تغرقها في بحر ملائم، والتي أُوْثِقت فوق الروح بواسطة الانغماس في نَهَمِ الأكل والملذات الجسديّة الأخرى كهذه، ماذا إذا حوّلت رؤياها قسرياً إلى أسفل؟ أقول. إذا كانت قد أُعتِقَتْ من تلك المعوّقات واستدارت في الاتجاه المضاد، فإن الملكة العقليّة عينها فيها تكون قد رأت الحقيقة بحذق مثلما يرون ما قد تحوَّلت له عيونهم الآن.

كلوكون: مرجَّح جداً.

سقراط: نعم، وهناك شيء آخر هو المرجّح، أو على الأصح أنه استدلال ضروري من الذي تقدَّم، ذلك أن لا الجاهلين وغير المخبَرِيْنَ بالحقيقة، ولا حتى أولئك الذين يعانون ليطيلوا تعليمهم إلى ما لا نهاية، سيكونون وزراء قادرين للدولة. ذلك أن الآنفين، لا يملكون هدفاً فردياً للواجب الذي هو القاعدة

لكل أعمالهم، خاصة كانت أو عامة؛ ولا الآخرين، لأنهم لن يفعلوا مطلقاً إلاّ حين إكراههم متوهمين أنهم قد قطنوا قبل الآن في الجزر المقدسة.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: إذن، فإن عملنا نحن بوصفنا موجدي الدولة، سيكون إجبار أفضل العقول أن تبلغ تلك المعرفة التي أكدنا قبل الآن كونها أعظم المعارف، عنيتُ، رؤية الخير. يجب أن يُحدِثوا المرتقى الذي وصفناه. لكن عند مرتقاهم ورؤيتهم بما فيه الكفاية يجب أن لا نسمح لهم أن يفعلوا ما يفعلونه الآن.

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: مسموح لهم أن يبقوا في العالم العلوي، رافضين أن يهبطوا مرّة ثانية بين السجناء في الكهف، ويشاركون في أعمالهم وتشريفاتهم، سواء أكانوا جديرين بالامتلاك أو لا.

كلوكون: لكن أليس ذلك ظلماً؟ أيجب أن نعطيهم حياة أسوأ، عندما يمكنهم امتلاك الأفضل؟

سقراط: نسيت ثانية، يا صديقي، قصد قانوننا الذي لا يهدف أن يجعل أيّة طبقة واحدة سعيدة فوق الباقية، بل ينشد على الأصح أن ينشر السعادة فوق الدولة كلها، وأن يوحّد المواطنين بالإقناع والضرورة، جاعلاً كل حصة مع الآخرين أيّة مساعدة يقدر أن يمنحها للدولة. ويهدف القانون في إنتاج مواطنين كهؤلاء، ليس كونهم يمكن أن يُتركُوا لمسرَّة أنفسهم، بل كي يتمكّنوا من توثيق الدولة معاً.

كلوكون: حقاً، إنني نسيت.

سقراط: راقب، يا كلوكون، ولكي لا نسبب الضرر لفلاسفتنا بل على الأصح لأن نخلق مطلباً عادلاً، ونلزمهم إذ ذاك أن يقدِّموا الرعاية وحسن الإدارة للآخرين، سوف نشرح لهم أن الرجال الذين هم من طبقتهم في الدول

الأخرى، ليسوا مُجبرين أن يساهموا في مشقات علم السياسة. وهذا يكون معقولاً، لأنهم ينمون تلقائياً ضد إرادة الحكومات في دولهم المتعددة، وهم ليسوا بمُدينين لأي شخص في تنشئتهم، وليس باستطاعتهم ولا يُتَوَقَّعُ منهم أن يدفعوا استحقاقاتٍ لتعليم لم يتلقوه على الإطلاق. لكننا قد جئنا بكم إلى العالم كي تكونوا حكاماً للخليّة، ملوكاً لأنفسكم وللمواطنين الآخرين، وعلّمناكم، وإنكم لقادرون على المساهمة في الواجب المُضاعف. لذلك فإن كلاً منكم يجب أن ينزل لينضمَّ إلى رفاقه عندما يأتي دوره، ويعتاد معهم مشاهدة الأشياء في الظلام. وأثناء كسبك تلك العادة، سوف ترى عشرة آلاف مرّة أفضل من ساكني الكهف، وسوف تعرف ما هي الصور المتعددة وماذا تمثّل لأنك قد رأيت الجميل والعادل والخيِّر في حقيقتها. وهكذا فإن دولتنا، التي هي دولتك أيضاً ستكون حقيقة وليست حلماً فقط. وسوف تُدار في نفسية مختلفة عن تلك التي للدول الأخرى التي يحارب الرجال فيها بعضهم حول الظلال فقط وهم مختبِلون في صراعهم لأجل القوّة، الذي هو في عيونهم خير عظيم في حين أن الحقيقة هي أن الدولة التي سيكون فيها أولئك حكاماً هي أقلّ الدول طموحاً. إنها الدولة الأفضل دائماً ومحكومة بالهدوء الأكثر. والدولة التي يكونون الأكثر شوقاً فيها لفعل ما ذكرناه سابقاً هي الأسوأ.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: وهل سيرفض تلامذتنا، عندما يسمعون هذا، أن يأخذوا في أعمال الدولة الشاقة برغم أنه متروك لهم أن يبذلوا الجزء الأكبر من وقتهم مع بعضهم في النور السماوي؟

كلوكون: مستحيل ذلك، لأنهم رجال عادلون. والأوامر التي نفرضها عليهم عادلة، لكن لا شك أن كل واحد منهم سيتولى منصباً كضرورة صارمة، خلافاً لنفسيّة حكام الدولة الحاليين.

سقراط: نعم يا صديقي، وهنا تكمن النقطة الأساسيَّة. يجب أن تُستنبط حياة أخرى أفضل لحكامك المستقبليين، ويمكنك آنئذ أن تمتلك دولة حسنة التنظيم؛ إذ في الدولة التي تقدِّم هذا فقط، سيحكم من هم أغنياء حقاً، ليس في الذهب، بل في الفضيلة والحكمة، التي هي بحق بركات الحياة. في حين إذا كان الرجال ومحرومين من هكذا خيرات شخصيَّة، يذهبون إلى إدارة الشؤون العامة، ظانِّين أنهم يغنون أنفسهم على الحساب العام. ولا يمكن أن يوجد نظام هناك لأنهم سيقتتلون على المنصب، وسيكون التشاجر المدني والأهلي الذي سينشأ بينهم دماراً لهم وللدولة كلّها.

كلوكون: الأكثر حقيقة.

سقراط: والحياة الوحيدة التي تزدري حياة الطموح السياسي هي التي للفلسفة الحقيقيَّة. هل تعرف عن أيَّة واحدة أخرى؟

اديامنتوس: إنني لا أعرف حقاً.

سقراط: ألا يجب على أولئك الذين يحكمون « أن يخلقوا الحب لعملهم »؟ لأنهم إذا فعلوا فسيوجد محبُّون متنافسون، وسيتحاربون.

كلوكون: بدون سؤال.

سقراط: مَنْ سيُلزم بحماية الدولة إذن؟ بالتأكيد، إنهم أولئك الذين يفوقون في الحكم العقلي إختيار الوسائل التي ستُحكم الدولة بواسطتها والذين يمتلكون كرامات أخرى في الوقت عينه وحياة أخرى أفضل من تلك التي للعلوم السياسيَّة.

كلوكون: لا أحد غيرهم.

سقراط: وهل سنعتبر الآن الطريقة التي سننجب فيها أولئك الحماة، وكيف سنخرجهم من الظلام إلى النور، كما قد قيل إن البعض قد ارتقى من العالم السفلي إلى الآلهة؟

كلوكون: بكل تأكيد.

سقراط: ولا تكون العملية قلب صَدَفَة المحَارَة، بل استدارة الروح لتعبر من النهار الذي هو أفضل قليلاً من الليل إلى النهار الحقيقي: إرتقاءٌ نحو الحقيقة التي سنؤكّد أنها الفلسفة الحقيقية.

كلوكون: هكذا تماماً.

سقراط: أو لن نسأل أي نوع من أنواع المعرفة تلك التي لديها القدرة على إحداث تغيير كهذا؟

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: أيٌّ نوع من أنواع المعرفة يوجد هناك، يا كلوكون، التي ستجذب الروح من الصائر إلى الوجود؟ وإن لديَّ اختباراً عقلياً آخر: ستتذكّر أن رجالنا الشبان يجب أن يكونوا مقاتلين رياضيين.

كلوكون: نعم، قد قيل ذلك.

سقراط: يجب أن يمتلك هذا النوع الجديد للمعرفة نوعيّة إضافية؟

كلوكون: أية نوعيّة؟

سقراط: لن تكون غير ذات فائدة للمقاتلين.

كلوكون: نعم، إذا أمكن.

سقراط: هناك جزءان في مشروعنا البياني السابق للتعليم، أليس كذلك؟

كلوكون: هكذا تماماً.

سقراط: هناك الرياضة التي أشرفت على نشوء وفساد الجسد، ويمكن اعتبارها لذلك وكأنها فاعلة فيما يتعلق بالكون والفساد.

كلوكون: حقاً.

سقراط: ليست تلك إذن هي المعرفة التي نبحث عنها.

كلوكون: لا.

سقراط: لكن ماذا تقول عن الموسيقى، بحسب المدى عينه كما في مشروعنا البياني السابق؟

كلوكون: كانت الموسيقى، كما ستتذكر، الجزء المتمّم للتمارين الرياضيّة، وسندرّب حُماتنا عليها بتأثير العادة. سنجعلهم منسجمين بتآلف الألحان، وبالتناغم متزنين، لكن ليس إعطاءهم علماً؛ والكلمات، سواء كانت غير قابلة للتصديق أو أقرب إلى الحقيقة، فإنما عنت أن تُخلِّف انطباعاً قوياً على عاداتهم الشبيهة بتلك. لكن ليس في الموسيقى أي شيء ينحو لذلك الخير الذي بحثت عنه الآن.

سقراط: إنك أكثر دقّة في تذكيرك؛ ولم يكن في الموسيقى أي شيء من هذا النوع بالتّأكيد. لكن ما هو فَرْعُ المعرفة الموجود هناك، يا عزيزي كلوكون، الذي يكون من الطبيعة المرغوبة مذ كنّا نظنّ أنّ كل الفنون النافعة وضيعة.

كلوكون: بدون شك؛ مع ذلك فأية دراسة تبقى، متميّزة عن الفنون والتمارين الرياضيّة وعن الفنون.

سقراط: حسناً، إذا لم يبق أي شيء خارجاً عنهما، دعنا ننتقي شيئاً ما يكون عاملاً مشتركاً في الكلّ.

كلوكون: وماذا يمكن أن يكون ذلك؟

سقراط: شيء ما، مثلاً، الذي تستعمله كل الفنون والعلوم والعقول المشتركة، والذي يجب أن يتعلمه كل شخص بين عناصر التعليم الأولى.

كلوكون: ماذا يكون ذلك؟

سقراط: المسألة الصغيرة المميّزة للواحد، الإثنين، والثلاثة، في كلمة، العدد والحساب، ألا تشترك فيهما كل الفنون والعلوم بالضرورة؟

كلوكون: نعم.

سقراط: إذن ففن الحرب يشترك فيها؟

كلوكون: لتكن متأكّداً.

سقراط: إذن فإن بالاميدس، كلّما ظهر في المأساة برهن أن أغاممنون غير مناسب ليكون لواءً وبسخرية. ألم تلاحظ أبداً كيف يعلن أنه اخترع العَدْوَ، وأنه قاس الأرض في طروادة، وعدَّد السفن وكل شيء آخر؟ وهذا يدل ضمناً أنها لم تكن معدودة قبلاً على الإطلاق، ويجب أن يفترض حرفياً أن أغاممنون لم يكن قادراً أن يعدَّ قدميه - كيف يمكنه ذلك إذا كان جاهلاً علم العدد؟ وإذا كان هذا حقيقياً، فأي نوع من اللواء كان هو؟

كلوكون: عليَّ أن أقول شيئاً غريباً جداً، إذا كان هذا كما تسمّيه.

سقراط: أنقدر أن ننكر أنّ المقاتل يجب أن يجيد معرفة الحساب؟

كلوكون: عليه أن يجيدها بالتأكيد، إذا كان سيحوز على الفهم الأصغر للمعلومات العسكريّة، أو عليّ أن أقول حقاً، إذا سيكون إنساناً بأية حال.

سقراط: أحب أن أعرف ما إن كانت لديك الملاحظة عينها التي لديَّ عن دراسته؟

كلوكون: ما هي ملاحظتك؟

سقراط: يظهر لي أنها دراسة النوع الذي نبحث عنه، والذي يقود إلى التفكير بالطبيعة، لكنه لم يُستعمل بحق مطلقاً؛ إذ ليس لديه ميلٌ قويّ ليجذب الروح باتجاه الوجود.

كلوكون: كيف ذلك؟

سقراط: سأحاول أن أشرح معناي، وأرغب منك أن تشركني البحث، وأن تقول « نعم » أو « لا » عندما أحاول أن أميّز في عقلي أية فروع من المعرفة لديها هذه القدرة الجاذبة، كي نتمكن من حيازة برهان أصفى من أن الحساب هو، كما أتصوّر، واحد منها.

كلوكون: إشرح ما تعني.

سقراط: هل تتبعني بانتباه عندما أقول إنّ أغراض الحواس هي ذات نوعين؟ بعضها

لا يستدعي العقل لبحث أبعد لأن الحاسة هي قاضٍ كافٍ له؛ بينما تكون الحاسة في حالة الأغراض الأخرى غير جديرة بالتقدير، وأن البحث بالعقل يكون مطلوباً بإلحاح.

كلوكون: إنك تشير بوضوح، إلى مظهر الأغراض من مسافة، وإلى الرسم اليدوي في الضوء والظل.

سقراط: لا، لم تعِ معناي تماماً.

كلوكون: أيٌّ الأشياء تعني إذن؟

سقراط: عند التكلم عن الأغراض غير الجذّابة، فإنما أعني تلك التي لا تمر رأساً من حسٍّ إلى الحس المضاد. أمّا الأغراض الجذّابة فهي تلك التي تفعل. والحس الآتي فوق الغرض في الحالة الأخيرة، سواء كان من مَسافة بعيدة أو قريبة، فإنه لا يعطي انطباعاً خاصاً واحداً بأكثر مما يعطيه المضاد له وسيجعل التوضيح معناي أوضح. توجد هنا ثلاثة أصابع: إصبع صغير، وإصبع ثان، وإصبع وسط.

كلوكون: يمكنك أن تفترض أنها تُشاهد متقاربة تماماً. وهنا تأتي النقطة الأساسيّة.

كلوكون: ما هي؟

سقراط: يظهر كل واحد منها إصبعاً بشكل متساوٍ، ولا فرقَ في هذا المقام سواء إذا ما شوهدت في الوسط أو في الطرف، بيضاء أو سوداء، سميكة أو رقيقة، أو أي شيء من هذا النوع. ففي تلك الحالات لا يكون الإنسان مُلْزَماً أن يسأل عن الأفكار. السؤال ما هو الإصبع؟ إن البصر لا يعلن للعقل أبداً أن الإصبع هو مضادّ للإصبع.

كلوكون: حقاً.

سقراط: ولذلك، لا يوجد شيء هنا يعتبر مرجّحاً ليشجّع العقل أو يستثيره.

كلوكون: لا يوجد أيٌّ من هذا.

سقراط: لكن هل هذه حقيقة متساوية لكبر وصغر الأصابع؟ أيقدر البصر أن يتصوَّرها على نحو وافٍ بالمراد؟ آلا يوجد فرقٌ مستحدثٌ بالظرف ذلك أن واحداً من الأصابع هوَ في الوسط وآخر على الطَرَف؟ وفي أسلوب مماثل، ألا يدرك اللمس عن طريق الحواس نوعيّات السميك والرقيق الناعم والصلب على نحو كافٍ؟ وهكذا الحواس الأخرى؛ هل تعطي الأسس الكاملة عن قضايا كهذه؟ أليست طريقة عملها في هذا الإتجاه: الحاسة التي تكون مختصّة بنوعيّة الصلابة هي بالضرورة مختصّة بنوعيّة النعُومة، وتُلمِّح إلى الروح فقط أن الشيء عينه يكون محسوساً بأنه صلب وناعم؟

كلوكون: إنها لكذلك.

سقراط: ألا يجب أن تكون الروح مرتبكة في هذا التلميح الذي تعطيه هذه الحاسة للصلب الذي يكون ناعماً؟ ماذا، ثانية، أيكون معنى الخفيف والثقيل، إذا أعلنت الحاسة أن الذي يكون خفيفاً هو ثقيل أيضاً، وأن الذي يكون ثقيلاً، هو خفيف؟

كلوكون: نعم، تلك التلميحات التي تتلقاها الروح هي غريبة جداً وتحتاج للشرح.

سقراط: نعم، وفي تلك الارتباكات فإن الروح تستدعي بالطبيعة الحساب والعقل لمساعدتها، ذلك كي يمكنها أن ترى إن كانت الأغراض المعلنة المتعَددة لها هي واحدة أو إثنتين.

كلوكون: حقاً.

سقراط: وإذا ظهر أنها إثنتان، أليست كل منها واحدة ومختلفة؟

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: وإذا كانت كلٌ واحدة، وكلاهما اثنتين، فسوف تتصوَّر الاثنتين وكأنهما في حالة انقسام لأنها إذ لو لم تكن منقسمة، لتمّ تصورها وكأنها واحدة فقط.

كلوكون: حقاً.

سقراط: العين أيضاً، إنها رأت بالتأكيد الصغير والكبير كليهما، لكن في أسلوب مشوَّش فقط ولم يكونا متميزين.

كلوكون: نعم.

سقراط: في حين أن العقل المفكِّر على العكس، ولأنه عازم على أن ينير الشَّواش، كان مُجبراً على أن يعيد النظر في الصغير والكبير ويعاينهما منفصلين وليسا في ذلك التشوش.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: ألا ينشأ التساؤل في عقولنا بطريقة ما كهذه « ما هو الكبير؟ » و« ما هو الصغير؟ ».

كلوكون: هكذا بالضبط.

سقراط: ولقد ميّزنا المرئي والعقلي طبقاً لذلك.

كلوكون: واحدٌ جد مناسب.

سقراط: وكان هذا ما عنيتهُ لتوِّي عندما تكلمت عن الانطباعات التي تشجِّع العقل، أو العكس، تلك التي تنفذ إلى حاستنا بالانطباعات المضادة، وتشجِّع الفكر؛ أمّا تلك التي ليست حادثة في وقت معها، فإنها لا توقظها.

كلوكون: أفهمك، وأوافقك.

سقراط: وإلى أية طبقة تنتمي الوحدة والعدد؟

كلوكون: لا أعرف.

سقراط: فكِّر قليلاً وسترى أن ما تقدَّم سيعطي الجواب؛ لأنه إذا أمكن أن تُدرَكَ الوحدة البسيطة المطلقة بالبصر أو بأيّة حاسة أخرى وعلى نحو كاف، حينها، وكما كنّا قائلين في حالة الإصبع، فلا يوجد أي شيء ليُجذب باتجاه الوجود. لكن عندما يكون مرئياً دائماً في الوقت عينه ذلك الذي هو مضاد

للوحدة، فسيصبح وجود قدرة مميِّزة ضرورياً. وهكذا لا يظهر وجود أي سبب هناك لتسميتها واحداً بدلاً من الضد. وفي حالة كهذه، فالروح هي في حالة ارتباك وتضطر كي تشحذ قدرتها الفكريَّة أن تسأل: « ما هي الوحدة المطلقة »؟ هذه هي الطريقة التي تمتلك دراسة الواحد القوة فيها لاجتذاب وهدي العقل للتأمل ملياً في الوجود الحقيقي.

كلوكون: وبالتّأكيد، فإن هذا يحدث بشكل بارز في التصور البصري للوحدة لأننا نرىٰ الشيء عينه حالاً كواحد وغير محدود في الوفرة.

سقراط: نعم، وهذا كونه حقيقة عن الواحد يجب أن يكون حقيقة متساوية عن كل الأعداد.

كلوكون: نعم.

سقراط: ويظهر أنها تهدي العقل نحو الحقيقة.

كلوكون: نعم، في أسلوب رائع تماماً.

سقراط: إن هذا إذن إنضباط من النوع الذي نبحث عنه، لأن رجل الحرب يجب أن يتعلَّم فن العدد وإلاّ فلن يعرف كيف سينظِّم فُرقه. والفيلسوف أيضاً، لأن عليه أن ينبعث من بحر التغيير ويمسك بالوجود الحقيقي، أو يكون غير قادر أن يحسب ويفكِّر إلى الأبد.

كلوكون: إن ذلك لحقيقة.

سقراط: لكن حارسنا هو في الحقيقة، مقاتل وفيلسوف.

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: هذا هو إذن نوع من المعرفة التي يمكن للمشرِّع أن يصفه بملاءَمة. وعلينا أن نحاول إقناع أولئك الذين سيكونون رجال دولتنا الرؤساء بالذهاب لتعلّم علم الحساب. واستئناف الدراسة ليس بشكل غير مُتقن بل يجب مواصلتها حتى يتمكنوا من إدراك طبيعة الأعداد مع العقل اللاّمَسَاعَد، ولا ثانية،

كَمِثْلِ التجّار أو تجّار التجزئة، بالنظر إلى الشراء أو البيع، بل بقصد استعمالها العِسكري، وللروح نفسها، لأن هذا سيكون هو الطريق الأسهل لها لِتَعْبُرَ من الصيرورة إلى حقيقة الوجود.

كلوكون: إن ذلك ممتاز.

سقراط: نعم، وبما أننا تكلّمنا عنه الآن، يجب أن أضيف كم هو العلم مدهش؟! وفي كم من الطرق يُفضي إلى غايتنا المرغوبة، إذا تابعناه بنفسية فيلسوف، وليس بنفسية الحانوتي!

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: أعني أن علم الحساب يمتلك، في درجة ملحوظة، ذلك التأثير الرافع الذي تكلمنا عنه، مُلزِماً الروح أن تتكلم عن الرقم المجرَّد، وثائراً ضدَّ إدخال الأرقام التي لديها أجسام مرئية أو ملموسة في الحوار. تعرف أنت كيف أن أسياد الفن يصدُّون ويسخرون من أي شخص يحاول أن يقسِّم الوحدة التامة عندما يكون حاسباً. وإذا قَسَّمتَ، فإنهم سيضربون، آخذين بعين الاعتبار أن الوحدة سوف تستمِرُّ واحدة ولن تُجزّأ إلى كسور.

كلوكون: إن ذلك حقيقي جداً.

سقراط: إفترض الآن أن شخصاً سألهم: يا أصدقائي، ما هي تلك الأرقام الرائعة التي بشأنها تتعقَّلون، والتي يوجد فيها كما تقولون، وحدةٌ كتلك التي تطلبون، وأنّ كلّ وحدة متساوية هي ثابتة لا تتجزّأ؟ بماذا سيجيبون؟

كلوكون: سيجيبون، كما سأتصوَّر، بأنهم يتكلّمون عن تلك الأرقام التي يمكن إدراكُها بالفكر فقط.

سقراط: أنت ترى إذن أنّ هذه الدراسة يمكن أن تُدعى بحقٍّ ضرورية لغرضنا نظراً لأنها تجبر الروح على أن تستعمل العقل الصافي في الوصول إلى الحقيقة الصافية.

كلوكون: نعم؛ إن تلك صفة مميزة لها.

سقراط: وهل لاحظت أبعد من ذلك، أن الذين لديهم موهبة طبيعية في علم الحساب سريعون في كل نوع آخر من أنواع الدّراسة بوجه عام؟ وحتى البُلداء، إذا كانوا قد تدرَّبوا وتمرَّنوا في هذا، مع أنه لا يمكنهم استمداد أيّة منفعة أخرى منه، يصبحون أكثر سرعة دائماً من أيّة طريقة أخرى قد حازوها؟

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: وحقاً، إنك لن تجد بسهولة دراسة سيحتاج تعليمُها وتمرينها آلاماً أكثر، ولا الدراسات العديدة التي ستحتاج لوفرة كهذه.

كلوكون: إنك لن تجدها.

سقراط: ولكل تلك الأسباب، فإن علم الحساب هو نوع من أنواع المعرفة التي ستتدرَّب أفضل الطبائع فيها، والذي لا يجب التخلي عنه.

كلوكون: أوافق.

سقراط: دع هذا يكون مُهَيّأً كواحد من مواضيعنا العلميّة إذن. وهل سنبحث تالياً ما إذا كانت العلوم الشقيقة تهمّنا أيضاً؟

كلوكون: تعني الهندسة.

سقراط: هكذا بالضبط.

كلوكون: إننا مهتمّان بوضوح بذلك الجزء من الهندسة الذي يناسب الحرب لأنه في إقامة معسكر، أو أخذ موقع، أو تقريب وتمديد خطوط الجيش، أو أية مناورة عسكرية أخرى، سواء أكانت في معركة حقيقيّة أو في مسيرة عسكريّة، فهي ستخلق الفرق سواء أكان اللّواء اختصاصياً بعلم الهندسة أوْ لاَ.

سقراط: نعم، وسيكون قليل جدّاً من عِلْمَي الحساب والهندسة كافياً لذلك

الغرض. ويتصل السؤال على الأصح بذلك الجزء الأعظم والأكثر تقدّماً لعلم الهندسة وما إذا كان يميل في أية درجة ليجعل رؤيا، مثال الخير، أكثر سهولة. وإلى هناك كل الأشياء تتّجه، كما كنت قائلاً، وهي ستجبر الروح على أن تحدّق باتجاه المكان حيث الوجود الممتلىء كمالاً، وبأي ثمن.

كلوكون: حقاً.

سقراط: إذا ألزمتنا الهندسة إذن كي نشاهد الوجود، فإنّها تَهمُّنا؛ ولا تهمُّنا إذا كان الملائم منها فقط.

كلوكون: نعم، إن ذلك ما نؤكّده.

سقراط: مع ذلك فإنّ أيّ شخص ممّن لديهم الإلمام الأقلّ بالهندسة، لن ينكر أن تصوُّراً كهذا للعلم هو في تناقض صريح مع اللغة العاديّة للإختصاصيين بعلم الهندسة.

كلوكون: كيف ذلك؟

سقراط: إنهم يتكلمون، كما تعرف بدون شكٍّ، في مصطلحات تُذكِّر بالمَعمل وكأنّهم منهمكون في العمل ولا يملكون أيَّ هدف آخر لرؤياهم في كل عقلانيتهم. إنّهم يتكلمون عن التربيع، التطبيع العملي، التمدد وما شابه، في حين، أنّني أُسلِّم أنّ الهدف الحقيقي لكل العلم هو المعرفة.

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: أفلا يجب أن يُخلق اعتراف أبعد إذن؟

كلوكون: ما هو الإعتراف؟

سقراط: إن المعرفة التي تهدف الهندسة لها هي معرفة الوجود الأزلي وليس اللاشيء الذي يأتي إلى الوجود في وقت خاص ثم يفنى.

كلوكون: يمكن أن يكون ذلك مسموحاً به بسرعة، وإنّه لحقيقة.

سقراط: ستجذب الهندسة الروح إذن، يا صديقي النبيل، باتجاه الحقيقة وتخلق

النفسيَّة الفلسفيَّة وترفع عالياً ذلك الذي قد سُمِحَ له الآن أن يسقط بحزن.

كلوكون: لا شيء سيكون أكثر ترجيحاً ليمتلك تأثيراً كهذا.

سقراط: لا شيء سيكون موضوعاً بصرامة أكثر إذن، من أن ساكني مدينتك الجميلة لن يبقوا غير متضلّعين في علم الهندسة على الإطلاق. علاوةً على ذلك فإنّ العلم لديه تأثيرٌ غير مباشر، وهو ليس بقليل.

كلوكون: تأثير من أي نوع؟

سقراط: توجد المنافع العسكريَّة التي تكلّمت عنها. ونعرف أبعد من ذلك أنَّ الحصول على الفهم الأفضل لأيٍّ فرع من فروع المعرفة، يخلق الفرق كله سواء أَمتلك الإنسان إدراكاً للهندسة أم لا.

كلوكون: نعم حقاً، كل الفرق في العالِم.

سقراط: هل سنقترح هذا إذن كفرع ثان للمعرفة سيدرسه شبابنا؟

كلوكون: دعنا نفعل هكذا.

سقراط: وافترض أنّنا نجعل علم النجوم ثالثاً؛ فماذا تقول؟

كلوكون: إنني أنزع إليه بقوة. فمراقبة الفصول والشهور والسنين هي ضرورية للّواء كضرورتها للمزارع والبحّار.

سقراط: إنني متسلٍ، بخوفك من العالم، خشيةَ أن تظهر كآمرٍ بدراساتٍ عديمة النفع. وإنني أعترف تماماً أنه ليس سهلاً على الإطلاق أن تكون في كل إنسان عينٌ للروح التي قد فُقدت واختفت في المساعي الأخرى، وأن تكون قد تطهّرت وأعيدت إنارتُها بتلك الدراسات وأن تكون أكثر نفاسة جداً من عشرة آلاف عينٍ شحميَّة، إذ بالعين الروحية فقط تُشاهد الحقيقة. توجد طبقتان من الأشخاص الآن: بعضهم سيتفق معك ويتبنّى كلماتك كوحي؛ وطبقة أخرى لم تعِ هذه الحقيقة أبداً. من المحتمل أنهم سيجدونها خُلْواً من المعنى لأنهم لا يرون الفائدة الجديرة بالاهتمام التي سيحصلون عليها منها.

لذلك من الأفضل أن تنوي حالاً مع أيٍّ من الإثنتين ستقترح الحوار. إنك ستقول على الأصح ليس مع أيّ منهما بشكل تام، وأنّ هدفك الرئيسيّ في تبنّي الحوار هو لتحسُّنك الخاص، في حين أنك لن تَضنَّ على الآخرين في الوقت عينه بأيَّة منفعة يمكن أن يتسلموها.

كلوكون: أُفَضِّلُ أن أتكلم، وأستقصي، وأجيب بالنيابة عن نفسي بشكل رئيسي.

سقراط: تراجع خطوة إلى الوراء، إذن، لأننا مضينا على نحو خاطىء في تنظيمنا للعلوم.

كلوكون: ما هي الغلطة؟

سقراط: لقد تقدمنا حالاً إلى الهندسة المجسمة بعد الهندسة المسطحة في دوران، بدلاً من أخذ المجسمات في أنفسها؛ حيث أنَّ بَعْدَ البُعْدِ الثاني يأتي الثالث، الذي هو معنيّ بالمكعبات وأبعاد العمق ويجب أن يلي ذلك.

كلوكون: إن ذلك حقيقي، يا سقراط؛ لكن يظهر أنّه قد آكتُشِفَ قليل جدّاً من تلك المواضيع حتى الآن.

سقراط: نعم، ولسببين اثنين: ففي المقام الأول، لا حكومة ترعاها. ويقود هذا إلى خَوَرِ العزيمة في ملاحقتها، وهي مما يصعب إدراكه. أمّا في المقام الثاني، فلا يقدر التلامذة أن يتعلّموها حتى يصبح لديهم مدير. ويمكن إيجاد المدير بصعوبة، وحتى إذا أمكن ذلك، كما يقف الأسياد الآن، فإنّ التلامذة الذين يكونون معجبين بأنفسهم جدّاً، لن يُصغوا إليه. سيكون ذلك مختلفاً على كل حال، إذا كانت الدولة بأكملها ستساعد مدير تلك الدّراسات بإعطائه التكريمات؛ وسيُظهر المريدون الطّاعة عند ذلك، وسيكون البحث متواصلاً وجدّياً، وستُصنع الاكتشافات. أمّا إذا تساءَلت لِمَ لمْ يهمل العالمُ تلك الدراسات ويُعطِّلها عن اتساقها الجميل، فلأن متعهدي بحثها أولئك ليس لديهم تصور عن كيفية استعمالها. يبقى أنّ تلك الدراسات ستشقُّ طريقها

بقوة سحرها الطبيعيّ، ولن تكون مفاجأة إذا ما تمكّنتْ يوماً ما أن تنزع إلى النور.

كلوكون: نعم، فيها سحر رائع. غير أنّني لا أفهم بوضوح التغيير في النظام. أفترض أنك عنيت بعلم الهندسة نظريّة السطوح المستوية؟

سقراط: نعم.

كلوكون: ووضعت علم النجوم ثانياً، واتخذت حينها خطوة إلى خلف؟

سقراط: نعم، ولكنّ سرعتي لأغطّي الحقل بمجمله قد جعلتني أقلَّ عجلة. إن الحالة المضحكة للبحث في علم الهندسة المجسّمة الذي يجب أن يلي في انتظام طبيعي، جعلتني أهمل هذا الفرع وأتقدم إلى علم النجوم، أو حركة المجسّمات.

كلوكون: حقاً.

سقراط: مفترضين إذن أنّ الفن الذي أُسقِط الآن سيأتي إلى الوجود إذا لاقى التشجيع من الدولة، دعنا نجعل علم النجوم دراستنا الرابعة.

كلوكون: إن التنظيم الصحيح هو كذلك. والآن يا سقراط، كما ازدريت الأسلوب المبتذل الذي أثنيت فيه على علم النجوم سابقاً فإنّ ثنائي سيُعطى في نفسيّتك الخاصة لأنّ كل شخص، كما أعتقد، يجب أن يرى أنَّ علم النجوم يُلزِم الروح أن تتطلّع إلى علٍ وترشدنا من هذا العالم إلى عالم آخر.

سقراط: كل شخص إلاّي، لأنني لست متأكداً أنه كذلك.

كلوكون: وماذا ستقول إذن؟

سقراط: أُفضّل القول إنّ أولئك الذين يرفعون علم النجوم إلى الفلسفة إنما يعالجونه في طريقة كهذه وكأنهم يجعلوننا ننظر إلى أسفل وليس إلى أعلى.

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: أنت تمتلك في عقلك تصوّراً سامياً لمعرفتنا عن الأشياء في العلى. وأجرؤ

على القول إنه إذا كان شخصٌ سيرمي برأسه إلى خلف ويتأملُ السقف المزيَّن، فإنّك ستبقى تعتقد أنّ عقله كان المميِّز وليس عينيه. وأنك تكون محقّاً جداً على الأصح، ويمكن أن أكون أنا ساذجاً. لكن، في رأيي، أنّ المعرفة التي هي معنية بالوجود الحقيقي فقط وفي اللامرئي، تقدر أن تجعل الرّوح تنظر إلى أعلى. وسواء حدَّق الإنسان فاغراً فاه في السماوات أو رمَّش عينيه على الأرض، وعندما يكون هدفه أن يتعلّم بعض خواص الحس، فإنّني سأكَذِّبُ أنّه يقدر على أن يتعلم، إذ لا شيء من هذا النوع هو مسألة علميّة. وأقول إن روحه متطلعة إلى أسفل، وليس إلى أعلى، حتّى ولو طفا إلى أعلى في البحر، أو هام على اليابسة في بحثِه عن المعرفة.

كلوكون: إنّني أعترف، بعدل تعنيفك. يبقى، أنني أحبّ أن أؤكد لك كيف يمكن تعلُّم علم النجوم بطريقةٍ أكثر إفضاءً من ترتيبنا الحالي لتلك المعرفة التي نتكلم فيها؟

سقراط: سأخبرك. السّماء المرصعة بالنجوم التي تنظر فيها الآن هي منمَّقة حول سطح الأرض المرئيّة ولذلك، مع أن الأجمل والأكثر كمالاً للأشياء المرئيّة يجب آعتباره بالضرورة أدنى درجةً بكثير بالمقارنة مع الحركات الحقيقيّة التي تتحرّك بها السرعة الحقيقيّة والبطء الحقيقي في صلتها بعضها مع بعض، حاملة معها ما تحتويه، في الرقم الحقيقي وفي الأشكال الحقيقيّة لكل نوع. وبعدُ، فتلك تكون مدركة بالعقل والفهم، وليس بالبصر. هل تشك في ذلك؟

كلوكون: لا.

سقراط: يجب استعمال السماوات المتلألئة كنموذج يُحاكى بقصد الوصول لتلك المعرفة الأعلى. ويمكن مقارنتها بالرسوم التخطيطيّة التي يقدر أن يجدها الشخص منمقة بامتياز على يَدَيْ دايدالسوس(٧٥)، أو أي فنّان آخر عَظيم.

إن أيَّ عالِمٍ بالهندسة، ممن رآها، سيُقدِّر إتقان عملها بدون شك، لكنه لن يحلم مطلقاً في التفكير أن يجد فيها المتساوي الحقيقي أو المضاعف الحقيقي أو الحقيقة لأيِّ تناسب آخر.

كلوكون: لا، فكرة كهذه ستكون مضحكة.

سقراط: أولن يمتلك العالِمُ بعلم الفلك الحقيقيِّ الشعورَ عينه عندما يتطلَّع إلى حركات النجوم؟ ألن يفكِّر أنَّ السماء والأشياء في السماء قد أبدعها فنان بالصورة الأكمل، والذي فيه أشياء كهذه يمكن إبداعها؟ لكنه إذا وُجد شخص ما ممن يَفترض أن التناسب للَّيل والنهار، أو كلاهما للشهر، أو الشهر إلى السنة، أو الحركات النجميَّة، إلى تلك بشكل عام، والواحد إلى البعض، كونها كما هي مجسَّمة ومرئيَّة، أزليَّة وثابتة، ولن تنحرف في أي اتجاه أبداً، وأنه يكون مُستحقّاً العناء المبذول في سبيل أن يستقصي حقيقتها الدقيقة بأيِّ ثمن ـ ألن يُظنَّ شخص كهذا أنه شخصٌ مخبولٌ؟

كلوكون: أوافق تماماً، لأنني أسمع ذلك منك الآن.

سقراط: علينا أن نوظِّف المسائل إذن في علم النجوم، كما في علم الهندسة، وندع السماوات بحالها إذا ما كنّا سنقترب نحو الموضوع في الطريق الصحيح. وهكذا نخلق موهبة العقل الطبيعيَّة لتكون في أيِّ استعمال حقيقي.

كلوكون: إن ذلك عمل أبعد من متناول علماء نجومنا الحاليّين بشكل مطلق.

سقراط: نعم، وأعتقد أنه يجب علينا أن نصِف بقية دراستنا في النفسيَّة ذاتها، إذا ما أردنا أن يكون تشريعنا ذا قيمة. لكن أيمكنك أن تخبرني عن أيَّة دراسة مناسبة أخرى؟

كلوكون: لا، ليس بدون تفكير.

سقراط: إنها الحركة. فالحركة لديها عدة أشكال، وليس شكلاً واحداً فقط. لربما

سيقدر الرجل العاقل أن يسمّيها جميعاً، لكنّ اثنين منها هما جليان بما فيه الكفاية حتى لقدرات عقليّة لا تفوق قدراتنا.

كلوكون: وما هما تلك الحركتان؟

سقراط: توجد حركة ثانية، حركة هي النسخة المطابقة للحركة المسمّاة سابقاً.

كلوكون: وماذا يمكن أن تكون؟

سقراط: يظهر أنه كما تكون العينان مخصصتين لتنظر إلى أعلى في النجوم، هكذا هما الأذنان لتسمعا الحركات المتناغمة. وإن تلك العلوم علومٌ شقيقة، كما يقول الفيثاغوريون، ونحن نتفق معهم، يا كلوكون.

كلوكون: نعم.

سقراط: لكن هذه هي دراسة جاهدة، لذلك سنبحث فيما لدى هؤلاء ليقولوه عن تلك النقاط الرئيسيّة، أو عن أيّة نقاط أخرى؛ وما يختص بجهتنا، سوف نحافظ على مبدأنا الخاص.

كلوكون: ما هو ذلك؟

سقراط: يوجد كمالٌ يجب أن تصله كل المعارف، يجب أن يبلغه تلامذتنا أيضاً، لا أن يقصّروا عنه، كما كنت قائلاً إنهم فعلوه في علم النجوم لأنه يحدث في علم الإيقاع الشيء نفسه، وربّما تعرف ذلك. فمعلّمو الإيقاع يقارنون الأصوات وتوافق الأنغام المسموعة فقط، ويكون عملهم عبثاً، ذلك الذي لعلماء النجوم.

كلوكون: نعم، بالسماء! وهذا هو كالنطق بالألحان في الواقع. إنك تسمعهم يتكلمون عن فواصلها القريبة، كائنةً ما كانت. هم يضعون آذانهم على مقربة من الأوتار وبجانبها كالأشخاص الذين يلتقطون الصوت من حائط جيرانهم. وتعلن مجموعة منهم أنها تميّز بين العلامة الموسيقيّة المتوسطة وأنها وجدت الفاصل الأقل الذي يجب أن يكون وحدة القياس؛ بينما يؤكد

الآخرون أن الصّوتين انتقلا إلى الشيء عينه - وكلا الفريقين يسمع قبل أن يفهم.

سقراط: تعني، أولئك الأسياد الذين يمزّقون ويشوّهون الأوتار ويدمّرونها على مِلْوَى الآلة الموسيقيّة؟ يمكنني أن أواصل الاستعارة وأتكلّم بطريقتهم فيما يتعلّق بالضربات التي تعطيها ريشة العود الموسيقيّة، والاتهامات ضد الأوتار، وتحفظهم أو تقدمهم. لكن هذا سيكون مُملاً، وسأقول لذلك فقط إنّ هؤلاء ليسوا الرجال، وإنني أشير إلى الفيثاغوريين، الذين اقترحت للتوّ أن نبحث عن علم الإيقاع فيهم لأنّهم في خطأ كعلماء النجوم يبحثون في أعداد علم الإيقاع المسموعة، غير أنهم لا يبلغون المسائل ليبحثوا أي الأعداد يكون متناسقة وأيّها لا تكون، ولأي سبب.

كلوكون: إن ذلك شيء أكثر من معرفة ثانية.

سقراط: الشيء الّذي أحب أن أسمّيه بالأحرى نافعاً، وهو كذلك، إذا جُدَّ في طلبه بقصد الجميل والخيّر. غير أنه إذا لُوحِق في نفسية أخرى، فغير ذي جدوى.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: وبعدُ، فعندما تصل كل هذه الدراسات إلى الاتصال المتبادل والعلاقة السببيّة بعضها مع بعض، وتُتأمَّلُ في صلاتها الروحيّة المشتركة، أعتقد حينها، وحينها فقط، أن ملاحقتها ستمتلىء قيمةً لأغراضنا؛ وإلاَّ فليس هناك أي نفع فيها.

كلوكون: أشتبه هكذا، لكنك تتكلم، يا سقراط، عن عمل ضخم.

سقراط: ماذا تعني؟ هل تعني الإستهلال أو ماذا؟ ألم تعرف بأنّ تلك كلها ليست سوى مقدّمات للعنصر الحقيقي الذي يجب تعلّمه لأنك لا تعتبر أولئك البارعين في تلك العلوم جدليّين بالتأكيد؟

كلوكون: لا بالتأكيد، بصرف النظر عن قليلين جداً ممّن قابلتهم.

سقراط: لكن هل تعتقد أن أولئك الرّجال الذين لا يستطيعون تبادل تفسيرات سيمتلكون المعرفة التي سنحتاجها منهم؟

كلوكون: ولا نستطيع افتراض ذلك.

سقراط: وهكذا، يا كلوكون، وصلنا إلى ترنيمة علم الجدل أخيراً. إنه الأُصل الذي يخص الألمعي فقط. ولقد وجدنا أنّ طاقة البصر تقدر على أن تقلده على كل حال، لأن البصر، وكما تتذكّر، تخيّلنا أنّ باستطاعته أن يرى الحيوانات الحقيقية والنجوم ولو بعد حين، وآخر الجميع الشمس نفسه. هكذا، بعلم الجدل، يبدأ الشخص إذ ذاك استكشاف الحقيقي بنور العقل فقط وبدون أيّة مساعدة حسيّة؛ يصون ذلك، حتى يصل إلى إدراك الخير المحض بالفهم الصافي ويجد نفسه أخيراً في نهاية العالم العقلي، كما يكون في حالة البصر في نهاية العالم المرئي.

كلوكون: بالضبط.

سقراط: هذا هو التقدم الذي تدعوه علم الجدل، إذن؟

كلوكون: حقاً.

سقراط: أمّا عتق السجناء من القيود وتحوّلهم من الظلال إلى الصور وإلى النور والارتقاء من السراديب إلى الشمس، وعبثاً يحاولون النظر في الحيوان والنبات ونور الشمس حين يوجدون في حضرته، غير أنهم قادرون على أن يدركوا الصور التي تكون إلهيّة في الماء حتى بعيونهم الضعيفة، وهي ظلال الوجود الحقيقي « ليس ظلال الصور ملقاة بضوء النار، والتي إذا قورنت بالشمس تكون رمزاً فقط » هذه القوة لرفع المبدأ الأعلى في الرّوح للتأمّل في ذلك الذي هو الأفضل في الوجود، الذي يمكن أن نقارنه ببعث تلك الملكة العقليّة التي هي النور المطلق للجسد إلى مشهد ذلك الذي يكون

الأسطع في المادة والعالم المرئي ـ هذه القدرة تعطيها، كما قلت، تلك الدراسة والملاحقة للفنون التي وُصِفَتْ.

كلوكون: أوافق على الذي تقوله، مع أن تصديقه قد يكون صعباً، ومع ذلك يبقى إنكاره أصعب من وجهة نظر أخرى. من ناحية ثانية بما أن هذا ليس موضوعاً ليُعالج في مرحلة العبور فقط، بل يجب أن يُبحث مرة ثانية وثالثة، دعنا نفترض أنّ التقرير الحالي هو حقيقي ونتقدم من المقدِّمة إلى العنصُر الرئيسي حالاً ونصِف ذلك بطريقة مماثلة. قل، ما هي طبيعة وما هي أقسام قوة علم الجدل، إذن، وما هي الممرّات التي تؤدي إلى مكاننا الذي نقصده، حيث نقدر أن نرتاح من عناء الرحلة؟

سقراط: يا عزيزي كلوكون، إنك لا تقدر علي أن تتابعني بعد الآن، وسأفعَل ما بوسعي مع ذلك. وسأحاول جاهداً أن أُريك ليس الصورة فقط بل الحقيقة الكلية وفقاً لمفهومي الشخصي. وما إذا كان مفهومي الشخصي صحيحاً أوْ لاَ، فليس صواباً تأكيده منّي، غير أنّه يكون شيئاً من هذا الذي يجب أن تروا، وإنني لواثق من ذلك.

كلوكون: بدون شك.

سقراط: غير أنه يجب أن أذكّرك أيضاً أنّ قدرة علم الجدل قادرة وحدها على أن تستكشف هذا، وفقط إلى الواحد الذي هو من حواريي العلوم المتقدمة.

كلوكون: يمكنك أن تكون واثقاً من التأكيد كثقتك عن الأخير.

سقراط: ولن يجادل أحدٌ بالتأكيد أن هناك طريقة أخرى لفهم كل الوجود الحقيقي بعملية منتظمة، أو التحقق مما هو كل شيء في طبيعته الخاصة لأن الفنون بشكلٍ عام هي معنيّة برغبات وآراء الرجال أو بعمليّات النشوء والارتقاء؛ أو أنّها أُنشئت كي تعتني بالأشياء التي نشأت وارتقت. وكما أنّ العلوم الحسابيّة التي تمتلك بعض الإدراك للوجود الحقيقي، كما سبق وقلنا، فإنّ

الهندسة وما شابه، تحكم عن الوجود فقط، ولكنها لا تقدر على رؤية الحقيقة المستيقظة طالما أنها تترك الفرضيَّات التي تُستعمل ثابتة وهي غير قادرة أن تعطي كشفاً حسابياً عنها. إذ عندما لا يعرف الإنسان سببه الأول الخاص به، وعندما يكون الإستنتاج والخطوات الوسطية مبنيَّة خارج الذي لا يعرفه ما هو، فكيف يمكنه أن يتصوَّر أن هكذا بنية اصطلاحيَّة يمكن أن تصبح علماً أبداً؟

كلوكون: مستحيل.

سقراط: إن علم الجدل، وحده، يذهب مباشرة إلى السبب الأول وهو العلم الوحيد الذي يلغي الفرضيَّات كي يجعل أساسه متيناً. إنّ العين الروحيَّة التي دُفِنت حقيقةً في أرض موحلة غريبة ترتفع إلى أعلى بمساعدته اللطيفة. وفي هذا العمل تستخدم العلوم التي كنا باحثين فيها كمساعدين ووصفاء. لقد استعملنا غالباً الإسم المألوف للعلوم، غير أنها يجب أن تمتلك إسماً آخر، أكثر وضوحاً من الرأي وأقل وضوحاً من العلم، وهذا، ما سمّيناه فهماً في تخطيطنا المتقدِّم. لكن لماذا سنتجادل بشأن الأسماء في حين أن لدينا حقائق في هذه الأهميَّة كي نعتبر.

كلوكون: لماذا حقاً، عندما سيفي أي إسم بالغرض ما دام سيجسِّد أفكار العقل بوضوح؟

سقراط: إننا قانعون على كل حال، كما كنا سابقاً، ليكون لدينا أربع تقسيمات: إثنتان للعقل، واثنتان لأهل الرّأي. سنسمِّي القسمة الأولى علماً، الثانية فهماً، الثالثة اعتقاداً، والرابعة الإدراك الحسِّي للظلال، الرأي كونه متعلقاً بالملائم، والعقلي بالوجود، وهكذا لتصنع التناسب: « يكون الوجود للملائك، هكذا الصّفاء العقلي للرأي. وكما يكون العقلي للرأي، كذلك العلم للاعتقاد، والفهم للإدراك الحسِّي للظلال ».

لكن دعنا نرجىء الرّبط والتقسيم الأبعد إلى أجزاء صغيرة لأغراض الرأي والعقلاني لأن بحثنا سيكون طويلاً، أطول بكثير من الذي كان.

كلوكون: بصرف النظر عن ذلك إذن، وبقدر ما أفهم، فإنّني أوافق معك.

سقراط: وهل توافق أيضاً، في وصف عالِمِ علمِ الجدلِ كواحد ممن ينال فهم جوهر كل شيء؟ ذلك الذي لا يمتلكه لا يستطيع أن يُمنح هذا الفهم، وفي أية درجة يفشل. أيمكن أن يقال بأنه يفشل في تلك الدرجة أيضاً؟ هل ستسلّم لهذا الحد؟

كلوكون: نعم، كيف أقدر أن أكذبه؟

سقراط: ويمكنك أن تقول الشيء نفسه عن فهم الخير. إلاّ إذا كان الشخص قادراً على أن يُجَرِّد ويُجَدِّد مثالَ الخير من كل المثالات الأخرى، وما لم يقدر أن يلقي قفّاز كل الاعتراضات ويكون حاذقاً ليدحضها ليس بالاحتكام إلى الرأي بل للحقيقة المطلقة، غير متلعثم في أية خطوة من خطوات المحاورة - وما لم يقدر فعل كل هذا، يمكنك أن تقول بأنه لا يعرف مثال الخير ولا أي خير آخر. إنه يدرك الظل فقط، إذا وُجد أي شيء على الإطلاق، ذلك الذي يكون مقدَّماً بالرأي وليس بالعلم. هكذا حالماً وهاجعاً في هذه الحياة، وقبل أن يستيقظ هنا جيداً، يصل إلى العالم السفلي، ويمتلك راحة أبديّة.

كلوكون: أوافقك في كل ذلك، وبتأكيد أكثر.

سقراط: وبالتأكيد فإنك لن تمتلك الأطفال في دولتك المتخيَّلة، الذينَ أنت مغذّيهم ومربّيهم. وإذا ما كانت تخيلاتك ستصبح حقيقة، فلن تسمح للحكام المستقبليين أن يكونوا مجرّد نوعيّات لاعقلانيّة، وأن يُنَصَّبوا في السلطة فوق أعلى القضايا مع ذلك؟

كلوكون: لا بالتأكيد.

سقراط: إنك ستسنُّ قانوناً إذن، كي يحوزوا تعليماً كهذا الذي يمكنهم أن يصلوا بواسطته إلى المهارة الأعظم في طرح الأسئلة والإجابة عليها؟

كلوكون: نعم، سنسنُّهُ أنت وأنا معاً.

سقراط: علم الجدل، إذن، كما ستوافق، هو الحجر الأعلى للعلوم، وهو مركَّز فوقها ولا تقدر أية دراسة أخرى أن تُبنى على وفوْق هذا بحق. لقد وصلت معالجتنا للدراسات المتطلَّبة إلى غايتها الآن.

كلوكون: أوافق.

سقراط: لكن لمن سنعيِّن مهمة تلك الدراسات، وفي أيّة طريقة سنعيِّنها؟ تبقى تلك الأسئلة لنأخذها بعين الاعتبار.

كلوكون: نعم، بوضوح.

سقراط: إنك تتذكّر الشخصيَّة التي كانت مفضَّلة في اختيارنا السابق للحكّام؟

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: سأجعلك تفكّر، وفي اعتبار آخر، أنّ الطبائع عينها يجب أن تبقى مختارة، وقد مُنحت الأفضليَّة ثانية للأوثق والأشجع، وإذا أمكن، للأعدل. غير أنّنا يجب أن ننظر الآن لشيء ما أكثر من الطبع النبيل والمكتمل الرجولة. عليهم أيضاً أن يمتلكوا المواهب الطبيعيَّة التي تنسجم مع هذا التعليم الأعلى.

كلوكون: وما هي تلك؟

سقراط: المواهب هذه كالذكاء المتوقِّد والقدرات الجاهزة للإكتساب لأنّ العقل غالباً ما يتضاءَل من قسوة الدراسة أكثر مما يتضاءَل من قسوة الألعاب الرياضيَّة. إن المشقَّات الكليَّة هي أكثر خاصيَّة للعقل، وليست مُشْتَرَكَةً مع الجسم.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: أبعد من ذلك، إنّ ما نبحث عنه، عليه أن يمتلك ذاكرة جيدة، وأن لا يعرف الكلل: إنسانٌ صلب محب للعمل في أي اتجاه؛ أو أنه لن يقدر أبداً، بجانب تحمله بعض التمارين الجسديَّة، أن يغوص خلال جميع فروع المعارف العقليَّة والدراسة التي نتطلّبها منه.

كلوكون: لن يفعل ذلك، إلا إذا كان موهوباً بالطبيعة في كل اتجاه.

سقراط: وما الخطأ في الوقت الحاضر إلاّ أن أولئك الذين يدرسون الفلسفة ليس لديهم وقت للراحة، وهذا هو السبب في سقوط الفلسفة في انثلام السمعة، كما قلت سابقاً. إن أولادها الحقيقيين سيأخذون بيدها وليس أولاد الزنا.

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: في المقام الأول، إن مريدها لن تكون مثابرته كسيحة أو عرجاء. أعني أن عليه أن لا يكون نصف كادح ونصف كسول. وكمثال، عندما يكون الإنسان محباً للألعاب الرياضيّة والصيد وكل التمارين الجسديّة الأخرى، لكنه يكره العمل التعلمي أو السمعي أو البحثي ولا يحبّه. وسيكون كسيحاً الإنسان الذي حوَّل محبته للعمل في الاتجاه المضاد، على الدرجة عينها.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: ألا تُعتبر كسيحة وعرجاء على حد سواء تلك الروح التي تكره الباطل الطوعيّ والتي تكون ساخطةً للدرجة القصوى على نفسها والآخرين عندما يقولون الكذب، غير أنها تصبر على الباطل اللاإرادي ولا تمانع من الانغماس في حمأة الجهل كالحيوان البهيميّ ولا تخجل أن تُكتشف؟

كلوكون: لتكن متأكّداً.

سقراط: ألا يجب أن نميّز بعناية، مرّةً ثانيةً، بين الابن الحقيقيّ وابن الزنا فيما يخصّ الاعتدال، الشجاعة، الشهامة، وكل أنواع الفضائل الأخرى؟ لأنه حيث لا تمييز لنوعيات كهذه فإنّ الدول والأفراد سيخطئون لا شعورياً؛ وتُنصِّب الدول الحاكم، ويتخذ الفرد صديقاً، من واحد ناقص في جزء ما من الفضيلة، ويكون في صورة الكسيح أو ابن الزنا.

كلوكون: إنّ ذلك حقيقي تماماً.

سقراط: علينا حماية النظام ليظل في مأمن تامٍّ في تلك الأخطار. وإذا كان أولئك

الذين نُدخلهم إلى هذا النظام التعليمي والتدريبي الواسع سالمين في العضو وفي العقل، فلن يكون لدى العدل نفسه أي شيء ليقوله ضدنا، ولسوف نكون نحن منقذي الدستور والدولة؛ غير أنه إذا كان رجالنا ذوي طابع آخر، فالعكس سيحدث، وسنصبُّ مع ذلك طوفاناً أكبر من السخرية على الفلسفة، أكثر مما تحتمله في الوقت الحاضر.

كلوكون: لن يكون ذلك مشرِّفاً.

سقراط: لا بالتّأكيد، ولربّما أكون مضحكاً مع ذلك، في تحويلي المزاح هكذا إلى جديَّة.

كلوكون: في أيِّ اعتبار؟

سقراط: لقد نسيت، أننا لم نكن جدّيين، وتكلمنا في كثير من الإثارة أيضاً لأنني عندما رأيت الفلسفة تدوسها أقدام الرجال بغير حق، لم أستطع إلاّ أن أشعر بنوع من السّخط على المسبّبين وجعلني غضبي عنيفاً إلى حد كبير.

كلوكون: حقاً! لقد كنت مستمعله ولم أعتقد هكذا.

سقراط: لكن، مع أنني المتكلِّم، شعرت بذلك. وهذه هي النقطة الأساسيَّة التي يجب أن لا ننسى على كل حال، مع أنّنا اخترنا الرجال المسنِّين في انتقائنا السابق، بينما لا يجب فعل ذلك. إن سولون كان ضالاً عندما قال إن الإنسان يمكن أن يتعلَّم أشياء عديدة عندما يصبح مسناً لأنه لا يقدر أن يتعلَّم كثيراً بعد اليوم أكثر مما يمكنه أن يركض كثيراً. الشباب هو الوقت للعمل الشاق العظيم المتكرِّر.

كلوكون: طبعاً.

سقراط: ولذلك، فإنّ علم الهندسة والحساب وكل عناصر التثقيف الأُخرى التي هي إعدادٌ لعلمِ الجدل، يجب أن تقدَّم إلى العقل في سنّ الطفولة، ليس على كل حال، تحت أية فكرة لفرض قانوننا التعليمي.

كلوكون: لِمَ لا؟

سقراط: لأنه لا يجب على الرجل الحر أن ينال أي نوع من أنواع المعرفة كالعبد. إنّ التمارين الجسديّة عندما تكون إلزاميّة، فإنها لا تؤذي الجسم؛ لكن المعرفة التي تُكتسب بالإكراه لا تحرز تأثيراً في العقل.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: لا تستعمل الإكراه إذن، يا صديقي الخيِّر، بل دع التعليم المبكّر أنْ يكون نوعاً من أنواع الطّرب وستكون قادراً عندَها أن تجد الميل الطبيعي له أيضاً.

كلوكون: يوجد سبب في إشارتك هذه.

سقراط: هل تتذكّر بأنه حتّى الأطفال يجب أخذهم ليروا المعركة من على ظهور الخيل، وأنّه لا خطر من إحضارهم قريباً منها؟ عليهم أن يتذوقوا الدّم المعطى لهم ككلاب الصيد الفتيّة.

كلوكون: نعم، إنني أتذكّر.

سقراط: ويمكن متابعة الممارسة عينها في كل تلك الأشياء: الأعمال، الدروس، الأخطار ـ ومن هو أكثر قرباً فيها جميعاً يجب أن يُدْرج في رقم منتخب.

كلوكون: في أي عمر؟

سقراط: عندما تكون التمارين الرياضيّة الضرورية قد أُنجزت، سواء كانت المدة سنتين أو ثلاثاً. وهذه ستكون عديمة النفع لأي غرضٍ آخر لأنها ستقتصر على هذا النوع من أنواع التمرين لأن التمارين المنوّمة والمتعِبَة هي غير موافقة للتعليم. فضلاً عن ذلك، فإنّ تجربة نوعيتهم في التمارين الرياضيّة هي واحدة من الامتحانات الأكثر أهميّة والتي سيخضع شبابنا لها.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وبعد هذا الوقت فهؤلاء الذين تم اختيارهم من طبقة سِنّ العشرين سيُرقَّوْنَ إلى مرتبة أعلى من الباقين، وستحضَّر معاً العلوم التي تعلموها بدون أي نظام

في تثقيفهم المبكِّر، وسيكونون قادرين على أن يروا العلاقة الطبيعيَّة لها مع بعضها بعضاً، وللوجود الحقيقي.

كلوكون: نعم، ذلك هو النوع الوحيد للمعرفة الذي يمدُّ جذوراً دائمة البقاء في أشخاص قلائل محظوظين.

سقراط: نعم، وإنّ الطاقة لهكذا معرفة هي القسطاس الأكبر للنبوغ الجدلي. إن العقل المدرك هو العقلي الجدلي على الدوام.

كلوكون: أتّفق معك.

سقراط: تلك هي النقاط الرئيسية التي يجب أن تُعتبر؛ وهؤلاء الذين لديهم الإدراك الأكثر، والذين هم الأكثر رسوخاً في علمهم وفي واجباتهم العسكريَّة وتعييناتهم الأخرى، سوف تختارهم أنت خارج الطبقة المنتقاة عندما يجتازون سن الثلاثين، ويُرفعون إلى أعلى المراتب. ولسوف تمتحنهم بمساعدة علم الجدل، لتعلم أيُّهم يكون قادراً أن يُقلِعَ عن استعمال البصر والحواس الأخرى وينال رفقة الحقيقة والوجود المحض. وستكون محتاجاً هنا يا صديقي للاحتراس العظيم.

كلوكون: ما هو الاحتراس العظيم؟

سقراط: ألم تُشِر إلى ضخامة الشر الذي يترافق مع علم الجدل اليوم؟

كلوكون: أيُّ شر؟

سقراط: إنّ طلاب الفن قد امتلأوا عصياناً.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: وهل تفكر أنه يوجد أي شيء غريب جداً كهذا أو بلا مسوِّغ في حالتهم؟ أو أنك ستجيز السماح لهم؟

كلوكون: سأسمح لهم! بأيّة طريقة؟

سقراط: أريدك، بطريقة متوازية، أن تتخيَّل إبناً افتراضيّاً ترعرع في غنىً مفرط؛ إنه

من عائلة كثيرة العدد وعظيمة، ولديه متملقون كُثُر. عندما بلغ سن الرجولة، تعلَّم أن أبويه المزعومَيْن ليسا أبويه الحقيقيين، أما من هما الأبوان الحقيقيان فهو غير قادرٍ أن يكتشف. هل تقدر أن تخمِّن كيف سيتصرَّف نحو متملّقيه وأبويه المفترضَيْن، قبل كل شيء، وخلال المدة التي كان جاهلاً فيها العلاقة الباطلة، وحينها، عندما يعرف بها ثانية؟ أو أنني سأخمِّن لك؟

كلوكون: إذا أردت.

سقراط: عليَّ أن أقول إذن إنه أثناء جهله للحقيقة، فإنه من المحتمل أن يكرِّمْ أباه وأمَّه وأقرباءَه المفترضين أكثر من متملقيه. سيكون أقل ميلاً لإهمالهم عند الحاجة، أو أن يفعل أو يقول أيّ شيء عنيف ضدَّهم؛ وسيكون أقلَّ رغبة بعصيانهم في أية مسألة هامة.

كلوكون: من المحتمل.

سقراط: لكنه عندَما حصل الإكتشاف، سأتصوَّر أنه سيقلِّل التكريم والاعتبار لهما وسيصبح مكرِّساً أكثر لمتملقيه. سيزداد تأثيرهم عليه إلى حدٍّ كبير، سيحيا في نمط طريقتهم، سيعاشرهم علانيَّة. وما لم يكن ذا مزاج خيِّرٍ وغير عادي، فلن يُتعب نفسه بعد ذلك بشأن أبويه المفترضَيْن أو الأقرباء الآخرين.

كلوكون: حسناً، إن كل ذلك محتمل جداً، لكن كيف تكون الصورة التي تناسب مريدي الفلسفة؟

سقراط: في هذه الطريقة: أنت تعرف أنّ هناك مبادىء محقَّقة عن العدل والشرف، تلك التي تعلمناها في سن الطفولة، وقد ترعرعنا تحت سلطتها الأبويَّة، في طاعة لها وتكريم.

كلوكون: إن ذلك حقّا.

سقراط: هناك عادات من نوع مضاد مترافقة مع اللذة أيضاً وتملُّق وتجذب الروح لكنها لا تؤثِّر على من له أي إدراك حقيقي. هؤلاء يواصلون إطاعة وتكريم المبادىء الأساسيَّة لآبائهم.

كلوكون: حقاً.

سقراط: وبعدُ، عندما يكون إنسان في هذه الحالة، وتسأل النفس النزوعيّة ما هو الجميل والشريف، ويُجيب كما علّمه المشرّع للقانون، وتدحض عندها المحاورات العديدة والمتنوعة كلماته، حتى يُساق إلى الاعتقاد أن لا شيء يكون شريفاً أكثر مما هو شائن، أو عادلاً وخيّراً أكثر من العكس، وهكذا جميع التصورات التي تعتبرها الأكثريّة، فكيف تعتقد أنّه سيتصرّف؟ هل سيبقى مكرّماً لها ومطيعاً؟

كلوكون: إنه لمستحيل أنْ يكرّمها أو يطيعها في الطريقة عينها؟

سقراط: وعندما يكف عن التفكير بأنّها شريفة وطبيعيّة، كما فيما مضى ويفشل في اكتشاف الحقيقة، هل يتوقّع منه أن يسعى لأية حياة خلافاً لتلك التي تطري رغباته؟

كلوكون: إنه لا يقدر.

سقراط: ومن كونه حافظاً للقانون سيصبح خارقاً له؟

كلوكون: لا ريب في ذلك.

سقراط: ألا يبيّن ذلك أنّ حالة تلاميذ فلسفة كما وصفت، هي حالة طبيعيّة جداً، وأيضاً كما كنت قائلاً منذ برهة، الحالة الأكثر اعتذاراً؟

كلوكون: نعم، ويمكنني أن أضيف أنهُ يُرثى له ولحاله.

سقراط: وبناء على ذلك، فإنّ شعورك لا يمكن أن يتحرّك ليرحم مواطنينا الذين هم الآن في سن الثلاثين. يجب أن تؤخذ كل عناية لإدخالهم في علم الجدل.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: يوجد حذر واحد عظيم بالتأكيد، وهو أن لا يستمرئوا ذلك في وقف جدّ مبكّر لأن حديثي السن، ولا شك لاحظت ذلك، عندما يحصلون على التذوق في أفواههم أولاً، يجادلون قصد التسلية. إنهم يخالفون ويدحضون

الآخرين دائماً مقلّدين أولئك الذين يدحضونهم. يفرحون في شد وتمزيق من يأتي بقربهم كليّة، كما تفعل جراء الكلاب.

كلوكون: نعم، لا شيء أحبّ إليهم من ذلك.

سقراط: وعندما يصنعون عدة فتوحات ويتلقون هزائم على يد الكثرة، فإنهم يتقدّمون بحدّة وسرعة في طريق عدم تصديق أي شيء صدّقوه قبلاً، ومن ثمّ ليس هم فقط، بل الفلسفة وكل ما يتصل بها. إنها تكون عِرْضة لتحوز إسماً رديئاً مع بقية الناس.

كلوكون: حقاً كذلك.

سقراط: غير أنّ الإنسان عندما يبدأ بالتقدم في السن، فلن يكون مذنباً بعدها في هكذا اختلال عقلي. إنه سيقلّد عالِمَ علم الجدلِ الذي ينشد الحقيقة، وليس الجدالي الذي يكذّبُ في سبيل التسلية؛ وهو لن يبلغ اعتدالاً أكبر في الشخصية فقط، بل سيزيد التكريم لهذا المسعى بدلاً من إنقاصه.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: ألم تكن كل نصُوصنا السابقة، قد صُمّمت لمنع هذا الخطر، عندما قلنا إن أولئك الذين سيدرّبون في التعقّل يجب أن يكونوا منظّمين وثابتين، وليس كما هم الآن، ينتهزون أية صدفة فضولية وطامحة.

كلوكون: إفترض، أن التدريب في علم المنطق سيتواصل باجتهاد وجديَّة على وجه الحصر، ضعفي عدد السنين التي مرَّت في التمارين الجسديَّة المثيلة. فهل سيكون ذلك كافياً؟

كلوكون: وهل ستقول ست أو أربع سنوات؟

سقراط: لنقل خمس سنين، ويجب إرجاعهم إلى الكهف ثانية عند انتهائها وإجبارهم على أن يتسنَّموا الوظيفة العسكرية أو المدنيَّة التي يكون الرجال الشبَّان مؤهلين لها، كي لا يكونوا متخلفين عن الآخرين في خبرة الحياة.

ويجب أن يُخضعوا للامتحان هنا ثانية، ليُظهروا، إن كانوا سيقفون ثابتين أو أنهم سيُحجمون، عندما يسلكون كل أنواع الطرق بالإغرَاء.

كلوكون: وكم سيدوم هذا الطور من حياتهم؟

سقراط: خمس عشرة سنة. وعندما يصلون إلى سنّ الخمسين، حينئذ، دع أولئك الذين لا يزالون أحياء، والذين ميّزوا أنفسهم في كل عمل من أعمال حياتهم، وفي كل فرع من فروع المعرفة، أن يُحضَّروا إلى إتمامها أخيراً. لقد حان الوقت الذي يجب أن يرفعوا فيه عين الروح إلى النور الكوني الذي ينير كل الأشياء وينظروا الخير المحض لأنّ ذلك هو النموذج الذي سينظّمون الدولة وحياة الأفراد طبقاً له، وما تبقّى من حياتهم الخاصة أيضاً، جاعلين الفلسفة مسعاهم الأخير الرئيسي. لكن، عندما يأتي دورهم، كادحين في علم السياسة أيضاً وحاكمين للخير العام، ليس كأنهم كانوا يؤدون عملاً ما بطولياً، بل كضرورة بكل بساطة؛ وعندما يكونون قد ربَّوا آخرين في كل جيل كأنفسهم، وحلُّوا مكانهم ليكونوا حكام الدولة، فسيغادرون إلى الجزرِ المباركة حينها ويسكنون هناك. وستقيم المدينة أنصاباً تذكاريَّة عامَّة لهم وستقدم أضاحي وتكرّمهم، إذا رضي الكاهن البيثي، كأنصاف الآلهة، وإلاّ، فكما في أية حالة مباركة وإلهيَّة.

كلوكون: إنك نحَّاتٌ، يا سقراط، لقد صنعتَ لحكامنا تماثيل آيةً في الجمال.

سقراط: نعم، يا كلوكون، ولحاكماتنا أيضاً. يجب أن لا تفترض أنّ ما قلته يُطبَّق على الرجال فقط وليس على النّساء بقدر ما تسمح به طباعهنّ.

كلوكون: إنك هنا محق، بما أنّنا قد جعلناهنّ يشاركنَ في كل شيء كالرجال.

سقراط: حسناً وسوف توافق، ألن تفعل؟ أن ما قد قيل عن الدولة والحكومة ليس مجرَّد حلم، ومع أنه صعب فهو ليس مستحيلاً، بل هو محتمل بالطريقة التي افتُرِضت فقط. لنقل، عندما يُولد الفلاسفة الحقيقيُّون للعائلة الحاكمة في

الدولة، فإن واحداً أو أكثر مِنهم، يزدرون شرف هذا العالم الحالي الذي يعتبرونه دنيئاً ولا قيمة له، معتبرين الحق فوق كل الأشياء، والشرف الذي ينشأ من الحق، ومميزين العدل كأعظم وأكثر ضرورة من كل الأشياء، وهؤلاء هم وزراؤه والذين ستكون مبادئه ممجدَّةً بهم، عندما يركِّزون مدينتهم الخاصة بانتظام.

كلوكون: كيف يشرعون بذلك.

سقراط: سيبدأون بإرسال كلّ ساكني المدينة إلى داخل البلاد، ممن يكون أكثر من العاشرة سنّاً، وسيشرعون بامتلاك أطفالهم الذين لم يتأثروا بعادات آبائهم، وسيدرِّبون هؤلاء في عاداتهم وقوانينهم الخاصة والتي ستكون هكذا كما وصفنا، وستحصل الدولة والمجتمع، بهذه الطريقة التي قد تكلمنا عنها، ستحصل بأسرع ما يمكن وبسهولة أكثر على السعادة، وستربح الأمة التي لديها دستور كهذا، ستربح الأكثر.

كلوكون: نعم، سيكون ذلك الطريق الأفضل، وأعتقد، يا سقراط، أنك وصفت وصفاً حسناً جداً، كيف يمكن لمجتمع كهذا أن يأتي إلى الوجود.

سقراط: كفاية عن الدولة الكاملة إذن، وعن الرجال الذين يحملون صورتها. أفترض أنه لا توجد أية صعوبة في رؤية كيفية وصفهم أيضاً.

كلوكون: لا، لا صعوبة، وأتفق معك في الاعتقاد أنّه لا حاجة لأي شيء ليكون مقولاً.

الكتاب الثامن

أفكار الكتاب الرئيسيَّة

١ ـ إكتمال ترسيخ أسس الدولة المثاليّة الإشتراكيّة السعيدة الكاملة.

٢ ـ نشوء الدول.

٣ ـ تنبثق الدولة من الطبيعة الإنسانيّة.

٤ ـ توجد خمسة أنواع رئيسيّة من الدول: الدولة الأرستقراطيّة، التيموقراطيّة، الأوليغاركيّة، الديموقراطيّة، والإستبداديّة.

٥ ـ الدولة الأرستقراطيّة: حكومة الأفضل. التيموقراطيّة حكومة الشرف. الأوليغاركيّة حكومة الأغنياء. الديموقراطيّة حكومة عامة الشعب. الإستبداديّة حكومة الرجل الفرد.

٦ ـ كيف تنبثق الدولة الأرستقراطيّة؟

٧ ـ كيف تأتي إلى الوجود الدولة التيموقراطيّة؟ ووصف دقيق لشخصيّة الحاكم التيموقراطي.

٨ ـ كيف ترتفع الدولة الأوليغاركيّة، تلك الدولة التي يرأسها حاكم غني مع شلّة أغنياء، ويُحرم منها الفقير والفقراء وأهل الفضل والعقل؟

٩ ـ تحليل لشخصيّة الحاكم الأوليغاركي.

١٠ ـ كيف ينشأ التغيير من الدولة الأوليغاركيّة إلى الديموقراطيّة؟

١١ ـ قيام الدولة الديموقراطيّة الممتلئة منوّعات وحرية وفوضى. إنها كالرداء الموشّى الذي تزركش بكل نوع من أنواع الزهر.

١٢ ـ تحديد الملذات الضروريّة وغير الضروريّة وتأثيرات كل منها على الروح والجسم والحكم بشكل عام.

١٣ ـ سقوط الدولة الديموقراطيَّة وقيام الدولة الإستبداديَّة.

١٤ ـ نوعيَّة الدولة الإستبداديَّة، وحاكمها كالذئب المفترس، ذو النفسيَّة السفَّاحة التي ترغب سفك الدماء.

١٥ ـ تحليل لشخصية ونفسيَّة الحاكم المستبد.

١٦ ـ لن نسمح لشعراء المأساة بالدخول إلى دولتنا لأنهم يمدحون الاستبداديين.

الكتاب الثامن

سقراط: وهكذا، يا كلوكون، لقد استنتجنا أنّه في الدولة الكاملة تكون الزوجات والأطفال مشتَرَكين؛ وأن كل التعليم ومساعي الحرب ستكون مشتركة أيضاً، وأن أولئك الذين برهنوا أنّهم أفضل الفلاسفة وأشجع المقاتلين سيكونون ملوكاً.

كلوكون: قد تم الاعتراف بذلك.

سقراط: نعم، ولقد إعترفنا بما هو أبعد، وهو أن الحكّام، عندما يتم تعيينهم سيأخذون جنودهم ويضعونهم في بيوت كتلك التي وصفنا، المشتركة للجميع، والتي لا تحتوي على أي شيء خاص أو فردي؛ وستكون بمعزلٍ عن البيوت الأخرى. إنك تتذكّر ما هو نوع التملك الذي اتفقنا أن نسمح لهم به.

كلوكون: نعم، أتذكر بأنه لن يحوز أحد منهم أياً من الممتلكات الإعتيادية للجنس البشري؛ وأن يكونوا مقاتلين أقوياء الأجسام وحماة، متسلمين من المواطنين الآخرين، كراتب سنوي، النفقة الضروريّة لواجباتهم فقط، وأن يكونوا مسؤولين عن أنفسهم وعن مجمل الدولة.

سقراط: حقاً، وبما أنّنا قد أنجزنا تقسيمنا لعملنا الشاق هذا الآن، دعنا نستعيد النقطة الأساسيّة التي ضللنا فيها، كي نتمكّن من العودة إلى مسلكنا القديم.

كلوكون: لا صعوبة في العودة. إنك ضمّنت، حينئذ كما الآن، إنتهاءك من الدولة. قلت إن دولة كهذه التي وصفت كانت جيّدة، وكان الإنسان الذي تجاوب معها خيّراً، مع أنه كما يظهر الآن، فإن لديك أشياء ممتازة أكثر

لتخص بها الدولة والإنسان معاً. لقد قلت إنه إذا كان هذا الشكل شكلاً حقيقياً، كيفما كان ذلك ممكناً آنئذ، فإن كل الأشكال الأخرى تكون خطأ. وكما أتذكر قلت عن الأشياء الباطلة، أن أربعة منها كانت جديرة بالملاحظة، وأن عيوبها وعيوب الأفراد المماثلة لها كانت جديرة بالامتحان. وعندما رأينا كل الأفراد واتفقنا أخيراً على أيّهم كان الأفضل وأيّهم الأسوأ، كان علينا أن نعتبر ما إذا كانت الأفضل، هي السعيدة أيضاً، والأسوأ هي الأكثر شقاء أم لا. لقد سألتك ما هي أشكال الحكومات الأربع التي تكلمت عنها، وعرض حينئذ بوليمارخوس واديامنتوس كلمتهما، وابتدأت أنت ثانية ثم وجدت طريقك إلى النقطة الرئيسيَّة التي بلغناها الآن.

سقراط: إن تذكرك لأكثر دقة.

كلوكون: عليك أن تدعني إذن، وكالمصارع، أن آخذ قبضتي السابقة وأن تسمح لي أن أسألك الأسئلة عينها، وتعطيني الأجوبة عينها التي كنت على وشك أن تعطيني إيّاها حينئذ.

سقراط: نعم، سأفعل إذا قدرت.

كلوكون: سأرغب أن أسمع منك وصفك للحكومات الأربع التي تكلمت عنها.

سقراط: يمكن الإجابة عن هذا السؤال بسهولة. إنَّ الحكومات الأربع التي تكلمت عنها، بقدر ما لها من أسماء مميَّزة، هي بالدرجة الأولى من النوع الكريتي والإسبارطبي الذي يهلّل له بشكل عام، يأتي التالي والثاني في نظام الاستحسان، ما يسمى حكومة الأوليغاركيّة(٧٦). إنّه شكل حكومة يكتظّ بالشرور. الثالث، هو الشكل المخاصِم لهذه ويأتي بعدها، إنّها الديموقراطيَّة. وتأتي الإستبداديَّة أخيراً، وهي عظيمة وشهيرة. إنّها تخالفها جميعاً وتأتي رابعة في الترتيب، وهي أسوأ دولة فوضويَّة. إنني لا أعرف، هل تعرف أنت عن أي مجتمع آخر نستطيع أن نقول إن له شخصيَّة مميَّزة؟ هناك الممالك

الوراثيّة التي تُباع وتشترى، والإمارات وبعض أشكال الحكومات الوسط الأخرى. لكن تلك لا يقع عليها الوصف ويمكن إيجادها على حدّ سواء بين الهيلينيين والبربر.

كلوكون: نعم، إنّنا نسمع عن العديد من أشكال الحكومات العجيبة.

سقراط: هل تعرف، أن الحكومات تختلف كما تختلف أمزجة الرجال، وأنّه يجب وجود العديد من الواحدة كما وجود الأخرى؟ أو أنّك تفترض أنّ الدول تنبثق من « السنديان والصخور » وليس من الطبائع الإنسانيّة التي تكون فيها. وكما تكون، فإنّها تدير الميزان وترسم الأشياء الأخرى محاكاةً لها.

كلوكون: قطعاً، إنّها لا تقدر على الإنبثاق من أيّ مصدر آخر.

سقراط: إذا كانت مجتمعات الدول خمسة إذن، فإن أمزجة عقول الأفراد ستكون خمسة أيضاً؟

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: وذلك الذي يتجاوب مع الأرستقراطيّة، والذي ندعوه عادلاً وخيّراً بحق، قد وصفناه مسبقاً.

كلوكون: لقد فعلنا.

سقراط: دعنا ننتقل إذن لنَصِفَ النوع الأدنى للطبائع الآن، كونها المنازِعة والطموحة، الّتي تتجاوب مع نظام الدولة الإسبارطي؛ نظام حكم الأغنياء أيضاً، النظام الديموقراطي والإستبداديّ. وهكذا يمكننا وضع النظام الأكثر عدلاً بجانب النظام الأكثر ظلماً، ونتمّم مقارنتنا بين العدل النقي والظلم النقي، فيما يخص السعادة أو الشقاء الذي يسببانه لمن يمتلكهما. سنعرف ما إذا كان يجب أن نقتفي أثر الظلم، كما ينصح ثراسيماخوس، أو أن نفضّل العدل في موافقة مع المحاورة التي هي ظاهرة إلى النور الآن.

كلوكون: يجب أن نفعل كما تقول، بالتّأكيد.

سقراط: هل سنتبع تصميمنا القديم الذي تبنّيناه بالنظر إلى النقاء، مِن تناول الدولة أولاً ومن ثمَّ التقدم إلى الفرد، ونبدأ بالحكومة المؤسَّسة على حب الشرف؟ إنّني لا أعرف إسماً لحكومة كهذه خلافاً من التيموقراطيَّة، أو لربما التيماركيَّة. سنقارن بهذه الشخصيَّة المشابهة للفرد ونعتبر بعد ذلك الأوليغاركيَّة والإنسان الديموقراطيّ. وسنذهب أخيراً لنعاين المدينة الإستبداديَّة، ونلقي نظرة على روح المستبد مرَّة أخرى، ونحاول أن نصل إلى قرار مقنع.

كلوكون: ستكون تلك الطريقة لمعاينة المسألة والحكم عليها طريقة مناسبة جدّاً.

سقراط: دعنا نسأل إذن بادىء ذي بدء، كيف ستنبثق التيموقراطيَّة (حكومة الشرف) من الأرستقراطيَّة (حكومة الأفضل). توجد كل التغييرات السياسيَّة، بوضوح، في تقسيمات القوى الحاكمة الحقيقية. إن الحكومة التي تكون موحدة حتى لو كانت صغيرة، لا يمكن زحزحتها.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: في أيّة طريقة ستكون مدينتنا مضطربة إذن، وبأية طريقة ستختلف طبقتا المساعدين والحكّام مع بعضهما أو واحدتها مع الأخرى؟ هل سنصلّي إلى آلهة الشِعر على غرار هوميروس ليخبرونا « كيف نشأ التنافر أولاً »؟ هل سنتصورهم في هزءٍ مهيب كي يلعبوا أو يهزلوا معنا وكأننا أطفال، أو ليخاطبونا في مَسحَةٍ مأساويَّة مترفعة متظاهرين بأنهم جدّيون؟

كلوكون: كيف سيخاطبوننا؟

سقراط: بحسب هذا الأسلوب: المدينة المنظّمة بهذه الطريقة يصعب هزّها. لكن بما أنّ كل شيء له بداية فإن له نهاية أيضاً، لذلك، فإن نظاماً كهذا لن يبقى إلى الأبد، بل سينّحلُّ مع الزمن. وهذا هو الانحلال: فكما في النباتات التي تنمو في الأرض، هكذا في الحيوانات التي تتحرك على سطحها، يحدث الخصب والجَدبُ للروح والجسم عندما تكون محيطات الدوائر متمّمة لكل

منها التي تجتاز في الموجودات القصيرة الأعمار بمدة قصيرة، وفي الطويلة الأعمار فوق مدّة طويلة. لكن لمعرفة الخصب والجدب الإنسانيّ فإن كل حكمة وعلم حكامك لن تصلها؛ ولن تُكتشف القوانين التي تنظّمها بأي مزيج عقلاني وحسّي، بل ستفلت منها، وسينجبون أطفالاً إلى العالم عندما يجب أن يفعلوا ذلك. إلا أنَّ ذلك الذي يكون ذا ولادة إلهيّة يمتلك دوراً هو متضمَّنٌ في رقم كامل؟(٧٧). أما دور الولادة الإنسانيّة فهو مُدرَكٌ في رقم حيث توجد زياداته الأولى في التعقيد الكمّي والتجذير (أو التربيع والتكعيب) محرزاً ثلاث فواصل وأربعة حدود للمتشابه وغير المتشابه، أما الأرقام الشمعيّة والشاحبة فتجعل كل الحدود موافقة ومناسبة لبعضها بعضاً(٧٨). والقاعدة لتلك (٣) مع الثالث مضافاً (٤) عند اتّحاده مع خمسة، (٢٠) متى جُمِّعَ إلى القدرة الثالثة يجهّز تناسبين؛ الأول مربع الذي هو أكبر بمئة مرّة (١٠٠X ٤= ٤٠٠)(٧٩) والآخر شكلٌ له ضلعٌ مساوٍ للسابق، لكنه مستطيل الشكل، مؤلّف من مئة رقم مربّع فوق الأقطار المعقولة للمربّع (كمثل: إسقاط الكسور). الضلع الذي يكون خمساً (٧X ٧=٤٩X ١٠٠ =٤٩٠٠)، كل منها كونه أقل بواحد (من المربّع الكامل الذي يتضمَّن الكسور Sc.50 أو أقل بمربعين(٨٠) تامَّين للأقطار غير المعقولة (المربّع الذي يكون ضلعه خمسة = ٥٠ + ٥٠= ١٠٠)؛ ومئة مكعَّب مثلث (٢٧X ١٠٠= ٢٧٠٠ + ٤٩٠٠+ ٤٠٠= ٨٠٠٠). إلاَّ أنّ هذا الرقم يمثّل شكلاً هندسياً له سلطة فوق ولادات الخير والشر، إذ عندما يكون حُماتك جاهلين بقوانين الولادات ويوحّدون العروس والعريس خارج الأوان، فإن الأطفال لن يكونوا جميلين ومحظوظين، ولو أنّ الأفضل منهم سيعيَّن بأسلافهم، يبقى أنّهم لن يكونوا جديرين بإرتقاء أماكن آبائهم. وعندما يصلون إلى السلطة كحُماة، فسَيوجدون عاجزين عن أخذ العناية بنا

بدءاً بآلهة الشعر، وذلك لعدم تقديرهم للموسيقى؛ هذا الإهمال الذي سيمتد إلى الألعاب الرياضيّة قريباً. ولهذا فإن رجال دولتك الشباب سيكونون أقل تهذيباً. وسيعين في الأجيال اللاّحقة الحكّام الذين فقدوا قوة الحامي في تجربة المعدن لأنواعك المختلفة والتي هي شبيهة بما قاله هيسيود، الذين هم من الذهب والفضة والنحاس والحديد، وهكذا سيُخرج الحديد مع الفضة،والنحاس مع الذهب. ومن هنا ستنشأ المباينة والتفاوت والشذوذ، التي هي دائماً وفي كل مكان أسباب الكراهية والحرب. إنّ هذا ما يؤّكده آلهة الشعر في أنه الأصل الذي ينبثق منه التنافر. وهذا هو جوابهم لنا.

كلوكون: نعم، ويمكننا أن نحسب أنهم يجيبوننا بحق.

سقراط: نعم، بالطبع أنهم يجيبون بحق؛ كيف يمكن لآلهة الشعر التكلم ببطل؟

كلوكون: وماذا تقول آلهة الشعر لاحقاً؟

سقراط: عندما ينشأ التنافر، عند ذلك فالجنسان يبدآن الشد في الإتجاهات المضادة: الحديد والنحاس نحو اكتساب المال والأراضي والبيوت والذهب والفضّة. لكن الأجناس الذهبيّة والفضيّة الذين لا ينقصهم المال بل يمتلكون الغنى الحقيقي في طبائعهم الخاصة، فيميلون نحو الفضيلة والنظام التليد للأشياء. لقد وُجد توتر وممانعة بينهم، وتوصلوا أخيراً إلى تسوية، ووافقوا على توزيع أرضهم وبيوتهم بين الأفراد المالكين. وأما أصدقاؤهم والمحافظون عليهم الذين كانوا قد حازوا الصيانة في حالة رجال أحرار سابقاً، يستعيدونهم ويعدّوهم كتابعين وخدماً، وكانوا سيبقون متولين حراستهم بأنفسهم، بجانب مواظبتهم على الخدمة العسكريّة.

كلوكون: أعتقد أنك تصوَّرت أصل التغيير بصدق.

سقراط: وستكون الحكومة الجديدة التي تنشأ هكذا شكلاً وسطاً بين الأوليغاركّية والأرستقراطيّة.

كلوكون: حقيقي جداً.

سقراط: هكذا سيكون التغيير. وبعد أن أُحدِث التغيير هذا، فأيّ نوع من الحياة سيحيون؟ بوضوح، إنَّ الدولة الجديدة، كونها في الوسط بين الأُوليغاركيّة والدولة الكاملة، ستتبع جزئياً إحداهما وجزئياً الأخرى، وسيكون لديها بعض الصفات المميَّزة الأخرى.

كلوكون: حقاً.

سقراط: إن هذه الدولة ستشبه السابقة، من حيث تكريم الحكّام، وتقشف طبقة مقاتلينا من الزراعيين، الحرفيين، والتجارة عموماً، ثم في تنظيم الولائم المشتركة، وفي الإنتباه إلى التمارين الرياضيَّة والتدريب العسكريّ. ستشبهها في كل تلك الاعتبارات.

كلوكون: حقاً.

سقراط: لكن الخوف من تسليم الفلاسفة السلطة، لأن رجالاً كهؤلاء لن يكونوا بسطاء وجديين بعد اليوم، بل هم مصنوعون من عناصر ممزوجة؛ وفي تحولنا منهم إلى الشخّصيّات ذات الطبع الحاد والأقل تعقيداً الذين هم مناسبون بالطبيعة للحرب وليس للسلام؛ وفي القيمة التي يضعونها فوق الخِدَعِ والاستنباطات الحربيّة، وفي شن الحروب الدائمة، ستكون هذه الدولة غريبة في جزئها الأكبر.

كلوكون: نعم.

سقراط: نعم، وسيكون رجال من طابع كهذا جشعين للمال، كأولئك الذين يحيون في الأُوليغاركيّات. إنهم سيمتلكون حنيناً سرّياً شرساً وراء الذهب والفضة التي سيدخرونها في أماكن مظلمة، ممتلكين مخازن وخزنات خاصّة بها لإيداعها والتكتّم عنها. ولديهم حصون أيضاً التي هي أوكار لبيوضهم بالضبط والتي سيبددون فيها مبلغاً كبيراً من المال على النساء، أو على آخرين ممن يسرّهم.

كلوكون: إن ذلك لأكثر حقيقة.

سقراط: وإنهم لأخسّاء إذ ليس لديهم وسائل لاكتساب المال التي يعزّونها علانية. سينفقون ذلك الذي يكون للإنسان الآخر على إشباع رغباتهم، مختلسين ملذّاتهم وفارّين من القانون كالأطفال. لقد تعلموا ليس بالإقناع بل بالقوة لأنهم أهملوا إلهة الشعر الحقيقية، رفيقة العقل والفلسفة، وكرّموا التمارين الرياضيّة أكثر من تكريم الموسيقى.

كلوكون: إن شكل الحكومة التي تصف هو مزيج كامل من الخير والشّر.

سقراط: لماذا، هناك مزيج، لكن لشيء واحد، وشيء واحد فقط، مرئي بغلبة نفسية المنازعة والطموح؛ وإن تلك ناتجة عن التسلط الحاد الطبع والعنصر النشيط.

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: هكذا هو أصل، وتلك هي شخصية هذه الدولة التي وصفتها في شكلٍ ملخّصٍ فقط. لكن التنفيذ الأكثر كمالاً لم يكن مُستلْزماً لأن المودّة كافية لتُظهر المثال للعدل بالتمام الأكثر وللظلم بالتمام الأكثر. وإن المضيّ خلال كل الدول وكل شخصيّات الرجال، بدون إسقاط التفاصيل، هو عناء لا نهاية له.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: وبَعدُ، فما هو الإنسان الذي يطابق لشكل حكومة كهذه؟ كيف برز إلى الوجود، وماذا يشبه؟

اديامنتوس: أعتقد أنه غير مشابه لصديقنا كلوكون، في نفسيّة المنازعة التي يتّصف بها.

سقراط: ربما، أنه شبيه به في تلك النقطة الرئيسيّة. غير أنَّ هناك اعتبارات أخرى يختلف فيها معه تماماً.

اديامنتوس: في أيّة اعتبارات؟

سقراط: عليه أن يمتلك اعتداداً أكثر بالنفس وثقافة أقلّ، على أن يبقى صديقاً للثقافة، ومستمعاً جيداً، لا متكلماً. إن شخصاً كهذا ميّالاً ليكون قاسياً مع العبيد، غير شبيه بالرجال المتعلمين الذين يعتبرهم أحقر من ملاحظته؛ وسيكون بشوشاً للرجال الأحرار أيضاً، ومطيعاً للسلطة بشكل مدهش. إنه محب للقوة والشرف، مطالباً ليكون حاكماً، ليس لأنه فصيح أو على أرضيّة من ذلك النوع، بل لأنه جنديّ وقد أدّى عملاً باهراً للسلاح. وهو محب للتمارين الرياضيّة والمطاردة أيضاً.

اديامنتوس: نعم، إنه مثال الشخصيّة التي تتجاوب مع التيموقراطيّة.

سقراط: سيستخِفُّ واحد كهذا بالغنى طالما هو في سنّ الشباب؛ لكنه حالما يكبر في السن، سيُجذب لها أكثر فأكثر، لأنّ فيه جزءاً من الطبيعة الجشعة، وليس له هدف فرد يستقطب قواه كلها نحو الفضيلة، بما أنه قد فقد حارسه المفضّل.

اديامنتوس: وما هو ذلك؟

سقراط: إنه العقل، الذي لطّفته الموسيقى، والذي يتمكّن وحده من أن يحافظ على جودة الإنسان خلال الحياة، عندما يُركّز في داخله.

اديامنتوس: جيد.

سقراط: هكذا هو الشاب التيموقراطي، وهو يشبه الدولة التيموقراطيّة.

اديامنتوس: بالضبط.

سقراط: أمّا أصله فهو كما يلي: إنه يكون غالباً الولد الفتى لأب شجاع، يعيش في مدينة ذات حكم مريض، كراماتها ومناصبها منحطة، ومتفاديةً قضاياها القانونيّة وأعمالاً أخرى كهذه. وهو مستعد تماماً ليلوّح بحقوقه كي يكون بمقدوره الإفلات من الإنزعاج.

اديامنتوس: وكيف يأتي الصبي إلى الوجود؟

سقراط: إن شخصيّة الصبي تبدأ بالتطور عندما يسمع أمه تشكو من أن زوجها ليس لديه مكان في الدولة، وبذلك لا تمتلك صدارة بين النسوة الآخريات. أبعد من ذلك، عندما ترى أن زوجها ليس متلهفاً للحصول على المال، بدلاً من الكفاح والشكوى في المحاكم القانونيّة أو مجلس النوّاب، مستحوذاً على ما يأتيه صدفة وبهدوء؛ وعندما تلاحظ أن أفكاره تتمحور حول نفسه دائماً، في حين يعاملها بدون أي تكريم خاص وبازدراء كبير، فإنها تتضايق، وتقول لابنها إنّ أباه نصف رجل وإنه مهمل إلى أقصى حد، بالإضافة إلى الشكاوى الأخرى عن معاملتها السيئة التي تتولّع النساء بتكرارها.

اديامنتوس: نعم، إنهم يعطوننا الكثير منها، وإنما شكاواهم هي شبيهة بأنفسهم.

سقراط: وهل تعرف، أن الخدم المسنّين أيضاً الذين يُفترض أن يكونوا مجذوبين إلى العائلة، يُسِرّون إلى الإبن في المنحى عينه من وقت لآخر. وإذا رأوا أي شخص ممن يَدين بالمال إلى أبيه أو أنه يخطيء معه بأية طريقة ويفشل في محاكمته، فإنهم يحرّضون الشاب عندَما يكبر، على الانتقام من أشخاص ذوي نوعية كهذه، وأن عليه أن يكون رجلاً أكثر من أبيه. وما عليه إلاّ التجول خارج البلاد كي يسمع ويرى نوعية الشيء عينه فقط. أولئك الذين يعتنون بعملهم الخاص في المدينة يُدعون ساذجين وليس لهم أي اعتبار، بينما يُكرَّم ويُصفق للفضوليين. وتكون النتيجة أن الرجل الشاب، سامعاً وناظراً كل هذه الأشياء - سامعاً كلام أبيه أيضاً، وحائزاً مشاهدة أقرب لطريقة حياته، ومُقارناً بينه وبين الآخرين - يُجذب للطرق المضادة. وفي حين يكون أبوه مُروِياً ومغذّياً المبدأ العقلي في روحه، يشجع الآخرون المبدأ الشهواني الذي يثير شهيّة الطعام والشراب. وكونه هو غير ذي طبيعة سيئة أصلاً، سوى أنه إحتفظ برفقة شر، قد أُحضِر أخيراً بتأثيرهم المشترك إلى نقطة وسط، وسلّم المملكة التي هي في داخله إلى المبدأ الوسطي المشاكس والشهواني، ويصبح في نُصحِهِ متغطرساً وطموحاً.

اديامنتوس: يبدو لي أنّك وصفت أصله تماماً.

سقراط: نحن لدينا الآن إذن، الشكل الثاني للحكومة، والنوع الثاني للشخصيَّة.

اديامنتوس: صحيح.

سقراط: هل سننظر تالياً إذن، للإنسان الآخر الذي يقول أخيل إنه معيَّن فوق مدينة أخرى؛ أو بالأصح، كما يحتاج تصميمنا، أن نبدأ بالدولة؟

اديامنتوس: بكل تأكيد.

سقراط: أعتقد أن الأوليغاركيَّة تأتي بعد ذلك.

اديامنتوس: وأيّ نمط من الحكومة تدعو الأوليغاركيَّة؟

سقراط: إنها حكومة ترتكز على قيمة الممتلكات. هي التي يملك الغني فيها القوة الحاكمة، ويُحرم الفقير منها.

اديامنتوس: أفهم.

سقراط: ألا يجب أن أوضح كيف ينشأ التغيير من التيموقراطيَّة إلى الأوليغاركيَّة؟

اديامنتوس: نعم.

سقراط: حسناً، نحن لسنا بحاجة إلى عيون لنرى كيف تعبر الواحدة نحو الأخرى.

اديامنتوس: كيف؟

سقراط: إن تكديس الأفراد للذهب هو خراب التيموقراطيَّة لأنهم يخترعون لأنفسهم أولاً صِيَغاً جديدة للإنفاق ويحرّفون القوانين ليُسمح لهم بذلك، إذ ليس من شأنهم وشأن زوجاتهم الحرص على القانون.

اديامنتوس: نعم، إن ذلك محتمل.

سقراط: عندما يرى أحدهم الآخر يزداد غنى، يسعى لمنافسته، فتصبح أكثرية المواطنين العظمى عاشقة للمال.

اديامنتوس: مرجّح بما فيه الكفاية.

سقراط: وهكذا يزدادون غنىً فوق غنىً. وكلما كبر حبهم لاكتساب الثروة قلّ تكريمهم للفضيلة، إذ عندما يوضع الغنى والفضيلة في كفتي الميزان معاً، فإن أحدهما يرتفع دائماً بينما يهبط الآخر.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: لذلك، ففي النسبة التي يُبجّل فيها الغنى والأغنياء في الدولة، تُهان الفضيلة والفضلاء.

اديامنتوس: بوضوح.

سقراط: والذي يُبجّل يُمارَس، والذي لا يملك تكريماً يُهمَل.

اديامنتوس: إن ذلك لجليّ.

سقراط: وهكذا يصبح الرجال عاشقين للمال وكسبه، بدلاً من التشوّق إلى النضال والمجد. يكرّمون الإنسان الغني وتروج سوقه، ويرقّونه إلى أعلى المناصب، ويُهان الإنسان الفقير.

اديامنتوس: إنهم يفعلون ذلك.

سقراط: ثم يشرعون بسنّ القوانين التي تحدِّد مبلغاً من المال كأهليّة للمواطنيّة، كما تكون الأوليغاركيّة أكثر أو أقل اقتصاراً؛ ولا يسمحون لأي إنسان تنقص ممتلكاته عن القيمة المحددة أن يحوز أي نصيب في الحكومة. إنهم يحدثون تلك التغييرات في الدستور بقوة السلاح، إذا لم يكن التهديد قد فعل فعله مسبقاً.

اديامنتوس: حقيقي تماماً.

سقراط: وهكذا، هذه هي الطريقة التي تتوطّد الأوليغاركيّة بها، والكلام هنا بشكل عام.

اديامنتوس: نعم، لكن ما هي الصفات المميّزة لشكل هذه الحكومة، وما هي الشوائب فيها التي تكلمنا عنها؟[٨١]

سقراط: إعتبر طبيعة هذه الأهليّة، قبل كل شيء. فكّر مليّاً ما سيحدث إذا ما كان سيتم اختيار الربابنة طبقاً لإحصاء ممتلكاتهم، ويُرفض الإنسان الفقير إذن أن يدير الدفّة، حتى ولو أنه كان ربّاناً أفضل.

اديامنتوس: تعني أن الرحلة ستكونَ جدَّ كريهة؟

سقراط: نعم، أليس هذا حقيقياً عن الحكومة؟

اديامنتوس: عليَّ أن أُخمّن هكذا.

سقراط: ما عدا مدينة؟ أو أنك ستشمل مدينة؟

اديامنتوس: لا، فحالة مدينة ما هي أقوى الجميع، بقدر ما هو حكم مدينة ما أعظم وأكثر صعوبة من الجميع.

سقراط: سيكون هذا أعظم شوائب الأوليغاركيّة إذن.

اديامنتوس: بوضوح.

سقراط: وإن هنا شائبة أخرى سيئة إلى درجة مساوية تماماً.

اديامنتوس: ما هي الشائبة؟

سقراط: القسمة المحتومة: دولة كهذه ليست واحدة، بل دولتان اثنتان، إحداهما للفقراء، والأخرى للأغنياء، متعايشين على البقعة عينها ومتآمرين أحدهما ضدّ الآخر دائماً.

اديامنتوس: إن ذلك سيّىء إلى درجة متساوية بالتأكيد.

سقراط: وإن تلك سمة أخرى مخزية، ولسبب آخر مشابه، فإنهم عاجزون عن القيام بأي حرب. فإمّا عليهم تسليح الأكثريّة، وحينئذ فهم يخافون منهم أكثر من خوفهم من الأعداء، أو، إذا لم يستدعوهم في ساعة المعركة، فهم أوليغاركيّون حقاً، قلة لتحارب كما هم قلة لتحكم. إن شغفهم بالمال يجعلهم غير مستعدّين لدفع ضرائب في الوقت عينه.

اديامنتوس: ليس بالشيء الجيّد.

سقراط: ويوجد خطأ في هكذا مجتمع الذي لُمناه منذ أمدٍ بعيد؛ ألا وهو أن الأشخاص أنفسهم لهم تسميات عديدة: إنهم مزارعون، تجار، ومحاربون، كل في واحد. ألا يظهر ذلك جميلاً؟

اديامنتوس: أيّ شيء سوى الجميل.

سقراط: هناك شرّ آخر هو، ربما، أعظم الجميع، والذي تبدأ الدولة لتكون عرضة له أولاً.

اديامنتوس: ما هو الشرّ؟

سقراط: يمكن لإنسان أن يبيع كل ما يملك، ولآخر أن يكتسب ممتلكاته، ويمكنه مع ذلك، أن يسكن في المدينة التي لا يكون هو جزءاً منها. وكونه ليس تاجراً، ولا صانعاً ماهراً، ولا سائس خيل، ولا محارباً من المشاة، يسمّى عالة على الآخرين، ومحزوماً.

اديامنتوس: نعم، إن ذلك شرّ يبدأ في هذه الدولة.

سقراط: ولا يُمنع الشرّ هناك بالتأكيد، وإلاّ فإن الأوليغاركيّين لن يُظهروا الإفراط العظيم في الغنى والفقر المطلق.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: لكن فكّر ثانية: ففي أيّام غناه، وبينما كان منفقاً دراهمه، هل كان إنسان من هذا النوع أكثر خيراً للدولة من مثقال ذرّة للأغراض التي تكلمنا عنها الآن؟ أو أنه يظهر ليكون عضواً في الجسم الحاكم فقط، مع أنه لم يكن حاكماً ولا مرؤوساً في الحقيقة بل مبذراً بشكل تام؟

اديامنتوس: وكما تقول، إنه تراءى أنّه حاكم، بينما هو مبذّر فقط.

سقراط: ألا يمكن أن نقول إنه في بيته أشبه بذكر النحل في الخليّة، الأول وباء المدينة والآخر وباء الخليّة؟

اديامنتوس: هكذا تماماً يا سقراط.

سقراط: ولقد صنع الله ذكور النحل الطائرة جميعها، يا اديامنتوس، بدون إبر،في حين أن ذكور النحل السيارة صُنع بعضها بدون إبر حقاً، ولكن الآخرين بإبر مخيفة. أما فيما يتعلق بالطبقة التي بدون إبر فهي تلك التي تنتهي في عمرها المتقدّم كالفقراء الذين يعيشون على المعونة التي يتلقونها من الآخرين. وتأتي الطبقة المجرمة من ذوات الإبر، كما يسمون.

اديامنتوس: الأكثر حقيقة.

سقراط: بوضوح إذن، متى ما رأيت المعالين في الدولة، فهناك اللصوص وقاطعو أكياس النقود، وناهبو الهياكل، وكل أنواع فاعلي الشرّ مندسّون في مكان ما من ذلك الجوار.

اديامنتوس: بجلاء.

سقراط: حسناً، أو لا تجد المعاقين في الدول الأوليغاركيّة؟

اديامنتوس: نعم، فإن كل شخص من غير الحكام هو معاق تقريباً.

سقراط: أوَ يمكننا أن نكون مقدامين كي نؤكدّ أنّ هناك العديد من المجرمين فيهم، أوغادٌ ممن يمتلكون الإبر، والذين تحرص السلطات بشدة على كبح جماحهم بالقوّة.

اديامنتوس: يمكننا أن نكون مقدامين هكذا بالتّأكيد.

سقراط: وإن وجود هكذا أشخاص يُعزى إلى نقص في التعليم، والتدريب السيّىء، ودستور مشؤوم للدولة.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: هكذا هو الشكل إذن، وهذه هي شرور المدينة الأوليغاركيّة. ويمكن وجود عدة شرور أخرى.

اديامنتوس: مرجّحٌ جداً.

سقراط: يمكن إعتبار وصفنا الدقيق لهذا الشكل للحكومة المسمّاة أوليغاركيّة، والتي

يكون الحكّام منتخبين فيها لأجل غناهم، يمكن اعتباره مكتملاً. دعنا نتقدم تالياً كي نعتبر طبيعة الفرد وأصله والذي ينطبق على هذه الدولة.

اديامنتوس: بكل تأكيد.

سقراط: ألا يتغيّر الإنسان التيموقراطي إلى الأوليغاركي وفقاً لهذا الإتجاه؟

اديامنتوس: كيف؟

سقراط: يحين الوقت عندما يمتلك ممثّل التيموقراطيّة صبياً. يبدأ بادىء الأمر بمباراة أبيه والسير في خطاه، لكنه يراه الآن يُغرِق الدولة كما يُغْمَرُ الحَيْدُ البحري على نحو مفاجىء، ويكون هو وكل الذي يملك مفقوداً؛ يمكن أنه قد كان لواءً أو ضابطاً ما آخر رفيعاً جُلب للمحاكمة بسبب وشاية من مبلغين محترفين، وإما أُعدِم أو نُفي، أو حُرِمَ من امتيازاته كمواطن، وقد سُلِبتْ منه كل ممتلكاته.

اديامنتوس: لا شيء أكثر ترجيحاً.

سقراط: ولقد رأى الصبي وعرف بعد كل هذا أنه إنسان مدمّر، وقد علّمه خوفه ليقرع باب الطموح والشهوات رأساً من صميم عرشيهما. ولأن الفقر أذلّه ينطلق لكسب المال، ويحصل على مبلغ طائلٍ منه بالإدخار الخسيس والبخل والعمل الشاق. ألا يُرجّحُ واحد كهذا أن يركّز العنصر الشهواني والمشقة مما ليس له، أن يركزّه على العرش المهجور وأن يدعه يمثل دور الملكِ العظيم في داخله، مطوّقاً رأسه بتاج مرصّعٍ بالجواهر وبسلسلة وبسيفٍ معقوفٍ وحيد الحد؟

اديامنتوس: الأكثر حقيقة.

سقراط: وعندما جعل العقل والنفس يستقران على الأرض بإذعانٍ على جانبي ملكيهما، وجعلهما عبديه، أجبر الواحد على أن يفكر فقط كيف يمكن للمبلغ القليل من المال أن يتحوّل إلى مبالغ أكبر وأعظم، ولم يسمح

للآخرين أن يعبدوا ويكبرّوا أيّ شيء إلاّ الغنى والرجال الأغنياء، أو لتكون طموحاً لأيّ شيء إلى حد امتلاك الثروة والوسائل لاكتسابها؟

أديامنتوس: ليس في أي طريق آخر. يمكن أن يكون التحول هكذا سريعاً وعنيفاً للشاب الطموح، في نسبةٍ إلى الواحد الجشع المحب للمال.

اديامنتوس: ليس في أيّ طريق آخر، يمكن أن يكون التحول هكذا سريعاً وعنيفاً للشاب الطموح، نسبةً إلى الجشِع المحِب للمال.

سقراط: والجشِعُ هو الشاب الأوليغاركي.

اديامنتوس: نعم، إن الفرد الذي برز منه على أية حال، يكون شبيهاً بالدولة التي برزت منها الأوليغاركية.

سقراط: دعنا نرى إن كان هناك أي شبه بينهما.

اديامنتوس: جيد جداً.

سقراط: بادىء ذي بدء إذن، إن واحدهما يشبه الآخر في القيمة العليا التي يضعونها للثروة.

اديامنتوس: بالتّأكيد.

سقراط: وفي شخصيتهما البخيلة، الكادَّة. يشبع الفرد شهواته الضرورية للطعام والشراب، وتقتصر نفقاته عليها؛ أما رغباته الباقية فهو يدوِّنها على أنها غير مربحة.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: إنه شخص رثّ، يدَّخر شيئاً ما من كل شيء ويقتني كيس مالٍ لنفسه. هذا هو نوع الإنسان الذي يصفِّق له الرّعاع. أليس صورة حقيقية للدولة التي يمثِّل؟

اديامنتوس: يظهر لي أنه هكذا. على كل حال فإن المال ذو قيمة عالية عند هذا النوع من الرجال بالإضافة للدولة.

سقراط: أنت ترى أنه ليس إنساناً مهذباً.

اديامنتوس: لا أخمّن، إذا كان قد تعلَّم فلن يتخذ إلهاً أعمى قائداً لكورسِهِ على الإطلاق، أو مَنحَةُ التكريم الرئيسي.

سقراط: ممتاز! إعتبر فيما بعد: ألا يجب أن تعترف بما هو أبعد، والذي نتيجة افتقاره للتهذيب، ستوجد فيه كذكر النحل كالعالِّ والمحتال رغبات شبيهة والتي أُخمِدت بعادته المحترِسَة في الحياة بالقوة؟

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: هل تعرف أين ستبحث إذا أردت أن تعرف احتياله؟

اديامنتوس: أين يجب أن أبحث؟

سقراط: عليك أن تراه في الموضع الذي يعطيه حريّة تامة ليتصرّف بغدر، كما يفعل في حماية اليتيم.

اديامنتوس: نعم.

سقراط: ألاَ يتّضح أنه يجبر الآن شهواته السيئة بالفضيلة المُرغَمة في تعامله الإعتيادي الذي يمنحه السمعة في الأمانة ليس بجعلها ترى أنها على خطأ أو ترويضها بالعقل، بل تقييدها بالضرورة والخوف، لأنه يرتعد لأجل ممتلكاته؟

اديامنتوس: لتكن متأكداً.

سقراط: نعم، بحق، يا صديقي العزيز، لكنك سترى أن الرغبات الطبيعيّة لذكر النحل توجد عموماً كلّما اضطرّ أن ينفق ما ليس له.

اديامنتوس: نعم، ولسوف تكون رغبات قوية فيه أيضاً.

سقراط: لن يكون إنسَان كهذا إذن، في سلام مع نفسه؛ وسيكون إنسانين وليس واحداً. لكن بشكل عام، فإن رغباته المفضلّة ستسود الأدنى رتبة.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: لتلك الأسباب سيكون واحد كهذا أكثر احتراماً من أناس عديدين. مع ذلك فإن الفضيلة الحقيقية للروح المتحدة والمتناسقة ستفرُّ بعيداً ولن تقترب منه أبداً.

اديامنتوس: عليَّ أن أتوقع ذلك.

سقراط: وسيكون الخسيس بالتأكيد منافساً إفرادياً دنيئاً في دولة لأية جائزة إنتصار وأي غرض للطموح الشريف؛ إنه لن ينفق ماله في التسابق للمجد ويكون خائفاً من إيقاظ شهواته الإنفاقيّة واستدعائها للمساعدة والالتحاق بالجهاد. إنه يحارب في نمط أوليغاركي حقيقي مع جزء من موارده فقط، وتكون النتيجة بشكل عام أنه يفقد الجائزة وينفق ماله.

اديامنتوس: حقيقي تماماً.

سقراط: أنقدر أن نشك بعد الآن إذن، أن الخسيس وكاسب المال يطابق الدولة الأوليغاركيّة؟

اديامنتوس: لا مجال للشك في ذلك.

سقراط: تأتي الديموقراطيّة تالياً. يبقى أن نتأمل في هذا الأصل والطبيعة؛ وسنتقصّى حينئذ طرق الإنسان الديموقراطي ونوصله إلى القضاء للحكم عليه.

اديامنتوس: سنتقدم بثبات، على أيّة حال.

سقراط: حسناً. وكيف ينشأ التغيير من الأوليغاركيّة إلى الديموقراطيّة؟ أليس بهذه الطريقة؟ الخير الذي تهدف له دولة كهذه هو في أن تصبح غنياً قدر الإمكان. إنها رغبة لا يمكن إشباعها.

اديامنتوس: ماذا إذن؟

سقراط: إن الحكّام، ما داموا يعلمون أن قوتهم ترتكز على غناهم، يرفضون أن يقضّبوا بالقانون حريّة الشباب غير المهذبين لينفقوا ويبذروا أموالهم، راغبين بيع عقاراتهم أو استلاف المال عليها، وهكذا يزيدون ثروتهم وأهميتهم الخاصة.

اديامنتوس: لتكن متأكداً.

سقراط: لا شك أن محبّة الغنى ونفسيّة الإعتدال لا توجدان معاً في مواطني الدولة عينها إلى أي حد جدير بالإعتبار؛ ستُهمل إحداهما بدون شك.

اديامنتوس: إن ذلك لواضح وممكن الإحتمال.

سقراط: هكذا في الدول الأوليغاركيّة، حيث لم يقلق أحد ليضبط الإنغماس الذاتي، فإن أبناء العائلات الجيدة غالباً ما تدنت رتبهم إلى أدنى مراتب الفقر.

اديامنتوس: نعم، غالباً.

سقراط: ويبقون في المدينة مع ذلك، وهناك يوجدون، جاهزين للوخز ومسلحين بشكل تام، إما مستدينين مالاً، أو مضيّعين جنسيتهم، أو كليهما. يكرهون ويتآمرون ضد أولئك الذين حصلوا على عقاراتهم، وضد كل شخص آخر، ويتوقون للثورة.

اديامنتوس: إن ذلك صحيح.

سقراط: وفي المنحى الآخر، فرجال الأعمال، وقد انحنوا في سيرهم، وتظاهروا أنهم لا يرون أولئك الذين دمّروهم مسبقاً، يُدخلون إبرتهم - التي هي مالهم - في واحد آخر ما ممن لا يكون يقظاً ضدهم[٨٢]، ويسترد الآباء مبلغاً أكثر تضعيفاً عدة مرّات داخل عائلة الأطفال. ويخلقون هكذا ذكر نحلٍ ومتسوّلاً ليزدادوا في الدولة.

اديامنتوس: نعم، هناك وفرة منهم، إن ذلك لأكيد.

سقراط: ويلتهب الشر كالنار، وهم لن يخمدوه، لا بحصر استعمال الإنسان لممتلكاته الخاصة ولا بأي علاج شرعي آخر لشرور من هذا النوع.

اديامنتوس: وما هو الآخر؟

سقراط: إنه الأفضل، ولديه النفع لإلزام المواطنين ليُعنوا بشخصياتهم: لندع وجود

قاعدة عامة وهي أن يدخل كل واحد في عقودٍ إختباريَّة لمجازفةٍ خاصةٍ به، وسيوجد الأقل من هذه الفضائح لإكتساب المال، وستقل الشرور التي تكلمنا عنها إلى حد كبير.

اديامنتوس: ستخفَّضُ إلى حدٍ كبير.

سقراط: الحاكمون حالياً، تستميلهم عدة بواعث قد أسميتها، يخفِّضون رعاياهم إلى هذه الحالة، بينما تابعو ورجال الطبقة الحاكمة مطبوعون على أن يعيشوا حياة الترف والبطالة الجسمية والعقلية على حدّ سواء. إنهم لن يعملوا، ولا يجرؤون على مقاومة الملذات أو الألم.

اديامنتوس: حقيقي تماماً.

سقراط: ويعتنون بكسب المال، وهم كالمتسوّلين لا يعبأون بالفضيلة.

اديامنتوس: نعم، غير مبالين تماماً.

سقراط: هكذا هي حالة القضايا التي تهمهم. ويمكن للحكام والرعيَّة غالباً أن يسلك واحدهم طريق الآخر، سواء في رحلة أو في فرصة أخرى للاجتماع، في الحج أو السير على الأقدام، كجنودٍ رفاق أو رفاقٍ بحّارة. نعم، ويمكنهم مراقبة سلوك بعضهم البعض في لحظة الخطر المحقَّقة، إذ حيث يكون الخطر، ليس هناك خوف من أن يحتقر الغني - ومحتمل تماماً ولربما وُضِعَ الإنسان الفقير النحيل القوي الذي لفحته الشمس إلى جانب الآخر الذي لم يُتلفْ لون وهيئة بشرته أبداً والسمين زيادةً عن اللزوم - عندما يرى واحداً كهذا منتفخاً وفي نهاية ذكائه، كيف يمكِنه أن يتفادى إستخراج النتيجة أنَّ ما يشبهه من الرجال هم أغنياء فقط لأنه ما من شجاع موجود لكي يسلبهم المال؟ وعندما يلتقون في السر ألن تدور على ألسنتهم عبارة « لقد أعطيناهم السلطة؛ وهم لا يصلحون لأي شيء »؟.

اديامنتوس: نعم، إنني دارٍ تماماً أن هذه هي طريقة كلامهم.

سقراط: وكما في الجسم الذي يكون مريضاً فإن زيادة اللمس من الخارج يمكن أن يجلب له داءً، ويمكن أن ينشأ اضطراب في الداخل أحياناً حتى بدون إثارة خارجيّة. ويمكن لدولة واهنة أن يصرعها المرض وتكون في حرب مع نفسها بالطريقة عينها، عند أي سبب طفيف. وكمثال إذا أدخلت جماعة من الخارج أوليغاركييها، أو الأخرى حلفاءها الديموقراطيين ستصاب بمرض وتدخل في حرب مع نفسها، يمكنها أن تحيد عن هدفها في غياب مسبب خارجي.

اديامنتوس: نعم، بالتأكيد.

سقراط: وتأتي الديموقراطيّة إلى الوجود حينئذ بعد أن قهر الفقراء مناوئيهم، ذابحين البعض ونافين البعض، بينما يعطون حصة متساوية من الحرية والسلطة إلى الباقين؛ والقضاة ينتخبون الحكومة في هذا الشكل بالأكثرية عموماً.

اديامنتوس: نعم، إن ذلك هو تكوين الديموقراطيّة، سواء قد حدثت الثورة بالسلاح، أو دفع الخوف الفئة المناوئة للانسحاب.

سقراط: وبعدُ ما هو أسلوبهم في الحياة، وأي نوع من أنواع الحكومة لديهم؟ إذ كما تكون الحكومة، سيكون هذا الإنسان.

اديامنتوس: بوضوح.

سقراط: أليسوا أحراراً، في المقام الأول؟ أوَ ليست المدينة ملآنة بالحرية والصراحة ويمكن للإنسان أن يقول ويفعل ما يحب؟

اديامنتوس: قد قيل ذلك.

سقراط: وحيث تكون الحريّة، يكون الفرد قادراً أن ينظّم بنفسه حياته الخاصة كما يريد بوضوح.

اديامنتوس: بوضوح.

سقراط: سيوجد التنوع الأعظم للطبائع الإنسانية في هذا النوع من الدول إذن.

اديامنتوس: سيوجد.

سقراط: تبدو هذه الدولة إذن، الدو- الاظرف في الدول، كونها كالرداء الموشّى الذي ازدان بكل نوع من أنواع الزهر. وكما يفكّر النساء والأطفال تماماً أن تنوع الألوان لهو أكثر من كل الأشياء سحراً، هناك رجال عديدون كذلك ستظهر لو م هذه الدولة على أنها أظر ، الدول، لأنها مزدانة بأنماط وشخصيّات الجنس البشري.

اديامنتوس: نعم.

سقراط: ن يا سيدي الصالح، ولن يوجد أفضل من ذلك الذي سننظر للحكومة فيه.

اديامنتوس: لماذا؟

سقراط: لأنه، ناشىء عن الحريّة التي تحكم هناك، إنها تقدّم تشكيلة كاملة للأنظمة؛ ومن لديه عقل لينشىء دولة، كما كنا فاعلين، يجب أن يذهب إلى المدينة الديموقراطيّة كما يذهب إلى السوق التي يبيعون أنظمة فيها، وينتقي الشكل الذي يلائم. وعندما يكون قد حقق إختياره، يمكنه إيجاد دولته.

اديامنتوس: إنه سيكون متأكداً من إيجاد نماذج كافية.

سقراط: ولعدم وجود ضرورة لك، لتحكم في هذه الدولة حتى إذا كانت لديك القدرة، أو لأن تُحكم ما لم تحب، أو لتذهب إلى الحرب عندما يذهب الباقون اليها، أو لتكون في سلام عندما يكون الآخرون في سلام. ما لم تكن هكذا مهيأً، فليس هناك ضرورة أيضاً لأن يمنعك قانون ما من أن تشغل منصباً أو تكون قاضياً أثينياً، إذا تملكك ميل لذلك. أليس هذا هو طريق الحياة الذي يكون ساراً للحظة وبعظمة؟

اديامنتوس: نعم، للحظة.

سقراط: أوليست إنسانيتهم لتُدان، في حالات ما سحرية تماماً؟ ألم تراقب كيف أنه يوجد في الديمقراطيّة أشخاص عديدون يبقون حيث هم تماماً ويتجولون في كل مكان، مع أنهم قد حُكِموا بالموت أو النفي ـ السيد منهم يستعرض نفسه كالبطل، ولا أحد يرى أو يهتم؟

اديامنتوس: نعم، يوجد أشخاص عديدون فيها كما تصف.

سقراط: أنظر أيضاً، النفسيّة المتسامحة للديموقراطيّة (عدم الاهتمام) نحو الترّهات، والتغاضي الذي تظهره عن كل المبادىء الرفيعة التي وضعناها بمهابة عند تأسيس المدينة. وكما قلنا ذلك حينها، فإنه ما عدا في حالة نادرة لطبيعة موهوبة ما، لن يوجد أبداً الإنسان الخيّر الذي لم يكن قد إعتاد منذ طفولته أن يلعب دوراً بين الأشياء ذات الجمال وأن يتعقّب ما يكون شريفاً فقط. أنظر كيف أنها قد داست كل تلك التصورات السامية التي تخصنا بفخرٍ تحت قدميها، غير مؤدّية تفكيراً قط إلى المساعي التي قَدِمَ منها الإنسان إلى الحياة السياسيّة، ومروِّجةً لتكرّم أي شخص يصرّح أنه صديق الشعب.

اديامنتوس: نعم، إنها ذات نفسية نبيلة.

سقراط: فتلك الميزة والميزات المتقاربة الأخرى هي ما يخص الديمواقراطيّة. إنها ميّزات ملآنةً منوعات وفوضى، وموزِعةً نوعاً من المساواة للمتساوين وغير المتساوين بشكل مماثل.

اديامنتوس: نعرفها جيداً.

سقراط: إعتبر الآن، ما هو نمط الإنسان الفرد، أو علينا أن نتأمل أولاً، كما في حالة الدولة، كيف يأتي إلى الوجود.

اديامنتوس: نعم.

سقراط: أليس هذا هو الطريق ـ إنه ابن أبٍ خسيس وأوليغاركي درَّبه في عاداته الخاصة؟

اديامنتوس: بالضبط.

سقراط: وكأبيه، فهو يخمد بالقوة الملذات التي تنفق ولا تحصّل، كونها تلك التي يسمونها غير ضروريّة؟

أديامنتوس: بجلاء.

سقراط: هل تحب، لقصد الوضوح، أن تميز بين الملذات الضرورية وغير الضرورية؟

اديامنتوس: سأفعل.

سقراط: ألا يمكننا أن نسمّي بحق تلك الرغبات الضروريّة، التي لا نقدر على التخلص منها، والتي تكون القناعة بها ذات منفعة لنا لأنه ضروريّ لطبيعتنا أن نرغب فيما هو مفيد وما لا يمكن إخماده؟ أليس هذا كذلك؟

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: لن نكون مخطئين في تسميتها ضروريّة بناءً على ذلك؟

اديامنتوس: لا.

سقراط: والرّغبات التي يمكن للإنسان أن يتخلّص منها، إذا تحمّل الألم في سن الشباب فصاعداً ـ والتي وجودها، فضلاً عن ذلك، لا يفعل خيراً، وفي بعض الحالات يفعل نقيض الخير ـ ألن نكون محقّين في القول إنّ تلك الرغبات غير ضرورية؟

اديامنتوس: نعم، بالتأكيد.

سقراط: إفترض أنّنا نختار مثالاً لكلّ نوع، كي نكوّن صورة عامّة عنهما.

اديامنتوس: جيّد جداً.

سقراط: أليست رغبة الأكل، وهي الغذاء البسيط والتوابل، هي من النّوع الضروري، بقدر ما تكون الحاجة ماسّة لها للصحّة والقوة؟

اديامنتوس: إن ذلك ما عليّ افتراضه.

سقراط: فرغبة الغذاء البسيط ضروريّة كمنفعة، ولا يقدر الإنسان على ضبطها طالما هو حيّ.

اديامنتوس: نعم.

سقراط: لكنّ التوابل ضروريّة من ناحية كونها صالحة للصحّة فقط؟

اديامنتوس: بالتأكيد.

سقراط: لكن ماذا عن الرغبة التي تذهب لِمَا هو أبعد من هذا، أو تمتد إلى أنواع الغذاء الأخرى، والتي يمكن التخلص منها عموماً إذا غُلِبَتْ ودُرِّبتْ في سِنّ الشباب، وتكون ضارّة للجسم ومؤذية للروح في تعقبها للحكمة والفضيلة؟ أيمكن لهذه أن تُسمّى رغبة غير ضروريّة بحقّ؟

اديامنتوس: حقيقي تماماً.

سقراط: ألا يمكننا القول بأنّ تلك الرغبات تهدر، وأن الأخرى تكسب المال لأنها تُفضي إلى الإنتاج؟

اديامنتوس: بالتأكيد.

سقراط: وعن ملذّات الحب، وكل الملذات الأخرى، فإنّ الشيء عينه يُعمل به؟

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: أفترض أن ذكر النّحل الذي تكلمنا عنه، قُصِد بوصفه الذي أُتخِمَ بالملذات والرّغبات من هذا النوع، وكان عبداً للرغبات غير الضروريّة، مع أنّ ذلك الذي كان تابعاً للملذات الضروريّة كان خسيساً وأوليغاركياً فقط.

اديامنتوس: حقيقي جداً.

سقراط: دعنا نرى مرّة ثانية، كيف ينمو الإنسان الديموقراطي خارج الأوليغاركي. إن الآتي، كما أشتبه، هو العمليّة بشكل عام.

اديامنتوس: وما هي العمليّة؟

سقراط: لأن الإنسان الشاب، كما سبق ووصفناه، تربى في طريقة سافلة وخسيسة، ثم توصّل ليعاشر الطبائع العنيفة والمحتالة التي هي قادرة أن تقدّم كل أنواع الدماثة والملذّات المتنوعة. وبعد أن تذوّق عسل ذكر النحل ـ كما

يمكن أن تتخيل حينئذ ـ فإن التغيير للمبدأ الأوليغاركي سيبدأ من داخله إلى الديموقراطي.

اديامنتوس: لا مفرَّ من ذلك.

سقراط: وكما كان التغيير في المدينة حادثاً بتحالف من الخارج ومساعدة قسم من المواطنين ـ الشبيه يقدِّم مساعَدة للشبيه ـ هكذا يتغيَّر الإنسان الشاب أيضاً بنوعٍ من الرغبات الآتية من الخارج لتساعِد الرغبات في داخله التي هي مجانسة ومشابهة لها.

اديامنتوس: بالتأكيد.

سقراط: وإذا وجد حليف ما، أيُّ حليف، كي يساعد المبدأ الأوليغاركي في داخله، سواء كان مادحاً أو ذامّاً تأثير الأب أو النسيب عليه، فسينشأ في روحه حينئذ شقاق وشقاق مضاد. وهكذا يصل للصراع مع نفسه.

اديامنتوس: يجب أن تكون الحالة هكذا.

سقراط: وهناك أوقات يفسح فيها المبدأ الديموقراطي المجال لذاك الأوليغاركي، وتضمحل بعض رغباته، وتُطرحُ الأخرى وتدخل نفسيَّة الوقار إلى روح الإنسان الشابّ ويكون النظام محبَّباً.

اديامنتوس: نعم، يحدث ذلك بعض المرَّات.

سقراط: وبعد أن كانت الرغبات القديمة قد أُبعِدَت، فإنّ رغباتٍ جديدة تنشأ، هي قريبة لها، ويصبح هو رهيباً ومتعدداً لأن أباه لا يعرف كيف يعلِّمه.

اديامنتوس: نعم، إنّ ذلك عُرضة ليكون السبيل.

سقراط: إنّهم يجذبونه إلى زملائه القدامى، مُجْرِيْنَ علاقات سريَّة معهم، يولِّدون ويتكاثرون فيه.

اديامنتوس: حقيقي جداً.

سقراط: وأخيراً يستولون على معقل روح الإنسان الشاب، التي يتصورونها خلواً

من كل الدراسات النبيلة والمساعي والمبادىء كتلك التي تجعل مقرّها في عقول الذين هم أعزاء على الآلهة، هم أفضل حماتهم وخفرائِهم.

اديامنتوس: ولا أفضل.

سقراط: غير أنّ التخيّلات والعبارات الباطلة والمتبجحة تتعاظم وتستولي على المعقل القوي.

اديامنتوس: إنهم متأكدون من فعل ذلك.

سقراط: وهكذا يعود الإنسان الشابّ إلى بلاد آكلي اللوطّس(٨٣) ويتّخذ منزلاً له هناك على الرغم من كل الرجال. وإذا دُعِّم الجانب الاقتصادي عنده بواسطة أصدقائه، فإن التصورات العقيمة الآنفة الذكر توصد المدخل الملكي الثابت؛ وهيْ لن تسمح لحلفائه أن يدخلوا، ولا إذا قدَّم الناصحون الخُلَّص مشورةً أبوية لها خبرات السنين فلن يستمعوا لهم أو يستقبلوهم. إن هناك معركة قد كسبوها. أما معنى الشرف الذي يسمونه بلاهة، فينفونه، والإعتدال، الذي يلقبونه بالمخنَّث، يداسُ في الوحل ويُرمى خارجاً. إنهم يقنعون الرجال بأن الإعتدال والإنفاق المنظم ما هما سوى فظاظة وخِسَّة، وهكذا يدفعون بهما إلى ما وارء حدود المعقول بمساعدة شهيّات الطعام الغوغائيّة وغير المجديّة.

اديامنتوس: نعم، وبتصميم.

سقراط: وبعد أن يفرغوا روح الذي يحوزونه ويكتسحونها الآن، كونه تلقَّن مبادئهم في سريَّة عظيمة، فإنّ الشيء التالي هو أن يعيدوا إلى بيتهم الغطرسة والفوضى والإسراف والصفاقة في حلَّة بهيَّة، متوّجين بالأكاليل، ومعهم رفقة وفيرة، مرتلين ثناءاتهم وداعينهم بأسماء حلوة. إنهم يسمُّون الغطرسة تهذيباً، والفوضى حريَّة، والإسراف مهابة، والصفاقة شجاعة. ألا يكون رجل كهذا قد تخلّى عن طبيعته الأصليَّة في سنّ شبابه، التي تدرَّب عليها في مدرسة الضرورة، إلى الحريَّة والفسق بممارسته الملذات غير الضروريَّة وغير النافعة؟

اديامنتوس: إن التغيير واضح فيه بما فيه الكفاية.

سقراط: إنه يعيش بهذا النمط، مبذِّراً ماله وجهده ووقته على الملذات غير الضروريَّة كما على الضرورية منها تماماً. لكنه إذا كان محظوظاً ولم يكن مضطرباً في ذكائه عند انقضاء السنين وانتهاء أوج الملذّات الجسديَّة ـ لنفترض أنه سيمنح حينها حق الدخول ثانية إلى المدينة جزءاً ما من الفضائل المنفيَّة، ولم يسلّم نفسه بالكامل إلى خلفائها ـ هو يعادل ملذاته في تلك الحالة ويعيش في نوع من التوازن، واضعاً قياد نفسه في يدي الذي يأتي أولاً ويربح الجولة. وعند امتلاكه كفاية من ذلك، يرتمي في يَدي آخر بعدئذ. إنه لا يستخف بواحدة منها بل يشجعها كلها بالتساوي.

اديامنتوس: حقيقي تماماً.

سقراط: ولن يتلقى أية كلمة نصح حقيقيَّة ولن يدعها تمرّ إلى الحصن. وإذا قال له أي شخص إن بعض الملذات هي إقناع الرغبات الخيِّرة والنبيلة، وأخرى للرغبات الشريرة، وأنه يجب أن يستعمل ويكرِّم البعض ويؤدِّب ويسيطر على الأخرى، كلما كُرِّر ذلك له فإنه يهز رأسه ويقول بأنها جميعاً متشابهة، وأنّ الواحد منها جيد كما هو الآخر.

اديامنتوس: نعم، ذلك هو طريق الرّجل في هذه الحالة.

سقراط: نعم، إنه يعيش يوماً بيوم مُطلِقاً العنان لرغبات الأكل والشراب الآنيَّة؛ وهو منغمسٌ في الشراب وألحان الناي. يصبح عند ذلك شارباً للماء، ويحاول أن يصير نحيلاً؛ ثم يضطّلع بدورٍ في التمارين الرياضيَّة بعدئذ متكاسلاً ومهملاً كل شيء بعض المرّات، وعائشاً بعدها حياة الفيلسوف مرّة ثانية. وغالباً ما يكون منهمكاً بالسياسة، ويثب على قدميه ويقول ويفعل كل ما يطرق ذهنه. وإذا كانت هناك منافسة لأي شخص ممن يكون مقاتلاً، أو لأي رجل من رجال الأعمال، فإنه يذهب مرّةً في هذه الناحية، وثانية في تلك. إن

حياته لا قانون لها ولا نظام. ويتواصل هذا الوجود المتحيِّر الذي يسميه فرحاً ويعتبره منتهى السعادة والحرية، يتواصل طوال حياته.

اديامنتوس: إنك تصف بالضّبط، حياة ذلك الذي يكون قانونه الحريَّة والمساواة.

سقراط: نعم، إن حياته متنافرة ومتشعبة الجوانب وصورة مصغرة عن حياة العديدين. إنه يطابق الدولة التي وصفناها بأنها ظريفة ومزركشة. وسيتبنَّاه العديد من الرجال والعديد من النساء كمثال لهم، وستمثل فيه العديد من الدساتير والعديد من أمثلة الأنماط.

اديامنتوس: هكذا تماماً.

سقراط: هل يجب أن ينصَّب على الديموقراطية إذن، كالذي يمكن تسميته الرجل الديموقراطي بحق؟

اديامنتوس: دع ذلك أن يكون مكانه.

سقراط: يأتي آخر الجميع والأكثر جمالاً من الكل، إنّهما رجلا دولة متشابهان: الحكم الإستبدادي والمستبد. يجب أن نبيّنهما الآن.

اديامنتوس: حقيقي تماماً.

سقراط: قل يا صديقي إذن، كيف تجد شخصية الحكم الإستبدادي؟ إن لديها أصلاً ديموقراطيّاً، ذلك واضح.

اديامنتوس: بجلاء.

سقراط: أوَلاً ينبثق الحكم الإستبدادي من الديموقراطية في الوقت نفسه وبالطريقة عينها، إذا جاز التعبير، كما الديموقراطيَّة تنبثق من الأُوليغاركيَّة.

اديامنتوس: كيف؟

سقراط: الخير الذي تفترضه الأُوليغاركيَّة لنفسها، والغرض الذي من أجله أنشئت كان الثروة. ألست محقاً؟

اديامنتوس: بلى.

سقراط: وهكذا، فإنّ الرغبة النّهمة للثروة وإهمال كل الأشياء الأخرى طمعاً في الحصول على المال هما سبب خراب الأوليغاركيّة أيضاً.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: وتستعدّ الديمقراطية للانحلال أيضاً بواسطة الرغبة التي لا تشبع مما اعتبرته خيراً.

اديامنتوس: ما هو برأيك؟

سقراط: الحريّة. فكما يخبرونك في الديموقراطيّة، هي مجد الدولة ـ ولذلك ففي الديموقراطيّة وحدها سيتنازل الرجل الحر بالطبيعة ويجعلها مسكنه.

اديامنتوس: نعم، القول هو على لسان كل شخص.

سقراط: لنعد إلى السؤال الذي كنت سأسأله: هل صحيحٌ أنّ الرغبة التي لا تشبع لهذا الخير، وإهمال كل الأشياء الأخرى، يغيّران الدستور أيضاً، ويحيجان للحكم الإستبدادي؟

اديامنتوس: كيف ذلك؟

سقراط: إن الديموقراطيّة التي بدأت تتوق بشغف إلى الحريّة عندما يكون لديها حَمَلَةُ كؤوس الشر، مترئسين المأدبة، وقد سكروا بخمرة الجريمة حتى الثمالة، عندئذ، وما لم يكن حكامها قد سَهُلَ انقيادهم تماماً ويقدِّمون جرعة وافرة منها، فإنها تستدعيهم للحساب وتعاقبهم، قائلة بأنهم أوليغاركيون ملعونون.

اديامنتوس: نعم، حدوث عام تماماً.

سقراط: نعم، والرجال الذين يطيعون حكامهم فإنّما تسمّيهم عبيداً بحقارة وهم تافهون، يضمّون قيودهم. وعليها أن تمتلك رعايا ممّن هم كحكامهم، وحكاماً كرعاياهم. هؤلاء كما يحلو لها تماماً، هم الرجال الذين تمجدهم وتكرمهم في المحافل الخاصة والعامة كلها. وبعدُ، أيمكن إيجاد أي شيء في دولة كهذه ليوقف تقدم الحريّة؟

اديامنتوس: لا بالتأكيد.

سقراط: ويجب أن يجد الحكم الاستبدادي طريقه تدريجياً إلى البيوت الخاصة وينتهي بالوصول إلى الحيوانات ويفسدها.

اديامنتوس: ماذا تعني؟

سقراط: أعني أن الأب يترعرع معتاداً الإنحدار إلى مستوى أبنائه وأن يخافهم، ويكون الإبن على مستوى أبيه، وهو لا يُظهر أيّ احترام أو توقير لكلا أبويه، ما دام هذا مفهومه للحريّة. ويكون المُوَسْوَسُ متساوياً مع المواطن والمواطن مع المَوَسْوَسِ والغريب جيد في الواقع مثلهما تماماً.

اديامنتوس: نعم، تلك هي الطريقة.

سقراط: وليست تلك الشّرور هي الوحيدة، بل هناك عديدٌ منها بدرجة أقلّ. ففي هكذا دولة لمجتمع يخاف السّيّد طلابه ويتملّقهم، ويزدري الطلاب أسيادهم ومعلميهم أيضاً؛ الشّباب والمسنّون كلهم على قدم المساواة؛ والشاب على مستوى المسنّ، وهو جاهز لأن يباريه في القول والفعل؛ يهبط الرجال المسنون إلى مستوى الشباب وقد أُتخموا مزاحاً ومرحاً؛ ويُظن بهم أنهم نكدو المزاج وذوو سلطة، وبناء على ذلك فإنهم يتبنّون أساليب الشباب.

اديامنتوس: حقيقي تماماً.

سقراط: غير أن التطرّف الأخير للحريّة الشعبيّة يكون عندما يُشترى العبيد بالمال، سواء أكانوا ذكوراً أو إناثاً، ويصبحون أحراراً تماماً كمشتريهم ومشتريتهم. ولا يجب أن أنسى الحديث عن الحريّة والمساواة لكلا الجنسين في علاقتهم مع بعضهم بعضاً.

اديامنتوس: لِمَ لا، وكما يقول آيسكيلوس، انطق بالكلمة التي تصعد إلى شفتيك.

سقراط: ذلك ما أنا فاعل، ويجب أن أُضيف أن لا أحد ممّن لا يعرف سيصدّق كيف تكون الحريّة التي لدى الحيوانات التي هي تحت سيادة الإنسان. إنها

ستكون أعظم بكثير في الديموقراطيّة منها في أيّة دولة أخرى لأنه يحق القول: « هي الكلاب، كما يقول المثل، هي مثل ربّة بيتها عملياً ». وتمتلك الأحصنة والحمير طريقة للسّير في موازاةٍ مع كل الحقوق والجلال للرجل الحرّ وستدهس أي شخص ممّن يأتي في طريقها إذا لم تُخْلَ لها الطريق. إن كل شيء جاهز ليتفجر تماماً بالحريّة.

اديامنتوس: عندما أكون في طريقي إلى الريف، فغالباً ما أختبر الذي تصف. حلمت أنت وأنا بالشيء عينه.

سقراط: وفوق الكل، وكنتيجة للجميع، أنظر كيف سيصبح المواطنون ذوي حسٍّ رقيق. إنهم سيغتاظون على اللّمسة الأقل للسلطة بضيق صدر، وكما تعرف، فإنهم سينقطعون عن الإهتمام بالقوانين، مكتوبة أو غير مكتوبة، على المدى الطويل؛ ولن ينعموا بسيدٍ عليهم على الإطلاق.

اديامنتوس: نعم، أعرفها جيداً كذلك.

سقراط: هذه، يا صديقي، هي البداية المعتدلة والرائعة التي ينبثق منها الحكم الإستبدادي.

اديامنتوس: إنها رائعة حقاً، لكن ما هي الخطوة التالية؟

سقراط: إن خراب الأوليغاركيّة هو خراب الديموقراطيّة. المرض عينه مكبّراً ومكثّفاً بالحرية يُخضع الديموقراطيّة لأن الزيادة المفرطة لأيِّ شيء تسبّب غالباً ردّ الفعل في الاتجاه المضاد. وهذه هي الحالة، ليس فقط في الفصول والخضار وحياة الحيوان، بل في أشكال الحكومة فوق كل شيء.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: يبدو أن الإفراط في الحريّة، سواء في الدول أو الأشخاص، يبدو أنه يعبر إلى الإفراط في العبودية فقط.

اديامنتوس: نعم، إنه النظام الطبيعي.

سقراط: وهكذا ينشأ الحكم الاستبدادي بالطبيعة من الديموقراطيَّة، وليس من أيِّ مصدر آخر، وينشأ الشكل الأجف والأكمل للحكم الاستبدادي والعبوديَّة من الشكل الأكثر تطرّفاً للحريَّة.

اديامنتوس: كما يمكن أن نتوقَّع.

سقراط: كما أعتقد، لم يكن ذلك سؤالك على أيَّة حال ـ إنك رغبت أن تعرف على الأصحّ، ما هي الفوضى التي تتولَّد في الأوليغاركية والديمْوقراطية بالطريقة عينها، وهذه الفوضى هي خرابهما معاً.

اديامنتوس: هكذا تماماً.

سقراط: حسناً، أردت أن أشير إلى طبقة المبذِّرين الكسالى، والذين يكون القادة أكثر منهم شجاعة والأتباع أكثر جبناً. إنهم هم أنفسهم الذين نشبههم بذكور النحل، البعض بدون إبرة والآخر يمتلكها.

اديامنتوس: مقارنة عادلة تماماً.

سقراط: تلك الطبقتان تخلقان الشّغب في كل مدينة تكون متولدة فيها، كونها البلغَم والصفراء إلى الجسم. يجب على الطبيب والمشرِّع الصالح للدولة، كسيِّد خليَّة النحل العاقل، أن يبقيها بعيدةً، ويمنع دخولها أبداً، إذا أمكن. وإذا حازت طريقاً للدخول بأيَّة حال، فعليه أن يستأصلها ويستأصل خلاياها بأسرع ما يمكن.

اديامنتوس: نعم، مهما كلَّف الأمر.

سقراط: كي نتمكَّن من الحصول على نظرة أكثر جلاء لموضوعنا إذن، دعنا نتصوَّر الديموقراطيَّة مقسّمة، كما هي حقّاً، إلى ثلاث طبقات، لأن الحرية في المقام الأول تخلق أكثر ذكور نحل في الديموقراطيَّة على الأصح، مما كان في الدولة الأوليغاركيَّة.

اديامنتوس: إن ذلك لحقيقة.

سقراط: وهي في الديموقراطيّة أكثر عدوانيّة بالتأكيد.

اديامنتوس: كيف ذلك؟

سقراط: لأنها في الدولة الأوليغاركيّة غير مؤهلة ومطرودة من المناصب، ولا يمكنها أن تتدرَّب أو تُجمِّع قواها بسبب ذلك؛ في حين أنها تشكّلُ كل القوة الحاكمة في الديموقراطيّة تقريباً. وبينما يتكلّم النوع الأحذق ويفعل، يحتفظ الباقي بالأزيز حول المقدِس ولا تعاني من كلمة لتقال في الجانب الآخر. من هنا ففي الديموقراطيّات تدير ذكور النّحل كلَّ شيء تقريباً.

اديامنتوس: حقيقي تماماً.

سقراط: وهناك الطبقة الأخرى إذن التي تكون دائماً، كونها منفصلة عن الجزء الرئيسي.

اديامنتوس: وما هي هذه؟

سقراط: إنها الطبقة التي تكون في فئ التجار الأغنى بالتأكيد ـ أولئك الذين هم أكثر تنظيماً بالطبيعة.

اديامنتوس: هكذا بالطبع.

سقراط: إنهم الأشخاص ذوو العصارة الأكثر ويغلّون أكبر قدر من العسل لذكور النحل.

اديامنتوس: نعم، فهناك الأقلّ ليُعصر من أناس يملكون القليل.

سقراط: وهذا هو ما يُسمى بالطبقة الغنيّة، وهي الغذاء لذكور النحل.

اديامنتوس: هذه هي الحالة تقريباً.

سقراط: ويكون الشعب الطبقة الثالثة متألّفاً من أولئك الذين يعملون بأيديهم. إنهم ليسوا سياسيين، وليس لديهم الكثير ليعيشوا عليه. هذه عندَما تتجمَّع، تكوِّن الطبقة الأعظم والأكثر قوة في الديموقراطيّة.

اديامنتوس: حقاً، لكن العامة آنئذ، نادراً ما تكون مُصمِّمة على الاحتشاد ما لم تحصل على قليل العسل.

سقراط: لكنهم يشاركون بعدئذ، بقدر ما يتمكّن قادتهم من حرمان الأغنياء من ممتلكاتهم وتوزيعها بين الشعب آخذين بعين الإهتمام أنْ يدَّخروا الجزء الأكبر لأنفسهم.

ادیامنتوس: نعم، فالشّعب يشارك إلى ذلك المدى.

سقراط: ويكون الأشخاص الذين جُرِّدوا من ممتلكاتهم مُجبرين على أن يدافعوا عن أنفسهم بالكلام في حضرة الشّعب وبالعمل بأفضل ما يستطيعون.

اديامنتوس: ما الآخر الذي يستطيعون عمله؟

سقراط: حينئذٍ، مع أنّهم لا يمتلكون أيَّة رغبة في التغيير، يتّهمهم الآخرون بالتآمر ضدّ الشّعب وبكونهم أصدقاء الأوليغاركيّة؟

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: وتكون النهاية حين يرون الشعب، ليس من غير إكراه، بل من خلال الجهل. ولأنهم يكونون مخدوعين بالواشين قاصدين الوقيعة بهم، فهم يُجبَرُون أخيراً أن يصبحوا أوليغاركيين في الحقيقة، مع أنهم لا يرغبون في ذلك؛ غير أن « إبرة ذكور النحل » تغذّيهم وتولّد فيهم الثورة.

اديامنتوس: تلك هي الحقيقية بالضبط.

سقراط: وتأتي بعدئذ الإتهامات والإدانات والمحاكمات لبعضهم بعضاً.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: ويمتلك الشعب دائماً نصيراً ما يتعوَّدون تنصيبه فوقهم ويرفعهم إلى المجد.

اديامنتوس: نعم، ذلك هو طريقهم.

سقراط: إن هذا واضح لهذا الحد إذن، ذلك كلما ظهر الحكم الاستبدادي، فحماية الشعب هي الجذر الذي ينبثق منه.

اديامنتوس: إن ذلك واضح تماماً.

سقراط: كيف يبدأ الحامي بالانقلاب إلى حاكم استبدادي إذن؟ بوضوح عندما

يبدأ بأن يفعل ما قال الإنسان إنه يفعله في قصة المعبد الأركادي الحادُّ البصر لزيوس.

اديامنتوس: ما القصة؟

سقراط: القصة أنه هو الذي تذوّق أحشاء إنسان فردي ضحيّة مغرومةً مع أحشاء أناسٍ آخرين ضحايا، قُدِّر له أن يصبح ذئباً. ألم تسمع بها أبداً؟

اديامنتوس: آه، نعم.

سقراط: ويكون حامي الشعب شبيهاً به؛ مالكاً الغوغاء في تصرفه بالكامل، ولن يرتدع عن سفك دماء الأقرباء. يُحضرهم إلى المحكمة ويقتلهم عمداً بالطريقة المفضلة للاتهام الباطل، جاعلاً حياة الإنسان تفنى، وبلسانٍ وشفتين آثمتين يتذّوق دم رفاقه المواطنين. يقتل البعض وينفي الآخرين، ملمّحاً إلى إلغاء الديون وتقسيم الأراضي في الوقت عينه. ماذا سيكون قدره، بعد هذا؟ ألا يجب أن يهلك على يدي أعدائه، أو يصبح ذئباً من كونه إنساناً ـ ذلك هو المستبد؟

اديامنتوس: بحتميّة.

سقراط: إنه هو، الذي يشكِّل حزباً ضد مالكي الأراضي.

اديامنتوس: الشيء عينه.

سقراط: ويُبْعَدُ بعد فترة، ولكنه يسترد مركزه بالرغم من أعدائه، حاكماً مستبداً كامل النّمُوّ.

اديامنتوس: إنّ ذلك لجلي.

سقراط: وإذا لم يكونوا قادرين على طرده، أو إحضاره والحكم عليه موتاً بالإتهام العام، فإنهم يتآمرون لاغتياله سرّاً.

اديامنتوس: نعم، تلك طريقتهم المعتادة.

سقراط: يأتي عندها الطلب الشهير للحرس الخاص، وهذه وسيلة كل من ذهب

بعيداً في الاستبداد. « لا تدع صديق الشعب »، كما يقولون، « أن يُفْقَدَ منهم ».

اديامنتوس: بالضبط.

سقراط: ويوافق الشّعب عن طيبة نفس؛ ربّما لأن كلَّ خوفهم هو عليه ـ وهم ليس لديهم أيّ خوف على أنفسهم.

اديامنتوس: حقيقي تماماً.

سقراط: وعندما يرى الإنسان الذي يكون ثريّاً متّهماً أيضاً كونه عدو الشعب هذا، حينئذ، يا صديقي، كما قال الوحي الإلهيُّ إلى كريسوس « بالصّخر البلّوري هيرموس، يترك الشواطىء ولا يرتاح، ولا يخجل أن يكون جباناً »(٨٤) وصحيح أيضاً تماماً، لأنه إذا كان، فلن يكون بمستحٍ ثانية أبداً. لكن إذا قُبض عليه ميموت.

اديامنتوس: طبعاً.

سقراط: وهو، الحامي الذي تكلّمنا عنه، يكون ليُرى، ليس « ملوّثاً الأرض المنبسطة » بجسده، بل نفسه مُسقِطاً العديد، ممتطياً عربة الدولة قابضاً الأعِنَّة بيديه، ليس حامياً بعد اليوم، بل حاكماً استبدادياً مطلقاً.

اديامنتوس: بدون شك.

سقراط: ودعنا نعتبر الآن سعادة هذا الرجل، وكذلك الدولة التي يولد فيها مخلوق بشكله.

اديامنتوس: نعم. دعنا نعتبر ذلك.

سقراط: في الأيام الأولى لسلطته يكون طافحاً بالبِشر، ويحيّي كل مَن يقابل. يُسمّى حاكماً استبدادياً، مَن يطلق الوعود في العلن وفي السّرّ أيضاً! ويعتق الرّجال من ديونهم، ويوزع الأرض على الشعب وعلى أتباعه، ويدّعي أنه رؤوف وشفوق بكل شخص.

اديامنتوس: طبعاً.

سقراط: لكنه عندما يتخلّص من أعدائه الخارجيين، بالفتح أو المعاهدة، ولا يبقى شيء ليخافه منهم، فآنئذ يُثير الحرب هنا وهناك على الدوام كي يظلّ الشعب بحاجة إلى قائد.

اديامنتوس: لتكن متأكّداً.

سقراط: أليس لديه غرض آخر، ألا هو إفقارهم بدفع الضرائب، واجبارهم أن يكرّسوا أنفسهم لحاجياتهم اليوميّة، وبناءً عليه فهم أقلّ احتمالاً للتآمر ضدّه.

اديامنتوس: بوضوح.

سقراط: وإذا اشتبه بأيٍّ منهم ممّن لديه تطلعات نحو الحريّة كإمكانية جعلهم متمرّدين على سلطته، فسوف يتذرّع بذلك لتدميرهم بوضعهم تحت رحمة أعدائهم. ولكلّ تلك الأسباب يجب على الحاكم الإستبدادي أن يختلق حرباً.

اديامنتوس: يجب عليه فعل ذلك.

اديامنتوس: وعندئذ تأخذ شعبيّته بالتضاؤل.

اديامنتوس: إنها نتيجة ضروريّة.

سقراط: إذن فإنّ بعض الذين تجمّعوا لتنصيبه، والذين هم في السلطة، يصرّحون بما يجول في تفكيرهم له وبعضهم لبعض، ويقذف الأكبر شجاعة فيهم إلى أسنانه ما يكون مفعولاً.

اديامنتوس: نعم، يمكن توقّع ذلك.

سقراط: وإذا عنى الرجل الإستبدادي أن يحكم، يجب أن يتخلّص منهم جميعاً. إنه لا يستطيع أن يتوقف ما دام لديه أصدقاء أو أعداء يصلحون لأي شيء.

اديامنتوس: لا يستطيع.

سقراط: وبناءً عليه يجب أن ينظر حوله ويرى من الباسل ، ومن النبيل المشاعر،

ومن العاقل، ومن الثري. عدو كل هؤلاء يكون رجلاً سعيداً، وعليه أن يدبِّر مكيدة لتدميرهم سواء أراد أم لم يُرِد، حتى يخلق تطهيراً في الدولة.

اديامنتوس: نعم، وتطهيراً نادراً.

سقراط: نعم، ليس نوعاً من التطهير الذي يجريه الأطباء للجسم؛ فهم يزيلون الأردأ ويبقون الجزء الأفضل، لكنه هو يفعل العكس.

اديامنتوس: أفترض أنّه لا يستطيع أن يساعد نفسه، إذا ما قدر له أن يحكم.

سقراط: يا له من خيّار مقدَّس: أن تُجبر على الإقامة مع الكثرة الرديئة فقط، وتكون مكروهاً بهم، أو أن لا تعيش على الإطلاق.

اديامنتوس: نعم، ذلك هو الخيار.

سقراط: والأكثر مقتاً أن تجعله أعمال كهذه محتاجاً إلى المواطنين. فسيحتاج فيهم الولاء والتبعيّة الأعظم له.

اديامنتوس: بالتأكيد.

سقراط: ومن هي العصبة المكرَّسة، وأين سيدبِّرها؟

اديامنتوس: إنهم سيندفعون إليه أفواجاً، بطيبة خاطرهم، إذا دفع لهم.

سقراط: بالكلب! يظهر أنك تتنبأ باجتياح جديد لذكور النحل، من كل نوع ومن كل أرض.

اديامنتوس: نعم، وإنّني لمحق.

سقراط: لكن من سيُجنَّدُ فوراً؟ ألن يكون جاهزاً ـ

اديامنتوس: ليفعل ماذا؟

سقراط: ليسلب المواطنين عبيدهم ويطلق حريّتهم ويدرجهم في حرسه الخاص.

اديامنتوس: لتكن متأكّداً، وسيكون قادراً أن يثق بهم أفضل الجميع.

سقراط: يا له من مخلوق مبارك، ماذا يجب أن يكون هذا الاستبدادي، إذا أعدم الآخرين وامتلك هؤلاء لأصدقائه الموثوقين.

اديامنتوس: نعم، إنّه يوظف هذا النوع من الرّجال.

سقراط: نعم، وهؤلاء المواطنون الجدد الذين استدعاهم إلى الوجود يعجبون به ويكونون رفاقه، بينما يكرهه ويتجنّبه الآخرون.

اديامنتوس: طبعاً.

سقراط: وهكذا فإن عدّ المأساة شيئاً حكيماً ليس بدون سبب، وكذلك أن يكون يوريبايدس شاعر مأساةٍ عظيماً.

اديامنتوس: لماذا؟

سقراط: لماذا، لأنّه هو قائل القول الحافل بالمعاني، « الاستبداديون حكماء، بالعيش مع الحكماء ». وهو عنى بوضوح أنّهم هم الحكماء الذين يجعلهم الاستبداديون رفاقهم.

اديامنتوس: نعم، وهو يثني على الحكم الاستبدادي كأنه إلهي. ولقد قال ومعه الشعراء الآخرون أشياء أخرى من النوع عينه.

سقراط: وبناء عليه، فشعراء المأساة كونهم رجالاً حكماء سيغفرون لنا ولأيٍّ أخرين، ممّن يحيون على غرار نمطنا إذا لم نرحّب بهم في دولتنا، لأنّهم هم المادحون للحكم الاستبدادي.

اديامنتوس: نعم، إن أولئك الذين يمتلكون العقل سيغفرون لنا بدون شك.

سقراط: لكنهم سيواصلون الذهاب إلى المدن الأُخرى وسيجتذبون الرّعاع، ويستأجرون الأصوات الجميلة والعالية والمقنعة، ويجذبون المدن إلى الاستبداديات والديموقراطيّات.

اديامنتوس: حقيقي تماماً.

سقراط: فضلاً عن ذلك، سيُدفع لهم لهذا ويتلقّون التكريم، التكريم الأُعظم، المتوقّع، من الاستبداديّات، والتالي الأعظم من الديموقراطيّيات؛ لكنهم كلما ارتقوا صُعُداً في قمة دستورنا، تتضاءَل سمعتهم أكثر، ويظهرون غير قادرين على أن يتقدموا أبعد من ذلك بسبب قِصَرِ نَفَسِهم.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: لكنّنا قد انحرفنا عن الموضوع، لذلك دعنا نعُود ونتساءَل كيف سيُبقي الاستبدادي على جيشه الجميل والمتعدد والمتنوع والدائم التغيير.

اديامنتوس: من البيِّن، أنه إذا وُجِدتْ كنوز مقدَّسة في المدينة، فسوف يصادرها وينفقها؛ وفي القدر الذي يمكن لثروات ضحاياه أن تفي بالغرض، سيكون قادراً أن يقلِّل الضرائب التي سيفرضها على الشعب بطريقة أخرى.

سقراط: ومتى تتضاءَل تلك؟

اديامنتوس: لماذا، بوضوح، فإنّه ورفاقه المرحين، سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً سيبقون خارج وضع أبيه.

سقراط: تعني أن الشعب الذي استمدَّ منه وجوده، سيُبقي عليه وعلى رفاقه؟

اديامنتوس: نعم، سيكونون مُلزمين بأن يفعلوا هكذا.

سقراط: لكن ماذا إذا انطلق الشعب إلى الشهوات، وجزم أنّ الإبن البالغ يجب أن لا يعيله أبوه، بل الإبن يعيل أباه؟ فالأب لم يُحضره إلى الوجود، ويرسِّخه في الحياة، حتى إذا ما أصبح رجلاً كان على الأب نفسه أن يكون خادماً لخدمه الخاص وعليه أن يعيله والحشد من عبيده ورفاقه؛ بل على ابنه أن يحميه، ويمكن بمساعدته عتقه من حكومة الأغنياء والأرستقراطيين، كما يُسمُّون. وهكذا فإنه يأمره ورفاقه أن يرحلوا، تماماً كما يمكن لأيِّ أبٍ آخر أن يطرد من بيته إبناً خليعاً وعشراءه غير المرغوب فيهم.

اديامنتوس: بالسّماء، إذن فالآباء سيكتشفون أي مسخٍ قد أُرضِعَ في صميمهم؛ وعندما يريد طرده خارجاً سيجد أن ابنه القويّ وهو الضعيف.

سقراط: لماذا، إنك لا تعني أنّ الاستبدادي سيستعمل العنف؟ ماذا؟! سيضرب أباه إذا عارضه؟

اديامنتوس: نعم، سيفعل، بعد أن يكون قد نزع سلاحه أولاً.

سقراط: إذن فإنه يكون قاتِل أبيه، وحارساً وحشياً لآباء مسنين. وهذا هو حكمُ استبداديّ حقيقي، والذي لا يوجد أي خطأ بشأنه بعد اليوم. كما يُقال: الشّعب الذي هرب من الدخان الذي هو عبوديَّة الإنسان الحر، قد سقط في النار التي هي حكم استبدادي للعبيد. وبدلاً من تلك الحريَّة الوافرة ذات التوقيت المريض قد وُضِعت عليها أجفّ وأمرُّ أنواع العبودية، إنها عبودية العبيد.

اديامنتوس: إن ذلك ما يحدث حقاً.

سقراط: حسناً جداً؛ أولاَ يمكننا أن نقول بحق إننا قد بحثنا بكفاية أسلوب التحول من الحكم الديموقراطي إلى الحكم الإستبدادي وطبيعة الحكم الإستبدادي عندما يأتي إلى الوجود؟

اديامنتوس: نعم كافٍ تماماً.

الكتاب التاسع

افكار الكتاب الرئيسيَّة

١ ـ الرجل المستبدّ، ما هي أخلاقه، كيف يحيا في السعادة، أو في الشقاء؟

٢ ـ نتائج الإستغراق في الملذّات غير الضروريّة على الإنسان، الحاكم المستبد، وبالتالي على مصير الحياة البشريّة.

٣ ـ الحاكم الاستبدادي أشقى الحكام، وحكومته أسوأ أنواع الحكومات، وطبيعته لا تتذوّق طعم السعادة الحقيقيّة أو طعم الصداقة، وهو أقل الرجال إيماناً، وأكثر الحكّام ظلماً وظلاماً، بل هو عبد حقيقي.

٤ ـ الدولة التي يحكمها ملك فيلسوف أفضل الدول وأسعدها، والدولة التي يحكمها رجل مستبد أتعس الدول وأشقاها.

٥ ـ يرتكز المبدأ الشهواني في الروح على الحكم والفتح والحصول على الشهرة. إنه يسبّب النزاع والطموح، ومن ثمّ الشقاء.

٦ ـ يرتكز المبدأ الذي نتعلّم بواسطته الوصول إلى الحقيقة وإدراكها على السعادة. ويمكن أن نسمّيه بمحبة العلم وعشق الحكمة.

٧ ـ ينقسم الرجال إلى ثلاث طبقات رئيسيّة: محبّي الحكمة، محبّي الشرف، ومحبّي الربح.

٨ ـ لذة الحكمة معرفة الحقيقة، لذة الشرف المكانة، ولذة الربح كثرة المال.

٩ ـ يقول أرسطو إن العاقل يعرف الجاهل لأنه كان جاهلاً قبل أن يصبح عاقلاً. أما الجاهل فلا يعرف العاقل لأنه لم يرتقِ إلى مرتبة العقل بعد. ويقول أفلاطون قبل أرسطو هذا إن الفيلسوف له الميزة الأفضل على ما عداه، فهو يمتلك

خبرة الشرف والربح، بالحكمة والعقل يعرف الحقيقة، وهو الوحيد الذي سيتأمل الوجود الحقيقي ولديه أداة التقاضي.

١٠ ـ من هنا، فالملذات التي صدّقها محبّ الحكمة والعقل هي الأحق، أما الملذات الأخرى فظلال فقط.

١١ ـ الفوارق الجوهريّة بين الثابت والخالد والحق، وبين المتغيّر أبداً والذي يفنى.

١٢ ـ الفوارق الأساسيّة بين العالم العقلي وعالم الوهم والحواس.

١٣ ـ الميّزات الثوابت التي يمتلكها العادل ويمتلك عكسها الظالم.

١٤ ـ متى سنعطي الحريّة لأطفالنا وكيف؟

١٥ ـ المدينة الفاضلة، أين توجد وكيف؟

الكتاب التاسع

سقراط: يأتي آخراً الرّجل الإستبدادي الذي علينا أن نسأل عنه مرّة ثانية، كيف يكون متشكّلاً من الديموقراطي؟ ما هي أخلاقه؟ وكيف يعيش في السعادة أو في الشقاء؟

اديامنتوس: نعم، إنه الوحيد الباقي فقط.

سقراط: يوجد شيء واحد مع ذلك، ما أزال أفتقده.

اديامنتوس: ما هو؟

سقراط: لا أعتقد بأننا حدّدنا، على نحو وافٍ المراد الطبيعي وعدد الشهيّات إلى الطعام، وسيبقى تحقيقنا مشوّشاً دائماً حتى يُنجز ذلك.

اديامنتوس: حسناً، لم يسبق السيف العَذَل لتعوّض الإسقاط.

سقراط: حقيقي تماماً، وراقب النقطة الأساسيّة التي أريدك أن تفهمها: أتصوَّر ملذات وشهيات طعام محدَّدة على أنها غير ضروريّة وبالتالي محرّمة؛ ويظهر أنّ كل شخص يمتلكها. غير أنها مُسيطر عليها لدى بعض الأشخاص بالقوانين وبالرغبات الأفضل بمساعدة العقل، وإما تُطرد بالكامل أو تصبح قليلة وواهنة؛ بينما تكون أقوى في الآخرين، ويوجد أكثر منها.

اديامنتوس: أيّة شهيّات طعامٍ تقصد؟

سقراط: أعني تلك التي تستيقظ، عندما تكون باقي قدرات الروح: العقليّة، الإنسانيّة، والقوة الحاكمة، نائمة. يبدأ الحيوان المتوحش في داخلنا عندها بالتململ والإستيقاظ فجأة، ذلك الحيوان الذي كان قد أُتْخِمَ باللحم والشراب. وبعد أن يستيقظ من سباته ينطلق ليشبع نهمه ورغباته. وتعرف

أنت، أن ليس هناك من عمل سيّىء إلاّ وهو على استعداد لأن يرتكبه، خاصة بعد أن يقطعَ علاقته مع الحياء، ومع كل عمل ذي فهم سليم لأنه كما يُتخيَّل لن يرتدع عن السّفاح مع أمّه، أو عن الإتصال غير الطبيعي مع الإنسان، أو الله، أو الحيوان، أو مع قاتل أبيه أو أمه أو أحد أقربائه، أو أن يأكل الغذاء المحرَّم. وبكلمة مختصرة، ليس هناك رادع يردعه عن أي عمل غير عقلاني أو غير محتشم.

اديامنتوس: الأكثر حقيقة.

سقراط: لكن عندما تكون نزعة الإنسان صحيَّة ومعتدلة، وحينما يكون قد أيقظ قواه العقليَّة قبل الذهاب إلى النوم وغذّاها بالأفكار والأبحاث النبيلة، مُستجمعاً نفسه في التأمل؛ وبعد أن أشبع شهيَّاته للطعام والشراب بادىء ذي بدء بشكل معتدل، بما فيه الكفاية لإخمادها، ومَنَعَها هي ومُتَعَها وآلامها من التدخل في المبادىء الأسمى التي تُترك في وحدة مع الفكر التجريدي الصافي، حُرٌّ ليتأمَّل ويرتفع إلى معرفة المجهول، أكان في الماضي أو الحاضر، أو المستقبل؛ وإذا ما هدَّأ العنصر الشهواني فيه ثانية، لن يخلد بالتالي إلى الراحة مع نفسه الباقية مهيَّجة بالغضب ضد أي شخص، أقول، حين، وبعد أن هدَّأ المبدأين اللاعقلانيين، يبعث الثالث الذي يسكن العقل فيه، وقبل أنْ يأخذ راحته، يرتقي آنئذ أكثر نحو الحقيقة، كما تعرف، وإنه يكون على الأصح الأقل سخرية لتصورات وهميَّة وجامحة.

اديامنتوس: أوافق تماماً.

سقراط: لقد ابتعدت، بقولي هذا، عن الموضوع الرئيسي. لكن النقطة الرئيسية التي أحب أن أدوِّنها أنه يوجد في كلٍ منّا طبيعة فوضويَّة ومتوحشة. حتى في الأكثر احتراماً وبدرجة عالية، الطبيعة التي تلوح في النوم. صلِّ، تأمّل ملياً سواء إذا كنت محقّاً في ما أقول أم لا، وإذا ما كنت تتفق مع ذلك القول.

اديامنتوس: نعم، إنني أوافق على ما تقول.

سقراط: وتذكَّر الآن الشخصية التي نسبناها إلى الإنسان الديموقراطي. قد افترِضَ أنه دُرِّبَ برعاية آباءٍ أشقياء من مرحلة شبابه فصاعداً، شجعوا شهوات الإدخار فيه، لكنهم رفضوا الموافقة على غير الضروريَّة منها التي تهدف إلى التسلية والزينة فقط.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: ودخل بعدئذ مع رفقة شعبيَّة أكثر وضوحاً ممن هم ممتلئون من شهوات الطعام والشراب التي وصفناها منذ لحظات، ووارداً كل طرقهم المغموسة في الملذات يندفع إلى الطرف المضاد بسرعة من حقارة أبيه المقيتة. أخيراً، كونه إنساناً أفضل من مفسديه، كان قد جُذب لكلا الإتجاهين حتى يتوقف في منتصف الطريق ويعيش حياة ليست من النوع الاقتصادي ولا الاستبدادي، لكن ما يحسبها إنغماساً في الملذات المعتدلة المتنوعة. لقد تولّد الرجل الديموقراطي من الأوليغاركي طبقاً لهذا الأسلوب.

اديامنتوس: نعم، هكذا كانت نظرتنا عنه، وهكذا تبقى.

سقراط: ولقد مرَّت السنون الآن، ويجب أن تتصوَّر في المقابل أن هذا الرجل لديه ابنٌ تربَّى في طريقة حياة أبيه.

اديامنتوس: أستطيع تصوُّره.

سقراط: يجب أن تتصوَّر ما هو أبعد إذن، ألا وهو أنه سيحدث للصبي ذلك الشيء نفسه الذي حدث للأب مسبقاً. لقد جُذِب تماماً إلى حياة مخالفة للقانون بالكامل، أوهمه مضللوه أنها حرية تامة فيتَّخذ أبوه وأصدقاؤه جزءاً من رغباته المعتدلة، وتساعد الجماعة المضادة الرغبات المضادة. وحالما يجد هؤلاء السحرة الرهيبون وخالقو الرجل الإستبدادي أنهم لا يستطيعون دوام الإمساك به بطريقة أخرى، فإنهم يرسمون خططاً لزرع شهوةٍ سيّدة فيه،

لتكون بطلة رغباته الكسولة والمسرفة ـ نوعاً من ذكر النحل الرهيب المجنَّح تلك ـ هي الصورة الوحيدة التي ستصفه على نحوٍ وافٍ بالمراد.

اديامنتوس: نعم، تلك هي الصورة الوحيدة الملائمة له.

سقراط: وعندما تأتي الشهوات الأخرى وسط سحب الروائح الزكيّة والعطر وأكاليل الزهر والنبيذ وكل الملذات الفاسقة لهكذا رفقة؛ وعندما تُزرع في طبيعته الشبيهة بذكر النحل إبرة الرغبة، في حين تسمُّنه وتغذيه، ومن ثم فإن هذا السيد للروح عندما أصبح لديه النشوة العارمة كزعيمةٍ لحرسه، يندلع في شعارٍ. وإذا وُجدت في الرجل آراء أو شهوات الأكل والشرب، كتلك التي تُعدُّ صالحة، أو أن لديه بعض الحياء بشأنها، فإنه سيقتلها ويرمي بها خارجاً حتى يتخلَّص من كل الاعتدال، ويمضي في الحماقة القصوى إلى تمامها.

اديامنتوس: نعم، تلك هي الطريقة التي يكون الرجل الاستبدادي متولِّداً فيها.

سقراط: أوَليس هذا سبب تسمية الحب القديم استبدادياً؟

اديامنتوس: عليَّ أن لا أضلَّ السبيل القويم.

سقراط: وعلاوة على ذلك، ألا يمتلك الرجل السكّير نفسيّة الإستبدادي أيضاً؟

اديامنتوس: إنه يمتلك.

سقراط: وتعرف أنت أنّ الإنسان المخبول والذي في عقله خلل، سيتوهم أنه قادر أن يحكم، ليس فوق الرجال فقط، بل فوق الآلهة أيضاً.

اديامنتوس: سيفعل ذلك.

سقراط: ويأتي الرجل الاستبدادي إلى الوجود في المعنى الحقيقي للكلمة عندما يصبح سكّيراً، شبقاً، وشهوانياً، إمَّا تحت تأثير الطبيعة، أو العادة، أو كليهما. آه يا صديقي، أليس ذلك صحيحاً؟

اديامنتوس: بالتأكيد.

سقراط: هكذا يكون الرجل وهذا هو مَحِتِدُه، وبعد ذلك كيف يعيش؟

اديامنتوس: أفترض، كما يقول الناس بتصنّع، إنك كنت لتخبرني.

سقراط: أتصوَّر أنّ الخطوة المقبلة في تقدمه ستوجَد في الولائم والاحتفالات الصاخبة المخمورة والعربدة والمومسات، وكل شيء من ذلك النوع؛ ويكون الحب مولى بيته الداخلي، وينظِّم كل اهتمامات روحه.

اديامنتوس: إن ذلك لأكيد.

سقراط: نعم؛ وتنمو كل يوم وكل ليلة فروع للرغبة عديدة ومرعبة وتكونْ متطلباتها متعددة.

اديامنتوس: إنها لكذلك حقاً.

سقراط: ويكون مدخوله، إذا امتلكه، مبدَّداً.

اديامنتوس: حقاً.

سقراط: وتأتي الاستدانة حينئذ وينخفض رأسماله.

اديامنتوس: طبعاً.

سقراط: وعندما لا يبقى له شيء، ألا يجب أن تكون رغباته مكتظَّة في العشّ كالغربان السحم الصغار، صارخة بصوت عالٍ للغذاء. وهو مهمَّز بها، وخاصة بمحبته لنفسه، هو الذي لديه كل الشهوات الأخرى لحرسه، إنه لفي سُعارٍ. وسيكتشف بسرور مَنْ يمكن أن يسلبه ماله بالاحتيال أو ينهب ممتلكاته، كي يتمكن من استرضائهم.

اديامنتوس: نعم، تلك هي الحالة بالتأكيد.

سقراط: يجب أن ينهب، لا تهمُّ الكيفية، إذا ما كان سيهرب من الآلام والوخزات الموجعة.

اديامنتوس: يجب عليه.

سقراط: لقد وُجِدَ تعاقب للملذات كما في نفسه، وأخذ الجديد أفضليَّة القديم وسلبه حقَّه. سيطالب، كونه الأفتى، بأن يمتلك أكثر من أبيه وأمه، وإذا بدَّد حصته في الملكيَّة، سيستولي على حصة مّما يملكان.

اديامنتوس: سيفعل بدون شك.

سقراط: وإذا لم يهبه أبواه ذلك، سيحاول آنئذ أن يغشّهما ويخدعهما قبل كل شيء.

اديامنتوس: حقيقي تماماً.

سقراط: وإذا أخفق، سيستعمل القوة حينها وسيسلبهما كل ما يؤخذ احتيالاً.

اديامنتوس: نعم، من المحتمل.

سقراط: وإذا قاتل الرجل والمرأة المسنّة، فماذا سيحصل حينئذ، يا صديقي؟ هل سيشعر بأي وخزٍ للضّمير أو ينكمش عن أي فعل استبدادي؟

اديامنتوس: لا، عليَّ أن أشعر براحة بال نحو أبويه مطلقاً.

سقراط: لكن يا للسماوات، يا اديامنتوس، أتستطيع أن تصدّق أنه سيضرب الأم، بسبب ميل فجائي ما لبنت الهوى؟ سيضرب الأم التي هي صديقته القديمة الضروريّة لبقائه بالذات، وسيضعها تحت سلطة الآخرين، في حين أنه قد ترعرع تحت سقف واحد معها؛ أو أنه، تحت حالات مشابهة، سيفعل الشيء عينه لأبيه المسن الذاوي، أوّل وأكثر الأصدقاء أُسّاً، ومن أجل فتىً ناضرٍ وُجِدَ حديثاً هو عكس اللاّزب.

اديامنتوس: نعم، حقاً؛ أعتقد أنّه سيفعل ذلك.

سقراط: بحق، إذن، فالإبن الاستبدادي هو نعمة لأبيه وأمه.

اديامنتوس: إن ذلك لحقّ.

سقراط: وإذا ما بُدِّدت ممتلكات أبيه وأمه، وبدأت الملذات تتزاحم في خليّة روحه، يقتحم البيت آنئذ، أو يسرق أثواب بعض عابري السبيل الليليين ويتقدم بالتالي لينظف المعبد. بينما تكون الآراء القديمة عن الخير والشر، التي كانت لديه منذ طفولته، والتي قد حُسِبَت عادلة، تكون مقلوبة بأولئك الآخرين الذين تحرّروا مؤخراً، وهم الآن حرسه الخاص ويتقاسمون امبراطوريته. إنّ

هؤلاء كانوا في أيّامه الديموقراطيّة، عندما كان ما يزال تحت حكم القوانين وحكم أبيه، وأطلق لهم العنان في أحلام النوم فقط. وبما أنه الآن تحت سلطان الحب، يصبح في اليقظة الحقيقيّة دائماً ما كانه حينئذ إلاّ فيما ندر للغاية وفي الحلم فقط. إنه لن يمتنع عن أنجس القتل، أو عن الغذاء الممنوع، أو عن أي عمل قبيح آخر. إن الحاكم المستبد له هو الحب، ويعيش في داخله في فوضويّة تامّة وعصيان. وما دام هو الملك الوحيد يواصل قياده، كما يقود الحاكم المستبد الدولة، يواصل قياده إلى أداء أيٍّ من الأعمال الطائشة التي يستطيع بواسطتها الإبقاء على نفسه وعلى عشرائه الرّعاع، سواء كان أولئك من الذين أُدخلوا بالاتصالات الشريرة الخارجيّة، أو أولئك الذين سمح لهم هو نفسه بالتسيّب في داخله بسبب طبيعة شريرة تشابه ما في نفسه. ألم نحز هنا على صورة لطريقة حياته؟

اديامنتوس: نعم، حقاً.

سقراط: وإذا وُجِدت قلّة منهم في الدولة، وكانت بقيّة الناس منظمة تنظيماً حسناً فإنهم سيذهبون ويصبحون حرساً خاصّاً لرجل استبدادي ما، أو جنوداً مرتزقة إذا وُجدت حرب في أي مكان. وإذا نشأوا في زمن السّلم والهدوء، فإنهم يبقون في البيت ويقومون بأعمال صغيرة متعددة من أعمال السوء في المدينة.

اديامنتوس: أي نوع من أعمال السوء؟

سقراط: كمثال، إنهم يكونون اللصوص، السارقين، ممزقي حقائب النقود، قاطعي الطرق، ناهبي المعابد، مختلسي المجتمع؛ أو إذا كانوا قادرين على الكلام فسيتحوّلون إلى نمامين حاذقين، يشهدون الزور، ويتناولون الرشاوى.

اديامنتوس: إن سيئات كهذه هي طفيفة، لربّما، إذا ما كان مقترفوها قليلي العدد.

سقراط: نعم، لكن الصغير والكبير هما عبارتان متشابهتان. كل تلك الأشياء التي

يوقعون الدولة بها في الشقاء والشر، لا تصل إلى ألف ميل من المستبد. وعندما تزداد هذه الطبقة المؤذية عدداً وتصبح واعية بقوتها، فهي التي تخلق المستبد معضودةً بشغف الشعب، مختارة الذي لديه الأكثر استبدادية في روحه الخاص.

سقراط: وإذا أذعن الشعب فحسنٌ وخير، لكن إذا قاوموه، سيضربهم، كما ضرب أبويه من قبل. هكذا سيفعل إذا تسنَّم السلطة الآن، وسيُبقي أرض أبيه أو أمه الغالية القديمة، كما يقول الكريتيّون، سيبقيها في خضوع لمستبقيه الذين أدخلهم ليكونوا حكامهم وأسيادهم. وهكذا فإن رجلاً كهذا قد بلغ النهاية في شهواته ورغباته.

اديامنتوس: إنه بالضبط في هذا الطريق.

سقراط: وعندما يكون رجال كهؤلاء أفراداً عاديين قبل حصولهم على السلطة، فهذه هي شخصيتهم. إنهم يعاشرون متملقيهم الخاصين أو أدواتهم الجاهزة؛ أو إذا أرادوا أيّ شيء من أيِّ شخص، فهم يكونون جاهزين بدورهم بالتساوي، لينحنوا أمامهم ويوحون إليه بكل سمات الصداقة لهم؛ لكن عندما يحصلون على مبتغاهم فلن يعرفوهم بعدها.

اديامنتوس: نعم، بحق.

سقراط: إنهم يكونون دائماً إمّا الأسياد أو الخدم وليسوا بأصدقاء أي شخص أبداً. إنّ الطبيعة الإستبداديّة لا تتذوّق طعم الحريّة الحقيقيّة أو طعم الصداقة.

اديامنتوس: لا بالتأكيد.

سقراط: ألا يمكننا تسمية رجالٍ كهؤلاء عديمي الإيمان؟

اديامنتوس: بدون سؤال.

سقراط: إنهم ظالمون بشكل كلّي، إذا كنا محقّين في اتفاقنا من حيث طبيعة العدل.

اديامنتوس: لقد كنا محقّين حقاً.

سقراط: دعنا نلخّص بكلمة إذن، أخلاق الرجل الأسوأ: إنه الحقيقة المستيقظة لما حلمنا به[٨٥].

اديامنتوس: الأكثر حقيقة.

سقراط: وهو يحمل هذه الشهادةِ كونه الأكثر استعداداً للاستبداد، ويصبح أكثر استبداديّة كلما طال أمد حياته.

كلوكون: إن ذلك لأكيد.

سقراط: أليس الذي قد أُظهِرَ أنّه الأخبث، قد برهنّا أنّه الأكثر شقاءً أيضاً؟ وهو الذي استبدَّ أطول وأكثر، أكثر شقاء وبعمق على الدوام؛ وإن كان هذا لا يمكن أن يكون بشكل عام؟

كلوكون: نعم، بحتميّة.

سقراط: ألا يجب أن يشبه الرجل الاستبدادي الدولة الاستبداديّة، والرجل الديموقراطي الدولة الديموقراطيّة، والشيء عينه عن الآخرين؟

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وكما تكون الدولة إلى الدولة في الفضيلة والسعادة، هكذا هو الإنسان إلى الإنسان.

كلوكون: لتكن متأكّداً.

سقراط: مقارنين مدينتنا الأصليّة إذن التي كانت تحت حكم ملك، والمدينة التي هي تحت حكم المستبد، فكيف تقفان إلى شَبَهِ الفضيلة؟

كلوكون: إنهما حدّي نقيض، لِأن إحداهما هي الأفضل بحق، والأخرى هي الأسوأ بحق.

سقراط: لن أسألك، مَنْ تكون مَنْ، لأن ذلك جلي؛ لكنك هل ستصل إلى قرار مشابه عن سعادتهما النسبيّة وشقائهما؟ ويجب أن لا نسمح هناك لأنفسنا

بأن نكون كالمصاب بالهلع عند ظهور المستبد، الذي هو كفرد فقط، ولربّما يمكن أن يمتلك قليلاً من الباقين حوله. لكن دعنا نذهب، كما يجب علينا، إلى كل زاوية للمدينة ونفتّش كل مكان وسنعطي رأينا عندها.

كلوكون: إنه لتحدٍّ عادل، ويجب على كل شخص أن يرى أنه ليس هناك مدينة شقيّة أكثر من تلك التي يحكمها مستبد، ولا واحدة أسعد من تلك التي يحكمها ملك ـ فيلسوف.

سقراط: وفي تقدير الرجال أيضاً، ألا يمكنني أن أقدّم تحدّياً مماثلاً، ألا وهو أنَّ عليَّ أن أمتلك القاضي الذي يستطيع عقله أن يدخل عميقاً ويرى من خلال الطبيعة الإنسانيّة؟ ألا يجب أن يكون شبيها بالطّفل الذي ينظر إلى الظاهر ويكون مذهولاً في الهيئة الدالّة على الأبّهة التي تحسبها الطبيعة الاستبداديّة أنها للناظر، لكن دعه يكون واحداً ممّن لديه بُعدُ نظرٍ جليّ. أيمكنني الإفتراض أن يكون الحكم معطىً في سماع الدعوى لجميعنا بواحدٍ ممّن هو قادر أن يحكم، والذي قد سكن في نفس المكان معه، وكان موجوداً في حياته الأهليّة وعرفه في علاقاته العائليّة، حيث يمكن رؤيته أفضل وهو مُعرّى من ثياب المأساة، وثانية في ساعة الخطر العامة ـ سوف يخبرنا عن السعادة والشقاء للمستبد عندما يُقارَن مع الرجال الآخرين.

كلوكون: إن ذلك لاقتراح جدّ عادلٍ مرّة ثانية.

سقراط: هل تسمح لي، إذن، لنحسُب أنّنا قضاة قادرون وذوو خبرة تقابلوا مع أشخاص كهؤلاء؟ سيكون لدينا شخص ما، هو الذي سيُجيب على تساؤلاتنا.

كلوكون: بكل تأكيد.

سقراط: دعني أسألك ألا تنسى موازاة الفرد والدولة، واضعاً هذا نصب عينيك، ورامقاً بالدور واحدهم والآخر، فهل ستخبرني بعدها حالاتهما المختصة بهما؟

كلوكون: إلامَ تشير؟

سقراط: مبتدئاً بالدولة، هل ستقول إنّ المدينة التي يحكمها المستبدّ هي حرّة أو مستعبدة؟

كلوكون: لن تستطيع أيّة مدينة أن تكون أكثر استعباداً بالتمام.

سقراط: ومع ذلك، فكما ترى، يوجد رجال أحرار كما الأسياد في مدينة كهذه.

كلوكون: نعم، أرى أنه يوجد قلة. لكن الشعب، متكلمين بشكل عام وأفضله، فإنّما هو مجرّد من درجاته ومستعبد بحقارة.

سقراط: إذا كان الإنسان شبيهاً بالدولة إذن، ألا يجب أن تسود القاعدة عينها؟ إن روحه مملوءة بالسّفالة والفظاظة. إن أفضل العناصر فيه مستعبدة، وهو محكوم بجورٍ بذلك الجزء الصغير الذي هو في الوقت ذاته الجزء الأسوأ والأرعن.

كلوكون: إنه حتميّ.

سقراط: وهل ستقول إنّ روح شخص كهذا هي روح الرّجل الحرّ أو العبد؟

كلوكون: إنه يمتلك روح العبد، في رأيي.

سقراط: والدولة التي هي مستعبدة تحت حكم المستبدّ غير قادرة على العمل كما ترغب بالكليّة.

كلوكون: غير قادرة بالكليّة.

ستراط: والروح التي هي تحت حكم المستبد (أتكلم عن الروح مأخوذة ككلّ) ستكون الأقلّ قدرة على عمل ما ترغب. هناك نُعَرَة وهي تحثها، وستكون روحاً ممتلئة ارتباكاً وتأنيباً للضمير.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وهل المدينة التي تحت حكم المستبدّ، فقيرة أو غنيّة بالضرورة؟

كلوكون: فقيرة.

سقراط: لذلك، يجب أن تكون روح المستبدّ فقيرة ولا تشبع أيضاً.

كلوكون: حقاً.

سقراط: ألا يجب أن تكون هكذا دولة ثانية، وبالمثل هكذا رجل، مُمتلئَين خوفاً على الدوام؟

كلوكون: نعم، حقاً.

سقراط: أتوجد أيّة دولة ستجد فيها نحيباً ونواحاً وأنيناً وألماً أكثر؟

كلوكون: لا بالتأكيد.

سقراط: وهل يوجد أيّ إنسان ستجسد فيه نوعاً للتعاسة أكثر من هذا الرجل الاستبدادي المخبول برغباته وشهواته؟

كلوكون: مستحيل.

سقراط: متأمّلاً تلك الشرور وشروراً مشابهة، فإنك قد أمسكت، الدولة الاستبداديّة لتكون أكثر الدّول شقاء.

كلوكون: ألست محقّاً؟

سقراط: بالتأكيد، وحين ترى الشّرور عينها في الرجل الإستبدادي، فماذا تقول عنه؟

كلوكون: أقول إنه أكثر الناس شقاء

سقراط: أعتقد أنك بدأت هنا الوقوع في الخطأ.

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: لا أعتقد أنّه وصل إلى أقصى حدود الشقاء حتى الآن.

كلوكون: من هو الأكثر شقاء إذن؟

سقراط: الذي أنا على وشك التكلّم عنه.

كلوكون: من هو ذاك؟

سقراط: هو من يكون ذا طبيعة مستبدة، وبدلاً من قيادة حياة خاصّة به فلقد لُعِنَ بنائبةٍ وهو أنه أصبح مستبداً عاماً.

كلوكون: أستنتج من الذي قيل، أنك محقّ.

سقراط: نعم، غير أنّ هذه المحاورة السّامية لا تحتاج لاعتقاد مجرّد، بل لبحث جادٍّ ومنطقي، لأنها هي الأهم من بين كل الأسئلة وتختصر بحياة الخير والشر.

كلوكون: حقيقيٌ تماماً.

سقراط: دعني أقدّم إيضاحاً إذن هو الذي أتصوره، أن بإمكانه أن يلقي ضوءاً على هذا الموضوع.

كلوكون: ما هو إيضاحك؟

سقراط: حالة الأفراد الأغنياء في المدن الذين لديهم عدد من العبيد؛ فهم يمتلكونهم شراكة مع الاستبداديين. إنهم أسياد الكثرة؛ الفرق الوحيد أنه السّيّد لأكثر منهم.

كلوكون: نعم، إن هذا هو الفرق.

سقراط: تعرف أنهم يعيشون باحتراز، ولا يخشون أيَّ شيء من خدمهم.

كلوكون: ماذا سيخافون؟

سقراط: لا شيء. لكن هل لاحظت السبب؟

كلوكون: نعم؛ السّبب أن المدينة بكاملها هي عصبة متحدة لحماية كل فرد.

سقراط: حقيقيّ تماماً. لكن تصوّر واحداً من هؤلاء المالكين. يقول السيّد إنّه قد نقله الله وعائلته وممتلكاته وعبيده إلى القفر، مع حوالى الخمسين عبداً، أو حتى أكثر من ذلك، حيث لا يوجد رجال أحرار ليساعدوهم ـ ألن يكون في خوف دائم أن يغتاله عبيدُه هو وزوجته وأولاده؟

كلوكون: نعم، إنّه سيكون في أقصى حالات الخوف.

سقراط: إن الوقت قد حان لِمَا سيجبره على أن يتملّق بعض عبيده، ويغرقهم بوعوده العظيمة، ويطلق سراحهم، مع أنه ليس خاضعاً لأيّ تعهد من هذا القبيل. سيجد نفسه يتملّق لخدمه الخاص.

كلوكون: نعم، ستكون تلك الطريقة الوحيدة لإنقاذ نفسه.

سقراط: وافترض الله ذاته، الذي حمله بعيداً، أن يحيطه بالجيران الذين لن يقاسوا في أن يكون رجلٌ واحدٌ سيّداً للآخرين، والذين، إذا استطاعوا القبض على أي معتدٍ، سينزلون به أشدَّ العقاب.

كلوكون: ستكون حالته الأسوأ، إذا إفترضته محاطاً ومراقباً بالأعداء في كل مكان.

سقراط: أولن يكون هذا نوعاً من السجن الذي سيقيِّد نفسه به؟ فهو من سيكون بالطبيعة كهذا الذي وصفنا. إنه ممتلىء بكل أنواع الخوف والشهوات، وتشتهي روحه الملذّات بشدَّة، ومع ذلك لن يُسمح له أبداً أن يذهب خارجاً في رحلة، وهو الوحيد من بين كل الرّجال في المدينة، أو أن يرى الأشياء التي يرغب الرّجال الأحرار الآخرون أن يروها، بل يعيش مختبئاً كالمرأة في بيته ويحسد أيّ مواطن آخر يستطيع الذهاب إلى أجزاء من بلاد غريبة ويرى أي شيء ذي أهميَّة.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: هكذا يجب أن تضاف هذه الشرور إلى حساب الرجل الذي يكون محكوماً بسوء في شخصه، أعني الرّجل الاستبداديَّ الذي صمَّمت لتوّك أنّه أكثر الناس شقاءً. وبدلاً من أن يقود حياة خاصّة حينها، أُلزِمَ أن يكون مستبدّاً عامّاً بالثروة. عليه أن يكون سيِّد الآخرين في حين أنه ليس سيِّد نفسه. إنه يشبه الرّجل المريض أو الأشل الذي أُجبر أن يمضي حياته، ليس في التقاعد، وإنما في حالة حرب وصراع مع الرجال الآخرين.

كلوكون: نعم، يا سقراط، إن المشابهة أكثر دقة وحقيقة.

سقراط: أليست حالته شقيَّة بالكليَّة، يا عزيزي كلوكون؟ أولا يعيش المستبدّ الحقيقيّ حياةً أكثر حزناً ممن تكون حياته قد قرّرت أنت أنها أكثر حزناً؟

كلوكون: بالتّأكيد.

سقراط: إنّ الذي يكون مستبدّاً حقيقيّاً، مهما يمكن أن يفكّر الرجال، هو العبد الحقيقي، وهو مجبر أن يمارس أعظم التملق والخنوع والمداهن لحثالة الجنس البشري. إن لديه الرّغباتِ التي لا يقدر مطلقاً على إشباعها، ولديه حاجات أكثر من أي شخص آخر، وهو الفقير الحقيقي، إذا عرفت أن تفحص روحه بمجملها. إنه محاطٌ بالخوف طوال حياته وممتلىء تشنجاً وتشتتاً فكرياً، إذا ما كانت حالته شبيهة بالدولة التي يحكم. والتأكيد فإن الشبه يُعمل به.

كلوكون: يُعمل به حقاً.

سقراط: فضلاً عن ذلك، يبقى علينا أن نضيف إلى نقاطه شيئاً ما من الذي ذكرناه سابقاً. إنه يكون، ويصبح بالتأكيد، وهذا ناشىء عن سلطته، يصبح أكثر حسداً، عديم الإيمان، أكثر ظلماً، أكثر نبذاً، أكثر كفراً، مما كان أولاً. إنه المورِّد والمعزِّز لكل نوع من أنواع الرذيلة، وتكون العاقبة أنه الشقيّ الأرفع، ويجعل جيرانه أشقياء كنفسه.

كلوكون: لن يحاجَّ أيُّ إنسانٍ عاقل كلماتِك.

سقراط: تعالَ إذن، وكما يعلن الحكَمُ النتيجة النهائيّة في المباراة، تعالَ قرِّر أنت أيضاً من هو الإنسان الأول في ميزان السعادة في رأيك، ومن الثاني، وما ترتيب الآخرين. يوجد خمسة منهم في المجموعة: إنهم الملكي، التيموقراطي، الأوليغاركي، الديموقراطي، الاستبدادي.

كلوكون: سيُعطى الحكم بسهولة. إن ترتيب دخول تلك الجوقات على المسرح لهو ترتيبها في الجدارة من جهة الفضيلة والرذيلة، السعادة والشقاء أيضاً.

سقراط: وهل نحتاج لأن نستأجر منادياً، أو أنني سأعلن، أن ابن أريسطون (الأفضل) قد قرّر أن الأفضل والأعدل هو الأسعد أيضاً، وأنه هو الإنسان الذي يكون الأكثر ملكيّةً وملكاً فوق نفسه. وأن الإنسان الأسوأ والأكثر ظلماً هو الأكثر شقاء أيضاً، وأن هذا، كونه المستبد الأعظم في نفسه، هو المستبد الأعظم في الدولة أيضاً.

كلوكون: يمكنك إعلان ذلك.

سقراط: وهل سأضيف، « سواء كانت شخصية منهم مرئية أو غير مرئيّة بالآلهة وبالرجال »؟

كلوكون: دع تلك الكلمات أن تقيم إضافتها.

سقراط: سيكون هذا برهاننا الأول إذن؛ واعتبر الآن كلاماً آخر يمكن أن يمتلك ثقلاً ما.

كلوكون: ما هو ذلك؟

سقراط: كوننا مشاهِدين أنّ روح الفرد، مثل الدولة، فقد قسّمناها إلى ثلاثة مبادىء، وأعتقد، أن القسمة، يمكن أن تقدِّم بعض الشرح.

كلوكون: شرح من أية طبيعة؟

سقراط: إنها هذه، يظهر لي أنّها تتطابق مع ثلاث ملذات لتلك المبادىء الثلاثة؛ وتتطابق أيضاً مع ثلاث رغبات وقوى حاكمة.

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: هناك مبدأ واحد هو الذي يتعلم الإنسان بواسطته، طبقاً لتصورنا، وآخر هو الذي يكون بواسطته غاضباً؛ بينما يمتلك الثالث عدَّة أشكال وهو الذي لم تستطع أن تعطيه إسماً خاصاً، بل عبّرنا عنه بالإسم العام، الشهيّ إلى الشراب والطعام، من النشاط غير العادي وحدَّة الرغبات للأكل والشرب والشّهوات الحسّيّة الأخرى التي هي العناصر الرئيسيّة له. أيضاً محبّة المال، لأن رغبات كهذه تُشَبَّعُ بمساعدة المال بشكل عام.

كلوكون: لقد كنا محقِّين في ما قلناه.

سقراط: وإذا قلنا إن الحب والملذات لهذا الجزء الثالث كانت مختصةً بالربح، سنعود إلى تعبير مفردٍ عام عند ذلك، يذكّرنا بما عنيناه عندما أشرنا إلى هذا الجزء من الروح، والذي يمكننا أن نصفه بحبّ الربح، أو حبّ المال بحق.

كلوكون: أوافقك.

سقراط: أليس المبدأ الشهواني مركّزاً جملةً على الحكم والفتح والحصول على الشهرة، مرّة ثانية؟

كلوكون: حقاً.

سقراط: إفترض أنّنا نسمّيه مسبّبَ النزاع أو الطموح، فهل العبارة مناسبة؟

كلوكون: مناسبة للغاية.

سقراط: وفي اليد الأخرى، فإن كل شخص يرى أنّ المبدأ الذي نتعلم به موجّهٌ إلى الحقيقة دائماً بشكل إجمالي، ويهتمّ للربح أو الشهرة أقلّ من كلا المبدأين الآخَرين.

كلوكون: أقلّ بكثير.

سقراط: « فمحب العلم »، « محب الحكمة »، هما اللقبان اللذان يمكن أن ينطبقا على ذلك الجزء من الروح.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وبعدُ ألا يسود هذا المبدأ في أرواح طبقة واحدة من الرّجال، ومبدأ من المبدأين الأُخريين كما يمكن حدوثه، في هؤلاء الرجال الآخرين؟

كلوكون: نعم.

سقراط: وهذا هو سبب قولنا بأن هناك ثلاث طبقات رئيسيّة للرجال: محبّي الحكمة، محبّي الشرف، ومحبّي الربح.

كلوكون: بالضبط.

سقراط: وتوجد ثلاثة أنواع من المَلذات هي أهدافهم المتعددة.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: هل تعرف، أنّك إذا اخترت الطبقات الثلاث للرجال، وسألت كلاً منهم بالترتيب: أيُّ حيواتهم هي الأبهج، فكلّ سيعطي الثناء الأسمى لحياته

الخاصة. إنّ جاني المال سيناقض زهو الشرف أو العلم إذا لم يجلبا المال مع أفضليّة الربح.

كلوكون: حقاً.

سقراط: وماذا سيكون رأي محبّ الشرف؟ ألن يعتقد أنّ لذة الأغنياء مبتذلة، بينما لذة العلم، إذا لم تجلب مكانةً، فكلها دخان وهذيان؟

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: وأخيراً الفيلسوف، فأيّة قيمة سنفترض أنه سيخص بها الملذات الأخرى في مقارنة مع لذّة معرفة الحقيقة أو مواصلة العلم التي هي لذّة من النظام عينه؟ ألن يعتقدها بعيدة حقاً عن اللذّة الحقيقة؟ ألن يسمّي الملذّات الأخرى ضروريّة، بحجّة أنه إذا كانت لا ضرورة لها، فإنه لن يمتلكها على الأصح؟

كلوكون: لا شك في ذلك.

سقراط: وبما أن ملذّات كل طبقة هي في خصام، ويُطرح السؤال الذي يختص بتلك الحيوات أيضاً، ليس أيٌّ منها هو الأكثر أو الأقل تبجيلاً، أو أفضل أو أسوأ، لكن أيّاً منها أكثر مسرّة أو ألماً، فكيف سنعرف من يتكلّم بالحق الأكثر؟

كلوكون: لا أستطيع أن أخبرك.

سقراط: حسناً إسأل نفسك أيّة قدرات انتقاديّة تُحتاج لأيّ حكم سليم. أيقدر الإنسان على امتلاك قدرات أفضل من الخبرة والحكمة والعقل؟

كلوكون: لا بالتأكيد.

سقراط: تأمّل الأفراد الثلاثة إذن، أيّهم لديه الخبرة الأعظم لكل الملذّات التي عددناها؟ هل محب المال، الذي تعلم طبيعة الحقيقة الجوهرية، لديه خبرة أكبر لِلَذة المعرفة من خبرة الفيلسوف للذّة الربح؟

كلوكون: الفيلسوف لديه ميزة أكبر لأنه قد عرف بالضرورة طعم الملذات الأخرى

منذ طفولته فصاعداً. غير أنّ محب الربح لم يتذوّق بالضرورة - أو بالأحرى عليَّ أن أقول، حتى إذا كان راغباً بعَجَلٍ، يمكنه أن يتذوّق بصعوبة - حلاوة العلم ومعرفة الحقيقة.

سقراط: إذن فإنّ محب الحكمة لديه ميزة أكبر على محب الربح لأنه يمتلك الخبرة مضاعفة.

كلوكون: نعم، ميزة كبيرة جداً.

سقراط: قارنه مع محبِّ الشرف الآن. أيكون هو غير خبير في ملذات الشرف أكثر من محب الشرف في ملذات الحكمة؟

كلوكون: لا، إنّ الثلاثة جميعهم مبجّلون بنسبة ما يصلون إلى الغرض الذي إنطلقوا نحوه لأنّ الإنسان الغني والإنسان الشّجاع والإنسان العاقل لديهم، بشكل متشابه، جمهورهم والمعجبون بهم، وكما أنهم يتلقون الشرف جميعهم فإنّ لديهم خبرةَ ملذّات الشرف. لكن الحبور الذي سيُوجد في تأمل الوجود الحقيقي لا يعرفه إلا الفيلسوف وحده.

سقراط: ستمكّنه خبرته إذن، أن يكون أفضل مَن يقاضي.

كلوكون: أفضل بيعيد.

سقراط: وهو إذن الذي يمتلك الحكمة كما الخبرة.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وما هو أبعد من ذلك، فإن أداة التقاضي بالذات لا يمتلكها الرجل الجشع أو الطموح بل الفيلسوف.

كلوكون: أيّة أداة؟

سقراط: أعتقد بأننا قد قلنا بأن القرار يجب أن يُحرَزَ بالعقل.

كلوكون: نعم.

سقراط: وأنّ العقل هو أداته بشكل خاص.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وإذا كان الغنى والربح مقياسه، سيكون الثناء أو اللوم لمحب الربح الأكثر ثقة بالتأكيد.

كلوكون: بكل تأكيد.

سقراط: أو سيكون الشرف أو النصر أو الشجاعة. فالحَكَمُ للطّموح في تلك الحالة أو أن المخاصِمَ هو الأحق؟

كلوكون: بوضوح.

سقراط: لكن بما أنّ الخبرة والحكمة والعقل هي القُضاة، فالإستدلال الوحيد المحتمل هو أنّ الملذّات التي صُدِّقَت بمحبّ الحكمة والعقل هي الأحقّ.

وهكذا فقد توصّلنا إلى نتيجة أن لذّة الجزء العقلاني للروح ألطف الملذات الثلاث السابقة، وأن الذي يكون محكوماً بهذا المبدأ من بيننا يمتلك الحياة الأصفى.

كلوكون: بدون سؤال، إن الإنسان العاقل يتكلّم بسلطان عندما يصادق على حياته الخاصة.

سقراط: وماذا سيؤكد القاضي لتكون الحياة ستلي واللذة ستلي أيضاً؟

كلوكون: إنها بوضوح تلك التي للجنديّ ومحبّ الشرف، الذي هو أقرب إلى نفسه من جاني المال.

سقراط: ويأتي محبّ الربح أخيراً.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: إن الإنسان العادل قلب الظالم رأساً على عقب مرّتين على التوالي إذن، في هذا الصراع. وتأتي المحاولة الثالثة الآن التي خُصّصَت للمنقذ الأولومبي زيوس: يهمس حكيم في أُذُني أن ليس هناك من لذّةٍ حقيقيّة صافية فعلاً ما عدا لذة العاقل ـ أمّا الأخرى فظلال فقط؛ وستبرهن هذه بالتأكيد أنها أعظم وأكثر السقوطات الفاصلة لبقيّة الملذات.

كلوكون: نعم، الأعظم؛ لكن ما هو معناك؟

سقراط: آمل أن أجد الحقيقة بالتقصّي بينما تجيب على أسئلتي.

كلوكون: تقدَّم.

سقراط: قل، إذن، ألا ترى أنّ السرور مضاد للألم؟

كلوكّون: حقاً.

سقراط: وتوجد حالة حياديّة ليست بالسرور ولا بالألم؟

كلوكون: صحيح.

سقراط: حالة، كونُها وسطاً، هي نوع من السكون للروح فيما يتعلّق بكليهما ذلك هو ما تعنيه.

كلوكون: نعم.

سقراط: تتذكّر ما يقوله الناس عندما يكونون مرضى.

كلوكون: ماذا يقولون؟

سقراط: أن لا شيء أبهج من الصّحّة؛ غير أنّهم لم يعرفوا هذا مطلقاً كونه أعظم المسرّات قبل أن يمرضوا.

كلوكون: أتذكّر.

سقراط: وعندما يعاني الأشخاص من المرض الحاد، يجب أن تكون قد سمعتهم يقولون إنه لا يوجد شيءٌ أبهج مِنَ التخلص مِنْ ألمٍ يلمُّ بشخص ما.

كلوكون: قد سمعت ذلك.

سقراط: وأنت خبيرٌ بعدَّة حالاتٍ أخرى للمعاناة التي يكون فيها مجرّد الارتياح مِن توقف الألم، ممجّداً بالمعانِيْنَ كأكبر الملذّات.

كلوكون: لربّما تكون فكرتهم عن اللذّة في وقت كهذا هي الراحة، وهذا ما يقنعهم.

سقراط: يجب أن يتبع ذلك، أنّها عندما تنقطع اللذة، فهذا النوع من الراحة أو التوقّف سيكون مليئاً بالألم.

كلوكون: لربّما.

سقراط: إذن فالحالة الوسطيّة للراحة ستكون مَسرّة وستكون ألماً، في وقت آخر، أيضاً.

كلوكون: هكذا تظهر.

سقراط: لكن أيستطيع الذي لا يكون هذا ولا ذاك أن يصبح كلاهما؟

كلوكون: يجب أن أقول لا.

سقراط: مرّة ثانية إذن، فإنّ السرور والألم كليهما هما حركتان حادثتان في الروح. أليسا كذلك؟

كلوكون: نعم.

سقراط: لكن الذي يكون لا هذا ولا ذاك كان قد أُظهِرَ منذ لحظات الآن أنّه حالة راحة، وسطاً بين تلك الحركتين.

كلوكون: لقد كان.

سقراط: كيف يمكن إذن، أن يكون حقيقياً أن نفترض بأنّ غياب الألم هو السرور، أو أنّ غياب السرور هو الألم.

كلوكون: مستحيل.

سقراط: يكون هذا إذن مظهراً فقط وليس حقيقة؛ ذلك لنقول، تظهر حالة السكون لتكون مَسرّةً في هذه اللحظة، وفي مقارنةٍ مع ما هو مؤلم، ومؤلمة بالمقارنة مع ما هو سارّ. ولكن عند تجربة كل تلك التصويرات، باختبار اللذّة الحقيقيّة، فإنّها ليست تحقيقيّة بل هي نوع من الخدعة.

كلوكون: إنّه الإستنتاج.

سقراط: أنظر إلى نوعٍ جديد من أنواع الملذات التي لا تمتلك آلاماً متقدمة، ولن تفترض بعد اليوم، كما يمكنك في الوقت الحاضر، أنّ اللذة هي انقطاع الألم فقط أو الألم اللذّة.

كلوكون: ما هي، وأين سنجدها؟

سقراط: يوجد العديد منها لكن كمثال، أتمنى عليك أن تراقب ملذّات الشم التي تحدث فجأة، بدون ألمٍ سابق، وفي حدّة عظيمة، لا تترك أيَّ ألمٍ خلفها عندما ترحل.

كلوكون: الأكثر حقيقة.

سقراط: إذن لا تدعنا نقتنع ونعتقد أن اللذّة الصافية هي انقطاع الألم، أو أن الألم انقطاع اللذة.

كلوكون: لا.

سقراط: يبقى ما يسمى بالملذات الأكثر تعدّداً وعنفاً التي تصل الروح من خلال الجسم وهي عموماً من هذا النوع ـ إنها الارتياح من الألم.

كلوكون: إنّها لكذلك.

سقراط: وتكون الملذّات والآلام التوقعيّة والتي تنشأ من توقع تلك، تكون من ذوات الطبيعة المشابهة.

كلوكون: نعم.

سقراط: هل سأعطيك شرحاً عنها؟

كلوكون: دعني أسمع.

سقراط: ستسمح أنت، أنّ في الطبيعة منطقة عليا وسفلى ووسطى.

كلوكون: سأفعل.

سقراط: وإذا كان شخص سيذهب من المنطقة السفلى إلى الوسطى، ألن يتخيّل أنه يذهب صعوداً؛ وهو الذي يقف في الوسطى ويرى من أين أتى. فهل سيتصوّر أنّه يكون في المنطقة العليا الآن، إذا لم يكن قد رأى العالم العلوي الحقيقي مطلقاً؟

كلوكون: لتكن متأكداً، إذ كيف يستطيع أنْ يفكّر غير ذلك، من هو في موقعه.

سقراط: لكنّه إذا أُعيد ثانية حيث كان فسوف يتخيّل، ويتخيّل بحق، أنه كان هابطاً؟

كلوكون: بدون شك.

سقراط: سينشأ كل ذلك من جهله للمناطق العليا والوسطى والسفلى الحقيقيّة.

كلوكون: نعم.

سقراط: هل تستطيع أن تتعجّب إذن أنّ الأشخاص العديمي الخبرة في الحقيقة، والذين لديهم أفكار خاطئة عن أشياء عديدة أخرى، سوف يكون لديهم أفكار خاطئة عن اللّذّة والألم والحالة الوسطيّة أيضاً؟ هكذا عندما يُجذبون بإتجاه المؤلم فقط فإنهم يستشعرون الألم ويظنون أن الألم الذي يختبرونه هو حقيقي. وفي أسلوب مماثل، عندما يُبعدون من الألم إلى الحالة المحايدة أو الوسطيّة، فإنهم يعتقدون بثبات أنّهم وصلوا قمّة التخمة واللذّة، مع أنهم لم يمتلكوا خبرة من الشيء الخادع، كأولئك الذين يقابلون اللون الأسود بالرّمادي من قلّة خبرتهم باللون الأبيض. هل ستتعجّب لهذا؟

كلوكون: لا، حقّاً؛ عليّ أن أكون ميّالاً لأن أتعجب من نقيضه.

سقراط: أنظر إلى المسألة هكذا: الجوع، العطش، وما شابه، هي فراغات في حالة الجسم.

كلوكون: نعم.

سقراط: والجهل والغباء هي حالاتُ فراغاتٍ في الروح.

كلوكون: حقاً.

سقراط: وتناول الغذاء واكتساب الحكمة هي عمليّات مشابهة لسدِّ النقص.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: هل القناعة مشتقّة من ذلك الذي يمتلك أقل أو من ذلك الذي يمتلك أكثر بقاءً؟

كلوكون: من ذلك الذي يمتلك أكثر، بوضوح.

سقراط: وما هي أنواع الأشياء التي تمتلك حصة أكبر للبقاء النقي في حكمك؟ أهي تلك التي يكون الغذاء والشّرب والتوابل وكل أنواع التغذية الأمثلة، أو النوع الذي يحتوي الرأي الحقّ والمعرفة والعقل مختلف أنواع الفضيلة كلها؟ إطرح السؤال بهذه الطريقة: أيٌّ يمتلك أكثر من الوجود الحقيقي، ذلك الذي يختص بالثابت، الخالد، والحقّ، وهو نفسه من ذات الطبيعة، وهو موجود في طبائع كهذه؛ أو ذلك الذي يختص بالمتغيّر والفاني أبداً ويوجد فيهما، وهو نفسه متغيّر وزائل؟

كلوكون: إن الوجود أنقى ببعيد لذلك الذي يكون مختصاً بالثابت.

سقراط: أوَلا يشارك الوجود الحقيقي للثابت، ويُشارك في المعرفة بدرجة أقل من الحقيقة؟

كلوكون: على الإطلاق.

سقراط: وفي الحقيقة بالدرجة عينها.

كلوكون: نعم.

سقراط: وبالعكس، فإنّ من يمتلك أقلّ من الحقيقة سيتملك أقلّ من الواقع أيضاً.

كلوكون: بالضرورة.

سقراط: إذن، بوجه عام، فإنّ الأشياء التي هي في خدمة الجسم تمتلك أقلّ من الحقيقة، والواقع كليهما، من تلك التي هي في خدمة الروح.

كلوكون: أقلّ ببعيد.

سقراط: أوَلاَ توافق أنّ الجسم ذاته يمتلك أقلّ من الروح من أنواع الأشياء تلك؟

كلوكون: نعم.

سقراط: إن ذلك الذي يكون ممتلئاً بأشياء أكثر حقيقة، وهو نفسه يمتلك وجوداً أكثر حقيقة، لهو ممتلىء بحق أكثر من ذلك الذي قد امتلأ بالوجود الحقيقيّ الأقلّ وهو أقل حقيقة.

كلوكون: طبعاً.

سقراط: وإذا كمنتِ اللذّة في الامتلاء بذلك الذي هو مناسب بالطبيعة، فإنّ ذلك الذي هو ممتلىء أكثر بالوجود الأكثر حقيقة، فسينعم بواقع وبحق أكثر باللذة الحقيقيّة؛ بينما ذلك الذي يشارك في الوجود الأقلّ حقيقة سيكون أقل اقتناعاً بحقّ وبالتأكيد وسيشارك في لذّةٍ أقلّ جدارة بالثقة وأقلّ حقيقة.

كلوكون: بدون سؤال.

سقراط: إن أولئك الذين لا يعرفون الحكمة والفضيلة إذن، ويكونون مشغولين دائماً بالنهم والحواسيّات، سيُحملون إلى أسفل ومن ثمّ إلى أعلى، الذي هو الوسط. وسيتحركون في هذه المنطقة خلال الحياة كيفما اتفق، لكنهم لا يختطّونها أبداً إلى العالم العلوي الحقيقيّ. لا ينظرون إلى هناك مطلقاً، ولا يجدون طريقهم إليها أبداً، ولا يكونون ممتلئين حقاً بالوجود الحقيقي، ولا يتذوّقون اللذّة الصافية والثابتة. إنهم كالأنعام بعيونهم المتطلعة إلى أسفل دائماً وبرؤوسهم المطأطأة إلى الأرض، كما إلى طاولة الغداء. إنّهم يَسْمَنُونَ ويتغذون ويتناسلون لكي يحصلوا على الحصة الرئيسيّة من تلك الأطايب، يرفس وينطح واحدهم الآخر بالقرون والأظلاف الحديدية، ويقتل بعضهم بعضاً بسبب شهواتهم التي لا تشبع، لأنهم يملأون أنفسهم بذلك الذي لا يكون حقيقياً. والجزء الذي يملأونه من أنفسهم ليس بحقيقيٍّ أيضاً ولا قادرٍ على التذكّر.

كلوكون: حقاً، يقيناً، يا سقراط، إنك تصف حياة الكثرة كالنبيّ.

سقراط: ألا يجب إذن، أن يتقبّلوا الملذات الممزوجة بالآلام والتي هي ظلال مجرّدة ورسم تخطيطيٌّ للحقيقيّ، وإنها ملوّنة هكذا بالتغاير الذي يبالغ بالضوء والظل على حدّ سواء، ذلك الذي يزرع في العقول الغبيّة رغبات مخبولة؟ ولقد تحاربوا حولها كما يقول ستاسيكوراس أنّ اليونانيين تحاربوا حول ظل هيلاس في طروادة وهم يجهلون الحقيقة.

كلوكون: يجب أن يكون قد حدث شيء ما من ذلك النوع حتماً.

سقراط: ألا يجب أن يحدث ما شابه مع عنصر الروح المفعم بالحيوانيَّة أو الشهواني؟ ألنْ يكون الرجل الشهوانيّ الذي يقود شهوته إلى العمل في حالة مماثلة، سواء أكان حسوداً أو طموحاً، أو عنيفاً أو مشاكساً، أو غضوباً وساخطاً، إذا كانت غايته أن يشبع غضبه أو شهوته للشّرف والنّصر بدون عقل وإدراك؟

كلوكون: نعم، سيحدث الشيء نفسه مع العنصر المفعم بالحيويَّة أيضاً.

سقراط: ألا يمكننا أن نؤكد بثقة إذن أنّه أيّاً تكنِ الرغباتُ المترافقة مع حب المال والشّرف، عندما ينشد الرجال ملذّاتها تحت هداية وفي توافق مع العقل والمعرفة، ويتتبعون أثره ويظفرون بالملذات التي يريهم إيَّاها العقل، فإنهم سيصبون الملذات الأحقّ في درجاتها الأسمى أيضاً التي يتمكّنون من الوصول إليها، بقدر ما يتتبعون الحقيقة، وسيحوزون على الملذات التي هي طبيعيَّة لهم، إذ إن ما هو الأفضل لكل شخص هو الأكثر طبيعية له أيضاً؟

كلوكون: نعم، بالتأكيد؛ الأفضل هو الأكثر طبيعية.

سقراط: وهكذا، عندما تتبع الروح بمجملها المبدأ الفلسفيّ ولا يوجد هناك تقسيم فإنّ الأجزاء المتعدّدة تكون عادلة ويعمل كل منها عمله الخاص به. وبجانب هذا فهي تستمتع بالملذّات الأحقّ والأفضل التي تقدر عليها، كلاً بمفردها.

كلوكون: بالضّبط.

سقراط: لكن عندما يسود كل من المبدأين الآخرين، فإنها (أي الروح) تخفق في الوصول إلى لذّتها، وتجبر الباقي ليقتفي أثر لذة هي ظل فقط لا تخصهما.

كلوكون: حقّاً.

سقراط: وكلما عظمت المسافة التي تفصلهم من الفلسفة والحكمة ستكون اللذة أكثر غرابة وخداعاً.

كلوكون: نعم، أكثر بكثير.

سقراط: أليس الأبعد من العقل هو الأعظم مسافة من القانون والنظام؟

كلوكون: بوضوح.

سقراط: وتكون الرغبات الملآنة بالشهوات والاستبدادية، كما رأينا، في مسافة أعظم.

كلوكون: نعم، إنه لبعد عظيم.

سقراط: والرغبات الملكيّة والمنظّمة هي الأقرب.

كلوكون: نعم.

سقراط: إذن فإنّ المستبّد سيعيش حياة أكثر كَدَراً، والملك أكثر مسرّة.

كلوكون: حتماً.

سقراط: هل تعرف مقياس المسافة التي تفصلهما؟

كلوكون: وهل ستخبرني؟

سقراط: يظهر أن هناك ملذاتٍ ثلاثاً، واحدة أصليّة واثنتين كاذبتين. إنّ خطيئة المستبد تصل إلى نقطة رئيسيّة ما وراء الكاذبة. لقد هرب من منطقة القانون والعقل، وأخذ مسكنه مع ملذّات رقّيّة محدّدة هي أفلاكه وليس من السهل التعبير عن مقياس دونيّته، إلا في هذه الطريقة.

كلوكون: كيف؟

سقراط: أعتقد، أن المستبد هو في المكان الثالث من الأوليغاركي؛ وكان الديموقراطي في الوسط.

كلوكون: نعم.

سقراط: وإذا وُجِدَ حقيقة فيما تقدّم قوله، فإنه سيتزوّج لصورة اللذّة التي تكون ثلاثاً مبعدةً عن الحقيقة من لذّة الأوليغاركي.

كلوكون: إنه سيفعل.

سقراط: ويكون الأوليغاركي الثالث من الملكي؛ بما أننا نحسب الملكي والأرستقراطي كواحد.

كلوكون: نعم، إنه الثالث.

كلوكون: إذن فإنّ المستبّد بعيد عن اللذة الحقيقية بمسافة مقدارتها هي ثلاثة مضروبة بثلاثة.

كلوكون: على ما يبدو.

سقراط: إذن فإنّ ظَلّ لذّة المستبد المقرّرة برقم الطول ستكون شكلاً مسطحاً.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وإذا زدت القوّة وجعلت المسطّح مكعّباً، فإنه لواضح مدى المسافة التي يُفصل بها المستبد من الملك.

كلوكون: واضحة إلى عالِم الحساب.

سقراط: وإذا ابتدأ شخص ما في النهاية الأخرى وقاس المسافة التي يُفصل بها الملك من المستبد في حقيقة اللذة، فإنّه سيجده، عندما تتمّ عمليّة الضرب، عائشاً ٧٢٩ مرّة أكثر مسرّة، والمستبد أكثر ألماً بالمسافة عينها.

كلوكون: ما هذا الحساب الرائع! وما هذا التعبير المغامر للمسافة التي تفصل العادل من الظالم في خصوص اللذّة والألم!

سقراط: مع أنه حساب حقيقيّ ورقم يختص بحياة الإنسانيّة تقريباً، إذا ما كانت المخلوقات البشريّة مختصةً بالأيام والليالي والشهور والسنين[٨٦].

كلوكون: نعم، إنّ الحياة الإنسانيّة هي مختصة به بالتأكيد.

سقراط: إذا كان الإنسان الخيّر والعادل إذن هكذا أسمى في اللذة من الشرّير والظالم، فإنّ سموّه سيكون أعظم في لياقة الحياة وفي الجمال والفضيلة بشكل غير محدود.

كلوكون: أعظم بما لا يقاس.

سقراط: حسناً، وبما أننا وصلنا لهذه المرحلة في المحاروة، يمكننا أن نعود إلى تقريرنا المبكّر الذي دفعنا لنبدأ رحلتنا إلى هناك: ألم يقل شخص ما إن الظلم هو كسبٌ للرجل الظالم الذي يُعدُّ أنه عادل؟

كلوكون: نعم، قيل ذلك.

سقراط: الآن إذن، وبعد ما قررْنا طاقة ونوعيّة العدل والظلم، دعنا نحادثه بإيجاز.

كلوكون: ماذا سنقول له؟

سقراط: دعنا نصنع صورة عن الروح، ذلك كي يتمكّن من إظهار كلماته الخاصة به أمام عينيه.

كلوكون: من أيّ نوع؟

سقراط: صورة كالتكوين المركب للاسطورة الغابرة، كتلك التي للكمّيز(٨٧)، أو للسكيلا(٨٨)، أو للسيرييباوس(٨٩)، وهناك صورٌ عديدة أخرى قيل فيها إن طبيعتين مختلفتين أو أكثر قد نمتا في صورة واحدة.

كلوكون: قد قيل عن وجود اتحادات كهذه.

سقراط: هل ستشكّل نموذجاً للمتعدِّدة إذن؟ وحش متعدد الرؤوس كلّ رأس منه على صورة من الأنماط الأليفة والبريّة، يكون قادراً على إخراجها ومسخها ساعة يشاء.

كلوكون: إنّك تفترض طاقة مدهشة في الفنان. لكن كما أنّ اللغة هي أكثر مرونة من الشمع أو أيّة مادة أخرى مشابهة، لندّعِ وجود نموذج كهذا كما تقترح.

سقراط: إفترض أنّك صغت شكلاً ثانياً شبيهاً بالأسد الآن، وثالثاً لإنسان؛ لكن دع الأول يكون أكبر بكثير، يليه الثاني في الحجم.

كلوكون: إن ذلك لعمل أسهل؛ ولقد صنعتها كما تقول.

سقراط: ضُمّها الآن في واحدة، ودع الثلاثة تنمو معاً كيفما كان.

كلوكون: لقد أُنجز ذلك.

سقراط: صِغْ خارجها في صورة واحدة تالياً، مثل الإنسان. وهكذا يمكن أن يعتقد من لا يستطيع النظر في الداخل، ويرى الصندوق الخارجي فقط، إنّ الوحش هو مخلوق إنساني فرد.

كلوكون: لقد فعلت هكذا.

سقراط: وبعدُ، فالذي يتمسّك بأن هذا المخلوق الإنساني يكون في آنٍ ظالماً وغير مفيدٍ وعادلاً، دعنا نجيبه، أنه إذا ما كان هو محقاً فيما يقول، فَلَكَمْ هي مفيدةٌ لهذا المخلوق كي يولِمَ هذا الوحش المتعدِّد وكي ينشِّط الأسد والنوعيّات المشابهة للأسد فيه. أما إذا جوَّع وأهزل الإنسان الذي هو عرضةٌ من ثمَّ ليكون مجذوباً نحو رحمة كل من الإثنين الآخرين لن يحاول أن يؤالِفها أو يوحِّدها مع بعضها ـ إنه يجب أن يسمح لها بالمعاناة بالأخرى، وأن يحارب أحدها الآخر ويعضه ويلتهمه.

كلوكون: إنّ هذا ما يقوله المصادق على الظلم، بالتأكيد.

سقراط: أما الذي يقول إن العدل نافع فنجيبه أنَّ كُلَّ أحد يجب أن يتكلم أو يفعل هكذا أبداً كإعطاء الإنسان الداخلي السيادة الأكثر تماماً فوق مجمل الجنس البشري، ليتمكن من الحراسة، فوق الوحش المتعدد الرؤوس، كالمزارع الصّالح الذي يحتضن ويزرع النوعيّات اللطيفة، ويمنع البريَّة من النمو. وعند جعله قلب الأسد حليفه، وتوفيقه بين الأجزاء جميعها، في اهتمام مشترك، بعضها مع بعض ، ومع نفسه فإنه سيجتهد ليصون الجميع.

كلوكون: نعم، فإن هذا ما سيقوله تماماً المتمسك بالعدل.

سقراط: وهكذا من كل وجهة نظر، فإنّ المصادق على العدل محقّ ويتكلّم الحقيقة، سواء تكلّم عن اللذة أو الشرف أو المصلحة، وأن الرافض له الذي يأمر بالظلم هو مخطىء وضال وجاهل لذلك الذي يلوم.

كلوكون: نعم، ومن كل وجهة نظر.

سقراط: تعالَ الآن، ودعنا نتعقّل مع الظالم بلطف الذي لا يكون في الخطأ عمداً «السيد الصالح»، سنقول له: «ما رأيك بالأشياء المعبرة أهي نبيلة أو دنيئة؟ أليست الأشياء النبيلة هي تلك التي تُخضِعُ الوحش إلى الإنسان، أو على الأصح

إلى الله في الإنسان؛ والسافلة تلك التي تُخضِعُ الأليف إلى الهمجيّ »؟ إنه يستطيع تفادي قول نعم بصعوبة ـ أيقدر هو بعد الآن؟

كلوكون: ليس إذا كان لديه أيّ اعتبار لرأيي.

سقراط: إذا كانت هذه حقيقة، يمكننا أن نسأل إذن، هل سيُفيد أيّ إنسان استلام الذهب، شرط أن يُستبعد أنبل جزء فيه بالأسوأ؟ بما أن الإنسان إذا باع ابنه أو ابنته للعبوديّة لأجل المال، خاصة إذا باعهما لرجالٍ قساة وأشرار، فلا يمكن لأحد أن يفكّر أنه الرابح، أيّاً كان المبلغ الذي يمكن أن يتلقّاه. أيقدر أي شخص أن يقول بأنه ليس خسيساً وبائساً ذلك الذي يبيع بضمير مّفقود، وجوده الإلهي الخاص لذلك الذي هو ملحد وكافر؟ إن إريفيل أخذت عقداً كثمن لحياة زوجها، لكنه هو يكون آخذاً رشوةً كي يُطوِّق بدمار أسوأ.

كلوكون: نعم، أسوأ ببعد كبير ـ سأجيبُ لحسابه.

سقراط: ألم يُوبَّخ الإفراط منذ القِدَم، إذ بسلوكٍ كهذا قد سُمِحَ للوحش العظيم المتعدد الأشكال أن يكبر في حجمٍ عظيم جداً؟

كلوكون: بجلاء.

سقراط: ويُلام الرّجال لعنادهم وللطّبع السيّىء عندما ينمو العنصر الأسديُّ والثعبانيّ فيهم ويُثار بغير تناسق.

كلوكون: نعم.

سقراط: ويُلام الترف والتنعم لأنّهما يرخيان ويُضعفان هذا المخلوق ذاته ويجعلانه جباناً.

كلوكون: حقاً، يقيناً.

سقراط: أولا يُعيَّر الإنسان للمداهنة والسفالة التي تُتبعُ هذا الحيوان النشيط إلى الوحش المتمرّد وتسكنه في أيّام شبابه ليكون ممرّغاً بالوحل لأجل نهمه الذي لا يمكن إشباعه وتحويله من أسدٍ إلى قرد؟

كلوكون: حقاً.

سقراط: ولماذا تكون التوظيفات السالفة والفنون اليدويَّة عاراً؟ ألأنها تشتمل فقط هكذا ضعفاً طبيعياً للمبدأ الأسمي، ذلك أن الفرد ليس قادراً أن يضبط المخلوقات في داخله، بل عليه أن يتودَّدها، ولا يقدر أن يتعلَّم شيئاً إلا طُرُقَ مصانعتها؟

كلوكون: يبين أن هذا هو السبب.

سقراط: وَلذلك، كوننا راغبين في وضعه تحت حكم شبيه بالأفضل، نقول إنّه يجب عليه أن يكون خادماً للأفضل الذي يحكم الإلهي فيه؛ وغير مفكّرٍ بأنَّ الخادم يجب أن يكون محكوماً لِمَا يُلحِقُ الضرر به، كما فكر ثراسيماخوس .أنّ على كل الرعايا فعل ذلك، بل ينبغي عليه .أن يفعل ما نقول لأنّه من الأفضل لكل شخص أن يُحكم بالحكمة الإلهيَّة الساكنة فيه. وإذا ما كانت هذه مستحيلة، فبسلطة خارجية حينئذ، كي يمكننا أن نكون جميعاً، على قدر الإمكان، أصدقاء ومتساوين تحت ذات القدرة الهادية.

كلوكون: صواب تماماً.

سقراط: ويكون هذا مرئياً بجلاء أنّه قَصْد القانون الذي هو حليف المدينة كلها؛ وإنه لمرئيٌّ أيضاً في السلطة التي نمارسها على الأطفال، ورَفْضُنا أن ندعهم أحراراً حتّى نؤسّس فيهم مبدأ مماثلاً لدستور الدولة، وبتهذيب هذا العنصر الأسمى نكون قد أقمنا في قلوبهم حامياً وحاكماً كالذي يخصّنا، وسنعطيهم حريَّتهم عند إكمالنا لهذا.

كلوكون: نعم، إنّ القصد الجليّ.

سقراط: فمن أيّة وجهة نظر، إذن، وعلى أيّة أرضيَّة نتمكن من القول إنّ الإنسان يربح بالظلم أو الإسراف أو السفالات الأخرى، التي ستجعله إنساناً أردأ، حتى وإن نال المال والسلطان بخبثه؟

كلوكون: ليس من أيّة وجهة نظر على الإطلاق.

سقراط: وماذا سيربح إذا لم يُكتشف ويُعاقب؟ إنّ الذي لم يُكتشف ظلمه سيزداد سوءاً، بينما الذي قد اكتُشِف وعُوقِب قد أُسكِتَ وأُنِّسَ الجزء البهيمي من طبيعته وحرِّر العنصر الألطف فيه، وتكاملت روحه كلها وشَرُفت بحصولها على العدل والإعتدال والحكمة، أكثر بكثير ممّا يتسلّمه الجسم من هدايا الجمال أبداً، كالقوة والصحّة، وفي تناسق، بما أنّ الرّوح شريفة أكثر من الجسد.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وسيكرّس الإنسان ذو الفهم عزيمته في الحياة لهذا الهدف الأنبل. وسيكرّم الدراسات التي ترسم هذه النوعيّات في الروح في المقام الأول، وسيهمل الأخرى.

كلوكون: بوضوح.

سقراط: وسيكون بعيداً كلَّ البعد، في المقام التالي، من أن يأتمن عاداته الجسدية وقوّته إلى ملذاته المتوحّشة وغير العاقلة وأن يعيش ووجهه متطلّع إلى ذلك الإتجاه. وأنه سيعتبر حتى الصحّة وكأنها مسألة ثانويّة تماماً. إنّ هدفه الأول لن يكون بوجوده الوسيم أو القوي أو الحسن، ما لم يحصل ربّما، على الاعتدال بذلك، لكنه سيرغب هكذا دائماً أن يلطِّف الجسم كما يصون تناسب الروح وتناسقها.

كلوكون: سيفعل بالتأكيد، إذا امتلك الموسيقى الحقيقيّة في داخله.

سقراط: ألا يوجد مبدأ للنظام والتناسق الذي سيراقبه في اكتساب الثروة مرّة ثانية؟ إنّه لن يسمح لنفسه أن يُخطف بصرُه بالتهليل الغبي للشر، ويكوِّم الثروة لأذيته الخاصة اللاّمحدودة.

كلوكون: لا أعتقد ذلك.

سقراط: إنه سينظر إلى المدينة التي في داخله ليمنع حدوث الفوضى فيه، كتلك التي يمكن أن تنشأ من البحبوحة أو من العَوَز؛ وسينظِّم ممتلكاته وربحه على هذا الأساس أو ينفق في مطابقة مع دخله.

كلوكون: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وللسبب عينه، فإنه سيتقبَّل بحبور ويستمع بشرفٍ لما يجعله إنساناً أفضل على الأصحّ؛ وسيتفادى تلك الأشياء التي يُحتمل أن تخلق الفوضى في حياته، سواء منها، ما هو خاصٌّ أو عامٌّ.

كلوكون: إذا لم تكن هذه بواعثه، فلن يكون رجل دولة.

سقراط: بكلب مصر، إنه سيفعل! سيفعل في مدينته الخاصّة به بالتأكيد، ولربما ليس في أرض ميلاده، ما لم يتلقَّ دعوة إلهيّة.

كلوكون: أفهم؛ تعني أنّه سيكون حاكماً في المدينة التي نكون نحن مؤسيسها، والتي توجد في الفكرة فقط؛ لأنّني لا أعتقد أنه يوجد واحدة كتلك في أيّ مكان على الأرض.

سقراط: لكن لربّما، أنها مبسوطة كمثال في السماء، والذي يرغب يمكنه أن يراها، وبرؤيتها يمكنه أن يركِّز بيته الخاصّ في نظام. لكن سواء أوُجدَت مدينة كهذه أو ستوجد في الحقيقة أبداً، فليست بمسألةٍ ذات أهميّة لأنه سيحيا على غرار تلك المدينة وليس لديه فعل أيّ شيء مع أيّة مدينة أخرى.

كلوكون: أعتقد هكذا.

الكتاب العاشر

أفكار الكتاب الرئيسيَّة

١ ـ نقد الشعر المأساوي المقلّد لأنّه أسوأ أنواع الشعر، فهو مخرّب لفهم المستمعين، ما لم يمتلك فهم الطبيعة الحقيقيّة للشعر الأصلي كترياق ضد السموم.

٢ ـ نقد هوميروس وشعره المأساوي المقلّد. فهو أمير شعراء المأساة.

٣ ـ بما أن شعر المأساة مقلّد فإنّه مبعد ثلاث مرّات من الحقيقة.

٤ ـ الله هو الصانع الحقيقي لكل شيء، ويقلّده الآخرون.

٥ ـ نقد الرسم اليدوي فهو عمل مقلّدٌ أيضاً، والرسّام اليدويّ خالق مظاهر فقط.

٦ ـ لنسأل، أيّ عمل جليل قام به هوميروس شاعر المأساة وقائدها، هل منح الصحّة للجنس البشري وترك وراءه مدرسة طب كأسكليبيوس؟ أو هل وضع أي قانون يخدم الحرب، الإستراتيجيّة، وإدارة الدول كليغاركس؟ أو هل كان مشرّعاً كصولون؟ أو هل أدخل تحسينات على الفنون كطاليس وغيره؟ وهل كان هو مرشداً أو معلّماً وله طريقة علم خاصة كفيثاغوروس، وأسّس مدرسة فكريّة شبيهة بالفيثاغوريّة؟ باختصار، إنه لا يعرف شيئاً عن الوجود الحقيقي، إنّه مقلّد.

٧ ـ تقسم الفنون إلى ثلاثة أقسام، الأول الذي يستعمل، الثاني الذي يصنع، والثالث الذي يقلّد. أما الأول فهو الأهم والأسمى، لأنه يعرف.

٨ ـ التقليد ما هو إلاّ نوعٌ من اللعب أو الرياضة.

٩ ـ إن ما ينقذ الفهم الإنسانيّ من كل الشعوذات التي تفرضها عليه تلك الآراء، هو المبدأ الحسابي في الروح، وفنون القياس والأرقام والأوزان.

١٠ ـ تأثير الشعر المأساوي على الأخيار وعلى الجنس البشري بشكل عام. إنه

يطعم ويسقي الشهوات بدل أن يجففها، ويدعها تتحكم بالروح، بدل أن يضبطها، وبذلك تزدادُ سعادة وفضيلة.

١١ ـ كما أنّ لكل فن أصيل غاية نبيلة وهي كماله، لذلك فالشعر له غاية نبيلة وكاملة، والشعر الوحيد المسموح به في جمهوريتنا الفاضلة هي الترانيم للآلهة والثناءات على الرجال المشاهير ذوي الفضيلة، وإنه لعمل نبيل في غايته وهدفه.

١٢ ـ إن القضيّة كلّها في خطر عظيم، إنها صلاح أو فساد الإنسان، وهل سيربح أي واحد منّا أيّ شيء إذا أهمل العدل والفضيلة، تحت تأثير الشّرف أو المال أو القوّة، أو تحت تأثير نشوة الشّعر.

١٣ ـ الإنسان روح وجسد، والجسد ذلك المركّب يمكن تحليله وتدميره كما تفسد كل المركبّات بعوامل عدّة، والمرض يمكن أن يحلّل الجسد المركّب.

١٤ ـ الروح، ذلك الجوهر البسيط الأزلي، خالدة، ولا أحد يستطيع تدميرها، لا الشرّ ولا عوامل الكون والفساد ولا أية عوامل أخرى، بل هي باقية إلى الأبد.

١٥ ـ بما أنّ الأرواح خالدة، فالاستنتاج الحقيقي أنّها هي نفسها على الدوام، لأنه إذا لم يكن أحدها مدمّراً فلن تنقص في العدد، لا ولن تزيد، لأن آزدياد الطبائع الخالدة يجب أن يأتي من شيء فان. وهكذا فكل شيء سينتهي في الخلود، وهذا محال.

١٦ ـ تُعرف الروح بعشقها للحكمة، وما العدل إلاّ تاجها وطبيعتها، والعدل يمنحها البركات التي تأتي من الحقيقة والآلهة. عندها يصبح الإنسان شبيهاً بالله، حسب طاقته الإنسانيّة.

١٧ ـ هناك عقاب للظّلم والظالمين وثواب للعدل والعادلين بكل تأكيد.

الكتاب العاشر

سقراط: لا تسرني سعادة واحدة من بين السعادات المتعددة التي أتصورها في نظام دولتنا، حين التأمل فيها، أفضل من قانون الشعر.

كلوكون: إلامَ تشير؟

سقراط: إلى رفضنا أن نقبل نوع الشعر المقلِّد، لأنه يجب ألاّ يُتسلَّم بالتّأكيد ولأنني أرى الآن بوضوح أن أكثر أجزاء الروح قد تمَّ تمييزها.

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: متكلِّماً بكل ثقة، أنّك لن تشهِّر بي أمام شعراء المأساة والقبيلة المقلِّدة الباقية، أقول إنّ كلّ التقليد الشعريّ هو مخرِّب لفهم المستمعين، ما لم يمتلك فهم الطبيعة الحقيقيّة للشعر الأصلي كترياق ضد السموم.

كلوكون: أوضح ما ترمي له إشارتك.

سقراط: حسناً، سأخبرك. أنني أمتلك مهابة وحبّاً لهوميروس منذ سني صباي وذلك يجعل كلماتي تتلعثم على شفتيّ حتى الآن، ولأنه يظهر القائد العظيم والمعلم لكل تلك الشركة المأساويّة النبيلة، لكن على الإنسان ألاّ يكون مُبجّلاً أكثر من الحقيقة، لذلك سأتكلّم بصوت عالٍ.

كلوكون: جيّد جدّاً.

سقراط: إستمع إليّ إذن، أو أجبني، على الأصح.

كلوكون: إطرح سؤالك.

سقراط: هل تستطيع أن تعطيني تعريفاً عامّاً للتقليد؟ لأنّني لا أعرف ما هو حقاً.

كلوكون: إنْ كان عليّ أن أعرف، فشيء محتمل، إذن.

سقراط: إنه لا يوجد شيء غريب في ذلك، لأن تتمكّن العين الكليلة أن ترى الشيء غالباً أسرع من العين الثاقبة.

كلوكون: حقيقي تماماً، لكنّني لا أقدر أن أستجمع شجاعة كي أنطق في حضر ك، حتّى إذا كان لديَّ فكرة خافتة. ألا تستقصي ذلك بنفسك؟

سقراط: حسناً إذن! هل سنبدأ البحث في هذه النقطة الرئيسيَّة، متتبعين طريقنا المعتادة؟ عندما تمتلك مجموعة من الأفراد إسماً مشتركاً، نفترض أنها تُوجِدُ فكرة أو شكلاً مماثلاً. هل تفهمني؟

كلوكون: أفعل.

سقراط: دعنا تأخذ، لأجل غرضنا الحاضر أي مثال لمجموعة كهذه. توجد أسِرَّة وطاولات في العالم ـ العديد منهما، ألس كذلك؟

كلوكون: حقاً.

سقراط: ويصنع صانع كل منها سريراً أو طاولة لاستعمالنا، في تطابق مع المثال ـ تلك هي طريقتنا للكلام عن هذا وعن حالات مماثلة ـ لكن لا يمكن للصناعي صنع المثال ذاته. كيف يمكنه؟

كلوكون: مستحيل.

سقراط: ويوجد صانع آخر أحب أن أعرف بماذا ستقول عنه.

كلوكون: من هو؟

سقراط: واحدٌ هو صانع كلّ أعمال العمّال الآخرين.

كلوكون: يا له من إنسان غير عادي!

سقراط: إنتظر قليلاً، وسيوجد سبب أكثر لقولك هذا. إنّ هذا هو الصانع الماهر الذي يكون قادراً أن يصنع ليس كلّ أنواع الأثاث فقط، بل كل ما ينبت في الأرض، وكل المخلوقات الحيَّة، شاملاً نفسه؛ ويستطيع أن يصنع بجانب هذه الأرض والسماء، الآلهة وكل الأشياء التي في السماء أو في حيِّز الهاوية تحت الأرض.

كلوكون: يجب أن يكون ساحراً، ولا خطأ.

سقراط: أوه! إنّك لمرتاب، هل أنت كذلك؟ هل تعني أنه لا يوجد هكذا صانع أو خالق، أو أنه يمكن أن يوجد صانع لكل هذه في معنى واحد، لكن في معنى آخر فلا؟ هل ترى أنّ هناك طريقة تستطيع بواسطتها أن تصنعها أنت بنفسك؟

كلوكون: وما هي تلك الطريقة؟

سقراط: طريقة سهلة بما فيه الكفاية؛ أو على الأصح هناك عدة طرائق يمكن بواسطتها للعمل الباهر أن يُنجز بسرعة وسهولة، ولا واحدة أسرع من إدارة مرآة دُائر مَدَار - إنّك ستصنع الشمس والسماوات قريباً وبما فيه الكفاية، والأرض ونفسك، والحيوانات الأخرى والنبات، والأثاث وكل الأشياء الأخرى التي كنّا قد تكلّمنا عنها، ستصنعها في المرآة.

كلوكون: نعم، لكنّها ستكون مظاهر فقط.

سقراط: جيّد جدّاً. إنك لواصل إلى النقطة الرئيسيّة الآن. وإن الرسّام اليدوي هو أيضاً، كما أتصوّر، آخر مثال لهذا تماماً، إنه خالق مظاهر. ألا يكون هو؟

كلوكون: طبعاً.

سقراط: غير أنّني أفترض إذن أنّك ستقول بأن ما يخلقه هو كاذب، ومع ذلك يوجد معنى في السرير الذي يخترعه الرسّام اليدويّ أيضاً؟ ألا يوجد؟

كلوكون: نعم، لكنه هنا مظهرٌ فقط، للمرّة الثانية.

سقراط: وماذا عن صانع السرير؟ ألم تقل إنه يصنع أيضاً، ليس المثال الذي هو الغرض الحقيقيّ المشار إليه بكلمة سرير طبقاً لوجهة نظرنا، بل سرير خاص فقط؟

كلوكون: نعم، فعلت.

سقراط: وإذا كان لا يصنع هو الغرض الحقيقي إذن فلا يمكنه أن يصنع ما يكون،

لكن بعض الشَبَه للوجود فقط. وإذا كان أي شخص سيقول إن عمل صانع السرير أو أي عمل آخر، يمتلك وجوداً حقيقياً، فإنه سيفترض بصعوبة أن يتكلم بصدق.

كلوكون: ليس على الأقل، في تصوّر أولئك الذين يخلقون عملاً من تلك المناقشات.

سقراط: ليس غريباً، إذن، أن يكون عمله تعبيراً مُبهماً للحقيقة أيضاً.

كلوكون: ليس عجيباً.

سقراط: إفترض أنّنا سنتساءَل من يكون هذا المقلِّد الآن، على ضوء الأمثلة المقدَّمة لتوّنا؟

كلوكون: من فضلك.

سقراط: حسناً إذن، إنّنا نجد ثلاثة أسِرَّةٍ هنا واحد موجود في الطبيعة، هو صنع الله، وبإمكاننا قول ذلك - إذ لا أحد إلاّه يمكنه أن يكون الصانع.

كلوكون: أعتقد، أن لا أحد إلاّه.

سقراط: هناك سرير آخر هو من عمل النجّار.

كلوكون: نعم.

سقراط: وعمل الرسّام اليدوي هو الثالث.

كلوكون: نعم.

سقراط: فتكون الأسِرَّة ثلاثة أنواع إذن، ويوجد ثلاثة فنانين يشرفون عليها: الله، صانع السرير، والرسّام اليدوي.

كلوكون: نعم، يوجد ثلاثة منهم.

سقراط: الله، صنع سريراً واحداً في الطبيعة، سواء من الاختيار أو من الضّرورة، وإثنان أو أكثر لهكذا أسِرَّة إمّا لم تكن أبداً أو أنها لم يصنعها الله.

كلوكون: لِمَ هو ذلك؟

سقراط: لأنه حتى لو لم يكن قد صنع إلا إثنين، سيبقى الثالث يظهر خلفها والتي قد امتلكتِ كلاها شكله ثانيةً، ذلك سيكون السرير الحقيقي وليس الإثنان الآخران.

كلوكون: حقاً، يقيناً.

سقراط: الله عرف، أفترض ذلك، ورغب أن يكون الصانع الحقيقي لسريرٍ حقيقي، وليس نوعاً من الصانع لنوع من السرير. ولذلك فهو خلق سريراً، هو واحد فقط بالجوهر وبالطبيعة.

كلوكون: يظهر هكذا.

سقراط: هل سنتكلم عنه إذن كالمنشىء الطبيعي أو صانع السرير؟

كلوكون: نعم، إنه المنشىء لهذا ولكل الأشياء الأخرى بسبب العمليَّة الطبيعية للإبداع.

سقراط: وماذا سنقول عن النجّار؟ أليس هو صانع سريرٍ أيضاً؟

كلوكون: نعم.

سقراط: لكن هل ستسمّي الرسّام اليدويّ مبدعاً أو صانعاً؟

كلوكون: لا بالتأكيد.

سقراط: إذا لم يكن هو صانعاً مع ذلك، فماذا سيكون بالنسبة للسرير؟

كلوكون: أعتقد، أنّه يمكننا أن نسمّيه مقلِّداً لذلك الذي يصنعه الآخرون.

سقراط: جيد، تسميِّهِ مقلِّداً من يكون إنتاجه ثالثاً في النزول من الطبيعة.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وهكذا إذا كان شاعر المأساة مقلِّداً، فإنه يكون مبعداً ثلاثاً من الملك ومن الحقيقة أيضاً. وهكذا هم كل المقلّدين الآخرين.

كلوكون: يظهر ذلك.

سقراط: إنّنا قد اتفقنا بشأن المقلِّد إذن. ماذا عن الرسّام اليدوي؟ هل تعتقد أنّه

يحاول أن يقلِّد في كل حالة ذلك الذي يوجد بأصالة في الطبيعة، أو ما أبدع الصانع فقط؟

كلوكون: الآخر.

سقراط: كما تكون هي أو تظهر. يبقى عليك أن تقرِّر هذا.

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: أعني هل يصبح السرير مختلفاً بالحقيقة عندما يُرى من وجهات نظرٍ مختلفة، مائلاً أو رأسياً أو من أية وجهة نظر أخرى؟ أو هو يظهر مختلفاً ببساطة، بدون أن يكون هكذا بالحقيقة. والشيء عينه بالنسبة لكل الأشياء.

كلوكون: نعم، فالمختلف هو البيِّن فقط.

سقراط: دعني أسألك سؤالاً آخر الآن؟ هل فن الرسم باليد مصمَّم ليكون تقليداً للأشياء كما هي، أو كما تظهر ـ للمظهر أو للحقيقة؟

كلوكون: للمظهر.

سقراط: إذن فإنّ المقلِّد مبعدٌ من الحقيقة بطريق طويل، ويستطيع أن يستخرج نسخة عن كل الأشياء لأنّه يقرب على جزء صغير منها برشاقة، وذلك الجزء هو صورة. كمثل: سيرسم الرسّام اليدوي صانع أحذية، نجّاراً، أو أيّ صانع آخر، مع أنه لا يعرف شيئاً عن فنِّهم. وإذا كان رسّاماً بارعاً، يمكنه أن يخدع الأطفال والأشخاص البسطاء عندما يريهم رسمه للنجّار من مسافة وسيتوهمون أنهم يرون نجّاراً حقيقيّاً.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وبالتأكيد، يا صديقي العزيز، ستكون هذه كيفيّة اعتبارنا لكل تلك الادّعاءات. عندما يخبرنا أيٌّ واحد أنّه قد وجد الإنسان الذي يعرف كل الفنون، وكل الأشياء الأخرى التي يعرفها أيٌّ شخص، وكل شيء فردٍ بدرجة من الدقّة أعلى مما يعرفها أيٌّ إنسان آخر ـ أعتقد أنّنا نستطيع أن نردّ

بحسم، على كل ما يخبرنا هذا، أنه يكون مخلوقاً بسيطاً ذلك الذي يظهر أنّه قد خُدِعَ بساحرٍ أو مقلِّدٍ ما ممَّن قابل، وممّن أعتقد أنه كلٌّ عارف، لأنّه لم يكن هو نفسه قادراً أن يحلِّل طبيعة المعرفة والجهل والتقليد.

كلوكون: الأكثر حقيقة.

سقراط: وعلينا أن نعتبر تالياً المأساة وقائدها، هوميروس؛ لأنّنا نسمع بعض الأشخاص يقولون، إن هؤلاء الشعراء يعرفون كل الفنون؛ وكل شيء إنسانيّ؛ حيث تكون الفضيلة والرّذيلة معنيّتين، وحقاً كل الأشياء الإلهيّة أيضاً، لأنّ الشاعر الكفؤ لا يستطيع أن ينظّم ما لم يعرف موضوعه. ومن لا يمتلك هذه المعرفة لا يمكنه أن يكون شاعراً أبداً. علينا أن نعتبر أيضاً ما إذا وُجد هنا إمكان توهم مُشَابِه. لربّما التقوا المقلدين بالصدفة وخُدعوا بهم؛ وربّما لم يتذكروا عندما رأوا عملهم أنّهم كانوا مبعدين ثلاث مرّات من الحقيقة، ولقد تمّ صنعها بسهولة وبدون أية معرفة للحقيقة لأنّها مظاهر فقط وليست حقيقيّة. أو مع ذلك، يمكنها أن تكون في الحقّ، والشعراء الصالحون يعرفون بحقّ الأشياء التي يظهر للعديد أنّهم يتكلّمون عنها جيداً هكذا.

كلوكون: يجب أن نعتبر السؤال، بكلِّ تأكيد.

سقراط: هل تفترض الآن أنه إذا كان شخص قادراً أن يصنع الأصل بالإضافة إلى النسخة، هل تفترض أنّه سيكرّس نفسه بجديّة لفرع صانع النّسخة؟ هل يسمح للتقليد أن يكون المبدأ الحاكم في حياته، كأنه لا يمتلك شيئاً أسمى فيه؟

كلوكون: عليّ أن أقول لا.

سقراط: لكنّ الفنان الحقيقي، الذي لديه معرفة حقيقيّة عن تلك الأشياء التي اختار تقليدها أيضاً، سيكون مهتمّاً في الحقائق وليس في التزييفات، وسيرغب أن يترك أعمالاً جميلة وعديدة كذكرى لنفسه. وبدلاً من أن يكون مؤلِّفاً للمدائح، سيفضِّل أن يكون موضوعها.

كلوكون: نعم، سيكون ذلك له مصدر الشرف وفائدة أعظم بكثير.

كلوكون: دعنا نحجم الآن عن إستدعاء هوميروس أو أي شاعر آخر للحساب فيما يتعلق بتلك الفنون التي تشير إليها قصائده بالعَرَض. لن نسألهم، ما إذا كان أيّ شاعر بينهم طبيباً وليس مجرد مقلد للغة الطب. أي مرضى قد أعاد الشاعر الصحّة لهم، قديماً وحديثاً، كما فعل أسكليبيوس. وأيُّ رفاق في الطبّ قد ترك الشاعر خلفه كالأسكليبيوديين. لا ولن نطرح عليهم السؤال عينه حول الفنون الأخرى. لكن لنا الحقّ أن نعرف فيما يخص الحرب، الاستراتيجيّة، إدارة الدُّول بعدل. سنقول له حينئذٍ: « أيها الصديق هوميروس، إذا كنت أنت في المكان الثاني بُعداً من الحقيقة فيما تقوله عن الفضيلة »، وليس في الثالث ـ ليس صانع نسخة، أي مقلِّداً ـ وإذا ما كنت قادراً أن تُميّز أيّة مهنة تجعل الإنسان أفضل أو أسوأ في الحياة الخاصة والعامة، أخبرنا ما الدولة التي كانت محكومة أبداً أفضل بمساعدتك؟ إن النّظام الصحيح لإسبرطة ناشىء عن ليغاركس، والعديد من الدول الأُخرى الكبيرة والصغيرة، قد استفادت من الآخرين بشكل مماثل. لكن من يقول إنّك كنت مشرّعاً بارعاً لها، وإنك صنعت لها أي خير؟ إن إيطاليا وصقلّية تفتخران بتشاروندا‌س، ويوجد صولون الذي يشتهر بيننا؛ لكن أيّة مدينة عندها أي شيء لتقوله عنك؟ أتوجد أية مدينة يمكنه تسميتها؟

كلوكون: أعتقد أنه لا يوجد، ولا يمكن للهوميريّين أنفسهم أن يتظاهروا أنّ هوميروس كان مشرّعاً.

سقراط: حسناً، لكن أتوجد أيّة حرب مدوَّنة تواصلت بنجاح بسبب قيادته أو مشورته؟

كلوكون: لا توجد.

سقراط: أو أيوجد أي شيء ليُقارن بتلك التحسينات البارعة في الفنون، أو في

العمليّات الأخرى التي قيل إنها أحق للرجال ذوي العبقرية العمليّة كطاليس الميليسيان أو أناتشارسيس السيكثي؟

كلوكون: لا يوجد شيء من هذا النوع بالمطلق.

سقراط: لكن، إذا لم يؤدِّ هوميروس أيّة خدمة عامة، فهل كان مرشداً أو معلّماً لأي شيء بشكل خاص؟ وهل كان لديه أصدقاء في حياته، أحبّوا أن يصادقوه وسلّموا طريقة حياة هوميريّة للأجيال القادمة كلها، كتلك التي وطّدها فيثاغوراس الذي كان محبوباً لهذا السبب بشكل خاص، والذي ما يزال رفاقه حتى هذه الأيام رائعين بين الآخرين بما يسمّونه طريقة الحياة الفيثاغوريّة؟

كلوكون: لا شيء من هذا النوع مُدوَّنٌ عن هوميروس. فالمؤكّد، يا سقراط، أن كريوفيلوس، رفيق هوميروس، ذلك الطفل الجسدي الذي يجعلنا إسمه نستغرق في الضحك دائماً، ويمكن أن يكون أكثر سخرية لعَوَزِهِ للتربية، إذا ما كان الذي قيل عنه صحيحاً، فإنه أهمل هوميروس عندما كان لا يزال حيّاً في أيامه بشكل كبير.

سقراط: نعم، ذلك هو العُرف. لكن أتقدرُ أن تتصوَّر، يا كلوكون، أنّه إذا ما كان هوميروس قادراً أن يعلِّم ويحسِّن الجنس البشريّ - إذا ما كان قادراً على المعرفة ولم يكن مجرّد مقلّد - أتقدر أن تتصوَّر أنه لم يكن بإمكانه أن يجتذب أتباعاً عديدين، كرّموه وأحبّوه؟ إن بروتاغوراس الأبديري، وبروديكوس السيوسي، وجمهرة من الآخرين، إحتاجوا لأن يهمسوا إلى معاصريهم فقط: « إنّك لن تكون قادراً أن تدير لا بيتك الخاص ولا شؤون دولتك ما لم تعيننا وزراء للتّعليم » - وهذه الوسيلة الإبداعيّة لهم كان لها تأثير في جعل الرّجال يحبّونهم، بل قد قام رفاقهم جميعاً بحملهم على أكتافهم. إنه لمن الممكن أن نتصور أن معاصري هوميروس، أو هيسيود ثانية،

قد سمحوا لكل منهما أن يتجوّل كراوٍ محترف للقصائد الملحميّة، إذا ما كانا قادِرين حقاً أن يساعدا الجنس البشري على التقدم إلى الأمام في ممارسة الفضيلة. ألن يجعلوهما كذلك، غير مريدين الانفصال عنهما كما حدوث الانفصال من الذهب، وأنهم قد ألزموهما لأن يبقيا في البيت معهم؟ أو إذا لم يبقَ السيّد، حينئذ، سوف يتبعه المريدون في كل مكان يطوف فيه، حتّى يحصلوا على ما يكفيهم من التعليم جميعاً.

كلوكون: نعم، يا سقراط، أعتقد أنّ ذلك هو حقّ تماماً.

سقراط: ألا يجب أن نستنتج إذن، أنّ كل هؤلاء الأفراد الشعريّين، مبتدئين بهوميروس، هم مقلّدون فقط، ينسخون صوراً عن الفضيلة، وأن موضوعاتهم الأخرى عن الشعر لديها كلُّ شيء ما عدا الصّلة بالحقيقة؟ إنّ الشارع لشبيه بالرسّام اليدوي الذي، كما لاحظنا سابقاً، سيصنع ما هو شبيه للإسكافي، مع أنه لا يفهم شيئاً عن الأسكفة، وأنّ رسمه واقعي فقط لأولئك الذين لا يعرفون أكثر ممّا يعرفه هو، ويحكم بالألوان والأشكال فقط.

كلوكون: هكذا تماماً.

سقراط: وفي أسلوب مماثل فإنّ الشاعر بكلماته وشبه جُمَلِهِ يمكن أن يقال إنه يَمدُّ الفنون المتعددة بالألوان، وهو نفسه يفهم طبيعتها بما فيه الكفاية لكي يقلّدها فقط؛ وإنّ الناس الآخرين، الذين يكونون جهلة مثله، ويحكم بكلماته فقط، يتصوّر أنّه إذا تكلّم عن الأسكفّة، أو عن التكتيك العسكري، أو عن أيّ شيء آخر، في البحر والإيقاع والوزن الشعري، فهو يتكلّم بجمال تام. هكذا يكون التأثير الحلو الذي لدى اللحن والإيقاع بالطبيعة. إنني متأكد أنّك تعرف أيَّ مظهر فقير هي أعمال الشعر عندما تُنزع عنها الألوان الموضوعة عليها.

كلوكون: نعم.

سقراطُ: إنها كالوجوه التي لم تكن قطعاً جميلة حقاً، بل نضرة فقط، وتُرى عندما تضمحلُّ نضارة الشباب منها.

كلوكون: بالضبط.

سقراط: تعالَ الآن، وراقب هذه النقطة الرئيسيّة. لقد قلنا إن المقلِّد أو صانع الصور لا يعرفُ شيئاً عن الوجود الحقيقي؛ إنه يعرف المظاهر فقط. ألستُ محقّاً فيما أقول؟

كلوكون: بلى.

سقراط: دعنا نمتلك فهماً صافياً إذن، وأن لا نقتنع بتفسير نصفي.

كلوكوّن: تقدّم.

سقراط: نقول نحن عن الرسّام اليدوي إنّه سيرسم أعِنَّةً، وسيرسم شكيمة.

كلوكون: نعم.

سقراط: وسيصنعها العامل من الجلد والنحاس الأصفر.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: لكن هل يعرف الرسّام اليدوي الشكل الحقيقي للشكائم والأعِنَّة؟ لا، حتى العاملون في النحاس الأصفر والجلد الذينِ يصنعونها بالكاد يعرفونها. إنّ الذي يعرف كيف يستعملها هو سائس الخيل فقط ـ هو يعرف شكلها الحقيقي.

كلوكون: الأكثر حقيقة.

سقراط: ألا يمكننا أن نقول الشّيء عينه عن كلِّ الأشياء؟

كلوكون: ماذا؟

سقراط: هناك ثلاثة فنون هي المختصة بكل الأشياء: الأول الذي يستعمل، الثاني الذي يصنع، الثالث الذي يقلّدها؟

كلوكون: نعم.

سقراط: والميزة والجمال والحق في كل بنية، حيّة أو ميتة، وفي كل عمل للإنسان، تكون نسبيّة إلى الاستعمال الذي قصدته بها الطبيعة أو الفنان فحسب.

كلوكون: حقاً.

سقراط: إنّ المستعمِل لها هو الذي يمتلك الخبرة الأعظم بدون شك إذن، ويجب أن يكتب تقريراً إلى الصانع بالنّوعية الجيّدة أو الرديئة التي تظهر نفسها في الإستعمال. وكمثال، إنّ لاعب الناي سيخبر صانعه أي ناياته هو المقنع لمؤدّي العمل الموسيقي؛ سيخبره كيف يجب أن يصنعها، وسيُعنى الآخرون بتعليماته.

كلوكون: طبعاً.

سقراط: وهكذا ينطق بالحكم واحدٌ يعرف بجودة. ورداءَة النايات، بينما الآخر، واثقاً فيه، سيصنعها طبقاً لذلك.

كلوكون: حقاً.

سقراط: إن الأداة هي نفسها، لكن فيما يخص الجودة أو رداءَتها فالصّانع لديه الاعتقاد الصحيح، بما أنه يرافق الواحد الذي يعرف، وإنه لَمُلْزَمٌ أن يستمع لما يقوله، بينما سيمتلك المستعمل المعرفة.

كلوكون: صدقاً.

سقراط: لكن هل سيمتلك المقلّد أحدهما؟ هل سيعرف ما إذا كان ذلك الذي يرسمه صحيحاً أو جميلاً عند الاستعمال؟ أو هل سيمتلك رأياً صحيحاً مَنْ يكون مُلزَماً أن يترافق مع الآخر الذي يعرف، وأن يعطيه التعليمات بشأن ما يجب أن يرسم؟

كلوكون: ولا واحد من الإثنين.

سقراط: المقلّد لن يمتلك الرأي الصحيح بعد الآن إذن بأكثر مما سيمتلك المعرفة بخصوص سلامة ورداءَة نماذجه.

كلوكون: أفترض أنّه لا يمتلكهما.

سقراط: سيكون الشاعر المقلّد في حالة متألّقة من الذكاء بشأن موضوع قصيدته.

كلوكون: لا، العكس تماماً.

سقراط: ويبقى أنّه سيستمر مقلّداً بدون معرفة ما الذي يجعل الشيء سليماً أو رديئاً. ويمكن بناء على ذلك، أن يقلّد فقط ذلك الذي يظهر سليماً للأكثرية الجاهلة.

كلوكون: هكذا تماماً.

سقراط: نحن متفقون بشكل حسن لهذا الحد إذن: إنّ المقلّد ليس لديه معرفة تستحقُّ الذكر لِمَا يقلّده. إنّ التقليد هو نوع من اللعب أو الرياضة. وشعراء المأساة، سواء أكانوا يكتبون في شعر عمبقي أو بطولي، فما هم إلاّ مقلدون من أعلى الدرجات.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: وأخبرني الآن، إنّني أستحلفك، هل هذا التقليد مختصٌّ بغرضٍ هو مبعد ثلاث مرّات من الحقيقة؟

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: وما هو نوع الطاقة في الإنسان التي يجعلها التقليد التماسه الخاص؟

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: سأشرح ذلك: إنّ الجسم عينه لا يظهر متساوياً لنظرنا عندما يُرى من قرب وعندما يُرى من بُعد.

كلوكون: حقاً.

سقراط: وتظهر الأهداف نفسها مستقيمة عندما تُرقب خارج الماء ومعوجّة عندما تكون في الماء؛ وتصبح المجوّفة مُحدَّبة، وذلك ناشيء عن الوهم بشأن الألوان التي يكون النّظر عرضةً لها. هكذا يكون كل نوع من أنواع الالتباس مُعلناً

في داخلنا. وهذا هو ضعف العقل الإنسانيّ الذي يفرضه عليه فنّ الرسم اليدوي في النور والظلم. فالشعوذة عينها، والوسائل الذكيّة العديدة الأخرى، لديها تأثير علينا كالسّحر.

كلوكون: حقاً.

سقراط: وتأتي فنون القياس والأعداد والأوزان إلى إنقاذ الفهم الإنساني. فالجمال لها، وتكون النتيجة أنه لا ظاهرة الأكبر أو الأقل، أو الأكثر أو الأثقل، لديها السّيادة فوقنا بعد اليوم، بل ينفتح الطريق أمام قوة الحساب والقياس والوزن.

كلوكون: الأكثر حقيقة.

سقراط: وهذا يجب أن يكون عمل المبدأ الحسابي والعقلي في الروح، بالتأكيد.

كلوكون: لتكن متأكّداً.

سقراط: وعندما يقيس ويؤكّد هذا المبدأ أنّ بعض الأشياء متساوية غالباً، وأنّ البعض هو أكبر أو أقلّ من الآخر، فإنّه تكون مُناقَضَة بالمظهر الذي توجده الأغراض في الوقت عينه.

كلوكون: حقاً.

سقراط: غير أننا لم نقل أن هكذا تناقضاً يكون مستحيلاً. فالقوة العقلية عينها لا يمكنها امتلاك آراء متناقضة بشأن الشيء عينه في الوقت عينه.

كلوكون: لقد قلنا، وبحقّ.

سقراط: إذن، فذلك الجزء للروح الذي يمتلك رأياً مناقضاً للقياس لا ُ يمكنه أن يكون ذاته مع ذلك الذي لديه رأي في مطابقة مع القياس.

كلوكون: حقّاً.

سقراط: وجزء الروح الذي يثق بالقياس والحساب فهو الجزء الأفضل على الأصح.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: ولهذا السبب فذلك الذي يكون مضاداً لهذا محتمل أنه مبدأ دونيّ في الطبيعة.

كلوكون: لا شكّ.

سقراط: كانت هذه هي النتيجة التي قصدت أن أصل لها عندما قلت إن الرسم اليدوي أو الرسم، والتقليد بشكل عام، هو مرتبط بنتاج يكون مبعداً من الحقيقة بشكل قصيّ. وهذه النتيجة هي أيضاً من رفاق وأصدقاء وعشراء المبدأ الذي يكون في داخلنا مبعداً من العقل بالتساوي، وأنّها لا تمتلك أيّ هدف صحّي أو حقيقي.

كلوكون: بالضبط.

سقراط: إن الفنّ التقليديّ هو فنّ دونيّ، ومن مخالطته بالدون أنجب ذريَّةً دونيَّة.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: وهل يكون هذا مقتصراً على النظر فقط، أو أنّه يمتد إلى السمع أيضاً، منتسباً إلى ما نسمّيه شعراً في الحقيقة؟

كلوكون: من المحتمل أن يكون الشيء نفسه حقيقياً عن الشعر.

سقراط: لا تعتمد على الاحتمال المشتق من قياس التمثيل للرسم باليد؛ بل دعنا، مرّة ثانية، نذهب رأساً إلى تلك القدرة للعقل التي تباحث الشعر التقليدي معها، وانظر إذا كانت سليمة أو سيئة.

كلوكون؛ بكل تأكيد.

سقراط: يمكننا أن نطرح السؤال هكذا: يقلد التقليد عمل الرجال، سواء كان إراديًّاً أو لا إراديًّاً، الذي قد نجمت عنه نتيجة سليمة أو سيّئة، كما يتصوّرون، وهم يُطربون أو يحزنون طبقاً لذلك. أيوجد أي شيء أكثر؟

كلوكون: لا، ليس هناك أيُّ شيء آخر.

سقراط: لكن أيكون الإنسان في كل هذه الحالات المتنوعة في وحدة مع نفسه ـ أو على الأصح، كما لو وُجد ارتباك وتضادٌّ في آرائه بشأن الأشياء عينها، أو أنه لا يوجد هنا هكذا نزاع وتباين في حياته؟ وأحتاج مع ذلك إلى رفع

السؤال مرّة ثانيةً بصعوبة، لأنّني أتذكّر أنّ كل هذا قد قُبِلَ به؛ ولقد اعترفنا أن الروح ممتلئة بتلك المتناقضات كلّها ومن عشرات آلاف المتناقضات التي تحدث في اللحظة عينها.

كلوكون: وكنّا محقّين.

سقراط: نعم، كنّا محقّين إلى هذا الحد؛ لكن كان هناك حذف هو الذي يجب إيراده الآن.

كلوكون: ماذا كان الحذف؟

سقراط: ألم نقل بأن الإنسان الصّالح الذي تحلُّ به نائبة كفقد إبنه أو أي شيء آخر هو الأعز لديه، سيتحمّل المصاب برباطة جأش أكثر من الآخر؟

كلوكون: نعم، حقاً.

سقراط: لكن ألن يأسف، أو سنقول إنه وإن كان لا يقدر إلاّ أن يأسف، فهو سيعدِّل حزنه؟

كلوكون: إنّ التقرير الأخير هو الأحق.

سقراط: أخبرني: هل سيكون محتملاً أن يكافح ويقاوم حزنه عندما يراه الناظر إليه، أو عندما يكون وحيداً في مكان مهجور؟

كلوكون: ظهوره لحزين، يخلق فرقاً كبيراً.

سقراط: لن يمانع عندما يكون وحيداً بنفسه من قول أشياء عديدة والتي يخجل من سماعها أيُّ شخص، ومن فعل أشياء عديدة أيضاً لا يهتم إذا ما رُئي يفعلها.

كلوكون: حقاً.

سقراط: ويكون القانون والعقل فيه هما اللذين يأمرانه بالتحمّل بدون شك؛ بينما تكون المصيبة نفسها هي التي تحثُّه على أن يعكف على حزنه.

كلوكون: صدقاً.

سقراط: لكنّ الإنسان عندما يُجذب في اتجاهين متضادين، من الغرض نفسه وإليه، فهذا يتضمّن فيه مبدأين مختلفين بالضرورة، كما نؤكّده.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: ويكون واحد منهما جاهزاً ليتبع هداية القانون.

كلوكون: كيف تعني؟

سقراط: سيقول القانون لنا إن الأفضل أنْ نكون صبورين على المصيبة، وعلينا أن لا نفسح في المجال للضجر، حيث إن الخير والشر في هكذا أشياء ليسا واضحين، ولا شيء نربحه بالضجر. أيضاً، لأنّ ما من شيء إنساني بذي أهمية خطرة. ويقف الغمُّ في طريق ذلك الذي يكون في اللحظة الأكثر إلحاحاً.

كلوكون: ما هو الأكثر إلحاحاً؟

سقراط: ذلك أنه علينا أن نستشيره بشأن ما حدث، وعندما يُرمى زهر النرد، ننظّم شؤوننا طبقاً لوقوعه. إنّ الطريق الذي يحكم به العقل هو الأفضل. لن نكون كالأطفال الذين تعثّروا، ممسكين بذلك الجزء المصاب ومضيّعين الوقت في الولولة، بل معوّدين الروح دائماً أن تلجأ إلى العلاج على الفور، مستبعدين ذلك الذي يكون عليلاً وساقطاً، مُقْصِيْنَ صُراخَ الحزن بفنّ الشفاء.

كلوكون: نعم، إنه الطريق الحقيقيّ لمقابلة هجوم الحظّ.

سقراط: حسناً إذن، فالمبدأ الأعلى يكون مستعداً لأن يتبع اقتراح العقل هذا.

كلوكون: بوضوح.

سقراط: لكن المبدأ الآخر الذي يجعلنا نميل إلى تذكر مشاكلنا ونحيبنا، ولا يستطيع أن يحوز الكفاية منها أبداً، يمكننا أن نسمّيه باللاّعقلاني، مبدأ عبث، وجبن.

كلوكون: يمكننا حقاً.

سقراط: ألا يقدِّم الآن المبدأ الذي يكون ميَّالاً إلى الشكوى، يقدِّم تنوعاً كبيراً من الموادّ للتقليد؟ حيث إنّ الطبع العاقل والهادىء، كونه منتظماً دائماً تقريباً، ليس سهلاً أن يقلَّد أو أن يُستحسن عندما يُقلَّد، خاصة في الاحتفالات العامة عندما يكون الجمهور المشوَّش مجتمعاً في المسرح لأن الشعور الظاهر هم عنه غرباء.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: الشاعر المقلِّد إذن الذي يهدف إلى أن يكون شعبياً ليس مصنوعاً بالطبيعة، أو يكون فنّه مقصوداً، ليسرَّ وليؤثِّر على المبدأ العقلاني في الروح، لكنّه سيلجأ بالأَوْلى إلى المزاج البكّاء والتشنجي، الذي يُقلَّد بسهولة.

كلوكون: بوضوح.

سقراط: وبإمكاننا أن نأخذه الآن ونضعه بجانب الرسّام اليدوي بعدل لأنّه يشبهه بطريقتين: الأُولى، نظراً لأن ما يخلقه له درجة هي دون الحقيقة - أقول في هذه، إنّه شبيه به وهو شبيه به - أيضاً في كونه شريكاً للجزء الدونيّ في الروح. وهذا يكون كافياً ليبيِّن أنّنا على حقٍّ في رفضنا قبوله في الدولة المنظمة جيداً لأنه يوقظ ويغذّي هذا الجزء للروح، ويعجِّز العقل بتقويته. وكما في المدينة عندما يُسمح للشرِّ أن يدير الدولة ويُوضع الرجال الأنقى خارج الطريق، هكذا يغرس الشاعر المقلِّد دستورَ شرٍّ في روح كل إنسان، كما سنؤكِّد، لأنه يسمح للطبيعة اللاّعقلانيّة التي لا تمتلك تمييزاً للكثير والقليل؛ بل يظنّ الشيء نفسه كبيراً وفي آخر قليلاً في وقت واحد. إنه مقلِّد النسخ وهو مبعدٌ جدّاً من الحقيقة أيضاً.

كلوكون: بالضبط.

سقراط: لكنّنا مع ذلك لم نُحضِر العدَّ الأثقل في اتهامنا له: إنها القوة التي يمتلكها

الشعر حتى في أذيّة الأخيار(وهناك عدد قليل ممن لم يتلقّ الأذى). إنه لشيء فظيع بالتأكيد.

كلوكون: نعم، بالتأكيد، إذا كان التأثير كما تقول.

سقراط: إستمع واحكم: إنّ الأفضل فينا، كما أتصوَّر، عندما نستمع إلى مقطع من مقاطع هوميروس أو أي واحد من الشعراء المأساويّين، يُحضِرُ فيها بطلاً ما يتكلم ببطء عن حزنه في خطبة طويلة، أو مغنّياً، ولاطماً صدره - إن الأفضل منا، كما تعرف، سيبتهج في فتح الطريق للشّفقة، ونكون في نشواتٍ لجودة الشاعر الأكثر إثارةً لمشاعرنا.

كلوكون: نعم، أعرف بالطبع.

سقراط: لكن عندما يحدث أيُّ حزن لنا بشكل خاص، يمكنك أن تراقب حينئذ أنّنا سنفخر بأنفسنا « لا حاجة لوجود واصلة » على النوعيّة المضادة. إننا نُسَرُّ لنكون صبورين وهادئين؛ ويُعتبر هذا الجزء الرجوليّ فينا، ويُحسب الآخر الجزء النسّوي الذي يبهجنا في الإلقاء.

كلوكون: حقيقيّ تماماً.

سقراط: أنكون محقّين الآن في ثنائنا وإعجابنا بالآخر الذي هو فاعل يثير الاشمئزاز ويُخجل أيَّ واحد منا أن يفعله بنفسه؟

كلوكون: إنّ ذلك ليس معقولاً بكلِّ تأكيد.

سقراط: لا، بل هو معقول جداً من وجهة نظر واحدة.

كلوكون: ما هي وجهة النظر تلك؟

سقراط: إذا تأمّلت، نحن نشعر بالجوع والرغبة الطبيعيّة عندما نكون في مصيبة لنخفف عن حزننا بالبكاء والنحيب، وذلك هو الجوع المحقَّق الذي جوِّعَ وكُبِت في بلايانا الخاصة قد أُشبعَ وأُفرِحَ بالشعراء. إن الطبيعة الأفضل في كل منا، التي لم تكن قد دُرِّبت بالعقل والعادة بمقدار كاف، تسمح للعنصر

العاطفي بالانفلات لأنَّ الحزن هو للآخرين. ويتوهَّم المشاهد أنه لا يمكن جلب العار لنفسه في الثناء والترحم على أيّ شخص في حين يصرِّح أنه رجل شجاع، يفسح في المجال لنحيب في غير أوانه. إنه يظن أنّ اللذّة هي الربح ويكون بعيداً جدّاً من الرغبة في فقدها برفض مجمل القصيدة. قليل من الأشخاص سيعتبرون أبداً، أنّ العدوى يجب أن تنتقل من الآخرين إلى أنفسهم. إن الرحمة التي قد تغذّت وتقوّت في مصائب الآخرين هي مكبوتة في أشخاصنا وذواتنا بصعوبة.

كلوكون: كم أنت محقٌّ بالتمام.

سقراط: أولا يُعتبر الشيء نفسه للمضحك أيضاً؟ يوجد مزاحٌ ستخجل أنت نفسك أن تصنعه، ومع ذلك ستُطرب به كثيراً جداً عندما تسمعه على المسرح الهزلي أو في الخفاء، ولن تكون مشمئزاً من عيوبه أبداً. لقد تكرَّرت حالة الرحمة. يوجد مبدأ في الطبيعة الإنسانيّة يكون مطبوعاً على بعث الضّحك، وهذا كنتِ قدِ كبحته بالعقل لأنك كنت خائفاً في أن يظنوك مهرِّجاً. لقد تُرك وشأنه الآن مرّة ثانية؛ وكونك قد حرَّكت قوة الإضحاك على المسرح، فإنك قد غدرت بنفسك لاشعوريّاً في تمثيل شاعر الهزل ببيتك.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن الشهوة والغضب وكل العواطف الأخرى للرغبة والألم واللذة والتي يُعتقد أنها لا تنفصل عن أي عمل - ويمتلك الشعر في جميعها تأثيراً مماثلاً. إنه يطعم ويسقي الشهوات بدلاً من كبتها؛ إنه يدعها تحكم، مع أنه يجب ضبطها إذا ما كان الجنس البشري سيزداد أبداً في السعادة والفضيلة.

كلوكون: لا أقدر على إنكارها.

سقراط: لذلك، يا كلوكون، كلما تقابلت مع أيّ من مادحي هوميروس معلناً أنّه

كان معلّم هيلاس، وبأنه يكون نافعاً لتعليم الأشياء الإنسانية وتنظيمها، وأنك سوف تستغرق في درسه مرّة ثانية وثالثة إلى أن تعرفه وتنظّم حياتك كلها طبقاً له، يمكننا أن نكرّم ونحب أولئك الذين يقولون تلك الأشياء. إنهم لأناس ممتازون، بقدر ما يمتد نورهم. وإننا لعلى إستعداد أنْ نعترف أنَّ هوميروس هو أعظم الشعراء والأوّل بين كتّاب المأساة؛ لكن علينا أن نبقى ثابتين في حكمنا أنّ الترانيم إلى الآلهة والثناءات للرجال الشهيرين الفاضلين، هي الشّعر الوحيد الذي يجب أن نقبله في دولتنا. لأنّك إذا تخطّيت ذلك وسمحت لعروس الشعر المعسولة أن تدخل، إما في مقاطع شعر البطولة أو الشعر الوجداني الغنائي، بدلاً من دخول القانون وعقل البشر الذي اعتُبِرَ الأفضل على الدوام بالرِّضا المشترك، فلن يكون الحكّام في دولتنا سوى اللذة والألم.

كلوكون: إنّ ذلك الأكثر حقيقة.

سقراط: وبما أننا قد عدنا إلى موضوع الشعر الآن، فلندع دفاعنا هذا يبيّن العقلانية في حكمنا السابق وهو الطّرد خارج دولتنا لفن لديه ميل للذي وصفنا. العقل يلزمنا فعل ذلك. لكن كي لا يمكن أن يُنسب إلينا أيّة خشونة أو افتقار للأدب، دعنا نخبرها أنّ هناك خِصاماً قديماً بين الفلسفة والشعر؛ وهناك العديد من البراهين، كالقول القائل « الكلب النابح يعوي على مولاه »، أو « حديث الأغبياء قوي في الباطل »، و « غوغاء الحكماء خادعو زيوس »، و « المفكرون المحتالون هم متسولون مع ذلك ». وتوجد إشارات أخرى لا تعد ولا تحصى للعداء المزمن بينهما. دعنا نؤكّد، رغماً عن هذا، أن الشعر الذي يهدف إلى اللذّة وفنّ التقليد، ما إذا كان سيبرهن حقّه فقط بأنه يوجد في دولة حسنة التنظيم، فسنكون مسرورين بإدخاله إلى دولتنا. إنّنا لمدركون سحره تماماً؛ لكن ليس من الحقّ أن نغدر بالحقيقة على

ذلك الحساب. أجرؤ على القول، يا كلوكون، بأنّك مسحورٌ به مثلي، خاصة عند ظهوره في عمل هوميروس.

كلوكون: نعم، حقاً، إنني مسحور به كثيراً.

سقراط: هل سأفترض إذن، أنّه سيُسمح له بالعودة من المنفى، لكن بهذا الشرط الوحيد فقط ـ وهو أن يُعِدَّ دِفاعاً عن نفسه في وزن الشعر الوجداني الغنائي.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: ويمكننا أن نهِب ما هو أبعد من ذلك لأولئك المدافعين الذين يكونون من محبّي الشعر مع أنهم ليسوا شعراء، يمكننا أن نسمح لهم بالتكلّم نثراً بالنيابة عنه إذن. دعهم يبيّنون، ليس كونه سارّاً فقط بل نافعاً للدول والحياة الإنسانيّة أيضاً، وسنستمع بنفسٍ شفوقة لأنّنا سنكون الرابحين بالتأكيد إذا ما أمكنهم برهانُ ذلك. وتوجد فائدة في الشعر كما في المسرّة.

كلوكون: سنكون نحن الرابحين، بالتأكيد.

سقراط: وإذا أخفق دفاعه، حينئذ، يا صديقي العزيزي وكالأشخاص الآخرين الذين هاموا بشيء ما، لكنّهم وضعوا رادعاً فوق أنفسهم عندما يعتقدون أن رغباتهم هي مضادّة لمصالحهم، هكذا نحن. يجب أن نهجره على غرار أسلوب العاشقين أيضاً، ليس بدون كفاح مع ذلك. إننا ملهمون أيضاً بحب شعر كهذا الذي غرسه فينا تعليم الدول النبيلة، وسنكون مسرورين لذلك إذا ظهر الشعر في أفضل وأحقّ حلله. غير أنه ما لم يكن قادراً على أداء دفاعه الجيّد، فستكون محاورتنا إفتتاناً لنا، والتي سنرددها لأنفسنا ما دمنا نصغي لألحانه كي يمكننا ألاّ نقع في حبّ طفوليّ معه يقع في أسره الكثيرون. إننا واعون بشكل جيد على كل حال أن الشعر، كهذا الذي وصفنا، ليس معتبراً كأنه أدرك الحقيقة بشكل جدّي. وسيكون يقظاً وحارساً ضد إغوائه،

من يصغي له ويخاف على أمن المدينة التي في داخله، وسيأخذ كلماتنا قانونه الخاص.

كلوكون: نعم، إنني أتفق معك تماماً.

سقراط: نعم، يا صديقي العزيز كلوكون، إنّ القضيّة لفي خطر عظيم، أعظم مما يظهر. إنها ما إذا يكون الإنسان صالحاً أو فاسداً. وماذا سيربح أي واحد إذا ما أهمل العدل والفضيلة تحت تأثير الشرف أو المال أو القوّة، أو تحت نشوة الشعر؟

كلوكون: نعم، لقد كنت مقتنعاً بالمحاورة، كما أعتقد أنّ أيّ شخص آخر قد كان مقتنعاً بها.

سقراط: ولم نصف الجوائز الأعظم والمكافآت التي تنتظر الفضيلة مع ذلك.

كلوكون: ماذا؟ أهناك أعظم للآن؟ إن تلك الجوائز يجب أن تكون عظيمة إلى درجةٍ لا يدركها إلاّ العقل.

سقراط: لماذا، وماذا كان عظيماً إلى الأبد في وقت قصير؟ إنّ المدّة كلها من الطفولة إلى الشيخوخة هي بالتأكيد شيء صغير فقط بالمقارنة مع الخلود.

كلوكون: قل بالأَوْلى « لا شيء ».

سقراط: وهل سيكون المخلوق الخالد قلقاً لهذا الوقت القصير وليس للكل؟

كلوكون: للكل بالتأكيد. لكن لماذا تسأل؟

سقراط: ألا تدرك أنّ روح الإنسان خالدة ولا تفنى؟

كلوكون: [ناظراً إليّ بدهشة]: لا، بحق السماء، وهل أنت على استعداد كي تثبت هذا بحق؟

سقراط: نعم، يجب أن أكون، وأنت أيضاً. لا صعوبة في إثبات ذلك.

كلوكون: إنني أرى صعوبة عظيمة، لكنني أحب أن أسمع منك أن تقرّر بأنّ هذه المحاورة التي صنعتها هي هكذا خفيفة.

سقراط: إصْغِ إذن.

كلوكون: إنني مصْغٍ.

سقراط: يوجد شيء تسمّيه خيراً وآخر تسمّيه شرّاً.

كلوكون: نعم.

سقراط: وهل ستتفق معي في التفكير أن العنصر المفسد والمدمِّر هو الشرّ، والعنصر المنقذ والمحسّن هو الخير.

كلوكون: حقاً.

سقراط: وتعترف أنّ كل شيء يمتلك خيراً وشرّاً أيضاً؛ كما يكون الرمد شرّ العيون والمرض للجسم كله؛ وكما هي الآفة للذُّرة، والتعفن للخشب، أو الصدأ للنحاس والحديد. يوجد في كل شيء، أو تقريباً في كل شيء شرٌّ ومرض ملازم.

كلوكون: نعم.

سقراط: وعندما يهاجم واحدٌ من هذه الشرور شيئاً ما، يجعله عفناً بادىء ذي بدء ويحلِّله أخيراً بالكاملَ ثم يدمِّره.

كلوكون: حقاً.

سقراط: وتكون الرذيلة والشر الحالَّين في كل منها دمار لها. وإذا لم يدمِّرها هذا فلا يوجد شيء آخر سيفعل ذلك، لأن الخير لن يدمِّر أي شيء أبداً بالتأكيد، ولن يدمّر ذلك الذي ليس خيراً ولا شرّاً مرّة ثانية.

كلوكون: لا، بالتأكيد.

سقراط: إذا وجدنا أيّة طبيعة إذن، تلك التي لديها بعض الفساد الملازم حقاً، لكن من النوع الذي لا يُستطاع تحليله أو تدميره، يمكن أن نتأكّد بعدها من أنّ طبيعة كهذه لا توجِدُ الشرّ أبداً أو التدمير.

كلوكون: يمكن تأكيد ذلك.

سقراط: حسناً، أو لا يوجد شرّ يدمّر الروح؟

كلوكون: نعم، وتوجد كل الشرور التي عاينّاها لتوّنا: الباطل، الإفراط، الجبن، والجهل.

سقراط: لكن هل أيٌّ من تلك الشرور يحلّلها ويدمّرها؟ ولا تدعنا نقع في الخطأ هنا بافتراضنا أنّ الرجل الظالم أو الغبي، عندما يُكتشف، تدمّر روحه من خلال ظلمه الخاص الذي هو شرٌّ للروح. عليك أن تبرزها بالأَوْلى في هذه الطريقة: إنّ شرَّ الجسم هو مرضٌ يدمّره ويتلفه حتى لا يَعُدَّ جسماً على الإطلاق؛ وتتلاشى كل الأشياء التي تكلّمنا عنها لتوّنا من خلال فسادها الخاص ملتصقاً بها وحالاً فيها مدمّراً لها. أليس ذلك حقيقة؟

كلوكون: نعم.

سقراط: خذ الروح بطريقة مماثلة. هل يتلفها الظّلم أو الرذيلة بشكل آخر ويستهلكها؟ هل يقودانها أخيراً إلى الموت بالالتصاق بها والملازمة لها، وهكذا يعزلانها عن الجسم؟

كلوكون: لا بالتأكيد.

سقراط: ومع ذلك، ليس عقلانيّاً أن نفترض أنّ أيّ شيء يمكن أن يُباد، تحت مرضٍ مناسب لشيء آخر، لا يُستطاع تدميره بفسادٍ خاصٍّ به.

كلوكون: إنه لكذلك.

سقراط: إعتبر، يا كلوكون، حتى إن الغذاء السيّىء سواء أكان مبتذلاً، مفكّكاً أو من أيّة نوعيّة رديئة أخرى، وعندما يقتصر على الغذاء الحقيقي، لا يُفترض أن يدمّر الجسم. ومع ذلك، فإذا ما تسبّب الغذاء السّيّىء في أن يُصَيِّرَ الجسم فاسداً في نمطه الخاص، علينا أن نقول حينئذ إنّ الجسم قد دمّر بفساد من نفسه، هو المرض، وقد أُحضِرَ إليه بهذا. أما أنّ هذا الجسم، كونه شيئاً واحداً، يمكن تدميره بسوء التغذية الذي هو شيء آخر، ما لم يكن الفساد قد غرِسَ غريباً عن الجسم، فهذا ما يجب أن نكذّبه بالمطلق.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: وعلى المبدأ عينه، إذن، وما لم يقدر شرّ جسدي ما أن يسبب في الروح شراً لها، يجب ألاّ نفترض أنّ الروح، التي تكون شيئاً واحداً، يُستطاع تحليلها بأيّ شرّ يخص الآخرين في غياب مرض يطالها.

كلوكون: نعم، يوجد سبب في ذلك.

سقراط: دعنا إذن، إما أن ندحض هذه النتيجة، أو أثناء بقائها بدون دحض، دعنا لا نقول أبداً أنّ الحُمّى، أو أيّ مرض آخر، أو السكّين التي وُضعت في العنق، أو حتّى تقطيع مجمل الجسم إلى قطع صغيرة جدّاً، تستطيع أن تُدمِّر الروح، إلى أن تبرهن هي نفسها أنّها أصبحت دنسة أو باطلة بنتيجة تلك الأشياء التي حاقت بالجسم. لكن الروح أو أيّ شيء آخر يمكن أن يكون حُرّاً من شرّه الخاصّ ويكون مع ذلك مدمَّراً بسبب وجود شرّ خارجيّ في شيء آخر ما، فلن يمكن تأكيده.

كلوكون: وبالتأكيد، لن يبرهن أيُّ شخص أبداً أنّ أرواح الموتى تصبح أكثر ظلماً بنتيجة الموت.

سقراط: لكن إذا رشّح شخص ما نفسه ليقابل محاورتنا بشجاعة وقال إنّ الموت يصبح بحقّ أكثر شرّاً وبطلاناً، خوفاً من إلزامه أن يعترف بخلود الروح، حينئذ، إذا كان المتكلم محقّاً، أفترض أنّ الظلم، كالمرض، يجب أن يُحسَبَ ليكون مُهلكاً للظالم، وأن أولئك الذين يستغرقون في هذه الفوضى يموتون بهذه القوة الطبيعيّة الملازمة للتدمير التي يمتلكها الشرّ والتي تقتلهم عاجلاً أو آجلاً، لكن في طريقة مغايرة تماماً لتلك التي يتلقّاها الخبثاء في الوقت الحاضر على أيدي الآخرين كجزاء لأعمالهم.

كلوكون: لا، لن يكون الظلم في تلك الحالة، إذا كان مهلكاً للظالم، لن يكون مرعباً له لأنه سيكون مُنْقَذاً من الشرّ. بل عليّ بالأحرى أن أشتبه بالضد

الذي سيبرهن ليكون الحقيقة، وهو أنّ الظلم الذي إذا ما امتلك القوة، سيقتل الآخرين ويعطي القاتل نشاطاً أعظم، وسيبقيه يقظاً جداً أيضاً. وهكذا يكون مكان سكنه مقصيّاً بعيداً كونه بيتاً للموت.

سقراط: حقّاً، إن الرذيلة أو الشرّ للرّوح، إذا لم تمتلكها القوة الملازمة لهما طبيعياً لقتلها أو تدميرها، فإنّ ذلك الذي يُعيَّن ليكون المدمِّر لجسمٍ آخر سيكون غير قادر أن يدمِّر الروح، أو أي شيء آخر ما عدا ذلك الذي كان مُعيَّناً ليكون المدمِّر.

كلوكون: نعم، بالكاد يمكن أن يكون ذلك.

سقراط: لكنّ الروح التي لا يستطاع تدميرها بأي شرّ، سواء كان خاصّاً بها أو الذي يكون لشيء آخر، يجب أن تبقى إلى الأبد. وإذا كانت باقية إلى الأبد، يجب أن تكون خالدة.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: دع ذلك يكون استنتاجنا. وإذا كان استنتاجاً حقيقياً، فإنّك ستراقب أنّ الأرواح يجب أن تكون هي نفسها علي الدوام، لأنه إذا لم يكن أحدها مُدمَّراً فلن تنقص في العدد ولن تزيد لأن ازدياد الطبائع الخالدة يجب، كما تعرف، أن يأتي من شيءٍ فانٍ. وهكذا فكلّ شيء سينتهي في الخلود.

كلوكون: حقيقي تماماً.

سقراط: وهذا لا يمكن أن نصدِّقه. فالعقل لن يسمح لنا بذلك، أكثر ما يمكننا أن نصدِّق الروح، في طبيعتها الأحقّ، لتكون شيئاً مليئاً بالمنوّعات والفروقات الداخلية والتباين.

كلوكون: ماذا تعني؟

سقراط: ليس سهلاً، لذلك الشيء المركّب من عدّة عناصر غير المناسبة لبعضها البعض، أن يكون خالداً، كما قد ظهرت الروح إلينا لتكون هكذا.

كلوكون: لا بالتأكيد.

سقراط: إنّ خلود الروح تم إثباته في المحاورة السابقة، ويوجد براهين عديدة أخرى. لكن لتراها كما هي حقّاً، وليس كما ننظر لها الآن مشوّهة بالإرتباط بالجسد والتعاسات الأخرى، يجب أن تتأملها بعين العقل، في صفائها الأصيل، وسَيَبِينُ حينها جمالها الأعظم. وأشكال العدل والظلم وكل الأشياء الأخرى التي قد وصفنا ستكون مميّزة ببهاء أعظم. لقد تكلّمنا الحقيقة إلى هذا الحدّ فيما يخصها، وكما تظهر في الوقت الحاضر، لكنّنا قد رأيناها في الحالة الّتي يمكن فيها مقارنتها بإله البحر كلوكوز، ذلك الذي يمكن تمييز طبيعته الأصليّة بأولئك الذين رأوه بصعوبة لأنّ أعضاءه الطبيعيّة إمّا كانت مكسورة أو مسحوقة أو معطوبة بالأمواج. ولقد نمت فوقها غلافات من حشائش البحر والأصداف والأحجار، إلى أن أصبح أكثر شبهاً بوحش ما منه بشكله الطبيعي. والروح التي ننظر إليها هي في حالة مشابهة، مشوّهة بعشرة آلاف مرض. لكن ليس هناك، يا كلوكون، ليس هناك، يجب أن ننظر.

كلوكون: أين إذن؟

سقراط: في عشقها للحكمة. دعنا نرى في من تؤثّر، وأيُّ مجتمع ومحادثة تنشد بموجب نسبتها القريبة للخالد والأزليّ والإلهيّ. كيف ستصبح مختلفة إذا تابعت هذا المبدأ الأسمى بشكل كامل أيضاً، ومحمولة بالمحرّك الإلهي خارج المحيط الذي هي فيه الآن، ومتخلّصة من الأحجار والأصداف وكل الأشياء الأرضية والصخور التي نشأت حولها في متنوعات بريّة لأنها تتغذى فوق الأرض، وتكون زائدة النموّ بالأشياء الجيّدة لهذه الحياة كما تسمّى. ستراها حينئذ كما هي، وتعرف سواء كان لديها شكلٌ واحد فقط أو عدة أشكال، أو ما يمكن أن تكون طبيعتها وحالتها. أمّا عن تأثيراتها والأشكال التي تأخذها في هذه الحياة الحاضرة، فأعتقد أننا قد أعطينا وصفاً جميلاً لها الآن.

كلوكون: حقاً.

سقراط: وهكذا، قد أثبتنا بطلان التّهم المحضَّرة ضد العدل بدون إدخال الجوائز والمفاخر التي، كما كنت قائلاً، توجد في عمل هوميروس وهيسيود أو منسوبة له. لكن العدل قد بيّناه في طبيعته الخاصة ليكون الأفضل للروح في طبيعته الخاصة. دع الإنسان يفعل ما هو عدل، سواء أمتلك خاتم جيجس أم لا، وحتى إذا وضع عليه خوذة الجحيم بالإضافة إلى خاتم جيجس.

كلوكون: حقيقيّ تماماً.

سقراط: ولا يوجد أيُّ أذىً، يا كلوكون، في السرد الإضافي لكيفية عدد وعظم جوائز العدل والفضائل الأخرى، والتي تحصل عليها الروح من الآلهة والرّجال سواء في الحياة أو بعد الموت.

كلوكون: لا بالتأكيد.

سقراط: هل ستردُّ إليّ ما اقتبسته منّي في المحاورة؟

كلوكون: ما الذي اقتبسته؟

سقراط: الإفتراض أنّ الإنسان العادل عليه أن يبين ظالماً والظالم عادلاً. لأنّني كنت من الرّأي القائل حتّى إذا لم تهرب الحالة الحقيقيّة للقضيّة مهما حدث في عيون الآلهة والرجال، يبقى وجوب أن يُخلق هذا القبول إكراماً للمحاورة كي يمكن للعدل النقيّ أن يوزَنَ ضدَّ الظلم النقي. هل تتذكر؟

كلوكون: سيكون الظّلم مُلكي إذا كنت قد نسيت.

سقراط: إذن، حيث إنّ السبب يكون مقرّراً، فإنّني أطالب أن نتسلّم التقدير بالنيابة عن العدل الذي تعتبره الآلهة، كما الرجال، أنه للروح. وبما أنه قد أُظهِرَ ليمنح البركات التي تأتي من الحقيقة، وليس ليخدع من يمتلكونه بحقّ، لنُعِدْ إليه ما قد سُلِبَ منه إذن، وذلك كي يتمكّن من الظَفَرِ برمز الانتصار الظاهري الذي يخصه، والذي أيضاً أعطاه لنفسه.

كلوكون: إن الطّلب لعادل.

سقراط: في المقام الأوّل، وهذا هو الشيء الأوّل الذي يجب أن تعيده له بادىء ذي بدء: الطبيعة للعادل والظالم كلاهما هي معروفة من الآلهة بحقّ.

كلوكون: حقاً.

سقراط: ويمكن افتراض صديق الآلهة أن يَلقى كلَّ ما منحته الآلهة في شكله الأفضل، مُتَوَقِّعاً هكذا شكراً فقط من أنه النتيجة المنطقيّة الضرورية لذنوب قد سلفت.

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: يجب أن تكون هذه فكرتنا عن الإنسان العادل إذن. إنّه حتى عندما يكون في فقر أو مرض، أو أيّة مصيبة مظهريّة أخرى، فستحضره تلك الأشياء نهائياً إلى غاية جيّدة ما، إمّا في الحياة، أو لربّما في الموت لأنّ الآلهة بالتأكيد لن تُهمِل أيَّ شخص تكون رغبته الجديّة أن يصبح عادلاً ويتابع الفضيلة ليكون شبيهاً بالله، بقدر ما يستطيع الإنسان أن يصل إلى الشّبه الإلهي.

كلوكون: نعم، إذا كان شبيهاً بالله فلن يهمله الله بكلِّ تأكيد.

سقراط: أَوَلاَ يجب افتراض النقيض للظالم؟

كلوكون: بالتأكيد.

سقراط: هكذا إذن، هي رموز الانتصار التي تهبها الآلهة للعادل.

كلوكون: إن ذلك هو إيماني الراسخ، على الأقلّ.

سقراط: وماذا سينالون من الرجال؟ أنظر إلى الأشياء كما هي بالحقيقة وسترى أنّ الظّلاّم البارعين أشبه بالتائهين الذي يركضون جيّداً من مكان الإنطلاق إلى الهدف لكن ليس بالعودة إليه ثانية. إنهم ينطلقون بسرعة عظيمة، لكنهم يظهرون أغبياء في النهاية، مُنْسَلِّينَ خلسة بآذانهم المتدليّة على أكتافهم،

وبدون تاج. لكن العدّائين الحقيقيين يصلون إلى النهاية وينالون الجوائز ويُتوَّجون. وهذا هو الطريق مع العادلين. إنهم يتحمّلون من كل عمل وكل مرافقة إلى النهاية، ومن الحياة نفسها، ويفوزون بالتقرير الصالح ويحملون الجوائز التي مَنَحَها لهم الرجال.

كلوكون: حقّاً.

سقراط: هل ستسمح لي إذن أن أُكرّر البركات التي كنت قد خصَصْت أنت الظّالمين المحظوظين بها؟ سأقول عنهم إنّهم كلما كبروا أصبحوا حكاماً في مدينتهم الخاصة إذا ما اهتمُّوا بذلك؛ ويجب أن يتزوَّجوا ممن يحبّون ويعقدوا زواج مَنْ يريدون. إنّ كل الذي قلته عن الآخرين سأقوله عن هؤلاء الآن. وفي المنحى الآخر، أقول عن الظالمين الآخرين الأكبر عدداً، مع أنهم ينجون في سِني شبابهم، فإنهم يُكتشفون أخيراً ويبدون أغبياء في نهاية مسلكهم. وعندما يصلون إلى سن الشيخوخة يصبحون أشقياء يهزأ بهم الغرباء والمواطنون على قدم المساواة، وتأتي حينئذٍ كل الأشياء غير اللائقة للآذان المؤدَّبة، كما يمكنك أنِ تسميها بحق. إنهم سيُرهَفون وستُحرق أعينهم، كما كنت قائلاً. ويمكنك أن تفترض أنّني سأُردِّد بقيّة قصتك عن الرعب. أسألك مرّة ثانية، هل ستسمح بكل هذا؟

كلوكون: بالتأكيد، لأنّ الذي تقوله لهو القول الحق.

سقراط: تلك إذن، هي الجوائز والمكافآت والهدايا التي تمنحها الآلهة للعادلين في هذه الحياة الحاضرة، بالإضافة إلى الأشياء الصالحة الأخرى التي يقدّمها العدل بنفسه.

كلوكون: نعم، وإنها لعادلة وباقية.

سقراط: ومع ذلك، فكل تلك لا تُقارن، لا في العدد ولا في العظمة، بتلك المكافآت الأخرى التي تنتظر العادل والظالم كليهما بعد الموت. ويجب أن

تسمعها وسيتسلَّم العادل والظالم منا حينئذ كلاهما الدفعة الكاملة للدَّين الذي تدين لهما المحاورة به.

كلوكون: تكلَّم، فهناك أشياء أخرى قليلة أحب أن أسمعها بحبور.

سقراط: حسناً، سأخبرك قصَّة. إنها ليست واحدة من تلك القصص التي تخبرها الأوديسة إلى البطل ألسيناوس، ومع ذلك فهذه هي قصة بطل أيضاً. إنه إرْ بن أرسينيوس، بامفيلي بالولادة. قد ذبح في المعركة. وعندما رُفِعَتْ أجساد الموتى وكانت في حالة فساد، بعد عشرة أيام، وُجِدَ جسده غير متأثر بالفساد. حملوه إلى البيت ليدفنوه. وبينما كان ممدداً على ركيزة الجنازة، عاد إلى الحياة في اليوم الثاني عشر، وأخبرهم ما رأى في العالم الآخر. قال إن روحه ذهبت في رحلة مع رفقة عظيمة عندما غادرت الجسد، وأنهم أتوا إلى مكان غامض حيث هناك فتحتان متقاربتان في الأرض، وكان فوقهما تماماً فتحتان في السماء. كان هناك قضاة جالسون في الحيّز الوسط، أمروا العادلين بعد إعطاء الحكم عليهم وربطوا الحكم في مقدمتهم، أمروهم ليصعدوا بالطريق إلى الأعلى خلال السماء لجهة يدهم اليمنى؛ وأمروا الظالمين أن يهبطوا بالطريق الأسفل لجهة اليد اليسرى في أسلوب مماثل. هؤلاء حملوا علامات كل أعمالهم أيضاً، لكنها موثقة على ظهورهم. إقترب منهم، وأخبروه أنه وُجِدَ ليكون المرسَل الذي سيحمل التقرير عن العالم الآخر إلى الناس، وأمروه أن يسمع ويرى كل الذي كان ليُسمَعُ ويُرى في ذلك المكان. تطلَّع حينئذ ورأى الأرواح مُغادرةً من جانب واحد في كل من فُتحتي السماء والأرض عندما أُعطي لهم الحكم؛ ومن الفتحتين الأخريين الأرواح الأخرى، بعضها مرتفعةً عن الأرض ممتلئةً غباراً ومُنهكةً بالسَّفر، وبعضها الآخر ساقطاً من السماء صافية ومتلألئة، وتظهر واصلة دائماً وكأنها أتت من رحلة طويلة في وقت آخر، وانطلقت بسرور في الأرض الخَضِرة

حيث أقامت مخيّماً كما لو أنها في عيد. وتلك التي عرف واحدها الآخر تحابّت وتحادثت، وتساءلت الأرواح التي أتت من الأرض بفضوليّة عن الأشياء التي في السماء، والأرواح التي أتت من السماء عن الأشياء التحتيّة، وأخبر بعضها بعضاً ما حدث لها في الطريق. وكانت التي أتت من تحت باكية ومتأسّفة في تذكر الأشياء التي تحمّلتها ورأتها في رحلتها تحت الأرض [استغرقت الرحلة ألف سنة] بينما كانت تلك التي أتت من عَلٍ واصفة المناظر والمباهج السماويّة ذات الجمال الذي لا يصدَّق. إنّ القصّة الكاملة، يا كلوكون، ستأخذ وقتاً طويلاً لتخبرها. لكن الخلاصة كانت هذه: لقد قال إرْ إن كل خطأ قد ارتكبوه وكل شخص قد آذوه سيُقاسون جزاء عملهم عشرة أضعاف؛ أو مرّة في كل مئة سنة ـ هكذا حُسِبَتْ لتكون مدّة حياة الإنسان، ويكون العقاب قد دُفِعَ هكذا عشر مرّات في ألفْ سنة. وإذا وُجد كمثال أشخاص ممن تسبّبوا بالعديد من الوفيّات بتضليل المدن أو الجيوش، أو أنهم رموا بالعديد في العبوديّة، أو كانوا مساعدين لأيّة معاملة سيئة أخرى، ولكل اعتداءاتهم وتأييداً لكل إنسان أخطأوا بحقه، فلقد ابتلوا بالألم عشر مرّات مضاعفة وكانت الجوائز والإحسانات والعدل والقداسة المعطاة، كانت في النسبة ذاتها. وإنني أحتاج بالكاد لأن أردِّد ما قاله بخصوص الأطفال الصغار الذين توفوا عندما وِلدوا تقريباً: أمّا عن التقوى والعقوق للآلهة وللآباء، وعن القتل، فلقد كانت هناك مكافآت أعظم مما وَصَف. لقد ذكر أنّه كان حاضراً عندما سألت نفسٌ الأخرى، « أين هو أردياييوس العظيم[٩٠] »؟ « وكان أردياييوس قد عاش لألف سنة خلت قبل زمن إر. كان مستبدّاً في مدينة ما في بامفيليا وقتل أباه المسنّ وأخاه الأكبر، وقيل إنه إرتكب العديد من الجرائم المقيتة ». كان جواب النفس الأخرى: « إنه لم يأتِ إلى هنا ولن يأتي أبداً ». وهذا، قال هو « كان واحداً من المناظر

المرعبة التي شاهدناها بأمّ العين. كنا على حافة الكهف الكبير، وبما أنّنا قد أتممنا خبراتنا كلها، كنّا على وشك أن نرتفع مرّة ثانية، عندما رأينا أدريايوس فجأة، وعديداً من الآخرين الذين كان أكثرهم مستبداً؛ لكن كان هناك بعض الأفراد الخاصين ممّن كانوا مجرمين كباراً أيضاً. لقد كانوا عادلين، كما توهموا، وعلى وشك أن يعودوا إلى العالم الأعلى، ولم يحاول أيٌّ من هؤلاء الذين كان خبثهم من النوع الذي لا يشفى أو الذين لم يُعاقبوا بشكل كافٍ، لم يحاول أن يرتفع؛ وقبض عليهم حينئذ رجالٌ قساة من ذوي الاحترام المتّقِد، ممّن كانوا واقفين وسمعوا الصوت، وحملوهم بعيداً. لكن اردياييوس والآخرون أوثقوا رؤوسهم وأرجلهم وأيديهم ورموهم إلى تحت. جلدوهم بالسياط، وسحبوهم على طول الطريق خارج المدخل، ممشطينهم على الزعرور كالصوف، ومعلنين جرائمهم للمارّة، وأنهم إنّما أخذوهم ليرموا بهم في الجحيم ». قال إرْ، إنه من بين كل الفظاعات التي قاسوها من كل نوع، لا تشبه واحدة الرعب الذي شعره كل منهم في تلك اللحظة، خشية أنهم سيسمعون الصوت. وعندما كان هناك صمت، صعدوا واحداً واحداً بغبطة استثنائيّة. قال كذلك، كان هذا العقاب والجزاء، وكانت النعم مثلها عظيمة.

وبعدُ، عندما مكثت كل جماعة كانت في الأرض الخضراء سبعة أيام، كانت مُلزمةً أن تتقدّم في اليوم الثامن وتواصل رحلتها. وبعدها بأربعة أيام وصلت إلى حيث استطاعت أن ترى خطّاً من نور في عَلٍ، مستقيماً كالعامود وممتدّاً إلى اليمين خلال السماء كلها وخلال الأرض، في لون مشابه للون قوس قُزح، غير أنه أبهى وأنصع، ولقد أحضرَهم بعد ذلك بيوم واحد من إبتداء الرحلة لذلك المكان. وهناك، رأوا في وسط النور سلاسل السماء متدليّة من عَلٍ: إن هذا النور هو حزام السماء، ويوحّد محيط الكون

كالعوارض التحتيّة للسفينة ذات المجاذيف الثلاثة. إمتدَّ من تلك النهايات محور دوران الضرورة الذي تدور كل الدورات عليه. لقد صُنِعَ جذع وكُلاَّب هذا المحور من حجر صلب لا يُقطع، وصُنعت فلكة المغزل بعضُها من الفولاذ وبعضُها الآخر من المواد الأخرى أيضاً. إن طبيعة فلكة المغْزَل هي كما يلي: إنها كفلكة المغزل المستعملة على الأرض في شكلها الخارجي. ووصفه له يدل ضمناً أنّه يوجد مغزل مجزَّف كبير هو مجزَّف تماماً، ورُكِّز في داخله واحد آخر أصغر حجماً، وآخر، وآخر، وأربعة آخرون، مما جعل عددهم ثمانية، كالقوارب التي أُعِدَّت كل واحد في الآخر. لقد أبانت المغازل حدودها الدائريَّة على الجانب الأعلى وشكّلت كلها معاً مغزلاً واحداً على جانبها الأسفل ومتواصلاً. هذا يكون مثقوباً في الجذع الذي قد دُفِعَ إلى الداخل من خلال مركز الثامن. فالمغزل الأول والأبعد له الحافة الأعرض، والمغازل السبعة الداخليّة هي أضيق في النسب التالية: إن السادس يكون التالي إلى الأول في الحجم، والرابع التالي إلى السادس؛ يأتي الثامن بعدها؛ يكون السابع الخامس، والخامس السادس، والثالث السابع، ويأتي الثاني الثامن والأخير. إن الأعظم هي « النجوم الثوابت » متلألئة، والسابع (أو الشمس) الأسطع، أما الثامن (أو القمر) فملوَّن بالنور المنعكس من السابع، أمّا الثاني والخامس (زحل وعطارد) فهما متشابهان في اللون وأكثر إصفراراً من التي تقدَّم ذكرها. ويملك الثالث (الزهرة) الضوء الأبيض. أمّا الرابع (المريخ) فهو ضارب إلى الحمرة؛ السادس (المشتري) الثاني بياضاً. وكان لدى مِحور الدوران كله الحركة عينها. لكن بما أنها جميعها تدور في اتجاه واحد، فالدوائر السبعة الداخليّة تتحرك هي الأخرى ببطء. أما الثامنة فهي الأسرع في الدوران من بين تلك، وتأتي الثانية السابقة في السرعة، وتتحرك السادسة والخامسة معاً، وتظهر الرابعة الثالثة في

السرعة، سبب هذا التحرك المعاكس، وتظهر الثالثة رابعة والثانية خامسة. يدور محور الدوران على ركاب الضرورة؛ وتقف على السطح الأعلى لكل دائرة كائنة أسطوريّة لها رأس فتاة وجسد طير، تذهب معها في دورانها، مرتّلةً نغمة أو تغريدة واحدة. تشكل تلك الثمانية إيقاعاً واحداً معاً. وتوجد مجموعة أخرى حولها في فسحات متساوية ثلاثة في العدد، كلّ جالس فوق عرشه؛ ذانك هما القضاء والقدر، بنتا الضرورة، اللتان لبستا الأثواب البيضاء ووضعت كلّ منهما سبحةً على رأسها. أما لاشيسيس وكلوثو وأثروبوس اللاتي رافقن الإيقاع بأصواتهن لتلك الكائنات الأسطوريّة، فقد غنّت لاشيسيس للماضي، كلوثو للحاضر، وأثروبوس للمستقبل. غير أن كلوثو ساعدت بلمسة دوران الدائرة الخارجيّة للمغزل أو عمود الدوران من وقت لآخر، وأثروبوس لامسةً وهادية بيدها اليسرى الدائرات الداخليّة. كانت لاشيسيس قابضةً على كليهما تباعاً، أولاً بيد وبعدها بأخرى.

وعندما وصل إِز والنفوس، كانت أُولى واجباتهم أن تذهب لاشيسيس بادىء ذي بدء؛ لكن أتى نبيٌّ ورتّبهنّ بانتظام قبل كل شيء. أخذ حينئذ من ركبتي لاشيسيس حصصاً وعيّنات للحيوات. وبما أنه كان مُعْتَلياً منبراً عالياً تكلّم كما يلي: « إِصْغِ إلى كلام لاشيسيس، بنت الضرورة، سترى الأرواح الفانية عصراً جديداً للحياة والفناء، الروح الحارسة لن تُخَصَّص لكم بل أنتم ستختارون لكم الروح الحارسة. دع الذي يرسم الحصة الأولى أن يمتلك الخيار الأول، وأنّ الحياة التي يختارها ستكون قسمته. إن الفضيلة اختياريّة، وسنحوز أكثر أو أقل منها بالقدر الذي يكرّمها أو يهينها الرجال؛ وتقع المسؤوليّة على المنتقي. الله ليس مسؤولاً ». عندما تكلّم المؤوّل هكذا نثر الحصص بينهم جميعاً بدون تحيز، وأخذ كل منهم الحصة التي سقطت بقربه، جميعهم ما عدا إِز [لم يكن مسموحاً له فعل ذلك]. عندما أخذ

كل منهم حصّته تصوّر الرقم الذي حصل عليه. وضع المؤوِّل على الأرض أمامهم نماذج الحيوات حينئذ؛ ووُجِدَ عديد من الحيوات الأخرى أكثر مما أحضرت الأرواح، وكانت من كل الأنواع؛ وكان هناك حيوات لكل حيوان وكل إنسان في كل حالة. كان المستبدون بينهم، بعضهم باقٍ في حياة المستبد، والآخرون الذين توقفوا في الوسط فجأة انتهوا في الفقر والنفي والتسوّل. وكانت هناك حيواتٌ لرجال مشاهير، بعضهم ممّن كان شهيراً في الجمال، جمال الشكل، كما لنشاطهم ونجاحهم في الألعاب، أو مرّة ثانية، لميلادهم ولنوعيّات أسلافهم؛ وبعضهم كان عكس المشاهير للنوعيّات المضادة، وبطريقة مماثلة عن النساء. إنّ ترتيب الأرواح لم تتضمنهم، على كل حال، لأنّ الروح عندما تختار حياة جديدة، يجب أن تصبح مختلفة بالضرورة، لكنها وجدت هناك كل نوعيّة أخرى، وقد اختلطت جميعها ببعضها البعض، وكذلك بعناصر الفقر والغنى، والمرض والصحة. وكانت هناك حالات وسطيّة في هذا الخصوص أيضاً.

وهنا، يا عزيزي كلوكون، يكون الخطر الأعلى لحالتنا الإنسانيّة. لذلك يجب على كل منا أن يأخذ الإهتمام الأعظم ليتخلّى عن كل نوع من أنواع المعرفة وينشد دراسة شيء واحدٍ فقط، إذا أمكنه أن يكون قادراً أن يكتشف شخصاً ما بالمصادفة هو الذي يجعله قادراً أن يميّز بين حياة الخير والشر، وهكذا ليختار دائماً الحياة الأفضل، وفي كل مكان، كلما وجد فرصة لذلك. عليه أن يعتبر المغزى لكل تلك الأشياء التي ذكرت كلاً بمفردها، وجماعياً فوق ميزة الحياة. عليه أن يعرف ما هو تأثير الجمال، للخير أو الشر، عندما يتوحّد مع الفقر والغنى في نوع الروح هذه أو تلك، وما هي عواقب الخير والشر للميلاد النبيل أو الوضيع، للموقع الخاص والعام، للقوّة والضعف، للبراعة والبلادة، ولمِنَحِ الرّوح كلها الطبيعيّة منها والمكتسبة،

ولفعاليتها عند مزجها ببعضها بعضاً. سينظر في طبيعة الروح عند ذلك، وسيكون قادراً أن يقرّر، من تأمُّله لكل تلك الاعتبارات، أيُّها الأفضل وأيُّها الأسوأ. وهكذا فإنه سيختار، مانحاً اسم الشرّ إلى الحياة التي ستميل إلى جعل روحه أكثر ظلماً، والخير إلى الحياة التي ستجعل روحه أكثر عدلاً، وسيهمل الآخر. لقد رأينا وعرفنا أنّ هذه هي الحياة الأفضل في الحياة وبعد الموت كليهما. يجب على الإنسان أن يأخذ معه إيماناً صلباً في الحقيقة والحق إلى العالم الآخر، وأن بإمكانه أيضاً أن يكون غير منبهرٍ برغبة الغنى أو إغراءات الشرّ الأخرى خشيَة أن يُجرّ إلى الاستبداديات والنشاطات المماثلة ويفعل الأخطاء للآخرين التي لا سبيل إلى معالجتها، ويقاسي الأسوأ مع نفسه لذلك. لكن عليه أن يعرف كيف يختار الحياة المعتدلة في تلك الأوجه ويتحاشى التطرف على كلا الجانبين، قدر الإمكان، ليس في هذه الحياة فقط بل في كل الحيوات التي ستلي. إنّ هذا الطريق يحمل الرجال إلى أعظم سعادة.

وطبقاً للتقرير المرسل من العالم الآخر فهذا ما كان قد قاله النبيّ في ذلك الزمان: « حتى إذا اختار آخرَ الآتين بحكمة وأنّه سيعيش باجتهاد، يوجد بقاءٌ سعيد محدَّد ومرغوب. لا تدع الذي اختار بادىء ذي بدء أن يحيا بإهمال، ولا الذي اختار أخيراً أن ييأس ». وعندما تكلم هكذا، فإن الذي اختار بادىء ذي بدء تقدم وانتقى الاستبداديّة الأعظم في لحظة؛ ولم يكن قد قام بأيّة مراقبة شاملة قبل أن يختار، ذلك أن عقله قد أُظلِمَ بالغباء والجواسيّات، ولم يتصوّر أنّه كان مقرَّراً بقضاء وقدر أن يبيد أطفاله الذين يخصُّونه، وذلك من بين شرور أخرى. لكنّه عندما كان لديه الوقت ليفحص حصته ورأى ما في داخلها، بدأ بالنحيب وبلطم صدره على اختياره، ناسياً تصريح النبي لأنه بدلاً من رمي الملامة لمصيبته على نفسه، فإنه اتّهم المصادفة

والآلهة وكل شيء بدلاً من أن يلوم نفسه. وبعد فإنه كان واحداً من بين الذين أتوا من السماء، وسكن في مدينة حسنة التنظيم في الحياة السابقة، فاضلاً بالعادة فقط، وبدون فلسفة. ولقد كانت حقيقة في الجزء الأكبر عن الآخرين الذين ضلُّوا في ذلك الطريق، أنّ العدد الأكبر منهم قد أتى من السماء لذلك فهم لم يُدرَّبوا بالتجربة، في حين أنّ الحجيج الذين أتوا من الأرض لم يكونوا في عجلة لأن يختاروا، بعد أن قاسوا وشهدوا مقاساة الآخرين. إنّ غالبية الأرواح تبادلت فيما بينها نصيباً جيداً بسيىءٍ أو سيئاً بجيد بسبب عدم خبرتها هذه، ولنكبة الكثير منها أيضاً. لأنه إذا ما كرَّس الإنسان نفسه إلى الفلسفة القويمة دائماً عند وصوله إلى هذا العالم منذ البداية، وكان محظوظاً في رقم قسمته بإعتدال، يمكنه حينئذ أن يكون سعيداً هنا كما قرَّر المُرسِل وستكون رحلته إلى الحياة الأخرى وعودته لهذه ناعمة وسماويَّة أيضاً، بدلاً من كونها خشنة وتحت الأرض. لقد كان المشهد الأكثر غرابة كئيباً ومضحكاً لأن اختيار الأرواح كان مرتكزاً على خبرتها في الحيوات السابقة في أكثر الحالات. إنه رأى الروح التي كانت مضطَّربة، رآها مختارة حياة الأوزَّة هناك لعداوتها لجنس النساء، كارهة أن تولد امرأة لأنهنَّ كنَّ قتلته. لقد رأى أن روح ناميراس اختارت روح عندليب أيضاً. أما الطيور، من الناحية الأخرى، فرغبت في أن تكون رجالاً، كالأوزة والموسيقيين الآخرين. أمّا الروح التي حصلت على عشرين حصَّة فقد اختارت حياة الأسد، وكانت هذه روح إجاكس بن تيلامون الذي لم يرغب في أن يكون رجلاً متذكراً الظلم الذي فُعِلَ له في الحكم بشأن الأسلحة، وكان التالي أغاممنون، الذي أخذ حياة النسر لأنه كره طبيعة الإنسان، كإجاكس، بسبب معاناته. أتت حصة أطلنطا في الوسط؛ وبما أنها رأت الشهرة العظيمة للاّعب الرياضيّ، كانت غير قادرة أن تقاوم الإغراء.

وتبعتها روح إيبيوس بن بانوبيس التي عبرت إلى طبيعة إمرأة بارعة في صناعة ما؛ وكانت بعيدة جدّاً بين الذين اختاروا أخيراً، روح المهرّج تيرسايتس التي وضعت على شكل قرد. أتت أيضاً روح أوديسيوس التي ستقوم بالإختيار بعدُ، وصدف أن كانت حصته آخر الحصص جميعها. لما كان قد تذكر المشقات السّابقة تحرّر من وهم الطموح وذهب باحثاً لوقت غير قصير عن حياة الإنسان الخاصة التي ليس لديها أي اهتمام. لقد واجهته صعوبات في إيجاد هذه، التي كانت قد طُرِحَتْ جانباً وأُهْمِلَتْ من كل شخص آخر. عندما رآها، قال بأنه كان سيفعل الشيء عينه لو أنّ قسمته كانت الأولى وليس الأخيرة، ثم اختارها بحبور. ولم يكن الرجال قد تحوّلوا إلى حيوانات فقط، بل يجب أن أذكر أيضاً أنها وُجِدَتْ حيوانات أليفة وبرّيّة تحوّلت من واحدة إلى أخرى وإلى طبائع إنسانيّة مقابلة: الصالح إلى اللطيف والطالح إلى المتوحش، في كل أنواع الاتحادات.

لقد اختارت كل الأرواح حيواتها الآن، ومضت في نظام اختيارها إلى لاشيسيس الذي أرسل معها العبقريَّ الذي كان قد اختاره على التوالي ليكون حامي حيواتها ومنفّذ اختيارها. لقد قاد هذا العبقري الأرواح إلى كلوثو واجتذبها ضمن دائرة المغزل المسيَّر بيديها. وهكذا مصدِّقاً على قضاء وقدر كل منها، حملوها بعدئذ عند توثيقها إلى أتروبوس، الذي غزل الخيوط وجعل من المتعذر تغييرها. مرّت لذلك وبدون دوران تحت عرش الضرورة وزحفت إلى سهل النسيان عند مرورها جميعاً، زحفت في حرٍّ محرق لا يطاق لأن السّهل كان أرضاً قاحلة خالية من الشجر والنبات الأخضر، وحطّت رحالها بجانب نهر الغفلة حينئذ عند اقتراب الماء الذي لا يستطيع أيُّ مركبٍ وقف مياهه. وكان جميعها مجبراً أن يشرب من مياهه كميّة محدَّدة. وشربت منها أكثر مِمّا كان ضرورياً تلك الأرواح التي لم تكن قد

أُنقِذت بالحكمة، ونسيت كل واحدة منها كل شيء بينما كانت تشرب. وحدثت عاصفة رعديّة وزلزال حول منتصف الليل بعد أن ذهبت روح إر لترتاح، ودفعت بكلّ الأساليب المتاحة إلى مكان ولادتها، دفعتها عالياً للحظة بعدها، كالنيازك، وقد حُرّم عليه نفسه أن يشرب الماء. لكنه لم يستطع القول في أيّ أسلوب وبأيّة طريقة عاد إلى الجسد؛ بل وجد نفسه مُضْطجِعاً على المحْرَقَةِ فجأة.

وهكذا، يا كلوكون، القصّة قد أنقذت ولم تَفْنَ؛ وسوف تنقذنا إذا أطعنا الكلمة التي حُكِيَتْ. وسوف نجتاز نهر الغفلة بأمان ولن تُدنَّس روحنا. إنّ نصيحتي تكون من أجل ذلك، وهي أن نتمسّك بشدَّةٍ بالطّرُقِ السّماوية أبداً ونتبع أثر العدل والفضيلة دائماً، معتبرين أن الروح خالدة وقادرة أن تتحمّل كلَّ نوع من الخير وكلّ نوع من الشرّ. سنعيش هكذا أعزاء واحدنا إلى الآخر وإلى الآلهة، في مدّة بقائنا هنا، وعندها نتسلّم مكافآتنا كالفاتحين في الألعاب الذين يدورون ليجمعوا الهدايا. وستكون صالحة معنا في هذه الحياة وفي حج الألف سنة التي كنا قد وصفناها معاً.

الهوامش

(١) راسل، برتراند. حكمة الغرب.

(٢) راسل، برتراند، حكمة الغرب.

(٣) راسل، برتراند، حكمة الغرب.

(٤) من مقدمة بنجامين جويت.

(٥) الشاعر هيسيود، الأعمال والأيام

(٦) هوميروس، الأوديسي.

(٧) يوموليبوس.

(٨) هيسيود، الأعمال والأيام.

(٩) هوميروس الإلياذة.

(١٠) كلوكون واديامنتوس أخوي افلاطون الأكبرين. إمتنعا عن اعلان اسم أبيهما كالفيثاغوريين الذين يشيرون الى مؤسس عقيدتهم فوثاغورس بكلمة « ذلك الرجل ». « المعرّب ».

(١١) الثيوغونيا، مبحث اصل الآلهة وتحدرهم، لهيسيود.

(١٢) اله النار والضباب.

(١٣) إلهة السماء.

(١٤) الإلياذة.

(١٥) الإلياذة

(١٦) هوميروس، الأوديسي.

(١٧) من مسرحية مفقودة.

(١٨) الاوديسي.

(١٩) الالياذة.

(٢٠) الالياذة.

(٢١) متنبيء (طيبة) الأعمى.

(٢٢) ابنة زيوس وديميتر.

(٢٣) الأوديسي.

(٢٤) الإلياذة.

(٢٥) الإلياذة.

(٢٦) الأوديسي.

(٢٧) الإلياذة.

(٢٨) الإلياذة.

(٢٩) آخر ملوك طروادة، والذي حكم خلال حربها، أب هيكتور وباريس.

(٣٠) الالياذة.

(٣١) الالياذة.

(٣٢) الالياذة.

(٣٣) ابن زيوس وأوروبا الذي اصبح ملك ليكيا.

(٣٤) محارب يوناني حليف اتشرس في حرب طروادة.

(٣٥) اله النار والضباب ابن زيوس وهيرا.

(٣٦) الإلياذة.

(٣٧) الأوديسي.

(٣٨) او اذا تلازمت كلماتنا مع الأفعال.

(٣٩) الالياذة

(٤٠) الالياذة.

(٤١) الالياذة.

(٤٢) الإلياذة.

(٤٣) الالياذة.

(٤٤) الإلياذة.

(٤٥) الإلياذة.

(٤٦) الاوديسي.

(٤٧) الأوديسي.

(٥٠) الإلياذة.

(٥١) الإلياذة.

(٥٢) الإلياذة.

(٥٣) الإلياذة.

(٥٤) من (النيوب) لآخيل.

(٥٥) الإلياذة.

(٥٦) النواميس.

(٥٧) الأوديسي.

(٥٨) افعوان خرافي ذو تسعة رؤوس قتله هرقل، فكان كلما قطع رأساً من رؤوسه هذه نبت محلّه رأسان جديدان « المعرّب ».

(٥٩) الجمهورية.

(٦٠) الأوديسي.

(٦١) آلهة الإنتقام عند الإغريق. « المعرّب ».

(٦٢) النواميس.

(٦٣) الجمهورية.

(٦٤) الجمهورية.

(٦٥) الإلياذة.

(٦٦) الإلياذة.

(٦٧) من المحتمل ان تكون في الاعمال والأيام للشاعر هيسيود.

(٦٨) الجمهورية.

(٦٩) الفلاسفة، الجمهوريّة.

(٧٠) الجمهوريّة، الكتاب الخامس.

(٧٥) بنّاء ونحّاتٌ يوناني شهير. « المعرِّب ».

(٧٦) حكومة تهمين عليها جماعة غنية صغيرة، غايتها الاستغلال وهمها تحقيق المنافع الذاتية. « المعرِّب »

(٧٧) كمَثَل، والذي يكون متساوياً لمجموع المقسوم عليه ١، ٢، ٣. وهكذا عندما تُحضَّر الدائرة أو الزمن برقم ٦ فهي كاملة، وأما الأزمنة الأقل أو الدورات الزمنيّة التي تُحضَّر بـ١، ٢، ٣. فهي كاملة أيضاً. « المعرِّب »

(٧٨) من المحتمل أنها الأرقام ٣، ٤، ٥، ٦ التي تكوّن الثلاثة الأولى منها حدود المثلث الأولى المتشكل منها حدود المثلث الفيثاغوري، وستكون مدته حينئذ ٣، ٤، ٥، والتي تساوي معاً = ٦ = ٢١٦.

(٧٩) أو المربّع الاول الذي هو ١٠٠ × ١٠٠= ١٠،٠٠٠. وسيكون الرقم الكلّي ١٧،٥٠٠ = مربّع ١٠٠، وشكل مستطيل لـ١٠٠ × ٧٥.

(٨٠) أو (متضمّنة رقمين مربعين فوق أقطار لا عقلانيّة) ومكعّب= ١٠٠. « المعرِّب ».

(٨١) الجمهوريّة.

(٨٢) أو « أي انسان يذعن للإغراء ».

(٨٣) آكل اللوطُس فرد من الشعب ورد ذكره في أوديسيّة هوميروس وهو يقتات باللوطُس ويحيا في حالة التراخي والكسل التي يحدثها. « المعرِّب »

(٨٤) هيرود.

(٨٥) إنسان يتصرّف في الحياة المستيقظة كأنه حالم، والذي قد وصفناه.

(٨٦) ٧٢٩ مساو لرقم الأيام والليالي في السنة تقريباً. « المعرِّب »

(٨٧) إله (في الاسطورة) حيوان له رأس أسد وجسم عنزة وذنب افعى.

(٨٨) حيوان مؤنث ذو بنية غير سويّة.

(٨٩) كلب بثلاثة رؤوس يحمي بوابات الجحيم.

(٩٠) فيلسوف يوناني عاش في الفترة ٦٤٠ـ ٥٤٦ قبل الميلاد. « المعرِّب ».

أفلاطون

المحاورات الكاملة

أفلاطون

المحاورات الكاملة

المجلد الثاني

محاورة بارمنيدس
محاورة بوليتيكوس
محاورة السفسطائي
محاورة جورجياس
محاورة كارمايديس
محاورة ليسيس
محاورة لاخيس

نقلها إلى العربيّة
شوقي داود تمراز

الأهلية للنشر والتوزيع

بيروت ١٩٩٤
إصدار: الأهلية للنشر والتوزيع
بيروت - الحمراء، بناية الدورادو
ص.ب.: ١١٣٥٤٣٣ - هاتف: ٥٤١٥٧٠

المحتويات

محاورة بارمنيدس
في علم المنطق ومشكلة الوحدة

أفكار المحاورة الرئيسيّة

أ ـ يبدأ انتيفون، أخو اديامنتوس وكلوكون من أمهما بإعادة ذكر المحاورة التي كانت قد دارت بين سقراط، زينون، بارمنيدس، وأرسطو.

ب ـ يسأل سقراط زينون إذا أكّد أن الوجود متعدّد أو واحد، وإذا كان متعدّداً، فهل يجب أن يكون متشابهاً وغير متشابه، وهل هذا مستحيل أوْ لا، وما هي عواقبه؟

ج ـ بحث في المثل البدهيّة للأجسام المرئية وهل هي وحدة أو كثرة، ومن ثم في المثل التي تدرك بالعقل وهل هي وحدة أو كثرة كذلك، وهل هي متشابهة أم لا. ولنسأل إذا جعلنا مُثُلاً مطلقة للعادل والجميل والخيّر وما شابه، فهل للنار والماء، مَثَلاً، مُثُلٌ؟، وهل للأشياء الأدنى مرتبة مُثُلٌ كذلك؟ كالشَّعْر، الوحل، والأوساخ أو أي شيء آخر سافلٍ تافه. وهل يمكن للمُثُل أن تكون أفكاراً فقط، وليس لها أي وجود مناسب إلاّ في عقولنا؟ إذ لا يمكن لكل مثال أن يبقى واحداً في تلك الحالة، وأن لا يختبر هذا التكاثر المحدود. أو هل المُثُل هي نماذج ثابتة في الطبيعة، وما الأشياء الأخرى إلاّ شبهها ومماثلات لها؟ أو هل يمكن أن يشبه الفرد المثال، أو أن لا يشبه المثال الصورة؟ ولنبحث في الأفكار المعاكسة لكل ما طرحناه.

د ـ ما هي الجواهر المطلقة وأين توجد؟ وهل المعرفة المطلقة تطابق الحقيقة المطلقة؟ وهل يطابق كلُّ نوع من المعرفة المطلقة كلَّ نوع من الوجود المطلق؟ أمّا عدم امتلاكنا نحن كأشخاص لمعرفة المثل، فذلك ليس لأن لدينا حصة في المعرفة المطلقة. وهذه المعرفة المطلقة، لا نعتقد أن يمتلكها أحدٌ سوى الله.

وبعدُ، دعنا نتأمّل ملياً العواقب التي تنجم عن ال - أن شيئاً ما يكون، وكذلك العواقب التي تحدث من أنه لا يكون.

هـ - إذا وُجِد الواحد فلا بداية له ولا نهاية وهو غير محدود، ولذلك فهو عديم الشكل، وليس بشكل مستقيم ولا دائري، وليس بمكان، ولا يمكنه أن يكون لا في الآخرين ولا في نفسه، وهو ليس بمتحرك ولا ساكن، وليس في شيء، ولا يأتي إلى الوجود، بل هو موجود على الدوام وهو ليس في الحالة عينها، وليس له مكان، وليس الشيء نفسه مع ذاته، ولا غيراً من ذاته أو من الغير، وهو ليس مغايراً لنفسه، ولن يصير الشيء نفسه مع أي شيء، وهو ليس كمثله شيء، ولا يشبه نفسه أو يشبه الغير، وليس له صفة ولا يوصف أبداً، وهو ليس متساوياً بنفسه ولا بالآخر، وليس له أجزاء، ولا مُحدث، ولا قديم، ولا يحدّه زمن، وليس له زمن، ولا يشترك في الزمن ماضياً حاضراً أو مستقبلاً.

و - إذا الواحد يكون، فهل يشترك في الوجود؟ وما هو الفرق بين الوجود والواحد؟ وما معنى الوجود لوجود الوحدة، ووحدة الوجود المتّحد، ومعنى الكل والجزء؟ أمّا الغير فليس الشيء ذاته، لا مع الواحد ولا مع الوجود. ما هي الأعداد التي تنتج عن تكلمنا عن الوجود والغير، أو عن الواحد والغير؟، إذا الواحد يكون، يجب بالضرورة أن يكون العدد أيضاً، وينبغي أن يكون هناك كثرة، وكثرة غير محدّدة للوجود، ويلزم أن يُقسَّم إلى الأكبر والأصغر، وأن تكون قسمته لا نهاية لها. وما يكون التام في الواحد؟. ودعنا نسأل عن اللاّواحد كذلك، وعن الغير وعلاقته بالواحد: هل سيلامس الواحد نفسه والغير إذن، وإذا فعل فماذا ستكون النتائج؟ ما هي علاقة الكبر والصغر بالواحد؟ وعندما يأتي الواحد بالإضافة لكل جزء من كون عملية الصيرورة مستمرّة فماذا نستنتج؟ وهل ينطبق مِثل ما هو للوجود على ما هو للصيرورة؟ إن افتراض الوجود هو ما نسميّه صيرورة، والتخلي عنه هو ما نسميّه دماراً. وما هي اللحظة وعلاقتها بالواحد؟ ثم دعنا نفترض أخيراً عكس ما قلناه عن الواحد والوجود، فماذا ستكون العواقب.

ز ـ إذا الواحد يكون، ماذا سيحدث للآخرين؟ دعنا نتأمّل ذلك مليّاً. وكذلك ماذا ستكون صفات الغير من الواحد. مثلاً، ما هي علاقة الغير بالواحد، وما هي علاقة الواحد بالجزء والكل، وكذلك الكسور الأقلّ كثرة بالنسبة له.

ح ـ لنفترض إذا الواحد يكون، ما إذا يكون ضد الكل أو لاَ يكون كذلك عن الغير على حد سواء؟ ثم ما هي صفات الغير؟ بعد كلّ الذي شرحناه نؤكّد أنّ الواحد يكون.

ط ـ مرّة ثانية، دعنا نتأمل ملياً إذا الواحد لا يكون، فماذا ستكون العاقبة؟ وما هو الفرق بين الجملتين (إذا الواحد لا يكون) و(إذا الواحد لا يكون فلا يكون)؟ وإذا قيل (إذا الواحد لا يكون) فنحن نقول إنّ ما (لا يكون) هو غيرٌ من الغير كله. وإذا قال إنسان (الواحد) فهو يقول شيئاً ما معروفاً، وثانياً، شيئاً ما يكون غيراً من كل الأشياء الأخرى. الواحد له شبه بنفسه فقط ولا يشبه غيره وهو لا يتساوى بغيره، والغير لا يساويه. ما هي علاقة الواحد بالحركة والسكون وعواقب كل منهما وتغيير الواحد إلى غير نفسه، وكذلك اللاواحد.

ي ـ دعنا نسأل ماذا سيحدث فيما يختصّ بالواحد، إذا الواحد لا يكون. هل معنى ذلك أنه لا يشترك في الوجود، ولذلك فهو لا يفنى ولا يصير، ولذلك لا يتغيّر ولا يتحرّك، ولا يقف لأن لا مكان له، والذي يتحرّك يجب أن يكون دائماً في نفس البقعة الواحدة، أو اذا الواحد لا يكون لا يستطيع أيّ شيء أن يكون أو أن يكون هذا الشيء، أو أن يُنسب إلى، أو يكون العلامة المميّزة لهذا أو ذلك أو الغير، أو أن يكون ماضياً، أو حاضراً، أو مستقبلاً. ولا تتمكّن المعرفة، أو الرأي، أو التصوّر، أو التعبير، أو الإسم، أو أيّ شيء آخر يكون أن يمتلك أية علاقة معه.

ك ـ دعنا نقرّر إذا الواحد لا يكون، فماذا سيحلّ بالغير؟ سيكون الغير غيراً من بعضه عندئذ لأن الخيار الوحيد الباقي هو أنه غيرٌ من لا شيء، وهو غيرٌ من

بعضه بعضاً كونه جمعاً وليس فرداً، وهو لا يمكن أن يكون مفرداً، بما أنّه ليس هناك وحدة. إنّ كل شذرة منه هي غير محدودة في العدد، وحتى إذا أخذ شخص ذلك الذي يظهر أنه أصغر كسر، فهذا، الذي يتراءى واحداً يفنى في الكثرة بلحظة، كما في حلم، ويصبح كبيراً جدّاً من كونه الأصغر، مقارنةً بالكسور التي جُزّىء إليها. وسيكون الغير في هكذا ذرات غيراً من بعضه بعضاً. إذا الغير يكون والواحد لا يكون، فسيُعلن العدد منها والرقم المفرد والمزدوج.

ل ـ ما هي علاقة الذرات بالوحدة وبالوجود، وهكذا ينبغي أن تكون هذه الذرات شبيهة وغير شبيهة بنفسها وببعضها بعضاً، وتكون شبيهة ومختلفة من بعضها بعضاً، وهي منفصلة في اتصالها بنفسها، ولها كل نوع من أنواع الحركة، وكل نوع من أنواع السكون. ولها كل نوع للحركة، وكل نوع للسكون، وهي صائرة وكونها مدمَّرة وفي غير هاتين الحالتين، وما شابه ذلك. ويمكن أن تكون الأشياء متعدّدة إذا الواحد لا يكون والمتعدّد يكون.

م ـ دعنا نعود إلى البداية ونسأل مرّة ثانية، إذا الواحد لا يكون وغير الواحد يكون، فماذا سيتبع؟ لن يكون الغير واحداً عندئذ، ولن يكون متعدّداً. وإذا الواحد لا يكون فالغير لا يكون، ولا يمكن أن يُتصوَّر أنّه يكون، لا واحداً ولا عدَّة، ولا كشبيه أو غير شبيه، ولا كذات الشيء أو مختلفاً، ولا في اتصال أو إنفصال، ولا في أيّةٍ من تلك الحالات التي عددناها كما تظهر لتكون. فالغير لا يكون ولا يظهر ليكون أيّاً من هذه إذا الواحد لا يكون. يمكننا الآن بعد كل الذي قلناه أن نختصر المحاورة بكلمة ونقول بصدق، إذا الواحد لا يكون، فلا شيء يكون.

شوقي داود تمراز ينطا، ١٩٩٣/١/١

محاورة بارمنيدس

في علم المنطق ومشكلة الوحدة

أشخاص المحاورة

سيفالوس	سقراط
اديامنتوس	زينون
أنتيفون	بارمنيدس
بيثودوروس	ارسطاطاليس

[يعيد سيفالوس ذكر محاورة يُعتقد أنّ أنتيفون قد رواها بحضوره وأنتيفون أخي اديامنتوس وكلوكون من أمهما، رواها إلى أشخاص محدَّدين من كلازومينيا].

سيفالوس: قد أتينا من بيتنا في كلازومينيا إلى أثينا، وقابلنا اديامنتوس وكلوكون في الساحة العامة. قال اديامنتوس: أهلاً وسهلاً، يا سيفالوس، وقد أمسكني بيده؛ هل من شيء نستطيع فعله لك في أثينا؟

سيفالوس: نعم؛ لذلك أنا هنا؛ إنّني أرغب أن أسألك معروفاً.

اديامنتوس: ماذا يمكن أن يكون ذلك؟

سيفالوس: أريدك أن تخبرني عن إسم أخيك من أمك، الذي نسيتُه. لقد كان مجرَّد طفل عندما أتيت أخيراً من هناك، من كلازومينيا، لكن ذلك كان منذ زمن طويل. كان إسم أبيه، بيريلامبس، إذا ما زلتُ أتذكّر جيداً؟

سيفالوس: نعم، وإسم أخونا، أنتيفون، لكن لِمَ تسأل؟

اديامنتوس: دعني أقدِّم بعض رجال بلادي، إنهم محبّو الفلسفة، وقد سمعوا أنّ أنتيفون كان على علاقة وثيقة مع بيثودوروس، صديق زينون، وهو ما زال قادر على ترديد المحاورة التي جرت بين سقراط، زينون، وبارمنيدس لسنين خلت، والتي قد تلاها له غالباً بيثودوروس.

سيفالوس: حقيقي تماماً.

اديامنتوس: وهل نقدر أن نسمعها؟

سيفالوس: لا شيء أسهل من ذلك؛ فهو عندما كان شاباً قام بدرس تلك القطعة بعناية؛ لكنَّ أفكاره اتّجهت إلى ناحية أخرى في الوقت الحاضر. فهو قد كرّس وقته للاهتمام بالخيل. لكن، إذا كان هذا ما تريد، دعنا. نذهب ونبحث عنه. إنه يسكن في ميلايط، وهي قريبة جداً من هنا، ولقد تركَنا منذ برهة فقط ليذهب إلى البيت.

[ذهبنا بناءً على ذلك، لنبحث عنه؛ وجدناه في البيت، وكان منهمكاً في العمل بإعطائه الحدّادَ لجاماً كي يصلحه. عندما انتهى من عمله والحدّاد، أخبره أخوه الغرض من زيارتنا. وعندما رآني حيّاني كأحد معارفه إذ تذكّرني من زيارتي السابقة له، وسألناه بعد ذلك أن يعيد لنا ترديد المحاورة. لم يكن على استعداد بادىء ذي بدء، وتذمّر من الإزعاج، لكنه قَبِلَ بذلك بعد وقت طويل. بدأ يخبرنا أن بيثودوروس قد وصف له مظهر بارمنيدس وزينون. لقد أتينا إلى أثينا، كما قال، إلى الباناثينيون الكبير. كان عمر الأول خمسة وستين عاماً، أثناء زيارته، وقد جلّله الشيب تماماً، لكنه محبوب جداً. وكان زينون في الأربعين تقريباً، طويلاً ووسيماً يلفت النّظر؛ وقد أشيع أنّ بيرمينْدس كان يحبّه في أيّام شبابه. قال إنه سكن مع بيثودوروس في السيراميكوس، خارج السور، في حين أن سقراط، أتى ليراهم، ومعه آخرون، وكان رجلاً جدّ شابّ آنئذ. لقد أرادوا أن يسمعوا تآليف زينون، التي

وصلت إلى أثينا للمرّة الأولى بمناسبة زيارتهم. لقد قرأها لهم زينون بنفسه في غياب بارمنيدس، وكان قد إنتهى من قراءتها تقريباً عندما دخل بيثودوروس، ومعه بارمنيدس وأرسطو الذي كان واحداً من الثلاثين فيما بعد، وسمع القليل المتبقي من الحديث. وكان بيثودوروس قد سمع زينون يردّدها من قبلُ. عندما انتهى السرد، إلتمس سقراط إعادة قراءَة الأطروحة الأولى من المحاورة الأولى إذا أمكن. وبعدَ أن أتمَّ هذا، قال سقراط: ما هو معناك، يا زينون؟ هل تؤكّد أنّه اذا كان الوجود متعدّداً، يجب أن يكون متشابهاً وغير متشابه على حدّ سواء، وإن كان مستحيلاً، لأنّه لا يمكن أن يكون المتشابه غير متشابه، ولا غير المتشابه متشابهاً ـ أهذا موقفك؟].

زينون: هكذا تماماً.

سقراط: وإذا كان غير المتشابه لا يستطيع أن يكون متشابهاً أو المتشابه غير متشابه، لا يمكن للوجود إذن، وطبقاً لك، أن يكون متعدّداً؛ لأنّ هذا يقتضي استحالة. هل لديك أي غرض آخر في كل الذي تقول، عدا أن دحض وجود المتعدّد؟ أوَ لا يقصد كل قسم من بحثك أن يعطي برهاناً منفصلاً عن هذا، من أن هناك وجوداً في الكل كالبراهين العدّة للاّوجود المتعدّد كما ألّفت محاوراتك؟ أهذا هو معناك، أو أنني أسأت فهمك؟

زينون: لقد فهمت قصدي العام بالضبط.

سقراط: إنّني أرى، يا بارمنيدس، أنّ زينون لا يحبّ أن يكون واحداً معك في الصداقة فقط، بل الثاني لنفسك في تأليفه أيضاً. إنه يضع ما تقول بطريقة أخرى، وسيبذل قصارى جهده ليجعلنا نعتقد أنه يخبرنا شيئاً جديداً، لأنك تقول في قصائدك (الكل يكون واحداً) وتورد براهين ممتازة عن هذا. وتقول انه لا يكون متعدداً من الناحية الأخرى، وتقدّم دليلاً غامراً لصالح هذا القول. أنت تثبت الوحدة، هو ينكر الكثرة. وهكذا أنت تخدع العالم

بإيهامهم أنّك تقول أشياء مختلفة في حين أنك تقول الشيء عينه. إن هذا أسلوب فنيّ يتعدّى مجال أكثريتنا.

زينون: نعم، يا سقراط، لكن مع أنك حادٌّ ككلب الصيد الإسبرطي في تعقب الأثر، فإنك لم تدرك تماماً الباعث الحقيقي للتأليف، الذي ليس عملاً غاضباً كما تتخيّل. لأن ما تتكلم عنه كان حادثاً، ولم يوجد هناك إدعاء لغرض عظيم، أو لأي قصد خطير لخداع العالم. الحقيقة، أن ذلك التأليف الخاص بي قُصِدَ منه أن يحمي محاورات بارمنيدس ضد أولئك الساخرين منه، ويُنشد أن يظهر النتائج العديدة المضحكة والمتناقضة التي يفترضونها أن تتبع مع تأكيد الواحد. جوابي موجّهٌ إلى متعصّبي الكثرة، الذين أردُّ هجومهم وبردٍّ مفحم عليهم أن فرضيتهم لتعدديّة الوجود، إذا توبعت، تظهر لتبقى أكثر إضحاكاً من فرضية وحدة الوجود. لقد قادتني غيرتي لسيّدي كي أكتب الكتاب في أيام شبابي، غير أن شخصاً ما سرق النسخة. ولهذا السبب لم يكُن لديَّ خيار ما إذا سيُنشر أو لا. إن باعث القصد من الكتابة، على أيّة حال، لم يكن طموح رجل مسن، بل مشاكسة رجل شابٍّ، لا يظهر أنك ترى هذا، يا سقراط؛ مع أن فكرتك في النواحي الأخرى، كما قلت، هي فكرة عادلة يقيناً.

سقراط: أفهم ذلك، وأقبل تفسيرك تماماً. لكن أخبرني، يا زينون، ألا تعتقد أنّ هناك مثالاً للتشابه منفصلاً وموجوداً بنفسه بالإضافة إلى ذلك، ومثالاً مضاداً هو جوهر اللاّتشابه، وأنه يشارك في هذين المثالين الإثنين أنت وأنا وكل الأشياء الأخرى التي تستخدم هذا المصطلح التعددي. الأشياء التي تشارك في التشابه تصبح متشابهة في تلك الدرجة والطريقة؛ وبقدر ما تشارك في اللاّتشابه تصبح غير متشابهة في تلك الدرجة؛ أو ثانية هي متشابهة وغير متشابهة في الدرجة التي تشترك في كليهما؟ حتى لو اشتركت كل الأشياء

في كلا النقيضين، وكانت متشابهة وغير متشابهة إلى أنفسها بسبب هذه المشاركة، فأينَ هو العجب؟ وبعدُ إذا استطاع شخص أن يبرهن المتشابه المطلق ليصبح غير متشابهٍ، أو ليصبح اللاّمتشابه المطلق، متشابهاً، سيكون ذلك مدهشاً حقاً، في رأيي. غير أنه لا يوجد شيء إستثنائي، يا زينون، في تبيين أن الأشياء التي تشترك في المتشابه واللاّمتشابه تختبر كليهما فقط. ولا، مرّة ثانية، إذا وُجِدَ شخص ليُري أن الكل يكون واحداً لمشاركته في الوحدة، وفي الوقت عينه متعدّداً لمشاركته في التكاثر، سيكون ذلك مدهشاً. لكن إذا أراني أن الواحد المطلق كان متعدداً، أو الكثرة المطلقة واحداً، سأكون مذهولاً حقاً. وهكذا أقول عن كل الباقي: سأكون مُفاجأً لأسمع أن الطبائع أو المثل امتلكت أنفسها تلك النوعيّات المتضادة، لكن ليس إذا أراد شخص أن يبرهن لي أنني كنت متعدّداً وواحداً أيضاً. عندما أراد أن يبيِّن لي أنني كنت كثرة سيقول إنّ لديَّ جانبين شمالاً ويميناً، وجانباً أمامياً وخلفياً، ونصفاً فوقياً وتحتياً، لأنني لا أستطيع تكذيب مشاركتي في الكثرة. وعندما يريد، على الجانب الآخر، أن يبرهن أنني أكون واحداً سيقول إننا نحن المجتمعين هنا سبعة، وإنّي واحدٌ وأشارك في الوحدة. لقد برهن مثاله لحدوث الشيء في الشاهدين كليهما. هكذا ثانية، إذا شرع شخص ليعرض أن أشياء كالأخشاب، الأحجار، وما شابه، كونها كثرة هي واحدة أيضاً، سنقول إنه يبرهن أن شيئاً ما هو واحد أو كثرة في الحال، لكن ليس أن الوحدة تكون كثرة، أو الكثرة واحداً؛ وأنه لا ينطق تناقضاً بل حقيقة بَدَهِيَّة. إذا ما ابتدأ واحد ما، مع ذلك، يضع المثل جانباً في شواهد كالتي ذكرت لتوِّي الآن ـ المتشابه، اللاّمتشابه، الواحد، الكثرة، السكون، الحركة، وكل المثل المتشابهة ـ وليُري بعد ذلك أن تلك تفسح مجالاً للمزج مع والافتراق عن بعضها بعضاً، سأكون مندهشاً كثيراً جداً. يُظهر هذا الجزء

من المحاورة أنك قد عالجته، يا زينون، في نهج ذي نفسية جيدة، لكنني سأكون مذهولاً ببعد أكثر، كما كنت قائلاً، إذا ما وَجَد شخص ما في المثل انفسها التي تُدرك بالعقل نفس المُعْضِلة والتعقيد التي قد أبنت أنها موجودة في الأجسام المرئية.

[بينما كان سقراط يتكلم، فكَّر بيثودوروس أنَّ بارمنيدس وزينون لم يكونا مسرورين تماماً في الخطوات المتتالية للمحاورة، لكنهما بقيا معطيين الاهتمام الأقرب لها، وتطلعا في بعضهما بعضاً غالباً، وابتسما وكأنهما يحدوهما الإعجاب به. عندما انتهى من كلامه، أوضح بارمنيدس شعورهما بالكلمات الآتية]:

يا سقراط، إنني أنظر بإعجاب لميل عقلك نحو الفلسفة. أخبرني الآن، أكان هذا تمييزك الخاص بين المثل في أنفسها والأشياء التي تشترك فيها؟ وهل تعتقد أن هناك مثالاً للمتشابه بعيداً من المتشابه الذي نمتلك، وعن الواحد والكثرة والأشياء الأخرى التي ذكرها زينون؟

سقراط: أعتقد أنّ هناك مثلاً كهذه.

بارمنيدس: وهل تجعل أيضاً مُثُلاً مطلقة للعادل والجميل والخيِّر، ولكل تلك الطبقة؟

سقراط: نعم، سأفعل.

بارمنيدس: وهل ستجعل مثالاً للإنسان بعيداً منّا ومن كل المخلوقات الإنسانيّة الأخرى، أو مثالاً للنار والماء؟

سقراط: إنّني لم أبت في الأمر غالباً، يا بارمنيدس، سواء إذا وجب أن أضمّنها أوْ لاَ.

بارمنيدس: وهل ستشعر أنك غير مقرِّرِ الأمر بالتساوي، يا سقراط، بشأن الأشياء التي يثيرُ ذكرُها الضّحك؟ ـ أعني هكذا أشياء كالشعر، الوحل، الأوساخ، أو أي شيء آخر يكون سافلاً وتافهاً؛ أهل هذا صعب لتقرّر ما إذا يكون لكلٍ

من هذه الأشياء مثالٌ متميّز عن الأجسام الحقيقية التي نتّصل بها، أوْلاَ؟

سقراط: لا بالتأكيد، إن الأشياء المرئيّة كتلك هي هكذا كما تظهر لنا وأخشى أن يكون هناك شيء منافٍ للعقل والمنطق في افتراض اي مثال لها بالرغم من أنه يحصل لديَّ اضطراب في وقت ما، وأفكر بأنّه ما مِن شيء بدون مثال. لكنني عندما أكون قد اتّخذتُ هذا الموقف مرّة ثانية، أُوَلِّي هارباً، لأنني أخاف من السقوط في حفرةٍ لا قرار لها من الأفكار السخيفة، وَأَهْلَك؛ وهكذا أعود إلى المُثُل التي تكلّمت عنها لتوّي، وأشغل نفسي بها.

بارمنيدس: نعم، يا سقراط، ذلك لأنك لم تزل فتيّاً؛ سيأتي الوقت، اذا لم أكن مخطئاً، عندما ستتملَّك الفلسفة منك، ولن تستخف بأحقر الأشياء آنئذ؛ إنّك ميّال في سنك لتعتبر آراء الرجال كثيراً جداً. غير أنني أحبّ أن أعرف إن كنت تعني أنّ هناك مُثُلاً محدَّدة تشترك فيها كل الأشياء الأخرى، والتي تشتقّ أسماءَها منها؛ وأن المتشابهات، كمثال، تصبح متشابهة، لأنها تشترك في التشابه؛ وتصبح الأشياء الكبيرة كبيرة، لأنها تشترك في الكبر، وتصبح الأشياء العادلة والجميلة عادلة وجميلة، لأنها تشترك في العدل والجمال؟

سقراط: نعم، إن ذلك هو ما أعنيه، بالتأكيد.

بارمنيدس: يشترك كل فرد إذن، إمّا في كل المثال وإلاّ ففي جزء من المثال. أيوجد أي شكل آخر للاشتراك؟

سقراط: لا يمكن وجوده.

بارمنيدس: هل تفكّر إذن أن كل المثال يكون واحداً، ومع ذلك، كونه واحداً، فهو في كل واحد من الكثرة؟

سقراط: وما الاعتراض هنا؟

بارمنيدس: ستكون النتيجة أن الواحد والشيء نفسه سيوجدان ككل في الوقت

عينه في أفراد كثيرين منفصلين، وسيكونان لذلك في حالة إنفصال من نفسيهما.

سقراط: كلا، بل يمكن للمثال أن يشبه اليوم الذي يكون واحداً والشيء ذاته في أماكن عدة حالاً، ومستَمراً بنفسه مع ذلك. يمكن لكل مثال أن يكون واحداً والشيء ذاته في الكل في الوقت عينه.

بارمنيدس: أحبّ طريقتك، يا سقراط، بجعل الواحد في عدة أماكن حالاً. تعني إذا ما نشرت شراعاً وغطّيت رجالاً عدَّة، سيكون هناك واحد بكامله مشتملاً على كثرة ـ أليس ذلك معناك؟

سقراط: أظنُّ هذا.

بارمنيدس: وهل ستقول إن الشراع بكامله يشمل كل رجل أو جزءاً منه فقط، والأجزاء المختلفة رجالاً مختلفين؟

سقراط: الآخر.

بارمنيدس: ستكون المثل نفسها إذن، يا سقراط، قابلة للقسمة، وستحوز الأشياء التي تشترك فيها جزءاً منها فقط، وليس المثال موجوداً في كل منها بكامله؟

سقراط: يبدو أن ذلك يتبع.

بارمنيدس: هل ستحبّ أن تقول آنئذ، يا سقراط، إن المثال الواحد يكون قابلاً للقسمة حقاً ويبقى واحداً مع ذلك؟

سقراط: لا، بالتأكيد.

بارمنيدس: إفترض أنك تقسّم الضخامة المطلقة، وأن من الأشياء الكبيرة الكثيرة يكون كل واحد كبيراً بموجب قِسمٍ من الضخامة أقل من الضخامة المطلقة ـ أذلك ممكن تصديقه؟

سقراط: لا.

بارمنيدس: أو سيكون كل شيء مساوياً، إذا امتلك قسماً صغيراً ما للمساواة

أقل من المساواة المطلقة، لشيء ما آخر بموجب ذلك القسم فقط؟

سقراط: مستحيل.

بارمنيدس: أو افترض أن واحداً منّا لديه قسماً من الصِغَر؛ فما هذا إلاّ جزء للصِّغَر، وسيكون الصغير بالمطلق أكبر لذلك؛ بينما ذلك الذي يكون مضافاً إليه الجزء المجرَّد للصغير سيكون أصغر وليس أكبر من ذي قبل.

سقراط: يستطيع ذلك أن يكون بالكاد، وبحق.

بارمنيدس: بأيَّة طريقة، يا سقراط، ستشترك كل الأشياء في المُثُل، إذا كانت غير قادرة أن تشترك فيها لا كأجزاء أو بالكامل؟

سقراط: حقاً، لقد سألت سؤالاً لا يمكن الإجابة عليه بسهولة.

بارمنيدس: حسناً، وماذا تقول عن سؤال آخر؟

سقراط: أيُّ سؤال.

بارمنيدس: أتصوّر أنّ السبب في افتراضك مثالاً واحداً لكل نوع هو كما يلي: ـ عندما يظهر لك عدد من الأشياء أنها كبيرة، تبيَّن لك هناك بدون شك أنها واحدة والمثال عينه (أوالطبيعة) مرئيٌ فيها جميعاً. من هنا تتصوّر الضخامة كواحدة.

سقراط: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: لكن الآن، إذا سمحت لعقلك في أسلوب مماثل أن يحتوي هذه الضخامة الحقيقية وتلك الأشياء الأخرى الكبيرة في غرض واحد، فلن تُنشأ ضخامة واحدة أكثر، كونها محتاجة أن تعلِّل لشبيه الضخامة في كل هذه الأشياء؟

سقراط: ستظهر هكذا.

بارمنيدس: يحضرنا حينئذ مثال آخر للضخامة زيادة على الضخامة المطلقة والأفراد الذين يشاركون بها؛ وآخر حينئذ، زيادة على تلك، نظراً إلى أنها ستكون

كلها كبيرة، وستُترك هكذا بدون أي مثال فردي في كل حالة، بل بعدد من المثل غير محدَّد.

سقراط: لكن ألا يمكن للمُثُل أن تكون أفكاراً فقط، وليس لديها أي وجود مناسب إلا في عقولنا، يا بارمنيدس، لأنه يمكن لكل مثال أن يبقى واحداً في تلك الحالة، وأن لا يختبر هذا التكاثر اللاّمحدود.

بارمنيدس: أخبرني، إذن، أيمكن لكل فكرة أن تمتلك طبيعتها الخاصة المحدَّدة، وأن تكون فكرة للا شيء مع هذا؟

سقراط: مستحيل.

بارمنيدس: يجب أن تكون الفكرة لشيء ما؟

سقراط: نعم.

بارمنيدس: لشيء ما يكون أو لا يكون؟

سقراط: لشيء ما يكون.

بارمنيدس: ألا يجب أن تكون لشيء ما فرد، تدركه الفكرة كملحق بالكلّ، كونه ذا شكل واحدٍ وطبيعة؟

سقراط: نعم.

بارمنيدس: وهذا الشيء ال « ما »، المُدرَك كواحد وذاتٍ في الكل، ألن يكون مثالاً؟

سقراط: لا يوجد أيّ مهرب من ذلك، مرّة ثانية.

بارمنيدس: إذا قلت إذن، إنّ كل شيء آخر يجب أنْ يشترك في المثل ألا يجب أن تقول أن كل شيء مصنوع من الأفكار، وإن كل شيء يفكّر، أو إنها أفكار لكن بدون فكر؟

سقراط: إنّ هذا التصوُّر، يا بارمنيدس، ليس منطقياً أكثر من السابق. إن المُثُل في رأيي تكون، نماذج ثابتة في الطبيعة، وما الأشياء الأخرى إلا شبهها ومماثلات

لها ـ ما عُني باشتراك الأشياء الأخرى في المثل، هو استيعاب لها بحق.

بارمنيدس: لكن إذا كان الفرد يشبه المثال، أيمكنُ ألاّ يكون المثال شبيه الصورة، بقدر ما قد كانت هذه مَصُوغةً في تشابه للمثال؟ إن ذلك الذي يكون شبيهاً، لا يمكن تصورّه كشيء آخر سوى شبيه الشبيه.

سقراط: مستحيل.

بارمنيدس: وعندما يكون اثنان متشابهَيْن، ألا يجب أن يشتركا في المثال عينه؟

سقراط: يجب ذلك.

بارمنيدس: أو لن يكون ذلك هو المثال نفسه، بالمشاركة التي تكون الأشياء فيها متشابهةً

سقراط: بالتأكيد.

بارمنيدس: لا يمكن للمثال أن يكون شبيهاً بالفرد إذن، أو الفرد شبيهاً بالمثال؛ لأنهما إذا كانا شبيهين، سيبرز مثال ما أبعد للشبيه دائماً، إذا كان مشابهاً المثال ذلك الذي يشارك فيه؟

سقراط: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: يجب التخلّي عن النظرية التي تقول، إن الأشياء الأخرى تشارك في المثل بالتشابه، واستنباط صيغة أخرى ما للمشاركة.

سقراط: يظهر هكذا.

بارمنيدس: هل ترى إذن، يا سقراط، ما أصعب خلق هذا التمييز للمثل (أو الأنواع) الموجودة بأنفسها؟

سقراط: نعم، حقاً.

بارمنيدس: ودعني أقول علاوة على ذلك، بما أنك فهمت جزءاً صغيراً من الصعوبة التي نحن بصددها، وهي إذا جعلت كل شيء مثالاً فرداً، مبعداً عن الأشياء الأخرى.

سقراط: أيّة صعوبة؟

بارمنيدس: يوجد العديد منها، لكن أعظمها هي هذه: إذا حاور خصمٌ أن تلك المثل، كونها كما نقول أنها يجب أن تكون، فلا بدّ أن تبقى غير معروفة، لا يستطيع أحد أن يبرهن له أنه على خطأ، ما لم يكن الرجل الذي ينفي وجودها ذا مقدرة عظيمة وخبرة طبيعية، وعازماً على أن يتّبع إيضاحاً طويلاً وشاقّاً؛ سيبقى غير قانع، ويصر على أنها لا يمكن معرفتها.

سقراط: ماذا تعني، يا بارمنيدس؟

بارمنيدس: أعتقد في المقام الأول، يا سقراط، أنك ستعترف، أو سيعترف أي شخص ممن يؤكّد وجود الجواهر المطلقة أنها لا تستطيع أن توجد فينا.

سقراط: لا، لأنّها لن تكون آنئذ مطلقات بعد الآن.

بارمنيدس: حقاً، ولهذا عندما تكون المثل ما هي في نسبتها لبعضها بعضاً يُحدَّد جوهرها بعلاقتها فيما بينها، وليس لديها أي شيء تفعله مع المتشابهات، أو مهما كانت تسمى، التي هي في مجالنا، والتي نتلقى منها هذا أو ذاك الإسم عندما نشترك فيها. وتكون الأشياء التي في نطاق مجالنا وتمتلك الأسماء عينها معها، وتكون هي أيضاً ذات صلة ببعضها بعضاً فقط، وليس بالمثل التي تمتلك الأشياء عينها معها، بل تنتسب إلى أنفسها وليس إليها.

سقراط: ماذا تعني؟

بارمنيدس: يمكنني أن أشرح معناي بهذه الطريقة: أفترض رجلاً أنه سيّد أو عبد ـ ليس هو عبد بوضوح بالمثال المجرّد للسيد، أو سيد بالمثال المجرّد للعبد. فإن النسبة هي واحدة لرجل إلى رجل. يجب أن يُحدَّد المثال للسيادة في المجرّد بالنسبة إلى المثال للعبودية في المجرّد والعكس بالعكس. لكن الأشياء المألوفة لنا ليست مخوّلة لتفعل فوق المثل، ولا المثل لتفعل فوق الأشياء المألوفة؛ لكن، كما قد قلت، المُثل تنتمي إلى وتبقى في نسبة لبعضها بعضاً، كما تفعل الأشياء أيضاً في عالمنا المألوف. هل تفقه معناي؟

سقراط: نعم، أفقه معناك تماماً.

بارمنيدس: أو لن تتطابق المعرفة ـ أعني المعرفة المطلقة ـ مع الحقيقة المطلقة؟

سقراط: بالتأكيد.

بارمنيدس: وسيتطابق كل نوع من انواع المعرفة المطلقة مع كل نوع من انواع الوجود المطلق؟

سقراط: نعم.

بارمنيدس: لكن المعرفة التي نمتلك، ستتطابق مع المعرفة التي نمتلك وسيكون كل نوع من المعرفة التي نمتلك، معرفة لكل نوع للوجود الذي نحوز؟

سقراط: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن المثل أنفسها، كما تعترف، لا نمتلكها، ولا نستطيع حيازتها؟

سقراط: لا، لا نستطيع.

بارمنيدس: وتكون الطبائع الكليّة أو الأنواع معروفة كُلٌّ على انفراد بالمثال المطلق للمعرفة.

سقراط: نعم.

بارمنيدس: ولم نحز نحن على مثال المعرفة؟

سقراط: لا.

بارمنيدس: لا تكون واحدة من المثل معروفة إذن، لنا على الأقل، لأننا لا نمتلك حصة في المعرفة المطلقة؟

سقراط: إفترض أن لا.

بارمنيدس: ليست طبيعة الجمال في نفسه إذن، والخيّر في نفسه، وكل المثل الأخرى التي نفترض أنها توجد بالكليّة، لا ليست معروفة لنا؟

سقراط: يظهر هكذا.

بارمنيدس: لاحظ أن هناك عاقبة غريبة باقية.

سقراط: ما هي؟

بارمنيدس: هل ستقول، أو لا تقول، أن المعرفة المطلقة، إذا وجد هكذا شيء، يجب أن تكون معرفة دقيقة أقصى من معرفتنا لحد بعيد؛ وينطبق الشيء ذاته على الجمال وعلى البقيّة الباقية.

سقراط: نعم.

بارمنيدس: ولا يكون أحدٌ أكثر احتمالاً من الله ليمتلك هذه المعرفة الأكثر دقّة، إذا استطاعت الأشياء الأخرى أن تشارك فيها على الإطلاق؟

سقراط: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن هل سيكون الله قادراً على معرفة الأشياء الإنسانية أيضاً، بما أنه يمتلك هذه المعرفة الحقيقية؟

سقراط: لِمَ لا؟

بارمنيدس: لأننا قد اعترفنا، يا سقراط، أن المثل ليست شرعيّة في نسبتها إلى الأشياء الإنسانيّة؛ ولا الأشياء الإنسانيّة في نسبتها لها. إن النسب لكل منها محدَّدة طبقاً لمجالاتها الخاصة بها.

سقراط: نعم، لقد سُلِّم بذلك.

بارمنيدس: وإذا امتلك الله هذه السلطة التامة والمعرفة الكاملة، فسلطته لا تقدر أن تحكمنا، ولا معرفته تعرفنا أو تعرف أي شيء إنساني؛ تماماً كسلطتنا، فهي لا تمتد إلى الآلهة ولا معرفتنا تعرف أيّ شيء إلهي. وهكذا هم بتعادل عقلاني كونهم آلهة، لا يكونون أسيادنا، ولا يعرفون أشياء الرجال.

سقراط: مع ذلك، فإن تجريد الله من المعرفة شيء فظيع بالتأكيد.

بارمنيدس: تلك، يا سقراط، هي صعوبات قليلة وقليلة جداً وقعنا فيها إذا كانت المثل حقيقية وإذا صمّمنا أن كل واحدة منها لتكون وحدة مطلقة. إن من يسمع ما يمكن قوله ضدَّها سينكر وجودها بشكل تام. وإذا وُجِدَتْ، سيقول

إنها يجب أن تكون غير معروفة إلى الإنسان بالضرورة؛ وسيبدو أن يكون لديه مبرِّر لدعم قوله، وكما علّقنا لتوّنا، سيكون من الصعب جداً أن تقنعه. يجب أن يكون الإنسان موهوباً بطاقة فائقة جداً قبل استطاعته تعلُّمَ أنَّ كل شيء له نوع وله جوهر كلّي؛ وسيبقى الشيء الأكثر روعة هو أن من يكتشف كل تلك الأشياء بنفسه، وقد تحرّاها بشكل دقيق يقدر أن يعلّمها للآخرين.

سقراط: أتّفق معك، يا بارمنيدس، وما تقول هو ما أفكّر به تماماً.

بارمنيدس: ومع ذلك، يا سقراط، إذا ألغى الإنسان مُثُل الأشياء وأنكر أن كل شيء فرد له مثاله النهائي الذي يكون واحداً وذاته على الدوام، مركزاً انتباهه على تلك الصعوبات وما شابهها، فلن يكون لديه أي شيء يمكن لعقله أن يرتكز عليه؛ وسيدمِّر طاقة التعقل هكذا تماماً. ويبدو أنك قد لاحظت ذلك بشكل خاص.

سقراط: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: لكن، ماذا سيحل بالفلسفة حينئذ؟ إلى أين سنتّجه، إذا كانت المثل غير معروفة؟

سقراط: إنني لا أرى طريقي في الوقت الحاضر بالتأكيد.

بارمنيدس: نعم، وأعتقد أن هذا ينشأ، يا سقراط، من محاولتك معرفةَ الجميل، العادل، الخيِّر، والمُثُل بشكل عام، بدون تدريب كافٍ مسبق. إنني لاحظت عجزك، عندما سمعتك تتكلم مع صديقك أرسطو هناك، أوّل أمس. إن الدافع الذي يحملك نحو الفلسفة نبيل وإلهي بالتأكيد؛ لكن هناك فن يسمّيه السّوَقَة ثرثرة يُتصوَّر أنه غير ذي نفع غالباً. وما دمت فتياً فدرّب نفسك على ذلك، وإلا أفلتت من يديك.

سقراط: وما هي طبيعة هذا التمرين، يا بارمنيدس، الذي ستنصح به؟

بارمنيدس: أنه ذلك الذي سمعت زينون يمارسه. إنني أمنحك الثقة في الوقت عينه، لقولك له أنّك لم تهتم لتفحص الحيرة بشأن الأشياء المرئيّة، أو أن تتأمّل السؤال في تلك الطريقة؛ بل فعلت ذلك بشأن أهداف الفكر فقط، ولما يمكن أن يسمى مُثلاً.

سقراط: لماذا، نعم، يظهر إليّ أنه لا صعوبة هناك في أن تبيّن بهذه الطريقة أنّ الأشياء المرئيّة متشابهة وغير متشابهة ويمكن أن تختبر أي شيء.

بارمنيدس: حقيقي تماماً، لكنني أعتقد أنك إذا رغبت في تمارين أكثر دقّة فعليك أن تذهب خطوة أبعد، وأن لا تعتبر العواقب التي تنجم من فرضية ما إذا الشيء يكون، بل تلك التي تنجم من فرضية أنه لا يكون.

سقراط: ماذا تعني؟

بارمنيدس: أعني، كمثال، في فرضيّة زينون عن الكثرة بالتحديد، عليك أن تستفسر ليس ما ستكون العواقب للكثرة فقط، في نسبتها إلى أنفسها وإلى الواحد: وإلى الواحد في نسبتها إلى نفسها وإلى الكثرة، على فرضية الوجود للكثرة، بل ماذا ستكون العواقب إلى الواحد والكثرة في علاقتها بنفسها وببعضها بعضاً، على الفرضية المضادة. أو مرّة ثانية، إذا كان التشابه أو لم يكن، ماذا ستكون العواقب في كل من الحالتين إلى مواضيع الفرضية وإلى الأشياء الأخرى فيما يختص بأنفسها وببعضها بعضاً، وهكذا عن اللاّمتشابه. ويصح الشيء نفسه عن الحركة والسكون، الكون والفساد، وحتى عن الوجود واللاّوجود. بكلمة، كلما تفترض أي شيء ليكون أو لا يكون، أو ليكون غير طبيعيّ بأيّة طريقة، يجب أن تنظر إلى العواقب فيما يختص بالشيء نفسه أو إلى اي شيء آخر تختاره: الى كل منه بمفرده، الى اكثر من واحد، إلى الكل. عليك أن تعتبر بالدور آنئذ، الأشياء الأخرى فيما يختص بأنفسها وبالموضوع الذي اخترت بحثه، مفترضاً أولاً أن هذا الموضوع (يكون)

وآنئذ أنه (لا يكون). إذا ما امتلكت تدريباً كهذا تام فهو الذي يستطيع أن يهدي وحده إلى رؤيا مقنعة للحقيقة.

سقراط: إن ذلك العمل الذي تتكلم عنه، يا بارمنيدس، هو عمل ضخم، ولا أفهمك تماماً. فهل ستأخذ فرضية ما وتتأكّد من خطواتك؟ سأفهم بشكل أفضل حينئذٍ.

بارمنيدس: إن تلك مهمة شاقة وخطيرة، يا سقراط، لتفرضها على رجل في سنّي.

سقراط: هل أنت لها إذن، يا زينون؟

زينون: أجاب بابتسامة: ـ دعنا نقدم تضرعنا إلى بارمنيدس نفسه، المحق تماماً في القول إنك مدرك بصعوبة لمدى العمل الشاق الذي تفرضه عليه. وإذا كان هناك كثرة منّا فلن أسأله، إذ لا أحد يستطيع التكلم في تلك المواضيع بجودة أمام حضور جماهيري كبير، خاصة وهو متقدم في السن. أن أكثرية الناس غير مدركة أن هذا التقدم الدائري خلال كل الأشياء هو الطريق الوحيد الذي يتمكن العقل فيه أن يحرز الحقيقة والحكمة. ولذلك، يا بارمنيدس، إنني أنضمُّ إلى تضرع سقراط، لأتمكن من سماع العملية مرّة ثانية والتي لم أسمعها منذ وقت طويل.

عندما تكلم زينون، قال بيثودوروس، في تطابق لتقرير أنتيفون عنه، إنه نفسه وأرسطو والصحابة جميعاً رجوا بارمنيدس أن يعطي مثالاً عن العملية.

قال بارمنيدس: إنني لا أستطيع الرفض؛ وأشعر مع ذلك أنني شبيه بأيبيكوس، الذي وقع في الحب رغم إرادته في سنه، مقارناً نفسه بحصانِ سباقٍ مسن، الذي كان على وشك أن يتبارى في سباق عربات، بدا مرتعشاً من الخوف في خوض سباق عرف نتيجته جيداً ـ كان هذا التشبيه تشبيهاً بنفسه. وإنني أرتجف إرتعاداً أيضاً عندما أتذكّر أيّ محيط من الكلام عليَّ أن أخوض خلاله في زمن حياتي. لكنني يجب أن أطلق لك العنان، كما

يقول زينون أنه ينبغي عليّ، وكنّا منفردين. فمن أين سأبدأ؟ وماذا سيكون افتراضنا الأول، إذا كنت لأحاول هذه الهواية المرهقة؟ هل سأبدأ بنفسي وأختار فرضيتي الخاصة للواحد، وأعتبر النتائج التي تلي من فرضية أحدهما لوجود أو للاوجود الواحد؟

زينون: بكل تأكيد.

بارمنيدس: ومن سيجيبني؟ هل سأقترح الشاب الأفتى؟ فهو لن يخلق صعوبات وهو أكثر من يقول ما يفكر به على الأرجح؛ وستمنحني أجوبته الوقت كي أتنفّس.

ارسطو: إنني الواحد الذي تعنيه، يا بارمنيدس، لأنني الشاب الأفتى وفي خدمتك، إسأل، وسأجيب.

تقدَّم بارمنيدس قائلاً: إذا الواحد يكون، ألا يستطيع أن يكون الواحد كثرة؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: لا يقدر الواحد أن يمتلك أجزاء إذن، ولا يستطيع أن يكون الشيء كله؟

ارسطو: لِمَ لا؟

بارمنيدس: لأن كل جزء هو جزءٌ من الكل، أليس كذلك؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وما هو الكل؟ أليس الذي يحتاج الى جزء هو الكل؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: سيكون الواحد في كلا الحالتين إذن، مصنوعاً من الواحد؛ كونه الكل، وله أجزاء أيضاً؟

ارسطو: لتكن متأكداً.

بارمنيدس: وسيكون الواحد كثرة في كلا الحالتين. وليس واحداً.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكن يجب أن يكون الواحد واحداً وليس كثرة بالتأكيد؟

ارسطو: يجب ذلك.

بارمنيدس: إذا بقي الواحد واحداً، فلن يكون الكل، ولن يمتلك أجزاء؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: لكن إذا لم يمتلك أجزاء، فلن يمتلك بداية، وسطاً، ولا نهاية؛ لأن تلك ستكون أجزاء منه طبعاً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: غير أن البداية والنهاية هما إذن، حدّاً كلّ شيء؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: إنّ الواحد إذن، ليس له بداية ولا نهاية، وهو غير محدود؟

ارسطو: نعم، غير محدود.

بارمنيدس: ولذلك فهو عديم الشكل؛ لأنه لا يستطيع أن يشارك في المستدير أو المستقيم.

ارسطو: لكن لماذا؟

بارمنيدس: لماذا، إنّ الشكل الدائري هو ذلك الذي تكون كل نقاطه القصوى متساوية البعد من المركز؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: والخط المستقيم هو ذلك الذي يعترض المركز فيه مرأى الأطراف؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: سيمتلك الواحد أجزاءً إذن وسيكون كثرة، إذا شارك في الشكل الدائري أو المستقيم؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن بما أنه لا يمتلك أجزاء، سيكون لا مستقيماً ولا دائرياً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: إضافة إلى ذلك، كونه ذا طبيعة كهذه، لا يمكن أن يكون في أي مكان، لأنه لا يستطيع أن يكون لاا في الآخرين ولا في نفسه؟

ارسطو: كيف ذلك؟

بارمنيدس: لأنه إذا كان في الآخر، سيكون مطوَّقاً بذلك الذي كان، وسيلامسه في أماكن عدة وأجزاءٍ عدّة؛ غير أن ذلك الذي يكون واحداً ولا يتجزأ، ولا يشترك في الطبيعة الدائريَّة، لا يمكن ملامسته في جميع الأنحاء من أماكن عدّة.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن إذا كان داخل نفسه، على اليد الأخرى، فذلك الذي كان محتوىً فيه سيكون نفسه بالمجرّد. ذلك لتقول، إذا ما استطاع أن يكون داخل نفسه، لأن لا شيء يقدر أن يكون في أي شيء يحتويه.

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: لكن يجب أن يكون المحتوي إذن، غيراً من المحتوى؟ لأن الشيء عينه كلّه لا يستطيع أن يفعلهما ويقاسيهما معاً في الحال. إذن، فالواحد ليس واحداً بعد اليوم، بل إثنين؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لا يقدر الواحد أن يكون في أي مكان إذن، لا في نفسه ولا في الآخر؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: إعتبر ما هو أبعد، سواء الذي يكون من طبيعة كهذه يمكنه أن يحوز إمّا السكون أو الحركة.

ارسطو: لِمَ لا.

بارمنيدس: لماذا؟ لأن الواحد، إذا ما تحرَّك، سيكون إمّا متحركاً في مكان أو متغيّراً في الطبيعة، لأن هذين هما نوعا الحركة فقط.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: والواحد، عندما يتغيَّر وينقطع أن يكون نفسه، لا يستطيع أن يكون واحداً بعد اليوم.

ارسطو: لا يمكنه.

بارمنيدس: لا يمكنه أن يختبر لذلك نوع الحركة التي تكون تغييراً للطبيعة؟

ارسطو: لا بوضوح.

بارمنيدس: أيمكن لحركة الواحد أن تكون في مكان إذن؟

ارسطو: لربما.

بارمنيدس: لكن إذا تحرك الواحد في مكان، ألا يجب أن يتحرك إمّا دائرياً ودائرياً في المكان عينه، أو من مكان إلى آخر؟

ارسطو: يجب ذلك.

بارمنيدس: وذلك الذي يدور حول محوره يجب أن يرتكز فوق مركز؛ ويجب أن يمتلك أجزاء هي مختلفة عن المركز ويدور حولها. لكن الذي لا مركز له ولا أجزاء لا يمكن أن يكون محمولاً دائرياً فوق مركزٍ بالاحتمال؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: لكن لربما تكمن حركة الواحد في تغيير المكان؟

ارسطو: لربما هكذا، إذا تحرَّك مطلقاً.

بارمنيدس: أوَلَمْ نبيِّن مسبقاً أنه لا يمكنه أن يكون في أي شيء؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: يكون إتيانه إلى الوجود إذن، أكثر استحالة، أليس كذلك؟

ارسطو: إنني لا أرى لماذا.

بارمنيدس: لماذا، لأن أي شيء يأتي إلى الوجود في آخر يجب أن يمتلك أجزاء، ويمكن لجزء واحد حينئذ أن يكون في الداخل، بينما يبقى الآخر في الخارج. لكن الذي لا أجزاء له لا يمكن أن يكون لا بكامله في الداخل ولا بكامله في الخارج متحداً بدون أيّ شيء وفي الوقت عينه.

ارسطو: لا بكل تأكيد.

بارمنيدس: ولذلك فإن أي شيء يأتي إلى الوجود في الآخر يجب أن يمتلك أجزاء، وحينئذٍ يمكن أن يكون جزء واحد في الداخل بينما يبقى الآخر خارجاً. لكن الذي لا أجزاء له لا يستطيع أن يكون متحداً أبداً وفي الوقت عينه لا داخلاً كلية بأي شيء ولا كليّة بدون أي شيء.

ارسطو: يبدو هذا صدقاً.

بارمنيدس: أوَليست هناك استحالةٌ أكبر في ذلك الذي ليس له أجزاء، وليس كاملاً، أن يأتي إلى الوجود في كل مكان بما أنه لا يقدر أن يأتي إلى الوجود إمّا كجزءٍ أو كشيءٍ كامل؟

ارسطو: يبين هكذا.

بارمنيدس: لا يغيِّر الواحد مكاناً بدورانه في البقعة عينها إذن، ولا بالذهاب في مكان ما والإتيان إلى الوجود في شيء ما؛ ولا ثانية، بالتغيير في نفسه؟

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: يكون الواحد غير متحرك في هذا الخصوص إذن بأي نوع من أنواع الحركة؟

ارسطو: غير متحرك.

بارمنيدس: لكن كما نؤكّد، لا يمكن للواحد أن يكون في أي شيء؟

ارسطو: نعم، قلنا ذلك.

بارمنيدس: لا يكون أبداً في الحالة عينها إذن؟

ارسطو: لِمَ لا.

بارمنيدس: لأنه إذا كان في الحالة عينها سيكون لشيء ما.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وقلنا إنه لا يستطيع أن يكون في نفسه، ولا يمكنه أن يكون في الآخر؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لا يكون الواحد في المكان عينه إذن؟

ارسطو: سيبدو أن لا.

بارمنيدس: لكن ذلك الذي لا يكون أبداً في المكان عينه لا يكون هادئاً أو ساكناً أبداً؟

ارسطو: أبداً.

بارمنيدس: لا يكون الواحد، كما يبدو إذن، في سكون أو في حركة معاً؟

ارسطو: يظهر هكذا بالتأكيد.

بارمنيدس: لا لن يكون الشيء عينه منع نفسه أو الآخر؛ ولا ثانية، غيراً من نفسه أو الآخر.

ارسطو: كيف يكون ذلك؟

بارمنيدس: إذا كان غيراً من نفسه سيكون غيراً من الواحد، ولن يكون واحداً.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وإذا كان الشيء عينه مع الغير، سيكون ذلك الغير،وليس نفسه؛ لن يمتلك طبيعة الواحد، هكذا على هذه الفَرضية أيضاً، بل سيكون غيراً من الواحد؟

ارسطو: سيكون.

بارمنيدس: لن يكون الشيء نفسه مع الغير إذن، أو غيراً من نفسه؟

ارسطو: لن يكون.

بارمنيدس: لا ولن يكون غيراً من الغير، في حين يبقى واحداً، إذ ليس الواحد بل الغير فقط، يستطيع أن يكون غيراً من الغير، ولا شيء آخر.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لن يكون غيراً إذن نظراً لكونه واحداً.

ارسطو: لا بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن إذا لم يكن نظراً لكونه واحداً، ليس بالنظر لنفسه؛ وإذا لم يكن بالنظر لنفسه، لن يكون نفسه غيراً؛ وغير كونه الغير على الإطلاق، لن يكون غيراً من أي شيء؟

ارسطو: صحيح.

بارمنيدس: لا لن يكون الواحد الشيء عينه مع نفسه.

ارسطو: كيف لا؟

بارمنيدس: إن طبيعة الواحد ليست طبيعة الشيء ذاته بالتأكيد؟

ارسطو: لِمَ لا؟

بارمنيدس: ليس عندما يصبح أيٌّ شيءٍ الشيءَ عينه مع أي شيء أنه يصبح واحداً.

ارسطو: ماذا عن ذلك؟

بارمنيدس: أي الشيء الذي سيصير الشيء نفسه مع أي شيء، سيصبح كثرة وليس واحداً بالضرورة.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكن إذا لم يكن هناك أي فرق بين الواحد والشيء نفسه، سيصير واحداً دائماً، عندما يصبح الشيء نفسه. وعندما يصير واحداً، فالشيء نفسه؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: ولذلك، إذا كان الواحد الشيء عينه مع نفسه، لن يكون واحداً مع

نفسه، وسيكون لذلك واحداً وليس واحداً أيضاً. إن ذلك مستحيل بالتأكيد لا يستطيع أن يكون الواحد غيراً من الغير لذلك، ولا الشيء عينه مع نفسه.

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: وعلى هذا النحو لا يقدر الواحد أن يكون الشيء عينه ولا غيراً، لا بالنسبة إلى نفسه ولا إلى الغير؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: لا لن يكون الواحد شبيهاً بأي شيء، أو غير شبيه بنفسه أو الغير.

ارسطو: لِمَ لا؟

بارمنيدس: لأن الشبه يكون عين الشيء للصفات.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وقد أُظهر الشيء عينه ليكون ذا طبيعة متميزة من الواحد.

ارسطو: قد أُظهِرَ ذلك.

بارمنيدس: لكن إذا كان لدى الواحد أية صفة غيراً من ذلك كونه واحداً، فسيكون متكلّفاً في طريقة كهذه ليكون أكثر من واحد. وهذا شيء مستحيل.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لا يستطيع الواحد إذن أن يكون متكلفاً هكذا أبداً ليكون الشيء نفسه مع الغير أو مع نفسه كليهما؟

ارسطو: لا بوضوح.

بارمنيدس: لا يستطيع إذن أن يكون شبيهاً بالغير أو شبيهاً بنفسه.

ارسطو: لا.

بارمنيدس: ولا يستطيع أن يكون موصوفاً هكذا ليكون آخر، لأنه سيكون موصوفاً حينئذ بطريقة كهذه ليكون أكثر من واحد.

ارسطو: سيكون.

بارمنيدس: إن الذي يكون موصوفاً بتغاير عن نفسه أو الآخر، سيكون غير شبيه بنفسه أو الآخر، لأن عينْ الشبه للصفة يكونَ تشابهاً.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: غير أن الواحد، كما يظهر، إذا لم يكن موصوفاً أبداً بطريقة أخرى، لا يكون أبداً غير شبيه بنفسه أو بالآخر.

ارسطو: أبداً.

بارمنيدس: لن يكون الواحد إذن شبيهاً أو غير شبيه بنفسه أو بالآخر أبداً؟

ارسطو: لا بوضوح.

بارمنيدس: ثانية، كونه من هذه الطبيعة، لا يمكن أن يكون متساوياً أو غير متساوٍ لا بنفسه ولا بالآخر.

ارسطو: كيف يكون ذلك ؟

بارمنيدس: لماذا، لأن الواحد يجب أن يكون من نفس مقاييس ما يساويه.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وإذا كان أكثر أو أقل من الأشياء المكافئة سيمتلك الواحد مقاييس أكثر الأقل، أقل من الأكثر.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وهكذا عن الأشياء التي لا تكون متكافئة معه، سيمتلك الواحد مقاييس أكثر من ذلك الذي يكون أقل وأقل من ذلك الذي يكون أكثر.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن كيف يستطيع ذلك الذي لا يشترك في الشبه أن يمتلك المقاييس عينها، أو يمتلك أي شيء آخر على النحو عينه؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: وعدم امتلاكه للمقاييس عينها، لا يستطيع الواحد أن يكون متساوياً مع نفسه أو مع الآخر؟

ارسطو: يبدو ذلك.

بارمنيدس: لكن مرة ثانية، سواء امتلك مقاييس أقل أو أكثر، سيمتلك أجزاءً بقدر ما يمتلك مقاييس. وهكذا لن يكون الواحد بعد اليوم واحداً مرة ثانية بل سيكون له أجزاء كثيرة بقدر ما له مقاييس.

ارسطو: إنه يمتلك.

بارمنيدس: لن يشارك في مقياس واحد إذن، ولا في مقاييس عدة، ولا في قلّة، ولا في الشيء عينه على الإطلاق؛ ولا يكون أكثر أو أقل من نفسه، أو الآخر؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: حسناً، وهل نفترض أن الواحد يستطيع أن يكون أكبر سناً أو أفتى من أي شيء، أو من العمر عينه معه؟

ارسطو: لِمَ لا؟

بارمنيدس: لماذا، لأن ذلك الذي يكون من العمر عينه مع نفسه أو الآخر، يجب أن يشترك في المساواة أو التشابه في الوقت عينه؛ وقلنا إن الواحد لم يشترك لا في المساواة ولا في التشابه؟

ارسطو: قلنا هكذا.

بارمنيدس: وقلنا أيضاً إنّه لا يشترك في اللاّمساواة، أو في اللاتشابه.

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: كيف يقدر الواحد إذن، كونه من هذه الطبيعة، أن يكون إما أكبر سناً أو أفتى من أي شيء، أو يمتلك العمر عينه معه؟

ارسطو: ليس في أيّة طريقة.

بارمنيدس: لا يمكن للواحد أن يكون أكبر سناً أو أفتى إذن، أو بالعمر نفسه، لا مع نفسه ولا مع الآخر؟

ارسطو: لا بجلاء

بارمنيدس: لا يمكن للواحد إذن، كونه من هذه الطبيعة، أن يكون في الزمن مطلقاً؛ إذ ألا يجب أن يكون الذي في الزمن أن يكون أكبر سناً من نفسه دائماً؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: والأكبر سناً إذن، يجب أن يكون دائماً أكبر سناً من شيء ما أفتى؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: إذن، ذلك الذي يصبح أكبر سناً من نفسه، يصبح أيضاً أفتى من نفسه في الوقت عينه، إذا كان ليمتلك شيئاً ما ليصبح أكبر سناً منه.

ارسطو: ماذا تعني؟

بارمنيدس: أعني هذا: ـ لا يحتاج الشيء ليصير مختلفاً عن شيء آخر مختلف عنه قبلاً. هو (يكون) مختلفاً، وإذا اختلافه قد يصبح، فقد أصبح مختلفاً؛ إذا اختلافه سيكون، سيكون مختلفاً. لكن عن ذلك الذي يكون مصبحاً مختلفاً، لا يمكن أنه قد كان، أو أنه على وشك أن يكون، أو مع ذلك يكون، مختلفاً ـ يكون الاختلاف واحداً فقط الذي هو مصبحاً.

ارسطو: لا مناص من ذلك.

بارمنيدس: الأكبر سناً يكون بالتأكيد، متبايناً بالنسبة إلى الأفتى، وليس إلى شيء آخر.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: إذن فإن ذلك الذي يصبح أكبر سناً من نفسه يجب أن يصبح أفتى من نفسه أيضاً، في الوقت عينه؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: لكنها حقيقة مرّة ثانية، وهي أنه لا يستطيع أن يصبح لوقت أطول أو

لوقت أقصر من نفسه، بل يجب أن يصبح، ويكون، وقد يصبح، ويكون على وشك ليكون في الوقت عينه مع نفسه.

ارسطو: لا مناص مَن ذلك مرّة ثانية.

بارمنيدس: يجب أن تكون الأشياء التي هي في الزمن إذن، وتشترك فيه، أفترض أنها يجب أن تكون في كل حالة، في العمر عينه مع انفسها. ويجب أن تصبح أيضاً وحالاً أكبر سناً وأفتى من انفسها؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: لكن الواحد لم يشترك في تلك الصفات؟

ارسطو: ليس على الإطلاق.

بارمنيدس: لا يشترك في الزمن إذن، ولا يكون في أي وقت؟

ارسطو: هكذا تبيِّن المحاورة.

بارمنيدس: حسناً، لكن ألا تظهر العبارات (كان) و(قد يصبح) و(كان مصبحاً) إشتراكاً في وقت مضى؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: أوَلا تفيد العبارات (سيكون)، (سيصبح)، (ولسوف يصبح) إشتراكاً في وقت مستقبلي؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وتدل (يكون)، أو (يصبح) على إشتراك في وقت حاضر؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وإذا كان الواحد كليّاً بدون اشتراك في الزمن، فلا هو قد يصبح أبداً، وأنه كان مصبحاً، أو كان في أي زمن، أو أنه يصبح الآن، أو يكون مصبحاً أو يكون، أو سيصبح، أو قد يصبح، أو سيكون من الآن فصاعداً.

ارسطو: الأكثر حقيقة.

بارمنيدس: لكن أهل توجد أيّة أَشكالٍ لمشاركة الوجود غيراً من تلك؟

ارسطو: لا يوجد أيّاً منها.

بارمنيدس: لا يستطيع الواحد إذن المشاركة في الوجود بالاحتمال؟

ارسطو: ذلك هو الاستنتاج.

بارمنيدس: لا يكون الواحد على الإطلاق إذن؟

ارسطو: لا بوضوح.

بارمنيدس: لا يوجد الواحد في طريقة كهذه إذن ليكون واحداً؛ لأنه إذا كان ويشارك في الوجود، سيكون من قبل. لكن إذا كنّا لنثق في المحاورة، لا يكون الواحد ولا هو بواحد..

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكن ذلك الذي لا يكون لا يفسح في المجال للصفة المميِّزة أو النسبة؟

ارسطو: لا بالطبع.

بارمنيدس: لا إسم له إذن، ولا تعبير، ولا قوة إدراك، ولا رأي، ولا معرفة؟

ارسطو: لا بجلاء.

بارمنيدس: لا يكون الواحد مسمىً إذن، ولا معبّراً عنه، ولا مُعطى رأياً، ولا معروفاً، ولا يفعل أي شيء يدركه.

ارسطو: يجب أن نستنتج ذلك.

بارمنيدس: لكن أيمكن أن يكون كل هذا-حقيقياً عن الواحد؟

ارسطو: لا أعتقد.

بارمنيدس: إفترض الآن، أننا سنعود مرّة أخرى للفرضية الأصليّة؛ دعنا نرى إذا ظهر أي منحى جديد للسؤال، بعد مزيد من إعادة النظر.

ارسطو: سأكون سعيداً جداً لأفعل هذا.

بارمنيدس: قلنا إنه يجب علينا أن نستخلص معاً كل النتائج التي تلي، مهما كانت، إذا الواحد يكون؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: سنبدأ من البداية إذن: ـ إذا الواحد يكون، أيستطيع الواحد أن يكون، ولا يشترك في الوجود؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: سيمتلك الواحد وجوداً إذن، لكن وجوده لن يكون ذاته مع الواحد؛ لأنه إذا كان الشيء عينه، فلن يكون وجوداً للواحد؛ ولا الواحد قد شارك في الوجود، لأن قضيّة أن الواحد يكون ينبغي أنها قد كانت مماثلة مع قضية أن الواحد يكون واحدا. لكن ليست فرضيتنا « إذا كان الواحد واحداً، ماذا سيلي »، بل إذا « الواحد يكون » ـ ألست محقاً؟

ارسطو: محق تماماً.

بارمنيدس: نعني، ان الوجود ليس له المدلول عينه كالواحد؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: وعندما نضعهما معاً بعد وقت قليل، ونقول « الواحد يكون »، فذلك مساوٍ للقول « يشترك في الوجود »؟

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: دعنا نسأل مرّة ثانية آنئذ، « إذا الواحد يكون ماذا سيتبع »؟ ألا تدل هذه الفرضية ضمناً أن الواحد يكون من طبيعة كتلك التي كأنها تمتلك أجزاء؟

ارسطو: كيف هذا؟

بارمنيدس: في هذه الطريقة: ـ إذا أُعلن الوجود أو البقاء لوجود الوحدة، ووحدة الوجود المتّحد، والوحدة لا تكون الشيء عينه كالوجود أو البقاء بل تخص للشيء المتحد عينه الذي قد افترضنا صحته ـ ألا يجب أن تكون، (وحدة الوجود) كاملة، التي تكون الوحدة والوجود أجزاؤها؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وهل يكون كل من هذين الإثنين ـ الواحد والوجود ـ ليدعى جزءاً بكل بساطة، أو يجب أن تكون الكلمة (جزءاً) لها صلة بالكلمة (الكل)؟

ارسطو: الآخر.

بارمنيدس: إن ذلك الذي يكون واحداً هو كلّ وله جزء إذن؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: مرّة ثانية، عن أجزاء الواحد الموجود، ـ أعني الكائن والواحد ـ هل يخفق كلّ منهما في الدلالة على الآخر؟ هل يحتاج الواحد إلى الموجود، أو الموجود إلى الواحد؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: هكذا، إن كل الأجزاء تمتلك بالدور أيضاً الواحد والكائن كلاهما، وهي مصنوعة من جزأين على أقل تقدير. ويستمر المبدأ ذاته إلى الأبد، ويمتلك كل جزء مهما كان هذين الجزئين لأن الكائن يتطلب واحداً على الدوام، والواحد كائناً. هكذا فإن الواحد يكون مختفياً دائماً، ومصبحاً إثنين.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وهكذا يجب أن يكون الواحد غير محدود في الكثرة؟

ارسطو: بجلاء.

بارمنيدس: دعنا نسلك اتجاهاً آخر.

ارسطو: أي اتجاه؟

بارمنيدس: نحن نقول إنّ الواحد يشترك في الوجود ولذلك فهو يكون؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وإذا امتلك الواحد وجوداً، في هذه الطريقة، فلقد أصبح متعدداً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكن دعنا الآن نجرّد الواحد الذي كما نقول أنه يشترك في الوجود، ونحاول أن نتصوَّره بعيداً من ذلك الذي، كما نقول أنه يشارك فيه، فهل سيكون هذا الواحد المجرّد واحداً فقط أو متعدداً؟

ارسطو: أعتقد أنه سيكون واحداً.

بارمنيدس: دعنا نرى. ألا يجب أن يكون الوجود واحداً غيراً من الواحد؟ لأن الواحد ليس معتبراً كائناً بل كواحد اشترك في الوجود فقط ؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: إذا كان الوجود والواحد شيئين مختلفين، ليس لأنْ الواحد يكون واحداً ذلك أنه غيرٌ من الواحد؛ ولا بسبب أن الوجود يكون وجوداً ذلك أنه غيرٌ من الواحد؛ لكنهما يختلفان عن بعضهما البعض نظراً للاختلاف والفرق.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: هكذا فإن الغير ليس الشيء ذاته ـ إما مع الواحد أو مع الوجود.

ارسطو: لا بالتأكيد.

بارمنيدس: ولذلك سواء أخذنا الوجود والغير، أو الوجود والواحد، أو الواحد والغير، فإننا نأخذ شيئين إثنين في كل حالة، يمكن أن يسمى كلاهما بحق.

ارسطو: كيف ذلك؟

بارمنيدس: بهذه الطريقة ـ يمكنك أن تتكلم عن الوجود؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وعن الواحد أيضاً.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: لقد تكلمنا عنهما كليهما الآن إذن؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: حسناً، وعندما أتكلم عن الوجود وعن الواحد، أتكلم عنهما كليهما؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وإذا تكلمت عن الوجود والغير، أو عن الواحد والغير، ألا أكون متكلماً عنهما في أية حالة كهذه؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: أوَلا يجب أن يكون ذلك الذي يدعى كليهما، إثنين أيضاً؟

ارسطو: بدون شك.

بارمنيدس: وعن شيئين إثنين كيف لا يستطيع أن يكون منهما واحد بأي إحتمال؟

ارسطو: لا يستطيع.

بارمنيدس: إذا كانا زوجين من الأفراد معاً إثنين، يجب أن يكونا واحداً كلٌّ على إنفراد؟

ارسطو: بوضوح.

بارمنيدس: وإذا كان كل منهما واحداً، فبإضافة واحد إلى أي زوج إذن، يصبح الكل ثلاثة؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وتكون الثلاثة مفردة، والإثنان مزدوجين؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وإذا وُجِد إثنان يجب أن تكون هناك مرّتان، وإذا وجد ثلاثة يجب أن يكون هناك ثلاث مرّات. ذلك إذا خُلق الواحد مرتين إثنتين، والواحد ثلاث مرّات ثلاثة؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: هناك إثنان، ومرّتان إثنان، ويجب لذلك أن يوجد مرّتان إثنان إثنين؛ ويوجد ثلاثة، ويوجد ثلاث مرّات، ويجب أن يوجد لذلك ثلاث مرّات ثلاثة؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: إذا وجد ثلاثة وثلاث مرّات، هناك ثلاث مرات ثلاثة؛ وإذا وجد إثنان وثلاث مرّات، فهناك ثلاث مرات إثنين؟

ارسطو: بدون شك.

بارمنيدس: لقد كان لدينا المزدوج هنا إذن، مأخوذاً أوقاتاً مزدَوَجاً، والمفرد مأخوذاً أوقاتاً مفرَدَاً، والمزدوج مأخوذاً أوقاتاً مفرداً، والمفرد مأخوذاً أوقاتاً مزدوجاً.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وإذا كان هذا كذلك، أيبقى أي رقم ليس له بقاء بالضرورة؟

ارسطو: لا، مهما كان.

بارمنيدس: إذا الواحد يكون إذن، يجب أن يكون العدد أيضاً؟

ارسطو: يجب ذلك.

بارمنيدس: لكن إذا وجد العدد، يجب أن يكون هناك كثرة، وكثرة غير محدودة للوجود؛ لأن العدد غير محدود في الكثرة، ويشترك في الوجود أيضاً؛ ألستُ محقاً؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وإذا شاركت كل الأعداد في الوجود، فسيشارك فيه كل جزء من أجزاء العدد؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: يكون الوجود موزَّعاً إذن فوق الكثرة الكاملة للأشياء، ولا شيء الذي يكون، مهما يكن كبيراً أو صغيراً، هو خالٍ منه؟ وحقاً، إن هذا الافتراض مضحك بحد ذاته، إذ كيف يمكن أن يكون ذلك الذي يجرّد من الوجود؟

ارسطو: ليس في أيّة طريقة.

بارمنيدس: وإنه يكون مقسماً إلى الأكبر والأصغر، وإلى الوجود من كل الأحجام، ومحطَّماً أكثر من كل الأشياء. إن قسمته لا نهاية لها.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: إنه يمتلك العدد الأكثر من الأجزاء إذن؟

ارسطو: نعم، العدد الأكبر.

بارمنيدس: أيوجد أي من تلك الأجزاء التي تكون جزءاً من الوجود، وليست جزءاً مع ذلك؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: لكن إذا كان الواحد هو على الإطلاق، يجب أن يكون، طالما بقي كما يكون، شيئاً واحداً ما، ولا يقدر أن يكون لا شيء؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: يتصل الواحد إذن بكل جزء فرد من الوجود، ولا يفشل في أي شيء، سواء كان كبيراً أو صغيراً، أو مهما كان حجمه؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكن فكِّر ملياً: ـ أيستطيع الواحد، أن يكون في مجموعِهِ، في عدة أماكن في الوقت عينه؟

ارسطو: لا؛ إنني أرى استحالة في ذلك.

بارمنيدس: وإذا لم يكن في مجموعِهِ، فإنه يكون مقسماً إذن؛ لأنه لا يتمكن أن يكون حاضراً مع كل أجزاء الوجود ما لم ينقسم؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وسيكون الذي له أجزاء بقدر ما تكون تلك الأجزاء؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لقد كنا مخطئين في القول لتوِّنا إذن إن الوجود كان موزّعاً في العدد

الأكبر من الأجزاء، لأنه لا يكون موزَّعاً إلى أكثر أجزاء من الواحد، بل إلى العدد ذاته. الواحد ليس محتاجاً للوجود أبداً، أو الوجود إلى الواحد، لكن كونهما اثنين فهما متساويان وشاملان.

ارسطو: إن ذلك حقيقي بكل تأكيد.

بارمنيدس: بما أن الواحد قد فُضَّ إلى أجزاء بالوجود إذن، فهو متعدد ولا نهائي؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لا يكون الواحد الذي يمتلك وجوداً متعدّداً فقط إذن، بل يجب أن يكون الواحد عينه، موزّعاً بالوجود. يجب أن يكون متعدداً أيضاً؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: بالإضافة إلى ذلك، ولأنّ الأجزاء هي أجزاء للكل، سيكون الواحد محدوداً، كمجموعة؛ إذ أليست الأجزاء محتواة بالكل؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: ويكون ذلك الذي يحتوي حداً؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: إذا امتلك الواحد وجوداً فهو واحدٌ ومتعددٌ إذن، تام وأجزاء، له حدود وغير محدود في العدد مع ذلك؟

ارسطو: بوضوح.

بارمنيدس: ولأنّه يمتلك حدوداً، يمتلك أطرافاً أيضاً؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وإذا كان تامّاً، فله بداية ووسط ونهاية. إذ كيف يقدر أي شيء أن يكون تامّاً بدون تلك الثلاثة؟ وإذا كان أي منها محتاجاً لأيّ شيء، أيكون ذلك تامّاً بعد الآن؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: سيكون لدى الواحد إذن، كما يظهر، بداية ووسط ونهاية؟

ارسطو: سيكون.

بارمنيدس: لكن سيكون الوسط، مرّة ثانية، متساوي البعد على الطرفين؛ أو لن يكون في الوسط؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: سيشارك الواحد في الشكل إذن، إمّا في الشّكل المسطَّح أو الكرويّ أو في اتحادهما.

أرسطو: حقاً.

بارمنيدس: وإذا كانت هذه هي الحالة، سيكون في نفسه وفي الآخر كليهما أيضاً.

ارسطو: كيف؟

بارمنيدس: كل جزء يكون في الكلّ، ولا شيء خارج الكلّ.

أرسطو: حقاً.

بارمنيدس: وكلّ الأجزاء يحتويها الكُلّ؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: ويكون الواحد كل أجزائه، وليس أكثر ولا أقل من الكل؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: ويكون الواحد هو التام؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: لكن إذا كانت كلُّ الأجزاء في الكلّ، وكان الواحد هو كلّها وهو التامّ، وكانت كلّها محتواة بالتامّ، سيكون الواحد محتوىً بالواحد؛ وهكذا سيكون الواحد في نفسه.

ارسطو: إن ذلك لحق.

بارمنيدس: لكن إذن، مرّة ثانية، لا يكون التامّ في الأجزاء ـ ولا في الأجزاء كلّها، ولا في واحد منها. لأنه إذا كان في الكلّ، فيجب أن يكون في الواحد.

لأنه إذا وجد واحد ليس فيه، لا يمكنه أن يكون في جميع الأجزاء، لأنّ الجزء الذي يفتقر له هو واحد من الكلّ، وإذا لم يكن التامّ في هذا، كيف يمكنه أن يكون فيها كلها؟

ارسطو: لا يستطيع.

بارمنيدس: ولا يستطيع التام أن يكون في بعض الأجزاء؛ لأنه إذا كان التامّ في بعض الأجزاء، سيكون الأكثر في الأقلّ، وهذا مستحيل.

ارسطو: نعم، مستحيل.

بارمنيدس: لكن إذا لم يكن التامّ في الواحد، ولا في أكثر من واحد، ولا في كلّ الأجزاء، يجب أن يكون في شيء آخر ما، أو ينقطع عن أن يكون في مكان ما على الإطلاق؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: إذا لم يكن في أيّ مكان، سيكون لا شيء؛ لكنّ كونه تاماً، وليس كونه في نفسه، يجب أن يكون في ثانٍ.

ارسطو: حقيقيّ تماماً.

بارمنيدس: يكون الواحد، معتبراً كتامٍّ، في ثانٍ، لكن معتبراً ككونه كل أجزائه، يكون في نفسه. يجب أن يكون الواحد لذلك نفسه في نفسه وفي ثانٍ أيضاً.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: كون الواحد إذن، بهذه الطبيعة، هو بالضرورة في سكون وفي حركة كليهما.

ارسطو: كيف؟

بارمنيدس: يكون الواحد في سكون بما أنه في نفسه؛ لأنّ كونه في واحد، وغير خارج من هذا فهو في نفس الشيء، أي في نفسه.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وذلك الذي يكون في نفس الشيء أبداً، يجب أن يكون في السكون أبداً؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: حسناً، أو ليس ذلك الذي يكون في ثان أبداً، على العكس، فهو ليس في ذات الشيء؛ وإذا لم يكن في ذات الشيء، فليس في سكون، وإذا لم يكن في سكون، ففي حركة؟

ارسطو: حقّاً.

بارمنيدس: إذن، كون الواحد نفسه في نفسه وفي آخر على الدوام، يجب أن يكون في سكون وفي حركة معاً دائماً؟

ارسطو: على ما يبدو.

بارمنيدس: أبعد من ذلك، يجب أن يكون الشيء عينه مع نفسه، وغيراً من نفسه. والشيء عينه مع الآخرين أيضاً، وغيراً من الآخرين. ويتبع هذا من الصفات السابقة.

ارسطو: كيف ذلك.

بارمنيدس: إنّ كل شيء، في صلته بكل شيء آخر هو إمّا الشيء عينه أو غير؛ أو إذا لم يكن الشيء نفسه ولا الآخر، ففي صلة الجزء بالكلّ إذن، أو الكل بالجزء.

ارسطو: على ما يبدو.

بارمنيدس: وهل يكون الواحد جزءاً من نفسه؟

ارسطو: لا، بالتأكيد.

بارمنيدس: بما أنّه ليس جزءاً في صلته بنفسه لا يستطيع أن يكون متّصلاً بنفسه ككلٍّ للجزء؟

ارسطو: لا يستطيع.

بارمنيدس: لكن أيكون الواحد غيراً من الواحد؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: ولذلك ليس غيراً من نفسه؟

ارسطو: لا، بالتأكيد.

بارمنيدس: إذا لم يكن غيراً إذن ولا تامّاً، ولا جزءاً في علاقته بنفسه، ألا يجب أن يكون الشيء عينه مع نفسه؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن إذن، مرّة ثانية، إنّ الشيء الذي يكون في مكان آخر من (نفسه)، إذا بقيت هذه الـ(نفسه) في المكان عينه مع نفسه، يجب أن يكون غيراً من (نفسه)، لأنه سيكون في مكان آخر؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: قد أُظهِر الواحد إذن ليكون في نفسه وفي الآخر حالاً؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: هكذا، سيكون الواحد اذن، كما يبدو، غيراً من نفسه.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: حسناً، إذن، إذا كان أيّ شيء غيراً من أي شيء، ألن يكون غيراً من ذلك الذي يكون غيراً؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: أو لن تكون كلّ الأشياء التي ليست واحدة، غيراً من الواحد، والواحد غيراً من التي ليست واحدة؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: سيكون الواحد غيراً من الآخرين إذن؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكن، اعتبر: ألاَّ يكون الشيء المطلق عينه، وغير المطلق، مضادَّين بعضهما لبعض؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: هل سيكون الشيء عينه في الغير أبداً إذن، أو الغير في الشيء عينه؟

ارسطو: لن يكونا.

بارمنيدس: ما دام الغير لا يكون في الشيء عينه أبداً، إذن لا يوجد شيء ما يكون فيه الغير خلال أيّة مدة من الزمن، إذ خلال تلك المدّة من الزمن، مهما تكن قليلة، سيكون الغير في الشيء عينه. أليس ذلك صحيحاً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لن يكون الغير في اللاواحد أبداً إذن، ولا في الواحد؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: ليس بسبب المغايرة يكون الواحد غيراً من اللاّواحد، أو اللاّواحد غيراً من الواحد؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: ولا بسبب أنفسهما سيكونان غيراً من بعضهما بعضاً، إذا كانا غير مشترَكين في الغير.

ارسطو: كيف يمكنهما أن يكونا؟

بارمنيدس: لكن إذا لم يكونا غيراً، إمّا بسبب أنفسهما أو بسبب الغير، ألن يفرّا جملة كونهما غيراً من بعضهما بعضاً؟

ارسطو: سيفعلان.

بارمنيدس: مرّة ثانية، لا يستطيع الواحد أن يشارك فيَ الواحد؛ وإلاّ فلم يكن لا واحداً، بل قد كان واحداً بطريقة ما.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: ولا يمكن للاّواحد أن يكون عدداً؛ لأنه بامتلاكه رقماً، لم يكن لا واحداً على الإطلاق؟

ارسطو: لم يكن عدداً.

بارمنيدس: مرّة ثانية، ألا يكون اللاّواحد جزءاً من الواحد؛ أو بالأحرى، ألن يشترك في الواحد، في تلك الحالة؟

ارسطو: سيفعل.

بارمنيدس: إذا كان الواحد واللاّواحد مميَّزين إذن، في كل وجهة نظر، لا يكون الواحد آنئذ جزءاً أو متمّماً للاّواحد، ولا يكون اللاّواحد جزءاً أو متمّماً للواحد؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: لكنّنا قلنا إنّ الأشياء التي ليست أجزاء ولا متمّمة لبعضها بعضاً ولا غيراً من بعضها بعضاً، ستكون الشيء عينه مع بعضها بعضاً. قلنا هكذا.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: هل ستقول إنّ الواحد إذن، كونه في هذه الصلة إلى اللاّواحد، هو الشيء عينه معه؟

ارسطو: دعنا نقول هذا.

بارمنيدس: إنّه يكون الشيء عينه مع نفسه ومع الغير إذن، وغيراً من نفسه ومن الآخرين أيضاً؟

ارسطو: يظهر ذلك أنّه الاستنتاج.

بارمنيدس: وهل سيكون شبيهاً وغير شبيه بنفسه وبالغير على حدّ سواء أيضاً؟

ارسطو: لربّما.

بارمنيدس: بما أنّ الواحد كان مبيّناً ليكون غيراً من الغير، سيكون الغير أيضاً غيراً من الواحد؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: ويكون الواحد غيراً من الغير في الدرجة عينها التي يكون فيها الغير غيراً منه، لا أكثر ولا أقلّ؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وإذا لم يكن لا أكثر ولا أقلّ، ففي درجة مشابهة إذن؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: نظراً للصفة التي يكون الواحد بها غيراً من الغير والغير في أسلوب مماثل غيراً منه، سيكون الواحد متكلّفاً شبه الغير والغير شبه الواحد.

ارسطو: ماذا تعني؟

بارمنيدس: يمكنني أن آخذ كشرحٍ حالة الأسماء: أنت تعطي إسماً لشيء؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: ويمكنك أن تقول الإسم مرّة أو غالباً؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وعندما تقوله مرّة، فأنت تذكر ذلك الذي يكون الإسم. وعندما تقوله أكثر من مرّة فانك عندها تذكر شيئاً آخر أوْ يجب أن يكون الشيء عينه الذي تتكلّمه على الدوام، سواء نطقت الإسم مرّة أو أكثر من مرّة؟

ارسطو: إنه الشيء عينه طبعاً.

بارمنيدس: أو ليس الـ(غير) إسماً معطى لشيء ؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: كلّما استعملت كلمة(غير) إذن، سواء مرّة أو غَالباً، فأنت تسمّي ذلك الذي يكون الإسم، ولا تعطي الإسم لأيٍّ غير؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: عندما تقول إذن إنّ الآخرين غيرٌ من الواحد، والواحد غيرٌ من الآخرين، ففي تكرارنا لكلمة (غير) نتكلم نحن عن تلك الطبيعة التي يطبق الإسم عليها، ولا شيء آخر؟

ارسطو: حقيقيّ تماماً.

بارمنيدس: إنّ الواحد الذي يكون غيراً من الغير إذن، والغير الذي يكون غيراً من الواحد، سيكون بقدر ما تكون كلمة (غير) منطبقة عليهما معاً سيكون في الحالة عينها؛ لأنّ الذي يكون في الحالة عينها يكون متشابهاً؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: إذن، بمقتضى الصّفة التي يكون الواحد بها غيراً من الغير، سيكون كل شيء شبيهاً بكلّ شيء، لأنّ كلّ شيء هو غير من كل شيء.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: يكون الشبيه إذن مضادّاً لغير الشبيه؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: والغير إلى الشيء ذاته؟

ارسطو: حقاً، مرّة ثانية.

بارمنيدس: ولقد أُظهر الواحد أيضاً ليكون الشيء عينه مع الغير؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وليكون الشيء عينه مع الغير هو مضاد لكونه غيراً من الغير؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وفي ذلك كان غيراً. لقد أظهر أنه كان متشابهاً.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: ولكن في ذلك أنه كان الشيء عينه سيكون غير متشابه بموجب الصفة المضادّة لذلك الذي جعله شبيهاً. وهذه كانت صفة الغير.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: سيجعله ذات الشيء غير متشابه إذن؛ وإلاّ فلن يكون مضادّاً للغير.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: سيكون الواحد إذن متشابهاً وغير متشابه معاً؛ متشابهاً بقدر ما يكون غيراً، وغير متشابه بقدر ما يكون الشيء عينه.

ارسطو: نعم، يمكن استعمال تلك المحاورة.

بارمنيدس: هناك محاورة أخرى.

ارسطو: ما هي.

بارمنيدس: بقدر ما يكون موصوفاً في الطريقة نفسها فلن يكون يكون موصوفاً بطريقة أخرى. وكونه غير موصوف بطريقة أخرى لا يكون غير متشابه، وكونه غير متشابه يكون متشابهاً. لكنه بقدر ما هو موصوف بالغير فهو بطريقة أخرى، وكونه موصوفاً بطريقة أخرى، يكون غير متشابه.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لأنّ الواحد يكون الشيء عينه مع الغير وغيراً من الغير إذن، سيكون، على كلٍّ من هاتين الأرضيتين، أو عليهما معاً، متشابهاً وغير متشابه بنفسه؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وكونه في الطريقة عينها غيراً من نفسه والشيء عينه مع نفسه، سيكون على كل من هاتين الأرضيتين، أو عليهما معاً، شبيهاً وغير شبيه بنفسه.

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: مرّة ثانية، إلى أي مدىً يمكن للواحد أن يلامس أو لا يلامس نفسه والآخرين؟ تأمّل.

ارسطو: إنني لمتأمّل.

بارمنيدس: لقد أُظهر الواحد ليكون في نفسه الذي كان تامّاً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وفي الأشياء الأخرى أيضاً؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: سيلامس الأشياء الأخرى بقدر ما يكون في الأشياء الأخرى. لكن بقدر ما يكون في نفسه سيكون ممنوعاً من ملامستها، وسيلامس نفسه فقط.

ارسطو: بوضوح.

بارمنيدس: يكون الاستنتاج إذن أنّه سيلامسهما معاً.

ارسطو: سيلامس.

بارمنيدس: لكن ماذا ستقول لوجهة نظر جديدة؟ ألا يجب أن يكون الذي يلامس الآخر بالقرب من الذي يلامِسُ، ويشغل المكان بجوار الذي يكون فيه نفسه؟

ارسطو: يجب عليه.

بارمنيدس: وسيُحتاج أنّ الواحد يجب أن يكون إثنين، وأن يكون في مكانين حالاً، ولن يحدث هذا أبداً ما دام هو واحداً.

ارسطو: لا.

بارمنيدس: لا يكون محتملاً للواحد أن يلامس نفسه من أن يكون واحداً بعد الآن؟

ارسطو: ليس بعد الآن.

بارمنيدس: ولا أن يلامس الآخرين.

ارسطو: لِمَ لا؟

بارمنيدس: السبب هو، أنه مهما كان ليلامس الغير يجب أن يكون في انفصال عن، وقريباً من ذلك الذي سيلامس، ولا يمكن لشيء ثالث أن يكون بينهما.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: شيئان إثنان، إذن، على الأقلّ هما ضروريان ليجعلا الملامسة محتملة؟

ارسطو: إنهما لكذلك.

بارمنيدس: وإذا أضيف ثالث إلى الإثنين في نظام مناسب، سيكون رقم المدة ثلاثاً والملامستان إثنتين؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: ويضع كل أجلٍ إضافي ملامسة إضافية، لذلك يتبع أنّ الملامستين هما أقل بواحد في الرقم من المدة؛ الأجلين الأولين تعدَّيا رقم الملامستين بواحد، وتجاوز الرقم الإجمالي للمدّة الرقم الإجمالي للملامستين بواحد في أسلوب مماثل؛ ولكل واحد أضيف إلى رقم المدة فيما بعد، قد أضيفت ملامسة واحدة إلى الملامستين.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: مهما كان الرّقم المقام للأشياء، سيكون رقم الملامسة واحداً أقلّ دائماً.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكن إذا كان هناك واحد فقط، لا اثنين، فلن يكون هناك أيّ تماسّ؟

ارسطو: كيف يمكن وجود ذلك؟

بارمنيدس: ألا تقول إنّ الآخرين، كونهم غيراً من الواحد، ليسوا واحداً وليس لديهم جزء في الواحد؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: ليس لديهم أيّ عدد إذن، إذا لم يكن لديهم واحد فيهم؟

ارسطو: لا، طبعاً.

بارمنيدس: لا يكون الغير واحداً ولا اثنين إذن، ولا يُدعون باسم أيّ عدد؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: يكون الواحد واحداً إذن فقط، والإثنان لا يوجدان؟

ارسطو: لا، بوضوح.

بارمنيدس: لكلّ تلك الأسباب يلامس الواحد ولا يلامس نفسه والغير؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: أبعد من ذلك ـ أيكون الواحد مساوياً أو غير مساوٍ لنفسه وللغير؟

ارسطو: ماذا تعني؟

بارمنيدس: إذا كان الواحد أكثر أو أقلّ من الآخرين، أو الآخرون أكثر أو أقلّ من الواحد، فلن يكونوا أكثر أو أقلّ من بعضهم بعضاً بموجب كونهم الواحد والآخرين؛ لكن إذا امتلكوا المساواة، بالإضافة لكونهم ما هم عليه، سيكونون متساوين مع بعضهم بعضاً، أو إذا امتلك الواحد صغراً والآخرين كبراً، أو إذا امتلك الواحد كبراً والآخرون صغراً ـ أيّ نوع امتلك كِبَراً سيكون أكبر، وأيٌّ امتلك صِغَراً سيكون أصغر؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: يوجد مثالان كالكبر والصغر هكذا إذن؛ لأنّهما إذا لم يكونا، فلن يستطيعا أن يكونا مضادّين لبعضهما بعضاً ويكونا حاضرين في ذلك الذي يكون.

ارسطو: كيف سيستطيعان؟

بارمنيدس: إذا ما كان الصّغر موجوداً في الواحد إذن سيكون حاضراً، إمّا في الكلّ أو في جزء من الكلّ؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: إفترض الأول؛ سيكون إمّا متساوياً أو متساوياً في الامتداد مع الواحد ككلّ، أو أنّه سيحتوي الواحد.

ارسطو: بوضوح.

بارمنيدس: إذا كان متساوياً في الامتداد مع الواحد سيكون متساوياً مع الواحد، أو إذا كان محتوياً الواحد سيكون أكبر من الواحد؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: لكن أيقدر الصِغَرُ أن يكون مساوياً لأيِّ شيء، أو أكبر من أيِّ شيء، وأن يمتلك مهام الكبر والمساواة وليس مهامّه الخاصة؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: لا يستطيع الصّغر أنْ يكون في الواحد ككل إذن، لكن إذا كان على الإطلاق، ففي جزء فقط؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وليس في كلّ الجزء بالتأكيد، لأنّ صعوبة الكلّ ستعود حينها من جديد؛ سيكون مساوياً بـ ، أو أكبر من أيّ جزء يكون فيه.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لن يكون الصّغر حاضراً في أيّ شيء أبداً إذن، سواء في الكل أو الجزء؛ ولكن يكون هناك أيّ صغير بل صِغرٌ حقيقي.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لا ولن يكون الكبر في الواحد، لأنه إذا كان الكبر في أيِّ شيء سيكون هناك شيء ما غيرٌ أكبر وبجانب الكبر نفسه، وبالتحديد، ذلك الذي يكون الكبر فيه، وهذا أيضاً عندما لا يكون الصغير عينه هناك، الذي يجب أن يتجاوز الواحد، إذا كان كبيراً؛ إنّ هذا مستحيل، على أيّة حال، مع ملاحظة أنّ الصغر يكون غائباً بالكمال.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: علاوة على ذلك، إنّ الكبر المطلق هو أكبر من الصّغر المطلق، وإن الصغر هو أصغر من الكبر المطلق فقط.

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: ليست الأشياء الأخرى أكبر أو أصغر من الواحد إذن، إذا لم تمتلك لا الكبر ولا الصغر؛ وليس لدى الكبر أو الصغر أية قوة للتجاوز أو أن يكون

متجاوزاً بالنسبة إلى الواحد، بل بالنسبة إلى بعضهما بعضاً فقط؛ ولن يكون الواحد أكبر أو أصغر منهما أو من الآخرين، إذا لم يمتلك الكبر ولا الصغر.

ارسطو: لا، على ما يبدو.

بارمنيدس: إذا. لم يكن الواحد أكبر أو أصغر من الآخرين إذن، لا يستطيع أن يتجاوز أو يكون متجاوَزاً بهم؟

ارسطو: لا، بالتأكيد.

بارمنيدس: وذلك الذي لا يتجاوز ولا يكون متجاوَزاً، يجب أن يكون على تساوٍ؛ وكونه على تساوٍ، يجب أن يكون متساوياً.

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: وسيكون حقيقياً علاقة الواحد بنفسه أيضاً، بما أنّه لا يمتلك كبراً ولا صغراً في نفسه، فلن يتجاوز، أو يكون متجاوَزاً، بنفسه، بل سيكون على تساوٍ مع، ومتساوياً بنفسه.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: سيكون الواحد متساوياً مع نفسه ومع الآخرين إذن؟

ارسطو: يبدو هكذا.

بارمنيدس: وسيكون الواحد مع ذلك، كون نفسه في نفسه، سيكون محاطاً وبدون نفسه أيضاً؛ وكإحتوائه لنفسه، سيكون أكبر من نفسه؛ وكمحتوىً في نفسه، سيكون أقلّ؛ وسيكون هكذا أكثر وأقلّ من نفسه.

ارسطو: سيكون.

بارمنيدس: لا يمكن أن يكون الآن ذلك الشيء الذي ليس متضمَّناً في الواحد وفي الآخرين بالاحتمال؟

ارسطو: لا طبعاً.

بارمنيدس: لكنّ ذلك الذي يكون يجب أن يكون دائماً في مكان ما بالتأكيد؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: لكن ذلك الذي يكون في أيّ شيء سيكون أقلّ، وذلك الذي يكون فيه سيكون أكبر؛ لا يستطيع الشيء الواحد أن يكون في الآخر في أيّة طريقة أخرى.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وبما أنّه لا يوجد أيّ شيء غيرّ أو بجانب الواحد والغير، ويجب أن تكون في شيء ما، ألا يجب أن تكون في بعضها بعضاً، الواحد في الغير والغير في الواحد، إذا هي لتكون في أيّ مكان؟ أليس ذلك واضحاً؟

ارسطو: إنّ ذلك لواضح.

بارمنيدس: لكن بقدر ما يكون الواحد في الغير، سيكون الغير أكثر من الواحد لأنه يحتوي الواحد، الذي سيكون أقلّ من الغير لأنه محتوىً به؛ وبقدر ما يكون الغير في الواحد، سيكون الواحد أكثر من الغير على القاعدة عينها، والغير أقلّ من الواحد.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: سيكون الواحد متساوياً إذن، إلى وأكثر وأقل من نفسه والغير؟

ارسطو: يتراءى هكذا.

بارمنيدس: وإذا كان أكثر وأقلّ ومتساوياً، سيكون ذا قياسات أو تقسيمات وأقل وأكثر من نفسه والآخرين؛ وإذا كان ذا قياسات، فذو أجزاء أيضاً؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: وإذا كان ذا قياسات متساوية وأكثر وأقل أو تقسيمات، سيكون أكثر أو أقلّ في العدد من نفسه والآخرين؛ وكذلك أيضاً متساوياً في العدد لنفسه وللآخرين؟

ارسطو: كيف يكون ذلك؟

بارمنيدس: سيكون ذا قياسات أكثر من تلك الأشياء التي يتخطاها، وبأجزاء متعددة

كالقياسات؛ وهكذا مع ذلك الذي يكون متساوياً معه، وذلك من الذي يكون أقلّ.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وكونه أكثر وأقلّ من نفسه، ومساوياً لنفسه، سيكون ذا قياسات متساوية مع نفسه، وذا قياسات أكثر وأقلّ من نفسه؛ وإذا كان ذا قياسات، فحينئذ يكون ذا أجزاء أيضاً؟

ارسطو: سيكون.

بارمنيدس: وكونه ذا أجزاء متساوية مع نفسه، سيكون مساوياً لنفسه عدديّاً؛ وكونه من أكثر أجزاء، أكثر، وكونه من أقل، أقلّ من نفسه؟

ارسطو: على ما يبدو.

بارمنيدس: وسيثبت الشّيء ذاته في علاقته بالأشياء الأخرى؛ بقدر ما يكون هو أكثر منها، سيكون أكثر منها في العدد؛ وبقدر ما هو أصغر، سيكون أقل في العدد؛ وبقدر ما هو متساوٍ في الحجم إلى الأشياء الأخرى، سيكون متساوياً معها في العدد.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: كما سيظهر، سيكون الواحد مرّة ثانية إذن، في عدد متساوٍ إلى، وأكثر، وأقلّ من نفسه ومن كل الأشياء الأخرى.

ارسطو: سيكون.

بارمنيدس: هل يشترك الواحد في الزمن أيضاً؟ وهل يفعل ويصبح أكبر سنّاً وأفتى من نفسه والآخرين، ومرّة ثانية، ليس أفتى ولا أكبر سنّاً من نفسه والآخرين، بالنظر إلى اشتراكه في الوقت؟

ارسطو: كيف تعني؟

بارمنيدس: إذا كان واحداً، يجب أن يكون الوجود مُسنَداً له؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: لكن ليكون (ELVAI) فهو اشتراك للوجود في الزمن الحاضر فقط، أو أنّه قد كان فهو اشتراك للوجود في الزمن الماضي، أو ليكن محدثاً فهو اشتراك للوجود في الزمن المستقبل؟

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: الواحد إذن، بما أنّه يشارك في الوجود، يشترك في الزمن؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: أليس الزمن متحركاً إلى الأمام على الدوام؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: يكون الواحد إذن صائراً أكبر سنّاً من نفسه على الدوام، بما أنه يتحرك إلى الأمام في الزمن؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وهل تتذكّر أنّ إلأكبر يصبح أكبر سنّاً من ذلك الذي يصبح أفتى؟

ارسطو: إنّني أتذكّر.

بارمنيدس: بما أنّ الواحد يصبح أكبر سنّاً من نفسه إذن، فإنّه يصبح أفتى في الوقت عينه؟

ارسطو: بكلّ تأكيد.

بارمنيدس: هكذا يصبح الواحد إذن، أكبر سناً لِمَا هو أفتى من نفسه؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وأنّه أكبر سناً (ألا يكون؟) عندما يصل في الصيرورة إلى نقطة الزمن الرئيسيّة بين (كان) و(سيكون)، التي هي (الآن): لأنّه لا يستطيع أن يتخطّى الحاضر بذهابه من الماضي إلى المستقبل؟

ارسطو: لا، لا يستطيع.

بارمنيدس: وعندما يصل إلى الحاضر يتوقّف عن أن يصبح أكبر سنّاً، ولا يصبح بعد اليوم بل (يكون) أكبر سنّاً؛ لأنّه إذا استمرّ فلن يُلحقَ بالحاضر أبداً.

لأنّ طبيعة الذي يستمر، هو أن يلامس الحاضر والمستقبل كليهما، مطلقاً الحاضر وقابضاً على المستقبل، بينما هو في عملية الصيرورة بينهما.

ارسطو: حقاً.

پيارمنيدس: غير أن ذلك الذي يكون صائراً لا يستطيع أن يتخطّى الحاضر؛ فعندما يصل الحاضر ينقطع أن يصبح، ويكون حينئذ، مهما يمكن أن يحدث، يكون صائراً.

ارسطو: بوضوح.

بارمنيدس: وهكذا عندما يصل الواحد إلى الحاضر في صيرورة كِبَرِ سنّه، ينقطع ليصبح أكبر سناً و(يكون) هكذا.

ارسطو: بالضبط.

بارمنيدس: ويكون أكبر سنّاً من ذلك الذي قد كان صائراً أكبر سنّاً؛ وكان صائراً أكبر من نفسه.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وذلك الذي يكون أكبر سنّاً، يكون أكبر سنّاً من الذي هو أفتى؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: يكون الواحد أفتى من نفسه إذن، عندما، في صيرورته أكبر سناً، يصل إلى الحاضر؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن الحاضر يكون حاضراً مع الواحد على الدوام خلال كل وجوده لأنّه كما يكون؛ فإنّه الآن على الدوام؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: يكون الواحد إذن ويصبح أكبر سنّاً وأفتى من نفسه في الوقت عينه؟

ارسطو: بحقّ.

بارمنيدس: أوَ يكون أو يصبح لزمن أطول من نفسه أو لزمن متساوٍ مع نفسه؟

ارسطو: لزمن متساوٍ.

بارمنيدس: لكنّه إذا أصبح أو كان لزمن متساوٍ مع نفسه، فهو في السنّ عينها مع نفسه؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: وذلك الذي يكون في السنّ عينها، ليس أكبر ولا أصغر؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: الواحد إذن، صائراً أو موجوداً في الزمن عينه مع نفسه، لا يكون ولا يصبح أكبر سنّاً أو أصغر سنّاً من نفسه؟

ارسطو: عليَّ أن أقول لا.

بارمنيدس: وما هي نِسَبُهُ إلى الأشياء الأخرى؟ أيكون هو أو يصير أكبر سنّاً أو أصغر سنّاً منها؟

ارسطو: لا أقدر أن أخبرك.

بارمنيدس: تقدر أن تخبرني على الأقلّ أن الغير من الواحد هو أكثر من الواحد ـ غير الراغب في أنّه قد كان واحداً، لكنّ الآخرين لديهم كثرة، وهم أكثر من واحد؟

ارسطو: نعم، إنّ لديهم كثرة.

بارمنيدس: وتعني الكثرة ضمناً رقماً أوسع من واحد؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: وهل سنقول أنّ الأقلّ أو الأكثر هو الأول ليأتي أو قد يأتي إلى الوجود؟

ارسطو: الأقلّ.

بارمنيدس: يكون الأقلّ الأوّل إذن؟ وهذا هو الواحد؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: إنّ الواحد هو الأول الذي يأتي إلى الوجود من بين كلّ الأشياء التي تمتلك عدداً؛ لكنّ كل الأشياء الأخرى لها رقم أيضاً، كونها جمعاً وليست مفردة.

ارسطو: إنها تمتلك.

بارمنيدس: وبما أنه يأتي إلى الوجود أولاً يجب افتراضه أنّه قد أتى الوجود سابقاً الآخرين، والآخرين لاحقاً؛ وتكون الأشياء التي تأتي إلى الوجود لاحقاً، أصغر سناً من تلك التي تتقدمها؟ وهكذا ستكون الأشياء الأخرى أفتى من الواحد، والواحد أكبر سناً من الأشياء الأخرى؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: ماذا ستقول لسؤال آخر؟ أيقدر الواحد بإتيانه إلى الوجود أن يضادّ طبيعته الخاصة، أو أنّ ذلك مستحيل؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: ولقد أُبيّن الواحد مع ذلك ليمتلك أجزاء بالتأكيد؛ وإذا امتلك أجزاء فبداية، ووسطاً ونهاية؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وتأتي البداية إلى الوجود للواحد نفسه ولكلّ الأشياء الأخرى قبل الكلّ؛ وبعدُ البداية، ثم تلي الأشياء الأخرى، حتّى تصل إلى النهاية؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وسنؤكد أنّ كلّ الأشياء الأخرى لتكون أجزاء للكلّ وللواحد؟

ارسطو: نعم؛ إنّ ذلك ما ستقوله.

بارمنيدس: لكنّ النهاية تأتي أخيراً، ويكون الواحد من طبيعة كهذه كي يأتي إلى الوجود مع الآخرين؛ وبما أنّ الواحد لا يستطيع أن يأتي إلى الوجود إلاّ في تطابق مع طبيعته الخاصة، فستحتاج طبيعته الخاصة أن تأتي إلى الوجود بعد الآخرين، في الوقت عينه مع النهاية.

ارسطو: على ما يبدو.

بارمنيدس: يكون الواحد إذن أصغر سنّاً من الآخرين، والآخرون أكبر من الواحد.

ارسطو: على ما يبدو، مرّة ثانية.

بارمنيدس: حسناً، أوَ لاَ يجب أن تكون البداية، كونها جزءاً، أو أيّ جزءٍ آخر للواحد أو لأيّ شيء، ألاَ يجب إذا كانت جزءاً وليس أجواء، أن تكون واحداً أيضاً بالضرورة؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وسيأتي الواحد إلى الوجود بالإضافة لكل جزء ـ بالإضافة للجزء الأوّل عندما يأتي إلى الوجود، وبالإضافة للجزء الثاني ومع كل الأجزاء الباقية ـ ولن يكون في عوزٍ لأي جزء، الذي يكون مضافاً لأيّ جزء آخر إلى أن يصل للجزء الآخير، ويصبح واحداً متكاملاً؛ لن يكون في عوزٍ لا للوسط، ولا للأوّل، ولا للجزء الأخير، ولا لأيٍّ واحد منها، ما دامت عملية الصيرورة مستمرة؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: يكون الواحد إذن في العمر عينه مع كل الآخرين، وهكذا إذا لم يناقض الواحد ذاته طبيعته الخاصة، فلن يكون لا سابقاً ولا متأخّراً بالمقارنة مع الآخرين، بل متزامناً؛ وسيكون الواحد طبقاً لهذه المحاورة لا أكبر سناً ولا أصغر سناً من الآخرين، ولا الآخرون من الواحد: لكن الواحد سيكون طبقاً للمحاورة السابقة أكبر سناً وأصغر سناً من الآخرين، والآخرون من الواحد.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: يكون الواحد (قد أصبح) إثر هذا التّمط إذن. لكن على سبيل مثال فيما يختص بصيرورته فهي أكبر سنّاً وأصغر سنّاً من الآخرين، والآخرون من الواحد، ومع ذلك ليس أكبر سنّاً ولا أصغر، فماذا سنقول؟ هل سنقول، أن مثل ما هو للوجود هكذا للصيرورة أيضاً، أو بطريقة أخرى؟

ارسطو: لا أقدر أن أجيب.

بارمنيدس: لكنّني أستطيع أن أجازف وأقول حتى إذا كان شيئاً واحد أكبر سنّاً أو أصغر سنّاً من الآخر، فلن يقدر أن يصبح أكبر سنّاً أو أصغر سنّاً في درجة أكبر ممّا كان بادىء ذي بدء، لأن المتساوين مضافين إلى اللامتساوين، سواء إلى عصور الزمن أو لأيّ شيء آخر، فهي تُخلّف الفرق بينها الشيء عينه كما كان في بادىء الأمر.

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: ذلك الذي يكون إذن، لا يستطيع أن يصبح أكبراً سنّاً أو أصغر سنّاً من ذلك الذي يكون، بما أن فرق العمر هو نفسه على الدوام؛ فالواحد يكون وقد أصبح أكبر سنّاً والآخر أصغر سنّاً؛ لكنّهما لا يمسيان هكذا بعد اليوم.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: والواحد الذي يكون لذلك لا يصبح لا أكبر سنّاً ولا أصغر سنّاً من الآخرين الذين يكونون.

ارسطو: لا.

بارمنيدس: لكن إعتبر إذا أمكن أن لا يصبح أكبر سنّاً وأصغر سنّاً في طريقة أخرى.

ارسطو: في أيّة طريقة؟

بارمنيدس: كما أنّ الواحد قد بُرهِنَ ليكون أكبر سنّاً من الآخرين والأخرون من الواحد.

ارسطو: وماذا عن ذلك؟

بارمنيدس: إذا كان الواحد أكبر سنّاً من الآخرين، فلقد أتى إلى الوجود في زمن أطول من زمن الآخرين.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: لكن اعتبر مرّة ثانية، إذا أضفنا زمناً متساوياً لزمن أكثر وأقلّ، هل سيختلف الزمن الأكثر من الأقلّ بنسبة متساوية أو بنسبة أصغر من السابق؟

ارسطو: بنسبة أصغر.

بارمنيدس: لن يكون الفرق فيما بعد بين سنّ الواحد وسن الآخرين هكذا كبيراً كما كان أوّل الأمر، لكن إذا أضيف زمن متساوٍ لكليهما سيختلفان في العمر أقلّ وأقلّ؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وذلك الذي يختلف في العمر عن آخر ما أقلّ من السابق، سيصبح، من كونه أكبر سنّاً، سيصبح أصغر سنّاً فيما يختصّ بذلك الآخر من الذي كان أصغر سنّاً.

ارسطو: نعم، سيصبح أصغر سنّاً.

بارمنيدس: وإذا أصبح الواحد أفتى سيصبح الآخرون الآنفي الذكر أكبر سنّاً ممّا كانوا سابقاً فيما يختص بالواحد.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: إن ذلك الذي قد أصبح أفتى إذن، يصبح أكبر سنّاً نسبة لذلك الذي قد أصبح وكان أكبر سنّاً سابقاً؛ إنّه لا يكون أكبر سنّاً أبداً حقّاً، بل يكون صيرورياً على الدوام، لأنّ الواحد يكبر على جانب الشباب دائماً والأكبر سناً على جانب الكِبَر. ويكون الكبير في السن أفتى من الأفتى في عملية الصيرورة بنمطٍ مماثل؛ لأنّهما، كما أنّهما يذهبان في اتجاهين متضادّين، يصبحان مضادّين لبعضهما بعضاً في طريقة ما: الأصغر سناً أكبر سنّاً من الأكبر سنّاً، والأكبر سنّاً أصغر سنّاً من الأصغر سنّاً. لا يستطيعان، على كل حال، أن يكونا قد أصبحا؛ لأنّهما إذا كانا قد أصبحا؛ لأنّهما يكونان مصبحين على الدوام أكبر سنّاً وأصغر سنّاً من بعضهما بعضاً. سيصبح

الواحد أصغر سنّاً من الآخرين لأنه قد أُدرِكَ ليكون أكبر سنّاً وسابقاً، ويصبح الآخرون أكبر سنّاً من الواحد لأنّهم أتوا إلى الوجود متأخّرين. ويكون الآخرون في نفس ما يتعلق بالواحد بالطريقة ذاتها، لأنّهم قد أدركوا ليكونوا أكبر سنّاً وسابقين الواحد.

ارسطو: إنها تظهر هكذا، على الأقل.

بارمنيدس: لأنّ عندئذ، كما لا يصبح الشيء الواحد أكبر سنّاً أو أصغر سنّاً من الآخرين، فهي تختلف في ذلك من بعضها بعضاً بعدد متساوٍ على الدوام، فلا يستطيع الواحد أن يصبح أكبر سناً وأصغر سنّاً من الآخرين، ولا الآخرون من الواحد؛ لأنّه بسبب ذلك، فذلك الذي أتى إلى الوجود باكراً وذلك الذي أتى إلى الوجود لاحقاً، يجب أن تختلف من بعضها بعضاً بنسب متباينة بشكل متواصل - يجب أن يصبح الآخرون بسبب هذا أكبر سنّاً وأصغر سنّاً من الواحد، والواحد من الآخرين.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكلّ تلك الأسباب إذن، الواحد يكون ويصبح أكبر سنّاً وأصغر سنّاً من نفسه والآخرين، ولا يكون ولا يصبح أكبر سنّاً ولا أصغر سنّاً من نفسه أو الآخرين.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن بما أنّ الواحد يشترك في الزمن، ويشاطر في صيرورة الأكبر سنّاً والأصغر سنّاً، ألا يجب أن يشترك في الماضي والحاضر، والمستقبل أيضاً؟

ارسطو: يجب طبعاً.

بارمنيدس: الواحد كان إذن وسيكون، وكان صائراً ويكون صائراً وسيصبح؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: ويوجد وكان وسيكون شيئاً ما الذي يكون في علاقة معه ويخصه؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وبما أنّ لدينا في هذه اللحظة رأياً ومعرفة وإدراكاً عن الواحد، يوجد رأي ومعرفة وإدراك عنه؟

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: يوجد إسم وتعبير له إذن، وهو مسمّى ومعبَّر، وكلّ شيء يختص بالأشياء الأخرى من هذا النوع يختصّ بالواحد.

ارسطو: إنّ تلك لحقيقة، بالتأكيد.

بارمنيدس: دعنا نعتبر، مرة ثانية مع ذلك وللمرّة الثالثة: إذا كان الواحد واحداً وكثرة، كما وصفنا، ولا يكون واحداً ولا كثرة، ويشترك في الزمن، ألا يجب أن يشترك في الوجود من حين إلى آخر، وبقدر ما يكون هو واحداً، وأن لا يشترك في الوجود، وبقدر ما لا يكون هو واحداً؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لكن أيقدر أن يشترك في الوجود عندما لا يكون مشاركاً في الوجود أو أن لا يشارك في الوجود عندَ مشاركته في الوجود؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: الواحد يشترك ولا يشترك في الوجود إذن في أوقات مختلفة لأنّ هذا هو الطريق الوحيد فقط الذي يستطيع أن يشارك ولا يشارك في الشّيء عينه.

ارسطو: صدقاً.

بارمنيدس: أوَلاَ يوجد وقت أيضاً فيه يُعتبر الوجود أمراً مفروغاً منه ويتخلّى عن الوجود ـ لأنّه كيف يمكنه أن يمتلك ولا يمتلك الشيء نفسه ما لم يتسلّم ويتخلّى عن في وقتٍ ما أيضاً؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: ويكون افتراض الوجود هو ما تسمّيه صيرورة؟

ارسطو: يجب ذلك.

بارمنيدس: والتخلّي عن الوجود ما ستسمّيه دماراً؟

ارسطو: إنّني أعترف بذلك.

بارمنيدس: يصير الواحد إذن، كما سيظهر، ويكون مدمَّراً بالإعطاء والتخلي عن الوجود؟

ارسطو: بكلّ تأكيد.

بارمنيدس: وكونه واحداً وكثرة وفي عملية صيرورة ووجودٍ مدمَّر. فعندما يصير واحداً ينقطع عن أن يكون كثرة، وعندما يصير كثرة، ينقطع عن أن يكون واحداً؟

ارسطو: بدون ريب.

بارمنيدس: وكما أنه يصير واحداً وكثرة، ألا يجب أن يختبر الإنفصال والتجميع بشكل لا مناص منه؟

ارسطو: طبعاً، بشكل لا مناص منه.

بارمنيدس: وحينما يصبح شبيهاً وغير شبيه يجب أن يكون متشابهاً ومتبايناً.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وعندما يصبح أكثر أو أقلّ أو متساوياً يجب أن يكثر أو يقل أو يكون متساوياً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وهو يسكن عند كينونته في الحركة، ويغيِّر إلى الحركة عند كينونته في السكون، ولا يستطيع أن يكون في أيِّ وقت على الإطلاق بالتأكيد؟

ارسطو: كيف يكون ذلك؟

بارمنيدس: إنّ ذلك الشيء الذي يكون سابقاً في السكون، سيكون في الحركة

بعدئذ، أو يكون في الحركة سابقاً وفي السكون بعدئذ، بدون اختبار تغيير، فذلك مستحيل.

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: ولا يمكن أن يكون هناك زمن بالتأكيد للشّيء الذي لا يقدر أن يكون لا في حركة ولا في سكون كليهما حالاً؟

ارسطو. لا يمكن.

بارمنيدس: لكن لا يمكنه أن يتغيّر بدون تغيير؟

ارسطو: حقا.

بارمنيدس: أي متى إذن؛ لأنه لا يستطيع أن يتغيّر، لا عندما يكون ساكناً، أو متحركاً، أو عندما يكون في الزمن؟

ارسطو: لا يستطيع.

بارمنيدس: وهل يوجد هذا الشيء الغريب حقاً الذي يكون في وقت التغيير؟

ارسطو: أيّ شيء؟

بارمنيدس: اللحظة. لأنّ اللحظة تبدو وأنّها تدلّ ضمناً على شيء ما خارج الذي يأخذ التغيير مكانه إلى كل من الحالتين؛ لأنّ التغيير لا يكون من حالة السكون كتلك، ولا من حالة الحركة كهذه؛ بل توجد هذه الطبيعة الغريبة التي نسمّيها اللحظة ممتدة بين الحركة والسكون، ليست كائنة في أيّ وقت؛ وتتبدل إلى هذا وخارج هذا ما هو في الحركة إلى السكون، وما هو في السكون إلى الحركة.

ارسطو: يظهر هكذا.

بارمنيدس: والواحد آنئذ، بما أنّه في حركة وفي سكون أيضاً، سيتغيّر إلى كليهما، لأنّه يتمكن أن يكون فيهما معاً بهذه الطريقة فقط. يتبدل في تبدله بلحظة، وعند تبدله لن يكون في أيّ وقت، ولن يكون حينئذ لا في الحركة ولا في السكون عليهما.

ارسطو: لن يكون.

بارمنيدس: وسيكون في الحالة عينها فيها يختص بالتبدلات الأخرى، عندما يمّر من الوجود إلى انقطاع الوجود، أو من اللاوجود إلى الصيرورة ـ عندما يمر بين حالات محدَّدة للحركة والسكون، ولا كان ولا يكون، لا يصير مدمَّراً.

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: ولا يكون الواحد لا واحداً ولا كثرة، على القاعدة عينها، في الإنتقال من الواحد إلى الكثرة ومن الكثرة إلى الواحد، ولا يكون منفصلاً ولا مجتمعاً؛ وفي الإنتقال من الشبيه إلى اللاّشبيه، ومن اللاّشبيه إلى الشبيه، إنه لا يكون شبيهاً ولا غير شبيه، لا في حالة التشابه أو التباين؛ وفي المرور من الصِّغَرِ إلى الكِبَرِ والمتساوي، ورجوعاً مرة ثانية، لن يكون لا صغيراً ولا كبيراً ولا متساوياً، لا في حالة الزيادة، أو النقصان، أو المساواة.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: كلّ تلك إذن، هي صفات الواحد، إذا امتلك الواحد وجوداً.

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: لكن إذا الواحد يكون، ماذا سيحدث للآخرين ألا يجب اعتبار ذلك؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: دعنا نُري إذن، إذا الواحد يكون، ماذا ستكون صفات الغير من صفات الواحد.

ارسطو: دعنا نفعل ذلك.

بارمنيدس: بقدر ما هم غيرٌ من الواحد، فالآخرون ليسوا الواحد؛ لأنّهم إذا كانوا لن يستطيعوا أن يكونوا غيراً من الواحد.

ارسطو: حقيقيّ تماماً.

بارمنيدس: ولا يكون الآخرون جملة بدون الواحد، لكنّهم يشتركون في الواحد بطريقة محددة.

ارسطو: في أيّة طريقة؟

بارمنيدس: لأنّ الغير هي غيرٌ من الواحد بقدر ما لها أجزاء؛ لأنها إذا لم يكن لديها أجزاء ستكون واحداً بكلّ بساطة.

ارسطو: صحيح.

بارمنيدس: وكما نؤكّد، فالأجزاء لها صلة بالكلّ؟

ارسطو: نقول هكذا.

بارمنيدس: ويجب أن يكون الكلّ واجداً بالضّرورة مُنشأً من العدَّة؛ وستكون الأجزاء أجزاء للواحد، لأن كلاًّ من الأجزاء ليس جزءاً من آلعدَّة، بل من الكامل.

ارسطو: ماذا تعني؟

بارمنيدس: إذا كان أيّ شيء جزءاً من العدَّة، كون نفسه واحداً منها، سيكون جزءاً من نفسه بالتأكيد، الذي هو مستحيل، وإذا كان للكلّ، سيكون جزءاً من كلّ واحد من الأجزاء الأخرى؛ لأنّه إذا لم يكن جزءاً من واحد ما، سيكون جزءاً من كل الآخرين إلاَّ هذا الواحد، وهكذا لن يكون جزءاً من كل واحد؛ وإذا لم يكن جزءاً من كل واحد، فلن يكون جزءاً لأيٍّ واحد من العُدة؛ وغير كونه جزءاً لأيٍّ واحد، لا يستطيع أن يكون جزءاً أو أيَّ شيء آخر من كل تلك الأشياء للأشيء الذي يكون أيّ شيء.

ارسطو: لا بوضوح.

بارمنيدس: لا يكون الجزء جزءاً من العدَّة إذن، ولا من الكلّ، بل يكون بشكل مفرد محدَّد، ذلك الذي نسمّيه تاماً، كونه وحدة واحدة كاملة مصوغة خارجاً من الكلّ ـ سيكون الجزء جزءاً من هذا ـ

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: إذا كان لدى الآخرين أجزاء إذن، فسيشتركون في الكلّ وفي الواحد.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: يجب أن يكون الآخرون إذن، إلاَّ الواحد، كلاًّ واحداً تامّاً، له أجزاء.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وتَثبُتُ المحاورة ذاتُها عن كل جزء، لأنّ الجزء يجب أن يشترك في الواحد؛ ولأنّ كُلاًّ من الأجزاء يكون جزءاً، فهذا يعني، كما أفترض، أنّه واحد منفصل عن الباقي ومستقلٌّ؛ وإلاَّ فلن يكون كُلاًّ.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكنّ على ما يبدو، كي يشترك الجزء في الواحد، يجب أن يكون غيراً من الواحد لأنّه إذا لم يكن، فلن يكون قد اشترك فحسب، بل قد كان واحداً؛ حيث أنّنا يمكن أن نعتبره أمراً مفروغاً منه أنّ الواحد نفسه يستطيع أن يكون واحداً فقط.

ارسطو: يمكننا ذلك.

بارمنيدس: على الجانب الآخر، إنّه لمن الضروري أن يشترك الكلّ والجزء في الواحد؛ لأنّ الكلّ سيكون كلاًّ واحداً، للذي سيكون الأجزاء أجزاءً، وسيكون كل جزء جزءاً واحداً للكلّ للذي يكون جزءاً.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: أوَليست الأشياء التي تشترك في الواحد، هي غَيْراً منه؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: والأشياء التي هي غيرٌ من الواحد ستكون عِدَّة؛ لأنّه إذا كانت الأشياء التي هي غيرٌ من الواحد ليست واحدة ولا أكثر من واحد، فلن تكون أيَّ شيء.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكنّنا مبصرون أنّ الأشياء التي تشترك في الواحد كجزء، وفي الواحد ككل، هي أكثر من واحد. ألا يجب أن تكون تلك الأشياء التي تشترك في الواحد بالتحديد غير محدودة في العدد؟

ارسطو: كيف هذا؟

بارمنيدس: دعنا ننظر إلى المسألة هكذا: ـ ألا تكون حقيقة أنّها في اشتراكها في الواحد ليست واحدة، ولا تشترك في الواحد في الوقت عينه عندما تكون مشاركة فيه بالتحديد؟

ارسطو: بوضوح.

بارمنيدس: إنّها تفعل هكذا كجمهرة، لا يكون الواحد حاضراً فيها؟

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: وإذا كنّا لنطرح منها الكسور الأصغر في الفكرة بالتحديد، ألا يجب أن تكون تلك الكسور الأقلّ كثرة وليست واحداً، إذا لم تشارك في الواحد؟

ارسطو: يجب أن تكون ذلك.

بارمنيدس: وإذا أمعنّا النظر في الجانب الآخر من طبيعتها وفي أنفسها، معتبرة ببساطة، ألن تكون محدودة في العدد، بقدر ما نقدر أن نراها؟

ارسطو: بدون ريب.

بارمنيدس: ومع ذلك، عندما يصبح كلُّ جزء متعددٍ جزءاً، سيكون لدى الأجزاء حدٌّ فيما يتعلق بالكل وببعضها بعضاً، وللكلِّ فيما يتعلق بالأجزاء؟

ارسطو: هكذا تماماً.

بارمنيدس: فالنتيجة إلى الغير من الواحد هي أن إتّحاد أنفسها والواحد يظهر ليخلق عنصراً جديداً فيها، هو الذي يعطيها تحديداً في علاقتها ببعضها بعضاً؛ مع أنّها لا تمتلك حدّاً في طبيعتها الخاصة.

ارسطو: إن ذلك لواضح.

بارمنيدس: يكون الغير غير محدّد إذن إلاّ الواحد، ككلّ وكأجزاء لكليهما، ويشارك في الحد.

ارسطو: بدون ريب.

بارمنيدس: إنّها شبيهة وغير شبيهة بواحدها الآخر وبأنفسها أيضاً؟

بارمنيدس: كيف يكون ذلك؟

بارمنيدس: بقدر ما تكون محدَّدة في طبيعتهاالخاصّة، فإنها تتأثّر كلُّها في الطريقة عينها.

ارسطو: حقّاً.

بارمنيدس: وبقدر ما تشارك كلها في الحدّ، فإنّها تتأثّر كلّها في الطريقة عينها.

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: لكن بقدر ما تكون حالها محدَّدة وغير محدَّدة، فإنّها تتأثر في طريقة معاكسة.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وإنّ المتضادات هي أكثر الأشياء اللاّمتشابهة.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: ستكون شبيهة بنفسها وببعضها بعضاً إذن، مُعتبرة فيما يتعلق بواحد من كلا صفاتها؛ وفي الأكثر تضاداً والأكثر لا شبهاً، مُعتَبرة بخصوصهما معاً.

ارسطو: يظهر ذلك أنه حقيقي.

بارمنيدس: إنّ الغير إذن شبيهة وغير شبيهة بأنفسها وببعضها بضعاً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وهي الشيء عينه ومختلفة من بعضها بعضاً أيضاً، وفي حركة وفي

سكون، وتختبر كل نوعٍ من الصّفة المضادّة، كما يمكن أن يُبرهن عنها بدون صعوبة، بما أنَّها قد أُبينت أنّها اختبرت الصفات المذكورة أنفاً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: إفترض الآن، أن نترك المناقشة الأبعد لهذه المسائل كأنّها جليّة، لكنْ إعتبر مرّة ثانية، على فرضيات أنّ الواحد يكون، سواء يكون هذا ضِدّ الكل أو لا يكون عن الغير كذلك حقيقيّاً على حدٍّ سواء.

ارسطو: بكلّ تأكيد.

بارمنيدس: دعنا نبدأ مرّة ثانية ونسأل، إذا الواحد يكون، فماذا يجب أن تكون صفات الآخر؟

ارسطو: دعنا نسأل هذا السؤال.

بارمنيدس: ألا يجب أن يكون الآخر مميّزاً عن الواحد، والواحد عن الآخر؟

ارسطو: لماذا هكذا؟

بارمنيدس: لماذا، لأنه لا يوجد شيء آخر بجانبهما، يكون مميّزاً عنهما معاً؛ لأن عبارة (الواحد والآخر) تتضمّن كلّ الأشياء.

ارسطو: نعم، كلّ الأشياء.

بارمنيدس: لا نقدر أن نفترض إذن أنّه يوجد أيّ شيء خلافاً منها في الذي يمكن أن يُوجِدَ الواحد والآخر كليهما.

ارسطو: لا يوجد أي شيء.

بارمنيدس: لا يكون الواحد والآخر في الوقت عينه إذن؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: إنّهما منفصلان عن بعضهما بعضاً إذن؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: ولا يمكننا أن نقول بالتأكيد أنّ الذي هو واحد بالحقيقة له أجزاء؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: لن يكون الواحد في الآخر إذن ككلّ، ولا كجزء، إذا سيكون منفصلاً عن الآخر وليس له أجزاء؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: لا توجد أيّة طريقة إذن يستطيع الآخر فيها أن يشترك في الواحد، إذا لم يشترك لا في الكل ولا في الجزء.

ارسطو: يظهر أن لا.

بارمنيدس: لا توجد أية طريقة إذن يكون فيها الآخر واحداً، أو أنّ لديه في نفسه أيّة وحدة؟

ارسطو: لا توجد.

بارمنيدس: وليس الآخر كثرة؛ لأنّه إذا كان كثرة، سيكون كلّ جزء منه جزءاً من الكلّ؛ لكن بما أنّ الآخر غير مشتركٍ الآن في الواحد بأيّة طريقة، فليس واحداً ولا كثرة، لا كلاً ولا جزءاً.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: إذا كان الآخر مجرّداً من الواحد بالكامل إذن، فلا يكون ولا يشمل إثنين أو ثلاثاً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لا يكون الآخر شبيهاً ولا لا شبيهاً بالواحد إذن، ولا يكون شبهاً وغير شبهٍ فيه؛ لأنّه إذاكان شبهاً وغير شبه، أو أن فيه شبهاً وغير شبه، سيكون لديه طبيعتان اثنتان مضادتان لبعضهما بعضاً.

ارسطو: إنّ ذلك لواضح.

بارمنيدس: لكنّ ذلك الذي لا يشترك في أيّ شيء فلقد كان مثبتاً بنا أنّ اشتراكه في شيئين اثنين كان مستحيلاً.

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: لا يكون الآخر شبيهاً ولا غير شبيه ولا كليهما، لأنّه إذا كان شبيهاً أو غير شبيه سيشترك في واحدة من تينك الطبيعتين الاثنتين، التي ستكون شيئاً واحداً. وإذا كانا كلاهما سيشتركان في المضادات، الذي سيكون شيئين اثنين، وقد أُظهر هذا أنه مستحيل.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لذلك فالآخر لا يكون الشيء عينه ولا غيراً، لا في حركة ولا في سكون. لا في حالة صيرورة ولا كونه مدمَّراً، لا أكثر، لا أقلَّ ولا متساوياً، ولن يختبر أيّ شيء آخر من هذا النوع؛ لأنّه إذا كان قادراً على اختبار أيّة صفة كهذه، فسيشترك في الواحد والإثنين والثلاثة، وفي المفرد والمزدوج. وكما قد برهنّا فإنه لا يشترك في هذه الأشياء مدركين أنّه مجرَّدٌ من الواحد بالكامل في كل طريقة.

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: لذلك فالواحد يكون، الواحد يكون كل الأشياء، ولا شيء على الإطلاق أيضاً، فيما يتعلق بنفسه وبالأشياء الأخرى معاً.

ارسطو: بكلّ تأكيد.

بارمنيدس: حسناً، أوَلاً يجب علينا أنْ نعتبر تالياً ماذا ستكون العاقبة إذا الواحد لا يكون؟

ارسطو: نعم؛ يجب ذلك.

بارمنيدس: ما معنى الفرضيّة، (إذا الواحد لا يكون؟). أهناك أيّ فرق بين هذه الفرضيّة والفرضيّة، (إذا الواحد لا يكون فلا يكون)؟

ارسطو: يوجد فرق، بدون ريب.

بارمنيدس: أيوجد فرق فقط، أو بشكل أدقّ أليست الفرضيتان ـ إذا الواحد لا يكون، وإذا الواحد لا يكون فلا يكون، متضادتين كليّة؟

ارسطو: إنّهما متضاداتان كليّة.

بارمنيدس: وافترض شخصاً أنّه يقول: (إذا لا تكون الضخامة)، (إذا لا يكون الصغر)، أو أي شيء من ذلك النوع، ألا يعني، عندما يستعمل تعبيراً ، أن (ما لا يكون) هو غير من غير الأشياء؟

ارسطو: لتكن متأكداً.

بارمنيدس: وهكذا عندما يقول (إذا الواحد لا يكون)، فهو يعني بوضوح أنّ ما (لا يكون) هو غير من الغير كله؛ نعرف نحن ما يعني، أليس كذلك؟

ارسطو: نعم، إنّنا نفعل.

بارمنيدس: عندما يقول (واحداً) فهو يقول شيئاً ما يكون معروفاً؛ وثانياً شيئاً ما يكون غيراً من كل الأشياء الأخرى؛ إنّها لا تعني أيّ فرق سواء هو يعني عن وجودٍ واحدٍ أو عن لا وجود، لأنّ ذلك الذي قيل (لن يكون) فإنّه معروفاً ليكون شيئاً ما والشيء عينه كلّه، وإنّه مميّز من الأشياء الأخرى.

ارسطو: بدون ريب.

بارمنيدس: سأبدأ وأسأل مرّة ثانية إذن: إذا الواحد لا يكون، فما هي العواقب؟ توجد معرفة به، كما سيظهر في المقام الأوّل، أولن يكون معنى الكلمات بالتحديد، (إذا الواحد لا يكون)، لن تكون معروفة تلك الكلمات.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: يختلف الآخر عنه، ثانية، أو أنّه لا يمكن أن يكون موصوفاً كمختلفٍ عن الآخر؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: يخصّه الاختلاف كما تخصّه المعرفة إذن؛ لأنّ في التكلم عن الواحد كمختلفٍ عن الآخر، فنحن لا نتكلم عن فارق في الآخر، بل في الواحد.

ارسطو: هكذا بجلاء.

بارمنيدس: إضافة إلي ذلك، الواحد الذي لا يشترك فيما يتعلق بـ (ذلك) و(هذا)

و(أولئك) وما شابه، ويكون صفة لـ (بعض) ولـ (هذا)؛ لأنّه لم يكن قد تُكلِّم عن الواحد، أو عن الآخر من الواحد، ولا يُستطاع أنه قد كان أو قد تُكلِّم عن أيّة صفة أو علاقة عن الواحد الذي لا يكونُ، ولا يمكن أنّه قد قيل ليكون أيّ شيء، إذا لم يشارك في (بعض)، أو في العلاقات الأخرى التي ذُكرت لتوِّها الآن.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لا يمكن أن يُنسب الوجود إلى الواحد إذن، بما أنّه لا يكون؛ لكن يمكن للواحد الذي لا يكون أو أن يشترك في عدة أشياء بالأحرى، إذا هو ولا شيء آخر لا يكون؛ ونحن لا نستطيع أن نؤكّد أيّ شيءٍ عنه، إذن، على كل حال، لا الواحد ولا الواحد الذي لا يكون يكونَ مفترضاً أن لا يكون، وكنا متكلمين عن شيء ما لطبيعة مختلفة. لكن مفترضين أنّ الواحد الذي لا يكون ولا شيء آخر لا يكون، يجب أن يشترك إذن في المُسند (ذلك)، وفي أشياء أخرى.

ارسطو: بدون ريب.

بارمنيدس: وسيمتلك لا شبهاً فيما يتعلق بالآخر، لأنّ الآخر كونه مختلفاً عن الواحد سيكون من نوع مختلف.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: أوليست الأشياء ذات النوع المختلف غيراً في النوع أيضاً؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: أوليست الأشياء الغير في النوع غير شبيهة؟

ارسطو: إنها غير شبيهة.

بارمنيدس: وإذا هي غير شبيهة بالواحد، فتلك التي هي غير شبيهة ستكون غير شبيهة بها بوضوح.

ارسطو: هكذا بجلاء.

بارمنيدس: سيمتلك الواحد لا شبهاً إذن فيما يختص بذلك الغير اللاّشبيه به؟

ارسطو: سيبين ذلك أنّه حقيقة.

بارمنيدس: وإذا كان اللاّشبه للأشياء الأخرى يُنسَبُ له، يجب أن يمتلك شبهاً لنفسه.

ارسطو: كيف هذا؟

بارمنيدس: إذا كان اللاّشبه لنفسه سمة الواحد، سيفقد حقه ليكون معتبراً واحداً؛ ولن تكون الفرضية مختصة بالواحد بعد اليوم، بل بشيء ما ليس واحداً.

ارسطو: هكذا تماماً.

بارمنيدس: لكن ذلك لا يمكن أن يكون.

ارسطو: لا.

بارمنيدس: يجب أن يمتلك الواحد شبهاً لنفسه إذن.

ارسطو: يجب ذلك.

بارمنيدس: إن الواحد ليس متساوياً بالغير، مرّة ثانية، لأنّه إذا كان متساوياً، سيكون حينئذ شبيهاً بالغير بموجب المساواة؛ لكن إذا كان الواحد لا يمتلك وجوداً، فلن يكون آنئذ ولا يكون شبيهاً؟

ارسطو: لا يمكنه.

بارمنيدس: لكن بما أنّه غير متساوٍ بالغير، لا يستطيع الغير أن يكون متساوياً به؟

ارسطو: لا بالتأكيد.

بارمنيدس: وتكون الأشياء اللاّمتساوية متساوية؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وتكون هي غير متساوية إلى اللامتساوية؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: يشترك الواحد في اللامساواة إذن، وفيما يختص بهذا، فالغير يكون غير مساوٍ له؟

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: وتتضمن اللاّمساواة كِبَراً وصِغَراً؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: إذا كان الواحد من طبيعة كهذه إذن، فهو يمتلك كِبَراً وصِغَراً؟

ارسطو: يظهر ذلك أنّه حقيقة.

بارمنيدس: ويقف الكِبَرُ والصِغَرُ منفصلَيْن على الدّوام؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: يوجد شيء ما بينهما دائماً إذن؟

ارسطو: يوجد.

بارمنيدس: وهل تستطيع أن تفكّر بأيِّ شيء آخر يكون بينهما غيراً من المساواة؟

ارسطو: لا، إنّها المساواة التي تقع بينهما.

بارمنيدس: إنّ ذلك الذي يمتلك كِبَراً وصِغَراً إذن، يمتلك مساواة أيضاً، تقع بينهما؟

ارسطو: إنّ ذلك لجلي.

بارمنيدس: يشترك الواحد الذي لا يكون إذن، كما سيبدو، في الكِبَر والصِغر والمساواة؟

ارسطو: بوضوح.

بارمنيدس: يجب أن يشترك بالوجود في نوعٍ ما، بالإضافة إلى ذلك؟

ارسطو: كيف ذلك؟

بارمنيدس: يجب أن يكون هكذا، لأنّه إذا لم يكن، علينا أن لا نتكلّم الحقيقة حينئذ عندما نقول أن الواحد لا يكون. لكن إذا تكلمنا الحقيقة، يجب أن نقول ما هو بوضوح، ألا أكون محقّاً؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وبما أنّنا نثبت أنّنا نتكلم بحقّ، يجب أنْ نؤكِّد أنّنا نتكلم ما يكون أيضاً؟

ارسطو: بدون ريب.

بارمنيدس: كما سيظهر إذن، فالواحد عندما لا يكون، يكون؛ لأنّه إذا كان لا ليكون عندما لا يكون، بل كان ليتخلى عن شيء ما من الوجود، كي يصبح لا موجوداً، فسيكون في الحال.

ارسطو: حقيقيّ تماماً.

بارمنيدس: الواحد الذي لا يكون إذن، إذا كان ليؤكّد نفسه، يجب أن يمتلك وجود اللاّوجود، كرباط للاوجود، تماماً كما يجب الوجود رباط اللاوجود للأّوجود كي يتمّم وجوده الخاص؛ لأن أحق جزم لوجود الوجود وللأّوجود اللاوجود هو عندما يشترك الوجود بالوجود، بما أنه يكون، ويشترك باللاوجود أيضاً، بما أنّه لنؤكد الكمال للوجود يجب أن لا يكون هناك لا وجودٌ؛ وعندما يشترك اللاوجود بكلا اللاوجود، بما أنه لا يكون، وبالوجود، لأنّه كي نؤكِّد التمام للأّوجود، يجب أن يكون اللاوجود.

ارسطو: الأكثر حقيقة.

بارمنيدس: ما يشترك باللاّوجود منذ ذلك الحين، وما لا يكون للوجود، ألا يجب أن يشترك الواحد بالوجود أيضاً، عندما لا يكون، كي لا يكون؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: إذا لا يكون الواحد إذن، فهو يمتلك وجوداً بوضوح؟

ارسطو: بوضوح.

بارمنيدس: أولا يمتلك اللاوجود وجوداً أيضاً، إذا لا يكون؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: لكن أيستطيع أيّ شيء يكون في جالة معينة أن لا يكون في تلك الحالة بدون تغيير؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: كل شيء إذن، الذي يكون ولا يكون في حالة محددة، يعني التغيير ضمناً؟

ارسطو: بدون ريب.

بارمنيدس: وأنّ التغيير هو الحركة ـ يمكننا قول ذلك؟

ارسطو: نعم، إنّه حركة.

بارمنيدس: ولقد بُرهِنَ الواحد ليكون ولا ليكون كلاهما؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: ولذلك فهو يكون ولا يكون في الحالة ذاتها؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وهكذا قد أظهر الواحد الذي لا يكون أنّ له حركة أيضاً، لأنّه يتغيَّر من الوجود إلى اللاّوجود؟

ارسطو: يظهر ذلك ليكون حقيقة.

بارمنيدس: لكنّه إذا لم يكن بين ما يكون بالتأكيد، كما هي الحقيقة، وبما أنّه لا يكون، فهو لا يقدر أن يتغيَّر من مكان إلى آخر؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: لا يستطيع أن يتحرك بتغيير المكان إذن؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: ولا يستطيع أن يدور على البقعة عينها، لأنّه لا يلامس الشيء عينه في أيّ مكان، لأنّ الشيء عينه يكون، وذلك الذي لا يكون لا يمكن أن يُحسَبَ بين الأشياء التي تكون؟

ارسطو: لا يمكن.

بارمنيدس: إذا لا يكون الواحد إذن، لا يستطيع أن يدور في ذلك الذي لا يكون؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: ولا يستطيع الواحد، سواء يكوّن أو لا يكون، أنْ يُبدَّل إلى غيرٍ من نفسه، لأنّه إذا تبدَّل وأصبح خلافاً من نفسه، فلا يمكتنا أن تبقى متكلمين عن الواحد آنئذ، بل عن شيء ما آخر؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكن إذا لم يقاسِ الواحد تبدلاً، ولا يدور دائرياً في المكان عينه، ولا يغيّر مكانه، فهل يمكنه أن يبقى قادراً على الحركة؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: وبعدُ فذلك الذي يكون غير متحركٍ يجب أن يكون في سكون بالتأكيد، وذلك الذي يكون في سكون يجب ألاّ يتحرّك؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: لا يتحرّك الواحد الذي لا يكون إذن، ويكون في حركة أيضاً؟

ارسطو: يظهر ذلك ليكون أكيداً.

بارمنيدس: لكن إذا كان الواحد في حركة يجب أن يجتاز تغييراً بالضرورة، لأنّ كلّ شيء يكون متحركاً، بقدر ما يكون هو متحرك، لا يكون في الحالة ذاتها بعد الآن، بل في حالة أخرى.

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: يكون الواحد متغيراً إذن، كونه متحركاً؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وبالإضافة إلى ذلك، فإنه إذا لم يتحرك في أيّة طريقة، فلن يتغيّر في أية طريقة؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: الذي لا يكون واحداً إذن، بقدر ما يكون متحركاً، فهو يكون متغيّراً، لكن بقدر ما لا يكون متحرّكاً، فهو لا يكون متغيّراً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: الواحد الذي لا يكون إذن يكون متغيراً ولا يكون متغيّراً؟

ارسطو: إنّ ذلك الجلي.

بارمنيدس: أوَلاَ يجب أن يصبح ذلك الذي يكون متغيراً غيراً ممّا كان سابقاً، ويفقد حالته السابقة ويدمَّر؛ غير أنّ ذلك الذي لا يكون متغيّراً لا يستطيع أن يأتي إلى الوجود، ولا أن يدمَّر؟

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: ويصبح الواحد الذي لا يكون، كونه متغيراً، ويكون مدمَّراً؛ وكونه غير متغير، فلا يصبح أو يكون مدمَّراً؛ ويصبح هكذا الواحد الذي لا يكون ويكون مدمَّراً، ولا يصبح ولا يكون مدمَّراً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وبعدُ، دعنا نعود إلى البداية مرّة ثانية، ونرى ما إذا ستلي هذه النتائج أو نتائج ما غيرها.

ارسطو: دعنا نفعل كما تقول.

بارمنيدس: إذا الواحد لا يكون، فنحن نسأل ماذا سيحدث فيما يختص بالواحد، ذلك هو السؤال؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: ألا تفيد كلمات (لا يكون) غياب الوجود في ذلك الذي نستخدم.

ارسطو: هكذا تماماً.

بارمنيدس: وعندما نقول أنّ شيئاً لا يكون، فهل نعني أنّه لا يكون في طريقة

واحدة بل يكون في أخرى؟ أو أننا نعني بالكليّة، أنّ ما لا يكون لا يملك في أيٍّ ضرب من الطرائق أو أيّ نوع الاشتراك في الوجود؟

ارسطو: تماماً بالكليّة.

بادميندس: إن ذلك الذي لا يكون، لا يمكنه أن يكون إذن، أو أن يشترك بالوجود في أية طريقة؟

ارسطو: لا يمكنه.

بارمنيدس: أو لم نعنِ بالصيرورة، وكون التدمير، افتراض الوجود، وفقدان الوجود؟

ارسطو: لا شيء آخر.

بارمنيدس: أو يقدر ذلك الذي لا يمتلك مشاركة في الوجود إمّا أن يفترض أو يفقد الوجود؟

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: بما أنّ الواحد لا يكون في أية طريقة إذن، لا يقدر أن يمتلك أو يفقد أو يفترض الوجود في أية طريقة؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: الواحد الذي لا يكون إذن؛ بما أنه لا يشترك في الوجود بأيّة طريقة، لا يفنى ولا يصير؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: لا يتغير الواحد على الإطلاق إذن؛ لأنّه إذا كان متغيراً فسيصبح ويكون مدمّراً؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكنّه إذا لم يتغيّر لا يمكنه أن يتحرّك؟

ارسطو: لا بالتأكيد.

بارمنيدس: ولا نستطيع أن نقول إنّه يقف، إذا لم يكن في أيّ مكان؛ لأنّ ذلك الذي يقف يجب أن يكون دائماً في البقعة الواحدة عينها؟

ارسطو: طبعاً.

بارمنيدس: يجب أن قول آنئذ أنّ الواحد الذي لا يكون لا يهدأ أبداً ولا يتحرك على الإطلاق؟

ارسطو: لا هذا ولا ذاك.

بارمنيدس: ولا يوجد أيّ شيء باقٍ يمكن أن يُنسب له؛ لأنّه إذا كان قد وُجِد، فسيشترك في الوجود.

ارسطو: إنّ ذلك لبيِّن.

بارمنيدس: ولذلك فلا الصِّغَرُ، ولا الكِبَرُ، ولا المساواة يمكن أن تُعزى له؟

ارسطو: لا يمكنها.

بارمنيدس: ولا يستطيع ما لا يكون، أن يكون أيّ شيء، أو أن يكون هذا الشيء، أو أن يكون منسوباً إلى، أو العلامة المميّزة لهذا أو ذلك أو الغير، أو أن يكون ماضياً، أو حاضراً، أو مستقبلاً. ولا تتمكن المعرفة أو الرأي، أو التصوّر، أو التعبير، أو الإسم، أو أيّ شيء آخر الذي يكون، أن يمتلك أيّة علاقة معه؟

ارسطو: لا.

بارمنيدس: الواحد الذي لا يكون إذن ليس له أيّة حالة من أي نوع؟

ارسطو: يظهر أنّ هكذا هو الإستنتاج.

بارمنيدس: مرّة ثانية مع ذلك: إذا الواحد لا يكون، فماذا سيحل بالغير؟ دعنا نقرّر ذلك.

ارسطو: نعم، دعنا نقرّر ذلك.

بارمنيدس: يجب أن يكون الآخر غيراً بالتأكيد؛ لأن الآخر إذا لم يكن، كالواحد فلا يمكننا التكلم عنه الآن.

ارسطو: حقّاً.

بيارمنيدس: لكن كي تتكلّم عن الآخر يعني الفرق ضمناً، فالعبارات (غير) و(خلاف) هي مترادفات؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكن الآن المختلف يعني مختلفاً من المختلف، ويجب أن يعني الآخر غيراً من الغير؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: إذا ما وُجِد الآخر في الحالة الحاضرة إذن، فهناك شيء ما من الذي سيكون آخراً.

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وماذا يمكن أن يكون ذلك؟ ـ لأنه إذا الواحد لا يكون، فلن يكون غيراً من الواحد.

ارسطو: لن يكون.

بارمنيدس: سيكونان غيراً من بعضهما بعضاً حينئذ؛ لأنّ الخيَار الوحيد الباقي هو أنّهما غيراً من لا شيء.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وهما غير من بعضهما بعضاً كونهما جمعاً وليسا فرداً؛ وهما لا يمكن أن يكونا مفردين، بما أنه ليس هناك وحدة. إنّ كل شذرة منهما هي غير محدودة في العدد؛ وحتّى إذا أخذ شخص ذلك الذي يظهر أنّه أصغر كسر، فهذا، الذي يتراءى واحداً يفنى في الكثرة بلحظة، كما في حُلُم، ويصبح كبيراً جدّاً من كونه الأصغر، في مقارنة بالكسور التي جُزِّىء إليها؟

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: وسيكون الآخر في هكذا ذرات غيراً من بعضه بعضاً، إذا الآخر يكون والواحد لا يكون؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وسيبين أنّ الرقم يمكن أن يكون معساً منهما إذا ظهر كل واحد منهُما ليكون واحداً، بالرّغم من أنّه كثرة بحقّ؟

ارسطو: سيكون ذلك.

بارمنيدس: ويجب أن يكون ظهور بعضٍ منها مفرداً والآخر مزدوجاً، بما أنّه لا يوجد هناك وحدة، يجب أن يكون ذلك باطلاً؟

ارسطو: نعم.

بارمنيدس: وسيظهر مرّة ثانية ليكون هناك أصغرُ بينهما؛ وحتى هذا الأصغر يظهر كبيراً ومتشعباً بالمقارنة مع الكسور الصغيرة العديدة المحتواة فيهما؟

ارسطو: بالتأكيد.

بارمنيدس: وستكون كل ذرَّة متخيَّلة أنّها متساوية إلى الكثير والقليل؛ لأنّها لا يمكنها أن تظهر أنّها تمرّ من الأكثر إلى الأقلّ بدون أن تظهر أنّها وصلت إلى الوسط؛ وسينشأ هكذا ظهور المساواة.

ارسطو: على الأرجح.

بارمنيدس: وتظهر تلك الذرَّات مع ذلك لتكون محدودة فيما يخص واحدها الآخر، والتي لا تمتلك في نفسها بداية ولا حدًّاً ولا وسطاً؟

ارسطو: كيف هذا؟

بارمنيدس: لأنّه عندما يتصور شخص بأيٍّ من هذه، بما هي، يظهر دائماً بداية أخرى سابقة لبدايتها، ونهاية أُخرى باقية بعد نهايتها، وفي الوسط أواسط أَصَحّ داخليّاً لكنّها أصغر، لأنه، بما أنّ الوحدة لا توجد الآن، فلا يقدر أحدها أن يكون آمناً في أيٍّ من تلك الحالات.

ارسطو: حقيقي تماماً.

بارمنيدس: وهكذا يجب أن يكون الوجود كله مُقسَّماً إلى كسور، مهما يكن

تفكيرنا عنه، لأن الذرة التي تكون محكمة ستكون في حاجة للوحدة على الدوام.

ارسطو: بدون ريب.

بارمنيدس: ويظهر وجودٌ كهذا أنّه واحد، عندما يُرى بغير وضوح ومن مسافة؛ لكنّه عندما يُرى من قربٍ وببصيرة نفّاذة فسيظهر كلّ شيء فرد ليكون لامتناهياً في العدد، بما أنّه يكون مجرّداً من الواحد، الذي ليس بذلك؟

ارسطو: لا شيء أكثر تأكيداً.

بارمنيدس: يجب أن يظهر كل من الآخر ليكون لامتناهياً ومتناهياً آنئذ، واحداً وكثرة، إذا وُجد الآخر من الواحد وليس الواحد؟

ارسطو: يجب ذلك.

بارمنيدس: ألن يظهر ليكون شبيهاً وغير شبيه حينئذ؟

ارسطو: في أيّة طريقة؟

بارمنيدس: تماماً كما في الصورة، فالأشياء تظهر لشخص يقف بعيداً عنها أنّها كلّها واحدة، وأنّها تكون في الحالة عينها ومتشابهة؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: لكنّك عندَما تقترب منها، تظهر أنها عديدة ومتباينة، وبسبب ظهور الفرق، فخلاف في النوع، وغير شبيهة بنفسها؟

ارسطو: صدقاً.

بارمنيدس: وهكذا يجب أن تكون الذرات شبيهة وغير شبيهة بنفسها وببعضها بعضاً.

ارسطو: بكلّ تأكيد.

بارمنيدس: أوّلاً يجب أن تكون شبيهة ومختلفة من بعضها بعضاً مع ذلك، وهي منفصلة في اتصالها بنفسها، ولها كلّ نوع للحركة وكلّ نوع من أنواع

السّكون، وصائرة وكونها مدمَّرَة وفي غير تلك الحالتين، وما شابه ذلك؟ ويمكن أن تكون كلُّ الأشياء متعدِّدة، إذا الواحد لا يكون والمتعدد يكون؟

ارسطو: الأكثر حقيقية.

بارمنيدس: دعنا نعود إلى البداية ونسأل مرّة ثانية، إذا الواحد لا يكون وغير الواحد يكون، فماذا سيتبع؟

ارسطو: دعنا نسأل ذاك السؤال.

بارمنيدس: لن يكون الآخر واحداً، في المقام الأول.

ارسطو: مستحيل.

بارمنيدس: ولن يكون متعدداً، لأنه إذا كان الآخر متعدّداً فسيكون الواحد محتوىً به. لكن إذا لم يكن أيٌّ منهما واحداً، فكلُّهما لا يكونان. ولذلك لن يكونا كثرة.

ارسطو: حقاً.

بارسنيدس: إذا لم يكن هناك واحد في الآخر، فالآخر ليس كثرة ولا واحداً.

ارسطو: إنهما لا يكونان.

بارمنيدس: ولا يظهران كواحد ولا كعديد.

ارسطو: لِمَ لا؟

بارمنيدس: لأنّ الآخر ليس لديه لا نوعٌ ولا أسلوبٌ ولا طريقة للمشاركة مع أي نوع للّاوجود، ولا يستطيع الشيء الذي لا يكون، أن يكون متصلاً بأيٍّ من الغير؛ لأنّ ذلك الّذي لا يكون ليس لديه أيَّة أجزاء.

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: وليس هناك أيّ رأي أو أيّ مظهر للّاوجود في الاتصال مع الغير، لا ولا يكون اللاّوجود معزوّاً إلى الغير في أية طريقة على الإطلاق.

ارسطو: لا.

بارمنيدس: إذا الواحد لا يكون إذن، فليس هناك لأيٍّ من الغير لا كواحدٍ ولا كمتعدد؛ لأنّك لا تقدر أن تتصوَّر المتعدد بدون الواحد.

ارسطو: لا تقدر.

بارمنيدس: إذا الواحد لا يكون إذن، فالغير لا يكون، ولا يمكن أن يُتصوَّر ليكون، لا واحداً ولا عدَّة.

ارسطو: سيظهران هكذا، أنّهما لا يكونان.

بارمنيدس: ولا كشبيهين أو غير شبيهين.

ارسطو: لا.

بارمنيدس: ولا كالشيء عينه أو مختلفين، ولا في اتّصال أو انفصال، ولا في أيّةٍ من تلك الحالات التي عددناها كما تظهر لتكون؛ ـ فالغير لا يكون ولا يظهر ليكون أيّاً من هذه؛ إذا الواحد لا يكون؟

ارسطو: حقاً.

بارمنيدس: ألا يمكننا أن نختصر المحاورة بكلمة ونقول بصدق: إذا الواحد لا يكون، فلا شيء يكون؟

ارسطو: بكلّ تأكيد.

بارمنيدس: إسمح بهذا الحدّ من القول، ودعنا نؤكد أبعد من ذلك وما يظهر أنه الحقيقة، وهي أنه سواء الواحد يكون أو لا يكون، فالواحد والآخر كلاهما يكونان او لا يكونان، في كل طريقة، فيما يتعلق بأنفسهما وببعضهما بعضاً، ويظهر أنّهما يكونان وأنّهما لا يكونان.

ارسطو: الأكثر صدقاً.

محاورة رجل الدولة

أفكار المحاورة الرئيسيَّة

يحاور الغريب الإيلي، الذي كان الشخصية الرئيسيَّة في محاورة السوفسطائي، يحاور سقراط الأفتى، الذي استمع بصمت لما سبق في ذلك الحوار. يبدأ البحث في رجل الدولة، وهل نستطيع تصنيفه بين هؤلاء الذين يمتلكون علماً؟ وإن كذلك، فينبغي علينا تقسيم العلوم كما قسّمناها قبلاً، ولنعترف أنها قسمة من نوع مختلف. ان عقولنا تتصوّر كلّ أنواع المعرفة تحت نوعين اثنين، أولهما معرفة نظريَّة ويدخل علم الحساب ضمنها وهي علوم عقليَّة، والثانية معرفة عملية وتدخل ضمنها كلّ الصناعات اليدويَّة.

ورجل الدولة هو الملك، السيّد، أو ربّ البيت، إسم لمسمّى واحد، ونطلق على علمه إسم العلم الملكي أو العلم السياسي أو الإقتصادي، ويتمّ فعله بذكائه وقوة عقله وليس بيديه، ولذلك، فله صلة بالمعرفة أكثر من صلته بالفنون اليدويَّة وبالحياة العمليَّة بشكل عام. وهكذا فإنّ فنّ الحكم ورجل الدولة، يختصّ بالعلم الملكي وبالملك. وهنا يأتي دور العلوم المتشابهة التي تقسَّم بدورها إلى قسمين، إحداهما التي تأمر، والأخرى التي تحكم. أما أداة التنفيذ فهي أن يكون الرجال المنفذين بعقلية واحدة وفي وحدة نفسيَّة تامة. وهنا يمتلك الملك دفة القيادة، وهو يتميَّز عن التاجر لأنّه يصوغ القرارات وينفّذها الآخرون؛ ويمكننا أن نقارن فنّه بفنّ المؤوِّل، عريف الملاحين، النبي، والحَكَم، وبمن يصدر الأوامر أو التعليمات، ويصدرها بقصد أن تنتج شيئاً ما، والأشياء المنتَجَةُ بعضُها حيٌّ وبعضُها لا حياة فيه. والعلم الذي يمارس الأمر على الحيوانات هو العلم الملكي بكل تأكيد، وهو الذي يوجّهها إلى الأبد. ويمكنه أن يراقب توليد ورعاية المخلوقات الحيَّة كي تكون

رعاية للفرد بعض الوقت، وفي حالات أخرى، عناية مشتركة للمخلوقات في قطعان، ويحفظ القطعان هذه. وسنسمّي فنّ رعاية حيوانات عديدةٍ معاً فنَّ إدارة الجماعة، أو فن الإدارة الجماعيّة، ونعرف أنّ هناك جنسين من الحيوانات، الإنسان أولهما، والبهائم كلها تشكل الجنس الآخر. أما العلوم السياسيّة التي نبحث عنها، فهي تختص بالحيوانات الاجتماعيّة الأليفة التي هي الجنس البشري.

والآن، دعنا نقسّم التربية الجماعية للقطعان إلى جزأين متماثلين، أحدهما تربية المائيّات، والآخر تربية قطعان البر. وأن نقسّم بالتالي القطعان التي تتغذى على اليابسة لتلك التي تطير والتي تسير، ويُعرَّف الحيوان السياسي بينها أنه راجل يسير على قدمين. وسنقسّم الحيوانات التي تمشي إلى نوعين، أحدهما له قرون، والآخر بدونها. وسنقسّم العلم الذي يدير الحيوانات التي تسير على قدمين إلى جزأين اثنين، أحدهما يختص بالقطيع ذي القرون، والآخر بما لا قرون له، وما الملك إلاَّ راعي القطيع الأجلح بوضوح.

وهنا سيطرح سؤالاً، هل يمكن للتجار، المزارعين، مقدّمي الغذاء، والأسياد المدرّبين، والأطباء، هل يمكنهم أن يتباروا مع مربّي الإنسانيّة الذين نسميهم رجال دول، ويعلنوا أنهم يمتلكون عناية التربية أو إدارة الجنس البشري، وإنهم لا يربّون القطيع العامّ فقط، بل الحكّام أنفسهم أيضاً؟ لكنّنا نحن متأكّدون أن أحداً لم يرفع مطلباً مشابهاً ضد الراعي مثلاً، الذي يُسمح له في كل مكان ليكون الفرد والمغذي الوحيد وطبيب قطيعه، إنّه هو مجري زواجهم وطبيب ولادتهم أيضاً، ولا أحد غيره يعرف ذلك الفرع العلمي، بل هو منشيء بهجتهم وموسيقيّهم، بقدر ما تكون طبيعتهم قابلة لهكذا تأثيرات، ولا أحد يستطيع أن يواسي قطيعه الخاص أفضل مما يقدر هو، إمّا بنغمات صوته الطبيعيّة أو بأدواته الموسيقيّة.

أما إذا أردنا أن نعرف الملك أكثر فسنبحث في قصّة ارتفاع الشمس والنجوم مرّة في الغرب، وغروبها في الشرق، وكيف أن الله حفظ حركتها وأعطاها ما

يخصّها الآن كشهادة آرثيوس الحقة. وكذلك في قصّة خلق الرجال في الأزمان الغابرة، قصة خلقهم من التراب، وإنهم لم يتوالدوا بعضُهم من بعض. أما حركة الكون ومساره فهي منتظمة بالتمام وأن الله يديره وينظمه، ثم يتركه تلقائياً، وعندَها يتحرك عكسياً خلال ملايين الدورات، وهذا بسبب توازنه التام، وحجمه الفسيح، ولأنّه يدور على محوره الأصغر حقّاً، وهذه الحركة المعاكسة هي التي تسبب التغيير الأعظم للكائنات الإنسانيّة التي تسكن العالم في زمن كهذا.

وبعد أن شرحنا قصّة خلق العالم من التراب دعنا نعود إلى رجل الدولة ونحدّد طبيعته، قبل أن نصفه بشكل تامّ. لقد قدّمنا الأسطورة تلك لنبيّن أن ليس كل الآخرين منافسين للراعي الحقيقي، الذي هو غرض بحثنا فقط، بل كي نتمكّن من حيازة رؤيا عنه أوضح، وهو وحده الجدير أن يحمل هذا اللقب، لأنه هو وحـ ه من بين الرعاة ورجال القطيع لديه عناية بالكائنات الإنسانيّة. ومع ذلك، فإن ورة الراعي الإلهي هي حتى أعلى من تلك التي للملك، في حين أن رجال الدول الذين هم على الأرض الآن يبدون أكثر شبهاً في الخَلْق برعاياهم، وأكثر بكثير ليشتركوا في توليدهم وتعليمهم تقريباً، وما علينا إلاّ أن نبحث فيهم جميعاً، لنرى إذا كانوا فوق مستوى رعاياهم، مثل الراعي الإلهي، أو أنهم بالمستوى عينه مثلهم.

لقد اكتشفنا، بعد البحث، أن الإسم (التربية) ليس اصطلاحاً مناسباً كي يُطلق على رجل الدولة، وينبغي أن نستعمل إسماً آخر بدلاً منه وهو (العناية) بالقطعان، أو (تدبير) أو (امتلاك العناية) بها. وسنقسّم الآن تلك (العناية) بالقطعان. يبقى أن العلم الملكي له الأحقيّة والأسبقيّة ليعتني بالمجتمع الإنساني ويحكم فوق الرجال بشكل عام. وعلينا أن نميّز بين الراعي الإلهي وبين الحامي أو الإداري الإنساني، وينبغي أن نقسّم فن الإدارة المخصّص للإنسان على قاعدة الخيار والجبر، وبهذا نفصل المستبدّ عن الملك لأنهما مختلفان، والملك الحقيقي هو رجل الدولة وليس المستبدّ.

وبما أننا نشعر أن هناك نقصاً فيما قد قلناه الآن، ولكي نتفادى هذا الخلل، وهو أن المُثُل الأعلى نستطيع أن ننشرها بصعوبة إلاّ من خلال الأمثلة الوسط، وهي معرفة الحروف بشكل أدقّ، ومعرفتها في مقاطع لفظيّة جدّ قصيرة وسهلة. وهنا يدخل علم المقارنة في استعمالها بطريقة صحيحة، أو تحويلها إلى لغة طويلة وصعبة، وما علينا إلاّ أن نبدأ بصياغة الرأي الصحيح، بادىء ذي بدء، لأن من ابتدأ بالرأي الباطل لا يُتوقَّعُ منه أبداً أن يصل حتى إلى جزء صغير من الحقيقة ولا أن يدرك الحكمة. سنستخدم مثالاً لشرح ذلك، وهو فن الحياكة، ونقسّمه كي نصل إلى النقطة الرئيسيّة التي هي ضروريّة لهدفنا. وفن الحياكة ينقسم إلى قسمين، مُبدَع ووقائي، وهو من صنع السّداة واللحمة، وهناك نوعان للفنون يدخلان في كل شيء نفعله. النوع الأول هو التعاوني، والثاني هو السبب الأول للإنتاج.

سنتطرق في عملنا بعد ذلك إلى التطويل والقِصَر، الإفراط والنقص، وفن القياس هو على علم بكل هذه الأشياء، وسنقسّم فن القياس إلى جزأين، الأول يهتمّ بنسبة الكبير والصغير بعضهما إلى بعض، وجزءٌ آخر يستحيل وجوده بدون وجود الإنتاج. أما فن القياس، فمراقبتُه نتيجتها امتياز أو جمال كل عمل فني، بما أنه يجب قياس الأكبر والأصغر بمقياس الوسط ومقارنتهما به، فبهذا يمكن لرجل الدولة أو أي إنسان فعّال أن يكون سيّد فنه بدون منازع. وإذا وُجِد معيار ومقياس، فإن وجود الفنون لأكيد، لكن إذا كان الإثنان معدومين فلا وجود للفنون. أما الجزء الأول من فنّ القياس فيختصّ بالعدد، الطول، العمق، العرض، السرعة ومضاداتها، والثاني هو أن يكون لدينا جزء آخر تُقاس به هذه الأشياء مع الوسط، والمناسب، والملائم، والمستحق، ومع كل تلك الكلمات التي تدل على الوسط أو المعيار مبعداً من النقيضين.

وبعد كل ما قلناه، ما هو غرضه فيما يتعلق برجل الدولة، أيُقصد منه أن يُحسّن معرفتنا في علم السياسات فقط، أو أن يحسّن طاقتنا للتعقل بشكل عام،

وبما أن بعض الأشياء تمتلك صوراً محسوسة بالطبيعة، فإن الصور اللامادّيّة منها هي الأنبل والأعظم وتُرى بالفكر فقط، وكل ما نقوله الآن إنما هو لأجلها.

يوجد كل نوع من أنواع الفنون الإنتاجيّة في الدولة من صناعات وما شابه، ريوجد العبيد وهم لا يستحقّون العلم الملكي بكلّ تأكيد، وكذلك الصرّافون، التجار، مالكو البواخر، تجار التجزئة، وما شابههم لن يكون لهم حق المطالبة في إدارة الدولة أو علم السياسات، إلا التجاريّة منها، وكذلك المنافسون للملك في تشكيل وحياكة النسيج السياسي، والذين لديهم براعة كبرى في أنواع العمل المختلفة المتّصلة بحكومة الدول، وهؤلاء هم الرسميون، وخدم الحكّام كما سمّيناهم، ولا يصلحون لأن يكونوا حكاماً. يأتي بعد هؤلاء الإلهيون الذين يمتلكون حصّة من العلم الرّقيّ أو الوزاري، وهم مفسرو الآلهة إلى الرجال. ثم طبقة الكهنة، الذين يعرفون كيف يمنحون الآلهة الهبات التي تأتي من الرجال، وتقبلها الآلهة بشكل تضحيات ويسألونهم منح البركات، لأن الإلهي والكاهن هما بارزان امتيازاً وفخاراً. إننا نلمح الملوك والكهنة الآخرين المنتخبين بالأكثرية الذين يأتون إلى المشهد متبوعين بخدمهم وبحشد ضخم خاص، بينما تختفي الطبقة السابقة ويتغير المرأى، ويظهر بينهم السياسي وفرقته، زعيم السوفسطائيين وأكثر السحرة إنجازاً، الذي يجب فصله عن الملك الحقيقي وعن رجل الدولة.

لكن من بين النظم الخمسة للدول وهي الملكيّة، حكومة الأقليّة، الديموقراطيّة، الأوليغاركيّة، والاستبداديّة، فإن القوة الملكيّة هي علمٌ، وعلمٌ من نوع غير مألوف. فما هي طبيعة هذا العلم، وأين مستقره؟ إن من يحكم طبقاً لمبدأ علميٍ حقيقي مبني على قواعد الحكمة والعدل هو رجل دولة، وليس مدّعي العلم، والدولة التي يحكمها هي حقيقيّة وأصيلة، وكل الدول الأخرى ما هي سوى تقليد لهذه فقط، وبعضها أفضل من بعضٍ أو أسوأ. ولا يَهُم هذه الدولة الصالحة أن تكون لها قوانين مكتوبة، وإذا كان هناك من تشريع فهو من عمل الملك، وأفضل شيء هو أن لا

يحكم القانون في الدولة المثاليّة، بل الإنسان الذي يمتلك قواعد وقوة عقليّة مصحوبة بالحكمة، فإن الحكم سيكون له، لأنّ القانون المكتوب لا يدرك ما هو الأنبل والأكثر عدلاً للجميع بشكل تامّ، ولذلك لا يستطيع أن يضع موضع التنفيذ ما هو الأفضل. والقانون المكتوب، بما أنه لا يصلح لكل زمن فيجب أن يكون الإنسان الذي تكلّمنا عنه هو من يمثّل القانون ويبقيه متجدّداً ومتحرّكاً مغ الأيام، وذلك كي لا يؤدي بنا القانون الجامد اللامتجدد إلى الشرّ، العار، والظلم. وهكذا نلغي وضع القواعد في القوانين، لكنّنا نخلق من فنّ رجل الدولة قانوناً بحد ذاته، وبهذا سيُنشر لواء العدل بين المواطنين ويُخمدُ الظلم.

أمّا المعرفة السياسيّة فقلّة هم الذين يستطيعون إدراكها، يمكن أن يكونوا في جماعة صغيرة، أو في فرد، لنقل إن خمسين من كلّ ألف يدركونها. إنّ من يخرق هذا القانون الذي نتكلم عنه ستكون عقوبته الإعدام، وسيكون هذا القانون نسخة عن خواص حقيقة الفعل بقدر ما يسمح بذلك كونه مكتوباً من شفاه أولئك الذين يمتلكون معرفة. والفنّ السياسيّ لا يدركه أكثرية الأثرياء ولا عامّة الشعب. وعندما يقلّد الأغنياء شكل الحكومة الحقيقيّة، تسمّى هكذا حكومة أرستقراطيّة، وعندما يقلّدونها بدون مراعاة للقوانين تسمّى أوليغاركيّة، وعندما يحكم الفرد طبقاً للقانون في تقليد مَنْ يعرف، يسمّى ملكاً، وعندما لا يحكم الحاكم الفرد بالقانون والعرف، بل يقتفي خطوات الإنسان الحقيقي، متظاهراً أنه يستطيع أن يفعل الأفضل بانتهاكه الدستورَ المكتوب فقط، بينما تكون شهوات الطعام والجهل بواعث التقليد في الحقيقة، سندعو هذا الشخص مستبداً.

وإذا سألنا لماذا هلكت وتهلك وستهلك الدول، سنجيب، أن ما يحلّ بها من الهلاك هو من خلال فساد قياديي دفتها وملاّحيها الذين يمتلكون أسوأ أنواع الجهل بالحقائق الأسمى، إنّ عملهم ليس مُلهماً بالمعرفة، ولم يطّلعوا على العلوم السياسية بشكل كامل.

أما أشكال الحكومات فهي سبعةٌ في العدد، وينشأ ذلك عندما نقسّم الملكيّة إلى الملكيّة والاستبداديّة، وحكم الأقليّة إلى الأرستقراطيّة والأوليغاركيّة، وحكم الأكثرية يسمى ديموقراطيّة، وهذه عندما تقسّم إلى قسمين فإن المناصب فيها تقسّم إلى أجزاء صغيرة، جزئيات، ويشغلها عدد كبير من الناس، ولذلك فهي أسوأ الحكومات القانونيّة كلّها، وأسوأ الحكومات الفوضويّة كلّها، إذا كانت كلها بدون موانع القانون. إنّ أفضل أشكال الحكومات هي الملكيّة، ما عدا الدولة التي يمتلك أعضاؤها معرفة، أما أعضاء الدول الأخرى فيمكن وضعهم جانباً كونهم ليسوا رجال دول بل هم محازبون، مؤيّدو الأصنام الأكثر شذوذاً، بل هم أنفسهم أصنام. وكونهم أعظم المقلدين والسحرة، فهم أيضاً أعظم السوفسطائيين.

يبدو أن اسم السوفسطائي قد رُكّز بعد عدة منعطفات في المحاورة، وركّز بعدل أكثر فوق السياسيين، كما يسمّون، وهكذا فإنّ مأساتنا الخرافية قد تمّ تمثيلها، وأن فرقة الكائنات الخرافيّة وحيوانات الغابات قد فُصِلَت عن العلوم السياسية أخيراً، ويمكن مقارنتها بعملية فصل الذهب من بين كل الشوائب والتراب والحجارة والتي كان ممتزجاً بها ويصبح نقياً وخالصاً. وبعدُ، فإن كل المواد الغريبة واللامتجانسة روحاً قد فُصِلَت عن العلوم السياسيّة بطريقة مماثلة، وتُرك ما هو نفيس وذو طبيعة واحدة. تبقى هناك الفنون الأنبل للقائد والقاضي وللنوع الأسمى من الخطابة ذات الصلة بالفن الملكي، وتقنع الرجال بفعل العدل، وتساعد في إدارة دفة الدول. أما العلم الذي يقرر إذا ما كان علينا أن نقنع أمْ لا، يجب أن يكون أرفع من العلم الذي يقدر أن يقنع، والعلم الذي نخصصه لإقناع الأكثرية هو علم الكلام، وسنعطي لعلم السياسات الذي يحكم فنّي علم الكلام والإقناع، سنعطيه قوة التقرير إذا ما كنا سنوظف فنّ الإقناع أو القوة لأي شخص، أو لأن نحجم عن ذلك. وهناك فن قيادة العمليات العسكريّة وتكتيكاتها، ولا يتفوّق عليه سوى العلم الملكي بالتأكيد. وفنّ القائد العسكري هو فنّ وزاري فقط، ولا نقدر أن نرتّبه كفنّ

سياسي. يأتي بعد هذا سلطة القاضي الحق، وسلطته محدّدة لتقرّر تعامل الرجال بعدل بعضهم مع بعض، وهو نبيل النفس، سامي الكرامة، يرفض أن يُفسد بالهدايا، أو الخوف، أو الشفقة، أو بأي نوع آخر من أنواع المحاباة أو الخصومة في تقرير قضايا الرجال بعضهم مع بعض مخالفاً لما عيّنه المشرّع، وسلطته ليست ملكية بل سلطة حامي القوانين الذي يسهر على رعاية القوة الملكيّة.

يظهر استعراض كل العلوم هذه، أنّ أحدها لا يكوّن علماً سياسياً أو ملكياً، لأن العلم الملكي الحق ينبغي أن لا يفعل نفسه، بل أن يحكم فوق القادرين على الفعل؛ الملك يجب أن يعرف ما يكون وما لا يكون فرصة مناسبة لأخذ زمام المبادرة في قضايا ذات أهميّة أعظم داخل الدولة، في حين أنّ على الآخرين تنفيذ أوامره.

سنبدأ بتحليل علم السياسات، ونصف طبيعة فن الحياكة الملكي، ونظهر أسلوب عمليته ونوع النسيج الذي ينتجه. وتقريرنا الثابت بعدها هو أنّ الفنّ الحقيقي لإدارة شؤون الدولة، لن يسمح لأية دولة أن تتشكّل بمزج الرجال الأخيار والأشرار، إذا أمكن تفادي ذلك؛ بل سيبدأ باختيار الطبائع الإنسانيّة في المعاملة بكل وضوح، وسيُعهد بها بعد اختبارها إلى المعلمين المناسبين الذين يمثلون أهداف ذلك الفن - هو نفسه سيعطي الأوامر، ويحتفظ بالسلطة، تماماً كما يحتفظ فنّ الحياكة بالسلطة على من يسرّح الأصواف وكل العمال الآخرين الذين يحضّرون المواد للحياكة، آمراً الفنون المساعدة أن تنفّذ الأعمال التي يراها ضروريةً للحياكة، التي يجب أن يقوم هو بها.

في نمط مماثل، يظهر العلم الملكي أنه ربّ البيت من بين كل المعلمين والمهذّبين القانونيين. وبما أن لديه هذه القوة الملكيّة فلن يدعهم يدرّبون الرجال بطريقةٍ لا تنتج مسحة أخلاقيّة تتناسب وعمله التأليفي الخاص، بل سيحثّهم على أن يقتصر تعليمهم على هؤلاء، أما أولئك الذين لا يقدرون أن يمتلكوا حصة في الرجولة

والاعتدال أو أي ميل فاضل آخر، ويُحملون بعيداً في الالحاد والغطرسة والعنف، بسبب الطبيعة الشريرة؛ فسيتخلص منهم بالموت والنفي ويعاقبهم بالخزي الأعظم، والذين ينغمسون في الجهل والدناءة سيُخضعهم لنير العبودية. أما بقية المواطنين، الذين يمكن أن يخلق منهم شيئاً ما بمساعدة التعليم، والذين تقدر أن تمزجهم الأيدي الخبيرة معاً، فإن الفن الملكي سيمزجهم ويحيكهم بالإضافة إلى أخذ عنصر الروح الداخلي فيهم وربطه بالرباط الإلهي الذي يناسبه، ثم يأخذ الطبيعة الحيوانية بعدئذ، ويربطها بالروابط الإنسانيّة، والمعنى أنّ الرأي عن الشريف والعادل والخيّر ومضاداتهم، الذي يكون حقيقياً ومعزّزاً بالحكمة هو مبدأ إلهي؛ وعندما يُغرس في الروح يكون مغروساً، كما نؤكد بإيراد الدليل، بطبيعة ذات ولادة سماويّة، والذي يستطيع غرس ذلك هو رجل الدولة والمشرّع الصالح فقط.

بوصولنا إلى هذه النقاط الرئيسيّة وتحديدنا لها، دعنا نبحث في الصلات التي تتشكّل بروابط الزواج بين الدول، واستيعاب الأطفال في الزواج، أو بين الأفراد بالخطوبات والزفافات الخاصة، وما هي أفضل طريقة لإنجاب الأطفال. إنّنا سنبعدهم عن السعي وراء الغنى والقوة كهدفٍ لزواجهم، وعن أن تكون شهرة العائلة هدفهم الرئيسي. إن أفضل زواج هو الذي لا تنشد الطبقة المنظمة بواسطته الطبائع الخاصة بها، وبقدر ما تقدر فهي لا تتزوج وتعطي في الزواج لهذه الطبقة على وجه الحصر، وتفعل الطبقة الشجاعة الشيء نفسه، إنّها تنشد الطبائع التي لا تشبهها بشكل خاص، بل عليهم أن يلطفوا الشجاعة مثلاً بطبيعة الاعتدال وهكذا دواليك.

وأخيراً، قد أكملنا الصورة التامة لكل من الملك ورجل الدولة والسوفسطائي، وإنها لكاملة جداً.

محاورة رجل الدولة

بوليتيكوس

أشخاص المحاورة

ثيودوروس الغريب الإيلي
سقراط سقراط الأفتى

سقراط: إنني مُدين لك بأفضالٍ عديدةٍ حقاً يا ثيودوروس، لتعريفي بثياتيتوس والغريب كليهما.

ثيودوروس: وستكون مديناً لي في وقت قصير، يا سقراط، بثلاث مرّات أكثر، عندما يكونا قد أتمّا لك وصف رجل الدولة والفيلسوف، كما السوفسطائي.

سقراط: سوفسطائي، رجل الدولة، فيلسوف! أوه يا عزيزي ثيودوروس، هل تسمع أذنيّ بحق أنّ هذا هو التقييم الذي يكوّنه عنهم الحسابي الاختصاصي بعلم الهندسة العظيم؟

ثيودوروس: ماذا تعني يا سقراط؟

سقراط: أعني أنك تقيّمهم كلهم بالقيمة عينها، في حين أن بينهم فاصلاً، لا يمكن لنسبة هندسيّة أن تعبر عنه.

ثيودوروس: بآمون، إله سيرين، يا سقراط، إنها لضربة جد عادلة؛ وتُظهر أنك لم تنسَ علم هندستك. إنني سأقابلك الشيء بمثله في وقت ما آخر، غير أنني أحب أن أسأل الغريب الآن، الذي آمل أنه لن يتعب من طيبته لنا، أسأله أن يتابع المحاورة مع رجل الدولة أو مع الفيلسوف، أيهما يفضّل؟

الغريب: إن ذلك لواجبي، يا ثيودوروس؛ بما أنني ابتدأت يجب أن أستمّر، ولا

أترك العمل إلا متمّماً. لكن ماذا سنفعل بثياتيتوس؟

ثيودوروس: في أي خصوص؟

الغريب: هل سنخفف عنه، ونأخذ رفيقه سقراط الفتي، بدلاً منه؟ بماذا تنصح؟

ثيودوروس: نعم، سأعطي الآخر دوراً، كما تقترح. إن الأفتى يعلمون أفضل دائماً عندما يمتلكون فواصل للراحة.

سقراط: أعتقد، أيها الغريب، أنه يمكن أن يقال عنهما كليهما أنهما منتسبان إليَّ بطريقة ما؛ لأن أحدهما، كما تؤكد، يمتلك تقاطيع وجهي البشع[1]، والآخر يتسمّى باسمي. ويجب أن نكون حذرين دائماً من أن نتعرّف على أحد الأقارب بأسلوب محادثته. أنّني تحادثت مع ثياتيتوس البارحة، واستمعت لأجوبته لتوّي؛ ولم أختبر سميّ حتى الآن، لكنني يجب أن أفعل ذلك. دعه يجيبك الآن. وسيكون مناسباً لي أن أتحادث معك في وقت آخر.

الغريب: جيد جداً، هل تسمع، يا سقراط الفتي، ما يقترحه سقراط الأكبر سناً؟

سقراط ف: إنّني أفعل.

الغريب: وهل توافق على اقتراحه؟

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: بما أنك لا تعترض على ذلك، يبقى أنني أقل قدرة على الاعتراض. أعتقد أنه يتبع رجل الدولة بعد السوفسطائي بشكل طبيعي في نظام تحقيقنا عندئذ. ومن فضلك أن تقول، ما إذا كان سوف يُصنَّف بين أولئك الذين يمتلكون علماً؟

سقراط ف: نعم.

الغريب: يجب أن تقسِّم العلوم كما قسَّمتها في السابق إذن؟

سقراط ف: أجرؤ القول.

الغريب: لكن القسمة لن تكون الشيء نفسه مع ذلك؟

سقراط ف: كيف إذن؟

الغريب: إنها ستُقسَّم في نقطة أخرى ما.

سقراط ف: نعم.

الغريب: أين سنكتشف ممرّ رجل الدولة؟ يجب أن نجد هذا، وعندما نكون قد فصَلناه عن الآخرين، سنَسِمُهُ بعلامة مفردة، في حين نضع العلامة للنوع الآخر فوق كل الممرّات المتشعبة. سنجعل عقولنا مستعدّةً لتصوّر كل أنواع المعرفة تحت نوعين اثنين.

سقراط ف: وجود الممر، أيها الغريب، هو عملك وليس عملي.

الغريب: نعم، يا سقراط، لكن عندما يتم الاكتشاف، يجب أن يكون ملكك كما هو ملكي.

سقراط ف: جيد جداً.

الغريب: حسناً، أليس علم الحساب ومعه فنون شقيقة أخرى محدَّدة، مجرَّد معرفة نظريَّة، منفصلة عن الفعل بالكامل؟

سقراط ف: صدقاً.

الغريب: لكن معرفة الصانع تكون في فن النجارة وكل الصناعات اليدوية الأخرى، تكون كما كانت، مجسَّدَةً في هذه العمليات، وتلعب دوراً في خلق الأشياء المادية التي لم توجد سابقاً.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: دعنا نقسِّم العلوم بشكل عام عندئذ إلى تلك التي تكون علوماً عمليَّة وتلك التي تكون عقليَّة على نحو صِرف.

سقراط ف: دعنا نتخِّذ هاتين القسمتين للعلوم، التي تعتبرُ كلاً واحداً.

الغريب: بالتالي فإنّ (رجل الدولة)، (الملك)، (السيد) أو (رب البيت)، هم واحدٌ والشيء عينه؛ أو أنّ هناك علماً أو فنّاً ينطبق على كل من هذه

الأسماء؟ أو على الأصح، إسمح لي أن أطرح المسألة بطريقة أخرى.

سقراط ف: دعني أسمع.

الغريب: إذا ما كان لدى أي واحد في موقع خاص الحذقُ لينصح واحداً من الأطباء العامين، ألا يجب أن يحمل هو أيضاً الإسم الرسمي للرجل الذي ينصح؟

سقراط ف: نعم.

الغريب: وإذا كان قادراً أي واحد في موقع خاص أن ينصح حاكم بلاد، ألا يمكن أن يقال عنه إنّه يمتلك المعرفة التي يجب أن يمتلكها الحاكم نفسه؟

سقراط ف: حقاً.

الغريب: لكن علم الملك الحقيقي يكون علماً ملكياً بالتأكيد.

سقراط ف: نعم.

الغريب: ألا يجب أن يسمى (ملكياً) بحق، مَنْ يمتلك هذه المعرفة، سواء أكان حاكماً أو إنساناً خاصّاً، عند اعتباره فيما يتعلّق بفنّه؟

سقراط ف: يجب أن يكون بالتأكيد.

الغريب: أكثر من ذلك، فربّ البيت والسيّد هما الشيء نفسه؟

سقراط ف: طبعاً.

الغريب: مرة ثانية، يمكن مقارنة أسرة كبيرة بدولة صغيرة: ـ هل سيتباينان بقدر ما يخصّ الحكومة على الإطلاق؟

سقراط ف: إنّهما لن يتباينا.

الغريب: لنعد إلى النقطة الرئيسيّة التي كنّا بصددها لفترة خلت، ألا نرى بوضوح أنّ هناك علماً واحداً لها كلّها؛ ويمكن لهذا العلم أن يدعى ملكياً أو سياسياً أو اقتصادياً؛ نحن لن نتخاصم مع أي شخص حول الإسم.

سقراط ف: لا بالتأكيد.

الغريب: يكون هذا بيّناً أيضاً، وهو أنّ للملك لا يمكنه أن يفعل بيديه كثيراً، أو بكل جسده، من أجل المحافظة على امبراطوريته، مقارَناً بما يفعله بذكائه وقوة عقله.

سقراط ف: لا بجلاء.

الغريب: هل سنقول إذن، إنّ الملك لديه صلة أعظم بالمعرفة من صلته بالفنون اليدوية وبالحياة العمليّة بشكل عام؟

سقراط ف: إن لديه صلة أعظم بالمعرفة دون ريب.

الغريب: يمكننا حينئذ أن نضع الكل معاً كواحدٍ والشيء عينه - فن الحكم ورجل الدولة - العلم الملكي والملك.

سقراط ف: بوضوح.

الغريب: وسنكون متقدّمين في نظام مناسب الآن إذا واصلنا تقسيم مجال العلم المتشابه.

سقراط ف: جيّد جداً.

الغريب: فكّر إذا ما قدرت أن تجد أيَّ مَفْصِلٍ أو مفترقٍ فيه.

سقراط ف: أخبرني من أي نوع.

الغريب: مثل هذا: يمكن أن تتذكر أننا صنعنا فناً للحساب؟

سقراط ف: نعم.

الغريب: وهو واحدٌ من العلوم المتشابهة، بدون خطأ؟

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: وسنخصص لفن الحساب هذا الذي يميز تباين الأعداد، سنخصّص له أي عمل آخر ما عدا أن يصدر حكماً عن فروقاتها؟

سقراط ف: كيف نقدر؟

الغريب: تعرف أنت أن سيّد البنّائين لا يعمل بنفسه، بل يكون حاكماً على العمال؟

سقراط ف: نعم.

الغريب: إنه يقدِّم علماً، وليس عملاً يدوياً؟

سقراط ف: صدقاً.

الغريب: ويمكن أن يقال لذلك بعدل آنّه يشارك في العلم النظري؟

سقراط ف: حقيقيَ تماماً.

الغريب: لكنّه يجب أن لا يعتبر مهامه، كالحسابي، كأنها في نهايتها عندما يشكِّل حُكماً؛ ـ عليه أن يخصّص للعمّال الفرديين عملهم المناسب حتّى يتمُّوه.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: أليست كل تلك العلوم متشابهة، ليست بأقل من علم الحساب وما شابه؛ أليس الفرق بين النوعين أنّ أحدهما يمتلك القوة للحكم فقط، ويمتلك الآخر الأمر أيضاً؟

سقراط ف: يظهر أنّها كذلك.

الغريب: ألا يمكننا أن نقول بشكل مناسب تماماً، أنّ هناك قسمين اثنين من كل العلوم المتشابهة ـ أحدهما الذي يأمر، والآخر الذي يحكم؟

سقراط ف: سأعتقد هكذا، فيما يختص بي.

الغريب: وعندما يكون لدى الرجال أي شيء يشتركون في فعله، فالشيء المرغوب فيه بالتأكيد أنهم يجب أن يكونوا بعقلية واحدة؟

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: لا نحتاج لأن نهتم بأوهام الآخرين إذن، في حين نكون أنت وأنا في وحدة ما بين نفسينا؟

سقراط ف: لا بالتأكيد.

الغريب: وبعدُ ففي أي من هذين القسمين سنضع الملك؟ ـ أيكون هو قاضياً ونوعاً من المتفرج؟ أو، بما أنه يكون سيّداً بوضوح، سنخصّص له فنّ القيادة؟

سقراط ف: الآخر بجلاء.

الغريب: يجب أن نرى بعدئذ ما إذا وجدت أية إشارة للتقسيم في فنّ القيادة أيضاً. إنّني ميال لأعتقد أن هناك تميّزاً مشابهاً لذلك الذي للصانع وتاجر التجزئة، الذي يفرّق الملك عن الحكَم؟

سقراط ف: كيف يكون هذا؟

الغريب: لماذا، ألا يستلم بائع التجزئة إنتاج الآخرين ويبيعه مرّة ثانية، والذي كانت قد بيعت قبلاً؟

سقراط ف: إنه يفعل بالتأكيد.

الغريب: أليس الحكَمُ نوعاً من الرجال الذين يتلقون التعليمات التي يصوغها الأعلى منهم ويقرونها كأوامر للآخرين؟

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: سنمزج الفن الملكي حينئذ في النوع عينه بفن المؤوّل، عريف الملاحين، النبي، الحكَم، وبالفنون الشقيقة الأخرى المتعددة التي تمارس الأمر؛ أو، كما ميّزنا الصناعيين من تجار التجزئة في المقارنة المتقدمة، ـ هل سنضع كلمة مقتفية التناظر عينه، ونعزو الملك إلى قسم للعلم أسمى أو إلى (حاكم لنفسه)؟ إنه اسم مناسب، نقدر نحن أن نهمل الباقي، ونتركهُ لنتلقّى إسماً من شخص آخر. فنحن قد شرعنا في البحث عن الحاكم؛ ولسنا مهتمين بغيره الذي ليس حاكماً.

سقراط ف: جيد جداً.

الغريب: لقد ميّزنا بشكل عادل بين هذا النوع والأنواع الباقية، طبقاً لما تكون الأوامر أصليّة، أو لا تكون. وعلينا أن نقسّم الآن هذا النوع بالدور، إذا وجدنا أنه يستدعي أي تقسيم آخر.

سقراط ف: مهما كلف الأمر.

الغريب: نعم، أعتقد أنّه يستدعي ذلك؛ إتبعني من فضلك، وساعدني في القسمة.

سقراط ف: في أية نقطة؟

الغريب: أعتقد أنّنا سنجد، أنّ كلّ نوع من الحكّام بمقدرتنا تذكُّره، أعتقد أنّه يصدِر تعليماته هذه بقصد أن تنتج شيئاً ما.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: وليس صعباً لأن تقسّم الأشياء المنتَجَة إلى نوعين بشكل خاص.

سقراط ف: كيف ستقسمها؟

الغريب: بعض الأنواع فيه حياة، وبعضها الآخر لا حياة فيه.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: ويمكننا أن نصنع من هذا التمييز، إذا أحببنا، قسمة جزئية لقسم العلم المتشابه الذي يأمر.

سقراط ف: في أية نقطة؟

الغريب: يمكن لجزء واحد أن يُنصَّب لإنتاج الأموات، والآخر للأغراض الحيّة؛ وسيشطر الكل بهذه الطريقة.

سقراط ف: بدون ريب.

الغريب: دعنا نترك واحداً ونأخذ الآخر من هذين النوعين؛ الذي يمكن أن يقسّم بدوره إلى اثنين أيضاً.

سقراط ف: أيّاً من الصنفين تعني؟

الغريب: طبعاً ذلك الذي يمارس أمراً على الحيوانات. لأن العلم الملكي بالتأكيد، ما عليه أن يشرف على الأغراض الميتة، مثل سيّد العمل ذاك. إن عمله من نوع أنبل، إنّه عمل يوجد بين الكائنات الحيّة، ويختصّ بتوجيهها إلى الأبد.

سقراط ف: صدقاً.

الغريب: ويمكن أن يُراقب توليد ورعاية المخلوقات الحيّة كي يكون بعض الوقت برعاية للفرد؛ وفي حالات أخرى، عناية مشتركة للمخلوقات في قطعان؟

سقراط ف: حقاً.

الغريب: لكنّ رجل الدولة ليس راعياً للأفراد ـ ليس كالسائق أو سائسِ حصانٍ أو ثور فرد؛ إنّه أحقّ بأن يقارن بحافظ قطيع مَن الأحصنة أو الثيران.

سقراط ف: تظهر تلك، في البداية، إنّها نظرية محتملة.

الغريب: هل سندعو فنّ رعاية حيوانات عديدة معاً، فن إدارة الجماعة، أو فن الإدارة الجماعيّة؟

سقراط ف: لا ضير في ذلك؛ ـ أيّ يوحي نفسه لنا خلال المحادثة.

الغريب: جيّد جداً، يا سقراط؛ وإذا ثابرت غير مدقق بشأن الأسماء كثيراً، فلسوف تكون الأغنى في الحكمة عندما تصبح رجلاً مسنّاً. وبعد، كما تقول، إنكّ تتخلّى عن البحث في الأسماء، هل تقدر أن ترى طريقة يمكن لشخص أن يسبب بواسطتها بإظهار فن العناية ليكون نوعين اثنين، لذلك الذي يكون مطلوباً بينِ ضعف عدد الأشياء، ليُطلب حينئذ بين نصف ذلك العدد؟

سقراط ف: سأحاول؛ ـ يظهر لي أن هناك إدارة خاصة للرجال وأخرى للوحوش.

الغريب: لقد قسمتهما في نمط أكثر استقامة ورجولة بالتأكيد؛ لكنك قد وقعت في الخطأ الذي أعتقد أنّه كان من الأفضل اجتنابه.

سقراط ف: ما هو الخطأ؟

الغريب: اعتقد أنّه كان من الأفضل أن لا تقطع جزءاً صغيراً مفرداً لا يكون جنساً، من أقسام عديدة أكبر؛ يجب أن يكون الجزء جنساً. إنها الخطة الأكثر روعة كي تفصتل موضوع البحث حالاً، إذا ما كان الفصل مصنوعاً على نحو صائب. لقد توهّمت الآن، أنك عرفت القسمة، واستعجلت المحاورة، لأنّك رأيت أنها ستصل إلى الإنسان. غير أنّك يجب أن لا تقتطع قطعة صغيرة أيضاً، يا صديقي؛ الطريق الأكثر أماناً هو أن تقطع خلال الوسط؛ الذي هو الطريق الأنسب لإيجاد الأنواع. يخلق الانتباه لهذا المبدأ التباين كله في عملية التحقيق.

سقراط ف: ماذا تعني، أيّها الغريب؟

الغريب: سأجاهد لأتكلّم بوضوح أكثر من حبّي لك، يا سقراط؛ وبالرغم من ذلك فإنّني لا أستطيع أن أوضح الموضوع بشكل تامّ في الوقت الحاضر، يجب أن أُحاول كي أُحرز بعض التقدّم من أجل الوضوح.

سقراط ف: ماذا كان الخطأ الذي ارتكبناه في تقسيمنا الحديث، كما تقول؟

الغريب: كان الخطأ تماماً كما لو إذا أراد شخص ما أنّ يقسّم الجنس البشري إلى قسمين إثنين، أتى وقسّمها حسب الأسلوب الذي يسود في هذا القسم من العالم؛ هنا يفصلون الهيلينيين كجنس واحد؛ ويضمّنون كلّ الأجناس الأخرى للجنس البشري، الّتي لا تحصى ولا تمتلك أيّة روابط أو لغة مشتركة، يضمّنونها تحت اسم واحد « البربر ». وبما أنّهم يمتلكون إسماً واحداً يُفترض أنّهم جنس واحد أيضاً. أو إفترض أنّ شخصاً ما، شاء أن يقسّم عدداً إلى جزأين اثنين، إقتطع عشرة آلاف من كلّ الأعداد الباقية، وخلق منها جنساً واحداً، شاملاً باقي الأعداد تحت اسم منفصل آخر، وسيقول إنّه كان هنا نوع مفرد أيضاً، لأنّه كان قد منحه إسماً مفرداً. في حين أنّه كان بإمكانه أن يضع تصنيفاً منطقياً للأعداد أفضل بكثير وأدقّ مساواة، إذا قسّمها إلى مفرد ومزدوج، أو إذا قسّم الجنس الإنساني إلى ذكور وإناث، وفصل الليديين والفريجيين فقط، أو فصل أية قبيلة أخرى، ورتّبها ضد باقي العالم، عندما لم يكن بإمكانه أبداً أن يصنع تقسيماً إلى أجزاء كانت أنواعاً أيضاً.

سقراط ف: حقيقيّ تماماً؛ لكنّني أرغب، إذا أمكن، أن تجعل هذا التمييز بين الجزء والنّوع أوضح بعض الشيء.

الغريب: أوه يا سقراط، يا أفضل الرّجال، إنّك تفرض عليّ عملاً صعباً للغاية. لقد انحرفنا بعيداً عن قصدنا الأصليّ من قبلُ أكثر ممّا يجب، وستجعلنا أنت نبقى تائهين عنه بعيداً جدّاً، لكنّنا يجب أن نعود إلى موضوعنا الآن؛ وسنتابع المسار الآخر عندما يكون لدينا وقت فراغ. من الآن وصاعداً،

أريدك أن تحترس ضد التخيّل في الوقت عينه، أنّك سمعتني معلناً قطّ ـ

سقراط ف: ماذا؟

الغريب: إن النّوع والجزء هما متباينان.

سقراط ف: ماذا أسمعُ الآن؟

الغريب: إن النوع هو بالضرورة جزء من ذلك الذي يُسمّى نوعاً؛ لكن لا ضرورة مماثلة لأن يكون الجزء نوعاً؛ ذلك هو الرّأي الذي أرغب إليك أن تنسبه لي على الدوام، يا سقراط.

سقراط ف: ليكن هكذا.

الغريب: هناك شيء آخر أحبّ أن أعرفه.

سقراط ف: ما هو؟

الغريب: النقطة الرئيسيّة التي تباينّا فيها؛ لأنني إذا لم أكن مخطئاً، كانت المكان الدقيق موضوع السؤال، وهي أين ستقسّم إدارة القطعان، لقد أبنت أنّك أكثر استعداداً من اللاّزم لتجيب أنّ هناك جنسين من الحيوانات: الإنسان أحدهما، وكل البهائم هي الجنس الآخر.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: ظننت، بإبعادك جزءاً، أنّك تخيّلت أنّ الباقي شكّل نوعاً، لأنّك كنت قادراً أن تسميها بالاسم المشترك للبهائم.

سقراط ف: إن ذلك صحيح مرّة ثانية.

الغريب: إفترض الآن، يا أكثر علماء الجدل شجاعة، أنّ مخلوقاً عاقلاً وفاهماً، كطائر الكركيّ الذي يُظنُّ أنّه هكذا، كان ليخصّص أسماءً على القاعدة عينها كما فعلت أنت، وأقام طيور الكركّي ضدّ كلّ الحيوانات الأُخرى لتمجيدها الخاصّ المميّز، خالطاً الآخرين معاً في الوقت عينه بدون نظام. شاملاً الإنسان تحت إسم مفرد، يمكن أن يكون « بهائم » حقاً ـ هنا سيكون نوع الخطأ الذي يجب أن نحاول اجتنابه.

سقراط ف: كيف يمكننا أن نسلّم؟

الغريب: إذا لم نقسّم النوع كلّه للحيوانات، سيكون وقوعنا في ذلك الخطأ أقلّ احتمالاً.

سقراط ف: لقد كان من الأفضل أن لا نأخذ الكلّ؟

الغريب: نعم، هناك يكمن مصدر الخطأ في تقسيمنا السّالف.

سقراط ف: كيف؟

الغريب: هل تتذكّر كيف أنّ جزء العلم المشترك الذي كان مختصّاً بالأمر، كان مختصاً بتربية المخلوقات الحيّة، ـ أعني بالحيوانات في قطعان؟

سقراط ف: نعم.

الغريب: في تلك الحالة، كان يعني ضمناً تقسيماً لكل الحيوانات إلى أليفةٍ وبرّيّة، تلك التي تؤهلها طبيعتها لتكون أليفة تسمى داجنة، وتسمّى بريّة تلك الّتي لا تقدر أن تكون أليفة.

سقراط ف: صدقاً.

الغريب: والعلوم السياسيّة التي نبحث عنها، كانت، وما تزال، مختصّة بالحيوانات الأليفة على الدوام، ويجب أن يُبحث عنها بين الحيوانات الاجتماعيّة.

سقراط ف: نعم.

الغريب: لكن يجب علينا ألاّ نقسّم كما فعلنا آنئذ، آخذين النّوع كلّه في الحال. ولا تتعجّل كثيراً أيضاً لنصل إلى العلوم السياسيّة؛ لأنّ هذه الغلطة قد أنزلت علينا مسبقاً المحنة التي تحدّث المَثَلُ عنها.

سقراط ف: ما هو ذلك المثل؟

الغريب: عجلة أكثر، سرعة أقلّ. كان علينا أن نأخذ وقتاً لنضع تقسيماً صحيحاً.

سقراط ف: والكل أفضل، أيّها الغريب، لقد جنينا ما نستحقّ.

الغريب: حسناً جدّاً. دعنا نبدأ مرة ثانية إذن، ونكافح كي نقسّم التربية الجماعيّة للحيوانات؛ يُحتمل أنّ إتمام المحاورة سيُري بشكل أفضل ما أنت متلهّفٌ لتعرفه، أخبرني، إذن ـ

سقراط ف: ماذا؟

الغريب: ألم تسمع في أيِّ وقت، كما لو أنك قد فعلت ذلك بالاحتمال - لأنني لا أفترض أنك زرت فعلاً - حافظي السّمك في نهر النيل، وفي برك الملك العظيم؛ أو لربّما أنّك قد رأيت حافظين مماثلين في آبار بلدك؟

سقراط ف: نعم، إنني قد شاهدتها، لتكن متأكّداً، لقد سمعت الآخرين يصفونها غالباً.

الغريب: ولربّما أنك قد سمعت أيضاً، وربّما تأكدت من تقرير رأيته، عن أمكنة تربية الإوزّ وطيور الكركيّ في سهول صقلّية، مع أنك لم تنتقل إلى تلك المناطق أبداً.

سقراط ف: بدون ريب.

الغريب: إنني سألتك، لأنّ هناك تقسيماً جديداً لإدارة القطعان البريّة والمائيّة.

سقراط ف: يوجد ذلك.

الغريب: وهل توافق على أننا يجب أن نقسّم التربية الجماعيّة للقطعان إلى جزأين متماثلين، أحدهما تربية المائيّات، والآخر تربية البرّيّات؟

سقراط ف: نعم.

الغريب: لا حاجة بالتأكيد لأسأل: أيٌّ من هذين الاثنين يحوي الفن الملكي، لأنه واضح لكل شخص.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: يستطيع أيُّ شخص أن يقسّم القطعان التي تتغذى على اليابسة.

سقراط ف: كيف ستقسّمها؟

الغريب: عليَّ أن أميِّز بين تلك التي تطير وتلك التي تسير.

سقراط ف: إنه لأكثر من صدق.

الغريب: وأين سنبحث عن الحيوان السياسي؟ ألا يمكن للأبله، إذا جاز التعبير، أن يعرف أنه راجل؟

سقراط ف: بدون ريب.

الغريب: يجب أن يُبرهن الفنّ الإداري للحيوانات الراجلة أنه قادرٌ أن يُقسّم إلى أجزاء صغيرة، تماماً مثلما يمكنك أن تشطر العدد المزدوج إلى نصفين.

سقراط ف: بوضوح.

الغريب: دعني أدوّن أنّه يظهر في الفكر هنا طريقتان لذلك الجزء أو النوع الذي تهدف المحاورة لأن تصله الأولى طريقة أسرع تقتطع جزءاً صغيراً وتترك كبيراً؛ والأخرى تتفق أفضل مع المبدأ الذي وضعناه، وهو أننا يجب أن نقسّم في الوسط بقدر ما نقدر؛ لكنها طريقة أطول. نحن نستطيع أن نأخذ كلاً منهما، أيّهما يسرّنا.

سقراط ف: ألا يمكننا حيازتهما معاً؟

الغريب: معاً! أيُّ شيء تسأله! لكنّك إذا أخذتهما بالدور، فذلك ممكن بالتأكيد.

سقراط ف: عليّ أن أمتلكهما بالدور إذن.

الغريب: لن توجد صعوبة، بما أننا قريبون من النهاية؛ ما كان عليّ أن أحتجّ على التماسك، إذا كنا في البداية أو في الوسط؛ لكن دعنا نبدأ بالطريقة الأطول الآن، طبقاً لرغبتك؛ سوف نتقدم بشكل أفضل، بينما نحن مفعمون بالنشاط. وأصْغِ إلى القسمة الآن.

سقراط ف: دعني أسمع.

الغريب: الحيوانات الأليفة الماشية المربّاة مقسمة إلى نوعين بالطبيعة.

سقراط: على أيّة قاعدة؟

الغريب: الأول له قرون، والآخر لا قرون له.

سقراط: على ما يبدو.

الغريب: إفترض أنّك تقسّم العلم الذي يدير الحيوانات التي تسير على قدمين إلى جزأين اثنين متماثلين، وأن تعرّفهما؛ لأنك إذا حاولت أن تخترع لها أسماءً، فإنّك ستجد التعقيد كبيراً جداً.

سقراط ف: كيف يجب أن أتكلّم عنها، إذن؟

الغريب: في هذه الطريقة: قسّم علم إدارة الحيوانات السائرة على قدمين إلى جزأين اثنين، وخصّص جزءاً واحداً للقطيع ذي القرون، والآخر للقطيع الذي لا قرون له.

سقراط ف: كل الذي تقوله قد بُرهن بوفرة، ويمكن لذلك أن يُعتبر أمراً مفروغاً منه.

الغريب: إنّ الملك، بوضوح، هو راعي القطيع المجموع الذي لا قرون له.

سقراط ف: إن ذلك لجلي.

الغريب: هل سنقسّم هذا القطيع الأجلح إلى قسمين، ونخصص بالكفاح لكلٍّ مَالَهُ؟

سقراط ف: مهما كلف الأمر.

الغريب: هل سنميّزهما بامتلاكهما أو عدم امتلاكهما للقوائم المشقوقة الأظلاف، أو بخلطهما أو عدم خلطهما نسلاً؟ أتعرف ما أعني؟

سقراط ف: ماذا؟

الغريب: أعني أنّ الأحصنة والحمير تتوالد من بعضها بعضاً بشكل طبيعي.

سقراط ف: نعم.

الغريب: لكنّ باقي الحيوانات الأليفة المنتمية إلى القطيع الأجلح لا يخالط نسلُ أحدها نسل الآخر؟

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: وأيّ نوع من الحيوان سيتولى رجل الدولة أمر رعايته، ـ الجنس الواحد بالولادة، أو الواحد الذي يختلط بالآخر؟

سقراط ف: للصِّرْف بوضوح.

الغريب: أفترض أنّنا يجب أن نقسّم هذا مرّة ثانية كما قسّمنا في السابق.

سقراط ف: يجب أن نفعل ذلك.

الغريب: قد شُطِرَ الآن كل حيوان أليف واجتماعي، ما عدا جنسين اثنين؛ لأنّني، بالكاد، أعتقد أن الكلاب يجب أن تُصَنَّف بين الحيوانات الإجتماعيّة.

سقراط ف: لا بالتأكيد؛ لكن كيف يجب أن نقسّم الجنسين الباقيين؟

الغريب: هناك قياس للتباين يمكن استخدامه بك وبثياتيتوس على نحو ملائم، بما أنّكما تلميذا علم الهندسة.

سقراط ف: ما هو؟

الغريب: القطر؛ وقطر القطر، مرّة ثانية.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: تأمّل مليّاً قوّة التقدّم التي تُمنح للجنس البشري، ـ ألاَ تشبه القطر الذي تكون قوّته قدمين اثنين؟

سقراط ف: هكذا تماماً.

الغريب: ويمكن القول إن قوّة النوع الباقي، كونها قوة القدمين الإثنين مرّتين، هي القطر لقطرنا.

سقراط ف: بالتّأكيد؛ وأعتقد أنّني قريب تماماً لأفهمك الآن.

الغريب: إنني ألمح عن بُعدٍ أيُّ إسم سنربحه كمهرّجين، يا سقراط، في تلك التقسيمات.

سقراط ف: ما هو هذا؟

الغريب: لقد برزت الكائنات الإنسانيّة في النوع عينه للإبداع مع الأكثر حرية وهوائية، وقد كانت في سباقٍ معها.

سقراط ف: إنني ألاحظ ذلك التطابق المفرد بالتحديد.

الغريب: أو لن تتوقّع الأبطأ ليصل الأخير؟

سقراط ف: عليّ توقُّع ذلك حقاً.

الغريب: ويبقى وجود عاقبة أكثر إضحاكاً، وهي أن يوجد الملك متجولاً مع

القطيع، وفي منافسة متقاربة مع الشخص الذي يكون الأكثر خِبْرةً في الحياة الهوائيَّة من بين كل الجنس البشري.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: يبقى هنا إذن، يا سقراط، دليلٌ أوضح لصدق ما قد قيل في تحقيقنا عن السوفسطائي[٢].

سقراط ف: ماذا؟

الغريب: إنّ الطريقة الجدليَّة لا تحترم الأشخاص، ولا تضع الكبير فوق الصغير، بل تصل في طريقتها الخاصة إلى النتيجة الأصدق على الدوام.

سقراط ف: بوضوح.

الغريب: وبعدُ، لن أنتظرك لتسألني، بل سآخذك طوعاً بالطريق الأقصر إلى تعريف الملك.

سقراط ف: بكلّ تأكيد.

الغريب: أقول إنه كان يجب أن نبتدىء أوّلاً، بتقسيم الحيوانات الأرضيَّة إلى حيوانات ذات قائمتين وأخرى رباعيَّة القوائم؛ وبما أن القطيع المجنَّح، وذلك وحده، يبرز في النوع عينه مع الإنسان، لذلك يجب أن نقسِّم الحيوانات ذات القائمتين إلى تلك التي تمتلك ريشاً وتلك التي لا تمتلكه، وعندما يتم تقسيمها، وتُسلّط الأضواء على فنّ إدارة الجنس البشري سيحين الوقت لإبراز رجل دولتنا وحاكمنا، ونضعه في مكانه كسائق عربة، ونسلمه زمام الدولة، لأنّ هذه أيضاً هي مهمة تختص به وحده.

سقراط ف: جيّد جداً؛ قد دفعت لي الدَّين، ـ أعني، أنّك أتممت المحاورة، وأفترض أنك أضفت الاستطراد بطريقة الفائدة[٣].

الغريب: وبعدُ إذن، دعنا نعود إلى الوراء إلى البداية، ونصل الحلقات التي تخلق معاً التعريف لإسم فنّ رجل الدولة.

سقراط ف: بكلّ تأكيد.

الغريب: كما قلنا في الأصل، فإنّ علم المعرفة النقيّ قد امتلك الجزء الذي كان علم الحكم أو الأمر، واشتُقَّ من هذا جزءٌ آخر، سُميٌّ حكماً بنفسه، على التشابه الجزئي للبيع بنفسه؛ وكان جزءاً مهماً من هذا إدارة الحيوانات الحيّة، وحُدِّد هذا مرّة ثانية لمرحلة أبعد إلى إدارتها في قطعان، ثم في قطعان الحيوانات التي تمشي على قدمين. كان التقسيم الرئيسي للفن الآخر إدارة الحيوانات التي تمشي على قدمين وهي بدون قرون؛ يمتلك ذلك مرة ثانية الجزء الذي يمكن إدراكه فقط تحت تعريف واحد بضمّ الأسماء الثلاثة جميعها - رعي الحيوانات النقية السلالة. التقسيم الوحيد إلى أجزاء صغيرة أبعد هو فن تنشئة الإنسان، - هذا يختص بالحيوانات التي تمشي على قائمتين، وهذا ما كنا نبحث عنه، ووجدناه الآن، كونه الملكي والسياسي في الحال.

سقراط ف: لتكن متأكّداً.

الغريب: وهل تعتقد، يا سقراط، أنّنا قد فعلنا كما تقول حقاً؟

سقراط ف: ماذا؟

الغريب: هل تعتقد، أعني، أنّنا قد أتممنا قصدنا بحق؟ - لقد كان هناك نوع من البحث، مع ذلك يُظهر التحقيق لي أنّه لم يُنجز بشكل تام: يكون هذا حيث فشل التحقق.

سقراط ف: إنني لا أفهم.

الغريب: إنني سأحاول أن أصنع الفكرة، وهي موجودة في عقلي هذه اللحظة، وأنقى لكلينا.

سقراط ف: دعني أسمع.

الغريب: هناك فنون متعددة للرّعي، وأحدها هو الفن السياسي، الذي كان لديه رعاية قطيع واحد خاص.

سقراط ف: نعم.

الغريب: وحُدِّدت هذه المحاورة بأنّها ليست فن تربية الأحصنة والوحوش الأخرى، بل فن تربية الإنسان بشكل جماعي.

سقراط ف: حقّاً.

الغريب: سجِّل، مع ذلك، سجِّل فرقاً، يميِّز الملك من كل الرعاة الآخرين.

سقراط ف: إلامَ تشير؟

الغريب: أريد أن أسأل، ما إذا كان أيّ واحد من الآخرين لديه منافس مسمّى باسم فنٍّ آخر، يدّعي ويطالب أن يساهم معه في إدارة القطيع؟

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: أعني إذا كان التجار، المزارعون، مقدمو الغذاء، والأسياد المدربون والأطباء أيضاً، إذا كانوا سيبارون مربّي الإنسانيّة، الذين ندعوهم رجال دول، معلنين أنهم يمتلكون عناية التربية أو إدارة الجنس البشري، وأنهم لا يربون القطيع العام فقط، بل الحكام أنفسهم أيضاً.

سقراط ف: أليسوا محقّين في قولهم هذا؟

الغريب: محتمل جداً أن يكونوا كذلك، وسنتأمّل مطاليبهم ملياً. لكننا متأكّدون من هذا؛ لن يرفع أحد مطلباً مشابهاً مثلاً ضد الراعي، الذي يُسمح له في كل مكان ليكون الفرد والمغذي الوحيد وطبيب قطيعه؛ إنه هو مجري زواجهم وطبيب ولادتهم أيضاً؛ لا أحد غيره يعرف ذلك الفرع العلمي. إنّه صانع بهجتهم وموسيقيّهم، بقدر ما تكون طبيعتهم قابلة لهكذا تأثيرات، ولا أحد يستطيع أن يؤاسي ويلطف قطيعه الخاص أفضل مما يقدر هو، إما بنغمات صوته الطبيعية، أو بأدواته الموسيقيّة. ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن نواعم الحيوان بشكل عام.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: لكن إذا كان هذا كما تقول، هل تستطيع محاورتنا عن الملك، أن تكون حقيقية ولا يرقى إليها الشكّ؟ ألم نكن محقّين في اختيارنا له من بين عشرة آلاف مُدّعٍ آخرين على أنهم الراعي والمربي للقطيع الإنساني؟

سقراط ف: لا بالتأكيد.

الغريب: ألم نتعقل لتوّنا الآن كي نفهم، ذلك مع أنّنا قد وصفنا نوعاً من أنواع الشكل الملكي، لم نتمّم حتى الآن الصورة الحقيقيّة لرجل الدولة بدقّة؟ وأننا لم نتمكن من كشفه كما هو في طبيعته الخاصة بحق، ما لم نحرّره ونفصله من أولئك الذين يتسكعون حوله ويطالبون أن يساهموا في تفوقاته المميّزة؟

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: وإن ذلك، يا سقراط، هو ما يجب علينا عمله، إذا لم نقصد أن نجلب عاراً على المحاورة في خاتمتها.

سقراط ف: يجب أن نتفادى ذلك بكلّ تأكيد.

الغريب: دعنا إذن نخلق بداية جديدة، ونسير بطريق مختلفة.

سقراط ف: أيُّ طريق؟

الغريب: أعتقد أنه بإمكاننا أن نتسلّى قليلاً هناك قصة شهيرة يمكن لجزء غير قليل منها أن يكون محبوكاً لمنفعة، ويمكننا عندئذ أن نستأنف سلسلة تقسيمنا، وأن نتقدّم في ممرنا القديم حتى نصل إلى القمة المبتغاة. هل سنفعل ما أقولهُ؟

سقراط ف: بكل تأكيد.

الغريب: إستمع، إذن لهذه القصة والتي يجب لطفل أن يسمعها؛ وأنت لست مسنّاً أكثر من اللازم لتسلية طفوليّة.

سقراط ف: دعني أسمع.

الغريب: لقد حدث حقاً، وسيحدث مرّة ثانية، مثل العديد من الأحداث الأخرى

التي قد حفظتها لنا الروايات الغابرة، لقد حدث التّذير الذي قيل إنّه وقع تقليدياً في خصام آرتيوس وثياستوس. لقد سمعت وها أنت تتذكّر ما قالوا إنّه حدث في ذلك الوقت، بدون شك؟

سقراط ف: أفترض أنك تعني الرمز لولادة الحمل الذهبي.

الغريب: لا، ليس ذلك؛ بل جزءاً آخر من القصة، التي تذكر كيف أنّ الشمس والنجوم ارتفعت مرّة في ناحية الغرب، وغربت في ناحية الشرق، وأن الله حفظ حركتها، وأعطاها مالها الآن كشهادة آرثيوس الحقّة.

سقراط ف: نعم؛ توجد تلك الأسطورة أيضاً.

الغريب: مرّة ثانية، فلقد أُخبرنا عن حكم كرونوس غالباً.

سقراط ف: نعم، على الغالب تماماً.

الغريب: ألم تسمع أبداً أنّ رجال الأزمان الغابرة خُلقوا من التراب، ولم يتوالدوا من بعضهم بعضاً.

سقراط ف: نعم، تلك هي رواية أخرى قديمة.

الغريب: كل تلك القصص، وعشرة آلاف قصة أخرى أكثر روعة، تمتلك أصلاً مشتركاً. ولقد فُقِدَ العديد منها مع مرور الزمن، أو أنها كُرِّرت فقط في شكل غير متصل: لكن أصلها هو ما لم يخبره أحدٌ أبداً، وليس هناك ما يمنع من إخبارها الآن، إنّ القصة مناسبة لتلقي ضوءاً على طبيعة الملك.

سقراط ف: جيّد جداً؛ وإنني آمل منك أن تسرد القصة كلها، ولا تترك شيئاً أبداً.

الغريب: إسمع، إذن، هناك زمن، عندما هدى الله نفسُه العالم وساعدهُ ليدور في مساره؛ وهناك زمن عندما أطلقه، في تمام دورة مِحدَّدة، وكون العالم مخلوقاً حياً، وقد تلقّى في الأصل ذكاءً من خالقه ومبدعه، استدار، وبضرورة ملازمة، دار في الجهة المعاكسة.

سقراط ف: ما هو ذلك؟

الغريب: لماذا، لأنّه مُلْك الأشياء الأكثر إلٰهية من الجميع في أن تبقى أبداً نفسها وغير متغيرة، ولا يكون الجسم متضمَّناً في هذا النوع. إن ذلك الذي نسمّيه سماء، أو الكون، مع أنّ المبدع قد منحه روائع متعددة، يشترك في الطبيعة الجسديّة، ولذلك لا يستطيع أن يكون حرّاً من الاضطراب بالكامل. غير أن حركته هي، بقدر الإمكان، واحدة وفي المكان عينه، والنوع عينه؛ وهي لذلك عرضة للتغيير في الاتجاه المضادّ فقط، الذي هو التغيير الأقل إمكاناً. مرّة ثانية، إن قائد كلّ الأشياء المتحركة يكون قادراً منفرداً من أن يديرها من ذاته أبديّاً؛ أمّا أن نعتبر أنّه يحركها في وقت واحد في اتجاه واحد وفي وقت آخر في الاتجاه المضاد، فهو تجديف. وإذا أخذنا هذا بعين الاعتبار، فيجب ألاّ نقول إن العالم يدير نفسه إلى الأبد، ولا نقول مرّة ثانية إن الله يسبّب دورانه كاملاً وإلى الأبد، في اتجاهين مضادين؛ أو اخيراً إنّ إلٰهين إثنين، لديهما أغراض متناقضة، جعلاه يتحرك دائرياً. لكنني كما قلت سابقاً (وهذا هو الخيار الوحيد المتبقي) العالم يُرشدُ في زمن واحد بقوة إلٰهيّة خارجيّة، ويتلقى حياة جديدة وخلوداً من يد المبدع المجدِّدة، ويتحرك مرة ثانية تلقائياً، عندما يطلقه، كونه تُرِك حرّاً في وقت كهذا كي يمتلك حركة عكسيّة، خلال ملايين الدورات. يكون هذا بسبب توازنه التام، بسبب حجمه الفسيح، ولأنّه يدور على المحور الأصغر فعلاً.

سقراط ف: حقّاً، يظهر أن حسابك عن العالم حسابٌ عقلانيٌ تماماً.

الغريب: دعنا نفكر مليّاً الآن ونحاول أن نستنتج ممّا قد قيل أنّ الظاهرة الطبيعيّة التي أكّدنا أنّها سبب كل تلك الروائع، أنها هذه هي.

سقراط ف: ماذا؟

الغريب: التغيير إلى الاتجاه المضادّ الذي يأخذ مكانه من وقت إلى وقت لحركة العالم.

سقراط ف: كيف يكون ذلك السبب؟

الغريب: يمكننا أن نعتبر هذه، من بين كل الحركات السماويّة، أنها الحركة الأعظم والأكثر كمالاً.

سقراط ف: عليّ أن أتصوّر هكذا.

الغريب: ويمكن افتراضها أنّها تتسبب في التغييرات الأعظم للكائنات الإنسانيّة التي تعيش في العالم خلال الزمن.

سقراط ف: سيحدث هذا النوع من التغيير بشكل مألوف.

الغريب: وتنجو الحيوانات، كما نعرف، من تغييرات عظيمة وخطيرة لنوعيات مختلفة متعددة، تنجو بصعوبة عندما تحلّ بها حالاً.

سقراط ف: حقيقيّ تماماً.

الغريب: لهذا حدث لها هناك دمارٌ كبير بالضرورة، وهذا الدمار امتدَّ إلى حياة الإنسان أيضاً. بقي من السلالة ناجون قلائل، وأولئك الذين بقوا أصبحوا مواضيع روايات خيالية عديدة وظاهرة غير مألوفة، ولواحدة بشكل خاص، تلك التي تأخذ مكانها في الزّمن عندما تكون المرحلة الإنتقاليّة محدثة إلى الدورة المضادة لتلك الّتي نحيا فيها الآن.

سقراط ف: ما هي؟

الغريب: وصلت حياة كل الحيوانات بادىء ذي بدء، إلى نقطة التوقّف، والطبيعة الفانية انقطعت عن أن تكون أو تشاهد أكبر سنّاً، وكانت معكوسة آنئذ ونمت فتيّة وليّنة؛ إسودّت خصلات شعر المسنّين مرّة ثانية، وأصبحت وجنات الإنسان الملتحي ناعمة، واستعادت ريعانها السابق؛ نمت أجسام الشباب في مطلعها أطرى وأصغر، معادةً ومصبحةً ليلاً ونهاراً باستمرار في تشابه لطبيعة الطّفل المولود جديداً في العقل كما في الجسم؛ إنحلّت في المرحلة اللاحقة تدريجياً واختفت بشكل تامّ. ومرّت أجسام أولئك الذين ماتوا بالعنف خلال

التحولات المشابهة، وكانت غير مرئيّةٍ البتّة في أيّام قليلة.

سقراط ف: كيف كانت الحيوانات مبدَعة حينئذ، أيّها الغريب، في تلك الأيام؛ وفي أيّة طريقة توالدت بعضها من بعض؟

الغريب: ذلك بيِّن، يا سقراط، إنه لم يكن شيء كهذا في نظام الطبيعة آنئذٍ كتناسل الحيوانات بعضها من بعض؛ كانت السلالة المخلوقة من التراب، التي سمعنا عنها في القصة، هي التي وُجدت في تلك الأيام ـ لقد انبعثت من الأرض مرة ثانية؛ وفي هذا التخدار الذي يُشكّ به في أيامنا هذه على نحو غير ملائم، فإنّ أسلافنا، الذين كانوا الأقرب في نقطة الزمن إلى نهاية العصر الأخير، وأتوا إلى الوجود في بداية هذا، هم الرُسُلّ لنا. وسجُل كيف جاءت تتمّة القصة؛ بعد عودة السنّ إلى الشباب، يتبع عودة الأموات، الراقدين في الأرض، عادوا إلى الحياة؛ لقد دارت عجلة ولادتهم إلى الوراء مع تغيير العالم في الاتجاه المعاكس بشكل متزامن، وقد وُضِعوا معاً ونشأوا وعاشوا في نظام مضاد، إن لم ينقل الله أيّاً منهم بعيداً إلى مكان آخر ما. لقد صعدوا من الأرض بالضرورة طبقاً لهذه الرواية وامتلكوا إسم المخلوقين من التراب. وهكذا تعلقت بهم الأسطورة المذكورة أعلاه.

سقراط ف: إنّ ذلك منسجم تماماً مع ما سبق بالتأكيد. لكن أخبرني، هل كانت الحياة التي قلت إنّها وُجدت في حكم كرونوس في دورة العالم تلك، أو في هذه؟ لأن التغيير في نظام النجوم والشمس لا شكّ بإنّه قد حدث فيهما معاً.

الغريب: إنني أرى أنك دخلت صميم ما أعنيه؛ لا، إنّ تلك الحياة العفويّة المباركة لا تخصّ الدورة الحاضرة للعالم، بل للدورة السابقة، إنّ الله حكم دورة العالم في ذلك الزمن، وأشرف على نظامه ككلّ، كما يفعل الآن. وإضافة إلى ذلك، كانت أجزاء العالم المتعدّدة موزعة بطريقة مماثلة تحت حكم آلهة

محدّدة أقلّ رتبة. وُجِد أنصَاف آلهة، كانوا رعاة الأنواع المختلفة وقطعان الحيوانات، وكان كل واحد منهم في كل ناحية كافياً لأولئك الذين كانوا رعيته؛ ولم يكن هناك من يعنُفُ على الآخر أو يفترسه، ولم تكن هناك حربٌ، أو خصام فيما بينهم. ويمكنني أن أحدِّث عن عشرة آلاف نعمة أخرى تختص بذلك التدبير الإلهي، السبب الذي كانت من أجله حياة الإنسان عفويَّة، هو كما يلي: كان الله نفسه راعيهم في تلك الأيام، وحَكَم عليهم، تماماً كما الإنسان، الذي هو كائن إلهي بالمقارنة، باقٍ يحكم فوق الحيوانات الأدنى، لم يكن ثَمّةَ دونه أشكال حكومات أو امتلاكٌ خاصٌ للنّساء والأطفال؛ لأن كل الرجال انبثقوا من الأرض مرة ثانية، ولم يكن لديهم تذكر للماضي، وبالرّغم من أنه لم يكن لديهم أي شيء من هذا النوع، فالأرض أعطتهم فواكه بوفرة، فواكه نمت على الاشجار والشجيرات بغير أمر، ولم تكن مغروسة بيد الإنسان، وسكنوا عراة، وفي الهواء الطلق أغلب الأحيان، لأنّ حرارة فصولهم كانت معتدلة؛ ولم يكن لديهم أسِرّة، بل استلقوا على أرائك ناعمة من الحشيش، نمت بكثرة من الأرض. هكذا كانت حياة الإنسان في أيام كرونوس، يا سقراط؛ أمّا الصفة المميَّزة لحياتنا الحاضرة التي يقال إنّها تحت سلطة زيوس، فتعرفها أنت من تجربتك الخاصة. هل تستطيع، وهل ستقرِّر أيهما تُعتبر الحياة الأسعد؟

سقراط ف: مستحيل.

الغريب: هل سأقرِّر لك بقدر ما أستطيع إذن؟

سقراط ف: بكل تأكيد.

الغريب: إفترض أنّ الذين أشرف كرونوس على تربيتهم، لديهم هذا الترف اللاّمحدود، وقوة إجراء التعامل، ليس مع الرجال فقط، بل مع المخلوقات الوحشيَّة، إفترض أنّهم قد استعملوا كلّ تلك الفوائد لغرض الفلسفة،

متحدثين مع الوحوش كما يتحدّث بعضهم مع بعضاً، ومتعلمين من كل طبيعة وُهِبت لهم بأيّة قوّة خاصّة، وكانوا قادرين على أن يقدموا أيّ خبرة خاصة إلى مخزون الحكمة، فلا صعوبة في تقرير أنهم كانوا أسعد ألف مرّة من رجال عصرنا. لكن إذا أخبروا قصصاً لبعضهم بعضاً وإلى الحيوانات، عندما كان طعامهم وشرابهم دون التخمة ـ هكذا قصص كما تكون معزوّة لهم الآن ـ سيكون الجواب سهلاً في هذه الحالة كما أتصوّر. لكن الى أن يُستطاع إيجاد شهادة ما مقنعة لحب ذلك العصر للمعرفة والبحث، فالأفضل أن ندع المسألة تسقط، ونعطي السبب الذي من أصله قد أخرجنا هذه القصة، وسنكون قادرين أن نتقدم عندئذ. في تمام الزمن، عندما كان التغيير سيأخذ مكانه، والسلالة المخلوقة من التراب قد استنفدت، بما أنّ كلّ روح قد أتمّت دورتها المناسبة للولادات وكانت أوقاتها العدديّة المحددة موزعة في الأرض، فإنّ دليل العالم قد أطلق سراح المقود، وانعزل إلى مكان رؤيته؛ وحينئذ عكست حركة العالم الرغبة المتلازمة والقدر. عندئذ أيضاً فإنّ كل الآلهة الأقل شأناً الذين اشتركوا في الحكم مع القوة الأسمى، ولأنّهم أخبِروا بما حدث، أطلقوا سراح أجزاء العالم التي كانت تحت هدايتهم. والعالم مدار دائرياً بصدمة مفاجئة، كونه أُجبر في الاتجاه المضاد من البداية إلى النهاية، كان مهتزاً بزلزال عظيم، أحدث دماراً جديداً لكل أنواع الحيوانات. توقفت الجلبة والتشوش والزلزال فيما بعدُ، عندما انقضى زمن كافٍ، وحصل المخلوق العالمي على السلام في هدوء مرّة ثانية، وترسّخ في طريقته الخاصة النظاميّة والمعتادة، مالكاً الرعاية وحكم نفسه وكل المخلوقات المحتواة فيه، ومنفّذاً تعليمات أبيه ومبدعه، بقدر ما يتذكّرها، أكثر ضبطاً بادىء ذي بدء، ثم أخذ يتعامل معها بدقّة أقل بعد ذلك. كان سببُ سقوطه خليطَ المادّة فيه، كانت هذه متأصّلة في الطبيعة الأوليّة، الممتلئة فوضى، حتى إدراكها

النظام الحاضر. لم يتلقَّ العالم أيّ شيء ليس خيراً من الله الباني، بل أتت عناصر الشرّ والإثم من الحالة السالفة، التي نشأت من ذلك المكان ودخلت في العالم أوّلاً، وانتقلت إلى الحيوانات بعدئذ. بينما كان العالم مُساعَداً بالدليل في تغذية الحيوانات، كان الشرّ صغيراً، وكان الخير الذي أنتجه كبيراً؛ وحدث الأفضل للعالم في كل طريقة على الدوام بعد الانفصال في حين كان الأقرب إلى الزمن الذي سلّم فيه الدفّة بكاملها. لكن الذّاكرة تلاشت في تقدّم الزمن، وبقي النزاع المزمن متسلطاً مرّة ثانية، واندفع بقوّة في مهابة تامّة، وأصبح الخير أخيراً صغيراً واختلاط الشرّ الذي غرسه العالم كبيراً، محضراً نفسه وكل الأشياء المشتملة فيه لخطر الخراب. ولذلك، وفي تلك اللحظة، فإن الله الذي وضع العالم في نظام، شاهد أنه في ضيق عظيم، وخشي أن الكل يمكن أن ينحلّ في العاصفة ويختفي في الشواش اللامتناهي، فاستلم دفّة القيادة من جديد؛ وجعل نفسه مرجع العناصر التي قد دب فيها الانحلال والاضطراب خلال الزمن الماضي للاستقلال، رتّبها في نظام وأحياها، وجعل العالم باقياً وخالداً. وهذه هي القصة كلها والذي سيفي بالغرض هو الجزء الأول منها إذ يصوّر طبيعة الملك، لأن العالم عندما استدار نحو الدورة الحاضرة للكون، فإنّ عمر الإنسان وقف ثابتاً مرّة ثانية، وكانت النتيجة تغيّراً مضاداً إلى الواحد السابق. المخلوقات الصغيرة التي كانت على وشك أن تختفي نمت باستقامة، وأصبح الأطفال المولودون جديداً في الأرض بلون رمادي وماتوا وغرقوا في الأرض مرّة ثانية. كل الأشياء تغيّرت، مقلدة وتابعة حالة الكون، ومتفقة بالضرورة مع ذلك في أسلوبها للتصور والكون والتغذية؛ لأنّه لم يكن مسموحاً لأي حيوان بعد ذلك اليوم أن يعود إلى الأرض من جديد من خلال التركيب بوسائط أخرى. لكن بما أنّ العالم قُضي له أن يكون سيد تقدمه الخاص، قُضي

للأجزاء في أسلوب مماثل أن تنمو وتلد وتعطي الغذاء، بقدر ما تستطيع لنفسها، مُسيَّرة بحركة مشابهة. وهكذا قد وصلنا إلى النهاية الحقيقية لهذا البحث؛ لأنّه بالرغم من وجود الكثير مما نخبره عن الحيوانات السفليّة، وعن الحالة التي تغيرت خارجاً عنها وأسباب تغيرها، ولا يوجد الكثير عن الرجال، وذلك القليل هو طبق المرام. مجردين من عناية الله، الذي امتلكهم وعُنِيَ بهم، تُركوا لا عون لهم وبدون حماية، تمزقهم الوحوش إرباً، وكانت تلك الوحوش عنيفة وقد نمت جامحة الآن. وتركتهم العصور الأولى بدون مهارة أو موارد؛ والغذاء الذي أنبتوه مرّة قد تضاءَل تلقائياً. ولم يعرفوا كيف يستطيعون الحصول عليه مجدّداً حتى الآن، لأنهم لم يشعروا بوطأة الفقر قط. إنهم كانوا في ضيق شديد لكل تلك الأسباب؛ ومن أجل ذلك كانت الهبات التي تكلمنا عنها في العُرف القديم، ممنوحة للإنسان من الالهة، بالإضافة إلى هكذا تعليم وتثقيف كما كان لازباً؛ لقد أعطاهم بروميثيوس النار وهيفياستوس ورفيقته العاملة، أثينا، أعطياهم الفنون، والآخرون أعطوهم البذور وهكذا، يكون مشتقاً من كل هذه الأشياء كل الذي قد ساعد ليصوغ الحياة الإنسانيّة؛ بما أن عناية الآلهة، كما كنت قائلاً، قد تخطّت الرجال الآن، وكان عليهم أن ينظّموا طريقة حياتهم ويحتاطوا لأنفسهم، كما يفعل المخلوق العالمي الذي يجب أن نقلّد. ونتبعه نحن الرجال، عائشين ونامين أبداً، مرة في الأسلوب السابق، وأخرى في الأسلوب الآخر. كفاية عن القصة، التي يمكن أن تكون ذات فائدة في إعلامنا كيف أنّنا قد أخطأنا كثيراً في وصف الملك ورجل الدولة في حديثنا السابق.

سقراط ف: ماذا كان هذا الخطأ الكبير الذي تتكلّم عنه؟

الغريب: كان هناك خطآن اثنان، أوّلهما أقلّ، والآخر على درجة أكبر وأضخم.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: أعني أنّنا سُئلنا عن ملك ورجل دولة دورة الجيل الحاضر، أَخبرنا عن راع للقطيع الإنساني الذي اختص بالدورة الأخرى، وعن الثاني الذي كان إلهاً عندما وجب أن يكون إنساناً؛ وكان هذا خطأً أكثر خطورة. لقد أعلنّاه مرة ثانية، ليكون حاكماً للدولة بكاملها، بدون أن نشرح كيف: لم تكن هذه كل الحقيقة، ولم يُفهم قصدنا تماماً؛ غير أنّه بقيت حقيقة، ولذلك لم يكن الخطأ الثاني كبيراً إلى هذه الحدّ كما الأول.

سقراط ف: جيّد جداً.

الغريب: يجب أن نحَدِّد طبيعة رجل الدولة قبل أن يكون باستطاعتنا وصفه بالتمام.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: وقدَّمنا الأسطورة كي تبيِّن، ليس أنّ كل الآخرين هم منافسون للراعي الحقيقي الذي هو غرض بحثنا فقط، بل كي نتمكن من حيازة رُؤيا عنه أوضح، وهو وحده الجدير أن يتلقّى هذا اللّقب، لأنّه هو وحده من بين الرعاة ورجال القطيع، لديه عناية بالكائنات الإنسانيّة، طبقاً للصورة التي استخدمناها.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: ولا أستطيع أن أحول دون التفكير، يا سقراط، من أنّ صورة الراعي الإلهي هي حتماً أعلى من صورة الملك؛ في حين أنّ رجال الدول الذين هم على الأرض الآن يبدون أنّهم أكثر شبهاً في الخلْقِ برعاياهم، وأكثر بكثير ليشتركوا في توليدهم وتعليمهم تقريباً.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: يبقى أنّنا يجب أن نبحث فيهم جميعاً مع ذلك، لنرى إذا كانوا هم فوق مستوى رعاياهم، مثل الراعي الإلهي، أو على المستوى عينه معهم.

سقراط ف: طبعاً.

الغريب: لنبدأ من جديد ـ هل تتذكّر أنّنا تكلمنا عن الأمر الممارس على الحيوانات ليس إفرادياً بل بشكل جماعي، وهو الذي نُسميّه فنّ تربية القطيع؟

سقراط ف: نعم، إنني أتذكّر.

الغريب: هناك، في مكان ما، يكمن خطأنا؛ لأنّنا لم نضمّن أو نذكر رجل الدولة قطء ولم نراقب أنّه لم يكن لديه مكان في تسميتنا.

سقراط ف: كيف كان ذلك؟

الغريب: كلّ رجال القطعان الأخرى (يربون) قطعانهم، لكن هذا الاصطلاح لا يبدو استعماله مناسباً لرجل الدولة؛ كان علينا أن نستعمل إسماً آخر مشتركاً لهم جيمعاً.

سقراط ف: صدقاً، إذا وُجد إسم كهذا.

الغريب: لماذا، أليست « العناية » بالقطعان ملائمة للجميع؟ لأنّ هذه الكلمة لا تدلُّ ضمناً على التغذية، أو على أي واجب خاص؛ إذا كانا قد قلنا إما (العناية) بالقطعان، أو (تدبير) القطعان، أو (إمتلاك العناية) بها، سيشمل أيّ اصطلاح عام كهذا، رجل الدولة مع الباقين، ممّا تطلّبه المحاورة.

سقراط ف: حقيقيّ تماماً؛ ما هو الخطوة القادمة في التقسيم؟

الغريب: كما قسّمنا قبلاً فنّ (تنشئة) القطعان، وكما كانت قطعاناً بريّة أو مائية كذلك، مجنّحة وبدون أجنحة، مختلطة أو غير مختلطة الأنسال، بقرون وبدون قرون، يمكننا أن نقسّم هكذا بالفوارق عينها تلك « العناية » بالقطعان، مدركين في تعريفنا الملكية وكيف هي في أيّامنا، وتلك التي توجد تحت سلطة كرونوس.

سقراط ف: إنّ ذلك واضح، لكنّني سأسأل، ما الذي يلي؟

الغريب: إذا كانت الكلمة (إدارة) القطعان، بدلاً من إطعامها أو تربيتها فلا أحد كان سيجادل أنّها لم توجد عناية بالرجال في حالة رجل السياسة، لقد

أكّدنا بعدل مع ذلك، أنه لم يكن هناك أيّ فن إنساني لتغذيتها هو الذي استحق ذلك الإسم، أو إذا وجد هذا على الأقل، فإنّ رجالاً عديدين كانوا أحق من أيّ ملك وأعظم للمشاركة في هكذا فنّ.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: لكن لن يمتلك أيّ فنّ أو علم آخر حقّاً أسبق أو أفضل من العلم الملكي كي يعتني بالمجتمع الإنساني ويحكم الرّجال بشكل عامّ.

سقراط ف: حقيقيّ تماماً.

الغريب: يجب أن نلاحظ في المكان الثاني بالتأكيد، يا سقراط، أنّ خطأً عظيماً ارتُكب في المرحلة الأخيرة من تحليلنا.

سقراط ف: ماذا كان هذا؟

الغريب: لماذا؟ لنفترض أنّنا كنا متأكّدين من وجود فنّ كفنّ تنشئة أو إطعام ما يسير على قائمتين، فليس هناك من سبب، يدعونا لتسمية هذا الفن فناً ملكياً أو سياسياً، كأنّه لم يكن هناك أكثر ليقال.

سقراط ف: لا، بالتأكيد.

الغريب: كان واجبنا الأول، كما قلنا، أن نجدّد صياغة الإسم، كي يكون لدينا فكرة العناية بدلاً من فكرة التغذية، وأن نقسّم بعدئذ، إذ يمكن وجود تقسيمات جديرة بالاعتبار.

سقراط ف: كيف يمكن صنعها؟

الغريب: بالتمييز أوّلاً بين الراعي الإلٰهي وبين الحامي أو الإداري الإنساني.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: وفنّ الإدارة المخصّص للإنسان يجب أن يقسّم إلى أجزاء صغيرة ثانية.

سقراط ف: على أية قاعدة؟

الغريب: على قاعدة الخيار والجبر.

سقراط ف: لماذا؟

الغريب: لأنه كان خطأً هنا، إذا لم أكن مخطئاً؛ أنّ بساطتنا قادتنا لأن نصنِّف الملك والمستبدَّ معاً، في حين أنهما متميزان تماماً، كشكل حكومتيهما.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: دعنا نصحّح ذلك ونقسّم العناية الإنسانيّة إلى جزأين اثنين، على قاعدة الخيار والجبر، كما قلت لفترة مضت.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: وإذا سمّينا إدارة الحكّام العتاة استبداديّة، والإدارة الاختيارية للقطعان الاختياريّة التي تسير على قدمين، إذا سميناها علوماً سياسيّة، ألا يمكننا أن نؤكّد بشكل أبعد، وهو أنَّ من لديه هذا الفن الأخير للإدارة هو الملك الحقيقي ورجل الدولة؟

سقراط ف: أعتقد، أيّها الغريب، أنّنا أتممنا الآن حساب رجل الدولة.

الغريب: أتمنّى أننا أتممناه، يا سقراط، لكن عليّ أن أقنع نفسي كما اقتنعتَ؛ وفي حكمي فإنّ شخصية الملك ليست متمّمة لحدّ الآن؛ مَثَلُنا في ذلك كنحّاتي التماثيل، الذين قد أُرهقوا بأجزاء عملهم العديدة وخسروا وقتاً في قطعها، لعجلتهم الكبيرة أكثر ممّا ينبغي؛ هكذا نحن أيضاً قد اخترنا قطعة خرافية مدهشة، من عجلتنا جزئياً، وجزئيّاً من شهامة رغبتنا لنكشف عن خطئِنا السّابق، ولأنّنا تخيّلنا أن الملك احتاج لتوضيحات مهمة أيضاً، كنا مُلزمين أن نستعمل منها أكثر ممّا كان مناسباً. هذا ما جعلنا نتحادث بإسهاب، والقصّة لم تصل إلى نهاية برغم ذلك. ويمكن أن نقارن محادثتنا بصورة كائن حيّ قد رُسِمَ بجمال في صورة كِفافيّة، لكنّه لم يكن قد بلغ الحياة والصّفاء مع ذلك، رغم الصورة التي قُدِّمت بتمازج الألوان. وبعدُ، كان من الأفضل أن يُصوَّر المخلوق الحيّ بدقة للأشخاص العقلانيين باللّغة والمحادثة بدلاً من التصوير باليد أو بعمل فنّي آخر: لكنْ للنّوع الأبلد يجبُ تصويره بأعمال الفن.

سقراط ف: حقيقيّ جداً؛ لكن ما هو النّقص الباقي؟ أرغب منك أن تخبرني.

الغريب: المثُل الأعلى، يا صديقي العزيز، تُستطاع بالكاد أن تُنشر إلاّ من خلال الأمثلة الوسط؛ يبدو لكلّ إنسان أنّه يعرف كلّ الأشياء بطريقة حالمة، ويستيقظ عندئذ وكأنه لا يعرف شيئاً مرّة ثانية.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: أخشى أنّني لم أكن محظوظاً في إثارة سؤال بشأن خبرتنا عن المعرفة.

سقراط ف: لِمَ ذلك؟

الغريب: لماذا، لأنّ (مثالي) يحتاج المساعدة من مثال آخر.

سقراط ف: تقدم، لا داعي للخوف فأنا لن أضجر.

الغريب: سأتقدم، بما أنّني أجدك مستعداً للاستماع؛ عندما يبتدىء الأطفال بمعرفة حروفهم -

سقراط ف: ماذا ستقول؟

الغريب: إنّهم سيميزون الحروف المتعّددة جيداً بما فيه الكفاية. سيميّزونها في مقاطع لفظيّة جدٌ قصيرة وسهلة، وهم قادرون أن يخبروها بالضبط.

سقراط ف: بدون ريب.

الغريب: في حين أنّهم لا يميّزون الحروف عينها في المقاطع اللفظيّة الأخرى، ويفكّرون ويتكلّمون زيفاً عنها.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: أليستِ الطريقة الأفضل والأسهل لإحضارها إلى معرفة ما لا يعرفونه لحد الآن تكون -

سقراط ف: تكون ماذا؟

الغريب: لإحالتها، قبل كل شيء إلى الحالات التي يحكمون فيها بصحة الحروف موضوع البحث، ولنقارن تلك بعدئذ بالحالات التي لم يعرفوها لحدّ الآن،

ولنريهم أنّ الحروف هي الشيء عينه، ولها الصفة عينها في كلا التركيبين، حتى توضع كل الحالات التي تكون فيها صحيحة، جنباً إلى جنب مع الحالات التي تكون فيها غير صحيحة. إنّهم يحوزون أمثلة بهذه الطريقة، ويتعلمون كيف يُدعى كل حرف في كلّ مقطع لفظي متبايناً والشيء عينه كذلك ـ متبايناً لأنّه يختلف عن كل الحروف الأخرى، الشيء عينه، لأنّه يبقى الشيء عينه كنفسه.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: أليست الأمثلة مصاغة بهذا الشكل؟ نحن نأخذ شيئاً ونقارنه بحالة مميّزة أخرى للشيء عينه، الذي لدينا حوله تصور صحيح، وتنشأ هناك خارج المقارنة فكرة حقيقية واحدة تشملهما معاً.

سقراط ف: على ما يبدو.

الغريب: أيمكن أن نندهش حينئذ، إذا امتلك العقل الإنسانيّ الشكّ حول أبجديّة الأشياء بشكل طبيعيّ، وكان بعض المرات، وفي بعض الحالات، مرسّخاً بثبات بالحقيقة في كل شيء هام؛ وكان مرّة ثانية، وفي حالات أخرى، مشدوهاً بكلِّ ما في الكلمة من معنى؛ حائزاً على فكرة صحيحة بطريقة ما أو بأخرى عن التركيب. لكن عندما تكون مبادىء هذا العلم نفسها محوّلة إلى لغة طويلة وصعبة (مقاطع لفظيّة) للحقائق، كونه غير قادرٍ على أن يميّزها؟

سقراط ف: ما مِن شيءٍ مدهش في ذلك.

الغريب: يا صديقي، هل يقدر الشخص الذي ابتدأ بالرأي الباطل، أن يتوقّع أبداً الوصول حتى إلى جزء صغير من الحقيقة وأن يدرك الحكمة؟

سقراط ف: بالكاد.

الغريب: لن نكون، أنت وأنا، مخطئين إذن، إذا لجأنا لاستعمال هذه الطريقة

للمثال، بما أنّنا قد رأينا طبيعته في الأمثلة العامة، الصغير منها والخاص، ذلك لنقول، لنستمد الشكل الكلّي للفن من الأمثلة الأقلّ في النّوع عينه. وهكذا نكتشف بالقواعد الفنيّة ما هي إدارة المدن، وسيصبح الحلم حقيقة لنا آنئذ.

سقراط ف: حقيقيّ جداً.

الغريب: دعنا نستأنف المحاورة السابقة مرّة أخرى، وكما كان هناك منافسون لا يُعدُّون للسلالة الملكيّة يدّعون أن لديهم عنايةً بالدول، دعنا نَفْصلهم كلّهم، ونتركها بمفردها؛ وكما كنت قائلاً، يجب أن يُشكل نسخة أو مثالٌ من هذه العملية في بادىء الأمر.

سقراط ف: بالضبط.

الغريب: ما هي النسخة التي توجد هناك، وتستطيع أن تقدّم تشابهاً جزئياً كافياً إلى مهنة العلوم السياسيّة بالقياس الأصغر؟ إفترض، يا سقراط، أنه إذا لم يكن لدينا مثالٌ آخر في اليد، واخترنا فنّ الحياكة، أو فنّ حياكة الصوف على سبيل التحديد ـ هل سيكون هذا كافياً تماماً ليؤدّي كبينة لِما نأمل أن نكتشف، بدون أخذ فنّ الحياكة بمجمله؟

سقراط ف: بدون ريب.

الغريب: لِمَ لا يجب علينا أن نخصص لفن الحياكة عمليات القسمة عينها وقسمة القسمة التي قد خصصناها للأصناف الأخرى مسبقاً، ونصل إلى النقطة الرئيسيّة الضروريّة لهدفنا، بعد أن تخطّينا ما بحثنا بسرعة قدر ما نستطيع خلال كل المراحل؟

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: سأجيب بإنجاز العمليّة بشكل حقيقي.

سقراط ف: جيّد جداً.

الغريب: كلّ الأشياء التي نصنعها أو نكتسبها هي إمّا مُبدَعة أو وقائيّة؛ يكون

الصنف الوقائي ترياقيّاً، ودفاعياً أيضاً؛ والدفاعية هي إمّا أسلحة عسكريّة أو وقائيّة وهي أُحجية، ضد الحرّ والقرّ أيضاً. والأحجية الواقية ضد الحرّ والقرّ هي سُتراتٌ وأغطية؛ والأغطية حرامات وأثواب؛ وتُصنع بعض الأثواب من قطعة واحدة، وتُصنع الأخرى من أجزاء متعددة، ويُخاط بعض منها، ولا يخاط بعضها الآخر بل يُوثق؛ ويُصنع بعض ما لا يُخاطُ من أوتار النبات، وبعضه من الشَّعر؛ ويُلصق بعض من هذه بالماء والتراب، وتُثبَّتُ الأخرى معاً بأنفسها. وتسمّى تلك الدفاعات والغطاءَات الأخيرة الموثقة معاً بأنفسها عباءَات، ويمكننا أن نسمّي الفنّ الذي يشرف عليها فنّ الملبس، وذلك من طبيعة العملية المؤدّاة، تماماً كما كان إسم فنّ الحكم مُشتقّاً من الدولة؛ أولا يمكننا أن نقول إنّ فن الحياكة، على الأقلّ ذلك الجزء الأكبر منه الذي كان مختصاً بصناعة العباءَات الصوفيّة، ألا يمكننا أن نقول إنّه يختلف عن فن الملبس هذا، وإنّه في الطريقة عينها تلك، كما في الحالة السابقة، اختلف العلم الملكيّ عن العلم السياسيّ؟

سقراط ف: الأكثر حقيقة.

الغريب: دعنا نبعث التأمل المليّ، في المقام التالي، من أن فن حياكة العباءَات الذي يمكن أن يتوهم شخص غير كفوء أنه قد وُصف بشكل تامّ، دعنا نأمُلُ أنّ هذا الفن قد فُصِلَ عن الفنون الأخرى من العائلة ذاتها، لكن ليس من تلك الفنون التي تشترك معه بإحكام.

سقراط ف: وما هي الفنون الشقيقة؟

الغريب: أرى أنّك لم تكن معي. أعتقد لذلك أنّ من الأفضل أن نعود إلى الوراء مبتدئين حيث إنتهينا. لقد افترقنا لتوّنا الآن من فن حياكة العباءَات، صناعة البطانيات، التي تختلف عن بعضها بعضاً في أنّ واحدها يُوضع تحتيّاً ويُوضع الآخر في مكان قريب. تلك هي ما سميّتها فنوناً شقيقة.

سقراط ف: إنّني أفهم.

الغريب: ولقد أسقطنا كلّ الأشياء المصنوعة من الكتّان والقيطان، وكلّ ذلك الذي دعوناه لتوّنا الآن مجازياً أوتار النبات؛ وقد فصلنا أيضاً عملية صنع اللباد ووضع المواد معاً بالدرز والخياطة، الذي يعتبر فن الإسكافي الجزء الأهمّ فيها.

سقراط ف: بالضبط.

الغريب: إنّنا فَصَلنا فنّ منظّف الجلود آنئذ، الذي جهّز غطاءات في قطع كاملة، وفَصَلنا فن الوقاية، وأسقطنا الفنون المتنوّعة لصناعة سدود المياه التي تُوظّف في البناء. وفي حرفة النّجار بشكل عام وفي الحِرَف الأخرى، وبما أنّ كل تلك الفنون تجهّز أدواتٍ للسرقة وأعمال العنف، وتختص بصناعة أغطية الصناديق وإعداد الأبواب، كونها أقساماً لفنّ الوصل. ولقد فصلنا صناعة السلاح أيضاً، التي هي قسمٌ كبيرٌ ومتنوّعٌ من صناعة الدفاعات؛ وابتدأنا في الأصل بفصل كل فنّ السحر الذي يختص بالترياقات، ولقد تركنا الفنّ المحدّد الذي نبحث عنه، كما سيبدو، وهو فنّ الحماية ضد قرّ الشتاء الذي ينشيء دفاعات صوفيّة، واسمه الحياكة.

سقراط ف: حقيقيّ جداً.

الغريب: نعم، يا ولدي، لكن هذا ليس كلّ شيء، لأنّ العمليّة الأولى التي تتعرض المواد لها هي عكس الحياكة.

سقراط ف: كيف ذلك؟

الغريب: إنّ الحياكة هي نوع من الرّبط.

سقراط ف: نعم.

الغريب: لكنّ العملية الأولى هي فصلٌ للألياف المكتلة والمجدولة؟

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: أعني عمل مسرّح الصوف؛ فنحن لا نستطيع أن نقول إنّ تسريح الصوف هو حياكة، أو أن مُسرّح الصوف هو حائك.

سقراط ف: لا بالتأكيد.

الغريب: مرّة ثانية، إذا قال قائل إنّ فن صناعة السّداة واللُّحمة هو فن الحياكة، فهو سيقول ما كان مفارقةً وزيفاً.

سقراط ف: لتكن متأكداً.

الغريب: هل سنقول إنّ مجمل فن القصّار[٤] أو راقي الأثواب ليس لديه أيّ شيء ليفعله بعناية أو معالجة الملابس، أو أنّنا بصدد اعتبار كل هذه الفنون كفنون حياكة؟

سقراط ف: لا بالتأكيد.

الغريب: وستبقى كلُّ تلك الفنون مع ذلك مختصّة بمعالجة وإنتاج الملابس بالتأكيد. إنّها ستقاوم الامتياز الكلّيّ للحياكة. وبرغم أنها قد خصّصت حيّزاً أوسع لذلك، سوف تبقى تحتفظ بمجال واسعٍ لنفسها.

سقراط ف: حقيقي جداً.

الغريب: بجانب هذه الفنون هناك الفنون التي تصنع آلات وأدوات الحياكة، والتي يتوقع منها ربما أن تطالب في أن تكون أسباباً تعاونية على الأقلّ في كل عمل للحائك.

سقراط ف: الأكثر حقيقة.

الغريب: حسناً، إفترض أنّنا نحدّد فن الحياكة عندئذ، أو بالأحرى ذلك الجزء منها الذي كنا قد اخترناه ليكون أعظم وأنبل الفنون التي تختص بالأثواب الصوفيّة - هل سنكون محقّين في ذلك؟ أليس هذا التعريف، مع أنّه صحيح، محتاجاً للوضوح والتمام؟ إذ، ألا تحتاج كلُّ الفنون الأخرى للخلوّ من الشوائب أولاً؟

سقراط ف: حقاً.

الغريب: الشيء الذي سيلي هو أنْ نفصلها إذن، كي يمكن للمحاورة أن تتقدّم في بأسلوب منتظم؟

سقراط ف: بكلّ تأكيد.

الغريب: دعنا نعتبر، في المقام الأوّل، أنّ هناك نوعين للفنون داخلين في كل شيء نفعل.

سقراط ف: ما هما؟

الغريب: النوع الأول هو (المشروط أو) التعاوني، والآخر السبب الأول للإنتاج.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: الفنون التي لا تصنع الشيء الحقيقي، بل التي تهيّىء الآلات الضرُوريّة للتصنيع، التي بدونها لا تستطيع الفنون المتعدّدة أن تتم عملها المحدّد، الفنون هذه هي فنون تعاونية؛ لكن تلك التي تصنع الأشياء عينها هي عرضية.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: يمكن افتراض فنون الغسل والرّتق، والفنون التمهيديّة الأخرى التي تخص الصنف العرضَي، يمكن افتراضها أنّها تأتي تحت تقسيم واحد لفن الزخرفة الكبير؛ قسمة يمكن أن تُسمّى ككلّ، فن القصّار.

سقراط ف: جيّد جداً.

الغريب: تالياً، إن تسريح الصوف وغزل الخيطان وكل أجزاء العمليّة المختصّة بالصناعة الحقيقية للثوب الصوفي تشكل فنّاً مفرداً. وهذا الفن هو واحد من تلك الفنون المعترف بها عالمياً، ـ إنه فنّ عمل الصوف.

سقراط ف: لتكن متأكّداً.

الغريب: هناك قسمان للعمل في الصوف، مرّة ثانية، وكلاهما جزآن لفنين في الحال.

سقراط ف: كيف يكون ذلك؟

الغريب: يمكن أن يكون تسريح الصوف ونصف استعمال المشط، والعمليات الأخرى للعمل بالصوف التي تفصل المركّب، يمكن أن تكون مصنفة كأنّها

تخصّ كُلاً من العمل بالصوف، وأيضاً إلى واحد من الفنّين الكبيرين اللّذين هما ذوا استعمال عالمي ـ فنّ التركيب وفنّ التقسيم.

سقراط ف: نعم.

الغريب: يخصّ للعمل الأخير تسريح الصوف والعمليّات الأخرى التي تكلّمت عنها لتوّي الآن؛ إنّ فناً حسن التمييز أو التقسيم في الصوف والغزل، يُنجَزُ بالمشط بطريقة ما، وبالأيدي بأخرى، إنّ هذا الفن يوصف بأشكالٍ متعدّدة تحت كل الأسماء التي ذكرتها الآن لتوّي.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: دعنا نأخذ مرة ثانية عمليّةً ما للعمل بالصوف تكون قسماً من فنّ التركيب أيضاً، ويخلق إقصاء مبادىء علم التقسيم التي وجدناها هناك، يخلق نصفين، الأول على قاعدة التركيب، والآخر على قاعدة التقسيم.

سقراط ف: دع ذلك أنْ يكون مفعولاً.

الغريب: ومرة ثانية، يا سقراط، يجب أن نقسّم الجزء الذي يخص في الحال عمل الصوف والتركيب كليهما، إذا ما كنا لنكتشف أبداً فنّ الحياكة السابق ذكره بشكل مقنع.

سقراط ف: يجب أن نقوم بذلك.

الغريب: نعم، بالتأكيد، دعنا نسمّي جزءاً واحداً من الفن فنّ جَدْل الخيطان، والفنّ الآخر تجميعها.

سقراط ف: هل أفهمك، عندما تتكلم عن الجَدْل، إنّك تشير إلى صناعة سَداة النسيج؟

الغريب: نعم، وعن لُحمة النّسيج أيضاً؛ كيف تُصنع لُحمة النسيج إنْ لم تُصنع بالجَدْل؟

سقراط ف: أليس هناك من طريقة أخرى.

الغريب: إفترض إذن أنّك ستُعرِّف سَداة النسيج ولُحمته، لأنّني أعتقد أنّ التعريف سيكون ذا فائدة لك.

سقراط ف: كيف سأعرّفهما؟

الغريب: هكذا: يُقال إنّ قطعة الصوف المسرَّح التي تُسحب بالطول وبالعرض، يقال إنّها مشدودة.

سقراط ف: نعم.

الغريب: والصوف المجهّز هكذا، عندما يُجدَل بالمغزل، ويُصنع في خيوط متينة يُسمى سَداة النسيج، ويسمّى الفنّ الذي ينظّم هذه العمليّات فنّ غزل سَداة النسيج.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: وتدعى الخيوط التي تُغزل بغير إحكام، ولها نعومة متناسبة إلى النسيج المتداخل للسَداة وإلى درجة القوة المستعملة في ارتداء الأثواب ـ تدعى هذه الخيوط اللُحمة، ويمكن أن يُسمّى الفنّ الذي يُوضع فوقها فنّ غزل اللُحمة.

سقراط ف: حقيقي جداً.

الغريب: وبعدُ، لا يمكن أن يوجد أيّ خطأ بشأن طبيعة جزء الحياكة الذي تعهدنا تحديده. إذ عندما يشكّل ذلك الجزء لفنّ التركيب الذي يُوظَّف في عمل الصوف، عندما يشكّل شبكة بالنسيج المنتظم المتداخل لسداة النسيج ولحمته، فإنّ المادّة المحاكة ندعوها كلها ثوباً صوفياً، والفنّ الذي يتوّج هذا هو فن الحياكة.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: لكن لماذا لم نقل حالاً إنّ فن الحياكة هو فنّ شبك سَداة النسيج ولحمته، بدلاً من خلق دورة طويلة وعديمة الجدوى؟

سقراط ف: فكرت، أيّها الغريب، أنه لم يوجد أيّ شيء عديم النفع فيما قيل.

الغريب: محتمل جداً، لكن لربّما لا تفكّروا هكذا دائماً، يا صديقي الحبيب؛ وفي حالة أنّه سينشأ أيّ شعور من عدم الرّضا في عقلك من الآن فصاعداً، كما يمكن ذلك حقاً، دعني أؤكّد مبدأ سيُطبّق على المحاورات بشكل عامّ.

سقراط ف: تقدّم.

الغريب: دعنا نبدأ بتأمّل مجمل الطبيعة للإفراط والنقص، وستكون لدينا أرضيّة عقليّة عندئذ يمكننا عليها أنْ نثني أو نلوم التطويل الكثير جداً أو القِصَر الكثير جداً في أبحاث من هذا النوع.

سقراط ف: دعنا نفعل ذلك.

الغريب: النقاط الرئيسيّة التي أعتقد أنّنا يجب أن نتناولها هي التالية ـ

سقراط ف: ماذا؟

الغريب: التطويل والقِصَر، الإفراط والنّقص. إنّ فنّ القياس هو على علم بكلّ هذه الأشياء.

سقراط ف: نعم.

الغريب: ويجب أن يكون فنّ القياس مقسّماً إلى جزأين اثنين، بالنظر إلى غايتنا الحاضرة.

سقراط ف: أين ستصنع التقسيم؟

الغريب: هكذا: إنّني سأصنع جزأين، واحداً لديه اهتمام إلى النسبة للكبير والصغير لِبعضهما بعضاً؛ وآخر، سيكون وجوده مستحيلاً بدون وجود الإنتاج.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: ألا تعتقد أنّه سيكون طبيعياً للأكبر فقط أن يُسمّى أكبر فيما يتعلق بالأصغر وحده، والأصغر أصغر فيما يتعلق بالأكبر وحده؟

سقراط ف: نعم.

الغريب: حسناً، لكن ألا يوجد شيء ما أيضاً سابقاً ومسبوقاً بقاعدة الوسط، في الكلام وفي العمل كليهما، أوليست هذه حقيقة، وهي العلامة الرئيسيّة للفرق بين الرجال الأخيار والأشرار؟

سقراط ف: يظهر أنّه كذلك؟

الغريب: يجب علينا أن نفترض حينئذ أنّ الكبير والصغير يوجدان وهما مميزان في هاتين الطريقتين كلتيهما، وليسا نسبيين لبعضهما بعضاً كما قلنا سابقاً، بل يجب أن تكون هناك مقارنة أخرى لهما بالقياس الوسط أو المثاليّ؛ هل تريد أن تسمع ما هو السبب؟

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: إذا افترضنا أنّ الأكبر موجود بالنسبة إلى الأصغر فقط، فلن يكون هناك أيّة مقارنة لكليهما مع الوسط أبداً.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: أوَلن يكون هذا التعليمُ الخرابَ لكلّ الفنون ولإبداعاتها؟ ألنْ يكون فنّ رجل الدولة وفن الحياكة المنوّه عنهما سابقاً متوازيين؟ لأنّ كل تلك الفنون تقف بالمرصاد ضدّ الإسراف والنقص، ليس كأباطيل، بل كشرورٍ حقيقيّة، تسبب صعوبة في العمل؛ ويكون إمتياز أو جمال كلّ عمل للفن نتيجة لهذه المراقبة للقياس.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: لكن إذا توارى فنّ رجل الدولة، سيكون البحث عن الفنّ الملكيّ مستحيلاً.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: حسناً، إذن، كما في حالة السوفسطائي لقد استنتجنا أنّ اللّاوجود يمتلك بقاء، لأنّ النقطة الرئيسيّة التي أفلتت المحاورة فيها من قبضتنا كانت هنا، هكذا في هذه يجب أن نجبر الأكبر والأصغر ليُقاسا، ليس ضد بعضهما بعضاً فقط، بل فيما يختص بأثر الوسط أيضاً؛ لأنّه إذا لم يُعترف بهذا، فلا رجل الدولة ولا أيّ إنسانٍ فعّال آخر يستطيع أن يكون سيّداً لفنّه بدون منازع.

سقراط ف: نعم، يجب أن نفعل مرّة ثانية ما فعلناه حينها بالتأكيد.

الغريب: لكنّ هذا، يا سقراط، عملٌ أعظم من العمل الآخر، الذي نتذكر تطويله أكثر من اللّزوم أيضاً. أعتقد أنَّ بإمكاننا أن نفترض شيئاً ما من هذا النوع بشكل عادل، على كل حال.

سقراط ف: ماذا؟

الغريب: إنّنا سنحتاج هذه الفكرة للوسط يوماً ما بقصد إيضاح الحقيقة الدقيقة، في حين أنّ بقاء الفنون بالتحديد يجب فهمه على أنّه يعتمد على إمكانيّة القياس تقريباً، ليس مع بعضها بعضاً فقط، بل بالنظر إلى إدراك الوسط أيضاً. يبدو ذلك أنّه يقدم دعماً كبيراً وبرهاناً مقنعاً للمبدأ الذي نؤكده؛ إذ لو كانت هناك فنون، فهناك إذن معيار وقياس، وإذا وُجد معيار للقياس، فهناك فنون؛ لكنْ إذا كان الإثنان معدومين، فلا وجود لأيٍّ منهما.

سقراط ف: حقاً؛ وما هي الخطوة القادمة؟

الغريب: الخُطوة القادمة هي أن نقسّم فنّ القياس إلى جزأين اثنين بوضوح، كما كنا قد قلنا سابقاً، وأن نضع في أحد الجزأين كل الفنون التي تقيس العدد، الطول، العمق، العرض، السرعة مع مضادّاتها؛ وأن يكون لدينا جزء آخر تقاس به هذه مع الوسط، والمناسب، والملائم، والمستحق، ومع كل تلك الكلمات التي تدل على الوسط أو المعيار مُبعداً من النقيضين، باختصار.

سقراط ف: هناك قسمتان واسعتان تتضمنان حيّزين مختلفين جداً.

الغريب: ثمّةَ رجال عديدون بارعون، يا سقراط، يقولون إنّ فنّ القياس فنٌّ عالمي، معتقدين أنهم يتكلّمون بحكمة، وأنّه يتعلق بكل الأشياء التي تأتي إلى الوجود، وهذا يعني ما نقوله نحن الآن؛ لأنّ كل الأشياء التي تدخل ضمن نطاق الفن تشترك بالقياس في معنى ما. غير أنّ هؤلاء الأشخاص، لأنّهم غير معتادين على أن يميّزوا الأنواع طبقاً للأشكال الحقيقيّة، يخلطون معاً

شيئين متباينين إلى حد بعيد، شيئين قريبين لبعضهما بعضاً وللمعيار، ظنّاً منهم أنّهما الشيء عينه، ويقعون في خطأ مضادّ بقسمة الأشياء الأخرى ليس طبقاً لأجزائها الحقيقيّة. في حين أنّ الطريقة الصحيحة هي، أنّه إذا رأى الإنسان الطبيعة العامة للأشياء بادىء ذي بدء، فعليه أن يستمرّ بالتساؤل وأن لا يكفّ عن ذلك ما لم يجد كلّ الفروقات التي تشكلّ أصنافاً مميزة محتواة فيها؛ ولا يجب أن يكون قادراً أن يرتاح مرّة ثانية مطمئناً بالمتنوعات المتشعّبة التي تُرى في أشياء لا تُعدُّ ولا تُحصى حتى يدرك أنّها تمتلك كلها أيّة صلة وثيقة داخل حدود التشابه الواحد وأن يحتويها داخل الحقيقة للنوع الفرد. لكننا قد قلنا كفاية عن هذا المقال، وعن الإسراف والنقص أيضاً؛ يجب أن ندرك ونعي فقط أنّ التقسيمين الإثنين لفنّ القياس اللذين يختصان به قد اكتُشِفا، ويجب ألاّ ننسى ماهيتهما.

سقراط ف: نحن لن ننسى.

الغريب: وبعد بما أنّ هذه المحادثة قد اكتملت، دعنا نستمر لنعتبر سؤالاً آخر، لا يهمّ هذه المحاورة فقط بل يهمّ سلوك محاورات كهذه بشكل عامّ؟

سقراط ف: ما هو السؤال الجديد؟

الغريب: خذ حالة الطفل المشغول بتعلم الأبجديّة؛ عندما يُسأل أيّة حروف تخلق كلمة، هل علينا أن نقول إنّ ذلك السؤال يقصد منه أن يُحسِّن معرفته النحويّة لتلك الكلمة المحدَّدة، أو لكلّ الكلمات؟

سقراط ف: كي يتمكن من معرفةٍ أفضل لكلّ الكلمات، بوضوح.

الغريب: وما هو غرض هذا التحقيق عن رجل الدولة؟ أيُقصدُ منه أن يُحسِّن معرفتنا عن علم السياسات فقط، أو أن يُحسِّن طاقتنا للتعقّل بشكل عام؟

سقراط ف: إنّ الهدف هو هدف عام، كما في المثل السابق، بوضوح.

الغريب: أيّ إنسان عقلاني يحاول تحليل فكرة فنّ الحياكة أقلّ من أجلها بشكل خاصّ، لكنّ الشعب يبدو أنّه ينسى أنّ بعض الأشياء تمتلك صوراً محسوسة

بالطبيعة، تُعرف بيسر، يمكن الدلالة عليها عندما يرغب أيٌّ شخص أن يجيب على تساؤل يخصها بدون أيّ إزعاج أو حوار، مع أنّ الأشياء الأعظم والأكثر نفاسة الموجودة ولكن ليس لديها أيّة صورة ظاهريّة مصمّمة لتعليم الإنسان بوضوح، التي يمكن لواحد أن يجعلها سهلة للنظر أو لحاسة ما أخرى، وتهب هكذا رِضاً تاماً لعقل المحقّق. ولذلك يجب أن ندرب أنفسنا لنمنح ونقبل حساباً عقليّاً عن كلّ شيء؛ لأنّ الأشياء اللاماديّة، التي هي الأنبل والأعظم، تُرى بالفكر فقط، وليس في أيّة طريقة أخرى، وكلّ الذي نقوله نحن الآن فإنّما يُقال لأجلها. إضافة إلى ذلك، هناك صعوبة أقلّ دائماً إذا ابتدأ شخص بالمران عليها على نطاق أقلّ.

سقراط ف: جيّد جداً.

الغريب: دعنا نتذكر كل هذا.

سقراط ف: ما هو؟

الغريب: أريد أنْ أتخلّص من أيِّ انطباع مملٍّ يمكن أنّنا قد اختبرناه في الفحص الطويل عن فنّ الحياكة، وقصة تغيير العالم إلى الاتجاه المضاد، وفي البحث فيما يخص السوفسطائي والوجود واللاوجود. أعرف أنّها كلّها قد بدت أكثر تطويلاً من اللزوم، وأنّني لمست هذا بنفسي، وأخاف ألاّ تكون مملّة فقط بل غير متصلة بالموضوع، وكل ما قد قلته الآن مُصمَّمٌ ليمنع التّكرار لغير ملاءمات كهذه مستقبلاً.

سقراط ف: جيداً جداً. هل ستتقدّم؟

الغريب: سأحب أن نراقب، أنت وأنا إذن، متذكرين ما قد قلناه، من أنّنا يجب أن نثني أو نلوم طول أو قصر التحقيقات، ليس بمقارنة أحدها بالآخر، بل بما هو مناسب، وأن يكون لدينا اعتبار لذلك الجزء من فنّ القياس، الذي كما قلنا، كان ليولد في العقل.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: ومع ذلك، فليس كل شيء يحتكم حتى بالنظر إلى ما هو مناسب؛ وسنريد هكذا إسهاباً، إذا ما أردناه مطلقاً، سنريده كمسألة ثانوية فقط، وإذا كان مناسباً أن يمنحنا البهجة، ويخبرنا العقل أن لا نكون راضين كهدف أوّل لنا خلق السهولة أو السرعة في التحقيق، بل كهدفٍ ثانٍ؛ أمّا الأوّل والأسمى من كل وجود فهو أن نؤكد الطريقة العظيمة للقسمة طبقاً الأجناس، لا يجب أن يؤخذ بأيّة إساءة في الإسهاب الكبير للبحث، إذا كان عليه أن يشحذ ذكاء المستمعين. يجب التصديق على هذا إذا تمّ فعله، وأن يكون مَقضياً به على نحو مماثل. سيقول العقل أيضاً لمن ينتقد تطويل الأبحاث في مناسبات كهذه، ولا يقدر أن يتحمّل إسهابها، سيقول العقل له إنّه لا يجب أن يكون في عجلة من أمره ليسقط الموضوع في حين اشتكى أنّه مُمِلٌّ، بل عليه أن يفعل أفضل ما عنده ليبرهن أن الأبحاث إذا كانت أقصر ستجعل أولئك الذين أخذوا جزءاً فيها علماء جدل بشكلٍ أفضل، وأكثر قدرة للتعبير عن حقائق الأشياء؛ إنّه لا يحتاج لأن يتعب نفسه بشأن أيّ ثناء أو لوم بمقياس آخر ـ عليه أن يتظاهر أنّه لا يسمع ذلك. غير أنّنا قد حزْنا كفاية عن هذا، كما ستقف معي في التفكير على الأرجح. دعنا نعود لرجل دولتنا، ونستخدم لحالته مثال الحياكة المذكور آنفاً.

سقراط ف: جيداً جداً؛ ـ دعنا نفعل كما تقول.

الغريب: لقد فُصِلَ فنّ الملك أكثر من الفنون الرفيقة له، وحقاً، عن كل تلك الفنون التي لها علاقة بالقطعان على الإطلاق. لا يزال هناك، على كل حال، من الفنون الطارئة والتعاونية تلك التي تمارَس داخل المدينة، والتي يجب أن تكون مميّزة بعضها عن بعض بادىء ذي بدء.

سقراط ف: جيد جداً.

الغريب: هل تعرف أن هذه الفنون لا يمكن أن تُقسّم بسهولة إلى نصفين اثنين؟

أعتقد أنّ السبب سيكون واضحاً جداً أثناء تقدمنا في البحث.

سقراط ف: إنه لمن الأفضل عمل ذلك إذن.

الغريب: علينا أن نقطّعها كذبيحة إلى أعضاء وأطراف، بما أنّنا لا نستطيع شطرها.(٥) إنّ علينا تقسيم كل شيء إلى أجزاء قليلة قدر المستطاع بدون ريب.

سقراط ف: ما الذي يجب فعله في هذه الحالة؟

الغريب: ما فعلناه في مثال الحياكة ـ كل تلك الفنون التي تجهّز الآلات اعتبرناها فنوناً تعاونية.

سقراط ف: نعم.

الغريب: هكذا الآن، وبوجود سبب أكثر، ربّما يمكن اعتبار كل تلك الفنون التي تصنع أية أداة في الدولة، سواء كبيرة أو صغيرة، ربما يمكن اعتبارها فنوناً تعاونية، إذ بدونها لا الدولة ولا فن إدارتها ستكون ممكنة؛ ومع ذلك فنحن لسنا ميّالين لنقول إنّ أيّاً منها هو نتاج الفن الملكيّ.

سقراط ف: لا، حقاً.

الغريب: إنّ العمل الشاقّ، الذي تعهّدناه، لفصل هذا النوع عن الأنواع الأخرى، ليس عملاً سهلاً؛ إذ هناك معقولية في قول إنّ أيّ شيء في العالم هو الأداة لعمل شيء واحد على الأقلّ. لكن هناك نوعاً آخر للتملّك في المدينة، لديَّ كلمة لأقولها عنه.

سقراط ف: إلامَ تشير، أيَّ نوع تعنيه؟

الغريب: النوع الذي يمكن وصفه أنه لا يمتلك هذه القوة؛ ذلك ليُقال، ليس مثل الأداة التي ابتكرت لتكون سبب الإنتاج، بل أُعِدَّت لحفظ ذلك الذي تم إنتاجه.

سقراط ف: إلامَ تشير؟

الغريب: إلى صنف الأوعية، كما تسمّى بشكل شامل، التي رُكّبت لحفظ الأشياء السائلة والجافة، للأشياء المُعدّة في النار أو خارجها. إن هذا النوع واسعٌ جدّاً، وإذا لم أكن مخطئاً، ليس لديه أيّ شأن بالفن الملكيّ حرفيّاً، ذلك الفنّ الذي نبحث عنه.

سقراط ف: لا بالتأكيد.

الغريب: هناك نوع ثالث للتملّكات يجب تدوينه أيضاً، إنّه متباينٌ عن هذه الأنواع ومتسعٌ جداً، متحرك أو ساكن على اليابسة أو الماء، شريف وخسيس أيضاً. كل هذا النوع له إسم واحد، وقُصِدَ به ليوضع فوقه، كونه مرتكَزاً لشيء ما على الدوام.

سقراط ف: ما هو؟

الغريب: إنّه العربة، التي ليست عمل رجل الدولة بالضبط، بل عمل النجار، الخزفي، والنحّاس.

سقراط ف: إنّني أفهم.

الغريب: أليس هناك نوع رابع يكون متبايناً مرّة ثانية، تُحتوى فيه أكثر الأشياء المذكورة سابقاً - كلّ نوع من الملابس، أكثر أنواع الأسلحة، الحيطان والأسوار، التي من التراب أو الأحجار، وعشرة آلاف الأشياء الأخرى؟ يمكن أن يُدعى النّوع كله دفاعات بحقّ، كونها مصنوعة لغرض الدفاع، وتُعتبر كعمل البنّاء أو الحائك في أغلب الأحوال، بدلاً من عمل رجل الدولة.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: هل سنضيف نوعاً خامساً، للزينة والرسم، وللتقليدات المُنتجة بالرسم والموسيقى، التي صمّمت للتسلية فقط، ويمكن شمولها تحت إسم واحد بعدل؟

سقراط ف: ما هو؟

الغريب: إن اسمه لعبة.

سقراط ف: بدون ريب.

الغريب: يمكن لذلك الإسم الواحد أن يُعلن من جميعها بشكل مناسب، إذ لا شيء من هذه الأشياء لديه هدف جدي ـ التسلية هي هدفها الفريد.

سقراط ف: إنّني لا أفهم ذلك مرّة ثانية.

الغريب: هناك نوع يقدم المواد لكلّ هذه الأنواع إذن، نوع منه وفيه تؤلّف الفنون المذكورة آنفاً عملها؛ ـ أقول، إنّ هذا النوع المتشعّب، الذي هو الإبداع والذّرية لفنون أخرى متعددة، ألا يمكنني أن أرتّبه كنوع سادس؟

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: إنّني أشير إلى الذهب، الفضة، والمعادن الأخرى التي تُعدّن، ويقدّم كل قطع الأخشاب ذلك والقص من كل نوع، يقدّم لفنون النجارة والتصفيح، وهناك عملية التقشير ونزع لحاء النبات، وفنّ منظّف الجلود الذي ينزع جلود الحيوانات، وفنون أخرى مشابهة، كالتي تصنع الفلّين، والبَرديُّ، والحبال وتقدم لصناعة الأجناس المركبّة من الأنواع البسيطة ـ يمكن أن يسمى الصنف كله مُلكيةً (أو اقتناء) بدائياً وبسيطاً للإنسان، وبهذا الصنف ليس لدى العلم الملكيّ أيّ اهتمام على الإطلاق.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: إن إعداد الطعام، ذلك لنقول عن كل الأشياء، التي بخلط جزيئاتها مع جزيئات الجسم الإنساني لديها القوة لتزوّد احتياجات ذلك الجسم. إعداد الطعام هذا سيشكل نوعاً سابعاً، يمكن أن يُسمّى بالتعبير العام للتغذية، إلاّ إذا كان لديك إسم آخر كي تقدمه. يختص هذا النوع بالمزارع بشكل أدق، على كلّ حال، بالصيّاد، المدرِّب، الطبيب، الطاهي، ولا يختص بفن رجل الدولة.

سقراط ف: لا بالتأكيد.

الغريب: تشمل هذه الأنواع السبعة كل وصف للمُلكية تقريباً، ما عدا الحيوانات الأليفة، تأمل ملياً؛ ـ وُجدت المادة الأصليّة التي يمكن أنّها قد وُضِعت بعدل بادىء ذي بدء؛ ثم تأتي بعد ذلك الأدوات، الأوعية، العربات، الدفاعات، أشياء اللعب، التغذية. الأشياء الصغيرة، التي يمكن اشتمالها تحت واحدة من هذه الأنواع ـ كمثال، العملات المعدنية، الأختام والأدغام ـ فهي مسقطة، لأنها لا تمتلك فيها صفة أيِّ نوع أوسع يشملها، لكن يمكن لبعضها أن يُوضع بين الحلى، بقوة بسيطة، ويمكن لأخرى أن تُجعل متناسقة مع صنف الأدوات. سيوجد فن تربية القطعان، الذي قد قُسّم إلى جزأين اثنين، إنّه قد تضمّن كل خاصيّة في الحيوانات الأليفة، ما عدا العبيد.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: يبقى نوع العبيد والوزراء فقط، وأشتبه أنّ في هذا يكمن التوّاقون الحقيقيون لتسنم العرش، الذين هم منافسو الملك في تشكيل النسيج السياسي، وسيُكتشف هذا النوع؛ تماماً كما كان الغزّالون، مسّرحو الصوف، وبقيتهم منافسون للحائك. إنّ كل الآخرين الذين سُمُّوا تعاونيين، قد أُزيلوا من بين كل المهن المذكورة سابقاً، وفُصِلوا من النشاط الملكي والسياسي.

سقراط ف: إنّني أوافق.

الغريب: دعنا نقترب قليلاً، كي يمكننا أن نتأكّد أكثر من طبيعة هذا الصّنف الباقي.

سقراط ف: دعنا نفعل ذلك.

الغريب: سنجد من وجهة نظرنا الحاضرة أنّ أكثر الخدم تواضعاً هم في وضع اجتماعي معيّن منشغلون في هواية، عكس ما توقعناه منهم.

سقراط ف: ماذا يكونون؟

الغريب: إنهم أولئك الذين قد تمّ شراؤهم، وأصبحوا ممتلكات. هؤلاء سيسمّون عبيداً بدون شك، ولن يستحقوا العلم الملكيّ بكل تأكيد.

سقراط ف: لا بالتأكيد.

الغريب: مرّة ثانية، الرجال الأحرار الذين يصبحون خدماً للطبقات الأخرى في الدولة دونما إكراه، والذين يتبادلون ويساوون المنتوجات الزراعية والفنون الأخرى، بعضهم جالس في السوق العامة، يذهب الآخر من مدينة إلى مدينة برّاً أو بحراً، ويشترون بالمال مالاً أو منتوجات أخرى ـ الصرّاف، التاجر، مالك الباخرة، التاجر بالتجزئة، لن يكون لهم حق المطالبة في إدارة الدولة أو السياسات.

سقراط ف: لا، ما لم تكن السياسات التجارية حقاً.

الغريب: لكنّ الرجال الذين نراهم مشتغلين كأجراء وعبيد للأرض، وسعداء جداً لأن يديروا أيديهم لأيّ شيء، فلن يُدعَوْا للمشاركة في الفنّ الملكيّ بكل تأكيد.

سقراط ف: لا بالتأكيد.

الغريب: وماذا ستقول عن بعض رسميين آخرين مفيدين؟

سقراط ف: من هم، وأيّة خدمات يؤدون؟

الغريب: ثمّةَ الأجراء، وكتّاب الرسائل المحترفون المكملون بالتدريب، والغطّاسون؛ أمّا الآخرون الذين يمتلكون براعة كبرى في أنواع العمل المختلفة المتصلة بحكومة الدول ـ فماذا سنسمّيهم؟

سقراط ف: إنّهم الرسميون، وخدم الحكّام، كما سميتهم لتوّك الآن، لكنهم ليسوا حكّام أنفسهم.

الغريب: يمكن أن يكون هناك شيء غريب في أي خادم متظاهر أنّه يكون حاكماً، ولا أعتقد مع ذلك أنني قد كنت حالماً عندما تخيّلت أن المطالبين الجوهريين بالعلم السياسي سيوجدون في مكان ما في هذا الجوار.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: حسناً، دعنا نقترب، ونجرّب مطالب البعض الذين لم يُمنحوا حتى الآن؛ هناك الإلٰهيون، في المقام الأوّل، الذين يمتلكون حصةً من العلم الرِقّي أو الوزاري، بما أنّهم يُعتبرون مفسري الآلهة إلى الرجال.

سقراط ف: صدقاً.

الغريب: هناك طبقة الكهنة أيضاً، الذين يعرفون، كما يعلنهم القانون، كيف يمنحون الآلهة الهبات التي تأتي من الرجال والتي يقبلونها بشكل تضحيات، وأن يسألوهم منح البركات نيابة عنّا بالمقابل. وبعد فهاتان كلاهما فرعان لفنّ الرّق أو الوزاري.

سقراط ف: نعم، بوضوح.

الغريب: وأعتقد أنّنا نبدو هنا بأننا سائرين على الطريق الصحيح؛ لأنّ الكاهن والإلٰهي هما بارزان في الفخر والامتياز، ويخلقان انطباعاً بغيضاً عن نفسيهما بأهميّة مشاريعهما؛ ففي مصر، ليس مسموحاً للملك نفسه أن يحكم، ما لم يكن لديه قوى كهنوتيّة، وإذا ما كان من طبقة أخرى وأقحم نفسه في الدّاخل، فيجب أن يُسجَّل في رجال الكهنوت، في أجزاء عديدة من هيلاس، إنّ واجب تقديم الضحايا الدينيّة الأكثر استرحاماً مخصَّص لأعلى القضاة، ولديك مثال ملفت للنظر هنا، في أثينا، لأنّ أكثر التضحيات الدينيّة والوطنيّة للغابرين يقال إنّ الذي قد إختير بالأكثرية هو الذي احتفل بها وإنّه الملك آرخون.

سقراط ف: بالضبط.

الغريب: لكن من هم هؤلاء الملوك والكهنة الآخرون المنتجون بالأكثرية الذين يأتون الآن إلى المشهد، متبوعين بخدمهم وبحشد خاصّ ضخم، بينما تختفي الطبقة السابقة ويتغيّر المشهد؟

سقراط ف: أيّهم تعني؟

الغريب: إنهم ملاّحون غرباء.

سقراط ف: لماذا غرباء؟

الغريب: إعتقدت لدقيقة مضت أنّهم كانوا حيوانات من كل قبيلة؛ لأنّ العديد منهم يشبه الأسود والحيوانات الخرافيّة، والعديد أكثر شبهاً بشخص خرافيّ نصفه الأعلى بشر والأسفل ماعز وبمخلوقات ضعيفةٍ ومراوغة كهذه، ـ أشكال متقلبة متغيرة إلى هيئات وطبائع بعضهم بعضاً بسرعة. وبعدُ، يا سقراط، إنّني بدأت أرى من هم.

سقراط ف: من هم؟ يبدو أنك تحدِّق في رؤيا غريبة ما.

الغريب: نعم؛ يظهر كل شيء غريباً عندما لا تعرفه؛ ولقد أوقعت نفسي لتوّي في هذا الخطأ الآن ـ إنني لم أتعرف على السياسيّ وفرقته، من النظرة الأولى، بما أنّني أقبلت عليه فجأة.

سقراط ف: من هو؟

الغريب: زعيم السوفسطائيين وأكثر السّحرة إنجازاً، الذي يجب أن يُفصل عن الملك الحقيقي أو رجل الدولة، مهما كان ذلك صعباً، إذا كان علينا أن نبصر أبداً ضوء النهار في تحقيقنا الحاضر.

سقراط ف: إنّ ذلك أملٌ ليس بالسهل التخلي عنه.

الغريب: أبداً، إذا ما استطعت مساعدته؛ ودعني أوّلاً أسألك سؤالاً.

سقراط ف: ماذا؟

الغريب: أليست الملكيّة شكلاً للحكومة معترفاً به؟

سقراط ف: نعم.

الغريب: وبعد الملكيّة، يجب أن يرتّب الشخص في نظام حكومة الأقلية، التي تلي.

سقراط ف: طبعاً.

الغريب: أليس الشكل الثالث للحكومة حُكْمَ الأكثرية، الذي يدعى باسم الديموقراطيّة؟

سقراط ف: بدون ريب.

الغريب: أوَلا تتحدَّد هذه الأشكال الثلاثة في النهج إلى خمسة، محدثة إسمين آخرين خارج أنفسها؟

سقراط ف: ماذا يكونان؟

الغريب: هناك مقياس للاختياري والإجباري، للفقر والغنى، للقانون وغياب القانون، الذي يطبقه الرجال إلى يومنا هذا. إنّهم يقسمون الإثنين الأوَّلين إلى أجزاء صغيرة وفقاً لذلك، وينسبون شكلين، وإسمين متماثلين إلى الملكيَّة، وهما الملكيَّة والاستبداديَّة.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: وتُرتِّب أيّة مدينة انتقلت إلى سيطرة الأقلّيّة كأرستقراطية أو كأوليغاركية.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: الديموقراطية وحدها، سواء أكانت تراقب القوانين بصرامة أوْ لا، وسواء أسيطرت الأكثرية على الرجال ذوي الملكيَّة بموافقتهم أو ضد موافقتهم، الديموقراطية هذه، تمتلك الإسم عينه في اللغة العاديَّة.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: لكن هل تفترض أنّ أيّ شكل للحكومة يُحدَّد بتلك الصفات للواحد، الأقليَّة، أو الأكثرية، الفقر أو الغنى، الخضوع الاختياري أو الإجباري، القانون المكتوب أو غياب القانون، هل تفترض أنّه يستطيع أن يكون شكلاً صحيحاً.

سقراط ف: حقاً، ما الذي يمنعه من ذلك؟

الغريب: تأمّل مليّاً، واتبعني.

سقراط ف: في أيّ اتجاه؟

الغريب: هل سنلتزم بما قلناه في البداية، أو أنّنا سنسحب كلماتنا؟

سقراط ف: إلامَ تشير؟

الغريب: نحن قلنا إنّ القوّة الملكية علمٌ، إذا لم أكن مخطئاً.

سقراط ف: نعم.

الغريب: وعلمٌ من نوع غير مألوف، اختير من بين العلوم الباقية كأن لديه صفة تكون في الحال قضائيّة وذات سلطة.

سقراط ف: نعم.

الغريب: ومن علم ذي سلطة كهذه، كان نوع واحد مختص بالأشياء الميتة وآخر بالحيوانات الحيّة؛ وتقدمنا من ثمّ في التقسيم خطوة خطوةً صعوداً إلى هذه النقطة، غير مضيعين مثال العلم، بل غير قادرين، حتى الآن، أن نقرّر طبيعة العلم الخاص؟

سقراط ف: حقاً.

الغريب: من هنا فنحن مساقون لكي نلاحظ أنّ المبدأ المميّز للدولة، لا يمكن أن يكون الأقليّة أو الأكثرية، الاختياري أو الإجباري، الفقر أو الغنى؛ بل فكرةً ما للعلم يجب أن تدخل فيه، إذا ما كان علينا الانسجامُ مع ما تقدّم.

سقراط ف: وعلينا أن نكون منسجمين مع ذلك.

الغريب: حسناً إذن، يجب أن يكون سؤالنا التالي بالضرورة، في أيٍّ من تلك الأشكال المتنوعة للدول يمكن لعلم الحكومة، الذي هو أعظم العلوم كلّها وأصعبُها اكتساباً، يمكن أن يُفترض إقامته؟ ذلك يجب أن نكتشف، وسنرى حينها من هم السياسيون المزيفون الذي يتظاهرون أنّهم سياسيون لكنهم ليسوا كذلك، مع أنهم يقنعون العديدين، وسيفصلونهم عن الملك الحكيم.

سقراط ف: سيكون ذلك واجبنا، كما صرّحت المحاورة.

الغريب: هل تعتقد أنّ الكثرة في الدولة تستطيع أن تنال العلوم السياسية؟

سقراط ف: مستحيل.

الغريب: لكن، لربما، في مدينة مؤلّفة من ألف رجل، سيوجد مئة، أو قل خمسين، يستطيعون؟

سقراط ف: ستكون العلوم السياسيّة في تلك الحالة أسهل العلوم كلّها؛ إنّه لا يمكن أن يوجد في مدينة بهذا العدد عدد من لاعبي الداما من الطراز الأوّل، إذا حكمنا بالمستوى لباقي هيلاس، ولن يوجد عدد بالتأكيد من الملوك مثل ذلك، لأنّنا يمكن أن نسمّي ملوكاً بحقٍّ أولئك الذين يمتلكون علماً ملكيّاً بدون ريب، سواء أحكموا أم لا، كما تبيّن في المحاورة السابقة.

الغريب: شكراً لك لتذكيري؛ والعاقبة هي أنّ أيّ شكل للحكومة يمكن افتراضه أنّه حكومة الواحد، الإثنين، أو على أيّة حال، الأقليّة فقط.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: وهؤلاء، سواء أكانوا يحكمون بإرادة، أو ضد إرادة رعاياهم، بقوانين مكتوبة أو بقوانين غير مكتوبة، وسواء أكانوا فقراء أو أغنياء، ومهما كانت طبيعة حكمهم، يمكن افتراض أنهم يحكمون طبقاً لمبدأ علمي ما، حسب رؤيانا الحاضرة؛ تماماً كما يشفينا الطبيب، سواء أردنا أم لم نُرِدْ، ومهما تكن طريق معالجته: البتر، الكيّ، أو إنزال أيّ ألم آخر بالمريض؛ سواء أكان يمارسه خارج كتاب أو من كتاب، وسواء أكان غنياً أو فقيراً، سواء أكان يطهّر أو يقلل الألم بطريقة أخرى ما، أو حتى إذا سمّن مرضاه، إذا كان ذلك ضرورياً لخير أجسادهم، فإنه طبيب بالكليّة، ما دام يمارس سلطة عليهم طبقاً لقاعدة القانون، ويُشفي وينقذ في الحقيقة أولئك الذين يخضعون لعلاجه. وهكذا نحن نؤكد أنّ هذا هو الاختبار المناسب الوحيد لفنّ الطبّ، أو لأيّ فنّ آخر ذي أمرٍ ونهي.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: الحكومات التي تماثل هذا إذن، يجب أن تكون وحدها حكومات حقيقية، وتستحق الإسم، التي فيها الحكام الممتلكون علماً بحق، وليسوا مجرد مدّعين، سواء أحكموا طبقاً للقانون أو بدون قانون، فوق رعايا مريدين أو

غير مريدين، أو هم أنفسهم أغنياء أو فقراء ـ لا واحد من هذه الأشياء يمكن أن يكون محسوباً في فكرة الحاكم بأيّة ملاءَمة.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: وسواء بالنظر إلى الخير العامّ، هم يطهّرون المدينة بقتل البعض، أو نفي البعض الآخر؛ سواء هم يُصغّرون حجم متّحد الجزء الأساسي للمدينة بإرسال جماعات من المواطنين خارج الخليّة، أو بإدخال أشخاص من الخارج يُزيدونها؛ بينما يعملون طبقاً لقواعد الحكمة والعدل، ويسعون جهدهم ليحسنوا المدينة ويصونوا صحتها بقدر ما يمتلكون من القوة. فالمدينة التي يحكمونها، يمكن أن توصف بناءً على هذه الأخلاقيات كأنّها الدولة الحقيقيّة الوحيدة. كلّ الحكومات الأخرى، المسمّاة هكذا، ليست حقيقية أو أصليّة، بل هي تقليد لهذه فقط، ويكون بعضها أفضل وبعضها أسوأ. يقال إنّ أفضلها هي المحكومة جيّداً، غير أنّها مجرد تقليدات مثل الحكومات الأخرى.

سقراط ف: أتّفق معك، أيّها الغريب، في القسم الأكبر ممّا تقول؛ لكن لحكمهم بدون قانون، فالتعبير يمتلك صوتاً خشناً.

الغريب: إنّك قد تسرّعت بحكمك عليّ، يا سقراط، كنت سأسأل للتوّ إذا ما كان لديك اعتراض على أيّ من تقاريري، وأرى الآن أنّنا سوف نتأمّل مليّاً هذه الفكرة كونها حكومة صالحة بدون قوانين.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: لا يمكن وجود أيّ شك في أنّ التشريع في شكل ما هو عمل الملك، ومع ذلك فإنّ أفضل شيء منها جميعاً أن لا يتوجّب أن يحكم القانون، بل إن الإنسان المفترض الذي يمتلك قوّةً عقلية مصحوبة بالحكمة يجب أن يحكم، هل ترى لِمَ يجب هذا؟

سقراط ف: لماذا؟

الغريب: لأن القانون لا يدرك بشكل تامّ ما هو الأنبل والأكثر عدلاً للجميع ولذلك لا يستطيع أن يضع الأفضل موضع التنفيذ. إنّ تباين الرجال والأعمال، والاتجاهات غير النظامية التي لا تنتهي للأشياء الإنسانيّة، لا تسمح بأيِّ حكم شاملٍ وبسيط. ولا يقدر أيُّ فنٍّ مهما كان أن يضع قانوناً سيدوم في كل زمن. هل توافق لهذا الحد؟

سقراط ف: إنّني أفعل.

الغريب: لكنّ القانون، وهذا واضح، يكافح دائماً ليضمن هذا الغرض ـ كالمستبد العنيد الجاهل، الذي لن يَدَع أيَّ شيء يُفعل بشكل معاكس لوظيفته، أو أن يسمح بطرح أيّ سؤال ـ حتى في التغييرات المفاجئة للظروف، عندما يحدث أيّ شيء ليكون أفضل مما أمَر به لشخص ما.

سقراط ف: بالتأكيد؛ يعاملنا القانون جميعاً بالطريقة التي تصف بالضبط.

الغريب: إنّ مبدأً بسيطاً بشكل تامّ لا يمكن تطبيقه على حالة الأشياء التي تكون عكس البسيطة.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: إنْ لم يكنْ القا[illegible]ـمال الصحيح إذن، فلماذا نُجْبَرُ نحن على أن نشُنَّ قوانين على الإطلاق؟ علينا أن نبحث في سبب هذا تالياً.

سقراط ف: بدون ريب.

الغريب: دعني أسأل، إذا ما كان في مدينتك تمارين مكثفة، كما هي موجودة في المدن الأخرى، بقصد المباراة في الركض، المصارعة، وما شابه؟

سقراط ف: نعم، إنّها شائعة جداً بيننا.

الغريب: وما هي القواعد التي يفرضونها، على تلاميذهم، المدرّبون المحترفون أو من يشابههم سلطة؟ أتستطيع أن تتذكّر؟

سقراط ف: إلامَ تشير؟

الغريب: الأسياد المدرّبون لا يعتقدون بإمكانية إصدار أحكامٍ آنيةٍ للأشخاص، أو إعطاء أيّ شخص ما يكون ملائماً لقوامه بالضبط؛ إنهم يعتقدون بأنّه يجب عليهم الذهاب أكثر إلى العمل تقريباً، وأن يصفوا الحِمية التي ستفيد الأكثرية بشكل عام.

سقراط ف: حقاً تماماً.

الغريب: ولذلك فهم يخصصون مقداراً متساوياً من التمارين للفرقة كلّها؛ ويرسلونهم معاً لهذا الغرض، ويسمحون لهم أن يرتاحوا من تمارينهم معاً، ومن مصارعتهم، أو مهما يكن شكل التمارين الرياضية المحتملة.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: ولاحظ الآن أنَّ المشرّع الذي سيترأس القطيع، والذي يتوخّى العدل في تعاملهم مع بعضهم بعضاً، لاحظ أنه لن يكون قادراً بالتأكيد على أن يلعب دوراً للخير العام، ويجهّز ما هو مناسب لكل حالة خاصّة بالضبط.

سقراط ف: لا يمكن توقّعُ أنّه يفعل هكذا.

الغريب: إفترض، إنّه سيسنّ قوانين للأكثرية بشكل عامّ على الأصح، والتي تفي حاجات الأشخاص على وجه التقريب، وتتشابه بحالة القوانين التي أطلقها كتابه، وبتلك القوانين غير المكتوبة التي شكّلها من العادات المألوفة للبلاد.

سقراط ف: إنّه سيكون مُحقّاً.

الغريب: نعم، صحيح تماماً؛ إذ كيف يستطيع أن يجلس بجانب كل إنسان خلال حياته كلّها، مقرّراً له خواصّ واجبه الدقيقة؟ من سيكون مساوياً لهكذا عمل شاقّ، يا سقراط؟ لا أحد سيفرض قيوداً على نفسه بتلك التأليفات التي تُلقّب « قوانين »، لا أحد سيفرض ذلك ممّن يمتلك العلم الملكي حقاً، إذا ما كان قادراً أن يفعل هذا.

سقراط ف: سأستنتج هكذا ممّا قد قيل الآن.

الغريب: أو على الأصح، يا صديقي الخيِّر، مما سيُقال.

سقراط ف: وما هو ذلك؟

الغريب: دعنا نأخذَ حالة الطبيب، أو المدرِّب، الذي هو على وشك أن يذهب إلى بلد بعيد، ويُتوقَّعُ أنه سيكون بعيداً عن مرضاه لوقت طويل معتقداً أنّ تعليماته لن تُتذكَّر ما لم تكن مكتوبة، لذلك، سيترك ملاحظات عنها ليستعملها تلاميذه ومرضاه.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: لكن ماذا ستقول، إذا عاد قبل الوقت المحدّد لعودته، وبسبب تغيير غير متوقَّع للرياح أو لتأثيرات فلكية أخرى، حدث شيء آخر يُعتبَرُ أفضل لهم، ـ ألن يغامر هذا العلاج الجديد، مع أنّه لم يتمّ التفكير به في وصفته السابقة؟ هل سيصرُّ على مراقبته الدقيقة للقانون الأساسي، بدون أن يمنح نفسه أيّة أوامر جديدة، ولا أن يتجرأ المريض أن يستعمل طريقة أخرى غير التي وصفها، بحجّة أنّ هذه الطريقة كانت صحيّة وطبيّة فقط، وكل الطرق الأخرى ضارة وابتداعيّة؟ ألا تُظَنُّ كل تشريعات كهذه مضحكة تماماً، إذا كانت مُقترحةً في مجال العلم والفن الحقيقيين؟

سقراط ف: مطلقاً.

الغريب: وإذا قرّر الذي أعطى القوانين، المكتوبة وغير المكتوبة، إذا قرّر ما كان خيِّراً أو شريراً، شريفاً أو دنيئاً، عادلاً أو ظالماً، إلى قبائل الرّجال الذين يتجمعون معاً في مدنهم المتعددة، ويكونون محكومين في تطابق معها؛ أقول، إذا أتى هذا المؤلّف الخبير بالقوانين مرة ثانية بشكل مفاجىء، أو أتى آخر شبيه به، فهل يُمنع هو من تغييرها؟ ألن يكون هذا المنع في الحقيقة مضحكاً تماماً كالآخر؟

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: هل تعرف قولاً مقنعاً لعامّة الشعب يدخل في صميم الموضوع؟

سقراط ف: إنّني لا أتذكّر ما تعنيه في هذه اللحظة.

الغريب: يقولون إنّه إذا عرف أيّ شخص كيف يمكن أن تُحسَّن القوانين الغابرة، فيجب عليه أن يقنع دولته التي تخصّه بالتحسين بادىء ذي بدء، ويمكنه أن يسنَّ القوانين بعدئذ، وليس بطريقة مغايرة.

سقراط ف: أوليسوا هم على حق؟

الغريب: إنّني أجرؤ على القول. لكن لأفترض أنّه يستخدم عنفاً ما لأجل خيرهم بعد أن أخفق في إقناعهم، فماذا سيسمّى هذا العنف؟ أو على الأصح، دعني أسأل السؤال عينه فيما يختص بأمثلتنا السابقة، قبل أن تُجيبني.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: إفترض أنّ طبيباً، مؤهّلاً في فنه كما ينبغي، لديه مريض، مهما كان جنسه أو عمره أجبره أن يفعل شيئاً ما لخيره مغايراً للقواعد المكتوبة، عندما فشل الإقناع؛ ماذا سيُدعى هذا الإرغام؟ هل ستحلم بتسميته بإسم مدّخر لخطأ في الفنّ بشكل خاص، أي (مُمرِض)؟ لا شيء يمكن أن يكون أكثر ظلماً من المريض الذي طُبِّق عليه هذا العنف سوى أن يتّهم الأطباء الذين مارسوه، بطريقة أداءٍ للعمل غير ماهرة، ويُحتمل أن تُسبب أمراضاً.

سقراط ف: الأكثر حقيقة.

الغريب: أيّ إسم سنعطي لخطأ مماثل في الفن السياسي؟ ألا نسمّيه شراً، عاراً، أو ظلماً؟

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: وهكذا عندما يكون المواطن معاكساً للقانون والعرف، ومرغماً على فعل ما هو أعدل وأفضل وأنبل مما فعله قبلاً، فالشيء الأخير والأكثر إضحاكاً الذي يستطيع قوله في اعتراض لهكذا عنف، هو أنه جلب عاراً أو شرّاً أو ظلماً على يدي أولئك الذين أرغموه.

سقراط ف: حقيقي جداً.

الغريب: وهل سنقول إنّ العنف يكون عدلاً، إذا مارسه رجل غني، وظلماً إذا مارسه إنسان فقير؟ ألا يمكن لأي إنسان، غني أو فقير، بدستور مكتوب أو غير مكتوب، بإرادة المواطنين أو ضد إرادتهم، ألا يمكنه أن يفعل ما فيه منفعتهم؟ أليست هذه هي القاعدة الصحيحة للحكومة، طبقاً للذي سينظّم الإنسان العاقل والخيّر شؤون رعاياه؟ شأنه شأن مدير الدفة الذي يصون حياة رفاقه البحّارة بالمراقبة المستمرّة فوق منافع الباخرة وطاقم الملاحين - ليس بوضع قواعد، بل بجعل فنه قانوناً، - حتى هكذا وفي الطريقة عينها، ألاَ يمكن أن يوجد شكل حقيقي للسياسة يبدعه أولئك الذين يقدرون أن يحكموا في نفسية مشابهة، والذي يُري قوّة في الفنّ هي أسمى من القانون؟ ولا يستطيع الحكام العقلاء أن يخطئوا قطّ في أيٍّ عمل يقومون به، في حين يراقبون القانون الواحد العظيم بتوزيع العدل التام للمواطنين بذكاء وبراعة، ويكونون قادرين على أن يصونوه، بقدر ما هو محتمل، كي يجعلوه أفضل من كونه أسوأ؟

سقراط ف: لا يستطيع أحد أن ينكر ما قد قيل الآن.

الغريب: ولا إذا تأملت مليّاً، يستطيع أيّ شخص أن ينفي التقرير الآخر.

سقراط ف: ما هو ذلك التقرير؟

الغريب: قلنا(٦) لا جماعة كبيرة من الناس، أيّاً كان هؤلاء، يستطيعون إدراك المعرفة السياسية، أو يكون بمقدورهم أن ينظموا الدولة بحكمة، بل هناك شكل الدولة الحقيقي الذي اخترناه في جماعة صغيرة، أو في فرد، وقلنا إنّ الدّول الأخرى تُحسبُ تقليداً لهذا فقط، بعضها هو للأفضل وبعضها للأسوأ.

سقراط ف: ماذا تعني؟ إنّني لم أستطع فهم ملاحظتك السابقة بشأن التقليد.

الغريب: ومع ذلك ستكون تعاسة أكثر، إذا تخلّينا عنها، بعد هذا الاقتراح، ولم نقصد من البحث فيها كَشْفَ الخطأ الذي يسود في هذه المسألة.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: المثال الذي يجب أن تفهمه ليس سهلاً أو اعتيادياً؛ لكن يمكننا أن نعبّر عنه هكذا: ـ لأفترض أنّ الحكومة التي قد تكلمت عنها لتوّي هي النموذج الوحيد الحقيقي، فيجب على الحكومات الأخرى أن تستعمل القوانين المكتوبة لهذه ـ لا يمكنها أن تُنقذ بأية طريقة أخرى؛ عليها أن تفعل ما يكون مستحسناً الآن بشكل عام، مع أنّه ليس أفضل شيء في العالم.

سقراط ف: ما هذا؟

الغريب: لا مواطن سيفعل أيّ شيء معاكس للقوانين، وأيّ خرق لها سيكون عقابه الموت والعقوبات الأشدّ. وهذا هو حقّ مطلق وصالح عند اعتباره كشيء ثانٍ أفضل، إذا وضعت الأوّل جانباً، الذي تكلّمت عنه لتوّي. هل سأشرح ما أسمّيه الإجراء الثاني الأفضل؟

سقراط ف: مهما كلّف الأمر.

الغريب: عليّ أن ألتمس العون من صوري المفضلة مرّة ثانية؛ ومن خلالها، وخلالها وحدها يمكنني أن أصف الملوك والحكام.

سقراط ف: أية صور؟

الغريب: مدير الدفّة النبيل والطبيب العاقل، الذي « يساوي عدة رجال آخرين »(٧). دعنا نحاول اكتشاف صورة ما للملك من ذلك الشبيه.

سقراط ف: أيّ نوع من الصورة؟

الغريب: حسناً، صورة كهذه: إفترضنا جميعاً أن نتأمل ملياً في أنّنا نقاسي معاملة بشعة على يديهما كليهما؛ ينقذ الطبيب الذين يرغب إنقاذهم، ويسيء معاملة الذين يرغب إساءة معاملتهم ببترهم أو كيّهم، طالباً منهم أن يدفعوا له في الوقت عينه، وهو نوع من الجزية، التي يصرف منها قليل أو لا شيء على الإنسان المريض، ويُستهلك جزؤها الأكبر من قِبَلِهِ وقِبَلِ وعائلته؛

وتكون النهاية أنّه يتلقى المال من أقارب المريض، أو من بعض أعدائه، ويبعده عن الأنظار. وأما مديرو دفّة السّفن فهم مذنبون بأعمال شريرة لا تحصى من النوع عينه. هم يخادعون ويتركونك على الشاطىء عمداً عندما تقترب ساعة الإبحار؛ أو يسبّبون الحوادث المؤسفة في البحر ويقذفون أمتعتهم فيه. ويذنبون بعمليات نصب أخرى. إفترض أنّنا سنقرّر بعد التأمل مليّاً في ذلك الآن، وبعد أن وضعنا هذا نصب أعيننا، أنّنا سنقرّر أنّ أيّاً من هذه الفنون لن يُسمح لها أن تُمارس سلطة مطلقة لا على الرجال الأحرار ولا على العبيد بعد اليوم، بل سندعو الجمعية العامة لعقد اجتماع، إمّا لكل الشعب، أو للأثرياء فقط، وأيّ شخص ممّن يحب، مهما كانت مهنته، يمكن أن يقدّم رأياً إمّا بشأن فنّ الملاحة أو بشأن الأمراض ـ إما للأسلوب الذي ستُستخدم فيه المعدّات الطبيّة أو الجراحيّة للمريض، أو بشأن المراكب وأدوات الملاحة التي تُحتاج في الإبحار، وكيف يقابل هو أخطار الأمواج والرياح التي تطرأ خلال الرحلة، كيف سيتصرّف عند مقابلة القراصنة، وماذا سيُفعل بالسفن الشراعية ذات الأنماط القديمة، إذا ما كانت لتدخل الحرب ـ فن أخرى من التركيب عينه ـ وإنّ ما ترسمه الأكثرية في هذه النقاط الرئيسيّة، سواء كان الناصحون أطباء أو مديري سُفُن، أو كانوا أشخاصاً غير مهرة، فما رُسِمَ سيُكتب على ألواح وأعمدةٍ مثلّثة الشكل، أو أنها ستشرّع دون أن تكتب لتكون تقاليد وطنيّة؛ وأنّ المراكب ستُبحر في كل الأوقات المستقبليّة وستُعطى العلاجات للمريض بهذه الطريقة.

سقراط ف: ما هذه الفكرة الغريبة!

الغريب: إفترض أبعد من ذلك، وهو أن الشّعب سيحكمه رجال معيّنون سنويّاً، إمّا من الأغنياء، أو من الشّعب ككلّ، وأنهم سيُنتخبون بالأكثرية؛ وسيقودون المراكب بعد انتخابهم ويشفون المرضى طبقاً للقواعد المكتوبة.

سقراط ف: هذا أسوأ وأسوأ.

الغريب: لكن إستمع لِمَا يتبع. عندما انتهت سنة الحكم، كان علىٍ كل الذين حكموا أن يمثلوا أمام محكمة التمييز، التي يكون القضاة فيها إما منتقين من طبقات ثريّة أو مختارين من الشعب ككلّ؛ ويمكن لأيّ شخص يريد أن يتهمهم، أو يمكنه أن يعدّ شيئاً ما لاتّهامهم، وهو أنّهم لم يبحروا بمراكبهم خلال السنة الماضية أو أنّهم لم يشفوا مرضاهم طبقاً لحرفية القانون وتقاليد أسلافهم الغابرة؛ وإذا ما أُدين أحدهم، فيجب على بعض القضاة أن يقرّروا ما عليه أن يقاسيه أو يدفعه.

سقراط ف: يستحق أن يقاسي أيّ عقاب، أو يدفع أي مبلغ، من يكون على استعداد أن يقبل أمراً كهذا.

الغريب: ولسوف نُشرِّع مرّة أكثر مع ذلك، وهو إذا اكتُشف أيّ شخص باحثاً في قيادة السفن والملاحة، أو في الصحة والطبيعة الحقيقية للطبّ، أو بشأن الرياح، أو حالات الجوّ الأخرى، المعاكسة للقواعد المكتوبة، أو أنّ لديه أية أفكار بارعة بشأن مسائل كهذه، فإنّه لن يسمّى قائد دفّة أو طبيباً، بل سوفسطائياً كثيباً ثرثاراً؛ - علاوة على ذلك، وعلى قاعدة أنه يكون مفسداً للشباب، الذين سيتعقبهم ليتبعوا فن الطبّ أو فن الملاحة في أسلوبٍ غير قانوني، ويمارسوا قواعد اعتباطيّة على مرضاهم وبواخرهم، فإن أيّ شخص يكون مؤهّلاً بالقانون يمكنه أن يخبر عنه، ويقاضيه بتهمة في محكمة ما، وإذا وُجِدَ أنّه يتعقّب أيّ شخص حينئذ، سواء كان فتىً أو مسناً، وخارقاً القانون المكتوب، فيجب معاقبته بأقسى صرامة؛ إذ لا أحد يجب أن يفترض أنه أعقل من القوانين؛ وكأنّ طبيعة اللمس، الشفاء والصحة وفن قيادة السفن وفنّ الملاحة، معروفة للجميع، وكأنّ بإمكان أيّ شخص أن يتعلّم القوانين المكتوبة والعادات الوطنيّة. إذا كان أسلوب الإجراء هكذا، يا سقراط، بشأن تلك العلوم وبشأن فنّ القيادة، وأيّ فرع للصيد، وبشأن الرسم باليد والتقليد بشكل عام، أو بشأن فنّ النجارة، أو أي نوع حِرَفيّ، وفنّ زراعي ومجمل

فنّ زراعة النبات، أو إذا كنا لنرى فنّ تربية الخيول، أو العناية بالقطعان، أو الإلٰهيات، أو أيّة خدمة كهنوتيّة، أو لعبة داما، أو أيّ علم ملم بالعدد، سواء كان بسيطاً أو مربعاً أو مكعباً، أو متضمناً حركة، ـ أقول، إذا كانت كلّ تلك الأشياء مفعولة بهذه الطريقة طبقاً للأنظمة المكتوبة، وليس طبقاً للفن، فماذا ستكون النتيجة؟

سقراط ف: إنها لواضحة، كل الفنون ستفنى تماماً، ولن تُستَردَّ قط، لأنّ التساؤل سيكون غير شرعيّ. وستصبح الحياة اللاانسانية حينها غير محتملة على الإطلاق، وستكون فاسدة من قبلُ بما فيه الكفاية.

الغريب: لكن ماذا إذا عيّنّا نحن شخصاً ما كحارسٍ للقوانين إنتُخِب بواسطة رفع الأيدي أو بالأكثرية، في حين ألزمنا أن تُنظِّم كل هذه العمليات بقانون مكتوب، والشخص الذي عيّنّاه غير ملتزم ومهتم بأيٍّ شيء من النّصّ المكتوب، سيتقدم ليفعل ما هو مضادّ لها من دوافع المصلحة أو المحاباة، وبدون أيّ مطلب للمعرفة، ـ أليس هذا شرّاً أسوأ من سابقه؟

سقراط ف: حقيقي جداً.

الغريب: لنمضِ ضد القوانين، التي ترتكز على الخبرة الطويلة، وعلى حكمة المستشارين الذين نصحوا بها برأفة وأقنعوا الأكثرية كي يقرّوها، ـ لنجازف في فعل ذلك، أعتقد أنّه سيكون خطأ عظيماً، أكثر دَماراً لأيّ نوع من أنواع العمل، من أيّ التزامٍ بالقوانين المكتوبة.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: لذلك، بما أنّه يوجد خطر في هذا، فالشيء التالي الأفضل لأولئك الذين يصوغون قانوناً مكتوباً عن أيّ موضوع هو أن لا يسمحوا لا للفرد ولا للأكثرية أن تخرق ذلك القانون في أيّ شأن مهما كان.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: ستكون القوانين نُسَخاً عن خواصّ حقيقة الفعل بقدر ما تسمح بذلك كونها مكتوبة مشافهة من أولئك العارفين

سقراط ف: ستكون بدون ريب.

الغريب: وكما قلنا، إنّ من يعرف ويكون رجل دولة حقيقياً، سيفعل بفنه أشياء متعددة في مجال عمله الخاصّ بدون مراعاة للقوانين، عندما يرى أنّ أي شيءٍ سيكون تطبيقه أفضل غير ذلك الذي قد دُوِّن وفُرض كي يُراعى أثناء غيابه.

سقراط ف: نعم، قلنا هكذا.

الغريب: وكم من فرد وكم من مجموعة قد أقرّوا قوانين، وقاموا بعمل مضادّ لها قاصدين شيئاً ما أفضل، سيكونون فاعلين كرجل الدولة الحقيقيّ فقط، بقدر ما يستطيعون.

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: أمّا إذا فعل الرجال الذين ليس لديهم معرفة، شيئاً كهذا، فهم سيحاولون تقليد الحقيقة، لكنهم سيقلدونها بشكل سيِّىء، غير أنهم إذا امتلكوا المعرفة، سيكون التقليد الحقيقة التامة، وليس تقليداً بعد اليوم.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: وبعدُ، فالمبدأ القائل إن لا عدد كبيراً من الرجال يقدر أن يكتسب معرفة لأيّ فنّ قد اعترفنا به سابقاً.

سقراط ف: نعم، قد تمّ ذلك.

الغريب: إنّ الفن السياسي والملكي إذن، إذا ما وُجد هكذا فنّ، لن تدركه أكثرية الأثرياء ولا عامة الشعب.

سقراط ف: مستحيل.

الغريب: إنّ الدنُّو الأقرب الذي تستطيع أن تبلغه أبداً أشكال الحكومات الأدنى لذلك الذي لدى الحكومة الحقيقية للحاكم الواحد العالِم، إنّ الدّنوّ هذا هو

أن لا تفعل الحكومات الأدنى شيئاً معاكساً لقوانينها المكتوبة الخاصّة وعاداتها الوطنية.

سقراط ف: جيد جداً.

الغريب: عندما يقلّد الأغنياء شكل الحكومة الحقيقية، تُسمّى هكذا حكومة ارستقراطية؛ وعندما يقلدونها بدون مراعاة للقوانين، تُسمّى أوليغاركيّة.

سقراط ف: صدقاً.

الغريب: أو مرّة ثانية، عندما يحكم الفرد طبقاً للقانون في تقليد لمن يعرف، نسمّيه نحن ملكاً؛ ما دام الملك يحكم طبقاً للقانون، فليس لدينا إسم منفصل كي نريه سواء أكان يحكم هو بالرأي أو بالمعرفة.

سقراط ف: لتكن متأكداً.

الغريب: لذلك، حتّى عندما يحكم الفرد الذي يمتلك معرفة، فسيكون اسمه الشيء نفسه على الاقل - سيدعى ملكاً. وهكذا ستصبح الأسماء الخمسة للحكومات، كما تُفترض، ستصبح واحدة.

سقراط ف: يبدو هكذا.

الغريب: وعندما لا يحكم الحاكم الفرد بالقانون والعرف، بل يقتفي خطوات إنسان العلم الحقيقي متظاهراً أنّه يستطيع أن يفعل للأفضل فقط بانتهاكه للدستور المكتوب، بينما تكون شهوات الطعام والجهل بواعث التقليد في الحقيقة، ألا يمكن لهكذا شخص أن يُدعى مستبداً؟

سقراط ف: بالتأكيد.

الغريب: ونعتقد أنّ هذا هو أصل المستبدّ والملك، أصل الاوليغاركيات، الأرستقراطيات، والديموقراطيّات، لأنّ الرجال ينتهكون المعنى في تحديد الملك الواحد، ولا يمكن جعلهم يعتقدون قط أنّ أيّ شخص يستطيع أن يكون جديراً بهكذا سلطة، ويكون قادراً وعازماً أن يحكم في نفسية الفضيلة والمعرفة، وينشر ما

يستحقّه الجميع بعدل وجسارة؛ يتوهّمون هم أنّه سيكون طاغية مَنْ سيخطىء ويؤذي ويذبح منا من يريد؛ لأنّه إذا أمكن وجود هكذا طاغية كما نصف، فسيعترفون هم أننا يجب أنْ نبتهج كي نتملكه، وأنه وحده سيكون الحاكم السعيد للدولة الحقيقية والكاملة.

سقراط ف: لتكن متأكداً.

الغريب: لكن إذن، بما أنّ الدولة لا تشبه خلية النحل، وليس لديها رئيس طبيعي يعترف به في الحال أنّه الأسمى جسداً وروحاً معاً، فإنّ الجنس البشري مُلزمٌ لأن يتقابل ويؤلّف قوانين مكتوبة، محاولين كما يبدو، أن يقتربوا من الشكل الحقيقي للحكومة قدر الإمكان.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: وعندما يكون الأساس الذي تُبنى الدول عليه في الحرف وفي العادة فقط، ولا يكون عملها مُلهماً بالمعرفة، أنقدرُ أن نتعجّب، يا سقراط، في الشقاوات التي توجد فيها، وستكون فيها على الدوام؟ إنّ أيّ فنّ آخر، بني على هكذا أسس ويُدار كذلك، سيدمّر كل الذي يلمسه بوضوح. ألا يجب بالأوْلى أن نندهش بالقوة الطبيعيّة للعروة السياسية؟ لأنّ الدول تحمّلت كل هذا الزمن خارج العقل، ومع ذلك فبعضها لا تزال باقية ولم تتم الإطاحة بها مع أن العديد منها يغرق من وقت لآخر، كالبواخر في البحر، وتهلك وهلكت وستهلك فيما بعد من خلال فساد قياديي دفتها وملاّحيها، الذين يمتلكون أسوأ أنواع الجهل بالحقائق الأسمى - أعني، أنّهم غير مطّلعين على العلوم السياسيّة بالكامل، التي هي فوق كل العلوم الأخرى، يعتقدون أنّهم اكتسبوا المعرفة الأكثر كمالاً.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: يتبادر السؤال حينئذ: أيٌّ من هذه الأشكال الباطلة للحكومة هو الأقلّ جَوْراً على رعيته، مع أنّها كلها جائرة، وأيُّها الأسوأ؟ إنّ هنا لتأمّلاً يكون

بجانب هدفنا الحاضر، وبرغم ذلك فلدينا اعتبار لها جميعاً ويبدو أنّ هذا يؤثر على كل أعمالنا: يجب أن نتفحّصها.

سقراط ف: نعم، يجب فعل ذلك.

الغريب: يمكنك القول إنّ من بين الأشكال الثلاثة، فالشيء عينه هو الأصعب والأسهل في الحال.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: إنّني أتكلم عن أشكال الحكومات الثلاثة، التي ذكرتها في بداية هذا الجزء الصغير من بحثنا: الملكيّة، حكم الأقليّة، وحكم الأكثريّة.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: إذا قسّمنا كل من هذه الأشكال فسيكون لدينا ستة أشكال، يمكن أن يميّز منها شكل واحدٌ حقيقيّ كشكل سابع.

سقراط ف: كيف ستصنع القسمة؟

الغريب: يُستطاع تقسيم الملكيّة، كما قلنا، إلى الملكيّة والاستبداديّة، وحكم الأقليّة إلى الأرستقراطية، التي تمتلك إسماً ميموناً، والأوليغاركية؛ ويجب أن يُقسّم الآن حكم الأكثرية، الذي عاملناه سابقاً كشكل مفرد، وأسميناه ديموقراطيّة.

سقراط ف: على أيّة قاعدة للقسمة ستقسّم حكم الأكثرية؟

الغريب: على القاعدة ذاتها التي سبقت، مع أنّ الإسم اكتُشِفَ أنّه يملك معنيين مزدوجين الآن. إنّ التمييز للحكم بالقانون أو بدون القانون يطبّق على هذا كما على الباقي.

سقراط ف: نعم.

الغريب: لم تخدم القسمة أيّ غرض نافع عندما كنا باحثين عن الدولة الكاملة، كما أبنّا في السابق. لكنّ هذا قد فُصِّل الآن، وكما قلنا، فقد تُرِكَت الأخرى لنا وحيدة. فمبدأ القانون وغياب القانون سيشطرها إلى نصفين.

سقراط ف: يبدو ذلك أنّه سيتبع، من الشرح الذي تعطيه الآن.

الغريب: إنّ الملكيّة عندئذ، عندما تحدَّد بوصفات جيدة أو قانونيّة، هي الأفضل من كلّ الأشكال الستّة. لكن عندما تكون فوضويّة فالأكثر ظلماً ومرارة على المرؤوس.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: في حين أنّ حكومة الأقليّة يجب اعتبارها وسطاً في الخير والشرّ، كالمصطلح (أقليّة) عينه، الذي يكون وسطاً بين الواحد والمتعدد. لكن حكومة الأكثرية هي في جهة ضعيفة وغير قادرة على أن تفعل أيّ خير عظيم أو أيّ شر عظيم، عندما تقارن بالحكومات الأخرى. فالمناصب فيها تُقسَّم إلى أجزاء صغيرة بشكل جزئيّ، ويشغلها عديد كُثُر. ولذلك فهي الأسوأ من كل الحكومات القانونيّة، والأسوأ من كل الحكومات الفوضوية. إذا كانت كلها بدون موانع القانون، فان الديموقراطية هي الشكل الأفضل للعيش فيها، إذا كانت كلها منظمّة بشكل جيد. إذن هذا هو الشكل الأخير للحكومات الذي ستختاره. أمّا الشكل الأول، مثل الملكيّة، فهو الأفضل ببعد كبير، ما عدا الشكل السابع، لأنّ ذلك الشكل يجب أن يُصنَّف منفصلاً عنها كلها، كونه بين الدُّول كما الله بين الرجال.

سقراط ف: إنّك لمحقّ تماماً، وعلينا أن نختار ذلك قبل كل شيء.

الغريب: يمكن وضع كل أعضاء هذه الدول، ما عدا الدولة التي يمتلك أعضاؤها معرفة، يمكن وضعهم جانباً كونهم ليسوا رجال دول بل محازبون، ـ مؤيدو الأصنام الأكثر شذوذاً، وهم أنفسهم أصنام؛ وكونهم أعظم المقلدين والسحرة، فهم أيضاً أعظم السوفسطائيين.

سقراط ف: يظهر اسم السوفسطائي بعد عِدَّة منعطفات في المحاورة أنّه قد رُكِّز بعدل أكثر فوق السياسيين، كما يُسمَّون.

الغريب: وهكذا فإن مأساتنا الخرافيّة قد تمّ تمثيلها؛ وأنّ فرقة الكائنات الخرافيّة

وحيوانات الغابات قد فُصلت عن العلوم السياسية أخيراً، مهما كانت غير راغبة في ترك المسرح.

سقراط ف: أتصوّر ذلك.

الغريب: تبقى هناك، على كل حال، طبائع أكثر إزعاجاً، لأنّها أكثر نسابةً للجنس الملكيّ تقريباً، وأكثر صعوبة كي تُدرَك؛ يمكن مقارنة اختبارها بعمليّة تصفية الذهب.

سقراط ف: ما هو معناك؟

الغريب: يبدأ العمال بنخل التراب والحصى وما شابه في عملية تصفية الذهب؛ تبقى هناك العناصر الثمينة القريبة من الذهب في شكل كتلة مشوّشة، يمكن أن تُفصَلَ بالنار فقط: النحاس، الفضة، والمعادن الثمينة الأخرى. تصفًّى هذه بمساعدة مِحكِّ الذهب أخيراً، حتى يصبح الذهب نقياً خالصاً.

سقراط ف: نعم، تلك هي الطريقة التي يقال إنّها تُصفًّى بها تلك الأشياء.

الغريب: إنّ كل المواد الغريبة واللامتجانسة روحاً قد فُصِلَت عن العلوم السياسيّة بأسلوب مماثل، وتُرك ما هو نفيس وذو طبيعة واحدة؛ تبقى هناك الفنون الأنبل للقائد والقاضي، وللنّوع الأسمى من أنواع الخطابة التي تكون ذات صلة بالفنّ الملكي، وتقنع الرجال أن يفعلوا العدل، وتساعد في إدارة دفة الدول: ـ كيف يمكننا أن نُبعِد كل هذه بشكل أفضل، تاركين الذي نبحث عنه منفرداً وغير مَشُوب؟

سقراط ف: ذلك ما يجب أن نحاوله في طريقة ما بشكل واضح.

الغريب: إذا كانت المحاولة هي كل ما ينقص، فإنّه سيُسَلَّطُ عليه الضوءُ بكل تأكيد؛ وأعتقد أنّ توضيح الموسيقى يمكن أن يساعد في إبرازه. أجبني على سؤالٍ من فضلك.

سقراط ف: أيّ سؤال؟

الغريب: هل يوجد هكذا شيءٌ كتعليم الموسيقى أو فنون الصناعات اليدويّة بشكل عام؟

سقراط ف: يوجد.

الغريب: وهل يوجد فن أو علم أرفع، لديه قوة كي يقرر أياً من تلك الفنون يُعَلَّم أو لا يُعَلَّم. ماذا تقول؟

سقراط ف: عليّ أن أُجيب أنّه يوجد.

الغريب: وهل نعترف أنّ هذا الفن هو غيرٌ من الفنون الأُخرى؟

سقراط ف: نعم.

الغريب: أوَيجب أن تكون الفنون الأُخرى أسمى من هذا، أو أنّه لا علم مفرداً أسمى من الآخر؟ أو يجب أن يكون هذا العلم المراقب والحاكم لكل العلوم الأخرى.

سقراط ف: يجب أن يكون الأخير.

الغريب: تعني أنّ العلم الذي يحكم إذا ما وجب أن نتعلم أوْ لاَ، يجب أن يكون أسمى من العلم الذي يُتعلَّم أو الذي يُعلِّم؟

سقراط ف: إنّه أسمى ببعيد.

الغريب: والعلم الذي يقرّر سواء علينا أن نُقنع أو لاَ، يجب أن يكون أرفع من العلم الذي يكون قادراً أن يُقنع؟

سقراط ف: طبعاً.

الغريب: جيّد جدّاً؛ ولأيّ علم نخصّص نحن القوة لإقناع الأكثرية بقصةٍ مُسِرّة وليس بالتعليم؟

سقراط ف: أعتقد أنّ تلك القوة يجب أن تُخصّص لعلم الكلام بوضوح.

الغريب: ولأيّ علم نعطي نحن قوة التقرير إذا ما وظفنا نحن الإقناع أو القوة لأيّ شخص، أو لأن نحجم عن ذلك بالإجمال؟

سقراط ف: سنعطيه لذلك العلم الذي يحكم فنّي الكلام والإقناع؟
الغريب: الذي سيكون علم السياسات، إذا لم أكن مخطئاً.
سقراط ف: جيّد جداً.
الغريب: يبدو أنّ علم الكلام يميَّز عن علم السياسات بسرعة، كونه نوعاً مختلفاً، ومع ذلك فهو يمد يد العون له.
سقراط ف: نعم.
الغريب: لكن ماذا ستفكّر في نوع آخر من أنواع القوة (أو العلم)؟
سقراط ف: ما هي؟
الغريب: تلك التي تقرّر كيف يجب أن تُدار العمليّات العسكريّة ضدّ أعدائنا. أيجب أن يُعتبر ذلك علماً أمْ لا؟
سقراط ف: كيف يمكن لفنّ القياة أو التكتيكات العسكرية أن تُعتبر غيراً من علم؟
الغريب: وهل الفنّ الذي يقدر ويعرف كيف ينصح سواء سنذهب نحن إلى الحرب، أو نصنع السلام، هو الشيء عينه أو شيئاً متبايناً؟
سقراط ف: إذا كنا نُثبت على مبدئنا، يجب أن نقول إنّه شيءٌ متباين.
الغريب: ويجب أن نفترض أنّ هذا الفنّ يحكم الآخر أيضاً، إذا قصدنا أن نتخلى عن محاولتنا السابقة.
سقراط ف: حقاً.
الغريب: لكنّنا متأملون كيف يكون فن الحرب عظيماً ومرعباً بمجمله، فأيّ فنّ آخر نستطيع المجازفة لأنّ نعينه كفنّ متفوق عليه سوى الفنّ الملكيّ بالتأكيد؟
سقراط ف: لا فنّ آخر.
الغريب: إنّ فنّ القائد هو فنّ وزاريّ فقط، ولذلك فنحن لا نستطيع ترتيبه كفنّ سياسيّ.
سقراط ف: من الصعب فعل ذلك.

الغريب: دعنا نتأمل قوّة القاضي الحق مرّة أخرى.

سقراط ف: جيد جداً.

الغريب: أليست قوّته محددة لتقرر تعامل الرجال مع بعضهم بعضاً، وإذا ما هم عادلون أو ظالمون طبقاً للمقياس الذي يتلقاه من الملك والمشرّع، ـ مبيّناً فضيلته الخاصّة في هذا فقط. إنّه سيرفض أن يُفسَدَ بالهدايا، أو الخوف، أو الشفقة، أو بأيِّ نوع آخر من أنواع المحاباة أو الخصومة، في تقرير قضايا الرجال مع بعضهم بعضاً مخالفاً لما عيّنه المشرّع؟

سقراط ف: نعم؛ إنّ منصبه هو هكذا كما تصف.

الغريب: إنّ الاستنتاج عندئذ هو أنّ قوة القاضي ليست قوة ملكيّة مرّة ثانية، بل قوة حامي القوانين الذي يسهر على رعاية القوة الملكيّة؟

سقراط ف: يبدو هكذا.

الغريب: يُظهر استعراضُ كلّ العلوم هذه، أنّ أي واحدٍ منها لا يكون علماً سياسياً أو ملكياً، لأنّ العلم الملكي الحقّ يجب أن لا يفعل نفسه، بل أن يحكم أولئك الذين هم قادرون أن يفعلوا؛ الملك يجب أن يعرف ما يكون وما لا يكون فرصة مناسبة لأخذ زمام المبادرة في قضايا ذات أهميّةٍ أعظم داخل الدولة، في حين أنّ على الآخرين تنفيذ أوامره.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: ولذلك، فالفنون التي وصفناها، بما أنّها لا سلطة لها فوق نفسها أو مع بعضها بعضاً، بل يختص كل واحد منها بعمل ما خاص به، فلديها، كما يجب أن يكون أسماء خاصّة متماثلة لأعمالها المتعددة.

سقراط ف: إنّني أوافق.

الغريب: لكن العلم الذي يكون فوقها جميعاً، وله مسؤولية القوانين، وكل القضايا المؤثرة على الدولة، ويحيكها جميعاً في علم واحدٍ بحقّ، إذا قدرنا أن نصفه تحت إسم مميّز لطبيعتها المشتركة، يمكننا أن نقول إنّه (علم السياسات) باستحقاق.

سقراط ف: هكذا بالضبط.

الغريب: بما أنّنا قد اكتشفنا الأنواع المتنوعة الآن في الدولة، هل سنحلّل علم السياسات على غرار النموذج الذي قدّمه فنّ الحياكة؟

سقراط ف: أرغب أن تفعل ذلك بدرجة كبيرة.

الغريب: يجب أن أصف طبيعة فنّ الحياكة الملكي، وأُظهِرُ أسلوب عمليته، ونوع النسيج الذي ينتجه.

سقراط ف: بجلاء.

الغريب: إنّه عمل شاقٌ يجب أن نتمّمه، وبما أنّه عمل صعب مع ذلك، يبدو أنه ضروري.

سقراط ف: علينا أن نحاول بكلّ تأكيد.

الغريب: لنفترض أنّ جزءاً من الفضيلة يختلف عن الآخر في النوع، وأنّه في موقع من السّهل مهاجمته بمجادل مشاكس، يستهويه الرأي الشعبي.

سقراط ف: إنّني لا أفهم.

الغريب: دعني أطرح المسألة بطريقة أخرى: أفترض أنّك ستعتبر الشجاعة جزءاً من الفضيلة:

سقراط ف: إنني أفعل بكلّ تأكيد.

الغريب: وهل ستعتقد أنّ الاعتدال مختلف عن الشجاعة؛ وأنّه أيضاً جزء من الفضيلة بطريقة مماثلة؟

سقراط ف: حقاً.

الغريب. إنّني سأغامر لأضع نظرية غريبة عنهما مقدّماً.

سقراط ف: ما هي؟

الغريب: إنهما ميدآن يكره واحدهما الآخر كليّة، من معنى محدّد، وهما عِدائيان طوال جزء مهم من الطبيعة.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: إنّني مقرِّرٌ رأياً أكثر غرابة ـ يقال إنّ كل أجزاء الفضيلة، كما أعتقد، يقال عنها إنّها صديقة بعضُها لبعض بشكل عام.

سقراط ف: نعم.

الغريب: دعنا نحقّق بعناية عندئذ إذا كانت هذه حقيقة بشكل عامّ، أو إذا لم يكن هناك أجزاء للفضيلة التي تكون في حرب مع أنسبائها بطريقة ما.

سقراط ف: أخبرني كيف سنعتبر ذلك السؤال.

الغريب: يجب أن نمدِّد تساؤلنا لكلّ تلك الأشياء التي نعتبرها جميلة ونضعها في نوعين متضادّين في الوقت عينه.

سقراط ف: إشرح؛ ما هما؟

الغريب: الذكاء والسرعة، سواء في الجسم أو الروح، أو في حركة الصوت، وتقليدهما الذي يزوده رسم اليد والموسيقى. لا شكّ أنّك أثنيت عليها بنفسك قبل الآن، أو كنت موجوداً عندما أثنى عليها الآخرون.

سقراط ف: بدون ريب.

الغريب: وهل تتذكّر الاصطلاحات التي يُثنى عليها، في أمثلةٍ كهذه؟

سقراط ف: إنّني لا أتذكّر.

الغريب: إنّني أتساءَل إن كنت أستطيع أن أشرح لك الأفكار التي تمر في ذهني بالكلمات.

سقراط ف: لِمَ لا؟

الغريب: تتوهّم أنت أنّ هذا عمل سهل تماماً: حسناً، دعنا نتأمّل تلك الأفكار بشأن الأنواع المضادة التي تقع تحتها. عندما نستحسن نحن السرعة والطاقة والذكاء، سواء بالفكر أو الجسم أو الصوت، كما نفعل في حالات عمل متعددة، فإنّنا نعبِّر عن ثنائنا على النوعية التي تعجبنا بكلمة واحدة، وتلك الكلمة هي رجولة أو شجاعة.

سقراط ف: كيف؟

الغريب: نحن نتكلّم عن عمل ما، كمفعم بالحيوية وشجاع، عملٍ سريع ورجوليّ، ونشيط أيضاً؛ وعندما نستخدم الإسم الذي أتكلم عنه كصفة عامة لكل هذه الطبائع، فنحن نثني عليها بالتأكيد.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: وعلى العكس، ألاَ نُثني على الجهد الهادىء أيضاً؟

سقراط ف: نعم، بشكل حماسي.

الغريب: أوَلاَ نقول نحن عكس ما قلناه عن الغير حينئذ؟

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: نحن نهتف، كم هو هادىء! كم هو معتدل! في إعجابنا بالعمل البطيء والهادىء للقوّة العقليّة، وللاستمرارية واللطافة في العمل، لنعومة وعمق الصدق، ولكل حركات الإيقاع والموسيقى بشكل عامّ. عندما يكون لدى هذه الأشياء مهابة مناسبة. نحن لا نعلن شجاعة لكل تلك الأفعال، بل إسماً دالاً على النظام.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: لكن، في اليد الأخرى، عندما يكون أيٌّ منها خارج المكان، فإنّ إسم أيّ منها يتغير إلى اصطلاحات لَوْمٍ.

سقراط ف: كيف ذلك؟

الغريب: إن المضاء الحادّ أكثر من اللاّزم أو السرعة أو الشدّة تسمّى عنفاً أو جنوناً؛ ويسمّى البطْءُ الكبير أكثر من اللازم أو الثقل أو اللطافة جبناً أو خمولاً. و يمكننا أن نلاحظ، أنّ الجزء الأكثر من هذه النوعيّات، وأنّ الاعتدال والرجولة من الأخلاقيات المضادة، تتقابل كأعداء، ولا تختلط مع بعضها بعضاً في أعمالها الخاصة؛ وإذا تابعنا التساؤل، فسنجد أنّ الرجال الذين

يمتلكون هذه النوعيات العقلية المختلفة يختلفون بعضهم عن بعض.

سقراط ف: بأيّة جهة يختلفون؟

الغريب: بكل تلك الأمثلة التي ذكرتها لتوّي الآن، ومن المحتمل في أمثلة أخرى عديدة أيضاً، وطبقاً لصلتها الوثيقة الخاصّة بكل نوع من الأعمال هم يوزعون الثناء واللوم، - ثناء على الأعمال المشابهة لأعمالهم، ولوم تلك التي تؤديها الفئة المضادة - وينشأ خارج هذا عدة خصومات وفرص خصومات بينهم.

سقراط ف: حقاً.

الغريب: إنّ الفرق بين النوعين الاثنين هو اهتمام تافه لهذا الحدّ، لكنّه في دولة ما، يصبح الأكثر كرهاً من كل الاضطرابات عندما يؤثر على مسائل مهمّة بشكل واقعيّ.

سقراط ف: إلام تشير؟

الغريب: إلى لا شيء أقل من تنظيم كامل الحياة الإنسانيّة. إنّ النوع المنظم يكون جاهزاً ليقود حياة سلميّة على الدوام، فاعلاً عمله الخاص بهدوء. إنّ هذا هو أسلوبه في السلوك مع كل الرجال في الداخل، وهو مستعدّ ليجد طريقة ما لحفظ السلام مع الدول الغريبة. وعلى حساب ولعه هذا بالسلام، الذي يكون في غير وقته غالباً حيث يعمّ تأثيره، يصبح هذا النوع غير محبّ للحرب بدرجات، وينشىء رجاله الشبان كي يكونوا مثل نفسه؛ إنّه يكون تحت رحمة أعدائه، لذلك فهم ينتقلون غالباً ومعهم أطفالهم بشكل غير مدرك من حالة الرجال الأحرار إلى حالة العبيد في سنين قليلة.

سقراط ف: أيّ قدر قاسٍ يواجهون!

الغريب: وفكرّ الآن بما يحدث لأولئك الذين يميلون بالأحرى نحو الشجاعة. فبحثٌ بلادهم الدائم على الذهاب للحرب، وبسبب حبّهم المفرط للحياة

العسكريّة، ألا يخلقون أعداء عديدين وأقوياء ضدّ أنفسهم، ألا يخرّبون أرض وطنهم كليّة أو يستعبدها ويسترّقها أعداؤهم؟

سقراط ف: إنّ ذلك لصحيح، مرّة ثانية.

الغريب: ألا يجب أن نعترف إذن، أنّه حيث يُوجَد هذان النوعان، فهما يشعران بكراهية وخصومة أعظم نحو بعضهما بعضاً بشكل دائم.

سقراط ف: لا نقدر أن ننكر ذلك.

الغريب: وإذا عدنا إلى البحث الذي بدأناه، ألا نجد أنّ قسمين اثنين مهمين للفضيلة، هما على خلاف بعضهما مع البعض الآخر بشكل طبيعي، ويفسحان المجال لخلق مضادّةٍ مشابهةٍ في التضحيات الموقوفة عليهما؟

سقراط ف: حقاً.

الغريب: دعنا نعتبر نقطة رئيسيّة أبعد.

سقراط ف: ما هي؟

الغريب: أريد أن أعرف، ما إذا كان أيّ فنّ بنّاءٍ سيخلق أيّ شيء ضمن نطاقه الخاص، حتى الفن الأكثر سخافة، من خارج تشكيلة المواد السيّئة والجيدة، إذا ما أمكن مساعدة هذا؟ أليست كل الفنون تنبذ السّيِّىء قدر المستطاع، وتقبل المواد الجيّدة والمناسبة، وتنتج من هذه المواد التي تتشابه ولا تتشابه به بشكل جزئي، جامعة كلّها في واحد، تنتج شيئاً يكون فريداً في قوته وشكله؟

سقراط ف: لتكن متأكداً.

الغريب: إذن فإنّ الفنّ الحقيقي لإدارة شؤون الدولة لن يسمح لأيّة دولة أن تتشكّل بمزج الرجال الأخيار والأشرار، إذا أمكن تفادي ذلك؛ بل سيبدأ باختبار الطبائع الإنسانية في المعاملة بكلّ وضوح. وسيعهد بها بعد اختيارها إلى المعلمين المناسبين الذين يمثلون أهداف ذلك الفن ـ هو نفسه سيعطي الأوامر، ويحتفظ بالسلطة، تماماً كما يحتفظ فنّ الحياكة بالعناية والسلطة على من

يمشط الأصواف وكلا العمال الآخرين الذين يحضّرون المواد للحياكة، آمراً الفنون المساعدة أن تنفّذ أعمالاً كهذه كما يعتبره ضرورياً للحياكة، الذي هو نفسه يجب ان يقوم به.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: في أسلوب مماثل، يظهر لي أنّ العلم الملكيّ رَبُّ البيت من بين كل المعلمين والمهذبين القانونيين، وبما أنّ لديه هذه القوّة الملكيّة، فلن يدعهم يُدرّبون الرجال بطريقة لا تنتج مسحة أخلاقية ما تتناسب وعمله التأليفّي الخاصّ، بل سيحثهم على أن يقصُروا تعليمهم على هؤلاء. أمّا أولئك الذين لا يقدرون على امتلاك حصة في الرجولة والإعتدال، أو أيّ ميل فاضل آخر، ويُحملون بعيداً إلى الإلحاد والغطرسة والعنف، بسبب طبيعتهم الشريرة، فإنّه يتخلص منهم بالموت والنفي، ويعاقبهم بالخزي الأعظم.

سقراط ف: يقال ذلك بشكل عامّ.

الغريب: لكنّ أولئك المنغمسين في الجهل والدناءة سيخضعهم لنير العبوديّة.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: أمّا بقيّة المواطنين، الذين يمكن أن يُخلق منهم شيء ما بمساعدة التعليم والذين يكون بمقدورهم أن يُمزجوا بأيدٍ خبيرة، فإنّ الفنّ الملكي يمزجهم ويحيكهم معاً؛ آخذاً باليد الأولى أولئك الذين تميل طبائعهم بالأحرى إلى الشجاعة، ومعايناً أخلاقهم الراسخة كالسّداة، وممسكاً باليد الأخرى أولئك الذين ينزعون إلى النظام واللطف، ويمكن تصويرهم بنفس الصورة كأنّهم معزولون بسماكة ونعومة، على غرار أسلوب اللُّحمة، ـ هؤلاء المتضادّون بالطبيعة، فإنّه يسعى ليربطهم ويحيكهم معاً بالطريقة التالية.

سقراط ف: بأية طريقة؟

الغريب: قبل كلّ شيء، يأخذ عنصر الروح الداخلي ويربطه بالرباط الإلهي الذي

يناسبه، ويأخذ الطبيعة الحيوانية بعدئذ، ويربطها بالروابط الإنسانيّة.

سقراط ف: إنّني لا أفهم ما تعني؟

الغريب: المعنى أنّ الرأي عن الشريف والعادل والخيّر ومضاداتهم، وهو رأي حقيقيّ يعزّزه العقل، لهو مبدأ إلهي، وعندما يُغرس في الروح، يكون مغروساً، كما أؤكّد بإيراد الدليل، بطبيعةٍ ذات ولادة سماويّة.

سقراط ف: نعم؛ فما الآخر الذي سيكونه؟

الغريب: إنّ الذي يستطيع أن يغرس هذا الرأي هو رجل الدولة والمُشرِّع الصالح فقط. و هو يمتلك إلهام التأمّل الملكيّ، وهو المتعلّم بالحقيقية لا غيره، وهو واحد من الذين وصفناهم لتوّنا الآن.

سقراط ف: محتمل بما فيه الكفاية.

الغريب: لكنّ الذي ليس لديه قوّة كهذه، فلن نصنفه بأيٍّ من الأسماء التي هي موضوع بحثنا الحاضر.

سقراط ف: حقيقي بدون ريب.

الغريب: تصبح الروح الشجاعة متحضرة عند بلوغها هذه الحقيقة، وهكذا تستطيع أن تعاد أكثر قدرة على أن تشارك في العدل بكلّ تأكيد؛ لكن إن لم تصل لذلك، ستميل إلى التوحّش. أليست تلك حقيقة؟

ارسطو: بدون ريب.

الغريب: ومرّة ثانية، فإنّ الطبيعة المسالمة والنظاميّة، تصبح معتدلة وحكيمة بحقّ، إذا شاركت في تلك الآراء، بقدر ما يمكن أن تكون هذه الآراء في الدولة، لكن إذا تجرّدت منها، تحصل على السمعة المخزية للغباء باستحقاق.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: هل نقدر أن نقول إنّ ارتباطاً كهذا سيوحّد الشر بعضه مع بعض بشكل دائم أو مع الخير، أو أنّ أيّ علم سيفكّر في استعمال رباط بشكل جدي ليربط موادٌ كهذه من هذا النوع؟

سقراط ف: مستحيل.

الغريب: لكنّ في أولئك الذين كانوا ذوي طبيعة نبيلة في الأصل، والذين قد غُذّوا بطرق نبيلة، ألا يمكننا أن نقول أنّ الاتحاد يُغرس بالقانون في أولئك فقط، وأنّ ذلك الفنّ يمتلك هذا الدواء كي يصفه لهم، وأنّ هذا الاتحاد للأجزاء اللامتشابهة والمتعاكسة للفضيلة هو رباط لفنّ أكثر إلهيّة، كما قلت؟

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: وحيث يوجد هذا الرباط الإلهي لا توجد صعوبة في التصوّر، أو عندما تتصوّر لا توجد صعوبة في إبداع الروابط الأخرى، التي تكون إنسانيّة فقط.

سقراط ف: كيف يكون ذلك، وأيّة روابط تعني؟

الغريب: إنّها حقوق التزاوج والصّلات التي تتشكل بين الدول بإعطاء وأخذ الأطفال في الزواج، أو بين الأفراد بالخطوبات والزّفافات الخاصة، إنّ أكثر الأشخاص يرتبون روابط الزواج بدون حقّ الاعتبار لِمَا هو أفضل لإنجاب الأطفال.

سقراط ف: في أيّة طريقة؟

الغريب: يجدُّون هم في طلب الغنى والقوة اللذين ليسا أهدافاً جديرة حتّى بالتعنيف الجدّي في الزواج.

سقراط ف: ليس هناك حاجة لتعتبرها على الإطلاق.

الغريب: هناك سبب رئيسيّ أكثر وهو أن نعتبر المراس لأولئك الذين يجعلون العائلة هدفهم الرئيسي، وأن نعيّن خطأهم.

سقراط ف: حقيقي تماماً.

الغريب: هم لا يعملون على قاعدة صحيحة مطلقاً، بما أنّهم ينشدون سهولة الإنقضاء وسرعته ويتلقون أولئك الذين يشبهونهم بسواعد مفتوحة، ويكرهون أولئك الذين لا يشبهونهم، كونهم متأثرين بشعور اللاتشابه بشكل رئيسي.

سقراط ف: كيف ذلك؟

الغريب: تُنشد الطبقة المنظمة تماماً الطبائع الخاصّة بها. وبقدر ما نستطيع فهي تتزوّج وتعطي في الزواج لهذه الطبقة على وجه الحصر، وتفعل الطبقة الشُّجاعة - الشيء نفسه؛ إنّها تنشد الطبائع التي تشبهها بشكل خاصّ، في حين أنّ عليهما أن تفعلا العكس بالضبط.

سقراط ف: كيف؟ ولِمَ ذلك؟

الغريب: لأنّ الشجاعة يمكن أن تزهر وتتّقد بادىء ذي بدء خلال عدة ولادات، عند عدم اعتدالها بالطبائع الألطف، لكنها تتفجّر أخيراً إلى جنون صِرف.

سقراط ف: على الأرجح.

الغريب: ومرة ثانية عندئذ، فإنّ الروح التي تكون مفعمة بالحياة، ولا تمتلك أيّ عنصر من طاقة الشجاعة، وتنتقل هكذا لعدّة ولادات متتالية، فهي عرضة لأن تصبح مشلولة تماماً وغير نافعة.

سقراط ف: إنّ ذلك محتمل تماماً، مرة ثانية.

الغريب: قلت عن هذه الروابط إنّه لا صعوبة في خلقها إذا تمسّكت كلتا الطبقتين بالرأي عينه بشأن الشريف والخيِّر فقط؛ - حقاً أنّ عملية الحياكة الملكيّة تؤلّف بمجملها في هذا العمل الفرد - ولن تسمح أن تُفصل عن الشجاعة قطّ، بل أن تحيكها معاً مثل السّداة واللحمة، تحيكها بعواطف مشتركة وفخر وسمعة حسنة، وبمنح العهود لبعضها بعضاً، وأن تصوغ منها نسيجاً واحداً ناعماً ومتناسقاً، وتتأمّن لكليهما معاً مناصب الدولة على الدوام.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: يجب أن تختار حاكماً يمتلك هاتين النوعيتين كليهما حيث الحاجة لمنصب واحد فقط - وعند شغور العديد من المناصب، عليك أن تمزج بعضاً من كلّ منها؛ لأنّ الحاكم المعتدل يكون يقظاً جداً وعادلاً وجديراً بالثقة، لكنه بحاجة إلى النشاط، وإلى تلك الطاقة القاسية التي تنجز هدفها.

سقراط ف: ماذا تعني؟

الغريب: إنّ شخصية الشجاع، على الجانب الآخر، تقصُر عن سابقتها في العدل والحذر، لكن لديها قوة الفعل بدرجة مدهشة؛ وحيث يكون العَوَز لكلتا هاتين النوعيتين، فالمدن هناك لا تستطيع أن تزدهر معاً لا في حياتها الخاصّة ولا العامّة.

سقراط ف: إنّها لا تستطيع بالتأكيد.

الغريب: نعلن نحن هذا إذن أنّه إتمام النسيج للعمل السياسي، الذي أُبدِع بالنسيج الداخلي المباشر للطبائع الشجاعة والمعتدلة، وذلك متى جذب العلم الملكيّ هذين العقلين ليشارك أحدهما الآخر بإجماعٍ وصداقة، وبعد أن أتم أنبل وأفضل نسيج من كل نسيج تسمح به الحياة السياسيّة، وشاملاً في تلك المسألة كل قاطني المدن الأخرى، سواء الأحرار أو العبيد، ثم يوثقهم في نسيج واحد ويحكمهم ويرأسهم. وبقدر ما يجيز للمدينة أن تكون سعيدة، لا يخفق في أن يؤمّن سعادتهم.

سقراط ف: إنّ صورتك، أيّها الغريب، للملك ورجل الدولة، ليست بأقلّ كمالاً من تلك التي للسوفسطائي، وإنّها لتامة جداً.

محاورة السوفسطائي

أفكار المحاورة الرئيسيّة

تبدأ المحاورة بين ثيودوروس وسقراط بتقديم الأول الغريب الإيلي، هو ابن بارمنيدس، أتى وثياتيتوس قصد المحادثة. وهذا الإيلي إيطالي الانتماء. أحبّ سقراط أن يوجه إليه سؤالاً، حول ما إذا كان يريد أن يُخبر لمن تُستخدم تلك العبارات وهذه الأسماء: سوفسطائي، رجل دولة، فيلسوف، وماذا يفكرون عنهم في إيطاليا. هل يعتبرونهم كواحدٍ أو اثنين، أو أنّهم يميزونهم بثلاثة أنواع بما أنّ لهم أسماء ثلاثة، وهل يخصصون واحداً لكل إسم؟ يجيب الغريب الإيلي بأنهم يعتبرونهم كثلاثة، لكنّ طبيعة كلّ منهم يصعب تحديدها وهو ليس عملاً سهلاً بأيّة حال.

يختار الغريب ثياتيتوس الفتيّ للتحاور معه، ويستهلّ البحث في طبيعة السوفسطائي ومن يكون وكيف سيعرف. سيتمّ ذلك بطريقة استخدام الأمثلة. فقبيلة السوفسطائيين، مزعجة وصعبة الاصطياد. سنسأل أوّلاً هل السوفسطائي يمتلك فناً؟ نعم إنّه لكذلك. دعنا نقسّم فنّه إذن. كما نعرف فإنّ الفنون تُقسم إلى قسمين: منتج ومُبدِع، وهناك فنّ الصيد الذي له أنواع متعدّدة، منها الصيد في البرّ والصيد في الماء. وصائد السمك في الماء والسوفسطائي هما أبناء عمّ، وعملهما ليس فنًّا على الإطلاق، وهما يهتمان بالكسب. يذهب الأول إلى شاطىء البحر والأنهار والبحيرات لصيد الحيوانات الموجودة فيها، بينما يذهب الثاني إلى بحارٍ من الثروة ومروجٍ معشبةٍ فسيحة من الفتيان الأسخياء، وفي نيته أن يأسر الحيوانات الموجودة فيها. وهناك قسمان لصيد الحيوانات في البر، الأول صيد الحيوانات الأليفة، والثاني صيد الحيوانات المفترسة. أمّا الحيوانات الأليفة فتشمل الانسان وهو

يُصاد بالعنف، والصيد بالعنف هو ما نسميه قرصنة: خطف الإنسان، الاستبداديّة ومجمل الفنّ العسكري.

وهناك فنّ يُدعى فنّ الإقناع ويختص بالمحامي، الخطيب الشعبي. وهناك فنّ المحادثة وهو نوعان، الأول خاصّ والآخر عامّ، ويتلقى الصيد الخاص أجراً، والعام يحصِّل الهدايا. ونقدر أن نسمّي الصيد الذي يتلقّى أجراً بأنّه تملُّق أو فنّ جعل الأشياء تبدو سارّة، وهو يعلن أنّه يشكِّل أحد المعارف من أجل تعليم الفضيلة ويطلب جائزة بشكل دراهم، وهو من عائلة الكسب، كذلك فهو يصطاد الحيوانات الحيّة البريّة، الأليفة، ويصطاد الإنسان سِرّياً ويفتديه بالمال، ويمتلك شَبَهَ التعليم، وهذه هي سفسطة. وهي صيد عقب الرجال والشباب ذوي الثروة والرتبة لكن فيما يختصّ بالتبادل التجاري الذي يقوم به تجار الجملة والتجزئة فهو تبادل البضائع بالبيع والشراء، وهو نوعان، يختص الأول جزئياً بالغذاء للاستعمال الجسديّ، وجزئياً بالغذاء الروحي الذي يتمّ تبادله مقابل المال. أمّا غذاء الروح فهو المعرفة بشكل عامّ، واحدها بيع معرفة الفضيلة التي هي بضاعة روحيّة، وثانيها بيع النوعيّات الأخرى للمعرفة. وهنا يأتي دور السوفسطائي، التاجر في الفضيلة، الذي يكسب من هذا خلال ترويجه لسلع الروح التي تختصّ بالكلام (أو التعقّل) ومعرفة الفضيلة.

دعنا نكتشف السوفسطائي من خلال قسمتنا للولع بالاقتناء، لفنّ القتال أو الحرب، وهما قسمان: تنافسي وآخر مولع بالشجار. والفنّ المولع بالشجار يمكن تسميته مبارزة بالقوّة الجسدية، أمّا عندما تكون الحرب بالكلمات فيمكن تسميتها جدالاً. والجدل نوعان، فعندَما تُجاوَبُ الخطب الطويلة بخطب طويلة مثلها، ويُنَاقَشُ بشأن العادل والظالم، يكون ذلك جدلاً برهانيّاً. ويسمّى الجدل الذي يُقسّم إلى أسئلة وأجوبة حواراً عنيفاً بشكل عامّ، وهنا يظهر السوفسطائي للمرّة الرابعة. فهو

الذي يجني المال من المحادثة الخاصّة وهو جداليّ، مخاصم، محبّ للجدل، مولع بالشّجار، مقاتل، عائلة كسب.

وبعدُ، إسمح لنا أن نبحث عن السوفسطائي في ما ندعوه عملية التطهير للأجسام الحيّة في أجزائها الداخليّة والخارجيّة. يتأثّر الأول بالدواء والألعاب الرياضية، والثاني باستحمام الرجل، وهو ليس عملاً جليلاً كما نلاحظ. وهناك التطهير للمواد غير الحيّة الذي تؤدّيه فنون الصّقل والنقع وهي عديدة. أمّا علم الجدل فعندَه غاية للتطهير وهي تطهير الروح أو الفهم، وهذا هو إبقاء الخير فيها وطرح الشرّ. سندعو الرذيلة مرض الروح وتنافرها، ونقول إنّ الجهل الذي هو مرضها كذلك، ما هو سوى ضلال العقل المثني على الحقيقة، والذي تُساءُ فيه عملية الفهم. نقوّم مرض أجسادنا بالتمارين الرياضية والدواء، ونشفي أرواحنا بالعدل والحكمة والعلم، ونعرّف الجهل بأنّه المرض الأكبر، وهو عندما يفترض المرء نفسه أنّه يعرف وهو لا يعرف، ويبدو أنّ هذا هو المنبع العظيم لكل أخطاء رجال الفكر. نقدر أن نحسّن ذلك بطريقتين للتعليم النظري، إمّا بالتأنيب بقسوة، أو النصح بلطف. أمّا النقض بعلم الجدل فهو أعظم تطهير للروح، ومن لم يُنقض به، حتى إذا كان الملك ذاته، فسيكون في حالة تلوّثٍ شنيعة وغير مثقّف وممسوخاً، وهؤلاء هم السوفسطائيون الذين لا يريدون أن يثبُتَ خطلُ مزاعمهم بعلم الجدل.

وبعدُ، فيجب علينا أن نلاحق السوفسطائي كي نكتشفه أكثر، خاصة بعد أن أقفلنا عليه كل المنافذ، ولن ندعه يفلت منا حتى نعرّيه بشكل كامل. لقد وصلنا في التحديد إلى أنّ السوفسطائي صيّاد، ويتعقّب الثروة والشباب، وهو تاجر في بضاعة الروح، وبائع تجزئة لنفس النوع من السلع، وقد صنع الأشياء التي باعها بنفسه، وهو يخصّ النوع المقاتل، وكبطل جدال، ويمارس فنّ الخصام، ويعلّم ما هو غير حقيقي عن الأشياء الإلهيّة وعن الأشياء المرئية في السماء والارض وما شابه

ذلك. وهو قادر أن يتخاصم بشأن القانون والعلوم السياسيّة، وحتى عن كل موضوع في العالم.

ولنسأل، هل يستطيع أيّ مخلوق بشري أن يفهم كل شيء؟ سيكون الجنس البشري سعيداً إذا ما أمكنه ذلك. أمّا السوفسطائي فهو يمتلك نوعاً من المعرفة التخمينيّة أو الظاهريّة عن كلّ الأشياء فقط، والتي ليست حقيقيّة. وتبيّن عند مواصلتنا للبحث أنّه ساحر ومقلّد ومشعوذ، وما علينا إلاّ أن نقسّم الفنّ المقلّد كي نحتجزه في شبكة من علم الجدل، وعندها لا يستطيع الإفلات. القسمة الأولى منه هي فنّ صناعة التشابه، والثانية فنّ صناعة المظاهر، ففي أيّهما سنضع السوفسطائي؟ وإذا كان ما يقوله السوفسطائي باطلاً فلديه الجرأة على أن يؤكّد اللاّوجود للوجود، وهل نقدر أن نتفوّه بهذه الكلمة الممنوعة (اللاوجود). ينبغي أن نتطرّق إلى الأعداد، المفرد منها والمزدوج والجمع، ولا نقدر أن ننسب إلى اللاوجود عدداً لا في المفرد ولا الجمع إذن حتّى ولا في الكثرة. دعنا هنا نعود إلى المبادىء الأساسية للوجود التي طرحها القدماء، من عصر اكسنوفاينز وما قبله. قال بعضهم بمبدأي الصداقة والكراهية، وقال آخر بالحرب والسلام، وآخر بالرطب والجافّ، وغيره بالحارّ والبارد، وذلك كي نتمكّن خلال هذا البحث من اكتشاف السوفسطائي وإخراجه من ثقب اللاّوجود الذي اختبأ فيه. لكن قبل ولوجنا في ذلك سنفهم من فلاسفتنا الأثينيين ماذا يعنون بكلمة (يكون)، وكذلك ممّن يؤكّد وحدة أحادية الكل، ونتحقّق منهم ماذا يعنون بكلمة (وجود)، وهل الوجود كالواحد، وهل يُستعمل الإسمان للشيء عينه؟ لنذهب بعد ذلك، إلى الذين يتكلمون عن الوجود بدقّة أقلّ، فنراهم في حرب ضروس مع بعضهم البعض بشأن طبيعة الحقيقة، ويؤكدون بعناد أنّ الأشياء التي يمكن لمسها أو إمساكها لها وجود فقط، لأنهم يعرّفون الوجود (الحقيقة) والجسم كواحد. وإذا قال أيّ شخص آخر إن ما ليس بجسم يوجد يستخفون به تماماً، ولن يستمعوا لأيّة وجهة نظر أخرى. أمّا

أخصامهم فيدافعون عن أنفسهم بحذرٍ من علٍ، من خارج العالم اللاّمرئي، مناضلين بقوة من أنّ الحقيقة الحقة تكمن في مُثُلٍ محدَّدة واضحة غير فانية؛ يفتّتون الأجسام الماديّة التي يؤكد الماديون أنّها الحقيقة المطلقة، يفتتونها إلى أجزاء صغيرة (ذرّات) بمحاوراتهم، ويثبتون أنّها ليست وجوداً بل نشوء وحركة. وهذه الفرقة يمكن محاورتها بسهولة فهم أناس مهذّبون كفاية، لكن هناك صعوبة كبيرة ولربما استحالة مطلقة في استخراج رأي من أولئك الذين يُنزلون كلّ شيء إلى المادة. ما يهمنا أنّنا سنحاور الإثنين، لكن الرأي الذي سيعطيه الرجال الأفاضل هو الأساس وهو أكثر وزناً وقيمة من ذلك الذي يعترف به الرجال الأقلّ أهمية. إضافة إلى ذلك فنحن لا نحترم الأشخاص في هذا المنحى، بل نبحث عن الحقيقة ونجلُّها. سنسأل الطبيعيّين، إن كان يوجد هكذا شيء كحيوان فانٍ؟، وسيعترفون أنّه جسم وروح، وأنّ الروح تبقى، وأنّ هناك روحاً عادلة وأخرى ظالمة، وأنّ الروح العاقلة والعادلة تصبح عادلة وعاقلة بامتلاك العدل والحكمة، والروح الظالمة عكس ذلك. وأنّ ما يخصّ الروح لا يُرى، وأنّ الذي يكون هو أي شيء حتى الجزء الأصغر من ذلك الشيء. وسنسألهم عن الطبيعة المشتركة للفاني وغير الفاني، وبما أنّه ليس عندُهم أيّ شيء يمكنهم تقديمه، فنحن سنعرّف الوجود بما يلي: إنّ أيّ شيء يمتلك أيّ نوع من القوة ليؤثر في الآخر، أو ليكون متأثراً بالآخر، لو للحظة واحدة فقط، مهما يكن السبب ضئيلاً، ومهما يكن التأثير طفيفاً، فإنّه يمتلك وجوداً حقيقياً، ونتمسك بأن التعريف للوجود هو قوّة بكل بساطة. أمّا أصدقاء المُثُل فهم سيميزون الوجود (الحقيقة) من النشوء، وسيقرّون أنّنا نتصل بالكون بواسطة الجسم، ومن خلال قوة الإدراك، وبالحقيقة الحقة من خلال الفكر، وبواسطة الروح، وأنّ النشوء أو الصيرورة تختلف. وسنتفق معهم من خلال بحثنا في الحركة والحياة والروح والعقل والمعرفة والسبب، أنّنا سنشمل المتحرك وغير المتحرك في تعريفنا للوجود ككلّ. ومع ظهور الصعوبات نتيجة هذه الأبحاث، نرجو أن يسمح لنا بالمزيد من

التقصّي عن الحركة والسكون وعن علاقتهما بالوجود. وبعد أن أخذنا من هذا التحقيق ما نريد، دعنا نلتفت إلى الحروف ونرى ما نقدِّر أن نستشفّه منها لخدمة هدفنا هذا. يا إلهي!! لقد وصلنا إلى العلم الذي يكشف لنا كلّ ما نريد وينقذنا من الصعوبات التي نعاني منها في ملاحقتنا للسوفسطائي. إنّه عمل تقسيم الأنواع الذي يختص بالفيلسوف والذي هو عمل علم الجدل. ومَنْ غير الفيلسوف يُعزى له هذا العلم الصافي والحقيقي، ومَنْ سِواه يستطيع أن يكون جديراً بالاحترام؟ وهو غير السوفسطائي الذي يوَلّي هارباً إلى ظلام اللاّوجود، بينما الفيلسوف نقدر أن نجده مظلماً لكن من فرط النّور، يُجري محادثة مع مثال الوجود بواسطة العقل على الدوام، لأنّ أرواح الكثرة لا تمتلك العين التي تستطيع أن تتحمل الرؤيا الإلهيّة.

وهنا دعنا نختار قلّةً من المُثُل التي تعتبر مُثلاً رئيسيّة، ونتأمل مليّاً طبائعها المتعدِّدة وقدرتها على المشاركة مع بعضها البعض، حتى لو لم نكن قادرين على أن ندرك بوضوح تامّ أفكار الوجود واللاوجود. إنّ الأجناس التي تُعدّ أكثر أهمية والتي بحثناها حديثاً من هذه هي الوجود ذاته والسكون والحركة. ثم لنبحث عن معنى هاتين الكلمتين (الشيء عينه) و(غيرٌ)؛ أهما غيرٌ من الوجود والسكون والحركة، أو هما يتشابهان ويشتركان معها؟

أولاً: إنّ الحركة هي غيرٌ من الوجود. وبما أنّ الحركة تشترك في الوجود، تكون بحق ولا تكون أيضاً.

ثانياً: يوجد اللاّوجود حينئذ في حالة الحركة ولكلّ نوع بالضرورة؛ لأنّ طبيعة الغير داخلة في كل منها تجعلها غيراً من الوجود، وهكذا غير موجودة؛ ولذلك يمكننا أن نقول عنها بحق إنّها لا تكون. مرّة ثانية، إنّها تكون وهي موجودة، بقدر ما تشترك في الوجود، ولذلك يمتلك كلُّ نوع آنئذ كثرةً للوجود، ولا نهاية للوجود. ونحن عندما نتكلّم عن اللاوجود، نفترض أنّنا نتكلّم ليس عن شيء ما مضادّ لوجود بل مختلف فقط.

تبدو الطبيعة مقسّمةً إلى جزئيات بسيطة كالمعرفة، والمعرفة واحدة مثل الغير، ومع ذلك فإنّ كلّ جزء منها لديه مقاطعة خاصّة وله إسم خاصّ به، ولكي تحكم من الأسماء فهناك فنون متعدّدة وفروع عديدة للمعرفة. أمّا الغير فله جزء مناقض للجمال وهو اللاجمال، غير أنّ الجمال هو أكثر وجوداً في الحقيقة من اللاجمال، والأخير أقلّ وجوداً فيها، وكذلك الكبير واللاكبير، والعادل واللاعادل.

بعد أن أثبتنا وجود اللاوجود، وأنّ الأشياء التي لا تكون تكون، وأنّ طبيعة الغير موجودة، ومهما يكن جزء الغير فإنّه مضادّ للوجود، وهذا ما قد جازفنا لأن نسمّيه اللاوجود، وهو ليس مضاداً للوجود بأيّة حال. وإنّنا لنستنتج ممّا قلناه، أنّ المحاولة لفصل كل الموجودات عن بعضها بعضاً هي عمل بربريّ وليست جديرة بعقل فلسفي على الإطلاق. وإنّ محاولة الفصل الشامل للموجودات هي الإبطال النهائيّ لكل الاستنتاجات المنطقيّة؛ لأنّنا لا نستطيع أن نصل إلى البحث العقلاني باتّحاد المدارك ببعضها البعض فقط. وفي مقاومتنا للانفصاليين هؤلاء، أجبرناهم على أن يعترفوا أنّ شيئاً واحداً يمتزج بالآخر. ولهذا فنحن نمتلك فلسفة ولا نمتلك محادثة. والآن إسمح لنا أن نقرّر طبيعة هذه المحادثة.

والشيء المهم التالي الذي ينبغي بحثه، وهو أنّ اللاوجود إذا لم يمتلك جزءاً من الفرضيّة، يجب أن تكون الأشياء كلها حقيقة عندئذ. لكن إذا امتلك اللاوجود جزءاً منها، فيُحتمل وجود الرأي الباطل والكلام الباطل آنئذ، حيث كلّ الأشياء ممتلئة أشباحاً وصوراً وأوهاماً. وإلى هذه المنطقة هرب السوفسطائي، واختبأ في هذا المكان وأنكر وجود الاحتمال المحدَّد للباطل؛ وقد فشل في معركته وخسر حربه. والآن كي نعرّيه مما سيدَّعي لغوياً، دعنا نبحث في طبيعة اللغة، الرأي، التصورات، كي يمكننا أن نراقب مشاركتها مع اللاوجود. وعندَ عملنا هذا يمكننا أن نبرهن أنّ الباطل يوجد، وسنسجن السوفسطائيّ في ذلك المكان.

لنبدأ بالسؤال عن الأسماء في هذا المكان. هناك كلمات في الأسماء لها معنى

عندما تكون في تسلسل وهي متصلة، وأسماء لا تمتلك معنى عندما تكون في تسلسل ولا يمكن أن تكون متصلة. هنا يبين الإسم والفعل، وتعاقب الأسماء لا يمكن أن يشكل جملة، ولا يقدر تعاقب الأفعال بدون أسماء أن يؤلف جملة كذلك، ولذلك لا يمكن إخراج محادثة من كليهما على حدة. أمّا الجملة فهي بداية المحادثة الجملة تعطينا تصريحاً عن شيء ما يكون أو يكون صائراً، أو قد أصبح، أو سيكون. لا يغرب عن بالنا أنّ امتلاك الجملة لا يعني حيازة الموضوع، وهناك جُمل تتكلّم عمّا هو باطل، هي محادثة زائفة بحقّ وصدق، وعكسها هي الحقيقة. ولذلك، فإنّنا برهنّا أنّ الرأي، والفكر، والتصوّر، موجودة في عقولنا كحقيقة وكباطل في الوقت عينه.

لنتذكر أنّنا قسّمنا سابقاً صناعة الصّور إلى نوعين، الأول صناعة الشبه، والآخر التخيلي أو الوهمي. وفي الأول سنبحث عن السوفسطائي مرة ثانية. ولا ننسى أن نأخذ الجزء الأيمن للتقسيم في كلّ نوع على الدوام، حتى نجد السوفسطائي ونجرّده من كلّ ما يملك ونصل إلى صفته الخاصة المميّزة. لقد قلنا إنّ كل الفنون تُقسم إلى إبداعيّة واكتسابيّة، وكان ما يخصّ السوفسطائي اكتسابياً في التقسيمات الصغيرة الجزئية للصيد، المباراة، التجارة وما شابه ذلك. والآن فإنّ فنّ التقليد قد طوّقه، والتقليد هو نوع من الإبداع الخاصّ بالصوّر وليس بالحقيقة. وهناك نوعان من فنّ الإبداع، أحدهما إلهيّ والآخر إنسانيّ. أمّا الإلهيّ فإبداعُه هو كل ما في العالم من حيوان ونبات وما في باطن الأرض وعلى سطحها. هذه كلها أبدعها الله بسبب إلهي ومعرفة تصدر عنه. أمّا الأشياء التي أبدعها الإنسان فهي المركّبات من هذه. ونقدر أن نصف ذلك بشكل أدق فنقول، إنّ الأولى هي صنعة الله، وإنّ الثانية هي إنتاجيّة وتسمّى صناعة صور. والفنّ الإلهي له إنتاجان، الهدف والصور المتماثلة، وكذلك الفنّ الإنساني. هناك شيء يختص بفنّ صناعة الشيء، والصورة التي تختصّ بالتقليد. وعلى أيّة حال، هناك بعض ممن يقلّد ويعرف ما يقلّد، وبعض

ممّن لا يعرف، وأي خطٍّ من التمييز يمكن أن يكون أعظم من ذلك الذي يفصل الجهل عن المعرفة بأيّة حال؟ والتقليد الذي يترافق بالرّأي هو تقليد مظاهر، أمّا التقليد الذي يترافق بالمعرفة فهو نوع « تأريخيّ » للتقليد. لكنّ السوفسطائي فنحن نصفه بين مَن يقلّد المظاهر، وليس بين أولئك الذين يمتلكون معرفة.

وأخيراً، هناك مقلّدان، المستتر الذي يخاطب الجمهور علانيّة في حديث طويل، والمستتر الذي يجبر الشخص الذي يتحادث معه أن يناقض نفسه في محادثات قصيرة. الأوّل ينطبق على الخطيب الشعبي، والثاني ينطبق على السوفسطائي.

باختصار، السوفسطائي هو مسبّب مناقضة لنفسه، مقلّد مظاهر، مفصول من نوع الفنّ الشبحي الذي هو فرع من فنّ صناعة الصور في تلك القسمة الأبعد للإبداع. إنّه التلاعب بالكلمات قصد الخديعة، إبداع إنساني، وليس إلهياً. إنّه السوفسطائي بدون ريب.

محاورة السوفسطائي

علم تقسيم العلوم

أشخاص المحاورة

ثيودوروس سقراط

ثياتيتوس

آيليّ غريب يحضره ثيودوروس وثياتيتوس معهما. وسقراط الأفتى المستمع الصامت.

ثيودوروس: إنّنا هنا يا سقراط، صادقون لمحاورتنا البارحة؛ وها نحن نحضر معنا غريباً هو مواطن أيليّ، ورفيق لبارمنيدس وزينون، إنه فيلسوف حقيقي.

سقراط: بالأحرى، ألا يكون إلهاً، يا ثيودوروس، الذي يأتي إلينا في تنكّرٍ غريب؟ فهوميروس يقول إنّ كلّ الآلهة تلازم هكذا رجالاً كأنّ لديهم أيّما مسحة للوقار والعدل، وأنّ إله الضيافة، فوق الجميع، يدوّن ملاحظة لرجالٍ ممّن يزدريهم أو يراقبهم القانون. أوَلا يمكن أن يكون رفيقك من تلك السلطات ذات القوى العليا، إله دقيق الاستجواب، أتى ليكتشف ضعفنا في الحوار، وليستجوبنا بدقّة؟

ثيودوروس: لا، يا سقراط، إنّه ليس نوعاً من النوع المخاصم ـ إنه أكثر عقلانيّة. وهو في رأيي ليس إلهاً على الإطلاق؛ بل إنّه إلٰهيّ بالتأكيد، لأنّ هذا هو اللّقب الذي سأمنحه لكلّ الفلاسفة.

سقراط: ممتاز، يا صديقي! بل يمكنني أن أضيف أنّك تضعه في طبقة من الصعب

تمييزها تقريباً كما تكون الآلهة. إنّ الفلاسفة الحقيقيّين، وهكذا كأنّهم ليسوا مُعَدِّين لهكذا مناسبة فحسب، يظهرون في أشكال مختلفة لا يميّزهم فيها الجهلةُ من الرجال، وهم « يتسكعون حول المدن »، كما يقول هوميروس، ناظرين إلى الحياة الإنسانيّة من عَلٍ؛ والبعض لا يفكر بأيّ شيء عنهم، ولا يستطيع الآخرون أن يفكروا بما فيه الكفاية أبداً. وهم يظهرون كرجال دولة بعض المرّات، ومرّات أخرى كسوفسطائيين؛ ويبدون للعديد مرّة ثانية حينئذ، وكأنّهم ليسوا بأفضل من الرجال المجانين. إنّني أحبّ أن أسأل صديقنا الآيلي، إن كان سيخبرنا، كيف ينظرون إليهم في إيطاليا، ولمن تستخدم العبارات؟

ثيودوروس: ما هي العبارات؟

سقراط: سوفسطائي، رجل دولة، فيلسوف.

ثيودوروس: ما هي صعوباتك بشأنها؟ وما الذي جعلك تسأل؟

سقراط: أريد أن أعرف ان كان يعتبرهم رجال بلادهم واحداً أو اثنين، أو أنّهم يميزون ثلاثة أنواع أيضاً، بما أن الاسماء هي ثلاثة ويخصصون واحداً لكل إسم؟

ثيودوروس: أجرؤ على القول أنّ الغريب لن يعترض على أن يبحث السؤال. فماذا تقول، أيّها الغريب؟

الغريب: إنّني أبعد من أن أعترض، يا ثيودوروس، وليس لديَّ أيّة صعوبة في الإجابة وهي أنّنا نعتبرهم كثلاثة، لكن تحديد طبيعة كلّ منهم بدقة ليس عملاً سهلاً بأية حال.

ثيودوروس: لقد حدث يا سقراط، أنّك ألقيت الضوء تقريباً على السؤال المحدَّد الذي كنا قد ألححنا فيه على صديقنا قبل أن تأتي إلى هنا، وآعتذر لنا بنفسه، كما يفعل لكم الآن، مع أنّه يقول إنّه سمع محادثة مفصّلة.

سقراط: لا ترفض استحساننا الأول، أيّها الغريب، الذي نلتمسه منك. إنّني متأكّد أنّك لن تفعل، ولذلك فإنّني أستعطفك أن تقول فقط إذا ما كنت تحبّ، وأنّك معتاد أن تعدّ خطاباً طويلاً عن موضوع تريد أن تشرحه للآخرين، أو أنّك تتقدّم بطريقة السؤال والجواب. إنّني أتذكّر سماع حديث غاية في النبل هو الذي استخدم بارميندس فيه الطريقة الأخيرة من الإثنتين، عندما كنت أنا شابًّا، وكان هو بعيد التقدم في السنّ(٨).

الغريب: أفضّل أن أتحدّث مع الغير عندما يستجيب بلطف، ويكون في متناول اليد؛ وإلاّ فالأفضل أن أقول ما لديّ وما هو خاصّ بي.

سقراط: سيستجيب أيّ واحد من المجموعة الحاضرة لك بلطف، ويمكنك أن تختار الذي تريده منهم. أنصحك أن تصطحب واحداً فتيّاً ـ ثياتيتوس، مثلاً ـ إلاّ إذا فضّلت شخصاً آخر ما.

الغريب: أشعر بالخجل، يا سقراط، كوني قادماً جديداً إلى مجتمعكم، أن أُحيك مناجاة نفسيّة طويلة أو خطاباً، وأعطي نوعاً من الاستعراض، بدلاً من ردّ جواب قصير لكلّ تساؤل، لأنّ الجواب الحقيقيّ سيكون طويلاً حقاً بالتأكيد، أطول بكثير ممّا يمكن توقُّعه من سؤال قصير وبسيط كهذا. أخشى في الوقت عينه، من أن أبدو وقحاً وغير مهذّب، إذا رفضت التماسك الكيّس، خاصة بعد ما قد قلته. إنّني لا أستطيع أن أعترض على اقتراحك بالتأكيد، من أنّ ثياتيتوس سيستجيب، بما أنني قد تحادثت معه بنفسي مسبقاً، وبما أنك تحبّذ لي اصطحابه.

ثياتيتوس: إفعل هكذا إذن، أيّها الغريب، وكما قد قال سقراط، سنكون كلنا مدينين بالشكر لك.

الغريب: أعتقد أنه لا يوجد أيّ شيء بعد ذلك ليقال، يا ثياتيتوس. حسناً إذن، إنّني سأتحادث معك، وإذا تعبت من الحوار، أستعطفك أن تلوم أصدقاءك لا أنا.

ثياتيتوس: لا أتوقّع أنّني سأكون تعباً في الوقت الحاضر، وإذا ما فعلت، سأحضر صديقي إلى هنا، سقراط الأفتى، سَمِيّ سقراط الأكبر سناً، كي يساعد. إنّه بنفس عمري تقريباً، وشريكي في الألعاب الرياضيّة، ومن عادته أن يشاطرني العمل الأصعب.

الغريب: جيّد جدّاً؛ يمكنك أن تقرّر بنفسك بشأن ذلك عندما نتقدّم في الحوار. سنبدأ أنت وأنا في غضون ذلك معاً، ونبحث في طبيعة السوفسطائي، أوّل الثلاثة. أرغب منك أن تدرك ما هو، وأن توضحه بالنقاش. إنّنا قد اتفقنا بشأن الإسم في الوقت الحاضر فقط، لكن للشيء الذي استخدمنا هذا الإسم كلانا لربّما لديك مفهوم ما عنه وأنا لي مفهوم آخر؛ مع أنّنا يجب أن نصل إلى فهم مشترك بشأن الشيء نفسه في عبارات تعريفيّة، وليس بشأن الإسم الناقص التعريف ليس إلاّ. وبعدُ فإنّ قبيلة السوفسطائيين التي نقترح المضيّ قُدُماً في البحث عنها الآن، ليست أسهل الكلّ لتمسك بها أو تعرّفها؛ ومن المتفق عليه منذ القِدم، أنّه كي تحقق نجاحاً في مجهود عظيم ما، فإنه لمن الأفضل أن نتدرّب على أمثلة أقلّ وأسهل قبل أن نتقدّم إلى الأعظم. وكما نتوقّع فإنّ قبيلة السوفسطائيين مزعجة وصعبة الاصطياد، وسأوصي أن نتدرّب على هذه الطريقة سلفاً، إلاّ إذا استطعت أن تقترح طريقة أسهل.

ثياتيتوس: إنّني لا أقدر حقاً.

الغريب: إفترض أنّنا نستخدم هذه الطريقة إذن، على مثال سطحي ما، ونحاول أن نجعله نموذجاً للأكبر؟

ثياتيتوس: جيّد.

الغريب: هل سنستطيع أن نأخذ المثال الصغير والسهل كي نعاينه، وهو قابل للتعريف مع ذلك كأيّ شيء أكبر؟ هل سأقول صائد السمك بالصنارة؟ إنّه مألوف منّا جميعاً، وهو ليس شخصاً مثيراً أو مهمّاً.

ثياتيتوس: إنّه ليس كذلك.

الغريب: مع ذلك فإنّني أشتبه أنّه سيحدّثنا بنوع من التعريف وخطّ للتساؤل الذي نريد.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: دعنا نبدأ بسؤال إن كان هو رجلاً يمتلك فنّاً أو لا يمتلكه، بل لديه قوة أخرى ما.

ثياتيتوس: إنه رجل ذو فنّ بوضوح.

الغريب: يمكن أن تقسّم الفنون تالياً إلى نوعين رئيسيين.

ثياتيتوس: ما هما؟

الغريب: الزراعة في المقام الأوّل، والاعتناء بأيّ نوع من المخلوقات الفانية، وفنّ بناء أو صياغة تلك الأشياء التي نسمّيها آلات؛ ونوع التقليد أيضاً - يمكن أن تدعى كل تلك الأشياء بإسم مفرد وبشكل مناسب.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟ وما هو الإسم؟

الغريب: يقال عمّن يُوجدُ شيئاً لم يكُ موجوداً من قبلُ، يقال عنه إنّه مُبدِعٌ، ويقال عن ذلك الذي أُحضِرَ إلى الوجود إنه مُبدَعٌ.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: والفنون التي قد ذُكرت لتوّها الآن كُلُّها مصوّرة بهذه القوة المبدَعة؟

ثياتيتوس: إنّها لكذلك.

الغريب: دعنا نلخّصها إذن تحت إسم الفنّ المنتِج أو المبدِع.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: ثانية، هناك طبقة التعليم والإدراك؛ كما طبقة التجارة، الحرب، والصيد. وبما أنّ أيّا من هذه الطبقات لا تبدع شيئاً، بل إنها مشغولة في السيطرة بالكلمة أو الفعل، أو في منع الغير من السيطرة على الأشياء التي توجد أو

أنّها قد وُجِدَت مُبدَعةً من قبلُ - يمكن أن يُميِّز فنّ في كل تلك الفروع يمكن تسميته بالمُكسِب.

ثياتيتوس: نعم، ذلك هو الإسم المناسب.

الغريب: ليكون في ذهننا أنّ كل تلك الفنون إمّا مُكسِبةً أو مبدَعة، ففي أية طبقة سنضع فنّ صائد السمك بالصنارة؟

ثياتيتوس: في الطبقة المكسِبة بوضوح.

الغريب: ويمكن للفنّ المكسِب أن يقسَّم صغيراً إلى جزأين اثنين: هناك التبادل، الذي يكون اختيارياً ويتأثر بالهدايا، الكراء، والشراء؛ والجزء الآخر للفنّ المكسِب، الذي يكون بقوّة الكلمة أو الفعل، ويمكن تسميته فتحاً؟

ثياتيتوس: إنّ ذلك متضمنٌ فيما قد قيل.

الغريب: ألا يمكن للفتح أن يقسَّم صغيراً مرة ثانية؟

ثياتيتوس: كيف؟

الغريب: يمكن أن تسمّي قوة الفتح حرباً، ويمكن أن تمتلك القوة السريّة الإسم العامّ للصيد؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وسيكون مضحكاً آنئذ أن لا تقسَّم فنّ الصيد إلى جزأين اثنين.

ثياتيتوس: كيف ستصنع القسمة؟

الغريب: إلى صيد للأحياء وللفرائس الميتة.

ثياتيتوس: نعم، إذا ما وجد النوعان كلاهما.

الغريب: إنهما يوجدان بالطبع؛ لكن الصيد عَقِبَ الأشياء الميتة لا إسم خاصّاً له، ما عدا أنواع من الغوص، ومسائل أخرى صغيرة، يمكن أن نسقطها باستحسان؛ ويمكن أن يسمّى الصيد عَقِبَ الأشياء الحيّة صيد حيوانات.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: ويمكن القول بصدق إنّ صيد الحيوان قسمان إثنين، صيد الحيوانات البريَّة، الذي له عدة أنواع وأسماء، وصيد الحيواناتَ المائيَّة، أو الصيد عَقِب الحيوانات التي تسبح؟

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: والحيوانات السابحة، يعيش نوع واحدٌ منها في الجو والآخرَ في الماء.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: اصطياد الطيور هي العبارة العامة التي تتضمن اصطياد الطيور ككلّ.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: ويمتلك اصطياد الحيوانات التي تعيش في الماء الإسم العامّ وهو صيد السمك.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: ويمكن لهذا النوع من الصيد أن يقسَّم إلى نوعين رئيسيين أيضاً في مجال أبعد.

ثياتيتوس: ما هما؟

الغريب: هناك النوع الذي يُمسك بها حيث تكون في الشِباك، ويستولي الآخر عليها بالضربة القاضية.

ثياتيتوس: ماذا تعني، وكيف تميِّزهما؟

الغريب: فيما يتعلق بالنوع الأوّل- ـ كل الذي يُطوِّق ويحصر أي شيء ليمنع خروجه يمكن أن يسمّى تطويقاً بحقّ.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: يمكن لذلك السبب أن تكون السّلال المصنوعة من الأغصان، الشباك المطروحة، الأنشطة، الأشراك، وما شابه، يمكن أن تُسمى جميعها تطويقات؟

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: ويمكن لهذا النّوع الأوّل من الأسرِ أن ندعوه بنا أسراً بالتطويق، أو شيئاً ما من ذلك النوع؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: ويمكن أن يُسمى النوع الآخر، الذي يُمارَسُ بالضربة القاضية بواسطة الكُلاّبات ذات الحراب الثلاث، عندما يُختصر باسم واحد، يمكن أن يُسمّى أسراً بالضرب، إلاّ إذا استطعت، يا ثياتيتوس، أن تجد إسماً ما أفضل؟

ثياتيتوس: لا تقلق للأسماء ـ ما تقترح سيصلح جيّداً جداً.

الغريب: هناك أسلوب واحد للضرب، ذلك الذي يُنجز أثناء الليل، وبنور النار، ويدعوه الصيّادون أنفسهم إنارة، أو الطعن بنور النار.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: ويسمى صيد السمك نهاراً بالإسم العام وهو صيد بالصنارة، لأنّ الحراب مزوّدة بشوكة في رأسها.

ثياتيتوس: نعم، ذلك هو الاصطلاح.

الغريب: ويسمّى صيد السمك بالصنّارة ذلك الذي يضرب السمكة التي تكون تحت من عَلٍ، يسمّى الطّعن بالحربة، لأنّ هذه هي الطريقة التي تُستعمل الحربة فيها غالباً.

ثياتيتوس: نعم، إنّها تدعى هكذا غالباً.

الغريب: هناك نوع واحد باقٍ الآن فقط.

ثياتيتوس: وما هو ذلك؟

الغريب: عندما يُستخدم الكُلاّب، ولا تصاب السمكة في أيّ جزء من جسمها بالصدفة، كما تصاب بالحربة، بل تصاب حول الرأس والفم فقط، وتُسحب إلى الخارج حينئذ بالقصبات وصنانير الصيد. ما هو الإسم الحقيقيّ لذلك الأسلوب من صيد السمك، يا ثياتيتوس؟

ثياتيتوس: أحسب أنّنا قد اكتشفنا هدف بحثنا الآن.

الغريب: لقد توصّلنا الآن، أنت وأنا، إلى فهم ليس عن إسم فنّ صائد السمك بالصنارة فقط، بل عن تعريفٍ للشيء نفسه. كان النصف الواحد للفنّ كله مُكسِباً. وكان نصف الفن المكسِب فتحاً أو استيلاءً بالقوة، وكان نصف هذا الصيد صيداً، وكان نصفه صيد حيوانات، وكان نصف هذا صيد الحيوانات المائيّة ـ من هذا مرّة ثانية، كان النصف التحتيّ صيد سمك، وكان نصف صيد السمك جذباً بالصنارة؛ وكان جزءاً من الجذب بالصنارة صيد سمك بشوكة السّهم، وكون النصف من هذا مرّة ثانية النوع الذي يَجذب بالصنارة وبسحب السمكة من تحت إلى علٍ، كونه الفنّ الذي قد بحثنا عنه، والذي يدلّ على الصيد بالصنارة أو السحب إلى الخارج على هذه الطبيعة للعملية.

ثياتيتوس: لقد أُوضِحَتِ النتيجةُ بشكل مقنع تماماً.

الغريب: دعنا نسعى لنكتشف الآن ما هو السوفسطائي، متّبعين هذا النموذج.

ثياتيتوس: بكلّ تأكيد.

الغريب: كان السؤال الأوّل عن صائد السمك بالصنارة، ما إذا هو فنان حاذق أو غير حاذق؟

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: وهل سندعو صديقنا الجديد غير حاذق، أو سيداً كاملاً لصنعته؟

ثياتيتوس: غير حاذق بالتأكيد، لأنّ اسمه كما تقترح، يجب أن يعبِّر عن طبيعته من غير ريب.

الغريب: يجب افتراضه أنّه يحوز فنّاً ما إذن.

ثياتيتوس: أيّ فن؟

الغريب: بحق السماء، إنّهما أولاد عم! ولم تحدث لنا قط.

ثياتيتوس: من هم أولاد العمّ؟

الغريب: صياد السمك بالصنارة والسوفسطائي.

ثياتيتوس: وبأيّةِ طريقةٍ يتقاربان؟

الغريب: يبدوانِ لي صيّادَيْن.

ثياتيتوس: لقد تكلّمنا عن الآخر، لكن بأيّة طريقة يكون السوفسطائي صيّاداً؟

الغريب: إنك تتذكّر قسمتنا للصيد، إلى صيد عَقِبَ الحيوانات السابحة وحيوانات البرّ.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وتتذكّر أنّك قسّمت الحيوانات السابحة إلى أقسام صغيرة وبقيت حيوانات البر، قائلاً إنّ هناك أنواعاً متعددة منها؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: إلى هذا الحد إذن، يسلك السوفسطائي والصياد بالصنارة الطريق عينه، بدءاً من فنّ الكسب.

ثياتيتوس: سيبدو هكذا.

الغريب: إنّ مسالكهما تتشعّب عندما يصلان لفنّ صيد الحيوانات؛ يذهب أحدهما إلى شاطىء البحر، وإلى الأنهار وإلى البحيرات، ليتصيّد الحيوانات التي تكون فيها.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: في حين يذهب الآخر إلى البر والماء من نوع آخر - يذهب إلى بحارٍ من الثروة وأراضٍ معشبة فسيحة من الفتيان الأسخياء؛ وفي نيّته أن يأسر الحيوانات التي تكون فيها.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: هناك قسمان رئيسيّان للصيد على البر.

ثياتيتوس: ما هما؟

الغريب: الأول صيد الحيوانات الأليفة، والآخر الحيوانات المفترسة.

ثياتيتوس: لكن هل تصاد الحيوانات الأليفة قط؟

الغريب: نعم، إذا ضمّنت الإنسان تحت الحيوانات الأليفة. لكن إذا أحببت يمكنك أن تقول إنّه لا توجد حيوانات أليفة، أو إنها إذا وُجدت، فالإنسان ليس ضمنها. أو يمكنك أن تقول إنّ الإنسان هو حيوان أليف لكنّه لا يصاد ـ إنّك ستقرر أيّاً من تلك البدائل تفضّل وأفعل ذلك.

ثياتيتوس: سأقول، أيّها الغريب، إنّ الإنسان حيوان أليف، وأعترف أنّه يُصاد.

الغريب: دعنا نقسّم صيد الحيوانات الأليفة إلى جزأين اثنين إذن.

ثياتيتوس: كيف سنصنع القسمة؟

الغريب: دعنا نعرّف القرصنة، خطف الإنسان، الاستبداديّة، ومجمل الفنّ العسكري، باسم واحد، كالصيد بالعنف.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: لكنّ فنّ المحامي، الخطيب الشعبي، وفن المحادثة يمكن تسميتها بكلمة واحدة: فنّ الإقناع.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: ويمكن أن يقال إنّ المحادثة نوعان اثنان؟

ثياتيتوس: ما هما؟

الغريب: إنّ أحدهما خاصّ، والآخر عامّ.

ثياتيتوس: نعم؛ فكلٌّ منهما يشكّل نوعاً.

الغريب: والصيد الخاص مرّة ثانية، يتلقى الواحد أجراً، ويجلب الآخر الهدايا.

ثياتيتوس: إنّني لا أفهمك.

الغريب: يبدو أنك لم تراقب قط الأسلوب الذي يصطاد الأحباء به.

ثياتيتوس: إلامَ تشير؟

الغريب: أعني أنّهم يغدقون الهبات على أولئك الذين يصطادون بالإضافة إلى الإغراءات الأخرى.

ثياتيتوس: الأكثر حقاً.

الغريب: دعنا نسلّم بهذه إذن، لتكن مميّزة للفنّ الغرامي.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: لكنّ هذا النوع من الاستئجار، الذي تكون محادثته ممتعة، والذي يضع كُلاَّبه بسرور فقط، ولا يُلزم المدين بأيّ شيء سوى إعالته بالمقابل، سنصفه جميعاً، إذا لم أكن مخطئاً، كمالِكٍ تملُّق أو فنّ جعل الأشياء سارّة.

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: وذلك النوع يعلن أنّه يشكل أحد المعارف من أجل الفضيلة فقط، ويطلب جائزةً بشكل دراهم، يمكن أن يسمى باسم آخر حقاً؟

ثياتيتوس: لتكن متأكداً.

الغريب: وهل ستخبرني، ما هو الإسم؟

ثياتيتوس: إنّه الجليّ بما فيه الكفاية؛ لأنّني أعتقد أنّنا قد اكتشفنا السوفسطائي. إنّ ذلك كما أتصور، هو الإسم المناسب للطبقة التي وصفنا.

الغريب: الآن إذن، يا ثياتيتوس، فإن فنّه يمكن ردّه كفرعٍ لوضع اليد على عائلة الكسب. إنّ الذي يصطاد الحيوانات: الحية، البرية، والأليفة، والذي يصطاد الإنسان سراً للاستكراء، قابضاً فدية عند المبادلة لديه شبهٌ للتعليم؛ وهذه تدعى سوفسطائيّة، وهي صيدٌ في أثر الرجال الشباب ذوي الثروة والرتبة ـ هذا هو الاستنتاج.

ثياتيتوس: هكذا تماماً.

الغريب: دعنا نأخذ فرعاً آخر في تأريخ تسلسل نَسَبه؛ لأنّه أستاذ جامعي عظيم لفنّ عظيم متعدّد الجوانب. وإذا ما ألقينا نظرة خلفيّة فيما قد تقدَّم فنحن نرى أنّه يقدم مظهراً آخر، بجانب ذلك الذي نتكلّم عنه.

ثياتيتوس: في أيّة ناحية؟

الغريب: هناك نوعان اثنان لفنّ الكسب؛ أحدهما مختصّ بالصيد، والآخر بالتبادل.

ثياتيتوس: صحيح.

الغريب: ويمكننا أن نميّز بين شكلين اثنين في فن التبادل الآن، الأول هبة، والآخر بيعٌ.

ثياتيتوس: دعنا نعتبر ذلك أمراً مفروغاً منه.

الغريب: سنفترض فنّ البيع تالياً ليكون مقسّماً إلى جزأين رئيسيَّين.

ثياتيتوس: كيف؟

الغريب: هناك جزء واحد يكون بارزاً كبيع الإنسان لإنتاجه الخاص؛ والآخر، الذي هو المبادلة بعمل الآخرين.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: أوَلاَ يكون ذلك الجزء للتبادل الذي يأخذ مكاناً في المدينة، كونه نصف الكلّ تقريباً، ألا يُسمّى بيعاً بالتجزئة؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وذلك الذي يبادل البضائع لمدينة بتلك التي للأخرى، بالبيع والشراء هو التبادل للتجّار؟

ثياتيتوس: لتكن متأكّداً.

الغريب: وإنّك لمدركٌ أنّ التبادل للتجار ذو نوعين؛ إنّه مختص جزئياً بالغذاء للاستعمال الجسدي، وجزئياً بالغذاء الروحي الذي يكون متبادلاً ومُستلماً في تبادل مالي.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: تريد أن تعرف ما هو معنى غذاء الرّوح؛ فالنوع الآخر تفهمه بالتأكيد.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: خذ الموسيقى بشكل عامّ، والرسم باليد واللّعب بالدمى، وأشياء عديدة

أخرى، من تلك التي تُشترى في مدينة واحدة، وتُحمل وتُباع في أخرى ـ أما سِلَعُ الروح التي تُباع بالتجوال إمّا بقصد التثقيف أو التسلية ـ ألاَ يمكن لذلك الذي يتجوّل بها ويبيعها أن يكون تماماً، وكما يُدعى بحق، تاجراً كالذي يبيع لحماً وشراباً؟

ثياتيتوس: يمكنه ذلك، لتكن متأكداً.

الغريب: ألَنْ تُطلِقَ الإسم عينه على مَن يشتري معرفة وينتقل من مدينة إلى مدينة مبادلاً سلعه بالمال؟

ثياتيتوس: سأفعل بالتأكيد.

الغريب: ألا يمكن لهذا الجزء الواحد من البضاعة الروحيّة أن يسمّى فنّ العَرض بحق؟ ويوجد جزءٌ آخر كونه بيعاً في العلم، يجب أن يسمّى بأي إسم مناسب للفعل، مع أنّه يمكن أن يبدو مضحكاً كالأخير؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: وهذا الفن ـ دعنا نسميه « متنوع العلوم MATHEMATOPOLY »، يمتلك قسمين يجب تسميتهما بانفصال، واحداً كونه بيع معرفة الفضيلة، والآخر عن بيع النوعيات الأخرى للمعرفة.

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: فإسم بائع الفنّ ينسجم مع الإسم الآخر جيّداً بما فيه الكفاية؛ لكنّك يجب أن تحاول وتخبرني إسم الآخر.

ثياتيتوس: يجب أن يكون السوفسطائي، الذي نحن عنه باحثون؛ لا يمكن لإسم آخر أن يكون صحيحاً بأيّة حال.

الغريب: لا إسم آخر. وهكذا يثبت أنّ تاجر الفضيلة هذا هو صديقنا السوفسطائي، الذي يمكن تعقّب فنّه من فنّ الكسب الآن، خلال المبادلة، التجارة، مروّج السِلَع، إلى سِلَع الروح التي تختص بالكلام (أو التعقل) ومعرفة الفضيلة.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: ويُحتمل وجود ظهورٍ ثالث له ـ فربّما استقرّ في المدينة، وربّما اخترع لِمَا أنّه اشترى تلك السلع عينها، ناوياً أن يعيش ببيعها وسيبقى مدعوّاً سوفسطائياً.

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغرينب: وستسمي مرة ثانية ذلك الجزء لفنّ الوَلَع بالاقتناء الذي يبادل آنئذ، وللتبادل الذي إمّا يبيع إنتاج الإنسان الخاصّ بالجملة أو يبيعها بالتجزئة إلى الغير، كما يمكن للحالة أن تكون، وهو يبيع معرفة الفضيلة في كلتا الحالتين، ستسمي ذلك الجزء سوفسطائيّة؟

ثياتيتوس: يجب عليّ، إذا ما كنت سأحتفظ بالسير مع المحاورة.

الغريب: دعنا نتأمّل مرة أخرى إذا ما أمكن، أن لا يكون للسوفسطائية مظهرٌ آخر مع ذلك.

ثياتيتوس: وما هو الوجه الآخر؟

الغريب: وُجِدت قسمة إلى أجزاء صغيرة للولع باقتناء فنّ القتال أو الحرب.

ثياتيتوس: قد وُجِدت.

الغريب: إنّها لمساعِدةٌ أنْ نقسمها إلى جزأين.

ثياتيتوس: ماذا سيكونان؟

الغريب: سيكون هناك قسمة للتنافسي، وأخرى للمولع بالشجار.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: ويمكن أن يسمّى بهكذا إسمٍ ما كالعنيف، ذلك الجزء المولع بالشجار، الذي هو مباراة للقوّة الجسديّة.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: وعندما تكون الحرب بالكلمات، يمكن تسميتها جدالاً؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: ويمكننا أن نميّز نوعين من الجدال أيضاً؟

ثياتيتوس: ما هما؟

الغريب: عندما تُجاوَبُ الخطب الطويلة بخُطب طويلة، وتوجد مناقشة بشأن العادل والظالم، يكون ذلك جدلاً برهانياً.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وهناك نوع خاص من الجدل يقسّم إلى أسئلة وأجوبة، ويدعى هذا حواراً عنيفاً بشكل عامّ.

ثياتيتوس: نعم، إنّ ذلك هو اسمه.

الغريب: والحوار العنيف، ذلك الذي يكون مناقشة حول الاتفاقات فقط، ويستمر دون هدف، وبدون قواعد فنيّة، فإنّه يكون مميّزاً بالقوة العقلية، ليكن نوعاً متبايناً، غير أنّه لم يحز أيّ إسم مميّز حتى الآن، ولا يستحقّ أن نُطلق عليه إسماً.

ثياتيتوس: لا؛ فالأنواع المتباينة له صغيرة جدّاً وغير متجانسة.

الغريب: غير أنّ ذلك الذي يتقدّم ليجادل بشأن العدل والظلم في طبيعتهما الخاصة بقواعد فنيّة، وبشأن الأشياء بشكل عامّ، قد اعتدنا أن نسميّه محاورة (جدليّة)؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: وبسرف الأموال نوعاً واحداً من الحوار، ويجنيه الآخر.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: إفترض أنّنا نحاول ونعطي إسماً لكلٍّ من هذين النوعين.

ثياتيتوس: دعنا نفعل ذلك.

الغريب: عليّ أن أقول إنّ العادة التي تقود الإنسان ليهمل شؤونه الخاصة من أجل مسرّات المحادثة، التي يتعذر على غالبية مستمعي نمطها أن يقبلوه، يمكن تسميتها ثرثرة بحق. هذا هو رأيي.

ثياتيتوس: إنّ ذلك هو الإسم العامّ لها.

الغريب: لكن من هو الآخر الآن، الذي يجني المال من المحادثة الخاصة، إنّه دورك لتقول.

ثياتيتوس: هناك جواب واحد حقيقي فقط: إنّه السوفسطائي العجيب، الذي نتعقّب، والذي يظهر ثانية للمرّة الرابعة.

الغريب: نعم، وبأصل جيّد، لأنّه هو جاني المال، جنس من الجدالي، مخاصم، محبّ للجدل، مولع بالشّجار، مقاتل، عائلة كسب، إنّه كلّ ذلك طبقاً لهذا الدور الأخير من المحاورة.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: كم كانت مراقبتنا له صادقة، إنّه كان حيواناً متعدّد الجوانب، ولا يمكن إمساكه بيد واحدة، كما يقولون!

ثياتيتوس: يجب أن تمسكه بكلتا اليدين إذن.

الغريب: نعم، يجب علينا فعل ذلك، باذلين كلي جهد مستطاع. دعنا نحاول لذلك سبيلاً آخر في تعقّبنا له، إنّك لمدرك وجود مِهَنٍ وضيعة محدّدة لها أسماء بين الخدَم؟

ثياتيتوس: نعم، يوجد عديدٌ كهذا؛ أيّها تعني؟

الغريب: أعني كالنخل، التصفية، التّذرية، الدّرْس بالنّورج.

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: وبجانب تلك الأشياء العديدة الكبيرة هناك كثير غيرها كتمشيط الصوف، والنسج، وضبط السّداة واللّحمة؛ وتستعمل الآلاف المشابهة من التعابير في الفنون.

ثياتيتوس: لمن تكون هذه النماذج، وماذا سنفعل بها جميعاً؟

الغريب: أعتقد أنه يوجد في تلك النماذج فكرة تدلُّ على القسمة ضمناً.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: إذا وُجِدَ فنّ واحدٌ إذن، كما كنت قائلاً، يتضمنّها جميعاً، ألا يجب أن يحوز ذلك الفنّ إسماً واحداً؟

ثياتيتوس: وما هو إسم ذلك الفنّ؟

الغريب: إسمه فن مميّز وذو رأي صالح.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: أنستطيع أن نتصوّر شكلين داخل هذا؟ تأمّل مليّاً.

ثياتيتوس: من الصعب عليّ أن أطيع بهذه السهولة.

الغريب: في كل العمليّات المسّماة سابقاً، إمّا أن الشبيه قد انفصل عن شبيهه أو الأفضل عن الأردأ.

ثياتيتوس: يبين ذلك حقيقياً بما فيه الكفاية، لقد قلتها الآن.

الغريب: لا أعرف إسماً عاديّاً للنوع الأوّل من الفصل؛ لكنني أعرف واحداً من الثاني، الذي يرمي الأردأ ويحتفظ بالأفضل.

ثياتيتوس: ما هو؟

الغريب: يسمّى كلُّ رأيٍ صحيحٍ أو مميّزٍ من ذلك النوع، كما ألاحظ، يسمى تطهيراً.

ثياتيتوس: نعم، تلك هي العبارة العاديّة.

الغريب: ويمكن لأيّ شخص أن يرى أنّ التطهير ذا نوعين اثنين.

ثياتيتوس: لربّما هكذا، إذا كان قد أعطي وقتاً ليفكّر؛ لكنّني لا أرى في هذه اللحظة.

الغريب: هناك تطهيرات عديدة للجسد يمكن فهمها بملاءَمة تحت إسم مفرد.

ثياتيتوس: ما هي، وما اسمها؟

الغريب: هناك التنقية للأجسام الحيّة في أجزائها الداخلية والخارجية، أمّا السابق فهو متأثر كما ينبغي بالدواء والألعاب الرياضيّة، والآخر بالفنّ الذي ليس هو

بالجليل تماماً وهو استحمام الرجل؛ وهناك التطهير للمواد غير الحيّة - لهذه تؤدّي فنون الصقل والنقع الخدمة في عدة دقائق معيّنة بشكل عام، ولها أسماء متنوعة يُعتقد أنّها مضحكة.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: ليس هناك أيّ شكّ في أنّها مضحكة، يا ثياتيتوس، لكنّ الفنّ الجدلي لا يعتبر قطّ، سواء أكان النفع المكتسب من التطهير أكثر أو أقل من ذلك الذي يُنال من الاسفنجة، وليس لديه اهتمامٌ في الواحد أكثر من الآخر. إنّ محاولته هي أن يعرف ما يكون وما لا يكون متشابهاً في كلّ الفنون، بالنظر إلى القدرة على اكتساب الفهم والإدراك. وبما أن هذا هو قصده، فهو يكرّمها جميعاً بشكل مشابه، وعندما يصنع المقارنة، لا يحسب إحداها أكثر إضحاكاً من الأخرى بقليل؛ ولا يقدِّر من يقدِّم فنّ القائد، كمثله عن الصيد، أكثر تهذيباً من الآخر الذي يستشهد بالذي يبيد الحشرات الطفيلية الضارة على الإطلاق، بل كمدَّع أكبر للاثنين فقط. وأمّا عن سؤالك فيما يخصّ الإسم الذي كان ليدرك كل تلك الفنون للتطهير، سواء كان للأجسام الحيّة أو الميتة، ففنّ الجدل لا يختص بجمال الكلمات بأية عقليّة، إذا ما أمكن السماح له أن يمتلك إسماً عاماً لكل التنقيات الأخرى للروح أو الفهم. لأنّ هذا هو التطهير الذي يريد أن يصل إليه علم الجدل، وهذا ما سنفهمه أنّه غرضه.

ثياتيتوس: نعم، إنني أفعل؛ وأوافق أنه يوجد نوعان للتطهير، وأن واحداً منها يختص بالروح، وواحداً بالجسد.

الغريب: ممتاز؛ واستمع لِما أنا ذاهب لأقوله الآن، وحاول أن تقسّم أولهما إلى ما هو أبعد.

ثياتيتوس: سأحاول مساعدتك، مهما كان حظّ القسمة الذي تقترح.

الغريب: أتعترف أنّ الفضيلة في الروح متميِّزة عن الرذيلة؟

ثياتيتوس: بكلّ تأكيد.

الغريب: ويعني التطهير، كما رأينا، إبقاء الخير، وطرح شرّ ذلك الممكن إيجاده.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: هكذا، قدر ما نجد عمليةً ما يمكن بواسطتها إزالة الشرّ من الروح، وهذه يمكن أن تسمى تطهيراً أيضاً؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وهناك نوعان من الشرّ في الروح.

ثياتيتوس: ما هما؟

الغريب: يمكن لأحدهما أن يُقارن بالمرض في الجسم، والآخر بالعاهة.

ثياتيتوس: إنّني لا أفهم.

الغريب: لربّما لم تفكر ملياً بأنّ المرض والتنافر هما الشيء نفسه.

ثياتيتوس: لا أعرفُ ما سأجيب به على هذه، مرّة ثانية.

الغريب: ألم تتصوّر أنّ التنافر هو انحلال للعناصر المتشابهة، متولّد من عدم اتفاق ما؟

ثياتيتوس: ذلك تماماً.

الغريب: هل العاهة شيء آخر غير الافتقار للقياس، التي هي قبيحة المنظر على الدوام؟

ثياتيتوس: بالضبط.

الغريب: أوَلا نرى أنّ الآراء هي مضادة للرغبات، الغضب إلى المسرّات، العقل إلى الآلام، وأنّ كل هذه الأشياء أحدها مضادٌ للآخر في الأرواح غير المتناسقة.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: وهي تمتلك كلّها مع ذلك روابط غير قابلة للانحلال، مع بعضها بعضاً.

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: سنكون محقين آنئذٍ في تسميتنا الرذيلة تنافراً ومرض الروح؟

ثياتيتوس: الأكثر حقاً.

الغريب: وعندما تفقد الأشياء التي لها حركة، والتي تتوجّه نحو علامة محدَّدة، عندما تفقد أهدافها بشكل متواصل وتنحرف جانبيّاً، هل سنقول إنّ هذا هو تأثير التناسب بينها، أو فقدان التناسق؟

ثياتيتوس: إنّه فقدان التناسق بوضوح.

الغريب: لكنّنا نعرف بالتأكيد، أنّ ما من روح تجهل أيّ شيء اختياراً؟

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

الغريب: وما الجهل سوى ضلال العقل المنثني على الحقيقة، والتي تكون فيه عملية الفهم مُساءً استعمالها؟

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: نعتبر نحن روحاً غير مدرِكة حينئذ كأنّها روح مشوّهة وخالية التناسق؟

ثياتيتوس: يبدو ذلك.

الغريب: يظهر وجود هذين النوعين في الشرّ إذن: الأول الذي يدعى رذيلة بشكل عام، وهو على ما يبدو مرض الروح...

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وهناك الآخر، الذي يسموّنه جهلاً، والذي، لأنّه موجود في الروح فقط[٩] لن يسمحوا أن يكون رذيلة.

ثياتيتوس: يجب أن أعترف بالتأكيد بما أخفقت في فهمه عندما ذُكر أنّ هناك نوعين للرذيلة في الروح، وأنّه يجب علينا أن نعتبر الجُبن، الإفراط، والظُّلم لتكون كلها أشكالاً متشابهة للمرض في الروح، والجهل الذي يمتلك كل أنواع النوعيّات هذه، ليكون عاهة.

الغريب: أليس هناك فئتانِ في حالة الروح يفعلان بحالتين جسديتين؟

ثياتيتوس: ما هما؟

الغريب: هناك التمارين الرياضيّة، التي تفعل بالعاهة الجسدية، والدواء الذي يفعل بالمرض.

ثياتيتوس: يبدو ذلك.

الغريب: وحيث توجد الوقاحة والظلم والجبن، ألا يكون العدل الذي يعطي العقاب نصيبه، هو الفنّ الذي نحتاجه أوّلاً قبل كل شيء.

ثياتيتوس: يظهر أنّ ذلك هو رأي الجنس البشريّ بكلّ تأكيد.

الغريب: ألا يمكن أن يقال بحقّ إنّ التعليم هو العلاج لأنواع الجهل المختلفة، مرّة ثانية.

ثياتيتوس: حقّاً.

الغريب: وهل سنقول إنّ هناك نوعاً واحداً من فنّ التعليم، أو أنواع متعددة؟ هناك نوعان رئيسيان له على أيّة حال. فكر.

ثياتيتوس: سأفعل.

الغريب: أعتقد أنّني أستطيع أن أرى كيف سنصل إلى جواب هذا السؤال في أقرب وقت.

ثياتيتوس: كيف؟

الغريب: إذا قدرنا أن نجد الخطّ الذي سيقسّم الجهل إلى نصفين. لأنّ قسمة الجهل إلى جزأين سيدلّ ضمناً بالتأكيد على أنّ فنّ التعليم هو فنّ مزدوج أيضاً. مجاوباً لقسمتي الجهل.

ثياتيتوس: حسناً، وهل ترى ما أنت عنه باحث؟

الغريب: أبدو لنفسي أنّني أرى شيئاً واحداً كبيراً جداً ونوعاً سيّئاً للجهل الذي يكون منفصلاً تماماً، ويمكن أن يُوزن في الميزان ضدّ كل أنواع الجهل الأخرى الموضوعة معاً.

ثياتيتوس: ما هو؟

الغريب: عندما يفترض المرء أنّه يعرف، وهو لا يعرف؛ يبدو هذا أنّه منبع عظيم لكلّ أخطاء رجال الفكر.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: وهذا هو نوع الجهل الذي يكسب لقب الحماقة بشكل خاصّ، إذا لم أكن مخطئاً.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: أيّ إسم سيُعطى إلى نوع التعليم الذي سيتخلّص من هذا حينئذ؟

ثياتيتوس: عليّ أن أخمّن، أيّها الغريب، أنّ التعليم الذي تعنيه ليس تعليم فنون الصناعات اليدويّة. لكن لماذا، والشكر لنا، إنّه قد سُميّ تعليماً في هذا الجزء من العالم.

الغريب: نعم، يا ثياتيتوس، وبكل الهيلينيّين تقريباً. لكن يبقى أن نعتبر ما إذا كان التعليم يفسح مجالاً لأيّ تقسيم أبعد يستحقّ إسماً.

ثياتيتوس: علينا أن نعتبر.

الغريب: أعتقد أن هناك نقطة رئيسيّة حيث يكون تقسيمٌ كهذا محتملاً.

ثياتيتوس: أين؟

الغريب: يمكن اتّباع طريقتين في التعليم النظري، الأولى أخشن والأخرى أنعم.

ثياتيتوس: كيف سنميّز الاثنين؟

الغريب: هناك أسلوب لتكريم الوقت الذي مارسه آباؤنا نحو أولادهم بشكل عامّ، والذي لا يزال يتبنّاه العديدون: إما بتأنيب أخطائهم بقسوة، أو بنصحهم بلطف؛ يمكن لتلك النوعيّات أن تُدرج بحق تحت العبارة العامة للنصح أنّها تحذير.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: لكن حيث إنّ البعض يبدو ليصل إلى الاستنتاج، إنّ كل الجهل هو اختياري، وأن لا أحد ممّن يعتقد أنّه حكيم هو على استعداد أن يتعلم أيّاً من تلك الأشياء التي يكون فيها على وعي ببراعته الخاصّة، وأنّ نوع التحذير والتنبيه يعطي إزعاجاً أكثر وخيراً أقلّ.

ثياتيتوس: إنّهم على حق تماماً هناك.

الغريب: بناء على ذلك، فهم يشرعون باستئصال غرور النفس بطريقة أخرى.

ثياتيتوس: بأيّة طريقة؟

الغريب: إنّهم يستجوبون الإنسان للتدقيق في كلماته، عندما يظن أنّه يكون قائلاً شيئاً ما وهو ليس بقائلٍ أيّ شيء في الحقيقة، ويدينونه لتناقض آرائه بسهولة. إنّهم يستجمعون آراءه تلك بعمليّة منطقيّة حينئذ، وبوضعها جنباً لجنب، يُظهر ذلك أنّ واحدها يناقض الآخر بشأن الأشياء عينها، فيما يختص بالأشياء عينها، وفي الشأن عينه. وهو عندما يرى هذا، يغضب مع نفسه، ويصبح لطيفاً نحو الآخرين، وهكذا ينقذ التحيّز العنيد لنفسه بالكليّة، بطريقة هي أكثر متعة إلى السامع، وتعطي التأثير الأكثر جودة وبقاءً على الشخص المعرّض للعمليّة. فكما يعتبر الطبيب أنّ الجسم لن يتلقى أيّ نفع من تناول الغذاء حتى تُزال العوائق الداخليّة، هكذا يكون مطهِّر الروح متيقظاً أن مريضه لن يتلقى أيّة فائدة من استعمال المعرفة حتى يُثبت خطأ مزاعمه، ويتعلّم التواضع من النقض. يجب أن يُطهَّر من تحيّزه بادىء ذي بدء ويُرغَمَ على الاعتقاد أنّه يعرف ما يعرف فقط، ولا أكثر.

ثياتيتوس: تلك هي الحالة العقليّة الأفضل والأعقل بالتأكيد.

الغريب: لكل تلك الأسباب، يا ثياتيتوس، يجب أن نعترف أنَّ النقض هو الأعظم والأهمّ من كل التطهيرات، ومن لم يُنقض، حتى إذا كان الملك ذاته، فهو في حالة تلوّث شنيعة؛ إنّه غير مثقّف وممسوخ في تلك الأشياء التي مَن سيكون مباركاً فيها بحق، يجب أن يكون أجمل وأصفى.

ثياتيتوس: حقيقيّ تماماً.

الغريب: ومن هم أسياد هذا الفن؟ أخشى أن أقول إنّهم السوفسطائيون.

ثياتيتوس: لماذا؟

الغريب: كي لا نخصّص لهم امتيازاً عالياً أكثر من اللزوم.

ثياتيتوس: مع ذلك فالسوفسطائيّ له شبه محدّد لوزيرنا المطهِّر.

الغريب: نعم، إنّه نفس الشّبه الذي لدى الذّئب، أشرس الحيوانات، نحو الكلب، الذي هو ألطفها. لكنّ مَن لا يتعثر، عليه أن يحذر جدّاً من هذه المقارنة، لأنّها أكثر الأشياء انزلاقاً. دعنا نفترض بالرغم من هذا أنّ السوفسطائيين هم أولئك الرجال. أقول هذا مؤقتاً، لأنّني أعتقد أنّ الحدّ قيد التنازع سيبرهن أنّه واحدٌ غاية في الأهميّة، إذا ما كان سيُدَافع عنه بحزم وثبات.

ثياتيتوس: إنّ ذلك متوقّع بما فيه الكفاية.

الغريب: دعنا نمنح إذن، أنّ التطهير يأتي من شكل الفنّ المميّز، ودع أن يكون جزءاً منفصلاً من التطهير ذلك الذي يخصّ الروح، وسيكون التدريس قسماً من هذا التطهير العقلي، ومن التدريس والتعليم، علينا، أنا وأنت، أن ندعو هذا التعليم نقضَ الغرور التّافه، طبقاً للمحاورة التي قد ظهرت إلى العلن الآن، يجب أن يدعى ذلك سفسطة ذات أصل أعلى.

ثياتيتوس: حسناً تماماً؛ ومعتبراً مع ذلك، عدد الأشكال التي أظهر نفسه فيها، فإنّني بدأت أشكّ كيف أستطيع بأية حقيقة أو ثقة أن أصف الطبيعة الحقيقية للسوفسطائي.

الغريب: إنّك تشعر بالحيرة بطبيعة الحال؛ وأعتقد مع ذلك أنّ السوفسطائي يجب أن يبقى أكثر إرباكاً في محاولته الإفلات منا، إذ كما يقول المثل، ليس هناك مجال للهرب، عندما تكون كل الطرق مقفلة؛ الآن إذن هو الوقت لأنْ يهاجمه كلّ الآخرين بعنف.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: دعنا نتوقف للحظة ونستعيد أنفاسنا، وعندما نرتاح، نقدر أن نحسب في كَم شكلٍ قد ظهر. لقد اكتُشِف أنّه صيّادٌ يتلقى الدّفع وصيده عَقِب الثروة والشباب، في المقام الأوّل.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وهو تاجر في بضاعة الروح، في المقام الثاني.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: لقد أثبت أنّه بائع تجزئة للنّوع عينه من السّلع، في المقام الثالث.

ثياتيتوس: نعم؛ ولقد صنع السّلع المعلّمة التي باعها، صنعها هو نفسه، في المقام الرابع.

الغريب: حقّاً تماماً؛ سأحاول وأتذكر الخامس بنفسي. إنّه يخصّ الطبقة المقاتلة، وكان مميّزاً أبعد من ذلك كبطل جدال، ذلك الذي يمارس فنّ الخصام.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: إنّ النقطة الرئيسيّة السادسة كان مشكوكاً فيها، وسمحنا لزعمه أن يكون مع ذلك مطهّراً للأرواح، ذلك الذي أبعد أفكاراً حاجبة للمعرفة.

ثياتيتوس: حقيقيّ تماماً.

الغريب: ألا تتأمّل أنّه عندما يظهر الإنسان ممتلكاً معرفة مواضيع متعددة، لكنّه يدعى باسم فنّ مفرد، فإنها إشارة إلى أنّ شيئاً ما يكون خطأ، وأيّ واحد ممّن يكون مخدوعاً، ويستخدم أسماء متعدّدة حيث الحاجة إلى واحد منها فقط، فإنه غير قادر أن يدرك المبدأ العام بوضوح، ذلك المبدأ الذي تميل له كل تلك الدراسات؟

ثياتيتوس: سأخمّن أنّ هذه هي الحالة.

الغريب: دعنا لا نكون مخدوعين إذن على الأقل من التراخي في البحث؛ بل إسمح لنا أن نعود إلى واحد من تصريحاتنا فيما يختصّ بالسوفسطائي؛ إنّ هناك شيئاً واحداً ظهر لي وهو مميّز له بشكل خاص.

ثياتيتوس: إلامَ تشير؟

الغريب: كنا قائلين عنه إنّه كان مخاصماً، إذا لم أكن مخطئاً.

ثياتيتوس: لقد فعلنا.

الغريب: أوَلاَ يعلّم الآخرين فنّ الخصام أيضاً؟

ثياتيتوس: إنّه يفعل بالتأكيد.

الغريب: وعَمّ يُصّرِح سوى أنّه يعلّم الرجال كي يتخاصموا؟ لنبدأ من الأوّل. ألاَ يجعلهم قادرين على الجدال بشأن الأشياء الإلهيّة، المحجوبة عن الرجال بشكل عامّ؟

ثياتيتوس: يقال إنّه يفعل ذلك، على أية حال.

الغريب: وماذا تقول عن الأشياء المرئيّة في السماء والأرض، وما شابه ذلك؟

ثياتيتوس: إنّه يتخاصم بالتأكيد، ويعلّم ليتخاصم بخصوصها.

الغريب: نعرف نحن أنّ أشخاصاً كهؤلاء، هم مجادلون هائلون في المحادثات الخاصّة، عند إيراد أيّ إصرار على الحقّ بشأن الكون والجوهر، وأنّهم لقادرون أن ينقلوا مهارتهم الخاصة للآخرين.

ثياتيتوس: بدون شك.

الغريب: أولاَ يدّعون أنّهم قادرون على جعل النّاس يتخاصمون بشأن القانون والعلوم السياسيّة بشكل عام؟

ثياتيتوس: لماذا، ليس لدى أحد أيُّ شيء يقوله لهم، إذا لم يضعوا هذه الادّعاءات.

الغريب: ماذا سيقول أحدهم في جميع الفنون وفي كلّ فنّ، إذا رغب أن يناقض الحِرفيّ نفسه ويكون ذلك مدوّناً في شكل شعبيّ، ومن يحبّ يمكنه أن يتعلّم.

ثياتيتوس: أفترض أنّك تشير إلى المدارك الحسّيّة لبروتاغوراس بشأن المصارعة والفنون الأخرى.

الغريب: نعم، يا صديقي، وبشأن أشياء أخرى عميمة. بكلمة، ألا يظهر فنّ الخصام ليكون أحد المعارف، كافياً للجدل، بكل موضوع في العالم؟

ثياتيتوس: بالتأكيد. لا يبدو من أنّ هناك أشياء كثيرة تكون ما وراء نطاقه.

الغريب: لكن يا للدهشة، يا عزيزي الشابّ، هل تفترض أنّ هذا يكون محتملاً؟ لأنّه يمكن لعينيك الناشئتين أن تريا الأشياء التي لا تظهر لبصرنا الكليل.

ثياتيتوس: إلامَ تلمّح أنت؟ لا أعتقد أنّني أفهم سؤالك الحالي.

الغريب: إنّني أسأل ما إذا كان أيّ مخلوق بشري يستطيع أن يفهم كل شيء.

ثياتيتوس: سيكون الجنس البشري سعيداً إذا ما كان شيء كهذا مستطاعاً!

الغريب: كيف يستطيع من يجهل إذن، أن يمتلك أيّة حجّة منطقيّة ليحضرها ضدّ من يعرف؟

ثياتيتوس: إنّه لا يتمكن.

الغريب: لماذا يمتلك فنّ السفسطة، قوّة خفيّة كهذه؟

ثياتيتوس: إلامَ تشير أنت؟

الغريب: كيف يجعل السوفسطائيون الرجالَ الشبابَ يعتقدون في حكمتهم العالميّة المتعالية؟ لأنّهم إذا لم يخاصِموا ولم يُظنّ أنّهم يخاصمون بحق، أو كانوا يعتقدون فعل ذلك فلن يحسبوا عقلاء بحذقهم المثير للجدل. لنقتبس ملاحظاتك الخاصة إذن، فلا أحد سيعطيهم مالاً أو يكون مستعدّاً ليتعلّم منهم.

ثياتيتوس: إنهم لن يفعلوا بالتأكيد.

الغريب: لكنّهم مستعدّون لفعله.

ثياتيتوس: نعم، إنّهم لكذلك.

الغريب: نعم، وإنّ السبب كما أتصوّر، هو أنّهم يُفترَضُ أن يمتلكوا معرفة تلك الأشياء التي يجادلون بشأنها؟

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: وقد قلنا إنّهم يجادلون عن كل الأشياء؟

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: ويبدون لمريديهم أنّهم ممتلئون حكمة، بسبب ذلك؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: لكنهم ليسوا كذلك؛ فذلك قد أُبين أنّه مستحيل.

ثياتيتوس: مستحيل طبعاً.

الغريب: لقد أُظهر السوفسطائي آنئذ أنّ لديه نوعاً من المعرفة التخمينيّة أو الظاهرية عن كل الأشياء فقط، التي ليست حقيقيّة.

ثياتيتوس: بالضبط؛ لا يمكن إعطاء وصف له أفضل من ذلك.

الغريب: دعنا ننقل صورة توضيحيّة عنه ستبقى تشرح طبيعته بوضوح أكثر.

ثياتيتوس: ما هي؟

الغريب: سأخبرك، وأنت ستجيبني. وأنت تراقب بأدقّ ما تستطيع. إفترض أنّ شخصاً أعلن أنّه لا يستطيع أن يتكلم أو يجادل، لكنه عرف كيف يصنع ويعمل كلّ الأشياء، بفنّ مفرد.

ثياتيتوس: كلّ الأشياء؟

الغريب: أرى أنّك لا تفهم الكلمة الأولى التي أتفّوه بها، لأنّك لا تفهم معنى كلمة « كلّ ».

ثياتيتوس: لا إنّني لا أفهمها.

الغريب: إنّني أُضمِّنُ نفسي وإيّاك، وكلّ الحيوانات والأشجار أيضاً، تحت كل الأشياء.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: إفترض أنّ شخصاً يقول إنّه سيصنعُك وإيّاي، وكلّ المخلوقات.

ثياتيتوس: ماذا سيعني بالـ (صنع)؟ فهو لا يستطيع أن يكون خبيراً في الزراعة، ـ لأنك قلت إنّه صانع حيوانات.

الغريب: نعم، وإنني أقول إنه صانع البحر، والأرض، والسماوات، والآلهة، وكلّ الأشياء الأخرى؛ وأبعد من ذلك فهو يستطيع صنعها بمثل لمح البصر، ويبيعها بدريهمات قليلة.

ثياتيتوس: يجب أن تكون تلك مزحة.

الغريب: وعندما يدّعي الإنسان إنّه يعرف كلّ الأشياء، ويستطيع أن يعلّمها للغير بثمن قليل، وفي زمن قصير، ألا يجب أن يفكّر أحدنا أنّها مزحة؟

ثياتيتوس: بكلّ تأكيد.

الغريب: أتعرف أيّ شكل أكثر فنّاً ورشاقة للمزحة من التقليد؟

ثياتيتوس: لا بالتأكيد؛ لأنّ التقليد هو عبارة جدّ شاملة، تتضمّن أنواع الأشياء الأكثر اختلافاً تحت طبقة واحدة.

الغريب: نحن نعرف طبعاً، أنّ مَنْ يدّعي أنّه يصنع كلّ الأشياء بفنّ واحد، هو رسّام يد في الحقيقة، ويصنع بفنّ رسم اليد تشابهاً للأشياء الحقيقيّة التي له الإسم عينه معاً؛ وهو يستطيع أن يخدع النّوع الأقلّ ذكاء من الأطفال الصّغار، الذين يريهم صورة من مسافة لجعلهم يعتقدون أنّ لديه القوة المطلقة لصنع أيّ شيء يحب.

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: أولا يمكن افتراض وجود فنّ مقلّد للتعقل؟ أليس ممكناً أن يستهوي قلوب الرجال الشباب بكلمات شُكِبت من خلال آذانهم، عندما يكونون باقين على مسافة من واقع الحقائق، بعرضِهِ لهم محاورات زائفة، وجعلهم يفكرون أنّها حقيقة، وأنّ المتكلّم هو أعقل الرجال في كل شيء؟

ثياتيتوس: نعم؛ لَمَ لا يكون هناك فنّ آخر كهذا؟

الغريب: لكن بما أنّ الزمن يستمّر، ومستمعيهم يتقدمون في العمر، ويحصلون على اتصال أقرب بالحقائق، وقد تعلموا بالخبرة الحزينة ليروا ويشعروا حقائق

الأشياء، ألا يكون الجزء الأكبر منهم مجبراً ليغيّر العديد من الآراء التي تسلّوا بها سابقاً، هكذا ليظهر الكبير صغيراً لهم، والسهل صعباً، وتُقلب رأساً على عقب كلّ تأمّلاتهم الحالمة، تُقلب بحقائق الحياة؟

ثياتيتوس: تلك هي وجهة نظري، قدر ماأستطيع الحكم على ذلك، مع أنّه يمكنني أن أكون في سنّي واحداً من أولئك الذين يستطيعون رؤية الأشياء من مسافة فقط.

الغريب: وإن رغبتنا كلّنا، الذين نحن اصدقاؤك، والتي ستكون دائماً هي أن نحضرك قريباً من الحقيقة قدر ما نستطيع بدون خبرة مؤلمة. وبعدُ أحبّ أن أخبرك، ما إذا كان السوفسطائي ساحراً مرئياً ومقلّداً للوجود الحقيقي؛ أو أنّنا لا زلنا ميّالين لنفكّر أنّ بإمكانه أن يمتلك معرفة حقيقيّة للمسائل المختلفة التي يظهر أنّ لديه بشأنها قوة التناقض؟

ثياتيتوس: لكنّه كيف يستطيع، أيّها الغريب؟ أيوجد أيّ شك، بعدما قد قيل، أنّه يكون لاعباً أو مهرجاً من نوع ما.

الغريب: يجب أن نضعه في طبقة السّحرة والمقلدين إذن.

ثياتيتوس: يجب بالتأكيد.

الغريب: وبعدُ فإنّ عملنا هو أن لا ندع الحيوان يفلت، لأنّنا قد حبسناه في نوع من الشبكة الجدليّة، وهناك شيء واحد لن يهرب منه بكلّ تأكيد.

ثياتيتوس: ما هو ذلك؟

الغريب: هو استنتاج أنّه مُشعوذ.

ثياتيتوس: إنّه رأيي الخاصّ عنه بالضبط.

الغريب: يجب أن نقسّم بوضوح عندئذٍ وفي أقرب وقت ممكن فنّ صانع الصور، وأن ننزل إلى الشبكة، وإذا لم يهرب السوفسطائي منّا، علينا أن نقبض عليه طبقاً لأمر العقل الملكي، الذي سيسلّم له مع تقرير عن أسره، وإذا زحف هو

إلى أعماق الفنّ المقلّد، وأخفى نفسه في واحد منها، فسنقسّم مرة ثانية ونلاحقه حتى نمسك به في قسم فرعيٍّ مقلّدٍ ما، لأنّ طريقتنا لمعالجة الواحد والكل هي أنْ لا ندعه هو ولا أيّ مخلوق آخر يهرب منتصراً قطّ.

ثياتيتوس: حسناً قيل؛ ودعنا نفعل ما تقترح.

الغريب: حسناً إذن، أعتقد أنّني أستطيع أن أميّز قسمتين للفنّ المقلّد، متتبعاً الطريقة التحليليّة عينها كما فعلت في السابق، غير أنني لست بقادرٍ أنّ أرى حتّى الآن في أيٍّ منها سيوجد الشّكل المطلوب.

ثياتيتوس: هل ستخبرني بادىء ذي بدء ما هما القسمتان اللتان تتكلم عنهما؟

الغريب: الأولى هي فن صناعة التشابه، ـ تشابه يكون مصنوعاً لأيِّ شيء بشكل عام بإنتاج نسخة أنجزت في تطابق لتناسبات النسخة الأصليّة، متشابهة في الطول والعرض والعمق، كل شيء منها قد تلقّى لونه المناسب.

ثياتيتوس: أليس هذا هدف التقليد دائماً؟

الغريب: ليس دائماً؛ هناك درجة محددة من الخداع، في فنّ النحت والرسم باليد كليهما، اللذين هما لأي عِظَم؛ لأنّ الفنانين إذا أعطوا التناسب الحقيقي لنماذجهم الجميلة، سيظهر الجزء الفوقي، الذي يكون بعيداً جداً، أنّه خارج التناسب بالمقارنة مع الجزء التحتي، الذي هو أقرب. وهكذا فهم يوقفون الحقيقة في صورهم ويبدون التناسب فقط الذي يظهر ليكون جميلاً، مهملين الصور الحقيقية.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: وذلك الذي كونه غيراً يكون شبيهاً أيضاً، ألا يمكن أن نسميه شبيهاً أو صورة؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: ألا يمكننا أن نسّمي ذلك الجزء للفنّ المقلّد، الذي يختصّ بصناعة هكذا

صورة، كما فعلت لتوّي الآن، ألا يمكننا أن نسّميه فنّ صناعة التشابه؟

ثياتيتوس: دَع ذلك يكون اسمه.

الغريب: وماذا سندعو تلك المشابهات للجميل، التي تظهر هكذا بسبب الموقف اللامقبول للّذي يشاهدها، مع أنّه إذا كان لدى الشخص القوة للحصول على منظر صحيح لأعمال هكذا عِظَم، فإنّها ستظهر غير شبيهة حتى للّذين يعلنون أنّها شبيهة؟ ألا يجب أن نسمّي هذه (مظاهر). بما أنّها تظهر فقط ولا تكون شبيهة بحق؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: هناك مقدار كبير لنوع هذا الشيء في الرسم باليد، وفي التقليد ككلّ.

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: ألا يمكن أن نسمّي بحقّ نوع الفنّ الذي ينتج مظهراً وليس صورة فناً وهمياً؟

ثياتيتوس: بالعدل الأكثر.

الغريب: هذان هما نوعا صناعة الصور إذن ـ فنّ صناعة المتشابهات، والوهمي أو فنّ صناعة المظاهر؟

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: كنت شاكّاً من قبلُ في أيّهما سأضع السوفسطائي، ولست بقادرٍ أن أرى بوضوح؛ إنّه، يقيناً، مخلوق رائع ومُبهم. وبعدُ فإنّه اتخذ ملجأ في طبقةِ بالأسلوب الأحذق، وذلك عمل شاقّ ميؤوس منه كي نختبر.

ثياتيتوس: نعم، إنّه فعل.

الغريب: هل نتكلّم بصدق، أو أنّك محمول بعيداً بعادة الموافقة لإعطاء جواب متسرّع هذه اللحظة؟

ثياتيتوس: أيمكنني أن أسأل إلامَ تشير؟

الغريب: يا صديقي العزيز، إنّنا نشغل أنفسنا بتأمّلٍ صعب جداً ـ ليس هناك شكّ في ذلك؛ إذ كيف يمكن للشيء أن يظهر ويبدو، ولا يكون، أو كيف يمكن للإنسان أن يقول شيئاً ليس صدقاً، سيبقى ذلك سؤالاً محيّراً جدّاً كما قد كان على الدوام. كيف يَخشُنُ بالشخص أن يعبّر عن الحقيقة التي تكون محتملة بصدق ليقول أو يعتقد ما يكون باطلاً ـ كيف يستطيع شخص قول هذا بدون أن يصبح متورّطاً في التناقض. إنّها مسألة محيّرة بحقّ، يا ثياتيتوس(١٠).

ثياتيتوس: كيف؟

الغريب: إن من يقول إنّ الباطل موجود فلديه الجرأة لتأكيد لاوجود الوجود؛ لأنّ هذا يدلُّ ضمناً على احتمال وجود الباطل. لكن بارمينيدس العظيم، يا ولدي، إحتجَّ ضدَّ هذه المقولة، في أيّامَ كنت صبيّاً، ولقد واصل غرس الدّرس عينه في الأفكار حتّى نهاية حياته، مردّده على الدوام شعراً ونثراً:

أبْعد عقلك من طريق هذا التحقيق، لأنّ ذلك لن يُبرهَن أبداً، وهو أنّ الأشياء التي لا تكون، تكون.

تلك هي شهادته، المؤكّدة بالتعبير المحدّد الذي يُجرّمُه، إذا ما تمَّ فحصه باختصار. هل ستعترض في أن تبدأ بتأمّل الكلمات ذاتها؟

ثياتيتوس: لا تبالِ بي؛ إنّني أرغب فقط أن تواصل المحاورة بالطريقة الأفضل، وإنّك ستأخذني معك.

الغريب: جيّد جداً؛ وقل الآن، هل سنجازف لنتفوّه بالكلمة الممنوعة « اللاوجود »؟

ثياتيتوس: سوف تأخذني معك.

الغريب: دعنا نكون جدّيين إذن، ونتأمّل السؤال لا في نزاع ولا لعب. إفترض أنّ واحداً من مستمعي بارمينيدس سُئِل: « لأي شيء يُستعمل التعبير اللاوجود »؟ ـ هل تعرف أيّ نوع من الاعتراض سيتمّ اختياره في الإجابة، وأيّة إجابة سيعطي للسائل؟

ثياتيتوس: إنّ ذلك لسؤال صعب، يصعب على واحد مثلي الإجابة عليه.

الغريب: لا صعوبة على أيّة حال في رؤية أنّ المُسنَد (اللاوجود).ليس ملائماً لأيّ وجود.

ثياتيتوس: لا، على الإطلاق.

الغريب: وإذا لم يكن للوجود، فليس لشيء ما إذن؟

ثياتيتوس: لا بالطبع.

الغريب: إنّه لواضح أيضاً، أنّ في التكلّم عن شيء ما فنحن نتكلّم عن وجود، فلكي نتكَلّمَ عن شيء ما مجرَّد معرًىً ومعزولٍ عن كل وجود فهذا مستحيل.

ثياتيتوس: مستحيل.

الغريب: تعني بالموافقة لتدلّ ضمناً على أنّ من يقول شيئاً ما، يجب أن يقول شيئاً ما واحداً؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: شيء ما في المفرد (Ti) ستقول إنّها علامة الواحد، في المزدوج (TLVE') للإثنين، وفي الجمع (TLVES') للعديد؟

ثياتيتوس: بالضبط.

الغريب: إذن الذي يقول « لا شيء ما » يجب أن يقول لا شيء بكلّ تأكيد.

ثياتيتوس: بالتأكيد الأكثر.

الغريب: ولا أضمّن، أنّنا نستطيع أن نعترف، أنّ شخصاً كهذا يتكلّم، لكنّه يتكلّم عن لا شيء. لا نقدر أن نسمح لذلك الشخص، الذي سيُسرُّ في أن يعبّر عن ذلك الذي لا يكون، لا نقدر أن نسمح له بالتكلّم على الإطلاق.

ثياتيتوس: لا تستطيع المحاورة الصعبة أن تتقدّم أبعد منَ ذلك.

الغريب: ليس الآن، يا صديقي، هو الوقت لكلام كهذا؛ إذ لا يزال هناك الارتباك

الأول والأعظم من بين كل الارتباكات، لا يزال موجوداً، ملامساً أساس المسألة بالتحديد.

ثياتيتوس: ماذا تعني، لا تخف تكلَّم.

الغريب: يمكن أن يُنسب (أو يُزاد) لذلك الذي يكون شيئاً ما آخر الذي يكون؟

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: لكنْ هل سنقول إنّه يستحيل أن نضيف شيئاً ما يكون لذلك الذي لا يكون؟

ثياتيتوس: مستحيل.

الغريب: وكل الأعداد محسوبة بين الأشياء التي تكون؟

ثياتيتوس: نعم، الأعداد بالتأكيد، إذا امتلك أيّ شيء وجوداً حقيقياً.

الغريب: يجب أن لا نحاول لننسب إلى اللاوجود عدداً لا في المفرد أو الجمع إذن؟

ثياتيتوس: تدلّ المحاورة ضمناً أنّنا سنكون مخطئين في عمل كهذا.

الغريب: لكن كيف يتمكن الإنسان، إمّا أنّ يعبِّر في الكلمات، أو حتى يكوِّن في الفكر أشياء لا تكون أو شيئاً لا يكون بدون عدد؟

ثياتيتوس: كيف يستطيع حقّاً.

الغريب: ونحن عندما نتكلّم عن الأشياء التي لا تكون، ألا نحاول أن نعزو الكثرة إلى اللاوجود؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: لكن، في اليد الأخرى، عندما نقول « ما لا يكون »، ألا نُرجِعُ الوحدة؟

ثياتيتوس: بوضوح.

الغريب: نحن نؤكّد مع هذا، أنّه لا يمكنك ولا يجب عليك أن تعزو الوجود إلى اللاّوجود.

ثياتيتوس: الأكثر حقيقة.

الغريب: هل ترى، إذن، أنّ اللاوجود في نفسه، لا يمكن أن يكونُ متكلَّماً، منطوقاً، أو معتقَداً، بل إنّه غير مُعتقَدَ، منطوق، أو متكلَّم، وغير موصوف؟

ثياتيتوس. حقيقي تماماً.

الغريب: لكن، إذ هكذا، أكنت أنا مخطئاً في إخبارك لتوّي أنّ الصعوبة القادمة هي الأعظم من الكلّ، وهل يوجد الأعظم، باقياً وراء ذلك، في الحقيقة؟

ثياتيتوس: ما هو الأعظم؟

الغريب: يا صديقي العزيز، ألا تُريك الكلمات بالذات أنّ اللاوجود يستطيع أن يُربك أيّ شخص يحاول أن يفحصه بفعالية، إنّه يكون مرغماً أنْ يناقض نفسه حالما يصنع المحاولة؟

ثياتيتوس: ماذا تعني؟ تكلَّم بوضوح أكثر.

الغريب: لا تتوقّع الوضوح مني. لأنّني أنا، الذي أؤكّد أن اللاّوجود لا يمتلك جزءاً لا في الواحد أو الكثرة، تكلّمت لتوّي الآن ولم أزل أتكلّم عن اللاّوجود كواحد؛ فأنا أقول « اللاّوجود ». هل تفهم؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: لكن حينئذ، قلت لفترة قصيرة مضت أنّ اللاّوجود يكون غير منطوقٍ، مُتكَلَّم، وغير موصوف. هل تتبعني؟

ثياتيتوس: إنّني أفعل على غرار ذلك.

الغريب: عندما أَدخلت الكلمة (يكون)، ألم أناقض ما قلته سابقاً؟

ثياتيتوس: يبين هكذا.

الغريب: أوَ لم أتكلّم عن اللاوجود كواحد، في استعمال الفعل المفرد؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وعندما تكلَّمت عن اللاوجود كغير موصوف، ومتكَلَّم، ومنطوق، أَلم أُشِر إلى اللاّوجود كواحد، في استعمال كلٍّ من تلك الكلمات في المفرد؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: ونحن نقول مع ذلك، متكلّمين بدقة، يجب أن لا يكون معرّفاً لا كواحد أو كثرة، .ويجب أن لا يسمّى حتى (هو)، لأنّ استعمال ذلك التعبير سيعني ضمناً شكلاً للوحدة أيضاً.

ثياتيتوس: حقيقيّ تماماً.

الغريب: كيف يستطيع أيّ واحد عندئذ، أن يثق بي؟ لأنّني أكون الآن، كما دائماً، غير كفوء لفحص اللاّوجود. ولذلك، كما كنت قائلاً، لا ترنُ إليّ للتكلّم بالطريقة الصحيحة عن اللاّوجود؛ بل تعالَ، ودعنا نحاول الاختبار نحن وأنت.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: أُبذلْ مجهوداً نبيلاً، كأنّك تمسي فتىً، وحاول أن تتكلم عن اللاوجود في أسلوب صحيح بكل قوتك، وبدون أن تدخل إليه البقاء أو الوحدة أو الكثرة.

ثياتيتوس: إنّها ستكون شجاعة غريبة فيَّ، تلك التي ستدعني أهتم بالعمل الشاقّ هذا عندما أراك هكذا مُحْبَطاً.

الغريب: لا تقل أكثر عن أنفسنا؛ لكن حتّى نجد شخصاً ما أو آخر يستطيع أن يتكلّم عن اللاّوجود بدون عدد، يجب أن نعترف أنّ السوفسطائي يكون محتالاً حاذقاً لا يُستطاع إخراجه من ثقبه.

ثياتيتوس: الأكثر حقيقة.

الغريب: وعندما نقول له إنّه يمارس فنّ صناعة مظاهر، فسوف يستغلّ الفرصة التي تقدمها له هذه العبارة، متشبثاً بنا، سيردّ محاورتنا علينا؛ وسيقول عندما نسميه صانع صور، (صلْ ماذا تعني بالصورة مطلقاً؟)، - وسأحبّ أن أعرف، يا ثياتيتوس، كيف يمكننا، بالاحتمال، أن نجيب على سؤال الفتى الآتي من بعيد؟

ثياتيتوس: سنخبره عن الصّور التي تكون معكوسة في الماء أو في المرايا بدون شك؛ عن التماثيل أيضاً، والصّور، والنّسخ الأخرى.

الغريب: إنّني أرى، يا ثياتيتوس، أنّك لم تكن أبداً أحد معارف السوفسطائي الشخصيين؟

ثيآتيتوس: لِمَ تفكر كذلك؟

الغريب: إنّه سيخلق اعتقاداً أنّ عينيه مغلقتان، أو أنه لا يمتلكهما.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: سيضحك عليك لحد الاحتقار، عندما تخبره في إجابتك عن شيء ما موجود في المرآة، أو في التمثال، أو تخاطبه كما لو أنّ له عينين، وسيتظاهر أنّه لا يعرف شيئاً عن المرايا أو الجداول، أو عن الرؤية على الإطلاق؛ سيقول إنّه إنما يسأل عن مثال.

ثياتيتوس: ما الذي يعنيه؟

الغريب: الفكرة العامّة الشاملة كلّ تلك الأهداف، التي تتكلّم عنها كأنّها متعدّدة، وتدعوها باسم واحد للصورة مع ذلك، وكما لو كانت هي الوحدة التي كانت كلّها مشتملة تحتها. كيف ستحتفظ بأرضيتك قبالته؟

ثياتيتوس: كيف يمكنني، أيّها الغريب، أن أصف صورة ما عدا كونها شيئاً ما مصنوعة في الشبه الذي للحقيقي؟

الغريب: وهل تعني هذا الشيء الـ« ما » ليكون شيئاً حقيقياً آخر ما، أو ماذا تعني؟

ثياتيتوس: ليس شيئاً حقيقياً بالتأكيد، بل شبه فقط.

الغريب: وتعني بالحقيقي ذلك الذي يكون بحق؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: ويكون اللاّحقيقي ذلك الذي هو ضد الحقيقي؟

ثياتيتوس: بالضبط.

الغريب: لا يكون الشبه حقيقياً بحق إذن، إذا كان ليس حقيقياً، كما تقول؟

ثياتيتوس: لا، بل هو يكون في معنى محدَّد.

الغريب: تعني أنه، ليس في معنى حقيقي؟

ثياتيتوس: نعم؛ إنّه يكون صورة في الحقيقة فقط.

الغريب: ماذا نسمّي إذن، الصورة التي تكون غير حقيقية في الحقيقة بحق؟

ثياتيتوس: نعم، يظهر أنّ اللاّوجود يكون معقداً مع الوجود بغرابة، بهذه الطريقة.

الغريب: بغرابة! عليَّ اعتقاد ذلك. أنظر كيف أجبرنا السوفسطائي المتعدد الرؤوس، أن نعترف بوجود اللاّوجود ضد إرادتنا تماماً.

ثياتيتوس: نعم، إنّني أرى حقاً.

الغريب: إنّ الحقيقة هي أنّك كيف ستحدد فنه بدون الوقوع في التناقض.

ثياتيتوس: كيف تعني، وأين يكمن الخطر؟

الغريب: عندما نقول إنّه يخدعنا بالوهم، وإنّ فنّه يكون كاذباً وخادعاً، هل نعني أنّ أرواحنا قد قُيِّدت بفنّه لتفكِّر باطلاً، أو ماذا تعني؟

ثياتيتوس: لا يوجد شيء آخر ليكون مقولاً.

الغريب: مرّة ثانية، إنّ الرأي الباطل هو ذلك الشّكل للرأي الذي يفكِّر عكس الحقيقة ـ هل ستوافق؟

ثياتيتوس: بكلّ تأكيد.

الغريب: يعني لتقول إنّ الرأي الباطل يفكِّر بما لا يكون؟

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: هل يَعتبر الرأي الباطل أنّ الأشياء التي لا تكون لا تكون، أو أنها تكون في مفهوم محدَّد؟

ثياتيتوس: الأشياء التي لا تكون يجب أن تكون مخمَّنة أنّها توجد في مفهوم محدَّد، إذا ما كانت أيّة درجة للباطل محتملة.

الغريب: ألا يعتقد الرأي الباطل أيضاً أنّ الأشياء التي توجد بالتأكيد الأكثر أنها لا توجد على الإطلاق؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وهنا يكون الباطل، مرّة ثانية.

ثياتيتوس: الباطل؟ نعم.

الغريب: وفي أسلوب مماثل، سيُعتبر الافتراض الباطل ليكون واحداً يؤكِّد عدم وجود الأشياء التي تكون، ووجود الأشياء التي لا تكون.

ثياتيتوس: ليس هناك طريقة أخرى يستطيع الافتراض الباطل أن ينشأ فيها.

الغريب: لا يوجد؛ لكنّ السوفسطائي سيكذِّب تلك التقارير. وكيف يمكن لأيّ إنسان عقلاني أن يوافق عليها، عندما تضاف إلى الاعترافات الموضوعة مسبقاً؟ هل تدرك مغزاه، يا ثياتيتوس؟

ثياتيتوس: طبعاً، إنّه سيقول إنّنا نناقض أنفسنا عندما نجازف بالتأكيد على أنّ الباطل موجودٌ في الرأي وفي الكلمات؛ لأنّ التمسك بهذا، سيجبرنا مرّة ثانية وثانية لنؤكِّد وجود اللاّوجود الذي اعترفنا به منذ برهة أنّه مستحيل تماماً.

الغريب: كيف تتذكّر جيداً! وبعدُ فالوقت في عزّه لنجري مناقشة فيما يجب علينا عمله بشأن السوفسطائي؛ لأنّنا إذا أصررنا على البحث عنه في طبقة العمال المزيّفين والسحرة، فإنّك ترى مقابض الاعتراضات والصعوبات التي سترتفع وهي عديدة جداً ومتنوعة.

ثياتيتوس: إنها لكذلك حقاً.

الغريب: لقد ذهبنا خلال جزءٍ لكنه جزء صغير جداً منها، وإنّها غير متناهية حقاً.

ثياتيتوس: إذا كانت تلك هي الحالة، فلا نستطيع القبض على السوفسطائي بالاحتمال.

الغريب: هل سنكون هكذا جبناء، كي نستسلم له؟

ثياتيتوس: سأقول، لا بالتّأكيد، إذا ما استطعنا أن نلقي القبض عليه بشكل طفيف.

الغريب: هل ستسامحني إذن، وكما تدلّ كلماتك ضمناً، أن لا تكون غير مسرورٍ إذا تراجعت قليلاً عن الإمساك بهكذا محاورة قوية؟

ثياتيتوس: سأفعل، لتكن متأكّداً.

الغريب: إنّ لدي طلباً أكثر إلحاحاً لأقدّم.

ثياتيتوس: الذي يكون ـ ؟

الغريب: إنّك ستعدني ألاّ تعتبرني كقاتل أحد أبويه.

ثياتيتوس: ولماذا؟

الغريب: لأنّني يجب أن أختبر فلسفة أبي بارميندس، في دفاع عن النفس، وأحاول أن أبرهن بالقوّة الجوهريّة أنّ اللاّوجود يكون في معنى محدّد ما، وأن الوجود، في المقام الآخر، لا يكون.

ثياتيتوس: إنّ محاولة ما من هذا النوع هي ضروريّة.

الغريب: نعم، إنسان أعمى يمكنه رؤية ذلك، كما يقولون، وما لم تكن تلك الأسئلة محدّدة بطريقة واحدة أو بأخرى، فلا أحد يستطيع أن يتفادى الوقوع في مناقضة مضحكة، عندما يتكلّم عن الكلمات الباطلة، الرّأي الباطل، أو الأوثان، أو الصور، أو التقليد، أو المظاهر، أو بشأن الفنون التي تختصّ بها.

ثياتيتوس: الأكثر حقيقة.

الغريب: ولذلك يجب أن أجازف وأضع اليد على محاورة أبي؛ لأنّه إذا وجب عليّ أن أكون حريصاً فوق العادة، فسيجب عليّ أن أتخلى عن القضية.

ثياتيتوس: لا شيء في العالم سيحضّنا على أن نفعل هكذا أبداً.

الغريب: لديّ التماس صغير ثالث أرغب أن أقدمه.

ثياتيتوس: ما هو؟

الغريب: إنّك سمعتني أقول ما قد شعرته وما زلت أشعر به. إنني لا أمتلك الشجاعة لمواصلة هذه المحاورة.

ثياتيتوس: سمعتك تقول ذلك.

الغريب: إنني أرتعد من الفكرة التي قد قلتها، وأتوقّع أنّك ستعتبرني مجنوناً، عندما تسمع عن تغيراتي وتحوّلاتي المفاجئة. دعني ألاحظ لذلك أنّني سأتفحص السؤال في اعتباري لك بشكل كلّي.

ثياتيتوس: لا يوجد أيّ سبب لأن تخاف من أنّني سأنسب لك أيّ عمل غير مناسب، إذا حاولت هذا النقض والبرهان؛ تشجّع، لذلك، وتقدّم.

الغريب: ومن أين سأبدأ بالمشروع الخطر؟ أعتقد أنّ الطريق الذي عليّ أن أسلكه هو -

ثياتيتوس: أيّ طريق؟ دعني أسمع.

الغريب: أعتقد أن من الأفضل، قبل كل شيء، أن نتأمّل النقاط الرئيسيّة التي تعتبر أنها واضحة بنفسها في الوقت الحاضر، خشية الوقوع في اضطراب ما، ونكون جاهزين لأن يُصَدِّقَ بعضُنا بعضاً أيضاً، متخيلين أن نكون واضحين بشأنها تماماً.

ثياتيتوس: قل ما تعنيه بوضوح أكثر.

الغريب: أعتقد أن بارمينايدس، وكل الذين تعهّدوا مع ذلك أبداً أن يقرّروا عدد وطبيعة الموجودات، أعتقد أنهم تكلّموا إلينا بالأحرى بأسلوب خفيف وسهل.

ثياتيتوس: كيف؟

الغريب: كما لو أنّنا قد كنا أطفالاً، كرروا لكلٍّ منهم أسطورته أو قصته؛ - قال واحد إن هناك ثلاثة مبادىء وجدت، وإنه في وقت ما وُجِدَ سجالٌ بين مبادىء محدَّدة منها، وبعدئذ وجد سلام، وتزوجوا ورزقوا أولاداً، وربوهم؛ .وتكلم آخر عن مبدأين: الرطب والجاف، أو الحار والبارد، وجعلاهما يتزاوجان ويتعايشان. يقول الآيليون، في جزئنا من العالم مع ذلك، إن كلّ الأشياء تكون عديدة في الإسم، لكنها واحدة في الطبيعة. هذه هي

أساطيرهم، التي تعود لزمن اكسنوفاينز، وحتى أقدم من ذلك. وهناك آيونيون آنئذ، وصقلّيون في أوقات أكثر حداثة، إنّهم آلهة الشعر والجمال الذين توصّلوا إلى استنتاج وهو أن توحُّد هذين المبدأين يكون أضمن، ولتقل إنّ الوجود يكون واحداً ومتعدداً، وإنّهما مثبتين بالكراهية والصداقة معاً، لا ينفصلان قط، لا يلتقيان قط، كما تؤكّد آلهة الشعر والجمال الأكثر صرامة، في حين لا يصر الآلهة الآخرون الألطف على النزاع والسّلام الدائمين، بل يعترفون باسترخائهما وتغيرهما؛ يسود السلام والحبّ تحت رعاية أفروديت[١١] بعض المرّات، وبعدئذ التكاثر والحرب، بسبب مبدأ النزاع، كي تقرر ما إذا كان أيّ منهم تكلّم الحقيقة في كل هذا فذلك شيء صعب. بجانب ذلك على الأقدمين ومشاهير الرجال أن يمتلكوا المهابة، وأن لا يكونوا عرضة لاتّهاماتٍ خطرة هكذا، ويمكن لشيء واحد أن يُقال عنهم بدون إساءَة لهم مع ذلك.

ثياتيتوس: أيّ شيء؟

الغريب: إنهم سلكوا طرقهم المتعددة مزدرين أن يراقبوا شعباً مثلنا؛ لم يعطوا اهتماماً، سواءً أخذونا معم، أو تركونا خلفهم.

ثياتيتوس: كيف تعني؟

الغريب: أعني أنّهم عندما تكلّموا عن عنصر واحد، اثنين، أو عناصر أكثر، كانت أو قد أصبحت أو ستصبح، أو عن الحرارة ممتزجة مع البرودة مرة ثانية، مفترضين في جزء آخر ما من عملهم الانفصال والاختلاط، ـ أخبرني، يا ثياتيتوس، هل تفهم ما يعنونه بهذه العبارات؟ عندما كنت إنساناً أفتى، اعتدت أن أتوهّم أنّني فهمت فهماً دقيقياً ما كان معنياً بالعبارات (اللاّوجود)، التي هي موضوعنا الحاضر للتنازع؛ وترى الآن أيّ موقف حرج نحن فيه.

ثياتيتوس: إنّني أرى.

الغريب: ومع ذلك فإنّه لمحتمل أن لا يكون ارتباكنا العقلي فيما يختص بالوجود أقلّ شأناً. يمكننا أن نتوهّم أنّه لا يسبب لنا حيرة، وأنّنا نفهم عندما نسمع الكلمة محكيّة. يمكننا مقابلة هذه بجهلنا عن اللاّوجود، عندما نجهلهما بشكل متساوٍ.

ثياتيتوس: أجرؤ على القول.

الغريب: ويمكن قول الشيء نفسه عن كل العبارات المذكورة آنفاً.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: يمكن أن يؤجّل تأمّل أكثرها؛ لكن من الأفضل أن نبحث الآن عن القبطان الرئيسي لها وقائدها.

ثياتيتوس: عَمَّ تتكلم أنت؟ إنك تعتقد بأنّنا يجب أن نبحث بادىء ذي بدء في ما يعنيه الناس بكلمة « وجود » بشكل واضح.

الغريب: إنك تتعقّبني عن قرب، يا ثياتيتوس. لأنّ الطريقة الصحيحة ستكون، كما أتصور، بأن نستدعي لبين ظهرانينا الفلاسفة الاثنينيين ونستجوبهم، « تعالوا » سنقول لهم: « أنتم، الذين تؤكدون أنّ الحار والبارد أو أيّ مبدأين آخرين هما العالم، ما هو الاصطلاح الذي تستخدمونه لكليهما، وماذا تعنون عندما تقولون إنّ كليهما وكلّ منهما (يكون)؟ هل سنفترض نحن، طبقاً لتصوركم، أنّ هناك مبدأً ثالثاً فوق، وعلى، المبدأين الآخرين، ـ ثلاثة في كل، وليس إثنان؟ لأنّكم لا تستطيعون القول إنّ واحداً من المبدأين الإثنين يكون وجوداً بوضوح، وتنسبون الوجود لكليهما مع ذلك؛ لأنّكم، إذا فعلتم، فأيّ الإثنين يكون معرّفاً بالوجود، وسيتضمّن الآخر؟ وهكذا فهما سيكونان واحداً وليس إثنين ».

ثياتيتوس: حقيقي جداً.

الغريب: لكنك ربّما تعني أن تعطي الإسم « وجود » لكليهما معاً؟

ثياتيتوس: متوقّع تماماً.

الغريب: سنجيبهم: « أيّها الأصدقاء، الجواب هو بوضوح أنّ الاثنين لا يزالان مقررين فيَ واحد إذن ».

ثياتيتوس: الأكثر حقيقة.

الغريب: بما أنّنا متحيرون إذن، أوضحْ لنا ما تعنيه من فضلك، عندما تتكلم عن الوجود؛ إذ لا شكّ أنّك فهمت منذ البداية معناك الخاص على الدوام، في حين أنّنا فكّرنا مرّة أنّنا فهمناك، لكننا الآن في ضيق عظيم. إبدأ بشرح هذه المسألة لنا من فضلك، ولا تدعنا نتوهّم بعد اليوم أنّنا فهمناك، عندما أسأنا فهمك بشكل كُليّ. ليس هناك عدم لياقة إن طلبنا جواباً لهذا السؤال، لا من الثنائيين أو الجمعيين.

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

الغريب: وماذا عن مؤكّدي وحدة أحديّة الكل ـ ألاَ يجب أن نكافح لنتحقق منهم ما يعنون بـ« وجود »؟

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: وهناك شيء ما تدعونه « وجود »(١٢)؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وهل الوجود هو الشيء عينه كالواحد، وهل تستعمل الإسمين للشيء ذاته؟

ثياتيتوس: ما سيكون جوابهم، أيّها الغريب؟

الغريب: إنّه لواضح، يا ثياتيتوس، أنّ مَنْ يؤكّد وحدة الوجود كافتراض له، لن يكون في دعة بالكامل لإجابته على هذا السؤال أو أيّ سؤال آخر.

ثياتيتوس: لِمَ هذا؟

الغريب: ليعترف بإسمين اثنين، وليؤكّد أنّه لا يوجد إلاّ وحدة، فهذا مضحك بالتأكيد؟

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: إضافة إلى ذلك، فإنّ مفكّراً كهذا لا يمكن السّماح له ليقول إنّ هناك أيّ إسمٍ على الإطلاق؛ إنّه لا يستطيع إعطاء أيّ حساب عن طبيعته.

ثياتيتوس: كيف ذلك؟

الغريب: إن تمييز مَنْ الشيء يعني ازدواجية ضمناً.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: ومع ذلك فإنّ من يعرّف الإسم بالشيء سيكون مجبراً ليقول إنّه يكون إسماً لا لشيء، أو إذا قال إنّه إسمُ شيءٍ ما، سيلي حينئذ أنّ الإسم يكون الإسم لإسم، ولا لشيء آخر.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: و(الواحد) يقدر أن يشير إلى شيء واحد فقط ـ ذلك لنقول، إلى إسم.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: وهل سيقولون إنّ الكلّ يكون غيراً من الواحد الذي يكون، أو الشيء عينه معه؟

ثياتيتوس: سيفعلون لتكن متأكداً، وهم يقولون ذلك حقاً.

الغريب: إذا كان الوجود كاملاً، كما يغني بارمينايدس، كل طريق مماثل إلى إمتلاء جسم كرويّ جميل، متوازن من المركز في كل اتجاه بالتساوي، ويجب ألاّ يُحتاج ليكون لا الأكثر ولا الأقل في أيّ اتجاه، لا على هذا الجانب ولا على ذاك ـ الوجود له مركز وطرفان إذن وممتلكاً هذه، يجب أن يحوز أجزاء أيضاً.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: لا يوجد سبب مع ذلك، لماذا لا يمكن لذلك الذي له أجزاء، أن يمتلك صفة الوحدة في مجموع كلّ الأجزاء، ويمكن لوجود الكلّ والجمع أن يكون واحداً؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: لكنّ ذلك الذي تكون هذه حالته لا يستطيع أن يكون وحدة مطلقة؟

ثياتيتوس: لِمَ لا؟

الغريب: لأن ذلك الذي يكون واحداً بحق يجب أن يؤكّد أنّه غير منقسم بالمطلق، طبقاً للرّأي الصحيح.

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: لكنّ هذا الذي لا يتجزّأ سيناقض العقل، إذا كان مصنوعاً من عدّة أجزاء.

ثياتيتوس: إنّني أفهم.

الغريب: هل سنقول، إن الوجود يكون واحداً وتامّاً، لأنّه يمتلك صفة الوحدة؟ أو هل سنقول إنّ الوجود لا يكون تاماً على الإطلاق؟

ثياتيتوس: إنّ ذلك لبديلٌ آخر صعب كي تقدِّم.

الغريب: الأكثر حقيقة؛ لأنّ الوجود، ممتلِكاً في معنى محدَّد صفة الواحد، ليس مبرهَنا ليكون الشيء عينه كالواحد مع ذلك، ويكون الكل لذلك أكثر من واحد.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وإذا لا يكون الوجود تاماً مع ذلك، من خلال امتلاك صفة الوحدة، ويوجد هكذا شيء كتام مطلق، فالوجود يفتقر شيئاً ما لطبيعته الخاصة؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: سيصبح الوجود مرّة ثانية، حسب هذا الرأي، ممتلكاً خلل الوجود، سيصبح لا وجوداً.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: أبعد من ذلك، سيصبح التام مرّةً أخرى أكثر من واحد، لأنّ الوجود والتام سيمتلك كلّ منهما طبيعته المنفصلة.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: لكن إذا لم يوجد التامّ مطلقاً، ستبقى كل الصعوبات السابقة هي نفسها، وستكون الصعوبة الأبعد، هي أنّ بجانب عدم امتلاك الوجود، لا يمكن للوجود أن يأتي إلى الوجود أبداً.

ثياتيتوس: لِمَ ذلك؟

الغريب: لأنّ ذلك الذي يأتي إلى الوجود يأتي إلى الوجود كتامّ على الدوام، هكذا إنّ ذلك لا يعطي « التام » مكاناً بين الموجودات، لا يستطيع التكلّم عن الجوهر والنشوء كأنّهما موجودان.

ثياتيتوس: نعم، يظهر ذلك أنّه حقيقة بالتأكيد.

الغريب: مرّة ثانية؛ كيف يستطيع ذلك الذي لا يكون تامّاً أن يمتلك أيّة كمية أو عدد؟ لأنّ ذلك الذي يكون ذا رقمٍ محدَّد يجب أن يكون التامّ لذلك العدد بالضرورة.

ثياتيتوس: بالضبط.

الغريب: وستكون هناك نقاط رئيسيّة أخرى لا تحصى، كلٌّ منها تسبّبُ متاعب غير محدَّدة لذلك الذي يقول إنّ الوجود يكون إمّا واحداً أو اثنين.

ثياتيتوس: تبرهن هذه الصعوبات التي تتجه نحونا أنّ الاعتراض الواحد يتصل بالآخر، وما تقدَّم منها يشتمل على إرباكٍ أعظم وأسوأ.

الغريب: إننا لبعيدون جداً من كوننا قد أرهقنا المفكرين الأكثر دقة الذين يبحثون في الوجود واللاوجود. لكن دعنا نكون قانعين في تركهم، ونتقدّم لنعاين أولئك الذين يتكلمون بدقة أقل؛ وسنجد كنتيجة للكلّ، أنّ طبيعة الوجود هي أن تُدرَك تماماً كتلك التي للاوجود.

ثياتيتوس: سنذهب الآن إلى الآخرين إذن.

الغريب: يظهر أنّ هناك نوعاً من حرب العمالقة والآلهة جارية بينهم؛ إنّهم يتحاربون مع بعضهم بعضاً بشأن طبيعة الحقيقة.

ثياتيتوس: كيف يكون ذلك؟

الغريب: يسحب بعضهم إلى أسفل كلّ الأشياء من السماء ومن اللامرئي إلى الأرض، وهم يمسكون الصخور والسنديان بأيديهم بشدَّة. إنّهم يقبضون على كل أشياء كهذه، ويؤكدون بعناد، أنّ الأشياء التي يُستطاع لمسها أو مسكها تمتلك وجوداً فقط، لأنهم يعرِّفون الوجود (الحقيقة) والجسم كواحد. وإذا قال أيّ واحد آخر إنّ ما لا يكون جسماً يوجد، فإنهم يستخفون به تماماً، ولن يستمعوا لأية وجهة نظر أخرى.

ثياتيتوس: لقد تقابلت مع رجال كهؤلاء غالباً، وإنّهم لمخاليق رهيبون.

الغريب: وإنّ ذلك هو السبب الذي يدعو أخصامهم لأن يدافعوا عن أنفسهم بحذر من عَلٍ، من خارج العالم اللاّمرئي، مناضلين بقوّة من أن الحقيقة الحقة تكمن في مُثُلٍ محدَّدة واضحة غير فانية؛ يحطمون الأجسام الماديَّة التي يؤكدون على أنّها الحقيقة المطلقة، يحطمونها إلى أجزاء صغيرة بمحاوراتهم، ويثبتون أنّها ليست وجوداً، بل نشوءٌ وحركة. هناك نزاع قائم على الدوام بين الجيشين، يا ثياتيتوس، نزاع لا نهاية له بخصوص تلك المسائل.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: دعنا نسأل كل فرقة بالدور، لتعطي حساباً عن ذلك الذي يسمّونه حقيقة.

ثياتيتوس: كيف سنخرجه منهم؟

الغريب: ستكون هناك صعوبة قليلة، مع أولئك الذين يجعلون الوجود يكمن في المثل، لأنّهم أناس مهذّبون بما فيه الكفاية؛ لكن سيكون هناك صعوبة كبيرة جداً، أو لربّما حتى استحالة مطلقة، في استخراج رأي من أولئك الذين يُنزلون كلّ شيء إلى المادَّة. هل سأخبرك ما يجب علينا عمله؟

ثياتيتوس: ماذا؟

الغريب: دعنا نصلحهم بحق، إذا استطعنا؛ لكنْ إذا لم يكن ذلك ممكناً، دعنا

نتخيّلهم أفضل ممّا هم، وعلى استعداد ليجيبوا في تطابق مع قوانين المحاورة، وسيكون رأيهم جديراً بأن يُمتلك عندئذ؛ لأنّ ما يعترف به الرجال الأفاضل له وزن أكثر من الذي يعترف به الرجال الأقلّ أهميّة. إضافة إلى ذلك فنحن لسنا محترمي أشخاص، بل باحثون عن الحقيقة.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: دعنا الآن إذن، على إفتراض أنّهم قد تحسّنوا، دعنا نسألهم ليقرروا وجهة نظرهم، وترجمها أنت.

ثياتيتوس: موافق.

ألغريب: دعهم يقولون ما إذا كانوا سيعترفون بأنّه يوجد هكذا شيء كحيوانٍ فانٍ.

ثياتيتوس: سيفعلون طبعاً.

الغريب: أو لن يعترفوا بهذا ليكون جسماً له روح؟

ثياتيتوس: سيفعلون بكلّ تأكيد.

الغريب: يعنون القول إنّ الروح هي الشيء الذي يبقى؟

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: أو لن يقولوا إنّ روحاً تكون عادلة وأخرى ظالمة، وإنّ روحاً عاقلة وأخرى غبيّة؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: وإنّ الروح العادلة والعاقلة تصبح عادلة وعاقلة بامتلاك العدل والحكمة، والروح المضادّة تكون خاضعة لحالات مضادّة؟

ثياتيتوس: نعم، يفعلون.

الغريب: لكنّ ذلك الذي يمكن أن يكون حاضراً أو يمكن أن يكون غائباً سيكون معترفاً من قبلهم أنّه يوجد بكلّ تأكيد.

ثياتيتوس: مجوّزين أن العدل، الحكمة، والفضائل الأخرى، وأضدادها، مجوّزين أنّها

تبقى، كذلك الروح التي يلازمونها. هل يثبتون أن أيّاً منها مرئيٌّ ومحسوسٌ، أو أنّها جميعها غير مرئيّة؟

الغريب: سيقولون بصعوبة إنّ أيّاً منها يكون مرئيّاً.

ثياتيتوس: إنّهم سيميزون سيقولون إنّ الروح تمتلك جسداً، لكن فيما يخصّ نوعيّات العدل الأخرى، الحكمة، وما شابه، التي تسأل عنها، فإنهم لن يجازفوا لا بإنكار وجودها، ولا بالتأكيد على أنّها تكون كلُّها فانية.

الغريب: يقيناً، يا ثياتيتوس، إنّني أتصوّر تحسّناً كبيراً فيهم؛ فهم الأروميُّون الحقيقيون، أطفال أسنان التنين، لن يعوّقهم أيُّ حياءٍ على الإطلاق، بل سيؤكدون بعناد أنَّ لا شيء يكون إذا لم يستطيعوا أن يعصروه بأيديهم.

ثياتيتوس: تلك هي فكرتهم كثيراً جداً.

الغريب: دعنا ندفع بالسؤال إلى الأمام؛ فهم إذا اعترفوا أنّ أيّاً يكون فانياً حتى الجزء الأصغر، فإنّ ذلك لكافٍ؛ يجب عليهم أن يقولوا بعدئذ ما هي تلك الطبيعة المشتركة للفاني وغير الفاني كليهما، وأيّهما يمتلكون في عينهم العقلية عندما يقولون عن كليهما إنّهما « يكونان ». لربّما يمكن أن يكونوا مربَكين، وإذا كانت هذه هي الحال، فهناك احتمال أنّهم يمكن أن يقبلوا فكرتنا فيما يخصّ طبيعة الوجود، بما أنّهم ليس لديهم أيّ شيء يخصّهم كي يقدّموه.

ثياتيتوس: ما هي الفكرة؟ أخبرني، وسنرى قريباً.

الغريب: ستكون فكرتي، أنّ أيّ شيء يمتلك أيّ نوع من القوة ليؤثر في الآخر، أو ليكون متأثراً بالآخر، ولو للحظة واحدة فقط، مهما يكن السبب ضئيلاً، ومهما يكن التأثير طفيفاً، فإنّه يمتلك وجوداً حقيقياً؛ والتمسك أنّ التعريف للوجود هو قوّة بكل بساطة.

ثياتيتوس: إنّهم يقبلون اقتراحك، بما أنّه ليس لديهم الأفضل مما يخصهم ليقدموه.

الغريب: جيّد جداً. لربّما نحن، كذلك هم، يمكننا أن نغيّر أفكارنا يوماً ما؛ أمّا في

الوقت الحاضر، فيمكن اعتبار هذا الاتفاق الذي توطّد معهم أنّه اتفاق ثابت.

ثياتيتوس: موافق.

الغريب: دعنا نذهب إلى أصدقاء المثل بعدئذ؛ ستكون أنت مترجم آرائهم أيضاً.

ثياتيتوس: سأفعل.

الغريب: سنقول لهم: إنكم ستميّزون الوجود (الحقيقة) من النشوء؟

ثياتيتوس: سيجيبون بنعم.

الغريب: وإنكم ستقرّون أنّنا نمتلك اتصالاً بالكون بواسطة الجسم، ومن خلال قوة الإدراك، لكن من خلال الفكر فالاتصال بالحقيقة الحقة، وبواسطة الروح. وستؤكد حقيقة كهذه أنّها ثابتة ونفسها على الدوام، مع أنّ الكون أو الصيرورة تختلف.

ثياتيتوس: نعم؛ ذلك ما سنؤكّده.

الغريب: حسناً، يا أيّها الأسياد المنصفون، ما هو ذلك الاتصال الذي تؤكّدونه لكليهما؟ هل توافقون على تعريفنا الحديث؟

ثياتيتوس: أيُّ تعريف؟

الغريب: قلنا إن الوجود كان فعلاً أو تأثيراً، ناشئاً عن قوّة محدَّدة في العناصر التي تقابل بعضها بعضاً، لربّما يمكن أن تخفق أذناك في التقاط جوابهم، الذي أقدّر، لأنّني قد اعتدت سماعه.

ثياتيتوس: وما هو جوابهم؟

الغريب: هم ينكرون أنّ الحقيقة هي ما قد قلناه لتوّنا للأروميين عن الوجود (الحقيقة).

ثياتيتوس: ماذا كان ذلك؟

الغريب: لقد تقرّر من قِبَلنا أنّ أيّة قوة فاعلة أو معانية في درجة مهما كانت طفيفة، تكون تعريفاً كافياً للوجود.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: إنّهم ينكرون ذلك ويقولون إن القوة للفعل أو المعاناة لديها قابلية ما للصيرورة، لكن ذلك ليس قوة خاصّة بالوجود.

ثياتيتوس: ألاَ يوجد حقيقة فيما يقولون؟

الغريب: نعم؛ لكنّ جوابنا سيكون، أنّنا نريد أن نتحقّق منهم بوضوح أكثر، إن هم اعترفوا أنّ الروح تُعرف بالإضافة إلى ذلك وأنّ الوجود أو الجوهر يكون معروفاً.

ثياتيتوس: لا يمكن الشكّ في أنّهم يقولون ذلك.

الغريب: أو يكون المعروف أو كونه معروفاً فاعلاً أو معانياً، أو كلاهما، أو أنّ الواحد يكون فاعلاً أو معانياً، أو كلاهما، أو أنّ الواحد يكون فاعلاً والآخر معانياً، أو أنّه لا يمتلك أيّة حصة في أيّة منهما؟

ثياتيتوس: بوضوح، إنّ كليهما لا يمتلك أيّة حصة في أيّ منهما؛ لأنهم إذا قالوا أيّ شيء آخر، فهم سيناقضون أنفسهم.

الغريب: إنني أفهم؛ سيجادلون هكذا ـ إذا كان المعروف نوعاً من العمل، سيلي بالضرورة أن كونه معروفاً يكون تأثيراً. وتكون الحقيقة بناء على هذه النظرية، بقدر ما هي معروفة، تكون مفعولاً فوقها بالمعرفة، وهي لذلك في حركة؛ لأنّ ذلك الذي يكون في حالة سكون لا يمكن أن يكون مفعولاً فوقه، كما نؤكّد.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: ويا للسّماوات، هل يمكن جعلنا مصدّقين قط أنّ الحركة والحياة والروح والعقل لا تكون حاضرة مع الوجود التام(١٣)؟ أنستطيع أن نتخيّل أنّ الوجود يكون خالياً من الحياة والعقل ويبقى هيكليّة أبديّة بلا معنى جليل؟

ثياتيتوس: سيكون ذلك شيئاً رهيباً لنعترف به، أيّها الغريب.

الغريب: لكن هل سنقول إنّ الوجود له عقل وليس له حياة؟

ثياتيتوس: كيف يكون ذلك ممكناً؟

الغريب: وهل سنقول إنّ كليهما يسكنان في الوجود التامّ، لكن الذي يحتويهما لا يمتلك روحاً؟

ثياتيتوس: وفي أيّة طريقةٍ أخرى يقدر أن يحتويهما؟

الغريب: أو إنّ الوجود له عقل وحياة وروح، لكنّه يبقى غير متحرك بالمطلق مع أنّه يتمتع بالروح؟

ثياتيتوس: تظهر لي كل الإفتراضات الثلاثة أنّها غير منطقيّة.

الغريب: يجب أن نضمّن الحركة تحت الوجود إذن، وذلك الذي يكون متحركاً؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: استنتاجنا إذن، يا ثياتيتوس، هو أنّه إذا لم يكن هناك حركة، فلا يوجد أيُّ عقل في أيّ مكانٍ، أو حول أيّ شيء، أو خاص لأيّ شخص.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: ويتبع هذا بشكل متساوٍ مع ذلك، إذا وافقنا على أنّ كلّ الأشياء هي في حركة - بناءً على هذه النظرية فالعقل ليس له وجود أيضاً.

ثياتيتوس: كيف ذلك؟

الغريب: هل تعتقد أن الشيء عينه للحالة والصيغة والموضوع يمكن أن يبقى أبداً بدون مبدأ السكون؟

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

الغريب: أتستطيع أن ترى كيف يقدر العقل البقاء بدونها، أو يأتي إلى الوجود في أيّ مكان؟

ثياتيتوس: لا.

الغريب: ويجب أن نناضل في كلّ طريق بالتأكيد ضد من سيمحق المعرفة والسبب والعقل، ويتجاسر مع ذلك على الكلام بثقة عن أيّ شيء.

ثياتيتوس: نعم، وبكل قوّتنا.

الغريب: إذن، إن الفيلسوف الذي يمتلك التبجيل الأصدق لهذه النوعيّات، لا يستطيع أن يقبل بأية حال فكرة أولئك الذين يقولون إنّ الكل يكون في سكون، لا كوحدة أو في عدة أشكال. وسيكون هو أصمّ بالمطلق نحو أولئك الذين يؤكّدون الحركة الشاملة، كما يقول الأطفال باستعطاف (إعطنا كليهما)، فإنّ الفيلسوف سيشملهما كليهما، المتحرك وغير المتحرك، في تعريفه للوجود وللكل.

ثياتيتوس: الأكثر حقيقة.

الغريب: وبعدُ، ألا يظهر أنّنا قد كسبنا فكرة معقولة عن الوجود؟

ثياتيتوس: نعم بحق.

الغريب: الله يا ثياتيتوس، أعتقد أننا نكون بدأنا الآن نرى الصعوبة الحقيقية للبحث في طبيعة الوجود.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: أوه يا صديقي، ألا ترى أن لا شيء بإمكانه أن يفوق جهلنا، ونتوهّم أنّنا نقول شيئاً ما صالحاً مع ذلك؟

ثياتيتوس: أتصور هكذا، على الأقل؛ وما زلت لا أفهمك تماماً في أيّ خصوص أخفقنا لندرك جهلنا.

الغريب: تأمل ملياً. بعد أن أدّينا هذه الاعترافات، ألا يمكن أن نسأل، بعدل، الأسئلة ذاتها التي كنّا نسألها نحن أنفسنا، لأولئك الذين قالوا إنّ الكل كان حاراً وبارداً؟

ثياتيتوس: ماذا كانت؟ هل ستعيدها إلى ذاكرتي؟

الغريب: سأفعل، لتكن متأكداً، وسأحاول أن أفعل هكذا بوضع أسئلة لك كما فعلت لهم، وسنخلق تقدماً عندئذ.

ثياتيتوس: حقّاً.

الغريب: هل ستقول أنت إنّ السكون والحركة هما في المعارضة الأكثر كلّيّة لبعضهما بعضاً؟

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: وستقول مع ذلك إنّ كليهما أو واحداً منهما يكون بشكل متساوٍ؟

ثياتيتوس: سأفعل.

الغريب: وعندما تعترف أن كليهما أو واحداً منهما يكون، هل تعني أنّهما كليهما أو واحداً منهما يكون في حركة؟

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

الغريب: أوهل ترغب لتدلّ ضمناً أنّهما كليهما يكونان في سكون، عندما تقول إنّهما يكونان؟

ثياتيتوس: لا بالطبع.

الغريب: تعدّ الوجود إذن كطبيعة ثالثة ما ومميّزة؛ الوجود الذي يكون السكون والحركة مُشتَمَلَين تحته بشكل متشابه ومراقباً ذلك أنّهما يشتركان في الوجود، تعلن أنت أنّهما يكونان.

ثياتيتوس: نحن نبدو بحقّ أنّ لدينا إعلاناً عن أنّ الوجود هو شيء ما آخر، عندما نقول إنّ السكون والحركة تكونان.

الغريب: ليس الوجود هو الإتّحاد للسكون والحركة إذن، بل شيئاً ما متبايناً عنهما؟

ثياتيتوس: يبدو أنّه ذلك.

الغريب: إنّ الوجود إذن، طبقاً لطبيعته الخاصة، ليس في حركة ولا في سكون.

ثياتيتوس: تلك هي الحقيقة الأكثر تأكيداً.

الغريب: أين هو الإنسان لنبحث عنه، ذلك الذي ستكون لديه أيّة فكرة واضحة أو ثابتة عن الوجود في عقله كي يساعدنا؟

ثياتيتوس: أين هو حقّاً.

الغريب: أعتقد بصعوبة أنّه يقدر أن يبدو في أيّ مكان؛ لأنّ ذلك الذي لا يكون في حركة يجب أن يكون في سكون بالتأكيد، ومرة ثانية، ذلك الذي لا يكون في سكون يجب أن يكون في حركة؛ غير أنّ الوجود، كما قد بُرهِنَ الآن، يكون مركَّزاً خارج هاتين الطبقتين. هل هذا ممكن؟

ثياتيتوس: مستحيل بالمطلق.

الغريب: يوجد هنا حينئذ، شيء آخر يجب أن نحمله في العقل.

ثياتيتوس: ماذا؟

الغريب: عندما سئلنا إلى ماذا سنعزو لقب اللاّوجود، كنّا في الصعوبة الأعظم. هل تتذكّر؟

ثياتيتوس: لتكن متأكّداً.

الغريب: أولسنا نحن الآن في صعوبة عظيمة مثلها بشأن الوجود؟

ثياتيتوس: سأقول، أيّها الغريب، إنّنا إذا أمكن في واحدة هي حتّى أكثر صعوبة.

الغريب: لقد سُجّلت المشكلة، ويجب أن نتركها حيث هي الآن؛ وكما يكون الوجود واللاّوجود متورّطين في الإرباك عينه، فهناك أمل أنّه عندما يظهر الواحد بوضوح أكثر أو أقلّ، سيظهر الآخر بشكل متساوٍ؛ وإذا كنّا غير قادرين أن نرى هذا ولا ذاك، تبقى لنا فرصة لأن نشق طريقاً لمحاورتنا بينهما بالقوة، بدون أيّ شكّ.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: دعنا نسأل إذن، كيف توصّلنا إلى إعلان أسماء متعدّدة للشيء عينه؟

ثياتيتوس: إعطِ مثالاً.

الغريب: أعني أنّني نتكلّم عن الإنسان، كمثال، تحت أسماء متعدّدة ـ ذلك أنّنا ننسب له ألواناً وأشكالاً وأعظاماً وفضائل ورذائل، والذي لا نتكلّم عنه

كإنسان فقط في كل تلك الأمثلة وآلاف غيرها، بل نتكلّم عنه كخيِّرٍ أيضاً، وله خصائص أخرى-لا يحدّها حصر. وفي الطريقة عينها فإنّ أيّ شيء آخر افترضناه في الأصل ليكون واحداً موصوفاً بنا كأنّه يكون متعدداً، وتحت أسماء متعددة.

ثياتيتوس: إنّ ذلك حق.

الغريب: وهكذا فنحن نقدِّم وليمة دسمة للمبتدئين، سواء أكانوا شبّاناً أو مسنّين؛ إذ لا يوجد شيء أسهل من أن تحاور على أنّ الواحد لا يمكن أن يكون متعدداً، أو المتعدد واحداً؛ وتكون بهجتهم عظيمة في منعنا من أن نقول إنّ الإنسان يكون خيّراً، لأنّهم يُصرّون على أن الإنسان يكون إنساناً، والخيّر خيّراً. أجرؤ على أن أقول إنّك قد قابلت أشخاصاً من الممكن أنّهم يولون اهتماماً لهكذا قضايا - إنهم رجال مسنّون غالباً، يكون إدراكهم الهزيل مرمياً في إنشداهٍ باكتشافاتهم تلك، التي يظنون أنها قمة الحكمة.

ثياتيتوس: لقد تقابلت، بكلّ تأكيد.

الغريب: دعنا نطرح أسئلتنا عليهم إذن، كما طرحناها على أصدقائنا السابقين، ذلك كي لا نستثني مطلقاً أيّ شخص تأمّل في طبيعة الوجود قطّ.

ثياتيتوس: أيّة أسئلة؟

الغريب: هل سنرفض أن ننسب الوجود للحركة والسكون، أو أيّ شيء لأي شيء، ونعتبره أمراً مفروغاً منه، ذلك بما أنّها لا تمتزج، يجب أن نعلنها في محاورتنا طبقاً لذلك؟ أو أنّنا سنجمعها في طبقة واحدة للأشياء معدّة مع بعضها بعضاً؟ أو أنّ بعض الأشياء معدّةٌ والأخرى ليست كذلك؟ أيٌّ من تلك الخيارات، يا ثياتيتوس، سيؤْثِرون؟

ثياتيتوس: ليس لدي أيّ شيء لأجيب عمّا يخصهم.

الغريب: إفترض أنّك تأخذ كل هذه النظريات بالدور، وترى ما هي العواقب التي تتبع من كلّ منها.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: دعنا نعتبره أمراً مفروغاً منه بادىء ذي بدء، أنّهم يقولون لا شيء يمكن أن يكون قادراً على المشاركة في أيّ شيء آخر في أيّة خصوصيّة؛ لا يقدر السكون والحركة أن يشتركا في الوجود على الإطلاق في تلك الحالة.

ثياتيتوس: إنّهما لا يقدران.

الغريب: لكنْ لا يمكن لأيٍّ منهما أن يكون إذا لم يشاركا في الوجود؟

ثياتيتوس: لا.

الغريب: يكون كلّ شيء حينئذ مقلوباً رأساً على عقب بهذا الاعتراف في الحال، كما يكون التعليم للحركة الشاملة وللسكون الشامل، وأيضاً التعليم لأولئك الذين يوزعون الوجود إلى أنواع ثابتة وخالدة؛ لأنّ كل هؤلاء يضيفون فكرة عن الوجود، يؤكّد بعضهم أنّ الأشياء (تكون) في حركة بحقّ، ويؤكد الآخرون أنها (تكون) في سكون حقاً.

ثياتيتوس: هكذا تماماً.

الغريب: مرّة ثانية، فإنّ أولئك الذين يركّبون كلّ الأشياء في وقت ما، ثم يحلّلونها في وقت آخر، سواء أجعلوها في واحدة وخارج الواحدة موجِدين لا نهاية بذلك، أو يقسمونها إلى عناصر محدَّدة، ومشكلين خليطاً من هذه؛ سواء أكانوا يفترضون عملية الخلق لتكون متعاقبة أو متواصلة، إنّ أولئك ما هم إلاّ متكلّمون إسفافاً في كلّ هذا إذا لم يكن هناك خليط.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: سيكون الأكثرَ إضحاكاً من الجميع الرجالُ أنفسهم الذين يريدون أن ينفِّذوا المحاورة، ويمنعوننا مع ذلك أنّ نسمي أي شيء باسم ذلك الآخر، لأنّه مشترك في خاصيّة ما مع الآخر.

ثياتيتوس: لماذا هكذا؟

الغريب: لماذا، لأنّهم مجبرون أن يستعملوا الكلمات (ليكون)، (منفصل)، (عن

الآخرين)، (في نفسه)، وعشرة آلاف كلمة أكثر، تلك التي لا يقدرون الكفّ عن استعمالها، ولذلك فهم ليسوا بحاجة لأن يكونوا منقوضين بالآخرين، لكنّ أعداءهم يسكنون في البيت عينه معهم، كما يقول القائل؛ إنّهم يحملون معهم خصماً على الدوام، مثل يوركليس الرائع المتكلّم من بطنه، الذي يناقضهم من بطونهم الخاصّة، ويمكن سماعه بوضوح.

ثياتيتوس: هكذا بالضبط؛ إنّه توضيح حقيقي ودقيق.

الغريب: وبعدُ، إذا افترضنا أنّ كلّ الأشياء لها قوّة المشاركة مع بعضها بعضاً، ماذا سيلي؟

ثياتيتوس: حتى لو إستطعت أن أحلّ تلك الأحجية؟

الغريب: كيف؟

ثياتيتوس: لماذا، لأنّ الحركة نفسها ستكون في سكون، والسكون في حركة مرّة ثانية، إذا ما كانا منسوبَين بعضُهما لبعض.

الغريب: لكنّ هذا يكون مستحيلاً بالمطلق.

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: يبقى الإفتراض الثالث فقط آنئذ.

پثياتيتوس: حقاً.

الغريب: لأنّه إمّا أن تمتلك كلّ الأشياء مشاركة مع الكلّ بالتأكيد؛ أو لا شيء مع أيّ شيء آخر؛ أو أن تتّصل بعضُ الأشياء ببعض الأشياء والأخرى لا تتّصل.

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: ولقد وُجد أن اثنين من هذه الافتراضات الثلاثة مستحيلان.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: كلّ شخص حينئذ، ممّن يرغب أن يجيب بصدق، سيتبنّى الفرضية الثالثة الباقية لاتّصال البعض مع البعض.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: يمكنِ شرح هذا الاتّصال للبعض مع البعض بحالة الحروف؛ إذ هناك حروف لا يلائم بعضها بعضاً، بينما تفعل الأخرى.

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: وتكون الأحرف الليّنة هي نوع الرّباط الذي يعّم كل الحروف الأخرى بشكل خاصّ. وهكذا لا تستطيع الحروف الساكنة أن تتصل ببعضها بدون الحروف اللينة.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: لكن هل يعرف كلُ شخص أيّ الحروف سيتوحّد مع غيره؟ أو هل يكون الفنّ مُحتاجاً ليجعل الإنسان قاضياً موثوقاً به لفعل هذا؟

ثياتيتوس: هناك فنٌّ لا بدّ منه.

الغريب: أيّ فنّ؟

ثياتيتوس: فنّ علم النحو والصرف.

الغريب: أوَلاَ يكون هذا صحيحاً للأصوات العالية والمنخفضة أيضاً؟ ـ أليس موسيقياً من يمتلك الفنّ ليعرف أيّ الأصوات تمتزج، والذي يجهل ذلك ليس موسيقياً؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وسنجد هذا صحيحاً عن الفن أو غيابه بشكل عامّ؟

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: وكما نعترف بالطبقات في أسلوب مماثل ليكون بعضها قادراً على التمازج والآخر غير قادر، ألا يجب على الذي سيري الأنواع التي تمتزج بحقّ، وأيّها الذي سيصدُّ واحدها عن الآخر، ألا يجب عليه أن يتقدم بالعلم في طريقة المحاورة؟ يجب أن يعرف بالعلم أيضاً إذا وُجدت بعض مصطلحات

الوصل الرابطة جمعاً، التي تمكن الأنواع الأخرى أن تمتزج؛ أو لم توجد.

ثياتيتوس: لا بدّ لذلك من علم، لتكن متأكداً، إذا لم أكن مخطئاً، وهذا أعظم العلوم جميعها.

الغريب: كيف سنسمّي هذا العلم؟ بزيوس، ألم نكشف عن علمنا الحرّ النبيل بدون ذكاء، وفي بحثنا عن السوفسطائي ألم ننظر في أمر الفيلسوف عن غير قصد؟

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: ألا يجب علينا أن نقول إنّ التقسيم طبقاً للأنواع، الذي لا يجعل الشيء عينه غيراً، ولا يجعل الغير الشيء عينه، ألا يجب أن نقول إنّ التقسيم هذا هو عمل علم الجدل؟

ثياتيتوس: ذلك ما يجب علينا قوله.

الغريب: إنّ من يقدر أن يقسّم بحق يكون قادراً أن يرى حينئذٍ بالتأكيد شكلاً واحداً غامراً الكثرة المتفرقة بوضوح، ويرى أشكالاً متباينة محتواة تحت شكل واحد أسمى. ومرّة ثانية يرى شكلاً واحداً محاكاً معها في كلّ تام شاملاً كثيراً كلاً كهذا؛ ويرى أشكالاً عديدة موجودة في انفصال وانعزال أيضاً. هذه هي معرفة الأنواع التي تعيّن أين يمكنها أن تمتلك مشاركة مع بعضها بعضاً وأين لا يمكنها.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: وستعزو فنّ علم الجدل الصافي والحقيقي للفيلسوف فقط.

ثياتيتوس: من سواه يستطيع أن يكون جديراً بالاحترام؟

الغريب: سنكتشف الفيلسوف في هذه المنطقة إذن، إمّا الآن، أو في أيّ وقت آخر، إذا بحثنا عنه؛ إنّه كالسوفسطائي، لا يُكتشف بسهولة، لكن لسبب مغاير.

ثياتيتوس: لأيّ سبب؟

الغريب: لأنّ السوفسطائي يولّي هارباً إلى ظلام اللاّوجود، الذي تعلّم بالعادة أن يتحسّسه ولا يمكن اكتشافه لظلمة المكان، أليس ذلك صحيحاً؟

ثياتيتوس: يبدو أنّه لكذلك.

الغريب: ويكون الفيلسوف مظلماً من فرط النّور، يجري محادثة مع مثال الوجود بواسطة العقل على الدّوام؛ لأنّ أرواح الكثرة لا تمتلك عيناً تستطيع أن تتحمّل الرؤيا الإلهيّة.

ثياتيتوس: نعم؛ يظهر أنّ ذلك حقيقي كما الآخر.

الغريب: حسناً، يمكن أن يكون الفيلسوف من الآن فصاعداً معتبراً بنا تماماً بشكل أكثر، إذا كنا ميّالين لذلك؛ لكن يجب ألاّ يكون مسموحاً للسوفسطائي بوضوح أن يهرب حتى يتسنّى لنا إلقاء نظرة فاحصة عليه.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: لقد اتفقنا منذ ذلك الحين إذن، أنّ بعض الأنواع يشارك البعض الآخر، وليس لدى الأخرى مثل ذلك، وبعضها لديه مشاركة مع قلة وأخرى مع عديد، وأنّه لا يوجد أيّ سبب لعدم مشاركة بعضها مع الكل. دعنا نلاحق التحققّ الآن، كما تقترح المحاورة، ليس في صلة مع كل المثل، خشية أن تربكنا كثرتها، لكن دعنا نختار قلة من تلك التي تعتبر هي الرئيسية، ونعتبر طبائعها المتعدّدة وقدرتها على المشاركة بعضُها مع بعض، حتى إذا لم نكن قادرين أن ندرك بوضوح تام أفكار الوجود واللاوجود، يمكننا على الأقل أن نعاني نقصاً في تأمّلنا لها، بقدر ما تدخل هي في نطاق تحقّقنا الحاضر، فلربّما تيسّر لنا أن نؤكّد أنّه يوجد شيء ما لا يكون بحقّ، وينجو دون أن يصاب بأذى مع ذلك.

ثياتيتوس: يجب أن نفعل هكذا.

الغريب: إنّ الأجناس الأكثر أهميّة التي قد بحثناها حديثاً من هذه هي الوجود ذاته والسكون والحركة.

ثياتيتوس: نعم، بأبعد مدى.

الغريب: وكما نؤكّد فإنّ اثنين من هذه الأجناس لا يقدر بعضهما مشاركة البعض الآخر.

ثياتيتوس: غير قادرين تماماً.

الغريب: مع أن الوجود يمتلك مشاركة معهما كليهما بالتأكيد لأن كليهما يكون.

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: ينشيء ذلك ثلاثة منها.

ثياتيتوس: لتكن متأكّداً.

الغريب: ويكون كلّ منها غيراً من الاثنين الباقيين، لكن الشّيء عينه مع نفسه.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: لكنْ حينئذ، ما هو المعنى لهاتين الكلمتين (الشيء عينه) و (غير)؟ أهُما نوعان جديدان غيرٌ من الثلاثة، ومع ذلك هما ممتزجان معها بالضرورة على الدوام، هكذا يجب أن نبحث في خمسة أنواع بدلاً من ثلاثة؛ أو عندما نتكلم عن الشيء عينه والغير، فإنّما نكون متكلّمين بدون إدراك عن واحد من الأنواع الثلاثة الأوّل؟

ثياتيتوس: من المحتمل جداً أن نكون.

الغريب: غير أنّ الحركة والسكون ليسا غيراً ولا الشيء عينه بالتأكيد.

ثياتيتوس: كيف يكون ذلك؟

الغريب: مهما نسبنا إلى الحركة والسكون في المشاركة لا يمكن أن يكون أيٌّ منهما.

ثياتيتوس: لِمَ لا؟

الغريب: لأنّ الحركة ستكون في سكون والسكون في حركة، لأنّ أحدهما، كونه معلناً كليهما، سيجبر الآخر أن يتغيّر إلى المضاد لطبيعته الخاصة، لأنّه مشترك في ضده.

ثياتيتوس: حقيقيّ تماماً.

الغريب: مع ذلك فكلّ منهما يشترك في الشيء عينه وفي الغير بالتأكيد؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: يجب ألاّ نؤكّد أنّ الحركة إذن، أكثر من السكون، هي إمّا الشيء عينه أو الغير.

ثياتيتوس: يجب ألاّ نفعل.

الغريب: لكنْ هل سنتصوّر أنّ الوجود والشيء عينه هما مماثلان؟

ثياتيتوس: محتمل.

الغريب: لكن إذا كان (الوجود) و(الشيء عينه) لا يتباينان في المعنى بأيّة طريقة، ففي قولنا حينئذ إنّ الحركة والسكون يمتلكان وجوداً، يجب أن نكون قائلين إنّهما الشيء عينه أيضاً.

ثياتيتوس: الذي لا يمكن أن يكون بالتأكيد.

الغريب: لا يمكن للوجود والشيء عينه أن يكونا واحداً إذن؟

ثياتيتوس: بالكاد.

الغريب: يمكننا أن نفترض حينئذ أنّ الشيء عينه يكون نوعاً رابعاً يضاف إلى الأنواع الثلاثة الأخرى الآن؟

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: وهل سندعو الغير نوعاً خامساً؟ أو أنّنا سنعتبر الوجود والغير ليكونا اسمين للنوع عينه؟

ثياتيتوس: محتمل جداً.

الغريب: لكنّك ستوافق، إذا لم أكن مخطئاً، على أنّ هناك نوعين للأشياء، بعضها الذي يوجد في حكم حقه الخاص، والآخر يُقال أنّه يكون فيما يتعلّق بشيء ما آخر فقط.

ثياتيتوس: بدون ريب.

الغريب: ويكون الواحد غيراً من تلك الاصطلاحات التي هي نسبيّة إلى غيرٍ على الدوام.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: لكنّ هذه لن تكون الحالة إلاّ إذا وُجد تباين شاسع بين الوجود والغير. لأنّ الغير إذا انتسب لكلا النوعين كالوجود، فإنّه كان قد وُجد آنئذ نوعٌ للغير لم يكن غيراً من الغير، كما يكون هو. نحن نجد بكلّ بساطة أنّه مهما يكن الغير يجب أن يكون بالضرورة ما هو بالنسبة لغير ما.

ثياتيتوس: تلك هي الحالة الحقيقية للقضيّة.

الغريب: يجب أن نعترف حينئذ أنّ الغير يكون كالخامس من أنواعنا المختارة.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وسوف نقول إنّ هذا الذي يكون واحداً قد اخترق كلّ الباقين، لأنّ كُلاً يكون غيراً من الباقي على انفراد، ليس بسبب طبيعته الخاصّة، بل لأنّه يمتلك حصّة في شكل الغير.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: دعنا نضع الحالة بإسنادٍ لكلّ من الأنواع الخمسة إذن.

ثياتيتوس: كيف؟

الغريب: هناك حركة بادىء ذي بدء، هي التي نؤكد أنها (غيرٌ) من السكون بالكليّة. فما الآخر الذي نستطيع قوله؟

ثياتيتوس: إنّه لكذلك.

الغريب: ولا تكون سكوناً لهذا السبب.

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

ثياتيتوس: وتكون مع ذلك، لأنّها مشتركة بالوجود.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: مرّة ثانية، تكون الحركة غيراً من الشيء عينه؟

ثياتيتوس: هكذا تماماً.

الغريب: ولا تكون الشيء عينه لذلك.

ثياتيتوس: إنّها لا تكون.

الغريب: كانت الحركة معلنة لتكون الشيء عينه مع ذلك بالتأكيد، لأنّ كلّ الأشياء تشترك في الشيء نفسه.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: يجب أن نعترف بالتقرير عندئذ، بدون تذمّر، أنّ الحركة تكون الشيء ولا تكون الشيء عينه مع ذلك؛ إذ عندما نستخدم هذه العبارات لها، فإنّ وجهة نظرنا تكون متباينة. نحن ندعوها الشيء عينه بالنسبة لنفسها، لأنّها تشترك في الشيء عينه؛ مع أنّنا لا ندعوها الشيء عينه، لأنّ لها اشتراكاً مع الغير، وأنّها تكون منفصلة عن الشيء عينه نتيجة لذلك، وقد أصبحت ليس ذلك بل غيراً. هكذا نتكلّم عنها بعدل متساوٍ كأنها « ليست الشيء عينه ».

ثياتيتوس: لتكن متأكّداً.

الغريب: إذا اشتركت الحركة بالسكون كذلك جوهرياً في أيّة وجهة نظر، لن يكون هناك أيّ سخفٍ في تسمية الحركة ساكنة.

ثياتيتوس: حقيقيّ تماماً. إنّها تكون، على فرضية أنّ بعض الأنواع تختلط بعضها مع البعض، ولا تختلط الأخرى.

الغريب: لقد برهنّا سابقاً، أنّ هذه المشاركة تكون طبقاً للطبيعة، قبل وصولنا لهذا الجزء من بحثنا.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: دعنا نتقدّم إذن. ألا يمكننا أن نقول إنّ الحركة هي غيرٌ من الغير، بما أنّه قد بُرهن لنا أيضاً لتكون غيراً من الشيء عينه وغيراً من السكون؟

ثياتيتوس: إنّ ذلك مؤكّد.

الغريب: تكون الحركة عندئذ غيراً ولا غير أيضاً طبقاً لهذه النظرية؟

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: ما هي الخطوة القادمة؟ هل سنقول إنّ الحركة تكون غيراً من الثلاثة وليست غيراً من الرابعة ـ لأنّنا اتفقنا أنّ هناك خمسة أنواع وفي المجال الذي اقترحنا أن نصنع التحقيق عنه؟

ثياتيتوس: لا نستطيع أن نعترف بالتأكيد أنَّ العديد يكون أقلّ من الذي ظهر على أنّه العدد لتوّه الآن.

الغريب: يمكننا أن نجادل بدون خوف أنّ الحركة تكون غيراً من الوجود إذن؟

ثياتيتوس: بدون الخوف الأقلّ.

الغريب: النتيجة الواضحة أنّ الحركة، بما أنها تشترك في الوجود، تكون بحقّ ولا تكون أيضاً؟

ثياتيتوس: لا شيء يمكن أن يكون أوضح.

الغريب: يوجد اللاّوجود حينئذ بالضرورة في حالة الحركة ولكل طبقة؛ لأنّ طبيعة الغير داخلة في كلّ منها تجعلها غيراً من الوجود، وهكذا غير موجودة. ولذلك يمكننا أن نقول عنها جميعاً إنّها لا تكون بحقّ؛ ومرّة ثانية، إنّها تكون وتكون موجودة، بقدر ما تشترك في الوجود.

ثياتيتوس: يمكننا أن نعتبره هكذا أمراً مفروغاً منه.

الغريب: يمتلك كلّ نوع إذن، كثرةً للوجود ولا نهاية للوجود.

ثياتيتوس: يجب أن نستنتج هكذا.

الغريب: ويمكن أن يقال إنّ الوجود نفسه يكون غيراً من الأنواع الأخرى.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: يمكننا أن نستنتج أنّ الوجود لا يكون إذن، فيما يخصّ أشياء أخرى عديدة كما يكون وجودها؛ لأنّ اللاّوجود لهذه يكون هو نفسه واحداً، ولا تكون الأشياء الأخرى، التي هي غير محدودة في العدد.

ثياتيتوس: ليس ذلك بعيداً من الحقيقية.

الغريب: ولا يجب أن نخالف هذه النتيجة، بما أنها تكون الطبيعة للأنواع ليُشارك بعضها بعضاً. وإذا أنكر أيّ شخص تقريرنا الحاضر (أي، أنّ الوجود لا يكون) دعه يحاورنا بادىء ذي بدء في استنتاجنا السابق (كمثال، بخصوص مشاركة المثل)، ويمكننا متابعة الحوار مع ما يتبع آنئذ.

ثياتيتوس: لا شيء يمكن أن يكون أعدل.

الغريب: دعني أسألك سؤالاً آخر.

ثياتيتوس: أيّ سؤال؟

الغريب: عندما نتكلّم عن اللاّوجود، أفترض أنّنا نتكلّم ليس عن شيء ما مضادٌ للوجود، بل مختلف فقط.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: عندما نتكلّم عن شيء ما كأنه ليس كبيراً، ألا تظهر العبارة لك أنّها تدّل ضمناً على ما يكون صغيراً أكثر ممّا يكون متساوياً؟

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

الغريب: إذا قيل لهذا السبب، إنّ الإنكار يعني معاكسة ضمناً، سنرفض أن نعترف بهذا. إنّ الأحرف السلبيّة μη και ου ، عندما تضاف في أوّل الكلمات، تعني ضمناً فرقاً في الكلمات ليس إلاّ، وبشكل أصح من الأشياء المعروضة بالكلمات، التي تتبعها.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: هناك نقطة رئيسيّة يجب أن نتأمّلها مليّاً، إن لم يكن لديك اعتراض؟

ثياتيتوس: ما هي؟

الغريب: تظهر الطبيعة لي أنها تكون مقسّمة إلى جزئيات بسيطة كالمعرفة.

ثياتيتوس: كيف هذا؟

الغريب: تكون المعرفة واحدة، مثل الغير؛ ومع ذلك فإنّ كل جزء منها لديه مقاطعة خاصة، يمتلك إسماً ما خاصّاً به. كي تحكم من الأسماء، فهناك فنون متعددة، وفروع متعددة للمعرفة.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: أوّلاً تكون الحالة مع الأجزاء الطبيعة الغير الشيء عينه، التي هي واحدة أيضاً؟

ثياتيتوس: محتمل جدّاً؛ لكن هل ستخبرني كيف؟

الغريب: يوجد جزء ما للغير مناقض للجمال.

ثياتيتوس: يوجد.

الغريب: هل سنقول إنّ هذا لديه إسمٌ أم لا؟

ثياتيتوس: لديه. إذ مهما دعونا اللاجمال فهو غيرٌ من الجمال، وليس من شيء ما آخر.

الغريب: وبعدُ أخبرني شيئاً آخر.

ثياتيتوس: ماذا؟

الغريب: أيكون اللاّجمال أيّ شيء إلاّ هذا: وجودٌ فُصِلَ عن نوعٍ محدّد للوجود، ومرّة ثانية، مضادٌ لشيء ما موجود من وجهة نظر أخرى؟

ثياتيتوس: حقّاً.

الغريب: لقد ثبت في النهاية أنّ اللاّجمال يكون مثلاً مضادّة الوجود للوجود إذن؟

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: لكنّ الجمال يكون أكثر وجوداً في الحقيقي واللاّجمال أقلّ وجوداً في الحقيقة، طبقاً لهذه النظريّة؟

ثياتيتوس: ليس ذلك مطلقاً.

الغريب: ويمكن أن يقال أنّ اللاكبير يوجد بشكلٍ متساوٍ مع الكبير؟

ثياتيتوس: بالتساوي.

الغريب: ويجب أن يوضع العادل بالطريقة عينها، في الرّتبة ذاتها مع اللاعادل ـ لا يمكن أن يقال إنَّ الواحد لديه أيّ وجود أكثر من الغير.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: يمكن أن يقال الشيء عينه عن الأشياء الأخرى؛ مشاهدين أنّ الطبيعة للغير تمتلك وجوداً حقيقياً، يجب أن نفترض أنّ الأجزاء لهذه الطبيعة توجد بشكل متساوٍ.

ثياتيتوس: طبعاً.

الغريب: كما سيبدو آنئذ، فإنّ مضادّة جزء من الغير، وجزء من الوجود بعضهما لبعض، يكون كما بالحقيقة كالوجود نفسه، إذا أمكنني أن أجازف لأقول ذلك، ولا يعني ضمناً مضادة للوجود، بل ما يكون غيراً من الوجود فقط.

ثياتيتوس: ما وراء السؤال

الغريب: ماذا سنسمّيه إذن؟

ثياتيتوس: اللاّوجود، بوضوح؛ وهذه هي الطبيعة التي أجبرنا السوفسطائي أن نبحث عنها بالتحديد.

الغريب: أولم يكن لدى هذا، كما كنت قائلاً، وجوداً حقيقياً كأيٍّ نوع آخر؟ ألا يمكنني أن أقول إنّ اللاوجود لديه وجود مؤكّد بكلّ ثقة، ولديه طبيعة خاصّة به؟ تماماً كما قد وُجِد الكبير كبيراً والجميل جميلاً، واللاكبير لا كبيراً، واللاّجميل لا جميلاً، وقد وُجد اللاّوجود ليكون ويكون لا وجوداً،

وإنّه ليُظن آنّه واحد بين الأنواع العديدة للوجود. أما زلت تشعر، يا ثياتيتوس، بأيّ شيء من هذا؟

ثياتيتوس: لا أشعر بشيء مهما كان.

الغريب: هل تلاحظ أنّ شكّك قد حملنا ما وراء نطاق تعريف بارميندس؟

ثياتيتوس: في ماذا؟

الغريب: لقد تقدّمنا إلى نقطة رئيسيّة أبعد، وأريناه أكثر مِنَ الذي منعنا البحث فيه.

ثياتيتوس: كيف يكون ذلك؟

الغريب: لماذا، لأنّه يقول ـ

لن يُبرهن على الإطلاق أنّ اللاوجود يكون، واحتفظ أنت بأفكارك بشأن طريقة البحث هذا.

ثياتيتوس: نعم، هو يقول كذلك.

الغريب: في حين أنّنا لم نبرهن فقط أنّ الأشياء التي لا تكون تكون، بل قد رأينا أيّ شكل للوجود يكون الوجود؛ لأنّنا قد أبنًا أنّ طبيعة الغير موجودة، وأنّها موزعة فوق كل الأشياء فيما يتعلّق ببعضها البعض؛ ومهما يكن جزء الغير فإنه مضادّ للوجود. إنّ هذا هو بالضبط ما قد جازفنا بتسميته اللاوجود.

ثياتيتوس: وإننا لمحقّون تماماً بالتأكيد، أيّها الغريب.

الغريب: لا تدع أي شخص يقول إذن، إنّ اللاوجود، الذي جازفنا لنؤكد وجوده الحقيقي، أنّه يكون مضاداً للوجود. لأنّه مثل ما إذا وُجد تضاد للوجود، فلقد قلنا وداعاً لذلك التّساؤل منذ زمن ـ يمكنه أو لا يمكنه أن يكون، أو يمكنه أو لا يمكنه أن يكون قادراً على أن يُعرَّف. لكن فيما يتعلق بحسابنا الحاضر عن اللاوجود، دع انساناً يقنعنا بالخطأ، وإذا لم يستطع، فيجب عليه أن يقول أيضاً كما كنا قائلين، أنّ هناك مشاركة للأنواع، وأنّ الوجود، والفرق أو الغير، يعبر ويخترق كلّ الأشياء بشكل متبادل. هكذا كي يشارك

الغير في الوجود، وبسبب هذه المشاركة فهي تكون، ومع ذلك فهي لا تكون في ذلك الذي تشارك، بل غيراً، وإذا كانت غيراً من الوجود، فإنّه لمن الضرورة أنّها ستكون لا وجوداً بوضوح. ويصبح الوجود، مرّة ثانية، من خلال مشاركته في الغير، يصبح نوعاً غيراً من الأنواع الباقية، وكونه غيراً منها جميعاً، لا يكون كلّ واحد منها، ولا يكون كل الباقي. هكذا فإنّه يوجد آلافٌ فوق آلافٍ من الحالات التي لا يكون الوجود فيها بدون شك، وتكون كلّ الأشياء الأخرى، سواءٌ اعتُبِرت منفردة أو مجتمعة، تكون في عدة أوجه، ولا تكون في أوجه متعددة.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: وإذا كان إنساناً شاكّاً في هذا التناقض، يجب أن يفكّر كيف يستطيع أن يجد شيئاً ما أفضل ليقول؛ وإذا ابتهج هو في تحريف محاورة بادىء ذي بدء في جهة واحدة وفي أخرى حينئذ، كمخترع حيلة صعبة، فإنّه لا يكون مؤدّياً استعمالاً ذا قيمة لقواه العقليّة، هكذا سنخبره؛ لأنّ الحيلة ليست ساذجة تماماً وليست صعبة جداً لأن تُكتشف؛ لكنّنا نستطيع أن نخبره عن شيء آخر ما، عن السعي الذي يكون نبيلاً وصعباً أيضاً.

ثياتيتوس: ماذا يكون هذا؟

الغريب: الشيء الذي قد تكلمت عنه سابقاً، ـ أن يَدَعَ هذه الألغاز وشأنها لأنّها لا تتضمّن أيّة صعوبة. يجب أن يكون قادراً أن يتبع وينتقد كل محاورة بالتفصيل. وعندما يقول إنسان إنّ الشيء عينه يكون غيراً في أسلوب ما، أو أن الغير يكون الشيء عينه، عليه أن يفهمه وينقضه من وجهة نظره الخاصة، وفي وجهة النظر عينها التي يؤكّد فيها كلاً من تلك الخاصيّات. لكن ليُري أنّ الشيء عينه يكون غيراً بطريقة ما وفي معنى ما، أو أنّ الغير الشيء عينه، أو الكبير صغيراً، أو الشبيه لا شبيهاً؛ وأن يبتهج في إحضار هكذا تناقضات

مقدَّماً على الدوام، ليس نقضاً حقيقياً، بل الطفل الذي وُلِد جديداً لشخص ما، يكون مبتدئاً ليقترب من مسألة الوجود فقط.

ثياتيتوس: لتكن متأكداً.

الغريب: إنّ محاولة فصل كلّ الموجودات بعضها عن بعض هي، يا صديقي، محاولة بربريّة وغير جديرة بعقل فلسفي ومتعلّم على الإطلاق.

ثياتيتوس: لماذا هكذا؟

الغريب: إنّ المحاولة في الانفصال الشامل هي الإبطال النّهائي لكل الاستنتاجات المنطقية؛ لأنّنا نستطيع أن نصل إلى البحث العقلاني باتحاد المدارك بعضها ببعض فقط.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: ولاحظ أنّنا كنا مجاهدين تماماً في خلق مقاومة لهكذا انفصاليين في الوقت المناسب وأجبرناهم أن يعترفوا أنَّ شيئاً واحداً يمتزج بالآخر.

ثياتيتوس: كيف ذلك؟

الغريب: لماذا، ليتسنّى لنا أن نؤكّد أنّ المحادثة هي نوع من أنواع الوجود؛ لأنّنا إذا لم نتمكن، فستتبع كل العواقب الأسوأ؛ إنّه لن يكون لدينا فلسفة. فضلاً عن ذلك، فإنّ ضرورة تقرير طبيعة المحادثة تضغط علينا في هذه اللحظة؛ لأنّنا إذا تجرّدنا منها بشكل كلي، لا نستطيع أن نجري محادثة بعد الآن؛ وسنكون مجرّدين منها إذا اعترفنا بذلك أنّه لم يوجد أيّ امتزاج للطبائع على الإطلاق.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً. غير أنّني لا أفهم لماذا يجبُ أن نقرّر طبيعة المحادثة في هذه اللحظة.

الغريب: لربّما سترى بوضوح أكثر بمساعدة التفسيرات التالية.

ثياتيتوس: أيّة تفسيرات؟

الغريب: قد اعترفنا أنّ الوجود يكون واحداً بين الأنواع العديدة منتشراً فوق الوجود ككلّ.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: وينشأ من ثمّ السؤال، إن كان اللاّوجود يمتزج مع الرأي واللغة.

ثياتيتوس: كيف هكذا؟

الغريب: إذا لم يمتلك اللاوجود جزءاً من الفرضية، يجب أن تكون الأشياء كلّها حقيقة حينئذ؛ لكن إذا امتلك اللاوجود جزءاً، فسيكون محتملاً وجود الرأي الباطل والكلام الباطل آنئذ، لأنّك لتفكر ولتقول ما لا يكون ـ يكون باطلاً، الذي ينشأ هكذا في منطقة الأفكار والكلام.

ثياتيتوس: إنّ ذلك حقيقي تماماً.

الغريب: وحيث يوجد الباطل يجب أن يكون الخداع بالتأكيد.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وإذا وُجِد الرياء، يجب أن تكون كل الأشياء ممتلئة أشباحاً وصوراً وأوهاماً آنئذ.

ثياتيتوس: لتكن متأكداً.

الغريب: لقد هرب السوفسطائي إلى تلك المنطقة، كما قلنا، وعندما وصل إلى هناك، كذّب الاحتمال المحدّد للباطل. إنّه حاور، أن لا أحد تصوّر أن نطق باطلاً؛ بقدر ما لم يشترك اللاّوجود في الوجود.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: وبعدُ، قد ثَبَتَ أنّ اللّاوجود يشترك في الوجود، ولذلك فهو يقدر بالكاد أن يواصل الحرب بهذه الطريقة، لكنّه ربما سيقول إنّ أشكالاً ما تشترك في اللاوجود، وبعضها لا يشترك، وإن اللغة والرأي هما من الطبقة اللّامشاركة. وسيبقى يحارب حتى الموت ضدّ بقاء صانع الصور والفنّ الشبحيّ، الذي

قد وضعناه فيه، لأنّه كما يقول، يكون هكذا شيئاً كالباطل. وبقصد مواجهة هذه المراوغة يجب أن نبدأ التحقيق في طبيعة اللغة، الرّأي، والتصوّرات، كي يمكننا أن نراقب مشاركتها مع اللاوجود. وعندما نجدها، وعند عملنا هذا، يمكن أن نبرهن هكذا أنّ الباطل يوجد؛ وسنسجن السوفسطائي في ذلك المكان، إذا استحق ذلك. وإن لم يستحقّ، سندعه يذهب مرّة ثانية ونبحث عنه في طبقة أخرى.

ثياتيتوس: بالتأكيد، أيّها الغريب، يظهر وجود حقيقة فيما قيل عن السوفسطائي في البداية. إنّه كان من نوع ليس سهل الالتقاط، لأنّه يبدو أنّ لديه دفاعات متعدّدة، رمى بها نفسه، والتي يجب اقتحام كلٍّ منها قبل أن نصل إلى الرجل نفسه. وحتى الآن فلقد اخترقنا بصعوبة دفاعه الأول وهو اللّاوجود للّاوجود، وأنظرا هنا دفاع آخر؛ إنّ علينا أن نبقى صامدين كي نبيّن أنّ الباطل يوجد في مجال اللغة والرأي، وسيكون هناك خطٌّ دفاع آخر وآخر بدون نهاية.

الغريب: أيُّ شخص، يا ثياتيتوس، يقدر أن يتقدّم حتى قليلاً عليه أن يبتهج تماماً، فماذا سيفعل الذي يتشاءَم من تقدُّم طفيف، إذا لم ينجز أيّ شيء على الإطلاق، أو حتى إذا خاب في جهده؟ لن يفتتح مدينة قلبٍ كسيرٍ كهذا، كما يقول المثل. لكن بما أنّنا قد نجحنا الآن في النقطة الرئيسيّة التي ذكرت، فالإكمال الأكثر هولاً قد اتُّخِذَ، والباقي هو الأسهل والأبسط.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: دعنا قبل كل شيء إذن، كما كنت قائلاً، نحصل على تصوُّر للُّغة والرأي، كي يمكن أن يكون لدينا أسسٌ أوضح بشأن ما إذا كان لدى اللّاوجود أيّ اهتمام بهما، أو إذا ما كان كلاهما حقيقياً على الدوام، وليس باطلاً قط.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: دعنا نتكلّم عن الأسماء الآن إذن، كما تكلّمنا قبلاً عن الأشكال والحروف، لأنّ تلك هي الجهة التي يمكن أن نتوقّع الجواب فيها.

ثياتيتوس: وما هو السؤال قيد النقاش بشأن الأسماء؟

الغريب: أفهم منك الكلمات التي لها معنى يمكن أن تكون متصلة عندما تكون في تسلسل. غير أنّ الكلمات التي لا تمتلك معنى عندما تكون في تسلسل لا يمكن أن تكون متصلة.

ثياتيتوس: ما أنت قائل؟

الغريب: إنّ ذلك ما فكرت أنّك تقصده عندما أعطيت موافقتك؛ لأنّ هناك نوعين من الخصوصيات للوجود معطىً بالصوت.

ثياتيتوس: ما هما؟

الغريب: واحد منها يدعى أسماء، والآخر أفعالاً.

ثياتيتوس: صفهما.

الغريب: يسمى فعلاً ذلك الذي يدل على عمل.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: والآخر، الذي يكون إشارة واضحة وُضعت على أولئك الذين يفعلون الفعل، نسميه إسماً.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: حينئذ لا يستطيع تعاقب الأسماء بمفردها أن يشكل جملة أبداً؛ ولا يقدر تعاقب الأفعال بدون أسماء كذلك.

ثياتيتوس: إنّني لا أفهمك.

الغريب: أرى أنّك عندما أعطيت موافقتك أنّه كان لديك شيء ما آخر في عقلك. لكن ما قصدت قوله هو أن مجرّد توالي الأسماء أو الأفعال ليس محادثة.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: أعني أنّ الكلمات مثل (يمشي)، (يركض)، (ينام) أو أيّة كلمات أخرى تدل على عمل، مهما حبكت منها معاً، لا تخلق محادثة.

ثياتيتوس: كيف يمكنها؟

الغريب: أو عندما تقول مرّة ثانية (أسد)، (أيّل)، (حصان)، أو أيّة كلمات أخرى تشير إلى أدوات، ولا تقدر أن تصل إلى المحادثة بهذه الطريقة لحبك الكلمات معاً. إنّ الأصوات لا تبلُغ عن تعبير للعمل أو البطالة، أو لوجود أيّ شيء يكون أو لا يكون، حتى تمتزج الأفعال بالأسماء؛ عندئذ تتطابق الكلمات، وتشكل جملة أصغر مجموعة منها، والجمل الأصغر والأقلّ تُشكّل محادثة.

ثياتيتوس: إنّني أسألك مرّة ثانية، ماذا تعني؟

الغريب: عندما يقول أيّ شخص « يتعلم الإنسان »، ألنْ تسمي هذه الجملة الأبسط والأقل؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: نعم، لأنّه وصل الآن إلى مرحلة إعطاء تصريح عن شيء ما هو الذي يكون، أو يصير، أو قد أصبح، أو سيغدون. وهو لا يسمّي فحسب، بل ينجز شيئاً ما بوصل الأسماء والأفعال؛ ولذلك نحن نقول إنّه يتحدّث؛ ونعطي إسم محادثة (أو جملة) لربط الكلمات هذا.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: في الختام إذن، كما ظهر، هناك أشياء ما يطابق بعضها بعضاً، وأشياء أخرى ليس كذلك. هكذا توجد إشارات صوتية تتحد وتشكل حديثاً، وأخرى لا تفعل.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: هناك مسألة صغيرة أخرى.

ثياتيتوس: ما هي؟

الغريب: يجب أن تمتلك كل جملة ولا تستطيع إلاّ أن تمتلك موضوعاً(١٤).

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: ويجب أن تكون من نوعيّة محددة، في تلك الحالة.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: ودعنا نتبصّر فيما نحن بشأنه الآن.

ثياتيتوس: يجب أن نفعل كذلك.

الغريب: إنّني سأردّد جملة لك هي التي يكون الشيء والعمل فيها مجتمعَين، بمساعدة الإسم والفعل؛ وستخبرني أنت عمّن تتكلم الجملة.

ثياتيتوس: سأفعل، إلى أقصى قوّتي.

الغريب: [يجلس ثياتيتوس] - إنها ليست جملة طويلة.

ثياتيتوس: ليست تماماً.

الغريب: عمّن تتكلّم الجملة، ومن هو الفاعل؟ ذلك ما عليك أن تخبره.

ثياتيتوس: تتكلّم عنّي؛ إنني أنا الفاعل.

الغريب: أو هذه الجملة، ثانية -

ثياتيتوس: أيّة جملة؟

الغريب: [ثياتيتوس] الذي أتكلم معه الآن، يكون طائراً.

ثياتيتوس: إنّها جملة أيضاً تلك التي سيعترف كل شخص بها أنّها تتكلم عنّي، وتنطبق عليّ.

الغريب: اتفقنا نحن على أنّ كل جملة يجب أن تمتلك نوعية محددة بالضرورة.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وما هي النوعية لكلّ من هاتين الجملتين؟

ثياتيتوس: إحداهما باطلة، كما أتصور، والأخرى حقيقية.

الغريب: تقول الحقيقة عنك تلك التي تكون، وكما تكون؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وتقول الباطلة ما هو غيرٌ من الحقيقة؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وتتكلّم لذلك عن أشياء لا تكون، كما لو كانت؟

ثياتيتوس: بالضبط.

الغريب: وتقول إنّ الأشياء تكون حقيقة عنك بينما هي لا تكون؛ إذ، كما قلنا، هناك الكثير الذي يكون والكثير الذي لا يكون فيما يتعلق بكلّ شيء أو شخص.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: الجملة الثانية من الجملتين التي انتسبت لك كانت مثلاً للشّكل الأقصر متماسكة مع تعريفنا قبل كلّ شيء.

ثياتيتوس: نعم، كان هذا متضمناً في اعترافنا الحديث.

الغريب: ولقد انتسبت إلى فاعل، في المقام الثاني.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: الذي يجب أن يكون أنت، ولا يقدر أن يكون أيٌّ شخص آخر.

ثياتيتوس: بدون سؤال.

الغريب: ولن تكون جملة على الإطلاق إذا لم يكن هناك فاعل، لأنّنا كما برهنّا، الجملة التي لا تمتلك فاعلاً هي جملة مستحيلة.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: هكذا فإنه عندما يكون التباين مؤكّداً كالشيء نفسه، في تقرير ما يخصك، ويكون اللاّوجود، تبدو تركيبة كهذه للأسماء والأفعال أنّها محادثة زائفة بحقّ وصدق بالضبط.

ثياتيتوس: الأكثر صدقاً.

الغريب: ولذلك، فالفكر، والرأي، والتصوّر، قد بُرهنت أنّها توجد كلها الآن في عقولنا كحقيقة وكباطل معاً.

ثياتيتوس: كيف ذلك؟

الغريب: إنّك ستعرف أفضل إذا اكتسبت معرفة عمّا تكون بادىء ذي بدء، وفيما يختلف بعضها عن بعض على التوالي.

ثياتيتوس: اعطني المعرفة التي سترغب منّي أن اكتسب.

الغريب: أليس الفكر والكلام هو الشيء عينه، مع هذا الاستثناء، وهو أنّ الذي يدعى فكراً يكون المحادثة غير المنطوقة للروح مع نفسها.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: غير أنّ جدول الفكر الذي ينساب خلال الشفتين ويُسمع يدعى كلاماً؟

ثياتيتوس: حقّاً.

الغريب: ونعرف نحن أنّه يبقى هناك في الكلام ـ

ثياتيتوس: ماذا يبقى؟

الغريب: الإثبات والنفي.

ثياتيتوس: نعم، نحن نعرفهما.

الغريب: عندما تأخذ هذه مكاناً في الصّمت وفي العقل فقط، فهل لديك أي إسم آخر لتدعوها به سوى رأي؟

ثياتيتوس: لا يمكن أن يوجد إسم آخر.

الغريب: وعندما يكون الرأي موجوداً، ليس ببساطة، بل بمساعدة الإدراك الحسّي، أيقدر أيّ شخص أن يدعو هذا بأيّ إسم آخر إلا التخيّل؟

ثياتيتوس: لا.

الغريب: مشاهدين أنّ اللغة تكون حقيقية وزائفة، وأنّ الفكر قد أُظهِرَ أنّه محادثة

الروح مع نفسها، والرأي نهاية التفكير، والتخيّل أو الوهم وحدة الحسّ والرأي، فالإستنتاج -هو أن شيئاً منها سيمتلك عنصراً للزّيف كما للحقيقة، بما أنّها مجانسة للّغة؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

الغريب: هل وعيت عندئذ، أنّ الرأي والكلام الباطل قد اكتُشِفا أقرب ممّا توقّعنا؟ فنحن قد ظهرنا لحد الآن أنّنا قد شرعنا في عمل شاقّ لن يُنجز أبداً.

ثياتيتوس: إنّني أعي ذلك.

الغريب: دعنا لا نتشجع بشأن المستقبل إذن؛ لكن بما أنّنا قد أتممنا هذا الاكتشاف، إسمح لنا أن نعود إلى الوراء إلى تصنيفنا السّابق.

ثياتيتوس: أي تصنيف؟

الغريب: لقد قسمنا صناعة الصور إلى نوعين؛ أحدهما صناعة الشّبه، والآخر التخيّليّ أو الوهمي.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: وقلنا إنّنا كنّا غير متأكّدين في أيّ مكان سنضع السوفسطائي.

ثياتيتوس: قلنا هكذا.

الغريب: ولقد ابتدأت رؤوسنا بالدوران أكثر وأكثر عندما كان مؤكّداً أنّه لا يوجد هكذا شيء كصورة أو شبح أو مظهر، لأنّه لا يمكن أن يكون هكذا شيء كالباطل لا في الأسلوب ولا الوقت ولا المكان.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: لكن بما أنه قد أُبين الآن أنّ الكلام الباطل والرأي الباطل يكونان، لربّما يوجد تقليد للموجودات الحقيقية، ويمكن أن ينشأ فنّ الخداع عن حالة العقل هذه.

ثياتيتوس: محتمل تماماً.

الغريب: ولقد اعترفنا قبل الآن، في ما تقدّم، أنّ السوفسطائي كان مندساً في واحدة من تقسيمات فنّ صناعة الشبه؟

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: دعنا نجدد المحاولة إذن، ونأخذ الجزء الأيمن دائماً في تقسيم أيّ نوع، قابضين بشدّة على الذي يقتنيه السوفسطائي، حتّى نجرّده من كلّ ممتلكاته العامة، ونصل لصفته المميّزة أو ما يخصه، يمكننا حينئذ أن نقدّمه في طبيعته الحقيقيّة، لأنفسنا أوّلاً، وإلى الأنفس الجدليّة الشقيقة بعدئذ.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

الغريب: يمكنك أن تتذكّر أننا قسّمنا كل الفنون في الأصل إلى إبداعيّة وإكتسابيّة.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: ولقد وضعنا السوفسطائي في الصنف الاكتسابي، في التقسيمات الجزئية الصغيرة للصيد، المباراة، التجارة، وما شابه.

ثياتيتوس: حقيقيّ تماماً.

الغريب: لكن الآن فإنّ الفنّ التقليديّ قد طوّقه، وواضح لذلك أنّنا يجب أن نبدأ بتقسيم الفنّ الإبداعي؛ لأنّ التقليد هو نوع من إبداع الصوّر كما نؤكّد من ناحية ثانية، وليس للأشياء الحقيقية.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: هناك نوعان للإبداع في المكان الأوّل.

ثياتيتوس: ما هما؟

الغريب: أحدهما إلهيّ والآخر إنسانيّ.

ثياتيتوس: إنني أتابعك.

الغريب: كل قوّة كانت بسبب وجود الأشياء، ولم تكن موجودة سابقاً، عرّفناها أنّها إبداعيّة، كما يمكنك أن تتذكّر قولنا في الأصل.

ثياتيتوس: إنّني أتذكّر.

الغريب: ناظرين الآن في العالم وكلّ الحيوان والنبات، في الأشياء، التي تنمو على الأرض من البذور والجذور، كما في المواد الأساسيّة التي تشكّل في باطن الأرض المذاب منها والذي لا يذوب، هل سنقول إنّها تأتي إلى الوجود - ولم تكن موجودة من قبل - بإبداع، أو سنتفق مع الرأي المبتذل عنها؟

ثياتيتوس: ما هو الرّأي؟

الغريب: الرأي القائل إنّ الطبيعة تحضرها إلى الوجود من علّة تلقائية ما وغير عاقلة، أو سنقول إنّها مبدَعة بسبب إلٰهي ومعرفة تأتي من الله؟

ثياتيتوس: إنّني، لربّما بداعي صباي، غالباً ما أتذبذب في وجهة نظري، لكنني عندما أنظر إليك الآن وأرى أنّك تميل إلى إرجاعها لله، فإنني أنزل عند سلطتك.

الغريب: قول نبيل، يا ثياتيتوس، وإذا فكرت أنّك كنت واحداً من أولئك الذين سيغيرون رأيهم بعدئذ، سأتحاور معك بلطف، وأجبرك أن توافق؛ لكنّني كما أتصور فإنّك ستأتي بنفسك وبدون أيّة محاورة مني، لذلك الاعتقاد الذي يجذبك كما تقول، إنّني لن أحبط عمل الوقت. دعني أفترض إذن، أنّ الأشياء التي قيل أنها مصنوعة بالطبيعة هي عمل الفنّ الألهيّ، وأنّ كلّ الأشياء التي يركّبها الإنسان من هذه هي عمل الفنّ الإنساني. وهكذا يوجد نوعان للصّنع والإنتاج، أحدهما إلهي والآخر إنساني.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: قسّم الآن القسمين اللذين نمتلكهما من قبلُ إلى أجزاء صغيرة إذن.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: أعني أنّك يجب أن تصنع قسمة عمودية للإنتاج أو الإبتكار، كما قد صنعت واحدة جانبية سابقاً.

ثياتيتوس: إنّني فعلت كذلك.

الغريب: هناك الآن أربع قطع في الكل إذن: إثنتان منها تشيران لنا وهما إنسانيّتان واثنتان لهما إشارة إلى الآلهة وهما إلهيّتان.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: ومرّة ثانية، ففي القسمة التي كانت مفترضة - أنّها صُنعت بالطريقة الأخرى، يكون جزء واحدٌ في كلّ قسمة صغيرة مقسماً إلى أجزاء، هو صناعة الأشياء نفسها. غير أنّ الجزأين الإثنين الباقيين يمكن تسميتهما صناعة الصور بدقّة أكثر؛ وهكذا يكون الفنّ الإنتاجي مقسماً إلى جزأين صغيرين مرة ثانية.

ثياتيتوس: أخبرني عن التقسيم مرّة ثانية.

الغريب: إفترض أنّنا نحن، والحيوانات الأخرى، والعناصر التي تُصنع الأشياء منها - النار، الماء، وما شابه - إفترض أنّنا نعرفها وأنّ كلاً منها وكلها تكون إبداع الله وعمله.

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: ويوجد صورة لها، ليست هي، بل تماثلها؛ وتكون تلك إبداع مهارة رائعة أيضاً.

ثياتيتوس: ما هي؟

الغريب: المظاهر التي تنشأ عن نفسها في النوم أو في وضع النهار، كالخيال عندما يرتفع الظلام في النار، أو الانعكاس الذي ينشأ عندما يتقابل الضوء في الأهداف السّاطعة والناعمة مع ضوءٍ آخر على سطحها الخارجي، ويخلق إدراكاً حسّياً مضادّاً لبصرنا العادي.

ثياتيتوس: نعم؛ هذه حقيقة وهي أن هناك هذين الإنتاجين للفنّ الإلٰهي، الهدف والصور المتماثلة.

الغريب: وماذا سنقول عن الفنّ الإنساني؟ ألا نصنع بيتاً واحداً بفن البناء، وآخر بفنّ

الرسم، الذي هو نوع من الحلم أبدعه الإنسان لأولئك الذين هم مستيقظون؟

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: ونتاج آخر للإبداع الإنساني هو ثنائي ويفضي إلى زوجين؛ يوجد الشيء « الذي يختصّ به فنّ صناعة الشيء » والصورة « التي يختصّ التقليد بها ».

ثياتيتوس: إنّني بدأت أفهم الآن، وأنا على استعداد لأعترف أنّ هناك نوعين للإنتاج، وكلاهما ثنائيّ؛ يوجد في القسمة الجانبيّة إنتاج إلهي وإنساني؛ ويوجد في القسمة العموديّة حقائق وإبداع لنوع التشابهات.

الغريب: ودعنا نستعيد إلى الذاكرة أنّ نوع صناعة الصور قد كان جزأها الواحد صناعة التشابه، والآخر الشّبح، إذا أمكن أنّ الزيف يخصّ النوع الحقيقي للوجود بصدق.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: وتظهر هذه أنّها الحالة؛ ولذلك سنرقّم الآن النوعين كإثنين، بدون تردّد.

ثياتيتوس: حقاً.

الغريب: دعنا الآن نتقدم لنقسّم الشبحي إلى قسمين اثنين حينئذ.

ثياتيتوس: أين سنصنع القسمة؟

الغريب: هناك نوع واحد يُنتج بالأداة، وآخر تكون فيه الأداة خالقة المظاهر نفسها.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

الغريب: عندما يجعل أيّ شخص شكله أو صوته شبيهاً بشكلك أو صوتك، باستعمال جسده الخاص، يكون التقليد هو الإسم المألوف لهذا الجزء من الفنّ الشبحي.

ثياتيتوس: نعم.

الغريب: دع هذا أنْ يُسمّى فن التمثيل بالإيماء حينئذ، وأن تُخصّص له هذه المقاطعة؛ أمّا بالنسبة للتقسيم الآخر فنحن متعبون وسنتخلّى عن ذلك، تاركين مسؤولية إنتاج النوع وإعطاءه إسماً مناسباً لشخص آخر ما.

ثياتيتوس: دعنا نفعل ما تقول: نخصص مجالاً للواحد ونترك الآخر.

الغريب: هناك تمييز أبعد، يا ثياتيتوس، يستحقّ أن نتأمّله مليّاً، وسأخبرك عن سبب ذلك.

ثياتيتوس: دعني أسمع.

الغريب: هناك بعضٌ ممن يقلّد، عارفاً ما يقلد، وبعض ممّن لا يعرف. وأيّ حظّ من التمييز يمكن أن يكون أعظم من ذلك الذي يفرّق الجهل عن المعرفة بأيّة حال؟

ثياتيتوس: لا يمكن أن يوجد أعظم من ذلك.

الغريب: ألم يكن نوع التقليد الذي تكلّمنا عنه لتوّنا تقليد أولئك الذين يعرفون؟ لأن من سيقلدك سيعرفكَ ويعرف شكلك بالتأكيد.

ثياتيتوس: بالطبع.

الغريب: وماذا ستقول عن شكل أو هيئة العدل والفضيلة بشكل عام؟ ألسنا ندرك نحن تماماً أنّ العديد، غير مالكين معرفة بكليهما، بل نوعاً من الرأي فقط، يحاولون بجد ليجعلوها تظهر أنّ لديهم ذلك الشيء الذي حوله يُمسكون بالرأي هذا، ويعبّرون عنه بتعصّبٍ قدر ما يستطيعون في القول وفي العمل؟

ثياتيتوس: نعم، إنّ ذلك لشائع تماماً.

الغريب: وهل يخفقون في محاولتهم بشكل دائم ليُظَنّوا أنهم عادلون، عندما لا يكونون؟ أو أليست الحقيقة عكس ذلك بالتحديد.

ثياتيتوس: العكس بالتحديد.

الغريب: سيُوصف كمقلّد هكذا واحد عندئذ ـ كي يميّز عن الآخر، مثل الجاهل الذي يميّز عنه الذي يعرف؟

ثياتيتوس: صدقاً.

الغريب: أنستطيع أن نجد إسماً ملائماً لكلٍّ منهم؟ إن هذا ليس عملاً سهلاً بوضوح؛ لأنّ الظاهر أنّه كان يوجد بعض الكسل واضطراب الفكر بين

الغابرين، وهذا منعهم حتى من صنع المحاولة لأن يقسّموا الأنواع إلى أجناس. لهذا السبب لا توجد وفرة كبرى للأسماء. سأكون جريئاً مع ذلك، إكراماً للتمييز، لأسمّي التقليد الذي يترافق بالرأي - تقليد المظهر، وذلك الذي يترافق بالمعرفة، نوعاً « تأريخياً » للتقليد.

ثياتيتوس: مُنِح ذلك.

الغريب: إنّ السابقة هي موضوع اهتمامنا الحاضر، فالسوفسطائي صُنّف مع التقليد حقاً، لكن ليس بين أولئك الذين يمتلكون المعرفة.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

الغريب: دعنا نتفحص مقلّدنا للمظاهر بعدئذ، ونرى ما إذا كان سليماً، مثل قطعة من حديد، أو أنّ شرخاً ما ما يزال فيه.

ثياتيتوس: دعنا نتفحّصه.

الغريب: هناك شرخ جدير بالاعتبار تماماً بحقّ؛ لأنك إذا نظرت، ستجد أنّ واحداً من النوعين الإثنين للمقلدين هو مخلوق بسيط، يظن أنّه يعرف ذلك الذي يتوهّمه فقط؛ النوع الآخر قد تجوّل بين المحاورات حتى يشكّ ويُخشى أنّه يكون جاهلاً بذلك الذي يتظاهر للآخرين أنّه يعرف.

ثياتيتوس: هناك النوعان الإثنان اللذان تصف بالتأكيد.

الغريب: هل سنعتبر الأول كالمقلد البسيط، والآخر كالمقلد الساخر أو المستتر؟

ثياتيتوس: مناسب تماماً.

الغريب: وهل سنتكلم عن هذا النوع الأخير كأنّ لديه قسمةً أو قسمتين؟

ثياتيتوس: أجب بنفسك.

الغريب: بناء على التأمّل المليّ إذن، يظهر لي أنّه يوجد نوعان اثنان؛ يوجد النوع المستتر الذي يخاطب جمهوراً علانية في حديث طويل، والمستتر الذي يجبر الشخص الذي يتحادث معه أن يناقض نفسه في محادثات قصيرة.

ثياتيتوس: إنّ ما تقوله هو الأكثر حقيقة.

الغريب: وأيٌّ مكان ستخصص لصانع الأحاديث الأطول؟ أهو رجل الدولة أو الخطيب الشعبي؟

ثياتيتوس: الأخير.

الغريب: وماذا سنسمّي الآخر؟ أهو الفيلسوف أو السوفسطائي؟

ثياتيتوس: لا يمكن أن يكون الفيلسوف، لأنّه يكون جاهلاً بناءً على وجهة نظرنا؛ لكن بما أنّه يقلد العاقل فسيمتلك إسماً يُشكّلُ بتعديل لكلمة فماذا سنسمّيه؟ إنّني متأكد تماماً أنّني لا أستطيع أن أكون مخطئاً في تسمية السوفسطائي الحقيقي للغاية.

الغريب: هل سنقيّد إسمه كما فعلنا سابقاً، صانعين سلسلة من طرف سلالته الواحدة إلى الأخرى؟

ثياتيتوس: مهما كلّف الأمر.

الغريب: هو، إذن، من يتعقّب سلسلة النّسب لفنّه كما يلي: إنه مُسبّب مناقضة نفسه، مقلد مظاهر، ومفصول من نوع الفنّ الشبحي الذي هو فرع من صناعة الصور في تلك القسمة الأبعد للإبداع، إنّه التلاعب بالكلمات بغرض الخديعة، إبداع إنسانيّ، وليس إلهياً - أيّ شخص سيؤكّد أنّ السوفسطائي هو من هذا الدم وهذا النسب فهي الحقيقة بالتحديد.

ثياتيتوس: بدون شك.

محاورة جورجياس

علم الكلام

أفكار المحاورة الرئيسيّة

يفتتح كاليكلس، السوفسطائي، المحاورة بتقديم مثل بديع، وهو أنّ على الإنسان العاقل أن يأتي متأخراً إلى العراك وليس إلى الوليمة. ويسأله سقراط، المحاور الرئيسي هنا، إذا كان قد تأخر بالمجيء إلى الوليمة، ويردّ عليه كاليكلس بتأكيد ذلك، وأنّ جورجياس، عالم الكلام، قد عرض لنا العديد من الأشياء الفاخرة والتي لم يسمعها سقراط. ولا ضير في انتهاء ذلك، يا سقراط، فجورجياس هو صديق لي، وسأجعله يقدّم لك عرضاً آخر، إمّا اليوم، أو إذا آثرت ففي وقت آخر.

ويلتقي سقراط، جورجياس، بولس، كاليكلس، وتشايرافون في بيت كاليكلس. ويسأل سقراط، من هو جورجياس، وما هي طبيعة فنّه؟ ويجيبه كاليكلس، لا شيء يمنع يا سقراط من سؤاله بنفسك، وجورجياس سيجيبك بالتأكيد. يسأل تشايرافون بولس، بادىء ذي بدء، من هو جورجياس؟ وما ينبغي أن نسمّيه؟ وما هو الفنّ الذي يمتلكه؟ يجيبه بولس، هناك عدة فنون بين بني البشر وهي فنون تجريبيّة، ولها أصلها في الخبرة، فالخبرة تجعل أيّام الرجال تتقدم في مطابقة للفنّ، وعدم الخبرة في مطابقة للصدفة، ويلجأ الأشخاص المتباينون أنفسهم لمختلف الفنون بطرق متفاوتة، والأشخاص الأفضل للفنون الأفضل، أمّا صديقنا جورجياس فهو واحد من أفضل الأشخاص، وفنّه أنبل الفنون.

يعقّب سقراط قائلاً، إنّ بولس قد تعلّم كيف يخرج الحديث الممتاز، غير أنّه لم يفِ بالوعد الذي قطعه لتشايرافون، وبذلك لم يُجب تماماً على سؤال

تشايرافون. ويقول جورجياس لسقراط، لماذا لا تسأله بنفسك، يا سقراط؟ سأفعل يا جورجياس، لكنّني أرى من الكلمات القليلة التي تفوّه بها بولس، أنه اعتنى أكثر بالفنّ الذي يسمّى علم الكلام من عنايته بعلم المنطق، وسبب ذلك أنّ بولس أثنى على جورجياس كأنَّ شخصاً وجد فيه عيباً، لكنّه لم يقل أبداً ما هو فن جورجياس. وبعد أن يسأل سقراط جورجياس ما هو الفنّ الذي يختصّ به، يجيب جورجياس. أنّ فنه هو علم الكلام وأنّه يفخر به جداً. وهل تستطيع أن تجعل الرجال الآخرين علماء كلام؟ نعم، بكلّ تأكيد، يا سقراط. وبماذا يختصّ علم الكلام إذن؟ إنّه يختصّ بالخطابة التي تستعمل الكلمات. نريد أن نعرف، يا جورجياس، بأيّ نوع من الخطابة يختص علم الكلام؟ إنّه ينتمي إلى النوع الأعظم وإلى أفضل الأشياء الإنسانية، يا سقراط. إنّني لا أزال في الظلمة وجوابك غامض، يا جورجياس، أخبرني، ما هو ذلك الخير الأعظم الذي توجده أنت للإنسان؟ إنّ الخير الذي أعنيه، يا سقراط، هو الخير الذي يهب الحرية للرجال في أشخاصهم الخاصة، ويعطي القوة للأفراد كي يحكموا في دولهم المتعددة فوق الآخرين. أعني المقدرة على إقناع القضاة في المحاكم بالكلمات، أو أعضاء مجلس الشورى، أو المواطنين في الجمعيّة العامة، أو المستمعين في أيّ اجتماع سياسي آخر. وبهذه القوة ستجعل الطبيب، والمدرّب، ومحصّل المال عبيداً لك، لأنّك أنت القادر على أن تتكلم وتقنع الكثرة.

عرفت معناك، يا جورجياس، تعني أنّ علم الكلام هو باعث الإقناع، وهذا هو تاجه وغايته. لكنّني أريد أن أعرف على وجه التحديد الطبيعة أو المباحث لذلك الإقناع الذي تتحدث عنه. أريد أن أعرف، يا جورجياس، هل علم الكلام وحده هو الذي يجلب الإقناع، أو أنّ الفنون الأخرى لديها التأثير عينه؟ مثلاً، يعلمنا علم الحساب عن خاصيّة العدد ويقنعنا بها، وإقناعه هو عن كميّة الفردي والمزدوج. وهكذا تفعل كلّ الفنون الأخرى وبما يختصّ بها. لذلك، فإن علم الكلام ليس

بصانع الإقناع الوحيد، وما علينا في هذه الحالة إلا مواصلة السؤال، أي إقناع يخلقه علم الكلام، وعن ماذا؟ إن علم الكلام، يا سقراط، هو فنّ الإقناع في المحاكم القانونية والجمعيات العامة، وكذلك عن العادل والظالم. لكن ألا تعتقد، يا جورجياس، أنّ هناك نوعين من الإقناع، الأول هو الذي يكون مصدر الإعتقاد بدون معرفة، والآخر يكون بالمعرفة. ما هو نوع الإقناع الذي يخلقه علم الكلام في محاكم القانون والجمعيات العمومية الأخرى عن العادل والظالم؟ ولا يستطيع أحد أن يفترض أنّ علم الكلام يعلّم عن مسائل كهذه في غاية السّموّ بوقت قصير. ألا تعتقد، يا جورجياس، أنّ من يكون أكثر حذقاً في أيّ فنّ سيعطي النصيحة وليس عالِم الكلام؟ كصانع السفن، وسيّد البنائين، والقائد العسكري والطبيب وما شابه؟ يا سقراط، سأجتهد لأكشف لك القوة المحركة لعلم الكلام في مجملها. أعتقد أنك سمعت، أن بناء الأحواض والجدران وتشييد الموانىء للأثينيين استُنبطوا طبقاً لنصائح ثيموستوكلس جزئياً، وكذلك لنصائح بريكلس وليس لاقتراحات البنائين. وستلاحظ، يا سقراط، أنّه عندما يُعطى قرار في مسائل كهذه فعلماء الكلام هم المستشارون، وهم الرجال الذي يتصرفون في النقاط الأساسية.

دعنا نحدد موضوع بحثنا، يا جورجياس، كي نتمكّن من الحصول على الحقيقة التي يجب أن تكون رائدنا في كل مجال، وسأسألك، هل تعني أنّ الإنسان سيتعلم منك كي يحصل على إصغاء الجماهير في أيّ موضوع يطرحه، وهذا لا يتمّ بالتعليم وإنّما بالإقناع؟ وأنّه سيمتلك قوة إقناع أكثر ممّا للطبيب حتى في مسائل الصحة؟ نعم، يا سقراط، يكون ذلك مع الأكثرية. تعني لتقول مع الجهلة، يا جورجياس، وليس مع الذين يعرفون. والاستنتاج هو أنّ الجاهل يقنع الجهلة ولا يقدر أن يقنع العارفين في كل علم وكل فنّ. وإذا كان هذا أقصى ما يمكن لعالم الكلام أن يقدّمه، فهل يتشابه جهله هذا بجهله عن العادل والظالم، الوضيع والشريف، وما شابه؟ أتوسّل إليك بجديّة قصوى، يا جورجياس، أن تمزّق

القناع وتطرحه جانباً، وتشرح لي القوة الفعّالة لعلم الكلام. إنّني أفترض، يا سقراط، أنّ التلميذ إذا لم ينل الفرصة ليعرفها مسبقاً، فسيتعلم منّي هذه الأشياء بالمثل. بما معناه أن الذي أجعله عالم كلام يجب إمّا أن يعرف طبيعة العادل والظالم مسبقاً، أو أنّ عليه أن يتعلمها منّي. ونتيجة ذلك، هي أنّ عالم الكلام ينبغي أن يكون عادلاً، ويفعل ما هو عدل، ولن يرضى عمل الظّلم على الإطلاق. لكنك، يا جورجياس، تناقض نفسك فيما تقوله الآن وما قد قلته سابقاً.

ويتدخل بولس، عالم الكلام، لنجدة جورجياس شبيهه، فينكر ما قاله جورجياس، ويؤكد أنّه كان خجولاً عندما نفى أنّ عالِم الكلام عرف العادل والشريف والخيِّر، وعندما اعترف أنّ أيّ شخص ممّن أتى إليه وهو يجهلها فسيعلمه إيّاها وانبثق من هذا الاعتراف تناقض حينئذ. وهل يستطيع أن يعترف أيّ واحد منا، يا سقراط، أنّه لا يعرف قط، أو أنّه لا يقدر أن يعلّم طبيعة العدل؟ ويردُّ سقراط، بحلمه المعروف وبطبيعة نفسه الشفافة، أنّ الإنسان في حياته يزوِّد نفسه بالأصدقاء ويلد الأطفال، ذلك أنه عندما يتقدّم في السن فجيل شابّ يكون موجوداً ويساعده ويقيله من عثاره، وهذا ما نريده الآن منك، يا بولس، شرط أن تختصر أسئلتك وإجاباتك، وآدحض خصمك ودعه يدحضك في تطابق لِما هو حقيقي. حسناً، إنّني سأسألك، يا سقراط، كما فعل جورجياس من قبلُ، ما هو علم الكلام؟ هل تعني أيّ نوع من الفنّ يا بولس؟ إنه ليس فنّاً على الإطلاق في نظري، بل هو كما قلت أنت في إحدى كتاباتك، وتقول هناك إنّك شكّلت فنّاً، وهو نوع من الحذق العملي في إنتاج نوع من البهجة والإرضاء، وهو عادة تمرينيّة ليس لديها أيّ شيء من الفن، لكنّها تأتي إلى العقل الماكر والجسور بذكاء طبيعي في التعامل مع الرجال، وإنني ألخّص ذلك تحت كلمة « تملُّق »، وهو جزء شبحيّ أو مزيّف من علم السياسات، وهو رديء وخسيس. إنّ فنّ علم السياسة يعتني بالروح، وفنّ الطبّ بالجسم، ويوجد في فنّ العلوم السياسيّة الجزء التشريعي، الذي

يطابق الألعاب الرياضية، كما يطابق العدل فن الطب. وبما أنّه يوجد للعلوم الآن فنّانِ اثنان يعتنيان بالجسم، وإثنان بالروح ولخيرهما الأسمى، فإنّ فنّ الكذب المستعار للتملّق يرتكز على العمل التخميني وليس على المعرفة، وهو لا يولي أيّ اهتمام لمصالح الرّجال الأسمى، بل يحتال بالحماقة وبإغراء اللّذة الحاضرة ويضللهم بالاعتقاد أنّه هو الاعتبار الأرفع لهم، ويفترض أن الطهو شبيه بعلم الطب. ويدعي أنه يعرف أيّ غذاء هو الأفضل للجسم. وهذا النوع من التملّق، يا بولس، يكون ذا نفسية سافلة، ويهدف إلى اللّذّة بدون أيّ تفكير بالأفضل، وهو لا يستطيع أن يعطي أيّ حساب عن طبيعة الأشياء، ولا أن يشرح سببها، ولا يمكننا أن نسمّي النشاط اللاعقلاني فنّاً، ولذلك فإنّ علم الكلام مثل التزيين، ماكر، باطل، دنيء، ضيّق الفكر، ويعمل بخداع ويجعل الرجال تتأثر بالجمال المزوّر وبإهمال الجمال الحقيقي الذي تهبه الألعاب الرياضيّة. ولذلك أقول، كما يكون التزيين للألعاب الرياضية، هكذا يكون علم الكلام لسنّ الشرائع، وكما هو الطّهو إلى الدواء، هكذا يكون علم الكلام إلى العدل. وعالم الكلام والسوفسطائي متلائمان للاختلاط معاً في نفس منطقة النشاط، وفيما يختص بالأهداف عينها.

ويسأل بولس: هل تعتقد، يا سقراط، أنّ علم الكلام تملُّق؟ لا، يا بولس، إذا لم تستطع التذكّر وأنت في سنّك هذه، فمتى ستقدر عليه؟ قلت إنّ علم الكلام جزء من التملّق، وعلماء الكلام ليس لهم أيّ اعتبار في دولهم على الإطلاق، وليس لهم أيّة قوة مادّية أو معنويّة، وهم لا يفعلون الأفضل كما يظنون، بل هم يفعلون الشرّ لأنّ عملهم ليس مبنيّاً على المعرفة. هل يظهر الرجال لك، يا بولس، أنّهم يشاؤون كلّ شيء يفعلون، أو أنّهم يشاؤون تلك الغاية الأبعد لذلك الشيء الذي يفعلون؟ وكمثال، عندما يتناولون الدواء بأمر الطبيب، هل يشاؤون شرب الدواء والألم الناتج عنه، أو الصحّة في سبيل ذلك الذي يشربون؟ إنّ كل عمل غايته الخير وليس الشرّ، العدل وليس الظلم، وعلينا ألاّ نفعل الظلم ولا نقاسيه،

ولكن إذا خُيِّرنا علينا اختيار مقاساته على فعله، لأنّ من يفعل الظلم يكون تعيساً وشقيّاً وسينال العقاب، ولا يمكنه أن يكون سعيداً. والسعادة كلها تكمن في قضية التعليم الحقيقي والعدل. ومن يتعرض للعقاب والجزاء سيتخلّص من خبثه وشروره وسيكون أقلّ شقاء، ومن لم ينزل به القصاص سيزداد خبثه وشقاؤه. وما علينا إلاّ أن نؤكّد أنّ الشريف هو الخيِّر وهو السار والنافع.

إنّ أعظم شرّ يحيط بالإنسان هو الفقر، وشرّ الجسم هو الضعف والمرض والتشويه. وشرّ الروح هو الظلم والجهل والجبن وما شابه. إذن، شرّ العقل هو الظلم، والجسد المرض، والوضع الفقر، وشرّ الروح والظلم هما أكثرهما عاراً. هناك فنون تحرِّرنا من كلّ هذه الآفات، ففنّ تحصيل المال، مثلاً، يحرِّرنا من الفقر، وفنّ الطبّ من المرض، وفنّ العدل من المعصية والظلم. لكن هناك شيء سارّ هو الذي يبزّ كونك مُشفىً من المرض وهو أن لا يعتلّ جسمك قطّ. وكذلك فإنّ من لا يمتلك رذيلة في روحه له المكان الأوّل في ميزان السعادة، ومن تلقى الغطة والزجر والعقاب له المكان الثاني، بما أنّ روحه قد تخلصت من الرذيلة. ويعيش أسوأ حياة من يرتكب أعظم الجرائم، وينجح في الهرب من الزجر والتصحيح والعقاب؛ وهذا ما ينجزه المستبدّون وعلماء الكلام والمسيطرون الآخرون في الدول.

وبعد أن اتفق على كلّ هذا سقراط الفيلسوف، وبولس عالم الكلام، يسأله سقراط: أين هي الفائدة العظمى لعلم الكلام، يا بولس، بعد كل البراهين التي قدّمناها، وبعد تلك الحقائق التي أبنّاها؟

بعد ذلك، يأتي كاليكلس، وهو عالم كلام ثالث وسوفسطائي، ليسأل سقراط إذا ما كان جادّاً أم هازلاً فيما يقول؟ لأنّك إذا كنت جادّاً، يا سقراط، وأنّ ما تقوله حقيقيّ، أفلا تعتقد أنّ الحياة الإنسانية بمجملها تُقلب رأساً على عقب، ونكون فاعلين عكس ما يجب علينا عمله؟ ويجيبه سقراط، إنّ ما سمعته وستسمعه من كلمات ما هو إلاّ صدى الفلسفة التي هي حبّي، وهي ليست متقلّبة

الأطوار، بل هي ثابتة على الدوام وهي المعلم الذي تدهشك كلماته الآن. أمّا أنت فحبيبك هو ديموس الأثيني ولا يعجبك ما أقوله لأنه عكس ما يقوله حبيبك، وإذا أردت أن تدحضها فافعل ذلك وإلاّ فستكون حياتك كلها متنافرة. ويرد كاليكلس باتهام سقراط بأنه خطيب منظّم، ويهيم على وجهه في المحاورة، كما أنّه يتوخّى البلاغة وأنّه أوقع بولس كما جورجياس في أحبولة، وأنّ بولس استحيا أن يقول ما يفكر به ولزم الصمت. وأنت تتظاهر، يا سقراط، أنّك متقيّد بتقصي الحقيقة وتلجأ إلى التصوّرات المبتذلة للحقّ، تلك التصورات التي تستحقّ الإعجاب بالاصطلاح وليس بالطبيعة، وبما أنّ الاصطلاح والطبيعة يناقض أحدهما الآخر، ومن ثمّ، إذا كان الشخص كثير الحياء وجباناً في قول ما يفكر به، فإنّه مجبر على أن يناقض نفسه. لذلك، فإنت تلجأ إلى كلٍّ منهما عندما تجد نفسك في مأزق ويبدو أنّك ستخسر الجولة في الحوار، وتعرف أنت أنَّ ما ينتج عنهما ومنهما متناقض، ونقدر أن نرى ذلك بوضوح من مجمل الأعمال والتطوّرات في الحياة الإنسانية. فالقانون هو اصطلاح سنّه الضعفاء، وكتبوا فيه ما كتبوا، أمّا الطبيعة فلقد حبت الإنسان القوّة كي يحطّم كل قانون كُتِب، ويملي رأيه ويفرض إرادته على الضعفاء والأدنى منه وغير ذلك كثير. أمّا الفلسفة التي تتكلم عنها فإنّها إنجاز جميل إذا تابعها الإنسان باعتدال في السنّ المناسبة، لكن إذا استمرّ في متابعتها إلى آخر حياته، فسيجهل تلك الأشياء التي يعرفها السيّد والإنسان المميّز بالضرورة، وهي خرابٌ للحياة الإنسانيّة إذا طال أمد درسها بدون تناسب، وسيصبح من يدرسها جاهلاً بقوانين الدولة، باللغة التي يجب استعمالها في التعامل بين الإنسان والإنسان، وكذلك بملذات ورغبات الجنس البشري والاخلاق الإنسانية بشكل عام. وأناس من هذا النوع يبدون مضحكين عند تنصيبهم في مجال السياسة أو العمل، وأشعر أنّ من يواصل دراسة الفلسفة إلى أقصى مداها، كما قلت، أشعر أنّه يستحقُّ الجلْد وأحبّ أن أضربه، لأنّني أرى أنه أصبح مخنثاً. وأنت، يا سقراط، لا تقدر أن تفعل

ما يفعله كلّ الرجال في الساحات العامة، وفي محاكم العدل، أو أن تقدّم نصيحة للغير، ولن تعرف ما تفعله، فوق كل ذلك، إذا ما ساقك أحدهم إلى السجن متّهماً إياك بأقسى تهمة، ستقف هناك متثائباً، ولا تمتلك كلمة تتفوّه بها للدفاع عن نفسك، ويمكن أن يُحكم عليك بالموت، إذا ما طالب خصم كهذا عديم القيمة وسافل إنزال العقوبة بك وهي الإعدام. أيّة حكمة في فنّ يحوّل الإنسان ذا الكافاءات إلى الوهن ولا يقدر أن ينقذ نفسه ولا ينقذ الآخرين في أعظم الأخطار، حتّى إذ سلم من ذلك فإنّ أقلّ شيء يتلقاه هو الصفع على الأذنين بُعيد إفلاته من العقوبة. خذ بنصيحتي، يا سقراط، « ولا تدحض أحداً بعد اليوم، تعلّم فنّ العمل الممتاز، واكتسب شهرة الحكمة، لكن اترك للآخرين إتقانها، لأنّها ستمنحك الفقر والعَوَز لك ولمن يسكن معك ».

إنّني اكتشف الحجر الذي به يُختبر الذهب، يا كاليكلس، هذا إذا كانت روحي مَصُوغة من هذا المعدن، ولقد وجدت الجائزة فيها. أقول لك ذلك، لأنّني أعتبر أنّ الإنسان إذا ما أجرى تجربة كاملة على حياة الروح الخيِّرة والشريرة، عليه أن يحوز نوعيّات ثلاثاً: المعرفة، الرّضا، والصراحة، وأنت تمتلكها كلها. وهي نوعيات لم تكن لدى جورجياس وبولس الرجلين العاقلين. وأنت تلقّيت ثقافة ممتازة ومنها نصيحتك لي بشأن هذا الموضوع، وبشأن قضايا هي موضوع اللحظة الأعظم. وبما أنّك عارف، وراض، وصريح سنصل إلى الاستنتاج الصحيح، وبما أنّ كلانا يرغب في الحصول التامّ على الحقيقة، وكيف ستكون أخلاقية الإنسان، وما هي مساعيه، وإلى أيّ بُعدٍ عليه أن يذهب فيها. وإذا وجدتني غير راضٍ بكلماتك، وغير فاعلٍ ذلك الذي قبلت به فيما بعد، أخضِعْني وكأنّي غبيٌّ مطلق، ولا تنصح المخلوق الذي لا قيمة له أبداً مرّة ثانية.

والآن أخبرني، يا كاليكلس، ماذا تعنيان أنت وبيندار بالعدل الطبيعي؟ ألا تعنيان أنّ الأقوى يجب أن يستولي على أملاك الأدنى بالقوّة، إنّ الأفضل يجب أن

يحكم الأرداً، وأن يمتلك النبيل أكثر من الحقير؟ وهل تعتقدان أنّ الأفضل والأسمى والأقوى متشابهون في نظرك أم مختلفون؟ إنّني أؤكّد لك، يا سقراط، أنّهم متشابهون، وأثبت كذلك أن قوانين الأكثرية هي قوانين الأسمى، وهي القوانين الصالحة بالطبيعة. لكنّ الكثرة، يا كاليكلس، تعتقد أنّ العدل هو المساواة، وأنّ فعل الظلم هو أكثر خزياً من معاناته، فلِمَ تصمتُ ولا تجيبني على سؤالي؟ نعم، يا سقراط، إنّ رأي الأكثريّة هو كما تقول. إذن هذا ما يؤكّدُ بالطبيعة وبالاصطلاح، يا كاليكلس، في معنى العدل. وهنا يغيّر كاليكلس رأيه فيما قاله سابقاً، ويلجأ إلى قول آخر وهو أنّه عنى بالأسمى الشيء عينه كالأفضل، وأنّ الأفضل هو الأكثر امتيازاً والأعقل هو الذي يجب أن يحكم، وهذا ما سميته العدل الطبيعي، يا سقراط. وإنني أعني بالأسمى والأعقل الحكماء السياسيين الذين يفهمون كيف تدار الدولة، والصناديد في أن ينفذوا ما يصمّمونه، ولا يعتريهم الوهَن من عَوَزهم للعزم. لكن ألا ترى ما أنت مقدّمه في المحاورة، يا كاليكلس، عرّفت الأفضل والأسمى، بادىء ذي بدء أنّه الأقوى، ثم الأعقل، والآن تقول إنّه الأكثر شجاعة. قل لي مرّة واختصر الجميع، مَنِ اللذان تؤكّد أنّهما الأفضل والأسمى، وبماذا؟ لقد أخبرتك مسبقاً، يا سقراط، أنّني أعني أولئك الذين هم عقلاء وشجعان في إدارة الدول، والعدل يتألف في أن يتملكوا أكثر من رعاياهم. وماذا عن هؤلاء الحكّام، يا كاليكلس، هل هم حكامٌ أو رعايا في مفهوم خاص، وهل سيكونون معتدلين وأسياد أنفسهم، ويسيطرون على ملذاتهم وشهواتهم الخاصّة، ويحكمون فوق أنفسهم؟ ما هذه البراءَة، يا سقراط، أنت تعرّف الاعتدال بالعباوة، وكيف يستطيع أيّ إنسان يكون خادماً لأيّ شيء أن يكون سعيداً؟ لا وألف لا. فالسّعيد هو من سيعيش ويسمح لرغباته أن تكبر إلى أقصى حد، وأن لا يؤدبها، بل أن يكون شجاعاً ويمدّها بكل شيء وأن يرضي كلَّ ما تشتاق إليه، وهذا ما أؤكّد أنّه العدل الطبيعي والنبل، وقلائل هم الذي يبلغونه. ولهذا يلومون

الرجل القويّ لأنّهم يستحون بضعفهم. ومن هنا يقولون إنّ الإفراط دنيء، وبذلك فهم يُذلُّون الطبائع الأنبل. وبما أنّهم عاجزون عن الوصول إلى إشباعٍ كاملٍ لملذّاتهم، يثنون على العدل والاعتدال بسبب ما يعتريهم من جبن. وابن الملك الذي يستطيع أن يفعل ما يريد ويمتلك امبراطورية واسعة، أيّ شرٍّ يمكن أن يمارسه أكثر من الاعتدال والعدل؟ بدل أن يتمتّع بكل الخيرات التي يقدر عليها. وأؤكد بملء فمي أنّ الترف والإفراط وملء الشهوات لأقصى حد، إذا ما تجهّزت بالوسائل، هي الفضيلة والسعادة، وهذه حقيقة لا مَراء فيها، وكل ما تبقّى فمجرّد ألعابٍ صبيانيّة، اتفاقات مناقضة للطبيعة، كلام غبي للرجال ولا تساوي شيئاً.

هناك حريّة نبيلة، يا كاليكلس، فيما تقول. إنّك تعلن بشكل صريح ما يعتقد به باقي الناس، لكنّني استعطفك كي تواصل الحوار، ذلك كي يمكن أن يكون الحكم على الإنسان الحقيقيّ بيّناً. تقول أنت إنّ الشهوات يجب ضبطها في الإنسان المحسّن بحقّ، لكن علينا أن ندعها تنمو إلى أقصى مدى وأن نشبعها بأيّة طريقة، وهذه هي الفضيلة في نظرك. إنّ هذه الحياة التي تتصورها هي رهيبة حقّاً، ولقد سمعت فيلسوفاً يقول، إنّ الجاهل هو غير المطّلع وغير الناضج، وأسمى الروح بالوعاء، وقارن مكان الجاهل فيها بوعاءٍ مليءٍ بالثقوب لأنّه لا يستطيع أن يشبع أبداً. ويقول، إنّ هؤلاء الأشخاص الناضجين هم الأكثر شقاء، وكونهم شهوانيين فذلك ناشىء عن الذاكرة السيئة وعَوَز الإيمان؛ وحياتهم شبيهة بحياة الكواسر وغراب البحر، وهل حياة المأبوبين إلاّ حياة مرعبة، دنسة، ومريعة؟ وهل ستقول إنّهم سعداء أيضاً، يا كاليكلس، إذا ما حصلوا على مّما يريدون؟ وهل ستقول إنّ اللّذة والخير هما الشيء عينه؟ وهل اللّذّة والمعرفة الشيء عينه أو هما مختلفتان؟ وهل الشجاعة تختلف عن اللّذة؟ ودعنا نتذكر بأنّك تعترف أنّ اللذة والخير هما الشيء عينه، وأنّ المعرفة والشجاعة مختلفتان بعضهما عن بعض وعن الخير. وبرغم صمتك وعدم إجابتك، على ما تقوله المحاورة، إنّني أؤكّد لك، بعدما اعترفت أنت

به مسبقاً، أؤكّد أنّ الخيّر لا يكون الشيء عينه كالسّارّ، أو الشرّ الشيء عينه كالمؤلم، وأنّ الشجعان والعقلاء هم أخيارٌ بالتأكيد، والأغبياء والجبناء هم الأشرار، والأخيار يفرحون لوجود الخير فيهم، والأشرار يتألمون ويحزنون لوجود الشرّ فيهم، والأخيار يلازمهم الفرح، والأشرار يلازمهم الحزن والألم. لقد ظهر بشكل جلي وبعد أن أخذت المحاورة أقصى مداها أنّ الخيّر والسّار هما الشيء عينه يا كاليكلس.

يا سقراط، لقد استمعت لما تقول وقدّمت الاعترافات لك، ولاحظت أنّ أيّ شخص إذا منحك شيئاً ما في اللعب، فأنت تريد الاحتفاظ به كالطفل، ولن تعيده إليه، لكنّك هل تفترض بحقّ أنّني أنفي أو ينفي أيّ إنسان آخر، أنّ بعض الملذات صالحة والأخرى سيئة؟

كم أنت غير عادل، يا كاليكلس، في معاملتك لي. تقول شيئاً في وقت ما، وتقول عكسه في وقت آخر، وذلك كي تضلّلني. لقد فكّرت بادىء ذي بدء، أنّك صديقي ولن تخدعني، غير أنّني أرى خطئي الآن؛ ومع ذلك، فما عليّ إلا أن أخلق الأفضل من العمل السّيء، كما قالوا قديماً، وأن أستخلص ما أستطيع الحصول عليه منك. ولكن بعد اعترافك هذا اتفقت وإيّاك على أنّه يوجد هكذا شيء كالخير، وهكذا شيء كاللذة، وأنّ اللّذة ليست الشيء عينه كالخير، وأنّه يوجد لكل منهما مسعى وعمليّة محدّدة للاكتساب، إحداهما تطلب الخير، والأخرى اللذة. وأنت وافقت بمنّة على وجود نشاطات أخرى لها عمل في الروح، وتتخذ ترتيبات مسبقة لفائدتها الأعلى، وأخرى تزدري هذه الفوائد، وتعتبر اللذة الروحية فقط، لكنها لا تتبصّر في أيٍّ منها تكون صالحة وأيّهما سيئة، وهذا هو نوع الشيء الذي أسمّيه تملّقاً سواء أكان يختص بالروح أو الجسم أو أيّ شيء آخر يُستخدم بقصد اللذة. ويوجد تملّق في عمل المأساة وفي الغناء والموسيقى والشعر، وكذلك في الكلام الذي يوجّه إلى الجمعيات العموميّة في كل مكان، وقائلوه لا يقصدون تحسين المواطنين به، بل يميلون إلى إعطائهم

اللذّة، ناسين الخير العام من تفكيرهم بمصالحهم الخاصة، لاعبين بالشعب كما يلعبون بالأطفال.

واعترفت أنت بعد ذلك بكلّ صراحة، يا كاليكلس، أنّ بعضاً منهم لديه اهتمام حقيقي بالشعب فيما يقولون، في حين يكون الآخرون على عكسهم. وهذه ازدواجية تعترف بها لعلم الكلام، فواحده مجرّد مداهنة وخطاب حماسي شائن، أمّا الجزء الآخر فنبيل يهدف إلى تحسين أخلاق المواطنين، ويكافح ليقول ما هو الأفضل، سواء لقي الترحيب من الحضور أم لم يلقه. والخطيب الحقيقي هو الذي يكون أميناً ويفهم فنه، يرسّخ عينيه على تحسين أرواح الرجال في ما يقدمه لهم، ويهدف إلى زرع العدل والاعتدال وكلّ فضيلة فيها، ورفع الظلم والإفراط وكلّ رذيلة.

إنّني لا أعي كلمة ممّا تقول، يا سقراط، ولقد أجبتك حتى الآن من لطفي لجورجياس فقط...

لكنّنا يجب أن نضع رأساً للمحاورة، وأن لا ندَعها تهرب بدون رأس، لذلك أجبني كي نتمكّن من إنجاز ذلك، ولا تكن صعباً يا كاليكلس...

حسناً، سأتقدم كي أنجز المحاورة بنفسي، لأنك انقطعت عن إجابتي. إن اكتشاف الحقيقة هو خير عامّ. وإذا وجد أحدُهم أنّني أتكلم باطلاً، فما عليكم إلا أن تتدخّلوا وتدحضوني.

إنّني لا أزال أؤكّد، كما أبنتُ لكل من جورجياس وبولس، أنّ السّار ليس الشيء عينه كالصالح، وأنّنا نكون أخياراً عندما تكون فضيلة ما حاضرة فينا. وتأتي هذه الفضيلة إلى الروح ليس بالصدفة بل كنتيجة للنظام والحقيقة والفنّ الذي أُضفي عليها. وأنّ الروح التي تمتلك نظاماً هي روح متناسقة ومعتدلة، والروح المعتدلة هي الروح الخيّرة، والروح المفرطة هي الغبيّة والشريرة. أمّا الروح المعتدلة فتفعل ما هو لائق وما يرضي الآلهة والرجال، والإنسان العادل هو معتدل وشجاع

وتقيّ. ويخبرنا الفلاسفة، يا كاليكلس، أنّ المشاركة والصداقة والنظام والاعتدال والعدل يربط السماء والأرض والآلهة والرجال معاً، وأنّ هذا الكون يُدعى منظّماً ونظاماً لذلك، وليس فوضى واضطراباً، لكنك مع كونك فيلسوفاً، تبدو لي أنّك لم تلاحظ هذا أبداً. إنّك لم تتصوّر قوة المساواة الهندسيّة بين الآلهة والرجال كليهما. لقد فكرت أنّك يجب أن تزرع التباين والإفراط، لأنّك لا تعتني بالهندسة، وأحبّ أن أثبت لك في هذا السياق أن لا أحد يفعل الخطأ بمحض إرادته، بل عكس ذلك، والفيلسوف لا يخاف الموت نفسه، بل يخاف أن يفعل الأخطاء للآخرين. أمّا ثواب من يعيش طوال حياته في العدل والتقوى فسيذهب إلى الجزر المباركة، ومن يفعل الظلم فإلى الجحيم.

لذلك، فما علينا جميعاً إلاّ الذهاب إلى القضاة في ذلك اليوم وأرواحنا ممتلئة عدلاً وتقىً ومعرفة للحقيقة واستعمالاً لعلم الكلام في الطريق الصحيح والفضيلة. دعنا نسلك هذا الطريق سويّاً، ونحضّ كلّ الرجال على سلوكه، وليس الطريق الذي رسمته أنت عندما حاورتنا. فطريقك ذاك لا يستحقّ أيّة قيمة، يا كاليكلس.

محاورة جورجياس

علم الكلام

اشخاص المحاورة:

كاليكلس   بولس

جورجياس   تشايرافون

سقراط

المشهد: بيت كاليكلس.

كاليكلس: الإنسان العاقل، كما يقول المثل، يأتي متأخّراً إلى العراك، لكن ليس إلى الوليمة.

سقراط: وهل نحن متأخرون في مجيئنا إلى الوليمة؟

كاليكلس: نعم، وإنّها لوليمة سارّة؛ لأنّ جورجياس قد عرض لنا لتوّه العديد من الأشياء الفاخرة.

سقراط: إنّها ليست غلطتي، يا كاليكلس؛ يجب أن نضع اللوم على صديقنا تشايرافون؛ لأنّه جعلنا نضيّع الوقت سدىً في الساحة العامة.

تشايرافون: لا ضير في ذلك، يا سقراط. إنّ النائبة التي سببتُها سأصلحها أيضاً؛ فجورجياس صديق لي، وسأجعله يعطيك عرضاً آخر إما اليوم، أو إذا آثرت، ففي وقت آخر.

كاليكلس: ما هي المسألة، يا تشايرافون؟ هل يريد سقراط أن يسمع جورجياس؟

تشايرأفون: نعم، كان ذلك قصدنا من المجيء.

كاليكلس: تعال إلي بيتي، إذن، فجورجياس باقٍ معي وسيعرض لك ما تريد.

سقراط: جيّد جداً، يا كاليكلس؛ لكن هل سيجيب على أسئلتنا، لأنّني أريد أن أسمع منه ما هي وظيفة فنّه، وما هو ذلك الذي يعترف به ويعلّمه. يمكنه، كما ستقترح أنت « يا تشايرافون » أن يؤجّل عرضه العامّ هذا إلى وقت آخر ما.

كاليكلس: لا يوجد شيء مثل سؤاله، يا سقراط؛ وكانت هذه النقطة في الحقيقة واحدة من النّقاط الرئيسيّة التي أوردها في خطابه. لقد قال لتوّه الآن، إنّه يمكن لأيّ شخص في بيتي أن يطرح السؤال، وإنّه سيجيبه.

سقراط: كم هو محظوظ! هل ستسأله يا تشايرافون؟

تشايرافون: ماذا سأسأله؟

سقراط: إسأله من يكون.

تشايرافون: ماذا تعني؟

سقراط: أعني سؤالاً مثل هذا الذي يمكن استخلاصه منه، وهو إذا ما كان صانع أحذية، فجواب ذلك أنّه إسكافي. هل تفهم؟

تشايرافون: أفهم، وسأسأله: أخبرني، يا جورجياس، هل يكون كاليكلس محقّاً في القول إنّك تأخذ على نفسك أن تجيب على أيّ سؤال؟

جورجياس: حقيقي تماماً، يا تشايرافون. لقد قلت شيئاً مثل ذلك لبرهة خلت؛ ويمكنني إضافة أن سنين عديدة انقضت لم يسألني فيها شخصٌ سؤالاً جديداً.

تشايرافون: إذن فأنت لن تجد صعوبة في الإجابة؟

جورجياس: لذلك، يا تشايرافون، تستطيع أن تُعدَّ التجربة.

بولس: نعم، بحق، وإذا أحببت، يا تشايرافون، يمكنك أن تحاول معي أيضاً، لأنّني أظنّ أنّ جورجياس قد تعب، لأنّه تكلّم لوقت طويل.

تشايرافون: وهل تعتقد، يا بولس، أنّك تقدر على الإجابة أفضل من جورجياس؟

بولس: وماذا سيهمّ إذا جاوبتك جيّداً بما فيه الكفاية؟

تشايرافون: لا شيء البتّة. وستجيب أنت إذا أحببت.

بولس: إسأل.

تشايرافون: هذا هو سؤالي: إذا ما كان لدى جورجياس مهارة أخيه هيروديكوس، ماذا يجب علينا أن نسمّيه؟ ألاَ يجب أن يحوز الإسم الذي أُعطي لأخيه؟

بولس: بالتأكيد.

تشايرافون: سنكون محقّين إذا دعوناه طبيباً إذن؟

بولس: نعم.

تشايرافون: وإذا امتلك مهارة اريستوفون بن أكلاوفون، أو مهارة أخيه بوليغنوتوس، فما يجب علينا أن نسمّيه؟

بولس: مصوّر يد، بجلاء.

تشايرافون: لكن، ماذا نسمي الأشياء كما هي - ما هو الفنّ الذي هو ماهر فيه؟

بولس: أوه، يا تشايرافون، توجد عدة فنون بين أبناء البشر، وهي فنون تجريبيّة، ولها أصلها في الخبرة؛ فالخبرة تجعل أيّام الرجال تتقدّم في مطابقة للفنّ، وعدم الخبرة في مطابقة للصدفة؛ ويلجأ الأشخاص المتباينون أنفسهم لمختلف الفنون بطرق متفاوتة، والأشخاص الأفضل للفنون الأفضل. وأنّ صديقنا جورجياس هو واحد من أفضل الأشخاص، والفنّ الذي يستعمله هو الأنبل.

سقراط: لقد تعلّم بولس كيف يخرج الحديث الممتاز، يا جورجياس؛ غير أنّه لا يفي بالوعد الذي قطعه لتشايرافون.

جورجياس: ما الذي تعنيه، يا سقراط؟

سقراط: أعني أنّه لم يُجِب تماماً على السؤال الذي طُرِح.

جورجياس: لِمَ لا تسأله بنفسك إذن؟

سقراط: لكنّني أفضّل أن أسألك أكثر، إذا ما كنت مهيّأً لتجيب. إنّني أرى، من الكلمات القليلة التي تفوّه بولس بها، أنّه اعتنى بالفنّ الذي يُسمّى علم الكلام أكثر من عنايته بعلم المنطق.

بولس: ما الذي جعلك تقول هذا، يا سقراط؟

سقراط: لأنّه، يا بولس، عندما سألك تشايرافون ما هو الفنّ الذي يعرفه جورجياس، أثنيت عليه كأنّك كنت تجيب شخصاً ما ممّن وُجد فيه عيب، لكنّك لم تقل أبداً ما هو ذلك الفنّ.

بولس: لماذا، ألم أقل إنّ فنّه هو أنبل الفنون؟

سقراط: نعم، فعلت، لكن لم يسأل أحد ما هي نوعية فنّ جورجياس؛ إنّ السؤال هو ماذا يكون فنه؟ وبأيّ إسم نصف جورجياس؟ وأستعطفك أن تخبرنا الآن، كما أجبت تشايرافون بجمال وبكلمات قليلة جداً عندما بدأ السؤال، وآمل أن تخبرنا ما هو هذا الفنّ، وما يجب علينا أن نسمّي جورجياس. أو على الأصح، هل ستبلغنا أنت بنفسك، يا جورجياس - بماذا سنناديك وما هو الفن الذي تختصّ به؟

جورجياس: إنّ فنّي هو علم الكلام، يا سقراط.

سقراط: سأناديك عالم كلام إذن؟

جورجياس: نعم، يا سقراط، وواحداً جيّداً أيضاً، إذا ما كنت ستناديني بذلك الذي ، في اللغة الهوميروسيّة، (لَفَخْرٌ لي أن أكون ذلك).

سقراط: إنّني أرغب فعل هذا.

جورجياس: صَلِّ بعدئذ إفعل.

سقراط: أيمكننا القول إنّك قادر على أن تجعل الرجال الآخرين علماء كلام؟

جورجياس: نعم، ذلك ما أصرّح به بالضبط، ليس في أثينا فقط، بل في كل مكان.

سقراط: وهل ستتابع الأسئلة وتجيب عليها، يا جورجياس، كما نفعل في الوقت الحاضر، وتحتفظ لمناسبة أخرى بأسلوب الحديث الطويل الذي كان قد حاوله بولس؟ هل ستحافظ على وعدك، وتجيب على الأسئلة التي سأسألك إياها بشكل قصير؟

جورجياس: إنّ بعضَ الأجوبة، يا سقراط، هي أحاديث طويلة بالضرورة، لكنني سأفعل أفضل ما أقدر لجعل أجوبتي مختصرة قدر الإمكان. إن جزءاً من اختصاصي هو أنني قادر أن أكون مُختصِراً مُفِيداً كأيٍّ شخص يمكنه عمل ذلك.

سقراط: إنّ هذا لهو المطلوب، يا جورجياس؛ أَظهِر الطريقة الأقصر الآن، والأطول في وقت ما آخر.

جورجياس: حسناً، سأفعل؛ وستقول إنّك لم تسمع أبداً بإنسان يستعمل كلمات أقلّ بالتأكيد.

سقراط: جيّد جداً إذن، بما أنك تعلن أنّك عالم كلام، وصانع علماء كلام، دعني أسألك، بماذا يختصّ علم الكلام؟ يمكنني أن أسأل بماذا يختص فنّ الحياكة، وستجيب (ألن تفعل؟) بصنع الألبسة؟

جورجياس: نعم.

سقراط: وتهتمّ الموسيقى بتركيب الألحان.

جورجياس: إنها لكذلك.

سقراط: أوه يا جورجياس، كم يعجبني إيجاز أجوبتك الفائق!

جورجياس: حسناً، يا سقراط، أعتقد أنّني بارع في ذلك.

سقراط: إنني مسرور لسماع ما تقول؛ أجبني عن علم الكلام في أسلوب مماثل؛ بماذا يختص علم الكلام؟

جورجياس: بالخطابة.

سقراط: أيٌّ نوع من الخطابة، يا جورجياس؟ أهي خطابة كالتي تعلّم كيفية شفاء المريض؟

جورجياس: لا.

سقراط: لا يختص علم الكلام بكل أنواع الخطابة إذن؟

جورجياس: لا بالتأكيد.

سقراط: ومع ذلك فإن علم الكلام يجعل الرجال قادرين على الكلام.

جورجياس: نعم.

سقراط: وأن تفهم ذلك الذي يتكلمون عنه؟

جورجياس: طبعاً.

سقراط: لكن هل فنّ الطبّ، الذي ذكرناه منذ برهة، يجعل الرجال قادرين على فهم المريض والكلام عنه؟

جورجياس: بالتأكيد.

سقراط: يعالج فنّ الطبّ الخطابة أيضاً.

جورجياس: نعم.

سقراط: الخطابة التي تهتمّ بالأمراض.

جورجياس: هكذا بالضبط.

سقراط: أوَلاَ تعالج الألعاب الرياضية أيضاً المقالة التي تختص بحالة الجسد الجيّدة والسيئة؟

جورجياس: حقيقي تماماً.

سقراط: ويكون الشيء عينه حقيقياً، يا جورجياس، عن الفنون الأخرى: ـ تعالج كلّها المقالة التي تخصّ المواضيع التي تقوم بها تلك الفنون، تعالجها كلاً على حدة.

جورجياس: بوضوح.

سقراط: لماذا إذن، إذا سميت علم الكلام الفنّ الذي يعالج الخطابة، وتعالجها كل الفنون الأخرى كذلك، لماذا لا تسميها فنون علم الكلام؟

جورجياس: لأنّ معرفة الفنون الأخرى، يا سقراط، تختص كليّة تقريباً بنوع ما من العمل اليدوي. لكنْ لا يوجد نشاطٌ جسدي كهذا في علم الكلام يعمل عمله وينجز أغراضه كافّة من خلال وسيلة الخطابة، ولذلك فأنا مُبرَّر في ادّعاءِ أنّ علم الكلام يعالج الخطابة.

سقراط: إنّني لست متأكّداً ما إذا كنت أفهمك كليّة، لكنّني أجرؤ على القول إنّني سأعرف أفضل قريباً؛ أجب على سؤالي من فضلك: - هل تجيز أنّ هناك فنوناً؟

جورجياس: نعم.

سقراط: بما أنّ الفنون عموماً، تختصّ بالفعل بجزئها الأكبر، وتحتاج لقليل الكلام أو لا تستلزمه؛ ويمكن للفعل أن يتقدم بصمت في الرسم، وصنع التماثيل، وفي عدة فنون أخرى؛ وافترض أنّك ستقول عن فنون كهذه إنّها لا تقع ضمن مقاطعة علم الكلام.

جورجياس: إنّك تتصوّر معناي بالتّمام، يا سقراط.

سقراط: لكنْ هناك فنون أخرى تعمل من خلال وسيلة اللغة بشكل كامل، ولا تحتاج للفعل، أو أنّها تحتاج لقليل منه جداً، وكمثال، فنون علم الحساب، الحساب، الهندسة، لعب الشطرنج، وفنون عديدة أخرى؛ ويكون الكلام في بعضها متساوياً في الامتداد مع العمل بقدر غير قليل، غير أنّ العنصر الشفهيّ يكون أكبر في أكثرها - إنّها تعتمد على الكلمات بشكل كامل في ممارستها وإتمامها. وإنّني آخذ معناك وهو أن علم الكلام هو فنٌّ من هذا النوع الأخير؟

جورجياس: بالضبط.

سقراط: ومع ذلك فإنّني لا أعتقد أنّك تعني حقّاً تسمية أيّ من هذه الفنون علم كلام؛ مع أنّ التعبير الدقيق الذي استعملته كان، إنّ علم الكلام هو الفنّ الذي يعمل عمله وينجز أغراضه كاملة من خلال وسيلة الخطابة. ويمكن أن يقول لك الخصم الراغب في الانتقاد: « وهكذا، يا جورجياس، أنت تسمّي علم الحساب علم كلام »؟ غير أنّني لا أعتقد أنّك حقاً تدعو أنّ كلاً من علم الحساب أو علم الهندسة علمَ كلام.

جورجياس: أنت محقّ تماماً، يا سقراط، لفهمك ما أعني.

سقراط: حسناً، إذن، دعني أحوز الآن ما تبقّى من جوابي - مع ملاحظة أنّ علم الكلام هو واحد من تلك الفنون التي تعمل باستعمال الكلام بشكل رئيسي، وهناك فنون أخرى تستعمل الكلمات أيضاً.أخبرني ما هو الموضوع الذي يعالجه علم الكلام باستعماله الكلمات: إفترض أنّ شخصاً يسألني عن بعض الفنون التي قد ذُكرتها لتوّي؛ يمكنه أن يقول: « يا سقراط، ما هو علم الحساب؟ » وعليّ أن أجيبه، كما أجبتني، أنّ علم الحساب هو واحد من تلك الفنون التي تحقق أغراضها من خلال الكلام. وسيتقدم بعدئذ ليسأل: « كلمات عن ماذا؟ » وعليّ أن أجيب، عن الأعداد المفردة والمزدوجة، كوجود العديد من كلا النوعين. وإذا سأل ثانية: « ما هو فنّ الحساب؟ » عليّ أن أقول، إنّه أيضاً واحد من الفنون التي تحقق أغراضها بالكلمات بشكل إجمالي. وإذا قال بعدها: « بماذا يختصّ هو؟ » عليّ أن أقول، كالكَتَبَةِ في الجمعية العامة، أنّه « في كلّ الوجوه الأخرى مهما كانت » يشبه علم الحساب، كونه مختصاً بالموضوع عينه أي الأعداد المفردة والمزدوجة، لكنه يختلف بقدر اعتباره لقربها العددي لأنفسها وبعضها لبعض. وافترض ثانية، أنّني كنت لأقول في جواب على سؤال آخر إنّ علم النجوم يستعمل أيضاً الكلمات فقط - سيسألني: « الكلمات عن ماذا،

يا سقراط؟ » وعليّ أن أجيب، كلمات عن حركات النجوم والشمس والقمر، وعن سرعتها النسبيّة.

جورجياس: أنت ستكون محقّاً تماماً، يا سقراط.

سقراط: وبعدُ دعنا نأخذ منك، يا جورجياس، حقيقة علم الكلام الذي ستعترف به (ألن تفعل ذلك؟) أنّه واحد من تلك الفنون التي تعمل دائماً وتتمّ كل غاياتها بواسطة الكلمات؟

جورجياس: حقاً.

سقراط: الكلمات التي تفعل ماذا؟ سأسأل، إلى أيّ نوع من الأشياء تنتمي الكلمات التي يستعملها علم الكلام؟

جورجياس: إلى النوع الأعظم، يا سقراط، وإلى أفضل الأشياء الإنسانيّة.

سقراط: ذلك الجواب هو غامض مرة ثانية، يا جورجياس؛ إنّني لا أزال في الظلمة. أجرؤ على القول إنّك سمعت الرجال يغنون في الحفلات الأغنيّة القديمة للشراب التي يعدد المغنون فيها خيرات الحياة، قائلين إنّ الصحة هي الأولى، يليها الجمال، وتأتي الثالثة، كما يقول كتاب الأغنيّة، وهي الثروة المحصلة بأمانة.

جورجياس: نعم، أعرف الأغنية، لكن ما هو مبتغاك؟

سقراط: أعني أنّ منتجي تلك الأشياء الذين يثني عليهم مؤلف الأغنية، ذلك لتقول، الطبيب، المدرِّب، ومحصِّل المال، سيأتون إليك في الحال، وسيقول لك الطبيب أولاً: « أوه، يا سقراط، إنّ جورجياس ما هو إلاّ خادعٌ لك، لأنّ فنّي يختصّ بالخير الأعظم للرجال وليس فنه ». سأقول له، من أنت؟ وهو سيجيب، « إنّني طبيب » سأقول له: وماذا تعني؟ هل تعني أنّ فنّك ينتج الخير الأعظم؟ سيجيب: « بالتأكيد » « أوليست الصحّة هي الخير الأعظم؟ أيُّ خير أعظم يمكن للإنسان أن يكتسب، يا سقراط؟ » وسيأتي

المدرِّب بعده ويقول: « إنّني سأتعجب كثيراً، يا سقراط، إذا أمكن لجورجياس أن يُظهر خيْراً أكثر في فنّه ممّا أستطيع أن أبيّنه في فنّي ». سأقول له ثانية، من أنت، أيّها الصديق الأمين، وما هو عملك؟ سيجيب: « إنّني مدرِّب » « وعملي هو أن أخلق الجمال والقوة في أجسام الرجال ». وعندما انتهيت من المدرِّب، ها قد وصل محصّل المال وهو، كما أتوقّع، سيستخفّ بهم جميعاً. سيقول: « تأمّل يا سقراط، أيمكن لجورجياس أو لأيّ شخص آخر أن ينتج خيراً أعظم من الثروة »؟ حسناً، سنقول له أنت وأنا، وهل أنت خالق ثروة؟ سيجيب « نعم ». ومن أنت يا « محصّل المال »؟ هل تعتبر أنّ الغنى هو خير الإنسان الأعظم؟. « طبعاً »، سيكون جوابه. وسنواصل أسئلتنا؛ نعم؛ لكن صديقنا جورجياس يناظر في أنّ فنّه ينتج خيراً أعظم من فنك. وسيكون حينئذ متأكداً من أن يواصل ويسأل: « أيّ خير؟ دع جورجياس يجيبني ». أريدك الآن يا جورجياس أن تتصوّر أنّ سؤالهم هذا يسألونك هم إيّاه، وأسألك هذا السؤال أنا كذلك. ما هو الخير الأعظم للإنسان، كما تقول، والذي أنت مُوجدَه؟ أجبنا.

جورجياس: إنّ الخير الأعظم بحقّ، يا سقراط، هو ذلك الذي يعطي الحريّة للرّجال في أشخاصهم الخاصّة، ويعطي القوة للأفراد كي يحكموا في دولهم المتعددة فوق الآخرين.

سقراط: وكيف تعتبر أن يكون هذا؟

جورجياس: أعني المقدرة لأن تقنع القضاة في المحاكم بالكلمات، أو الأعضاء في مجلس الشورى، أو المواطنين في الجمعية العامة، أو المستمعين في أيّ اجتماع سياسيّ آخر. ستجعل بهذه القوّة الطبيب عبدك حقاً والمدرِّب عبدك، وستجد محصِّل المال الذي تكلّمت عنه، ستجده يجمع الكنوز، ليس لنفسه، بل للآخرين، لأنّك أنت القادر أن تتكلم وأن تقنع الكثرة.

سقراط: أعتقد الآن، يا جورجياس، أنّك قد اقتربت جداً من شرح ما تتصوّره أنّه فنّ علم الكلام؛ وتعني، إذا لم أكن مخطئاً، أنّ علم الكلام هو صانع الإقناع، يمتلك هذا العمل ولا آخر غيره، وأن هذا هو تاجه وغايته. هل تعرف أيّ تأثير آخر لعلم الكلام زيادة على أنّه ينتج الإقناع في روح المستمع؟

جورجياس: لا، فالتعريف يظهر لي جيّداً تماماً، يا سقراط؛ إنّ هذا التأثير هو حاصل علم الكلام وجوهره.

سقراط: إصغ إليّ إذن، يا جورجياس، إنّني متأكّد أنّه إذا وُجد قطُّ الإنسان الذي يشارك في بحث عن أيّ شيء لمعرفة الحقيقة عن الموضوع من محبة صافية، فأنا هو، وعليّ أن أقول الشيء ذاته عنك.

جورجياس: ما هو الآتي، يا سقراط؟

سقراط: سأخبرك. أؤكّد لك أنّني لا أعرف على وجه التحديد طبيعة أو مباحث ذلك الإقناع الذي تتكلم عنه، والذي يمنحه علم الكلام. إن لديَّ شكاً بشأن الأوّل والآخر كليهما؛ وبرغم ذلك، فأنا سأسألك: ما هي هذه القوة المقنعة، في نظرك، التي يهبها علم الكلام، وبشأن ماذا؟ لِمَ أسألك الآن، إذا كان لديَّ أيّ شكّ، بدلاً من أن أخبرك؟ ليس إرضاءً لك، بل لكي تمضي المحاورة قدماً في أسلوب كهذا يكون أكثر قدرة لأن يلقي الضوء على موضوعنا. وأريدك أن تعتبر ما إذا كنت محقاً في طرح هذا السؤال الأبعد: إذا سألتك، « أيُّ نوع من رسّام اليد زيوكسيس؟ » وقلت أنت، « إنه رسّام الأشكال »، ألن أكون محقّاً في أن أسأل، « أيّ نوع من الأشكال، وأين تجدها؟ ».

جورجياس: بالتأكيد.

سقراط: وسيكون السّؤال لماذا يجب أن أبرِّز في هذا السؤال الثاني هو؛ أنّه يوجد رسّامون يدويون آخرون بجانب الذي يرسم عديداً من الأشكال الأخرى؟

جورجياس: حقاً.

سقراط: لكن إذا لم يوجد أحدٌ إلاّ زيوكسيس الذي رسمها، فحينها ستكون قد أجبت بجودة محققة.

جورجياس: هكذا تماماً.

سقراط: أريد أن أعرف عن علم الكلام بالطريقة عينها. أيكون علم الكلام الوحيد الذي يجلب الإقناع، أو أنّ الفنون الأخرى لديها التأثير عينه؟ أعني: هل من يعلِّم أيّ شيء يقنع الرجال بذلك الذي يعلِّمه أوْ لاَ؟

جورجياس: إنّه يقنع، يا سقراط ـ لا يمكن إيجاد خطأ بشأن ذلك.

سقراط: دعنا نعود للفنون التي تكلمنا عنها الآن: ـ ألاَ يعلّمنا علم الحساب وعالمو الحساب خاصيّة العدد؟

جورجياس: بالتأكيد.

سقراط: ويقنعنا بها لذلك.

جورجياس: نعم.

سقراط: يكون علم الحساب إذن كما يكون علم الكلام صانع الإقناع؟

جورجياس: بوضوح.

سقراط: وإذا سألَنا أحدٌ ما نوع الإقناع، وعن ماذا، ـ سنجيب، إقناع الذي يعلّم عن كميّة الفردي والمزدوج؛ وسنكون قادرين أن نبيّن أنَّ كل الفنون الأخرى التي تكلمنا عنها لتوّنا هي صانعة الإقناع، ومن أيّ نوع، وعن ماذا؟

جورجياس: نعم.

سقراط: إنّ علم الكلام ليس بالصانع الوحيد للإقناع إذن؟

جورجياس: حقاً.

سقراط: مشاهدين عندئذ أنّ الفنون الأخرى تقدم الإقناع كما يقدمها علم الكلام، يحقُّ لنا إذن أن نسأل السؤال عينه كما في حالة رسّام اليد: أيّ إقناع

يكون علم الكلام صانعه، وعن ماذا؟ أو هل أنّ إضافة هذا السؤال غير عادلة؟

جورجياس: أعتقد، أنّه عدل بما فيه الكفاية.

سقراط: إذا صادقت على السؤال حينئذ، يا جورجياس، فما هو الجواب؟

جورجياس: أجيب، يا سقراط، أنّ علم الكلام هو فنّ الإقناع في محاكم القانون والجمعيّات العامة الأخرى، كما قلت منذ برهة وَجيزة، وعن العادل والظالم.

سقراط: وكان ذلك، يا جورجياس، ما اشتبهت فيه أنه وجهة نظرك عن طبيعة ومقاطعة إقناعك؛ ولن أجعلك تندهش مع ذلك إذا ما وجدتني عما قريب أكرّر ما يبدو أنّه سؤال بسيط؛ لأنني، كما أقول، لا أسأل كي أدحضك، لكن كي يمكن للمحاورة أن تتقدّم بالتسلسل، وذلك لئلاّ يعتاد أحدنا على مراقبة كلام الآخر بالرّيبة والسعي لإحباطها. أريدك أن تحسّن وجهة نظرك الخاصة بطريقتك الخاصة، في مطابقة مع فرضياتك.

جورجياس: أعتقد أنك محقّ تماماً، يا سقراط.

سقراط: دعني أطرح سؤالاً آخر عندئذ؛ يوجد هكذا شيء مثل (قد تعلّم؟)

جورجياس: نعم.

سقراط: ويوجد أيضاً (قد آمن)؟

جورجياس: نعم.

سقراط: وهل يكون (قد تعلّم) الشيء عينه مثل (قد آمن)، وهل التعليم والاعتقاد هما الشيء عينه؟

جورجياس: إنّهما ليسا الشيء عينه في حكمي، يا سقراط.

سقراط: وحكمك هو الحق، كما يمكنك أنّ تتحقق بهذه الطريقة: إذا ما كان شخص سيقول لك: « أيوجد، يا جورجياس، اعتقاد باطل كما يوجد اعتقاد حقّ؟ »، ستجيب، أنّه يوجد، إذا لم أكن مخطئاً.

جورجياس: نعم.

سقراط: حسناً، لكنْ أتوجد معرفة باطلة كما توجد معرفة حقيقية؟

جورجياس: لا.

سقراط: لا، حقّاً؛ وهذا يبرهن ثانية أنّ المعرفة والاعتقاد يختلفان.

جورجياس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: ومع ذلك فإنّ أولئك الذين تعلّموا كما أولئك الذين اعتقدوا هم مقتنعون؟

جورجياس: هكذا بالضبط.

سقراط: هل سنحسب نوعين من أنواع الإقناع عندئذ: الأول هو الذي يكون مصدر الاعتقاد بدون معرفة، كما يكون الآخر بالمعرفة؟

جورجياس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: وما هو نوع الإقناع الذي يخلقه علم الكلام في محاكم القانون والجمعيّات العامة الأخرى عن العادل والظالم؟ هل هو نوع الإقناع الذي يهب الاعتقاد بدون معرفة، أو ذلك الذي يمنح المعرفة؟

جورجياس: إنّه بوضوح، يا سقراط، ذلك الذي يعطي اعتقاداً فقط.

سقراط: كما يبدو، فإنّ علم الكلام إذن هو صانع الإقناع الذي يخلق اعتقاداً عن العادل والظالم، لكنّه لا يعطي تعليماً عنهما؟

جورجياس: حقاً.

سقراط: ولا يعلّم علم الكلام المحاكم القانونيّة أو الجمعيات العامة الأخرى عن أشياء عادلة وظالمة، لكنّه يخلق اعتقاداً عنها؛ لأنّ أحداً لا يفترض أنّ باستطاعته أن يعلم كثرة عظيمة بشأن مسائل غاية في السموّ بوقت قصير؟

جورجياس: لا بالتأكيد.

سقراط: تعال إذن، ودعنا نرى ماذا تعني بعلم الكلام حقّاً؛ لأنّني لا أعرف ما هو معناي الخاصّ حتى الآن. عندما تجتمع الجمعيّة العامة لتنتخب طبيباً أو صانع

سفن أو أي صانع آخر، فهل سيأخذون بنصيحة عالم الكلام؟ لا بالتأكيد، لأنّه يجب أن يتمّ اختيار الأكثر حذقاً في كل انتخاب. وعندما تُبنى الحيطان ثانية، أو الموانىء أو الأحواض، سيعطي النصيحة سيّد البنائين وليس عالم الكلام. أو عندما يُستدعى القادة لتنظيم وترتيب المعركة، أو لأخذ الموقع، فسينصح العسكري حينئذٍ وليس عالم الكلام؛ فماذا تقول، يا جورجياس؟ بما أنّك تصرّح أنّك عالم كلام وليس صانع علماء الكلام، إنّني لا أستطيع أن أفعل أفضل من تعلّم طبيعة فنّك إلاّ منك. وهنا دعني أؤكد لك أنّني أهتمّ بمصلحتك كاهتمامي بمصلحتي تماماً. إذ من المحتمل أن يرغب واحدٌ أو أكثر من هؤلاء الشبّان الحاضرين في أن يصبحوا تلاميذك. وفي الحقيقة أنّني أرى بعضاً منهم، وعدداً لا يستهان به أيضاً، ممّن لديه هذه الرغبة، غير أنّهم لا يسألونك كونهم حيّيون جداً. ولذلك عندما أستجوبك، أريدك أن تتخيّل أنهم يستجوبونك هم. سيقولون لك: « ما النّفع من مجيئنا إليك يا جورجياس؟ » و« عن ماذا ستعلمنا لننصح الدولة؟ » « هل ستعلمنا عن العدل والظلم فقط، أو عن تلك الأشياء الأخرى التي ذكرها سقراط منذ برهة أيضاً؟ » حاول أن تجيبهم من فضلك.

جورجياس: أحبّ طريقتك في قيادتنا، يا سقراط، وسأجتهد لأكشف لك القوة المحرّكة لعلم الكلام في مجملها. أعتقد، أنّك سمعت، أنّ علم بناء الأحواض والحيطان للأثينيين وتشييد الموانىء استُنبط طبقاً لنصائح ثيموستوكلس جزئياً، وكذلك لنصائح بركليس، وليس لاقتراحات البنّائين.

سقراط: ذلك هو التقليد، يا جورجياس، عن ثيموستوكلس، وسمعت خطاب بركليس بنفسي عندما أشار علينا ببناء الحائط الأوسط.

جورجياس: وستلاحظ، يا سقراط، أنّه عندما يُعطى قرار في مسائل كهذه فعلماء الكلام هم المستشارون، وهم الرجال الذين ينتصرون في النّقاط الأساسيّة.

سقراط: ذلك ما يدهشني، يا جورجياس، والسبب لماذا أثابر في السؤال عن ماهيّة القوّة المحركة لعلم الكلام، الذي يظهر لي على الدوام، عندما أنظر إلى المسألة بهذه الطريقة، السبب هذا هو أعجوبة عظيمة.

جورجياس: أعجوبة، حقاً، يا سقراط، إذا عرفت فقط كيف يشمل علم الكلام ويحوي نفوذه كل الاختصاصات الأخرى تقريباً. دعني أقدِّم لك مثالاً مذهلاً عن هذا. لقد كنت في مناسبات عديدة مع أخي هيروديكوس أو مع بعض الأطبّاء الآخرين لأرى واحداً من مرضاه، لم يسمح للطبيب أن يعطيه الدواء، أو يستعمل السكين أو الكيّ معه؛ ولقد أقنعته أن يفعل إكراماً لي ما لم يفعله إكراماً للطبيب باستعمال علم الكلام فقط. وأقول إنّه إذا ما ذهب عالم الكلام والطبيب إلى أيّة مدينة، وكان عليهما أن يتحاورا في الجمعية العمومية للمواطنين أو في أيّة جمعية عمومية أخرى كتلك التي سينتخب فيها أطباء للدولة، فلن يكون لدى الطبيب أيّ حظّ في ذلك، بل سيختارهم الذي يقدر على الكلام إذا رغب؛ وفي مباراة مع إنسان ما لأيّة مهنة أخرى، فإنّ لدى عالم الكلام القوة كي يختاره الجميع أكثر من أيّ إنسان آخر، لأنّ باستطاعته أن يتكلّم بإقناع أكثر إلى الجماهير وهذا ما لا يستطيع أحد منهم فعله، وهكذا عن أي موضوع. هكذا تكون طبيعة وقوة فنّ علم الكلام! ومع هذا، يا سقراط، يجب استعمال علم الكلام كأيّ فنّ تنافسيّ، ليس ضد كل شخص، بسبب أنّ الرجل قد تعلّم كيف يتغلب على صديقه أو عدوّه كليهما في الملاكمة أو المصارعة أو استعمال السلاح، لذلك عليه أن يضرب، يطعن، أو يذبح أصدقاءه. إفترض ثانية أنّ رجلاً قد تدرّب في مدرسة المصارعة وأنّه ملاكم شديد البراعة، ـ يتقدم ويسدّد ضربة بقوته الممتلئة عزيمة إلى أبيه أو أمه أو لأحد أقاربه أو أصدقائه؛ إنّ ذلك ليس سبباً كي يلحق المقت بالمدربين أو أسياد لَعِبِ الحِكَم بالسّيف أو يطردون من

المدينة؛ لا بالتأكيد. فهم علّموا فنّهم لغرض صالح، كي يُستعمل ضد الأعداء وصانعي الشرّ في الدفاع عن النفس، وليس في المبادأة بالشرّ؛ بهذا يكون تلامذتهم قد أساؤوا استعمال تعليماتهم، وحوّلوا قوتهم الخاصة ونشاطهم للشر. لكن أساتذتهم ليسوا أشراراً بسبب ذلك، وليس الفنّ مسؤولاً، أو سيّئاً في ذاته، عليّ أن أقول بالأصح إنّ أولئك الذين يستعملون الفنّ خطأً عليهم يقع اللوم، وتُعتبر المحاورة عينها صالحة فيما يخصّ علم الكلام؛ لأنّ عالم الكلام يستطيع أن يتكلّم ضدّ كلّ الرجال وفي أيّ موضوع، بالاختصار، إنّه يقدر أن يقنع الجماهير أفضل من أيّ رجل آخر عن أي شيء يرضيه، لكن ليس عليه لذلك أن يغشّ الطبيب أو أيّ إنسان ذي مهنة عن سمعته الحميدة لمجرد أنّه يمتلك القوة؛ بل عليه أن يستعمل علم الكلام بعدل، كما يستعمل قدراته الرياضية أيضاً. وإذا استعمل فنّه وقدراته لأهداف شرّيرة بعد أن أصبح عالماً للكلام، فلا يجب أن يُرمى معلمه بالمقت أو يُطرد بسبب ذلك بكل تأكيد. لأنّ معلمه أعطاه إيّاه كي يستعمله للخير غير أنّ التلميذ يسيء استعماله: إنّ من يسيء استعمال الفنّ يجب مقته وطرده من المدينة، بل وأن يُنفّذ حكم الإعدام به، وليس بمعلمه.

سقراط: أنت مثلي، يا جورجياس، لديك خبرة عظيمة في الجدال، ولا شكّ أنك لاحظت، كما أعتقد، أنّ الفرقاء لا يستسهلون أن يُحدِّد بعضهم لبعض مواضيع البحث التي بدأوها وأن تصل مقابلاتهم إلى نهاية طبيعيّة بعد أن تمتّعوا ببعض التنوير المتبادل؛ بل إنّ التنافر هو عرضة لأنّ ينشأ ـ لقد قال شخص ما إن الآخر لم يتكلم بحقّ أو وضوح؛ وحينئذ يستولي عليهم الغضب ويبدأون بالخصام، ويتصور الفريقان كلاهما أن أخصامهم يحاورون من شعور شخصيّ وغيرة من أنفسهم فقط، وليس من أيّ اهتمام بالسؤال موضوع البحث. وينتهي الحوار بعض الأحيان في منظر معيب: إنهم يتفرقون

يشكلٍ مهين ومشين مما يجعل شركاءهم في المحاورة يشمئزّون من أنفسهم تماماً ومن سماعهم أشخاصاً كهؤلاء. لماذا أقول هذا؟ لماذا، لأنّني لا أقدر إلاّ أن أشعر أنّك تقول الآن ما لا يناسب أو يطابق ما قلته سابقاً عن علم الكلام. وإنّي لخائف أن أوجّه لك هذا، خشية أن تظنّ أنّني أتكلّم، ليس من غيرة في اكتشاف الحقيقة، بل من حسدٍ لك. وبعدُ إذا كنت واحداً من نوعي، عليّ أن أستنطقك، وإلاّ فسأدعك لوحدك. وستسأل، ما هو نوعي؟ إنّني واحد من أولئك الذين هم على استعداد تامّ لأن يُدحضوا إذا قلت أيّ شيء مغاير للحقيقة، ومستعدّ جداً أن أنقض أيّ واحد آخر يقول ما ليس حقاً، وعلى المستوى نفسه من الاستعداد لأن تُفنَّد أقوالي كما أقوال الآخرين؛ لأنّي أعتقد أنّ هذا هو الربح الأكبر للإثنين، تماماً كما يكون الربح الأكبر كونك قد أُنقِذت من شرّ عظيم جداً من أن تنقذ الآخرين. لأنّي أتصوّر أنّه لا يوجد شرّ يمكن للإنسان أن يتحمله هو أعظم من الرأي الخاطىء عن المسائل التي نتكلّم فيها. وإذا طلبت أن تكون واحداً من نوعي، دعنا نخرج البحث إلى النور، أما إذا فعلت ذلك، فلا يهمك، وسنجد نهاية له.

جورجياس: إنّني أطالب، يا سقراط، لأكون الإنسان الذي إليه تشير تماماً؛ لكن لربّما علينا أن نراعي شعور الحاضرين، لأنني قبل مجيئك أعطيت عرضاً طويلاً مسبقاً، وإذا واصلنا الحوار يمكن أن يأخذ معنا وقتاً طويلاً. ولذلك أعتقد أنّ علينا أن نأخذ بعين الاعتبار ألاّ نعيق قسماً ما من الحاضرين في حين أنّ لديهم عملاً آخر سيقومون به.

تشايرافون: أنتما تسمعان هتاف الحاضرين، يا جورجياس ويا سقراط، والذي يُظهر رغبتهم بسماعكما؛ وفيما يخصني، لا قدرت السماء أن أقوم بأيِّ عمل ذي

إلحاح وأهميّة كالذي سيعدني من بحثٍ في هكذا أهميّة ومؤكدٍ بجدارة حقيقية.

كاليكلس: بحق الآلهة، يا تشايرافون، مع أنّني قد حضرت العديد من المناقشات، أشكّ أنّني كنت مسروراً من قبلُ كما أنا الآن، ولذلك إذا ما واصلتم بحثكم طوال اليوم سأكون أفضل حبوراً.

سقراط: يمكنني أن أقول بصدق، يا كاليكلس، أنّني على استعداد لمواصلة البحث، إذا ما كان جورجياس.

جورجياس: بعد كل هذا، يا سقراط، سأكون مُعاباً إذا رفضت، خاصة بعد أن قطعتُ وعداً لأن أجيب كلَّ القادمين؛ إبدأ إذن، في تجاوب مع رغبات الرفاق، واسألني أيّ سؤال ترغب.

سقراط: دعني أخبرك إذن، يا جورجياس، ما الذي يفاجئني في كلماتك؛ ولو أنّني تجرأت لأقول أنّك ربّما كنت محقاً، وربّما لم أفهم ما عنيت. أنت تقول إنّك تستطيع أن تجعل أيَّ إنسان سيتعلّم منك، عالم كلام؟

جورجياس: نعم.

سقراط: هل تعني أنّك ستعلّمني كيف يحصل على إصغاء الجماهير في أيّ موضوع يطرحه، وهذا لا يتم بالتعليم وإنما بالإقناع؟

جورجياس: هكذا بالضبط.

سقراط: قلت أنت، في الحقيقة إنّ عالم الكلام سيمتلك قوة إقناع أعظم من الطبيب حتى في مسألة الصحة؟

جورجياس: نعم، - يكون ذلك مع الأكثرية.

سقراط: تعني لتقول، مع الجهلة؛ لأنّه مع أولئك الذي يعرفون لا يمكن افتراض أنّ لديه قدرات أعظم للإقناع؟

جورجياس: حقاً يقيناً.

سقراط: لكن إذا كان لديه قوة أكثر للإقناع من الطبيب، فهو سيمتلك قوة أكبر من الذي يعرف؟

جورجياس: بالتأكيد.

سقراط: مع أنه ليس طبيباً: ـ أيكون هو؟

جورجياس: لا.

سقراط: ويجب على مَن ليس بطبيب أن يجهل ما يعرفه الطبيب، بوضوح؟

جورجياس: بجلاء.

سقراط: عندما يكون عالم الكلام أكثر إقناعاً من الطبيب حينئذ، فالجاهل يكون أكثر إقناعاً مع الجاهل منه مع الذي يمتلك معرفة؟ ـ أليس ذلك هو الإستنتاج؟

جورجياس: في الحالة المفترضة: نعم.

سقراط: ويتمّ إثبات الشيء عينه عن صلة علم الكلام وعالم الكلام بكل الفنون الأخرى الباقية. فهو لا يحتاج لأن يعرف الحقيقة عن الأشياء، بل عليه أن يكتشف طريقة ما لإقناع الجهلة بأنّه يمتلك معرفة أكثر من أولئك الذين يعرفون؟

جورجياس: نعم، يا سقراط، أليستِ هذه راحة كبرى؟ ـ أن لا تتعلّم الفنون الأخرى، سوى علم الكلام فقط، وأن لا تكون مع ذلك أدنى مرتبة من الذين تعلموها بأية طريقة؟

سقراط: سواء أكان عالم الكلام أدنى مرتبة بسبب ذلك أم لا، فإنّه سؤال سيختبره فيما بعد إذا ما كان سيؤدِّي مساعدة لبحثنا. لكنّني أفضِّل أن أبدأ بالسؤال ما إذا كان هو شبيهاً بجهله عن العادل والظالم، الوضيع والنبيل، الخسيس والشريف، كمثل جهله عن الطبّ والفنون الأخرى أمْ لا، أعني، هل يعرف أيّ شيء في الحقيقة ما يكون خيراً وشرّاً، خساسة وشرفاً، عدلاً وظلماً

فيها؛ أو أنّه وجد طريقة مع الجهلة فقط لإقناعهم أنّه، كونه مثلهم جاهلاً، يعرف عن هذه الأشياء أكثر من أي شخص آخر؟ أو أنَّ على التلميذ أن يعرف هذه الأشياء ويأتي إليك عارفاً لها قبل أنّ يتمكن من اكتساب فنّ علم الكلام؟ وإذا كان القادم الجديد جاهلاً، فأنتم، أعني أساتذة علم الكلام، لن تعلّموه، أليست هذه مهنتكم؛ لكنكم ستجعلونه يظهر للكثرة أنّه يعرفها، عندما يكون غير عارفٍ بها؛ وليظهر أنّه رجل خيِّر عندما لا يكون. أو أنكم عاجزون أن تعلموه علم الكلام البتّة، ما لم يعرف حقيقة هذه الأشياء بادىء ذي بدء؟ ماذا سيقال عن كل هذا؟ أتوسّل إليك بجديّة قصوى، يا جورجياس، أن تمزّق القناع وتطرحه جانباً وتشرح لي القوة الفعّالة لعلم الكلام، كما قلت أنّك ستفعل.

جورجياس: حسناً، يا سقراط، أفترض أنّ التلميذ إذا لم يَنَلْ الفرصة ليعرفها، فسيتعلم منّي هذه الأشياء بالمثل.

سقراط: لا تقل أكثر، فهناك أنت مصيب؛ وهكذا فالذي تجعله عالم كلام يجب إمّا أن يعرف طبيعة العادل والظالم مسبقاً، أو يجب أن يكون قد تعلمها منك.

جورجياس: بكل تأكيد.

سقراط: حسناً، أليس مَنْ تعلّم فنّ النجارة نجّاراً؟

جورجياس: نعم.

سقراط: والذي تعلّم فنّ الموسيقى موسيقياً؟

جورجياس: نعم.

سقراط: والذي تعلّم فنّ الطبّ طبيباً، في نمط مماثل؟ والذي تعلّم أيّ شيء مهما كان فهو ذلك الذي تصنعه معرفته.

جورجياس: بالتأكيد.

سقراط: وفي الطريقة عينها، فمن تعلّم ما هو العدل فهو عادل؟

جورجياس: لتكن متأكداً.

سقراط: ومن يكن عادلاً يُفترض به أن يفعل ما هو عدل؟

جورجياس: نعم.

سقراط: يجب أن يكون علم الكلام عادلاً إذن، ويجب على الإنسان العادل أن يفعل ما يكون عدلاً؟

جورجياس: يظهر أنّ ذلك هو الاستنتاج.

سقراط: بالتأكيد، فالإنسان العادل عندئذ، لن يرضى أن يفعل الظلم مطلقاً؟

جورجياس: لا بالتأكيد.

سقراط: ويجب أن يكون عالم الكلام عادلاً طبقاً للمحاورة؟

جورجياس: نعم.

سقراط: ولذلك فلن يكون مستعّداً لأن يفعل الظلم على الإطلاق؟

جورجياس: يظهر أنّه لن يفعل.

سقراط: لكن هل تتذكر ما قلته منذ برهة أنّ المدرِّب لن يُتّهم أو يُنفى إذا ما أدى الملاكم الاستعمال الخاطىء لفن الملاكمة؟ وفي أسلوب مماثل، إذا ما قام عالم الكلام باستعمال علمه خطأً وظلماً، فلن يقع اللّوم أو الاتهام على معلّمه، الذي لا يستحقّ النفي، بل لصانع الخطأ نفسه الذي أوجد الاستعمالَ الفاحشَ الخطأِ لعلم كلامه. إنّه هو الذي سيُبعَد ـ ألم يُقلْ ذلك؟

جورجياس: نعم، لقد قيل.

سقراط: لكنّنا نؤكّد الآن أنّ عالم الكلام السالف الذكر لن يفعل الظلم مطلقاً؟

جورجياس: حقاً.

سقراط: ولقد قيل في الابتداء تماماً، يا جورجياس، إنّ علم الكلام قد تعامل بالخطابة ليس عن الأرقام المفردة والمزدوجة بل عن العادل والظالم؟ ألم يُقل هذا؟

جورجياس: نعم.

سقراط: فكّرت في وقت من الأوقات، عندما سمعتك تقول هكذا، أنّ علم الكلام، الذي يناقش عن العدل بشكل دائم، من المحتمل ألاّ يكون شيئاً ظالماً. لكنك عندما أضفت، بعدها بقليل، أنّ عالم الكلام يمكن أن يؤدّي استعمالاً سيئاً لعلم الكلام لاحظت بدهشة التناقض الواضح الذي وقعت فيه، وقلت إنّك إذا فكّرت أنت، كما فعلت أنا، أنّه كان هناك كسب في كونك مدحوضاً، فستوجد منفعة في استمرارية السؤال، وأما إن كان لا فسأغادر المكان حالاً. وكما ترى بنفسك، لقد تمّ الاعتراف أثناء استقصاءاتنا أنّ عالم الكلام يكون عاجزاً عن القيام باستعمال علم الكلام ظلماً، أو أن يعزم على فعل الظلم. بناءً على كلمتي، يا جورجياس، سنحتاج لجلسة طويلة كي نحصل على الحقيقة في كل هذا.

بولس: وهل تعتقد بجديّة، حتى أنت، يا سقراط، فيما تقوله الآن عن علم الكلام؟ ماذا! لأنّ جورجياس خجل من أن ينكر أنّ عالم الكلام عرف العادل والشريف والخيّر، وإعترف أنّ أيّ شخص ممّن أتى إليه وهو يجهله أنّه سيعلمه إياه، وانبثق خارج هذا الاعتراف تناقض عندئذ. وأنت مقتنع تماماً بالوصول لهذه النتيجة، بما أنّك قدت المحاورة مستنداً إلى هكذا أرضيّة خيانيّة بأسئلتك! وهل سيعترف أيّ واحد أنّه لا يعرف قط، أو لا يستطيع أن يعلّم، طبيعة العدل؟ الحقيقة أن هناك افتقاراً في الأخلاق لجلب المحاورة إلى ممرّ ضيّق كهذا.

سقراط: يا بولس الشهير، إنّ السبب الذي من أجله نجهّز أنفسنا بالأصدقاء والأولاد هو أنّنا عندما نتقدم في السنّ ونكبو، فجيل شابّ يمكن أن يكون موجوداً ويركّزنا على أرجلنا مرة ثانية في كلماتنا وفي أعمالنا. وبعدُ، إذا تعثرنا أنا وجورجياس، فأنت هنا كي تقيلنا من عثارنا ـ إنه لواجبك حقّاً ـ وأنا

من ناحيتي أتعهّد بسحب أيّ خطأ يمكن أن تعتقد أنّني وقعت فيه، بشرط واحد.

بولس: ما الشرط؟

سقراط: أن تقلّص، يا بولس، التطويل في الكلام الذي انغمست به في البداية.

بولس: ماذا! هل تعني أنّه لا يمكنني أن أستعمل العديد من الكلمات كما يحلو لي؟

سقراط: لتعتقد فقط، يا صديقي، أنّك قدمت في زيارة إلى أثينا، التي هي الدولة الأكثر حرّيةً للكلام في هيلاس، وأنّك لدى وصولك، ستجرّد من قوة الكلام هذه، فإنّ ذلك سيكون صعباً حقاً. لكنْ تأمّل حالتي حينئذ - ألن أكون بدوري مُعاملاً بقسوة محقّقة، إذا أعددت خطاباً طويلاً ورفضت أن تجيب على ما أسألك، ألا أكون مجبراً على البقاء والاستماع لك، ولا يمكنني أن أغادر المكان؟ إنّني أقول بالأولى، إذا كان لديك اهتمام حقيقي في الحوار، أو أن تكرّر تعبيري السابق، أو إذا تملّكتك أيّة رغبة في وضعه على قدميه، إنّني أقول لك أن ترجع إلى أيّ تقرير يعجبك، واسأل بدورك وأجب عندئذ، مثلما فعلت أنا وجورجياس، إدحض خصمك ودعه يدحضك. فأنا أفترض أنّك ستطالب بمعرفة ما يعرفه جورجياس. ألاَ تفعل ذلك؟

بولس: نعم.

سقراط: وأنت، مثله، ستدعو أيّ شخص ليسألك عن أيّ شيء يحلو له، وستعرف كيف ستجيبه؟

بولس: لتكن متأكداً.

سقراط: حسناً جداً إذن؛ إسأل أو أجِبْ، مثلما تفضّل.

بولس: سأسأل؛ وأجبني أنت، يا سقراط. سأسألك السؤال عينه، الذي افترضت أنّ جورجياس عاجزٌ عن الإجابة عليه: ما هو علم الكلام؟

سقراط: هل تعني أيّ نوع من الفنّ؟

بولس: نعم.

سقراط: لنقُل الحقيقة، يا بولس، إنّه ليس فنّاً على الإطلاق، في نظري.

بولس: ما هو علم الكلام برأيك، إذن؟

سقراط: إنّه شيء، كالذي قرأته في أحد كتبك، تقول أنت أنّك شكلت فنّاً.

بولس: أيّ شيء؟

سقراط: عليّ أن أقول إنّه نوع من الحذق العملي.

بولس: هكذا تعتقد أنّ علم الكلام حذق عمليّ.

سقراط: تلك هي وجهة نظري، لكنّك يمكن أن تكون ذا تفكير آخر.

بولس: حذق عمليّ في ماذا؟

سقراط: في إنتاج نوع من البهجة والإرضاء.

بولس: وإذا كنت قادراً على إرضاء الجنس البشري، ألا يجب أنّ يكون علم الكلام شيئاً جميلاً؟

سقراط: ماذا تقول، يا بولس؟ هل حصلت مني تواً على تعريف علم الكلام، لكي تتقدم وتسأل ما إذا كنت أعتقده شيئاً جميلاً؟

بولس: ألم أسمعك تقول إنّ علم الكلام كان نوعاً من الحذق العملي؟

سقراط: هل ستقدم إرضاءً طفيفاً لي، أنت الشديد الرغبة لترضي الآخرين؟

بولس: سأفعل.

سقراط: هل ستسألني، أيّ نوع من أنواع الفنّ يكون الطّهو؟

بولس: أيّ نوع من أنواع الفنّ يكون الطّهو؟!

سقراط: إنّه ليس فناً على الإطلاق، يا بولس.

بولس: ماذا إذن؟

سقراط: عليّ أن أقول إنّه نوع من الحذق العملي.

بولس: حذقٌ في ماذا؟ أرغب في أن تشرحه لي.

سقراط: حذق في إنتاج نوع من البهجة والإرضاء، يا بولس.

بولس: أيكون الطّهو وعلم الكلام سواسية إذن؟

سقراط: لا، إنّهما جزآن مختلفان فقط للمهنة عينها.

بولس: لأيّة مهنة؟

سقراط: إنّني خائف لأنّ الحقيقة يمكن أن تبين سَمِجة؛ وأتردد في الإجابة مخافة أن يتصوّر جورجياس أنّني أهزأ من مهنته الخاصة، لأنّه سواء يكون ذلك أو لا يكون فنّ علم الكلام الذي يمارسه جورجياس لا أقدر أن أخبر بحق: ولا يظهر شيء ممّا قاله لتوّه الآن ما فكره عن فنّه، لكنّ علم الكلام الذي أعنيه هو جزء من كلٍّ غير موثوق به.

جورجياس: جزء من ماذا، يا سقراط، قل ما تعني، ولا تهتمّ بي قط.

سقراط: في رأي إذن، يا جورجياس، أنّ الكل الذي يكون علم الكلام جزءاً منه هو عادة تمرينيّة لا تملك أيّ شيء من الفنّ فيها، لكنّها تأتي إلى العقل الجسور والماكر بذكاء طبيعيّ في التعامل مع الرجال. أُلخّص هذه الممارسة تحت كلمة (تملّق)؛ ويظهر لي أنّه يمتلك أجزاء أخرى عديدة، أحدها هو الطهو، الذي يمكن النظر إليه على أنه فنّ، لكنّه كما أؤكّد، هو مهارة عمليّة أو تواتر فقط وليس فنّاً. والجزء الآخر هو علم الكلام، وأما فنّ الكساء والسفسطة أو التضليل فهمَا اثنان آخران. يوجد هكذا أربعة فروع، وأربعة أشياء مختلفة في تطابقها. ويمكن لبولس أن يسأل، إذا أحبّ، لأنّه لم يكن قد أُخبِر لحدّ الآن، أيّ جزء من التملق هو علم الكلام: إنّه لم يرَ أنّني لم أُجِبهُ حتى الآن عندما تقدّم ليسأل سؤالاً أبعد ما إذا كنت أعتقد أن علم الكلام شيء جميل؟ لكنّني لن أخبره ما إذا كان علم الكلام شيئاً جميلاً أو لاَ، حتى يتلقّى جوابي أوّلاً على سؤال: « ما هو علم الكلام؟ » إنّ ذلك لن

يكون محقاً، يا بولس. غير أنّي سأكون سعيداً لأجيب، إذا ما سألتني، أيّ جزء من المداهنة هز علم الكلام؟

بولس: سأسأل، وأجبني أنت، أيّ جزء من المداهنة هو علم الكلام؟

سقراط: هل ستفهم جوابي؟ إنّ علم الكلام .طبقاً لوجهة نظري جزء شبحيٌّ أو مزيّفٌ من علم السياسات.

بولس: وهل هو نبيل أو خسيس؟

سقراط: خسيس، عليَّ أن أقول لأنّني أسمّي ما يكون رديئاً خسيساً ـ إذا كنت لأجيب على افتراض أنّك تفهم ما أقول.

جورجياس: حقاً، يا سقراط، لا أستطيع القول إنّني أفهمك .

سقراط: لا أتعجب لذلك، يا جورجياس؛ لأنّني لم أوضح نفسي بعد، وصديقنا بولس، بما أنّه مُهْرٌ بالإسم ومُهرٌ بالطبيعة، فهو شابٌّ عجول(١٥)

جورجياس: لا تكترث له، لكن اشرح لي ماذا تعني بالقول إن علم الكلام هو جزء تزييفيٌّ من علم السياسات.

سقراط: إنّني سأحاول، إذن، أن أشرح نظريّتي عن علم الكلام، وإذا ما كنت مخطئاً، فصديقي بولس سيدحض قولي. يمكننا أن نحسب وجود الأجساد والأرواح؟

جورجياس: طبعاً.

سقراط: وستقبل ما هو أبعد من ذلك وهو وجود حالة جيّدة لكلّ منها؟

جورجياس: نعم.

سقراط: أيّة حالة يمكن أن لا تكون جيّدة بحقّ، بل جيّدة في المظهر فقط؟ أعني أنه يوجد أشخاص عديدون يظهرون وكأنهم في صحّة ممتازة، والذين سيدرك الطبيب أو المدرّب فقط أنّ صحتهم ليست ممتازة وبكل سهولة.

جورجياس: حقاً.

سقراط: ولا يُطبّق هذا على الجسد فقط، بل على الروح أيضاً؛ ويمكن أنّ يوجد في كليهما ما يعطي مظهر الصّحة وليس حقيقتها؟

جورجياس: نعم بالتأكيد.

سقراط: وسأجتهد الآن لأشرح لك ما أعنيه بوضوح أكثر. بما أنّ الروح والجسد اثنان، فهُما يمتلكون فنَّانِ مناسبان لهما؛ هناك فنّ العلوم السياسيةِ الذي يعتني بالروح، ويعتني فنٌّ آخر بالجسم، لا أعرف له معنىً مفرداً، ويمكن أن نصفه أنّه يمتلك قسمين اثنين، الألعاب الرياضية أحدها، والآخر الطب. ويوجد في العلوم السياسيّة الجزء التشريعي، الذي يطابق الألعاب الرياضية، كما يطابق العدل فنّ الطبّ. ويلتقي الجزآن في كل حالة ببعضهما، كونهما يخصّان الموضوع عينه ـ يتخطى العدل سنّ القوانين، ويتخطى فن الطب الألعاب الرياضية لكن بفارق. وبعدُ بسبب وجود هذه التقسيمات الأربعة للفنون، إثنان منها يعتنيان بالجسم واثنان بالروح ولخيرهما الأسمى، فإنّ فنّ الكذب المستعار للتملّق، متصورين هذا ـ أعني ليس من خلال المعرفة، بل بعمل تخميني ـ إن فنّ الكذب هذا يقسم نفسه لأربعة أجزاء ويتطرق بنفسه لكلّ جزء من التقسيمات الأربعة، ويتظاهر أنه يكون ذلك الذي انسلّ فيه، غير مولٍ أيّ اهتمام بأسمى مصالح الرجال، إنه يحتال بالحماقة وبإغراء اللذّة الحاضرة ويضلّ الرجال بالاعتقاد أنّه يكون الاعتبار الأرفع لهم. يفترض أنّ الطهو شَبَهٌ بعلم الطب، ويدّعي أنّه يعرف أيّ غذاء هو الأفضل للجسم، وإذا ما دخل الطبيب والطاهي في مباراة كان الأطفال قضاتها، أو الرجال الذين ليست لديهم معرفة أكثر من الأطفال، كي يقرروا أيٌّ منهما يفهم أكثر بجودة الغذاء ورداءته. فسيجوع الطبيب حتى المَوت حينئذ. أعتبر أنّ هذا هو التملق، يا بولس، وأنه ذو نوعية سافلة، فأنا مقدِّم لك نفسي الآن، لأنها تهدف إلى اللذّة بدون أيّ تفكير إلى الأفضل، ولا أسمّي علم الكلام

فنّاً، بل نوع من المهارة التمرينيّة، لأنّه لا يستطيع أن يعطي أي حساب عن طبيعة الأشياء التي يقدّمها لأيّ شخص، ولذلك لا يمكنه أن يشرح سبب تقديم كلٍّ منها. وإنّني لا أقدر أنْ أدعو النشاط اللّاعقلاني فنّاً، لكنّك إذا حاججت كلماتي، فأنا على استعداد لأن أحاور دفاعاً عنها.

أؤكد عندئذ، أن الطهو تملّق يأخذ شكل الدواء؛ وأن التزيين تملّق في أسلوب مماثل يأخذ شكل الألعاب الرياضيّة، وهو ماكر، باطل، دنيء، ضيّق الفكر، يعمل بخداع بمساعدة الخطوط، والألوان، وطلاءات الجلد، ولبس الثياب، ويجعل الرجال تتأثّر بالجمال المزوّر بإهمال الجمال الحقيقي الذي تهبه الألعاب الرياضيّة.

لن أكون مُتعِباً بالأحرى، وسأقول لذلك فقط، على غرار علماء الهندسة، (لأنني أعتقد أنّكم ستتمكّون من متابعتي بهذا الوقت) - كما هو التزيين للألعاب الرياضيّة، هكذا يكون علم الكلام لسَنّ الشرائع، وكما هو الطّهو إلى الدواء، هكذا يكون علم الكلام إلى العدل. ما أعنيه هو هذا: بينما يكون هذا هو الفرق الطبيعي بين علم الكلام والسفسطة، وبسبب ارتباطهما القريب مع ذلك فعالم الكلام والسوفسطائيّ متلائمان للاختلاط معاً في نفس منطقة النشاط وفيما يختص بالأهداف عينها؛ إنهما لا يعرفان ما سيخلقان من نفسيهما، ولا يعرف الرجال الآخرين ما سيخلقون منهما. إذ لو ترأّس الجسم فوق ذاته، ولم يكن تحت هداية الروح، ولم تميّز الروح بين الطهو والدواء بل نُصِّب الجسم قاضياً لهما، وكان حكم التقاضي لمسرّات الجسد الذي أعطي بهما، ستسود حينها كلمة أناكساكوراس، تلك الكلمة التي تُلِمّ بها جيّداً، يا صديقي بولس، ستسود طولاً وعرضاً. « التشوّش » سيأتي ثانية، وسيختلط الطهو، والصحّة، والدواء في حجم غير مميّز. وبعد فلقد أخبرتك فكرتي عن علم الكلام، الذي يكون، في علاقته بالروح، ما

تكون علاقة الطهو بالجسد. ربّما خالفت في إعدادي حديثاً طويلاً، في حين لم أسمح لك أن تفعل ذلك. لكنّني أعتقد أنني معذور، لأنّك لم تفهمني، ولم تستطع تلقّي أيّة منفعة عندما تكلمت بإيجاز، بل احتجت للشرح. وإذا أظهرتُ أنا عدم قدرة متساوية كي أفهمك، آمل أن تتكلم بطولٍ متساوٍ؛ لكنّني إذا قدرت على فهمك، دعني أمتلك منفعة فهمي هذا، كما يكون عدلاً فقط: وبعدُ يمكنك أن تفعل ما تريده لإجابتي.

بولس: ماذا تعني؟ هل تعتقد أنّ علم الكلام تملّق؟

سقراط: كلا، قلت إنّه جزء من التملق؛ إذا كنت لا تقدر أن تتذكّر وأنت في سنّك هذه، يا بولس، فماذا ستفعل عمّا قريب؟

بولس: وهل يُحتقر علماء الكلام في الدول، بحجّة أنّهم متملّقون؟

سقراط: هل هذا سؤال أو بداية حديث؟

بولس: إنّني أسأل سؤالاً.

سقراط: إذن فجوابي هو أنهم ليس لهم اعتبار على الإطلاق.

بولس: ليس لهم اعتبار؟ أليس لديهم سلطان واسع في الدول؟

سقراط: ليس إذا عنيت بالقول إنّ السلطان هو خير لمالكه.

بولس: وهذا هو ما أعنيه بالقول.

سقراط: إذا كان هذا ما تعنيه، إذن، فهم يمتلكون القوّة الأقلّ من كلّ المواطنين.

بولس: ماذا! ألاَ يشبهون المستبدّين؟ فهم يقتلون ويسلبون وينفون أيّ شخص يرغبون؟

سقراط: إنّني عند كلمتي، يا بولس، فأنا لا أستطيع أن أفهم في كلّ إلقاء تقوم به، سواء أأبديت رأياً خاصاً بك، أو سألتني سؤالاً.

بولس: إنّي أسألك سؤالاً.

سقراط: نعم، يا صديقي، لكنّك سألت سؤالين فوراً.

بولس: سؤالان؟ كيف؟

سقراط: لماذا، ألمَ تقل لتوِّك إنّ علماء الكلام يشبهون المستبدّين، وإنّهم يقتلون ويسلبون وينفون أيّ شخص يريدون؟

بولس: فعلت.

سقراط: حسناً إذن، إنّني أقول لك إن هناك سؤالين في واحد، وسأجاوب على كليهما، وأخبرك، يا بولس، أنّ علماء الكلام والمستبدين يملكون أقلّ سلطة ممكنة في الدول، كما قلت منذ برهة؛ لأنّهم لا يعملون شيئاً يريدونه فعلاً، بل ما يعتقدونه الأفضل فقط.

بولس: أوليست تلك سلطة عظيمة؟

سقراط: قل (لا) على الأقلّ، يا بولس.

بولس: أقول (لا)! لكنّني أقول (نعم).

سقراط: كلا، أهكذا تساعدني ـ ! لكن لست أنت، لأنّك تقول إنّ السلطة العظيمة هي صالحة للذي يمتلك القوة.

بولس: إنّني أفعل.

سقراط: وهل ستؤكد أنّه إذا فعل الغبيّ ما يظنّه الأفضل، فهذا يكون صالحاً، وهل ستسمّي هذا قوة عظيمة؟

بولس: عليّ أن لا أفعل ذلك.

سقراط: يجب إذن أن تبرهن أن عالِم الكلام لا يكون غبياً، وأنّ علم الكلام هو فنّ وليس تملّقاً ـ وهكذا فسوف تدحضني؛ لكن إذا تركتني بدون نقض، لماذا، فعلماء الكلام الذين يفعلون ما يحسبون أنّه الأفضل في الدول، وكذلك المستبدون، لن يكون لديهم أيّ شيء كي يقوموا بتهنئة أنفسهم عليه، إذا، وكما تقول، أنّ السلطة هي صالحة حقاً، لكنّك تعترف في الوقت عينه أنّ عمل ما يظنه الواحد أنّه الأفضل بدون إدراك يكون شرّاً.

بولس: إنّني أعترف بذلك.

سقراط: كيف يمكن لعلماء الكلام إذن، أو للمستبدّين، أن يكون لديهم سلطة عظمى في الدول، ما لم يستطع بولس دحض سقراط، وما لم تبرهن له أنّهم يفعلون ما يشاؤون؟

بولس: هذا الشخص ـ

سقراط: أقول إنّهم لا يفعلون كما يشاؤون؛ ادحضني الآن.

بولس: لماذا، ألم تقل مسبقاً إنّهم يفعلون ما يظنونه الأفضل؟

سقراط: ولا أزال على قولٍ كهذا.

بولس: وإنهم يفعلون كما يشاؤون بالتأكيد؟

سقراط: أكذبها.

بولس: لكنّهم يفعلون ما يظنونه الأفضل؟

سقراط: نعم.

بولس: إنّ ذلك، يا سقراط، شيء فظيع ومضحك.

سقراط: كلمات جيدة، يا بولس الصالح، كما يمكنني أن أقول بأسلوبك الخاص المميّز. لكن إذا كان لديك أسئلة لتطرحها فاطرحها عليّ، وبرهن أنّني على خطأ؛ وإلاّ ستجيبني عندما أسألك؟

بولس: حسناً جداً، إنّني على استعداد لأن أجيبك كي أتمكّن من معرفة ما تعني.

سقراط: هل يظهر لك أن الرجال يشاؤون كلّ شيء يفعلون، أو أنّهم يشاؤون تلك الغاية الأبعد لذلك الشيء الذي يفعلون؟ وعندما يتناولون الدواء، كمثال، بأمر الطبيب، فهل يشاؤون شرب الدواء والألم الناتج عنه، أو الصحّة في سبيل ذلك الذي يشربون؟

بولس: الصحة، بوضوح.

سقراط: أو عندما يقوم الرجال برحلة أو يرتبطون بعمل، لا يشاؤون ذلك الذي

يفعلونه في وقته؛ إذ من ذا الذي يرغب أن يقاسي الأخطار ويتعرض لمشاكل الرحلة؟ ـ لكنهم يشاؤون امتلاك الثروة في سبيل أنّهم يقومون برحلة.

بولس: بالتأكيد.

سقراط: أليست كلّ الأشياء إمّا خيِّرة، شرّيرة، أو وسطاً ـ لا خيِّرة ولا شريرة؟

بولس: لتكن متأكداً، يا سقراط.

سقراط: وستسمّي الحكمة والصحة والثروة وما شابه خيرات، وأضدادها شروراً؟

بولس: سأفعل.

سقراط: والأشياء التي ليست خيِّرة ولا شرّيرة هي تلك التي تشارك في وقت ما بطبيعة الخير، وفي وقت ما بما للشرّ، أو بما ليس لكليهما، كالجلوس، والسير، والعَدْو، والإبحار؛ أو ثانية كالأخشاب، الأحجار، وما شابه: ـ هذه هي الأشياء التي تسمّيها لا خيِّرة ولا شرّيرة؟

بولس: هكذا بالضبط.

سقراط: أتكون تلك الأشياء الحياديّة معمولة في سبيل الخير، أو الخير في سبيل الحياديّة؟

بولس: الحياديّة في سبيل الخير، بوضوح.

سقراط: وعندما نسير فنحن نسير في مبتغى الخير، وبحجّة أنّ من الأفضل أن نسير، وعندما نقف فنحن نقف في سبيل الخير بالتساوي؟

بولس: نعم.

سقراط: وإذا سنحت الفرصة لنقتل إنساناً، أو ننفيه أو نجرّده من ممتلكاته، فلأن ذلك سيفضي بنا إلى الخير، كما نعتقد؟

بولس: بدون ريب.

سقراط: الرجال الذين يفعلون أيّاً من هذه الأشياء، فإنّما يفعلونه بقصد الخير؟

بولس: نعم.

سقراط: أوَلم نعترف أنّ في عمل شيء ما في سبيل شيء ما آخر، فنحن لا نشاء تلك الأشياء التي نفعلها، بل نشاء ذلك الشيء الآخر في سبيل الذي نفعله؟

بولس: الأكثر حقيقة.

سقراط: نحن لا نشاء إذن أن نقتل إنساناً أو ننفيه أو نجرّده من ممتلكاته ببساطة، بل نشاؤها إذا ما أفضت إلى خيرنا، وإلاّ فلن نشاءها؛ لأنّنا سنشاء ما هو خير لنا، كما تقول، لكنّ ذلك الذي ليس بخير ولا شرّ، أو شرٌّ ببساطة، فنحن لا نشاؤه. لماذا أنت صامت، يا بولس؟ ألست على حق؟

بولس: إنّك على حق.

سقراط: دعنا نتابع تلك المسلّمات. إذا قتل أيُّ شخص، سواء كان مستبداً أو عالم كلام، واذا قتل شخصاً أو نفى آخر وجرّده من متلكاته، بحجّة أنّ الفعل يكون لمصالحِهِ الخاصّة في حين أنّه عكس ذلك حقاً، فهل يمكن أن يقال إنّه يفعل ما يتراءى أفضل له؟

بولس: نعم.

سقراط: لكن هل يفعل ما يشاء إذا فعل ما هو شرٌّ؟ لماذا لا تجيب؟

بولس: حسناً، لا أفترض ذلك.

سقراط: إذن، إذا ما كانت السلطة العظيمة خيراً كما تبيح، فهل سيمتلك واحد كهذا سلطة عظيمة في الدولة؟

بولس: لن يفعل.

سقراط: لقد كنت محقّاً في قولي عندئذ وهو أنّ الإنسان يمكن أن يفعل ما يتراءى خيراً له في الدولة، وأن لا يمتلك سلطة عظيمة، ولا يفعل ما يشاء؟

بولس: كأنّك، يا سقراط، لا تحبّ أن تمتلك سلطة لعمل ما يتراءى لك خيراً في الدولة، بالأحرى من لا يريد ذلك؛ إنّك لن تكون غيوراً عندما ترى أيّ شخص قاتلاً أو نافياً أو ساجناً الذي ترغب، أوه، لا!

سقراط: هل تعني فعل ذلك، بعدل أو بظلم؟

بولس: إنه سيحسد في كلتا الحالتين من يفعله.

سقراط: إمتنع عن ذلك، يا بولس!

بولس: لماذا تقول « امتنع »؟

سقراط: لأنّ عليك أن لا تحسد الذي لا يُحسد والتّعيس، بل أن تشفق عليهم فقط.

بولس: وهل الذين أتكلم عنهم تعساء؟

سقراط: نعم، إنهم تعساء بالتأكيد.

بولس: وهكذا تعتقد أنّ من يذبح أيّ شخص يرغب، ويذبحه بعدل، هو تعيسٌ يرثى له؟

سقراط: لا، لا أقول عنه ذلك؛ لكنّني لا أعتقد أنه يُحسد على ما فعل.

بولس: ألم تقل لتوّك الآن إنّه يكون تعيساً؟

سقراط: نعم، يا صديقي، إذا قتل الآخر ظلماً، وسيستحق الشفقة في تلك الحالة أيضاً؛ ولن يُحسد إذا ما قتله بعدل.

بولس: ستسمح على كل حال أنّ من يُعْدمَ ظلماً هو تعيس، ويستحقّ الشفقة.

سقراط: ليس بهذا المقدار، يا بولس، للذي يقتله، وليس بهذا المقدار للذي قُتِل بعدل.

بولس: كيف يمكن أن يكون ذلك، يا سقراط؟

سقراط: يمكن أن يكون ذلك وحسناً جداً، بقدر ما يكون فعل الظلم أعظم الشرور.

بولس: لكن أيكون هو الأعظم؟ أليست مقاساة الظلم شرّاً أعظم؟

سقراط: لا بالتأكيد.

بولس: وهل تفضِّل مقاساة الظلم على فعله؟

سقراط: عليَّ أن لا أحبّ الاثنين، لكن إذا وجب الاختيار بينهما، فإنّني. سأقاسي بدلاً من فعله.

بولس: لا ترغب في أن تكون مستبدّاً إذن؟

سقراط: إذا كنت تعني بالمستبدّ الذي أعنيه فلا.

بولس: أعني، وكما قلت سابقاً، سلطة أن تفعل كل ما تراه خيراً لك في الدولة، القتل، الطرد، فاعلاً ما ترغبه بكلّ شيء.

سقراط: يا صديقي العزيز، إستمع لي الآن، وطبّق على نفسك ما أقول. إفترض أنّني أذهب إلى الساحة العامّة وقت الازدحام حاملاً مدية تحت ذراعي. وأقول لك يا بولس، لقد اكتسبت قوة خارقة لتوّي، وأصبحت مستبدّاً؛ لأنّني أعتقد أن أياً من أولئك الرجال الذين ترى يجب أن يُنفّذ به الموت حالاً، وأنّ ذلك الرجل لا تساوي حياته شيئاً؛ وإذا ما كنت مهيّأ لأحطّم رأسه أو أمزق رداءه، وسيصبح رأسه محطماً وثوبه ممزقاً في لحظة. هكذا هي سلطتي العظيمة في هذه المدينة. وإذا لم تصدّقني، وقد أريتك المدية، من المحتمل أنّك ستجيبني: يا سقراط، يمكن لأيّ شخص أن يحوز السلطة العظيمة بهذه الطريقة - يمكنه أن يحرق أيّ بيت يريد، كذلك أحواض وسفن الاثينيين، وكلّ قواربهم الأخرى، سواء كانت خاصة أو عامة - لكن هل تعتقد أنّ هذا العمل المجرد كما تفكر به هو أفضل سلطة عظيمة؟

بولس: كلاّ ليس عملاً كهذا بالتأكيد.

سقراط: وهل تستطيع أن تخبرني لماذا تستهجن قوة كهذه؟

بولس: إنّني أستطيع.

سقراط: لماذا إذن؟

بولس: لماذا، لأنّ مَن يفعل ما تقول سيتأكد من العقاب.

سقراط: وهل العقاب شرّ؟

بولس: بالتأكيد.

سقراط: وهل ستعترف مرة ثانية، يا سيّدي الصالح، أنّه إذا عمل الإنسان، فاعلاً ما يعتقد أنّه مناسب ينقلب لمصلحته، يكون خيراً؟ وهذا هو معنى القوة العظيمة أيضاً؟ وإلاّ، فإنّ سلطته شرٌّ وليست بسلطة. لكن دعنا ننظر في المسألة بطريقة أخرى: ـ ألم نعترف أنّ الأشياء التي تكلمنا عنها، كإنزال الموت، والنفي، والتجريد من الممتلكات، هي صالحة بعض المرّات وليس صالحة مرّات أخرى؟

بولس: بدون ريب.

سقراط: يمكن أن نفترض أنّني اتّفقت وإياك بشأن ذلك؟

بولس: نعم.

سقراط: أخبرني، إذن، متى تقول إنّ تلك الأعمال تكون صالحة؟ أي مبدأ تضع؟

بولس: أفضّل، يا سقراط، أن تجيب على ذلك السؤال.

سقراط: حسناً، يا بولس، بما أنّك تفضل أن تحوز الجواب منّي، أقول إنّها صالحة عندَما تكون عادلة، وشرّيرة عندما تكون ظالمة.

بولس: وهل أنت هكذا صعب لأن تُنقَضْ، يا سقراط! ماذا، حتّى الطفل يمكنه نقض ذلك التقرير.

سقراط: سأكون ممتناً جدّاً للطفل آنئذ، وممتناً لك بشكل متساوٍ إذا ما دحضتني وأنقذتني من غبائي، وآمل أن تدحضني، ولا حاجة لأن تتضايق من فعل الخير لصديق.

بولس: نعم، يا سقراط، ولست بحاجة لأن أعود للتاريخ الغابر لهذا الغرض؛ والأحداث التي وقعت منذ أيّام قليلة مضت كافية لأن تدحضك، ولتبرهن أنّ رجالاً عديدين من الذين يرتكبون الخطأ هم سعداء.

سقراط: أيّة أحداث؟

بولس: أفترضك ترى، أن آرتشيلوس بن برديكاس هو حاكم مقدونيا الآن؟
سقراط: أسمع أنّه كذلك على أيّة حال.
بولس: وهل تعتقد أنّه سعيد أو شقيّ؟
سقراط: لا أستطيع القول، يا بولس، لأنّني لم أُقِمْ أيّة علاقة معه قط.
بولس: ألست متأكّداً في الحال، وبدون مقابلته، أنّه رجل سعيد؟
سقراط: لا، بالتأكيد الأكثر.
بولس: إذن بوضوح، يا سقراط، لن تقول إنّك تعرف حتى ما إذا كان الملك العظيم سعيداً؟
سقراط: وإنّني سأتكلّم الحق؛ فأنا لا أعرف كيف يقف في قضية التعليم والعدل.
بولس: ماذا! وهل تكمن السعادة كلها في هذا؟
سقراط: نعم، حقّاً، يا بولس، تلك هي عقيدتي؛ فالرجال والنساء النبلاء والأخيار هم أيضاً سعداء، كما أؤكّد، والظالمون والأشرار هم الأشقياء.
بولس: إذن. وطبقاً لمذهبك، فالّذي نتكلّم عنه، آرتشيلوس، شقيٌّ؟
سقراط: نعم، يا صديقي، إذا كان خبيثاً.
بولس: لا أقدر أن أكذّب أنّه خبيث، لأنّه لا يمتلك أيّ لقب للعرش الذي يحتله الآن، كونه فقط ابن امرأة كانت عبدَة ألسيتاس أخي برديكاس؛ وكان هو نفسه عبد ألسيتاس لذلك في حقّ دقيق؛ وإذا عنى هو عمل ما يكون صحيحاً فما عليه إلا إن يبقى عبده، وعندها سيكون سعيداً، في تطابقٍ مع معتقدك. لكنّه الآن شقيّ لا يمكن وصفه، لأنّه كان مذنباً في أعظم الجرائم: ففي المقام الأوّل استدعى عمّه وسيّده، ألستياس، ليأتي إليه، متظاهراً أنّه سيردّ إليه العرش الذي كان اغتصبه برديكاس، وبعد أن استضافه وابنه الإسكندر، الذي كان ابن عمه، ومن مجايليه تقريباً، وبعدَ أن سقاهما حتّى الثمالة، رماهما في عربة وحملهما بعيداً أثناء الليل، وذبحهما؛ وأزاحهما من

طريقه، وبعد أن فعل كلّ تلك الآثام لم يدرِ تماماً أنّه أكثر الرجال شقاءً وغير نادم. لقد كان لديه أخٌ أصغر منه كذلك، طفل لا يتجاوز عمره السنين السبع، كان هذا الإبنَ الشرعيَّ لبرديكاس، وتختصّ به كل حقوق المملكة؛ غير أن آرتشيلوس، على أيّة حال، لم تكن لديه النيّة في تربيته كما يجب وفي ردِّ المملكة له؛ لم تكن تلك فكرته عن السعادة؛ لكنّه بعد فترة قصيرة رمى به في بئر وأغرَقه، وأعلن لأمّه كليوباترا أنّه سقط في البئر إثر تعقبه للإوزة، وأنّه قد قُتِل. وبعدُ وبما أنّه أعظم مجرمي مقدونية كلها، يمكن افتراضه أنّه أكثرهم شقاء وليس أسعدهم، وأجرؤ على القول إنّ العديد من الأثينيين، وأنت على رأسهم، سيفضّلون أن يكونوا أيَّ مقدونيٍّ آخر إلاّ آرتشيلوس!

سقراط: في بداية بحثنا تماماً، يا بولس، أَثنَيتُ على تدريبك الممتاز؛ لأنّ هذا ما يظهر لي، في علم الكلام، غير أنّني ظننت أنّك لم تَعطِ انتباهاً متساوياً للعقلانيّة. وهذا كما أفترض نوعٌ من الحوار الذي توهّمت أنّ الطفل يمكنه أن يدحضني به، والذي يوقفني منقوضاً عندما أقول أن الرجل الظالم لا يكون سعيداً. لكن، يا صديقي العزيز، أين هو النقض الذي تتكلم عنه؟ إنّني لا أقدر أن أعترف بكلمة واحدة ممّا قلت.

بولس: يكون لأنّك لا ترغب في ذلك؛ بل يجب عليك أن تفكّر كما أفعل.

سقراط: يا صديقي البسيط، أنت تحاول أن تنقضني بعلم الكلام، كما يفكر الرجال أن يدحضوا الآخرين في المحاكم القانونيّة. فهناك يفكر فريقٌ أنّه يمكنه أن يدحض الآخر عندما يأتي على عجل بعددٍ من الشهود الذين لهم سمعة حسنة كبرهان لادّعاءاتهم، بينما ليس لدى خصمهم سوى برهان واحد فقط أو لا شيء على الإطلاق. غير أنّ هذا النوع من البرهان ليس له أيّة قيمة حين تكون الحقيقة هي الهدف؛ يمكن للرجل أن يُحلّف غالباً بالعديد

من الشهود الملفّقين الذين يمتلكون الاحترام الهوائي العظيم، وسيكون بجانبك كل شخص تقريباً، أثينياً أو غريباً لا فرق، إذا ما كنت ستحضر الشهود في تفنيد تقريري؛ ـ يمكنك أن تستدعي نيخياس بن نيكراتوس، ودع أخاه، الذي نظم الصفّ المثلث والذي وقف على تخوم ديونيسوس، دعه يأتي معه؛ أو يمكنك أن تستدعي ارستقراط بن سكيليوس، الواهب تلك التقدمة الشهيرة التي هي في معبد دلفي، استدعِ، إذا شئت، كل عائلة بركليس، أو أيّة عائلة أثينية مهمّة تختارها، ـ هم سيقفون بجانبك: أنا بقيت لوحدي فقط ولن أوافق على ما تقول، لأنّك لا تقنعني، مع أنك قد أحضرت العديد من الشهود الزائفين ضدّي، على أمل أن تخرجني من ممتلكاتي، والتي هي الحقيقة. لكنني لا أعتبر أنه لا يوجد أيّ شيء له قيمة كلامية ذات مضاء قد تؤثر عليّ، وبواسطته لتحل المشاكل التي بحثناها ما لم أستطع استدعاء شاهد واحد فقط، أعني، نفسك الخاصة، ليدعم قضيتي؛ حتى أنت لن تدعمها، ما لم تجعلني شاهدك الأوحد الوحيد؛ ولا يهمك باقي العالم. إنّ هناك طريقتين للنقض: الأولى هي التي تخصك وتخص باقي العالم بشكل عامّ. لكن ما يخصني فهو من نوع ثانٍ ـ دعنا نقارنهما، ونرى فيما يختلفان. لأنّنا، حقاً، نكون في قضية بشأن مسائل خطيرة، ويمكن أن يقال إن الجهل بها عار كما يقال أنّ المعرفة شريفة؛ كي تعرف أو لا تعرف من يكون سعيداً، ومن لا يكون، هذا هو السؤال الحاسم. وسأبدأ لذلك بالقضية التي نبحثها الآن، وأسألك إن كنت لا تعتقد أنّ الإنسان الذي يكون ظالماً ويفعل الظلم يستطيع أن يكون سعيداً، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّك تعتقد بأن آرتشيلوس ظالم ومع ذلك فهو سعيد؟ هل نفهم أنّ هذا هو رأيك؟

بولس: بالتأكيد.

سقراط: بل أقول إنّ هذا مستحيل. هنا النقطة الرئيسيّة الوحيدة التي نتجادل فيها: جيّد جداً. وهل تعني أيضاً، أنّه إذا ما نزل به الجزاء والعقاب فسيبقى سعيداً؟

بولس: لا بالتأكيد، ففي تلك الحالة سيكون الأكثر شقاء.

سقراط: وعلى الجانب الآخر، إذا لم يعاقب الظالم سيكون سعيداً حينئذ، طبقاً لك؟

بولس: نعم.

سقراط: لكن في رأيي، يا بولس، أنّ الظالم ومرتكب الظّلم شقيّ على أيّة حال، ـ وأكثر شقاء، على كل حال، إذا لم يُعاقب ولم ينزل به القصاص لظلم أعماله، وأقلّ شقاء إذا عوقبَ وتلقّى القصاص على يد الآلهة والرجال.

بولس: إنّك تقدّم مذهباً غريباً، يا سقراط.

سقراط: سأحاول أن أجعلك تتفّق معي، أوه يا صديقي، فأنا أعتبرك كصديق، تلك هي النقاط الرئيسيّة التي نتجادل فيها إذن ـ ألاَ تكون هي؟ لقد قلتُ أنا إنّك إذا فعلت الظلم فذلك أسوأ من أن تقاسيه؟

بولس: هكذا بالضبط.

سقراط: وقلتَ أنت العكس؟

بولس: نعم.

سقراط: وقلتُ أنا أيضاً إنّ الخبثاء هم الأشقياء، ونقضتني أنت؟

بولس: فعلت بالتأكيد الأكثر.

سقراط: في رأيك الخاصّ، يا بولس.

بولس: ورأيي صحيح، أيضاً.

سقراط: سنرى. قلتَ أنت أيضاً أنّ فاعل الخطأ يكون سعيداً إذا لم يُعاقب؟

بولس: بالتأكيد.

سقراط: وأكّدتُ أنا أنّه الأكثر شقاءً، وأنّ أولئك الذين يُعاقَبون هم أقل شقاء ـ هل أنت ذاهب لتدحض هذه الفرضية أيضاً؟

بولس: إنّ هذه الفرضية هي أصعب للنقض من الأخرى، يا سقراط!

سقراط: قل على الأصحّ، يا بولس، مستحيل نقضها؛ فمن ذا الذي يقدر أن ينقض الحقيقة؟

بولس: ما الذي تعنيه؟ هل تعني أنّ الإنسان سيكون أسعد عندما يكشتف أنّه يجعل من نفسه مستبداً في محاولة ظالمة، وعندَ اكتشافه، يُعذَّب، يشوَّه، تُفقأ عيناه، وبعد أن أُنزِل عليه كل نوع من أنواع الأذى، وبعد أن رأى زوجته وأطفاله يقاسون ما يشبه ذلك، يتمّ قتله بالخازوق أخيراً أو يُطلى بالقطران، أو يُحرق حيّاً، بدلاً من أنّه إذا تمكن من الهرب وأصبح مستبداً، واستمّر خلال حياته كلّها فاعلاً ما يحبه وقابضاً على زمام الحكومة، ومحسوداً أو موضع عجب من المواطنين والغرباء على حدّ سواء؟ أتكون تلك هي المفارقة التي لا يمكن نقضها، كما تقول؟

سقراط: هناك مرة ثانية، يا بولس النبيل، أنت تخلق « بعابع » بدلاً من أن تنقضني. ولقد استدعيت كلّ الشهود ضدّي الآن تماماً. لكنْ نشِّط ذاكرتك من فضلك قليلاً؛ هل تقول: « في محاولة ظالمة ليجعل من نفسه مستبدّاً »؟

بولس: نعم، إنّني فعلت.

سقراط: فإنّني أقول عندئذ أنّ كليهما لن يصبح أسعد من الآخر أبداً، ـ لا الذي اكتسب الاستبداد، ولا الذي عانى من المحاولة، لأن أيّاً من الشقيّين لا يمكن أن يكون أسعد. غير أنّ الذي يهرب ويصبح مستبدّاً هو أكثر الاثنين تعاسةً. أتضحك، يا بولس؟ حسناً، هذا نوع جديد من النّقض، ـ عندما يقول أيّ شخص أيّ شيء، فبدلاً من دحضه تضحك عليه.

بولس: لكن ألا تعتقد، يا سقراط، أنّك قد نُقضت بما فيه الكفاية، حين تقول ما لا يَسمح به أيّ كائن بشري؟ إسأل أيّ شخص هنا؟

سقراط: أوه يا بولس، إنّني لست إنساناً عامّاً، وعندما كنت في مجلس الشورى، آخر السنة تحديداً، وكان دور قبيلتي لتتسلم الرئاسة، وكان من واجبي أن أدوّن الأصوات، فلقد تعرضت للضحك أثناءها، لأنني لم أعرف كيف أدوّنها. وبما أنّني أخفقت في ذلك حينها، عليك أن لا تطلب إليّ أن أعُدّ شهادات الرفاق الآن؛ لكن إذا لم يكن لديك محاورة أفضل من الأعداد، فافعل ما كنت قد اقترحته لتوّي الآن ـ دعني أقول بدوري، وحاول أنت ذلك النوع من البرهان الذي نحن بحاجة له، كما أعتقد؛ لأنّني أعرف كيف أُورِد شاهداً واحداً لحقيقة كلماتي، وما هو إلاّ الشخص الذي أتحاور معه؛ وأعرف كيف سأستلم شهادته. لكن ليس لديَّ أيّ شيء أفعله مع العالم الرحب، وحتى لن أوجّه نفسي لذلك العالَم. أيمكنني أن أسأل عندئذ ما إذا كنت ستجيب بدورك وتقدِّم كلماتك لوضعها في البرهان؟ لأنّني أعتقد أنّك وأنا وكل إنسان يؤمن بالتأكيد، أنّ فعل الظلم حينئذ لهو أعظم شرّاً من معاناته. وأن يُعاقَب من يفعله من أن لا يُعاقب.

بولس: وعليَّ أن أقول إنّه لا أنا، ولا أيّ إنسان يؤمن بذلك: هل أنت نفسك، كمثل، ستقاسي الظلم بدلاً من أن تفعله؟

سقراط: نعم، وأنت أيضاً؛ وأيُّ شخص سيفعل ذلك.

بولس: العكس تماماً؛ لا أنت، ولا أنا، ولا أيّ إنسان سيفعل ذلك.

سقراط: لكن هل ستجيب؟

بولس: سأفعل، لتكن متأكّداً؛ لأنّني فضولي وأحبّ أن أعرف ما لديك لتقوله.

سقراط: أجبني إذن، وستعرف. دعنا نفترض أنّني أنطلق من البداية: أيُّ الاثنين هو الأسوأ في رأيك، يا بولس: أن تفعل الظلم أو أن تقاسيه؟

بولس: عليّ أن أقول إنّ المعاناة أسوأ.

سقراط: وأيُّهما العار الأكبر؟ أجبني.

بولس: فعلُه.

سقراط: كونه العار الأكبر ألا يكون لذلك الشرّ الأعظم؟

بولس: لا بالتأكيد.

سقراط: يبدو لي أنك تقصد، إذا لم أكن مخطئاً، أنّ الشريف لا يكون الخيِّر نفسه، أو أنّ الشائن كالشرّ؟

بولس: لا بالتأكيد.

سقراط: دعني أسألك سؤالاً: عندما تتكلم عن الأشياء الجميلة، كالأجسام، والألوان، والأشكال، والأصوات، وطرق الحياة، ألا تسميها جميلة في دلالة دائمة على مقياس ما؟ خذ الأجسام أوّلاً: ألا تسمّيها جميلَة إما لأغراض استعمالها التي تختصّ بها، أو للذّةِ التي تهز مشاعر المتفرج عندما يراها؟ هل بإمكانك أن تعطي أيّ حساب آخر للجمال الشخصي؟

بولس: إنّني لا أستطيع.

سقراط: وستقول عن الأشكال والألوان إنّها جميلة بشكل عام، إمّا بسبب اللذّة التي تمنحها، أو لاستعمالها، أو لكليهما؟

بولس: نعم، عليّ أن أقول ذلك.

سقراط: والأصوات، والموسيقى بشكل عامّ ستسمّيها جميلة للسبب عينه؟

بولس: سأفعل.

سقراط: مرّة ثانية، فإنه لا يوجد في حيّز القوانين والتقاليد جمالٌ خارج حدود إفادتها، أو لذّتها، أو كليهما؟

بولس: إنّني لا أعتقد ذلك.

سقراط: أوَلاَ يمكن أن يقال الشيءُ ذاتُه عن جمال المعرفة؟

بولس: لتكن متأكداً، يا سقراط؛ وإنّي أصادق تماماً على تعريفك للجمال بالاستشهاد باللذّة والخير.

سقراط: ويمكن تعريف العاهة أو العار بالمقياس المضادّ للألم والشرّ بالتساوي؟

بولس: بدون شكّ.

سقراط: إذن فعند وجود شيئين جميلين ويكون أحدها أكثر جمالاً، فإنّ سبب ذلك هو لأنّه يتجاوز الآخر في واحد من هذين أو في كليهما؛ ذلك لنقول، في اللذة أو الاستعمال أو كليهما؟

بولس: حقيقي تماماً.

سقراط: ومن الشيئين الاثنين المشوّهين، فإنّ ذلك الذي يتجاوز العاهة والعار، يتجاوز إما في الألم أو الشرّ - ألاَ يجب أن يكون ذلك؟

بولس: نعم.

سقراط: حسناً الآن، ماذا كانت الملاحظة التي أبديتها لتوّك، بشأن عمل ومقاساة الخطأ؟ ألم تقل إنّ مقاساة الخطأ أكثر شرّاً، وفعل الخطأ أكثر خزياً؟

بولس: إنّني فعلت.

سقراط: إذن، إذا كان فعل الخطأ أكثر خزياً، فهو كذلك إمّا لأنه أكثر ألماً ويغالي في الألم، أو أنّه يغالي في الشرّ، أو في كليهما؛ ألا يتبع ذلك أيضاً؟

بولس: طبعاً.

سقراط: دعنا حينئذ، بادىء ذي بدء، نعتبر إذا ما كان فعل الظلم يتجاوز المعاناة في الألم المترتب عليه. هل يعاني الذي يؤذي أكثر من الذي يتلقى الأذى؟

بولس: لا، يا سقراط؛ ولا بالتأكيد.

سقراط: فهما لا يتجاوزان في الألم إذن؟

بولس: لا.

سقراط: لكن إذا لم يكن في الألم، فليس في كليهما آنئذ؟

بولس: لا بوضوح.

سقراط: إنّهما يستطيعان أن يتجاوزا في الآخر إذن فقط؟

بولس: نعم.

سقراط: ذلك يُقال، في الشرّ؟

بولس: حقاً.

سقراط: سيتجاوز فعل الظلم في الشّر عندئذ، وسيكون لذلك شراً أعظم من مقاساة الظلم؟

بولس: بوضوح.

سقراط: لكن ألم تتفق مسبقاً أنت والعالم أنّ فِعْلَك الظلم أكثر خزياً من مكابدتك له.

بولس: نعم.

سقراط: ولقد اكتُشِف الآن أنّه أكثر شرّاً؟

بولس: حقاً.

سقراط: وهل تفضّل شرّاً أعظم أو عاراً أكبر على واحدٍ أقلّ؟ أجب، يا بولس، ولا تخف؛ لأنّه لن يحلّ بك أيُّ أذى إذا ما سلّمت نفسك بنبلٍ إلى يد المحاورة الشافية كما تسلّمها للطبيب، وقل لي إمّا (نعم) أو (لا).

بولس: عليّ أن أقول(لا).

سقراط: وهل سيفضّل أيّ إنسان آخر شرّاً أكبر على الأقل؟

بولس: لا، ليس طبقاً لهذه الطريقة التي تعرض القضية بها، يا سقراط.

سقراط: لقد قلت بحقّ أنا حينئذ، يا بولس، إنّه لا أنت، ولا أنا، ولا أيّ إنسان، سيفضل فعل الظّلم على مقاساته؛ لأنّ فِعْلَكَ الظلم هو أعظم الشرين.

بولس: ذلك هو الاستنتاج.

سقراط: أنت ترى، يا بولس، أنّك عندما تقارن نوعا النقض، أنت ترى كم هما غير متشابهين. إنّ كل الرجال، ما عداي، يتبعون طريقتك في التفكير؛ لكن تسليمك وشهادتك المفردة كفاية لي، ـ ولا أحتاج لأيّة شهادة أخرى؛

أرضى بها، وأنا على استعداد لأن أهمل الباقي. وبعد فكفاية من هذا، دعنا نتقدم الآن إلى موضوعك الثاني الذي لم نتفق فيه، الذي هو، ما إذا كانت الشرور الأعظَم للإنسان المذنب هي أن يقاسي العقاب، كما افترضت أنت، أو ما إذا كان الهرب من العقاب هو الشرّ الأعظم، كما افترضت أنا. تأمّل ملياً: ـ ستقول أنت إنّ مقاساة العقاب هو إسم آخر لكونك قد أصْلِحْتَ بعدل عندما ارتكبت الخطأ؟

بولس: سأفعل.

سقراط: ولن تسمح بأن تكون كل الأشياء العادلة شريفة بمقدار ما هي عادلة؟ من فضلك أن تتأمل ملياً، وتخبرني عن رأيك.

بولس: نعم، يا سقراط، أعتقد أنّها كذلك.

سقراط: تأمّل مليّاً مرّة ثانية: ـ حيث يوجد الفاعل، ألا يجب أن يوجد المفعول فيه أيضاً؟

بولس: سأقول هكذا.

سقراط: أولاً يقاسي المفعول فيه ذلك الذي يفعله الفاعل، أوليس لدى المعاناة نوعيّة العمل؟ أعني، وكمثل، أنّه إذا ضرب الرجل، يجب وجود شيء ما هو الذي ضُرِب؟

بولس: نعم.

سقراط: وإذا ضرب الضارب بعنف أو بسرعة، فذلك الذي ضُرِب سيُضربُ بعنف وسرعة؟

بولس: حقاً.

سقراط: وتكون معاناة الذي ضُرِب من الطبيعة عينها كما يكون الفعل لمن يضرب؟

بولس: نعم.

سقراط: وإذا أحرق الرجلُ، فهناك شيء هو الذي يحترق؟

بولس: بدون ريب.

سقراط: وإذا أحرق زيادة أو هكذا ليسبب ألماً، فسيكون الشيء المحترق محترقاً بالطريقة عينها؟

بولس: بحق.

سقراط: وإذا قُطع، فيُعتبر الحوار عينه، ـ سيكون هناك شيَء ما مبتور؟

بولس: نعم.

سقراط: وإذا ما كان القطع كبيراً وعميقاً أو كذاك الذي يسبب ألماً، فستكون معاناة من الجرح بالطريقةِ عينها؟

بولس: إن ذلك لجلي.

سقراط: إذن فستوافق بشكل عامّ على الفرضية العالميّة والتي كنت قد أثبتُّها لتوّي، أنّ تأثير المفعول فيه يتجاوب مع فعل الفاعل؟

بولس: أوافق.

سقراط: إذن، وبما أنّهُ تمّ الاعتراف بهذا، فدعني أسأل إذا ما كان المعاقَب معاناةً أو فعلاً.

بولس: معاناةٌ، يا سقراط؛ لا شك في ذلك.

سقراط: وتشمل المعاناة الفاعل؟

بولس: بالتأكيد، يا سقراط؛ وهو المعاقِب.

سقراط: وهو الذي يعاقِب بحقّ، يعاقِب بعدل؟

بولس: نعم.

سقراط: ولذلك فهو يفعل بعدل؟

بولس: يفعَل بعدل.

سقراط: إنّ من يُعاقَب ويقاسي الجزاء، يعانيه بعدل؟

بولس: إنّ ذلك لبيِّن.

سقراط: ولقد اعترفنا بأنّ ذلك الذي يكون عادلاً يكون شريفاً؟

بولس: بالتأكيد.

سقراط: إذن فالمعاقِبُ يفعل ما يكون شريفاً، ويقاسي المعاقَب ما يكون شريفاً؟

بولس: صدقاً.

سقراط: وإذا ما كان شريفاً، فحينها يكون خيراً، لأنّ الشريف يكون إمّا سارّاً أو نافعاً؟

بولس: بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّ من يُعاقَبْ يُقاسِ ما يكون خيراً؟

بولس: يبدو هكذا.

سقراط: فهو منتفعٌ حينئذ؟

بولس: نعم.

سقراط: أعني في المعنى بعبارة « منتفع »، أنّ روحه تتحسن، إذا ما عُوقِب بعدل؟

بولس: بدون ريب.

سقراط: إنّ من يُعاقَب يتخلَّص من شرِّ روحه عندئذ؟

بولس: نعم.

سقراط: ألا يتخلّص من أعظم الشرور إذن؟ أنظر إلى المسألة بتلك الطريقة: ففيما يخصُّ حالة الإنسان، هل ترى أيَّ شرٍّ أعظم من الفقر؟

بولس: لا يوجد شرٌّ أكبر.

سقراط: مرّة ثانية، سوف تقول إنّ الشرَّ في هيكل الإنسان الجسماني هو الضعف والمرض والتشويه، وما شابه؟

بولس: سأفعل.

سقراط: ألا تتخيَّل أنّ الروح تمتلك بعض الشر الخاص بها بشكل مماثل؟

بولس: طبعاً.

سقراط: وستسمّي هذا الظلم والجهل والجبن، وما شابه؟

بولس: بالتأكيد.

سقراط: هكذا إذن، فإنّ الشرور التي هي ثلاثة في العقل، والجسد، والوضع، عيّنت مقابلها ثلاثة شرور مماثلة: الظلم، والمرض، والفقر؟

بولس: حقاً.

سقراط: وأيّ الشرور هو الأكثر عاراً؟ أليس أكثرها جميعها عاراً هو الظلم، وشرّ الروح بشكل عام؟

بولس: إنّه الأكثر بكثير.

سقراط: وإذا كان الأكثر عاراً، فهو حينها الأسوأ أيضاً؟

بولس: ماذا تعني، يا سقراط؟

بولس: أعني أنّ ما يكون الأكثر خزياً قد تمّ الاعتراف به أنّه هكذا، بدون استثناء، لأنّه هو الأكثر ألماً، أو إيذاءً، أو كليهما.

بولس: بالتأكيد.

سقراط: ولقد قَبِلنا أنّ الظلم وكلّ الشرور في الروح هي الأكثر خِزياً؟

بولس: لقد قبلنا بذلك.

سقراط: وهي الأكثر خِزياً إمّا لأنّها الأكثر ألماً أو تُسبّب الألم المفرط، أو الأذى الأكثر، كليهما.

بولس: بدون ريب.

سقراط: وهكذا أن تكون ظالماً وعاصياً، وجباناً، وجاهلاً، فذلك أكثر ألماً من أن تكون فقيراً ومريضاً.

بولس: لا، يا سقراط؛ فالألم لا يظهر لي أنّه يتبع من مقدماتك.

سقراط: إذن وبما أنّ شرّ الروح هو أكثر الشرور خزياً، لكنه (كما تحاور) لا

يكون هكذا بسبب ألمه. فالسبب يجب أن يكون ضرراً ما هائلاً وشرّ، ذا عِظَمٍ خارقٍ للطبيعة.

بولس: بوضوح.

سقراط: وأُسلِّم بأنّ الأعظم في الأذى سيكون الأعظم في الشرور؟

بولس: نعم.

سقراط: إنّ الظلم والمعصية إذن، وبشكل عام فساد الروح، هي أعظم الشرور؟

بولس: إنّ ذلك الجلي.

سقراط: وبعدُ، ما هو الفنّ الموجود الذي يعتقنا من الفقر؟ أليس فنّ حيازة المال؟

بولس: نعم.

سقراط: وما هو الفنّ الذي يحرِّرنا من المرض، أليس هو فن الطبّ؟

بولس: بدون شكّ.

سقراط: وماذا عن الرذيلة والظلم؟ إذا كنت لا تقدر أن تجيب حالاً، إسأل نفسك، إلى أين نذهب بالمرضى، ولمن نأخذهم؟

بولس: إلى الأطبّاء، يا سقراط.

سقراط: ولمن نذهب بالأشخاص الذين يرتكبون الظلم أو المعاصي؟

بولس: تعني، إلى القضاة.

سقراط: الذين سيعاقبونهم.

بولس: نعم.

سقراط: أليس الذين يعاقبون الآخرين، يعاقبونهم وفق قاعدة محدَّدة للعدل؟

بولس: بجلاء.

سقراط: يحرِّر فنّ حيازة المال الإنسان من الفقر إذن؛ فنّ الطب من المرض؛ والعدل من المعصية والظلم؟

بولس: إن ذلك الجلي.

سقراط: أيّ هذه الثلاثة أفضل عندئذ؟

بولس: هل ستعددها؟

سقراط: حيازة المال، الطب، والعدل.

بولس: العدل، يا سقراط، يبزُّ الاثنين الآخرَين بيعيد.

سقراط: وإذا كان العدل هو الأفضل، فسيهب اللذّة الأعظم أو المنفعة أو كِليهما؟

بولس: نعم.

سقراط: لكن أيكون الشّفاء شيئاً سارّاً، وهل أولئك المتعافون مبتهجون؟

بولس: إنّني لا أعتقد ذلك.

سقراط: شيء نافع إذن؟

بولس: نعم.

سقراط: نعم لأنّ المريض يُنقَذ من شرٍّ كبير؛ وصبره على الألم يستحقّ الاهتمام، ويصبح معافىً؟

بولس: بالتأكيد.

سقراط: وهل سيكون الإنسان أسعد في حالة جسده، الذي شُفي، أو الذي لم يعتَلَّ جسده قط؟

بولس: إنه ذلك الذي لم يفقد صحّته أبداً بوضوح.

سقراط: نعم؛ لأنّ السعادة لا تكمن في كونك منقذاً من الشرور بالتأكيد، بل في عدم امتلاكك لها على الإطلاق.

بولس: حقاً.

سقراط: وافترض حالة شخصين يمتلكان شرّاً في جسميهما أو في روحيهما، وأنّ واحداً منهما قد عُولجَ وتخلّص من الشرّ، وآخر لم يُعَالَج، بل استبقى على الشرّ. فأيٌّ منهما هو الأكثر شَقاء؟

بولس: إنّه الذي لم يُعَالَج، بوضوح.

سقراط: أوَلم نقل إن العقابَ خلاصٌ من أعظم الشرور، التي هي الرذيلة؟

بولس: حقّاً.

سقراط: لأنّ العدل يُطهِّرنا، ويجعلنا أكثر عدلاً، وهو الدواء لرذيلتنا؟

بولس: حقاً.

سقراط: إذن، يمتلكُ المكانَ الأوّلَ في ميزان السعادة مَنْ ليس لديه رذيلة في روحه؛ لأنّ هذا قد أُبين أنّه أعظم الشرور؟

بولس: بوضوح.

سقراط: ويمتلك هو، المكان الثاني، كونه قد تخلّص من الرذيلة؟

بولس: حقاً.

سقراط: ذلك لنقول، أنّه هو من تلقّى العِظَةَ والزّجر والعِقاب؟

بولس: نعم.

سقراط: إذن، فإنّ الذي يكون ظالماً ولم يتخلّص من ظلمه، يعيش العيشة الأسوأ؟

بولس: بالتأكيد.

سقراط: والذي يعيش الأسوأ، هو مَنْ يرتكب أعظم الجرائم. والذي، كونه أكثر الرجال ظلماً ينجح في الهرب من الزّجر والتصحيح أو العقاب. وهذا كما تقول قد أنجزه آرتشيلوس والمستبدون وعلماء الكلام والمسيطرون الآخرون(١٦)؟

بولس: يظهر هكذا.

سقراط: ألاَ يمكن لطريقة تصرّفهم، يا صديقي، أن تُقارَن بسلوك شخص أَلمّت به أسوأ الأمراض ومع ذلك يسعى جاهداً كي لا يدفع الغرامة للطبيب جزاء آثامه التي تسبب بها قوامُه، ولن تعود له الصحّة ثانية، لأنّه يخاف ألم الكيّ أو القطع، كالطفل. أليست تلك حالة مطابقة؟

بولس: نعم، بحق.

سقراط: سيظهر وكأنّه لم يعرف طبيعة الصحّة والنشاط الجسدي. وإذا كنا محقين، يا بولس، في استنتاجاتنا الحاليّة، فهم في حالة مشابهة لحالة الذين يكافحون للإعراض عن العدل، والذين يرون أنّه مؤلم، لكنهم يَعْمَون عن المنافع التي تنساب منه، متجاهلين كم تكون الروح المريضة رفيقاً أكثر شقاءً بكثير من الجسم المريض؛ أقول الروح التي هي فاسدة وصالحة ودنسة. ومن ثمَّ فهم يفعلون كلَّ ذلك الذي يستطيعون كي يتفادوا العقاب، ولكي يتجنبوا كونهم معتقين من أكبر الشرور؛ فإنهم يجهِّزون أنفسهم بالمال والأصدقاء، ويهذِّبون إلى أقصى حد قدراتهم الإقناعيّة. لكن إذا ما كانت استنتاجاتنا صحيحة، يا بولس، فهل ترى ما هو الآتي، أو أننا سنرسم العواقب في شكل ما؟

بولس: إذا تفضَّلت.

سقراط: أليست الحقيقة أنّ الظلم، وعمل الظلم، هما أعظم الشرور؟

بولس: يبدو أنه قد بُرهِنَ ذلك.

سقراط: وأبعد من ذلك، فإنّ مقاساتك للعقاب هي الطريقة لَعتْقِكَ من الشرّ؟

بولس: على ما يظهر.

سقراط: وأن لا تقاسي العقاب، هو أن تُبقي الشرّ فيك؟

بولس: نعم.

سقراط: ارتكابك الخطأ، إذن، هو الثاني في ميزان الشرور؛ لكن أن تفعَلَ الخطأ ولا تُعاقَب فهو أوّل الشرور وأعظمها جميعاً؟

بولس: يبدو ذلك.

سقراط: حسناً، أوَلم تكن هذه هي النقطة الرئيسيّة في الخصام، يا صديقي؟ أنت اعتبرت آرتشيلوس سعيداً، لأنّه كان مجرماً جدَّ كبير وغيرَ مُعاقب. أنا اعتبرت، في المقابل، أنّه هو أو أيّ شخص آخر مثله من الذين يرتكبون

الأخطاء، يكونون ويجب أن يكونوا، أكثر الرجال شقاء وبؤساً؛ وأنّ فاعل الظلم يكون أكثر شقاء من الذي يعانيه وبثبات؛ وأنّ من يهرب من العقاب أكثر شقاء من الذي يقاسيه ـ ألَم يكن ذلك ما قلته؟

بولس: نعم.

سقراط: ولقد برهنّاه ليكون حقيقياً؟

بولس: بالتأكيد.

سقراط: حسناً، يا بولس، لكنْ إذا كان هذا حقيقياً، فأين هي الفائدة العظمى لعلم الكلام؟ إذا اعترفنا بما قد قيل لتوّه الآن، فكلّ إنسان عليه أن يحرس نفسه وفي كل طريق ضدّ فعل الخطأ، لأنّه سيقاسي شرّاً كبيراً بذلك؟

بولس: حقاً.

سقراط: وإذا فعل هو الخطأ، أو أيّ شخص يحظى باهتمامه، فيجب أن يذهب حيث سيعاقب في الحال بكل طيبة خاطر. سيهرع إلى القاضي، كما لو كان ذاهباً إلى الطبيب، كي لا يتمكن ظلمه من أن يصبح مزمناً، ويصبح بالتالي سرطان الروح الذي لا يُستطاع شفاؤه. ألاَ يجب أن نسمح بهذا الاستنتاج، يا بولس، إذا ما كانت افتراضاتنا السابقة ستُثبَّت: هل يتناغم معه أيّ استنتاج سابق آخر؟

بولس: لذلك، يا سقراط، لا يمكن وجود إلاّ جواب واحد.

سقراط: إنّ علم الكلام إذن، ليس بذي نفع لنا، يا بولس، في مساعدة الإنسان ليعتذر عن ظلمه الخاصّ، أو ظلمه لوالديه وأصدقائه، أو لأطفاله أو بلاده. لكنه يمكن أن يكون ذا فائدة لأيٍّ شخص يوقف ذلك بدلاً من الاعتذار حيث يجب أن يعتذر ـ نفسه فوق الجميع، وفي الدرجة التالية عائلته أو أيّ من أصدقائه الذين يمكنهم أن يفعلوا الخطأ؛ عليه أن يُحضر الجور إلى النور وأن لا يكتمه. وهكذا يمكن لفاعلي الخطأ أن يقاسوا العقاب ويعودوا وحدة

متكاملة. عليه أن يجبر نفسه والآخرين أن لا ينكمشوا عن العقاب، بل أن يستدعوا الطبيب ويُجروا العمليّة بالسكين أو بالحديد المحمّى بعد أن يغلقوا عيونهم كالرجال الشجعان، غير هيّابين الألم، على أمل الحصول على ما هو خيِّر وشريف. إنّ مَنْ فعل أشياء تستحقّ الجلد يجب أن يسمح لنفسه أن يُجلَدْ، وإذا استحق التقييد، أن يُقيَّد، وإذا استحق الغرامة أن يُغرَّم، وإذا استحق الموت، أن يموت، كونه أوّل من يتّهم نفسه وأقرباءه، ودعه يستعمل علم الكلام لهذه الغاية، كي يمكن لأعمال ظلمه وظلمهم أن تظهر جلية. ولربّما يمكنهم هم أنفسهم أن يتخلّصوا من الظلم، الذي هو أعظم الشرور. هل ستقول (نعم) أو (لا) لذلك؟

بولس: يظهر غريب جداً ما قلته لي، يا سقراط، مع ذلك فإنّه يتفق مع مقدماتك.

سقراط: أليست هذه هي النتيجة، إذا لم تُنقض هذه المقدّمات؟

بولس: نعم؛ إنّها لكذلك بكلّ تأكيد.

سقراط: ومن وجهة النظر المضادة، إذا ما كان واجبنا إيذاء الغير حقاً، سواء كان عدوّنا أم لم يكن (بشرط أن لا يؤذينا ذلك العدو ـ علينا أن نحترس ضد ذلك الإحتمال) ـ إذا آذى عدوي شخصاً ثالثاً حينئذ، فسبيلي ذلك أنّني سأحاول أن أمنع أيّ شخص من أن يعاقبه، في كلّ نوع من أنواع الطرائق بالقول كما بالعمل، أو أن يظهر أمام القاضي. وإذا ما وقف أمام القاضي عليّ أن أكافح كي يفلت منه، وأن لا يقاسي العقاب. وإذا ما سرق مبلغاً كبيراً من المال، دعه يحتفظ بما سرق وينفقه على مَا لَهُ وعليه بقطع النظر عن الدّين والعدل. وإذا ما فعل أعمالاً تستحقّ الموت، فدعه يعيش، بل بالأحرى أن يخلد في خبثه؛ أو إذا لم يكن هذا ممكناً، فدعه يُسمح له بالعيش طالما يستطيع على أية حال، باقياً كما هو. يمكن أن يكون علم الكلام نافعاً لهذا الغرض، يا بولس، غير أنّ نفعه صغير، إذا كان له نفع،

للذي ليس في نيّته ارتكاب الظلم؛ لم يكن هناك أيّ نفع كهذا الذي اكشتفناه في بحثنا السابق، على الأقل.

كاليكلس: أخبرني، يا تشايرافون، أيكون سقراط جاداً أو مازحاً؟

تشايرافون: عليَّ أن أقول، يا كاليكلس، أنه يكون في أقصى غايات الجدية. غير أنه لا يوجد ما يشبه سؤاله بنفسك.

كاليكلس: سأفعل ذلك بالتأكيد الأكثر. أخبرني، يا سقراط، هل أنت جادٌّ، أو هازل فيما قلته؟ لأنّك إذا ما كنت جادّاً، وكان ما تقوله حقيقياً، ألن تكون حياة الإنسانيّة مقلوبة رأساً على عقب بمجملها؟ أولاً نكون فاعلين، كما يبدو، عكس ما يجب علينا عمله في كلّ شيء؟

سقراط: أوه يا كاليكلس، إذا لم يكن هناك شعور مشترك ما بين الجنس البشري، كيفما اختلف في الأشخاص المتباينين ـ أريد أن أقول، إذا كان شعور كل إنسان خاصاً بنفسه ـ لن يكون من السهل على الإطلاق أن نوصل تعابيرنا لبعضنا بعضاً. إنّني أُورِدُ هذه الملاحظة لأنّني أتصوّر بأنّك وأنا أيضاً نمتلك شعوراً مشتركاً. كلانا عاشقان، وكلانا لدينا حبيبان كلٌّ على حدة. أنا حبيب ألسيبيادس بن كلينياس، وحبيب الفلسفة، وأنت حبيبك ديموس الأثيني، وديموس هو ابن بيريلامبس. وبعد، فأنا ألاحظ، ومع كل حذقك، أنك لا تجرؤ أن تعارض خليلك لا في كلامه ولا رأيه؛ بل كما يتغيّر هو تتغيّر أنت، إن كان تغيّرك إلى الوراء أو إلى الأمام. عندما ينكر ديموس الأثيني أيّ شيء تقوله في الجمعية العموميّة تتّجه نحو رأيه، وتفعل الشيء نفسه مع ديموس، الإبن الشابّ اللطيف لبيريلامبس. لأنّك لا تمتلك القوّة كي تقاوم كلمات وأفكار محبوبك؛ وإذا ما عبَّر الشخص عن الدهشة لغرابة ما تقول من وقت لآخر عندما تكون تحت تأثيره، فمن المحتمل أنّك ستجيبه، إذا ما كنت أميناً، أنّه طالما لم يتوقفوا عن قول ما يقولون، فلن تتوقف أنت

عن ترديدها. يجب أن تفهم أنّ كلماتي هي صدىً أيضاً، وعليك أن لا تندهش منها؛ وإذا أردت إسكاتي، أَسِكت الفلسفة التي هي حبّي. إنّها تخبرني على الدوام ما أنا مبلِّغك إيّاه، يا صديقي؛ وهي ليست متقلبة الأطوار كحبّي الآخر، لأنّ ابن كلينياس يقول شيئاً اليوم وآخر غداً، ولكنّ الفلسفة ثابتة على الدوام. إنّها المعلِّم الذي تدهشك كلماته الآن، ولقد سمعتها بنفسك. هي التي يجب أن تدحض، يا كاليكلس، أو أَبِنْ لنا، كما قلتُ أنا، وهو أن تفعل الظلم وتهرب من العقاب، ليس الأسوأ من كل الشرور؛ أو إذا ما تركت كلامها غير منقوض، فإنّني أقسم لك، أنّ كاليكلس لن يكون واحداً مع نفسه أبداً، بل إنّ حياته ستكون متنافرةً بمجملها. ومع ذلك، يا صديقي، سأفضِّل أن يكون عودي غير متناسق، وأنّ لا يوجد للموسيقى في الجوقة التي أقدِّم؛ نعم، أو أنّ مجموعة الجنس البشري لن تتفق معي، وستعارضني، مفضِّلاً ذلك على أن أكون متنافراً مع نفسي، وأُناقضها.

كاليكلس: إنّك لخطيب منظِّم، يا سقراط، ويبدو أنّك تهيم على وجهك في المحاورة، وإنّك تتوخّى البلاغة في خطابتك بهذه الطريقة لأنّ بولس قد وقع في الخطأ عينه الذي اتُّهم به جورجياس: لأنه قال إنّك عندما سألت أنت جورجياس، ما إذا كان، وإذا أتى إليه شخص ما يريد أن يتعلَّم علم الكلام، ولم يعرف العدل، هل سيعلِّمه إيّاه، وأجاب جورجياس في تواضع منه، أنه سيفعل لأنه فكّر أنّ الجنس البشري بشكل عام سيكون غير راضٍ إذا أجاب بلا؛ وحيثئذٍ ونتيجة لهذا القبول كان جورجياس مجبراً أن يناقض نفسه، ذلك أنّ كون العدل هو نوع من الشيء الذي يسرّك. وإذ ذلك فبولس سخر منك بحقّ، كما أعتقد؛ غير أنه هو نفسه قد وقع في الفخّ عينه. لا أقدر أن أقول الشيء الكثير عن ذكائه عندما سلّم لك أنّ فعل الظلم هو

أكثر قبحاً من مقاساته، لأنّ هذا كان الإدخال الذي من خلاله أوقعته في أحبولة بدوره؛ ولأنّه كان حييّاً أيضاً ليقول ما يفكّر، فلقد التزمَ الصمت مطلقاً. إنّ الحقيقة، يا سقراط، هي أنّك أنت الذي تتظاهر أنّك متقيدٌ بتقصّي الحقيقة، تلجأ الآن إلى التصورات المبتذلة للحق، تلك التصورات التي تستحقّ الإعجاب بالاصطلاح، وليس بالطبيعة. إنّ الاصطلاح والطبيعة هما في اختلاف بعضهما مع بعض؛ ومن ثمّ، إذا كان الشخص كثير الحياء وجباناً لأن يقول ما يفكر به، فإنّه مُجبرٌ أن يناقض نفسه. وبما أنّك تدرك هذا اللطف، فإنّك تلعب بسرعة وتخسر في حوارك. وعندما يقرّر المتكلم حالته على أساس الاصطلاح، فإنّك تتطرّق إلى السؤال المركّز على قانون الطبيعة. وإذا تكلم هو عن قانون الطبيعة، تنسلُّ إلى الاصطلاح. كمثال، لقد فعلت ذلك في هذا البحث بالتحديد حول فعل ومقاساة الظلم. عندما تكلّم بولس عن الشائن بالاصطلاح، واصلت تتبّع الحوار من وجهة النظر الطبيعيّة؛ فمقاساة الظلم بقانون الطبيعة هو أكبر عاراً لأنه أعظم شراً؛ لكن فعل الظلم بالاصطلاح هو أكثر خزياً. لأن مقاساة الظلم ليست بجزء من الإنسان، بل من العبد، الذي يكون الموت له أفضل من الحياة؛ بما أنّه قد وُطِىءَ بالأقدام وأُنزل به الأذى، ولم يستطع أن يدفع الأذى عن نفسه، أو عن أيّ شخص آخر يهتمّ به. إنّ السبب، كما أتصوّر، هو أنّ الذين يسنّون القوانين ضعفاء بغالبيتهم. فهم يسنون القوانين ويوزعون الثناءات والذمّ بالنظر إلى أنفسهم وإلى منافعهم الخاصة. وهم يرعبون النوع الأقوى من الرجال، وأولئك الذين يستطيعون الحصول منهم على أفضل ما يريدون، كي لا يتمكنوا في الحصول على الأفضل منهم؛ ويقولون إنّ المصلحة الشخصيّة الطموحة هي عيب وظلم، ما معناه، أنّ كلمة الظلم، هي رغبة الإنسان أن يمتلك أكثر من جيرانه؛ وأشتبه أنهم سيكونون جدّ جذلين بالمساواة، لأنّهم

يعرفون دونيّتهم. ولذلك فإنّ الاجتهاد الساعي للتملك أكثر من الجميع قيل إنّه يكون بالاصطلاح عيباً وظلماً، وسمّي ظلماً(١٧)، في حين أنّ الطبيعة عينها توعز أنّه يكون عدلاً أن يمتلك الأفضل أكثر من الأردأ، الأقوى من الأضعف. وتبيّن الطبيعة أنّ العدل، يكمن في حكم الأسمى للأدنى وامتلاكه أكثر منه في طرق متعددة، يظهر ذلك بين الرجال كما بين الحيوانات، وحقّاً بين مجمل المدن والسلالات. لأنّه على أيّ مبدأ للعدل غزا دارا بلاد اليونان، أو أبوه بلاد السكيثيين؟ (ولسنا لنتكلم عن أمثلة أخرى لا يحدّها حصر). لا، لكنّ هؤلاء الرجال، إنّني أقترح ذلك، فعلوا في هذه الطريقة، كما أشتبه، في تطابق مع طبيعة العدل. نعم، وبالسماء، طبقاً لقانون الطبيعة، ومع هذا، لربّما، ليس طبقاً للقانون الذي نشرّع؛ فنحن نهيّىء أفضل وأقوى أولادنا منذ فترة ينوعهم فصاعداً، ونروّضهم كما ندجّن أشبال الأسد، ـ نخضعهم بالتعاويذ والرقيات، قائلين لهم إنّ عليهم أن يقنعوا بالمساواة، وأنّ المتساوي يكون شريفاً وعادلاً. غير أنّه إذا ما وُجِد الإنسان المولود بقدرة كافية، فسيزعزع كلّ ذلك ويقتحمه، إلى أن يتخلّص منه؛ إنّه سيدوس كل معادلاتنا وتعاويذنا وطلاسمنا بالأقدام، وكذلك كل قوانيننا التي هي ضدّ الطبيعة. سيقوم العبيد بالعصيان ويصبحون أسياداً علينا، وسيلمع نور العدل الطبيعي ويتألّق. لقد عزّز بيندار الذي أقوله، كما أعتقد، في قصيدة له عندما أشار إلى « القانون مَلِكُ الجميع، للفانين كما للخالدين »(١٨)؛ هذا، كما أنّه يقول: « يجعل القوّة حقاً، فاعلاً العنف باليد الأعلى، كما أستنتج من مآثر هرقل، لأنّ بدون شرائها ـ ».

إنّ هذا هو الشيء شبيه بما يقول. انني لا أعرف القصيدة عن ظهر قلب؛ لكن معناها هو أنّه بدون شرائها، وبدون أن تُعطى له، فإنّه ساق ثيران جيريون وذهب بها بعيداً، كون ذلك هو قانون الطبيعة الحقيقي في أن

تكون ثيران وكل ممتلكات الأضعف والأدنى للأقوى والأعلى بشكل مناسب. كما يمكنك أن تتأكّد منها كونها حقيقية، إذا ما كنت ستترك الفلسفة وترتقي إلى الأشياء الأعلى. لأنّ الفلسفة، يا سقراط، إذا ما تابعها الإنسان باعتدال وفي السنّ المناسب، فإنّها إنجاز أنيق، لكنها خراب للحياة الإنسانية إذا ما طال أمد درسها بغير تناسب. حتى إذا كان لدى الإنسان أجزاء جيّدة، يبقى أنّه إذا حمل الفلسفة إلى حياة متأخّرة، سيجهل تلك الأشياء التي يجب أن يعرفها السيّد والإنسان المميّز بالضرورة. فهو غير خبير بقوانين الدولة، وباللغة التي يجب استعمالها في التعامل بين الإنسان والإنسان، سواء أكانت تلك اللغة خاصّة أو عامّة، وهو جاهل بالكليّة بملذّات ورغبات الجنس البشري والأخلاق الإنسانيّة بشكل عامّ. وأناس من هذا النوع يبدون مضحكين عندما يُنَصَّبون في مجال السياسة أو العمل. كما أتصوّر السياسيين في أن يكونوا، عندما يشرعون بالظهور في ساحة الحوار والدراسة، لأنّه، وكما يقول يوريبايدس: « كل إنسان يلمع في ذلك، ويتابع ذلك، ويخصّص القسم الأكبر من يومه لذلك، الذي يتفوق فيه »(١٩)، لكنّه يتحاشى ويغض من شأن أيّ شيء يكون هو الأدنى فيه، ويثني على ما يكون ضدّه في محاباة مع نفسه، لأنّه يعتقد أنّه يثني على نفسه بهذا الشكل. أمّا المبدأ الحقيقي فهو أن يوحدهما. ويكون بعض الفلسفة شيئاً ممتازاً، كجزء من التعليم، ولا يوجد أيّ عار إذا تابع الإنسان هكذا دراسة عندما يكون فتيّاً؛ لكن عندما يواصلها في حياة متأخرة، سيصبح شيئاً مضحكاً جداً. وإنّني أشعر نحو الفلاسفة كشعوري نحو أولئك الذين يلثغون ويقلدون الأطفال، وأنا أحبّ أن أرى الطّفل الصغير، الذي لم يكتمل سنّه بعد كي يتكلّم بوضوح، يلثغ في كلامه؛ وهناك مظهر للرشاقة والحريّة في نطقه، والتي تكون طبيعية بالنسبة لسنوات طفولته. لكن عندما أسمع بعض

المخلوقات الصغيرة تنطق كلامها بعناية، فإنّني أغضب؛ ويكون صوتها غير مقبول، ويطرق أُذُنَيّ وكأنّه خَنَّة العبودية. وهكذا عندما أرى الرجل يلثغ، أو أراه يلعب كالطفل، يظهر سلوكُه لي مضحكاً ومخنّثاً ويستحقّ الجلد. ولديَّ الشعور نفسه نحو طلاّب الفلسفة؛ عندما أرى شابّاً ملتزماً بها هكذا أحب ذلك حقاً - تظهر لي الدراسة تلك أنّها أخلاقية وطالبها يمتلك تعليماً حرّاً، وأعتبر أنَّ من يهمل الفلسفة شخص سافل، لن يتوق إلى شيء عظيم ونبيل. لكنّ إذا رأيته يواصل الدراسة في حياة متأخرة دون ترك لها، أحبّ أن أضربه، يا سقراط، لأنّني أعتبر أن شخصاً كهذا مقضيٌ عليه أن يصبح مخنّثاً. وكما قلت، حتّى مع أنه يمتلك أجزاء جيدة وطبيعيّة، إنّه يفر من المركز المليء بالبشر، من مكان البيع والشراء اللذين فيهما تصبح الرجال مميّزة، كما يقول الشاعر، بل يزحف إلى زاوية طوال بقية حياته، ويتكلّم همساً مع ثلاثة أو أربعة شبّان معجبين، لكنه لا يتكلم بشجاعة قط، وبهمّة الإنسان الحر. وبعد، فإنّني ميّال لك يا سقراط، ويمكن مقارنة شعوري نحوك بشعور زيثوس نحو أمفيون، في تمثيليّة يوربيايدس، والتي كنت قد ذكرتها لتوّي. فأنا مهيّأ لأن أقول لك أكثر ما قاله زيثوس لأخيه، ذلك أنّك، يا سقراط، غير معتنٍ بالأشياء التي عليك أن تعتني بها؛ وأنّ [تقلّدك شكل تلميذ المدرسة الغبي، فإنّك تمسخ روحاً نبيلة بالطبيعة بشكل مضحك: فأنت لا تقدر أن تحاور لقضيّة في محاكم العدل بصواب، أو تدرك ما يمكن أو ما يجب اتّباعه، أو أن تقدّم مشورة شجاعة بالنيابة عن الغير][٢٠]. وعليك أن لا تغضب، يا عزيزي سقراط، فأنا أتكلّم من منطلق إرادة خيّرة نحوك. وإذا سألتك إذا ما كنت خجِلاً من حالتك الحاضرة، التي أُثبتُّ أنّها ليست حالتك فقط بل حالة كل أولئك الذين يغوصون في الفلسفة أبداً بعمق أكثر. فلنفترض أنّ شخصاً ما ساقك أو ساق أيّ واحد من نوعك إلى

السجن، معلناً أنّك فعلت الخطأ في حين لم تفعله، يجب أن تسمح لنا بها فإنّك لن تعرف ماذا ستفعل عندئذ؛ - وستقف هناك دائخاً ومتثائباً، وليس لديك كلمة تتفوّه بها. وعندما تمثل أمام المحكمة، حتّى إذا كان مُتَّهِمُكَ عديم القيمة وسافلاً، فستموت إذا ما كان ميّالاً للمطالبة بإنزال عقوبة الإعدَام بك. ومع ذلك، يا سقراط، فأيّة حكمة هناك في « فنٍّ يحوّل الإنسان ذو الكفاءات إلى الوهن »[٢١]، غير قادرٍ أن يدافع عن نفسه أو ينقذها وينقذ الآخرين عندما يكون في أعظم الأخطار، بل يتركه ليجرّده أعداؤه من كلّ حقوقه، ويذهب ليعيش طريد القانون في مدينته بكلّ بساطة؟ - إنّه إنسان يمكن أن يُصفع على الأذنين بُعَيْدَ إفلاته من العقوبة، إذا ما أمكنني استعمال هذا التعبير. خذ نصيحتي، إذن، يا صديقي الصالح (ولا تدحض أحداً بعد اليوم، تعلّم فنّ العمل الممتاز، واكتسب صيت الحكمة. لكنْ أترك للآخرين إتقانها)، سواء وُصِفوا كأشياء غبيّة أو مضحكة: (لأنّها ستمنحك الفاقة ولمن يسكن معك). إنقطع، إذن، عن المفاخرة بتوافه هذه الكلمات، وتباهَ بإنسان الجوهر والشرف، والبركات العديدة الأُخرى.

سقراط: إذا ما كانت روحي مصُوغةً من الذهب، يا كاليكلس، ألا يجب أن أفرح لاكتشاف واحد من تلك الأحجار التي تُختبر بها، وللواحد الأفضل احتمالاً بالتحديد الذي يمكنني أن أُحضر إليه روحي هذه؟ وإذا وافق الحجر وأنا في التصديق على تدريبها، عليَّ أن أعرف حينئذ أنّني كنت في حالة مقنعة، ولست بحاجة إلى أيّ اختبار آخر.

كاليكلس: ما هو معناك، يا سقراط؟

سقراط: سأخبرك، أعتقد أنّني وجدت فيك جائزة كهذه.

كاليكلس: لماذا؟

سقراط: لأنّني متأكّد أنّك إذا اتفقت معي في أيّ من الآراء التي تشكلها روحي،

فقد وجدت الحقيقة أخيراً حقاً. فأنا أعتبر أنّ الإنسان إذا ما صنع تجربة كاملة عن حياة الروح الخيّرة والشريرة، يجب أن يمتلك نوعيّات ثلاثاً: المعرفة، الرِضا، الصراحة، والتي تمتلكها أنت كلها. إن العديد ممّن قابلتهم غيرُ قادرين أن يمتحنوني، لأنهم لم يكونوا عقلاء مثلك؛ وآخرون كانوا عقلاء، غير أنّهم لم يريدوا أن يخبروني الحقيقة، لأنّه لم يكن لديهم الإهتمام عينه بي كاهتمامك أنت؛ وهذان الغريبان الاثنان، جورجياس، وبولس، هما رجلان عاقلان بدون .شك وصديقان حميمان لي غير أنّهما ليسا صريحين بما فيه الكفاية، وهما حييّانِ كذلك. لماذا يكون حياؤهما كبيراً هكذا، ولِمَ انقادا ليناقضا نفسيهما، أوّلُهما جورجياس وبعده بولس، في وجود جمع كبير، وعلى قضايا هي موضوع اللحظة الأعظم. لكنك أنت تمتلك كلّ النوعيّات التي يفتقر لها هذان. الاثنان؛ قد تلقيت ثقافة ممتازة، كما يشهد بذلك العديد من الأثينيين؛ وإنّك صديقي، هل سأخبرك لماذا أعتقد ذلك؟ أعرف أنّك أنت، يا كاليكلس، وكذلك تايسندر من أفيدناي، وأندرون بن أندريوتون، ونوسيكايدس، من الدِّيم الأتيكيّة الكولاروغسيّة، أعرف أنّكم درستم معاً جميعاً: لقد كنتم أربعة، وقد سمعتكم مرّة ينصح واحدكم الآخر فيما يخص البعد الذي يجب أن يصله تتبّع الفلسفة. وكما أعرف، فلقد توصّلتم إلى نتيجة وهي أنّ دراسة الفلسفة يجب أن لا تتقدّم كثيراً جدّاً وبالتفصيل، وحذّر واحدكم الآخر أنْ لا تكونوا عقلاء فوق اللزوم؛ كنتم خائفين من أن جهلكم بها يمكّن العقل من أن يدمركم. وعندما أسمعك الآن تقدّم إليّ النصيحة عينها والتي أعطيتها إلى أصدقائك الأكثر خصوصية حينئذ، فإنّ لديّ دليلاً كافياً على سلامة طويّتك نحوي. وإنّني متأكّد من طبيعة صراحتك وتهيّبك عن الإحجام كونك متأكّداً من نفسك، وتعزّز التأكيد بحديثك الأخير. حسناً إذن فإنّ

الاستدلال في الحالة الحاضرة يكون بوضوح، هو أنّك إذا اتفقت معي في المحاورة بشأن أيّة نقطة رئيسيّة، فهذه النقطة سنكون قد اختبرناها كفاية، ولا حاجة لإخضاعها لأيّ امتحان أبعد. لأنّه لا يمكن أن يكون باستطاعتك الاتفاق معي، لا من قلّة المعرفة ولا من فائض الحشمة، ولا مع ذلك في رغبة منك لأن تخدعني، لأنّك صديقي، كما تخبرني أنت بنفسك. ولذلك فعندما أتفق وإيّاك، فالنتيجة ستكون نيل الحقيقة الكاملة. وبعدُ، لا يوجد أيّ تساؤل أنبل، يا كاليكلس، من ذلك الذي تنتقدني لفعله، ـ ماذا يجب أن تكون أخلاقيّة الإنسان، وما هي مساعيه، وإلى أيّ بُعدٍ عليه أن يذهب فيها، في سِني الشباب والنضج كليهما؟ ولتكن متأكداً من أنني إذا أخطأت في تصرّفي الخاصّ فلا أخطىء عمداً، بل من الجهل. لا تنفك عن إنذاري عندئذ، بما أنك قد بدأت الآن، حتى أكون قد تعلّمت ما هو هذا الذي عليّ التدرّب عليه بوضوح، وكيف يمكنني أن أناله. وإذا وجدتني راضياً بكلماتك، وغير فاعل ذلك الذي قبلت به فيما بعد، أخضعني وكأنّي غبيّ مطلق، ولا تنصح المخلوق الذي لا قيمة له أبداً مرّة ثانية. أخبرني إذن ثانية، ماذا تعني أنت وبيندار بالعدل الطبيعي: ألا تعنيان أنّ الأقوى يجب أن يستولي على أملاك الأدنى بالقوّة، وأنّ الأفضل يجب أن يحكم الأردأ، وأن يمتلك النبيل أكثر من الحقير؟ هل تتصور العدل خلافاً لذلك، أو أنّني محقّ في تذكّري؟

كاليكلس: نعم؛ ذلك ما قلت، وما زلت أجزم به.

سقراط: وهل تعني بالأفضل وكأنّه الأسمى نفسه؟ لأنّني لم أستطع تفسير ما قلته ذلك الوقت ـ ما إذا عنيت بالأسمى الأقوى. وأنّ الأضعف عليه أن يطيع الأقوى. وأبنتَ كي تضمّن ذلك عندما قلت إنّ المدن الكبيرة تهاجم الصغيرة تطابقاً مع الحقّ الطبيعي، لأنها أفضل وأقوى، كأن الأسمى والأقوى

والأفضل هم أنفسهم؛ أو ما إذا يمكن أن يكون الأدنى الأضعف أيضاً، والأسمى الأردأ. أو سواءٌ أحُدِّدَ الأفضل بالطريقة عينها كما يُحدَّد الأسمى: ـ هذه هي النقطة الرئيسيّة التي أريدها أن تتوضَّح. أيكون الأسمى والأفضل والأقوى متشابهين أو مختلفين؟

كاليكلس: أقول بصراحة إنّهم متشابهون.

سقراط: تكون الكثرة بالطبيعة إذن أسمى من الواحد، ضدّ من يسنّون القوانين، كما كنت قائلا؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: إنّ قوانين الأكثرية هي قوانين الأسمى إذن؟

كاليكلس: حقيقي تماماً.

سقراط: فهي قوانين الأفضل آنئذ؛ لأنّ النّوع الأسمى هو أفضل ببعيد، كما قلت؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وبما أنّه الأسمى، فإنّ القوانين التي يسنُّها هي الصالحة بالطبيعة؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: أوليست الكثرة من الرأي، كما قلت مؤخّراً، هي ما يؤكد أنّ العدل هو المساواة، وأنّ فعلك الظلم هو أكثر خزياً من معاناتك له؟ ـ أيكون هذا أو لا يكون؟ أجبني، يا كاليكلس، ولا تستسلم لهجوم الخجل. هل تعتقد الكثرة بذلك أم لا؟ ـ عليّ أن أستعطفك لتجيبني، كي أتمكّن من تحصين نفسي بموافقة حاذق كهذا إذا ما وافقتني.

كاليكلس: نعم؛ إنّ رأي الأكثرية هو ما تقول.

سقراط: لا يؤكّد الاصطلاح فقط إذن بل تؤكّده الطبيعة أيضاً وهو أن فعل الظّلم أكثر عاراً من مقاساته، وأنّ العدل هو المساواة؛ وهكذا تظهر أنّك قد أخطأت في تأكيدك السابق، عندما اتهمتني وقلت إنّ الطبيعة والاصطلاح

هما متضادان، وأنّني، عارفاً بهذا، كنت لاعباً ثابتاً ومسيئاً بهما، ألجأ إلى الاصطلاح عندما تكون المحاورة في الطبيعة، وإلى الطبيعة عندما تكون المحاورة في الاصطلاح؟

كاليكلس: هذا الرجل لن ينفك عن التكلم بالسفاسف. ألا تستحِ، في سنّك، يا سقراط، الإمساك عن الكلمات وعن الضّحك بالسرّ على بعض الهفوات الشفهيّة؟ ألا ترى أنّني أعني بالأسمى الأفضل: ألم أستمرّ قائلاً لك إنّ الأفضل والأسمى هما متماثلان في وجهة نظري؟ هل تتصوّر أنّني أقول، إنّه إذا ما اجتمع معاً، العبيد الرّعاع والأشخاص الصعب وصفهم، الذين لا يصلحون لأيّ نفع، ما عدا، لربّما، قوتهم الجسديّة، فهل تتصوّر أنّني أقول، إنّه بالحرف الواحد يكون اجتماعهم قوانين؟

سقراط: يا للعجب! أهذا هو خطُّك، يا صديقي وفيلسوفي؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: إنّني بدأت أشكّ لبعض وقت مضى، يا صديقي الصالح، أنّك استعملت كلمة (أسمى) في ذلك النّوع من المعنى؛ وإذا سألتك مرّة ثانية، فما ذلك إلاّ لأنّني قلق لأعرف ماذا تعني بها بالتأكيد. أنت لا تعتقد بالتأكيد أنّ رجلين اثنين أفضل من واحد، أو أنّ عبيدك أفضل منك لأنّهم أقوى؟ إبدأ مرّة ثانية، من فضلك، وأخبرني من هو الأفضل، وإذا لم يكن الأقوى؛ وسأسألك، يا سيّدي العظيم، أن تكون ألطف في تعليمك قليلاً، أو أنّني سأضطر إلى مغادرة مدرستك.

كاليكلس: إنّك تهكّميّ.

سقراط: لا، وحق البطل زيثوس، يا كاليكلس، وحق الذي بمساعدته قد تفوّهت بكلمات تهكميّة عديدة ضدّي منذ برهة، ولست أنا الذي فعلت ذلك: ـ أخبرني، من تعني بالأفضل إذن؟

كاليكلس: أعني الأكثر امتيازاً.

سقراط: ألا ترى بأنّك أنت نفسك تستعمل كلمات فارغة، ولا تشرح شيئاً؟ ـ هل ستخبرني ما إذا كنت تعني بالأفضل والأسمى الأعقل. وإلاّ، فمن تعني؟

كاليكلس: أعني الأعقل، بالتأكيد الأكثر.

سقراط: يمكن لإنسان واحد عاقل عندئذ، أن يكون أسمى من عشرة آلاف غبي طبقاً لك، ولذلك يجب أن يحكمهم، وعليهم أن يكونوا رعاياه، وأن يمتلك أكثر ممّا يمتلكون. هذا هو ما أعتقد أنك عنيت (وعليك أن لا تفترض أنّني ملتقط كلمات)، إذا سمحت للواحد أن يكون أسمى من عشرة آلاف؟

كاليكلس: نعم؛ ذلك ما عنيت، وذلك هو ما أتصوّر أنّه العدل الطبيعي. إن الأفضل والأعقل يجب أن يحكما ويملكا أكثر من الأدنى.

سقراط: قف هناك، ودعني أسألك ماذا ستقول في هذه الحالة: دعنا نفترض أنّنا نكون كلّنا معاً كما نحن الآن؛ يوجد العديد منا، وأنّ لدينا مخزناً عاماً كبيراً للّحم والشراب، وهناك كل أنواع الأشخاص في رفقتنا يمتلكون درجات متنوعة من القوة والضعف، وأنّ واحداً منا هو أعقل في مسائل الغذاء من كل الباقين، كونه طبيباً، وربما يكون أقوى من البعض وليس هكذا قوياً كالغير منا ـ ألن يكون هو كذلك، أعني الأفضل منّا نحن أيضاً، كونه الأعقل، وأسمى منّا في مسألة الغذاء هذه؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: هل سيكون لديه هو عندئذ حصّة من اللحم أكثر من بقيتنا، لأنّه الأفضل؟ أو، أنّه سيمتنع عن إنفاقها أو استعمال حصّة غير مناسبة منها لشخصه الخاص، بما أن لديه أمر توزيعها جميعاً نظراً لسلطته؟ إنّه سيمتنع عن ذلك تحت طائلة العقوبة، ويكون قانعاً في أنّ حصّته سوف تتجاوز تلك التي للبعض وأقلّ من حصة للآخرين، وأنّه إذا ما كان هو أضعف الكلّ،

فهو كونه أفضل الكلّ، يجب أن يمتلك الحصة الأصغر من الجميع، يا كاليكلس: ـ أليس هذا هو السؤال، يا صديقي؟

كاليكلس: أنت تتكلم عن اللّحم والشراب والأطبّاء والسفاسف الأخرى؛ إنني لا أتكلم عنها.

سقراط: حسناً، لكن هل تعترف أنّ العاقل هو الأفضل؟ أجبني بـ(نعم) أو (لا).

كاليكلس: نعم.

سقراط: أوَ لاَ يجب أن يمتلك الأفضل حصّة أكبر؟

كاليكلس: ليس من اللحم والشراب.

سقراط: أفهم. لربّما يمتلك من المعاطف إذن ـ على حائك المعاطف الأحذق أن يكون لديه أوسع معطف، وأكبر عدد منها، وأن يتجوّل في أفضلها وأحلاها؟

كاليكلس: كلام فارغ عن المعاطف.

سقراط: إذن بوضوح فالأحذق والأحسن في صناعة الأحذية، يجب أن يمتلك الأحسن من الأحذية؛ ولسوف يسير حيث يشاء وهو ينتعل الأوسع منها، وأن يحوز أكبر عدد منها؟

كاليكلس: هَلْسٌ عن الأحذية! بأيّة سفاسف تستمرّ متكلماً!

سقراط: أو، إذا لم يكن هذا معناك، لربّما ستقول إن الفلاّح العاقل والماهر والحقيقي عليه أن يحوز بالحقيقة الحصة الأكبر من البذار، وأن يكون لديه أكبر قدر منه لزرع أرضه؟

كاليكلس: كيف تستمرّ في التكلّم بالطريقة عينها دائماً، يا سقراط!

سقراط: نعم، يا كاليكلس، وعن الأشياء عينها أيضاً.

كاليكلس: نعم، تعرف السماء! أنت تتكلّم دائماً عن الأساكفة وقصّاري الأقمشة والطبّاخين والأطبّاء، كأنّ لهم ما يعملونه في محاورتنا.

سقراط: لكن لماذا لا تخبرني في ماذا يجب أن يكون الإنسان أسمى وأعقل كي يتمكن من امتلاك حصّة أكبر بعدل؛ أنت لا تقبل الاقتراح، ولا تقدّم اقتراحاً؟

كاليكلس: إنّني أخبرتك مسبقاً، أعني بالأسمى، في المقام الأوّل، ليس الأساكفة أو الطباخين بل الحكماء السياسيون الذين يفهمون إدارة الدولة، والذين ليسوا حكماء فقط، بل صناديد أيضاً وقادرون على أن ينفّذوا تصاميمهم، وليسوا بأولئك الرجال الذين يعتريهم الوَهَن من افتقارهم للعزم.

سقراط: أترى الآن، يا كاليكلس الأكثر امتيازاً، كيف يكون اتّهامي لك مختلفاً عن اتهامك الذي ترميني به. أنت تلومني بأنّني أقول الشيء عينه دائماً؛ لكنّني ألومك لعدم قولك الشيء عينه أبداً عن الأشياء عينها، لأنّك عرّفت الأفضل والأسمى على أنّه الأقوى مرّة، ومن ثمّ الأعقل مرّة ثانية، والآن تقدّم نظرية جديدة. فلقد أعلنت أن الأسمى والأفضل هو الأكثر شجاعة. أرغب أن تخبرني، يا صديقي الصالح، مرّة وتختصر الجميع، مَنْ تؤكّد أنّه الأفضل والأسمى، وفي ماذا يكونان الأفضل؟

كاليكلس: لقد أخبرتك مسبقاً أنّني أعني أولئك العقلاء والشجعان في إدارة الدّول. ويقضي العدل بأن يمتلكوا أكثر من رعاياهم.

سقراط: لكن يا صديقي، ماذا عن أنفسهم؟ هل هم حكماء أو رعايا في مفهوم خاص؟

كاليكلس: ماذا تعني؟

سقراط: أعني أنّ كل إنسان هو حاكم نفسه الخاصّ؛ لكن لربّما تعتقد أنت أنّه لا حاجة له ليحكم نفسه؛ بل هو مُحتاجٌ له ليحكم الآخرين فقط؟

كاليكلس: ماذا تعني « بحاكم نفسه »؟

سقراط: شيء بسيط بما فيه الكفاية؛ تماماً كما يقال بشكل عامّ، إنّ الإنسان عليه أن يكون معتدلاً وسيّد نفسه، وحاكم ملذّاته وشهواته الخاصّة.

كاليكلس: ما هذه البراءة! أأنت تعرّف الاعتدال بالغباوة!

سقراط: لا: ـ يستطيع أيّ شخص أن يرى أنّ ذلك ليس ما أعنيه.

كاليكلس: نعم، إنّه يكون حقّاً؛ إذ كيف يستطيع أيّ إنسان خادمٌ لشيء ما أن يكون سعيداً؟ بل على العكس من ذلك، أنا أؤكد بوضوح أنّ من سيعيش بحقّ عليه أن يسمح لرغباته أن تكبر إلى منتهاها، وأن لا يؤدّيها. لكنّها عندما تنمو إلى أقصى مدى فعليه أن يمتلك الشجاعة والذكاء لأن يمدّها بكل شيء وأن يرضي كل ما تشتاق له. هذا ما أؤكد أنّه هو العدل الطبيعيّ والنّبل، ولا يستطيع العديد، على كل حال، أنّ يبلغوا إلى هذا؛ وهم يلومون الرجل القويّ لأنّهم يستحون بضعفهم الخاص الذي يرغبون إخفاءه، ومن هنا يقولون إنّ الإفراط دنيء. وكما كنت قد أشرت مسبقاً، فهم يذلّون الطبائع الأنبل، وبما أنهم عاجزون عن الوصول إلى إشباع كامل لملذّاتهم، يثنون على الاعتدال والعدل بسبب ما يعتريهم من جبن. فإذا ما كان رجل إبناً للملكِ في الأصل، أو كانت لديه الطبيعة القادرة على كسب امبراطورية أو دولة استبداديّة أو مملكة، فأيّ شيء يمكن أن يكون أكثر حقارة أو شرّاً من الاعتدال والعدل ـ أقول، لرجل مثله، يمكنه أن يتمتع بكلّ الخيرات وبحريّة، ولا يوجد أيّ رجل كي يقف في طريقه ويمنعه من ذلك، ومع ذلك فلقد اعترف هو بنفسه أن الاصطلاح والمبرّر واستهجان الرجال الآخرين أنّها الأسياد عليه؟ ـ ألاَ يجب أن تجلب له تلك النزوات الجميلة للعدل والاعتدال ورطة تعيسة، عندما لا يقدر أن يحابي خواصّ أصدقائه على أعدائه حتّى إذا كان حاكما في مدينته؟ لا، يا سقراط، أنت تصرّح أنك نذير للحقيقة، والحقيقة هي كالتالي: ـ إنّ الترف والإفراط وملء الشهوات، إذا ما تجهزت بالوسائل، فهي الفضيلة والسعادة ـ وكل ما تبقّى فما هي إلاّ مجرّد ألعاب صبيانيّة، اتفاقات مناقضة للطبيعة، كلام غبي للرجال، ولا تساوي شيئاً[٢٢].

سقراط: هناك حريّة نبيلة، يا كاليكلس، في طريقة اقترابك من المحاورة؛ إنّك تعلن الآن على الملأ ما يعتقد به العالم الباقي، لكنك لا تحب أن تقوله، وعليّ أن أستعطفك كي تثابر وتواصل الحوار، ذلك كي يمكن أن يكون حكم حياة الإنسان الحقيقي بيّناً. أخبرني، عندئذ: ـ تقول أنت، أليس كذلك، إنّ الشهوات يجب أن تُضبَطَ في الإنسان المحسِّن بحق، لكن علينا أن ندعها تنمو إلى أقصى مدى وأن نشبعها بطريقة أو بأخرى، وأنّ هذه هي الفضيلة؟

كاليكلس: نعم؛ إنّني أفعل.

سقراط: إذن فأولئك الذين لا يريدون شيئاً لا يقال إنّهم سعداء بحقّ؟

كاليكلس: لا، حقّاً، لأنّ الأحجار والرجال الميتين سيكونون أسعد الجميع عندئذٍ.

سقراط: غير أنّ الحياة تصبح بحقّ شيئاً رهيباً طبقاً لنظريتك؛ وأعتقد حقاً أنّ يوريبايدس يمكن أن يكون محقّاً فيما يقول: « من يعرف إذا ما كان الموت حياةً والحياة موتاً؟ » ولربّما نحن موتى بحقّ. لقد سمعت فيلسوفاً يقول إنّنا موتى حقيقةً في هذه اللحظة. وأنّ الجسم هو قبرنا(٢٣) وأنّ القسم من الروح الذي هو مقرّ الرغبات مُعرّض لأن يُقذف بالكلمات ويُرهقُ صعوداً ونزولاً؛ ولقد اخترع شخص ذكيّ ما، ولربّما كان من إيطاليا أو صقليّة وممن يلعبون بالكلمة، اخترع كناية أسماها الروح ـ بسبب طبيعتها السّاذجة والسريعة التأثّر ـ أسماها وِعاءً، وأسمى الجاهل بغير المطّلع وغير الناضج، وقارن مكان الجاهل في الأرواح الذي تستقرّ فيه الرغبات، كونه الجزء المفرط وغير القانع، قارنه بوعاء مليءٍ بالثقوب، لأنّه لا يستطيع أن يشبع أبداً. إنّه يخالفك في طريقة التفكير، يا كاليكلس، فهو يعلن أنّ من بين كل الأرواح في مثوى الأموات، يعني العالم غير المرئي. يعلن أنّ هؤلاء الأشخاص المبتدئين أو الناضحين هم الأكثر شقاء، وأنّهم يجلبون الماء إلى القارب،

الممتلىء بالثقوب، يجلبونه في مصفاةٍ مخرّمّة بالمثل. أما المصفاة كما أكّد لي مُخبِّري، فهي الروح، ولقد قارن هو روح الجاهل بمصفاة لأنّها ملآنة بالثقوب، أما كونها شهوانيّة فذلك ناشىء عن الذاكرة السيّئة وعوز الإيمان. إنّ هذه التصورات غريبة بما فيه الكفاية، لكنّها تبيّن المبدأ الذي سأحاول جاهداً برهنته لك، إذا ما استطعت؛ وذلك كي تغيِّر تفكيرك، وتختار الحياة المنظّمة وتكفي نفسها بما تمتلكه لحاجاتها اليوميّة، بدلاً من حياة الإفراط والشره. هل تركت كلماتي أيّ انطباع عليك، وهل أنت ستقبل بالرّأي القائل إنّ الحياة المنظّمة هي أسعد من المفرطة والشرهة؟ أو أنّني أخفقت في إقناعك؟ وهل تصرّ على رأيك نفسه، مهما كانت الرموز العديدة ذات المغزى التي أتلوها عليك؟

كاليكلس: كلامك الأخير، يا سقراط، أكثر شبهاً بالحقيقة.

سقراط: حسناً، سأخبرك عن صورة أخرى أتت من المدرسة عينها: ـ دعني ألتمس منك أن تتأمل ملياً إلى أيّ بعد ستقبل هذا كحساب عن حيوات المتدلين والمسرفين في شكل كهذا. ثمّة رجلان، وكلاهما لديه عدة براميل خشبيّة؛ الرجل الأول براميله سليمة وملآنة، أحدها متلىء نبيذاً، الآخر عسلاً، الثالث حليباً، بجانب براميل متعددة ممتلئة بسوائل أخرى، وتكون الجداول التي تملأها قليلة وشحيحة، أمّا هو فيستطيع الحصول عليها ملآنة بمقدار كبير من العناء والصعوبة. لكنّه عندما تمتلىء براميله لمرّة واحدة فلا تمتلكه حاجة لملئها بأكثر من ذلك، وليس لديه مشاكل أبعد من تلك بشأنها أو أن يعتني بها. أمّا الرجل الآخر، فيمكنه الحصول على جداول، بطريقة مماثلة، وليس بدون صعوبة مع ذلك، لكنّ براميله ناضحة وغير سليمة، ولذلك فهو مُجبر على ملئها ليل نهار، وإذا توقّف للحظة، فإنّه لفي كرب وألم شديدين. هكذا تكون حياتهما الخاصة بهما: ـ وبعدُ، فهل ستقول إنّ حياة المفرط أسعد من

حياة المعتدل؟ هل قرّبتك كلماتي إلى التوافق والاتفاق من أنّ حياة المعتدل أفضل، أمْ أنّها لم تَفِ بالغرض؟

كاليكلس: إنها لم تفِ بالغرض، يا سقراط، إنّ الرجل الذي ملأ نفسه ما عادت لديه أيّة لذّة بعد الآن؛ وهذا ما قلته منذ فترة. إنّ حياته كالحجر، لأنّه لا يمتلك الفرح ولا الحزن بعد امتلائه. لكن لذّة العيش تتوقف على الحصول على التدفق الأكبر المستطاع.

سقراط: لكنّك أكثر ما تصبّ، فالتدفق أكثر؛ ويجب أن تكون الثقوب واسعة كي يتسرّب السائل.

كاليكلس: بدون ريب.

سقراط: إنّ الحياة التي تصفها الآن ليست حياةً للرجل الميت، أو للحجر، بل للكاسر وغراب البحر. هل تعني شيئاً ما كهذا، إنّ الرجل عليه أن يجوع، وعندما يجوع عليه أن يأكل؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وعليه أن يعطش، وعندما يعطش عليه أن يشرب؟

كاليكلس: نعم، ذلك ما أعنيه؛ عليه أن يحوز على الرغبات جميعها، وأن يتمكّن من إشباعها، ويفعل هكذا، ويعيش في إرضائها بغبطة وسعادة.

سقراط: نفيس، ممتاز؛ استمرّ كما ابتدأت، ولا تستحِ؛ أنا عليّ أن أتخلّص من الحياء أيضاً. وهل ستخبرني قبل كلّ شيء، ما إذا كانت الحياة السعيدة تتضمّن امتلاك الحِكّة، ورغبة في الحكّ، وفرصة للحكّ غير محدُودة، وأن تمضي كل وقتك في هذه المهنة؟

كاليكلس: أيّ مخلوق غريب أنت، يا سقراط! إنك خطيب غوغائي مُنظّم.

سقراط: أهكذا أخفت بولس وجورجياس، وقدتهما إلى الحياة؟ غير أنك لن تستحي ولن تكون مُكرّساً، لأنّك رجل شجاع، والآن، أجب على سؤالي.

كاليكلس: أجيبك، أنه حتّى الذي سيحكّ سيعيش بسرور.

سقراط: وإنْ بسرور، فبسعادة أيضاً عندئذ؟

كاليكلس: لتكن متأكداً.

سقراط: وإذا ما اقتصر الحكّ على الرأس هل سأتابع السؤال(٢٤)؟ وأريدك أن تتأمّل ملياً هنا، يا كاليكلس، كيف ستجيب إذا ما ضغطت عليك عواقبه، وبخاصة إذا سئلت في المرجع الأخير، ما إذا كانت حياة المأبونين مرعبة، دنسة، مريعة؟ أو أنك ستجازف وتقول إنّهم سعداء أيضاً، إذا ما حصلوا على فيض ممّا يريدون فقط؟

كاليكلس: ألا تستحي، يا سقراط، من إدخال مواضيع كهذه في المحاورة؟

سقراط: حسناً، يا صديقي الفاخر، هل أنا أدخلت هذه المواضيع، أم الذي قال بدون أيّة لياقة إنّ كل الذين يحسّون اللذة وبأيّة طريقة، هم سعداء؟ وسأبقى أسألك ما إذا كنت تقول إنّ اللذة والخير هما الشيء عينه، أو إذا كانت هناك لذّة ليست خيراً

كاليكلس: حسناً إذن، أقول إنّهما الشيء عينه، بقصد الاستقامة.

سقراط: إنّك تخرق الاتفاق الأصلي، يا كاليكلس، ولن تكون بعد الآن رفيقاً أقبل به في البحث عن الحقيقة، إذا قلت ما هو مناقض لرأيك الحقيقي.

كاليكلس: لماذا، هذا ما تفعله أنت أيضاً، يا سقراط.

سقراط: إنّ كلانا يفعل الخطأ إذن. يبقى، يا صديقي العزيز، أنّني أحبّ أن أسألك كي تتأمّل ملياً إذا ما كانت اللذة، من أيّ مصدر انبثقت، هي الخير. فإذا كانت هذه حقيقة، فيجب أن تلي العواقب العديدة المخجلة التي قد أُوعِزَ لها بظلام، وكذلك ستلي عواقب أخرى متعدّدة.

كاليكلس: إنّ ذلك رأيك فقط، يا سقراط.

سقراط: وهل تتمسك أنت، يا كاليكلس، بجدية بما تقول؟

كاليكلس: إنّني أفعل حقّاً.

سقراط: هل سنتقدم في المحاورة إذنْ، بضمانة أنّك جادّ فيما تقول؟

كاليكلس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: حسناً، إذا رغبت في التقدّم، حدِّد سؤالي هذا ـ إفترض، أنّه يوجد شيء ما، هو الذي تسمّيه معرفة؟

كاليكلس: يوجد ذلك.

سقراط: أو لم تقل لتوّك، أنّه يوجد هكذا شيء كالشجاعة المترافقة مع المعرفة.

كاليكلس: قلت هذا.

سقراط: وتكلمت عن الشجاعة والمعرفة وكأنّهما شيئان مختلفان بعضهما عن بعض؟

كاليكلس: تكلّمت بكلّ تأكيد.

سقراط: وهل تقول إنّ اللذّة والمعرفة هما الشيء عينه، أو مختلفتان؟

كاليكلس: إنّهما مختلفتان، أوه يا رجل الحكمة.

سقراط: وهل تقول إنّ الشجاعة اختلفت عن اللذّة؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: حسناً، إذن، دعنا نتذكّر أن كاليكلس الأكارنيان يقول إنّ اللذّة والخير هما الشيء عينه؛ لكنّ المعرفة والشجاعة ليستا الشيء عينه، لا مع بعضهما بعضاً ولا مع الخير؟

كاليكلس: وماذا يقول صديقنا سقراط من فوكستون؟ هل يُسلِّم بهذا، أوْ لاَ؟

سقراط: لا يسلِّم؛ وكذلك يفعل كاليكلس، عندما يراقب نفسه بصدق. أفترض، أنّك ستعترف أنّ الحظّ السعيد والنحس يُضادّ بعضهما بعضاً؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وإذا كانا مضادّين بعضهما لبعض، فإنَّ أحدهما يستثني الآخر حينئذ،

كالصحّة والمرض؛ ولا يستطيع الإنسان امتلاكهما كليهما، أو التخلص منهما، في الوقت عينه؟

كاليكلس: ماذا تعني؟

سقراط: خذ حالة أيّة علّة جسديّة. يمكن أن يشتكي الإنسان من ألم في عينه يُدعى رمداً؟

كاليكلس: لتكن متأكّداً.

سقراط: لكنّه عندها لا يستطيع أن يمتلك العينين كلتيهماصحيحتين وسليمتين في الوقت عينه بالتأكيد؟

كاليكلس: لا بالتأكيد.

سقراط: ستكون تلك عجيبة ومضحكة بدون ريب؟

كاليكلس: ستكون للغاية.

سقراط: إنّني أفترض أنّه امتلكهما وتخلّص منهما بالدور؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وأنّهمَا الشيء عينه مع القوّة والضعف؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: أو مع السرعة والبطء؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: أوَلاً يمتلك هو الخير والسعادة، وضدّهما الشرّ والشقاء، في تغيير مماثل؟(٢٥)

كاليكلس: إنّه يمتلكها بدون ريب.

سقراط: إذا وجدنا عندئذ الشيء الذي يحوزه الإنسان ولا يحوزه في الوقت عينه، ألا يمكن أن يكون ذلك شرّاً أو خيراً بوضوح؟ هل اتفقنا؟ لا تجبني بدون تأمّل من فضلك.

كاليكلس: أوافق بالكليّة.

سقراط: عُدِ الآن إلى ما قبلناه سابقاً: ـ هل قلت إنّك جعت، أعني حالة الجوع المجرّدة، كانت سارّة أو مؤلمة؟

كاليكلس: قلت إنّها مؤلمة، لكنْ إذا أكلت عندما تجوع فإنّها لسارّة؟

سقراط: إنّني أعرف؛ يبقى أنّ الجوع الحقيقيّ يكون مؤلماً؛ ألست محقّاً؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: والعطش مؤلم أيضاً؟

كاليكلس: نعم، للغاية.

سقراط: أأحتاج إلى إيراد أيّة دلائل أكثر، أو أنّك ستوافق على أنّ كل الحاجات أو الرغبات تكون مؤلمة؟

كاليكلس: إنّني أوافق، ولذلك فأنت لا تحتاج إلى تقديم أمثلة أكثر.

سقراط: جيّد جداً، وستعترف كذلك، أنّك عندما تعطش وتشرب، فتلك مسرّة؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وكلمة (عطشان) في الجملة التي تفوهت بها لتوّك، تدل على الألم؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وتعبّر كلمة (شارب) عن اللذّة، وعن إشباع الحاجة؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وتكمن اللذّة في فعل الشرب؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: عندما تكون عطشان؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وفي الألم؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: هل ترى الاستنتاج: ـ أنّ اللذة والألم حادثان في وقت واحد، عندما تقول إنّك عطشان، وتشرب؟ أو لا تكونان متزامنتين، ألا يؤثّران على الجزء عينه في الوقت عينه؛ سواء أوقع التأثير على الروح أو الجسم؟ ـ أمّا أيٌّ منهما يكون متأثّراً فلا يمكن افتراضه أنّه بذي أيّة عاقبة. أليس ذلك حقاً؟

كاليكلس: إنّه لحقّ.

سقراط: تقول أيضاً إنّه ليس باستطاعة الإنسان أن يمتلك حظّاً سعيداً ونحساً في الوقت عينه؟

كاليكلس: نعم. إنّني أفعل.

سقراط: لكنّك اعترفت أنّه عندما يكون الإنسان في الألم يمكنه أن يحوز اللذّة أيضاً؟

كاليكلس: بوضوح.

سقراط: ليست اللذّة الشيء عينه كالحظّ السعيد إذن، وليس الألم الشيء عينه كالحظّ المشؤوم، ولذلك ليس الخير الشيء عينه كالسّارّ؟

كاليكلس: إنني أرغب بمعرفة ما تعنيه مُماحكتك، يا سقراط؟

سقراط: أنت تعرف، يا كاليكلس، لكنّك، تتظاهر أنّك لا تعرف. تقدّم، مع ذلك، وستعرف حينئذ أيّ صوفيٍّ تكون أنت في عِظَتك لي. ألا ينقطع الإنسان في أن يكون عطشان ومن لذّة الشرب عندما يشرب في الوقت عينه؟

كاليكلس: لا أفهم ما أنت قائل.

جورجياس: لا، يا كاليكلس، لو لأجل خاطرنا فقط؛ فنحن سنحبّ أن نسمع نتيجة المحاورة.

كاليكلس: نعم، يا جورجياس، لكنّ سقراط هو هكذا على الدوام؛ إنّه يستمرّ في طرح أسئلة بَخْسَة وتافهة ويحاور.

جورجياس: ماذا يهمّ؟ إنّ ذلك ليس شأنك، يا كاليكلس، لتقدّر قيمتها. دع سقراط يحاور بأسلوبه الخاص.

كاليكلس: حسناً إذن، يا سقراط، إطرح هذه الأسئلة التافهة، ما دام جورجياس يرغب سماعها.

سقراط: أغبطك، يا كاليكلس، لأنّك قد اطّلعت على الأسرار العظيمة قبل أن تطّلع على الأسرار الأقلّ شأناً. إنّني اعتقدت أنّ هذا لم يكن مسموحاً به. لكن إبتدىء الآن بالإجابة حيث توقفت. ألاَ يتوقّف الإنسان عن العطش، وعن الحصول على لذّة الشرب، في اللحظة عينها؟

كاليكلس: حقاً.

سقراط: وإذا جاع الإنسان، أو تملكته أيّة رغبة أخرى، ألا ينقطع عن الرغبة واللذّة في اللحظة عينها؟

كاليكلس: حقيقيّ للغاية.

سقراط: إنّه ينقطع عن الألم واللذّة في اللحظة عينها إذن؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: لكنّه لا ينقطع عن الخير والشرّ في اللحظة عينها، كما اعترفت. هل أنت مُصِرٌّ على التَمَسُّكِ بما قلت؟

كاليكلس: نعم، إنّني فاعل؛ لكن ما هو الإستنتاج؟

سقراط: لماذا، يا صديقي، الاستنتاج هو أنّ الخير لا يكون الشيء عينه كالسّارّ، أو الشرّ الشيء عينه كالمؤلم. هناك انقطاع عن اللذّة والألم في اللحظة عينها. لكن ذلك لا ينطبق على الخير والشرّ، لأنّهما مختلفان. كيف تستطيع اللذّة أن تكون الشيء عينه كالخير، أو يكون الألم كالشرّ؟ وأريدك أن تنظر إلى المسألة من وجهة نظر أخرى، أعتقد أنّها مغايرة لرأيك الخاصّ بشكل مماثل: أليس الأخيار أخياراً لأنّهم يمتلكون حضوراً للخير فيهم، كما يكون الجميلون أولئك الذين يمتلكون حضوراً للجمال فيهم؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وهل تسمّي الأغبياء والجبناء رجالاً أخياراً؟ لأنّك قلت لتوّك الآن إنّ الشجعان والعقلاء هم الأخيار ـ ألن تقول هكذا؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: أوَ لَم ترَ أبداً طفلاً غبيّاً فرحاً؟

كاليكلس: نعم، إنّني رأيت.

سقراط: ورجلاً غبيّاً أيضاً؟

كاليكلس: إفترض هكذا؛ لكنْ إلامَ تهدف؟

سقراط: لا لشيء خاصّ، إذا كنت ستجيب فقط.

كاليكلس: نعم، إنّني فعلت.

سقراط: أو لَم ترَ إنساناً مدركاً جذلاً أو محزوناً قطّ؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: أيّهما الأكثر فرحاً أو حزناً: العاقل أو الغبيّ؟

كاليكلس: أعتقد أنّهما على قدم المساواة، في ذلك الخصوص.

سقراط: كفاية. أو لم ترَ الجبان في معركة أبداً.

كاليكلس: تأكّد من ذلك.

سقراط: وأيّهما يفرح لمغادرة العدوّ أرض المعركة أكثر: الجبان أو الشجاع؟

كاليكلس: عليّ أن أقول، إنهما كليهما متشابهان: أو هكذا تقريباً على الأقلّ.

سقراط: لا عليك؛ يفرح الجبان إذن، وليس الشجاع فقط؟

كاليكلس: بدرجة كبيرة.

سقراط: ويظهر أنّ الغبيّ يفعل ذلك؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وهل يتألم الجبناء عند اقتراب عدوّهم، أو أنّ الشجعان يتألّمون أيضاً؟

كاليكلس: كلاهما يتألّمان.

سقراط: وهل هما يتألّمان بشكل متساوٍ؟

كاليكلس: عليّ أن أتصوّر أنّ الجبناء أكثر تألّماً.

سقراط: أولاً يُسرّان أكثر عند مغادرة الأعداء؟

كاليكلس: أجرؤ على القول.

سقراط: أيكون الأغبياء والعقلاء والجبناء والشجعان كُلُّهم مسرورين ومتألمين، كما قلت، وفي درجة متساوية تقريباً؛ أو يكون الجبناء أكثر مسرّةً وألماً من الشجعان؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: لكنّ الشجعان والعقلاء هم أخيارٌ بالتأكيد، والأغبياء والجبناء هم الأشرار؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: يكون الأخيار والأشرار مسرورين ومتألّمين في درجة متساوية تقريباً عندئذ؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: أيكون الفريقان كلاهما أخياراً وأشراراً في درجة متساوية تقريباً حينئذ؟ أو أنّ لدى الأشرار ميزة للخير أكثر؟

كاليكلس: إنّني لا أعرف حقّاً ماذا تعني.

سقراط: لماذا، ألا تتذكّر قولك إنّ الأخيار كانوا أخياراً لأنّ الخير كان حاضراً فيهم، والأشرار كانوا كذلك بسبب حضور الشرّ؛ وأنّ الملذات كان خيّرة والآلام شريرة؟

كاليكلس: نعم، إنّني أتذكّر.

سقراط: أليست تلك اللذّات أو الخيرات حاضرة في أولئك الذي يبتهجون ـ إذا ابتهجوا؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: إذن أولئك الذين يفرحون يكونون أخياراً لأنّ الخيرات حاضرة فيهم؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وأولئك الذين يتألّمون يمتلكون الشرّ أو الحزن حاضراً فيهم؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وهل ستصرّ على القول بأنّ الشرّير يكون شرّيراً بسبب حضور الشرّ؟

كاليكلس: إنّني أفعل.

سقراط: إذن، إنّ أولئك الذين يفرحون يكونون أخياراً، وأولئك الذين يكونون في الألم أشراراً؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وتتنوّع درجات الخير والشرّ بدرجات اللذّة والألم؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: هل يمتلك الإنسان العاقل والغبيّ، الشجاع والجبان، الحبور والألم في درجات متساوية تقريباً؟ أو ستقول إنّ الجبان يمتلك أكثر؟

كاليكلس: إنني سأقول إنّه يمتلك.

سقراط: ساعدني إذن كي نخرج الإستنتاج الذي يتبع من تسليماتنا؛ لأنّه شيء جيّد أن نكرّر ونستعرض ما هو صالح مرتين وثلاثاً، كما يقولون. نحن نسمح للإنسان العاقل والشجاع في أن يكون الإنسان الخيّر؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وأن يكون الرجل الغبيّ والجبان والشرير؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: والذي يمتلك الفرح هو الخيّر؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: والذي يمتلك الألم هو الشرّير؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: الخيِّر والشرّير كلاهما يمتلكان الفرح والألم، لكن، لربّما، يمتلك الشرّير أكثر منهما؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: ألا يجب أن نستنتج آنئذ أنّ الرجل الشرير يكون كالخيِّر وشرّيراً كالخيِّر، أو حتّى أفضل؟ - ألا يكون استنتاجاً أبعد مع ما تقدّم من بحث بشكل متساوٍ، إنّه يتبع من التأكيد وهو أنّ الخيِّر والسارّ هما الشيء عينه - أيمكن تكذيب هذا، يا كاليكلس؟

كاليكلس: لقد استمعت لما تقول وقدّمت الاعترافات لك، يا سقراط؛ وألاحظ أنّ الشخص إذا منحك أيّ شيء في اللعب، فأنت، كالطفل، تريد الاحتفاظ به ولن تعيده له. لكن هل تفترض بحقّ أنّني أو أنّ أيّ إنسان آخر ينفي أن بعض اللذات تكون صالحة وأن الأخرى سيئة؟

سقراط: واحسرتاه، يا كاليكلس، كم أنت غير عادل! أنت تعاملني كما إذا كنت طفلاً بالتأكيد. تقول في وقت ما شيئاً، وتقول عكسه في وقت آخر، وذلك كي تضلّلني. ولقد فكّرت مع ذلك بادىء ذي بدء أنّك كنت صديقي، ولن تخدعني إذا ما قدرت على هذا. لكنّني أرى الآن أنّني كنت مخطئاً؛ وبعدُ افترض أنّني يجب أن أخلق الأفضل من العمل السّيىء، كما قالوا قديماً، وأن أستخلص ما أستطيع الحصول عليه منك - حسناً إذن، يمكنني الافتراض أنّ بعض اللذّات تكون صالحة والأخرى سيئة، كما أفهم مما تقوله.

كاليكلس: نعم.

سقراط: إنّ اللذّات الصالحة مربحة، والسّيئة ضارّة؟

كاليكلس: لتكن متأكّداً.

سقراط: وتكون المربحة تلك التي تفعل خيراً ما، والضارّة تلك التي تفعل شرّاً ما؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: تعني عندئذ بهكذا لذّات مثل اللذّات الجسديّة كالأكل والشرب، التي كنا قد ذكرناها لتوّنا - أنت تقول إنّها تلك التي تعزّز الصحّة، أو القوّة، أو أيّ امتياز جسمانيّ آخر. تقول إنّها صالحة، وإنّ السّيئة تلك اللذات ذات التأثيرات المضادّة؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: وهناك آلامٌ صالحة وآلامٌ سيئة بالطريقة عينها؟

كاليكلس: لتكن متأكداً.

سقراط: أولاً يجب أن نختار ونستعمل اللذّات والآلام الصالحة؟

كاليكلس: بدون ريب.

سقراط: لكنّنا لن نختار ونستعمل السّيئة؟

كاليكلس: بوضوح.

سقراط: لأنّك، إذا تذكرت، فلقد اتفقنا أنا وبولس أنّ كل الأعمال يجب أن تُفعل لغرض الخير. وهل ستتّفق معنا في القول إنّ الخير هو غاية كل أعمالنا، وإنّها يجب أن تتمّ كلها لغرض الخير، وليس الخير لغرضها؟ هل ستضيف صوتاً ثالثاً إلى صوتينا؟

كاليكلس: إنّني سأفعل.

سقراط: اللذّة إذن، مثل أيّ شيء آخر، تُنشَدُ لذلك الغرض الذي يكون خيراً، ولا يُطلب ذلك الذي يكون خيّراً بقصد اللذة؟

كاليكلس: لكن أيستطيع الإنسان أن ينتقي اللذّات التي تكون صالحة والتي تكون سيّئة، أو أنَّ عليه أن يمتلك معرفة خاصّة لكل حالة؟

كاليكلس: يجب أن يمتلك معرفة كهذه.

سقراط: دعني أُذكِّرك الآن بما قلته لجورجياس وبولس؛ قلت لهما، كما يمكن أنّك لم تنسَ ذلك، إنّ هناك بعض العمليّات التي لا تتخطى اللذّة وتنتج عدم

معرفتها بشيء من الأفضل والأسوأ فقط؛ بينما توجد العمليّات الأخرى التي تميّز بين ما هو خيِّر وما هو شرّير. وإنني اعتبرت ذلك طهواً، وهذا لا أسمّيه فنّاً بل حِذقاً عمليّاً فقط، وكان هذا من النوع السابق، الذي يختصّ باللذّة، بينما كان فنُّ الطبِّ من النوع الذي يختصّ بالخير. وبعدُ، يجب أن أستعطفك باسم الصداقة، يا كاليكلس أن لا تفكِّر بأنّك يجب أن تمازحني، ولا أن تجيبني اعتباطيّاً، وبما يناقض رأيك الحقيقيّ، ولا أن تحسب ما أقوله وكأنّه دُعابَة مرّة ثانية؛ لأنّك ستراقِب أنّنا نتحاور بشأن طريقة الحياة الإنسانيّة، وأيّ سؤال يمكن أن يكون أكثر خطورة من هذا، الإنسان يمتلك أيّ إدراك على الإطلاق؟ ـ ما إذا كان سيقتفي أثر نمط ذلك الطريق للحياة الذي تحثّني على سلوكه، ويفعل ما تدعوه الجزء الرّجوليّ بشأن التكلّم في الجمعية العموميّة، ومتعهّداً لعلم الكلام، منغمساً في الشؤون العامة، على نمط الطُّرق الشائعة الآن؛ أو إذا ما كان سيتبّع الحياة الفلسفيّة؛ ـ وبماذا يختلف الطريق الأخير من الطريق السّالف. لكن لربّما قد يكون أفضل أن نميّزها بادىء ذي بدء، كما فعلت سابقاً، وعندما نصل إلى اتفاق على السؤال، إذا ما كان هناك فرق حقيقي بينهما، علينا أن نتأمّل أين يكمن ذلك الفرق، ومن ثمّ أيّاً من الطريقين سنختار. مع ذلك، لربّما أنت لا تفهم ماأعينه حتّى الأن؟

كاليكلس: لا، إنّني لا أفهم.

سقراط: سأشرح ما أعنيه بوضوح أكثر عندئذ، مع ملاحظة أنّنا قد اتفقنا أنت وأنا أنّه يوجد هكذا شيء كالخير، وأنّه يوجد هكذا شيء كاللذّة، وأنّ اللذّة ليست الشيء عينه كالخير، وأنّه يوجد لكلٍّ منهما مسعى وعمليّة محدّدة للاكتساب، إحداهما لطلب اللذّة، الأخرى لطلب الخير ـ إنّني أرغب أن تخبرني ما إذا كنت تتّفق معي إلى هذا الحد ـ هل تتفق؟

كاليكلس: إنّني أفعل.

سقراط: سأتقدّم إذن، وأسأل ما إذا كنت تتّفق معي، وتعتقد أنّني تكلّمت الصدق، عندما قلت أيضاً لجورجياس وبولس أنّ الطهو هو حذق عمليّ في رأيي، وليس فنّاً على الإطلاق؛ بينما يكون الطبّ فناً. أوضحت أنّ الطبّ قد اعتبر طبيعة المرِيض وسبب العلاج الذي يقدّمه له، وبإمكانه تدبير كلّ أعماله. من جانب آخر، فإنّ الطهو نفسه يختصّ باللذّة، وثانياً يركّز كلّ انتباهه عليها. إنه يذهب رأساً إلى نهايتها بكلّ بساطة غير معتبرٍ طبيعةَ اللذّة ولا سببها؛ ولا يستعمل الحساب أيّاً كان بشكل عمليّ في طريقته اللاعقلانيّة هذه، بل يعمل بالخبرة والروتين، ويحتفظ بتذكّر ما فعله عادة عند إنتاجه اللذّة بالضبط. وأريدك أن تتأمّل ملياً، بادىء ذي بدء ما إذا كنت تعتقد أنّ تقريري هذا سديد، وما إذا وُجِدَتْ هناك نشاطات أخرى لها عمل في الروح ـ بعضها نشاطات فنيّة، تتخذ ترتيبات مسبقة لفائدة الروح الأعلى؛ وأخرى مزدريّة الفوائد، ومعتبرة، كما في حالة متوازية، اللذّة الروحيّة فقط، وكيف يمكن اكتسابها، لكنّها غير متبصرة أيّة لذّات تكون صالحة وأيّها سيّئة. توجد هكذا نشاطات في رأيي، يا كاليكلس، وهذا هو نوع الشيء الذي أسمّيه تملقاً، سواء أختصّ بالجسم أم بالروح أم بأي شيء آخر يُستخدم بقصد اللذّة وبدون أيّ اعتبار للخير والشرّ. وإنّني أرغب لأن تخبرني الآن إذا ما كنت تتفق معنا في هذا التصوّر، أو تختلف.

كاليكلس: إنّني لا أختلف، بل على العكس، أتفق معكم؛ لأنّني سأحضر المحاورة إلى النهاية الأقرب في ذلك الطريق، وسأولي صديقي جورجياس منّة.

سقراط: أو يكون هذا التصوّر حقيقياً لروح واحدة، أو الإثنتين أو أكثر؟

كاليكلس: حقيقي لإثنتين أو أكثر بالتساوي.

سقراط: يمكن للرجل أن يبهج جمعيّة عموميّة بكاملها، وليس لديه أي اعتبار لمنافعهم الأعلى مع ذلك؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: أتستطيع أن تخبرني ما هي المساعي التي تبهج الجنس البشري ـ أو بالأحرى دعني أسألك وأجبني أنت، إذا كنت تفضل، أيٌّ منها ينتمي إلى النوع السارّ، وأيّها لا ينتمي؟ ماذا تقول أنت عن لعب القيثار، في المكان الأوّل؟ ألا يبدو ذلك أنّه فنّ ينشد اللذّة فقط، يا كاليكلس، ولا يفكّر بأيّ شيء آخر؟

كاليكلس: إنّني أسلّم بذلك.

سقراط: أليس الشيء نفسه حقيقيّاً عن كل الفنون المتشابهة، ولنأخذ كَمَثَلٍ، فنّ العزف على القيثار في المهرجانات؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وماذا تقول عن فنّ الترنيم وعن القصائد الحماسيّة؟ ـ أليست من الطبيعة ذاتها؟ هل تتصوّر أنّ سينيسياس بن ميليس يعتني بما سيؤول إلى تحسين أخلاق سامعيه، أو بما سيعطي اللذّة للجمهور؟

كاليكلس: ليس هناك أي خطأ بشأن سينيسياس، يا سقراط.

سقراط: وماذا تقول عن أبيه، ميليس لاعب القيثار؟ عندما غنّى بالقيثار، هل تفترضه أنه سما ببصره إلى الخير الأعلى؟ ولربّما يقال حقاً إنّه يعتبر حتّى اللذة الأعظم بالكاد بما أنّ أغنيته كانت توجيه ضربة إلى سامعيه؟ ألن تقول في الحقيقة، إنّ كل موسيقى القيثار والقصائد الحماسيّة قد استُنبِطَتْ لغرض اللذّة بشكل عامّ؟

كاليكلس: عليّ أن أقول ذلك.

سقراط: وكما لعروس شعر المأساة، تلك الشخصيّة الأوغوسطيّة الموقّرة ـ ماذا تكون تطلّعاتها؟ أيكون كل قصدها أن تعطي اللذّة فقط إلى المشاهدين، أو أنّها تكافح لتمنع لسانها عن كل ذلك الذي يلذّهم ويسحرهم لكنه فاسد؟ لتعلن

ذلك، في الكلام والأغنية. إنّ الحقيقة مفيدة لكنها غير سارّة، وسواء رحّبوا بها أم لم يفعلوا؟ ـ ما موقع طبيعة القصيدة المأساة في حكمك؟

كاليكلس: لا يمكن أن يوجد شكّ، يا سقراط، أنّ المأساة أدارت وجهها نحو اللذّة ولإرضاء الحضور.

سقراط: أليست هذا النوع من الشيء، يا كاليكلس، الذي وصفناه لتوّنا كأنه مداهنة؟

كاليكلس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: حسناً إذن، إفترض أنّنا نجرّد كل القصائد من الإيقاع واللحن والوزن سيبقى الكلام هناك؟(٢٦)

كاليكلس: لتكن متأكّداً.

سقراط: ويوجّه هذا الكلام إلى جمهورٍ شعبيّ؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: يكون الشعر نوعاً من أنواع الكلام العامّ حينئذ؟

كاليكلس: حقاً.

سقراط: لقد اكتشفنا الآن إذن نوعاً من علم الكلام الذي يوجّه إلى جمهور من الناس، نساءً، وأطفالاً، رجالاً أحراراً وعبيداً. وهو لا يلائم حاسّة تذوّقنا كثيراً لأنّنا وصفناه وكأنّه يمتلك طبيعة التملّق.

كاليكلس: حقيقي تماماً.

سقراط: جيّد جداً، وماذا تقول عن علم الكلام الآخر الذي يوجّه إلى الجمعيّة العموميّة الأثينيّة، وللجمعيات العموميّة، للرجال الأحرار في الدول الأخرى؟ هل يظهر علماء الكلام لك أنّهم يهدفون دائماً إلى ما هو الأفضل؟ وهل يقصدون تحسين المواطنين بكلامهم، أو أنّهم هم أيضاً، كباقي الجنس البشري، يميلون إلى إعطائهم اللذّة، ناسين الخير العامّ نتيجة تفكيرهم

بمصلحتهم الخاصّة، لاعبين بالشعب كما يلعبون بالأطفال، ومحاولين إرضاءَهم فقط، لكنّهم لا يعتبرون أبداً ما إذا سيكونون أفضل أو أردأ بما يقولون؟

كاليكلس: لا يُسلِّم السؤال بجواب بسيط. هناك البعض منهم الذين لديهم اهتمام حقيقي بالشّعب فيما يقولون، في حين يكون الآخرون، هكذا كما تصف.

سقراط: إن هذا كفاية لي. إذا كان علم الكلام ازدواجياً أيضاً، سيكون قسم واحد منه مجرّد مداهنة وخطاب حماسيّ شائن؛ أمّا الجزء الآخر فنبيل، يهدف إلى تحسين أرواح المواطنين، ويكافح ليقول ما هو الأفضل، سواء أُلقي الترحيب من الحضور أم لا. لكنّك لم تعرف قطّ علم كلام كهذا؛ أو إذا فعلت، وتقدر أن تشير إلى أيّ عالم كلام يكون من هذا الطابع، أخبرني من هو؟

كاليكلس: إنّني خائف حقّاً، لأنّني لا أستطيع أن أخبرك عن أيّ عالمٍ كهذا بين الخطباء الأحياء في الوقت الحاضر.

سقراط: حسناً إذن، أتستطيع أن تذكر أيّ شخص من الجيل السابق، الذي تسبب له الأثينيون ليقولوا إنّه حالما يبدأ بإلقاء خطاباته يمهّد لها بذكر الفضيلة؟ لأنّني، حقاً، لا أعرف إنساناً كهذا.

كاليكلس: ماذا! ألم تسمع أبداً أنّ ثميستوكلس كان رجلاً صالحاً، وكذلك سايمون وميليتيادس وبريكلس الذي مات منذ عهد بعيد، والذي سمعته بنفسك؟

سقراط: نعم، يا كاليكلس، إنّهم كانوا رجالاً صالحين، إذا، وكما قلت في البدء، كانت الفضيلة تكمن في إشباع رغباتنا الخاصّة وتلك التي للآخرين؛ وإن لم يكن ذلك، وإذا كما كنا قد أُجبرنا لنعترف، أنّ إقناع بعض الرغبات تجعلنا أفضل، وتجعلنا الأخرى أسوأ، فما علينا إلاّ أن نرضي الأولى وليس الأخرى،

وهناك فنٌّ في تمييزها، وحينها لا أستطيع أن أسمِّي واحداً من رجال الدول هذه والذي يمكنني أن أنسب إليه أخلاقاً كهذه.

كاليكلس: ستجد واحداً، إذا بحثت بصواب.

سقراط: إفترض أنّنا سنتأمّل مليّاً بهدوء تامّ ما إذا كان أيٌّ من هؤلاء كما وصفت. ألن يتكلّم الإنسان الصالح، الذي يقول كل ما يقوله، بالنظر إلى الأفضل، ويتكلم بالاستناد إلى قاعدة ما وليس اعتباطياً؛ تماماً كما يكافح كل الفنّانين الآخرين ليعطوا شكلاً معيّناً لعملهم، بدلاً من الاختيار الجزافي كما يستعملون له. أنظر إلى رسّام اليد، البنّاء، صانع السفن، وإلى أيّ ذي حرفة تحبّ؛ إنّك ترى كيف يرتِّب كلّ شيء بانتظام، ويجبر الجزء الواحد أن يتناسق ويتطابق مع الجزء الآخر، حتى يُشيِّدُ كُلاًّ منظماً ومرتّباً، يشبه المرء الذي تكلمنا عنه سابقاً، والذي يعطي نظاماً وتناسقاً إلى الجسم. هل تنكر هذا؟

كاليكلس: لا؛ إنّني على استعداد لأعترف به.

سقراط: إذن البيت الذي يسوده النظام والتناسق يكون صالحاً؛ وذلك الذي يكون فوضوياً، طالحاً؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: ويكون الشيء نفسه حقيقياً عن باخرة؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: ويمكن قول الشيء عينه عن الجسم الإنساني؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وماذا ستقول عن الروح؟ هل ستكون الروح الخيِّرة تلك التي تعمُّها الفوضى، أو تلك التي يوجد فيها التناسب والنظام؟

كاليكلس: يتبع الآخر من تسليماتنا السابقة.

سقراط: وما هو الإسم الذي قد أعطي لتأثير التناسق والنظام في الجسم؟

كاليكلس: أفترض أنّك تعني الصحة والقوة؟

سقراط: نعم، إنني أفعل؛ وما هو الإسم الذي ستعطيه لتأثير التناسق والنظام في الروح؟ حاول واكتشف إسماً لهذا كما أعطيت للآخر.

كاليكلس. لماذا لا تعطي الإسم بنفسك، يا سقراط؟

سقراط: حسناً، إنّني سأفعل، إذا ما أردت بالأحرى ذلك؛ وقل ما إذا كنت توافقني وإلاّ، فلا تدعها تمرّ بل حاورني. (الصحيّ) كما أتصوّر، هو الإسم الذي أُعطي إلى النظام القياسي للجسم، من حيث تأتي الصحة وكل مميّزات الجسم الأخرى. أليس ذلك حقيقة؟

كاليكلس: حقاً.

سقراط: ويكن (القانوني) و(القانون) الإسمين اللذين قد أُعطِيا للنظام المتناسق ولعمل الروح. وهذان يجعلان الرجال قانونيّين ونظاميّين. وهكذا نمتلك نحن الاعتدال والعدل. أليس كذلك؟

كاليكلس: لك ذلك.

سقراط: أوليس الخطيب الحقيقي الذي يكون أميناً ويفهم فنّه، يرسّخ عينيه على هذه الأشياء في كل الكلمات التي يوجّهها إلى أرواح الرجال، وفي كل أعماله كذلك، في الذي يقدّمه وفي الذي يتلقّاه على حدٍّ سواء؟ ألن يكون هدفه أن يزرع العدل في أرواح مواطنيه، ويرفع الظلم؛ أن يزرع الاعتدال ويزيل الإفراط، أن يزرع كل فضيلة ويبعد كل رذيلة؟ ألا توافق على هذا، يا كاليكلس؟

كاليكلس: إنّني أوافق.

سقراط: إذ أيّ نفع هناك، يا كاليكلس، في إعطاء جسم الإنسان المريض المعتلّ الصحّة سيئة كمية من الطعام أو الشراب الأكثر لذّة أو أيّ شيء سارّ آخر،

وهذا إذا أخضعناه للتقويم فيمكن أن يكون سيّئاً حقّاً له كما أنّك لم تُعطِه أيَّ شيء، أو يمكن أن يكون مردوده حتى أسوأ على الجسم، أليس ذلك حقيقياً؟

كاليكلس: لن أقول (لا) لها.

سقراط: لأنه لا ربح برأيي في حياة الإنسان إذا كان جسدُهُ في مأزق سيّء. في تلك الحالة فإنّ حياته كلها سيملأها المرض أيضاً: ألست محقّاً فيما أقول؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: عندما يكون الإنسان في صحّة جيّدة سيسمح له الأطبّاء بشكل عامّ أن يأكل عندما يجوع، وأن يشرب عندما يعطش، وأن يشبع رغباته كما يحب. لكنه عندما يمرض سيسمحون له بصعوبة أن يشبع رغباته مطلقاً. هل ستعترف حتى بذلك؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: أليست المعاملة عينها مناسبة للرّوح، يا سيّدي الصالح؟ يجب لرغباتها أن تُراقَب، بينما تكون هي في حالة سيّئة وعديمة النفع ومفرطة وظالمة وغير مقدّسة، ويجب منعها من عمل أيّ شيء لا يؤول إلى تحسينها الخاصّ. ماذا تقول نعم أوْ لا؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: ستكون هكذا معاملة أفضل للرّوح نفسها؟

كاليكلس: لتكن متأكّداً.

سقراط: وما قصاصها إلاّ أنْ تكبح جماحها عن رغبات الأكل والشراب؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: إنّ الكبح والقصاص حينئذ أفضل للروح من الإفراط أو غيّاب المراقبة التي فضّلتها لتوّك الآن؟

كاليكلس: إني لا أفهمك، يا سقراط، وأرغب أن تسأل واحداً يحسن ذلك.

سقراط: هنا يكون السيد الذي لا يستطيع الصّبر على أن يصبح متحسّناً، أو أن يُخضِعَ نفسه لذلك القصاص المحقّ الذي تتكلّم عنه المحاورة!

كاليكلس: إنّني لا أعي كلمة ممّا تقول، ولقد أجبت حتى الآن من لطفي إلى جورجياس فقط.

سقراط: ماذا سنفعل عندئذ؟ هل سنفضّ المحاورة في وسطها؟

كاليكلس: ستحكم على هذا بنفسك.

سقراط: حسناً، لكنّ الشعب يقول بأنه « لا يمكن أن تُترك قصة من نصفها بحقّ، وبدون أن تُنجز؛ يجب أن يوضع لها رأسٌ، كي لا تتمكّن من الهرب بدون رأس »(٢٧). كذلك أجبني على أسئلتي المتبقّية من فضلك وركّز الذهن على محاورتنا.

كاليكلس: كم أنت عاتٍ، يا سقراط! خذ نصيحتي، واسقط المحاورة، أو أحضر شخصاً ما آخر كي يحملها معك.

سقراط: لكن من هو الآخر الذي يريد ذلك؟ إنّني أرغب في إنهاء المحاورة.

كاليكلس: ألا تستطيع أن تنهيها بدون مساعدتي، إمّا أن تتكلّم بدون انقطاع، وإلاّ فاسألْ نفسك وأجبها.

سقراط: أيجب أنْ أقول مع أبيخارموس، (رجلان تكلما سابقاً، لكن الآن سيكفي واحد)؟ أفترض أنّه لا توجد أية مساعدة على الإطلاق. وإذا كنت سأستمرّ في التساؤل بنفسي، سأشير بأنّه عليّ، أوّلاً، بل علينا جميعاً أن نمتلك الطموح لنعرف ما يكون حقيقيّاً وما يكون باطلاً في هذه المسألة، لأنّ اكتشاف الحقيقة هو خير عام. وسأتقدم لأحاور الآن طبقاً لتصوّري الخاص. وإذا ما اعتقد أيٌّ منكم أنّني أقبل من نفسي باستنتاجات باطلة، فما عليكم إلاّ أن تتدخلوا وتدحضوني، لأنّني لا أتكلّم من أيّة معرفة لما أقول، بل أنا

مستقْصٍ كأنفسكم. ولذلك، إذا ما قال خصمي أيّ شيء ذا قوة، سأكون أوّل من يتفق معه. وما القصد من مواصلتي الكلام إلاّ افتراضي أنّ المحاورة يجب إتمامها. لكن إذا فكّرتم خلاف ذلك، فلنغادر المكان ويسلك كلّ منّا طريقه.

جورجياس: أعتقد، يا سقراط، أنّه لا يجب علينا أن يذهب كل منا في طريقه حتى ننجز المحاورة. ويبين هذا لي أنّه رغبة بقية الرفاق. وأحبّ شخصياً أن أسمع ما عندك بكلّ تأكيد.

سقراط: أنا أيضاً، يا جورجياس، أحبّ مواصلة الحوار مع كاليكلس، ويمكنني إعطاؤه عندئذ (آمفيون بن زيوس) في ردٍّ على (زيثوسه). لكن بما أنّك، يا كاليكلس، لا تريد أن تتابع المحاورة، آمل منك أن تسمع، وقاطعني إذا ظهرتُ لك أنّني على خطأ. وإذا ما دحضتني، فلن أغضب منك كما فعلت معي، بل سأنقشك كأكبر الأفاضل على لوحات روحي.

كاليكلس: يا رفيقي الصالح، لا تهتمّ لأمري، بل واصل ما بدأته.

سقراط: إستمع إليّ، عندئذ، بينما ألخّص شرح المحاورة: ـ هل السارّ هو الشيء عينه كالصالح؟ إنّه ليس الشيء عينه. لقد اتفقنا أنا وكاليكلس بشأن ذلك. وهل يتابع السّارّ في سبيل الخير؟ أو الخير في سبيل السّارّ، ويكون ذلك سارّاً في حضور الذي يسرّنا، ويكون ذلك خيّراً بحضور الذي نكون به أخياراً؟ لتكن متأكّداً ـ أو نكون نحن أخياراً، وتكون كل الأشياء الخيّرة مهما كانت خيّرة، عندما تكون فضيلة ما حاضرة فينا أو فيها؟ ذلك هو إعتقادي، يا كاليكلس، لكنّ الفضيلة في كل شيء، سواء كان روحاً أو جسماً، أداة أو مخلوقاً، عندما تُعطى لها بأفضل الطّرق تأتي إليها ليس بالصدفة بل كنتيجة للنظام والحقيقة والفنّ الذي أُضفي عليها. ألست محقاً؟ إنّني أؤكّد أنّي كذلك. أو ليست الروح التي تمتلك نظاماً خاصاً بها أفضل من تلك

التي ليس لها نظام؟ إنّها أفضل بكلّ ثبات. والروح التي تمتلك نظاماً هي متناسقة؟ طبعاً. وتكون تلك التي هي منظمة معتدلة أيضاً؟ بدون ريب. والروح المعتدلة هي خيّرة؟ لا أستطيع أن أعطي أيّ جواب آخر، يا عزيزي كاليكلس، فهل لديك جواب آخر تعطيه؟

كاليكلس: واصل، يا رفيقي بالصالح.

سقراط: سأنتقل لأضيف حينئذ، أنّ الروح المعتدلة إذا كانت هي الروح الخيّرة، فالروح التي تكون في الحالة المضادّة، تلك هي الغبيّة والمفرطة، وأنّها هي الروح الشريرة

كاليكلس: حقيقي تماماً.

سقراط: أوَلن يفعل الإنسان المعتدل ما يكون لائقاً، بالنسبة إلى الآلهة والرجال كليهما؛ ـ لأنّه لن يكون معتدلاً إذا لم يفعل ذلك. سيفعل ما هو لائق بالتأكيد. وسيفعل ما يكون عادلاً في علاقته بالرجال الآخرين؛ وسيفعل ما يكون مقدّساً في علاقته بالآلهة. ومن يفعل ما يكون مقدّساً وعادلاً يجب أن يكون هو عادلاً ومقدّساً؟ حقيقي تماماً. ألا يجب أن يكون الإنسان شجاعاً؟ لأنّ واجب الإنسان المعتدل هو أن يتبع أو يتفادى ما لا يجب، بل ما يجب، سواء أكانوا رجالاً أو أشياء أو لذّات أو آلاماً، وأن يتحمّل بصبر عندما يجب؛ ولذلك، يا كاليكلس، كون الإنسان المعتدل كما قد وصفنا، فهو كذلك عادل وشجاع ومقدّس أيضاً، ولا يمكنه أن يكون غير إنسانٍ خيّر بالكمال، ولا يمكن للإنسان الخيّر أن يفعل خلافاً لما هو حسن وكامل مهما كان عمله؛ والذي يفعل حسناً يجب أن يكون سعيداً ومباركاً بالضرورة، والرجل الشرير الذي يفعل الشرّ، شقيّاً. وبعدُ فإنّ الأخير هذا هو الذي صفّقت له ـ المفرط الذي هو الضدّ للمعتدل. هكذا هو موقفي، وأثبت أنّ هذه الأشياء حقيقيّة؛ وإذا كانت حقيقيّة، أؤكد حينئذ ما هو أبعد

من ذلك، وهو أن الذي يرغب في أن يكون سعيداً يجب أن يلاحق ويمارس الاعتدال ويهرب بعيداً من الإفراط بقدر ما سيحمله ساقاه. كان أفضل له أن ينظِّم حياته كيَ لا يحتاج إلى العقاب؛ لكن إذا كان هو بحاجة إلى العقاب، أو كان أيٌّ من أصدقائه، سواء كان فرداً خاصّاً أو مدينة، يجب أن يحقّ العدل حينها وعليه أن يقاسي العقاب، إذا ما سيكون سعيداً. يظهر هذا لي أنّه القصد الذي يجب أن يمتلكه الإنسان في حياته، والإتجاه الذي عليه أن يوجّه نحوه مجمل طاقاته وطاقات الدولة، لكي يمكنه أن يمتلك الاعتدال والعدل حاضراً معه وأن يكون سعيداً، ليس متألّماً من شهواته كونها غير مكبوحة الجماح، وفي أن يشبعها في رغبة ليس لها نهاية سالكاً طريق اللّصوص. ولا يكون واحد كهذا صديقاً لله أو الإنسان، لأنّه غير قادر على المشاركة، ومن لا يستطيع المشاركة فهو غير قادر على الصداقة أيضاً. ويخبرنا الفلاسفة، يا كاليكلس، أنّ المشاركة والصداقة والنظام والاعتدال والعدل تربط السماء والأرض والآلهة والرجال معاً، وأنّ هذا الكون يُسمّى منظماً ونظاماً لذلك، وليس فوضى واضطراباً، يا صديقي. لكنّك مع كونك فيلسوفاً تبدو لي أنّك لم تلاحظ هذا أبداً. إنّك لم تتصوّر قوّة المساواة الهندسيّة، بين الآلهة والرجال كليهما؛ لقد فكرت أنّك يجب أن تزرع التباين أو الإفراط، لأنّك لا تعتني بالهندَسَة. حسناً، إذن، إمّا يجب أن تُدحض الفرضيّة وهي أنّ السعيد يصبح سعيداً بامتلاك العدل والاعتدال، والشقيّ شقيّاً بامتلاكه الرذيلة، أو إذا قُبِلت كحقيقة، فماذا ستكون النتائج؟ إنّ كلّ العواقب التي رسمتها قبلاً، يا كاليكلس، والتي سألتني عنها، سواء في جديّة عندما قلتُ إنّ الإنسان يجب أن يتّهم نفسه وابنه وصديقه إذا ما فعل أيَّ شيء خطأ، وإنّ عليه أن يستعمل علم الكلام لهذه الغاية ـ كل هذه النتائج هي حقيقيّة. وذلك الذي فكّرت أنّ بولس

اقتيد ليعترف به من اتضاعه يكون حقيقيّاً. أعني، أن تفعل الظلم، هو أكثر خزياً من أن تقاسيه، هو أسوأ في الدرجة عينها؛ والموقف الآخر الذي اعترف به جورجياس من حيائه، طبقاً لِما قاله بولس، وهو أنَّ من سيكون عالم كلام بحق يجب أن يكون عادلاً وأنْ يمتلك معرفة العدل، كانت نتيجتها حقيقيّة أيضاً.

وبعدُ، فإنّ هذه الأشياء كونها كما قلنا، دعنا نتقدم إلى المكان التالي لنتأمّل مليّاً ما إذا كنت محقاً، برميك في فمي أنّني غير قادر أن أساعد نفسي أو أيّاً من أصدقائي أو أقاربي، أو أن أنقذهم من الخطر الأقصى عند تعرُّضهم له، وأنّني في مقدارٍ آخر كخارج عن القانون الذي يمكن أن يفعل له أيّ شخص ما يجب ـ يمكنه أن يصرخ في أذني بكلام جريء، وكما تقول، حالة كتلك هي قمّة العار. أمّا جوابي على ما قلته فهو نفسه الذي رددته غالباً في السابق، غير أنّ بإمكاني أن أردّده مرّة ثانية أيضاً. أبلّغك، يا كاليكلس، أنه إذا لُطِمتَ على الأذنين بشكل خاطىء ليس أسوأ إشانة يمكن أن تحلّ بالإنسان، ولا إذا قُطِّعت محفظة نقودي وجسدي، بل إنّ شتمي وذبحي ومن يخصّني بدون حق هو أكثر شرّاً وأكثر عاراً ببعيد لمن قام به؛ نعم، وتجريدي واستعبادي وسلبي وأذيتي وأذية من يخصني في أيّة طريقة على الإطلاق، كلّها أكثر خزياً وشرّاً لمرتكب الخطأ بشكل بعيد منه إليَّ أنا المُعاني. إنّ هذه الحقائق، التي قد أُظهِرت مسبقاً كما قرّرتها في البحث السابق، يبدو أننا ثبتناها وركزناها الآن، إذا ما أمكنني استعمال التعبير الجسور بدون ريب. تم تثبيتها في كلمات كأربطةٍ من الحديد والماس ـ هكذا تظهر من محاورتنا الحاضرة على الأقلّ. وما لم تنقضها أنت أو أيّ بطل ما آخر أكثر إقداماً مع ذلك، فإنّه لا يمكن أن يكون ما قلته أنت أكثر حقيقة من الذي أقرّره الآن، لأنّ موقفي كان دائماً أنّني أجهل

كيف تكون هذه الأشياء. غير أنني لم أقابل الذي يستطيع أن يقول خلاف ما أقول، بأكثر ممّا تستطيعه أنت، ولا يبين مضحكاً. ما يزال هذا موقفي. وإذا كان ما أقوله هو الحق، ويكون الظلم أعظم الشرور لمرتكبه، ويوجد بالاحتمال مع ذلك شرّ أعظم من كل هذه الشرور(٢٨)، لعدم مقاساة الرجل الظالم العقاب. ماذا يكون ذلك الدفاع عن النفس ـ النقيصة التي ستجعل الإنسان مضحكاً حقاً؟ ألا يجب أن يكون ذلك الذي يتفادى أعظم الشرور الإنسانيّة؟ أو لن يكون أكثر من كل الدفاعات عاراً والذي سيترك الإنسان عند امتلاكه له غير قادر أن يدافع عن نفسه أو عائلته أو أصدقائه ضدّ هذا الشرّ؟ ـ وسيأتي تالياً ذلك الذي لا يقدر أن يتجنَّبَ أعظم شرٍّ آتٍ؛ ثالثاً ذلك الذي لا يستطيع أن يتفادى أعظم شرٍّ ثالث؛ وهكذا عن الشرور الأخرى. مثلما يكون عِظَمَ الشرّ هكذا يكون الشرف لكونك قادراً على تجنبها في درجاتها المتعددة، والعار هو كونك غير قادر على تجنّبها. أليست محقًّا، يا كاليكلس؟

كاليكلس: نعم، حقيقيّ تماماً.

سقراط: باصرين عندئذ أنّ هذين الشرّين يوجدان، فعل الظلم ومعاناة الظلم ـ ونؤكّد أنّ فعل الظلم هو أعظم، ومقاساته أقلّ شرّاً ـ فبأية أدوات يستطيع الإنسان النجاح للحصول على الفائدتين، الأولى عدم فعل الظلم والأخرى عدم مقاساته؟ أيجب أن تكون لديه القوة، أو العزيمة فقط، للحصول عليهما؟ قصدي أن أسأل ما إذا كان الإنسان سيهرب من مقاساة الظلم إذا ما كانت لديه العزيمة فقط كي يهرب، أو أنّه يجب تجهيز نفسه بالقوّة؟

كاليكلس: يجب أن يجهّز نفسه بالقوة؛ إنّ ذلك لواضح.

سقراط: وماذا تقول عن فعل الظلم؟ هل العزيمة كافية فقط، وهل ستمنعه تلك عن فعل الظلم، أو أنّ عليه أن يجهّز نفسه بالقّوة والفنّ لهذه الغاية أيضاً، بما أنّه

سيبقى يمارس الظلم إذا لم يدرس ولم يتمرّن؟ يمكنك أن تقول بالتأكيد، يا كاليكلس، إن كنت تعتقد أنّ بولس وأنا كنّا محقّين عندما اعترفنا قبلاً أنَّ لا شخص يفعل الخطأ إرادياً كاستنتاج حتميّ، غير أنَّ الجميع يفعلون الخطأ ضد إرادتهم؟

كاليكلس: مُنِحتَ، يا سقراط، كي يتسنى لمحاورتك أن تنتهي.

سقراط: كما سيظهر، إذن، يجب أن تكون القوّة والفنّ مجهّزين كي يمكننا أن لا نفعل الظلم.

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: وأيّ فنّ سيحمينا من مقاساة الظلم، إذا لم يكن بالكامل، فبقدر الإمكان مع ذلك؟ أريد أن أعرف ما إذا كنت تتفق معي؛ لأنّني أعتقد أنّ فنّاً كهذا هو فنّ الحاكم أو المستبدّ أو الموالي للحكومة الموجودة.

كاليكلس: حسناً قيل، يا سقراط؛ وراقب من فضلك كم أكون مستعدّاً لأن أُثني عليك عندما تتكلّم كلاماً ذا معنى.

سقراط: فكّر وأخبرني ما إذا كنت توافق على رأي آخر لي: يبدو كل إنسان لي أنّه أكثر صداقة لمَن هو أكثر شبهاً به: الشبيه إلى الشبيه، كما يقول صوفيّ غابر. هل ستوافق على هذا؟

كاليكلس: ينبغي عليّ.

سقراط: لكن عندما يكون المستبد همجيّاً وغير مثقّف، يمكن توقّع أنه يخاف أيّ شخص هو أسمى منه في الفضيلة، ولن يكون قادراً أبداً أن يبادله المحبة تماماً.

كاليكلس: إنّ ذلك حقيقيّ مرّة ثانية.

سقراط: الصديق الوحيد الذي يستحقّ الذّكر عندئذ، الذي يستطيع الصديق حيازته، سيكون واحداً من الخلُق عينه، وله نفس المحبّة والكراهية، ويريد أن

يكون تابعاً وخاضعاً له في الوقت عينه؛ إنّه الإنسان الذي سيتملك سلطة في الدولة، ولن يؤذيه أحدٌ بالإفلات من العقاب: ـ أليس ذلك هكذا؟

كاليكلس: بلى.

سقراط: وإذا ابتدأ الإنسان الشابّ في تلك الدولة، يعتبر كيف يمكنه أن يصبح قوياً هكذا كي يحمي نفسه من الظلم، سيبدو أن هذا هو الطريق ـ إنّه سيعوِّد نفسه، من شبابه فصاعداً، أن يشعر بالحزن والفرح على الفُرَصِ عينها كما يشعر سيّده، وسيجاهد كي يصبح مثله قدر الإمكان؟

كليكلس: نعم.

سقراط: وسيكون قد أنهى بهذه الطريقة الغاية لأن يصبح رجلاً عظيماً ولا يقاسي الظلم، كما ستقول أنت وأصدقاؤك؟

كاليكلس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: لكن هل سيهرب من عمل الظلم أيضاً؟ ألا يجب أن يكون العكس هو الصحيح، إذا ما كان شبيه المستبدّ في ظلمه، وأن يتأثر به؟ كما أراها، فإنّه سيوجِّه نفسه لتحسين قدرته كي يفعل الخطأ قدر الإمكان بدون أن يُعاقب لعمله الخاطىء.

كاليكلس: نعم.

سقراط: وبتقليد سيّده وبالقوة التي اكتسبها ألن تصبح روحه بالتالي سيئة وفاسدة، وهكذا ستحلّ به أعظم الشرور؟

كاليكلس: إنّك تجد وسيلة، يا سقراط، كي تقلب كل شيء رأساً على عقب، بطريقة ما أو بأخرى. ألا تعرف أنَّ من يقلِّد المستبدّ سيقتل من لا يقلده ويستولي على ممتلكاته، إذا ما كان لديه عقل؟

سقراط: ممتاز، يا كاليكلس، فأنا لست أصمّ، وإنّني سمعت ذلك منك ومن بولس ومن كل رجل في المدينة تقريباً مرّات عديدة، غير أنّني أرغب منك أن

تسمعني أيضاً. نعم، إنّه سيقتله إذا كان لديه عقل - الرجل السيّء سيقتل الإنسان الخيّر والمحق.

كاليكلس: أولاً يكون ذلك عدلاً ما يجعل الواحد حانقاً؟

سقراط: لا، ليس لإنسان ذي إدراك، كما تُظهر المحاورة: هل تعتقد أنّ كلّ اهتماماتنا ينبغي أن توجّه إلى إطالة الحياة لأقصى مدى، وإلى دراسة تلك الفنون التي ستنقذنا من الخطر وقت الحاجة؛ مثل فنّ علم الكلام ذلك الذي ينقذ الرجال في المحاكم القانونيّة، والذي تنصحني أن أزرعه؟

كاليكلس: نعم، بحقّ، ونصيحة جيّدة تماماً أيضاً.

سقراط: حسناً، يا صديقي، لكن ماذا تفكر بالسباحة؟ أتكون تلك بفنّ ذي ادّعاء كبير؟

كاليكلس: لا حقًّا.

سقراط: ومع ذلك، فإنّ السباحة تنقذ الإنسان من الموت بكلّ تأكيد، عندما يكون في وضع يحتاج فيه لهكذا معرفة. وإذا استخففت أنت بالسباحين، سأخبرك عن فنّ آخر وأعظم، ألا وهو فنّ قائد السفينة، الذي لا ينقذ أرواح الركاب فقط، بل ينقذ أجسادهم وممتلكاتهم في أقصى الأخطار أيضاً، تماماً كعلم الكلام. ويكون فنّه متواضعاً وغير واثق كثيراً من نفسه مع ذلك. إنّه لا يمتلك هوائيات أو تظاهراً بعمل أيّ شيء غير عاديّ، ويطلب أقلّ من ربع دراخما، مقابل الإنقاذ عينه الذي يعطيه المتوسّل، وذلك إذا أحضرنا من آيجينيا إلى أثينا، أو دراخمتين على الأكثر للرحلة الأطول من بونتوس أو مصر، عندما يكون قد أنقذ المسافر وزوجته وأطفاله وأمتعته، كما كنت قد قلت لتوّي، وبعد أن ينزلهم إلى البرّ بأمان في البيرايوس. هذا هو المبلغ الذي يطلبه في مقابل هبة كبيرة كهذه، وهو من يكون سيّد الفنّ، وقد فعل كل هذا وهو يتابع سيره ويدور حول شاطىء البحر بباخرته بسلوك غير محسوب

تماماً. إنّني أتصوّر، أنّه يكون قادراً على تأمّل ذلك الذي لا يمكن الإفصاح عنه، وهو أيّا من رفاقه المسافرين قد أفاد وأيّهم قد أذى، في عدم السماح لهم بالغرق، يعرف هو أنّهم يكونون الشيء عينه تماماً عندما أنزلهم إلى البر كما عندما صعدوا إلى السفينة، وليس بمقدار ضئيل أفضل لا في أرواحهم ولا أجسادهم. وهكذا فهو يعرف أنّه إذا أُصيب الإنسان بأمراض جسديّة عُضال سيشفق عليه فقط إذا ما تمكّن الشفاء منها، ولا يكون قد انتفع به لأنّه قد أُنقذ من الغرق، فورتيورياً آخر الذي تمتلكته أمراض روحيّة غير قابلة للشفاء، التي هي أكثر نفاسةً من الجسد، عليه أن لا يجعل أمد حياته طويلاً، ولن يربح أيَّ شيء بالإنقاذ من البحر، أو المحاكم القانونيّة، أو أيّة مهالك أخرى. إنّه متأكد من أنّ الإنسان المسيء أفضل له أن لا يعيش، لأنه لا يستطيع أن يعيش حسناً(٢٩).

وهذا هو السبب الذي من أجله لا يُعجب قائد السفينة بنفسه عادة، مع أنّه منقذنا، أكثر بكثير من المهندس، الذي لا يكون بفعاليّة قوّته الإنقاذية متخلّفاً عن القائد العسكري على الإطلاق، وهذا المهندس لا يدع قائد السفينة أو أيّ شخص آخر وحيداً، لأنّه ينقذ مدناً بكاملها بعض المرّات. هل هناك أيّة مقارنة بينه وبين المحتجّ؟ وإذا كان هو يتكلم، يا كاليكلس، في أسلوبك المتّسم بالمبالغة الحمقاء، فإنّه سيدفنك تحت جبل من الكلمات، معلناً ومؤكّداً أنّه يجب علينا جميعاً أن نكون صانعي محرّك، وأن لا مهنة أخرى جديرة تستحقّ أن نفكّر بها. إنّ دعواه ستكون قويّة بما فيه الكفاية. برغم ذلك فأنت تزدريه وتزدري فنه، وتسمّيه صانع محرّك بسخرية، ولن تسمح لواحدة من بناتك أن تتزوّج إبنه، أو أن تزوّج ابنك لابنته. ومع ذلك، معتبراً أسس إجلالك لنفسك، فبأيّ عدل تسخر من صانع المحرّك هذا، ومن الآخرين الذين ذكرتهم لتوّي؟ إنّني أعرف أنّك ستقول: « أنا أفضل، وذو

ولادة أفضل ». لكن إذا لم يكن الأفضل كما أقول، والفضيلة تكمن في أن ينقذ الإنسان نفسه وما يخصّه فقط، كيفما يمكن أن تكون أخلاقه، فإنّ رأيك السافل عندئذ عن صانع المحرّك، وعن الطبيب وعن فنون الإنقاذ الأخرى، يدعو إلى الإضحاك. أوه يا صديقي! أريدك أن ترى أنّ النبيل والخيّر يمكن أن يكون بالاحتمال شيئاً ما مغايراً عن الإنقاذ وكونك منقذاً: ـ ألاَ يمكن أن يكون هو الإنسان بحقّ ذلك الذي يجب أن ينقطع عن الاهتمام بالعيش لوقت محدَّد، ويقيم مؤونة صغيرة في حياته؟ ألا ينبغي أن يترك كلّ ذلك لله، يعترف بذلك (كما تقول النساء) أنّه لا يمكن لإنسان أن يهرب من القضاء والقدر، ويتأمل ملياً بعد ذلك في أيّة طريقة يستطيع أن يمضي مدته المعيّنة؟ أينبغي له أن يتقدم ليشابه نفسه إلى المجتمع الذي يعيش في ظلّه؟ أيجب عليك أنت، كمثال، أن تصبح شبيهاً قدر المستطاع بالشعب الاثيني، إذا قصدت أن تعيش بنعمهم الوفيرة، وتصبح قوّة في الدولة؟ أريدك أن تفكر وترى إذا ما كان هذا لمنفعة كلّ منا؛ لا ينبغي علينا أن نخاطر بكلّ ما هو غالٍ عندنا بالانتخاب لهذه السلطة، السلطة السياسيّة، وهكذا معرِّضين أنفسنا إلى القضاء والقدر الذي قيل إنّه يحلّ بالنساء اللواتي يُنزلن القمر من السماء، وهنّ الساحرات الصقليّات. لكن إذا افترضت أنّ أيّ إنسان سيريك الفنّ كي تصبح عظيماً في هذه المدينة، ومع ذلك ليس متحقّقاً بنفسك من طرائقها، سواء أكانت للأفضل أو للأسوأ، أستطيع أن أقول آنئذ إنّك مخطىء فقط، يا كاليكلس. لأنّ من يشاء أن يخلق أيّ تقدم حقيقيّ في محبة الآلهة الأثينيين، نعم، أو لحبيبة بيريلامبس التي سُمّيت تيمّناً بهم، يجب أن يكون مثلهم بالطبيعة، وليس مقلّداً فقط. هو من سيجعلك مثلهم إذن، يجعلك كما ترغب، رجل دولة وخطيباً، لأنّ كل إنسان يكون مسروراً عندما يُحكى معه بلغته ونفسيته الخاصّة، ولا

يحب أيّ أسلوب آخر. لكنك يمكن أن تكون، يا كاليكلس الحلو، ذا عقلية أخرى. هل لدينا أيّة تعليقات؟

كاليكلس: تظهر لي كلماتك، يا سقراط، بشكل أو بآخر، جيدة؛ لكنّني لست مقتنعاً تماماً مع ذلك، مثلي مثل بقيّة العالم(٣٠).

سقراط: إنّ سبب ذلك، يا كاليكلس، هو حبّك لديموس الذي يقيم في روحك وهو خصم لي. لكن إذا ما عدنا لهذه المسائل عينها، وتأمّلناها أكثر بشكل تامّ، يمكن أن تقتنع بذلك كله. من فضلك، إذن، أن تتذكّر أنّه يوجد عمليتان، سواء لتدريب الروح أو الجسم؛ وكما قلنا، نعالجها في إحداهما بالنّظر إلى اللذة، وفي الأخرى بالنظر إلى الخير الأعلى، وحينها فنحن لا ننغمس فيها بل نقاومها. أليس ذلك هو التمييز الذي رسمناه؟

كاليكلس: حقيقي تماماً.

سقراط: والتي كانت اللذّة غرضها كانت مداهنة سافلة تماماً: ـ أليس ذلك استنتاجاً آخر من استنتاجاتنا؟

كاليكلس: حقيقيّ جداً، ليكن هكذا، إذا ما أردت حيازته.

سقراط: والأخرى كان غرضها في التحسين الأعظم لذلك الذي رعته، سواء أكان جسماً أو روحاً؟

سقراط: أوَ لاَ ينبغي أن تكون لدينا الغاية عينها لغرضنا في معاملة مدينتنا ومواطنينا؟ ألاَ يجب أن نحاور ونجعلهم خيِّرين قدر الإمكان؟ لأنّنا قد اكتشفنا مسبقاً أنّه ليس هناك نفع في أيّة خدمة أخرى لهم إذا كانت هذه ناقصة. ولا يكون عقل أولئك الذين يرغبون الحصول على الثروة، أو المنصب، أو أيّ نوع آخر من القوة، لا يكون عقلهم نبيلاً وخيِّراً. أينبغي أن نقول ذلك؟

كاليكلس: نعم، بالتأكيد، إذا أحببت.

سقراط: حسناً إذن، إذا ما قصدت أنت وأنا، يا كاليكلس، الشروع في عمل عام ما، وشجّع واحدنا الآخر لأن نأخذ على عاتقنا بناء المباني، وإقامة الحيطان، وتشييد الأحواض والمعابد من الأحجام الكبيرة. ألا يجب علينا أن نمتحن أنفسنا بادىء ذي بدء، إذا ما كنا نعرف أو نجيد فن البناء، ومن علّمنا؟ ألاَ يلزم أن يكون ذلك ضرورياً، يا كاليكلس؟

كاليكلس: حقاً.

سقراط: علينا أن نعتبر، في المقام الثاني، إذا ما كنا قد شيّدنا أيّ بيت خاصّ قط، إمّا لنا أو لأصدقائنا، وسواء كان هذا البناء الذي يخصنا جميلاً أو بشعاً؛ وإذا وجدنا بعد الاعتبار أنّه كان لدينا بناؤون صالحون وسامون، وكنّا ناجحين في إقامة العديد من المباني الجميلة، ليس بمساعدتهم فقط بل وبدونها، وبمهارتنا الخاصّة بدون معين. يمكن أن يتقدّم الرجال ذوي الإدراك في تلك الحالة لبناء الأعمال العامّة. لكن إذا لم يكن لدينا أيّ أستاذ ليرينا، سوى عدد من الأبنية العديمة القيمة أو لا شيء على الإطلاق، سيكون مضحكاً فينا أن نحاول ممارسة الأعمال العامّة حينئذ بالتأكيد، أو أن يشجع واحدنا الآخر أن نتكفّل بإنهائها، أليس ذلك حقيقياً؟

كاليكلس: بالتأكيد.

سقراط: ألاَ يثبت الشيء عينه في كل الحالات الأخرى؟ إذا ما كنت أنت وأنا مُرَشَّحَين لوظيفة طبيب دولة، وشَجَّع واحدنا الآخر أن يتّخذ موقفاً، كوننا طبيبين كفوءين، ألا ينبغي أن أسأل عنك، وأن تسأل أنت عنّي؟ حسناً، لكن ماذا عن سقراط نفسه، هل هو بصحّة جيدة؟ وهل عُرِف عنه أنه شفى أيّ شخص، أكان عبداً أو إنساناً حرّاً؟ وعليّ أن أسأل التساؤلات عينها عنك. وإذا توصّلنا إلى الاستنتاج، أنّه لم يطرأ أيّ تحسن على أي شخص قطّ بالنسبة لحذقنا في الطب، أيّة سخافة فاضحة حينئذ، يا كاليكلس، لتعتقد أنّنا

أو أيّ إنسان آخر ينبغي أن يكون هكذا أحمق كي ينصِّب أطباء دولة ويشجع الآخرين أمثالنا ليفعلوا الشيء نفسه، بدون أن يكون قد بلغ أقصى المِران الخاص بادىء ذي بدء، غالباً بنتائج وسط، وغالباً بنجاح، وهكذا نكتسب خبرة الفنّ أليس هذا، كما يقولون، كيف تبدأ صناعة الجرّة الكبيرة عندما تتعلّم فنّ صناعة الخزف؟ ألن يكون سلوك كهذا عملاً أحمقاً؟

كاليكلس: حقّاً.

سقراط: وبعدُ، يا صديقي، بما أنّك ابتدأت مسبقاً لتكون رجلاً شعبيّاً، وأنك تحذّرني وتلومني لأنّني لست واحداً منهم، لنفترض أحدنا سأل الآخر أسئلة قليلة، دعني أرى، هل جعل كاليكلس أيّاً من المواطنين أفضل؟ أكان هناك أبداً أيّ رجل كان فاسداً مرّة، أو ظالماً، أو غبيّاً، وأصبح صالحاً ونبيلاً بمساعدة كاليكلس؟ إذا ما وُجِدَ رجل كهذا، مواطناً أو غريباً، عبداً أو حراً، أخبرني، يا كاليكلس، إذا ما طرح إنسان عليك تلك الأسئلة، فبماذا ستجيب؟ من ينبغي أن تقول أنّك قد جعلته أحسن بزمالته لك؟ يمكن أنّك قد فعلت مآثر صالحة من هذا النوع كشخص خاصّ، قبل أن تتقدّم في الحقل العامّ. لِمَ تتردّد في الإجابة؟

كاليكلس: إنّك مخاصم، يا سقراط.

سقراط: لا. إنّني أسألك، ليس من حبّ الخصام، بل لأنّني أريد أن أعرف حقّاً بأيّة طريقة تفكر كيف يجب أن تدار الشؤون العامة بيننا ـ وسواء إذا ما توليت إدارتها، فهل لديك أيّ هدف آخر غير تحسين المواطنين؟ ألم نعترف مرات ومرّات عديدة متكررة أنّ ذلك هو واجب الرجل الشعبيّ؟ نعم، لقد قلنا هكذا؛ إذا كنت لن تجيب بنفسك فما عليّ إلاّ الإجابة عنك. لكن إذا كان هذا ما ينبغي للإنسان الخيّر أن ينجزه لمنفعة دولته الخاصة، إسمح لي أن أذكّرك بأسماء أولئك الذين ذكرتهم لتوّك: بريكلس، وسايمون،

وميليتيادس، وثيميستوكلس، وأن أسألك ما إذا كنت ما تزال تعتقد أنّهم كانوا مواطنين صالحين.

كاليكلس: إنّني أفعل.

سقراط: لكن إذا كانوا صالحين، فإنّ كلاًّ منهم كان جاعلاً المواطنين أفضل بدلاً من الأسوأ، حينئذ بوضوح؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: ولذلك عندما تكلّم بريكلس في الجمعية العموميّة، كان الاثينيون أسوأ وقبل أن يلقي فيهم خطاباته الأخيرة؟

كاليكلس: على الأرجح.

سقراط: لا، يا صديقي (الأرجح) ليست الكلمة الصحيحة الاستعمال هنا؛ لأنّه إذا كان هو مواطناً صالحاً، فإن الاستنتاج لأكيد.

كاليكلس: وأيُّ فرقٍ يفعل ذلك؟

سقراط: لا شيء؛ أريد أن أعرف ما هو أبعد فقط، وهو ما إذا كان مفترضاً أنّ بريكلس قد جعل الأثينيين أفضل، أو على العكس أنه قد أفسدهم؛ لأنّني أسمع أنّه كان أول من أعطى الشعب أجراً، وجعلهم كُسالى وجبناء، وشجّعهم على حبّ الكلام والمال.

كاليكلس: سمعت ذلك أنت، يا سقراط، من ملاكمينا الإسبرطيين السابقين.

سقراط: غير أنّ ما أنا ذاهب لأخبرك إيّاه الآن ليس مجرّد تقولات، بل شيء معروف منك ومنّي جيداً: فبادىء ذي بدء كان بريكلس يُعَدُّ في منزلة سامية، وكانت أخلاقه غير متّهمة بأيّ حكم أثيني. كان هذا زمن لم يكونوا صالحين تماماً ـ علاوة على ذلك عندما جعلهم صالحين ونبلاء فيما بعدُ، فإنّهم أدانوه بالسّرقة في نهاية حياته بالضبط، وكادوا أن يحكموا عليه بالموت، معتبرينه كأنّه شقيّ بشكل جليّ.

كاليكلس: حسناً، كيف يبرهن ذلك رداءة بريكلس؟

سقراط: لماذا، بكلّ تأكيد، أنت ستقول إنّه كان مديراً سيّئاً للحمير أو الأحصنة أو الثيران، التي قد تسلمها، لا ترفسه ولا تنطحه ولا تعضّه في الأصل، وحوّلها شرسة بما فيه الكفاية لتفعل كل هذه الخِدَع؟ ألا يجب أن يكون مديراً سيّئاً لأية حيوانات ذلك الذي تسلّمها لطيفة، وحوّلها أعتى ممّا كانت عندما تسلّمها؟ فماذا تقول؟

كاليكلس: سأفعل لك مِنّة بقول (نعم).

سقراط: وهل ستمنّ عليّ بقول ما إذا كان الإنسان حيواناً؟

كاليكلس: إنه حيوان بالتأكيد.

سقراط: أوَ لم يكن بريكلس، راعي الرجال؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: وإذا كان هو راعياً سياسياً صالحاً، ألا يجب أن تصبح الحيوانات التي كانت رعاياه أكثر عدلاً، وليس أكثر ظلماً؟

كاليكلس: حقيقي تماماً.

سقراط: أليس الرجال العادلين أَماجد، كما يقول هوميروس؟ ـ أو أنّك تعتقد عكس ذلك؟

كاليكلس: أوافق.

سقراط: ومع ذلك فلقد جعلهم أكثر وحشيّة ممّا استلمهم حقّاً، وضربت همجيّتهم أوّل ما ضربت نفسه؛ وهو آخر شخص يرغب معاناتها؟

كاليكلس: أتريدني أن أتفق معك؟

سقراط: نعم، إذا تبين لك أنّني أتكلم الحقيقة.

كاليكلس: مُنِحَتْ إذن.

سقراط: لم يكن بريكلس، بناءً على هذا التصور إذن، رجل دولة صالحاً؟

كاليكلس: هذا صحيح، بناءً على تصوّرك.

سقراط: لا، إنّ هذا تصورك، بعد الذي اعترفتَ به. خذ حالة سايمون، مرّة ثانية. ألَمْ يطرَده الأشخاص ذاتهم الذين كان خادمهم، وذلك كي لا يمكنهم أن لا يسمعوا صوته لعشر سنين؟ وفعلوا الشيء عينه تماماً بثيميستوكلس، مضيفين عليه قصاص النفي؛ وصوّتوا بوجوب رمي ميلتيادس، بطل معركة ماراثون، في حفرة الموت، وقد أُنقذ من هذا العقاب من قِبَل ألبريتانيس فقط. وإذا كان أولئك رجالاً صالحين بعد ذلك حقّاً، كما تقول، فلا ينبغي أن تحدث لهم تلك الأشياء قطّ، لأنّ سائقي العربة الأخيار ليسوا الذين يحتفظون بمقاعدهم بادىء ذي بدء، وبعدئذ، وبعدما روّضوا أُحصنتهم، وأصبحوا سائقي عربات بشكل أفضل، طُرِحوا خارج عرباتهم. إنّ هذه ليست الطريقة لا في قيادة العربات ولا في أيّة مهنة، فماذا تعتقد؟

كاليكلس: ينبغي أن لا أعتقد ذلك.

سقراط: حسناً، لكن إذا هكذا، فإنّ الحقيقة هي كما قلت سابقاً، إنّ أيّ شخص في الدولة الأثينيّة لم يُظهر نفسه أنّه رجل دولة صالح. لقد اعترفت أنّ هذا كان حقيقياً لرجال دولتنا الحاضرين، لكنّك نفيتها عن الأشخاص السابقين، واخترت أولئك الذين كنت عنهم باحثاً؛ وفوق ذلك فلقد ظهر أنّهم ليس بأفضل من حكامنا الحاضرين. ولذلك، إذا كانوا علماء كلام، فهم لم يستعملوا لا الفنّ الحقيقيّ لعلم الكلام (أو فهم لا ينبغي أن يسقطوا خارج ألحضوة) ولا شكل المداهنة له.

كاليكلس: لكن بالتأكيد، يا سقراط، إن أيّ إنسان حيّ لا يداني ما حقّقوه من إنجازات قطّ.

سقراط: أوه، يا صديقي العزيز، إنّني لا أقول أيّ شيء ضدهم فيما يتعلق بخدمات رجال الدولة، ولا أعتقد أنّهم كانوا أكثر خدمة من أولئك الذين هم أحياء

الآن بالتأكيد، وأفضل قدرة على أن يرضوا رغبات الدولة. لكنْ كتحويل تلك الرغبات وعدمِ السماح لها في أن تسلك طريقها، واستعمال السلطات التي لديهم، سواء بالإقناع أو القوة، في تحسين رفاقهم المواطنين، هذا التحسين هو الهدف الرئيسي للمواطن الصالح الحقيقي، فأنا لا أرى أنّهم كانوا في هذه الجهات أسمى بقليل من رجال دولتنا الحاليين. ولا أعترف مع هذا أنّهم كانوا أكثر مهارة في تجهيز البواخر وبناء الجدران وأحواض السفن، وكل ذلك. أنت وأنا لدينا طريقة مضحكة في الحوار، لأنّنا كنّا خلال الوقت كلّه الذي تجادلنا فيه، كنّا كمن يدور في حلقة مفرغة على الدوام، عائدين للنقطة عينها ويسيء واحدنا فَهْمَ الآخر. لقد سلّمت بذلك واعترفت أكثر من مرّة، إذا لم أكن مخطئاً، أن هناك نوعين من النشاطات التي لها صلة بالجسم، واثنين لهما صلة بالروح: أحدهما وزاري، ويقدّم الغذاء لأجسادنا إذا جاعت، ويعطيها الماء إذا عطشت، ويجهزها بالكساء والأغطية والأحذية وكل ذلك الذي ترغبه إذا أصابها البرد. إنّني أستعمل الصور عينها عن قصد كما فعلت سابقاً، كي يمكنك أن تفهمني أفضل. ويمكن لمورِّد السّلع أن يزوّدها إمّا بالكميّة أو بالتجزئة، أو يمكنه أن يصنع أيّاً منها. إن الخبّاز، أو الطاهي، أو الحائك، أو صانع الأحذية، أو الحمّال، وفي عمله هكذا، كونه كما هو، فإنّه يفترض نفسه كما يفترض الآخرون أنّ يمدَّ الجسد بشكل طبيعي؛ كما يفترضه كلّ شخص، ذلك هو الذي لا يعرف أنّه يوجد فنّ آخر - فن الرياضة وفنّ الطب - اللذان هما من يمدُّ الجسد في الحقيقة. وهذان الفنّانِ يجب أن يكونا الرئيس لكل الفنون الأخرى، وأن يستعملا نتائجها طبقاً للمعرفة التي لديهما، وهي ليس لديها من حقيقة التأثيرات الصالحة أو السيّئة للّحم والشراب على الجسم. إنّ كل الفنون الأخرى حقيرة وخادمة للأعمال البسيطة ودنيئة في تعاملها مع الجسم، أمّا

فنّ الرياضة. وفنّ الطب فيجب أن يكونا أسياداً عليها كما يجب. وبعدُ، عندما أقول إنّ كل هذا قول حقيقيّ عن الروح بشكل متساوٍ، تبدو أنّك تعرف وتفهم وتسلّم بكلماتي، وتأتي مردِّداً حينئذ ومن ثمّ بعد وقت قصير: « أليس لدى الدولة مواطنون أخيار ونبلاء؟ ». وعندما أسألك من هم، وأيّ نوع من المرشحين السياسيين تقدّم، فكأنّني سألتك عن الألعاب الرياضيّة، ومن يكون أو قد كان مدرّبون ممتازون؟ - وأجبتني أنت بكل جديّة أن ثيريون الخبّاز، ميثاكيوس الذي كتب كتاب الطهو الصقلي، وسارامبوس تاجر الخمور: أنّ هؤلاء هم من يمدّ يد العون إلى الجسد، وهم بلغوا الدرجة الأُولى في فنّهم؛ لأنّ الأوّل ينتج الأرغفة البديعة، والثاني الصحون الممتازة، والثالث النبيذ النفيس؛ ويظهر هؤلاء لي أنهم في موازاة دقيقة مع رجال الدولة الذين ذكرتهم. وبعدُ فأنت لست مسروراً جملةً إذا قلت لك إنّك، يا صديقي، لا تعرف أيّ شيء عن الألعاب الرياضيّة؛ وأمّا تلك التي تكلّمني عنها ما هي إلاّ أعمال وضيعة فقط، تؤمّن لشهوات الأكل والشرب التي لا تمتلك بشأنها أفكاراً مترفّعة وصالحة، يمكنها على الأرجح أن تملأ وتسمّن أجساد الرجال وتكسب موافقتهم، مع أنّ النتيجة هي أنّهم يفقدون اللحم الذي ابتدأوا به على المدى الطويل؛ وفوق ذلك فإنّ هؤلاء ولبساطتهم، لن ينسبوا أمراضهم وهزالهم إلى مسامريهم، ولكن عندما اعترفوا أنّ تُخمتهم، بغضّ النظر عن الصحّة التي لديهم، تجلب لهم في السنوات المتعاقبة قصاص المرض الذي يلازمهم، ويتّهمون ويلومون من حدّث وكان بقربهم في ذلك الوقت وقدّم لهم النصيحة، وسينزلون به أذى إذا ما استطاعوا؛ بينما يتقدمون ليثنوا على الرجال الذين كانوا مسبّبي ضررهم. وإنّ ذلك، يا كاليكلس، هو ما تفعله الآن تماماً: تمدح الرجال الذين أولموا للمواطنين وأشبعوا رغباتهم. يقول الشعب إنّ هؤلاء الرجال جعلوا المدينة

عظيمة، غير ملاحظين حالة التورّم والتقرّح في الدولة التي هي منسوبة لرجال الدولة المتقدمين في العمر هؤلاء؛ لأنّهم ملأوا المدينة بالموانىء وأحواض السفن والحيطان والإيرادِ وكلّ أنواع سقْطُ المتاع، ولم يتركوا مكاناً للعدل والاعتدال. وعندما تقع أزمة الفوضى، فسيلوم الشعب مرشدي الساعة، ويثنون على ثيميستوكلس وسايمون وبريكلس، الذين هم مسبّبو نكباتهم الحقيقيون. وإنْ لم تكن حذراً يمكن أن يغيروا عليك وعلى صديقك السيبيادس، عندما يفقدون ليس مكتسباتهم الجديدة فقط، بل ممتلكاتهم الأصليّة أيضاً، ليس لأنّك مسبّب بلاياهم هذه، مع أنّك قد تكون عوامل مساعدة لها. يوجد تمثيل غير ذي معنى للذي أراه مستمرّاً اليوم، كما استمرَّ (هكذا أُخبرت) مع رجال الدولة السالفين، عندما تعامل الدولة أيّاً من رجال دولتنا كجناة. أسمع منهم احتجاجات ساخطة عن الأذى المفترض الذي ارتُكِبَ بحقّهم قائلين: « بعد كل خدماتنا العديدة للدولة، أينبغي أن نهلك ظلماً على يديها! ». هكذا تدور القصة، ولا يكون كل صراخهم إلاّ كذباً؛ لأنّه لا يمكن لرجل الدولة في أيّ وقت أن تقدّمه للموت ظلماً، مدينةٌ هو رئيسها. أعتقد، أنّ حالة رجل الدولة المزعوم، تشبه تماماً جدّاً حالة السوفسطائي المزعوم؛ لأنّ السوفسطائيين، مع أنّهم رجال عقلاء في طرق أخرى، فهم مذنبون مع ذلك في هذا النموذج الغريب من الحماقة؛ يزعمون أنّهم أساتذة للفضيلة. فهم سيتّهمون رفاقهم غالباً بأنّهم يسبّبون لهم الأذى، وأنّهم يغدرون بهم عندما يأتي وقت الدفع، ولا يبدون أي عرفان بالجميل لخدماتهم الثمينة. وبعدُ فأيّ شيء يمكن أن يكون أكثر سخرية من أنّ الرجال الذين أصبحوا عادلين وأخياراً، والذين قد تمّ استئصال الظلم منهم، والذين قد زُرِع العدل فيهم من قِبَلِ أساتذتهم، يلزم أن يفعلوا بظلم بسبب الظلم الذي لا يوجد فيهم؟ أيمكن لأيِّ شيء أن يكون أكثر لا عقلانية،

يا صديقي، من هذا؟ أنت، يا كاليكلس، تجبرني على أن أكون خطيباً غوغائياً، لأنك لا تجيبني.

كاليكلس: وأنت الإنسان الذي لا يستطيع أن يتكلم، ما لم يوجد شخص ما ليجيب!

سقراط: أفترض أنّني أستطيع؛ في هذه اللحظة، على أيّة حال، فالأحاديث التي أصفها هي طويلة بما فيه الكفاية لأنّك ترفض أن تجيبني. لكنّني أستحلفك باسم الصداقة، أن تخبرني: ألا يظهر لك وجود تناقض كبير في قولك أنّك قد جعلت الإنسان صالحاً، ومن ثمّ تلومه بعدئذ لكونه سيّئاً عندما جعلته أنت نفسك الإنسان الصالح الذي هو؟

كاليكلس: نعم، إنه يظهر لي هكذا.

سقراط: ألم تسمع مطلقاً أساتذتنا للتعليم المناقبي متكلّمين بهذا الأسلوب المتناقض؟

كاليكلس: نعم، لماذا التكلّم عن رجالٍ لا يصلحون لأيّ شيء؟

سقراط: ينبغي بالأحرى أن أقول، لِمَ التكلّم عن الرجال الذين يصرّحون أنّهم حكام، ويعلنون أنهم مكرسون لتحسين المدينة، ويلقون فوق ذلك خطبة مؤثرة عندما تسنح الفرصة ضدّ ما تتفوه به المدينة من سفالة. هل تعتقد أنّ هناك فرقاً بين أحدهم والآخر؟ يا صديقي، وكما قلت لبولس، إنّ السوفسطائي وعالم الكلام، هما نفساهما، أو تقريباً نفساهما. لكنك تتوهّم بجهل أنّ علم الكلام هو شيء كامل، وأنّ السوفسطائي شيء يُزدرى به؛ بينما الحقيقة هي أنّ السوفسطائية هي بقدرٍ ما أسمى من علم الكلام كما يكون التشريع لممارسة القانون، أو التمارين الرياضيّة إلى الدواء. إنّ الخطباء والسوفسطائيين وهذا ما أميل للاعتقاد به، هم الطبقة الوحيدة الذين لا يمكنهم أن يشتكوا عن الضّرر الناجم لهم من القيّمين على تعليمهم، بدون إدانة أنفسهم بالنَّفَس عينه لعدم فعلهم الخير لأولئك الذين يدّعون أنّهم أفادوهم. أليست هذه حقيقة؟

كاليكلس: إنها بالتأكيد.

سقراط: إذا كانوا هم محقين في القول إنّهم يجعلون الرجال أفضل، فهم بالتخمين عندئذ الطبقة الوحيدة التي بإمكانها أن تؤدّي خدماتها قبل أن تتقاضى أجراً. في حين أنّ الإنسان إذا استفاد بأيّة طريقة أخرى، إذا، كمثال، قد علّمه المدرّب الركض، فيمكن له أن يخدع المدرّب بالاحتمال ويختلس أتعابه، ذلك إذا ترك المدرّب المسألة له بدلاً من أن يسدّد الألعاب سلفاً ويحصّل المال (قدر الإمكان) في الوقت عينه مثلما أعطي السرعة في أداء الخدمات؛ لأنّ الرجال لا يفعلون بظلم بسبب أيّ نقص في السرعة، بل بسبب الظلم.

كاليكلس: حقيقي تماماً.

سقراط: ومن يزيل الظلم لا يمكنه أن يكون في خطر مِن أن يُعامل بظلم. إنّه الوحيد الذي يقدر أن يترك أتعاب خدماته لتلاميذه، إذا ما كان قادراً حقاً أن يجعلهم صالحين. ألست محقّاً؟(٣١)

كاليكلس: نعم.

سقراط: لقد وجدنا السبب اذن لماذا لا يوجد عار في إنسان يتلقى أتعاباً والذي اسْتُدْعِيَ لينصح عن فن النباء أو عن أي فن آخر.

كاليكلس: نعم، إنّها تشبهها.

سقراط: لكن عندما تكون النقطة الأساسية، كيف يمكن للإنسان نفسه أن يصبح أفضل، وأن يحكم عائلته ودولته بشكل أنسب، كي تقول حينها إنّك لن تعطي نصيحة مجانيّة فذلك يُعتبر عاراً؟

كاليكلس: حقّاً.

سقراط: ولماذا؟ لأنّ منافع كهذه تتطلّب رغبة لتكافئها فقط، وهذا يكون تبياناً صالحاً إلى هذا الحدّ من أنّ المنفعة قد أُعطيت في وقت يكون المحسن قد تلقّى الدفع بالمقابل؛ وإلاّ فلا. ألست هذه حقيقة؟

كاليكلس: إنّها كذلك.

سقراط: إذن أية خدمة تدعوني كي أؤدّيها للدولة؟ قرّر لأجلي. هل سأكون طبيب الدولة الذي سيناضل ويجاهد ليجعل الأثينيين بصحة جيدة قدر الإمكان؟ أو هل سأكون خادماً ومداهناً في الدولة؟ أجبني بحقّ، يا كاليكلس: الحقّ أقول إنّك يجب أن تنتهي كما ابتدأت، قائلاً ما تفكر به بصراحة. وبعْدُ كن صادقاً معي.

كاليكلس: أقول إنّ عليك أن تكون خادماً في الدولة.

سقراط: هكذا، أيّها السيّد النبيل، تدعوني لأكون مداهناً؟

كاليكلس: ميشينيّ(٣٢)، يا سقراط، أو ما يسرّك. لأنّك إذا رفضت، ستكون العواقب ـ

سقراط: لا تكرّر القصّة القديمة ـ إنّ من سيحبّ سيقتلني؛ لأنّني سأكرّر عندها الإجابة القديمة. إنّه سيكون رجلاً شرّيراً وسيقتل الإنسان الخيّر؛ ولا تردّد أنّه سيجردني من ممتلكاتي، لأنّني سأجيب عندها مرّة ثانية أنّ المال لن يكون بذي نفع له، بل إنّه سيستعمل بخطأ ذلك الذي أخذه بخطأ، وإذا بخطأ، فبدناءة، ثم أذى.

كاليكلس: كم أنت واثق من نفسك، يا سقراط، من أنّك لن تصل أبداً إلى أيّ أذىً كهذا! يبدو أنّك تعيش في بلد آخر، ولا يمكن جلبك إلى محكمة عدل، لربّما من قِبَل شخص سيّىء الذكر وغد وسافل.

سقراط: يجب أن أكون غبيّاً عندئذ، يا كاليكلس، إذا كنت لا أعرف أنّه يمكن لأيّ إنسان أن يعاني أيّ شيء في الدولة الأثينيّة. وإذا ما أُحضِرتُ إلى المحاكمة وتعرضت للأخطار التي تتكلّم عنها، فإنّ من سيحضرني لها سيكون وغداً نذلاً ـ إنّني متأكّد من ذلك تماماً، إذ ما من إنسان صالح سيتّهم البريء. لا ولن أكون مندهشاً إذا ما حُكِمَ عليّ بالموت. هل سأخبرك لِمَ أتوقّع هذا؟

كاليكلس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: أعتقد أنّني الأثيني الوحيد أو تقريباً هكذا، الحيّ الذي ينشد فنّ السياسات الحقّ؛ وإنّني السياسي الوحيد الذي أمارسها. وبعدُ، بما أنّني أبصر ذلك فإنني عندما أنطق كلماتي فلا أتفوه بها مع أيِّ تصور لنيل حَظْوَة، بل أتطلّع إلى ما هو الأفضل وليس إلى ما يكون أكثر مسرّة، ولا قصد لديّ لاستعمال تلك الفنون والنعم التي توصي بها. ولن أمتلك أيَّ شيء لأقوله في محكمة عدل. يمكن أنّك ستجادل معي، كما تحاورت مع بولس. سأحاكم تماماً كما سيُحاكم طبيب في محكمة أطفالٍ صغار عند إتّهام طاهٍ له. ماذا سيجيب في موقع كهذا، إذا ما اتهمه شخص ما، قائلاً، (يا أولادي، لقد فعل لكم هذا الإنسان أشياء شرّيرة عديدة. إنّه سببُ موتكم، خاصّة الشباب منكم، مقطّعكم وحارقكم ومجوّعكم حتى الموت وخانقكم، حتى لا تعودون تعرفون ما ستفعلون. إنّه أعطاكم الجرعات الأمرّ، وأجبركم على أن تجوعوا وتعطشوا. كم يكون ذلك غير مشابه لنوعيّات اللحوم والحلويّات التي عليها أولمتكم!). ماذا تفترض الطبيب آنئذ. هل ستفترض أنّه سيكون قادراً على الإجابة عندما يجد نفسه في ورطة كهذه؟ وإذا أراد أن يخبّر الحقيقة يمكنه القول فقط، (يا أولادي، إنّني فعلت كل هذه الأشياء، من أجل صحتكم). أو لن ترتفع حينئذ، جلبة مصمّة للآذان من المحلّفين تشبه ذلك؟ كيف يمكن أن يتعالى صراخهم!

كاليكلس: أجرؤ قول ذلك.

سقراط: ألن يكون في ضياع كلّيّ للإجابة؟

كاليكلس: إنّه سيكون بالتأكيد.

سقراط: وسأعامل أنا أيضاً بالطريقة عينها، كما أعرف جيداً، إذا أُحضرت أمام المحكمة. لأنّني لن أكون قادراً أن أتلو على الشعب الملذّات التي حصّلتها

لهم، والتي، مع أنّني لست مستعدّاً لأن أحسد لا المدبِّرين ولا المتمتعين بها منهم، وهي محسوبة من قِبَلِهم أنّها المنافع والفوائد. وإذا قال أيّ شخص إنّني أفسد الرجال الشبّان، وأربك عقولهم، أو إنّني أتكلّم سوءاً عن الرجال المسنّين، وأستعمل كلمات نابية تجاههم، سواء بالسرّ أو العلن، فإنّها غير ذات نفع لي، كما يمكنني فعل ذلك بحقّ: (إنّ كل هذا الذي أقول هو لسبب خيركم، بقصد منفعتكم، يا قضاتي، وليس لأيّ شيء آخر) وبناء على ذلك ليس هناك من إخبارٍ لِمَا سيحصل لي.

كاليكلس: وهل تعتقد، يا سقراط، أنّ كل شيء سيكون على ما يرام مع إنسان يواجه هذه الحالة، ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه؟

سقراط: نعم، يا كاليكلس، إذا كان لديه ذلك الدفاع، الذي كما اعترفت أنت غالباً أنّه عليه أن يمتلك ـ إذا كان ذلك دفاعه الخاص، ولم يقل أو يفعل أيّ شيء خطأً قط، لا فيما يختص بالآلهة أو الرجال. ولقد اعترفنا بهذا تكراراً أنّه الدفاع الأقوى. وإذا استطاع أيّ شخص أن يدينني لعدم قدرتي على الدفاع عن نفسي أو عن الآخرين طبقاً لهذا المنوال، عليّ أن أحمرّ خجلاً، سواء أُدنت أمام كثيرين، أو أمام قلّة، أو وحيداً بنفسي؛ وإذا مُتُّ من افتقاري للقدرة لفعل هكذا، سيحزنني ذلك حقّاً. لكنّني إذا مُتُّ لأنّني لا أمتلك قوى المداهنة أو علم الكلام، فأنا متأكّد يقيناً أنّك لن تجدني متذمّراً من الموت، فإن أي إنسان ليس غبياً ولا جباناً مطلقاً يخاف الموت نفسه، بل يخاف من فعل الخطأ، وَلأَنْ تذهب إلى العالم السفلي ولديك روح ملأى بالظلم لهو أردأ من كل الشّرور وآخرها. وأحبّ أن أخبرك قصّة، إذا لم يكن لديك اعتراض، أحبّ أن أتلوها عليك في برهان لِمَا أقول.

كاليكلس: حسناً تماماً؛ انتهِ بالقصة، كما انتهيت بكلّ شيء آخر.

سقراط: إستمع، إذن، كما يقول ساردو القصص، إستمع إلى قصّة جميلة جداً،

هي التي أجرؤ القول إنّه يمكنك أن تكون مستعدّاً لأن تعتبرها كأنّها وهم فقط، لكنها -كما أعتقدها قصّة حقيقية؛ وما أنا ذاهب لأقوله، أقدّمه كالحقيقة. أخبرنا هوميروس(٣٣) كيف قسّم زيوس وبوسايدون وبلوتو الأمبراطوريّة التي ورثوها من أبيهم. وُجِدَ قانون في أيّام كرونوس يخصّ قَدَرَ الإنسان، الذي قد كان دائماً، وسيدوم في السماء ـ وذلك أنّ الذي قد عاش كل حياته في العدل والقداسة، سيذهب عند وفاته إلى الجزر المباركة، ويسكن هناك في سعادة كاملة لا وصول للشرّ إليها. لكنّ الذي عاش بظلم وكفر سيذهب إلى السّجن مكان أخذ الثأر والعقاب، الذي يدعى الجحيم. ولقد أُعطي الحكم في زمن كرونوس، وحتى في وقت متأخر تماماً أثناء حكم زيوس، أُعطيَ في اليوم عينه تماماً الذي كان الرجال سيموتون فيه. كان القضاة أحياء، وكذلك الرجال؛ وكانت العاقبة أنّ حالات الموت كانت مقرّرة بخطأ. أتى حينئذ بلوتو ومتسلّمو السلطة من الجزر المباركة إلى زيوس، وقالو إنّ الأرواح وجدت طريقها إلى الأماكن المغلوطة. قال زيوس: « سأضع حداً لهذا؛ لقد أُعطيت القرارات الخاطئة، لأنّ الأشخاص كانوا قد ارتدوا أثوابهم قبل المحكمة، لأنّهم كانوا أحياء؛ وهناك العديد الذين امتلكوا الأرواح الشرّيرة، تجهزوا بأجسام جميلة، أو تغلّفوا في الثروة أو المنزلة المتوارثة، وعندما قدم يوم الحساب، أتى شاهدون كثيرو العدد وشهدوا بالنّيابة عنهم أنّهم عاشوا بصلاح. تخوّف القضاة منهم، وكانوا هم أنفسهم يرتدون أثوابهم عندما أصدروا الحكم. لقد تداخلت عيونهم وآذانهم وأجسامهم كلها كقناع أمام أرواحهم الخاصة. إنّ كل هذا كان عائقاً لهم، أثواب القضاة وأثواب المتقاضين على حدّ سواء. سأجرّد الرجال في المقام الأول، لهذا السبب، من معرفة الموت قبل وقوعه، تلك المعرفة التي يمتلكونها في الوقت الحاضر. لقد تسلّم بروميثيوس أوامري الآن ليأخذ منهم هذه القوة التي

لديهم. في المقام الثاني، سيُعرّى جميعهم تماماً قبل أن يُحاكموا، لأنّهم سيحاكمون عند موتهم؛ وسيكون القضاة عراة أيضاً، لتقول إنّهم، موتى ـ وسيخرق من هو بروح معرّاة إلى الأرواح المعرّاة الأخرى كما هي بعد الموت بدون إنذار، محرومة من أقربائها جميعاً، وتاركة لباس بسالتها منثوراً فوق الأرض ـ سيكون الحكم عادلاً، سالكاً في هذا النّهج. إنّني عرفت كلّ شيء عن هذا الموضوع قبل أيّ واحد منكم، وعيّنت أبناءً من خاصتي ليكونوا القضاة، إثنين من آسيا، ماينوس ورادامانثوس، وواحداً من أوروبا. وسأعطي لماينوس مركز الصدارة، وسيكون هو محكمة استئناف، في حالة إذا ساور أحدهما أيّ شك: سيكون الحكم عادلاً فيما يخص رحلة الرّجال الأخيرة قدر الإمكان ».

إنّني أستخلص الاستنتاجات التالية، يا كاليكلس، من هذه القصة التي سمعتها والتي أؤمن بها: سيكون الموت، إذا كنت محقّاً، إنفصال شيئين عن بعضهما بعضاً في المقام الأوّل، وهما الروح والجسم؛ ولا شيء آخر. ويحتفظ كلّ منهما بعد الانفصال، بما كان عليه وهو حيّ، مع تغيير ضئيل؛ ويستبقي الجسم العادة عينها، وتكون نتائج المعالَجة أو الحادثة كلّها ظاهرة فيه بوضوح. كمثال، أنّ من كان رجلاً طويلاً وهو حيّ، بالطبيعة أو التدريب أو كليهما، سيبقى كما كان بعد موته، وسيبقى الرجل السمين سميناً، وهكذا دواليك. والرجل المتوفي، الذي كان لديه رغبة ليمتلك شَعراً منساباً، سيمتلك شَعراً منساباً. وإذا كان نصّاباً عديم القيمة، ويحمل على جسمه آثار الضربات، كآثار من السوط أو من عقاب جسديّ آخر عندما كان على قيد الحياة، يمكنك أن ترى الشيء نفسه في الجسد الميْت. وإذا كانت أطرافه مكسورة أو مشوّهة عندما كان حيّاً، فسيكون المظهر عينه مرئيّاً في الميْتِ. وفي كلمة، مهما كانت عادة الجسم أثناء

الحياة ستكون جليّة بعد الموت، إمّا على وجه الكمال، أو في مقياس كبير ولوقت محدَّد. ويجب أن أتصوَّر أن يكون هذا حقيقياً للروح على حد سواء، يا كاليكلس، عندما تكون الروح منزوعة من الجسد، فإنّ كل شيء فيه يُوضع مكشوفاً للمشاهدة - كلّ سماته الطبيعيّة وكل صفاته المميّزة التي اكتسبها في كلٍّ من نشاطاته المتباينة. وعندما أتوا إلى القاضي، فإنّ أولئك الذين أتوا إلى رادامانثوس من آسيا، أوقفهم وعاينهم واحداً واحداً بنزاهة إلى حد بعيد، غير عارف لمن تكون الروح. يمكنه غالباً أن يضع يديه على روح ملك ما أو عاهل كالملك العظيم، ولا يتبيَّن فيها سلامة، بل روحاً موسومة بالسّوط، مملوءَة بآثار شهادات الزّور والجرائم، التي لَطّخها بها كلُّ عملٍ من أعمالها، وكل الأرواح معوجّة بالزيف والاحتيال، وبدون استقامة، لأنّ الإنسان عاش بدون الحقيقة. إنسان كهذا رآهُ رادامانثوس، ممتلئاً بكلّ تشوّه وبحالة عدم التناسب التي سبّبها الخروج على الأعراف والقوانين وسبّبها الترف والسفاهة والفجور، لهذا أرسله بحقارة إلى سجنه، حيث سيقاسي هناك العقاب الذي يستحقّ.

وبعدُ، فإنّ الدور المناسب للعقاب ككل يكون مزدوجاً: فمن عُوقبَ بشكل مستقيم يجب إمّا أن يصبح أفضل ويستفيد من عقابه، أو يجب أن يكون عِبرةً لرفاقه، كي يمكنهم رؤية ما قاسى، ويخشون أن يعانوا شبه ذلك، ويصبحون أفضل. أمّا أولئك الذين تحسّنوا عندما عُوقِبوا من قِبَل الآلهة والرجال، فهم أولئك الذين تكون ذنوبهم قابلة للشفاء؛ وقد تحسّنوا بالألم والمعاناة، كما في هذا العالم هكذا في العالم الآخر أيضاً؛ إذ ليس هناك أي طريق آخر يُستطاع بواسطته تخليصهم من شرورهم. لكنّ أولئك الذين كانوا مذنبين بأسوأ الجرائم، ولا يمكن شفاؤهم بسببها، فقد جُعِلوا أمثلة. وبما أنّهم غير قابلين للشفاء، فلم يحصلوا على الخير لأنفسهم. غير أنّ

الآخرين حصلوا على الخير عندما رأوهم متحملين، للأبد، المعاناة الأكثر فظاعة وألماً وخوفاً كجزاء لذنوبهم ـ هناك هم، معلّقون في سجن بيت العالم السّفلي كنماذج صحيحة، وكمشهد ملفت للنظر وإنذار لكلّ الرجال غير الأتقياء الذين يأتون إلى هناك. وسيكون آرتشيلوس بينهم، كما أؤكّد بكل ثقة، إذا ما قد أعطى بولس تقريراً حقيقيّاً عنه، وكذلك أيّ مستبد آخر شبيه به. كما أعتقد، فإنّ أكثر هذه الأمثلة المخيفة، أُخِذت من طبقة المستبدين والملوك والحكّام والرجال العامين، لأنّهم هم مرتكبو أعظم وأكثر الجرائم شرّاً بسبب امتلاكهم القوة. ويشهد هوميروس بحقيقة هذا؛ إنهُمُ الملوك والحكام، الذين وصفهم دائماً كمقاسي عقاب أبديٍّ في العالم السفلي. هكذا كان تانتالوس وسيسيفوس وتيتيوس. لكن لا أحد وصف ثيرساتيس أبداً، أو أيّ شخص خاص ممّن كان وغداً كمقاسٍ للعقاب الدائم، أو غير قابل للشفاء. لأنّه لم يكن في قدرته أن يرتكب أبشع الجرائم، كما أعتقد، وكان لذلك أسعد من هؤلاء الذين امتلكوا القوة. لا، يا كاليكلس، إنّ الرجال الأشرار أنفسهم يأتون من طبقة هؤلاء الذين يمتلكون السلطة(٣٤). وفوق ذلك فإن في تلك الطبقة، يمكن أن ينشأ رجال أخيار بحقّ، وعندما ينشأون فهم جديرون بكل إعجاب؛ لأنّه حيث توجد القوة العظمى لتفعل الضرر، لتحيا ولتموت بعدل يكون شيئاً صعباً، ويُثنى على ذلك بدرجة كبيرة، وهناك قلّة ممّن تصل إلى هذا. لقد وُجد رجال أخيار وحقيقيون كهؤلاء، على كل حال، في أثينا وفي الدول الأخرى. وأعتقد أنّه سيكون من الآن فصاعداًرجال لامعون في هذه الفضيلة، فضيلة إتمام ائتمانهم القويم؛ وهناك واحد شهير فوق هيلاس كلها، إنّه أريستايدس بن ليسيماخوس. غير أنّ الرجال العظام، يا صديقي، هم فاسدون أيضاً بشكل عامّ.

وكما كنت قائلاً، فإنّ رادامانثوس، عندما يتسلّم روحاً من النوع الشرير،

لا يعرف أيّ شيء عنه، لا من هو، ولا من هم آباؤه؛ يعرف أنّه أمسك بوغد فقط. ومبصراً هذا، يدمغه كقابل للشفاء أو غير قابل له، ثم يرسله بعيداً إلى الجحيم، حيث يذهب ويتلقّى مكافأته المناسبة، أو ينظر بإعجاب إلى روح شخص عادل عاش في التُّقى والصدق؛ يمكن أنّه قد كان إنساناً خاصّاً أو لم يكن. وينبغي أن أقول، يا كاليكلس، من المحتمل جداً أنّه قد كان فيلسوفاً أنهَى عمله الخاص به، ولم يزعج نفسه بأعمال الرّجال الآخرين في حياته، فإن رادامانثوس أرسله إلى الجزر المباركة. وفعل آيكوس الشيء عينه؛ وكان لدى كليهما صولجانات، وقاضوا الجميع؛ لكنّ مانيوس فقط كان لديه صولجان ذهبي وجلس هناك مراقباً، كما أعلن أوديسيوس في هوميروس(٣٥) أنه رآه: « ممسكاً صولجاناً ذهبياً، مانحاً القوانين إلى المتوفّين ». إنّني الآن، يا كاليكلس، مقتنع بحقيقة هذه الأشياء، وأتأمّل مليّاً كيف سأقدّم روحي كاملة وغير دنسة أمام القاضي في ذلك اليوم، متنازلاً عن الأمجاد، التي يتوق العالم لها. إنّني أرغب أن أعرف الحقيقة فقط، وأن أحيا صالحاً قدر إمكاني، وعندما أتوفّى، أتوفّى صالحاً حسب استطاعتي. وأنّني أحضُّ كلّ الرجال الآخرين أن يفعلوا الشيء عينه، وإلى أقصى قوّتي. وعوضاً عن حضّك لي لأسلك طريقاً آخر، أنصحك أيضاً أن تشرع في طريق الحياة هذا، وأن تنازل في هذه الحرب، والتي أُثبِتُ أنّها أهمّ من كل نزاع أرضيّ آخر. وإنّني أردُّ على لومك لي، وأقول إنّك لن تكون قادراً على الدفاع عن نفسك يوم الحساب والامتحان، الذي تكلّمت عنه، عندما يأتي عليك؛ ستقف أمام القاضي، ابن آيجينا، وعندما يمسكك بقبضته بإحكام ويحملك بعيداً، ستنذهل وسيدور رأسك دوراناً، كما يدور رأسي تماماً في محاكم هذا العالم، ومن المحتمل أن يلكمك واحد ما على الأذنين، ويرميك بكل نوع من أنواع الإهانة.

يمكن أن يظهر لك هذا أنّه فقط حكاية زوجة مُسنّة، تحتقرها. ويمكن أن

يكون هناك سبب لإزدرائك بهكذا قصّة، إذا أمكننا أن نجد أيّ شيء أفضل وأصدق بالبحث. لكنك ترى الآن أنّك وبولس وجورجياس، الذين هم أعقل ثلاثة يونانيين في أيّامنا، ليسوا بقادرين أن يبيّنوا أننا يجب أن نحيا أيّ حياة سوى هذه، التي ستفيدنا في العالم التالي كما ستفيدنا هنا بكلّ تأكيد. ومن كل ما قد قيل، لا يبقى أيّ شيء غير مزعزع إلا القول إنّه يجب تجنُّبُ فعلِ الظلم أكثر من مقاساته، وإنّ صدق الفضيلة وليس مظهرها هو ما ينبغي اتِّباعه فوق كلّ الأشياء، كما في الحياة العامّة كذلك في الحياة الخاصّة؛ وأنّ الإنسان عندما يفعل الأذى في أي اعتبار، تجب معاقبته، لأنّ الشيء التالي الأفضل للإنسان كونه عادلاً هو أنّه ينبغي أن يصبح عادلاً بالتصحيح والعقاب. يلزمه أن يتجنَّب أيضاً كلّ نفاق عن نفسه كما عن الآخرين، عن القلة أو عن الكثرة. ويجب عليه أن يستخدم علم الكلام، ويلزم أن يفعل كل أعماله على الدوام بنيّةٍ إلى العدل خالصة.

إتبعني إذن، وسأهديك حيث ستكون سعيداً في الحياة وبعد الوفاة، كما تبيِّن المحاورة. ولا تُعِرِ انتباهاً إذا ما استخفّ بك شخص كأنّك غبيّ، وأهانك، إذا ما كان يمتلك عقلاً، دعه يضربك، وكن مبتهجاً حقيقيًا، ولا تهمّك اللطمة التحقيريّة، لأنّك لن تصل لأيِّ أذى أبداً في ممارسة الفضيلة إذا كنت إنساناً خيّراً وصادقاً حقاً. وعند ممارستنا الفضيلة معاً، سننكبُّ على علم السياسة، إذا ما بدا ذلك مرغوباً فيه، أو سننصح بشأن أيِّ شيء آخر يمكن أن يظهر لنا خيِّراً، لأنّنا سنكون قادرين على أن نقاضي أفضل آنئذ. أمّا في حالتنا الحاضرة كتلك التي تكون واضحة الآن، سيكون معيباً لنا أن نمنح أنفسنا مظاهر عظمة وكأنّنا ذوو أهمية ما، لأنّنا نغيّر أفكارنا دائماً حتى في المواضيع الأكثر أهميّة. إنّنا هكذا جهلة بشكل مطلق! دعنا عندئذ، نأخذ محاورتنا الحديثة العهد كدليلنا، والتي قد كشفت لنا أن أفضل طرق الحياة

هو أن تمارس العدل وكل فضيلة في الحياة وبعد الموت. دعنا نسلك هذا الطريق؛ ونحضُّ كل الرجال على أن يسلكوه، وليس الطريق الذي تثق والذي فيه تنصحني لأن أتبعك؛ لأنّ الطريق ذاك، يا كاليكلس، لا يستحقّ أيّة قيمة.

محاورة كارمايديس

الإعتدال والعفة

أفكار المحاورة الرئيسيَّة

يسأل سقراط، الشابَّ الجميل كارمايديس، الذي هو أكثر أبناء الجنس البشري اعتدالاً، يسأله، ما هو الاعتدال؟ ويجيبه، أنّ الاعتدال هو نوع من الهدوء. لكنّ الاعتدال يكون نبيلاً وصالحاً، يا كارمايديس، والهدوء في عدّة، أو في أكثر الحالات لا يكون هكذا صالحاً كالسرعة في التمارين الرياضية، والعَدْو، وما شابه فماذا ستقول عندئذ؟ إنّني أعرِّف الاعتدال، يا سقراط، بالقول إنّه الحشمة أو التواضع. لكن هذا التعريف يوضع جانباً، يا كارمايديس، بتقرير سوفسطائي لهوميروس، من أنّ الاعتدال يكون جيّداً مثلماً يكون نبيلاً، ويقول إنّ الاحتشام ليس صالحاً للرّجل المحتاج. لكنّني، يا سقراط، أمتلك تعريفاً جديداً للاعتدال، أعتقد أنّني سمعته من شخص ما، فأقول إنّ الاعتدال هو أن يعمل كلّ شخص بعمله الخاصّ. لكنّ العامل اليدوي الذي يصنع الحذاء لغيره يمكنه أن يكون معتدلاً، ومع ذلك فهو لا يقوم بعمله الخاص وغير ذلك كثير. وتعريف كهذا للاعتدال سيتعارض مع تقسيم العمل الموجود في كل دولة معتدلة أو حسنة التنظيم. فكيف يمكنك أن توضح هذا اللّغز؟

وهنا يأتي كريشياس ليدافع عن تعريفه هذا بقوله إنّ في التعريف تحريفاً، ويميّز بين (الإنجاز) و(العمل). وما التعريف، يا سقراط، سوى « أنّ أولئك الذين ينجزون عملهم الخاص هم المعتدلون، وليس أولئك الذين يفعلون ». وبكلمات أسهل

أقول إنّ الاعتدال هو إنجاز الأعمال الصالحة. لكن، يا سقراط، بما أنّك نقضت هذا التعريف للاعتدال بعد وقت قصير، فإنّني سأسحبه وأقول مجدّداً، إنّ الاعتدال هو معرفة النفس، فماذا تقول؟ لكن، يا كريشياس، أليست كلُّ العلوم تمتلك موضوعاً؟ كمثال، العدد يكون موضوع علم الحساب، الصحّة موضوع علم الطبّ، فما هو موضوع الاعتدال أو الحكمة؟ إنّ الاعتدال أو الحكمة هي معرفة الإنسان ما يعرفه وما لا يعرفه، يا سقراط. لكنّ هذا التعريف مناقض لقياس التمثيل، يا كريشياس، فليس هناك رؤية للرّؤية، بل أشياء مرئية فقط، ولا حبّ للحبّ بل حبّ الأشياء المرئية فقط، وهناك أمثلة عديدة كهذه؛ فكيف يمكن أن يكون هناك معرفة للمعرفة؟ إنّ ذلك الذي يكون أكبر سنّاً، أثقل، أو أخفّ، يكون أكبر سنّاً، أثقل، وأخفّ، من شيء ما آخر، وليس من نفسه. ويبدو هذا أنّه حقيقي عن كل النظريات النسبيّة ـ إنّ الهدف النسبيّ يكون خارجاً عنها؛ على كل حال فإنّه يمكنها أن تمتلك نسبة لأنفسها في شكل ذلك الهدف، سواء أوجدت حالات للنسبة المنعكسة أوْ لاّ، وسواء يكون ذلك النوع من المعرفة الذي ندعوه اعتدالاً من هذه الطبيعة المنعكسة، فهذا لا يزال متروكاً لعالمٍ بالماورائيات عظيم كي يقرره. لكن حتى إذا عرفت المعرفة نفسها، فكيف يمكن للمعرفة التي تعرف أن تدلّ ضمناً على المعرفة التي لا تعرف؟ بجانب ذلك، فإنّ المعرفة هي فكرة تجريديّة فقط، ولن تخبرنا عن أيّ موضوع محدَّد، كالطبّ مثلاً، البناء، وما شابه. يمكنها أن تخبرنا أننا نعرف أو أن رجالاً آخرين يعرفون شيئاً ما، لكنها لا تستطيع أن تخبرنا عما لا نعرف أبداً.

وإذا اعترفنا بأنّ هناك معرفة لما نعرف وما لا نعرف، وهي التي ستكون قاعدة وقياساً لكلّ الأشياء، يبقى أنّه لن يكون خير في هذا، والمعرفة التي يمنحها الاعتدال يجب أن تكون النوع الذي يهبنا الخير؛ لأنّ الاعتدال خير، يا كريشياس. غير أنّ هذه المعرفة العالميّة لا تميل لسعادتنا وخيرنا. إنّ نوع المعرفة الوحيد الذي يجلب لنا السعادة هو معرفة الخير والشرّ.

ويجيب كريشياس على ما قاله سقراط، أنّ علم أو معرفة الخير والشرّ، وكل العلوم الأخرى هي منظّمة بالعلم الأسمى أو معرفة المعرفة.

وهنا يبدأ سقراط مرّة ثانية بفصل المجرّد عن الملموس، ويسأل كريشياس كيف تُفضي هذه المعرفة إلى السعادة في الطريقة المحددة عينها التي يساعد علم الطبّ -فيها على إحداث الصحة؟

لكنّنا بعد أن قدّمنا كلّ هذه التعريفات، التي تكون غير مقبولة في الحقيقة، فنحن لا نزال بعيدين جدّاً عن أن نؤكّد طبيعة الاعتدال، الذي اكتشفه كارمايديس سابقاً، وما عليه إلاّ أن يرتاح لذلك في المعرفة وهو أنّه بقدر ما يكون أكثر اعتدالاً يكون أكثر سعادة.

محاورة كارمايديس

الاعتدال والعفة

أشخاص المحاورة

سقراط، وهو القاصّ كارمايديس
تشايرافون كريشياس

المشهد: معهد المصارعة في طورياس، قرب معبد باسيل.

[عدنا مساء البارحة من مدينة بوتيدايا[٣٦]، حيث يتمركز الجيش، وبما أنّني كنت بعيداً لفترة ليست قصيرة، فكّرت أنّه يجب أن أذهب وأبحث عن أترابي القدامى. لذلك ذهبت إلى معهد المصارعة في طورياس، حيث مكانه العالي مقابل معبد باسيل، ووجدت هناك عدداً من الأشخاص، الذين أعرف أكثرهم، لكن ليس جميعهم. كانت زيارتي غير متوقعة، وعندما رأوني آتياً حيّوني من بعيد قبل أن أدخل ومن كل جانب؛ وأما تشايرافون، الذي يتصرّف كرجل مجنون على الدوام، فقفز من بينهم وركض نحوي، آخذاً بيديَّ قائلاً: كيف نجوت من المعركة، يا سقراط؟ (معركة دارت رحاها في بوتيدايا بعد وصولنا ليس بوقت بعيد، والتي وصلت أخبارها لتوّها إلى أثينا)] أجبته: في هذه اللحظة كما تراني الآن.

تشايرافون: وصل إلى أثينا تقرير يفيد بأنّ المعركة كانت عنيفة جدّاً، وقد سقط فيها العديد ممن نعرفهم.

سقراط: ذلك، ليس بعيداً من الحقيقة.

تشايرافون: أظنّ، أنّك كنت موجوداً.

سقراط: نعم، لقد كنت هناك.

تشايرافون: إجلس هنا إذن، وأخبرني كامل القصّة، التي سمعناها ناقصة فقط لحدّ الآن.

بعد أن قال ذلك، قادني إلى مكان بجوار كريشياس بن كالايسكروس، وعندما جلست وحييّته وبقية الجالسين، رويت لهم الأخبار عن الجيش، وأجبت على أسئلتهم العديدة.

بعدئذ، وبعد أن اكتفوا من هذا، أخذت بدوري أجهّز تساؤلات عن شؤون داخليّة ـ عن حالة الفلسفة في الوقت الحاضر، وعن الشباب. سألته ما إذا كان أحدٌ منهم رائعاً في الحكمة والجمال، أو في كليهما. ألقى كريشياس نظرة على الباب ورأى بعض الشباب يدخلون، يجادل بعضُهم بعضاً بصوت عال، ويتبعهم جمهور من الناس. عن الجمال، يا سقراط، قال تشايرافون، أتصوّر أنّك ستكون قريباً قادراً أن تشكّل حُكماً، لأنّ أولئك الداخلين لتوّهم الآن هم الحرس المتقدّم ومحبو الجمال العظيم لهذا الزمن، كما يتصوّر أنه يكون، ويُتوقع ألا يكون هو نفسه بعيداً عن هذا.

سقراط: من هو، ومن يكون أبوه؟

تشايرافون: إسمه، كارمايديس، وهو ابن عمي كلوكون: إنّني أعتقد بالأحرى أنّك تعرفه أنت أيضاً، مع أنّه لم يكن قد كَبُر بعدُ وقت رحيلك.

سقراط: إنّني أعرفه بالتأكيد، فهو كان مدهشاً، حتّى عندما كان لا يزال طفلاً، وعليّ أن أتصوّر أنّه يجب أن يكون رجلاً شابّاً تقريباً بهذا الوقت.

تشايرافون: سترى خلال لحظة لأيِّ سنٍ وصل وكيف هو.

ما كاد يتفوّه بكلمته حتى دخل كارمايديس.

سقراط: أنت تعرف الآن، يا صديقي، أنّني لست جيّداً في فنّ القياس، وأشبه في

حضور الجميل خطّاً قياسياً بدون علامات؛ لأنّ كل الأشخاص الشبّان تقريباً يبدون أنّهم جميلون في عيني. لكنّني أعترف أنّني كنت مندهشاً تماماً، في تلك اللحظة التي رأيته فيها، بجماله وقوامه، ويظهر أنّ كل الموجودين كانوا متيّمين به؛ وسيطرت الدهشة والارتباكِ عندما دخل؛ وتبعته فرقة من المحبّين تسير خلفه. لم يكن مستغرباً أن يتأثر الرجال البالغون كما تأثرنا بهذه الطريقة، لكنّني راقبت الأولاد ورأيت أنهم، جميعاً نزولاً إلى أصغرهم تماماً، استداروا ونظروا إليه، كما لو كان تمثالاً.

استدعاني تشايرافون وقال: ماذا تعتقد بالإنسان الشابّ، يا سقراط؟ ألا يمتلك وجهاً جميلاً؟

سقراط: الأكثر جمالاً.

تشايرافون: لكنّك لن تفكّر بوجهه، إذا ما استطعت رؤية شكله عارياً. إنّه كامل بكلّ تأكيد.

ووافق جميعهم على هذا.

سقراط: بالآلهة، أيّ مثال للجمال والكمال يكون، إذا ما امتلك هو إضافة طفيفة واحدة أخرى فقط!

كريشياس: ما هي؟

سقراط: إذا كان لديه روح نبيلة؛ وكونه من بيتك، يا كريشياس، نتوقّع أن يمتلك ذلك.

كريشياس: إنّه جميل وخيِّر في الداخل، كما هو في الخارج.

سقراط: إذن، قبل أن نرى جسده، ألا يجب أن نسأله أن يتعرّى ويرينا روحه؟ وأنّه بالتأكيد لفي العُمُر الذي سيحب فيه أن يتكلم.

كريشياس: سيفعل ذلك، وأستطيع أن أخبرك أنّه فيلسوف حقّاً بشكل مسبق، وهو شاعر معتبر أيضاً، ليس برأيه الخاصّ فقط، بل برأي الآخرين كذلك.

سقراط: إنّ ذلك امتياز، يا عزيزي كريشياس، كان في عائلتك لزمن مضى، وورثته عن صولون. لكن لماذا لا تستدعيه بنفسك وتقدّمه إليّ؟ لأنّه حتى إذا كان أفتى ممّا هو، فلن يكون هناك أيّة عدم لياقة في تكلّمه معنا أمامك، يا حارسه وابن عمه.

كريشياس: حسناً جدّاً، سأستدعيه إذن. واستدار إلى أحد الحاضرين قائلاً: إستدع كارمايديس، وأخبره أنّي أريده أن يأتي ويرى طبيباً من أجل المرض الذي حدّثني عنه أول من أمسِ، وأضافَ يخاطبني قائلاً: إنّه كان يشتكي مؤخراً من وجع رأسه عندما يستيقظ في الصباح؛ لِمَ لا تجعله يعتقد الآن أنّك تعرف علاجاً لوجع الرّأس؟

سقراط: لِمَ لا، إذا ما كان سيأتي فقط.

كريشياس: إنّه سيأتي بكلّ تأكيد.

سقراط: لذلك فهو أتى كما أُمِر. متعةٌ كبيرةٌ غمرت كلّ شخص حينما اندفع بكلّ ما يملك من قوّة كي يجلس بمحاذاة جاره، قريباً من كارمايديس، إلى أن وجب أن يقف الواحد في طرفي الصفّ الواحد وأن يتدحرج الآخر على جنبه نتيجة الجلَبَة، وأتى كارمايديس وجلس بين كريشياس وبيني، لكنّني، يا صديقي، أبتدأت أشعر بالحَرَج؛ وتلاشى اعتقادي السابق الجسور في قوّتي من التحادث معه بشكل طبيعي. وعندما أخبره كريشياس أنّني الشخص الذي لديه العلاج، نظر إليّ بشكل لا يوصف، وتظاهر كما لو أنّه يسألني سؤالاً. وتجمهر حولنا كلّ الناس في معهد المصارعة، والتقطت منظراً في تلك اللحظة، يا صديقي الصالح، في داخل ردائه وأصبت بالاحتراق، لم أستطع بعدئذ أن أُحِدَّ من مشاعري. إنّني فكرت كيف فهم سيدياس طبيعة الحب جيّداً، عندما أنذر في حديثه، عن الشاب الجميل، أنذر شخصاً ما (كي لا تحضر صغار الغزلان على مرأى من الأسد خشية أن يفترسها) فأنا شعرت

أنّني كنت مغلوباً بنوعٍ من شهيّة حيوان وحشيّ. لكن رغماً عن ذلك، عندما سألني إن كنت أعرف علاجاً لوجع الرأس، أجبته، بجهد، أنّني أعرف.

كارمايديس: وما هو؟

سقراط: إنّه نوع من ورقة شجر، يجب أن تصاحبها تعويذة، وإذا ما ردّد شخص ما التعويذة في الوقت عينه الذي يستعمل فيه العلاج، سيشفى من وجع رأسه، لكن بدون التعويذة هذه فورقة الشجر ستكون دونما جدوى.

كارمايديس: إنّني سأكتب التعويذة من كلامك الذي تمليه.

سقراط: برضاي؟ أو بدونه؟

كارمايديس: برضاك، يا سقراط، (ضاحكاً).

سقراط: جيّد جداً، هكذا فأنت تعرف إسمي، أليس كذلك؟

كارمايديس: عليّ أن أعرفك، فهناك مقدار كبير قيل عنك بين رفاقي؛ وأنا أتذكّر أنني رأيتك هنا برفقة كريشياس عندما كنت طفلاً.

سقراط: إنّني مسرور إذ أجد أنّك تتذكّرني، فأنا سأشعر أنّني الآن أكثر في بيتي وسأكون قادراً بشكل أفضل أن أشرح طبيعة التعويذة، التي كنت استصعب شرحها في السابق. لأنّ التعويذة ستفعل أكثر، يا كارمايديس، من معالجة وجع الرأس فقط. أجرؤ على القول إنّك سمعت الأطبّاء اللامعين يقولون للمريض الذي يأتي إليهم بعيون سيّئة، إنّهم لا يقدرون أن يعدّوا لشفاء عينيه بنفسها لكن إذا ما كان يود شفاء عينيه، فيجب أن يعالج رأسه، أيضاً؛ ويقولون مرة ثانية أنّ التفكير في شفاء الرأس فقط، ولبس بقية الجسم أيضاً، هو قمّة الغباء. ومحاورين بهذه الطريقة فهم يطبّقون حميّتهم على الجسم كله، ويحاولون أن يعالجوا ويشفوا الكلّ والجزء معاً. ألم تلاحظ أبداً أنّ هذا هو ما يقولونه؟

كارمايديس: نعم.

سقراط: وهم محقّون، وهل ستوافق معهم؟

كارمايديس: نعم، يجب أن أوافق بالتأكيد.

سقراط: طمأنتني أجوبته الموافِقَة، وابتدأت أستعيد ثقتي بدرجات، وعادت إليّ حرارتي الطبيعيّة، قلت: هكذا، يا كارمايديس، تكون طبيعة التعويذة التي تعلّمتها أثناء خدمتي في الجيش من أحد أطبّاء الملك التراقي زامولكسيس، الذي قيل إنّه قادر حتى أن يهب الخلود. أخبرني هذا التراقي أنّ الأطباء اليونانيين محقون تماماً في أفكارهم تلك، وبقدر ما هم يعتقدون، تلك الأفكار التي قد ذكرتها لتوّي؛ لكن ملكنا زامولكسيس، أضاف هو، والذي يكون إلهاً أيضاً، يقول ما هو أبعد: « فكما أنّك يجب أن لا تحاول أن تشفي العينين بدون الرأس، أو الرأس بدون الجسد، لذلك فما عليك أن تحاول أن تشفي الجسد بدون الروح ». وهذا يقول هو « يكون السبب: لماذا لا يكون علاج الأمراض المتعددة معروفاً للأطباء الهيلينيين، لأنّهم يهملون الكلّ، الذي يجب أن يُدرس أيضاً؛ لأنّه لا يمكن للجزء أن يكون جيّداً ما لم يكن الكلّ جيّداً » إنّ كل الخيرات والشرور، سواء أكانت في الجسم أو في الإنسان ككلّ، تنشأ، كما يعلن هو، في الروح، وتفيض من هناك كما لو كانت من الجسم إلى العينين. ولذلك إذا وجب أن يسلم الرأس والجسم من الأمراض، فما عليك إلاّ أنّ تبدأ بشفاء الروح؛ إنّ ذلك هو الشيء الرئيسيّ والضروريّ. وشفاء الروح، يا عزيزي الشابّ، يجب أن يتأثر باستعمال تعاويذ محدّدة، وتلك التعاويذ هي كلمات جيّدة نوعاً؛ وبواسطتها يُغرس الاعتدال في الروح، وحيث يأتي الاعتدال ويبقى، فهناك تُمنح الصحّة بسرعة، ليس للرأس فقط، بل للجسم كله. وعندما علّمني العلاج والتعويذة أضاف:« لا تدع أيَّ شخص يقنعك بأن يشفي رأسه، حتى يسلّمك روحه كي تُعالج بالتعويذة بادىء ذي بدء. لأنّ هذا، قال، هو الخطأ الكبير ليومنا

هذا في علاج المخلوقات الإنسانيّة، ذلك أنّ الرجال يحاولون أن يكونوا أطباء للصحّة والاعتدال بشكل منفصل. وخطر هو عليّ بشكل صارم أن لا أدع أيّ شخص، مهما كان غنيّاً أو نبيلاً أو جميلاً، أن يقنعني كي أعطيه العلاج، بدون التعويذة ». وبعدُ، فلقد أقسمت وما عليّ إلاّ الاحتفاظ بقَسَمي، ولذلك إذا كنت ستسمح لي أن أستخدم التعويذة التراقيّة لروحك أوّلاً، كما وجّه الغريب، وسأتقدّم فيما بعد لأستخدم العلاج لرأسك وإلاّ فإنّني لا أعرف ما أفعل بك، يا عزيزي كارمايديس.

عندما سمع كريشياس هذا قال: سيكون وجع الرأس مباركاً لابن عمّي، خاصة إذا ألزمه هذا الألم لأن يحسّن عقله. مع ذلك لا أستطيع أن أخبرك، يا سقراط، أنّ كارمايديس ليس متفوّقاً على أقرانه بجماله فقط، بل أيضاً في تلك النوعيّة أيضاً التي تقول إنّ لديها التعويذة، الاعتدال، أليس كذلك؟

سقراط: نعم.

كريشياس: دعني أخبرك إذن أنّه الأكثر اعتدالاً من الرجال الشبّان في أيامنا هذه، وفي سِنّه ليس أقلّ أهميّة لأحدٍ منهم في أيّة نوعيّة.

سقراط: حقّاً، يا كارمايديس، أعتقد أنّ عليك أن تتفوّق على الآخرين في كل النوعيّات الجيدة؛ لأنّني إذا لم أكن مخطئاً، فلا أحد من الحاضرين يستطيع أن يعيّن بيتين اثنين بسهولة، سيتوقع من اتحادهما إنتاج نوعية أفضل وأنبل من الاثنين اللذين قد تحدَّرت منهما. هناك بيت أبيك المتحدّر من كريشياس بن دروبيداس، الذي كانت عائلته قد احتفلت بإحياء وتمجيد ذكرى الشاعر، صولون، وعدة شعراء آخرين شهيرين في الجمال والفضيلة وكل النجاحات السّامية الأخرى؛ وكذلك فبيت أمّك مميّز بشكل مماثل، لأنّ خالك، بيريلامبس، مشهور أبداً إذ لم يوجد أطول منه في القامة وأعلى منه

في الجمال في بلاد فارس وفي حضرة الملك العظيم، أو في أيّ مكان من القارّة الآسيوية وفي كل الأمكنة التي ذهب لها كسفير. إنّ العائلة كلها ليست أقلّ أهميّة ولو بشكل طفيف من العائلات الأخرى. بما أنّ لديك أسلاف كهؤلاء فما عليك إلاّ أن تكون الأول في كل شيء. ويا إبن كلوكون اللطيف، إنّ شكلك الخارجي ليس بإهانة لأيٍّ منها. إذا أضفت الاعتدال إلى الجمال، وإذا كنت في النواحي الأخرى، ما أعلنه كريشياس أنك كذلك، حينئذ، يا عزيزي كارمايديس، فمباركٌ الإبن الذي حملته أمّك. وهنا تكمن النقطة الرئيسيّة. فما دمت، كما صرّح هو، تمتلك هذه الهبة للاعتدال مسبقاً، وأنّك معتدل بما في الكفاية، ففي تلك الحالة أنت لست بحاجة لأيّة تعويذات، سواء كانت لزامولكسيس أو لأباريس الهيبوريين، ويمكنني لذلك أن أدعك تحوز علاج الرأس في الحال. لكنك إذ لم تكن قد اكتسبت هذه النوعية حتى الآن، فينبغي عليّ أن أستخدم التعويذة قبل أن أعطيك الدواء. أخبرني لذلك، من فضلك، إذا ما كنت تعترف بحقيقة ما قد قاله كريشياس: هل لديك هذه النوعية الجديدة للاعتدال أم لا؟

إحمرّ وجه كارمايديس خجلاً، وزاد تورّدُ الوجه جمالَه. إنّ الاحتشام يليق بالشابّ؛ وحينئذ أعطى الجواب الرشيق الذي لم يستطع أن يجيب به حالاً بحقّ، ولا بنعم أوْ لاَ، على السؤال الذي قد سألته، لأنّه قال: إذا أكّدت أنّي لست بمعتدل، سيكون ذلك شيئاً غريباً لأنّ أقول ما هو ضدي، وعليّ أن أكذب لكريشياس حينها أيضاً ولآخرين عديدين (طبقاً له) يعتقدون أنّني معتدل. لكن، في الناحية الأخرى، إذا قلت إنّني كذلك، فسأثني على نفسي، وهذا سيكون سلوكاً سيئاً؛ ولذلك فأنا لا أعرف كيف أجيبك.

سقراط: تلك إجابة طبيعية، يا كارمايديس، وأعتقد أنّ عليّ وعليك أن نتحقّق معاً

ما إذا كنت تمتلك هذه النوعيّة التي أسأل عنها، أو أنك لا تمتلكها؛ وحينئذ لن تكون مُلزَماً أن تقول ما لا تحبّه، ولا أنا سيكون لدي طلب لمساعدة الدواء. لذلك، إذا تفضلّت، سأتقاسم التحقيق وإيّاك، لكنّني لن أُلحّ عليك إذا ما أردت ذلك.

كارمايديس: لا شيء أحبّ إليّ من ذلك، وفيما يختصّ بي يمكنك أن تتقدّم في الطريق الذي تعتقده أفضل.

سقراط: أعتقد، أنّ الأفضل أن نطرح السؤال بهذه الطريقة: إذا سكن الاعتدال فيك، عليك أن تحوز رأياً عنه؛ عليه أن يعطي تصريحاً عن طبيعته ونوعيّاته، وهذا يجعلك قادراً أن تشكّل فكرة عنه. أليس ذلك صحيحاً؟

كارمايديس: نعم، أعتقد أنّ ذلك صحيح.

سقراط: أنت تعرف لغتك الوطنيّة، ولذلك يمكن أن تكون قادراً أيضاً على التعبير عن رأيك.

كارمايديس: لربّما.

سقراط: حتّى تتمكّن إذن من تشكيل تخمين، سواء أكان فيك اعتدال ساكن فيك أو لاَ، أخبرني، ما هو الاعتدال، في رأيك؟

تردّد في البداية، ولم يكن على استعداد للإجابة. قال بعدئذ أنّه ظن أنّ الاعتدال كان عمل كلّ شيء بنظام وهدوء، كمثال: السيّر في الشوارع، والحديث، وحقّاً القيام بكلّ شيء بتلك الطريقة. بكلمة، عليّ أن أجيب أنّ الاعتدال هو نوع من الهدوء، في رأيي.

سقراط: هل أنت محقّ، يا كارمايديس؟ لا شكّ في أن البعض سيؤكّد أن الهدوء يكون معتدلاً؛ لكن دعنا نرى إن كان في هذا الرأي شيء حقيقي؛ وأخبرني أوّلاً إذا ما كنت ستعترف أنّ الاعتدال هو نوع من النبل والخير؟

كارمايديس: نعم.

سقراط: لكن أيّهما أفضل عندما تكون في حضرة الكاتب، أن تكتب الأحرف بسرعة أو بهدوء؟

كارمايديس: بسرعة.

سقراط: ولتقرأ بسرعة أو ببطء؟

كارمايديس: بسرعة مرّة ثانية.

سقراط: وفي لعب القيثار، أو المصارعة، السرعة أو الحدّة هما أفضل بكثير من الهدوء والبطء؟

كارمايديس: نعم.

سقراط: ويثبُتُ الشيء عينه في الملاكمة وفي المباراة الرياضيّة.

كارمايديس: بالتأكيد.

سقراط: وفي القفز والرّكض وفي التمارين الجسديّة بشكل عامّ، فإنّ الأعمال المؤدّاة بسرعة وبخفّة الحركة هي جيدة ونبيلة، والمؤدّاة ببطء وهدوء هي سيّئة وبشعة؟

كارمايديس: يبدو هكذا.

سقراط: إذن، في كل الأعمال الجسديّة، فإن خفة الحركة والسرعة الأعظم، هما الأنبل والأفضل وليس الهدوء؟

كارمايديس: نعم، بدون ريب.

سقراط: وهل الاعتدال جيّد؟

كارمايديس: نعم.

سقراط: إذن، بخصوص الجسم، ليس الهدوء، بل السرعة ستكون الأكثر اعتدالاً، إذا كان الاعتدال جيّداً؟

كارمايديس: على ما يظهر.

سقراط: مرة ثانية، أيّهما الأفضل: السهولة في العلم، أو الصعوبة فيه؟

كارمايديس: السهولة.

سقراط: نعم، والسهولة في العلم هي التعلّم بسرعة، والصعوبة فيه هي التعلّم بهدوء وبطء؟

كارمايديس: نعم.

سقراط: مرّة أخرى، أيُّهما أفضل، أن تستدعي إلى العقل وتتذكّر بسرعة وسهولة، أو بهدوء وبطء؟

كارمايديس: الأوّل.

سقراط: أوليست المهارة سرعة للروح، وهي ليست هدوءاً؟

كارمايديس: حقاً.

سقراط: أليس أفضل إذن أن نفهم ما قيل، سواء أكان في سيّد الكَتَبة أو سيّد الموسيقى أو في أيّ مكان آخر، وأن لا نكون هادئين قدر الإمكان، بل سريعين قدر استطاعتنا؟

كارمايديس: نعم.

سقراط: وأبعد من ذلك، ففي البحث أو مباحثة الروح، لا يُعتقَدُ أنّ الأهدأ، كما أتخيّل، الذي يُتشاور ويكتشف بصعوبة، جديرٌ بالثناء، بل الذي يفعل ذلك بسهولة وسرعة أكثر؟

كارمايديس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: حسناً إذن، فإنّ في كلّ الذي يخصّ الروح والجسم كليهما، تكون السرعة والنشاط، أفضل من البطء والهدوء بشكل واضح؟

كارمايديس: من المحتمل.

سقراط: ليس الاعتدال هدوءاً إذن، وليست الحياة المعتدلة هدوءاً ـ بالتأكيد ليس حسب هذا الرأي؛ لأنّ الحياة المعتدلة يُعترَفُ أنّها الحياة الخيّرة. ومن الشيئين الاثنين فإن واحداً يكون صحيحاً ـ إما أبداً، أو نادراً جدّاً تظهر الأعمال

الهادئة أنّها أفضل من السريعة وذات الحركة الخفيفة. وافترض على أحسن حال أنّه يوجد في الأعمال الأنبل العديد من الأعمال الهادئة مثلما يوجد منها كالسريعة والمتحمِّسة؛ يبقى، حتى إذا منحنا نحن هذا، يبقى أنّ الاعتدال لن يكون مفعولاً بهدوء أكثر من القيام به بسرعة ونشاط، إمّا في السير أو الحديث أو في أيِّ شيء آخر؛ ولن تكون الحياة الهادئة أكثر اعتدالاً من الصاخبة، مشاهدين أنّ الاعتدال قد صنّفناه بين الأشياء الخيِّرة والنبيلة، ولقد أُظهِرَ أنّ السريع جيّد كالبطيء.

كارمايديس: أعتقد أنّك محقّ، يا سقراط.

سقراط: مرّة ثانية إذن، يا كارمايديس، ركِّز اهتمامك بقرب أكثر وانظر في داخلك؛ وتأمّل ملياً التأثير الذي يمتلكهُ الاعتدال على نفسك، وطبيعة ذلك يجب أن يكون لديها هذا التأثير. أمعن النظر في كل هذا واخبرني بصدق وشجاعة، ما هو الاعتدال؟

بعد لحظة تأمّل، بذل جهداً رُجولياً حقيقياً، قال: رأيي، يا سقراط، أنّ الاعتدال يجعل الإنسان حيياً أو متواضعاً، وأنّ الاعتدال هو الشيء عينه كالتواضع.

سقراط: جيّد جداً، أوَلم تعترف لتوِّك الآن، أنّ الاعتدال نبي؟

كارمايديس: نعم، بالتأكيد.

سقراط: ولذلك فإن الرجال المعتدلين هم رجال أخيار؟

كارمايديس: نعم.

سقراط: أويستطيع أن يكون خيِّراً ذلك الذي لا يجعل الرجال أخياراً؟

كارمايديس: لا بالتأكيد.

سقراط: وستستنتج أنّ الاعتدال ليس نبيلاً فقط، بل جيّد أيضاً؟

كارمايديس: ذلك هو رأيي.

سقراط: حسناً، لكنّك ستتّفق مع هوميروس بدون ريب عندما يقول: « التواضع ليس جيّداً للإنسان المحتاج »؟

كارمايديس: نعم، إنّني أتفق معه.

سقراط: أفترض إذن أنّ الاعتدال يكون ولا يكون جيداً؟

كارمايديس: على ما يبدو.

سقراط: لكنّ الاعتدال، الذي وجوده يجعل الرّجال أخياراً فقط، وليس أشراراً، هو جيد على الدوام؟

كارمايديس: يظهر أنّ ذلك كما تقول.

سقراط: ونستنتج إذن أنّ الاعتدال لا يمكن أن يكون تواضعاً، إذا كان الاعتدال جيداً، وإذا كان التواضع سيّئاً بقدر ما هو جيد؟

كارمايديس: يظهر لي كلّ ذلك، يا سقراط، أنّه حقيقة؛ لكنّني أحبّ أن أعرف ماذا تفكر بشأن تعريف آخر للاعتدال، الذي تذكّرت لتوّي أنّني سمعته من شخص ما، « الاعتدال هو القيام بعملنا الخاص ». تأمّل مليّاً من فضلك إذا كان محقّاً من أكّد ذلك.

سقراط: يا لك من ولدٍ خبيث! هذا ما أخبرك إيّاه كريشياس، أو فيلسوف آخر.

كريشياس: شخص آخر ما إذن، لأنّني لم أفعل ذلك بالتأكيد.

كارمايديس: لكن ما الفرق، ممّن سمعت هذا؟

سقراط: لا فرق على الإطلاق، لأنّ النقطة الرئيسيّة ليست من قال الكلمات، بل ما إذا كانت حقيقيّة أوْ لا.

كارمايديس: إنّك محقّ هنا، يا سقراط.

سقراط: لتكن متأكّداً، عليّ أن أكون مندهشاً مع ذلك إذا كنّا قادرين أن نكتشف حقيقتها أو زيفها؛ لأنّها نوعٌ من الأحجيّة.

كارمايديس: ما الذي جعلك تعتقد ذلك؟

سقراط: لأنّ من تفوّه بها يبدو لي أنّه عنى شيئاً واحداً وقال آخر. هل يُعتَبَر المدرِّس، كمثال، كأنّه لا يفعل شيئاً عندما يكتب أو يقرأ؟

كارمايديس: عليَّ أن أفكّر على الأصحّ أنّه كانَ فاعلاً شيئاً.

سقراط: وهل المدرِّس يكتب أو يقرأ، أو يعلّمكم أيّها الأولادُ لتكتبوا وتقرأوا اسمه الخاص فقط، أو هل كتبتم أسماء أعدائِكم كما أسماؤكم الخاصّة وأسماء أصدقائِكم؟

كارمايديس: بقدر ما قمنا بأحدها كذلك قمنا بالآخر.

سقراط: وهل كان أيّ شيء متطفّلاً أو مفرِطاً في هذا؟

كارمايديس: لا بالتأكيد.

سقراط: ومع ذلك فلقد فعلت ما ليس عملك الخاصّ، وعمل أيّ شيء يكون مفعولاً بالفنّ أيّاً كان ـ تأتي كلّ تلك الأشياء تحت مقدمة الفعل بوضوح؟

كارمايديس: بدون ريب.

سقراط: وهل تعتقد أنّ دولة ستكون منظمة جيداً بقانونٍ يُجبر كلّ شخص أن يحيك ويغسل معطفه الخاص، وأن يصنع حذاءه الخاص وقارورته ومكشطة الجلد الخاصتين، وكذلك أدواته الأخرى على هذه القاعدة، وهي أن يعمل كلّ شخص وينجز ما لَهُ، ويمتنع عن إنجاز ما ليس له؟

كارمايديس: إنّني لا أعتقد ذلك.

سقراط: لكنّ الدولة المعتدلة ستكون دولة منظمة جداً.

كارمايديس: طبعاً.

سقراط: لن يكون الاعتدال إذن، قيام الإنسان بعمله الخاصّ؛ ليس في هذه الطريقة على الأقل، أو فعل أشياء من هذا النوع؟

كارمايديس: يبدو هكذا.

سقراط: إذن، كما كنت قائلاً لتوّي، إنّ مَنْ أعلن أنّ الاعتدال هو قيام الإنسان

بعمله الخاص فإنّما كان يُضمِر معنىً ما؛ لأنّني لا أعتقد أنّه من الغباء بحيث يقصد هذا. أكان غبياً من أخبرك، يا كارمايديس؟

كارمايديس: لا، أعتقد أنّه إنسان عاقل جداً.

سقراط: إنّني متأكّدٌ تماماً عندئذ أنّه وضع مسبقاً تعريفه هكذا كلُغز، ظانّاً أن لا أحد سيكتشف بسهولة معنى الكلمات: « قائم بعمله الخاص ».

كارمايديس: أجرؤ على القول.

سقراط: وما معنى رجلٍ قائم بعمله الخاص؟

كارمايديس: حقاً، لا أستطيع الإجابة؛ ولا ينبغي أن أتعجّب إذا كان الرجل نفسه الذي استعمل هذه العبارة لم يفهم ما عنى، ثم ضحك بخلسة ونظر إلى كريشياس.

[لقد كان كريشياس يظهر قلقاً، لأنّه شعر أنّه كان لديه سمعة كي يُسندها مع كارمايديس وبقية الرفاق. لقد نجح في كبح جماحه، مع ذلك؛ لكن الآن لم يستطع أن يصبر أكثر من ذلك، وإنّني المقتنع من الشك الذي ساورني آنذاك، ذلك أنّ كارمايديس سمع من كريشياس هذا الجواب عن الاعتدال. وكارمايديس، الذي لم يُرد أن يدافع عن نفسه، بل أن يجعل كريشياس يدافع عنه، وحاول استثارته، ولقد واصل كارمايديس الإشارة في أنّ كريشياس قد نُقِض، ولذلك فإنّ كريشياس كان غاضباً، وبدا ميّالاً لأن يتخاصم معه، كما اعتقدت؛ مثلما يمكن لشاعرٍ أن يتخاصم مع الممثل الذي أفسد قصائده عند ترتيلها]، وهكذا نظر بقسوة إليه وقال؟

هل تتصوّر، يا كارمايديس، بما أنك لم تفهم المعنى لهذا التعريف للاعتدال أنّ مؤلفه لم يفهم المعنى لكلماته الخاصة بشكل مماثل؟

سقراط: لماذا، يا كريشياس الأكثر روعة، ففي عمره ليس من المستغرب أن يفهم بصعوبة؛ لكنك أنت أكبر منه سنّاً، وحصّلتَ دراسة جيدة، يمكن الافتراض

أنك تعرف معناها جيّداً ولذلك، إذ وافقت وقبلت تعريفه للاعتدال، أُفضِّل أن نحاور معك بالأحرى وليس معه حول صحّة أو زيف هذا التعريف.

كريشياس: أوافق بالكامل، وأقبل التعريف.

سقراط: جيّد جداً، وبعدُ دعني أكرّر السؤال. هل تعترف، كما كنت قائلاً لتوّي الآن، أنّ كلّ الحرفيّين ينجزون أو يفعلون شيئاً ما؟

كريشياس: إنّني أوافق.

سقراط: وهل هم ينجزون أو يقومون بعملهم الخاص فقط، أو ذلك عمل الآخرين أيضاً؟

كريشياس: الذي للآخرين أيضاً.

سقراط: وهل هم معتدلون، مع الأخذ بعين الاعتبار أنهم لا ينجزون أو يقومون بعملهم الخاص بهم فقط؟

كريشياس: لِمَ لاَ؟

سقراط: لا اعتراض من جهتي، لكن يمكن أن توجد صعوبة من ناحية الذي يقترح ما قاله كتعريف للاعتدال، (قيام الإنسان بعمله الخاص)، ويقول عندئذ إنّه لا يوجد سبب لما لا يجب أن يكون أولئك الذين يعملون عمل الآخرين معتدلين.

كارمايديس: كلاّ؛ هل اعترفت أنا في أيّ وقت أنّ أولئك الذي يعملون عمل الآخرين هم معتدلون؟ قلت أولئك الذي ينجزون، وليس أولئك الذي يفعلون.

سقراط: ماذا! هل تعني أنّ العمل والإنجاز ليسا الشيء عينه؟

كريشياس: ليس أكثر، من أنّ الصناعة والعمل هما الشيء نفسه؛ إنّني تعلّمت هذا القدر من هيسيود، الذي يقول إنّ « العمل ليس عاراً ». وبعدُ هل تتصوّر أنّه إذا عنى هو بالعمل والإنجاز هكذا كما كنت أنت واصفاً، فما كان عليه

- إلاّ أنّ يقول إنّه لا يوجد عيب فيها ـ كمثال، في صناعة الأحذية، أو في بيع السمك المجفّف، أو الجلوس في بيت الشهرة السيئة للاستئجار..؟ إنّ ذلك، يا سقراط، ليس مفترَضاً: لكنّني أتصوّره أنّه ميّز الإنجاز عن العمل والفعل، وبينما تعترف أنّ إنجاز أيّ شيء يمكن أن يصبح عاراً بعض المرّات، عندما كانت الوظيفة غير شريفة، من أنّه قد فكّر أنّ وليس كما يتكلم الرجال؛ لكن كلمّا دخل المتعبد المعبد فالكلمة الأولى التي يسمعها هي (كن معتدلاً). إنّه يعبّر عن هذا، على كلّ حال، كنبيٍّ من نوع من الأحجية لأنّ (اعرف نفسك!) و(كن معتدلاً) هما الشيء عينه، كما أؤكّد، وكما تدل الكلمات ضمناً، ويمكن مع ذلك فهمها أنّها متباينة. والمتصوّفون الناجحون الذين أضافوا (ليس بالكثير أبداً) أو، (أعطِ العهد، والشرّ قريب) سيظهر أنّهم قد ميّزوها هكذا؛ لأنّهم تصوروا أنّ (اعرف نفسك!) كانت قطعة نصيحة منحها الله وليست تحيته للمتعبّدين في دخولهم الأوّلي؛ وهم كرّسوا نقوشهم الخاصّة بهم تحت فكرة أنّهم يقدرون أيضاً أن يمنحوا نماذج نصح بشكل متساوٍ. هل سأخبرك، يا سقراط، لماذا أقول كلّ هذا؟ إنّ هدفي هو أن أترك البحث السابق (الذي لا أعرف إذا ما كنت أنت أو أنا فيه أكثر حقّاً، لكن، لم نصل من خلاله إلى نتيجة واضحة، على كلّ حال)، ولأرفع شعاراً جديداً سأحاول أن أبرهن فيه، إذا أنكرته أنت، وهو أنّ الاعتدال هو معرفة النفس.

سقراط: نعم، يا كريشياس، إنّك تأتي إليّ كأنني أُصرّح أنّني أعرف عن الأسئلة التي أسأل، وكأنّني أستطيع، إذا عزمت فقط، أن أتّفق معك. في حين أنّ الحقيقة هي أنّني أتساءل وإياك عن الحقيقة التي تتقدّم من وقت إلى وقت، تماماً لأنني لا أعرف؛ وعندما أتحقّق من ذلك، فسأقول إن كنت اتفق معك أمْ لاَ. من فضلك إذن أعطني فرصةً كي أتأمّل ملياً.

كريشياس: تأمّل مليّاً.

سقراط: إنّني لمتأمّل، وأكتشف أنّ الاعتدال أو الحكمة، إذا كان نوعاً من المعرفة، يجب أن يكون عِلماً، وعلماً لشيء ما.

كريشياس: نعم، العلم عن نفس الإنسان.

سقراط: أليس الطبّ علم الصحّة؟

كريشياس: حقاً.

سقراط: وافترض أنّك سألتني ما هو نفع أو تأثير الطبّ، الذي هو علم الصحّة، عليَّ أن أجيب أنّ الطب ذو نفع عظيم جدّاً في تسبّب الصحة، الذي يكون تأثيراً ممتازاً، كما ستعترف.

كريشياس: مُنِحَت.

سقراط: وإذا ما سألتني ما هي نتيجة أو تأثير الفن المعماري، الذي هو علم البناء، فما عليَّ سوى الإجابة أنه بناء البيوت، وهكذا عن الفنون الأخرى، التي لديها كلها نتائج متباينة. وبعدُ، أريدك، يا كريشياس، أن تجيب على سؤال مماثل بشأن الاعتدال أو الحكمة، التي هي، طبقاً لك، العلم عن نفس الإنسان. وبما أنّك اعترفت بهذه النظرية أطلب منك أن تقول، أيّ عمل خيِّر جدير باسم العاقل، ينجزه الاعتدال أو الحكمة، الذي هو العلم عن نفس الإنسان؟ أجبني.

كريشياس: إنّ ذلك ليس الطريق الصحيح لمتابعة الحوار، يا سقراط، لأنّ الحكمة ليست كالعلوم الأخرى، أكثر من كونها تشبه بعضها بعضاً؛ غير أنّك تتقدّم في طرحها وكأنّها متشابهة، لذلك أخبرني، أيّة نتيجة تكون هناك للعقل الحسابي أو الهندسة، في المعنى عينه كما هو البيت نتيجة لفنّ البناء، أو الثوب لفنّ الحياكة، أو أيّ عمل آخر للفنون المتعددة الأخرى؟ أتقدر أن تريني أيّة نتيجة كهذه لها؟ إنّك لا تقدر.

سقراط: إنّ ذلك صحيح، لكن يبقى أنّني أستطيع أن أريك أن كلاً من هذه العلوم لديه موضوع مختلف عن العلم. علم فنّ العقل الحسابي، كمثال، أن يفعل بالأعداد المفردة والمزدوجة في نسبتها العددية لأنفسها ولبعضها بعضاً أليس ذلك صحيحاً؟

كريشياس: نعم.

سقراط: أليست الأعداد المفردة والمزدوجة الشيء عينه مع فنّ الحساب الآليّ؟

كريشياس: إنّها ليست كذلك.

سقراط: يمتلك فنّ الوزن، مرّة ثانية، عملاً بالخفيف والثقيل؛ لكنّ الوزن يكون شيئاً واحداً، والثقيل والخفيف غيراً منه هل تعترف بذلك؟

كريشياس: نعم.

سقراط: أريد أن أعرف الآن، ما هو ذلك الذي لا يكون حكمة، ولأيّة حكمة يكون العلم؟

كريشياس: إنّك واقع في الخطأ القديم تماماً، يا سقراط، وتأتي سائلاً في أيّ مكان تختلف الحكمة أو الاعتدال عن العلوم الأخرى وتحاول أن تكتشف بعدئذ الخصوصيّة التي تكون شبيهة بها؛ لكنّها لا تكون، لأنّ كلّ العلوم الأخرى تكون شيئاً آخر ما، وليس أنفسها؛ الحكمة وحدها هي علم العلوم الأخرى وعلم نفسها، ولهذا، كما أعتقد، فأنت مدرك جيداً فعلاً، وأنّك قائل فقط ما أنكرت أنّك فاعله الآن تماماً، محاولاً أن تنقضني، بدلاً من متابعة المحاورة.

سقراط: وماذا إذا كنت؟ كيف يمكنك أن تفكر أنّ لديّ أيّ حافز آخر في نقضك سوى ما يجب أن أمتلك من امتحان داخل نفسي؟ إنّ أيّ باعث سيكون مجرّد خوف للتوهّم بدون إدراك أنّني عرفت شيئاً ما كنت جاهله. وأؤكد كذلك في هذه اللحظة، أنّني أتعقّب المحاورة إكراماً لشخصي بشكل

رئيسي، ولربّما في درجة بها أيضاً لأجل أصدقائي الآخرين. أولن تقول أنت إنّ اكتشاف الأشياء كما هي بحقّ هو خير مشترك لكلّ الجنس البشري؟

كريشياس: نعم، بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: مبتهجاً إذن، يا سيّدي الحلو، وأعطِ رأيك في إجابة على السؤال الذي سألته، بدون اهتمام سواء أكان كريشياس أو سقراط هو الشخص المَنقوض؛ لازم المحاورة، وأنظر ما سيأتي من النقض.

كريشياس: أعتقد أن ذلك معقول، وسأفعل ما تقول.

سقراط: أخبرني إذن، ماذا تعني بتأكيدك فيما تقوله عن الحكمة؟

كريشياس: أعني أنّ الحكمة هيَ العلم الوحيد الذي يكون علم نفسه كما يكون علم العلوم الأخرى.

سقراط: لكن علم العلم، سيكون أيضاً العلم لغياب العلم.

كريشياس: حقيقي تماماً.

سقراط: سيعرف الإنسان الحكيم أو المعتدل نفسه، وسيكون قادراً أن يختبر ما يعرف وما لا يعرف، وأن يرى ما يعرفه الآخرون ويعتقدون أنّهم يعرفون ويعرفون بحقّ؛ وما لا يعرفون، ويتوهّمون أنّهم يعرفون عندما لا يعرفون. لا شخص آخر سيكون قادراً على فعل هذا. وهذه هي الحكمة والاعتدال ومعرفة النفس ـ لأن يعرف الإنسان ما يعرف، وما لا يعرف. ذلك هو معناك؟

كريشياس: نعم.

سقراط: دعنا نبدأ مرة ثانية الآن إذن، بما أنّ المرّة الثالثة تجلب الحظ[٣٧]، ونسأل في المقام الأوّل، سواء يكون أو لا يكون محتمّلاً لشخص أن يعرف أنّه يعرف ما يعرفه، وأن لا يعرف ما لا يعرفه؛ وفي المقام الثاني، إذا ما كانت هكذا معرفة، ممكنة لأيٍّ نفع بشكل تامّ.

كريشياس: ذلك ما ينبغي علينا أن نتأمّله مليّاً.

سقراط: حسناً إذن، يا كريشياس، لنرى إذا كنتَ في موقع أفضل من موقعي، إنّني لفي حرَج. هل سأخبرك طبيعته؟

كريشياس: بكلّ تأكيد.

سقراط: ألا يُساوي الذي قد قلته هذا: أنّه يجب أن يوجد علم مفرد واحد هو الذي يكون علماً كاملاً بنفسه وعلماً لكل العلوم الأخرى، وأنّ الشيء عينه هو أيضاً العلم لغياب العلم؟

كريشياس: نعم.

سقراط: لكن تأمّل كم هو شاذ هذا الافتراض، يا صديقي. ستكون هذه الاستحالة واضحة لك، في أيّة حالة متوازية.

كريشياس: كيف يكون ذلك؟ وفي أيّ الحالات تعني؟

سقراط: في حالات كهذه: أفترض أن هناك نوعاً من الرّؤيا التي ليست كالرؤية العادية، بل رؤيا لنفسها ولأنواع أخرى للرّؤيا، ولشوائبها، والتي لا ترى لوناً في المشاهدة، بل نفسها فقط، وأنواعاً فقط، وأنواعاً أخرى للرّؤيا. هل تعتقد أنّه يوجد هكذا نوع للرؤيا؟

كريشياس: لا بالتأكيد.

سقراط: أو أنّه يوجد نوع للسمع هو الذي لا يسمع صوتاً على الإطلاق، بل نفسه فقط وأنواعاً أخرى للسمع، أو لشوائبه؟

كريشياس: لا يوجد.

سقراط: أو خذ كل المعاني معاً. هل تتصوّر أنّ هناك معنىً يكون معنىً لنفسه وللمعاني الأخرى، لكنّه غير قادر على تصور أهداف المعاني؟

كريشياس: إنّني لا أعتقد.

سقراط: أيمكن أن توجد أيّة رغبة لا تكون لأيّ سرور، بل لنفسها ولكلّ الرغبات الأخرى؟

كريشياس: لا بالتأكيد.

سقراط: أوَ تستطيع أن تتصور رغبة لا ترغب في الخير، بل بنفسها فقط وبكلّ الرّغبات الأخرى.

كريشياس: عليّ أن أجيب، لا.

سقراط: وهل ستقول إن هناك حُبًا لا يكون حبّ الجمال، بل حبّ نفسه وللحبّ الآخر؟

كريشياس: عليّ ألا أقول ذلك.

سقراط: أو هل عرفت أبداً خوفاً يخاف نفسه أو التخوّفات الأخرى، لكن لا يخاف أحداً من أهداف الخوف؟

كريشياس: لم أعرف مطلقاً.

سقراط: أو أيّ رأي يكون رأياً لنفسه وللآراء الأخرى، ولا يمتلك رأياً عن مواضيع الرأي بشكل عام؟

كريشياس: لا بالتأكيد.

سقراط: لكنه يبدو، أنّنا نفترض علماً من هذا النوع، الذي، بما أنّه ليس لديه مسألة بشأن الموضوع، هو علمٌ لنفسه وللعلوم الأخرى؟

كريشياس: نعم، إنّ ذلك ما هو مؤكّد.

سقراط: إنّ تلك لغرابة إذا وُجد حقاً. ينبغي علينا أن لا ننكر على كل حال احتمال وجود علم كهذا لحد الآن، بل أن نواصل البحث عن وجوده.

كريشياس: إنّك محقّ تماماً.

سقراط: حسناً إذن، إنّ هذا العلم الذي نتكلّم عنه هو علم لشيء ما، وهو ذو طبيعة ليكون علماً لشيء ما؟

كريشياس: نعم.

سقراط: تماماً كذلك الذي هو أعظم يكون ذا طبيعة ليكون أعظم من شيء ما آخر؟

كريشياس: نعم.

سقراط: ويكون هذا الشيء الـ « ما » الآخر أقلّ، إذا كان الآخر متصوَّراً أنّه أكبر؟

كريشياس: لتكن متأكداً.

سقراط: وإذا استطعنا أن نجد شيئاً ما يكون أكبر من نفسه في الحال وأكبر من الأشياء الأخرى الكبيرة، لكن ليس أكبر من تلك الأشياء في مقارنة بالذي يكون الآخرون أكبر، سيمتلك ذلك الشيء آنئذ الخاصيّة لكونه أكبر وأقلّ من نفسه أيضاً؟

كريشياس: إنّ ذلك، يا سقراط، هو الاستنتاج المحتوم.

سقراط: أو إذا وُجد مضاعفاً ذلك الذي هو ضعف نفسه وضعف المضاعفات الأخرى، سيكون هو نفسه وهي ستكون أنصافاً لأنّ الضعف يكون متناسباً للنّصف؟

كريشياس: إنّ ذلك حقيقي.

سقراط: وذلك الذي يكون أكثر من نفسه سيكون أقلّ أيضاً، وذلك الذي يكون أثقَل سيكون أخفّ أيضاً، وذلك الذي يكون أكبر سنّاً سيكون أفتى أيضاً. والشيء عينه للأشياء الأخرى؛ ذلك الذي له طبيعة متناسبة لنفسه سيستبقي الطبيعة لهدفه أيضاً. أعني لأقول، كمثال، إنّ السمع هو، كما تقول، ذو ضجّة أو صوت. أهل هذا حقيقيّ؟

كريشياس: نعم.

سقراط: إذا كان السمع يسمع نفسه أيضاً، يجب أن يسمع صوتاً؛ إذ لا توجد طريقة أخرى للسمع،

كريشياس: بالتأكيد.

سقراط: والبصر كذلك، يا صديقي الممتاز، إذا رأى نفسه، ينبغي أن يكون لديه لون، لأنّ البصر لا يمكنه أن يرى ذلك الذي لا لون له.

كريشياس: لا.

سقراط: هل تلاحظ، يا كريشياس، أنّ في الأمثلة المتعددة التي تم سردها، أنّ النظرية النسبيّة للنفس هي غير مقبولة جملة وتفصيلاً، وفي الحالات الأخرى جديرة بالثقة بالكاد - إنّها غير مقبولة، كمثال، في حالة الأجرام، الأعداد، وما شابه؟

كريشياس: حقيقي جداً.

سقراط: لكنْ في حالة السّمع والبصر، وفي قوّة الحركة الذاتيّة، وقوّة الحرارة الحارقة، وهكذا دواليك، فإنّ هذه النسبة للنفس، لن يصدّقها البعض، لكن ربّما صدّقها البعض الآخر. ويُحتاج لإنسان عظيم ما، يا صديقي، هو الذي سيقرّر لنا بإقناع إذا وُجد لا شيءٌ يمتلك خاصّيّة متأصّلة من النسبة للنفس، أو بالأحرى لشيء ما مغاير، أو لبعض الأشياء فقط وليس للأخرى؛ أو إذا كان العلم الذي يسمى حكمة أو اعتدالاً مُشتَمَلاً، في هذا النوع للأشياء ذات النفس النسبية، إذا وُجد هكذا نوع. إنّني لا أثق بقوّتي الخاصّة بالإجمال كي أقرّر هذه المسائل: ولست متأكّداً إذا أمكن لعلم كهذا أن يوجد بالاحتمال؛ وحتّى إذا وُجد بدون شكّ، فما عليّ الاعتراف به على أنّه حكمة أو اعتدال، حتى أقدر أن أرى إذا كان علم كهذا سيفعل لنا أيّ خير أوْ لا؛ لأنّ لديّ انطباعاً أنّ الاعتدال نافع وخيّر. ولذلك، يا ابن كالايشروس، بما أنّك تؤكّدَ أنّ الاعتدال أو الحكمة هي علم العلم، وأيضاً غياب العلم، فإنّني سأرجوك لتري الاحتمال في المقام الأوّل، كما قلت سابقاً، والمنفعة لعلم كهذا، في المقام الثاني؛ وحينئذ لربّما يمكنك أن تقنعني أنّك محقّ في نظريّتك عنِ الاعتدال.

سمعني كريشياس أقول هذا، ورأى أنّني كنت في حَرَج؛ وكما يلتقط الشخص عدوى التثاؤب عندما يتثاءب الآخر في حضوره، يظهر هو أنّه قد

سيق إلى صعوبة بصعوبتي. لكن بما أنّ لديه سمعة ليحافظ عليها، فلقد كان خجولاً ليعترف أمام الجماعة أنّه لا يستطيع الردّ على التحدّي أو أن يقرّر أمامهم السؤال قيد البحث؛ وخلق محاولة لا يمكن فهمها كي يخفي ارتباكه. ولكي تتمكّن المحاورة من التقدم، قلت له، حسناً إذن، يا كريشياس، دعنا نفترض، إذا أحببت، أنّ علم العلم هذا يكون ممكناً؛ وإذا ما كان هذا الافتراض صحيحاً أو خطأً يمكن بحثه فيما بعدُ. معترفين بإمكانيته التامّة، هل ستخبرني كيف يمكنُنا علم كهذا أن نميّز ما نعرف وما لا نعرف، والذي يكون هو، كما كنا قائلين، معرفة النفس أو الحكمة؟ أليس هذا هو؟

كريشياس: نعم، يا سقراط، وأعتقد أنّ الباقي يتبع، لأنّ ذلك الذي يمتلك هذا العلم أو المعرفة التي تعرف نفسها سيصبح مثل المعرفة التي يمتلك، مشابهاً في الطريقة عينها للذي يمتلك سرعة سيكون سريعاً، والذي يمتلك جمالاً سيكون جميلاً، والذي يمتلك معرفة سيعرف. في الطريقة عينها فالذي لديه تلك المعرفة التي هي معرفة النفس، سيعرف نفسه.

سقراط: إنّني لا أشك، أنّ الإنسان سيعرف نفسه عندما يمتلك ذلك الذي يكوز معرفة النفس. لكن ما الضرورة التي تكون هناك ولديه هذه، عليه أن يعرف ما يعرف وما لا يعرف؟

كريشياس: لأنّها، يا سقراط، هي الشيء عينه.

سقراط: محتمل جداً، لكنّني أخشى أن أبقى كما كنت على الدوام، لأنّني ما زلت أخفق في فهم كيف تكون معرفة ما تعرف وما لا تعرف الشيء عينه كمعرفة النفس.

كريشياس: ماذا تعني؟

سقراط: هذا ما أعني، إنّني سأعترف أنّ هناك علم العلم. أيستطيع هذا أن يفعل أكثر من تقرير أنّ واحداً من هذين الشيئين يكون والآخر لا يكون علماً أو معرفة؟

كريشياس: لا، أبداً.

سقراط: أيكون هو الشيء عينه كمعرفة أو الافتقار لمعرفة الصحّة حينئذ، أو الشيء عينه كمعرفة أو الافتقار لمعرفة العدل؟

كريشياس: لا بالتأكيد.

سقراط: إنّ واحداً منها هو علم الطبّ، والآخر علم السياسات؛ حيث إنّ ذلك الذي تتكلّم عنه يكون معرفة نقيّة وبسيطة.

كريشياس: حقيقي تماماً.

سقراط: وإذا امتلك الإنسان معرفة المعرفة فقط، بدون أيّة معرفة أبعد للصحة والعدل، فإنّ الاحتمال هو أنّه سيعرف أنّه يعرف شيئاً ما، ويمتلك معرفة محدّدة، في حالته الخاصة وفي تلك التي للآخرين كليهما.

كريشياس: حقاً.

سقراط: كيف ستعلمه هذه المعرفة أو العلم إذن أن يعرف ما يعرف؟ فهو يعرف الصحّة ليس من خلال أو بواسطة الحكمة أو الاعتدال بل من خلال فنّ الطبّ؛ وقد تعلّم هو التناسق الموسيقي من فنّ الموسيقى والبناء من فنّ البناء، ولم يتعلمهما من كلتا الحالتين من الحكمة او الاعتدال. وينطبق الشيء عينه على الأشياء الأخرى.

كريشياس: يبدو هكذا.

سقراط: كيف ستعلمه الحكمة، مُعتبَرةً كمعرفة المعرفة أو علم العلم فقط، كيف ستعلّمه دوماً أن يعرف الصحة، أو أن يعرف فنّ البناء؟

كريشياس: إنّه مستحيل.

سقراط: إذن فإنّ من يكون جاهلاً تلك الأشياء سيعرف أنّه يعرف فقط، لكن ليس الذي يعرف؟

كريشياس: حقاً.

سقراط: تبدو الحكمة عندئذ أو كونك حكيماً أنّها ليست معرفة الأشياء التي نعرف أو لا نعرف، بل المعرفة أنّنا نعرف أو لا نعرف فقط؟

كريشياس: ذلك هو الاستنتاج.

سقراط: لن يكون قادراً آنئذ من يمتلك هذه المعرفة أن يُقرّ سواء أعرف المدّعي أو لم يعرف ذلك الذي يقول إنّه يعرف. هو يعرف فقط أنّه يمتلك معرفة من نوع ما؛ لكنّ الحكمة لن تريه ما هي المعرفة؟

كريشياس: يبدو ذلك.

سقراط: ولن يقدر المدّعي أن يميّز فنّ الطبّ من الطبيب الحقيقيّ، ولا أن يميّز بين أي أستاذ جامعيّ حقيقيّ أو زائف آخر يدّعي المعرفة. دعنا نتأمّل مليّاً المسألة في هذه الطريقة: إذا أراد أيّ إنسان عاقل أو أيّ رجل آخر أن يميّز الطبيب الحقيقي من الزائف، فكيف سيتقدّم؟ إنّه لن يتكلّم إليه عن علم الطبّ، لأنّنا كما كنا قائلين، الطبيب لا يفهم شيئاً سوى الصحّة والمرض.

كريشياس: صدقاً.

سقراط: لكن الطبيب لا يعرف شيئاً عن العلم، لأنّ هذا قد افْتُرِضَ أنّه مجال الحكمة فقط.

كريشياس: حقاً.

سقراط: وأبعد من ذلك، بما أنّ علم الطبّ يكون علماً، علينا أن نستنتج أنّه لا يعرف أيّ شيء عن علم الطبّ.

كريشياس: بالضبط.

سقراط: يمكن أن يعرف الإنسان العاقل حقّاً أنّ الطبيب يمتلك نوعاً من العلم أو المعرفة؛ لكنّه عندما يريد أن يكتشف طبيعة هذا فإنّه سيسأل، ما هي قضيّة الموضوع؟ لأنّ العلوم المتعدّدة تميّز أنّها علوم ليس بالحقيقة المجرّدة، بل بطبيعة مواضيعها، أليس ذلك صحيحاً؟

كريشياس: صحيح تماماً.

سقراط: ويكون فنّ الطب متميّزاً عن العلوم الأخرى، لأنّه يمتلك موضوع الصحة والمرض؟

كريشياس: نعم.

سقراط: والذي سيبحث في طبيعة فن الطب يجب أن يختبرها في الصحة والمرض، اللذين هما مجال فنّ الطب، وليس في ما هو دخيل وفي غير حقله.

كريشياس: حقاً.

سقراط: وهو الذي يرغب أن يجري اختباراً عادلاً للطبيب كطبيب، سيختبره في الذي يتعلق بهذه الأشياء؟

كريشياس: إنّه سيفعل ذلك.

سقراط: إنّه سيتأمّل ملياً إذا ما كان الذي يقوله حقيقياً، وإذا ما كان الذي يفعله صواباً، فيما يتعلق بالصحّة والمرض.

كريشياس: إنّه سيفعل.

سقراط: لكن أيستطيع أيّ شخص أن يلاحق البحث فيهما كليهما ما لم يكن لديه معرفة فنّ الطب؟

كريشياس: إنّه لا يقدر.

سقراط: سيبدو أنّ لا أحد على الإطلاق يستطيع أن يمتلك هذه المعرفة ما عدا الطبيب؛ ولذلك ليس الإنسان العاقل هو الذي ينبغي أن يكون طبيباً كما يكون إنساناً عاقلاً.

كريشياس: حقيقي تماماً.

سقراط: إذا كانت الحكمة أو الاعتدال إذن، بالتأكيد، ليست أكثر من علم العلم وغياب العلم أو المعرفة، فلن يقدر أن يميّز الطبيب الذي يعرف ما يخصّ

صنعته من الطبيب الذي لا يعرف بل يتظاهر أو يظنّ أنّه يعرف، أو من أيّ مدَّعٍ لأيّ شيء على الإطلاق. الإنسان العاقل أو المعتدل، مثل أيّ فنّان آخر، سيعرف الإنسان من مهنته الخاصّة، ولا أحد آخر.

كريشياس: إنّ ذلك الجلي.

سقراط: لكن أيّ ربح، يا كريشياس، يكون هناك بعد الآن في الحكمة أو الاعتدال الباقي مع ذلك، إذا كانت هذه حكمة؟ إذا كان الإنسان العاقل، كما كنّا مُفترضيْن بادىء ذي بدء، إذا كان قادراً أن يميّز ما عرفه وما لم يعرفه، وأنّه عرف الواحد ولم يعرف الآخر، وأن يدرك قدرة عقليّة مماثلة للبصيرة في الآخرين، فسيكون هناك منفعة كبرى في كونك حكيماً بكل تأكيد؛ لأنّنا ينبغي أن لا نرتكب الخطأ آنئذ، وسنمرّ خلال الحياة مرشدين أنفسنا التي لا تخطىء وكذلك مرشدين أولئك الذين هم أدنى منّا. علينا أن لا نحاول فعل ما لا نعرف، بل علينا إيجاد أولئك الذي يعرفون، وأن نسلّم العمل لهم ونثق بهم. ولا يجب أن نسمح لأولئك الذين هم أدنى منّا أن يفعلوا أيّ شيء يُرجّح أنه لن يفعلوه جيّداً، وسيفعله جيّداً تماماً على الأصح أولئك الذين كانوا يمتلكون المعرفة. والبيت أو الدولة المنظّمة والمُدارة بهداية الحكمة، وكلّ شيء آخر العقل فيه هو السّيّد، ستكون كلها منظّمة جيداً بكلّ تأكيد. فبهداية الحقيقة وإزالة الخطأ يجب أن يفعل الرجال بنبل وجودة في كل أعمالهم، وفعل الخير يعني السعادة. أليس هذا ما قلناه يا كريشياس، إنّه المنفعة الكيبرى للحكمة ـ لتعرف ما يكون معروفاً وما لا يكون معروفاً لنا؟

كريشياس: حقيقي تماماً.

سقراط: وتتصوّر أنت الآن، أنّ علماً كهذا ليس موجوداً في أيّ مكان.

كريشياس: إنّني أتصوّر.

سقراط: أيمكننا أن نفترض الحكمة إذن، إذا سلّطنا عليها هذا النور الجديد كمعرفة

المعرفة والجهل، أنّها تمتلك هذه الأفضليّة. إن من يحوز معرفة كهذه سيتعلّم بسهولة أكثر أيَّ شيء يتعلمه، وأنّ كل شيء سيكون أصفى له. فبالإضافة إلى الأغراض المتعدّدة للمعرفة، فهو يرى العلم، وهذا سيجعله أفضل قدرة على اختبار المعرفة التي يحوزها غيره والتي يعرفها بنفسه؛ في حين أنّ المحقّق الذي يكون بدون هذه المعرفة يُفترَض به أن يمتلك بصيرة أضعف وأقلّ تأثيراً؟ أليست تلك، يا صديقي، هي المنافع الحقيقية التي سنربحها من الحكمة؟ أوَلسنا باحثين وناشدين في إثر شيء ما أكثر من الذي يوجد فيها؟

كريشياس: يمكن أن تكون.

سقراط: لربّما تكون، ولربّما قد كنا محقّقين بدون هدف مرّة ثانية؛ كما أنا منقادٌ لأستنتج، لأنّني ألاحظ أنّه إذا كانت هذه حكمة، فستلي ذلك عواقب غريبة ما. وإذا أحببت، تعال نفترض الاحتمال لعلم العلم هذا، وأن لا نرفض السّماح بذلك، كما اقترحنا في الأصل أنّ الحكمة هي معرفة ما نعرْف وما لا نعرف. دعنا نتأمّل بقرب أكثر بعد افتراضنا كلّ هذا، يا كريشياس، إذا ما كانت حكمة كهذه ستجلب لنا خيراً كثيراً، لأنّني أعتقد أنّنا كنّا مخطئين في الافتراض، كما كنّا قائلين لتوّنا الآن، إنّ حكمة كهذه تنظّم بيت الحكومة أو الدولة ستكون ذات نفع كبير.

كريشياس: كيف ذلك؟

سقراط: لماذا، لقد كنّا مستعدين لأبعد حدّ أن نعترف بالمنافع الكثيرة التي سيحصل عليها الجنس البشري من قيام كلّ منهم على انفراد بعمل الأشياء التي يعرفها، تاركاً الأشياء التي يجهلها لمن يجيد القيام بها أفضل.

كريشياس: ألسنا محقّين في إعلان هذا التصريح؟

سقراط: لا أعتقد ذلك.

كريشياس: ما أغرب ذلك تماماً، يا سقراط!

سقراط: هناك، إنّني أتّفق معك على نحو أكثر تأكيداً؛ وكنت أعتقد شيئاً كهذا لتوّي الآن عندما قلت إنّ هذه النتائج الغريبة ستلي، وإنّني كنت خائفاً من أنّنا لم نكن على الطريق السويّ؛ إذ مهما يمكننا أن نكون متأكّدين أنّ هذه هي الحكمة، فإنّني لا أستطيع أن أستخلص أيّ خير يفعله لنا نوع هذا الشيء بالتأكيد.

كريشياس: ماذا تعني؟ أتمنّى لو استطعت أن تجعلني أفهم ما تعنيه.

سقراط: أجرؤ على القول إنّ ما أقوله ما هو إلاّ سفاسف، ومع ذلك إذا ما خالج الإنسان أيّ شعور في الذي يكون مستحِقّاً نحو نفسه، فهو لا يستطيع أن يترك الفكرة التي تراوده تمر بدون اهتمام ودون فحص.

كريشياس: إنّني أحبّ ذلك.

سقراط: إسمع، إذن حلمي الخاص بي، سواء أكان آتياً من خلال البوق أو البوّابة العاجيّة، فإنّني لا أستطيع إخبار ذلك. هذا هو الحلم: دعنا نفترض أنّ الحكمة هي كما كنا قد عرّفناها الآن، وأنّها هيمنة مطلقة علينا. سيكون كلّ عمل منجزاً حينئذ طبقاً لفنون العلوم، ولا أحد يدّعي أن يكون مرشداً عندما لا يكون، ولا يتظاهر أيّ طبيب أو قائد عسكري أو أيّ شخص آخر أن يعرف القضايا التي يجهلها، في أنّهُ سيخدعنا أو يتملّص منّا؛ وأن صحّتنا ستتحسّن، وأنّ أماننا في البحر، وأيضاً في المعركة سيكون مؤكّداً؛ ومعاطفنا وأحذيتنا وكل أدواتنا وآلاتنا الأخرى ستُصنع ببراعة، لأنّ العمال سيكونون صالحين وحقيقيين. نعم، وإذا سرّك ذلك، يمكنك أن تفترض أن النبوءة ستكون معرفة حقيقية بالمستقبل، وستكون تحت سيطرة الحكمة، التي ستمنع المخادعين وتنصّب الأنبياء الحقيقيين مكانهم ككاشفي المستقبل. وبعدُ فإنّني أوافق تماماً أنّ الجنس البشري، مزوّداً هكذا، سيحيا ويعمل طبقاً للمعرفة، لأنّ الحكمة ستحرس وتمنع الجهل من إقحام نفسه في عملنا. لكنّنا إذا ما

عملنا طبقاً للمعرفة سنفعل حسناً ونكون سعداء، يا عزيزي كريشياس. إنّها نقطة رئيسية لم نكن قادرين أن نحدّدها حتى الآن.

كريشياس: مع ذلك، فأنا أعتقد أنك، إذا تخلّيت أنت عن المعرفة، ستجد تاج السعادة في أيّ شيء آخر، أعتقد أنّك ستجدها بالكاد.

سقراط: حسناً، أجبني على سؤال صغير واحد فقط، هو: ما هي هذه المعرفة؟ هل تعني أنّها معرفة صناعة الأحذية؟

كريشياس: لا قدّر الله.

سقراط: أو العمل في النحاس الأصفر؟

كريشياس: لا بالتأكيد.

سقراط: أو في الصوف، أو الخشب، أو في أيّ شيء من ذلك النوع؟

كريشياس: لا، لا أعتقد.

سقراط: قد أقلعنا إذن عن التعريف أنّ مَنْ سيحيا طبقاً للمعرفة يكون سعيداً، لأنّ هؤلاء سيحيون طبقاً للمعرفة، ومع ذلك فلست بسامحٍ لهم أن يكونوا سعداء. لكنّني أعتقد أنّك تعني أن تقتصر السعادة على أولئك الذين يحيون طبقاً للمعرفة في شيء خاصّ ما، هكذا مثال كالنبيّ الذي يعرف المستقبل، كما كنت قائلاً، فهل تتكلم أنت عنه أو عن شخص آخر؟

كريشياس: نعم، إنّني أعنيه، لكنّ هناك آخرين غيره كذلك.

سقراط: مَنْ؟ بوضوح إنّه الشخص الذي يعرف الماضي والحاضر كما يعرف المستقبل، ولا يجهل أيّ شيء. دعنا نفترض وجودَ شخصٍ كهذا، وإذا وُجِد فستجيز أنه الأكثر معرفة من كل الرجال الأحياء.

كريشياس: إنّه كذلك بكلّ تأكيد.

سقراط: أحبّ أن أعرف شيئاً واحداً أكثر مع ذلك: أيُّ أنواع المعرفة المختلفة سيجعله سعيداً؟ أو أنّها كلها تجعله سعيداً بالتساوي؟

كريشياس: ليس كلّها بالتساوي.

سقراط: لكن أيّها يميل إلى جعله سعيداً أكثر؟ معرفة لعبة الداما؟

كريشياس: أفكار سخيفة: لعبة الداما حقّاً!

سقراط: أو الحسابات الآلية؟

كريشياس: لا.

سقراط: أو الصحة؟

كريشياس: تلك أقرب إلى الحقيقة.

سقراط: وتلك المعرفة التي تكون الأقرب من الجميع، هي معرفة ماذا؟

كريشياس: المعرفة التي يُميّز بها الخير والشرّ.

سقراط: يا وغدا إنّك حملتني دائرياً في دائرة، وخبّأت عنّي الحقيقة كل هذا الوقت وهي أنّها الحياة طبقاً للمعرفة ليست هي التي تجعل الإنسان سعيداً ويعمل بصدق، حتى إذا كانت معرفة كل العلوم، بل هو علم واحد فقط، ذلك الذي للخير والشرّ. ودعني أسألك، يا كريشياس، إذا ما سلبت هذا العلم من الآخرين، ألن يمنح فنّ الطبّ الصحة بشكل متساوٍ؛ أولن تُنتج صناعة الأحذية أحذية بشكل متساوٍ، وكذلك فنّ حياكة الثياب؟ ـ وما إذا كان فنّ المرشد لا ينقذ أرواحنا في البحر بشكل متساوٍ، وفنّ القائد العسكري في الحرب؟

كريشياس: على حد سواء.

سقراط: ومع ذلك، يا عزيزي كريشياس، لن يُنجز أيٌّ واحد من هذه الأشياء ويكون نافعاً، إذا كان علم الخير معدوماً.

كريشياس: حقّاً.

سقراط: لكن يبدو أنّ العلم ليس حكمة أو اعتدالاً، بل هو علم ذو منفعة إنسانية؛

ليس علماً لعلوم أخرى، أو للجهل، بل علم للخير والشر. إذا كان هذا ذا منفعة، فيجب عندئذ أن تكون الحكمة أو الاعتدال شيئاً آخر.

كريشياس: ولماذا لا تكون الحكمة أو الاعتدال ذات منفعة؟ إذ مهما سلّمنا بأنّ الحكمة هي علم العلوم، وتمتلك سيطرة على العلوم الأخرى، فهي ستحوز بالتأكيد هذا العلم الخاصّ للخير تحت رقابتها، وستفيدنا بهذه الطريقة.

سقراط: وهل ستعطي الحكمة صحّة؟ أليس هذا تأثير فنّ الطب بالأصحّ؟ أو هل تعمل الحكمة عمل أيٍّ من الفنون الأخرى؟ ألا ينجز كلٌّ منها عمله الخاصّ به؟ ألم نؤكّد منذ زمن طويل أنّ الحكمة هي فقط معرفة المعرفة والجهل، ولا شيء آخر؟

كريشياس: يبدو هكذا.

سقراط: لن تكون الحكمة منتجة الصحة إذن؟

كريشياس: لا بالتأكيد.

سقراط: وجدنا أنّ الصحة اختصّت بفنّ مختلف؟

كريشياس: نعم.

سقراط: ولا تعطي الحكمة منفعة، يا صديقي الصالح؛ لأنّ ذلك عزوناه لتوّنا مرّة ثانية لفنّ آخر الآن.

كريشياس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: كيف تستطيع الحكمة أن تكون ذات منفعة حينئذ، عندما لا تنتج منفعة؟

كريشياس: إنها لا تستطيع على ما يبدو، يا سقراط.

سقراط: أنت ترى عندئذ، يا كريشياس، أنّني لم أكن بعيداً عن الخطأ مخافة. أنّني لم أكن باعثاً أيّ تساؤل منطقيّ عن الحكمة؛ إنّني كنت محقّاً تماماً في التقليل من شأن نفسي، لأنّ ذلك الذي أعترف به أنّه الأفضل من كل الأشياء لن يبدو لنا أبداً أنّه عديم القيمة، إذا قد كنت صالحاً لأيّ شيء في تحقيق ما. لكنّني هُزمت الآن بالكليّة، وأخفقت في أن أكتشف ما هو ذلك

الذي أعطاه المشرِّع هذا الاسم للاعتدال أو الحكمة. ومع ذلك فلقد أدّينا اعترافات كثيرة وعديدة مِنَ التي يُستطاع منحها بعدل؛ فنحن اعترفنا أنّه وُجد علمُ عِلم، مع أنّ المحاورة قالت لا، واحتجّت ضدنا؛ واعترفنا أبعد من ذلك، وهو أنّ هذا العلم عرف أعمال العلوم الأخرى (وهذا ما كذّبته المحاورة مع ذلك)، لأنّنا أردنا أن نبيّن أنّ الإنسان العاقل امتلك معرفة ما عرفه وما لم يعرفه. إنّنا قدّمنا هذه الاعترافات بسخاء، ولم نعتبر أبداً حتّى الاستحالة، أنّ الإنسان يعرف في نوع من الطريقة كتلك التي لا يعرف على الإطلاق؛ وطبقاً لاعترافاتك فإنّ الإنسان هذا عرف ذلك الذي لم يعرف ـ كما أعتقد، أن لا شيء يمكن أن يكون أكثر لا عقلانيّة من ذلك. ومع هذا، وبعد أن وجدتنا المحاورة هكذا بسطاء وصالحين بالطبيعة، بقيت غير قادرة أن تكتشف الحقيقة، لكنّها سخرت منّا لدرجة كبيرة، وبرهنت بوقاحة عدم فائدة الاعتدال أو الحكمة إذا وُصِفت بحقّ بتحديد كهذا الذي صرفنا كلّ هذا الوقت في البحث فيه وفي صياغته معاً: الذي كانت نتيجته، بقدر ما يتعلّق بي، أنّها نتيجة تستحقّ الرثاء. لكنّني متأسف جداً لأجلك يا كارمايديس، ـ بما أنّ لديك جمال كهذا وحكمة كهذه واعتدال روح، من أنّنا لن نحقق ربحاً ولا خيراً في الحياة من حكمتك واعتدالك. وإنّني لأشدّ حزناً بشأن السحر كهذا الذي تعلمته بألم كثير، ولفائدة قليلة كتلك، هذا السحر الذي تعلمته من التراقيين، كي أنتج شيئاً لا يستحقّ أيّ شيء. أعتقد أنّ هناك خطأً حقاً، وينبغي أنّني كنت محقّقاً سيئاً، فأنا أعتقد أنّ الحكمة أو الاعتدال، هي خير عظيم بحق؛ وأنّك لسعيد، يا كارمايديس، إذا امتلكتها. إفحص نفسك لهذا السبب وانظر إذا كانت لديك هذه الهبة وتستطيع أن تفعل بدون التعويذة، لأنّك إذا استطعت، فما عليّ إلاّ نُصحك في أن تعتبرني غبيّاً بكلّ بساطة لست بقادرٍ أن أعقل أيّ شيء أبداً؛ وأؤكد للباقين أنّكم إذا كنتم أكثر حكمة واعتدالاً، فستكونون أكثر سعادة.

كارمايديس: إنّني متأكّد، يا سقراط، من أنّني لا أعرف سواء أكنت امتلك أو لا

أمتلك هذه الهبة للحكمة والاعتدال؛ إذ كيف يمكنني أن أعرف إذا كنت، أحوز شيئاً، لم تقدر أنت وكريشياس، كما تقول، أن تكتشفا طبيعته؟ مع ذلك فأنا لا أصدّقك تماماً، وإنّني متأكّد، يا سقراط، أنّني لست بحاجة للتعويذة. وبقدر ما يعنيني، فأنا مستعدّ لأكون مسحوراً بك يومياً، حتى تقول إنني امتلكت كفاية من ذلك.

كريشياس: جيّد جداً، يا كارمايديس، إذا فعلت هذا سيكون لديَّ برهان عن اعتدالك، ذلك إذا سمحت لنفسك أن تكون مسحوراً بسقراط، وأن لا تهجره أبداً لا في الكبيرة ولا الصغيرة.

كارمايديس: يمكنك أن تعتمد علي اتّباعي له وعدم هجره، إذا كنت، يا من أعتبره حارسي، أنت تأمرني، وسأكون مخطئاً جدّاً، إذا لم أُطِعك.

كريشياس: وإنّني لآمرك.

كارمايديس: سأفعل كما تقول إذن، وأبدأ فعله هذا اليوم بالتحديد.

سقراط: يا أسياد، ما هذا الذي تتآمرون بشأنه؟

كارمايديس: لسنا متآمرين، بل تآمرنا من قبلُ.

سقراط: وهل أنتم على وشك أن تستخدموا العنف، حتّى بدون إعطائي حقّ اللجوء للحكمة؟

كارمايديس: نعم، إنّني سأستعمل العنف، بما أنّه يأمرني؛ ولذلك فالأفضل لك أن تتأمّل مليّاً بالذي سنفعله.

سقراط: لكنّ وقت التأمل مضى، وعندما تعزم على أيّ شيء، وأنت في مزاج العنف، فإنّك لا تُقاوم.

كارمايديس: لا تقاومني إذن.

سقراط: إنّني لن أقاومك.

محاورة ليسيس

الصداقة

افكار المحاورة الرئيسيئة

تحتوي المحاورة على محادثتين اثنتين تبدوان وكأنّ لا صلة لإحداهما بالأخرى. المحادثة الأولى بين سقراط وليسيس في غياب مينيكسينوس الذي ذهب ليأخذ دوره في التضحية. يسأل سقراط ليسيس إذا ما كان أبوه وأمه يحبانه كثيراً؟ لتكن متأكّداً يا سقراط، إنّهما يفعلان. إذن فهما يسمحان لك أن تفعل ما تحبّ. طبعاً لا، فالعبد له الحريّة في فعل ما يريده أكثر مني. كيف ذلك، يا ليسيس؟ السبب، يا سقراط، هو أنّني لست كبيراً بما فيه الكفاية. لا، إنّني أعتقد أنّ هذا ليس هو السبب الرئيسي، بل السبب هو أنّك لا تمتلك معرفة لتفعل كل ذلك، وهذا يؤدّي إلى استنتاج أنّ كلّ الناس سيثقون بالإنسان فيما يعرف، لكن ليس فيما لا يعرف، لأنّه لن يكون مفيداً لهم إذا كان لا يعرف، وبالتالي لن يفعل الخير. ولا أحد سيحبّه إذا لم يفعل الخير. ويقدر هو فعل الخير لهم بالمعرفة ليس إلاّ، وبما أنّه لا يمتلك المعرفة الآن، فلا يمكنه أن يدرك المعرفة بهذا الوقت.

يقرأ سقراط الدرس إلى هيبوثايلس بهذا الأسلوب، وهو محب ليسيس، يقرأه فيما يخصّ نسق المحادثة التي عليه أن يوجهها إلى حبيبه.

بعد عودة مينيكسينوس، يوجّه سقراط له سؤالاً، بطلب من ليسيس: ما هي الصداقة؟ أنت يا مينيكسينوس، الذي تمتلك صديقاً بشكل مسبق، أتقدر أن تخبرني ما هو سرُّ هذه النعمة العظيمة، والتي أتوق لأجدها في شخص كهذا؟

أحبّ أن أسألك، عندما يحب الإنسان إنساناً آخر، أيّهما يكون الصديق، أهو الذي يُحِبّ أو الذي يُحَبّ؟ أو أنّ كليهما يكون الصديق؟

لقد تحوّلوا من أُولى هذه الافتراضات إلى الثانية، ومن الثانية إلى الثالثة، ولم يقدر سقراط ولا الشابان كلاهما أن يقتنعوا بأيٍّ من هذه الافتراضات ولا بجميعها. واستدار سقراط إلى الشعراء الذي يؤكدون أنّ الله يجلب الشبيه إلى شبيهه (هوميروس)، وإلى الفلاسفة (ايمبادوكلوس) الذي يثبت أيضاً أن الشبيه صديق للشبيه. لكنّ الأشرار، يا مينيكسينوس، ليسوا أصدقاء، لأنّهم لا يشبهون حتى أنفسهم، ويبقى شبه بعضهم لبعضٍ أقلّ. والأخيار لا يحتاج بعضهم لبعض، ولذلك لا يعتني بعضهم ببعض. علاوة على ذلك هناك آخرون ممّن يقولون إنّ الشبيه يكون سبب الكراهية، واللاشبيه سبب الحب والصداقة؛ وهم يوردون ما قاله الشعراء والفلاسفة في دعم لعقيدتهم هذه. ويقول هيسيود: « إنّ الخزّاف يحسد الخزّاف، والشاعر يحسد الشاعر ». ويخبرنا الأطباء الحاذقون أن الرطب صديق الجاف والبارد صديق الحار » وما شابه. لكنّهم لا يستطيعون تأكيد كلا الرأيين، لأنّ العادل سيكون صديقاً للظالم عندئذ، والخيّر صديقاً للشرّير.

وهكذا نصل إلى استنتاج أنّ الشبيه لا يكون صديقاً للشبيه، ولا اللاّشبيه للاّشبيه؛ ولهذا، فإنّ الخيّر ليس صديقاً للخيّر، ولا الشرّير للشرّير، ولا الخيّر للشرّير، ولا الشرّير للخيّر، ولا يبقى سوى اللاّمبالي، الذي لا يكون خيّراً ولا شرّيراً، فهل ينبغي أن يكون هو الصديق لكنه لا يكون صديقاً للاّمبالي لأنّ ذلك سيكون « الشبيه صديق الشبيه » بل هو سيكون صديقاً للخيّر، أو على الأصح للجميل.

لكن لماذا يجب أن يمتلك اللاّمبالي هذا الرّباط بالجميل والخيّر؟ هناك حالات سيكون رباط كهذا رباطاً طبيعياً أثناءَها. لنفترض أنّ اللاّمبالي هو الجسم الإنساني، وأنّه يرغب في التخلص من شرّ ما، كالمرض مثلاً، الذي يكون ضرورياً لكنه يحدث له « إذ لو كان الشرّ ضرورياً فسينقطع الجسم عن أن يكون لامبالياً،

وسيصبح شرّاً » وسيصبح اللاّمبالي صديقاً للخيِّر في هكذا حالة في سبيل التخلّص من الشرّ. يقف الفيلسوف أو محبّ الحكمة في هذا المركز الوسط (اللامبالاة): إنّه ليس حكيماً، ومع ذلك فهو ليس عكس هذا، بل إنّه يمتلك الجهل متعلقاً به بشكل طارىء، وهو يتلهف للحكمة كشفاء من الشر.

بعد أن تلقّينا هذا الشرح وكأنّه نصر عظيم، يبدأ عدم رضا جديد عمّا قلناه ليأخذ مكانه في عقل سقراط: ألا يجب أن تكون الصداقة لأجل غاية ما أبعد، وما يمكن أن يكون هذا السبب النهائي أو الغاية للصداقة غيراً من الخير؟ لكنّنا نرغب الخير كعلاج للشرّ فقط، ولذلك فإذا لم يكن هناك شرٌّ فلن تكون هناك صداقة. علينا أن نستنبط شرحاً ماآخر غير ذلك. ألا يمكن أن تكون الصداقة المثاليّة الحقّة حيث يكون السبب الأوّل؟

نعترف بأنّ المسألة لم تُحلّ، والأصدقاء الثلاثة سقراط، ليسيس، مينيكسينوس، ما زالوا غير قادرين أن يجدوا التعريف المناسب للصداقة، بعد كل الافتراضات التي قدّموها أثناء المحاورة.

محاورة ليسيس

الصداقة

أشخاص المحاورة

سقراط: الذي هو القاصّ ليسيس
مينيكسينوس كتاسيبوس
هيبوثايلس

المشهد: قاعة للمحادثات العامّة بُنيت جديداً خارج أسوار أثينا.

[كنت ذاهباً من الأكاديميّة رأساً إلى قاعة المناقشات العامّة بالطريق الخارجي، القريب تحت السور. عندما وصلت بوّابة المدينة الخلفيّة، التي هي بجانب نافورة بانوبس، صادفت هيبوثايلس بن هيرونيموس، وكتاسيبوس من مقاطعة باينيا، وجماعة من الشبّان الذين كانوا واقفين معه. عندما رآني هيبوثايلس مقترباً، سألني من أين أتيت وإلى أين أنت ذاهب].

سقراط: إنّني ذاهبٌ، من الأكاديمية رأساً إلى قاعة المناقشات العامّة.

هيبوثايلس: تعالَ إلينا رأساً، واستدرْ من هنا؛ يمكنك أن تفعل ذلك أيضاً.

سقراط: من أنت، وإلى أين سآتي أنا؟

[إلى هنا، قال هو: مبيّناً لي مكاناً مسوّراً وباباً مفتوحاً فوق السور في الاتجاه المضادّ. هذا هو المكان حيث سنتقابل جميعاً. ونحن جماعة طيّبون].

سقراط: وما هو هذا المكان، وأيّ نوع من التسلية لديك؟

هيبوثايلس: إنّها قاعة بنيت جديداً، والتسلية هي محادثة بشكل عام، وستلقى كلّ ترحيب فيها.

سقراط: شكراً، ومن هو معلّمك؟

هيبوثايلس: إنّه صديقك القديم والمعجب بك، ميكوس.

سقراط: حقاً، إنّه أستاذٌ جامعيٌ جدٌّ لامع.

هيبوثايلس: هل تشعر بالميل، لتذهب معي وتراهم؟

سقراط: نعم، لكنّني سأحب أن أعرف بادىء ذي بدء، ما المتوقّع منّي، ومن هو المفضّل بينكم؟

هيبوثايلس: بعض الأشخاص لديهم واحد مفضّل، يا سقراط، بينما يفضّل بعضهم شخصاً آخر.

سقراط: ومن هو المفضّل عندك؟ أخبرني ذلك، يا هيبوثايلس.

[إحمّر وجهه خجلاً لهذا السؤال؛ وقلت له، أوه، يا هيبوثايلس، يا ابن هيرونيموس! إنّك لست بحاجة لأن تقول أنّك واقع ولست واقعاً في الحب؛ الاعتراف جدٌّ مبكّر، فأنا أرى إنّك لست واقعاً في الحبّ فقط بل أنّك ذهبت بعيداً في حبك بشكل مسبق. غير ذكيّ وغير عمليّ كما أكون، لكنّ الآلهة وهبتني قوة كشف المحقّ وحبيبه بسرعة.

عند ذلك احمّر خجلاً أكثر وأكثر.

قال كتاسيبوس: أحبّ أن أراك خَجِلاً، يا هيبوثايلس، ومتردّداً في إخبار سقراط عن الإسم؛ لماذا؟ إذا كان هو معك ولو لوقت قصير جداً، فستضايقه حتّى الموت بالتحدّث بشأن لا شيء آخر سواه، حقّاً يا سقراط، إنه أصمّ آذننا وأوقف سمعها بالتحدّث عن ليسيس؛ وإذا كان هو منتشياً قليلاً، فهناك أرجحية لأن تثار مشاعرنا، معتقداً أنّنا نحمل اسم ليسيس، إنّ حديثه، كما هو سيّء يمكن أن يكون أسوأ؛ لكنّه عندما يغمرنا بقصائده

ونثره، فإنّها لا تطاق، ويصبح أسلوبه عندما يغنيها لحبيبه أكثر سوءاً. إنّ لديه صوتاً مروّعاً بحقّ، ونحن مجبرون أن نصبر عليه؛ وبما أنّك سألته رأساً الآن، فإنّ وجهه يحمرُّ خجلاً].

سقراط: أفترض، أنّ ليسيس هذا شابّ تماماً؛ لأنّ الإسم لا يذكرني بأيّ شخص.

كتاسيبوس: لماذا، إن أباه رجل جدُّ معروف، وهو معروفٌ كابن أبيه، ولا يُدعى الآن باسمه الخاصّ بشكل عام؛ لكن، بالرّغم من أنك لا تعرف اسمه، فإنّني متأكّد أنّك ينبغي أن تعرف وجهه، لأنّ هذا كافٍ لأن تميّزه.

سقراط: لكن أخبرني ابن من هو.

كتاسيبوس: إنه ابن ديموقريطس الأكبر، من مقاطعة آيكسون.

سقراط: آه، يا هيبوثايلس، أيُّ حب نبيل وبريء قد وجدت! إنّني أرغب أن تساندني بالعرض الذي قد قدَّمته لبقية الجماعة، وسأكون قادراً حينئذ أن أحكم إذا ما كان يجب أن يقوله المحبوب عن حبيبه، إمّا للشابّ نفسه أو للآخرين.

هيبوثايلس: لا، يا سقراط، أنت لا تعلق أيّة أهمية على ما قاله كتاسيبوس بالتأكيد.

سقراط: هل تعني، أنّك تتبرّأ من حبّ الشخص الذي يقول إنّك تحبّه؟

هيبوثايلس: لا؛ لكنّني أنكر أنّني أعددت نثراً أو كتبت مقطوعات شعرية له.

كتاسيبوس: إنّه ليس بعقله الصحيح، إنّه يتكلم هراء، وهو مجنون على نحوٍ مطبق.

سقراط: أوه، يا هيبوثايلس، أنا لا أريد أن أسمع أيّ مقطع شعري أو أغانٍ نظمتها في تكريم شخصك المفضّل؛ لكنّني أرغب أن أعرف مرماها، كي يمكنني أن أحكم على أسلوبك في الدُّنوّ من حبيبك.

هيبوثايلس: إن كتاسيبوس لقادرٌ أن يخبرك، فإذا كان صوت كلماتي، كما يجزم، يرنّ في أذنيه دائماً، فينبغي أن يكون لديه معرفة دقيقة جدّاً بها وتذكّر لها.

كتاسيبوس: نعم، حقّاً، إنّني أعرفها جيّداً أيضاً، والقصة مضحكة تماماً؛ بالرّغم من

أنه حبيب، والأكثر وفاء في الحب، فهو ليس لديه أيّ شخص خاصّ ليتكلّم عنه إلى محبوبه الذي يمكن لطفل أن يقوله. وبعدُ أليس هذا مضحكاً؟ هو يستطيع أن يتكلم عن الذي تحتفل به المدينة بكاملها، عن غِنى ديموقريطس، وليسيس، إبن الجدّ، وعن كل أسلاف الشابّ الآخرين، عن مجموعة خيلهم، وانتصاراتهم في الألعاب البيثيائيّة، وفي البرزخ، وفي نيميا بالعربة وسباق الخيل - تلك هي القصص التي ينظم ويردِّد، وحتّى قصص لم تقع منذ ما قبل التاريخ. إنّه نظم أوّل من أمسِ فقط، القصيدة التي وصف فيه طرب هيرقل، مُخبراً كيف أنه بالنسبة لقرابته بعائلته قد استقبله سلف ليسيس بحفاوة؛ لأنّ سلفه مولود من زيوس من بنت مؤسِّس المقاطعة، وتلك هي نوعية القصص للزوجات المسنّات التي يغنّيها ويرتّلها لنا، ويجبرنا أن نستمع له.

سقراط: عندما سمعت هذا، قلت: أوه، يا هيبوثايلس المضحك! كيف يمكنك أن تؤلف وتغنّي أناشيد في تكريم نفسك قبل أن تنتصر؟

هيبوثايلس: لكن أغانيّ ومقاطعي الشعرية، ليست في تكريم نفسي، يا سقراط.

سقراط: ألا تعتقد ذلك؟

هيبوثايلس: ماذا تعني؟

سقراط: بالتأكيد الأكثر، إنّ تلك الأغنيات هي كلّها لتكريمك الخاصّ؛ لأنك إذا ربحت حبيباً جميلاً، فإن أحاديثك وأغنياتك ستكون تمجيداً لك، ويمكن اعتبارها بحقّ كأغانٍ وثناءات منظومة في تكريم نفسك التي ربحت واستولت على حبيبٍ كهذا. لكن إذا قلت منك بسرعة، فأكثر ما تثني عليه، ستبدو أكثر سخرية لفقدك أفضل وأجمل النّعم هذه. ولذلك فالحبيب العاقل لا يثني على محبوبه إلى أن يربحه، لأنّه يخشى ممّا سيأتي. هناك خطر آخر أيضاً: عندما يثني أو يعظّم أيّ شخص الجميل، فإنّهم سيمتلئون بالنفس المتكبّرة والعظمة الفارغة. هل توافقني.

هيبوثايلس: نعم.

سقراط: وبقدر ما هم فارغو العظمة، بقدر ما يصعب الإمساك بهم؟

هيبوثايلس: بالطبع.

سقراط: ماذا سنقول عن الصيّاد الذي يخيف الحيوانات ويبعدها، ويجعل الإمساك بفريسته أكثر صعوبة؟

هيبوثايلس: إنّه سيكون صيّاداً سيّئاً بدون شك.

سقراط: نعم؛ ولتغيظ الحبيب بدلاً من تهدئته بالكلمات والأغاني، سيظهر ذلك افتقاراً كبيراً للفنّ. هل توافق؟

هيبوثايلس: نعم.

سقراط: وتأمّل مليّاً الآن، يا هيبوثايلس، وانظر إذا ما كنت مذنباً بكلّ تلك الأخطاء في كتابة قصائدك، فأنا أستطيع الافتراض بصعوبة أنّك ستؤكد أنّ الذي يؤذي نفسه بأشعاره هو شاعر جيّد؟

هيبوثايلس: لا بالتأكيد، إنّ شاعراً كهذا سيكون غبيّاً. وهذا هو السبب الذي جعلني أتشاور معك، يا سقراط. وسأكون مسروراً لأية نصيحة أبعد يمكن أن تقدّمها. هل ستخبرني بأيّة كلمات أو أفعال يمكن لإنسان أن يصبح محبّاً لحبيبه؟

سقراط: ليس سهلاً تقرير ذلك، لكنّك إذا مكّنتني من التحادث معه، بدلاً من الغناء والترتيل في الإلقاء الذي يتّهمونك به.

هيبوثايلس: لا صعوبة في ذلك. إذا ما ذهبت وكتاسيبوس إلى معهد المصارعة وجلست وحدّثت مَنْ هناك، أعتقد أنّه سيأتي طوعاً إليك. فهو مولع جداً بالاستماع، يا سقراط. وبما أنّ هذا هو إحتفال هيرمايا، فإنّ الرجال الشبّان والأولاد هم معاً جميعاً. وهو سيأتي بكلّ تأكيد. لكنّه إذا لم يأتِ من نفسه، دع كتاسيبوس يناديه؛ لأنّه يعرفه جيداً. وأن ابن عمه مينيكسينوس هو صديق ليسيس الكبير.

سقراط: ذلك سيكون الطريق.

[وعلى ذلك وجّهت كتاسيبوس إلى معهد المصارعة وتبعنا الباقون. وجدنا عند دخولنا أنّ الفتيان كانوا يضحُّون لتوّهم، وكان الاحتفال في نهايته تقريباً. كانوا كُلهم في أفضل تنظيم، وكانت ألعاب النرد جارية بينهم. أكثرهم كان في المحكمة الخارجيّة يسلّون أنفسهم؛ غير أنّ بعضهم كان في زاوية المعهد يلعبون ببعض أرقام النرد المفردة والمزدوجة، التي يأخذونها من سلال صغيرة مصنوعة من الخيزران. كان هناك حلقة من المتفرّجين ومن بينهم ليسيس. وكان يقف هو مع الفتيان والشبان الآخرين مزيناً رأسه بإكليل، ويعطي انطباعاً رائعاً، وليس النّظر في تنشئته اللطيفة أقلّ جدارة بالثناء من جماله. تركناهم وصعدنا إلى الجهة المقابلة للغرفة، حيث وجدنا مكاناً هادئاً، جلسنا وبدأنا الحديث حينئذ. هذا ممّا جذب ليسيس، الذي استدار نحونا لينظر إلينا على الدوام. إنّه كان يريد أن يأتي إلينا بكلّ وضوح. تردّد زمناً، ولم تكن لديه الشجاعة ليأتي وحيداً؛ لكن صديقه مينيكسينوس دخل فيما بعد من المحكمة إلى معهد المصارعة، في حين استمرّ في لعبته، عندها رأى كتاسيبوس وأنا متقدّمَيْن لأخذ أماكننا؛ تقدّم ليسيس عندما رآه ثم تبعه وجلس بجانبه؛ وانضمّ الفتيان إليهما. كذلك فعل هيبوثايلس أيضاً، عندما رأى الجمهور واقفاً بجانبنا، أتى ووقف خلفهم، حيث ظن أنّه سيكون في منأى عن رؤيا ليسيس له، خشية أن يغضبه؛ وهناك وقف وأصغى].

استدرت أنا إلى مينيكسينوس وقلت له: يا ابن ديموفون، أيّها الشابان أيّ منكما هو الأكبر سنّاً؟

مينيكسينوس: تلك هي مسألة موضع جدل بيننا.

سقراط: وأيّكما الأنبل؟ أتلك هي موضع جدل بينكما كذلك؟

مينيكسينوس: نعم، بكلّ تأكيد.

سقراط: وهل تتجادلان أيّكما الأجمل أيضاً؟

لهذا ضحك الفتيان.

سقراط: إنّني لن أسأل أيّ منكما الأغنى، فإنكما صديقان، أليس كذلك؟

أجاب: بكل تأكيد.

سقراط: ويمتلك الأصدقاء كلَّ شيء مشتركاً. هكذا فإنّ أحدكما لا يستطيع أن يكون أغنى من الآخر، إذا قلتما إنّكما صديقان بحق.

[وافقا على ذلك. كنت على وشك أن أسألها أيّهما الأعدل وأيّهما الأعقل؛ غير أن مينيكسينوس استُدعي من قبل شخص أتى وقال إنّ مدرِّب الألعاب الرياضية يريد أن يراه. إفترضتُ أنّه سيقوم بتقديم تضحية، لذلك ذهب، وسألتُ أنا ليسيس بعض الأسئلة. قلت له: أجرؤ القول، يا ليسيس إن أباك وأمّك يحبّانك كثيراً جداً].

ليسيس: بكلّ تأكيد.

سقراط: وسيرغبان في أن تكون سعيداً قدر الإمكان؟

ليسيس: نعم.

سقراط: وهل تعتقد أن أيَّ شخص يكون سعيداً وهو في حالة العبد، ولا يقدر أن يفعل ما يريد؟

ليسيس: ينبغي أن لا أعتقد ذلك حقاً.

سقراط: وإذا أحبّك أبواك، ورغبا في أن تكون سعيداً فذلك واضح تماماً أنّهما متشوقان ليزيدا سعادتك.

ليسيس: بكلّ تأكيد.

سقراط: وهل يسمحان لك أن تفعل ما تحبّه، ولا يلومانك أو يعوقانك عن فعل ما ترغب؟

ليسيس: نعم، حقّاً، يا سقراط؛ هناك أشياء عديدة كثيرة يعوقانني عن فعلها.

سقراط: ماذا تعني؟ هل هما يريدانك أن تكون سعيداً، ويعوقانك مع ذلك عن فعل ما تحب؟ كمثال، إذا أردت أن تركب إحدى عربات أبيك، وتمسك الأعِنّة في السّباق، فهل يرفضان السّماح لك بأن تفعل ذلك، ويمنعانك؟

ليسيس: إنّهما لن يسمحا لي بفعل ذلك، بكلّ تأكيد.

سقراط: لمن سيسمحان بفعل ذلك إذن؟

ليسيس: هناك سائق العربة، الذي يدفع أبي له ليتولّى قيادتها.

سقراط: وهل هم يثقون بالأجير أكثر منك لتفعل ما تحبّه بالأحصنة؟ وهل هم يدفعون له لهذا أيضاً؟

ليسيس: إنّهم يفعلون ذلك.

سقراط: لكنّني أجرؤ على القول إنّك تمسك بالسّوط وتوجّه عربة البغل إذا أحببت؛ ـ سيسمحون بذلك؟

ليسيس: يسمحون لي! إنهم لن يفعلوا حقاً.

سقراط: ألا يمكن لواحد آخر أن يستعمل السّوط للبغال إذن؟

ليسيس: بلى، البغّال.

سقراط: وهل هو عبد أو إنسان حرّ؟

ليسيس: إنّه عبد.

سقراط: وهل هم يولون قيمة للعبد أكثر منك وأنت ابنُهُم؟ وهل هم يأتمنون العبد على ملكيتهم بدلاً منك؟ ويسمحون له أن يفعل ما يحبّه، في حين يمنعونك؟ أجبني الآن، هل أنت سيّد نفسك، أو أنهم لا يسمحون أن تكون كذلك؟

ليسيس: لا، طبعاً فهم لا يسمحون لي بذلك.

سقراط: هل لديك سيّد إذن؟

ليسيس: نعم، معلّمي، إنّه هناك.

سقراط: وهل هو عبد؟

ليسيس: لتكن متأكداً، إنّه عبدنا.

سقراط: إن هذا شيء غريب، بدون ريب، أنّ الإنسان الحرّ يحكمه عبد وماذا يفعل هو معك؟

ليسيس: إنّه يأخذني إلى معلّمي.

سقراط: لا تعني أنت أن أساتذتك يحكمون عليك؟

ليسيس: إنّهم يفعلون طبعاً.

سقراط: يجب عليّ أن أقول عندئذ إن أباك يكون مسروراً ليبتليك بعدة حكام وأسياد. لكنك على أيّة حال عندما تذهب لأمّك في البيت، فهي تدعك تسلك طريقتك الخاصّة، ولا تتدخّل بسعادتك؛ فصوفها، أو قطع القماش التي تحيكها، هي تحت تصرّفك. إنّني متأكد من أنها لن تمنعك من ملامسة مغزلها الخشبي، أو مشط آلة الصوف، أو أيّاً من أدوات الغزل التي تخصّها.

ليسيس: لا، يا سقراط، (ضاحكاً)؛ إنّها لا تمنعني فقط، بل إنّني سأُضربُ إذا ما لامست واحدة منها.

سقراط: حسناً، إنّ هذا مذهل، وهل تصرّفت تصرّفاً سيئاً مع أبيك أو أمك في أي وقت؟

ليسيس: لا، حقاً.

سقراط: لكن لِمَ هما متلهّفان هكذا بفظاعة ليمنعاك من أن تكون سعيداً، وتفعل ما تحب؟ - جاعلينك اليوم كله خاضعاً للآخرين! وفي كلمة، لا يسمحان لك أن تفعل أيّ شيء ترغبه. وهكذا لا تحصل على أيّ خير، كما يبدو، من ممتلكاتهما الكثيرة، التي هي تحت سيطرة أيّ شخص ما عداك، وهما ليس لديهما أيّ انتفاع بشخصك الجميل، الذي قد رعاه واعتنى به

الآخرون؛ في حين أنّك، يا ليسيس، لست سيّداً لأيّ شخص، ولا تقدر أن تفعل الذي ترغبه؟

ليسيس: لماذا، يا سقراط، فالسبب هو أنّيَ لم تكتمل سنّي بعد.

سقراط: إنّني أشك أن يكون ذلك هو السبب الحقيقي، لأنّني أتصوّر أنّ أباك ديموقريطس، وأمك يسمحان لك أن تفعل أشياء ما مسبقاً، ولا ينتظران حتّى تكتمل سنّك. كمثال، إذا أرادا أن يُقرأ شيءٌ أو يُكتب، أفترض أنّك أنت، ستكون أوّلَ شخص في البيت يُوضع لهذا العمل الشاقّ.

ليسيس: حقيقي تماماً.

سقراط: ويُسمح لك أن تكتب أو تقرأ الأحرف في أيّ ترتيب يسرُك، أو أن تأخذ القيثار وتشدّ أو ترخي أيّا من الخيطان وتلعب عليها بأصابعك أو تعزف بالريشة، كما تُسرُ بالضبط، ولن يتدخّل معك أبوك ولا أمك.

ليسيس: إنّ ذلك لحقيقي.

سقراط: ما هو السبب الذي يمكن أن يكون إذن، يا ليسيس؟ لماذا يسمحان لك أن تفعل هذا الشيء وليس الآخر؟

ليسيس: أفترض، لأنّني أفهم هذا الشيء، ولا أفهم الآخر.

سقراط: نعم، يا فتاي العزيز، ليس السبب إذن لأيّ نقص في السنين، بل لنقص في المعرفة؛ وفي اليوم المحدَّد عندما يعتقد أبوك أنّك أعقل منه فسيسلمك نفسه وممتلكاته في الحال.

ليسيس: أتوقّع هكذا.

سقراط: نعم، وجارك أيضاً، ألن يتقيّد بالقاعدة عينها التي راقبها أبوك؟ حالما يكون مقتنعاً أنّك تعرف أكثر ممّا يعرف عن إدارة شؤون العائلة، فهل سيستمرّ في تولّي شؤونها بنفسه، أو أنّه سيعهد لك بها؟

ليسيس: أعتقد أنّه سيعهد بها لي.

سقراط: أولن يعهد لك الشعب الأثيني أيضاً بشؤونه، عندما يرى أنّك تمتلك الحكمة الكافية لإدارتها؟

ليسيس: نعم.

سقراط: وأوه! دعني أضع حالة أخرى. هناك الملك العظيم، ولديه ابن أكبر، وهو ملك آسيا؛ - أفترضْ أنّني أذهب وإيّاك إليه ونرسّخ في قناعته أنّنا طبّاخان أفضل من ابنه، ألن يعهد لنا بامتياز صناعة الشورباء وأن نضع أيّ شيء نحبه في قِدْرِ الشورباء أثنار طهوه، بدلاً من ابنه؟

ليسيس: سيعهد لنا، بكلّ وضوح.

سقراط: وسيكون مسموحاً لنا أنّ نرش الملح بملء اليد، في حين لن يُسمح لابنه أن يضع حتّى مقدار ما تلتقط إصبعاه؟

ليسيس: طبعاً.

سقراط: أو افترض أنّ الإبن ذو عينين رديئتين، هل سيسمح هَوَ له، أم لا، أن يلمس عينيه اللتين تخصانه إذا اعتقد أنّه لا يحوز معرفة فنّ الطبّ؟

ليسيس: إنّه لن يسمح له.

سقراط: مع أنه، إذا افترض أنّنا نمتلك معرفة فنّ الطب، فسيسمح لنا أن نفعل ما نحبّ معه - حتى أن نفتح عينيه كليّة ونذري الرماد عليهما، لأنّه افترض أنّنا نعرف العلاج الصحيح.

ليسيس: ذلك حقيقي.

سقراط: وسيعهد لنا بكلّ شيء نبدو فيه بالنسبة له أعقل من نفسه أو ابنه؟

ليسيس: طبعاً، يا سقراط.

سقراط: هذا ما يظهر بوضوح، يا عزيزي ليسيس، في الأشياء التي نعرف أنّ كل شخص سيثق بنا فيها: الهيلينيون والبربر، الرجال والنساء؛ يمكننا أن نفعل ما يسرّنا بشأنها، ولا أحد سيتدخّل معنا إذا ما استطاع. سنكون أحراراً وأسياد

الآخرين؛ وستكون هذه الأشياء لنا بحقّ، لأنّنا سنكون منتفعين بها. لكن في الأشياء التي لا نفهمها، لا أحد سيثق بنا لأن نفعل ما يبدو خيراً لنا ـ سيمنعوننا بقدر ما يستطيعون؛ ليس الأغراب فقط، بل الأب والأم، وحتى أقرب أقربائنا إذا وُجِد منهم أحد، وسنكون مُخْضَعِين في هذه المسائل للآخرين؛ ولن تكون هذه الأشياء خاصة بنا. لأننا لن ننتفع بها. هل توافق؟

ليسيس: إنّني أوافق.

سقراط: وهل سنكون أصدقاء للآخرين، وهل سيحبّنا أيّ شخص آخر، بسبب الأشياء التي لا ننفعهم بها؟

ليسيس: لا بالتأكيد.

سقراط: لا يحبنا آباؤنا إذن، ولا يحب أيٌّ شخص أيَّ شخص آخر، إذا كان غير مجدٍ له؟

ليسيس: لا يبدو ذلك.

سقراط: ولذلك، يا ولدي، إذا أصبحت عاقلاً، فكلّ الرجال سيصبحون أصدقاءك ورفاقك؛ لأنّك ستصبح نافعاً وخيّراً. لكنك إذا لم تكن عاقلاً، فلا أبوك، ولا أمّك، ولا رفاقك، ولا أيّ شخص آخر سيكونون أصدقاءك. وفي المسائل التي لم يمتلك الواحد فيها معرفة لحدّ الآن، هل يحقّ له أن يدّعي امتلاك المعرفة؟

ليسيس: إنّ ذلك مستحيل.

سقراط: وأنت، يا ليسيس، إذا احتجت معلماً، فإنّك لم تبلغ المعرفة لحدّ الآن؟

ليسيس: حقاً.

سقراط: ولذلك فلست مغروراً، بما أنّك لا تمتلك المعرفة التي ستغرك؟

ليسيس: أعتقد أن لا، حقاً، يا سقراط.

سقراط: [عندما سمعته يقول هذا، استدرت إلى هيبوثايلس، وكنت على وشك

أن أرتكب خطأ، لأنني كنت سأقول له: تلك هي الطريقة، يا هيبوثايلس، التي عليك أن تتكلّم بها إلى محبوبك، مُخضِعةُ وخافِضَةُ، وليس كما أنت فاعل، نافِخَه كبرياءً ومُفسِده. لكنّني رأيت أنّه كان في ضيق شديد واضطّراب لِمَا قد قِيل، وتذكّرت أنّه، بالرّغم من وجوده في الجوار، لم يرغب في أن يراه ليسيس. غير أنّني أحجمت عن هذا القول بعد دقيقة من التفكير.

رجع مينيكسينوس خلال هذا الوقت وجلس في مكانه بجانب ليسيس. وهمس ليسيس في أُذني سرّاً بأسلوب طفوليّ ودود، كي لا يسمع مينيكسينوس: أخبِرْ مينيكسينوس، يا سقراط، ما كنت قد أخبرتني إيّاه].

سقراط: أفضل أن تخبره بنفسك، يا ليسيس، لأنّني متأكّد أنّك كنت حاضراً.

ليسيس: بالتأكيد.

سقراط: حاول أن تتذكّر الكلمات إذن، وكن دقيقاً قدر الإمكان في ترديدها له، وإذا نسيت أيّ شيء، إسألني مرّة ثانية في وقت قادم عندما تراني.

ليسيس: سأكون متأكّداً أنّني سأفعل هذا، يا سقراط؛ لكن أخبره شيئاً جديداً، ودعني أستمع حتى يحين الوقت وأذهب إلى البيت.

سقراط: إنّني لا أستطيع أن أرفض بالتأكيد، بما أنّك تسألني، لكن مينيكسينوس، كما تعرف، مُولَع بالشجار، ولذلك عليك أن تأتي لإنقاذي إذا حاول أن يضايقني.

ليسيس: نعم، حقاً، إنه مولع بالشجار تماماً، وذلك هو السبب الذي من أجله أريدك أن تحاوره.

سقراط: كي يمكنني أن أجعل نفسي غبيّاً.

ليسيس: لا، حقّاً؛ لكنّني أريدك أن تضع له حدّاً.

سقراط: تلك ليست مسألة سهلة، لأنّه شخص رهيب ـ تلميذ كتاسيبوس، وهناك كتاسيبوس نفسه: ألا تراه؟

ليسيس: لا تشغل بالك، يا سقراط، إبدأ التّحاور معه من فضلك.

سقراط: حسناً، أفترض أنّ عليّ أن أبدأ ذلك.

[إشتكى كتاسيبوس عند هذا من أنّنا كنا نتكلم في السرّ، ونحتفظ بالمأدبة لأنفسنا].

سقراط: إنّني سأكون سعيداً، لأدعك تشاطرنا البحث، هنا ليسيس الذي لا يفهم شيئاً ما ممّا قلته، ويريدني أن أسأل مينيكسينوس، الذي من المحتمل أنّه يعرف.

كتاسيبوس: ولِمَ لا تسأله؟

سقراط: حسناً جداً، إنّني سأفعل؛ وهل ستجيب، يا مينيكسينوس؟ لكنّني يجب أن أخبرك بادىء ذي بدء، أنّني واحد وضع قلبه فوق ممتلكات محددة منذ وقت طفولته فصاعداً. كل الناس لهم رغباتهم: يرغب بعضهم الأحصنة، ويرغب الآخرون اقتناء الكلاب؛ ويُغرم بعضهم بالذّهب، وآخرون بالشرف، أما أنا فليس لديَّ أيّة رغبة جامحة لأيٍّ من هذه الأشياء، غير أنّ لديَّ هياماً بالأصدقاء، وسأمتلك صديقاً صالحاً بالأحرى، بدلاً من حيازتي على أفضل ديكٍ وطائر سمّانٍ في العالم. إنّني سأذهب حتى أبعد من ذلك، وأقول على أفضل حصانٍ أو كلب. أجل، بكلب مصر، إنّني سأفضّل صديقاً حقيقياً على كل ذهب داريوس بدرجة كبيرة، وحتّى على داريوس نفسه. إنّني محبّ للأصدقاء بهذا القدر، وعندما أراك وليسيس، في سنّكما المبكر، هكذا حائزين على هذا الكنز باكراً، هو لك، وأنت له، فإنّني أدهش وأظنّكما سعداء، ويغلب عليّ أنّني بعيد جدّاً عن عمل إنجاز مشابه، حتى أنّني لا أعرف بأيّة طريقة يُكتسب الصديق. لكن هذا هو ما أريد أن أسألكما عنه بالتحديد، لأنّكما تمتلكان الخبرة. أخبرني إذن، عندما يحب الشخص الآخر، أيكون المحبّ أو الحبيب هو الصديق؛ أو يمكن لكليهما أن يكون الصديق؟

كتاسيبوس: إنّ عليّ أنّ أعتقد أنّ كلاً منهما، يمكن أن يكون الصديق لكلّ منهما.

سقراط: هل تعني، أنّه عندما يحب أحدهما الآخر، فهما صديقان مشتركان؟

كتاسيبوس: نعم، ذلك هو ما أعنيه.

سقراط: لكن ماذا إذا لم يكن المحبّ محبوباً بالمقابل؟ وهذه حالة جدّ محتملة.

كتاسيبوس: نعم.

سقراط: أو حتّى لربّما يكون مكروهاً منه؟ لأنّ هذا يحدث بعض المرّات للمحبين فيَ علاقتهم بأحبّائهم، لا شيء يمكنه أن يتجاوز حبّهم؛ ومع ذلك فهم يتصوّرون إمّا أنّهم غير محبوبين بالمقابل، أو حتّى أنّهم مكروهون، أليس ذلك صحيحاً؟

كتاسيبوس: نعم، صحيح تماماً.

سقراط: في تلك الحالة، أحدهما يحب، والآخر يكون محبوباً؟

كتاسيبوس: نعم.

سقراط: أيّهما يكون صديق الآخر عندئذ؟ هل المحبّ هو صديق المحبوب، سواء أكان هو محبوباً أو مكروهاً بالمقابل؛ أو أنّ المحبوب هو الصديق. أو أنّه لا توجد صداقة في كلا الجانبين على الإطلاق؛ ما لم يحبّ كل منهما الآخر؟

كتاسيبوس: أعتقد أنّ تلك هي الحالة.

سقراط: إنّ هذه الفكرة إذن، لا تطابق فكرتنا السابقة. نحن قلنا إنّهما كليهما كانا صديقين، إذا أحبَّ الواحد فقط؛ لكن الآن، ما لم يحب كلاهما، فلا يكون أحدهما صديقاً.

كتاسيبوس: يظهر ذلك أنّه هكذا.

سقراط: إذن لا محِبّ بالمقابل يكون محبوباً من المحبوب؟

كتاسيبوس: إنّني لا أعتقد ذلك.

سقراط: إذن، ليسوا هم محبيّ الأحصنة، أولئك الذين لا تحبّهم الأحصنة بالمقابل؛

ولا محبي طيور السمّان، ولا الكلاب، ولا النبيذ، ولا التمارين الرياضيّة، التي ليس لديها إعادة للحبّ. لا، ولا للحكمة، ما لم تحبّهما الحكمة بالمقابل. أو هل سنقول إنّها تحبّهم بالرغم من أنّهم غير محبوبين من قِبَل أصدقائهم؛ وأنّ الشاعر الذي يغنّي كان مخطئاً: « سعيد الإنسان الذي يكون أطفاله أعزاء عنده، والأحصنة التي لها حافر مفرد، وكلاب المطاردة، والغريب القادم من أرضٍ أخرى »؟

كتاسيبوس: لا أعتقد أنه مخطىء.

سقراط: هل تعتقد أنّه كان محقّاً؟

ليسيس: نعم.

سقراط: الاستنتاج، يا مينيكسينوس، إذن، هو أنّ الذي يكون محبوباً، سواء كان كارهاً أو محبّاً، يمكن أن يكون عزيزاً للمحِبّ له: كمثال، الأطفال الصغار جدّاً، صغار كي يحبّوا كذلك، أو حتى ليكرهوا أباهم وأمّهم عند معاقبتهما لهم، إنّهم لا يكونون أعزّ لهم قطّ من الوقت الذي يكرهونهم أثناءه.

مينيكسينوس: أعتقد أنّ ما تقوله حقيقيّ.

سقراط: وإنّ هكذا، ليس المحبّ، بل المحبوب، هو الصديق أو الشخص العزيز؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: والشخص المكروه، وليس الكاره، هو العدو؟

مينيكسينوس: يبدو ذلك.

سقراط: عديد من الرجال إذن هم محبوبون من قِبَل أعدائهم، وهم الأصدقاء لأعدائهم والأعداء لأصدقائهم، مشاهدين ذلك أنّ المحبوب وليس الحبيب هو الصديق. مع ذلك كم يكون مضحكاً أو حتّى مستحيلاً هذا التناقض حقّاً، يا صديقي العزيز، كون الإنسان عدوّاً لصديقه وصديقاً لعدوه.

مينيكسينوس: يبدو أنّ ما تقوله، يا سقراط، حقيقيّ.

سقراط: لكن إذا لا يكون هذا، فالمحبّ سيكون الصديق لذلك الذي يُحبّ؟

مينيكسينوس: يبدو ذلك.

سقراط: وسيكون العدوّ الشخص المكروه وليس الكاره؟

مينيكسينوس: بالتأكيد.

سقراط: حسناً إذن، يجب أن نصل للاستنتاج عينه ونعترف في هذا كما اعترفنا في الحالة السابقة، أنّ الإنسان يمكن أن يكون صديق الشخص الذي لا يكون صديقه أو الذي يمكن أن يكون عدوّه، عندما يحبّ ذلك الذي لا يحبه أو حتى الذي يكرهه. ويمكن أن يكون عدوّ الشخص الذي ليس عدوه، ويكون حتى صديقه. كمثال، عندما يكره ذلك الذي لا يكرهه، أو حتّى الذي يحبه.

مينيكسينوس: يظهر ذلك أنه حقيقي.

سقراط: لكن إذا لم يكن المحبّ صديقاً، ولا المحبوب صديقاً، ولا أولئك الذين يحبون ويكونون محبوبين، فماذا سنقول نحن؟ مَنْ الذين سنسمّيهم أصدقاء بعضهم لبعض؟ هل هناك آخرون غير أولئك؟

مينيكسينوس: إنّني لا أستطيع أن أفكر بغير أولئك حقاً، يا سقراط.

سقراط: لكن، أوه يا مينيكسينوس! ألا يمكن أن نكون مخطئين تماماً في مسار بحثنا؟

ليسيس: إنّني متأكّد أنّنا قد كنّا مخطئين، يا سقراط.

[واحمرّ وجهه خجلاً عندما تكلّم. يظهر أنّ الكلمات تخرج من شفتيه تلقائياً، لأنّ المحاورة سلبت تفكيره بالكامل. لم يكن هناك أيّ خطأ في ذلك بل ظهر على هيئته المصغية حين كان يستمع.

سررت بالاهتمام الذي أبداه ليسيس، وأردت أن أعطي مينيكسينوس قسطاً من الراحة، لذلك استدرت نحوه وقلت: أعتقد يا ليسيس، أنّ ما تقوله حقّ،

وأنّنا إذا كنا محقّين في مسار بحثنا، فما علينا أن نندهش قطّ كما نكون الآن، دعنا لا نتقدم أبعد من هذا الاتجاه « لأنّ الطريق يصبح صعباً على ما يبدو »، بل أن نسلك المَمر الآخر الذي استدرنا نحوه، ونقتفي طريق الشعراء؛ لأنهم في طريقةٍ ما آباؤنا ومرشدونا في الحكمة، ويثيرون مطالبة سامية جداً في حسابهم عن جوهر الصداقة؛ الله نفسه، يقولون هم، يخلق الأصدقاء ويجذبهم بعضهم نحو بعض. ويعبّرون عن هذا، إذا لم أكن مخطئاً بالكلمات الآتية: « الله يجذب الشبيه إلى شبيهه على الدوام » ويجعلهم هكذا متعارفين. إنّني أجرؤ على القول إنّك سمعت هذا المقطع الشعري].

ليسيس: نعم، إنّني سمعته.

سقراط: أو لَمْ تقرأ كتابات الرجال الحكماء أيضاً الذين يقولون الشيء عينه، إنّ الشبيه يجب أن يحبّ شبيهه؟ إنّهم الذين يجادلون ويكتبون بشأن طبيعة الكون.

ليسيس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وهل هم محقّون في قولهم هذا؟

ليسيس: لربّما ذلك.

سقراط: لربّما النصف، أو الكل بالاحتمال، هم محقّون إذا أدركنا ما عنوا بالضبط، لأنّ أكثر ما يجب أن يفعله الرجل الشرّير مع الرجل الشرّير، وأكثر ما يُجلبُ إلى اتصال قريب منه، أكثر ما سيكون متوقعاً أن يكون في خصام معه، لأنّه يؤذيه. والمؤذِي والمؤذَى لا يمكنهما أن يكونا صديقين، أليس هذا صحيحاً؟

ليسيس: نعم.

سقراط: لا يكون نصف القول حقيقياً إذن، إذا كان الخبيثان يشبه بعضهما بعضاً؟

ليسيس: إنّ ذلك لصحيح.

سقراط: لكن معنى القول هو، كما أتصوّر، أنّ الأخيار يشبه بعضهم بعضاً، وأصدقاء بعضهم بعضاً. وأنّ الأشرار، كما يقال غالباً، لا يكونون في وحدة مع بعضهم أو مع أنفسهم؛ لأنّهم انفعاليون وقلقون. وأيُّ شيء يكون على خلاف أو خصام مع نفسه يستطيع أن يكون متشابهاً بصعوبة ولذلك صَدوقٌ لأي شيء آخر، ألا توافق؟

ليسيس: نعم، إنّني أفعل.

سقراط: إذن، يا صديقي، أولئك الذين يقولون إنّ المتشابه يكون صديقاً للمتشابه يعنون ليعلموا، إذا فهمتهم بصواب، أنّ الإنسان الصالح يكون الصديق للإنسان الصالح، وله فقط؛ لكن ذلك الرجل الشرّير لا يمكنه الوصول لأيّة صداقة حقيقية أبداً لاَ مَعَ الإنسان الصالح ولا مع الفرد الشرّير. هل توافق؟

[هزّ ليسيس رأسه دليل الموافقة].

سقراط: نعرف نحن كيف سنجيب على السؤال عندئذ: « مَن هم الأصدقاء؟ » لأنّ المحاورة تعلن أنّ الأخيار هم الأصدقاء.

ليسيس: نعم، إنّني أعتقد ذلك.

سقراط: نعم، ومع ذلك فأنا لست مقتنعاً تماماً بهذا السؤال. إكراماً للسماء دعني أواجه ما أتوقّع. لأفترض أنّ الشبيه، بقدر ما يكون شبيهاً، يكون صديقاً للشبيه، ونافعاً له. أوْ دَعني أجرّب بالأصحّ طريقة ما لطرح المسألة: أيستطيع الشبيه أن يفعل أيّ خير أو أذى للشبيه الذي لا يقدر أن يفعله لنفسه، أو أن يعاني أيّ شيء من شبيهه الذي لن يقاسيه من نفسه؟ وإذا ما كان يمكن لكل منهما أن يكون ذا نفع للآخر، كيف يمكنهما أن يشعرا بأيّة مودة بعضهما لبعض؟

ليسيس: إنّهما لا يقدران.

سقراط: وهل يمكن أن يكون عزيزاً عليك، ذلك الذي لا تشعر بأية مودّة نحوه؟

ليسيس: لا بالتأكيد.

سقراط: لا يكون الشبيه صديقاً للشبيه إذن بقدر ما يكون شبيهاً؛ لكن ربّما يكون الخيِّر بقدر ما يكون هو خيِّراً؟

ليسيس: لربّما.

سقراط: لكن ألن يكون الخيِّر مرة ثانية عندئذ، بقدر ما هو خيِّر، ألن يكون كافياً لنفسه؟ إنّه سيكون بكلّ تأكيد. والذي يكون كافياً لا يريد شيئاً ـ إنّ ذلك معنيٌّ ضمناً في كلمة كافٍ.

ليسيس: طبعاً لا.

سقراط: الذي لا يريد شيئاً لن يشعر بحاجة لأيِّ شيء؟

ليسيس: إنّه لن يشعر.

سقراط: ولا يمكنه أن يحبّ ذلك الذي لا يُكنُّ له أيّة عاطفة؟

ليسيس: إنّه لا يستطيع.

سقراط: الذي لا يحبّ لا يكون محبّاً أو صديقاً؟

ليسيس: لا بوضوح.

سقراط: أيّ مكانٍ هناك إذن لأيّة صداقة بين الرجال الأخيار على الإطلاق، إذا لا يشعرون عند غيابهم بفقد بعضهم بعضاً (لأنّهم حتى عندما يكونون كافين لأنفسهم منفردين)، وحين حضورهم لا يمتلكون أيّ نفع بعضهم لبعض؟ كيف يستطيع هكذا أشخاص أن يقدِّر بعضهم بعضاً على الدوام؟

ليسيس: لا يقدرون.

سقراط: ولا يمكنهم أن يكونوا أصدقاء، ما لم يقدِّر بعضهم بعضاً؟

ليسيس: حقيقيّ جداً.

سقراط: لكن أنظر الآن، يا ليسيس، أين نكون مخطئين في كل هذا ـ ألسنا على الطريق الخطأ؟

ليسيس: كيف ذلك؟

سقراط: لقد سمعت شخصاً يقول، كما أتذكّر ذلك تماماً، إنّ الشبيه هو العدوّ الأكبر للشبيه، الصالح للصالح. نعم، واقتبس هو كلاماً من مرجع لهيسيود. الذي يقول: « الخزافون يتشاجرون مع الخزّافين، الشاعر مع الشاعر، المتسوّلون مع المتسوّلين ». وأكد ذلك عن كلّ الأشياء الأخرى، بأسلوب مماثل: أنّ من الضرورة أن يكون الأكثر تشابهاً فيما بينهم، هم الأكثر امتلاءً بالحسد والشقاق، والكره بعضهم لبعض، والأكثر لا تشابهاً بالصداقة، لأنّ الإنسان الفقير هو مجبرٌ أن يكون صديق الغنيّ، ويحتاج الضعيف لمساعدة القويّ، والإنسان المريض للطبيب؛ وكل شخص جاهل يشعر بعطف تجاه الذي يعرفه ويحبه. وواصل هو القول حقّاً، حتى بأكثر تأثيراً، إنّ فكرة الصداقة الموجودة بين المتشابهين ليست الحقيقة، بل هي عكس الحقيقة بكلّ تأكيد، وأنّ الأكثر تضادّاً، هو الأكثر صَدُوقاً. كمثال، الجافّ يشتاق للرطب، البارد للحارّ، المر للحلو، الحادُّ للمنثلم، الخالي للملآن، وهكذا عن كل الأشياء الأخرى؛ لأنّ التضادّ هو غذاء التضادّ في حين أنّ الشبيه لا يحصل على منفعة من شبيهه. وافتكرت أنّ الذي قال هذا كان رجلاً ذكيّاً، لقد تكلّم جيداً. فماذا تقولون أيها الرفاق الباقون؟

مينيكسينوس: عليّ أن أقول، عند السماع الأوّل لهذه الكلمات، إنّه كان محقاً.

سقراط: ينبغي أن نقول حينئذ إنّ الصداقة الأعظم هي للمضادّات.

مينيكسينوس: بالضبط.

سقراط: حسناً، يا مينيكسينوس، أليس ذلك جواباً بالغ السخافة؟ أولن يفرح محبّوا الخصام العالمون بكلّ شيء لنشوة الانتصار علينا، ويسألون ما إذا كانت الصداقة هي المضادّ للخصام بالتأكيد؟ وبماذا نجيبهم؟ ألاَ ينبغي أن نعترف بأنّهم يتكلمون الحقيقة.

مينيكسينوس: يجب أن نعترف بذلك.

سقراط: أيكون العدو عندئذ (سيتابعون هم السؤال) صديق الصديق، أو أنّ الصديق هو صديق العدوّ؟

مينيكسينوس: لا هذا ولا ذاك.

سقراط: مرّة ثانية، أيكون إنساناً عادلاً مَنْ هو صديق الظالم، أو المعتدل للمفرط، أو الخيِّر للشرير؟

مينيكسينوس: إنّني لا أرى كيف يكون ذلك محتملاً.

سقراط: ومع ذلك، إذا انتشرت الصداقة في المضادّات، يجب أن تكون تلك المتضادات أصدقاء.

مينيكسينوس: يجب أن لا تكون.

سقراط: لا الشبيه والشبيه ولا اللاّمتشابه واللاّمتشابه هم أصدقاء إذن؟

مينيكسينوس: إنّني أفترض ذلك.

سقراط: دعنا نسأل سؤالاً أبعد من ذلك: ألا يمكن أن تكون كل تلك الأفكار عن الصداقة مغلوطة؟ لكن ألا يمكن أن يكون ذلك الذي ليس خيِّراً ولا شرّيراً باقياً في بعض الحالات كونه الصديق للخيِّر؟

مينيكسينوس: ماذا تعني؟

پسقراط: لماذا بحقّ؟ الحقيقة هي أنّني لا أعرف؛ غير أنْ رأسي مصاب بالدوار بألغاز المحاورة، ولذلك فأنا أجازف الحدس، أنّ « الجميل هو الصديق »، كما يقول المثل القديم. الجمال يكون شيئاً ناعماً، طريّاً، زلقاً بدون ريب، ولذلك فهو ذو طبيعة تنسلُّ من خلال أيدينا بسهولة وتفلت منّا. حسناً إنّني أؤكّد أنّ الخير هو الجميل، هل ستوافق على ذلك؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: إنّني أقول إذن، كنوع من الوحي، إنّ ما لا يكون خيِّراً ولا شرّيراً هو

الصديق للجميل والخيِّر، وأنا سأخبرك كيف حصلت على هذا الوحي. إنّني أفترض وجود ثلاثة أنواع: الخيِّر، الشرِّير، وذلك الذي لا يكون خيِّراً ولا شرِّيراً. ستوافق على ذلك، أليس كذلك؟

مينيكسينوس: بلى، إنّني أوافق.

سقراط: ولا يكون الخيِّر الصديق للخيِّر، ولا الشرّير للشرِّير، ولا الخيِّر للشرّير. لقد استُبعِدَت هذه الخيارات بالمحاورة السابقة؛ ولذلك، إذا وُجد هكذا شيء كالصداقة أو الحب على الإطلاق، يجب أن نستنتج أنّ ذلك الذي لا يكون خيِّراً ولا شريراً ينبغي أن يكون الصديق، إما للخيِّر، وإما لذلك الذي لا يكون خيِّراً ولا شرِّيراً، لأنّه لا شيء يمكنه أن يكون صديقاً للشرِّير.

مينيكسينوس: حقاً.

سقراط: لكن لا يستطيع الشبيه أن يكون صديقاً للشبيه، كما قلنا لتوِّنا؟

مينيكسينوس: يبدو أن لا.

سقراط: يتبع أنّ ذلك الذي لا يكون خيِّراً ولا شرِّيراً هو الصديق للخيِّر فقط، وللخير وحده.

مينيكسينوس: يمكن افتراض ذلك أنّه شيء أكيد.

سقراط: أولاً يبدو ذلك يُهدي للطريق الصحيح؟ لاحظ تماماً، أنّ الجسم الذي يكون سليماً لا يحتاج لمساعدة طبيَّة ولا لأيَّة مساعدة أخرى، بل إنّ لديه ما هو بحاجة إليه؛ والإنسان المعافى لا يمتلك أيّة محبَّة للطبيب، لأنه سليم.

مينيكسينوس: لا يمتلك أيّاً منها؟

سقراط: غير أن المريض يحبه، لأنه مريض؟

مينيكسينوس: بكلّ تأكيد.

سقراط: والمرض شرّ، وفنّ الطب شيء جيّد ونافع؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: لكنّ الجسم الإنساني، معتبراً كجسم، لا يكون صالحاً ولا صالحاً؟

مينيكسينوس: حقاً.

سقراط: والجسم مُجبر بسبب المرض كي يتودَّد وينشىء صداقة مع فنّ الطب؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: إذن إنَّ ذلك الذي لا يكون صالحاً ولا صالحاً يصبح صديق الصالح، بسبب وجود الشر؟

مينيكسينوس: يمكننا استخلاص ذلك.

سقراط: ويجب أن يكون قد حدث هذا بوضوح قبل أن يصبح شرّاً من خلال وجود الشرّ فيه. عندما يكون قد أصبح طالحاً مرة، لا يمكنه أن يرغب وأن يحب الخير بعد الآن؛ لأنّنا كما كنا قائلين، لا يمكن للشرّير أن يكون صديقاً للخيِّر.

مينيكسينوس: مستحيل.

سقراط: أبعد من ذلك، يجب أنْ ألاحظ أنَّ موادّ ما تكون مستوعبةً بأشياء أخرى عندما تكون هذه الأخرى موجودة فيها، ويوجد بعضٌ لا يمكن استيعابُه، خذ، كمثال، حالة اللّون الذي يوضع على مادة أخرى؛ يكون اللون موجوداً فيها حينئذ.

مينيكسينوس: جيد جداً.

سقراط: في هكذا وقت، أيكون الشيء عينه الذي يكون مطليّاً باللون عينه كالطلاء الذي هو عليه حقاً.

مينيكسينوس: ماذا تعني؟

سقراط: هذا ما أعنيه: افترض أنّني رحت أغطي أقفالك السمراء بالرصاص الأبيض، فهل ستكون هي بيضاء حقاً، أو ستظهر أنّها بيضاء فقط.

مينيكسينوس: ستظهر أنها بيضاء فقط.

سقراط: وسيكون الأبيض موجوداً فيها مع ذلك؟

مينيكسينوس: حقاً.

سقراط: لكنّ ذلك لن يجعلها الأكثر بياضاً على الإطلاق؛ وبدون مقاومة وجود البياض فيها، لن تكون بيضاء أكثر منها سوداء؟

مينيكسينوس: لا.

سقراط: لكن عندما يغرس الهرم البياض فيها، فإنّها تصبح متشابهة، وتكون بيضاء لوجود البياض.

مينيكسينوس: بكلّ تأكيد.

سقراط: أريد أن أعرف الآن إذا كانت المادّة متشابهة في كل الحالات بوجود مادة أخرى؛ أو يجب أن يكون الحضور على غرار نوع غريب؟

مينيكسينوس: الآخر.

سقراط: إذن، فذلك الذي لا يكون صالحاً ولا صالحاً يمكن أن يكون في الحضور للشرّ، لكن ليس شرّاً لحدّ الآن، أو يمكن أنّه قد أصبح شرّاً سابقاً؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: وعندما يكون أيّ شيء في الحضور للشر، ليس كونه شرّاً لحد الآن، إنّ حضور الشرّ في هذا المعنى يبرز رغبة الخيّر في ذلك الشيء؛ لكن الحضور الذي ينشىء شيئاً طالحاً حقاً، يأخذ الرغبة وصداقة الخيّر بعيداً؛ لأنّ ذلك الذي لم يكن، لمرة، لا خيّراً ولا شريراً قد أصبح شرّيراً، وكان الخيّر مفترضاً أنّه لا يمتلك صداقة مع الشرير؟

مينيكسينوس: لا يملك أيّاً منها.

سقراط: ولذلك نقول نحن إنّ أولئك الذين هم عقلاء مسبقاً، سواء كانوا آلهة أو رجالاً، ليسوا محبي الحكمة بعد الآن. ولا يستطيعون أن يكونوا محبّي الحكمة الذين هم جهلاء لبقائهم كونهم أشراراً، إذ لا شخص شرّيراً أو

جاهلاً هو محب للحكمة. يبقى هناك أولئك الذين يعانون من شرّ الجهل، غير أنّهم ليسوا محجّرين في جهلهم لحدّ الآن أو خالين من الفهم، وهم باقون مدركين أنّهم لا يعرفون مالا يعرفون. ولذلك فأولئك الذين لا يكونون أخياراً ولا أشراراً لحد الآن هم-محبو الحكمة؛ لأنّنا، كما قد رأينا مسبقاً، لا يكون الشبيه صديقاً للأشبيه، ولا الشبيه للشبيه، أتتذكّر ذلك؟

[أجاب مينيكسينوس وليسيس بكلمة: نعم].

سقراط: وهكذا، يا ليسيس ومينيكسينوس، نحن اكتشفنا طبيعة الصداقة ـ لا يمكن وجود شك فيها. الصداقة هي حب ذلك الذي لا يكون خيّراً ولا شرّيراً، عندما يملك في الحضور الذي للشرّ، ذلك الذي يكون خيّراً إمّا في الرّوح، في الجسم، أو في أيّة طريقة أخرى.

[وافق كلاهما وصدّقا ذلك كليّة، وابتهجتُ للحظة وكنت مقتنعاً كالصياد الممسك تماماً بالفريسة التي وقعت بين يديه. لكن الشكّ الأكثر، غير المحسوب قابلني عندئذ، وشعرت أن الاستنتاج كان غير صحيح. إنّني تأمّلت، وقلت، يا للحسرة! يا ليسيس ومينيكسينوس، أنا أخشى أنّنا أمسكنا خيالاً فقط].

مينيكسينوس: لِمَ تقول ذلك؟

سقراط: إنّني خائف من أنّ محاورتنا بشأن الصداقة، برهنت وجود مدّعين مثل بعضٍ من الرجال.

مينيكسينوس: ماذا تعني؟

سقراط: حسناً، أنظر في المسألة بتلك الطريقة: الصديق يكون صديقاً لشخص ما؛ ألا يكون هو؟

مينيكسينوس: إنّه يكون بالتأكيد.

سقراط: ألاَ يمتلكُ هو دافعاً وهدفاً في كونه صديقاً، أو أنّه لا يمتلك باعثاً وقصداً؟

مينيكسينوس: إنّه يمتلك حافزاً وهدفاً.

سقراط: أو يكون الهدف الذي يجعله صديقاً، عزيزاً له، أو لا يكون عزيزاً ولا بغيضاً له؟

مينيكسينوس: إنّني لا أتبعك تماماً.

سقراط: لا أعجب لذلك، لكن لربّما إذا وضعت المسألة بطريقة أخرى، فإنّك سوف تقدر على متابعتي، وسيكون معناي أوضح لنفسي. وكما كنت قائلاً لتوّي الآن، فإنّ الإنسان المريض، هو صديق الطبيب. أليس كذلك؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: وإنّه صديق الطبيب بسبب المرض، وبقصد الصحة؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: وإنّ المرض شرّ؟

مينيكسينوس: بدون ريب.

سقراط: وماذا عن الصحة؟ أتكون هي خيراً أو شراً، أوليس كلاهما؟

مينيكسينوس: إنها خير.

سقراط: وأعتقد أننا كنا قائلين، إنّ الجسم كونه لا خيراً ولا شرّاً، بسبب المرض، فكأنّك تقول بسبب الشرّ، فالجسم هو صديق للدواء، والدواء يكون خيراً. ودَخَل الدواء في هذه الصداقة لغرض الصحة، والصحة هي خير.

مينيكسينوس: حقاً.

سقراط: أوَ تكون الصحّة صديقاً، أوليست بصديق؟

مينيكسينوس: إنّها صديق.

سقراط: والمرض عدو؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ ذلك الذي لا يكون خيراً ولا شرّاً هو صديق الخيّر بسبب الشرّ والكراهية، وبقصد الخير والصداقة.

مينيكسينوس: يبدو هكذا.

سقراط: إذن فإنّ الصديق هو صديق الصديق، بقصد الصديق وبسبب العدوّ؟

مينيكسينوس: إنّ ذلك مستخلص.

سقراط: حسناً جدّاً، دعونا نهتم في هذه النقطة الرئيسيَّة يا أولادي إذن، وأن نكون يقظين ضدّ التضليل. إنّني سأتغاضى عن الصعوبة من أنّ الصديق هو صديق الصّديق، ولذلك الشبيه للشبيه، والتي قد أعلنّاها أنّها مستحيلة. لكن كي لا يمكن لهذا التقرير الجديد أن يخدعنا، دعنا نختبر نقطة رئيسيَّة أخرى بانتباه: إنّ الدواء، كما قلنا، هو صديق أو عزيز لنا، بغرض الصحة؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: وأنّ الصحة هي عزيزة أيضاً؟

مينيكسينوس: بالتأكيد.

سقراط: وإذا كانت عزيزة، فعزيزة بغرض شيء ما إذن؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: ويجب أن يكون هذا الهدف عزيزاً أيضاً بكل تأكيد، كما دلّت ضمناً اعترافاتنا السابقة؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: ويتطلب ذلك الشيء العزيز شيئاً ما عزيزاً آخر؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: لكن ألا يجب إمّا أن نستمرّ في هذا الطريق عندئذ تخور قوانا، أو أن نصل إلى سبب رئيسي ما للصداقة أو المودة التي لا تكون قادرة أن تكون معزوّة لأيّ شيء آخر، لأجل ذلك الذي تكون كل الأشياء الأخرى عزيزة له، كما نؤكّد.

مينيكسينوس: ينبغي علينا ذلك.

سقراط: خوفي هو أن كل تلك الأشياء الأخرى، التي كما نقول، هي عزيزة لأجل الأشياء الأخرى، ليست سوى أوهام وخداع فقط، لكن حيث يكون ذلك السبب الأوّل، فهناك توجد الصداقة المثالية. دعني أضع المسألة هكذا: إفترض حالة الكنز كبير (يمكن أن يكون هذا ولداً، الذي هو أكثر نفاسة عند أبيه من كلّ كنوزه الأخرى)؛ ألا يقدّر الأب، الذي يقدِّر إبنه فوق كل الأشياء الأخرى، ألا يقدّر الأشياء الأخرى من أجل ابنه؟ إنّني أعني، كمثال، إذا عرف الأب أنّ ابنه قد شرب السّم، وفكّر الأب أنّ النبيذ يمكن أن ينقذه، فإنّه سيقدّر النبيذ؟

مينيكسينوس: طبعاً.

سقراط: ويقدّر الوعاء الذي يحتوي النبيذ أيضاً؟

مينيكسينوس: بالتأكيد.

سقراط: أوَلاَ يقدّر هو لذلك القياسات الثلاثة للنبيذ، أو الإناء الأرضي الذي يحتويها، بالتساوي مع ابنه؟ ألاَ تكون هذه بالأحرى الحالة الحقيقية للوضع؟ إنّ كل قلقه لا يمتلك أيّ اعتبار للوسائل التي يقدّمها من أجل الهدف، بل إلى الهدف الذي من أجله تجهّز هذه الوسائل. ومع أنّه يمكننا غالباً القول إنّ الذهب والفضة لها التقدير العالي منا، فذلك ليس صحيحاً، لأنّ هناك هدفاً أبعد من ذلك، مهما يمكن أن يكن ذلك الهدف، الذي نقدّره نحن أكثر من الجميع، والذي لأجله نكتسب الذهب وكل ممتلكاتنا الأخرى ألست محقاً؟

مينيكسينوس: نعم، بكلّ تأكيد.

سقراط: أوَلاَ يمكن قول الشيء نفسه عن الصديق؟ إنّ كل الذي يكون عزيزاً علينا فقط لأجل شيء ما آخر هو قول غير مناسب ليكون عزيزاً، لكنّ العزيز بحق هو ذلك الذي تنتهي فيه كلّ هذه المسمّاة صداقات عزيزة؟

مينيكسينوس: يظهر ذلك أنّه حقيقي.

سقراط: إذن فذلك الذي يكون عزيزاً بحق لا يكون عزيزاً لأجل شيء ما آخر يكون عزيزاً؟

مينيكسينوس: صدقاً.

سقراط: إذن فلقد وفينا بالغرض بالمفهوم القائل إنّ ذلك الذي يكون عزيزاً، يكون هكذا على حساب شيء ما آخر يكون عزيزاً. وبعدُ أيجب أن نقبل بذلك أنَّ الخيِّر يكون العزيز؟

مينيكسينوس: أعتقد هكذا.

سقراط: حسناً إذن، أيكون الخيِّر محبوباً بسبب الشرّ؟ دعني أطرح الحالة بهذه الطريقة: إفترض أنّه يبقى من المجموعات الثلاث، الخيِّر، الشرّير، وذلك الذي ليس خيِّراً ولا شريراً، يبقى الخيِّر والمحايد فقط، وأنّ الشرَّ أقصي بعيداً، ولم يؤثّر على الروح أو الجسم بأيّة طريقة، ولا أبداً على الإطلاق على ذلك النوع من الأشياء التي، كما نقول، ليست خيراً ولا شرّاً في أنفسها؛ ـ وهل سيكون الخير بذي نفع، أو غيراً من عدم نفعه لنا؟ إذ لو لم يكن هناك أي شيء ليؤذينا بعد اليوم، فلسنا بحاجة لأي شيء يفعل لنا خيراً. سيكون مرئياً آنئذ بوضوح أننا لم نفعل سوى حب ورغبة الخير بسبب الشر، وكعلاج للشر، الذي كان المرض؛ لكن إذا لم يكن هناك مرض، فلا حاجة للعلاج. أيكون ذلك صحيحاً عن طبيعة أنَّ الخير يكون محبوباً من قبلنا بسبب الشر المركّز بين الاثنين، وأنه لا يوجد أي نفع في الخير من أجله الخاص؟

مينيكسينوس: يبدو أنّه كذلك.

سقراط: إذن فالسبب النهائي للصداقة الذي تلتقي فيه كل الصداقات الأخرى، أعني أولئك الذي يكونون أعزاء نسبياً وإكراماً لأجل شيء ما آخر، هو غيرٌ وذو طبيعة مختلفة عنها. إنها تسمى عزيزة بسبب عزيز آخر أو صديق. لكن

مع الصديق الحقيقي أو العزيز، فالحَالة هي العكس تماماً؛ لأن ذلك مُبرهن أنه عزيز بسبب المكروه، وإذا كان المكروه بعيداً فلن يكون عزيزاً بعد اليوم.

مينيكسينوس: حقيقي تماماً. على أيّة حال ليست إذا بقيت وجهة نظرنا الحاضرة معمولاً بها.

سقراط: لكن أوه! هل ستخبرني، ما إذا كان الشرّ ليفنى، فهل سنجوع بعد اليوم، أو نعطش بعد اليوم، أو تكون لدينا أيّة رغبة مماثلة؟ أو هل يمكننا الافتراض أنّ الجوع سيبقى طالما بقي الرجال والحيوانات، لكن ليس ليؤذي؟ وينطبق الشيء ذاته على العطش والرغبات الأخرى. إنّها ستبقى، لكنّها لن تكون شرّيرة لأنّ الشرّ قد أُبيد؟ أو هل سأقول على الأصح، أن تسأل ما سيكون كلاهما حينئذ أو ما لا يكون هو شيء مضحك. ومن الذي يعرف ذلك؟ إنّنا نعرف هذا، إنّ في حالتنا الحاضرة يمكن للجوع أن يؤذينا، ويمكن أن ينفعنا أيضاً. أليس ذلك صحيحاً؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: ويمكن أن يكون العطش أو أيّة رغبة مماثلة في أسلوب مماثل، يمكن أن يكون ذا فائدة وغير مفيد لنا بعض المرات، وبعض المرات لا هذا ولا ذاك؟

مينيكسينوس: لتكن متأكّداً.

سقراط: لكن أيوجد أيّ سبب لفناء ذلك الذي لا يكون شرّاً، بسبب أنّ الشرّ يفنى؟

مينيكسينوس: لا سبب ذلك.

سقراط: إذن، حتى إذا فُني الشرّ، ستبقى الرغبات التي لا تكون خيراً ولا شرّاً؟

مينيكسينوس: يبدو هكذا.

سقراط: أوّلاً يجب أن يحب الإنسان ذلك الذي يرغب ويتشوق له؟

مينيكسينوس: يجب عليه.

سقراط: إذن، حتى إذا فُني الشرّ، فإنه يمكن بقاء بعض الأشياء العزيزة؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: لكنَ ليس إذا كان الشرّ سبب الصداقة: لأنّ في تلك الحالة لا شيء سيكون الصديق لأيّ شيء آخر بعد تدمير الشرّ. فالنتيجة لا يمكن أن تبقى حيث يكون السبب مُدمَّراً.

مينيكسينوس: حقاً.

سقراط: ولقد اعترفنا مسبقاً أنّ الصديق يحبّ شيئاً ما، وذلك لسبب؟ ورأينا وقت إدخال الاعتراف أنّ لا الخيِّر ولا الشرّير يحبّان الخير بسبب الشرّ؟

مينيكسينوس: حقيقي تماماً.

سقراط: لكنّ وجهة نظرنا قد تغيَّرت الآن، ونتصوَّر أنّه يجب أن يوجد سبب ما آخر للصداقة؟

مينيكسينوس: إنّني أفترض ذلك.

سقراط: ألا يمكن أن تكون الحقيقة على الأصحّ، كما كنا قائلين لتوّنا الآن، أنّ الرغبة هي سبب الصداقة؛ لأنّ ذلك الذي يرغب يكون عزيزاً لذلك الذي هو مرغوب في وقت رغبته به؟ أوَلاَ يمكن أنَّ تكون النظرية الأخرى قد قصة طويلة عن لا شيء؟

مينيكسينوس: محتمل بما فيه الكفاية.

سقراط: لكن بالتأكيد، فالذي يرغب، يرغب ما هو بحاجة له؟

مينيكسينوس: نعم.

سقراط: وما هو بحاجة إليه يكون عزيزاً عليه؟

مينيكسينوس: حقاً.

سقراط: ويكون هو بحاجة لما هو محروم منه؟

مينيكسينوس: بالتأكيد.

سقراط: سيبدو الحبّ والرغبة والصداقة عندئذ أشياء طبيعية ومتجانسة. هكذا هو الاستنتاج، يا ليسيس ومينيكسينوس.

[وافقا كلاهما على ذلك].

سقراط: إذا كنتما أنتما صديقين إذن، يجب أن تمتلكا الطبائع التي تكون متشابهة بعضهما ببعض؟

قال كلاهما: بالتأكيد.

سقراط: وإنّني أقول، يا ولديّ، إنّ الإنسان الذي يحب أو يرغب الآخر لم يكن أبداً ليحبّ أو يرغب أو يشتاق له إذا لم يكن لهما طبائع متشابهة بطريقة ما، إمّا في الروح، أو في الأخلاق، أو في الأساليب، أو في الشكل.

مينيكسينوس: نعم، نعم. غير أنّ ليسيس كان صامتاً.

سقراط: نستنتج إذن، أنّ ما هو ذو طبيعة متشابهة تجب محبّته.

مينيكسينوس: يتبع هذا.

سقراط: المحبّ إذن، الذي يكون صادقاً وليس مزيّفاً، يجب أن يكون محبوباً بالضرروة.

[وافق ليسيس ومينيكسينوس يبطء. وتبدّل هيبوثايلس إلى كلّ نوع من أنواع الألوان من جرّاء سروره الشديد.

قصدت هنا أن أراجع المحاورة، قلت: هل نقدر نحن أن نشير إلى أيّ فرق بين الشيء المتجانس والشبيه؟ لأنّه إذا أمكن ذلك، أعتقد حينئذ، يا ليسيس ومينيكسينوس، أنّه يمكن أن يوجد معنى ما في محاورتنا بشأن الصداقة. لكن إذا كان المتجانس هو الشبيه فقط، كيف ستتخلصان من المحاورة الأخرى، من عدم نفع الشبيه للشبيه بقدر ما هما شبيهان؟ (فلكي تجيزا أنّ عديم النفع يكون عزيزاً، سيكون هذا مضحكاً). إفترضا إذن، أنّنا نوافق على أن نميّز بين المتجانس والمتشابه ـ لربما يمكن إجازة ذلك، في تَمَلِ المحاورة].

مينيكسينوس: حقيقي تماماً.

سقراط: وهل سنقول علاوة على ذلك أنّ الخيِّر هو المتجانس، والشرير هو اللامتجانس نحو كل شخص؟ أو- مرّة ثانية إنّ الشر هو المتجانس نحو الشرير، والخيِّر نحو الخيِّر، وذلك الذي ليس خيِّراً ولا شرِّيراً، نحو ذلك الذي ليس بخيِّر ولا شرِّير؟

[وافقا معاً على الخيار الأخير].

سقراط: لقد وقعنا يا ولديَّ، مرّة ثانية إذن، في الخطأ القديم المطروح؛ لأنّ الظالم سيكون الصديق للظالم، والسّيء للسّيِّء، بالقدر تماماً الذي سيكون الخيِّر فيه صديقاً للخيِّر؟

مينيكسينوس وليسيس: حقاً.

سقراط: لكنّ ذلك كان موقفنا أيضاً والذي قد دحضناه مسبقاً، كما ستذكران.

مينيكسينوس وليسيس: إنّنا نتذكر.

سقراط: ما العمل إذن؟ أو بالأصحّ أيوجد أيّ شيء ليتّم فعله؟ إنّني أستطيع فقط أن ألخّص المحاورات، مثل الرجال الحكماء الذين يحاورون في المحاكم وأقول: إذا لم يكن المحبوب، ولا المحب، لا الشبيه، ولا غير الشبيه، لا الخيِّر ولا المتجانس، ولا أيٌّ آخر ممّن تكلمنا عنه - لأنّه وُجد هكذا عددٌ منهم لا أستطيع أن أتذكره كله - إذا أيًّا من هؤلاء لا يكون الصديق، فإنّني لا أعرف ما هو الباقي لنقوله.

[كنت ذاهباً هنا لأخذ آراء بعض الأشخاص المسنّين، عندما قاطعنا عن الكلام حرّاس ليسيس ومينيكسينوس، الذين أتو إلينا كجنيّين بالوصاية، مُحضرين معهم أخوة الولدين، وقد أمروهما بالذهاب إلى البيت، لأن النهار كاد أن ينتهي، حاولنا والمتفرجين أن ندفع بهم خارجاً بادىء ذي بدء، وبما أنهم لم يعيروا اهتماماً لذلك، بل بدأوا الصراخ فيما بعد بلسانهم اليوناني

الغريب وكانوا غاضبين، ورحت أنادي الولدين ـ ظهر لنا أنّهما قد أكثرا من الشراب في الخمارة، ومن أجل ذلك كان قيادهما صعباً ـ ثم أفسحنا لهما في المجال كي يذهبا على نحو لائق وأنهينا الاجتماع.

قلت للولدين كلمات قليلة، على أيّة حال، عند انصرافهما: أوه يا مينيكسينوس وليسيس، كم أنتما مضحكان أيّها الولدان، وأنا، الرجل المسنّ، الذي جازفت لأصنّف نفسي معكما، من أن نتصور أنفسنا كأصدقاء. هذا ما سيذهب ويقوله الناس الذي أصغوا لمحاورتنا. ولم نتمكن من أن نكتشف ما هو الصّديق حتى الآن!

محاورة لاخيس

الشجاعة

أفكار المحاورة الرئيسيّة.

ليسيماخوس بن آريستايدس العادل، وميليسياس بن ثيوسيدايدس، رجلان مسنّان، يريدان برغبة قوية أن يعلّما ولديهما حسب أفضل أسلوب متبّع، أفضل من التعليم الّذي تلقيّاه هما، والذي يتلقاه بقية شباب أثينا.

رافقهما نيخياس ولاخيس بطلب منهما ليروا رجلاً إسمه ستاسيلوس المحارب بالسلاح الثقيل. سأل الرجلان القائدين العسكريين (نيخياس ولاخيس) إذا ما كانا لينصحاهما بتعليم ولديهما التدريب في هذا المجال. وكان نيخياس ولاخيس على استعداد تام ليعطيا رأيهما بشأن هذا الموضوع، لكنهما اقترحا استدعاء سقراط ليأخذ دوراً في هذه الاستشارة. وسقراط لا يعرف ليسيماخوس، لكنّ الأخير تذكر أنّه ابن صديقه سافرونيسكوس، الذي كان على اتفاق دائم معه حتى لحظاته الأخيرة. ونيخياس يعرف سقراط، الذي قدّم إليه دايمون الممتاز، الموسيقي والسوفسطائي، كمعلّم لابنه، وكذلك يعرفه لاخيس، الذي كان شاهداً على سلوكه البطولي في معركة ديليوم. وبما أنّ سقراط أصغر سنّاً من نيخياس ولاخيس، يفضّل أن يتأخّر في إعطاء رأيه حتى يبدياه هما أولاً. ويفضل نيخياس، العالِمُ بالتكتيك الحربي، الفنّ الجديد كثيراً جداً. وهذا الفنّ يصفه بالألعاب الرياضية الحربيّة، فهو نافع عند تشكيل الصفوف، وهو أكثر نفعاً عند تفرقها؛ يخلق فائدة عامة في الدراسة العسكرية، ويضيف إلى الجندي المظهر في حقله بشكل عظيم. أما لاخيس، المقاتل القوي، فيرتئي أن هذا الفنّ ليس معرفة، ولا يمكن أن يكون له

أيّة قيمة، لأنّ اللاقيدايميون، أولئك الأسياد في الفن هذا، أهملوه. إنّ خبرته الخاصة في الخدمة الفعليّة علمته أنّ هؤلاء المدّعين غير نافعين ومضحكون. لقد رأى هو هذا الرجل ستاسيلوس يقدّم عرضاً على ظهر باخرة، وكان هذا قد عرّضه للسخرية عندما فقد سلاحه الذي كان يحمله وبالتالي من رآه ضحك عليه. إن امتلاك هذا الفن سيجعل الجبان متسرّعاً، ويعرّض الشجاع، إذا ما صادف أن زلّت به قدمه، سيعرضه إلى تعليقات مثيرة للاستياء. وبعدُ دعنا نأخذ استشارة سقراط، وإذا ما كان الرأيان اللذان طرحناهما يختلفان، كي يقرّر.

لم يرغب سقراط في أن يقرر ذلك برأي الأكثرية ويقول: في مسائل خطرة كهذه مثل تعليم أطفال الأصدقاء، فإنه سيستشير الشخص الحاذق الذي كان لديه أسياد، والذي قدّم براهين لمهارته هذه. وليس هو الذي يستطيع ذلك، لأنّه لم يكن قادراً أن يدفع للسوفسطائيين من أجل تعليمه، ولم يمتلك الذكاء الحاد كي ينجز أو يكتشف أيّ شيء، غير أنّ نيخياس ولاخيس هما أكبر سنّاً منه وأغنى، وهو سيثق بهما بشكل تام، إذا لم يُعارضا ذلك تماماً.

يقترح ليسيماخوس أن يعهد بالمحاورة إلى الطرف الأفتى في المجموعة، وبما أنه مسنّ، ويمتلك ذاكرة سيئة، فإنّه يلتمس إلى سقراط بكل جديّة كي يبقى - في إظهار ذلك، كما يقول نيخياس، ما أقلّ ما يعرفه الإنسان، والذي لن يذهب بكلّ تأكيد قبل أن يستجوب سقراط المجموعة الموجودة بدقّة بشأن حيواتهم الأفضل. نيخياس قد أُخضع لهكذا عمليّة؛ وأما لاخيس فهو على استعداد بكلّ تأكيد ليتعلّم من سقراط، لأنّ أعماله، في الطراز الدوريني الحقيقي، تتناسب مع كلماته.

يواصل سقراط القول: يمكننا أن نسأل من هم معلمونا، لكن طريقة أفضل وأكثر كمالاً لاختبار القضية علينا أن نلج فيها، ومن ثمّ نسأل، (ما هي الفضيلة). أو بالأحرى، لنقصر التساؤل على ذلك الجزء من الفضيلة الذي يختص باستعمال السلاح، ونسأل، (ما هي الشجاعة)؟. يعتقد لاخيس أنّه يعرف ذلك ويقول: إنّ

الشجاع هو من يثبت في موقعه عند حدوث المعركة. لكن بعض الأمم، يا لاخيس، تحارب بفرسان يمتطون ظهور الخيل على غرار أسلوب آينياس في هوميروس، أو كما حارب الإسبارطيون المدججون بالسلاح الثقيل في معركة بلاطايا. وسقراط، يريد تعريفاً أكثر شمولية، ليس فقط للشجاعة الحربية، بل للشجاعة على مختلف أنواعها، والتي جُرِّبت وسط الملذات والآلام. ويجيب لاخيس أنّ هذه الشجاعة العالميّة هي الصبر، نعم، يا لاخيس، لكن الشجاعة هي شيء جيد. والصبر المجرّد يمكن أن يكون مؤذياً وضاراً، لذلك يجب أن يضاف عنصر الذكاء إليه. لكن، مرّة ثانية، فإنّ الصبر الذكيّ عندئذ يمكن أن يكون غالباً أكثر شجاعة من الذكاء، الشرّير أكثر من الخيّر، فكيف يمكن لهذا التناقض أن يُحلّ؟

ومع أن أعمال سقراط ولاخيس شجاعة، فهما لم يوضعا (في أسلوب الدوريان) بالكلمات والأعمال؛ لأنّ كلماتهم كلها مشوشة، مع أنّ أعمالهم هي شجاعة. يبقى أنه يجب عليهما أن (يصبرا) في المحاورة بشأن الصبر. إنّ لاخيس مستعدّ لذلك تماماً، وهو متأكد أنّه يعرف ما هي الشجاعة، إذا ما استطاع أن يخبر ذلك فقط.

ويناشدان هنا نيخياس كي يتدخل. ويعرّف نيخياس الشجاعة بكلمات سمعها من سقراط نفسه الذي قال في زمن مضى « إنّ الشجاعة هي الذكاء ». يسخر لاخيس من هذا التعريف. وسقراط يتساءل: « أيّ نوع من الذكاء؟ ». ويجيبه نيخياس: « إنّها ذكاء من نوع مخيف ». لكن، يا نيخياس، كل إنسان يعرف الأشياء التي تخيف في فنّه الخاص. لا، يا سقراط، إنّهم لا يفعلون. يمكنهم أن يتنبأوا عن النتائج، لكنهم لا يستطيعون أن يخبروا إذا ما كانت هي رهيبة بحقّ. الإنسان الشجاع يمكنه أن يخبر ذلك فقط. ويستنتج لاخيس أنّ الإنسان الشجاع إما أن يكون كاهناً أو إلهاً.

مرة ثانية، يتكلم نيخياس بطريقته المعتادة، وهي أنّ الشجاعة يجب أنكارها في

الحيوانات والأطفال لأنّهم لا يعرفون الخطر. ويُردُّ نيخياس إلى طريق الصواب بعد استعماله اللغة لتثبيت آرائه بالطريقة العكسيّة، لكن في درجة ما مُلطفاً بمجاملةٍ لشجاعته الخاصة. يبقى أنّه لا يريد أن يرى رجل دولة وقائداً حربياً ساقطاً إلى سوفسطائية من هذا النوع.

ويستأنف سقراط الحوار بقوله، لقد عرّفت الشجاعة بأنّها ذكاء أو معرفة المرعب؛ والشجاعة ليست كل الفضيلة، بل هي واحدة من الفضائل، ويكون المرعب في المستقبل، ولذلك فمعرفة المرعب هي معرفة المستقبل. لكن لا يمكن وجود معرفة عن مستقبل الخير أو الشر منفصلة عن معرفة الخير والشر للماضي أو الحاضر؛ ذلك لنقول، عن كلّ الخير والشرّ. لذلك فإنّ الشجاعة هي معرفة الخير والشرّ بشكل عام. لكنّ مَنْ يمتلك المعرفة عن الخير والشرّ بشكل عام، يجب ألاّ يمتلك شجاعة فقط، بل اعتدالاً، عدلاً، وكل فضيلة أخرى أيضاً.

وهكذا، فإنّ فضيلة بمفردها ستكون الشيء عينه ككلّ الفضائل.

وبعد كل ما قد قيل فإن الجنرالين وسقراط، بطل معركة ديليوم، لا يزالون في جهلهم عن طبيعة الفضيلة، وما عليهم إلاّ أن يذهبوا إلى المدرسة مرّة ثانية، كذلك الأولاد، الرجال المسنّون، والجميع.

محاورة لاخيس

الشجاعة

أشخاص المحاورة

ليسيماخوس: إبن أريستايدس

ميليسياس: إبن ثيوسيدايدس

وولداهما : نيخياس ، لاخيس

سقراط

ليسيماخوس: إنّكما قد رأيتما العرض القتالي للإنسان بعدّته الحربيّة، يا نيخياس ولاخيس، لكنّنا لم نخبركما حينها السبب لماذا سألناكما صديقي ميليسياس وأنا لتذهبا معاً وترياه. أعتقد أنّه يجب علينا بالمقابل أن نعترف، ماذا كان هذا، وأن لا يكون لدينا أيّ تحفظ معكما بكل تأكيد. سخر البعض من فكرة استشارة الآخرين تحديداً، وعندما يُسألون فلن يقولوا ما يفكرون به. إنّهم يخمنون في رغبات الشخص الذي يسألهم، ويجيبونه طبقاً لذلك، وليس طبق ما يرونه. غير أنّه كما نعرف نحن من أنكم قضاة صالحون، وستقولون ما تفكرون به بالضبط، فلقد اخترناكم كي تعطونا نصائحكم. إنّ المسألة التي أُعِدُّ بشأنها كلّ هذه المقدمة هي كما يلي: ميليسياس وأنا يمتلك كلّ منا صبيّاً؛ ذلك ابنه ويسمى ثيوسيدايدس، على اسم جده؛ وهذا إبني، الذي يدعى باسم جده أريستايدس أيضاً، إي إسم أبي. وبعدُ، فنحن مصمّمان على أن نولي الاهتمام الأكبر بالشابين، ولن ندعهما كأكثرية

الآباء، يفعلان ما يسرهما عندما يشبّان عن الطوق، بل إنّنا نقصد أن نبدأ حالاً ونفعل أقصى ما نستطيع لهما. وبما أنّنا نعرف أنّ لديكم أبناء، فنحن اعتقدنا أنّكم أكثر الرجال احتمالاً في ملازمة تدريبهم وتحسينهم، وإذا ما تَدَرَ وفكرتم بهذا الموضوع، يمكن أن نذكّركم أنّه ينبغي عليكم فعل ذلك، وسندعوكم لتساعدونا في إتمام هذا الواجب المشترك. سأخبركما، يا نيخياس ولاخيس، حتى في مجازفة كوني مملاً، كيف وصلنا لنفكّر بهذا. إنّني أعيش وميليسياس معاً، ويعيش معنا ولدانا؛ وكلانا يتحدث مع الصبيّين غالباً عن المآثر النبيلة العديدة التي أبداها آباؤنا في الحرب والسلم، وفي إدارة شؤون الحلفاء، وتلك التي للمدن؛ لكن ليس لدى أحدنا أيّ من المآثر الخاصة التي يستطيع إبرازها. الحقيقة هي أنّنا خجلون من هذه المقارنة كونها مرئية من قِبَلهم ونحن نلوم آباءنا لتركنا نفسد في أيّام شبابنا، بينما كانوا هم منهمكين بشؤون الآخرين. ونحن نحث أولادنا على كل هذا، مشيرين عليهم أنّهم لن ينشأوا على مبادىء الشرف إذا تمرّدوا ولم يقاسوا الآلام؛ غير أنّهم إذا تجرعوا الآلام، لربّما يمكنهم أن يصبحوا جديرين بالأسماء التي يحملون. هم، من جانبهم، يَعِدُون بأن يستجيبوا لرغباتنا. واهتمامنا هو أن نكتشف أيّة دراسات أو ملاحقات تُعتبرُ أكثر تحسيناً لهم. امتدح شخص ما لنا فنّ الحرب في الأعتدة القتاليّة، التي يرى أنّها إنجاز ممتازٌ على الإنسان الشابّ أن يتعلّمه، وأثنى على الرجل الذي رأيت عرضه لتوّك، وأخبرنا أن نذهب ونراه، وقرّرنا نحن الذهاب وفعل ذلك، وأن نجلبكم لترافقونا وتروا المشهد؛ قاصدين في الوقت عينه أن نطلب نصيحتكم، وإذا ما رغبتم، لتشاركونا في مخطّطنا لتعليم أولادنا. تلك هي المسألة التي أردنا أن نبحثها معكم، ونحن نأمل في أنكم سوف تعطونا رأيكم بشأن فنّ القتال بالعدّة الحربيّة، أو بشأن أيّة دراسات أو ملاحقات ستنصحون أو لا تنصحون بها

للرجل الشابّ، وستخبروننا إذا ما كنتم ستحبّون الانضمام لاقتراحنا هذا.

نيخياس: بقدر ما يخصني بشأن هذا الموضوع، يا ليسيماخوس وميليسياس، فإنني أستحسن اقتراحكما، وسأنضم لكما بكل سرور، وأعتقد أنّك، يا لاخيس، ستكون مسروراً بشكل متساوٍ.

لاخيس: بكل تأكيد، يا نيخياس؛ وإنّني أوافق على الملاحظة التي أبداها ليسيماخوس بشأن أبيه وأب ميليسياس، والتي ليست ملائمة لهما فقط، بل لنا كذلك، ولكلّ شخص منهمك بالشؤون العامة. كما يقول هو، فهؤلاء الأشخاص عرضة لأن يهملوا ولا يبالوا بأطفالهم وبمشاكلهم الخاصّة كذلك. هناك حقيقة كبيرة في ملاحظتك تلك، يا ليسيماخوس، لكن لِمَ لا تستشير صديقنا سقراط، بجانب استشارتك لنا، بشأن تعليم الشباب؟ إنّه يشاركك الهدف عينه، وهو يمضي وقته على الدوام في الأماكن حيث يحصل الشباب على أيّة دراسة أو ملاحقة نبيلة، كتلك التي تتعقّبون.

ليسيماخوس: لماذا، يا لاخيس، هل لازم سقراط القضايا من هذا النوع على الدوام؟

لاخيس: بالتأكيد، يا ليسيماخوس.

نيخياس: إنّ لديّ وسائل المعرفة عن ذلك كالتي يمتلكها لاخيس تماماً؛ فسقراط قد أمدّني مؤخراً بمعلّم للموسيقى كي يعلّم ولدي، ـ دايمون، تلميذ أغاثوكلس، الذي يعتبر الإنسان الأكثر براعة بكل طريقة، كما أنّه موسيقي بارع، ورفيق ذو قيمة لا تقدّر للرجال الشباب في سنّهم.

ليسيماخوس: إن أولئك الذين بلغوا ما بلغتُ من الحياة، يا سقراط ونيخياس ولاخيس، يتأخّرون عن مصاحبة الشباب، لأنهم محتجزون في البيت بسبب التقدم في السنّ؛ لكنك، أوه يا ابن سوفرونيسكوس ستدع زملاءك الشباب يحصلون على المنفعة من أيّة نصيحة تقدر على إسدائها. إضافة إلى ذلك،

فإنّ لديّ مطلباً عندك بما أنني صديقٌ قديم لأبيك؛ فأنا وهو كنا رفيقين وصديقين دائماً، ولم يكن بيننا أيّ تباين أبداً إلى حين وفاته؛ والآن فلقد عاودتني الذكرى، عند ذكر اسمك، لقد سمعت هؤلاء الصبيان يُحادِثُ بعضهم بعضاً في البيت، ويتكلمون غالباً عن سقراط بعبارات المديح البالغة؛ لكنّني لم أفكّر قط أن أسألهم سؤالاً إذا ما كان إبن سوفرونيسكوس الشخص الذي عنوا. أخبروني، يا أولادي، إذا كان هذا هو السقراط الذي تتكلّمون عنه غالباً؟

الولد: بالتأكيد، يا أبي، إنّه هو.

ليسيماخوس: إنني ليسرّني أن أسمع، يا سقراط، أنّك تحافظ على إسم أبيك، الذي كان إنساناً أكثر امتيازاً؛ وأبتهج علاوة على ذلك بسبب تجدّد علاقاتنا العائلية.

لاخيس: حقّاً، يا ليسيماخوس، عليك أن لا تتخلى عنه قطّ؛ فأنا أستطيع أن أؤكد لك أنّني قد رأيته، ليس محافظاً على اسم أبيه فقط، بل على إسم بلاده أيضاً. إنّه كان رفيقي في التراجع عن ديليوم، وأستطيع أن أخبرك أنّه لو كان الآخرون مثلهُ فقط فشرف بلادنا سيكون مؤيّداً على الدوام، والهزيمة الكبرى لم تقع قط.

ليسيماخوس: إنّ هذا الثناء جدير بك حقّاً، يا سقراط، والممنوع كما هو بشاهدٍ مخوّل لكل ثقة ولهكذا نوعيّات كتلك التي ينسبونها لك. دعني أخبرك عن السرور الذي أشعر به لسماعي عن شهرتك؛ وآمل في أنّك، ستعتبرني كواحدٍ من أصدقائك الحميمين. كان عليك أن تزورنا منذ وقت طويل، وتجعل نفسك كأنّك في بيتك معنا؛ لكن الآن، ومن هذا اليوم فصاعداً، بما أنّنا قد وجدنا بعضنا بعضاً أخيراً، إفعل كما أقول: تعالَ وصادقني، وصادق هؤلاء الرجال الشباب، كي يمكنك وصحبك الاستمرار كأصدقائي. أتوقّع

منك أن تفعل هكذا، وسأجازف في وقت لاحق كي أذكّرك بواجبك. لكنْ، ماذا تقولون كلّكم عن المسألة التي بدأنا في التكلم عنها: فنّ القتال في العتاد الحربيّ؟ أيكون ذلك مراساً يمكن للصبيان أن يتدربوا عليه بشكل نافع؟

سقراط: إنّني سأحاول أن أنصحك، يا ليسيماخوس، بقدر ما أستطيع في هذه المسألة، وفي كل طريقة أيضاً ستستجيب لرغباتك؛ لكن بما أنّني أفتى ولست بذي خبرة، أعتقد أنّ من واجبي بكل تأكيد أن أسمع لما سيقوله الأكبر مني سنّاً، ولأن أتعلّم منهم، وإذا ما كان لديَّ أيّ شيء لأضيف، يمكنني حينئذ أن أجازف وأبدي رأيي وأعطي نصيحتي لهم كما لك. إفترض، يا نيخياس، أن يبدأ أحدكم أو الآخر.

نيخياس: ليس لديَّ أيّ اعتراض، يا سقراط؛ ورأيي أنّ اكتساب هذا الفنّ مفيد للرجال الشبان في عدة طرائق. إنّه نافع لهم. وبدلاً من التسلية المفضلة لساعات فراغهم يجب أن يكون لديهم فنّ يهدف إلى تحسين صحتهم الجسديّة. ليس هناك ألعاب جسديّة يمكن أن تكون أفضل أو أصعب ممارسة؛ وهذا، وفنّ ركوب الخيل هما الأكثر مناسبة للرجال الأحرار من بين كل الفنون؛ لأنّ مَنْ يتدرب هكذا على استعمال الأسلحة هم الأشخاص الوحيدون كونهم مدربين على المبارزة التي نحن مشغولون بالحديث عنها، وبالإنجازات التي تحتاجها. إضافة إلى ذلك ففي المعركة الحقيقية، عندما يجب عليك أن تحارب في صفٍّ مع عدد من الجنود الآخرين، فإنّ اكتساباً كهذا سيكون له بعض النفع، وسيؤدي خدمة أعظم حيثما تتشتّت الصفوف وعليك أن تحارب بمفردك، إمّا في المطاردة، عندما تهاجم شخصاً ما يدافع عن نفسه، أو في القتال، حينما تكونُ مدافعاً عن نفسك ضدّ من يهاجمك. إنّ من يمتلك هذا الفنّ لن يحيق به أيّ أذى على يدي شخص بمفرده بكلّ

تأكيد، أو لربّما على يدي عدة أشخاص؛ وسيكون لديه أفضلية كبرى في كل حالة. إضافة إلى ذلك، إن هذا النوع من البراعة يدفع الإنسان كي يحب دروساً نبيلة أخرى؛ لأنه كي تتعلم الترتيب المناسب للجيش، الذي هو نتيجة للدرس: وعندما يتعلم هو هذا، وينبعث طموحه لمرّة واحدة، فإنّه سيواصل التعليم التامّ لفنّ القيادة في الجيش. ليس هناك صعوبة في رؤية أنّ المعرفة والتمرين للفنون العسكرية الأخرى سيكون مشرّفاً وذا قيمة للإنسان؛ ويمكن لهذا الدرس أن يمثّل بدايتها. دعني أضيف أفضليّة أخرى له، التي هي ليست طفيفة على الإطلاق، إن هذا العلم سيجعل أي إنسان أكثر جسارة وتصميماً بمقدار كبير في ساحة النزال. وإنّني لن أزدري من ذكر، ما يمكن أن يظنه البعض مسألة صغيرة، إنه سيكون لديه مظهر أكثر تأثيراً في الوقت الصحيح؛ ذلك كي تقول في الوقت عندما سيرمي مظهره الرعب في قلوب أعدائه. رأيي عندئذ، يا ليسيماخوس، هو كما أقول، إنّ الشباب يجب أن يثقفوا في هذا الفنّ، وللأسباب التي قدّمتها، لكن لاخيس يمكنه أن يبدي رأياً مختلفاً؛ وإنّني سأكون مبتهجاً جداً لأسمع ما سيقوله.

لاخيس: لا أحب أن أؤكّد، يا نيخياس، أنّه لا يجب تعلم أيّ نوع من أنواع المعرفة؛ لأن كل المعارف تبدو جيدة. وإذا كان استعمال السلاح نوعاً حقيقياً للمعرفة، كما يثبت أساتذة هذا الفن، وإذا كان هذا هو كما يصف نيخياس، فعندها يجب أن يُعلّم؛ لكن إن لا، وإذا كان أولئك الذين يدّعون أن يعلموه هم مخادعون فقط، أو إذا كان هو معرفة، لكنه ليس معرفة لنوع ذي قيمة، فما هي فائدة تعليمه عندئذ؟ إنني أقول هذا، لأنّني أعتقد أنه إذا كان ذا قيمة حقة، فسيكون اللاقيدايميون الذين اكتشفوا هذا الفن، والذين أمضوا حياتهم في التعليم والتمرين على تلك الفنون التي أعطتهم أفضليّة على الأمم الأخرى في الحرب؛ وحتى إذا لم يحوزوا ذلك، يبقى أنّ هؤلاء

الاساتذة للفن لا يمكنهم أم يخفقوا في اكتشاف أن كل الهيلينيين واللاقيدايميونيين لديهم الاهتمام الأدبر في قضايا كهذه، وأن سيّد الفنّ الذي كان مُمجداً بينهم سيكون من أن يخلق حظّه بين الأمم الأخرى، تماماً كما سيفعل شاعر المأساة الذي يتوهم أنّه يستطيع أن يكتب قصيدة مأساويّة ولا يباشر بعرضها في الدول خارج أتيكا، بل يندفع من هنا رأساً، ويعرضها في أثينا؛ وهذا شيء طبيعي، في حين أنني أتصور أن هؤلاء المقاتلين في العدّة الحربيّة يعتبرون لاقيدايمونيا كمقاطعة مقدسة لا تُنتهك حرماتها، والتي لا يمكن أن يطؤوها حتى برؤوس أقدامهم؛ بل يدورون حولها في الدول المجاورة، وبشكل خاص في تلك التي ستعترف بأنفسها أنها ليست من الدرجة الأولى في فنون الحرب على الإطلاق. أضف إلى ذلك، يا ليسيماخوس، أنني واجهت عدداً غير قليل من هؤلاء الأسياد في الخدمة الفعلية، واستنتجت مقدار حجمهم، الذي أتمكن من إعطائك إيّاه حالاً؛ إذ لا أحد من هؤلاء الأسياد المبارزين قد تميز في الحرب قطّ. لقد وُجد هناك نوع من الشيء المقدّر عنهم: في حين أنّه قد كان في كل الفنون الأخرى الرجال ذوو الشأن الذين مارسوا الفنّ، يبدو هؤلاء أنّهم المستثنون غير المحظوظين. كمثال، ستيسيلوس هذا بالتحديد، الذي شاهدناه أنت وأنا عارضاً ذلك أمام الجماهير وباعثاً هكذا مهنة كبيرة لقواه الجسديّة، كان لديَّ فرصة أفضل لرؤيته في وقت آخر مقدّماً عرضاً حقيقيّاً في معركة فعليّة تلقائياً من نفسه. إنّه كان جنديّاً من جنود البحريّة على ظهر باخرة هاجمت مركباً للنقل، وكان مسلّحاً بسلاح حربي، نصفه حربة، ونصفه الآخر منجل؛ السلاح الذي معه كان سلاحاً فرديّاً كحامله. لكي نختصر القصّة ما استطعنا، سأخبركم ما حدث لهذا الاختراع الجدير بالملاحظة للحربة والمنجل فقط. بينما كان هو يحارب، علّق المنجل في حبال السفينة الأخرى، وانغرز

فيها بسرعة؛ شدَّهُ بقوة لكنه كان غير قادر أن يخرج من الحبال سلاحه. كانت السفينتان تمران بالقرب من بعضهما بعضاً. ركض هو أوّلاً على طول سفينته ممسكاً بالحربة؛ لكن بما أنّ الباخرة الأخرى كانت بجانب سفينته جذبته خلفها عندما كان ممسكاً بالمنجل، ثم تركه ينزلق بين يديه حتى استبقى على نهاية المقبض فقط. صفّق الموجودون في باخرة النقل من فرحهم، وضحكوا على شكله الذي يدعو للسخرية؛ وعندما رماه شخص ما بحجر من باخرة النقل، سقط على ظهر السفينة ومن ثمّ على قدميه، أفلتت قبضته الممسِكة بحربة المنجل، فانفجر البحارة الموجودون على سفينته ذات المجاذيف الثلاثة، انفجروا بالضحك أيضاً؛ لم يقدروا أن يمسِكوا أنفسهم عن الضحك عندما رأوا سلاحه يلوح في الهواء، مدلىً من باخرة النقل. وبعدُ فإنني لا أنكر أنّه يمكن أن يُوجد شيء في فنّ كهذا كما يؤكد نيخياس. غير أنّني سأشرح لكم خبرتي في هذا المجال، وكما قلت في البدء، سواء كان هذا فنّاً هو الذي تكون أفضليته جدُّ طفيفة، أو لم يكن فنّاً على الإطلاق بل حيلة فقط، ففي الحالتين إنّ مكسباً كهذا لا يستحق الامتلاك أبداً. إن رأيي هو أنه إذا كان أستاذ هذا الفن جباناً، فإنّه سيصبح متهوّراً بالأحرى، وستُكتشف شخصيته بوضوح أكثر فقط؛ وإذا كان هو شجاعاً، وأخفق ولو بشكل قليل في ذلك، فإنّ الرجال الآخرين سيقفون له بالمرصاد، وسيطعنون به بشكل كبير؛ لأنّه يوجد حسد لهكذا متظاهرين، وما لم يكن الرجل متفوّقاً في بسالته الحربيّة، فلا يمكنه أن يفلت من الازدراء، إذا قال إنّه يحوز هذا النوع من البراعة. هذا هو حكمي، يا ليسيماخوس، على دراسة هذا الفنّ؛ لكن كما قلت في البداية، إسأل سقراط، ولا تدعه يذهب ما لم يعطِك رأيه بشأن هذا الموضوع.

ليسيماخوس: إنّني ذاهب لأسألك أن تسدي هذا المعروف، يا سقراط؛ لأنه الأكثر

ضرورة، ولأنّ المستشارَيْن الإثنين لا يتفقان، ويبقيان بحاجة للشخص الذي سيتوصل إلى حلّ بينهما بشكل ما. إن اتفقا، فهما لن يكونا بحاجة إلى وسيط. لكن بما أنّ لاخيس اختار طريقاً ونيخياس اختار آخر، فإنّني أحبّ أن أسمع مع أيٍّ من صديقينا تتفق.

سقراط: لماذا، يا ليسيماخوس، هل أنت ذاهب لتقبل رأي الأكثرية؟

ليسيماخوس: نعم يا سقراط؛ وهل سأفعل أيّ شيء آخر؟

سقراط: وهل ستفعل هكذا أيضاً، يا ميليسيوس؟ إذا عزمت أن تعلّم التمارين الرياضية لإبنك، هل ستتبع نصيحة الأكثرية منّا، أو رأي الذي قد دُرِّب ومُرِّن تحت قيادة سيِّدٍ بارع؟

ميليسياس: الآخر، يا سقراط؛ بما أنّه سيكون معقولاً بكلّ تأكيد.

سقراط: إنّ صوته سيكون ذا قيمة أكثر من صوتنا نحن الأربعة جميعاً.

ميليسيوس: من المفترض أن يكون ذلك.

سقراط: ولهذا السبب، كما أتصوّر، إنّ القرار الصحيح يرتكز على المعرفة وليس على الأعداد الغفيرة؟

ميليسيوس: لتكن متأكّداً.

سقراط: الآن كذلك، إذن، ألا يجب أن نسأل قبل الكل إذا ما كان يوجد أيٌّ منا الخبير في ذلك الذي نتشاور بشأنه؟ إذا وُجد دعنا تأخذ نصيحته، مع كونه واحداً فقط، ولا يهمّنا الباقي؛ وإذا لم يوجد، دعنا نبحث عن مشورة إضافيّة. أيكون هذا شيئاً ضئيلاً تمتلكه وليسيماخوس تحت الخطر؟ أنست أنت مجازفاً بأعظم ممتلكاتك؟ لأنّ الأطفال هم ثروتك؛ وعلى تحوّلهم أخياراً أو أشراراً يتحوّل النظام كلّه لبيت آبائهم.

ميليسيوس: إنّ ذلك لحقيقة.

سقراط: نحتاج لعناية كبيرة إذن، في هذا المضمار؟

ميليسيوس: بكلّ تأكيد.

سقراط: إفترض، كما كنت قائلاً لتوي، آنّنا اعتبرنا أو أردنا أن نعتبر ذلك، وهو أيّنا يمتلك المعرفة الأفضل عن الألعاب الرياضية. ألا يجب أن نختار من تعلّم ومارس الفنّ، وكان لديه أساتذة صالحون؟

ميليسيوس: أعتقد أنّه يجب ذلك.

سقراط: لكن ألن ينشأ سؤال هناك سابق بشأن طبيعة الفنّ الذي نريد أن نجد أساتذةً له؟

ميليسيوس: إنّني لا أفهم.

سقراط: دعني أحاول أن أجعل معناي أفصح عندئذ. إنّني لا أعتقد آنّنا قررنا لحد الآن ما هو ذلك الذي نستشير بشأنه، عندما نسأل أيّنا يكون أو لا يكون بارعاً في الفن، أو أنّ لديه أو ليس لديه أساتذة للفنّ.

نيخياس: لماذا، يا سقراط، أليس السؤال هو إذا ما كان يجب أو لا يجب أن يتعلّم الرجال الشباب فنّ الحرب بالعدّة الحربية؟

سقراط: نعم، يا نيخياس؛ لكنّ هناك سؤالاً سابقاً، يمكنني أن أصوره بهذه الطريقة: عندما يفكر شخص في استعمال الدواء للعيون، هل ستقول إنّه يستشير بشأن الدواء أو بشأن العيون؟

نيخياس: بشأن العيون.

سقراط: وعندما يفكر إذا ما كان سيضع لجاماً على الحصان وفي أيّ وقت، فإنّه يفكر بالحصان وليس باللّجام؟

نيخياس: حقاً.

سقراط: وفي كلمة، عندما يفكر بأيّ شيء لأجل شيء ما آخر، فهو يفكر في الغاية وليس في الوسائل؟

نيخياس: بدون ريب.

سقراط: وعندما تستدعي مستشاراً، عليك أن ترى ما إذا كان هو بارعاً أيضاً في إنجاز الغاية التي تمتلكها في الفكر؟

نيخياس: الأكثر حقيقة.

سقراط: ولدينا في الفكر حاضراً معرفة ما، غايتها روح الشباب؟

نيخياس: نعم.

سقراط: ويجب أن نتحقّق إذا كان أيٌّ منا بارعاً أو ناجحاً في معاملة الروح، وأيٌّ منا كان لديه أساتذة صالحون؟

لاخيس: حسناً، لكن، يا سقراط؛ ألم تلاحظ أن بعض الأشخاص الذين لم يكن لديهم أساتذة هم أكثر براعة من أولئك الذين لديهم أساتذة، وفي بعض الأشياء؟

سقراط: نعم، يا لاخيس، إنّني لاحظت ذلك؛ لكنك لن تكون مستعداً جداً لتثق بهم إذا ادّعوا أنّهم أسياد في فنّهم، ما لم يتمكنوا من إظهار براعتهم أو امتيازهم في عمل واحد أو أكثر من ذلك.

لاخيس: إنّ ذلك لحقيقة.

سقراط: ولذلك، يا لاخيس ونيخياس، كما سأل ليسيماخوس وميليسياس نصيحتنا بشأن ولديهما، من قلقهما ليحسّنوا عقليهما، سنخبرهم نحن كذلك أيضاً، إذا استطعنا، أيُّ الأساتذة الذين نعرف كانوا رجال استحقاق ومدربين ذوي خبرة في عقول الشباب بالمقام الأوّل، ونعلِّم عندئذ أنفسنا أيضاً. لكن إذا قال أيٌّ منّا أنّه لم يكن لديه أساتذة بل لديه أعمال خاصة به كي يريها، عندها ينبغي أن يعيِّن لهم أيٌّ من الاثينيين أو الغرباء، العبيد أو الأحرار، قد تمّ الاعتراف من قِبَلهم أنّه حسّنهم بشكل عام. لكن إذا لم نتمكن من أن نظهر لا الأساتذة ولا الأعمال، فيجب أن نخبرهم حينها أن يبحثوا عن ناصحين آخرين؛ علينا أن لا نخاطر بإفساد أطفال الأصدقاء، ونتيجة لذلك،

جالبين التهمة الأكثر هولاً التي يمكن إحضارها ضد أيّ شخص من قِبَل أولئك الأقرين له. لكن بما يخصّني، يا ليسيماخوس وميليسياس، فإنني أوّل من يعترف بأنه لم يكن لدي معلم لفن الفضيلة قط؛ مع أنّني رغبت في سنّ شبابي المبكر دائماً أن يكون لديّ واحد. لكنني لا أملك مالاً لأعطيه للسوفسطائيين، الذين هم فقط أساتذة التحسين الخلقي، ولم أكن قادراً حتى هذا اليوم لأن اكتشف الفن بنفسي، مع أنّه ينبغي أن لا أندهش إذا ما تعلّمه أو اكتشفه نيخياس ولاخيس؛ فهما أغنى مني كثيراً، ويمكن لذلك أنّهما قد تعلماه من الآخرين، وهما أكبر مني سناً كذلك، وهكذا فهما كان لديهما وقت أطول ليخلقا الاكتشاف. وإنني ألاحظ وأعتقد حقاً أنهما قادران ليعلّما إنساناً؛ لأنهما ما لم يكونا واثقين من معرفتهما الخاصة، فلن يتكلما هكذا أبداً بدون أيّ تردد عن الملاحظات للملاحقات التي هي نافعة أو مؤذية للإنسان الشابّ. إنّني أضع ثقتي فيهما مَعاً؛ لكنّني أندهش كي أجد أنّهما متباينان أحدهما عن الآخر. لذلك، يا ليسيماخوس، يجب عليك أن تحتجزني كما يقترح لاخيس، وإنّني ألتمس منك بالمقابل وبكل جدية وأنصحك أن تحتجز لاخيس ونيخياس، وأن تستنطقهما أريدك أن تقول لهما: سقراط يؤكد أنّه لا علم له بالمسألة ـ إنّه غير قادر أن يعتمد على أيٍّ منكما أنّه يقول الحقيقة؛ وليس هو مكتشفاً ولا طالباً لأيٍّ شيء من هذا النوع. لكنّكما، يا لاخيس ونيخياس، عليكما أن تخبرانا من هو المعلّم الأكثر حذاقة الذي عرفتموه على الدوام؛ وسواء إذا اخترعتما الفنّ بنفسيكما، أو تعلمتماه من الغير؛ وإذا تعلمتماه، فمن كان أساتذتكما المحترمون، ومن كان أخوانهم في الفنّ؛ وحينئذ، إذا كنتما أنتما منشغلين كثيراً جدّاً في السياسات لتعلمونا بأنفسكما، دعونا نذهب إليهم، نحمل لهم الهدايا، أو أن نهتم بذلك وإياهم، أو أن نقوم بالاثنين معاً، على أمل أنّه يمكن حضهم على إبداء الرعاية لأطفالنا

وأطفالكما؛ وآنئذ فهم لن يكبروا ليكونوا عديمي القيمة، وأصبحوا تحت رعايتكم أخياراً ونبلاء؟ لأنها إذا كانت هذه هي محاولتكما الأولى في التعليم، ويُحتمل أن يُوجد هناك خطر من محاولتكما الاختبار ليس على جثة عبدٍ كاريني، بل على ولديكما اللذين يخصانكما أو على أولاد أصدقائكما، وكما يقول المثل، (إكسر الإناء الكبير في تعلمك لصناعة القدور). أخبرنا إذن، ما هي المؤهلات التي تدَّعيان أو لا تدَّعيان. إجعلهما يخبرانك ذلك، يا ليسيماخوس، ولا تدعهما يغادران المكان.

ليسيماخوس: إنّني أصادق على كلمات سقراط كثيراً جداً، يا أصدقائي؛ لكنّكما، يا نيخياس ولاخيس، ينبغي أن تقرّرا إذا ما كنتما ستسألان، وتعطيان إيضاحاً بشأن مسائل من هذا النوع، إنّني وميليسياس سنكون سعيدين كثيراً لنسمع جوابكما على الأسئلة التي يسألها سقراط، إذا ما أردتما ذلك: فأنا سأبدأ بالقول إنّنا قبلناكما في استشاراتنا لأنّنا اعتقدنا أنّكما لازمتما الموضوع بدون شك، بخاصة لأنكما تمتلكان أطفالاً، كما نحن، والذين هم في سنّ تؤهّلهم لبداية التعليم تقريباً. حسناً إذن، إذا كان لديكما أيّ اعتراض، إفترضا أنّكما ستأخذان سقراط شريكاً؛ واسألوا بعضكم بعضاً أسئلة أنتما وهما؛ لأنّه كما قال هو وبجمال، إنّنا نتداول بشأن اختصاصاتنا الأكثر أهميّة. آمل أنكما ستريانها مناسبة كي تستجيبا لمطالبنا.

نيخياس: إنّني أرى بوضوح جداً، يا ليسيماخوس، أنّك عرفت أبا سقراط فقط، ولم يكن لكما معرفة بسقراط نفسه: على الأقل، كان بإمكانكما أن تعرفاه عندما كان طفلاً، ويُحتمل أنّكما قد قابلتماه بين أترابه في صحبة أبيه، حين تقديمه للأضاحي أو في اجتماع آخر. إنّكما أظهرتما بوضوح أنّكما لم تعرفاه عندما بلغ سن الرجولة.

ليسيماخوس: لِمَ تقول ذلك، يا نيخياس؟

نيخياس: لأنكما تبدوان أنّكما لم تكونا على عِلم، أنّ أيّ شخص يقرب من سقراط ويدخل في مناقشة معه هو عرضة للانجرار في محاورة، وأيّ موضوع يمكن أن يبدأ به، فسيُحمل به دائرياً وبشكل متواصل، حتى يجد نفسه أخيراً أنه مُلزمٌ أن يعطي حساباً عن حياته الماضية والحاضرة كليهما؛ وعندما يُربَك لمرة واحدة، فسقراط لن يدعه يذهب ما لم يغربله بشكل كامل وتامّ. وبعدُ فإنّني معتاد لطرائقه هذه؛ وأعرف أنه سيفعل ما أقوله بكلّ تأكيد، وإنّني سأكون أنا مَن يعاني ذلك أيضاً؛ إنّني مولع بمحادثته، يا ليسيماخوس، وأعتقد أن لا ضرر في التذكير بأيّ شيء غير صحيح، نفعله نحن أو فعلناه سابقاً: إنّ الذي لا يهرب من التأنيب سيراعي انتباهاً أكثر لحياته المستقبلية كما يقول صولون، سَيَوَدُّ ويرغب أنّ يتعلم طالما يحيا، وأن لا يعتقد أنّ التقدّم في السنّ يجلب الحكمة بنفسه. وفيما يخصّني، فذلك ليس بشيء غريب ولا غير سارّ كي يستجوبني سقراط، حقاً، لقد كنت متأكّداً طيلة الوقت من أنّه حيث كان سقراط، سيكون موضوع المناقشة نحن وليس أولادنا. ولذلك أقول، إنّني على أتمّ استعداد كي أتحادث معه بأسلوبه الخاصّ؛ لكن من الأفضل أن تسألا صديقنا لاخيس ما يمكن أن يكون شعوره.

لاخيس: لديَّ شعور واحد ليس إلا، يا نيخياس، أو (هل سأقول؟) شعوران، بشأن المحادثات. سيعتقد البعض، أنّني محبّ، ويمكن أن يشاهدني الآخرون أنّني أكره البحث؛ لأنّني عندما أسمع إنساناً يبحث في الفضيلة، أو في نوع آخر من أنواع الحكمة، يكون إنساناً حقيقياً ويستحق موضوعه. فأكون مبتهجاً فوق كل التوقّعات، وأقارن الإنسان وكلماته، وأسجّل التناسق والتطابق فيها. وأعتبر هكذا شخصاً أنّه موسيقار حقيقي، متناغم بأجمل توافق موسيقي من ذلك الذي للقيثار، أو لأية آلة موسيقية سارّة أخرى؛ فهو

يمتلك بحقّ تناسق الكلمات والمآثر منظّمة في حياته الخاصة، ليس في الصيغة الآيونيّة، أو الفريجيّة، أو حتى في الصيغة الليدية، بل في الصيغة الهيلينية الحقة، التي هي الدوريّة، وليس بأيّة صيغة أخرى. يجعلني هكذا شخص ممتلئاً حبوراً برنّة صوته، وعندما أسمعه يُعتقد أنّني محبٌّ للبحث، ومشتاق هكذا كي أشرب كلماته. لكنّ الإنسان الذي لا تتفق أعماله مع كلماته هو شيء مزعج لي؛ وأفضل ألا يتكلم فإنني أزداد كرها له كثيراً، وأبين حينئذ أنّني أكره المحادثة. لكن فيما يخص سقراط، ليس لدي معرفة بكلماته، لكن كما يبدو لي، فلقد كان لدي خبرة بمآثره منذ القدم؛ وتُظهر مآثره أنّه مؤهّل للمشاعر النبيلة، ولكامل الحرية في الكلام. وإذا تطابقت كلماته، فسأوافقه الرأي واحد معه عندئذ، وسأبتهج إذا ما استنطقني هكذا إنسان، كما يكون هو، ولن أتضايق في التعلّم منه؛ إنّني أتفق مع صولون أيضاً، (من أنني سأجاهد وأكبر في السنّ، متعلماً أشياء عديدة). لكن يجب أن يسمح لي لأضيف (من الخيِّر فقط). ينبغي أن يسمح لي سقراط أن يكون المعلّم نفسه إنساناً خيّراً مثله، أو أنّني سأكون تلميذاً بليداً وكارها للعلم والتعليم: لكن إذا كان المعلّم شاباً على الأصح، أو إذا لم يشتهر لحد الآن - إنّ أيّ شيء من ذلك النوع لا يدخل ضمن حسابي. لذلك، يا سقراط، أدعوك لتعلّمني وتدحضني بالقدر الذي تحبّ، وأن تتعلّم مني أيضاً أيّ شيء اعرفه. هكذا هو الرأي السامي الذي أبديه نحوك منذ ذلك اليوم الذي كنت رفيقاً لي في أشدّ خطر، وأعطيت برهاناً عن بسالتك كتلك التي يقدر أن يبديها الإنسان ذو الجدارة فقط. لذلك، قل ما تشاؤه، ولا يهمّك الفرق في أعمارنا.

سقراط: لا أستطيع القول من أنّ أيّاً منكم يبدي نفوراً ليشترك في المشورة وينصح معي.

ليسيماخوس: لكن هذا هو عملنا المناسب؛ وهو عملك كما هو عملنا، فأنا

أحسبك كواحد منا. خذ مكاني من فضلك إذن، واكتشف من نيخياس ولاخيس ما نريد أن نعرف، لأجل الشباب، وتحدث وتشاور معي: فأنا متقدم في السنّ. وذاكرتي سيئة، ولا أتذكّر الأسئلة التي أعزم أن أسألها، أو الأجوبة عليها. وإذا ما وُجِد هناك أيّ استطراد فأنا أفتقد السلك الذي ينظّم أجزاء المناقشة. وسنعمل ميليسياس وأنا بناءً على استنتاجاتكم.

سقراط: دعنا، يا نيخياس ولاخيس، نستجيب لالتماس ليسيماخوس وميليسياس. لن يكون هناك أذىً في سؤال أنفسنا السؤال الذي تمّ طرحه علينا منذ فترة وجيزة: (من قد كان معلمونا في هذا النوع من التدريب، أو من قد جَعَلَنا أفضل ممّا كان هو؟) لكن سيحضرنا أسلوب آخر لاستمرار التساؤل إلى النقطة عينها بشكل متساوٍ، ولربّما اقتربنا بذلك من المبادىء الأولى. لأنّنا إذا عرفنا أنّ الإضافة لشيء ما ستحسن شيئاً آخر، ونكون بقادرين أن نخلق الإضافة، حينئذ، ينبغي أن نعرف بوضوح كيف يكون ذلك الذي ننصح به يمكن أن يكون أفضل وأكثر سهولة للحصول عليه، لربّما أنتم لا تعرفون ما أعني. دعوني عندئذ أجعل معناي أوضح بهذه الطريقة. إفترض أنّنا نعرف أنّ إضافة البصر يجعل العيون التي تمتلك هذه الهبة أفضل، ويكون قادراً أيضاً أن ينقل البصر للعيون، نعرف نحن طبيعة البصر حينئذ بوضوح، وعلينا أن نكون قادرين لأن ننصح كيف يمكن لهبة البصر هذه أن تُنالَ أفضل وبسهولة أكثر؛ لكنّنا إذا لم نعرف ما هو البصر، وما هو العلم، فما علينا ولا يمكننا أن نكون بناصحين صالحين تماماً لا بشأن العيون أو الآذان، أو بشأن أفضل أسلوب لإعطاء البصر أو السمع لها.

لاخيس: إن ذلك حقيقي، يا سقراط.

سقراط: أليس صديقانا، يا لاخيس، في هذه اللحظة بالذات يدعواننا لنتأمل ملياً في أيّة طريقة يمكن لهبة الفضيلة أن تُنقل إلى ولديهما لتحسين عقليهما؟

لاخيس: حقيقي تماماً.

سقراط: ألا يجب أن نعرف أوّلاً طبيعة الفضيلة ما دام الأمر كذلك؟ إذ كيف نستطيع أن ننصح أيَّ شخص عن أفضل أسلوب للحصول على شيء ما نجهل طبيعته بالكامل؟

لاخيس: لا أعتقد أنّنا نقدر، يا سقراط.

سقراط: عندئذ نقول نحن، يا لاخيس، إنّنا نعرف طبيعة الفضيلة.

لاخيس: نعم.

سقراط: وذلك الذي نعرفه يجب أن نكون قادرين لأن نخبر عنه بالتأكيد؟

لاخيس: بدون ريب.

سقراط: لن نكون مُلزمين، يا صديقي، عن التساؤل بشأن الفضيلة بكاملها، لأنّ ذلك يمكن أن يكون أكثر ممّا نستطيع إنجازه؛ دعنا نعتبر بادىء ذي بدء إذا كان لدينا معرفة كافية عن جزء واحد؛ بالاستسفار سيكون أسهل علينا بشكل محتمل.

لاخيس: دعنا نفعل كما ترغب، يا سقراط.

سقراط: أيٌّ من أجزاء الفضيلة سوف نختار ما دام الأمر كذلك؟ ألا يجب أن نختار ذلك الذي يُفترض أنّ فنّ القتال في العدَّة الحربية يؤدِّي إليه؟ أو لاَ يُفتكر ذلك الجزء أنّه الشجاعة بشكل عام؟

لاخيس: نعم، بكل تأكيد.

سقراط: إفترض أنّنا شرعنا عندئذ وقبل كل شيء، يا لاخيس، في أن نعيِّن طبيعة الشجاعة، ونتقدم في المقام الثاني لنتساءَل كيف يمكن للرجال الشباب أن يحصلوا على هذه النوعيَّة بمساعدة الدراسات والملاحقات. أخبرني، إذا تمكنت، ما هي الشجاعة؟

لاخيس: إنّني لا أرى صعوبة في الإجابة حقّاً، يا سقراط؛ إنّه لرجلٌ شجاعٌ مَن لا

يولّي الأدبار، بل يبقى في موقعه ويحارب أعداءه. ليس هناك أيّ خطأ بشأن ذلك.

سقراط: جيد جداً، يا لاخيس؛ ومع ذلك فأنا أخاف من أنّني لم أوضح نفسي بشكل واضح؛ ولذلك فلقد أجبت ليس على السؤال الذي قصدت أن أسأله، بل على سؤال آخر.

لاخيس: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: سأحاول إيضاح ذلك؛ إنّك ستسمّي رجلاً شجاعاً مَن يبقى في موقعه، ويحارب العدوّ؟

لاخيس، سأفعل بكل تأكيد.

سقراط: وهذا ما سأفعله أنا؛ لكن ماذا ستقول عن إنسان آخر، يحارب متنقّلاً، بدلاً من بقائه في مكانه؟

لاخيس: كيف يتنقل؟

سقراط: لماذا، كما يقال أنّ السكيثيان يحاربون، متنقلين كما يحاربون متعقّبين العدو؛ وكما يقول هوميروس فيّ الثناء على أحصنة آينياس، من أنّها تعرف « كيف تكرّ على الأعداء وتفرّ هنا وهناك ». وهو أبدى مديحاً على آينياس نفسه. كان لديه معرفة بالخوف أو الفرار، ويسميه « مستنبطاً للخوف أو الفرار ».

لاخيس: نعم، يا سقراط، وهناك يكون هوميروس محقّاً: فهو كان يتكلم عن العربات، كما كنت تتكلم أنت عن الخيّالة السكيثيين؛ وبعدُ فإنّ الجنود الخيالة لديهم تلك الطريقة للحرب، لكن الرجل المسلّح بالسلاح الثقيل يحارب، كما أقول أنا، باقياً في صفّه.

سقراط: ومع ذلك، يا لاخيس، ينبغي أن تستثني اللاقيدايميين في بلاتيا، الذين واجهوا الدروع الفارسيّة الخفيفة، وقيل إنّهم لم يكونوا مستعدين لمواجهتها

ومحاربة لابسيها، ولذلك هربوا؛ لكن عندما تحطمت الصفوف الفارسيّة، فهمُ استداروا عليها كالجنود الخيالة، وحققوا النصر في معركة بلاتييا.

لاخيس: إنّ ذلك حقيقي.

سقراط: كان ذلك معناي عندما قلت إنّني كنت الملام في وضع السؤال بشكل سيّيء، وأنّ ذلك كان السبب في إجابتك على نحو رديء. فأنا ما أردت أن أسألك عن شجاعة الجنود المسلحين بالسلاح الثقيل فقط، بل عن شجاعة جنود الخيالة وكل نمط آخر للجند؛ وليس عن الذي يكون شجاعاً في الحرب فقط، بل للذي يكون شجاعاً في أهوال حرب البحار، والذين هم شجعان في المرض، أو في الفقر، أو في علم السياسات مرّة ثانية؛ وليس للذين هم شجعان ضدّ الألم أو الخوف، بل هم جبارون في نضالهم ضدّ الرغبات والملذّات، إمّا ثابتين في صفوفهم أو عندما يستديرون على أعدائهم. هذا النوع من الشجاعة موجود، أليس كذلك، يا لاخيس؟

لاخيس: بكلّ تأكيد، يا سقراط.

سقراط: وبعدُ فإنّ كل هؤلاء هم شجعان، لكن بعضهم يمتلك شجاعة في الملذّات، وبعضهم في الألم، وبعضهم في الرغبات وبعضهم في الخوف: ويكون بعضهم جبناء تحت الحالات عينها، كما ينبغي أن نتصوّر.

لاخيس: حقيقي تماماً.

سقراط: إني سألت عن الشجاعة والجبن بشكل عام، وسأبدأ بالشجاعة، وأسأل مرّة ثانية، ماذا تكون تلك النوعية المشتركة، التي هي الشيء عينه في كل هذه الحالات. وأيّها تدعى شجاعة؟ هل تعرف ما أعنيه الآن؟

لاخيس: ليس بشكل جيّد.

سقراط: أعني هكذا: كما أنّه يمكنني أن أسأل ما هي تلك النوعية التي تدعى

سرعة، والتي توجد في الركض، في لعب القيثار، في الكلام، في العلم، وفي عدة أعمال أخرى مشابهة، أو بالأحرى النوعية التي نمتلكها في كلّ عمل على وجه التقريب التي هي جديرة بالذكر عن السّاعديْن، السّاقيْن، الفم، الصوت، العقل؛ ـ ألاَ يجب أن تُستخدم عبارة السرعة لها كلها؟

لاخيس: حقيقي تماماً.

سقراط: وافترض أنّه سيسألني شخص ما: ما هي النوعية المشتركة، يا سقراط، التي تسميها سرعة، في كل هذه النشاطات؟ عليّ أن أقول إنّها النوعية التي تُنجِزُ كثيراً في وقت قصير ـ سواء في الركض، الكلام، أو في أيّ نوعٍ آخر من أنواع العمل.

لاخيس: إنّك ستكون محقاً تماماً.

سقراط: وبعد، يا لاخيس، هل تحاول وتخبرني بأسلوب مماثل، ما هي تلك النوعيّة المشتركة التي تدعى شجاعة، والتي تشتمل على كل الاستعمالات المتنوعة للعبارة عندما تُستخدم للسرور والألم كليهما، وفي كل تلك الحالات التي كنت مشيراً إليها لتوّي؟

لاخيس: عليّ أن أقول إنّ الشجاعة هي نوع من القدرة على الصبر للروح، إذا ما كنت لأتكلّم عن الطبيعة العالميّة التي تعمُّها جميعاً.

سقراط: لكنّ ذلك ما يجب علينا فعله إذا ما كنّا لنجيب على سؤالنا الخاص. ومع ذلك فإنّني لا أستطيع أن أقول إنّ كل نوع من الصبر يكون، في رأيي، ليُحسب شجاعة. إستمع للسبب: إنّني متأكد، يا لاخيس، من أنّك ستعتبر الشجاعة لتكون نوعيّة جد نبيلة.

لاخيس: الأكثر نبلاً، بدون ريب.

سقراط: وستقول أنت إنّ الصبر الحكيم يكون خيّراً ونبيلاً أيضاً؟

لاخيس: نبيل جداً.

سقراط: وماذا ستقول عن الصبر الغبيّ؟ ألا يُعتبر ذلك، على الجانب الآخر، كشرٍّ وأذية؟

لاخيس: صدقاً.

سقراط: أو يَكون شيئاً نبيلاً ذلك الذي هو شرير ومؤذٍ؟

لاخيس: عليَّ أن لا أقول ذلك، يا سقراط.

سقراط: لن تعترف إذن أنّ ذلك النوع من الصبر هو شجاعة - إنّه ليس نبيلاً، بل إنّ الشجاعة هي النبيلة؟

لاخيس: إنّك لمحق.

سقراط: إذن، طبقاً لك، الصبر الحكيم فقط يكون شجاعة؟

لاخيس: يبدو هكذا.

سقراط: لكن كما للصفة (حكيم)، - حكيم في ماذا؟ هل هو في كل الأشياء صغيرة كانت أو كبيرة؟ كمثال، إذا أظهر إنسان نوعية للصبر في إنفاق ماله بتعقّل، عارفاً أنّه سيكتسب أكثر في النهاية بعد إنفاقه، فهل ستسمي ذلك شجاعة؟

لاخيس: لا، بكل تأكيد.

سقراط: أو، كمثال، إذا كان إنسان طبيباً، وإذا تعرّض ولده، أو بعض مرضاه، للالتهاب الرئوي، ويستعطف إذا أمكن السماح له ليأكل أو يشرب شيئاً ما، وأمّا الآخر فهو غير مرن ويرفض ذلك، أتكون هذه شجاعة؟

لاخيس: لا؛ تلك ليست شجاعة على الإطلاق، بأكثر من الأخرى.

سقراط: خذ حالة الشخص الذي يصبر في الحرب، مرة ثانية، وهو على استعداد كي يحارب، ويحسب ويعرف بتعقل أنّ الآخرين سيساعدونه، وأنّه سيكون هناك رجال قلّة وغير ذوي أهميّة ضده أقل ممّا يوجد معه؛ وافترض أنّه يمتلك أفضلية في موقعه، - هل ستقول عن رجل كهذا الذي يصبر بكلّ

هذه الحكمة والاستعداد، إنّه هو أو إنسان ما آخر في الجيش المقابل الذي يكون في الحالات المضادة لتلك، ويصبر مع ذلك ويبقى في موقعه، هل ستقول إنه هو الشجاع؟

لاخيس: عليَّ أن أقول، إن الآخر، يا سقراط، كان الأشجع.

سقراط: لكن هذا يكون بالتأكيد، صبراً غبيّاً بالمقارنة مع الآخر؟

لاخيس: إنّ ذلك لحقيقي.

سقراط: ستقول حينئذ إنّ الذي يكون في معركة على متون الخيل يصبر، ولديه معرفة عن الفروسية، ستقول عنه إنّه ليس شجاعاً كهذا الذي يصبر، وليس لديه هكذا معرفة؟

لاخيس: عليَّ أن أقول ذلك.

سقراط: والذي يصبر، ولديه معرفة عن استعمال المقلاع، أو القوس، أو أيّ فنّ آخر، أليس شجاعاً كالذي يصبر، وليس لديه هكذا معرفة؟

لاخيس: حقاً.

سقراط: والذي يهبط في بئر، ويغوص، ويتحمل في هذا أو في أيّ عمل مماثل، وليس لديه براعة في الغطس أو فيما شابه، يكون أكثر شجاعة من أولئك الذين يمتلكون هذه البراعة، كما ستقول؟

لاخيس: لماذا، يا سقراط، وأي شيء آخر يمكن أن يقوله إنسان؟

سقراط: لا شيء إن كان ذلك هو ما يعتقده.

لاخيس: لكنّ ذلك هو ما أعتقد.

سقراط: ومع ذلك فالرجال الذين يواجهون هكذا مخاطر ويصبرون هم أغبياء، يا لاخيس، بالمقارنة مع أولئك الذين يفعلون الأشياء عينها، ولديهم الحذق في علمها.

لاخيس: إنّ ذلك لحقيقة.

سقراط: لكنّ الشجاعة والصبر الغبي ظهرا قبلاً ليكونا سافلَيْن وضارَّين لنا؟

لاخيس: حقيقي تماماً.

سقراط: في حين كانت الشجاعة، كما عرّفناها، نوعية نبيلة.

لاخيس: صدقاً.

سقراط: وبعدُ فنحن نقول عكس ذلك، وهو أن الصبر الغبي، الذي كان يُحمل على أنه عار هو شجاعة.

لاخيس: هكذا نحن.

سقراط: وهل نحن محقون في هكذا قول؟

لاخيس: حقاً، يا سقراط، إنّني متأكّد من أنّنا لسنا على حق.

سقراط: إذن طبقاً لتقريرك، فأنا وأنت، يا لاخيس، لسنا منسجمَين مع الأسلوب الدوري، الذي هو تناسق للكلمات والمآثر؛ لأن مآثرنا لا تتطابق مع كلماتنا. أيّ شخص رآنا في العمل سيقول إنّه كانت لدينا شجاعة، لكن ليس كما أتصوّر. سيقول عنا ذلك الشخص الذي سَمِعَنا متكلمين عن الشجاعة الآن بالتحديد.

لاخيس: إن ذلك هو الأكثر حقيقة.

سقراط: وهل تكون حالتنا هذه مقنعة؟

لاخيس: العكس تماماً.

سقراط: إفترض أنّنا نعترف، على كل حال، بالمبدأ الذي نتكلم فيه لمدى محدَّد؟

لاخيس: لأيِّ مدى وأيّ مبدأ تعني؟

سقراط: مبدأ الصبر، إذا وافقت، فنحن يجب أن نصبر ونثابر في التحقيق، ولن تسخر الشجاعة منّا آنئذ لجبننا في البحث عن الشجاعة، التي يمكن أن تكون بعد كل ذلك صبراً على نحو متكرّر.

لاخيس: إنّني جاهز للاستمرار، يا سقراط، ومع ذلك فأنا غير معتاد على أبحاث

من هذا النوع. لكنّ روح المناقشة قد انبعثت فيّ بما قد قيل؛ وإنّني لحزينٌ جدّاً بكوني غير قادر هكذا أن أعبّر عن معناي. فأنا أتوهّم أنّني أعرف طبيعةَ الشجاعة، لكنّها قد أفلتت منّي بطريقة أو بأخرى، وأنا لا أقدر أن أمسك بها أو أُخبر عن طبيعتها.

سقراط: لكن، يا صديقي، ألا ينبغي على الرياضي الجيِّد أن يتبع الدرب، وأن لا يستسلم؟

لاخيس: يجب عليه، بدون ريب.

سقراط: هل سندعو نيخياس لينضمّ إلينا إذن؟ يمكنه أن يكون أفضل منا في الرياضة، فماذا تقول؟

لاخيس: عليَّ أن أحب ذلك.

سقراط: تعال إذن، يا نيخياس، وافعل ما تقدر عليه لتساعد أصدقاءك الذين تتقاذفهم أمواج المحاورة، وهم في النزاع الأخير؛ أنت ترى نهايتنا، ويمكنك أن تنقذنا وأن توطِّد رأيك الخاص، إذا ما أخبرتنا ما تفكر به عن الشجاعة.

نيخياس: كنت أعتقد، يا سقراط، أنّكما لم تعرِّفا الشجاعة بالطريقة الصحيحة؛ فأنت نسيت قولاً ممتازاً سمعته أنا من شفتيك.

سقراط: ما هو، يا نيخياس؟

نيخياس: إنّني سمعتك تقول غالباً، أنّ « كل إنسان يكون خيِّراً في ذلك الذي يكون فيه حكيماً، وشرّيراً في ذلك الذي يكون فيه غير حكيم ».

سقراط: إنّ ذلك حقيقي، يا نيخياس.

نيخياس: ولذلك فإذا ما كان الإنسان الشجاع خيِّراً، فهو حكيم كذلك.

سقراط: هل تسمعه، يا لاخيس؟

لاخيس: نعم، إنّني أسمعه، غير أنني لا أفهمه جيداً.

سقراط: أعتقد أنّني أفهمه أنا؛ ويظهر لي أنه يعني أنّ الشجاعة هي نوع من الحكمة.

لاخيس: أيّ نوع من الحكمة، يا سقراط.

سقراط: إن ذلك لسؤال يجب أن تسأله لنيخياس نفسه.

لاخيس: نعم.

سقراط: أخبرني إذن، يا نيخياس، أيّ نوع من الحكمة تعتقد أن الشجاعة تكون؛ فأنت لا تعني بالتأكيد الحكمة التي تؤدّي العزف على الناي؟

نيخياس: لا بالتأكيد.

سقراط: ولا الحكمة التي تؤدّي العزف على القيثار؟

نيخياس: لا.

سقراط: لكن ما هي هذه المعرفة، وعن ماذا؟

نيخياس: أعتقد أنك تطرح السؤال عليه بشكل جيّد تماماً، يا سقراط؛ وأنا سأرغب منه أن يقول ما هي طبيعة هذه المعرفة أو الحكمة.

نيخياس: أعني، يا لاخيس، أنّ الشجاعة هي المعرفة عن ذلك الذي يوحي بالخوف أو الثقة في الحرب، أو في أيّ شيء.

لاخيس: كيف يتكلّم هو بغرابة، يا سقراط؟

سقراط: لماذا تقول هكذا، يا لاخيس؟

لاخيس: لماذا، لأنّ الشجاعة هي شيء واحد بكل تأكيد، والحكمة شيء آخر.

سقراط: إنّ ذلك ما ينفيه نيخياس تماماً.

لاخيس: نعم، ذلك ما ينفيه هو؛ هناك حيث يكون هو أحمق لهذا الحدّ.

سقراط: إفترض، يا لاخيس، أن نعلّمه بدلاً من أن نشتمه.

نيخياس: بكلّ تأكيد، يا سقراط؛ لكن بما أنّه برهن أنّه يتكلم سفاسفاً، فلاخيس يريد أن يقول إنّني قد فعلت الشيء ذاته.

لاخيس: جيّد جداً، يا نيخياس؛ وأنت تتكلّم سفاسف، كما سأكافح لأبيّن ذلك. دعني أسألك سؤالاً: ألا يعرف الأطباء خطر الأمراض، أو أن

الشجعان يعرفونها؟ أو هل يكون الأطبّاء كما هم الشجعان والشيء عينه؟

نيخياس: ليس ذلك على الإطلاق.

لاخيس: ليس أكثر من المزارعين الذين يعرفون الأخطار الزراعيّة، أو من رجال الحرف الآخرين، الذين لديهم معرفة عن ذلك الذي يوحي لهم بالخوف أو الثقة في فنونهم الخاصة، ومع ذلك لا يكونون الأكثر لذلك بمثقال ذرّة.

سقراط: ماذا تعتقد بمحاورة لاخيس، يا نيحياس؟ يظهر لي أنّه يقول شيئاً ما ذا أهميّة.

نيخياس: نعم، إنه يقول شيئاً ما، لكنّه ليس بقول حقيقيّ.

سقراط: كيف ذلك؟

نيخياس: لماذا، لأنّه يعتقد أنّ معرفة الطبيب عن المرض تمتد إلى ما وراء طبيعة الصحّة والمرض. لكنّ الطبيب في الحقيقة لا يعرف أكثر من هذا؛ هل تتصور، يا لاخيس، أنه يعرف ما إذا كانت الصحّة أو المرض هما الأكثر رهبة للإنسان؟ ألم يكن الأفضل لرجال عدّة أن ينهضوا من فراش المرض؟ إنني أرغب أن أعرف إذا ما كنت تعتقد أن الحياة هي أفضل من الموت على الدوام. أليس الموت غالباً أفضل الاثنين؟

لاخيس: نعم، إنّه هكذا في رأيي بدون ريب.

نيخياس: وهل تعتقد أن الأشياء ذاتها هي مرعبة لأولئك الذين من الأفضل لهم أن يموتوا، ولأولئك الذين أفضل لهم الحياة؟

لاخيس: لا بالتأكيد.

نيخياس: وهل تفترض أنّ الطبيب يعرف هذا، أو يعرفه أيُّ اختصاصي آخر حقّاً، ما عدا الانسان الذي يكون بارعاً في أسباب الخوف والأمل؟ وهو الذي أسمّيه أنا شجاعاً.

سقراط: هل يعرف معنا، يا لاخيس؟

لاخيس: نعم؛ إنّني أفترض ذلك، ففي طريقة كلامه، يكون الرجال الكهنة هم الشجعان، ومَنْ سوى واحدهم يستطيع أن يعرف لمن يكون الموت أو الحياة أفضل؟ ومع ذلك، يا نيخياس، هل ستسمح لي بالقول إنك أنت نفسك كاهن، أو هل تكون أنت لا كاهناً ولا شجاعاً؟

نيخياس: ماذا! هل تعني أنّ الكاهن يجب أن يعرف الأسس للشعور بالثقة والاطمئنان والحرب؟

لاخيس: إنّني أفعل حقاً. من يعرف سواه؟

نيخياس: عليّ أن أقول أكثر على الأصحّ إنه هو الذي عنه أتكلم؛ لأنّ الكاهن ينبغي أن يعرف علامات الأشياء فقط تلك التي تكون على وشك أن تأتي وتمرّ، سواء تكون هي موتاً أو مرضاً، أو فقدان الملكيّة، أو النصر، أو الهزيمة في الحرب أو في نوع من أنواع المبارزة؛ لكن سواء أكانت المعاناة أو عدمها الأفضل للإنسان في هذه الأشياء، فذلك سؤال ليس أكثر للكاهن كي يقرره من أي شخص آخر.

لاخيس: إنّني لا أستطيع أن أفهم ما الذي يرمي إليه نيخياس، يا سقراط، لأنّه يصوّر الشجاع كأنه ليس بكاهن، ولا بطبيب، ولا بأيّة شخصية أخرى؛ إلاّ إذا عنى أنّ الشجاع هو إله. رأيي أنّه لا يحب أن يعترف بأمانة أنّه يتكلم سفاسف، بل أنه يرتبك فوق وتحت كي يخفي الصعوبة التي أوقع نفسه بها. أنت وأنا، يا سقراط، يمكن أنّنا مارسنا اضطراباً مماثلاً لتوّنا الآن، إذا ما أردنا في قولنا هذا أن نتجنب ظهور التناقض فقط. وإذا قد كنا محاورين في محكمة قانون فيمكن أن يكون هناك سبب في فعلٍ كهذا؛ لكن لماذا يجب أن يزخرف هو نفسه بكلمات باطلة كهذه في مقابلة أصدقائه؟

سقراط: أتفق وإياكِ تماماً، يا لاخيس، أنّه لا ينبغي أن يفعل ذلك. لكن لربّما يكون نيخياس جادّاً، وأنّه لم يتكلم من أجل الكلام فقط. دعنا نسأله كي يوضح

ما يعنيه تماماً، وإذا ما كان لديه مبرر إلى جانبه فسوف نتفق معه؛ وإلاّ فسنعلّمه.

لاخيس: هل ستسأله، يا سقراط، إذا أردت؛ أعتقد أنّني سألته بما فيه الكفاية.

سقراط: إنّني لا أرى مانعاً من سؤاله؛ وسيكون مردود سؤالي لكلينا.

لاخيس: جيد جداً.

سقراط: أخبرني إذن، يا نيخياس، أو أخبرنا على الأصحّ، لأنّني ولاخيس شريكان في المحاورة، هل تعني أنّ الشجاعة هي المعرفة بأسس الاطمئنان والخوف؟

نيخياس: إنّني أفعل.

سقراط: ولا يمتلك كل إنسان هذه المعرفة؛ وهي ليست لدى الطبيب ولا الكاهن، وهما لن يكونا شجعاناً ما لم ينالاها ـ ذلك ما قلته؟

نيخياس: إنّني فعلت.

سقراط: إذن فهذا لا يكون شيئاً يعرفه كل من يزرع الأرض بالتأكيد، كما يقول المثل، ولذلك لا يمكنه أن يكون شجاعة.

نيخياس: لا أعتقد ذلك.

سقراط: لا بوضوح، يا نيخياس؛ حتّى ولا من يزرع أرض كروميون سيُدعى شجاعاً حسب زعمك. وأقول هذا ليس كمزحة، بل لأنّني اعتقدت أنّ من يصدّق على عقيدتك لا يستطيع منع أيّ حيوان وحشيّ في أن يكون شجاعاً، ما لم يعترف هو أنّ أسداً أو ببراً، أو لربّما خنزيراً بريّاً، لديه هكذا درجة من الحكمة في أن يعرف أشياء لا يعرفها سوى عدد قليل من المخلوقات الإنسانية بسبب صعوبتها. إنّ من يقبل برأيك عن الشجاعة، يجب أن يؤكّد أنّ أسداً لا يكون ميّالاً للشجاعة بالطبيعة أكثر من الأيّل، ولا الثّور أكثر من القرد.

لاخيس: ممتاز، يا سقراط؛ إنّ ذلك جيد بحق، بناء على كلماتي. وإنّني آمل،

يا نيخياس، في أنّك ستخبرني إذا ما تعني بحق أنّ تلك الحيوانات التي نعترف كلّنا أنّها شجاعة هي أعقل من الجنس البشري في الحقيقة؛ أو إذا ما ستكون لديك الشجاعة، في وجه الرأي العالمي، لإنكار شجاعتها.

نيخياس: لماذا، يا لاخيس فأنا لا أصف الحيوانات كشجاعة أو أيّة مخلوقات أخرى ليس لديها خوف من الأخطار لأنّها تفتقر إلى الفهم، بل كغير خائفة وحمقاء فقط. هل ستتخيّل أنّه ينبغي عليّ أن أسمّي كلّ الأطفال الصغار شجعاناً، الذين لا يخافون أيّ خطر لأنهم لا يفهمون؟ ليس هناك فرق، في طريقة تفكيري، بين عدم الخوف والشجاعة. إنّني أرى أنّ الشجاعة المتأمّلة هي نوعيّة يمتلكها القلائل جدّاً، لكنّ ذلك التهوّر والجسارة، وعدم الخوف الذي لا يمتلك تبصّراً، هي نوعيّات مشتركة تحديداً يمتلكها عدّة رجال، عدّة نساء، عدّة أطفال، وعدد من الحيوانات. وأنت، والرجال بشكل عام، يُسمّون بالاصطلاح أعمالاً (شجاعة) هي التي أدعوها أنا تهوّراً. إن أعمالي الشجاعة هي أعمالي الحكيمة.

لاخيس: أنظر، يا سقراط، كيف يزخرف نفسه بالكلمات بشكل رائع، كما يعتقد هو، في حين أنّه يحاول أن يجرّد من شرف الشجاعة أولئك الذين يعترف العالم بأجمعه أنهم شجعان.

نيخياس: لست أنت، يا لاخيس، لا تكن منزعجاً لذلك، إنّني على استعداد تامّ لأقول عنك، وعن لاماخوس وأثينيين آخرين عدّة أيضاً، أنّكم حكماء كونكم شجعاناً.

لاخيس: أستطيع أن أجيبك على ذلك؛ لكنّني لا أريدك أن ترمي بفمي من أنني آيكسوني متغطرس.

سقراط: لا تجبه، يا لاخيس؛ أتخيّل بالأحرى أنّك غير مدرك المصدر الذي استقى منه حكمته. إنّه حصل على هذا من صديقي دايمون، دايمون هو على اتّصال

دائم بيروديكوس، الذي يُعتبر الأفضل من كلِ السوفسطائيين في تحليل معاني الكلمات من هذا النوع.

لاخيس: نعم، يا سقراط؛ إنّ فحص الجمالات هذه هو وظيفة مناسبة للسوفسطائي أكثر بكثير من مناسبتها لرجل الدولة العظيم الذي تختاره المدينة ليشرف على شؤونها.

سقراط: نعم، يا صديقي الحلو؛ لكنّ الشؤون الكبيرة والعقول العظيمة تسلك نهجاً معيّناً كليّة بشكل مناسب. وأعتقد أن نيخياس يستحقّ أن نرى ما يفكّر به عندما يحدّد الشجاعة هكذا.

لاخيس: أنظر بنفسك إذن، يا سقراط.

سقراط: ذلك ما أنا ذاهب لأفعله، يا صديقي العزيز. لا تفترض، على كل حال، أنني سأدعك خارج الشراكة؛ فأنا سأتوقّع منك أن تستعمل عقلك، وأن تنضَمَّ إليَّ في تأمّل السؤال مليّاً.

لاخيس: إنّني سأفعل إذا اعتقدت أنت أنّه يجب عليَّ فعل ذلك.

سقراط: نعم، إنّني أفعل؛ لكنّي يجب أن أستعطفك، يا نيخياس، لتبدأ مرّة ثانية. تتذكر أنت أننا اعتبرنا الشجاعة جزءاً من الفضيلة بشكل أساسي.

نيخياس: حقيقي تماماً.

سقراط: وأنت قلت بنفسك أنّها كانت جزءاً؛ وأنّ أجزاء أخرى وُجدت، وهي التي إذا أُخذت معاً تسمى فضيلة.

نيخياس: بالتأكيد.

سقراط: هل تتّفق معي بشأن الأجزاء؟ فأنا أقول إنّ العدل، الاعتدال، وما شابه هي كلها أجزاء من الفضيلة كما الشجاعة. ألن تقولَ أنت الشيء عينه كذلك؟

نيخياس: بدون ريب.

سقراط: حسناً إذن، اتفقنا لهذا الحدّ. وبعدُ دعنا نتقدم خطوة أخرى الآن، ونحاول

الوصول إلى اتفاق آخر بشأن المخيف والمتفائل: إنّني لا أريدك أن تفكر شيئاً ما ونفكر نحن تفكيراً آخر. إسمح لي أن أخبرك رأينا إذن، وإذا ما كنت مخطئاً فستضعنا على الطريق الصحيح: في رأينا أنّ المخيف والمتفائل هما الأشياء التي تخلق ولا تخلق خوفاً، والخوف لا يكون عن الحاضر ولا عن الماضي، بل عن شرّ مستقبليّ ومتوقع. ألا توافق على هذا، يا لاخيس؟

لاخيس: نعم، يا سقراط، أوافق بشكل تامّ.

سقراط: تلك هي وجهة نظرنا، يا نيخياس؛ إنّ الأشياء المرعبة، كما ينبغي أن أقول، هي شرور مستقبليّة؛ والتفاؤلات هي الخيرات أو ليست الشرور التي تكون مستقبليّة. هل تتّفق معي أم لا؟

نيخياس: إنّني أتّفق معك.

سقراط: وتدعو المعرفة بهذه الأشياء شجاعة؟

نيخياس: بالضبط.

سقراط: وبعدُ دعني أرى إذا ما كنت تّتفق معي ومع لاخيس في النقطة الرئيسيّة الأخرى.

نيخياس: ما هي تلك؟

سقراط: إنّني سأخبرك. لدينا كلانا فكرة وهي أنه لا توجد معرفة واحدة أو علم للماضي، وأخرى للحاضر، وثالثة ما يمكن أن تكون أفضل للمستقبل؛ بل إنّه يوجد عن الثلاثة كلها علم واحد فقط: كمثال، هناك علم واحد للطبّ الذي يختص بالإشراف على الصحة في كلّ الأوقات بشكل متساوٍ، في الحاضر، الماضي، وفي المستقبل؛ وهناك علم واحد للزراعة في أسلوب مماثل، يختص بإنتاج الأرض في كل الأوقات. كما للفنّ العسكري، ستكون أنت شاهدي بنفسك من أنّه يحتاط للمستقبل كما يحتاط للحاضر، وأنّ القائد العسكري يطالب ليكون السيّد وليس الخادم للمتكهّن، لأنّه يعرف أفضل ما

يحدث أو أنّه على وشك أن يحدث في الحرب: وبناءً على ذلك يضع القانون المتكهّن دون القائد العسكري وليس العكس. ألست محقّاً في قولي هذا، يا لاخيس؟

لاخيس: محقّ تماماً.

سقراط: وهل تعترف أنت، أنّ العلم عينه لديه فهم عن الأشياء عينها، سواء للمستقبل أو الحاضر، أو الماضي؟

نيخياس: .نعم، حقّاً، يا سقراط؛ ذلك هو رأيي.

سقراط: والشجاعة كما تقول، يا صديقي، هي معرفة عن المخيف والمتفائل؟

نيخياس: نعم.

سقراط: واعترفنا أنّ المخيف والمتفائل هما خيران مستقبليان وشرّان مستقبليّان؟

نيخياس: حقاً.

سقراط: وعلى العلم عينه أن يسري على الأشياء عينها في المستقبل أو في أيّ وقت؟

نيخياس: إنّ ذلك لحقيقي.

سقراط: إذن فالشجاعة هي علم ما لا يختص بالمخيف والمتفائل فقط، فهما مستقبليان؛ لا تختصّ الشجاعة بالخير والشرّ المستقبليّ فقط، مثل العلوم الأخرى، بل بالحاضر والماضي، وبأيّ وقت؟

نيخياس: ذلك حقيقي، كما أفترض.

سقراط: يتضمّن الجواب الذي أعطيته إذن، يا نيخياس، جزءاً ثالثاً للشجاعة؛ غير أنّ سؤالنا يمتد إلى مجمل طبيعة الشجاعة؛ وطبقاً لوجهة نظرك، ذلك يكون طبقاً لوجهة نظرك الحاضرة، فالشجاعة ليست المعرفة بالمخيف والمتفائل فقط، بل يبدو أنّها تشمل كلّ خير وكلّ شرّ بدون رجوع إلى الزمن تقريباً، ماذا تقول لذلك التغيير في تقريرك؟

نيخياس: إنّني أوافق، يا سقراط.

سقراط: لكن عندئذ، يا صديقي، إذا عرف الإنسان كلَّ الخيرات وكلّ الشرور، وكيف تُحدث وقد أحدثت وستُحدث، ألن يكون هو إنساناً كاملاً، ولن يكون في عَوَزٍ لأيّة فضيلة، سواء أكانت عدلاً أو اعتدالاً أو تقوى؟ إنّه سيكون القادر الوحيد ليُميّز بين ما سيُخاف منه، وبين ما لا يُخاف منه (سواء أكان خارقاً للطبيعة أو طبيعياً). وسيتّخذ الاحتياطات المناسبة ليضمن أنّ كل شيء هو على ما يرام؛ لأنّه سيعرف كيف يتعامل بشكل جيّد مع الآلهة ومع الرجال.

نيخياس: أعتقد، يا سقراط، أنّ هناك مقداراً كبيراً من الحقيقة فيما تقول.

سقراط: لكنّ الشجاعة طبقاً لتعريفك الجديد هذا، يا نيخياس، ستكون كلّ الفضيلة حينئذ، بدلاً من كونها جزءاً للفضيلة فقط؟

نيخياس: ستبدو هكذا.

سقراط: لكنّنا قلنا إنّ الشجاعة هي واحدة من أجزاء الفضيلة؟

نيخياس: نعم، ذلك ما قد قلناه.

سقراط: وذلك مناقض لوجهة نظرنا الحاضرة؟

نيخياس: يبدو أنّ هذه هي الحالة.

سقراط: إذن، يا نيخياس، لم نكتشف ما هي الشجاعة؟

نيخياس: لا يبدو أننا فعلنا.

لاخيس: ومع ذلك، يا صديقي نيخياس، أتصوّر أنّك قد قمت بالاكتشاف، عندما ازدريت هكذا بالأجوبة التي أعطيتها لسقراط، وكان لديَّ آمال كبيرة جداً في أنّك قد اهتديت إليها بحكمة دايمون.

نيخياس: إنّني أتصور، يا لاخيس، أنّك لا تفكّر بأيّ شيء عن عرض جهلك لطبيعة الشجاعة، بل تبحث فقط لترى إذا ما قمت أنا بعرض مماثل؛ وإذا ما

كان كلانا جاهلاً بالأشياء التي يجب أن يعرفها أيّ انسان يحترم نفسه. إنّني أفترض بأنّ ذلك لن يكون له أيّة عاقبة. إنّك تظهر لي كبقيّة العالم بكلّ تأكيد ناظراً في جارك وليس في نفسك. إنَّ لي رأياً في أنَّ ما قد قيل عن الموضوع الذي بحثناه هو كافٍ؛ وإذا كانت المعالجة غير وافية بأيّة طريقة، فيمكن أن تُصحّح من الآن فصاعداً بمساعدة دايمون، الذي تفكر أنّك تسخر منه مع أنّك لم ترهُ قط، وتسخر بالآخرين كذلك. وعندما أقتنع أنا، فإنّني سأنقل لك قناعتي بكلّ حريّة، لأنّني أعتقد أنّك في حاجة ملحّة للمعرفة.

لاخيس: إنك فيلسوف يا نيخياس، وأنا أدرك ذلك تماماً ومع هذا فإنّني أنصح ليسيماخوس وميليسياس أن لا يتخذاك وإياي كمستشارَين بشأن تعليم ولديهما؛ لكن كما قلت، بادىء ذي بدء، عليهما أن يسألا سقراط وأن لا يدعاه يذهب، وإذا كان أولادي مسنّين بما فيه الكفاية، فإنّني سأفعل الشيء عينه.

نيخياس: على ذلك أنا أوافق، إذا ما كان سقراط مستعدّاً ليأخذهم تحت رعايته. إنّني لن أرغب بأيّ شخص آخر معلّماً لنيكارتوس. غير أنّني ألاحظ كلّما ذكرت المسألة له فهو ينصحني بمعلم آخر ما ويرفض أن يقوم بذلك بنفسه. لربّما يمكن أن يكون أكثر استعداداً ليستمع إليك، يا ليسيماخوس.

ليسيماخوس: يجب عليه، يا نيخياس؛ لأنّني سأفعل له أشياء لن أفعلها لأيِّ شخص آخر بكلّ تأكيد. فماذا تقول، يا سقراط ـ هل ستستجيب لذلك؟ وهل أنت على استعداد لتقدِّم مساعدة في تحسين الشباب؟

سقراط: حقّاً، يا ليسيماخوس، إنّني سأكون مخطئاً جدّاً في أن أرفض ولا أساعد في تحسين أيِّ شخص. وإذا أظهرتُ في هذه المحادثة أنّني امتلكت معرفة لم تكن لدى نيخياس ولاخيس، فأنا أعترف عندئذ أنّك ستكون محقّاً في

دعوتي لأقوم بهذا الواجب؛ لكن بما أنّنا جميعاً في الإرتباك عينه، فلِمَ سيفضَّل واحدنا على الآخر؟ أعتقد بكلّ تأكيد أن لا أحد ينبغي أن يفعل ذلك؛ وتحت هذه الحالات، إسمح لي أن أقدِّم لك نصيحة (وهذه لا يجب أن تتعدّانا). إنّني أثبتُ، يا أصدقائي، أنّه ينبغي على كلٍّ واحد منّا أن يبحث عن أفضل معلّم يستطيع إيجاده، لأنفسنا أوّلاً الذين نحن بحاجة كبرى لشخص كهذا، وبعدئذ للشباب، بدون اعتبارٍ لأيّة نفقات أو أيّ شيء. لكنّني لا أستطيع أن أنصح بأن نبقى كما نحن. وإذا سخر أيّ شخص منّا لذهابنا إلى المدرسة في هذه السنّ، فإنّني سأقتبس لهم مرجعاً من هوميروس الذي يقول أنّ « التواضع ليس جيّداً لإنسان محتاج » دعنا إذن، بدون اعتبار لِما يمكن أن يقال عنّا، نهتمّ بتعلّمنا الخاصّ وكذلك بتعليم الشباب معاً.

ليسيماخوس: إنّني أحبّ اقتراحك، يا سقراط. وبما أنّني الأكثر تقدّماً في السنّ، فأنا الأكثر شوقاً لأذهب إلى المدرسة مع الأولاد. دعني ألتمس منك خدمة: تعالَ إلى بيتي غداً عند الفجر، وسنسدي النصح بشأن هذه القضايا. أمّا في الوقت الحاضر، فدعنا نضع نهاية للمحادثة.

سقراط: إنّني سآتي إليك غداً، يا ليسيماخوس، كما تقترح، إن شاء الله.

الهوامش

(١) ثياتيتوس (ص ١١٣)

(٢) السوفسطائي (ص ١٢٨)

(٣) الجمهوريّة (ص ١٢٩)

(٤) المقصّر للنسيج الصوفي بالنقع والإحماء (ص ١٥٠) «المعرّب».

(٥) محاورة فيدروس ومحاورة فيليبوس.

(٦) رجل الدولة

(٧) الالياذة

(٨) بارمنيدس

(٩) أو، [مع أنها لا توجد في الروح أية رذيلة أخرى إلاّ هذه].

(١٠) ثياتيتوس

(١١) إلهة الحب والجمال عند الاغريق.

(١٢) أو (الحقيقي). يجب أن يولد هذا التعبير الثاني في العقل في كل مكان من المحاورة الآتية.

(١٣) يمكن أن تشير هذه العبارة لذلك الذي يكون حقيقياً في المعنى الأعلى، أو إلى الحقيقة بمجملها.

(١٤) ببساطة، يجب أن تخص شخصاً ما أو شيئاً ما. لا عبارة تقنيّة للموضوع تقع هنا. « المعرّب ».

(١٥) هناك تمثيليّة غير مترجمة باسم (بولس) التي تعني (مهراً) « المعرّب ».

(١٦) الجمهوريّة

(١٧) الجمهوريّة

(١٨) مقتطفات بورا

(١٩) مقتطفات انتيبود

أنحاء الجسم.

(٢٥) الجمهوريّة

(٢٦) الجمهوريّة

(٢٧) النواميس

(٢٨) الجمهوريّة

(٢٩) الجمهوريّة

(٣٠) محاورة المأدبة

(٣١) بروتاغوراس

(٣٢) ميشيا، بلاد غابرة في شمال غرب الأناضول.

(٣٣) الالياذة

(٣٤) الجمهوريّة

(٣٥) الاوديسي

(٣٦) مدينة في مقدونيا الغابرة.

(٣٧) حرفياً « الفنجان الثالث لزيوس المخلّص » في اشارة الى عادة يونانية خلال الولائم. « المعرّب ».

أفـلاطـون

المحاورات الكاملة

أفلاطون

المحاورات الكاملة

المجلد الثالث

محاورة إيون
محاورة بروتاغوراس
محاورة يوثيديموس
محاورة مينون
محاورة يوثيفرو
محاورة أبولوجي
محاورة كريتون
محاورة فيدون

نقلها إلى العربية
شوقي داود تمراز

الأهلية للنشر والتوزيع

إصدار: الأهلية للنشر والتوزيع
بيروت - الحمراء، بناية الدورادو
ص.ب.: ٣٣-١١٣٥٤ - هاتف: ٣٥٤١٥٧

المحتويات

محاورة إيون

أفكار المحاورة الرئيسيّة

إيون، راوي القصائد الملحميّة المحترف، وصل لتوّه إلى أثينا، بعد أن حضر احتفالاً في مدينة آيسيكلوبيوس، حيث أقام الأبودوريون مباراة لرواة القصائد الملحميّة المحترفين تكريماً له، وهو عازم على أن يقيم احتفالاً آخر في البانثيناي وسينتصر فيه كما انتصر في سابقه. يُعجب سقراط بمهنة الراوي ويحسده لأن من متمّمات فنّه أن يرتدي الثياب الجميلة ويظهر بمظهرٍ حسن. بالإضافة إلى ذلك فهو في صحبة أهمّ الشعراء وعلى رأسهم هوميروس، أميرهم وأفضلهم وأكثرهم إلهيّة.

وبعد عدة أسئلة، وجّهها إليه سقراط، يعترف إيون بأنّه يفهم ما في عقل هوميروس أفضل من أيّ إنسانٍ آخر، بالإضافة لِمَا قاله عن ظهر قلب، ويقدر أن يشرح كلّ ما في أشعار هوميروس بشكل جيد لمن يريد سماعها، وهذا الإيضاح ليس بالعمل السهل على أية حال. ثم يسأله سقراط، إن كان يعرف أن يتكلم عن هيسيود وأرخيلوخيوس، أو أنّ فنّه لا يتعدّى نطاق هوميروس. ويجيب بأنّه يختصّ بهوميروس فقط، غير أنّه يستطيع أن يوضح ما يقوله هيسيود كذلك، فهما يتفقان في معان عديدة من أفكارهما. وهل تعتقد بأنّك تقدر على إيضاح المسائل التي لا يتّفقان فيها بشأن الألوهيّة أنت أو نبيٌّ، يا إيون؟ لا، يا سقراط، النّبي سيكون إيضاحه وتفسيره أفضل. لكن كيف حصلت على هذه البراعة عن هوميروس فقط وليس عن هيسيود وبقيّة الشعراء، مع أنهم يغنّون الشيء عينه ويطرحون المواضيع نفسها؟ نعم، يا سقراط، لكنّهم يغنّونها بطريقة أسوأ ممّا يفعله هوميروس بطريقته الأفضل. لكن ، يا إيون، عندما يبحث أناس كثيرون في علم العدد، وواحد منهم

يتحدث أفضل من الباقين، فهناك شخص ما هو الذي يستطيع أن يحكم أيّهم المتكلم البارع وأيّهم السيء، وهذا الشخص هو الذي يعرف علم الحساب. وينطبق هذا على الغذاء والطب وعلى كل الأشياء الأخرى.

لكن هل تقدر أن تخبرني، يا سقراط، لماذا عندما يتكلم أيّ شخص عن هوميروس أستيقظ حالاً وكلّي انتباه، وعندي الكثير لأقوله؟ إنّ سبب ذلك، يا إيون، هو أنّك تتكلّم عن هوميروس بدون فنّ أو معرفة، وإذا كنت قادراً أن تتحدث عنه بقواعد فنيّة، فستتمكّن من التكلم عن الشعراء الآخرين لأنّ الشّعر هو كلٌّ لا يتجزأ. أمّا سبب ذلك فسأوضحه لك. إنّ موهبتك للتكلّم جيداً عن هوميروس ليست فنّاً، بل إنها إلهام، وكذلك فإنّ الشعراء كلّهم لا يؤلّفون قصائدهم الجميلة بالفنّ، إلا لأنّهم ملهمون وممسوسون. إنّ الشاعر شيء لطيف ومجنّح وقِدّيس، ولا إبداع فيه حتى يُلهم ويُجرَّدُ من أحاسيسه، وتحمله على التكلّم بما يقول آلهة الشّعر بقوّة إلهيّة. لكن إذا ما تعلم الشاعر وفق قواعد قانون فسيعرف كيف يتكلم ليس بلحنٍ واحدٍ فقط، بل بها كلها. لذلك فإنّ الله يسلب العقل من الشعراء، ويستخدمهم كممثليه، كما يستخدم أيضاً وسطاء الوحي والأنبياء الأتقياء، وهم ينطقون بكلماتٍ بالغة النفاسة. أمّا القصائد الجميلة فليست إنسانيّة، ولا من صنع الإنسان، بل هي إلهيّة والله صانعها. إنّ الشعراء هم مفسّرو الآلهة والمتكلّمون من قِبلهم كُلٌّ بمفرده. أليس هذا هو الدرس الذي قصد الله أن يعلّمه عندما غنّى بفم أسوأ الشعراء أفضل الأغاني؟

إنّك محقّ، يا سقراط، فيما تقول. لكن، يا إيون، يا رواة القصائد الملحمية المحترفين، هل أنتم مفسّرو الشعراء؟ وما دمتم كذلك فأنتم إذن مفسرو المفسرين. أمّا براعتك في ثناء هوميروس والاهتمام به فذلك لا يأتي من فنٍّ بل من إلهام إلهي. لكنّني أنكر ما تقوله، يا سقراط، بأنّني أثني على هوميروس عندما أكون مجنوناً وممسوساً، غير أنّك إذا قدرت على سماع كلماتي فإنّي لمتأكدّ بأنّك ستغيّر رأيك

هذا. أريد أن أسمعك بكلّ تأكيد، يا إيون، لكن في أيّ قسم تتكلّم جيّداً عن هوميروس؟ إنّك لا تتكلّم عن كل قسم بالتأكيد. بل أستطيع أن أثبت لك، يا سقراط، بأنّني أتكلم جيّداً عن كلّ قسم من أعمال هوميروس. وهلْ تعرف مثلاً ما يقوله هوميروس بشأن قيادة العربات، أو الطبّ، وعن أيّ فن آخر أكثر ممّا يعرفه قائد العربات والأطبّاء، والعارفون الآخرون بفنّهم؟ إذ إن راوي القصائد الملحمية المحترف يختلف معرفة عن تلك الفنون. وما يُقال عن تلك المقاطع، يُقال عن المقاطع التي تختصّ بالنبيّ وفنّ النبوّة، والتي أستطيع أن أخبرك عنها، بدقّة، يا إيون.

والآن بعد أن اخترت أنا تلك المقاطع وعزوتُها لفنون مختلفة، أريدك أن تختار لي مقاطع أخرى تختصّ بفنّ الراوي هذا، والتي يجب أن يجود بها ويحكم عليها راوٍ مثلك، أفضل ممّا يحكم عليها الرجال الآخرون.

أؤكّد لك، يا سقراط، أنّ فنّ الراوي هو فنّ القائد العسكري وهما لا يختلفان في هذا المجال. وكذلك، أستطيع أن أثبت لك بأنّني أفضل قائد عسكريّ في هيلاس كلها.

إذا كان ما تقوله صدقاً، يا إيون، فلماذا تجوب هيلاس كلّها راوياً القصائد الملحميّة ولا تنخرط في صفوف الجيش وتبرز فيه كأهمّ قائدٍ عسكريّ، إذ إنّ هيلاس بحاجة لقائدٍ عسكريٍ لامعٍ وفذٍّ مثلك؟ فما الذي يمنعك من تحقيق ذلك؟

إنّ سبب ذلك، يا سقراط، هو أن رجال بلادي، الأفسينيانز، هم خدم أثينا وجنودها، وليسوا بحاجة لقائد عسكريّ، وأنكم واسبارطة لا يلزمكم مثل هذا القائد على الأرجح، لأنّكم تعتقدون بأنّ عندكم قادة عسكريين بما فيه الكفاية.

ألم تسمع، يا إيون، عن أبولودوروس من سوزيكوس، إنّه غريب عن أثينا، وقد اختاره الأثينيون قائداً لهم، وكذلك فعلوا بفانوسثينس من أندروس، وهيراكلايدس من كلازومينيا مع أنّهما غريبان عنها، لكنّهما جديران بفنّ قيادة الجيوش. فلماذا اختاروا هؤلاء وغيرهم، ولم يختاروك، يا إيون، إذا حسبوك مؤهّلاً لذلك؟ ألَسْتُم

أنتم أثينيين في الأصل ومدنيتك ليست مدنية عاديَّة؟ لكنّك إذا كنت محقّاً في قولك بأنّك تقدر أن تثني على هوميروس بالفنّ والمعرفة، فأنت لا تتعامل معي بعدل، لأنّك بعد تخصصك بمعرفة أشياءَ عديدة ومجيدة عن هوميروس، ووعودك بأنّك ستعرضها لي، فما أنت إلاّ خادعٌ لي فقط، وبعيدٌ جدّاً عن غرض الفنّ الذي أنت فيه سيّد، ولن تشرح لي طبيعة هذا الفنّ بعد توسّلاتي المتكرّرة. أنت تفترض بالحرف أشكالاً متعدّدة مثل بروتيوس، تتلوّى إلى أعلى وإلى أسفل حتى تفلت مني أخيراً، متخفّياً بثياب قائد عسكري، كي تتمكّن من الهرب، ولا تعرض معرفتك الهوميريَّة المكتسبة. وإذا كان لديك فنّ، كما تقول، فأنت لا تتعامل معي بعدل. لكن إذا لم تمتلك هذا الفنّ، كما أعتقد، بل تتكلّم بهذه الكلمات الجميلة عن هوميروس غير دارٍ تحت تأثيره الملهم، فإني أُبرّئك حينئذ من تهمة التّضليل، وسأقول بأنّك مُلهَمٌ فقط.

أيُّهما تفضّل، أن تكون مُلهَماً، أو مضلِّلاً؟

هناك فرق كبير بين الخيارين، والإلهام هو الأنبل بمسافة كبيرة، يا سقراط.

سأفترض لك الخيار الأنبل، وأنسب لك الإلهام في ثنائك على هوميروس، وليس الفنّ.

محاورة إيون

اشخاص المحاورة

سقراط إيون

سقراط: أهلاً وسهلاً، يا إيون، هل أنت مواطن من مدينة أفيسوس؟
إيون: لا، يا سقراط؛ إنّني من أيدوروس، حيث حضرت احتفال آيسكلوبيوس.
سقراط: حقّاً! وهل أقام الأبودوريُّون مباراةً لرواة القصائد الملحميّة المحترفين تكريماً له.
إيون: أوه نعم؛ ولأنواعٍ أخرى من الموسيقى كذلك.
سقراط: وهل كنت واحداً من المتنافسين؟ وهل نجحت؟
إيون: أنا ـ نحن ـ فزنا بالجوائز جميعها، يا سقراط.
سقراط: حسناً أُنجز؛ وينبغي علينا الآن أن نحرز نصراً آخر في الباناثيناي.
إيون: إنها ستكون كذلك، بفضل السماء.
سقراط: إنّني غالباً ما حسدت مهنة الراوي، يا إيون؛ لأنّ من متمّمات فنّك أن ترتدي الثياب الجميلة وتظهر بمظهرٍ حسن على قدر استطاعتك، في حين أنت مُلزمٌ في الوقت عينه بأن تكون في صحبة العديد من الشعراء البارعين بشكل متواصل، وخاصة بصحبة هوميروس، الذي يعتبر أفضلهم وأكثرهم إلٰهيّة، وكذلك لأن تفهم ما في عقله، وليس أن تتعلّم كلماته عن ظهر قلب فقط. هذا كلّه تُحسد عليه بدرجة كبيرة. إنّني لمتأكّد من أنّه لا يستطيع أيّ إنسانٍ أن يصبح راوياً محترفاً للقصائد الملحميّة بشكل جيد، وهو لا يفهم معنى الشاعر. الراوي المحترف عليه أن يفسّر ما في عقل الشاعر لمستمعيه،

لكن كيف يستطيع أن يشرحها بشكل جيّد ما لم يدركْ ما يعنيه الشاعر؟ إنّني أُكرّر، كل هذا هو ما يُحسد عليه راوي القصائد الملحميّة المحترف، بشكل كبير.

إيون: حقيقيّ تماماً، يا سقراط؛ إنّ التفسير قد كان، بكلّ تأكيد، الجزء الأكثر إرهاقاً في فنّي. وإنّني أعتقد نفسي قادراً على الكلام عن هوميروس أفضل من أيّ رجل؛ فلا ميترودوس من لامبساكوس، ولا ستاسيمبروتوس من ثاسوس، ولا كلوكون، ولا أيٌّ شخص آخر مهما كان، يمتلك أفكاراً صحيحة عن هوميروس كالتي أمتلكها، أو مثل ذلك العدد منها.

سقراط: يسرّني سماع ذلك، يا إيون؛ وأرى أنّك لن ترفض أن تطلعني عليها.

إيون: بكلّ تأكيد، يا سقراط؛ وينبغي عليك حقاً أن تسمع كيف أعرض لك جمالات هوميروس بشكلٍ مُتقن. أعتقد أنّ على الهومير يين أن يمنحوني تاجاً ذهبيّاً.

سقراط: سأنتهز فرصةً لسماع إنجازاتك عنه في وقت آخر ما. لكن في الوقت الحاضر أحبّ أن أسألك سؤالاً: هل فنّك يمتد إلى هيسيود وآرخيلوخوس، أو إلى هوميروس فقط؟

إيون: إنّه يختص بهوميروس فقط؛ إنّه هو بنفسه كافٍ تماماً.

سقراط: هل هناك أيّة أشياء يتفق عليها هوميروس وهيسيود؟

إيون: نعم؛ هناك عدة أشياء جيدة يتفقان بشأنها في رأيي.

سقراط: وهل تقدر أن تفسّر ما يقوله هوميروس بشأن هذه المسائل أفضل مما يقوله هيسيود؟

إيون: أستطيع أن أشرح ما يقولان جيّداً بشكلٍ متساوٍ، يا سقراط، وذلك حيث يتّفقان.

سقراط: لكن ماذا بشأن المسائل التي لا يتفقان فيها؟ كمثال، بخصوص الألوهيّة التي يمتلك كلٌّ من هوميروس وهيسيود شيئاً ليقولاه عنها ـ

إيون: حقيقي تماماً.

سقراط: هل ستكون أنت، أو نبيٌّ صالح، أفضل تفسيراً لما يقوله هذان الشاعران عن الألوهيّة، ليس عندما يتفقان فقط بل عندما يختلفان؟

إيون: نبيٌّ.

سقراط: وإذا كنت أنت نبيّاً، وتستطيع شرحهما حيث يتّفقان، ألن تعرف كيف تشرحهما حيث يختلفان أيضاً؟

إيون: بوضوح.

سقراط: لكن كيف حصلت على هذه البراعة بخصوص هوميروس فقط، وليس عن هيسيود وبقية الشّعراء؟ ألا يتكلم هوميروس عن الموضوع عينه الذي يديره بقيّة الشعراء؟ أليست الحرب هي محاورته الكبرى؟ أو لاَ يتكلم هو عن المجتمع الإنساني وعن تعامل الرجال، الأخيار والأشرار، البارعين وغير البارعين، وعن الآلهة، في حديثهم مع بعضهم بعضاً ومع الجنس البشري، وممّا يحدث في السماء وفي العالم السفلي، وعن نشوء الآلهة والأبطال؟ أليست هذه هي الألحان التي يغنّيها هوميروس؟

إيون: حقيقي تماماً.

سقراط: أوَ لاَ يغنّي بقية الشعراء الشيء عينه؟

إيون: نعم، يا سقراط؛ لكن ليس بالطريقة عينها كهوميروس.

سقراط: ماذا، أتكون في طريقة أسوأ؟

إيون: نعم، بطريقة أسوأ بكثير.

سقراط: وهوميروس بطريقة أفضل؟

إيون: إنّه أفضل بشكلٍ لا يقارن.

سقراط: ومع ذلك بالتأكيد، يا صديقي إيون، فحيث يوجد ناسٌ كثيرون يبحثون في الأعداد، وواحد منهم يتحدث أفضل من الباقين، فهناك لا شكّ شخصٌ ما يستطيع أن يحكم أيّهم المتكلم البارع؟

إيون: نعم.

سقراط: والذي يحكم على المتكلمين الحاذقين سيكون هو نفسه من يحكم على المتكلمين السيئين؟

إيون: الشخص نفسه.

سقراط: إنّه الشخص الذي يعرف علم الحساب؟

إيون: نعم.

سقراط: أو مرّة ثانية، إذا تباحث أشخاص كثيرون في نفع الغذاء، ويتكلم أحدهم عن ذلك أفضل من البقيّة، فهل الذي يميّز المتحدث الأفضل هو شخص غيرٌ عنه الذي يميّز الاسوأ، أو هو الشخص نفسه؟

إيون: الشخص نفسه بوضوح.

سقراط: ومَن هو، وما هو اسمه؟

إيون: إنّه الطبيب.

سقراط: لنتكلّم بشكل عامّ، أليس الذي يعرف المتحدث الجيد يعرف السيّء أيضاً، في كل المحادثات التي يكون فيها الموضوع هو الشيء نفسه ويكون رجال كثُرٌ متكلمين فيه؟ فمن الواضح أنّه لو لم يُعرف المتكلم الجيّد، فلن يُعرف السّيء كذلك، عندما يطرحان الموضوع عينه على بساط البحث.

إيون: صدقاً.

سقراط: نجد نحن في الحقيقة، أنّ الشخص نفسه يكون حاذقاً فيهما كليهما؟

إيون: نعم.

ىُسقراط: وتقول أنت إنّ هوميروس والشعراء الآخرين، أمثال هيسيود وآرخيلوخوس، يتكلمون عن الأشياء عينها، لكن ليس بالطريقة عينها؛ غير أنّ أحدهم يتكلم جيّداً والآخر ليس بالجودة عينها؟

إيون: نعم؛ وإنّي لمحقٌّ في قولي هذا.

سقراط: وإذا عرفت المتكلّم الجيد، فعليك أيضاً أن تعرف الأقلّ أهميّة ليكونوا هكذا؟

إيون: إنه يبدو كذلك.

سقراط: إذن، يا صديقي العزيز، هل يمكنني أن أكون مخطئاً لو قلتُ إنّ إيون حاذق بشكلٍ متساوٍ في أعمال هوميروس وأعمال الشعراء الآخرين، ما دام يعترف هو ذاته أنّ الشخص ذاته سيكون حَكَماً جيداً عن كل الذين يتكلمون عن الأشياء عينها؛ وأنَّ كلّ الشعراء يتكلمون عن الأشياء عينها تقريباً؟

إيون: لماذا إذن، يا سقراط، أفقد أنا الانتباه ولا أمتلك أيّة أفكار ذات أهميّة أقلّ، وبشكل مطلق، عندما يتكلم أيّ شخص عن أيّ شاعرٍ آخر؛ لكن حينما يذكرون هوميروس، فإنّني أستيقظ حالاً وكلي انتباه ولديَّ الكثير لأقوله؟

سقراط: السبب، يا صديقي، ليس صعباً تخمينه. بميسور أيٍّ كان أن يراك تتكلّم عن هوميروس بدون أيّ فنّ أو معرفة. إذا كنت قادراً على الحديث عنه بقواعد فنيّة، فستكون قادراً على الكلام عن الشعراء الآخرين لأنّ الشعر كلّه من طينة واحدة.

إيون: نعم.

سقراط: وعندما ينال أيّ شخصٍ آخر أيّ فنّ ككلّ، يمكن أن يقال الشيء عينه عنه. هل تحبّ أن أشرح ما أعنيه، يا إيون؟

إيون: نعم، حقاً، يا سقراط؛ إنّني أرغب كثيراً جدّاً أن تفعل. فأنا أحبّ أن أسمعكم أيّها الرجال الحكماء تتكلمون.

سقراط: أوه، أما أنّنا حكماء، يا إيون، وأنّك تستطيع أن تدعونا هكذا بحق؛ لكنّكم أنتم هم الحكماء، أيّها الرواة المحترفون والممثلون، وكذلك الشعراء الذين تغنىَّ أبيات شعرهم، في حين أنّني إنسان عاديّ، أتكلّمُ الحقيقة فقط.

تأمّل مليّاً كم هو عاديّ ومبتذلٌ ما أقوله بالتحديد ـ شيء يمكن أن يقوله أيُّ إنسان: وهو أنّه عندما يكتسب إنسانٌ معرفة فنٍّ بمجمله، فإنّ التحقيق في الخير والشرّ يكون واحداً والشيء عينه. دعنا نتأمّل مليّاً هذه المسألة؛ أليس فنّ الرسم باليد كاملاً؟

إيون: نعم. .

سقراط: وهناك العديد من رسامّي اليد الجيدين والسيئين قديماً وحديثاً؟

إيون: نعم.

سقراط: أوَ لم تعرف قطّ أيّ شخص كان بارعاً في الدلالّة على امتيازات وشوائب بوليغنوتوس بن أكلاوفون، لكنّه كان غير قادر على نقد الرسامين اليدويين الآخرين، وعندما أُنتج أيُّ عملٍ لرسّام يدويٍّ آخر، ذهب هو إلى النّوم وكان مرتبكاً، فاقداً كل افكاره. لكنه عندما كان عليه أن يعطي رأيه عن بوليغنوتوس، أو عن أي رسّام يدوي آخر، وعنه فقط، أمكنه أن يستيقظ وكان بمنتهى الانتباه ولديه الكثير ليقوله؟

إيون: لا، حقاً، إنّني لم أعرف هكذا شخصاً أبداً.

سقراط: أو خذ فنّ النحت ـ هل عرفت عن أي شخص قط كان حاذقاً في تفسير ميّزات دايدالوس بن ميتيون، أو ميّزات آيبيوس بن بانوبيوس، أو ميّزات ثيودوروس الساميان، أو أيٍّ نحّاتٍ آخر؟ لكن عندما قُدِّم عمل النحاتين بشكل عامّ، كان مرتبكاً وذهب إلى النوم ولم يكن عنده أيّ شيء ليقوله؟

إيون: لا حقّاً؛ يا سقراط، لا أعرف أكثر ممّا أعرف عن الآخرين.

سقراط: وإذا لم أكن مخطئاً، أنت لم تقابل أيّ شخص بين لاعبي النّاي أو القيثار أو المغنّين على القيثار أو محترفي رواية القصائد الملحميّة الذين كانوا قادرين على الحديث عن أوليبموس أو عن ثاميراس أو عن أورفيوس، أو عن فيميوس

راوي قصائد إيثاكا الملحميّة، لكنّه كان متحيراً عندما أتى ليتكلم عن إيون من إينيسوس، ولم يكن لديه أيّة فكرة عن ميّزاته أو شوائبه؟

إيون: لا أقدر على إنكار ما تقوله، يا سقراط، ومع ذلك فإنّني لمدركٌ في قرارة نفسي، ويتفق معي العالم، في أنّني أتكلم أفضل. ولديَّ ما أقوله عن هوميروس أكثر من أيّ شخص آخر؛ غير أنّني لا أتكلّم بشكل جيّد عن الآخرين. بعد كل هذا، يجب وجود سبب ما لذلك؛ فما هو؟

سقراط: إنّني أرى السّبب، يا إيون؛ وسأتقدّم لأشرح لك ما أتصوّره أنه هو. إنَّ موهبتك للتكلّم بامتيازٍ عن هوميروس ليست فنّاً، لكنها، كما كنتُ قائلاً لتوّي، إلهام؛ توجد الهياتٌ تحركك مثل تلك المحتواة في الحجر والتي يدعوها يوريبايدس مغناطيساً، والذي يُعرف بحجر هيراقليطس بشكل عامّ. إنّ هذا الحجر لا يجذب الحلقات الحديدية فقط، بل يُضفي عليها قوّة مماثلة لجذب الحلقات الأخرى أيضاً. ويمكنك أن ترى بعض المرّات عدداً من القطع والحلقات الحديدية متدلّيةً بعضها من بعضٍ لتشكّل سلسلة طويلة تماماً؛ وتستمدّ كلها قوة تدلّيها من الحجر الأصلي. وبشكلٍ مماثل فإن إحدى آلِهات الشّعر ألهمت الرجال قبل كل شيء؛ وتتدلى من هؤلاء الأشخاص الملهمين سلسلة من الأشخاص الآخرين الذين يتلقّون الوحي. إنّ كل الشعراء الصالحين، الشعراء الملحميّون كما الشعراء الغنائيّون، لا يؤلّفون قصائدهم الجميلة بالفنّ، إلاّ لأنّهم ملهمون وممسوسون. ومثل المستمتعين الكوريبانثيين حينما يرقصون وهم خلوٌ من عقلهم الصحيح، هكذا شعراء الغناء لا يكونون بعقلهم الصحيح عندما يؤلّفون أغنياتهم الجميلة. لكنّهم عندما يقعون تحت سلطة الموسيقى والأوزان الشعرية فإنّهم ملهمون وممسوسون، كالعذارى رفيقات باخوس اللواتي يسحبن الحليب والعسل من الأنهار عندما يكنَّ بعقلهنَّ السليم. وتفعل روح الشاعر الغنائيّ الشيء عينه، كما يقولون هم

أنفسهم. فالعذارى يُخبرنَ بأنهنَّ يجلبن الأغاني من النوافير العسليَّة، يخترنها من جنائن ووهاد آلهات الشعر. هنَّ، مثل النحل، يتنقّلن من زهرة إلى زهرة. وإنّ هذا لحقيقي. الشاعر شيء لطيف ومجنَّحٌ وقدّيس، ولا يوجد إبداعٌ فيه حتّى يُلهم ويُجرَّد من أحاسيسه، ولا يبقى فيه عقل بعد الآن: لا إنسان يمتلك موهبة الشعر التي مبعثها الوحي، في حين يستبقي تلك الملكة العقليَّة.

عديدة هي الكلمات النبيلة التي يتكلّم الشاعر بها فيما يختصّ بأعمال الرجال؛ لكنهم مثلك عندما تتحدث عن هوميروس، لا يتكلمون عنهم بقواعد قانون. إنّهم مُلهَمون بكل بساطة ليتكلموا ذلك الذي تحملهم على التكلّم به إلٰهة الشعر، وذلك فقط. وعندما يُلهمون، ينظم واحدهم قصائد مليئة بالحماسة والعواطف الجيّاشة، وينظم آخر تراتيل ثناء، وغيره أغناني كورس، ورابع مقاطع ملحميَّة أو عمبقيَّة، لكن أيًّا منهم لا يكون ملهماً في الأنواع الأخرى بأيّ حساب. إنّ الشاعر لا يغني بفنّ، بل بقوَّةٍ إلٰهيَّة. وإذا ما تعلَّم هو بقواعد قانون، فإنّه سيعرف كيف يتكلم ليس بلحنٍ واحدٍ فقط، بل بها كلّها؛ ولذلك يسلب الله العقل من الشعراء، ويستخدمهم كممثّليه، كما يستخدم أيضاً وسطاء الوحي والأنبياء الأتقياء، ليكون بمقدورنا نحن الذين نسمعهم أن نعرف أنّهم لا يتكلمون عن أنفسهم، هؤلاء الناطقون بتلك الكلمات البالغة النفاسة في حين يُحرمون من العقل، بل إنّ الله ذاته هو المتكلم، وإنّه يخاطبنا من خلالهم. ويعطي تينيخوس الخالسيدي مثلاً صارخاً على ما أقول: هو لم يكتب قصيدة كي يهتم أيّ شخص ليتذكرها سوى أنشودة الشكر أو التسبيح أو النصر الشهيرة التي هي على كل شفةٍ ولسان. إنّ أجمل القصائد التي كتبت في الشعر الغنائي قاطبةً، هي من إبداع آلهة الشعر بكل بساطة، كما يقول هو ذاته ذلك. وبهذه الطريقة يبدو الله أنّه يشرح لنا وأنّه لا يسمح لنا أن نشك في أنّ هذه القصائد الجميلة

ليست إنسانيّة، باكياً أو مصاباً بالهلع في حضور أكثر من عشرين ألف وجه صديق، في حين لا يوجد أيّ شخصٍ ليسلبه ما يقول أو ليخطّئهُ. أيكون هو بعقله السليم، يا إيون؟

إيون: لا حقّاً، يا سقراط، ينبغي أن أقول ذلك، متكلّماً بدقة، أنّه لا يكون بعقله الصحيح.

سقراط: وهل أنت عالمٌ بأنّك تنتج تأثيراتٍ مماثلة على أكثرية المتفرجين؟

إيون: حسناً أيضاً فقط؛ فأنا أنظر إليهم من على المسرح، وأرى العواطف المتنوّعة للشفقة، التعجّب، الصرامة، مطبوعةً على محيّاهم عندما أتكلّم. وأكون مُلزماً لأوليهم أفضل اهتمامي؛ لأنّني إذا جعلتهم يصرخون فأنا نفسي سأضحك، وإذا جعلتهم يضحكون فأنا نفسي سأصرخ، عندما يحين وقت الدفع.

سقراط: هل تعرف أنَّ المتفرج هو آخر الحلقات التي تتلقّى قوّة المغناطيس الأساسي من بعضها بعضاً، كما أقول؟ أمّا راوي القصائد الملحميّة مثلك، وكذلك الممثّل، فهما الحلقتان الوسط، وأنّ الشاعر أوّلها. الله يحكم أرواح الرجال من خلال كل هذه في أيّة جهة يريد، جاعلاً بوسع كل حلقة أن تنقل القوة إلى الحلقة التالية. هناك سلسلة ضخمة من الراقصين والأسياد وما دون الأسياد للكوارس، المتدلين كتدلّيهم من الحجر، بجانب الحلقات التي تتدلى من إلٰهة الشعر. ولكل شاعر إلٰهة شعرٍ يتدلى منها، وهي التي يقال إنّه يكون ممسوساً بها، والذي يكون الشيء عينه على وجه التقريب؛ لأنّه يُمسَك بها. ويتدلّى الآخرون من هذه الحلقات الأولى، الذين هم الشعراء، بعضُهم يستمد الإلهام من أورفيوس، الآخرون من ميوسايوس؛ لكنّ العدد الكبير منهم يُمسَك ويُمَسّ بهوميروس، وأنت واحد منهم، يا إيون، الممسوس بهوميروس. وعندما يردِّد أيُّ شخص كلمات الشعراء الأُخرى تُصابُ

بالنّعاس، ولا تعرف ما تقول؛ لكن عندما يتلو أيٌّ شخص مقطعاً من شعر هوميروس تستيقظ بلحظة، وتقفز روحك بداخلك، ولديك الكثير الذي ستقوله، لأنّك لا تقول ما تقوله عن هوميروس بفنٍّ أو معرفة بل بمسٍّ وإلهام إلٰهي؛ تماماً مثل المستمتعين الكوريبانتيين الذين يمتلكون أيضاً تصوّراً للمقاطع الشعرية التي تناسب الله فقط والتي يُمسُّون هم بها. ولديهم الكثير من الكلمات والرقص لذلك، غير أنّهم لا يبدون اهتماماً بغيرها. وأنت، يا إيون، عندما يُذكر اسم هوميروس فلديك الكثير لتقوله، لكنّك لا تمتلك شيئاً لتقوله عن الآخرين. تسأل أنت، « لِمَ هذا؟ » والجواب هو أنّ براعتك في ثناء هوميروس لا تأتي من الفنّ بل من إلهام إلٰهي.

إيون: ذلك جيّد، يا سقراط؛ ومع ذلك فإنّني أشكّ بأنّك ستمتلك بلاغة كافية لتقنعني بأنّي أثني على هوميروس فقط عندما أكون مجنوناً وممسوساً. وإذا استطعت سماعي متكلماً عنه فأنا متأكد بأنّك لن تفكر أنَّ هذه هي الحالة أبداً.

سقراط: إنّني بأمسّ الرغبة لأسمعك، لكن ليس قبل أن تجيبني على السؤال الذي سأسأله. في أيّ قسم تتكلّم جيداً عن هوميروس؟ - إنّك لا تتكلم في كل قسمٍ بالتأكيد؟

إيون: لا يوجد قسم، يا سقراط، لا أتكلّم عنه جيداً. أؤكّد لك ذلك.

سقراط: بالتأكيد ليس عن الأشياء التي لا تمتلك معرفة عنها في عمل هوميروس؟

إيون: وماذا يوجد في عمل هوميروس ليس لديَّ معرفة عنه؟

سقراط: لماذا؟ ألاَ يتكلم هوميروس في مقاطع عديدة عن الفنون؟ كمثال، عن قيادة العربات؛ إذا استطعت فقط تذكُّر بيوت الشعر فسَأردِّدها لك.

إيون: إنّني أتذكرها، وسأردِّدها.

سقراط: أخبرني إذاً، ماذا يقول نيستور إلى أنتيلوخوس، إبنه. أين يأمره ليكون يقظاً بخصوص الاستدارة في سباق الخيل تكريما لباتروكلوس.

إيون: يقول: « إنحنِ بلطف، في العربة المصقولة على يسارهم، وحثَّ الأحصنة على الجهة اليمنى بالسّوط والصّوت؛ وأرخِ العنان. وعندما تصل إلى الهدف، دع الحصان على الجهة اليسرى يقترب، كي يمكن هكذا لمحور العَجَلة الجيد الصنع أن يظهر ليَمُسَّ الطرف مسّاً عابراً رقيقاً؛ لكن آحذرْ أن يلامس الحجر »[1].

سقراط: كفاية. وبعدُ، يا إيون، أيّهما أفضل حكماً عن تناسب هذه البيوت الشعريَّة: سائق العربة أم الطبيب؟

إيون: سائق العربة، بوضوح.

سقراط: وهل السبب أنَّ هذا هو فنّه، أو هناك سبب آخر؟

إيون: لا، هذا هو السبب.

سقراط: ويكون كلّ فنٍّ معيَّناً بالله ليكون له معرفة بعمل محدَّد؛ لأنّ ما نعرفه بفنّ قائد السفينة لن ننجح في معرفته بفنّ الطبّ أيضاً.

إيون: لا، بالتأكيد.

سقراط: ولن نعرف بفنّ النجارة ما نعرفه بفن الطب.

إيون: لا، بدون ريب.

سقراط: وهذا صحيح عن كل الفنون ـ ما نعرفه بفنٍّ واحد لا نعرفه بالفنّ الآخر. لكن دعني أسألك سؤالاً سألته سابقاً: هناك فنون مختلفة أليس كذلك؟

إيون: نعم.

سقراط: وستحاور، كما سأفعل، أنّه إذا كان هناك نوعان من المعرفة يعالجان شيئين مختلفين، فهذان سيُدعيان فنَّيْن متباينين؟

إيون: نعم.

سقراط: نعم. بالتّأكيد؛ لكن إذا كان هدف المعرفة الشيء عينه، فلن يكون هناك معنىً في القول بأنّ الفنون كانت مختلفة ما دام كلٌّ منهما قد أعطى المعرفة

عينها. كمثال، أعرف أنا أن هناك أصابع خمس، وتعرف أنت الشيء عينه، وإذا سألت إذا ما كنت أنت وأنا لنصبح ملمّين بهذه الحقيقة بمساعدة علم الحساب عينه، فإنّك ستعترف بأنّنا فعلنا؟

إيون: نعم.

سقراط: أخبرني، إذن، ما كنت عازماً لأسألك، إذا ما كان هذا يُعتبر برأيك بغير استثناء. إذا كان فنّانِ هما الشيء عينه، ألا يجب أن يكون لديهما الأهداف عينها بالضرورة؟ وإذا اختلف أحدهما عن الآخر، أليس لأن الهدفَ يختلف؟

إيون: إنّ ذلك هو رأيي، يا سقراط.

سقراط: إذن الذي لا يمتلك معرفة عن فنٍّ خاص لن يحوز حُكْماً صحيحاً عن المدارك الحسيَّة وعن ممارسة ذلك الفنّ؟

إيون: حقيقي جداً.

سقراط: إذن أيّكما سيكون حَكَماً أفضل عن مقاطع الشعر التي تلوتها من عمل هوميروس، أنت أو سائق العربة؟

إيون: سائق العربة.

سقراط: لماذا، نعم، لأنّك راوٍ محترفٌ للقصائد الملحميَّة ولست سائق عربة؟

إيون: نعم.

سقراط: وفنّ الراوي المحترف مختلف عن فنّ سائق العربة؟

إيون: نعم.

سقراط: وإذا كانت معرفة مختلفة، فهي حينئذ معرفة عن مسائل مختلفة؟

إيون: حقّاً.

سقراط: تعرف أنت المقطع الذي تُوصف فيه هيكاميد، خليلة نيستور، كواهبةٍ شراب الحليب الساخن إلى الجريح ماتشاون، عندما يقول: « صُنِع بالنبيذ

البرميني؛ وهي بشرت جبن حليب الماعز، بمبشرةٍ برونزيَّة، ووضعت بجانبه بصلة تعطي شهيَّة للشراب »[٢]. وبعدُ، أيُّ فنٍّ أفضل قدرةً للحكم على ملاءمة مقاطع الشعر هذه، فن الراوي أم فن الطبّ؟

إيون: أقول فنّ الطب.

سقراط: وعندما يقول هوميروس: « وهي هبطت إلى الأعماق مثل الرصاصة المربوطة بطرف خيط الفادن التي وُضِعت في قرنِ ثورٍ يطوف الحقول، تندفع إلى الأمام حاملة الموت في ما بين الأسماك النهمة »[٣]. فأيّهما أفضل قدرةً للحكم على ما تعنيه هذه المقاطع الشعريَّة، أو إذا ما كانت دقيقة أوْ لاَ، أفن الراوي المحترف أم فنّ الصياد؟

إيون: بوضوح، يا سقراط، فنّ الصياد.

سقراط: تعالى الآن. إفترض أنّك قلت لي: « بما أنك، يا سقراط، قادر على أن تعزو مقاطع شعريَّة مختلفة في عمل هوميروس لفنونها المختلفة المتماثلة، فإنّني أرغب إليك أن تخبرني ما هي المقاطع التي يجب الحكم على امتيازها بالنبيّ وفنّ النبوة »؟ وسترى كيف سأجيبك بسرعة وبحقّ. لأنّ هناك مقاطع عديدة كهذه، خاصة في الأوديسة؛ كمثال، المقطع الذي يقول فيه ثيوكليمانس نبيُّ بيت ميلامبس للمدَّعين:

« يا رجال بائسون! ما بكم؟ إنّ رؤوسكم ووجوهكم وأطرافكم السفلى مكفَّنةٌ في الظلام؛ وصوت النواح ينفجر، ووجناتكم مبلَّلةٌ بالدموع. وأما الردهة فممتلئة، ومحكمة القانون مكتظَّة بالأشباح هابطة إلى عتمة إيريبوس[٤]، والشمس فُنيت من السماء، وسديمٌ مشؤوم يُنشر في كل اتجاه »[٥].

وهناك مقاطعٌ كهذه في الإلياذة أيضاً. كمثال في وصف المعركة قرب السور الواقي، حيث يقول:

« بما أنّهم كانوا متشوقين ليجتازوا الحفرة، هناك أتى بشيرٌ إليهم: نسرٌ

يحلق في الجو، ملتفّاً بالأناس على شماله، حاملاً في براثنه تنّيناً أحمر كالدم ضخماً ما زال حيّا ويلهثُ بشدّة، ولم يتخلَّ عن النضال مع ذلك، لأنّه مال إلى الوراء وسدَّد ضربة إلى الطائر الذي حمله على الصدر بالعنق، وتركه في الألم يسقط منه على الأرض وسط الكثرة. والنّسر، صارخاً، حملته أجنحة الريح بعيداً »(٦).

هذا هو نوع الأشياء التي يجب أن أقولها من أنّ النبيّ يجب أن يتأملها مليّاً ويقرِّرها.

إيون: وأنت محقّ تماماً، يا سقراط، في قول كهذا.

سقراط: نعم، يا إيون، وأنت محقّ أيضاً. وكما اخترت أنا من الالياذة والأوديسة لمقاطع شعرك التي تصف عمل النبيّ والطبيب والصيّاد، فهل ستختار يا إيون، وأنت تعرف هوميروس أفضل منّي، هل ستختار مقاطع شعرٍ تتصل براوي القصائد الملحميّة المحترف هذا، والذي على راوي القصائد ذاته أن يختبرها ويحكم عليها أفضل من الآخرين؟

إيون: ينبغي أن أقول كلّ المقاطع الشعرية، يا سقراط.

سقراط: ليس كلها، يا إيون، بالتأكيد. هل نسيت ما قلت سابقاً؟ إنّ راوي القصائد الملحميّة المحترف عليه أن يمتلك ذاكرة أفضل.

إيون: لماذا، ما الذي نسيته؟

سقراط: ألا تتذكّر أنّك أعلنت أنّ فنّ الراوي المحترف غير فن سائق العربة؟

إيون: نعم، إنّني أتذكّر.

سقراط: واعترفت بأنّهما ما داما متباينين فهُما سيعرفان أهدافاً مختلفة.

إيون: نعم.

سقراط: إذن بناءً على إظهارك الخاصّ لراوي القصائد الملحميّة المحترف، وتبيينك لفنّه، فهو لن يعرف كل شيء؟

إيون: عليّ أن أستثني أشياء كهذه التي تذكرها، يا سقراط.

سقراط: تعني أنّك ستستثني كثيراً جدّاً من مواضيع الفنون الأخرى. وما دام لا يعرفها كلها، فأيّاً منها يعرف؟

إيون: سيعرف ما ينبغي على الرجل والمرأة أن يقولاه، وما يجب على الرجل الحرّ والعبد أن يتكلماه، وما يلزم على الحاكم والمرؤوس أن يتفوّها به.

سقراط: هل تعني أنّ راوي القصائد الملحميّة المحترف سيعرف ما يلزم أن يقوله حاكمُ قاربٍ يتقاذفه موج البحر أفضل من مرشد السفينة؟

إيون: لا؛ فمدير الدفّة سيعرف أفضل.

سقراط: وهل سيعرف راوي القصائد الملحميّة المحترف ما ينبغي أن يتفوّه به حاكم الرجل المريض أفضل من الطبيب؟

إيون: لا، مرّة ثانية.

سقراط: لكنه سيعرف ما يجب أن يقوله العبد؟

إيون: نعم.

سقراط: إفترض أنّ العبد راعي أبقار؛ فهل يعرف راوي القصائد الملحميّة ما يلزم أن يقوله راعي الأبقار كي يهدّىء الأبقار الثائرة أفضل من الراعي؟

إيون: لا، إنّه لن يعرف.

سقراط: لكنه سيعرف ما ينبغي أن تقوله المرأة التي تغزل الصوف عن عمل الصوف؟

إيون: لا.

سقراط: على كل حال سيعرف ما يجب أن يقوله القائد العسكري ناصحاً جنوده؟

إيون: نعم، ذلك هو نوع الشيء الذي سيعرفه راوي القصائد الملحميّة المحترف بكلّ تأكيد.

سقراط: ماذا! أيكون فنّ الراوي المحترف للقصائد الملحميّة فنّ القائد العسكري؟

إيون: إنّني متأكّد بأنّ عليَّ أن أعرف ما يلزم أن يقوله القائد العسكري.

سقراط: لماذا، نعم، يا إيون، إذ من المحتمل أن تمتلك معرفة القائد العسكري كما معرفة الراوي المحترف؛ ويمكنك أن تحوز أيضاً معرفة فنّ الفروسيَّة كمعرفة العزف على القيثار تماماً، وستعرف حينئذ متى تُساس الأحصنة بجودة أو بفساد. لكن إفترض أنّني أسألك: بمساعدة أيّ فنّ، يا إيون، تعرف أن الأحصنة مدارةً بجودة، ببراعتك كرجل فروسية أو بأدائك العزف على القيثار؟ بماذا ستجيب؟

إيون: عليَّ أن أجيب، ببراعتي كرجل فروسية.

سقراط: وإذا حكمت على العازفين على القيثار، ستعترف بأنك حكمت عليهم كعازفٍ على القيثار وليس كرجل فروسيَّة؟

إيون: نعم.

سقراط: وفي حكمك على فنّ القائد العسكري، هل حكمت عليه كقائدٍ عسكريّ، أو كراوٍ جيّد ومحترف للقصائد الملحميَّة؟

إيون: يظهر لي أنّه لا فرق بينهما.

سقراط: ماذا تعني؟ هل تعني أنّ فنّ الراوي المحترف للقصائد الملحميَّة وفن القائد العسكري هما الشيء عينه؟

إيون: نعم، والشيء عينه.

سقراط: إذن، فإنّ من يكون راويا محترفاً للقصائد الملحميَّة بارعاً سيكون قائداً عسكريّاً حاذقاً أيضاً؟

إيون: بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: والذي يكون قائداً عسكريّاً كفؤاً يكون راوياً محترفاً للقصائد الملحميَّة جيداً؟

إيون: لا؛ إنّني لا أوافق على ذلك.

سقراط: لكنّك توافق على أنّ من يكون راوياً محترفاً للقصائد الملحميّة جيّداً يكون قائداً عسكريّاً جيداً أيضاً؟

إيون: بالتأكيد.

سقراط: وأنت أفضل راوٍ محترف هيليني للقصائد الملحميّة.

إيون: أفضل ببعيد، يا سقراط.

سقراط: وهل أنت أفضل قائد عسكري؟

إيون: لكن متأكّداً، يا سقراط؛ وهوميروس كان سيّدي.

سقراط: لكن عندئذ، يا إيون، لماذا تتجوّل باسم الخير، وأنت تعتبر أفضل الجنرالات وأفضل الرواة المحترفين للقصائد الملحميّة في هيلاس كلّها، لماذا تتجوّل راوياً قصائد ملحميّة في حين أنه يمكنك أن تكون قائداً عسكريّاً؟ هل تعتقد أن الهيلينيين هم في حاجة ماسّة لراوٍ محترف للقصائد الملحميّة بتاجه الذهبيّ، ولا يحتاجون لقائدٍ عسكري على الإطلاق؟

إيون: لماذا، يا سقراط، السبب هو أنّ رجال بلادي، الأفسينيانز، هم خدم وجنود أثينا، ولا يلزمهم قائد عسكري؛ وأنّكم واسبارطة على الأرجح لستم بحاجة لتعييني قائداً عسكرياً؛ لأنّكم تعتقدون بأنّ لديكم ما يكفيكم من القادة العسكريين

سقراط: يا طيّبي إيون، ألم تسمع أبداً عن أبولودوروس من سوزيكوس؟

إيون: من يمكنه أن يكون؟

سقراط: هو الذي، مع كونه غريباً، قد اختاره الأثينيون قائدهم العسكري غالباً. وهناك فانوسثينس من أندروس، وهيراكلايدس من كلازومينيا اللذين عيّنوهما لقيادة الجيوش أيضاً وكذلك لمناصب أخرى، مع أنّهما غريبان. فلقد اختيرا بعد أن أظهرا جدارتهما، ولن يختاروا إيون الافسينيانز ليكون قائداً عسكريّاً لهم، ويكرّموه، إذا حسبوه مؤهّلاً لذلك؟ أليس الأفيسينيون أثينيين في

الأصل، وأفنيسوس أليست مدينة عادية؟ لكن، حقاً، يا إيون، إذا كنت محقّاً في القول بأنّك تقدر أن تثني على هوميروس بالفنّ والمعرفة، فأنت لا تتعامل معي بعدل، وبعد كل تخصّصك بمعرفة أشياء عديدة ومجيدة عن هوميروس، ووعودك بأنّك ستعرضها، فأنت تخدعني فقط، وما زلت بعيداً جدّاً عن عرض الفنّ الذي أنت فيه سيّد، ولن تشرح لي طبيعته، رغم توسّلاتي المتكررة. إنّك مثل بروتيوس تفترض بالحرف أشكالاً متعددة، ملتوياً ومنقلباً إلى أعلى وإلى أسفل، حتى تفلت منّي أخيراً متخفّياً بثياب قائدٍ عسكري، كي تتمكن من الهرب ولا تعرض معرفتك الهوميرية المكتسبة. وإذا كان لديك فنّ، عندئذ، كما قلت، في تحريف وعدك بأنّك ستعرض عمل هوميروس، فأنت لا تتعامل معي بعدل. لكن إذا كان لديك فن، كما أعتقد، غير أنّك تتكلّم كل هذه الكلمات الجميلة عن هوميروس غير عالِم تحت تأثيره الملهم، فإنّني أبرّئك حينئذ من تهمة التضليل، وسأقول بأنّك مُلهمٌ فقط. أيّ فكرةٍ تفضّل أن نكوّنها عنك: مضلّل أم مُلهَم؟

إيون: هناك فرق كبير، يا سقراط، بين الخيارين الاثنين؛ والإلهام هو الأنبل ببعد كبير.

سقراط: إذن، يا إيون، إنّني سأفترض الخيار الأنبل؛ وأنسب لك الإلهام في ثنائك على هوميروس، وليس الفنّ.

محاورة بروتاغوراس

افكار المحاورة الرئيسيّة

تبدأ المحاورة بين هيبوقراط وسقراط. يخبر الأول الثاني أن بروتاغوراس موجود في أثينا، وأنّه توّاق كي يراه ويتكلم معه، ومن ثمَّ ليعلمه الحكمة التي يعرفها. فكثيراً ما سُمع عنه ضلوعه في علم الكلام وقوة بيانه. لذلك فهو يحثّ سقراط على الذهاب معه لأنّه فتّى ولا يعرف بروتاغوراس ولم يجتمع به قطّ. لم يرفض سقراط التماسه ولكنه أراد أن يجرّب الشابّ الفتيّ في قوّة ثباته، وأن يمتحنه بطرح الأسئلة عليه، فقال: بما أنّنا ذاهبان أنت وأنا إلى بروتاغوراس، يا هيبوقراط، ونحن جاهزان لأن ندفع له المال من أجلك، قل لي بماذا سيعلّمك هو، وما لقبه؟

إنّه سيعلمني السفسطة، يا سقراط، وهو سوفسطائي، ولذلك سيجعلني سوفسطائياً.

لكنْ ألا تستحي، يا هيبوقراط، بأن تظهر أمام الهيلينيين في شخصية سوفسطائي؟ وبرغم ذلك دعنا نفترض أنّ ما يعلّمه بروتاغوراس ليس من هذه الطبيعة، بل يمكنه أن يعلّمك أيّة مهنة هي جزء من التعليم، وعلى الإنسان الحرّ أن يتعلمها.

دعنا نعيد النظر ونسأل: أنت ذاهبٌ لتسلّم روحك لعناية الإنسان الذي تسميه سوفسطائياً، ومع ذلك فإنّني سأكون بالأحرى مشدوهاً إذا عرفت أنت ما هو السوفسطائي، وإن لم تعرف، فإنّك عندئذ لا تعرف لمن تسلّم روحك، وإذا كان من تودع له هذه الروح صالحاً أو طالحاً. ثمّ ماذا يجعل السوفسطائي الإنسان يتكلّم بفصاحة؟ إنّ الانسان العاقل يذهب إلى الطبيب البارع كي يشفي جسده. والآن، فإنّ الروح هي قيد البحث وهي أثمن من الجسد بكثير، ولها مقوّماتها في التوجّه نحو الخير

والفضيلة أو نحو الشرّ والرذيلة. فكيف ستسلّمها إلى هذا الغريب بدون أن تستشير أحداً بشأن ذلك؟ ومع هذا فأنت مستعدٌ لأن تنفق مالك من أجل هذا الغرض، وستكون تلميذ بروتاغوراس برغم كل المخاطر، وأنت لا تعرف من هو السوفسطائي. أليس السوفسطائي، يا هيبوقراط، هو الذي يتصرف بغذاء الروح بالجملة أو بالتجزئة؟ أليست هذه هي طبيعة السوفسطائي؟ أليست المعرفة غذاء الروح؟ ويجب أن نحاذر عندما يعرض علينا السّوفسطائي مبيعاته ويثني عليها. إنّ السوفسطائيين يثنون على بضاعتهم بدون أن يُميِّزوا ما هو نافع منها وما هو ضارّ، ولا يعرف صالحها من طالحها إلا طبيب الروح بالعلوم الفلسفية. لذلك علينا أن نحتاط كثيراً، ونستشير العارفين والأكبر منّا سناً. فهناك كثير منهم في بيت كالياس حيث بروتاغوراس. والآن هيّا إلى هناك.

تقدّمنا في طريقنا ووصلنا حيث كان كثير من الناس مجتمعين. دخلنا وجلسنا بالقرب منه، وقلت له: يا بروتاغوراس، إنّ صديقي هيبوقراط وأنا جئنا لنراك. هل ترغب في أن تتكلّم معي على انفراد أو في حضور الجماعة، يا سقراط؟ كما تحبّ، أنت ستقرّر ذلك عندما تعرف القصد من زيارتنا. وما هو غرضكما؟ عليّ أن أوضح لك، أنّ صديقي هيبوقراط مواطن أثيني، وهو من بيت عظيم ومزدهر ويتوق إلى العلاء السياسي، وبما أنّه فتيّ فهو يعتقد بأنّ رفقتك ستؤمّن له ذلك على الأرجح. وبعدُ تستطيع أن تقرّر إذا ما كنت ترغب في أن تتكلم إليه عن تعليمك على انفرادٍ أو في حضور الآخرين.

أشكرك، يا سقراط، لتقديرك إيّاي، وأقول لك بصراحة، إنّني سوفسطائي ومعلم للجنس البشري، واعترافي في هذا مناقضٌ للعديد من الرجال الذين يمارسون هذه المهنة ويستحيون بها أو يُخفونها. ولذلك أقول لهذا الشابّ، وأمام الجميع، إنّه إذا ما رافقني، سيعود إلى بيته من اليوم الأول بالتحديد أفضل ممّا أتى، وفي اليوم الثاني أفضل من الأول، وكل يوم أفضل من اليوم السابق الذي حضر إليّ فيه.

إنّني لا أستغرب، يا بروتاغوراس، سماع هذا من رجلٍ حكيمٍ مثلك، حتى في

سنّك وبكلّ حكمتِك، إذا كان أيّ شخص يعلمك ما لم تعرفه قبلاً، فإنّك ستصبح أفضل بدون شكّ. لكن أجبني بطريقة أخرى من فضلك. أريدك أن تقول بماذا، يا بروتاغوراس، سيكون هيبوقراط أفضل، وبخصوص ماذا؟ أقول لك، يا سقراط، إنّه إذا أتى ليتعلَّم مني فهو سيتعلَّم ذلك الذي يأتي ليتعلَّمه، ويكون هذا التعقّل في الشؤون العامّة والخاصّة. إنّه سيتعلَّم كيف ينظّم بيته الخاصّ بأفضل أسلوب، وسيكون مؤهَّلاً بشكلٍ كامل لأن يتكلّم ويتصرف في القضايا التي تخصّ الدولة.

تريد أن تقول، كما أتصوّر يا بروتاغوراس، إنّك تعلّمه الفنون السياسيَّة، وإنّك تُعدُّ لأن تجعل الرجال مواطنين صالحين. تلك هي المهنة التي أسبّبها بالضبط، يا سقراط. لكنّني سأكون صريحاً معك، يا بروتاغوراس، وسأتكلّم إليك بكلّ إخلاص، وأعترف لك بأنّني اعتدت على الإعتقاد بأنّ هذا الفنّ غير قادرٍ أن يُعلَّم، ومع ذلك فأنا لا أعرف كيف أستطيع أن أنكر إثباتك. برغم أنّ لديَّ العديد من الشواهد والبراهين على ما أقول، خاصة عن رجالات وطننا وعن حكامنا الحاليين، فهم لم يستطيعوا تعليم الفضيلة لأيٍّ من أولادهم، وأخص بالذكر منهم بريكلس الذي لم يقدر على أن يعلّم الفضيلة لولديه بل تركهما أحراراً على أمل أن يهتديا إليها بنفسيهما. وبما أنّني أعرف أنّك تمتلك خبرة عظيمة، وتعليماً، واختراعاً، لهذا السبب أرغب منك أن تريني، إذا أمكن، أكثر قليلاً وبوضوح، أنّ الفضيلة يمكن تعليمها. هل ستسدعي لي هذا الجميل؟

وهكذا بعد أن قدَّمت إيضاحاتك وتأكيداتك في أسطورةٍ وأطنبت في استعمال الكلمات لتثبت أنّ الفضيلة تُعلَّم، فلَكَمْ أُعجبت بما قلته، يا بروتاغوراس، وأشهد لك بطول الباع في الأجوبة المنطقيَّة، الطويل منها والمختصر. لكن ما زالت عندي صعوبة واحدة أريد منك أن توضِحها لي، وأرغب أن أقنع روحي بشأنها. لقد قلت عن زيوس بأنّه باعث العدل والمهابة في الرجال، وحين كنت تتكلّم

وصفت عدة مرّات العدل، والاعتدال، والتقوى، وكل هذه النوعيّات الأُخرى، وكأنّها تؤلف معاً فضيلة. وبعدُ أريدك أن تخبرني بشكلٍ لا لبس فيه، إذا ما كانت الفضيلة وحدة كاملة، العدل والاعتدال والتقوى أجزاؤها، أو إذا ما كانت كل هذه الأسماء إسماً لمسمّى واحداً والشيء عينه فقط.

أجيبك، يا سقراط، بأنّ النوعيات التي تتكلّم عنها هي أجزاء للفضيلة التي هي واحدة. وهل هي، يا بروتاغوراس، أجزاءٌ في المعنى عينه الذي يكون فيه الفم، الأنف، والعينان، والأذنان أجزاء للوجه، أو أنّها تشبه أجزاء الذهب التي تختلف عن الكل ويختلف بعضها عن البعض الآخر في كونها أكبر وأصغر؟

عليّ أن أقول بأنّها تختلف، يا سقراط؛ في الطريقة الأولى، إنّها متصلة بعضها ببعض كإتصال أجزاء الوجه كلّه. وهل ينال الرجال جزءاً واحداً ما وجزءاً واحداً آخر ما من الفضيلة؟ أو إذا أحرز الإنسان جزءاً واحداً، فهل ينبغي أن يحوز الأجزاء الأخرى كلّها أيضاً، يا بروتاغوراس؟

لا، على الإطلاق، يا سقراط، لأنّ رجالاً عديدين هم شجعان ولكنّهم ليسوا عادلين، أو عادلون ولكنهم ليسوا حكماء. لن تنكر أنت، يا بروتاغوراس، إذن، أنّ الشجاعة والحكمة هما جزءان من الفضيلة أيضاً؟ إنّهما كذلك بدون أيّ شكّ، يا سقراط، والحكمة هي أهمّ الأجزاء. وهل كلها تكون مختلفة بعضها عن بعض، يا بروتاغوراس، ولكلٍّ منها وظيفة مميّزة وهي لا تشبه بعضها بعضاً، وأن لا جزء آخر من الفضيلة يشبه المعرفة، أو العدل، أو الشجاعة، أو الاعتدال، أو التقوى؟

نعم، إنّها كذلك، يا سقراط. لكن افترضْ، يا بروتاغوراس، أنّ شخصاً يسألنا قائلاً: « ماذا عن هذا الشيء الذي دعوتماه العدل، هل هو نفسه عادل أو ظالم »؟ وأجبته أنا بأنّه عادل، فهل ستصوّت معي أو ضدّي؟ سأصوّت معك، يا سقراط. وافترض أنّه واصل القول: « هل يوجد أيّ شيء كالتقوى »؟ وسنجيبه بنعم. ثم يسأل: « وهل يكون هذا النوع الذي يُمتلك بالطبيعة النوعيّة لكونه تقيّاً أو غير

تقيّ »؟ سأجيبه: « سلامٌ، يا رجل؛ لا شيء يمكن أن يكون مقدّساً إذا لم تكن القداسة مقدَّسة ». فماذا ستقول أنت؟ إنّي سأجيبه بالطريقة عينها، يا سقراط. وإذا سأل بعد ذلك: « ماذا كنتما قائلان لتؤكّما الآن؟ لربّما لم أسمعكما جيداً، إذ بدا لي بأنّكما قلتما أنّ أجزاء الفضيلة لم تكن الشيء عينه كبعضها بعضاً ». عليَّ أن أجيبه: « إنّك سمعت ذلك قيل بالتأكيد، لكنّني لم أقل أنا ذلك، كما تتصوّر. فأنا سألت سؤالاً فقط وبروتاغوراس أعطى الإجابة ». وإذا استدار إليك وسألك: « هل هذا صحيح، يا بروتاغوراس »؟ وهل تؤكّد أن جزءاً واحداً من الفضيلة مختلفٌ عن الجزء الآخر، وهل هذا هو موقفك؟ فكيف ستجيبه؟

لا أستطيع إلاّ أن أعترف بحقيقة ما قلته، يا سقراط. ونحن سنعترف بذلك. لكن افترض أنّه يتقدّم ويسأل: « لا تمتلك القداسة إذن النوعيّة لكونها عادلة، ولا العدل لكونه مقدَّساً، بل لكونه غير مقدَّس. وتمتلك القداسة النوعيّة لكونها غير عادلة، ولذلك فهي ظالمة، ويكون العدل غير مقدَّس ». كيف سنجيبه يا سقراط؟

سأجيبه، يا بروتاغوراس، أنّ العدل مقدس بكلّ تأكيد، وأنّ القداسة عادلة، وأنّهما يشبهان بعضهما بعضاً. هل ستتّفق معي؟ وما هو جوابك؟

إنّني لا أقدر، يا سقراط، أن أوافق بكلٍّ بساطة على أنّ العدل يكون مقدساً وأنّ القداسة عادلة، إذ يبدو لي أنّ هناك فرقاً بينهما. لكن ما هَمَّ، إذا سرَّك ذلك فإنّه يسرّني. دعنا نفترض أنّ العدل مقدَّس، وأنّ القداسة عادلة.

عفوك، يا بروتاغوراس، فأنا لا أريد أن أفحص هذا « إذا سرَّك » أو « إذا أردت »، بل أريدك وأريد نفسي أن نكون متثبِتَيْن. أعني أنّ المحاورة ستكون أكثر ثباتاً إذا لم يكن هناك « إذا » باقية في البحث. إننا اعترفنا قبل الآن بأنّ كلّ شيء له ضدّ واحد وليس أكثر من واحد، وأنّ الذي فُعِلَ بطرقٍ عكسيَّة فُعلَ بالمتضادات. وبعدُ، هل سنقول إنّ كلّ شيء ليس له إلا ضدّ واحد، والآخر إنّ الحكمة متميّزة عن الاعتدال، وإنّهما كليهما جزآن من الفضيلة، وإنّهما لا يكونان

متميّزين فقط، بل غير متشابهين في نفسيهما وفي وظائفهما، مثل أجزاء الوجه؟ أيٌّ من هذين التاكيدين سنتخلى عنه؟ لأنّنا لا نستطيع القبول بهما كليهما. إنّهما لا ينسجمان ولا يتفقان، ذلك أن لهما أكثر من ضدٍّ واحد. إنّ الحماقة، التي هي واحدة، ظهر أنّ لها ضدين اثنين: الحكمة والاعتدال. أليس ذلك صحيحاً، يا بروتاغوراس؟ ماذا تقول؟

بعد أن قبلت هذا الاستنتاج، يا بروتاغوراس، ببطء كبير، فإنّني سأقول لك مرّة ثانية، بما أنّ الاعتدال والحكمة واحد، كما ظهر لنا سابقاً، فإنّ العدل والقداسة هما الشيء عينه تقريباً. لكنّنا يجب أن ننهي هذا التحقيق وأن لا نهن. دعني أسألك سؤالاً، هل تعتقد أنّ الرجل الظالم يمكنه أن يكون معتدلاً في ظلمه؟ إنّ هدفي هو أن أختبر صحّة المحاورة، وحتى نحن يمكن أن نوضع تحت الاختبار.

عندما وصلت المحاورة إلى هذا الحد وجدتُ أنَّ بروتاغوراس قد أغضبه أسلوبها، خاصة بعد أن أعطى إجابة طويلة على سؤالٍ قصير ممّا قد يؤدّي إلى عدم الوصول إلى الغاية التي نتوخّاها منها. وبعد أن اتفقنا معه على أن يقصّر أجوبته قدر ما يستطيع خاصة وأنّه قادر على فعل ذلك، وبما أنّ بروتاغوراس رفض أن يجيب إلاَّ حَسَبَ ما يتصوَّر ويرغب، هممت بالنهوض لمغادرة المكان، لكنّ كالياس أمسكني، وقال: أرجوك أن تبقى، يا سقراط. فلا شيء في العالم أحبّ إليّ أكثر من سماعي لك وأنت تحاور بروتاغوراس، لذلك، لا تحرم المجموعة من هذه اللذّة، من فضلك. أجبته، إنَّ هذه هي رغبتي الأكيدة، إذا قدرت على إنجازها. غير أنّني لا أقدر في الحقيقة، بل أقول إن إتمامها مستحيل، لأنّني لا أستطيع أن أجاري خطب بروتاغوراس الطويلة، وأنا أعترف بهذا. وبما أن بروتاغوراس يقدر على فعل الاثنين فمَا له لا يقوم بما يوصل المحاورة إلى غايةٍ مُرْضِيَة؟ أو عليه أن يسألني وأنا سأجيبه برحابة صدر.

لكن بعد أن أبدى كُلٌّ من كالياس، ألسيبيادس، كريثياس، بروديكوس،

وهيبياس آراءَهم بشأن الموضوع، وتوصّلنا إلى حلٍّ وسط، بناءً على اقتراحي الأخير كي تستمر المحاورة، وهو أن يسألني بروتاغوراس وأنا أجيبه. لكنّه قَبِل الاقتراح على مضض، ثم بدأ يسألني عن المعنى الذي ورد في قصيدةٍ للشاعر سايمونايدس، وهو: « إنّه لصعبٌ أن تكون خيّراً ». وعندما شرح بروتاغوراس ما يفهمه من قصيدة سايمونايدس هذه وأوضح ما عناه، أعطيت تعليلاً مطوّلاً بدوري لمعنى الشاعر. قلت له بعدها دعنا لا نتابع بحثنا في هذا المنحى الآن، بل أن نعود إلى السؤال الذي سألتك إيّاه، لأنّ هدف الشعر شيء، وما نرومه نحن من محاورتنا شيء آخر. لكن بروتاغوراس رفض أن يقول إذا ما كان سيسألني أو سيجيبني على الأسئلة. غير أنّه خجل ممّا قالته المجموعة الحاضرة وممّا قاله كالياس بشكل خاصّ، وعقّب على ذلك بعدئذ بأنّ بإمكاني أنْ أسأله وهو سيجيب.

قلت لبروتاغوراس: إنّك أفضل إنسانٍ أقدر أن أتحادث معه بشأن أكثر الاشياء التي أتوقّع من إنسانٍ صالح أن يفهمها، خاصّة الفضيلة. ولك من القوة في جعل الرجال صالحين بما أنّك معلّم للفضيلة والتعليم، وأنت صرَّحت بذلك وقلت بأنّك سوفسطائيّ. لذا سأسألك: أتكون الحكمة، والاعتدال، والشجاعة، والعدل، والتقوى، خمسة أسماءٍ للشيء عينه، أو أنّ لدى كل منها حقيقة ضمنيّة منفصلة، شيئاً محدّداً له وظيفة مميّزة، ولا واحد منها كونه يشبه أيَّ غيرٍ منها؟ وأجبت أنت بأنّها غير متشابهة، وأنّ لكلٍ منها عمله الخاص. أما زال هذا رأيك؟

لقدْ أجبتك، يا سقراط، بأنّ كلّ هذه النوعيّات هي أجزاء من الفضيلة، وأنّ أربعة من الخمسة متشابهة إلى حدٍّ ما، وأنّ الخامسة منها، التي هي الشجاعة، مختلفة جدّاً عن الأربعة الأخرى، كما أبرهن بهذه الطريقة: يمكنك أن تلاحظ أنّ رجالاً كثيرين هم آثمون بشكل مطلق، أشرار، مسرفون، جاهلون، والذين هم رائعون لشجاعتهم برغم ذلك. وأعني بالشجاع الواثق من نفسه، الطائش، الجاهز لأن يذهب بتهوُّرٍ إلى حيث لا يجرؤ الآخرون.

وهل تعتقد، يا بروتاغوراس، بأنّ الشجاع يفعل هذا بمعرفةٍ أو بدون معرفة؟ وأريد أن أعرف رأيك عن المعرفة، هل أنت مثل بقية العالم تعتقد أنّ المعرفة ليست مبدأً للقوّة أو الحكيم، أو الأمر، بل تعتبرون أنّ الإنسان يمكنه أن يحوز معرفة غالباً، ولا يُحكم بها برغم ذلك، بل يُحكم بشيء ما آخر، باللذة مثلاً، أو بالغضب، أو بالألم، بالحبّ بعض المرّات، بالخوف غالباً، تماماً كما لو كانت المعرفة عبداً، ويمكن أن تُجرَّ على الأرض بكلّ الباقين، فهل هذه هي وجهة نظرك؟ أو هل تعتقد أنّ المعرفة هي شيء نبيلٌ وآمر ولا يُستطاع قهرها، ولن تسمحَ لإنسانٍ، إذا عرف الفرق بين الخير والشرّ فقط، بأنْ يفعل أيّ شيء مضادّ للمعرفة، سوى أنّ الحكمة ستمتلك القوة لتساعده؟

أتّفق معك، يا سقراط، على أنّ الحكمة والمعرفة هما أسمى الأشياء الإنسانيّة، وكذلك على أنّ كل الأعمال الشريفة هي التي تجعل الحياة سارّة وبلا ألم، وأنّ العمل الشريف هو أيضاً نافع وخيِّر. وكذلك نوافق جميعاً على طرحك لمعنى الخير والشرّ، العلم والجهل.

لكنّنا بعد أن وصلنا إلى النتيجة الحتميّة وهي أنّ معرفة ما هو خطر وما ليس بخطر شجاعة، وهي مضادة للجهل بهذه الأشياء، صمت بروتاغوراس. وعندما سألته عن سبب صمته قال: إنّهِ المحاورة بنفسك، يا سقراط. قلت له عندئذ، أريد منك أن تجيبني على سؤالٍ واحدٍ فقط. أرغب أن أعرف إذا كنت ما تزال تعتقد بوجود رجال هم أكثر جهلاً ورغم ذلك فهم أكثر شجاعة. أجاب: إنّ هذا ما ترفضه استقامة المحاورة.

قلت لبروتاغوراس بعدئذ: إنّ هدفي الوحيد من طرح كل هذه الأسئلة، هو رغبتي في التحقّق من طبيعة وعلائق الفضيلة، لأنّه إذا وضح هذا، فإنّني جدَّ متأكّدٍ من أنّ الجدل الآخر الذي قد وصلنا إليه وواصلناه لوقت طويل ـ أنت مثبتٌ أنّ الفضيلة يمكن تعليمها وأنا أنكر ذلك ـ سيصبح جليّاً أيضاً. يبدو لي أنّ نتيجة

بحثنا فريدة من نوعها، إذ لو كان لدى المحاورة صوت إنساني، فسيُسمع هذا الصوت هازئاً بنا وقائلاً: « يا بروتاغوراس، ويا سقراط، إنّكما مخلوقان غريبان. فأنت، يا سقراط، الذي قلت إنّ الفضيلة لا يمكن تعليمها، إنّما تناقض نفسك بعد أن حاولت برهنة أنّ كلّ الأشياء هي معرفة، شاملاً العدل، والاعتدال، والشجاعة، وهذا يميل ليُظهِرَ أنّ الفضيلة يمكن أن تُعلَّم بالتأكيد. إذ لو كانت الفضيلة غير المعرفة، كما حاول أن يبرهن بروتاغوراس، حينئذ، فإنّ الفضيلة، لا يمكن أن تُعلَّم بوضوح. وبما أنَّ كلّ هذا لا يمكن وضع حدٍّ له واستكشافه إلا بالسؤال، ما هي الفضيلة؟ ينبغي علينا أن نبدأ من هذا السؤال بالتحديد.

إنّني أقدّر نشاطك، يا سقراط، وأُعجب بك وبإدارتك للمحاورة، وأعتبر أنّك واحد من مشاهير الفلاسفة. لكن دعنا نبحث هذا الموضوع في المستقبل، أمّا الآن فالوقت قد انتهى ولا نستطيع أن نتحادث في أيّ شيء آخر.

دعنا نذهب حيثما نشاء، يا بروتاغوراس، وسنلتقي في حوارٍ آخر.

محاورة بروتاغوراس

اشخاص المحاورة

سقراط: راوي المحاورة لرفاقه هيبياس

هيبوقراط بروديكوس

السيبيادس كريشياس

بروتاغوراس كالياس، يوناني ثريّ

المشهد: بيت كالياس

رفيق: من أين أتيت، يا سقراط؟ ربما لا أحتاج، كي أسأل السؤال، لأنّني أعرف أنّك قد كنت في مطاردة ألسيبيادس الجميل. لقد رأيته أول من أمس وقد نمت لحيته كالرجل - وهو رجل، كما يمكنني أن أخبرك. لكنّي ظننت بأنّه لم يزل جِدّ فاتن.

سقراط: ماذا عن لحيته؟ ألستَ من رأي هوميروس، الذي يقول(٧): « إنَّ الشباب أكثر افتتاناً عندما تظهر اللحية أوّلاً »؟ وهذا هو افتتان ألسيبيادس الآن.

رفيق: حسناً، وكيف تتقدم المسائل؟ هل زرته، وما هو موقفه منك؟

سقراط: حسناً جدّاً، إنّني فكّرتُ، وخاصة اليوم، بأنّه أتى لإنقاذي، وتكلّم بحريّة في الدّفاع عني. أتيت من عنده لتوّي الآن. لم أُعِرْهُ اهتماماً، ونسيت لأوقات عدّة تماماً أنّه كان حاضراً.

رفيق: ما معنى هذا؟ هل حدث أيّ شيء بينك وبينه؟ فأنت لا تقدر أن تكتشف حبّاً أنسب من حبّه بدون ريب؛ وليس في مدينة أثينا هذه بكلّ تأكيد.

سقراط: نعم، إنّه أنسب بكثير.

رفيق: ماذا تعني - مواطنٌ أو غريب؟

سقراط: غريب.

رفيق: من أيّة بلاد؟

سقراط: من أبديرا.

رفيق: وهل يكون هذا الغريب في رأيك بحق حبّاً أنسب من حبّ كلينياس؟

سقراط: أليس الأعقل هو الأنسب على الدوام، يا صديقي الحلو؟

رفيق: وهل حقّاً قابلت، يا سقراط، شخصاً عاقلاً؟

سقراط: قل بالأحرى، مع أعقل الرجال الأحياء كلّهم، إذا ما كنت تشاء أن تمنح هذا اللقب لبروتاغوراس.

رفيق: ماذا! هل بروتاغوراس في أثينا؟

سقراط: نعم؛ لقد كان هنا منذ يومين.

رفيق: وهل أتيت لتوّك من مقابلةٍ معه؟

سقراط: نعم؛ ولقد سمعت منه وقلت له أشياء عديدة.

رفيق: إذن، إذا لم يكن لديك موعد، إفترض أن تجلس وتخبرني ما مرَّ معك، وسيعطيك مرافقي مكانه.

سقراط: لتكن متأكّداً؛ وسأكون شاكراً لك سماعك.

رفيق: أشكرك أيضاً، لإخبارنا بذلك.

سقراط: هذا شكر مضاعف: -

ليلة البارحة، بينما كان الفجر لا يزال داكناً قرع هيبوقراط بن أبولودوروس وأخو مايسون، باب بيتي بعصاه بقوة. شخصٌ ما فتح له الباب، فدخل مسرعاً وصاح: يا سقراط، هل أنت مستيقظ أو نائم؟

عرفت صوته وقلت له: أنت هيبوقراط! هل لديك أيّة أخبار؟

هيبوقراط: أخبار جيّدة، لا شيء سوى الجودة.

سقراط: سارٌ جداً، لكن ما هي الأخبار؟ ولماذا أتيت إلى هنا في هذه الساعة السماويّة؟

هيبوقراط: [قال بعد أن اقترب مني]: بروتاغوراس أتى.

سقراط: نعم، إنّه أتى منذ يومين. هل سمعت بخبر وصوله؟

هيبوقراط: نعم، حقّاً، سمعت بذلك مساء البارحة فقط.

[في الوقت عينه تلمّس طريقه إلى السرير الخفيض المدولب، وجلس بقربي]، وقال: البارحة في ساعة متأخّرة من المساء، وعند عودتي من أوينو، هرب منّي عبدي ساتيروس؛ وقصدت أن أخبرك بأنّني كنت ذاهباً لأتعقّبه لكنّ شيئاً ما آخر أبعد هذه الفكرة من رأسي. ولدى عودتي، وقد أحضرنا العشاء وكنّا على وشك أن نرتاح، قال لي أخي: بروتاغوراس أتى. قمت لأذهب إليك في الحال، ولكن فكرت أنّ الليل قد مضى أكثره. لكنّ لحظةً من النوم تركتني في إرهاقي، استيقظت وأتيت إلى هنا رأساً.

وبما أنّني أعرف طبيعته الحماسيّة والسريعة الثوران، قلت: لماذا يهمّك ذلك؟ هل آذاك بروتاغوراس؟

أجاب ضاحكاً: نعم، إنّه فعل حقّاً، يا سقراط، فهو يحتفظ بحكمته لنفسه ولن يقاسمني إياها.

سقراط: لكن، بالتاكيد، إذا أعطيته المال، وحثثته، فإنّه سيجعلك حكيماً مثله.

هيبوقراط: أتمنى، وحق السماء، أن تكون هذه هي الحالة! يمكنه أن يأخذ كل ما أملك، وكل ما يحوزه أصدقائي، إذا ما سرّه ذلك. لكن هذا هو السبب الذي من أجله أتيت إليك الآن، لتكلّمه من أجلي؛ لأنني فتيٌ، ولأنّني أيضاً، لم أره أبداً ولم أسمعه. « عندما زار أثينا سابقاً كنت طفلاً؛ » وكل الرجال تثني عليه، يا سقراط؛ إنّه يُعَدُّ أكثر المتكلّمين ضلوعاً. لا سبب يمنعنا من الذهاب إليه في الحال، وسنجده في البيت. إنّه يسكن، كما أسمع، مع كالياس بن هيبونيكوس. هيّا نمشِ.

سقراط: ليس الآن، يا صديقي الصالح؛ الوقت لا يزال باكراً جدّاً. لكن دعنا ننهض ونتجول في الساحة وننتظر هناك حتّى طلوع النهار؛ وسنذهب بعدئذ. إنّ بروتاغوراس يكون في البيت على العموم، وسنكون متأكّدين كثيراً أننا نجده هناك، لا تخف أبداً.

[نهضنا بُعيد هذا ومشينا في الفِناء، وأخذت أفكّر بأنّني سأجرّب قوّة ثباته. لهذا فقد امتحنته ووضعت له الأسئلة].

قلت له: أخبرني، يا هيبوقراط، بما أنّك ذاهب إلى بروتاغوراس، وستدفع له مالاً لتعليمك، منِ هو الذي تقصد؟ وما الذي سيخلق منك؟ إذا فكّرت، كمثال، في الذهاب إلى هيبوقراط الأسكليبيادي، من كوس، وكنت على وشك أن تعطيه مكافأة لتعليمك، وقال لك شخص ما: أنت تدفع المال لسميّك يا هيبوقراط، أوه أخبرني؛ من هو الذي تعطيه المال؟ فكيف ستجيب؟

هيبوقراط: عليَّ أن أقول، إنّني أعطيته المال لأنّه طبيب.

سقراط: وماذا سيخلق منك؟

هيبوقراط: طبيباً.

سقراط: وإذا عزمت على الذهاب إلى بوليكلاتيس الأركيفي، أو فايدياس الأثيني، وقررت أن تعطيهما مكافأة لتعليمك، وسألك شخص ما: من هما بوليكلاتيس وفايدياس؟ ولماذا تصمّم على أن تعطيهما هذا المال؟ - كيف ستجيب؟

هيبوقراط: عليَّ أن أجيب بأنّهما نحّاتان.

سقراط: وماذا سيخلقان منك؟

هيبوقراط: نحاتاً، بالطبع.

سقراط: حسناً الآن، أنت وأنا ذاهبان إلى بروتاغوراس، ونحن جاهزان لأن ندفع له

المال من أجلك. إذا كانت وسائلنا الخاصّة كافية، وإذا قدرنا على أن نقنعه بها، فسنكون جدّ جذلين؛ لكن إن لا، فما علينا عندئذ إلاً أن ننفق دراهم أصدقائك أيضاً. إفترض الآن، أنّنا ونحن في أقصى حماستنا في متابعة هدفنا أتى شخص ما وقال لنا: أخبرني، يا سقراط، وأنت يا هيبوقراط، من هو بروتاغوراس، ذلك أنّكما ذاهبان لتدفعا له المال؟ كيف سنجيب؟ أعرف أنا أنّ فايدياس نحات، وأنّ هوميروس شاعر، لكن ما الكنية المعطاة لبروتاغوراس؟ ما صفتُه؟

هيبوقراط: إنّهم يسمّونه سوفسطائياً يا سقراط.

سقراط: إذن نحن ذاهبان لندفع مالنا إليه في شخصيّة سوفسطائي؟

هيبوقراط: بالتاكيد.

سقراط: لكن إفترض أنّ شخصاً ما سأل هذا السؤال الأبعد: وماذا عن نفسيكما؟ ماذا سيخلق بروتاغوراس منكما، إذا ما ذهبتما إليه لترياه؟

أجابني واحمرار الخجل بادٍ على وجهه « لأنّ النهار كان يشرق لتوّه، إلى حدّ أنّني أستطيع رؤيته »؛ أجابني، ما لم يختلف هذا في طريقةٍ ما من الحالات السابقة، فإنّني أفترض أنّه سيخلق منّي سوفسطائياً.

سقراط: يا للسماء، ألا تخجل من الظهور أمام الهيلينيين في شخصية سوفسطائي؟

هيبوقراط: حقّاً، يا سقراط، بالحقيقة إنّني كذلك.

سقراط: لكنّ عليك أن لا تفترض، يا هيبوقراط، أنّ تعليم بروتاغوراس هو من هذه الطبيعة. ألا يمكنك أن تتعلم منه بالطريقة عينها التي تعلمت بها فنون العالِم بالنّحو والصّرف، أو الموسيقي، أو المدرّب، ليس بهدف جعل أيٍّ منها مهنة، بل كجزءٍ من التعليم فقط، وبسبب أنّ السيد والإنسان الحرّ الخاصَّيْنِ يلزمهما أن يعرفاها؟

هيبوقراط: هكذا تماماً؛ وهذا في رأيي تعليل أحقّ، بأبعاد، من تعليم بروتاغوراس.

هيبوقراط: هكذا تماماً؛ وهذا في رأيي تعليل أحقّ، بأبعاد، من تعليم بروتاغوراس.

سقراط: إنّني أتساءَل إن كنت عرفت ما أنت على وشك القيام به، أو أنّك ما تزال جاهلاً؟

هيبوقراط: في خصوص ماذا؟

سقراط: أنت ذاهبٌ لتسلِّم روحك لعناية إنسانٍ تسميه سوفسطائياً. ومع ذلك فإنّني سأكون بالأحرى مشدوهاً إذا عرفت ما هو السوفسطائي؛ وإن لم تعرف، فأنت لا تعرف حينئذ لمن تسلِّم روحك وسواء أكان الشيء الذي تودع له نفسك صالحاً أو طالحاً.

هيبوقراط: أعتقد أنّني أعرف ذلك بالتأكيد.

سقراط: ألاَ يمكنك أن تؤكّد هذا عن رسّام اليد وعن النجار أيضاً؟ ألاَ يعرفان أشياء حكيمة أيضاً؟ لكن إفترض أنّ شخصاً ما سألنا: بماذا يكون الرسّامون اليدويون حكماء؟ علينا أن نجيب: فيما يخص صناعة المظاهر الخارجيّة. وسنجيب عن الأشياء الأخرى بشكلٍ مماثل. وإذا ما سأل أبعد من ذلك: ما هي حكمة السوفسطائي؟ وما هي الصّناعة التي يشرف عليها؟ ـ بماذا سنجيبه؟

هيبوقراط: بماذا سنجيبه، يا سقراط؟ هل من جواب آخر غير أنّه يشرف على الفنّ الذي يجعل الناس بلغاء؟

سقراط: نعم، إنّ هذا لحقيقيّ جداً على الأرجح، لكنّه ليس كافياً؛ لأنّ هذا الجواب يستدعي سؤالاً أبعد: عن ماذا يجعل السوفسطائي الإنسانَ يتكلّم ببلاغة؟ فاللاعب على القيثار يجعل الإنسان يتكلّم بفصاحةٍ بشأن ذلك الذي يجعله يفهمه، وهو العزف عليه. أليس ذلك صحيحاً؟

هيبوقراط: نعم.

سقراط: إذن، بشأن ماذا يجعله مينون بليغاً؟

هيبوقراط: بوضوح، بخصوص ذلك الذي يجعله يفهمه.

سقراط: نعم، يمكن افتراض ذلك، وما الذي يعرفه مينون ويجعل أتباعه يعرفونه؟
هيبوقراط: حقّاً، أنا لا أستطيع أن أخبر.
سقراط: سأتقدّم عندئذ لأقول: حسناً، هل أنت عالِمٌ بالخطر الذي أنت ذاهب لتعرّض روحك له؟ إذا ما كنت لتسلّم جسمك للشخص الذي يمكن أن يفعل خيراً أو أذىً له؛ ألا ينبغي أن تتأمل مليّاً وبعناية، وتسأل عن آراء أصدقائك وأنسبائك، وتدرس لأيام عدّة، ما إذا كان يلزم أن تسلّمه عناية جسدك؟ لكن الآن فالروح هي قيد البحث، وهي أثمن من الجسد ببعدٍ كثير لأنّ الخير أو الشرّ، وكل الذي تمتلكه يتوقف على فضيلتها أو رذيلتها. مع ذلك فأنت لم تتشاور بشأن هذا أبداً، لا مع أبيك ولا مع أخيك ولا مع أيّ واحدٍ منّا نحن رفاقك، إذا ما كان ينبغي أن تسلمها إلى عناية هذا الغريب الذي أتى إلى هنا. ستسمع عنه في المساء، كما تقول، وتذهب إليه في الصباح، غير متأنٍّ أبداً أو آخذٍ رأي أيّ شخصٍ إذا ما كان يجب أن تأمن نفسك منه أوّلاً - إنّك عزمت تماماً على أنّك ستكون تلميذ بروتاغوراس برغم كلّ المخاطر، وأنّك مستعدٌّ لتنفق كل ما تملكه أنت وما يمتلكه أصدقاؤك في تنفيذ هذا التصميم بأيّ ثمن، وكما تعترف، فإنّك لا تعرفه مع ذلك، ولم تتكلّم معه قطّ. وأنت تدعوه سوفسطائياً، غير أنّك جاهل بشكل كلّي وجليّ ما هو السوفسطائي. وبرغم ذلك فأنت ذاهب لتعهد بنفسك إلى عنايته.

[أصغى هيبوقراط إليّ وأجاب: إنّها تشبه تلك الطريقة التي وضعتها، يا سقراط].

سقراط: أليس السوفسطائي، يا هيبوقراط، إنساناً يتصرّف بغذاء الروح بالجملة أو بالتجزئة؟ يظهر لي أن تلك هي طبيعة السوفسطائي.
هيبوقراط: وما هو غذاء الروح، يا سقراط؟
سقراط: إنّ المعرفة هي غذاء الروح، بالتأكيد. ويجب علينا أن نكون حذرين، يا صديقي، لئلاّ يخدعنا السوفسطائي عندما يثني على الذي يبيعه؛ شأنه في ذلك شأن تجّار الجملة أو تجّار التجزئة الذين يبيعون غذاء الجسد. إنّ

السوفسطائيين يثنون على كلّ بضائعهم بدون تمييز، بدون معرفة ما يكون نافعاً أو ضاراً بحقّ. ولا يعرف زبائنهم ذلك، ماعدا المدرّب أو الطبيب الذي يمكن أنْ يشتريها منهم. في أسلوبٍ مماثل فإنّ أولئك الذين يطوفون بسلع المعرفة، يجوبون المدن ويبيعونها أو يجزّئونها. عليّ ألاّ أتعجّب برغم ذلك، يا صديقي، إذا ما وجد بينهم أيضاً بعض ممّن يجهلون أيّ أصناف بضائعهم تصلح للروح، وأيّها فاسد؛ وأنّ زبائنهم غير مطّلعين عليها بشكل مماثل، ما لم يحدث للّذي يشتريها منهم أن يكون طبيباً للروح. إذا عرفت لذلك، ما يكون خيراً وشرّاً بين هذه الأشياء، يمكنك عندئذ أن تشتري المعرفة من بروتاغوراس أو من أيّ شخص آخر بأمان. وإلاّ، توقف حينئذ، ولا تخاطر بأغلى منافعك الذاتية في لعبة الحظ هذه لأنّ هناك خطراً أعظم بكثير في شراء المعرفة ممّا في شراء اللحم والشراب. أنت تشتري واحدها من بائع الجملة أو من بائع التجزئة، وتحملها معك في قوارب أخرى، وقبل أن تدخلها في جسدك كغذاءٍ وشراب يمكن أن تودعها في البيت وتستدعي أيّ صديق خبير يعرف أيّها صالح ليؤكل ويُشرب وأيّها ليس كذلك، وكم، ومتى؛ وآنئذ فإنّ خطر شرائها لن يكون هكذا عظيماً. لكنّك لا تتمكن من شراء بضائع المعرفة وتحملها بعيداً في قارب آخر. وعندما تدفع من أجلها يجب أن تدخلها في الروح وتذهب بطريقك، إمّا مُؤذىً أو منتفعٌ؛ وبسبب ذلك علينا أن نحتاط ونتشاور مع الأكبر منا سنّاً لأنّنا مازلنا غير ناضجين، تنقصنا الخبرة لتقرير مسائل كتلك. وبعدُ دعنا نذهب، كما كنا عازمين، ونسمع بروتاغوراس. وعندما نستمع لِمَا سيقول، يمكننا أن نأخذ بنصح الآخرين؛ لأن بروتاغوراس ليس هو الوحيد في بيت كالياس، بل هناك هيبياس من أليس، وإذا لم أكن مخطئاً، فهناك بروديكوس من سيوس، وعدة رجالٍ حكماء آخرين.

[إتفقنا على هذا، وتقدّمنا في طريقنا حتى وصلنا إلى ردهة البيت، ووقفنا هناك كي نتمكّن من تقرير البحث قبل أن ندخل، ذلك البحث الذي نشأ بيننا بينما كنّا سائرين في الطريق. مكثنا في المكان نتحادث حتّى وصلنا إلى تفاهمٍ مشترك. وأعتقد أنّ حارس الباب، خَصِيٌّ، يكره الزائرين بسبب وجود العدد الأكبر من السوفسطائيين بينهم على الأرجح، ولا شكّ أنّه سمعنا نتكلّم خارجاً. على كلّ حال، عندما قرعنا الباب، وفتح ورآنا، تذمّر ودمدم: إنّهم سوفسطائيون ـ إنّه مشغول. وفي الحال أغلق الباب بعنفٍ بكلتا يديه. قرعنا الباب مرة ثانية، وأجابنا بدون أن يفتحه: ألم تسمعاني أقول إنّه مشغولٌ، يا رجال؟ قلت له: لا داعي للذّعر، يا صديقي، فنحن لسنا سوفسطائيين، ونحن لم نأتِ لنرى كالياس، بل نريد أن نرى بروتاغوراس؛ ويجب أن ألتمس منك أن تبلّغ عنّا. أخيراً، بعد بعض الصعوبة، إقتنع الرجل بفتح الباب لنا.

[عندما دخلنا، وجدنا بروتاغوراس يتمشى في الرّواق المسقوف؛ وكان يسير بقربه كالياس بن هيبونيكوس من جهة، وبارالوس بن بريكلس، وهو أخوه من أمّه، وكارميديس بن كلوكون. وكان على جانبه الآخر أكسانثيبوس، بن بريكلس الآخر، وفيليبايدس بن فيلوميلوس. كان أيضاً انتيموروس من مِنْدي، الذي هو أشهر أتباع بروتاغوراس، والذي يعتزم أن يجعل السوفسطائية مهنته. تبعته كذلك قافلة من المستمعين؛ ظهر أنّ الجزء الأكبر منهم كانوا غرباء، أحضرهم بروتاغوراس معه من خارج المدن المتعدّدة التي قام برحلاتٍ إليها. هو، مثل أورفيوس، فتنهم بصوته، وهم تبعوا الساحر(٨). ينبغي أن أذكر أيضاً أنّه كان هناك بعض الأثينيين في الجوقة. لا شيء أبهجني أكثر من هذه الجوقة؛ لقد كانوا شديدي الحرص وبجمال أن لا يقفوا في طريقه على الإطلاق، وعندما استدار هو ومن كان معه إلى الخلف، فإنّ عُصبةً من المستمعين له تفرقت على كلا الجانبين بانتظام، وانعَطفوا بدوران، وأخذوا أماكنهم خلفه في نظامٍ تام.

[« خلفه »، كما يقول هوميروس[٩]، « رفعتُ عينيَّ ورأيت » هيبياس الأيلي جالساً في الرواق المسقوف المقابل على كرسي الرئيس، وكان يجلس بقربه على مقاعدَ أريكسيماخوس بن اكيومينوس وفايدرس الميرهونيسيان، وأندرون بن اندرويتون، وكان هناك غرباء أحضرهم من مدينته إليس، وأشخاص آخرون كذلك. لقد كانوا يطرحون أسئلة محدَّدة على هيبياس بشأن الطبّ وعلم النجوم، وهو، من على كرسي الرئاسة، كان يميّز بين أسئلتهم المتعددة ويحادثهم.

[أيضاً، « رأت عيناي تانتالوس[١٠] »؛ لأنّ بروديكوس السيني كان في أثينا: كان يسكن في غرفة كانت مخزناً في أيّام هيبونيكوس؛ لكن بما أنّ البيت غصَّ بالحاضرين، فلقد أفرغها كالياس وألحقها بقاعة الضيوف. كان بروديكوس لا يزال في فراشه، ملتحفاً جلد غنمٍ ولابساً ثياب النوم، التي تبدو منها كومة كبيرة بقربه؛ وعلى الأرائك بجواره، جلس بوسانياس من مقاطعة الدِّيم؛ ومعه صبيٌّ صغير السن مدهشٌ لحسنه وجماله بكلّ تأكيد، وإذا لم أكن مخطئاً، فهو ذو طبيعة خيِّرة ونبيلة. ظننت أنّني سمعته ينادى آغاثون، واشتباهي أنّه كان محبوباً مِن قِبل سانيّاس. هناك كان هذا الصبيّ، وهناك وُجِدَ الأديامانتوسيان الإثنان أيضاً، أحدهما ابن سيبيس، والآخر ليوكولوفايدس، وبعضٌ آخرون. لقد كنتُ توّاقاً جدّاً لأسمع ما كان يقوله بروديكوس، فهو يبدو لي أنّه إنسان ملهم وذو عقل راجح. لكنّني لم أكن قادراً على أن أدخل إلى الدائرة الداخلية، وكان صوته العميق الرقيق يبعث صدىً في الغرفة، جعل كلماته غير واضحة.

[تبعنا بعد فترة من دخولنا السيبيادس الجميل، كما تقول أنت عنه، وأصدِّقك أنا؛ وأتى كريشياس بن كالايسخروس أيضاً.

[توقفنا حين دخولنا قليلاً، كي ننظر ما حولنا، ومشينا إلى بروتاغوراس

بعدئذ، وقلت له: يا بروتاغوراس، إنّ صديقي هيبوقراط وأنا جئنا لنراك].

بروتاغوراس: هل ترغبا أن تتكلما معي على انفراد أو في حضور الجماعة؟

سقراط: أيُّهما تحب؛ أنت ستقرّر عندما تعرف القصد من زيارتنا.

بروتاغوراس: وما هو غرضكما؟

سقراط: ينبغي أن أوضح لك، أن صديقي هيبوقراط مواطن أثيني؛ وهو ابن أبولودوروس، من بيتٍ عظيمٍ ومزدهر، وهو ذاته ذو إمكانية طبيعية ليصارع أيّ شخص من عمره. أعتقد أنّه يتوق للعلاء السياسي؛ ولهذا فهو يعتقد أنّ رفقته لك هي أكثر من يؤهّله لذلك. وبعدُ تستطيع أن تقرّر إذا ما كنت سترغب بأن تتكلّم إليه عن تعليمك على انفراد أو في حضور الآخرين.

بروتاغوراس: أشكرك، يا سقراط، لتقديرك إيّاي. إنّ الغريب الذي يكتشف طريقة في المدن العظيمة، ويقنع زهور الشباب فيها بأن يتركوا جميع أقاربهم أو أيّ رفاق آخرين، كهولاً، وشباباً، وأن يعيش معهم بحجّة أنّهم سيتحسّنون برفقته، هذا الغريب ينبغي أن يكون جدَّ محترس. نشأت غيرة عظيمة بمن تقدمونه، وهو الهدف لعداوة ومكائد كثيرة. وبعدُ إن فنّ السوفسطائي وجد، كما أعتقد، منذ العصور القديمة. لكنّ الذين مارسوه في الأزمان الغابرة، خائفين هذا العار، قنّعوا وأخفوا أنفسهم تحت أسماءٍ عديدة، بعضهم تحت إسم الشعراء كهوميروس، هيسيود وسايمونايدس، وبعضهم تحت إسم الكهنة والأنبياء، مثل أورفيوس، وموسايوس، وبعضهم، كما ألاحظ، حتى تحت إسم أسياد التمارين الرياضيّة، مثل إيكوس من تارانتوم، أو معاصرنا هيروديكوس، الآن من سيليمبريا وسابقاً من ميغارا، الذي يعتبر سوفسطائياً من درجة أولى. تظاهر أغاثولكس الذي يخصك أنّه موسيقي، لكنّه كان سوفسطائياً بارزاً بحقّ؛ وكان أيضاً بيثوكلايدس السيني؛ وكان هناك عديدٌ آخرون. وكلّهم، كما كنت قائلاً، تبنّوا هذه الفنون كبراقع وأقنعة لأنّهم كانوا خائفين من

العار الذي ستحدثه. غير أنّني لا أتفق مع واحد منهم على هذا الموضوع، لأنّي لا أعتقد أنّهم نفَّذوا غرضهم الذي وجد ليخدع الرجال في السلطة، والذين لم يكونوا بها عمياناً. وفيما يتعلق بالشعب، فإنّهم لا يمتلكون عنه فهماً أو فهماً قليلاً، ويردّدون فقط ما يحلو لحكامهم أن يخبروهم. وبعدُ ففراري قمة الغباوة، ويزيد سخط الجنس البشريّ بشكل كبير؛ لأنّهم يعتبرون من يولي الأدبار متشرداً، بالإضافة إلى أيّة اعتراضات أخرى يضيفونها إليه. إنّني أتبع لذلك طريقة مضادة بشكلٍ تامّ، وأعرّف نفسي بأنّي سوفسطائي ومعلم للجنس البشري؛ واعتراف واضح كهذا يبدو لي أنّه نوع أفضل للاحتراس من الاختفاء. وأنا لم أهمل المحاذير الأخرى. ولذلك، برعاية السماء، لتكن مقالة، فأنا لا أقاسي أذىً كبيراً من هذا الاعتراف ذلك أنّني سوفسطائي. وأنا قد كنت لعدّة سنوات في هذه المهنة ـ لأنّه عندما تضاف كلّ سنواتي إلى بعضها فهي عديدة. لا أحد من الحاضرين يمكن ألا أكون والِداً له. وهكذا عليَّ أن أفضّل كثيراً التحاور معكما، إذا أردتما أن تتحادثا معي، في حضور الجماعة.

سقراط: [أدركت أنه يحبّ أن يعرض نفسه قليلاً ويحوز تمجيداً في حضور بروديكوس وهيبياس، ويُظهرنا إليهم بحبورٍ أنّنا معجبون به]. قلت له: لِمَ ينبغي أن لا ندعو بروديكوس وأصدقاءه ليسمعونا؟

بروتاغوراس: جيّد جداً.

سقراط: أفترض أنّنا نهيّيء مجلس شورى يمكننا أن نجلس فيه ونتحادث.

[إتّفقنا على هذا، وشعرنا كلنا بحبور عظيم لِمَا نتوقعه من هكذا بحث يقوم به رجال حكماء. جلسنا على الكراسي والأرائك، ورتّبناها بقرب هيبياس، حيث كانت الأرائك الأخرى قد وضعت. في حين أن كالياس والسيبيادس، أخرجا بروديكوس من سريره وأدخلاه ورفاقه حيث نحن].

عندما جلسنا جميعاً، قال بروتاغوراس: بما أنّ المجموعة كلّها قد التأمت، يا سقراط، يمكنك أن تردِّد ما قلته لي لتوّك الآن فيما يخص هذا الرجل الشابّ.

سقراط: سأبدأ من النقطة الرئيسيَّة عينها مرَّة ثانية، يا بروتاغوراس، وأخبرك عن فحوى زيارتنا ومغزاها مرَّة أخرى. هذا هو صديقي هيبوقراط، الذي يرغب في عشرتك. إنه يحبّ أن يعرف ما سيحدث له إذا ما رافقك. ليس عندي أكثر لأقول.

بروتاغوراس: أيّها الرجل الشاب، إذا رافقتني، ستعود إلى بيتك من اليوم الأوّل بالتحديد إنساناً أفضل ممّا أتيت، وأفضل في اليوم الثاني من اليوم الأول، وكلّ يوم أفضل من اليوم السابق الذي أتيت فيه إليّ.

سقراط: عندما سمعت هذا، قلت له: يا بروتاغوراس، لا يُدهشني ما تقوله؛ حتّى في سنّك، وبكلّ حكمتك، إذا كان أيّ شخص يعلمك ما لم تعرفه قبلاً، فإنّك ستصبح أفضل بدون شكّ. لكن من فضلك أجب بطريقة أخرى - إنّي سأوضح لك ذلك بمثال. دعني أفترض أنّ هيبوقراط، بدلاً من رغبته بعشرتك، كان سيرغب بشكل مفاجىء أن يرافق الرجل الشابّ زيوكسيبوس من هيراكليا الذي وصل إلى أثينا لزيارتها مؤخّراً، وأنّه أتى إليه كما يأتي إليك، وسمعه يقول، مثلما سمعك تقول، إنّه كلّ يوم سينمو ويصبح أفضل إذا رافقه، وافترض عندئذ أنّه سأله: « بماذا سأصبح أفضل، وفي ماذا سأترعرع؟ » - سيجيب زيوكسيبوس، « بالرسم اليدوي ». وافترض أنّه ذهب إلى أورثوغوراس الطيبي، وسمعه يقول الشيء عينه، وسأله: « بماذا سأصبح أفضل يوماً بيوم »؟ سيجيب: « في العزف على القيثار ». أريد منك الآن أن تضع جواباً من النّوع عينه لهذا الرجل الشابّ ولي كذلك، إذ أسألك أسئلة في هذا المنحى. عندما تقول إنّك سترجعه إلى البيت رجلاً أفضل في اليوم

الأول الذي سيرافقك فيه، وسيكبر رجلاً أفضل كل يوم في نمط مماثل، بماذا، يا بروتاغوراس، سيكون أفضل؟ وبشأن ماذا؟

عندما سمعني بروتاغوراس أقول هذا، أجاب: أنت تسأل أسئلة بعدل، وإنني أرغب أن أجيب على سؤالٍ يُسأل ويُوضع بعدل. إذا أتى إليَّ هيبوقراط فإنّه لن يختبر نوع الكدح الذي يعتاده السوفسطائيون الآخرون في إهانة تلامذتهم الذين عندما هربوا من الفنون لتوّهم، يرغمهم هؤلاء الأساتذة أن يعودوا إليها، ويُكرَهُون على أن يتعلموا علم الحساب وعلم النجوم وعلم الهندسة وعلم الموسيقى. [ألقى نظرةً على هيبياس عندما قال هذا]؛ لكنه إذا أتى إليَّ، فهو سيتعلم ذلك الذي يأتي ليتعلّمه. ويكون هذا التعقّل في الشؤون الخاصة كما العامة؛ أنّه سيتعلّم أن ينظّم بيته الخاصّ في أفضل أسلوب، وسيكون مؤهّلاً لأن يتكلم ويفعل في الشؤون التي تخصّ الدولة بشكل كامل.

سقراط: هل أفهم أنك تقول، وهل تعني أنك تعلّمه الفنون السياسيّة، وأنك تُعِدُّ لأن تجعل الرجال مواطنين صالحين؟

بروتاغوراس: إنّ تلك، يا سقراط، هي المهنة التي أُسبِّبها بالضبط.

سقراط: إذن، فأنت تمتلك فنّاً نبيلاً بحقّ، إذ لا خطأ بشأن هذا. إنّني سأتكلّم إليك، يا بروتاغوراس، بكل إخلاص، وأعترف بأني اعتدت أنْ أعتقد أنَّ هذا الفنّ لا يمكن تعليمه، ومع ذلك فأنا لا أعرف كيف أنكر إثباتك. وعليَّ أن أخبرك لماذا أتصوّر أنَّ هذا الفنّ لا يمكن تعليمه أو نقله من إنسانٍ إلى إنسان. أعتقد أنّ الاثينيين هم شعب واعٍ، يقدّرهم الهيلينيون الآخرون. ألاحظ الآن أنّنا عندما نتقابل معاً في الجمعية العمومية، والمسألة التي سنبحثها تخص البناء، فالبناؤون هم المدعوون كمستشارين. وعندما يكون السؤال عن بناء السفن، يُستدعى صانعو السفن حينئذ؛ وما يشبه ذلك في

الفنون الأخرى التي يعتقدون أنها قادرة لأن تُثقِّف وتُعلِّم. وإذا تقدَّم لنُصحهم شخِص لا يرون عنده أيّة براعة في الفنّ، رغم بهاء طلعته وثرائه ونبله فهم لن يستمعوا إليه، بل يضحكون منه ويستهجنونه، فإمّا أن يُحبط ويعتزل بنفسه، أو يُسحب بعيداً ويُوضع خارجاً حسب أمر الاختصاصيين. هذه هي طريقتهم التي يسلكونها بشأن ذلك الذي يعتبرونه موضوعاً للفنّ. لكن عندما يكون السؤال في شؤون الدولة، فإنّ كلّ شخص يكون حراً ليعبّر عن رأيه: النجار، المفكر، الإسكافي، التاجر، قبطان الباخرة، الغني والفقير، العالي والسافل، أيّ شخص يحب يستيقظ، ولا أحد يؤنّبه، كما فعلوا في الحالة السابقة، بما لم يتعلموه، ولم يمتلكوا أستاذاً له، ومع هذا أسدوا نصيحة. فعلوا ذلك بوضوح لأنّهم كانوا تحت انطباع أنّ هذا النوع من المعرفة لا يُستطاع تعليمه، وهذا ليس حقيقاً عن الدولة فقط، بل عن الأفراد. إنّ أفضل وأعقل مواطنينا غير قادرين على أن ينقلوا امتيازهم الخاصّ إلى الآخرين؛ كمثال بريكلس، والد هذين الرجلين الشابين اللذين أمدَّهما بتعليمٍ رائع في كل ما يمكن تعلّمه من الأسياد، ولم يعلّمها في دائرته السياسيّة الخاصة، ولا أحضر لهما أساتذة؛ لكن سمح لهما التجول بإرادتهما الخاصة على أمل أنّهما سيهتديان إلى الفضيلة من تلقائهما. أو خذ مثلاً آخر: هناك كلينياس الأخ الأصغر لصديقنا السيبيادس، الذي كان يحرسه بريكلس ذاته بالتحديد؛ وحين أدرك أنّ ألسيبيادس سيفسد كلينياس انتزعه من أخيه ووضعه بعيداً في بيت أريفرون ليتعلَّم. لكن قبل انقضاء ستّة أشهر، أعاده بريكلس إلى ألسيبيادس، غير عارفٍ ما يفعل به. وأقدر أن أذكر حالات أخرى لا تحصى عن أشخاص صالحين، ومع ذلك لم يجعلوا أي شخص آخر أبداً صالحاً، سواء كان صديقاً أو غريباً. عندما أفكر مليّاً في تلك الأمثلة، يا بروتاغوراس، يتبين أنّ الفضيلة لا يُستطاع تعليمها. لكن

حينما أستمع لكلماتك مرّة ثانية، فإنّني أضطّرب وأميل إلى الاعتقاد أنّه يجب أن يكون في ما تقوله شيء ما، لأنّني أعرف بأنّ لديك خبرة عظيمة، وتعليماً، واختراعاً. وأرغب في أنّك ستريني، إذا أمكن، أكثر قليلاً وبوضوح أنّ الفضيلة يمكن تعليمها. فهل ستسدي لي هذا المعروف؟

بروتاغوراس: أجل، يا سقراط، وبغبطة. لكن ماذا ستحبّ؟ هل عليّ، بوصفي الأكبر سنّاً، أن أتكلّم إليك كرجلٍ أصغر سنّاً في خرافة أخلاقية المغزى أو في أسطورة، أو أنّني سأتحاور خارج السؤال؟

[أجاب العديد على هذا أنّه سيختار بنفسه].

بروتاغوراس: حسناً، إذن، أعتقد أنّ الأسطورة ستكون ممتعة أكثر.

في سالف الزمان كانت هناك آلهة فقط، ولم تكن هناك مخلوقات فانية. لكن عندما أتى الوقت المعيَّن لولادة هؤلاء أيضاً، فالآلهة صاغتهم من التراب والنار وأمزجة منوّعة من كلا العنصرين في داخل الأرض. وعندما كانوا على وشك إحضارهم إلى نور النهار، أمروا بروميثيوس وأبيميثيوس كي يجهزوهم ويوزعوا عليهم نوعيّاتهم المناسبة كلاً بمفرده. قال إبيميثيوس لبروميثيوس: « دعني أوزِّع، وأنت عاين ». إتّفقا على ذلك وبدأ ابيميثيوس بالتوزيع. بعض منهم وهبه القوة بدون السرعة، في حين جهّز الأضعف بالسرعة. سلّح بعضهم، وترك الآخرين عُزّلاً من السلاح؛ واستنبط للمتأخّرين وسائل الوقاية الأخرى. وضع حركة سريعة على أولئك الذين نسجهم من أجسام ضعيفة أو أمدّهم بسَكَنٍ؛ سرّيٍّ، وحمى ذوي الجثث الضخمة بحجمهم الكبير جدّاً ومعوّضاً على بقيّةٍ منهم بشكل مماثل. إنّه استخدم هذه الوسائل احتياطاً من انقراض أية سلالة. وعندما احتاطوا ضد هلاكهم بعضهم ببعض، واستنبط هو وسائل أيضاً لحمايتهم ضدَّ الفصُول السماويَّة، كاسيهم بشَعرٍ قريب من بعضه بعضاً وبجلودٍ سميكةٍ كافيةٍ لتدافع عنهم

ضدّ برد الشتاء، وقادرة مع ذلك أن تقاوم حرّ الصيف، ووافية بالغرض أيضاً كسرير طبيعي خاصّ بهم عندما يريدون أن يرتاحوا. أمدَّهم هو كذلك بالأخفاف والشعر والجلد الصلب القاسي في قوائمهم. أعطاهم بعدئذ الغذاء المتنوع: وهب عشب الأرض لبعضهم، وثمرات الأشجار للبعض الآخر، والجذور لغيرهم، ومنح البعض الثاني الحيوانات كغذاء. وأنشأ الغير ليحوز بعض الأفراد الصغار، في حين أنّ أولئك الذين كانوا غنائمهم كانوا وافري الثّمر؛ وصينت السلالة بهذه الطريقة. هكذا فعل ايبيميثيوس، الذي لم يكن عاقلا جدّاً. نسي أنّه وزّع كل النوعيات التي كان عليه أن يهبها بين الحيوانات المتوحشة، وعندما وصل إلى الإنسان الذي بقي بدون تجهيز، كان مرتبكاً بشكل رهيب. عندها، وفي غمرة هذا الارتباك، أتى بروميثيوس ليعاين التوزيع، ووجد أنّ الحيوانات الأخرى كانت مجهّزة بشكل ملائم تماماً، لكنّ الإنسان كان عارياً وحافياً، ولم يكن لديه أسرّةً ولا أسلحة للدفاع. وحانت لحظة خروج الإنسان إلى النور، ولم يعرف بروميثيوس كيف يمكنه أن يدبّر نجاته، لذلك سرق الفنون الميكانيكيّة من هيفياستوس وأثينا، وسرق النار معها، وأعطاها إلى الإنسان، « لا يمكن لهذه الفنون أن تُكتسب أو تُستعمل بدون النار ». وهكذا امتلك الإنسان الحكمة الضروريّة ليدعم حياته، لكنّه لم يحز الحكمة السياسيّة لأنّها كانت بعهدة زيوس، ولم تمتدّ سلطة بروميثيوس بعدُ للدخول في معقل السماء، حيث سكن زيوس، الذي كان لديه خفراء مرعبون. لكنّه دخل خلسة وتسلل إلى مشغل أثينا وهيفياستوس العامّ، الذي اعتادوا على أن يزاولوا فيه فنونهم المحبّبة ونقلوا فنّ سيفياستوس للعمل بالنّار، وكذلك نقلوا فنّ أثينا، ومنحاه إلى الإنسان. بهذه الطريقة زوِّد الإنسان بوسائل الحياة. لكن قيل أن بروميثيوس قد أُعدِم بسبب السرقة فيما بعدُ، وبسبب تَخَبُّطِ ايبيميثيوس.

لمَّا كان الإنسان يمتلك حصّة في الخواصّ الإلهيَّة، كان في البدء الكائن الوحيد بين الحيوانات الذي امتلك أيّة آلهة، لأنّه كان وحده من أنسبائهم. وهو الذي سوف يشيِّد معابد ورموزاً لهم. وهو لم يكن لزمن طويل في اختراعه الخطب البيِّنة والأسماء، وبنى البيوت ونسج الثياب وصنع الأسرَّة والأحذية، وكسب رزقه من الأرض. وبهذا التجهيز، عاش الجنس البشريّ مشتّتاً، ولم تكن هناك مدن. لكنّ العاقبة كانت أن دمرتهم الوحوش البريَّة، لأنّهم كانوا أضعف بالمقارنة بها بشكل مطلق، وكانت مكاسبهم العملية كافية لتمدُّهم بوسائل الحياة فقط، ولم تمكّنهم من مواصلة الكفاح ضدّ الحيوانات. امتلكوا الغذاء، لكنّهم لم يحوزوا فنّ الحكومة لحدّ الآن، الذي يعتبر فنّ الحرب جزءاً منه. جمعتهم الرغبة بعد مدّة قصيرة للبقاء في المدن؛ لكنّهم عندما تجمعوا معاً، ولم يكن لديهم فنّ الحكومة. عاملوا بعضهم بعضاً بشكل ذميم، وكانوا سائرين في عملية التشتّت والفناء مرة ثانية. خاف زيوس من انقراض الجنس البشري، فبعث هرمس إليهم، حاملاً المهابة والعدل ليكونا المبدأين المنظمين للمدن ووِثاقَيْ الصداقة والوفاق. هرمس سأل زيوس كيف سينقل العدل والمهابة بين الرجال: هل سيوزعهما كما توزَّع الفنون؛ يعني، لأقلّيةٍ مفضلةٍ. كمثال، فرد واحد حاذق لديه كفاية من علم الطب أو أيّ فن آخر لأجل أشخاص عديدين غير حاذقين؟ « هل سيكون هذا هو الأسلوب الذي سأوزِّع فيه أنا العدل والمهابة بين الرجال، أو أنّني سأمنحهما للجميع؟ »، « إلى الجميع »، قال زيوس؛ « أحبّهم جميعاً أن يمتلكوا حصة. فالمدن لا تستطيع البقاء، إذا ما شارك قليل في الفضائل فقط، كما في الفنون. وأبعد من ذلك، شرِّع قانون، بناءً على أوامري، أن من لا يحوز جزءاً من المهابة والعدل سيقدَّم للموت، لأنّه طاعون الدولة ».

هذا هو السبب، يا سقراط، لماذا لا يسمح الأثينيون والجنس البشري بشكل

عامّ إلاّ لقلّة -لأن تشاركِ في استشاراتهم، عندما يتعلق السؤال بالنجارة أو بأيّ فنّ عمليّ آخر؛ وحين يتدخل أيّ شخص آخر، فهم يعترضون عندئذ، كما تقول، إذا لم يكن هو من القلّة المفضّلة. وسأجيب أن ذلك، شيء طبيعي جداً. لكنّهم حينما يلتقون للتداول بشأن الفضيلة السياسيّة التي تتقدّم بطريق العدل والحكمة، يصبرون كفاية على أيّ رجل يتكلم عنها، كأنّه شيء طبيعي أيضاً، لأنّهم يعتقدون أنّ كلّ رجل ينبغي أن يشارك في هذا النوع من الفضيلة؛ وأنّ الدول لا يمكنها البقاء إذا كان هذا مختلفاً. هذا، يا سقراط، هو سبب هذه الظاهرة. ويمكنك أن لا تفترض نفسك مخدوعاً في الاعتقاد أنّ كل الرجال يعتبرون كل إنسانٍ وكأنّه يمتلك حصّة في العدل أو الأمانة وفي كل فضيلة سياسيّة أخرى. دعني أعطيك برهاناً أبعد من ذلك. إذا قال إنسان في الحالات الأخرى، كما أنت مدرك لها، إذا قال إنّه عازف حاذق على القيثار، أو بارع في أيّ فنّ آخر لا يملك براعة فيه، فالناس إمّا سيضحكون منه أو سيغضبون عليه، ويعتقد أقرباؤه أنّه مجنون ويلومونه. لكن عندما تكون الأمانة قيد البحث، أو أيّة فضيلة سياسية أخرى، حتى إذا عرفوا شخصاً أنّه أمين، ومع ذلك، إذا تقدم إنسان وأخبر الحقيقة ضدّ نفسه بشكلٍ علنيّ، حينئذ فإنّ ما كانوا يعتبرونه إدراكاً جيّداً في الحالات الأخرى، إخبار الحقيقة، يحسبونه جنوناً الآن. إنّهم يقولون إنّ كلّ الرجال عليهم أن يمارسوا الأمانة سواءٌ أكانوا أمناء أوْ لاَ، وأنّ الإنسان الذي لا يطالب بتلك الفضيلة يكون معتوهاً. وفكرتهم هي أنّ كلّ إنسانٍ عليه أن يحوزها في درجةٍ ما، وإلاّ فما يجب أن يكون في هذا العالم.

لقد أبنتُ أنّهم على حقّ في الاعتراف بأن كلّ إنسانٍ يكون كالمستشار بشأن هذا النوع من الفضيلة، كما هم ذوو رأي في أنّ كل إنسانٍ هو مشارك فيها. وإنّني سأكافح الآن لأظهر ما هو أبعد من ذلك، وهو أنّهم لا

يتصورون أنّ هذه الفضيلة ممنوحة بالطبيعة، أو أنّها تنشأ تلقائياً، سوى أنّها تكون شيئاً يمكن تعليمه؛ والذي يأتي لأولئك الذين يحضر إليهم، بتلقّي الآلام. لا أحد سيعلّم، لا أحد سيعنف أو يكون غاضباً مع أولئك الذين يفترضون أنّ نكباتهم ناشئة عن الطبيعة أو الاتفاق؛ إنّهم لا يحاولون أن يعاقبوهم أو يمنعوهم من كونهم ما هم عليه؛ وهم لا يفعلون سوى الشفقة عليهم. ومن يكون هكذا غبياً يعلّم أو يؤدّب البشع، أو الشديد الصِّغر، أو الواهن. ولهذا السبب، فإنّني أتبناها. إنّ كل شخص يعرف أنَّ الخير والشر من هذا النوع هو عمل الطبيعة والمصادفة، في حين أنّ الإنسان إذا كان يفتقر لهذه النوعيات الجيّدة التي تُعتبر ممكناً إحرازها بالدراسة والتمرين والتعليم، وأنّه يمتلك النوعيّات العكسيّة السيّئة، فالرجال الآخرون يغضبون منه ويعاقبونه ويؤنّبونه ـ من هذه النوعيّات الرديئة، العقوق الذي هو واحد منها، الظلم كذلك، ويمكن أن توصف هذه أنها، تحديداً، عكس الفضيلة السياسيّة بشكل عامّ. سيغضب أيّ شخص مع الآخر في حالات كهذه، وسيؤنّبه بقسوة لأنّه يعتقد أنّ الفضيلة يمكن اكتسابها بالدرس والتعليم بوضوح. إذا فكرت، يا سقراط، في تأثير القصاص على فاعل الخطأ، فإنّك سترى حالاً أنّ الفضيلة يمكن أن تُنال في رأي الجنس البشري؛ لا أحد يعاقب فاعل الخطأ بحجّة، أو بسبب أنّه فعل البغي ـ إنّ البهيم اللاعاقل الشديد الغضب يفعل وفق هذا الأسلوب. لكن مَنْ يرغب أن يُنزل القصاص العقلي لا ينتقم لبغيٍ ماضٍ، لأنّ ما قد تمّ فعله لا يمكن تفاديه؛ إنّه يتطلّع للمستقبل. وبعدُ إذا كان هذا تصوُّره، فإنّه يتصوّر عندئذ أنّ الفضيلة يمكن أن تعلّم؛ ولغرضٍ هو الحؤول دون العقاب. هذه هي فكرة الجميع الذين يقابلون الأذى بمثله ضد الآخرين إمّا في السر أو في العلن. والأثينيون أيضاً، الذين هم أبناء بلدك، هم مثل الرجال الآخرين، يعاقبون ويثأرون من كل

الذين يعتبرونهم فاعلي الشرّ. ولهذا السبب يمكننا أن نستنتج بأنّهم من العددين الذين يعتقدون أنّ الفضيلة يمكن اكتسابها وتعليمها. إنّني أريتك لهكذا بُعدٍ بوضوحٍ كافٍ، يا سقراط، إذا لم أكن مخطئاً، أنّ رجال بلادي محقون في السماح للمفكّرين والأساكفة كي ينصحوا بشأن السياسات، وأنّهم يعتبرون أنّ الفضيلة يمكنها أن تُعلَّم وتُكتسب أيضاً.

تبقى صعوبة واحدة مع ذلك، تلك التي قد أبرزتها عن الرجال الآخرين. وهي ما هو سبب تعليم الرجال الأخيار المعرفة لأبنائهم التي يمكن أن تنال من الأساتذة، ويجعلونهم حكماء في ذلك، لكنّهم لا يصنعونهم بأفضل من أيّ شخصٍ آخر في الفضائل التي تميّزهم؟ وهنا، يا سقراط، سأترك الأسطورة وأبدأ المحاورة من جديد. تأمل مليّاً من فضلك، هل تلك النوعية المحددة التي يجب أن يشارك فيها المواطنون جميعاً موجودةٌ أم لا، إذا ما كانت ستوجد مدنيّة على الإطلاق؟ يكمن الحل الوحيد لمعضلتك في الجواب على هذا السؤال؛ وليس هناك من حلٍ آخر. لأنّها إذا وجدت أيّة نوعيّة كهذه، ولا تكون هذه النوعية أو الوحدة فنّ النجار، أو الحداد، أو صانع القدور، بل يوجد العدل والاعتدال والتقوى، وبكلمةٍ، فضيلة الرجولة ـ إذا كانت هذه هي النوعية التي يجب أن يشترك فيها كلّ الرجال، والتي هي الشرط بالتحديد لتعليمهم أو لفعلهم أيّ شيء آخر، وإذا وجب ان يُعلَّم ويُعاقب من هو في حاجة لها، سواء كان طفلاً فقط أو رجلاً أو امرأة، حتّى يُمسي أفضل بالقصاص. ومن يتمرّد ضد التعليم والعقاب ينبغي إمّا أن يُنفى أو يُحكم عليه بالموت كأنّه مصابٌ بداءٍ عضال ـ إذا كان ما أقوله صحيحاً، ومع ذلك فقد علَّم الرجال الأخيار أبناءَهم أشياء أخرى وليس هذه فقط، تأمّل مليّاً أيّ شيء غريب أصبح خيرهم. لأنّنا قد أظهرنا أنّهم يعتقدون أنّ الفضيلة يمكن تعليمها وتهذيبها في السّر والعلن معاً. وعلى الرغم من ذلك،

علموا أبناءهم المسائل الأقلّ شأناً. إنّه الجهل الذي لا يتضمّن عقاب الموت بل الأشياء الأعظم، التي يمكن أن يسبّب جهلها الموت والنفي لأطفالهم، إذا لم يكن لديهم معرفة بالفضيلة أو تشجيع نحوها - نعم، وسيتعرّضون لمصادرة الممتلكات كما الموت. وفي كلمة، يمكن أن يكون ذلك دماراً لعائلات بأكملها - أقول، أنه لا يفترض أنهم يتعلمونها ولا أن يأخذوا أقصى العناية بأنّ عليهم أن يتعلّموها. كم يكون هذا بعيد الاحتمال، يا سقراط!

يبدأ التذكير والتعليم في سنوات الطفولة الأولى، ويدوم حتى نهاية العمر تحديداً. تتنافس الأمّ والممرّضة والأب والمعلم مع بعضهم بعضاً بشأن تحسين الطفل حالما يكون قادراً على فهم ما يُقال له. لا يستطيع هو أن يقول أو يفعل أيّ شيء دون أن يعلّموه أو يوضحوا له أنّ هذا يكون عادلاً وذلك ظالماً؛ هذا يكون شريفاً، وذاك سافلاً؛ هذا يكون مقدّساً وذلك آثماً؛ إفعل هذا وامتنع عن فعل ذلك. وإذا أطاع، فهو حسن وجيد، وإن لم يُطع، فسيقوّم بالتهديد والضرب، مثل قطعة من الخشب المقوّس أو الملتوي، ويرسلونه إلى المعلّمين في مرحلة متأخّرة، ويفرضُون عليهم أن يستوثقوا من سلوكه الجيد أكثر من تعليمه القراءة والموسيقى؛ ويقوم المعلّمون بما حثُّوهم على القيام به. وعندما ينتهي الولد من استيعاب الحروف الأبجديّة ويبدأ بفهم ما كُتب له، كما فهم قبلاً كيف سيتكلم فقط، يضعون أمامه أعمال الشعراء العظام كي يقرأها. وتحتوي هذه على تذكيراتٍ عديدة، وعلى قصصٍ وثناءاتٍ متعددة، ومدائح لمشاهير قدماء الرجال، وعليه أن يحفظها عن ظهر قلب، كي يمكنه أن يقلدهم أو يضاهيهم أو يرغب لأن يصبح مثلهم. حينئذ، فإنّ معلمّي العزف على القيثار يقومون بعناية مماثلة في أن يكون مريدوهم الفتيان معتدلين وأن لا يتعرضوا لأيّ أذى. وعندما يعلّمونهم استعمال القيثار، سيقدّمون لهم قصائد الشعراء الآخرين الممتازين الذين هم

شعراء الغناء، وهؤلاء معدُّون للموسيقى، ويؤلفون إيقاعاتهم وأوزان شعرهم بما يتآلف مع أرواح الأطفال تماماً، كي يمكنهم أن يتعلموا ليكونوا أكثر لطافة، ومتناغمين، وإيقاعيين، وهكذا أكثر تناسباً للقول والعمل؛ لأنّ حياة الإنسان تحتاج إلى التناغم والإيقاع في كل أقسامها. ثمّ يرسلونهم بعدئذ إلى سيّد الألعاب الرياضيّة كي يتمكن تحسينُ أجسادهم من أنّ يمدَّ يد العون إلى العقل الفاضل بشكل أفضل، وذلك كي لا يُجبروا على أن يقوموا بدور الجبان في الحرب أو في أيّة مناسبة أخرى من خلال الضعف في الجسم. إنّ هذا يفعله بشكل رئيسي أولئك الذين يمتلكون الوسائل، وهؤلاء هم الأغنياء؛ فأطفالهم يبدأون بالذهاب إلى المدرسة أبكر ويغادرونها متأخّرين. وعندما ينتهون مع أسيادهم، تجبرهم الدولة على أن يتعلّموا القوانين مرّة ثانية، وأن يحيوا وفقاً للقوانين التي تجهّزها، وليس حسب أهوائهم الخاصة، وتماماً كما يرسم المدرّسون الأشكال بالقلم لاستعمال المبتدئين الفتيان الذين لا يقدرون على الكتابة. ويعطونهم اللوح بعدئذ، ويجعلونهم يكتبون تلك الخطوط في موازاته. هكذا ترسم المدينة القوانين، التي كانت من اختراع المشرّعين الصالحين في الأزمان الغابرة، ويجبروننا أن نمارسها وأن نطيع السلطة في تطابق معها؛ ومن ينتهكها يجب أن يُصحَّح. أو بكلمات أخرى، يُستدعى إلى الحساب. وهذا التعبير لا يُستعمل في بلادك فقط، بل في بلاد عديدة أخرى أيضاً، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ العدل يستدعي الرجال إلى الحساب. وبعدُ عندما توجد كلّ هذه العناية بشأن الفضيلة الخاصة والعامة، فلماذا ما زلت تتعجّب، يا سقراط، وتشكّك إذا كانت الفضيلة يمكن أن تُعلَّم؟ لا عجب، فالعكس سيكون مدهشاً أكثر.

لكن لماذا ينقلب بعدئذ أولاد الآباء الصالحين سيئين؟ تعلَّم السبب لهذا الآن. لا يوجد شيء رائع في ذلك تماماً، إذا كان ما قلته سابقاً حقيقياً، وهو أنَّ

بقاء الدولة يدلّ ضمناً على أن لا يكونَ أيّ إنسان غير حاذق في الفضيلة. إنْ هكذا ولا شيء يمكنه أن يكون أحقّ - سأسألك عندئذ سؤالاً أبعد لتتبنّى، كتوضيح، متابعةً أخرى ما أو فرعاً من فروع المعرفة، وأن تتأمّله مليّاً آنئذ. إفترض أنّه لا يمكن أن تكون دولة ما لم نكن كلنا عازفي قيثار، حسب قدرة كلٍّ منا على ذلك، وعلَّم كل شخص الفنّ للجميع بحريّةٍ في السّرّ والعلن، وأنّب العارف السّيء بكلّ حرية وصراحة، كما يُعلّم كل فردٍ العدل والقوانين الآن، غير كاتمٍ لها بل ناقل، كما أنّه سيخفي الفنون الأخرى - لأنّنا نمتلك فوائد مشتركة في العدل والفضيلة لبعضنا بعضاً، وهذا هو السبب في أن يكون كلّ شخص جاهزاً لينشر ويعلّم العدل والقوانين: - أقول، إفترض أنّه وُجد الاستعداد والحريّة عينها بيننا في تعليم بعضنا بعضاً العزف على القيثار، فهل تتصوّر، يا سقراط، أنّ أبناء عازفي القيثار البارعين سيكونون أكثر احتمالاً كي يكونوا حاذقين، من أبناء العازفين السيّئين؟ أعتقد أن لا. ألن يكبر أبناؤهم ليكونوا مميزين أو غير مميزين طبقاً لمقدرتهم الطبيعية الخاصّة كعازفي قيثار، وأنّ ابن عازف القيثار البارع سيتحوّل غالباً ليكون واحداً سيّئاً، وابن عازف القيثار السيّء ليكون عازفاً جيّداً؟ لكنّهما سيلعبان على الناي بشكل جيّد ومعقول بالمقارنة مع أولئك الذين كانوا جاهلين وغير مطلعين على فنّ العزف على القيثار. أريدك أن تتأمّل مليّاً بشكل مماثل ذلك الذي يظهر لك على أنه أسوأ أولئك الذين تربّوا في القوانين والمجتمع الإنساني، سيبدو ليكون إنساناً عاقلاً وعادلاً وصانع عدل إذا ما كان ليقارن بالرجال الذين لم يمتلكوا أيّ تعليم، أو محاكم عدل، أو قوانين، أو أي إكراه لإجبارهم على ممارسة الفضيلة باستمرار - مع متوحّشين كهؤلاء الذين عرضهم فيريكراتيس الشاعر على المسرح في عيد السنة اللينيّة الأخير. إذا ما كنت تحيا بين أمثال الأناس

الكارهين لكورسه، فستكون جذلاً جدّاً لتتقابل فقط مع يوريباتيس وفرينونداس، وستتشوّق بحزنٍ لتزور ثانية رذالة هذا الجزء من العالم. ولما كنت، يا سقراط، شديد الحساسيّة، ولماذا؟ لأنّ كلّ الرّجال هم معلّمون للفضيلة، كل واحد منهم طبقا لمقدرته؛ وتتساءَل أنت أين هم المعلّمون؟ يمكنك أن تسأل بشكل مماثل، من يعلّم اليونانيين؟ لأنّه لن يوجد أيّ معلمين لذلك أيضاً. أو يمكنك أن تسأل، من ذا الذي سيعلّم أبناء صناعيينا المهرة هذا الفنّ بالذات، الذين تعلّموه من آبائهم؟ إنّه هو ورفاقه العمال الذي علّموهم بأفضل ما يقدرون ـ لكن من سيحقّق لهم قفزات بعيدة في فنّهم؟ إنّك ستجد صعوبة بكلّ تأكيد، يا سقراط، في إيجاد معلّم لهم، لكن لن يكون هناك صعوبة مهما كانت في إيجاد معلّم للجَهَلة؛ إنّ هذا لحقيقي عن الفضيلة أو عن أيّ شيء آخر. لكن إذا كان هناك أيّ شخص أفضل قدرة منّا نحن ليعزّز الفضيلة ولو بشكلٍ صغير، فيجب أن نكون قانعين بالنتيجة. أعتقد، ضمناً، أنّ أستاذاً من هذا النوع يفوق كل المخلوقات الإنسانيّة الأخرى قوة ليبعث إنساناً نحو النّبل والخير؛ وإنّني أعطي تلامذتي ما هو قيمة مَالِهم، وحتى أكثر من ذلك، كما يعترفون أنفسهم بذلك. ولهذا فإنّي وضعت قيد الاستعمال الأسلوب الآتي للدفع: عندما يكون تلميذي إنساناً، فحسناً إذا أحب أن يدفع لي أتعابي؛ وإن لم يحبّ، فما عليه فقط إلاّ أن يذهب إلى المعبد ويؤدّي قسَماً بقيمة التعليم الذي تلقّاه منّي، وهو لا يدفع أكثر من ذلك.

تلك هي الأسطورة التي قدّمتها، يا سقراط، وتلك هي المحاورة التي سعيت لأريك بواسطتها أنّ الفضيلة يمكن تعليمها، وهذا هو رأي الأثينيين. وقد حاولت لأبيّن أيضاً أن عليك ألاّ تندهش في امتلاك الآباء الصالحين لأبناءٍ سيّئين، أو في حيازة أبناء صالحين لآباءٍ آثمين. مثلاً إنّ أبناء بوليكلاتيس،

الذين هم رفاق صديقينا هنا، بارالوس واكسانثيبوس، هما لا شيء بالمقارنة مع أبويهما. وقل الشيء نفسه عن أبناء العديد من الفنانين الآخرين. ولا ينبغي علينا حتى الآن أن نوجه الاتّهام عينه ضد بارالوس واكسانثيبوس نفسيهما، لأنهما فتيّان ولا يزال الأمل موجوداً بهما.

سقراط: [هكذا كان حديث بروتاغوراس، الذي كفَّ عن الكلام الآن. إنّني لم أستطع أن أحجب بصري عنه لوقتٍ طويل، بل بقيت مسحوراً به، ومتوقّعاً منه أن يتكلم إلى مدىً أبعد، ومتشوّقاً لأسمعه أخيراً. عندما طلعت الحقيقة عليَّ بأنّه قد انتهى من كلامه بحقّ، استعدت رباطة جأشي ببعض الصعوبة، كما كانت قبلاً، وتطلّعت إلى هيبوقراط وقلت له]: أوه يا ابن ابولودوروس، كم أنا مقرّ لك بالجميل وبعمق لأنّك ألححت عليَّ لآتي إلى هنا؛ إنّني لم ولن أفتقد حديث بروتاغوراس لمقدارٍ عظيم. فأنا اعتدت على التصوّر أنه لا يمكن للرعاية الإنسانيّة أن تجعل الرجال أخياراً، لكنّي أعرف أفضل الآن. ومع ذلك فإنّي لا أزال أمتلك صعوبة واحدة صغيرة جداً، وأنا متأكّد أنّ بروتاغوراس سيوضحها، بسهولة، مثلما شرح الكثير غيرها سابقاً. إذا ما ذهب رجل واستشار بريكلس أو أيّاً من خطبائنا الكبار بشأن هذه القضايا، لربّما أمكنه أن يسمع مثل هذا الحديث الجيّد؛ لكن عندما يكون لدى أيّ شخص سؤال ليسأله عن أيّ منها، فهم مثل الكتب، لا يقدرون على أن يجيبوا ولا أن يَسألوا. وإذا ما تحدّى أيُّ شخص الخواصّ الأقل لحديثهم، ينسجون عندئذ خطبة رنّانة طويلة في جوابٍ على سؤالٍ قصير. هم مثل الأواني النحاسيّة، التي حينما تُضرب ترنّ رنيناً صاخباً وتستمرّ هكذا ما لم يضع شخص ما يده عليها؛ في حين أنّ صديقنا بروتاغوراس لا يستطيع أن يتكلّم حسناً جدّاً بتفصيلٍ تامّ فحسب، كما أرانا ذلك في الحقيقة، لكنّه عندما يُسأل سؤالاً فإنّه يتمكن من الاجابة بإيجاز. وحينما يَسأل فإنّه سينتظر

ويسمع الجواب؛ ولعمري أنّ هذه لهبة جدٌّ نادرة. وبعد فإنّني، يا بروتاغوراس، حزت على كل ما أحتاجه تقريباً، وسيكون لديَّ كل شيء إذا ما أجبتني على سؤال واحد. قلت أنت إنّ الفضيلة يمكن تعليمها. ذلك ما سألقيه على عاتقك، وما من شخص أثق به أكثر منك. لكن يدهشني شيء واحد جاء بحديثك الذي سأرغب أن أُقنع نفسي بشأنه. إنّك قلت عن زيوس إنّه باعث العدل والمهابة إلى الرجال، وحين كنت تتحدّث وصفت عدة مرات العدل، والاعتدال، والتقوى، وكل هذه النوعيّات، وكأنّها تؤلّف فضيلة معاً. وبعدُ أريدك أن تخبرني بشكل لا لَبْس فيه إذا ما كانت الفضيلة وحدة كاملة، والعدل والاعتدال والتقوى أجزاءَها؛ أو إذا ما كانت كلّ هذه الأسماء لمسمىً واحدٍ والشيء عينه فقط. هذا ما أزال أشك فيه.

بروتاغوراس: لا صعوبة هناك، يا سقراط، في الإجابة على ذلك. إنّ النوعيّات التي تتكلّم عنها هي أجزاء الفضيلة، التي تكون واحدة.

سقراط: وهل هي أجزاء في المعنى عينه الذي يكون فيه الفم، الأنف، والعينان، والأذنان أجزاء الوجه؛ أو أنّها تشبه أجزاء الذهب التي تختلف عن الكل وعن بعضها بعضاً في كونها أكبر أو أصغر؟

بروتاغوراس: عليّ أن أقول إنّها تختلف، يا سقراط، في الطريقة الأولى؛ إنّها متّصلة ببعضها بعضاً كاتصال أجزاء الوجه بالوجه كله.

سقراط: وهل ينال الرجال جزءاً واحداً ما من الفضيلة أو كلها؟ أو إذا أحرز الرجل جزءاً واحداً، هل ينبغي أن يمتلك كل الأجزاء الأخرى أيضاً؟

بروتاغوراس: على الإطلاق؛ لأنّ رجالاً عديدين يكونون شجعان ولكنّهم ليسوا عادلين، أو عادلين ولكنّهم ليسوا حكماء.

سقراط: لن تنكر أنت، إذن، أنّ الشجاعة والحكمة هما جزءان من أجزاء الفضيلة أيضاً؟

بروتاغوراس: إنّهما كذلك بدون أيّ شكّ؛ والحكمة هي أعظم الأجزاء.

سقراط: وهي كلها مختلفة بعضها عن بعض

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: وهل لكلٍ منها وظيفة مميّزة مثل أجزاء الوجه؟ إنّ العين، كمثال، لا تشبه الأذن، وليس لها الوظائف عينها. وكل الأجزاء المتبقية لا واحد منها يشبه الآخر، لا في وظائفها، ولا في أيّة طريقة أخرى. أريد أن أعرف إذا ما كانت المقارنة تصح فيما يخص أجزاء الفضيلة. هل هي تختلف عن بعضها بعضاً في أنفسها وفي وظائفها؟ أو هل نستطيع أن نقول إنّ هذا يكون هكذا بوضوح، إذا كان تشبيهنا تشبيهاً مناسباً؟

بروتاغوراس: نعم، يا سقراط، إنّها هكذا.

سقراط: إذن، لا جزء آخر من الفضيلة يشبه المعرفة، أو يشبه العدل، أو يشبه الشجاعة، أو يشبه الاعتدال، أو يشبه التقوى؟

بروتاغوراس: لا.

سقراط: حسناً إذن، إفترض أنّك وأنا نحقق في طبائعها المنفصلة. وستتفق معي بادىء ذي بدء على أنّه يوجد هكذا شيء كالعدل. ألن تفعل؟ ذلك هو رأيي؟ أليس هذا رأيك أيضاً؟

بروتاغوراس: إنّه رأيي أيضاً.

سقراط: وافترض أنّ شخصاً ما سألنا، قائلاً: « أوه يا بروتاغوراس وأنت، يا سقراط، ماذا عن الشيء الذي دعوتماه العدل، هل هو عينه عادل أو ظالم؟ » - وأجبته أنا، إنّه عادل. هل ستصوّت معي أو ضدي؟

بروتاغوراس: سأصوّت معك.

سقراط: عليَّ أن أجيب الذي سألني على ذلك، أنّ العدل يمتلك النوعية لكونه عادلاً. هل ستفعل ذلك؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: وافترض أنّه واصل القول: « حسناً الآن، أيوجد أيّ شيء كالتقوى »؟ علينا أن نجيب « نعم »، إذا لم أكن مخطئاً؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: والذي ستعترف أنّه شيء أيضاً ـ ألا ينبغي أن يكون هكذا؟

بروتاغوراس: أقبل بذلك.

سقراط: وسيواصل السؤال: « وهل يكون هذا النوع الذي يمتلك بالطبيعة النوعيّة لكونه تقيّاً، أو كونه غير تقي »؟ عليّ أن أكون غاضباً في طرحه السؤال هكذا، وسأقول له: « سلامٌ، يا رجل. لا شيء يمكن أن يكون مقدّساً إذا لم تكن القداسة مقدسة ». فماذا ستقول أنت؟ ألن تجيب بالطريقة عينها؟

بروتاغوراس: بالتاكيد.

سقراط: وافترض أنّه أتى بعد هذا وسألنا عندئذ: « ماذا كنتما قائلَين لتوّكما الآن؟ فلربّما لم أتمكن من سماعكما جيّداً، لكنّكما تبدوان لي أنّكما قلتما أنّ أجزاء الفضيلة لم تكن الشيء عينه كبعضهما بعضاً ». عليّ أن أجيبه، « إنّك سمعت ذلك قيل بالتأكيد، لكنّني لم أقل أنا ذلك، كما تتصوّر. فأنا سألت؛ وبروتاغوراس أجاب ». وافترض أنّه استدار إليك وسألك: « هل هذا صحيح، يا بروتاغوراس؟ وهل تؤكد أن جزءاً واحداً من الفضيلة هو مختلف عن الجزء الآخر، وهل هذا هو موقفك؟ ». كيف ستجيبه؟

بروتاغوراس: لا أستطيع إلاّ أن أعترف بحقيقة ما قلته، يا سقراط.

سقراط: حسناً إذن، يا بروتاغوراس، نحن سنعترف بها؛ ولنفترض الآن أنّه يتقدم ليقول أبعد مّما قاله: « لا تمتلك القداسة إذن النوعيّة لكونها عادلة، ولا العدل لكونه مقدساً، بل لكونه غير مقدس؛ وتمتلك القداسة النوعية لكنها غير عادلة ولذلك فهي ظالمة، ويكون العدل غير مقدَّس أو تقيّ ». كيف سنجيبه؟ عليّ أن أجيبه من جانبي الخاصّ بكل تأكيد أنّ العدل مقدَّس، وأنّ القداسة عادلة؛ وأنّني سأجيبه من جانبك بأسلوب مماثل أيضاً، إذا ما

سمحت لي، على أساس أنّ العدل يكون إمّا الشيء عينه مع القداسة، أو أنه الشيء عينه تقريباً؛ أو فوق ذلك كله، فالعدل يشبه القداسة أو التقوى والقداسة تشبه العدل؛ وأرغب في أنّك ستخبرني إذا ما كان مسموحاً لي بأن أعطي هذا الجواب من جانبك، أو إذا ما كنت تتفق أنت معي في ذلك.

بروتاغوراس: إنّني لا أقدر أن أوافق ببساطة، يا سقراط، على افتراض أنّ العدل يكون مقدساً وأنّ القداسة تكون عادلة، لأنّه يبدو لي أنّه يوجد فرق بينهما، لكن ما المهم؟ إذا سرّك ذلك فإنّه يسرني؛ ودعنا نفترض، إذا أردت، أنّ العدل مقدّس، وأنّ القداسة عادلة.

سقراط: عفواً، أنا لا أريد أن أفحص هذا « إذا سرّك » أو « إذا أردت »، لكنّني أريدك وأريد نفسي أن نكون واثقين من هذه الإشارة « لك ولّي »، أعني أنّ المحاورة سيتمّ اختبارها بشكل أفضل إذا خلا البحث من « إذا ».

بروتاغوراس: حسناً، أعترف أنّ العدل يحمل شَبَه القداسة، لأنّ هناك دائماً وجهة النظر التي يشبه كلُّ شيء فيها كلَّ شيء آخر. فالأبيض يشبه الأسود في طريقة محدّدة، والصلب يشبه الرّخو، والمضادات الأكثر تضادّاً لها نوعيات ما مشتركة؛ حتى أجزاء الوجه التي هي متميّزة ولها وظائف مختلفة، كما قلنا سابقاً، تبقى شبيهة في وجهة نظرٍ محدّدة، وواحدها يشبه الآخر منها. ويمكنك أن تبرهن هكذا، إذا أردت، أن تشبّه بعضها ببعض على القاعدة عينها في أنّ كل الأشياء يشبه بعضها بعضاً. ومع ذلك فإنّ الأشياء المتشابهة في خصوصية ما لا يجب أن تدعى متشابهة « ولا الأشياء اللامتشابهة في خصائص ما غير متشابهة »، عندما يكون التشابه صغيراً جداً.

سقراط: وهل تعتقد [قلتها في نبرةٍ مباغتة] أنّ العدل والقداسة لا يمتلكان إلاّ درجة صغيرة من التشابه؟

بروتاغوراس: لا بالتأكيد؛ ليس أكثر من الذي أوافق على ما أفهم أنّه رأيك.

سقراط: حسناً، بما أنّ هذا يبدو أنّه لا يسرُّك، دعنا لا نقول أكثر منه، ونتَّخذ أمثلة أخرى ذكرتها بدلاً عنه. هل تعترف بوجود الغباء؟

بروتاغوراس: إنّني أفعل.

سقراط: أليست الحكمة ضدّ الغباء بالتحديد.

بروتاغوراس: إنها لحقيقة.

سقراط: وعندما يفعل الرجال بحقّ وعلى نحوٍ مفيد، ألا يظهرون لك أنّهم معتدلون أوهم عكس ذلك؟

بروتاغوراس: معتدلون.

سقراط: والاعتدال يجعلهم معتدلين؟

بروتاغوراس: بدون ريب.

سقراط: وهم الذين لا يفعلون بحقّ يفعلون بغباء، وفي فعلهم هذا لا يكونون معتدلين؟

بروتاغوراس: أوافق.

سقراط: الفعل بغباء إذن هو ضد الفعل باعتدال؟

بروتاغوراس: إنّني أوافق.

سقراط: وتُعمل الأفعال الغبيّة بغباء، والمعتدلة باعتدال؟

بروتاغوراس: أأوافق مرّة ثانية.

سقراط: والذي يُنجز بشدّة فذلك يتمّ بقوّة، وذلك الذي يُنهى بضعف فبضعف؟

بروتاغوراس: أعترف بذلك.

سقراط: وذلك الذي يُنجز بالأسلوب عينه، يُنجز بالشيء عينه؛ وذلك الذي يُنجز بالأسلوب المضادّ فبالمضادّ؟

بروتاغوراس: إنني أوافق.

سقراط: مرّة ثانية، أيوجد أي شيء جميل؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: والبشع فقط هو ضدّه؟

بروتاغوراس: لا يوجد آخر.

سقراط: أو هل يوجد أيّ شيء خيّر؟

بروتاغوراس: يوجد.

سقراط: والشرّير هو ضدّه؟

بروتاغوراس: لا يوجد آخر.

سقراط: ويوجد الصّوت الحادّ؟

بروتاغوراس: حقاً.

سقراط: وضدّه الصّوت الخفيض؟

بروتاغوراس: لا يوجد صوت آخر، إلاّ ذلك.

سقراط: إذن فإنّ كل ضدّ يمتلك ضدّاً له ولا أكثر؟

بروتاغوراس: أعترف بذلك.

سقراط: دعنا نلخّص اعترافاتنا الآن إذن. إعترفنا قبل كلّ شيء أنّ كلّ شيء له ضدّ واحد وليس أكثر من واحد؟

بروتاغوراس: أجل.

سقراط: وما فُعِلَ بحماقة، كما اعترفنا أيضاً، فإنّما فُعل بالطرق المضادة لذلك الذي فُعِلَ باعتدال؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: وذلك الذي أُنجز اعتدالاً أُنجز بالاعتدال، وذلك الذي أُنجز حماقةً فبحماقة؟

بروتاغوراس: أوافق.

سقراط: وذلك الذي أُنجز بطرقٍ مضادة أُنجز بالمضادات؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: وواحد أنجز بالاعتدال، وآخر أنجز بالمضادات!

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: وفي طرق مضادّة؟

بروتاغوراس: بالتأكيد.

سقراط: ولذلك فبالمضادات؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ الحماقة هي ضدّ الاعتدال؟

بروتاغوراس: بوضوح.

سقراط: وهل تتذكّر أن الحماقة قد اعترفنا بها مسبقاً أنّها ضدّ الحكمة؟

بروتاغوراس: أوافق.

سقراط: وقلنا إنّ كل شيء له ضدّ واحد فقط؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: أيٌّ من الإثباتين سنتخلى عنه إذن، يا بروتاغوراس؟ هل سنقول إنّ كلّ شيء ليس له سوى ضدّ واحد؛ والآخر أنّ الحكمة تكون متميزة عن الاعتدال وأنّ كليهما جزآن من الفضيلة؛ وأنّهما لا يكونان متميزين فقط، بل غير متشابهين، في نفسيهما وفي وظائفهما كليهما، مثل أجزاء الوجه. أيٌّ من هذين التأكيدين سنتخلّى عنه؟ لأنّهما كليهما معاً ليسا متّسقَيْنِ بكلّ تأكيد؛ إنهما لا ينسجمان أو يتّفقان. إذ كيف يمكن القول إنّهما يتفقان إذا إفتُرض أنّ كل شيء له ضدّ واحد وليس أكثر من واحد. ومع أنّ الحماقة التي هي واحدة، لها ضدان اثنان بوضوح: الحكمة والاعتدال؟ أليس ذلك صحيحاً يا بروتاغوراس؟ ما الآخر الذي ستقوله؟

بروتاغوراس: [قَبِل ذلك، لكن ببطءٍ كبير].

سقراط: بما أنّ الاعتدال والحكمة شيء واحد إذن، كما ظهر لنا سابقاً، فإنّ العدل والقداسة هما الشيء عينه تقريباً. وبعدُ، يا بروتاغوراس، يجب أن ننهي التحقيق، وأن لا نكلّ. هل تعتقد أنّ الرجل الظالم يمكنه أن يكون معتدلاً في ظلمه؟

بروتاغوراس: عليّ أن أكون خجلاً، يا سقراط، لأعترف بهذا، رغم أنّ العديدين يثبتونه.

سقراط: وهل سأتحاور معهم أو معك؟

بروتاغوراس: إنّني أرغب بالأحرى، أن تتحاور مع العديدين أولاً، إذا أردت.

سقراط: أيّما يسرك، إذا ما كنت ستجيبني فقط وتقول إذا ما كنت أنت من رأيهم أو لا. إنّ هدفي هو أن أختبر صحّة المحاورة؛ ومع ذلك فالنتيجة يمكن أنْ تكون أنّني أنا الذي أسأل وأنت الذي تجيب، يمكن لكلانا أن نوضع تحت الاختبار.

[بدأ بروتاغوراس يتّخذ لنفسه كبرياء مصطنعة في البدء، متذرّعاً بأنّ المحاورة لم تكن على ذوقه؛ أخيراً، قَبِلَ أن يجيب].

سقراط: إبدأ من البداية الآن إذن، وأجبني. هل تعتقد أنّ بعض الرجال يكونون معتدلين في حين يفعلون بظلم؟

بروتاغوراس: نعم، دع ذلك يؤكّد.

سقراط: ويكون الاعتدال إدراكاً جيّداً؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: والإدراك الجيّد يكون نصيحة جيّدة في عمل الظلم؟

بروتاغوراس: مُنِحَت.

سقراط: إذا نجَحَتْ، أو إذا لم تَنْجَحْ؟

بروتاغوراس: إذا نجحت.

سقراط: وستعترف أنت بوجود الخيرات؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: وهل الخير هو ما يلائم الإنسان؟

بروتاغوراس: نعم،، حقّاً؛ وحتى إذا لم يكن غير ملائم للإنسان، فإنّي أسمّيه خيراً.

سقراط: [فكرت أنّ بروتاغوراس أصبح مُتكدّراً ومُستشاراً؛ وبدا أنّه كان مهيّأ نفسه في وضعٍ قتالي. بعد أن رأيت ذلك، أخذت الاحتياط لأسأله بلطف، وقلت له]: عندما تقول، يا بروتاغوراس، إنّ الأشياء غير الملائمة هي خيِّرة، هل تعني أنّها غير ملائمة للإنسان فقط، أو أنها غير ملائمةٍ بمجملها؟ وهل تدعو الأخيَر خيراً؟

بروتاغوراس: ليس الأخير بالتأكيد، لأنّني أعرف أشياء عديدة ـ اللحم، الشراب، الدواء، وعشرة آلاف شيء غيرها، ملائمة للإنسان، وبعضها الذي يلائمه؛ وبعضها الذي ليس ملائماً ولا غير ملائم للإنسان، بل للأحصنة فقط، وبعضها للثيران، والأخر للكلاب. وبعضها لا يكون ملائماً لأيّ حيوان، بل للأشجار فقط، وبعضها لجذور الأشياء وليس لبراعمها. السماد كمثال، الذي هو شيء جيّد عندما يُوضع حول جذور الأشياء، لكنه مدمّرٌ بشكل مطلق عندما يُرمى فوق البراعم والأغصان الطريَّة الباسقة. أو يمكنني أن أستشهد بزيت الزيتون، الذي هو مؤذٍ لكلّ النبات، وأكثر إيذاءً لشعر كل حيوان بشكل شامل ما عدا الإنسان، الذي هو مفيد لشعره وجسده، وحتى في هذا الاستعمال « المتنوع والمتغير جدّاً في طبيعة فائدته ». فإنّ الذي يكون أعظم الخيرات لأقسام الجسم الخارجية، يكون أعظم شرّاً لأجزائه الداخلية بالتحديد؛ ولهذا السبب فالأطباء يمنعون مرضاهم دائماً أن يستعملوا الزيت في غذائهم، إلاّ في مقادير صغيرة جداً، كافية تماماً كي تبطل الإحساس الكريه للشمّ في اللحوم ومرق التوابل.

سقراط: [عندما أعطى بروتاغوراس جوابه هذا، هتفت المجموعة له]. قلت له: يا بروتاغوراس، إنّني أمتلك ذاكرة سيّئة، وحينما يؤلّف أيّ شخص لي خطاباً طويلاً لا أتذكّر ما الذي يتكلّم عنه أبداً. كما لو كنت أصمّ، وتحادثتَ أنت معي، وكان عليك أن ترفع صوتك؛ هكذا الآن، بما أنّني لا أتذكّر جيداً، أسألك أن تختصر أجوبتك وتجعلها أقصر إذا ما أردتني أن أتبعك.

بروتاغوراس: ماذا تعني؟ كيف يمكنني أن أقصّر أجوبتي؟ هل عليّ أن أجعلها قصيرة جداً؟

سقراط: لا بالتأكيد.

بروتاغوراس: بلْ قصيرة كفاية؟

سقراط: نعم.

بروتاغوراس: هل سأعطي الأجوبة التي تظهر لي أنّها قصيرة كفاية، أو التي تبدو لك أنّها قصيرة كفاية؟

سقراط: لقد سمعت، بأنّك قادرٌ على أن تتكلّم وتعلّم الآخرين ليتكلموا بشأن الأسماء الأخرى في هكذا تطويل للكلمات الذي يبدو أنّه لن يخفق قط، أو بهكذا اختصار أنْ لا أحد يستطيع أن يستعمل أقلّ منه. من فضلك لذلك، إذا تكلمت معي، أن تتبنّى الأسلوب الأخير أو الأكثر إيجازاً.

بروتاغوراس: يا سقراط، معارك عديدة خضتها بالكلمات، ولو اتّبعت أسلوب المناظرة الذي يرغبه من يناوئني، كما تريدني أن أفعل، لما كنت بأفضل من الآخرين، و لما اشتهر اسم بروتاغوراس في بلاد اليونان الرحبة.

سقراط: [رأيت أنّه كان مقتنعاً بأجوبته السابقة، وأنّه لن يؤدّي دور المجيب بعد الآن إذا ما استطاع. واعتبرت أنّه لا يوجد لي مكان في هذه المجموعة بعد ذلك، ولهذا قلت]: يا بروتاغوراس، إنّني لا أريد أن أفرض الحديث عليك

فرضاً إذا لم تكن تريد ذلك، لكنّك عندما ترغب في محاورتي بطريقة كهذه، ذلك كي أتمكن من متابعتك، فحينها أنا على استعداد لأُحاورك. والآن أنت تقدر، كما قال عنك الآخرون وكما تقول عن نفسك، تقدر على أن تجري محادثة في أشكالٍ أقصر كما تستطيع إجراءها في أشكالٍ أطول، لأنّك سيّد الحكمة. غير أنّني ،لا أتمكّن من إدارة تلك الأحاديث الطويلة. لكنّي أرغب في عمل هذا فقط. أنت، من الناحية الأخرى، القادر على كلا الأسلوبين، ينبغي أن تتكلّم أقصر كما أرجو منك، وعندئذ يمكننا أن نتحادث. غير أنّي أرى أنك تنفر من هذا، وبما أنّ لديَّ ارتباطاً سيمنعني من أن أسمعك بتفصيلٍ تامّ « لأن عليَّ أن أكون في مكانٍ آخر »، فسأغادر؛ برغم ذلك كنت أحب سماعك تتكلّم.

[قلت ذلك، ونهضت من مكاني لأتركهم. أمسكني كالياس عندئذ بيده اليمنى والتقط معطفي العتيق هذا بيده اليسرى، وقال: لا نستطيع أن ندعك تذهب، يا سقراط، لأنّك إذا تركتنا سيحدث ذلك فرقاً عظيماً على أبحاثنا. لذلك ينبغي أن أرجوك لتبقى، بما أنّه لا شيء في العالم أحبّ إليّ من أن أسمعك وبروتاغوراس تتحادثان. لا تحرم المجموعة هذه اللذة.

[وبعدُ، بما أنّني نهضت، وكنت على وشك أن أغادر]. أجبته: يا ابن هيبونيكوس، لقد أعجبت بك على الدوام، وأستحسن وأحبّ نفسك الفلسفية من كلّ قلبي، وسأستجيب لالتماسك بحبور، إذا قدرت. لكنّ الحقيقة هي أنّي لا أقدر. وما تسألني عنه استحالة كبرى عليّ، كما لو أنّك تأمرني بأن أستمرّ في الركض مع كريسون، عدّاء هايميرا، وهو في ريعان شبابه، أو مع أي شخصٍ ما يباري وله خبرة يومية وطويلة في الركض. عليَّ أن أجيبك على التماسٍ كهذا بأنّني يسرّني أن أسأل ساقَيَّ السؤال عينه؛ لكنّهما ترفضان الاستجابة. ولذلك إذا أردت أن تراني وكريسون راكضين

معاً، فيجب أن تأمره كي يخفف سرعته لتتماشى مع سرعتي، لأنّي لا أستطيع الركض بسرعة وهو يقدر على أن يركض ببطء. وبهذا الأسلوب إذا أردت أن تسمعني وبروتاغوراس نتحادث، ينبغي عليك أن تسأله ليقصّر أجوبته، وأن يلتزم بالنقطة الرئيسيّة، كما فعل في البدء؛ وإلاّ، فأيّ نوع من الشيء سيكون بحثنا مُعَدّاً له؟ إنّ البحث شيء، وصياغة خطاب شيء آخر تماماً، في رأيي المتواضع.

كالياس: لكنّك ترى، يا سقراط، أنّ بروتاغوراس يمكن أن يطالب بطريقته الخاصة بحقّ، كما تطالب أنت لتتكلّم بطريقتك.

السيبيادس: [مقاطعاً] تلك، يا كالياس، ليست حالة حقيقية للتقرير، فصديقنا سقراط يعترف بأنّه لا يستطيع أن يصيغ خطاباً ـ يتخلى هو في هذا عن رمز الانتصار لبروتاغوراس. غير أنّي سأتعجّب جداً إذا تنازل لأيّ إنسان حيّ عن القوّة في إجراء وفهم محاورة. وبعدُ إذا ما قام بروتاغوراس بتسليم مماثل واعترف أنّه دون سقراط في البراعة الحواريّة، فذلك كفاية لسقراط؛ لكنه إذا طالب بتفوّق في المحاورة أيضاً، فدعه يسأل ويجيب، لا معيداً خطبة رنانة طويلة معقّدة لكلّ سؤال، محطماً بذلك المحاورة ومتملصاً من النقطة الرئيسيّة. أمّا إذا تكلّم في تطويل كهذا فإنّ أكثرية سامعيه ينسون السؤال المطروح. « ليس أنّ سقراط ينسى بشكل محتم ـ سألتزم أنا بذلك، مع أنّه يمكن أن يتظاهر بأنّه يمتلك ذاكرة سيّئة بصورة مازحة ». ويظهر لي سقراط على أنّه يكون محقّاً أكثر من بروتاغوراس؛ ذلك هو تصوّري وكلّ إنسانٍ يلزم أن يقول ما يفكر به.

عندما تكلم ألسيبيادس هذا، أعتقد أن شخصاً، ربما كان كريشياس، واصل قائلاً: أوه يا بروتاغوراس وهيبياس، يبدو لي أن كالياس مشايعٌ لبروتاغوراس، وأن ألسيبيادس يتشوق للمعركة دائماً. إنّه يحشر نفسه في أيّ

شيء، لكن علينا أن لا نكون مشايعين لا لسقراط ولا لبروتاغوراس. دعنا نتّحد على الأصح في التوسّل لهما معاً أن لا يضعا حداً للبحث في وسطه.

أضاف بروديكوس: يبدو لي، يا كريشياس، أن ذلك قيل جيداً، لأنّ أولئك الحاضرين هنا يجب أن يكونوا مستمعين متجرّدين في أبحاث كهذه؛ متذكّرين، على كل حال، أنّ النزاهة ليست الشيء عينه كالمساواة، لأنّه يجب سماع كلا الجانبين بكل تجرد، ويلزم مع ذلك أن لا تُخصَّصَ جائزة متساوية لكلٍّ منهما، بل يجب أن يُعطى الأعقل مكافأة أسمى، ومكافأة أقلّ للأقل حكمة. وأنا سأستعطفكما مثل كريشياس، يا بروتاغوراس وسقراط، أن توافقا على التماسنا، وهو أن يحاور أحدكما الآخر وأن لا تتشاحنا لأن الأصدقاء يحاورون الأصدقاء، بشعورٍ ودّي، لكنّ الأخصام والأعداء يتشاحنون فقط، وسيكون اجتماعنا سارّاً حينئذ؛ لأنّكما بهذه الطريقة، أنتما المتكلّمَيْن، ستكونان أكثر احتمالاً كي تفوزا بالتقدير مفضّلَيْن ذلك على استحساننا نحن المستمعين لكما لأنّ التقدير هو اقتناع صادق لروح المستمع، بينما يكون الاستحسان غالباً تعبيراً غير صادق للرجال المتفوّهين بباطلٍ عكس قناعاتهم. وهكذا فنحن المستمعين سنكون راضين بدلاً من أن نكون مسرورين؛ لأنّ الرّضى هو للعقل عندما يتلقى الحكمة والمعرفة، لكنّ اللذّة هي للجسم حينما يتغذى أو يختبر مسرّات جسدية أخرى ما. [هكذا تكلم بروتاغوراس، وأطرى على كلماته العديد من الرفاق].

تحدَّث هيبياس الحكيم تالياً. وقال: أعتبركم كلّكم أيّها الحاضرون هنا أقارب وأصدقاء ورفاقاً في الوطنية. إنّكم هكذا بالطبيعة وليس بالقانون لأنّ الشبيه يماثل شبيهه بالطبيعة، في حين أنّ القانون مستبدٌّ بالجنس البشريّ، ويفرض علينا أن نمارس أشياء عديدة هي ضدّ الطبيعة غالباً. كم سيكون العار كبيراً حينها، إذا لم يكن لدينا أيّ شيء لنظهره، ونحن الذين نعرف

طبيعة الأشياء، وأعقل الهيلينيين كلّهم. وما أشبه ذلك بما نقول ونحن نجتمع في هذه المدينة، التي هي المدينة الأمّ للحكمة، وفي هذا البيت الأعظم والأكثر مجداً فيها، إذا لم يكن هذا الشيء الذي نبيّنه جديراً بهذه العظمة وهذه الكرامة. وبدلاً من ذلك يخاصم بعضنا بعضاً فقط مثل أسافل الجنس البشري! إنّني أصلّي وأنصحك، يا بروتاغوراس، وأنت يا سقراط لتتّفقا على حل وسط. دعونا لأن نكون مصلحي ذات بينكما. ولا تركّز، يا سقراط، على هذا الاختصار الدقيق والمتطرف في المحادثة، إذا اعترض بروتاغوراس على ذلك، بل أرخِ عنان المحادثة ودعها تنطلق، مقدّماً أفكارك لنا في أسلوب بياني أفخم وأكثر رشاقة، ولا تسلم نفسك أنت، يا بروتاغوراس، إلى الكلام الفارغ، وتقلع من اليابسة وتبتعد عن المرأى مع كل إبحار إلى محيط من الكلمات. أترك مجال توسّط تراقبانه معاً. إفعلا كما أقول واسمحا لي بأن أقنعكما أيضاً لتختارا وسيطاً أو مراقباً أو رئيساً: إنّه سيُعنى بمراقبة كلماتكما وسينصحكما بالتطويل المناسب.

قُبل هذا الاقتراح من المجموعة بموافقة عامة. قال كالياس إنّه لن يسمح لي بالذهاب، ورجوني كلّهم كي أختار حَكَماً. غير أنّني قلت لهم إنّ اختيار الحكم سيكون غير لائق بالمحادثة، لأنّه إذا كان الشخص الذي تم اختياره أقلّ شأناً منّا، فإنّ الأدنى أو الأسوأ سيترأس فوق الأفضل؛ وإذا كان مساوياً لنا، فلن يكون هذا حسناً أيضاً لأنّ من يكون مساوياً لنا سيفعل ما نفعل. وما هي الفائدة من اختيارنا له؟ وإذا قلتم، « دعنا نختار شخصاً أفضل منّا إذن »، أجيبكم على هذا بأنكم لا تقدرون أن تحصلوا على أيّ شخص هو أعقل من بروتاغوراس. وإذا اخترتم آخر ليس أفضل في الحقيقة، وتقولون عنه إنه أفضل فقط، فسيكون ذلك انعكاساً غير جديرٍ ببروتاغوراس كي نضع شخصاً آخر فوقه وكأنه كان هو دونه شأناً. من جهتي إن أيّ انعكاسٍ لا

يكون بذي عاقبة كثيرة عليّ، دعوني أخبركم إذن ما سأفعله كي تستمر تلك المحادثة والمحاورة كما ترغبون. إذا لم يقتنع بروتاغوراس بأن يجيب، دعوه يسأل وأنا سأردّ عليه وسأحاول أن أبين كيف عليه أن يجيب، كما أثبت ذلك، وعندما أرد عليه على أي أسئلة يطرحها مهما كانت دعوه يجيبني في أسلوبٍ مماثل. وإذا بدا لي أنه ليس جاهزاً تماماً للإجابة على السؤال المحدَّد بإحكام والذي سألته إيَّاه، فستتَّحد أنت وأنا ونستعطفه، كما توسّلتَ إليّ، كي لا نفسد المحادثة. وهذا لن يحتاج إلى وسيطٍ خاصّ - كلكم ستكونون وسطاء.

[صادقوا على هذا بشكل عامّ، وفعل كذلك بروتاغوراس، لكنّ موافقته جاءَت ضد إرادته بشكلٍ واضح، غير أنّه اضطُرَّ على الموافقة كي يسأل أسئلةً؛ وعندها صاغ عدداً كافيا منها، ذلك أنه سيجيب على تلك الأسئلة التي تُطرح عليه بدوره، بأجوبة قصيرة. بدأ هو بوضع أسئلته كما يلي إلى حدٍ ما] .

بروتاغوراس: إنّي أرى، يا سقراط، أنّ البراعة في الشعر هي الجزء الأساسي من التعليم؛ وأتصوّر هذا على أنّه القوّة لمعرفة أيّة تأليفات شعرية تكون قصائد جيدة، وأيُّها لا تكون، وكيف سيتمّ تمييزها، وكذلك شرح السبب في تباينها حينما يُسأل ذلك. وبعدُ فإنّ سؤالنا سيختصّ في الموضوع عينه، وهو الموضوع الذي بحثناه سابقاً: الفضيلة. لكنّه تحوَّل الآن إلى ميدان الشعر فقط. يقول سايمونايدس لسكوباس بن كريون الصقلّي: « بصعوبة على الجانب الآخر يستطيع الإنسان أن يصبح خيِّراً بحق، بُنِيَتْ أربعة مكعبات في اليدين والقدمين والعقل، عملاً بدون نقص ».

هل تعرف القصيدة؟ أو أُردّدها كاملة؟

سقراط: لا حاجة. فأنا مطَّلع على القصيدة الغنائيّة جيّداً وبشكل كامل - إنّني قمت بدرسها بشكل دقيق.

بروتاغوراس: حسناً جدّاً، وهل تعتقد أنّ القصيدة الغنائيّة هي تأليفٌ جيّد وحقيقي؟
سقراط: نعم، جيّد وحقيقي في الوقت عينه.
بروتاغوراس: لكن إذا ناقض الشاعر نفسه، هل يمكن لتأليفه أن يكون جيداً؟
سقراط: ليس في تلك الحالة.
بروتاغوراس: أمعن النظر فيها إذن عن كثب.
سقراط: لكنني تأمّلتها ملياً مسبقاً بشكل كافٍ، يا صديقي.
بروتاغوراس: ألاَ يتابع الشاعر القول:

« أنا لا أوافق على كلمة بيتاكوس،
وإن يكن النطق لإنسانٍ حكيم:
بصعوبة يستطيع الإنسان أن يكون خيِّراً؟ ».

وبعدُ ستراقب أنت أنّ هذا الرأي وما سبقه ينبثقان من الشاعر ذاته.
سقراط: أعرف ذلك.
بروتاغوراس: وهل تعتقد أنّ كلا القولين متناغمان؟
سقراط: نعم، أعتقد ذلك. « ألم أستطع إخفاء خوفي في الوقت عينه من أنّه يمكن أن يوجد شيء ما فيما قيل »؟ وهل تعتقد أنت بطريقة أخرى؟
بروتاغوراس: لماذا، كيف يمكنه أن يكون متناسقاً فيهما كليهما؟ قبل كل شيء، مقدِّماً الأفكار بشكل منطقيّ كأنهما أفكاره الخاصة، « بصعوبة يستطيع الإنسان أن يصبح خيِّراً بحقّ »؛ وبعدئذ يواصل بمرحلةٍ قصيرة في القصيدة، ناسياً، ولائماً بيتاكوس ورافضاً أن يتّفق معه، عندما يقول، « بصعوبة يستطيع الإنسان أن يكون خيِّراً ». الذي هو الشيء عينه بالتحديد، ومع ذلك فهو حينما يلوم من يقول الشيء عينه مع نفسه، يلوم نفسه؛ إلى حدّ أنّه يجب أن يكون مخطئاً إمّا في تأكيده الأول أو الثاني.
سقراط: [هتف وصفّق لهذا العديد من الحاضرين. وشعرت في البدء بأنني أُصبت بدوارٍ وأصبحت ضعيفاً جدّاً، كما لو أني تلقّيت صفعة من يد ملاكم

خبير، عندما سمعت كلماته وصوت الهاتفين المعجبين؛ ولأعترف بالحقيقة، أردت أن أحصل على الوقت كي أفكِّر ماذا عناه الشاعر بحق]. لذلك استدرت إلى بروديكوس وناديته، يا بروديكوس، إن سايمونايدس هو ابن بلدك، وينبغي عليك أن تهبَّ لمساعدته. يجب أن أناشدك، مثل النهر سكاماندر في عمل هوميروس، الذي دَعا السيمونيين ليساعدوه، قائلاً: « يا أخي العزيز، دعنا كلانا معاً نبقي القوة للبطل[11] ». وأنا أدعوك، لأنّني خائف من أن بروتاغوراس سيضع نهايةً لسايمونايدس. إنّ الدفاع عنه يحتاج لذاك الفنّ والعلم الذي يجعلك قادراً على أن تميِّز بين « يشاء » و« يرغب » وعلى أن تصنع تمييزات فاتنة كتلك التي رسمتها لتوِّك الآن. وأحبّ أن أعرف إذا ما كنت ستتّفق معي لأنّي أرى أنّه لا يوجد تناقضٌ في كلمات سايمونايدس. وأرغب قبل كل شيء في أن تقول إن كان « الوجود » الشيء عينه مثل « الصيرورة » في رأيك، يا بروديكوس؟

بروديكوس: ليس الشيء عينه بالتأكيد.

سقراط: ألم يعلن سايمونايدس أوّلاً، كنظريةٍ خاصّةٍ به، أنّه « بصعوبة يستطيع إنسان أن يصبح خيِّراً بحق »؟

بروديكوس: حقيقي تماماً.

سقراط: وبعدئذ لام بيتاكوس، ليس كما تصوَّر بروتاغوراس، لامه لترديد ذلك الذي يقول هو نفسه، بل لقوله شيئاً ما مختلفاً عن نفسه. لم يقل بيتاكوس كما يقول سايمونايدس، إنّه بصعوبة يستطيع إنسان أن يصبح خيِّراً، بل بصعوبة يستطيع إنسان أن يكون خيِّراً. وسيؤكد صديقنا بروديكوس أنّ الوجود، يا بروتاغوراس، ليس الشيء عينه كالصيرورة؛ وإذا لم يكونا كذلك، فإنّ سايمونايدس يناقض نفسه حينئذ. أجرؤ على القول إنّ بروديكوس وعديدين آخرين سيقولون، كما قال هيسيود، إنّ على الجانب الآخر، يستطيع إنسان بصعوبة أن يصبح خيِّراً « لأنّ الآلهة قد أقامت عائقاً

من الكدح فوق الممرّ إلى الفضيلة؛ لكن على الجانب الآخر، عندما تسلَّق المرتفع، حينئذ ليستبقي الفضيلة، مهما يكن نيلها صعباً، يكون سهلاً .»[١٢]

سمع بروديكوس هذا وصادق عليه؛ لكنّ بروتاغوراس قال: إنّ تصميمك، يا سقراط، يتضمَّن غلطاً أكبر ممّا يُحتوى في الجملة التي تصحّحها.

سقراط: واحسرتاه! يا بروتاغوراس، إذن فأنا فعلتُ الشرّ؛ إنّني طبيب يُرثى لحاله، ولا أُنجز إلاّ إثارة الفوضى التي أقصد معالجتها.

بروتاغوراس: تلك هي الحقيقة.

سقراط: كيف ذلك؟

بروتاغوراس: لا يستطيع الشاعر أبداً أن يكون هكذا غبيّاً كي يقول إنّ الفضيلة يمكن أن تكتسب بسهولة، وهي أصعب من الأشياء جمعاً في رأي كلّ الرجال.

سقراط: حسناً، وكم نحن محظوظون في وجود بروديكوس بيننا، في اللحظة عينها؛ لأنّه يمتلك الحكمة، يا بروتاغوراس، التي هي أكثر من حكمة إنسانيّة، ومن زمنٍ جدٌّ غابر، كما أتصور، أنّها قديمة قِدَم سايمونايدس وحتى أقدم. وبما أنّي متعلم في عدة أشياء مثلك، تظهر أنّك لا تعرف أيّ شيء عن هذا؛ لكن أنا أعرف، لأنّني له مريد. وبعدُ، إذا لم أكن مخطئاً، أنت لا تفهم الكلمة « صعبة »، في المعنى الذي قصده سايمونايدس. ويجب عليّ أن أصحُحك، كما يصحّحني بروديكوس باستمرار عندما أستعمل الكلمة « مرعب » كعبارةٍ للثناء. إذا قلت إنّ بروتاغوراس أو أيّ شخصٍ آخر بأنه إنسان حكيم « على نحوٍ مرعب »، يسألني هو إذا كنت لا أستحي من تسمية ذلك الذي يكون خيِّراً « مرعباً »؛ ويشرح لي حينئذ أنّ العبارة « مرعب » تؤخذ بمعنىً سيِّىء على الدوام. وأنَّ لا أحد يتكلم عن كون الصحة أو الغنى « على نحو مرعب » أو عن سلامٍ

بمعنى أن العبارة « مرعب » تعني الشرّ. لربّما عنى سايمونايدس ورجال
السينيان عندئذ، لربّما عنوا « الشرّ » عندما تكلموا عن « الصعب »، أو
شيئاً ما آخر لا تفهمه. دعنا نسأل بروديكوس. لا شك أن باسته
الإجابة على الأسئلة بخصوص لهجة سايمونايدس. ماذا عنى
يا بروديكوس، بالعبارة « صعب »؟

بروديكوس: إنّه عنى بها، الشرّ.

سقراط: ولذلك، يا بروديكوس، هو يلوم بيتاكوس لقوله « إنّه صعب أن ت
خيّراً »، كما لو كان ذلك مساوياً للقول « إنّه شرّ أن تكون خيّراً ».

بروديكوس: نعم، إنّ ذلك ما عناه بالتأكيد؛ وهو يسخر من جهل بيتا
لاستعماله العبارات التي تكون في اللغة الليسبيانيّة طبيعيّة للذي قد
على تكلّم اللغة البربريّة.

سقراط: هل تسمع، يا بروتاغوراس، ما يقوله صديقنا بروديكوس؟ وهل
جواب على ذلك؟

بروتاغوراس: إنّك مخطىء تماماً، يا بروديكوس، وأعرف جيّداً جدّاً أنّ سايمونا
عنى باستعمال كلمة « صعب » ما نعنيه نحن كلّنا، ولم يعنِ الشر
ذلك الذي لا يكون سهلاً ـ ذلك الذي لا يأخذ مقداراً كبيراً من ا
إنّني متأكد من هذا.

سقراط: أميل للاعتقاد أيضاً، يا بروتاغوراس، أنّ هذا كان معنى سايمونايدس
كان صديقنا بروديكوس مدركاً له بشكل جيّد، لكنّه حاول أنّ يماز-
ويحاول إذا ما قدرت أن تُبقي على فرضيتك. فسايمونايدس لا يمكن
عنى الأخرى قط، ويُبرهِن هذا في سياق الكلام بوضوح، الذي يقول في

فقط يقدر أن يمتلك هذه الهبة، وإن هذه خاصيّة له وليس لأي آخر. لأنه إذا كان هذا معناه، فبروديكوس سينسب إلى سايمونايدس شخصيّة تهتكيّة لا تشبه رجال بلاده قطّ. وسأحبّ أن أخبرك ما أتصوّر أنّه معنى سايمونايدس الحقيقي في هذه القصيدة، إنْ كنت سوف تختبر ما سيدعي حذقي في الشرّ، حسب طريقتك في الكلام؛ أو إذا كنت تفضل فأنا سأكون مستمعاً لك.

[أجاب بروتاغوراس على هذا الاقتراح: كما يسرّك؛ ووافقني هيبياس وبروديكوس والآخرون لأفعل كما اقترحت مهما كلّف الأمر].

سقراط: الآن إذن، سأسعى لأوضح لك رأيي بشأن قصيدة سايمونايدس هذه. هناك فلسفة غابرة جدّاً، تلك التي تُثقّف في كريت ولاقيدايمونيا أكثر من أي جزء آخر من أجزاء هيلاس، وهناك فلاسفة في هذين البلدين أكثر من أيّ مكان آخر في العالم. هذا هو سرّ، على كل حال، ينفيه اللاقيدايمونيون ويتظاهرون أنّهم جهلة لأنّهم لا يرغبون بأن ينظر إليهم على أنّهم يفوقون كل اليونانيين الآخرين في الحكمة وليس في بسالة السلاح، مثل السوفسطائيين الذين كان يتكلم عنهم بروتاغوراس؛ معتبرين أنّهم إذا ما كشفوا عن سبب تفوّقهم، فكلّ الرجال سيزاولون حكمتهم. وسرّهم هذا لم يُكتشف قط من قِبَل مقلّدي الطريقة اللاقيدايمونيّة في المدن الأخرى الذين يجولون بآذانهم المخدّشة في تقليدهم، وأذرعهم مربوطة بأربطة، ويتمرّنون على الدوام، ويلبسون المعاطف القصيرة لأنّهم يتصوّرون أنّ هذه هي التمارين التي أعطت اللاقيدايمونيين قوتهم فوق اليونان. وبعدُ عندما يريد اللاقيدايمونيون أن يقوّموا ويجروا محادثة حرّة مع رجالهم الحكماء، ولا يقتنعوا بمحادثة سرّية محدّدة

أنفسهم يمنعون رجالهم الفتيان من أن يغادروا إلى مدنٍ أخرى ـ هم يشبهو
الكريتيين في هذا كي لا يمكنهم نسيان الدروس التي علّموهم إيّاها. و
لاقيدايمونيا وكريت لا يفتخر الرجال بتعليمهم السامي فقط بل تفتخر النس
أيضاً. وبموجب هذا القانون يمكنك أن تعرف أنّني كنت محقّاً في نسبة ه
الامتياز في الفلسفة والحوار إلى اللاقيدايمونيين. إذا تحادث إنسان
اللاقيدايموني الأكثر عاديَّة، سيجده هو نادراً ليصلح كثيراً في محادثة عام
لكنه سوف ينطق قولاً جديراً بالذكر في أيّة نقطة رئيسيَّة بالمحاورة، قو
محكماً وممتلئاً معنى، بهدفٍ معصومٍ عن الخطأ والخطل. وهكذا فـ
الشخص الذي يتكلّم معه يبدو أنّه ليس بأفضل من الطفل. ولاحظ العد
ممّن هم من أعمارنا والأعمار السالفة أنّ الإيجازي الحقيقي مُلزَمٌ أن يحـ
الفلسفة أكثر ببعيد من محبته للألعاب الرياضيَّة. إنّهم لمدركون أنّ إنس
متعلّماً بشكل تامّ يكون قادراً على نطقٍ هكذا أقوال مأثورة. هكذا ك
طاليس وميليتوس، وبيتاكوس وميتيلين، وبياس من براين، وصولون الذ
يخصنا، وكليوبولس الليندياني، وميسون الكينيان؛ وكان تشيلو اللاقيدايمو
السابع في قائمة الرجال الحكماء. كل هؤلاء كانوا من محبّي ومتبار
ومريدي ثقافة اللاقيدايمونيين، ويمكن أن يعي أيّ شخص أن حكمتهم كانـ
بهذه الصفة المؤلَّفة من جمل قصيرة جديرة بأن تُذكر، والتي نطقوا بها عا
التوالي، وتقابلوا معاً وكرّسوا لأبوللو في معبده دلفي، كأولى ثمار حكمته
الكلام المنقوش البعيد الشهرة الذي تلهج به كلّ شفة: « إعرف نفسك
و« لا شيء أكثر ممّا ينبغي ».

لماذا أقول كلّ هذا؟ إنّ أوضح هذا النوع من الاختصار اللاقيداي

وسايمونايدس، الذي كان طموحاً لنيل شهرة الحكمة، كان مدركاً أنه إذا تمكّن أن يقلب هذا القول، سيفوز بين معاصريه عندئذ، كما فاز بالانتصار على بعض الرياضيّين الشهيرين. وإذا لم أكن مخطئاً فقد ألّف قصيدة بكاملها ناقض فيها هذا القول وموجده وعزم على طمسه.

دعنا نتَّحِد جميعاً في فحص كلماته، ونرى إذا ما كنتُ أتكلّم الحقيقة. ينبغي أنّ سايمونايدس قد كان مجنوناً لأنّه إذا أراد أن يقول فقط ما أصعب أن تصبح خيّراً، في أوّل كلمات القصيدة بالتحديد، أدخل « على الجانب الواحد »، إلاّ إذا افترضت أنّه يتكلم بإشارة معادية لقول بيتاكوس المأثور. يقول بيتاكوس: « ما أصعب أن يكون خيّراً »، وهو، في دحضٍ لهذه الفرضيّة، يرد على قول المدّعي إنّه يكون شيئاً صعباً بصدق، يا بيتاكوس، أن تصبح خيّراً، وليس « بصدق خيّراً ». « الصدق » هنا لا يشير إلى الخير، كأنه وُجد رجالٌ أخيار بصدق ووُجد رجال آخرون كانوا أخياراً لكنهم ليسوا أخياراً بصدق « ستكون هذه ملاحظة جدّ بسيطة، وغير جديرة تماما بسايمونايدس ». لا، ينبغي عليك أن تسبّب نقلاً للكلمة « بصدق »، وأن تضع قول بيتاكوس أوّلاً، كما لو أنّه كان متكلّماً بادىء ذي بدء وسايمونايدس مجيبه. يقول بيتاكوس: « أوه يا أصدقائي، ما أصعب أن تكون خيّراً »، ويجيب سايمونايدس: « إنّك مخطىء في ذلك، يا بيتاكوس؛ ليست الصعوبة لتكون خيّراً، بل لتصبح خيّراً على الجانب الآخر. أربع مربّعات في اليدين والقدمين والعقل، بدون نقص، إنّ ذلك صعب بصدق ». تعلّل هذه الطريقة في قراءَة الفقرة الإدخال لِ« على الجانب الآخر »، وتُرى أنّ الكلمة « بصدق » يجب أن تُدخَل أخيراً بحق، ويبدو كل الذي يلي أنّ هذا هو

أحبّ أن أشير، مع ذلك، إلى الأسلوب العام وإلى قصد القصيدة التي
مصمَّمة في كل جزءٍ منها بالتأكيد لتكون نقضاً لقول بيتاكوس. إنّه ي
فيما يلي بعد مقاطع قليلة « إنّها تكون وكأنه كان يؤلّف خطاباً تقري
ذلك مع أنه يكون صعباً لتصبح خيِّراً بصدق، ومع ذلك هذا يكون مح
لوقت، ولوقت فقط. لكن عندما تصبح خيِّراً، لتبقى في حالةٍ خيِّرة وتَ
خيِّراً ليست ممكنة كما تؤكّد أنت، يا بيتاكوس، وهذه ليست مم
للإنسان. الله وحده يمتلك هذه النعمة. « لكنّ الإنسان لا يمكنه أن ي
دون كونه سيّئاً عندما تطغى عليه قوّة الحالة التي لا تُقاوَم ».

وبعدُ مَنْ هي قوّة الحالة التي لا تقاوَم والتي تطغى في قيادة المركب؟
ليست الفرد الخاص، لأنّه يُطغى عليه دائماً. وبما أنّ الشخص الذي يَ
متمدّداً مسبقاً لا يمكنه أن يسقط، بل ذلك الذي يكون واقفاً منتصباً،
ليس الذي يكون متمدداً يمكن أن يوضع متمدّداً، هكذا تستطيع قوة ا
التي لا تُقاوم أن تطغى على الذي يقدر أن يقاوم السكون بعض المرّ
لكن ليس هو الذي يكون لا عون له في كل الأوقات. إن انقض
العاصفة الهوجاء يمكن أن يجعل قائد الدفّة بلا معين، أو تجهُّم الف
المزارع؛ الشيء عينه يمكن الحكم بصحّته على الطبيب؛ لأنّ الخيِّر يمكن
يصبح شرّيراً، كما يشهد الشاعر الآخر: « الخيِّر يكون بعض المرّات
وبعض المرّات شرّيراً ». لكنّ الشرّير لا يصبح شرّيراً، إنّه شرير على الد
وهكذا فإنّها حينما تطغى قوّة الحالة التي لا تقاوَم على الانسان ذي ال
والبراعة والفضيلة، حينئذ لا يمكنه الحؤول دون كونه سيّئاً. وأنت الق
يا بيتاكوس، « ما أصعب أن تكون خيّراً ». وبعدُ، انه صعب أن تص

يكون خيّراً في الحروف؟ وأيّ نوعٍ من العمل يجعل إنساناً بارعاً في الحروف؟ إنّه معرفتها بوضوح. وأيُّ نوعٍ من عمل الجودة يجعل الإنسان طبيباً حاذقاً؟ إنّه معرفة فنّ شفاء المريض بجلاء. « لكن سيّئاً بعمل الشرّ؟ ». وبعدُ فمن يصبح طبيباً سيّئاً؟ إنّه هو الذي يكون طبيباً في المكان الأوّل بصفاء، والطبيب الحاذق في المكان الثاني، لأنّه هو يمكنه أن يصبح شرّيراً أيضاً. لكن لا أحد منا نحن الأشخاص العاديين يستطيع أن يصبح طبيباً بأيّ مقدارٍ من عمل الشرّ، بأكثر ممّا نقدر نحن أن نصبح نجّارين أو أيّ شيء من هذا النوع؛ والذي لا يمكنه أن يصبح طبيباً بعمل السوء على الإطلاق، لا يقدر أن يصبح طبيباً شرّيراً بجلاء. يمكن للخيِّر أن يصبح مُفسداً بالوقت في أسلوب مماثل، أو بالكدح، أو بالمرض، أو بأيّة حادثة أخرى. « إنّ العمل السيّء الحقيقي هو أن تجرّد من المعرفة ». لكنّ الرجل الشرّير لن يصبح شرّيراً أبداً، لأنّه يكون شرّيراً على الدوام؛ وإذا ما كان هو ليصبح شرّيراً، عليه أن يصبح خيّراً بادىء ذي بدء. وبالتالي فإنّ هذا الجزء من القصيدة يبدو أنّه يبيِّن أيضاً أنّ إنساناً لا يستطيع أن يكون خيّراً بشكل متواصل، بل إنّه يقدر أن يصبح خيّراً ويمكنه أن يصبح شرّيراً أيضاً؛ وهُمُ الأفضل للزمن الأطول الذي يريده الله.

كل هذا يتّصل بيتاكوس، كما بُرهِن ذلك بالتكملة بشكلٍ أبعد لأنه يضيف: « لذلك فإنّني لن أطرح امتداد أمد حياتي عبثاً في البحث عن اللاامستحيل، آملاً بدون طائل أن أجد إنساناً طاهر الذيل على نحو كامل بين أولئك الذين يشتركون في فواكه الأرض الفسيحة الصدر، إذا وجدته سأرسل لك كلمة .»

الآلهة لا يحاربون ضدّ الضرورة ».

يمتلك هذا كله معنىً متشابهاً، لأنّ سايمونايدس لم يكن هكذا جاهلاً ـ
يقول إنّه يثني على أولئك الذي يفعلون، وكأنّه وُجد بعض الذي يفعل
ذلك. لأنّ لا إنسان عاقلاً، كما أعتقد، سيسمح بأن يخطىء أيّ مخل
إنساني اختيارياً، أو أن يقوم بأعمالٍ شريرة وفاسقة اختياراً؛ بل هم مدرك
جيّداً جدّاً أنّ كل الذين يفعلون الأشياء الآثمة والمخزية يفعلونها ر
إرادتهم. ولم يقل سايمونايدس أبداً إنّه يثني على من لا يفعل الشر اختيا
إن كلمة « اختياراً » تنطبق على نفسه، لأنّه كان تحت الانطباع أنّ الإنس
الخيِّر يمكنه أن يجبر نفسه غالباً ليحبّ الغير ويثني عليهم ـ كمثال، ا
يمكن أن يحدث غالباً، لأبٍ أو أمٍّ غير طبيعية، أو لبلادٍ، أو ما شابه ذلك
وهكذا فإنّ الرجال الأشرار، عندما يحدث أيّ شيء من هذا النوع، يرو
بفرحٍ مؤذٍ، ويستهجنون ويكشفون ويشجبون الخبث لآبائهم أو لبلاده
بحجّة أنّ بقيّة الجنس البشري سيكونون أقلّ، بشكل محتمل، ليتحمَّلوا
العمل الشاقّ ويتّهمونهم بالتقصير الذي يكونون هم مذنبين فيه؛ ويلوم
شوائبهم أكثر بكثير مما يستحقّون، ويضيفون وصمة عار غير ضروريّة لذا
الذي يُستهدف بالضرورة. لكن الإنسان الخيِّر يخفي شعوره، ويكبح نف
ليثني عليهم. وإذا ما أساؤوا إليه وغضب، فهو يهدِّىء غضبهُ ويروِّض نفس
ويجبرها لتحبّ وتطري على من هو من لحمه ودمه. وسايمونايدس، ا
يُحتمل، اعتبر أنّه هو نفسه كان عليه غالباً أن يثني على المستبد أو ما ش
ويعظّمه، وكثيراً رغم إرادته. ورغب هو أن يخبر بيتاكوس أيضاً، « أنا
أ... لأنّ... »

أجد أيّ عيب فيه، لأنّي لا حق لي أن أعيب أحداً، ويوجد أغبياء لا يُحصَون ».

« يدل هذا ضمناً على أنّ أيّ شخص يُسَرّ في التقريع يمكنه أن يحوز فرصة وافرة لإيجاد الخطأ فيهم ».

« كلّ شيء يكون خيّراً عندما لا يكون الشرّ به ممتزجاً ». يجب أن لا تفهم تلك الكلمات الأخيرة وكأنه قال « كلّ الأشياء التي لا يوجد أسود فيها تكون بيضاء » لأنّ هذا النوع من الكلام سيكون مضحكاً بشكل تامّ؛ غير أنّه يعني أنّه يقبل ولا يجد خطأ في الحالة المعتدلة أو الوسط.

قال سايمونايدس: « لا آمل أنا بوجود إنسان طاهر الذيل على نحوٍ كامل بين أولئك الذين يشتركون في فواكه الأرض الفسيحة الصدر « إذا وجدته، سأرسل لك كلمة ».

في هذا المعنى أنا لا أطري على أيّ إنسانٍ. لكن من يكون خيّراً بشكل معتدل، ولا يفعل الشرّ، فهو خيّر بما فيه الكفاية بالنسبة لي، وهو الذي يحبّ ويستحسن كلّ شخص. ولاحظ هنا ذلك، لأنّه يخاطب بيتاكوس فهو يستعمل اللهجة الليسبيانيّة، حينما يقول:

« الذي يستحسن ويحب كل شخص اختياراً، من لا يفعل الشرّ ».

[يجب أن توضع علامة التوقف بعد « اختياراً »؛ « لكن يوجد بعض الذين أثني عليهم وأحبّهم اختياراً » وأنت، يا بيتاكوس، لن ألومك قطّ، إذا تكلّمت بما يكون خيراً وصدقاً بشكل معتدل؛ غير أنني ألومك لأنك، وأنت تظهر بمظهر الصدق، تتكلم أباطيل فاضحة بشأن أسمى القضايا] - وأقول

بدوري تفسيراً ممتازاً لها أيضاً خاصّاً بي سأقدمه لكم، إذا ما سمحتم لي.

السيبيادس: لا، يا هيبياس؛ ليس الآن، بل قدّمه في أي وقت آخر. يجب أن نت بالاتفاق الذي عُقد بين سقراط وبروتاغوراس في الوقت الحاضر. إنّ النت هي طالما أنّ بروتاغوراس عازم على أن يسأل، فإنّ على سقراط أن يجي أو أنّه إذا كان سيفضّل الثاني، حينئذ، فإنّ على سقراط أن يختار الأول.

سقراط: أرغب من بروتاغوراس إمّا أن يسأل أو يجيب كما يشاء؛ لكنّني سأف الإنتهاء من الشعر والقصائد الغنائية، إذا لم يكن لديه اعتراض على ذل وأعود إلى السؤال الذي سألتك إيّاه، يا بروتاغوراس، وسأضع حدّاً لذ بمساعدتك. يبدو لي أنّ الحديث عن الشعراء هو مثل تسلية مبتذلة تلجأ مجموعة الرّعاع الذين لا يقدرون على أن يتحدّثوا ويسلّوا بعضهم به بسبب حماقتهم، حين يتبادلون الأنخاب، بضجيج أصواتهم الخا ومحادثتهم، ويرفعون ثمن فتيات الناي في الساحة العامة، مستأجرين مة مبلغ كبير من المال صوت الناي بدلاً من أصواتهم الخاصة، ليكون وا الاتصال بينهم. لكن حيث تكون المجموعة أسياداً حقيقيين ورجال ع فهناك لن ترى فتيات الناي، ولا بنات الرقص، ولا فتيات القيثار؛ وهم يقومون بأيّة ألعاب سخيفة وتافهة، بل يكونون قانعين بمحادثة بعضهم بعد هذه المحادثة التي تكون الواسطة أثناءها أصواتهم الخاصة، والتي يدبّرو مداورة وفي نمطٍ منتظم حتى لو كانوا متحرّرين جداً في شربهم. ومجم منا مثل هذه، ورجال كهؤلاء الذين نعلن أنّنا منهم، لا يحتاجون لمسا صوت الآخرين، أو مساعدة الشعراء الذين لا يمكنك أن تستنطقهم بث المعنى الذي هم قائلون. ان الذين يرددون ما أعلنه، هؤلاء يقولون، أنّ شا

السلبية هم يتجنبونه ويفضلون أن يعتمدوا على براهينهم الخاصة في المحا
الاجتماعيّة، وأن يضعوا بعضهم بعضاً في اختبار المحادثة. وهذه هي النماذ
التي أ ـ ب أن نقلّدها كلانا، تاركين الشعراء. دعنا نتحادث من ضم
براء ـ بعضنا مع بعض، وأن نستنتج البرهان من الحقيقة ومن أنفسنا ،
المحادثة. إذا كانت لديك نية لتواصل وتسألني، فإنّي مستعدّ لأجيبك. و
كنت تفضّل، أجبني أنت، واعطني الفرصة لاستئناف المحاورة التي
تتمّ.[عيّنت هذه الملاحظات وأخرى غيرها متشابهة. لكنّ بروتاغوراس
يقل بوضوح أيّها سيفعل. لذلك استدار السيبيادس إلى كالياس]، وقال: «
تعتقد، يا كالياس، أن بروتاغوراس عادل في رفضه ليقول إذا ما ك
سيجيب أو لا يجيب؟ لأنّني أعتقد أنّ هذا غير عادل بكلّ تأكيد. عليه
أن يتقدّم بالمحاورة، أو ألاّ يفعل ذلك بدون ريب، ذلك كي يمكننا معر
قصده؛ وسيكون سقراط حينئذ قادراً على أن يتحادث مع أي شخص آخ
وستكون بقية المجموعة حرّة في أن يتكلم واحدها مع الآخر.

أعتقد أنّ بروتاغوراس أخجلته جدّاً كلمات السيبيادس هذه، وعند
أضيفت صلوات كالياس وكل المجموعة تقريباً، إقتنع بالحوار أخيراً، وقال
يمكنني أن أسأله وهو سيجيب.

سقراط: لا تتصوّر، يا بروتاغوراس، أنّ لديَّ أيّ اهتمام آخر في طرح الأس
عليك سوى إزالة صعوباتي الخاصة. فأنا أعتقد أنّ هوميروس كان محقّاً ،
قول: « حينما يذهب الإثنان معاً، فأحدهما يرى قبل الآخر ».(١٣) لأنّ ـ
الرجال الذين يمتلكون رفيقاً يكونون أكثر استعداداً للعمل، للكلام،
للتفكير. لكن إذا إنسان « يرى شيئاً عندما يكون وحيداً » يشرع هو ،

لأكثر الأشياءَ التي يمكن أن تتوقع أن يفهمها إنسان صالح، وللفضيلة بشـ
خاص. ومَن هناك، إلاّ أنت الذي لا يطالب ليكون إنساناً صالحاً وسيِّ
فعديدٌ هُم هؤلاء المطالبون، ومع ذلك لا يمتلكون القوة لجعل الآخـ
صالحين، في حين أنّك أنت لست نفسك صالحاً فقط، بل سبب الخير
الآخرين أيضاً. وأكثر، فإن هكذا ثقة تمتلكها أنت في نفسك كذلك، بر
أنّ السوفسطائيين الآخرين يكتمون مهنتهم، لكنّك أنت تصرّح في و
هيلاس كلها أنّك سوفسطائي ومعلم للفضيلة والتعليم، وأنت أوّل من ط
أجراً بالمقابل. كيف يمكنني ألاّ أدعوك إلى فحص هذه المواضيع، وأسـ
أسئلة وأتبادل الرّأي معك؟ يجب عليَّ أن أفعل ذلك حقاً. وهكذا سأحـ
أن أجدّد ذاكرتي مرّة أخرى بخصوص الأسئلة التي سألتك إياها في البـ
وكي أحوز على مساعدتك في تأمّلها مليّاً. إنّ السؤال كان هذا، إذا
أكن مخطئاً: أتكون الحكمة والاعتدال والشجاعة والعدل والتقوى خمـ
أسماء للشيء عينه أو أنّ كلاًّ من هذه الأسماء له حقيقة ضمنيّة منفصـ
شيئاً محدداً له وظيفة مميّزة، ولا أحد منها يشبه الآخر؟ وأجبت أنت
الأسماء الخمسة هذه ليست أسماء للشيء عينه، بل إنّ كل إسم منها ء
شيئاً منفصلاً، وأنّ كل هذه الأشياء كانت أجزاء من الفضيلة، ليس بالطر
عينها التي تتشابه فيها أجزاء الذهب وتشبه الكل التي هي أجزاؤه، بل
تكون أجزاء الوجه لا تشبه الكل التي هي أقسامه ولا تشبه بعضها بعـ
ولكلّ واحد منها عمله الخاص. أحب أن أعرف إذا ما زلت مصرّاً على
الرأي؛ وإلاّ، سأسألك أنْ تحدِّد معناك، وأنا لن ألقي على كتفيك بمهمّة شـ

مختلفة جدّاً عن الأربعة الأخرى، كما أبرهن بهذه الطريقة: يمكنك أن تلاحظ أنّ رجالاً عديدين هم آثمون بشكل مطلق، أشرار، مسرفون جاهلون، ورغم ذلك فهم رائعون لشجاعتهم.

سقراط: قف. سأحبّ أن أفكّر بشأن ذلك. عندما تتكلّم أنت عن الرجال الشجعان، هل تعني الواثقين من أنفسهم، أو ذوي الطبائع من نوعٍ آخر؟

بروتاغوراس: نعم، إنّني أعني الطائشين، الجاهزين للذهاب بتهورٍ إلى حيث يخاف أن يقترب منهم الآخرون.

سقراط: ستُثبت في المكان الآخر، أنّ الفضيلة هي شيء جيّد، وتؤكّد أنّك معلم للشيء الجيّد هذا.

بروتاغوراس: نعم، عليّ أن أقول أفضل من كلّ الأشياء، إذا كنت في عقلي الصحيح.

سقراط: أوَ تكون جيّدة جزئياً وطالحة جزئياً، أو هي جيّدة بالكامل؟

بروتاغوراس: جيّدة بالكامل، وفي الدّرجة الأولى.

سقراط: أخبرني عندئذ؛ من هم الذين يمتلكون الثقة بالنفس عند الغوص في بئر؟

بروتاغوراس: عليّ أن أقول، الغطاسون.

سقراط: والسبب في هذا أنّهم يمتلكون معرفة؟

بروتاغوراس: نعم، ذلك هو السبب.

سقراط: ومن يمتلك الثقة بالنفس عند المبارزة على متون الخيل: الفارس البارع أو غير البارع؟

بروتاغوراس: الفارس الحاذق.

سقراط: ومن يمتلكها عند المباريات بالمجنّات الخفيفة: حاملو هذه المجنّات أو من لا

قصدك: الذين يمتلكون معرفة هم أكثر ثقة بأنفسهم من أولئك الذين يمتلكونها، وبعد أن تعلّموا كبرت ثقتهم بأنفسهم عمّا كانت من قبل.

سقراط: أوَلم ترَ أشخاصاً جاهلين بالكليّة، في هذه الأشياء، وهم واثقون بشأنها ذلك؟

بروتاغوراس: بلى، لقد رأيت أشخاصاً كهؤلاء أكثر ثقة بأنفسهم بعيد.

سقراط: أليس هؤلاء الأشخاص الواثقون من أنفسهم شجعان أيضاً؟

بروتاغوراس: ستكون الشجاعة شيئاً سافلاً في تلك الحالة لأنّ الرجال الذين نت عنهم سيكونون رجالاً مجانين بكلّ تأكيد.

سقراط: من هم الشجعان إذن؟ أليسوا هم الشجعان؟

بروتاغوراس: نعم، إنّني أتقيّد بهذا العرض.

سقراط: وأولئك الواثقون من أنفسهم بدون معرفة، ليسوا شجعاناً بحق، مجانين؛ والرجال الأعقل في مثالنا السابق هم الأكثر ثقة بأنفسهم. وكو كذلك هم الأشجع أيضاً. وبناءً على هذه النظريّة ستكون الحكمة شج مرّة ثانية.

بروتاغوراس: لا، يا سقراط، إنّك مخطىء في تذكُّركَ لِمَا قلته في إجابتي، ع سألتني. قلت أنا بكلّ تأكيد، إنّ الشجاع هو الواثق من نفسه؛ لكنّني لم أ قط إذا ما كان الواثق من نفسه شجاعاً. إذا ما سألتني، كان عليّ أن أج « ليس كلهم ». فيما يتعلق باعترافي أنّ الشجاع هو الواثق من نفسه، أنت تدحضها في أيّ مكان أو لم تُظهر أنّها كانت خطأ. إنّك تقدمت لتبيّز أولئك الذين يمتلكون معرفة هم أكثر شجاعة من قبل أنْ تكون لهم، و ظننت أنّ الشجاعة هي الشيء عينه كالحكمة، لكن يمكنك أن تَبلُغ لتتصوّر

لا يعرفون، وبعد أن تعلّموا أكثر قدرة من ذي قبل، وعليَّ أن أوافق. ويمكنك عند موافقتي على هذا، أن تستخدم هذه الموافقة في هكذا طريقة كأن تبرهن أنَّ الحكمة هي قوّة بناءً على نظريتي، في حين أنّ عليَّ أن لا أعترف في تلك الحالة، بأكثر من الحالة الأخرى. إنّ القادر يكون قويّاً، مع أنني قد اعترفت أنّ القوي يكون قادراً. إذ لا فرق بين القدرة والقوّة؛ السابقة معطاةٌ بالمعرفة كما بالجنون أو الغضب الشديد، لكنّ القوة تأتي من الطبيعة وحالة الجسم الصحيّة. وأقول إنّ الشجاعة هي الثقة بالنفس في نمطٍ مماثل، لكن ليس كل الواثقين من أنفسهم شجعان لأنّ الثقة بالنفس يمكن أن تُعطَى للرجال بالفنّ، وكذلك مثل القدرة أيضاً، بالجنون والغضب الشديد؛ لكنّ الشجاعة تأتي إليهم من الطبيعة وحالة الروح الصحيّة.

سقراط: ستعترف أنت، يا بروتاغوراس، أنّ بعض الرجال يحيون حسناً والآخرون سيئاً؟

بروتاغوراس: أعترف.

سقراط: وهل تعتقد أنّ من يحيا في الألم والحزن هو إنسان يحيا جيّداً؟

بروتاغوراس: لا.

سقراط: وإذا عاش بسرورٍ إلى نهاية حياته، ألم يكن قد عاش جيداً في تلك الحالة؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: إنه خيرٌ إذن أن تحيا بسرور، وشرّ أن تحيا بغير لذّة؟

بروتاغوراس: نعم، إذا كانت اللذّة صالحة وشريفة.

ثانية، أليست هي الشيء عينه مع الأشياء المؤلمة - وبقدر ما هي مؤلمة، تكون سيئة؟

بروتاغوراس: إنّني لا أعرف، يا سقراط، إذا ما كنت أستطيع المجازفة لأؤكّد ذلك الأسلوب الباتّ من أنّ السارّ هو الصالح والمؤلم هو السيّء. آخذاً ب الاعتبار ليس جوابي الحاضر فقط، بل حياتي كلها أيضاً، إنّي سأكون أ أماناً، إذا لم أكن مخطئاً في القول بأنّ هناك بعض الأشياء السارّة التي تكون صالحة، وبعض الأشياء المؤلمة التي لا تكون سيّئة وبعضها التي تكو ومرّة ثالثة، بعض الأشياء التي لا تكون لا صالحة ولا طالحة.

سقراط: وستسمّي أنت السارّ، الأشياء التي تشترك في اللذّة أو التي تحدثها؟

بروتاغوراس: بالتأكيد.

سقراط: معناي هو أنّها بقدر ما تكون سارّة هي صالحة؛ وسؤالي سينطوي بد على أنّ اللذّة هي صالحة في نفسها.

بروتاغوراس: طبقاً لأسلوبك المفضّل في الكلام، يا سقراط، « دعنا نتأمّل مليّاً بش هذا »، وإذا بُرهِن التأمّل الملي هذا مساعداً، وأُظهر أنّ اللذّة والخير ، الشيء عينه حقاً، سنتفق عندئذ؛ وإلاّ، فسنتحاور حينها.

سقراط: وهل ترغب في أن تبدأ التساؤل؟ أو أبدأه أنا؟

بروتاغوراس: يجب أن تتولّى القيادة، لأنّك أنت مُوجد البحث.

سقراط: إذن، لربّما ستصبح واضحة لنا من الشرح التالي. إفترض أنّ شخصاً يحاول ليتحقق من حالة إنسان صحيّة أو صفة لجسده من مظ الخارجي - ينظر هو إلى وجهه ويديه، ويقول بعدئذ، إكشف لي النقاب

عن المعرفة كي يمكنني أن أعرف إذا ما كنت تتّفق مع بقية العالم. وبعدُ فإنّ بقية العالم ترى أنّ المعرفة تكون مبدأً ليس للقوة، أو الحكم، أو الأمر. لا يفكرون هم بشأنها بهذه الطريقة، بل يعتبرون أنّ الإنسان يمكنه أن يحوز معرفة غالباً، ولا يُحكم بالمعرفة برغم ذلك بل يُحكَم بشيء ما آخر: بالغضب، أو اللذّة، أو الألم، بالحبّ بعض المرات، بالخوف غالباً، تماماً كما إذا كانت المعرفة عبداً، ويمكن أن يَجُرّها الباقون على الأرض. والآن أهذه هي وجهة نظرك؟ أو هل تعتقد أنَّ المعرفة هي شيء نبيل وآمر لا يُستطاع قهرها، ولن تسمح لإنسانٍ، إذا عرف الفرق بين الخير والشرّ فقط، أن يفعل أيّ شيء يكون مضاداً للمعرفة، سوى أنّ الحكمة ستمتلك القوة لتساعده؟

بروتاغوراس: إنّني أتفق معك، يا سقراط، وليس هذا فقط، بل أنا، فوق كلّ الرجال الآخرين، مُلزمٌ لأقول إنّ الحكمة والمعرفة هما أسمى الأشياء الإنسانيّة.

سقراط: حقّاً وصدقاً. لكن هل أنت دارٍ بأن أكثريّة الناس تخالف هذا التفكير ؟ ألا يقولون أنّه حتّى عندما يعرف الرجال الأشياء التي هي أفضل ويكونون أحراراً كي يفعلوها، فإنّهم يرفضون غالباً، ويفضّلون طريقة أخرى للعمل؟ وعندما سألت ما يمكن أن يكون السبب لهذا، أُخبِرتُ أنّهم يفعلون ما يفعلون لأنّهم يُقهرون بالألم، أو باللذّة، أو ببعض تلك التأثيرات التي ذكرتها لتوّي.

بروتاغوراس: نعم، يا سقراط، وليست تلك النقطة الأساسيّة هي الوحيدة التي أخطأ الجنس البشريّ بشأنها.

الأفضل. عندما نقول لهم: يا أصدقاء، أنتم مخطئون، وأنتم تقولون ما ،
غير حقيقي، من المحتمل أن يجيبوا: يا سقراط، ويا بروتاغوراس، إذا لم تكَ
هذه الصفة للروح لتسمّى « كونه مقهوراً باللذّة »، صلّ، فما هي، وبأ
إسمٍ ستصفها؟

بروتاغوراس: لكن لماذا، يا سقراط، نزعج أنفسنا بشأن الكثرة من الناس الذ
يقولون أيّ شيء يصادف أن يحدث لهم تماماً؟

سقراط: أعتقد أنّه يمكنهم أن يكونوا ذوي نفع لمساعدتنا في اكتشاف كيف تكو
الشجاعة متصلة بأجزاء الفضيلة الأخرى، إذا كنت ميّالاً لأتقيّد بالاتفاق ،
أنّني سأوضح لك الطريقة التي ستُحلّ صعوبتنا بواسطتها بالترجيح الأكث
كما أعتقد. هل تتبعني؟ وإلاّ سأصرف النظر عن القضية إذا فضّلت.

بروتاغوراس: إنك محقّ تماماً، وأريدك أن تتقدم كما بدأت.

سقراط: حسناً إذن، دعني أفترض أنّهم يعيدون سؤالهم وهو، أيُّ تعليل تعط
لذلك الذي يسمى كونه مقهوراً باللّذة، في طريقتنا للكلام؟ عليَّ أن أجيب
هكذا: إسمعوا، وسنسعى - بروتاغوراس وأنا - كي نبيّن لكم ذلك. عند
يقهر الإنسان اللذة كالأكل والشراب والرغبات الحسيّة الأخرى التي ه
سارّة، وهم عارفون أنّها شر، وينغمسون فيها برغم ذلك، ألن تقول أنّه
يكونون « مقهورين باللذة »؟ هم لن ينكروا ذلك، وافترض، أنّنا طرح
السؤال ثانية: « في أيّة طريقة تقولون أنتم إنّها شر؟ أفي أنّها تكون سا
وتعطي لذّة في لحظة، أو لأنها تسبّب مرضاً وفقراً وشروراً أخرى مماثلة ف
المستقبل؟ إفترض أنّها تعطي اللذّة بكل بساطة، ولا تجلب عواقب سيئة لل

التي تُعطى بها حالاً، بل بسبب العواقب اللاحقة: الامراض وما شابه؟

بروتاغوراس: أعتقد، أنّ العالم بشكل عامّ سيجيب كما تجيب.

سقراط: « وفي تسبيب المرض ألا تسبّب الألم؟ وفي تسبيب الفقر ألا تسبب الألم »؟ سيوافقون على ذلك أيضاً، إذا لم أكن مخطئاً؟

بروتاغوراس: أوافق.

سقراط: « أليس ذلك واضحاً لكم، يا أصدقائي، من أنّ بروتاغوراس وأنا محقّون في قولنا إنّ هذه الملذّات هي سيّئة ليس لأيّ سبب آخر، إلاّ لأنّها تنتهي في الألم وتسلبنا الملذّات الأخرى »؟ سيوافقون على ذلك مرّة ثانية.

[افتكرنا كلانا أنّهم سيوافقون على ذلك].

سقراط: ويمكننا عندئذ أن نتناول السؤال من وجهة النظر المضادّة، ونقول: « يا أصدقاء، حينما تتكلمون عن الخيرات كونها مؤلمة، هل تعنون الخيرات الشافية، كالتمارين الرياضية، والخدمة العسكرية، واستعمال الأطبّاء الكيّ، الشقّ، التخدير، ومعاناة التجويع؟ أهذه هي الأشياء التي تكون جيدة لكنّها مؤلمة؟ » ـ إنّهم سيوافقون على هذا.

بروتاغوراس: أوافق.

سقراط: « وهل تسمّونها خيراً لأنّها تسبّب المقاساة والألم العاجلين الأكبرين؛ أو لأنّها تجلب الصحة والتحسّن لحالة الجسم والإنقاذ للدول والقوة والغنى فوق الدول الأخرى بعد ذلك؟ » ـ إنّهم سيوافقون على الخيار الأخير إذا لم أكن مخطئاً؟

بروتاغوراس: أصادق على هذا.

بروتاغوراس: أعتقد ذلك.

سقراط: « أوَ لاَ تتعقبون أنتم هذه اللذّة كأنّها جيدة، وتتجنبون الألم وكأنّه شر؟

بروتاغوراس: أوافق.

سقراط: « تعتقدون أنتم إذن أنّ الألم شرّ واللذّة خير، وحتى أنّكم تعتبرون الل شرّاً عندما تسلبكم ملذّاتٍ أكثر ممّا تهب، أو تسبب آلاماً أعظم المسرّات. إذا، على كل حال، سمّيتم أنتم اللذّة شرّاً بالنسبة إلى غاية قياس ما آخر، لكن ليس لديكم أيّ شيء لتبينوه ».

بروتاغوراس: أعتقد أنّهم لا يمتلكون أيّ شيء ليظهروه.

سقراط: « أو ليست لديكم طريقة أخرى للتكلّم عن الألم؟ تدعون أنتم الألم خ عندما يزيل الآلام الأعظم من تلك التي يحوزها، أو يعطي ملذّات أكبر الآلام. إذا كان لديكم مقياس آخر غير اللذة والألم فإلى أيّها تشيرون حي تسمّون الألم الحقيقي خيراً؟ أتستطيعون أنتم أن تظهروا ما هو ذلك؟ لكنّ لا تقدرون ».

بروتاغوراس: حقّاً.

سقراط: إفترض مرّة ثانية، أنّ العالم يقول لي: « لأيِّ سبب ممكن تصوّره أ تبدِّد الكلمات وتتكلّم بطرائق عديدة عن هذا الموضوع؟ ». عليّ أن أجيـ أعذروني، يا أصدقائي؛ لكن هناك صعوبة في المقام الأوّل في تفسير المع الدقيق لعبارة « مقهورون باللذّة »؛ وتدور المحاورة كلها عليها. وحتى الا إذا رأيتم أيّة طريقة ممكنة سيُفسَّر الشرّ بها كغيرِ من الألم، أو الخير كغير السرور، يمكنكم أن تبقوا منسحبين. هل أنتم مقتنعون، عندئذ، في امتلا

وتؤكد أن إنسانا يفعل الشرّ غالبا متعمّدا، عندما يمكنه ان يمتنع عن ذلك، لأنّه يكون مُضلَّلاً ومُخضَعاً باللذّة؛ أو ثانية، حينما تقول إنّ إنساناً يرفض متعمّداً أن يفعل ما يكون خيراً لأنّه يُقهر باللذّة في اللحظة، وسيكون هذا واضحاً كونه مضحكاً إذا تخلّينا عن استعمال الكلمات المتنوعة، كالسارّ والمؤلم، والخير والشرّ. وبما أنّه يوجد شيئان اثنان، دعونا ندعوهما باسمين اثنين: الأول، الخير والشرّ، وبعدئذ السّار والمؤلم. مفترضين هذا دعنا نواصل القول إن إنساناً يفعل الشرّ عارفاً أنّه يفعله. لكنّ شخصاً ما سيسأل، لماذا؟ لأنّه يكون مقهوراً، هذا هو جوابه الأول. وبماذا يكون مقهوراً؟ سيتقدَّم السائل ليسأل. ونحن لن نكون قادرين على أن نجيب « باللذة »، لأنّ اسمها قد استُبدِلَ باسم الخير. سنقول في جوابنا له حينئذ إنّه يكون مقهوراً فقط. وسيكرّر هو القول « بماذا؟ ». وعلينا أن نجيبه، بالخير؛ هكذا سنردّ عليه بالتأكيد لا. غير أنّ سائلنا سيقول ضاحكاً، إذا كان هو من النوع المختال، « إنّه لسخيف أن يفعل إنسان ما يعرفه أنّه الشرّ عندما لا يجب أن يفعله، لأنّه يكون مقهوراً بالخير ». وسيسأل هو، أيكون ذلك لأنّ الخير يمتلك أو لا يمتلك الأهميّة؛ وإلاّ فإنّ من يكون مقهوراً باللذّة، كما نقول نحن، لن يخطىء. وسيجيب هو، « لكن في أيّة ناحية، أليس الخير مساوياً للشرّ، أو الشرّ للخير؟ » أليس الجواب الوحيد، أنّهما غير متناسبين بعضهما مع بعض، لا. كأنّهما أكبر وأصغر، أو أكثر وأقل؟ لا يمكننا إنكار ذلك. « وعندما تتكلّمون عن كونه مقهوراً ـ فماذا تعنون؟ ». سيقول هو، « سوى أنّكم تختارون الشرّ الأكبر في مبادلةِ بالخيرِ الأقل ». واعترفنا بهذا. والآن استَبْدِلا اسْمَيْ اللذّة والألم بالخير والشرّ، وقولا، ليس كما قلتما سابقاً، إنّ

هو المقياس الموجود هناك لعدم قيمة اللذة بالنسبة إلى الألم غيراً من ا
والخلل التي تعني أنّها تصبح أكبر وأصغر، وأكثر وأقلّ، وتختلف في
فإذا قال أيّ شخص: « نعم، يا سقراط، غير أنَّ اللذّة العاجلة تختلف
اللذّة والألم المستقبلَيْن بشكل واسع »، عليَّ أن أجيبه على ذلك:
يختلفان هما في أيّ شيء إلاّ في اللذّة والألم؟ ألا يمكن وجود مقياس
لهما. لا، هل أنت مثل الوازن الحاذق، تضع الملذات والآلام في
وقُربهما وبُعدهما، وتزنهما، وتقول بعدئذ أيّهما يفوق الآخر وزناً.
وزنت أنت الملذّات ضد الملذّات، ينبغي أن تأخذ الأكثر والأكبر طب
إذا وزنت الآلام ضد الآلام، يجب أن تأخذ الأقلّ والأصغر؛ أو إذا
الملذّات ضد الآلام، حينئذ إذا تخطّت الملذّات الآلام سواء أقربها بالأب
أبعدها بالأقرب ـ يلزم لك أن تختار طريقة العمل التي ستوجِد الملذات
وينبغي عليك أن تتجنّب طريقة العمل التي يتجاوز بها المؤلم السا
تعترفوا، يا أصدقائي، أنّ هذا حقيقي؟ إنّني واثق من أنّكم لا تست
إنكار ذلك.

بروتاغوراس: أتّفق معك.

سقراط: سأقول، حسناً إذن، إذا وافقتم إلى هذا الحدّ، كونوا أخياراً وأجيبوني
سؤال: ألا تبدو لكم الأحجام عينها أكبر عند قربها، وأصغر من •
سيعترفون هم بذلك. ويثبت الشيء عينه عن السماكة والعدد. الأ
المتساوية في نفسها هي أقوى من قربٍ، وأخفض من بعد. سيمنحو
هذا أيضاً. إفترضوا الآن أنّ السعادة تكمن في فعل أو اختيار الأكبر،

عليها في وقت آخر، في أعمالنا وفي اختيارنا للأشياء كبيرها وصغيرها كليهما؟ لكن فنّ القياس سيلغي تأثير المظاهر، ومبيّناً الحقيقة، سيعلّم الروح كيف تجد الراحة في الحقيقة أخيراً، وهكذا سينقذ حياتنا. ألن يعترف الجنس البشريّ بشكل عامّ أنّ الفنّ الذي سينجز هذه النتيجة هو فنّ القياس، ولا غيره؟

بروتاغوراس: نعم، إنّه فنّ القياس.

سقراط: إفترضوا، مرّة ثانية، أنّ خلاص الحياة الإنسانيّة يعتمد على اختيار الرّقم المفرد والمزدوج، أو على الاختيار الصحيح للأكثر والأقلّ كما تنشأ المناسبة: إمّا مأخوذَةً بأنفسها أو مقارَنةً بعضها ببعض، وسواء أكانت قريبة أو من مسافة؛ فماذا سيكون المبدأ المنقذ لحياتنا؟ ألن تكون المعرفة؟ ـ معرفة فنّ القياس، بما أنّها هي الفنّ الذي يختصّ بالإفراط والنقص. وعندما تختصّ بالرقم المفرد والمزدوج، أيمكن أن يكون أيّ فنّ آخر سوى الحساب؟ إنّ العالم كله سيصادق على هذا، ألن يفعلوا؟

بروتاغوراس: أعتقد أنّهم سيفعلون بكلّ تأكيد.

سقراط: أقول لهم، حسناً إذن، يا أصدقائي؛ آخذين بعين الاعتبار أنّ خلاص الحياة الإنسانيّة تبيّن أنّه يكمن في الاختيار الصحيح للملذات والآلام ـ في الاختيار للأكثر والاقل، والأكبر والأصغر، والأقرب والأبعد ـ ألا يجب أن يكمن هذا الخلاص في فنّ القياس، بما أنّه يشتمل على اعتبارٍ للإفراط والنقص وعلى المساواة بالنسبة لبعضها بعضاً.

بروتاغوراس: إنّ هذا حقيقي بدون أدنى شكّ.

سقراط: وبما أنّه يشتمل على علم القياس، ينبغي أن يكون علماً وفنّاً بدون أدنى

سقراط: إنّ طبيعة ذلك الفنّ والعلم ستكون مسألة تأمّلٍ مستقبلي. لكنّ وجو
هكذا فنّ يزوّدنا بجوابٍ برهاني على السؤال الذي سألتموني إيّاه وسألن
إياه بروتاغوراس. عندما سألتم السؤال في الوقت عينه، إذا كنتم تتذكرون
إتفقنا كلانا على أنّه لا شيء أقوى من المعرفة، وتلك المعرفة، في أيّ شي
وُجدت، يجب أن تمتلك الأفضليّة على اللذّة وعلى كل الأشياء الأخرى
وقلتم آنئذ إنّ اللذة غالباً ما حصلت على الأفضليّة حتى فوق الإنسان الذ
يمتلك معرفة؛ ورفضنا نحن أن نسمح بهذا. وواصلتم القول: أو
يا بروتاغوراس وسقراط، ما معنى كونه مقهوراً باللذّة إذا لم يكن هذ
أخبرانا ماذا تسمّيان حالة كهذه؟ ـ إذا أجبنا حالاً وفي الوقت عينه « الجهل
فإنّكما ستهزآن منا. لكن الآن، في هزئكما منا، فما أنتما إلاّ ضاحكان عل
نفسيكما لأنّكما اعترفتما أيضاً أنّ الرجال يخطئون في اختيارهم للملذّا
والآلام ـ يكون ذلك في اختيارهم للخير والشرّ من نقصٍ في المعرفة، وليـ
من نقصٍ في المعرفة فقط بشكل عامّ، بل في تلك المعرفة الخاصة الت
اعترفتم مسبقاً أنّها علم فنّ القياس. وأنتما مدركان أيضاً أنّ فعل الخط
الذي فُعِلَ بدون معرفة يكون مفعولاً بالجهل. إنّ هذا لذلك، هو معنى كو
مقهوراً باللذّة ـ الجهل، وذلك هو الشيء الأعظم. ويعلن أصدقاؤ
بروتاغوراس وبروديكوس وهيبياس أنّهم هم أطباء الجهل. ولكنك، وأنت تحـ
الانطباع الخاطىء أنّ الجهل ليس السبب وأنّ الفنّ الذي أتكلّم عنه لا يمكـ
تعليمه، ولا تذهبون أنتم أنفسكم ولا ترسلون أطفالكم إلى اللسوفسطائيـ
الذين هم أساتذة هذه الأشياء ـ أنتم تعتنون بما لكُم ولا تعطونهم أيّ شي
منه، وتكون النتيجة أنّكم الأسوأ ...

« لأنّ المحاورة تخصّكم كما تخصّنا »، ما كنتم ما تعتقدون أنّني أتكلّم الحقيقة أوْ لاَ؟

[إعتقدوا كلُّهم أنّ ما قلته كان حقيقياً بشكل تامّ].

سقراط: توافقون أنتم إذن على أنّ السارّ هو الخيِّر، والشرّ هو المؤلم. وسأرجو هنا صديقي بروديكوس أن لا يُدخل تمييزه للأسماء، سواء إذا استُعملت الكلمة سارٌّ، أو مبهجٌ، أو فَرِحٌ، أو أيّ إسم يمكن تصوّره وتحب أن تسمّيه بها. إنّني سأسألكِ، يا بروديكوس الأكثر ميزة، أن تجيب طبقاً لمفهومي للكلمات.

[ضَحك بروديكوس وصادق على هذا، كما فعل الآخرون].

سقراط: إذن، يا أصدقائي، ماذا تقولون لهذا؟ أليست كلّ الأعمال شريفة، وهي التي تهدف أن تجعل الحياة بلا ألمٍ وسارّة؟ إنّ العمل الشريف أيضاً نافع وجيّد؟

[إعترفوا بهذا كلّهم].

سقراط: إذن إذا كان السّارّ هو الجيد، لا أحد سيواصل ليعمل أيّ شيء مع المعرفة أو الاعتقاد بأنّ شيئاً ما آخر سيكون أفضل وهو ممكن الحصول عليه أيضاً عندما يمكنه أن يفعل الأفضل، ويكون الجهل دونيّة إنسانٍ لنفسه ليس غيراً، كما تكون الحكمة سمُّو إنسانٍ لنفسه.

[وافقوا على ذلك جميعاً].

سقراط: أليس الجهل هو امتلاك الرأي الباطل وكون المرء مخدوعاً بشأن القضايا المهمّة؟

[صادقوا على هذا باكملهم أيضاً وبالإجماع].

[وافقنا كلّنا على كلّ كلمة من هذا القول].

سقراط: حسناً، هناك شيء محدَّدٌ يسمَّى خوفاً أو رعباً؛ وهنا، يا بروديكو
أحب أن أعرف بشكل خاصّ إذا ما كنت ستتّفق معي في تعريف
الخوف أو الرعب كأنه توقّع للشرّ.

[وافق على ذلك بروتاغوراس وهيبياس، لكنّ بروديكوس قال إنّ
كان خوفاً وليس رعباً].

سقراط: لا بأس، يا بروديكوس، لكن دعني أسأل، ما إذا كانت تأكيداتنا السا
صحيحة؟ سيتعقَّب إنسانٌ ذلك الذي يخافه عندما يمكنه أن يلاحق العك
أليس هذا نقضاً صريحاً للاعتراف الذي قد أدَّيناه سابقاً، وهو أنّه يعتقد
الأشياء التي يخافها شر؟ ولا أحد سيقتفي أثر، ما يعتقده شرّاً أو يخة
بملء إرادته؟

[إعترفوا بهذا أيضاً دون استثناء].

سقراط: هذه إذن، يا هيبياس ويا بروتاغوراس، هي مقدماتنا المنطقيّة؛ وإنّني سأ
بروتاغوراس أن يشرح لنا كيف يمكنه أن يكون محقّاً فيما قاله في البدا
أنا لا أعني ما قاله بادىء ذي بدء تماماً، لأنّ تقريره الأوّل، كما يمكنكم
تتذكروا، كان أنّه حيث توجد أربعة أقسام للفضيلة لا أحد منها وُجد لين
الآخر؛ بل إنّ كل واحد منها له وظيفة منفصلة. إنني لا أشير إلى هذا، ع
أيّة حال، بل أهدف إلى التأكيد الذي أبداه بعد ذلك وهو أنّ الفض
الخمس كانت أربع منها مماثلة بعضها لبعض على وجه التقريب، لـ
الخامسة التي هي الشجاعة، تباينت عن الفضائل الأخرى بشكل كبير. ول

الآن في أنّي أبحث المسألة معك. وهكذا سألته إذا ما عنى بالشجاع الواثق من نفسه. أجابني، نعم، وكذلك المندفعون بطيش أو بتهورهم شجعاناً. « يمكن أن تتذكر، يا بروتاغوراس، أنّ هذا كان جوابك؟ ».

بروتاغوراس: أعترف بذلك.

سقراط: حسناً إذن، أخبرنا ضدّ من، وما إذا كان الشجاع جاهزاً ليذهب ضدّ الأخطار عينها كالجبناء؟

بروتاغوراس: لا.

سقراط: إذاً، ضدّ شيءٍ ما مختلف؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: هل يذهب الجبناء إذن حيث يوجد سبب للثقة بالنفس، والشجعان حيث يوجد خطر؟

بروتاغوراس: نعم، يا سقراط، هكذا يقول الرجال.

سقراط: حقيقيّ تماماً، لكنّني أريد أن أعرف ضدّ من وماذا تقول أنت إنّ الشجعان جاهزون ليذهبوا ضدّ الأخطار، معتقدين أنّها أخطار، أو ضدّ ما لا يكون أخطاراً؟

بروتاغوراس: لا، الحالة السابقة قد برهنت أنت في الحوار السابق أنّها مستحيلة.

سقراط: إنّ ذلك حقيقي، مرّة ثانية. وإذا كانت هذه قد تمّ برهانها بشكلٍ صحيح، عندئذ لا أحد سيذهب ليواجه ما يعتقد أنّه أخطار، ما دام يفتقر لضبط النفس الذي يجعل الرجال يندفعون عن جهل إلى الأخطار.

بروتاغوراس: أوافق.

بروتاغوراس: وفوق ذلك، يا سقراط، فإنّ الذي يذهب إليه الجبان هو ضدُّ ،
يذهب الشجاع إليه. أحدهما، كمثال، يكون جاهزاً ليذهب إلى المعركة والآخر ليس مستعدّاً للذهاب إليها.

سقراط: وهل الذهاب إلى المعركة مشرّف أو مُخزٍ؟

بروتاغوراس: مشرّف.

سقراط: وإذا كان مشرّفاً، لقد اعترفنا مسبقاً حينئذ أنّه خيّر، لأننا اعترفنا أنّ ك
الأعمال المشرّفة هي خير.

بروتاغوراس: إنّ ذلك لحقيقي؛ وسوف ألتزم بهذا الرأي على الدوام.

سقراط: حقّاً. لكن أيٌّ من الإثنين يكون، كما تقول، غير مستعد للذهاب إل
الحرب التي هي شيء مشرّف وخيّر؟

بروتاغوراس: الجبناء.

سقراط: وما يكون خيّراً ومشرّفاً، يكون سارّاً أيضاً؟

بروتاغوراس: لقد اعترفنا أنّه بكلّ تأكيد.

سقراط: وهل يرفض الجبناء أن يذهبوا إلى الأنبل بتعمّد، وإلى الأسرّ، والأفضل؟

بروتاغوراس: الاعتراف بذلك، سيكذّب اعترافاتنا السابقة.

سقراط: لكن ألا يذهب الإنسان الشجاع ليواجه الأفضل، والأسرّ، والأنبل؟

بروتاغوراس: يجب الاعتراف بذلك.

سقراط: وفي المصطلحات العامّة، لا يمتلك الإنسان الشجاع أيّ خوف حقير عندما يكون خائفاً، أو أيّة ثقة بالنفس دنيئة؟

بروتاغوراس: صادقاً

بروتاغوراس: أعترف بهذا.

سقراط: وإذا كانت مشرّفة، فخيِّرة عندَئذ؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: لكنّ الخوف والثقة بالنفس للجبان أو المجازف بحمق أو المجنون، على العكس، تكون دنيئة؟

بروتاغوراس: أوافق.

سقراط: وهذا الخوف الدنيء والثقة بالنفس ينشآن في الجهل واللاتعليم؟

بروتاغوراس: حقاً.

سقراط: إذن فيما يتعلق بالباعث الذي يعمل منه الجبناء، هل تدعوه جبناً أو شجاعة؟

بروتاغوراس: عليّ أن أقول جبناً.

سقراط: ألمْ يُظْهِروا أنّهم جبناء من خلال جهلهم بالأخطار؟

بروتاغوراس: بالتأكيد.

سقراط: وهم جبناء بسبب ذلك الجهل؟

بروتاغوراس: أوافق.

سقراط: واعترفت أنت أنّ سبب جبنهم هو الجبن؟

بروتاغوراس: أوافق مرّة ثانية.

سقراط: إذن الجهل بما يكون وما لا يكون خطراً، هو جبن؟

بروتاغوراس: نعم.

سقراط: إذن الحكمة التي تعرف ما يكون وما لا يكون خطراً هي مضادّة للجهل بها؟

بروتاغوراس: أوافق على ذلك ثانية.

سقراط: والجهل بها يكون جبناً؟

بروتاغوراس [وافق على هذا بمضضٍ كبير].

سقراط: والمعرفة بذلك الذي يكون والذي لا يكون خَطَراً هي الشجاعة، وهي مضادة للجهل بهذه الأشياء؟

[في هذه النقطة الأساسيّة لم يعد بروتاغوراس يوافق بإيماء الرأس، بل كان صامتاً].

سقراط: ولماذا لا توافق ولا تعارض، يا بروتاغوراس؟

بروتاغوراس: إنهِ المحاورة بنفسك.

سقراط: أريد أن أسألك سؤالاً واحداً فقط. إنّني أرغب أن أعرف إذا كنت ما تزال تعتقد أن هناك رجالاً هم أكثر جهلاً وبرغم ذلك فهم أكثر شجاعة؟

بروتاغوراس: يبدو أنك مصمّمٌ بعناد على أن تجعلني أجيب، ولذلك فإنّني سأرضيك، وأقول، إنّ هذا يبدو لي مستحيلاً للاستقامة مع المحاورة.

سقراط: إنّ هدفي الوحيد من طرح كلّ هذه الأسئلة، هو رغبتي في التحقّق من طبيعة وعلائق الفضيلة لأنّ هذا إذا وضح، فإنّني جدٌّ متأكد من أنّ الجدل الآخر الذي قد واصلناه كلانا لوقت طويل ـ أنت مثبتٌ وأنا منكرٌ، أنّ الفضيلة يمكن أن تُعلَّم ـ سيصبح واضحاً أيضاً. يبدو لي أنّ نتيجة بحثنا فريدة من نوعها. فإذا كان لدى المحاورة صوت إنسان، فسيُسْمَعُ هذا الصوت ساخراً بنا وقائلاً: « يا بروتاغوراس ويا سُقراط، إنّكما مخلوقان غريبان؛ فهناك أنت، يا سقراط، الذي قلت إنّ الفضيلة لا يمكن تعليمها، وها أنت تناقض نفسك الآن بمحاولتك لتبرهن أنّ كل الأشياء تكون معرفة، شاملاً العدل، والاعتدال، والشجاعة، وهذا ما يميل ليُظهر أنّ الفضيلة يمكن أن تُعلَّم بالتأكيد. فإذا كانت الفضيلة غيراً من المعرفة، كما حاول

بروتاغوراس أن يبرهن، حينئذ فإنّ الفضيلة يمكن أن لا تُعلَّم بجلاء. لكن إذا كانت الفضيلة معرفة بشكلٍ كامل، كما تقصد أنت إيضاحه، عندئذ لا أستطيع أنا سوى أن أفترض أنّ الفضيلة تكون قادرة على أن تُعلَّم. بروتاغوزاس، على الجانب الآخر، الذي بدأ بالقول إنّها يمكن أن تعلم يبدو على العكس الآن فهو متشوّقٌ لأن يبرهن أنها أيّ شيء بالأحرى تقريباً إلاّ المعرفة؛ وإذا كان هذا صحيحاً، فيجب أن تكون غير قادرة على أن تُعلَّم ». وأنا الآن، يا بروتاغوراس، مدركٌ هذا الارتباك الرهيب في أفكارنا. لديَّ رغبة عظيمة في أن تُزال هذه كلّها. والآن بما أنّنا بحثنا هذه المواضيع، أحبّ أن أتقدّم وأسألك ما هي الفضيلة، ولأفحص السؤال سواء إذا كانت قادرة على أن تُعلَّم أو لاَ، مخافة أن يمسكنا أبيميثيوس الذي يخصّك بزلّةٍ ويخدعنا في المحاورة. إنّني أفضل بروميثيوس على أبيميثيوس في الأسطورة التي تلوت؛ وأستفيد منه كلما كنت منهمكاً بشأن هذه الأسئلة فإنّني سأكون بعناية بروميثيوس طيلة أيّام حياتي الخاصة. وإذا لم يكن لديك اعتراض، كما قلت في البدء، فأنا أرغب أكثر من كلّ شيء لأن تساعدني في المحاورة.

بروتاغوراس: يا سقراط، إنّني أستحسن نشاطك، وإدارتك للمحاورة. أنا لا أعتقد بأنّي ذو طبيعة دنيئة بشكلٍ عامّ. وبشكلٍ خاصّ، فأنا آخر رجل في العالم قد يكون حسوداً. سمعني أناسٌ كثيرون حقاً أقول بأنّي أُعجب بك أكثر من كلّ الآخرين الذين أصادمهم، وأكثر ببعيد من الرجال الذين في سنّك. ويمكنني أن أضيف أنَّ عليَّ بأن لا أتعجّب إذا ما تأهلت لتصنّف بين مشاهير الفلاسفة. دعنا نبحث هذا الموضوع في وقت مستقبلي آخر؛ أمّا في الوقت الحاضر فالوقت قد حان كي نستدير إلى شيءٍ ما آخر.

سقراط: مهما كلّف الأمر، إذا كانت هذه رغبتك. فأنا أيضاً قد أمضيت وقتاً أطول ممّا توقعت، خاصة وأن عندي موعداً تكلمت عنه خلال المحاورة. وأمكث هنا الآن لأتفضّل وأسدي منّة إلى كالياس الجميل فقط.

[هكذا اختُتِمت المحاورة وذهب كلٌ منا في طريقه].

محاورة يوثيديموس

افكار المحاورة الرئيسيّة

يقصّ سقراط لكريتون منظراً مدهشاً شارك فيه بنفسه، وكان المحاوران الرئيسيان فيه يوثيديموس وديونيسودوروس. إنّهما مواطنان من خيوس ورحلا إلى ثوري، ومن ثمّ إلى أثينا. وهما أستاذان في علم الكلام، ومصارعان بارعان كما أنّهما ملاكمان كفوءان. بجانب ذلك فهما منازلان قويّان في العدّة الحربية ويستطيعان تعليم تلك الفنون تماماً كقدرتهما على تعليم فنّ الحرب بالكلمات الذي يتمكنان بواسطته من التأثير على محاكم العدل. لذا فإنّ سقراط يتوق لأن يتعلّم منهما هذا الفنّ الجدالي برغم تقدّمه في السنّ. لهذا السبب دعا سقراط كريتون كي يشاركه تعلّمه هذا، غير أنّ الأخير اشترط عليه أن يعطيه وصفاً لحكمتيهما، كي يتمكّن مقدّماً من معرفة ما هما ذاهبان ليتعلما.

عندما وصلا إلى قاعة المناقشات العامّة وجدا عدداً من الشّباب مجتمعين مع يوثيديموس وديونيسودوروس، بينهم كلينياس الفتى الجميل، والذي قال له سقراط: إنّ هنا، يا كلينياس، رجلين عاقلين، فهما يعرفان كلّ شيء يجب أن يعرفه القائد العسكري الفذّ، كما أنّهما يستطيعان تعليم الرجل كيف يدافع عن حقوقه في محاكم العدل عند تعرضه للأذى.

سمعاني أقول هذا، واستخفّا بي. وقال يوثيديموس: تلك، يا سقراط، هي مسائل ثانويّة بالنسبة لنا. أمّا المهنة الرئيسيّة التي نجيدها فهي تعليم الفضيلة. إذا استطعتما ذلك فإنّني سأكون أوّل من يتعلّم منكما، كما من كل رجل عاقل، وأخصّ بالذكر منهم الفتى كلينياس، والذي نريد إنقاذه وتوجيهه الوجهة الصحيحة. لذلك حاوِراه في حضورنا إذا أردتما ذلك. إستجاب يوثيديموس لهذا،

لكنه اشترط أن يجيب الفتى على أسئلتهما. استهلّ يوثيديموس المحاورة بسؤال كلينياس: هل أولئك الذين يتعلمون هم العقلاء أو الجهلة. وأجاب الفتى إنّ الذين يتعلمون هم العقلاء. ثم بادره بالسؤال مرّة ثانية، إذا ما كان هو المتعلم الذي لم يعرف الأشياء التي كان يتعلمها، ولذلك لم يكن عاقلاً عندما تعلمها بل كان جاهلاً، ولهذا فإنّ من يتعلم ما لا يعرف هو الجاهل حين يتعلّم، وبناءً على هذا فإنّ الجهلة هم الذين يتعلّمون وليس العقلاء.

ثم استلم الحوار ديونيسودوروس سائلاً الفتى: وعندما أملى عليكم معلم القواعد أيّ شيء، هل كنتم الأولاد العقلاء أو الجهلة الذين تعلموا الإملاء؟ وأجاب الفتى بأنّهم كانوا العقلاء، ولذلك فالنتيجة هي أنّ العقلاء هم الذين يتعلمون وليس الجهلة، وكان جوابك الأخير ليوثيديموس خطأً. بعدئذ تلقّى يوثيديموس الفتى بيديه مرّة ثانية وقال: هل أولئك الذين يتعلّمون يتعلّمون ما يعرفونه أو ما لا يعرفونه؟ وأجابه كلينياس، إنّ أولئك الذين تعلّموا تعلّموا ما لا يعرفون. وقال يوثيديموس: ألا تعرف الحروف؟ نعم. كلّ الحروف؟ وعندما يملي عليك المعلم، ألا يملي عليك حروفاً؟ نعم وإذا عرفت كلّ الحروف، فإنه يملي عليك جزءاً من ذلك الذي تعرف؟ نعم. أنت لا تتعلّم إذن ذلك الذي يمليه عليك، بل إن الذي لا يعرف الحروف هو الذي يتعلم فقط؟ كلا، يا يوثيديموس، بل إنّني أتعلّم. إذن فأنت تتعلّم ما تعرف، إذا عرفت كل الحروف؟ نعم. إذن، كنت مخطئاً في إجابتك.

بعد هذا التقط ديونيسودوروس الكرة ورمى بها الفتى مرّة أخرى، وقال له: إنّ يوثيديموس ليس إلاّ خادعاً لك. وقل لي الآن، أليس العلم هو اكتساب المعرفة لذلك الذي يتعلّمه الشخص؟ أُصادق على ذلك. وأنّ العارف يمتلك المعرفة في الوقت؟ نعم. وأنّ اللاعارف لا يمتلك معرفة في الوقت؟ نعم. وهل أولئك الذين ينالون تلك، هم الذين يمتلكون أو لا يمتلكون؟ أولئك الذين لا يمتلكون. أولم تعترف بأنّ أولئك الذين لا يعرفون هم العدد لأولئك الذين لا يمتلكون؟ نعم. إذن،

يا كلينياس، فإنّ أولئك الذين لا يعرفون يتعلمون، وليس أولئك الذين يعرفون.

تهيَّأ يوثيديموس ليسبب كبوة ثالثة للفتى، لكنّني وجدت أنّه في ماءٍ عميق، ولذلك قلت له مواسياً: يجب أن لا تُفاجأ يا كلينياس في تفرّد أسلوبهما الكلامي، إذ هما يلقنانك المبادىء الأولى لعلمهما، وسيطلعانك على الأسرار السرّيَّة تالياً، ولقد علَّماك أوّلاً الفرق بين « الفهم » و« العلم ». ولا تعتبر أنّ ما جرى بينكم ليس إلاَّ مجرَّد تسلية ولعب، أما جواهر الكلام وإظهار العلم فسيأتيان لاحقاً، ولهذا فإنّني سأبادر بشرح نمطٍ مماثل عليهما أن يتّبعاه في الحوار معك، وذلك كي ننتفع كلنا بعرضهما.

بادرت بسؤال كلينياس: ألا يرغب كل الرجال السعادة؟ أولاَ تكمن السعادة في الأشياء الخيِّرة؟ كالعدل، والاعتدال، والشجاعة، والحكمة؟ وعلى هذه الأشياء الخيِّرة أن تنفعنا عند استعمالنا لها بحقّ، وليس استعمالها بخطأ لأنّ استعمال الشيء خطأً هو أسوأ من عدم استعماله. أوَ ليست المعرفة هي التي تهدينا لاستعمالها الصحيح، وننظم ممارستنا بشأنها على نحوٍ قويم؟ أمّا إذا كانت تحت هداية الجهل فإنها شرور أعظم، أمّا عندما تكون تحت إرشاد الحكمة والفهم الجيّد، فهي خيرات أهمّ، لكنّها لا تمتلك في أنفسها ولا تحوز مضاداتها أيّة قيمة. ألا نستنتج من بحثنا أنّ الحكمة هي الخير الوحيد، وأنّ الجهل هو الشرّ فقط، يا كلينياس؟ لكن هل يُستطاع تعليم الحكمة هذه، أو أنّها تأتي إلى الإنسان تلقائياً؟ إن هذه هي النقطة الأساسيَّة التي ما زال علينا أن نتأمّلها مليّاً، بعد أن وافقنا على كلّ النقاط السابقة.

استدرتُ بعد ذلك إلى يوثيديموس وديونيسودوروس وقلت لهما: إنّ ذلك مثال من النوع الناصح الذي أحبّ أن تقدماه، وآمل منكما أن توضحاه بشكل أمثل، واعرضا على الفتى كيف يمكنه أن يمتلك المعرفة التي ستجعله خيِّراً وسعيداً، وما هي هذه المعرفة.

هكذا تكلمت، يا كريتون، وكنت كلّي انتباه كيف سيبدآن بوعظ الفتى كي يمارس الحكمة والفضيلة. ثم تكلّم ديونيسودوروس أوّلاً وقال: أخبرني، يا سقراط، ويا بقيّة الحاضرين الذين تريدون أن يصبح هذا الفتى الشابّ عاقلاً، هل أنتم تسخرون، أو جدّيّون في الواقع؟ وإذا كنتم جدّيين فمعنى ذلك أنكم تريدونه أن يصبح ما ليس هو عليه، ولا أن يكون ما هو بعد اليوم، يعني تريدونه أن يهلك. ذعرنا بما قاله. وعندما سمع كتاسيبوس هذا غضب جدّاً، وقال: ما الذي جعلك تقول كذبة كهذه عنّي وعن الآخرين، وهي أنّني وهم نريد أن يهلك كلينياس؟ فبادره يوثيديموس قائلاً: وهل تعتقد، يا كتاسيبوس، أنّه ممكن أن تقول كذبة؟ لا أحد يقدر أن يقول ذلك الذي لا يكون لأنّ في قوله ما لا يكون سيكون عاملاً على شيء ما، واعترفت أنت سابقاً أن لا أحد يستطيع أن يعمل على ما لا يكون. ولذلك، وبناءً على تبيينك الخاص، لا أحد يقول ما هو باطل؛ لكن إذا قال ديونيسودوروس أيّ شيء، فهو يقول ما يكون حقيقياً وما يكون. وبعد أن أجابه كتاسيبوس على ما قاله، ورأيت أنّ الجوّ قد تكهرب وأصبحا ساخطين على بعضهما قلت لكتاسيبوس مازحاً: علينا أن نتقبّل ما يقوله الغريبان في كلامهما الخاصّ، وأن لا نتخاصم معهما بشأن الكلمات. إذا عرفا كيف يدمّرا الرجل في هكذا طريقة كي يجعلاه إنساناً أفضل، فليكن جسدي تقدمة لهذه التجربة الجديدة، فأنا إنسان مسنّ، وجاهز لأن أتقبّل المخاطرة. أجابني كتاسيبوس: وأنا مستعدّ لفعل ذلك أيضاً، يا سقراط، ولا يتوهّم ديونيسودوروس بأنّني غاضب منه على الإطلاق، وأنا لا أفعل سوى نقضه عندما أعتقد بأنّه يتكلّم بشكل غير مناسب. وأنت يا ديونيسودوروس الشهير، عليك أن لا تخلط بين النقض والشتم فهما شيئان مختلفان.

أجابه ديونيسودوروس: نقض! أنت تتكلّم وكأنه يوجد هكذا شيء، وكيف نستطيع أن ينقض بعضنا بعضاً، عندما يكون كل منا معبّراً عن الشيء عينه؟ يلزم

حينئذ أن نتكلّم عن الشيء عينه بالتأكيد؟ أو عندما لا يكون كل منا معبّراً عن الشيء عينه، لأنّه عندئذ لا أحد منا يقول كلمة عن الشيء على الإطلاق. لكن حينما أعبّر أنا عن شيء وأنت عن شيء آخر، أو أقول أنا شيئاً، وأنت لا تقول شيئاً، أيكون هناك أيّ نقض؟ كيف يستطيع من يتكلّم أن ينقض مَن لا يتكلّم؟

كان كتاسيبوس هنا صامتاً؛ وقلت له أنا من دهشتي: ماذا تعني فرضيّتك هذه، يا ديونيسودوروس والتي سمعتها من أتباع بروتاغوراس ومن الآخرين قبلهم؟ ظننته بأنّه تعليم مدهش، انتحاري كما هو تدميري، وأحبّ سماع حقيقته منك. ويُثبت هذا القول المأثور بأنّه لا يوجد هكذا شيء كالباطل. الإنسان يجب أن يقول ما يكون حقيقياً أو أن لا يقول شيئاً. أليس هذا موقفك؟ ولكنّني أقول لكما إذا لم يكن هناك بهتان، ولا رأي باطل ولا جهل، لا يمكن وجود هكذا شيء كالعمل الخاطىء، لأنّ إنساناً لا يقدر أن يخفق في عمل ما هو عامل. وإذا لم يكن هناك شيء هكذا كالخطأ في المأثرة، الكلمة، أو الفكر، إذن وباسم الصّلاح ماذا أتيتما هنا لتعلّما؟ أوَ لم تقولا بأنّكما تقدران على أن تعلّما الفضيلة أفضل ممّا يعلمها الرجال كلّهم ولأيّ شخص مستعد لأن يتعلّم؟

أجابني ديونيسودوروس: وهل أنت هكذا مسنّ أبله، يا سقراط، كي تعرض ما قلته أنا في البداية - وإذا قلت أيّ شيء آخر السنة، افترض أنّك ستعرضه أيضاً - لكنّك كنت مرتبكاً في كلماتك التي تفوّهت بها منذ برهة. قلت له: إنّ كلماتك، يا ديونيسودوروس، ليست كلمات يسهل الإجابة عليها، إنّها كلمات رجل حكيم. وهل تعني بكلمة « مرتبك » بأنّني لا أقدر أن أنقض محاورتك؟ هل لها أيّ معنىً أو إحساس آخر؟ وهل تعرف، يا سقراط، الكلمة التي تكون حيّة ولها إحساس؟ وبما أنّك لا تعرف، فلماذا سألتني أيّ إحساس كان لدى كلماتي؟ لماذا؟ لأنّني كنت غبيّاً وارتكبت خطأً، يا ديونيسودوروس، ولربّما كنت محقّاً مع ذلك برغم كل شيء في القول بأنّ الكلمات لها إحساس - وإذا لم أقع في الخطأ

أيّها الرجل الحكيم، فحتى أنت لا تقدر أن تنقضني، ولذلك فأنت مخطىء مرّة ثانية في القول بأنّه لا يوجد هكذا شيء كالخطأ والنقض ـ وهنا فأنا لست مشيراً إلى شيءٍ ما قد قيل آخر السنة. إنّني ميّال لأعتقد بأنّ هذه المحاورة تتمدَّد حيث كانت، وفي التعبير القديم لمدرسة المصارعة، ترمي الآخرين أرضاً وتسقط نفسها ـ إنّه مصير الذي لم يكتشف فنّك. كيف يتجنبه مع كلّ دقّة حكمته الخارقة.

بعد أن سمع كلماتي كتاسيبوس، قال لهما: أيها الرجلان القادمان من خيوس، إنّني أتعجب منكما، فيبدو أنكما لا مانع عندكما من التكلم بإسفاف.

خفت أن يخلق هذا الكلام ردَّ فعلٍ عنيف، ولذلك حاولت تهدئته، قائلاً له: عليك أن تفهم أسلوب زائرَيْنا، يا كتاسيبوس، فهما مثل الساحر المصري، بروتيوس، يتخذان أشكالاً مختلفة، ويخدعاننا بسحرهما؛ ودعنا نرفض، مثل مينيلوس، أن نتركهما يذهبان قبل أن يعرضا نفسيهما في جدّيّة حقيقية، وعندها سيظهر جمالهما الحقيقي ويتألقا ضياءً. والآن، ذكرني، يا كلينياس، في أيّة نقطة تركنا المحاورة. ألم نتفق أنّ الفلسفة يجب أن تُدرَّس؟ ألم يكن هذا استنتاجك؟ وأن الفلسفة هي اكتساب المعرفة التي تجلب لنا الخير؟ وعلينا استعمال هذه المعرفة، وأنّ هذه المعرفة لها أهلها الذين يستعملونها كما لها صنّاعها، وكل الفنون تقدِّم إنتاجها إلى الفنّ الملكيّ أو السياسيّ بما في ذلك فنّ القائد العسكريّ، وهذا الفنّ هو مصدر الحكومة الخيِّرة، وهو الفنّ الوحيد الجالس في مقبض دفّة مركب الدولة، هادياً وحاكماً كلّ الأشياء أو مستفيداً منها. أمّا الخير الوحيد فهو معرفة من نوعٍ ما. والعلم السياسي يلزم أن يجعلنا حكماء وأن يمنحنا المعرفة، إذا كان هذا العلم هو الذي يُحتمل أن يفعل لنا الخير ويجعلنا سعداء. وبما أنّني لم أعرف ما هي هذه المعرفة ناشدت ورجوت الغريبين، أن يكونا جديَّين بشكل كامل، وأن يبيّنا لنا برصانة ما هي هذه المعرفة التي ستمكّننا من أن نقضي بقيّة حياتنا سعداء.

تقدَّم يوثيديموس بعد ذلك وقال لي: إنّني أستطيع تبيين هذه المعرفة لك،

يا سقراط. إذا كنت تعرف أيّ شيء، فأنت تعرف كلّ شيء. وبما أنّك قلت أنّك تعرف شيئاً ما فلذلك أنت عارف بها كلّها. قلت له: وهل أنتما تعرفان كلّ شيء، يا يوثيديموس؟ فردّ عليَّ ديونيسودوروس، بأنّهما يعرفان كلّ الأشياء إذا عرفا شيئاً واحداً. قلت: وهل تعرفان كلّ الأشياء بما فيها النجارة، وقصّ الجلد، والخياطة، والأسكفة، وعدد النجوم، وعدد حبّات الرمال؟ فأجابني، أنّهما يعرفان كلّ شيء بكلّ تأكيد. قال كتاسيبوس، مقاطعاً: إنّي أستحلفكما، أعطياني على ما تقولان برهاناً يجعلني قادراً على معرفة ما إذا ما كنتما تتكلمان الحقيقة، وذلك بإخباري كم عدد أسنانكما. وأجاباه، بأنهما يعرفان كلّ شيء. سألت ديونيسودوروس حينها، إذا كان قادراً أن يرقص، فأجاب بنعم، وأنّه يقدر أن يقفز بين السيوف، ويدور على الدولاب، وأنّهما عرفا كلّ شيء منذ ولادتهما، وعندما كانا طفلين. ثم التفت إليَّ يوثيديموس، وقال: يا سقراط، وأنت تعرف كلّ هذا تماماً، إذا ما أجبتني على سؤالٍ. هل تعرف شيئاً أو لا تعرف شيئاً، يا سقراط؟ إنّني أعرف. وهل تعرف بماذا تعرف، أو أنك تعرف بشيء ما آخر؟ أعرف بما أعرف. وهل ستكون قادراً أن تعرف كلّ الأشياء، إذا لم تعرف كلّ شيء؟ مستحيل. وبعدُ يمكنك أن تضيف ما تريد، فأنت اعترفت بأنّك تعرف كلّ شيء.

والآن أجبني أنت، يا يوثيديموس. كيف أستطيع أن أقول بأنّني أعرف أشياء كهذه، مثل أنّ الأخيار يكونون ظالمين؟ تعالَ، هل أعرف أنا ذلك أو لا أعرفه؟ أنت تعرف، يا سقراط، أنّ الأخيار ليسوا ظالمين. وأين تعلّمت أنا ذلك، يا يوثيديموس؟ قال ديونيسودوروس، لم تتعلّمه في أيّ مكان. إذن، فأنا لا أعرفه. عندها قال له يوثيديموس، إنّك تخرّب المحاورة، يا ديونيسودوروس، لأنّ سقراط سيبرهن أنّه لا يعرف، وبعد كل ذلك سيكون عارفاً وغير عارفٍ في الوقت عينه. واحمرّ وجه ديونيسودوروس خجلاً. استدرت حينها إلى يوثيديموس وقلت له: ماذا تعتقد، يا يوثيديموس، هل يظهر لك أخوك العالم بكلّ شيء أنه مخطىء؟ فاجابني

ديونيسودوروس في لحظة، هل أنا أخو يوثيديموس؟ قلت له: من فضلك أن لا تقاطعنا، يا صديقي الصالح، أو تمنع يوثيديموس من البرهنة لي أنّني أعرف الخيّر أنه ظالم، يمكنك أن تسمح لي بتعلُّم درس كهذا على الأقلّ. إنّك تتهرَّب من المحاورة، يا سقراط، وترفض أن تجيب. قلت له: لا عجب في ذلك، فأنا لست نظيراً لواحدٍ منكما وضعيفاً في علم الكلام. عليّ أن أهرب من الاثنين. أنا لست هرقل، وحتى هرقل لم يستطع أن يحارب ضدّ الهيدرا سوفسطائية. فقال لي ديونيسودوروس: هل ستخبرني، يا سقراط، إذا ما كان آيولوس ابن أخي هرقل أكثر من كونه ابن أخيك؟ إنّني سأجيبك، يا ديونيسودوروس، بما أنك تمنعني من أن أتعلَّم الحكمة من يوثيديموس، وأقول لك، بأنّه لم يكن ابن أخي على الإطلاق، بل ابن أخي هرقل، وأبوه لم يكن أخي باتروكلس، لكن إيفيكليس، الذي هو أخو هرقل. وهل يكون باتروكلس أخاك؟ نعم إنّه أخي من أمي وليس من أبي. إذن، فهو أخوك، وليس بأخيك؟ نعم، إنّه ليس من الأب نفسه، يا رجلي الطيّب، لأنّ تشايراديموس كان أباه، وأبي كان سافرونيسكوس. إذن، فإن تشايراديموس كان غيراً من أب، وكونه غيراً من أب، فهل تكون أنت، يا سقراط، الشيء عينه كالحجر؟ أنا لا أعتقد بأنّي حجر بكل تأكيد، ومع هذا فأنا أخشى أن يكون بإمكانك برهنة أني واحد.ألست أنت غيراً من الحجر؟ نعم. وكونك غيراً من الحجر، فأنت لست حجراً. وكونك غيراً من ذهب، فأنت لا تكون ذهباً. وهكذا فإنّ تشايراديموس، كونه غيراً من أب فهو ليس أباً.

قال يوثيديموس، بعد أن استلم المحاورة: فإذا كان تشايراديموس أباً، حينئذ فإن سافرونيسكوس، كونه غيراً من أب، لا يكون أباً، وتكون أنت بلا أب يا سقراط. فرد عليه كتاسيبوس قائلاً: أو لاَ يكون أبوك في الحالة عينها لأنّه غيراً من أبي؟ لا بالتأكيد. إذن فهو يكون الشيء عينه؟ إنّه الشيء عينه. إنّ الفكرة لا تسرّني. أيكون هو أبي فقط، يا يوثيديموس، أو أنّه هو أبٌ لكلّ الرجال الآخرين؟ إنه أبٌ لكلّ

الرجال الآخرين. هل تفترض، يا كتاسيبوس، أنّ الشخص ذاته يكون أباً وليس أباً؟ إنّني أتصوّر هذا بدون ريب. وهل تفترض أنّ الذهب لا يكون ذهباً وأنّ إنساناً لا يكون إنساناً؟ إنّهما لا يكونان في نسبة مادّية، يا يوثيديموس، ومن الأفضل أن تكون جذراً، لأنّه شذوذٌ أن تفترض أنّ أباك هو أبو الجميع. لكنّه أبٌ للجميع. ماذا، هل هو أبٌ للرجال فقط، أو للأحصنة ولكل الحيوانات الأخرى؟ إنه أبٌ للكل. وهل أمّك أمٌ للجميع أيضاً؟ نعم. وهل لدى أمّك ذريّة بحرية من أولاد الشوارع الأشقياء؟ نعم. وأمّك أيضاً، يا كتاسيبوس. وهل يكون سمك القوبيون النهريّ وجراء الكلاب وصغار الخنازير أخوتك؟ نعم، وهي أخوتك كذلك. وهل أبوك خنزير بريّ وكلب؟ وهذه هي حال أبيك. فقال يوثيديموس، سأستخرج الاعترافات عينها منك قريباً إذا ما كنت ستجيب على أسئلتي، يا كتاسيبوس. هل لديك كلب؟ نعم، وواحدٌ وغد، وهل له جراء صغيرة؟ نعم، وتشبهه إلى حد بعيد. وهل الكلب أبوها؟ نعم، إنّني رأيته يتّصل بأم جراء الكلب الصغيرة بالتأكيد. أو ليس هو ملكك؟ إنّه ملكي بدون ريب. ما دام الأمر كذلك، فهو أبٌ، وهو ملكك، وجراء الكلب الصغيرة هي أخوتك. فقال ديونيسودوروس مقاطعاً بسرعة: دعني أسألك سؤالاً صغيراً واحداً أكثر، كي لا يتمكن كتاسيبوس من أن يردّ على السؤال بكلمة؛ هل تضرب كلبك، يا كتاسيبوس؟ فأجابه ضاحكاً: إنّي أضربه حقّاً، بما أنّني لا أستطيع ضربك. إذن، أنت تضرب أباك؟ سيكون لديّ سبب أكبر لأضرب أباك. بماذا كان يفكر هو عندما أنجب هذين الولدين العاقلين؟ إنّ أباكما هذا استخرج خيراً كثيراً منكما ومن أخوتكما جراء الكلاب الصغيرة ومن حكمتكما هذه. فأجابه ديونيسودوروس لكن لا أنت ولا هو، يا كتاسيبوس، تتملككما أيّة حاجة لخير كثير.

هكذا استمرّ هذان السوفسطائيّان في طرح أسئلة والإجابة على الأسئلة، يا عزيزي كريتون، وقد استحسن الحاضرون كلامهما بشكل كامل، وكانوا غارقين بالضحك

والتصفيق والغبطة تقريباً عند كل ضربة ناجحة لهما، وكنت متأثراً بهما لهكذا درجة. ولهذا السبب ألّفت خطاباً، واعترفت فيه بأنّني لم أرَ مثلهما في الحكمة، وشرعت في الإعجاب بهما والثناء عليهما. لذلك يجب أن تذهب إليهما وتتعلّم منهما.

أخشى، يا سقراط، أنّني لست من العقلية عينها التي ليوثيديموس، بل واحدٌ من النوع الآخر، الذي كما كنت قائلاً، سيفضّل أن يُنقض بهكذا محاورات من أن يستعملها لنقض الآخرين. ونصحني إنسان متخصّص في فنّ الخطابة الجدليّة ـ ذلك الذي ابتعد عنك وأتى إليّ بينما كنت أتمشى صعوداً ونزولاً ـ قال لي: « يا كريتون، ألا تعطي انتباهاً لهذين الرجلين الحاكمين »؟ أجبته: « إنّني لم أستطع الاقتراب منهما لأسمعهما ـ كان هناك جمهور عظيم ». قال: « لو استطعت الدنوّ منهما لكنت سمعت شيئاً ما جديراً بالسماع ». سألته: « وماذا كان ذلك؟ » أجابني: « كنت سمعت أهم المعلمين في فنّ علم الجدل يتباحثان ». قلت: « وما رأيك فيهما »؟ أجاب: « إنّ كلامهما كان نوعاً من البحث الذي يمكن لواحد أن يسمعه في أيّ وقت من هذين الرجلين الناطقين هراءً، محدثين ضجة كبيرة لأمرٍ تافه ». « كان هذا هو التعبير الذي استعمله في وصفهما ». قلت له: « إنّ الفلسفة هي شيء رائع بكلّ تأكيد ». أجاب: « رائع، أيّة بساطة تتكلّم بها. إنّ الفلسفة هي لا شيء ». وأعتقد أنّك لو كنت قد حضرت لكنت استحيت بصديقك ـ إنّ تصرفه كان غريباً جداً لوضع نفسه تحت رحمة رجلين لا يعتنيان بما يقولان، ويمسكان كلّ كلمة تُقال بإحكام. وهذان، كما أخبرتك، يُفترض أنّهما الأستاذان الأكثر شهرة في عصرهما. لكنّ الحقيقة، يا سقراط، أنّ الدراسة نفسها والرجال الذين يتابعونها هم حقيرون ومضحكون ».

قلت لكريتون: إنّ رجالاً كهذين الرجلين هما مذهلان، لكن دعني أعرف قبل كلّ شيء أيّ نوع من الإنسان كان هو الذي أتى إليك ولام الفلسفة. أكان هو خطيباً ذلك الذي يمارس الخطابة في محاكم العدل، أو أنّه معلم الخطابيّين، الذين

يؤلفون الأحاديث وبها يتحاربون؟ أجابني كريتون إنّه ليس خطيباً ولا حضر في محكمةٍ قطّ، لكنّهم يقولون بأنّه يجيد هذا العمل، وهو رجل حاذق، ويؤلف خُطباً حسنة الأفكار.

حسناً، كريتون، أفهم الآن أنّه واحد من النوع الذي كنت على وشك أن أذكره ـ و. د من أولئك الذين يصفهم بروديكوس وكأنهم على الحد الفاصل بين الفلا فة ورجال الدولة؛ هم لا يؤمنون بشيء، لكن خصومتهم للفلاسفة تمنع هذا الا نراف من أن يصبح اعترافاً شاملاً، ويدّعون أنّ لديهم كفاية من علم الفلسفة والسياسات. ألا تعتقد، يا سقراط، بأنّه لا يوجد شيء فيما يقولون؟ يوجد شيء ما مموّهاً في ادّعائهم ذلك بدون ريب. نعم، يا كريتون، هناك تمويه أكثر من الحقيقة، ولا يمكن جعلهم يفهمون طبيعة المتوسطات لكل الأشياء أو الاشخاص التي هي وسطٌ بين شيئين آخرين وتشترك فيهما كليهما. إنّهما لا يفهمان المبادىء المركّبة في الحصول على غايتهما، ومن ثمّ فهما جاهلان أنّ اتّحاد شيئين خيرين لهما غايتان متباينتان ينتجان مركّباً أدنى منهما كليهما إذا أُخِذا مُنفصلين.

أجابني كريتون: لقد أخبرتك غالباً، يا سقراط، بأنّني في حرج دائم بشأن أولادي، وماذا سأفعل بهما؟ لا عجلة بخصوص الأفتى، الذي سيحسّنه. كذلك فإنّي قلق بشأن اقترانهما بفتاةٍ ذات عائلة صالحة لتكون زوجة لهما، وبعدئذ حول تكديس المال لهما.

قلت له: كن معقولاً، يا كريتون، ولا تهتمّ، سواء أكان أولئك الذين يتعقبون الفلسفة أخياراً أو شراراً، بل فكّر في الفلسفة نفسها فقط. اختبرها جيّداً وبحقّ، وإذا كانت سيّئة، حاول أن تبعد كل الرجال عنها، وليس ولديك فقط؛ لكن إذا كانت ما أعتقده أنّها هي، اتبعها بعدئذ، وآخدمها أنت وكل أهل بيتك، كما هو القول المأثور، وكن سعيداً.

محاورة يوثيديموس

اشخاص المحاورة

سقراط: قاصُّ المحاورة   يوثيديموس

كريتون   ديونيسودوروس

كلينياس   كتاسيبوس

المشهد: قاعة المناقشات العامة.

كريتون: يا سقراط من كان الشخص الذي كنت تتكلّم معه البارحة في قاعة المناقشات العامة؟ كان ذلك الجمع من الناس حولك لذلك لم أستطع أن أقترب منك كفاية لأسمع أيّ شيء بوضوح، غير أنّني تمكّنت من رؤيته من فوق رؤوس الحاضرين، وأدركت، كما تصوّرت، أنّ الذي كنت تتحدث معه غريب. فمن كان؟

سقراط: كان هناك اثنان، يا كريتون؛ أيّهما تقصد؟

كريتون: الذي أقصده كان الثاني إلى يمينك. وكان في الوسط ابن اكسيخوس الشابّ. ظننت أنّه قد كبر بشكل مذهل، ويبدو أنّ عمره من عمر ابني كريتوبولوس تقريباً، لكنّه أكثر تقدّماً وله جمال التربية الحسنة، مع أنّ الآخر كان نحيلاً جداً.

سقراط: إنّ الذي تقصده، يا كريتون، هو يوثيديموس؛ وكان جالساً على جانبي الأيسر أخوه ديونيسودوروس الذي شارك أيضاً في الحوار.

كريتون: لا أعرف أحداً منهما، يا سقراط؛ إنّهما استيراد جديد من السوفسطائيين، كما يجب أن أتصوّر. من أيّ بلادٍ هما، وما هو اتجاه حكمتهما؟

سقراط: فيما يخص منشأهماه أعتقد أنّهما ينتميان إلى هذا الجزء من العالم، وهاجرا من خيوس إلى ثوري؛ ثم أُجبِرا على تركها، ولقد عاشا في هذه البقاع لعدة سنوات خلت. وأمّا حكمتهما التي تسأل عنها، يا كريتون، فإنّهما رائعان ـ ثنائيٌّ متكامل! إنّني لم أعرف قطّ ما هو المصارع والملاكم الحقيقيّ من قبلُ؛ إنّهما حازا نبوغاً شاملاً في القتال، وهما لا يشبهان الأخوين المصارعين والملاكمين الحقيقيين الأكرينيين اللذين يحاربان بجسديهما فقط. إنّ هذا الثنائي من الأبطال إلى كونهما كاملين في استعمال جسديهما « فإنّهما ممتازان في النزال بالعدة الحربيّة، ويستطيعان تعليم الفنّ لأيّ شخص يدفع لهما ». هما الأكثر حذقاً في الصراع القانوني؛ إنّهما سيعتبران نفسيهما ويعلمان الآخرين ليتكلموا ويؤلّفوا خطباً لها تأثير على محاكم العدل. وكان هذا حدَّ براعتهما، لكنّهما سارا أخيراً في فنّ المصارعة والملاكمة إلى نهايته بالتحديد. إنّهما تحكّما بأسلوب النزال الوحيد الذي كانا قد أهملاه حتى الآن. وبعدُ فإنّ أحداً لم يجرؤ حتى على الوقوف ضدّهما في هذا المجال. هكذا يكون حذقهما في الكلمات. فهما يقدران أن ينقضا أيّة قضيّة سواء أكانت حقيقيّة أو زائفة. والآن فإنّني أفكّر، يا كريتون، في وضع نفسي بين يديهما لأنّهما يقولان إنّهما يتمكنان من نقل البراعة عينها لأيِّ شخص في وقتٍ قصير.

كريتون: لكن، يا سقراط، ألست خائفاً من أنّك ربّما أصبحت مسنّاً جدّاً؟

سقراط: لا بالتأكيد، يا كريتون؛ إنّ لديَّ دليلاً كافياً ليشجعني. هما نفساهما، بدآ فنّ الجدال الذي أتوق إليه في عمري هذا تماماً، كما يمكنني أن أقول؛ لم يكن لديهما أيّ شيء من حكمتهما الجديدة هذه، آخر السنة الماضية، أو السنة التي قبلها. إنّني متوجّسٌ خيفة من أنّه يمكنني أن أجلب سوء السمعة للغريبين الاثنين فقط، كما فعلت مع كونوس بن ميتروبيوس، عازف القيثار،

الذي ما زال معلمي الموسيقيّ. فعندما يراني الأولاد الذين يذهبون إليه ذاهباً معهم، فإنّهم يسخرون مني ويدعونه معلم الجدّ. والآن فأنا لا أرغب أن يختبر الغريبان المعاملة عينها. إنّ الخوف من السخرية يمكن أن يجعلهما غير مستعدّين لأن يتقبّلاني. ولذلك، يا كريتون، فإنّني سأحاول إقناع بعض الرجال المسنّين ليرافقوني إليهما، كما أقنعت بعضهم ليذهبوا معي إلى كونوس. آمل أنّك ستكون واحداً منهم، ولربّما يمكننا أن نصطحب أولادك كحلٍّ أفضل وكإغراء. هما سيريدانهما أن يكونا عندهما كتلامذة، وسيكونان عازمين على تعليمنا من أجلهما.

كريتون: إنّني لا أرى اعتراضاً إذا أحببت، يا سقراط؛ لكن أريدك أوّلاً أن تصف لي حكمتهما، كي أتمكّن من أن أعرف مقدّماً ما الذي نحن ذاهبون لنتعلمه.

سقراط: سوف تسمع ذلك في أقصر وقت؛ فأنا لا أستطيع أن أقول بأنّي لم أحضر ـ إنّني أوليت اهتماماً كبيراً لهما، وأتذكّر وسأسعى لأردّد القصة بكاملها. بعناية الله كنت جالساً لوحدي في غرفة قاعة المناقشات العامّة لتغيير الثياب حيث رأيتني، وكنت على وشك مغادرتها عندما هممت بالوقوف ميّزت الإشارة الإلهيّة المعتادة التي تأتي إليّ. لذلك جلست مرّة ثانية، ودخل الأخوان الإثنان يوثيديموس وديونيسودوروس بعد مدّة قصيرة، ومعهما بعض مريديهما. أعتقد أنّهم عدد لا يستهان به. بدأوا السير في ردهة المحكمة، لكنّهم لم يدوروا أكثر من دورتين أو ثلاث دورات عندما دخل كلينياس « الذي صار متحسّناً جداً، كما تقول »، وتبعه جمعٌ من المحبين بعدئذ، بينهم كتاسيبوس، وهو شابٌ من مقاطعة باينيا. إنّه شاب مهذّب جدّاً أُنقذ من بعض اضطراب الشباب. رآني كلينياس من المدخل حيث كنت جالساً لوحدي، وأتى إليّ رأساً وجلس بجانبي الأيمن، كما

وصفت. وعندما رآه ديونيسودوروس ويوثيديموس، توقفا وكلم بعضهما بعضاً في البداية، ثم ألقيا نظرة علينا وكنت أرقبهما بشكل خاصّ. إقترب يوثيديموس حينئذ وجلس بقرب الشابّ، وجلس ديونيسودوروس على جانبي الأيسر وجلس الباقون في أيّ مكان. حيّيت الأخوين اللذين لم أرهما منذ وقت طويل؛ وقلت لكلينياس بعدئذ: هنا، يا كلينياس، رجلان عاقلان، يوثيديموس وديونيسودوروس، عاقلان ليس بطريقة صغيرة، بل بطريقة كبيرة للحكمة لأنّهما يعرفان كلّ شيء عن الحرب - كلّ ذلك الذي يجب أن يعرفه القائد العسكري الفذّ عن تنظيم وإمرة الجيش وفنّ الصراع في العدّة الحربيّة. وهما يستطيعان أن يعلّما الرجل كيف يدافع عن حقوقه في محاكم العدل عند تعرّضه للأذى.

[سمعاني أقول هذا، واستخفّا بي. لاحظت أنّهما تطلّعا أحدهما إلى الآخر، وضحكا؛ وقال يوثيديموس بعدئذ]: تلك، يا سقراط، هي المسائل التي لم نتعقبها بشكلٍ جدّيٍّ لفترة خلت؛ بل نعتبرها مهناً ثانوية.

سقراط: [قلت لهما بتعجّب]، حقاً، إذا اعتبرتما هذه المهن وكأنها مهن ثانوية، فما يجب أن تكون المهن الرئيسيّة التي تجيدانها؟ أخبراني، ألتمس منكما القول، ما هي تلك الدراسة النبيلة؟

يوثيديموس: الفضيلة، يا سقراط، ونعتقد أنّنا نستطيع أن ننقلها أفضل وأسرع من أي إنسان، ولأيِّ إنسان.

سقراط: يا للسّماء، ما هذا الشيء الرائع! أين وجدتما هذا الكنز غير المتوقّع؟ إنّني لا أزال أفكر، كما كنت قائلاً لتوّي، أنّ إنجازكما الرئيسي كان فنّ القتال في العدّة الحربيّة؛ واعتقدت أن أقول هكذا، لأنّني كما أتذكّر، أنتما أعلنتما هذا عندما كنتما هنا قبلاً. لكن الآن إذا كانت لديكما المعرفة الأخرى بحقّ، أوه سامحاني: أنا أخاطبكما كما أخاطب المخلوقات الأسمى وأسألكما

أن تغفرا لي جحود تعبيراتي السابقة. لكن هل أنتما متأكدان من هذا يا ديونيسودوروس ويا يوثيديموس؟ إنّ الوعد لفسيح، وإنّ الشك لطبيعيّ فقط.

يوثيديموس: يمكنك أن تعتبر كلمتنا، يا سقراط، مثل اعتبارك الحقيقة.

سقراط: إذن فإنّني أعتقد بأنّكما سعيدان في حيازة كنزٍ كهذا أكثر من الملك العظيم في امتلاكه لمملكته. وأخبراني من فضلكما إذا ما كنتما تقصدان عرض حكمتكما أو ماذا ستفعلان؟

يوثيديموس: نحن أتينا إلى هنا لهذا السبب، يا سقراط؛ وغرضنا ليس أن نعْرض حكمتنا فقط، بل لنعلم أيّ شخص يحب أن يتعلم أيضاً.

سقراط: لكنّني أقدر أن أعدكما أنّ كلّ شخص غير فاضل سيريد أن يتعلّم. وسأكون أنا أوّل المتعلّمين؛ وهنا الفتى كلينياس، وكتاسيبوس؛ وهناك عديد آخرون كذلك. وأشرت إلى محبّي كلينياس الذين بدأوا التجمّع حولنا. وكان كتاسيبوس جالساً على مسافة ليست بعيدة من كلينياس، وعندما انحنى يوثيديموس إلى الأمام بينما كان يتكلم معي، حجب رؤياه عن كلينياس الذي كان بيننا؛ وهكذا لأنّه أراد أن ينظر إلى جيبه بشكل جزئي، ولأنّه كان متشوّقاً له أيضاً قفز من مكانه ووقف قبالتنا. وأتى كلّ معجبي كلينياس الآخرين، كما أتى مريدو يوثيديموس وديونيسودوروس كذلك ووقفوا حولنا عندما رأوه يتحرّك من مكانه. وهؤلاء هم الأشخاص الذين عرضتهم ليوثيديموس، وأخبرته أنّهم كلهم متشوقون ليتعلّموا منه. صادق على هذا كتاسيبوس وجميعهم بصوتٍ حماسيٍّ واحد وطلبوا منه أن يعرض قوّة حكمته.

قلت بعدئذ: أوه يا يوثيديموس وديونيسودوروس، إنّني ألتمس منكما بجديّة أن تسديا المعروف لي وللجماعة ككلّ، وتعرضا هذا الكنز. أعرف أنّه

سيكون عملاً شاقّاً جدّاً لكما أنْ تمنحانا تقديماً شاملاً عنه، لكن أخبراني شيئاً واحداً ـ هل تستطيعان أن تخلقا إنساناً صالحاً مِنَ الذي اقتنع مسبقاً أنه يجب أن يتعلم منكما، أو من الذي لم يقتنع، لأنَّه يتصوَّر إمَّا أنّ الفضيلة شيء لا يمكن أن يعلَّم على الإطلاق، أو أنَّكما لستما معلِّميها؟ أيكون هذا عملاً واحداً وللفنّ عينه لتقنعا مَن يكون مِنَ المزاج العقلي الأخير، وهي أنّ الفضيلة يمكن أنْ تُعلَّم، وأنَّكما أنتما الرجلان اللذان سيتعلمها منكما بشكل أفضل معاً في وقت واحد؟

ديوروس[١٤]: نعم يا سقراط، أعتقد على الأصحّ أنّنا لكذلك، وفنّنا سيقوم بكليهما.

سقراط: وأنت وأخوك، يا ديونيسودوروس، تكونان من بين كلّ الرجال الأحياء الآن الأكثر احتمالاً كي تحفزاه ليتجه إلى الفلسفة وإلى دراسة الفضيلة.

ديوروس: بكلّ تأكيد، يا سقراط.

سقراط: أرغب منك إذن أن تكون طيباً وترجىء الجزء الآخر من الإيضاح وتقصر بحثك على النقطة الأساسيَّة. أَقنع الفتى الذي تراه هنا بأنّه يجب أن يكون فيلسوفاً وأن يدرس الفضيلة. إفعل ذلك، وستنعم عليَّ بمعروف عظيم، وعلى كلّ شخص حاضر. الحقيقة أنني، وكل الموجودين هنا، متلهفون لأقصى حدّ لأن يصبح هو خيّراً بحقّ. إسمه كلينياس، وهو ابن اكسيوخوس، وحفيد ألسيبيادس المسنّ، إبن عم ألسيبيادس الموجود الآن. إنّه فتيٌّ تماماً، ونحن خائفون بشكل طبيعي من أن يوجه شخص ما معنا، عقله في الاتجاه الخاطىء، ويمكن أن يهلك حينئذ. إنّ زيارتك، لذلك، هي الأسرُّ توقيتاً؛ وإنّني لآمل في أنك ستخلق محاولةً لأجل هذا الإنسان الفتيّ، وتتحاور معه في حضورنا، إذا لم يكن لديك اعتراض.

[كانت هذه هي العبارات التي استعملتها على وجه التقريب؛ وأجاب يوثيديموس في نبرة رجولة وكلّها ثقة بالنفس في الوقت عينه أجاب قائلاً: لا اعتراض، يا سقراط، إذا ما كان الإنسان الفتيّ على استعداد لأن يجيب على الأسئلة].

سقراط: إنه لمعتاد على أن يفعل ذلك تماماً لأنّ أصدقاءه يأتون إليه غالباً ويسألونه أسئلة ويتحاورون معه؛ ولهذا فهو سيجيب على الأسئلة بشكل تامّ.

ماذا تبع، يا كريتون، وكيف أقدر أن أقصَّ المحاورة بشكل جيّد؟ إنّ العمل الشاقّ ليس طفيفاً في تعديد الحكمة اللامحدودة، ولهذا السبب، يجب أن أستهلّ روايتي بابتهالٍ إلى التذكّر وآلهة الشعر، مثل الشعراء. والآن ابتدأ يوثيديموس بسؤال الفتى كما يلي تقريباً، إذا ما كنت أتذكر جيداً: أوه، يا كلينياس، هل أولئك الذي يتعلمون هم العقلاء، أو الجهلة.

أُخضِع الفتى بالسؤال، واحمرَّ وجهه خجلاً، ثم تطلَّع إليَّ للمساعدة في حين كان مرتبكاً؛ ولاحظت أنّه تحيّر. قلت له: تشجَّع، يا كلينياس، وأجب بما تفكر به كالرجل؛ فأنا أتخيَّل أنك في طريق الحصول على النفع الأكبر.

ديوروس: أيّهما يجيب، إنّني أتنبأ بأنّه سيُنقض، يا سقراط. [قال هذا بعد أن انحنى باتّجاهي إلى الأمام حتى اقترب من أذني، وكان وجهه طافحاً بالضحك].

[بينما كان يتكلّم هو معي، أعطى كلينياس جوابه. ولهذا السبب لم يكن لديَّ وقت لأحذّره كي يحترس، وأجاب أنّ أولئك الذي يتعلّمون هم العقلاء].

تابع يوثيديموس: هناك الذين ستسمّيهم أساتذة. أليس كذلك؟

كلينياس: أوافق.

يوثيديموس: وهم الأساتذة لأولئك الذين يتعلمون ـ معلِّم القواعد، ومعلم العزف

على العود تعوَّد على أن يعلمك وأن يعلِّم الأولاد الآخرين؛ وأنتم كنتم المتعلمين؟

كلينياس: نعم.

يوثيديموس: وعندما كنتم متعلمين لم تعرفوا وقتها الأشياء التي كنتم تتعلّمونها؟

كلينياس: لا.

يوثيديموس: وهل كنتم عقلاء حينئذ؟

كلينياس: لا، حقاً.

يوثيديموس: لكنّكم إذا لم تكونوا عقلاء فأنتم جهلة؟

كلينياس: بكلّ تأكيد.

يوثيديموس: أنتم إذن، تتعلمون ما لم تعرفوه، وكنتم جهلة حين كنتم تتعلمون؟

[أومأ الفتى برأسه دليل الموافقة].

يوثيديموس: إذن فإنّ الجهلة هم الذين يتعلّمون، وليس العقلاء، يا كلينياس، كما تتصوَّر.

[ضحك وهتف لهذه الكلمات أتباع يوثيديموس وديونيسودوروس، مثلما تفعل مجموعة المغنين عندما يأمرهم قائدهم بالغناء. عندئذ، وقبل أن يُتاح للفتى أن يلتقط أنفاسه بشكلٍ كامل، تلقّاه ديونيسودوروس بيديه، وقال: نعم، يا كلينياس؛ وعندما يملي عليكم معلم القواعد أيّ شيء، هل كنتم الأولاد العقلاء أو الجهلة الذين تعلموا الإملاء؟]

كلينياس: كنّا العقلاء.

ديوروس: ورغم كل شيء فالعقلاء هم المتعلّمون وليس الجهلة. [وكان جوابك الأخير ليوثيديموس خطأً].

[عندئذ ومرّة ثانية فإنّ المعجبين بهذين البطلين، وفي نشوة حكمتهما، اطلقوا عاصفة أخرى من الضحك. في حين كنا، نحن الباقين صامتين

ومذهولين. أما يوثيديموس، فلم يَرِقَّ للفتى عندما لاحظ ما حصل؛ وكان راغباً في أن يصعِّد تأثيره؛ وواصل طرح الأسئلة الملتوية مثل الاستدارة المضاعفة لراقص ماهر] وقال: هل أولئك الذين يتعلّمون يتعلّمون ما يعرفونه، أو ما لا يعرفونه؟

[همس في أذني ديونيسودوروس: ذلك، يا سقراط، سؤال آخر من النوع عينه تقريباً].

سقراط: يا للسماء، وكان سؤالك الأخير هكذا جيداً.

ديوروس: إنه مثل كل أسئلتنا، يا سقراط، لا مخرج منها.

سقراط: إنّني أرى السبب لماذا أنتما في هكذا سمعة طيبة بين أتباعكما.

[في غضون ذلك أجاب كلينياس على سؤال يوثيديموس أنّ أولئك الذين تعلموا يتعلمون ما لا يعرفونه؛ ووضعه هو في سلسلة من الأسئلة من النوع عينه، كما فعل به قبلاً].

يوثيديموس: ألا تعرف الحروف؟

كلينياس: بلى.

يوثيديموس: كل الحروف؟

كلينياس: نعم.

يوثيديموس: وحينما يملي عليك المعلم، ألا يملي عليك حروفاً؟

كلينياس: أوافق على ذلك أيضاً.

يوثيديمُوس: إذا عرفت كل الحروف إذن، فإنّه يملي عليك جزءاً ممّا تعرف؟

كلينياس: أعترف بهذا.

يوثيديموس: إذن، أنت لا تتعلّم ما يمليه عليك؛ بل مَنْ لا يعرف الحروف يتعلّم فقط؟

كلينياس: لا، بل إنّني أتعلّم.

يوثيديموس: إذن، أنت تتعلّم ما تعرف، إذا عرفت الحروف كلّها؟

كلينياس: أعترف بذلك.

يوثيديموس: إذن، كنت أنت مخطئاً في إجابتك؟

[ما كاد يتفوّه بهذه الكلمة حتى بادر ديونيسودوروس إلى الإمساك بالمحاورة، مثل الكرة التي التقطها، ورمى بها الفتى مرة أخرى وقال له]: يا كلينياس، إنّ يوثيديموس ليس إلاّ خادعاً لك. وأخبرني الآن، أليس العلم هو اكتساب المعرفة لذلك الذي يتعلمه الشخص؟

كلينياس: أصادق على هذا.

ديوروس: ويكون العارف ممتلكاً المعرفة في الوقت؟

كلينياس: أعترف بذلك.

ديوروس: وهل أولئك الذين ينالون تلك المعرفة هم الذين يمتلكون أو لا يمتلكون شيئاً؟

كلينياس: أولئك الذين يمتلكون.

ديوروس: أو لم تعترف أنّ أولئك الذين لا يعرفون هم عدد أولئك الذين لا يمتلكون؟

كلينياس: أوافق.

ديوروس: إذن، يا كلينياس، إنّ أولئك الذين لا يعرفون يتعلمون، وليس أولئك الذين يعرفون؟

[تهيّأ يوثيديموس كي يسبّب للفتى كبوة ثالثة أخرى؛ غير أنّني عرفت بأنه في ماءٍ عميق، ولذلك بما أنّي رغبت أن أعطيه فترة راحة خشية أن تهن عزيمته، قلت له بمواساة]: يجب أن لا تُفاجأ، يا كلينياس، في ميزة أسلوبهما الكلامي الفريدة. أقول هذا لأنّه لا يمكنك أن تفهم ما يفعله الغريبان بك؛ إنّهما يلقّنانك المبادىء الأولى لعلمهما على غرار أسلوب

الكوريبانتيين للطقوس الدينيّة السرّيّة؛ ويتطابق هذا مع التتويج الذي سيكون كما ستعرف، إذا ما كنت قد اطلعت على الأسرار هذه أبداً، سيكون مترافقاً بالرقص وألعاب الرياضة. والآن فهما يثبان ويرقصان مرحاً في لعبٍ حولك، .وسيتقدمان تالياً ليطلعاك على الأسرار الخفيّة. تصوّر آنئذ أنّك قاسيت خلال القِسم الأوّل من مجموعة الطقوس السوفسطائية التي تبتدىء بتعليم الاستعمال الصحيح للمصطلحات، كما يقول بروديكوس. إنّ السيّدين الغريبين، مع علمهما أنك لم تعرف، أرادا أن يشرحا لك أنّ الكلمة « لتتعلم » لها معنيان، وتُستعمل أوّلاً في معنى كسب معرفةٍ لمسألةٍ ما لم يكن لديك معرفة بها مسبقاً، وأيضاً عندما تمتلك المعرفة في معنى مراجعة هذه المسألة عينها، سواء أكان الشيء مفعولاً أو منطوقاً. على ضوء هذه المعرفة الحديثة تدعى الأخيرة بشكل عام « فهماً » بدلاً من « علم »، غير أنّ الكلمة « علماً » تُستعمل أيضاً؛ وأنت لم ترَ كما شرحا لك أنّ الاصطلاح يُستخدَم لنوعين متضادّين من الرجال: لأولئك الذين يعرفون ولأولئك الذين لا يعرفون. هناك خدعة مماثلة في السؤال الثاني، عندما سألاَك إذا كان الرجال يتعلمون ما يعرفونه أو ما لا يعرفونه. إنّ هذه الأقسام من التعليم ليست خطيرة، ولذلك أقول إنّ السيدين ليسا جدّيين في طرحها، لكنّهما يلعبان معك فقط لأنّ الإنسان إذا امتلك ذلك النوع من المعرفة التي كانت أبداً، فلن يكون الأعقل بشأن حقائق الأشياء على الإطلاق؛ إنّه سيكون قادراً على أن يلهو مع الرجال محاولاً إيقاعهم في الخطأ وقاصداً إزعاجهم لتمييز الكلمات. إنّه سيشبه الشخص الذي يسحب الكرسي من تحت رجل ما عندما يكون على وشك الجلوس عليها، وبعدئذ يضحك ويصخب على منظر صديقه الذي وقع وانطرح على ظهره. وأنت يجب أن تعتبر أنّ كلّ الذي جرى بينك وبينهما حتى الآن كأنّه مجرد تسلية ولعب. لكنّني متأكد

أنّهما سيعرضان لك قصدهما الجدّي فيما سيتبع، وسيحافظان على وعدهما لي. « أنا سأريهما كيف يكون ذلك ». غير أنّني أفترض أنّهما ظنّا بأنّه يجب عليهما أن يقوما بلعبة معك. والآن يا يوثيديموس وديونيسودوروس، أعتقد أنّنا امتلكنا كفاية من هذا. هل ستدعاني أراكما مثقّفَين وحاثّين الإنسان الشابّ على أن ينكبَّ على دراسة الفضيلة والحكمة؟ وأنا سأبيّن لكما أوّلاً ما أتصوره على أنّه طبيعة هذا العمل الشاقّ، وأيُّ نوعٍ من الحديث أرغب سماعه؛ وإذا فعلتُما هذا في أسلوب غير فنيّ ومضحك، لا تضحكا عليَّ، فأنا سأجازف لأجد حلاً سريعاً للمشكلة قبلكما لأنّني مشتاق لأسمع حكمتكما. ويجب عليَّ لهذا السبب أن أسألكما وأسأل مريديكما أن تقلعوا عن الضحك. والآن، أوه يا ابن اكسيوخوس، دعني أطرح عليك سؤالاً واحداً من تلك الأسئلة التي كنت خائفاً أن أطرحها لتوّي، من أن أجعل نفسي مُضحِكاً بسؤاله، والذي يجب أن لا يسأله إنسان ذو إدراك، إذ أيّ مخلوق إنساني لا يرغب السعادة؟

كلينياس: كلّ شخصٍ يرغبها.

سقراط: حسناً إذن، بما أنّنا كلّنا نرغب السعادة، كيف يمكننا أن نكون سعداء؟ ذلك هو السؤال التالي. ألن نكون سعداء إذا امتلكنا أشياء عديدة خيّرة؟ وهذا السؤال لربّما يكون حتى أكثر سهولة من السؤال الأوّل، لأنّه لا مجال للشك.

كلينياس: أوافق.

سقراط: وأيُّ الأشياء نحن نعتبرها خيّرة؟ إنّنا لا نحتاج لحكيمٍ جليل ليخبرنا هذا، والذي يمكن إجابته بسهولة لأنّ كل شخص سيقول إنّ الصحّة خير.

كلينياس: بالتأكيد.

سقراط: أليست الصحّة والجمال خيرات، وكذلك المواهب الشخصيّة الأخرى؟

كلينياس: بلى.

سقراط: أيمكن أن يكون هناك أيّ شك في أنّ الولادة الصالحة، والقوة، والتكريمات لشخصٍ في وَطنه، هي خيرات؟

كلينياس: أصادق على ذلك.

سقراط: وما هي الخيرات الأخرى الموجودة؟ وماذا نقول عن الاعتدال، العدل، الشجاعة، ألا تعتقد صدقاً وحقاً، يا كلينياس، بأنّنا سنكون محقّين أكثر في تصنيفها كخيرات مِنْ أن لا نصنّفها كذلك؟ إذ لا يمكن أن ينشأ جدل بشأن هذا بشكلٍ محتمل. فماذا تقول حينئذٍ؟

كلينياس: إنّها خيرات.

سقراط: حسناً جدّاً، وأين سنجد نحن في المجموعة مكاناً للحكمة: بين الخيرات أو ليس بينها؟

كلينياس: بين الخيرات.

سقراط: والآن فكِّر إذا ما كنا قد تركنا أيّة خيرات جديرة بالاعتبار.

كلينياس: لا أعتقد أنّنا فعلنا.

سقراط: إذاً، فأنا تذكّرت شيئاً ما، إنّني خائف حقّاً من أنّنا تركنا الأعظم منها كلها.

كلينياس: حقّاً.

سقراط: [أضفت تفكيراً فوق تفكيرٍ ثانٍ قائلاً]: أوه يا ابن اكسيوخوس، كيف هربنا أنت وأنا بدقّةٍ من جعل نفسينا أضحوكة للغريبين؟

كلينياس: لماذا تقول ذلك؟

سقراط: لماذا، لأنّنا ضمَّنّا الحظّ السعيد مسبقاً، وما نحن إلاّ مردِّدين نفسينا.

كلينياس: ماذا تعني؟

سقراط: أعني أنّه يوجد شيء ما مضحك في وضع الحظ السعيد مقدَّماً مرّة ثانية،

والذي كان له مكان في اللائحة سابقاً، وفي قول الشيء عينه مرّتين ثانية.

[سألني كلينياس ماذا كان معنى هذا وأجبته أنّ الحكمة هي حظّ سعيد بالتأكيد؛ حتى الطفل، يمكنه معرفة ذلك].

[كان الشابّ البسيط العقل مندهشاً؛ وبعد أن راقبت ذهوله هذا، قلت له]: ألا تعرف، يا كلينياس، أنّ لاعبي الناي هُمُ الأكثر حظاً ونجاحاً في العزف عليه؟

كلينياس: أعرفُ هذا.

سقراط: في وسط البحر، أيكون أيّ شخصٍ أكثر حظاً على العموم من الربابنة الحكماء؟

كلينياس: لا أحد، بكلّ تأكيد.

سقراط: وإذا كنت مشغولاً في الحرب، فبرفقة مَنْ تفضّل أن تواجه فرص الأخطار - في صحبةِ اللواء العاقل، أو مع الإنسان الجاهل؟

كلينياس: العاقل.

سقراط: أنت تعتقد أنّك ستمتلك حظّاً أفضل مع إنسانٍ عاقل من إمتلاكك له مع إنسان جاهل؟

كلينياس: أوافق.

سقراط: إذن، فإنّ الحكمة تجعل الرجال محظوظين على الدوام لأنّ الحكمة لا يمكن أن تخطيء قطّ، ولذلك يجب أن تفعل دائماً بحقّ وأن تنجح، أو لا تكون حكمة بعد اليوم؟

[وجدنا وسيلة بطريقة ما أو بأخرى أخيراً، لنتّفق على استنتاجٍ عامّ، وهو أنّ من امتلك الحكمة لا تتملّكه حاجة للحظّ كذلك. ذكّرته أنا في حالة السؤال السابقة حينئذ، وقلت له]: هل تتذكّر، يا كلينياس، إدلاءَنا بالاعتراف بأنّنا يجب أن نكون سعداء ومحظوظين إذا كانت لدينا أشياء خيّرة؟

كلينياس: أتفق معك.

سقراط: أوَ يجب أن نكون سعداء بسبب وجود الأشياء الخيِّرة، إذا نفعتنا، أو إذا لم تنفعنا؟

كلينياس: إذا نفعتنا.

سقراط: وهل ستنفعنا، إذا امتلكناها ولم نستعملها؟ كمثال، إذا كان لدينا كمية كبيرة من الطعام ولم نأكل، أو كمّية هائلة من الشراب ولم نشرب، فهل سننتفع؟

كلينياس: لا بالتأكيد.

سقراط: وهل سيكون صاحب الحرفة الذي يمتلك كل الأدوات الضرورية لعمله ولا يستعملها، هل سيكون أفضل في اقتنائها؟ كمثال، إذا حاز نجّار على كل الأدوات وعلى وفرة من الخشب، لكنّه لم يشتغل، فهَل سيحصل على أيّة منفعة من حيازتها؟

كلينياس: لا بالتأكيد.

سقراط: وإذا امتلك شخص ثروة، وحصل على كلّ الخيرات التي تكلّمنا عنها لتوّنا، ولم يستعملها، فهل سيكون سعيداً لأنّه امتلكها؟

كلينياس: لا حقّاً، يا سقراط.

سقراط: إذن فإنّ الرجل الذي سيكون سعيداً يجب أن لا يمتلك الأشياء الخيِّرة فقط، بل عليه أن يستعلمها أيضاً؛ وإلاّ فليس هناك منفعة في حيازتها؟

كلينياس: حقّاً.

سقراط: حسناً، يا كلينياس، لكن إذا كان لديك الاستعمال كما الامتلاك للأشياء الخيِّرة، أيكون هذا كافياً لتمتلك السعادة؟

كلينياس: نعم، في رأيي.

سقراط: عندما يستعملها الشخص بحقّ؟ أو حينما يستعملها بالخطأ أيضاً؟

كلينياس: عليه أن يستعملها بحقّ.

سقراط: إنّ ذلك لحقيقي تماماً. ويكون استعمال الشيء خطأً أسوأ من عدم استعماله لأنّ الأول يكون، والآخر ليس خيّراً ولا شرّاً. هل ستعترف بهذا؟

كلينياس: أوافق.

سقراط: والآن في شغل واستعمال الأخشاب، أليس مَن يعطي الاستعمال الحقيقي هو خبرة النجار بكلّ بساطة؟

كلينياس: لا شيء آخر.

سقراط: وبكلّ تأكيد، ففي صناعة المراكب، المعرفة هي تلك التي تعطي الطريقة الصحيحة لصنعها؟

كلينياس: أوافق.

سقراط: وفي استعمال الخيرات التي تكلّمنا عنها بادىء ذي بدء: الثروة، الغنى، والجمال، أليست المعرفة هي التي تهدينا إلى الاستعمال الصحيح لها، وتنظّم ممارستنا بشأنها على نحو قويم؟

كلينياس: أصادق على هذا.

سقراط: إذن في كل امتلاكٍ وكلّ استعمالٍ، تكون المعرفة تلك هي التي تعطي الإنسان ليس الحظّ السعيد فقط بل النجاح؟

كلينياس: أصادق على هذا ثانية.

سقراط: وأخبرني،[قلتُها بجدّيّة]، ماذا تنفع إنساناً ممتلكاتُه والتملّكات، إذا لم يكن لديه لا فهم جيد ولا حكمة؟ هل سيكون إنساناً أفضل، ممتلكاً وفاعلاً أشياء عديدة بدون حكمة، أو أشياء قليلة بحكمة؟ أنظر إلى المسألة هكذا: إذا فعل هو أشياء أقلّ ألاَ يتسبّب بأخطاء أقلّ؟ وإذا تسبّب هو بأخطاء أقلّ ألاَ يحوز حظوظاً أقلّ؟ وإذا حاز حظوظاً أقلّ ألاَ يكون أقلّ شقاءً؟

كلينياس: بالتأكيد.

سقراط: ومن سيفعل الأقلّ: إنسان فقير أو رجل غني؟

كلينياس: إنسان فقير.

سقراط: إنسان ضعيف أو رجل قويّ؟

كلينياس: إنسان ضعيف.

سقراط: إنسان ذو رتبة عالية أو رجل سافل؟

كلينياس: رجل سافل.

سقراط: وسيفعل جبانٌ أقلّ من إنسان شجاع ومعتدل؟

كلينياس: نعم.

سقراط: ورجل خامل أقلّ من إنسان نشيط؟

كلينياس: أوافق.

سقراط: ورجل بطيء أقلّ من إنسانٍ سريع؛ وإنسان ضعيف النظر وخفيف السمع أقل من الذي لديه أثقبها وأحدُّها؟

كل هذه أجزناها بشكلٍ مشترك.

سقراط: إذن، يا كلينياس، يبدو أن مجمل المسألة هو أن أيّاً من الخيرات التي تكلمنا عنها سابقاً لا يمكن اعتبارها كخيرات في أنفسها، لكن درجة الخير والشرّ فيها تتوقّف على إذا ما كانت تحت هداية المعرفة أمْ لا. أمّا إذا كانت تحت هداية الجهل، فإنّها شرور أعظم من مضادّاتها لأنّها تكون أفضل قدرة لتمدَّ يد العون إلى مبدأ الشرّ الذي يحكمها؛ وعندما تكون تحت هداية الحكمة والفهم الجيد، فهي تكون خيراتٍ أعظم. لكنّها في أنفسها لا تمتلك هي ولا مضادّاتها أيّة قيمة.

كلينياس: يبدو ذلك أنّه مبرهن.

سقراط: ما هي إذن نتيجة ما قد قيل؟ أليست نتيجة هذا ـ أنّ الأشياء الأخرى غير هامة، وأنّ الحكمة هي الخير الوحيد، والجهل هو الشرّ فقط؟

كلينياس: أوافق.

سقراط: دعنا نلاحق المحاورة إلى نهايتها آخذين بعين الاعتبار أنّ كل الرجال يرغبون السعادة. والسعادة، كما قد أُبين أنّها تُكتسب، باستعمالٍ على نحوٍ قويم لأشياء الحياة، وأنّ الاستعمال الحقيقي لها والحظّ السعيد في استعمالها يُعطَيانِ بالمعرفة ـ الاستنتاج هو بكلّ تأكيد أنّ كلّ شخصٍ يجب أن يجعل نفسه عاقلاً بقدر ما يستطيع مهما كلّف الأمر.

كلينياس: نعم.

سقراط: وعندما يعتقد إنسانٌ أنّ عليه أنْ يحصل على هذا الكنز أكثر بكثير من حصوله على المال من أبٍ أو أوصياء أو أصدقاء « متضمّنين أولئك الذين يعلنون أنهم أحباؤه »، سواء أكانوا مواطنين أو غرباء، فإنّ رغبته المتّقِدة وصلواته لهم أنّهم سينقلون الحكمة إليه وهذه ليست إهانة، يا كلينياس، ولا يُلام أيّ شخصٍ في تسليم نفسه لها كأنّها كانت خادمة وأمةً لحبيبه أو لأيِّ شخصٍ آخر، إنّه مستعدّ ليقوم بأيّة خدمة شريفة في شوقه لينال الحكمة. هل توافق على هذا؟

كلينياس: نعم، إنّني أوافق تماماً، وأعتقد أنّك محقّ في ما تقول.

سقراط: نعم، يا كلينياس، إنْ يُستطَعْ تعليم الحكمة فقط، ولا تأتي إلى الانسان تلقائيّاً؛ لأنَّ هذه هي نقطة أساسيّة ما زال علينا أن نتأمّلها مليّاً، ولم يتمّ التوافق عليها بيننا حتى الآن ـ

كلينياس: لكنّني أعتقد، يا سقراط، أنّ الحكمة يمكن تعليمها.

سقراط: يا أفضل الرّجال، أكون مسروراً لأسمع منك هذا؛ وإنّني مقرٌّ لك بالجميل أيضاً لأنّك أنقذتني من تحقيق طويلٍ في المشكلة وهو سواء أأمكن أن تُعلَّم الحكمة أم لا. لكن الآن، بما أنّك تعتقد أنّ الحكمة يمكن أن تُعلَّم، وأنّها وحدها يمكن أن تجعل الإنسان سعيداً ومحظوظاً، ألن تعترف

بأنّنا كلّنا يجب أن نعشق الحكمة، وتنوي أنت أن تفعل هكذا على انفراد؟

كلينياس: بالتأكيد، يا سقراط، إنّني سأفعل أفضل ما أستطيع.

سقراط: [كنت مسروراً لسماع هذا. واستدرت إلى ديونيسودوروس ويوثيديموس وقلت]: إنّ ذلك مثال، وأعترف بأنّه غير رشيق ومملّ، مثالٌ من النوع الناصح الذي أريدكما أن تهباه؛ وآمل أنّ واحداً منكما سيوضح ما قد قلته في أسلوبٍ أكثر فنّاً. إذا لم يُسرّكما هذا الاقتراح، تابِعا هذا التساؤل حيث تركته على الأقلّ وتقدّما لتُظهرا للفتى إذا ما كان عليه أن يمتلك المعرفة كلّها أو إذا ما كان يوجد نوع واحد من المعرفة فقط سيجعله خيِّراً وسعيداً، وما هو ذلك. فكما كنت قائلاً بادىء ذي بدء، إنّ بلوغ الفضيلة والحكمة من قِبَل هذا الإنسان الشابّ هي مسألة لها في قلوبنا حيّز كبير جداً.

[هكذا تكلّمت، يا كريتون، وكنت كلّي انتباهٌ إلى ما سيأتي. أردت أن أرى كيف سيقتربان من السؤال، وأين سيبدآن في عظتهما إلى الإنسان الشابّ كي يمارس الفضيلة والحكمة. تكلّم أوّلاً ديونيسودوروس، وهو الأكبر سنّاً. إتجهت نحوه عيون كلّ شخص، في اعتقادهم أنّ شيئاً ما رائعاً يمكن توقُّعه منه قريباً. وبكلّ تأكيد فهم لم يخطئوا كثيراً؛ لأنّ الرجل، يا كريتون، بدأ محادثة غير عاديّة جديرة جدّاً بسماعك، ومقنعة بشكل رائع إذا اعتُبرت كعظةٍ للفضيلة].

ديوروس: أخبرني، ياسقراط ويا أيّها الحاضرون الذين تقولون أنكم تريدون لهذا الفتى الشابّ أن يصبح عاقلاً، هل أنتم تسخرون وجديّون في الواقع؟

[هذا القول جعلني أتصوّر أنَّهُما توهّما أنّنا كنّا ساخرين عندما سألناهما ليتحادثا مع الشابّ بنفسيهما، وأنّ هذا جعلهما يهزآنِ ويلعبان، وكونهما تحت هذا الانطباع كنت أكثر تصميماً في القول لهما إنّنا كنا في غاية الجديّة].

ديوروس: تأمّل مليّاً، يا سقراط؛ يمكنك أن تنكر كلماتك.

سقراط: إنّني تأمّلت مليّاً، ولن أنكر كلماتي مطلقاً.

ديوروس: حسناً، وهكذا أنت تقول إنّك تريد أن ترغب أن يصبح كلينياس عاقلاً؟

سقراط: بدون شكّ.

ديوروس: وهل هو عاقلٌ الآن أوْ لاَ؟

سقراط: على الأقلّ إنّ تواضعه لا يسمح له ليقول أنّه يكون.

ديوروس: ترغب أنت أن يصبح عاقلاً وأن لا يكون جاهلاً.

سقراط: نريد ذلك.

ديوروس: تريده أن يصبح ما ليس بهو، ولا أن يكون ما هو بعد اليوم؟

سقراط: [كنت مرميّاً في ذُعرٍ بما قاله].

ديوروس: [متّخذاً منفعة من ذعري] أضاف: ترغب أن لا يكون ما هو عليه بعد اليوم، وهذا يمكن أن يعني فقط أنّك تتمنّى أن يهلك. يجب أن يكونوا أحبّاء وأصدقاء ممتازين أولئك الذين يريدون قبل كل الأشياء الأخرى أن يفنى محبوبهم؟

[عندما سمع كتاسيبوس هذا غضب جدّاً « كما يمكن لمحبٍّ أن يفعل » وقال: يا غريباً من ثوري - إذا كان التهذيب سيسمح لي، عليَّ أن أقول، لعنة الله عليك! ما الذي جعلك تقول كذبة كهذه عنّي وعن الآخرين، والتي أحبّ أن أردّدها بصعوبة، وكأنّني أتمنّى أن يموت كلينياس].

يوثيديموس: وهل تعتقد، يا كتاسيبوس، أنّه يمكنك قول كذبة؟

كتاسيبوس: نعم، إنّني سأكون مجنوناً لأقول أيّ شيء آخر.

يوثيديموس: وفي قول كذبة، هل تقول الشيء الذي تتكلمه أوْ لاَ؟

كتاسيبوس: إنّك تقول الشيء الذي تتكلّمه.

يوثيديموس: والذي يقول، يقول ذلك الشيء الذي يقوله، ولا شيء آخر؟

كتاسيبوس: نعم.

يوثيديموس: ويكون ذلك شيئاً متميِّزاً منفصلاً عن الأشياء الأُخرى؟

كتاسيبوس: بالتأكيد.

يوثيديموس: والذي يقول ذلك الشيء يقول ذلك الذي يكون؟

كتاسيبوس: نعم.

يوثيديموس: والذي يقول ذلك الذي يكون، يقول الحقيقة. ولهذا السبب إذا قال ديونيسودوروس ذلك الذي يكون، فهو يقول الحقيقة عنك وليس الكذب.

كتاسيبوس: نعم، يا يوثيديموس؛ لكنه في قوله هذا يقول ما لا يكون.

يوثيديموس: وذلك الذي لا يكون لا يكون؟

كتاسيبوس: صدقاً.

يوثيديموس: وذلك الذي لا يكون لا يوجد في مكان؟

كتاسيبوس: لا يوجد في مكان.

يوثيديموس: وهل يستطيع أيّ شخص أن يفعل أيّ شيء بشأن ذلك الذي لا يمتلك وجوداً؟ أيقدر أيّ شخص، كائناً من كان، أن يعمل على أشياء لا توجد في أيّ مكان؟

كتاسيبوس: لا أعتقد ذلك.

يوثيديموس: حسناً، لكن ألا يفعل علماء الكلام شيئاً، عندما يتكلمون في الجمعيَّة العامة؟

كتاسيبوس: لا، إنّهم يفعلون شيئاً ما.

يوثيديموس: والفعل هو العمل؟

كتاسيبوس: نعم.

يوثيديموس: إذن، يكون الكلام الفعل والعمل كليهما؟

كتاسيبوس: أوافق.

يوثيديموس: إذن، لا أحد يقول ذلك الذي لا يكون، لأنّه في قوله ما لا يكون سيكون عاملاً على شيء ما؛ واعترفت أنت سابقاً أن لا شخص يستطيع أن يعمل على ما لا يكون. ولذلك، وبناءً على تبيينك الخاصّ، لا أحد يقول ما هو باطل. لكن إذا قال ديونيسودوروس أيّ شيء، فهو يقول ما يكون حقيقياً وما يكون.

كتاسيبوس: نعم، يا يوثيديموس لكنّه يقول ما يكون في طريقة وأسلوب محدَّدين وليس كما يكون بحقّ.

ديوروس: لماذا، يا كتاسيبوس، هل تعني أنّ أيّ شخصٍ يتكلّم عن الأشياء كما تكون؟

كتاسيبوس: نعم، ـ كلّ الأسياد والأشخاص الصادقين.

ديوروس: أليست الأشياء الصالحة صالحة، والأشياء الطالحة طالحة؟

كتاسيبوس: أوافق.

ديوروس: وتقول إنّ الأسياد يتكلمون عن الأشياء كما تكون؟

كتاسيبوس: نعم.

ديوروس: يتكلم الخيّرون إذن شرّاً عن الأشياء الطالحة، إذا تكلموا عنها كما تكون؟

كتاسيبوس: نعم حقّاً، وهم يتكلمون شرّاً عن الرجال الأشرار. وإذا ما كان يمكنني أن أعطيك نصيحة صريحة، من الأفضل لك أن تحذر أن تكون واحداً من الأشرار، أو فالرجال الأخيار سيتكلمون شرّاً عنك. إنّني أؤكّد لك أنّ الأخيار يتكلمون شرّاً عن الأشرار.

يوثيديموس: وهل يتكلمون أشياء عظيمة عن العظيم، وأشياء حارَّة عن الحارّ؟

كتاسيبوس: لتكن متأكّداً أنّهم يفعلون؛ وهم يتكلمون ببرودة عن التافه وعن الجدليين الباردين.

ديوروس: إنّك اعتسافي، يا كتاسيبوس، إنّك اعتسافي!

كتاسيبوس: إنّني لست محقّاً، يا ديونيسودوروس، فأنا أحبّك وأنصحك بصدق، وإذا استطعت سأقنعك بألاّ تقول في حضوري، كالشخص الفظّ، وهو أنّي أتمنى أن يفنى أولئك الذين هم الأكثر مودّةً عندي.

سقراط: [رأيت أنّهما قد أصبحا ساخطَيْن أحدهما على الآخر]. قلت لكتاسيبوس مازحاً: أعتقد أنّه إذا كان الغريبان عازمين على أن يتكلّما، ينبغي أن نقبل ما يقولانه في تعبيرهما الخاص، وأن لا نتخاصم معهما بشأن الكلمات. إذا عرفا كيف يدمّرا الرجال بطريقة كهذه كي يجعلاهم رجالاً أخياراً ومدركين بدلاً من رجال أشرار وأغبياء - سواء أكان هذا الاكتشاف يخصّهم، أو أنّهم تعلموا من شخص آخر هذا النوع الجديد من الموت والفناء الذي سيمكّنهما أن يمحقا إنساناً شرّيراً وأن يجدّداه واحداً خيّراً - إذا عرفا هذا « وهما يعرفانه - على كل حال فهما قالا لتوّهما الآن إنّ هذا كان سرّ فنّهم الجديد المكتشف » - دعهما، في لغتهما المميّزة، يهدمان الشاب ويخلقانه عاقلاً مرّة ثانية، وكلّنا معهما. لكن إذا كنتم لا تحبون أيها الرجال الشباب أن تأمنوا أنفسكم معهما، لتكن التجربة في جسدي الحيّ هذا حينئذ؛ فأنا إنسان مسنّ، وجاهز لأقبل المخاطرة. وهنا فإنّني أقدّم شخصي إلى ديونيسدوروس، كما أقدمه إلى ميديا الحديثة من كولخيس؛ دعه يقتلني، يغليني، ويفعل ما يحبّه بي، إذا ما كان يعثني إنساناً خيّراً فقط.

كتاسيبوس: وأنا أيضاً، يا سقراط، جاهزٌ لأسلّم نفسي إلى الغريبين. يمكنهما أن يسلخا جلدي وأنا حيٌّ، إذا سرهما ذلك « وأنا مسلوخ من قبلهما الآن جيداً الى حد ما »، إذا ما جُعِل جلدي أخيراً فقط، ليس مثل جلد مارسياس، إلى قارورةٍ جلديّة، بل إلى قطعة من الفضيلة، ويكون هنا ديونيسودوروس الذي يتوهّم أنّني غاضب منه، في حين أنّني لست غاضباً منه حقيقة على الإطلاق؛ وأنا لا أفعل سوى نقضه عندما أعتقد بأنّه يتكلم

معي بشكلٍ غير لائق. وأنت لا ينبغي أن تخلط بين الشتم والنقض. أوه يا ديونيسودوروس الشهير؛ فَهما شيئان مختلفان تماماً.

ديوروس: نقض! أنت تتكلّم وكأنّه يوجد شيء كهذا.

كتاسيبوس: يوجد النقض بالتأكيد. لا يمكن إيجاد سؤال بشأن ذلك. هل لديك دليل على أنّه لا يوجد، يا ديونيسودوروس.؟

ديوروس: أنت لن تبرهن لي أبداً أنّك سمعت أيّ شخص ينقض أيّ شخص آخر.

كتاسيبوس: حقّاً، إنّني أبرهنها الآن إذن، بما أنّني أسمع نفسي ناقضاً ديونيسودوروس.

ديوروس: وهل أنت جاهز لتصنع ذلك الخير؟

كتاسيبوس: بكلّ تأكيد.

ديوروس: حسناً، ألا تمتلك كلّ الأشياء كلماتٍ معبرة عنها؟

كتاسيبوس: نعم.

ديوروس: عن وجودها أو عن عدمها؟

كتاسيبوس: عن وجودها.

ديوروس: نعم، يا كتاسيبوس، ونحن برهناً لتوّنا الآن، كما يمكنك أن تتذكّر، أن لا إنسان يستطيع أن يثبت سلبيّة؛ لأن لا أحد يقدر أن يؤكّد ذلك الذي لا يكون.

كتاسيبوس: وماذا يفيد ذلك؟ يمكننا، أنت وأنا، أن ننقض على الشكل المشار إليه مع ذلك.

ديوروس: لكن هل نستطيع أن ينقض بعضنا بعضاً، حينما يكون كلٌّ منا معبّراً عن الشيء عينه؟ يلزم حينئذ أن نكون متكلّمَين عن الشيء عينه بالتأكيد؟

كتاسيبوس: أوافق.

ديوروس: أو عندما لا يكون كل منّا معبّراً عن الشيء عينه؟ لأنّه عندئذ لا أحد منا يقول كلمة عن الشيء على الإطلاق؟

كتاسيبوس: أمنحك هذه الفرضيّة.

ديوروس: لكن عندما أعبّر أنا عن شيء ما وأنت عن شيءٍ آخر، أو أقول أنا شيئاً ما وأنت لا تقول شيئاً - أيكون هناك أي نقض؟ كيف يستطيع من يتكلّم أن ينقض من لا يتكلّم؟

سقراط: [كتاسيبوس هنا كان صامتاً؛ وقلت أنا مندهشاً]: ماذا تعني، يا ديونيسودوروس؟ إنّني سمعت غالباً، وقد كنت مندهشاً لأسمع فرضيتك هذه، التي يدافع عنها ويوظّفها أتباع بروتاغوراس، والآخرون قبلهم؛ ظننتها تعليماً مدهشاً على الدوام، انتحاري كما أنّه تدميري، وأعتقد أنّني الأكثر ترجيحاً لأسمع الحقيقة عنه منك. فالقول المأثور هو أنّه لا يوجد هكذا شيء مثل الباطل؛ إنسانٌ يجب أن يقول ما يكون حقيقيّاً أو أن لا يقول شيئاً. أليس هذا موقفك؟

ديوروس: أوافق.

سقراط: لكن إذا كان لا يستطيع أن لا يتكلم بزيفٍ، ألا يمكنه أن يفكر بزيفٍ؟

ديوروس: لا إنّه لا يقدر.

سقراط: إذن لا يوجد هكذا شيء كالرأي الباطل؟

ديوروس: لا.

سقراط: إذن، لا يوجد هكذا شيء كالجهل، أو رجالٌ هم جهلة؛ إذ أليس الجهل، إذا وُجد هكذا شيء، سوء فهم بشأن الحقيقة؟

ديوروس: بالتأكيد.

سقراط: ويكون هذا مستحيلاً؟

ديوروس: مستحيل.

سقراط: هل أنت قائل هذا كمفارقة، يا ديونيسودوروس، أو أنّك تؤكّد بجديّة أن لا إنسان يكون جاهلاً؟

ديوروس: أنقضني.
سقراط: لكن كيف أستطيع أن أنقضك، إذا، كما تقول، يكون شيئاً مستحيلاً لتقول باطلاً؟
يوثيديموس: حقيقيّ تماماً.
سقراط: ألم يأمرني ديونيسودوروس لتوّه الآن لأنقضه إذن؟
يوثيديموس: لا، إذ كيف يستطيع أيُّ شخص أن يأمر ذلك الذي لا يكون؟ أتقدر أنت؟
سقراط: أوه يا يوثيديموس، أنا لا أمتلك إلاّ تصوراً مملاً لهذه الوسائل اللطيفة والممتازة للحكمة. وأخشى أنّني أفهمها بالكاد، وينبغي أن تسامحني لذلك إذا سألتك سؤالاً غبيّاً بالأحرى: إذا كان لا يوجد بهتان ولا رأي باطل ولا جهل، لا يمكن وجود هكذا شيء كالعمل الخاطىء لأنّ إنساناً لا يستطيع أن يخفق في عمل ما يكون عامله ـ ذلك هو ما تعنيه.
يوثيديموس: نعم.
سقراط: والآن، سأسألك سؤالي الغبيّ: إذا كان لا يوجد هكذا شيء في المأثرة، الكلمة، أو الفكر، إذن وباسم الصّلاح، ماذا أتيتما هنا لتعلّما؟ أوَلم تقولا لتوّكما أنّكما تقدران على أن تعلّما الفضيلة أفضل ممّا يعلمها الرجال كلهم ولأيِّ شخص يكون مستعدّاً لأن يتعلّم؟
ديوروس: وهل أنت هكذا مسنٌّ أبله، يا سقراط، لتعرض الآن ما قلته أنا في البداية ـ وإذا قلت أيَّ شيء آخر السنة، أفترض أنّك ستعرضه أيضاً ـ لكنّك مرتبك في الكلمات التي تفوّهت بها منذ برهة؟
سقراط: لماذا، إنّها ليست كلمات يسهل الإجابة عليها لأنّها كلمات رجالٍ حكماء. وحقّاً لا أعرف ماذا سأصنع بهذه الكلمة « مرتبك »، التي استعملتها أخيراً. ماذا تعني بها، يا ديونيسودوروس؟ يجب أن تعني أنّني لا

أستطيع نقض محاورتك. أخبرني إذا كان في العبارة « إنّني مرتبك في كلماتك » أيّ معنى أو إحساسٍ آخر؟

ديوروس: لا، إنّها تعني ما تقول، والآن أجب.

سقراط: ماذا أمامك، يا ديونيسودوروس؟

ديوروس: أجب.

سقراط: وهل يكون ذلك عدلاً؟

ديوروس: نعم، عدلٌ تامّ.

سقراط: على أيّة قاعدة؟ إنّني أستطيع أن أفترض فقط أنّك أتيت إلينا مع كلّ الحكمة لجدليّ عظيم، وتعرف متى تجيب ومتى لا تجيب - والآن لن تفتح فمك على الإطلاق، لأنّك تعرف أنّه لا ينبغي عليك فتحه.

ديوروس: أنت تثرثر، بدلاً من الإجابة، لكن إذا اعترفت بأنّي حكيم، يا سيّدي الصالح، أجبني كما أقول.

سقراط: إفترض بأنَّ عليَّ أن أطيع، فأنت معلّم. اطرح السؤال.

ديوروس: هل الأشياء التي تمتلك إحساساً حيّة أو ميتة؟

سقراط: إنّها حيّة.

ديوروس: وهل تعرف أيّة كلمة تكون حيّة؟

سقراط: إنّني لا أعرف بالتأكيد.

ديوروس: إذن، لماذا سألتني أيّ إحساسٍ كان لدى كلماتي؟

سقراط: لماذا؟ لأنّني كنت غبيّاً وارتكبت خطأً. ولربّما كنت محقّاً مع ذلك برغم كلّ شيء في قول إنّ الكلمات لها إحساس. ماذا تقول، أيّها الرجل الحكيم؟ إذا لم أقع في الخطأ، فلن تقدر حتى أنت أن تنقضني. إذن أنت مخطىء مرّة ثانية في القول إنّه لا يوجد هكذا شيء كالخطأ - وهنا أنا لست مشيراً إلى شيء ما قيل آخر السنة. إنّني ميّالٌ لأعتقد، على كلّ حال،

يا ديونيسودوروس ويوثيديموس، أنّ هذه المحاورة تتمدَّد حيث كانت؛ وفي التعبيرِ القديم لمدرسة المصارعة، ترمي الآخرين أرضاً وتسقط نفسها ـ إنّه مصيرُ الذي لم يكتشف حتى الآن كيف يتجنب فنّك، مع كل دقّة حكمته الخارقة.

كتاسيبوس: يا رجالاً من خيوس، ثوري، أو مهما وكيف تدعوان نفسيكما، إنّني أتعجّب منكما، لأنّكما يبدو أن لا مانع عندكما من التكلّم بإسفاف.

سقراط: [خفت أن يخلق هذا الكلام ردَّ فعل عنيف، سعيت مرة ثانية لأهدِّىء كتاسيبوس]، وقلت له: عليَّ أن أردِّد لك، يا كتاسيبوس، ما قلته لكلينياس سابقاً: إنّك لا تفهم الأسلوب الرائع لحكمة زائرَينا. إنّهما لا يهتمّان كي يعطيانا عرضاً جديّاً، بل هما مثل الساحر المصري، بروتيوس، يتخذان أشكالاً مختلفة ويخدعاننا بسحرهما. ودعنا نرفض، مثل مينيلوس، أن نتركهما يذهبان قبل أن يعرضا نفسيهما لنا في جدّيّة حقيقيّة وسيظهر جمالهما الحقيقيّ عندما يبدآن الكلام غيرها هازليْن. دعنا إذن نستعطفهما ونتوسّل لهما ونلتمس إليهما أن يتألّقا ضياءً. وإنّني أعتقد بأنّ من الأفضل أن أعرض لهما مرّة أخرى الشكل الذي أُصلّي كي يشاهداه ويمكن أن يكون لهما دليلاً. لهذا السبب سأواصل المحاورة حيث تركتها، بقدر ما أستطيع، على أمل أنّه يمكنني أن أُغْريهما ليتكلّما بحريّة، وذلك عندما يريا جهدي وجديّتي العميقة يمكن لقلبيهما أن يُلامَسا بها ويتحركا للشّفقة، ويمكن أن يكونا كلاهما جديين. وأنت، يا كلينياس، سوف تذكِّرني في أية نقطة نحن تركنا المحاورة. ألم نتّفق على أنّ الفلسفة يجب أن تُدرس؟ أو لم يكن هذا استنتاجك؟

كلينياس: نعم.

سقراط: والفلسفة هي اكتساب المعرفة؟

كلينياس: نعم.

سقراط: وأيّة معرفة علينا أن نكتسب؟ ألا يمكننا أن نجيب ببساطة المعرفة التي ستجلب لنا الخيرَ؟

كلينياس: بالتأكيد.

سقراط: وهل سنكون أفضل بأيّة حال إذا عرفنا كيف نطوف مكتشفين الأمكنة حيث يُخبَّأ أكثر الذهب في الأرض؟

كلينياس: لربّما علينا عمل ذلك.

سقراط: لكن ألم نبرهن مسبقاً، أنّنا لن نكون أيسر حالاً على الإطلاق، حتى إذا استخرجنا كلّ الذهب الموجود في باطن الأرض بدون جهد وامتلكناه؟ وإذا عرفنا كيف نحوّل الصخور إلى ذهب، فالمعرفة لن تكون ذات قيمة لنا ما لم نعرف كيف نستعمل الذهب أيضاً. ألا تتذكّر ذلك؟

كلينياس: إنّني أتذكّر تماماً.

سقراط: لا ولن تكون أيّة معرفة أخرى ذات خير لنا، سواء أكانت لحيازة المال، أو الطب، أو أيّ فنٍّ آخر للذي يعرف كيف يصنع شيئاً، ولا يعرف كيف يستعمله عند صنعه. ألست محقّاً في ذلك؟

كلينياس: إنّك لمحق.

سقراط: وإذا وُجدت معرفة قادرة على أن تجعل الرجال خالدين بدون إعطائهم معرفة الطريقة ليستعملوا الخلود، فلا فائدة في ذلك، إذا كنا سنحاور في القياس التمثيلي لأمثلتنا السابقة؟

كلينياس: أوافق على كل هذا.

سقراط: إذن، يا ولدي العزيز، إنّ نوع المعرفة التي نريد هي واحدة التي تستعمل كما تصنع؟

كلينياس: حقّاً.

سقراط: ولا تكون رغبتنا لنكون صنّاع عود مهرة، أو فتانين من هذا النوع ـ إنّها أبعد من ذلك بكثير. فمعهما الفنّ الذي يصنع هو واحد، والفنّ الذي يستعمل آخر. بالرغم من هذا هما يجب أن يفعلا بالشيء عينه، إنّهما مقسمان لأنّ الفنّ الذي يصنع العود والفنّ الذي يعزف عليه يختلفان ـ بعضهما عن بعض بشكلٍ واسع. ألست محقاً؟

كلينياس: أوافق.

سقراط: ونحن لا نريد الفنّ لصانع النّاي بوضوح؛ إن هذا هو فنّ آخر من النوع عينه فقط؟

كلينياس: أوافق.

سقراط: لكن إفترض، أنّنا كنا سنتعلّم فنّ تأليف الخطب ـ أسيكون ذلك هو الفنّ الذي سيجعلنا سعداء؟

كلينياس: عليّ أن أقول لا.

سقراط: ولماذا عليك أن تقول ذلك؟

كلينياس: إنّني أرى أنّه يوجد بعض مؤلّفي الأحاديث الذين لا يعرفون كيف يستعملون الأحاديث التي يصنعونها بأنفسهم، تماماً مثل صنّاع العيدان الذين لا يعرفون كيف يستعملونها؛ وبعضٌ آخر أيضاً ليسوا بقادرين على أن يؤلّفوا خطباً بأنفسهم، لكنهم قادرون على أن يستعملوا الخطب التي يصنعها الغير لهم. ويبرهن هذا أنّ فنّ صناعة الخطب ليس الشيء عينه كفنّ استعمالها.

سقراط: نعم، وإنّني أتبنّى كلماتك لتكون برهاناً كافياً على أنّ تأليف الخطب ليس وحده الذي يجعل الإنسان سعيداً. ومع ذلك لم أعتقد أنّ المعرفة التي كنا نبحث عنها لفترة طويلة يمكن أن تكتشف في ذلك الاتجاه لأنّ مؤلّفي الخطب، كلما قابلتهم ظهروا لي أنّهم رجال استثنائيون على الدوام، يا كلينياس، وفنّهم هذا سامٍ وإلهي، ولا عجب في ذلك. ففنّهم هو جزء

من فنّ السحر العظيم، وهو أقلّ أهميّة منه بالكاد، إذا كان ذلك مطلقاً. وحيث إنّ فنّ الساحر يكون صيغةً لسحر الأفاعي والعناكب والعقارب والآفات والمخلوقات الأخرى، فإنّ فنّهم يفعل فعله على القضاة ورجال الدين وعلى اجتماعات الرجال الآخرين الضخمة، لسحرهم وتطييب خاطرهم. هل توافقني؟

كلينياس: نعم، أعتقد أنّك محق تماماً.

سقراط: أين سنذهب بعدئذ، ولأيّ فنٍّ سنلجأ لطلب المساعدة؟

كلينياس: إنّني لا أرى الطريق.

سقراط: لكنّني أعتقد بأنّي أراه.

كلينياس: وما هي فكرتك؟

سقراط: أعتقد أنّ فنّ القائد العسكري يكونُ فوق كل الفنون الأخرى. إنه الوحيد الذي يكون امتلاكه هو الأكثر احتمالاً ليجعل الإنسان إنساناً سعيداً.

كلينياس: إنّني لا أعتقد ذلك.

سقراط: لِمَ لا؟

كلينياس: إنّه بين فنون الصيد بالتأكيد، إنّه يصيد الرجال.

سقراط: ماذا عن ذلك؟

كلينياس: لماذا، لا فنّ صيدٍ يمتدّ إلى ما وراء الصيد والأسر؛ وعندما تُلتقط الفريسة فإنّ الصيّاد أو صائد السمك لا يستطيع استعمالها، بل يسلمها إلى الطاهي. بشكل مماثل فإنّ علماء الهندسة والنجوم والحساب « الذين يخصُّون كلّهم الطبقة الصائدة، هم لا يصنعون رسومهم التخطيطيّة، بل يكتشفون ما يكون هناك بشكل مسبق » - أقول، هُم كونهم غير قادرين على أن يستعملوا فريستهم بل أنْ يلتقطوها فقط، يسلِّمون اكتشافاتهم إلى عالِم الجدل لتُستعمل من قِبَله، إذا ما كان لديهم أيّ إدراك.

سقراط: جيّد، يا كلينياس الأعقل والأعدل، وهل ما تقوله حقيقيٌّ؟

كلينياس: بالتأكيد، تماماً كما لو استولى القائد العسكري على مدينة أو معسكر يسلِّم كسبه الجديد إلى رجل الدولة لأنّه لا يعرف كيف يستعمله بنفسه؛ أو مثل آسر طائر السمان يحوِّل ما أسره إلى الذي يحتفظ به. إذا كنا باحثين عن الفنّ الذي سيجعلنا محظوظين، والذي يكون قادراً على أن يستعمل ذلك الذي يصنعه أو يأسره، فإنّ فنّ القائد العسكري ليس الفنّ المرتجى، ولهذا السبب يجب إيجاد فنٍّ آخر.

كريتون: وهل تعني، يا سقراط، أنّ الأفتى قال كل هذا؟

سقراط: هل أنت ميّالٌ إلى الشكّ بذلك، يا كريتون؟

كريتون: حقاً إنّني لكذلك؛ إذ لو قال ذلك، فإنّه لا يحتاج إلى يوثيديموس ولا إلى أيّ شخص آخر ليكون مثقّفاً له في رأيي حينئذ.

سقراط: يا سلام، لربّما أنسى، وكان هو كتاسيبوس.

كريتون: كتاسيبوس! هراء.

سقراط: على كل حال، إنّني متأكّد بأنّني سمعت هذه الكلمات، وأنّ هذه الكلمات لم يتفوه بها لا يوثيديموس ولا ديونيسودوروس. أجرؤ القول، يا خيِّري كريتون، إنّها ربّما حكاها شخصٌ سامٍ في هذه المجموعة. لكنّني متأكّد بأنّني سمعتها.

كريتون: نعم، حقاً، يا سقراط، شخصٌ وافر السّموّ، كما سأكون ميالاً لأعتقد. لكن هل حُمِلت أنت على البحث إلى ما هو أبعد، وهل وجدت الفنّ الخاصّ الذي كنت عنه تبحث؟

سقراط: أجد؟ يا سيدي العزيز؛ لا حقّاً. ونحن قسّمنا رسماً توضيحياً متواضعاً؛ ونحن مثل الأطفال في تعقّبهم للقبّرات كنّا على وشك أن نلتقط فنّاً ما، كان يفلت منّا على الدوام. لكن لماذا سنردِّد القصّة بمجملها؟ إنّنا وصلنا

أخيراً إلى الفنّ الملكي، وتساءلنا إذا ما وهب ذلك الفنّ السعادة وسبّبها، وأصبحنا بعدئذ في التّيه، وعندما فكرنا أنّنا شارفنا على النهاية حقّاً، استدرنا وعدنا إلى البداية مرّة ثانية، ولا زلنا في مدارة البحث بمقدار ما كنا في أيّ وقت.

كريتون: كيف حدث ذلك، يا سقراط؟

سقراط: يبدو أنّ كل الفنون تقدّم ضبط إنتاجها الذي برعت فيه، إلى هذا الفنّ الملكي أو السياسي بما في ذلك فنّ القائد العسكري، كون ذلك هو الفنّ الوحيد الذي عرف كيف يستعملها. هناك كان الفن الذي كنا عنه باحثين بالتحديد ـ الفنّ الذي هو مصدر الحكومة الخيّرة، والذي يمكن أن يوصف، في لغة آيسخيلوس، كأنّه الوحيد الجالس في مقبض دفّة مركب الدولة، هادياً وحاكماً كلّ الأشياء أو مستفيداً منها.

كريتون: أوَ لم نكن محقين، يا سقراط؟

سقراط: ستحكم أنت، يا كريتون، إذا ما كنت عازماً لأن تسمع ما يلي. برغم أنّنا استأنفنا البحث، وسألنا سؤالاً من هذا النوع: هل يفعل الفنّ الملكي أيّ شيء لنا بما أنّ لديه هذه السلطة السامية؟ وكان الجواب، لتكن متأكّداً أنّه يفعل. أولن تقول الشيء عينه، يا كريتون؟

كريتون: نعم، إنّني سأقول.

سقراط: وماذا تعتقد أنَّ الفن الملكي يفعل؟ إفترض أنّني سألتك سؤالاً: ماذا ينتج فنّ الطبّ بكل سلطته السامية في مجاله الخاص؟ أنت ستقول، إنّه ينتج الصحة.

كريتون: سأقول هذا.

سقراط: وماذا عن فنّك الزراعي الخاص؟ إنَّ له سلطة عظيمة في ميدانه المختص به ـ فماذا يفعل؟ ألاَ يمدّنا بفواكه الأرض؟

كريتون: نعم.

سقراط: وماذا يفعل الفنّ الملكي، الذي له نفوذ كبيرٌ في ميدانه الخاص؟ لَربما لست جاهزاً لإعطاء الجواب؟

كريتون: حقّاً إنّني لست جاهزاً، يا سقراط.

سقراط: ونحن لسنا بجاهزين أكثر منك، يا كريتون. لكن على كل حال تعرف أنت أنّه إذا كان هذا هو الفنّ الذي نبحث عنه، يجب أن يكون نافعاً.

كريتون: بالتأكيد.

سقراط: وينبغي أن يُنعِم علينا بخيرٍ ما بكلّ تأكيد؟

كريتون: بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: ووصلنا إلى الاستنتاج، كلينياس وأنا، وهو أنّ معرفةً منْ نوعٍ ما هي الخير الوحيد.

كريتون: نعم، ذلك ما كنّا قائلين.

سقراط: كانت كل النتائج الأخرى التي يمكن أن تُنسب إلى السياسات، وهي كثيرة، كمثال، الغنى، الحريّة، السكون، كانت كلها لا خيّرة ولا شريرة في أنفسها؛ لكن العلم السياسي يلزم أن يجعلنا حكماء، وأن يمنحنا المعرفة، إذا كان هذا هو العلم الذي يُحتمل أن يفعل لنا الخير ويجعلنا سعداء.

كريتون: نعم؛ كان ذلك هو الاستنتاج الذي وصلت إليه طبقاً لتقريرك عن المحادثة.

سقراط: وهل يجعل الفنّ الملكي الرجال حكماء وأخياراً؟

كريتون: لِمَ لا؟

سقراط: ماذا، كلّ الرجال، وفي كل اتجاه؟ ويعلّمهم كل الفنون: فنّ التجارة وفنّ الأسكفة وبقيّة الفنون؟

كريتون: لا أعتقد ذلك، يا سقراط.

سقراط: لكن إذن، ما هي هذه المعرفة، وماذا ستفعل بها؟ إنّها ليست المصدر لأيّة

أعمال لا تكون صالحة ولا طالحة، ولا لأن تهب أيّة معرفة بل المعرفة عينها؛ ماذا يمكن أن تكون آنئذ، وماذا سنفعل بها؟ هل سنقول، يا كريتون، أيّها تكون المعرفة التي سنجعل بها الرجال الآخرين أخياراً؟

كريتون: مهما كلّف الأمر.

سقراط: وفي ماذا سيكونون أخياراً ونافعين؟ هل سنكرّر القول إنّهم سيجعلون الآخرين أخياراً، وإنّ هؤلاء الأخيار الآخرين سيجعلون الآخرين أخياراً مرّة ثانية بدون أن يعزموا أبداً في ماذا سيكونون أخياراً؛ لأنّنا نحن وضعنا جانباً النتائج للسياسات، كما تسمّى. إنّ هذه هي الأغنية القديمة مرّة ثانية؛ ونحن بعيدون عن معرفة الفنّ أو علم السعادة، تماماً كما كنّا أبداً، إذا لم نكن أبعد.

كريتون: حقاً، يا سقراط، يبدو أنّك أصبحت في حيرة كبيرة.

سقراط: وبناءً على ذلك، يا كريتون، مشاهداً أنّني كنت على وشك الغرَق، رفعت صوتي، وناشدت ورجوت الغريبين بجديّة كي ينقذاني وينقذا الفتى من دوّامة المحاورة. إنّهما كانا لنا نيّر التوأمين ورأسي التوأم المؤخّر ويجب أن يكونا غير هازلين بشكل تامّ، وأن يبيّنا لنا في جدّيّة رصينة ماذا كانت تلك المعرفة التي ستمكّننا من أن نقضي بقية حيّاتنا في السعادة.

كريتون: وهل سيريك يوثيديموس هذه المعرفة؟

سقراط: نعم، حقاً. تقدّم في أسلوب سامٍ نتيجة لِمَا أوردته وقال: هل ستفضّل، يا سقراط، أنْ أريك هذه المعرفة التي شككْتَ بها، أو هل سأبرهن لك أنّك تحوزها الآن؟

قلت له: هل أنت محظوظ بقوّة كتلك؟

يوثيديموس: إنّني لكذلك حقّاً.

سقراط: سأفضّل أكثر بكثير إذن أن تبرهن لي أنّني أمتلك هكذا معرفة؛ سيكون أسهل عليّ أن أتعلّم في هذه المرحلة من عمري.

يوثيديموس: أخبرني، هل تعرف أيّ شيء؟

سقراط: نعم، إنّني أعرف عدة أشياء، لكن ليس أي شيء بذي قيمة.

يوثيديموس: سيفي ذلك بالحاجة، وهل ستعترف بأنّ أيّ شيء يمكنه أن يكون ما هو، وأن لا يكون ما هو في الوقت عينه؟

سقراط: لا بالتأكيد.

يوثيديموس: أوَ لم تقل إنّك عرفت شيئاً ما؟

سقراط: نعم فعلت.

يوثيديموس: إذا عرفت، فأنت عارف.

سقراط: بالتأكيد، تلك المعرفة التي أمتلكها.

يوثيديموس: ذلك لا يسبب تبايناً. أوَلاً يجب عليك، إذا كنت عارفاً، أن تعرف كلّ الأشياء؟

سقراط: لا بالتأكيد، لأن هناك أشياء عديدة أخرى لا أعرفها.

يوثيديموس: وإذا كنت لا تعرف فأنت لست عارفاً؟

سقراط: نعم، يا صديقي، عن ذلك الذي لا أعرفه.

يوثيديموس: يبقى أنّك لا تعرف، ولقد قلت لتوّك الآن أنّك كنت عارفاً؛ ولهذا السبب أنت تكون ولا تكون ذاتك، في الوقت عينه وبشأن الأشياء عينها.

سقراط: هذا حديث صاخبٌ منك، كما يقول الرجال، يا يوثيديموس! وهل ستشرح كيف أمتلك تلك المعرفة التي كنّا عنها باحثين؟ هل تعني أنّه بقدر ما يكون مستحيلاً للشيء عينه أن يكون وأيضاً أن لا يكون، يتبع ذلك بما أنّني أعرف شيئاً واحداً فأنا أعرفها جميعاً، لأنّه لا يمكنني أن أكون عارفاً وأن لا أكون عارفاً في الوقت عينه. وإذا عرفت كلّ الأشياء، يجب عليَّ أن أحوز المعرفة عن ذلك الذي نبحث عنه عندئذ ـ أيمكنني أن أفترض أنّ هذه هي فكرتك البارعة؟

يوثيديموس: من فمك أدينك، يا سقراط، إنّك لمُدان.

سقراط: حسناً، لكن، يا يوثيديموس، ألم يحدث لك على الإطلاق؟ لأنّني إذا كنت معك ومع محبوبنا ديونيسودوروس بالحالة عينها، فلا أستطيع أن أشتكي. أخبراني إذن، أنتما الإثنين، ألا تعرفان الأشياء عينها، ولا تعرفان الأخرى؟

ديوروس: لا بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: ماذا تعني، ألا تعرف شيئاً؟

ديوروس: لا، نحن نعرف شيئاً ما.

سقراط: إذن، أنتما تعرفان كل شيء، إذا عرفتما أيّ شيء؟

ديوروس: نعم، كلّ الأشياء، وهذا حقيقي عنك كما هو بالنسبة لنا.

سقراط: أوه، حقاً! ما هذا الشيء الرائع، وما هذه النعمة العظيمة! وهل يعرف كل الرجال الآخرين كلّ الأشياء أو لا يعرفون بعض الأشياء أو لا يعرفون شيئاً؟

ديوروس: طبعاً، لا يستطيعون هم أن يعرفوا بعض الأشياء ولا يعرفون الأشياء الأخرى ويكونون عارفين وغير عارفين في الوقت عينه.

سقراط: ما هو الاستنتاج حينئذ؟

ديوروس: إنّهم يعرفون كل الأشياء، إذا عرفوا شيئاً واحداً؟

سقراط: أرى الآن، يا ديونيسودوروس، أنّك جادٌّ فيما تقول؛ ولم أصل إلى هذه النقطة الرئيسيّة إلاّ بصعوبة. وهل تعرف بحقٍّ وصدق كلّ الأشياء، بما فيها النجارة وقصّ الجلد؟

ديوروس: بالتأكيد.

سقراط: وهل تعرفان الخياطة كلاكما؟

ديوروس: نعم، أحلف بأنّنا نعرفها، ونعرف الأسكفّة أيضاً.

سقراط: وهل تعرفان هكذا أشياء كعدد النجوم وعدد حبّات الرمال؟

ديوروس: بالتأكيد؛ هل ستعتقد بأنّنا سنقول لا لذلك؟

[قال كتاسيبوس مقاطعاً]: إنّني أستحلفكما، أعطياني برهاناً ما يجعلني قادراً لأعرف إذا ما كنتما تتكلمان الحقيقة.

ديوروس: أيّ برهان سأعطيك؟

كتاسيبوس: هل ستخبرني كم سِنّاً يمتلك يوثيديموس؟ وسيخبرني يوثيديموس عدد أسنانك.

ديوروس: ألن تتقبّل كلمتنا أنّنا نعرف كل الأشياء؟

كتاسيبوس: لا بالتأكيد. يجب أن تخبرانا هذا الشيء الوحيد علاوة على ذلك، وسنعرف بعدئذ أنّكما تتكلّمان الصدق، فسنصدِّق بقية ما قلتما.

[توهّما أن كتاسيبوس كان يلعب معهما، ورفضا عرضه، وكانا يقولان كجوابٍ على كل سؤال من أسئلته، إنّهما يعرفان كل شيء. أخيراً بدأ كتاسيبوس التخلص من كل تحفظاته؛ ولم يكن أيّ سؤالٍ سيِّءٍ بالنسبة له ليسأله في الواقع؛ إنّه سيسألهما إذا عرفا أتفه الأشياء، وهما مثل الخنازير البريَّة، انقضّا عليه بسرعة، وأجاباه بدون خوف إنّهما يعرفان. في النهاية، يا كريتون، فقدت السيطرة على تصديقي إياهما ، وسألت ديونيسودوروس إذا ما كان يقدر أن يرقص].

ديوروس: بالتأكيد.

سقراط: وهل تقدر أن تقفز بين السيوف، وتدور على الدولاب، في سنِّك؟ هل وصلت إلى حذقٍ رفيعٍ مثل هذا؟

ديوروس: إنّني أتمكن من فعل أيّ شيء.

سقراط: هل تعرفان أنتما الاثنين كل شيء على الدوام؟

ديوروس: على الدوام.

سقراط: يوم كنتما طفلين، وحين ولادتكما؟

[ديورروس: قال هو ويوثيديموس أنّهما يفعلان].

[لم نستطع تصديق هذا]، وقال يوثيديموس: إنّك ميّالٌ إلى الشكّ، يا سقراط.

سقراط: نعم، ويمكنني أن أميل إلى الشكّ بالتمام، إذا لم أُسلِّم بأنّكما رجلان عاقلان.

يوثيديموس: لكنّك إذا أجبت، فسأجعلك تعترفُ أيضاً بهذه المعجزات عينها.

سقراط: حسناً، لا يوجد أيّ شيء سأحبه أفضل من أن أكون مداناً ذاتياً، لأنّني إذا كنت إنساناً حكيماً بحقّ، ولم أكن أعرفه سابقاً، وستبرهن لي بأنني أعرف وأنّني عرفت كلّ شيء على الدوام، فلن أتمكّن من مقابلة ضربة الحظ السعيدة هذه بأكبر منها في حياتي كلها.

يوثيديموس: أجب إذن.

سقراط: إسألني، وسأجيبك.

يوثيديموس: هل تعرف شيئاً ما، يا سقراط، أو لا تعرف شيئاً؟

سقراط: أعرف شيئاً ما.

يوثيديموس: وهل تعرف بماذا تعرف، أو أنك تعرف بشيءٍ ما آخر؟

سقراط: بماذا أعرف. إفترض أنّك تعني أنّني أعرف بروحي؟

يوثيديموس: ألست بمستحٍ، يا سقراط، لتسألَ عندما تُسألُ سؤالاً؟

سقراط: حسناً، لكن ماذا سأفعل إذن؟ فأنا سأفعل ما تأمر؛ وعندما لا أفهم ما تسألني، هل ستأمرني لأجيبك برغم ذلك، وأن لا أسألك مرّة ثانية؟

يوثيديموس: لماذا؟ أنت تمتلك فكرة ما لِمَا أعنيه.

سقراط: نعم.

يوثيديموس: حسناً إذن، أجبني طبقاً لتصوّرك لمعنى فكرتي.

سقراط: نعم؛ لكنّني إذا فهمت السؤال الذي تسألني إيّاه في معنى واحد وأجبتك

عليه بمعنى آخر، هل سيسرك ذلك، إذا أجبت بما لا يدخل في صميم الموضوع؟

يوثيديموس: سيسرّني ذلك بشكلٍ جيّد؛ لكنّه لن يسرَّك جيداً بنفس المقدار، كما أتصور.

سقراط: إنّني لن أجيبك بالتأكيد إلاَّ إذا فهمت سؤالك.

يوثيديموس: إنّك لن تجيب طبقاً لتصوّرك للمعنى، لأنّك تستمرّ في لعب دور الغبي، وأنت أكثر حماقة ممّا تكون بحاجة إليه.

سقراط: [والآن رأيت أنّه أصبح غاضباً عليَّ لاستخلاص التمييز في الكلام، في حين أنّه أراد أن يوقعني في فخٍّ من الكلمات. وتذكرت أنّ كونوس كان يغضب مني على الدوام عندما أضادّه، وحينها أهملني لأنّه اعتقد بأنّي غبي. وبما أنّني عزمت لأن أذهب إلى يوثيديموس كتلميذ، فكّرت ملياً ورأيت من الأفضل أن أدعه يتّبع الطريقة التي يريد لأنّه يمكن أن يعتقد بأنّي بطيء الفهم ويرفض قبولي كتلميذ]. قلت هكذا: إذا كانت هذه طريقتك في الكلام فلا بأس. إنّك عالم منطقٍ أفضل منّي بكثير، يا يوثيديموس، لأنّني لم أتّخذ هذا الفنّ كمهنةٍ أبداً. إسأل أسئلتك مرّة ثانية من البداية، وأنا سأجيبك.

يوثيديموس: أجبني مرّة أخرى إذن، إذا ما كنت تعرف ما تعرف بشيء ما، أو بلا شيء.

سقراط: نعم، إنّني أعرف بروحي.

يوثيديموس: الرجل سيجيب على أكثر من السؤال؛ أنا لم أسألك بماذا تعرف، بل إذا ما كنت تعرف بشيء ما.

سقراط: أجبت بسبب الجهل مرّة ثانية على أكثر من السؤال، غير أني آمل أنك ستسامحني، والآن سأجيبك ببساطة أنّني أعرف دائماً ما أعرفه بشيء ما.

يوثيديموس: وهل يكون ذلك الشيء الـ « ما » الشيء عينه، أو بعض المرات شيئاً واحداً، وشيئاً آخر بعض المرات.

سقراط: عندما أعرف دائماً، أعرف بهذا.

يوثيديموس: مرّة ثانية، توقّف عن تحديد أجوبتك.

سقراط: خوفي أن تقحمنا هذه الكلمة « دائماً » في مشكل.

يوثيديموس: أنت، لربّما، لكن ليس نحن بالتأكيد. وأجبني الآن: هل تعرف بهذا دائماً؟

سقراط: دائماً؛ بما أنّني محتاج لأسحب الكلمات « عندما أعرف ».

يوثيديموس: أنت تعرف بهذا دائماً، أو، على الدوام عارفاً، هل تعرف بعض الأشياء بهذا، وبعض الأشياء بشيءٍ ما آخر، أو أنك تعرف كلّ الأشياء بهذا؟

سقراط: كل الذي أعرفه، أعرفه بهذا.

يوثيديموس: هناك تذهب مرّة ثانية، يا سقراط، للتحديد عينه!

سقراط: حسناً، إذن، سأقصي الكلمات « الذي أعرف ».

يوثيديموس: لا، لا تقصِ أيّ شيء؛ لا أرغب منّةً منك؛ لكن دعني أسأل: هل ستكون قادراً على أن تعرف كل الأشياء، إذا لم تعرف كل شيء؟

سقراط: مستحيل تماماً.

يوثيديموس: وبعدُ يمكنك أن تضيف مهما تريد، لأنك تعترف أنّك تعرف كلّ شيء؟

سقراط: إفترض أنّني فعلت، إذا لم يكن التحديد « الذي أعرف » سليماً؛ وهكذا فأنا أعرف كلّ شيء.

يوثيديموس: أوَ لم تعترف بأنّك عرفت دائماً كلّ الأشياء بذلك الذي تعرف، سواء تسبّب الإضافة « عندما تعرفها »، أو أيّة إضافة أخرى؟ واعترفت أنت بأنّك عارف دائماً وفي الحال بكلّ شيء، ذلك لتقول، حينما كنت طفلاً، فأثناء

ولادتك، وخلال تربيتك، وقبل أن توجد، .وقبل خلق السماء والأرض، أنت عرفت كلّ شيء، إذا عرفته على الدوام. وأنّني أقسم بأنّك ستواصل لتعرف كلّ شيء على الدوام، إذا اتخذتُ قراراً لأجعلك هكذا.

سقراط: لكنّني آمل أنّك ستكون ميّالاً لذلك، يا يوثيديموس المبجّل، إذا كنت تتكلّم الحقيقة بصدق. ومع ذلك فإنّ لديَّ شكّاً في أنّك ستحقّق بما تقول إلاّ إذا امتلكت مساعدة أخيك ديونيسودوروس؛ يمكنك أن تفعل ما تقول عندئذ. أخبراني الآن كلاكما، مع أنّني لا أقدر أن أحاور ضدّ تصوُّر أنّي أعرف كلّ الأشياء بشكل رئيسيّ، عندما يخبرني رجال لهما هكذا حكمة مدهشة مثلكما ـ كيف أستطيع أن أقول بأنّني أعرف أشياء كهذه، يا يوثيديموس، مثل أنّ الأخيار لا يكونون ظالمين. تعالَ، هل أعرف أنا ذلك أو لا أعرفه؟

يوثيديموس: أنت تعرفه، بالتأكيد.

سقراط: ماذا أعرف؟

يوثيديموس: تعرف أنّ الأخيار لا يكونون ظالمين.

سقراط: حقيقيّ تماماً، وإنّني قد عرفته لزمن طويل، لكنّ السؤال هو، أين تعلّمت أنا أن الأخيار يكونون ظالمين؟

ديوروس: لم تتعلّمه في أيّ مكان.

سقراط: إذن، لا أعرف هذا.

[قال يوثيديموس لديونيسودوروس: إنّك تخرّب المحاورة لأنّ سقراط سيبرهن أنّه لا يعرف، وبعد كلّ ذلك سيكون عارفاً وغير عارفٍ في الوقت عينه

واحمرّ وجه ديونيسودوروس خجلاً].

سقراط: [إستدرت إلى يوثيديموس، وقلت له]: ماذا تعتقد، يا يوثيديموس؟ هل يظهر لك أخوك العالم بكل شيء أنّه مخطىء؟

أجاب ديونيسودوروس في لحظة: هل أنا أخو يوثيديموس؟

سقراط: قلْ له بناءً على ذلك من فضلك أن لا تقاطعنا، يا صديقي الصالح، أو تمنع يوثيديموس من البرهنة لي أنّني أعرف الخيْر ليكون ظالماً؛ درسٌ كهذا يمكنك أن تسمح لي أن أتعلّمه على الأقلّ.

ديوروس: إنّك تتهرّب من المحاورة، يا سقراط، وترفض أن تجيب.

سقراط: لا عجب، فأنا لست نظيراً لواحدٍ منكما وضعيفاً في علم الكلام. يجب أن أهرب من الاثنين. أنا لست هرقل؛ وحتّى هرقل لم يستطع أن يحارب ضدّ الهيدرا سوفسطائية التي كانت لها القدرة على إطلاق عدّة رؤوس جديدة من المحاورة عند قطع إحداها، خاصة حينما رأى هو مخلوقاً غريباً ثانياً لسرطان البحر الذي كان سوفسطائياً أيضاً، ويظهر أنّه وصل حديثاً من رحلةٍ بحريّة. وعندما أصبح الحيوان الغريب مزعجاً، منقضّاً عليه من اليسار، فاغراً فاه، عاضّا إياه، عندها استدعى ابن أخيه ايولوس لمساعدته، الذي أسعفه بمقدرة؛ لكن إذا أتى أيولوس الذي يخصني، فسيجعل العمل السيء أسوأ.

ديوروس: والآن بما أنّك أنقذت نفسك من هذا الإلقاء الملحون، هل ستخبرني إذا ما كان أيولوس ابن أخي هرقل أكثر من أنه ابن أخيك.

سقراط: افترض أنّه من الأفضل أن أجيبك، يا ديونيسودوروس، لأنّك ستصرُّ على السؤال ـ ذلك ما أعرفه تماماً ـ وهذا من حسدك لي كي تمنعني من أن أتعلّم الحكمة من يوثيديموس.

ديوروس: أجبني إذن.

سقراط: حسناً إذن، أستطيع أن أجيبك فقط أن أيولوس لم يكن ابن أخي على الإطلاق، بل إبن أخي هرقل؛ وأباه لم يكن أخي يا باتروكلس، لكن ايفيكليس، الذي كان إسمه مثل ذلك على الأصحّ، وكان أخا هرقل.

ديوروس: وهل باتروكلس أخوك.

سقراط: نعم، إنّه أخي من أمّي، وليس من أبي.

ديوروس: إذن هو أخوك وليس بأخيك؟

سقراط: ليس من الأب نفسه، يا رجلي الطيب، لأنّ تشايراديموس كان أباه، وأبي كان سافرونيسكوس.

ديوروس: وهل كان سافرونيسكوس أباً، وتشايراديموس أيضاً؟

سقراط: نعم، السابق كان أبي، واللّاحق كان أباه.

ديوروس: إذن، فتشايراديموس كان غيراً من أب؟

سقراط: غيراً من أبي.

ديوروس: لكن هل كان هو أباً، كونه غيراً من أب؟ أو تكون أنت الشيء نفسه كالحجر؟

سقراط: إنّني لا أعتقد بأنّني حجر بكلّ تأكيد، ومع هذا فأنا أخشى أنّه بإمكانك أن تبرهن بأني حجر.

ديوروس: ألست أنت غيراً من الحجر؟

سقراط: إنّني لكذلك.

ديوروس: وكونك غيراً من حجر، فأنت لست حجراً؛ وكونك غيراً من ذهب، فأنت لست ذهباً؟

سقراط: حقيقي تماماً.

ديوروس: وهكذا تشايراديموس، كونه غيراً من أب ليس أباً؟

سقراط: إفترض أنّه ليس أباً.

[قال يوثيديموس بعد أن استلم المحاورة]: لأنّه إذا كان تشايراديموس أباً، عندئذ فإنّ سافرونيسكوس، كونه غيراً من أب، ليس أباً؛ وأنت تكون بلا أبٍ، يا سقراط؟

[استلم كتاسيبوس المحاورة هنا، وقال]: أوَ لاَ يكون أبوك في الحالة عينها، لأنّه غيرٌ من أبي؟

يوثيديموس: لا بالتأكيد.

كتاسيبوس: إذن فهو يكون الشيء عينه؟

يوثيديموس: إنّه الشيء عينه.

كتاسيبوس: الفكرة لا تسرّني؛ أيكون هو أبي فقط، يا يوثيديموس، أو أنّه هو أبٌ لكلّ الرجال الآخرين؟

يوثيديموس: لكلّ الرجال الآخرين. هل تفترض أنّ الشخص نفسه يكون أباً وليس أباً؟

كتاسيبوس: بالتأكيد، إنّني أتصوّر هكذا.

يوثيديموس: وهل تفترض أنّ الذهب لا يكون ذهباً، وأنّ إنساناً لا يكون إنساناً؟

كتاسيبوس: إنّهمَا لا يكونان « في نسبة مادية In pari materia »، يا يوثيديموس. ومن الأفضل أن تكون حذراً لأنّه يكون شذوذاً لتفترض أنّ أباك هو أبو الجميع.

يوثيديموس: لكنّه يكون أبا الجميع.

كتاسيبوس: ماذا، أب للرجال فقط، أو للأحصنة، ولكلّ الحيوانات الأخرى؟

يوثيديموس: إنّه أبٌ للكل.

كتاسيبوس: وهل أمك أمٌّ للجميع أيضاً؟

يوثيديموس: نعم، ووالدتنا كذلك.

كتاسيبوس: وهل تمتلك أمّك حينئذ ذريّة بَحْرِيَّةٌ من أولاد الشوارع الأشقياء؟

يوثيديموس: نعم وأمّك أيضاً.

كتاسيبوس: وهل يكون سمك القوبيون النهري وجراء الكلاب وصغار الخنازير إخوتك؟

يوثيديموس: وإخوتك كذلك.

كتاسيبوس: وهل أبوك خنزير بريّ وكلب؟

يوثيديموس: وكذلك أبوك.

ديوروس: سأستخرج قريباً الاعترافات عينها منك، إذا ما كنت ستجيب على أسئلتي، يا كتاسيبوس، هل لديك كلب؟

كتاسيبوس: وكلب وَغْدٌ.

يوثيديموس: وهل له جراءٌ صغيرة؟

كتاسيبوس: نعم، وهي تشبهه إلى حدّ بعيد.

يوثيديموس: والكلب أبوها؟

كتاسيبوس: نعم، إنّني رأيته بالتأكيد يتصل مع أمّ جراء الكلاب الصغيرة.

يوثيديموس: أليس هو ملكك؟

كتاسيبوس: إنّه ملكي، لتكن متأكّداً.

يوثيديموس: ما دام الأمر كذلك فهو أبٌ، وهو ملكك؛ إذن، فهو أبوك، وجراء الكلب الصغيرة هي أخوتك.

[وقال ديونيسودوروس مقاطعاً بسرعة، دعني أسألك سؤالاً صغيراً واحداً أكثر، كي لا يتمكن كتاسيبوس من أن يرد على السؤال بكلمة]: هل تضرب كلبك؟

[قال كتاسيبوس ضاحكاً]: إنّني أضربه حقّاً؛ بما أنّني لا أستطيع أن أضربك.

ديوروس: إذن فأنت تضرب أباك؟

كتاسيبوس: عليّ أن أمتلك سبباً أكثر لأضرب أباك. بماذا كان يفكر هو عندما أنجب هذين الولدين العاقلين؟ إنّ أباكما هذا قد استخرج خيراً كثيراً منكما ومن أخوتكما جراء الكلاب الصغيرة ومن حكمتكما هذه.

ديوروس: لكن لا أنت ولا هو، يا كتاسيبوس، تتملككما أيّة حاجة لخير كثير.

كتاسيبوس: وأنت ألا تتملكك أيّة حاجة لها، يا يوثيديموس؟

يوثيديموس: لا أنا ولا أيّ رجل آخر. وأخبرني الآن، يا كتاسيبوس، إذا ما كنت تعتقدها خيراً أو شرّاً لإنسان يكون مريضاً ليشرب الدواء عندما يريده أو لأن يذهب للحرب مسلّحاً مفضّلاً ذلك على أن يكون أعزلَ من السلاح؟

كتاسيبوس: خيراً. ومع ذلك فأنا أتخيّل بأنّني ذاهب للوقوع في فخ واحدٍ من لُغَزكَ الساحرة.

يوثيديموس: ستكتشف ذلك إذا أجبت. بما أنّك تعترف أن الدواء هو خير لإنسانٍ ليشربه عند حاجته، ألا يجب عليه أن يشرب من هذا الشراب الجيّد بقدر ما يمكن؟ أو لن يكون الشيء الفعليّ له إذا ما سُحِق وخُلِط ما مقداره مثقال عربة من نبات الخربق لمنفعته؟

كتاسيبوس: هكذا تماماً، يا يوثيديموس، ذلك لتقول، إذا كان الذي يشربُ كبيراً مثل التمثال الموجود في معبد دلفي.

يوثيديموس: ومع اعتبار أن امتلاك السلاح في الحرب هو شيء جيّد، فيجب عليه أن يحوز عدّة حراب ومجنّات قدر الإمكان؟

كتاسيبوس: حقيقي جداً، وهل تعتقد، يا يوثيديموس، أنّه يجب أن يحوز مجنّاً واحداً فقط، وحربة واحدة؟

يوثيديموس: إنّني أفعل.

كتاسيبوس: وهل ستسلّح جيريون وبراياروس في تلك الطريقة؟ آخذاً بعين الاعتبار أنّك ورفيقك تحاربان في العدّة الحربيّة. إعتقدت أنّك ستعرف أفضل من ذلك .... [هنا يوثيديموس لزم لصمت، لكن ديونيسودوروس عاد إلى جواب كتاسيبوس السابق] وقال: ألا تعتقد أنَّ حيازتك للذهب شيء جيد؟!

كتاسيبوس: نعم، وأكثرهُ أفضله.

ديوروس: ويجب على الإنسان أن يمتلك أشياء جيّدة على الدّوام وفي كل مكان؟

كتاسيبوس: بدون ريب.

ديوروس: وتعترف أنت بأنّ الذهب شيء جيّد؟

كتاسيبوس: اعترفت بهذا.

ديوروس: أولاً يجب على الإنسان حينئذ أن يحوز على الذهب في كل مكان وعلى الدوام، وبقدر ما يمكنه في نفسه، أو لاَ يمكن اعتباره أسعد الرجال مَن لديه ثلاث « تالِنات » من الذهب في بطنه، « وتالِن »(١٥) في رأسه، وديناراً مدينياً(١٦) في كلا عينيه؟

كتاسيبوس: نعم، يا يوثيديموس، ويحسب السكيثيون أنّ أولئك الذين يمتلكون الذهب في جماجمهم ليكونوا أسعد وأشجع الرجال « إنّ ذلك مثل آخر لأسلوبك الكلاميّ عن الكلب والأب »، وما يبقى أكثر روعة، إنّهم يشربون من جماجمهم الذهبيّة، ويرون ما بداخلها، ويمسكون رؤوسهم بأيديهم.

يوثيديموس: وهل يرى السكيثيون والآخرون ذلك الذي له خاصيّة الرؤية، أو ذلك الذي لا يمتلكها؟

كتاسيبوس: ذلك الذي له خاصيّة الرؤية، بوضوح.

يوثيديموس: وهل ترى أنت ذلك الذي له خاصيّة الرؤية؟

كتاسيبوس: نعم، إنّني أفعل.

يوثيديموس: إذن، هل ترى أنت ملابسنا؟

كتاسيبوس: نعم.

يوثيديموس: إذن، فملابسنا لها خاصيّة الرؤية؟

كتاسيبوس: الأكثر تأكيداً.

يوثيديموس: ماذا تعني؟

كتاسيبوس: فقط أنّه يمكنك لربّما أن تتصوّر في براءتك أنّها لا تمتلك رؤية. « أنّك

لا تراها ». إنْ هكذا، يا يوثيديموس، فأنت تبدو لي أنّك أُخذت على حين غرة عندما لم تكن نائماً، وأنّه إذا كان ممكناً لتتكلم ولتقول لا شيء - إنّك فاعل هكذا.

ديوروس: أوَلاَ يمكن وجود متكلم الصمت.

كتاسيبوس: مستحيل.

ديوروس: أو صمت المتكلّم؟

كتاسيبوس: يبقى ذلك أكثر استحالة.

ديوروس: لكنّك عندما تتكلم عن الأحجار، والأخشاب، القضبان الحديدية، ألا تتكلم عن الصامت؟

كتاسيبوس: ليس حينما أمُرّ أمام دكّان الحدّاد، لأن القضبان الحديدية ستبعث حينها ضجة هائلة وصيحة عالية إذا لُمِسَت. وهكذا فإنّ حكمتك قادتك هنا إلى غلطة كبيرة. أخبرني، من فضلك على كل حال، كيف يمكنك أن تكون صامتاً عندما تتكلم [ظننتُ أن كتاسيبوس كان مُستَحَثّاً على بذل أقصى جهده بسبب وجود كلينياس].

يوثيديموس: عندما تكون صامتاً، ألا يكون ذلك صمتاً لكل الأشياء؟

كتاسيبوس: نعم.

يوثيديموس: لكن إذا كانت الأشياء المتكلِمة مُشتَمَلةً في كل الأشياء، يوجد حينها صمت للأشياء المتكلِمة؟

كتاسيبوس: ماذا، ألاَ تكون كلّ الأشياء صامتة عندئذ؟

يوثيديموس: لا بالتأكيد.

كتاسيبوس: إذن، يا صديقي الطيب، هل تتكلّم كلّها؟

يوثيديموس: نعم، تلك التي تتكلّم.

كتاسيبوس: لا، لكن السؤال الذي أسأله هو ما إذا كانت كل الأشياء صامتة أو أنّها تتكلّم؟

ديوروس: لا هذا وكلاهما، مقاطعاً بسرعة؛ إنّني متأكّد بأنّك ستكون « مرتبكاً » في ذلك الجواب.

[هنا كتاسيبوس، وكما كان تصرفه، انفجر في قهقهةٍ من الضحك؛ وقال إنّ أخاك هذا، يا يوثيديموس، قد أوصل جوابه إلى الغموض. إنّ كلّ شيء انتهى معه. أبهج هذا الكلام كلينياس، الذي جعل ضحكة كتاسيبوسَ أكثر صخباً بعشر مرات. لكنّني لم أستطع إلاّ أن أعتقد بأنّ المحتال وجب أنه إلتقط هذه الإجابة منهما لأنه لم يوجد أية حكمة كحكمتهما في زمننا]. وقلت أنا لكلينياس: لماذا تضحك، يا كلينياس، على أشياء جليلة وجميلة كهذه؟

ديوروس: لماذا، يا سقراط، ألم ترَ أبداً شيئاً جميلاً؟

سقراط: نعم، يا ديوروس، إنّني قد رأيت العديد منها.

ديوروس: هل كانت هي غيراً من الجميل، أو الشيء عينه كالجميل؟

[والآن كنت في مأزقٍ كبير لأجيب على هذا السؤال واعتقدت بأنّني كنت أدّيت عملاً حقيقياً لو لم أفتح فمي على الإطلاق. وقلت على كلّ حال، إنّها ليست الشيء عينه كالجمال المطلق، لكنّها تمتلك جمالاً موجوداً في كلٍّ منها].

ديوروس: وهل أنت ثور إذا وجد ثور معك، أو أنت ديونيسودوروس لأنّني أنا حاضر معك؟

سقراط: لا سمح الله.

ديوروس: لكن كيف سيكون شيءٌ واحدٌ شيئاً آخر، بسبب أنّ شيئاً واحداً كونه موجوداً معه؟

سقراط: أتكون تلك صعوبتك؟ [فأنا ابتدأت لأقدّر براعتهما التي عقدت العزم عليها].

ديوروس: طبعاً، أنا وكلّ العالم نكون في صعوبة بشأن اللاوجود.

سقراط: ماذا تعني، يا ديونيسودوروس؟ ألا يكون الشريف شريفاً والدنيء دنيئاً؟

ديوروس: يكون ذلك كما يسرّني.

سقراط: وهل تُسرّ؟

ديوروس: بدون ريب.

سقراط: وهل ستعترف أنّ الشيء عينه يكون الشيء عينه، وأنّ الغير غيرٌ؛ لأنّ الغير لا يكون الشيء عينه بكلّ تأكيد. عليَّ أن أتصوّر أنّه حتّى الطفل سينكر بصعوبة أنّ الغير يكون غيراً. غير أنّي أعتقد، يا ديونيسودوروس أنّك تجنّبت الإجابة على السؤال الأخير عن قصد. وبشكل عامّ فأنت وأخوك تبدوان لي عاملين بارعين في فرعكما الخاص، وأنّكما تعملان عمل عالِم الجدل بشكل ممتاز.

ديوروس: ما هو عمل العامل البارع؟ أخبرني، أوّلاً، لمن يكون العمل بالمطرقة؟

سقراط: للحداد.

ديوروس: ولمن صناعة القدور؟

سقراط: للخزّاف.

ديوروس: ومن يذبح ويسلخ ويفرم ويسلق ويشوي؟

سقراط: الطاهي.

ديوروس: وإذا فعل إنسان عمله فهو يفعله على نحوٍ ملائم؟

سقراط: بالتأكيد.

ديوروس: ويكون عمل الطاهي ليقطّع ويسلخ؛ إنّك اعترفت بهذا؟

سقراط: نعم، اعترفت بذلك، لكن ينبغي عليك أن لا تكون قاسياً عليَّ.

ديوروس: إذن، إذا كان شخص ما ليذبح، يفرم، يسلق، ويشوي الطبخ، فسيعمل عمل الطبّاخ. وإذا كان هو يضرب الحداد بالمطرقة ويصنع من الخزّاف قِدراً فسيعمل هو عملهما؟

سقراط: يا سماء ويا أرض! أهذه قمّة حكمتكما حقاً! وهل أستطيع أن آمل في امتلاك حكمة كهذه؟

ديوروس: وهل ستكون قادراً، يا سقراط، على أن تدرك هذه الحكمة عندما تصبح ملكك؟

سقراط: بالتأكيد إذا سمحت لي.

ديوروس: ماذا، هل تعتقد بأنّك تعرف ما هو خاصّ بك؟

سقراط: نعم، إنّني أفعل، ويتوقّف ذلك على تصحيحكما؛ فأنت القاعدة، ويوثيديموس هو القمّة، لكلّ حكمتي.

ديوروس: أليس ما تعتبره خاصّاً بك، هو ما تمتلكه بقوّتك الخاصة، والذي ستكون قادراً على أن تستعمله كما سترغب؟ كمثال، ثورٌ، وحملٌ تستطيع بيعه أو تهبه والتضحية به لأيّ إله تريد ـ ألن تعتقد أنّ ذلك ملكك، وإذا لم تكن لك تلك السلطة عليه فلن تعتقد أنّه خاص بك؟

سقراط: نعم، قلت له [لأنّني كنت متأكّداً من أنّ شيئاً ما صالحاً سيُنجز بقوة بهذه الأسئلة، التي نفد صبري كي أسمعها]؛ نعم؛ تلك الأشياء فقط هي ملك لي.

ديوروس: وهل ستعني بالحيوانات المخلوقات الحيّة؟

سقراط: نعم.

ديوروس: توافق إذن، أنّ تلك الحيوانات تخصك فقط والتي بها تمتلك القوّة لتفعل كلّ هذه الأشياء التي سمّيتها لتوّي؟

سقراط: أوافق.

ديوروس: [بعدئذ، وبعد صمتٍ فنيٍّ مؤقت، تصنّع أثناءَه الاستغراق في تأمّلٍ روحي لشيء عظيم ما]، قال: أخبرني، يا سقراط، هل لديك سَلَفٌ لزيوس؟ [ظننت أنّ هذه هي الحركة الأخيرة، وخامرني الشعور بهذا الوقت

مثل الشخص الذي وقع في الشرك، والذي أطلق التواءً يائساً ذلك كي يتمكن من الإفلاتِ]، قلت: لا، يا ديونيسودوروس، إنّني لا أمتلك.

ديوروس: أيّ رجل بائس يجب أن تكون عندئذ أنت لست أثينياً على الإطلاق إذا لم يكن عندك أسلاف آلهة أو هياكل أو أيّة علامة أخرى لنبل المحتِد.

سقراط: بلطفٍ، من فضلك، وعامل تلميذك بخشونةٍ أقلّ؛ إنّني أمتلك هياكل ومعابد في نطاق الدين محليّةً ووراثيّة، وكل ذلك الذي يحوزه الأثينيون الآخرون.

ديوروس: ألا يمتلك الأثينيون سلفاً لزيوس؟

سقراط: لا يوجد ذلك الاسم بين الأيونيين، سواء كانوا مستعمرين من قِبَل أثينا أو مواطنين فيها؛ هناك سلف لأبولو، الذي يكون أباً لإيون، وعائلة زيوس، وزيوس حارس العشيرة، وأثينا حارسة العشيرة. لكن إسم سلف زيوس غير معروف من قِبَلِنا.

ديوروس: لا بأس، فأنت اعترفت أنّ عندك أبوللو، زيوس، وأثينا؟

سقراط: بالتأكيد،

ديوروس: وهم آلهتك؟

سقراط: نعم، أسلافي وأسيادي.

ديوروس: على كل حال هم ملكك، ألم تعترف بذلك؟

سقراط: إنّني فعلت؛ ماذا يمكن أنْ يحدث لي؟

ديوروس: أليس هؤلاء الآلهة حيوانات؟ فأنت اعترفت أنّ كلّ الأشياء التي تمتلك حياة هي حيوانات؛ أو لاَ يمتلك هؤلاء الآلهة حياة؟

سقراط: إنّهم يمتلكون حياة.

ديوروس: إذن، هم ليسوا حيوانات؟

سقراط: إنّهم حيوانات.

ديوروس: واعترفت أنت أنّ الحيوانات تلك هي ملكك تستطيع أن تهبها أو تبيعها أو تقدمها تضحية لأيّ إلهٍ يسرُّك؟

سقراط: إعترفت بذلك، يا يوثيديموس، وليس عندي أيّ طريق للهرب.

يوثيديموس: أخبرني في الحال إذن، إذا اعترفت أنّ زيوس والآلهة الآخرين هم – ملكك، فهل تقدر أن تبيعهم أو تهبهم أو تفعل بهم كما ستفعل بالحيوانات الأخرى؟

سقراط: [أُصِبتُ بهذا بالبَكم تماماً، يا كريتون، وصرت منهكاً. وأتى كتاسيبوس لإنقاذي ممّا أنا فيه].

كتاسيبوس: مرحى، يا هرقل، شجاعة كلماتك.

ديوروس: مرحى هرقل، أو يكون هرقل مرحى؟

كتاسيبوس: يا للسماء! ما هذه الألمعيّة! إنّني لن أسألهما أي شيء، إنّ الثنائي لا يغلب.

بعدئذ، يا عزيزي كريتون، وُجِدَ استحسانٌ شامل للمتكلمِيْن ولكلامهما، وكان الحاضرون منهكين بالضحك والغبطة والتصفيق تقريباً؛ لأنّه حتى الآن فإنّ المعجبين بيوثيديموس هتفوا فقط « والذي فعلوه بامتياز » عند كلّ ضربة ناجحة. لكن الآن كانت وكأنّ الصفوف الطويلة في قاعة المناقشات العامّة استحسنت ما قاله الثنائي في فرحٍ جَذِلٍ. كنت متأثّراً بنفسي لهكذا درجة، لذلك ألّفت خطاباً، اعترفت فيه بأنّني لم أرَ مثلهما في الحكمة؛ إنّي كنت خادمهما المخلص، وشرعت في الثناء عليهما والإعجاب بهما. يا أيّها الثنائي المحترم، قلت لهما، هكذا الموهوبان بالطبيعة وبشكل مدهش كي تنالا هذا الكمال العظيم في وقت قصيرٍ كهذا! هناك شيء كثير في كلماتكما لأُعجب به حقاً، يا يوثيديموس وديونيسودوروس، لكن لا يوجد أيّ شيء أكثر رفعة من عدم اعتباركما الإجمالي لأيّ رأي ـ سواء كان للكثرة أو

للسادة الهامّين المبجّلين ـ إنّكما تعتبران أولئك الذين يشبهونكما. وإنّني أعتقد من غير ريب بأنّه يوجد القليل جدّاً من أمثالكما، والذين سيوافقون على محاوراتٍ كهذه. إنَّ أغلبية الجنس البشري جاهلون بقيمتها، وإنّهم سيكونون بالتأكيد أكثر خجلاً لاستعمَالها في دحض الآخرين من أن يُدحضوا بها. إنّي أرى أيضاً ميزة أخرى ـ نوعاً من الشعور الديموقراطي العطوف، عندما تنكران كل الفوارق، سواء كانت للخير أو الشرّ، الأبيض والأسود، أو لأيّ شيء آخر. والذي تكون نتيجته، كما تقولان، أنّ كلّ فمٍ يكون مغلقاً، ولا يُستثنى من ذلك فمكما الذي يتبع مثال الآخرين ببشاشة حقيقية؛ وهكذا تُزال كل أرضيَّة دفاعيَّة. لكن ما يظهر لي أنّه أكثر من كل هذا، وهو أنّ هذا الفنّ وهذا الاختراع الخاصّيْن بكما أنتما قد استنبطماه وبهكذا إبداع، وأنكما تستطيعان نقله لأيّ شخص في وقت قصير جداً. إنّني لاحظت أنّ كتاسيبوس تعلّم تقليدكما بدون أي عناء. والآن فإنّ براعتكما في هذه الناحية باهرة، لكنها ليست مناسِبةً لشرحٍ عامّ. إذا قبلتما نصيحتي فسوف تتحاشيان الاجتماعات الحاشدة التي يمكن للذين يحضرونها أن ينسوكما ويشكروكما إذا تعلّموا بسرعة. إنّها ستكون أفضل إذا قصرتما المحادثة على نفسيكما. لكن إذا وجب أن يكون هناك حضور، فالذي يعتزم أن يدفع لكما أتعاباً دعاه يحضر فقط ـ ينبغي عليكما الانتباه لهذا ـ وإذا كنتما عاقلين، فستأمران أتباعكما أيضاً أن لا يتحادثوا مع أيّ انسانٍ إلا معكما ومع أنفسهم، لأنّ ما يكون نادراً يكون ثميناً، و« الماء » الذي قال بيندار إنّه « أفضل الأشياء كلّها » هو الأرخصُ أيضاً. والآن ما عليّ إلاَّ أن ألتمس منكما بأن تقبلاني وكلينياس بين تلاميذكم.

هكذا كانت المباحثة، يا كريتون؛ وبعد أن تحدّثنا بكلماتٍ قليلة ذهب كلٌّ منا في طريقه. آمل أنّك ستذهب إليهما معي، بما أنّهما يقولان بأنّهما قادران

على أن يعلّما أيّ شخص يدفع لهما بدل أتعابهما؛ وليس العمر ولا الافتقار للقدرة العقلية عائقاً لامتصاص حكمتهما بسهولة. ويجب عليّ أن أردّد أنّ تعليم فنّهما لا يتعارض مطلقاً مع عمل حيازة المال.

كريتون: بحق، يا سقراط، مع أنّني محبّ للاستطلاع وجاهز لأتعلّم، ومع ذلك فأنا أخاف من أنّني لست من العقلية عينها التي ليوثيديموس، لكنّ من النوع الآخر الذي كما كنت قائلاً، سيفضّل أن يُنقض بهكذا محاورات من أن يستعملها لنقض الآخرين، ويمكن أن أكون مضحكاً مع ذلك في المجازفة لأحذّرك بشأن هذا. أعتقد أنّه يمكنك أن تسمع أيضاً ما قيل لي من قِبَل إنسانٍ ذي حججٍ جديرةٍ بالاعتبار تماماً - كان متخصصاً في الخطابة الجدليّة - ابتعد عنك وأتى إليّ بينما كنت أتمشى صعوداً ونزولاً، قال لي: « يا كريتون، ألا تنتبه لهذين الرجلين الحكيمين؟ » قلت له: « لا، حقاً، إنّني لم أستطع الاقتراب منهما لأسمعهما - كان هناك جمهورٌ كبير ». أجاب: « لو قدرت على الدنوّ منهما لكنت سمعت شيئاً جديراً بالسماع ». قلت له: « وماذا كان ذلك؟ » أجابني: « كنت سمعت أهمّ المعلّمين في فنّ علم المنطق يتباحثان ». قلت: « وماذا فكرت عنهما ». أجاب: « ماذا فكرت عنهما؟ » - « إنّ بحثهما كان نوعاً من البحث الذي يمكن لواحد أن يسمعه في أيّ وقت من رجلين كهذين الناطقين بالهراء، محدِثَيْن ضجة كبيرة لأمرٍ تافه ». كان هذا هو التعبير الذي استعمله في وصفهما. قلت له: « إنّ الفلسفة شيء رائع، بكلّ تأكيد ». قال هو: « رائع، أيّة بساطة تتكلّم بها؟ إنّ الفلسفة هي لا شيء. وأعتقد أنّك لو قد حضرت لأستحيت بصديقك - إنّ تصرّفه كان غريباً جداً لوضع نفسه تحت رحمة الرجلين اللذين لا يعتنيان بما يقولان ويمسكان كلّ كلمةٍ تقال بإحكام. فهذان، كما أخبرتك، يُفترض أنّهما الأستاذان الأكثر شهرة في عصرهما. لكنّ الحقيقة،

يا كريتون، أنّ الدراسة عينها والرجال الذين يتابعونها هم حقيرون ومضحكون ». والآن يبدو لي أنّ توجيه اللوم لهذا الاهتمام، يا سقراط، سواء أتى منه أو من الآخرين، يبدو لي أنّه غير مُستَحَقّ؛ لكن بالنظر إلى عدم التناسب لعقد محادثة عامّة مع هكذا رجلين، أعترف أنّه كان على حقٍّ هناك، في رأيي.

سقراط: إنّ رجالاً كهذين الرجلين هم مذهلون، يا كريتون! لكن ماذا كنت ذاهباً لأقول؟ دعني أعرف قبل كلّ شيء، أيّ نوع من الإنسان كان الذي أتى إليك ولام الفلسفة؛ أكان هو الخطيب نفسه الذي يمارس الخطابة في محاكم العدل، أو معلم الخطابيين الذين يؤلفون الخُطب والتي بها يحاربون؟

كريتون: إنّه ليس خطيباً بالتأكيد، وأشكّ أنّه كان في محكمة قطّ؛ لكنّهم يقولون إنّه يجيد هذا العمل، وهو رجل حاذق ويؤلّف خطباً حسنة الأفكار.

سقراط: أفهم الآن، يا كريتون؛ أنّه واحد من النوع الذي كنت على وشك أن أذكره ـ واحد من أولئك الذين يصفهم بروديكوس وكأنّهم على الحد الفاصل بين الفلاسفة ورجال الدولة ـ هم يعتقدون بأنّهم أعقل الرجال كلِّهم، وأنّهم مميَّزون بشكل واسع؛ لا يؤمنون بشيء، لكن المخاصمة للفلاسفة تمنع هذا الاعتراف من أن يصبح شاملاً. وهكذا فهم من الرأي القائل أنّهم إذا استطاعوا أن يبرهنوا أنّ الفلاسفة لا يصلحون لشيء فلا أحد يقدر على معارضة لقبهم للفوز بالحكمة لأنّهم هم أنفسهم الأعقل حقّاً، مع ذلك فهم مُعرَّضون لأن يُعامَلوا من قِبل يوثيديموس وأصدقائه بخشونة ووحشيّة عندما يُمسكون بهم في محادثة. إنّ هذا الرأي الذي يتسلّون به عن حكمتهم الخاصة يكون طبيعيّاً؛ يبدو أنّه طبيعي جدّاً ومعقولٌ لأن يضمُّوا مقداراً محدّداً من الفلسفة ومقداراً من السياسات؛ وهم يجادلون أنّهم يمتلكون كفاية منهما كليهما. وهكذا فهم يبتعدون عن طريق كلّ المخاطر والنزاعات ويجنون أطايب حكمتهم.

كريتون: هل تعتقد أن هناك شيئاً فيما يقولون، يا سقراط؟ هناك شيء ما مموّه في آدّعائهم ذلك بكلّ تأكيد.

سقراط: نعم، يا كريتون، هناك تمويه أكثر من الحقيقة؛ إنّه لا يمكن جعلهم يفهمون طبيعة المتوسطات. إنّ كلّ الأشياء أو الأشخاص الذين يكونون وسطاً بين شيئين آخرين، ويشتركون فيهما كليهما ـ إذا كان واحد من هذين الشيئين صالحاً والآخر طالحاً. فهم أفضل من أحدهما وأسوأ من الآخر. لكنهم إذا كانوا في وسطٍ بين شيئين صالحين لا يميلان نحو الغاية عينها، فإنّهم سيقصّرون عن كلا المبادىء المركّبة في الحصول على غايتهما. إنّ المركّب يكون أفضل من عنصرَيه المركّبين فقط في الحالة التي يكون فيها هذان العنصران المركّبان سيّئين ولا يميلان نحو الغاية عينها. والآن، إذا كانت الفلسفة والأعمال السياسية كلاهما صالحين، لكنّهما يميلان إلى غاياتٍ متباينة، والأشخاص الذين نتكلّم عنهم يشتركون فيهما كليهما، وهم في وسط بينهما، حينئذ فهما يكونان متكلمين بإسفاف لأنّهما أسوأ منهما كليهما. أو إذا كان أحدهما صالحاً والآخر طالحاً، فهما أفضل من أحدهما وأسوأ من الآخر. لكن على افتراض أنّ كلاً منهما يكون شرّاً يمكن أن توجد حقيقة فيما يقولان فقط. إنّني لا أعتقد بأنّهم سيعترفون إمّا أن تكون ملاحقتهما شراً، أو أن يكون أحدها شرّاً والآخر خيّراً؛ غير أنّ الحقيقة هي أنّ هؤلاء الفلاسفة ـ السياسين الذين يتبعونهما كليهما يقصّران عنهما كليهما في الحصول على الغايات التي تعطي قيمة للسياسات والفلسفة، كلّ بحسب ذكره، وهم يُرتّبون في المركز الثالث حقيقة برغم أنّهم سيُحبّون أن يُنسّقوا كأُوَل. لا حاجة، على كل حال، لتكون غاضباً على طموحهم هذا الذي يمكن الصفح عنه؛ لأنّه يجب على كل إنسانٍ أن يحبّ من يقول ويتعقّب ويحقّق في أيّ شيء يتاخم الحكمة. في الوقت عينه سنفعل جيّداً لنراهم كما هم حقاً.

كريتون: أخبرتك غالباً، يا سقراط، بأنّني في حَرَجٍ دائمٍ بشأن ولديَّ، ماذا سأفعل بهما؟ لا عجلة بخصوص الأفتى الذي ما يزال طفلاً فقط؛ لكن الآخر، كريتونبولوس، يكبر وهو بحاجة لشخصٍ ما يحسنه. إنّي لا أستطيع إلاً التفكير، عندما أسمعك تتكلّم، أنّ هناك نوعاً من الجنون في العديد من قلقنا بشأن أطفالنا. في المقام الأوّل، بخصوص اقترانهما بزوجةٍ ذات عائلة صالحة لتكون أمّاً لهما، وبعدئذ بشأن جمع المال لهما - ومع هذا عدم عنايتنا بخصوص تعليمهم. لكن مرّة ثانية، عندما أتأمّل مليّاً أيّاً من أولئك الذين يدّعون بأنّهم يعلّمون الآخرين، فإنّني أتعجّب. إذا تكلّمت يمكنني أن أصرّح لك بالحقيقة، كلهم يبدون لي أنّهم مخلوقات فاحشة. وهكذا فإنّي لا أعرف كيف أستطيع أن أنصح الشباب ليدرسوا الفلسفة.

سقراط: يا عزيزي كريتون، ألا تعرف أنّ في كلّ مهنة يوجد النوع الأسوأ هم كثرة ولا يصلحون لشيء، وأنّ الصالحين قلّة وليس لهم ثمن. كمثال، أليست الألعاب الرياضيّة وعلم الكلام واكتساب الثروة وفنّ القائد العسكري، أليست فنوناً نبيلة؟

كريتون: إنّها لكذلك بالتأكيد، في حكمي.

سقراط: حسناً، أوَ لاَ ترى أنَّ في كلٍّ من هذه الفنون تكون الغالبية العظمى ممثلين مضحكين؟

كريتون: نعم، حقّاً، تلك هي حقيقة تامّة.

سقراط: وهل ستتجنّب كل هذه الملاحقات لهذا السبب وترفض أن تسمح بها لولديك؟

كريتون: سيكون هذا معقولاً، يا سقراط.

سقراط: كن معقولاً، يا كريتون، ولا تهتمّ سواء أكان أولئك الذين يتعقبون الفلسفة أخياراً أو أشراراً، بل فكّر في الفلسفة عينها فقط. إختبرها جيداً

وبحقّ، وإذا كانت سيئة، حاول أن تبعد كل الرّجال عنها، وليس ولديك فقط. لكن إذا كانت كما أعهد منها، فاتبعها عندئذ واخدمها أنت وكل أهل بيتك، كما يكون القول المأثور، وكن سعيداً.

محاورة مينَون

افكار المحاورة الرئيسيَّة

يبدأ مينون المحاورة بسؤال سقراط، إذا ما كانت الفضيلة تُكتسب بالتعليم أو بالممارسة، وإذا كانت لا تُنالُ بكليهما، سواء أأتت إلى الإنسان بالطبيعة عندئذ، أو أنّها تكتسب بأيّة طريقة أخرى. أجابه سقراط: كيف أستطيع إجابتك على أسئلتك، يا مينون، عندما لا أعرف ما هي الفضيلة حرفياً، وأقلّ من ذلك بكثير إذا كانت تُكتسب بالتعليم أوْ لاَ. وأعترف لك بأنّني لا أعرف ما هي الفضيلة بادىء ذي بدء كي أجيبك على سؤالك. أوَ لم تقابل أبولوجي، يا سقراط، عندما كان في أثينا؟ أوَ لم تعتقد بأنّه عرف ذلك؟ أجرؤ على القول، يا مينون، بأنّه يعرف وأنك تعرف ما قاله. ذكّرني، من فضلك بتعريفه للفضيلة، لأنّي أشتبه بأنّكما تفكران بشأن ذلك بشكل متشابه، وسأجد نفسي محظوظاً إذا كنت أنا مخطئاً، وظهرت أنت وأبولوجي أنّكما تمتلكان هذه المعرفة بحقّ.

لا صعوبة في الإجابة على سؤالك، يا سقراط. توجد فضيلتان، فضيلة للرّجل وأخرى للمرأة. واجب الأول معرفته بإدارة الدولة، وفي إدارتها سينفع أصدقاءه ويؤذي أعداءَه. وعليه أن يكون محترساً بأن لا يقاسي هو نفسه الأذى. أمّا المرأة، فواجبها أن تنظّم عائلتها وأن تحافظ على ما في داخل بيتها بشكلٍ مناسب، وأن تطيع زوجها. إنّ لكل عمرٍ، لكل حالةٍ في الحياة، للشاب أو للرجل المسن، للذّكر أو للأنثى، للعبد أو للحرّ، لكلٍّ فضيلةً مختلفةً. توجد فضائل لا تحصى، وبالتالي توجد صعوبة بشأن تعريفاتها، لأنّها توجد فضيلة ذات صلة بأعمال وأعمار كلٍّ منا في كل ما نفعل، وأحسب أنّه يمكن قول الشيء عينه عن الرذيلة، يا سقراط.

كم أنا محظوظٌ، يا مينون، عندما أسألك عن فضيلةٍ واحدة، تقدّم لي أسراباً

منها. إفترض أنّني أحمل صورة السّرب، وأسألك، ما هي طبيعة النحل؟ وتجيب أنت، أنّ هناك عدة أنواع مختلفة منه. ورددت أنا عليك: لكن هل توجد أنواع مختلفة من النحل بسبب أنّها تختلف بوصفها نحلاً؟ أو أنّها تتباين بوصفها كذلك. هل هي تتميّز عن بعضها بشيءٍ ما آخر، بنوعيّةٍ ما كالجمال، أو الحجم، أو علامة مميّزة أخرى كتلك؟ فكيف ستجيبني؟

سأجيبك، يا سقراط، أنّ النحل لا يختلف عن بعضه بعضاً بوصفه نحلاً.

وسأسألك بالتالي: ما هي النوعية التي لا يتباين النحل فيها، بل يكون كلّه متشابهاً، يا مينون، فمن المفترض أنّك ستقدر على أن تجيب على سؤالي. وهكذا أريدك أن تجيبني عن الفضائل، مهما يمكن أن تكون عديدة ومتباينة، فإنّ لها كلها شكلاً مشتركاً يجعلها فضائل. وعلى هذا فإنَّ مَن سيجيب على هذا السؤال، « ما هي الفضيلة؟ » سيفعل جيّداً إذا ركَّز عينه على الهدف. هل تفهم؟

إنّني بدأت أفهم، يا سقراط. لكنّي لم أستوعب سؤالك حتى الآن كما أتمنى وأرغبْ.

سأوضح لك ما أعنيه، عندما تقول إنّه توجد فضيلة للرجل، وأخرى للمرأة، وهكذا دواليك. هل ينطبق هذا على الفضيلة فقط، أو هل أنّك ستقول الشيء عينه عن الصحّة والحجم والقوة الجسديّة؟ أو هل تكون طبيعة الصحة هي الشيء عينه، سواء كانت للرجل أو المرأة؟

أجيبك، يا سقراط، أنَّ الصحّة هي الشيء عينه، في الرجل والمرأة كليهما.

أليست الفضيلة، يا مينون، كفضيلة، هي الشيء عينه سواء كانت في طفلٍ أو في رجلٍ مسنّ، في امرأةٍ أو في رجل؟

لا أقدر إلاّ أن أشعر، يا سقراط، أنّ هذه الحالة مختلفة عن الحالات الأخرى.

لكن ماذا، يا مينون، ألم تقل إنّ فضيلة الرجل كانت لتنظّم الدولة، وكانت فضيلة المرأة لتنظّم بيتها من الداخل؟ أوَ يمكن لكلا البيت والدولة أو لأيّ شيء آخر أن

يُنظِّم جيداً بدون الاعتدال وبدون العدل؟ وما دام الرجل أو المرأة لا يستطيعان أن ينظِّما أيّ شيء بدون العدل والاعتدال، يجب أن يمتلكا هذه الفضائل إذا ما قدر لهما أن يكونا صالحَين، وليس مفرطَيْن أو ظالمَيْن. لذلك فكل المخلوقات الإنسانيّة تكون صالحة بالطريقة عينها، وتصبح صالحة بامتلاك الفضائل نفسها أيضاً، ولا يمكنهم أن يكونوا أخياراً إلاّ إذا كانت لهم هذه الفضائل. نعم، نعم، يا سقراط، لا يمكنهم بدون ذلك.

والآن، يا مينون، فإنّ الشيء عينه للفضائل قد تمّت برهنته، حاول وتذكّر ما قاله أبولوجي، وأنت معه، بأنّ الفضيلة تكون.

ذلك ما أريده بحقّ، لكن تأمّل، يا مينون، هذه النقطة الأساسية، هل تقدر أو يمكن للفضيلة كما تعرّفها الآن أن تكون فضيلة طفلٍ أو عبد؟ هل يستطيع الطفل أن يحكم أباه، أو العبد سيّده؟ وهل سيكون من حكم عبداً بعد اليوم؟ أوَلاً ينبغي أن نضيف للعبارة التي قلتها أنت « قوة الحكم »، نضيف عبارة مهمة وهي « بعدل وليس بظلم ». وبعد أن قلت لي إنّ الفضائل هي الشجاعة والاعتدال والعدل والحكمة وطرق الحياة النبيلة، وإنّ هناك فضائل عديدة أخرى، وبعد أن كنّا باحثين، يا مينون، عن فضيلة واحدة وجدنا منها فضائل متعدّدة، ومع ذلك ليس في الطريقة عينها كما وجدناها قبلاً، ولم نقدر أن نجد الفضيلة المشتركة لها جميعاً؛ وبعد أن بحثنا سويّاً في الأشكال والألوان والهندسة المجسّمة والمسطحة، وحدّدتُ لك معنى الشكل واللون، وذلك بعد وعدك لي بأنّك ستقول ما هي الفضيلة بكلمة واحدة ونهائيّة وفي شكل شامل، وأن لا تجعل المفرد في الجمع، بدل أن تبقي على الفضيلة كلاً وسليمة حينما تخبرني عن طبيعتها، ولقد أعطيتك النموذج.

حسناً، يا سقراط، إنّ الفضيلة كما أظنّها، هي أنّه عندما يرغب إنسانٌ الأشياءَ التي تكون جميلة؛ أن يكون قادراً على أن يزوّد نفسه بها. هكذا يقول الشاعر،

وأردّدُ أنا أيضاً أنّ « الفضيلة هي رغبة الأشياء الجميلة، مع القدرة على نيلها ».

لكن، يا مينون، ألا يتمنى الخيرَ أيضاً مَنْ يرغب الأشياء الجميلة؟ وأنّ الكلّ يريدون الخير، حتى رغم جهلهم بطبيعته؟ وبعد كل الذي بحثناه فلقد ظهر أنّ الفضيلة هي القدرة على نيل الخير، وأنّ الخير طبقاً لك، هو الصحّة والثروة، وامتلاك الذ ب والفضة، وحيازة المنصب والشرف في الدولة. لكن هل تعتقد، يا مي ن، أنّ هذه يجب أن تكتسب بالتقوى والعدل؟ إذن، فإنّ العدل أو الا دال، أو التقوى أو جزءاً ما من الفضيلة، يجب أن يلازم نيلها، وبدونها لن يكون مجرّد حيازة الخيرات فضيلة. لكنك بعد أن قدّمت لي كلّ الاعترافات ظهرت بأنّك لم تفِ بوعدك، بل عرضت الفضيلة مجزّأةً وقطعاً، وما عليّ إلاّ أن أسألك مرّة أُخرى لتشرح ما هي الفضيلة، وما هي طبيعتها؟

أوه، يا سقراط، تعوّدت أن أُخبرَ عنك، قبل أن أعرفك،بأنّك تشكّك بنفسك دائماً وتجعل الآخرين يشكّون بأنفسهم. والآن فأنت تلقي عليَّ بسحرك، ولقد أصبحت مسحوراً ومفتنّا بك بكلّ بساطة، وفي نهاية ذكائي. وإذا ما أمكنني المغامرة كي أداعبك، فأنت تبدو لي في مظهرك وفي سلطتك على الآخرين مثل سمك الرعّاد الكهربائي الذي يخدّر الذين يقتربون منه ويلمسونه، تماماً مثلما خدّرتني الآن، وكما أعتقد ذلك، لأنّ روحي ولساني مخدّرين تماماً؛ وأنا لا أعرف كيف أجيبك، ومع هذا فإنني قد ألقيت العديد من الخطب المتنوعة اللّامحدودة عن الفضيلة قبل الآن، ولأشخاصٍ عديدين، وكانت خطباً جيدة جداً، كما اعتقدت. غير أنّني في هذه اللحظة لا أستطيع حتى أن أقول ما هي الفضيلة. وأعتقد بأنّك حكيم جداً في عدم ترحالك وسفرك من موطنك الأثيني، لأنّك إذا فعلت في الأماكن الأخرى ما تفعله في أثينا، فستُرمى في السجن كساحر.

إذا كانت سمكة الرعّاد الكهربائيّة نفسها خدرةً، كما أنها سبب الخدَر في الآخرين، فإنّني أكون حينها هكذا حقّاً، يا مينون، لكن ليس من نوعٍ آخر. فأنا

أربك الآخرين، ليس لأنّني لست واضحاً، بل بسبب ارتباكي الذاتي. والآن فأنا لا أعرف ما هي الفضيلة، وتبدو أنت لي أنّك في الحالة عينها، برغم أنّك عرفت مرّة لربما قبل أن تلمسني. ومع ذلك فليس لديَّ اعتراض كي أنضمَّ إليك في البحث والتحقيق.

وكيف ستتحرّى، يا سقراط، ذلك الذي لا تعرف عنه أيّ شيء على الإطلاق؟ أين تتمكّن من إيجاد نقطة انطلاق في منطقة المجهول؟ وحتى إذا حدث أنّك أصبحت ممتلئاً بما تريد، كيف ستعرف أنّ هذا هو الشيء الذي لم تعرفه؟

إنّني أعرف، يا مينون، ما تعنيه؛ لكن أنظر أيّ جدالٍ تامّ تدخله في المناقشة. تحاور أنت أنّ إنساناً لا يستطيع أن يبحث لا بشأن ذلك ما يعرف، ولا بشأن ما لا يعرف لأنّه إذا عرف فلا حاجة للبحث. وإذا جَهِل، فلا يستطيع أن يبحث لأنّه لا يعرف الموضوع المحدَّد الذي سيبحث فيه. وفي كلا الحالين فأنا لا أعتقد بأنّ حجّتك سليمة، لأنني سمعت كهنة وكاهنات جاهدوا ليعطوا تعليلاً معقولاً عن الاشياء التي اهتموا هم أنفسهم بها، سمعتهم يقولون: إنّ روح الإنسان خالدة، ولها نهاية في وقت واحد، يدعى موتاً، وتولد مرّة ثانية في وقت آخر، لكنها لا تفنى أبداً. أمّا المناقبية فهي أنّ على الإنسان أن يحيا في تقوى كاملة على الدوام. وكون الروح خالدة فلا عجب أن تتذكّر كلَّ ما عرفته عن الفضيلة، وعن كل شيء؛ لأنّها كما تكون الطبيعة كلّها مجانسةً، والروح تعلمت كلّ الأشياء، لا توجد صعوبة في أن يستخرج إنسانٌ تذكّراً مفرداً لكلّ الباقي ـ سُمّيت هذه العملية تعليماً بشكل عامّ ـ إذا كان هذا الإنسان نشيطاً ولا يضعف، لأنّ كل العلم وكل التساؤل يكون تذكراً فحسب. وبناء عليه علينا أن نستمع لهذه المحاورة المتّسمة بالجدال بشأن استحالة التساؤل لأنّها ستجعلنا متراخين وكسالى، وهي عذبة إلى من يتّسمُ بذلك. لكنّ التعليم الآخر سيجعلنا مفعمين بالنشاط ومحبّين للبحث والتحقيق. سأبحث معك في طبيعة الفضيلة بتلك الثقة وكلّي حُبور.

نعم، يا سقراط، لكن ماذا تعني بالقول إنّنا لا نُعلَّم، وإنّ ما نسَمِّيه علماً هو عملية تذكّر فقط؟

إنّها لن تكون عمليةً سهلاً شرحها، يا مينون؛ غير أنّني على استعداد لأن أفعل أفضل ما أقدر عليه لأجلك. إفترض أن تستدعي واحداً من مرافقيك العديدين، اختر من شئت، كي أتمكَّن من إقامة الدليل على أنّه يتذكّر من خلال أسئلتي له. ألا ترى بعد كل الأسئلة التي طرحتها عليه والتي أجاب عليها قدر ما يعرف وأجاب بثقة، كما إذا عرف، ولم يشعر بالصعوبة؟ والآن فهو مُحرَج ببعض الأسئلة الأخيرة لأنّه لا يعرف ولا يتوهم بأنّه يعرف. ألا يكون هو في حالةٍ أفضل لمعرفة جهله؟ وهل فعلنا له أيّ أذى إذا جعلناه يشكّ وأعطيناه « صدمة سمك الرعّاد الكهربائي »؟ لكنّه برغم ذلك، وإذا سُئل الأسئلة عينها على نحوٍ متكرّر وبأشكال مختلفة، وبعد أن تُثار فيه تلك الأفكار لتوّها، كما في حلم، فإنّه سيعرفها أخيراً بدقةٍ كما يعرفها أيّ شخص آخر، وقد تمَّ برهان ذلك. وهذه المعرفة التي يمتلكها الآن، ألا يجب أنّه اكتسبها في وقتٍ، وإلاَّ فإنّه امتلكها على الدوام؟ وإنْ ذلك، فسيكون على الدوام عارفاً؟ وإذا بقيت حقيقةُ عن كل الأشياء في الروح على الدوام، حينئذ تكون الروح خالدة. ولهذا السبب كن فرحاً، وحاول أن تكتشف بالتذكّر ما تعرفه الآن، أو على الأصح ما لا تتذكّره، يا مينون. وبعد أن وصلنا إلى هذا الحد من التفاهم، دعنا نعود إلى سؤالنا الأساسي وهو ما هي طبيعة الفضيلة؟ أقول، إذا ما كان علينا أن نكتسب الفضيلة، علينا أن نعتبرها إمّا أنّها تُعلَّم، أو أنّها هدية من الطبيعة، أو أنّها تُحضَر إلى الرجال بطريقة أخرى. والآن دعنا أن نعطي فرضيّة ونسأل: إذا كانت الفضيلة قابلةً لأن تُعلَّم أمْ لا، فأيُّ نوعٍ من الخير النفساني ينبغي لها أن تكون، كي يمكنها أن تُعلَّمَ أو لا تُعلَّم؟ إفترض أنّ الفضيلة لا تكون في نطاق نوع « المعرفة » ففي تلك الحالة هل ستُعلَّم أو لا تُعلَّم؟ أو كما كنا لتوّنا قائلين « متذكَّرة »، أو على الأصح ألا يرى الإنسان أنّ المعرفة وحدها

يمكن أن تعلَّم؟ إذن، إذا كانت الفضيلة نوعاً من المعرفة، فإنّها ستُعلَّم، وإلاّ فلا؟ وبما أنّنا اعترفنا بأنّ الفضيلة خير، لكن إذا وُجد خير ما آخر منفصل عن المعرفة، فلا تكون الفضيلة نوعاً من المعرفة بالاحتمال أيضاً؛ غير أنّه إذا احتوت المعرفة كلَّ الخيرات، سنكون محقّين عندئذ في افتراض أنّ الفضيلة تكون نوعاً من أنواع المعرفة. إذا كانت الفضيلة نوعية الروح حينئذ، ويثبت أنّها نافعة، يجب أن تكون حكمة وجودٍ وإدراك ما دام أيٌّ مِنْ أشياء الروح لا يكون نافعاً أو ضارّاً بنفسه، بل هي مجعولة كلّها نافعة أو ضارّة بإضافة الحكمة أو الغباء. لذلك إذا كانت الحكمة نافعة، ينبغي أن تكون الفضيلة نوعاً من الحكمة. وهكذا وصلنا إلى استنتاج أنّ الفضيلة هي إمّا كلياً أو جزئياً حكمة.

إنّ هذا لحقيقي، يا سقراط. لكن إذا كان هذا حقيقياً، يا مينون، فإنّ الأخيار حينئذ لا يكونون أخياراً بالطبيعة. إذن، هل يُجعلون أخياراً بالتعليم؟

يظهر أنه لا يوجد خيارٌ آخر، يا سقراط، على افتراض أنّ الفضيلة تكون معرفة. لا يمكن وجود أيّ شكٍّ في أنّ الفضيلة تُعلَّم.

وماذا إذا كان هذا الافتراض مغلوطاً، يا مينون؟ إنّ المبدأ الذي له أيّة قيمة ومتانة، عليه أن يقف بثبات ليس الآن فقط، بل أبداً على الدوام. تأمّل ملياً وقل إذا ما كان ينبغي للفضيلة، وليس لها وحدها، بل لأيِّ شيء يُعلَّم، إذا ما كان يجب أن يمتلك معلّمين وتلامذة.

لكن هل تعتقد بأنّه لا يوجد معلمون للفضيلة، يا سقراط؟

إنّني حقّقت غالباً بكلّ تأكيد، يا مينون، إذا ما كان لها معلمون، وبعد أن قاسيت الآلام العظيمة لأجدهم، لم أنجح في ذلك قطّ؛ وشاركني رفاق عديدون في استقصائي هذا، بتفضيل الأشخاص الذين اعتقدت بأنّهم يمتلكون خبرةً أكثر في هذا الاتجاه. وثمّة في هذه اللحظة أنيتوس الجالس بجانبنا، وستكون نصيحة جدًّ خيّرة لنا جميعاً إذا ما سألناه لينضمّ إلينا في بحثنا هذا عندما نكون بحاجة

إليه. إنه ابنٌ لأبٍ غنيٍّ وحكيم، ولقد تلقّى علوماً عالية وجيّدة. من فضلك يا أنيتوس، أن تساعدني وتساعد صديقك مينون في الإجابة على سؤالنا. من هم معلمو الفضيلة؟ أليس السوفسطائيون هم الذين يدّعون ذلك ويتقاضون أجوراً لأجله؟

باسم السماء، يا سقراط، أمسك عن الكلام! إنّني آمل فقط أن لا يكون صديق أو قريب ممن يخصّني هكذا مجنوناً ويسمح لنفسه أبداً أن يُفسد بهم، سواء أكان من هذه المدينة، أو من أيّة مدينة أخرى؛ ولأنّهم مُصابون بمرض الطاعون بشكل جديّ، وهم ذوو تأثير ضارٍّ على أولئك الذين يتعاملون معهم. وأؤكد لك أنّ الرجال الشباب الذين يعطونهم مالهم هم المعتوهون، وأنّ أقاربهم والقيّمين عليهم الذين يدعون فتيانهم إلى عناية هؤلاء الرجال لا يزالون هم الأكثر جنوناً. نرد على ذلك أنّ المدن التي تسمح لهم بدخولها، ولا تطردهم خارجها، فإنّ مواطنيها وغرباءَها مجانين بشكل مشابه.

إذا كان السوفسطائيون جميعاً، كما تقول، يا أنيتوس، فإنّني أسألك أن تخبرنا فقط من هم الموجودون في هذه المدينة العظيمة الذي سيعلّمون مينون كيْ يصبح بارعاً في الفضيلة التي وصفتها لتوّي.

إنصحه، يا سقراط، أن يذهب إلى أسيادها الذي علّموا من سبقه وسيعلّمونه كما علّموهم.

نعم بدون ريب، يا أنيتوس، وُجِدَ العديد من رجال الدول الصالحين ولا يزال، في مدينة أثينا. لكنّ السؤال هو سواء إذا وُجد معلمون صالحون بفضيلتهم الخاصة ـ ليس وجود رجالٍ أخيارٍ أم لا في هذا الجزء من العالم، بل إذا أمكن تعليم الفضيلة. ألا تعترف بأنّ ثيموستوكلوس كان إنساناً صالحاً؟ وكذلك أريستايدس وبريكلس رجل الدولة، وثيسيدايدس، وميلسياس، وستيفانوس، وكلهم علموا أولادهم حسبما يرغبون، وغيرهم كثير. وإذا كانت الفضيلة تعلّم، فلماذا لم يعلّموهم إيّاها بل سمحوا لهم بتعلّم الفنون الأخرى؟

يا سقراط، أعتقد بأنّك مستعد أكثر من اللازم لأن تتكلّم شرّاً عن الرجال، وإذا ما كنت ستأخذ بنصيحتي، فأنا أنصحك لتكون حذراً. لربّما لا توجد مدينة لا يكون من السهلَ إيذاء الرجال فيها بدلاً من أن تفعل لهم خيراً، وهذه هي الحال في أثينا بالتأكيد، كما أعتقد بأنّك تعرف ذلك.

أعتقد، يا مينون، بأنّ أنيتوس في نوبة من الغضب الشديد، ويمكنه جدّاً أن يكون كذلك. يعتقد هو أوّلاً، أنّني أشهِّر بهؤلاء الأسياد؛ وثانياً، يرى أنّه هو ذاته واحد منهم. لكنّه الآن لا يعرف ما هو معنى التشهير، وإذا ما عرف فإنّه سيسامحني. سأعود إليك في غضون ذلك، يا مينون، فأنا أفترض بأنّه يوجد أسيادٌ في منطقتك، وهل هم يعلِّمون الشباب أو يدَّعون بأنّهم معلمون؟ وهل يوافقون على أن الفضيلة يمكن تعليمها؟

لا، يا سقراط، إنّهم يقولون أيّ شيء ما عدا الموافقة على ذلك حقاً. يمكنك أن تسمعهم يقولون في وقت واحد إنّ الفضيلة يمكن تعليمها، ويقولون العكس بعدئذ.

أوَ نقدر، يا مينون، على تسمية من لا يقرُّون بإمكانية مهنتهم الخاصة معلمين؟ أما السوفسطائيون، فهل هم معلمون للفضيلة؟

إنّني غالباً ما أتعجب، يا سقراط، من أن أنيتوس نفسه لم يُسمع أبداً واعداً بتعليم الفضيلة، وعندما يسمع الآخرين واعدين بتعليمها، فإنّه يضحك عليهم فقط؛ لكنّه يعتقد أنّ على الرجال أن تُعلَّم لتتكلّم.

وهل نستطيع وبأيّ شبهة من الحق، يا مينون، أن نقول عن هكذا رجال، الذين أفكارهم في اضطّرابٍ كهذا إنهم المعلمون حقاً؟ وإذا لم يكن أحدهم معلّماً للفضيلة، فلا يمكن أن يوجد هنا أي معلِّمين لها بجلاء؟ ولا يوجد من يتعلّمها كذلك؟ إذن، فإنّ الفضيلة لا يمكن تعليمها.

لكنّني، يا سقراط، لا أستطيع الاعتقاد بأنّه لا يوجد رجال أخيار؛ وإذا وُجدوا، فكيف أتوا إلى الوجود؟

لنعد إلى الوراء قليلاً، يا مينون. فنحن اعترفنا قبلاً بأنّه يوجد رجال أخيارٌ هم نافعون بالضرورة، لكنّنا عندما قلنا إنّ الإنسان لا يستطيع أن يكون هادياً حقيقيّاً إلاّ إذا امتلك المعرفة، نبدو أنّنا أدخلنا اعترافاً مغلوطاً في هذا، وسأشرح لك معنى الهادِي الصالح. إنّ الهادي الصّالح هو الذي يمتلك رأياً صالحاً بشأن ذلك الذي يعرفه الآخرون، مَثَلُهُ في ذلك مَثَلُ مَنْ يعرف الحقيقة. والرأي الحق يكون صالحاً بالصّلاح عينه كي يصحّح العمل كما تصحّحه المعرفة. وكانت هذه هي النقطة الأساسية التي أسقطناها في تأمّلنا بشأن طبيعة الفضيلة، عندما قلنا إنَّ المعرفة هي مرشدة العمل الصحيح فقط؛ في حين أنّه يوجد رأي حقٌّ أيضاً، وهو ليس بأقلّ نفعاً من المعرفة، وسيكون محقّاً مَن يمتلكه على الدوام، ويبقى خيراً إذا تثبّت بفهمٍ منطقيٍّ للأسباب. وهذا التثبّت، أيّها الصديق مينون، هو التذكّر، كما اتفقنا على تسميته. لكنّه عندما يُقيَّد فإنّه يبلغ ليكون معرفة، في المقام الأول؛ وهو يقيم في الروح في المقام الثاني. ومن أجل ذلك تكون المعرفة أكثر تمجيداً وامتيازاً من الرأي الصحيح لأنّها مثبّتة بسلسلة. ولهذا السبب فإنّ الرجال الأخيار يصبحون أخياراً ونافعين في دولهم « إذا فعلوا » ـ ليس لأنّهم يحوزون معرفة فقط، بل لأنّهم يمتلكون رأياً صحيحاً. ولا تُعطى المعرفة ولا الرأي الصحيح بالطبيعة أو تكتسب به. إنَّ الهاديَيْن الحقيقيَّين للمخلوقات الإنسانية هما المعرفة والرأي الحقّ ـ إنَّ الأشياء التي تسير على نحوٍ صحيح بصدفةٍ سعيدة ما لا تفعل هذا بدليلٍ إنساني ـ وعندما يقود الدليل الإنسانيّ على نحوٍ قويم، يجب أن تكون الهداية بواحدٍ من هذين الاثنين، الرأي الحق والمعرفة. وإذا كانت الفضيلة لا تُعلَّم فهي ليست معرفة، ولذلك ليست بأيّة حكمة. ولا بسبب أنّهم كانوا حكماء، حكم ثيميستوكلس وأولئك الرجال الآخرون الذين تكلم عنهم أنيتوس دولهم. كان هذا هو السبب الذي من أجله كانوا غير قادرين على أن يجعلوا الآخرين كأنفسهم لأنّ فضيلتهم لم تكن مرتكزة على المعرفة ـ وإنْ ليس بالمعرفة، فالخيار الوحيد الباقي هو أنّ رجال الدول يُرشدون دولهم بالرّأي الصحيح. إنّهم يحلّون في

الصّلة عينها إلى الحكمة كما يحلّ المتنبئون والأنبياء الذين يقولون أشياء عديدة بحقٍّ كذلك عندما يكونون ملهمين، غير أنّهم لا يعرفون ما يقولون. وكذلك طائفة الشعراء فإنّ شأنهم في ذلك شأن رجال دولهم.

والآن دعنا نلخص التحقيق، يا مينون، والنتيجة هي، إذا ما كنا محقّين في سير محاورتنا، فإنّ الفضيلة ليست طبيعيّة، ولا تُنقل بالتعليم، بل هي مقدرة طبيعية يمنحها الله لأولئك الذين تُعطى لهم. وليست مقدرة طبيعيّة مترافقة بسبب، إلاّ إذا أمكن الافتراض أنّه يوجد بين رجال الدول شخص ما يكون قادراً على تعليم رجال الدول. وإذا وُجد هكذا شخص، يمكن القول عنه إنّه يكون بين الأحياء ما يقوله هوميروس أنّ تيرسياس كان بين الأموات: « إنّه الوحيد الذي يمتلك فهماً. لكنّ الباقين ظلال متنقّلة بسرعة من مكان إلى آخر ». سيكون هو فيمَا يخصّ الفضيلة حقيقة بين الأشباح في نمطٍ مماثل.

إنَّ ذلك لممتاز، يا سقراط.

إنَّ الاستنتاج الاخير، يا مينون، هو أنَّ الفضيلة تأتي بهبة الله لأولئك الذين تأتي إليهم. لكنّنا لن نعرف أبداً الحقيقة الأكيدة حتّى نَعُدَّ أنفسنا لنحقق في طبيعة الفضيلة الجوهرية، قبل أن نسأل كيف تُعطى الفضيلة.

أخشى أنَّ عليَّ أنْ أذهب، وبما أنّك أنت قد اقتنعت بما استنتجناه، أقنع صديقنا أنيتوس، ولا تدعه ساخطاً هكذا. وإذا استطعت أن تستميله، فستقدّم خدمةً جليلةً إلى الشعب الأثيني.

محاورة مينون

اشخاص المحاورة

مينون　　عبدُ مينون
سقراط　　أنيتوس

مينون: هل تقدر أن تخبرني، يا سقراط، إذا ما كانت الفضيلة تُكتسب بالتعليم أو بالممارسة؛ وإذا لا تُنال بهما، سواء إذا أتت إلى الإنسان بالطبيعة عندئذ، أو أنها وصلت إليه بأيّة طريقة أخرى؟

سقراط: مضى زمن، يا مينون، عندما كان الصقليّون مشهورين بين الهيلينيين الآخرين بغناهم وفروسيّتهم؛ لكنْ الآن، إذا لم أكن مخطئاً، هم مشهورون بحكمتهم أيضاً، خاصّة في مدينة لاريسا، التي هي موطن صديقك آريستيبوس. ويكون هذا العمل عمل أبولوجي؛لأنّه حينما أتى إلى هناك، تشرّب حبّ الحكمة مع زهرة الأليواداي، وكان بينهم أريستيبوس المعجب به، والرؤساء الصقليّون الآخرون. وقد علّمك عادةَ الإجابة على الأسئلة بأسلوبٍ رائع وجريء يعتبر طبيعياً لأولئك الذين يعرفون، ويمكن توقّعه من واحد يكون هو نفسه جاهزاً وعازماً على أن يُسأل في أيّ موضوع يطرحه أيُّ هيليني، وعليه أن يجيب على كل الأسئلة التي يطرحها الآتون إليه. كم هو مختلف خطنا عن خطّه، يا عزيزي مينون. هناك ندرة من هذه البضاعة هنا في أثينا، ويبدو أنّ الحكمة كلّها هجرتنا إليكم. إنّني متأكد بأنّك إذا سألت أيّ أثيني، ما إذا كانت الفضيلة طبيعيّة أو مكتسبة، فإنّه سيضحك في وجهك، ويقول: « أيّها الغريب، إنّ لديك عني رأياً موغلاً في جودته،

إذا اعتقدت بأنّني أقدر على أن أجيب على أسئلتك. فأنا لا أعرف ما هي الفضيلة حرفيّاً، وأقلّ من ذلك بكثير إذا ما كانت تُكتسب بالتعليم أوْ لاَ ». وأنا نفسي، يا مينون، أحيا كما أحيا في هذه المنطقة الفقيرة فقيراً مثل بقية الناس وأخجل باعترافي بأني لا أعرف أيّ شيء عن الفضيلة حرفيّاً. وعندما لا أعرف « المضغة » لأي شيء كيف أستطيع أن أعرف « السلوى »؟ كيف، إذا لم أعرف أيّ شيء عن مينون على الإطلاق، أقدر أن أقول بأنّه وسيم، أو ضد ذلك، غني أو نبيل، أو عكس الغني والنبيل؟ هل تعتقد بأنّني أستطيع فعل ذلك؟

مينون: لا، حقاً، لكن هل أنت جديّ، يا سقراط، في قولك بأنّك لا تعرف ما هي الفضيلة؟ وهل سأنقل عنك هذا التقرير عند عودتي إلى صقلية؟

سقراط: ليس ذلك فقط، يا ولدي العزيز، بل يمكنك أن تقول أبعد من ذلك، وهو أنّني لم أتقابل مع أيّ شخص آخر عرف الفضيلة في رأيي.

مينون: إذن، أنت لم تقابل أبولوجي قطّ عندما كان في أثينا؟

سقراط: نعم، قابلته.

مينون: أعتقد بأنّه عرف ذلك.

سقراط: إنّني لا أمتلك ذاكرة جيّدة، يا مينون، ولذلك فأنا لا أقدر أن أخبرك الآن ماذا فكّرت عنه في ذلك الوقت. أجرؤ على القول إنّه يعرف، وإنّك أنت تعرف ما قال. أرجو، لهذا السبب، أن تذكّرني بما قاله؛ أو إذا كنت تفضل، أخبرني وجهة نظرك الخاصّة لأنّني أشتبه بأنّكما تُفكّران بشكلٍ متشابهٍ كثيراً.

مينون: حقيقيّ جدّاً.

سقراط: إذن، بما أنّه ليس هنا الآن، لا تبالِ به، وأخبرني. إنّني أناشدك، يا مينون، كن كريماً، وأخبرني ما هي الفضيلة. فأنا سأعتبر نفسي محظوظاً حقّاً إذا

وجدت أنّني قد كنت مخطئاً، وأنّك وأبولوجي تمتلكان هذه المعرفة بحقّ، في حين أنّي قلت بأنّني لم أتقابل أبداً مع أيّ شخص امتلكها.

مينون: لا صعوبة، يا سقراطَ، في الإجابة على سؤالك. دعنا نأخذ أوّلاً فضيلة الرجل - هو سيعرف كيف يدير الدّولة، وفي إدارتها سينفع أصدقاءه ويؤذي أعداءه؛ وعليه أن يكون محترساً أيضاً أن لا يقاسي هو نفسه الأذى. ثمّ توجد فضيلة المرأة؛ إذا رغبتَ أن تعرف عن ذلك، يمكن وصفها بكل سهولة أيضاً. إنّ واجبها هو أن تنظّم عائلتها وأن تحافظ على ما في داخل بيتها بشكل مناسب، وأن تطيع زوجها. إنّ لكلّ عمرٍ، لكل حالة في الحياة، للشابّ أو المسنّ، للذكر أو للأنثى، للعبد أو للحرّ، لكلٍّ فضيلةً مختلفةً. توجد فضائل لا تحصى، وبالتالي لا صعوبة بشأن تعريفاتها لأن هناك فضيلة ذات صلة بأعمال وأعمار كلٍّ منّا في كل ما نفعله. وأحسب أنّه يمكن قول الشيء عينه عن الرذيلة، يا سقراط(١٧).

سقراط: كم أنا محظوظ، يا مينون! عندما أسألك عن فضيلة واحدة، تقدم لي أسراباً منها(١٨)، هي التي في عهدتك. إفترض أنّني أحمل صورة السّرب، وأسألك، ما هي طبيعة النحل؟ وأجبتُ بأنّ هناك عدة أنواعٍ مختلفة منها. ورددت عليك: لكن هل كريتون أنواع عديدة مختلفة من النحل بسبب أنها تختلف بوصفها نحلاً؛ أو أنّها لا تتباين بوصفها كذلك. هل هي تتميّز عن بعضها بعضاً بشيء ما آخر، بنوعيّة ما كالجمال، أو الحجم، أو أية علامة مميّزة أخرى كتلك؟ فكيف ستجيبني؟

مينون: سأجيبك أنّ النحل لا يختلف بعضه عن بعض بوصفه نحلاً.

سقراط: وإذا تابعت في الكلام وقلت: ذلك ما أرغب أن أعرف، يا مينون؛ أخبرني ما هي النوعيّة التي لا يتباين فيها النحل، بل يكون كلّه متشابهاً؛ - من المفترض أنّك ستكون قادراً على أن تجيب.

مينون: يجب ذلك.

سقراط: وهكذا عن الفضائل، مهما كانت عديدة ومتباينة، فإنّ لها شكلاً مشتركاً يجعلها فضائل؛ وعلى هذا فإنّ من سيجيب على السؤال، « ما هي الفضيلة؟ » سيفعل حسناً إذا ركّز عينيه على الهدف. هل تفهم؟

مينون: إنّني بدأت أفهم، لكنّني لم أستوعب السّؤال حتى الآن كما أتمنّى وأرغب.

سقراط: عندما تقول، يا مينون، إنّ هناك فضيلة للرجل، وأخرى للمرأة، وهكذا دواليك، هل ينطبق هذا على الفضيلة فقط، أو هل ستقول الشيء عينه عن الصحة والحجم والقوة الجسدية؟ أو هل تكون طبيعة الصحة الشيءَ عينه، سواء أكانت في الرجل أو المرأة؟

مينون: عليّ أن أقول إنّ الصحة هي الشيء عينه في الرجل والمرأة كليهما.

سقراط: أليس هذا حقيقيّاً عن الحجم والقوة الجسدية؟ إذا كانت امرأة قويةً بالجسد، ستكون قوية بسبب الشكل عينه والقوة الجسدية عينها الموجودة فيها والتي توجد في الرجل. أعني أنّ القوّة الجسدية، كقوة جسدية، سواء أكانت للرجل أو المرأة، هي الشيء عينه. هل يوجد أي فرق بينهما؟

مينون: لا أعتقد ذلك.

سقراط: أو لن تكون الفضيلة، كفضيلة، الشيء عينه، سواء أكانت في طفلٍ أو في رجلٍ مسنّ، في امرأة أو في رجل؟

مينون: لا أقدر إلاّ أن أشعر، يا سقراط، أنّ هذه الحالة مختلفة عن الحالات الأخرى.

سقراط: لكن لماذا؟ ألم تقل إنّ فضيلة الرجل كانت لتنظّم الدولة، وكانت فضيلة المرأة لتنظّم بيتها من الداخل؟

مينون: إنّني قلت ذلك.

سقراط: أوَ يمكن للبيت أو للدولة أو لأي شيءٍ آخر أن يُنظّم جيّداً بدون الاعتدال وبدون العدل؟

مينون: لا بالتأكيد.

سقراط: إذن، فإن الذين ينظّمون دولة أو بيتاً باعتدالٍ وبعدل ينظمونهما بالاعتدال والعدل؟

مينون: بدون ريب.

سقراط: إذن، فالرّجال والنساء جميعهم، إذا ما وجب أن يكونوا صالحين، عليهم أن يمتلكوا فضائل العدل والاعتدال عينها؟

مينون: بوضوح.

سقراط: وهل يستطيع الرجل شاباً كان أو مسنّاً أن يصبح صالحاً، وهو مفرط وظالم؟

مينون: لا بالتأكيد.

سقراط: يجب أن يكون معتدلاً وعادلاً.

مينون: نعم.

سقراط: إذن، فإنّ كلّ المخلوقات الإنسانية تكون صالحة بالطريقة عينها، وتصبح جيّدة بامتلاك الفضائل عينها؟

مينون: هذا هو الاستنتاج.

سقراط: وهم ليسوا، ولا كانوا صالحين في الطريقة عينها، إلاّ إذا كانت فضيلتهم هي عينها؟

مينون: لا يمكنهم بدون ذلك.

سقراط: الآن إذن، فإنّ الشيء عينه للفضائل قد تمّت برهنته، حاول وتذكّر ما قاله أبولوجي، وأنت معه، بأنّ الفضيلة تكون.

مينون: إنّني لا أعرف ما أقول، سوى أنّ الفضيلة هي قوّة حكم الجنس البشري، إذا أردت حقّاً أن تمتلك تحديداً واحداً لها جميعاً.

سقراط: ذلك ما أريده بحقّ. تأمّل مليّاً هذه النقطة الأساسيّة الآن؛ هل تستطيع

الفضيلة، كما تعرّفها الآن، أن تكون فضيلة طفلٍ أو عبد، يا مينون؟ أيقدر الطفل أن يحكم أباه أو العبد سيّده؟ وهل سيكون من حكم عبداً بعد اليوم؟

مينون: لا أعتقد، يا سقراط.

سقراط: لا، حقّاً؛ لسبب صغير في ذلك، ومع هذا ومرّة ثانية، يا صديقي العادل، فإنّ الفضيلة تكون، طبقاً لك « قوّة الحكم »؛ لكن ألا ينبغي أن نضيف « بعدلٍ وليس بظلم »؟

مينون: نعم، يا سقراط؛ أتفق معك بهذا؛ فالعدل هو فضيلة.

سقراط: هل ستقول « فضيلة »virtueيا مينون، أو « فضيلة واحدة » a virtue؟

مينون: ماذا تعني؟

سقراط: أعني كما يمكنني أن أقول عن أيّ شيء إنّ الاستدارة، كمثال، هي « شكل واحد » a figure وليس « شكلاً » figure بكل بساطة، وأنا سأتبنّى هذا الأسلوب في الكلام لأن هناك أشكالاً أخرى.

مينون: حقيقيّ تماماً؛ وهذا هو ما أقوله عن الفضيلة ـ ثمّة فضائل أخرى إضافة إلى العدل.

سقراط: ما هي هذه الفضائل؟ أخبرني عن أسمائها، كما أنّني سأخبرك أسماء الأشكال الأخرى إذا ما سألتني.

مينون: يبدو لي أنّ الشجاعة والاعتدال والحكمة وطرق الحياة النبيلة هي فضائل؛ وهناك فضائل عديدة أخرى.

سقراط: نعم، يا مينون؛ ومرّة ثانية فنحن في الحالة عينها.ففي بحثنا عقب فضيلة واحدة وجدنا عدداً منها، مع ذلك ليس في الطريقة عينها كما وجدناها قبلاً؛ لكنّنا كنا غير قادرين على أن نجد الفضيلة المشتركة التي تسري خلال جميعها.

مينون: لماذا، يا سقراط، حتى الآن فأنا غير قادر على أن أساعدك في تساؤلك وأصل إلى فكرة عامّة واحدة للفضيلة كما في الحالات الأخرى.

سقراط: لا عجب في ذلك؛ لكنّني سأحاول كي نصبح أقرب إذا استطعت. أنت ـ تفهم لربّما أنّ التعقّل في هذا الموضوع يُستعمل عموماً.إفترض أنّ شخصاً ما سألك السؤال الذي سألته قبلاً: يا مينون، ما هو الشكل؟ إذا أجبت « مستديراً »، فسيرد عليك، في طريقتي للكلام، بسؤال ما إذا كان المستدير « شكلاً » FIGURE أو « شكلاً واحداً » A FIGURE؛ وأنت ستجيب، بالطبع، « شكلاً واحداً ».

مينون: بالتأكيد.

سقراط: ولهذا السبب ـ فثمة أشكال أخرى؟

مينون: نعم.

سقراط: وإذا تقدّم هو ليسأل، ما هي الأشكال الأخرى الموجودة؟ فإنّك ستخبره.

مينون: سأخبره.

سقراط: إذا سألك بشكل مماثل ما هو اللون، وأجبت أنت أنّه الأبيض، وتابع السائل سؤاله قائلاً: هل ستقول أنّ الأبيض هو لون أو لون واحد؟ سترّد عليه، لون واحد، لأن هناك ألواناً أخرى أيضاً.

مينون: سأفعل ذلك.

سقراط: وإذا قال، أخبرني ما هي؟ فلأنت ستخبره عن الألوان الأخرى التي هي ألوان تماماً بقدر ما هو الأبيض.

مينون: نعم.

سقراط: وإفترض أنّه كان ليتعقّب المسألة في طريقتي، فسيقول: نحن وقعنا في الخصوصيات حالاً وعلى الدوام، لكن ليس هذا ما أريد. أخبرني إذن، بما أنّك تسمّيها باسم مشترك، وتقول إنّها كلّها أشكال حتى عندما يناقض

بعضها بعضاً، فما هي تلك الطبيعة التي تعيّن كشكل ـ التي تحتوي المستدير ليس بأقلّ من المستقيم، وتقول أنت، إنّها، لا تخصّ الواحد أكثر ممّا تخصّ الآخر ـ سيكون ذلك أسلوبك في الكلام.

مينون: نعم.

سقراط: وفي قولك هذا، هل تعني أنّ المستدير ليس أكثر استدارة من المستقيم، أو المستقيم أكثر استقامة من المستدير؟

مينون: طبعاً لا.

سقراط: تؤكد أنت فقط أنّ الشكل المستدير هو شكل ليس أكثر من المستقيم، ولا المستقيم أكثر من المستدير؟

مينون: حقيقيّ تماماً.

سقراط: لماذا نحن نعطي اسم الشكل إذن؟ حاول وأجِبْ. إفترض أنّه حينما سألك شخص هذا السؤال إمّا عن الشكل أو اللون، كنت لتجيب: يا سيّدي الصّالح، أنا لا أعرف ما تريد، ولا أعرف ماذا تعني. سيبدو هو مشدوهاً بالأحرى ويقول: ألا تفهم أنّني أبحث عن ذلك الذي يكون متطابقاً في كلّ الخصائص؟ وعندها يمكنه أن يطرح السؤال في شكلٍ آخر كأن يقول: يا مينون، ماذا يوجد متطابقاً في المستدير، المستقيم، وفي كلّ شيء آخر تسميه شكلاً؟ ألا يمكنك أن تجيب على ذلك السؤال يا مينون؟ أتمنّى أن تحاول؛ فالمحاولة ستكون تمريناً جيّداً للإجابة عن الفضيلة.

مينون: أُفضّل أن تجيب أنت، با سقراط.

سقراط: هل سأتساهل معك؟

مينون: مهما كلّف الأمر.

سقراط: ولسوف تخبرني عن الفضيلة بعدئذ؟

مينون: سأخبرك.

سقراط: ينبغي أن أفعل أفضل ما أقدر عليه إذن لأن هناك جائزة لتكتشف.

مينون: بالتأكيد.

سقراط: حسناً، إنّني سأحاول وأشرح لك ما هو الشكل. ماذا تقول في جوابك؟ - إنّ الشكل هو الشيء الوحيد الذي يلازم اللّون. هل ستكون قانعا به، كما سأكون أنا إذا ما دعوتني لأمتلك تحديداً مشابهاً للفضيلة؟

مينون: لكنّه، يا سقراط، جواب ساذج.

سقراط: لماذا هو ساذج؟

مينون: لأن الشكل هو، طبقاً لك، ذلك الذي يلازم اللون على الدوام. حسناً جدّاً؛ لكن إذا قال شخص إنّه لا يعرف ما هو اللون، أكثر ممّا يكون الشكل، بأيّ جواب ستجيبه؟

سقراط: سأجيبه بالحقيقة، في رأيي. وإذا كان فيلسوفاً من النوع الجدالي والكثير الخصام، فسوف أقول له: سأعطيك رأيي، وإذا كنت مخطئاً، فعملك هو أن تتابع المحاورة وتنقضني. لكن إذا كنا أصدقاء، وكنّا متكلّمين كما تتكلّم أنت وأنا الآن، يجب عليَّ أن أجيبه في أسلوب ألطف بالطبع وأكثر في مزاج العالِم الجدلي؛ يعني، عليَّ أن لا أقول الحقيقة فقط، بل يلزم أن استعمل المقدّمات المنطقيّة التي سيكون الشخص المستجوَب مستعدّاً للاعتراف بها. وهذه هي الطريقة التي سأسعى أن أدنو بواسطتها منك. إنّك ستعترف، ألن تفعل ذلك، بأنّه يوجد هكذا شيء كالغاية، أو النهاية، أو الطرف؟ كلّ الكلمات التي استعملها لها المعنى عينه، لكنّني أتصوّر، أنّك ستبقى تتكلم عن شيء منتهٍ أو منقضٍ - إنّ ذلك هو كل الذي أقول - لا شيء بارعاً.

مينون: نعم، إنّني سأتكلّم؛ وأعتقد بأنّي أفهم معناك.

سقراط: وستتكلّم أنت عن المسطّح والمجسّم، كمثال في الهندسة.

مينون: نعم.

سقراط: حسناً إذن، أنت الآن في حالة كي تفهم تعريفي للشكل، أعرّف الشكل ليكون على الدوام ذلك الذي يجد فيه المجسّم نهاياته؛ أو أكثر اختصاراً، إنّه حدّ المجسّم.

مينون: والآن ما هو اللون، يا سقراط؟

سقراط: أنت فظيع، يا مينون، في تعذيبك هذا لرجلٍ فقير مسنّ كي يعطيك جوابا، في حين أنّك لا تتحمّل الإزعاج لتتذكّر ما هو تعريف أبولوجي للفضيلة.

مينون: سأخبرك، يا سقراط، عندما تجيبني على ما سألتك إيّاه.

سقراط: إنَّ إنساناً معصوب العينين عليه أن يسمعك تتكلّم، وسيعرف هو أنّك مخلوق جميل وأنّه لا يزال لديك محبّون.

مينون: لماذا تعتقد هكذا.

سقراط: لماذا، لأنّك تتكلّم في صيغة الأمر على الدوام، مثل الجمالات المتكبرة التي تحكم بقوّة ما دامت في ريعانها. وإنّني أشتبه أيضاً بأنّك اكتشفت أنّ لديَّ ضعفاً نحو الجمال، ولهذا السبب، ولكي أداعبك، ينبغي أن أجيب.

مينون: إفعل من فضلك.

سقراط: هل ستحبّ أن أجيبك على غرار أسلوب أبولوجي الذي يمكن أن تجد فيه الطريقة الأسهل لتتبعني؟

مينون: لا شيء أحبّ إليّ من ذلك.

سقراط: ألا تقول أنت وهو وايمبادوكلوس أنّه تدفّق محدد من الأشياء الموجودة؟

مينون: بدون ريب.

سقراط: وممرّات يمر التدفّق فيها ومن خلالها؟

مينون: بالضبط.

سقراط: وينطبق بعض التدفق على الممرّات، ويكون بعضها صغيراً جدّاً أو كبيراً جداً؟

مينون: حقاً.

سقراط: ويوجد هكذا شيء كالبصر؟

مينون: نعم.

سقراط: والآن، كما يقول بيندار، « إقرأ معناي » - يكون اللون تدفقاً للأشكال، متكافئاً مع البصر، وواضحاً للحس.

مينون: يبدو لي ذلك أنّه جواب مدهش، يا سقراط.

سقراط: لماذا، نعم، لأنّه حدث أنّه كان واحداً هو الذي قد تعوّدت سماعه؛ وإنّني أتوقّع وستكتشف فطنتك، من أن تتمكن أن تشرح لي طبيعة الصوت والشمّ في الطريقة عينها، وكذلك ظواهر أخرى عديدة متشابهة.

مينون: حقيقي تماماً.

سقراط: كان الجواب، يا مينون، في لغة المأساة الرزينة، ولذلك كان أكثر قبولاً بك من الجواب الآخر عن الشكل.

مينون: نعم.

سقراط: ومع ذلك، يا ابن ألكسيديموس، لا سبيل لي إلا التفكير بأنّ الجواب الآخر كان أفضل؛ وأعتقد بأنّك ستكون من الرأي عينه، إذا كنت ستبقى فقط وتُلقّن مبادىء الموضوع، ولن تُجبر، كما قلت البارحة، على أن ترحل قبل اطّلاعك على الأعراف السريّة الخاصة.

مينون: لكنّني سأبقى، يا سقراط: إذا كنت ستعطيني عدة أجوبة كهذه.

سقراط: حسناً إذن، إنّني سأفعل أفضل ما أستطيع من أجلي كما من أجلك؛ لكنّي خائف من أن لا أكون قادراً كي أعطيك أجوبة عديدة جيّدة كتلك. والآن، عليك أن تفي بوعدك بدورك، وتخبرني ما هي الفضيلة بشكل

شامل؛ ولا تجعل المفرد في الجمع، كما يقول الساخر دائماً عن أولئك الذين يكسرون شيئاً، بل أبقِ الفضيلة كلاً وسليمة عندما تخبرني عن طبيعتها. لقد أعطيتك النموذج.

مينون: حسناً إذن، يا سقراط، إنّ الفضيلة، كما أظنّها، هي أنّه عندما يرغب من يريد الأشياء التي تكون جميلة، أن يكون قادراً على أن يزوّد نفسه بها؛ هكذا يقول الشاعر. وأنا أقول أيضاً إنّ « الفضيلة هي رغبة الأشياء الجميلة، مع القدرة على نيلها ».

سقراط: وهل الذي يرغب الأشياء الجميلة يتمنى الخير أيضاً؟

مينون: بالتأكيد.

سقراط: إذن أيوجد بعض ممّن يرغبون الشر وآخرون ممّن يتمنّون الخير؟ ألا يرغب كلّ الرجال بالخير، يا سيّدي العزيز؟

مينون: لا أعتقد ذلك.

سقراط: هناك بعضهم الذين يتوقون إلى الشرّ؟

مينون: نعم.

سقراط: هل تعني أنّهم يظنّون الشرور التي يرغبونها خيراً؛ أو أنّهم يعرفون أنّها شرّ، ومع ذلك فهم يتوقون إليها؟

مينون: أعتقد بالافتراضين كليهما.

سقراط: وهل تتصوّر حقيقة، يا مينون، أنّ إنساناً يعرف أنّ الشرور شرور ويرغبها على الرغم من ذلك؟

مينون: إنّني أفعل بالتأكيد.

سقراط: أهي رغبة التملك؟

مينون: نعم، التملّك.

سقراط: وهل يعتقد هو أنّ الشرور تفعل الخير لمن يتملّكها، أو أنّه يعرف أنّ وجودها يؤذيه؟

مينون: هناك الذين يعتقدون أنّ الشرور تجلب لهم الخير، وهناك آخرون الذين يعرفون أنّها شرور.

سقراط: وَفي رأيك، هل أولئك الذين يعتقدون أنّها تفعل لهم الخير يعرفون أنّها شرور؟

مينون: لن أذهب إلى ذلك الحد، يا سقراط.

سقراط: أليس واضحاً أنّ أولئك الذين هم جاهلون طبيعتها لا يتوقون لها، بل يرومون ما يفترضون أنّها خيرات مع أنّها تكون شروراً في الواقع؛ ولذلك إذا افترضوا الشرور لجهلهم أنّها خيرات فهم يرغبون الخيرات حقاً؟

مينون: لا شكّ في تلك الحالة.

سقراط: مرّة ثانية، إنّ أولئك الذين يرغبون الشرور، كما تقول، ويعتقدون أنّها ضارة للّذين يحوزونها، يعرفون بالاحتمال أنّهم سيتعرّضون للأذى بسببها؟

مينون: يجب أن يعرفوها.

سقراط: أوَ لاَ ينبغي أن يفترضوا أنّ أولئك الذين يتعرّضون للأذى هم أشقياء بنسبة الأذى الذي أُنزل عليهم؟

مينون: كيف يمكن أن تكون غيراً من هذا.

سقراط: لكن أليس الشقيّ سيّء الطالع؟

مينون: نعم، حقاً.

سقراط: وهل يرغب أيّ شخص أن يكون شقيّاً وسيّىء الطالع؟

مينون: إنّني سأقول لا، يا سقراط.

سقراط: لكن إذا كان لا يوجد أيّ شخص يتوق لأن يكون شقيّاً، لا يوجد شخص، يا مينون، يروم الشرّ؛ إذ ماذا يكون الشقاء إلاّ الرغبة في امتلاك الشرّ؟

مينون: يبدو أن ذلك هو الحقيقة، يا سقراط، وأنّني أعترف أن لا أحد يرغب الشرّ.

سقراط: ومع ذلك ألم تقل لتوّك منذ برهة أنّ الفضيلة هي الرغبة والقدرة على امتلاك الخير؟

مينون: نعم، إنّني قلت هكذا.

سقراط: لكنّ جزءاً واحداً من هذا التعريف، الرغبة، مشترك للجميع، ولا رجل أفضل من الآخر في تلك النقطة؟

مينون: بوضوح.

سقراط: إنه جليٌّ أنّه إذا كان رجل واحد أفضل من الآخر، يجب أن يكون أفضل في قوة اكتساب الخير؟

مينون: بالضبط.

سقراط: إذن، طبقاً لتعريفك، ستظهر الفضيلة أنّها القوّة لنيل الخير؟

مينون: إنّني أصادق بشكل كامل، يا سقراط، على الأسلوب الذي تدرس به هذه القضيّة.

سقراط: دعنا نرى إذن إذا كان ما تقوله أنت الآن حقيقياً من وجهة نظرٍ أخرى لأنّه يمكنك أن تكون محقّاً على الأرجح. تؤكّد أنت أنّ الفضيلة هي القوّة لاكتساب الخيرات؟

مينون: نعم.

سقراط: والخيرات التي تعنيها تكون هكذا كالصحّة والثروة؟

مينون: وتملُّك الذهب والفضّة، وحيازة المنصب والشرف في الدولة.

سقراط: أتكون تلك ما ستسميها خيرات؟

مينون: نعم، إنّني سأضمنها كلّها.

سقراط: إذن، طبقاً لمينون، الذي هو الوريث الصديق للملك العظيم، تكون الفضيلة قوّة اكتساب الفضّة والذهب. وهل ستضيف أنّها يجب أن تُكتسب بالتقوى والعدل، أو هل تعتبر أنّ هذه ليست بذات عاقبة؟ وهل

تُعتبر أيّة طريقة للاكتساب، حتى إذا كانت ظالمة، أنّها فضيلة بشكلٍ متساوٍ؟

مينون: إنّها ليست فضيلة، يا سقراط.

سقراط: لكنّها رذيلة؟

مينون: نعم.

سقراط: إذن، فإنّ العدل أو الاعتدال أو التقوى، أو جزءاً ما آخر للفضيلة، كما سيبدو، يجب أن تلازم الاكتساب، وبدونها لن يكون مجرّد اكتساب الخيرات فضيلة؟

مينون: لماذا، كيف يمكن أن يكون هناك فضيلة بدونها؟

سقراط: على الجانب الآخر، إنّ الإخفاق في كسب الذهب والفضّة لشخصٍ أو لآخر بطريقة ظالمة، أو بكلمات أخرى التوق إليها بشدّة، يمكن أن يدعى فضيلة بشكلٍ متساوٍ؟

مينون: حقّاً.

سقراط: إذن، فإنّ اكتساب هكذا خيرات لا يكون فضيلة بعد الآن بدلاً من عدم اكتسابها والتوق إليها بشدّة. لكن يبدو أنّ ما يُلازم بالعدل أو الأمانة يكون فضيلة، وما يكون خلواً من أيّة نوعية كهذه يكون رذيلة.

مينون: لا يمكن أن تكون غيراً من ذلك، في حكمي.

سقراط: ألم نقل لتوّنا إنّ العدل، الاعتدال، وما شابه، كان كلٌّ منها جزءاً من الفضيلة؟

مينون: نعم.

سقراط: وهكذا، يا مينون، هذه هي الطريقة التي تخدعني بها؟

مينون: لماذا تقول ذلك، يا سقراط؟

سقراط: لماذا، لأنّني سألتك منذ وقت قصير مضى أن لا تجزّىء الفضيلة وتقدّمها

إليَّ في أجزاء صغيرة، وقدَّمت لك نماذج، والّتي طبقاً لها كنت تشكّل جوابك؛ وأنّك نسيت ذلك مسبقاً، وتخبرني الآن أنّ الفضيلة هي قوة اكتساب الخيرات بالعدل؛ وتعترف أنّ العدل هو جزء من الفضيلة.

مينون: نعم.

سقراط: يتبع من اعترافك بعدئذ، أنّ الفضيلة تكمن في العمل بجزء واحد منها مهما قام إنسان بفعله لأنّك قلت إنّ العدل وما شابه هي أجزاء للفضيلة، كلّ منها وكلّها جميعاً. دعني أشرح ما هو أبعد من ذلك. ألم أسألك لتخبرني طبيعة العدل ككلّ؟ وأنت بعيد جدّاً من إخباري هذا، بل تعلن أنّ كلّ عملٍ يُفعل بجزء من الفضيلة هو فضيلة منها؛ وكأنّك أخبرتني طبيعة الفضيلة ككلّ، إلى حدّ أنني سأتعرف عليها حتّى عندما تصهرها في قطع صغيرة. ولهذا السبب، يا عزيزي مينون، أنا أخشى أن ابتدىء مرّة ثانية وأردّد السؤال عينه: ما هي الفضيلة؟ وإلاّ فأنا أستطيع أن أقول إنّ كل عمل فُعل بجزءٍ من الفضيلة يكون فضيلة فقط. وما هو المعنى الآخر للقول إنّ كل عملٍ فُعِلَ بالعدل يكون فضيلة؟ ألا ينبغي عليّ أن أسألك السؤال مرّة أخرى فوق ذلك؟ إذ هل يستطيع أيّ شخص لا يعرف طبيعة الفضيلة أن يعرف جزءاً منها؟

مينون: لا ـ أنا لا أقول إنّه يقدر.

سقراط: هل تتذكّر كيف رفضنا، في مثال الشكل، أيّ جواب أُعطي في عباراتٍ لم تكن مشروحة أو غير معترفٍ بها لحدّ الآن؟

مينون: نعم، يا سقراط؛ وكنا محقّين تماماً.

سقراط: لكن بعدئذ، يا صديقي، لا تفترض أنّها بينما تكون طبيعة الفضيلة ككلّ فهي لا تزال غير محدَّدة، لا تفترض أنّك تستطيع أن تشرحها لأيّ شخص بالإشارة إلى جزءٍ ما من الفضيلة أو لأنْ تشرح حقّاً أيّ شيء في تلك

الطريقة على الإطلاق. علينا أن نسأل مرّة ثانية فقط السؤال القديم: ما هي فضيلتك هذه؟ ألست محقاً؟

مينون: أعتقد بأنّك محقّ في ما تقول.

سقراط: إبتدىء مرّة ثانية إذن، وأجبني، ما هو تعريف الفضيلة، طبقاً لك ولصديقك أبولوجي؟

مينون: أوه يا سقراط، تعوّدت الإخبار عنك، قبل أن أعرفك، أنّك كنت تشكّك بنفسك دائماً وتجعل الآخرين يشكّون. والآن فأنت تلقي عليَّ بسحرك، ولقد أصبحت مسحوراً ومفتنّاً بكلّ بساطة، وفي نهاية ذكائي. وإذا ما أمكنني أن أغامر بمداعبتك، فأنت تبدو لي في مظهرك وفي سلطتك على الآخرين كليهما مثل سمك الرّعّاد الكهربائي، الذي يخدّر أولئك الذي يقتربون منه ويلمسونه، تماماً كما خدّرتني الآن، وكما أعتقد ذلك لأنّ روحي ولساني مخدّران تماماً، وأنا لا أعرف كيف أجيبك؛ ومع ذلك فإنّني قد ألقيت العديد من الخطب المتنوّعة اللامحدودة عن الفضيلة قبل الآن، ولأشخاص عديدين ـ وكانت خطباً جيدة جداً، كما اعتقدت ـ غير أنّني في هذه اللحظة لا أستطيع حتى أن أقول ما هي الفضيلة. وأعتقد بأنّك حكيم جدّاً في عدم ترحالك وسفرك من موطنك الأثيني، لأنّك إذا فعلت في الأماكن الأخرى ما تفعله في أثينا، فستُرمى في السجن كساحر.

سقراط: أنت محتال، يا مينون، ولم تفعل سوى الإمساك بي.

مينون: ماذا تعني، يا سقراط.

سقراط: إنّني أستطيع أن أقول لماذا تخلق تشبيها عني.

مينون: لماذا؟

سقراط: كي يمكنني أن أخلق تشبيها آخر عنك. فأنا أعرف أنّ كلّ الشباب الجميلين يحبّون أن يحوزوا تشابيه تُصنع عنهم ـ كما يمكنهم بجمال. وبما

أنّ الصور الجميلة، وأنا أتقبّلها، تُثار بالجمال بشكل طبيعي ـ لكنّني لن أعيد الإطراء وفيما يتعلق بكوني سمكة رعَّادٍ كهربائية، إذا كانت سمكة الرعَّاد الكهربائية نفسها مخدِّرَة كما أنها سبب الخدر في الآخرين، فإنّي أكون حينها سَمَكَة رعَّادٍ كهربائية حقًّا، لكن ليس من نوع آخر. فأنا أربك الآخرين، ليس لأنّني لست واضحاً، بل بسبب أنّي أنا نفسي مرتبك. والآن لا أعرف ما هي الفضيلة، وتبدو أنت لي في الحالة عينها، برغم أنّك عرفت مرّة، لربّما قبل أن تلمسني. ومع ذلك، فليس لديَّ اعتراض كي أنضمَّ إليك في التساؤل.

مينون: وكيف ستتحرى، يا سقراط، ذلك الذي لا تعرف عنه أيّ شيء على الإطلاق؛ أين تتمكّن أن تجد نقطة انطلاقٍ في منطقة المجهول؟ وحتّى إذا حدث لتصبح ممتلئاً بما تريد، كيف ستعرف أبداً أنّ هذا هو الشيء الذي لم تعرفه؟

سقراط: إنّني أعرف، يا مينون، ماذا تعني؛ لكن أنظر أيّ جدالٍ تام تدخله في المناقشة. تحاور أنت أنَّ إنساناً لا يستطيع أن يبحث إمّا بشأن ذلك الذي يعرف، أو بخصوص ذلك الذي لا يعرف لأنّه إذا عرف، فلا حاجة به ليبحث. وإذا كان لا يعرف فلا يستطيع أن يبحث لأنّه لا يعرف الموضوع المحدَّد الذي سيبحث بشأنه(١٩).

مينون: حسناً، يا سقراط، أليست الحجّة سليمة؟

سقراط: لا أعتقد.

مينون: لِمَ لا؟

سقراط: سأخبرك لماذا؛ إنّني سمعت من رجالٍ محدَّدين ومن نساءٍ حاذقات في الأشياء الإلهيّة أنَّ...

مينون: ماذا قالوا؟

سقراط: تكلّموا عن الحقيقة المتألّقة الرائعة، كما أتصوّر.

مينون: ما هي هذه الحقيقة، ومن هم المتكلّمون عنها؟

سقراط: بعضهم كهنة وكاهنات جاهدوا ليتعلّموا كيف يعطون حساباً معقولاً عن الأشياء التي اهتمُّوا بها. ثمة شعراء أيضاً مثل بيندار، والعديد الآخرون الذين هم ملهمون. وهم يقولون: - سجّل الآن، وانظر إذا ما كانت كلماتهم حقيقية - يقولون إنّ روح الإنسان خالدة، ولها نهاية في وقت واحد، يدعى موتاً، وهي مولودة مرّة ثانية في وقت آخر، لكنّها لا تفنى أبداً. وتكون المناقبيّة أنَّ على الإنسان أن يحيا في تقوى كاملة على الدوام « لأنّ بيرسيفون تُرجع في السنة التاسعة أرواح أولئك الذين تلقَّت منهم العقاب على جريمة غابرة، ترجعها مرّة ثانية من تحت إلى نور الشمس العليا، وهؤلاء هم الذي يصبحون ملوكاً نبلاء ورجالاً أشدّاء وعظماء في حكمتهم ويُدعون أبطالاً ورعين إلى الأبد ». الروح، إذن، كونها خالدة وقد وُلدت ثانية مرّات عديدة، ورأت كلّ الأشياء التي توجد، سواء أكانت في هذا العالم أو في العالم السفلي. لها معرفة عنها كلها. ولا عجب في أنّها ستكون قادرة كي تستدعي إلى الذاكرة كل ذلك الذي عرفته عن الفضيلة، وعن كل شيء، إذ كما تكون كلّ الطبيعة مجانسة، والروح تعلمت كلّ الأشياء، فلا صعوبة في إنسانٍ يستخرج تذكراً مفرداً لكلّ الباقي - سُمّيتْ هذه العملية « تعليماً » بشكل عامّ - إذا كان هذا الإنسان نشيطاً ولا يضعف لأنّ كلّ التساؤل وكلّ العلم هو تذكّر فحسب. وبناء عليه علينا أن لا نستمع لهذه المحاورة المتّسِمة بالجدال بشأن استحالة البحث والتحقيق لأنّها ستجعلنا متراخين كُسالى، وهي تكون عذبة للكسول. لكنّ التعليم الآخر سيجعلنا مفعمين بالنشاط ومحبّين للبحث والتحقيق. بتلك الثّقة، سأبحث معك في طبيعة الفضيلة بكلّ حبور.

مينون: نعم، يا سقراط؛ لكن ماذا تعني بقولك إنّنا لا نتعلّم، وأنّ ما نسميه علماً هو عملية تذكّر فقط؟ هل تقدر أن تعلّمني كيف تكون هذه؟

سقراط: لقد أخبرتك، يا مينون، لتوّي بأنّك محتال، وتسأل الآن إذا ما كنت أقدر أن أعلّمك، عندما أقول بأنّه لا يوجد تعليم، بل تذكّرٌ فقط. وهكذا فأنت تتصوّر أنّكَ ستوقعني في التناقض.

مينون: حقاً، يا سقراط، إنّني أحتجّ لأنّه لم يكن لديَّ قصد كهذا، بل سألت السؤال من عادة؛ لكنك إذا استعطعت أن تبرهن لي أنَّ ما تقوله حقيقة، أتمنى أن تفعل ذلك.

سقراط: إنّها ليست بمسألة سهلة. غير أنّني على استعدادٍ لأن أفعل أفضل ما أقدر لأجلك. إفترض أنْ تستدعي واحداً من مرافقيك العديدين، اختر من أحببت، كي أتمكّن من إقامة الدليل على ما أقول بالتحدّث معه.

مينون: بالتأكيد، تعالَ إلى هناك، يا ولد.

سقراط: إنّه يوناني، ويتكلّم اليونانية، أليس كذلك؟

مينون: نعم، حقّاً؛ وراقب إذا ما كان يتعلم مني أو يتذكّر فقط.

مينون: إنّني سأفعل.

سقراط: أخبرني، أيّها الصبي، هل تعرف أنّ شكلاً كهذا هو شكل مربّع؟

الولد: أجل، أعرف.

سقراط: وهل تعرف أنّ الشكل المربّع له هذه الخطوط الأربعة متساوية؟

الولد: بالتأكيد.

سقراط: وهذه الخطوط التي رسمتها خلال وسط المربع هي متساوية أيضاً؟

الولد: نعم.

سقراط: يمكن أن يكون مربّعاً من أيّ حجم؟

الولد: بدون ريب.

سقراط: وإذا كان ضلعاً واحداً للشّكل طوله قدمان، والضلع الآخر طوله قدمان، كم سيكون الكلّ؟ دعني أشرح: إذا كانت المساحة طولها قدمان في اتجاه واحد، فالمسافة كلها ستكون قدمين اثنين مضروبة مرّة؟

الولد: نعم.

سقراط: لكن بما أنّ هذا الضلع يكون قدمين اثنين أيضاً، يوجد قدمان اثنان مرتين؟

الولد: يوجد.

سقراط: يكون المربع إذن قدمين اثنين مرتين؟

الولد: نعم.

سقراط: وكم يكون القدمان اثنين مرّتين؟ أحسب وقل لي.

الولد: أربعٌ، يا سقراط.

سقراط: أوَ لاَ يمكن أن يوجد شكل آخر أكثر من هذا مرتين، لكن من النوع عينه، وله مثل هذا كلّ الأضلاع متساوية؟

الولد: نعم.

سقراط: وكم قدماً سيكون ذلك؟

الولد: ثمانية أقدام.

سقراط: والآن حاول وقل لي ما هو طول الخط الذي يشكل ضلع ذلك المربّع المضاعف: يكون هذا قدمين اثنين، فماذا سيكون ذلك؟

الولد: بوضوح، يا سقراط، إنّه سيكون مضاعفاً.

سقراط: هل تلاحظ، يا مينون، أنّني لا أعلّم الولد أيَّ شيء، بل أطرح عليه أسئلة فقط؛ والآن فهو يتخيّل أنّه يعرف كم يكون طول الضّلع ضرورياً كي يبرز شكلاً ذا أقدام ثمانية مربعة؛ ألا يفعل ذلك؟

مينون: نعم.

سقراط: وهل يعرف هو بحقّ؟

مينون: لا بالتأكيد.

سقراط: إنّه يتخيّل أنّ المربع يكون مضاعفاً. فالضلع يكون مضاعفاً؟

مينون: حقاً.

سقراط: والآن شاهده كونه مُحضَّراً خطوة خطوة كي يتذكّر في حالة منتظمة.

[إلى الولد]: قل لي، أيّها الولد، هل تؤكّد أنّ ضعف المساحة يأتي من ضلعٍ مضاعف؟ تذكّر أنّني لا أتكلّم عن شكل مستطيل، بل عن شكلٍ متساوٍ بكلّ طريقة، وضعف الحجم لهذا ـ بكلمة أخرى ثمانية أقدام؛ وأنني أريد أن أعرفَ ما إذا كنت باقياً على قولك إنّ مربعاً مضاعفاً يأتي من ضلعٍ مضاعف؟

الولد: نعم.

سقراط: لكن ألا يصبح هذا الضلع مضاعفاً إذا أضفنا هكذا ضلعاً آخر هنا؟

الولد: بالتأكيد.

سقراط: وأربعة أضلاع كهذه، تقول أنت، ستخلق مساحة محتوية على ثمانية أقدام؟

الولد: نعم.

سقراط: دعنا نصف شكلاً كهذا: ألن تقول إنّ هذا الشكل هو من أربعة أقدام؟

الولد: نعم.

سقراط: أولاً توجد هذه التقسيمات الأربعة، التي يكون كل منها مساوياً للشكل ذي الأربعة أقدام؟

الولد: حقاً.

سقراط: أليس ذلك أربعة ضرب أربعة؟

الولد: بالتأكيد.

سقراط: أليس ذلك أربع مراتٍ مضاعفة؟

الولد: لا، حقاً.

سقراط: لكن كم يكون؟

الولد: أربع مرات مثل هذا.

سقراط: بسبب ذلك فإنّ ضعف الضلع، أيّها الولد، أعطى مساحة، ليست مرّتين، بل أربع مرّات مثل هذا.

الولد: حقاً.

سقراط: أربعة ضرب أربعة تكون ستة عشر - أليس كذلك؟

الولد: نعم.

سقراط: أيّ ضلع سيعطيك مساحة ثمانية أقدام - فإنّ ذلك يعطي مساحة رباعيّة لستة عشر قدماً، ألا يفعل ذلك؟

الولد: نعم.

سقراط: وتحدُثُ هذه المساحة للأقدام الأربعة من هذا الضلع النصفي؟

الولد: نعم.

سقراط: جيّد؛ أليست مساحة ثمانية أقدام ضعفي حجم هذا ونصف حجم الآخر؟

الولد: بدون ريب.

سقراط: هكذا مساحة، إذن، ستُكمل بخطٍّ أكثر من هذا الضلع، أو أقلّ من ذلك الضلع؟

الولد: نعم؛ إنّني أعتقد هكذا.

سقراط: جيّد جداً؛ أحبّ أن أسمعك تقول ما تعتقد. وأخبرني الآن، أليس هذا ضلعاً لقدمين اثنين وذاك لأربعة؟

الولد: نعم.

سقراط: إذن، فإنّ الضلع الذي يشكل الضلع لمساحة ثمانية أقدام يجب أن يكون أكثر من الضلع لقدمين وأقلّ من الآخر ذي الأربعة أقدام؟

الولد: يجب ذلك.

سقراط: حاول وأبصر إذا استطعت أن تقول لي كم سيكون.

الولد: ثلاثة أقدم.

سقراط: إذاً، إذا أضفنا نصفاً لهذا الضلع الإثنيني، سيكون ذلك ضلعاً من ثلاثة. يوجد هنا اثنان وهناك واحد؛ وعلى الجانب الآخر، هنا يوجد اثنان أيضاً وهناك واحد. وذلك يخلق الشكل الذي تتكلّم عنه؟

الولد: نعم.

سقراط: وإذا وجدت ثلاثة أقدام في هذا الطريق وثلاثة أقدام في تلك الطريق، فستكون المساحة بمجملها ثلاثة أقدام ضرب ثلاثة؟

الولد: إنّ ذلك لجلي.

سقراط: وكم تكون ثلاثة أقدام ضرب ثلاثة؟

الولد: تسعة.

سقراط: وماذا كان عدد الأقدام في المربّع المضاعف؟

الولد: ثمانية.

سقراط: إذن، لا تكون مساحة الأقدام الثمانية متمّمة بضلع من ثلاثة أقدام؟

الولد: لا.

سقراط: لكن من أيّ ضلع؟ أخبرني بالضبط؛ وإذا لم تفضّل أن تحسب، حاول وأرني الضلع.

الولد: إنّني لا أعرف، حقّاً، يا سقراط.

سقراط: هل ترى، يا مينون، أيّ تقدم قد أحرزه هو بقوة تذكّره؟ إنّه لم يعرف في البدء، وهو لا يعرف الآن، ماذا يكون ضلع شكلٍ من ثمانية أقدام. لكنّه فكّر أنّه عرف بعدئذ، وأجاب بثقة كما إذا عرف، ولم يشعر بصعوبة. والآن فهو يشعر بالحرج، فهو لا يعرف ولا يتوهّم أنّه يعرف.

مينون: صدقاً.

سقراط: ألا يكون هو في حال أفضل في معرفة جهله؟

مينون: أعتقد أنّ ذلك أفضل له.

سقراط: إذا جعلناه يشكّ، وأعطيناه « صدمة سمك الرعّاد الكهربائي »، فهل فعلنا له أيّ أذىً بذلك؟

مينون: إنّني لا أعتقد هذا.

سقراط: إنّنا ساعدناه بكلّ تأكيد، كما سيبدو، على اكتشاف الحقيقة في درجة ما. والآن فهو سيروم معالجة جهله، لكنّه عندئذ عليه أن يكون جاهزاً لأن يقول للعالم كلّه ثانية وثانية إنّ المساحة المضاعفة ستمتلك ضلعاً مضاعفاً.

مينون: حقاً.

سقراط: لكن هل تفترض أنّه سيبدأ أبداً ليتساءل أو ليتعلم ما توهّم أنّه عرف، مع أنّه كان جاهلاً به حقّاً، إلى أن وقع في الحيرة تحت فكرة أنّه لم يعرف، وأنّه تاق لأن يعرف؟

مينون: إنّني لا أعتقد ذلك، يا سقراط.

سقراط: إذن، كان من الأفضل له أن يختبر ملامسة سمك الرعّاد الكهربائي؟

مينون: إنّني أعتقد هكذا.

سقراط: سجّل الآن التطوّر الأبعد. إنّني سأسأله فقط، ولن أعلّمه، وهو سيقاسمني التساؤل: وهل ستراقب وترى إذا وجدتني مخبراً أو شارحاً أيّ شيء له، بدلاً من استخراج رأيه. أخبرني، أيّها الولد، أليس هذا الذي رسمته هو مربع من أربع أقدام.

الولد: بلى.

سقراط: والآن فأنا أضيف مربّعاً آخر مساوياً للمربّع السابق؟

الولد: نعم.

سقراط: ومربّعاً ثالثاً، مساوياً لكلٍّ منهما؟

الولد: نعم.

سقراط: إفترض أنّنا سنملأ الزاوية الخالية؟

الولد: جيد جداً.

سقراط: هنا، إذن، توجد أربع مساحات متساوية؟

الولد: نعم.

سقراط: وبكم مرة تكون هذه المساحة أكبر من هذه المساحة الأخرى؟

الولد: بأربع مرات.

سقراط: لكنّنا أردنا نحن واحدة فقط أكبر بمرتين، كما ستتذكر؟

الولد: حقاً.

سقراط: والآن ألاَ يشطر هذا الخطّ، الممتدّ من الزاوية إلى الزاوية، كلاًّ من هذه المساحات؟

الولد: نعم.

سقراط: أولاَ توجد هنا أربعة خطوط تحتوي هذه المساحة؟

الولد: توجد.

سقراط: أنظر وشاهد كَمْ تكون هذه المساحة؟

الولد: إنّني لا أفهم.

سقراط: ألم يقطع كل خطّ داخليّ نصف المساحات الأربع؟

الولد: بلى.

سقراط: وكم توجد مساحات كهذه في هذا القسم؟

الولد: أربع.

سقراط: وكم في هذه؟

الولد: إثنتان.

سقراط: وكم تكون الأربعة مضروبة باثنتين؟

الولد: مرتين.

سقراط: هكذا، فكم قدماً تكون هذه المساحة؟

الولد: ثمانية أقدام.

سقراط: ومن أيّ خطٍّ تحصل على هذا الشكل؟

الولد: من هذا.

سقراط: يكون ذلك، من الخطّ الذي يمتدّ من الزاوية إلى الزاوية للشكل ذي الأقدام الأربعة؟

الولد: نعم.

سقراط: ويكون ذلك هو الخط الذي يسمّيه المتعلّم الخطّ القطريّ، وإذا كان هذا هو الإسم المناسب، حينئذ تكون أنت، يا عبد مينون، جاهزاً لتؤكّد أنّ ضعف المساحة يكون المربّع للخطّ القطري؟

الولد: بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: ماذا تقول عنه، يا مينون؟ ألم تصدر كلّ هذه الأجوبة من رأسه الذي يخصّه؟

مينون: نعم، إنّ كلّ هذه الأجوبة تخصّه.

سقراط: ومع ذلك، وكما كنّا قائلين لتوّنا، فهو لم يعرف؟

مينون: حقاً.

سقراط: لكنه لا يزال ممتلكاً تلك الأفكار التي له، فيه - ألم يزل يحوزها؟

مينون: نعم.

سقراط: إذن، فإنّ من لا يعرف يمكنه أن يبقى يمتلك أفكاراً حقيقية عن ذلك الذي لا يعرفه؟

مينون: على ما يبدو.

سقراط: وفي الوقت الحاضر فإنّ تلك الأفكار قد أُثيرت فيه لتوّها، كما في حلم. لكنّه إذا سُئل الأسئلة عينها على نحوٍ متكرّر، بأشكالٍ مختلفة، فإنّه سيعرف أخيراً بدقّة كما يعرفها أيّ شخص آخر.

مينون: أجرؤ على القول.

سقراط: ومن غير أن يعلّمه أحد، فهو سيستعيد معرفته بنفسه إذا سُئلَ أسئلة بشكلٍ مجرّد.

مينون: نعم.

سقراط: وهذه الاستعادة التلقائية للمعرفة فيه هي التذكّر؟

مينون: حقاً.

سقراط: وهذه المعرفة التي يمتلكها الآن، ألا يجب أنّه إمّا اكتسبها في وقت ما، وإلاّ فإنّه امتلكها على الدوام؟

مينون: نعم.

سقراط: لكنّه إذا امتلك هذه المعرفة على الدوام فسيكون عارفاً بشكل دائم؛ أو إذا نال هو المعرفة، فلا يمكنه اكتسابها في هذه الحياة، ما لم يكن قد تعلّم علم الهندسة. ويمكن جعله فعلاً للشيء عينه بكلّ علم الهندسة وبكلّ فرع من فروع المعرفة إذا ما علّمه أيّ شخص كلّ هذا أبداً. ينبغي عليك أن تعرف عنه، إذا كان كما تقول، قد وُلِدَ وترعرع في بيتك؟

مينون: إنّني متأكّد من أنّ أحداً لم يعلّمه قط.

سقراط: ومع ذلك فهو يمتلك هذه الأفكار.

مينون: إنّ الحقيقة لا يمكن إنكارها، يا سقراط.

سقراط: لكنّه إذا لم يفز بها في هذه الحياة، يجب أنّه تعلّمها في زمنٍ ما آخر.

مينون: يجب بكلّ وضوح.

سقراط: الذي يلزم أنّه قد كان الزمن الذي لم يكنْ هو أثناءَه رجلاً؟

مينون: نعم.

سقراط: وإذا وُجدت فيه أفكار حقيقية على الدوام، بينما يكون وحينما لم يكن رجلاً، والتي يحتاج إيقاظها إلى معرفةٍ بوضع الأسئلة له فقط. إنّ روحه ينبغي أن تبقى متملكة لهذه المعرفة بشكل دائم، إذ يجب عليه أن يكون أو أن لا يكون رجلاً على الدوام.

مينون: بوضوح.

سقراط: وإذا بقيت الحقيقة عن كل الأشياء في الروح دائماً، تكون الروح خالدة حينئذٍ. ولهذا السبب كن فرحاً، وحاول أن تكتشف بالتذكّر ما لا تعرفه الآن، أو على الأصح ما لا تتذكّر.

مينون: أشعر، بطريقة أو بأخرى، أنّني أحبّ ما تقول

سقراط: وأنا أحبّ ما أقول أيضاً. قلت بعض الأشياء التي لست على ثقة بها تماماً. لكنّنا سنكون أفضل وأشجع وأقلّ عجزاً إذا اعتقدنا بأنّه ينبغي علينا أن نتساءَل، بدلاً ممّا قد كنا إذا افتكرنا بأنّه لا يوجد معروف ولا افتراضٌ كي ننشد أن نعرف ما لم نعرفه. ذلك هو الإيمان الذي أكون مستعدّاً لأحارب من أجله، في الكلمة والمأثرة، بأقصى قوتي.

مينون: هناك مرّة ثانية، يا سقراط، تبدو لي كلماتك ممتازة.

سقراط: إذن، بما أنّنا متفقون على أنّ الإنسان يجب أن يتساءَل عن ذلك الذي لا يعرفه، هل سنبذل جهداً، أنت وأنا، لنتساءَل معاً في طبيعة الفضيلة؟

مينون: مهما كلّف الأمر، يا سقراط، ومع ذلك سأفضّل كثيراً العودة إلى سؤالي الأساسي، وهو إذا ما كان علينا في محاولتنا لأن نكتسب الفضيلة أن نعتبرها كشيءٍ يمكن تعلّمه، أو كهدية من الطبيعة، أو كحضورٍ إلى الرجال في أية طريقة أخرى.

سقراط: إذا كان لي الأمر عليك كما على نفسي، يا مينون، فما كان علينا أن

نتساءل إذا ما كانت الفضيلة مُعطاةً بالتعليم أوْ لاَ، إلى أن نتحقّق بادىء ذي بدء « ما هي ». لكن بما أنّك لا تعتقد بضبط النفس أبداً ـ هكذا كون فكرتك عن الحرية ـ بل تعتقد بالسيطرة عليَّ فقط وأنت تسيطر عليَّ بالفعل، ينبغي أنْ أُذعِنَ لك، لأنّك لا تُقاوَم. ولهذا السبب يبدو أنَّ علينا أن نحقّق في نوعيّات شيءٍ لا نعرف طبيعته حتى الآن، على كلّ حال. هل سترخي الأعِنَّة قليلاً، وتسمح بالسؤال « إذا ما كانت الفضيلة تُعطى بالتعليم، أو بأيّة طريقة أخرى »، كي نتحاور على فرضيّة؟ دعني أشرح لك: مثل عالِم الهندسة، عندما يُسأل إذا ما كان مثلثٌ محدَّدٌ قابلاً لأن يُرسَمَ في دائرة محدَّدة، سيجيب: « إنّني لا أستطيع أن أخبرك لحدّ الآن، لكنّني سأقدم فرضيّة يمكن أن تساعدنا في تشكيل استنتاج: إذا كان الشكل مثل ذلك حينما أبرزت ضلعاً معطىً منه، فإنّ المساحة المعطاة للمثلّث تنقص بمساحة متماثلة إلى الجزء المقدَّم، عندئذ فإنّ نتيجة واحدة تلي، وإذا كانت هذه مستحيلة فستعطي فرضية أخرى بعدئذ. دعني أفترض فرضية أخرى هكذا، وإنّني لعلى استعداد لأخبرك إذا كان هذا المثلّث قابلاً لأن يُرسَم في الدائرة: « تكون تلك فرضيّة هندسية ». ونحن أيضاً، بما أنّنا لا نعرف طبيعة الفضيلة ونوعياتها، يجب أن نسأل، إذا كانت الفضيلة، أوْ لا، قابلة لأن تُعلَّم، على فرضية ما، كهذه: أيّ نوع من الخير النفساني يلزم للفضيلة أن تكون كي يمكنها أن تُعلَّم أو لا تُعلَّم؟ دع الفرضية الأُولى أن لا تكون الفضيلة في نطاق نوع « المعرفة ». في تلك الحالة هل ستُعلَّم أو لا تُعلَّم؟ أو كما كنّا قائلين لتوّنا، « مُتذكَّرة »؟ إذ لا نفعَ في الجدال بشأن الإسم. لكن هل تُعلَّم الفضيلة أو لا تعلَّم؟ أو على الأصحّ، ألا يرى كل إنسانٍ أنّ المعرفة وحدها يمكن تعليمها؟

مينون: إنّني أوافق.

سقراط: إذن، إذا كانت الفضيلة نوعاً من المعرفة، فإنّها ستُعلَّم؟

مينون: بالتأكيد.

سقراط: لقد أوجدنا نهاية سريعة لهذا السؤال الآن إذن: إذا كانت الفضيلة من طبيعة كهذه، فإنّها ستُعلَّم، وإلاّ، فلا؟

مينون: بلا شكّ.

سقراط: السؤال التالي هو، إذا كانت الفضيلة معرفة أو من جنس آخر.

مينون: نعم، يبدو أن ذلك هو السؤال الذي يلي في نظام.

سقراط: حسناً جداً إذن؛ ألا نقول نحن إنّ الفضيلة تكون خيراً؟ - إنّ هذه الفرضية تبقى ثابتة؟

مينون: بدون ريب.

سقراط: والآن، إذا وُجد خيرٌ ما آخر يكون منفصلاً عن المعرفة، أفلا تكون الفضيلة نوعاً من المعرفة بالاحتمال أيضاً؟ لكن إذا إحتوت المعرفة كلّ الخيرات، سنكون محقّين عندئذ في افتراض الفضيلة على أنّها نوع من المعرفة؟

مينون: حقاً.

سقراط: وتكون الفضيلة تلك التي تجعلنا صالحين؟

مينون: نعم.

سقراط: وإذا كنّا صالحين، فنحن نافعون حينئذ لأنّ كلّ الأشياء الصالحة تكون نافعة؟

مينون: نعم.

سقراط: إذن، فإنّ الفضيلة نافعة؟

مينون: إنّ ذلك هو الاستنتاج.

سقراط: إذن دعنا الآن نأخذ أمثلة معيّنة عن الأشياء التي تفيدنا: الصحة والقوة والجمال والثروة - هذه، وما شابهها، نسمّيها نحن نافعة.

مينون: صدقاً.

سقراط: ومع ذلك يمكن لهذه الأشياء عينها أن تؤذينا بعض المرّات أيضاً. ألا تعتقد ذلك؟

مينون: نعم.

سقراط: وما هو المبدأ الهادي الذي يجعلها نافعة أو يجعلها عكس ذلك؟ أليست نافعة عندما تُستعمل بشكل مستقيم، ومؤذيةً حينما لا تُستعمل على نحو صائب؟

مينون: بالتأكيد.

سقراط: بعد ذلك، دعنا نتأمّل مليّاً خيرات الروح. إنّها الاعتدال، العدل، الشجاعة، سرعة الفهم، الذاكرة، طرق الحياة النبيلة، وما شابه.

مينون: بدون ريب.

سقراط: وتكون أمثال هذه، بما أنها ليست معرفة، بل هي من نوع آخر، تكون نافعة بعض المرات ومؤذية في بعضها الآخر. كمثال، تحتاج الشجاعة لجودة الإدراك، التي هي نوع من الثقة فقط. وعندما لا يمتلك الإنسان إدراكاً جيداً فإنّه سيتأذّى بثقة كهذه، لكنه عندما يحوز الإدراك فإنّه سينتفع.

مينون: حقاً.

سقراط: ويمكن قول الشيء عينه عن الاعتدال وسرعة الفهم مهما كانت الأشياء المتعلَّمَةُ أو المُدارة بالفهم ناجحة، لكنّها بدون الفهم فهي ضارّة.

مينون: حقيقي تماماً.

سقراط: وبشكل عامّ، فكلّ ذلك تهتم به الروح وتتحمّله عندما تكون تحت هداية الحكمة التي تنتهي في السعادة. لكنّها عندما تكون تحت دليل الحماقة ففي الشقاء.

مينون يبدو أن ذلك حقيقي.

سقراط: إذا كانت الفضيلة نوعية الروح حينئذ، ويُثبتُ أنّها نافعة، يجب أن تكون حكمةً وجودةَ إدراك، بما أنّ أيّاً من أشياء الروح لا يكون ضارّاً أو نافعاً لنفسه، بل هي مجعولةً كلّها كذلك بإضافة الحكمة أو الغباء؛ لذلك إذا كانت الحكمة نافعة، ينبغي أن تكون الفضيلة نوعاً من الحكمة.

مينون: إنّني أوافق تماماً.

سقراط: والخيرات الأخرى، كالصحّة وما شابه، التي كنا قائلين لتوّنا إنّها خيرات بعض المرات وبعض المرات شرور، ألا تصبح هي نافعة أو ضارّة أيضاً، كما تهديها الروح وتستعملها على نحو مستقيم أو على نحوٍ ظالم وفقاً لذلك، تماماً كما تصبح أشياء الروح نفسها نافعة عندما تكون تحت هداية الحكمة وضارّة حينما تُرشَد بالغباء؟

مينون: حقاً.

سقراط: والروح الحكيمة ترشدها على نحوٍ مستقيم، والروح الغبيّة على نحوٍ ظالم؟

مينون: نعم.

سقراط: أليس هذا حقيقياً عن الطبيعة الإنسانية عموماً؟ كلّ الأشياء الأخرى تتمسّك بالروح، والأشياء الروحية عينها تتمسّك بالحكمة، إذا ما كان عليها أن تكون صالحة. وهكذا تُستنتج الحكمة على أنّها هي التي تنفع، والفضيلة، كما نؤكّد، تكون نافعة.

مينون: بدون شكّ.

سقراط: وهكذا نصل نحن إلى استنتاج أنّ الفضيلة هي كليّاً أو جزئياً حكمة.

مينون: إنّني أعتقد بأنّ ما تقوله، يا سقراط، قول حقيقي.

سقراط: لكن إذا كان هذا حقيقياً حينئذ فإنّ الأخيار لا يكونون أخياراً بالطبيعة؟

مينون: لا أعتقد.

سقراط: إذا كانوا كذلك، فسيكون بيننا من يميّز الشخصيات بكلّ تأكيد، والذين

سيعرفون رجالات مستقبلنا العظام، وسنتبنّى أفكارهم بناءً على ما يكتشفونه من حقائق، ونحتفظ بهم في المأمن بعيداً عن أيّ أذىً يلحق بهم، وقد وضعنا عليهم علامة أفضل من تلك الموضوعة على قطعة من الذهب كي لا يجرؤ أحدٌ على العبث بهم؛ وذلك حينما يكبرون يمكنهم أن يكونوا مفيدين للدولة.

مينون: نعم، يا سقراط، يبدو أنّ ذلك هو الطريق الصحيح.

سقراط: إذا لم يكن الأخيار أخياراً بالطبيعة إذن، فهل يُجعلون أخياراً بالتعليم؟

مينون: يظهر أنه لا يوجد أيّ خيار آخر، يا سقراط، على افتراض أنّ الفضيلة هي معرفة. لا يمكن أن يوجد هناك شكّ في أنّ الفضيلة تُعلَّم.

سقراط: نعم، حقّاً؛ لكن ماذا لو كان الافتراض مغلوطاً؟

مينون: إعتقدت لتوّي الآن بأنّنا كُنّا محقّين.

سقراط: نعم، يا مينون، لكن المبدأ الذي له أيّة متانة، عليه أن يقف بثبات ليس الآن فقط بل أبداً على الدوام.

مينون: حسناً؛ ولماذا أنت صعب هكذا، وهكذا بطيء لتعتقد أنّ الفضيلة معرفة؟

سقراط: إنّني سأحاول وأقول لك، يا مينون. أنا لا أسحب التأكيد وهو إذا كانت الفضيلة معرفة يمكنها أن تُعلَّم، لكنّني أخشى من أن لديَّ سبباً ما في الشكّ إذا كانت الفضيلة معرفة. تأمّل الآن وقل إذا ما كان ينبغي للفضيلة، وليس لها فقط، بل لأيِّ شيء يُعلَّم، إذا كان ما يجب أن يمتلك معلّمين وتلامذة؟

مينون: بدون ريب.

سقراط: وبشكل عكسي، ألاَ يمكن للفنّ الذي ليس له معلمون وتلامذة أن يُفترض بأنّه غير قابل لأن يُعلَّم؟

مينون: حقّاً، لكن هل تعتقد بأنّه لا يوجد معلمون للفضيلة؟

سقراط: إنّني حققت غالباً بكلّ تأكيد إذا ما كان هناك أيّ معلمين، وبعد أن

قاسيت الآلام العظيمة لأجدهم، لم أنجح في ذلك قطّ؛ وشاركني رفاق عديدون في بحثي هذا، بتفضيل الأشخاص الذين اعتقدت بأنّهم يمتلكون خبرة أكثر في هذا الاتجاه. وها هو أنيتوس الجالس بيننا في هذه اللحظة سنسأله عندما نكون بحاجة إليه، وستكون نصيحته جدّ خيرة لنا جميعاً إذا ما طلبنا منه أن ينضم إلينا في بحثنا هذا. إنّه إبن أبٍ غنيّ وحكيم، في المقام الأول. وأبوه هو انثيميوم، الذي اكتسب ثروته ليس بالهبة أو بدون جهد، مثل اسمينياس الثيبي « الذي أصبح غنيّاً مثل بوليكرايتس حديثا »، بل إنّه اكتسب هذه الثروة بحذقه الخاصّ ومثابرته، وهو رجل حسن الخلق ومتواضع. إنّه ليس متغطرساً، ولا مستبدّاً، ولا مزعجاً. فضلاً عن ذلك فإنّ ابنه هذا تلقّى علوماً جيّدة، كما يظهر أنّ الشعب الأثيني يفكّر بهذا بكلّ تأكيد، لأنّهم اختاروه كي يملأ أعلى المراكز في مدينة أثينا. وهؤلاء هم نوعية الرجال الذين يجب علينا أن نتحقّق بمساعدتهم إذا ما كان يوجد أيُّ معلمين للفضيلة، ومن هم هؤلاء المعلمون. من فضلك، يا أنيتوس، أن تساعدني وتساعد صديقك مينون في الإجابة على سؤالنا من هم المعلمون؟ تأمّل مليّاً المسألة هكذا: إذا أردنا أن يكون مينون طبيباً كفؤاً، لمن سنرسله؟ ألا يجب أن نرسله إلى الأطبّاء؟

انيتوس: بكلّ تأكيد.

سقراط: أو إذا أردناه أن يكون إسكافياً بارعاً، ألا ينبغي أن نرسله إلى الأساكفة؟

انيتوس: نعم.

سقراط: وهلمّ جرّا.

انيتوس: نعم.

سقراط؛ دعني أزعجك بسؤال واحد لا أكثر. عندما نقول بأنّنا يجب أن نكون محقّين في إرساله إلى الأطبّاء إذا أردناه أن يكون طبيباً كفؤاً، هل نعني أنّنا

سنكون محقّين في إرساله إلى أولئك الذين يمارسون الفنّ، بدلاً من أولئك الذين لا يمارسونه، ولأولئك الذين يطلبون مقابلاً لتعليم الفنّ، ويتقدّمون بشكلٍ علنيّ ليعلّموه لأيّ شخص يختار ليأتي ويتعلّم؟ وإذا كانت هذه مبرّراتنا، ألا يلزم أن نكون محقّين في إرساله؟

انيتوس: نعم.

سقراط: أوَ لاَ يمكن قول الشيء عينه عن العزف على النّاي، وعن الفنون الأخرى؟ هل سيرفض إنسان يريد أن يجعل إنساناً آخر عازفاً على الناي، هل سيرفض أن يرسله إلى أولئك الذين يَعِدون بتعليم الفن ويتلقون مالاً مقابل تعليمه، وأنّ يدعه يتجول مزعجاً الأشخاص الآخرين كي يعلّموه، والذين لا يكونون أساتذة متضَلّعين، والذين لم يكن لديهم قطّ مريد فرد في ذلك الفرع من المعرفة الذي نتوقّع منهم أن يعلموه إياه ـ أليس تصرّف كهذا قمّة الغباء؟

انيتوس: بالتأكيد الأكثر، وقمّة الجهل أيضاً.

سقراط: جيّد جداً، والآن أنت في موقعٍ لتنصح وأنا كذلك بشأن صديقنا مينون. لقد قال لي منذ وقت ليس قصيراً، يا أنيتوس، إنّه يتوق لأن ينال ذلك النوع من الحكمة والفضيلة اللذين بهما ينظّم الرجالُ الدولةَ أو تدبير المنزل، وبهما يكرّمون آباءَهم، ويعرفون كيف يستقبلون المواطنين والغرباء، ويعيدونهم على طريقهم كما ينبغي على مضيفٍ صالح أن يفعل. والآن، لمن عليه أن يذهب ليتمكّن من تعلّم الفضيلة؟ ألا تدلّ المحاورة السابقة ضمناً وبكل وضوح أنّه يجب علينا أن نبعث به لأولئك الذين يعلنون أنّهم يعلّمون الفضيلة والذين طرحوا تعليمهم بشكل علنيّ ومفتوح لأيّ هيليني يرغب ويختار ليأتي إليهم ويدفع لهم أجوراً يحدّدونَها هم؟

انيتوس: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: أنت تعرف بالتأكيد، ألا تفعل، يا انيتوس؟ أنّ هؤلاء هم الأناس الذين يدعوهم الجنس البشري السوفسطائيين.

انيتوس: باسم السّماء، أمسك عن الكلام! إنّني آمل فقط أن لا يكون صديق أو قريب ممّن يخصني مجنوناً هكذا ويسمح لنفسه أبداً أن يُفْسِده، سواء أكان هو من هذه المدينة أو من أية مدينة أخرى لأنّهم يكونون مصابين بمرض الطاعون بشكل جليّ، وهم ذوو تأثير مفسد على أولئك الذين يتعاملون معهم.

سقراط: ماذا، يا انيتوس؟ هل تعني أنّ من بين كلّ الأناس الذي يعلنُون أنّهم يعرفون كيف يفعلون الخير للرجال، هل تعني أنّ هؤلاء هم الأشخاص الوحيدون الذين لا يفعلون لهم الخير فقط، بل يفسدون أولئك الذين يؤتمنون عليهم بشكل قاطع، وفي مقابل هذه الإساءَة، لديهم الجرأة كي يطلبوا المال؟ حقاً، إنّني لا أستطيع تصديقك لأنّني أعرف عن رجل مفرد وحيد، بروتاغوراس، الذي جنى من حرفته أكثر ممّا جناه فايدياس اللامع، والذي أبدع أعمالاً نبيلة، أو عن عشر نحاتين آخرين. كيف يمكن أن يكون ذلك؟ كيف يمكن لمصلح الأحذية القديمة، أو لرتّاء الأثواب، الذي أعاد الأحذية والأثواب تلك في حالة أسوأ من الحالة التي استلمها، كيف يمكنه أن يبقى ثلاثين يوماً بدون أن يُكتشف، وأن يموت جوعاً قريباً جدّاً؟ في حين أنّه خلال أكثر من أربعين سنة، كان بروتاغوراس مفسِداً كلّ هيلاس، وباعثاً مريديه في حالة أسوأ ممّا استلمهم، ولم يُكتشف. إنّ عمره كان حوالى السبعين سنة حين وفاته، إذا لم أكن مخطئاً، أمضى منها أربعين سنة في مزاولة مهنته؛ وأثناء كل هذا الوقت كان له الصيت الحسن، والذي لا يزال يحتفظ به حتى اليوم بالتحديد. وليس هذا ممّا يشتهر به بروتاغوراس فقط، بل عديد آخرون ممّن هم ذائعو الشهرة - بعضهم من عاش قبله، والآخرون الذين لا يزالون أحياء. والآن، عندما تقول إنّهم يخدعون ويفسدون الشباب، هل نفترض أنّهم يفعلون ذلك بإدراكٍ أو بدون إدراك؟ أيقدر هؤلاء الذين

يُعتبرون ·من قِبَل العديد أنّهم أعقل الرجال، أيقدرون أن يكونوا معتوهين؟

انيتوس: معتوهون! لا، يا سقراط؛ إنّ الرجال الشباب الذين يعطون مالهم إليهم هم المعتوهون، وإن أقاربهم والقيّمين عليهم الذين يعهدون بفتيانهم الى عناية هؤلاء الرجال لهم أكثر جنوناً. وأكثر من كل هذا، إنّ المدن التي تسمح لهم بدخولها، ولا تطردهم خارجها، فمواطنوها وغرباؤها هم مجانين بشكل متشابه.

سقراط: هل آذاك أيٌّ من السوفسطائيين، يا انيتوس؟ ما الذي يجعلك هكذا غاضباً معهم.

انيتوس: لا، حقاً، فهم لم يؤذوني ولم يؤذوا أحداً من عائلتي قطّ، ولم أسمح لهم بأن يحوزوا أيَّ شيء ليفعلوه معهم؟

سقراط: إذن، يا صديقي العزيز، بما أنّك لا تمتلك معرفة شخصية بالمهنة مهما كانت، فكيف يمكنك أن تعرف ما إذا كان فيها أيّ خير أو شرٍ؟

انيتوس: حسناً تماماً؛ إنّني متأكّد بأنّي أعرف أيّ نمط من الرجال هم هؤلاء، سواء كنت ملمّاً بهم أوْ لا.

سقراط: يجب أن تكون متنبّئاً، يا أنيتوس، لأنّني لا أستطيع أن أثبت غير ذلك. كيف تعرف عنهم بحقّ، حاكماً على ذلك من كلماتك الخاصّة. لكنّني لن أتساءَل معك عمّن يكون الأساتذة الذين سيفسدون مينون « دعهم يكونون السوفسطائيين، إذا أردت ». إنّي أسألك أن تخبرنا فقط مَنْ الموجودون في هذه المدينة العظيمة الذين سيعلّمون مينون كيف يصبح حاذقاً في الفضيلة التي وصفتها لتوّي. إنّه صديق عائلتك، وأنت ستتفضل عليه بجميل.

انيتوس: لماذا لا تخبره أنت بنفسك، يا سقراط؟

سقراط: إنّني أخبرته عمّن أعتقدهم معلّمي هذه الأشياء. لكنّني أتعلّم منك بأنّي على خطأ بشكل مطلق، وأجرؤ على القول بأنّك محقّ. والآن فأنا أرغب

منك أن تخبرني، من ناحيتك، إلى أيّ الأثينيين عليه أن يذهب. من ستسمي، يا انيتوس؟

انيتوس: لماذا ستختار أفراداً؟ أيّ سيّد أثيني، كائناً من كان، سيفعل بشكل أكثر جودة وسيؤدّي له ما يريد أكثر بكثير من السوفسطائيين، إذا كان مينون سيفعل وفق نصيحته.

سقراط: وهل ترعرع هؤلاء الأسياد بأنفسهم، وبدون أن يكونوا قد تعلّموا من أيّ شخص؟ ألم يكونوا قادرين برغم ذلك على أن يعلّموا الآخرين ذلك الذي لم يتعلّموه بأنفسهم قطّ؟

انيتوس: أتصوّر أنّهم تعلّموا من أسياد الجيل السابق. ألم يوجد العديد من الرجال الأحياء في هذه المدينة؟

سقراط: نعم، بدون ريب، يا انيتوس؛ وقد وُجد العديد من رجال الدولة الصالحين ولا يزال، في مدينة أثينا. لكنّ السؤال هو إن كان قد وُجد أيضاً معلمون صالحون بفضيلتهم الخاصة ـ ليس سواء يوجد أو قد وجد رجال أخيار في هذا الجزء من العالم، بل إذا ما أمكن تعليم الفضيلة. هو السؤال الذي قد بحثناه. والآن، هل تعني أنّ الرجال الأخيار الذين يخصوننا ورجال الأزمان الأخرى عرفوا كيف ينقلون إلى الآخرين تلك الفضيلة التي امتلكوها أنفسهم؟ أو هل تكون الفضيلة شيئاً غير قابل لأن ينقله شخص إلى آخر؟ إنّ ذلك هو السؤال الذي قد تجادلنا بشأنه أنا ومينون. أنظر إلى المسألة في طريقتك الخاصة: ألا تعترف بأنّ ثيميستوكلوس كان إنساناً صالحاً؟

انيتوس: بالتأكيد، لا إنسان أفضل منه.

سقراط: أوَ لاَ ينبغي أنّه قد كان معلّماً كفؤاً، إذا ما كان أيّ إنسان معلماً صالحاً لفضيلته الخاصة أبداً؟

انيتوس: بدون شك، ـ إذا أراد أن يكون هكذا.

سقراط: لكنّه لم يُرِدْ أن يكون؟ فإنّه، على كل حال، كان يرغب في أن يجعل ابنه رجلاً صالحاً وسيّداً. إنّه قد استطاع أن يكون غيوراً منه بالكاد، وامتنع عن نقل فضيلته الخاصّة له عمداً. ألم تسمع أبداً أنّه جعل ابنه كليوفانتوس فارساً جيّداً؛ وعلّمه أن يقف منتصباً على ظهر الحصان، ويقذف بالرمح، وأن يفعل العديد من الأشياء الأخرى المدهشة؛ وكان هو حاذقاً في أيّ شيء يمكن أن يتعلّمه من أساتذة بارعين. ألم تسمع عنه من كبار السنّ عندك؟

انيتوس: إنّني سمعت.

سقراط: وهكذا لا أحد يستطيع أن يتّهمه بعدم الكفاءَة؟

انيتوس: محتمل جدّاً أنْ لا.

سقراط: لكن هل قال أحدٌ أبداً على مسمعك، أكان هو شابّاً أو مسنّاً، أنَّ كليوفانتوس بن ثيميستوكلس، هل قال بأنّه كان حكيماً أو إنساناً صالحاً في النواحي عينها كما كان أبوه؟

انيتوس: إنّني لم أسمع بكلّ تأكيد أيّ شخص يقول هكذا قط.

سقراط: ولو كان تعليم الفضيلة مستطاعاً، فهل كان أبوه ثيميستوكلس راغباً أن يدرّبه في هذه الإنجازات الثانوية، وسامحاً له أن لا يكون أفضل من جيرانه في تلك النوعيّات التي امتاز فيها هو ذاته، وهو ابنه الخاصّ؟

انيتوس: حقّاً، حقّاً، إنّني لا أعتقد ذلك.

سقراط: يوجد هنا معلّم للفضيلة الذي تعترف أنّه من بين أفضل رجالات الماضي. دعنا نأخذ رجلاً آخر: اريستايدس بن ليسيماخوس. ألا تعترف بأنّه كان إنساناً صالحاً؟

انيتوس: عليَّ أن أعترف، لتكن متأكّداً.

سقراط: أوَ لم يدرِّب هو ابنه ليسيماخوس أفضل من أيّ أثيني آخر في كل ذلك الذي يمكن عمله له بمساعدة الأساتذة؟ لكن ماذا كانت النتيجة؟ أيكون هو

أفضل بقليل من أيّ إنسانٍ آخر؟ إنّه أحد معارفك الشخصيين، وأنت ترى كيف هو. هناك بريكلس، مرّة ثانية، رائعاً في حكمته؛ وهو كما تدرك، ربّى ولدين، بارالوس وأكسانثيبوس.

انيتوس: إنّني أعرف.

سقراط: وتعرف أنت أيضاً أنّه علّمهما ليكونا فارسين لا يُضارَعان، ودرَّبهما على الموسيقى والألعاب الرياضيّة وعلى كل أنواع الفنون ـ كانا في هذه النقاط على المستوى عينه مع الأفضل ولم يكن لديه أيّة رغبة لجعلهما رجلين صالحين؟ لا، بل ينبغي أنّه تاق إلى ذلك. لكنّ الفضيلة، كما أشتبه، لا يمكن أن تُعلَّم. وأنت لا يمكن أن تفترض أنّ الأساتذة غير المؤهلين قد كانوا فقط النوع الأقلّ جدارة من الأثينيين وقلةً في العدد. تذكّر مرة ثانية أن ثيسيدايدس ربّى ولدين، ميليسياس وستيفانوس، اللذين بجانب إعطائهما تعليماً جيداً في الأشياء الأخرى، درَّبهما في المصارعة، وكانا أفضل مصارعين في أثينا. تعهَّد أحدهما رعاية أكسانثياس، وتعهَّد الآخر رعاية يودوروس الذي احتفل به كأمهر مصارعي تلك الأيام. هل تتذكرهما؟

انيتوس: إنني سمعت عنهما.

سقراط: والآن أيمكن أن يوجد هناك شكّ من أن ثيسيدايدس، الذي تعلَّم أطفاله أشياءَ والذي أنفق عليهما المال من أجل التعليم، أيمكن أن يكون هناك شكّ في أنّه سيعلّمهما ليكونا رجلين صالحين، والذي لم يكن ليكلِّفه شيئاً، إذا أمكن للفضيلة أن تُعلَّم؟ هل ستردُّ بأنّه كان رجلاً لا أهميّة له، ولم يمتلك العديد من الأصدقاء بين الأثينيين والحلفاء؟ لا، بل إنّه كان من عائلة عظيمة، ورجلاً ذا تأثير في أثينا وفي هيلاس كلها، وإذا كانت الفضيلة ممكن تعليمها، كان بوسعه أن يجد أثينياً ما أو غريباً ليجعل ولديه رجالاً صالحين، إذا كان ينقصه الوقت اللازم لهما لعنايته بالدولة. مرّة أخرى،

إنّني أشتبه، يا صديقي أنيتوس، أنّ الفضيلة ليست شيئاً يمكن أن يُعلَّم.

انيتوس: يا سقراط، أعتقد بأنّك مستعد أكثر من اللازم كي تتكلّم بالسوء عن الرجال. وإذا ما كنت ستأخذ بنصيحتي، فأنا سأنصحك أن تكون حذراً. لربّما ليس هناك مدينة لا يكون أسهل من إيذاء الرجال فيها بدلاً من أن تفعل لهم خيراً، وهذه هي الحال في أثينا بالتأكيد، كما أعتقد بأنّك تعرف ذلك.

سقراط: أعتقد، يا مينون، أنّ أنيتوس هو في نوبة من الغضب الشديد، ويمكنه جداً أن يكون كذلك. فهو يعتقد، في المكان الأوّل، أنّني أشهّر بهؤلاء الأسياد؛ وفي المقام الثاني، هو يرى نفسه واحداً منهم. لكنّه لا يعرف الآن ما هو معنى التشهير، وإذا ما عرف قطّ، فإنّه سيسامحني. سأعود إليك في غضون ذلك، يا مينون؛ إفترض أنّه يوجد أسيادٌ في منطقتك أيضاً.

مينون: يوجد بدون ريب.

سقراط: وهل سيُقدِّمون ليعلموا الشباب؟ وهل يدّعون أنّهم معلّمون؟ وهل يوافقون على أنّ الفضيلة يمكن تعليمها؟

مينون: لا، حقّاً يا سقراط، إنّهم يفكرون بأيّ شيء ما عدا الموافقة؛ يمكنك أن تسمعهم حيناً يقولون إنّ الفضيلة يمكن تعليمها، ويقولون بعدئذ العكس مرّة ثانية.

سقراط: أنقدر أن نسمّي أولئك معلّمين، وهم لا يقرّون حتى بإمكانيّة مهنتهم الخاصة؟

ينون: إنّني لا أعتقد ذلك، يا سقراط.

سقراط: وماذا تفكّر بهؤلاء السوفسطائيين الذين هم الأساتذة فقط؟ هل يبدون لك أنّهم معلمو الفضيلة؟

مينون: إنّني غالباً ما أتعجّب، يا سقراط، من أنّ جورجياس لم يُسمع أبداً واعداً

بتعليم الفضيلة، وعندما يسمع الآخرين واعدين بتعليمها فإنّه يضحك منهم فقط؛ لكنّه يعتقد بأنّ على الرجال أن تُعلَّم لتتكلم.

سقراط: تعتقد أنت إذن أنّه لا هو ,ولا السوفسطائيون هم المعلّمون.

مينون: لا أستطيع أن أخبرك، يا سقراط؛ مثلي في ذلك مثل بقية العالم. إنّني في شكّ، وأعتقد بعض المرّات أنّهم المعلّمون وبعض المرّات لا.

سقراط: وهل أنت دارٍ بأنّك لست أنت فقط ولا السياسيون الآخرون الذين يساورهم الشكّ إذا ما كان يمكن للفضيلة أن تُعلَّم أو لا، بل إن ثيوجينز الشاعر يقول الشيء عينه بالتحديد؟

مينون: أين يقول ذلك؟

سقراط: في هذه المقاطع الرثائيّة:

« كل واشرب واجلس مع القويّ، واجعل نفسك مقبولاً بهم، لأنّك ستتعلّم من الخيّر ما يكون خيراً، لكنك إذا اختلطت بالشرّير فستخسر الذكاء الذي تمتلكه مسبقاً ».(٢٠)

هل تلاحظ أنّه يبدو هنا بأنّه يعني ضمناً أنّ الفضيلة يمكن تعليمها؟

مينون: بوضوح.

سقراط: لكنّه يتحوّل في مقاطع أخرى ويقول:(٢١)

« إذا أمكن للفهم أن يُخلق ويُوضع في إنسان فحينئذ هُمْ »، القادرون على أن يؤدُّوا هذا العمل المجيد. « سيكتسبون جوائز كبيرة ».

ومرّة ثانية:

« لن يتحدَّر أبداً ابنٌ شرّير من أبٍ صالح، فهو سيسمع صوت التعليم؛ غير أنّه ليس بالعلم ستخلق رجلا شرّيراً ورجلاً خيّراً ».

وهذا، كما تلاحظ، يناقض تماماً ما قاله سابقاً.

مينون: بجلاء.

سقراط: وهل يوجد أيّ شيء آخر يُعترف فيه أنّ هؤلاء الأساتذة هم جهلة أنفسهم، بعيداً عن كونهم معلّمين للآخرين، وأنّهم غير مؤهّلين في هذا الموضوع، وبالتحديد الذين يدّعون تعليمه؟ أو هل يوجد أيّ شيء آخر المعترف بهم أنّهم على وشك امتلاكه، في هذه الحال فإنّ هؤلاء « الأسياد » يقولون بعض المرات إنّ « هذا شيء يمكن تعليمه » والعكس بعض المرات؟ هل تستطيع أن تقول إنّهم هم المعلمون حقاً في أيّ منطق حقّ تكون أفكارهم في اضطراب كهذا؟

مينون: عليّ أن أقول، لا بكلّ تأكيد.

سقراط: لكن إذا لم يكن مينونون ولا الأسياد المعلمون، فلا يمكن أن يوجد هناك أي معلمين للفضيلة بجلاء.

مينون: لا.

سقراط: وإذا كان لا يوجد معلمون، فلا يوجد مريدون؟

مينون: موافق.

سقراط: واعترفنا نحن أنّ الشيء الذي ليس له معلمون ومريدون لا يمكن أن يُعلَّم؟

مينون: اعترفنا.

سقراط: ولا يوجد معلّمون للفضيلة يمكن اكتشافهم في أيّ مكان؟

مينون: لا يوجد.

سقراط: وإذا لم يوجد معلمون، ليس هناك طلبة؟

مينون: أعتقد أنّ ذلك حقيقي.

سقراط: إذن الفضيلة لا يمكن تعليمها؟

مينون: ليس إذا تناقشنا بحقّ. لكنّني لا أستطيع الاعتقاد، يا سقراط، بأنّه لا يوجد رجالٌ أخيار. وإذا وُجدوا، فكيف أتوا إلى الوجود؟

سقراط: إنّي خائف، يا مينون، من أنّك أنت وأنا لا نصْلح لشيء كثير، وأنّ

جورجياس كان معلّماً فاشلاً لك كما قد كان بروديكوس لي. إنَّ علينا أنْ نُعنى بأنفسنا بكلّ تأكيد، وأن نحاول ايجاد شخصٍ ما ليساعدنا بطريقة أو أخرى كي نحسّن أنفسنا. أقول هذا، لأنّني ألاحظ، وبشكل منافٍ للمنطق كفاية، أنّه لا أحد منا راقب في المحادثة السابقة وهو أنّ العمل المحقّ والصالح يكون ممكناً لرجلٍ تحت هداية أخرى غيراً من تلك التي للمعرفة. لربّما كان ذلك هو السبب الذي من أجله أخفقنا في اكتشاف كيفيّة انتاج الرجال الأخيار.

مينون: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: إنّك سترى ان الرجال الأخيار نافعون بالضرورة؛ ألم نكن محقّين في اعترافنا بهذا؟ يجب أن يكون كذلك.

مينون: نعم.

سقراط: وفي الافتراض أنّهم سيكونون نافعين، إذا كانوا مرشدين حقيقيين لنا في العمل ـ هناك كنا محقّين أيضاً؟

مينون: نعم.

سقراط: لكنّنا عندما قلنا إنّ الإنسان لا يستطيع أن يكون هادياً صالحاً إلا إذا امتلك المعرفة نبدو في هذا أنّنا أدخلنا اعترافاً مغلوطاً.

مينون: ماذا تعني بـ « الهادي الصالح »؟

سقراط: إنّني سأشرح لك. إذا عرف إنسان الطريق إلى لاريسا، أو إلى أيّ مكانٍ آخر، وذهب هو إلى المكان وقاد الآخرين إلى هناك، ألن يكون هو هادياً صالحاً وخيّراً؟

مينون: بالتأكيد.

سقراط: وسيكون هادياً صالحاً الشخص الذي كان له رأي صحيح بشأن الطريق، لكنّه لم يكن هناك أبداً ولم يعرفه، أليس كذلك؟

مينون: بدون ريب.

سقراط: وبينما يمتلك هو الرأي الصحيح بخصوص ذلك الذي يعرفه الآخرون، فإنّه سيكون هادياً صالحاً بالصلاح عينه ذلك تماماً إذا ما اعتقد بالحقيقة فقط، مَثَله في ذلك مَثَلُ من يعرف الحقيقة.

مينون: بالضبط.

سقراط: إذن فإنّ الرأي الحقّ يكون صالحاً بالصلاح عينه تماماً كي يصحّح العمل كما تصحّحه المعرفة؛ وتلك هي النقطة الأساسيّة التي أسقطناها في تأمّلنا بشأن طبيعة الفضيلة عندما قلنا بأنّ المعرفة تُرشِد العمل الصحيح فقط، في حين أنّه يوجد رأي حقّ أيضاً.

مينون: يبدو هكذا.

سقراط: إذن فإنّ الرأي الحقّ لا يكون أقلّ نفعاً من المعرفة؟

مينون: ثمّة فرق، يا سقراط؛ إنّ من يحوز المعرفة سيكون محقّاً على الدوام، لكن من يمتلك الرأي الصحيح سيكون محقّاً بعض المرات، وبعض المرات لا يكون.

سقراط: ماذا تعني؟ أيمكن أن يكون مخطئاً مَنْ لديه الرأي الصحيح وما فتىء يمتلكه؟

مينون: إنّني أعترف بقوة حجّة محاورتك المقنعة، ولذلك، يا سقراط، فإنّي أتساءَل أنّ المعرفة يجب أن تُكافأ أبداً بكثير ممّا يُكافأ الرأي الصحيح ـ أو لِمَ هما سيتباينان قط؟

سقراط: وهل سأشرح لك تساؤلك هذا؟

مينون: أخبرني.

سقراط: إنّك لن تتساءَل إذا ما راقبت تماثيل دايدالوس قط[٢٢]؛ لكن لربما لم تحصلوا عليها في بلادكم؟

مينون: وما علاقتها بالسؤال؟

سقراط: لأنّها تحتاج للإثبات كي تُصان، وإذا لم تُثبَّت فإنّها ستهرب مثل العبيد الآبقين.

مينون: حسناً، وماذا عن ذلك؟

سقراط: أعني أنّها ليست باقتناءٍ ثمينٍ جداً، مِثلُها مِثلُ العبيد الهاربين، إذا كانوا مُطلَقي الحريّة، لأنّهم سيأخذون ما ليس لهم. لكنها عندما تُثبَّت فإنّ قيمتها كبيرة لأنّها تكون عملاً فنيّاً رائعاً بحقّ. والآن هذه هي صورة توضيحيّة لطبيعة الآراء الحقيقية: طالما تقيم معنا فإنّها جميلة ومثمرة ولا شيء سوى أنّها خيِّرة، لكنّها تهرب خارجَ الروح الإنسانيّة ولا تهتمّ بأن تبقى فيها طويلاً، ولذلك فهي ليست ذات قيمة كثيرة أو إذا تثبّتت بفهم منطقي للأسباب. وهذا التثبيت لها، أيّها الصديق مينون، هو التذكّر، كما اتفقنا أنا وأنت على تسميتها. لكنّها عندما تُقيَّد فإنها تبلغ لتكون معرفة، في المقام الأوّل؛ وفي المقام الثاني فإنّها تقيّم في الروح. ومن أجل هذا تكون المعرفة أكثر تمجيداً وامتيازاً من الرأي الصحيح لأنّها مثبّتة بسلسلة.

مينون: حقاً، يا سقراط، يبدو أنّ شيئاً ما من هذا النوع يكون محتملاً.

سقراط: أنا أيضاً أتكلّم جهلاً بالأحرى؛ إنّني أخمّن فقط. ومع ذلك فإنّ تلك المعرفة تختلف عن الرأي الصحيح وهذه ليست بمسألة تخمينيّة بالنسبة لي. ليس هناك أشياء عديدة أدّعي أنّني أعرفها، لكن هذه من بين المسائل الأكثر تأكيداً.

مينون: نعم، يا سقراط؛ وأنت محقّ تماماً في قولٍ كهذا.

سقراط: أو لست محقّاً أيضاً في القول إنّ الرأي الحقّ الذي يهدي الطريق يتمّم أيَّ عمل كما تكمّله المعرفة تماماً؟

مينون: هناك مرّة ثانية، يا سقراط، أعتقد بأنّك محقّ.

سقراط: إذن لا يكون الرأي الصحيح للعمل أدنى ذكاءً من المعرفة، ولا أقل نفعاً. ولا يكون الرجال الذين يمتلكون رأياً صحيحاً أدنى ممّن يمتلك معرفة.

مينون: صدقاً.

سقراط: ولقد اعترفنا بأنّ الإنسان الصالح يكون نافعاً بكلّ تأكيد.

مينون: نعم.

سقراط: مشاهدين عندئذ أنّ الرجال يصبحون أخياراً أو نافعين للدول « إذا فعلوا »، ليس لأنّهم يحوزون معرفة فقط، بل لأنّهم يمتلكون رأياً صحيحاً، ولا تُعطى المعرفة ولا الرأي الصحيح للإنسان بالطبيعة أو تُكتسب به ـ هل تتصوّر أنّ أحدها يُعطى بالطبيعة؟

مينون: لست أنا.

سقراط: اذا لم يعطيا بالطبيعة إذن، فلا يكون الخيِّر بالطبيعة خيّراً؟

مينون: لا بكلّ تأكيد.

سقراط: وكون الطبيعة مُسْتَبْعَدَة، يأتي السؤال التالي بعدئذ وهو إذا ما كانت الفضيلة مكتسبة بالتعليم؟

مينون: نعم.

سقراط: وإذا كانت الفضيلة حكمة عمليّة، يمكن تعليمها عندئذ، كما فكّرنا؟

مينون: نعم.

سقراط: وإذا أمكنَ تعليمها فهي كانت حكمة؟

مينون: بالتأكيد.

سقراط: وإذا وجد أساتذة، أمكن تعليمها؛ لكن إذا لم يوجد أساتذة، فلا؟

مينون: حقاً.

سقراط: غير أنّنا اعترفنا بكلّ تأكيد أنّه لا يوجد معلمون للفضيلة.

مينون: نعم.

سقراط: هكذا فإنّنا اعترفنا بأنّها لا يمكن تعليمها، وأنّها ليست حكمة.

مينون: بالتأكيد.

سقراط: واعترفنا بأنّها كانت خيراً مع ذلك.

مينون: نعم.

سقراط: وذلك الذي يهدي على نحوٍ قويم يكون نافعاً وخيِّراً.

مينون: بدون ريب.

سقراط: وأنّ الهاديَيْن الحقيقيَّين للمخلوقات الإنسانية هما المعرفة والرأي الحقّ ـ الأشياء التي تسير على نحو صحيح بصدفةٍ سعيدةٍ ما لا تفعل هكذا بدليلٍ إنساني ـ وعندما يقود الدليل الإنساني على نحوٍ قويم، يجب أن تكون الهداية بواحدٍ من هذين الاثنين، الرأي الحقّ والمعرفة.

مينون: إنّني أعتقد هكذا أيضاً.

سقراط: لكن إذا كانت الفضيلة لا تعلَّم، فإنها لا تكون معرفة.

مينون: لا بوضوح.

سقراط: إذن لقد وُضع جانباً واحد من بين شيئين اثنين صالحين ونافعين، ولا يمكن افتراض أنّه مرشدنا في الحياة السياسيّة.

مينون: إنّني لا أعتقد ذلك.

سقراط: ولذلك ليس بأيّة حكمة، ولا بسبب أنّهم كانوا حكماء، فعل ثيميستوكلس وأولئك الآخرون الذين تكلّم عنهم أنيتوس أنّهم يحكمون دولهم. كان هذا هو السبب الذي من أجله كانوا غير قادرين لأن يجعلوا الآخرين كأنفسهم ـ بسبب أنّ فضيلتهم لم تكن مرتكزة على المعرفة.

مينون: من المحتمل أن يكون ذلك حقيقيّاً، يا سقراط.

سقراط: لكن إذا ليس بالمعرفة، فإنّ الخيار الوحيد الباقي هو أنّ رجال الدول يرشدون دولهم بالرأي الصحيح. إنّهم يحلّون في الصلة عينها للحكمة، كما

يحلّ المتنبّون والأنبياء الذين يقولون أشياء عديدة كذلك بحقّ عندما يكونون ملهمين، غير أنّهم لا يعرفون ما يقولون.

مينون: افترض هكذا.

سقراط: أوَ لاَ يمكننا أن نسمّي أولئك الرجال، يا مينون، « متنبّئين »، ليس لديهم فهم، وهم ينجحون في العديد من المآثر والكلمات العظيمة مع ذلك؟

مينون: بالتأكيد.

سقراط: سنكون محقّين إذن أيضاً في تسمية المتنبّئين، أولئك الذين كنا متكلمين عنهم لتوّنا، كمتنبّئين وأنبياء، بمن فيهم كلّ قبيلة الشعراء. نعم، ويمكننا أن نصنّف رجال الدول مع هؤلاء ليس بأقلّ من متنبّئين وملهمين، كونهم مُمْتَلِكِينَ بالله وممتلئين بروحه، والذين يقولون في حالتهم تلك العديد العديد من الأشياء العظيمة غير عارفين ما يقولون.

مينون: نعم.

سقراط: والنساء أيضاً، يا مينون، يدعونَ الرجال متنبئين ـ ألاَ يفعلنَ هنَّ ذلك؟ وعندما يثني الاسبرطيُّون على إنسانٍ خيِّر، يقولون « أنه يكون إنساناً متنبّئاً ».

مينون: وأعتقد، يا سقراط، بأنّهم محقّون؛ مع أنّه يمكن لصديقنا أنيتوس بالاحتمال الجدّي أن يستنتج إساءَة في الكلمة.

سقراط: إنّني لا أبدي اهتماماً بذلك؛ فيما يتعلّق بأنيتوس فستسنح فرصة أخرى للتحدث معه. دعنا نلخص التحقيق ـ يبدو أنّ النتيجة هي، إذا ما كنا محقّين في سير محاورتنا، أنّ الفضيلة ليست طبيعية ولا منقولة بالتعليم، بل هي مقدرة طبيعيّة يمنحها الله لأولئك الذين تُعطى لهم، وهي ليست مقدرة طبيعيّة مترافقة بسبب، إلاّ إذا أمكن الافتراض أنّه يوجد بين رجال الدول شخص ما قادر على تعليم هؤلاء الرجال. وإذا وجد شخص كهذا يمكن القول عنه إنّه يكون بين الأحياء. ما يقوله هوميروس إنّ تيرسياس كان بين

الأموات، « أنّه الوحيد الذي يمتلك فهماً، لكنّ الباقين هم ظلال متنقلة بسرعة من مكان إلى مكان ». سيكون هو فيما يخصّ الفضيلة حقيقة بين الأشباح في أسلوب مماثل.

مينون: إنّ ذلك لممتازٌ، يا سقراط.

سقراط: الاستنتاج إذن، يا مينون، هو أنّ الفضيلة تأتي بهبة الله لأولئك الذين تأتي إليهم. لكنّنا لن نعرف أبداً الحقيقة الأكيدة حتى نَعدَّ أنفسنا لنتساءل في طبيعة الفضيلة الجوهريَّة قبل أن نسأل كيف تُعطى هي. أخشى من أنّني ينبغي أن أذهب. لكن بما أنك أنت نفسك مقتنع، أقنع صديقنا أنيتوس. ولا تدعه يكون ساخطاً هكذا إذا استطعت أن تستميله، فستقدِّم خدمةً جليلةً إلى الشعب الأثيني.

محاورة يوثيفرو

افكار المحاورة الرئيسيَّة

يلتقي سقراط بيوثيفرو صدفةً في ردهة مبنى الملك آرخون، ويسأل الثاني الأوّل عن سبب وجوده في هذا المكان، وابتعاده عن قاعة المناقشات العامَّة، وعمّا يفعل هنا، فهو لا يستطيع أن يشترك في شكوى أمام الملك بالتأكيد، مثلما يفعل يوثيفرو.

إنّني لست بمشتكٍ على أحد، يا يوثيفرو، بل أنا المدَّعى عليه.

ماذا، من ادّعى عليك، يا سقراط؟

إنّه رجل شابّ معروف قليلاً، يا يوثيفرو، وأكاد لا أعرفه؛ إسمه ميليتوس، له أنف بشكل منقار، شعره سبطٌ، ولحيته نامية بشكل سيّيء. إنّه يتّهمني بأنّي أفسد عقول الشباب.

إنّ الصحيح سيثبت في النهاية، يا سقراط، وأعتقد بأنّه في مهاجمته لك إنّما يسدّد ضربةً إلى قلب الدولة. لكن كيف يقول إنّك تفسد الشباب؟

يقول إنّني أبتدع آلهة جديدة وأُنكر وجود القديمة، هذا هو أساس اتهاماته.

أفهم بأنّه يهاجمك، يا سقراط، بخصوص الإشارة الإلهيّة المعتادة التي تأتي إليك من حين إلى آخر، كما تقول. إنّه يعتقد بأنّك تستعمل ألفاظاً بمعنىً جديد وهو ذاهب ليستدعيك إلى محكمة العدل بسبب ذلك. يعرف هو بأنّ تهمة كهذه سيتقبّلها العالم باستعداد، كما أعرف هذا من نفسي جيّداً جداً؛ لأنّني عندما أتحدث في الجمعية العامة عن الأشياء الإلهيّة، وأتنبّأ بالمستقبلية منها يسخرون مني ويعتقدون بأنّني مجنون. مع ذلك فإنّ كلّ كلمة أقولها هي حقيقية. لكنهم يغارون منا جميعهم؛ وينبغي علينا أن نكون شجعاناً وأن لا نستكين لهم. وأجرؤ على

القول بأنّ الأمر سينتهي إلى لا شيء، وأنّك ستربح دعواك. وأعتقد بأنّي سأربح دعواي كذلك.

وما هي شكواك، يا يوثيفرو، وهل أنت المهاجِم أو المدافع؟

إنّني المهاجِم، يا سقراط، والمطارَد هو أبي، وأنا أتّهمه بقتل عبده. سأروي لك قصّة، وقصة ذلك وسببه. إنّ الضحيّة رجل فقير وتابع لي، وقد اشتغل معنا كعاملٍ في الحقل داخل مزرعتنا في ناكسوس، وحصل خصام ذات يوم بينه وبين أحد خدّامنا في البيت. وبينما كان هو سكران وفي نوبةٍ انفعالية ذبحه. بعد ذلك قيّده أبي بيديه ورجليه ورماه في حفرة عميقة، ثم أرسل رسولاً إلى أثينا كي يسأل شارح القانون الديني ماذا سيفعل به. في هذه الأثناء، لم يسهر أبي على خدمته ولم يعتنِ به لأنّه اعتبره قاتلاً؛ وظنّ أنّه لن يحصل له ضرر كبير حتى لو مات. وهذا هو ما حدث تماماً. توفّي العبد بتأثير البرد والجوع وألم القيد قبل أن يعود الرسول من رحلته وأخذ رأي شارح القانون الديني. إنّ أبي والعائلة غضبوا عليَّ لوقوفي بجانب القاتل ـ المقتول ومقاضاة أبي. يقولون إنّ أبي لم يقتل العبد، وإنّه وإنْ فعل، فالرجل الميّت لم يكن إلا قاتلاً، وما ينبغي عليَّ أن أبدي أيّة ملاحظة لأن آبناً يقاضي أباه للقتل عمداً، إنّما هو ولد عاق. يُظهر ذلك، يا سقراط، قلّة معرفتهم بما يفكر به الآلهة بشأن التقوى والعقوق.

يا للسماء يا يوثيفرو! وهل تكون معرفتك عن الدين وأشياء التقوى والعقوق هكذا دقيقة جداً؟ وافترض أنّ الظروف هي كما تعرضها، ألَستُ بخائفٍ من عدم قدرتك على فعل شيء عاقٍّ بتوجيه عملٍ كهذا ضد أبيك؟

إنّ الذي ميّز يوثيفرو والأفضل عن الدهماء، يا سقراط، هو معرفته الدقيقة بهذه الأشياء ككلّ. وكيف سأصلح لأيِّ شيءٍ بدونها؟

يا صديقي النادر! أعتقد بأنّني لا أستطيع عمل شيء أفضل من أن أكون تلميذك. إذنْ وقبل كلّ شيء فإنّني سأتحدّى ميليتوس عندما تأتي المحاكمة، وسأقول

له بأنّ لديّ اهتماماً عظيماً في القضايا الدينية على الدوام. والآن بما أنّه يتّهمني بتخيّلات متهوّرة وببدَع دينية، فأنا أصبحت أحد مريديك. وأنت، يا ميليتوس، كما سأقول له، تعترف بأنّ يوثيفرو هو عالم باللاهوت مهم، وهكذا يلزمك أن ترضى عليّ، وأن لا تقودني إلى محكمة العدل؛ وإلاّ فأنت ستبدأ باتهام من هو معلّمي، ومن سيكون سبب الدمار، ليس للشباب فقط، بل للمسنّين. وأقصد نفسي التي علّمها، وكذلك أبوه المسنّ الذي يؤنّب ويؤدّب. وإذا رفض ميليتوس أن يستمع إليّ واستمرّ في الوصول إلى هدفه، ولم يتحوّل الاتهام منّي إليك، فأنا لا أستطيع أن أفعل أفضل من أن أكرّر هذا التحدّي في محكمة العدل.

نعم، حقاً، يا سقراط؛ وإذا حاول هو أن يتّهمني فإنّي سأكون مخطئاً إنْ لم أجد فيه عيباً. إنّ محكمة العدل ستكون مشغولة به لوقتٍ طويل قبل أن تأتي إليّ.

بما أنّ هذا الميليتوس، يا يوثيفرو، قد اكتشفتني عيناه الثاقبتان، واتهمني بالعقوق، لهذا السبب، فإنّني أستحلفك لتقول لي ما هي طبيعة التقوى والعقوق، وما هما اللذان قلت بأنّك تعرفهما هكذا جيّداً. أليس أحدهما ضد الآخر؟

إنّ التقوى، يا سقراط، هي عمل ما أنا فاعل. بمعنى، متهماً أيّ شخص يذنب بجريمة القتل عمداً، ويقوم بتدنيس المقدّسات وانتهاك حرماتها، أو أيّة جريمة أخرى مشابهة ـ سواء كان أباك أو أمّك، أو غيرهما ـ ليس هناك فرق؛ أمّا العقوق فهو أن لا تتّهمهم وأن لا تقاضيهم. يجب أن يُعَاقب العاقّ هكذا، وهذا ما أكّدته الآلهة وعلى رأسهم زيوس. ولذلك أعرّف التقوى بأنّها تلك التي تكون عزيزة على الآلهة، والعقوق هو الذي لا يكون عزيزاً عليهم.

بعد أن ناقشنا تحديدك للتقوى والعقوق، يا يوثيفرو، إتفقت وإياك على تعريفٍ جديد، ولهذا السبب أقول، إنّ ما يكرهه الآلهة هو العقوق، والذي يحبّونه هو التقي المقدّس؛ وما يحبّه بعضهم ويكرهه البعض الآخر كليهما أو لا يكون سواهما. هل سيكون هذا تعريفنا للتقوى والعقوق؟

لِمَ لا، يا سقراط.

لِمَ لا، بالتأكيد، بقدر ما يخصّني، يا يوثيفرو، لا يوجد سبب لعدم كون ذلك. لكن إذا ما كانت هذه المقدّمة مقدّمة منطقيّة فستساعدك في تعليمي بشكل كبير، كما وعدتني، وهذا ما أعتبره عملاً شاقاً. دعنا نحقق في هذا التعريف الجديد ونرى إذا ما كان سيصمدُ لاختبار التحقيق هذا. لنسأل، هل يكون التقيّ أو المقدّس محبوباً من الآلهة لأنّه تقيّ، أو تقياً لأنّه محبوب من الآلهة؟ وبعد أن سقط هذا التعريف في اختبار التحقيق، تبدو لي، يا يوثيفرو، بأنّني عندما أسألك سؤالاً وهو: ما هي طبيعة التقوى، فأنت تقدّم لي صفةً فقط، وليس جوهراً ـ الصفة كونه محبوباً بالآلهة كلهم. لكنك لم تشرح لي بعد طبيعة القداسة. ولهذا، إذا تفضّلت، فإنّني أسألك أن لا تخفي كنزك، بل أن تبدأ مرّة ثانية، وتقول لي بصراحة، ما هي التقوى أو القداسة حقاً، وما هو العقوق؟

إنّني لا أعرف حقّاً، يا سقراط كيف أعبّر عمّا أعنيه، لأنّه بطريقة ما أو بأخرى، فإنّ التعريفات التي تقدّم، وعلى أيّما قواعد نركّزها، تبدو أنّها تدور دائريّاً وتفلت منا على الدوام. وبعد أن أعطيتك أمثلةً عديدة، يا يوثيفرو، فهل لك أن تعرّف لي معنى القداسة، وأن لا تخفي عنّي حكمتك؟

إنّ التقوى أو القداسة، يا سقراط، تبدو لي بأنّها ذلك الجزء من العدل الذي يختصّ بالرجال، وهي نوع من الخدمة الكهنوتيّة للآلهة. لكن بعد أن وقعت في الخطأ في هذا التعريف، أقول مجدّداً، إنّ التقوى أو القداسة هي تَعلُّم كيف ترضي الآلهة في القول والعمل، بالصلوات والتضحيات. إنّ تقوى كتلك هي خلاص العائلات والدول، والعقوق هو عكس ذلك كالأعمال والأقوال التي لا ترضي الآلهة، وهذا هو دمارها وخرابها.

وهل تعني أنّ التقوى، يا يوثيفرو، هي نوع من علم الصلاة والتضحية، وهي علم التماسِ وعطاء للآلهة. أخبرني لذلك من فضلك، ما هي طبيعة هذه الخدمة؟

لقد ظهرت أنّها الفن الذي تمتلكه الآلهة والرجال للتجارة مع بعضهم بعضاً، بعد جولة من البحث. وتقول أنت إنّ هذه الهبات هي تقدمات إجلال واحترام، وهي ما يرضيهم، لكنّها ليست مفيدة أو عزيزة عليهم. أقول لك إنّ كلّ التعريفات التي أعطيتها لم تصمد أمام المقدّمات المنطقية، لهذا السبب سأسألك مرّة أخرى كي تخبرني ما هي التقوى وما هو العقوق. وإذا لم تكن عارفاً بطبيعتهما، فإنّني لمتأكّد بأنّك لن تتّهم أباك المسنّ بالقتل عمداً، وذلك بالنيابة عن فلاح أرض.

سأخبرك في وقت آخر، يا سقراط، لأنّي بعجلةٍ الآن، وينبغي أن أذهب.

واحسرتاه! يا صديقي، وهل ستتركني في اليأس؟ كنت آمل أن تخبرني عن طبيعة التقوى والعقوق لأتثقف بها؛ وحينئذ يمكنني أن أُبرّىء نفسي من ميليتوس وتهمته. كنت سأخبره أنّ يوثيفرو نوّرني، وأنّي أعطيت أفكاراً متسرّعة وتأمّلات انغمست فيها بسبب الجهل فقط، أمّا الآن فأنا على وشك أن أحيا حياة أفضل.

محاورة يوثيفرو

أشخاص المحاورة

سقراط. يوثيفرو

المشهد: ردهة مبنى الملك آرخون.

يوثيفرو: ما الممكن حدوثه، يا سقراط، حتى تبتعد عن قاعة المناقشات العامّة؟ ماذا تفعل في ردهة مبنى الملك آرخون؟ لا يمكن أن تشترك أنت في شكوى أمام الملك، مثلي أنا، بكلّ تأكيد؟

سقراط: ليس في شكوى، يا يوثيفرو، إنّ الكلمة التي يستعملها الأثينيون هي، « إدّعاء ».

يوثيفرو: ماذا! أفترض أنّ شخصاً ما قد ادَّعى عليك لأنّني لا أستطيع التصديق أنّك أنت المدّعي على الآخرين.

سقراط: لا بالتأكيد.

يوثيفرو: إذن فإنّ شخصاً ما قد ادَّعى عليك؟

سقراط: نعم.

يوثيفرو: ومن هو؟

سقراط: إنّه رجل شاب وقليلاً ما يُعرف، يا يوثيفرو، وأنا لا أكاد أعرفه. إسمه ميليتوس، وهو من مقاطعة بيثيس. لربّما يمكنك أن تتذكّر مظهره. له أنف بشكل منقار، شَعره سَبْطٌ، ولحيته نامية على هيئة بشعة.

يوثيفرو: لا، إنّني لا أتذكّره، يا سقراط. لكن ما هي التهمة التي يسوقها ضدّك؟

سقراط: ما هي التهمة؟ حسناً، إنّها تهمة عظيمة على الأصحّ، تدل ضمناً على

درجةٍ من الفطنة أبعد من أن تكون جديرة بالازدراء في إنسان شابّ. يقول إنّه يعرف كيف يُفسَدُ الشباب، ويعرف مُفسِدهم. أتخيَّل أنّه يجب أن يكون رجلاً عاقلاً، ومشاهداً أنّني أكون عكس الإنسان الحكيم. فلقد اكتشفني، وهو في طريقه ليتّهمني بإفساد جيله، وأمّا أُمُّنا الدولة فستكون هي القاضي. إنّه الوحيد من بين كل رجالنا السياسيين الذي يبدو لي أنّه يبتدىء في الطريق الصحيح، ألا وهو زرع الفضيلة في الفتيان؛ هو مثل الزراع البارع، يجعل الشباب ذوي البراعم الجديدة من أولويات اهتماماته، ويبعدنا تماماً نحن الذين يتّهمنا بتدميرهم. إنّ هذه هي الخطوة الأولى؛ وبعدها فهو سيقوم بخدمة الأغصان الأكبر عمراً بكلّ تأكيد. وإذا ما واصل عمله كما ابتدأه، فإنّه سيكون محسناً شعبياً عظيماً جداً.

يوثيفرو: آمل أن يتمكّن من ذلك؛ غير أنّني أخشى على الأصحّ، يا سقراط، أن تكون الحقيقة في النهاية عكس ذلك. رأيي أنّه في مهاجمته لك إنّما يسدّد ضربةً إلى قلب الدولة. لكن بأيّة طريقة يقول بأنّك تفسد الفتيان؟

سقراط: بطريقة عجيبة تثير الدهشة. في البدء يقول إنّني مبتدع آلهة، وإنّني أخترع آلهة جديدة وأنكر وجود القديمة. هذا هو أساس اتهاماته.

يوثيفرو: أفهم، يا سقراط بأنه يعني مهاجمتك بخصوص الإشارة المعتادة التي تأتي إليك من حين لآخر، كما تقول. يعتقد بأنّك تستعمل ألفاظاً ذات معنىً جديد، وسيستدعيك إلى محكمة العدل بسبب ذلك. إنّه يعرف أنَّ تهمة كهذه سيتقبّلها العالم باستعداد وترحيب، كما أعرف هذا من نفسي جيّداً جداً لأنّني عندما أتحدَّث عن الأشياء الإلهيّة في الجمعيّة العامة، وأتنبّأ بالمستقبليّ منها، هُمْ يسخرون مني ويعتقدون أنّني رجل مجنون. مع ذلك فإنّ كلّ كلمة أقولها هي حقيقة، لكنهم يغارون منّا جميعاً وينبغي علينا أن نكون شجعان وأن لا نستكين لهم.

سقراط: إنّ سخريتهم، يا صديقي يوثيفرو، ليست بمسألةٍ ذات عاقبة كثيرة لأنّه يمكن لرجلٍ أن يُعتبر بأنّه حاذق؛ لكنّني أشتبه أنَّ الاثينيين لا يزعجون أنفسهم كثيراً بشأنه حتى يبتدىء بنقل حكمته إلى الآخرين. وحينئذ، لسببٍ ما أو لآخر، أوه لربّما من الغيرة، كما تقول، فهم يكونون غاضبين.

يوثيفرو: ليس لديّ رغبة كبيرة لأختبر مزاجهم نحوي بهذه الطريقة.

سقراط: لا شكّ بأنّهم يعتقدون أنّك متحفّظ في تصرّفك، ولا تريد أن تنقل حكمتك. لكنني مفطورٌ على حبّ الخير في إغداق ما بنفسي على كلّ شخص، وسأدفع المال حتّى لمن يستمع إليّ، وإنّني لأخشى أن يعتقدوني الأثينيون ثرثاراً أكثر ممّا ينبغي. والآن إذا كانوا سيضحكون عليّ فقط، كما أقول، وكما تقول أنت أنّهم يسخرون منك، فالوقت يمكن أن ينقضي بمرحٍ كافٍ مع المزاح والبهجة في المحكمة. وبعدئذ ماذا ستكون النهاية؟ فأنتم وحدكم أيّها المتنبّئون تستطيعون أنْ تتنبّؤوا.

يوثيفرو: أجرؤ على القول بأنَّ الأمر سينتهي إلى لا شيء، يا سقراط، وستربح دعواك؛ وأعتقد بأنّي سأفوز بدعواي كذلك.

سقراط: وما هي شكواك، يا يوثيفرو؟ هل أنت المهاجِم أو المُدافِع؟

يوثيفرو: إنّني المهاجِم.

سقراط: لمن تهاجِم؟

يوثيفرو: عندما أخبرك، فإنّك سوف تعي سبباً آخر لزعم جنوني.

سقراط: لماذا، هل لدى الهارب أجنحة؟

يوثيفرو: لا إنّه ليس بقادرٍ جدّاً على الطيران في زمِن حياته.

سقراط: من هو؟

يوثيفرو: إنّه أبي.

سقراط: يا سيّدي العزيز! أبوك حقّاً؟

يوثيفرو: نعم.

سقراط: وبماذا يُتّهم؟

يوثيفرو: بالقتل عمداً، يا سقراط.

سقراط: يا للسّماء! كم يعرف الجمهور العام قليلاً، يا يوثيفرو، عن طبيعة الحقّ والحقيقة! ينبغي على الإنسان أن يكون إنساناً غير عاديّ، وأن يكون متقدّماً في الحكمة بسرعة، قبل أن يتمكن من رؤية طريقةٍ ليقوم بعملٍ كهذا.

يوثيفرو: حقاً، يا سقراط، يلزمه عمل ذلك.

سقراط: أعتقد أنَّ الرجل الذي قتله أبوك كان واحداً من عائلتك ـ أنّه كان كذلك بوضوح؛ إذ لو كان غريباً لما فكر في قتله قطّ.

يوثيفرو: يسلّيني، يا سقراط، أن تميّز بين الشخص الذي هو عضو من العائلة وبين شخص مغاير لأنّ التدنّس هو الشيء عينه في كلتا الحالتين بدون ريب، إذا تزاملت مع القاتل عمداً بمعرفةٍ منك في حين أنّه ينبغي عليك أن تطهّر نفسك وتطهّره بإقامة الدعوى عليه. إنّ السؤال الحقيقيّ هو إذا ما قد قُتِلَ الرجل الذي ذُبِحَ عمداً بعدل. إنْ بعدل، فواجبك أن تدع المسألة وشأنها. لكن إذا بظلم، فما عليك عندئذ إلاَّ أن تقيم الدعوى على القاتل عمداً. إذن، كيف تقول إنّه يعيش وإياك تحت سقف واحد ويأكل على الطاولة عينها. في الحقيقة، الرجل المتوفى كان فقيراً وتابعاً لي اشتغل معنا كعاملٍ في الحقل داخل مزرعتنا في ناكسوس. ويوماً ما حصل خصام بينه وبين أحد خدامنا في البيت بينما كان سكران وفي نوبةٍ انفعاليّة فذبحه. قيّده أبي بيديه ورجليه ورماه في حفرةٍ عميقة، وأرسل رسولاً لأثينا بعدئذ كي يسأل شارح القانون الديني ماذا سيفعل به. في غضون ذلك لم يسهر على خدمته ولم يعتنِ به لأنّه اعتبره قاتلاً وظنّ أنّه لا ضرر منه حتى وإن مات. وهذا ما حدث تماماً لأنّه كان تحت تأثير البرد والجوع وألم القيد، ومات قبل أن

يعود الرسول من رحلته وأخذ رأي شارح القانون الديني. إنّ أبي والعائلة غاضبون عليَّ لوقوفي بجانب القاتل ومقاضاة أبي. يقولون إنّه لم يقتله، وإنّه وإن فعل، فالرجل الميّت لم يكن إلا قاتلاً، وما يجب عليَّ أن أبدي أيّة ملاحظة لأنّ ابناً يقاضي أباه عمداً إنّما هو ولد عاق. يُظهر ذلك، يا سقراط، قلة المعرفة بما يفكر به الآلهة بشأن التقوى والعقوق.

سقراط: يا للسماء، يا يوثيفرو! وهل تكون معرفتك عن الدين وأشياء التقوى والعقوق جدٌّ دقيقة هكذا؟ وافترض أنّ الظروف هي كما تعرضها، ألست بخائفٍ لئلاّ يمكن أن تفعل شيئاً عاقاً بتوجيه عمل كهذا ضد أبيك؟

يوثيفرو: إنّ الذي ميّز يوثيفرو والأفضل، يا سقراط، عن الدهماء، هو معرفته الدقيقة بكلّ الأشياء كهذه. وكيف سأصلح لأيّ شيء بدونها؟

سقراط: يا صديقي النادر! أعتقد بأنّه ليس أفضل لي من أن أكون تلميذك. إذن وقبل أن تأتي المحاكمة مع ميليتوس فإنّني سأتحدّاه، وأقول له إنّ لديَّ اهتماماً كبيراً في القضايا الدينية على الدوام. والآن، بما أنّه يتّهمني بتخيلاتٍ متهوّرة وبِبِدَعٍ في الدين، فأنا أصبحت أحد مريديك. وأنت، يا ميليتوس، كما سأقول له، تعترف بأنّ يوثيفرو عالم لاهوتٍ مهم، وهكذا يلزمك أن ترضى عليَّ، وأن لا تقودني إلى محكمة العدل؛ وإلاّ فأنت ستبدأ باتّهام من يكون معلّمي ومن سيكون سبب الدمار، ليس للشباب، بل للمسنّين؛ أقصد نفسي التي علّمها، وأبوه المسنّ الذي يؤنّب ويؤدّب. وإذا رفض ميليتوس أن يستمع إليَّ واستمرّ في الوصول إلى هدفه، ولم يحوّل الاتهام مني لك، فأنا لا أستطيع أن أفعل أفضل من تكرار هذا التحدّي في محكمة العدل.

يوثيفرو: نعم، حقا، يا سقراط؛ وإذا حاول هو أن يتّهمني فإنّي سأكون مخطئاً إذا لم أجد عيباً فيه. إنّ محكمة العدل ستكون مشغولة به لوقت طويل قبل أن تأتي إليَّ.

سقراط: وأنا عارف بهذا، يا صديقي العزيز، وكلّي أمل لأصبح أحد مريديك لأنّني ألاحظ أن لا أحد يبدو ليراقب هذا ـ ليس حتى هذا الميليتوس. غير أنَّ عينيه الثاقبتين اكتشفتني في الحال، واتهمني بالعقوق، ولهذا السبب، فإنّني أستحلفك أن تقول لي ما هي طبيعة التقوى والعقوق اللذين قلت إنّك تعرفهما جيّداً، وكذلك في نسبتهما إلى القتل عمداً وإلى الجرائم ضدّ الآلهة بشكل عامّ. أليست التقوى في كلّ عمل هي الشيء عينه على الدوام؟ أليس العقوق، مرّة ثانية، ضدّ التقوى دائماً، والشيء عينه مع نفسه أيضاً، وأن له كعقوق، فكرة أو شكلاً واحداً يشمل العقوق مهما يكن؟

يوثيفرو: لتكن متأكداً، يا سقراط.

سقراط: وما هي التقوى، وما هو العقوق؟

يوثيفرو: إنّ التقوى هي ما أنا فاعل، بمعنى أنّني الشخص المذنب بجريمة القتل عمداً، المذنبُ بتدنيس المقدّسات وانتهاك حرماتها، أو بأيَّة جريمة أخرى مشابهة، سواء أكان أباك أو أمك، أو غيرهما لا فرق في ذلك. أمّا العقوق فهو أن لا تتّهمهم وأن لا تقاضيهم. ومن فضلك أن تتأمّل مليّاً، يا سقراط، أيّ برهان جدير ذكره سأعطيك، وأنّ هذا البرهان هو القانون، برهان أعطيته مسبقاً إلى الآخرين، ـ أعني البرهان الذي يرتكز على المبدأ وهو أنّه لا ينبغي أن يُترك العاقّ بدون عقاب أيّاً كان أو يمكن أن يكون. إذ، ألا يعترف الرجال بأنّ زيوس هو كأفضل وأكثر الآلهة صلاحاً؟ ومع ذلك فهم يعترفون بأنّه قيّد أباه « كرونوس » لأنّه قضى على أولاده بخبث، وأنّه عاقب أباه « أورانوس » لسبب مماثل، وفي أسلوب مجهول. وبرغم هذا فإنّي عندما أقيم دعوى ضدّ أبي، يغضبون منّي. ولذلك فهم غير منسجمين في طريقة كلامهم عندما يكون الآلهة هم المعنيّين، وحينما يعنيني أنا بالذات.

سقراط: ألا يمكن أن يكون هذا هو السبب، يا يوثيفرو، الذي من أجله أُتَّهَمُ

بالعقوق؟ ذلك لأنني لا أتمكّن من احتمال هذه القصص عن الآلهة؟ أفترض أنّه يكون هذا حيث يعتقد الناس بأنّي أخطىء. لكن بما أنّك أنت المُخبِر عنهم بشكل جيّد توَافق على ما يقولون، وأنا لا أستطيع إلاَّ أن أصادق على جكمتك الأسمى. ما هو الشيء الآخر الذي أتمكن من قوله، معترفاً كما أفعل، بأنّي لا أعرف أيّ شيء عنهم؟ قل لي، بحبّ زيوس، إذا ما كنت تعتقد أنّها تكون هكذا بحقّ من غير ريب.

نعم، يا سقراط؛ ولا تزال هذه الأشياء هي الأكثر روعة، وهي التي جهلها الناس بشكل تامّ.

سقراط: وهل تعتقد حقاً أنّ الآلهة حارب بعضهم بعضاً، وعانوا من خصامات رهيبة، من معارك وما شابه، كما يقول الشاعر، وكما ترى أنت ذلك مصوَّراً في أعمال الفنانين الكبار؟ إنّ المعابد ممتلئة بأعمالٍ كتلك؛ وبشكل بارز رداء الآلهة أثينا، الذي حُمِلَ إلى الأكروبوليس في هيكل الآلهة العظيم، والمزخرف بها في كلّ مكانٍ منه. هل هذه القصص عن الآلهة حقيقية، يا يوثيفرو؟

يوثيفرو: نعم، يا سقراط؛ وكما كنت قائلاً، فإنّني أستطيع القول لك، إذا أحببت أن تسمع أشياء عديدة أخرى عن الآلهة والتي ستدهشك تماماً.

سقراط: أجرؤ على القول؛ وأنت سوف تخبرني عنها في وقت ما آخر حينما يكون عندي وقت للراحة. لكنّني سأفضّل بالأحرى في الوقت الحاضر أن أسمع منك جواباً أكثر دقّة، ذلك الذي لم تعطه على السؤال حتى الآن، يا صديقي. « ما هي التقوى »؟ عندما سُئلتُ أنت، أجبت فقط، « فاعلاً كما تفعل، متّهماً أباك بالقتل عمداً ».

يوثيفرو: وما قلته أنا كان حقيقياً، يا سقراط.

سقراط: لا شكّ، يا يوثيفرو؛ لكنك ستعترف بوجود العديد من الأعمال التقيّة الأخرى؟

يوثيفرو: صحيح.

سقراط: تذكّر أنّني لم أسألك أن تعطيني مثالين أو ثلاثة أمثلة عن التقوى، بل لتوضح الإطار العامّ الذي يجعل كلّ الأشياء التقيّة تقيّة. ألا تتذكّر قولك إنّ الإطار الواحد هو عينه الذي يجعل العاقّ عاقاً والتقيّ تقيّاً؟

يوثيفرو: إنّني أتذكّر.

سقراط: أخبرني إذن ما هو شكل هذا الإطار، وسيكون لديَّ بعدئذ مقياسٌ لذلك الذي يمكنني النظر إليه والذي أقدر على أن أقيس الأعمال به، سواء أكانت تلك التي تخصّك، أو التي تخص أيّ شخصٍ آخر، وسأكون قادراً حينئذ أنْ أقول بأنَّ هكذا وهكذا عملاً هو عمل تقيّ، وأنّ آخر عكس ذلك.

يوثيفرو: إنّي سأقول لك، إذا أحببت.

سقراط: سأحبّ أن تخبرني كثيراً وكثيراً جداً.

يوثيفرو: التقوى، إذن، هي العزيزة على الآلهة، والعقوق هو ما ليس عزيزاً عليهم.

سقراط: جيّد جداً، يا يوثيفرو؛ إنّك أعطيتني الآن نوع الجواب الذي أردته. لكن إذا كان ما تقوله حقيقياً أو لا، لا أقدر أن أخبره لحدّ الآن، ومع ذلك فإنّ الشكّ لا يخالجني في أنّك ستستمرّ كي تبرهن حقيقة كلماتك.

يوثيفرو: طبعاً.

سقراط: تعالَ، إذن، ودعنا نختبر ما نقول، وهو أنَّ الشيء أو الشخص الذي يكون عزيزاً على الآلهة يكون تقيّاً، وأنّ الشيء أو الشخص المكروه منهم يكون عاقّاً. إن هذين الشيئين أحدهما ضد الآخر إلى أقصى حدّ.

يوثيفرو: إنّهما كانا ذلك.

سقراط: وقيل هذا بجودة؟

يوثيفرو: نعم، يا سقراط، أعتقد هكذا.

سقراط: وأبعد من ذلك، يا يوثيفرو، فلقد تم الاعتراف بأنّ بين الآلهة خصومات وعداوات وخلافات.

يوثيفرو: نعم، قيل ذلك أيضاً.

سقراط: وأيّ نوع من الخلاف يخلق العداء والغضب؟ إفترض كمثال أننا، يا صديقي الصالح، نختلف على السؤال وهو أيّ المجموعتين هي أكثر عدداً؛ فهل ستجعلنا فروقٌ من هذا النوع أعداء وترمينا بنزاع في ما بيننا؟ ألن نتقدم إلى العدّ في الحال ونضع نهاية لنزاعنا؟

يوثيفرو: حقاً.

سقراط: وإفترض أنّنا نختلف بشأن الأجرام، ألا ننهي الخلاف بسرعة باللجوء إلى القياس؟

يوثيفرو: حقيقي جداً.

سقراط: وننهي الجدال بخصوص الثقيل والخفيف بالرّجوع إلى آلة الوزن؟

يوثيفرو: لتكن متأكّداً.

سقراط: لكن ما هي المسائل التي تنشأ بشأنها الاختلافات والتي لا يمكن تقريرها هكذا، ولهذا السبب تجعلنا غضاباً وتخلق بيننا خصومة؟ أجرؤ على القول إنّ الإجابة على هذا السؤال لا تخطر على بالك في هذه اللحظة، ولذلك فإنّي سأقترح بأنّ هذه العداوات ترتفع حدّتها عندما تكون قضايا الخلاف بشأن العادل والظالم، الخيّر والشرير، الشريف والخسيس. أليست هذه هي المواضيع التي يختلف بخصوصها الرجال والتي لسنا بقادرين على أن نحسم خلافاتنا بشأنها على نحوٍ مرضٍ. أنت وأنا وكلّنا نتخاصم، فمتى نتخاصم نحن(٢٣)؟

يوثيفرو: نعم، يا سقراط، إنّ طبيعة الخلافات التي نتخاصم بشأنها هي هكذا كما تصف.

سقراط: وعندما تحدث نزاعات الآلهة، يا يوثيفرو النبيل، تكون ذات طبيعة مشابهة؟

يوثيفرو: إنّها كذلك بدون ريب.

سقراط: إنَّ يختلفون رأياً، كما تقول، بشأن الخيِّر والشرير، العادل والظالم، الشريف والسافل. لن يكون هناك نزاعات بينهم، إذا لم تكن خلافات كهذه ـ فهل ستكون الآن؟

يوثيفرو: إنّك محقّ تماماً.

سقراط: ألا تحبّ كلّ فريق منهم ما يعتبره نبيلاً وعادلاً وخيِّراً، ويكره الأضداد؟

يوثيفرو: حقيقي تماماً.

سقراط: لكن، كما تقول، فإنّ فريقاً منهم يعتبر عدلاً الأشياءَ عينَها التي يعتقد الفريق الآخر أنها ظلم ـ هم يتجادلون بخصوص هذه الأشياء؛ وبالتالي تنشأ الحروب هناك ويستعر القتال.

يوثيفرو: حقيقي جداً.

سقراط: إذن فإنّ الأشياء عينها تكون مكروهةً من الآلهة ومحببة إليهم، وهي كذلك ممقوتة منهم وعزيزة عليهم؟

يوثيفرو: يبدو هكذا.

سقراط: وبناءً على هذه النظريّة فإنّ الأشياء عينها، يا يوثيفرو، ستكون تقيّة وغير تقيّة أيضاً؟

يوثيفرو: عليّ أن أفترض هكذا.

سقراط: إذن، يا صديقي إنّني ألاحظ بدهشة أنّك لم تجب على السؤال الذي طرحته. فأنا لم أسألك بكلّ تأكيد لتخبرني ما هو العمل الذي يكون تقيّاً وغير تقيٍّ في الوقت عينه؛ لكن سيبدو الآن أنّ ما يكون محبوباً من الآلهة هو مكروه منهم أيضاً. ولهذا السبب، يا يوثيفرو، فإنك في معاقبتك لأبيك يمكن أن تكون على الأرجح فاعلاً ما هو مقبول لدى زيوس لكنّه غير مقبول لدى كرونوس أو أورانوس، وما يكون مقبولاً لدى هيفياستوس لكنّه

غير مقبولٍ لدى هيرا، ويمكن أن يوجد آلهة آخرون لديهم خلافات رأيٍ متشابهة.

يوثيفرو: لكنّني أعتقد، يا سقراط، أنَّ كل الآلهة سيتفقون على معاقبة قاتلِ العمد. فلا مجال للخلاف في الرأي بشأن ذلك.

سقراط: حسناً، لكن دعنا نتكلم عن الرجال، يا يوثيفرو، هل سمعت أيّ شخص يجادل بأن القاتل عمداً يجب أن يترك وشأنه أو عن أيّ نوع آخر من فاعل الشرّ؟

يوثيفرو: عليّ أن أقول على الأصح إنّ هذه هي الأسئلة التي يتجادلون بشأنها، خاصة في محاكم القانون. هُمُ يرتكبون كل أنواع الجرائم، وليس هناك أي شيء يحجمون عن القيام به أو الإفصاح عنه في دفاعهم الخاص.

سقراط: لكن هل يعترفون هم بإثمهم، يا يوثيفرو، ويقولون إنّهم يجب أن لا يُعاقَبوا برغم ذلك.

يوثيفرو: لا، إنّهم لا يفعلون.

سقراط: يوجد إذن بعض الأشياء التي لا يجازفون في قولها وفعلها. فهم لا يخاطرون في أن يحاوروا في أنّهم إذا كانوا مخطئين سيمضون بدون عقاب، لكنّهم ينكرون خطيئتهم. ألا يفعلون ذلك؟

يوثيفرو: نعم.

سقراط: إذن فهم لا يحاورون في أن فاعل الشرّ يجب أن لا يُعاقب، لكنّهم يحاورون بشأن الحقيقة وهي من هو فاعل الشرّ، وماذا فعل ومتى؟

يوثيفرو: حقاً.

سقراط: ويكون الآلهة في الحالة عينها، إذا هُمُ كما تؤكّد أنت، يتخاصمون بخصوص العدل والظلم، ويقول بعضهم إن الظّلم يُمارَسُ بينهم فيما ينكر البعض الآخر ذلك. فلا الله بالتأكيد ولا الإنسان سيجازف أن يقول إنّ فاعل الظلم لا تجب معاقبته.

يوثيفرو: إنّ ذلك حقيقي، يا سقراط، بصورة عامة.

سقراط: لكنّهم يتّخذون موقفين متعارضين بشأن الخصوصيات ـ الآلهة والرجال بالطريقة عينها، ذلك إذا تخاصم الآلهة على الإطلاق حقاً؛ إنّهم يتباينون بخصوص عمل ما يُطرح على بساط البحث، والذي يؤكّد بعضهم أنّه يكون عدلاً والبعض الآخر أنّه يكون ظلماً. أليس ذلك حقيقياً؟

يوثيفرو: حقيقي تماماً.

سقراط: حسناً إذن، يا صديقي العزيز يوثيفرو، أخبرني، لأجل تعليمي المتناسب ومعلوماتي، أيّ برهان لديك أنت، أنّ في رأي كلّ الآلهة مِنْ أنّ خادماً يكون مذنباً بالقتل عمداً، وقُيِّد بالسلاسل من قِبَل سيّد الرجل الميّت، ومات بسبب تقييده في الأغلال قبل أن يتمكّن الذي كبَّله من معرفة ما يجب عليه عمله من مفسّري القانون الديني، ما يجب عمله بذاك الرجل. أقول، ما برهانُك على أنّه قُتِل ظلماً. وأنّه نيابة عن شخص كهذا يجب على إبنٍ أن يقاضي أباه وأن يتّهمه بالقتل عمداً. كيف ستُظهِر أنت أنّ كلّ الآلهة يتفقون في المصادقة على هذا العمل بشكلٍ مطلق؟ أثبت بالبراهين في أنّهم يفعلون، وأنا سأطري على حكمتك ما دمت حيّاً.

يوثيفرو: لا شكّ بأنّه سيكون عملاً شاقاً؛ مع ذلك فأنا أستطيع أن أجعل المسألة واضحة لك جداً.

سقراط: إنّني أفهم؛ تعني بأنّني لست سريع الفهم كما هُمُ القضاة لأنّك ستتأكّد من البرهنة لهم أنّ الفعل يكون فعلاً ظالماً ومكروهاً من كل الآلهة.

يوثيفرو: نعم حقاً، يا سقراط؛ إذا استمعوا لي على الأقلّ.

سقراط: لكنّهم سيكونون متأكّدين من أن يستمعوا لك إذا وجدوا أنّك متكلم حاذق. خطرت بذهني فكرة بينما كنت تتكلّم؛ قلت لنفسي: « حسناً، وماذا إذا برهن يوثيفرو لي أنّ كلّ الآلهة اعتبروا أنّ موت عبد الأرض

كالظلم، فكيف أعرف أيّ شيء أكثر عن طبيعة التقوى والعقوق؟ أو إذا منحنا ذلك وهو أنَّ هذا العمل يمكن أن يكون مكروهاً من الآلهة، مع هذا فإنّ التقوى والعقوق لا يزالان غير معرّفين بهذه التمييزات بشكلٍ كافٍ، لأنّه قد أُبين أنّ الذي يكون مكروهاً من الآلهة يكون عزيزاً عليهم أيضاً ». ولهذا السبب، يا يوثيفرو، أنا لا أسألك لتبرهن هذا؛ إنّني سأفترض، إذا أحببت، أنَّ كل الآلهة تدين وتمقت عملاً كهذا. لكنّني سأصلح هذا التحديد لهكذا بُعدٍ كي أقول، إنّ كلَّ ما يكرهه الآلهة يكون عاقاً، والذي يحبّونه يكون تقيّاً أو مقدَّساً؛ وما يحبّه بعضهم ويكرهه الآخرون يقبل الوجهين أو لا يقبلهما. فهل سيكون هذا تحديدنا للتقوى والعقوق؟

يوثيفرو: لِمَ لا، يا سقراط؟

سقراط: لِمَ لا! بالتأكيد، بقدر ما يخصّني، يا يوثيفرو، لا يوجد سببٌ لِمَ لا. لكن إذا ما كانت هذه المقدِّمة المنطقيّة ستساعدك بشكلٍ كبير في تعليمي، الذي هو عمل شاقّ، كما وعدتني، فتلك مسألة لك أن تتأمّلها مليّاً.

يوثيفرو: نعم، عليّ أنْ أقول إنَّ كلَّ ما يحبه الآلهة يكون تقيّا ومقدساً، وبالعكس فالذي يكرهونه كله، يكون عاقاً.

سقراط: أينبغي علينا أن نحقّق في صدق هذا القول، يا يوثيفرو، أو أن نقبله على مسؤوليتنا الخاصة، وأنَّ الآخرين يردّدون صدى التأكيدات المجرّدة؟ فماذا تقول؟

يوثيفرو: علينا أن نحقّق؛ وأعتقد بأنّ التصريح سيصمد لاختبار التحقيق.

سقراط: سنكون قادرين أن نقول ذلك أفضل عما قريب، يا صديقي الصالح. إنَّ النقطة الرئيسيّة التي عليّ أن أفهمها بادىء ذي بدء هي إذا ما كان التقيّ أو المقدَّس محبوباً من الآلهة لأنّه تقيّ، أو هو تقيٌّ لأنّه محبوب من الآلهة.

يوثيفرو: إنّني لا أفهم معناك، يا سقراط.

سقراط: سأحاول أن أشرح لك. نتكلم نحن عن الحَمْلِ وعن كون الشيء محمولاً، عن القيادة وعن كون المقاد، عن الرؤية وعن كون المرئي. تعرف أنت أن هناك فرقاً في حالاتٍ كهذه، وتعرف أين يقع التباين أيضاً.

يوثيفرو: أعتقد بأنني أفهم.

سقراط: أليس المحبوب مميّزاً من ذلك الذي يحبّ؟

يوثيفرو: بالتأكيد.

سقراط: حسناً؛ والآن قل لي، أيكون ذلك الذي يُحمَل في هذه الحالة للحمل لأنّه يكون محمولاً، أو يكون لسبب ما آخر؟

يوثيفرو: لا؛ إنَّ ذلك هو السبب.

سقراط: والشيء عينه هو حقيقي عمّا يُرشَدُ ويُرى؟

يوثيفرو: حقاً.

سقراط: وشيء واحد لا يُرى لأنّه مرئيّ، بل بالعكس، مرئيٌّ لأنه يُرى. ولا يكون شيئاً واحداً مُرشداً لأنّه يكون في حالة كونه مُرشداً، بل العكس لهذا. وأعتقد الآن، يا يوثيفرو، أنّ معناي سيكون مفهوماً؛ ومعناي هو أنَّ أيّة حالة للعمل أو الهوى تدلّ ضمناً على عملٍ أو هوىً سابق. إنّه لا يصبح لأنّه يكون مصبحاً، بل إنّه يكون في حالة المصبح لأنّه يصبح؛ ولا أنّه يعاني لأنّه يكون في حالة المعاناة، بل إنّه في حالة معاناة لأنَّه يعاني. ألا توافق؟

يوثيفرو: نعم.

سقراط: ألا يكون ذلك الذي يكون محبوباً في حالةٍ ما إمّا صائراً أو معانياً؟

يوثيفرو: نعم.

سقراط: ويثبت الشيء عينه كما في الأمثلة السابقة؛ فحالة كونك محبوباً تلي الفعل لكونك محبوباً، وليس الفعل الحالة.

يوثيفرو: بالتأكيد.

سقراط: وماذا نقول عن التقوى، يا يوثيفرو؟ أليست التقوى محبوبة من كل الآلهة، طبقاً لتعريفك؟

يوثيفرو: نعم.

سقراط: ألأنّها تكون تقيّة ومقدّسة، أو لسببٍ آخر ما؟

يوثيفرو: لا، ذلك هو السبب.

سقراط: إنّها تكون محبوبة لأنّها مقدّسة، وليست مقدّسة لأنها محبوبة منهم؟

يوثيفرو: على ما يبدو.

سقراط: وهي تكون هدف حبّ الآلهة، وعزيزة عليهم، لأنها محبوبة بهم؟

يوثيفرو: بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّ ذلك الذي يكون عزيزاً على الآلهة، يا يوثيفرو، لا يكون مقدّساً، وذلك المقدّس ليس عزيزاً على الآلهة، كما تؤكّد؛ لكنّهما يكونان شيئين مختلفين.

يوثيفرو: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: أعني أنّ المقدّس قد اعترفنا به أنّه محبوب لأنّه مقدّس وليس مقدساً لأنه محبوب.

يوثيفرو: نعم.

سقراط: لكن ذلك الذي يكون عزيزاً على الآلهة هو عزيز عليهم لأنّه محبوب منهم وليس محبوباً بهم لأنه عزيز عليهم.

يوثيفرو: حقاً.

سقراط: لكن، أيّها الصديق يوثيفرو، إذا كان ذلك الذي يكون مقدّساً الشيء عينه مع ذلك الذي يكون عزيزاً على الآلهة، وكان محبوباً لأنّه مقدس عندئذ فإنّ ذلك الذي هو عزيز على الآلهة سيكون محبوباً مثل كونه عزيزاً عليهم. لكن إذا كان ذلك الذي هو عزيز عليهم كان عزيزاً عليهم لأنّه محبوب

منهم، حينئذ فإنّ ذلك الذي يكون مقدّساً سيكون مقدّساً لأنّه محبوب منهم. لكنّك ترى الآن أنّ الحالة هي عكس ذلك، رأنّ الشيئين الإثنين هما مختلفان عن بعضهما بعضاً، لأنّ واحده هو من النوع الذي يُحبّ لأنه محبوب، أمّا الآخر فهو محبوب لأنّه من النوع الذي يُحبّ. هكذا تبدو أنت لي، يا يوثيفرو، عندما أسألك ما هي طبيعة التقوى، فأنت تقدّم صفة فقط، وليس جوهراً ـ الصفة كونها محبوبة من كل الآلهة. لكنّك حتى الآن، لم تشرح لي طبيعة التقوى، ولهذا السبب، إذا تفضلت، فإنّي أسألك أن لا تخفي كنزك، بل أن تبدأ مرّة ثانية وتقول لي بصراحة ما هي التقوى أو القداسة حقاً، إذا ما كانت عزيزة على الآلهة أوْ لا « لأنّ تلك مسألة لن نتخاصم بشأنها ». وقل لي كذلك ما هو العقوق.

يوثيفرو: إنّني لا أعرف حقّاً كيف أعبّر عمّا أعنيه، يا سقراط لأنّ التعريفات التي نقدّم بطريقة ما أو بأخرى، وعلى أيّما قواعد نركّزها، تبدو أنّها تدور في حلقة مفرغة وتفلت منّا على الدوام.

سقراط: إنّ كلماتك، يا يوثيفرو، هي مثل العمل اليدوي لسلفي دايدالوس؛ وإذا ما كنت أنا قائلها أو مقدّمها، يمكنك أن تجيب بسخرية من أنّ إنتاجي العقلي سيهربُ ولن يبقى مثبّتاً حيث وُضِع لأنّي متحدر من دايدالوس. لكن الآن، بما أنّ هذه الفرضيات تخصّك، ينبغي عليك أن تجد تعبيراً آخر ما لأنّها تُري بالتأكيد، كما تسمح أنت نفسك، تُري ميلاً لتنتقل من مكانٍ إلى آخر.

يوثيفرو: لا، يا سقراط، أعتقد أنّ التعبير متصلٌ بالموضوع على نحوٍ وثيق، لأنّك، أنت الدايدالوس الذي يضع المحاورات في حركة ولست أنا بكلّ تأكيد، بل أنت الذي تجعلها تتحرّك أو تدور، إذ لا يمكنها أن تتحرك تحركاً بسيطاً، بقدر ما يخصّني.

سقراط: إذن ينبغي أن أكون أعظم من دايدالوس لأنّه صنع اختراعاته الخاصّة به لتتحرّك فقط، في حين أنّني أحرّك تلك التي للآخرين أيضاً. لكنّ الجمال فيها هو أنّني لن أفعل ذلك بالأحرى. فأنا سأهبُ حكمة دايدالوس، وثراء تانتالوس، ليكونا قادرين على إعاقتها والاحتفاظ بها ثابتة. لكن كفايةً من هذا. إنّك مُفسَدٌ، كما أتصوّر، لذلك سأسعى لأبيّن لك كيف يمكنك أن تثقفني في طبيعة التقوى؛ وآمل أن لا تتذمّر من جهدك هذا. أخبرني بعدئذ، أليس كلُّ تقيٍّ عادلاً بالضرورة؟

يوثيفرو: نعم.

سقراط: وكلّ تقيٍّ عادل، عندئذ؟ أو، أيكون التقيُّ عدلاً جميعُهُ، لكنّ العادل يكون تقيّاً في الجزء فقط، لكن ليس في الكل؟

يوثيفرو: إنّني لا أفهمك، يا سقراط.

سقراط: ومع ذلك فأنا أعرف أنّك أعقل منّي بكثير، لكونك أفتى. لكنّي، كما قلت لك، يا صديقي المبجّل، أنت مُفْسَد بسبب غزارة حكمتك. من فضلك أن تبذل جهداً لأن هناك صعوبة حقيقية في فهمي. إنّ ما أعنيه يمكنني شرحه بمثلٍ موضِّح. يغني الشاعر « ستاسينوس »: « عن زيوس، المبدِع وخالق كلّ هذه الأشياء هو لن يتكلم عاراً؛ لأنّه حيث يوجد خوف توجد أيضاً مهابة ».

والآن أنا لا أتّفق مع هذا الشاعر. هل سأخبرك في أيٍّ وجه؟

يوثيفرو: مهما كلف الأمر.

سقراط: عليّ أن لا أقول إنّه حيث يوجد خوف توجد مهابةٌ أيضاً؛ إنّي لمتأكّدٌ بأنّ أشخاصاً عديدين يخافون الفقر والمرض، والشرور المشابهة، لكنني لا أتصوّر أنّهم يهابون بواعث خوفهم.

يوثيفرو: حقيقي تماماً.

سقراط: لكن حيث توجد المهابة، يوجد خوف؛ لأن مَن يمتلك شعوراً بالمهابة والحياء بشأن ارتكاب أيّ عمل يخشى ويخاف من السّمعة السّيئة.

يوثيفرو: بدون شكّ.

سقراط: نحن مخطئون في القول إذن بأنّه حيث يوجد خوف توجد مهابة أيضاً؛ وعلينا أن نقول، إنّه حيث توجد مهابةٌ يوجد خوف أيضاً. لكن لا توجد مهابةٌ على الدوام حيث يوجد خوف؛ لأنّ الخوف هو فكرة أكثر امتداداً، والمهابة هي جزءٌ من الخوف، تماماً كما يكون الرقم المفرد جزءاً من الأعداد، ويكون العدد فكرة أكثر امتداداً من الرقم المفرد. أفترض أنّك تتابعني بانتباهٍ.

يوثيفرو: حسناً تماماً.

سقراط: كان هذا هو نوع السؤال الذي عنيت أن أرفعه عندما سألتك إذا ما كان العادل هو التقي على الدوام، أو إذا ما كانت الحالة وهي أنّها حيث توجد التقوى يوجد العدل دائماً؛ لكن يمكن أن يوجد عدل حيث لا توجد تقوى لأنّ العدل هو الفكرة الأكثر امتداداً والذي تكون التقوى منه جزءاً. فهل تعارض ذلك؟

يوثيفرو: لا، أعتقد بأنّك محقّ تماماً.

سقراط: إذن، إذا كانت التقوى جزءاً من العدل، افترض بأنّه ينبغي علينا أن نتساءَل، أيُّ جزء هو؟ إذا تعقّبت أنت التحقيق في الحالات السابقة، كمثال، إذا ما سألتني ما هو الرقم المزدوج، وأيُّ جزء من العدد هو، فلا صعوبة عندي في الإجابة بأنّه الرقم الذي لا يفتقر إلى التناغم والانسجام، إذا جاز التعبير، بل يمثّل شكلاً له ضلعان متساويان. ألا توافق على هذا؟

يوثيفرو: نعم، إنّني أوافق تماماً.

سقراط: أريدك أن تقول لي في أسلوب مماثل أيّ جزء من العدل هي التقوى أو القداسة، كي يمكنني أن أخبر ميليتوس كي يمتنع عن ارتكاب الظلم بحقي،

أو أن يقاضيني بتهمة العقوق، كما ترشدني برأيك في طبيعة التقوى أو القداسة على نحوٍ وافٍ بالمراد، ومثلما تهديني إلى مضاداتها.

يوثيفرو: إنّ التقوى أو القداسة، يا سقراط، تبدو لي أنّها ذلك الجزء من العدل الذي يُعنى بالرجال.

سقراط: إنّ ذلك الجيّد، يا يوثيفرو. تبقى نقطة صغيرة مع ذلك والتي أحبّ أن أعرفها أكثر. ما هو معنى « العناية »؟ لأنّ العناية يمكن استعمالها في المعنى عينه بالكاد عندما تدل ضمناً على الآلهة مثلما حينما تدلّ ضمناً على الأشياء الأخرى. هكذا نستعملها نحن، أليس كذلك؟ كمثال، يقال إنّ الأحصنة تحتاج إلى العناية، وإنّ ليس كل شخص يقدر أن يقدّم العناية لها، بل الشخص الحاذق في الفروسيّة، أليس كذلك؟

يوثيفرو: بالتأكيد.

سقراط: عليّ أن أفترض أن فن الفروسية هو فن العناية بالأحصنة.

يوثيفرو: نعم.

سقراط: وليس كلّ شخص مؤهّلاً ليعتني بالكلاب، بل رجال الصيد فقط.

يوثيفرو: حقاً.

سقراط: وعليّ أن أتصوّر أيضاً انّ فنّ رجل الصيد هو فنّ خدمة الكلاب.

يوثيفرو: نعم.

سقراط: كما يكون فنّ خدمة الثيران هو فنّ السهر عليها.

يوثيفرو: حقيقي جداً.

سقراط: وفي أسلوب مماثل فإنّ القداسة أو التقوى هي فنّ خدمة الآلهة. إنّ ذلك هو ما تعنيه، يا يوثيفرو؟

يوثيفرو: نعم.

سقراط: أو ليست الخدمة مُصمَّمة دوماً لخير أو لمنفعة ذلك الذي تؤدى إليه؟

يمكنك أن تلاحظ، كما في حالة الأحصنة، أنّها عندما يؤدي الخدمة لها فنُّ رجل الفروسية فهي تنتفع وتتحسّن، أليس كذلك؟

يوثيفرو: حقاً.

سقراط: وكما تنتفع الكلاب بفنّ رجل الصيد، والثيران بفنّ راعيها، كذلك هي كلّ الأشياء الأخرى التي يتولى أمرها شخص ما لخيرها وليس لأذيّتها.

يوثيفرو: لا يكون ذلك لأذيّتها، بالتأكيد.

سقراط: بل لخيرها.

يوثيفرو: طبعاً.

سقراط: أوَ لاً تنفعها أو تحسّنها التقوى التي قد حُدِّدت أنَّها فنّ خدمة الآلهة؟ هل ستقول إنّك عندما تفعل عملاً مقدَّساً تجعل أيّاً من الآلهة أفضل؟

يوثيفرو: لا، لا؛ إنّ ذلك ليس ما عنيته بكلّ تأكيد.

سقراط: وأنا، يا يوثيفرو، لم أفترض أبداً أنّك عنيته. سألتك هذا السؤال بشأن طبيعة الخدمة لأنّي فكّرت أنّك لم تعنِ ذلك.

يوثيفرو: إنّك تنصفني، يا سقراط؛ إنّ هذا النوع ليس نوع الخدمة التي أعنيها.

سقراط: جيد؛ لكنني يجب أن أبقى أسأل ما هي هذه الخدمة أو الاهتمام إلى الآلهة التي تسمّى تقوى.

يوثيفرو: إنّها كتلك التي يقدِّمها الخدم لأسيادهم، يا سقراط.

سقراط: أفهم ـ أنّها نوع من الخدمة الكهنوتيّة للآلهة.

يوثيفرو: بالضبط.

سقراط: إنّ الدواء هو نوع من المساعدة أو الخدمة، له فكرة في الوصول إلى هدفٍ ما. هل ستقول إنّه الصحّة؟

يوثيفرو: عليَّ أن أقول ذلك.

سقراط: مرّة ثانية، هناك الفنّ الذي يمدُّ يد العون إلى باني السفن بهدف الحصول على نتيجة ما.

يوثيفرو: نعم، يا سقراط، بهدف الحصول على بناءٍ باخرة.

سقراط: كما يوجد الفن الذي يمدُّ يد العون إلى المعماري بهدف بناء بيت.

يوثيفرو: نعم.

سقراط: والآن أخبرني، يا صديقي الصالح، عن الفنّ الذي يقوم بمهام الكاهن نحو الآلهة. أيُّ عمل يقوم بتلك المساعدة لإنجازه؟ يجب أن تعرف ذلك بدون ريب، إذا كنت أنت من بين كلّ الرجال الأحياء، كما تقول، الأفضل تثقيفاً في الدين.

يوثيفرو: وإنّي أقول الحقيقة، يا سقراط.

سقراط: قل لي إذن، أوه قل لي ما هو العمل العادل الذي يفعله الآلهة بمساعدة خدمتنا الكهنوتية؟

يوثيفرو: إنّها أعمال عديدة وجميلة، يا سقراط، تلك الأعمال التي يفعلون.

سقراط: لماذا يا صديقي؟ وهل تكون الأعمال كأعمال القائد الحربي لكن حصيلتها يُخبر عنها بسهولة. ألن تقول أنت إنّ حصيلة عمله هي الانتصار في الحرب؟

يوثيفرو: بدون ريب.

سقراط: إنّ أعمال المزارع هي عديدة وجميلة كذلك، إذا لم أكن مخطئاً؛ لكنّ حصيلتها هي إنتاج الغذاء من الأرض؟

يوثيفرو: بالضبط.

سقراط: وأما الأشياء المتعدّدة والجميلة التي يفعلها الآلهة، فما هي حصيلتها؟

يوثيفرو: أخبرتك مسبقاً، يا سقراط، أنّه سيكون شيئاً متعباً جداً أن تتعلّم كلّ هذه الأشياء بشكل دقيق. دعني أقول بكلّ بساطة إنّ التقوى أو القداسة هي تَعلُّم كيف تُرضي الآلهة في القول والعمل، بالصلوات والتضحيات. إنّ تقوىً كتلك هي خلاص العائلات والدول، كما أنّ العقوق، الذي لا يرضي الآلهة، هو سبب دمارها وخرابها.

سقراط: أعتقد أنّه كان بإمكانك الإجابة على جوهر أسئلتي بكلمات أقلّ كثيراً، إذا ما اخترت ذلك. غير أنّني أرى أنّك لا تميل إلى تعليمي بكلّ وضوح، وإلاّ فلماذا أعرضت عني، عندما وصلنا إلى النقطة الأساسيّة؟ إنْ أجبتني فقط كان عليَّ أن أتعلَّم منك طبيعة التقوى بهذا الوقت. لكن ينبغي عليَّ أن أتبعك كما يجب على المحبّ أن يتبع الهوى المفاجىء لحبيبه. ولهذا السبب أستطيع أن أسأل مرّة ثانية، ما هي التقوى، وما هو التقيّ؟ هل تعني أنّهما نوع من علم الصلاة والتضحية؟

يوثيفرو: نعم، إنّني أفعل.

سقراط: والتضحية هي هبة إلى الآلهة، والصلاة هي التماسٌ لهم.

يوثيفرو: نعم، يا سقراط.

سقراط: بناءً على هذا التصوّر، إذن، فإنّ التقوى هي علم التماسٍ وعطاء.

يوثيفرو: إنّك تفهمني على نحوٍ رائع، يا سقراط.

سقراط: نعم، يا صديقي؛ السبب في ذلك هو أنّني نصيرٌ متحمّس لعلمك، وأكرّس له كلّ تفكيري، ولهذا فإنّ لا شيء ممّا تقوله سيكون كلاماً تطرحه عليَّ من غير توكيد. أخبرني من فضلك بعدئذ، ما هي طبيعة هذه الخدمة للآلهة؟ هل تعني أنّك تفضّل التماساتٍ وتقديم هدايا لهم؟

يوثيفرو: نعم، إنّني أفضّل.

سقراط: أليست الطريقة الأفضل للتضرّع أن نلتمس منهم ما نريد؟

يوثيفرو: بكلّ تأكيد.

سقراط: وأنّ طريقة العطاء الصحيحة هي أن تهبهم ما يريدون منّا بالمقابل، لا معنى في الفن الذي يعطي لأيّ شخصٍ ما لا يريده.

يوثيفرو: حقيقي جداً، يا سقراط.

سقراط: إنّ التقوى إذن، يا يوثيفرو، هي الفنّ الذي تمتلكه الآلهة والرجال للتجارة بعضهم مع بعض.

يوثيفرو: إنّ ذلك هو التعبير الذي يمكنك استعماله، إذا أحببت.

سقراط: لكن ليس لديَّ أيّ حبّ خاص لأيّ شيء إلاّ للحقيقة. أرغب أن تخبرني، على كلّ حال، أيّ نفع يحدث للآلهة من هِباتنا. لا شكّ فيما يتعلّق بما يمنحوننا إيّاه، إذ ليس هناك إلاّ الأشياء الخيرة التي يهبوننا إيّاها؛ لكنّهم كيف يحصلون على أيّة منفعة من هباتنا. فهذا بعيد عن أن يكون واضحاً بشكلٍ متساوٍ. إذا وهبونا كلَّ شيء وحصلوا على لا شيء منّا، يجب أن تكون تلك مقايضة لهم فيها المصلحة الأكبر جداً.

يوثيفرو: وهل تتصوّر، يا سقراط، أنّ أيّة منفعة تحدث للآلهة من عطايانا؟

سقراط: لكن إنْ لا، يا يوثيفرو، فما معنى الهبات التي نقدِّمها للآلهة؟

يوثيفرو: هل هي أكثر من تقدمات إجلال واحترام؟ كما كنت قائلاً لتوّي الآن، إنّها ما يرضيهم.

سقراط: القداسة، إذن، مُرضِيَة للآلهة، لكنّها ليست مفيدة أو عزيزة عليهم؟

يوثيفرو: عليَّ أنْ أقول أنَّ لا شيء يمكنه أن يكون أعزّ.

سقراط: إنّي أكرّر التأكيد ثانية عندئذ، وهو أنّ القداسة هي تلك العزيزة على الآلهة.

يوثيفرو: بالتأكيد.

سقراط: وعندما تقول هذا، هل تقدر أن تتعجب لكلماتك التي لا تثبت بشكلٍ وطيد، بل إنّها تفلت؟ هل ستتهمني كوني الدايدالوس الذي يجعلها تهرب، بدون أن أتصوَّر أنّه يوجد فنّان آخر أعظم بكثير من دايدالوس الذي يصنع أشياء تدور في حلقة مفرغة، وهذا الفنان هو أنت نفسك. إنّ المحاورة، كما ستتصوّر، تدور في النقطة عينها. ألم نقل إنّ المقدس أو التقيّ ليس هو الشيء عينه المحبّب إلى الآلهة؟ هل نسيت ما قلته؟

يوثيفرو: إنّني أتذكّر جيداً.

سقراط: أو لست تقول الآن إنَّ ما يكون عزيزاً على الآلهة يكون مقدّساً؟ أو لا يكون هذا الشيء عينه مثلما هو محبوب من قِبَلهم - هل ترى ذلك؟

يوثيفرو: حقاً.

سقراط: إذن إمّا نحن مخطئون في تأكيدنا السابق، أو، إذا كنا محقّين حينئذ، فنحن مخطئون الآن.

يوثيفرو: يبدو هكذا.

سقراط: يجب أن نبتدىء ونسأل إذن، ما هي التقوى؟ إنّه تحقيق لن أسأم من ملاحقته أبداً بقدر ما هو موضوع بي. وإنّني أستعطفك ألاّ تؤنّبني، بل أن تستعمل عقلك إلى أقصى حد، وأن تخبرني الحقيقة. لأنّه إذا ما كان هناك عارف، فأنت هو العارف؛ ولهذا السبب يجب أن أقبض عليك بسرعة، مثل بروتيوس، حتّى تخبرني. إذا لم تكن عارفاً طبيعة التقوى والعقوق بكلّ تأكيد، فإنّي على ثقة أنّك لم تتّهم أباك المسنّ بالقتل عمداً، بالنيابة عن فلاح أرض. إنّك لم تكن لتجازف بهكذا مخاطرة كي ترتكب الخطأ في نظر الآلهة، وكنت ستبدي احتراماً أكثر كثيراً لآراء الرجال. إنّني متأكّد، لهذا السبب، من أنّك تعرف طبيعة التقوى والعقوق. عبّر عن رأيك بحريّة إذن، يا عزيزي يوثيفرو، ولا تخبّىء معرفتك عني.

يوثيفرو: في وقت آخر، يا سقراط، لأنّني على عجلة من أمري، وينبغي أن أذهب الآن.

سقراط: واحسرتاه! يا صديقي، وهل ستتركني في اليأس؟ أملت منك أن تثقفني في طبيعة التقوى والعقوق؛ وحينئذ يمكنني أن أبرّىء نفسي من ميليتوس وتهمته. كنت سأخبره أنّي تنوّرت بيوثيفرو، وأنّي أعطيت أفكاراً متسرّعة وتأمّلاتٍ انغمست فيها بسبب الجهل فقط، والآن أنا على وشك أن أحيا حياة أفضل.

محاورة الدفاع (أبولوجي)

افكار المحاورة الرئيسيَّة

لا أستطيع أن أخبر، أيّها الاثينيون، كيف تأثّرتم بمن اتهمني، بل أعرف أنهم جعلوني أَنسَى مَنْ كنت تقريباً. لقد تكلّموا بإقناع، وبرغم ذلك قلّما تفوهوا بكلمة حقّ. لكنّ العديد من التزييفات والأكاذيب التي أخبروها، وهي أنّكم يجب أن تحترسوا من سقراط وأن لا تسمحوا لأنفسكم بأن تُخدعوا بكلماتي وقوّة بلاغتي. إنَّ كلّ هذا سينهار عندما أفتح شفتيَّ بالكلام، إلاّ إذا عنوا بقوة البلاغة قوة الحقيقة، فإذا كان هذا ما يعنون، فأنا أعترف بأنّني بليغ وفصيح.

والآن اسمحوا لي بأن أدافع عن نفسي بأسلوبي المعتاد، وأن لا تقاطعوني، هذا الأسلوب الذي سمعتموه في كل مكان من أثينا. إنَّ لي من العمر سبعين سنة، وهذه هي المرّة الأولى التي أظهر فيها في محكمة قانون. إنَّ لغة المكان غريبة عليَّ وأنا كذلك، لكنّني أقول باختصار: دع المتكلّم يتكلّم بالحق والقاضي يقرّر بعدل.

إنَّ متهميَّ يقولون: « إنَّ سقراط هو فاعل للشرّ، إنّه المتأمّل الذي يبحث في أشياء تحت الأرض وفي السماء، ويجعل الأسوأ يبدو أنه القضية الأفضل، ويعلّم التمارين المذكورة آنفاً للآخرين ». وهذا ما ورد في ملهاة أريستوفاينز، الذي قدَّم فيها رجلاً أسماه سقراط، لكنّ الحقيقة، أيّها الأثينيون، أنّه لا شأن لي بهذه التأمّلات الطبيعية، وأنتم تسمعون جواب الحاضرين في المحكمة وهي صدىً لحقيقة كلماتي.

لكن إذا ما سألني أحدكم: « نعم، يا سقراط، لكن قل لنا ما هي مهنتك؟ وما هو أصل الاتهامات التي سيقت ضِدَّك؟ يجب أنّه قد وُجِدَ شيء ما غريب

فيما كنت فاعلاً؟ إنّ كلّ هذه الإشاعات وهذا الكلام عنك لم يكن ليحدث قط لو كنت مثل بقيّة الرجال. قل لنا إذن، ما هو سببها، إذ يؤسفنا أن نحكم عنك وعليك بتهوّر ». هذا هو تحدٍّ عادل، وسأحاول أن أشرح لكم السبب الذي من أجله سُمّيتُ حكيماً وامتلكت شهرة سيئة كهذه. إنّ صيتي هذا أتى من نوعٍ محددٍ للحكمة التي أحوز، وإذا ما سألتموني أيّ نوع من الحكمة هي، سأجيبكم، بأنّها حكمة كتلك التي يمكن أن تُلازم بإنسان، وسأحيلكم في هذا إلى شاهدٍ جدير بالثقة. إنّ ذلك الشاهد سيكون إله معبد دلفي ـ هو سيخبركم عن حكمتي، إذا ما كان لديَّ منها، وأيّ نوع من الحكمة هي. ينبغي أنّكم عرفتم تشايرافون، وكما تعلمون، فإنّه كان رجلاً متهوّراً جدّاً، ذهب إلى معبد دلفي، وسأل الكاهن بشجاعة ليقول له إذا ما كان أيّ شخص أعقل مني، وأجابت النبيَّة البيثيَّة بأنّه لم يوجد إنسانٌ أعقل. إنّ تشايرافون قضى نحبه، لكنّ أخاه، الموجود هنا في المحكمة الآن، سيؤكّد حقيقة ما أقول.

أذكر هذا، لأنّني سأشرح لكم لماذا أحوز اسماً سيّئاً. عندما سمعت الجواب، قلت لنفسي، ماذا يمكن لله أن يعني؟ وما هو تفسير لُغزه؟ فأنا أعرف بأنّي لا أمتلك حكمة، صغيرة كانت أم كبيرة، فماذا يمكنه أن يعني حينما يقول بأنّي أعقل الرجال؟ ومع ذلك فهو إله، وكلامه كلام حقّ. فكّرت أنّني إذا ما تمكّنت من إيجاد رجل أعقل منّي، يمكنني أن أذهب إليه ومعي نقضٌ لِمَا قاله. وهكذا ذهبت إلى رجال السياسة والشعراء وأصحاب الحرف وامتحنتهم جميعاً بقوّة المنطق والعقل، ولم أجد أحداً منهم أعقل منّي على الإطلاق، ونقضتهم في أكثر ما قالوه وما يعتقدون به. وهكذا أثرْتُ في نفوسهم كرهاً لي وحسداً. ومع خوفي ممّا حدث فلم أبالِ لأنّ الضرورة حتمت عليَّ القيام بما قمت به، وفكّرت بأنّي يجب أن اعتبر كلمة الله فوق كل شيء. وأقول بصدق إنّني كنت أعقل منهم جميعاً في شيىءٍ واحد. هم يتظاهرون بأنّهم يعرفون ما يعرفون وما لا يعرفون، أما أنا فلا

أعرف ولا أظنّ بأنّني أعرف شيئاً. والحقيقة، يا رجال أثينا، أنّ الله وحدهُ هو الحكيم. وأمّا مهنتي فإنها امتصتْني تماماً، ولم يكن لديَّ متّسع من الوقت لأفعل أيّ شيء نافع لا في الشؤون العامة ولا في أيّ شيء يخصني، بل أنا في فقر مدقع بسبب إخلاصي لله وإطاعتي كلماته.

ومن ناحية أخرى، فإنّ الرجال الشباب من الطبقة الغنيّة، يقومون بما أقوم به ويحبّون أن يسمعوا الناس ممتحنين، ويقلّدونني في ذلك، ويكتشفون بسرعةٍ أنَّ مَنْ يقول منهم إنّه يعرف شيئاً، يبين أنّه لا يعرف إلاَّ القليلَ أو لا شيء في الحقيقة. وهؤلاء الممتَحنون بدلاً من أن يغضبوا منهم يغضبون مني، ويقولون: هذا السّقراط البغيض، هذا النّذل الذي يضلّل الشباب! ـ وبعدئذ، إذا سألهم أيّ شخص، لماذا، وأيّ شرّ يزاول سقراط أو يعلّم؟ فهم لا يعرفون، ولا يستطيعون القول. وبما أنّهم في حيرة من أمرهم، يردّدون الاتهامات الجاهزة سلفاً، والتي تستعمل ضدّ الفلاسفة جميعهم بخصوص تعليم الأشياء العالية في السُحُب وتحت الأرض، وأنَّ ليس لهم آلهة، وأنّهم يجعلون القضية الأسوأ تبدو على أنّها الأفضل، إنّهم بقولهم هذا صمُّوا آذانكم. وإنَّها لافتراءات جذورها راسخة، وهذا هو السبب الذي هاجمني من أجله بعنف متهميَّ الثلاثة، ميليتوس، أنيتوس، وليقون. إنّ الأوّل خاصمني بالنيابة عن الشعراء، وأنيتوس لمصلحة الحرفيّين والسياسيين، وليقون لأجل علماء الكلام. لهذا فأنا لا أتوقّع أن أتخلّص من افتراءٍ ضخم كهذا كليّةً في لحظة.

وبعد أن قلت ما فيه الكفاية جواباً على اتهام ميليتوس، فإنَّ أيَّ دفاع مفصّل ليس ضرورياً. تعرفون أنتم الحقيقة جيّداً عن إفادتي، وهي أنّني جلبت لنفسي العديد من العداوات العنيفة، وهذا هو ما سيكون سبب هلاكي، إذا ما هلكتُ ـ فلا ميليتوس، ولا حتى أنيتوس، بل حسد الناس وحطّهم من قدري، هو الذي قد تسبّب في وفاة العديد من الرجال الأخيار، وسيكون السبب في وفاة عديدين كثر على وجه الاحتمال. فلا خطرَ في كوني آخر من يتعرّض لمثل هذا الاتهام.

وإذا قال شخص ما: أوَ لست بمستحٍ، يا سقراط، في طريقة الحياة التي تحضرك إلى نهايةٍ في غير أوانها على الأرجح؟ يمكنني أن أجيبه بعدل: أنت مخطىء هناك، إنّ الإنسان الذي يكون خيّراً لأيّ شيء يجب عليه أن لا يحسب الفرصة للحياة أو الموت؛ ينبغي عليه أن يعتبر فقط ما إذا كان في فعله أيّ شيء يفعل الصحيح أو الخطأ، ممثّلاً دور إنسان الخير أو رجل الشرّ.

أوه، يا رجال أثينا، إنّ الله أمرني كي أُتمّم مهمة الفيلسوف للبحث في نفسي وفي نفوس الرجال الآخرين عن الحقيقة، وإذا ما كنت لأغادر موقعي بسبب الخوف من الموت، أو بسبب أيّ خوف آخر، فإنّ ذلك سيكون غريباً حقّاً. ويمكن أن أُتّهم بعدلٍ في المحكمة لإنكاري وجود الآلهة، إذا عصيت الكاهن لأنّني كنت خائفاً من الموت. وما الخوف من الموت إلاّ تظاهر بالحكمة وليس حكمة حقيقية. ولا أحد يعرف أن ذلك الموت الذي يخافه الرجال لأنهم يدركون أنه الشر الأكبر، ربّما يكون الخير الأعظم، وهذا الجهل هو من النوع الشائن وهو وهم عظيم.

أمّا إذا قلتم لي، بأنّنا لن نهتمّ هذه المرّة بما قاله أنيتوس، وسندعك حرّاً طليقاً، لكن بشرط واحد، وهو أن لا تحقّق ولا تبحث ولا تتأمّل في هذه الطريقة بعد اليوم، وأنّه إذا قبض عليك فاعلاً ذلك مرّة ثانية فإنّك ستموت؛ - إذا كان هذا هو شرطكم، فما عليّ إلاّ إجابتكم، بأنّني أجلّكم واحترمكم وأحبّكم، لكنّني سأطيع الله بدلاً من إطاعتي لكم، وما دامت لي الحياة والقوّة والعزيمة فلن أنقطع عن ممارسة وتعليم الفلسفة مطلقاً، ناصحاً ومحذّراً أيّ شخص منكم ممن أقابل، حاثّاً إيّاه على الاهتمام بالحقيقة والحكمة وتحسين الروح الأعظم، وليس بتكديس المال والحصول على الشرب والسمعة الحسنة. وسأقول لمن أتحاور معه، كيف يمكنه أن يبخس التقييم للشيء الأكثر نفاسة ويبالغ في تقييم الأخس. اعرفوا، يا رجال أثينا، أنّ هذا هو أمر الله، وأعتقد بأنّه لم يحدث في الدولة على الإطلاق خيرٌ أكبر من

خدمتي لله. وأقول ولكم، إنّ الفضيلة لا تُعطَى بالمال، بل إنّه من الفضيلة يأتي المال وكل خيرٍ للإنسان، عامّاً كان أو خاصّاً، وهذا هو تعليمي. وأنا لا أجادلكم من أجلي، كما تظنون، بل من أجلكم، كي لا يمكنكم أن تعصوا الله بادانتكم لي الذي أنا هبته لكم. إنّني مُهدىً من الله إلى الدولة، وإذا ما جاز لي استعمال صورة بلاغيّة مضحكة، فإنّني نوعٌ من النُعَرَة، وأنّ الدولة هي حصان كبير ونبيل، هو بطيىء في حركاته بسبب حجمه الضخم، ويحتاج لأن يُبعث إلى الحياة. وهذه النُعَرَة التي أرفقها الله بالدولة هي أنا، الذي أوقظكم وأقنعكم وألومكم، ولن تجدوا شخصاً آخر مثلي بسهولة. لذلك أنصحكم أن تُبقوا على حياتي. أمّا إذا قتلتموني، كما ينصح أنيتوس، فإنّكم ستنامون نوماً ثقيلاً لبقيّة حيواتكم، إلاّ إذا أرسل الله نُعَرَة أخرى عنايةً بكم.

وبخصوص الإشارة الإلهيّة التي تأتي إليّ، والتي يسخر منها ميليتوس، إنّ هذه الإشارة هي نوع من الصوت، ابتدأت تأتي إليّ عندما كنت طفلاً؛ إنّها تمنعني من وقت لآخر من فعل شيء هممت بالقيام به، لكنّها لا تأمرني بأيّ شيء. إنّ هذه الإشارة هي التي منعتني من أن أكون سياسياً. وأعتقد بحقّ، أنّني لو شاركت في السياسات، فما كان عليّ إلاّ أن أفنى منذ زمن بعيد، ولم أقم بأيِّ عملٍ خيِّر لا لكم ولا لنفسي. وأقول لكم، إنَّ مَنْ سيحارب من أجل الحق، عليه أن يمتلك موقعاً خاصاً وليس موقعاً عاماً. إنّ المنصب الوحيد الذي تسنّمته في الدولة، أوه يا رجال أثينا، كان منصب عضوٍ في مجلس الشيوخ. وقبيلة أنطيوخوس، وهي عشيرتي، كان لها مركز الرئاسة في محاكمة القادة العسكريين الذين لم يهتموا برفع جثث الموتى المذبوحين بعد معركة أرغينوساي، واقترحتم أنتم أن تحاكموهم على نحوٍ جماعي، خلافاً للقانون، كما فكّرتم كلّكم بعد ذلك. لكنّني كنت الوحيد الذي عارض هذا العمل، وصوَّتُّ ضدّكم، وعندما هدَّد المدَّعون بأن يتّهموني أمام القضاء، وأنتم صحتم حينها وصرختم، عقدت النيّة على أن أتحمّل

المخاطرة، وإلى جانبي القانون والعدل، بدلاً من أن أكون شريككم في الظلم لأنني خفت السجن والموت. حدث هذا في أيّام الديموقراطية، لكن عندما كانت الأوليغاركية الثلاثينية في السلطة، استدعوني مع أربعة آخرين إلى القاعة المستديرة وأمرونا أن نجلب ليون من سالاميس، لأنّهم أرادوا أن ينفّذوا فيه حكم الإعدام. كان هذا هو نموذج الأوامر التي أعطوها دائماً بقصد توريط أكبر عدد ممكن في جرائمهم. وحينئذ أبنتُ مرّة ثانية ليس بالكلمة فقط بل بالمأثرة أيضاً، أنّني لا أهتمّ بالموت قدر مثقال ذرّة، بل إنّ اهتمامي الوحيد والكبير هو الخشية من أن أفعل شيئاً غير صحيح وغير مقدّس وآثم. إنّ ذلك الساعد القوي لتلك القوة الجائرة لم يخفني كي أقوم بعمل الخطأ. وعندما خرجنا من القاعة المستديرة ذهب الأربعة الباقون إلى سالاميس وأحضروا ليون، أمّا أنا فعدت إلى البيت بهدوء. وكان يمكن لهكذا عمل أن يفقدني حياتي، لو لم تأتِ نهاية تلك القوّة الثلاثينيّة الغاشمة بعد ذلك بقليل. وسيشهد العديد على صدق كلماتي وحقيقتها.

إنّ أسلوبي في الدفاع، أوه يا رجال أثينا، يختلف عن أسلوب غيري من الرجال الذين يتضرّعون ويبكون ويحضرون أولادهم أمامهم كي ينجوا من الموت، أو يسألون القضاة التعاطف مع قضيتهم. أعتقد بأنّ هذا النوع من التصرف هو تصرف مشينٌ بحقّكم وحقّ الدولة، بل على الإنسان الحكيم أن يجابه قدره بصبر ورباطة جأش، وأن لا يفعل ما يعتبره مخزياً وعاقّاً وآثماً. لذلك فإنّي سأدع قضيتي اليكم والى الله، كي تُقرّر في أفضل طريقة لي ولكم.

لم أُفاجأ، يا رجال أثينا، في تصويت الإدانة، بل توقّعته. وإنّني لمندهشٌ فقط لأنّ الأصوات كانت متساوية تقريباً وهي بفارق ثلاثين صوتاً، ولولاها لكان أُطلق سراحي. والآن فإنّ ميليتوس يقترح عقوبة الإعدام؛ وأنتم قد قبلتموها. إنّ العالم سيلومكم ويوبّخكم لقتلكم سقراط الإنسان الحكيم. لو تأخّرتم وانتظرتم وقتاً قصيراً فإنّ رغبتكم ستتحقّق من خلال مسار الطبيعة، فأنا متقدّم في السنّ جدّاً. إنّني

لست بنادمٍ على أسلوب دفاعي، وسأفضّل أن أموت متكلّماً على غرار طريقتي، على أن أتكلم في نمطكم وأعيش، لأنّه لا يجب عليّ ولا على أيّ إنسانٍ آخر أن يستعمل كلّ وسيلة أمام المحاكم ليهرب من الموت، لا في الحرب ولا حتّى في المقاضاة. والآن فإنّي أغادر هذا العالم مداناً مِن قِبَلكم لأقاسي عقوبة الموت، هُمُ يمضون في طريقهم أيضاً مدانين من قِبَلِ الحقيقة كي يعانوا قصاص الجريمة والإثم إنّني سألتزم بمكافأتي، دعهم يلتزمون بما يخصّهم. أفترض أنَّ كلّ هذه الأشياء يمكن أن تُعتبر كأنها مقرَّرة بقضاءٍ وقدر، وأعتقد بأنّها جيدة.

والآن، أوه يا رجال أثينا، أريد أن أتوجه إلى الذين أدانوني منكم بوحيٍ إلهي وبسرور؛ فأنا على وشك أن أموت، وفي ساعة الموت يُوهبُ الرجال قوّةً نبويّة. أبشّركم وأتنبّأ لكم يا من قتلتموني عمداً، بأنّها تنتظركم بالتأكيد عقوبة أعسر وأبعد مشقّة من تلك التي أنزلتموها عليّ وذلك بعد مغادرتي حالاً. سيوجد من يدينكم بأقسى ممّا أدنتموني، وإذا ظننتم بأنّكم ستوقفون كلّ التقريع والتعنيف لحيواتكم الفاسقة بقتل الرجال فأنتم مخطئون. إنّ ذلك ليس هو طريق الهرب، إنّ الطريق الأسهل هو بتحسين أنفسكم. هذه هي النبوءة التي أتوجه بها قبل مغادرتي إلى القضاة الذين أدانوني.

أمّا أنتم، يا أصدقائي، يا من رغبتم في إطلاق سراحي، يا من أستطيع تسميتكم بالقضاة الحقيقيين، أحب أن أقول لكم بشأن الذي سيحدث، وأن أريكم معنى هذا الحدث الذي وقع لي، وخاصة عن هذه الحادثة الرائعة. حتى الآن فإنّ القدرة الإلهيّة، والتي منبعها وأصلها وسيط الوحي الداخلي، وقد كانت تعاكسني حتى بخصوص الأشياء التافهة وعلى الدوام؛ إذا ما كنت ذاهباً لأقوم بزلّةٍ أو خطأ في أيّة مسألة. والآن كما ترون، لقد حلَّ عليّ ذلك ما يُعتبَرُ ويُظنُّ أنّه آخر وأسوأ الشرّ بشكل عام، لكنّ الكاهن أو وسيط الوحي لم يعطِ أيّة إشارة لمعارضة ذلك، لا عندما غادرت بيتي في الصباح، ولا حينما كنت في طريقي إلى المحكمة، ولا

أثناء دفاعي فيها. ومع ذلك فلقد أُوقِفتُ غالباً في منتصف كلامي، لكن الآن لم يعارضني وسيط الوحي. فما هو السّر في ذلك؟ إنّه تلميح بأنّ ما حدث لي هو خير، ولهذا السبب فإنّ أولئك الذين هم منا ويعتقدون بأنّ الموت هو شرّ ينبغي أن يكونوا مخطئين. إنّ لديَّ هذا البرهان الحاسم. إنّ الإشارة الإلهيّة المعتادة وجب أن تعاكسني إذا ما قد كنت ذاهباً إلى الشرّ وليس إلى الخير.

دعونا نتأمل مليّاً في طريقة أخرى، ولسوف نرى أنّ هناك سبباً كبيراً لنا لنأمل في أنَّ الموت يكون خيراً، لأنّه واحدٌ من شيئين: إمّا أنَّ الموت هو حالة عدم وعديم القيمة ولاوعي كليّ، أو، كما يقول الرجال، ثمّة تبديل وانتقال للروح من هذا العالم إلى العالم الآخر. والآن إذا افترضتم بأنّه لا يوجد وعي، بل نوم مثل النوم الذي لا يقلق حتى في الأحلام، فإنّ الموت سيكون كسباً لا يوصف، بل إنّه ربح أن تموت لأنّ الخلود يكون ليلة واحدة فقط. لكن إذا كان الموت رحلة من مكان إلى آخر، وهناك يسكن الموتى، كما يقول الرجال، فأيّ خير، أوه يا أصدقائي وقضاتي، يمكن أن يكون أعظم من هذا؟ إنّ الإنسان حينما يصل إلى العالم الآخر، فإنّه يُنقَذ من مدَّعينا الأرضيّين للعدل، ويجد القضاة الحقيقيين الذين يُقال بأنّهم يمنحون الحكم هناك حيث المعرفة الحقيقية وليس المزيَّفة. ومن أجل ذلك، كونوا مبتهجين جذلين بشأن الموت، واعلموا علم اليقين بأنّه لا شرّ يمكن أن يحدث لإنسانٍ خيِّر، لا في هذه الحياة ولا بعد الموت، أو إن الآلهة تهمله هو أو من يخصّه. لا ولم تحدث نهايتي القريبة الخاصّة بمحض صدفة؛ إنّني أرى بوضوح أنَّ الوقت قد حان عندما كان الأفضل لي أن أموت وأُعتق من الضيق. لهذا السبب فإنَّ وسيط الوحي لم يُعطِ أيّة إشارة، ولذلك فأنا لست غاضباً أبداً على مَن حكم عليَّ بالموت، ولا على مَن اتّهمني. لكن مع أنهم لم يفعلوا بي أيَّ أذى، فهم قصدوا إيقاعه بي، ولهذا يمكنني أن ألومهم بشكلٍ لائق. بقي عليَّ أن أقول لكم، إنّه عندما يكبر أولادي، سأطلب منكم أن تعاقبُوهم، وأريدكم أن تزعجوهم، كما

أزعجتكم. عاقبوهم إذا ما بدا أنهم يهتمون بالثروة، أو بأيّ شيء آخر أكثر من اهتمامهم بالفضيلة؛ أو إذا تظاهروا بأنّهم يكونون شيئاً ما في حين أنّهم ليسوا بشيء حقاً. وإذا فعلتم ذلك أكون قد تلقيت العدل على أيديكم، وهكذا سيتلقّاه أولادي من بعدي.

لقد حانت ساعة الانطلاق، ونحن سالكون طرقنا: أنا لأموت، وأنتم لتعيشوا. أيّنا الأفضل، الله وحده يعرف.

محاورة الدفاع (ابولوجي)

أوه، أيّها الاثينيون، كيف تأثّرتم بمن اتهمني، إنّني لا أستطيع إخبار ذلك؛ لكنّني أعرف أنهم جعلوني أنسى من كنت تقريباً - لقد تكلّموا بإقناع؛ وبرغم ذلك قلّما تفوّهوا بكلمة حقّ. غير أنّ العديد من التزييفات التي أخبروها يجب أن تحترسوا منها وأن لا تسمحوا لأنفسكم بأن تُخدعوا بقوّة بلاغتي. لقد قالوا عنّي هذا، وهم متأكّدون أنهم سيكتشفون حالما أفتح شفتيّ وأَثبت نفسي لأكون أيّ شيء إلاّ متكلماً عظيماً، بدا لي هذا أنّه الأكثر وقاحة حقّاً - ما لم يعنون بقوة البلاغة قوة الحقيقة. إذ لو كان هذا هو معناهم، فإنّني أعترف بأنّني بليغ وفصيح. لكن كيف ذلك؟ إنّه بطريقة مختلفة عن وسائلهم! حسناً، وكما كنت قائلاً، هُم لم يتكلموا الحقيقة مطلقاً إلاّ نادراً؛ إنّكم ستسمعون منّي الحقيقة كاملة، لكنّها ليست موضوعة في أسلوبٍ كأسلوبهم المكوّن من مجموعة خطبٍ مزخرفةٍ بكلمات ومقاطع جميلة، كما ينبغي. لا، بالسماء! إنّني سأستخدم الكلمات والمحاورات التي تحدث لي في هذه اللحظة، لأنّي واثق من عدالة قضيتي. أوه، يا رجال أثينا، ينبغي أن لا أظهر أمامكم، في هذه اللحظة من حياتي، في شخصيّة صبيّ يخترع أكاذيب. لا تدعوا أيّ شخص يتوقعها مني. ويلزم أن أستعطفكم بشكل خاصّ أن تمنحوني هذا المعروف: إذا دافعت عن نفسي بأسلوبي المعتاد، وسمعتموني مستعملاً الكلمات التي سمعني الكثيرون منكم أستخدمها في الساحة العامة بشكل اعتيادي، على طاولات الصّرّافين، وفي كل مكان آخر، فإنّني أسألكم أن لا تتعجبوا، وأن لا تقاطعوني لهذا السبب. لقد تجاوزت السبعين، وها أنا أظهر أمامكم الآن في محكمة القانون

لغريب عن لغة المكان تماماً؛ ولذلك أطلب منكم أن تعتبروني كما لو كنت غريباً حقاً، ستعفونه من اللوم إذا تكلّم بلهجة بلده، وبأسلوب بلاده. فهل أطلب منكم التماساً غير عادل؟ لا تهتموا بالأسلوب، الذي يمكن أن لا يكون جيّداً؛ بل فكّروا في حقيقة كلماتي فقط، وانتبهوا لذلك. دع المتكلم يتكلم بالحقّ ودع القاضي يقرّر بالعدل.

بادىء ذي بدء، عليَّ أن أجيب على الاتهامات القديمة وعلى متهميَّ الأُوَلْ، وبعدئذ سأذهب إلى الأشخاص المتأخّرين. كان عندي متّهمون كثيرون منذ القدم، اتهموني عندكم بباطل خلال سنين عدّة، وإنّني أخشى منهم أكثر من خشيتي من أنيتوس وزملائه الذين هم خطرون أيضاً، على طريقتهم الخاصة. غير أنَّ الآخرين هم أكثر خطراً، والذين ابتدأوا اتّهاماتهم عندما كان أكثركم أطفالاً، واستولوا على عقولكم بأباطيلهم وكلماتهم المزيّفة، مخبرين عن سقراط الواحد، الإنسان الحكيم، الذي تأمّل بشأن السماء العليا، وبحث في الأرض السفلى، وجعل الأسوأ يبدو أنّه القضيّة الأفضل. إنّ الرجال الذين لطّخوا سمعتي بهذه الإشاعة هم المتّهمون الذين أخشاهم لأنّ سامعيهم معرضون كي يتوهّموا أنّ هكذا تساؤلات لا تعتقد بوجود الآلهة، وهم كثرة، واتهاماتهم ضدّي قديمة في الزمن، وقد اخترعوها يوم كان بعضكم حينها أكثر استعداداً لتقبّلها مما أنتم عليه الآن. وهكذا لم يُجِبْ أحد عليها، لا في سنّ الطفولة، أو لربّما في زمن الشباب، وانقضت القضيّة بالإهمال. والأصعب من الجميع أنّي لا أعرف ولا أستطيع أن أخبر عن أسماء الذين اتّهموني ما لم تكن في حالة صدفةٍ لشاعرٍ هزليّ. كلّ الذين أقنعوكم فإنّما فعلوا ذلك بداعي الحسد والضغينة - إنّ كل هذا الصنف من الرجال هم الأكثر صعوبة للتعامل معهم؛ لأنّني لا أقدر أن أستدعيهم إلى هنا وأستجوبهم بدقّة، ولذلك يلزمني أن أحارب الظلال بكل بساطة في

دفاعي الخاص وأن أحاور عندما لا يوجد أيّ شخص ليجيب. إنّي سأسألكم بعدئذ كي تتقبّلوها مني وهو أنَّ أخصامي من نوعين اثنين أحدهما حديث، والآخر قديم. وإنّي لآمل منكم أن تروا أدب جوابي للآخرين أوّلاً، أنتم سمعتم هذه الاتهامات قبل أن يسمعها الآخرون بوقت طويل، وأكثر منهم غالباً.

حسناً، إذن، ينبغي عليَّ أن أجهّز دفاعي، وأسعى لأن أزيل من عقولكم في وقتٍ قصير، افتراءً عليَّ صدّقتموه لوقتٍ طويل. أيمكنني أن أتقدّم بذلك، وإذا ما نجحت سيكون خيراً لي ولكم، أو أن يفيدني ذلك في قضيّتي بالاحتمال! إنّه لعملٌ شاقّ وهو ليس بالعمل السهل؛ وإنّني لأفهم طبيعته تماماً. وهكذا، تاركاً الحدث مع الله، سأقوم بدفاعي الآن امتثالاً للقانون.

سأبدأ من البداية، وأسأل ما هي التهمة التي تسبّبت في الافتراء عليَّ، وشجّعت ميليتوس لاختيار هذا الاتهام ضدّي في الحقيقة. حسناً، ماذا يقول مشوّهو سمعتي؟ إنّهم سيكونون المدَّعين العامين، وهذه هي الاتهامات الرسميّة التي يؤكّدونها. يقولون: « إنَّ سقراط هو فاعل للشرّ. إنّه المتأمّل الذي يبحث في أشياء تحت الأرض وفي السماء، ويجعل الأسوأ يبدو أنه القضيّة الأفضل، ويعلّم التمارين المذكورة آنفاً للآخرين ». وهذه هي طبيعة اتّهامهم: إنّه هو ما رأيتموه بأنفسكم في ملهاة أريستوفاينز[٢٤]، الذي قدّم فيها رجلاً ودعاه سقراط، المتأرجح عالياً والقائل إنّه يمشي في الهواء، والمتكلّم كميّة من السفاسف التي تخصّ قضايا لا أتظاهر بأنّني أعرف منها لا قليلاً ولا كثيراً ـ ولا أعني الكلام باستخفافٍ عن أيّ شخص يكون تلميذاً في الفلسفة الطبيعيّة. يمكن أنَّ ميليتوس لم يحضّر ضدّي قطّ العديد من هذه الاتهامات كي يجعلني أفعل ذلك! لكنّ الحقيقة هي، أوه أيها الأثينيّون، أنّه لا شأن لي كي أفعله بهذه التأمّلات الطبيعيّة. إنَّ أكثر

الحاضرين هنا شاهدون على حقيقة ما أقول، ولهم أحتكم. تكلّموا إذن، يا من سمعتموني، وقولوا لجيرانكم إذا ما كان أيٌّ منكم عرف قطّ أنّني أبدي رأياً بكلمات قليلة أو كثيرة بشأن المسائل تلك ... إنّكم تسمعون جوابهم، وستكونون قادرين على أن تحكموا على حقيقة ما تبقّى مِمّا يقولونه عن هذا القِسم من الاتهام.

بما أنّ هناك أساساً ضعيفاً لهذا التقرير الذي يقول إنّني معلمٌ، وأتلقّى مالاً لأجل ذلك؛ إنّ هذا الاتهام هو عارٍ عن الصحّة وليس فيه حقيقة أكثر ممّا في التقرير الآخر. ومع ذلك إذا قدر إنسان أن يعلّم الجنس البشري بحقّ، فإنّ هذا سيكون شرفاً عظيماً له، في رأيي. يوجد هنا أبولوجي من ليونتيوم، وبروديكوس من سيوس، وهيبياس من أليس، الذين يطوفون المدن، وهم قادرون على أن يقنعوا الرجال الشبّان بترك مواطنيهم الذين يمكنهم أن يتعلموا بواسطتهم دون مقابل، ويأتون اليهم ولا يدفعون لهم فقط، بل يكونون شاكرين إذا ما سُمِحَ لهم بالدفع لمعلميهم. ثمة في هذا الزمن فيلسوف باريني ساكن في أثينا، وقد سمعت عنه؛ وأصبحت أعرف عنه بهذه الطريقة: ـ التقيتُ صدفةً برجلٍ أنفق دراهم على السوفسطائيين أكثر مما أنفقه بقيّة الناس جميعهم. إنّه كالياس بن هيبونيكوس، وبما أنّني أعرف أنّ عنده بنين، سألته: « يا كالياس »، « إذا كان ولداك فلوّتين أو عجلين، فلا صعوبة في إيجاد شخصٍ ما لتنصّبهُ عليهما؛ علينا أن نستأجر مدرِّباً للأحصنة أو مزارعاً بالاحتمال، وهو سيحسنهما ويجعلهما كاملين في الفضيلة المناسبة والامتياز. لكن بما أنّهما مخلوقان إنسانيان، فمن تفكّر أن تنصّب عليهما؟ هل هناك شخص يفهم الفضيلة الإنسانية والمدنيّة؟ لا شك أنّك فكّرت بشأن المسألة لأنّ لديك أبناءً، هل هناك أيّ شخص ليقوم بهذا العمل »؟ قال، « نعم ». أجبته « من هو؟ ومن أيّة بلاد؟ وكم يتقاضى

أجابني « إنّه إيفينوس الباريني إنّه رجل، وهو يتقاضى منّي خمس مينات[٢٥] ». قلت لنفسي، إنَّ إيفينوس هذا السعيد، إذا امتلك هذه الحكمة بحقّ، ويعلّم لقاء رسم معقول، إذا كان لي مالَهُ، فلست إلاّ فخوراً ومختالاً؛ لكنّ الحقيقة أنّني لا أمتلك معرفة من هذا النوع.

أجرؤ على القول، أيّها الأثينيون، أنَّ مِنْ بينكم مَنْ سيجيب « نعم، يا سقراط، لكن ما هي مهنتك؟ وما هو أصل الاتهامات التي وُجّهت إليك؛ لا شك أنّك ارتكبت عملاً غريباً؟ إنَّ كلّ هذه الإشاعات وهذا الكلام عنك ما كان ليحدث قط لو كنت مثل بقيّة الرجال. قل لنا، إذن، ما هو سببها، فنحن يؤسفنا أن نحكم عنك وعليك بتهوّر ». والآن فأنا أعتبر هذا أنّه تحدٍّ عادل، وسأحاول أن أشرح لكم السبب الذي من أجله سُمّيتُ حكيماً وامتلكت هذه الشهرة السيّئة. من فضلكم أن تصغوا إذن. ومع ذلك فإنّه يمكن لبعضكم أن يظن بأنّني هازىء. سأخبركم الحقيقة كاملة. يا رجال أثينا، إنّ صيتي هذا أتى من نوعٍ محدّدٍ للحكمة التي أمتلك. إذا ما سألتموني أيّ نوع من الحكمة هي، سأجيبكم، بأنّها حكمة كتلك التي يمكن أن تُلازِم بإنسان، رُبّما، لهذا المدى أميل لأعتقد بأنّي أكون حكيماً؛ في حين أنّ الأشخاص الذين تكلّمت عنهم يمتلكون نوعاً من الحكمة الإلهيّة، والتي لا أعرف كيف أصفها، لأنّني لا أمتلكها؛ والذي يقول أنّها لديَّ يتكلّم باطلاً، وما هو إلاّ سالبٌ مني شخصيّتي. وهنا، أوهِ يا رجال أثينا، أستعطفكم أن لا تقاطعوني، حتى إذا ظهر لكم أنّي أقول شيئاً مُفرطاً لأنّ الكلمة التي سأتفوّه بها ليست لي. إنّني سأحيلكم إلى الشاهد الذي يعتبر موضع الثقة. إنّ ذلك الشاهد سيكون إله معبد دلفي - هو سيخبركم عن حكمتي، إذا ما امتلكت أيّاً منها، وأيُّ نوعٍ من الحكمة هي. لا شك أنّكم عرفتم تشايرافون، وكما تعلمون، فإنّه كان رجلاً متهوّراً جدّاً في كل

أعماله، وذهب إلى معبد دلفي، وسأل الكاهن بشجاعة ليقول له إذا ما كان، كما كنت قائلاً يجب أنْ أستعطفكم أن لا تقاطعوني، أنّه سأل الكاهن ليقول له إذا ما كان أيّ شخص أعقل منّي حقاً، وأجابت النبيّة البيثيّة بأنّه لم يوجد إنسان أعقل. لقد قضى تشايرافون نحبه، لكنّ أخاه الموجود في المحكمة الآن سيؤكّد حقيقة ما كنت قائلاً.

لماذا أذكر هذا؟ لأنّني في طريقي لأشرح لكم السبب الذي من أجله أحوز إسماً سيئاً كهذا. حينما سمعت الجواب، قلت لنفسي، ماذا يمكن لله أن يعني؟ وما هو تفسير لُغزه؟ فأنا أعرف بأنّني لا أمتلك حكمة، صغيرة كانت أم كبيرة، ماذا يمكنه أن يعني إذن عندما يقول بأنّي أعقل الرجال؟ ومع ذلك فهو إله، ولا يستطيع الكذب؛ إنّ ذلك سيكون خلاف طبيعته. افتكرت بطريقة لاختبار السؤال بعد إرباكٍ طويل. تأمّلت ملياً بأنّني إذا تمكّنت فقط من إيجاد إنسانٍ أعقل مني، يمكنني عندئذ أن أذهب ومعي النقض في يديَّ. عليَّ القول له: « هنا إنسان أعقل مني؛ لكنك قلت أنت بأنّي كنت الأعقل ». وَوفقا لذلك ذهبت إلى شخصٍ كانت له شهرة الحكمة وراقبته، لا داعي لذكر اسمه، إنّه كان رجلاً سياسياً؛ وفي عمليةٍ لاختباره والتحدث معه، كان هذا ما وجدت، يا رجال أثينا. لم أستطع الامتناع عن التفكير بأنّه لم يكن حكيماً بحقّ، مع أنّه كان في ظنّ العديد من الرجال أنه كذلك، وما زال يعتقد هو أنّه الأعقل. حاولت بناءً على ذلك أن أشرح له بأنّه ظنَّ نفسه حكيماً، لكنّه ليس كذلك حقاً؛ وكانت العاقبة أنّه كرهني، وشاركه كرهه لي العديد الذين كانوا حاضرين وسمعوا قولي. هكذا تركته وشأنه، قائلاً لنفسي عندما ابتعدت عنه: حسناً، مع أنّني لا أفترض بأنّ كلينا يعرف أيّ شيءٍ جديرٍ بالمعرفة في الواقع، فإنّي أعقل من هذا الشخص على الأقلّ ـ هو لا يعرف شيئاً ويظنّ أنّه يعرف؛ بالمقابل أنا لا أعرف ولا أظنّ

بأنّني أعرف. أبدو في هذه النقطة الصغيرة، إذن، أنّني أمتلك الأفضليّة عليه. ذهبت بعدئذ إلى شخصٍ آخر، كان لا يزال يدّعي الرِّفعة في الحكمة، وكان استنتاجي الشيء عينه بالضبط. وإذ ذاك خلقت منه عدوّاً، ومن عدّة أشخاصٍ حواليه.

بعد ذلك أخذت أذهب إليهم، واحداً تلو الآخر، دون أن أدرك الحسد الذي أثرته لنفسي، ورثيت وخفت هذا. لكنّ الضرورة وضعت عليَّ ـ كلمة الله، فكّرت، أنّها يجب أن تُعتبر قبل كل شيء. وقلت لنفسي، ينبغي أن أذهب إلى جيمع من يبدون أنّهم يعرفون، وأكتشف المعنى الذي قصده الكاهن، وأقسم لكم، أيّها الأثينيّون ـ لأنّني يجب أن أخبركم الحقيقة ـ أنَّ نتيجة مهمتي كانت هذه تماماً: وجدت أنّ الرجال الذين هم الأكثر شهرة كانوا الأكثر غباءً تقريباً؛ وأنّ الآخرين الذين كانوا أقل تقديراً هم أقرب إلى الحكمة تقريباً. سأخبركم قصة تجوالي والمشقات « الهيراقليّة » كما يمكنني أن أسمّيها، والتي تحملتها فقط لأجد أخيراً أنَّ الكاهن لا يُدحض. ذهبت إلى الشعراء، بعد رجال السياسة؛ شعراء المأساة، الشعراء العمبقيّون، والشعراء من كل الأنواع. وهناك، قلت لنفسي، إنّك ستظهر على حقيقتك في الحال، يا سقراط؛ ستجد الآن أنّك أكثر جهلاً ممّا هم عليه. وَفقا لذلك، إضطّلعت بمهمة القيام بفحص بعض المقاطع الاكثر إحكاماً في كتاباتهم الخاصة، وسألت ما هو معناها، معتقداً أنّ قائليها سيعلّمونني شيئاً ما. هل ستصدّقونني؟ إنّني مستحٍ من الاعتراف بالحقيقة، لكن ينبغي عليَّ أن أقول إنّه ما من شخص موجود هنا ليس في وسعه أن يتكلم أفضل بشأن قصائدهم ممّا فعلوه هم أنفسهم. وهكذا فإنّه ليس بالحكمة يكتب الشعراء قصائدهم، بل بنوعٍ من العبقريّة والإلهام، مَثَلُهم في ذلك مَثَلُ الكهنة والمتنبّئين الذين يقولون أشياء جميلة وعديدة أيضاً؛ غير أنّهم لا يفهمون

معناها. يبدو الشعراء لي أنّهم يكونون كثيراً في الحالة عينها؛ ولاحظت أبعد من ذلك وهو بما أنَّ لشِعرهم ما له من القوة والتماسك اعتقدوا أنفسهم بأنّهم أعقل الرجال في الأشياء الأخرى التي لم يكونوا عقلاء فيها. وهكذا رحلت عنهم، متصوِّراً نفسي أنّني أسمى منهم للسبب عينه الذي كنت فيه أعلى من السياسيين.

ذهبت إلى الحرفيين أخيراً، لأنّني كنت مدركاً بأنّي لا أعرف شيئاً على الإطلاق، كما يمكنني أن أقول، وكنت متأكّداً أنّهم عرفوا العديد من الأشياء الجميلة. وكنت هنا مخطئاً، لأنّهم عرفوا أشياء كثيرة جهلتها، وكانوا في هذا أعقل ممّا كنت أنا بدون ريب. غير أنّي لاحظت أنّه حتى الحرفيون البارعون يقعون في الخطأ عينه مثل الشعراء. ولأنّهم كانوا عمالاً مهرة ظنُّوا أيضاً أنّهم عرفوا كلّ المسائل ذات الأنواع السامية. وهذا الخلل الذي يعتريهم حجب نور حكمتهم؛ ولهذا السبب سألت نفسي بالنيابة عن الكاهن، إذا كان يلزمني أن أكون كما كنت، لا حائزاً معرفتهم ولا جهلهم، أو مثلهم في كليهما. وأجبت بالنيابة عن الكاهن وعن نفسي أنّه من الأفضل لي أن أبقى كما كنت.

قادني هذا التحقيق لاستعداء كثيرين من النوع الأسوأ والأكثر خطراً وأعطى انبعاثاً للعديد من التّهم أيضاً، بما فيها تهمة اسم « الحكيم »؛ لأنّ مستمعيَّ يتصوّرون دائماً بأنّي أمتلك الحكمة التي وجدتُ الآخرين يفتقرون لها. لكنّ الحقيقة هي، أوه يا رجال أثينا، أنّ الله هو الحكيم وحده، وأنّه يقصد بإجابته أن يُبيِّن أنّ حكمة الرجال تساوي قليلاً أو أنّها لا تساوي شيئاً. ومع ذلك عندما يتكلّم عن سقراط، فهو يستعمل إسمي بطريقة المثل الموضِّح فقط، كما وأنّه قال هو، يا رجال، إنَّ الأعقل هو من يعرف مثل سقراط، وإنَّ حكمته لا تساوي شيئاً في الحقيقة. وهكذا أطوف أنا العالم، بطاعةٍ إليه

وأبحث وأبعث التحقيق في الحكمة لأيّ شخص، سواء أكان مواطناً أو غريباً، والذي يبدو أنه حكيم؛ وإذا لم يكن حكيماً، فحينئذ وفي إثباتٍ لِمَا قاله الكاهن أريه أنَّه ليس بحكيم. وأما مهنتي فقد امتصَّتني تماماً، ولم يكن لديَّ متسع من الوقت لأفعل أيّ شيء نافع لا في الشؤون العامة ولا في أيّ شيء يخصّني، بل إنّني في فقرٍ مدقع بسبب إخلاصي لله.

هناك شيءٌ آخر: إنّ شُبّان الطبقات الغنيّة، الذين لم يكن لديهم الكثير كي يقوموا به؛ يغيّرون اتجاههم نحوي من غير إكراه؛ ويحبّون أن يسمعوا الناس ممتحنين، وهم غالباً ما يقلّدونني في ذلك، ويتقدّمون هم أنفسهم للقيام بعملٍ إخباريٍ ما. ما أكثر ما تكتشفون الجمع الغفير من الأشخاص الذين يعتقدون أنّهم يعرفون شيئاً ما؛ غير أنّهم في الحقيقة يعرفون قليلاً أو لا يعرفون شيئاً. وحينئذ فإنَّ هؤلاء الذين تمَّ امتحانهم بهم بدلاً من أن يغضبوا منهم يغضبون منّي، ويقولون: هذا السّقراط البغيض، هذا النّذل الذي يضلِّل الشباب! ـ وإذا ما سألهم أيّ شخص بعدئذ، لماذا، وأيُّ شرٍّ يزاول سقراط أو يُعلِّم؟ فهم لا يعرفون ولا يستطيعون القول؛ لكن كي يمكن أن يبدو أنّهم في حيرة، يردِّدون الاتهامات الجاهزة سلفاً، والتي تُستعمل ضدّ الفلاسفة جميعاً بخصوص تعليم الأشياء العالية في السُحُب وتحت الأرض، وأنَّ ليس لهم آلهة، وأنّهم يجعلون القضيّة الأسوأ تبدو على أنّها الأفضل. فهم لا يحبّون أنْ يعترفوا أنَّ في ادّعائهم بالمعرفة قد تمّ اكتشافهم ـ وهو اكتشاف حقيقي؛ وبما أنّهم كثرة ويملأهم الطموح والنشاط، ويتكلّمون بلغةٍ إقناعيّة وبحماس، صمُّوا آذانكم بافتراءاتهم الصاخبة الراسخة الجذور. وهذا هو السبب الذي هاجمني من أجله متهميَّ الثلاثة، ميليتوس، أنيتوس، وليقون. إنّ ميليتوس خاصمني بالنيابة عن الشعراء؛ أنيتوس، لمصلحة الحرفيّين والسياسيين؛ وليقون لأجل علماء الكلام. وكما قلت في البداية، فأنا لا

أتوقّع أن أتخلّص من افتراءٍ ضخم في لحظة. إنّ هذه هي الحقيقة وكلّ الحقيقة، يا رجال أثينا. أنّني لم أُخفِ منها شيئاً، ولم أُرائي بأيّ شيء. وبرغم ذلك، فإن لديَّ شعوراً أكيداً بأنَّ سهولة حديثي إنّما تهيّج كراهيتهم لي، وليست كراهيتهم سوى برهان على أنّي أتكلّم الحقيقة؟ - من ثمَّ فإنّ الإجحاف والأذى ارتفعا ضدِّي، وهذا هو سببه. ستكتشفون ذلك في هذا البحث أو في بحثٍ مستقبليٍ آخر.

إنّني قلت ما فيه الكفاية في دفاعي ضدّ الصنف الأوّل من متهميَّ؛ وأستدير الآن إلى النوع الثاني منهم. إنَّ ميليتوس يرئسهم، ذلك الرجل الصالح والمحب الحقيقيّ لبلاده، كما يسمّي نفسه. يجب أن أحاول وأجهّز دفاعاً ضدّ هؤلاء أيضاً. دعوا شهادتهم الخطيّة يليها قسَم. إنّها تحتوي على شيء من هذا النوع: يقولون فيها إنَّ سقراط هو فاعلٌ للشرّ، بقدر ما يفسد الشباب ولا يقيم وزناً للآلهة التي تؤمن بها الدولة، لكنّ له ديناً خاصاً به. هذا هو الاتهام؛ والآن دعونا نتفحّص الفقرات الاتهاميّة على وجه الخصوص. يقول هو بأنّني فاعل الشرّ، وأفسد الشباب. لكنّني أقول، أوه يا رجال أثينا، إنَّ ميليتوس هو الآثم وهو فاعل الشرّ، وإنّه في ذلك يقوم بتمثيل مسرحيّة هزليةٍ ساخرة، جالباً الرجال إلى المحاكمة من حماسةٍ مزعومة واهتمامٍ بمسائل ليس لها عنده أدنى اهتمام. وسأسعى كي أبرهن لكم حقيقة ما أقول.

تعالَ إلى هنا، يا ميليتوس ودعني أسألك سؤالاً. هل تعلّق أنت أهميةً كبرى على تحسين الشباب؟

نعم، إنّني أفعل.

قل للقضاة، من هو محسّنهم لأنّك ينبغي أن تعرف ذلك، بما أنّك تبدي اهتماماً كهذا في الموضوع، واكتشفت مفسدهم، وأنت تدعوني للمثول أمام

القضاء وتتهمني في هذه المحكمة. تكلّم إذن، واخبر القضاة من هو محسّن الشباب! ـ لاحظ، يا ميليتوس، أنّك صامت وليس لديك أيّ شيء لتقول. لكن أليس هذا خزياً لك وبرهاناً جديراً بالاعتبار لِمَا كنت قائلاً تماماً، وهو أنّه ليس لديك أيّ اهتمام بالقضية؟ تكلّم جهاراً، يا صديقي، وقل لنا من هو محسّنهم.

القوانين.

لكنّ ذلك، يا سيّدي الصالح، ليس سؤالي: ألا تستطيع أن تسمّي شخصاً ما، سيكون من مؤهّلاته الأولى أن يعرف القوانين؟

القضاة، يا سقراط، الحاضرون في المحكمة.

ماذا، هل تعني، يا ميليتوس، أنّهم قادرون على أن يعلّموا ويحسّنوا الشباب؟

إنّهم لقادرون بدون ريب.

ماذا، كلّهم، أو بعض منهم فقط وليس البعض الآخر؟

كلّهم.

حقاً، إنَّ تلك الأخبارُ أخبار سارّة! يوجد وفرة من المحسّنين، إذن. وماذا تقول عن الحاضرين؟ هل هم يحسنونهم؟

نعم، إنهم يفعلون.

وأعضاء مجلس الشيوخ؟

نعم، إنَّ أعضاء مجلس الشيوخ يحسّنونهم.

لكن لربّما أعضاء الجمعيّة العموميّة يفسدونهم. أو هل هم يحسّنونهم أيضاً؟

إنّهم يحسّنونهم.

إذن فإنَّ كلَّ أثيني يحسّنهم ويقوّمهم؛ كلّهم يفعلون ذلك ما عداي؛ وأنا الوحيد الذي أُفسدهم. هل هذا ما تؤكّده؟

إنَّ هذا هو ما أصرّ على تأكيده.

إنّني لست محظوظاً جدّاً إذا كنت أنت محقّاً. لكن إفترض أنّي أسألك سؤالاً: هل يكون هذا هو الشيء عينه مع الأحصنة؟ هل يؤذيها إنسانٌ واحد ويفعل لها الخَير العالم كله؟ أليست الحقيقة هي عكس ذلك بالضبط؟ إنسانٌ واحدٌ هو قادرٌ على أن يفعل لها خيراً؛ أو على الأقل خيراً قليلاً جداً؛ ـ أعني هل يفعل مدرِّب الأحصنة لها خيراً لكنّ الرجل العادي يؤذيها إذا كان عليه أن يعاملها. أليس هذا حقيقياً، يا ميليتوس، عن الأحصنة، أو عن أيّة حيوانات أخرى؟ إنّ ذلك هو الحق الأكثر تأكيداً، سواء إذا قلت أنت أو قال أنيتوس لا. ستكون حالة الشباب سارّةً حقاً إذا كان لديهم مفسد واحد فقط، وكان كلّ الباقين محسنين لهم. لكنك أنت، يا ميليتوس، أبنت بما فيه الكفاية أنّه لم يكن لديك أيّ تفكير بشأن الشباب. إنَّ لا مبالاتك تظهر بوضوح في عدم عنايتك بالأشياء المحدَّدة التي تحضرها ضدّي.

والآن، يا ميليتوس، إنّني أستحلفك أن تجيبني على سؤالٍ آخر: أيّهما أفضل، أن تحيا بين مواطنين أشرار أو بين الأخيار؟ أجب يا صديقي. أقول، إنَّ السؤال الوحيد الذي يمكن الإجابة عليه بسهولة هو: ألا يفعل الأخيار الخير لجيرانهم، والأشرار يفعلون لهم الشر؟

بالتأكيد.

هل يوجد أيُّ شخص يفضِّل أن يؤذيه المتعاملون معه بدل أن ينفعوه؟ أجب، يا صديقي الخيِّر. إنّ القانون يقضي عليك أن تجيب. هل يحبّ أيّ شخص أن يؤذيه أحد؟

لا بالتأكيد.

وعندما اتّهمتني بإفساد وإتلاف الشباب، هل تدَّعي بأنّني أفسدهم عمداً أو عن غير قصد؟

أقول، عمداً.

لكنّك اعترفت لتوّك أنَّ الخيِّر يفعل الخير لجيرانه، والشرير يفعل لهم الشرّ. والآن، أتكون تلك هي الحقيقة والتي ميَّزتها حكمتك الأسمى هكذا مُبكراً في الحياة، وهل أكون أنا نفسي وفي سنِّي، في هكذا ظلامٍ وجهلٍ كي لا أعرف أنّه إذا أفسدني إنسان عليَّ أن أعيش معه، فإنّي سأكون موضع أذيته بالأحرى؛ ومع ذلك فأنا أفسده، وعن قصدٍ أيضاً. هذا ما تقوله أنت، مع أنّني لا أقتنع أنا ولا أيّ مخلوق إنساني آخر أبداً بما تقول ولو بالاحتمال. غير أني لا أفسدهم، أو إذا قمت بذلك فبشكلٍ غير مقصود؛ وفي كلا الرؤيتين لتلك الحالة أنت تكذب. إذا كانت إساءَتي غير متعمّدة، فإنّ القانون لا يمتلك اختصاصاً للنظر في الإساءَات غير المتعمَّدة. لا شك أنَّك أخذتني على حين غرّة بصورة شخصيَّة، وأنذرتني ولمتني؛ لأنّني إذا امتلكت التعليم والإرشاد، كان عليَّ أن أترك فعلِ ما فعلته عن غير قصد - يلزمني فعل ذلك بدون شكّ؛ لكن لم يكن لديك شيء لتقوله لي ورفضت أن تعلّمني. والآن فأنت تحضرني في هذه المحكمة، وهي ليست مكاناً للتهذيب والتعليم، بل مكان للعقاب.

سيكون واضحاً لكم، أيّها الأثينيون، كما كنت قائلاً، أنَّ ميليتوس لم يكن لديه أيّ اهتمامٍ واضح قطّ، كبيراً كان أو صغيراً، بشأن هذه القضيَّة. لكنّني لم أزل وسأحب أن أعرف، يا ميليتوس، بماذا يثبت عليَّ بأنّي أفسد عقول الشباب. أفترض بأنّك تعني، كما أستنتج من اتهامك، بأنّي أعلمهم كي لا يعترفوا بالآلهة التي تعترف بها الدولة بل بآلهة أخرى جديدة أو بقوىً روحية بدلاً منها. تلك هي الدروس التي أُفسِدُ الشباب بواسطتها، كما تقول.

نعم، إنّي أقول ذلك بكلّ تأكيد.

إذن، قل لي وللمحكمة باسم الآلهة، يا ميليتوس، الذين نتكلم نحن عنهم،

قل لنا في عبارات أسهل قليلاً، ماذا تعني؟ فأنا لا أفهم حتى الآن إذا ما كنت تؤكّد أنّني أعلّم الرجال الآخرين ليعترفوا بآلهة ما، ولذلك أنا لا أعتقد في الآلهة، وأنا لست بملحدٍ كامل - إنّ هذا لا تضعه في اتهامك لي، بل تقول فقط إنّها ليست الآلهة نفسها التي تعترفُ الدولة بها - الاتهام الذي تّتهمني به هو أنَّ الآلهة الذين أعتقد بهم هم آلهة مختلفون، أو هل تقصد أنّني ملحد بشكل كامل وبكل بساطة، ومعلم للإلحاد؟

أعني الآخر، إنّك ملحد بشكل عامّ.

أيُّ تصريح غريب! لماذا تظنّ ذلك، يا ميليتوس؟ هل تعني بأنّني لا أعتقد في إله رئيس للشمس أو القمر مثل بقيّة الجنس البشري؟

إني أؤكّد لكم، أيّها القضاة أنّه لا يؤمن بذلك لأنّه يقول إنّ الشمس هي حجر، والقمر تربة.

أيّها الصديق ميليتوس، هل تظن أنّك تّتهم أناكساغوراس؟ هل لديك رأي سافل كهذا عن القضاة، كي تتوهّم أنّهم هكذا أميّون ولا يعرفون أنّ هذه القواعد الفكريّة موجودة في كتب أناكساغوراس الكلازوميني الذي تمتلىء كتبه بها؟ ولهذا قيل إنّ الشباب تعلّموهما من سقراط، في الواقع، في حين أنّهم يستطيعون أن يشتروها من المكتبات بدراخما واحدة على الأكثر(٢٦)؛ ويمكنهم أن يدفعوا مالهم، ويضحكون على سقراط إذا زعم أنّه مبتدع هذه الأفكار الغريبة. وهكذا، يا ميليتوس، هل تظنّ بأنّني لا أؤمن بأيِّ إله؟

أُقسم بزيوس أنّك لا تؤمن بأيِّ إلهٍ على الإطلاق حقاً.

لا أحد سيصدّقك، يا ميليتوس، وإنّي لمتأكّد تماماً أنّكَ لا تصدّق نفسك، ولا سبيل لي إلاّ أن أعتقد، يا رجال أثينا، أنّ ميليتوس ما هو إلاّ أرعن وصفيق، وأنّه ساق لي هذه التهمة بمجرّد نفسيّة جائرة وتبجّح شباب. ألم يمزج هو لُغزاً مفتكراً لأنّ يجرّبني؟ قال هو لنفسه: إنّني سأرى إذا ما كان

سيكتشف الحكيم سقراط مناقضتي لنفسي المثيرة للشقاق، أو إذا ما كنت قادراً أن أخدعه وأخدع بقيّة الحاضرين لأنّه يبدو لي بكلّ تأكيد أنه يناقض نفسه في الاتهام بقدر ما إذا قال هو إنّ سقراط يكون مذنباً لعدم اعتقاده بالآلهة، ومع ذلك بالاعتقاد بهم ـ لكنّ هذا لا يكون مثل الشخص الذي هو جادٌّ فيما يقول وينوي.

سأحبّ منكم، أوه يا رجال أثينا، أن تنضمُّوا لي في اختبار ما أتصوّر أنّه تناقضه؛ وهل ستجيب، يا ميليتوس، ويلزمني أن أذكِّر الحاضرين بطلبي وهو أن لا يقوموا بأي تشويش إذا تكلّمت بأسلوبي المعتاد.

هل اعْتَقَدَ إنسانٌ قطّ، يا مليتوس، في وجود الأشياء الإنسانيّة، وليس في الكائنات الإنسانيّة؟ .... أرغب، يا رجال أثينا أن يجيبني ميليتوس، وأن لا يحاول مقاطعتي عندما أتكلّم. هل اعْتَقَدَ أيُّ إنسانٍ في الفروسية قطّ، وليس في الأحصنة؟ أو في العزف على القيثار، وليس في العازفين عليه؟ يا صديقي، لا أحد فعل ذلك أبداً؛ إنّني أجيب من أجلك ومن أجل المحكمة، بما أنّك ترفض أن تجيب بنفسك. لكن أجبني على السؤال التالي من فضلك: هل يقدر إنسانٌ أن يعتقد في وجود الأشياء الروحانيّة والإلهيّة، وليس في الروحانيات أو شَبَه الآلهة؟

إنّه لا يستطيع.

كم أنا محظوظ لأنتزع ذلك الجواب منك، بمساعدة المحكمة! لكنّك حينئذ تقسم أنت في الاتهام بأنّني أعلّم وأعتقد في أشياء روحانيّة أو إلهيّة. هكذا تقول أنت وتحلف في الشهادة الخطيّة المشفوعة بقَسَم؛ وبرغم هذا إذا اعتقدتُ أنا بها، فكيف أستطيع أن أمتنع عن الاعتقاد في الروحانيّات وأنصاف الآلهة؟ ـ ألا يجب أن أفعل ذلك؟ لتكن متأكّداً يلزمني فعل هذا. إنّ صمتك، يا ميليتوس، يعطي موافقة على ما قلت. والآن ما هي الروحانيّات أو أنصاف الآلهة؟ أليست آلهة أو أبناء آلهة؟

إنّها كذلك بكلّ تأكيد.

لكن هذا هو الذي أسمّيه لُغزاً مثيراً للشقاق أنت الذي اخترعته: إنّ أنصاف الآلهة أو الأرواح هي آلهة، وتقول أنت في البدء بأنّني لا أعتقد بالآلهة، ومرّة ثانية بعدئذ بأني أعتقد بها؛ يكون ذلك، إن اعتقدت في أنصاف الآلهة لأنّ أنصاف الآلهة إذا كانت هي أبناء الآلهة غير الشرعيين، سواء إذا من نيمفس، أو من أمّهاتٍ أخريات، كما يقال إنّ بعضهم يكون ـ فأيّ مخلوق إنساني سيعتقد قطّ أنّه لا يوجد آلهة عندما يوجد أبناء آلهة؟ يمكنك أن تؤكّد أيضاً وجود البغال وتنكر ذلك على الأحصنة والحمير. إنّ سفاسف كهذه، يا ميليتوس، يمكن أنّك قصدت بها أن تخلق تجربة عليَّ فقط. لقد وضعتها في شكلِ اتّهام لأنّه لا يمكنك أن تفكر بشيء حقيقيّ كي تتّهمني به. لكن لا أحد ممّن يمتلك مثقال ذرّة من الفهم سيقتنع بك وبما تقول، وهو أنّه لا يمكن لإنسانٍ أن يعتقد بوجود أشياء إلهيّة وفوق مستوى البشر، ويرفض الإنسان ذاته أن يعتقد بالآلهة وأنصاف الآلهة والأبطال الإلهيين.

إنّني قلت بما فيه الكفاية جواباً على اتهام ميليتوس. إنَّ أيَّ دفاعٍ مفصَّل ليس ضرورياً. أنتم تعرفون جيّداً حقيقة إفادتي وهي أنّي جلبت لنفسي العديد من العداوات العنيفة؛ وهذا هو ما سيكون هلاكي إذا ما قضي علي أن أهلك. فلا ميليتوس، ولا حتى أنيتوس، بل حسد الناس وحطُّهم من قَدْري، هو الذي قد تسبَّب في وفاة العديد من الرجال الأخيار، وسيكون السبْب في وفاة عديدين كثر على وجه الاحتمال. فلا خطر في كوني آخر من يتعرّض لمثل هذا الاتهام.

سيقول شخص ما: أو لست بمستحٍ، يا سقراط، بطريقة الحياة التي أوصلتك إلى نهاية في غير أوانها على الأرجح؟ يمكنني أن أجيبه بعدل: أنت مخطىء هناك. إنّ الإنسان الذي يكون خيّراً لأيّ شيء عليه أن لا يقيم وزناً للحياة

أو الموت؛ ينبغي عليه⁶ أن يعتبر فقط ما إذا كان يقوم بعمل صحيح أم خطأ ـ ممثّلاً دور إنسان الخير أو رجل الشرّ. فبناء على رأيك، يُعتبر الرجال الذين سقطوا في معركة طروادة أنّهم لم يكونوا صالحين كثيراً، وينطبق هذا على ابن ثاتيس قبل الجميع الذي ازدرى بالخطر بكل ما في الكلمة من معنى بالمقارنة مع العار؛ وعندما كان متشوّقاً ليذبح هيكتور، فإنّ أمّهُ الإلهة قالت له أنّه إذا ثأر لرفيقه باتروكلوس وذبح هيكتور، فإنّه سيموت. « القدر »، قالت هي، ينتظرك بعد هيكتور، في هذه الكلمات أو بكلماتٍ مشابهة؛ عندما تلقّى هو هذا الإنذار استخفّ بالخطر والموت بشكل كلّي، وبدل أن تخيفه تلك الكلمات، خاف بالأحرى أن يعيش في الخزي والعار، وأن لا يثأر لصديقه. « دعوني أموت، على الفور، وأن أثأر من عدوّي، بدلاً من أن أبقى هنا بجانب البواخر ذات الشكل المنقاري، وأن أكون موضع سخرية الناس، وعبئاً ثقيلاً على الأرض ». هل كان لدى آخيل أيّ تفكيرٍ بالموت والخطر؟ لأنّه أينما يكون مكان الإنسان، سواء إذا كان المكان الذي اختاره أو ذلك الذي قد وُضعَ فيه من قِبَل آمر، هناك يجب أن يبقى في ساعة الخطر غير آبهٍ بالموت أو بأيّ شيء آخر بالمقارنة مع الخزي والعار. وإنّ هذا القول قول صادق، أوه يا رجال أثينا.

سيكون تصرفي تصرّفاً غريباً حقا، أوه يا رجال أثينا، إذا كنت أغادر موقعي بسبب الخوف من الموت أو بسبب أي خوفٍ آخر وأنا الذي بقيت حيث وضعتموني في مواجهة الموت، مثل أيٍ رجل آخر، عندما أمرني القادة العسكريون الذين اخترتموهم ليقودوني في معركة بوتيدايا وأمفيجوليس وديليوم ـ إذا كنت الآن، كما أتصوّر وأعتقد، أنّ الله أمرني كي أُتمّم مهمة الفيلسوف للبحث في نفسي وفي نفوس الرجال الآخرين، فإنْ تصرّفت تصرّفاً كهذا سيكون غريباً حقاً؛ ويمكن أن أُتَّهمَ بعدل في المحكمة لإنكاري

وجود الآلهة، إذا عصيت الكاهن لأنني خشيت أن أموت، متوهّماً أني كنت حكيماً في حين أني لم أكن. لأنّ الخوف من الموت هو تظاهر بالحكمة في الحقيقة، وليس حكمة حقيقية، وكونه تظاهراً بمعرفة المجهول؛ ولا أحد يعرف ماذا يمكن أن يكون الموت الذي يخافه الرجال لأنّهم يدركون أنّه الشرّ الأكبر، وهو ربّما يكون الخير الأعظم. أليس هذا الجهل من النوع الشائن؟ إنّه الجهل الذي يكون وهماً وهو ادعاء الإنسان معرفة ما لا يعرف. وأعتقد أنا نفسي في هذا الخصوص بأنّي أختلف فقط عن بقية الرجال بشكل عامّ، ولربّما يمكنني المطالبة بأنّني أعقل منهم: ـ ذلك حيث أعرف القليل عن العالم السفلي فحسب، ولا أفترض بأنّي أعرف، لكنّني أعرف أنّ الظلم والمعصية هما شرٌّ وعار، سواء كانا لله أو الإنسان، ولن أخاف أبداً أو أتفادى خيراً ممكناً بدلاً من شرٍّ أكيد. ولذلك إذا تركتموني أذهب الآن، ولم تقتنعوا بما قاله أنيتوس الذي قال إنّه بما أنّني قد تمّت محاكمتي فيجب أن يُنفَّذ فيَّ حكم الإعدام « لأنّه إذا لم تكن العقوبة كذلك فما وجب أن أُحاكَم على الإطلاق قطّ ». وأنّني إذا هربت الآن، فإنّ أولادكم جميعاً سيُخرَّبُون بشكل مطلق وذلك بالمهنة التي أُعلِّم. إذا قلتم لي، يا سقراط، إنّنا لن نهتم بما قاله أنيتوس هذه المرّة وسندعك حرّاً طليقاً، لكن بشرط واحد، وهو أن لا تحقّق ولا تبحث ولا أن تتأمّل بهذه الطريقة بعد اليوم، وأنّه إذا قُبِضَ عليك فاعلاً ذلك مرّة ثانية فإنّك ستموت ـ إذا كان هذا هو الشرط الذي ستَدَعُونني وشأني على أساسه، فما عليَّ إلاّ أن إجيبكم: يا رجال أثينا، أنّني أُجِلُّكم وأُحبّكم، لكنّني سأطيع الله بدل إطاعتي لكم، وما دامت لي الحياة والقوّة والعزيمة فلن أنقطع عن ممارسة وتعليم الفلسفة مطلقاً، ناصحاً ومحذّراً أيّ شخص منكم ممّن أقابل وأقول له بأسلوبي الخاص: أنت، يا صديقي، مواطنٌ في مدينة أثينا تلك المدينة

العظيمة والقويّة والحكيمة، ألست بمستحٍ بتكديس مبالغ كبيرة من المال وبالسّعي للحصول على الشرف والسمعة الحسنة، وتهتمّ هكذا قليلاً بشأن الحكمة والحقيقة وتحسين الروح الأعظم والتي لا تقدِّرها أو تلتفت إليها أبداً؟ وإذا قال شخص ممّن أحاورهم: نعم، لكنّني أهتمّ بما تقول؛ فلن أتركه عندئذ أو أدعه وشأنه في الحال، بل أتقدّم لأستنطقه وأمتحنه وأستجوبه بدقّة. وإذا اعتقدت بأنّه لا يمتلك فضيلة فيه بل يدّعي أنّه يحوزها فقط، فإنّي سوف ألومه لأنّه يُبخِس تقييم الشيء الأكثر نفاسة ويبالغ في تقييم الأخس. وسأكرّر الكلمات عينها لكلّ شخصٍ أقابله، شابّاً كان أو مُسِنّاً، مواطناً أو غريباً، لكن أكرّرها لكم أيّها المواطنون بشكل خاصّ، بقدر ما أنتم أخوة لي. إعرفوا أنّ هذا هو أمر الله، وأعتقد أنّه لم يحدث في الدولة على الإطلاق خير أكبر من خدمتي لله. وأنا لا أفعل أيّ شيء إلاّ التجوال لإقناعكم جميعاً، شباباً وكهولاً على قدم المساواة، بأن لا تهتمّوا بأشخاصكم أو ممتلكاتكم، بل اعتنوا أوّلاً وبشكل رئيسيّ بشأن التحسين الأعظم لأرواحكم. أخبركم، يا رجال أثينا، أنّ الفضيلة لا تُعطى بالمال، بل من الفضيلة يأتي المال وكل خيرٍ آخر للإنسان، عامّاً كان أو خاصّاً. هذا هو تعليمي، وإذا أَفسَدَ الشباب، فإنّه لعمل مؤذٍ؛ لكن إذا قال أيّ شخص إنّ هذا ليس تعليمي فهو يتكلّم باطلاً. ولهذا السبب أقول لكم، أوه يا رجال أثينا، اعملوا كما يأمر أنيتوس، أو لا تفعلوا كما يأمر، إمّا برّئوني من التهمة أو لا تبرّئوني؛ وأيّاً ما فعلتم، إفهموا بأنّي لن أبدِّل طرائقي أبداً، حتى لو كان عليَّ أن أموت عدّة مرات

يا رجال أثينا، لا تقاطعوا، بل استمعوا إليّ؛ إنّني التمست منكم سابقاً كي تفعلوا ذلك بدون أن تعيقوني، وأطلب منكم الآن أن تستمعوا لِمَا سأقوله حتّى النهاية. إنّ لديَّ شيئاً ما أكثر كي أقول. لاتميلوا إلى الصراخ.

أنّي أعتقد إنّ استماعكم لي سيكون خيراً لكم، ولذلك فأنا أتوسّل إليكم أن تكبحوا جماح أنفسكم. عليَّ أن أعرف، أنّكم إذا ما قتلتم شخصاً مثلي، فإنّكم ستؤذون أنفسكم أكثر من أذيّتكم لي. لا شيء سيؤذيني، لا ميليتوس ولا حتّى أنيتوس - إنّهما لا يستطيعان عمل ذلك، لأنّ الرجل الشرير ليس مسموحاً له أن يؤذي إنساناً أفضل منه. لا أنكر بأنّ أنيتوس يمكنه، لربما، أن يقتل إنساناً، أو أن يقوده إلى المنفى، أو أن يجرّده من حقوقه المدنيّة؛ ويمكنه أن يتخيَّل، ويمكن للآخرين أن يتخيَّلوا، أنّه بفعله هذا يُنزل عليه أذىً عظيماً، غير أنّني لا أوافق هناك، لأنّ فعل الشرّ كما هو فاعل - الشرّ لمحاولة سحق حياة الغير ظلماً - هو أكثر أذىً ببعدٍ كبير.

والآن، أيها الأثينيّون، فأنا لست ساعياً لأجادلكم من أجلي، كما يمكنكم أن تظنّوا، بل من أجلكم، كي لا تذنبوا ضدّ الله بإدانتكم لي، وأنا هبة الله لكم إذا قتلتموني فلن تجدوا خَلَفاً لي بسهولة، وأنا، إذا أمكنني أن أستخدم هكذا صورة بلاغيّة مضحكة، فأنا نوع من النُعَرَة، أهداها الله إلى الدولة؛ والدولة حصان كبير ونبيل بطيء في حركاته بسبب حجمه الضخم ويحتاج لأن يُبعث إلى الحياة. إنّني تلك النُعَرَة التي سخّرها الله للدولة وما أنا إلاّ ممسككم طول النهار بإحكام وفي الأمكنة جميعها، موقظكم ومقنعكم ولائمكم. إنّكم لن تجدوا شخصاً آخر مثلي بسهولة، ولهذا السبب فإنّي أنصحكم أن تُبقوا على حياتي. أجرؤ على القول إنّكم يمكن أن تشعروا بسبب غضبكم « مثل الشخص الذي استيقظ من النوم فجأة » وأنّ تظنوا أنّه باستطاعتكم أن ترموني جثة هامدة بسهولة كما ينصح أنيتوس، وبعدئذ فأنتم ستنامون نوماً ثقيلاً لبقيّة حيواتكم، إلاّ إذا أرسل الله لكم نُعَرَة أخرى وذلك عنايةً بكم. عندما أقول إنّني منحة الله لكم، فبرهان مهمّتي يكون ما سأقول: إذا قد كنت مثل الرجال الآخرين، فما كان عليَّ أن أهمل كل

شؤوني الخاصة أو أن أرى إهمالها بصبر خلال كل هذه السنين، وقد كنت مهتمّاً بشؤونكم، آتياً إليكم كلاً بمفرده، مثل أبٍ أو أخ أكبر، أحضّكم على أن تعتبروا الفضيلة؛ أقول، إنّ سلوكاً كهذا، سيكون غيراً من الطبيعة الإنسانيّة. إذا كسبت أيّ شيء، أو إذا تلقّيت أجراً لنصحي وحضّي، فسيكون هناك بعض المعنى في عملي ذلك. لكن الآن، وكما ترون بأنفسكم، أنّه حتى الصفاقة التي لا تنفد لمن يتّهمني لا تقدر أن تقول بأنّي ألزمتُ أحداً أو طلبت مقابلاً من أيّ شخص؛ هُمْ لا يقدرون على أن يقدموا شاهداً بشأن ذلك. أمّا أنا فلديَّ شاهد كافٍ على حقيقة ما أقول - إنّه فقري.

يمكن أن يتعجب شخص ما لماذا أطوف في السرّ ناصحاً وشاغلاً نفسي بما يخصّ الآخرين، لكنّني لا أجازف في التقدّم علانيةً وأنصح الدولة. إنّي سأخبركم لماذا. لقد سمعتموني أتكلّم في أوقات متنوعة وفي أماكن الغطّاسين عن الكاهن الإلٰهي أو الإشارة الإلهيّة التي تأتي إليّ، وهي الألوهيّة التي يسخر منها ميليتوس في اتهامه.ابتدأت هذه الإشارة، التي هي نوع من الصوت، ابتدأت تأتي إليّ أوّلاً عندما كنت طفلاً؛ إنّها تمنعني أن أفعل شيئاً هممت على القيام به من وقتٍ لآخر، لكنّها لا تأمرني بأيّ شيء. إنّ هذه الإشارة هي التي منعتني من أن أكون سياسياً. وكما أعتقد بحقّ، أوه يا رجال أثينا، فإنني لمتأكّد من أنّي لو اشتركت في السياسات، فما كان عليّ إلاّ أن أفنى منذ زمن بعيد، ولم أقم بأيّ عملٍ خيّرٍ لا لكم ولا لنفسي. ولا تتكدّروا وتغضبوا من قولي الحقيقة لكم، لأنّ الحقيقة هي، أنَّ لا إنسان سينقذ حياته وقد ركّز نفسه ضدّكم بثبات أو ضدَّ أيّة أكثريّة أخرى، ويكافح في الوقت عينه ليحفظ الدولة من عدّة شوائب مخالفةٍ للقانون وغير محقّة. إنّ من سيحارب من أجل الحقّ، إذا ما كان هو سيحيا لفترة زمنيّة قصيرة، يجب أن يمتلك موقعاً خاصّاً وليس موقعاً عامّاً.

أقدر أن أعطيكم دليلاً مقنعاً على ما أقول، وليس كلماتٍ فقط، بل ما تقدِّرونه أكثر بكثير ـ الأعمال. دعوني أسرد لكم مقطعاً من حياتي الخاصّة سيبرهن لكم بأنّه ينبغي على إنسانٍ أن لا يذعن أبداً لخطأ خوفاً من الموت، وسأكون عازماً في الحقيقة على أن أهلك ولا أذعن لمثل ذلك. سأروي لكم قصّة عن المحاكم، لربما ليست مشوّقة، لكنها حقيقية بالرغم من هذا. إنّ المنصب الوحيد الذي تسنّمته في الدولة، أوه يا رجال أثينا، كان منصب عضوٍ في مجلس الشيوخ. إنّ قبيلة أنطيوخوس، وهي عشيرتي، كان لها مركز الرئاسة في محاكمة القادة العسكريين الذين لم يهتمّوا برفع جثث المذبوحين بعد معركة أرغينوساي؛ وآقترحتم أنتم حينها أن تحاكموهم على نحوٍ جماعي، خلافاً للقانون، كما فكّرتم كلكم بعد ذلك؛ لكّنني كنت في ذلك الوقت الشخص الوحيد من «PRYTANES» البريتاينز الذي عارض هذا العمل غير القانوني، وصوّتُّ ضدّكم. وعندما هدَّد المدَّعون بأن يتّهموني أمام القضاء وأن يلقوا القبض عليَّ، وأنتم صحتم وصرختم حينها، عقدت العزم ونويت على أن أتحمّل المخاطرة، وإلى جانبي القانون والعدل، بدلاً من أن أكون شريككم في الظلم لأنني خفت السجن والموت. حدث هذا في أيّام الديمواقراطية. لكن عندما كانت الأوليغاركيّة الثلاثينية في السلطة إستدعوني مع أربعةٍ آخرين إلى القاعة المستديرة، وأمرونا أن نجلب ليون السلامينيان من سالاميس، لأنّهم أرادوا أن ينفّذوا فيه حكم الإعدام. كان هذا هو نموذج الأوامر التي أعطوها دائماً بقصد توريط أكبر عددٍ ممكن من الناس في جرائمهم؛ وأبنت حينئذ مرة ثانية ليس في الكلمة فقط بل في المأثرة، أنّه إذا ما سُمح لي أن أستعمل تعبيراً كهذا، فأنا لا أهتمّ بالموت قدر مثقال ذرَّة، وأنَّ آهتمامي الوحيد والكبير هو ألاّ أفعل شيئاً غير صحيح وغير مقدَّس، وآثم. إنّ ذلك الساعد القوي لتلك القوّة الجائرة لم يخفني فأقوم بعمل

الخطأ. وعندما خرجنا من القاعة المستديرة ذهب الأربعة الآخرون إلى سالاميس وأحضروا ليون، لكن أنا عدت إلى البيت بهدوء. وكان يمكن لعملٍ كهذا أن يودي حياتي، لو لم تأتي نهاية تلك القوّة الثلاثينيّة الغاشمة بعد ذلك بقليل، وسيشهد العديد على حقيقة كلماتي.

والآن هل تتصوّرون حقّاً أنّه كان بإمكاني أن أبقى حيّاً كلّ هذه السنوات، إذا ما كنت لأحيا حياة عامّة، مُفْترضاً مثل إنسانٍ خيِّرٍ أنني دافعت عن الحقّ وأقمت العدل، كما يلزمني أن أفعل كلّ شيء؟ لا، حقّاً، يا رجال أثينا، لا أنا ولا أيّ إنسان آخر عليه أن يفعل ذلك. لكنّني قد كنت الشيء عينه على الدوام في كل أعمالي، الخاصّة كما العامّة، ولم أذعن أبداً لأيّة مسايرة سافلة لأولئك الذين يُسمّون تابعين لي بافتراء، أو لأيٍّ شخص آخر ليس لأني لم أمتلك أبداً أي مريدين منتظمين، لكن إذا أحب أي شخص أن يأتي ويسمعني في حين أتابع مهمتي، سواء أكان شابّاً أو مسنّاً، فإنّه لن يُستثنى من ذلك. ولا أتحادث مع أولئك الذين يدفعون؛ بل يمكن لأيٍّ شخص أن يسأل ويجيبني ويستمع إلى كلماتي، سواء أكان غنياً أو فقيراً؛ وسواء ثبت في النهاية أنه رجل شرير أو إنسانٌ خيِّر، يمكن لكلا النتيجتين أن تُنسب لي بعدل. فأنا لم أعلِّم ولا آدّعيت بأنني أعلِّم أيّ شيء. وإذا قال أيّ شخص أنّه تعلَّم أو سمع مني أيّ شيء في السرّ لم يسمعه العالم كلّه، دعوني أقول لكم إنّه كاذب

لكنّني سوف أُسأل، لماذا يبتهج الناس بالحديث معك بشكل مستمرّ؟ أخبرتكم مسبقاً، أيّها الأثينيون الحقيقة كاملة بشأن هذه المسألة. إنّهم يحبّون الاستماع للاستجواب الدّقيق للمتظاهرين بالحكمة، فهناك متعة في الاستجواب هذا. والآن فإنّ هذا الاستجواب الدقيق للرجال الآخرين قد فرضه الله عليّ. وقد أُعلِنَ لي بالكهنة، بالأحلام، وبكلّ طريقة كانت فيها

قوّة المشيئة الإلهيّة مبلّغة لأيّ شخص أبداً. إنّ هذا لحقيقي، أوه أيّها الأثينيون؛ أو إذا لم يكن كذلك، يمكن دحضه بسهولة. إذا ما أكون أنا أو قد كنت مُفسِداً للشباب حقّاً، فإنّ الذين ترعرعوا منهم وكبروا وأصبحوا مدركين وإذا ما أعطيتهم نصيحةً سيئة في زمن شبابهم ينبغي عليهم أن يتقدّموا طبعاً كمتَّهمين لي على ما فعلته بهم، ويأخذون بثأرهم مني؛ أو إذا كانوا لا يحبون أن يحضروا بأنفسهم، فيلزم أن يفكر بعض أقاربهم، آباؤهم، أخوانهم، أو أنسباؤهم الآخرون، يلزمهم أن يفكروا بالشرّ الذي قاسته عائلاتهم على يديَّ. هذا هو الوقت المناسب. إنّني أرى العديد منهم في المحكمة. هناك يوجد كريتون، وهو من عمري ويقاسمني السّكن. وهنالك إبنه كروتيبولوس، الذي أراه أيضاً. يوجد مرّة ثانية بعدئذ ليسانياس من سفيتوس، الحاضر أبوه هنا أيضاً واسمه آيستشانيز؛ ويوجد أنتيفون من سيفيسوس، وهو والد أبيجينز؛ ويوجد أخوة العديد ممّن زاملتهم في حياتي. هناك نيكوستراتوس بن ثيودوتايدس، وأخو ثيودوتوس. والآن فإنّ ثيودوتوس قضى نحبه، وهو لذلك، لن يحاول إيقافه على أيّة حال. وهاك بارالوس بن ديمودوكوس، الذي كان له أخ آسمه ثيجس؛ وذاك أديامنتوس بن أريسطون، وهو أخو أفلاطون الموجود. وإنّي لأرى أينتودوروس أخا أبولودوروس، وأرى أبولودوروس كذلك أيضاً. يمكنني أن أذكر آخرين كثراً في العدد كان ينبغي على ميليتوس أن يُحضِرَهم كشاهدين في طريقة كلامه؛ ودعه يُحضِرَهم من جديد؛ وإذا ما نسي فإنّي سأمهّد له الطريق. ودعه يقول: إذا ما كان عنده أيّة بيّنة من النوع الذي يمكن إحضاره. أيّها الأثينيون، إنّ الحقيقة هي عكس ذلك تماماً، لأنّ كل هؤلاء هم جاهزون ليشهدوا لصالح المُفسَد، لصالح الذي تلقّى الأذى على يدي ولصالح أنسبائه كما يسميني ميليتوس وأنيتوس، إنّهما لا يدعوانني مفسد الشباب فقط ـ يمكن أن يوجد حافز لذلك ـ بل

إنّي مفسد أقربائهم المسنيّن غير المُفسَدين. لماذا يلزمهم أن يدعموني في شهادتهم؟ لماذا، حقاً، اللهمّ إلاّ في سبيل الحقيقة والصدق والعدل، ولأنّهم يعرفون أنني أتكلّم الحقيقة، وأن ميليتوس ما هو إلا كذّاب.

حسناً، أيّها الأثينيّون، إنّ هذا وما شابه هو كل دفاعي الذي عليّ أنّ أقدّمه. ومع ذلك فكلمة إضافية سأقولها. لرّبما كان هناك من ينزعج منّي، عندما يستدعي إلى ذاكرته كيف أنّه كان هو نفسه في مناسبة مماثلة، أو حتى أقلّ خطراً، كيف أنّه صلّى وتضرّع إلى القضاة بدموع منهمرة، وكيف أحضر أطفاله إلى المحكمة ليثير الشفقة، كيف أحضرهم معاً وأحضر بجانبهم حشداً كبيراً من الأقرباء والأصدقاء في حين أنّني، وأنا أمرؤ لربّما في لحظة خطر يتوّقف عليها مصيري وحياتي، لا أفعل أيّا من هذه الأشياء. يمكن أن تحدث المقارنة بعقله، ويمكنه أن يثور ضدّي، وأن يصوّت بغضب لأنّه غير مسرور منّي لهذا السبب. والآن إذا وُجد شخصٌ كهذا بينكم تذكّروا، فأنا لا أقول بأنّه موجود، يمكنني أن أجيبه بعدل: يا صديقي، إنّني إنسان، ومثلُ كلّ الرّجال الآخرين، مخلوق من لحم ودم، وليس « من الخشب أو الحجارة »، كما يقول هوميروس؛ وأمتلك عائلة، نعم، وأبناء، أوه أيّها الأثينيون، ثلاثة في العدد، وأحدهم رجلٌ تقريباً، وإثنان آخران لا يزالان فتيّين، وبرغم ذلك فلن أحضر أحداً منهم إلى هنا كي أتوسّل إليكم لأطلاق سراحي. أتعلمون لماذا؟ ليس من أيّ توكيدٍ للذّات أو افتقاداً لإحترامكم. وإذا ما كنت خائفاً من الموت أمْ لا فهذا سؤال آخر، والذي لن أتكلّم عنه الآن. لكنني عندما أفكّر في إسمي الطيّب، وإسمكم، وباسم الدولة ككلّ، فإنّي أشعر بأنّ تصرّفاً كهذا هو تصرّف فاضح ومشين. إنّ إنساناً وصل إلى عمري، وله الإسم الذي لي، يجب أن لا يحقر نفسه ـ سواء إذا أعتبر رأيي هذا أم لم يُقدَّر. على كلّ حال لقد قرّر العالم أنّ سقراط هو، بطريقة ما أو

بأخرى، أسمى من الرجال الآخرين. وإذا كان أولئك الذين بينكم والذين يقال عنهم إنّهم أسمى في الحكمة أو الشجاعة، أو في أيّة فضلية أخرى، أقول، إذا كان أولئك يحقرون أنفسهم بهذه الطريقة، فكم هو مخزٍ وشائن تصرّفهم وأخلاقيتهم! وإني قد رأيت رجالاً ذوي شهرة يتصرفون بأغرب أسلوب بينما كانت تجري محاكمتهم: يبدون هم متوهمين أنّهم في طريقهم ليقاسوا شيئاً ما مرعباً إذا ما وجب عليهم أن يموتوا، وأنّهم سيعيشون إلى الأبد إذا أُبقِيَ على حياتهم. وإنّني أعتقد بأنّ تصرفاً كهذا هو عارٌ يحيق بالدولة، وأنّ أيّ غريب يدخل سيقول عنهم إنّهم أكثر رجال أثينا شهرة، والذين منحهم الأثينيون أنفسهم التبجيل وبوأوهم أعلى المناصب، سيقول الغريب هذا إنّ هؤلاء ليسوا بأفضل من النساء على الإطلاق؛ وإنّي أقول بأنّ هذه الأشياء لا ينبغي أن تجري لكم بسبب أولئك الذين يمتلكون الصيت الحسن في أيّة مهنة من مهن الشخص وفي بيئته. وإذا تمّ فعلها، فالذي يلزمكم هو أن لا تسمحوا بها قط. يجب عليكم بالأحرى أن تبيّنوا أنكّم أكثر ميلاً بكثير كي تدينوا الرجل الذي يَخْلُقُ منظراً كئيباً ويجعل المدينة مضحكة، بدلاً من الذي يلتزم الصمت ويحتفظ برباطة جأشه.

لكن، ولأضع جانباً قضيّة الشرف، يبدو أنَّ هناك شيئاً ما خطأً في سؤال القاضي إسداء المعروف لي أو التعاطف معي، وهكذا متسبباً في إطلاق سراحي، بدلاً من إعلامه وإدانته. لأن واجبه ليس أن يخلق حضوراً للعدل، بل أن يعطي حكماً؛ و لقد أقسم أنّه سيحاكم طبقاً للقوانين، وليس حسب مسرّته الطيبة الخاصة؛ وينبغي علينا أن لا نشجعكم ولا يجب أن تسمحوا أنتم لأنفسكم أن تتشجعوا، على عادة شهادة الزور هذه ـ فلا تقوى في ذلك. لا تطلبوا منّي بعدئذ أن أفعل ما أعتبره مخزياً وعامّاً وآثماً، خاصة الآن، وأنا متَّهَمٌ بالعقوق حسب اتّهام ميليتوس لأنّني إذا ما آستطعت، أوه

يا رجال أثينا، أن أُخضِع ما أقسمتم،عليه بقوة الإقناع والاستعطاف، سأكون معلّمكم حينئذ كي تعتقدوا بأنّه لا يوجد آلهة، وعليَّ أن أدين نفسي في الدّفاع بتهمة عدم آعتقادي بهم. لكن ذلك لا يكون هكذا ـ إنّه غيرٌ منه ببعدٍ كبير. فأنا أؤمن بأنّه يوجد آلهة، وفي معنى أسمى من ذلك، التي يؤمن بها أيٌّ من متهميَّ. وإليكم وإلى الله أعهد بقضيتي، لتكون مقرّرة كما هو أفضل لكم ولي.

توجد أسباب عديدة لعدم وقوعي بالأسى. أوه يا رجال أثينا، في تصويت الإدانة، وإنّني توقّعته، وإنّي لمندهش فقط لأنّ الأصوات متساوية تقريباً. آفتكرت أن الأغلبية قد تكون أكثر مما كانت ضدّي؛ لكن الآن، لو لم يذهب ثلاثون صوتاً إلى الجانب الآخر، لكان قد أُطلِق سراحي. ويمكنني القول، حسبما أعتقد، بأنّني نجوت من ميليتوس. يمكنني أن أقول أكثر: وهو أنّه بدون مساعدة أنيتوس وليقون، يمكن أن يرى أيّ شخص أنّه لم يكن باستطاعته أن ينال خمس جزء الأصوات، كما يحتاج القانون لذلك، وفي تلك الحالة كان سيعرّضني لغرامة قدرها ألف دراخما.

وهكذا فهو يقترح الموت كعقاب. وماذا سأقترح أنا من جهتي، أوه يا رجال أثينا؟ إنّه بوضوح ذلك الذي يستحقّ عليَّ دفعه. وما هو المتوجّب عليَّ عمله؟ ماذا ينبغي فعله بي، وماذا يجب عليَّ دفعه ـ الإنسان الذي لم يفطن كي يبقى ساكتاً أثناء حياته كلّها، بل قد كان مهمِلاً لِمَا آعتنى به العديدون: الغنى، مصالح العائلة، المراكز العسكرية؛ والتكلّم في الجمعية العامة، والحاكميّات. والمؤامرات، والأحزاب. متأمّلاً ذلك مليّاً فإنّني كنت إنساناً أميناً جداً لأكون سياسياً وأحيا حقّاً. إنّي لم أذهب حيث لم أتمكّن من أن أفعل خيراً لكم ولنفسي؛ بل حيث أقدر على فعل الخير الأكبر سرّاً « كما أؤكّد أنّه هو الحق » لكلّ شخصٍ منكم. هناك أنا ذهبت، وقصدت أن أقنع

كلّ شخص بينكم أنَّ ما يلزمه هو أن يعتني بنفسه، وأن ينشد الفضيلة والحكمة قبل أن يهتمّ بمصالح الدولة. وينبغي أن يكون النظام هذا هو الذي سيراقبه في كل أعماله. ماذا سيُفعل بشخصٍ كهذا؟ بدون شكّ شيئاً ما جيداً، أوه يا رجال أثينا، إذا نال جائزته؛ ويجب أن يكون الخير من النوع الذي يناسبه. ماذا ستكون المكافأة المناسبة لإنسان فقير يحسن لكم، والذي يرغب في وقت فراغٍ كي يتمكّن من تعليمكم؟ لا يمكن أن توجد مكافأة هكذا مناسبة مثل الصيانة في البريتانيوم، أوه يا رجال أثينا، المكافأة التي يستحقّها أكثر بكثير من المواطن الذي فاز في الجائزة في أولمبيا في سباق الحصان أو سباق العربة، سواء إذا كانت العربة مجرورة بحصانين أو بعدَّة أحصنة، لأنني بحاجةٍ لمكافأةٍ كهذه، وهو لديه ما يكفيه؛ هو يعطيكم مظهر السعادة فقط، وأنا أهبكم حقيقتها. وإذا ما كنت لأقيِّم العقوبة بعدل، عليَّ أن أقول إنَّ الصيانة في البريتانيوم هي الإعادة العادلة.

لربّما تفكرون أني أشجّعكم فيما أقوله الآن، كما فيما قلته قبلاً بشأن الدموع والصلوات، لكن هذا ليس كذلك. أتكلم هكذا لإقتناعي بأنني لم أُؤذِ أيّ شخصٍ أبداً عمداً. وبرغم عدم قدرتي على إقناعكم - إذ الوقت كان قصيراً جداً. لو كان في مدينة أثينا قانون، كما في المدن الأخرى، فإنّ عقوبة الإعدام يجب أن لا تقرَّر في يوم واحد، أعتقد بأنّني كنت قادراً على إقناعكم حينئذ. لكنّي لا أقدر أن أدحض آفتراءات عظيمة في لحظة. وبما أنني مقتنع بأنّي لم أؤذِ الآخرين قطّ، فلن أؤذي نفسي بكلّ تأكيد. لن أقول عن نفسي بأنّي أستحقّ الشرّ، أو أقترح أيّة عقوبة. لماذا سأفعل ذلك؟ ألأنّني خائف من عقوبة الموت التي يقترحها ميليتوس في حين لا أعرف إن كان الموت خيراً أو شرّاً؟ لماذا سأقترح عقوبة ستكون شرّاً بدون ريب؟ هل سأقول الحبس؟ ولم سأعيش في السجن، وأكون عبد الحكّام الحاليين الأحد

عشرين؟ أو هل ستكون العقوبة غرامة، وسجناً حتى يتمّ دفعها؟ يوجد هنا الاعتراض عينه، ما عليَّ حينها إلاّ أن أقبع في غياهب السجن، لأنّي لا أمتلك شيئاً من المال، ولا أستطيع الدفع. وإذا قلت النفي « ويمكن أن يكون هذا هو العقاب الذي ستضيفونه »، فيجب عندئذ أن أكون ممّن يعميهم حب الحياة، إذا كنت هكذا لاعقلانياً كي أتوقّع ذلك، بينما أنتم، مواطني وأتقاسم العيش وإياكم، لا تستطيعون الصبر على محادثاتي ومحاوراتي، ووجدتموها هكذا ثقيلة الوطأة عليكم وبغيضة كي لا تسمعوا منها الأكثر، ويكون على الغير أن يصبروا عليها بالاحتمال لا حقّاً. يا رجال أثينا، إنّ هذا ليس مرجّحاً قط. وأيّة حياة سوف أحيا، في سنّي، متجوّلاً من مدينة إلى أخرى، أبداً مبدّلاً مكان إقامتي في المنفى، وأكون مطروداً أينما حللت على الدوام! إنّي لمتأكّد تماماً من أنّ الرجال الشباب سيتحلّقون حولي حيثما أذهب، هنا، كما هنالك، وذلك كي يستمعوا لي، وإذا ما أقصيتهم بعيداً عنّي، فالأكبر منهم سنّاً سيطردونني خارجاً بناء على طلبهم؛ وإذا سمحت لهم بالإتيان إليّ، فإنّ آباءهم وأصدقاءهم سيطردونني خارجاً من أجلهم.

سيقول شخص ما، نعم، يا سقراط، لكن ألا تقدر على ضبط لسانك، ويمكنك حينئذ أن تذهب إلى مدينة غريبة، ولا أحد سيتدخّل معك هناك؟ والآن فإنّه في غاية الصعوبة أن أجلعكم تفهمون جوابي على هذا لأنّني إذا قلت لكم أن تفعلوا كما تقولونَ فسيكون ذلك عصياناً لله، ولهذا السبب فأنا لا أقدر أن أضبط لساني. إنكّم لن تصدّقوا بأنّني جادّ فيما أقول. وإذا قلت ذلك يوميّاً مرّة ثانية كي أبحث بشأن الفضيلة، وعن تلك الأشياء الأخرى التي أختبر نفسي والآخرين بشأنها، إذا قلت إنّها هي الخير الأعظم للإنسان، وإنّ الحياة غير الممتحنة ليست حياةً جديرةً بالمخلوق الإنساني، من المحتمل أنكّم ستبقون أقلّ تصديقاً لما أقول. ومع ذلك فإنّي أقول ما هو

حقيقي، برغم أنّه شيء « صعب » لأن أقنعكم به. كذلك، لم أتعوّد أبداً التفكير بأنّي أستحقّ معاناة أيّ أذىً. لو كان لديَّ المال لأمكنني تخمين الأذى الذي كنت قادراً أن أدفع مقابله، ولما أصبحت، أكثر سوءاً. غير أنّني لا أمتلك من المال شيئاً، ولهذا السبب يلزمني أن أسألكم كي تجعلوا الغرامة متناسبة مع مواردي الماليّة. حسناً، لربّما يمكنني أن أتحمّل مينا واحدة، ولذلك فأنا أقترح العقوبة: يأمرني أفلاطون، كريتون، كريتوبولوس، وأبولودوروس، أصدقائي هنا، يأمرونني أن تكون العقوبة ثلاثين مينا؛ وهم سيكونون الضامن الفسيح لدفع ذلك المبلغ.

لن يكون هناك وقت كثير، أوه أيّها الأثينيون، في مقابل الإسم السيِّء الذي ستحصلون عليه من الذين سينتقصون من قدر المدينة، والذين سيقولون إنكّم قتلتم سقراط، الإنسان الحكيم، لأنّهم سيدعونني حكيماً، حتى برغم أنني لست كذلك، عندما يريدون لومكم وتوبيخكم. لو تأخرّتم وآنتظرتم وقتاً قصيراً، فإن مسار الطبيعة سيحقّق رغبتكم لأنّي متقّدم في السّن جداً، كما يمكنكم أن تتصوّروا، ولست بعيداً من الموت. إنّي لا أتكلّم لكم جميعاً الآن، بل لأولئك الذين حكموا عليّ بالموت فقط. وإنّ لديَّ شيئاً آخر لأقوله لهم: تظنّون أنتم أنّني أدِنتُ لأنّه لم يكن لديَّ كلمات من النوع الذي سيؤمّن إطلاق سراحي ـ أعني إذا فكّرت أنّه مناسب أن لا أترك شيئاً غير مفعول وغير مقال إلاّ فعلته وقلته، ليس كذلك. إن النقص الذي قاد إلى إدانتي لم يكن الكلمات ـ لا بالتأكيد. لكن لم تكن لديَّ الوقاحة ولا الصفاقة ولا الميل لأخاطبكم كما يحلو لكم أن أفعل، باكياً ومنتحباً ومتفجّعاً، وقائلاً وفاعلاً أشياء عديدة، هكذا حقّاً كما قد آعتدتم سماعه من الآخرين. غير أنني أؤكد لكم أنّ ذلك غير جدير بي. فكّرت في كل وقت بأنه لا يجب عليَّ أن أفعل أيّ شيء مبتذل أو دنيء حينما أكون في خطر.

ولا أندم الآن على أسلوب دفاعي؛ سأفضِّل الموت متكلماً بطريقي، على الكلام بطريقتكم لأعيش، لأنّه لا ينبغي عليَّ أو على أيّ إنسانٍ آخر، لا في الحرب ولا حتى في المقاضاة أمام المحاكم، أن يستعمل كلّ وسيلة ليهرب من الموت. غالباً في المعركة لا يمكن أن يوجد أيّ شكّ في أنّه إذا كان الرجل سيرمي سلاحه، ويركع على ركبتيه أمام مطارديه، فسيتمكن من الهرب من الموت؛ وهناك وسائل مختلفة في الأخطار الأخرى للتخلص من الموت، إذا كان لدى الرجل القِحّة ليقول ويفعل أي شيء. ليست الصعوبة يا صديقي، في أن تتفادى الموت، بل أن تتجنب الإثم، لأنّ هذا يجري أسرع من الموت. إنّني مسنّ وأتحرّك ببطء، والعدّاء البطيء تجاوزني؛ ومتهميّ حاذقون وسريعون، والعدّاء السريع، الذي لا يجارى، تخطّاني. والآن فأنا أغادر هذا العالم مُداناً من قبلكم لأقاسي عقوبة الموت. هُمْ أيضاً يمضون في طرقهم مدانين بالحقيقة ليعانوا قصاص الجريمة والإثم؛ وأنا يجب أن ألتزم بمكافأتي ـ دعهم يلتزمون بما يخصُّهم. أفترض أنّ هذه الأشياء، مقرَّرة بقضاء وقدر ـ ولا أعتقد إلاّ أنّها جيدة.

والآن أوه، أيّها الرّجال الذين أدنتموني، أريد أن أنطق لكم بوحي إلهي وبسرور: فأنا على وشك أن أموت، وفي ساعة الموت يوهب الرجال قوةً نبويَّة. وأنا أبشّركم وأتنبّأ لمرتكبي جريمة قتلي عمداً، أنّها تنتظركم بالتأكيد عقوبة أعسر وأكثر مشقة من تلك التي أنزلتموها عليَّ وذلك بعد مغادرتي حالاً. إنكم قتلتموني لأنكم أردتم أن تتهرّبوا من المتهمين، وأن لا تعطوا اهتماماً لحيواتكم. لكنّ ذلك لن يكون كما تفترضون، بل غير ذلك ببعد كبير. أقول بأنّه سيكون لكم متهمون أكثر من الذين يوجدون الآن. المتهمون الذين كبحتهم حتى الآن. وبما أنّهم أفتى فهم سيكونون أكثر قسوة عليكم. إذا ظننتم أنكم ستوقفون كلّ التقريع والتعنيف لحيواتكم الفاسقة

بقتل الرجال، فأنتم مخطئون؛ إنّ ذلك ليس طريق الهرب الذي إمّا أن يكون ممكناً جداً، أو شريفاً. إنّ الطريق الأسهل ليس بإضعاف وإعاقة الآخرين، بل بتحسين أنفسكم. هذه هي النبوءَة التي أتفوّه بها قبل مغادرتي إلى القضاة الذين أدانوني.

يا أصدقائي، يا من رغبتم في إطلاق سراحي، سأحبّ أن أخاطبكم أيضاً بشأن الشيء الذي سيحدث، بينما يكون أعضاء مجلس الشيوخ منهمكين في عملهم، وقبل أن أذهب إلى المكان الذي يجب أن أموت فيه. أبقوا قليلاً إذن لأنّه يمكننا أن يكلّم بعضنا بعضاً أيضاً ما دام الوقت يسمح بذلك. أنتم أصدقائي، وسأحبّ أن أريكم معنى هذا الحدث الذي وقع لي. أوه يا قضاتي، أنتم الذين يمكنني أن أسميّكم قضاةً بحق، أحبّ أن أخبركم عن الحادثة الرائعة حتى الآن. إنّ القدرة الإلهيّة والتي كان أصلها ومنبعها وسيط الوحي الداخلي قد كانت تعاكسني حتى بخصوص الأشياء التافهة وعلى الدوام، إذا ما كنت في طريقي لأرتكب خطأ في أيّة مسألة؛ والآن كما ترون لقد حلَّ عليَّ ذلك الذي يمكن أن يُعتقَد ويُظن أنّه آخر وأسوأ الشرّ بشكل عامّ. لكنّ الكاهن أو وسيط الوحي لم يُعطِ أيّة إشارة لمعارضة ذلك، لا عندما غادرت بيتي في الصباح، ولا حينما كنت في طريقي إلى المحكمة، ولا حينما تكلّمت، لم يعارض في أيّ شيء كنت ذاهباً لأقوله؛ ومع ذلك فقد أوقفت في منتصف كلامي غالباً. لكن الآن لم يعارضني وسيط الوحي لا في الشيء الذي قيل أو فُعِل والذي يتعلّق بالمسألة قيد البحث. ما هو تفسير هذا الصمت كما أفهمه؟ سأخبركم. إنّه تلميح بأنّ ما حدث لي هو خير، ولهذا السبب فإنّ أولئك الذين هم منّا ويعتقدون بأنّ الموت يكون شرّاً يجب أن يكونوا مخطئين. إنّ لديَّ هذا البرهان الحاسم. إنَّ الإشارة الإلهيّة المعتادة وجب أن تعاكسني لو كنت ذاهباً إلى الشرّ وليس إلى الخير.

دعونا نتأمل مليا في طريقة أخرى، ولسوف نرى بأنّ هناك سبباً كبيراً لنأمل في أنّ الموت يكون خيراً؛ لأنّه واحد من شيئين ـ إما أنّ الموت هو حالة عدم عديم القيمة ولا وعي كليّ، أو، كما يقول الرّجال، ثمّة تبديلٌ وهجرةٌ للروح من هذا العالم إلى عالمٍ آخر. والآن إذا افترضتم بأنّه لا يوجد وعي، بل نوم مثل النوم الذي لا يقلق حتى في الأحلام، فإنّ الموت سيكون كسباً لا يوصف لأنّه إذا كان هناك الشخص ليختار الليلة الذي كان نومه فيها لا تزعجه حتى الأحلام، وكان ليقارنها بأيّام وليالي حياته وهي أفضل وأكثر مسرّةً من حياته هذه، فإنّي أعتقد بأنّ أيّ إنسان، لن أقول الإنسان الخاص، أعتقد بأنّه لن يجد هكذا أياماً وليالي عند مقارنتها بالأخرى، حتى الملك العظيم نفسه. والآن إذا كان الموت من طبيعةٍ كتلك، أقول إنّه لربحٌ أن تموت لأنّ الخلود يكون ليلةً واحدة فقط. لكن إذا كان الموت رحلةً من مكانٍ إلى آخر، وهناك يسكن كلّ الموتى، كما يقول الرجال، فأيّ خيرٍ، أوه يا أصدقائي وقضاتي، يمكن أن يكون أعظم من هذا؟ إذا أُنقِذَ حقّاً المهاجرُ أو الحاجّ حينما يصل إلى العالم الآخر، إذا أُنقِذ من مدّعينا الأرضييّن للعدل، ووجد القضاة الحقيقيين الذين يقالُ بأنّهم يمنحون الحكم هناك، وهم مينوس ورادامنتوس وآيكوس وتريبتوليموس، وأبناء الآلهة الآخرين الذين كانوا صالحين في حياتهم الخاصة، إنّ الحجّ هذا سيكون جديراً بأن يؤدّى. وماذا سيهبه إنسان إذا أمكنه أن يتحادث مع أورمينوس وميوسايوس وهيسيود وهوميروس؟ إذا كان هذا صدقاً، دعوني أموت مرة ثانية وثانية. أنا نفسي، سوف أجد أيضاً منفعة ذاتية رائعة هناك عندما أتقابل وأتحادث مع بالاميدس، وإجاكس بن تيلامون، ومع أيّ بطل غابرٍ آخر عانى الموت على يد حاكمٍ ظالم. ولن يكون هناك سرور قليل، كما أعتقد، في مقارنة خبرتي الخاصة بخبرتهم. وفوق الجميع، سأقدر عندئذ أن أواصل بحثي في المعرفة

الحقيقية والمزيّفة، كما في هذا العالم، فهكذا في العالم التالي أيضاً؛ ولسوف أكتشف من يكون حكيماً، ومن يتظاهر بأنّه حكيم، وهو ليس كذلك. ما الذي لن يعطيه إنسان، أوه أيّها القضاة، ليكون قادراً على أن يمتحن القائد العسكريّ لحملة طروادة الكبرى، أو على أن يختبر أوديسيوس أو سيسيفوس، أو آخرين لا يُحصى عددهم، رجالاً ونساءً أيضاً! أيّة بهجة غير محدودة ستكون هناك في التحادث معهم وطرح أسئلة عليهم في العالم الآخر. هُمْ لا يحكمون على إنسان بالموت لطرح الأسئلة عليه. لا بالتأكيد لأنّهم إضافةً إلى أنّهم أسعد منّا نحن، فهم سيكونهون خالدين، إذا كان الذي قيل صحيحاً.

ومن أجل ذلك، أوه أيّها القضاة، كونوا مبتهجين جذلين بشأن الموت، وآعلموا علم اليقين بأنّه لا شرّ يمكن أن يحدث لإنسان خيّر، لا في هذه الحياة ولا بعد الموت، أو أنه هو وما يخصه لن تهملهم الآلهة. لا ولم تحدث نهايتي القريبة الخاصّة بمحض صدفة؛ إنني أرى بوضوح أنّ الوقت قد حان عندما كان أفضل لي أن أموت وأُعْتَقَ من الضيّق. لهذا السبب فإنّ وسيط الوحي لم يُعطِ أيّة إشارة، ولذلك أيضاً فأنا لست غاضباً أبداً على من حكم عليَّ بالموت، أو على من آتهمني. لكن مع أنّهم لم يفعلوا بي أيّ أذىً، فهم قصدوا إيقاعه بي؛ ولهذا يمكنني أن ألومهم بشكلٍ لائق.

يبقى أنه لا يزال لديَّ معروف لأطلبه منكم. حينما يكبر أولادي، فإنّني سأطلب منكم، أوه يا أصدقائي، أن تعاقبوهم. أريدكم أن تزعجوهم، كما أزعجتكم، إذا ما بدا أنهم يهتمون بالثروة، أو أيّ شيء آخر، أكثر من اهتمامهم بالفضيلة، أو إذا تظاهروا بأنّهم يكونون شيئاً ما في حين أنّهم ليسوا بشيءٍ حقاً، ـ أنبوهم حينئذ، كما أنّبتكم، لعدم آهتمامهم بشأن ذلك الذي عليهم أن يهتمّوا به، وعندما يظنّون أنّهم يكونون شيئاً في حين أنهم

ليسوا شيئاً حقاً. وإذا فعلتم أنتم هذا، فإنّي تلقيّت العدل على أيديكم، وهكذا سيتلقّاه أولادي من بعدي.

لقد حانت ساعة الانطلاق، ونحن سالكون طريقنا ـ أنا لأموت، وأنتم لتعيشوا. أيّنا الأفضل؟ الله وحده يعرف.

محاورة كريتون

افكار المحاورة الرئيسيّة

إستيقظ سقراط من نومه الهانيء وهو قابع في سجنه، ليرى صديقه كريتون جالساً بقربه، فبادره بالسّؤال: لماذا أتيت في هذه الساعة، يا كريتون؟ لا شك أنّ الوقت باكر؟

نعم، إنّ الفجر على وشك أن يطلع، يا سقراط.

تعجّبت كيف سمح لك السجّان بالدخول.

إنّه يعرفني، لأنّني آتي إلى هنا غالباً، فضلاً عن ذلك فإنّني أسديت له معروفاً. ولقد وصلت منذ فترة ولم أوقظك إذ رأيتك نائماً بهدوء، وأردت أن يمرّ معك الوقت بسعادة لأقصى ما يمكن أن يكون. فكرت غالباً خلال مسار حياتك بأنّك محظوظ في نزعتك ومزاجك، لكنّني لم أرَ أبداً أيّ شيء مثل هذا الأسلوب السهل الهادىء الذي تتحمّل به هذه الفاجعة.

وهل ينبغي على إنسانٍ وصل إلى عمري أن يتبرّم من الموت، يا كريتون؟

لكن رجالاً مسنين آخرين لم يمنعهم تقدّمُ السنّ من التذمّر في محنٍ مشابهة؟

إنّ ذلك لحقيقي، لكنّك لم تقل لِمَ أتيت إلى هنا باكراً.

أتيت لأنقل إليك رسالة محزنة، يا سقراط، إنّها ليست محزنة لك، كما أعتقد، بل مؤلمة وثقيلة الوطأة علينا جميعاً، نحن أصدقاءك وخاصّة عليّ. أقول لك إنّ السفينة ستكون هنا اليوم بعد أن تصل من جزيرة ديلوس، ولهذا السبب فإنّ غداً يجب أن يكون يوم حياتك الأخير.

لكنّني أعتقد، يا كريتون، بأنّ السفينة ستكون هنا بعد غد؛ أستنتج هذا من

الرّؤيا التي أتت إليّ عندما سمحت لي بالنوم ولم توقظني. تراءى لي هناك شكل امرأة، وسيمة وجميلة، متدثّرةٍ بثوبٍ زاهٍ، نادتني قائلة:

« أوه، يا سقراط، اليوم الثالث من الآن سوف تأتي أنت إلى فِثيا المخصبة ».

وإنّ المعنى لواضحٌ جداً.

نعم إن المعنى لجليّ. لكن دعني أتوسّل إليك مرّة ثانية، يا حبيبي سقراط، لأن تقبل نصيحتي وتهرب. لأنّك إذا متَّ فلن أخسر الصديق الذي لا يمكنني التعويض عنه قط، بل هناك شرٌّ آخر، وهو أنّ الناس الذين لا يعرفونني ولا يعرفونك سيعتقدون أنّه كان بإمكاني أن أنقذك لو أنفقت بعض مالي، لكنّني لم أهتمّ بذلك، وآثرت المال على حياة صديق، ولن يقتنعوا بأنّي أردتك أن تهرب وأنّك رفضت.

لكن لماذا، يا عزيزي كريتون، سوف نهتمّ برأي السواد الأعظم؟ إنَّ أفضل الرجال هُمُ الأشخاص الوحيدون الجديرون بالاعتبار، وهُمُ الذين سيفكّرون بهذه الأشياء كما تحدث بحقّ.

ألا ترى، يا سقراط، أنّ رأي الكثرة من الناس يجب اعتباره، لأنّ ما يحدث الآن يبيّن نفسه، وهو أنّهم يستطيعون أن يسبّبوا الشرّ الأعظم لأيّ شخص فقدوا رأيهم الصحيح عنه؟

بودّي لو كانت كذلك فقط، يا كريتون، وأنّ الكثرة من الناس تستطيع أن تفعل الشرّ الأعظم؛ لأنّها ستكون قادرة حينئذ على أن تقوم بالخير الأكبر - وأيّ شيء جميل سيكون هذا! لكنّهم في الحقيقة لا يستطيعون أن يفعلوا أيّاً منها.

وهل تخاف الهروب من السجن، يا سقراط، لأنّنا يمكن أن نقع في المشاكل مع المخبرين بعد سرقتنا لك وأخذك بعيداً؟ أو لأن نخسر كلَّ ممتلكاتنا أو جزءاً كبيراً منها، أو أنّه يمكن أن يحدث لنا شرٌّ أكبر من ذلك؟ كن مطمئناً، فنحن لا نهتمّ لكلّ هذا، بل أريد منك أن تفعل كما أقول. أقلع عن الخوف مهما كان.

فهناك أشخاص عديدون سيستقبلونك خارج أثينا، ونحن جاهزون لندفع المال من أجل ذلك. ولا يمكنني أن أعتقد بأنّ لديك ما يبرّر التفريط بحياتك. وإذا ما فعلت، فأنت تقوم بما يريده أعداؤك لك. ألست بهذا العمل تتخلّى عن أولادك، وإذا تركتهم سيكون مصيرهم مجهولاً بدَل أن تربّيهم وتعلّمهم كما تريد؟ غير أنّك تختار الناحية الأسهل، وليس الأفضل والرجوليّة. وهذا يجب أن يكون فيك، أنت الذي تحمل لواءه. أُعزم على ما أقوله لك الآن، وهناك شيء واحد يجب فعله، والذي يلزم إتمامه هذه الليلة بالتحديد، وإذا تأخّرنا أو أخّرنا عملنا قطّ، فلن يكون ممكناً أو محتملاً حصوله بعد اليوم. ألتمس منك، يا سقراط، أن تقتنع بما قلته لك، ولا تقل لي لا.

يا عزيزي كريتون، إنّ حماسك لا يقوَّم بالمال، إذا كان حماساً صحيحاً؛ لكن إذا كان خطأ، فالحماس الأكبر يليه خطر أعظم، ولهذا السبب علينا أن نتأمّل مليّاً إذا ما كنت سأفعل كما تقول أوْ لا لأنّني كنت وسأبقى واحداً من الطبائع التي يجب أن تهتدي بالعقل، مهما كان السبب، والذي يبدو عند تأمّله مليّاً أنّه الأفضل. والآن فإنّ هذه الفرصة قد وقعت عليَّ ولا أقدر على أن أجحد تعاليمي الخاصّة؛ إنها المبادىء التي كرّمتها وبجّلتها حتّى اليوم والتي لا أزال أشرّفها وأحترمها، وما لم نتمكن من إيجاد مبادىء أفضل منها فإنني متأكّدٌ بعدم اتفاقي معك فيما تعزم عليه. لا، ولا حتى إذا استطاعت قوّة الكثرة من الناس أن تعرّضنا للحبس والاعتقال مرّات عديدة، لمصادرة الممتلكات، للموت، لتخويفنا كما يخوفون الأطفال ببعابع الرّعب، فماذا ستكون الطريقة الفضلى لاعتبار المسألة؟ هل سنقدّر ونحترم نحن آراء بعض الرجال فقط، أو أن نعتبر آراء الكثرة من الناس؟ ألا يجب أن نحترم رأي من يمتلك المعرفة ونخشاه ونهابه أكثر من بقيّة العالم كلّه؟ وإذا هجرناه، ألن نفسد ونعتدي اعتداءً صارخاً على ذلك المبدأ الذي فينا والذي يمكن افتراض صحّته أنّه يُحسَّن بالعدل ويتدهور بالظلم؟ أليست الحياة الخيِّرة،

وليست أيّة حياة، هي التي ينبغي أن نقدّس ونحترم بشكلٍ رئيسي؟ ألا تساوي الحياة الخيّرة، الحياة العادلة والشريفة؟ إنّني أتقدّم منك بهذه المقدّمات المنطقيّة لنناقش القضية، وهي إذا ما كان صواباً أو لا، أن أحاول الهرب بدون موافقة الأثينيين، وإذا كانت صحّتها واضحة، فإنّي سأحاول عندئذ، لكنْ إنْ لا، فلا. إنّ الاعتبارات التي ذكرتها لتوّك عن المال وفقدان الشخصيّة المميّزة، وواجبات الآباء نحو أولادهم، ما هي إلاّ تعاليم السّواد الأعظم من الناس الذين سيعيدون الناس إلى الحياة، إذا كانوا قادرين، تماماً كما يحكمون عليهم بالموت بطيش ـ ولهكذا سبب صغير وهل من الصواب أن نفعل ما ترتئيه، أو أن نعمل عكسه؟ دعنا نتأمّل المسألة مليّاً، وإذا نقضت رأيي فسأُقتنع بما تقول. هل يجب، يا كريتون، أن نفعل الأذى عمداً أبداً، أو أنّنا ينبغي أن نفعله في طريقة واحدة ولا نفعله بطريقة أخرى، أو أنَّ فعل الأذى يكون شرّاً وسيّئاً وسافلاً على الدوام، كما قد بيّنّاها وقدّمناها سابقاً ولا نبالي بها؟ لنكتشف بأنّنا لسنا أفضل من الأطفال في سلوكنا وأفكارنا، أو أنّنا سنصرُّ على حقيقة ما قيل، برغم رأي الكثرة، مهما تكن النتائج، ونؤكّد أنّ الظلم هو شرٌّ وخزيٌ لمن يعمله وعلى الدوام.

إنَّ كل ما تقوله، يا سقراط، حقّ وصدق.

يلزمنا إذن، يا كريتون، أن لا نؤذي أحداً، حتى عندما يؤذينا، ولا أن نقابل الشرّ بشرٍّ لأحد، مهما كان الشرّ الذي قاسيناه منه. فهل ستوافق على أنّ هذه مقدّمات منطقيّة لمحاورتنا؟

نعم، يا سقراط، إنّني أوافق.

سأسألك. هل ينبغي على الإنسان أن يفعل ما يعترف به أنّه حق، أو يجب عليه أن يخون الحقّ؟ وكيف سيُطبّق ذلك؟ وإذا هربت أنا من السجن خلافاً لإرادة الأثينيين، هل سأؤذي أيّ شخص؟ أو على الأصح ألاَ أؤذي أولئك الذين يلزم أنْ أؤذيهم بالمقدار الأقلّ؟ ألاَ أتخلى في فعلي هذا عن المبادىء التي اعترفنا أنَّها عادلة؟

ثم ألاَ تظهر الدولة وقوانينها وتستجوبني قائلة، « قل لنا، يا سقراط، ماذا أنت على وشك أن تفعل؟ ألا تجلب لنا الدّمار بفعلك هذا؟ بل ألا تعتقد أنّه إذا لم يحترم أحد الدولة وقوانينها وقراراتها فإنّها ستُوضع جانباً وتُداس بالأقدام؟ وهل كان هذا هو اتّفاقنا معك منذ نشأتك؟ أوْ كان عليك أن تلتزم بحكم الدولة؟ أجبنا، يا سقراط، ولا تكتفِ بفتح عينيك وأنت المعتاد على السؤال والمحبّ للجواب، قل لنا، أيّ شكوى لديك ضدّنا تسوّغ لك محاولتك هذه كي تدمّرنا وتدمّر الدولة؟ ألم نحضرك إلى الوجود، في المقام الأوّل، والدك تزوّج من أمّك وأنجبك بمساعدتنا، فهل عندك أيّ اعتراضٍ على من رتّب هذا الزواج؟ أو هل تمتلك أيّ شيء لتقوله ضدّ أولئك الذين ينظّمون تنشئة وتعليم الأطفال؟ أو لَم يكونوا هم محقّين في تعليمك الموسيقى والتمارين الرياضيّة؟ ولهذا السبب فأنت طفلنا وعبدنا، والطفل ليس عليه أن يعطي أو يشتم أو يضرب أو يهلك آباءه أو أن يتمرّد العبد على سيّده. وهل ستتظاهر، أوه يا أستاذ الفضيلة والحقيقة، بأنّك مبرَّر فيما تفعل؟ وهل أخفق فيلسوف مثلك كي يكتشف أنّ بلادنا هي أثمن بكثير وأسمى وأقدس بكثير من الأمّ والأب أو من أيّ سلف، وأنّها يجب أن تُعتبر أكثر في عيون الآلهة والرجال ذوي الفهم وأن تُطاع؟ أيُّ جواب سنعطي لهذا، يا كريتون؟ ألا تتكلّم الدولة والقوانين بحقّ »؟

أعتقد أنّها تفعل، يا سقراط.

« وإذا لم تحبّنا منذ نشأتك، يا سقراط، فلماذا لم تهاجر إلى أيّ مكان آخر وتصطحب كل ما تحبه معك؟ أليس معنى بقائك هنا أنّك أبرمت معنا عقداً وفهمت ضمناً أنّك ستفعل ما نأمر به؟ ونقول لك ببرهانٍ لا يقبل الشكّ، وهو أنّك كنت الأكثر إقامةً في هذه المدينة من بين كلّ الأثينيين، فأنت لم تذهب إلى أيّ مكانٍ خارج أثينا. إنّ عواطفك وميولك لم تتعدّنا ولم تذهب ما وراء حدود دولتنا. كنا نحن المفضّلين عندك ولم تؤثِر أحداً علينا، وقَبِلتَ بحكومتنا وتزوّجت

وأنجبت الأولاد، وهذا دليل على قناعتك بالعيش هنا. وفوق كلّ ذلك، كان بإمكانك أن تختار النفي، أو أيّ عقاب آخر، لكنّك تظاهرت بأنّك تفضّل الموت على أيّ عقاب ثانٍ. والآن فإنّك نسيت هذه العواطف الجميلة، ولم تُبدِ لنا أيّ احترام، بل إنّك تفعل ما يفعله عبدٌ شقيّ، هارباً ومدبراً وناقضاً كل المواثيق التي أبرمتها معنا، ومتنكّراً لمواطنيّتك الأثينيّة. لقد كان لديك سبعون عاماً كي تفكّر بها، وكان لك حقّ الاختيار، وذلك ما لم تثره ضدّها أبداً. إنّ العُرج، والعميان، والمقعدين لم يكونوا أكثر استقراراً فيها منك. والآن، قلْ لنا ماذا ستقول وبماذا ستبشّر المجتمعات هناك؟ هل ستقول لهم ما قلته هنا عن الفضيلة والعدل والمجتمعات والقوانين، كونها أفضل الأشياء بين الرّجال؟ وهل سيليق ذلك بسقراط؟

« إستمع لنا إذن، يا سقراط، نحن مَنْ ربّاك وعلّمك، لا تفكّر في الحياة أوّلاً، وفي العدل بعد ذلك، بل فكّر في العدل قبل كلّ شيء، كي تتمكّن من تبرئة وصيانة نفسك أمام أمراء العالم السفلي، لأنّك لن تكون أسعد أو أكثر قداسة أو أعدل في هذه الحياة. لا، ولن يكون كذلك أيٌّ ممّن يخصّك. إنّكم جميعاً لن تكونوا سعداء في الحياة الأخرى على الإطلاق، إذا فعلت كما يأمرك كريتون، وأنت الذي طلبت السعادة وأردتها للجميع ».

هذا هو الصوت، يا عزيزي كريتون، الذي يبدو أنّني أسمعه هامساً في أذنيّ، مثل صوت النّاي، الذي يهمس في الآذان ذات الطقوس السّريّة؛ أقول، إنّ ذلك الصوت يطنّ في أذنيّ، ويمنعني من سماع أيّ صوتٍ آخر. كن متأكّداً، إذن، أنّ أيّ شيءٍ آخر يمكن أن تقوله كي تهزّ هذه الثقة أو تزعزع هذا الإيمان فإنّما عبثاً سيُقال. ومع ذلك تكلّم، إذا كان لديك أيّ شيء لتقوله.

ليس لديَّ أيّ شيء لأقوله، يا سقراط.

إنّ ما قيل يعتبر كافياً، يا كريتون، دعنا ننفّذ مشيئة الله، ونتبع حيث يهدينا ويقودنا.

محاورة كريتون

اشخاص المحاورة

سقراط كريتون

المشهد: سجن سقراط

سقراط: لماذا أتيت في هذه الساعة، يا كريتون؟ لا شكّ أن الوقت مبكّر؟

كريتون: نعم، بدون ريب.

سقراط: ما هو الوقت بالضّبط؟

كريتون: الفجر علىٰ وشك أن يطلع.

سقراط: تعجّبت كيف سمح لك السّجّان بالدخول.

كريتون: إنّه يعرفني، لأنّني آتي إلى هنا غالباً، يا سقراط؛ فضلاً عن ذلك، فلقد أسديت له معروفاً.

سقراط: وهل وصلت لتوّك فقط؟

كريتون: لا، بل وصلت منذ وقتٍ قصيرٍ مضى.

سقرتط: إذن، لِمَ جلست ولم تقل شيئاً بدلاً من إيقاظي عند وصولك حالاً؟

كريتون: أوقظك، يا سقراط؟ لا بالتأكيد! تمنّيت لو لم أكن هكذا أَرِقاً وممتلئاً حزناً. لقد راقبتُ هجوعك الهادىء بتعجّب وأحجمت عن إيقاظك بتعمُّد لأنّني أردت أن يمرّ عليك الوقت بسعادة لأقصى ما يمكن أن يكون. افتكرتُ خلال سياق حياتك غالباً، بأنّك محظوظ في نزعتك ومزاجك، لكنّي لم أرَ أبداً أيّ شيء مثل هذا الأسلوب السهل الهادىء الذي تتحمَّل به هذه الفاجعة.

سقراط: لماذا، يا كريتون، عندما يصل إنسانٌ إلى عمري لا ينبغي عليه أن يتبرّم من اقتراب الموت.

كريتون: ومع ذلك يجد الرجال المسنّون الآخرون أنفسهم في محنٍ مشابهة، ولم يمنعهم تقدّم السن من أن يتذمروا.

سقراط: إنّ ذلك لحقيقي، لكنك لم تقل لي لِمَ أتيت هكذا باكراً؟

كرتيو: أتيت لأنقل إليك رسالة محزنة. إنّها محزنة لك، كما أعتقد، بل هي مؤلمةٌ وثقيلة الوطأة علينا جميعاً، نحن أصدقاءك، وأكثر ألماً منهم جميعاً لي.

سقراط: ماذا؟ هل أتت الباخرة من ديلوس، والتي حال وصولها سأموت؟

كريتون: لا، إنّ الباخرة لم تصل حقاً، لكنّها ستكون هنا اليوم من المحتمل. فقد أخبرني الأشخاص الذين أتوا من سانيوم بأنّهم تركوها هناك؛ ولهذا السبب فإنّ غداً، يا سقراط، يجب أن يكون يوم حياتك الأخير.

سقراط: حسناً جداً، يا كريتون؛ إذا كانت هكذا إرادة الله، فإنني أرغبها؛ لكّن اعتقادي أنّ ستتأخرّ في وصولها يوماً آخر.

كريتون: لماذا تعتقد ذلك.؟

سقراط: سأخبرك. إنّني سأموت في اليوم الذي يلي وصول الباخرة من الجزيرة.

كريتون: نعم؛ إنّ ذلك ما تقوله السلطات.

سقراط: لكنني لا أعتقد أنّ الباخرة ستكون هنا بعد غد؛ أستنتج هذا من الرؤيا التي تلقّيتها البارحة ليلاً، أو على الأصّح لتوّي الآن فقط، حينما سمحت لي بأن أنام لحسن الحظّ.

كريتون: وماذا كانت طبيعة الرؤيا؟

سقراط: تراءى لي هناك شكل آمرأة، وسيمة وجميلة، متدثّرة بثوبٍ زاهٍ، دعتني وقالت: « أو يا سقراط! بعد ثلاثة أيامٍ من الآن سوف تأتي أنت إلى فثيا المخصبة(٢٧) ».

كريتون: أيّ حلمٍ فريد من نوعه، يا سقراط؟!

سقراط: لا يمكن أن يكون هناك شكّ بخصوص المعنى، يا كريتون، على ما أعتقد.

كريتون: نعم، إنّ المعنى واضح جداً. لكن، أوه! يا حبيبي سقراط، دعني أتوسّل إليك مرّة ثانية أن تقبل نصيحتي وتهرب لأنك إذا متَّ فلن أخسر صديقاً لا يمكنني التعويض عنه فقط، بل هناك شرّ آخر: إنّ الناس الذين لا يعرفونك ولا يعرفونني سيعتقدون أنّه كان بإمكاني إنقاذك لو كنت مستعدّاً لأنفق المال، غير أنّي لم أهتمّ بذلك، وآثرت المال على صديقي. والآن، أيمكن أن يكون هناك عارٌ أسوأ من هذا من ظنّ الناس بي أنني آثرتُ المال لى إنقاذ حياة صديق؟ إنَّ العديد لن يقتنعوا بأني أردتك أن تهرب، وأنّك رفضت.

سقراط: لكن لماذا، يا عزيزي كرتيون، سوف نهتمّ برأي السواد الأعظم؟ إنّ أفضل الرجال هُمُ الأشخاص الوحيدون الجديرون بالاعتبار. وهُمُ الذين سيفكّرون بهذه الأشياء كما تحدث بحق.

كريتون: لكن ألا ترى، يا سقراط، أنّ رأي الكثرة من الناس يجب اعتباره، لأنّ ما يحدث الآن يبيِّن نفسه، وهو أنّهم يستطيعون أن يفعلوا الشرّ الأعظم لأيّ شخص فقدوا رأيهم الصحيح فيه.

سقراط: أرغب أنّها كانت هكذا فقط، يا كريتون، وأنّ الكثرة من الناس تستطيع أن تفعل الشرّ الأعظم لأنّها ستكون قادرة حينئذ على أن تقوم بالخير الأكبر - وأيّ شيء جميلٍ سيكون هذا! لكنّهم في الحقيقة لا يقدرون أن يفعلوا شيئاً منها لأنّهم لا يتمكنون أن يجعلوا إنساناً، إمّا أفضل أو أعقل، وهم يهتمّون بما يخلقون منه.

كريتون: حسناً، لن أجادلك؛ لكن أخبرني من فضلك، يا سقراط، إن كنت تفعل ما تفعل من اعتبارك لي ولأصدقائك الآخرين. هل تخاف من أنّك إذا

هربت من السجن يمكن أن نقع نحن في المشاكل مع المخبرين لأننا سرقناك وأخذناك بعيداً، ولأن نخسر كلّ ممتلكاتنا أو جزءاً كبيراً منها، أو أنّه يمكن أن يحدث لنا شرّ أسوأ من ذلك؟ والآن، إذا خفت من أجلنا، كن مطمئناً لأنّه يلزم أن نتعرّض لهذا كي ننقذك، أو حتى لمخاطرة أعظم؛ كن مقتنعاً إذن، وافعل كما أقول.

سقراط: نعم، يا كريتون، أنا أخاف ما ذكرت، لكنّه ليس الخوف الوحيد الأوحد بأيّة حال.

كريتون: لا تخف ـ هناك أشخاصٌ هم على أتمّ استعدادٍ لأن يخرجوك مِن السجن بكلفةٍ قليلة. وفيما يتعلّق بالواشين، تعرف أنت أنّهم أبعد مِنْ أن يكونوا مفرطين في مطالبهم ـ دراهم قليلة سيقنعون بها. إنّ مواردي الماليّة، وهي وافرة بكلّ تأكيد، ستكون في خدمتك؛ وإذا كان لديك تردّدٌ بشأن النفقة من مالي بسبب اعتبارك لمصالحي، فهنا يوجد الغرباء الذين سيعطونك ما تريده من مالهم لتستعمله: وواحد منهم هو سيمياس الثيبي الذي أحضر مبلغاً معه لهذا الغرض بالتحديد؛ وهنا سيبس وعديد آخرون الذين تجهّزوا ليصرفوا مالهم لمساعدتك على الهرب. لذلك أقول، لا تتجنّب المحاولة من أجلنا، ولا تقل، كما فعلت في المحكمة[٢٨]، بأنّك ستلاقي صعوبة كبيرة في معرفة ما تفعله بنفسك في أيّ مكان آخر. إنّ الرجال سيحبّونك في الأماكن حيثما ذهبت، وليس في أثينا فقط. لي أصدقاء في صقليّة، إذا أحببت أن تأتي إليهم، وسوف يقدّرونك ويحمونك، وليس هناك من صقلي سيكدّرك أو يخلق أيّة مشكلة لك. ولا يمكنني أن أتصوّر تبريراً لك، يا سقراط، في التفريط بحياتك الخاصّة ما دمت تستطيع أن تُنقذها؛ إنّك في فعلك هذا تجلب على نفسك المصير الذي سيقوم وقام بالعمل له، أعداؤك ليلقوه عليك بالتحديد، ألا وهو هلاكك. وعليّ أن أقول أبعد من

ذلك وهو أنّك تتخلّى عن أولادك وأطفالك الذين يخصونك لأنّه يمكنك أن تنشّئهم وتعلّمهم، بدلاً من أن تبتعد عنهم وتتركهم وهُمْ الذين عليهم بعد ذلك أن يتعرّضوا لمصيرٍ مجهول؛ هذا إذا لم يواجهوا القدر المعتاد الذي يمرّ به اليتامى، وهنا سيكون شكرهم لك قليلاً. إذ لا إنسان ينبغي أن يلد أطفالاً إلى العالم، والذي لا تملأه العزيمة، وأن يثابر في تنشئتهم وتعليمهم إلى النهاية. لكنك يبدو وأنّك تختار الناحية الأسهل، وليس الأفضل والرجولية، والتي ربّما أصحبت أكثر وجوداً في الإنسان الذي يعترف بأنّه يعتني بالفضيلة في حياته كلّها، مثلك. وحقّاً، إنني لمستحٍ ليس منك فقط، بل منّا، نحن أصدقاءك، حينما أتأمّل مليّاً في أنّ المهمة بمجملها يمكن أن تنسب كلية لافتقارنا للشجاعة. إنّ المحاكمة كان يجب أن لا تحصل، أو أنّها يمكن أن تدار بشكل مختلف، وسيظهر أنّ هذه هي الفرصة الأخيرة « ذروة العبث لها كلّها » والتي أفلتت منا بسبب عجزنا وجبننا نحن الذين أمكنهم إنقاذك إذا قد كانوا صالحين لأيّ شيء، وكان بإمكانك أن تنقذ نفسك كذلك، إذ لا صعوبة على الإطلاق لفعل هذا. أنظر الآن، يا سقراط، كم هي العواقب مخزية، كما أنّها مدثّرة، لكاينا، لنا كما لَكَ. أعزم على ما قلته لك إذن، بل إجعل ذلك وكأنّه قد تقرّر على الأصحّ. فوقت التفكير المتروّي انقضى، وهناك شيء واحد يجب فعله، والذي يلزم إتمامه هذه الليلة بالتحديد، وإذا تأخرنا وأخرنا عملنا فلن يكون ممكناً أو محتملاً حصوله بعد اليوم؛ ألتمس منك، يا سقراط، أن تقتنع بما قلته لك، ولا تقل لي لا.

سقراط: يا عزيزي كريتون، إنّ حماسك لا يقوّم بالمال، إذا كان حماساً صحيحاً، لكن علينا أن نتأمل مليّاً فيما إذا ما كنت سأفعل كما تقول أم لا. فأنا قد كنت على الدوام واحداً من تلك الطبائع التي يجب أن تهتدي بالعقل، مهما كان السبب، والذي يبدو لي عند التأمّل به مليّاً على أنّه السبب

الأفضل. والآن فإنّ هذه الفرصة قد وقعت عليّ، وأنا لا أستطيع أن أجحد تعاليمي الخاصة التي تبدو لي أنّها سليمة وثابتة كما كانت على الدوام: إنّها المبادىء التي كرّمتها وبجّلتها حتى اليوم، والتي لا أزال أُشرّفها وأحترمها. وما لم نتمكن حالاً من إيجاد مبادىء أخرى أفضل منها، فأنا متأكد بأنّي لن أتّفق معك فيما قلته؛ لا، ولا حتّى إذا استطاعت قوّة الكثرة من الناس أن تعرّضنا للحبس والاعتقال مرّات عديدة، لمصادرة الممتلكات، للموت، لتخويفنا كما يخوفون الأطفال ببعابع الرّعب[٢٩]. فماذا ستكون الطريقة الفضلى لاعتبار المسألة؟ هل سأعود بمحاورتك القديمة بشأن آراء الرّجال؟ ـ كنّا قائلين إنّ بعضها ينبغي أن يعتبر، وليس بعضها الآخر. والآن هل كنّا محقّين في التأكيد على هذا قبل أن أدان؟ أو هل المحاورة التي كانت جيّدة لمرّة أثبتت الآن أنّها كلام في سبيل الكلام، مجرّد سفاسف صبيانيّة؟ إنّ ذلك هو ما أريد أن أتأمله ملياً بمساعدتك، يا كريتون ـ إذا ظهرت المحاورة في أيّة طريقة أنّها مختلفة أوْ لاَ، تحت ظروفي الحاضرة، وسواء إذا كنا سنسقطها أو نقبل بها. تلك المحاورة التي، كما أعتقد، تُثبّت بأشخاص عديدين ذوي نفوذ يبعث على الاحترام والثّقة والتي كان فحواها، كما كنت قائلاً، أنّ آراء بعض الرجال يجب أن تُعتبر، وأن لا تؤخذ آراء الرجال الآخرين بعين الاعتبار. والآن، يا كريتون، فأنت لستَ ذاهباً لتموت غداً ـ على الأقّل لا يوجد احتمال إنسانيّ لهذا ـ ولذلك فأنت لا مبالٍ، ولست عرضة لأن تُخدعَ بالظروف التي توضع بها. إنتّي أستعطفك، قل لي إذن، إذا ما كنت أنا محقاً في القول إنّ آراء بعض الرجال، وآراء بعضهم فقط، هي التي تُقدَّر، وأنّ الآراء الأخرى يجب أن تُهمَل. أليس ذلك صحيحاً؟

كريتون: بالتأكيد.

سقراط: وإنَّ آراء العاقلين جيّدة، وليست سيّئة؟

كريتون: بدون ريب.

سقراط: وماذا قيل بخصوص المسألة الأخرى؟ هل التلميذ الذي يكرّس نفسه للتمارين الرياضيّة ينتبه إلى ثناء ولوم ورأي أيّ وكلّ رجل، أم لإنسانٍ واحدٍ فقط ـ لطبيبه أو مدرِّبه، أيّاً كان الشخص الذي يمكن أن يكون؟

كريتون: لرجلٍ واحدٍ فقط.

سقراط: ويجب عليه أن يخشى لوم ذلك الشخص الوحيد ويرحّب بثنائه، وليس بثناء السواد الأعظم من الناس؟

كريتون: هكذا بوضوح.

سقراط: ويجب أن يعمل ويدرِّب، ويأكل ويشرب في الطريقة التي تبدو صالحة لسيّده ومعلمه الفرد الذي يمتلك معرفة، بدلاً من اعتبار رأي كلّ الرجال مجمَّعين معاً.

كريتون: صدقاً.

سقراط: وإذا لم يُطِعْ ولم يعتبر الرأي والمصادقة لذلك الواحد الذي يعرف، ويراعي ويهتمّ برأي السواد الأعظم الذين لا يمتلكون المعرفة، ألن يعاني من الشرّ والسوء؟

كريتون: إنّه سيقاسي ذلك بالتأكيد.

سقراط: وماذا سيكون الشرّ، حيثما يتّجه، وما تأثيره، في الشخص المتمرِّد؟

كريتون؛ إنّ تأثيره على الجسم؛ وذلك ما سيُخرَّب بالشرّ بوضوح.

سقراط: جيّد جدّاً؛ أليس ذلك حقيقياً، يا كريتون، عن الأشياء الأخرى التي لا نحتاجها منفصلة وهي عديدة، مثلاً، في قضية العادل والظالم، الجميل والقبيح، الخيِّر والشرّير؟ وهل يجب أن نتبع رأي الكثرة ونخشاهم؛ أو رأي الإنسان الواحد الذي يمتلك معرفة؟ ألا يلزم أن نخشاه ونهابه أكثر من باقي العالم كله، وإذا هجرناه ألن نَفْسُدَ ونمارس اعتداءً صارخاً على ذلك المبدأ

فينا، والذي نفترض أنّه يُحسَّن بالعدل ويتدهور بالظّلم؟ يوجد مبدأ كهذا، أليس ذلك؟

كريتون: يوجد بدون ريب، يا سقراط.

سقراط: خذ مثلاً متوازياً: إذا عملنا خلاف نصيحة العارفين، فإنّنا ندمّر ذلك الذي يتحسّن بالصحّة ويُفسد بالمرض، وعندها، هل ستكون الحياة جديرة بالامتلاك؟ وأمّا ذلك الذي قد فسد فيكون الجسم؟

كريتون: نعم.

سقراط: وهل تستحقّ حياتنا أن تُعاش، إذا فسد ذلك الجزء الأسمى للإنسان الذي تحسّن بالعدل وانحطَّ بالظّلم؟ وهل نفترض نحن أنّ المبدأ الذي يكون ذا علاقة بالعدل والظلم، مهما يمكن أن يكون في الإنسان، هل نفترض أنّه أقلّ أهميّة من الجسم؟

كريتون: لا بالتّأكيد.

سقراط: إنّه أكثر نبالةً وشرفاً من مبدأ الجسم؟

كريتون: أكثر نبالة ببعدٍ كبير.

سقراط: إذن، يا صديقي، يجب أن لا نعتبر بشكل خاص ما يقوله لنا السواد الأعظم من الناس، بل الذي سيقوله الإنسان الفرد الذي يمتلك فهماً للعدل والظلم، وما ستقوله الحقيقة. ولهذا السبب ابتدأت أنت في الخطأ عندما نصحتنا بأنّنا ينبغي أن نعتبر رأي الكثرة بشأن العادل والظالم، الخيّر والشرّير، السّافل والشريف ـ سيقول شخص ما، « حسناً، لكنّ السواد الأعظم من الناس يمكنه أن يقتلنا ».

كريتون: سيكون ذلك جوابهم بوضوح، يا سقراط؛ إنّك لمحقّ هناك.

سقراط: لكنّني لا أزال أجد، يا صديقي الممتاز، أنّ المحاورة القديمة ما تزال ثابتة وراسخة كما هي أبداً. وسأحبّ أن أعرف إذا ما كان يمكنني أن أقول

الشيء عينه عن فرضية أخرى هي أنَّ الحياة الخيِّرة وحدَها، لا غيرها، التي يجب أن تُقدَّر وتُحترم بشكل رئيسي؟

كريتون: نعم، إنّ ذلك يبقى ثابتاً أيضاً.

سقراط: وتساوي الحياة الخيِّرة الحياة العادلة والشريفة ـ يثبت ذلك أيضاً؟

كريتون: نعم، إنّه لكذلك.

سقراط: إنّني أتقدّم بهذه المقدِّمات المنطقيّة لأحاور في القضيّة، وهي إذا ما كان صواباً أوْ لا، أن أحاول الهرب بدون موافقة الأثينيين؛ وإذا كانت صحيحة بوضوح، فإنّي سأحاول عندئذ؛ وإلاّ، سأمتنع عنها. إنّ الاعتبارات الأُخرى الّتي تذكرها، عن الدراهم وفقدان الشخصية المميّزة، وواجبات التعليم نحو أطفال الإنسان، أخشى، أنّها ما هي إلاّ تعاليم السواد الأعظم من الناس الذين سيعيدون الناس إلى الحياة إذا كانوا قادرين، تماماً كما يحكمون عليهم بالموت بطيش، ولهكذا سبب صغير. لكن الآن، بما أنّ المحاورة قد وصلت بنا إلى هذا البعد، فإنّ السؤال الوحيد الذي يبقى كي نتأمّله مليّاً، وهو إذا ما كنّا سنفعل ما هو حقّ، أنا بهربي وأنت بمساعدتك لي، وبدفعك لوكلاء فِراري مالاً وعبارات شكر، أو إذا ما كنا سنفعل نحن ما هو صواب في الحقيقة؛ وإنْ يكن الأخير، فإنّ الموت عندئذ أو أيّة كارثة أخرى يمكن أن تنتج عن بقائي هنا بهدوء، يلزم أن لا يُسمح لها بأن تدخل في الحسبان.

كريتون: أعتقد بأنّك محقّ، يا سقراط كيف سنتقدّم إذن؟

سقراط: دعنا نتأمّل مليّاً المسألة معاً، فإمّا أن تنقضني إذا استطعت، وسأقتنع؛ وإلاّ توقّف، يا صديقي العزيز، عن تكرارك لي بأنّه ينبغي أن أهرب خلافاً لرغبات الأثينيين. فأنا مشتاق جدّاً ليكون ما أفعله مقترناً بمصادقتك واستحسانك. وتأمّل الآن من فضلك في موقفي الأوّل، وحاول أن تجيبني بأفضل وسيلة تستطيعها.

كريتون: سأفعل.

سقراط: هل نحن نقول بأنّنا يجب أن لا نفعل الأذى عمداً أبداً، أو بأنّه ينبغي أن نفعله بطريقةٍ ما وأن لا نفعله بطريقة أخرى، أو أنّ عمل الأذى يكون شرّاً وسيّئاً وسافلاً على الدوام، كما قد اعترفنا بذلك غالباً في السابق؟ هل كل الاعترافات التي قدّمناها وبيّناها خلال هذه الأيام القليلة الأخيرة، هل سنرميها جانباً ولا نبالي بها؟ وهل كنا نتحدث مع بعضنا بعضاً، في سنّنا هذه، كلّ حياتنا التي مضت كي نكتشف فقط بأنّنا لسنا أفضل من الأطفال؟ أو هل سنصرّ على حقيقة ما قيل قبلئذ برغم رأي الكثرة، وبرغم النتائج، سواء أكانت للأفضل، أو للأسوأ؟ هل سنصِرّ على أن الظلم هو شرٌّ وخزيٌ لمن يعمل بظلمٍ على الدوام؟ هل سنقول هكذا أو لاَ؟

كريتون: نعم.

سقراط: إذن يلزمنا أن لا نفعل الخطأ؟

كريتون: لا، بالتّأكيد.

سقراط: ولا أن نؤذي أحداً بالمقابل عندما يؤذينا، كما يتخيل العديدون لأنّنا يجب أن لا نؤذي أحداً على الإطلاق؟

كريتون: لا بوضوح.

سقراط: مرّة ثانية، يا كريتون، أيمكننا أن نفعل الشرّ؟

كريتون: لا بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: وماذا عن مقابلة الشرّ بالشرّ، التي تعتبر قاعدةً سلوكيةً وأدبيّة لكثيرين - هل هذا عدلٌ أم لاَ؟

كريتون: إنّه ليس عدلاً

سقراط: لأنّ فعل الشرّ للغير هو كأذّيتهم لا فرق؟

كريتون: حقيقي تماماً.

سقراط: لا يلزمنا إذن أن نردَّ على الأذى بمثله ولا أن نقابل الشرّ بشرٍّ لأحد، مهما كان الشرّ الذيَ قاسيناه منهم. لكنّني أريد منك أن تتأمّل مليّاً، يا كريتون، إذا كنت تعني ما أنت قائل لأنّ هذا الرأي لم يتمسّك به أيّ عدد من الأشخاص جديرين بالاعتبار، ولم يتبنوه أبداً؛ وإنّ أولئك المتفقون وأولئك المختلفون على هذه النقطة الأساسية ليس لديهم أرضيَّة مشتركة، وما يستطيعون فعله فقط هو أن يزدري بعضُهم بعضاً عندما يرون كيف يختلفون بشأنها على نحو واسع. أخبرني، إذن، إذا ما كنت تتّفق معي وتصادق على مبدئي الأوّل، وهو أن الأذى والانتقام ودفع الشرّ بالشرّ ليست أعمالاً صحيحة مطلقاً. وهل ستكون تلك مقدّمات منطقيّة لمحاورتنا؟ أو أنّك تنحرف قليلاً وتعترض على هذا؟ أمّا أنا فقد فكرت هكذا على الدوام، وسأستمر في تفكيري هذا. لكنك إذا كنت من رأيٍ آخر، دعني أسمع ما عندك لتقوله. وإنْ كنت ما تزال على التفكير عينه كما كنت سابقاً، على كل حال، فإنّي سأتقدّم إلى الخطوة القادمة.

كريتون: يمكنك أن تتقدّم لأنّني لم أغيّر تفكيري.

سقراط: سأمضي إذن إلى النقطة التالية، التي يمكن وضعها في شكل سؤال: أيجب على الإنسان أن يفعل ما يعترف به أنه حقّ أو ينبغي أن يخون الحقّ؟

كريتون: يلزمه أن يفعل ما يعتقده حقاً.

سقراط: لكن إذا كان هذا حقيقة، فما هو التطبيق؟ وهل أؤذي أيّ شخص، بمغادرة السجن خلافاً لإرادة الأثينيين؟ أو على الأصح ألاَ أؤذي أولئك الذين يجب أن أؤذيهم بالمقدار الأقل؟ ألا أهجر المبادىء التي اعترفت بأنّها عادلة؟ فماذا تقول؟

كريتون: لا أستطيع أن أجيبك على سؤالك، يا سقراط؛ لأنّني لا أفهمك.

سقراط: تأمّل المسألة ملياً في هذه الطريقة إذن. تصوّر أنّني كنت على وشك أن أهرب « يمكنك أن تسمّي الاكمال بأيّ إسم تحبّ »، وتظهر الدولة وقوانينها عليّ وتستجوبني: « قل لنا، يا سقراط » تقول هي، « ماذا أنت على وشك أن تفعل؟ ألست ذاهباً بفعلك هذا لتجلب لنا الخراب ، نحن القوانين، وللدولة بمجملها بقدر ما تكمن فيك؟ هل تتصوّر أنّ الدولة تقدر أن تبقى وتستمرّ وأن لا تُقلب رأساً على عقب، الدولة التي لا تمتلك قوانينها القوّة لتنفيذ القرارات، بل إنّ هذه القرارات توضع جانباً وتُداس بالأقدام من قبل الأفراد »؟ ماذا سيكون جوابنا، يا كريتون، على هذه الكلمات وعلى ما يشبهها؟ إنّ أيّ شخص، وبخاصة عالِم الكلام سيكون لديه مقدار كبير من الكلام ليقوله ضدّ تدمير القانون الذي يحتاج إلى حاكم قضائيّ كي يُنفَّذ، هل سنجيب: « نعم؛ لكن الدولة آذتنا، وأصدرت علينا حكماً ظالماً ». إفترض أنّنا نقول هذا؟

كريتون: جيّد جداً، يا سقراط.

سقراط: سيجيب القانون: « وهل كان هذا هو اتفاقنا معك؟ أو كان عليك أن تلتزم بحكم الدولة »؟ وإذا كنا لنعبّر عن دهشتنا بكلماته، من المحتمل أن يضيف القانون قائلاً: « أجب، يا سقراط، بدلاً من أن تفتح عينيك ـ إنّك لمعتادٌ أن تسأل وتجيب على الأسئلة، قل لنا، أيّة شكوى لديك ضدّنا تسوِّغ لك محاولتك لتدمِّرنا وتدمِّر الدولة؟ ففي المقام الأوّل ألم نحضرك نحن إلى الوجود، والدك تزوّج من أمّك بمساعدتنا وأنجبك، قل إذا ما كان لديك أيّ اعتراض لتثيره ضد أولئك الذين هم منّا والذين يرتّبون أمور الزواج ». عليَّ أن أقول بأنّه ليس لديَّ أيّ شيء لأعترض عليه. « أو هل عندك شيء ضد أولئك الذين هم منّا والذين ينظّمون تنشئة وتعليم الأطفال والذين تدرّبت أنت عندهم أيضاً؟ ألم تكن القوانين، التي تمتلك مهمّة التعليم، ألم تكن

محقّة في إعطاء الأمر لأبيك كي يدرّبك في الموسيقى والتمارين الرياضية؟ ». حقاً عليَّ أن أجيب. « حسناً إذن، بما أنّك أُحضِرتَ إلى العالم وتولّينا تنشئتك وتعليمك، هل تقدر أن تنكر في المقام الأوّل بأنّك طفل لنا وعبد، كما كان آباؤك من قبلك؟ وإذا كان هذا حقيقياً فأنت لا تستطيع أن تفترض بأنّك على قدم المساواة وإيّانا في مسائل الصواب والخطأ. أوَ تعتقد بأنّ لك الحقّ أن تفعل بنا ما نحن فاعلون بك؟ هل لك أيّ حق بأن تضرب أو تشتم أو تفعل الشرّ لأبيك أو معلّمك وسيّدك، إذا كان لديك سيّد، وذلك لأنّه قد ضربك وشتمك، أو لأنّك تلقّيت شرّاً آخر على يديه؟ - إنّك لن تقول هذا؟ وهل تعتقد بأنّ لديك أيّ حقٍ لتدمرنا بالمقابل، وتدمّر بلادك بقدر ما تكمن هي فيك، وبسبب أنّنا نعتقد بأنّه حقّ لنا أن نهلكك؟ هل ستتظاهر، أوه يا أستاذ الحقيقة والفضيلة، أنّك مُبرَّرٌ فيما تفعل؟ وهل أخفق فيلسوف مثلك كي يكتشف أنّ بلادنا هي أثمن بكثير وأسمى وأقدس يبعدٍ كبير من الأمّ أو الأب أو من أيّ سلف، وأنّها يجب أن تُعتبر أكثر في عيون الآلهة والرجال ذوي الفهم؟ ولأن تُسترضَى أيضاً، وتُستعطَف عند غضبها بلطف وتبجيل، حتّى أكثر من استعطاف الأب، وإمّا لتقتنع، وإن لم تقتنع هي، فبأن تُطاع؟ وعندما تعاقبك، سواء إذا كان هذا القصاص بالسجن أو الجلد، ينبغي أن تتحمّل عقابها بصمتٍ وجَلَدٍ؛ وإذا قادتنا إلى المعركة وجُرحنا أو متنا أثناءَها، هناك نتبع هذا كما أنّه حق؛ لا ولا يجب ولا يمكن لأيٍّ شخص أن يستسلم أو يتقهقر أو يغادر صفَّه، بل يلزمه أن يفعل ما تأمره به مدينته وبلاده، سواء أكان في المعركة أو في محكمة القانون أو في أيّ مكانٍ آخر؛ أو أن يلزمه أن يغيِّر نظرتهم في ما يكون عدلاً وإذا أمكنه أن يفعل العنف لأمّه أو أبيه. فيقدر عندئذ أن يقوم بالعنف ضدّ بلاده ». أيُّ جوابٍ ستعطي، يا كريتون؟

كريتون: أعتقد بأنّ القوانين تتكلّم بحق.

سقراط: ستقول القوانين بعدئذ: « تأمّل مليّاً، يا سقراط، إذا كنّا نتكلّم بحقّ وهو أنّك في محاولتك الهرب أنت ذاهب لتفعلَ لنا الأذى. هل هذا لأنّنا قمنا بإحضارك إلى العالم وتولّينا تنشئتك وتعليمك وأعطيناك كما أعطينا كلّ مواطن آخر حصّةً في كل خير كان يجب علينا أن نهبه، وأبعد من ذلك فإنّنا أعلنّا لكلّ أثيني بحسب الحريّة التي سمحنا له بها، من أنّه إذا كان لا يحبنا، نحن القوانين، فعندما يبلغ سنّ النضج العقليّ وقد رأى أوضاع وعادات المدينة وتعرّف علينا شخصياً، كان بإمكانه أن يذهب حيث يريد وأن يأخذ ما يملكه معه. لا أحد منّا، نحن القوانين سيمنعه، أو يتدخّل معه أو مع أيّ شخص لا يحبّنا ولا يحبّ المدينة، والذي يريد أن يهاجر إلى أيّة مستعمرة أو أيّة مدينة ثانية؛ يمكنه أن يذهب حيث يشاء، ويصطحب معه كلّ ما يملك. لكن من لديه الخبرة أو معرفة الأسلوب الذي ننظّم به العدل وندير الدولة، ولا يزال مقيماً بيننا، فهو بعمله هذا إنّما دخل في عقدٍ معنا وفهم ضمناً أنّه سيفعل كما نأمره. وأنّ مَنْ يعصينا يكون، كما نؤكّد، مخطئاً مراتٍ ثلاثاً؛ أوّلاً لأنه في عصيانه فهو إنّما لا يطيع والديه؛ ثانيا، لأنّنا نحن موجدو تعليمه؛ ثالثاً، لأنّه ما دام أنّه قد عقد اتفاقية معنا بأنّه سيطيع أوامرنا كما ينبغي، فهو لم يطعها ولم يقنعنا بأنّ أوامرنا ظالمة. وبرغم ذلك فنحن لا نأمر بطاعةٍ منجزة من غير اعتراضٍ وبقسوة، بل نمنحه الخيار، فإمّا أن يطيعنا أو يقنعنا بوجهة نظره، ذلك نحن ما نقدّم ونعرض، وأما هو فلم يفعل أيّاً منها ».

« هذه هي أنواع الاتهامات التي ستتعرّض لها، يا سقراط، إذا أنجزت مقاصدك، كما كنّا قائلين؛ وأنت فوق كل الأثينيين ». إفترض أنّني أسأل الآن، لماذا أنا بدلاً من أيّ شخصٍ آخر؟ فالقوانين سوف تردّ عليّ الشيء

بمثله وتقول لي: إنّي أنا فوق كلّ الأثينيين الآخرين اعترفت بالاتفاق وسلّمت بصحّته. ستقول هي أيضاً: « هناك برهان واضح، يا سقراط، أنّنا لم نكن ولا مدينتنا مثيرى استيائك. لقد كنت أكثر الأثينيين لبثاً في المدينة التي ما دامت لم تغادرها أبداً، فيمكن افتراضك لذلك أنك تحبها[٣٠]. فأنت لم تذهب خارج أثينا قط إمّا لترى الألعاب الأولومبيّة، ما عدا مرّة واحدة عندما ذهبت إلى ايسثموس، أو أي مكان آخر إذ كنت في الخدمة العسكريّة؛ لا ولم تسافر كما يفعل الرجال الآخرون. ولم تتملّكك أية فضوليّة لتتعرّف على الدول الأخرى وعلى قوانينها. إنّ عواطفك وميولك لم تتعدَّنا ولم تذهب إلى ما وراء حدود دولتنا. إنّنا كنا المفضّلين عندك، ونحن من آثرت بشكلٍ خاص، وقبلت أنت بحكومتنا لتحكمك. وهنا في هذه المدينة أنجبت أطفالك، وهذا برهان على قناعتك بالعيش فيها. علاوة على ذلك، كان بإمكانك في مجرى المحاكمة، إذا أحببت، أن تعيّن العقاب بالإبعاد والنّفي؛ كان بإمكانك آنئذ أن تفعل برضى الدولة ما أنت عازمٌ على فعله بدون رضاها وقبولها. لكنّك تظاهرت بأنّك تفضل الموت على النفي[٣١]، وأنّك لم تكن ولم تُبدِ أيَّ احترامٍ لنا نحن القوانين، التي أنت مدمِّرها، وتفعل ما سيقوم به أيّ عبدٍ شقيٍّ فقط، هارباً ومدبراً على المواثيق والاتفاقات لمواطنيتك في قولك إنّك وافقت على أن تعيش تحت سلطة حكومتنا بالمأثرة والعمل، وليس بالكلمات فقط » هل هذا حقيقي أو أنّه عكس ذلك؟ كيف سنجيب، يا كريتون؟ ألا يجب أن نوافق؟

كريتون: لا نستطيع سوى الموافقة، يا سقراط.

سقراط: ألن تقول القوانين بعدئذ: « أنت، يا سقراط، تخرق المواثيق والاتفاقات التي عقدتها معنا في وقت فراغك بدون أيّ إكراهٍ أو خداع أو في تنفيذ عجول، بل بعد أن كان لديك سبعون سنة كي تفكّر بها، وكانت لك

الحريّة التامة أثناء هذا الوقت لتغادر المدينة، إذا لم نكن بمستواك وإذا بدت مواثيقنا لك أنّها غير عادلة. كان لك حقّ الاختيار، وكان بإمكانك أن تغادر إلى لاقيدايمون أو إلى جزيرة كريت، هاتين الدولتين اللتين غالباً ما أثنيت عليهما بسبب حكومتيهما الصالحتين، أو إلى دولة هيلينيّة أخرى ما أو إلى دولة غريبة، في حين أنّك أنت، فوق كلّ الأثينيين، تبدو بأنّك مُغرم بهذه الدولة. ومُحكَماً بنا نحن قوانينها على نحوٍ بيِّن « إذ مَن سيهتمّ بشأن دولةٍ بدون قوانين »؟ إنَّ ذلك ما لم تثره أبداً عليها. إنّ العُرج، العميان، والمقعدين لم يكونوا أكثر استقراراً فيها منك. والآن فإنّك ترفض أن تلتزم بالاتفاقات التي أبرمتها معنا. لا تنفِّذ ذلك، يا سقراط، إذا كنت ستأخذ بنصيحتنا. لا تجعل من نفسك أضحوكةً بمغادرة المدينة.

« تأمَّل مليّاً تماماً، إذا أنت انتهكت القوانين ونقضت العهود بطريقة من هذا النوع، فأيّ خيرٍ ستؤدِّيه، لنفسك أو لأصدقائك؟ إنّ أصدقاءَك سيكونون في خطر لكونهم منقادين إلى المنفى ومجرَّدين من جنسيتهم، أو لفقد ممتلكاتهم. إنّ ذلك هو شيء مؤكَّد وممكن الاحتمال؛ وأنت نفسك، إذا فررت إلى واحدة من المدن المجاورة، كمثال، إلى طيبة أو ميغارى اللتين تُحكمان جيّداً كليهما، فإنّك ستأتي لهما كعدوٍّ لحكومتيهما وسينظر إليك كلّ مواطنيها الوطنيين شَزْراً كهادمٍ للقوانين، وستعزّز أنت في عقول القضاة عدل إدانتهم الخاصّة لك لأنَّ مَنْ يفسد القوانين هو أكثر مَنْ يفسد الشباب بالاحتمال. هل ستفرُّ عندئذ من دولٍ حسنة التنظيم ومن رجالٍ أفاضل؟ وهل يكون البقاء جديراً بالامتلاك على هذه الشروط؟ أو هل ستذهب لها بدون خجل، وتتحدّث لها قائلاً... وماذا ستقول لها؟ هل ستقول ما قلته هنا عن الفضيلة والعدل والمجتمعات والقوانين كونها أفضل الأشياء بين الرجال؟ هل سيليق ذلك بسقراط؟ لا بالتأكيد. لكنّك إذا ذهبت بعيداً من

دولة حكمها جيد إلى أصدقاء كريتون في صقليّة، حيث هناك فوضى عظيمة وفجور، سيكونون هم مفتونين ليسمعوا قصّة هربك من السجن، بادياً للعيان بخاصيّات مضحكة للأسلوب الذي تدثّرت به، وذلك بتغطية جسدك بجلد ماعز أو بتقنّعٍ وتنكّرٍ في نمطٍ آخر، أو مغيّراً مظهرك تغييراً صارخاً مثل طريقة الهاربين؛ لكن ألن يوجد شخص ليذكّرك في كِبر سنّك، عندما تُرك لك وقتٌ قصيرٌ من الحياة، إنّك لم تستحِ أن تخالف القوانين الأكثر قداسة من رغبة شرهة للتعلق بالحياة؟ لربما لا، إذا حفظتها في مزاجٍ صالح؛ لكنّها إذا كانت مزاجيّة الطبع حادّة الانفعال فإنّك ستسمع العديد من الأشياء المهينة. إنّك ستعيش، لكن كيف؟ - متزلفاً لكلّ الرجال، وخادماً لهم جميعاً؛ وفاعلاً ماذا؟ - مرتحلاً بترفٍ في صقليّة، وما ارتحالك في الخارج إلاّ كي تمكن من الحصول على وجبة طعام؟ وأين ستكون بشأن العدل والفضيلة؟ أتقول بأنّك تريد أن تعيش لأجل أطفالك - تريد أنت أن تربّيهم وتعلمهم - فهل ستأخذهم إلى صقليّة وتجرّدهم من الجنسيّة الأثينيّة؟ أهذه هي الفائدة التي ستمنحهم إيّاها؟ أو هل أنت تتوهّم أنّهم سيكونون بعناية أفضل وتعليمٍ أحسن هنا إذا بقيت على قيد الحياة، وغائباً عنهم مع ذلك لأنّ أصدقاءَك سيهتمّون بهم؟ لا؛ لكن إذا كان الذين يسمُّون أنفسهم أصدقاء هم صالحين لأيّ شيء، سيفعلون ذلك - لتكن متأكّداً بأنهم سيفعلون.

« إستمع لنا إذن، يا سقراط، نحن مَنْ ربّاك، لا تفكّر في الحياة والأطفال أوّلاً وفي العدل بعدَ ذلك، بل فكّر في العدل قبلَ كلِّ شيء، كي تتمكّن من تبرئة وصيانة نفسك أمام أمراء العالم السفليّ، لأنّك لن تكون أسعد أو أكثر تُقىً أو أعدل في هذه الحياة، لا ولا أيٌّ ممّن يخصُّك، إنّكم لن تكونوا سعداء في الحياة الأخرى إذا فعلت كما يأمرك كريتون، مقاسياً الشرّ وليس

قائماً به؛ ضحيّة الرجال، وليس القوانين. لكنّك إذا تركت المدينة، مقابلاً الشرّ بالشرّ والأذى بالأذى بشكلٍ دنيء، ناقضاً للعهود والاتفاقات التي أبرمتها معنا، ومؤذياً أولئك الذين يلزم أن تؤذيهم بشكلٍ أقل، بمعنى، نفسِك، أصدقائك، بلادك، ونحن، إنّنا سنكون غاضبين عليك طالما حييت، ولن تمنحك أخوتنا القوانين في العالم السفليّ ترحيباً صدوقاً لأنّها ستعرف أنّك فعلت أفضل ما تقدر عليه كي تدمّرنا. إستمع، إذن، لنا ولا تبالِ بما قاله كريتون ».

إنّ هذا هو الصوت، يا عزيزي كريتون، الذي يبدو أنّني أسمعه هامساً في أذنيّ، مثل صوت الناي الذي يهمس في الآذان ذات الطقوس السّريّة. أقول، إنّ ذلك الصوت يطن في أذنيّ ويمنعني من سماع أيّ صوتٍ آخر. كن متأكّداً، إذن، أنَّ أيّ شيءٍ أكثر يمكن أن تقوله كي تهزّ هذه الثقة أو تزعزع هذا الإيمان، فإنّما عبثاً سيُقال. ومع ذلك تكلّم، إذا كان لديك أيّ شيء لتقول.

كريتون: ليس لديَّ شيء لأقوله.

سقراط: إنَّ ما قيل هو كافٍ، يا كريتون، دعنا ننفّذ مشيئة الله، ونتبع حيث يهدي ويرشد.

محاورة فيدون

أفكار المحاورة الرئيسيَّة

يقصّ فيدون على ايخيكريتس وفيلوس المحاورة التي جرت بين سيمياس وسيبس من طيبة، وبين سقراط عندما كان في سجنه قبل وفاته بساعات قليلة. سأل ايخيكريتس فيدون أن يروي له ماذا جرى في تلك الساعات الحاسمة، كيف كانت طريقة وفاة سقراط، لأنّه وأصدقاءَه لم يفهموا لماذا نُفِّذ فيه حكم الإعدام بعد وقت طويل من إدانته، كلّ ما سمعوه أنّه توفّي شارباً السمّ فقط.

قال فيدون، إنّ سبب تأخير حكم الإعدام بسقراط، هو أنّ السفينة التي اعتاد الأثينيون على إرسالها إلى جزيرة ديلوس كُلِّلت قبل محاكمة سقراط بيوم واحد، والتي تدوم رحلتها ذهاباً وإياباً أكثر من شهر. أمَّا سبب إرسالها فهو أنّه عندما ذهب ثيسيموس إلى جزيرة كريت، حسب عادة الأثينيين، اصطحب معه « الأربعة عشر » وبما أنّهم أَنقذوا أنفسهم خلالها ونجوا، فإنّهم أقسموا لأبوللو أن يرسلوا بعثة سنويّة إلى جزيرة ديلوس، وأن لا يدنِّسوا المدينة بأيَّة إعدامات أو إراقة دماء حتى إتمام هذه الرحلة.

سأله ايخيكريتس، كيفَ كانت طريقة موته؟ ماذا قيل وماذا فُعل؟ وأيٌّ من أصدقائه كان معه؟ أو أنّ السلطات منعتهم من الحضور، ولهذا لم يكن أحد من أصدقائه موجوداً؟

لا، يا ايخيكريتس، بل إنّ بعض أصدقائه كانوا معه، وهم كثرٌ في الواقع، ما عدا أفلاطون الذي كان مريضاً. أقول لك إنّه توفّي بدون أيّ خوف، وكانت كلماته وتصرّفاته جدٌّ نبيلة ومهذّبة، وبدا لي مباركاً وسعيداً، وأدركت أنّه بذهابه إلى العالم الآخر لا يمكنه أن يفعل ذلك بدون دعوة إلهيَّة ورضىً إلهي. كنا

منهمكين خلال الساعات الباقية التي قضيناها معه، كنّا مشغولين في البحث الفلسفيّ، وكان سقراط هادئاً كما هو طبعه في كل حين. أمّا نحن فكانت مشاعرنا مهتزّةً بشكل كبير لهذا الحدث الجلَل، ألاَ وهو قرب فقد أعقل الرجال.

وما الذي تكلمتم بشأنه، يا فيدون؟

جئنا إلى سقراط في سجنه ذلك اليوم باكراً جداً، وأمرنا السجّان عند وصولنا أن ننتظر حتّى يستدعينا « لأنّ الأحد عشر هم مع سقراط الآن، وسيفكّون قيوده، وأعطوا الأوامر بأن يُعدم اليوم ». عاد السجّان إلينا وقال، إنّه بإمكاننا أن ندخل. وجدنا سقراط لتوّه محرَّراً من أغلاله، وكانت زوجته بجانبه ثم غادرت بعد برهة. بينما كان سقراط جالساً على السرير انحنى وفرك ساقه، وقال: كم هو فريد ذلك الشيء الذي يسمّيه الجنس البشري اللّذة، وكيف هي متصلة بالألم بغرابة، بل هي مضاد له. إنّ لهما جسدين اثنين، لكنّهما متصلان برأسٍ واحد، ولا أقدر إلاّ أن أعتقد بأنّه إذا تذكّرهما آيسوب، فإنّه سيؤلّف خرافة عن الله لتسوية خلافاتهما. وكيف سيفعل ذلك بسبب عدم قدرته على تحقيقه لأنّه أوثقَ رأسيهما معاً، ولهذا فهما عندما يأتي أحدهما يتبع الآخر.

أجاب سيبس بُعيد ذلك، إنّني مسرور جداً، يا سقراط، لأنّك ذكرت اسم آيسوب. إنّه يذكّرني بسؤال طرحه العديد من الرجال، هُمُ وأنا معهم نريد أن نعرف السبب الممكن تصوّره. لِمَ تقلب خرافات آيسوب إلى قطعة نثريّة وتنظم هذه الترتيلة لأبوللو، وأنت الذي لم تكتب سطرَ شعرٍ قبلاً أبداً؟

قال سقراط: قل له، يا سيبس، إنّ الحقيقة هي أنّه ليس لديَّ فكرة كي أُنافسه أو أباري قصائده، وإذا ما فعلت ذلك فلن يكون عملاً سهلاً بأيّة حال. لكنّني حاولت أن أقنع ضميري بخصوص شكٍّ ساورني من جرّاءِ تلميحات أتت إليَّ في الأحلام خلال حياتي « ذلك كي أؤلّف موسيقى ». وما قصدُ الحلم إلاّ تشجيعي على دراسة الفلسفة التي قد كانت مهنة ومسعى حياتي وهي أنبل وأفضل

موسيقى. ولهذا أردت أن أنظم قليلاً من أبيات الشعر قبل أن أغادر، وسأنظم ترتيلة لإله ِالعيد بادىء ذي بدء، وسأتأمّل مليّاً الشاعر بعدئذ، إذا كان هو شاعر حقاً، لهذا أقتبس بعض أساطير آيسوب، وأحوّلها إلى مقاطع نثريَّة. قل هذا لإيفينوس، يا سيبس، وودِّعه بإحدى صيغي هذه. قل له بَأنّني أريده أن يأتي بعدي إذا ما كان إنساناً حكيماً، وأن لا يتوانى في تحقيق ذلك. وبما أنّ اليوم هو موعد ذهابي المحتمل، فالأثينيون يقولون إنّ هذا ينبغي إنجازه. وبما أنّ إيفينوس هذا هو فيلسوف، فله النّفس الفلسفيَّة، وهو على استعدادٍ لأن يموت، لكن ليس مسموحاً له أن يأخذ حياته بيده لأنّ هذا مؤكَّدٌ بأنّه غير قانوني ومحظور.

تساءَل سيبس: لماذا تقول، يا سقراط، إنّه لا ينبغي على إنسانٍ أن يأخذ حياته الخاصّة، لكنّ الفيلسوف سيكون جاهزاً ليتبع الفيلسوف الذي يموت؟

قال سقراط: أو لم تسمعا يا سيبس وسيمياس، فيلولوس يتكلّم بذلك، وأنتما من رفاقه وأتباعه؟ إنّ كلماتي هذه ما هي إلاّ صدىً لِما يقول. هناك التعليم الذي يهمس في السرّ، وهو أنَّ الإنسان يكون سجيناً، الإنسان الذي لا يمتلك الحقّ كي يفتح الباب ويولّي الأدبار. إنَّ هذا هو سرٌّ عظيم لا يمكن فهمه بسهولة. ومع ذلك فإنّي أعتقد بأنّ الآلهة هم حماتنا، وأنّنا نحن الرجال ملكهم المنقول. وعلى الإنسان أن ينتظر، وأن لا يأخذ حياته بنفسه إلاّ إذا أرسل الله إكراهاً ما كهذا الذي وقع عليَّ الآن.

أجاب سيبس: نعم، يا سقراط، يبدو أنّ هناك صدقاً وحقّاً فيما تقول، لكن كيف يمكنك أن توفّق بين هذا الاعتقاد الحقيقيّ البادي للعيان وهو أنّ الله حارسنا، وأنّنا نحن منقولاته، وبين الرغبة والإرادة التي لا تعرف التذمّر لأن تموت والتي نسبتها الآن إلى الفيلسوف لتوِّك؟ إنّ الإنسان العاقل سيريد أبداً أن يكون مع مَنْ هو أفضل منه، وخاصة مع الآلهة الذين هم أفضل الحكام لأن الإنسان يعتقد بالتأكيد أنّه عندما تُطلق حريّته سيكون قادراً على أن يقوم بالاعتناء بنفسه بشكل

أفضل. يبدو هذا أنّه عكس ما قد قيل منذ برهة، وبناءً عليه فإنّ على الإنسان العاقل أن يحزن وعلى الغبيّ أن يبتهج في الانتقال من هذه الحياة.

أضاف سيمياس قائلاً، إنّ ما قاله سيبس، يا سقراط، له بعض القوّة، وهو يشير لك بكلامه هذا. يعتقد هو بأنّك جاهزاً لتتركنا ومستعدٌّ لأن تغادر الآلهة الآخرين الذين اعترفت بهم أنّهم أسيادنا ومعلمونا الأخيار.

قال سقراط: نعم يوجد عدل فيما تقول. وهكذا تعتقد أنت بأنّ عليّ أن أجيب على اتهامك كما لو كنت في محكمة عدل. لذا ينبغي أن أقوم بتهيئة دفاع أمامكما أكثر نجاحاً من ذلك الذي قمت به أمام القضاة. أعترف لكما، يا سيمياس وسيبس، أنّني أفعل الخطأ في مقابلتي الموت بدون استياء، إذا لم أقتنع في المقام الأوّل بأنّي ذاهب إلى الآلهة الآخرين الذين هم حكام وأخيار، وهذا أنا متأكّدٌ منه جيّداً، برغم عدم تأكّدي من أنّ الرجال الذين سأقابلهم سيكونون أفضل من الذين أعيش معهم الآن، ومع ذلك فأنا لا أزال أمتلك أملاً جيّداً بأنّه ما يزال للمتوفّين شيء ما. وكما قد قيل منذ القدم، أفضل بعيد للخيِّر ممّا هو للشرّير.

أجاب سيبس، لكنْ هل تعني بأنّك تصطحب أفكارك معك، يا سقراط؟ أوَ لَن تنقلها لنا؟ إضافة إلى ذلك إذا نجحت في إقناعنا بما تقول، فسيكون هذا جواباً على التهمة الموجَّهة لك.

قال سقراط: أوه يا قضاتي، أرغب بأن أبرهن لكم أنّ الفيلسوف الحقيقي لديه سببٌ كي يهلّل ويستبشر عندما يوشك على الوفاة، ويمكنه أن يأمل في الحصول على الخير الأعظم في العالم الآخر بعد ذلك. إنَّ الفيلسوف هو المهيَّأ كي يلاحق الموت على الدوام؛ وإذا كان هذا كذلك، وكانت لديه رغبة الموت طوال حياته كلّها، فلماذا عليه أن يتبرّم من ذلك الذي قد لاحقه وكان توّاقاً له على الدوام؟ وأقول لكما إنَّ الموت ما هو إلاّ انفصال الروح والجسد تماماً. وموتك يعني إتمام ذلك عندما توجد الروح بنفسها وتُعتق من الجسم، ويُفكُّ الجسد عنها. أُسلِّم بأنّ

هذا ما قُصِد بالموت. وأؤكد لكما أنّ الحقيقة الصادقة تُكتشف بالفكر فقط، ويكون الفكر أفضل حينما يكون العقل منسجماً مع نفسه ولا تزعجه الأصوات ولا المشاهد ولا الآلام، ولا أيّة لذّة على الإطلاق. والصفة المميّزة للفيلسوف هي أن يزدري الجسد لأنّ الجسد يمنعه ويمنعنا جميعاً من إدراك الحقيقة ومن كنه الطبيعة الحقة لكلّ شيء، بل إنّ الرؤيا العقلية هي التي تمتلك الإدراك الأكثر دقّةً لجوهر كلّ شيء، والعقل وحده هو القادر على اكتشافها بدون أعضاء الجسد والعينين والأذنين. ومَنْ، إذا لم يكن الفيلسوف، مَنْ يكون قادراً ليصل إلى معرفة الوجود الحقيقيّ على الأرجح؟ إنّ الروح بذاتها يجب أن تَرى الأشياء كما هي بأنفسها، وعندئذ سننال ما نتمنى، أي الحكمة، التي ندّعي أنّنا أحبّاؤها. وننال ذلك ليس ما دامت لنا الحياة، بل كما تبيِّن المحاورة، بعد الموت فقط. إنّ الفلاسفة الحقيقيين، وهم وحدهم، ينشدون أن يُعتِقوا الروح. أليس الانفصال وعتق الروح من الجسد دراستهم الخاصّة؟ ولهذا لا يتذمّرون عندما يحلّ عليهم الموت، وأنّ الموت هو الأقلّ رهبة لهم من كلّ الرجال. وحينما نرى إنساناً يشكو عند اقتراب الموت، ألا يكون نفوره هذا برهانا كافياً أنّه ليس محبّاً للحكمة بعد كلّ شيء، بل محبٌّ للجسد، وربّما محبٌّ للمال أو القوة أو لكليهما؟ أليست الشجاعة أكثر صفةٍ مميّزةٍ للفيلسوف؟ أو ليس الاعتدال فضيلةً تختصّ بأولئك الذين يأنفون الجسد ويزدرونه فقط والذين أمضوا حياتهم في الفلسفة؟ أليس ثمّة قطعة نقدية واحدة، يا عزيزيَّ سيمياس وسيبس، هي التي ينبغي مبادلة كل ملذّات الجسد ومساوئه بها وهذه القطعة النقدية هي الحكمة ونصل إليها عن طريق رفقة مع الشجاعة أو الاعتدال أو العدل فقط؟ ويمكن أن تكون الحكمة نوعاً من المعموديَّة في تطهير الروح. إنّ موجدي الأسرار سيبدون أنّهم امتلكوا معنىً حقيقياً لها، ولم يكونوا خُلْواً من الإدراك عندما لمحَّوا في شكل استعارة منذ الأزل، أنّ مَنْ ينتقل إلى العالم السفليّ غير مطهَّرٍ وغير عارفٍ وغير مطَّلعٍ سيُرمى منبوذاً في الأرض الموحلة، لكنّ مَن

يصل إلى هناك بعد الاطلاع والتكريس والتطهير سيسكن مع الآلهة. ولهذا السبب أجيب بأنّني محقّ، يا سيمياس وسيبس، في عدم أساي وتذمّري على فراقكم وفراق أسيادي ومعلميّ في هذا العالم لأنّني أعتقد بأنّي سوف أجد معلّمين وأصدقاء في العالم الآخر بشكل مختلف.

عندما انتهى سقراط من كلامه، بدأ سيبس بالحديث، وقال: أوافقك، يا سقراط، في الجزء الأكبر ممّا تقول، لكن فيما يختصّ بالروح، فالرّجال عرضةٌ لأن يشكّوا. يخافون هم، من أنّ الروح عند مغادرتها الجسد فإنّ مكانها يمكن أن لا يكون في أيّ مكان، وأنّه يمكنها أن تفنى في اليوم المحدَّد للموت وتصل إلى نهايةِ حالَ عتقها من الجسد، منطلقةً مثل الدخان أو النَفَسِ، مشتّتةً ومبدَّدةً إلى لا شيء في طيرانها. ونحتاج بكلّ تأكيد لمقدارٍ كبيرٍ من القدرة على الاقتناع والبرهان لنرى أنّه عندما يموت الإنسان فإنّ روحه تبقى برغم ذلك، وتمتلك أيّة قوّة وتفكير.

أجابه سقراط: حقّاً، يا سيبس، وإنّني سأقترح كي نتأمّل معاً فيما يخصّ احتمالات هذه الأشياء. دعنا إذن، نتأمّل مليّا القضية بمجملها، ليس بالنسبة إلى الإنسان فقط، بل بالنسبة إلى الحيوانات بشكلٍ عامّ، وإلى النباتات وإلى كلّ شيء فيه توالدٌ، وسيكون الجواب أسهل. ألا تتولّد كلّ الأشياء التي لها مضادّات، ألا تتولّد من مضادّاتها؟ أعني أشياء كالجمال والقبح، العدل والظلم ـ وهناك حالات أخرى لا تحصى من ذلك. دعنا نتأمل لذلك إذا ما كان ضرورياً أنّ شيئاً يجب أن يأتي إلى الوجود من ضدّه الذي يخصّه، إذا كان له واحد، وليس من أيّ مصدرٍ آخر. كمثال، أيّ شيءٍ يصبح أكثر يجب أن يصبح أكثر بعد كونه أقلّ، ويتولّد الضعيف من الأقوى، والأسرع من الأبطأ، والأسوأ من الأفضل، والأكثر عدلاً من الأكثر ظلماً. ويكون هذا حقيقياً عن كل المتضادّات. وفي هذا التضادّ العالمي لكلّ الأشياء، ألاَ توجد أيضاً عمليتان متوسّطتان مستمرّتان على الدوام: من المضادّ الواحد إلى الآخر، وعائدتين مرّة ثانية. كمثال، حيث يوجد أكثر وأقلّ توجد أيضاً العملية المتوسّطة للزيادة والنقصان، وهكذا يُقال إنّ شيئاً يزيد أو ينقص. وتوجد

عمليّاتٌ أخرى متعدِّدة، مثل التحليل والتركيب، التبريد والتسخين، اللتين تستلزمان انتقالاً من حالة إلى أخرى. ويثبت هذا عن كلّ المتضادات بالضرورة، ومع هذا فإنّ ذلك لا يُعبَّر عنه بكلمات دائماً ـ إنّ هذه المتضادات متولِّدة حقّاً بعضها من بعض، وثمّة انتقال أو تقدّم من واحدها إلى الآخر. كذلك يوجد مضادٌّ لكونك حيّاً، كما يكون النوم مضاداً لكونك مستيقظاً، ومضادّ الحياة هو الموت، وهما متولّدان بعضهما من بعض ولهما عمليّتان وسطيتان أيضاً. والآن فإنّني سأحلِّل لك واحداً من المتضادَّين اللّذين ذكرتَهما لك، وسأحلِّلُ أنا أيضاً إحدى عمليتيهما الوسطيتين، وأنت سوف تحلِّلُ الأخرى لي. إنّ العضوين الإثنين للثنائيّ الأوّل هما النوم واليقظة، وحالة النوم هي مضادّة لحالة اليقظة، وتتولّد اليقظة من النوم، والعكس بالعكس؛ وتكون عملية الولادة في الحالة الواحدة ساقطاً نائماً، وفي الأخرى مستيقظاً. هل توافق، يا سيبس؟

إنّني أوافق على ما قلته، يا سقراط.

قال سقراط: إفترض أنّك تحلِّلُ لي الحياة والموت بالأسلوب عينه، ألاَ تضادّ حالة الموت حالة الحياة؟ وهما متولّدتان إحداهما من الأخرى، ويتولّد الحيّ من الميّت، والميّت من الحيّ. ويكون الاستنتاج أنّ الأرواح توجد في العالم السفليّ. إنّ عملية الموت مرئيّة، أمّا عملية العودة إلى الحياة فهي غير مرئيّة، وهي ولادة الأموات إلى عدد الأحياء. وهناك طريقة جديدة نصل بواسطتها إلى الاستنتاج بأنّ الأحياء يأتون من الأموات، تماماً مثلما يأتي الأموات من الأحياء؛ واتفقنا نحن بأنّ هذا إذا كان حقيقيّاً، سيكون برهاناً كافياً على أنّ أرواح الموتى يجب وجودها في مكانٍ ما خارج المكان الذي تأتي إليه مرّة ثانية. وهذه الاعترافات لم تكن خاطئة، يا سيبس، وأعتقد أنّه يمكن تبيين ذلك بما يلي: إذا كان التولّد في خطٍّ مستقيم، ولم يكن هناك تعويض أو دورةٌ في الطبيعة، لا دوران أو عودة العناصر إلى أضدادها، فإنّ كلّ شيءٍ عندئذ سيكون له، أخيراً، الشكل عينه ويعاني القدر نفسه، ولن يكون منه أيّ تولّد بعد اليوم. إذا لم يوجد تبديل لليقظة والنوم،

كمثال، فإنّ قصّة آنديوم النائم لن يكونْ لها أيّة غاية في النهاية لأنّ كلّ الأشياء الأخرى ستكون نائمة أيضاً، ولن تتميّز هي من الأشياء الباقية. أو إذا وُجد تركيب فقط، ولم يكن هناك تحليل للموادّ، بعدئذ سيكون لدينا قريباً شواش أناكساغوراس حيث « كانت كل الأشياء معاً ». وفي أسلوبٍ مماثل، يا عزيزي سيبس، إذا كانت كلّ الأشياء التي تشترك في الحياة لتموت، وأن تبقى بعد موتها في شكلٍ ميّت، ولن تأتي إلى الحياة مرّة ثانية، فإنّ كلّ شيء سيموت أخيراً، ولا شيء سيحيا ـ أيّة نتيجة أخرى يمكن أن توجد؟ لأنّه إذا كان لدى الأشياء الحيّة أيّ أصلٍ آخر، وأنّ الأشياء الحيّة تموت، ألا يلزم أن تُبتَلَع كلّ الأشياء في الموت أخيراً؟

لا يوجد هروب، يا سقراط، وتبدو محاورتك لي أنّها محاورة حقيقية على نحوٍ قاطع، أجاب سيبس.

قال سقراط: نعم، يا سيبس، إنّها لكذلك ويجب أن تكون هكذا، في رأيي، .ونحن لم نضلّل أحداً بإدلائنا بهذه الاعترافات، لكنّني واثق بأنّه يوجد هكذا شيء بحق كالحياة مرّة ثانية، وأنّ الأحياء يبرزون إلى الوجود من الأموات، وأن أرواح الموتى موجودة.

أجاب سيبس مقاطعاً: نعم، إنّ تعليمك المفضّل، يا سقراط، وهو أنّ علمنا يكون تذكّراً بكلّ بساطة. وإذا كان هذا التعليم صحيحاً فإنّه يدلّ ضمناً بالضرورة أيضاً على زمنٍ سابق للزمن الذي تعلّمنا فيه ذلك الذي نتذكّره الآن. لكنّ هذا سيكون مستحيلاً إلا إذا قد كانت أرواحنا في مكانٍ ما قبل وجودها في هذا الشكل الإنسانيّ. يوجد هنا برهان آخر على خلود الروح.

قاطعه سيمياس قائلاً: لكن قل لي، يا سيبس، أيّة محاورات تُدفع بقوة في خدمة تعليم التذكّر هذا؟ إنّي لست متأكّداً بأنّني أتذكّرها في هذه اللحظة.

قال سيبس: إنّ برهاناً واحداً ممتازاً، يُمنح بالأسئلة. كمثال، إذا طرحت سؤالاً على شخص بشكل مناسب، فهو سيعطيك جواباً حقيقياً عليه. لكنّه كيف يستطيع

فعل ذلك ما لم توجد معرفة وتعليلٌ صحيحٌ للقضيّة التي تُناقش قبل الآن؟ مرّة ثانية، فإنّ هذا يُبيِّن بشكلٍ واضح عندما يؤخَذ هذا الشخص إلى رسم تخطيطيّ، أو إلى أيّ شيء آخرَ من هذا النوع.

استطرد سقراط: لكنّك إذا كنت لا تزال شكوكياً، يا سيمياس، إلى درجة أنّك لا تعتقد ما إذا كان الذي يسمّى معرفة يعتبر تذكّراً، فإنّني سأبرهنه لك.

أجابه سيمياس: إنّني لست شكوكياً ولا شاكاً، لكنّني لا أزال أحبّ سماع محاورتك بكلّ إيضاحاتها وتفسيراتها.

قال سقراط: علينا أن نتّفق، إذا لم أكن مخطئاً، أنّ ما يتذكّره إنسان ينبغي أنه عرفه في زمنٍ سابقٍ ما، وعلينا أن نتّفق أيضاً على أن المعرفة التي ننالها في الطريقة التي أنا على وشك أن أصفها هي التذكّر. وهذا التذكّر هو عملية استعادة او استرداد ذلك الذي قد نُسي من قبلُ خلال الزمن وفي غفلة. وبعد أن شرحت لك طبيعة المتساويات النسبيّة والمطلقة في دعمٍ منطقيّ لهذه الفكرة، أقول إنّ هذه المتساويات، برغم اختلافها عن فكرة المساواة، حصلنا من طرحها على معرفة تلك الفكرة. ويلزم أنّنا عرفنا المساواة من قبلُ، وسابقاً الزّمن حينما رأينا الموادّ المتساوية أوّلاً، وتأمّلنا مليّاً أنّها تكافح كلها لتنال المساواة المطلقة لكنّها تقصّر عنها. يشتقّ من الحواس إذن، التصوّرُ والإدراك، وهو أنّ كلّ المتساويات المحسوسة تشير إلى مساواة مطلقة، وهي التي تقصّر عنها كلّ المتساويات تلك، كما قلت. وإذا نلنا هذه المعرفة قبل ولادتنا وولدنا ونحن نمتلك استعمالها، إذاً فإنّنا عرفنا قبل أن نولد وفي لحظة الولادة ليس المتساوي فقط أو الأكثر أو الأقلّ، بل كلّ الأفكار الأخرى كتلك؛ ونحن لا نتكلّم عن الولادة فقط، بل عن الجمال، الخير، العدل، التقوى، وعن كل ذلك الذي نَسِمُهُ باسم الوجود المطلق في العملية الجدليّة الديالكتيكيّة، حينما نسأل وعندما نجيب على الأسئلة على حد سواء. إنّنا نؤكّد عن كل هذا بيقين بأنّا اكتسبنا المعرفة قبل الولادة. لكن إذا لم ننسَ بعد اكتسابنا لها، ما

أحرَزناه في مناسبة، يجب حينئذ أن نأتي إلى الحياة ممتلكين هذه المعرفة على الدّوام. ولسوف نحوزها دائماً طالما بقيت الحياة لأنّ العارف يكون المكتسب والمتبقي والمتذكِّر للمعرفة وليس فاقدها. أليس خسران المعرفة، يا سيمياس، هو ما ندعوه النسيان تماماً؟ لكن إذا فقدنا هذه المعرفة عند الولادة، والتي كسبناها قبلها، وإذا استعدنا ما عرفنا من قبلُ بعدئذ باستعمال حواسّنا، ألا تكون العملية التي ندعوها تعلماً، استردادَ واستعادةَ المعرفة التي هي طبيعية لنا؟ أوَ لاَ يمكن أن يُسمَّى هذا تذكّراً بحقّ؟ ولهذا فإنّ أولئك الذين يقال عنهم إنّهم يتعلّمون هم يتذكّرون فقط؛ ويكون العلم تذكّراً بكلّ بساطة. وبناءً عليه فإنّ أرواحنا لا شكّ أنّها وُجِدَت بدون أجساد قبل أن تتصورّ بالشكل الإنساني، ولا شكّ أنّها امتلكت ذكاءً. إنّ الحقائق، يا سيمياس، قد وُجدت قبل وجودنا وقبل ما يخصنا من ممتلكات.

أجاب سيمياس: إنّني لمقتنع بكلّ البراهين التي أعطيتها، يا سقراط.

سقراط: وهل سيبس مقتنع؟ لأنّ عليّ أن أقنعه أيضاً.

أجاب سيمياس: أعتقد بأنّه مقتنع بما فيه الكفاية بأنّ الروح توجد قبل الولادة، لكنْ أنّها ستواصل وجودها بعد الموت فإنّ هذا ليس مُبرهناً حتى إلى قناعتي الخاصّة، ولا أستطيع التخلّص من الاعتراض الذي أشار له سيبس، وهو الخوف العامّ من أنّ الروح تتبدّد في اللحظة التي يموت فيها الإنسان. وبما أنّنا اعترفنا بأنّها يمكن أنّها أتت إلى الوجود وأنّها صِيغت من بعض المواد الأخرى التي لا تُعرف، وكانت موجودة قبل دخولها الجسد، فلماذاً لا تُدمَّر وتصل إلى نهاية بعد دخولها فيه وخروجها منه مرّة ثانية، أو مرّات عديدة؟

قال سقراط: لكنّ هذا البرهان، يا سيمياس وسيبس، قد تمّ إعطاؤه لكما مسبقاً، ولا إعتراض لديّ إذا ما أردتما إجراء تحقيق دقيق بشأن المحاورة، إذ أنّ سيمياس مثل الطفل، تنتابه المخاوف من أنّ الروح عندما تغادر الجسد يمكن للريح

أن تشتتها وأن تبعثرها حقاً، خاصة إذا قُدِّر للإنسان أن يموت أثناء عاصفة عظيمة، وليس حينما يكون الطقس هادئاً. لنسأل، ألا يكون المركَّب والمؤلّف من عدة أجزاء بالطبيعة، ألا يكون عرضةً لأن ينحلّ، بما أنّه مركّب؟ لكنّ ذلك الذي لا يتألّف من أقسام عديدة، وذلك فقط، يجب أن لا ينحلّ. والمركّب عرضة لأن يتغيّر ويتبدّل على الدوام، وهو عكس الأشياء كالمساواة، والجمال، أو أي شيء آخر، والتي هي حقيقية ولا تتغيّر وتتبدل خلال الزمن، وقد أعطينا عن وجودها تعليلاً برهانياً في العملية المنطقيّة الديالكتيكيّة. إنَّ كلاً من هذه الحقائق لها الوجود الذاتي الموحَّد عينه وذو الطبائع التي لا تتغيّر ولا تتبدَّل. إنّها لا تقبل التنوّع على الإطلاق، أو في أيّة طريقة، أو في أيّ زمن. إنَّ المركَّبات تستطيع لمسها ورؤيتها وتصوّرها بالحواس، لكنّ الأشياء اللامتغيرة يمكنك الإحاطة بها جيّداً وفهمها بالعقل. إنَّ المرئيّ يشبه الجسم واللامرئي يشبه الروح، والجسم يشبه المتبدّل والروح اللامتغيّر واللّامتحوّل. وعندما تتحّد الروح والجسد، فإنّ الطبيعة تأمر عندئذ بأن تحكم الروح وتسيطر، والجسد أن يُؤمَرَ ويطيع، والوظيفة الأولى تشبه الإلهي، بينما تشبه الثانية الفاني. لهذا فإنّ الروح تكون في شَبَهٍ لِمَا هو إلهي بالتحديد، وللخالد، والعاقل، والموحَّد، واللاقابل للذوبان، واللامتغير. والجسد هو في شَبَهٍ لِمَا هو إنساني بالتّحديد، وللفاني، وغير العاقل، والمتعدّد الأشكال، والقابل للانحلال، والمتبدّل. هل نقدر، يا عزيزي سيبس، أن نجد أيّة أرضيّة ممكنة لرفض هذا الاستنتاج؟ إذن ألاَ يكون الجسد عرضةً للانحلال السريع؟ أو لاَ تكون الروح تقريباً، أو جملةً، غيرَ قابلةٍ للانحلال؟ لذلك أقول، إنّ الروح ذاتها غير مرئيّة، تغادر إلى العالم الّلامنظور - إلى الإلهي والخالد والحكيم. تصلُ هناك، وهي آمنة في جنّة النعيم، وتتخلّص من أخطاء وغباوات الرجال، من خوفهم وشهواتهم الوحشيّة المسعورة، ومن كلّ الشرور الإنسانية الأخرى. وكما يقولون عن المطّلع والخبير، فإنّها تسكن في صحبة الآلهة إلى ما لا نهاية. وتكون عكس

ذلك الروح اللاطاهرة وغير النقيّة. إنّ روحاً متغذيّة بالفلسفة الحقيقية، لن تخاف أبداً من أن تتشتّت وتتبعثر بالرياح وأن لا تكون شيئاً أو أن لا توجد في أيّ مكان عند مغادرتها الجسد.

حينما أنهى سقراط كلامه، كان هناك صمتٌ جدير بالاعتبار؛ وبدا هو ذاته أنّه كان مستغرقاً في التأمّل، كما كان أكثرنا كذلك، فيما قد قيل، وسيمياس وسيبس وحدهما تكلّما مع بعضهما كلمات قليلة. حينما لاحظ سقراط ذلك سألهما ماذا يفكران بشأن هذه المحاورة، وإذا ما كان هناك أيّ موطن ضعفٍ فيها؟ لأنّ سقراط قال بأنّه لا يزال هناك العديد من النقاط الرئيسيّة مفتوحةً للشكّ والهجوم. وقال لهما إذا كنتما تشعران بأيّ شكّ لا ترددا لا في إبداء أفكاركما الخاصّة إذا ما كان لديكما أيّ شعورٍ بها، كي ندخل أيّ تحسين تقترحانه عليها. وإذا اعتقدتما أنّكما ستحقّقان تقدّماً أكثر بمساعدتي، إسمحا لي أن أساعدكما.

أجاب سيمياس، ينبغي أن أعترف، يا سقراط، أن شكوكاً معيّنة تنشأ في عقلينا، لكنّنا نخشى أن يكون إلحاحنا مزعجاً لك في وقتٍ كهذا.

قال سقراط مبتسماً: أوه يا سيمياس، ماذا تقول؟ إنّه لمرَجّح جدّاً من أنّني لا أقدر على إقناع الرجال الآخرين بأنّي لا أعتبر أنّ حالتي الحاضرة وكأنها بليّة إذا لم أستطع حتى إقناعكما. ألن تسلّما بأنّي أمتلك النفس النبويّة فيّ بقدر ما لدى الإوزّات؟ لأنّها هي عندما تدرك بأنّها يجب أن تموت، وبما أنّها غنّت في أوقاتٍ خلال حياتها، فهي تغنّي لوقتٍ أطول وأغنيات أجمل بكثير ممّا أدّته من صَدحٍ بشكل دائم، فَرِحةً في التفكير بأنها على وشك أن تذهب إلى الله الذي هو وكيلها. لكنّ الرجال، ولأنّهم يخافون الموت، يؤكّدون عن الإوزّات افتراءً أنّها تغنّي نواحاً في وقتها الأخير، صرخة كَرْبٍ، غير معتبرين أنّ لا طائر يغني عندما يكون مقروراً، أو جائعاً، أو متألماً. وأنا أيضاً، معتقداً نفسي أنني الخادم المكرّس لله ذاته، والخادم الرفيق للإوزّات، والمؤمن بأنّي تلقّيت من سيّدي ومعلّمي هبات النبوة،

سأغادر الحياة بحبورٍ أقلّ من الإوزّات هذه. لا تقلق إذن أبداً، بل تكلّم واسأل ما تريد، ما دام القضاة الأثينيّون الأحد عشر يسمحون بذلك.

أجاب سيمياس، أعتبر، يا سقراط، أنَّ إنساناً إذا لم يبرهن عن حقيقة ما يقول في مواضيعه بأقصى قوّته، وإنْ لم يختبرها من كلّ جانب، أعتبره جباناً. ولهذا عندما أتأمّل المحاورة مليّاً يبدو لي أنّها غير كافية في براهينها بكلّ تأكيد.

قال سقراط: لكن قل لي، يا صديقي، في أيّ منحى تُعتبر براهين المحاورة غير كافية؟

أجاب سيمياس: إفترض، يا سقراط، بأنّي أستعمل قياس التمثيل عينه عن العدد وتآلف الألحان فأقول: إنّ العود والخيطان هي مادة وأشياء ماديَّة، مركَّبة، أرضيَّة، مجانسة للفناء. وأنّ تناسب الألحان هي غير مرئيّ، غير ماديّ، تامّ، إلهيّ، موجود في العود وعندما يحطِّم شخص ما العود أو يقطِّع الخيطان، فإنَّ تآلف الألحان هذا قد فني وهلك قبل أن تفنى الخيطان. ألا يمكننا أن نقارن الروح بالنغم والجسم بالعود، وننسب الشيء عينه لهما فيما أوضحته؟ ولذلك فإنّها تفنى « أي الروح » بعد تحطّم الجسد، في ذلك الذي يُسمَّى موتاً، فكيف سنجيبه؟

تطلَّع سقراط فينا بثبات كما كانت طريقته وقال وهو يبتسم: إنّ لسيمياس مبرِّراً لما قاله. وهناك قوّة منطقيّة في خطّ محاورته. وقبل أن نجيبه، من الأفضل أن نستمع لِمَا سيقوله سيبس، وفي ذلك نكسب وقتاً للتأمّل مليّاً. فما هو القلق الذي يساورك، يا سيبس؟

أجاب سيبس: أعترف بأنّ وجود الروح قبل دخولها الجسد قد تمَّ برهانه بشكلٍ حاذق ورائع؛ لكنّ بقاء الروح بعد الموت لم يتمّ برهانه بعدُ. ولا أنكر أنَّ الروح هي أقوى وأكثر بقاءً من الجسد. ألا يمكننا أن نفكّر بأنّها يمكن أن تفنى بعد تقمّصها لأجسادٍ عديدة وتُنْهكَ في الولادات الشاقّة المتعاقبة المتتالية؟ ولذلك أريد برهاناً شاملاً ومفصّلاً بخصوص خلودها.

تملَّكنا كلَّنا شعور غير بهارٍ في سماع ما قالاه، بعد أن كنّا مقتنعين قبلاً وبثبات. وقال ايخيكريتس، أيّة محاولة يمكنني الوثوق بها مرّة ثانية، وما يمكن أن يكون أكثر إقناعاً من محاورات سقراط؟ سأسألك لذلك، يا فيدون، كيف تعقّب سقراط المحاورة؟ وكيف قابل هجومهما، وهل نجح في صدِّ هذا الهجوم؟ قُصَّ عليَّ، من فضلك، ما مرَّ وما جرى قدر ما تستطيع بالضبط.

قال سقراط: عليك أن تعتقد غير ذلك، يا صديقي الطِّيبي، إذا كنت ما تزال تثبت أنّ التناغم هو شيء مركَّب، وأنّ الروح هي تآلف ألحانٍ صُنعت من خيطانٍ وأُدخلت في جسد إنسان؛ لأنّك لن تسمح لنفسك أنْ تقول بالتأكيد إنّ التناغم هو مركَّب ويوجد قبل العناصر الضرورية لتركيبه. إنَّ التناغم لا يكون شبيهاً بذلك الشيء الذي تقارنه به؛ بل يوجد العود أوّلاً، والخيطان، والأصوات هي في حالة تنافر، وأُوجد التناغمُ بعدئذ، وهو الذي يفنى أوّلها. وكيف يمكن لتعليلٍ عن الروح مثل هذا أن يكون في توافقٍ وانسجامٍ مع طرحك السابق؟ ولهذا السبب لا يوجد تناغم في الفرضيتين الاثنتين، الأولى أنّ التعلّم هو تذكّر، والثانية أنّ الروح هي تآلف ألحان، وينبغي استبقاء واحدةٍ منها هي المؤيِّدة بقواعد علم الجدل وبراهينه واستنتاجاته المنطقيّة.

أجاب سيمياس: إنّني أثبت الفرضيّة الأولى وأُسقط الثانية، يا سقراط.

قال سقراط: إنَّ تآلف الألحان أو أيّ تركيب آخر لا يمكن أن يكون في حالةٍ غيراً من تلك العناصر التي يكون منها مركَّباً، وهو لا يهدي الآجزاء أو العناصر التي تصنعه، متكلّمين بدقة، بل يتبعها فقط. وهكذا، فبعيدٌ عن الاحتمال أن يكون التناغم له أيّة حركة، أو صوت، أو أيّة نوعيّة أخرى هي مضادة لأقسامه أو أجزائه، وإذا كانت الروح تناغماً، فهي لن تمتلك أيّة رذيلة أبداً؛ لأنّ الإيقاع، كونه إيقاعاً، لا يمكنه أن يحوز قِسماً في اللاتناغم. وتُنقض هذه الفرضية بوجود الروح الخيِّرة والروح الشريرة. وقل لي، يا سيمياس، أيُّ حاكمٍ يكون هناك لعناصر الطبيعة

الإنسانية غيراً من الروح، وخاصّة الروح العاقلة الحكيمة؟ وهل تكون الروح هذه في اتفاقٍ مع ميول وتأثيرات الجسد، أو أنّها في اختلافٍ معها؟ لقد اعترفنا سابقاً أنّ الروح إذا كانت تناغماً، لا يمكنها أن تطلق نغمةً أو علامة موسيقية في اختلافٍ وتباينٍ مع التوتّرات والاسترخاءات والنقرات والتأثيرات الأخرى للخيطان التي يُشكّل منها الإيقاع أو التناغم؛ يمكنها أن تتبع ذلك فقط، وليس بإمكانها ان تقود وترشد. لكنّ الروح ثبُت أنّها تفعل العكس بالضبط. فهي تقود العناصر التي يُعتَقد أنّها هي تركّبها وتُعدّها، وأنّها أكثر إلٰهيّة لتُقارَنَ بأيّ تناغم أو إيقاع.

أمّا فيما يختصّ بخلود الروح الأبدي، والذي يريد سيبس منّي أن أبرهنه، فهذا سؤال له حجم عظيم، ويجب أن تشمل الإجابة عليه الطبيعة ككلّ وسبب المجيء إلى الوجود والانقطاع عن أن تكون. وعلينا في بحثنا المنطقيّ هذا أن نفصل السّبب عن الحالة والتي بدونها لن يكون السّبب سبباً على الإطلاق. أعتقد أنّ الحالة هي التي يتلمّسها العديد في الظلام، ويخطئون فهمها، ويخطئون بتسميتها سبباً كذلك. إنّ مبدأ السببيّة هذا هو الذي أبتهج وأَفرح في أن أتعلّمه، وسأعرض المنهج الذي اتبعته كأسلوبٍ أفضل للتحقيق في السبب، وأنّ أفضل تحقيق أقوم به هو العودة إلى مجال العقل والتعقل وأبحث عن حقيقة الوجود هناك. سأحاول أن أبيّن لك نوعيّة السببيّة التي شغلت أفكاري. ولنسأل: أليس هناك جمالٌ مطلق وخيرٌ كليٌّ وعظمة وما شابه ذلك؟ وإذا كان أيّ شيء جميلاً فإنّه يكون جميلاً فقط بقدر ما يشترك في الجمال المطلق ـ وعليّ أن أقول الشيء عينه عن كلّ شيء، في الأعداد والأشكال وفي غيرها. وبعد أن بحثنا في هذه الفكرة الهامّة بحثاً منطقيّاً مُسهَباً، إذا ما سألتني، كي تستنتج الحقائق: « ما هي تلك الملازمة التي تجعل الجسم حارّاً »؟ فإنّني سأجيبك، النّار وليست الحرارة. وإذا ما سألتني، « لماذا يعتلُّ الجسم »؟ فلن أقول من السّقم بل من الحمّى، وبدلاً من أن أقول إنَّ المفرد هو سبب الأعداد المفردة، سأقول إنَّ الواحد هو سببها. وهكذا عن الأشياء

بشكل عامّ. وبناءً على ما تقدَّم فإنّ الملازمة التي تجعل الجسد حيّاً هي الروح، وكل ما تحتلّه الروح، تأتي حاملة له الحياة. وثمّة ضدٌّ للحياة وهو الموت، والروح لن تسمح بالمضادّ الذي تحضره على الدوام، وهو الموت، كما جاء في استنتاجاتنا السابقة. والذي لا يقبل بالموت هو الخالد، والروح خالدة أبداً. وكلّ الرجال سيوافقون، على أنّ الله، والصورة الجوهريّة الضروريّة للحياة، والخالدين بشكل عامّ، سيوافقون على أنّ الروح باقيةً ولن تفنى أبداً. وعندما يهاجم الموت إنساناً فإنَّ الجزء البشريّ الفاني الذي هو الجسد يموت، أمّا الجزء الخالد الذي هو الروح فسينكفيء أو ينسحب عند قدوم الموت ويُصان آمناً ولا يدمَّر. وأقول، إذا كان الموت نهاية الجميع، فإنّه سيكون صدفة سعيدة وغير منتظرة للخبثاء. فهم لن يكونوا، أو قد كانوا، سعداء للتخلّص من أجسادهم فقط، بل من شرورهم الخاصّة أيضاً، بالإضافة إلى أرواحهم. إنَّ انعتاق الروح أو خلاصها من شرورها هو بالحصول على الفضيلة الأعلى والحكمة الأسمى لأنّ الروح عند رحلتها إلى العالم السفليّ لا تصطحب أيّ شيء معها سوى التربية والتعليم؛ وقيل إن هذا إمّا أن يفيد أو أن يؤذي المغادر بشكل عظيم، عند البداية المحدودة لرحلتها إلى هناك.

والآن سأعطيكم وصفاً للأرض في مناطقها وصورتها. إنّ الأرض هي جسم كرويٌّ وسط السماوات، وهي رحبة جدّاً. وهناك الكثير من التجاويف المتنوعة الأشكال والأحجام في كلِّ مكانٍ على سطحها. لكنّ الأرض الحقيقيّة هي صافية ومركَّزة في السماء النقيّة، وإذا ما قُدِّرَ لأيِّ إنسانٍ أن يمتلك جناحين ويصعد عالياً، فسيعترف أنّ العالم الآخر كان المكان للسماء الحقيقيّة والنور الحقيقي والأرض الحقيقية، التي سأبدأ بإعطائكم شرحاً عنها .... والتي ستذهب إليها الأرواح حيث تنال ثوابها أو عقابها.

وبعدُ، فأنا جاهز، كما يقول شاعر المأساة. إنّ صوت القدر والقضاء يستدعيني. سأشرب السمّ قريباً. وأعتقد بأنَّ عليّ أنْ أذهب لأستحمَّ أوّلاً، كي لا

أسبّب أيّ إزعاج لأحد في غسل جسدي بعد موتي. وأطلب إليكم أن تبدوا اهتماماً كبيراً وعناية بأنفسكم، وأن تتبعوا طرق الفضيلة والخير والحقّ. وكونوا متأكّدين أن الكلمات المزيّفة والباطلة، ليست شرّاً في نفسها فقط، بل هي تلوّث وتفسد الروح بالشرّ. كونوا مبتهجين وسعداء وقولوا بأنّكم تدفنون جسدي فقط، وافعلوا به ما يكون اعتيادياً، وما تعتقدون أنّه الأفضل.

بعدما تلفَّظَ سقراط بهذه الكلمات، نهض وذهب إلى الحجرة ليستحم. وبعد أن عاد أحضروا له أولاده ليراهم ثم انصرفوا. بعد ذلك بقليل جلب السجّان السّمّ في فنجان، وأعطى التعليمات لسقراط كيف سيشربه، وعاد يجهش بالبكاء ـ أخذ سقراط الفنجان بيده، وشرب السّمّ بكلّ سهولة ولطفٍ في الأسلوب، وبدون أدنى خوف أو تغيير في اللون أو المحيّا والصورة. وقال قبلئذ: يجب عليّ أن أصلّي للآلهة كي يجعلوا رحلتي ناجحة ومزدهرة من هذا العالم إلى العالم الآخر. وبعد أن تناول السّمّ مشى حتى بدأت ساقاه تضعفان وتهنان، وتمدّد على ظهره، طبقاً لتعليمات السجّان، حتّى أصبح جسمُه كلّه خدراً. وبعد أن وصل السمّ إلى القلب، أطبق كريتون عينيه وفمه.

هكذا كانت النهاية، يا ايخيكريتس، لصديقنا سقراط، والذي يمكننا أن نقول عنه بحقّ وصدق، إنّه كان الأعقل والأعدل والأفضل من كلّ الرجال الذين عرفناهم في زماننا.

محاورة فيدون

اشخاص المحاورة

فيدون: قاصّ المحاورة إلى ايخيكريتس وفيليوس

سقراط	سيمياس
خادم السجن	سيبس
ابولودوروس	كريتون

المشهد: سجن سقراط

مكان سرد المحاورة: فليوس

ايخيكريتس: هل كنت حاضراً بنفسك، يا فيدون، في السجن مع سقراط يوم شرب السّمّ؟

فيدون: نعم، يا ايخيكريتس، إنّني كنت موجوداً.

ايخيكريتس: بي شغف لمعرفة ما قاله في ساعاته الأخيرة، وكيف كانت طريقة وفاته. لا أحد من فليوس يذهب إلى أثينا كثيراً الآن، ومنذ وقت طويل لم يأتِ أيٌّ غريب من هناك يستطيع أن يعطينا تقريراً نعتمد عليه. سمعنا أنّه توفّي بشرب السّمّ. لكنّ ذلك كان كلّ شيء.

فيدون: ألم تسمع بوقائع الجلسات أثناء المحاكمة؟

ايخيكريتس: نعم؛ أخبرنا شخص ما عنها، لكنّنا لم نقدر أن نفهم لماذا بعد أن أُدين لم ينفّذ حكم الإعدام بسقراط في الوقت الذي صدر الحكم فيه، بل فيما بعد بوقت طويل. فما سبب ذلك؟

فيدون: حادثٌ سعيد، يا ايخيكريتس، حَدَثَ أن كُلِّلت مؤخّرة السفينة التي أرسلها الأثينيون إلى جزيرة ديلوس، قبل أن يُحاكم بيوم واحد.

ايخيكريتس: ما هي هذه السفينة؟

فيدون: إنّها السفينة التي ذهب فيها ثيسيوس إلى جزيرة كريت، حسب عادة الأثينيين؛ وذلك عندما اصطحب معه «الأربعة عشر»، وقد أنقذهم وأنقذ نفسه. وقيل بأنّهم أقسموا لأبوللو في ذلك الوقت أنّهم إذا نجوا فسيرسلون بعثة سنوية إلى جزيرة ديلوس. حسناً، وما تزال هذه العادة مستمرّة إلى يومنا هذا تكريماً لهذه المناسبة، وذلك بدون إنزال عقوبة الموت أو إراقة دماء بين الفترة الممتدة من الذهاب إلى الجزيرة والعودة منها، معتبرين الفترة فصلاً مقدّساً يُمنع خلاله بحزم من أن تُدنّس المدينة بالإعدامات من أيّ نوع. وعندما تعوّق المركب رياحٌ معاكسة، فإنّ الوقت الذي يستهلك في الذهاب والإياب هو جدير بالاعتبار تماماً. وكما قلت، فإنّ السفينة كُلِّلت قبل يومٍ واحدٍ من إجراء المحاكمة، وكان هذا السبب الذي قبع سقراط في السجن من أجله، ولم يُنفَّذ به حكم الإعدام، حتّى بعد مضيّ وقت طويل، ثم أعدموه.

ايخيكريتس: كيف كانت ظروف وفاته، يا فيدون؟ ماذا قيل وماذا حدث؟ وأيٌّ من أصدقائه كان معه؟ وهل السلطات منعتهم من الحضور ـ فحرم من حضور أصدقائه بالقرب منه عندما توفّي.

فيدون: لا؛ كان بعضٌ من أصدقائه معه. وكانوا كُثُراً في الواقع.

ايخيكريتس: إذا لم يكن عندك ما يشغلك، أريد منك أن تخبرني ما جرى تماماً بالضبط قدر ما تستطيع.

فيدون: ليس عندي شيء أفعله، وسأحاول أن أعطيك كلّ الحقائق؛ إذ أنّ تذكّر سقراط أو التذكير به هو الفرح الأعظم لي على الدوام، سواء أتكلّمت بنفسي أو سمعت الآخرين يتحدّثون عنه.

ايخيكريتس: سيكون لديك مستمعون يشاطرونك التفكير عينه؛ فقط حاول أن تروي كلّ شيء بالضّبط قدر استطاعتك.

فيدون: كان لديَّ شعور غريب عندما كنت في رفقته. استطعت أن أصدِّق بصعوبة أنّني كنت حاضراً ساعة وفاة صديق، ولهذا السب لم أشفّق عليه، يا ايخيكريتس؛ إنّه توفّي هكذا بدون خوف. وأمّا كلماته وتصرّفاته فكانت نبيلة ومهذّبة جداً، وبدا لي مباركاً. أدركت أنّه حتى في ذهابه إلى العالم الآخر لا يمكنه أن يذهب بدون دعوةٍ إلهيّة، وأنّه سيكون سعيداً، إذا ما كان من إنسانٍ سعيدٍ قطّ. سيكون سعيداً عند وصوله إلى هناك، ولذلك لم يخالجني أيّ شعور بالشّفقة عليه، وأمكنني أن أبدو طبيعيّاً في ساعةٍ كهذه. ولم أشعر بالسرور من الناحية الأخرى لأنّنا كنّا منهمكين كالمعتاد في البحث بالفلسفة. « كان ذلك موضوع حديثنا ». إنّ حالتي العقليّة كانت غريبة، مزيجاً فريداً من السرور والألم، عندما تأمّلت مليّاً بأنّه سيتوفّى قريباً. وتضاعف هذا الشعور المشترك عندنا كلّنا نحن الحاضرين؛ ضحكنا وبكينا كلٌّ بدوره، خاصّة أبولودوروس الرجل السهل الإثارة ـ تعرف أنت أيّ نوع من الرجال هو؟

ايخيكريتس: نعم.

فيدون: إنّه كان هادئاً بالمقارنة مع نفسه، وكنّا جميعاً مضطربي المشاعر بشكلٍ كبير.

ايخيكريتس: من كان الحضور؟

فيدون: من المواطنين الأثينيين، إضافة إلى أبولودوروس، كان كريتوبولس وأبوه، هيرموجينس، أبيجينس، ايسخنيس، انتبسيثينس؛ وأيضاً كتاسيبوس من مقاطعة بايينيا، مينيكسينوس، وبعض آخرون؛ لكنّ أفلاطون، إذا لم أكن مخطئاً، كان مريضاً.

ايخيكريتس: هل كان هناك غرباء؟

فيدون: نعم، كان هناك سيمياس الطيبي، وسيبس، وفيدونندس، واقليدس وتربيزون اللذين أتيا من ميغارا.

ايخيكريتس: وهل كان هناك آرستيبوس وكليومبروتوس؟

فيدون: لا، قيل إنّهما كانا في آيجينيا.

ايخيكريتس: هل كان هناك أيّ شخصٍ آخر؟

فيدون: أشعر حقاً أنَّ هؤلاء كانوا جميع من حضر.

ايخيكريتس: حسناً، وما الذي تكلّمتم بشأنه؟

فيدون: سأبدأ من البداية، وسأسعى لإعادة المحادثة بكاملها. لقد كنّا جميعاً طيلة وقتنا معتادين على زيارة سقراط يومياً، وكنّا نجتمع في المحكمة باكراً عند الصباح، حيث جرت محاكمته، وهي ليست بعيدة عن السجن. هناك كنّا ننتظر ونتكلّم بعضنا مع بعض حتى تُفتح الأبواب « لأنّها لا تُفتح باكراً جداً ». دخلنا بعدئذ وأمضينا النّهار كله مع سقراط بشكل عامّ. وفي الصباح الأخير اجتمعنا أبكر ممّا تعوّدنا، إذ إنّنا سمعنا في اليوم السابق عندما غادرنا السجن في المساء أنّ السفينة المقدَّسة أتت من جزيرة ديلوس. وهكذا اتّخذنا الاستعدادات الضروريّة كي نتقابل باكراً جدّاً في المكان المعتاد. وعند وصولنا خرج السجّان الذي استقبلنا قرب الباب، وبدلاً من السماح لنا بالدخول، طلب منّا أن ننتظر حتى يستدعينا، « لأنّ الأحَدَ عشر » قال، « هم الآن مع سقراط. إنّهم يفكّون قيوده، وأعطوا الأوامر بأنّه سيموت اليوم ». عاد السجّان إلينا باكراً وقال بأنّه يمكننا أن ندخل. وعند دخولنا وجدنا سقراط قد تحرّر لتوّه من أغلاله، وكانت كزانتيشبي[٣٢]، التي تعرفها، جالسة بجانبه، ممسكةً طفلها بين ذراعيها. عندما رأتنا أطلقت صرخة ثم أجهشت بالبكاء بطريقة أنثوية حقيقية، وقالت: « يا سقراط، إنّ هذه هي المرّة الأخيرة التي ستحاور فيها أصدقاءك، وهم سيحاورونك ». إستدار

سقراط إلى كريتون وقال له: « يا كريتون، فليأخذها أحدٌ إلى البيت ». وطبقاً لذلك قادها بعضٌ من أنسباء كريتون إلى هناك، وهي تصرخ وتلطم صدرها. حينما ذهبت، وبينما كان سقراط جالساً على السرير انحنى وفرك ساقه قائلاً بينما كان يفركها: كم هو غريب ذلك الشيء الذي يسميه الجنس البشري اللّذّة، وما أغرب اتصالها بالألم الذي يُظَنُّ بأنّها مضادة له، لأنّهما لا يمكن أن يُحضرا لإنسانٍ في اللحظة عينها. ومع ذلك فإنّ من يتعقّبهما ويحصل على كلٍّ منهما، يُجبر أن يحصل على الآخر بشكل عامّ. إنّ لهما جسدين اثنين، لكنّهما متصلان برأسٍ واحد. وإنّي لا أقدر إلاّ أن أعتقد بأنّه لو تذكّرهما آيزوب، لألف خرافة عن الله في محاولةٍ لتسوية خلافاتهما. وكيف كان سيفعل ذلك، عندما لا يستطيع، لأنّه أوثق رأسيهما معاً؛ وهذا هو السبب الذي من أجله حينما يأتي الواحد يتبع الآخر. بما أنّني أعرف الآن، بخبرتي الخاصّة، عندما يبدو أنّ اللذّة تلت الألم الذي سبّبه القيد لساقيّ.

قال سيبس بُعيد هذا: إنّني مسرور، يا سقراط، لأنّك ذكرت إسم آيزوب. فهو يذكّرني بسؤالٍ طرحه العديد من الرجال، وسألني عنه إيفينوس قبل البارحة بالتحديد ـ وهو سيكون مصرّاً على أن يسأله مرّة ثانية. ولهذا السبب إذا كنت تريد أن يكون لديَّ جواب جاهز له، فيمكنك أن تخبرني أيضاً ما الذي سأقوله له. أراد هو أن يعرف لأيِّ سببٍ ممكن تصوّره، وأنت الآن في السجن تقلب خرافات آيزوب إلى قطعة نثرية، وتنظم أيضاً هذه الترتيلة في تكريمٍ لأبوللو، مع أنك لم تكتب سطرٍ شعرٍ في الماضي قط.

أجاب سقراط: قل له، يا سيبس، ما هي الحقيقة ـ والحقيقة هي أنّني لم يكن لديَّ فكرة أن أنافسه أو أن أباري قصائده. ولكي أفعل هكذا، فذلك ليس عملاً سهلاً بأيّة حال، كما أعرف. لكنّني أردت أن أرى إذا ما كنت

قادراً على إقناع ضميري بخصوص الشكّ الذي شعرت به بشأن معنى أحلامٍ محدَّدة. إنّه كان لديَّ غالباً تلميحات في الأحلام خلال حياتي « ذلك كي أؤلِّف موسيقى ». إنّ الحلم عينه يأتي إليَّ في شكلٍ بعض المرات، وأحياناً في شكلٍ آخر، غير أنّه يقول الكلمات عينها أو قريباً منها. وحتّى اليوم فإنّني تصوَّرت أنّ هذا كان قاصداً لأن يحضّني ويشجّعني على دراسة الفلسفة فقط والتي قد كانت مهنة ومسعى حياتي. وهي أنبل وأفضل موسيقى. إنّ الحلم أمرني أن أفعل ما فعلته سابقاً، تماماً في الطريقة عينها كما يأمر المتفرّجون المتنافس ليركض عندما يؤدّي ذلك أثناء المباراة. غير أنّني لم أكن متأكّداً من هذا لأنّه أمكن للحلم أن يعني موسيقى في المعنى الشعبيّ للكلمة، وكوني في طريقي إلى الإعدام، وبما أنّ العيد يمنحني فترة من الراحة قبل التنفيذ، افتكرت بأنّه سيكون أضمن لي أن أقنع الشكّ والحيرة، وأردت طاعةً للحلم، أن أؤلِّف قليلاً من أبيات الشعر قبل أن أغادر. وسأنظم ترتيلةً في تكريم لإله العيد بادىء ذي بدء، وسأتأمّل الشاعر مليّاً بعدئذ، إذا كان هو شاعراً حقاً، والذي لا ينبغي عليه أن ينظم الكلمات معاً فقط، بل أن يخترع قصصاً. وبما أنّني لا أمتلك اختراعاً، فأنا أقتبس بعض أساطير آيزوب، والتي هي جاهزة بين يديّ وأعرفها عن ظهر قلب ـ الأولى التي تخطر في بالي ـ سأحولها إلى مقاطع نثريّة. قل هذا لأيفينوس، يا سيبس، وودِّعه بإحدى هذه الصّيغ مني؛ قل له بأنّي أريده أن يأتي بعدي إذا ما كان إنساناً حكيماً، وأن لا يتوانى في ذلك. وبما أنّ اليوم هو موعد ذهابي المحتمل، فالأثينيون يقولون بأنّه يجب أن يكون كذلك.

قال سيمياس: يا لها من رسالةٍ لإنسانٍ كهذا! بما أنّني قد كنت رفيقاً دائماً له عليَّ أن أقول ذلك، إنّي بقدر ما أعرفه، فهو لن يأخذ بنصيحتك إلاّ إذا أُجبر على هذا.

سقراط: لماذا، أليس ايفينوس فيلسوفاً؟

سيمياس: أعتقد بأنّه كذلك.

سقراط: إذن فهو، أو أيّ إنسانٍ يمتلك الروح الفلسفيّة، سيكون مستعدّاً لأن يموت، غير أنّه لن يقضي على حياته الخاصّة بيده، أتصوّر أنّ هذا يثبت بأنّه غير قانونيّ ومحظور.

[هنا غيَّر سقراط مكانه، ووضع رجليه خارج السرير على الأرض، وبقي جالساً حتى انتهاء المحاورة].

تساءَل سيبس: لماذا تقول، يا سقراط، إنّه لا ينبغي على الإنسان أن يقضي على حياته بيده، لكنّ الفيلسوف سيكون جاهزاً ليتبع ذلك الذي يموت؟

أجابه سقراط: أو لم تسمعا، يا سيبس وسيمياس، وأنتما من مريدي فيلولاوس(٣٣)، ألم تسمعاه يتكلّم هذا قطّ؟

أجاباه: نعم، لكنّ لغته كانت غامضةً، يا سقراط.

إنّ كلماتي أيضاً، ما هي إلاّ صدىً فقط؛ لكن ما مِن سبب يلزمني أن أتردَّد في إعادة ما سمعته. وحقاً، عندما يكون إنسانٌ ذاهباً إلى العالم الآخر، فإنّها مناسبة له ليتأمّل ويتعقّل بخصوص طبيعتنا المؤقّتة هناك بشكل عامّ. ماذا يمكن لشخصٍ أن يفعل أفضل من ذلك في الفترة الفاصلة بين هذه وغروب الشمس؟

سيبس: قل لي إذن، يا سقراط، لماذا يثبت الانتحار أنّه غير قانوني؟ كما سمعت فيلولاوس يؤكّد بدون ريب، والذي سألت عنه لتوّك الآن، عندما كنت مقيماً معنا في طيبة؛ هناك أشخاص آخرون يقولون الشيء عينه، مع أنّني لم أسمع أيّ شخص يعطي سبباً محدَّداً لذلك.

سقراط: لا تيأس ولا ترتبك، ويمكن لليوم أن يأتي عندما ستسمع السبب. أفترض أنّك تتعجّب لماذا، عندما يمكن للأشياء التي هي سيّئة أن تصبح صالحة في أوقاتٍ محدَّدة ولأشخاصٍ معينين، أنّ الموت هو الاستثناء الوحيد. ولماذا،

حينما يكون أفضل لإنسانٍ أن يموت، لماذا لا يُسمح له أن يمسي المحسن الخاصّ لنفسه، بل يجب أن ينتظر منّة الآخرين؟

سيبس: حقيقي تماماً. [ضاحكاً بلطفٍ ومتكلماً بلغة موطِنِهِ الدوري].

سقراط: إنّي أعترف بظهور اللاتناغم فيما أقول؛ لكن يمكن أن لا يوجد أيّ لا ترابطٍ منطقيّ حقيقيّ بعد كل هذا. يوجد تعليم يهمس في السرّ، وهو أنّ الإنسان سجين وليس له الحق أن يفتح الباب ويولّي الأدبار. إنّ هذا سرٌّ عظيم لا يمكن فهمه بسهولة. ومع ذلك فإنّني أعتقد أنّ الآلهة هم حماتنا، وأنّنا نحن البشر ممتلكاتهم، هل توافق؟

سيبس: نعم، إنّني أوافق تماماً.

سقراط: وإذا شعر واحدٌ من ممتلكاتك، مثل ثور أو حمار، إذا شعر بأنّ له الحريّة بأن يرمي بنفسه في المهالك، بينما أنت لم تُبدِ أيّة موافقة على رغبته في الموت، ألن تغضب عليه، أوَ لن تعاقبه إذا تمكّنت؟

سيبس: بالتأكيد.

سقراط: إذا نظرنا في المسألة هكذا إذن، وهو أن هناك سبباً في القول بأنّ على الإنسان أن ينتظر، وأن لا يودي بحياته الخاصّة بنفسه إلا إذا أرسل الله ضرورة ما كهذا الذي حلَّ بي الآن.

سيبس: نعم، يا سقراط، يبدو أنّ هناك صدقاً وحقاً فيما تقول. لكن كيف يمكنك أن توفّق بين هذا الاعتقاد الحقيقيّ البادي للعيان، وهو أنّ الله حارسنا وأنّنا نحن ممتلكاته، وبين الإرادة والرغبة التي لا تعرف التذمّر لأن تموت، والتي نسبتها لتوّك إلى الفيلسوف؟ وهو أنّ أعقل الرجال يجب أن يتركوا خدمةً قررتها الآلهة الذين هم أفضل الحكّام وبدون نفور، أعتقد أنّ ذلك ليس معقولاً. لأنّه لا يعتقد إنسان بالتأكيد أنّه عندما تُطلق حريّته سيكون قادراً على أن يقوم بعناية نفسه بشكل أفضل. لربما يمكن لغبيٍّ أن يفكّر

هكذا ـ يقدر أن يجادل أنَّ من الأفضل له أن يهرب من سيِّده، غير آبهٍ بما يلزمه من أن لا يفر من الخيْر بل أن يلتصق به، ولذلك فلا معنى لفراره. الإنسان العاقل سيريد أبداً أن يكون مع مَنْ هو أفضل منه. والآن فإنّ هذا يبدو، يا سقراط، أنّه يشبه عكس ما قيل منذ برهة؛ وبناءً على هذا الرّأي فعلى الإنسان العاقل أن يحزن، وعلى الغبيّ أن يبتهج في الانتقال من هذه الحياة.

[بدا أن جدّيّة سيبس أفرحت سقراط]. وقال بعد أن استدار نحونا: « هذا رجل يتساءَل على الدوام، ولن يقتنع بسهولة وبأوَّل شيء يسمعه ».

أضاف سيمياس: ويبدو الاعتراض الذي قدَّمه سيبس، يبدو لي أيضاً على أنّه يمتلك بعض القوّة، إذ ماذا يمكن أن يكون المعنى لرجلٍ عاقلٍ حقّاً يريد أن يطير ويغادر بخفَّة سيّده الذي هو أفضل منه بكثير؟ وأتصوّر بالأحرى أن سيبس لا يعني غيرك؛ يعتقد هو بأنّك جاهز تماماً لأن تتركنا، ومُعدٌّ أيضاً لأن تغادر الآلهة الذين اعترفت بأنّهم أسيادنا ومعلمونا الأخيار.

سقراط: نعم، يوجد صحّة فيما تقول. وهكذا تعتقد أنت بأنّ عليَّ أن أجيب على اتّهامك، كما لو كنت في محكمة عدل؟

سيمياس: سنرغب منك أن تفعل ذلك.

سقراط: ينبغي عليَّ إذن أن أحاول وأُهيِّىء دفاعاً أمامكم أكثر نجاحاً من الدفاع الذي قمت به أمام القضاة، لأنّني مستعدّ تماماً لأن أعترف، يا سيمياس وسيبس، بأنّي في مقابلتي الموت بدون استياء سأكون فاعلاً الخطأ، إذا لم أقتنع قبل كلّ شيء بأنّي ذاهبٌ إلى الآلهة الآخرين الذين هم حكماء وأخيار. وهذا ما أنا متأكد منه قدر ما أستطيع كتأكّدي من أية قضايا كهذه، وثانيا مع أنّي لست متأكّداً من هذه الأخيرة عن الرجال الراحلين، وهو أنّهم أفضل من أولئك الذين أتركهم خلفي، ولذلك فأنا لا أستاء منها كما كان بوسعي أن أفعل

لأنّي لا أزال أمتلك أملاً جيداً أنّ ما زال هناك شيء للمتوفّين برغم ذلك، وكما قد قيل منذ القدم، شيء ما أفضل جدّاً للخيِّر ممّا هو للشرّير.

سيمياس: لكنْ هل تعني أنّك ستصطحب أفكارك معك، يا سقراط؟ أوَ لن تنقلها لنا؟ ـ فهي ذات فائدة كبيرة، ونحن مؤهَّلون لأن نتقاسمها معك. إضافة إلى ذلك، إذا نجحت في إقناعنا، فسيكون ذلك الجواب على التهمة الموجَّهة لك.

سقراط: سأفعل أفضل ما أقدر عليه. لكن ينبغي عليك أوّلاً أن تدعني أسمع ما يريده مني كريتون؛ إنّه قد رغب لفترة مضت أن يقول لي شيئاً ما.

أجاب كريتون: سأقول هذا فقط، يا سقراط: « إنّ خادم السجن الذي سيعطيك السمّ قد قال لي، وهو يريدني أن أخبرك، بأنّ عليك أن لا تتكلم كثيراً ». يقول إنّ الكلام يزيد الحرارة ويميل هذا إلى التعارض مع عمل السمّ؛ فالأشخاص الذين يثيرون أنفسهم يُجبرون على تناول جرعة ثانية منه وحتى ثالثة بعض المرّات.

سقراط: لا تبالِ بما يقول، دعه يكون جاهزاً ليعطي السمّ مرّتين أو حتى ثلاث مرّات إذا كان ذلك ضرورياً؛ هذا كل شيء.

كريتون: عرفت جيّداً ما ستقول؛ لكنّه قد أقلقني بشأن ذلك لوقتٍ غير قصير.

كرَّر سقراط قوله: لا تبالِ بما يقول، وتابعَ. والآن، آه يا قضاتي، إنّي أرغب بأن أبرهن لكم أنَّ الفيلسوف الحقيقيّ لديه سببٌ كي يهلِّل ويستبشر عندما يوشك على الوفاة، ويمكنه بعد الوفاة أن يأمل في الحصول على الخير الأعظم في العالم الآخر. وأمّا كيف يمكن أن يكون هذا، يا سيمياس وسيبس، فسأسعى لأشرحه لكما. أعتبر بأنّ المريد الحقيقي للفلسفة لا يفهمه الرجال الآخرون على الغالب؛ هم لا يدركون أنّ الفيلسوف على استعداد لملاحقة الموت والوفاة على الدوام. وإذا كان هذا كذلك، وكانت لديه رغبة

الموت طوال حياته كلّها، فلماذا عليه أن يتبرّم من ذلك الذي كان يلاحقه ويتوق إليه على الدوام؟

قال سيمياس ضاحكاً: برغم أنّني لست في دعابةٍ مضحكة على وجه العموم، فأنت جعلتني أضحك، يا سقراط؛ لأنّي لا أقدر إلاّ أن أفكّر بأنّ العديد من الذين سيسمعون كلماتك سيقولون كيف وصفت الفلاسفة. وأنّ شعبنا في البلاد سيعقّب على ذلك بقوله إنّ الفلاسفة هم في الحقيقة مشرفون على الموت بشكلٍ مرجّح، وإنّهم اكتشفوهم مستحقين الموت الذي يرغبون.

سقراط: وهم محقّون في اعتقادهم هذا، يا سيمياس، ما عدا هذه الكلمات « إنّهم اكتشفوهم ». فهُمُ لم يكتشفوا في أيّ معنىً يستحقّ الفيلسوف الموت، ولا أسلوب الموت الذي يستأهله. لكن كفاية عنهم. دعنا نبحث القضيّة بيننا نحن. هل نرفق نحن معنىً محدداً بالكلمة « موت »؟

سيمياس: لتكن متأكداً.

سقراط: أليس الموت انفصال الروح والجسد تماماً؟ والموت هو إتمام ذلك؛ عندما توجد الروح بنفسها وتُعتق من الجسد، ويُفكُّ الجسم عن الروح. أسلّم بهذا، أنّه هو ما قُصِدَ بالموت.

سيمياس: هكذا تماماً.

سقراط: يوجد سؤالٌ آخر، من المحتمل أن يلقي الضوء على تساؤلنا الحاضر إذا استطعنا أنت وأنا الوثوق به: أيجب على الفيلسوف أن يهتمّ بملّذات كهذه ـ إذا ما سُمّيت ملذّات ـ مثل الأكل والشرب؟

سيمياس: لا بالتأكيد.

سقراط: وماذا عن ملذّات الغرام؟ هل سيهتمّ الفيلسوف أو يعتني بها؟

سيمياس: لا، على الإطلاق.

سقراط: وهل سيفكّر كثيراً بالوسائل الأخرى للانغماس الجسديّ، مثل اقتناء الملابس أو الصنادل الثمينة أو زينات الجسد الأخرى؟ وبدلاً من الاعتناء بها، ألا يجب عليه أن يستخَفَّ بأيّ شيء أكثر ممّا تحتاجه الطبيعة؟ فماذا تقول؟

سيمياس: عليّ أن أقول إنّ الفيلسوف الحقيقيّ سيحتقرها.

سقراط: ألن تقول بأنّه مهتمٌّ بالروح وليس بالجسم بشكلٍ كامل؟ سيحبّ هو أن يفلت من الجسد وأن يعود إلى الروح، قدر ما يستطيع.

سيمياس: صحيح تماماً.

سقراط: يمكن مراقبة الفلاسفة في هذا النوع من أنواع القضايا، بادىء ذي بدء؛ ولهذا السبب، يمكن مراقبتهم فوق كلّ الرجال، وبكل وسيلة ممكنة ليفصلوا الروح عن المشاركة مع الجسد.

سيمياس: صحيح جداً.

سقراط: في حين أنّ باقي العالم، يا سيمياس، يرى أنَّ من لا يمتلك تذوقاً للملذّات الجسديّة وليس له دور فيها، لا يستحقّ امتلاك الحياة، وأن مَن لا يتّسِمُ بالإفراط بشأنها فهو كالميّت عملياً.

سيمياس: صحيح بالكامل.

سقراط: ماذا ستقول عن الإحراز الحقيقيّ للمعرفة مرّة ثانية؟ ـ أيكون الجسد، إذا دُعي ليشارك في التحقيق، عائقاً أو مساعداً؟ أعني، هل لدى حاسّة البصر أو السمع، كما توجدان في إنسان، أيّة حقيقة فيهما؟ ألاَ يكونان هما شاهدين غير دقيقين، كما يردّد ذلك الشعراء على الدوام؟ وبرغم ذلك حتى إذا كانا غير دقيقين وغير واضحين، فماذا سيقال عن الحواسّ الأخرى؟ ـ لأنّك ستأخذ بعين الاعتبار أنّهما أفضل الحواسّ؟

سيمياس: بدون ريب.

سقراط: متى تبلغ الروح الحقيقة إذن؟ ـ لأنّها في محاولتها تأمُّل أيّ شيءٍ برفقة الجسد فإنّه يخدعها ويضلّلها بكل وضوح.

سيمياس: حقاً.

سقراط: إذن ألا يجب أن تُكشَف لها الحقيقة الصادقة في الفكر، إذا كُشِفت البتة؟

سيمياس: نعم.

سقراط: ويكون الفكر أفضل عندما يلتئم العقل في نفسه ولا تزعجه واحدةٌ من هذه الأشياء: لا الاصوات ولا المشاهد ولا الآلام ولا أيّة لذّة مرّة ثانية - وحينما تشرع الرّوح بمغادرة الجسد، ولها أدنى شيءٍ ممكن من العلاقة معه، عندما لا تمتلك أيّة حاسة أو رغبة جسديّة، بل تحلّق في أثر الوجود الحقيقي إلى الملأ الأعلى؟

سيمياس: بالتأكيد.

سقراط: وتكون الصفة المميّزة للفيلسوف هنا مرّة ثانية ازدراء الجسد؛ إنّ روحه تَفرُّ من جسده وترغب أن تنفرد بنفسها.

سيمياس: إنّ ذلك لحقّ.

سقراط: حسناً، لكن ثمّة شيء آخر، يا سيمياس، هل يوجد عدلٌ مطلق أم لا؟

سيمياس: يوجد بكلّ تأكيد.

سقراط: ويوجد جمالٌ مطلق وخيرٌ مطلق؟

سيمياس: طبعاً.

سقراط: لكن هل رأيت أيًّا منهما بعينيك قط؟

سيمياس: لا، بدون ريب.

سقراط: أو هل وصلت اليه أبداً بأيٍّ من حواسّك الجسديّة؟ وأنا لا أتكلّم عن هذه فقط، بل عن العِظَم المطلق، والصحّة، والقوّة، وبالاختصار، عن الحقيقة أو الطبيعة الحقيقيّة في كلّ شيء. هل تدرِك حقيقتها من خلال الأعضاء الجسديّة قط؟ وعلى الأصح، ألا يكون الدنوّ الأقرب إلى معرفة طبائعها

المتعددة مصنوعاً مِن قِبَل مَنْ ينظِّم رؤياه العقليّة كي تمتلك الإدراك الأكثر دقّةً لجوهر كلّ شيء يتأمّله؟

سيمياس: بالتأكيد.

سقراط: ويصل إلى معرفتها الأنقى مَنْ يذهب إلى كلٍّ منها بالعقل وحده غير مُولِجٍ أو مُدخِلٍ عنوةً عمل البصر أو الفكر، أو أيّة حاسّة أخرى بالإضافة إلى العقل، بل يبحث عن الحقيقة مع العقل في صفَاته التي تخصّه، يبحث عن حقيقة كلّ شيء في نقائه؛ وهو من تخلَّص، بقدر ما يستطيع، من العينين والأذنين ومن الجسد ككلّ، إذا جاز التعبير، لأنّ هده كونها في رأيه مخبِّلةً العناصر التي عندما تتّحد بالروح، تعوّقها عن نيل الحقيقة والمعرفة - ومَنْ غير الفيلسوف يستطيع أن يصل إلى معرفة الوجود الحقيقيّ على الأرجح؟

سيمياس: إنّ ما تقوله فيه حقيقة رائعة، يا سقراط.

سقراط: وعندما يتأمّل الفلاسفة الحقيقيون كلّ هذه الأشياء، ألن يُرشَدوا ليخلقوا ملاحظة ناشئة عن تفكير طويل، وهي التي سيخبِّرون عنهَا بكلماتٍ ما كما يلي؟ سيقولون هم: « ألم نجد نحن مسلكاً للفكر الذي يبدو أنه يُحضرنا ويقود محاورتنا إلى الإستنتاج، وهو أنّنا ما دمنا في الجسم وما دامت الروح ممتزجة بشروره، فإنّ رغبتنا لن ترتوي، ورغبتنا وتوقنا يكون للحقيقة؟ إنّ الجسد هو أصل ومنبع كل ما يلهي والإضطّراد، عقليّ لا يُحصى بسبب الحاجة للغذاء فقط، وهو معرَّض أيضاً للأمراض التي تتخطّانا وتعوق سبيلنا في متابعة الحقيقة. إنّه يملأُنا بالحبّ، والشهوات، والخوف، والوهم من كلّ نوع، وبغباوة لا تنتهي، وكما يقول الرجال بالحقيقة القاطعة، يأخذ منّا بعيداً قوّة التفكير على الإطلاق. من أين تأتي الحروب، والمعارك، والشقاق، والنزاعات الحزبيّة؟ من أين إذا لم يكن من الجسد ومن شهواته؟ إنّ كل الحروب سببها حبّ المال، والمال يجب أن يُكتسب لأجل الجسد في خدمةِ

خانعةٍ وضيعةٍ له. وبسبب كل هذه المعوقات فنحن لا نمتلك وقتاً لنعطيه للفلسفة. وأخيراً وأسوأ من كل ذلك، حتّى إذا سمح الجسم لنا بفترة راحة وعمدنا لبعض التأمّل، فإنه يدخل علينا عنوة، ويسبب لنا اضطراباً عظيماً وفوضى في تساؤلاتنا وفيما نحقّق، وهكذا يذهلنا إلى أن نمنع من رؤية الحقيقة. لقد تمّ البرهان لنا بالخبرة أنّنا إذا كنا سنحوز معرفة صافية نقيّة لأيّ شيء فما يجب علينا إلاّ أن نتحرّر من الجسد ـ إن الروح بنفسها ينبغي أن ترى الأشياء بأنفسها، وسننال ذلك الذي نتمنى عندئذ، والذي نقول نحن إنّنا أحبّاؤه ـ إنّه الحكمة؛ ليس مادامت لنا الحياة، بل بعد الموت فقط، كما تبيَّن المحاورة؛ لأنّ الروح لا تستطيع أن تحوز معرفةً نقيّة إذا بقيت في رفقة الجسم. إنَّ واحداً من شيئين يتبع: إمَّا أن لا تنال المعرفة على الإطلاق، أو إذا اكتسبت مطلقاً فبعد الموت لأنّه عندئذ، وليس إلاّ عندئذ، ستنفصل الروح عن الجسد وتبقى وحيدة بنفسها. نعتقد نحن في حياتنا الحاضرة هذه، أنّنا ندنو أكثر إلى المعرفة عندما يكون لدينا الاتّصال الأقلّ احتمالاً، أو الاشتراك مع الجسد، وحينما لا نقاسي من عدوى طبيعته، بل نحتفظ بأنفسنا طاهرة ونقيّة حتّى الساعة التي يريد الله أن يعتقنا فيها. وهكذا يمكن أن نتوقّع أن نكون طاهرين وأن نجري محادثة مع النقيّ الطاهر بعد أن نتخلّص من غباء الجسد، ولأن نعرف بأنفسنا أنَّ كلّ الموجود في الكمال هو غير ممزوج، والذي أتقبّله على أنّه ليس غيراً من الحقيقة. إنّ غير الشرفاء والملوثين لا يُسمح لهم أن يُمسِكوا الطاهر ». هذا هو نوع الكلمات، يا سيمياس، التي لا يقدر إلاّ أن يقولها محبّو المعرفة الحقيقيّون بعضُهم لبعض، ولأن يؤمنوا بها. إنّك ستوافق على ذلك؛ أليس كذلك؟

سيمياس: سأوافق، بدون شكّ.

سقراط: لكن، آه يا صديقي، إذا كان هذا حقيقيّاً، هناك سبب كبير لآمل في

ذلك، وبما أنني ذاهب حيث أذهب، فإنّي سأنال بشكلٍ كامل ذلك الذي قد كان مبتغى حيواتنا عندما أصل إلى نهاية رحلتي. ولهذا السبب أقبل وكلّي أملٌ وشعور بالثقة والاطمئنان بهذا التغيير للمقرّ المفروض عليّ الآن، وليس أنا فقط، بل كلّ إنسانٍ آخر يعتقد أنّ عقله قد أصبح جاهزاً لقبول ذلك، وأنّه يكون مطهَّراً بطريقة ما.

سيمياس: بالتأكيد.

سقراط: أولاً يتبع ذلك أنّ التطهير ليس شيئاً سوى انفصال الرّوح عن الجسد، وهذا كان موضوع حوارنا لبعض الوقت. إنّها العادة للروح مستجمعة قواها وضامَّةً نفسها في نفسها من كلّ جانب خارج الجسد لتقطن في مكانها الذي يخصّها بمفردها، كما في الحياة الأخرى، كذلك في هذه الحياة، بقدر ما تستطيع ـ عتق الروح وتحرّرها من أغلال الجسد وقيوده.

سيمياس: صحيح تماماً.

سقراط: وهذا الانفصال وعتق الروح من الجسد يسمّى موتاً.

سيمياس: لتكن متأكّداً.

سقراط: والفلاسفة الحقيقيون، وحدهم، ينشدون أن يُعتِقوا الروح. أليس انفصال وعتق الروح من الجسد دراستهم الخاصة؟

سيمياس: صحيح.

سقراط: وكما قلت بادىء ذي بدء، ستكون هناك مناقضة مضحكة في دراسة الرجال الذين يعيشون قدر ما يقدرون تقريباً في حالةٍ شبيهةٍ بحالة الموت تلك، وبرغم ذلك يتذمّرون عندما يأتيهم الموت.

سيمياس: بوضوح.

سقراط: في الحقيقة، يا سيمياس، إنّ الفيلسوف الحقيقيّ، ينهمك على الدوام في ممارسة الموت. ولهذا السبب يكون الموت له أقلّ رهبةً من كلّ الرجال. أنظر

إلى المسألة هكذا: إذا كان الفلاسفة مبعدين عن الجسد بكل وسيلة، وإذا رغبوا وأرادوا أن يكونوا وحيدين مع الروح، فكم سيكونون متناقضين مع أنفسهم إذا ما ارتعدوا وتذمّروا عندما تُلبّى لهم هذه الرغبة، بدل أن يبتهجوا في مغادرتهم إلى ذلك المكان، حيث يأملون عندما يصلون، أن يكسبوا ذلك الذي رغبوه خلال حياتهم ـ وكانت رغبتهم في الحكمة ـ ولأن يتخلّصوا من صحبة عدوّهم ـ الجسد. إنّ عديداً من الرجال الذين فقدوا حبيبهم الأرضيّ بالموت، أو فقدوا زوجة، أو إبناً، قد كانوا مستعدّين ليذهبوا إلى العالم الآخر بحثاً عنهم وهم مفعمون بالحيوية والنشاط على أمل رؤيتهم هناك. ولكونه مع أولئك الذين يحنُّون لهم ويتشوّقون لرؤيتهم، إنّه سيكون محباً حقيقياً للحكمة، ويقتنع أنّ بإمكانه أن يستمتع بها بجدارة في العالم السفليّ فقط بأسلوبٍ مماثل. إنّه سيفعل ذلك بكلّ تأكيد، آه، يا صديقي، إذا كان هو فيلسوفاً صادقاً. لأنّه سيمتلك تلك الإرادة الثابتة هناك، وهناك فقط، يستطيع أن يجد الحكمة في صفائها وطهارتها. وإذا كان هذا حقيقياً، فسيكون مضحكاً جداً، كما قلت، أن يخاف من الموت.

سيمياس: إنّه سيكون حقّاً.

سقراط: وعندما ترى إنساناً يشتكي عند اقتراب الموت، أفلا يكون نفوره منه برهانا كافياً أنّه ليس محبّاً للحكمة بعد كلّ شيء بل محبّ للجسد، وربّما للمال أو للقوّة في الوقت عينه، أو لكليهما؟

سيمياس: هكذا تماماً.

سقراط: وبعدئذ، يا سيمياس، أليست النوعيّة التي نسمّيها شجاعة هي أكثر صفةٍ مميّزةٍ للفيلسوف؟

سيمياس: بدون ريب.

سقراط: يوجد الاعتدال مرّة ثانية ـ أعني النوعيّة التي يدعوها العاميُّ بذلك الإسم أيضاً، وهي الترفع الهادىء عن الشهوات وضبطها ـ أليس الاعتدال فضيلة

تختصّ بأولئك الذين يأنفون الجسد فقط ويزدرونه، والذين أمضوا حيواتهم في الفلسفة؟

سيمياس: الأكثر تأكيداً.

سقراط: لأنّك إذا أردت أن تهتمّ بتأمّل الشجاعة والاعتدال للرجال الآخرين، فما هما إلاّ تناقضٌ بتناقض.

سيمياس: كيف ذلك؟

سقراط: حسناً، إنّك لعالِمٌ بأنّ الموت يعتبره الرجال شرّاً عظيماً بشكل عامّ.

سيمياس: حقيقيّ جداً.

سقراط: أولاً يواجه الرجال الشجعان الموت لأنّهم خائفون أيضاً من شرور أعظم؟

سيمياس: إنّ ذلك حقيقي تماماً.

سقراط: الكلّ إذن إلاّ الفلاسفة هم شجعانٌ من الخوف فقط، ولأنّهم خائفون؛ وبالرغم من ذلك ينبغي على الإنسان أن يكون شجاعاً من الخوف، وأنْ يكون جباناً، فذلك شيءٌ غريبٌ بالتأكيد.

سيمياس: حقيقي تماماً.

سقراط: أولا يكون متمالكو أنفسهم في الحالة عينها بالضبط؟ إنّهم معتدلون لأنّهم يكونون مسرفين في معنىً - والذي يمكن أن يبدو أنّه مستحيل، لكنّه يكون مع ذلك نوع الشيء الذي يحدث مع هذا الاعتدال السخيف. لأن هناك الملذّات التي هم خائفون من فقدها، ورغبةً منهم للاحتفاظ بها، يمتنعون عن بعض الملذات لأنّهم يُقهرون بملذّاتٍ أخرى؛ وبرغم ذلك فالخضوع باللذة يدعى إفراطاً بالرجال. ويكمن الإخضاع باللذّة لهم لكونهم مقهورين بها. وهذا هو ما أعنيه بقول ذلك، بمعنى، أنّهم يُجعلون معتدلين من خلال الإفراط.

سيمياس: يبدو أن الحالة هي ما تقول.

سقراط: ومع ذلك فإنّ مبادلة خوف أو لذة أو ألم بخوفٍ آخر أو لذة أو ألم، مبادلة الأكثر بالأقلّ، كما لو كانت قطعاً نقديّة لا يكون التبادل الصحيح لمقياس الفضيلة. آه يا عزيزي سيمياس، أليس هناك قطعة نقدٍ حقيقية واحدة وهي التي ينبغي مبادلة كلّ هذه بها؟ ـ وهذه القطعة هي الحكمة؛ ونصل نحن إلى هذا بمصاحبة الشجاعة الحقّة أو الاعتدال أو العدل فقط. وبكلمة مختصرة، أليست الفضيلة هي الحقيقة كلّها الشريكة للحكمة، لا يهمّ أيّ خوف أو ملذات أو أيّة خيرات أخرى مشابهة أو شرور إذا تمكّنت أو لم تتمكّن من ملازمتها والعناية بها؟ غير أنَّ الفضيلة المركَّبة من هذه الخيرات، عندما تُقطع من الحكمة والمبادلة مع بعضها بعضاً، فإنّ هذه الفضيلة لربّما تكون مجرَّد مظهر كاذب للفضيلة، نوعية حقيرة، باطلة بالجملة وغير راسخة ولا ثابتة؛ أمّا الحقيقة فهي مختلفة عن ذلك اختلافاً كبيراً ـ إنَّ الاعتدال والعدل والشجاعة هي في الحقيقة إزالة كلّ هذه الأشياء. ويمكن أن تكون الحكمة نفسها نوعاً من المعموديّة في ذلك التطهير. إنّ واضعي الأسرار سيبدون أنّهم امتلكوا معنىً حقيقيّاً لها، ولم يكونوا خُلواً من الإدراك عندما لمَّحوا منذ القدم في شكل استعارة، أنّ مَن ينتقل إلى العالم السّفليّ وهو غير مطهَّرٍ وغير مطَّلعٍ ولا عارفٍ سيُرمى منبوذاً في الأرض الموحلة، لكنّ من يصل إلى هناك بعد الاطّلاع والتكريس والتطهير سيسكن مع الآلهة. إنّ « العديد » كما يقولون في الطقوس السرّيّة المملوءة بالألغاز، « العديد يحملون الصولجان المتوَّج بحليةٍ على شكل كوز صنوبر ملفوف أحياناً بأوراق الكرمة، لكن قليلين هم الذين يكونون مُلْغَزين ويسلكون طريق المتصّوفة أو الباطنيّة » ـ بمعنى كما أؤوّل الكلمات هذه ـ إنّ هؤلاء القلّة هم « الفلاسفة الحقيقيّون ». إنّهم المجموعة التي قد كنت ناشداً خلال حياتي كلها أن أجد مكاناً بينهم ومعهم، ـ وإذا ما نشدت ذلك بطريقة صحيحة

أم لا وسواء نجحنا أو لم ننجح، لسوف نعرف بشكلٍ أكيد في فترة قصيرة، إذا أراد الله، حينما نصل إلى العالم الآخر ـ هذا هو اعتقادي، ولهذا السبب فإنني أجيب بأنّي محقّ، يا سيمياس وسيبس، في عدم أساي أو تذمّري على مغادرتكم ومغادرة أسيادي ومعلميَّ في هذا العالم لأنّي أعتقد بأنّني سوف أجد معلّمين وأصدقاء في العالم الآخر بشكل مماثل. إذا نجحت الآن في إقناعكم بدفاعي أفضل ممّا فعلت للقضاة الأثينيين، فسيكون ذلك جيّداً.

[عندما انتهى سقراط من كلامه، بدأ سيبس الحديث]، وقال: إنّي أوافقك، يا سقراط، في الجزء الأكبر ممّا تقول، لكن فيما يختصّ بالروح فالرجال عرضة للشكّ. يخافون هم من أنّ الروح عند مغادرتها الجسد فإنّ مكانها يمكن أن لا يكون في أيّ مكان، وأنّه يمكنها أن تفنى في اليوم المحدَّد للموت وتصل إلى نهايةٍ حال عتقها من الجسد، منطلقةً مثل الدخان أو النَفَس، مبعثَرَةً ومبدَّدةً إلى لا شيء في طيرانها. إذا ما استطاعت هي فقط أن تتجمَّع في نفسها بعد أن حصلت على تحريرها من الشرور التي تكلّمت عنها، سيوجد سببٌ كبير للأمل العظيم، يا سقراط، إنَّ ما تقوله صحيح. لكنّه يحتاج بكلّ تأكيد لمقدارٍ كبيرٍ من القدرة على الإقناع والبرهان لاثبات أنّه عندما يموت الإنسان فإنّ روحه تبقى برغم ذلك، وتمتلك أيّة قوةٍ أو فهمٍ وتفكير.

سقراط: حقاً، يا سيبس؛ وسأقترح أن نتأمّل معاً قليلاً فيما يخصّ احتمالات هذه الأشياء.

سيبس: أحبّ، من جهتي، أن أعرف رأيك بشأنها.

سقراط: أعتبر أن لا أحد ممّن سمعني الآن، حتّى إذا كان واحداً من أعدائي القدامى، شعراء الملهاة، أعتبر أنّه لا يستطيع أن يتّهمني بكلامٍ عديم الجدوى بشأن المسائل التي ليس لديَّ اهتمام بها ـ إذا تفضّلت، إذن، سوف نتقدّم نحن بالتحقيق.

أفترض أن نتأمّل السؤال وهو ما إذا ستكون أرواح الرجال بعد الموت في العالم السفلي أوْ لا. يلتمع في ذهني تعليم غابر يؤكّد أنّها هي هناك بعد أن تغادر عالمنا، وعند عودتها إلى هنا، تكون مولودة من الموتى مرّة ثانية. والآن إذا كان صحيحاً أنّ الأحياء يأتون من الأموات، حينئذ فإنّ أرواحنا يجب وجودها في العالم الآخر لأنّها إن لم توجد، فكيف تقدر على الولادة مرّة ثانية؟ وسيكون هذا تعليلاً حاسماً ومقنعاً، إذا توطّد بثبات وهو أنّ الأحياء يولدون من الأموات وليس لهم أيّ أصلٍ أو مصدرٍ آخر؛ لكن إن لم يكن هذا كذلك، فلسوف ينبغي تقديم محاورات أخرى بعدئذٍ.

سيبس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: دعنا نتأمّل مليّاً القضية بمجملها آنئذ، ليس بالنسبة إلى الإنسان فقط، بل بالنسبة إلى الحيوانات بشكل عامّ، وإلى النباتات، وإلى كلّ شيء فيه توالد، وسيكون الجواب أسهل. ألا تتولّد كلّ الأشياء الّتي لها مضادّات من مضادّاتها، أعني هكذا أشياء كالجمال والقبح، العادل والظالم ـ وتوجد حالات أخرى لا تُعد. دعنا نتأمل مليّاً لذلك إذا كان ضروريّاً من أنّ شيئاً يجب أن يأتي إلى الوجود من ضدّه الذي يخصّه، إذا كان له ضدّ، وليس من أيّ مصدرٍ آخر؛ كمثال، أيّ شيء يصبح أكثر بعد كونه أقلّ.

سيبس: صدقاً.

سقراط: وذلك الذي يصبح أقلّ لا شك أنّه قد كان مرّة أكثر ويصبح أقلّ بعدئذ؟

سيبس: نعم.

سقراط: ويتولّد الضعيف من الأقوى، والأسرع من الأبطأ؟

سيبس: صحيح جدّاً.

سقراط: ويتولّد الأسوأ من الأفضل، والأكثر عدلاً من الأكثر ظلماً؟

سيبس: طبعاً.

سقراط: وهل يكون هذا حقيقياً عن كل المتضادات؟ وهل نحن مقتنعون بأنها تتولّد كلّها من المتضادّات؟

سيبس: نعم.

سقراط: وفي هذا التضادّ الشامل لكلّ الأشياء، ألا توجد أيضاً عمليتان متوسطتان مستمرّتان على الدوام، من المضادّ الواحد إلى الآخر، وتعودان مرّة ثانية؟ مثلاً، حيث يوجد أكثر وأقلّ توجد أيضاً العمليّة المتوسطة للزيادة والنقصان، وهكذا يقال إنّ شيئاً ينقص أو يزيد.

سيبس: نعم.

سقراط: وتوجد علميّات أخرى متعدّدة، مثل التحليل والتركيب، التبريد والتسخين، اللتان تستلزمان انتقالاً من حالةٍ إلى أخرى. ويثبت هذا عن كل المتضادّات بالضرورة، ولا يعبّر عن ذلك في كلمات دائماً مع هذا - إنّها تتولّد حقاً بعضها من بعض، ويوجد انتقالٌ أو تقدمٌ من أحدهما إلى الآخر.

سيبس: صحيح تماماً.

سقراط: حسناً، ألا يوجد مضادٌّ لكونك حيّاً، كما يكون النوم مضادّاً لكونك مستيقظاً؟

سيبس: صدقاً.

سقراط: وما هو؟

سيبس: كونك ميتاً.

سقراط: وإذا كان هذان متضادّين، فهما متولّدان بعضهما من بعض ويمتلكان عمليتين وسطيّتين أيضاً.

سيبس: طبعاً.

سقراط: والآن، فإنّني سأحلّل واحداً من الزوجين المتضادّين اللذين ذكرتهما لك وسأحلّل عمليّتهما الوسطيتين أيضاً، وأنت سوف تحلّل لي الأخرى. إنّ

العضوين الإثنين للثنائي الأول هما النوم واليقظة. إنّ حالة النوم هي مضادّة لحالة اليقظة، ويتولّد النوم منها، وتتولّد اليقظة من النوم؛ وتكون عملية الولادة في الحالة الأولى ساقطاً نائماً؛ وفي الأخرى مستيقظاً. هل توافق؟

سيبس: إنّني أوافق بشكل كامل.

سقراط: إفترض أنّك تحلّل لي الحياة والموت في الأسلوب عينه بعدئذ. ألا تُضادّ حالة الموت حالة الحياة؟

سيبس: نعم.

سقراط: وهما متولّدتان بعضهما من بعض؟

سيبس: نعم.

سقراط: ماذا يتولّد من الحيّ؟

سيبس: الميّت.

سقراط: وماذا من الميّت؟

سيبس: أستطيع أن أقول كجواب، الحيّ.

سقراط: إذن، فإنّ الحيّ، يا سيبس، سواء أكان أشياءَ أو أشخاصاً، يتولّد من الميّت.

سيبس: سيبدو أنّه كذلك.

سقراط: نستنتج أنّ أرواحنا توجد في العالم السفليّ.

سيبس: يبدو هكذا.

سقراط: وتكون واحدة من العمليتين أو الولادتين مرئيّة لأنّ عمل الموت مرئي.

سيبس: بالتأكيد.

سقراط: وماذا ستكون النتيجة إذن؟ هل سنستثني ونقصي العمليّة المضادّة؟ وهل سنفترض أنّ الطبيعة تكون عرجاء في هذا المنحى؟ ألا يجب أن نعزو عمل الموت إلى عمليّةٍ متطابقةٍ ومتشابهةٍ للتوليد على الأصحّ؟

سيبس: بالتأكيد.

سقراط: وما هي العملية تلك؟

سيبس: العودة إلى الحياة.

سقراط: والعودة إلىَ الحياة، إذا وجد شيءٌ كهذا، هي دخول الأموات في عداد الأحياء.

سيبس: صحيح تماماً.

سقراط: توجد طريقة جديدة إذن نصل بواسطتها إلى الاستنتاج بأنّ الأحياء يأتون من الأموات، تماماً مثلما يأتي الأموات من الأحياء؛ واتفقنا بأنَّ هذا، إذا كان حقيقياً، سيكون برهاناً كافياً على أنّ أرواح الموتى يجب وجودها في مكانٍ ما خارج المكان الذي تأتي إليه مرّة ثانية.

سيبس: نعم، يا سقراط، يبدو أنّ الاستنتاج يفيض خارج اعترافاتنا السابقة بالضرورة.

سقراط: وإنَّ هذه الاعترافات لم تكن خاطئة، يا سيبس، وأعتقد بأنّه يمكن إظهار ذلك بما يلي: إذا كان التولّد في خطٍّ مستقيم فقط، ولم يكن هناك تعويض أو دورة في الطبيعة، لا دوران أو عودة العناصر إلى أضدادها، فإنّ كلّ الأشياء سيكون لها أخيراً الشكل عينه وتعاني القدر نفسه عندئذ، ولن يكون هناك أيّ توالد منها بعد اليوم.

سيبس: ماذا تعني؟

سقراط: أعني شيئاً بسيطاً كافياً، هو الذي سأشرحه بحالة النّوم. تعرف أنت أنّه إذا لم يوجد تبديل للنوم واليقظة، فإنّ قصّة آنديوم النائم لن يكون لها أيّة غاية في النهاية لأنّ كلّ الأشياء الأخرى ستنام أيضاً، ولن تتميّز هي من الأشياء الباقيّة. أو إذا وُجِد تركيب فقط، ولم يوجد تحليل للموادّ، سيكون لدينا قريباً بعدئذ خليط[٣٤] أناكساغوراس حيث « كلّ الأشياء كانت معاً ». وفي أسلوبٍ مماثل، يا عزيزي سيبس، إذا كانت كلّ الأشياء التي تشترك في

الحياة تموت، وأنّ تبقى بعد موتها في شكلٍ ميِّت ولن تأتي إلى الحياة مرَّة ثانية، فإنّ كلّ شيء سيموت أخيراً، ولا شيء سيحيا ـ أيّة نتيجة أخرى يمكن أن توجد؟ لأنّه إذا كان لدى الأشياء الحيَّة أيّ أصلٍ آخر، وأنّ الأشياء الحيَّة تموت، ألا يلزم أن يبتلع الموت كلَّ الأشياء أخيراً؟(٣٥)

سيبيس: ـ لا مفرّ من ذلك، يا سقراط؛ وتبدو محاورتك لي أنها حقيقيّة على نحوٍ قاطع.

سقراط: نعم، يا سيبس، إنّها لكذلك وينبغي أن تكون هكذا، في رأيي، ونحن لم نضلِّل أحداً في الإدلاء بهذه الاعترافات؛ لكنّني واثق بأنّه يوجد هكذا شيء بحقّ كالحياة مرَّة ثانية، وأنّ الأحياء يبرزون للوجود من الأموات، وأنّ أرواح الموتى تكون دائمة الوجود.

سيبس: [مقاطعاً] نعم، إنّ تعليمك المفضّل، يا سقراط، وهو أنَّ علمنا يكون تذكّراً بكلّ بساطة، إذا كان هذا التعليم صحيحاً، فإنّه يدلّ ضمناً بالضرورة أيضاً على زمنٍ سابقٍ للزمن الذي تعلّمنا فيه ذلك الذي نتذكّره الآن. لكنّ هذا سيكون مستحيلاً إلاّ إذا قد كانت أرواحنا في مكانٍ ما قبل وجودها في هذا الشكل الإنسانيّ. يوجد هنا برهانٌ آخر على خلود الروح إذن.

سيمياس: [مقاطعاً مرة ثانية] لكن قل لي، يا سيبس، أيّة حُجج تُدفع بقوّة في خدمة تعليم التذكّر هذا. إنّني لستُ متأكّداً بأنّني أتذكّرها الآن في هذه اللحظة.

سيبس: إنَّ برهاناً واحداً ممتازاً، تمنحه الأسئلة. إذا طرحت سؤالاً على شخص بشكلٍ مناسب، فهو سيعطيك جواباً حقيقيّاً. لكن كيف يستطيع فعل ذلك ما لم توجد معرفةٌ وتعليلٌ صحيحٌ للمسألة التي هي فيه قبل الآن؟ مرَّة ثانية، فإنّ هذا يُبيِّن بشكل واضح وجليّ عندما يؤخذ أحدهم إلى رسمٍ تخطيطيّ أو لأيّ شيء من ذلك النوع(٣٦).

سقراط: لكنّك إذا كنت لا تزال ميّالاً إلى الشكّ، يا سيمياس، فإنّني أسألك إذا أمكنك أن تتّفق معي عندما تنظر إلى المسألة بطريقة أخرى ـ أعني إذا كنت لا تزال شاكّاً إلى درجة أنّك لا تعتقد إذا كان الذي يسمى معرفة هو تذكّر؟

سيمياس: إنّني لست شكوكيّاً ولا شاكّاً، لكن أريد إحضار هذا التعليم للتذكّر إلى ذاكرتي، ومِنَ الذي بدأ سيبس بقوله، بدأت أتذكّر وأقتنع. لكنّي لا أزال أحب أن أسمعك موضِحاً ومظهِراً محاورتك التي تخصّك بالتفصيل.

سقراط: إنّ هذا هو ما سأقوله: علينا أن نتّفق، إذا لم أكن مخطئاً، أنّ ما يتذكّره إنسانٌ ينبغي أن يكون عرفه في زمنٍ سابقٍ ما.

سيمياس: صحيح تماماً.

سقراط: وهل نتّفق أيضاً على أنّ المعرفة التي نحرزها بالطريقة التي أنا على وشك أن أصفها لك هي التذكّر؟ أعني، إذا كان الشخص الذي رأى أو سمع أو أدرك أيّ شيء بأيّة طريقة، إذا كان لا يعرف ذلك فقط، بل يفكّر أيضاً بشيء آخر، والذي يكون موضوعه ليس من النوع عينه بل من نوعٍ آخر للمعرفة، ألا يمكن أن يقال إنّه يتذكّر ذلك الذي يفكر به بحقّ؟

سيمياس: كيف تعني؟

سقراط: أعني ما يمكنني أن أوضحه بالمثل التالي: إنّ معرفة العزف على القيثارة ليس الشيء عينه كمعرفة الإنسان.

سيمياس: لا بالطّبع.

سقراط: ومع ذلك ما هو شعور المحبّين عندما يتعرّفون إلى القيثارة، أو العباءَة، أو إلى أيّ شيء آخر قد كان المحبوب معتاداً على استعماله؟ ألا يشكّلون هم، من معرفتهم بالقيثارة، ألا يشكّلون في عين العقل صورة عن الشاب الذي تخصه القيثارة؟ ويكون هذا هو التذكّر. في أسلوبٍ مماثل فإنّ أيَّ شخص

يرى سيمياس يمكنه أن يتذكّر سيبس غالباً؛ وتوجد أمثلة لا نهائيّة من الشيء عينه.

سيمياس: إنّها لا نهائية حقّاً.

سقراط: أليس هذا الضرب من الشيء نوعاً من التذكّر، وكأن الكلمة تُطبّق عملياً على عملية استعادة أو استرداد ذلك الذي قد نُسي من قبلُ خلال الزمن وفي غفلة بشكلٍ عامّ؟

سيمياس: صحيح تماماً.

سقراط: حسناً؛ أوَلاَ يمكنك أنت أيضاً أن تتذكّر إنساناً لدى رؤيتك لصورة حصان أو لقيثارة، وبإمكانك أن تهتدي لتتذكّر سيبس، من مشاهدة صورة سيمياس؟

سيمياس: حقاً.

سقراط: أو يمكنك أن تهتدي إلى تذكّر سيمياس ذاته أيضاً؟

سيمياس: هكذا تماماً.

سقراط: وفي كلّ هذه الحالات، يمكن أن يشتقّ التذكّر من الأشياء إمّا المتشابهة أو غير المتشابهة؟

سيمياس: يمكن أن يكون ذلك.

سقراط: وحينما يشتقّ التذكّر من الأشياء المتشابهة، سينشأ اعتبار آخر حينئذ، هو الذي يُتذكَّر ـ سواء قَصُر التشابه أو لم يقصر عن ذلك في أيّة درجة عن ذلك الذي يُتذكَّر.

سيمياس: بدون ريب.

سقراط: والآن تأمّل هذا السؤال. ألسنا نؤكّد بأنّه يوجد شيء كالمساواة، ليس لقطعةٍ من الخشب أو الحجارة أو شيء ذي موادّ متشابهة مع الآخر، بل إنّه يوجد فوق وزيادةً على هذا مساواة مطلقة؟ هل سنقول ذلك؟

سيمياس: قل ذلك، نعم، وأُقسم بها. أُقسم بها بكلّ الثقة والجرأة في الحياة.

سقراط: وهل نعرف نحن طبيعة هذا الوجود المطلق؟

سيمياس: لتكن متأكداً.

سقراط: ومن أين حصلنا نحن على معرفتنا هذه؟ ألم نرَ المساواة للأشياء المادّيّة، مثل قطع الأخشاب والحجارة؟ ألَم نتصوّر وندرك منها فكرة المساواة التي تختلف عنها، لأنّك ستعترف بأنّه يوجد فرق وتباين؟ أو أُنظر المسألة بطريقة أخرى: ألا تبدو لإنسانٍ القطعُ عينها من الأخشاب أو الحجارة أنها متساوية، وتبدو لآخر أنها غير متساوية؟

سيمياس: إنّ ذلك لأكيد.

سقراط: لكن هل ظهر المتساوون الصافون لك غير متساوين؟ أو أنّ المساواة هي الشيء عينه مثل غير المتساوي؟

سيمياس: أبداً، يا سقراط.

سقراط: إذن فإنّ هذه الأشياء المتساوية لا تكون الشيء عينه مع فكرة المساواة؟

سيمياس: عليّ أن أقول لا، بوضوح.

سقراط: ومع ذلك فإنّ من هذه المتساويات حصلت على المعرفة لتلك الفكرة، برغم اختلافها عن فكرة المساواة.

سيمياس: حقيقي جداً.

سقراط:. التي يمكن أن تكون شبيهة، أو يمكن أن تكون غير شبيهة بها.

سيمياس: نعم.

سقراط: لكنّ هذه لا تصنع تبايناً أو فرقاً طالما أنّك من رؤية شيء واحد تتصوّر شيئاً آخر، سواء أكان متشابهاً أو غير متشابه. يلزم أن يكون قد وُجد عمل تذكّر.

سيمياس: حقيقي تماماً.

سقراط: وماذا ستقول عن أجزاء الأخشاب المتساوية، أو عن المواد الأخرى المتساوية؟ وما هو الانطباع الذي تحدثه؟ أهي متساوية في المعنى عينه الذي يكون فيه المتساوي المطلق متساوياً؟ أو أنّها تقصّر عن هذه المساواة الكاملة في القياس؟

سيمياس: نعم، إنّها تقصّر في قياسٍ عظيم جدّاً أيضاً.

سقراط: أولاً يجب أن نجيز، إنّه عندما ينظر الإنسان في أيّ هدفٍ، أن يفكر مليّاً. « الشيء الذي أراه أنا يشير إلى كونه يشبه شيئاً آخر ما، لكنه يقصّر عنه ولا يستطيع أن يكون مثل ذلك الشيء الآخر، ويكون أقلّ شأناً أو قيمة ». إنَّ من يفكّر هكذا مليّاً ينبغي أن تكون عنده معرفة سابقة عن تلك التي للآخر، وبرغم تشابهها، فهي أدنى مرتبة.

سيمياس: بالتأكيد.

سقراط: وقد كانت هذه حالتنا الخاصة في مسألة المتساويات والمساواة المطلقة.

سيمياس: بالضبط.

سقراط: يلزم إذن أنّنا عرفنا المساواة من قبلُ وسابقاً حينما رأينا الموادّ المتساوية بادىء ذي بدء، وتأمّلنا مليّاً أنّها تكافح لتنال المساواة المطلقة، لكنها تقصّر عنها.

سيمياس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وميّزنا أيضاً أنّنا استمدَدْنا هذا الفهم للمساواة المطلقة، ونقدر على أن نستمدّها من البصر أو اللمس فقط، أو من بعض الحواسّ الأخرى التي تتشابه كلّها من هذه الناحية.

سيمياس: نعم، يا سقراط، لأنّ أهداف محاورتنا الحاضرة، وواحدٌ منها يكون الشيء عينه كما هو الآخر.

سقراط: يشتقّ من الحواسّ التصوُّر والإدراك إذن، وأنّ كلّ المتساويات المحسوسة تشير إلى مساواة مطلقة تقصّر عنها كل تلك المتساويات.

سيمياس: نعم.

سقراط: إذن، وقبل أن نبدأ لنرى أو نسمع أو نفهم بأيّة وسيلة، يجب أن تكون لدينا معرفة للمساواة المطلقة، وإلاّ فلا نستطيع أن نعزو لذلك المقياس المتساويات التي استُمِدَّت من الحواسّ لأنّها لذلك جميعها تتوق وترتفع، وعن ذلك، هي تقصّر وتنقص.

سيمياس: لا يمكن أن تُستنتج أيّة نتيجة أخرى من المحاورات السابقة.

سقراط: أولَم نبدأ لأن نرى ونسمع وبأن نستعمل حواسّنا الأخرى حال ولادتنا؟

سيمياس: بدون ريب.

سقراط: يجب إذن أنّنا آكتسبنا المعرفة عن المساواة في زمنٍ سابقٍ ما.

سيمياس: نعم.

سقراط: أفترض، يعني، قبل أن وُلِدْنَا.

سيمياس: يبدو هكذا.

سقراط: وإذا نلنا هذه المعرفة قبل ولادتنا، ووُلِدْنَا ونحن نجيد استعمالها، فإنّنا عرفنا إذن أيضاً قبل أن نُولد وفي لحظة الولادة ليس المتساوي فقط أو الأكثر أو الأقلّ، بل كلّ الأفكار الأخرى كتلك. ولا نتكلّم نحن عن الولادة فقط، بل عن الجمال، الخير، العدل، التقوى، وعن كل ذلك الذي نَسِمُهُ باسم الوجود المطلق في العملية الجدليّة الديالكتيكيّة حينما نسأل وعندما نجيب على الأسئلة كلها. إنّنا نؤكّد عن كلّ هذا بكل يقين أنّنا نكتسب المعرفة قبل الولادة.

سيمياس: إنّنا نفعل ذلك.

سقراط: لكن إذا لم ننسَ، بعد اكتسابنا لها، إذا لم ننسَ ما أحرزناه في كلّ مناسبة، يجب حينئذ أن نأتي إلى الحياة ممتلكين هذه المعرفة على الدوام، ولسوف نحوزها دائماً طالما بقيت الحياة لأنّ العارف يكون المكتسب

والمتبقي على المعرفة والمتذكّر لها وليس فاقدها. أليس خسران المعرفة، يا سيمياس، هو تماماً ما نسمّيه النسيان؟

سيمياس: حقيقي تماماً، يا سقراط.

سقراط: لكن إذا فقدنا هذه المعرفة عند الولادة والتي كسبناها قبلاً، وإذا استعدنا ما عرفنا من قبل بعدئذ باستعمال حواسنا، ألا تكون العمليّة التي ندعوها تعلّماً إسترداد وآستعادة المعرفة التي هي طبيعيّة لنا؟ أولاً يمكن أن يسمّى هذا تذكّراً بحقّ؟

سيمياس: حقيقيّ جداً.

سقراط: إن هذا واضح لهذا الحدّ، وهو أنّنا عندما ندرك شيئاً ما، إمّا بمساعدة البصر، أو السمع، أو أيّة حاسّة أخرى، فهذا الإدراك يستطيع أن يقودنا لأن نفكّر بشيءٍ ما آخر شبيهاً أو غير شبيهٍ ويتلازم معه لكن قد تمّ نسيانه. من أجل ذلك يتبع أحد الخيارين الإثنين، كما قلت: إمّا أنّنا نمتلك هذه المعرفة عند الولادة ونواصل معرفتها أثناء الحياة؛ أو، بعد الولادة. فإنّ أولئك الذين يقال عنهم إنّهم يتعلّمون يتذكّرون فقط، ويكون العلم تذكّراً بكلّ بساطة.

سيمياس: نعم، إنّ ذلك حقيقيّ تماماً، يا سقراط.

سقراط: وأيّ خيار تفضّل، يا سيمياس؟ هل نتملك المعرفة عند ولادتنا، أو أنّنا نتذكّر الأشياء التي عرفناها من قبلِ ولادتنا فيما بعد؟

سيمياس: إنّني لا أقدر أن أقرّر في هذه اللحظة.

سقراط: على كل حال فأنت تستطيع أن تقرّر سواء أكان الذي يمتلك هذه المعرفة سيقدر أو لا يقدر على أن يقدِّم حساباً بشأن المسائل التي تكلّمنا عنها للحظةٍ خلت؟

سيمياس: يمكن أن يكونوا قادرين، يا سقراط، لكنّني أخشى كثيراً من أنّ غداً على الأصحّ، في هذا الوقت، لن يكون هناك أيّ شخص حيّ بعد اليوم يقدر على أن يقدِّم لنا حساباً عنها كما يجب تقديمه.

سقراط: إذن أنت لا ترى، يا سيمياس، أنّ كلّ الرجال يعرفون هذه الأشياء؟

سيمياس: بالتأكيد.

سقراط: إنّهم في عملية تذكّرِ ذلك الذي تعلّموه قبلاً.

سيمياس: بدون ريب.

سقراط: لكن متى نالت أرواحنا هذه المعرفة؟ ليس منذ وُلدنا كرجال بوضوح؟

سيمياس: بالتأكيد.

سقراط: ولهذا السبب، فمن قبلُ؟

سيمياس: نعم.

سقراط: لا شك أنّ أرواحنا وُجِدَت بدون أجساد إذن، يا سيمياس، قبل أن تصير إلى الشكل الإنساني، ولا شكّ أنّها امتلكت ذكاءً.

سيمياس: إلاّ إذا افترضت حقاً، يا سقراط، أنَّ كلّ معرفة كتلك تُعطى لنا لحظة ولادتنا بالتحديد لأنّ هذا هو الوقت الذي يبقى فقط.

سقراط: نعم، يا صديقي، لكنّ إنْ هكذا، صلِّ، متى نحن نفتقدها؟ لأنّها لا تكون فينا عندما نولد ـ لقد اعترفنا بذلك. هل نضيّعها في لحظة تلقّيها، وإلاّ ففي أيّ وقت غيره؟

سيمياس: لا، يا سقراط، أُدرك بأنني كنتُ متكلّماً بإسفافٍ بدون وعي.

سقراط: ألا يمكننا أن نقول إذن، يا سيمياس، إنّها إذا وجدت هذه الأشياء التي نتكلّم عنها على الدوام، الجمال والخير المطلق، وكل أنواع الحقائق هذه؛ وإذا أرجعنا كلّ حواسنا إلى هذه وقارنّاها بها، واجدين أن الحقائق تكون سابقةً لوجودنا ولِمَا يخصّنا من ممتلكات ،عندئذ تماماً كما توجد تلك بالتأكيد، هكذا يجب أن أرواحنا وُجدت قبل ولادتنا بدون ريب؟ وإلا فإنّ محاورتنا ستكون عديمة الجدوى. ينبغي أن نعتقد باضطرار متساوٍ أن هاتين الحقيقتين توجدان كلاهما، وأنّ أرواحنا وُجدت قبل ولادتنا؛ وإنْ لم توجد الحقائق، فلن توجد الأرواح حينئذ.

سيمياس: نعم، يا سقراط، إنّني لمقتنعٌ بأنّها توجد بالضرورة عينها للواحدة كما للأخرى بالضبط؛ وتجد المحاورة ملجأً أميناً في الموقع عينه، وهو أنَّ وجود الأرواح قبل الولادة لا يمكن أن يفصل عن وجود الحقيقة التي عنها نتكلّم. إنّه لا يوجد أيُّ شيءٍ جليٍّ لعقلي، مثل أنَّ الجمال، الخير، والحقائق الأخرى التي تكلّمتُ عنها أنت لتوّك الآن، توجد في القياس الأتمّ إمكاناً؛ وإنّني لمقتنعٌ بالبرهان الذي أعطيته.

سقراط: حسناً، لكن هل يكون سيبس مقتنعاً؟ لأنّه ينبغي عليَّ أن أقنعه أيضاً.

سيمياس: أعتقد أنَّ سيبس مقتنع، مع أنه أكثر المخلوقات شكوكيّة؛ وأنا أعتقد برغم ذلك بأنّه مقتنع بوجود الروح قبل الولادة بما فيه الكفاية. لكنْ أن تواصل الروح وجودها بعد الموت فهذا ليس مبرهناً حتّى إلى قناعتي الخاصة. إنّي لا أستطيع التخلّص من الإعتراض الذي أشار إليه سيبس ـ الخوف العامّ من أنَّ الروح تتبدد في اللحظةِ التي يموت الإنسان فيها. ومعترفون بأنّها إنْ أتت إلى الوجود وصيغت من بعض الموادّ الأخرى التي لا تُعرف، وكانت في وجود قبل دخولها الجسد، فلماذا لا تُدمَّر وتصل إلى نهايةٍ بعد دخولها في الجسم وخروجها منه مرّة ثانية؟

سيبس: حقيقيّ جدّاً، يا سيمياس، يبدو أن حوالى نصف ما كنّا بحاجة إليه قد تمّت برهنته؛ وقبلت ملكتنا العقلية بوجود أرواحنا قبل ولادتنا ـ لكن يبقى قسم آخر وهو لا يزال بحاجةٍ إلى إعطاء البرهان عليه، ألا وهو أنَّ الروح ستبقى بعد الموت تماماً كما هي قبل الجسد، ويجب تقديم هذا البرهان أيضاً؛ وسيكون إثبات ذلك تاماً حين إعطائه.

سقراط: لكن ذلك البرهان يا سيمياس وسيبس قد أُعطي مسبقاً، إذا وضعتما المحاورتين معاً ـ أعني هذه المحاورة وسابقتها واللتين اتّفقتما فيهما على أنَّ كلّ شيء حيٍّ يولد من الأموات. لأنّه إذا وُجدت الروح قبل الجسد، وفي

مجيئها إلى الحياة وكونها مولودة يمكنها أن تولد من الموت ومن حالة الموت فقط. أقول إذا وجدت قبل الجسم ألا يجب أن تواصل وجودها بعد الموت، بما أنها ينبغي أن تولد مرّة ثانية؟ بكلّ تأكيد إنَّ البرهان الذي رغبتما في الحصول عليه قد أمددناكم به مسبقاً. يبقى ما هو في حسباني، وهو أنّك ستكون جذلاً، يا سيمياس، كي نجري تحقيقاً دقيقاً معاً بشأن المحاورة. أنت مثل الأطفال، تنتابك المخاوف من أنّ الروح عندما تغادر الجسد يمكن للريح أن تشتتها وأن تبعثرها حقّاً؛ خاصّة إذا ما صدف أن مات الإنسان أثناء عاصفةٍ عظيمة وليس حينما يكون الطقس هادئاً.

أجاب سيبس بابتسامة: يجب عليك أن تحاورنا من منطلق خوفنا إذن، يا سقراط ـ ومتكلّماً بدقة مع هذا، إنّ هذا الخوف لا يخصّنا، لكن لربما كان فينا نحن الرجال طفلٌ يرى الموت نوعاً من الفزّاعة. هو أيضاً ينبغي علينا أن نقنعه كي لا يخاف.

سقراط: دع صوت الساحر يُستعمل يومياً حتّى يفعل السّحر فعله مع الخوف ويهجرك.

سيبس: وأين سنجد الساحر الخيِّر لخوفنا وأنت الآن ستهجرنا وتتركنا، يا سقراط؟

سقراط: إنّ هيلاس بلاد فسيحة، يا سيبس، وفيها رجال أخيار، وهناك سلالات بربريّة كثيرة العدد. إبحث عنه بينهم كلّهم، في البعد وفي الإتساع، ولا تدَّخر وسعاً لا في بذل المال ولا في تحمّل الآلام؛ إذ ما مِن طريقة أفضل كي تنفق مالك وتتحمّل الآلام. وعليكما، يا سيبس وسيمياس، أن تبحثا في نفسيكما أحدكما مع الآخر أيضاً لأنّه لربما لن تجدوا الآخرين مستعدّين للاقتدار على القيام بذلك بسهولة.

سيبس: إنّنا سنقوم بالبحث بكلّ تأكيد، يا سقراط. والآن، إذا أردت، دعنا نعود إلى النقطة الرئيسية التي وصلنا إليها في المحاورة.

سقراط: مهما كلّف الأمر، وأيُّ شيء آخر سيسُّرني أكثر؟

سيبس: جيّد جداً.

سقراط: ألا يلزم أن نسأل أنفسنا ما هو الشيء المعرّض للتلاشي، ولأيّ نوعٍ من الشيء يجب أن نخاف حلول هذا القدر عليه؟ وماذا يكون ذلك الذي لا نحتاج أن نخاف عليه؟ ويمكننا أن نتقدّم حينئذ إلى نقطة أبعد ونتساءَل أيّ النوعين الإثنين تخصّ الروح؟ إنّ آمالنا وتخوّفاتنا نحو أرواحنا الخاصّة بنا سيعتمد على الإجابة على هذه الأسئلة.

سيبس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: والآن فإنّ ذلك يكون مركَّباً وهو مؤلف من عدة أجزاء بالطبيعة، يمكن أن يُفترض لذلك أنه يكون عُرضة، كونه مركَّباً، لأن يكون مُنْحلاً هكذا أيضاً. لكنّ ذلك الذي لا يتألف من عدة أجزاء، وذلك فقط، يجب أن لا ينحلّ، إذا كان أيّ شيء غير قابل للحلّ أو الذوبان.

سيبس: نعم، عليَّ أن أتصوّر ذلك.

سقراط: ويمكن أن يُفترَض الذي لا يتركب من عدة أجزاء أنّه الشيء نفسه وغير متبدّلٍ ولا متحوّل، في حين أنّ المركب من أشياء عدّة يتبدّل على الدوام ولا يكون الشيء عينه قطّ.

سيبس: إنّني أوافق.

سقراط: إذن دعنا الآن نعود إلى البحث السابق. أتكون تلك الحقيقة والتي نعطي نحن تعليلاً عن وجودها في العملية المنطقيَّة الديالكتيكيَّة سواء أكانت المساواة، الجمال، أو أيّ شيء آخر، أقول، أتكون هذه الحقائق عرضةً لأن تتغيّر وتتبدّل قليلاً أو بعض الشيء خلال الزمن؟ وهل يكون كلٌّ منها، ما هو على الدوام، له الوجود الذاتي الموحَّد نفسه والطبائع عينها التي لا تتغيَّر أو تتبدَّل، لا تقبل التنويع على الإطلاق، أو في أيّة طريقة، أو في أيّ زمن؟

سيبس: يجب أن تكون الشيء عينه، يا سقراط.

سقراط: وماذا ستقول عن الجمال المتعدِّد، كمثال، جمال الرجال أو الأحصنة أو الأثواب أو أيّة أشياء أخرى كهذه، أو عن المتساوي المتعدد، أو عن كلّ الأشياء الأخرى التي تسمّى بالأشياء عينها والتي تدعى بها الحقائق بشكلٍ عامّ؟ هل هي الشيء عينه على الدوام؟ ألا يمكن وصفها بمصطلحاتٍ عكس ذلك بالضبط على الأصحّ، مثل أنها متغيرة دائماً تقريباً وبالكاد تكون الشيء عينه أبداً إمّا مع أنفسها أو مع بعضها بعضاً؟

سيبس: أقول الأخير، يا سقراط، أي أنّها في حالة تبدّلٍ على الدوام.

سقراط: وهذه تستطيع لمسها ورؤيتها وإدراكها بالحواسّ. لكنّ الأشياء اللاّمتغيرة يمكنك الإحاطة بها وفهمها جيداً بالعقل - إنّها غير مرئيّة وهي لا تشاهد.

سيبس: إن هذا حقيقي جداً.

سقراط: حسناً إذن، دعنا نفترض بأنه يوجد نوعان من الوجود أحدهما مرئي، والآخر غير منظور.

سيبس: دعنا نفترضهما كذلك.

سقراط: إنّ المرئيّ هو المتغير، واللاّمتبدل غير المنظور.

سيبس: يمكن افتراض ذلك أيضاً.

سقراط: وبالإضافة إلى ذلك، فماذا تقول عن أنفسنا، أليس الجسم جزءاً واحداً، والروح هي الجزء الآخر؟

سيبس: لتكن متأكّداً.

سقراط: ولأيّ نوع يكون الجسم أكثر شبهاً وقرباً؟

سيبس: إلى المرئي بوضوح - لا يستطيع أحدٌ أن يشكّ في ذلك.

سقراط: هل الروح منظورة أو غير منظورة؟

سيبس: ليس بالإنسان، يا سقراط.

سقراط: وماذا نعني نحن، ب « المرئيّ » وب« غير المرئي »؟ أهو ذلك الذي يُرى أو لايُرى بعين الإنسان؟

سيبس: نعم، بعين الإنسان.

سقراط: أوَ تكون الروح منظورة أو غير منظورة؟

سيبس: غير مرئيّة.

سقراط: لا تشاهد إذن؟

سيبس: لا.

سقراط: إذن فإنّ الروح تكون أكثر شبهاً باللاّمرئيّ، والجسم بالمرئيّ.

سينس: يتبع ذلك بالضرورة، يا سقراط.

سقراط: أولم تقل منذ بعض وقتٍ مضى أنّ الروح عند استعمالها الجسد كأداة إدراك، يعني، عند استعمالها لحاسّة البصر أو السمع أو لحاسة ما أخرى « لأنّ معنى الإدراك من خلالِ الجسد وبواسطته هو إدراك من خلال الحواسّ وبواسطتها »، ألم نقل إنّ الروح تكون حينئذٍ مسحوبة بالجسد أيضاً إلى منطقة المتغير وتهيم وترتبك؟ إنّ العالم يدور دوراناً سريعاً حولها. وهي تشبه السّكران عندما تلامس التغيُّر.

سيبس: حقيقي تماماً.

سقراط: لكنّها تتأمّل ملياً حين عودتها إلى ذاتها، بعد أن تمرّ إلى العالم الآخر، إلى منطقة الصفاء، والخلود، والبقاء، واللاّمتغير، التي تكون مثيلاً لها وشبيهة بها، وهي تحيا معها على الدوام، عندما تكون بنفسها ولا تُترك أو تُعاق؛ عندئذ تنقطع هي عن التيهِ، وكونُها في اتّصالٍ مع الأشياء التي لا تتغيَّر فهي تكون غير متغيّرة بالنسبة لها. وحالة الروح هذه تُسمّى الحكمة.

سيبس: إنّ ذلك قيل بحقّ وصدق، يا سقراط.

سقراط: ولأيّ نوع تكون الروح أكثر شبهاً ونسباً على وجه التقريب، بقدر ما يمكن استنتاجه من المحاورة، كما استنتجنا من سابقتها؟

سيبس: أعتقد، يا سقراط، أنّ الروح ستكون مثلَ اللاّمتغير على نحوٍ غير محدود، في رأي كلّ من يتابع المحاورة ـ حتى أنّ الشخص الأكثر غباءً لن ينكر هذا.

سقراط: ويكون الجسم أكثر شبهاً بالمتبّدل.

سيبس: نعم.

سقراط: وبرغم ذلك تأمّل المسألة في ضوء آخر مرّة ثانية: عندما تتّحد الروح والجسم، فإنّ الطبيعة تأمر الروح عندئذ أن تسيطر وتحكم، والجسد أن يطيع ويخدم. والآن أيٌّ من هاتين الوظيفتين هي شبيهة بالإلهي؟ وأيُّها يشبه الفاني؟ ألا يبدو لك الإلهيّ أنّه ذلك الذي يُصاغ ليحكم ويأمر، وأنّ الفاني هو ذلك الذي يكون بطبيعته تابعاً وخادماً؟

سيبس: حقاً.

سقراط: وأيّهما تشبه الروح؟

سيبس: الروح تشبه الإلهيّ، ويشبه الجسد الفاني ـ لا مجال للشكّ في ذلك، يا سقراط.

سقراط: تأمّل مليّاً إذن، يا سيبس: أليس هذا هو الإستنتاج من كل الذي قد قيل؟ إنّ الروح تكون في شبه لِمَا هو إلهي بالتحديد، للخالد، والعاقل، والموحَّد، وغير القابل للذوبان، واللامتغير؛ وأنّ الجسد في شبه لِمَا هو إنسانيّ بالتحديد، وفانٍ، وغير عاقل، ومتعدّد الأشكال، وقابلٍ للإنحلال، ومتبّدلٍ. هل نستطيع أن نجد، يا عزيزي سيبس، أيّة أرضيّة ممكنة لرفض هذا الاستنتاج؟

سيبس: إنّنا لا نقدر.

سقراط: لكن إذا كان الاستنتاج صحيحاً، ألا يكون الجسد عندئذ عرضةً لانحلالٍ سريع؟ أولاَ تكون الروح تقريباً، جزئياً أو جملة، غير قابلةٍ للانحلال؟

سيبس: بالتأكيد.

سقراط: وهل تراقب أنت ما هو أبعد من ذلك، وهو أنّه بعد أن يموت الإنسان، فإن الجسم، أو الجزء المتطور من الإنسان، الذي يتمدّد في العالم المرئي، والذي يُسمّى الجثة، ستتفكّك بالطبيعة وتنحلّ وتتبدّد. إنّ هذه الجثّة لن تنفضّ أو تفسد في الحال، بل يمكن أن تبقى لبعض الوقت، لا بل حتّى لزمَنٍ طويل، إذا كانت البنية الجسديّة سليمةً أثناء الموت، وكان فصل السنة مؤاتياً لأنّ الجسم عند تقلّصه وتحنيطه، كما هو الأسلوب في مصر، يمكن أن يبقى سالماً لوقت استثنائي تقريباً. وحتّى في فساده، تبقى منه بعض أجزائه، مثل العظام والأربطة التي لا تتلف بشكلٍ عملّي. هل توافق؟

سيبس: نعم.

سقراط: وهل تكون تلك الروح، التي هي غير مرئيّة، في مرورها إلى مثوى الأموات الحقيقي الذي هو غير منظورٍ مثلها، وطاهر، ونبيل، وهي في طريقها إلى الله الخيّر والحكيم، إذا الله أراد، فإنّ روحي ذاهبة أيضاً وقريباً إلى ذلك المكان ـ أكرّر، هل تكون تلك الروح، إذا كانت طبيعتها كما وصفت، هل تتبعثر وتهلك عند تركها الجسد حالاً كما تقول الكثرة؟ ذلك لا يمكن أن يكون، يا عزيزيَّ سيمياس وسيبس. إن الحقيقة هي أنّ الروح التي تكون نقيّة عند مغادرتها، ولا تسحب خلفها وصمةً جسديةً، ولم يكن لها أثناء حياتها ارتباط بالجسد أبداً وعن غير قصد، وهذا ما تتفاداه على الدّوام، وتستجمع نفسها إلى نفسها وتجعل تلك المجرّدات دراستها الأبديّة، كل هذا يعني أنّها قد كانت مريدةً حقيقيّةً للفلسفة؛ ولهذا السبب فهي قد مارست وطبّقت عمليّاً كيف تموت بدون تذمُّر. إذْ أليست حياة كهذه هي التمرن على الموت؟

سيبس: بالتأكيد.

سقراط: أقول، إنّ الروح ذاتها غير مرئيّة تغادر إلى العالم اللامنظور، إلى الإلهي

والخالد والعاقل. تصل إلى هناك، وهي آمنةٌ في جنّة النعيم، وتكون متخلّصة من أخطاء وغباوات الرجال، من خوفهم وشهواتهم الوحشيَّة المسعورة ومن كلّ الشرور الإنسانيَّة الأخرى، وتسكن إلى ما لا نهاية، كما يقولون عن المطَّلع أو الخبير، تسكن في صحبة مع الآلهة(٣٧). أليس هذا حقيقياً، يا سيبس؟

سيبس: نعم، ما أبعد الشك عن هذا!

سقراط: لكنّ الروح التي قد كانت ملوَّثة وغير طاهرة في وقت مغادرتها، وتكون رفيقةً وخادمةً للجسد على الدوام، وتحبّ وتُسحَر بالجسد وبرغباته وملذّاته، إلى أن تُقادَ لتؤمن أنَّ الحقيقة توجد في الأشكال الجسديَّة فقط، والتي يمكن للإنسان أن يلمسها ويراها ويأكلها ويشربها ويستعملها لأغراض شهواته، ـ أعني، الروح التي اعتادت على أن تكره وتخاف وتتجنّب ذلك الذي يكون للعيون الشحميَّة مظلماً وغير مرئيّ، بل إنّه هو هدف العقل ويمكن الوصول إليه بالفلسفة؛ هل تفترض أنَّ روحاً كهذه ستغادر نقيَّة وغير مشوبة؟

سيبس: مستحيل.

سقراط: إن هكذا روحاً، أي التي وصفناها أوّلاً، هي متمازجة مع الماديّ الذي صُنع في طبيعتها بالملازمة المستمرَّة والعناية الدائمة بالجسم.

سيبس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وهذا العنصر الماديّ، يا صديقي، يكون عبئاً وثقيلاً وأرضيّاً؛ إنّ روحاً مقيَّدةً هكذا هي واهنة العزيمة ومسحوبةً تحتياً إلى العالم المرئيّ لأنّها تخاف من اللامنظور ومن العالم الآخر ـ إنّها في عالمها المنظور هذا تجوس خلسةً حول الأجداث والمدافن، والتي تُرى بقربها، كما يخبروننا، أشياء غريبة شبحيَّة محدَّدة من الأرواح، أطيافٌ منبثقة من الأرواح التي لم تغادر طاهرة

ونقيَّة، بل لا تزال تحتفظ بشيء ما من العنصر المرئيّ والذي من أجله تقدر هذه الأرواح أن تكون مرئيَّة.

سيبس: إنّ هذا محتمل جدّاً، يا سقراط.

سقراط: نعم، يكون ذلك محتملاً جدّاً، يا سيبس، ويجب أن تكون هذه الأرواح أرواحَ الأشرار وليس أرواحَ الأخيار، والتي تُجبر أن تطوف حول أمكنةٍ كهذه جزاءً لعقوبة طرائق حياتهم الشرّيرة فيما سبق؛ وتواصل هذه الأرواح في تيهها حتّى يتمّ سجنها نهائياً في جسدٍ آخر، جسمانيٍّ فانٍ، وذلك من خلال تشوّقها لتعقب رفيقها الدائم. ويمكن الافتراض أنها تجد سجنها في الطبائع المشابهة لها في الصّفات والسّمات مثلما زرعت في حيواتها السابقة.

سيبس: أيّة طبائع تعني، يا سقراط؟

سقراط: ما أعنيه هو أنّ الرجال الذين سعوا وراء الشراهة والخلاعة والإدمان على الخمر، ولم يكن عندهم أيّة نيّة لتجنُّبها أو تفاديها سيتحوّلون إلى حميرٍ وحيوانات من هذه النوع، فماذا تعتقد؟

سيبس: أعتقد أنَّ تفكيراً كهذا سيكون تفكيراً محتملاً للغاية.

سقراط: وأولئك الذين اختاروا جانب الظلم والطغيان والعنف سيتحوَّلون إلى ذئاب، أو إلى صقور وحدَّايات. أيمكننا أن نفترض أنّهم سيذهبون إلى أيّ مكانٍ آخر؟

سيبس: نعم، إنّهم سيمرُّون في مخلوقاتٍ كهذه، ما وراء السؤال.

سقراط: ولا توجد صعوبة في تحديد الأماكن لكلّ طبقةٍ منهم تتلاءَم مع طبائعهم المتعدّدة ونزعاتهم؟

سيبس. لا توجد صعوبة.

سقراط: حتى بين هؤلاء يكون البعض أسعد من الآخر؛ والأسعد في أنفسهم وفي المكان الذي يذهبون إليه على حدّ سواءٍ هم أولئك الذين مارسوا فضائل

العُوام، الفضائل الاجتماعية التي يدعونها اعتدالاً وعدلاً، وهي تُكتسب بالعادة والمراس وبدون الفلسفة والعقل(٣٨).

سيبس: لماذا هم الأسعد؟

سقراط: لأنّه يمكن توقُّعُ أنهم يمرون في نوعٍ اجتماعي لطيف هو مثيلٌ لهم كالنحْل أو الدبابير أو النمل، أو الرجوع إلى الشكل الإنساني مرّة ثانية، ويمكن توقّعُ بروز رجال منهم جديرين بالاعتبار.

سيبس: من المحتمل جداً.

سقراط: لكن الآلهة لا تحبّ رفقة مَن لم يدرس الفلسفة، والذي لا يكون طاهراً بشكل كامل في وقت مغادرته، ويُنقذ محبّ المعرفة فقط. وهذا هو السبب، يا سيمياس وسيبس، الذي من أجلهِ يمتنع مريدو الفلسفة الحقيقيّون عن كل الشهوات الجسديّة ويقفون ضدّها بثبات ويرفضون الاستسلام لها، - ليس لأنّهم يخافون الفقر أو هلاك عائلاتهم، مثل عاشقي المال، والعالم بشكلٍ عام؛ ولا مثل محبي القوة والشرف، لأنّهم يخافون الخزي أو العار لأعمال الشر.

سيبس: لا، يا سقراط، إنّ ذلك لا يليق بهم.

سقراط: لا حقاً، ولهذا السبب فإنّ الذين لديهم أيّ اهتمام بأرواحهم الخاصّة، ولا يعيشون للجسم وأساليبه فحسب، يقولون وداعاً لكلّ هذا؛ هُمُ لن يسيروا في طرق العميان. وحينما تعرض الفلسفة عليهم التطهير والانعتاق من الشرّ، يشعرون بأنّه يجب أن لا يقاوموها ويصدُّوا تأثيرها. وحيث تهديهم يستديرون ويتبعون.

سيبس: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: إنّي سأخبرك. محبو المعرفة يدركون أنّ الروح كانت مرتبطةً بالجسد وملتصقةً حتى أخذتها الفلسفة بيديها، ولم تستطع أن ترى الوجود الحقيقي

إلا من خلال قضبان السجن الحديديَّة، ليس مِن خلال نفسها أو فيها. وكانت هي متمرِّغة في الوحل وفي كلّ أنواع الجهل. هذه كانت حالتها الأصليَّة، وبعدئذ، كما قلت، وكما يدرك محبو المعرفة جيداً، رأت الفلسفة سجنها الإبداعي - سجنٌ بُني بالشهوة العارمة كي لا يمكن للأسير إلاَّ أن يكون الشريك الرئيسيّ في مبدأ أسره الخاصّ - رأت الفلسفة تلك وأمسكتها بيدها وآستها بلطف وقصدت أن تعتقها ممّا هي فيه، مشيرةً إلى أنّ العين والأذن والحواس الأخرى مملؤءَة تضليلاً وخداعاً، حاثّةً إياها أن تبتعد عنهما، وأن تمتنع عن استعمالها إلاّ ما هو ضروريّ لذلك، وأن تلمّ شملها وتتجمَّع في نفسها، آمرةً إيّاها أن تثق بنفسها فقط وفي إدراكها الصافي الخاص للوجود الطاهر، وأن تسيء الظن وترتاب بما أتى عليها من خلال القنوات الأخرى، والذي يكون عرضةً للتّغيّر. إنّ أشياء كهذه هي محسوسة ومنظورة، لكن الذي تراه في طبيعتها الخاصة يكون للعقل وللذي لا يُرى. وتعتقد روح الفيلسوف الحقيقي أنّه لا ينبغي عليها أن يقاوم الفيلسوف هذه النجاة، ولذلك فهو يمتنع عن الملذّات والرغبات والآلام، قدر إمكانه؛ متأمّلاً مليّاً أنّه عندما يمتلك إنسان أفراحاً شديدة عظيمة أو مخاوف أو رغبات، فإنّه يعاني منها ليس نوع الشر الذي يمكن توقعه - كمثال، فقدان صحته أو ممتلكاته التي ضحّى بها في سبيل شهواته الجسديَّة - بل يعاني من شرٍّ أعظم بعداً بكثير، الذي هو أكبر وأسوأ الشرور، وواحدٌ لا يفكِّر فيه على الإطلاق.

سيبس: وما هو، يا سقراط؟

سقراط: إنّ الشرّ هو عندما يكون الشعور باللذّة أو الألم هو الأكثر قوّة، وتتصوّر روح كلّ إنسان أنّ الأهداف أو الدوافع لهذا الشعور المثير هي حينها الأبسط والأحقّ، برغم أنّها ليست كذلك. وأمّا الأشياء المتعلّقة بحاسة البصر فهي الرئيسية لهذه البواعث. أليس هكذا؟

سيبس: نعم.
سقراط: أليست هذه الحالة التي تصبح فيها الروح الأكثر تشبثاً بالجسم وبإحكام؟
سيبس: كيف ذلك؟
سقراط: لماذا، لأنّ كلّ لذّةٍ وكلّ ألم هو نوعٌ من المسمار الذي يُسمِّر ويبرشم الرّوح بالجسم، إلى أن تصبح مثله، وإلى أنْ تعتقد أنَّ ما يؤكّد الجسم أنه حقيقي هو كذلك. ومن موافقتها للجسد واقتسامها المباهج عينها معه تضطّر لأن يكون لها العادات نفسها والحوافز عينها، وأن لا تُطهَّر على الأرجح عند مغادرتها إلى العالم السفليّ، بل هي ملوثة ومصابة بالجسد على الدوام. وهكذا فهي تهبط في جسدٍ آخر حيث تنبت وتنمو. ولهذا السبب فهي لا تمتلك أيّ جزء من المشاركة بالإلهي والصافي والبسيط.
سيبس: الأكثر صدقاً، يا سقراط.
سقراط: وهذا هو السبب، يا سيبس، الذي من أجله يكون محبو المعرفة الحقيقيون هم المعتدلين وهم الشجعان؛ وليس للسبب الذي يعطيه العالم.
سيبس: لا بالتأكيد.
سقراط: لا بالتأكيد! إنّ روح الفيلسوف سوف تستنتج منطقيّاً في طريقة مختلفة تماماً؛ أنّها لن تسأل الفلسفة كي تعتقها لتتمكّن من أن تحوّل نفسها عالياً مرّة ثانية إلى عبوديّة الملذّات والآلام، وذلك في العمليّة المحدَّدة هذه لتحريرها، فاعلة العمل الذي ينبغي أن لا يُنجز مرّة ثانية، ناسجة، وغير ناسجة، ذلك النسيج البنيلوبيّ. لكنّها ستهدّىء الرغبة الجسديّة وتتبع العقل، وتسكن معه على الدوام، متأمّلة مليّاً الوجود الحقيقي والإلهي، وذلك الذي يكون ما وراء المظهر والرأي، وتستمدّ الغذاء من ذلك المكان. هكذا هي تنشد أن تحيا ما دامت لها الحياة، وتأمل أن تذهب إلى أنسبائها بعد الوفاة، وإلى الذي يشبهها، وأن تتحرّر من المفاسد والأمراض الإنسانيّة. إنّ روحاً

تتغذى هكذا، يا سيمياس وسيبس، لن تخاف أبداً عند مغادرتها الجسد من أن تتناثر وتتبعثر بالرياح وأن لا تكون شيئاً وأن لا تكون في أيّ مكان.

[عندما أنهى سقراط كلامه، خيّم صمتٌ جدير بالاعتبار؛ وبدا، هو نفسه، أنّه كان مستغرقاً في التأمّل، كما كان أكثرنا، فيما قد قيل. وجدهما سيمياس وسيبس تكلّما مع بعضهما كلمات قليلة. وحينما لاحظ سقراط ذلك سألهما ماذا يفكران بشأن هذه المحاورة، وإذا ما كان هناك أيّ موطن ضعف فيها؟ لأنّه]، قال سقراط، لا يزال هناك العديد من النقاط الرئيسيّة مفتوحة للشكّ والهجوم، إذا كان أيّ شخصٍ مهيّاً لأن يمحّص المسألة بشكل كامل. وإذا ما كنتما متأمّلَيْنِ في مسألة أخرى ما فإنني لن أقول أكثر ممّا قلت، لكنّكما إنْ شعرتما بأيّ شكٍ في الموضوع الحاضر للمحاورة فلا ترددا، إمّا في إعطائنا أفكاركما الخاصة إذا ما كان لديكما أيُّ تحسين تقترحانه عليها، أو إذا اعتقدتما أنّكما ستحقّقان تقدّماً أكثر بمساعدتي، إسمحا لي أن أساعدكما.

سيمياس: ينبغي عليّ أن أعترف، يا سقراط، أنّ شكوكاً تنشأ في عقلينا، وقد ألحّ كلٌّ منا لبعض الوقت وحثّ الآخر لأن نطرح السؤال الذي نريد جوابا له، والذي لا يرغب أحدنا في إبدائه، خشية أن يكون إلحاحنا مزعجاً في وقت كهذا.

أجاب سقراط بابتسامة: أوه يا سيمياس، ماذا تقول؟ إنّه لمرَجّحٌ جداً أنّني لا أقدر على إقناع الرجال الآخرين بأنّي لا أعتبر حالتي الحاضرة وكأنّها بليّة إذا لم أستطع حتى إقناعكما، وأجدكما خائفَين من أنّي يمكن أن أكون أكثر قبولاً للإثارة ممّا تعودت! ألن تُسلّما بأنّني أمتلك النفس النبويّة بقدر ما لدى الإوزّات؟ لأنّها عندما تدرك بأنّها يجب أن تموت، وبما أنّها غنّت في أوقاتٍ أثناء حياتها، فهي تشدو عندئذ لوقتٍ أطول وأغنيات أجمل بكثير ممّا أدّته

منها بشكل دائم، فرحةً في التفكير بأنّها على وشك أن تذهب إلى الله الذي هو وكيلها. لكنّ الرجال، لأنهم يخافون الموت، يؤكدّون بافتراءٍ عن الإوزّات أنّها تغنّي نواحاً في اليوم الأخير، تغني صرخة كَرْبٍ، غير معتبرين أنّ لا طائر يغني عندما يكون بردان، أو جائعاً، أو متألماً، حتّى العندليب لا يفعل ذلك، لا ولا السّنونو ولا الهدهد أيضاً؛ هذه الطيور التي قيل إنّها تلحُن أنشودة حزينة حقاً. ومع ذلك فأنا لا أصدق بأنّ هذا يكون حقيقياً عنها بأكثر ممّا هو صادق عن الإوزّات. لكنْ بما أنّها مكرَّسةً لأبوللو، فإنّها هديّة النبوّة، وتستبق توقّع الأشياء الخيِّرة من العالم الآخر؛ ومن أجل ذلك فهي تغنّي وتبتهج في ذلك اليوم أكثر ممّا فعلته قبلاً على الإطلاق. وأنا أيضاً، بما أنّني أعتقد أنا نفسي أن أكون الخادم المكرَّس لله ذاته، والخادم الرفيق للإوزّات، والمؤمن بأني تلقّيت هِبات النبوّة مَن سيّدي ومعلّمي، وأنها ليست بأقل أهمية ممّا لديها، سأغادر الحياة بحبورٍ ليس أقل من حبور الإوزات هذه. لا تقلق أبداً إذن، إذا كان هذا اعتراضك، بل تكلّم واسأل أيَّ شيء تحبه، ما دام القضاة الأثينيون الاحد عشر يسمحون بذلك.

سيمياس: جيّد جداً، يا سقراط؛ سأخبرك إذن عن حَرَجي وصعوبة موقفي، وسيخبرك سيبس عما يجول في خاطره. إنّني أشعر « وأجرؤ على القول بأنّك أنت لديك الشعور عينه » أشعر أنّه يكون مستحيلاً أو صعباً جدّاً على الأقلّ أن تنال أيّ تأكيد بشأن الأسئلة كتلك المطروحة قيد البحث في الحياة الحاضرة، وبرغم ذلك عليّ أن أعتبر جباناً مَن لم يبرهن ما قيل عنها بأقصى قوّته، ومَنْ لا يكف عن العمل حتى يختبرها من كل جانب لأنّ عليه الكفاح والدّأب في عمله هذا حتّى ينجز واحداً من هذه الأشياء: إمّا عليه أن يكتشف، أو أن يتعلم الحقيقة عنها، أو اذا كان هذا مستحيلاً، فإنّني أريده أن يأخذ أفضل النظريّات الإنسانيّة، والتي يتعذّر دحضها أو إنكارها،

ولأدَعَ هذا أن يكون الرَمَثَ الذي سيبحر عليه أثناء حياته كلّها ـ ليس بدون مخاطر، كما أعترف، إذا لم يقدر على إيجاد كلمة ما لله، والتي ستحمله بأكثر تأكيداً وثباتاً وبأكثر ضماناً. والآن فإنّني سأجازف كي أسألك، كما تأمرني، ولن ألوم نفسي فيما بعد ساعتئذ بأنّي لم أقل ما أعتقدته في هذا الوقت تحديداً. أنا عندما أتأملّ المسألة ملياً إمّا بمفردي أو مع سيبس، فالمحاورة تبدو لي بكلّ تأكيد، يا سقراط، أنها غير كافية.

أجابه سقراط: أجرؤ على القول، يا صديقي، بأنّه يمكنك أن تكون محقّاً فيما قلته، لكنّني أريد أن أعرف في أيّه ناحية تكون المحاورة غير كافية.

سيمياس: في هذه الناحية: إفترض أنّ شخصاً كان سيستعمل المحاورة عينها بشأن النغم أو تآلف الألحان والعود، ألا يمكنه القول إنّ النغم هو شيء غير مرئيّ، غير مادّي، تامّ، إلهي، موجود في العود الذي هو منسجم. لكن بما أن العود والخيطان هي مادة وأشياء ماديّة، مركبّة، أرضيّة، مجانسة للفناء، وعندما يحطّم شخص ما العود، أو يقطّع ويمزّق الخيطان، عندئذ فإنّ من يأخذ بهذه النظريّة سيحاور كما تفعل أنت، وعلى قياس التمثيل عينه، سيقول إنّ النّغم يبقى ولم يفنَ أو يزُلْ ـ سيواصل القول: إنّك لا تستطيع التصور، أنّ العود بدون الخيطان الممزّقة عينها التي هي فانية تبقى، وبرغم ذلك فإنّ تآلف الألحان يكون ذا طبيعة واحدة سماويّة خالدة ومن أصلٍ واحد، لا تقدر أن تتصّور أنّها هلكت ـ هلكت قبل الفاني، يجب أن يبقى النغم في مكانٍ ما، وستفسد الأخشاب والخيطان قبل إمكانية حدوث أيّ شيء لها. إنّ هذا التفكير، يا سقراط، يجب أنّه حدث في تفكيرك الخاص من أنَّ هذا هو تصوّرنا عن الروح؛ وأنّه عندما يكون الجسد مُخاطاً ومتماسكاً بعناصر الحارّ والبارد، الرطب والجاف، حينئذ تكون الروح في تآلف الألحان أو المزيج المتناسب والمناسب لها. لكن إنْ هكذا، فعندما تُفكَّك خيطان الجسد على

نحوٍ غير ملائم، أو حينما يُرهق الجسد من خلال المرض أو من أيّ ضررٍ آخر، عندئذ فإنّ الروح، مع أنّها الأكثر إلهيّة، مثل الأنغام أو تآلف الألحان الموسيقيّة الأخرى أو الأعمال الفنيّة، فهي تُدمَّر حالاً بالطبع؛ برغم أنّ مواد الجسم تبقى ويمكن أن تدوم لوقت ذي أهميّة، إلى أنْ تُتلف أو تُحرق. وإذا ما أثبت أيّ شخصٍ أنّ الروح، كونها مزيجاً من عناصر الجسد، هي الأولى لتهلك وتفنى في ذلك الذي يُسمَّى مْوتاً، فكيف سنجيبه؟

[تطلَّع سقراط فينا بثباتٍ، على عادته، وقال وهو يبتسم]: إنَّ سيمياس يمتلك مبرِّراً لقول ما قاله؛ ولماذا لا يجيبه أحدكم الذي هو أفضل قدرة مني على الإجابة؟ لأن هناك قوة منطقيّة في خط محاورته. لكن لربّما، قبل أن نجيبه، كان من الأفضل لنا أن نستمع لِمَا عند سيبس ليقول، كي يمكننا أن نكسب وقتاً للتأمّل مليّاً، وحين تكلّم كلاهما، يمكننا إمّا أن نوافق على ما يقولان، إذا وُجدت حقيقة في انسجامهما، وإلا فيجب علينا أن نحارب من أجل قضيتنا عندئذ. من فضلك أن تخبرني إذن، يا سيبس، ما هي الصّعوبة التي أقلقتك وأجهدتك؟

سيبس: إنّني سأخبرك إياها. شعوري هو أنَّ المحاورة ما تزال حيث هي، إنّها معرَّضةً للاعتراضات عينها التي ألححتُ عليها قبلاً. فأنا على أتم استعداد للإعتراف بوجود الروح قبل دخولها الشكل الجسديّ، وهذا قد تمّتْ برهنتُه بما فيها الكفاية تماماً، إذا ما أمكنني قول ذلك، وكذلك بشكل حاذق ورائع؛ لكنّ بقاء الروح بعد الموت لم يُبرهن في حكمي. والآن بالرغم من اعتراضات سيمياس فإنّني لست مستعدّاً لأنكر أنّ الروح هي أقوى وأكثر بقاءً من الجسد، لأنّني أرى، أنَّ الروح تمتاز على الجسم تميّزاً كبيراً تماماً في كلٍّ من هذه النواحي. حسناً إذن، تقول ليَ المحاورة، فَلِمَ تَبْقَى غير مقتنعٍ؟ - حينما ترى أنّ الأضعف يستمرّ في الوجود بعد وفاة الإنسان الذي هو الجسد، ألن

تعترف أنّ الأكثر دواماً ينبغي أن يبقى أيضاً خلال المدّة عينها من الزمن؟ والآن فإنّي أدعوكَ لأن تتأمّل مليّاً إذا ما كان الاعتراض بذي ثقل، والّذي أعتقد بأنّه يجب عليّ أن أوضحه في رسمٍ بيانيّ، مثلٰ سيمياس. إنّ القياس التمثيلي الذي سأورده هو عن حائكٍ قديم، توفي قال شخصٌ ما بعد وفاته: أنظر هنا المعطف الذي حاكه هو بنفسه ولبسه، إنّه بقي كاملاً ولم يفنَ. ويتقدّم ليسأل بعدئذٍ عن شخصٍ ما يعبّر عن الشّكّ، سواء يبقى الإنسان لمدّة أطول، أو أنَّ المعطف الّذي هو قيد الاستعمال والأدّثار؛ وعندما يُجاب أنَّ إنساناً يبقى أطول بكثير، يُعتقد أنّه أوضح بذلك بقاء الإنسان على هذا النّحو بكلّ تأكيد، لأنّه مثلما لم يهلك الأقلّ بقاءً فكذلك الإنسان. لكنّ ذلك يكون قولاً خطأً، يا سيمياس، كما سألتمس منك كي تسجّل؛ أنَّ أيّ شخص سيردُّ على ذلك قائلاً، إنّ مَن يتكلم هكذا فهو لا يتكلّم إلاَّ سفاسف لأنّ الحقيقة هي أنَّ الحائك المذكور آنفاً، والذي بما أنّه حاك ولبس معاطف كثيرة كهذه، عاش أكثر منها وأفنى عديدها، لكنَّ أخيرها عاش أكثر منه وأفناه؛ وبرغم ذلك فإنّ إنساناً لا يُبرَهَنُ لهذا السبب على أنّه أخفُّ وأضعف من المعطف. وبعدُ فإنّه يمكن التعبير عن علاقة الجسم بالروح في قياسٍ تمثيليٍّ مماثل؛ ويمكن لأيّ شخص أن يقول بعدلٍ تامّ، وفي أسلوبٍ مشابه، إنّ الروح باقية، وأنَّ الجسد ضعيف وقصير الأجل بالمقارنة مع الروح، يمكنه أن يجادل أنَّ كلَّ روحٍ تلبس وتُبلي أجساماً عديدة، خاصة إذا عاش إنسانٌ سنين كثيرة. وبينما هو حي فإنَّ الجسد يذوب ويفسد، أمّا الروح فإنّها تحيك ثوباً آخر وتُصلح ما تلف. لكن طبعاً، متى تهلك الروح، يجب أن يكون عليها ثوبُها الأخير، وهذا سيبقيها؛ وآنئذٍ بعد وقت طويل، عندما تموت الروح، فإنّ الجسم سيبيّن موطن ضعفه، ويتحلّل ويفنى بسرعة. إنّني أفضّل أن لا أعتمد على المحاورة لهذا السبب وذلك من القوّة الأعلى المميّزة

كي أبرهن وجود وبقاء الروح بعد الموت. لأنّه حتى إذا منحنا أكثر ممّا تؤكّد إمكانيته، واعترفنا لا بأنّ الروح وُجدت قبل الولادة فقط، بل إنّ أرواح البعض تبقى وستستمرّ في البقاء بعد الوفاة، وستولد وتموت مرّة ثانية وثانية، وإنّ هناك نشاطاً طبيعياً في الروح به ستدوم وتولد مرّات عديدة ـ بالرّغم من كلّ ذلك، يمكننا أن نبقى ميّالين إلى الاعتقاد بأنّها سوف تُنهَكُ في الولادات الشاقّة المتعاقبة المتالية، ويمكن أن تقضي نحبها في واحدٍ من موتها وتفنى بالكليّة. ويمكن أن يجهل أيٌّ واحد منّا موت الجسد وانحلاله واللّذين يجلبان الهلاك للروح، إذ لا أحد منّا كان بإمكانه أن يمتلك أيّة خبرة عن ذلك. وإنْ هكذا فإنّني أؤكّد حينئذ أنّ مَن يثق بشأن الموت يمكنه أن لا يمتلك سوى ثقة حمقاء، إلاّ إذا قدر على أن يبرهن أنّ الروح خالدة جملةً وتفصيلاً وغير فانية؛ لكنّه إذا لم يستطع أن يبرهن خلود الروح، فإنّ مَنْ هو على وشك أن يموت سيمتلك سبباً كي يخاف على الدوام من أنّه حينما يتفكّك الجسد، يمكن للروح أن تهلك كليّاً أيضاً.

[تملّكنا كلّنا شعور غير سارّ لسماع ما قالاه، كما لاحظنا وعلّقنا بعضنا لبعض بعد ذلك. بعد أن اقتنعنا قبلاً بثبات، والآن لنحوز الإيمان المزعزع، بدا لنا هذا أنّه لا يُدخل الاضطراب والشكّ إلى المحاورة السابقة فحسب، بل إنّه يدخله في أيّة محاورة مستقبليّة؛ وذلك إمّا أنّنا لم نكن سوى قضاةٍ مُعْدَمِينْ، أو أنّ الموضوع عينه يمكن أن يُبرهن على أنّ يقيناً كهذا كان مستحيلاً].

ايخيكريتس: هناك إنّني أشعر معك، بحق السماء، إنّي أفعل، يا فيدون، وعندما تكلّمت أنت، سألت نفسي السؤال عينه: أيه محاورة يمكنني الوثوق بها مرّة ثانية؟ لأنّ أيّ شيء يمكن أن يكون أكثر إقناعاً من محاورات سقراط، والتي سقطت الآن في الشكّ ونُزِعَت الثقة منها؟ وهي أنّ الروح هي نوعٌ من

التناغم أو الإيقاع، ولقد كان لهذا الاعتقاد وقع حسنٌ عليَّ بشكل دائم، ويعود إليَّ عند ذكره في الحال وكأنّه إيمان راسخ أصيل خاصّ بي. والآن يجب عليَّ أن أبدأ مرّة ثانية وأجد محاورة أخرى تؤكّد لي بأنّه عندما يتوفّى الإنسان فإنّ روحه ستبقى. قل لي، إنّني أناشدك، قل لي كيف تعقّب سقراط المحاورة؟ هل بدا أنّه يتقاسم الشعور غير المستحبّ الذي ذكرته؟ أو أنّه قابل الهجوم بهدوء؟ وهل نجح في وقف هذا الهجوم، أو أخفق؟ قُصَّ عليَّ ما مرّ وما جرى قدر ما تستطيع بالضبط.

فيدون: غالباً ما أُعجبت بسقراط، يا ايخيكريتس، لكنّني لم أُعجب به أبداً أكثر من إعجابي به في هذه المناسبة. وإنّ إعجابي لا يكمن في قدرته على الإجابة، فهذا لربّما لا يساوي أيّ شيء، لكن ما أدهشني بادىء ذي بدء، كان الأسلوب والتصرّف اللطيف السارّ والمستحسن لسقراط الذي تلقّى به هذه الكلمات التي تفوّه بها الرجلان الشابّان. وبعدئذ فإنّ ما لفت نظري وانتباهي هو إدراكهُ السريع، والاستعداد الّذي شفى به هذه الكلمات. يمكن مقارنته بقائدٍ عسكري لمَّ شمل جيشه المهزوم والمنكسر، حاثّاً إيّاه أن يتبع قيادته ويعود إلى أرض المعركة.

ايخيكريتس: وماذا تلا ذلك؟

فيدون: إنّك ستسمع. فأنا كنت قريباً منه، جالساً على نوعٍ من الكرسي إلى جانبه الأيمن، وكان يجلس هو على سريرٍ، كان أكثر ارتفاعاً بمقدارٍ لا بأس به. لمس رأسي، وضغط على شعر رقبتي ـ كانت له طريقته لتعذيبي ومضايقتي بشأنه؛ وقال لي بعدئذ: غداً، يا فيدون، أفترض أنَّ خصلات شعرك الجميلة هذه ستتقطّع.

أجبته: نعم، يا سقراط، أفترض أنّ ذلك ما سيحلّ بها.

سقراط: لن يحدث ذلك، إذا قبلت نصيحتي.

فيدون: وماذا سأفعل بها.

سقراط: اليوم، وليس غداً، إذا ماتت هذه المحاورة، ولم نستطع أن نبعث فيها الحياة مرّة ثانية، أنت وأنا سنقصُّ شعرنا معاً؛ وإذا كنت أنا أنت، وإذا أفلتت المحاورة منّي ولم أتمكّن من تثبيت أسس محاورتي ضدّ سيمياس وسيبس، فإنّني سأؤدّي قَسَماً بنفسي، مثل الآرغوسيين(٣٩)، وهو أنْ لا أدع شعري ينمو بعد اليوم إلى أن أجدِّد الصراع وأهزمهما.

فيدون: نعم، لكنّه قيل بأنّ هرقل ذاته ليس نظيراً لاثنين.

سقراط: استدعني إذن، وسأكون أنا آيلوس بالنسبة لك إلى أن تغرب الشمس.

فيدون: [أجبته معترضاً] إنّني سأستدعيك بالأحرى، لكن ليس كما استدعى هرقل آيلوس، بل كما يمكن لأيلوس استدعاء هرقل.

سقراط: إنّ ذلك سيلبّي الحاجة جيّداً. لكن دعنا نحترس أوّلاً كي نتحاشى الخطر.

فيدون: من أية طبيعة؟

سقراط: خشية أن نصبح ممّن يكره النقاش أو الاستنارة؛ لا يمكن أن يحدث لإنسان شيءٌ أسوأ من هذا. لأنّه كما يوجد الكاره للبشر أو من يكره الجنس البشريّ، كذلك يوجد من يكره النقاش أو يمقت الحوار. وينشأ كلاهما من السبب عينه، الذي هو جهل العالم. ينبثق بغض الجنس البشريّ من الثقة الكبيرة بقلّة الخبرة أكثر ممّا ينبغي. تثق أنت بإنسانٍ وتعتقد بأنّه صادق ولا عيب فيه وأمين مؤمنٌ بكلّ ما في الكلمة من معنى، ويصبح بعدئذ زائفاً وماكراً في مدّةٍ قصيرة؛ ثم يتكرّر ذلك، وإذا حدث هذا لإنسانٍ مراتٍ عديدة، خاصّة حينما يقع بين أولئك الذين يحسبهم أنّهم أكثر خواصه إئتماناً وأنهم أصدقاؤه المألوفون. فهو يكره كلّ الرجال أخيراً بعد عدّة خيبات أمل، ويعتقد بأن لا أحد يمتلك أيّ خيرٍ فيه على الإطلاق. لا شكّ أنّك لاحظت هذه العمليّة؟

فيدون: إنّني لاحظت.

سقراط: أليست هذه العمليّة مخزية؟ أليس واضحاً أنّ واحداً كهذا حاول أن يتعامل مع الرجال الآخرين قبل أن يكتسب فنّ العلاقات الإنسانيّة؟ وكان بإمكان هذا الفنّ أن يعلّمه الحالة الحقيقية لهذا الوضع، وهو أنَّ الأخيار قلّة والأشرار كذلك، وأنَّ الغالبيّة العظمى تقف في المسافة التي بينهما؟

فيدون: ماذا تعني؟

سقراط: أعني، كما يمكنك أن تقوله عن الكبير جدّاً والصغير جدّاً ـ أنّه لا شيء يكون غير مألوفٍ من إنسان كبير جداً أو صغيرٍ جداً؛ وينطبق هذا على كل المتطرفات بشكلٍ عام، سواء أكانت كبيرة أو صغيرة، سريعة أو بطيئة، تختارها رجالاً أو كلاباً أو أيّ شيء آخر. إنَّ المتطرّفات لقليلة جداً، لكن هناك أشياء كثيرة لا تُحصى في الوسط بينها، ألم تلاحظ هذا قطّ؟

فيدون: نعم، إنّني لاحظت ذلك.

سقراط: أوّلاً تتصوّر أنّه إذا وُجدت منافسة في الشرّ، حتّى هناك، فإنَّ البارزين السابقين فيه سيوجدون قليلين جداً؟

فيدون: إنّ ذلك لمحتملٌ جداً.

سقراط: نعم، إنّ هذا مرجّحٌ تماماً، وبرغم ذلك فإنّ المحاورات في هذه الناحية هي غير شبيهة بالرجال ـ هناك دفعتني أنت لأقول أكثر ممّا قصدت قوله. إنّ النقطة الرئيسيّة للمقارنة، هي أنّه عندما يعتقد إنسان بسيط ليس لديه براعة في علم الجدل، أنّ محاورة تكون محاورة حقيقية ويتخيلها أنّها مزيّفة بعد ذلك، سواء أكانت باطلة أو لاَ، ومن ثمّ محاورة ثانية وثانية ـ وخاصّة أولئك الذين كرّسوا أنفسهم لدراسة تناقض المبادىء يصبحون يعتقدون أخيراً، كما تعرف، بأنّهم أحكم حكماء الجنس البشريّ، وأنّهم وحدهم يتصوّرون كم تكون الأشياء أنفسها وكلّ المحاورات بشأنها غير صحيحة

وغير ثابتة، وكيف تسرع كل الموجودات صعوداً ونزولاً في مدٍّ وجزرٍ لا ينقطع أبداً.

فيدون: إنّ ذلك حقيقي تماماً.

سقراط: نعم، يا فيدون، وإذا وُجد هكذا شيء كالحقيقة أو اليقين أو الاحتمال للمعرفة، فإنّه لكآبةٌ أن يلقي إنسانٌ ضوءاً على محاورةٍ ما، أو على أيّة محاورة أخرى، بانت في البدء أنّها محاورة صادقة وتحوَّلت بعدئذ لتكون زائفة وباطلة. وبدلاً من أن يلوم الإنسان نفسه وافتقاره الخاصّ للذكاء والإدراك، سيحيل الملامة من نفسه إلى المحاورات بشكل عامّ، وسيكون جذلاً جدّاً بفعل هذا وذلك من إزعاجٍ صِرْفٍ؛ وسيكره المحاورات ويشتمها للأبد بعد ذلك، ويخسر الحقيقة والمعرفة عن الحقائق.

فيدون: نعم، حقّاً، إنّ ذلك الشيء سيكون أكثر كآبةً.

سقراط: دعنا بعدئذ، في المقام الأوّل، أن نحذّر من السماح أو إدخال فكرة إلى أروحنا وهي أنّه لا يمكن أن توجد صحّةٌ أو دقّة في أيّة محاورات على الإطلاق، بدلاً من أن نقول على الأصح بأنّنا لم نحصل على الدقّة والثقة في أنفسنا حتّى الآن، وأنّه يجب علينا أن نناضل برجولة وأن نفعل أفضل ما نقدر عليه للحصول عليها ـ أنت وكلّ الرجال الآخرين لديكم اعتبار لمجمل الحياة المستقبليّة، وأنا نفسي في توقع الموت، فإنّني أخاف من أن لا أمتلك طبع الفيلسوف في هذه اللحظة، بل أكون متعصّباً، مثل الرجل السوقيّ. والآن عندما يشغل المتعصّب نفسه في جدالٍ وخصومة، فإنّه لا يهتمّ بشأن حقائق الأسئلة، بل يتلهّف كي يقنع سامعيه بتأكيداته التي تخصّه فقط. أمّا الفرق بيني وبينه في اللحظة الحاليّة فهو هذا ليس إلاّ ـ هو يتوق ليقنع سامعيه أنّ ما يقوله صادق، أمّا أنا فأتوق إلى إقناع نفسي؛ لكنّ إقناع مَنْ يسمعني فتلك مسألة ثانوية بالنسبة لي. ولا أفعل أيّ شيء سوى رؤية كيف

أقف لأربح هاتين الطريقتين بالمحاورة. فإذا كان ما أقوله حقيقياً، فإنّني أفعل جيّداً لأقتنع بالحقيقة عندئذ؛ لكن إذا لم يكن هناك شيء بعد الوفاة، فالذي يبقى هو أنّني لن أكدِّر أصدقائي بالنّحيب خلال ذلك الوقت القصير المتبقّي، وستضمحلُّ حماقتي بموتها القريب جداً. ولهذا السبب فلن يتعرّضوا لأيّ أذىً. هذه هي الحالة العقليّة، يا سيمياس وسيبس، التي أقترب بها من المحاورة. وسأريد أن أسألكم أن تفكروا في الحقيقة وليس في سقراط؛ إتّفقا معي، إذا بدا لكما أنّني أتكلّم الحقيقة، وإلاّ فقاوِماني بكلّ ما تملكان من قوّة كي لا يمكنني أن أخدعكما كما أضلِّل نفسي في حماسي هذا وأترك فيكما إبرتي، مثلما تفعل النحلة قبل أن تموت.

والآن دعونا نتقدم، واسمحوا لي قبل كلّ شيء لأن أتأكّد بأنّي أمتلك في عقلي ما قلتماه. إذا ما تذكرّتُ جيداً فإنّ سيمياس تملّكه خوف وساورته الشكوك حول إمكانية فناء الروح أوّلاً، كونها كما هي في شكل نغم أو تناسب ألحان، برغم أنّها شيء ألطف وأكثر إلهيّةً من الجسم. أما سيبس من ناحية ثانية فبدا أنه يمنح الروح تأكيداً على أنها كانت أكثر بقاءً من الجسد، لكنّه قال إنّ لا أحد يمكنه أن يعرف، إذا أمكن للروح نفسها أن لا تفنى وتترك جسدها الأخير خلفها بعد أن لبست أجساداً عديدة؛ ويمكن أن يكون هذا موتاً، وهذا الموت ليس تدمير الجسد فقط بل تدمير الروح لأنّ هدم الجسم مستمرٌّ على الدوام. أليست هذه، يا سيمياس وسيبس، هي النّقاط الرئيسيّة التي يجب علينا اعتبارها وتأمّلها مليّاً؟

[وافق كلاهما على هذا البسط لآرائهما].

سقراط: وهل أنكرتّما قوّة السابقة كلّها، أو لجزءٍ منها فقط؟

أجابا: لجزءٍ منها فقط.

سقراط: وماذا اعتقدتما في ذلك القسم من المحاورة والذي قلنا فيه إنّ الروح وجب

وجـودها في مكانٍ ما آخر بشـكلٍ سابق قبل أن تُسجنَ في الجسـم؟

[قال سيبس إنّه قد تأثّر بشكلٍ رائع بذلك الجزء من المحاورة، وأنّ اقتناعه بقي راسَخاً بشكلٍ كلّيّ. وافق سيمياس على هذا أيضاً وأضاف أنّه هو نفسه يستطيع أن يتصور بصعوبة إمكانية تفكيره المختلف عن تفكير سيبس على الدوام].

لكنّ سقراط أجابه قائلاً: عليك أن تعتقد غير ذلك، يا صديقي الطيبيّ، إذا كنت ما تزال تثبت أنَّ التناغم أو الإيقاع هو شيءٌ مركّب، وأنّ الروح هي إيقاعٌ صُنعتْ من خيطانٍ وأُدخلتْ في هيكل جسدٍ إنساني؛ لأنّك لن تسمح لنفسك أن تقول بالتّأكيد إنّ التناغم يكون مركّباً ويوجد قبل العناصر الضرورية لتركيبه.

سيمياس: أبداً، يا سقراط.

سقراط: لكن ألا ترى أنَّ هذا هو ما تلمّح إليه عندما تقول كِلا الشيئين، وهو أنّ الروح وُجدت قبل أن تأخذ شكل وجسد إنسان، وأنّها صُنِعت من العناصر التي لم يكن لها وجود حتى الآن؟ إنّ التناغم لا يكون شبيهاً بذلك الشيء الذي تقارنه به؛ بل يوجد العود أوّلاً، والخيطان، والأصوات في حالة تنافر، ووُجد الإيقاع بعدئذ آخر الجميع، وهو الذي يفنى أوّلها. وكيف يمكن لتعليل كهذا عن الروح أن يكون في انسجامٍ وتوافقٍ مع طرحك السابق؟

سيمياس: لا ينسجم على الإطلاق، يا سقراط.

سقراط: ومع ذلك، لا بدّ من وجود تناغم بكلّ تأكيد، هو الذي تآلفُ الألحان موضوعه.

سيمياس: لا بدّ من ذلك.

سقراط: لكن لا يوجد تناغم في الفرضيتين الإثنتين، وهو أنَّ التعلم يكون تذكّراً وأنَّ الروح تكون إيقاعاً أو نغماً، فأيّاً منهما ستستبقي؟

سيمياس: أعتقد بأنَّ لديَّ إيماناً أكثر قوّة، يا سقراط، في الفرضيَّة الأولى؛ أمَّا الثانية، فلا أمتلك أيّ تعليل لها على الإطلاق، بل استمددتُها من قياسٍ تمثيليٍّ شامل، أَودَعَهُ من بنى رأيه عليه لأكثرية مشايعيه. إنّني أعرف جيّداً أنَّ هذه المحاورات هي إفكٌ وادّعاء من هذه القياسات التمثيليّة، وما لم تُبذل مراقبةٌ شديدة في استعمالها، فإنّها لخادعة تماماً - وينطبق هذا على علم الهندسة، وعلى كلّ علمٍ آخر. لكنَّ عقيدة التعلّم والتذكّر تستمدّ برهانها من مبدأ أساسي مقنع: إن الروح وجب وجودها قبل أن تأتي إلى الجسد، إذ لها تنتمي الحقيقة، والذي يعني هذا الإسم وجوداً بالتحديد. وبما أنّني أقتنعت تماماً وقبلت هذا المبدأ الأساسيّ بحقّ، وعلى أسسٍ كافية، يجب عليَّ، كما أفترض، أن أنقطع عن الجدل أو أنْ أسمح للآخرين به، وهو أنّ الروح تكون إيقاعاً أو تناسب ألحان.

سقراط: دعني أضع القضية، يا سيمياس، في وجهة نظرٍ أخرى؛. هل تتصوَّر الإيقاع أو أيّ تركيب آخر يمكن أن يكون في حالةٍ غيراً من تلك العناصر التي يتركّب منها؟

سيمياس: لا بالتأكيد.

سقراط: أو تفعل أو تقاسي أيّ شيء غيراً من الذي تقوم به وتعانيه؟

سيمياس: أوافق.

سقراط: إذن فإنّ التناغم لا يقود أو يهدي الأجزاء أو العناصر التي تصنعه، متكلّمين بدقة، بل يتبعها فقط؟

سيمياس: أصادق على ما قلته.

سقراط: وهكذا فإنّه لبعيدٌ عن الاحتمال أنَّ الإيقاع يمكن أن يكون له أيّة حركة أو صوت أو أيّة نوعية أخرى هي مضادَّة لأقسامه أو أجزائه.

سيمياس: بعيد حقاً.

سقراط: أوَلاً تعتمد طبيعة كلّ إيقاعٍ على الأسلوب الذي تكون فيه العناصر منسجمة؟

سيمياس: إنّني لا أفهمك.

سقراط: أعني أنَّ إيقاعاً يكون أكثر من إيقاع ويكون أكثر تناغماً بشكل كامل حينما يكون أكثر انسجاماً بحقّ وبتمام، مفترضين أنّ شيئاً كهذا هو ممكن؛ وهو أقلّ من إيقاع بكلّ ما في الكلمة من معنى، عندما يكون أقلّ انسجاماً بحقّ وبتمام.

سيمياس: صدقاً.

سقراط: والآن هل تفسح الروح مجالاً للدرجات؟ أوَ تكون روحاً واحدة في الدرجة الأقلّ تحديداً أكثر أو أقلّ، أو أنّها روح أكثر أو أقلّ بشكلٍ كامل من الروح الأخرى؟

سيمياس: ليس في الأقلّ.

سقراط: ومع ذلك يُقال عن روحين، إنّ واحدة تمتلك ذكاءً وفضيلة، وإنّها خيِّرة، وإنّ الأخرى تحوز غباءً ورذيلةً، وإنّها روح شريرة. وقيل هذا بصدق؟

سيمياس: نعم، بصدق.

سقراط: لكن ماذا سيقول أولئك الذين يؤكّدون أنّ الروح هي إيقاع؟ ماذا سيقولون لهذا الوجود للفضيلة والرذيلة فيها؟ - هل سيقولون إنّ هناك إيقاعاً آخر هنا، وتنافراً آخر، وإنّ الروح الفاضلة تكون منسجمة. وبما أنّها تناسب ألحانٍ فهي تمتلك إيقاعاً آخر في داخلها، وأنّ الروح الأثيمة نفسها تكون غير متناغمة وغير منسجمة ولا تمتلك إيقاعاً آخر في داخلها.

سيمياس: إنّني لا أستطيع القول؛ غير أنَّ شيئاً ما من هذا النوع سيؤكّده بوضوح أولئك الذين يقولون إنّ الروح تكون إيقاعاً أو تناغماً أو تناسب ألحان.

سقراط: ولقد اعترفنا مسبقاً أن لا روح هي أكثر روحاً من الأخرى؛ بمعنى

الإعتراف أنّ إيقاعاً واحداً ليس أكثر أو أقلّ تناغماً، أو أكثر أو أقلّ تناسب ألحانٍ من إيقاع آخر بكلّ ما في الكلمة من معنى.

سمياس: حقيقي تماماً.

سقراط: وهذا الذي ليس أكثر أو أقلّ تناغماً لا يكون أكثر أو أقلّ انسجاماً؟

سيمياس: صدقاً.

سقراط: وذلك الذي ليس أقلّ انسجاماً لا يمكنه أن يمتلك أكثر أو أقلّ من التناغم، بل تناغماً متساوياً فقط؟

سيمياس: نعم، تناغماً متساوياً.

سقراط: إذن فإنّ روحاً واحدة كونها أكثر أو أقلّ روحاً من الروح الأخرى تماماً لا تكون أكثر أو أقلّ انسجاماً.

سيمياس: بالضبط.

سقراط: ولهذا السبب فهي لا تمتلك لا أكثر ولا أقلّ من التنافر، ولا من التناغم برغم ذلك.

سيمياس: إنها لا تمتلك.

سقراط: وبما أنّها لا تحوز أكثر ولا أقلّ من التناغم أو من التنافر، فإنّ روحاً واحدة لا تمتلك أكثر رذيلة أو فضيلة من الروح الأخرى، إذا كانت الرذيلة تنافراً والفضيلة تناغماً.

سيمياس: ليس أكثر على الإطلاق.

سقراط: أو متكلمين بصحةٍ أكثر، يا سيمياس، فإنّ الروح إذا كانت إيقاعاً، لن تمتلك أيّة رذيلة أبداً لأنّ تناسب الألحان، كونه إيقاعاً، لا يمكنه أن يحوز قسماً في اللاتناغم.

سيمياس: لا.

سقراط: ولا أسلّم أنَّ باستطاعة الروح، كونها روحاً كليّةً، أنْ تمتلك أيّ جزءٍ في الرذيلة؟

سيمياس: كيف يمكنها حيازة ذلك، إذا ثبتت وصمدت المحاورة السابقة؟

سقراط: إذا كانت كل الأرواح أرواحاً متساوية بطبيعتها، فإنّ كلّ الأرواح لكلّ المخلوقات الحيَّة ستكون خيرَّة بالتساوي.

سيمياس: إنّني أتَّفق معك، يا سقراط.

سقراط: حسناً، فكِّر أنت، أيمكن أن يكون كلّ هذا صحيحاً، وهل ستلي نتائج كتلك إذا كانت الفرضيَّة صحيحة وهي أنَّ الروح تكون إيقاعاً؟

سيمياس: لا يمكنها أن تكون صحيحة.

سقراط: مرَّة ثانية، أيُّ حاكم يكون هناك لعناصر الطبيعة الإنسانيَّة غيراً من الروح، وخاصّة الروح العاقلة الحكيمة؟ هل تعرف أيّة واحدة أخرى؟

سيمياس: إنّني لا أعرف، حقاً.

سقراط: وهل تتّفق الروح مع ميول وتأثيرات الجسد؟ أو أنّها في اختلاف معها؟ كمثال، عندما يكون الجسم حارّاً وظمآناً، ألا تسحبنا الروح من الشرب؟ وحينما يكون الجسم جائعاً تسحبنا من الأكل؟ وهذا مثال واحد فقط من عشرة آلاف مثال لمعارضة الروح لأشياء الجسد.

سيمياس: حقيقيّ جداً.

سقراط: لكنّنا اعترفنا سابقاً أنّ الروح، إذا كانت إيقاعاً، لا يمكنها أن تطلق نغمةً أو علامةً موسيقيّة في اختلاف مع التوتّرات والإسترخاءَات والنقرات والتأثيرات الأخرى للخيطان التي يُشكِّل منها تناسب الألحان أو التناغم؛ يمكنها أن تتبع ذلك فقط، وليس بإمكانها أن تقود وترشد.

سيمياس: يجب أن تكون هكذا.

سقراط: ومع ذلك ألم تكتشف الروح أنّها تفعل العكس بالضبط - إنّها تقود العناصر التي يُعتقد أنّها تركُبها وتعدّها، معترضة أو مجبرة إياها في كلّ نوعٍ من أنواع الوسائل طوال الحياة وعلى الدوام تقريباً. تفعل ذلك بأكثر عنفاً في

آلام الدواء والألعاب الرياضيّة بعض المراث؛ وبعدئذ بلطف أكثر مرّة ثانية: وبعدُ مهدِّدةً، ثم مذكِّرةً وناصحةً الرغبات، والانفعالات والهوى، والخوف، كما أنّها تتكلّم مع شيءٍ ليس هو نفسها، مثلما يُحضِر هوميروس أوديسيوس فاعلاً في الأوديسه بهذه الكلمات -

هو لطم صدره، وهكذا لام قلبه: تحمَّل، يا قلبي؛ سوءاً أبْعد مما تحمَّلت!

هل تعتقد أنّ هوميروس كتب هذا تحت فكرة أنَّ الروح تكون إيقاعاً مُقدَّرةً لتقاد بتأثيرات وهوى الجسد، وليس أفضل لها أن تكون ذات طبيعة يجب أن تهديها وتكونِ سيّدةً لها وأنها هي شيء أكثر إلهيةً لتُقارَنَ بأيّ تناسب ألحانٍ أو إيقاع؟

سيمياس: نعم، يا سقراط، إنّني أعتقد هذا تماماً.

سقراط: لا نستطيع نحن إذن، يا صديقي، أن نكون محقّين في القول بأنّ الروح هي نوع من النغم لأنّنا سنناقض هوميروس الإلهيّ على ما يبدو ونكذّب أنفسنا.

سيمياس: صدقاً.

سقراط: كفى هذا المقدار عن هارمونيا، إلهتك الطبيعيّة، والتي آستسلمت لنا برشاقة؛ لكنّني ماذا سأقول، يا سيبس، لزوجها قدموس، وكيف سأقيم سلاماً معه؟

سيبس: أعتقد بأنّك سوف تكتشف طريقة لتسترضيه، إنّي متأكّد بأنّك وضعت المحاورة مع هارمونيا في طريقةٍ وأسلوبٍ لم أستطع توّقعه. لأنّه عندما ذكر سيمياس صعوبته ومصدر قلقه، تصوّرت تماماً أن لا إجابة يمكن إعطاؤها له وكنت مندهشاً لهذا السبب في اكتشاف أنَّ محاورته لم تستطع أن تتحمَّل هجومك الأوّل، وليس بالاستحالة الآخر، ويمكن للذي تسمّيه قدموس أن يشارك في قدرٍ مماثل.

سقراط: لا، يا صديقي الصالح، لا تتباهَ ولا تفاخر، خشية أن تفسد عينٌ شريرة المحاورة المتنامية. يمكن أن يُترك ذلك، على كل حال، في أيدي الأعلين، بينما نحن نقترب نحو العدوّ في أسلوب هوميريّ ونحاول أن نحتمل كلماتك. هنا تكمن النقطة الرئيسية: تريد أنت أن أبرهن لك أنَّ الروح خالدة غير فانية، لأنها إذا كانت غير ذلك فإنّ الفيلسوف الذي يقابل الموت بثقة لاعتقاده بأنّه سيكون أفضل له في العالم السفليّ، بدلاً من أن يسلك نوعاً آخر من الحياة، ينبغي أن يكون هو المغفَّلُ بثقةٍ باطلةٍ وغبية وتقول أنت إنّ الإيضاح لقوّة وإلهيَّة الروح ولوجودها قبل أن نصبح رجالاً لا يدلّ ضمناً على خلودها بالضرورة، بل إنّها عاشت لزمنٍ طويل فقط وعرفتْ وفعلتْ كثيراً لأمدٍ هائلٍ في حالةٍ سابقة. يبقى أنّها لا تكون خالدة بناءً على هذا التعليل؛ ويمكن أن يكون دخولها نفسه في هيكل إنساني نوعاً من المرض الذي هو بداية تحلُّلها، ويمكن لها أن تغتاظ جداً خلال حياتها الأرضيَّة وأن تفنى قريباً أو بعيداً في ذلك الذي يدعى موتاً. وسواء إذا دخلت الروح إلى الجسد مرَّة فقط أو مرّات متعددة، فلا يخلق ذلك فرقاً في خوف الأفراد، كما تقول. لأنّ أيّ إنسان يكون مجرَّداً من الإحساس يجب أن يخاف، إذا كان هو يمتلك معرفة ولا يستطيع أن يعطي تعليلاً لخلود الروح. إنّ هذا أو شيئاً مشابهاً له، أشتبه بأنه نظريتك، يا سيبس؛ وأنّني ردَّدتها عن قصد وتصميم أكثر من مرَّة كي لا يمكن لأيّ شيء أن يفلت منّا، ولكي تتمكّن من إضافة أو إنقاص أيّ شيء، إذا رغبت في ذلك.

سيبس: لكّنني بقدر ما أرى في الوقت الحاضر، فليس لديَّ أيّ شيء كي أضيف أو أنقص. إنّني أعني ما تقوله أنت وذلك ما أعنيه.

[صمت سقراط لفترة طويلة، وبدا أنه غاب في التأمّل العميق]، ثم قال أخيراً: إنّك تبرز سؤالاً بالغ الأهميّة، يا سيبس، سؤالاً يشمل الطبيعة ككلّ

وسبب المجيء إلى الوجود والإنقطاع عن أن تكون، والذي سأعطيك بشأنه خبرتي الخاصّة إذا أحببت؛ وإذا بدا أيٌّ شيءٍ من الذي أقوله أنَّه مساعِدٌ لك، يمكنك أن تستخدمه كي تتغلّب على الصعوبة التي تواجهك.

سيبس: إنّني سأحبّ كثيراً جداً لأسمع ما بحوزتك.

سقراط: سأخبرك إذن. عندما كنت فتىً، يا سيبس، كان لديَّ رغبة كبيرة لأعرف ذلك الفرع للفلسفة الطبيعيّة الذي يُسمَّى التحقيق والبحث في الطبيعة؛ كي أعرف أسباب الأشياء، ولماذا يكون الشيء ويُخلق أو يفنى. لقد بدا لي هذا على أنّه وظيفة سامية؛ وحَضَضْتُ نفسي على تأمّل مثل هذه الأسئلة: أيكون نموُّ الحيوانات نتيجةً لتعفّن ما وهو الذي يعاني منه مبدأ الحارّ والبارد، كما قال بعضهم؟ أوْ يكون الدّم هو العنصر الذي نفكّر بواسطته، أو الهواء، أو النار؟ أو أنّه لربّما لا شيء من هذا النوع - بل إنّه لربّما يكون الدماغ هو القوّة المولّدة للإدراك، لحاسّة السمع أو البصر والشمّ، ويمكن أن تأتي منه الذاكرة والرأي، وتأتي المعرفة من الذاكرة والرأي عند نيلهما الرسوخ والثبات. وذهبت لأفحص فسادها بعدئذ، ومن ثم ذهبت إلى الأشياء السماويّة والأرضية، واستنتجت أخيراً من نفسي بأنّني غير قادرٍ على القيام بهذه التحقيقات بشكلٍ تامّ ومطلق، كما سأبرهن لك بإقناع. فأنا انبهرت لها لدرجة أنَّ عينيَّ أصبحتا عمياوين بالنسبة للأشياء التي ظهرت إلى نفسي، وإلى الآخرين أيضاً، لأعرفها جيّداً تماماً. إنّني لم أتعلّم ما فكّرت به قبلاً عن الحقائق المبرهنة ذاتياً. كمثال، حقيقةً كهذه، فنموّ الإنسان، مثلاً هو نتيجة للأكل والشرب، لأنّه بعمليّة الهضم للطعام يُضاف اللحم إلى اللحم والعظم إلى العظم، وعندما يتلقّى كلّ نسيج نموّه الإلتحامي المناسب، بالعمليّة عينها، يصبح الجسم الصغير كبيراً بعدئذ. وهكذا يمسي الإنسان الصغير كبيراً. أليست هذه فكرة معقولة؟

سيبس: نعم، إنّني أعتقد ذلك.

سقراط: حسناً؛ لكن دعني أخبرك شيئاً ما أكثر. منذ مدّة تصوّرت أنّني فهمت المعنى للكثير والقليل جيّداً جداً؛ وحينما رأيت رجلاً كبيراً واقفاً بجانب رجلٍ صغير، توهّمت أنّ أحدهما كان أطول من الآخر بالرأس فقط، وكذلك مع الأحصنة بشكلٍ متشابه. ويبقى أكثر وضوحاً أنني بدأت أتصوّر أن العشرة أكثر من ثمانية لأنها تمتلك وحدتين إضافيتين، وأنّ المكعبين الإثنين هما أكثر من مكعّب واحد لأنّهما ضعفه.

سيبس: وما هي فكرتك الآن عن مسائل كهذه؟

سقراط: عليَّ أن أكون بعيداً جّداً عن التخيّل بأنّني عرفت السبب لأيٍّ منها، بالسّماء عليَّ فعل ذلك. فأنا لا أستطيع أن أقنع نفسي بأنّه عندما يُضاف واحد إلى واحد، إمّا الواحد الذي جُعِلت الإضافة له أو الواحد الذي أضيف إلى الآخر يصبح إثنين، أو أنّ الوحدتين المجموعتين معاً تخلقان إثنين بسبب عمليّة الجمع. إنّني لا أستطيع أن أفهم، كيف أنّهما حينما يُفصَلان أحدهما عن الآخر، فإنّ كلَّ واحد منهما كان واحداً وليس إثنين. وبعدُ، عندما يُحضران معاً، فإنّ مجرّد وضع واحدهما بجانب الآخر أو اتّحادهما ينبغي أن يكون سبب صيرورتهما معاً إثنين. ولا يمكنني أن أعتقد بأنّ قسمة الواحد هي الطريقة لخلق إثنين؛ إذ حينئذ سينتج السّبب المضاد التأثير أو النتيجة عينها. وكما في المثال السابق، فإنّ عملية الجمع أو وضع واحدهما بجانب الآخر كان السبب لخلق الإثنين. إنّ في هذا الفصل والطرح للواحد من الآخر سيكون السبب. لا ولست بقانعٍ بعد اليوم بأنّني أفهم كيف تأتي الوحدة إلى الوجود على الإطلاق، أو باختصار كيف يكون أيٌّ شيء آخر إمّا متولّداً أو فانياً أو موجوداً، ما دام هذا هو المنهج لفهم الموضوع؛ لكنّي أمتلك في عقلي فكرة ما مضطّربة لمنهجٍ جديد، ولا أستطيع أن أقبل بالأخرى قطّ.

سمعت بعدئذ شخصاً ما قارئاً من كتابٍ لأناكساغوراس، يقول فيه إنّ العقل هو منظم الجميع، وابتهجت بهذه الفكرة التي بدت رائعة تماماً، وقلت لنفسي: إذا كان العقل هو المنظِّم، فهو سينظِّمها كلّها للأفضل، ويصنع كلّ ما هو هامّ في المكان الأحسن. وجادلت أنّه إذا رغب أيّ شخص أن يكتشف سبب الولادة والفناء أو لوجود أيّ شيء، ينبغي عليه أن يكتشف أيّة حالة للوجود أو الفعل أو المعاناة كانت الأفضل لذلك الشيء، ولهذا السبب فالإنسان كان عليه أن يعتبر ويتأمل ملياً فقط ما هو الأفضل والمرغوب الأكثر للشيء نفسه وللأشياء الأخرى كلها، وحينئذ يجب عليه أن يعرف الأسوأ أيضاً بالضرورة، بما أنَّ العلم عينه أدركها كلها. فرحت باعتقادي بأنّني وجدت في أناكساغوراس معلّماً لأسباب الوجود كما رغبت، لأنّه حاور بهذه الطريقة، وتصوّرت أنّه سيخبرني بادىء ذي بدء لو كانت الأرض مسطحةٍ أو كروية وبعد إخباري هذا، سوف يتقدّم ليشرح السبب والضرورة لكون هذا على ما هو عليه، مبتدئاً من الخير الأعظم، وموضحاً أنّه أفضل للأرض أن تكون كما هي؛ وإذا قال إنَّ الأرض كانت في المركز، فلسوف يشرح أبعد من ذلك وهو أنَّ هذا الموقع كان الأفضل لها، وعليَّ أن أقتنع بدوري بهذا الشرح المُعطى، ولا أريد أيّ نوع آخر من أنواع السبب. واعتقدت بأنّني سأثابر وأسأله بعدئذ عن الشمس والقمر والنجوم، وأنّه سيشرح لي سرعتها المقارنة، وعودتها وحالاتها المتنوعة، الإيجابيّة منها والسلبية؛ وفي أيّة طريقة كانت كلّها للأفضل لأنّني لم أستطع أنْ أتصوَّر أنّه عندما تكلَّم عن العقل كمنظم لها، بأنّه سيعطي أيَّ تعليلٍ آخر لوجودها كما هي، سوى أنَّ هذا التعليل هو الأفضل؛ واعتقدت أنّه بينما شرح لي بالتفصيل السبب لكلّ منها وماذا كان الأصح لها جمعاً، اعتقدت أن هذه الآمال والتمنيات التي راودتني ما كان عليَّ أن أبيعها بمقدارٍ كبيرٍ

من المال. والتقطت الكتب وبدأت قراءتها بأقصى سرعة أقدر عليها من شوقي لمعرفة الأفضل والأسوأ.

كم كانت آمالي عالية، وكيف فُقِدَتْ مني بسرعة! عندما تقدَّمت في قراءَتها، وجدتُ أنّ فيلسوفي هذا قدَ تخلّى عن العقل ونبذه بكلّ ما في الكلمة من معنى ولم يحتكم لأيّ مبدأ آخر للنظام، بل التجأ إلى الهواء، والأثير، والماء، والعديد من الشواذات الأخرى. يمكنني أن أقارنه بشخصٍ بدأ بالتأكيد أنَّ العقل هو السبب في أعمال سقراط بشكلٍ عامّ، لكنّه، عندما سعى ليعلِّل أسباب أعمالي المتعددة بالتفصيل، واصل ليبيِّن بأنّني أجلس لأنّ جسدي مصنوع من العظام والألياف اللحميَّة، وأنّ العظام، كما سيقول، هي صلبة ولها مفاصل تفصلها عن بعضها، وأنّ الألياف اللحميَّة مرنة وقابلة للتمدّد وتغطِّي العظام، لها غطاءٌ أوْ محيطٌ من البشرة والجلد اللذين يحتويانها. وبما أنَّ العظام تدور في تجويفها، من خلال انقباض أو انبساط الألياف اللحميَّة، فإنّني أقدر على أن ألوي أو أثني أوصالي، ومصداقه هنا جلوسي في وضعٍ منحنٍ ـ إنّ هذا هو ما سيقوله؛ وسيمتلك هو تعليلاً مماثلاً لكلامي معكم، والذي سيعزوه إلى الصوت، والهواء، والسمع، وسينسب هو عشرة آلاف سبب آخر من النوع عينه، ناسياً ذكر السبب الحقيقيّ، وهو، أنَّ الأثينيين يعتقدون أنّه من الأفضل أن يدينونيِ؛ ووفقاً لذلك اعتقدت أنا أنّه لمن الأفضل والأكثر جودة وصلاحاً أن أبقى هنا وأتحمَّل الحكم عليّ لأنّني أتوقع بقوة أنّ هذه الألياف اللحميَّة التي تخصُّني قد تكون منذ فترة خلت في ميغارا أو بويتيا، مولودة هناك بفكرتها الخاصّة لِمَا كان الأفضل، إذا لم أعتقد أنّه كان أكثر شرفاً وصحّةً وتكريماً لأصبر وأتحمَّل أية عقوبة أمرت بها الدولة بدلاً من الهرب إلى المنفى. هناك ارتباك غريب بالتأكيد للحالات والأسباب في كلّ هذا يمكن أن يقال. حقاً أنه لا يمكنني أن أنجز أو أقوم

بأغراضي بدون العظام والألياف اللحمية وأجزاء الجسم الأخرى. لكن لأقول في الوقت عينه أنني أفعل من العقل وأنّي أقوم بما أقوم به بسببه وليس باختيار ما هو أفضل، إنّ ذلك كلام غير مدروسٍ تماماً بصيغةٍ نهائيةٍ وهو كلام تافه، وأتعجب من أنّهم لا يستطيعون أن يميّزوا السبب عن الحالة التي بدونها لن يكون السبب سبباً على الإطلاق. أعتقد أنّ الأخيرة هي التي يتلمّسُها العديد في الظلام، ويخطئون فهمها ويخطئون بتسميتها « سبباً ». وهكذا يضع إنسان واحد الأرض داخل الدوران الكوني، ويثبّتها بالسماء؛ ويمنح آخر الهواء كدعمٍ للأرض، الذي هو نوع من النسيج الممتدّ. هُمْ لا يبحثون أبداً عن القوّة التي تنظمها كما هي نحو الأفضل. وبدلاً من عزوها إلى أيّة قوّة إلهيّة جبّارة، يتوقّعون هم بالأحرى أن يكتشفوا نصف إله آخر يكون أقوى وأكثر بقاءً من هذا النصف إلهِ الأرضي، وأفضل قدرة على جعل كلّ الأشياء متماسكة. إنّ ذلك هو الخير والحق صدقاً الذي يربط ويوحّد ويوثّق الأشياء معاً، وهُمْ لا يتأمّلون هذا مليّاً. هكذا يكون إذن مبدأ السببيّة والذي سأسرُّ إذا ما كان سيعلّمني إيّاه أيُّ شخص. لكن بما أنّني أخفقت إمّا في اكتشافه بنفسي، أو في تعلّمه من أيّ إنسان آخر، فإنّني سأعرض لك، إذا أحببت، المنهج الذي اتبعته كأسلوب ثانٍ أفضل للتساؤل والتحقيق في السبب.

سيبس: يسرّني أن أسمع كثيراً جداً.

تابع سقراط: ـ فكّرت بما أنّني أخفقت في درس الأشياء الماديّة، لذلك ينبغي عليَّ أن أحترس من أنْ لا أفقد عين روحي، مثلما يمكن للناس أن يؤذوا عيونهم الشحميّة بالمراقبة والتحديق في الشمس أثناء الكسوف ما لم يتّخذوا التدابير الوقائيّة بالنظر إلى الصورة المعكوسة في الماء فقط، أو في واسطة أخرى مشابهة. خشيت في حالتي الخاصّة كذلك من أنَّ روحي يمكن أن تعمى

كليّةً إذا تطلّعتُ في أشياء بعينيّ أو حاولتُ أن أفهمها أو أدركها بمساعدة حواسّي الخاصة. وفكّرت أنّه كان من الأفضل لي أنْ أنسحب إلى مجال العقل والتعقّل، وأبحث عن حقيقة الوجود هناك. أجرؤ على القول إنّ التشبيه البلاغي ليس تشبيهاً كاملاً ـ فأنا لا أوافق تماماً على أنّ من يتأمّل الأشياء من خلال أداة الفكر، يراها فقط « من خلال زجاجةٍ بظلام ». أكثر من هذا كان المنهج الذي تبنّيته إنّني افترضت فرضيّة أولية حكمتُ عليها أنّها الفرضيّة الأقوى، وبعدئذ أكّدتها كحقيقة مهما بدا أنه يتفّق معها، سواء أكانت ترتبط بمسبّبها أو بأي شيء آخر يختلف عن ذلك اعتبرته وكأنّه غير حقيقي. لكنّني أريد أن أوضح معناي بشكلٍ أكثر جلاءً، ما دمت لا أعتقد أنّك فهمتني حتى الآن.

سيبس: لا حقاً، ليس جيّداً تماماً.

سقراط: لا شيءَ جديداً، فيما أنا على وشك أن أقوله لك؛ لكن ما قد كررته دائماً فقط وفي كلّ مكان من البحث السابق وكذلك في مناسبات أخرى: سأحاول أن أبيّن لك نوعيّة السببيّة التي شغلت أفكاري. عليَّ أن أعود إلى تلك النظريّات المألوفة، والتي هي على كل شفةٍ ولسان، وأن أفترض بأنّه يوجد جمال مطلق وخير وعظمة قبل كلّ شيء، وآمل أن أبيّن لك طبيعة السبب، وأن أبرهن خلود الروح.

سيبس: يمكنك أن تتابع حالاً وتقدّم البرهان لأنّني أمنحك هذا.

سقراط: حسناً، سأحبّ أن أعرف إذن إذا ما كنت تتّفق معي في الخطوة القادمة؛ فأنا لا سبيل لي إلاّ أنْ أفكّر أنه إذا كان أيّ شيءٍ جميلٍ غيراً من الجمال المطلق فهو يكون جميلاً بقدر ما يشترك في الجمال المطلق ـ وعليَّ أن أقول الشيء عينه عن كلّ شيء. هل توافق على فكرة السبب هذه؟

سيبس: نعم، إنّني أوافق.

تابع سقراط يقول: أنا لا أبحث بعد اليوم ولا أستطيع أن أفهم، تلك الأسباب الأخرى الصريحة الزعومة، وإذا قال شخص لي أنّ رَيَعان اللون، أو الشكل، أو أيّ شيء آخر، هو مصدر الجمال، فإنّني أنبذ كلَّ ذلك الذي يُعتبر باعث قلقٍ لي. وبكلّ بساطة وعلى انفراد، ولربّما بكلّ غباوة، أتمسّك وأؤكّد في عقلي الخاص أن لا شيء يجعل شيئاً جميلاً بل الوجود أو المشاركة للجمال في أيّة طريقة أو أسلوبٍ مهما كان. لكن بالنسبة للأسلوب فإنّي لست متأكّداً، لكنني أجادل وأناضل بشجاعة وجرأة وأقول إنّه بالجمال تصبح كل الأشياء الجميلة جميلة. يبدو لي هذا أنّه الجواب الأسلم الذي يمكنني إعطاؤه لنفسي أو للآخرين، وبهذا أنا أتمسّك وبه ألتصق، وكلي قناعة أنَّ هذا المبدأ لن يُقهر أو يسقط، ويمكنني الإجابة بذلك لنفسي أو لأيّ شخصٍ يسأل سؤالاً وبأمان، وهو أنّه بالجمال تصبح الأشياء الجميلة جميلة كلّها. ألا توافقني؟

سيبس: إنّي أفعل.

سقراط: وبالعظمة تصبح الأشياء العظيمة عظيمة وأعظم وأعظم، وتمسي بالصغر أقلّ وأقلّ.

سيبس: حقاً.

سقراط: إذا قال أيّ شخص إذن، إنّ « أ » هو أطول من « ب » بالرأس، وإنّ « ب » أقل من « أ » بالرأس، فسترفض أنت أن تعترف بهذا البسط، وستجادل وتناضل بشجاعة أنّ ما تعنيه هو أنَّ الأكبر يكون أكبر بالكبر وبسببه فقط، وأن الأقلّ يكون بالصغر وبسببه فقط. أتصوّر بأنّك ستخاف من المحاورة المضادّة تلك إذا كان الأكبر أكبرَ والأقلّ أقلّ بالرأس. إذن، وبادىء ذي بدء، فإنّ الأكبر يكون أكبر والأقلّ أقلّ بالشيء عينه؛ وثانياً، يكون الإنسان الأكبر أكبر بالرأس والذي هو عينه يكون صغيراً. وهكذا

فأنت تحصل على شيءٍ منافٍ للعقل والمنطق وبالغ السخافة وهو أنَّ إنساناً يكون كبيراً بشيءٍ ما صغير. إنّك ستخاف من قول هذا، أليس كذلك؟

سيبس: [ضاحكاً] إنّي سأخاف منه.

سقراط: في نمطٍ مماثل ستعتقد أنت بأنّ من الخطر أنّ تقول إنّ العشرة تتعدّى الثمانية بالاثنين وبسببهما؛ لكن ستقول بالعدد وبسببه؛ أو أنّك ستقول إنّ مكعبين إثنين يتجاوزان مكعباً واحداً ليس بالنصف، بل بالعِظَم والضخامة، لأنّ الخطر عينه موجودٌ في كلّ هذه الحالات.

سيبس: حقيقيّ جداً.

سقراط: ألن تحترس مرة ثانية من التأكيد أنَّ إضافة واحد إلى واحد، أو القسمة للواحد، تكون سبب الإثنين؟ وأنت سوف تؤكّد بجزم أيّة طريقة أخرى يأتي فيها أيّ شيء إلى الوجود ما عدا بالاشتراك في الحقيقة المميّزة لذلك الذي تشترك فيه، وبالتالي، بقدر ما أعرف، فإن السبب الوحيد للإثنين هو الاشتراك في الرقم المزدوج أو المثنّى ـ هذه هي الطريقة لإيجاد إثنين، وأنّ الاشتراك في الوحدة هو الطريقة لإيجاد الواحد. ستقول أنت: « إنّني سأدع جانباً كلّ حدَّة الذهن مثل القسمة والجمع هذا ـ يمكن لرؤوسٍ حكيمةٍ أعقل مني أن تجيب عليها، وغير مطّلع وغير خبير مثلي، وكما يقول المثل، جاهزاً لأبدأ من ظلّي الخاص. فأنا لا أستطيع أن أقدّم وأعطي الأرضيَّة الأكيدة لحدَّة الذهن الأساسيّة ». وإذا ثبّتك أيّ شخص هناك بإحكام، فلن تتضايق منه، أو تجيبه إلى أن ترى إذا كانت النتائج التي تلي ستتّفق مع بعضها بعضاً أوْ لا، وعندما تحتاج لتعطي تعليلاً أبعد عن هذا الافتراض، فلسوف تهبه بالطريقة عينها وتفترض افتراضاً ما أعلى يبدو لك أنّه أفضل ما وُجِد إلى أن تصل إلى مكانٍ مريح ومقنع؛ وليس لأن تخلط المبدأ الجوهريّ الأساسيّ والنتائج معاً في تعقّلك، مثلما يفعل الجداليون ـ إذا أردت أن

تكتشف الوجود الحقيقي على الأقل. ليس أنّ هذا الارتباك يدلّ عليهم، هم الذين لا يعتنون أبداً ولا يفكّرون بشأن المسألة على الإطلاق بالاحتمال، لأنّهم يمتلكون الذكاء أو الطرافة ليُسرُّوا جيّداً بأنفسهم مهما يكن التشويش لأفكارهم شاملاً. أمّا أنت، إذا كنت فيلسوفاً، فستفعل كما أقول بالتأكيد.

قال سيمياس وسيبس: إنّ ما تقوله هو الأكثر حقيقة، يا سقراط. [نطقا ذلك في الحال].

ايخيكريتس: نعم، يا فيدون: وإنّني لا أتعجّب من موافقتهم. إنَّ أيَّ شخصٍ يمتلك الإدراك الأقلّ سيعترف بتعقّل وعقلانية سقراط الصافيين البديعين.

فيدون: بالتأكيد، يا ايخيكريتس؛ وهكذا كان شعور كلّ الرفاق الموجودين في ذلك الوقت.

ايخيكريتس: نعم، وكان هذا شعورنا بالتساوي نحن الذين لم نكن من مجموعتهم، وإنّنا لسامعون سردك للمحاورة الآن. لكن ماذا تلا ذلك؟

فيدون: بعد أن تمَّ الاعتراف بكلّ هذا، واتفقوا على ما قيل، وهو أنّ الأشكال توجد إفرادياً، وأنَّ الأشياء الأخرى تشترك فيها وتشتقّ أسماءَها منها، قال سقراط، إذا تذكّرت جيداً:

إنَّ هذه هي طريقتك في الكلام؛ وعندما تقول إنّ سيمياس أكبر من سقراط وأصغر من فيدون، ألاَ تؤكّد أن سيمياس هو أكبر وأصغر من كل منهما؟

سيمياس: نعم، إنّني أفعل.

سقراط: لكن يبقى أنّك تسمح بأنّ سيمياس لا يتجاوز سقراط في الحقيقة، كما يمكن للكلمات أن تدلّ ضمناً على ما يبدو، لأنّه يكون سيمياس بالضرورة، بل تسمح بذلك بسبب الحجم الذي صدف أنّه يمتلكه؛ كما يكون ذلك على الجانب الآخر بالضبط فهو لا يتعدّى سقراط لأنّه سقراط، بل بسبب أنَّ سقراط يحوز صِغراً عند مقارنته بكِبَر سيمياس.

سيمياس: صدقاً.

سقراط: وإذا تعدَّاه فِيدون في الحجم، فلا يكون هذا لأنّ فيدون هو فيدون، بل لأنَّ فيدون يمتلك كِبَراً بالنسبة إلى سيمياس، الذي هو أصغر منه بالمقارنة.

سيمياس: إنَّ ذلك لحقيقي.

سقراط: ويقال لهذا السبب إنّ سيمياس يكون صغيراً، ويقال بأنّه يكون كبيراً أيضاً لأنّه في وسطٍ بينهما، مسلِّماً صِغره ليتجاوزه كِبَرُ الواحد، ومُبدياً كِبَرهُ إلى الآخر ليتخطَّى صِغَر الآخر. [وأضاف ضاحكاً] إنّني أتكلّم وكأنّني كتاب، لكنّي أعتقد أنّ ما أقوله هو قول حقيقيّ.

سيمياس: أوافق.

سقراط: أتكلم كما أفعل لأنّي أريدك أن تّتفق معي في الاعتقاد ليس في أنَّ الكِبَر المطلق لن يكون كبيراً أو صغيراً في وقتٍ واحدٍ أبداً أيضاً، بل إنّ الكِبَر فينا لن يقبل الصغير أبداً أيضاً أو يوافق على أن يُتَجَاوز. وبدلاً من هذا، سيحدث واحد من شيئين إثنين، إمَّا أن ينقضي الكِبَر سريعاً وينكفىء من أمام ضدّه، الصغير، أو أنّه سيتوقّف عن الوجود بشكلٍ مسبق عند اقتراب ضدّه؛ لكنّه يرفض أن يصبح غيراً ممّا كان ببقائه وتلقّيه للصِغَر. كمثال، عندما أتلقّى وأقبل أنا بالصِّغَر أبقى كما كنت، وأكون الشخص ذاته وصغيراً. لكنّ الكِبَر لم يتنازل أو يتلطَّف ليصبح صغيراً. في نمطٍ مماثل فإنّ الصغر فينا يرفض أن يكون أو يصبح كبيراً؛ ولا يقدر أيّ ضدٍّ آخر يبقى الشيء عينه أن يكون أو يصبح ضدّه الخاص أبداً، بل إمَّا أن يبتعد أو يفنى في التغيير.

سيبس: تلك الفكرة هي فكرتي تماماً.

قال واحد من الرفاق، بعد هذا مباشرة، مع أنّني لا أتذكّر أيُّهُم بالضبط، قال: باسم السماء، أليس هذا هو النقيض المباشر لِمَا اعترفنا به مسبقاً وهو أنَّ

من الأكثر يأتي الأقلّ ومن الأقلّ الأكثر، وأنّ المتضادّات تولّدت من المتضادّات بكلّ بساطة؛ لكن يبدو أن هذا المبدأ قد تمَّ إنكاره الآن بشكلٍ كامل.

[أدار سقراط رأسه إلى المتكلّم واستمع له]. ثم قال: إنّني أحبّ جرأتك في تذكيرنا بهذا. غير أنّك لم تلاحظ أنّ هناك فرقاً في الحالتين. لقد قلنا حينها إنّ الشيء يأتي إلى الوجود من ضدّه. أمّا الآن، فإنّي أتكلّم عن المتضادّات الظاهرة للعيان وآخذها إمّا كما هي مفهومة بوضوح فينا أو كما توجد في أنفسها. نقول نحن إنَّ واحداً منها لا يمكنه أن يصبح الآخر قط؛ تكلّمنا حينئذ، يا صديقي، عن أشياء تكون فيها المتضادّات متلازمة أو متأصّلة والتي تعطي أسماءها لها؛ ولن تقبل هذه المتضادات الجوهرية، كما نؤكّد، لن تقبل بالتولّد أو النشوء في، أو خارج بعضها بعضاً. [ثم استدار إلى سيبس في الوقت عينه]، وقال: هل أنت مُحبَط أو قلقٌ، يا سيبس، من اعتراض صديقنا؟

سيبس: لا ليس بهذا الاعتراض الذي أبداه؛ ومع ذلك فأنا لا أستطيع أن أُنكر أنّني تشوّشت بالاعتراضات غالباً.

سقراط: نحن متفقون إذن بعد كلّ هذا، إنّ المضادّ لن يُضادّ نفسه بأيّة حالة؟

سيبس: إنّنا وافقنا على ذلك تماماً.

سقراط: وبرغم ذلك دعني أسألك مرّة أخرى أن تتأمل السؤال مليّاً من وجهة نظرٍ أخرى، وترى إذا ما كنت تتّفق معي. يوجد شيء تسمّيه حرارة، وشيء آخر تدعوه برودة.

سيبس: بدون ريب.

سقراط: لكن هل هما الشيء عينه مثل النار والثلج.

سيبس: لا بالتأكيد الأكثر.

سقراط: إنَّ الحرارة هي شيء غيرٌ من النار، والبرودة ليست الشيء عينه مع الثلج.

سيبس: نعم.

سقراط: وأنا أظنّ برغم ذلك أنّك توافق على أنّه عندما يتلقّى الثلج الحرارة، ودعنا نستعمل لغتنا المميَّزة، فلن يبقيا ثلجاً ولا حرارة؛ بل إمَّا سينكفىء الثلج أو يفنى لتتقدّم الحرارة.

سيبس: حقيقي تماماً.

سقراط: والنار أيضاً إمَّا أنها ستتراجع أو تفنى ليتقدّم البرد لكنّها لن تتلقّى البرد أبداً، ومع ذلك تُصِرُّ على بقائها كما كانت، وتكون هكذا ناراً وبَرْداً في الحال.

سيبس: إنّ ذلك لحقيقة.

سقراط: وفي بعض الحالات فإنّ إسم الشكل لا يكون ملازماً له بعلاقةٍ سببيَّة سرمديَّة بل بشيءٍ ما آخر، ليس الشكل أو الصورة، وبرغم ذلك فإنّه لا يوجد بدونها، ويكون مؤهلاً برغم هذا ليُسمَّى بذلك الإسم أيضاً. إنّني سأحاول أن أجعل هذا أوضح بمثال: إنَّ العدد المفرد يدعى بالإسم المفرد على الدوام.

سيبس: حقيقي تماماً.

سقراط: لكن أيكون هذا هو الشيء الوحيد الذي يُدعى مفرداً؟ هنا تكون نقطتي الرئيسيَّة. ألا توجد أشياء أخرى تمتلك إسمها الخاص، ويجب أن تُسمى مفردة مع ذلك، مع أنّها ليست الشيء عينه، كالمفرد، فهي لا تكون بدونه أبداً؟ أعني حالة كهذه مثل التي للعدد ثلاثة. هناك أمثلة أخرى كثيرة. خُذْ تلك الحالة. ألن تقول إنّ العدد ثلاثة يمكن أن يدعى باسمه الحقيقي، وأنْ يُسمَّى مفرداً أيضاً الذي لا يكون الشيء عينه مع الثلاثة؟ ويمكن أن يقال هذا ليس عن العدد ثلاثة فقط بل عن العدد خمسة أيضاً، وعن كل عدد

متعاقب ـ يكون كل منها مفرداً بدون كونه مفرداً؛ وفي الطريقة عينها العددان اثنان وأربعة، وكذلك السلسلة الأخرى للأعداد المتعاقبة، تحوز كل عدد مزدوج، بدون كونها مزدوجة. هل توافق؟

سيبس: طبعاً.

سقراط: سجّل بعدئذ النقطة الرئيسيّة التي أقصدها: لا يبدو أنّ المتضادّات الأساسيَّة يُقصي بعضها بعضاً فقط، بل تقصي الأشياء المادّية التي لا تكون متضادّة في أنفسها برغم ذلك، وهي تحتوي مضادات. أقول، إنّ هذه ترفض الصورة أو الشكل المضادّ لذلك المحتوى فيها بشكلٍ مماثل؛ وعندما تقترب منها فهي إمّا تهلك أو تنسحب. كمثال؛ ألن يتحمّل الرقم ثلاثة الإلغاء أو أيّ شيء أقرب من أن يتحوّل إلى عدد مزدوج، بينما يبقى ثلاثة؟

سيبس: حقيقي تماماً.

سقراط: وبرغم ذلك، فإنّ كلّ الأشكال المضادّة لا يطرد بعضها تقدّم بعض، بل هناك أشياء أخرى أيضاً تنسحب قبل اقتراب المضادّات.

سيبس: حقيقي جدا.

سقراط: إفترض أنّنا نسعى لنقرّر ما هي هذه الأشياء، إذا أمكن ذلك.

سيبس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: ألا تكون أشياء كهذه، التي تجبر أيّ شيء تمتلكه ليس أن يأخذ شكله أو صورته الخاصة به فقط، بل أن يأخذ أيضاً شكل المضادّ؟

سيبس: ماذا تعني؟

سقراط: أعني، كما قلت لتوّي، وكما أنا متأكّد من معرفته، وأنّ كلّ تلك الأشياء الممتلَكة بالشكل للعدد ثلاثة يجب أن لا تكون في العدد ثلاثة فقط، بل يلزم أن تكون مفردة أيضاً.

سيبس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وأشياء كهذه لن تقاسي أبداً التطفّل للشكل المضادّ لذلك الذي يعطي هذا الطابع أو الأثر.

سيبس: لا.

سقراط: وأُعطِيَ هذا الطابع بالشكل المفرد.

سيبس: نعم.

سقراط: ويضادّ المفرد المزدوج.

سيبس: حقاً.

سقراط: إذن فإنّ شكل العدد المزدوج لن يتطفَّل أبداً على العدد ثلاثة.

سيبس: لا.

سقراط: إذن فإنّ العدد ثلاثة ليس له أيّ جزءٍ في المزدوج.

سيبس: لا شيء.

سقراط: إذن فإنّ الثلاثيّ أو العدد ثلاثة لا يكون مزدوجاً.

سيبس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: لنَعُدْ إلى تعريفي السابق للأشياء التي ليست مضادّة إلى واحدٍ من الزوجين المتضادّين، ومع ذلك فهي لا تسمح بذلك المضاد ـ كما في المثل الذي أعطيناه، فإنّ العدد ثلاثة، مع أنّه ليس مضادّاً للعدد المزدوج، لا يسمح بأكثر من العدد المزدوج، بل يحضر المضادّ إلى العمل على الجانب الآخر دائماً؛ أو كما لا يتلقّى العدد إثنان العدد المفرد، أو النار البرودة ـ فمن هذه الأمثلة « وتوجد أمثلة عديدة منها » لربّما يمكنك أنْ تقدر على الوصول إلى الاستنتاج العامّ، وهو أنَّ المضادات لن تتلقى أو تتسلَّم المتضادّات، بل إنَّ لا شيء أيضاً يُحضِرُ مضادّاً سيقبل لِذلك بالمضادّ الذي يُحضره، في ذلك الذي أُحْضِر. ودعني هنا أُلخِّص ما قلته، إذ لا ضرر في الإعادة. إنّ العدد خمسة لن يقبل بالشكل للعدد المزدوج، أكثر من عشرة، الذي يكون

مضاعَفاً للعدد خمسة، والذي سيُقبل بالشكل للعدد المفرد. إنّ العدد المضاعف يمتلك نفسه مضادّاً مختلفاً، لكنه يرفض المفرد برغم ذلك تماماً. ولن تقبل الأجزاء في النسبة ٣: ٢ الشكل للكلّ بشكلٍ مماثل، ولا يقبل النصف أو الثلث، أو أيّة كسورٍ كهذه. إنّك ستوافق؟

سيبس: نعم، إنّني أوافق على ذلك بشكل تامّ، وأتعاون معك فيه.

سقراط: والآن، دعنا نبدأ مرّة ثانية؛ ولا تجب أنت على سؤالي بالكلمات التي أسأل بها، بل اتّبع مثالي. دعني لا أحوز الجواب القديم المأمون الذي تكلّمت عنه بادىء ذي بدء، بل إجابة أخرى مأمونة بشكلٍ متساوٍ، وهي التي تستنتج أنت حقيقتها ممّا قد قيل سابقاً. إذا ما سألتني « ما هي تلك الملازَمة التي تجعل الجسم حارّاً »؟ فإنّني سأجيبك ليست الحرارة، « هذا هو ما أسمّيه الجواب الآمن والغبيّ »، بل النار، إنّها إجابة أسمى ببعدٍ كثير، ونحن الآن في حالةٍ تمكّننا من إعطاء إجابة كهذه. أو إذا ما سألتني « لماذا يعتلّ الجسم »؟ فإنّني لن أقول من السقم، بل من الحمّى؛ وبدلاً من أن أقول إنّ المفرد هو سبب الأعداد المفردة، سأقول إنّ الواحد هو سببها. وهكذا عن الأشياء بشكلٍ عامّ، كما أجرؤ على القول إنّك ستفهم ما أعني بشكل تامّ وبدون إيراد أيّة أمثلة أبعد.

سيبس: نعم، إنّني أفهمك تماماً.

سقراط: أخبرني، إذن، ما هي الملازمة التي ستجعل الجسد حيّاً؟

سيبس: الروح.

سقراط: أوَ تكون هذه الحالة على الدوام؟

سيبس: نعم، طبعاً.

سقراط: إذن، فإنّ كلّ ما تحتلّه الروح، تأتي حاملةً له الحياة؟

سيبس: نعم، بالتأكيد.

سقراط: وهل يوجد أي ضدّ للحياة؟

سيبس: نعم.

سقراط: وما هو ذلك؟

سيبس: الموت.

سقراط: يتبع من استنتاجاتنا السابقة إذن أنَّ الروح لن تسمح بالمضادّ الذي تُحضر على الدوام؟

سيبس: مستحيل.

سقراط: والآن، ماذا دعونا لتوّنا منذ فترة ذلك الذي لا يقبل بالشكل المزدوج؟

سيبس: اللاّمزدوج.

سقراط: وذلك الذي لا يقبل بالموسيقي أو العادل؟

سيبس: اللاّموسيقي، واللاّعادل.

سقراط: وماذا نسمّي ذلك الذي لا يقبل بالموت؟

سيبس: الخالد.

سقراط: وهل تسلّم الروح بالموت؟

سيبس: لا.

سقراط: إذن فإنّ الروح تعتبر خالدة.

سيبس: نعم.

سقراط: وهل يمكننا أن نقول بأنّ هذا قد تمّ برهانه؟

سيبس: نعم، إنّه قد تمّ برهانه، بشكل جليّ يا سقراط.

سقراط: لنفترض أنَّ المفرد كان غير فانٍ بالضرورة، ألا يجب أن يكون العدد ثلاثة خالداً؟

سيبس: طبعاً.

سقراط: وإذا كان ذلك الذي يكون بارداً خالداً بالضرورة، وعندما تأتي الحرارة

وتهاجم الثلج، ألا يجب أن يعتزل الثلج كاملاً وغير مُذاب لأنّه لم يقدر على الاضمحلال قطّ، ولم يتمكن من البقاء والسماح بالحرارة مرّة ثانية؟

سيبس: صدقاً.

سقراط: مرّة ثانية، إذا لم يقدر ذلك الذي يُبرّد أن لا يهلك، فإنّ النار حينما يهاجمها البرد لن تفنى أو تخمد، بل ستذهب بعيداً غير متأثّرة به.

سيبس: بالتأكيد.

سقراط: ويمكن قول الشيء عينه عن الخالد. إذا كان الخالد باقياً أيضاً، فإنّ الروح عندما يهاجمها الموت لا يمكن أن تهلك؛ لأنّ المحاورة المتقدمة تُظهر أنّ الروح لن تقبل بالموت، أو أن تبقى كميتة، بأكثر ممّا سيبقى العدد ثلاثة أو العدد المفرد كعددٍ مزدوج، أو أن تكون النار، أو الحرارة في النار برداً. ومع ذلك يمكن لشخصٍ أن يقول: « لكن برغم أنّ المفرد لن يصبح مزدوجاً حتّى حين قدوم المزدوج، فلماذا لا يمكن للمفرد أن يفنى ويأخذ المزدوج مكان المفرد؟ ». والآن فنحن لا نقدر أن نجيب على من يبدي هذا الاعتراف على أنّ المفرد لا يفنى لأنّ هذه ليست هي الحقيقة. وإذا ما قبلناها كحقيقة، فما قد كان هناك صعوبة في التأكيد أنه عند قدوم المزدوج فإنّ المفرد والرقم ثلاثة قد سلك طريق المغادرة؛ وستثبت المحاورة عينها عن النار وعن أيّ شيء آخر بقوة.

سيبس: حقيقي تماماً.

سقراط: ويمكن قول الشيء عينه عن الخالد. إذا اتّفقنا أنّ الخالد يبقى أيضاً، حينئذ فإنّ الروح ستكون مثل الخالد تماماً غير فانية؛ وإلاّ، لا بدّ من إعطاء برهان آخر عن عدم اضمحلالها.

سيبس: لا حاجة لبرهانٍ آخر؛ لأنّه إذا كان الخالد، كونه باقياً، عرضةً لأن يفنى، عندئذ فإنّ لا شيء يبقى.

سقراط:؛ نعم، وأعتقد أنَّ كلَّ الرجال سيوافقون، على أنَّ الله، والصورة الجوهريَّة الضروريَّة للحياة، والخالدين بشكل عامّ، أعتقد أنّهم سيوافقون على أنّها باقية ولن تفنى أبداً.

سيبس: نعم، كلّ الرجال سيوافقون ـ إنّ هذه لحقيقة، والأكثر حقيقةً أنّ الآلهة سيفعلون ذلك، كما الرجال.

سقراط: وما دام الخالد هو لا يفنى، ألا يجب أن تبقى الروح أيضاً، إذا كانت خالدة؟

سيبس: الأكثر تأكيداً.

سقراط: إذن فإنّ الموت عندما يهاجم إنساناً، يمكن افتراض أنَّ الجزء الفاني أو البشريّ منه يموت، لكن الجزء الخالد ينكفىء أو ينسحب عند قدوم الموت ويُصان آمناً وغير فانٍ.

سيبس: نعم.

سقراط: إذن، فإنّ ما يتعدَّى السؤال، يا سيبس، أنَّ الروح خالدة ولا تفنى، وأنّ أرواحنا ستبقى وستوجد في العالم الآخر بحق!

سيبس: إنّني لمقتنع، يا سقراط، وليس لديَّ أيّ اعتراضٍ إضافيّ لأبديه؛ لكن إذا كان لصديقي سيمياس، أو أي شخص آخر أيّ اعتراض إضافيٌ ليبديه، فمن الأفضل أن يفصح عنه، وأن لا يبقى صامتاً، بما أنّني لا أعرف لأيَّة فترة أخرى يمكنه أن يرجىء البحث إذا لم يكن لديه أيّ شيء يريد أن يقوله أو أنه قد قاله.

سيمياس: لكن أنا أيضاً لا يمكنني أن أبدي سبباً للشكّ في نتيجة المحاورة. غير أنّني عندما أفكر كم يكون الموضوع عظيماً وكم هو الإنسان ضعيف بالمقارنة، فإنّي لا أزال أشعر ولا يمكنني التخلّص من الشكّ في عقلي الخاص.

سقراط: نعم، يا سيمياس، إنّ ما تقوله هو صحيح وجيِّد. ويمكنني أنْ أضيف أنَّ مبادئنا الأولى، حتى إذا بدت ثابتة وأكيدة لك، يجب تفحُّصها واختبارها بشكلٍ دقيق. وعند تحليلها بشكلٍ كافٍ، أتصوّر بأنّك ستتبع المحاورة عندئذ بقدر إمكانية الطاقة الإنسانيّة؛ وإذا ما تأكّدت من فعل هذا، فلا حاجة لأيّ تعميق إضافي.

سيمياس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: لكن حينئذ، أوه يا صديقي، إذا كانت الروح خالدة، حقاً، فأيَّة عناية سوف نقدِّم لها، ليس فقط فيما يخصّ القسم المسموح به لِمَا يُسمَّى الحياة من الزمن، بل للأبديَّة والسرمديَّة! إنَّ خطر إهمالها من وجهة النظر هذه يبدو الآن مرعباً ومميتاً حقاً. وإذا كان الموت نهاية الكلّ، فإنّ الموت قد يكون مصادفةً سعيدة وغير منتظرة للخبثاء. فهُمْ لم يكونوا أو قد كانوا سعداء للتخلّص من أجسادهم فقط، بل من شرورهم الخاصّة بالإضافة إلى أرواحهم. لكن الآن، بقدر ما تكون الروح خالدة بشكلٍ واضحٍ ومُبرهن، فلن تُعتق أو تتخلَّص من الشرّ إلاّ بالحصول على الفضيلة الأعلى والحكمة الأسمى. فالروح في رحلتها إلى العالم السفليّ، لا تصطحب أيّ شيء معها سوى التربية والتعليم؛ وقيل إنّ هذه إمَّا أن تفيد أو تؤذي المغادر بشكل عظيم، عند البداية المحدَّدة لرحلته إلى هناك.

إذ بعد الموت، كما يقولون، يُقاد كل فردٍ من قِبَل العبقريّ الذي قد خُصِّصَ له في الحياة، إلى مكانٍ محدَّد قد يُجمَّع فيه الأموات حقاً، لذلك فإنّهم بعد تقديمهم أو إحالتهم إلى المحاكمة ينتقلون إلى العالم السفليّ، تابعين الهادي الذي عُيِّن ليرشدهم ويقودهم من هذا العالم إلى العالم الآخر. وعند تلقِّيهم استحقاقهم وبقاءَهم لفترة محدَّدة، يُرجعهم هادٍ آخر مرة ثانية بعد عدَّة دورات من العصور. والآن فإنّ هذا الطريق إلى العالم الآخر ليس ممرّاً

مفرداً أو مستقيماً، كما يقول أخيل(٤٠) في التيليفوس - وإذا كان هذا كذلك فلن يُحتاج عندها لهادٍ أو مرشد، إذ لا أحد يمكنه أن يضلَّ هذا الطريق. لكن هناك العديد من الطرق المتفرقة والمنعطفات، كما أستنتج من الطقوس والشعائر الدينية والأضاحي التي تُقدَّم إلى الآلهة تحتياً في الأماكن حيث تلتقي طرقٌ ثلاثة على الأرض. تتبع الروح الحكيمة والنظاميّة هاديها المحدَّد أو المعيَّن وتعرف ما حولها. لكنّ الروح التي تريد الجسد، والتي قد ارتكبت وتهيَّجت بشأن الهيكل الميّت وعالم البصر، كما قصصتُ ذلك من قبل، فإنّها تُحمل بعيداً بعد عدَّة صراعاتٍ ومعاناة قاسية، يحملها مرافقها العبقري بالعنف زعجاً؛ وحين تصل إلى المكان حيث تجتمع الأرواح الأخرى، فإن كانت غير طاهرة وقامت بمآثر غير نقيّة وغير طاهرة، سواء إذا كانت تلك المآثر إعدامات غبيّة أو جرائم أخرى هي زميلات لهذه، والأعمال للأخوة في الجريمة، فإن كل شخص يهرب ويبتعد عن هذه الروح. لا أحد سيكون لها رفيقاً، ولا شخص سيكن لها هادياً، بل إنّها ستطوف وحيدة في أقصى درجات الكرب والضيق، حتّى تُنجزَ أوقاتٌ محدَّدة. وعندما تنتهي هذه الأوقات، فإنّها ستولد في مكانها الخاصّ المناسب بدون مقاومة. في المقابل يكون مرور كلّ روحٍ طاهرة وعادلة أثناء الحياة في رفقة وتحت هداية الآلهة ويكون لها بيتها الخاصّ المناسب أيضاً

وبعدُ فإنّ الأرض تمتلك مناطق مختلفة، وهي لا تتشابه تماماً في الطبيعة والمدى مع أفكار الجغرافيّين حقّاً، كما أعتقد بناءً على نصٍّ مستشهدٍ به لشخصٍ بدون اسم.

سيمياس: ماذا تعني، يا سقراط؟ لقد سمعت أنا عن أوصافٍ متعدّدة للأرض، غير أنّني لا أعرف، وسأحبّ كثيراً جدّاً سماع الوصف الذي توليه ثقتك.

سقراط: حسناً يا سيمياس، إنّها تحتاج بالكاد لفنّ غلوكوس ليعطيك وصفاً عنها؛

برغم ذلك فأنا لا أعرف أنّ فنّ غلوكوس يستطيع أن يبرهن حقيقة قصّتي، والتي لربّما لن أقدر على أن أبرهنها بنفسي، وحتى إذا استطعت، فإنّني أخشى، يا سيمياس، من أنّ حياتي سوف تأتي إلى نهايتها قبل أن تكتمل المحاورة. يمكنني أن أصف لك، على كلّ حال، صورة الأرض ومناطقها طبقاً لتصوّري عنها.

سيمياس: إنّ ذلك سيكون كافياً تماماً.

سقراط: حسناً، إذن، إنّ تصوري وفهمي هو أنّ الأرض جسم كروي في وسط السماوات. ولهذا السبب فهي ليست بحاجةٍ للهواء أو لأيّة قوة أخرى لتكون دعماً لها، بل هي باقية هناك ومُوقفَةٌ عن السقوط أو الانحراف لأيّة ناحية باستواء السماء المحيطة، وبقوّتها الموازَنة الخاصّة، لأنّ ذلك الذي يكون متوازناً، هو في الوسط ولذلك ينتشر بشكلٍ متساوٍ ولن يميل لأيّة ناحية في أيّة درجة، بل كونه متّصلاً بكل طرف بشكلٍ مماثل سيبقى ثابتاً، وغير منحرف.

سيمياس: إن وصفك هذا صحيح.

سقراط: أعتقد أيضاً أنّ الأرض رحبة جداً، وأنّنا نحن الذين نسكن في المنطقة الممتدّة من نهر فاسيس إلى أعمدة هرقل فإنّما نقيم في قسمٍ صغير حول البحر فقط، مثل النمل والضفادع حول المستنقع، وأنّه يوجد العديد من القاطنين الآخرين في أماكن أخرى متعدّدة مثل هذه الأماكن؛ لأنّه يوجد الكثير من التجاويف المتنوّعة الأشكال والأحجام في كلّ مكان على سطح الأرض، والتي تجمعت فيها المياه والضباب والهواء الأكثر انخفاضاً. لكنّ الأرض الحقيقيّة تكون صافية ومركّزة في السماء النقيّة - هناك الأنجم كذلك؛ وهي السماء التي قال عنها الخبراء الأكثر ثقةً بشكل عام إنّها الأثير، وتكون الأشياء الأخرى الرُسابة المتجمّعة في التجاويف السفلى. ونحن الذين

نعيش في هذه التجاويف تخدعُنا فكرةُ أنّنا نعيش فوق على سطح الأرض تماماً كما لو توهّم أيّ مخلوق يحيا في عمق البحر أنّه يعيش على سطح الماء، وأنّ البحر كان السماء التي من خلالها رأى هو الشمس والنجوم الأخرى، في حين أنّه لم يصعد إلى السطح قطّ بسبب عجزه ووهنه وبطئه وكسله، ولم يرفع رأسه عالياً ويرى، ولم يسمع أبداً من واحدٍ رأى، كم هو العالم أكثر نقاءً وجمالاً وعلوّاً من عالمه. وهكذا تكون حالتنا بالضبط. إنّنا نسكن في تجويف الأرض ونتوهّم أنّنا على سطحها؛ وندعو الهواء سماءً، ونتخيّل أنَّ النجوم تتحرّك فيها. لكن الحقيقة هي أنّه بسبب وهننا وكسلنا فنحن ممنوعون من الوصول إلى سطح الهواء لأنّه إذا استطاع أيّ إنسانٍ أن يصل إلى المدى الأقصى الخارجيّ، أو يتّخذ جناحي طائر ويصعد إلى الأعالي، فإنّه سيرى عالماً أبعد عندئذ، مثل السمكة التي تضع رأسها خارج الماء وترى هذا العالم. وإذا استطاعت طبيعة الإنسان أن تتحمّل هذا المشهد، فسيعترف أنَّ هذا العالم الآخر كان المكان للسماء الحقيقيّة والنور الحقيقيّ والأرض الحقيقيّة. إنَّ أرضنا، والأحجار، والمنطقة التي تحيط بنا بكاملها، هي فاسدة ومتآكلة، كما تتآكل كلّ الأحجار والأشياء الموجودة في البحر بالمياه الشديدة الملوحة؛ وليس لدى البحر أيّ نَماءٍ جديرٍ بالذكر أو متكامل، بل إنّه حتى حيث يلتقي باليابسة فإنَّ له تجويفات فقط، ورمال، وأراضٍ موحلة ليس لها نهاية، ولا يمكن مقارنتها بالمشاهد الأجمل لعالمنا بأيّة طريقة. ويبقى عالمنا هذا أقلَّ مقارنةً بالعالم الآخر. إن لم يُستخفَّ بأسطورتنا هذه، يا سيمياس، فإنّني أستطيع أن أخبرك عن واحدةٍ جديرة بالاستماع بشأن تلك الأرض العلويّة التي تكون تحت السماء.

سيمياس: ونحن، يا سقراط، سنكون مفتونين لنستمع إلى أسطورتك.

سقراط: إنَّ القصة، يا صديقي، هي كما يلي: إنّ الأرض الحقيقيّة، في المقام

الأوّل، تشبه في مظهرها واحدة من الكرات المصنوعة من اثنتي عشرة قطعة من الجلد. عند التطلع فيها من عَلٍ، نراها ملوَّنة بمزيجٍ من الألوان المختلفة مثل تلك الألوان التي يستعملها الرسامون على أرضنا وهي شبيهة بها في أسلوب عيّناتها. لكن هناك، فإنّ الأرض بمجملها مصنوعة منها، لكنّها أكثر ضياءً بمسافات بعيدة وأنقى من الألوان المستعملة على أرضنا. هناك لون أرجواني ذو لمعانٍ ورونق رائع. هناك أيضاً لون ذهبي متألّق أمّا اللون الأبيض الكائن في الأرض فهو أكثر بياضاً من أيّة طبشورة أو من الثلج. إنّ الأرض هذه مصنوعة من تلك الألوان الأخرى، وهي أكثر في العدد وأجمل ممّا رأته عين إنسانية على الإطلاق. إنّ التجاويف المحدَّدة « التي تكلّمت عنها سابقاً » ممتلئة بالهواء والماء ولها لون خاصّ بها، وتُرى مثل نور لامع وسط مزيجٍ من الألوان الأخرى. هكذا فإنّ كلّ الألوان تبدي مظهراً فريداً متواصلاً للتنوّع في الوحدة. وفي هذه المنطقة الجميلة فإنّ كلّ الأشياء التي تنمو: الأشجار، والأزهار، والفواكه، هي في درجة مماثلة أجمل من أيّة أشياء متشابهة هنا. هناك قمم فيها حجارة هي أنعم في درجة متشابهة، وأكثر شفافيّة، وأجمل في لونها من الأحجار الكريمة الأخرى التي نقدِّرها عالياً كالزمرد والعقيق الأحمر واليَشبِ وغيرها، والتي ما هي في الحقيقة إلاّ كراتٌ صغيرة جدّاً منها. السبب في ذلك أنّها نقيّة وليست مثل أحجارنا الثمينة المتآكلة أو الملوَّنة بالعناصر المالحة العَفِنة المحتشدة التي تُنتج قذارة وسقماً في الأرض والحجر، كما في الحيوان والنبات. إنّها جواهر الأرض العالي، التي تسطع أيضاً بالذهب والفضّة وما شابه، وهي مصنوعة في نور النهار وضخمة ووافرة في كلّ مكان، جاعلة الأرض منظراً سارّاً لعيون الناظرين. هناك العديد من الحيوانات والرجال، يعيش بعضهم في الجزء الداخليّ، ويقطن البعض الآخر حول الهواء تماماً كما نسكن نحن هنا حول البحر؛ بينما

يعيش البعض في الجزء الذي يسري الهواء حوله، قرب البرّ الرئيسي. وبكلمة، فإنّهم يستعملون الهواء كما نستعمل نحن الماء والبحر هنا، ويمثّل الأثير لهم ما يمثل الهواء لنا. إضافة إلى ذلك، فإنّ لطاقة فصول السنة عندهم هي من الاعتدال بحيث إنّ أجسامهم لا تعتلّ، ويعيشون أكثر بكثير ممّا نعيش نحن ويمتلكون حاسّة البصر والسمع والذكاء وكل الملكات العقليّة الأخرى في تمامٍ وكمالٍ بأكثر ممّا نمتلكها نحن. كذلك فإنّ عندهم هياكل وأماكن عبادة مقدَّسة تسكن الآلهة فيها، وهم يسمعون أصواتهم ؛يتلقّون إجاباتهم ويشعرون بهم ويحادثونهم وجهاً لوجه؛ وهُمُ يرون الشمس، القمر، والنجوم كما هي بحقّ. وإنّ سعادتهم الروحيّة ونِعمَهم الأخرى هي قِسمٌ من هذه النِعَم.

هذه هي طبيعة الأرض ككلّ، والأشياء التي هي حولها؛ هناك مناطق متنوعة من التجاويف على سطح الكرة الأرضيّة في كلّ مكان، بعضها أعمق وأكثر امتداداً من تلك التي نسكن، والبعض الآخر أعمق لكنّه أقلّ اتّساعاً، وبعضها ضحلٌ وأوسع أيضاً، غير أنّها كلها لها ثقوبٌ متعدّدة. هناك ممرّات واسعة وضيّقة في داخل الأرض، واصلةً بعضها ببعض، ويتدفق منها ويدخل فيها الماء الجاري هناك وهو ماء غزير، مثلما هي حال أحواض الأنهار والبحار أو المحطيات، وجداول خفيّة ضخمة لأنهارٍ تدوم طوال السنة أيضاً. هناك ينابيع حارّة وباردة كذلك، ونار عظيمة، وأنهار كبيرة من النار، وجداول من الوحل السائل، رقيقة وكثيفة « مثل أنهار الوحل في جزيرة صقليّة؛ وجداول ممّا تقذفه حممم البراكين التي تتبعها ». أمّا المناطق التي يحدث أنّ تتدفّق حولها فهي ممتلئة بها. وهناك تمايل أو تأرجح في داخليّة الأرض التي تحرّك كل هذه صعوداً ونزولاً، وهذا ناشيء عن السبب الآتي: هناك صدعٌ أو فجوة هو الأوسع منها جميعاً ويخترق الأرض كلّا من أولها إلى آخرها؛ إنَّ

هذا الصدع هو الذي وصفه هوميروس بهذه الكلمات: « بعيداً جدّاً حيث يكون العمق الأوغل تحت الأرض »، والذي سمّاه هو في أماكن أخرى من عمله الشعريّ، كما سمّاه عدّةُ شعراء آخرين بالجحيم. وتُسبِّب هذا التأرجح الجداولُ المتدفّقةُ إلى هذا الصدع وخارجه. وكلٌّ منها له طبيعة الأرض التي يتدفّق منها. أمّا السبب الذي من أجله تتدفّق هذه الجداول على الدوام داخلاً وخارجاً، فهو أنَّ العنصر المائي ليس له أساس أو قاع، بل هو مُتَدَلٍّ ومندفعٌ صعوداً ونزولاً. ويفعل الريح والهواء المحيط الشيء عينه. إنّهما يتبعان الماء صعوداً أو نزولاً، باتّجاه الجانب الآخر من الأرض ثم العودة مرّة ثانية؛ وتماماً كما في عملية التنفّس، فإنّ الهواء يكون في عملية الشهيق والزفير دائماً، هكذا هو الريح المتأرجح مع الماء في الداخل والخارج محدثاً انفجاراتٍ مرعبة لا تُقاوم. عندما تنسحب المياه إلى المناطق السفلى، كما تسمّى، فإنّها تنساب في الجداول على الجهة البعيدة من الأرض، وتملأها مثلما يرتفع الماء في المضخّة، وبعدئذ حينما تغادر تلك المناطق وتعود مسرعة إلى هنا فإنها تملأ الجداول مرّة ثانية. وكون هذه ممتلئة، فإنّها تتدفّق من خلال القنوات الخفيّة تحت سطح الأرض وتجد طريقها إلى أماكنها المحدّدة، مشكّلةً البحار والبحيرات والأنهار والينابيع. ومن ثمّ هي تدخل الأرض مرّة ثانية، بعضها محدثٌ جولة دوريّة طويلة في أراضٍ كثيرة، بينما تذهب الأخرى إلى أماكن قليلة وليست ذات مسافة طويلة؛ وتهبط في الجحيم مرّة ثانية، بعضها في نقطة أكثر انخفاضاً، لكنّها جميعاً بدرجة أقلّ انخفاضاً من النقطة التي أتت منها؛ في حين أنَّ بعضها يسقط على الجانب المضادّ، وبعضها على الجانب نفسه. تحيط بعض الرياح بالأرض بانثناءٍ واحدٍ أو بعدّة انثناءات مثل طيّات الأفعى، وتهبط ثانية في الهوّة بعد هبوطها قدر ما تستطيع. إنَّ الأنهار التي تتدفق في كلتا الناحيتين يمكنها الهبوط إلى المركز

فقط وليس أبعد من ذلك، لأنّه سيكون على كلا الجانبين لمجراها اتجاه صعوديّ.

والآن فإنّ هذه الأنهار عديدة، وقويّة، ومتنوعة. هناك أربعة أنهار رئيسيّة منها، أعظمها وأقصاها يدعى أوقيانوس، وهو الذي يتدفّق دائرياً في دائرة. أمّا النهر الذي يضادّه بشكل قطريّ فهو آتشيرون، وهو نهر في الجحيم، الذي ينساب في اتّجاهٍ مضادٍّ ويمر في بحيرة آتشيروسيان. إنَّ هذه البحيرة تذهب إليها أرواح العديد بعد موتهم. وبعد انتظار لزمن محدد، هو أطول لبعضها وأقصر لبعضها الآخر، فإنّ هذه الأرواح تُرسَلُ عائدةً لتُولدَ كحيواناتٍ مرّة ثانية. أمّا النهر الثالث فهو يمرُّ بين هذين النهرين الإثنين ويصبّ قرب المكان المخرج في منطقةٍ ناريّةٍ واسعة ويشكّل بحيرةً أكبر من البحر الأبيض المتوسّط، ماؤها ووحلها يغليان؛ ويتقدم موحلاً ومضطّرباً، وملتفاً حول داخليّة الأرض، ثم يأتي من بين الأماكن الأخرى، إلى أطراف بحيرة آتشيروسيان، لكنّه لا يختلط مع مياه البحيرة. وبعد أن يدور عدَّة دورات حول الأرض يغوص في الجحيم بمستوىً أعمق. إنّ هذا النهر هو نهر بيريفلاكيثون، كما يُدعى الجدول الذي يقذف الحمم الملتهبة إلى أعلى في أجزاءٍ مختلفةٍ من الأرض. أمّا النهر الرابع فيخرج من الجهة المضادَّة ويسقط أولها جميعاً، كما يقال، يسقط في منطقةٍ مخيفة وقاسية، تأخذ لون الأزرق الغامق بمجملها، مثل حجر اللازورد السماويّ الزرقة؛ وتسمّى هذه المنطقة ستيجيان، وتدعى البحيرة الّتي تشكّلها مياهه المتدفّقة ستيكس. وبعد سقوطه في البحيرة وتلقّيه لقوىً غريبة في المياه يمرّ تحت الأرض منعطفاً باستدارةٍ عكس جهة بيريفلاكيثون ويلتقي معه في بحيرة استيروسيان في الجهة المقابلة. ولا يمتزج ماء هذا النهر مع أيّة مياه أخرى أيضاً، بل ينساب ماؤه دائرياً ويهبط في الجحيم فوق نهر بيرفلاكيثون وضدّه. أمّا إسم هذا النهر، كما يقول الشعراء، فهو كوكيتوس.

هذه هي طبيعة العالم الآخر. وعندما يصل الأموات إلى المكان الذي يقودهم إليه العبقريّ، كلٌّ بمفرده، يسلمون أنفسهم إلى المحاكمة قبل كلّ شيء، بقدر ما عاشوا بصلاحٍ وتقوى أو عكس ذلك. وهؤلاء الذي يبدون أنّهم لم يعَيشوا لا جيّداً ولا سيّئاً، يذهبون إلى نهر آتشيرون، ويمكننا أن نتخيّل أنّهم يركبون على متن القوارب التي وجدوها هناك، والتي ستحملهم إلى البحيرة، وهناك يسكنون ويُطهَّرون من أعمالهم السيّئة، ثم يُغفَرُ لهم بعد أن يُقاسوا عقوبة الأخطاء التي فعولها للآخرين ويتسلّمون الجوائز عن أعمالهم الخيِّرة، كُلٌّ منهم طبقاً لِمَا هو أهلٌ له. لكنّ أولئك الذين يبدون أنهم غير قابلين للشفاء بسبب عظم جرائمهم - الذين اقترفوا عدّة أعمالٍ مريعة بتدنيس المعابد والمقدَّسات الدينيَّة، والعديد من الجرائم الشنيعة والعنيفة، أو ما شابهها - فيقذف هؤلاء إلى الجحيم بعنف، الذي هو قدرهم المناسب، ولن يخرجوا منه أبداً. ويقذف في الجحيم مرّة ثانية هؤلاء الذين ارتكبوا الجرائم، والتي مع أنها كبيرة، ليست من النوع الذي لا يمكن معالجته - كمثال، الذين قاموا بأعمال عنيفة لأمٍّ لهم أم أبٍ في لحظة غضب، والذين ندموا على ذلك لبقية حيواتهم، أو الذين أزهقوا أرواح الآخرين تحت حالاتٍ مبرَّرةٍ حزئياً مثلها - ويُجبرون كذلك على مقاساة الآلام لمدَّة سنة، لكن الأمواج تقذفهم خارجه في نهايتها - القتل المجرَّد بطريقة كوكيتوس. أمّا قتلة آبائهم وأمهاتهم أو أحد أقربائهم الأدنين، وقاتل أمه وقاتلة أمّها فبطريق بيريفلاكيثون. وهُمُ يُولدون في بحيرة آتشيروسيان، ويرفعون أصواتهم هناك ويستدعون الضحايا الذين إمّا ذبحوهم أو أخطأوا بحقهم، كي يحوزوا عطفهم وشفقتهم، وأن يتلطفوا بهم، ويدعوهم كي يخرجوا من البحيرة. وإذا ما فازوا، فسيخرجون وينقطعون من قلقهم ومشاكلهم؛ وإلاّ فسيُحملون إلى الجحيم مرّة ثانية ومن ذلك المكان إلى

الأنهار بدون انقطاع، حتى يمنحهم الرحمة أولئك الذين إرتكبوا الأخطاء بحقّهم، لأنّ هذه هي العقوبة التي أنزلها عليها قضاتهم. لكنّ أولئك الذين كانوا سبّاقين في التقوى خلال حياتهم فيُعتقون من هذا السجن الأرضيّ، ويذهبون إلى بيتهم النقيّ الصافي الذي هو في الأعالي، ويسكنون على الأرض الحقيقية. ومن هؤلاء الذين طهّروا أنفسهم بالفلسفة كما ينبغي، يعيشون من الآن فصاعداً بدون الجسم تماماً، في منازل أجمل لا تزال، والتي لا يمكن وصفها بسهولة، ولا يسمح الوقت لي لأصفها الآن. ولذلك، يا سيمياس، بما أنّنا شاهدنا كلّ هذه الأشياء، ماذا ينبغي علينا فعله كي نتمكّن من الحصول على الفضيلة والحكمة في هذه الحياة؟ إنَّ الجائزة لعادلة، وإنَّ الأمل لعظيم!

لا ينبغي على إنّسانٍ ذي إدراك أنْ يجزم أنَّ الوصف الذي أعطيته عن الروح وعن منازلها هو حقيقيّ بالضبط؛ لكنّني أقول إنّه، بقدر ما تكون الروح مبيَّنةً أنّها خالدة، عليه أن يعتقد مجازفةً، ليس بدون تناسب أو بدون استحقاق، أنّ شيئاً ما من هذا النوع هو حقيقيّ. إنَّ المجازفة مجيدة ورائعة، ويلزمه أن يشجّع ويريح نفسه بكلماتٍ مثل هذه، والتي أطلْتُ قصّتي بسببها. ومن أجل ذلك، فإنّني أقول دع الإنسان يبتهج فيما يخصّ روحه، الإنسان الذي هجر ونبذ ملذّات الجسد وزخارفه كأشياء مغايرة وغريبة عليه والتي تسبب له الأذى بدلاً من الخير، الإنسان الذي نشد وطلب المعرفة؛ ونظّم الروح ليس في زخرفٍ غريبٍ ما، بل في جواهرها المناسبة الخاصّة: الاعتدال، والعدل، والشجاعة، والنبل، والحقيقة - في هذه تتحلّى الروح وتكون جاهزة لتواصل رحلتها إلى العالم السفليّ. أنتما، يا سيمياس وسيبس، وأنتم أيّها الآخرون، سترحلون في وقتٍ ما أو في وقتٍ آخر. أمّا أنا فجاهزٌ، كما يقول شاعر المأساة. إنَّ صوت القضاء والقدر يستدعيني. سأشرب السم

قريباً؛ وأعتقد بأنّ عليَّ أن أذهب لأغسل جسدي أوّلاً كي لا أزعج النساء بغسله بعد موتي.

قال كريتون، بعد أن أنهى سقراط كلامه: وهل لديك أيّة أوامر كي تصدرها لنا، يا سقراط ـ أيّ شيء لتقوله بشأن أطفالك، أو بخصوص أيّة مسألةٍ أخرى نقدر أن نقدِّم لك خدمة فيها؟

سقراط: لا شيء خاصّاً، يا كريتون، بل ما أخبرتكم إيّاه على الدوام: أن تهتمّوا بأنفسكم وتعتنوا بها، تلك هي الخدمة التي يمكنكم تقديمها لي ولمن يخصّني ولأنفسكم بشكل دائم، سواء أكنتم تعدونني بفعل ذلك أم لا، لكنّكم إذا لم تفكّروا بأنفسكم، ولم تهتموا بالسير في مسلك الحياة الذي أبنته لكم، وهذه ليست المرة الأولى، بل لمتابعةٍ سابقةٍ حثيثةٍ، إذن فإنكم مهما يمكن أن تكونوا جدِّيين في وعدكم بهذه اللحظة، فإنّ هذا التوجه لن يكون بذي نفعٍ أو فائدة.

كريتون: إنّنا سنفعل أفضل ما نقدر عليه. بأيّة طريقة سوف نتولّى دفن جسدك؟

سقراط: بأيّة طريقة تحبّ؛ لكنّكم بادىء ذي بدء، عليكم أن تُمسِكُوا بي، وأن تحاذروا كي لا أفلت منكم. [استدار إلينا بعدئذ، وأضاف قائلاً بابتسامة] إنّني لا أستطيع أن أجعل كريتون يصدِّق بأنّي أنا سقراط ذاته الذي قد تكلَّم وأدار المحاورة؛ يتوهّم هو بأنّني سقراط الآخر الذي سيراه قريباً جثّة هامدة ـ ويسأل حقاً، كيف سيواري جسدي؟ وبرغم ذلك فلقد قلت كلمات عديدة، وهي التي سعيت بواسطتها أن أبيِّن أنه عندما أشرب السّمّ فإنّي سأترككم وأذهب إلى السعادات المباركة ـ إنّ كلماتي هذه التي آسيتكم وآسيت نفسي بها، لم يكن لها أيّ تأثير على كريتون، كما أتصوَّر. ولهذا السبب، فأنا أريد منكم أن تكونوا كفلائي له الآن، كما كان هو كفيلي عند المحاكمة أمام القضاة. لكن اسمحوا لي أن يكون الوعد من نوعٍ

آخر: فهو كان كفيلي أمام القضاة في أن أبقى، وأنتم ينبغي أن تكونوا كفلائي في أن لا أبقى بل أن أبتعد وأرحل؛ وعندئذ فهو سيعاني أقلّ حين وفاتي، ولن يحزن عندما يرى جسدي محروقاً أو مدفوناً. إنّني لا أريده أن ييأس لقَدَري الصعب، أو أن يقول أثناء الدفن، هكذا نحن كفَّنّا سقراط، أو سنتبعه إلى القبر أو ندفنه، بل تأكّد جيداً، يا عزيزي كريتون، أنّ الكلمات المزيَّفة والباطلة ليست شرّاً في نفسها فقط، بل هي تُلوِّث وتُفسد الروح بالشرّ. لكن كن مبتهجاً وسعيداً آنئذ وقل بأنّكم تدفنون جسدي فقط، وافعلوا بذلك كلّ ما يكون اعتيادياً.

حينما تكلّم بهذه الكلمات، نهض وذهب إلى الحجرة يستحمّ. تبعه كريتون وطلب منا أن ننتظر، وهكذا بقينا نحن في المؤخّرة، وتكلّمنا وفكّرنا في موضوع النقاش، وفي جسيم خسارتنا أيضاً بغياب سقراط. إنّه كان مثل أبٍ وهو الذي سنفتقده، خاصّة وأنّنا على وشك أن نمضي بقيّة حيواتنا كاليتامى. بعد أن اغتسل أحضروا له أولاده ـ « كان لديه ابنان فتيان وآخر أكبر منهما قليلاً »؛ وأتت نساء عائلته أيضاً وتكلّم هو معهنّ وأعطاهنّ توجيهات قليلة في حضور كريتون؛ ثم دعاهنّ إلى الانصراف وعاد إلينا.

[اقتربت فترة الغروب، ومضى وقت ليس بقليل وسقراط في الداخل. وعندما خرج، جلس معنا مرّة ثانية بعد أن استحمّ، لكنّنا لم نقل شيئاً كثيراً. بعد ذلك بقليل دخل السجّان الذي وقف بجانبه، وقال: ـ إليك، يا سقراط أوجّه كلامي، بعد أن أمضيت ما أمضيته من وقتٍ هنا، أعرف بأنّك أنبل وألطف وأفضل من جميع الذين أتوا إلى هذا المكان على الإطلاق. إنّني لن ألصق تهمة بشعور الرجال الآخرين لغضبهم، والذين عندما آمرهم بشرب السمّ، في امتثالٍ لأوامر السلطات، يغتاظون منّي ويحنقون عليّ ويشتمونني ـ حقاً، إنّي لمتأكّد أنّك لست بغاضبٍ عليّ، لأنّ

الآخرين هم الملامون، كما تدرك، ولست أنا. وهكذا فإنّني أستودعك الله، وحاوِل أن تتحمَّل بسموٍّ ما هو بحاجةٍ للفعل وما ينبغي أن يكون. تعرف أنت مهمَّتي. إنفجر بالبكاء بعدئذ ثم استدار وهمّ بالخروج من المكان].

نظر سقراط إليه وقال: إنّني أقابلك بتمنيات الخير، وسأفعل كما تأمرني. إستدار إلينا آنئذ، وقال، كم هو مدهش هذا الإنسان: فمنذ كنت في السجن كان يأتي إليَّ ليراني، وكان يتكلّم معي بعض الأحيان، ويعاملني أحسن معاملة يمكن تأديتها. وانظروا الآن كم هو يتأسّف ويحزن بعمقٍ وسخاء من أجل قضيتي. يجب علينا أن نفعل ما يقول، يا كريتون، ولذلك دع الكأس تُجلَب، إذا كان السمّ جاهزاً، وإلاّ فدع الخادم يجهّز بعضه.

قال كريتون: لكنّ الشمس لا تزال على قمم المرتفعات، ولم تغرب بعد. إنّني أعرف العديد من الرجال الذين يتناولون الجرعة بعد وقتٍ طويلٍ من إبلاغهم بشرب السمّ، وبعد أن يأكلوا ويشربوا حتى الإمتلاء، وبعد أن يتمتَّعوا بالاجتماع إلى أصدقائهم المختارين؛ لا تتعجَّل ـ هناك متّسع من الوقت.

قال سقراط: نعم، يا كريتون، إنَّ من تتكلّم عنهم يقومون بعملٍ منطقيّ، وهم يعتقدون بأنّهم سيكونون الرابحين بالتأخير. لكن أنا أعمل بطريقةٍ منطقيَّة مماثلة بعدم اتِّباعي لمثلهم. فأنا لا أعتقد بأنّني سأكسب أيّ شيء بشربي للسمّ بعد قليل؛ بل سأكون مضحكاً في نظري لاستبقائي وإنقاذي لحياةٍ لم يعد منها إلاَّ الحثالة منذ وقتٍ مضى. من فضلك إذن أن تفعل كما أقول، وأن لا ترفض ذلك.

[أعطى كريتون. إشارة إلى الخادم، الذي كان منتظراً وذهب إلى الخارج. وبما أنّه قد غاب لبعض الوقت، عاد مع السجّان حاملاً فنجان السمّ]. قال سقراط: أنت، يا صديقي الطيّب الذي عندك خبرة في هذه المسائل، سوف

تعطيني التعليمات كيف سأتقدَّم. أجاب الرجل: ما عليك إلاَّ أن تسير بعد أن تشرب السمّ حتى تصبح رجلاك ثقيلتين واضطّجعْ بعدئذ، وسيقوم السمّ بعمله. [ناول الكأس إلى سقراط في الوقت عينه، الذي أخذه، بكلّ سهولة بألطف أسلوب، بدون أدنى خوف أو تغيير في اللون أو المحيَّا أو الصورة، ونظر إلى الرجل بانحرافٍ وبنظرته المازحة المعروفة]، وقال: ماذا تقول بخصوص سكب بعضٍ من هذا الفنجان تكريماً لأيٍّ إله؟ أيمكنني فعل ذلك، أو أنه لا يمكنني؟ أجاب الرجل: نحن نحضر من هذا السم، يا سقراط، ما نعتقد أنّه كافٍ لهذا الغرض تماماً. قال سقراط: إنّني أفهم ما تعني. لكن يمكنني، بل يجب عليَّ أو أودِّي صلاة للآلهة كي يجعلوا رحلتي ناجحة ومزدهرة من هذا العالم إلى العالم الآخر - حتّى هكذا - ولتكن هكذا طبقاً لصلاتي. كتم سقراط أنفاسه بعدئذ وشرب السمّ بكل استعداد تامّ وبفرح. وحتى تلك اللحظة فإنّ أكثرنا كان قد قدر على أن يضبط أحزانه؛ لكن بعد أن رأيناه يشرب السمّ، وشاهدنا أيضاً أنّه أنهى الجرعة كلّا، لم يعد باستطاعتنا أن نتحمَّل ونتجمَّل بالصبر. وبالرغم منّي فإنَّ دموعي انهمرت على خديَّ بغزارة؛ وهكذا غطَّيت وجهي وبكيت، ليس من أجله حقاً، بل من التفكير بكارثتي المفجعة في انفصالي عن صديق كهذا. ولم أكن أنا أوَّل من فعل هذا لأن كرتيون، عندما وجد نفسه بأنّه غير قادرٍ على أن يكبت دموعه، نهض من مكانه ومشى، ثم تبعته بعد ذلك. وفي تلك اللحظة، فإنّ أبولودوروس الذي بكى الوقت كلّه، انفجر في صراخٍ عالٍ ومشبوبٍ بالعاطفة حطَّمنا جميعاً. سقراط فقط حافظ على هدوئه وقال: ما هذا الصياح العالي؟ إنّني أبعدت النساء عن هذا المكان بشكلٍ رئيسي كي لا يتصرَّفنَ بهذه الطريقة، لأنَّني قد أُخبرتُ أنَّ على الإنسان أن يموت بسلام. كونوا هادئين إذن، وتحمَّلوا ذلك بثباتٍ وجَلَدٍ. خجلنا منه عندما

سمعنا كلماته، وحبسنا دموعنا. ثم مشى حتّى، كما قال هو، بدأت ساقاه تَهِنان وتضعفان، وتمدَّد على ظهره بعدئذ، طبقاً للتعليمات. نظر الرجل الذي أعطاه السمّ في قدميه وساقيه آنئذ، وبعد ذلك بقليل ضغط على قدمه بشدَّة، وسأله إن كان يستطيع أن يشعر؛ فقال لا، ثم ضغط على ساقه، وهكذا على كل أنحاء جسمه، وأرانا بأنّه أصبح بارداً وقاسياً، ولقد شعر هو بنفسه بذلك، وقال: عندما يصل السمّ إلى القلب، فستكون النهاية. وابتدأ ساعتئذ يمسي بارداً حول أصل الفخذ. وحينما أزاح الغطاء عن وجهه، لأنّه كان قد غطّاه، قال، وكانت تلك كلماته الأخيرة ـ قال: يا كريتون، إنّني مدينٌ بكوك لآيسوكلابيوس، هل ستتذكّر أنّ تدفع ديني هذا؟ إنَّ الدين سيُدفع، قال كريتون؛ أيوجد أيّ شيء آخر؟ لم يكن هناك جواب على هذا السؤال؛ لكن سُمِعَتْ حركة في دقيقة أو دقيقتين، وأزاح الخادم الغطاء عنه؛ كانت عيناه مفتوحتين. أطبقهما كرتيون كما أطبق فمه.

هكذا كانت يا ايخيكريتس، نهاية صديقنا؛ فيما يختصّ بالذي يمكننا أن نقول عنه بصدق أنّه كان الأعقل والأعدل والأفضل من كلّ الرجال الذين عرفناهم في زماننا.

الهوامش

(١)الالياذة

(٢) الالياذة

(٣) الالياذة

(٤) في الاساطير اليونانية، المكان المظلم تحت الارض الذي يمر من خلاله الموتى قبل ان يدخلوا الى الجحيم.

(٥) الاوديسي

(٦) الالياذة

(٧) الالياذة

(٨) الجمهورية

(٩) الاوديسي

(١٠) الاوديسي

(١١) الالياذة

(١٢) هيسيود، الاعمال والايام

(١٣) الالياذة

(١٤) اختصار لاسم ديوسيودوروس الطويل

(١٥) وحدة وزن او نقد قديمة

(١٦) نقد ذهبي او فضي قديم في دولة - مدينة اغريقية « المعرّب ».

(١٧) ارسطو، السياسة

(١٨) ثياتيتوس

(١٩) ارسطو. « المعرّب ».

(٢٠) ثيوجينز

(٢١) ثيوجينز

(٢٢) محاورة يوثيفرو

(٢٥) المينا، وحدة وزن قديمة تساوي ١ ـ ٢ باوند

(٢٦) في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، كانت الدراخما تساوي قوتها الشرائية بشكل عام، حوالي ١٤ شلنغ في العملة البريطانية الحاضرة. « المعرّب ».

(٢٧) هوميروس

(٢٨) ابولوجي

(٢٩) ابولوجي

(٣٠) فيدروس

(٣١) ابولوجي

(٣٢) زوجة سقراط

(٣٣) فيلولوس، فيلسوف فيثاغوري

(٣٤) الجمهورية

(٣٥) مينون

(٣٦) ابولوجي أو دفاع سقراط

(٣٧) الجمهورية

(٣٨) الجمهورية

(٣٩) آرغوس، مدينة قديمة في الشمال الشرقي من بلاد اليونان

(٤٠) كاتب مأساة يوناني، عاش من ٥٢٥ ـ ٤٥٦ق.م.

أفلاطون

المحاورات الكاملة

أفلاطون

المحاورات الكاملة

المجلد الرابع

محاورة كراتيلوس
محاورة سيمبوزيوم
محاورة هيبياس الكبرى
محاورة هيبياس الصغرى
محاورة مينيكسينوس
محاورة كريتياس

نقلها إلى العربية
شوقي داود تمراز

الأهلية للنشر والتوزيع

بيروت ١٩٩٤
إصدار: الأهلية للنشر والتوزيع
بيروت - الحمراء، بناية الدورادو
ص.ب: ١١٣٥٤٣٣ - هاتف: ٣٥٤١٥٧

المحتويات:

محاورة كراتيلوس

أصل الأسماء

أفكار المحاورة الرئيسيَّة

يوافق كلّ من كراتيلوس، رفيق هيراقليطوس، وهرموجينس، أخو كالياس السوفسطائيّ، يوافقان على إشراك سقراط في المحاورة الدائرة بينهما بشأن الأسماء. يقول كراتيلوس إنّ الأسماء تكون طبيعيَّة وليست اصطلاحيَّة، وإنها ليست جزءاً من الصوت الإنسانيّ الذي يتّفق الرجال على استعماله، بل إن هناك حقيقةً أو صحّة فيها هي الشيء عينه للهيلينيين والبربر على حدٍ سواء. يسأله هرموجينس بعد ذلك، إن كان اسمه ـ كراتيلوس ـ هو إسمٌ بحقّ أو لا، أو إن كان اسم سقراط إسماً حقيقيّاً كذلك؟ يستطرد كراتيلوس قائلاً: « إذا دعاك العالم كلّه هرموجينس فلن يكون ذلك الإسم إسمك »، وعندما يتملّك هرموجينس القلق كي يحوز شرحاً أَوضحَ مّما قاله كراتيلوس فإنّ الأخير يتهكّم ويلجأ إلى الإبهام. لذلك يلتمس هرموجينس من سقراط أن يخبره ماذا يعني الوحي الإلهيّ الذي يحلّ على سقراط، أو على الأصحّ أن يوضح له نظريّته الخاصة عن حقيقة أو صحّة الأسماء.

يجيبه سقراط: هناك قول قديم، وهو أنّ معرفة الخير صعبة، وما معرفة الأسماء إلا جزءٌ مهمٌّ من المعرفة. لو لم أكن فقيراً لأمكنني حضور الدورة التعليميّة لبروديكوس العظيم في علم الصّرف والنّحو واللّغة والتي تكلف خمسين دراخما، وسأكون عندئذ قادراً على إجابتك على سؤالك بخصوص صحّة الأسماء في الحال. ولهذا السبب فإنّني لا أعرف الحقيقة بشأن تلك المسائل. وبرغم هذا، فإنّني سأساعدك وأساعد كراتيلوس على التحقيق فيها بكلّ سرور. عندما يعلن هو إسمك

ويقول إنّه ليس هرموجينس بحقّ، أشتبه أنّه يمزح معك؛ يعني هو أنّك لست الإبن الحقيقيّ لهرمس لأنّك تبحث للحصول على مالٍ وفير على الدوام ولا يحالفك الحظّ قطّ. ومهما يكن، فسنرى إذا كان من الأفضل لنا أن نحقّق في أيّة النظريتين هي الأفضل، نظريّتك أو نظريّة كراتيلوس، وسنساهم جميعاً في ذلك بما نملك من قدرات. يقول هرموجينس، بعد ذلك، إنّه لا يستطيع أن يقنع نفسه أن هناك قاعدةً للصحّة في الأسماء غيراً من التقليد والاتّفاق، وأنّ أيّ إسمٍ يعطيه الشخص يكون الإسم الحقيقيّ لأنّه لا يوجد إسم ممنوح لأيّ شيء بالطبيعة بل إنّ كلّ الأسماء تكون عرفاً أو عادة عند مستخدميها. لكنّي سأكون سعيداً لأسمع وأتعلم من كراتيلوس، أو من أيّ شخص آخر في هذا الموضوع.

أجاب سقراط: أجرؤ على القول إنّه من الممكن أن تكون على حقّ فيما تقول، يا هرموجينس، وما تعنيه هو أنّ اسم كل يكون ذلك الذي يتّفق أيّ شخص على تسميته. نعم، يا سقراط، لكن إذا سُمّي الإنسانُ حصاناً أو الحصان إنساناً، فهل تعني أنّ الإنسان سيدعى حصاناً بحقّ، ويدعوه باقي العالمْ إنساناً بصدق؟ لكن ماذا عن الحقيقة حينئذ، يا هرموجينس، وهل ستعترف بأنّه يوجد معنى في الكلام عن البيان أو العرض الحقيقيّ أو الخاطىء؟ تعترف أنت إذن، أن هناك افتراضاتٍ حقيقيّة وأخرى باطلة. وما الافتراض الحقيقيّ إلا ذلك الافتراض الذي يكون كما هو، وأمّا الافتراض الخاطىء فإنّه يكون عكس ذلك ... إذن فإنّ كلامنا يمكنه أن يصوّر أو يعلن أشياء تكون أو لا تكون. بدون ريب، يا سقراط. وهل يكون الافتراض الصحيح كلّيّاً فقط، يا هرموجينس في حين أنّ الأجزاء ليست كذلك؟ وهل يحلّل الافتراض أو الخير إلى أيّ جزء أصغر من الإسم؟ لا إنّ الإسم يكون جزءاً من الافتراض الحقيقيّ، بل إنّه جزء أساسيّ، أمّا الجزء من التزييف فهو جزءٌ باطلٌ. وبناء عليه، فإذا أمكن للافتراضات أن تكون حقيقيّة ومزيّفة يمكن أن تكون الأسماء كذلك. لكن، يا هرموجينس، هل ستوجد أسماء

متعدّدة لكلِّ شيء كذلك يقول بوجودها كلّ شخص؟ وهل ستكون تلك الأسماء أسماءً حقيقيّة وقت التفوّه بها؟ نعم، يا سقراط، ولا أستطيع أن أتصوّر صحّةً للأسماء غيراً من هذا. أنت تعطي إسماً واحداً، وأنا أهب إسماً آخر. ولكن هل ستقول إنّ الأشياء تختلف كما تختلف الأسماء؟ وهل هي نسبيّة، كما يخبرنا بروتاغوراس؟ فهو يقول إن الإنسان هو مقياس كلّ شيء، وإنّ الاشياء تكون كما تبدو لي، وإنّها تكون لك مثلما تتّضح لك؟ هل تتفق معه، أو أنّك ستقول إنّ الأشياء تمتلك جوهراً دائماً خاصّاً بها؟ لقد حدث منذ زمن، يا سقراط، عندما أُجبرت على اللجوء لبروتاغوراس، لكن ليس معنى ذلك أنّني أتّفق معه بشكل كامل. وهل أُجبرتُ على أن تعترف بأنّه يوجد هكذا شيء كالرجل الشرّير؟ لا، يا سقراط، بل كان لديَّ سببٌ لأعتقد بأنّ هناك رجالاً أشراراً جدّاً، وكذلك هناك منهم أخيار عديدون، وليس من الأخيار جدّاً. وأعترف بأنّ الأخيار جدّاً كانوا العقلاء الفعليّين، وأنّ الأشرار جدّاً كانوا الأغبياء الفعليّين، وهذا ينقض ما قاله بروتاغوراس من أنّ الحقيقة تكون كما تظهر لأيِّ شخص، وأنّ الإنسان هو مقياس كلِّ شيء، ويدحض كذلك ما قاله يوثيديموس بأنّ كلَّ الأشياء تخصُّ كل الرجال بشكلٍ متساوٍ وفي اللحظة عينها. إذن فإنّ ما قالاه ليس قولاً صحيحاً، يا هرموجينس، وإنّ كلَّ الأشياء ليست نسبيّة للأفراد، وإنّها كلُّها لا تخصُّ الجميع بشكلٍ متساوٍ دائماً، وفي اللحظة عينها. يجب افتراض أنّها تمتلك جوهرها الدائم المناسب الذي يخصّها، ولا تتقلّب حسب أوهامنا وميولنا، بل إنّها مستقلّة وتُبقِي لجوهرها الخاصّ بها النسبة الموصوفة بالطبيعة. أعتقد، يا سقراط، أنّك نطقت بالحقّ. أليستِ الأفعالُ نوعاً من أنواع الوجود أيضاً، يا هرموجينس؟ وتفعل طبقاً لطبيعتها المناسبة وليس طبقاً لرأينا عنها. كمثال، عندما نشرع نحن في قطع شيء ما، هل نقدر على القيام بهذا العمل بالطريقة التي تسرّنا وبالأداة التي تصادفنا، أو أنّنا سننجح إذا قطعنا بالأداة المناسبة، وطبقاً لعملية القطع الطبيعية؟ لكن إذا فعلنا

عكس ذلك فإنّنا لن نحقّق شيئاً. وسبب ذلك أنّ كلّ طريقة لا تكون الطريقة الصحيحة لفعل ذلك، بل إنّ الطريقة الصحيحة هي الطريقة الطبيعية، وإنّ الأداة الصحيحة هي الأداة الطبيعية. ويصحّ هذا جيداً عن كلّ الأعمال وعن الكلام كذلك. أوليست التسمية جزءاً من الكلام، لأنّ الرجال يتكلّمون في إعطائهم الأسماء؟ أليست التسمية نوعاً من الفعل، وهذه الأفعال لم تكن نسبيّة بل إنّ لها طبيعة خصوصية وخاصّة بها؟ أمّا المحاورة فستقودنا لاستنتاج أنّ الأسماء ينبغي أن تُعطى طبقاً لعملية طبيعيّة وبأداة مناسبة وليس كما يسرّنا؟ وهكذا بالنسبة إلى القطع والحياكة وثقب الأشياء، فنحن نقطع بالسكّين، ونحيك بالمكّوك، ونثقب بالمخرز، ويسمى ذلك الذي نسمّي به إسماً وهو أداة. ونقول عن المكّوك، مثلاً، إنّه أداة حياكة، ونحن نقوم بفصل السّداة عن اللّحمة عندما نحيك. إنّ كل ما تقوله هو قول حقيقي، يا سقراط. وافترض الآن، يا هرموجينس، أنّني أسألك سؤالاً مشابهاً بشأن الأسماء. ماذا نُفعل نحن عندما نسمّي، آخذين بعين الاعتبار، الإسم كأداة؟ ألا نعطي نحن معلومات بعضنا لبعض، ونميّز الأشياء طبقاً لطبائعها؟ إنّ الإسم يكون أداة للتعليم ولتمييز الطبائع، مثلما يكون المكّوك لتصنيف خيطان السّداة، وهو أداة الحياكة، كما قلنا. ومثلما يستعمل الحائك المكّوك جيّداً، فإنّ المعلّم سيستعمل الإسم جيّداً. وعندما يستعمل المعلّم الإسم فإنّه يستخدم عمل القانون الذي يعطينا إياها، أو يستخدم عمل المشرّع، ولا يكون كلّ إنسان مشرّعا بل الإنسان البارع، وهو الأندر من كل الحرفيّين الحاذقين في العالم. ولنسأل، كيف يخلق المشرّع الأسماء وإلاَم يتطلّع؟ ألا يتطلّع إلى الطريقة التي يجب أن يعمل بها في طبيعة الأشياء؟ وافترض، يا هرموجينس أنّ المكّوك يتحطّم في الصناعة، فهل سيصنع الصانع غيره ناظراً إلى المكّوك المكسور، أو أنّه سيتطلّع إلى الشكل الذي صُنِع المكّوك الآخر طبقاً له؟ ويُسمّى هذا المكّوك المكّوكَ الحقيقيَّ والمثالي بعدل، وينطبق هذا على كلّ الأشياء. والآن، بالنسبة إلى الأسماء: ألا يجب أن يعرف

مشرّعنا كيف يخلق الإسم الحقيقيّ الطبيعيّ لكلٍّ شيء في أصواتٍ ومقاطع لفظيّة، وليؤلّف ويعطي كلّ الأسماء بقصد الإسم المثالي، إذا كان هو ليمسي مسمّياً في أيّ معنى حقيقي؟ وينبغي علينا أن لا نسيء فهم الحقيقة وهي أنّ مشرّعين مختلفين لن يستعملوا المقاطع اللفظيّة عينها، مثلما لا يصنع كلُّ حدادٍ الأدوات جميعها من الحديد عينه. إنّ الشكل يجب أن يكون هو الشكل عينه، لكنّ المادة يمكن أن تتباين وتختلف، ولهذا السبب لن نحسب المشرّع مشرّعاً سيّئاً، سواء أكان هيلينيّاً أو من البربر، شريطة أن يجسّد أو يصوّر شكل الإسم المناسب لكلٍّ موضوع في أيّة مقاطع لفظيّة، ولا يهمّ إذا كان المشرّع من هذه البلاد أو من تلك. ومن سيكون القادر على أن يدير أو يهدي المشرّع في عمله ويكون مؤهّلاً لأن يحكم إذا كان العمل قد أُنجز جيّداً؟ ألن يكون هذا هو الإنسان المستخدِم لكلّ هذا، ويجب أن يكون هو الذي يعرف كيف يطرح الأسئلة وكيف يجيب عليها، وسنسمّي مَن يعرف ذلك عالِم المنطق. لهذا فإنّ عمل المشرّع هو إعطاء الأسماء، ويلزم أن يكون عالِم المنطق قائده وهاديه إذا ما كانت الأسماء تعطى بحق. إنّ ذلك لحقيقيّ، يا سقراط. عليّ أنّ أقول إذن، يا هرموجينس، إنّ منح الأسماء هذا لا يمكن أن يكون مسألة غير ذات شأن كما تتوهّم، وأن كراتيلوس على حقّ في قوله إنّ الأشياء تمتلك أسماء بالطبيعة، وإنّه ليس كلّ إنسان يخترع أسماءً، بل هو الذي ينظر في الإسم فقط الذي يمتلكه كلُّ شيء بالطبيعة، ويقدر على أن يجسّد أو يصوّر أو يعبّر عن هذا الإسم في حروفٍ ومقاطع لفظيّة.

لا أستطيع أن أرى كيف أجيبك على محاورتك، يا سقراط، لكنّني أجد صعوبة في تغيير رأيي كله في لحظة، ولا أعتقد بأنّه يجب عليّ أن أكون أكثر اقتناعاً، إذا لم تُرِني ما هو ذلك الذي تسمّيه أنت التناسب الطبيعيّ للأسماء. يا طيّبي هرموجينس، قلت لك قبلاً ليس عندي أيّ شيء لأريه، وأنا لا أعرف شيئاً، وبما أنّنا اشتركنا في البحث سويّةً فقد ربحنا خطوة، ما دمنا قد اكتشفنا أنّ

الأسماء تمتلك حقيقة بالطبيعة، وأنّه ليس باستطاعة كلّ إنسان أن يعطي أسماءً. والآن علينا أن نتقدّم لنبحث في ماهيّة هذه الحقيقة أو في صحة الأسماء. أمّا الطريقة فهي أن يساعدنا الذين يعرفون، وهؤلاء هم السوفسطائيون، وعلى رأسهم أخوك كالياس وبروتاغوراس. وبما بأنّك تستخف بهم، عليك أن تتعلّم من هوميروس ومن الشعراء. إنّ هوميروس يتكلّم غالباً بنبل وبشكل خاصّ، يتكلّم في الأمكنة حيث يميّز الأسماء المختلفة التي تعطيها الآلهة والرجال إلى الأشياء عينها. لذلك فإنّ الآلهة تسمي الأشياء بأسمائها الطبيعيّة الحقيقية. كمثال، يقول هو إنّ الآلهة دعوا النهر في طروادة، الذي حارب مع هيفياستوس في معركة فريدة، دعوه أكسانثوس، في حين دعاه الرجال سكامندر. وهناك عشرات الأمثلة مثل هذا المثل. وأقول لك إنّ العاقل وليس الغبي هو الذي يعطي أسماء صحيحة، والرجل وليس النساء كذلك. وبعد، دعني أتكلّم عن مسار الطبيعة الاعتيادية، وهو أنّ هناك سبباً في تسمية شبل الأسد أسداً، ومهر الحصان حصاناً، لكن إذا وضعت الفرس عجلاً ضدّ الطبيعة، عليّ أن لا أسمّي ذلك مهراً بل عجلاً عندئذ؛ ولا أسمّي أية ولادة غير إنسانية، لأبوين إنسانيين، باسم إنسان. ويمكنني قول الشيء عينه عن الأشجار وعن الأشياء الأخرى. ويدعى ابن الملك ملكاً على القاعدة عينها، سواء أكانت المقاطع اللفظيّة للإسم الشيء عينه أو لا، شرط استبقاء المعنى للإسم؛ ولا تخلق إضافة أو إنقاص حرف أي فرق ما دام الشيء يبقى قيد التملك للإسم ويظهر فيه. يمكنني أن أوضح معناي بأسماء الحروف التي تعرف أنت، يا هرموجينس، أنّها ليست الشيء عينه كالحروف عينها ما عدا أربعة منها وهي e.v.o.w. أمّا الحروف الباقية سواء إذا كانت حروف علة أو حروفاً تدلّ على صوت ساكن، فإنّنا نؤلّف منها أسماءً بإضافة الحروف الأخرى إليها. لكنّنا ما دمنا نعرض ونشرح قيمة الحرف فإنّ أسماءً كهذه التي تعيّن الشيء بجلاء، هي أسماء صحيحة. خذ، كمثال، الحرف BETA إنّ إضافة الحرف .M.T.U لا تسيء له، ولا تمنع الإسم كلّه من

امتلاك القيمة التي قصدها المشرّع، وهو يعرف جيّداً كيف يهب الحروف أسماءً.

يمكن أن يقال الشيء عينه عن الملك، وهو سيكون ابن ملك على الغالب، وسيكون الإبن الصالح إبناً لسيّد خيّر وشريف المحتد. وبشكل مماثل، فإنّ الذريّة من كلّ نوع، تكون مثل آبائها في طور الطبيعة المنتظمة، ويجب أن تمتلك الإسم عينه لهذا السبب. أمّا الجاهل فإنّ كل هذا وغيره يظهر له أنه مختلف. وفي نمطٍ مماثل، فإنّ المتخصّص في دراسة أصل الكلمات يعتبر ويتأمّل مليّاً قوة كلّ إسم، ولا يوضع به الإسم خارجاً وذلك بإضافة أو إبدال أو إنقاص حرفٍ أو حرفين منه. إنّني سأعطيك أمثلة على ما أقول لعدّة أسماء مختارة للرجال الشهيرين والأبطال، وسأشرح لك معنى اسم الشمس، القمر، الأرض، النجوم، وبعدها أسماء أنصاف الآلهة. وتدلُّ كلمة « إنسان » ضمناً على أنّ الحيوانات الأخرى لا تبحث ولا تتفحّص أو تتأمّل، أو تنظر عاليا فيما تراه، والإنسان لا يرى فقط بل يتأمّل ويعتبر، وينظر عالياً في ذلك الذي يراه، وهو الوحيد الذي يمتلك ديناً وحكمة، وفيه تميّز الروح التي تكون سبب وأصل حياة الجسد، وتهبه قوّة التنفّس والانبعاث. وعندما تكفّ هذه القوة الانبعاثية عن أداء وظيفتها، فإنّ الجسم سيفنى ويهلك ويموت حينئذ. إنّ كلّ ما تقوله هو حقّ وصدق، يا سقراط.

دعنا نبحث، يا هرموجينس، في معنى إسم النار، الهواء، الماء، الأرض، الفصول الأربعة، ونذهب بعد ذلك لنشرح أسماء الفضائل مثل الحكمة، الفهم، العدل، الشجاعة، وما شابهها، ثم نوضح معنى كلمتي الحركة والسكون، الخير والشرّ، اللذّة والألم. وسنتطرّق إلى شرح أنبل وأعظم الكلمات مثل « حقيقة »، « باطل ». لقد استعملنا الحروف للتعبير عن كلّ الأهداف التي تمّ بحثها. أما استخدام الحروف المفردة أو المتعدّدة منها، فإنّنا سوف نشكّل منها مقاطع الكلمات عند الحاجة، ونوجد من تركيب مقاطع الكلمات أسماءً وأفعالاً. وهكذا نصل في اللغة أخيراً، من تجميع الأسماء والأفعال، إلى سعة الأفق والجمال والكمال. وكما

يخلق الرسّام اليدويّ الشكل الذي يريد، هكذا نحن سوف نؤلف خطاباً بفنّ المغنّي أو الخطابيّ، أو مهما يمكن أن يسمّى ذلك. وعلينا أن نرى إذا ما كانت العناصر الأوليّة الأساسيّة قد مُنحت بحقّ، أو إذا ما كانت العناصر الثانوية تحتلّ مكان الصدارة، لأنّها إذا لم تكن كذلك فإنّ تركيب الأسماء منها، يا عزيزي هرموجينس، سيكون قطعة عمل يُرثى لها وفي الوجهة الخاطئة. إنّك لمحقٌّ في عملك هذا كلّه، يا سقراط.

بعد أن وصل سقراط وهرموجينس إلى هذه النقطة الأساسيّة في المحاورة، بدأ كراتيلوس يحاور سقراط في الموضوع عينه. لكن كراتيلوس، رفيق هيراقليطس، لم يقتنع بما قاله سقراط وبقي على ولائه لِمَا تلقّاه من تعاليم أستاذه هيراقليطس. وهكذا انتهت المحاورة.

محاورة كراتيلوس

أصل الاسماء

اشخاص المحاورة

سقراط كراتيلوس

هرموجينس: إفترض أن نجعل سقراط شريكا في المحاورة

كراتيلوس: إذا سرّك ذلك

هرموجينس: عليَّ أن أشرح لك، يا سقراط، أنّ صديقنا كراتيلوس قد تحاور بشأن الأسماء. يقول إنّ الأسماء طبيعيّة وليست اصطلاحيّة، وإنّها ليست جزءاً من الصوت الإنساني الذي يتّفق الرجال على استعماله؛ بل إنّ هناك حقيقة أو صحة فيها، هي الشيء عينه لجميعها، وللهيلينيين والبربر على حدّ سواء. إنّني أسأله عند ذلك إذا ما كان اسمه الخاصّ هو كراتيلوس بحق أوْ لا، ويجيب هو بـ « نعم »؛، أو إذا ما كانِ اسم سقراط إسماً حقيقياً كذلك، « نعم ». إذن يكون إسم كلّ إنسان، كما أُخبِره، ذلك الإسم الذي يُدعى به. يجيب هو على هذا قائلاً: « إذا دعاك العالم كلّه هرموجينس، فلن يكون هذا الإسم إسمك ». وعندما يتملكني القلق كي يوضح لي أكثر من هذا فإنّه يلجأ إلى الغموض، ويبدو أنّه يدلّ ضمناً على امتلاك فكرة خاصّة به عن المسألة اذا كان سيخبرها فقط، ويمكنه أن يقنعني تماماً إذا اختار الجلاء وترك الإبهام. أخبرني، يا سقراط، ماذا يعني هذا الوحي الالهي؛ أو قل لي على الأصح، إذا كنت طيباً، قل لي ما هي نظريتك الخاصّة عن حقيقة أو صحّة الأسماء، التي سأسمعها عن بعدٍ أقرب.

سقراط: يا ابن هبيونيكوس، هناك قول قديم هو أنّ « معرفة الخير صعبة » ومعرفة الأسماء هي جزء مهمّ من المعرفة. لو لم أكن فقيراً لأمكنني سماع وحضور الدورة التعليميّة لبروديكوس العظيم، والتي تكلّف خمسين دراخما، وهي تعليم كامل في علم الصّرف والنّحو واللّغة ـ تلك الكلمات هي كلماته الخاصّة به ـ وحينئذ سأكون قادراً أن أجيبك على سؤالك في الحال بشأن صحّة الأسماء. لهذا السبب فإنّني لا أعرف الحقيقة بخصوص مسائل كهذه. إنّني سأساعدك على كلّ حال، وأساعد كراتيلوس بكلّ سرور للتّحقيق فيها. عندما يعلن هو أنّ اسمك لا يكون هرموجينس بحقّ، أشتبه أنّه يمزح معك؛ يعني هو أنّك لست الإبن الحقيقيّ لهرمس لأنّك تبحث للحصول على مال وفير على الدوام ولا يحالفك الحظّ قطّ. لكن كما قلت فإنّ من الصّعب أن تحصل على معرفة محدّدة عن أشياء كهذه، ولذلك كان من الأفضل لنا أن نبحث في أيّ النّظريتين هي الأفضل، نظريّتك أو نظريّة كراتيلوس، وسيساهم كلّ منا في هذا بالقدر الذي يمكنه.

هرموجينس: إنّني غالباً ما تكلّمت عن هذه القضايا مع كراتيلوس والآخرين معاً، ولا أستطيع أن أقنع نفسي بأن هناك أيّة قاعدة للصحّة في الأسماء غيراً من التقليد والاتّفاق. إنّ أيّ إسم تعطيه، هو الإسم الحقيقيّ في رأيي. وإذا ما غيّرت ذلك ومنحت إسماً آخر، فالإسم الجديد المُعطى يكون اسماً جيّداً كالإسم القديم، إذ ليس هناك إسم ممنوح لأيّ شيء بالطبيعة. إنّ كلّ الأسماء هي عرف وعادة عند مستخدميها. تلك هي نظريّتي. لكنّني إذا كنت مخطئاً فسأكون سعيداً لأسمع وأتعلّم من كراتيلوس، أو من أيّ شخص آخر.

سقراط: أجرؤ على القول بأنّه يمكنك أن تكون على حقّ فيما تقوله، يا هرموجينس. دعنا نتيقّن من ذلك. فما تعنيه هو أنّ اسم كلّ شيء هو ذلك الذي يتّفق أيّ شخص على تسميته.

هرموجينس: تلك هي فكرتي.

سقراط: سواء إذا كان صاحب الإسم فرداً أو مدينة.

هرموجينس: نعم.

سقراط: حسناً. وبعدُ، دعني أُورِد مثالاً: إفترض أنّني أسمّي إنساناً حصاناً، أو حصاناً إنساناً، فهل تعني هنا أنّ إنساناً سيدعى حصاناً بحقّ، وسيدعى من قِبَلي على انفراد، ويُدعى إنساناً من قِبَل بقيّةِ العالم بصدق - هل هذا ما تعنيه؟

هرموجينس: إنّه يكون محقّاً، طبقاً لتصوّري.

سقراط: لكن ماذا عن الحقيقة إذن؟ إنّك ستعترف بأنّ هناك معنىً في الكلام عن البيان أو العرض الحقيقيّ والخاطيء.

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: وهكذا، فهناك افتراضات حقيقية وأخرى باطلة.

هرموجينس: لتكن متأكداً.

سقراط: ويظهر الافتراض الحقيقيّ ذلك الذي يكون كما هو، وأما الافتراض الخاطيء فهو عكس ذلك.

هرموجينس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ باستطاعة كلامنا أن يصوِّر أو يعلن أشياء كائنة، أو غير كائنة.

هرموجينس: بدون ريب.

سقراط: تأمّل مليّاً الافتراض الصحيح - أيكون الافتراض صحيحاً ككلٍّ فقط، في حين أن الأجزاء ليست كذلك؟

هرموجينس: لا؛ إنّ الأجزاء تكون صحيحة كما يكون الكلّ صحيحاً.

سقراط: وهل ستقول بأنّ الأجزاء الكبرى تكون صحيحة أما الصغرى فلا، أو أنّ كلّ جزء يكون صحيحاً؟

هرموجينس: ينبغي أن أقول بأنّها تكون صحيحة كلّها.

سقراط: أيكون الافتراض محلّلاً إلى أيّ جزء أصغر من الإسم؟

هرموجينس: لا؛ بل إنّ هذا هو الأصغر.

سقراط: يكون الإسم إذن جزءاً من الافتراض الحقيقي؟

هرموجينس: نعم.

سقراط: نعم، وهو جزء أساسيّ، كما تقول.

هرموجينس: نعم.

سقراط: أليس جزء التزييف جزءاً باطلاً أيضاً؟

هرموجينس: نعم.

سقراط: إذن؛ إذا أمكن للافتراضات أن تكون حقيقيّة ومزيّفة، فيمكن أن تكون الأسماء أسماءً حقيقيّة ومزيّفة أيضاً.

هرموجينس: هذا ما يجب ان ،نستنتجه.

سقراط: ويكون اسم أيّ شيء ذلك الذي يؤكّده أيّ شخص ليكون الإسم.

هرموجينس: نعم.

سقراط: وهل ستكون هناك أسماء متعددة لكلّ شيء كذلك، كما يقول كلّ شيء بأنها توجد؟ وهل ستكون تلك الأسماء أسماء حقيقيّة وقت التفوّه بها؟

هرموجينس: نعم، يا سقراط، لا أستطيع أن أتصوّر صحّة للأسماء غيراً من هذا. أنت تعطي إسماً واحداً، وأنا أهب إسماً آخر، وهناك أسماء مختلفة للأشياء عينها وفي مدن وبلدان متباينة. إنّ الهيلينيّين يختلفون عن البربر في استعمالهم للأسماء، وكذلك القبائل الهيلينيّة المتعدّدة يختلف بعضها عن البعض الآخر.

سقراط: لكن هل ستقول، يا هرموجينس، بأنّ الأشياء تختلف كما تتباين الأسماء؟ وهل تكون هي نسبيّة إلى الأفراد كما يخبرنا بروتاغوراس؟ لأنّه يقول بأنّ

الإنسان هو مقياسٌ لكلّ الأشياء، وأنّ الأشياء تكون لي كما تبدو لي، وأنّها تكون لك كما تبدو لك. هل تتّفق معه، أو أنّك ستقول بأنّ الأشياء تمتلك جوهراً دائماً خاصاً بها؟

هرموجينس: لقد مرّ زمن، يا سقراط، كنت يومها مجبراً من ارتباكي، على أن آخذ ملاذاً مع بروتاغوراس؛ وهذا ليس معناه أنّني أتّفق معه بشكل كامل.

سقراط: ماذا! هل أجبرت قطّ على أن تعترف بأنّه وُجد هكذا شيء كالرجل الشرير؟

هرموجينس: لا، حقاً؛ إنّه كان لديّ سبب كي أعتقد بأنّ هناك رجالاً جد أشرار، وكذلك هناك عديد منهم أخيار.

سقراط: حسناً، أوَلم تجد أبداً أيّ أشخاصٍ أخيارٍ جدّاً؟

هرموجينس: ليس عديداً منهم.

سقراط: يبقى أنّك وجدتهم.

هرموجينس: نعم.

سقراط: وهل تقبل بأنّ الأخيار جدّاً هم العقلاء الفعليّون، وأنّ الأشرار جدّاً هم الأغبياء الفعليون؟ هل هذه النظريّة نظريّتك؟

هرموجينس: إنّها لكذلك.

سقراط: لكن إذا كان بروتاغوراس محقّاً، وأنّ الحقيقة هي أنّ الأشياء هي كما تظهر لأيّ شخص، فكيف يستطيع بعضنا أن يكون عاقلاً وبعضنا غبيّاً؟

هرموجينس: مستحيل.

سقراط: وإذا كانت الحكمة والغباء متميّزين بحق، على الجانب الآخر، فإنّك ستجيز أنّ جزم بروتاغوراس يمكن أن يكون جزماً صحيحاً بالكاد، كما أعتقد، إذ لو كان ما يبدو لكلّ إنسان حقيقياً له، فإن أحداً لا يقدر أن يكون أعقل من الآخر في الحقيقة.

هرموجينس: لا يمكنه.

سقراط: وافترض أنّك لن تكون ميّالاً لتقول مع يوثيديموس، بأنّ كلّ الأشياء تخصّ كلّ الرجال بشكلٍ متساوٍ دائماً وفي اللحظة عينها، لأنّه، بناءً على نظريته هذه، لا يمكن أن يوجد بعض الرجال أخياراً وآخرون أشراراً، إذا عُزيت الفضيلةُ والرذيلةُ إلى الجميع دائماً بشكلٍ متساوٍ.

هرموجينس: لا يمكن وجود ذلك.

سقراط: لكن إذا لم يكن لا هذا ولا ذاك صحيحاً، وأنّ كلّ الأشياء ليست نسبيّة للأفراد، وأنها كلّها لا تخصّ الجميع بشكلٍ متساوٍ دائماً وفي اللحظة عينها، فيجب افتراضها أنّها تمتلك جوهرها الدائم المناسب الذي يخصُّها. أنّها لا تكون في نسبة لنا، أو متأثّرة بنا، متقلّبة طبقاً لأوهامنا وميولنا، بل هي مستقلّة، وتبقى على جوهرها الخاصّ بها.

هرموجينس: أعتقد أنّك نطقت بالحقّ، يا سقراط.

سقراط: هل يطبّق ما أقوله عمليّاً على الأشياء عينها فقط، أو على الأعمال التي تنبثق منها بشكل متساوٍ؟ أليست الأفعال نوعاً من أنواع الوجود أيضاً؟

هرموجينس: نعم، إنّ الأفعال هي حقيقيّة بالإضافة إلى الأشياء.

سقراط: إذن فإنّ الأعمال تُفعل طبقاً لطبيعتها المناسبة، وليس طبقاً لرأينا عنها. كمثال، عندما نشرع في قطع شيء ما، هل نستطيع أن نفعل هكذا بالطريقة التي تسّرنا، وبالأداة التي تصادفنا؟ أعتقد على الأصحّ، أنّنا إذا قطعنا بالأداة المناسبة فقط، وطبقاً لعمليّة القطع الطبيعيّة، فإنّنا سننجح في عمليّة القطع وننجز هذا العمل بجودة عندئذ؛ لكنّنا إذا ذهبنا عكس الطبيعة سنخفق ولن نحقّق شيئاً. وفي الحرق مرّة ثانية، فليست كلُّ طريقة هي الطريقة الصحيحة، بل إنّ الطريقة الصحيحة هي الطريقة الطبيعيّة، وإنّ الأداة الصحيحة هي الأداة الطبيعيّة.

هرموجينس: نعم، أعتقد بأنّ ذلك القول هو قَولٌ حقيقي.

سقراط: ويصح هذا جيّداً عن كلّ الأعمال.

هرموجينس: نعم.

سقراط: وماذا عن الكلام؟ أليس ذلك واحداً من أعمالنا؟

هرموجينس: صدقاً.

سقراط: وهل سيتكلّم أي إنسان بشكل صحيح كالذي يتكلّم كما يشاء؟ ألن يكون المتكلّم الناجح على الأصح هو الذي يتكلّم بالطريقة الطبيعيّة للكلام، وكما ينبغي للأشياء أن يحكى عنها، وبالطريقة الطبيعيّة؟ إنّ أيّ أسلوب آخر للحديث سينتج عنه الخطأ والإخفاق.

هرموجينس: إنّني أوافقك تماماً.

سقراط: أليست التسمية جزءاً من الكلام؟ لأنّ الرجال يتكلّمون في إعطائهم الأسماء[1].

هرموجينس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

سقراط: وإذا اتُّفِقَ على أنّ الكلام هو نوعٌ من الفعل وله علاقة بالأشياء، أفلا تكون التسمية نوعاً من أنواع الفعل أيضاً؟

هرموجينس: حقاً.

سقراط: ورأينا نحن أنّ الأفعال لم تكن نسبيّة لأنفسنا، بل كان لها طبيعة خصوصيّة وخاصّة بها.

هرموجينس: بالضبط.

سقراط: ستقودنا المحاورة إذن كي نستنتج أنّ الأسماء ينبغي أن تُعطى طبقاً لعمليّة طبيعيّة، وبأداةٍ مناسبة، وليس وفق ما يسرّنا. بهذه الطريقة وليس بغيرها سنسمّي نحن بنجاح.

هرموجينس: إنّني أوافق.

سقراط: وقلنا الآن إنّ ذلك الذي يجب أن يُقطع يجب قطعه بشيء ما.

هرموجينس: نعم.

سقراط: وذلك الذي يجب أن يُحاك أو يُثقب يلزم حياكته أو ثقبه بشيء ما.

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: وما يمكن التسليم به هو أنّ الذي ينبغي تسميته يجب أن يُسمى بشيء ما.

هرموجينس: حقاً.

سقراط: وما هو ذلك الذي نثقب به؟

هرموجينس: مِخرز.

سقراط: وذلك الذي نحيك به؟

هرموجينس: مكّوك أو وشيعة.

سقراط: وذلك الذي نسمي به؟

هرموجينس: إسم.

سقراط: جيّد جداً؛ الإسمُ إذن أداة.

هرموجينس: بدون ريب.

سقراط: إفترض أنّني أسأل، « أيّ نوع من أنواع الأداة هو المكّوك »؟ وتجيب أنت، « أداة حياكة ».

هرموجينس: حسناً.

سقراط: وأسأل أنا مرّة ثانية، « ماذا نفعل نحن عندما نحيك »؟ وتكون الإجابة، أنّنا نفصّل ونحلُّ السّداة عن اللُّحمة.

هرموجينس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: أوَلاً يمكن أن يُعطى وصفٌ مشابهٌ عن المكّوك، وعن الأدوات بشكل عامّ؟

هرموجينس: لتكن متأكّداً.

سقراط: وافترض الآن أنّني أسأل سؤالاً مشابهاً بشأن الأسماء، فهل ستجيبني؟ ماذا نفعل نحن عندما نسمّي، معتبرين الإسم كأداة؟

هرموجينس: إنّني لا أستطيع القول.

سقراط: ألا نعطي نحن معلومات بعضنا لبعض، ونميّز الأشياء طبقاً لطبائعها؟

هرموجينس: إنّنا نفعل بالتأكيد.

سقراط: الإسم إذن أداة للتعليم ولتمييز الطبائع، كما يكون المكّوك أداةً لتصنيف خيطان السُداة.

هرموجينس: نعم.

سقراط: ويكون المكّوك أداة الحياكة؟

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: سيستعمل الحائك المكوك أو الوشيعة جيّداً إذن، ويعني جيداً مثلما يستعمله الحائك. وسيستعمل المعلم الإسم جيداً، ويعني جيداً مثلما يستعمله المعلم.

هرموجينس: نعم.

سقراط: وعندما يستعمل الحائك المكّوك، فعمل مَن الذي سيستخدمه جيّداً؟

هرموجينس: عمل النجّار.

سقراط: وهل يكون كلّ إنسانٍ نجّاراً، أو الإنسان البارع فقط؟

هرموجينس: الحاذقون فقط.

سقراط: عندما يستخدم الثقّاب المخرز، فعمل من سيستخدمه جيّداً؟

هرموجينس: عمل المشتغل بالمعادن.

سقراط: وهل يكون كلّ رجل حداداً، أو الرجل الحاذق فقط؟

هرموجينس: البارع فقط.

سقراط: جيّد. وعندما يستعمل المعلم الإسم، فعمل من سيستخدم؟

هرموجينس: إنّني أتحيّر هنا مرّة ثانية.

سقراط: ألا تستطيع أن تقول مَن الذي يعطي الأسماء التي نستخدمها على الأقلّ؟

هرموجينس: إنّني لا أقدر حقاً.

سقراط: ألا يبدو لك أنّ القانون يعطينا إيّاها؟

هرموجينس: نعم، إنّني أفترض ذلك.

سقراط: عندما يستخدم المعلم الإسم إذن، فهو يستعمل عمل المشرّع؟

هرموجينس: أوافق.

سقراط: وهل يكون كلّ إنسانٍ مشرّعاً، أو الإنسان البارع فقط؟

هرموجينس: الحاذق فقط.

سقراط: لا يقدر كلّ إنسان إذن، يا هرموجينس، أن يهب إسماً، بل صانع الأسماء فقط؛ ويبدو هذا أنه هو المشرّع الذي هو الأندر من كلّ الحرفيّين الحاذقين في العالم.

هرموجينس: صدقاً.

سقراط: وكيف يخلق المشرّع الأسماء؟ وإلاَم يتطلّع؟ تأمّل هذا مليّاً في ضوء الأمثلة السابقة: إلاَم يتطلّع النجار في صنع الوشيعة؟ ألا يتطلع إلى الطريقة التي يجب أن يعمل بها في طبيعة الأشياء؟

هرموجينس: بدون ريب.

سقراط: وافترض أنّ المكّوك أو الوشيعة تتحطّم في الصناعة، فهل سيصنع الصانع غيرها، ناظراً إلى الواحدة المكسورة؟ أو أنّه سيتطلّع إلى الشكل الذي صنع الوشيعة الأخرى طبقاً لها؟

هرموجينس: عليّ أن أتصوّر أنه تطلع إلى الشكل.

سقراط: ألا يمكن أن يسمّى هذا الوشيعة الحقيقية أو المثالية بعدل؟

هرموجينس: إنّني أعتقد كذلك.

سقراط: وإنّ أيّة وشائع أريدت لصناعة الأثواب، رقيقة أو سميكة، مصنوعة من

الكتّان أو الصوف أو من المواد الأخرى، فهذه كلها يجب أن يكون لها شكل المكّوك حقاً؛ لكن ينبغي على الصانع أن ينتج الشكل الطبيعّي والأكثر تناسباً لعمله الطبيعّي في كلٍّ منها أيضاً.

هرموجينس: نعم.

سقراط: ويصح الشيء عينه عن الأدوات الأخرى. عندما اكتشف إنسان الأداة التي تُكيَّف لكلِّ عمل بالطبيعة، يلزمه أن يجسّد هذا الشكل الطبيعّي، وليست الأشكال الأخرى التي يتوهّمها والتي تناسب هواه. وينطبق هذا على المادّة مهما كانت هذه المادّة التي يستعملها. كمثال، ينبغي أن يعرف كيف يصنع أشكال المخارز من الحديد المكيَّف بالطبيعة لاستعمالاته المتعدّدة.

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: وكيف سيضع في الخشب أشكال الوشائع المكيَّفة بالطبيعة لاستعمالها.

هرموجينس: حقاً.

سقراط: لأنّ أشكال الوشائع المتعددة ستنطبق على أنواع النسيج المتعدّد بالطبيعة؛ وإنّ هذا لصحيح عن الأدوات بشكل عامّ.

هرموجينس: نعم.

سقراط: إذن، بالنسبة إلى الأسماء؛ ألا يجب أن يعرف مشرّعنا كيف يخلق الإسم الحقيقيّ الطبيعيّ لكلّ شيء في أصواتٍ ومقاطع لفظيّة، وليؤلّف أو يعطي كلّ الأسماء بقصد الإسم المثاليّ إذا أمسى مسميّاً في أيّ معنى حقيقيّ؟ وينبغي علينا أن لا نسيء فهم الحقيقة وهي أنّ مشرّعين مختلفين لن يستعملوا المقاطع اللفظيّة عينها. إذ لا يصنع كلُّ حداد الأدوات جميعها من الحديد عينه، مع أنّه يمكنه أن يصنع الأداة عينها للغرض عينه. إنّ الشكل يجب أن يكون هو الشكل نفسه، لكنّ المادّة يجب أن تتباين وتختلف. ويبقى أنّ الأداة بإمكانها أن تكون جيّدة بشكلٍ متساوٍ، ومهما يكن الحديد

الذي صُنعت منه، سواء صُنعت في هيلاس أو في أيّة بلاد غريبة؛ لا فرق في ذلك.

هرموجينس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: ولهذا السبب لن تحسَب المشرّعَ مشرّعاً سيئاً، سواء أكان هيلينياً أو من البربر، شريطة أن يجسّد أو يصوّر شكل الإسم المناسب لكلّ موضوع في أيّة مقاطع لفظيّة كانت، ولا يهمّ إذا كان من هذه البلاد أو من تلك.

هرموجينس: حقيقيّ جداً.

سقراط: لكن مَن سيقرّر حينئذ كيف يُعطى الشكل للمكوك، أيّاً كان نوع الخشب الذي يمكن استعماله؟ أيكون النجّار الذي يصنع المكوك أو الحائك الذي سيستعمله؟

هرموجينس: عليّ أن أقول، إنّه الذي يستعمله، يا سقراط.

سقراط: ومن يستخدم عمل صانع القيثارة؟ ألن يكون هو الإنسان الذي يعرف كيف يدير العمل؟ وكذلك من يعرف إذا ما كان العمل المُنجز قد نُفّذ جيّداً أو لم يُنفّذ؟

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: ومن يكون هو؟

هرموجينس: العازف على القيثارة.

سقراط: ومن سيدير دفّة السفينة؟

هرموجينس: القبطان.

سقراط: ومن سيكون أكثر قدرة على أن يدير أو يقود المشرّع في عمله ويكون مؤهّلاً ليحكم، إذا ما كان العمل أنجز جيّداً، في هذه البلاد أو في أيّة بلاد أخرى؟ ألن يكون الإنسان هو المستخدم؟

هرموجينس: نعم.

سقراط: ألا يجب أن يكون هذا هو الذي يعرف كيف سيطرح الأسئلة؟

هرموجينس: نعم.

سقراط: والذي يعرف كيف سيجيب عليها؟

هرموجينس: نعم.

سقراط: والذي يعرف كيف يسأل ويجيب ستسمّيه أنت عالِمَ المنطق.

هرموجينس: نعم؛ إنّ ذلك الإسم سيكون اسمه.

سقراط: إذن فإنّ عمل النجّار هو صنع الدفّة، وعلى القبطان أن يديرها، إذا ما كانت الدفّة قد صُنعت جيداً.

هرموجينس: حقاً.

سقراط: ويكون عمل المشرّع إعطاء الأسماء، ويجب أن يكون عالم المنطق قائده وهاديه إذا ما كانت الأسماء تُعطى بحقّ.

هرموجينس: إنّ ذلك لحقيقي.

سقراط: إذن، يا هرموجينس، عليّ أن أقول إنّ منح الأسماء هذا لا يمكن أن يكون مسألة خفيفة كما تتوهّم، أو أنّه عمل أشخاص زهيدين تافهين أو كيفما اتّفق؛ وأن كراتيلوس لعلى حقّ في القول بأنّ الأشياء تمتلك أسماء بالطبيعة، وأنّه ليس كلّ إنسان يكون مخترعاً للأسماء، بل هو فقط الذي ينظر في الإسم الذي يمتلك كلّ شيء بالطبيعة ويكون قادراً على أن يجسّد أو يصوّر أو يعبّر عن هذا الإسم في حروف ومقاطع لفظيّة.

هرموجينس: لا أستطيع أن أرى كيف أجيبك على محاوراتك، يا سقراط؛ لكنّني أجد صعوبة في تغيير رأيي كله في لحظة، وإنّي لا أعتقد بأنّه يجب عليّ أن أكون أكثر اقتناعاً، وإذا ما كنت ستريني ما هو ذلك الذي تسميه التناسب الطبيعي للأسماء.

سقراط: يا طيّبي هرموجينس، ليسَ لدي أيّ شيء لأريه. ألم أخبرك لتوّي الآن

« لكنّك نسيت ذلك » بأنّني لم أعرف شيئاً، واقترحت كي أشترك معك في البحث؟ لكنْ الآن، بما أنّنا تناقشنا في المسألة، فلقد حقّقنا خطوة لأنّنا اكتشفنا أن الأسماء تمتلك حقيقة بالطبيعة، وأنّه ليس كل إنسانٍ يعرف كيف يعطي الشيء إسماً.

هرموجينس: جيّد جداً.

سقراط: علينا أن نتقدّم بعد هذا كي نتباحث عن ماهيّة هذه الحقيقة، أو صحّة الأسماء « مفترضين أنّك ترغب في معرفتها ».

هرموجينس: إنّني أرغب أن أعرفها، بكلّ تأكيد.

سقراط: تأمّل مليّاً إذن.

هرموجينس: كيف سأتأمل ملياً؟

سقراط: إنّ الطريقة الصحيحة هي أن يساعدك أولئك الذين يعرفون وينبغي عليك أن تدفع لهم مالاً وعبارات شكر على السواء. وهؤلاء هم السوفسطائيون، والذي اشترى منهم أخوك كالياس صيت الحكمة وبثمنٍ عالٍ على الأصحّ - . لكنك أنت لم تصل إلى ميراثك حتّى الآن، ولهذا السبب فمن الأفضل لك أن تذهب إليه وأن تلتمس منه وترجوه أن يخبرك ماذا تعلّم من بروتاغوراس بشأن تناسب الأسماء.

هرموجينس: بل كم سأكون متناقضاً مع ذاتي إذا ما أقمت أيَّ وزن لما قاله بروتاغوراس وما تؤكّده كتبه، في حين أنني أنكره وأرفض حقيقته[٢]!

سقراط: إذا ما استخففت به إذن، ينبغي عليك أن تتعلّم من هوميروس والشعراء.

هرموجينس: وأين يقول هوميروس أيّ شيء بشأن الأسماء، وماذا يقول؟

سقراط: يتكلّم غالباً بشكل خاصّ وبنبل، يتكلّم في الأمكنة حيث يميّز الأسماء المختلفة التي تعطيها الآلهة والرجال للأشياء عينها. ألاّ يدلي في هذه المقاطع بتصريح عميق ومدهش بخصوص صحّة الأسماء؟ ويلزم الافتراض بوضوح

أن الآلهة يسمّون الأشياء بأسمائها الطبيعيّة الحقيقيّة؛ ألا تعتقد هكذا؟

هرموجينس: لماذا، إنّهم يسمّونها بحقّ طبعاً. إذا ما كانوا يسمونها على الإطلاق. لكن إلامَ تشير أنت؟

سقراط: ألا تعرف ما يقوله هوميروس بشأن النّهر في طروادة الذي حارب في معركة فريدة مع هيفياستوس؟ يقول: « النهر الذي سمّته الآلهةُ اكسانثوس، ودعاه الرجال سكامندر ».

هرموجينس: إنّني أتذكّر.

سقراط: حسناً، أليس ذلك الدرس درساً هامّاً بشأن هذا النهر؟ ـ لنقل أنّه ينبغي أن يدعى اكسانثوس وليس سكامندر ـ أو الدرس بشأن الطائر، الذي، كما يقول هو: « الآلهة تدعوه خالقيس، والرجال سيمَنْديس » ولتتعلّم كم يكون اسم خالقيس أكثر صحّة من إسم سيمَنْديس، هل تعتبر أنَّ تلك القضيّة قضيّة تافهة؟ أو الدرس بخصوص باتييا وميرينا[٣]؟ وهناك ملاحظات عديدة أخرى من النوع عينه في عمل هوميروس وأعمال الشعراء الآخرين. وبعدُ، فإنّني أظنّ أن هذا الشيء هو ما وراء فهمك وفهمي؛ لكنّ إسميْ سكاماندريوس وأستياناكس اللذين يؤكّد هوميروس أنّهما قد كانا اسمي ابن هيكتور، هما أكثر حقيقة ضمن مجال القدرات الإنسانية كما أميل للظنّ. وما يعنيه الشاعر بالصحيح يمكنه أن يكون أكثر استعداداً للفهم في ذلك المثل. أجرؤ على القول بأنّك تتذكّر السطور التي أشير إليها[٤].

هرموجينس: إنّني أفعل.

سقراط: دعني أسألك إذن، أيٌّ من الإسمين المعطيين لابن هيكتور ظنّه هوميروس أنه الأكثر صحة: أستيانكس أو سكاماندريوس؟

هرموجينس: إنّني لا أعرف.

سقراط: كيف ستجيب، إذا سئلت، سواء أكان العاقل أو الغبيّ هو الأكثر احتمالاً لأن يعطي أسماءً صحيحة؟

هرموجينس: عليّ أن أقول العاقل، بالطبع.

سقراط: وأيّهما الأعقل؟ الرجال أو النساء في مدينة ما، مأخوذَين كنوع.

هرموجينس: يجب أن أقول، الرجال.

سقراط: ويقول هوميروس، كما تعرف، بأنّ رجال طرواده يسمّونه أستيانكس « ملك المدينة »؛ لكن إذا دعاه الرجال أستيانكس، فإنّ الإسم الآخر سكاماندريوس يمكن أن يكون قد أعطته إياه النساء.

هرموجينس: يمكن.

سقراط: أوَلا ينبغي أنّ هوميروس تصوّر أنّ الطروادتين أعقل من زوجاتهم؟

هرموجينس: لتكن متأكّداً.

سقراط: إذن لا شكّ بأنّه رأى أن اسم استيانكس أكثر صحّة ليطلق على الولد من اسم سكاماندريوس.

هرموجينس: بوضوح.

سقراط: وما هو سبب ذلك؟ دعنا نتأمّل مليّاً: ألا يقترح هو نفسه سبباً جيّداً جداً عندما يقول: « لأنّه هو بمفرده دافع عن مدينتهم وعن أسوارها الطويلة .»؟ يبدو أنّ هذا السبب هو سبب جيّد بتسمية تلك المدينة باسم الإبن المنقذ الذي أنقذ أباه، طبقاً لبيان هوميروس.

هرموجينس: إنّني أرى.

سقراط: لماذا، يا هرموجينس، إنّني لم أرَ بنفسي حتى الآن؛ فهل ترى أنت؟

هرموجينس: لا، حقّاً؛ ليس أنا.

سقراط: لكن أخبرني، يا صديقي، أولم يُعطِ هوميروس إسم هيكتور بنفسه أيضاً؟

هرموجينس: ماذا عن ذلك؟

سقراط: يظهر لي أنّ الإسم يكون الشيء عينه تقريباً مثل إسم أستيانكس - فكلا الإسمين هيليني: وملك ومالك لهما المعنى عينه تقريباً، وكلاهما وصفٌ لملك. إنّني أفترض وأسلّم جدلاً، أنّ إنساناً يكون مالكاً لذلك الذي يكون ملكاً عليه؛ أنّه يحكمه بوضوح، ويمتلكه، ويقتنيه. لكنّك لربّما تعتقد أنّني وجدت دلالة ما لرأي هوميروس بشأن صحّة الأسماء.

هرموجينس: أؤكد لك أنّي أظنّ غيراً من ذلك، وأعتقد بأنّك على الطريق الصحيح.

سقراط: أعتقدُ أن هناك سبباً في تسمية شبل الأسد أسداً، ومهر الحصان حصاناً. إنّني أتكلّم عن مسار الطبيعة الاعتياديّة، عندما يُنتج حيوان على غرار نوعه، ولا أتكلّم عن الولادات الاستثنائية. فإذا وضعت الفرس عجلاً خلافاً للطبيعة، عليّ ان لا أسمّي ذلك مهراً بل عجلاً حينئذ. ولا أسمي أيّة ولادةٍ غير إنسانية لأبوين إنسانيين، باسم الانسان. ويمكن قول الشيء عينه عن الأشجار والأشياء الأخرى. هل توافقني؟

هرموجينس: نعم، إنّني أوافقك الرأي.

سقراط: شكراً لك؛ ينبغي عليك أن تراقبني وترى أنني لا أضلّلك. إنّ إبن الملك يدعى ملكاً على القاعدة عينها. وسواء أكانت المقاطع اللفظيّة للإسم الشيء عينه أم لا، فذلك لا يشكّل فرقاً، شرط استبقاء المعنى للإسم. ولا تشكّل الإضافة أو الإنقاص لحرفٍ أيَّ فرق ما دام الشيء يبقى قيد التملّك للإسم ويظهر فيه.

هرموجينس: ماذا تعني؟

سقراط: مسألة بسيطة جداً. يمكنني أن أوضح معناي بأسماء الحروف، والتي تعرف أنت أنّها لا تكون الشيء عينه كالحروف عينها ما عدا أربعة منها، E,V,O,W؛

أمّا الحروف الباقية، سواء أكانت حروف علة أو حروفاً تدلّ على صوت ساكن، فإنّنا نؤلّف منها أسماء بإضافة الحروف الأخرى. لكنّنا ما دمنا نعرض ونشرح قيمة الحرف، فإنّ أسماءً كهذه التي تعيّن الشيء بجلاء، هي أسماء صحيحة. خذ، كمثال، الحرف « بيتا » beta إنّ إضافة الحرف M,T,A لا تسيء له، ولا تمنع الإسم كلّه من امتلاك القيمة التي قصدها المشرّع ـ هكذا عرف هو جيداً كيف يهب الحروف أسماء.

هرموجينس: أعتقد بأنّك لمحق.

سقراط: أوَلا يمكن أن يقال الشيء عينه عن الملك. والملك سيكون ابن ملك غالباً، والإبن الصالح أو النبيل إبناً لسيّدٍ خيّرٍ وشريف المنبت. وبشكل مماثل فإنّ الذريّة من كلّ نوع، في طور الطبيعة المنتظمة، تكون مثل آبائها. ولهذا السبب يجب أن تمتلك الإسم عينه. ومع ذلك فإنّ مقاطع الكلمات يمكن أن تختفي حتى تظهر مختلفة للشخص الجاهل. ويمكن لهذا الشخص أن لا يراها، برغم أنّها الشيء عينه، تماماً كما أن أيّاً منّا لن يتعرّف على العلاجات عينها تحت التنكرات المتباينة للّون والرائحة برغم أنها تكون الشيء عينه الذي يُعتبر قوّتها. وفي نمط مماثل فإنّ المتخصّص في دراسة أصل الكلمات يعتبر ويتأمّل قوة كلّ إسم، ولا يهمل الإسم بإضافة أو إبدال أو إنقاص حرف أو حرفين، أو حينما يُعبِّر أو يُوضِّح المعنى عينه في حروف متباينة بالكامل حقاً. وكما قيل منذ برهة وجيزة، فإنّ آسْمَيْ هيكتور واستيانكس لهما حرف واحد متشابه، ومع ذلك فإنّهما يمتلكان المعنى عينه. وكم لدى ارخيبوليس « حاكم المدينة » القليل من الأشياء المشتركة مع أسماء الحروف! ومع هذا فإنّ المعنى يكون الشيء عينه. وهناك أسماء عديدة أخرى تعني « ملك » تماماً. مرّة ثانية، هناك أسماء متعدّدة للقائد العسكريّ، كمثال، اسم آجيس « القائد » وبوليمارخوس « المقدَّم في

الحرب » ويوليبميوس « المحارب الجيّد ». وهناك الأسماء الأخرى التي تدلّ على الطبيب، كاسم إياتروكليس، « الشافي المشهور » واكيسيمبروتوس « مداوي المخلوقات البشريّة ». وهناك أسماء أخرى يمكن إيرادها والاستشهاد بها، وهي التي تختلف في مقاطع كلماتها وحروفها، لكنّها تمتلك المعنى عينه. ألن تقول هذا؟

هرموجينس: نعم.

سقراط: يجب أن تُنسب الأسماء عينها إذن، إلى أولئك الذين يتبعون آباءَهم في طور الطبيعة.

هرموجينس: نعم.

سقراط: وماذا عن أولئك الذين يتابعون طور الطبيعة حتى النهاية ويكونون ما يدعو للعجب؟ كمثال، عندما يمتلك إنسان خيِّر وديَّان ابناً كافراً أو زنديقاً، فلا يجب أن يحمل إسم أبيه، بل إسم الصنف الذي يخصّه، تماماً كما في الحالة التي آفترِضَ فيها سابقاً أنّ الفرس تلد عجلاً.

هرموجينس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: إذن فإنّ الإبن الزّنديق لأبٍ ديَّان ورعٍ يجب أن يتلقى إسم الصنف المناسب؟

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: لا ينبغي أن يدعى ثيوفيلوس « محبوب الله » أو مينيسيثيوس « يقظاً بالله »، أو أيّاً من هذه الأسماء. وإذا كانت هذه الأسماء تعطى عن حق وحقيقة، فإنّ اسمه يجب أن يحوز معنىً مضاداً وعكسيّاً.

هرموجينس: بدون ريب، يا سقراط.

سقراط: مرّة ثانية، يا هرموجينس، هناكك إسم أورسيتيز « إنسان الجبال » الذي يظهر أنّه سُمّي بحقّ، سواء إذا منحت الصدفة الإسم، أو لربّما أعطاه إياه شاعر ما ليوضح الوحشية وقساوة وقفرة طبيعة بطله الجبليّة.

هرموجينس: إنّ هذا لمحتمل جدّاً.

سقراط: ويكونُ إسم أبيه وفقاً للطبيعة.

هرموجينس: على ما يبدو.

سقراط: نعم، إذ كما يكون إسمه، فهكذا تكون طبيعته. إن اغاممنون « الرائع الإقامة » هو واحد صابر وواق في إنجاز قراراته، وتوّجها بفضيلته ومتابعته لحرب طرَوادة بكلّ الجيش الضخم العرمرم، فما هو إلا برهان لهذا الجلَدِ والقدرة على الاحتمال، والذي يدل عليه الإسم اغاممنون. إنّني أعتقد أيضاً أنّ آتريوس دُعي هكذا بحقّ، وذلك لقتله كريسيبوس ولقسوته التي تتعدّى حد المعقول على ثيستيس اللذين هما مضرّان ومدمّران لسمعته. إن إسمه هذا مغيَّرٌ قليلاً ومخفيٌّ كي لا يفهمه كل شخص، لكن لا صعوبة للمتخصّص في دراسة أصل الكلمات أن يدرك المعنى المقصود، إذا ما تفكّر به أنّه الواحد المدمِّر، فإنّ اسمه يكون إسماً صحيحاً في كل وجهة نظر. وأعتقد أن بيلوبس سُمّي أيضاً بشكل مناسب؛ فهو سُمّي هكذا لأنه يرى ما يكون قريباً فقط .

هرموجينس: كيف ذلك؟

سقراط: لأنّه طبقاً للتقليد، فهو لم يكن لديه تفكير بعيد أو تبصر بكلّ الشرور التي سيستلزمها قتل ميرتيلوس عمداً على السلالة كلّها في الأزمنة السحيقة؛ بل إنّه رأى ما هو في متناول اليد ومباشراً فقط. أو بكلمات أخرى، أي « قريب ». إنّ كل شخص سيوافق على أن إسم تانتالوس يُعطى في تطابق مع الطبيعة بحقّ، إذا كانت الأعراف والتقاليد حقيقيّة.

هرموجينس: وما هي الأعراف؟

سقراط: قيل أنّ محناً ومصائب رهيبة حدثت له في حياته ففي آخرها، حدث الدمار المطلق لبلاده. وبعد موته تدلّى « ταλαντεία » الحجر فوق رأسه في العالم

السفليّ. يتّفق كلّ هذا مع إسمه بشكل رائع. يمكنك أن تتصوّر أنّ شخصاً ما أراد أن يسمّيه « ταλάντατος الأكثر ثقلاً نزولاً بالنكبات والمصائب »، مخفياً الإسم بتغييره إلى إسم تانتالوس. أما إسم زيوس، الذي هو إسم أبيه المزعوم، فإن له معنىً ممتازاً أيضاً، مع أنّه صعبٌ فهمه لأنه يشبه الجملة في الحقيقة، الجملة المقسّمة إلى جزأين، لأنّ بعضهم يدعونه زينا « Ζῆνα » مستعملين نصف الجزء، ويدعوه الآخرون الذين يستعملون النصف الآخر ديا « Δία »، ويعني الإسمان معاً طبيعة الإله. وكما قلنا فإنّ عمل الإسم هو أن يوضح طبيعة الإله. إذ ليس هناك أحد هو سبب حياة وحياة الكلّ إلاّه، هو المولى وملك الجميع. إنّنا عند ذلك محقّون في تسميته زينا وديا اللّذين هما اسم واحد. ومع أنّه اسم مقسّم، فإنه يعني الله الذي من خلاله تمتلك المخلوقات كلّها حياة على الدوام، « δι' ὃν ζῆν ἀεὶ πᾶσι τοῖς ζῶσιν ὑπάρχει ».

هناك كلام ينمّ عن عدم توقير، عند الوهلة الأولى، في تسميته إبن كرونوس، « الذي هو مثلٌ للحماقة »، ويمكننا على الأصحّ أن نتوقّع زيوس ليكون طفلَ ألمعيّ رائع، يكون شيئاً حقيقياً؛ لأنّ هذا هو معنى إسم أبيه: Κρόνος وظاهرياً « Κόρος ليحصد أو ليمحي κορέω »، ليس في إدراك الشباب، بل دالاً على العقل الصافي المزيّن: « sc. ἀπὸ τοῦ κορεῖν ». أمّا: « ἀπὸ τοῦ ὁρᾶν τὰ ἄνω » فإنّ يورانوس أنجبته كما يخبرنا التعليم، والتي هي طريقة امتلاك العقل الصافي التقيّ، كما يخبرنا علماء النجوم. ولهذا السبب فإنّ إسم يورانوس هو اسم صحيح. إذا ما تمكّنت من تذكّر أصل إسم هيسيود، تمنّيت لو تابعت واختبرت استنتاجات أكثر من النوع عينه عن أسلاف الآلهة الأقليّين - إذا ما تمكّنت من ذلك لأمكنني أن أرى حينئذ إذا ما كانت هذه الحكمة التي أتت إليّ كلّها في لحظة، مع أنني لا أعرف من أين أتت، ستبقى صالحة وجيّدة إلى النهاية أو لا.

هرموجينس: تبدو لي، يا سقراط، أنّك ملهم بطريقة جديدة مثل النبيّ تماماً، وأنك متفوهٌ بوحي إلهي.

سقراط: نعم، يا هرموجينس، وأعتقد بأنّني تلقّيت الإلهام من يوثيفرو العظيم من مقاطعة بروسبالتيا، وهو الذي أعطاني محاضرة طويلة ابتدأت عند طلوع الفجر. هو تكلّم و أنا استمعت، ولم تملأ حكمته ونشوته الساحرة أذنيّ فقط بل إنها تملّكت روحي. أعتقد أنّ هذه الطريقة ستكون الطريقة الصحيحة. اليوم سأدع قوّته الإلهية تعمل وتنهي التحقيق والبحث عن الأسماء؛ لكنّنا غداً سنسحره بعيداً ونخلق منه تطهيراً، إذا ما كنت أنت مثالاً لذلك، وإذا قدرنا على أن نجد كاهناً أو سوفسطائياً يكون حاذقاً في تطهيرٍ من هذا النوع.

هرموجينس: أميل إلى ذلك من كلّ قلبي لأنّني محبٌ للاستطلاع والتعلّم، ولأسمع بقيّة التحقيق بشأن الأسماء.

سقراط: دعنا نتقدم إذن؛ ومن أين ستريدنا أن نبدأ الآن بما أنّنا قد حصلنا على نوع من مخطّطٍ تمهيديٍّ للتساؤل؟ هل توجد أيّة أسماءٍ تشهد على أنفسها بأنّها لم تُعطَ على نحوٍ اعتباطي، بل إنّها تمتلك توافقاً طبيعيّاً؟ إنّ أسماء الأبطال والرجال قابلة لأن تكون أسماء خادعة بشكل عامّ لأنّها تسمّى تيمّناً بأسماء أسلافنا على الغالب، كما قلنا، والذين يمكن أن لا يكون لهم أيّ دخل بهذه الأسماء؛ أو أنها تكون تعبيراً عن رغبة مثل إسم يوتيشايدس « إبن الحظّ السعيد »، أو إسم سوسياس « المخلّص »، أو إسم ثيوفيلوس « محبوب الله »، والأسماء الأخرى. لكنّني أعتقد أنّه كان من الأفضل لنا ترك أمثلة كهذه، إذ ستكون هناك فرصة أكثر لإيجاد الصحّة في أسماء الاشياء التي تكون خالدة وغير قابلة للتغير ـ وقد وجب أخذ أقصى الحذر بشأنها وذلك عند تسميتها، ولربّما يمكن أن يوجد بعض أسماء كهذه الأسماء التي أعطتها أكثر من سلطة إنسانية ما.

هرموجينس: أعتقد هذا، يا سقراط.

سقراط: ألا يجب أن نبدأ نحن بالتفكير مليّاً بالآلهة، وأن نبيّن لأيّ سبب سُمّوا هكذا بحقّ؟

هرموجينس: نعم، سيكون ذلك جيّداً.

سقراط: إنّ رأيي سيكون شيئاً من هذا النوع: أعتقد أنّ الشمس، القمر، الأرض، النجوم، والسماء، والتي لا تزال هي الآلهة للعديد من البربر، كانت هي آلهة الهيلينيين الأصليين القدماء المعروفة. شاهدوا أنّها كانت متحركة ومسرعة على الدوام، فدُعيت آلهة وعدّاءة لطبيعة سرعتها « θεούς, θέοντας »؛ وعندما أصبح الرجال ملمّين بالآلهة الأخرى، استعملوا الإسم عينه لهم كلّهم. هل تعتقد بأنّ هذا محتمل؟

هرموجينس: أعتقد أنّه محتمل جداً.

سقراط: ماذا سيلي الآلهة؟

هرموجينس: ألا يجب أن يأتي تالياً أنصاف الآلهة(٥) والأبطال والرجال؟

سقراط: وماذا تتصوّر أنه يمكن أن يكون المعنى لهذه الكلمة « نصف إله »؟ أخبرني إذا ما كانت وجهة نظري صحيحة.

هرموجينس: دعني أسمع.

سقراط: أتعرف كيف استعمل هيسيود الكلمة؟

هرموجينس: إنّني لا أعرف.

سقراط: ألا تتذكّر أنّه تكلّم عن السلالة أو الجنس الذهبيّ الذي أتى أوّلاً؟

هرموجينس: نعم، إنّني أتذكّر.

سقراط: قال عنهم:

« لكن الآن فإنّ القضاء والقدر حجب هذا الجنس
إنهم مسمّون أنصاف الآلهة الأتقياء تحت الأرض،

الأخيار الرحماء، محولو الأمراض والشرّ، حارسو وأوصياء الرجال الفانين »[٦].

هرموجينس: ما هو الاستنتاج؟

سقراط: ما هو الاستنتاج! لماذا، إنّني أفترض أنّه يعني بالرجال الذهبيّين، ليس رجالاً مصنوعين من الذهب بالمعنى الحرفيّ، للكلمة، بل رجال أخيارٌ ونبلاء. وإنّي لمقتنعٌ بهذا، لأنّه يقول بعد ذلك إنّنا نحن الجنس الحديديّ.

هرموجينس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

سقراط: أوَ لا تفترض أنت أنّ الرجال الأخيار في أيامنا الخاصّة، ألاَ تفترض أنّه سيقول عنهم إنّهم السلالة الذهبيّة؟

هرموجينس: من المحتمل جدّاً.

سقراط: أليس الأخيار حكماء؟

هرموجينس: بلى إنّهم حكماء.

سقراط: ولهذا السبب فإنّي مؤمن أتمّ الإيمان وأكثره رسوخاً بأنّه سمّاهم أنصاف آلهة لأنّهم كانوا δαήμονες « العارفين أو الحكماء ». وتوجد الكلمة عينها في لهجتنا الآتيكيّة الأقدم. وبعدُ فإنّه هو والشعراء الآخرون يقولون بصدق، بأنّه عندما يتوفّى الإنسان الصالح فإنه يُكرّم ويحوز حصة عظيمة بين المتوفين، ويصبح نصف إله؛ ويُعطى له هذا الإسم الذي يعني الحكمة. وإنّني أقول أيضاً، إنّ كل إنسان يحدث أن يكون إنساناً خيّراً فهو أكثر من إنسان « δαιμόνιον » في الحياة والممات على حدّ سواء، ويدعى نصف إله بحق.

هرموجينس: إذن فإنّني أعتقد، على الأصحّ، أنّني وإياك لدينا وجهة نظر واحدة؛ لكن ما هو معنى كلمة « بطل » ἥρως ؟ وكانت في الكتابة القديمة ἔρως .

سقراط: لا أعتقد أن هناك صعوبةً في شرحها، لأنّ الإسم لم يلحقه تغيير كثير، ويفيد أنّهم وُلدوا من الحبّ.

هرموجينس: ماذا تعني؟

سقراط: ألا تعرف أنّ الأبطال هم أنصاف آلهة؟

هرموجينس: ماذا بعدئذ؟

سقراط: إنهم جميعهم، إمَّا تحدَّروا من محبّة إله لامرأة إنسانيّة أو من محبّة رجل إنسانيّ لإلهة. فكِّر بالكلمة في اللّهجة الأتيكيّة القديمة ولسوف ترى بشكل أفضل أنّ إسم الأبطال ما هو إلا تبديل ضعيف لإسم إيروس فقط، والذي نشأت عنه كلمة أبطال. أمّا أن يكون هذا هو المعنى، أو إن لم يكن، فحينئذ هم قد كانوا بارعين كعلماء الكلام وعلماء المنطق، وكانوا قادرين على أن يخلقوا السؤال « ἐρωτᾶν » لأنّ كلمة εἴρειν مساوية لكلمة λέγειν . ولهذا السبب، وكما قلت سابقاً، فإنّ الأبطال يصبحون علماء كلام وعلماء منطق في اللهجة الأتيكيّة. كلّ هذا سهل بما فيه الكفاية. إنّ كلّ نوع من الأبطال يكون صنفاً من السوفسطائيين وعلماء الكلام. لكن هل تستطيع أن تخبرني لماذا تسمى الرجال بالإسم ἄνθρωποι ؟ إنّ ذلك الشيء هو الشيء الأكثر صعوبة.

هرموجينس: لا، إنّني لا أقدر حقّاً، ولن أحاول ذلك حتى إن استطعت لأنّي أعتقد أنّك أنت الأكثر إمكانيةً كي تنجح فيه.

سقراط: بمعنى أنّك تثق بإلهام يوثيفرو.

هرموجينس: طبعاً.

سقراط: إنّ ثقتك هذه ليست عبثاً، لأنّ تفكيراً مُبْدعَاً جديداً حلَّ عليّ في هذه اللحظة بالتحديد، وإن لم أكن حذراً فإنّي سأكون أحكَم ممّا يجب قبل فجر الغد. والآن، كن معي، وتذكَّر أوّلاً أنّنا وضعنا وسمّينا الحروف من الكلمات غالباً، وأعطينا أسماءً كما نرغب ونسرّ، وغيّرنا العلامات النطقيّة. خذ، كمثال، الكلمة Διὶ φίλος ؛ فلكي نبدّل هذا الجزء من الجملة إلى إسم،

أسقطنا واحداً من الحروف التاسعة في الأبجديّة وأصدرنا صوتاً خفيضاً بدلاً من الصوت الحادّ لمقطع الكلمة الوسطى. وعلى الجانب الآخر، فإنّ الحروف أُدخلت في كلماتٍ بعض المرّات بدلاً من أن تُحذف، واختير الصوت الحادّ مكان الصوت الخفيض.

هرموجينس: إنّ ذلك لحقيقي.

سقراط: يبدو أنّ الاسم ἄνθρωπος الذي كان جزءاً من الجملة مرّة، يبدو أنّه حالة من هذا النوع تماماً، لأنّ حرفاً واحداً هو a قد تمّ إسقاطه فتغيّر الصوت الحادّ في مقطع الكلمة إلى صوتٍ خفيض.

هرموجينس: ماذا تعني؟

سقراط: أعني أنّ الكلمة « إنسان » تدلُّ ضمناً على أنّ الحيوانات الأخرى لا تبحث وتتحقّق، أو تتأمّل، أو تنظر عاليا فيما تراه « ἀναθρεῖ »، لكنّ الإنسان لا يرى فقط « ὄπωπε » بل يتأمّل ويعتبر وينظر عالياً في ذلك الذي يراه. ولذلك فإنّه الحيوان الوحيد من بين كلّ الحيوانات المدعو بحق ἄνθρωπος ، يعني ἀναθρῶν ἃ ὄπωπεν .

هرموجينس: أيمكنني أن أسألك لتفحص كلمة أخرى فتشبع فضولي؟

سقراط: بالتأكيد.

هرموجينس: سأورد تلك الكلمات التي تبدو لي أنّها تتبع تالياً في نظام. إنّنا نميّز الروح والجسم في داخل الإنسان، كما تعرف.

سقراط: طبعاً.

هرموجينس: دعنا نجهد كي نحلّلها مثلما حلّلنا الكلمات السابقة.

سقراط: أنت تريدني قبل كل شيء أن أفحص التناسب الطبيعيّ لكلمتي ψυχή « روح » وبعدئذ لكلمة σῶμα « جسد »؟

هرموجينس: نعم.

سقراط: إذا كنت سأقول ما يحدث لي الآن في هذه اللحظة، فعليَّ أن أتصَوّر أنّ أولئك الذين استعملوا في البدء الإسم ψυχή عنوا أنّ الروح عندما تكون في الجسم فهي سبب وأصل الحياة، وتهب قوة التنفّس والانبعاث « ἀναψῦχον »، وعندما تكفُّ هذه القوة الانبعاثيّة عن أداء وظيفتها فإنّ الجسد سيفنى ويهلك ويموت حينئذ، ويسمُّون هذا نَفساً، إذا لم أكن مخطئاً. لكن توقّف للحظة من فضلك؛ أتخيّل أنّي أستطيع أن أكتشف شيئاً ما سيكون أكثر قبولاً لمريدي يوثيفرو، لأنّني أخشى أن يسخروا من هذا الإيضاح ويعتبرون أنّه تفسير مبتذل. ماذا ستقول لتعليلٍ آخر؟

هرموجينس: دعني أسمع.

سقراط: ما هو ذلك الذي يُبقي ويحمل ويهب الحياة والحركة إلى كامل طبيعة الجسم؟ أيكون ذلك الروح؟

هرموجينس: إنّه ذلك تماماً.

سقراط: أوَلاَ تعتقد مع أناكساغوراس بأنّ العقل أو الروح تكون منظِّمة وحاوية المبدأ والأصل والعنصر المميّز لكلّ الأشياء؟

هرموجينس: نعم، إنّني أعتقد ذلك.

سقراط: إذن يمكنك أن تقول دون تردد إنّها القوة φυσέχη التي تحمل وتدعم وتحفظ الطبيعة ἡ φύσιν καὶ ὀχεῖ ἔχει ويمكن لهذه القوة أن تنقّى وتُصقل لتصبح كلمة ψυχή.

هرموجينس: بالتأكيد؛ أعتقد أنّ هذا الاشتقاق والاستنتاج عمليّان.

سقراط: إنّهما هكذا، برغم أنّ الإسم كان في شكله الأصلي إسماً غريباً بكلّ تأكيد.

هرموجينس: لكن ماذا ستقول عن الكلمة التالية؟

سقراط: تعني كلمة σῶμα « الجسم ».

هرموجينس: نعم.

سقراط: يمكن تأويلها بشكل متعدّد؛ ومع ذلك فبأكثر تعدّديّة إذا سُمِحَ بتعديل صغير. يقول البعض إنّ الجسد يكون قبراً « σῆμα » للروح، والتي يمكن أن تعتبر أنّها مدفونة في حياتنا الحاضرة؛ أو أنّه المؤشّر أو الدليل للروح، لأنّ الروح تُعطي إشارات إلى الجسم « σημαίνει ». لكن الشيء الأكثر احتمالاً بالنسبة لي هو أنّ الشعراء الأوروفيوسيين هم مخترعو الإسم، وكانوا تحت انطباع أنّ الروح تقاسي العقاب على آثام محدَّدة ارتكبتها، وأنّ الجسد هو تطويق أو انحباس أو سجن تكون الروح فيه مسجونة ومحتجزة، وتبقى آمنة « σῶμα, σώζηται » كما يدل هذا الإسم ضمناً σῶμα ، حتّى تدفع الغرامة. وطبقاً لوجهة النظر هذه، فإنّه لا يُحتاج حتّى لحرف a من الكلمة أن يلحقه تغيير.

هرموجينس: أعتقد، يا سقراط، أنّنا قلنا كفاية عن هذا النوع من الكلمات. لكن أليست لدينا أيّة توضيحات أكثر عن أسماء الآلهة، مثل ذلك الإسم الذي أعطيته لزيوس؟ سأحبّ أن أعرف إذا ما كان يطبّق علمياً أيّ مبدأ لتصحيحها.

سقراط: نعم، حقاً، يا هرموجينس. وهناك مبدأ ممتاز واحد يجب أن نعترف به كرجال ذوي إدراك، وهو أنّنا لا نعرف شيئاً عن الآلهة، لا عن طبيعتهم، ولا عن الأسماء التي يعطونها لأنفسهم. لكنّنا متأكّدون أنّ الأسماء التي يسمّون أنفسهم بها هي أسماء حقيقيّة، مهما كانت. وهذه المبادىء هي من أفضل المبادىء كلّها. وما ينبغي قوله كشيء أفضل تالياً، كما يكون العرف بالصلوات، إنّنا سوف ندعوهم بأيّ نوع أو صنف من الأسماء، أو بأسماء تدلّ على الأبوّة التي يبتهجون فيها لأنّنا لا نعرف أيّة أسماء أخرى. إنّ ذلك العرف والتقليد، هو عرف جيد في رأيي. دعنا نعلن لهم، في المقام الأوّل،

إذا سرّك ذلك، دعنا نعلن أنّنا لسنا متسائلين عنهم ولا محققين بشأنهم؛ نفترض نحن أنّنا قادرون على فعل ذلك. لكن ما نحن عاملون هو أننا محققون ومتسائلون بخصوص معنى الرجال وذلك بإعطائهم هذه الأسماء، ويمكن أن تُوجد في هذا ملامة صغيرة.

هرموجينس: أعتقد، يا سقراط، أنّك محقّ تماماً، وسأحبّ أن أفعل كما تقول.

سقراط: هل سنبدأ، إذن، بهيستيا[7] طبقاً للتقليد والعرف؟

هرموجينس: نعم، إنّ ذلك سيكون مناسباً جدّاً.

سقراط: ماذا عنى، على سبيل الإفتراض، اسم هيستيا ومن أعطاه؟

هرموجينس: إنّ ذلك لسؤال آخر وهو بالتأكيد السؤال الأكثر صعوبة.

سقراط: يا عزيزي هرموجينس، إنّ فارضي الأسماء الأُوَل يُفترضُ أنّهم قد كانوا رجالاً غير عاديّين، بل إنّهم رجالٌ محققون ومتكلمون طموحون.

هرموجينس: حسناً، وماذا بشأنهم؟

سقراط: عليّ أن أعزو فرض الأسماء لمثل هكذا رجال. حتّى إذا حلّلت الأسماء الغريبة، فإنّ المعنى يبقى بعيد المنال. كمثال، أنّ ذلك الذي نسمّيه οὐσία يدعوه البعض ἐσσία ، ويدعوه الأخرون مرة ثانية ὠσία . والآن فإنّ جوهر الأشياء يجب أن يدعى ἑστία ، الذي يماثل الأسماء الأولى من هذه « ἐσσία = ἑστία » ويكون ذلك شيئاً عقلانياً بما فيه الكفاية. هناك سبب في تسمية الأثينيّن ذلك الأسم ἑστία الذي يشترك في الإسم οὐσία ، لأنّه يبدو وأننا قلنا في العصور الغابرة أيضاً ἐσσία لكلمة οὐσία. ويمكنك أن تسجّل أن هذه الأسماء قد كانت لأولئك الذين عيّنوا أنّ تلك الأضاحي وجب تقديمها بادىء ذي بدء إلى ἑστία ، والذي كان شيئاً طبيعيّاً بما فيه الكفاية إذا عنوا أنّ إسم ἑστία كان جوهر كل الأشياء. يبدو أنّ أولئك الذي يقولون الإسم ὠθοῦν مرّة ثانية، يبدو أنّهم ميّالون إلى رأي هيراقليطوس

القائل بأنّ كلّ الأشياء تسيل وتجري ولا شيء يقف. إنّ المبدأ الدافع بالنسبة لهم هو « ὠσία » وهو السبب والقوّة الحاكمة على كل الأشياء، ولذلك فإنّها دعيت ὠσία بحقّ. كفاية عن هذا الذي هو كلّ ما نقدر على تأكيده نحن الذين لا نعرف شيئاً. يجب أن نعتبر ونتأمّل في نظام يلي بِ ريَا وكرونوس بعد هيستيا، مع أنّ الإسم كرونوس قد تمّ بحثه سابقاً. لكنّني أجرؤ على القول بأنّي لن أتكلّم سفاسف عظيمة.

هرموجينس: لماذا، يا سقراط.

سقراط: يا صديقي الصالح، إنّني اكتشفت خليّة حكمة.

هرموجينس: من أيّة طبيعة؟

سقراط: حسناً، إنّي أكون مضحكاً في الوصف، ومع ذلك فإنّني أعتقد أنّ ما أقوله هو معقول ومقبول في الظاهر تماماً.

هرموجينس: كيف يكون معقولاً؟

سقراط: أُوهم نفسي أنّ هيراقليطوس كان مردّداً تعاليم حكميّة قديمة كقدم أيّام كرونوس وريَا، والتي تكلّم عنها هوميروس أيضاً.

هرموجينس: ماذا تعني؟

سقراط: يُفترض أنّ هيراقليطوس قال إنّ كلّ الأشياء تكون في حركة، ولا شيء يكون في سكون. يقارن هو الأشياء بجدولٍ، ويقول بأنّك لا تستطيع أن تدخل في المياه عينها مرتين.

هرموجينس: إنّ ذلك لحقيقي.

سقراط: حسناً، إذن، كيف يمكننا أن نتفادى استنتاج أنه هو الذي أعطى الإسمين لكرونوس وريَّا إلى أسلاف الآلهة، ووافق على تعاليم هيراقليطوس تقريباً؟ أيكون إعطاء إسمي جدولين عرضيّاً واتفاقيّاً لكليهما على نحوٍ صِرْف؟ قارن السطر الذي يخبرنا به هوميروس، كما أعتقد، عن أن هيسيود يقول هذا أيضاً: « المحيط، أصل الآلهة، والأم تيثيس(٧) »

ويقول أورفيوس مرّة ثانية، إنّ: « نهر المحيط الجميل كان الأول ليتزوج، وتزوَّج هو اخته تيثيس التي كانت ابنة أمّه ».
ترى أنّ هذه المصادفة هي مصادفة رائعة، وهي كلّها في اتّجاه هيراقليطوس.

هرموجينس: أعتقد أن هناك شيئاً ما فيما تقول، يا سقراط؛ لكنّني لا أعرف معنى الإسم تيثيس.

سقراط: حسناً، إنّه إسم يكاد يكون مُفسَّراً ذاتيّاً تقريباً، كونه إسم الينبوع فقط، بتخفٌ قليل تيثيس لأن العبارتين مصفّى ومرشَّح « διαττώμενον, ἠθούμενον » تعنيان ينبوعاً، وأمّا الإسم تيثوس فهو مؤلف من هاتين الكلمتين.

هرموجينس: إنّ الفكرة لحاذقة، يا سقراط.

سقراط: لتكن متأكّداً. لكن ماذا يأتي بعد ذلك؟ لقد تكلّمنا عن زيوس.

هرموجينس: نعم.

سقراط: إذن دعنا نهتمّ بعدئذ بأخويه الإثنين، بوسايدون وبلوتو، سواء إذا دُعي الأخير بذلك الإسم أو دعي باسم أخيه.

هرموجينس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: إسم بوسايدون ποσίδεσμος ، هو سلسلة القدمين. إنّ مخترع الأسماء الأصلّي. اوقفه عنصر الماء عن الاستمرار بالمسير. ولهذا فإنّه دعا حاكم هذا العنصر بوسايدون. إنّ الحرف ε أُدخِل كحليةٍ على الأرجح. ومع ذلك، لربّما لا يكون ذلك كما نقول، لكن يمكن أنّ هذا الاسم قد كُتب في الأصل بتضعيف الحرف λ وليس مع الحرف σ ، بما معناه أنّ الله عرف أشياء كثيرة « πολλὰ εἰδώς »، ولربّما كونه هو الذي يهزّ الأرض، ولقد سمِّي من الارتجاج باسم « σείειν »، وأُضيف الحرفان π و δ إليه. يعطي بلوتو الثروة « πλοῦτος »، وإسمه يعني واهب الغنى، الذي يأتي من باطن الأرض. يبدو أن الناس تخيلوا بشكل عام أنّ المصطلح يعني مثوى الأموات،

موصول باللاّمرئي « ἀειδές »، وبما أنّهم يخافون هذا الإسم، فهم يسمون الإله بلوتو كبديل.

هرموجينس: وما هو رأيك الخاص، يا سقراط؟

سقراط: أعتبر أنّ الرجال يرتكبون أخطاء عديدة بشأن قوّة هذا الإله ويخافونه بدون سبب وجيه. كمثال، إنّهم لخائفون لأنّ الإنسان، عندما يموت، سيكون في ذلك المكان « مثوى الأموات » إلى الأبد، وهم خائفون كذلك لأنّ الروح المجرّدة من الجسد تذهب إليه(٨). لكنّ اعتقادي أنّ كلّ هذا يتوافق تماماً، وأنّ الدور والمهام والإسم للإله كلّها تنسجم مع ذلك بحقّ.

هرموجينس: لماذا، وكيف يكون ذلك؟

سقراط: إنّني سأقول لك رأيي الخاصّ؛ لكن بادىء ذي بدء، سأسألك سؤالاً: أيُّ قيد يشعر به أيّ حيوان أنه القيد الأقوى؟ وأيّه يجعله يلازم المكان عينه: الرغبة أو الضرورة؟

هرموجينس: إنّ الرغبة هي القيد الأقوى بيعد كبير، يا سقراط.

سقراط: أوَلا تعتقد أنّ العديد من الأشخاص سيهربون من مثوى الأموات إذا لم يوثَق أولئك الذين يغادرون إليه بأقوى السلاسل؟

هرموجينس: إنّهم سيفعلون ذلك بالتأكيد.

سقراط: وإذا قيّدهم بأعظم السلاسل، فبرغبة ما عندئذ، كما سأستنتج بدون ريب وليس بالضرورة.

هرموجينس: يبدو هكذا.

سقراط: إنّ الرغبة تكون من أنواع عديدة، على كل حال.

هرموجينس: نعم.

سقراط: ولذلك فإنّ القيد يكون بأقوى الرغبات وأعظمها، إذا لم يكن بأهمّها.

هرموجينس: نعم.

سقراط: وهل تكون أيّة رغبة أقوى من التفكير أنّك ستُجعَل أفضل ممّا أنت بواسطة الاجتماع والاختلاط مع الآخرين؟

هرموجينس: لا بالتأكيد.

سقراط: أليس هذا هو السبب، يا هرموجينس، الذي من أجله لا يعزم أيّ شخص على الرجوع إلينا من عند مَن ذهب إليه؟ حتى أنّ الجنيّات، مثل بقية العالم كله، قد وُضِعت تحت سحره. إنّ سحراً وافتتاناً كهذا، كما أتصوّر، يقدر الله أن يدخله في كلماته. وطبقاً لهذا التصوّر، يكون هذا هو السوفسطائي الكامل والأكثر إنجازاً، والمحسن الأعظم لقاطني العالم الآخر. وحتّى لنا نحن الذين فوق الأرض، فإنّه هو يرسل من الأدنى النعم والبركات، لأنّه يمتلك منها أكثر بكثير ممّا يريد حيث هو؛ ولهذا السبب فإنّه يدعى بلوتو « أو الغني ». سجّل أيضاً، أنّه لا يمتلك أيّ شيء ليقوم به مع الرجال في حين يكونون هم في الجسد، بل عندما تتحرّر الروح من رغبات وشرور الجسم فقط. ألا تعتقد أنّ هذا هو ما يميّزه كأنّه فيلسوف عظيم يكون عالماً جدّاً أنّ الروح في حالتها التحرّريّة يستطيع أن يوثقها برغبة الفضيلة، لكنّها تُربَك وتُهيّج وتُخبّل بالجسد، عند ذلك، حتّى أنّ أباه كرونوس ذاته لن يكفي كي يبقيها معه بسلاسله البعيدة الشهرة.

هرموجينس: هناك مقدار من الحقيقة في ما تقول.

سقراط: نعم، يا هرموجينس، والمشرّع يسمي هذا مثوى الأموات، ليس من اللاّمرئي - إنّه غيرٌ من ذلك ببعيد، بل يسميه من معرفته « εἰδέναι » بكلّ الأشياء النبيلة.

هرموجينس: جيّد جدّاً؛ وماذا سيقول عن ديميتر، وهيرا، وأبوللو، وأثينا، وهيفياستوس، وآرِس، والآلهة الآخرين؟

سقراط: يبدو أنّ إسم ديميتر يعني ἡ διδοῦσα μήτηρ الذي يقدّم الغذاء مثل الأمّ؛ وهيرا هي الواحدة الفاتنة « ἐρατή ». إنّ زيوس، طبقاً للعرف، أحبّها

وتزّوجها. ولربّما أنّ هذا الإسم قد أُعطي عندما كان المشرّع مفكّراً بالسماوات، ويمكن أن يكون تخفيّاً للهواء فقط « ἀήρ »، ووضع هو النهاية في مكان البداية. إنّك ستدرك الحقيقة إذا ردّدت حروف إسم هيرا عدّة مرّات متتالية. إنّ الناس يخافون الإسم فيريفاتا كما يرهبون الإسم أبوللو. أن الخوف ينشأ، إذا لم أكن مخطئاً، من جهلهم بطبيعة الأسماء. لكنّهم يستمرون في تغيير الإسم إلى إسم فرسيفون، وهم مرتعبون من هذا؛ في حين أنّ الإسم الجديد يعني فقط أنّ الآلهة يكونون عقلاء « σοφή » لأنّهم يرون أنّ كلَّ شيء في العالم هو في حركة « φερομένων ». إنّ ذلك المبدأ الذي يتضمّن ويقارب ويكون قادراً على أن يتبعهم، هو الحكمة. ولذلك، يمكن أن تُدعى الآلهة فيريبافي بحقّ « Φερεπάφα »، أو باسم ما شبيه بذلك، لأنّها تقارب وتلامس ذلك الذي يكون في حركة « τοῦ φερομένου ἐφαπτομένη »، مظهرة حكمتها. « لربّما يكون هذا هو السبب الذي من أجله اختارها هادس Hades لتكون رفيقة له، والذي هو ذاته حكيم »؛ لكنّهم بدّلوا إسمها إلى فيريفاتا في هذه الأيّام لأنّ الجيل الحاضر يهتمّ بالصوت العذب أكثر من اهتمامه بالحقيقة. يوجد الإسم الآخر، أبوللو، الذي يُفترض بشكل عامّ أنّه يمتلك أكثر أهميّة وله معنى عسير. هل لاحظت هذه الحقيقة؟

هرموجينس: لتكن متأكّداً أنّني فعلت، وما تقوله هو حقيقة.

سقراط: لكنّ الإسم، في رأيي، هو الإسم الأكثر تعبيراً عن قوّة وسلطة الله بحقّ.

هرموجينس: كيف ذلك؟

سقراط: إنّني سأجهد لأوضح ذلك، فأنا لا أعتقد أنّ أيَّ إسم مفرد قد كان بإمكانه أن يُكيِّف تكييفاً أفضل ليوضح ويعبّر عن خاصيّات الله، متضمّناً، وفي طريقة، دالاً على كل الأسماء الأربعة منها: الموسيقى، والنبوّة، والطبّ، والرمي بالسهام.

هرموجينس: يجب أن يكون هذا الإسم إسماً غريباً، وسأحبّ أن أسمع الإيضاح والتفسير.

سقراط: قل على الأصحّ إنّه إسم متناسق متناغم كما يليق بإله الإيقاع وتناسب الألحان. في المقام الأوّل، إنّ التنظيف والتطهير اللذين يستخدمهما الحكماء والإلهيّون، وإنّ التبخير بالعقاقير السحريّة أو الطبيّة، بالإضافة إلى الغسيل وذر المنظفات، إن هذه كلّها تمتلك الهدف عينه، وهو أن تجعل الإنسان إنساناً نقيّاً صافياً في الروح والجسد.

هرموجينس: حقيقيٌّ تماماً.

سقراط: أليس أبوللو هو المطهّر، والغاسل، والغافر لكلّ النجاسات؟

هرموجينس: حقيقيّ جداً.

سقراط: إذن فيما يتعلق بغسله وغفرانه، كونه الطبيب الذي يأمر بها وينظمّها، فيمكن أن يسمى بحق Ἀπολούων « المطهّر »؛ ويمكن أن يدعى بتناسب Ἀπλῶς من ἁπλοῦς « المخلّص أو الصادق » وذلك فيما يتعلّق بسلطاته وألوهيته وصدقِهِ وإخلاصه، مثلما هو في اللّهجة الثيساليّة، لأنّ كلّ الثيساليين يدعونه Ἄπλους ؛ ويكون هو أيضاً ἀεὶ βάλλων « أي مطلق النّار دائماً » لأنّه هو سيّد الرمي بالسهام الذي لا يخطىء. أو مرّة ثانية، يمكن للإسم أن يدلّ على خواصّه الموسيقيّة. وكما يُفترض الحرف ἀ أنّه يعني « معاً » في الكلمة ἀκόλουθος وفي الكلمة ἄκοιτις وفي كلمات متعدّدة أخرى، هكذا فإنّ إسم أبوللو سيكون « متحرّكاً معاً »، سواء إذا كان في أعمدة السماء كما تُسمّى، أو في إيقاع الأغنيّة التي تدعى انسجاماً أو تناغماً لأنّ كلّ هذه الأشياء تتحرك في وقت واحد « ἅμα πολεῖ » وبإيقاع محدّد، كما نسمع من أولئك المتخصّصين الخبيرين في الموسيقى وعلم النجوم. إنّه هو الإله الذي يترأس ذلك الإيقاع أو التناغم ويشرف عليه

ويجعل كلَّ الأشياء تتحرّك معاً بين الآلهة والرجال. ومثلما يُستبدل الحرف a في كلمتي ἀκόλουθος و ἄκοιτις ، يُستبدل بكلمة ὁμο ، هكذا يكون الإسم Ἀπόλλων مساوياً للإسم ὁμοπολῶν ؛ وأُضيفَ الحرف الثاني λ فقط كي يتمّ تفادي صوت الدّمار النذير بالشؤم « ἀπολῶν, ». وبعدُ فإنّ الشكّ بهذه القوّة التدميريّة لا يزال يساور عقول البعض الذين لا يعتبرون أو يتأمّلون ملياً القيمة الحقيقيّة لهذا الإسم الذي يمتلك مرجعاً وسنداً لكلّ قدرات الله، كما كنت قائلاً لتوّي، هذا الإسم الذي هو واحد، المندفع أبداً، المحرِّك معاً، « ἁπλοῦς, ἀεὶ βάλλων, ἀπολούων, ὁμοπολῶν ».

سيبدو أنّ إسم آلهة الشعر والموسيقى مشتقٌّ من خلقهم للتساؤلات والتحقيقات الفلسفيّة « μῶσθαι »؛ وتدعى ليتو باسمها لأنّها هي إلهة لطيفة وراغبة « ἐθελήμων » كي تمنحنا التماساتنا. أو يمكن أن يكون اسمها ليثو، كما يدعوها الغرباء غالباً ـ يبدو أنّهم يعنون بالإسم هذا ضمناً الأنس والودّ، وطريقة سلوكها السّهل والناعم « λεῖον ἦθος ». سميّت أرتيميس بهذا الإسم بسبب طبيعتها الصحيّة ذات النظام الجيّد، وبسبب محبتها للعذريّة، وربّما لأنّها حاذقة في ممارسة الفضيلة « ἀρετή »، وربما لأنّها تكره الاتصال الجنسي بين النوعين « τὸν ἄροτον μισήσασα ». إنّ من أعطى الآلهة إسمها هذا يمكن أنّه كان لديه واحد من هذه الأسباب أو كلّها.

هرموجينس: ما هو معنى الإسمين ديونيسيوس وأفروديت؟

سقراط: يا ابن هيبونيكوس، إنّك تسأل سؤالاً جليلاً مقدّساً. هناك إيضاح وتفسير جدّي وظريف لكلا هذين الإسمين. إنّ التفسير الجدّيّ لم يكن ممّا لديّ، لكن لا اعتراض لسماعك الإيضاح الظريف لأنّ الآلهة تحبّ الطرفة أيضاً. إنّ إسم Διόνυσος هو بكلّ بساطة διδοὺς οἶνον أي « معطي النبيذ »، كما يمكن أن يدعى على سبيل المزاح باسم Διδοίνυσος ـ ويكون إسم οἶνος أو

يكون اسم οἰόνους بشكل مناسب، لأنّ النبيذ يجعل أولئك الذين يشربون يعتقدون « οἴεσθαι » بأنّهم يمتلكون عقلاً أي « νοῦν » عندما لا يمتلكون أيّاً منه. إنّ اشتقاق اسم أفروديات، أي مولودة من الزَّبَد « ἀφρός »، يمكن أن يُقبل بناءً على سلطة هيسيود.

هرموجينس: لا يزال إسم أثينا باقياً، والذي لن تنساه، يا سقراط، بما أنّك أنت أثيني؛ ويوجد إسم هيفياستوس وآريس أيضاً.

سقراط: إنّني لست ناسياً لهما على الأرجح.

هرموجينس: لا؛ حقاً.

سقراط: لا صعوبة في إيضاح وتفسير اللّقب الآخر لأثينا.

هرموجينس: أي لقبٍ آخر؟

سقراط: ندعوها نحن بالاس.

هرموجينس: لتكن متأكداً.

سقراط: ولا يمكننا أن نكون مخطئين في الافتراض أنّ هذا الإسم الأخير مشتق من الرقصات المسلّحة لأنّه للرفعة والسموّ الذاتيّة أو لأيّ شيء آخر فوق الأرض، أو لاستعمال الأيدي. وندعو نحن هذا اهتزازاً أو ارتجاجاً « πάλλειν »، أو نسمّيه رقصاً؛ والكلمات عينها لها استعمال انعكاسي.

هرموجينس: إنّ هذا لحقيقيٌ تماماً.

سقراط: إذن فإنّ هذا التفسير هو تفسير للإسم بالاس؟

هرموجينس: نعم؛ لكن ماذا تقول عن الإسم الآخر؟

سقراط: عن إسم أثينا؟

هرموجينس: نعم.

سقراط: إنّ تلك المسألة أخطر من سابقاتها. وأعتقد يا صديقي، أن التعليلات الحديثة التي أدخلها هوميروس ستساعد في إيضاح وجهة نظر الغابرين

الأقدمين. إنّ أكثريّة هؤلاء يؤكّدون في شروحهم عن الشاعر أنّه عنى باسم أثينا « العقل » أي « νοῦς » و« الذكاء » أي « διάνοια ». ويظهر أنّ صانع الأسماء كانت له فكرة مشابهة بشأنها؛ ودعاها بلقب أعلى هو« الذكاء الإلهي » أو « θεοῦ νόησις » وكأنه سيقول: إنّ هذه هي التي تمتلك عقل الله « θεονόα » ـ مستعملاً هنا حرف a كتنوّع منطقيّ لحرف η ومبعداً حرف ι، وحرف σ [(٩)]. لربّما يمكن أن يعني الإسم على كلّ حال θεονόη « هي التي تعرف أشياء إلهية ». أي، « θεῖα νοοῦσα » أفضل ممّا يعرفها الآخرون. ولن نكون مخطئين بعيداً في الافتراض وهو أنّ مؤلف هذا الإسم رغب في أن يعيّن شخصيّة هذه الإلهة بالذّكاء الإنساني ἐν ἤθει νόησιν؛ ولذلك أعطاها الإسم ἠθονόη ، الذي بدّله هو أو الذين أتوا بعده إلى ما اعتقدوا أنّه، شكلاً وترتيباً، أجمل ودعاها أثينا.

هرموجينس: لكن ماذا ستقول عن هيفياستوس؟

سقراط: هل تتكلّم أنت عن سيّدٍ أميرٍ شعشعانيّ ؟

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: إنّ الكلمة Ἥφαιστος تكون Φαῖστος ولقد أضاف هو الحرف لجاذبيته. إنّ ذلك جليّ لأيّ شخص.

هرموجينس: إنّ ذلك محتمل جدّاً إلى أن تدخل في تفكيرك فكرة أخرى محتملة.

سقراط: كي تمنع هذا من أن يحدث، كان من الأفضل لك أن تسأل عن اشتقاق اسم آريس.

هرموجينس: ما هو إسم آريس؟

سقراط: يمكن لإسم آريس أن يدعى، إذا شئت، من رجولته « ἄρρεν » وشجاعته، أو إذا سرّك، يمكن أن يسمّى من طبيعته الصعبة وغير المتغيرة، الذي هو معنى الكلمة: ἄρρατος . إنّ إشتاق الإسم الأخير مناسب لإله الحرب في كلّ طريقة.

هرموجينس: محتمل جدّاً.

سقراط: والآن أستحلفك بالآلهة، دعنا لا نمتلك أكثر من ذلك عن الآلهة، لأنّني أخاف الحديث بشأنهم؛ إسأل عن أيّ شخص سواهم، وسترى أنّ أحصنة يوثيفرو تقدر أن تقفز على أقدامها الخلفيّة.

هرموجينس: سأسألك عن إله واحد فقط! أريد أن أعرف عن هرمس، الذي يقال أنّني لست إبناً حقيقيّاً له. دعنا نفهم مضمون إسمه، وسأعرف عندئذ إذا ما كان هناك أيّ معنى فيما يقوله كراتيلوس.

سقراط: سأتصوّر أن إسم هرمس يختص بالكلام، ويفيد أنّه يكون المؤوّل « ἑρμηνεύς » أو المفسر أو الرسول أو السارق أو الكاذب أو عاقد الصفقات. إنّ كل هذه الصفحات لها علاقة بهذه اللغة، كما سبق وأخبرتك(١٠). أمّا الكلمة εἴρειν فهي تعبير كلامي. وتوجد كلمة هوميريّة غالباً ما تتكرّر وتحدثἐμήσατοالتي تعني أنّه هو « مبتدع أو مخترع ». إنّ المشرّع شكّل من هاتين الكلمتين εἴρειν و μήσασθαι إسم الإله الذي اخترع اللغة والكلام؛ ويمكننا أن نتصوّر أنّه يملي علينا استعمال هذا الإسم. فقد قال لنا: « أوه يا أصدقائي، بما أنّكم ترون أنّه يكون مبتدع القصص والأحاديث، يمكنكم أن تدعوهُ بحقّ Εἰρέμης ، وكنا نحن قد أدخلنا عليه تحسيناً، كما نعتقد، وأصبح الإسم هرمس. يبدو أنّ إيريس قد سُمّيت من الفعل « ليخبر » أو « εἴρειν » لأنّها كانت رسولة.

هرموجينس: إذن فأنا متأكّد من أنّ كراتيلوس كان على حقّ تماماً في القول أنّني لم أكن إبناً لهرمس في الحقيقة « Ἑρμογένης » لأنّني لست متكلّماً جيداً.

سقراط: هناك سبب أيضاً، يا صديقي، في كون Pan « بان » الشكل المضاعف لإبن هرمس.

هرموجينس: كيف تعرف؟

سقراط: إنّك لدارٍ أنّ الكلام يفيد كلَّ شيء « πᾶν » وأنّه يديرها دائرياً على الدوام، وأنّ له نوعين اثنين: نوعٍ حقيقي وآخر مزيَّف.

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: أليس النوع الحقيقيّ فيه هو النوع المتدفّق أو اللطيف أو المقدَّس الذي يقطن عالياً بين الآلهة، بينما النوع الزائف يسكن بين الرجال تحتياً، وإنّه لخشن مثل تيس المأساة؟ فالقصص والتزييفات تختصّ بالحياة المأساويّة والشهوانيّة، والمأساة هي مكان لها.

هرموجينس: حقيقيّ جداً.

سقراط: إذن فإنّ Pan « بان » المعلن لكلّ شيء « πᾶν » والمحرّك السرمديّ « ἀεὶ πολῶν » لكلّ شيء، يدعى بحقّ αἰπόλος أو قطيع الماعز، كونه الهيئة الثنائية أو النوع الثنائي لهرمس. إنّه لطيف في جزئه الأعلى وخشن مثل الماعز في مناطقه السفلى. وبما أنّه ابن لهرمس فإنّه الكلام أو أخو الكلام، وليس بأعجوبة أن يكون اخ مشابه لأخيه. لكن، كما قلت يا عزيزي هرموجينس، دعنا نبتعد عن الآلهة.

هرموجينس: دعنا نفعل ذلك عن هذا النوع من الآلهة، بكلّ تأكيد. لكن لِمَ لا نبحث نحن في نوعٍ آخر من أنواع الآلهة: الشمس، القمر، النجوم، الأرض، الأثير، الهواء، النار، الماء، الفُصول، والسنين؟

سقراط: إنّك تفرض عدّة أعمالٍ شاقّة ومهمّة عليّ، ولن أرفض البحث فيها، إذا ما سرّك ذلك.

هرموجينس: إنّ البحث فيها سيسرّني حقّاً.

سقراط: كيف ستريدني أن أبدأ؟ هل سأبحث، بادىء ذي بدء، في الذي ذكرته أوّلاً أي الشمس؟

هرموجينس: جيّد جداً.

سقراط: سيكون أصل أو منشأ الشمس أوضح في الشكل الدوريّ[١١] على

الأرجح، لأنّ الدوريانز يدعونه ἅλιος ، ولربّما أعطي له هذا الإسم لأنه عندما يشرق يجمع « ἁλίζοι » الرجال معاً، أو ربما لأنّه دائم المسير في طريقه «ἀεὶ εἱλεῖν ἰών» على مقربة من الأرض؛ أو من الإسم αἰολεῖν الذي يشابه معنى الإسم ποικίλλειν « لتعدّد الألوان » لأنّه يعدّد ألوان منتوجات الأرض.

هرموجينس: لكن ما هو σελήνη « القمر »؟

سقراط: إنّ الإسم غير محظوظ بالنسبة لأناكساغوراس على الأصحّ.

هرموجينس: كيف ذلك؟

سقراط: يبدو أنّ الكلمة تسبق اكتشافها الحديث العهد، وهو أنّ القمر يتلقّى نوره من الشمس.

هرموجينس: لماذا تقول هذا؟

سقراط: إنّ الكلمتين σέλας « إشراق » و φῶς « نور » لهما المعنى عينه تقريباً.

هرموجينس: نعم.

سقراط: إنّ هذا النور في جوار القمر هو نور جديد على الدوام « νέον »، وهو قديم دائماً « ἔνον » إذا ما صدق ما قاله أتباع أناكساغوراس إن الشمس تضيف نوراً جديداً في دورتها أبداً بشكل دائم، ويوجد النور القديم للشهر السابق.

هرموجينس: حقيقي جداً.

سقراط: إنّ القمر لا يُدعى σελαναία إلاّ نادراً.

هرموجينس: حقاً.

سقراط: وبما أنّه يمتلك نوراً هو قديم دائماً كما أنّه نور جديد على الدوام « ἔνον νέον ἀεί » يمكن أن يكون له الإسم σελαενονεοάεια بشكل مناسب تماماً؛ وعندما يوضع هذا الإسم في شكله الصحيح يصبح σελαναία .

هرموجينس: إنّ هذا الإسم هو إسم من النوع الحماسيّ، يا سقراط، لكن ماذا تقول عن الشهر والنجوم؟

سقراط: يسمّى « الشهر » μεισ لتنقّص أو لتقلّل، لأنّ الشهر يعاني من النقص. ويبدو أنّ إسم ἄστρα « النجوم »، أنّه مشتقٌّ من ἀστραπή « النور الكفيف » الذي يكون تحسيناً على إسم μειοῦσθαι ، والذي يفيد اعتلال أو اضطّراب العيون « ἀναστρ έφειν ὦπα »

هرموجينس: ماذا تقول عن إسم πῦρ « النار » وعن إسمὕδωρ« الماء »؟

سقراط: إنّني محتار كيف سأوضح إسم πῦρ ؛ إمّا أنّ وحي يوثيفرو هجرني، أو أن هناك صعوبة كبيرة جدّاً في هذه الكلمة. من فضلك، لاحظ الوسيلة التي أختارها كلّما واجهتني صعوبة من هذا النوع.

هرموجينس: ما هي هذه الصعوبة؟

سقراط: سأخبرك؛ لكنّني سأحب أن أعرف، في أول الأمر، إذا ما كنت تستطيع أن تقول لي ما هو معنى الكلمة πυρ

هرموجينس: إنّني لا أقدر على ذلك حقاً.

سقراط: هل سأخبرك ما الذي أشتبه أنّه المعنى الحقيقيّ لهذه الكلمة، وللعديد من الكلمات الأخرى؟ إعتقادي أنّها ذات أصل غريب، يستعير منه الهيلينيون غالباً، خاصّة أولئك الذين هم تحت سيادة البربر.

هرموجينس: ما هو الاستنتاج؟

سقراط: إنّ أيّ شخص ينشد اظهار التناسب لهذه الكلمات بوضوح طبقاً للّغة الهيلينيّة، وليس وفقاً للّغة التي اشتُقّت منها، إنّ هذا الشخص سيواجه ارتباكاً على الأرجح.

هرموجينس: نعم، بكلّ تأكيد.

سقراط: حسناً إذن، تأمّل مليّاً إذا ما كانت هذه الكلمة πῦρ كلمة غريبة؛ إذ ليس لها علاقة باللّسان الهيلينيّ، ويمكن الانتباه إلى أن الفريجيين لديهم

الكلمة عينها مع تغيير طفيف، تماماً مثلما يمتلكون الكلمتين ὕδωρ « الماء » و κύνες « الكلاب »، وكذلك عديد من الكلمات الأخرى.

هرموجينس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

سقراط: يجب تفادي أيّة تفسيرات محرّفة للكلمات؛ لأنّه يمكن إيجاد شيء ما سهل يقال بشأنها. وهكذا فإنّني تخلّصت من كلمتي πῦρ و ὕδωρ. أمّا كلمة Ἀήρ « الهواء » يا هرموجينس، فيمكن تفسيرها كأنّها العنصر الذي يرفع « αἴρει » الأشياء من الأرض، أو كأنّها السائل أو المتدفّق على الدوام « ἀεὶ ῥεῖ »، أو لأنّ الجريان أو الحركة المتواصلة للهواء تكون الريح، والشعراء يدعون الرياح « هبّات أو عواصف الهواء » « ἀῆται ». إنّ مَن يستعمل هذا الاصطلاح يمكن أن يعني، إذا جاز التعبير، التغيّر المتواصل أو الحركة الدائمة « ἀητόρρουν »، بمعنى الريح الجارية الدائمة الحركة « πνευματόρρουν ». ولأنّ الريح المتحركة هذه يمكن شرحها أو التعبير عنها بكلا الاصطلاحين، فهو يستخدم الكلمة هواء « ἀήρ = ἀήτης ῥέω ». ينبغي عليّ أن أفسّر أو أؤوّل كلمة Αἰθήρ « الأثير » كأنّها كلمة ἀειθεήρ؛ يمكن أن يقال هذا بكل صحّة لأنّ هذا العنصر يجري في حركة دائمة على مقربة من الهواء « ἀεὶ θεῖ περὶ τὸν ἀέρα ῥέων ». إنّ معنى كلمة γῆ « الأرض » تتجلّى أفضل عندما تكون في الشكل γαῖα، لأنّ الأرض يمكن أن تُدعى « أُمّاً » بحقّ « γαῖα, γεννήτειρα »، كما هي في لغة هوميروس « الاوديسة. إنّ الكلمة γεγάασι تعني γεγεννῆσθαι أنّ كلَّ شيء حسن حتّى الآن. فماذا سنتناول تالياً؟

هرموجينس: توجد ὧραι « الفصول »، يا سقراط ويوجد اسما السنة الإثنان، ἐνιαυτός ، ἔτος.

سقراط: إنّ كلمة ὧραι يجب تهجئتها بالطريقة الأتيكية القديمة، إذا أردت أن تعرف الحقيقة المشتملة بشأنها؛ إنّها تسمّى الـ ὅραι لأنّها تقسّم « ὁρίζουσιν »

فصول الصيف والشتاء والرياح وفاكهة الأرض. يظهر أنّ الكلمتين ἐνιαυτός و ἔτος هما الشيء عينه - « إنّهما الكلمتان اللتان تحضران النباتات ونتاج الأرض إلى النور كلٌّ في دوره، وتستعرضانها داخل نفسيهما « ἐν ἑαυτῷ ἐξετάζει ». إنّ هذه تنقسم إلى كلمتين، كلمة ἐνιαυτός من كلمة ἑαυτῷ، وكلمة ἔτος من كلمة ἐτάζει، تماماً مثلما قُسّم Ζεύς ، كما لاحظنا سابقاً، إلى إسم Ζῆνα و Δία . أما الفرضيّة كلّها فتعني أنّ قوّة المعاينة هذه تكون واحدة من الداخل، لكنّ لها اسمين اثنين وكلمتين ἐνιαυτός و ἔτος كونها مشكّلة هكذا من افتراض مفرد.

هرموجينس: إنّك تحرز تقدّماً مدهشاً حقا، يا سقراط.

سقراط: أتفتكر أنّ هذه هي انطلاقات جسورة للحكمة.

هرموجينس: إنّني أفعل.

سقراط: ويمكنك أيضاً أن تكون أكثر ميلاً لقول ذلك قريباً.

هرموجينس: سأحبّ أن أعرف، في المقام التالي، كيف ستفسّر الأسماء المعطاة للفضائل. أيّ مبدأ أو قاعدة صحيحة توجد لتلك الكلمات الرائعة: الحكمة، الفهم، العدل، وللبقيّة الباقية منها؟

سقراط: إنّ هذا هو نوعٌ هائلٌ من أنواع الأسماء التي تبرزها إلى النور. يبقى، بما أنّني ارتديت جلد الأسد، أن لا أجبن، وأني لأفترض أنّه ينبغي أن أتأمّل معنى الحكمة « φρόνησις » والفهم « σύνεσις » والاحتكام « γνώμη » والمعرفة « ἐπιστήμη » وكلّ هذه الكلمات الرائعة، كما تسمّيها.

هرموجينس: بالتأكيد. يلزمنا أن لا نكفّ عن ذلك حتى نستخرج معناها.

سقراط: بكلب مصر! أعتقد أنّ الفكرة التي أتت إلى رأسي لتوّها[١٢] لم تكن فكرة سيّئة المصدر؛ وهي أنّ معطي الأسماء البدائيين كانوا مثل العديد من فلاسفتنا الحديثين، الذين عندما يبحثون في طبيعة الأشياء، يصابون بالدّوار

بسبب مضيِّهم بالسير في حلقة مفرغة باستمرار، ويتصوّرون بعدئذ أنّ العالم هو الفاعل لِمَا يقومون به وهو المتحرّك في كل اتجاه. ويفترضون هذا الظهور الذي ينشأ من حالتهم الداخليّة الخاصّة، يفترضونه أنّه حقيقة الطبيعة. يعتقدون أن لا شيء يوجد مستقرّاً أو دائماً، بل هو في تغيّر مستمرّ وفي حركة، وأنّ العالم ممتلىء على الدوام بكلّ نوع من أنواع الحركة والتغيير. إنّ اعتبار الأسماء التي ذكرتها قادني لأن أقوم بهذا التأمّل المَلِيّ.

هرموجينس: كيف يكون ذلك، يا سقراط؟

سقراط: ربما لم تلاحظ أنّ الحركة أو التغيّر المستمرّ أو النشوء للأشياء، هي الأكثر إبانة في الأسماء التي قد تمّ الاستشهاد بها.

هرموجينس: لا، حقاً، إنّني كنت عالماً بها بصعوبة.

سقراط: خذ الإسم الأوّل من تلك الأسماء التي ذكرتها. إنّ هذا الإسم دالٌّ على الحركة بوضوح.

هرموجينس: ماذا كان الإسم؟

سقراط: Φρόνησις « الحكمة » التي يمكن أن تعني φορᾶς καὶ ῥοῦ νόησις « قوّة إدراك الحركة والتغيّر المستمرّ »، أو ربّما تعني φορᾶς ὄνησις « نعمة أو بركة الحركة »، لكنّها متّصلة بكلمة φέρεσθαι « حركة » على أية حال. أمّا كلمة γνώμη « إصدار الحكم أو القضاء » مرّة ثانية، فإنّها تدلّ ضمناً بكلّ تأكيد، على التأمّل مليّاً، أو الاعتبار أو التفكير «νώμησις» في النشوء « γονή »، إذ التعبير « ليتأمّل مليّاً » هو الشيء عينه مثل التعبير « كي تأخذ بعين الاعتبار أو تفكّر »؛ أو إذا كنت ستفضّل، هناك كلمة νόησις ، التي قد ذكرتها لتوّي بالتحديد، والتي هي νέου ἕσις « الرغبة في الجديد ». أمّا الكلمة νέος فإنّها تعني ضمناً أنّ العالم يكون في عملية الخلق على الدوام. أراد واهب الأسماء أن يعبّر عن هذا التلهّف

الروحيّ لأنّ الإسم الأصليّ كان νόεεσις ، وليس νόησις ؛ لكن حرف η أخذ مكان تضعيف الحرف ε . أمّا الكلمة σωφροσύνη فهي النجاة « σωτηρία » لتلك الحكمة « φρόνησις » والتي أخذناها بعين الاعتبار لتوّنا. وتماثل كلمة Ἐπιστήμη « معرفة » هذه الكلمة، وتدلّ على أنّ الروح التي تكون صالحة لأيّ شيء تتبع « ἕπεται » أي حركة الأشياء، وهي غير سابقةٍ لها وغير مقصّرةٍ عنها. ولهذا السبب فإنّ الكلمة يجب أن تُقرأ على الأصحّ مثل ἐπειστήμη ، مدخلين عليها الحرف ε . وأمّا الكلمة Σύνεσις « فهم » فيمكن اعتبارها كنوع من الاستنتاج في أسلوب مماثل. إنّ الكلمة هذه مشتقة من συνιέναι لتمضي على طول مع هذه. ومثل الكلمة ἐπίστασθαι « تعرف » التي تدلّ ضمناً على تقدّم الروح في صحبة مع طبيعة الأشياء. وتكون الكلمة Σοφία « حكمة » أكثر إبهاماً، وتظهر على أنّها لا تكون ذات منشأ وطنيّ؛ وأمّا معناها فهو ملامسة الحركة أو تيّار الأشياء. يجب أن تتذكّر أنّ الشعراء عندما يتكلّمون عن ابتداء أيّة حركة سريعة فهم يستعملون غالباً كلمة ἐσύθη « هو يتسرّع ». ووُجد لاقيدايموني شهير سُمّي Σοῦς « متسرّع »، لأن اللاقيدايمونيين يدلّون على الحركة السريعة بهذه الكلمة، والملامَسَة « ἐπαφή » للحركة يُعبّر عنها بالكلمة σοφία ، لأنّ كلّ الأشياء يُفترض أنّها تكون في حركة. الخير « ἀγαθόν » يكون الإسم الذي قُصِد به كلقبٍ للبديع « ἀγαστῷ » في الطبيعة ككلّ. ومع أنّ كلّ الأشياء تتحرّك، يبقى أن هناك درجاتٍ للحركة، بعضها أسرع، وبعضها أبطأ. لكن هناك بعض الأشياء التي تكون رائعة لسرعتها وبسرعتها. ويسمّى هذا الجزء الجدير بالإعجاب في الطبيعة ἀγαθόν .

أمّا Δικαιοσύνη « العدل » فإنّه بوضوح δικαίου σύνεσις أي « فهم

العادل »؛ لكنّ الكلمة الحقيقية δίκαιον هي أكثر صعوبة. إنّ الناس متّفقون بشأن كلمة العدل إلى مدىً محدَّد فقط، وحينئذ يبدأ تعارضهم في الآراء بخصوص ذلك. وأمّا الذين يفترضون أنّ كلّ الأشياء هي في حركة، فهم يتصوّرون أنّ الجزء الأعظم من الطبيعة هو مجرَّد وعاء، ويقولون إنّ هناك قوّة مخترقة هي التي تمرّ من خلال هذا كلّه. وهذه القوة هي أداة الخلق في الجميع، وهي العنصر الأدقّ والأسرع لأنّها إن لم تكن العنصر الأدقّ والألطف، والقوّة التي لا يستطيع أحد أن يقيها خارجاً، والتي هي الأسرع أيضاً، والمارّة بجانب الأشياء الأخرى وكأنّها لا تزال واقفة بغير حراك، فهي لا تقدر أن تنفذ من خلال العالم المتحرّك. وهذا العنصر، وهو الذي يشرف على كلّ الأشياء لأنّه يقدر أن يخترق « διαϊόν » الكلّ، يُدعى بحقّ δίκαιον ؛ وقد أُضيف الحرف κ بغرض عذوبة الصوت فقط. هناك اتفاق إلى هذا الحدّ، كما كنت قائلاً، بين العديد من الرجال بشأن معنى « العدل ». لكن أنا، يا هرموجينس، قد كنت مثابراً ومصرّاً في بحثي وتحقيقي حتى تعلّمت كلّ الحقيقة كسرٍّ. عنيت، أنّ هذا العدل الذي أتكلّم عنه هو السبب أيضاً لأنّ السبب هو ذلك الذي يأتي من خلاله أو بواسطته أيّ شيء إلى الوجود. وأتى شخص ما وهمس في أذني أنّ العدل دُعي هكذا بحقّ لأنّه يكون مشتركاً في طبيعة السبب. لكن عندما أبدأ باستجوابهم بلطف، بعد سماع ما قالوه، وأقول: « حسناً، يا صديقي الممتاز، ما هو ذلك الذي يكون عادلاً، بناءً على افتراضنا » يعتقدون أنّني أطرح أسئلة متعبة، وأنّي أقفز فوق العوائق. ولقد أُجبت مسبقاً بشكلٍ كافٍ. وبعدُ، فإنّهم يعطونني تعليلات وأوصافاً متنوّعة ومتضاربة في سعيهم كي يقنعوني. فواحدهم يقول إنّ العدل هو الشمس، وإنّه هو وحده العنصر الثاقب أو المخترِق «διαϊόντα» والحارِق « κάοντα » الذي هو حارس

الطبيعة. وحينما أردِّد هذه النظريّة الجميلة أمام الآخرين بفرح، فهو يجيب بتعليق هجائي قائلاً: « ماذا، ألا يوجد عدل عندما تغرب الشمس؟ ». وعندما أستعطف سائلي بجديَّة كي يخبرني رأيه الخاصّ الأمين بشأن النقطة الرئيسيّة عينها، يقول إنّها « النار ». لكنّ هذه الإجابة ليست إجابة مفهومة أو جليَّة. يقول آخر، « لا، إنّها ليست النار المجرَّدة بل عنصر الحرارة الموجود في النار ». ويصرِّح رجل آخر أنّه يضحك ويسخر من أقوالهم جميعاً، ويقول إنّ العدل يجب أن يكون العقل، طبقاً لعقيدة وتعليم أناكساغوراس لأنّ العقل كما يقولون يمتلك قوّة مطلقة، ولا يختلط بأيّ شيء، وينظِّم كلّ الأشياء، ويمرُّ من خلالها كلِّها. إنّني وجدت نفسي أخيراً، يا صديقي، وجدتُها في ارتباك أكثر بخصوص طبيعة العدل ممّا كنته قبل أن أبتدىء بالعلم. لكنّني لم أزل أتمسّك بالرأي القائل بأنّ الإسم الذي قادني إلى هذا الاستطراد، أُعطي للعدل للأسباب التي ذكرتها.

هرموجينس: أعتقد، يا سقراط، أنّك لست مرتجِلاً كلماتك الآن؛ ويُفترض أنّك سمعتها من شخص ما.

سقراط: لكن ليس الكلمات الباقية.

هرموجينس: بصعوبة.

سقراط: حسناً، إذن، دعني أواصل البحث على أمل أن أجعلك تعتقد في أصالة الأسماء الباقية. ماذا يبقى بعد العدل؟ إنّني لا أفتكر أنّنا بحثنا في الشجاعة بعدُ « ἀνδρεία ». أما الظلم « ἀδικία » الذي ليس أكثر من إعاقة للمبدأ المخترق بوضوح، أي «διαϊόντος» فليس بحاجة لأن يؤخذ بعين الاعتبار. حسناً، إذن، يبدو أنّ الإسم ἀνδρεία يدلّ ضمناً على معركة. إنّ هذه المعركة تكون في عالم الوجود، وطبقاً لمذهب وتعاليم التغيّر المتواصل. إنّها تكون ضدّ التغيّر المتواصل « ἐναντία ῥοή ». إذا أنت انتزعت الحرف δ من الكلمة

ἀνδρεία ، فإنّ الإسم يدلّ على الشيء في الحال، ويمكنك أن تفهم بوضوح أنّ ἀνδρεία لا يكون التيّار أو الدّفق المضادّ لكلّ دفق، بل إنّه مضادٌّ لذلك الذي يعاكس العدّ فقط، لأنّه إذا كان مختلِفاً عن هذا فإنّ الشجاعة لم يتم الثناء عليها. إنّ كلمتيْ ἄρρην « ذَكر » و ἀνήρ « رجل » تتضمّنان تلميحاً مشابهاً للمبدأ عينه: للتغيّر المتواصل المتّجه إلى أعلى τῇ ἄνω ῥοῇ. إنّ كلمة Γυνή « إمرأة » أشتبه أنها هي الكلمة عينها مثل γονή « ولادة ». أما كلمة θῆλυ « أنثى » فيظهر أنّها مشتقّة جزئيّاً من كلمة θηλή « الحلمة » لأنّ حَلَمَة الثدي تشبه المطر، وتجعل كلّ الأشياء تزدهر « τεθηλέναι ».

هرموجينس: إنّ ذلك محتمل بكلّ تأكيد.

سقراط: نعم؛ ويبدو أنّ الكلمة المحدَّدة θάλλειν « لتزدهر »، يبدو أنها تصف نموّ الشباب الذي يكون نموّاً سريعاً ومفاجئاً على الدوام. وهذا يعبّر عنه بالمشرّع في الإسم الذي هو مركّب من كلمتين θεῖν « راكض أو مندفع بسرعة »، وليس كلمة ἅλλεσθαι « قافز ». لاحظ كيف أنّي أعدو بسرعة عندما أصل إلى أرض ناعمة. هناك العديد من الأسماء الجيّدة التي يُعتقَد أنّها ذات أهميّة بشكل عامّ.

هرموجينس: حقاً.

سقراط: هناك معنى الكلمة τέχνη « فنّ » كمثال.

هرموجينس: حقيقي تماماً.

سقراط: يمكن لتلك الكلمة أن تُماثل بكلمة ἐχονόη ، وتعبّر عن امتلاك العقل وما عليك إلاّ أن تبعد منها الحرف τ وتولج الحرفين ο ، الأول بين حرفي χ و ν والثانية بين حرفي ν و η .

هرموجينس: إنّ سبكك للحروف يزداد، يا سقراط.

سقراط: نعم، يا صديقي العزيز؛ لكنّك تعرف أنّ الأسماء الأصليّة قد دُفِنت منذ

زمن بعيد وأخفاها الناس الذين ألصقوا حروفاً ونزعوا الحروف الأخرى بقصد عذوبة الكلام، ثم شوّهوها وزيّنوها بغير ذوق في كلّ نوع من أنواع الوسائل. ويمكن أنّ الزمن قد كان له دور في عمليّة التغيير هذه. خذ، كمثال، الكلمة κάτοπτρον ؛ لماذا أُدخل عليها الحرف ρ ؟ يجب أن يكون هذا الإدخال قد أولجه شخص ما لا يهتمّ أبداً بشأن الحقيقة. وبإضافات من هذا النوع لا يقدر أيّ مخلوق إنساني أن يكتشف معنى الكلمة الأصليّ. وهناك مثال آخر في الكلمة σφίγξ, σφιγγός ، التي يجب أن تكون كلمتي φίγξ و φιγγός على الأرجح، وهناك أمثلة أخرى غير هذه الأمثلة.

هرموجينس: إنّ ذلك حقيقيّ تماماً، يا سقراط.

سقراط: ومع ذلك، إذا سُمِح لك أن تضع وتنتزع أيّة حروف تسرّك، فإنّ الأسماء، ستُخلق بكلّ سهولة، ويمكن لأيّ إسم أن يُكيّف ليناسب أيّ موضوع.

هرموجينس: حقاً.

سقراط: نعم، إنّ ذلك لحقيقيّ. ولهذا السبب فحاكم مطلق حكيم، مثلك، عليه أن يراقب قوانين الاعتدال والاحتمال.

هرموجينس: تلك هي رغبتي.

سقراط: وهذا ما أرغبه أيضاً، يا هرموجينس. لكن لا تكن دقيقاً كثيراً، وإلا « فإنّك ستجعلني أفقد قوّتي »(١٣) لأنك سمحت لي أن أضيف كلمة μηχανή « اختراع » إلى كلمة τέχνη « فنّ ». سأكون هنا في قمة تصميمي. أتصوّر كلمة μηχανή أنّها إشارة إنجازٍ كبرى ἄνειν ؛ لأنّ كلمة μῆκος تمتلك معنى العظمة، وكذلك هاتان الكلمتان، μῆκος و ἄνειν فإنّهما تخلقان الكلمة μηχανή . لكن، كما قلت، كوني في قمّة تصميمي الآن، سأحبّ أن أتأمّل مليّاً معنى كلمتي ἀρετή « فضيلة »

و κακία « رذيلة ». إنّني لا أفهم كلمة ἀρετή حتى الآن. غير أنّ كلمة κακία هي كلمة واضحة، وتتّفق مع القواعد والمبادىء التي تقدّمت، لأنّ كلّ الأشياء هي في تغيُّر متواصِل « ἰόντων ». وتكون كلمة κακία كلمة « مُنطَلِق على نحوٍ سيِّىء » κακῶς ἰόν؛ وهذه الحركة الشرّيرة عندما توجد وتبقى في الروح تمتلك الإسم العامّ κακία ، أو رذيلة، ويكون هذا الإسم إسماً مناسباً لها. أمّا معنى الكلمات κακῶς ἰέναι فيمكن أن يُشرَح بشكلٍ أبعد باستعمال كلمة δειλία « جبن » التي يجب أن تأتي بعد كلمة ἀνδρεία ، لكنّها كانت منسيّة. وكما أخشى، فإنّها ليست الكلمة الوحيدة التي قد أُهمِلَت. أمّا كلمة Δειλία فتعني أنّ الروح تكون مطوّقة بسلسلة قويّة « δεσμός »، لأنّ كلمة λίαν تعني القوّة، ولهذا السبب فإنّ كلمة δειλία تعني الرباط الأعظم والأقوى للروح. وتكون كلمة ἀπορία « صعوبة » شرّاً من الطبيعة عينها « ليس من حرف a ». وأمّا كلمة πορεύεσθαι « لتنطلق »، فإنّها مثل أيّ شيء آخر يكوّن إعاقةً عن السير والحركة. إذن يبدو أنّ كلمة κακία تعني κακῶς ἰέναι ، أو منطلقاً بسوء، أو ماشياً مضطرباً أو متعثراً والذي تكون عاقبته أو نتيجته أنّ الروح تصبح مملوءَة بالرذيلة. وإذا كانت الكلمة κακία الإسم لهذا النوع من الشيء، فإنّ كلمة ἀρετή ستكون لها ضدّاً، مفيدةً سهولة في الحركة في المقام الأوّل. حينئذ فإنّ تيّار أو دفق الروح يكون غير معوّق أو مُعتَرَضٍ سبيله، ويمتلك خاصيّة الدّفق الدائم لهذا السبب بدون عائقٍ أو عرقلة، وتسمّى لذلك كلمة ἀρετή ، أو بصِحّة أكثر، كلمة ἀειρειτή المتدفّق أبداً ». وربّما أنّها امتلكت شكلاً آخر، αἱρετή « المرغوب فيه » مشيرة إلى أنّ لا شيء يكون مرغوباً فيه أكثر من الفضيلة. وهذه الكلمة قد تمّ العمل عليها فتحوّلت إلى آخر من صنعي. غير أنّي أعتقد أنّه إذا كانت الكلمة

السابقة κακία كلمة صحيحة، حيئذ فإنّ الكلمة ἀρετή هي كلمة صحيحة أيضاً.

هرموجينس: لكن ما معنى كلمة κακόν التي لعبت دوراً مهمّاً في البحث السابق.

سقراط: إنّ هذه الكلمة هي كلمة مفردة وبالكاد أستطيع أن أشكّل عنها رأياً. ولهذا السبب يجب عليّ أن أستعين بوسيلتي الحاذقة أو ألتجيء إليها.

هرموجينس: أيّة وسيلة؟

سقراط: الوسيلة ذات الأصل والمنشأ الغريب، والتي سوف أعطيها لهذه الكلمة أيضاً.

هرموجينس: مرجّحٌ جدّاً أنّك محقّ؛ لكن إفترض أن نترك هذه الكلمات ونسعى كي نرى الأساس المنطقيّ لكلمة καλόν ولكلمة αἰσχρόν .

سقراط: إنّ معنى كلمة αἰσχρόν واضح، كونها فقط ἀεὶ ἴσχον « المانع الدائم من التدفّق »، وهذا يكون في تطابق مع اشتقاقاتنا السابقة. أعتقد أنّ من أعطى الإسم كان ناقداً قاسياً لأيّ شيء يميل على الدوام إلى الجمود. ومن ثمّ أعطى الإسم ἀεισχοροῦν « ويكون هذا الآن مُختلِطاً معاً في كلمة ἀεὶ ἴσχον ῥοῦν.

هرموجينس: لكن ماذا تقول عن كلمة καλόν ؟

سقراط: تلك كلمة أكثر غموضاً؛ وبرغم ذلك فهي تتكلّم عن نفسها. إنّها قد عُدِّلت بالتركيب والتطويل لحرف الـ ο فقط.

هرموجينس: ماذا تعني؟

سقراط: يظهر أنّ هذا الإسم يدلّ على العقل.

هرموجينس: كيف ذلك؟

سقراط: دعني أسألك ما هو السبب الذي من أجله يمتلك أيّ شيء إسماً؛ أليس السبب هو المبدأ الذي يفرض الإسم؟

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: أوّلا يجب أن يكون هذا السبب عقل الآلهة، أو الرجال، أو كليهما؟

هرموجينس: بالتأكيد. نعم.

سقراط: وذلك الذي يدعى «καλέσαν» ويسمّي « καλοῦν » الأشياء بأسمائها، هو العقل مرّة ثانية.

هرموجينس: يبدو أنّه هكذا.

سقراط: أليست أعمال الفكر والعقل أعمالاً جديرة بالثناء؟ أوَليست الأعمال الأخرى أعمالاً تستحقّ اللوم؟

هرموجينس: نعم، بالتأكيد.

سقراط: الشفاء يؤدّي عمل الطبيب، والنّجارة تقوم بعمل النجار.

هرموجينس: بالضبط.

سقراط: وينفّذ مبدأ الجمال مهمّات الجميل.

هرموجينس: طبعاً.

سقراط: ونؤكّد أنّ هذا المبدأ هو العقل.

هرموجينس: حقيقي جداً.

سقراط: إذن فإنّ الحكمة تدعى جمالاً بحقّ لأنها تؤدي الأعمال التي ندركها ونتكلّم عنها كالجميل.

هرموجينس: إنّ ذلك لجلي.

سقراط: أيّة أسماء إضافية تبقى لنا لنوضحها؟

هرموجينس: هناك الكلمات التي تتّصل بكلمة ἀγαθόν وكلمة καλόν ، مثل كلمة συμφέρον وكلمات λυσιτελοῦν, ὠφέλιμον, κερδαλέον ومضادّاتها.

سقراط: أعتقد أنّه يمكنك أن تكتشف بنفسك معنى كلمة συμφέρον « ملائم » وذلك على ضوء الأمثلة السابقة لأنّ هذه الكلمة هي أخت الكلمة

ἐπιστήμη مفيدة حركة الروح على وجه الضبط « φορά » التي ترافق العالم. وأمّا الأشياء المفعولة على هذا المبدأ فتدعى على الأرجح σύμφορα أو συμφέροντα، لأنّها تكون محمولة دائريّاً مع العالم. مرّة ثانية، فإنّ كلمة، κερδαλέον « مُربح » تُدعى من كلمة κέρδος « ربح »، لكنّك يجب أن تبدّل حرف الـ δ إلى الحرف ν إذا أردت أن تدرك المعنى لأنّ هذه الكلمة تعني الخير أيضاً لكن بطريقة أخرى. إن من أعطى الإسم قصد أن يوضح قوّة المزج « κεραννύμενον» والاختراق العالمي للخير، وأدخل هو في تشكيل الكلمة، على كل حال، أدخل حرف δ بدلاً من حرف ν. وهكذا خلق كلمة κέρδος .

هرموجينس: حسناً، لكن ما هي كلمة λυσιτελοῦν « مُكسِب »؟

سقراط: أفترض، يا هرموجينس، أنّ المشرّع لم يستخدم هذه الكلمة، مثلما يفعل تجّار التجزئة، ليصفوا ذلك الذي يعوّض عن أو يَردّ الكلفة « λύει τὰ τέλη ».
لكنّه أخذ بعين الاعتبار المربح أي « λυσιτελοῦν »، كأنه ذلك الذي كونه الشيء الأسرع في البقاء، والذي لا يسمح لإقامةٍ في الأشياء ولا لتوقّف مؤقّت أو نهايةٍ للحركة. لكن إذا ابتدأ ليوجَد أية نهاية، فإنّه يدع الشيء ليمضي ثانية على الدوام « λύει » ويجعل الحركة خالدة وغير منقطعة. ومن وجهة النظر هذه، كما يبدو لي، فإنّ الخير كان يعيَّن بسعادة λυσιτελοῦν - كونه ذلك الشيء الذي يطلق « λύον » النهاية « τέλος » للحركة. تُشتقُّ الكلمة Ὠφέλιμον « المفيد » من ὀφέλλειν ، يعني ذلك الذي يخلق ويزيد. إنّ هذه الكلمة الأخيرة هي كلمةٌ هوميريّة عامّة ولها أصلٌ أجنبيّ.

هرموجينس: وماذا تقول عن مضادّاتها؟

سقراط: بالكاد أعتقد أنّني أحتاج لأتكلّم عن مُثُلٍ هي مجرّد سلبيات.

هرموجينس: أيّها هي؟

سقراط: الكلمات ἀξύμφορον « غير الملائم »، ἀνωφελές « غير المربح »، ἀλυσιτελές « غير المفيد »، ἀκερδές « غير المكسِب ».

هرموجينس: حقاً.

سقراط: إنّني سآخذ على الأصحّ الكلمات βλαβερόν « الضارّ »، ζημιῶδες « المؤذي ».

هرموجينس: جيّد.

سقراط: إنّ الكلمة βλαβερόν هي الكلمة التي قيل إنّها تمنع أو تؤذي « βλάπτειν » التيّار أو الدفّق « ῥοῦν ». وأمّا كلمة βλάπτον تكون βουλόμενον « ناشدة أن تضبط أو توثق ». وهذه الكلمة ستكون كلمة βουλαπτεροῦν بشكل مناسب وهي تحسّنت إلى كلمة βλαβερόν، كما أتصوّر.

هرموجينس: إنّك تُظهر نتائج غريبة، يا سقراط، في اشتقاق الأسماء. وعندما أسمع كلمة βουλαπτεροῦν فإنّني لا أستطيع الامتناع عن تصوّر أنك محوِّلٌ فمك إلى ناي، ومعلناً إستهلالاً ما إلى الإلهة أثينا.

سقراط: إنّ ذلك هو خطأ صانعي الأسماء، يا هرموجينس؛ وليس خطئي.

هرموجينس: حقيقيّ جدّاً؛ لكن ما هو اشتقاق الإسم ζημιῶδες ؟

سقراط: ما هو معنى الكلمة ζημιῶδες ؟ دعني أعلّق، يا هرموجينس، كم كنت محقّاً في القول بأنّ التغييرات الكبيرة في معاني الكلمات مصنوعة بوضع وسحب الحروف فيها ومنها؛ حتّى أنّ استبدالاً طفيفاً جدّاً فيها سيُعطي فهماً مضاداً بعض المرّات بشكل كامل. يمكنني أن أستشهد بالكلمة δέον، التي تذكرني في هذه اللحظة بما كنت ذاهباً لأقوله لك، وهي أن اللغة الجميلة المنمّقة للأزمنة الحديثة حرّفت وأخفقت وبدّلت المعنى الأصلي

لكلمة δέον بشكل كامل، وأيضاً لكلمة ζημιῶδες المعيَّنتين كليهما في اللغة القديمة بشكلٍ واضح.

هرموجينس: ماذا تعني؟

سقراط: سأحاول أن أشرح لك. إنّك تعلمُ بأنّ أجدادنا أحبّوا الأصوات لحرفَي ι و δ ، خاصّة النساء منهم اللواتي هنّ أكثر محافظة على اللغة القديمة، لكنّ الحبّ تبدّل الآن إلى حرفي η أو ε ، وحرف δ إلى حرف ζ ؛ يُفترض هذا أنّه يزيد روعة الصوت.

هرموجينس: ماذا تعني؟

سقراط: كمثال، دَعَوا هُمُ اليوم في الأزمنة الغابرة جدّاً، دعوه إمّا ἱμέρα أو ἑμέρα ، وهو الذي ندعوه نحن ἡμέρα

هرموجينس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

سقراط: هل تلاحظ أنّ الشكل القديم فقط يبيّن قصدَ معطي الإسم؟ والذي هو السبب، إنّ الرجال يتوقون لكلمة « ἱμείρουσι » ويحبّون الذي يعقب الظلام، ولهذا السبب دعوا اليوم ἱμέρα ، من ἵμερος ، أي رغبة.

هرموجينس: بوضوح.

سقراط: لكنّ الإسم الآن حُرّف إلى درجة أنّك لا تستطيع أن تخبر عن المعنى، ورغم ذلك هناك بعضٌ ممّن يتصوّر أنّ اليوم يدعى ἡμέρα لأنّه يجعل الأشياء لطيفة « ἥμερα »(١٤).

هرموجينس: إنّ تلك هي وجهة نظري.

سقراط: وهل تعرف أنّ الأقدمين قالوا δυογόν وليس ζυγόν ؟

هرموجينس: إنّهم فعلوا هكذا.

سقراط: وأما كلمة ζυγόν « نيّر » فليس لها معنى - ينبغي أن تكون ، الكلمة التي تعني توثيق الإثنين معاً « δυεῖν ἀγωγή » بغرض الجرّ . لقد

غُيِّرت هذه الكلمة إلى كلمة ζυγόν. وهناك عديد من الأمثلة الأُخرى ذات التبديل المشابه.

هرموجينس: يوجد.

سقراط: وإذا تابعت تسلسل الأفكار عينه، فيمكنني أن أُعلِّق وأقول بأنّ الكلمة δέον « التزام أو واجب »، لها معنى هو الضدّ لكلّ تسميات الخير؛ لأنّ كلمة δέον هي نوع من الخير هنا. وهي، بالرّغم من هذا القيد « δεσμ » أو الشيء المعوّق للحركة، فإنّها لذلك تمتلك لها أخاً βλαβερόν

هرموجينس: إنّها تبدو هكذا حقاً، يا سقراط.

سقراط: ليس إذا عدت إلى الشكل القديم الذي يكون أكثر احتمالاً أنّه الأصح، فتقرأ الكلمة διόν بدلاً من δέον . أمّا إذا غيّرت الحرف ι إلى ε على غرار الأسلوب. القديم، ستتّفق هذه الكلمة حينئذ مع الكلمات الأخرى التي تعني الخير، وهي إصطلاح ثناء. وأمّا مؤلّف أو مبدع الأسماء فلم يناقض نفسه، بل إنّ في كل هذه التسميات المتنوعة، δέον « إلزامي »، ὠφέλιμον « نافع »، λυσιτελοῦν « مُكسِب »، κερδαλέον « مُربح » ἀγαθόν « خير »، συμφέρον « وافر »، εὔπορον « مناسب »، في كلّ هذه التسميات فإنّ التصوّر عينه يدلّ ضمناً على المبدأ المنظِّم أو المنتشر الذي يُثنى عليه، والمبدأ المقيّد أو الموثّق الذي يُلام. ويوضَح هذا بأبعد من ذلك بالكلمة ζημιώδης « مؤذي » التي إذا تغيّر حرفها ζ فقط إلى حرف δ كما هو في اللغة القديمة، فالكلمة ستصبح δημιώδης . وهذا الإسم، كما ستتصوّر، معطىً إلى ذلك الإسم الذي يوثّق الحركة أي « δοῦντι ἰόν ».

هرموجينس: وماذا تقول عن الكلمة ἡδονή « لذّة »، λύπη « ألم »، ἐπιθυμία « رغبة » وما شابهها، يا سقراط؟

سقراط: لا أعتقد، يا هرموجينس، أن هناك صعوبة كبرى بشأنها. إنّ كلمة ἡδονή تشبه إسماً للعمل الذي يميل إلى الفائدة « ὄνησις ». ويمكن أن يُفترض أنّ الشكل الأصلي قد كان ἡονή ، لكنّه تغيّر بإدخال الحرف δ . أمّا الكلمة Λύπη فيظهر أنّها اشتُقّت من الاسترخاء « λύειν » الذي يشعر الجسم به عندما يكون في حالة حزن. وتكون كلمة ἀνία « مضايقة » إعاقة الحركة « ἀ ἰέναι ». أمّا كلمة ἀλγηδών « كَرْب » فهي كلمة أجنبيّة، إذا لم أكن مخطئاً، والتي اشتُقّت من كلمة ἀλγεινός « مؤلم ». ودعيت كلمة « حزن » منْ تَصَنُّع « ὀδύνη » الحزن. أمّا في كلمة ἀχθηδών « انزعاج » « الكلمة تكدح أيضاً »، كما يمكن لأيّ شخص أن يرى، تكون كلمة χαρά « فرح » العبارة لسلاسة وإسهاب الروح بالتحديد « χέω ». دعيت كلمة τέρψις « بهجة » بسبب زحف اللذّة « ἕρποι » من خلال الروح، التي يمكن تشبيهها بالنَّفَس « πνοή » وتكون كما ينبغي ἑρπνοῦν ، لكنّها قد تبدّلت مع الوقت إلى كلمة τερπνόν . أمّا كلمتا εὐφροσύνη « مسرّة » وكلمة ἐπιθυμία فإنّهما توضحان نفسيتهما. سمّيت السابقة التي يجب أن تكون ενφερσσυνn وقد تغيّرت إلى εὐφεροσύνη ، كما يمكن لأيّ شخص أن يرى، سُمّيت ذلك من تحرّك الروح « φέρεσθαι » في تناغم مع الطبيعة. وتكون كلمة ἐπιθυμία ، القوّة التي تدخل إلى الروح بحقّ، ἡ ἐπὶ τὸν θυμὸν ἴουσα δύναμις؛ أمّا كلمة θυμός « عاطفة » فإنّها ربما سمّيت من الاندفاع السريع « θύσεως » ومن غليان الروح. وتدلّ كلمة ἵμερος « رغبة »، تدلّ على التيّار أو الدفق الأكثر « ῥοῦς » الذي يثير الروح διὰ τὴν ἕσιν τῆς ῥοῆς لأنّه يتدفّق بالرغبة « ἱέμενος ῥεῖ » ويعبّر عن توقٍ في أثر الأشياء، وجذبٍ عنيف للروح إليها. ويدعى « ἵμερος » من امتلاك هذه القوّة؛ وتكون كلمة πόθος « توق »،

معبِّرة عن الرغبة في ذلك الذي لا يكون حاضراً بل غائباً، وفي مكانٍ آخر « που ». وهذا هو السبب الذي من أجله يُستعمل الإسم πόθος للأشياء الغائبة، كما تُستعمل كلمة ἵμερος للأشياء الحاضرة. تدعى كلمة ἔρως « حبّ »، هكذا لأنّها تجري داخلاً « ἐσρῶν » من الخارج. إنّ الدفق أو التيّار لا يكون ملازما في أولئك المتأثّرين، بل إنّه تأثير مُدْخَلٌ من خلال العينين وبواسطتهما. ودعي السيلان إلى الداخل ἔσρος « تدفّقاً »، دُعي ذلك في الزمن القديم عندما استعمل الغابرون الحرف ο مكان الحرف ω ، ويسمَّى ἔρως . وبعدُ فإنّ الحرف ω استبدل بِ الحرف ο . لكن ماذا، ألا تعطيني كلمة أخرى؟

هرموجينس: ما رأيك بكلمة δόξα « رأي » وذلك النوع من الكلمات؟

سقراط: إن كلمة Δόξα « رأي » إمّا مشتقّة من كلمة δίωξις « ملاحقة »، وتعني مسيرة الروح في ملاحقة المعرفة، أو مشتقّة من إطلاق سهم « τόξον »؟ ويكون الاشتقاق الأخير اشتقاقاً أكثر ترجيحاً، ويُعزَّز بكلمة οἴησις « تفكير » التي تكون فقط كلمة οἶσις « متحرِّك ». وتدلّ هذه الكلمة ضمناً على حركة الروح إلى الطبيعة الجوهريّة لكلّ شيء، تماماً مثلما تكون كلمة βουλή « خطّة » ذات علاقة بالإطلاق « βολή ». وتضمّ كلمة βούλεσθαι « لتتمنّى »، الفكرة للتسديد والتروّي. يبدو أنّ كل هذه الكلمات تتبع كلمة δόξο ، وتشمل كلها فكرة الإطلاق، تماماً مثلما تكون كلمة ἀβουλία ، « غياب الخطة ». وتكون على الجانب الآخر حظاً عاثراً، أو مفقوداً، أو مخطئاً العلامة، أو القصد، أو الاقتراح، أو الهدف.

هرموجينس: إنّك لمسرع في عَدْوِك الآن، يا سقراط.

سقراط: لماذا؟ نعم. إنّني في الدورة الأخيرة من السباق. لكن يبقى عليَّ أن أتعامل مع كلمة ἀνάγκη « ضرورة »، التي يجب أن تأتي تالياً، ومع كلمة ἑκούσιον « الاختياري ». وتكون بالتأكيد كلمةΕκούσιοالمطواع « εἶκον »

واللّامقاوم. إنّ الفكرة المتضمَّنة هي فكرةٌ لَدْنةٌ وليست معاكسة، أي إذعان، كما كنت قائلاً لتوّي، إذعان لتلك الحركة التي تكون في تطابق مع إرادتنا. لكنّ فكرة الضروريّ والمقاوم كونها معاكسة لإرادتنا، فتدلّ ضمناً على الخطأ والجهل. إنّ الفكرة مأخوذة من السير خلال الوَهْد أو المَسِيل المتعذّر اجتيازه، الوَهْد الوعر، والمكسو بالعشب، والذي يعيقُ الحركة. وهذا هو الاشتقاق لكلمة ἀναγκαῖον « ضروريّ » ἀν'ἄγκῃ ἰόν ، ذاهباً من خلال الوَهْد أو المسيل. لكن ما دمتُ قويّاً دعنا نثابر على العمل، وإنّني لآمل منك أن تواظب على أسئلتك.

هرموجينس: حسناً، إذن. دعني أسأل بخصوص الأعظم والأنبل مثل كلمة ἀλήθεια « حقيقة » وكلمة ψεῦδος « باطل » وكلمة ὄν « وجود »، غير ناسٍ أنْ أحقق وأتساءَل لماذا تمتلك الكلمة ὄνομα « إسم » الذي هو موضوع بحثنا، هذا الإسم هو ὄνομα ؟.

سقراط: هل تعرف أنت الكلمة μαίεσθαι«لتنشد »؟

هرموجينس: نعم - إنّها تعني الشيء عينه مثل الكلمة ζητεῖν « لتحقق أو لتستعلم ».

سقراط: يبدو أنّ الكلمة ὄνομα هي جملة موجزة، تعني أنّ الهدف الذي يتمّ البحث عنه، يكون إسماً، كما أنّه لا يزال أكثر وضوحاً في كلمة ὀνομαστόν « جدير بالملاحظة » الذي يصرّح في كلمات عديدة أنّ الوجود الحقيقيّ يكون ذلك الذي يوجد بحثٌ من أجله، أي « ὂν οὗ μάσμα ». وأمّا كلمة ἀλήθεια فهي تكتّل للكلمة θεία ἄλη « التطواف الإلهي » وهي دالّة على الحركة الإلهيّة للوجود. أمّا كلمة ψεῦδος« زيف أو باطل » فإنّها الضدّ للحركة. هناك اسم سيّيء آخر أعطاه المشرّع إلى الركود أو الخُمول المُجبَر، الذي يقارنه بالنوم « εὕδειν ». غير أنّ المعنى الأصليّ للكلمة أُخفيَ بإضافة الحرف ψ ؛ أمّا الحروف ὄν وοὐσία فإنها تكون ἰόν مع حرف

ἐ مفصولاً. يتّفق هذا مع المبدأ الصحيح، لأنّ الوجود الذي يُدعى غير ماضٍ بشكل مماثل« οὐκίον أو οὐκ ἰόν = οὐκὶ ὄν ».

هرموجينس: إنّك تعمل بجدٍّ ورجولة، يا سقراط، محقّقاً في هذه الأسماء. لكن إفترض أنّ شخصاً ما سألك، ماذا عن كلمات كهذه ἰόν و ῥέον و δοῦν ؟ أرني تناسبها.

سقراط: تعني، كيف سأجيبه؟

هرموجينس: نعم.

سقراط: لقد آقتُرِحَت طريقةٌ واحدة مسبقاً لإعطاء المظهر للإجابة.

هرموجينس: أيّة طريقة؟

سقراط: لأقول انّ الأسماء التي لا نفهمها تكون ذات أصل غريب؛ ويمكن أن يكون شيء ما من هذا النوع حقيقيّاً عن عديدها. في حالات أخرى فإنّ الأشكال الأصليّة للكلمات، يمكن أنّها قد ضاعت في ثنايا العصور. إنّ الأسماء قد حُرِّفت هكذا في كلِّ نمطٍ من أنماط الطرائق، ذلك أنّنا لا نحتاج للدهشة إذا ما قورنت اللغة القديمة باللغة المستعملة اليوم لنعرف انها ستظهر أنّها لسان أو لهجة بربريَّة.

هرموجينس: محتمل جداً.

سقراط: نعم، محتمل جداً. لكن يبقى أنّ البحث يتطلّب انتباهنا الجدّي، ويجب علينا أن لا نتراجع أو نُحجم لأنّه ينبغي أن نتذكّر، أنّه إذا ما واصل أيّ شخص تحليل الأسماء إلى كلمات، وتساءَل أيضاً عن العناصر التي تشكّلت منها الكلمات، وثابر على ترديد هذه العملية بشكل دائم، فإنّ مَنْ سيجيبه على تساؤله يلزمه أن يسلّم التحقيق إلى اليأس.

هرموجينس: حقيقيّ جداً.

سقراط: وفي أيّة نقطة رئيسيّة عليه أن تهن عزيمته ويتخلّى عن التحقيق؟ ألا يلزمه

أن يتوّقف عندما يصل إلى الأسماء التي هي عناصر كلّ الأسماء الأخرى وكذلك الجمل؟ لأنّ هذه لا يمكن افتراضها بعدل أنّها تتألّف من الأسماء الأخرى. فالكلمة ἀγαθόν « خير »، كمثال، هي تركيب لكلمتي ἀγαστός « بديع » ولكلمة θοός « سريع »، كما كنّا قائلين. ولربّما ينبغي أن نعلن أنّ كلمة θοός تؤلّف من العناصر الأخرى، وهذه من العناصر الأخرى مرّة ثانية. لكن إذا حصلنا في النهاية على شيء ما يكون غير قابلٍ لتحليل أبعد، سنكون محقّين في القول عندئذ أنّنا وصلنا إلى العنصر الأوّلي في نهاية المطاف، ولا نكون مجبرين بعد الآن لأن نحلّل إلى أسماء أخرى.

هرموجينس: أعتقد بأنّك على حقّ.

سقراط: وافترض أنّ الأسماء التي نسأل بشأنها الآن ستصبح عناصر أولى، أفلا يجب أن تُختبر صحّتها طبقاً لأسلوبٍ وطريقة جديدة ما؟

هرموجينس: محتمل جداً.

سقراط: هكذا تماماً، يا هرموجينس! يبدو أنّ كلّ الذي تقدّم من بحث يرتكز على هذه النقطة الرئيسيّة. وإذا كان هذا الإنطباع انطباعاً صحيحاً، كما أعتقد، فإنّني سأقول لك مرة ثانية حينئذ، تعال وساعدني، ذلك كي لا أقع في سخريةٍ ما في تقرير مبدأ الأسماء الأولى.

هرموجينس: دعني أسمع، وسأفعل أفضل ما أقدر عليه لأساعدك.

سقراط: أعتقد أنّك ستعترف معي، أنّ مبدأ واحداً قابلاً للتطبيق على كلّ الأسماء، من أسهلها إلى أكثرها تعقيداً عندما تُعتبر أسماءً بكلّ بساطة، لا يوجد فرق بينها.

هرموجينس: إنّني سأعترف.

سقراط: لكن الآن، وفي الشرح الذي أتممناه لتوّنا، حُكِم على الأسماء بصحّةٍ طبقاً لقوّتها كي تبيّن ماذا يشبه كلّ شيء.

هرموجينس: طبعاً.

سقراط: وإنّ هذه هي صفة مميَّزة للأسماء الأولى بقدر ما تكون هي للأسماء الثانويّة تماماً. ويُتَضمَّن هذا في كونها أسماء.

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: لكنّ الأسماء الثانويّة استمدَّت أهميّتها من الأسماء الأولى، كما أتصوّر.

هرموجينس: يبدو هكذا.

سقراط: جيد جداً؛ لكن حينئذ كيف للأسماء الأولى التي لا توجد فوق الأسماء الأخرى، أن تُظهِرَ طبيعة الأشياء، بقدر ما يمكن تبيينها، والتي يجب أن تفعله هي إذن لتكون أسماء حقيقية؟ وإنّني سأسألك سؤالاً هنا: إفترض أنّنا لم نمتلك صوتاً ولا لساناً، وأردنا أن نعيِّن أهدافاً لبعضنا البعض، ألا يجب أن نصنع إشارات باليدين والرأس وبقيّة الجسم، مثلما يقوم به الصم والبكم؟

هرموجينس: لن يكون هناك خيارٌ آخر، يا سقراط.

سقراط: ينبغي علينا أن نقلّد طبيعة الشيء. إن رفع أيدينا إلى السماء سيعني الخفة والاتجاه إلى أعلى؛ الثقل والنزول إلى أسفل سيعبّر عنه بتركها تسقط على الأرض. أمّا إذا كنّا واصفين عدوَ الحصان، أو أي حيوان آخر، فإنّنا سنجعل حركة أجسامنا وإيماءاتها متطابقة مع ذلك بالقدر الذي نستطيعه.

هرموجينس: نعم، يتوجَّب علينا أن نفعل كما تقول.

سقراط: إفترض أنّه اذا كان لزاماً علينا أن نسلك هذه الطريقة كي نعيِّن أيّ شيء بحركات الجسم، فسينبغي علينا أن نقلّد الشيء الذي نشير إليه.

هرموجينس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وكذلك حينما نريد أن نعبِّر عن شيء ما بالصوت، أو اللسان، أو الفم، فإنّ إيضاح ذلك سيُنجز بالتقليد، من خلال، أو بواسطة أحد هذه الأعضاء. لذلك الذي نريد أن نوضحه.

هرموجينس: أعتقد ذلك.

سقراط: يبدو أنّ الإسم هو إذن، تقليدٌ صوتيّ لأيّ هدف؛ ويقال إنّ إنساناً يسمّي أيّ شيء عندما يقلّده بالصوت.

هرموجينس: إنّني أعتقد ذلك.

سقراط: لا، يا صديقي، إنّني ميّال للاعتقاد بأنّنا لم نصل إلى الحقيقة لغاية الآن.

هرموجينس: لِمَ لا؟

سقراط: لأنّنا إنْ فعلنا فسنُجبر على الاعتراف بأن الأناس الذين يقلّدون الغنم أو الديوك أو الحيوانات الأخرى، يسمّون عندها بأسماء الذين يقلّدون.

هرموجينس: حقيقيّ تماماً

سقراط: إذن يمكن أنّني قد كنت محقّاً فيما قلته؟

هرموجينس: لا، في رأيي. لكنّني أرغب في أن تخبرني، يا سقراط، أيّ نوع من التقليد يكون إسماً؟

سقراط: عليّ أن أجيب في المقام الأوّل، أنّ هذا التقليد لا يكون تقليداً موسيقيّاً، مع أنّه يكون تقليداً صوتيّاً أيضاً؛ ولا يكون تقليداً لِمَا تقلده الموسيقى، مرّة ثانية؛ إنّ هذه الأشياء لن تكون تسميات في حكمي. دعني أضع المسألة كما يلي: كلّ الأشياء تمتلك صوتاً وشكلاً، وعديدها يمتلك لوناً.

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: لكن لا يظهر أنّ فنّ التسمية يختصّ بالتقليدات من هذا النوع. إنّ الفنون التي تكون ذات علاقة بها هي فنون الرّسم والموسيقى.

هرموجينس: صدقاً.

سقراط: مرّة ثانية، ألا يوجد جوهر لكلّ شيء في رأينا، تماماً كما يوجد لون، أو صوت؟ ألا يوجد جوهر للّون والصوت عينهما بادىء ذي بدء، كما يوجد جوهر لأيّ شيء آخر؟

هرموجينس: عليّ أن أعتقد كذلك.

سقراط: حسناً، وإذا ما استطاع أيُّ شخص إيضاح ذلك الجوهر لكلّ شيء في حروف ومقاطع لفظيّة، ألن يعبّر هو عن الطبيعة الحقيقيّة لكلّ شيء؟

هرموجينس: هكذا تماماً.

سقراط: إنّ الموسيقيّ ورسّام اليد كانا الاسمين اللذين أعطيتهما للمقلّدين الآخرين. فماذا سيدعى هذا المقلّد؟

هرموجينس: أتصوّر، يا سقراط، أنّه يجب أن يكون المسمّي، أو معطي الأسماء، الذي نبحث عنه.

سقراط: إذا كان هذا صحيحاً، فإنّني أعتقد حينئذ أنّنا في حالة تخولنا ان نعتبر ونتأمّل مليّاً في الأسماء التالية: ῥοή « تيار أو دفق »، ἰέναι « لتنطلق، لتمضي »، σχέσις « تذكّر أو استبقاء ». إنّها أسماء نسأل نحن بشأنها؛ ويمكننا أن نرى إذا ما أدرك المسمّي طبيعتها في الحروف والمقاطع اللفظية في أسلوب يعطي أداءً أميناً للجوهر.

هرموجينس: جيد جداً.

سقراط: لكن هل تكون هذه الأسماء أسماءً أُولى، أو أن هناك أسماءً أخرى غيرها؟

هرموجينس: يجب أن يكون هناك غيرها.

سقراط: عليّ أن أتوقّع ذلك. لكن بأيِّ نوع من أنواع التحليل يبدأ المقلّد؟ بما أنّه يفترض أنّه لا يقلّد الجوهر بالمقاطع اللفظيّة والحروف، ألن يكون صحيحاً له كي يفصل الحروف أولاً، تماماً كأولئك الذين يقدّمون نظريّة الإيقاع ويميّزون أهميّات الأوّليّات أوّلاً، ويلتفتون إلى الأصوات المركّبة بعدئذ؟ وعندما يؤدّون ذلك، وليس قبله، يتقدّمون إلى اعتبار وتأمّل الإيقاعات أو الأوزان الشعريّة.

هرموجينس: نعم.

سقراط: ألا يلزم أن نبتدىء بالطريقة عينها مع الحروف، فاصلين حروف العلة،

وبعدئذ نصنّف الأصوات الساكنة والصامتة، طبقاً للمصطلحات العلميّة التي تلقيناها من المتعلّمين؟ وكذلك أيضاً شبه الأصوات الليّنة التي تكون حروف علّة، ولا تكون حروفاً صامتة مع ذلك؛ ومن ثمّ نفرّق حروف العلة أنفسها إلى أنواع. وبعد إتمامنا لهذا التصنيف، يجب أن نعطي انتباهنا إلى تلك الأشياء الموجودة كلّها التي يلزمها أن تتلقّى إسماً، ونرى إذا ما كان يوجد أيّة أنواع يمكن البتّ فيها كما في حالة الحروف. وسنشاهد طبائعها من الآن وصاعداً، ونرى أيضاً إذا ما كان فيها أنواع كما يوجد في الحروف. وعندما نعتبر ونتأمل كلّ هذا جيداً، يلزمنا أن نفهم كيف نطبّقها على ما يشبهها ـ هذا إذا ما استُعمل حرف واحد يرمز إلى شيء واحد، أو إذا وُجد خليط متعدّد منها؛ تماماً كما في الرسم اليدوي. فالرسّام اليدوي الذي يريد أن يصوّر أيّ شيء يستعمل اللون الأرجوانيّ بعض المرّات فقط، أو أي لون آخر، ويمزج ألواناً متعدّدة بعض المرّات، كما تكون طريقته عندما يلزمه أن يصوّر لون اللحم أو أيّ شيء آخر من ذلك النوع ـ يستخدم ألوانه كما يبدو أنّ أشكاله تحتاجها. أمّا استخدام الحروف، المفرد أو المتعدّد منها، فإنّنا سوف نشكّل منها مقاطع الكلمات عند الحاجة كما تسمّى، ونوجد من تركيب مقاطع الكلمات أسماءً وأفعالاً. وهكذا نصل أخيراً في اللغة من تجميع الأسماء والأفعال، نصل إلى سعة الأفق والجمال والكمال. وكما يخلق الرسّام اليدوي الشكل، هكذا سوف نؤلّف نحن خطاباً بفنّ المسمّي أو عالم الكلام، أو مهما يمكن تسميته. إنّني أتكلّم حرفيّاً عن أنفسنا عندما أقول هذا، بل إنّني حُملت من مكان إلى آخر ـ عنيت أنّ هذ لطريقة كانت الطريقة التي لم « نشكّل نحن » لغة بواسطتها، بل الأقدمين الذين شكّلوها أو رتّبوها، وما وضعوه معاً علينا أن نفكّكه إلى قطع في أسلوب مماثل، إذا ما كان علينا الوصول إلى رؤيا علميّة عن الموضوع ككلّ. وينبغي

علينا أن نرى إذا ما كانت العناصر الأساسيّة الأوّليّة ممنوحة بحقّ، أو إذا ما كانت العناصر الثانويّة لها مكان الصدارة، لأنّها إذا لم تكن كذلك، فإنّ التركيب منها، يا عزيزي هرموجينس، سيكون قطعة عمل يُرثى لها، وفي الوجهة الخاطئة.

هرموجينس: أستطيع أن أصدّق ذلك تماماً، يا سقراط.

سقراط: حسناً، لكن هل تفترض أنّك ستقدر على أن تحلّلها بهذه الطريقة؟ لأنّني متأكّد أنّي لن أفعل.

هرموجينس: إنّني سأكون أقل منك قدرة على الارجح.

سقراط: هل سنتركها، إذن؟ أو أنّنا سنحاول أن نكتشف، إذا قدرنا، شيئاً ما بشأنها، طبقاً لمقياس قدرتنا، قائلين بطريقة استهلالية، كما ذكرت عن الآلهة قبلاً، أنّنا لا نعرف عنها شيئاً في الحقيقة. وما نقوم به هو أنّنا ننظر في أمر الأفكار الإنسانية بشأنها. دعنا نقول لأنفسنا في هذا التساؤل الحاضر، قبل أن نتابع تحقيقنا، دعنا نقول إنّ الطريقة العليا السامية هي الطريقة التي يجب أن نتّبعها نحن أو الآخرون الذين سيحلّلون اللغة إلى أيّ غرض صحيح. لكن تحت الظروف الحاضرة، كما يُقال، يجب علينا أن نقوم بأفضل ما نقدر عليه. ماذا تعتقد؟

هرموجينس: إنّي أصادق على ما تقول.

سقراط: يجب أن نقلّد تلك المقاصد في الحروف ومقاطع الكلمات، وأن نجد هكذا تعبيراً يمكن أن يبدو مضحكاً، يا هرموجينس، لكن لا يمكن تفادي ذلك ـ ليس هناك مبدأ أفضل يمكننا أن نتطلع بواسطته إلى حقيقة الأسماء الأولى. وبما أنّنا محرومون من هذه الحقيقة، يلزمنا بل ويجب علينا أن نلجأ إلى المساعدة الإلهيّة، شأننا في ذلك شأن شعراء المأساة الذين لديهم آلهة ينتظرونها في الهواء عند أيّ ارتباكٍ يواجهونه. وينبغي علينا أن نتخلّص من

صعوبتنا في أسلوب مشابه، بالقول إنّ « الآلهة أعطوا الأسماء الأولى، ولهذا السبب فهي أسماءٌ صحيحة ». هل ستكون هذه الوسيلة هي الوسيلة الفضلى ـ أو أنّه يجب أن يقال إنّنا تلقيناها من شعبٍ بربريٍّ ما، وإنّ البربر هم أقدم منّا وأعرق؟ أو إنّ أبناء العصور القديمة ألقوا أقنعةً فوقها، وهذا شيءٌ مبرَّر من النوع عينه كالشيء الذي سبقه؟ لا! إنّ كلّ هذه الأشياء ليست أسباباً بل إنّها نوع من المبرّرات الحاذقة لإخفاقنا في شرح المنحى الذي فُرضت فيه الأسماء الأولى. ومع ذلك فإنّ أيّ تجاهل لهذه الأسماء يشمل جهلاً بالكلمات الثانويّة؛ لأنّ شخصاً ما سيُخفِّض لإيضاح هذه من العناصر التي لا نعرف عنها شيئاً. بوضوح إذن، إنّ الاستاذ الجامعي في علم اللغة سيكون قادراً على أن يعطي تفسيراً صافياً جدّاً للأسماء الأولى، أو دعه يتمّ التأكيد له أنّه سيتكلّم بإسفاف فقط بشأن الباقي. ألا تفترض أن هذا حقيقي؟

هرموجينس: بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: إنّ أفكاري الأصلية عن الأسماء هي أفكار جامحة ومضحكة بحقّ، وبرغم ذلك ليس لدي أيّ اعتراض في نقلها لك إذا رغبت، وإنّني لآمل أنّك سوف تبلغني عن أيّ شيء أفضل يمكن أن تمتلكه بالمقابل.

هرموجينس: لا تخف، إنّي سأفعل أفضل ما أقدر عليه.

سقراط: يظهر لي في المقام الأوّل أن الحرف ῥ هو الأداة العامّة التي تعبّر عن كلّ حركة « κίνησις ». لكنّني لم أوضح معنى هذا الحرف الأخير حتى الآن، الذي معناه تماماً ἵεσις[2] « منطلِقاً »؛ لأنّ الحرف η لم يكن قيد الاستعمال عند الغابرين الذين استخدموا حرف ε فقط؛ والكلمة المصدر هي κίειν ، التي هي كلمة ذات صياغة غريبة، تماماً مثلما هي كلمة ἰέναι . أمّا الكلمة القديمة κίνησις فستعطى بصحّة مثلما تعطى كلمة

ιεσις في تطابق مع الحروف الحديثة. مفترضين هذه الصياغة الغريبة لكلمة κίειν ، ومسلّمين بأنّ التغيير للحرف وإدخال الحرف η ، فإنّه يصبح لدينا كلمة κίνησις التي وجب أنّها قد كانت كلمةκιείνησιςأو كلمة εἶσις ؛ وأمّا كلمة στᾶσις فهي السلب لكلمة ἰέναι « أو εἶσις »، وأُدخلت عليها تحسينات فأضحت كلمة στάσις . وبعدُ فإنّ الحرف ῥ ، كما كنت قائلاً، بدا لفارض الأسماء أنّه وسيلة ممتازة للتعبير عن الحركة؛ ويستعمل هذا الحرف لهذا الغرض تكراراً. كمثال يُحضِر هو الحركة بحرف ῥ في الكلمتين الحقيقيتين ῥεῖν و ῥοή ؛ وكذلك في كلمتي τρόμος « مرتعشٌ » و τραχύς « صارمٌ ». مرّة ثانية كذلك في كلمات مثل κρούειν « يندفع بسرعة » θραύειν « يشقّ طريقه » ἐρείκειν « يرفس » وθρύπτειν « يندفع » وκερματίζειν« يفتّت » و ῥυμβεῖν « ينعطف فجأة ». إنّه يجد تعبيراً في الحرف ρ في كل أنواع هذه الحركات بشكل عامّ. أقول ذلك لأنّه، كما أتصوّر، راقب أنّ اللسان كان أكثر تحرّكاً وأقلّ راحة في تلفُّظ هذا الحرف الذي استعمله هو لهذا السبب كي يعبّر عن الحركة، تماماً مثلما إذا استعمل الحرف ، فهو يعبّر عندئذ عن العناصر اللطيفة التي تمرّ من خلال كلّ شيء. هذا هو السبب الذي من أجله يكون الحرف ، كتقليد للحركة، ἰέναι ، ἵεσθαι . هناك نوع آخر من الحروف مثل، σ ، ψ ، ϕ ، وحرف ζ ، الذي يصاحب تلفظها إنفاقاً كبيراً للتنَفّس. استُعمِلت هذه الكلمات في تقليد هكذا أفكار مثل كلمة ψυχρόν « مرتعش » كلمة ζέον « مهتاج »، كلمة، σείεσθαι « ليكن مهتزاً »، وكلمة σεισμός « صدمة ». وتدخل هذه الكلمات بمعطي الأسماء على الدوام عندما يريد أن يقلّد الذي يكون φυσῶδες « عاصفاً ». يبدو أنّه تصوّر أنّ الإغلاق والضغط على اللسان في نطق كلمتي δ و τ كان معبّراً عن الالتزام بمكان والإقامة فيه. راقب معطي الأسماء أيضاً سهولة الحركة للكلمة λ ، في اللفظ

الذي ينساب على اللسان ووجد هدف هذا التعبير عن الرقة واللطف مثلما يكون ذلك في كلمة λεῖος « منبسط » وفي الكلمة ὀλισθάνειν « ليجري بسلاسة » نفسه، وفي الكلمة λιπαρόν « أملس أو صقيل »، وفي الكلمة κολλῶδες « مغرّي » وما شابه من الكلمات. إنّ الصوت الأثقل لحرف γ أعاق انسياب اللسان؛ بينما اعطى اتّحاد هذين الحرفين فكرة عن طبيعة لزجة ورطبة، كما في الكلمات γλίσχρος ، γλυκύς ، γλοιῶδες . ولاحظ كذلك أنّ الحرف ν يصوّت من الداخل، وذلك ليمتلك فكرة عن الصفة الداخليّة؛ ومن ثمّ أَدخل الصوت في كلمتي ἔνδον و ἐντός وخصّص الحرف α لإيضاح الحجم، وحرف η لإيضاح الطول، لأنّهما حرفان كبيران، في حين كان الحرف ο علامة الاستدارة. ولهذا السبب هناك حروف من حرف ο كثيرة مختلطة في الكلمة γογγύλον « مستدير ». وبشكل عامّ، فإنّ بواسطة هذا النوع من التكثيف للحروف بعض المرات، وللمقاطع اللفظيّة كلها مرّات أخرى، اوجد المشرع، على ما يبدو، إشارات وأسماء لكلّ شيء موجود؛ وتقدّم من هذه النقطة ليصمّم كلمات مركبّة. إنّ هذه هي وجهة نظري، يا هرموجينس، عن حقيقة الأسماء. لكنّني يجب أن أسمع ما لدى كراتيلوس إذا كان عنده أكثر من هذا ليقوله.

هرموجينس: لكن، يا سقراط، كما قلت قبلاً، فإنّ كراتيلوس غالباً ما حيّرني بشكل كبير. يقول إنّ هناك تناسباً في الأسماء، لكنّه لا يوضح أبداً ما هو هذا التناسب. وهكذا فإنّي لا أستطيع القول إذا ما كان إبهامه هذا إبهاماً مقصوداً كلّما أُثير هذا الموضوع، أو أنّه عكس ذلك. أخبرني الآن، يا كراتيلوس، هنا في حضور سقراط، هل توافق على ما قد قاله سقراط بشأن الأسماء، أو هل عندك شيء ما أفضل لتقوله؟ وإذا كان لديك ذلك، قل لي ما هو وما هي وجهة نظرك، وحينئذ فإمّا أن تتعلّم من سقراط، وإمّا سقراط وأنا سنتعلّم منك.

كراتيلوس: حسناً، لكنّك لا تفترض بالتأكيد، ياهرموجينس، أنّك تستطيع أن تتعلّم، أو أنّني سأوضح أيّ موضوع ذي أهميّة كله في لحظة. على كلّ حال، ليس الموضوع كموضوع اللغة، الذي لربما يكون أكبر من كلّ المواضيع بالتحديد.

هرموجينس: لا، حقّاً؛ لكن كما يقول هيسيود، وأتّفق أنا معه فيما يقول، « أن تضيف القليل إلى القليل » هو شيء جدير أن يُبذل الجهد من أجله. ولهذا السبب إذا ظننت أنّك تقدر على أن تضيف أيّ شيء إلى معرفتنا، مهما يكن صغيراً، فلا تحجم عن ذلك، بل ألزم سقراط وألزمني أيضاً، إذ لدينا ادّعاء ضدّك.

سقراط: إنّني لست واثقاً من نفسي بأيّة حال، يا كراتيلوس، على ضوء ما أنجزه هرموجينس وأنا؛ وبناءً على ذلك لا تتردّد في قول ما تفكّر به، هذا القول الذي سيكون قولاً أفضل ممّا عندي، وسأقبله من وجهة نظري بكلّ سرور. وإنّي لن أُفاجأ على الإطلاق إذا وجدت أنّك اكتشفت نظرية ما أفضل، لأنّك تأمّلت ملياً هذه القضايا، وكان لديك معلمون. وإذا تكونت لديك نظريّة عن حقيقة الأسماء حقّاً، فيمكنك أن تعتبرني في عداد مريديك.

كراتيلوس: إنّك محقّ، يا سقراط، في القول أنّني قمت بدراسةٍ عن هذه المسائل، ويمكنني أن أحوّلك إلى مريدٍ لي على الأرجح. لكنّني أخشى أن يكون العكس أكثر احتمالاً، وإنّني وجدت نفسي تتحرّك الآن لتقول لك ما يقوله أخيل في « الصلوات » إلى اجاكس: « يا إجاكس اللامع، يا ابن تيلامون، يا سيّد الناس، إنّك ظهرت متكلّماً في كلّ الأشياء وكان تفكيرك قريباً جدّاً إلى تفكيري ».

وأنت، يا سقراط، تبدو لي أنّك وسيط وحي، وتعطي أجوبة قريبة جدّاً لِما أفكّر به، سواء إذا كنت ملهماً بيوثيفرو، أو إذا كانت عروسة الشعر قد كانت لزمنٍ خلا ساكنة في صدرك بدون أن تدري أنت نفسك بها.

سقراط: يا كراتيلوس الممتاز، إنّني قد تساءَلت لوقت طويل في حكمتي الخاصة وحقّقت عنها، ووجدتها ما وراء التصديق. أعتقد أنّه يجب أن أتوقف وأسأل نفسي، ماذا أنا قائل؟ إذ لا شيء أسوأ من خداع الذات عندما يكون الخادع في بيتك بشكل دائم ومعك أبداً - إنّ هذا الشيء رهيبٌ تماماً. ولهذا السبب يجب أن أُعيد ترتيب موقع خُطاي غالباً وأكافح كي « أنظر إلى الأمام وإلى الخلف » مستعيراً كلمات هوميروس التي قيلت سابقاً. وبعدُ دعني أرى، أين نحن الآن؟ أما قلنا أنّ الإسم الصحيح يدل على طبيعة الشيء؟ هل برهنا هذهِ الفرضيّة بشكلٍ كافٍ؟

كراتيلوس: نعم، يا سقراط.

سقراط: إنَّ الأسماء معطاةٌ إذاً كي تمنح تعليمات أو ترشد؟

كراتيلوس: بالتأكيد.

سقراط: وتكون التسمية فنّاً، وتمتلك صنّاعاً بارعين؟

كراتيلوس: نعم.

سقراط: ومن هم هؤلاء الصناع؟

كراتيلوس: إنّهم المشرّعون، كما أعلنت أنت في البدء.

سقراط: وهل يترعرع هذا الفنّ بين الرجال مثلما تترعرع بقيّة الفنون؟ دعني أوضح ما أعنيه. إنّ بعض رسّامي اليد أفضل وبعضهم أسوأ.

كراتيلوس: نعم.

سقراط: والرسّامون الأفضل ينفّذون أعمالهم، أعني رسومهم التوضيحيّة، ينفّذونها بشكل أفضل. أمّا الرسّامون العاديون فينفذونها بشكل أسوأ. وأقول عن البنّائين الشيء نفسه: النوع الأفضل منهم يبني بيوتاً أجمل، ويبني الأسوأ بيوتاً أسوأ.

كراتيلوس: صدقاً.

سقراط: وهناك بعض المشرّعين الذين يؤدون عملهم بشكل أفضل، والآخرون بشكل أسوأ بطريقة مماثلة.

كراتيلوس: لا؛ إنّني لا أتفق معك هناك.

سقراط: إذن فأنت لا تعتقد أنّ بعض القوانين أفضل والبعض الآخر أسوأ؟

كراتيلوس: لا، حقاً.

سقراط: وافترض أنّه لا يُفرض إسم واحد أكثر من الإسم الآخر بشكل مناسب، في رأيك؟

كراتيلوس: لا بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّ كلّ الأسماء تُفرض على نحوٍ صحيح.

كراتيلوس: نعم، إذا كانت هي أسماءً على الإطلاق.

سقراط: حسناً، ماذا تقول عن إسم صديقنا هرموجينس، الذي ذُكِر قبلاً؟ لتفترض أنّه ليس فيه شيءٌ عن طبيعة هرمس. هل سنقول إنّ هذا الإسم هو إسم مغلوطٌ، أو إنّه ليس إسمه على الإطلاق؟

كراتيلوس: عليّ أن أجيب أنّ إسم هرموجينس ليس إسمه على الإطلاق، بل يظهر أنه إسمه فقط، وهو في الحقيقة إسم شخص آخر ما يمتلك الطبيعة التي تماثله.

سقراط: ألا ينبغي أن نضيف قائلين بأنّ الشخص الذي يسمّيه هرموجينس لا يتكلّم الصدق، لأنّه لا يمكن أن يكون هناك شكٌّ إذا ما كنت قادراً على أن تدعوه هرموجينس بحقّ، إذا لم يكن إسمه كذلك.

كراتيلوس: ماذا تعني؟

سقراط: هل يعادل تصريحك هذا القول الذي يقول، إنّه مستحيل أن تتكلّم باطلاً أو تزييفاً بكلّ ما في الكلمة من معنى؟ لأنّ هناك العديد ممّن يقول هذا، يا عزيزي كراتيلوس، وقد وُجد كثيرُهُم في الماضي.

كراتيلوس: لماذا يا سقراط! كيف يستطيع إنسان أن يقول ذلك الذي لا يكون؟ أيقول شيئاً ما وبرغم ذلك يقول لا شيء؟ أليس التزييف هو قول الشيء الذي لا يكون؟

سقراط: إنّ مناقشتك، يا صديقي، مناقشة حاذقة جدّاً لإنسان في عمري. لكنّني سأحبّ أن أعرف إذا ما كنت أنت واحداً من أولئك الفلاسفة الذين يعتقدون أنّ التزييف أو الباطل يمكن تكلمه وليس قوله.

كراتيلوس: إنّه لا يُحكى ولا يقال.

سقراط: ولا يُنطق ولا يُخاطَب به. كمثال: إذا ما حيّاك شخص في بلاد أجنبيّة، وصافحك قائلاً: « مرحباً، أيّها الأثيني الغريب، يا هرموجينس، يا آبن سميكريون » ـ إنّ هذه الكلمات، سواء إذا تُكُلِّمت، نُطقت، قيلت، أو خُوطبت، لن يكون لها قابلية التطبيق العملي عليك بل على صديقنا هرموجينس فقط، أو لربّما ليس على أيّ شخص على الإطلاق.

كراتيلوس: إنّ المتكلم سيكون متكلّماً سفاسف فقط، يا سقراط، في رأيي.

سقراط: حسناً، لكنّ ذلك سيكون كفاية لي، إذا ما كنت ستقول سواء إذا كانت السفاسف سفاسف حقيقية أو مزيّفة، أو حقيقية جزئياً أو مزيفة إلى حدٍّ ما؛ لأنّه حتّى ذلك سيكون كافياً.

كراتيلوس: علي أن أقول إنّه يكون قد وضع نفسه في حركة من غير نتيجة؛ وإنّ كلماته ستكون صوتاً بدون معنى مثل الضجيج الذي يحدثه التطريق على قِدرٍ نحاسيّ.

سقراط: لكن دعني أرى، يا كراتيلوس، إذا ما كنّا نقدر على إيجاد نقطة التقاء لأنّك ستعترف أنّ الإسم ليس الشيء عينه مع الشيء المسمى.

كراتيلوس: إنّني سأفعل.

سقراط: وهل ستعترف أن الإسم هو تقليد للشيء أيضاً؟

كراتيلوس: بالتأكيد.

سقراط: وستقول بأنّ الصور هي تقليد للأشياء أيضاً، لكنّها تقليد بطريقة أخرى.

كراتيلوس: نعم.

سقراط: أعتقد بأنّك يمكن أن تكون محقّاً. لكنّني لا أفهمك جيداً.أرجو أن تقول إذن، إذا ما كان نوعا التقليد كلاهما « أعني الصور أو الكلمات كليهما » يمكن نسبتهما إلي، أو قابلين للتطبيق على الأشياء التي تكون هي التقليد.

كراتيلوس: إنّهما يكونان.

سقراط: أنظر أولاً إلى المسألة هكذا: يمكن لشخص أن يعزو شَبَه الرجل إلى الرجل، وشَبَهَ المرأة إلى المرأة؛ وهكذا دواليك؟

كراتيلوس: بالتأكيد.

سقراط: وبشكل معكوس، هل يمكن لشخص أن ينسب شَبَه الرجل إلى المرأة، وشَبَه المرأة إلى الرجل.

كراتيلوس: حقيقيّ جداً.

سقراط: وهل تكون الطريقتان كلاهما للارجاع اللتين تعزوان لكل منهما ذلك الذي يختص بهما وبشبههما؟

كراتيلوس: تلك هي وجهة نظري.

سقراط: وبعدُ إذن، بما أنّني توّاق كي نفهم المحاورة فهماً جيداً، دعني أقرر وجهة نظري. إنّ الطريقة الأولى للعزو، سواء أُطْبّقت على الأشكال أو الأسماء، فإنّني أسميها طريقة صحيحة. وعندما تطبّق على الأسماء فقط، فإنّها طريقة حقيقيّة كما أنّها طريقة صحيحة؛ وأما الصيغة الأخرى التي يُعطى بها أو يُردُّ إليها ذلك الذي لا يكون متشابهاً، فإنّني أسمّيها طريقة خاطئة. وكذلك في حالة الأسماء، المزيّفة منها كما الخطأ.

كراتيلوس: أقترح أنّ ذلك يمكن أن يكون حقيقياً في حالة الصور، يا سقراط، والتي يمكن عزوها بشكل خاطىء. لكنّ ذلك لا يكون في حالة الأسماء - يلزم أن تكون الأسماء أسماءً صحيحة على الدوام.

سقراط: لماذا؟ ما هو الفرق؟ ألا يمكنني أن أذهب إلى رجل وأقول له « إن هذه

الصورة هي صورتك »، وأُريه شبهه الخاص، أو لربّما شَبَه امرأة؛ وحينما أقول « أُري »، أعني أنّني أُحضر أمام حاسة البصر.

كراتيلوس: بالتأكيد.

سقراط: أوَلاَ يمكنني أن أذهب إليه مرّة ثانية، وأقول، « إنّ هذا الإسم هو إسمك »؟ ـ لأنّ الإسم يكون تقليداً مثل الصورة. ألا يمكنني أن أقول له « هذا هو إسمك »؟ أولاَ يمكنني حينئذ أن أحضر لحاسة سمعه التقليد لنفسه، عندما أقول، « إنّ هذا الرجل يكون رجلاً »؛ أو عن أنثى من النوع الإنساني، حينما أقول، « إنّ هذه المرأة تكون امرأة »، كما يمكن للحالة أن تكون؟ ألا يكون ذلك كلّه ممكناً؟ ألا يحدث هذا بعض المرات؟

كراتيلوس: سأتّفق معك بكلّ سرور، يا سقراط، ولذلك أقول، مُنِحت.

سقراط: إنّني شاكر لك ذلك، يا صديقي، إذا كانت الحقيقة صحيحة. ليس من الضروريّ أن أُصِرَّ على المجادلة في الوقت الحاضر، لكنّني إذا استطعت أن أنسب الأسماء كما أتصوّر إلى الأهداف، فإنّ النسبة الصحيحة لهما يمكن أن تدعى نسبة حقيقية، والعزو الخاطىء لهما باطلاً. وبعدُ، إذا ما وُجدت هكذا نسبة خاطئة للأسماء، يمكن أن يوجد عزو خاطىء أيضاً أو غير مناسب للأفعال؛ وإنْ يكنْ هكذا للأسماء والأفعال يكنْ للجمل حينئذ، التي تتشكّل منها. فماذا تقول، يا كراتيلوس؟

كراتيلوس: إنّني أوافق؛ وأعتقد بأنّ ما تقوله هو قول حقيقي جداً، يا سقراط.

سقراط: وأبعد من ذلك، فإنّ الأسماء الأصليّة يمكن مقارنتها بالصور، ويمكنك في الصور إمّا أن تصدر حكماً على كلّ الألوان والأشكال المناسبة، أو يمكنك أن لا تصدر حكماً عنها كلّها. يمكن أن يكون بعضُها ناقصاً؛ أو يمكن أن يوجد عديد أو كثير منها. ألا يمكن أن يكون ذلك؟

كراتيلوس: حقيقي جداً.

سقراط: والذي يصدر حكماً عليها جميعاً يعطي صورة ووصفاً حيّاً كاملاً لها؛

والذي يزيل أو يضيف إليها ينتج صورة أو وصفاً حيّاً لها أيضاً، لكنّ عمله لا يكون عملاً جيّداً بأيّة حال.

كراتيلوس: نعم.

سقراط: في أسلوب مماثل، إنّ الذي يقلّد مادّة الأشياء بالمقاطع اللفظيّة والحروف، إذا أصدر حكماً على كلّ ذلك الذي يكون مناسباً، فإنّه سينتج وصفاً حيّاً جيّداً. أو بكلمات أخرى سينتج إسماً. لكن إذا أنقص أو لربّما أضاف قليلاً، فهو سيقدّم وصفاً حيّاً لكنّه ليس وصفاً جيداً. من أجل ذلك أستنتج أنّ بعض الأسماء تكون أسماء جيدة التأليف وبعضها الآخر سيّيء.

كراتيلوس: لربّما.

سقراط: إذن، يمكن أن يكون المشتغل بفنّ تأليف الأسماء جيّداً بعض المرات، أو يمكن أن يكون سيّئاً؟

كراتيلوس: نعم.

سقراط: هذا المشتغل بفنّ تأليف الأسماء يسمّى المشرّع.

كراتيلوس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ المشرّع مثله مثل بقية الفنانين، يمكن أن يكون جيّداً أو سيّئاً. يجب أن يكون هذا هكذا بكلّ تأكيد إذا ثبتت صحّة اعترافاتنا السابقة.

كراتيلوس: حقيقيّ جداً، يا سقراط؛ لكنّك ترى أنّ حالة اللغة هي حالة مختلفة، وإنّنا عندما خصّصنا الحرفين α أو β بمساعدة علم الصرف والنحو، أو أية حروف أخرى لاسم محدَّد، إذن، فإنّنا إذا أضفنا أو أنقصنا أو وضعنا حرفاً في غير مكانه، فإنّ الإسم المكتوب لا يُكتب خطأً فقط، بل إنّه لا يكون إسماً مكتوباً على الإطلاق؛ وفي أيٍّ من هذه الحالات يصبح الإسم حالاً غيراً من إسم.

سقراط: لكنّني أشكّ فيما إذا كان استنتاجك استنتاجاً صحيحاً بشكل كامل، يا كراتيلوس.

كراتيلوس: لِمَ ذلك؟

سقراط: أعتقد أنّ ما تقوله يمكن أن يكون حقيقياً عن هذه الأشياء التي يجب أن تؤلَّف من رقمٍ محدَّد، إذا ما أُلِّفت على الإطلاق. كمثال يصبح الرقم عشرة غيراً من العشرة إذا ما أُضيفت له وحدة أو أُنقصت منه، وهكذا عن أيّ رقم آخر. لكنّ هذا لا يصحّ في ذلك الذي يكون نوعيّاً أو في شيء آخر يُحضر تحت الوصف الحيّ. يلزمني أن أقول إنّ الوصف الحيّ، أو الصورة، لن تكون صورةً بعد اليوم، إذا كانت معبّرة في كل نقطة رئيسيّة عن الحقيقة بكاملها على الأصحّ. دعنا نفترض وجود هدفين اثنين: سيكون واحدهما كراتيلوس، والثاني الوصف الحيّ لكراتيلوس، وسنفترض أيضاً أنّ إلهاماً ما لا يصنع تصويراً كذلك الذي سيقوم به الرسّام اليدوي لشكلك الخارجيّ ولونك، بل إنّه يخلق نظاماً داخليّاً مثلك أيضاً، له الدّفء والنعومة عينها، ويُدخل إلى هذا النظام الحركة، والروح، والعقل كهذا الذي تملك. وبكلمة فهو ينسخ كل نوعيّاتك ويضعها في شكل آخر بجانبك. فهل ستقول بأنّ هذا كان كراتيلوس وصورته أو أنه وُجد هناك كراتيلوسان اثنان؟

كراتيلوس: عليّ أن أقول أنّه وُجد هناك كراتيلوسان اثنان.

سقراط: أنت ترى إذن، يا صديقي، أنّنا يجب أن نجد مبدأً ما مختلفاً للحقيقة في الصور الحيّة، وفي الحالات الأخرى التي ذكرت. وينبغي أن لا نصرَّ على أنّ الوصف الحيّ أو الصورة لا تكون صورة بعد ايوم عندما يُضاف إليها أو يُنقص منها شيء ما. ألا تتصوَّر أنّ الصور تكون بعيدة جداً عن امتلاك النوعيّات التي هي النسخة المطابقة للحقائق التي تحضرها بالضبط؟

كراتيلوس: نعم، إنّني أرى.

سقراط: لكن حينئذ كم سيكون تأثير الأسماء مضحكاً على الأشياء المسمَّاة، إذا ما صُنعت مثلها في كلّ طريقة على الدوام! بالتأكيد يلزمنا عندئذ أن نحوز

اثنين من كلِّ شيء، ولا أحد سيكون قادراً على أن يقرّر أيُّها كانت الأسماء وأيُّها كانت الحقائق.

كراتيلوس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: لا تخف إذن، بل لتكن لك الشجاعة لتعترف بأنّ إسماً واحداً يمكن أن يُعطى بصحّة، وأنَّ آخر يُعطى على نحوٍ غير صحيح. ولا تصرّ على أنّ الأسماء سوف تشمّل كلّ الحروف، إلى حدّ أنها ستكون الشيء عينه مع الشيء؛ بل اسمح بالاستبدال الاقتضائي للحروف غير الصالحة. وإذا كان الاستبدال لحرفٍ أيضاً فيجب أن يكون لإسم في جملة، وإنْ لإسم في جملة أيضاً فلجملة لا تكون جملة تناسب المسألة. واعترفْ أنّ الشيء يمكن أن يسمّى ويوصف ما دام الإبقاء على الحرف الأبجدي العام لذلك الشيء الذي تصف. وكان هذا هو ما لاحظه هرموجينس وأنا، كما ستتذكّر، لاحظناه في المثال الخاصّ بالأسماء والحروف.

كراتيلوس: نعم، إنّني أتذكّر.

سقراط: جيد؛ وعندما يُحفظ الحرف الأبجديّ العامّ، حتّى إذا فُقدت بعض الحروف المناسبة، يبقى أنّ الشيء يكون شيئاً مفيداً. حسناً، إذا كانت كلّ الحروف المعطاة لم تُعطَ جيّداً عندما أعطي بعض منها فقط، فأنا أعتقد أنّه من الأفضل لنا أن نعترف بهذا، خشية أن نتعرّض للعقوبة مثل المسافرين في آيجينا الذين يطوفون الشوارع في ساعة متأخّرة من الليل. وكن مُختبَراً بالحقيقة عينها بطريقة مماثلة أنّنا وصلنا متأخّرين جداً، وإلاّ، فما يجب عليك إلاّ أن تجد فكرة ما جديدة لصحّة الأسماء، وأن لا تبقى على تفكيرك بعد اليوم، وهو أنّ إسماً يكون التعبير عن شيء في الحروف أو في المقاطع اللفظيّة لأنّك إذا قلت كليهما، فستكون متناقضاً مع نفسك.

كراتيلوس: أعترف تماماً، يا سقراط، بأنّ ما تقوله هو قول معقول تماماً.

سقراط: إذن بما أنّنا اتفقنا لهذا البعد، دعنا نسأل أنفسنا إذا ما كان يجب على الإسم المفروض بحقّ وبصحّة، أن يمتلك الحروف المناسبة.

كراتيلوس: نعم.

سقراط: وأنّ الحروف المناسبة هي تلك الحروف التي تكون مثل الأشياء.

كراتيلوس: نعم.

سقراط: كفاية عن الأسماء المعطاة بصحة إذن. أمّا في الأسماء المعطاة على نحو غير صحيح، فإنّ الجزء الأكبر منها يمكن افتراضه أنّه يتألّف من الحروف المناسبة والمتشابهة، أو أنّه لن يكون هناك تشابهٌ؛ لكنّه سيكون هناك جزءٌ بطريقة مماثلة، هو الذي يكون غير مناسب ويفسد جمال وتشكّل الكلمة. هل ستعترف بذلك؟

كراتيلوس: لا نفع، يا سقراط، في خصومتي لك، ما دمت لا أستطيع أن أقتنع أن إسماً يُعطى على نحوٍ غير صحيحٍ يكون إسماً على الإطلاق.

سقراط: هل تعترف أنّ إسماً يكون البيان عن شيء؟

كراتيلوس: نعم، إنّني أفعل.

سقراط: إذن، إذا كانت الأسماء الأصليّة أو الأوّليّة قُصِد بها أن تكون بيانات عن الأشياء، فهل تستطيع أن تتصور، أيّةَ طريقةٍ أفضل لتشكيلها من أن تشبّهها قدر الإمكان بتلك الأهداف التي تحضرها تقريباً؟ أو أنّك ستفضّل فكرة هرموجينس والعديدين الآخرين الذين يقولون بأنّ الأسماء هي أسماءٌ اصطلاحيّة، وأنّ لها معانٍ لأولئك الذين اتفقوا بشأنها، والذين حازوا معرفة مسبقة عن الأشياء المقصودة بها، وأنّ الاصطلاح هو الذي يجعل الإسم إسماً صحيحاً. وسواء إذا التزمت أنت باصطلاحك الحاضر، أو خلقت

اصطلاحاً آخراً جديداً ومضاداً له، طبقاً للذي تسمّي الصغير كبيراً والكبير صغيراً بواسطته، سيقولون إنّ ذلك لا يوجد فرقاً، إذا وافقت أنت على ذلك فقط. أيّاً من هاتين النظريّتين تفضّل؟

كراتيلوس: إنّ البيان بالشّبه، يا سقراط، هو أفضل من البيان أو التصوير بأيّة إشارة اتّفاقية بشكل لا يُحدّ.

سقراط: جيّد جداً. لكن إذا تشابه الإسم بالشيء، يجب أن يكون لدى الحروف التي تألّفت منها الأسماء الأولى، شبه بالأشياء أيضاً. وفي عودة إلى الوصف الحيّ للصورة، إنّني أسأل، كيف يمكن لأيّ شخصٍ أن يركّب صورة أبداً ستكون صورة شبيهة بأيّ شيء على الإطلاق؟ كيف يستطيع ذلك إذا لم توجد موادّ ملوّنة في الطبيعة تشبه الأشياء المقلّدة لفنّ الرسم، والتي تُركّب الصورة منها؟

كراتيلوس: مستحيل.

سقراط: ليس بأكثر ممّا تقدر الأسماء أن تشبه أيّ شيء موجود في الحقيقة قط، ما لم تحتوِ العناصر التي رُكّبت منها، منذ البدء، بعض درجات من الشبه بالأشياء التي تكون الأسماء تقليداً لها. أما العناصر الأصليّة فتكون الحروف.

كراتيلوس: نعم.

سقراط: دعني أدعوك الآن كي تأخذ بعين الاعتبار. وتتأمّل مليّاً ما قلناه، هرموجينس وأنا بشأن الأصوات. هل تتّفق معي أنّ الحرف ρ يعبّر عن السرعة، الحركة، والقساوة؟ هل كنّا محقّين أو مخطئين في هكذا قول؟

كراتيلوس: عليّ أن أقول إنكما كنتما محقّين.

سقراط: وأنّ الحرف λ كان معبّراً عن اللطف أو النعومة، وعن السلاسة، وما شابه.

كراتيلوس: هناك أنت محقّ مرّة ثانية.

سقراط: ومع ذلك، كما تدرك أنت، فإنّ ذلك الذي ندعوه بناء σκληρότης ، يسمّيه الأريتيريون σκληρότηρ .

كراتيلوس: حقيقي تماماً.

سقراط: لكن هل الحرفان ρ و σ مشابهان للشيء عينه؛ وهل لهما الأهمية عينها في نهاية الحرف ρ ، التي توجد لنا في الحرف σ ، أو أن ليس لكليهما أهميّة؟

كراتيلوس: لا، إنّ لكليهما أهميّة بكلّ تأكيد.

سقراط: بقدر ما يكون حرف σ وحرف ρ متشابهين، أو بقدر عدم تشابههما؟

كراتيلوس: بقدر ما يكونان متشابهين.

سقراط: هل هما متشابهان بشكل كامل؟

كراتيلوس: نعم؛ لغرض التعبير عن الحركة.

سقراط: وماذا تقول عن إدخال الحرف λ ؟ لأنّ ذلك الحرف لا يكون حرفاً معبّراً عن الصلابة بل عن النعومة.

كراتيلوس: لماذا؟ لربّما يكون الحرف λ أُدخِل خطأً، يا سقراط، ويلزم تغييره إلى حرف ρ ، كما كنت قائلاً لهرموجينس، وإنّه لكذلك في رأيي بحقّ، عندما تكلّمت عن إضافةِ وإنقاصِ الحروف عند الاقتضاء.

سقراط: جيّد. لكن يبقى أنّ الحرف يكون مفهوماً لكلينا، عندما أقول كلمة σκληρός « صعب »، تعرف أنت ما أقصده وأعنيه.

كراتيلوس: نعم، يا صديقي العزيز، وإنّ إيضاح ذلك هو عُرْف.

سقراط: وإنّ الذي يكون عرفاً ما هو إلا اصطلاح. عندما أتفوّه أنا بهذا الصوت، فإنّه يكون لديّ ذلك الشيء في العقل وتعرف أنت أنّني أمتلكه في العقل؛ أليس هذا ما تعنيه أنت بِ « العرف »؟

كراتيلوس: نعم.

سقراط: وإذا عرفت معناي حينما أتكلّم، فإن هناك إشارة معطاة مني لك.

كراتيلوس: نعم.

سقراط: يمكن أن ينشأ هذا الدليل لِمَا أعنيه من غير المتشابه كما ينشأ من المتشابه. كمثال، في الحرف λ من الكلمة σκληρότης. لكن إذا كان هذا صحيحاً، فإنّك قد خلقت اصطلاحاً مع نفسك، وأنّ صحّة الإسم أصبحت اصطلاحاً، بما أنّ الحروف التي تكون غير متشابهة تكون مشيرة مع تلك الحروف التي تكون غير متشابهة بشكل متساو، ذلك إذا أُقرّت بالعرف والاصطلاح. ولنفترض حتّى أنّك تميّز العرف من الاصطلاح هكذا كثيراً على الدوام، مع افتراض ذلك، يبقى أنّه يجب عليك أن تقول بأنّ دلالة أو أهميّة الكلمات يعطيها العرف وليس الشَبَه. لكن بما أنّنا اتّفقنا لهذا الحدّ، يا كراتيلوس، « لأنّني سأفترض أنّ صمتك دليل الموافقة »، عندئذ فإنّ العرف والاصطلاح يمكن افتراضهما أنّهما يُساهمان في الدّلالة على أفكارنا. وأفترض أنّك ستجد أسماءً مشابهة لكلّ رقم فردي، ما لم تجز ذلك الذي تسمّيه اصطلاحاً واتفاقاً لأن يمتلك سلطة في تقرير صحّة الأسماء. إنّني أتّفق معك تماماً على أنّ الكلمات يجب أن تشبه الأشياء بقدر الإمكان. لكنّني أخشى أنّ يكون هذا الجرّ للتشابه، كما يقول هرموجينس، نوعاً من الجوع الذي ينبغي أن يضاف للاصطلاح بالمساعدة الميكانيكيّة قصد التصحيح لأنّي أعتقد بأنّنا إذا استطعنا أن نستعمل العبارات التي تكون متشابهة على الدوام، أو تقريباً على الدوام، ولذلك عبارات مناسبة، فإنّ هذه ستكون الحالة الأكثر كمالاً للّغة؛ كما يكون ما هو ضدّها الحالة الأكثر نقصاً. لكن دعني أسألك، ما هي قوّة الأسماء، وما النفع منها؟

كراتيلوس: إنّ نفع الأسماء، يا سقراط، كما سأتصوّر، يكون لتُعلِم أو لتخبِر. إنّ الحقيقة البسيطة هي أنّ من يعرف الأسماء يعرف الأشياء التي تعبّر أو توضّح بها.

سقراط: أفترض أنّك تعني، يا كراتيلوس، أنّه كما يكون الإسم، هكذا يكون الشيء أيضاً. وأنَّ مَن يعرف الواحد سيعرف الآخر، لأنّهما متشابهان، وكلّ الأشياء تقع تحت الفنّ أو العلم عينه. ولهذا السبب فأنت تقول بأنّ من يعرف الأسماء سيعرف الأشياء أيضاً.

كراتيلوس: إنّ هذا هو ما أعنيه بالضبط.

سقراط: لكن دعنا نأخذ بعين الاعتبار ونتأمّل مليّاً ما هي طبيعة هذه المعلومات بشأن الأشياء التي تُعطيها لنا الأسماء، طبقاً لك. هل هي النوع الأفضل من أنواع المعلومات؟ أو أن هناك نوعاً أفضل؟ فماذا تقول؟

كراتيلوس: أعتقد بأنّها النوع الوحيد والأفضل من كلّ المعلومات ولا يمكن أن يُوجد أيّ شيء آخر.

سقراط: لكن هل تعتقد أنّه بالعملية عينها تُكتشف تلك الأشياء، وأنّ الذي اكتشف الأسماء اكتشف الأشياء أيضاً؟ وأنّ هذه الطريقة هي الطريقة الوحيدة للتعليم؟ هل هناك طريقة أخرى للتحقيق والاكتشاف؟

كراتيلوس: أعتقد بكلّ تأكيد أنّ طرائق البحث والتحقيق والاكتشاف تكون من الطبيعة عينها مثلما يكون التثقيف والتعليم.

سقراط: حسناً، لكن ألا ترى، يا كراتيلوس، أنَّ من يتبع الأسماء في البحث عَقِبَ الأشياء، ويحلّل معانيها، ألا ترى أنّه يتعرّض للخداع؟

كراتيلوس: كيف ذلك؟

سقراط: لماذا؟ بوضوح إنّ مَن أعطى الأسماء بادىء ذي بدء أعطاها طبقاً لفهمه للأشياء التي تدلّ عليها ـ ألَم يقُمْ هو بذلك؟

كراتيلوس: حقاً.

سقراط: وإذا كان هذا الإدراك إدراكاً خاطئاً، وأعطى هو الأسماء طبقاً لفهمه لها، ففي أيّ موقع سنجد أنفسنا، أعني نحن أتباعه؟ ألن نُخدع به؟

كراتيلوس: لكن، يا سقراط، ربّما لا تنشأ حالة كهذه، لأنّه يكون ضرورياً بل يجب أن يمتلك الشخص الذي يفرض الأسماء معرفة، أو إذا كان ذلك بطريقة أخرى، فإنّ أسماءه لن تكون أسماء على الإطلاق، كما دافعتُ أنا عن ذلك لفترة طويلة. وأنت لديك برهان واضح أنّ هذا الشخص لم يفتقد الحقيقة، والبرهان. إنّه يكون ثابتاً على المبدأ بشكل تامّ. ألم تقدّم أنت نفسك ملاحظة(١٥) وهي أنّ الكلمات التي تتفوّه بها لها ميزة وصفة وهدف مشترك؟

سقراط: لكن ذلك ليس جواباً، أيّها الصديق كراتيلوس، لأنّه إذا ابتدأ هو في الخطأ، كان بإمكانه أن يجبر الباقي على اتّفاق مع الخطأ الأصلي ومع نفسه. لن يكون هناك شيء غريب في هذا، بأكثر ممّا يكون في الرسم الهندسيّ البيانيّ الذي يمتلك غالباً خللاً طفيفاً وغير منظور في الجزء الأوّل من العملية، ويكون غير صحيح بشكل متين في الاقتطاعات الطويلة التي تلي(١٦). وهذا هو السبب الذي من أجله ينبغي على كلّ إنسان أن ينفق أفكاره الرئيسيّة وانتباهه على التأمّل ملياً في مبادئه الأولى: هل وُضعت هي أو لم توضع بحقّ؟ وعندما يمحّصها كما ينبغي، يأتي الوقت بعدها كي يأخذ بعين الاعتبار متانة وتماسك الباقي، حتى إن كان هذا هكذا، فإنّني سأكون مندهشاً لأجد أنّ الأسماء تكون متماسكة بحقّ. ودعنا هنا نعود لبحثنا السابق. ألم نقل بأنّ مجموع مفرداتنا اللغويّة يعيّن جوهر الأشياء على افتراض أنّ كلّ الأشياء هي في حركة وتقدّم وتغيّر متواصل؟ ألا تدرك أن ذلك هو معناها؟

كراتيلوس: نعم؛ إنّ ذلك هو معناها بالتأكيد، وإنّه لمعنى حقيقي.

سقراط: دعنا نعود إلى كلمة ἐπιστήμη « معرفة »، ونلاحظ كم هي غامضة هذه الكلمة، بادية لتعني على الأصح توقّف الروح في الأشياء بدلاً من أن تذهب

في دوران معها. ولهذا السبب علينا أن نترك البداية في الوقت الحاضر، وأن لا نرفض الحرف « ، بل أن نصنع إدخالاً للحرف ، بدلاً من الحرف « « ليس كلمة πιστήμη ، بل كلمة ἐπιστήμη ». خذ مثالاً آخر: βέβαιον « أكيد » إنّ هذه الكلمة هي التعبير عن المركز والموقع، وليس عن الحركة. مرة ثانية، فإنّ الكلمة ἱστορία « تحقيق » تحمل على مظهرها الخارجيّ التوقّف « ἱστάναι » للدفق؛ وتدلّ الكلمة πιστόν « مخلص » على انقطاع الحركة بدون ريب؛ وتوضح إذن، مرّة ثانية، كلمة μνήμη « ذاكرة »، كما يمكن لأيّ شخص أن يرى، توضح السكون في الروح، وليس الحركة. أكثر من ذلك، فإنّ الكلمتين كهذه ἁμαρτία و συμφορά ، اللتين لهما معنىً سيّء، ستكونان الشيء عينه مثل كلمة σύνεσις وكلمة ἐπιστήμη ، وكذلك الكلمات الأخرى التي لها معنىً جيد، مُحّصين في ضوء دراسة أصلها وتأريخها، « مستدلّين بهذه الكلمات ὁμαρτεῖν ، συνιέναι ، ἕπεσθαι ، συμφέρεσθαι ». ويمكن قول الشيء عينه كثيراً عن كلمتي ἀμαθία و ἀκολασία ، لأنّ كلمة ἀμαθία يمكن شرحها مثل ذلك: ἡ ἅμα θεῷ ἰόντος πορεία ، ويمكن شرح كلمة ἀκολασία مثل ἡ ἀκολουθία τοῖς πράγμασιν . وهكذا نجد نحن المعنى الأسوأ للأسماء الموجودة في هذه الأمثلة، وتصبح مشكّلةً على القاعدة عينها كتلك الأسماء التي تمتلك المعنى الأفضل. وأعتقد أنّ أيّ شخص يقبل ويتحمّل الازعاج يمكنه أن يجد العديد من الأمثلة الأخرى التي يعيّنها معطي الأسماء، وهي ليس أنّ الأشياء كلّها في حركة أو تقدّم، بل إنّها تكون في سكون، وهو ضد الحركة وعكسها.

كراتيلوس: نعم، يا سقراط، لكن راقب. إنّ العدد الأكبر منها يوضح ويعبّر عن الحركة.

سقراط: ماذا عن ذلك، يا كراتيلوس؟ هل سنعدُّها نحن كما نُعدُّ الأصوات؟ وهل تكون صحّة الأسماء صوتَ الأكثريّة؟ هل سنقول إنّ أيّ نوع توجد الأكثريّة فيه، فإنّ تلك الأكثرية تكون الأسماء الحقيقية؟

كراتيلوس: لا، إنّ ذلك ليس شيئاً معقولاً.

سقراط: لا بالتأكيد، لكن لنقل أنّنا أنجزنا هذا السؤال ونتقدّم الآن لنسأل السؤال الآخر الذي أحبّ أن أعرف إذا ما كنت توافقني بشأنه. ألم نعترف مؤخّراً أن الذين أعطوا الأسماء الأولى في الدول، الدول الهيلينيّة والبربريّة على حدّ سواء، ألم نعترف أنّهم كانوا المشرّعين وأنّ الفنّ الذي أعطى الأسماء كان فنّ المشرّع؟

كراتيلوس: حقيقي تماماً.

سقراط: أخبرني إذن، هل يعرف المشرّعون الأوائل الذين كانوا أوّل من أعطى الأسماء، هل يعرفون الأشياء التي سمّوها أم لا؟

كراتيلوس: يجب أنّهم عرفوها، يا سقراط.

سقراط: لماذا، نعم، يا صديقي كراتيلوس، إنّه لمن الصعب التفكير بأنّهم قد كانوا جهلة.

كراتيلوس: عليَّ أن أقول لا.

سقراط: دعنا نعود إلى النقطة التي انحرفنا عنها. قلت أنت، إذا تذكّرت، إنَّ من أعطى الأسماء يجب أنّه عرف الأشياء التي أسماها. أما تزال على هذا الرأي؟

كراتيلوس: إنّني لكذلك.

سقراط: وهل ستقول بأنّ الذي أعطى الأسماء الأولى كانت له معرفة بالأشياء التي أسماها؟

كراتيلوس: يجب أن أفعل هكذا.

سقراط: لكن كيف أمكنه أن يتعلّم أو يكتشف الأشياء من الأسماء إذا لم تكن الأسماء الأصليّة معطاة حتى الآن؟ لأنّنا إذا كنا محقّين في وجهة نظرنا فإنّ الطريقة الوحيدة للعلم واكتشاف الأشياء، هي أن نكتشف الأسماء بأنفسنا، أو أن نتعلّمها من الآخرين.

كراتيلوس: أعتقد أن هناك قدراً جيّداً من الحقيقة فيما تقول، يا سقراط.

سقراط: لكن إذا كانت الأشياء لتعرف بواسطة الأسماء، كيف يمكننا أن نفترض أنّ الذين أعطوا الأسماء إمتلكوا معرفة، أو أنّهم كانوا مشرّعين، قبل أن تكون الأسماء أسماءً على الإطلاق؟ ولهذا السبب قبل أن يكون لديهم معرفة بها.

كراتيلوس: أعتقد، يا سقراط، بأنّ التعليل الحقيقي للمسألة هو، أنّ قوّة أكثر من قوّة إنسانيّة أعطت الأشياء أسماءها الأولى، وأنّ الأسماء التي تُعطى هكذا تكون أسماءها الحقيقة بالضرورة.

سقراط: كيف أصبح معطي الأسماء إذن، إذا كان هو مخلوقاً مُلْهَماً أو إلهاً، كيف أصبح مناقضاً لنفسه؟ ألم نقل لتوّنا بأنّه صنع بعض الأسماء معبرة عن السكون والأخرى عن الحركة؟ فهل كنا مخطئين؟

كراتيلوس: لكنّني أفترض أنّ واحداً من الافتراضين الإثنين لن يكون إسماً على الإطلاق.

سقراط: وأيّهما إذن هو صنع، يا صديقي الصالح؟ هل صنع الأسماء المعبّرة عن الحركة، أو تلك التي تعبّر عن السكون؟ هذه هي النقطة لرئيسيّة التي لا يُستطاع تقريرها بعدِّها، كما قلت قبلاً.

كراتيلوس: لا حقّاً، يا سقراط، إنّ ذلك لن يكون شيئاً عادلاً.

سقراط: لكن إذا كانت هذه المعركة معركة أسماء، بعضهم يؤكّد أنّها تشبه الحقيقة، وبعضهم يجادل أنّها هي، فكيف أو بأيّ مقياس سنحكم بينهما؟ إن هناك أسماء أخرى يُستطاع الاحتكام لها. لكن يجب الالتجاء بمقياس أو

معيار آخر والاستعانة به، وهو سيوضح أيّاً من الاثنين يكون صحيحاً بدون استخدام الأسماء. وهذا ينبغي أن يكون مقياساً يبيّن حقيقة الأشياء.

كراتيلوس: إنّني أوافق.

سقراط: لكن إذا كان هذا حقيقياً، يا كراتيلوس، فإنّني أفترض حينئذ أنّ كلّ الأشياء يمكن معرفتها بدون أسماء.

كراتيلوس: بجلاء.

سقراط: لكن بأيّة وسيلة أخرى ستتوقّع أنت أن تعرفها؟ أيّة طريقة أخرى يمكن أن تكون هناك لمعرفتها، ما عدا الطريقة الحقيقية والطبيعيّة، ومن خلال صِلاتها وتشابهها، عندما تكون مجانسة بعضها لبعض، وبواسطة أنفسها أو من خلالها؟ لأنّ ذلك الذي يكون غيراً ومختلفاً عنها يجب أن يدلّ على شيء ما غيرٍ ومختلفٍ عنها.

كراتيلوس: أعتقد أنّ ما تقوله هو قول حقيقيّ.

سقراط: لحظة! ألم نعترف مرات عديدة بأنّ الأسماء المعطاة بحقّ تكون شبهاً وتصويرات حيّة عن الأشياء التي نسمّيها؟

كراتيلوس: نعم.

سقراط: دعنا نفترض لأي مدى يسرّك أن تستطيع تعلُّم الأشياء بواسطة الأسماء، ودعنا نفترض أيضاً أنّك تقدر على أن تتعلّمها من الأشياء أنفسها - أيّهما الطريقة الأنبل والأوضح على الأرجح؟ التعلّم من التصويرات الحيّة أو الصور البلاغيّة، سواء إذا كان التصوير الحيّ هو التعبير الذي قد أُدرِك بحقّ، أو التعلّم من الحقيقة، سواء إذا كانت الحقيقة أو التصوير الحيّ أو الصور البلاغية قد أُنجزت على نحوٍ وافٍ وكما ينبغي؟

كراتيلوس: سأقول إنّ التعلّم من الحقيقة يجب أن يكون الطريقة الأفضل.

سقراط: كيف يُدرس أو يكتشف الوجود الحقيقي؟ يكون، كما أشتبه، ما وراء

نطاق قدرتك وقدرتي. يلزمنا أن نرتاح قانعين بالإعتراف أنّ معرفة الأشياء لا تشتق من الأسماء. لا؛ يجب أن تُدرس هذه وأن تُستقصى في ارتباطاتها بعضها ببعض على الأصحّ؟

كراتيلوس: بوضوح، يا سقراط.

سقراط: هناك نقطة رئيسية أخرى. إنّني لا أحبّ أن نُفرَض على أيّ شيء بهكذا مظهر لأسماءٍ وافرة، متّجهة كلّها إلى الناحية عينها. إنّني لا أنكر أنّ من أعطوا الأسماء أعطوها بحقّ تحت انطباع أنّ كلّ الأشياء كانت في حركة وفي تغيّر متواصل. وكان هذا الرأي رأيهم الصادق، على ما أعتقد، لكنّه كان رأياً خاطئاً. وبما أنّهم وقعوا في نوع من الدوّامة، فإنّهم حُمِلوا دائريّاً، ويريدون أن يجرّونا خلفهم. وهناك مسألة غالباً ما أحلم بخصوصها، يا سيّد كراتيلوس، وأحبّ أن أسألك عن رأيك فيها. قل لي، إذا كانت هناك طبيعة ثابتة للخير، الجمال، ولأشياء أخرى عديدة، أم لا.

كراتيلوس: إنّني أعتقد بوجودها بوضوح، يا سقراط.

سقراط: دعنا إذن نأخذ الجمال الحقيقيّ هدف تحقيقنا غير سائلين إذا ما كان الوجه جميلاً، أو أيّ شيء من هذا النوع، لأنّ كلّ هذه الأشياء تظهر على أنّها في تغيّر متواصل. لكن دعنا نسأل إذا ما كان الجمال الحقيقيّ يحتفظ بنوعيّته الجوهريّة.

كراتيلوس: بدون ريب.

سقراط: وإذا ما كان هذا هارباً من إدراكنا ولا نقدر على الإمساك به، فكيف نستطيع أن نستعمل له المسندات « ذلك » أو « من هكذا نوع »؟ ألا يجب أن تصبح هذه مختلفة وأن تعتزل بالأحرى، وأن لا تكون « هكذا » بعد اليوم، في حين تكون الكلمة في أفواهنا؟

كراتيلوس: بدون شكّ.

سقراط: إذن، كيف يمكن أن يكون ذلك الشيء الذي لا يكون في الحالة عينها

شيئاً حقيقياً؟ إذ لو بقي شيء للحظةٍ في الحالة عينها فإنه لن يخضع لأيّ تغيير أثناء ذلك الوقت على الأقلّ. وإذا بقي أبداً الشيء عينه وفي الحالة عينها، فإنّه لا يكون عُرضة للحركة أو للتغيير على الإطلاق، ما دام لا يتغيَّر من شكله أو صيغته الأصليَّة.

كراتيلوس: إنّه لا يكون.

سقراط: ومع ذلك لا يمكن للمتغيّر أن يَعرفه أي شخص لأنّه سيصبح هو غيراً وذا طبيعة مختلفة في اللحظة التي يتقدم فيها المراقب ليراقبه، ذلك أنّك لا تستطيع أن تصل أبعد من ذلك في معرفة طبيعته أو حالته. إفترض، أن لا معرفة تستطيع أن تعرف ذلك الذي يكون معروفاً أنّه لا يمتلك حالة.

كراتيلوس: صدقاً.

سقراط: ولا نستطيع أن نقول بعقلانيّة، يا كراتيلوس، إنّ هناكَ معرفةً أو عارفاً على الإطلاق، إذا كان كل شيء في حالة تحوّل ولا يوجد أيّ شيء ثابتاً، لأنّه إذا لم تتنوّع قوّة المعرفة هذه وتفقد ذاتيّتها، حينئذ فإنّ المعرفة أو العارف يمكن أن يستمرَّ ليستقرَّ ويبقى على الدوام. لكن إذا كانت الطبيعة المحدَّدة للمعرفة معرَّضة للتغيير، فإنّها ستتحوَّل عندئذ إلى شيءٍ ما مغاير للمعرفة، وستنقطع المعرفة من الوجود. وإذا كان التحوّل مستمراً على الدوام، فلن تكون هناك معرفة. وطبقاً لوجهة النظر هذه، فلن يكون هناك واحدٌ لتعرف ولا شيء كي يُعرف. لكن إذا وُجِد أبداً ذلك الذي يَعرف وذلك الذي يُعرف، ويوجد الجميل ويوجد الخيِّر، ويوجد كل شيء آخر أيضاً فإنّني لا أعتقد أنّها تقدر على أن تشابه عمليّة أو تغيّراً متواصلاً حينئذٍ، كما كنا مفترضين لتونا الآن. سواء أوجدت هذه الطبيعة الأزلية في الأشياء، أو كانت الحقيقة هي ما يقوله هيراقليطس وأتباعه وعديدٌ آخرون، فإنّه لسؤال صعبٌ تقريره. ولن يحبُّ إنسان ذو إدراكٍ أن يضع نفسه أو ثقافته العقليّة في قوة

الأسماء. ولا سيثق بالأسماء هكذا بعيداً أو يثق بمعطي الأسماء مثلما يكون واثقاً بأيّةِ معرفة تدين لها نفسه وتدين لها الكائنات الأخرى في حالة رديئة من الوهم والتزييف. إنّه لن يعتقد بأنّ كلّ الأشياء ترشح مثلما ترشح القِدر، أو أنّ العالم الخارجي كلّه مُبتَلٍ بالزّكام وبالتهاب القناة التنفسيّة. يمكن أن يكون هذا صحيحاً، يا كراتيلوس، لكنّه مرجّح جدّاً لأن يكون غير حقيقيّ أيضاً؛ ولذلك فلن أريدك أن تقتنع به بسهولة أيضاً. تأمّل هذه الأشياء جيّداً كما يفعل الرجال، ولا تقبل هكذا فكرة بسهولة: أنت فتيٌّ وسِنُّك تؤهّلك للتعلّم، وعندما تجد الحقيقة، تعال إليّ وقاسمنيها.

كراتيلوس: سأفعل كما تقول، برغم أنّي أستطيع أن أؤكّد لك، يا سقراط، أنّني قد تأمّلت المسألة مليّاً بشكل مسبق، وكانت النتيجة، بعد مقدارٍ كبير من العناء والأخذ بعين الاعتبار لها، أنني ملت إلى هيراقليطس.

سقراط: إذن، عندما تعود في يوم آخر، يا صديقي، ستعطيني درساً. لكن إذهب إلى الريف كما أنت عازم على أن تفعل في الوقت الحاضر، وسوف يهديك هرموجينس على طريقك.

كراتيلوس: جيّد جداً، يا سقراط. آمل، على كلّ حال، أن تواصل التفكير بشأن هذه القضايا بنفسك.

محاورة سيمبوزيوم ـ المائدة

افكار المحاورة الرئيسية

بينما كان أبولودورروس يسير في طريقه إلى بيته في فاليروم، ناداه غلوكون، وقال له: أيها الرجل الفاليرومي، باسم أبولودورروس، توقّف! فعلت ما أمرني به. واستطرد قائلاً، لقد بحثت عنك منذ برهة وجيزة، كي أتمكّن من أن أسألك بخصوص الأحاديث في الثناء على الحبّ التي ألقاها سقراط وألسيبيادس والآخرون في بيت أغاثون. ومَنْ إن لم تكن أنت، سيكون راوية كلمات صديقك. قل لي من كان حاضراً في الاجتماع؟

أجابه أبولودورروس، لا تتصوّر يا غلوكون، أنّ المناسبة كانت مناسبة حديثة العهد، أو أنّه قد كان باستطاعتي حضور اللقاء. إنّ أغاثون لم يسكن في مدينة أثينا منذ عدة سنين، وأنا جعلت كلّ ما يقوله سقراط وما يفعله شغلي اليومي. أمّا الإنسان الذي أخبرني عمّا دار في اللقاء الذي تتكلّم عنه، فهو الشخص نفسه الذي أعلم هفونيكس بمحتواها. إنه أريستوديموس من مقاطعة سيدائينايوم، الذي حضر الوليمة، وهو أحد المعجبين بسقراط والشديدي الإخلاص له. إنّني سألت سقراط عن حقيقة بعض أجزاء القصّة وصادق هو عليها.

قال غلوكون: دعنا نروي القصّة مرّة ثانية. أجبته، يسرّني جدّاً أن أتكلّم عن الفلسفة، أو أن أسمع الآخرين يتحدّثون عنها، وهذا ما أسميّه الربح الحقيقي. في الواقع، إنّ أريستوديموس هذا ذهب بصحبة سقراط إلى بيت أغاثون حيث أعدَّت المأدبة، لكن سقراط تأخّر بعض الوقت في مناسبة تأمّل وذهول، بينما سرت وحيداً حتى وصلت إلى بيت أغاثون الذي رحّب بي ودعاني للدخول وتناول العشاء مع الحاضرين. لكن أين سقراط؟ سألني أغاثون. استدرتُ، ولم أرَ سقراط في أي

مكان، وأوضحت للحاضرين أنّنا كنا سويّة للحظةٍ مضت، وأتيت إلى العشاء بناءً لدعوته. قال أغاثون، مخاطباً الصبيّ الموجود عنده، إذهب وابحث عنه، وأنت خذ مكانك بجوار أريكسيماخوس، يا أريستوديموس. في حينه، دخل خادم آخر إلى المكان وقال إنّ سقراط اعتزل في الرّواق المعمّد في البيت المجاور، وهناك تسمّر، وعندما ناديته لم يُبدِ حراكاً ولم يردّ عليّ جواباً. قال أريستوديموس: دعه وشأنه، إنّ لديه طريقة للإنطلاق بنفسه، سيظهر قريباً ولذلك لا تزعجه.

بعد أن مضى من الوقتْ أكثره، دخل سقراط، وتوسّل إليه أغاثون كي يجلس بالقرب منه، قائلاً: « ذلك كي أتمكّن من أن ألمُسك، وأستفيد من تلك الأفكار الحكيْمة التي إختزنها عقلك عندما كنت في الرّواق المعمّد، والتي هي في حوزتك الآن. فأنا متأكّد بأنّك لم تغادر ذلك المكان إلاّ بعد أن حصلت على ما تبتغيه ». أخذ سقراط مكانه بجانب أغاثون، واقترح أريكسيماخوس بعد انتهاء العشاء، بأن يتحاور الحاضرون آنئذ قائلاً: بما أنّ إله الحبّ هو الإله الوحيد الذي لا يمتلك قصائد وتراتيل تليت في تمجيده وتكريمه، لذلك أحبّ منكم جميعاً المساهمة في الثناء على هذا الإله العظيم، وأن يؤلف كلٌّ منا خطاباً في مدحه، ولنبدأ من الشمال إلى اليمين. دع المتكلّم يعطينا أفضل ما عنده وما يقدر عليه من إبداعٍ فكريٍّ. وليشرع فيدروس في الكلام لأنّه يجلس في الصف الأوّل على اليد اليسرى، ولأنّه أبو هذا الموضوع.

قال سقراط: لا أحد سيعارض اقتراحك، يا أريكسيماخوس، وليبدأ فايدروس في الثناء على الحبّ، وليكن له الحظّ الجيّد. أعرب المجتمعون كلهم عن موافقتهم، وتمنّوا عليه أن يفعل كما أمره سقراط.

إبتدأ فايدروس كلامه بإثبات أنّ الحبّ هو إله جبّار، وأنّه إله رائع بين الآلهة، وهو أكبرهم سنّاً، ومصدر المنافع الأعظم لنا جميعاً. هو يزرع الألفة والمحبّة والوفاء بين المحبّين الذين منهم ستتشكّل أهم الجيوش التي لا تُقهر، ومنهم سينشأ أفضل

الحكّام، وسيضحّي المحبّ بحياته فداءً لمحبوبه. وما ألكسيتس، إبنة بيلياس، إلاّ خير شاهد على ما أقول، عندما قدّمت حياتها وفاء لزوجها، بينما لم يقدم أحد على ذلك حتى لا أمه ولا أبوه، وظهرا وكأنهما غريبان ينتسبان إليه بالإسم فقط. وأقدر أن أستشهد بعشرات الأشخاص الذين قاموا بالعمل عينه واعطوا أروع الأمثلة في قداسة الحب، وهم كرمتهم الآلهة بإرسالهم إلى الجزر المباركة. لذلك أقول إنّ الحبّ هو أكبر الآلهة سنّاً وأنبلهم وأقواهم، وهو الموجِدُ الرئيسي لكلّ الأشياء، وواهب الفضيلة والسعادة في الحياة بعد الموت.

وتكلّم بوسانياس بعد ذلك، حيث قال: أعتقد، يا فايدروس، بأنّ محاورتك لم تصغها في شكل حقيقيّ تماماً، بل علينا جميعاً أن نثني على الحبّ في أسلوب مميّز، خاصّة أنّ هناك أكثر من حبّ واحد. نعرف جميعنا أنّ الحبّ لا ينفصل عن أفروديايت، وبما أنّ هناك إلهتين اثنتين، يجب أن يكون هناك حبّان. أما الإلهة الأولى فهي الأكبر سناً وليس لها أمّ، وتسمّى أفروديايت السماويّة، وهي ابنة يورانوس؛ وتسمى الإلهة الفتيّة اسماً عاماً وهي ابنة زيوس وليون، ويدعى حبها حباً عاماً بحق في حين يُسمَّى الحبّ الآخر حباً سماويّاً. إنّ كلّ الآلهة تثني عليهما، لكن ليس بدون تمييز لطبائعهما. ولهذا يجب عليّ أن أفرّق بين صفات الحبَّين الإثنين. وبعدُ فإنّ الأعمال تتنوّع طبقاً لأسلوب أدائها. أعني، أنّ الأعمال عندما تُفعل خطأً فإنّها تكون أعمالاً طالحة؛ وعندما تُنجز جيداً تكون أعمالاً صالحة. وفي نمطٍ مماثل لا يكون كلُّ نوع من أنواعِ المحبّة ولا كل حبٍ نبيلاً، بل ذلك الذي يُلهِم الرجال كي يُحبوا بنبلٍ فقط. إنّ الحبّ الذي يكون من ذريّة أفروديايت العامّة هو مشاع بالضرورة، ويحرّك النوع الأحقر من الرجال فيتخطى حبهم حبّ النساء إلى حبّ الشباب، ويغرمون بالجسد بدلاً من الروح، وهم يقومون بفعل الخير والشرّ بدون أيّ تمييز. لكن نسل أفروديايت السماويّة، لم يولد من الأنثى، بل كان الدور في ولادته للذكر فقط، ولهذا فإنّ الملهمين بهذا انوع من الحبّ يستديرون إلى

الذكور ويبتهجون في الذي يكون الأكثر بسالة وذكاءً بالطبيعة. لكنّ حب الصبيان هذا يجب أن يُمنعَ بالقانون، لأنّ القانون هو الذي يهذّب ويصقل نزوات النفس البشريّة ويقمع شهواتها.

وبعدُ فإنّ القوانين هنا وفي لاقيدايمونيا مشوّشة بشأن الحبّ، لكنّها مفهومة في أكثر المدن الأخرى بسهولة، وهي تتعاطف مع علاقاتٍ من هذا النوع. أما العرف في البلدان التي يحكمها البربر فإنّه شائن ومخزٍ، بسبب حكوماتهم الإستبداديّة. فهم لا يهتمّون بالفلسفة ولا بالألعاب الرياضيّة لأن منافع الحكام ومصالحهم تقتضي أن يكون رعاياهم فقراء النفوس، وأن لا يوجد رباط قويّ للصداقة أو للمجتمع بينهم، ويرجع ذلك إلى أنانيّة الحكّام وجبن المحكومين. ويُظَنُّ أنّ الحبَّ العلني أكثر شرفاً من الحبّ السرّي، وهو الأنبل والأسمى. وأقول إنّ الذي يحبّ الجسم أكثر من حبّه للروح، لا يمكن أن يحوز على الإستقرار، لأنّه يحبّ الشيء غير المستقر والمزعزع. لكن الحبّ ذا النزعة النبيلة يستمرّ مدى الحياة، وهو الذي يصبح حبّاً واحداً ثابتاً ومتيناً. هناك عار في أن يكون الإنسان مقهوراً بحبّ المال أو حبّ القوّة السياسيّة. وهاتان القوّتان ليستا من طبيعة أزليّة وباقية، ولم تنشأ منهما أيّة صداقة سمحة. أمّا عرفنا في بلادنا فيقضي أن يقدّم المحبّ إلى محبوبه خدمة تحت فكرة أنّه سيتحسّن بها إمّا في الحكمة، أو في أيّة نقطة رئيسية ما خاصّة بالفضيلة، وعندئذ ينغمس المحبوب في حبّ حبيبه بشرف. ويأتي هذا الحبّ من الإلهة السماويّة عينها، وهو حبٌّ سماويّ. أمّا الحبّ الآخر فيختلف عن هذا الحبّ اختلافاً كبيراً.

بعد أن انتهى بوسانياس من الكلام، قال أريسطوديموس، إنّ دور أريسطوفان جاء كي يبدأ حديثه، لكنّه كان يحزّق، إمّا من كثرة الكلام أو من سبب ما آخر. ولهذا التفت إلى أريكسيماخوس الطبيب وقال له: « يا أريكسيماخوس، إمّا عليك أن توقف حزقتي أو أن تتكلّم بدلاً عني حتّى أشفى ممّا أنا فيه ».

ردَّ عليه أريكسيماخوس بأنّه سيقوم بالعملين معاً وقال، سأتكلّم أنا بدورك وتكلّم أنت بدوري، وسأنصحك بأن تمتنع عن التنفّس. وإذا لم تتحسّن الحزقة بعد بعض الوقت، تغرغر حينئذ بقليلٍ من الماء. وإنْ بقيت الحزقة عنيفة، دغدغ أنفك بشيء ما واعطس. وإذا عطست مرّة أو مرّتين، فإنّ الحزقة الأكثر عنفاً ستتوقّف حالاً بكلّ تأكيد.

بدأ أريكسيماخوس الكلام قائلاً: لقد شاهدنا أنّ بوسانياس ابتدأ كلامه جيّداً، لكنّ نهايته كانت نهاية غير مقنعة، وعليَّ أن أسدَّ هذا النقص. أعتقد أنّه كان محقّاً عندما ميّز نوعين من أنواع الحب. لكنّ فنّي كطبيب يقول إنّ الحبّ المضاعف لا يكون شعور روح الإنسان كنحو الجمال الإنساني فحسب، بل هو عاطفة موجّهة إلى العديد من الأهداف الأخرى. وهذا الحب يوجد في الأشياء الأخرى: في أجسام الحيوانات، وفيما تنتجه الأرض، وفي كلّ ما هو كائن. لكن أفضل الأطبّاء هو مَن يقدر على أن يفصل الحبّ الجميل والمنصف عن الحبّ الكريه والقذر، أو أن يحوّل الواحد إلى الآخر. ومَنْ يعرف كيف يستأصل الحبّ وكيف يزرعه، ويقدر على أن يوفّق بين العناصر الأكثر عداءً في المجتمع ويجعل من أصحابها أصدقاء محبين، فإنّه ممارس حاذق وبارع في مهنته. وبعدُ فإنّ العناصر الأكثر عداءً هي الأكثر تضادّاً، وإنّ أبانا أيسكولابيوس، عارفاً كيف يغرس الصداقة والإتّفاق في هذه العناصر، كان هو مبدع فنّنا. وليس فنّ الطبّ بكلّ فروعه تحت سلطته بل إنّ فنّ الألعاب الرياضية والزراعة لكذلك.

وأمّا في علم الموسيقى فيوجد التوفيق عينه بين المتضادّات. وما الإيقاع إلاّ تآلف الأصوات. ويكون تآلف الأصوات نوعاً من الإتفاق. والموسيقى تخلق الحبّ والوئام بيننا، وعلم الموسيقى يكون ظاهرة علم الحبّ أيضاً في تطبيقه العمليّ على الإيقاع والتناغم. أمّا نوع التأليف الذي يصحُّ فيه إسم الإصطلاح « غنائيّ »، أو الألحان المؤلّفة مسبقاً، فيُحتاج للفنّان البارع كي يذلّل الصعوبة حينئذ. وهنا يجب

أن تردِّد القصّة القديمة عن الحبّ الجميل والسماويّ، وعن الحبّ العامّ الذي يأتي من بولي ـ هيمنا وما ينتج عنهما.إنّ مساء الفصول ممتلىء من كلا هذين المبدأين أيضاً، والحب المعتدل هو الحبّ الذي يولِّد التآلف والصحّة والوفرة، أمّا الحبّ الخليع فإنّه يؤذي ويدمّر. إنّ الحبّ الأوّل يختصّ بالخير، ويهبنا الإعتدال والعدل، وهو أصل سعادتنا، ويمنحنا المشاركة والصداقة مع الآلهة ومع بعضنا بعضاً. بهذا أنهى أريكسيماخوس كلامه عن الحبّ.

أما أريسطوفان الذي شفي من حزقته فابتدأ كلامه بما يلي: إنّ الجنس البشريّ، كما أعتقد، لم يفهم قوّة هذا الحبّ على الإطلاق. فلو فهمه الناس لما كان من واجبهم إلاّ أن يبنوا المعابد والهياكل تخليداً لذكراه ويلزم أن يقدّموا التضحيات تكريماً له، لأنّه الصديق الأفضل للرجال من الآلهة كلّها، وهو المساعد لهم وشافيهم من الأمراض التي تعيق سعادة السلالة البشريّة، وسأعطيكم مثلاً على ذلك. إنّ طبيعة الإنسان الأصليّة لم تكن مثل طبيعته الحاضرة، بل كانت طبيعة مختلفة. وكانت الأجناس ثلاثة في العدد، وليست إثنتين كما هي الآن. وُجد الرجل، المرأة، وآتحادهما آنئذ. كان شكل الإنسان الأول مستديراً، وكذلك شكل ظهره وجانبيه، وكان له أربعة أيدٍ والعدد عينه من الأقدام ورأس واحد بوجهين. وكان ينظر في الإتجاهات المضادّة؛ وأما أذناه فكانت أربعة في العدد، وكان له عضوان محجوبان. وبعدُ فإنّ الأجناس هذه كانت ثلاثة، لأنّ الشمس، القمر، والأرض كانت ثلاثة في العدد. كان الإنسان طفل الشمس في الأصل، المرأة طفلة الأرض، والرجل ـ المرأة طفل القمر، وكانوا كلّهم ذوي شكلٍ مستدير. اكتشف زيوس طريقة لفصلهم إلى إثنين وسوّاهما كما هما الآن رجلاً وامرأة، وأعطى الأمر لأبوللو كي يتمّم الصّنعة. وبدآ يتناسلان بعد أن أُتِمَّت أجهزتهما التناسليّة. وهكذا تكون الرغبة في بعضنا بعضاً قديمة وقد غُرِست فينا ووحّدت طبائعنا الأصليّة مرّة ثانية، بل إنّ هذه الطبائع عينها كانت في حالة شاذّة. وأعتقد، أنّنا إذا ما أنجزنا

حبّنا بشكل تامّ، وعاد كلّ منّا إلى طبيعته الأصليّة وإلى حبّه الحقيقيّ الأساسي، فإنّ سلالتنا ستكون سعيدة حينئذ.

ثم أتى دور أغاثون الذي استهلّ حديثه قائلاً: إنّ المتكلّمين السابقين بدلاً من أن يثنوا على الحبّ الإله ويكشفوا عن طبيعته، هنّأوا الجنس البشريّ على المنافع التي يمنحها الحب لهم. لكنّني سأطري على الله بادىء ذي بدء، وأتكلّم عن هباته بعدئذ. وهذه الطريقة هي الطريقة الصحيحة على الدوام. إنّ الحب هو أقدم الآلهة كلّها، لأنّه هو الأجمل والأفضل. إنّه الأجمل لأنّه الأفتى والألطف، وهو يسكن في قلوب وأرواح الآلهة والرجال على حدٍ سواء. إنّ هذا الحب لا يؤذي أحداً. وهو عادل ومعتدل إلى أقصى حدّ، والعدل هو الحاكم المعترف به للملذّات والرغبات، وهو الأشجع من كل الآلهة، وهو شاعر وحكيم. إنّه الخالق لكلّ المخلوقات. ومنذ أن وُلِد الحبّ انبجس كل خير في السّماء وعلى الأرض، وهو الذي يهدّىء غضب الرجال ويملأهم بالشعور والعاطفة. إنّه كيّس، وخيّر، مدهش الحكماء، إنشداه الآلهة، مصدر الرقّة، الترف، التمنّي، الولع، النعومة، الرشاقة. إنه يحترم الخير، يهمل الشرّ، ينقذ من الخوف، دليلٌ، رفيقٌ، محاربٌ، مجدُ الآلهة والرجال، القائد الأفضل والأكثر فتنة وجمالاً.

عندما أنهى أغاثون كلامه، قال أريسطوديموس إنّه كان هناك هتاف عامّ؛ فهو إعتقد أنّ الشابّ تكلّم بأسلوبٍ جديرٍ به، وبإله الحبّ. وقال سقراط، بعد أن نظر إلى أريكسيماخوس: قل لي، يا إبن أكيومينوس، أليسّ هناك سبب لخوفي؟ أو لم أكن أنا نبيّاً حقيقياً حينما قلت إنّ أغاثون سيؤلّف خطبة رائعة، وإنّي سأكون في ضيقٍ شديد.

أجاب أريكسيماخوس، قائلاً: يبدو لي إنّ الشقّ الأول من نبوءتك باغاثون جزء صادق، لكن الشقّ الذي تقول فيه بأنّك ستكون في ضيق شديد، ليس كذلك.

قال له سقراط: لماذا، يا صدقي العزيز، ألا يجب أن أكون أنا أو أيّ شخص آخر في عسرٍ شديد، وقد وجب عليه أن يتكلّم بعد أن سمع حديثاً غنياً ومتنوعاً كهذا؟ إنّ هذا الحديث بلغ الذروة في جمال الإلقاء وأسلوب الكلمات المستنتجة، وذكّرني ببلاغة جورجياس، ولن أتمكّن من قول أيّ شيء بعده. لقد أدركت كم كنت غبيّاً في الموافقة على مشاركتكم في الثناء على الحبّ، وفي القول بأنّني كنت خبيراً به أيضاً. تخيّلت لبساطتي، أنّ جوهر المدح يجب أن يكون الحقيقة، ولهذا فإنّ على المتكلّم أن يختار أفضل الموضوعات وأن يبيّنها في أفضل أسلوب، وبهذا نكون قد أعطينا الحبّ حقّه بصدق. وإذا ما أردتم سماع ثنائي على الحبّ فإني على استعداد لأن أتكلّم بأسلوبي الخاصّ، ومع ذلك لن أجعل نفسي مضحكاً بالدخول في أيّة مناقشة معك، يا أغاثون. وقل لي أنت، يا فايدروس، إذا ما كنت ستحب أن تمتلك الحقيقة بخصوص الحبّ؟

أجابه الجميع بأنّه يقدر أن يتكلم كما يشاء وبأية طريقة يريد.

إبتدأ سقراط كلامه بالقول: أعتقد، يا عزيزي أغاثون، أنّك كنت محقّاً بدون ريب في خطبتك عندما اقترحت الكلام عن طبيعة الحبّ أوّلاً وعن عمله بعد ذلك. والآن سأكرّر لك قصّة عن الحبّ سمعتها من النبيّة ديوتيما، من مانتيني. إنّها امرأة حكيمة في هذا الحقل وفي أنواع متعدّدة أخرى من أنواع المعرفة. وهي التي أعاقت المرض عشر سنين في الأيام القديمة عندما قدّم الأثينيون تضحية قبل أن يحل بهم مرض الطاعون. إنّ ديوتيما كانت معلّمتي في فنّ الحبّ، وسأحاول قدر استطاعتي أن أعيد لكم ما قالته لي بهذا الصدّد. قلت لها أوّلاً بالكلمات عينها التي استخدمها معي أغاثون تقريباً، قلت لها بأنّ الحبّ كان إلهاً جبّاراً، وانه إله جميل بشكل مماثل، وهي برهنت لي أنّ الحبّ لم يكن جيملاً ولا خيّراً، بل وسطاً بين ذلك. وقالت لي إنّ الحبّ هو نفسٌ عظيمة وهو توسّط بين الإلهي والفاني. هو يربط العالم كلّه معاً، ومن خلاله تجد فنون النبيّ والكاهن تضحياتهم وأسرارهم

المحفوفة بالغموض. إنّ الحبّ فيلسوف أو محبٌّ للحكمة. وكونه محبّاً للحكمة فإنّه وسط بين العاقل والجاهل، وهذه هي طبيعته ونشأته. وأقول لك بشكل عامّ، إنّ كلّ رغبة بالخير والسعادة هي القوّة العظيمة والحاذقة للحبّ. ويمكن أن أصف لك الحبّ، يا سقراط، بجملة عظيمة المعنى كبيرة الفائدة، وهي أنّ الحبّ هو الاقتناء الأبدي السّرمدي للخير. أمّا إذا ما سألتني، ماذا يفعل أولئك الذين يبدون كلّ هذا الشّغف والحرارة التي تدعى الحبّ، وما هو الهدف الذي يمتلكونه في فكرتهم وتفكيرهم، فإنّني سأعلّمك بأنّ الهدف الماثل في فكرتهم هو الولادة في الجمال، سواء أكان هذا الجمال في الروح أو في الجسد. والرجال كلّهم مُحضرون إلى الولادة في أجسامهم وفي أرواحهم. والولادة يجب أن تكون في الجمال وليس في القبح، والنشوء بالنسبة إلى المخلوق الفاني هو نوع من الخلود والبقاء، وهذا ما تنشده الطبيعة الفانية لأنّ النشوء يترك خلفه وجوداً جديداً أو مختلفاً في المكان القديم على الدوام. وبهذا تكون عمليّة التجدّد في الروح وفي الجسد مستمرّة بشكل دائم.

أقول لك، يا سقراط، إنّ أولئك الحبالى في أجسامهم فقط، يذهبون إلى الرجال بأنفسهم وينجبون الأطفال ـ هذه هي ميزة حبّهم، ويأملون في أن تحفظ ذريّتهم تذكارهم، وتعطيهم البركة والنعمة والخلود الذي يرغبون لكلّ الزمن المستقبليّ. لكنّ الأرواح الحبلى ـ لأن هناك رجالاً هم أكثر إبداعاً في أرواحهم ممّا هم في أجسامهم بكل تأكيد، وهُمْ إبداعيون في ذلك الذي يكون مناسباً للروح كي تحمل وتلد. وإذا ما سألتني ما هي هذه المفاهيم، فإنّني أجيبك، بأنّها الحكمة والفضيلة بشكل عام. لكنّ النوع الأعظم والأجمل للحكمة ببعدٍ كبير هو ذلك النوع الذي يختصّ بتنظيم الدول والعائلات، والذي يدعى الاعتدال والعدل. ومَنْ تُزرع في روحه هذه البذور منذ الصغر، يرغب في أن ينجب ويتوالد بها عندما يكبر ويصل إلى سنّ النضج. وهو يحتضن الجسد الجميل بدلاً من المشوّه بطبيعة

الحال، وفوق كلّ الجميع، فإنّه عندما يجد روحاً جميلة،ونبيلة وحسنة التربية يحتضن الإثنين في شخص واحد.

هذه هي أسرار الحبّ الأقل الذي يمكنك حتّى أنت أن تلجها، يا سقراط، والتي ستقودك إلى أسرارٍ أعظم وأكثر خفية وهي تاجها كلها. إنّ مَنْ سيتقدّم في طلب صحبة الجمال الجسديّ في سنّ فتوّته على نحوٍ صحيح، يلزمه أن يخلق أفكاراً جميلة خارجة عن ذلك. ولسوف يدرك بنفسه قريباً أنّ جمال جسم ما يماثل جمال جسمٍ آخر. وعندما يعرف ذلك فسيضع حدّاً لحبّه العنيف للجسد الواحد، وسيتأمّل مليّاً في المرحلة التالية، وهو أنّ الجمال الروحيّ يكون أكثر نفاسة من جمال الشكل الخارجيّ، وسيبحث بدقّة ويحضر إلى الولادة الأفكار التي يمكن أن تحسّن الشباب، حتى يُجبر تالياً على أن يتأمّل ويرى الجمال في العادات والنظم الاجتماعية وفي القوانين، وليفهم أنّ جمالها كلّها هو جمال من عائلة واحدة، وأنّ الجمال الشخصيّ ما هو إلاّ شيء طفيف. وسيقوده هاديه بعد تأمّل العادات والنظم الاجتماعية إلى تأمّل العلوم كي يتمكّن من مشاهدة المنطقة الفسيحة التي يشغلها الجمال من قبلُ، وسيتّجه بعدئذ، نحو البحر الواسع من الجمال ويستغرق في حبٍّ غير محدود للحكمة، إلى أن يترعرع على ذلك الشاطىء ويصبح قويّاً. وأخيراً فإنّ الرؤيا تكشف له عن علمٍ فردٍ واحدٍ فقط، هو علم الجمال في كلّ مكان. إلى هذا العلم سأتقدّم. أعطني المجال من فضلك.

إنّ مَنْ قد تدرّب في أشياء الحبّ إلى هذا الحد، يا سقراط، ومَنْ تعلّم ليرى الجمال في نظامٍ مناسب بالتسلسل، سيدرك طبيعةً ذات جمال خلاّب عندما يصل إلى النهاية « ويكون هذا هو السبب النهائيّ لكلّ أعمالنا الشاقّة السالفة ». إنّها طبيعة تعتبر طبيعة أبديّة في المقام الأوّل، لا تعرف الولادة أو الموت، النموّ أو الفساد؛ ثانياً، إنّها ليست جميلة في وجهة نظر واحدة وبشعة في أخرى، أو أنّها تشبه أيّ شيء. إنّه الجمال المحض، منفصل، بسيط، وأزليّ يضفي على الجمالات

الناشئة والفانية أبداً كلّ الأشياء الجميلة الأخرى، بدون أن يقاسي هو نفسه نقصاناً، أو زيادة، أو تغييراً. إنّ الذي يصعد من هذه الأشياء الأرضيّة تحت تأثير الحب الحقيقيّ، يجب أن يبدأ من الجمالات الأرضيّة ويرتفع إلى أعلى لأجل الجمال الآخر، مستخدماً هذه كدرجات فقط، يرتقي من واحدتها إلى الثانية، ومن الثانية إلى كلّ الأشكال الجسديّة الجميلة. ومن الأشكال الجسديّة الجميلة يرتقي إلى الممارسات الجميلة، ومن الممارسات الجميلة إلى العلوم الجميلة، إلى أن يصل إلى العلم الذي تكلّمت عنه من قبلُ، ذلك العلم الذي لا يكون له هدف أو غايةٌ أخرى غيرّ من الجمال المحض، ويعرف أخيراً ذلك الذي يكون جميلاً بذاته فقط.

قالت الغريبة من مانتيني، هذه هي الحياة التي يجب أن يحياها الإنسان، يا عزيزي سقراط، فوق كل الحيوات الأخرى، حياة في تأمّل الجمال المطلق. إنّه الجمال الذي إذا ما شاهدته لمرّة، فلن تُرى بعدها في أثر مقياس الذهب والأثواب وجمال الأولاد والشباب الذين يسلب لبّهم حضورك الآن؛ وستكون أنت وسيكون العديدون قانعين ليعيشوا، وهم يشاهدونهم فقط ويحادثونهم بدون طعام أو شراب، إذا كان ذلك ممكناً. لكن ماذا إذا كان لدى الإنسان عيون لترى الجمال الحقيقيّ فسيرى الجمال الإلهيّ، أعني، الجمال النقيّ والصافي وغير المزيّف، الجمال اللّامدنّس بالتلوث الجسديّ وبكلّ ألوان وتفاهات الحياة الفانية، ناظراً إلى هناك، ومجرياً محادثة مع الجمال الحقيقيّ البسيط الإلهي.

هكذا كانت كلمات ديوتيما، يا فايدروس، وأنا أخاطبك وأخاطب كلّ الحاضرين هنا كذلك، وإنّي لمقتنع بصدقها وصحّتها، وأحاول أن أقنع الآخرين، وهو أنّ في بلوغ هذه الغاية الطبيعيّة الإنسانيّة لن نجد بسهولة مساعداً أفضل من الحبّ.

عندما انتهى سقراط من كلامه أطرت المجموعة على ما قاله، وكان أريسطوفان على وشك أن يبدأ ليقول شيئاً ما إجابة على التلميح الذي أشار له سقراط في

كلامه الخاصّ، لكنّ الباب قُرع بشكل رئيسيّ ومفاجىء، ودخل ألسيبيادس. كان صوته يدوّي، وفي حالة من السكر عظيمة، وبقي يزأر ويصيح « أين أغاثون، أرشدوني إلى أغاثون؟ ». وكان يتوّج رأسه بإكليل ضخم من شجر اللّبلاب والبنفسج، وتتدلّى منه شرائط حريرية. ثم قال: هل ستسمحون لرجلٍ ثملٍ جدّاً أن يكون رفيق مرحكم الصّاخب، وأن أتوّج أغاثون وهو أجمل وأعقل الرجال كما أدعوه؟ ثم جلس بعدئذ في المكان الخالي بين أغاثون وسقراط، والتفت إلى سقراط قائلاً، يا للسّماء! ما هذا؟ إنه سقراط! إنك موجود هنا وتتربّص بي على الدوام. دعني أتوّج رأسه، يا أغاثون، كما توّجت رأسك، رأسه العجيب الرائع، الذي هو الفاتح والمتغلب على كلّ الجنس البشري ببلاغته وفصاحته. بعد وقت قصير مضى في الشراب والحديث قال أريكسيماخوس لألسيبيادس: لقد أصدرنا قراراً قبل أن تصل إلى هنا، يا ألسيبيادس، بأن يثني كلّ واحد منا على الحبّ، ومرّ الدور علينا من اليسار إلى اليمين. وبما أنّنا تكلّمنا جميعاً، وبقيت أنت بدون أن تتكلّم برغم أنّك شربت حتّى الثمالة، فيجب عليك أن تدلي بدلوك في الكلام.

أجابه ألسيبيادس: إنّ ذلك جيد، يا أريكسيماخوس، لكنّ مقارنة خطاب إنسان سكران بخطابات أولئك الرجال غير الثملين والرصينين ليست مقارنة عادلة. وسأحبّ أن أعرف، يا صديقي الحلو، إذا ما كنت تصدّق حقّاً ما قاله سقراط لتوّه الآن؛ فأنا أستطيع أن أؤكّد لك أنّ الحقيقة هي عكس ذلك تماماً، وأنّي إن مدحت أيّ شخص في حضوره، سواء إذا كان إلهاً أو إنساناً، فإنّه سيرفع يده عني بجهدٍ جهيد.

ولهذا السبب، يا أولادي، فإنّني سأُثني على سقراط في الاستعارة التي ستظهر له أنّها رسم كاريكاتوري، ليس لأهزأ به، لا سمح الله، بل من أجل قول الحقيقة فقط. إنّ سقراط يشبه تماثيل سيلينوس النصفيّة بالضبط التي توضع في حوانيت مجموعة التماثيل وفي أفواهها مزامير أو نايات، وهي مصنوعة كي تفتح في

وسطها، وفي داخلها صور للآلهة. وأقول أيضاً بأنّه يشبه مارسياس الساطيري، وأنّه عازف الناي الأكثر روعة ببعدٍ كبير ممّا يكونه مارسياس نفسه. واعتاد سقراط على أن يسحر أرواح الرجال بقوة نَفَسِهِ. إنّ مجرّد أجزاء أو مقاطع من كلماتك، يا سقراط، حتّى وإن كانت ثانويّة، فإنّها تذهل وتمتلك روح كل إنسان يسمعها. وعندما أسمعها فإنّ قلبي يقفز داخل صدري وعينيّ تنهمران دموعاً، وألاحظ أنّ العديد من الرجال الآخرين يتأثرون بها بالطريقة عينها. وبماذا سأحدثكم عن اعتداله؟ تعرفون أنتم أنّ الجمال والغنى وكل النعم الأخرى التي تجلب السعادة العظيمة في الرأي الشعبيّ، تعرفون أنّ هذه النعم لا أهميّة لها عنده البتّة، ويستخفّ بها بشكل مطلق، ولا يعتبر الأشخاص الممنوحة لهم على الإطلاق. وأقول لكم، إنّني عندما فتحت هذا التمثال النصفيّ لسقراط ونظرت في داخل قصده الجادّ والهامّ، رأيت في داخله صوراً إلهيّة وذهبيّة ذات جمال يسبي العقول، وكنت مستعدّاً لفعل ما يأمرني به سقراط في لحظة. وسأخبركم قصّةً حدثت بيني وبين ذلك الإنسان المعجب بجمالي، والذي تدهشني حكمته وصبره واعتداله ورجولته الطبيعيّة، وكلّ الذي حدث أثناءها جرى قبل أن أذهب وإياه في الحملة العسكريّة على بوتيدايا، وكانت لديَّ فرصة لملاحظة قوته غير العادية في تحمّل المشقّات، في صبره على البرد القارس، في صموده أمام العدو، وفي شجاعته الخارقة. إنّه هو الذي أنقذ حياتي، ولقد تلقيت في المعركة جائزة البسالة، ولقد جرحت أثناءها، لكنّ سقراط لم يتركني بل أنقذني وأنقذ أسلحتي كلها. وكان من الواجب اللازب أن يحصل هو على جائزة الشجاعة تلك التي أراد القادة الحربيون أن يمنحوني إياها بسبب رتبتي في الجيش، لكنّه كان هو أكثر إصراراً من القادة العسكريين على منح الجائزة لي بدلاً من منحها له. وحدث شيء مماثل في معركة ديليوم حيث كان الجيش الأثيني يتقهقر هناك، وقد أبدى سقراط في هذه المعركة شجاعة مماثلة للشجاعة التي أظهرها في المعركة السابقة.

أقول لكم باختصار إنّ من يرى هذا التمثال النصفيّ مفتوحاً وينعم النظر في داخله، سيجد أنّ كلمات سقراط هي الكلمات الوحيدة التي تمتلك معنى فيها، وهي الكلمات الأكثر إلهية أيضاً. إنّها كلمات زاخرة بصور الفضيلة الجميلة، وبالإدراك والمعرفة الأرحب والأشمل، أو على الأصح أنّها تعمّ كلَّ شيء يجب أن يتذكّره إنسان، إذا ما كان ليصبح إنساناً ذا جلال وشرف. وهذا، يا أصدقائي، هو ثنائي على سقراط.

عندما انتهى ألسيبيادس من كلامه، أُعجب الجميع بصراحته، وردَّ سقراط على ما قاله. وهكذا انتهت المحاورة بذهاب كلِّ شخص من الأشخاص المتحاورين حيث شاء.

محاورة سيمبوزيوم ـ أو المائدة

اشخاص المحاورة

أبولودوروس، الذي يكرّر المحاورة التي سمعها من أريستوديموس، والتي قصّها مرة لغلوكون قبل الآن، يكررها لرفاقه.

فيذروس	سقراط
ألسيبيادس	بوسانياس
أريكسيماخوس	أريسطوفان
أغاثون	وجماعة من المستمتعين

المشهد: بيت أغاثون.

أبولودوروس: فيما يتعلق بخصوص الأشياء التي سألت كي تتلقّى جواباً بشأنها، أعتقد بأنّني لست مهيّأ بشكل سيّىء للإجابة عليها لأنّني أتيت أول من أمسِ من بيتي في فاليروم إلى المدينة دعاني أحد معارفي الشخصيين الذي رآني من خلفٍ، دعاني من مسافة مداعباً قائلاً: أيها الرجل الفاليروميّ، باسم أبولودوروس، توقّف! فعلت كما أُمِرت؛ فقال، إنّني كنت أبحث عنك، يا أبولودوروس، لتوّي الآن فقط، وذلك لأسألك بخصوص الأحاديث في الثناء على الحبّ التي ألقاها سقراط، ألسيبيادس والآخرون خلال العشاء الذي أقامه أغاثون. أَخبر فوينكس، بن فيليب، شخصاً آخر وهو الذي أعلمني بها. إنّ سرده لهذه الأحاديث كان سرداً غير واضح، لكنّه قال بأنّك عرفتها، وأرغب منك بالتالي أنَ تعطيني تفسيراً لها. ومَنْ إذا لم تكن أنت، من سيكون مُخبِر كلمات صديقك. قل لي أولاً، هل حضرت هذا الاجتماع؟

أبولودوروس: إنّ الذي أخبرك ذلك، يا غلوكون، لا شكّ أنّه قد كان غامضاً جدّاً حقّاً، إذا تصوّرت أنت أنّ المناسبة كانت مناسبة حديثة العهد؛ أو أنّه قد كان باستطاعتي الحضور خلال اللّقاء.

غلوكون: لماذا، نعم، إنّني افتكرت ذلك.

أبولودوروس: مستحيل؛ هل أنت جاهل بأنّ أغاثون لم يسكن في مدينة أثينا منذ عدّة سنين؛ وأنّه لم يمضِ سوى أقلّ من سنوات ثلاث وأصبحتُ بعدها ملمّاً بسقراط، وجعَلتُ من كلّ ما يقوله وما يفعله شغلي اليوميّ. مضى زمن طفت أثناءه حول العالم، متوهّماً أنّني موظف جيّد، لكنّني كنت المخلوق الأكثر بؤساً في الحقيقة، ليس بأفضل ممّا أنت عليه الآن. ظننتُ أنّي يجب أن أفعل أيّ شيء غيرَ أن أكون فيلسوفاً.

غلوكون: حسناً، أخبرني متى حدث الاجتماع، بعيداً عن الهزء.

أبولودوروس: حدث في زمن صباي، عندما فاز أغاثون بالجائزة عن قصيدته الأولى التي نظمها في المأساة، في اليوم الذي تلا ذلك حينما قدّم هو وجوقته أضّحية النصر.

غلوكون: لا شك إذن أنّها قد كانت لزمن طويل مضى، ومَنْ أخبرك ذلك؟ هل فعل سقراط هذا؟

أبولودوروس: لا حقاً، بل إنّه الشخص نفسه الذي أخبر فوينكس؛ ـ كان هو شخصاً صغيراً، لم يلبس أيّ حذاء قطّ، إنّه أريستوديموس، من مقاطعة سيّد أثينايوم. لقد حضر وليمة أغاثون؛ وأعتقد أنّه لم يكن في تلك الأيام شخص كان أكثر المعجبين المخلصين لسقراط منه. علاوة على ذلك، فإنّني سألت سقراط عن حقيقة بعض أجزاء قصّته، فصادق عليها. عندئذ، قال غلوكون: دعنا نروي القصّة مرّة ثانية؛ ألم تُهيّأ الطريق إلى أثينا لتوّها بالمحادثة؟ وهكذا مشينا، وتحادثنا عن مقالة في الحبّ. ولهذا السبب، كما قلت في البدء،

إنّني لست مجهّزاً بشكل سيّىء كي أستجيب لالتماسك، وإذا أردت سرداً آخر للمقالة، فإنّه سيكون ملكاً لك. إذ إنّ الكلام عن الفلسفة أو سماع الآخرين يتحادثون عنها وفيها يعطيني اللذّة الأكبر على الدوام، ولا تقلّ شيئاً عن الربح. لكنّني عندما أسمع ضرباً آخر من ضروب الحديث، خاصة الذي يدور حولكم يا رجال الأعمال الأغنياء فإنّ محادثة كهذه تثير استيائي؛ وإنّي أتشفّق عليكم وأرثي حالكم، يا رفاقي، لأنّكم تعتقدون بأنّكم فاعلون شيئاً ما عندما لا تكونون مؤدّين أيّ شيء في الحقيقة. وأجرؤ على القول بأنّكم ترثون لحالي بالمقابل، أنتم الذين تعتبرونني مخلوقاً غير سعيد، ومن المحتمل أن تكونوا محقّين تماماً في ذلك. لكنّني أعرف بدون ريب ما تظنّونه بي فقط ـ هذا هو الفرق.

رفيق: إنّني أرى، يا أبولودوروس، أنّك أنت الشيء نفسه تماماً ـ تتكلّم شرّاً عن نفسك، وعن الآخرين؛ وإنّي لأعتقد بأنّك تتصوّر أنّ كلّ الجنس البشريّ غير سعيد، ما عدا سقراط، وأنت أوّل الجميع. لا أستطيع أن أتصوّر كيف اكتسبت الإسم أبولودوروس اللّطيف المعتدل؛ لأنّك أنت الشيء نفسه على الدوام، ثائراً ضدّ نفسك وضدّ الآخرين عدا سقراط.

أبولودوروس: نعم، يا صديق، وبما أنّني أمتلك هذه الأفكار عن نفسي وعنكم، فلا حاجة بي أن أبرهن أنني فاقد صوابي ومجنون.

رفيق: نحن لسنا بحاجة للخصام، يا أبولودوروس؛ لكن دعني أجدّد التماسي إليك كي تعيد سرد المحادثة.

أبولودوروس: حسناً، إنّ قصّة الحبّ كانت على هذا النحو ـ لكن لربّما كان من الأفضل أن ابتدىء من الأول، وأجهد كي أعطيك الكلمات الدقيقة التي تفوّه بها أريستوديموس. قال إنّه قابل سقراط بعد أن استحمّ ولبس خفّيه؛ وبما أنّ منظر الخُفّ كان منظراً غير اعتيادي، سأله إذا ما كان ذاهباً لمكان ما، ذلك أنه قد تحوّل إلى رجل أنيق.

أجاب سقراط: إنّني ذاهب إلى مأدبة أغاثون الذي رفضت دعوته لي البارحة إلى تضحيته بيوم النصر، لخوفي الجمع الغفير من الناس، لكنّني وعدته بأنّي سوف آتي اليوم بدلاً من البارحة؛ وهكذا فإنّي تدثّرت بملابسي الفاخرة، لأنه رجل وسيم وأنيق . فماذا تقول أنت في الذهاب معي بدون دعوة؟

أريستوديموس: سأفعل كما تأمرني.

سقراط: إتبعني إذن، ودعنا نقوّض المثل القائل:

إلى ولائم الرجال الأقلّ أهميّة الأخيار يذهبون غير مدعوّين؛

بدلاً من مثلنا السائر الذي يجري:

إلى ولائم الأخيار، الأخيار يذهبون غير مدعوّين؛ ويلزم أن يُدعَم هذا التغيير بسلطة هوميروس نفسه الذي لا يقوّض المثل فقط بل يعتدي عليه اعتداءً صارخاً حرفيّاً، لأنّه بعد أن يصوّر أغاميمنون وكأنه أكثر الرجال بسالة، يجعل مينيلوس، الذي هو « محاربٌ واهن العزيمة » يأتي غير مدعوٌ إلى وليمة أغاميمنون الذي يولِمُ ويقدم الأضاحي، ولا يعني هذا أنّ الأفضل يذهب إلى الاردأ، بل على العكس من ذلك.

اريستوديموس: أخشى بالأحرى، يا سقراط، ألاّ تكون هذه هي حالتي؛ وأن أكون مثل مينيلوس في عمل هوميروس، حينئذ سأكون الشخص الأدنى مستوىً، الذي إلى ولائم العقلاء يذهب غير مدعوٌ.

لكنّني سوف أقول إنّك دعوتني؛ وهكذا يكون عذرك جاهزاً، إثنان ذاهبان معاً. أجابني هو في نمطٍ هوميريٍّ، سيخترع واحدنا أو الآخر عذراً بالمناسبة. تعال: دعنا نبدأ المسير.

عندما سارا بعد محادثة من هذا النوع، تأخّر سقراط في مناسبة ذهول، ورغب أريستوديموس، الذي كان منتظراً، رغب أن يذهب للبحث عنه. وعندما وصل إلى بيت أغاثون وجد الأبواب مفتوحة على مصراعيها،

وحدث شيء مضحك. قابله الخادم الذي خرج وقاده حالاً إلى حجرة الطعام التي كان الضيوف فيها، لأنّ المأدبة كانت على وشك أن تبدأ. قال أغاثون، أهلاً وسهلاً، يا أريستوديموس، إنّك وصلت في الوقت المناسب كي تتناول معنا طعام العشاء. إذا أتيت من أجل قضيّة أخرى دعها وشأنها، واعتبر نفسك واحداً منّا. فقد بحثت عنك نهار البارحة وقصدت أن أدعوك للغشاء، إذا ما استطعت أن أجدك، لكن ماذا فعلت بسقراط؟

استدرت دائريّاً، لكنّي لم أشاهد سقراط؛ وكان عليّ أنّ أوضح أنّه قد كان معي للحظةٍ مضت، وأنّني أتيت إلى العشاء بناءً لدعوته.

أغاثون: كنت أنت محقّاً في قدومك؛ لكن أين هو سقراط نفسه؟

اريستوديموس: إنّه كان خلفي لتوّه الآن، عندما دخلت، وأنا لا أقدر أن أخمّن ماذا حدث له.

أغاثون: إذهب وابحث عنه، يا صبيّ، واحضره إلى هنا، وأنت، يا أريستوديموس، خذ المكان بجوار أريكسيماخوس.

[ساعده الخادم عندئذ ليغسل يديه ووجهه، ثم تمدّد على الأريكة، ودخل خادم آخر في الحال وقدّم تقريراً بأنّ صديقنا سقراط اعتزل في الروّاق المعمّد في البيت المجاور]. قال: « هناك تسمّر سقراط » وعندما أناديه فهو لن يبدي حراكاً ».

أغاثون: ما أغرب هذا منه، إذاً يجب أن تدعوه مرّة ثانية، وأن تلح على فعل ذلك.

قال مخبري؛ دعه وشأنه، إنّ لديه طريقة للإنطلاق بنفسه، وكذلك للوقوف بثبات في أيّ مكان يحدث أن يكون فيه. أعتقد بأنّه سيظهر قريباً؛ لذلك لا تزعجه.

أغاثون: حسناً، إذا اعتقدت هكذا، فإنّني سأدعه وشأنه. وأضاف بعد أن استدار

إلى الخدم « دعنا نتناول طعام عشائنا بدون أن ننتظره. قدّموا ما تريدون، إذ ليس هناك أيّ شخص يأمركم، وحتّى الآن لن أترككم لوحدكم قطّ. لكن تصوّروا أنّكم أنتم أصحاب الدعوة بهذه المناسبة، وأنّني والجماعة ضيوفكم؛ عاملونا جيّداً، وبعدئذ فنحن سوف نأمركم ». قُدِّم العشاء بعد هذا، لكنّنا بقينا بدون سقراط؛ وعبَّر أغاثون أثناء الطّعام عن رغبته ليرسل شخصاً في طلبه مرّات عديدة، لكن أريستوديموس عارض ذلك؛ وأخيراً بعد أن كان وقت الوليمة على وشك أن ينتهي ـ لأنّ المناسبة، لم تكن لمدة طويلة، كالمعتاد ـ دخل سقراط. توسّل إليه أغاثون، الذي كان متّكئاً وحده عند نهاية الطاولة، توسّل إليه أن يجلس بالقرب منه؛ ذلك، « كي أتمكّن من أن ألمُسَكَ » وأستفيد من تلك الأفكار الحكيمة التي أتت إلى عقلك عندما كنت لوحدك في الرواق المعمّد، «لأنّني متأكّد من أنّك لم تغادر ذلك المكان إلا بعدما وجدت ما كنت تنشده».

سقراط: كم أرغب أخذ هذا المكان بقربه، كما تمنّى، وإن أمكن لتلك الحكمة أن تنتقل باللّمس، من الرجل الأكثر امتلاءً إلى الرجل الأكثر خلوّاً منها؛ كما يجري الماء من خلال الصوف خارج الكوب الأكثر امتلاءً إلى الآخر الأكثر خلواً؛ وإن كان ذلك هكذا، فكم سيكون الاستلقاء بجانبك امتيازاً كبيراً، له تقديري! لأنّك سوف تملأني بدفقٍ من الحكمة وافرٍ وصافٍ؛ في حين أنّ الذي يخصّني هو من نوع عاديٍّ ومشكوكٍ فيه، وليس بأفضل من الحلم. لكنّ الذي يخصّك هو ساطع وممتلىء وعداً، وظهر ذلك جلياً في كلّ سناءٍ وروعةِ شبابك يوم أول من أمس، في حضور أكثر من ثلاثين ألف هيليني.

اغاثون: إنّك لمتهكّم، يا سقراط، وقبل أن تقرّر أنت وأنا بوقت طويل مَنْ سيحمل غصن الغار للحكمة ـ سيكون ديونيسوس الحكم. لكن الآن من الأفضل لك أن تشغل نفسك بالعشاء.

[أخذ سقراط مكانه على الأريكة، وشرب مع الباقين؛ وحينئذ سُكِبت السوائل على الأرض، وبعد أن قُدِّمت ترتيلة إلى الإله، وأقيمت الاحتفالات المعتادة، كانوا على وشك أن يبتدئوا بالشراب]، عندما قال بوسانياس: وبعدُ، يا أصدقائي، كيف نستطيع أن نشرب بأقلّ أذىً لأنفسنا؟ إن بوسعي أن أؤكد لك أنّي ما زلت أشعر بتأثير ما شربته نهار البارحة إفرادياً، ويلزمني وقت كي أستعيد وضعي الطبيعي؛ وأعتقد بأنّ أكثركم يعاني المأزق عينه لأنّكم كنتم في الحفلة حينها. إعتبر إذن: كيف يمكن أن يدار الشراب بالطريقة الأسهل؟

أريسطوفان: إنّني أوافق كليّة، يجب علينا، مهما كلّف الأمر، أن نتفادى الشراب الثقيل، لأنّني كنت واحداً من أولئك الذين كانوا منغمسين عميقاً في الشراب نهار البارحة.

أريكسيماخوس: أعتقد بأنّك محقّ، يا ابن أكيومينوس؛ لكنّني سأبقى محبّاً لسماع شخص آخر يتكلّم: هل يستطيع أغاثون أن يشرب شراباً ثقيلاً؟

أغاثون: إنّني لست كفؤاً لها.

أريكسيماخوس: إنّها نعمة، لأنّ الرؤوس الضعيفة كرأسي، ورأس أريستوديموس، فايدروس، والآخرين الذين لا يقدرون على أن يشربوا أبداً، ليجدوا أن الرؤوس الأقوى ليست في مزاجٍ شرابيّ. « إنّني لا أضمّن سقراط، الذي هو قادر إمّا أن يشرب أو أن يمتنع عن الشراب، ولن يهمه أيّهما يفعل ». حسناً، ما دام أحد من المجموعة الموجودة لا يبدو أنّه ميّالٌ ليشرب كثيراً، يمكنني أن أسامحَ لتكلّمي الحقيقة بشأن الشراب الكثير. إنّ خبرتي كطبيب أقنعتني أنّ الشراب هو مراسٌ سيّىء، لن أتّبعه إذا ما استطعت، ولن أنصح به الآخرين بكلّ تأكيد، وأقلّ من الجميع لكلّ شخص لا يزال تحت تأثير احتفال البارحة المخمور.

إنّني أفعل ما تنصح به دائماً، وخاصّة ما توصيني به وتصفه كطبيب، واصل فايدروس الميرهينوسيان قائلاً، وستفعل الشيء عينه بقية الجماعة الموجودين، إذا كانوا حكماء.

وافق الجميع على أن لا يكون الشراب الثقيل نظام اليوم هذا، لكن على أن يشرب الكلّ بقدر ما يُسرُّون فقط.

قال أريكسيماخوس بعدئذ: بما أنّكم وافقتم جميعاً على أن يكون الشراب اختيارياً، وعلى أن لا يُجبر أحد على ذلك، فإنّني أقدّم اقتراحاً، في المقام التالي، وهو أن تُخبَرَ الفتاة التي تعزف على الناي، والتي ظهرت لتوّها الآن، بالابتعاد عنا وأن تعزف لوحدها، أو إذا أحبّت، فلتعزف النساء اللواتي في الداخل(١٧). دعونا اليوم نؤدّي محاورة بدلاً من ذلك؛ أو إذا ما سمحتم لي، فإنّني سأخبركم أيّ نوع من المحادثة سنقوم بها. [لقد لقي هذا الاقتراح الترحيب الجماعيّ]، ومن ثمّ تقدّم أريكسيماخوس متحدّثاً كما يلي:

سأبدأ على غرار أسلوب ميلانيب في عمل يوريبايدس: الكلمة ليست كلمتي، التي على وشك أن أتفوّه بها، بل إنّها لفايدروس الموجود هنا. لأنّه يقول لي دائماً بنغمة ساخطة: «أيّ شيء غريب هو هذا، يا أريكسيماخوس، في حين أنّ الآلهة الآخرين يمتلكون قصائد وتراتيل أُلّفت في تكريمهم، أمّا إله الحبّ العظيم الغابر، فلم يكن لديه قطّ مادح بين كلّ الشعراء الكثيري العدد. هناك السوفسطائيّون الجديرون بالاعتبار أيضاً - كمثال بروديكوس الممتاز - الذي أسهب في النثر بمدح الفضائل لهيراكليس وللأبطال الآخرين، والتي ليست فضائل إستثنائية بعد كلّ شيء، باعتبار أنّني واجهت أعمالاً فلسفيّة قد جعلت فائدة الملح موضوع الحديث البليغ، والعديد من الأشياء الأخرى المماثلة التي كانت كلمات التكريم والتبجيل تنصبّ عليها، وذلك

كي يعتقد فقط بأنّها قد وُجدت رغبة عارمة أُبدِعت بشأنها. وبرغم ذلك فإنّه لا أحد تجرأ أبداً على أن يقدم ترتيلة في الثناء على الحبّ جديرة بالتقدير حتّى اليوم! هكذا قد أُهمِل هذا الإله العظيم بشكل تامّ. والآن يبدو لي أن فايدروس محقّ تماماً في هذا، ولذلك فإنّني أحب أن أقدّم له مساهمة بشأنه؛ وإنّي لأفتكر أيضاً في هذه اللحظة أنّنا لا نستطيع أن نفعل أفضل من تكريم إله الحبّ. إذا وافقتموني، فلن يكون هناك نقص في المحادثة؛ وما أعنيه هو اقتراح في أن يؤلّف كلٌّ منّا بدوره خطاباً في تبجيل الحبّ مبتدئين من الشمال إلى اليمين. دع البادىء يعطينا أفضل ما يقدر على إنتاجه من أفكار؛ وسيشرع فايدروس بالكلام، لأنّه يجلس في الصفّ الأوّل على اليد اليسرى، ولأنّه أبو هذا الموضوع.

سقراط: لا أحد سيصوّت ضدّك، يا أريكسيماخوس. كيف يمكنني أن أضادّ اقتراحك الذي يعلن أنّه لا يدرك أيّ شيء سوى قضايا الحبّ؛ ولا أفترض أنّ أغاثون أوْ بوسانياس سيفعلان ذلك؛ ولا يُستطاع وجود أيّ شكّ بشأن أريسطوفان، وهُمُ الذين يهتمّون بديونيسيوس وأفروديت. لا ولن يعارض هذا أحدٌ من أولئك الذين أراهم حولي. يبدو الاقتراح، كما يمكنني أن أدرك، صعباً علينا بالأحرى نحن الذين نحتلّ المقاعد الخلفيّة؛ لكنّنا سنكون قانعين إنّ سمعنا بعض الأحاديث الجيّدة أوّلاً. دع فايدروس يبدأ في الثناء على الحبّ، وتمنّ له الحظّ الجيد. [أعرب كل المجتمعين عن موافقتهم، وتمنّوا عليه أن يفعل كما أمره سقراط].

لم يتذكّر أريستوديموس كلّ الخطابات المفردة، ولا أتذكّر أنا كلّ ذلك الذي يتعلّق بي؛ غير أنّني سأخبرك ما تصورته الأكثر جدارة بالتذكّر، وما قاله المتكلّمون الرئيسيّون.

إبتدأ فايدروس بإثبات أنّ الحبّ هو إله جبّار، وأنّه رائع بين الآلهة والرجال

لعدة اعتبارات، لكنّه مدهش في ولادته بشكل خاصّ. إنّه أكبر الآلهة سنّاً، وهذا شرف له. والبرهان على مطالبته بهذا الشرف، هو أنّه ليس هناك نصب تذكاريٌّ لآبائه؛ ولم يثبت الشعراء ولا الكتّاب النثريون أنّه كان لديه أيٌّ منها، كما يقول هيسيود:

بادىء ذي بدء أتى الشواش، وبعدئذ الأرض الفسيحة المتوسطة، المركز الأبديّ لكلّ الكائنات والحب. بكلماتٍ أخرى، أتى إلى الوجود بعد الشواش هذا الشيئان الأرض والحب، ويشير بارمينايدس إلى النشوء أيضاً:

بادىء ذي بدء في موكب الآلهة، هُمُ كوّنوا الحبّ.

ويتفق أكيوسيلوس مع هيسيود. عديدة هي الحجج التي تعترف بأنّ الحبّ هو أكبر الآلهة سنّاً، وليس أكبر سناً فقط، بل إنّه مصدر المنافع الأعظم لنا جميعاً. إنّني لا أعرف أيّة نعمة أكبر منه للإنسان الفتيّ المبتدىء بالحياة غيراً من محبٍّ فاضل، أو إلى المحبّ غيراً من محبوب يانع لأنّ المبدأ الذي ينبغي أن يكون مرشد الرجال الذين سيعيشون بنبل - أقول، إنّ ذلك المبدأ، ليس الأنسباء، ولا الشرف، ولا الغنى، ولا أيّ تأثير آخر قادر على أن يُزرع جيّداً هكذا مثل الحبّ. عمَّ أتكلّم أنا؟ هل أتكلّم عن معنى الشرف والعار، الذي بدون الأول لا تستطيع الدول والأفراد أن تقوم بأيّ عملٍ خيّرٍ أو عظيم. وأقول إنّ المحبّ الذي يظهر للعيان أنّه يؤدّي أيّ عملٍ شائن، وأنّه يذعن من خلال الجبن عندما يهينه الآخرون، وسيكون أكثر تألّماً إذا اكتشف محبوبه هذا من كونه مشاهَداً بأبيه، أو برفاقه، أو بأيّ شخص آخر. عندما يوجد المحبوب في أيّ وضع مشين أيضاً، فإنّه يمتلكه الشعور عينه بشأ حبيبه. وإذا وُجدت طريقة ما للإختراع وهو أنّه يجب أن تنشأ الدولة أو أن يجهّز جيش من الأحبّاء وممن يحبّون فقط(١٨)، هُمُ سيكونون أفضل حكامٍ لمدينتهم بالتحديد، ممتنعين عن كلّ ما هو مخزٍ، ومتشبّهين ببعضهم بعضاً في

الشرف. وأنّها لمبالغة أنْ أقول بأنّهم عندما يحاربون بعضهم إلى جانب بعض، وبالرغم من أنّهم مجرّد حفنة صغيرة، فإنّهم سيقهرون العالم، لأنّ الذي يختاره المحبّ يراه الجنس البشريّ كلّه على الأصح، وليس محبوبه فقط. أمّا عند تخلّيه عن موقعه، أو إلقاء سلاحه فإنه سيكون مستعدّاً كي يموت ألف مرّة مفضّلاً ذلك على تحمُّل هجر محبوبه أو أن يخذله في ساعة الخطر. إنّ الجبان الفعليّ لن يصبح بطلاً ملهماً، مساوياً للرجل الأشجع، في وقت كهذا. اذا لم يستحثه الحب وينفخ فيه حياة. تلك الشجاعة التي، كما يقول هوميروس، ينفخها الله في أرواح بعض الأبطال، ويغرس حبّ هبته السخيّ في الحبيب.

سيجعل الحبّ الرجال يجرؤون على الموت من أجل محبوبهم ـ والحبّ وحده. وستفعل النساء تماماً كما يفعل الرجال ذلك. وما ألكستيس، إبنة بيلياس إلاّ خير شاهد حيّ لهيلاس كلها على هذا لأنّها كانت على استعداد للتضحية بحياتها من أجل زوجها، عندما لم يُقدم أحد على ذلك، مع أنّه كان لديه أب وأمّ، لكن رقّة حبّها فاقت حبّهما؛ ذلك أنّها جعلتهما يبدوان غرباء في الدم والقربى من ابنهما الخاصّ، وينتسبان له بالإسم فقط. وكم ظهر عملها هذا نبيلاً للآلهة وللرجال أيضاً، ذلك أنها واحدة من بين النساء القلائل جداً اللواتي فعلن بفضيلة، والتي مُنِحتْ امتياز العودة حيّةً إلى الأرض إعجاباً بعملها النبيل. لقد دُفِعَ هذا الشرف الاستثنائي بالآلهة إلى إخلاص وفضيلة الحبّ دفعاً. لكن أورفيوس بن أوياغروس، العازف على القيثارة، أرسلوه هم بعيداً خالي الوفاض، محضرين له شبحها فقط الذي نشده هو، لكنّهم لم يتخلّوا عنها، لأنّه هو لم يظهر حيويّة ونشاطاً؛ إنّه كان مجرّد عازف قيثارة، ولم يجرؤ مثلما فعل ألكستيس على أن يموت من أجل الحبّ، بل وجد وسيلة تمكّنه من دخول مكان مثوى الأموات حيّاً. ولهذا

السبب هُمْ سبّبوا له أن يقاسي الموت على أيدي النساء بعد ذلك، كعقابٍ لجبنه. إنّ جائزة الحبّ كانت جائزة مختلفة جدّاً عن جائزة حبّ أخيل الحقيقيّ نحو محبّه باتروكلوس ـ محبّه وليس حبّه. إنّ الفكْرة التي تقول إنّ باتروكلوس كان المحبّ الواحد هي فكرة خاطئة غبيّة وقع فيها أخيل، لأنّ أخيل كان أجمل الإثنين، وكان أجمل من كلّ الأبطال الآخرين أيضاً. وكما يخبرنا هوميروس، كان «لا يزال أمرَدَ وأفتى بكثير». وبما أنّ الآلهة يكرمون الحبّ وفضيلة الحبّ بشكل عظيم، يبقى أن إعادة الحبّ من قِبَل المحبّ إلى المحبوب هو أكثر إعجاباً وتقديراً وينال مكافأتهم؛ إنّ المحبّ هو أكثر إلهيّة، لأن الله يلهمه. وبعدُ فإنّ أخيل كان مدركاً تماماً، لأنّ أمّه أخبرته، كان مدركاً أنّ بإمكانه أن يتفادى الموت ويعود إلى البيت ويعيش لعمرٍ مديدٍ طويل، إذا ما امتنع عن ذبح هيكتور. وبرغم ذلك ضحّى بحياته كي يثأر لصديقه، وتجرّأ على أن يموت من أجله. ومن أجل هذا كرّمته الآلهة حتى فوق ألكستيس وأرسلوه إلى الجزر المباركة. تلك هي ذواعيّ وأسبابي للتأكيد على أنّ الحبّ هو أكبر الآلهة سنّاً وأنبلهم وأقواهم، وهو الموجِد الرئيسي وواهب الفضيلة والسعادة، في الحياة وبعد الموت على قدم المساواة.

هذا الحديث، أو ما يشبهه، كان حديث فايدروس؛ وتلته خطب لبعض الرجال الآخرين التي لا يتذكرها أريستوديموس؛ لكنّ الحديث الثاني الذي كرّره كان حديث بوسانياس، حيث قال: أتصوّر، يا فايدروس، أنّ المحاورة لم تُطرح أمامنا في الصيغة الحقيقية تماماً. يجب أن لا نُستدعى كي نثني على الحبّ في هكذا نمطٍ غير مميّز. إذا وُجد حب واحد فقط، فإنّ ما قلته سيكون كافياً حينئذ، لكن بما أنّ هناك أكثر من حبّ واحد، كان عليك أن تبدأ بتقرير أيّ منه وجب أن يكون موضوع الإطراءَات. إنّني سأحاول أن

أصلح هذا الخلل؛ وسأخبركم قبل كلّ شيء أيّ حبٍّ يستحقّ الثناء، وسأحاول بعدئذ أن أرتّل الحديث عن الحبّ الجدير بالتمجيد في الأسلوب الذي يستحقّ. نعرف كلّنا أنّ الحبّ غير منفصلٍ عن أفروديت، وإذا كانت أفروديت واحدة فسيوجد حبّ واحد فقط؛ لكن بما أنّه يوجد إلهتان فينبغي أن يكون هناك حبّان. ألستُ محقّاً في التأكيد على أنّ هناك إلهتين؟ الأولى الأكبر سنّاً، ليس لها أم، وهي التي تُسمّى أفروديت السماويّة. إنّها ابنة يورانوس. أما الإلهة الفتيّة، التي هي ابنة زيوس وديون، فهي التي نسمّيها إسماً عامّاً؛ ويدعى الحبّ الذي يكون رفيقها في العمل حبّاً عامّاً بحقّ، بينما يسمّى الحبّ الآخر حبّاً سماويّاً. يجب أن تمتلك كلّ الآلهة ثناءً معطىً لهم، لكن ليس ثناء بدون تمييزٍ بين طبائعهم؛ ولهذا السبب ينبغي عليّ أن أفرّق بين صفات الحبّين الإثنين. وبعدُ فإنّ الأعمال تتنوّع طبقاً لأسلوب الأداء. خذ، كمثال، الأداء الذي نقوم نحن به الآن ـ شرب، غناء، وحديث ـ إنّ هذه الأفعال ليست خيّرة أو شريرة في أنفسها، لكنّها تصبح في هذه الطريقة أو تلك طبقاً لأسلوب تنفيذها. وعندما تُفعل هذه الأشياء جيّداً فإنّها صالحة، وعندما تُفعل خطأً فإنها طالحة؛ وفي نمطٍ مماثل لا يكون كلُّ نوعٍ من أنواع المحبّة ولا كل حبٍّ نبيلاً، بل ذلك الذي يلهم الرجال كي يحبوا بنبلٍ فقط. إنّ الحبّ الذي يكون من ذريّة أفروديت العامّة يكون حبّاً مشاعاً بالضرورة، ولا يمتلك تمييزاً في المعاملة، كونه هكذا كي يحرّك النوع الأحقر من الرجال. هُمْ ميّالون كي يحبّوا النساء وكذلك الشباب، ويُغرمون بالجسد بدلاً من غرامهم بالروح ـ إنّ المخلوقات الأكثر غباء التي يقدرون على إيجادها هي أهداف هذا الحبّ الذي يرغب أن يكسب غاية فقط، لكنّه يحاول أبداً إنجاز هذه الغاية بنبل، ولذلك يفعل الخير والشرّ بدون أي تمييز تماماً. إنّ الإلهة التي هي أمّ هذا الحبّ هي أفتى من الأمّهات الأخريات بيعد

كبير، وهي وُلدت من اتحاد الذكر والأنثى واشتركت معهما كليهما. لكنّ نَسْل أفروديت السماويّة متفرّع من أمّ ليس للأنثى أيّ دورٍ في ولادتها - إنّها ولدت من الذكر فقط. إنّ هذا الحبّ هو ذلك الحبّ الذي للشباب، وكونه الإلهة الأكبر سنّاً، فهو لا يفتقر لأيّ شيء. إنّ أولئك الملهمين بهذا الحبّ يستديرون إلى الذكور ويبتهجون بأنّهم يكونون الأكثر بسالة وذكاء بطبيعتهم؛ يمكن لأيّ شخص أن يدرك الحماس الصافي في مودّتهم الأخلاقيّة تحديداً. هُمُ لا يحبّون الصبيان، بل يحبّون المخلوقات الذكيّة الذين يكون عقلهم آخذاً بالتحسّن والتطوّر، وبالتحديد في الوقت الذي تبدأ لحاهم فيه بالنموّ. وأعي أنّهم مبتدئون من اختيارٍ كهذا، فإنّهم جاهزون لأن يكونوا مخلصين أوفياء لرفاقهم، ويقضون حياتهم كلّها معهم، ولا يأسرونهم بقلّة خبرتهم، ويخدعونهم، ويخلقون أغبياء منهم ويولّون هاربين إلى الآخرين. غير أنّ حبّ الصبيان الفتيان يجب أن يمنعه القانون، لأنّ مستقبلهم سيكون مستقبلاً غير واضح المعالم. يمكن أن يصبحوا إمّا أخياراً أو أشراراً في الروح أو الجسد، ويمكن أن يلقوا حماساً نبيلاً. إنّ الأخيار يفرضون هذا القانون على أنفسهم في نطاق إرادتهم الحرّة؛ ويجب على النوعيّة الفظّة من المحبّين أن يقيّدوا بالقوة، كأنْ نكبّتُهم ونحاولُ منعهم من أن يركّزوا شهواتهم ونزواتهم على النساء ذات الولادة الحرّة. إنّ هؤلاء الأشخاص هم الذين يتجرّؤون على لوم الحبّ مشاهدين أنّ عدم تناسبهم وأنّ بعض الأناس يذهبون بعيداً كي يعيقوا هكذا مودّات بينهم من الخجل؛ إذ بالتأكيد لا شيء يُفعل بتهذيب وقانونيّة يمكن أن يُعنَّف بعدل. وبعدُ فإنّ القواعد القانونيّة هنا في لاقيدايمونيا بشأن الحبّ مشوّشة، لكنّها في أكثر المدن بسيطة ومفهومة بسهولة. ففي إليس وبويوتيا، وفي البلدان التي لا تمتلك هبات الفصاحة والبلاغة، تكون غير معقّدة أبداً؛ إنّ القوانين تتعاطف مع

هذه الروابط بكلّ بساطة، ولا أحد يمتلك أي شيء ليقوله بالتشكيك فيها، سواء أكان شاباًّ أو مسنّاً، والسبب كونه، كما أفترض، أنّ الرجال هم قليلو الكلام في تلك الأجزاء من العالم، ولهذا فإنّ المحبّين لا يرغبون في أن ينزعجوا في المدافعة عن شكواهم. يصحّ العرف في أيونيا والأماكن الأخرى، وفي البلدان الّتي تخضع للبربر بشكل عام، يصحّ العرف أنّه عرفٌ شائنٌ ومخزٍ بسبب حكوماتهم الاستبدادية. إنّ محبّة الشباب قرينة السمعة السيئة التي تصدق فيها الفلسفة والألعاب الرياضية، لأنّ منافع الحكام ومصالحهم تقتضي، كما أفترض، أن يكون رعاياهم فقراء في النفس(١٩)، وأنه لا يوجد رباط قويّ للصداقة أو للمجتمع بينهم، ويكون الحبّ المحرّك لتلك الاشياء على الأصحّ، فوق كلّ البواعث الأخرى. إنّه الدرس الذي تعلّمه طُغاتنا الأثينيون بالخبرة، بما أنّ حبّ أريستوجاتيون وإخلاص هارموديوس كان له من العزيمة بحيث أبطل مفعول قوّتهم. ولهذا السبب، فإنّ السمعة السيئة التي وقعت فيها هذه الارتباطات تُعزى للحالة المتدنّية للذين جعلوها ذات سمعة متدهورة. ذلك عائدٌ، إلى أنانيّة الحكّام وجبن المحكومين. وعلى الجانب الآخر، فإنّ الشرف غير المميّز الممنوح لهم في بعض البلدان يُعزى إلى الكسل الفكريّ لأولئك الذين يتمسّكون بهذا الرأي عنهم. أمّا في بلادنا، التي هي ملك لنا، فإنّه يسود مبدأ أفضل بيعد كبير، لكن، كما قلت، فإنّ الإيضاح عنه ليس سهلاً إدراكه. لاحظ أنّ الحبّ العلني يُعتقد بأنّه أكثر شرفاً من الحبّ السرّيّ، وأنّه الحبّ الأنبل والأسمى، حتّى إن كان أشخاصه أقل جمالاً من أشخاص الحبّ الآخر. تأمّلوا مليّاً أيضاً، ما أعظم التشجيع الذي يعطيه العالم للمحب، فهو لا يعامله وكأنّه كان يفعل شيئاً ما مخزياً؛ لكنّه إذا نجح يُثنى عليه، وإن أخفق يُلام. وتسمح له عادة الجنس البشريّ أن يفعل العديد من الأشياء الغريبة في ملاحقته لحبّه، والتي ستدينها الفلسفة

بمرارة إن تمَّ القيام بها من أيّ محرّك أو فائدة أخرى، مثل المحبّة والرغبة في الحصول على المال أو أيّ نوع آخر من أنواع السلطة. يمكنه أن يصلّي، ويتضرّع، ويتوسّل، ويقطع على نفسه عهداً، ويكذب على الحصيرة عند الباب، ويقاسي العبودية التي هي أسوأ من العبوديّة التي لدى أيّ عبد - وفي أيّة حالة أخرى فإنّ الأصدقاء والأعداء سيكونون جاهزين كي يمنعوه من فعل ذلك بشكل متساوٍ، لكن الآن ليس هناك صديق سيستحي منه ويحذِّره، وليس هناك عدوّ سيتّهمه بالدناءة والتملّق. إنّ أعمال المحبّ تمتلك رشاقة وفضيلة تشرّفه. وقرّرت العادة والعرف أنها ليست معرّضة لأيّ تأنيب، لأنّ تلك الأعمال لها غرض نبيل. والأغرب من هذا كلّه أنه يمكنه هو فقط أن يحلف وأن يقسم كذباً بنفسه « هكذا يقول الرجال »، والآلهة سوف تصفح عن خطاياه، إذ لا يوجد أيّ شيء كقَسَم المحبّ هذا. هكذا هي الحرية الكاملة التي سمح بها الآلهة والرجال للمحبّ، طبقاً للعرف الذي يسود في هذا الجزء من العالم. يمكن لإنسان أن يحاور منطلقاً من وجهة النظر هذه بعدل وهو أنّه كي تُحبّ وكي تكون محبوباً في أثينا، فإنّ هذا يُعتبر الشيء الأكثر تبجيلاً. لكن عندما يمنع الآباء أولادهم من التحدّث مع أحبّائهم، ويضعونهم تحت عناية معلّم خصوصيّ يرشد لتلك النتيجة المطلوبة، وعندما يتفوّه رفاقهم وأترابهم بأيّ شيء من ذلك النوع الذي يمكنهم مراقبته، ويرفض الأكبر منهم سنّاً أن يُسكِتوا المؤنّبين ولا يعنّفوا هذا النقد الخاطىء - إنّ هذا الشخص الذي يتأمّل مليّاً سيتصوّر عكس ذلك، وهو أنّنا نتمسّك بهذه الممارسات لكونها الأكثر خزياً. لكنّ الحقيقة، كما أتصوّر، هي أنّ الحكم على هكذا ممارسات لا يمكن أن يكون حكماً مطلقاً؛ وليست هذه الممارسات شريفة ولا مخزية في حدّ ذاتها، كما قلنا في بداية حديثنا، بل إنّها ممارسات شريفة لمن يتبعها بشرف، وخسيسة لمن يلاحقها بخسّة.

هناك عار في الإذعان للشرّ، أو الإذعان لأيّ أسلوب سيّء. لكنّ الأسلوب السيّء في الحبّ، هو أسلوب شرّير يتّبعه المحبّ السوقيّ بنفسه الذي يحبّ الجسم بدلاً من الروح. وهذا الحبّ لا يعطيه أيّ نوع من أنواع الاستقرار، لأنّه يحبّ شيئاً يكون مزعزعاً في نفسه. ولذلك عندما ينقضي ريعان الشباب الذي كان توّاقاً إليه، فإنّه يخترع جناحين ويطير بعيداً، مُهيناً كل كلماته ومخلفاً كل وعوده؛ في حين أنّ الحبّ ذا النزعة النبيلة يستمرّ مدى الحياة، لأنّه يصبح واحداً مع الحبّ الثابت والمتين. إنّ عرف بلادنا وتقليدها سيصادقان عليهما كليهما جيّداً وبحقّ، وسيجعلاننا نذعن للنوع الأول من أنواع المحبّ ونتفادى النوع الآخر؛ ولذلك فإنّ البعض يشجّع أن يلاحق، والبعض الآخر أن يهرب، مختبرين المحبّ والمحبوب كليهما في المنافسات والتجارب، إلى أن يُظهروا لأيٍّ من النوعين الإثنين من أنواع الحُبّ ينتسبون على التوالي. وهذا هو السبب الذي يلزم لأجله، في المقام الأوّل، أن تكون المودّات والروابط المتسرّعة شائنة لأنّ الوقت هو الاختبار الحقيقيّ لهذا الشيء كما لأكثر الأشياء الأخرى؛ وثانياً هناك خزيٌ في كون الإنسان مقهوراً بحبّ المال أو القوّة السياسيّة، سواء إذا أُخيف الإنسان كي يستسلم لهما بصعوبة كثيرة، أو يبقى عائشاً يستمتع بالمنافع التي تقدّمها، ولا يقدر أن يرتفع فوق إغراءاتهما. إذاً ما من واحدٍ من هذين الشيئين يكون ذا طبيعة أزلية أو باقية؛ هذا بدون أن أذكر أنّه لم ينشأ منهما أيّة صداقة سمحة. يبقى هناك بعدئذ طريق واحد للمودّة الشريفة التي تسمح تقاليدنا بها كي يتبعها. فقاعدتنا وقوانيننا تقول: إنّ أيّة خدمة وضيعة يقوم بها المحبّ نحو المحبوب لا تُحسب تملّقاً أو تأنيباً لنفسه، وهكذا فإنّ المحبوب يمتلك طريقة واحدة فقط لهذه الخدمةِ الاختيارية التي ليست عرضة للتوبيخ، وهذه الطريقة هي خدمة موجّهة نحو الفضيلة.

تعرفون أنتم أنّ عادتنا هي أنّ أيّ شخصٍ يقدّم خدمة إلى الشخص الآخر ظنّاً منه أنّه سيتحسّن بواسطتها إمّا في الحكمة، أو في نقطة ما أخرى خاصة بالفضيلة ـ أقول، إنّ خدمة اختيارية كتلك، لا يجب اعتبارها كأنّها عارٌ، ولا تكون معرّضة للإتّهام بالمداهنة. وهاتان العادتان، إحداهما تحبّ الشباب، والأخرى ممارسة الفلسفة والفضيلة بشكل عامّ، يجب أن يلتقيا في عرفٍ واحد، وحينئذ يمكن للمحبوب أن ينغمس في حبّ حبيبه بشرف. إذ عندما يأتي المحبّ والمحبوب معاً، ممتلكاً كلٌّ منهما قانوناً داخلياً، المحبوب يظنّ أنّه محقٌّ في تقديم أيّة خدمة يستطيع تأديتها لمحبّه اللطيف الفاتن، والآخر محقٌّ في إظهار أيّ عطف يستطيعه لمن يجعله حكيماً وصالحاً؛ أحدهما قادر على نقل الفهم والفضيلة، والآخر ناشد إن ينالهما بقصد التعليم والحكمة؛ وعندما يُنجز هذا القانون ويلتقيان في قانون واحد، حينئذٍ، وحينئذ فقط، يمكن للمحبوب أن يرقّ ويلين لمحبّه بشرف. ولا يوجد أيّ عار عندما يكون المحبّ من هذا النوع النزيه، لا عار في كونه مخدوعاً، لكن هناك خزياً متساوياً بكلّ حالة أخرى في كونه مخدوعاً أم لا. لأنّ مَنْ يكون مهذّباً نحو حبيبه تحت انطباع أنّه حبيب غنيّ، ويصبح أمله خائباً بسبب أنّه ظهر فقيراً، إنّ هذا الشخص يُهان بعد كلّ هذا بالشيء عينه لأنّه فعل أفضل ما يقدر عليه ليبيّن أنّه يستطيع أن يسلّم نفسه إلى « الأغراض الدنيئة » لأجل الحصول على المال. لكنّ هذا الأسلوب في التعامل ليس أسلوباً شريفاً وعلى المبدأ عينه فإنّ مَنْ يسلّم نفسه إلى المحبّ لأنّه إنسان صالح وعلى أمل أنه سيتحسّن بعشرته، إنّ هذا الشخص يُظهر نفسه أنّه إنسان فاضل، حتّى يثبت قصد عاطفته أنها سافلة في النهاية، وأنّه ليس فيها فضيلة؛ حتّى مع أنّه قد خُدِع فإنّه ارتكب خطأً نبيلاً لأنّه برهن أنّه لن يفعل أيّ شيء من جانبه لأيّ شخص بالنظر إلى الفضيلة والإصلاح اللذين لا يوجد أيّ شيء أنبل

منهما. هكذا يكون قبول الواحد للآخر قبولاً نبيلاً في كل حالة، إذا كان هذا القبول يهدف للفضيلة. ويكون هذا الحبّ ذلك الحب الذي يأتي من الإلهة السماويّة، ويكون هو عينه حباً سماويّاً، وذا ثمن كبير للأفراد والمدن. إنّ هذا الحبّ يجعل المحبّ والمحبوب كليهما متشوّقين للقيام بتقدّمهما الأخلاقي الخاصّ بهما بشكل مماثل. لكنّ كلّ الحبّ الآخر يكون من ذرّيّة الغير، التي هي إلهةً عامّة. إنّني أقدّم إليك، يا فايدروس، مساهمتي هذه في الثناء على الحبّ، والتي هي مساهمة جيّدة بالقدر الذي أستطيع ارتجاله في هذه المناسبة.

وصل بوسانياس إلى نقطة صمت بعد ما قاله واستطرد: - إنّ هذه هي الطريقة المتّزنة التي قد علّمني الحكيم أن أتكلّم بواسطتها. وقال أريستوديموس إنّ دور أرسطوفان أتى كي يبدأ الحديث، لكن إمّا أنّه أكل أكثر من اللازم، أو لسببٍ ثانٍ آخر فإنّه كان يحزّق، ولم يتمكّن من الكلام. وهكذا إستدار إلى أريكسيماخوس الطبيب، الذي كان متّكئاً على الأريكة التي كانت أكثر انخفاضاً من مكان جلوسه، وقال، « يا أريكسيماخوس، إمّا عليك أن توقف حزقتي، أو أن تتكلّم في دوري حتى أشفى ممّا أنا فيه ».

أجابه أريكسيماخوس: إنّني سأقوم بكليهما، سأتكلّم بدورك وتكلّم أنت بدوري، وبينما أتحدّث دعني أنصحك بأن تمتنع عن التنفّس، وإذا لم تتحسن الحزقة بعد بعض الوقت، تغرغر بقليل من الماء حينئذ. وإذا بقيت الحزقة عنيفة، دغدغ أنفك بشيءٍ ما وأعطس. وإذا عطست مرّة أو مرّتين، فإنّه حتى الحزقة الأكثر عنفاً ستتوقّف حالاً بكلّ تأكيد. سأفعل كما تصف، قال أريسطوفان، والآن واصل كلامك.

تكلّم أريكسيماخوس كما يلي: لقد لاحظنا أنّ بوسانياس ابتدأ كلامه جيّداً، لكن كانت له نهاية غير مقنعة، وأنا يجب أن أسدّ حاجة هذا النقص.

أعتقد أنّ بوسانياس كان محقّاً عندما ميّز نوعين من أنواع الحبّ، لكنّ فنّي يقول لي إنّ الحبّ المضاعف ليس شعور روح الإنسان نحو الجمال الإنساني فحسب، بل إنّه عاطفة موجّهة إلى العديد من الأهداف الأخرى، ويوجد في الأشياء الأخرى. يوجد في أجسام كلّ الحيوانات وفي ما تنتجه الأرض، ويمكنني أن أقول بأنّه موجود في كل الكائنات؛ هكذا يكون الاستنتاج الذي يبدو أنّني استخلصته من فنّي الطبّيّ. لذلك فإنّني تعلّمت كم هو عظيم ومدهش وعالميّ إلهُ الحبّ الذي تمتدّ امبراطوريته فوق الأشياء كلّها، الإلهيّة منها والإنسانيّة. وسأبدأ كلامي من علم الطبّ كي أتمكّن من تشريفِ فنّي. يوجد هذان النوعان من أنواع الحبّ في الجسم بطبيعته؛ فحالة الجسم الصحّيّة وحالته المَرضيّة معترف بأنهما متشابهتان ومختلفتان. وكونهما غير متشابهتين، هما تمتلكان حباً ورغبات مختلفة. وهكذا فإنّ منية الأصحّاء تكون واحدة، ورغبة المرضى مغايرة ومتباينة. وكما قال بوسانياس لتوّه فإن الانغماس مع الرجال الأخيار عمل شريف، وأما مع الأشرار فعمل خسيس، وهكذا يكون الجسد. إنّ من الجودة بمكان، ومناسب لكلّ جسم، أن تُحبّذ العناصر الصالحة والصحيّة « وهذا هو ما يدعى ممارسة علم الطبّ »، ولا يجب أن تُغمس عناصر السوء وعناصر المرض فيه، بل أن توهَنَ عزيمتها وتُضعَّف. هذا ما ينبغي على الطبيب أن يفعله، ويكمن فنّ علم الطبّ في هذا العمل؛ لأنّ علم الطبّ يمكن أن يُوصف باختصار وكأنّه المعرفة بحبّ ورغبات الجسد، وكيف سترضيها وتشبعها أو تقهرها وتكبح جماحها. أمّا أفضل الأطبّاء فهو مَن يقدر على أن يفصل الحبّ الجميل والمنصف عن الحبّ الكريه والقذر، أو أن يحوّل الواحد إلى الآخر، وهو الذي يعرف كيف يستأصل وكيف يزرع الحبّ. ومن يعرف كيف يوفّق بين العناصر الأكثر عداءً في المجتمع ويجعلها صديقة محبّة فإنّه ممارس حاذق وبارع في

مهنته. وبعدُ فإنّ العناصر الأكثر عداءً هي العناصر الأكثر تضادّاً، هذا هو مَثَلُ الحارّ والبارد، والمرّ والحلو، الرّطب والجافّ، وما شابه. إنّ أبانا آيسكولابيوس، عارفاً كيف يغرس الصداقة والاتفاق في هذه العناصر، كان هو مبدع فنّنا كما يخبرنا أصدقاؤنا الموجودون هنا، وأنا أصدِّقهم؛ ولا يكون فنّ الطبّ تحت سلطته فقط وفي كلّ فروعه، بل إن فنون الألعاب الرياضية وفنون الزراعة هي كذلك بشكل مماثل. إنّ أيّ شخص يبدو قبيل اهتمام بالموضوع هذا سيدرك أيضاً أنه يوجد التوفيق عينه بين المضادّات في علم الموسيقى. وأفترض أن هذا كان المعنى الذي قصده هيراقليطس، رغم أنّ كلماته ليست دقيقة. يقول إنّ الواحد يكون متّحداً بالانفصال، مثل تآلف الألحان أو الإيقاع للقوس والقيثارة. وبعدُ فإنّها قمّة السخرية أن تقول إنّ الإيقاع يكون تنافراً أو إنّه مؤلّف من عناصر لا تزال في حالة عدم انسجام. لكن ما عناه هيراقليطس، هو أنّ تآلف الألحان يُكتسب من خلال فنّ الموسيقى وبواسطته، وذلك بتوافق العلامات الموسيقية المختلفة لنوع الصّوت الأعلى والأسفل التي تضاربت لمرّة، إذ لو كانت العلامات الموسيقيّة العليا والسفلى لا تزال متضاربة، فلن يكون هناك إيقاع أو تناسب ألحان، ـ لا بوضوح، لأنّ الإيقاع هو تآلف الأصوات، وتآلف الأصوات نوع من أنواع الاتفاق؛ لكن لا يمكن أن يكون اتفاق الخلاف في حين تتّفق. إنّني أكرّر، لا تستطيع أنت أن تعزف بطريقة إيقاعيّة ذلك الذي لا يتّفق. في نمط مماثل فإنّ الإيقاع يُركَّبُ من عناصر قصيرة وطويلة متّفقة. عندما تكون في انسجام. لكنْ أيّ انسجام؟ إنّه كالانسجام الشبيه بالمَثَل الذي أعطيناه في علم الطبّ. هكذا يكون في كل الحالات الأخرى التي تغرسها الموسيقى، خالقة الحبّ والوئام كي يكبرا بيننا. ولهذا فإنّ علم الموسيقى يكون علم ظاهرة الحبّ أيضاً في تطبيقه العملّي للإيقاع والتناغم. مرّة ثانية، ليس في

تكوين الإيقاع، كما في التناغم، صعوبة في إدراك الحبّ، وليس هناك إشارة لازدواجيّته حتى الآن. لكنّك عندما تريد أن تستعملهما في الحياة الفعليّة، إمّا في نوعٍ من أنواع التأليف الذي يصحّ فيه الاصطلاح « غنائي » أو في التوظيف الصحيح للنغمات أو أوزان الألحان المؤلّفة مسبقاً، والتي تسمّى الأخيرة تعليماً، حينئذ فإنّ الصعوبة تبدأ حقّاً، ويُحتاج للفنّان البارع عندئذ. إذن فإنّ القصّة القديمة يجب أن تُردَّد عن الحبّ الجميل والسماويّ ـ الحبّ الذي يأتي من يورانيا الجميلة ومن آلهة الشعر السماويّة ـ وكذلك يجب أن تُردَّد عن الواجب لمكافأة المعتدل، وعن أولئك الذين يكونون مفرطين كي يمكنهم أن يصبحوا معتدلين، وعن الاحتفاظ بحبّهم وصيانته. ومرّة ثانية، يجب أن تردَّد القصّة القديمة عن الحبّ العامّ الذي يأتي من بولي ـ هيمينا، ويجب أن يُستعمل هذا مع الحذر والوعي، كي يُستمع لحكايته بسرور، لكنّه ينبغي أن لا يولِّد الفسق؛ تماماً كما أنّها مسألة كبرى في فنّنا الخاصّ وهي أن تنظِّم هكذا رغبات اللذّة الحسيّة، ذلك كي تنال مسرّتها بدون حضور المرض وشرّه. لذلك فإنّني أستنتج أنّه كما في علم الموسيقى، في علم الطبّ، وفي كلّ الأشياء الأخرى الإلهية والإنسانية أيضاً، يجب مراقبة كلا الحبّيْن على قدر الإمكان، لأنّ كليهما موجودان.

إنّ مسار الفصول ممتلىء من كلا هذين المبدأين أيضاً؛ وعندما تكتسب عناصر الحارّ والبارد، الرطب والجافّ، كما كنت قائلاً، عندما تكتسب الحبّ المعتدل بعضها لبعض، وتمزجه في تآلف أنغامٍ مشذّب ومبسّط، فإنّه يجلب إلى الرجال والحيوانات والنبات، الصحّة والوفرة ولا يصيبها بأي أذى؛ في حين أنّ الحبّ الخليع له اليد الطولى ويؤثّر على الفصول السنويّة، ويكون مدمّراً ومؤذياً، كونه أصل مرض الطاعون ويجلب أنواعاً عديدة ومختلفة من الأمراض على الحيوانات والنبات. وأيضاً فإنّ الصقيع والبَرَدَ

والآفة الزراعية تَنزعُ لتنبثق من التفاوت والفوضى المشتركة التي مسبّبها هذا الحب، والتي يجب معرفتها فيما يتعلّق بدوران الأجسام السّماوية وفصول السنة التي يسمَّى علمها علم النجوم. أكثر من ذلك، فإنّ كلّ التضحيات والنشاطات التي هي المقاطعة المختصّة بالألوهية والتي تشكّل المشاركة بين الآلهة والرجال ـ أقول، إنّ هذه الأشياء تختصّ بالإحتفاظ بالخير فقط وبشفاء الحبّ الشرّير. لأنّ كلّ نوع من أنواع العقول ينشأ بالاحتمال كنتيجة لتكريم رجل الحبّ الآخر، بدلاً من مكافأة وتمجيد وتبجيل الحبّ المعتدل، سواء أكانت علاقته علاقة بالآلهة أو بآبائه. ولهذا فإنّ العمل الألوهي هو أن يراقب ويحرس هؤلاء المحبّين وأن يشفيهم، والألوهيّة هي صانعة السّلام بينَ الآلهة والرجال، فِعلُها فِعلاً بمعرفة الميول والأهداف للدين والتقوى الموجودة في الحبّ الإنساني. تلك هي القوّة العظيمة والجبّارة، أو على الأصحّ هي القدرة الكليّة للحبّ بشكل عامّ. لكنّ الحبّ الذي يختصّ بالخير والذي يُكمَّل في رفقة مع الاعتدال والعدل، سواء أكان بين الآلهة أو الرجال، فإنّ له الخصوصية الأكثر، ويمتلك القوّة الأعظم، ويكون أصل سعادتنا كلها، ويهبنا المشاركة والصداقة مع الآلهة الموجودة فوقنا، وكذلك يهبنا إيّاها مع بعضنا بعضاً. أجرؤ على القول، بأنّي أسقطت الكثير من الكلام الذي يمكن أن يقال في الثناء على الحبّ أيضاً، لكنّ هذا الإسقاط لم يكن مقصوداً. وأنت، يا أرسطوفان، يمكنك أن تعوّض ممّا حذفته أنا أو أن تأخذ منحىً آخر للمديح لأنّي أتصوّر أنّك قد تخلّصت من الحزقة.

أريسطوفان: نعم، إنّ الحزقة قد ولّت الآن، لكنّها لم تفعل ذلك إلاّ عندما استخدمت طريقة العطس؛ وإنّني أتساءَل إذا ما كان الجهاز المنظّم للجسم يمتلك حبّاً لهكذا ضوضاء ودغدغة، لأنّي عندما استخدمت هذه الطريقة كأقرب ما يكون شفيت من الحزقة.

أريكسيماخوس: كن حذراً، أيها الصديق أريسطوفان. ومع أنك عازم على أن تتكلم، فأنت تهزأ بي. وأنا بدوري علي أن أحترس وأرى اذا كنت سأتمكن من أن أسخر منك على حسابك، عندما يمكنك أن تتكلم بسلام.

أريسطوفان: إنّك لمحقّ تماماً « قالها ضاحكاً »، وأنا سأسحب كلماتي. لكن أرجوك أن لا تراقبني، لأنّني أخشى أن يسخر منّي الآخرون بسبب الحديث الذي أوشك على تأديته، بدل من أن يضحكوا معي، والذي يكون العمل الطبيعي للقائنا وتسليتنا.

أريكسيماخوس: وهل تتوقّع أن تطلق سهمك وتولّي هاربا، يا أريسطوفان؟ حسناً، ربّما إذا كنت محترساً جداً، وفي ذهنك أنّك ستُستدعَى إلى الحساب، ربّما يمكنني أن أقتنع وأدعك وشأنك عندئذ.

تظاهر أريسطوفان بأنّه سيعبّر عن أفكاره بنوع آخر من أنواع الحديث. كانت نيته أن يثني على الحبّ بطريقة أخرى، مختلفةٍ عن الطريقة التي استخدمها بوسانياس أو أريكسيماخوس، فقال: إنّ أفراد الجنس البشريّ، كما أعتقد، محتكمين بذلك إلى إهمالهم للحبّ، لم يفهموا قوّة هذا الحبّ على الإطلاق لأنّهم إذا فهموها فمن واجبهم نحوه أن يبنوا المعابد والهياكل تخليداً لذكراه، وأن يقدّموا التضحيات الجليلة تكريماً له. لكنّ هذا الشيء لم يقم أحدٌ به، وهو ما كان يجب تأديته بالتأكيد الأكثر، ما دام الحبّ هو الصديق الأفضل للرجال من كلٍّ الآلهة، وهو المساعد والشافي من كل الأمراض التي هي أكثر إعاقة لسعادة السلالة البشرية. سأحاول أن أصف لكم قوّة هذا الحبّ، وستعلّمون أنتم بقيّة العالم ما سوف أثقّفكم. دعوني أعالج طبيعة الإنسان، في المقام الأوّل، وما حدث لها. إنّ طبيعة الإنسان الأصليّة لم تكن مثل طبيعته الحاضرة، بل كانت طبيعة مختلفة. الأجناس لم تكن كما هي الآن، بل كانت ثلاثة في العدد أصلاً؛ كان هناك الرجل،

المرأة، واتّحادهما، الذي بقي منه الاسم، لكن لم يبقَ منه أيّ شيء آخر. مرّة كان نوعاً مميزاً بشكل جسد وله إسم خاص به، وكان مؤلفاً باتحاد الذّكر والأنثى، لكن الآن حُفظت الكلمة « خنثوي » فقط، وكانت تلك الكلمة مثل الاصطلاح التوبيخي. في المقام الثاني، فإنّ الإنسان الأوّل كان شكله مستديراً، وكذلك كان شكل ظهره وجانبيه؛ وكان له أربعة أيدٍ، والعدد عينه من الأقدام، ورأس واحد بوجهين. وكان ينظر في الاتجاهات المضادّة، ورأسه هذا وُضع على رقبة مستديرة، وكانا متشابهين بالضبط؛ وكان له أربع آذان أيضاً، وعضوان محجوبان، وما بقي كي يتطابق معهما. لقد استطاع هذا الإنسان أن يمشي مستقيماً كما يفعل الرجال الآن، وكذلك أن يسير إلى الخلف وإلى الأمام كما يريد، وقدر على أن يتدحرج عدة مرات وبسرعة عظيمة، وتمكن من أن يستدير على يديه الأربعة وأرجله الأربعة، الثماني كلها، مثل البهلوانيات ذاهباً مرة فوق أخرى وأرجله في الهواء. إنّه قام بهذا العمل عندما أراد أن يجري بسرعة. وبعدُ فإنّ الأجناس كانت ثلاثة في العدد، وهكذا كما وصفتها لأنّ الشمس، القمر، والأرض كانت ثلاثة في العدد أيضاً، وكان الإنسان طفل الشمس في الأصل، والمرأة طفلة الأرض، والرجل - المرأة طفل القمر الذي صُنع من الشمس والأرض، وكانوا كلّهم ذوي شكل مستدير وتحركوا دائرياً ودائرياً لأنّهم شابهوا آباءَهم. أما جبروتهم وقوّتهم الجسديّة فكانا هائلين، وكانت أفكار قلوبهم عظيمة، وخططوا لهجوم على الآلهة؛ وحكت عنهم حكاية أوتيس وايفيلاتيس اللذين حاولا أن يزنا السماء، ويضعا أيديهما على الآلهة. إنّ الشكّ ساد في المجالس السماويّة. هل سيقتلونهم ويبيدون السلالة بالصواعق، كما فعلوا بالعمالقة، حينها ستكون نهاية للأضاحي والعبادة التي قدّمها الرجال لهم؛ لكن، على الجانب الآخر، لم يستطع الآلهة أن يقاسوا غطرستهم في

انفلاتهم. واكتشف زيوس طريقه أخيراً، بعد تأمّل مليّ ذي مقدار عظيم، قال: « يخيّل إليّ أنّي أمتلك مخطّطاً سيضعف قوّتهم الجسديّة، وهكذا سيخمد شغبهم. سوف يستمرّ الرجال في البقاء لكنّني سأقطعهم إلى اثنين، وستُقلّل قوّتهم الجسديّة حينئذ، ويزدادون في العدد. إنّ هذه العملية لها فائدة لجعلهم أكثر نفعاً لنا. هُمْ سيسيرون منتصبين على ساقين، وإذا ما بقوا متغطرسين ولن يهدؤوا، فإنّني سأشقّهم إلى نصفين مرّة ثانية وسيثبون هنا وهناك على ساق واحدة ». تكلّم ذلك وقطع الرجال إلى نصفين، مثل التفاحة التي قُسِمَت إلى نصفين لتخليلها، أو كما يمكنك أن تقسم بيضة بالشعرة. وبما أنّه فصل أحدهما عن الآخر، أُمر أبوللو أن يعطي الوجه ونصف الرقبة دورة كي يتمكن الرجل من أن يتأمّل الجزء من نفسه: سيتعلّم هو هكذا درساً في التواضع. أُمر أبوللو أيضاً أن يداوي جراحهم وأن يؤلف أشكالهم. وهكذا أعطى إستدارةً للوجه وجذب الجلد من كل الجوانب فوق ذلك الجزء من الجسم الذي نسمّيه البطن في لغتنا، جذبه مثل أكياس الدراهم التي سُحِبت بإحكام، وصنع هو فماً واحداً في الوسط، الذي ثبّته في عقدة « الشيء عينه الذي يُسمّى السرّة ». صاغ هو الصدر أيضاً وأخفى أكثر التجاعيد فيه، مثلما يمكن لصانع الأحذية أن يطرّي ويصقل الجلد في عملية التصنيع الأخيرة؛ ترك زيوس قليلاً منها، على كلّ حال، في منطقة البطن والسرّة، كشيء تذكاريٍّ كحالة الانسان الأوليّة. وبعد قسمة جزأي الإنسان الاثنين، بما أنّ كلاً منهما رغب نصفه الآخر، أصبحا معاً، ورميا بأذرعتهما حول بعضهما بعضاً، وحُبِكا في عناق مشترك، متشوّقيْن ليكونا معاً في شخص واحد. أوشكا أن يموتا من الجوع وإهمال النفس، لأنّهما لم يحبّا أن يفعلا أيّ شيء منفصلين. وعندما مات واحد من النصفين وبقي النصف الآخر، نشد الذي نجا من الموت رفيقاً آخر له، رجلاً كان أو امرأة

كما ندعوهما ـ كونهما الأقسام الكاملة للرجال والنساء، والتصقا بذلك. هكذا كانا كونهما مدمِّرين، عندما اخترع زيوس مخططاً جديداً شفقة منه عليهما: أدار أجزاء التوليد دورة إلى الأمام، لأنّ هذا الوضع لم يكن وضعهما على الدوام، وهما لم يزرعا البذار بعد اليوم كما يفعل الجندب بزرع بذاره في الأرض، بل زرعوا البذار أحدهما في الآخر؛ وبعد الإبدال أُنتج الذّكر في الأنثى كي يتمكنا من أن يتوالدا بالاحتضان المشترك للرجل والمرأة، ولتقدر السلالة على الاستمرار، أو إذا حضر الرجل إلى الرجل يمكنهما أن يكونا قانعين ومرتاحين، وأن يذهبا، كلٌّ في طريقه لإتمام أعمال الحياة. وهكذا فإن الرغبة قديمة في بعضنا بعضاً وقد غُرِست فينا، موحِّدة طبائعنا الأصليّة مرّة ثانية، ناشدة أن تجعلها واحدة من الإثنتين، وأن تداوي حالة الرجل. إنّ كل واحد منّا له جانب واحد حين انفصاله، وما هو إلا تطابق لنصف الرجل، ويبحث هو عن نصفه الآخر دائماً. إنّ الرجال الذين هم جزءٌ من تلك الطبيعة المضاعفة التي كانت تدعى خنثوية مرّة هم محبّون للنساء؛ إن الزانين هم من هذا التوالد بشكل عام، وأيضاً الزانيات اللاتي يشعرن برغبة جارفة نحو الرجال. إنّ النساء اللواتي هنّ جزء من المرأة ليس لديهنّ اهتمام بالرجال، بل يمتلكنَ موادّات أنثويّة؛ إنّ الرفيقات الأنثويات يكنّ من هذا النوع. لكنّ النساء اللواتي هنّ جزء من الذّكر يتبعن الذكر، وفي حين يكنّ فتيات، كونهنّ شرائح من الرجل الأصلي، ولديهنّ عاطفة نحو الرجال ويعانقْنَهم. وأمّا الرجال هؤلاء فإنّهم أفضل الأولاد والشباب لأنّهم ذوو الطبائع الأكثر رجولة. يؤكّد البعض أنّهم قليلو الحياء، لكنّ هذا التأكيد ليس صحيحاً لأنّهم لا يفعلون هكذا بسبب افتقارهم للخجل، بل لأنّهم جسورون وفيهم طبائع الرجولة، ويمتلكون محيّاً رجولياً، وهم يتشوقون لمن يكون مثلهم. وهؤلاء الرجال عندما يكبرون يصبحون رجال دولتنا،

وهؤلاء فقط. وهذا هو برهان كبير على حقيقة ما أقول. وعندما يصلون إلى سنّ الرجولة يحبون الفتيان، ولا يميلون للزّواج وإنجاب الأطفال بشكل طبيعيّ. وإذا كان ذلك على الإطلاق، فهم يقومون به طاعةً للعرف، والعادة فقط، لكنّهم يقنعون إذا ما أمكن السماح لهم أن يعيشوا مع بعضهم بعضاً بدون زواج. إنّ طبائع كهذه الطبائع تنزع لتحبّ، وهي على استعداد لأن تعبد الحبّ، محتضنة ذلك الذي يكون نسيباً لها وقريباً منها على الدوام وعندما يتقابل أحدهما مع نصفه الآخر، النصف الحقيقيّ نفسه، سواء إذا كان هو محبّاً للفتيان أو محبّاً للنوع الآخر، فإنّ الزوجين ينتابهما الذهول في الحبّ والصداقة والمودّة، ولن يريد أحدهما إلاّ أن يبقى قبالة الآخر، كما يمكنني أن أقول، حتّى للحظة واحدة. هؤلاء الأناس الذين يقضون حياتهم كلّها معاً، ومع ذلك فهم لا يقدرون على أن يوضحوا ماذا يرغبون من بعضهم بعض لأنّ الشوق والحنين الشديد الحادّ الذي يمتلكه كلٌّ منهما نحو الآخر لا يظهر على أنّه رغبة المحبّين في الجماع، لكنّ شيئاً ما مغايراً ترغبه روح كلّ منهم بوضوح لا تستطيع أن تُخبر عنه، والذي تملك بشأنه هاجساً أسود ومشكوكاً فيه. إفترض، يا هيفياستوس، أن تأتي إلى الزوجين بكيس أدواته، هذين الزوجين المتمدّدين جنباً إلى جنب وتقول لهما: « ماذا تريدان أيّها الفانيان من بعضكما البعض؟ » فهما لن يكونا قادرين على الإيضاح. وإفترض أبعد من ذلك، وهو أنّه عندما رأى ارتباكهما قال: « هل ترغبان أن تكونا واحداً بالكمال؛ وأن تكونا معاً ليلاً نهاراً في عشرة بعضكما بعضاً؟ إذ لو كان هذا ما ترغبان، فإنّي على استعداد لأن أصهركما وأذيبكما معاً، وهكذا ستصبحان واحداً بعد أن كنتما اثنين. وطالما تحييان فإنّكما ستحييان حياة عازبة كما لو كنتما رجلاً فرداً، وستبقيان روحاً واحدة مغادرة وليس روحين اثنين في العالم السفليّ بعد موتكما - إنّني أسأل ما إذا كان هذا

الذي ترغبانه بشوق وحبّ، أو ما إذا ما كنتما مقتنعَين لتنالاه؟ ». إن أياً من هذين الرجلين الإثنين حينما يسمع الاقتراح لن ينكر أو أنّه لن يعترف بأنّ هذا اللقاء أو الانصهار بعضهما في بعض، هذه الصيرورة في واحدٍ بدلاً من اثنين، لن يعترف بأنّ هذا كان التعبير الواضح عن حاجته القديمة(٢٠). والسبب في ذلك هو أن الطبيعة الإنسانيّة كانت واحدة في الاصل وكنا نحن كُلاًّ؛ ودعيت الرغبة والملاحقة للكلّ حُبّاً. أقول؛ لقد مر زمن، عندما كنا واحداً، لكن الآن، وبسبب خبث الجنس البشريّ، فإنّ الله فرّقنا، مثلما تشتّت الأركاديون باللاقيدايمونيين إلى القرى. وإذا لم نُطِع الله، فهناكَ خطر من أنّنا سننشطر إلى نصفين مرّة ثانية ونطوف، مثل الصور الجانبيّة المنحوتة على النصب التذكارية التي تبين انشطار الأنف إلى النصف. وعندها سنكون شبيهين بالقصص. ولهذا السبب دعنا نحضّ كلّ الرجال على التقوى في كل أعمالهم، كي نتمكّن من تفادي الشرّ والحصول على الخير، مصطحبين الحبّ كقائد لنا وآمر. لا تدعوا أحداً يعاكسه - إنّ من يعانده هو عدو الآلهة، لأنّنا إذا كنا نحن أصدقاء الله وفي سلام معه، فإنّنا سنجد حبّنا الحقيقيّ، والذي نادراً ما يحدث في عالمنا المعاصر هذا. إنّني جدّيٌّ فيما أقوله وقلته، ولذلك يجب عليّ أن أستعطف أريكسيماخوس أن لا يهزأ بي، أو أن يجد أيّ تلميح ساخر فيما أقول كي يدلّ بوسانياس وأغاثون عليه، وهما ذوا طبيعة رجوليّة، كما أشتبه، ويخصّان النوع الذي قد وصفته. غير أنّ كلماتي تحتوي اجتهاداً أوسع - إنّها تتضمّن الرجال والنساء في كلّ مكان؛ وأعتقد إذا ما أُنجز حبّنا بشكل تامّ، وعاد كل منّا إلى طبيعته الأصليّة وإلى حبّه الحقيقيّ الأساسي، حينئذ فإنّ سلالتنا ستكون سعيدة. وإذا أريد لهذا الشيء أن يكون أفضل الأشياء جميعها، وَجَب أن يكون الأفضل في الدرجة التالية وفي الحالات الحاضرة الأكثر قرباً من اتّحاد كهذا؛ وسيكون

ذلك الحصول على الحبّ المتجانس روحاً ونزعة. ولهذا السبب، إذا كنا سنثني نحن على من أعطانا الفائدة، ينبغي علينا أن نمدح إله الحبّ الذي هو المحسن الأكبر لنا، وهو معيدنا إلى طبيعتنا الخاصّة في هذه الحياة، وواهبنا الآمال السامية بالمستقبل، لأنّه وعدنا إذا كنا أتقياء بَرَرَة بأنه سيعيدنا إلى حالتنا السابقة الأصليّة، وأنّه سيشفينا ويجعلنا سعداء ومباركين. هذا هو حديثي عن الحبّ، يا أريكسيماخوس، والذي هو غير الحديث الذي قدمته أنت. يلزمني أن ألتمس منك أن توقف هجومك العنيف برماح سخريتك، كي يتمكن كلٌّ منّا أن يتكلّم بدوره؛ كلّ منا، أو بالأحرى كلانا، لأنّ أغاثونِ وسقراط هما الوحيدان اللذان لم يتكلّما حتى الآن.

أريكسيماخوس: حقاً، إنّني لست على استعداد لأهاجمك، لأنني ظننت بأنّ حديثك مدهشٌ، وإنْ لم أعرف بأنّ أغاثون وسقراط هما السيدان في فنّ الحبّ، إن لم أعرف ذلك سأكون خائفاً من أنّه ليس لديهما أيّ شيء ليقولاه، بعد عالم الأشياء الذي قد قيل مسبقاً، لكنّني لست بدون آمال برغم كل ما حدث.

سقراط: إنّك لعبت دورك جيداً، يا أريكسيماخوس، لكنّني إذا كنت كما أنا الآن، أو على الأصحّ كما سأكون عند إضافة أغاثون حديثه لحديث آخر جميل، فإنّك سترتعب حقّاً ويتركك ذكاؤك حينئذ.

أغاثون: تريد أن ترميني بإنذارٍ منك، يا سقراط، على أمل أن يتمكّن الإحباط منّي فكراً وعزيمة، خاصّة أنّ الجمهور الحاضر يتوقّع مني حديثاً، وملؤه الثقة بي.

سقراط: إنّني سأنسى بغرابة، يا أغاثون، شجاعتك وقوّتك العقليّة التي أبديتها عندما كانت تآليفك الفكرية على وشك أن تُعرض، وصعدت على المسرح مع الممثلين وواجهت المدرّج الرحب غير آبهٍ بما حولك تماماً. أقول، إنّني سأنسى بغرابة كل ذلك، إذا افتكرت بأنّ أعصابك يمكن أن تضطّرب في حفلة صغيرة كهذه يقيمها أصدقاء.

أغاثون: هل تعتقد، يا سقراط، بأنّ رأسي، وقد ملأه ما حدث على المدرج، أغمض عيني عن حقيقة أن قلّةً من الرجال العقلاء هم أكثر إخافة لرجلٍ ذي إدراك من كثرةٍ أغبياء؟

سقراط: لا، يا أغاثون، سأكون مخطئاً جداً في نسبة ذلك لك، أو نسبة أيّ عوزٍ للإدراك؛ إنّني أعلم تماماً أنّه إذا حدث لك وتقابلت مع أيٍّ من الذين تصورت أنّهم حكماء، فإنّك سوف تهتمّ برأيهم أكثر ممّا تهتمّ برأي الكثرة. لكن بما أنّنا قد كنا جزءاً من الكثرة الغبيّة في المدرّج فلا يمكن اعتبارنا كالحكماء المختارين؛ وأظنّ أنّك إذا تصادف حضورك، ليس في مجلس واحد منّا، بل في مجلس إنسان حكيم ما بحقّ، فإنّك ستكون خجلاً إذا أحاق بك العار أمامه ـ ألن تكون كذلك؟

أغاثون: نعم.

سقراط: لكنّك لن تكون خجولاً أمام الكثرة، إذا ظننت بأنّك كنت فاعلاً شيئاً مخزياً.

هنا قاطعهما فايدروس، قائلاً: لا تُجِبه، يا عزيزي أغاثون، لأنّه إذا ما استطاع الحصول على شريك يقدر على أن يتكلّم معه، خاصّة إذا كانت سماته جميلة، فإنّه لن يهتمّ بما سيحدث بشأن إكمال ما تنوي القيام به بعد الآن. وبعدُ فإنّني أحبّ أن أسمعه يتكلّم؛ لكن في الوقت الحاضر يجب عليّ أن لا أنسى امتداح الحبّ الذي ينبغي أن أسمعه منه ومن كلّ شخص. يمكنكما أن تتكلّما بينما تدفع أنت تقدمتكما إلى الله من الإجلال والثناء.

اغاثون: جيّد جداً، يا فايدروس، إنّني لا أرى سبباً يمنعني من متابعة حديثي، ما دامت لديّ عدة مناسبات للتكلّم مع سقراط. دعني أقول كيف يلزمني أن أتحدّث.

تكَلَّم أغاثون بعدئذ بما يلي: إنّ المتحدثين السابقين، بدلاً من أن يُثنوا على

الحبّ الإله، وبدل الكشف عن طبيعته، يظهر أنّهم هنّؤوا الجنس البشريَّ على المنافع التي يهبها لهم. لكنّني بالأحرى سأطري الله بادىء ذي بدء، وأتكلّم بعدئذ عن عطاياه. إنّ هذه الطريقة هي الطريقة الصحيحة للثناء على كلّ شيء بشكل دائم. هل يمكنني أن أقول بدون عقوق أو اعتداء إنّ الحبّ هو الإله الأكثر قداسة من بين الآلهة المباركة كلّهم لأنّه الأجمل والأفضل؟ وهو الأجمل، لأنّه الأفتى، في المقام الأوّل، وهو الشاهد بنفسه على فتوّته. إنّه هارب من طريق العمر، وهربه هرب سريعٌ بما فيه الكفاية، وهو الآتي لنا بسرعة حقّاً أكثر ممّا نحبّ ونرغب. إنّ الحبّ لديه كره طبيعي للعمر ولن يقترب منه؛ لكنّ الشباب والحبّ يعيشان ويمتلكان وجودهما معاً ـ الشبيه للشبيه، كما يقول المثل القديم. إنّ أشياء عديدة قيلت وحكاها فيدروس بشأن الحبّ، أتّفق معه فيها، لكنّني لا أستطيع أن أوافق على أنّه أكبر سنّاً من لايبتوس وكرونوس. ليس هكذا، بل أؤكّد أنّه الأفتى من كلّ الآلهة وهو الممتلىء شباباً أبداً. إنّ الأعمال الغابرة الموجودة بين الآلهة، والتي تكلّم عنها هيسيود وبارمنيدس، إذا كانت التعاليم عنها صحيحة، إنّما فُعِلت بالضرورة وليس بالحبّ. لو كان الحبّ في تلك الأيّام، لما وجدت عبودية تشويه للآلهة، ولا وجد أيّ عمل من أعمال العنف الأخرى؛ بل قد كان هناك سلام وعذوبة، كما يوجد الآن في السماء، منذ أن بدأ حكم قانون الحبّ. الحب إذن هو فتيّ وشابّ، وهو طريّ العود أيضاً، ويجب أن يكون له مشاعر كهوميروس كي يصف رقّته، وكما يقول هوميروس في آيت أنّها إلهة وهي لطيفة، على الأقل فإن قدميها لطيفتان:

إنّ قدميها لطيفتان، لأنّها تضع خطواتها، ليس على الأرض بل على رؤوس الرجال.

هناك برهان ممتاز على لطفها في هذين السطرين، ذلك أنّها لا تسير على

الشيء القاسي بل على الشيء الناعم. دعنا نورد برهاناً مماثلاً على لطف الحبّ، لأنّه لا يسير على الأرض ولا حتى على جماجم الرجال التي ليست هكذا ليّنة جداً، بل إنّه يسير ويسري في قلوب وأرواح الآلهة والرّجال على حدّ سواء، وهذه هي ألْيَنُ الأشياء كلّها: فيها يسري الحبّ ويسكن ويقيم بيته. طبعاً، ليس في كل روحٍ بدون استثناء، لأنّه يغادر المكان الصلب، لكنّه يتّخذ له مسكناً حيث النعومة، ويأوي بقدميه على الدوام وبكلّ الوسائل المتّبعة في الأماكن الناعمة، بل في الأماكن الأكثر نعومة، وكيف يمكنه أن يكون غيراً من أكثر الاشياء رقّة ولطفاً؟ في الحقيقة أنّ الحبّ هو الألين كما أنّه الأفتى، وهو ذو شكل مرنٍ أيضاً لأنّه إذا كان صلباً وبدون قدرة على الانثناء فهو لا يستطيع أن يلتفّ ويطوق كلّ شيء وأن يشقّ طريقهُ ملتفّاً داخل وخارج روح كل إنسان بدون أن يُكتشف. والبرهانِ على مرونة وتناسق شكله هو رشاقته، تلك الرشاقة المعترف بها عالميّاً أنّها تكون في نمطٍ خاصٍّ بالصّفة المميّزة للحبّ. إنّ الغلظة والحب هما في حربٍ أحدهما ضدّ الآخر على الدوام. ويُكشف الجمال لمظهر الحبّ العامّ بسكناه بين الزهور. فهو لا يقطن وسط مفاتن غير مزهرة أو ذابلة، سواء أكانت مفاتن للروح، للجسد، أو لأيِّ شيء آخر، بل إنّه يقطن في المكان حيث الزهور والرياحين. هناك يجلس ويأوي. إنّني قلت كفاية فيما يختصّ بجمال الله؛ ومع ذلك يبقى ما لم أقله أكثر بكثير ممّا أستطيع قوله. سأتكلّم الآن عن فضيلة الحبّ: أمّا موضع اعتزازه الأكثر فهو أنّه يقدر على أن لا يفعل ولا يقاسي الأذى، إنّه لا يفعل الأذى لأيِّ إله أو إنسان، ولا يقاسيه منهما كذلك. فهو لا يعاني بالقوة، وإذا هو فعل ـ إنّ القوة لا تقترب منه ـ ولا حينما يقوم بأيّ فعل يقوم به بالقوة، لأن كل الرجال يخدمونه في كلّ شيء بإرادتهم الحرّة. وحيث يوجد اتفاق اختياري، يوجد العدل هناك، كما تقول النواميس التي

هي أسياد المدينة. وليس الحبّ عادلاً فقط بل إنّه معتدل إلى أبعد حد، لأنّ العدل هو الحاكم المعترف به للملذات والرغبات، ولا توجد لذّة تُخضع الحبّ قطّ؛ إنّه هو سيّدها وهي خادمته، وإذا ما قهرها وتغلّب عليها فينبغي أن يكون معتدلاً حقاً. أمّا فيما يتعلّق بالشجاعة فلا يقدر حتى إله الحرب، أن يقف ضدّه؛ إنّه هو الأسير والحبّ هو السيّد، لأنّ الحبّ، حبّ أفروديت، يخضعه. وكما تجري الحكاية، فإنّ السيّد قوي أكثر من الخادم. وإذا تغلّب الحبّ وقهر الأشجع من كل الآخرين، فيجب أن يكون الأشجع. إنّني تكلّمت عن شجاعته وعدله واعتداله، لكن ينبغي عليّ أنْ أتكلّم عن حكمته بعد الآن؛ ويلزمني أن أحاول أن أرفع أوج موضوع بحثي طبقاً لمقياس قدرتي. إنّ الحبّ شاعر في المقام الأول « وهنا فإنّني أعظّم فنّي، كما فعل أريكسيماخوس ». والحب هو باعث الشعر في الآخرين أيضاً، ولا يمكنه فعل ذلك إذا لم يكن هو ذاته شاعراً، ويصبح كلّ شخص شاعراً بلمسة منه، « برغم أنّه لم تكن لديه قوة موسيقية من قبلُ[٢١] ». يمكننا أن نستشهد بهذا كبرهانٍ مناسب، وهو أنّ الحبّ شاعر جيّد. ولأقل باختصار، ضليع في كلّ الفنون الجميلة؛ إذ لا أحد يستطيع أن يعطي الآخرين ما لا يمتلكه هو نفسه، أو أن يعلّم ما ليس لديه معرفة به. ومن سينكر أنَّ كلّ المخلوقات الحيّة هي من خلقه؟ أليست هي كلّها أعمال حكمته، وهو الذي أبدعها وأنجبها؟ أمّا بالنسبة إلى الفنانين، ألا نعرف نحن بأنّه هو الذي يمتلك حبّاً لمعلّمه ويظهره بريق الشّهرة؟ إنّ الذي يلامسه الحبّ لا يسير في الظلام. وفنون الطبّ والرمي بالسهام والألوهيّة اكتشفها أبوللو تحتِ هداية الحبّ والرغبة؛ وهكذا فإنّه هو رفيق الحبّ أيضاً. وبشكل مماثل فإنّ فنون آلهة الشعر، علم المعادن لهيفياستوس، علم الحياكة لأثينا، وعلم الحكم لزيوس الذي يمارسه فوق الآلهة والرجال، إنّ هذه العلوم كلّها ناشئة عن تعليم

الحبّ. وهكذا فأنت ترى أنّ الحبّ ليس له امبراطورية الآلهة في نظام ـ حبّ الجمال، كما يكون جليّاً، لأنّ الحبّ ليس له أيّ اهتمام بالشوائب. في الأيام القديمة، كما ابتدأت قولي، ارتكبت أعمالٌ مخيفة بين الآلهة، لأنّهم كانوا محكومين بالضرورة؛ لكن الآن، ومنذ ولادة الحبّ، ومن حبّ الجمال انبثق كلّ خير في السماء وعلى الأرض. ولهذا السبب، يا فايدروس، أقول عن الحبّ إنّه الأول والأجمل والأفضل في نفسه، وبعدئذ فهو سبب ما يكون أفضل وأجمل في الأشياء كلّها. وهنا يجول في تفكيري مقطع شعري قيل فيه وعنه أنّه الإله الذي:

يعطي السلام على الأرض ويسكّن الأعماق العاصفة،
الذي يهدّىء الرياح ويأمر المعذبين أن يناموا.

إنّه هو الذي يُفرِغ الرجال من السخط ويملأهم بالشعور والعاطفة، وهو الذي يجعلهم يجتمعون معاً في اللقاءات مثل لقاءات التضحيات، والولائم، والرقص حيث يكون هو السيّد الذي يبعث البشاشة ويقصي الفظاظة، والذي يعطي العطف والشفقة أبداً ولا يهب القسوة على الإطلاق. إنّ الحبّ كيّس وخيّر، مدهش الحكماء، انشداه الآلهة؛ يرغبه أولئك الذين ليس لديهم حصّة فيه؛ مصدر الرقة، الترف، التمنّي، الوَلَع، النعومة، الرشاقة، يحترم الخير، يهمل الشرّ. إنه في كلّ كلمة، عملٌ، رغبةٌ، منقذٌ في الخوف، دليلٌ، رفيق، محاربٌ، مجدُ الآلهة والرجال، القائد الأفضل والأكثر فتنة وجمالاً، الذي على خطاه يجب أن يسير كل رجل، ويجب أن يغنّي بعذوبة في تكريمه مشتركاً في ذلك اللحن الرخيم الذي يَسحر به الحبّ أرواح الآلهة والرجال على السواء. ذلك هو خطابي، يا فايدروس، إن نصفه كلام مزاح، وبرغم ذلك فإنّ له مقداراً من الجديّة طبقاً لمقدرتي، وإنّني أكرّسه لله.

عندما أنهى أغاثون كلامه، قال أريسطوفان إنّ الهتاف له عمّ المكان. اعتقد

الجميع أنّ الرجل الشابّ تكلّم بأسلوب جدير به، وبإله الحبّ. ثمّ قال سقراط، بعد أن تطلّع إلى أريكسيماخوس: قلْ لي، يا ابن اكيومينوس، أليس هناك سبب لخوفي؟ أو لَمْ أكن أنا نبيّاً حينما قلت إنّ أغاثون سيؤلّف خطبة رائعة، وإنّني سأكون في ضيقٍ شديد.

أجابه أريكسيماخوس: إنّ الجزء الأول من النبوّة والذي يخصّ أغاثون. يبدو لي أنّه صادق؛ أما الجزء الذي تقول فيه بأنّك ستكون في ضيقٍ شديدٍ فليس كذلك.

قال سقراط: لماذا، يا صديقي العزيز أليسَ من سمع حديثاً غنياً ومتنوعاً كهذا، يعتبر نفسه في عسرٍ شديد إذا كان عليه أن يتكلّم بعد ذلك سواء أكنت أنا أم غيري؟ إنّ أغاثون بلغ الذّروة في جمال الإلقاء وفي أسلوب الكلمات المستنتجة ـ مَنْ يقدر أن يستمع له بدون انذهال؟ عندما تأمّلتُ مليّاً ضعف شأن قوتي التي لا حدّ لها، كنت مستعدّاً لأن أولّي الأدبار من الخجل، لو كانت لديّ إمكانية للهرب. إنّني ذُكّرت بجورجياس، وظننت عند نهاية خطابه، من خوفي، أنّ أغاثون كان يهزّ في وجهي الرأس الجورجيانيّ لسيّد عظيم في علم الكلام، وأنّه كان سيحوّلني ويحوّل حديثي إلى حجرٍ بكلّ بساطة، وأن يصيبني بالبكم، كما يقول هوميروس(٢٢). وأدركت حينئذ كم كنت غبيّاً في الموافقة على الاشتراك معكم في الثناء على الحبّ، وفي القول بأنّني كنت خبيراً فيه أيضاً، في حين أنه ليس لديّ أيّ تصوّر كيف ينبغي أن يُثنى على أيّ شيء مهما يكن. تخيّلت، لبساطتي، أنّ جوهر المدح يلزم أن يكون الحقيقة، وأن هذا كونه مفترضاً مقدّماً، فإنّ على المتكلّم أن يختار أفضل الموضوعات وإن يبيّنها في أفضل أسلوب. وشعرت بالكبرياء تماماً لاعتقادي أنّي عرفتُ الطبيعة الحقيقية لكلّ إطراء ومدح، وإنّني سأتكلّم جيّداً، في حين أنّني أرى الآن عكس ذلك، وأشعر أنّك لكي تؤدّي إجلالاً

في الثناء على أيّ شيء بجودة، يلزمك أن تخصّص له كل أنواع العظمة والتمجيد، بدون اعتبار للحقيقة أو للتزييف ـ إنّ ذلك لا يهمّ؛ يبدو وكأنّ الاقتراح الأساسيّ لم يكن ذلك، وهو أنّ كلاً منّا سيثني على الحبّ بحقّ وصدق، بل ينبغي فقط بأن نظهر كي نمدحه. وهكذا، فإنّني أقترح، أنّك خصّصت للحبّ كلّ شكل من أشكال الثناء الممكن تصوّره، الذي يُستطاع جمعه في أيّ مكان؛ وقلت أنت « إنّه هو كل شيء »، وإنه « السبب لكل ذلك »، جاعلاً إيّاه نموذجاً للجمال والامتياز لأولئك الذين لم يعرفوه، وعدّدت تسابيح نبيلة ومهيبة في المدح. لكن بما أنّني أسأت فهم طبيعة هذا المدح عندما قلت بأنّني سآخذ دوري في الحديث، فما يجب عليّ إلاّ أن ألتمس منك أن أكون في حلّ من الوعد الذي قطعته من الجهل. إنّه كان « كما سيقول الشاعر يوريبايدس »(٢٣) وعداً من الشفاه وليس من العقل. وداعاً إذن لهكذا إجهاد، فأنا لا أثني في تلك الطريقة؛ لا، حقاً، إنّني لا أستطيع القيام بذلك. لكنّك إذا أحببت أن تسمع الحقيقة بشأن الحبّ، يا فايدروس، فإنّي على استعدادٍ لأن أتكلّم بأسلوبي الخاصّ، ومع ذلك فلن أجعل نفسي مضحكاً بالدخول في أيّة منافسة معك. قل إذن إذا ما كنت ستحبّ أن تحوز الحقيقة بخصوص الحبّ، مقولة في أيّة كلمات وفي أيّ نظام يمكن أن يصدف، ويأتي إلى عقلي وفكري في هذا الوقت. فهل ستقبل ذلك؟

قال أريسطوديموس إنّ فايدروس والجماعة الموجودين قبلوا أن يتكلّم بأي أسلوب يعتقد أنّه الأسلوب الأفضل. أضاف سقراط قائلاً بعدئذ: دعني أحوز إذناً منكم بادىء ذي بدء لأسأل أغاثون أسئلة قليلة، كي أتمكّن من أخذ ما يقبل به وكأنه المقدّمات المنطقيّة لبحثي.

قال فايدروس: إنّني أمنحك الإذن، إطرح أسئلتك.

تقدّم سقراط بأسئلته كما يلي:

سقراط: أعتقد، يا عزيزي أغاثون، أنّك كنت محقّاً بدون ريب في خطبتك حينما اقترحت الكلام عن طبيعة الحبّ أوّلاً، وعن عمله بعد ذلك - إنّ هذه الطريقة للبدء في الكلام أصادق عليها كثيراً. وبما أنّك وضّحت طبيعته بهكذا بلاغة جليلة، هل يمكنني أن أسألك سؤالاً أبعد وهو إذا ما كان الحبّ بطبيعته حبٌّ شيء ما أو حبّ لا شيء؟ وهنا عليّ أن أوضح ما أعنيه: إنّني لا أريد منك أن تقول بأنّ الحبّ يكون حبٌّ أبٍ أو حبّ أمّ - إنّ هذا التعبير سيكون تعبيراً مضحكاً؛ بل كي تجيب كما إذا سألتك، هل يكون الأب أباً لشيء ما؟ ولن تجد صعوبة في الإجابة على هذا السؤال، إنّه أبٌ لابنٍ أو لبنت وسيكون هذا الجواب جواباً صحيحاً.

أغاثون: حقيقي جداً.

سقراط: وستقول الشيء عينه عن الأمّ؟

أغاثون: أوافق.

سقراط: ومع ذلك دعني أسألك سؤالاً أبعد كي أصوّر معناي؛ ألا يُعتبر الأخ أخاً لشيء ما بالضرورة؟

أغاثون: بالتأكيد.

سقراط: ذلك أنّه أخ لأخ أو لأخت؟

أغاثون: نعم.

سقراط: وبعدُ، فإنّني سأسألك سؤالاً بشأن الحبّ: - أيكون الحبّ حبّاً لشيء ما أو للا شيء؟

أغاثون: لشيء ما، بكلّ تأكيد.

سقراط: تذكّر هذا، وأخبرني ما أريد أن أعرف - وهو إذا ما كان يرغب الحبّ ذلك الذي هو الحبّ.

أغاثون: نعم، بكلّ تأكيد.

سقراط: وهل يمتلك، أو لا يمتلك، ذلك الذي يحبّه ويرغبه؟

أغاثون: عليَّ أن أقول، لا على الأرجح.

سقراط: لا، إنّني سأريدك أن تتأمّل ملياً إذا كانت الكلمة « بالضرورة » على الأصحّ. إنّ الاستنتاج معناه أنّ مَن يرغب شيئاً ما يكون مفتقراً لذلك الشيء، وأنّ من لا يتوق لشيء لا يكون في عَوَزٍ له. إنّ هذا الاستنتاج هو استنتاج حقيقي بالكلية وبالضرورة في حكمي، يا أغاثون. فماذا تعتقد؟

أغاثون: أتّفق معك.

سقراط: جيّد جدّاً. هل يرغب مَن يكون عظيماً، بأن يكون عظيماً، أو مَن يكون قوياً، بأن يكون قوياً؟

أغاثون: إنّ ذلك سيكون غير منسجم مع اعترافاتنا السابقة.

سقراط: صدقاً، لأنّ مَن يمتلك تلك النوعيات لا يمكنه أن يكون مفتقراً لها؟

أغاثون: حقيقيّ تماماً.

سقراط: إفترض أنّ رجلاً كونُه قويّاً رغب في أن يكون قويّاً، أو كونه سريعاً في أن يكون سريعاً، أو كونه معافىً رغب في أن يكون معافىً، ـ بما أنّه يمكن أن يُظنّ في تلك الحالة أنّه يتمنّى شيئاً يمتلكه أو يكون في حوزته، إنّي أشير إلى النقطة الأساسيّة كي يمكننا أن لا نضلّ في بحثنا ضلالاً مبيناً ـ سنرى بمجرّد التأمّل ملياً أنّ مالكي هذه النوعيات ينبغي أنهم حازوا على منافعها الخاصّة في ذلك الوقت، سواء إذا اختاروا هذا الشيء أم لم يختاروه؛ ومَنْ يستطيع أن يرغب أو يتمنّى ذلك الذي يمتلكه؟ لهذا السبب، عندما يقول قائل، إنّني جيد وأرغب في أن أكون جيّداً، أو إنّني غنيٌّ وأتمنّى أن أكون غنيّاً، وإنّني أتوق لامتلاك ما هو في حوزتي بالضبط ـ سنجيبه: « أنت، يا صديقي، بما أنّ لديك الغنى والصحّة والقوة، فأنت تريد استمراريّتها؛ إذ في هذه اللّحظة، سواءً تختار تلك أو لا تختارها، فأنت تمتلكها وهي في

حوزتك. وعندما تقول، إنّني أرغب ذلك الذي أمتلكه ولا أرغب شيئاً آخر، ألا يكون معناك أنك تريد أن تحوز في المستقبل على ما هو لديك وملكك في الحاضر»؟ يجب أن يتّفق معنا فيما نقول، ألا يلزمه أن يفعل ذلك؟

أغاثون: يلزمه أن يفعل ذلك.

سقراط: هو يرغب إذن ذلك الذي يمتلكه في الوقت الحاضر كي يمكن أن يكون محفوظاً له ومصاناً في المستقبل، والذي يساوي القول أنّه يتمنى شيئاً ما لا يمتلكه لم يحصل عليه حتّى الآن؟

أغاثون: حقيقي جداً.

سقراط: إذن، دعنا الآن نلخص المحاورة. أليس الحبّ حبّاً لشيء ما بادىء ذي بدء، وشيئاً ما يفتقر له الإنسان أيضاً؟

أغاثون: نعم.

سقراط: تذكّر ما قلته في حديثك أيضاً، أو إذا أحببت فإنّني سأفعل ذلك: قلتَ إنّ الحبّ للجمال وضع امبراطورية الآلهة في نظام لأنّه لا يوجد حبّ في الأشياء المشوّهة ـ ألم تقل شيئاً من هذا النوع؟

أغاثون: نعم.

سقراط: نعم، يا صديقي، وكان التعليق محقّاً تماماً. وإذا كان هذا صحيحاً، فإنّ الحبّ هو حبّ الجمال وليس التشويه؟

أغاثون: إنّني أوافق.

سقراط: ولقد تمّ الاعتراف مسبقاً بأنّ الحبّ يكون حبّاً لشيء يحتاجه الشخص ولا يمتلكه؟

أغاثون: حقاً.

سقراط: يفتقر الحبّ إذن إلى الجمال ولا يمتلكه؟

أغاثون: بدون ريب.

سقراط: وهل ستسمّي ذلك الذي يعوزه الجمال ولا يمتلكه بأيه طريقة، هل ستسميه جميلاً؟

أغاثون: لا بالتأكيد.

سقراط: إذن، أما زلت تقول إنّ الحبّ هو جميل؟

أغاثون: أخشى أنّني قلت ما قلته بدون فهم.

سقراط: حقاً، إنّك ألّفت خطاباً جيّداً جدّاً، يا أغاثون؛ لكن لا يزال هناك سؤال صغير واحد برغم ذلك وهو الذي أحبّ أن أسأله بكلّ سرور: ـ أليس الخيّر هو الجميل أيضاً؟

أغاثون: نعم.

سقراط: الحبّ إذن في افتقارة للجميل، يفتقر إلى الخيّر أيضاً[٢٤]؟

أغاثون: إنّني لا أستطيع أن أنقضك، يا سقراط ـ ليكن كما تقول.

سقراط: قل على الأصحّ، يا عزيزي أغاثون، إنّك لا تقدر على أن تنقض الحقيقة لأنّ سقراط يُنقض بسهولة.

وبعدُ، بما أنّني سأتركك، فإنّني سأكرّر قصّة الحبّ التي سمعتها من ديوتيما من مانتيني. إنّها امرأة حكيمة في هذا وفي أنواع متعدّدة أخرى من أنواع المعرفة، وهي التي أعاقت المرض عشر سنين في الأيام القديمة، عندما قدّم الأثينيون تضحية قبل أن يحلّ بهم مرض الطاعون. إن ديوتيما كانت معلّمتي في فنّ الحبّ، وسأحاول بأفضل ما أستطيع أن أعيد لكم ما قالته لي، مبتدئاً من الفرضيّات التي اتفقت وأغاثون عليها؛ سأفعل أفضل ما أقدر عليه بدون أيّة مساعدة[٢٥]. كما اقترحتَ أنت، يا أغاثون، إنّه لمناسب أن نتكلّم أولاً عن تكوين وطبيعة الحبّ، ومن ثمّ عن عمله. « أتصوّر بأنّه سيكون من الأسهل لي إذا إتّبعت في إعادة سردي لمحادثتي مع المرأة الحكيمة، طريقتها الحقيقيّة للسؤال والجواب ». قلت لها أوّلاً بالكلمات عينها

تقريباً التي استعملها معي أغاثون، قلت بأنّ الحبّ كان إلهاً جباراً، وأنّه جميل بشكل مماثل. وهي برهنت لي، كما برهنت أنا لها، أنّ الحبّ لم يكن جميلاً ولا خيّراً بما بيّنتُهُ. « ماذا تعنين، يا ديوتيما » قلتُ لها، « هل الحبّ إذن شر وشناعة؟ » « صه » صرخت هي؛ « أيجب أن يكون شنيعاً ذلك الذي لا يكون جميلاً »؟ « بدون ريب » قلت أنا. « وهل يكون جاهلاً الذي لا يكون عاقلاً؟ ألا ترى أنتَ أن هناك شيئاً وسطاً بين الحكمة والجهل؟ ». « وماذا يمكن أن يكون ذلك؟ » قلتُ أنا. « الرأي الحقّ »، أجابت هي؛ « الذي كما تعرف، بما أنه غير قادر على إعطاء سبب، فليس معرفة »، « إذ كيف تستطيع المعرفة أن تكون خلواً من السبب؟ » ولا الجهل مرّة ثانية « وكذلك لا يقدر الجهل أن يصل إلى الحقيقة »، بل يكون شيئاً ما وسطاً بين الجهل والحكمة بوضوح. « حقيقيّ تماماً » أجبتُ أنا، « لا تُصرّ إذن » قالت هي « على أنّ الذي لا يكون جميلاً وخيّراً فهو لذلك شناعة وشرّ، لأنّه يكون وسطاً بينهما ». « حسناً »، قلت أنا، « الحبّ يعترف به الجميع أنّه إله عظيم ». قالت: « بأولئك الذي يعرفون أو بأولئك الذين لا يعرفون؟ » أجبتها: « بالجميع ». « وكيف، يا سقراط » قالتها بابتسامة « كيف يستطيع الحبّ أن يحصل على الاعتراف بأنّه إله عظيم من قِبَل أولئك الذين يقولون إنّه ليس إلهاً على الإطلاق؟» « ومَن هم؟ » قلت أنا، « أنت وأنا اثنان منهم »، أجابت هي. « كيف يمكن أن يكون هذا؟ » قلت أنا، « إنّ ذلك مفهوم تماماً »، أجابت هي، « لأنّك أنت نفسك سوف تعترف أنّ الآلهة هم سعداء وجميلون ـ طبعاً ستفعل ذلك ـ هل ستجرؤ على القول بأنّ أيّ إله لم يكن هكذا؟»، « لا بالتأكيد »، أجبتُ أنا، « وتعني أنت بالسعداء، أولئك الذين يمتلكون أشياء خيّرة وجميلة؟ ». « نعم ». « واعترفتَ أنت أنّ الحبّ، لأنه كان في عَوَزٍ، يرغب تلك الأشياء الخيّرة

والجميلة التي يفتقر إليها؟ ». « نعم، إنّني فعلت ». « لكن كيف يمكن أن يكون إلهاً ذلك الذي لا يمتلك حصّة في الذي هو خيِّر وجميل؟ ». « مستحيل ». « ألا ترى أنتَ إذن أنّك تنكر ألوهية الحبّ أيضاً »؟ سألت « ماذا يكون الحبّ؟ » سألت أنا؛ « هل يكون فانياً؟ ». « لا » « ماذا إذن؟ ». « كما في المثال السابق كذلك الآن، إنّه ليس بفانٍ ولا خالد، بل في توسّطٍ بين الاثنين ». « ما هو، يا ديوتيما؟ » « إنه نفسٌ عظيمة»، « وهو مثل كلّ النفوس يكون توسّطاً بين الإلهي والفاني ». « وما هي قوته؟ » قلت أنا. « إنّه يؤوّل بين الألهة والرجال، ناقلاً ومعيداً صلوات وتضحيات الرجال إلى الآلهة، وإلى الرجال أوامر الآلهة والمنافع بالمقابل، إنّه الوسيط الذي يمتدّ فوق الهوّة التي تفصل بينهم، ولهذا السبب فإنّ العالم كلّه مرتبطِ به معاً، ومن خلاله وبواسطته تجد فنون النبيّ والكاهن، تضحياتهم وأسرارهم المحفوفة بالغموض، تجد بواسطته طريقها. إنّ الله لا يختلط مع الإنسان؛ بل بواسطة الحبّ يستمرّ كلّ اتصال، وكذلك حديث الآلهة مع الرجال، سواء أكانوا قعوداً أو نياماً. إنّ الحكمة التي تفهم هذا الشيء هي حكمة روحانيّة؛ وكل حكمة أخرى، مثل تلك التي للفنون والأشغال اليدويّة هي دنيئة ومبتذلة. وبعدُ فإنّ هذه النفوس أو القوى المتوسّطة عديدة ومختلفة، والحبّ واحدٌ منها ». « ومن هو أبوه ومن هي أمه؟ » قلت أنا. « القصة » قالت هي، « ستستغرق وقتاً لسردها؛ وسأخبرك إيّاها بالرّغم من ذلك. في اليوم الذي وُلدت فيه أفروديت أُقيمت وليمة للآلهة كلّهم، وكان من بينهم الإله بوروس أو الوفرة، الذي هو ابن ميتيس أو الحكمة. وعندما انتهت الوليمة، فإن بينيا أو الفقر وقفت على الأبواب كي تستعطي، كما هي العادة في مناسبات كهذه. والآن فإنّ الوفرة الذي كان الأسوأ لناكتار « لم يوجد نبيذ في تلك الأيّام »، ذهب إلى حديقة زيوس واستسلم لنوم عميق؛ وبما أنّ

الفقر اعتبرت أنّه لم يوجد عندها وفرة، تآمرت على أن تنجب طفلاً منه. وبناء على ذلك اضطجعت بجنبه وحملت منه، لأنّه محبٌّ للجميل بشكل طبيعيّ وجزئيّاً، ولأن أفروديت هي ذاتها جميلة، وبسبب أنّ مولودها وُلد أثناء الاحتفال بوليمة ولادتها أيضاً، ويكون رفيقها وخادمها وكما هو أصله، هكذا هي حظوظه أيضاً. إنّه فقير على الدوام في المقام الأول، وهو أيّ شيء سوى الرقّة والجمال، كما يتصوّره العديدون؛ وهو خشن وزَرِيٌّ وليس لديه حذاءٌ ينتعله، أو بيت يأوي إليه. إنّه يتمدّد على الأرض العارية مكشوفاً تحت السماء، في الشوارع، أو عند أبواب البيوت. هناك يرتاح، وهو مثل أمّه في كرب وضيق على الدوام. وهو مثل أبيه أيضاً، يشبهه بشكل جزئيٍّ كذلك. إنّه متآمر ضدّ الجميل والخيّر بشكل دائم. إنّه جسور، مقدام، قويّ، صيّاد جبّار، محيك لخدعةٍ ما أو لأخرى على الدوام، حاذق في تعقّبه للحكمة، خصب في الموارد، فيلسوف في كل الأوقات، رهيب كعرّاف، ساحر، سوفسطائيّ. إنّه يكون بالطبيعة لا فانياً ولا خالداً، بل حيٌّ ومزدهر في لحظة عندما يكون في وفرة، وميّت في لحظة أخرى في اليوم عينه، ومحيّياً مرة ثانية بسبب طبيعة أبيه. لكنّ ذلك الذي يتدفّق إلى الداخل دائماً يتدفق إلى الخارج على الدوام، وهكذا فإنّه ليس في عَوَزٍ قط ولا في غنى أبداً؛ وأبعد من ذلك، فإنّه يكون وسطاً بين الجهل والمعرفة. إنّ حقيقية المسألة هي هكذا: لا إله يكون فيلسوفاً أو طالب حكمة، لأنّه حكيم من قبلُ. لا، ولا يطلب الجهلة الحكمة، وهنا يكمن شرّ الجهل، وشرّه أنّ الإنسان الذي لا يكون شريفاً ولا حكيماً يقتنع بنفسه وبما لديه بالرغم من هذا. « لا رغبة حيث لا شعور بالحاجة ». سألتها: « لكن من هو الحكيم إذن، يا ديوتيما؟ من هم محبّو الحكمة، إذا لم يكونوا الحكماء ولا الأغبياء؟ » أجابت. « طفل يمكنه أن يجيب على ذلك السؤال، إنّهم أولئك

الذين يكونون في وسط بين الأثنين؛ الحبّ هو واحد منهم. إنّ الحكمة هي الشيء الأكثر جمالاً، ويكون الحبّ للجمال؛ ولهذا السبب فإنّ الحبّ هو فيلسوف أو محبّ للحكمة، وكونه محبّاً للحكمة يكون في وسط بين العاقل والجاهل. ولهذا، فإنّ ولادته هي السبب أيضاً في ذلك؛ فأبوه غنيّ وحكيم، وأمّه فقيرة وغبيّة. تلك هي طبيعة ونفس الحبّ، يا عزيزي سقراط. إنّ خطأك في تصوّره كان خطأً طبيعيّاً جدّاً. أستنتج ممّا قلته أنت نفسك أنّه نشأ لأنّك اعتقدت بأنّ الحبّ هو ذلك الذي يُحَبُّ وليس ذلك الذي يُحِبّ. وإنّني لهذا السبب أعتقد أنّ الحب يظهر لك أنّه جميل، بشكل سامٍ. إنّ المحبوب هو الجميل الحقيقيّ، وهو مرهف، كامل، ومبارك؛ لكنّ المبدأ الفعليّ للحبّ هو من طبيعة مختلفة وهو كما وصفته ».

قلت لها: « أوه أيّتها المرأة الغريبة، إنّ ما قلتِهِ جيّدٌ؛ لكن لنفترض أنّ الحبّ يكون كما ترتئين، فما هي فائدته للرجال؟ ». أجابت: « سأحاول كشف ذلك، يا سقراط. إنّني تكلّمت مسبقاً عن طبيعته وولادته، وتعترف أنت بأنّ الحبّ هو حبّ الجميل. لكن شخصاً ما سيقول: ماذا يكمن في الحبّ، يا سقراط وديوتيما؟ ـ أو على الأصح دعني أطرح السؤال بشكل أوضح، وأقول: عندما يحبُّ إنسان الجميل، فماذا يرغب حبّه »؟ أجبتها: « إنّ الجميل يمكن أن يكون الجميل له ». قالت: « يبقى، أنّ الجواب يوحي بسؤال أبعد: ما الذي يُعطى بامتلاك الجمال »؟ أجبتها: « إنّ السؤال الذي طرحتِهِ ليس لديّ جواب جاهز له ». قالت: « دعني أضع الكلمة « خير » في مكان الجميل، وأكرّر السؤال مرّة ثانية: إذا كان هو الذي يحبّ الخير، فما هو الذي يحبه حينئذ »؟ « امتلاك الخير ». « وماذا يربح الذي يمتلك الخير »؟ « السعادة » أجبتها أنا؛ « هناك صعوبة أقلّ في الإجابة على ذلك السؤال ». قالت: « نعم، إنّ السعداء، يُجعلون سعداء باكتساب الأشياء

الخيِّرة، ولا توجد أيّة حاجة لتسأل لماذا يرغب إنسان السعادة؛ إنّ الإجابة على هذا السؤال تصبح واضحة الآن ». قلت لها: « إنّكِ لمحقّة، يا ديوتيما ». أجابت: « وهل يكون هذا التمنّي وهذه الرغبة مشتركة بالجميع وللجميع؟ وهل يتوق الرجال جميعهم لشوقها الخاصّ بها على الدوام، أو لبعضه فقط؟ فماذا تقول، يا سقراط »؟ أجبتها: « كلّ الرجال يتوقون لذلك، إنّ الرغبة يشترك فيها الجميع ». ردّت هي: « لماذا لا يكون كل الرجال إذن، يا سقراط، مشيرين إلى الحبّ، بل لبعضهم بعض فقط؟ في حين تقول أنت إنّ كلّ الرجال يحبّون الاشياء عينها على الدوام ». قلت لها: « إنّني أنا نفسي أتعجب، لماذا يكون هذا »؟ أجابت هي: « لا يوجد شيء لتنشده فيه، والسبب هو أن جزءاً واحداً من الحبّ يكون منفصلاً ويتلقّى الإسم من الجميع، لكنّ الأقسام الأخرى لها أسماء مغايرة ». قلت لها: « اعطيني توضيحاً ». أجابتني كما يلي: « كما تعرف هناك فاعليّة إبداعيّة، معقّدة ومتعدّدة. ذلك كلّه بسبب الانتقال من اللاّوجود إلى الوجود الذي يكون « شعراً » أو خلقاً، والعمليّات لكلّ الفنون هي عمليّات إبداعيّة، وأسياد الفنون هم كلّهم شعراء أو مبدعون ». أجبتها: « جيّد جداً ». استطردت قائلة: « يبقى، أنت تعلم أنّهم لا يُسمُّون شعراء، بل لهم أسماء أخرى؛ إنّ ذلك الجزء من الفاعلية الإبداعيّة فقط الذي يكون مفصولاً عن الباقي والذي يختصّ بعلم الموسيقى ووزن الألحان، إن ذلك الجزء يدعى بإسم الكل ويسمّى قصيدة، وأولئك الذين يمتلكون قصائد في هذا المعنى للكلمة يُسمُّون شعراء ». قلت لها: « حقيقي تماماً ». واصلت تقول: « ويثبت الشيء عينه عن الحبّ. لأنّه لا يمكنك أن تقول بشكل عامّ إنّ كلّ رغبة بالخير والسعادة تكون القوة الحاذقة والعظيمة للحبّ؛ لكنّهم هم الذين يُجذبون نحوه بأيِّ مسلكٍ آخر سواء إذا كان طريق جمع المال أو الألعاب الرياضية أو علم

الفلسفة. إنّ كل هؤلاء لا يُدعون محبّين: إنّ الإسم للكلّ يكون مناسباً لأولئك الذين تأخذ رغبتهم شكلاً واحداً فقط ـ وهم وحدهم يقال إنّهم يحبّون، أو أن يكونوا محبّين ». أجبتها: « أجرؤ على القول، بأنّك على حقّ ». أضافت تقول: « نعم، وأنت تسمع النّاس يقولون إنّ المحبين يبحثون عن نصفهم الآخر ويتوقون إليه؛ لكنّني أقول إنّهم لا يبحثون عن نصف أنفسهم ولا عن الكلّ، ما لم يكن النصف أو الكلّ خيّراً أيضاً؛ الرجال سيقطعون أيديهم وأقدامهم ويرمونها بعيداً، إذا اعتقدوا أنها شرّ. أتصوّر، أن كلاًّ منهم لا يلتصق بالذي يخصّه، إلاّ إذا وُجد شخص ما بالصدفة يُسمّي ذلك الذي يخصّه الخير، وما يخصّ الآخر الشرّ، إذ لا شيء يحبّه الرجال سوى الخير. هل هناك أي شيء آخر »؟ أجبتها: « بالتأكيد. عليّ أن أقول، إنّه لا يوجد أيّ شيء آخر ». قالت: « إذن، فإنّ الحقيقة البسيطة هي، أنّ الرجال يحبون الخير ». أجبتها: « نعم ». استطردت قائلة: « يجب أن يضاف لذلك أنّهم يحبّون امتلاك الخير ». أجبتها: « نعم، ينبغي أن يضاف ذلك ». وواصلت تقول: « وليس امتلاك الخير فقط، بل امتلاك الخير أبديّاً ». أجبتها: « يلزم أن يضاف هذا أيضاً ». قالت: « يمكن وصف الحبّ إذن بشكل عامّ كأنّه الحبّ الأبديّ السرمديّ لامتلاك الخير ». أجبتها: « إنّ ذلك هو الأكثر حقيقة ».

واصلت هي قائلة: « إذا كانت هذه هي طبيعة الحبّ على الدوام، هل تستطيع أن تخبرني، بالإضافة إلى ذلك، ما هو نهج أو سلوك هذه الملاحقة؟ ماذا يفعل أولئك الذين يُبدون كلّ هذا الشّغف والحرارة التي تدعى الحبّ؟ وما هو الهدف الذي يمتلكونه في فكرتهم؟ أجبني، يا سقراط ». قلت لها: « لا، يا ديوتيما، إذا عرفت ذلك فلن أكون متسائلاً عن حكمتك، ولا كان يلزمني أن آتي إليك لأتعلّم منك بشأن هذه المسألة بالذات ». أجابتني:

« حسناً، إنّني سأعلّمك. إنّ الهدف الماثل في فكرتهم هو الولادة في الجمال، سواء إذا كانت الولادة في الروح أو الجسد ». قلت لها: « إنّي لا أفهمك، إنّ الوحي يحتاج إلى إيضاح ». أجابتني: « سأجعل معناي أوضح، أعني، أنّ الرجال كلّهم يكونون مُخضَرين إلى الولادة في أجسامهم وفي أرواحهم. هناك العُمُر الذي تكون الطبيعة الإنسانية فيه راغبة في الإنجاب ـ الولادة الّتي يجب أن تكون في الجمال وليس في التشوّه. إنّ اتّحاد الرجل والمرأة هو إنجابٌ. وهو شيء إلهي، لأنّ الحمل والتوليد هما مبدآن خالدان في المخلوق الفاني، ولا يمكنهما أن يكونا في اللامتناسق على الإطلاق. لكنّ المشوّه يكون لا متناسقاً مع كل ما هو إلهي، ومع الجميل المتناسق. الجمال إذن، هو القضاء والقَدَر أو الإلهة أو المخاض الذي يترأّس على الحبّ. ولهذا السبب، فإنّ قوة الإنجاب تكون ملائمة، عند اقتراب الجمال، وهي غالية، وكريمة، وتحمل وتنجب ثماراً، لكنّها تعبس وتنكمش عند رؤية القبح، وتتملّكها حاسّة ألم، وتنصرف، وتضمر، وتمتنع عن الإنجاب لكن ليس بدون ألم حادٍّ مفاجىء. والسّبب أنّه عندما تحين ساعة الإنجاب، وتكون طبيعة الحمل ممتلئة، يوجد هكذا انفعال ونشوة بشأن الجمال الذي يكون اقترابه سبب تلطيف العذاب وألمه المرّ. إنّ الحبّ، يا سقراط، ليس كما تتخيّل، حبَّ الجمال فقط ». سألتُها: « ما هو إذن »؟ أجابت: « إنّه حبّ النشوة والولادة في الحبّ ». قلت لها: «نعم، نعم حقاً ». استطردت تقول: « لكنْ لماذا النشوء؟ لأنّ النشوء هو نوع من الخلود والبقاء للمخلوق الفاني، وإذا كان الحبّ امتلاك الخلود سرمدياً، كما قد تمّ الاعتراف بهذا سابقاً، فإنّ كلّ الرجال سيرغبون الخلود مع الخير بالضرورة؛ لذلك يتبع أنّ الحبّ يجب أن يكون حباً للخلود ».

إنّ ديوتيما علّمتني كلّ هذا في أوقات مختلفة حينما تكلّمت عن الحبّ.

وتذكّرتها مرّة تقول: « ما هو سبب الحبّ، يا سقراط، وما هي الرغبة الناشئة عنه؟ ألا ترى أنت كيف أنّ كلّ الحيوانات، الطيور كما البهائم، هي في صراع عنيف، لرغبتها في الإنجاب عندما تصاب بعدوى الحبّ، الذي يبدأ بالتّوق للاتّحاد ويمرّ في العناية بالنسل، حيث الأضعف جاهز كي يحارب الأقوى من أجله بأقصى قوّته، ولأن يموت دفاعاً عنه كذلك. وستدع هذه الحيوانات أنفسها تُعذّب جوعاً، أو أنّها ستقدّم أيّة تضحية أخرى كي تبقي على صغارها. ولا شكّ أنّ الإنسان يفعل ذلك لسبب عقلاني، لكن لِمَ ينبغي أن تمتلك الحيوانات هذا الشعور العاطفيّ؟ هل تستطيع أن تخبرني لماذا؟ ». أجبتها، مرّةً ثانية، بأنّني لا أعرف. قالت لي: « وهل تتوقّع أن تصبح سيّداً في فنّ الحبّ، إنْ لم تعرف هذا؟ ». « لكنّني أخبرتُكِ مسبقاً يا ديوتيما، أنّ جهلي هذا هو السبب الذي من أجله أتيتُ إليكِ، فأنا واعٍ بأنّي أريد معلّماً. قولي لي إذن السّبب لهذا ولأسرار الحبّ الأخرى ». قالت: « لا تتعجّب إذا اعتقدت بأنّ الحبّ حبّ الخلود، كما اعترفنا بذلك مرّات عديدة لأنّه هنا مرة ثانية، وعلى المبدأ عينه أيضاً، تنشد الطبيعة الفانية لأن تكون سرمديّة وخالدة قدر الإمكان. وهذا يمكن الوصول إليه بالنشوء أو التولّد، لأنّ النشوء يترك خلفه وجوداً جديداً ومختلفاً في المكان القديم على الدوام. ليس هذا فحسب، حتّى أنّ هناك تتابعاً في حياة الفرد ذاته وليس هناك اتّساق كلّيّ: يدعى إنسان الشيء نفسه، وعلاوة على ذلك، فإنّه يكون في الفاصل الزمنيّ بين الشباب والشيخوخة، الذي يقال إنّ كلّ حيوان يمتلك خلالهما حياة وذاتيّة، وهو يجتاز عمليّة مستمرّة للخسارة والتعويض: شعره، لحمه، عظامه، دمه، وجسمه بكامله متغيّر على الدوام. وليس هذا حقيقيّاً عن الجسد فقط، بل عن الروح أيضاً، التي لا تبقى عاداتها، مزاجاتها، آراؤها، رغباتها، ملذّاتها، آلامها، مخاوفها، لا تبقى كما

هي في أيّ واحد فينا، بل هي آتية وذاهبة باستمرار. وما يبقى أكثر انشداهاً، يكون أكثر حقيقةً عن العلم بشكل متساوٍ. إنّ بعض العلوم لا تأتي إلى الحياة في عقولنا فقط، وتضمحلّ الأخرى. هكذا فإنّنا نحن لسنا الشيءْ عينه أبداً في اعتبارها أيضاً، بل إنّ المصير عينه يحدث لكلٍّ منها على انفراد. إذ ماذا يُفهم ضمنيّاً في الكلمة « التذكّر »، سوى مغادرة المعرفة، تلك المعرفة التي تكون منسيّةً أبداً، وهي تُجدَّد وتُصان بالتذكّر، وتظهر لتكون الشيء عينه مع أنّها جديدة في الحقيقة، طبقاً لذلك القانون الذي تُحفظ بواسطته كلّ الأشياء الفانية، ليس بالشيء عينه بشكل مطلق، بل بالتبديل. إنّ الفانيّة القديمة الرثّة تترك خلفها وجوداً آخر جديداً ومتشابهاً - وهذا الوجود غير شبيه بالإلهي الذي يكون كلاًّ والشيء عينه سرمديّاً. وفي هذه الطريقة، يا سقراط، يشترك الجسد الفاني، أو أيّ شيء آخر فانٍ، يشترك في الخلود؛ لكنّه الخلود بطريقة أخرى. لا تنشده إذن في الحبّ الذي يمتلك كلّ الرجال نسلهم بواسطته؛ لأنّ ذلك الحبّ العالميّ والولوع يكون من أجل الخلود ».

أذهلتني كلماتها، وقلت لها: « أيكون هذا حقيقيّاً، أوه يا ديوتيما الأكثر حكمة »؟ وأجابتني هي بكل القوّة المقنعة لسوفسطائيّ بارع وقالت: « يمكنك أن تتأكّد من ذلك، يا سقراط. فكّر فقط في طموح الرجال، ولسوف تتعجّب من طرائقهم التي يتبعونها والّتي لا معنى لها. تأمّل مليّاً كيف أنّهم يهيّجهم حبّ الشهرة المتّقدّ. هُمُ جاهزون كي يجازفوا بأنفسهم ويقطعوا كلّ المسالك الوعرة، حتّى أصعب من تلك التي سيخوضونها من أجل أطفالهم، وهم مستعدّون كي يغدقوا المال ويتحمّلوا أيّ نوع من أنواع الكدح والعناء، وحتى الموت لأنّهم إذا فعلوا ذلك فسيتركون خلفهم إسماً خالداً. هل تتصوّر أنّ ألكستيس كان سيموت لينقذ أدميتوس، أو أنّ أخيل

كان سيثأر لباتروكلس، أو أنّ كودروس الذي يخصّك فعل ما فعله كي يصون مملكة أولاده ويحفظها؟ هل تعتقد أنّهم كانوا سيفعلون ذلك، إذا لم يتصوّروا جميعهم أنّ ذكرى فضائلهم التي لا تزال باقيةً بيننا. ستكون خالدة »؟ أضافت قائلة: « لا، إنّني لمقتنعة بأنّ كلّ الرجال يفعلون الأشياء كلّها، وأكثر ما يفعلون أفضلها، على أمل الحصول على الشهرة المجيدة التي تغدقها الفضيلة الخالدة، لأنّهم يرغبون الخالد ».

« إنّ أولئك الحُبالى في الجسد فقط يذهبون إلى النساء بأنفسهم وينجبون الأطفال - هذه هي ميزة حبّهم. إنّ ذريّتهم سوف تحفظ ذكراهم، كما يأملون، وتعطيهم البركة والنعمة والخلود الذي يرغبون لكلّ الزمن المستقبلي. لكنّ الأرواح الحُبلى - إذ هناك رجال هم أكثر إبداعاً في أرواحهم ممّا هم في أجسامهم بكلّ تأكيد، إنّهم إبداعيون في ذلك الذي يكون مناسباً للروح كي تحمل وتلد. وإذا ما سألتني، يا سقراط، ما هي هذه المفاهيم، فإنّني أجيبك بأنّها الحكمة والفضيلة بشكلٍ عام. إنّ كلّ الشعراء الإبداعيين وكلّ الفنانين الذين يستحقّون إسم المبدِع هم موجودون بين أرواحٍ كهذه. لكنّ النوع الأعظم والأجمل للحكمة ببعدٍ كبير هو ذلك النوع الذي يختصّ بتنظيم الدول والعائلات، والذي يدعى الاعتدال والعدل. والذي امتلك هذه البذور مزروعة في روحه في سنّ الفتوّة، فإنّه عندما يكبر ويصل إلى سنّ النّضج يرغب في أن ينجب ويتوالد. إنّه يطوف هنا وهناك ناشداً الجمال كي يتمكّن من أن يلد ذريّة - لأنّه لن ينجب أيّ شيء من التشوّه - وهو يحتضن الجسد الجميل بدلاً من الجسدِ المشوّهِ بطبيعة الحال؛ وفوق الجميع، عندما يجد روحاً جميلة ونبيلة وحسنة التربية، فإنّه يحتضن الرّوحين في شخصٍ واحد، وشخص كهذا يمتلىء بالحديث عن الفضيلة وطبيعة وممارسات الإنسان الصالح، ويحاول أن يثقّفه. إنّه يثمر ذلك الذي كوّن عنه

فكرة من قبلُ، وذلك عند ملامسة وفي عشرة الجميل الحاضر في فكره على الدوام، بل إنّه يفعل ذلك حتى في غيابه؛ وهو يعتني بذلك الذي أثمره في صحبته، وهما متزاوجان ومرتبطان برباط أقرب من أيّ رباط آخر بكثير، ويمتلكان صداقة أقرب من صداقة أولئك الذين يلدون أطفالاً غير خالدين، لأنَّ أطفالهما الذين يكونون ذريّتهما المشتركة هم أجمل وأكثر خلوداً. مَن هو الذي، عندما يفتكر بهوميروس وهيسيود وبقيّة الشعراء العظام، لا يرغب في امتلاك أطفال شبيهة بأطفالهم، بدلاً من حيازة أطفال كأطفال الناس العاديين؟ من ذا الذي لن يتشبه بهما في إنجاب أطفالٍ كأطفالهما، الذين صانوا وحفظوا ذكراهما وأعطوهما مجداً أبديّاً. ومن ذا الذي يرفض أن يمتلك هكذا أطفال كليغاركوس، تحدّروا منه كي يكونوا المنقذين ليس للاقيدايمونيا فقط، بل لهيلاس كلّها، كما يمكن لشخص أن يقول؟ هناك صولون. أيضاً، الذي هو الأب المبجّل والذي أوجد قوانين أثينا؛ وهناك مشرّعون آخرون في أماكن عديدة أخرى، بين الهيلينيين وبين البربر على حدّ سواء، والذين أعطوا العالم أعمالاً نبيلة متعددة، وقد كانوا آباءً للفضيلة من كلّ نوع؛ وشُيِّد العديد من المعابد إكراماً لهم ومن أجل أطفال كأطفالهم، والتي لم تُبْنَ في تكريم أيّ شخص قطّ، أو من أجل أطفاله الفانين.

« إنّ هذه الأسرار هي أسرار الحبّ الأقلّ، الذي يمكنك حتى أنت أن تلجها، يا سقراط؛ تلك الأسرار التي ستقودك إلى أسرار أعظم وأكثر خفية وهي تاجها كلها. لكنّك إذا تعقّبتها بنفسيّة سليمة، فإنني لا أعرف إذا ما كنت بقادرٍ على أن تبلغها، غير أنّني سأبذل قصارى جهدي كي أخبرك عنها، واتبعني إذا استطعت. إذ، مَن يتقدم على نحوٍ صحيح في هذه المسألة عليه أن يبدأ في سنّ فتوّته ليطلب صحبة الجمال الجسدي؛ وبادىء ذي بدء، إذا أرشده معلمه على نحو سليم، ليحبّ جسماً واحداً جميلاً فقط ـ

يلزمه خارجاً من ذلك أن يخلق أفكاراً جميلة، ولسوف يدرك بنفسه قريباً أنّ جمال جسم ما يماثل جمال جسمٍ آخر؛ وحينئذ إذا كان جمال الشكل هو ما يلاحقه بشكل عامّ، فكم سيكون غبيّاً إذا لم يدرك أنّ الجمال في كلّ جسم هو واحد والشيء عينه! وعندما يدرك هذا فسيضع حدّاً لحبّه العنيف للجسم الواحد الذي سيستخفّ به ويعتبره شيئاً صغيراً، وسيصبح محبّاً ثابتاً وفيّاً لكلّ الأجسام الجميلة. وسيتأمّل مليّاً في المرحلة التالية أنّ الجمال الروحيّ هو أكثر نفاسة من جمال الشكل الخارجي؛ حتى إنْ لم تمتلك روح فاضلة سوى وَسَامة قليلة، سيكون قانعاً بحبّها ورعايتها والميل إليها، وسيبحث بدقّة، عن الأفكار التي يمكن أن تحسّن الشباب وسيبتدعها حتّى يُجبَر تالياً على أن يتأمّل مليّاً ويرى الجمال في العادات وفي النظم الاجتماعيّة وفي القوانين، وليفهم أنّ جمالها كلّها يكون من عائلة واحدة، وأنّ الجمال الشخصيّ ليس إلاّ جمالاً طفيفاً؛ وسيقوده هاديه إلى العلوم بعد العادات والنظم الاجتماعية، كي يتمكّن من مشاهدة المنطقة الفسيحة التي شغلها الجمال من قبلُ. يمكنه بعدئذ أن ينقطع ليكون شبيهاً بخادمٍ لحبٍّ واحد فقط، لحبّ شابّ معيّن أو إنسانٍ أو مجتمع، ولن يرضى بأنْ يكون عبداً حقيراً وضيّق الأفق؛ بل سيتّجه نحو البحر الواسع من الجمال ويستغرق تأمّلاً فيه، وسيبدع العديد من الأفكار والمحادثات الجميلة والنبيلة في حبٍّ غير محدودٍ للحكمة، إلى أن يترعرع على ذلك الشاطىء ويصبح قويّاً. وأخيراً فإنّ الرؤيا تكشف له عن عِلمٍ واحدٍ فردٍ فقط، هو علم الجمال في كلّ مكان. إلى هذا العلم سأتقدم؛ إعطني من فضلك أجود انتباهك تماماً.

« إنّ مَن قد تدرّب لهذه الدرجة في أشياء الحب، ومَن تعلّم ليرى الجمال في نظام مناسب بالتسلسل، سيدرك طبيعةً ذات جمالٍ خلاّب عندما يصل إلى النهاية. وهذا، يا سقراط، هو السبب النهائي لكلّ أعمالنا الشاقّة السالفة.

إنّها طبيعة أبديّة في المقام الأوّل، لا تعرف الولادة أو الموت، النموّ أو الفساد. ثانياً، إنّها لا تكون جميلة في وجهة نظرٍ وبشعة في أخرى، أو أنّها تكون جميلة في وقت أو في علاقة أو في مكان، وقبيحة في وقت آخر أو في نسبة أخرى أو في مكانٍ ثانٍ، كما لو أنّها كانت جميلة للبعض وذميمة إلى الآخرين، أو في شَبَهٍ للوجه أو لليدين أو لأيّ جزء آخر من أجزاء الجسم الإنساني، أو في شكلٍ من أشكال الكلام أو المعرفة، أو أنّها طبيعة موجودة في أيّ مخلوق فرديّ، كمثال، في المخلوق الحيّ، سواء أكان في السماء، أو على الأرض، أو كان في أيّ مكان آخر؛ بل إنّه جمال محض، منفصل، بسيط، وأزليّ، جمال يضفي على الجمالات الناشئة والفانية كلّ الاشياء الجميلةّ أبداً، بدون أن يقاسي هو ذاته نقصاناً، أو زيادة، أو تغييراً. إنّ من يسمو من هذه الأشياء الأرضيّة تحت تأثير الحبّ الحقيقيّ، يجب أن يبدأ من الجمالات الأرضيّة ويرتفع إلى أعلى من أجل ذلك الجمال الآخر، مستخدماً هذه الجمالات الأرضيّة كدرجاتٍ فقط، ويرتقي صُعداً من واحدتها إلى الثانية، ومن الثانية إلى كلّ الأشكال الجسديّة الجميلة، ومن الأشكال الجسدية الجميلة إلى الممارسات الجميلة، ومن الممارسات الجميلة إلى العلوم الجميلة، إلى أن يصل من العلوم الجميلة إلى العلم الذي تكلّمت عنه من قبلُ، العلم الذي ليس له هدف أو غاية أخرى غير الجمال المحض، ويعرف أخيراً ذلك الذي يكون جميلاً بذاته فقط ». ثم استطردت الغريبة من مانتيني قائلة: « إنّ هذه الحياة، يا عزيزي سقراط، هي الحياة التي يجب أن يحياها الإنسان فوق كلّ الحيوات الأخرى، حياة في تأمّل الجمال المحض؛ إنه الجمال الذي اذا ما شاهدته لمرة، فلن تُرى بعدها في أثر مقياس الذهب والأثواب وجمال الأولاد والشباب الذين يسلب لبّك حضورهم الآن؛ وستكون أنت وسيكون العديد قانعين كي يعيشوا لمشاهدتهم فقط

ومحادثتهم بدون طعام أو شراب، إذا كان ذلك ممكناً ـ تريد أنت أن تنظر إليهم وأن تكون معهم. لكن ماذا إذا كان لدى الإنسان عيون لترى الجمال الحقيقي ـ الجمال الإلهي، أعني، الجمال النقيّ والصافي وغير المزيّف، الجمال اللامدنّس بالتلوّث الجسديّ وبكلّ ألوان وتفاهات الحياة الفانية ـ ناظراً إلى هناك، ومجرياً محادثة مع الجمال الحقيقيّ البسيط الإلهي؟ تذكّر كيف أنّك في تلك المشاركة فقط، تشاهد بواسطة الذي يمكن أن يُشَاهَد مع ذلك، ومَنْ يُشاهد سيتمكّن مِن أن يثمر أو يولّد، ليس صور الجمال، بل الحقائق لأنّه لا يملك الصورة بل الحقيقة، وبما أنّه يولّد أو يثمر الفضيلة الحقيقيّة سيصبح صديق الله كما ينبغي ويكون خالداً. وإذا تمكّن الإنسان الفاني من فعل ذلك، فهل ستكون هذه الحياة حياة حقيرة؟ ».

هكذا كانت كلمات ديوتيما، يا فيدروس. وأنا لا أخاطبك فقط بل أخاطبكم جميعاً، وإنّني لمقتنعٌ بصدقها وصحّتها. وكوني مقتنعاً بها، فإنّي أحاول أن أقنع الآخرين، وهو أنّ في بلوغ هذه الغاية الطبيعيّة الإنسانيّة لن نجد بسهولة مساعداً أفضل من الحبّ. ولهذا السّبب، أقول أيضاً إنّ كلّ إنسان يجب أن يكرّم الحبّ كما أكرّمه أنا وأن يسير في طرقه، ويحضّ الآخرين على أن يفعلوا الشيء عينه، وأن يثني على سلطة ونفسيّة الحبّ طبقاً لمقياس قدرتي الآن وإلى الأبد.

إنّ الكلمات التي تفوّهت بها لكم، يا فايدروس، يمكن أن تسمّوها مديح الحبّ، أو أيّ شيء آخر تحبّونه.

عندما انتهى سقراط من كلامه، أطرت المجموعة على ما قاله، وكان أريسطوفان على وشك أن يقول شيئاً ما إجابةً على التلميح الذي أشار له سقراط لكلامه الخاصّ(٢٦)، عندما قُرِع باب البيت بشكلٍ قوي ومفاجىء، وكان صوت القاصفين، وصوت الفتاة التي تعزف على الناي مسموعاً. أخبر

أغاثون الحاضرين بأن يذهبوا ويروا مَنْ هم الداخلون إلى البيت عنوة. قال: « إذا كانوا أصدقاء لنا، أدعوهم للدخول، وإلاّ، فقولوا لهم إنّ وقت الشراب انتهى ». بعد وقت قصير سمعوا صوت ألسيبيادس مدوِّياً في القاعة؛ كان في حالة من السكر عظيمة، وبقي يزأر ويصيح « أين أغاثون؟ أرشدوني إلى أغاثون ». وبعد مضيٍّ وقت طويل اهتدى إليه، مدعوماً بالفتاة العازفة على الناي وببعض خدمه، « مرحباً، أيّها الأصدقاء » قال لهم محيِّياً، وبدا عند الباب متوَّجاً بإكليلٍ ضخمٍ من شجر اللبلاب والبنفسج، وتتدلّى من رأسه شرائط حريريّة. « هل ستسمحون لرجلٍ ثملٍ جدّاً أن يكون رفيق مرحكم الصاخب؟ أو أنّني سأتوّج أغاثون، وكان هذا قصدي من المجيء إلى هنا، ومن الذّهاب سريعاً؟ لأنّي كنت غير قادر على أن آتي البارحة، ولهذا السبب فأنا هنا اليوم أحمل على رأسي شرائط الحرير هذه، ثم أزيلها عنه، كي يمكنني أن أتوّج رأس أجمل وأعقل الرجال هذا، كما يجوز السماح لي بأن أدعوه. هل تسخرون مني لأنّني سكران؟ وبرغم ذلك فأنا أعرف جيّداً بأنّي أقول الحقيقة، ومع هذا فأنتم تستطيعون أن تضحكوا. تعالوا الآن، لقد أعلنت شروطي: فهل سأدخل؟ نعم أوْ لا؟ هل ستشربون معي؟ ». كان الجمع الموجود صاخباً وملحّاً في رجائه لأن يأخذ مكانه بينهم، ودعاه أغاثون بشكل خاصّ كي يفعل ذلك. وبناء على ذلك وجّهه الذين كانوا معه؛ وبينما كان يواصل سيره، وبما أنّه قصد أن يتوّج أغاثون، أخذ الشرائط الحريريّة من على رأسه ووضعها نصب عينيه؛ وهكذا حُجِب عنه سقراط، الذي فسح له مجالاً كي يستمرّ في سيره، ثم شَغَلَ ألسيبيادس المكان الخالي بين أغاثون وسقراط. وبعد جلوسه عانق أغاثون وتَوَّجَهُ. إنزعْ صندله يا صبيّ، قال أغاثون، ودعه يكون ثالثنا على الأريكة.

مهما كلّف الأمر؛ لكن مَنْ سيكون الشريك الثالث في مرحنا الصاخب؟

قال ألسيبيادس، واستدار ثمّ استهلّ عمله بما أنه شاهد سقراط، وقال: يا للسماء! ما هذا؟ لماذا، إنّه سقراط! إنّك موجود هنا، وتتربّص بي على الدوام، وتنقضّ علي انقضاضاً مفاجئاً في كلّ الأماكن والنوعيّات غير المتوقّعة، كما هي عادتك. وبعدُ، ماذا لديك لتقوله عن نفسك، ولماذا أنت تتمدّد هنا، حيث إنّني أتصوّر بأنّك خطّطت كي تجد لك مكاناً، ليس بجانب شخص مُغرَم بالمزاح أو محبٌّ للهزل مثل أريسطوفان، بل بجانب الأجمل في هذه الجماعة الموجودة.

استدار سقراط إلى أغاثون وقال: ينبغي أن أسألك كي تحميني، يا أغاثون لأنّ شوقي لهذا الإنسان قد كَبُرَ وأصبح مسألة خطيرة بالنسبة لي. بما أنّني أمسيتّ من المعجَبين به فلم يُسمَحْ لي قطّ بأن أتكلّم مع أيّ جمال آخر، أو حتّى أن أتطلّع بهم. وإنْ فعلت، فإنّه يصير معي عنيفاً بسبب الغيرة والحسد، ولا يسيء معاملتي فقط بل إنّه يستطيع إن يرفع يديه عنّي بصعوبة، ويمكنه أن يوقع الأذى بي في هذه اللحظة. أنظر في هذه الحالة من فضلك، فإمّا أن تصلح ذات البين بيننا، أو إذا حاول أن يستخدم العنف، إحمني منه، لأن فرائصي ترتعد من محاولاته الجنونية المشوبة بالعاطفة.

لا يمكن أن يكون هناك وفاق بيني وبينك أبداً، يا سقراط، قال ألسيبيادس؛ لأنّ ما قلته الآن، سأعاقبك عليه بشدّة في وقت مناسب آخر. وعليّ أن أستعطفك في هذه اللحظة، يا أغاثون، لكي تعطيني بعض هذه الشرائط الحريرية كي أتمكنّ من تتويج رأسه، رأسه الرائع العجيب - إنّني لن أدعه يشكو منّي بسبب عدم تتويجي إيّاه وإهمالي له، وهو الفاتح لكلّ الجنس البشريّ والمتغلّب عليه ببلاغته وفصاحته؛ وليس هذا لمرّة واحدة فقط، كما كانت يوم ما قبل البارحة، بل على الدوام. [عند ذلك أخذ بعض الشرائط الحريريّة وتوّج بها رأس سقراط، ثم اتّكأ على الأريكة مرّة ثانية].

وقال بعدئذ: يا أصدقائي، تبدون غير ثملين ورصينين، وهذا شيء لا يمكن أن يبقى ويستمر؛ ينبغي أن تشربوا، لأنني مُنِحت حقّ الدخول إلى هنا بناء على هذا الاتفاق، وآنتخَبْتُ نفسي سيّداً على الوليمة إلى أن تشربوا كميّة تفي بالمراد. دعنا نحوز طاساً كبيراً، يا أغاثون، إن كان هناك واحد هنا؛ أو على الأصحّ، قال هو، موجّهاً كلامه إلى الحاضرين، أحضروا لي مبرِّد النبيذ ذاك - إنّ مبرِّد النبيذ الذي لمحه كان إناءً يتّسع لأكثر من ربع غالون، فملأ ذلك الإناء وأفرغه وأمر الخادم أن يملأه لسقراط مرّة ثانية. قال ألسيبيادس: لاحظوا، يا أصدقائي، أنّ هذه الخدعة البارعة التي اخترعتها لن يكون لها أيّ تأثير على سقراط لأنّه يستطيع أن يشرب أيّة كميّة من النبيذ دون أن يقارب السكر على الإطلاق. شرب سقراط القدح الذي ملأه له الخادم.

قال أريكسيماخوس: ما هذا، يا ألسيبيادس؟ ألن نتحاور أو نغنّي فوق الأقداح، بل نشرب كما لو كنّا عطاشاً بكلّ بساطة؟

أجاب ألسيبيادس: مرحى، مرحى أيّها الولد الفاضل لأبٍ أكثر حكمة وفضلاً!

قال أريكسيماخوس: أبادلك الشيء عينه، لكن ماذا ستفعل؟

قال ألسيبيادس: إنني أترك ذلك لك كي تقرّر:

الطبيب العاقل يساوي عشرة آلاف رجل.

هل يجب عليّ أن أصف وأنتم عليكم أن تطيعوا، فماذا تريدون؟

حسناً، قال أريكسيماخوس، إنّنا أصدرنا قراراً قبل أن تظهر للعيان وهو أنّ كلّ واحد منّا يجب أن يؤلف حديثاً للثناء على الحبّ، كلٌّ بدوره، وأفضل حديث يقدر آمرؤٌ على تأليفه؛ ومرّ الدور على كل واحد منا من اليسار إلى اليمين، وبما أنّنا تكلّمنا جميعاً، وبقيت أنت من غير المتكلمين، لكنّك شربت جيّداً، فيجب عليك أن تؤدّي دورك في الكلام، وافرض على سقراط بعدئذٍ أيّ عملٍ شاقّ يسرّك، ومن ثمّ سيفعل الشيء عينه الشخص الذي إلى يمين جاره، وهكذا دواليك.

إنّ ذلك جيّد، يا أريكسيماخوس، قال ألسيبيادس؛ ومع هذا فإنّ مقارنة خطاب إنسانٍ سكرانٍ بخطابات أولئك الرجال غير الثملين والرصينين هي مقارنة عادلة بالكاد. وسأحبّ أن أعرف أيضاً، يا صديقي الحلو، إذا ما كنت تصدّق حقّاً ما قاله سقراط لتوّه الآن؛ فأنا لا أستطيع أن أؤكّد لك أنّ الحقيقة هي عكس ذلك تماماً، وأنّي إذا مدحت أيّ شخص سوى نفسه في حضوره، سواء إذا كان إلهاً أو إنساناً، فإنّه سيرفع يده عني بجهدٍ جهيد.

سقراط: يا للعار.

ألسيبيادس: أمسك لسانك عن كلام كهذا، لأنّني أقسم بأنّه لا يوجد شخص آخر هنا أُثني عليه عندما تكون أنت من ضمن المجموعة.

اريكسيماخوس: حسناً إذن، إثنِ على سقراط إذا أحببت.

ألسيبيادس: ماذا ترى، يا أريكسيماخوس؟ هل سأهاجمه وأُنزل به العقاب أمامكم جميعاً؟

سقراط: ماذا أنت على وشك أن تفعل؟ هل أنت ذاهب لتثير ضحكاً أكثر، على حسابي؟

ألسيبيادس: إنّني ذاهب لأتكلّم الحقيقة، إذا ما سمحت لي.

سقراط: إنّني لا أسمح لك فقط، بل أحضُّك على أن تتكلّم الحقيقة.

ألسيبيادس: سأتكلّم في الحال إذن، وإذا قلت أيّ شيء ليس حقيقياً، يمكنك أن تقاطعني إذا ما أردت، وقُلْ « إنّ هذه كذبة »، مع أنّ قصدي هو أن أقول الحقّ. لكنّك يجب أن لا تتعجّب كما تمرّ الأشياء في فكري على كل حال؛ لأنّ التعداد الرشيق والمنظّم لكلّ صفاتك المميّزة ليس بالعمل الشاقّ، لكنّه ليس بالعمل السهل على إنسان في حالتي.

والآن، يا أولادتي، فإنّني سأثني على سقراط في استعارةٍ ستبدو له أنّها رسم

كاريكاتوريٌّ، وبرغم هذا فإنّي، إن تكلّمت، لن أتكلم لأهزأ به، بل سأتكلّم من أجل الحقيقة فقط. أقول، إنّ سقراط مثل تماثيل سيليتوس النصفيّة بالضبط، والتي توضع في حوانيت مجموعة التماثيل، وفي أفواهها مزامير ونايات؛ وهي مصنوعة كي تفتح في وسطها، وفي داخلها صور للآلهة. أقول أيضاً بأنّه يشبه مارسياس الساطيري. وأنت نفسك لن تنكر، يا سقراط، أنّ وجهك يشبه الساطير(٢٧). نعم، هناك شبَهٌ بينك وبينه في نقاط أخرى أيضاً. كمثال، أنت مَرِح، كما يمكنني أن أبرهن ذلك بشواهد، وإن لم تعترف بهذا. ألست أنت عازف ناي؟ إنّك لكذلك بالتأكيد، وأنت عازف أكثر روعة ببعد كبير من مارسياس نفسه. إنّ مارسياس اعتاد أن يسحر أرواح الرجال بقوة نَفَسِهِ حقّاً، ولا يزال عازفو موسيقاه يقومون بالشيء عينه. إنّ اتساق الأصوات والألحان الأولومبيّة استُمِدٌّ من مارسياس الذي علّمها. وهذه الألحان، سواء إذا عزفها سيّدٌ موسيقيٍ عظيم أو فتاةٌ عازفة على الناي تعيسة، فإن لها من القوة ما لا يمتلكها اتساق الأصوات الأخرى؛ إنّها وحدها تمتلك الروح وتكشف متطلبات أولئك الذي يحتاجون للآلهة والطقوس السّريّة الدينية، لأنها طقوسٌ إلهيّة، لكنك تحدث التأثير عينه بكلماتك فقط، ولا تحتاج للناي! هذا هو الفرق بينك وبينه. عندما نسمع نحن أيّ متكلّم آخر، حتى إن كان متكلّماً جيّداً، فإنّه لا يؤثر فينا تأثيراً كليّاً، أو لا يسبب تأثيراً كثيراً، في حين أنّ مجرّد أجزاء من حديثك ومقاطع من كلماتك، حتّى إذا كانت ثانوية، وكيفما أعيد سردها ولو كانت غير تامّة، فإنّها تذهل كلّ إنسان وتمتلك روحه، وهكذا تفعل بكلّ امرأة وطفل يدخل ويسمعها(٢٨) ولولا خوفي أنك ستظنّني سكران ميئوساً منه، فإنّني كنت سأقسم، بالإضافة إلى كلامي، بأنّ تأثيرها عليّ كان ولا يزال قوياً على الدوام. إنّ قلبي يقفز داخل صدري عندما أسمعها أكثر مّما

يفعله أيّ طَرِبٍ أو مَرِحٍ كوريبانتيني، وتنهمر عيناي دموعاً، وألاحظ أنّ العديد من الأناس الآخرين يتأثّرون بالطريقة عينها بدون ريب. إنّني سمعت بريكلس والخطباء العظماء الآخرين، وظننت أنّهم تكلّموا جيّداً، لكن لم يخامرني أيّ شعور مشابهٍ قطّ؛ إنّ روحي لم تهتزّ بما قالوه، لا ولم أكن غاضباً إذ فكرت بحالتي الخاصّة المتّسمة بالتقليد والمحاكاة. لكنّ مارسياس هذا غالباً ما استدرجني إلى وضع كهذا، ممّا جعلني أشعر بل شعرت وكأنّني لا أستطيع أن أطيق الحياة التي أحيا « ستعترف بهذا، يا سقراط؟ »؛ وإنّني لمدرك في هذه اللحظة بالذات بأنّي إن لم أصمّ أذنيّ قبالته، وأطير كما أفعل من صوت السّيْرانة[٢٩]، فلمْ أستطع أن أثبت أمامه، وسيكون قدري مثل أقدار الآخرين. إنّه سيثبتني في الأرض، وسأشيخ جاثياً على قدميه، لأنّه يجعلني أعترف بأنّه يجب عليّ أن لا أحيا كما أفعل، مهملاً العديد ممّا تحتاجه روحي الخاصّة وشاغلاً نفسي بما يخصّ الأثينيين؛ ولهذا السبب فإنّني سأصمّ أذنيّ وأحبس دموعي عنه. وهو الشخص الوحيد الذي جعلني خجلاً، ويمكنكم أن تعتقدوا بأنّ هذا ليس من طبيعتي، ليس هناك شخص آخر فعل معي الشيء عينه. أعرف بأنّي لا أستطيع أن أجيبه، أو أن أقول بأنّي لا يجب أن أفعل كما يأمر، لكنّي عندما أغادر مكان وجوده فإنّ حبّ الشعبيّة تحصل على أفضل ما تستطيع الحصول عليه منّي. ولهذا السبب فإنّي أنسَلُّ خارجاً وأهرب منه. وعندما أراه فإنّي أخجل ممّا اعترفت له به، تمنّيت لو أنه كان متوفّى عدّة مرات. وبرغم هذا فأنا أعرف بأنّي سأكون أكثر تأسّفاً من كوني مسروراً لو أنه توفّي؛ وهكذا فإنّي في حيرة من أمري ماذا سأفعل بشأن هذا الإنسان.

إنّ هذا هو ما قاسيت وما عاناه الآخرون من عازف القيثارة لهذا الساطير. ومع ذلك استمعوا إليّ مرّة أخرى لأريكم كيف هي صورته دقيقة، وكم

هي قوّته عجيبة. كونوا متأكّدين من أن لا أحد منكم يعرفه، غير أنّي سأكشفه لكم، بما أنّي ابتدأت فيجب عليّ أن أستمّر في ذلك. هل ترون مدى إعجاب سقراط بالجميل؟ إنّه معهم على الدوام وهو يعاني منهم بشكل مستمّر، وبعدئذ فهو لا يعرف شيئاً، وهو جاهل بكلّ شيء ـ هذا هو المظهر الذي يظهر به. ألا يشبه سيلينوس في هذا؟ تأكّدوا أنه كذلك: إنّ قِناعه الخارجي هو رأس سيلينوس المنحوت؛ لكن أوه يا رفاقي كيف سأصفه لكم عندما يشرب؟ وحينما يشرع بالشراب، فأيّ اعتدال يسكن في داخله! تعرفون أنتم أنّ الجمال والغنى وكل النعم الأخرى التي تجلب السعادة العظيمة في الرأي الشعبيّ، تعرفون أنّ هذه النعم لا أهميّة لها عنده ويستخفّ بها بشكل مطلق: إنّه لا يعتبر الأشخاص الممنوحة لهم هذه النّعم على الإطلاق، حتّى نحن لا يقيم لنا وزناً. إنّ هذه حقيقة؛ لكنّه يقضي حياته كلّها في إغاظة بني الإنسان. وبما أنّه يخفي مراميه الحقيقيّة على كلّ حال، فإنّني عندما فتحته ونظرت داخل قصده الجادّ والهامّ، رأيت فيه صوراً إلهيّة وذهبيّة ذات جمال يسبي العقول، وكنت مستعدّاً لأن أفعل ما يأمرني به سقراط في لحظة. يمكن أنّ تلك الصور التي قدّمتها لم يلاحظها الآخرون لكن أنا راقبتها بل رأيتها. وبعدُ فإنّني توهّمت أنه كان مفتتّاً بجمالي بشكل جدّي، واعتقدتُ أنّ هذا كان نموذجاً رائعاً من نماذج الحظّ؛ كانت لديَّ الوسائل لتعقّبه كي يخبرني كلّ شيء عرفه إذ كان لدي رأي مدهشّ عن جاذبية شبابي. وعندما ذهبت إليه مرّة ثانية في متابعة هذا الغرض، أعدتُ المرافق الذي يلازمني عادة « إنّني سأعترف بالحقيقة كلّا، وأستعطفكم أن تسمعوني؛ وإذا ما نطقت باطلاً فاكشف عن هذا التزييف، يا سقراط ». حسناً، إنّنا كنّا معاً لوحدنا، هو وأنا، واعتقدت بأننا عندما نكون منفردين، فإنّني سأسمعه يتكلّم اللغة التي يستخدمها المحبون مع محبّيهم عندما يكونون

وحيدين، وكنت مبتهجاً لذلك. لم يحدث أيّ شيء من هذا النوع؛ بل حادثني كالمعتاد، وأمضى اليوم وانصرف بعدئذ. تحديته في قاعة المناقشات العامّة فيما بعدُ؛ وصارعني وضيّق عليَّ عدة مرات عندما لم يكن أحد حاضراً هناك. توهّمت بأنّي يمكن أن أنجح بهذا الأسلوب. لم يكن نجاحي يساوي مثقال ذرّة، ولم يكن لديَّ أيّة وسيلة معه. أخيراً، بما أنّني أخفقت حتى الآن، اعتقدت بأنّي يجب أنْ أتّخذ إجراءَات أقوى ضدّه، وأن أهاجمه جسديّاً. وعندما بدأت، لم أتوقّف عن المحاولة، بل رأيت كيف تتوقّف المسائل بيني وبينه. وهكذا دعوته كي يشرب معي، وقَبِلَ الدعوة بعد مدّة، وحينما أتى لأوّل مرّة أراد أن يذهب حالاً عندما انتهى من العشاء، ولم تكن لديَّ الجرأة كي أحتجزه، وبقيت مصمّماً على تنفيذ مخطّطي للمرّة الثانية. إستمريّت في التحادث معه إلى ساعة متأخّرة من ساعات الليل، بعد أن شربنا. وعندما أراد أن يغادرني ويبتعد، تظاهرت بأنّ الوقت كان متأخّراً وأجبرته على البقاء، وهكذا استلقى هو على الأريكة بجواري، حيث اتّكأ أثناء العشاء، ولم يكن هناك أحد سوانا نحن الإثنين نائمَين في الشّقّة. يمكن أن يقال كلّ هذا لأيّ شخص بدون خجل، لكنّني أستطيع أن أخبركم ماذا حدث بعد ذلك بصعوبة إذا ما كنت صاحياً؛ ومع ذلك فكما يقول المثل «in vino veritas» أي تقال الوقائع عند السّكر، سواء إذا وجدت أفواه الأطفال أم لم توجد أيضاً؛ ولهذا السبب يمكنني أن أتكلّم، ولا يجب أن أبرّر في إخفاء عملٍ متألّقٍ لسقراط عندما أشرع في الثناء عليه. بالإضافة إلى ذلك فإنّي شعرت بلدغ الأفعى؛ وهو الذي عانى منها، كما يقول المثل، كونه على استعداد لأن يخبر رفاقه الذين قاسوا بما أنهم هم وحدهم سيفهمونه على الأرجح، ولن يكونوا متطرّفين في الحكم على أقواله وأعماله التي قد انتُزِعت من عذابه، لأنّني قد لُدِغت بأسوأ من اللّدغ بسنّ الأفعى

الخبيثة؛ وعرفت بروحي، أو بقلبي، أو بأيّة وسيلة أخرى يمكن وصفها، عرفت أنّ أسوأ الوخزات للفتى الحاذق هي الأكثر إيلاماً وعنفاً من أيّة لدغة بسنٍّ أفعى خبيثة - عرفت أنّ هذه الوخزة هي وخزة الفلسفة التي ستجعل إنساناً يقول أو يفعل أيّ شيء. وأنتم الذين أراكم حولي، فايدروس وأغاثون وأريكسيماخوس وبوسانياس وأرِيسطوديموس وأريسطوفان، إنّكم كلّكم، ولا أحتاج لأن أقول سقراط ذاته، والجماهير الأخرى، كانت له الخبرة الديونسيوسيّة المجنونة المولعة بالفلسفة. لذلك آستمعوا وآصفحوا عن أفعالي حينئذ وعن أقوالي الآن. لكن دعوا المرافقين والأشخاص الملحدين واللاأخلاقيين يقفلون آذانهم بإحكام.

عندما أطفأ المصباح في الليلة عينها وذهب الخدم بعيداً، اعتقدت بأنّني يجب أن أكون واضحاً معه، وأن أقلّل من الغموض. وهكذا هززته وقلت له: « يا سقراط، هل أنت نائم »؟ أجابني: « لا » « هل تعرف بماذا أفكّر؟ » قال: « بماذا؟ » أجبته: « من بين كلّ المحبّين الذين لديّ فإنّك الشخص الوحيد الجدير بي، ويظهر أنّك متواضع جدّاً كي تتكلّم. وبعدُ أشعر بأنّي سأكون غبيّاً كي أرفض لك هذا المعروف أو أن أرفض أي معروف آخر، ولهذا السبب فإنّني أتيت إليك كي أضع عند قدميك كل ما أملك وكل ما يحوزه أصدقائي، على أمل أنّك ستساعدني في طرق الفضيلة، والتي أرغبها فوق كلّ شيء، وأعتقد بأنّك ستساعدني فيها أفضل من أيّ شخص آخر. وسيكون لديَّ سببٌ أكثر كي أكون خجولاً بالتأكيد فيما سيقوله الرجال الحكماء إذا ما كنت سأرفض خدمةً أو رعايةً من شخص مثلك، ولن أهتمّ بما سيقوله العالم عنّي، إذ إن أكثره أغبياء، إن منحتها لك ». أجابني على هذه الكلمات بأسلوبه التهكّمي الذي هو صفة مميّزة له وقال: « يا ألسيبيادس، يا صديقي، إنّ لديك هدفاً رفيعاً إذا كان الذي تقوله صحيحاً، وإنْ وجدتَ

فيَّ قوّةً بحقٍّ هي التي يمكنك أن تصبح أفضل بواسطتها؛ إن كان لديك ذلك فيجب أن ترى فيَّ بإخلاص جمالاً نادراً أسمى، بشكل لا يُحمد، قياساً إلى الوسامَة التي أراها فيك، ولهذا السبب إذا قصدت أن تقاسمني وأن تبادلني جمالاً بجمال، فإنّك ستحوز الأفضليّة عليَّ بشكل عظيم. إنّك ستكسب الجمال الحقيقيّ مقابل جمال المظهر - وبذلك تكون مثل ديوميد الذي بادل الذهب بالنحاس. لكن انظر مرّة ثانية، يا صديقي الجميل، وشاهد إذا ما كنت مخدوعاً فيَّ. يبدأ العقل في النموّ حَرَجاً حينما يخبو نور العيون الشحميّة، وأنت لا يزال طريقك طويلاً للوصول إلى تلك المرحلة ». عندما سمعته يقول هذا، أجبته: « إنني بحت لك بأفكاري الخاصّة، وقلت لك ما أعنيه بالضبط، والآن فأنت حرٌّ في أن تأخذ بعين الاعتبار ما تراه أفضل لي ولك ». قال سقراط: « إنّ ذلك جيّد؛ سنتأمّل ونفعل ما يبدو أنّه الأفضل بخصوص هذه المسألة وبخصوص المسائل الثانية في وقت آخر ». بعد تبادل هذه الكلمات، تصوّرت أن ملاحظاتي الساخرة جرحته، وهكذا بدون أن أنتظر سماع أي كلامٍ منه أكثر انتصبت واقفاً ورميت معطفي حوله وانسللت تحت عباءَته الرثّة، لأن الوقت كان شتاءً، وتمدّدت هناك الليل كلّه ممتلكاً هذا الإنسان العجيب الذي هو فوق مستوى البشر، ممتلكاً إياه بين ذراعيّ بحق. وهذا ما لن تنكره، يا سقراط، مرّة ثانية، وبالرغم من كلّ هذا كان هو هكذا أرفع مقاماً وأسمى من التأثّر بغوايتي، وكان مزدرياً وساخراً ومستخفّاً بجمالي - ذلك الجمال الذي توهمت أنّ له بعض الجاذبية حقاً - اسمعوا، أوه يا قضاتي، فأنتم ستكونون قضاة لفضيلة سقراط المتعجرفة - لم يحدث شيء أكثر من ذلك، لكنّني عندما استيقظت في الصباح « دعوا كلّ الآلهة والإلاهات أن يكونوا شاهدين وشاهدات عليَّ »، ارتفعت عن الأريكة مثلما أرتفع عن تلك التي لأب أو لأخٍ أكبر مني سنّاً.

ماذا تفترضون أنه قد كان شعوري، بعد هذا الرفض، وعند التفكير بالإهانة التّي لحقت بي؟ ورغماً عن ذلك فلم أستطع سوى أن أتأمّل مليّاً في هذا الاعتدال وضبط النفس والرجولة الطبيعية في سقراط. لم أتصوّر قطُّ بأنّي قدرت على مقابلة إنسانٍ مثله في حكمته وصبره. ولهذا السبب، لم أتمكّن من أن أكون غاضباً منه، أو أن أتبرأ من صحبته، بأكثر من أن أجد طريقة كي أكسبه، لأنّني عرفت جيّداً أنّه إذا لم يستطع الفولاذ أن ينال من أجاكس فإنّ الدراهم سيكون تأثيرها عليه أكثر قليلاً؛ لكنّه أفلت منّي عندما حاولت بالوسائل الوحيدة الّتي تصوّرت أنها يمكن أن تأسره ألا وهي الدراهم، هكذا كنت أنا في نهاية ذكائي؛ ولم يكن أحد مثلي قطّ أكثر استعباداً من قبل إنسان آخر منه وذلك على شكل استعباد ميثوس. حدث كل هذا قبل أن أذهب وإياه في الحملة العسكرية إلى يوتيدايا. هناك تناولنا الطعام معاً، وكانت لديَّ فرصة لملاحظة قوته غير العادية لتحمّله المشقّات. إنّ صبره كان رائعاً بكلّ بساطة، حينما قُطِعت عنا الإمدادات، وكنّا مجبرين على أن نسير بدون غذاء. في مناسبات كتلك التي تحدث غالباً في زمن الحرب، كان أرفع مقاماً وأسمى ليس منّي فقط بل من أي شخص آخر؛ لم يكن هناك شخص واحد يمكن أن يُقارن به. ومع ذلك لم يساوِهِ أحدٌ في الاحتفال بقوّة استمتاعه في الشراب؛ مع أنّه لم يشأ أن يشرب، لكنّه يستطيع أن يتغلب علينا جميعاً فيه إذا أُجبر على ذلك. إنّه كان إنساناً رائعاً في سرد القصص، لم يرَ أيّ مخلوق إنساني سقراط سكران، ولقد اختُبرت قوّتُه في ذلك منذ عهد بعيد، إذا لم أكن مخطئاً، لكن جَلَدَهُ في تحمّل البرد كان مدهشاً أيضاً. حَدَث أن كان هناك صقيعٌ هو الأكثر قسوة حيث كنّا، لأنّ الشتاء عظيم في تلك المنطقة بحقّ، وكلُّ شخص من الذين كانوا معنا إمّا بقي في البيت، أو تدثّر بالثياب الكثيرة إذا خرج منه وانتعل

الأحذية الجيدة، ولفَّ قدميه باللّبّاد وصوف الخراف. لكنّ سقراط كان يمشي في هذا الوسط الشديد البرودة بقدميه العاريتين على الجليد ويلبس الثياب العادية. إنّه مشى أفضل ممّا يمشي الجنود الأخرون الذين انتعلوا الأحذية، وكانوا ينظرون إليه نظراتٍ ملؤها البغض والعداء لأنّه بدا لهم أنّه يستخفّ بهم.

لقد أخبرتكم قصّة واحدة عنه، والآن يجب أن أخبركم قصّة أخرى جديرة بالاستماع عن أفعال ومعاناة الإنسان الطويل الأناة. بينما كان يشارك في الحملة العسكرية، وكان ذات صباح يفكّر بشيءٍ ما لم يستطع أن يحلّه، لم يتخلَّ عن مواصلة ذلك، بل تابع التفكير من الصباح الباكر إلى فترة الظهيرة - هناك وقف ثابتاً يفكّر؛ واسترعى انتباه الحضور بعد ذلك بقليل، وانتشرت إشاعة بين الجمهور المتسائل عنه مفادها أنّ سقراط كان واقفاً ومفكّراً بشأن شيء ما منذ أن طلع النهار. وأخيراً، أحضر بعض الأيونيين حُصُرهم في المساء بعد العشاء، وذلك بسبب حبّهم للاستطلاع « عليَّ أن أوضح أنّ هذا الذي حديث لم يكن في فصل الشتاء بل كان في فصل الصيف »، أحضر هؤلاء الأيونيون حُصُرهم خارجاً وناموا عليها في الهواء الطلق كي يتمكّنوا من أن يراقبوا ويروا إذا ما كان سقراط سيقف حيث هو طوال الليل. وقفَ سقراط هناك حتّى الصباح التالي، وقدَّم صلاة إلى الشمس مع عودة النور، ومضى في طريقه. إنّني سأخبركم أيضاً، إذا أردتم، أنّي مُلزَمٌ بأن أقول ذلك، سأخبركم عن شجاعته في المعركة؛ إذ مَنْ سواه أنقذ حياتي؟ فإنّ هذا القتال الذي خضناه كان القتال الذي تلقيت عنه جائزة البسالة: لقد جُرِحت أثناءَه ولكنّ سقراط لم يتركني، بل إنّه أنقذني مع كل أسلحتي وكان من الواجب اللاّزب أن يتلقّى هو جائزة الشجاعة التي أراد القادة الحربيّون أن يمنحوها لي بسبب رتبتي في الجيش، وأخبرتهم هكذا « وهذا

الذي أقوله لن يطعن فيه سقراط أو ينكره » لكنّه هو كان أشدّ لهفة من القادة الحربيّين بأن آخذ الجائزة أنا وليس هو. هناك مناسبة ثانية كان سلوكه أثناءها سلوكاً مدهشاً جداً - في فرار الجيش بعد معركة ديليوم، حيث خدم هو بين الجنود المجهزين بأسلحة ثقيلة - كانت لديّ فرصة أفضل كي أراه أكثر ممّا رأيته في معركة بوتيدايا، لأنّني كنت أمتطي حصاناً، ولهذا السبب كنت خارج دائرة الخطر بشكل لا يُقارَن. كانت الفرق العسكرية مشتّتة أثناء هروبها، وكان هو متقهقراً يصحبه لاخيس. حدث أن قابلتهما هناك وحثثتهما أن يتشجعا، وأن لا تهن عزيمتهما، ووعدتهما بأن أبقى معهما؛ وهناك يجب عليك أن تراه، يا أريسطوفان، كما تصفه[٣٠]، لقد فعل هناك كما يفعل في شوارع أثينا تماماً، ناقلاً خطاه بحذر مثل طائر البجع، وعيناه تترصّدان في كلّ اتّجاه، كأنّه يتوقّع شيئاً ما يقوم به الأعداء كما يتوقّعه من الأصدقاء وبهدوء، موضحاً نفسه لأيّ شخص وبطريقة عظيمة أنّه لا يقدر أن يفرّ منه مهما حاول ذلك، وكذلك فإنّ كلّ من يهاجمه سيقابَلُ بمقاومة عنيدة على الأرجح؛ وتمكّن هو ورفيقه من الهرب بهذه الطريقة - إنّ هذا النوع هو نوع الإنسان الذي لم يستطع أحد أن يلامسه في الحرب قطّ، أمّا أولئك الذي يتعقبّهم أعداؤهم فهم الذين يولّون هاربين بتهوّر وطيش. إنّني لاحظت كم كان هو أعلى وأسمى من لاخيس بحضوره العقليّ. يمكن أن تقال أشياء أخرى كثيرة خارقة للعادة عن سقراط؛ ربّما كان بعضها متساوياً في إنسان آخر مثله، لكن برغم ذلك فإنّ عدم تشابهه الكليّ بأيّ مخلوق إنساني، وُجِد أم لم يوجد، هو شيء مذهلٌ بشكل كامل. يمكنكم أن تتصوّروا أن براسيداس والآخرين قد كانوا مثل أخيل، أو يمكنكم أن تظنوا أن ناستور وانتينور قد كان شبيهين ببريكلس، ويمكن قول الشيء عينه عن الرجال الشهيرين الآخرين؛ لكنّكم لن تكونوا بقادرين على أن تجدوا أبداً أيّ

شخص شبيه بهذا المخلوق العجيب، حتّى ولا بكلماته، مهما كان هذا الشخص قصيّاً، لا في الأجيال الحاضرة ولا في الأجيال الماضية - غير أولئك الذين اقترحتهم من قبلُ لسيلينوس والساطير؛ وهم لا يمكنهم ان يماثلوه فقط، بل يمكنهم ان يماثلوا كلماته أيضاً. وبرغم أنني نسيت أن أذكر هذا لكم قبلاً، من أن محادثاته تشبه تماثيل سيلينوس التي تفتح؛ وهي تماثيل مضحكة عندما تسمعها لأوّل مرّة. إنّها مغلفّة بكلمات وعبارات تشبه جلد الساطير المطلق العِنان، لأنّ كلامه ككلام الساخرين والحدادين والأساكفة والحمّالين، وهو يردِّد أبداً الأشياء عينها بالكلمات نفسها(٣١) إلى درجة أنّ أيّ شخص أحمق وقليل التجربة يمكنه أن يشعر بأنّه ميّال ليسخر منه. لكن مَن يرى التمثال النصفيّ مفتوحاً وينعم النظر في داخله، سيجد أنّ كلمات سقراط هي الكلمات الوحيدة التي تمتلك معنىً، وهي الأكثر إلهية أيضاً. إنّها الكلمات الزاخرة بصور الفضيلة الجميلة وبالإدراك والمعرفة الأرحب والأشمل، أو على الأصحّ أنّها تشمل كلّ شيء يجب أن يتذكّره إنسان إذا ما كان عليه أن يصبح إنساناً ذا جلال وشرف.

إنّ هذا الذي قلته، يا أصدقائي، هو ثنائي على سقراط. إنّني أضفت لومي له لمعاملته السيّئة التي عاملني بها. وهو لم يعاملني لوحدي هكذا، بل عامل كارميدس بن غلوكون، ويوثيديموس بن ديوكليس، وعديداً من الآخرين بالطريقة عينها - مبتدئاً كصديقٍ محبٍّ لهم، وانتهى مختالاً بجعلهم يوجِّهون كلامهم له. لذلك أقول لك، يا أغاثون، « لا تُخدع به، تعلّم منّي واقبل التحذير، ولا تكن غبيّاً وتعلّم بالخبرة، كما يقول المثل ».

حينما انتهى ألسيبيادس من كلامه، سُرّ الجميع من صراحته لأنّه بدا أنّه لا يزال يحبّ سقراط. إنّك رزين وغير ثمل، يا ألسيبيادس قال سقراط، أو أنّك لم تكن لتذهب لهكذا بعدٍ أبداً بشأن إخفاء قصدك من ثناءات

الساطير، لأنّ كلّ هذه القصّة الطويلة التي رويتها هي إسهاب حاذق فقط تدخل نقطتها الرئيسية في النهاية وبالمناسبة؛ تريد أن تهيّىء لنزاعٍ بيني وبين أغاثون، وما نيّتك إلاّ أنّه يجب عليّ أن أحبّك فقط وأن لا أحبّ أيّ شخصٍ آخر، وأنكّ أنت، وأنت فقط الذي ينبغي أن تُحبّ أغاثون. لكن المؤامرة لهذه المسرحيّة الساطيرية أو السيلينيكيّة قد كُشِفت، وأنت، يا أغاثون، يلزمك أن لا تسمح له بأن يسجّل نجاحاً في خطته، وأن يوقعنا في الخلاف.

أغاثون: أعتقد بأنّك محقّ. وهكذا فإنّني أستنتج من الطريقة التي وضع نفسه فيها بيني وبينك بقصد فصلنا وتفرقتنا؛ لكنّه لن يربح شيئاً بتلك الحركة، لأنّني سأذهب وأستلقي على الأريكة بجانبك.

سقراط: نعم، نعم، تعالَ إلى هنا مهما كلّف الأمر واستلقِ على الأريكة المقابلة لي.

ألسيبيادس: واحسرتاه! كيف يمضي هذا الإنسان في اضطهادي؛ إنّه مصمم على الحصول على الأفضل منّي في كل دورة. ألتمس منك، إسمح لأغاثون أن يستلقي بيننا على الأقلّ.

سقراط: لا بالتأكيد، بما أنّك أثنيت عليّ، ويلزمني أن أطري على جاري الجالس إلى يميني بالمقابل، لأنّه سيكون فوضوياً في مدحي مرّة ثانية عندما يلزمه أن يكون ممدوحاً بي، ويجب عليّ أن أستعطفك لتقبل بهذا وأن لا تكون غيوراً. فلديَّ رغبة كبيرة لأن أمدح الشباب.

أغاثون: هوراه! إنّني لا أستطيع البقاء هنا على الأرجح،يا ألسيبيادس؛ ينبغي أن أتحرّك في الحال، كي يمكنني أن أكسب ثناء سقراط.

وقف أغاثون كي يمكنه أن يأخذ مكانه على الأريكة بجانب سقراط، حينما دخلت عصبة كبيرة من القاصفين، وأفسدوا نظام الوليمة. وبما أنّ شخصاً ما من الحاضرين ذهب إلى المخرج وترك الباب مفتوحاً لذلك تسنّى لهم الدخول، وجعلوا أنفسهم وكأنّهم في بيتهم. وتلا دخولهم ارتباكٌ كبير،

وأُجبر كلٌّ شخص على أن يشرب مقادير كبيرة من النبيذ. قال أريستوديموس، إنَّ ألسيبيادس، فايدروس، والآخرين خرجوا، أمّا هو فقد استسلم للنوم. وبما أنّ الليالي كانت طويلة فقد أخذ قسطاً من الراحة لا بأس به، ثمّ أيقظه قرب طلوع الفجر صياح الديوك. وعندما استيقظ، كان الآخرون، إمّا نائمين، أو أنهم تركوا المكان؛ بقي سقراط هناك فقط، أما أريسطوفان، وأغاثون، اللذين شربا من طاسٍ كبير أداراه على الحاضرين، فكان سقراط يحادثهما. كان أريستوديموس نصف مستيقظٍ فقط، ولم يسمع بداية المحادثة؛ أمّا الشيء الرئيسي الذي تذكّره فكان إجبار سقراط الاثنين الآخرين كي يعترفا أنّ الصفة المميّزة للملهاة هي الشيء عينه التي للمأساة، وأنّ الفنّان الحقيقي في المأساة هو فنان في الملهاة أيضاً. كانا مكرهين على الإعتراف بذلك، كونهما يتملّكهما النعاس. وقبل كلّ شيء فإنّ أريسطوفان غلبه النعاس، وتبعه أغاثون بعدئذ وكان النهار طالعاً في ذلك الحين. بعد أن رآهما سقراط مستغرقين في النوم، تركهما وانصرف؛ وتبعه أريستوديموس، كما كان أسلوبه في ذلك. استحمَّ سقراط في حمّام قاعة المناقشات العامة، وأمضى اليوم كالمعتاد، وفي المساء خلا إلى نفسه كي يرتاح في بيته الخاص.

محاورة هيبياس الكبرى

ماهية الجمال

أفكار المحاورة الرئيسية

يشرح هيبياس السوفسطائي، الذي يرحب به سقراط، يشرح لسقراط سبب غيابه الطويل عن أثينا، ذلك أن بلاده إليس انتدبته كسفير لها في البلدان الأجنبية كي يحسم القضايا ويوطّد الأمور المعلقة بينهما. يسأله سقراط قائلاً: يا هيبياس، ما هو الشيء الذي يجب أن يفعله الإنسان كي يكون إنساناً كاملاً، وأنت الرجل الكفؤ والقادر أن تجيب على سؤال دقيق كهذا السؤال، وكذلك ما هو السبب الذي من أجله لم يأخذ رجالنا الكبار البارزين أيّ دورٍ في السياسات؟ يجيبه هيبياس على كلا السؤالين قائلاً: إنّ سبب ذلك، يا سقراط، هو عجزهم وقلّة مؤهّلاتهم وافتقارهم في نقل حكمتهم إلى منطقتي الحياة الخاصّة والعامّة منها، وذلك بواسطة فنّ السوفسطائيّ الذي هو فنّ الفصالة والبلاغة الذي يغدق على فاعله المال الوفير. وهذا هو ما حقّقته أنا بالفعل في صقلية واسبرطة ولاقيدايمونيا وغيرها من البلدان. لكنّني لم أستطع في لاقيدايمونيا أن أدعهم يستمعون إلى تاليمي كما يجب، غير أنّي أقدر أن أقول بأنّهم يبتهجون لعمل الأنساب التي تخصّ الأبطال والرجال، ويفرحون لسماع قصص تأسيس المدن في الأزمنة الغابرة، ويُسرّون لكلّ الأطروحات المختصّة بالآثار القديمة والتراث الأدبي الموروث. بيّنت لهم كذلك كيف يستطيع الشابّ الفتيّ أن يؤدّي الممارسات الشريفة والجميلة والتي يجب أن يكرّس نفسه لها.

قال سقراط: ذكّرتني، يا هيبياس، باجتماع حدث أن عقدته مع صديق قديم،

وأدنت حينها بعضَ الأشياء في تأليفاتٍ محدَّدة لأنّها قبيحة، وأثنيت على الأخرى لأنها جميلة. أربكني شخصٌ ما بعدئذ عندما سألني: « كيف تعرف، يا سقراط، أن بعض الأشياء تكون جميلة وبعضها قبيحة، أخبرني ما هو الجمال؟ ». إحترت في إعطائه جواباً على هذا السؤال لعدم كفاءَتي، وهكذا تركت المجموعة، وكنت غاضباً من نفسي لائماً لها، وقطعت على نفسي وعداً بأنّي عندما أتقابل معكم أيّها الرجال الحكماء، فإنّني سأستمع لكم وأتعلّم منكم. وهذه هي اللحظة المناسبة التي سأسألك فيها أن تعلمني بشكل مناسب، ما هو الجمال بذاته، وأرجوك أن تجيبني على أسئلتي بالدقّة القصوى الموجودة لديك، وما هذا الذي ستشرحه إلاّ فضْلةٌ عن علمك الضخم الفسيح.

فضلةٌ حقاً، يا سقراط، وليست بذات قيمة، أجابه هيبياس.

قال سقراط: أجبني على سؤالي إذن، وسأقوم بدور الناقد ولسوف أحصل على فهم أرسخ وأوطد للذي أتعلمه منك بهذه الطريقة. والآن قل لي، ما هو الجمال؟

أجابه هيبياس: أقول لك، يا سقراط، بأن العذراء الجميلة هي الجمال، وأن الذهب هو الجمال، والمال هو أن يكون الإنسان غنياً معافىً يكرمه اليونانيون، حتّى يصل إلى سنّ الشيخوخة، وأن يدفن آباءَه بنبل، وأن يُحمل هو نفسه إلى القبر تحفُّ به المراسم المهيبة التي يقيمها له أولاده.

لكنّني طلبت منك، يا هيبياس، أن تخبرني ما هو الجمال بذاته، ذلك الذي يعطي الصفة المميِّزة لكون كلّ شيء جميلاً، والذي يضاف إلى هذا الجمال، ولم أسألك ما هو الجميل؟

أجيبك، يا سقراط، أنّ الجمال هو المناسب، أعني ذلك الذي يجعل الأشياء تظهر جميلة.

لكن بعد أن ثبت بالبرهان الجليّ، أنّ كلّ التعريفات التي أعطيتها للجمال، يا هيبياس، قد نُقضت وسقطت منطقياً، فماذا يبقى؟ أقول لك، يا صديقي، يجب

أن لا نتوقّف عن المحاولة. لا يزال عندي نوعٌ من الأمل في أنَّ طبيعة الجمال سوف تكشف نفسها.

أؤكّد لك، يا سقراط، إذن، أنّ النافع الذي يمتلك القوة كي ينجز هدفه المحدَّد هو الجمال، وهذه القوة هي الأكثر جمالاً في الشؤون السياسيَّة بشكل عامّ، وفي داخل مدينة الإنسان الخاصة، وفي المحاكم القانونيَّة، والافتقار لهذه القوّة هو الأكثر قبحاً وخزياً.

لكن بعد أن أخفقت كلُّ التعريفات التي بحثناها لتعريف الجمال، تعتقد، يا هيبياس، أنّ الجمال هو السارّ الذي يأتي بواسطة حاسّتي البصر والسّمع؟ نعم، نعم، إنّه لكذلك، يا سقراط.

وهكذا، فإنّنا فشلنا بعد البحث الدقيق والمنطقيّ والمستفيض، يا هيبياس، ولم نحصل على الخير الذي توخيناه من حوارنا، وهو تعريف الجمال، لكنّني أُعجب إعجاباً كبيراً بالمثل الذي يقول « كلّ جميلٍ صعبٌ ».

محاورة هيبياس الكبرى

ماهية الجمال

أشخاص المحاورة

هيبياس سقراط

سقراط: إنّه هيبياس الجميل والعاقل! لقد مضى طويل وقت قبل أن تأتي لتلقي رحالك هنا في أثينا!

هيبياس: لم يكن لديّ متّسع من الوقت كي آتي إلى هنا، يا سقراط. إن إليس تنظر إليّ وكأنّني أفضل القضاة والمقرّرين لأيّ شيء يتعلق بالحكومات، وهكذا فإنّ لي الخيار الأوّل لأكون سفيراً لها من بين مواطنيها على الدوام، وذلك عندما يكون لديها أعمال لتوطّدها ومسائل لتحسمها مع الدول الأخرى. إنّني ذهبتُ بمهمات كهذه إلى دول مختلفة، لكن أكثر ذهابي كان إلى لاقيدايومونيا، ومن أجل المواضيع الأكثر أهميّةً وتعداداً. ذلك هو الجواب على سؤالك لماذا لا أكون إلا نادراً في هذا الجزء من العالم.

سقراط: ومع ذلك، يا هيبياس، ما هو الشيء الذي ينبغي أن يفعله الإنسان ليكون إنساناً كاملاً، بالإضافة إلى كونه إنساناً حكيماً أيضاً!؟ وبما أنّك شخص خاص، فإنّ مواهبك قد أغدقت عليك مقداراً عظيماً من المال دفعه الشباب، وبالمقابل فأنت تمنحهم منافع أعظم من ذلك؛ تستطيع أن تقوم بأعمال جيّدة لبلادك في الشؤون العامّة، مرّة ثانية، وهذا هو الطريق والأسلوب لتتفادى الاحتقار وتفوز بالتقدير الشعبيّ. وبرغم ذلك فإنّني أتعجّب لأيّ سبب ممكن

جعلت الشخصيّات البارزة للزمن الماضي الذين اشتهروا بحكمتهم - كبيتاكوس وبياس ومدرسة طاليس من ميليتوس، وكذلك الشخصيات الأخرى الأقرب من زمننا الذي نحن فيه، نزولاً إلى أناكساغوراس - أقول، لماذا كلّ هؤلاء أو أكثرهم اعتادوا أن لا يأخذوا دوراً نشيطاً في السياسات بوضوح؟

هيبياس: أيّ سبب تفترض لهذه ما عدا العجز وقلّة المؤهّلات والافتقار للقوّة كي ينقلوا حكمتهم إلى منطقتي الحياة كليهما، العامّة منها والخاصة على حدٍّ سواء.

سقراط: إذن يجب أن نكون محقّين في القول، وهو كما أنّ الفنون الأخرى تقدّمت إلى درجة أصبح معها عمال الزمن الماضي سيّئين بالنّسبة للمعاصرين، هكذا فإنّ فنّك الذي هو فن السوفسطائيّ، تعزّز حتّى لم يعد باستطاعة الفلاسفة الأقدمين الوقوف بالمقارنة معك ومع رفاقك؟

هيبياس: حقيقيّ بالكامل.

سقراط: وهكذا إنْ عاد بياس إلى الحياة مرّةً ثانية لمنفعتنا، فإنّه سيكون موضع سخريّة الناس إذا قُورن بمستواك، تماماً بقدر ما سيبدو دايدالوس للنحّاتين غبيّاً إذا ما وُلد الآن وأنتج ذلك النوع من الأعمال التّي أعطته شهرته الواسعة.

هيبياس: بالضّبط، يا سقراط. على كلّ حال، فإنني أثني أنا نفسي على أسلافنا من الأجيال السابقة بشكل أعتياديّ أكثر مما اثني على الذين نعاصرهم لأنّني بينما أحترس من حسد الأحياء، فإنّني أخشى من حَنَقِ الأموات.

سقراط: إنّ ما قلته جيّد جداً، يا هيبياس، إنّه جيّد جدّاً في الأسلوب وفي الوجدان كليهما؛ وإنّني لقادر على أن أدعم تقريرك بشهادتي الخاصة وهي أنّ فنك قد حقّق تقدّماً نحو ضمّ العمل العامّ بالملاحقات الخاصة. إنّ جورجياس البارز، سوفسطائيّ مدينة ليونتيني، أتى إلى هنا في بعثة رسميّة، واختيرَ لأنّه

كان أقدر رجل دولةٍ في مدينته، وتكلّم أمام الجمعية العمومية بأعظم فصاحة وبلاغة، وبإجماع عامّ وبكفاءَة خاصّة به، وذلك بإعطاء الشروح والأدلّة للشباب والاجتماع معهم. إنه كسب وأخذ معه مقداراً كبيراً من مال الأثينيين، أو مرّة ثانية، هناك صديقنا المميّز بروديكوس. لقد كان هو في أثينا غالباً لإنهاء أعمالٍ عامّة قادماً من سيوس؛ وآخر مرّة وصل إليها في بعثة كهذه منذ فترة قصيرة. إنّه حاز إعجاباً كثيراً لبلاغته وفصاحته عندما تحدّث أمام مجلس الشورى، وكشخصيّة خاصة أيضاً فإنّه جمع مقداراً مذهلاً من المال بإعطائه شروحاً وأدلّة للشباب، والسماح لهم برفقته. لا أحد من رجال ذلك الزمن الماضي العظام رأى مناسباً أن يفرض مالاً لقاء حكمته، أو أن يعطي شروحاً وأدلّة عليها لكلّ الحاضرين والمستمعين؛ إنّهم كانوا بسطاء جدّاً كي يدركوا الأهميّة الهائلة للمال، وكسب كلّ من الرجلين الاثنين اللذين ذكرتهما من حكمته أكثر ممّا كسب أيّ صانع ماهر آخر من فنّه، أيّاً كان؛ وهكذا فعل بروتاغوراس قبلهما.

هيبياس: يا سقراط، أنت لا تعرف أيّ شيء عن المفاتن الحقيقية لهذا العمل. إذا أخبرتك كم ربحت أنا، فإنّك ستُصاب بالذهول. لآخذ حالة واحدة فقط: ذهبت مرّة إلى صقلية وكان بروتاغوراس يعيش هناك، وقد حاز صيتاً عظيماً، وكان أكبر مني سنّاً بكثير؛ وبرغم ذلك فإنّني جمعت أكثر من ١٥٠ ميناس. وعندما عدت إلى بلدي حاملاً المال أعطيته لأبي، ولقد صغّرته ومواطنيه وبدّلتهم إلى حالة من الذهول المدهش. أشعر بأنّي حصلت على مالٍ أكثر من أيٍّ من السوفسطائيّيْن اللذين تحبّ أن تذكرهما بكلّ تأكيد.

سقراط: يا له من شيء مشرّف، ويا لها من شهادة فعّالة عن حكمتك الخاصّة وحكمة معاصرينا، وسموّهم العظيم على رجال الأزمنة الماضية! وطبقاً

لتعليلك وتقريرك، فإنّ المفكّرين الغابرين كانوا غارقين في ظلمات الجهل. قيل إنّ حظ أناكساغوراس وقدره قد كان عكس ما هو لك بالضبط، لأنّه عندما ورث ثروة كبيرة، أهملها وخسرها كلّها. غبيّةً كانت حكمته! وحُكيت القصّة عينُها عن الرجال البارزين العظماء الآخرين للأجيال السابقة. أعترف بأنّ نجاحك هو برهان جيّد عن حكمة الجيل الحاضر عندما يُقارن بما سبقه من أجيال، وإنّها لعاطفة شعبية وهي أنّ الإنسان الحكيم يجب أن يكون حكيماً لنفسه فوق الجميع؛ والمقياس لهكذا حكمة في النهاية هو القدرة على تحصيل أكبر مقدارٍ من المال. حسناً، لنقف عند هذا الحد. وبعدُ قل لي، في أيّة مدينة من بين كلّ المدن التي زرتها جمّعت المال الأكثر؟ أفترض أنّك حصلت منه على الكمية الأكثر في لاقيدايمونيا التي زرتها أكثر من غيرها غالباً؟

هيبياس: لا بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: حقّاً؟ هل حصلت هناك على المال الأقلّ؟

هيبياس: إنّني لم أحصل على المال هناك قطّ على الإطلاق.

سقراط. أيّ شيء غريب حقاً! إذن أليست حكمتك مناسِبة لأن يتقدّم طلابها وزملاؤها في الفضيلة؟

هيبياس: إنّها هكذا إلى حد بعيد.

سقراط: إذن كانت لديك المقدرة كي تحسّن أبناء الدينيسياتز، وليس أولاد الاسبرطيين؟

هيبياس: لا، إنّ هذا خطأ تماماً.

سقراط: حسناً إذن، أصحيح أنّ السيسيليان يرغبون في أن يصبحوا رجالاً أفضل، بينما لا يتمنى اللاقيدايمونيون ذلك؟

هيبياس: بدون شكّ، يا سقراط، إنّ اللاقيدايمونيين يتوقون إليها أيضاً.

سقراط: أكان سببُ ابتعادهم عن رفقتك حاجتهم للمالِ إذن؟

هيبياس: ليس ذلك مطلقاً، إنّهم يمتلكون المال بوفرة.

سقراط: إذا تاقوا لرفقتك إذن، وكان لديهم مال، وكنت أنت قادراً على أن تمنحهم الفوائد الأعظم، فما هو السبب الذي من أجله لم يرسلوك محمّلاً بأوراقٍ نقديّة؟ خطرت لي فكرة، يمكن أن يكون اللاقيدايموتيّون يعلّمون أطفالهم أفضل ممّا ستفعل أنت؟ هل هذه الخطة هي خطّتنا العامّة، وهل توافق عليها أنت؟

هيبياس: ليس في الأقل.

سقراط: إذن لم يكن باستطاعتك إقناع شباب اسبرطة أنّهم في عشرتهم لك سيحرزون تقدماً باتّجاه الفضيلة أكثر من صحبتهم لشعبهم الخاصّ؟ أو، بدل ذلك، ألم تستطع أن تقنع آباءهم بأنّهم لو كانوا يريدون الاعتناء بأبنائهم لسلّموك إياهم، بدلاً من أن يقوهم في رعايتهم الخاصّة؟ لا أقدر أن أتصوّر بأنّهم ضنّوا على أطفالهم بالحصول على أعلى فضيلة ممكنة؟

هيبياس: لا، لا أفترض أنّهم ضنّوا عليهم بذلك.

سقراط: لكن لاقيدايمونيا تمتلك قوانين جيدة.

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: وفي الدول التي لديها قوانين جيدة، تبقى الفضيلة في أعلى قمّة الشرف والتكريم؟

هيبياس: هكذا تماماً.

سقراط: وتعرف أفضل من أيّ شخص آخر كيف ستنقلها إلى الآخرين؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: حسناً والآن، أليست ثيسالي الجزء اليوناني الذي فيه أمهر إنسان بتعليم فنّ الفروسيّة، وسيكون هذا الإنسان الإنسانَ المبجّل الأكثر سموّاً وسيكسب

المال الأكثر. أولاً ينطبق الشيء عينه على أيّة بلاد أجنبيّة حيث يُلاحق ذلك الفنّ بحماس؟

هيبياس: أفترض ذلك.

سقراط: إذن أليست لاقيديمونيا، أو أيّة دولة يونانية أخرى عندها قوانين جيدة، أليست المكان المناسب لوجود الإنسان الأكثر قيمة والذي يستطيع أن ينقل المعرفة لترقية الفضيلة، وستكون الدولة المبجّلة الأكثر علوّا، وإذا ما اختار هو سيكسب المال الأكثر؟ ألا تعتقد أنّ صقلية واينيكوس هما أفضل مكانين؟ هل ستصدّق هذا، يا هيبياس؟ إن قلت ذلك، يجب علينا أن نصدّق ما تقول.

هيبياس: إن العُرف السَلَفيّ يمنع اللاقيدايمونيين من أن يغيّروا قوانينهم، أو أن يلقّنوا أبناءهم تعليماً مختلفاً عن المألوف.

سقراط: ماذا! هل يحتاج العرف السَلَفيّ للاقيدايمونيين أن يرتكبوا الخطأ بدل أن يفعلوا الفعل الصحيح؟

هيبياس: عليّ أن أقول لا، يا سقراط.

سقراط: ألن يفعلوا الصواب بإعطاء رجالهم الشباب أفضل تعليم يكمن في قوّتهم؟

هيبياس: بالتأكيد، لكنّه شيء غير شرعيّ لهم أن يمنحوهم نوعاً غريباً من التعليم؛ يمكنك أن تكون متأكّداً أنّه إذا ما تمكنّ أيّ شخص من كسب المال هناك، فما كَسْبُهُ هذا إلاّ بالتعليم. إنّني كنت سأكسب المال هناك أكثر من كسبه في أيّ مكان آخر، لأنّ الناس كانوا سيستمعون إليّ باستمتاع ويقابلونني بالتصفيق. لكن كما قلت، إنّ القانون هناك لا يسمح بذلك.

سقراط: هل ستقول بأنّ القانون يكون ضرراً للدولة، أو منفعة؟

هيبياس: إنّه مسنون، وأنا أقبل به إذا سُنّ بقصد المنفعة، لكنّه يقول بالضرر القاطع إذا سُنّ بشكل سيّء بعض المرّات.

سقراط: لكن المشرّعين يسنّون القوانين بالتأكيد على فرضيّته أنّ سنّها مبدأٌ صالحٌ للدولة؛ وأنّ ذلك العمل مستحيلٌ بدون دولة صالحة ومنظّمة تنظيماً جيداً؟

هيبياس: صدقاً.

سقراط: وإذ ذاك، سيقصّر المشرّعون عن إدراك الخير، ولهذا السبب سيفوتهم القانون وتهجرهم الشرعيّة، فماذا تقول؟

هيبياس: متكلّماً بدقة، يا سقراط، إنّها هكذا؛ لكنّ الجنس البشريّ ليس معتاداً ليضعها بتلك الطريقة.

سقراط: الرجال الذين يعرفون، أو أولئك الذين لا يعرفون؟

هيبياس: السواد الأعظم من الناس.

سقراط: وهل هذا السواد الأعظم مؤلّف من الرجال الذين يعرفون الحقيقة؟

هيبياس: لا بالتأكيد.

سقراط: لكنّني أفترض على كلّ حال أنّ أولئك الذين يعرفون، يؤكّدون أنّ الشيء الأكثر نفعاً في الحقيقة هو الأكثر قانونيّة لكلّ الرجال من الشيء الأقل نفعاً. ألا توافق على هذا؟

هيبياس: نعم، إنّني أوافق. إنّها لكذلك في الحقيقة.

سقراط: إذن فالحقيقية المحضة تكون كما يؤكّدها أولئك الذين يعرفون؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: أنت تثبت أنها أكثر فائدة للاّقيدايمونيين كي يتثقّفوا بتعليمك، وهو تعليم غريب، بدلاً من شكل وصيغة تعليمهم الوطنيّ؟

هيبياس: نعم، وإنّني لمحقّ.

سقراط: والذي يكون أكثر نفعاً هو أكثر قانونيّة ـ تؤكّد هذا أيضاً، يا هيبياس؟

هيبياس: إنّني قلت ذلك.

سقراط: إذن، وبناء على محاورتك فإنّه أكثر قانونيّة أن يثقف هيبياس الأبناء

اللاقيدايمونيين، وأقلّ قانونية لهم أن يثقّفهم آباؤهم، هذا إذا كانوا سيحصلون على نفع منك أكثر في الحقيقة؟

هيبياس: إنّهم سيحصلون على نفع منّي بكلّ تأكيد.

سقراط: إذن فإنّ اللاقدايمونيين يخرقون القوانين بعدم ائتمانك على أبنائهم والدفع بسخاء مقابل ذلك؟

هيبياس: إنّني أوافق؛ بما أنّك تظهر مجادلاً لقضيتي، ولا أرى سبباً من أجله سأعارض ما تقول.

سقراط: إذن، يا صديقي، يبرهن اللاقيدايمونيون بأنّهم خارقون للقانون، ومجافون له في المسائل الأكثر حيويّة، وهُمُ الشعب المشهور جدّاً بأنّه الأكثر تمسّكاً بالقانون. بآسم السّماء، يا هيبياس، بأيِّ نوع من المواضيع استمعوا إليك بسرورٍ واستسحانٍ وتهليل كهذا؟ يجب أن يكون واحداً ذلك الموضوع الذي تكون فيه مجلياً بوضوح، كموضوع النجوم والظواهر الفلكيّة؟

هيبياس: ليس في الأقلّ، إنّهم لا يتحمّلون ذلك.

سقراط: إذن فهم يحبّون أن يسمعوك تتكلّم عن علم الهندسة؟

هيبياس: ليس مطلقاً؛ إنّ العديد منهم لا يعرفون كيف يحسبون، إذا جاز التعبير.

سقراط: إذن فهم يجب أن يكونوا أبعد من جمهورٍ مستمعٍ يقدّر الشيء حقّ قدره عندما تكلّمهم عن الحساب؟

هيبياس: بعيدون جدّاً حقاً.

سقراط: حسناً إذن، ماذا عن المسائل التي تعرفها أنت أكثر ممّا يعرفها كلّ الرجال وهي كيف تحلّل ـ خاصيّات الحروف ومقاطع الكلمات والأوزان والإيقاعات؟

هيبياس: يا سيدي العزيز! إيقاعات وحروف حقاً!

سقراط: ما هي المواضيع التي يستمعون إليك فيها بسرورٍ وتصفيق وإستحسان إذن؟ صلِّ، نوِّرني؛ إنّني لا أستطيع أن أرى.

هيبياس: إنّهم يبتهجون بعلم أنساب الأبطال والرجال عند سماعها، وبقصص تأسيس المدن في الأزمنة القديمة. ولنضع ذلك بشكل مختصر، هم يسرُّون لكلّ الأشكال المختصّة بالآثار القديمة والتراث الأدبيّ الموروث؛ وهكذا فإنّني قد أجبر، بسببهم على اكتساب فهم كامل وضلاعة بكل ذلك الفرع من فروع التعليم.

سقراط: بارِكْ روحي، إنّك قد كنت محظوظاً في أنّ اللاقيدايمونيين لا يريدون أن يسمعوا الرواية القائمة لحكّامنا الأوّلين المتعاقبين، ابتداءً بصولون فنزولاً؛ لأنّك كنت ستواجه بعض الصعوبة كي تتعلّمها.

هيبياس: لماذا؟ إنّني أستطيع ترديد خمسين إسماً بعد سماعها لمرّة واحدة.

سقراط: إنّني متأسّف. لقد نسيت الشيء الذي يخصّ فنّك لتقوية الذاكرة(٣٢). والآن فإنّني أفهم كيف يتمتّع اللاقيدايمونيون بمعرفتك المتنوّعة بشكل طبيعيّ، ويعاملونك كما يعامل الأطفال النساء المسنّات، كي تخبرهم قصصاً لطيفة.

هيبياس: نعم، حقاً؛ وأكثر من ذلك، يا سقراط، فإنّني كسبت أخيراً سمعة كبيرة هناك بتبيين الممارسات الجميلة والشريفة بالتفصيل، والتي يجب أن يكرّس الإنسان الفنّي نفسه لها. إنّني ألّفت مقالة عن هذا الموضوع، وهو عمل جميل مميّز بالأسلوب الفاتن هذا بين امتلاكه جدارات أخرى. أمّا ترتيبه وتصديره فهو مثل ذلك: بعد سقوط طروادة، سأل نيوبتوليموس نيستور: ما هي الممارسات الشريفة والجميلة التي يجب أن يكرّس الإنسان نفسه لها خلال شبابه كي يكسب الامتياز الأسمى؟ وحين جاء دور نيستور كي يتكلّم اقترح له أرقاماً كبيرة من قواعد الحياة الممتازة. ألقيتُ هذه المحاضرة في اسبارطة، وبناء على طلب من يوديكوس بن ابيمنتوس، فإنّي سألقيها هنا، ومحاضرات أخرى جديرة بأن تُسمع، سألقيها في غرفة مدرسة فيادوستراتوس، يوم بعد غد. من فضلك أكد لي أن تأتي بنفسك لسماعها، وأن تحضر معك ناقدين آخرين جيدين لهكذا أطروحات.

سقراط: بالتأكيد، يا هيبياس، الكلّ سيكونون سعداء بهكذا لقاء. لكن أجبني الآن على سؤال غير هامّ يخصّ هذا الموضوع؛ إنّك ذكرّتني به في اللحظة المناسبة، منذ زمن قريب جداً. يا صديقي النبيل، عندما أَدَنتُ بعض الأشياء في تأليفات محدَّدة لأنّها قبيحة، وأثنيت على الأخرى لأنّها جميلة، أربكني شخص ما باستجوابي بأسلوب هو الأعنف في هجومه، وبهذا الانطباع إلى حدّ ما قال: « أنت، يا سقراط، صلِّ، كيف تعرف أيّ الأشياء تكون جميلة وأيّها تكون قبيحة؟ تعال الآن، أخبرني ما هو الجمال؟ إنّني تحيَّرت في عدم كفاءتي، ولم أستطع أن أجد أيّ جواب مناسب لأعطيه. وهكذا، تركت المجموعة، وكنت ممتلئاً غضباً ولوماً لنفسي، وقطعت على نفسي وعداً بأني عندما أقابل أحدكم أيها الرجال الحكماء للمرة الأولى، فإنّني سأستمع وأتعلمّ. وعندما أُصبح سيّداً لدرسي بشكل كامل، سأعود إلى سائلي وألتحم معه في معركة. وهكذا فأنت ترى أنّك أتيت في لحظة مناسبة جميلة، وأنا أسألك كي تعلمني بشكل لائق ما هو الجمال بنفسه، وأرغب منك أن تجيبني على أسئلتي بالدقّة القصوى التي تستطيع أن تنالها. إنّني لا أريد أن أكون مهيّأً لأبدو غبيّاً لمستنطقٍ آخر، مرّةً ثانية. إنّك تعرف ما أعني بشكل تامّ طبعاً، وما هذا الذي ستقدّمه إلاّ فضْلةً من علمك الضخم الفسيح.

هيبياس: فضْلةٌ حقاً، يا سقراط؛ وليست بذات قيمة، يمكنني أن أضيف إلى ذلك.

سقراط: إذن فإنّني سأناله بدون شكّ، ولن يربكني أيّ شخص مرّة ثانية.

هيبياس: لا أحد سيستطيع ذلك على الإطلاق، إن لم أكن أخرقَ وتعوزني البراعة في علمي.

سقراط: مرحى، يا هيبياس، كم هو سنيٌّ ورائع، إنّ هَزَمْنا الخصم! هل سيكون إزعاجاً لك إذا مثّلت دوز بديله الجاهز وأوثقت إجاباتك باعتراضاتي، هكذا كي يمكنك أن تضعني في ثنايا تمرين نشيط ما؟ إنّ لديّ كميّةً من الخبرة لا

بأس بها عن اعتراضاته. إذا كان هذا لا يسبب لك فرقاً إذن، فإنّني سأحبّ أن ألعب دور الناقد؛ وسوف أحصل بهذه الطريقة على فهم أرسخ وأوطد للّذي أتعلّمه.

هيبياس: بالتأكيد، ما هي انتقاداتك؟ وكما قلت لك لتوّي، يمكنني أن أعلّمك لتستطيع الإجابة على أسئلة أكثر صعوبة بكثير، بقوة حجة كهذه وقدرة على الإقناع لن يكون معها أيّ مخلوق إنساني قادراً على أن يفحمك.

سقراط: ما أعظم ذلك! حسناً الآن، دعني أنتحل هذا الدور بناءً على دعوتك بأفضل ما لديّ من مقدرة، وأحاول أن أستجوبك، إذا كنت سألقي خطاباً على من تشير إليه، والخطاب بشأن الممارسات الجميلة، فإنّه سيستمع لك إلى النهاية؛ وعند توقّفك، فإنّ السؤال الأوّل الذي سيطرحه بالتحديد سيكون سؤالاً بخصوص الجمال. إنّه سيقول: « أيها الغريب القادم من مدينة إليس أليس العادل عادلاً بالعدل »؟ كيف ستجيبه، يا هيبياس، كما لو سألك هذا السؤال؟

هيبياس: سأجيب أنّ العادل سيكون عادلاً بالعدل.

سقراط: إذن فإنّ هذا الشيء، المسمّى عدلاً، هو شيء ما بكلّ تأكيد.

هيبياس: بدون ريب.

سقراط: « مرّة ثانية، إنّ العقلاء هم عقلاء بالحكمة، وكل الأشياء هي خيّرة بالخير؟ ».

هيبياس: بدون شك.

سقراط: « ويكون ذلك، وبالأشياء الموجودة حقاً. ومن الصعب أن يستطيع شخص القول بأنّ ذلك يكون بالأشياء التي ليس لها وجود حقيقيّ؟ ».

هيبياس: هكذا تماماً.

سقراط: « إذن أليست الأشياء الجميلة جميلة بالجمال؟ ».

هيبياس: نعم، إنّها تكون كذلك بالجمال.

سقراط. « الجمال الذي يمتلك وجوداً حقيقيّاً؟ ».

هيبياس: نعم، أيّ شيء آخر تعتقد أنّه غيرٌ من ذلك؟

سقراط: « أخبرني إذن، أيّها الغريب »، سيقول هو، « ما هو هذا الشيء، الجمال؟ ».

هيبياس: يريد هو أن يكتشف ما الذي هو جميل تماماً بطرحه هذا السؤال؟

سقراط: إنّني لا أتصوّر ذلك، يا هيبياس، يريد أن يعرف الجمال وليس الجميل.

هيبياس: ما الفرق بينهما؟

سقراط: هل تعتقد بأنّه لا فرق بينهما؟

هيبياس: لا فرق.

سقراط: إنّك تعرف الأفضل بوضوح، يبقى، يا سيّدي العزيز، أنظر إلى السؤال مرّة ثانية؛ لا يسألك هو ما الجميل، بل ما هو الجمال؟

هيبياس: إنّني أفهم، يا سيّدي الصالح، وسأخبرك حقاً ما هو الجمال، متحدياً أيّ شخص أن ينقضني، يا سقراط. إذا وجب عليّ أن أتكلّم الحقيقة، فإنني أؤكّد لك أنّ العذراء الجميلة هي جمال.

سقراط: إنّه لجواب جميل، يا هيبياس، بناء على كلمتي ـ جواب معقول جداً. إذن انْ أعطيته أنا ذلك الجواب أكون قد أجبته على السؤال، وأجبت عليه بصحّة، وأستطيع أن أتحدّى أيّ شخص في أن ينقضني.

هيبياس: كيف يمكن نقضك عندما يظن أيّ شخص بالشيء عينه وسيشهد كلّ من يسمعك بأنّك محقّ فيما تقول؟

سقراط: هكذا تماماً، وبعدُ، يا هيبياس، دعني ألخّص لنفسي ما تقول. سيسألني ذلك الإنسان سؤالاً مثل هذا: « تعالَ، يا سقراط، أعطنيَ جواباً. لنعُد إلى أمثلتك عن الحمال، قل لي ماذا يجب أن يكون الجمال بنفسه. كن منظّماً

كي تشرح لماذا نستعمل الكلمة له ». وتريدني أنت أن أجيب أنّه إذا كانت العذراء الجميلة جمالاً، فإنّنا وجدنا لماذا كلُّ من يكون جميلاً يكون مؤهَّلاً لذلك الإسم؟

هيبياس: هل ستتصوّر أنّه سيحاول أن ينقضك حينئذ ببرهنة أنّك لم تذكر شيئاً جميلاً، أو إذا حاول ذلك فإنّه لن يبدو غبيّاً؟

سقراط: إنّني متأكّد، يا صديقي الغالي، من أنّه سيحاول أن ينقضني؛ سيبيِّن الحدث إذا ما كانت المحاولة ستجعله يبدو غبيّاً. لكن اسمح لي أن أخبرك ما سيقوله لي.

هيبياس: واصل، إذن.

سقراط: سيقول، « كم أنت فاتن، يا سقراط! أليست الفرس الجميلة جمالاً؟ إن الإلٰه ذاته أثنى على الجياد في وحيه » كيف سنجيب، يا هيبياس؟ ألا يجب أن نقول إنّ الفرس أيضاً، أو على الأقل الفرس الجميلة، تكون جمالاً؟ إنّه لمن التهوّر بمكان أن نفكّر أنّ الجمال يكون جميلاً.

هيبياس: حقيقيّ تماماً؛ يمكنني أن أضيف أنّ الإله أيضاً، تكلّم بصحّة تماماً؛ وهي أنّ الجياد التي نربّيها في بلادنا هي جميلة جدّاً.

سقراط: سيقول هو الآن، « جيّد جداً، لكن ماذا عن القيثارة الجميلة؟ أليست تلك جمالاً »؟ هل سنوافق نحن على هذا، يا هيبياس؟

هيبياس: نعم.

سقراط: حاكمين على ما سيقوله من شخصيته، فإنّني أشعر، بالتأكيد تقريباً، من أنّه سيواصل أسئلته بعدئذ ويقول: « ماذا عن القِدْرِ الجميلة، يا سيدي العزيز؟ أليست تلك جمالاً »؟

هيبياس: من هو هذا الشخص؟ ما هذا الشخص الفظّ، الّذي يجرؤ على أن يُدخل أمثلةً مبتذلة كهذه في البحث المهمّ؟

سقراط: إنّه شخص من ذلك النوع، يا هيبياس، الذي ليس مهذّباً. شخص عاديّ لا يهتم بشيء سوى الحقيقة، يبقى أن يُجابَ على أسئلته، وأعطيته أنا أجابتي الخاصّة بادىء ذي بدء؛ إذا كانت القِدْر من عمل الخزّاف الماهر، ناعمة الملمس ومستديرةً ومحمَّاةً جيداً على النار بشكل مناسب، مثل بعض القدور الجميلة التي قد رأيتها، ذات المسكتين الاثنتين التي تتّسع لستّ CHOES،(٣٣) إذا عاد ليسأل سؤالاً بخصوص القدر مثل ذلك، يجب علينا أن نعترف بأنّه يكون جميلاً. أنقدر على أن نؤكّد أنّ ما هو شيء جميل ليس جمالاً؟

هيبياس: لا، إننا لا نستطيع.

سقراط: سيقول هو: « حتّى أنَّ الإناء الجميل يكون جمالاً؟ » أجب من فضلك.

هيبياس: نعم، إنّني أفترض ذلك. حتّى أنّ هذا الوعاء يكون جميلاً عندما يُصنع بجمال، لكنّه لا يستحقّ أن يُعتبر جميلاً مقارنةً مع الحصان أو العذراء بشكل نوعيّ، أو بكلّ الأشياء الأخرى ذات الجمال.

سقراط: حسناً جدّاً. إنّني أفهم، يا هيبياس، أنّه حينما يطرح هذه الأسئلة عليّ أن أجيبه، « يا سيّد، إنّك لا تدرك الحقيقة الهيراقليطية القائلة بأنّ القرود الأكثر جمالاً هي قبيحة بالمقارنة مع السلالة البشرية؛ وأن القدور الأكثر جمالاً هي دميمة عند جمعها مع العذارى ـ هكذا يقول هيبياس الحكيم ». هذا صحيح؟

هيبياس: إنّه الجواب الحقيقيّ تماماً.

سقراط: وبعدُ سجّل كلماتي. إنّني متأكّد بأنّه سيقول بعدئذ، « نعم، يا سقراط، لكن إذا جُمعَت العذارى مع الآلهة، ألن تكون النتيجة الشيء عينه كما لو ضُمّت القدور مع العذارى؟ ألن تبدو العذارى الأكثر جمالاً قبيحة بهذه المقارنة؟ ألا يستخدم هيراقليطس، الذي تقدَّم، هذه الكلمات بالتحديد، « سيظهر أعقل الرجال ليس سوى قرد في الحكمة والجمال وفي كلّ شيء

آخر، عندما يُقارَن بالله »؟ هل سنعترف يا هيبياس بأنّ العذراء الأجمل تكون قبيحة بالمقارنة مع سلالة الآلهة؟

هيبياس: لا يستطيع أحد أن يكذّب ذلك، يا سقراط.

سقراط: إذا أدخلنا هذا الاعتراف إذن، فإنّه سيضحك ويقول، « يا سقراط، هل تتذكّر ما سألتك؟ » وسأجيبه « نعم، إنّني سُئلت ما هو الجمال بذاته ». وسيواصل هو السؤال، « إذن عندما تُسأل عن الجمال، فهل تعطي جواباً على هذا الذي تعترف أنت بأنّه لا يكون جميلاً أكثر ممّا يكون قبيحاً؟ » إنّي سأقول له « على ما يبدو » لكن بماذا تنصحني كي أجيب؟

هيبياس: كما أجبت، طبعاً إنّه سيكون محقّاً في القول بأنّ السلالة الإنسانيّة ليست جميلة بالمقارنة مع الآلهة.

سقراط: سيواصل هو القول، « إذا سألتك في البداية ما هو الجميل والقبيح كلاهما، وأجبتني أنت كما أجبتني الآن، أمَا كانت إجابتك صحيحة؟ لكن أما زلت تعتقد أنّ الجمال المطلق الذي بواسطته تكون كلّ الأشياء الأخرى منتظِمة ومنظَّمةً بالجمال، وتظهر جميلة عندما يضاف إليها شكل هذا الجمال الكليّ ونموذجه ـ ألا تزال تعتقد أنّ ذلك الجمال هو جمال العذراء، أو الحصان، أو القيثارة؟

هيبياس: لكن يبقى، يا سقراط، إذا كان هذا ما يريده هو، فإنّه الشيء الأسهل في العالم لتخبره ما هو الجمال الذي ينظّم كلّ الأشياء الأخرى في الجمال ويجعلها تظهر جميلة عند إضافته إليها. يجب أن يكون هذا الشخص غبيّاً تماماً، غير عارفٍ أيَّ شيء عن أشياء الجمال. إذا أجبته أنَّ هذا الذي يسأل عنه، أي الجمال، ليس شيئاً مغايراً للذهب، فإنّه سيكون محتاراً، ولن يحاول أن ينقضك لأنّي أفترض أنّنا كلنا نعرف بأنّ أيّ شيء يضاف الذهب إليه، سيظهر جميلاً، حتّى ولو أنّه بدا من قبلُ بشعاً.

هيبياس: ماذا تعني؟ يتعيّن عليه أن يقبل بالعرض الدقيق الذي نقدّمه، تحت طائلة عقوبة السخرية.

سقراط: حسناً، يا صديقي، إنّ جوابك هذا لن يرفض أن يقبله فقط، بل إنّه سيهزأ بي أيضاً بشكل رديء قائلاً: « أيّها الأحمق! هل تظنّ أن فايدياس فنان سيّىء »؟ افترض بأنّني سأجيب، « ليس في الأقل ».

هيبياس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: نعم، أعتقد هكذا. لكنّني عندما أوافق على أن يكون فايدياس فنّاناً كفوءاً، سيقول هو، « إذن هل تتوهّم أن فايدياس كان جاهلاً لهذا الجمال الذي تتكلّم عنه؟ » فإنّي سأجيب: « ما هي النقطة الرئيسيّة؟ » وسيواصل القول، « النقطة الرئيسية هي أنّه لم يهب لأثيناه عينين من ذهب، أو يستعمل ذهباً لبقيّة وجهها، أو ليديها، أو لقدميها، كما سيتعيّن عليه أن يعمل إذا كان من الممكن أن يعطي لها الجمال الأسمى باستعمال الذّهب. كيف سنجيبه عندئذ، يا هيبياس؟

هيبياس: إنّ الجواب سهل تماماً. سنجيبه أنّ فايدياس كان محقّاً من حيث الفنّ؛ وأنا أفترض أنّ العاج هو جميل أيضاً.

سقراط: سيقول: « لماذا إذن لم يصنع فايدياس مقلة العينين من العاج أيضاً، بل صنعها من الحجر، مكتشفاً أن الحجر يشبه العاج قدر الإمكان، أو هل يكون الحجر، الذي هو نفسه جميل، هل يكون جمالاً؟ هل سنقول له إنّه كذلك؟

هيبياس: نعم، إنّه يكون جميلاً عندما يكون مناسباً، على الأقلّ.

سقراط: « لكنّه يكون قبيحاً عندما لا يكون مناسباً؟ » هل سأوافق على كلامه؟

هيبياس: نعم عندما لا يكون ملائماً.

سقراط: سيواصل القول، « حسناً إذن، أوه يا رجل الحكمة، ألا يجعل العاج والذهب الشيء جميلاً عندما يكونان مناسبين، وقبيحاً حينما لا يكونان كذلك؟ » هل سننكر ما يقوله أو نعترف بأنّه محقّ فيه؟

هيبياس: إنّنا سوف نعترف على كلّ حال أنّ ما يكون ملائماً لشيء خاصّ مهما يكنْ، سيجعل ذلك الشيء جميلاً.

سقراط: سيستأنف كلامه قائلاً، « إذن عندما يغلي الإنسان القِدْر الذي تكلمّنا عنه، ويكون القدر الجميل هذا ممتلئاً بالحِساء، فما الأكثر ملاءَمة له: مِغْرَفةٌ من الذهب أو مِغْرَفةٌ من خشب التين؟ ».

هيبياس: يا له من مخلوق! حقّاً، يا سقراط، أخبرني من فضلك من هو.

سقراط: لن تعرفه إذا ما أخبرتك عن اسمه.

هيبياس: إنّني أعرف عنه بما فيه الكفاية في هذه اللحظة كي أنعته بالبَلَه.

سقراط: إنّه شخص مزعج هائل، يا هيبياس، يبقى، كيف سنجيبه على سؤاله؟ أيٌّ من المِغرفتين الاثنتين يتعيَّن علينا أن نختار على أنها ملائمة للحساء والقدر؟ إنّها المِغْرَفة ذات الخشب التيني بوضوح؟ لأنّها تعطي الحِسَاء رائحة أفضل، كما أفترض؛ وأكثر من ذلك، يا صديقي، فإنّها لن تكسر قدرنا وتدلق الحِساء وتخمد النار وتحرم ضيوفنا من صحن الحساء الممتاز عند الغداء، في حين أنّ المِغْرَفة الذهبيّة ستقوم بكلّ هذا. ولهذا السبب، إذا لم يكن لديك اعتراض، فإنّني أعتقد بأنه يلزمنا أن نقول إنَّ المِغْرَفة الخشبيّة هي أكثر ملاءَمة من المِغْرَفة الذهبيّة.

هيبياس: نعم، إنّها أكثر ملاءَمة؛ لكنّني لن أستمّر في التكلّم مع هذا الشخص إذا ما واصل طرح أسئلة كهذه.

سقراط: حقيقيّ تماماً، يا صديقي، إنّها لن تكون مناسِبةً لك كي تتلوّث بلغة كهذه، أنت ترتدي أحسن ما عندك من ثياب، وتحتذي حذاء جميلاً، وتشتهر بحكمتك في كلّ مكان من العالم اليوناني. لكنّي لا أهتم أنا إذا آختلطت بذلك الفتى رغم ما يصدر عنه؛ وهكذا خُصَّني بتعليمك وتثقيفك، وأجب على الأ. ملة من أجلي. سيقول هو، « إذا كانت المِغْرَفة الخشبية أكثر

ملاءَمة من المِغْرَفة الذهبيّة حقاً، ألن تكون أكثر جمالاً أيضاً، بما أنّك اعترفت، يا سقراط، أنّ المناسب يكون أكثر جمالاً من غير المناسب؟ ». هل نستطيع أن نتفادى الاعتراف أنّ المِغْرفة الخشبيَّة هي أكثر جمالاً من المغرفة الذهبيَّة؟

هيبياس: هل تريدني أن أعطيك تعريفاً للجمال تستطيع أن تنقذ نفسك بواسطته من محادثة مطوَّلة معه؟

سقراط: بالتأكيد، لكن من فضلك أخبرني بادىء ذي بدء عن المِغرفتين الإثنتين اللتين ذكرتهما لتوّي، أيّهما الأنسب وأيّهما الأكثر جمالاً؟

هيبياس: حسناً، إذا أجبت، أجبه أنّها المصنوعة من خشب التين.

سقراط: قل الآن ما اقترحت قوله منذ لحظة مضت؛ لأنّ تَتبُّعي لجوابك، وإذا قبلت بوجهة نظرك أنّ الجمال هو الذهب، فإنّني سأواجه الحقيقة على ما يبدو وهي أنّ الذهب ليس جميلاً أكثر من خشب التين. والآن، ما هو الجمال طبقاً لك، مرّةً ثانية؟

هيبياس: ستحوز جوابك، يا سقراط، وأعتقد بأنّك تبحث عن جواب ينسب إلى الجمال طبيعةً كهذه التي لن تبدو أبداً ذميمة لأي شخص وفي أيّ مكان؟

سقراط: بالضبط؛ إنّك أدركت معناي بشكل رائع.

هيبياس: والآن إصغِ إليَّ من فضلك؛ إذا ما استطاع أيّ شخص أن يجد أيّة غلطة فيما أقول، فإنّني آذَنُ لك أن تدعوني معتوهاً.

سقراط: إنّني قَلِق.

هيبياس: إنّني أؤكد إذّن على الدوام، في كل مكان، ولكلّ إنسان، أنّ الأكثر جمالاً هو أن يكون الإنسان غنيّاً، معافىً، يكرّمه اليونانيون، إلى أن يصل إلى سنّ الشيخوخة، ويدفن آباءه بنبل، وعلى أن يُحمل هو نفسه إلى القبر بمراسم مهيبة يقيمها له أولاده.

سقراط: مرحى، مرحى، يا هيبياس؛ إنّ هذه الكلمات هي كلمات مدهشة، جليلة، جديرة بك، ولك كل إعجابي وإقراري بالجميل. إنّني أشكرك لتلطّفك في إبراز كل مقدرتك لمساعدتي. لكن لا تزال سهامنا التي نطلقها تخطىء رَجُلنا، وأحذّرك بأنّه سيسخر منّا الآن أكثر من أيّ وقت مضى.

هيبياس: إنّه نوع فقير من السخرية، يا سقراط، لأنّه بسخريّته منا، وهو لا يستطيع أن يجد اعتراضاً على وجهة نظرنا، فليس بمستهزىءٍ إلاّ من نفسه، وسيسخر من الجماعة الموجودة.

سقراط: ربّما ذلك، ربّما! على كلّ حال، فأنت تقترح انه عندما يتلقّى الجواب، فإنه لن يخسر مني فقط، بل عليّ أن أتوقّع منه شرّاً أو مصيبة أدهى.

هيبياس: ماذا تعني؟

سقراط: إذا ما صدف أنه يحمل عصاً معه، فإنّه سيحاول ضربي بها بقوّة، إلاّ إذا نجوت منه بالهرب بعيداً.

هيبياس: ماذا؟ هل هذا الشخص مولاك أو سيدك بطريقة أو بأخرى؟ إنه سيُعتقل ويُعاقب لسلوكه هذا وتصرّفه بكلّ تأكيد؟ أو أن مدينة أثينا ليس لديها نظام للعدل كي تسمح لمواطنيها بأن يرتكبوا اعتداءات جائرة بعضهم ضدّ بعض؟

سقراط: إنّ مدينة أثينا تمنعها بشكل مطلق.

هيبياس: إذن فإنّه سيُعاقب على اعتداءاته الظالمة؟

سقراط: إنّني لا أظنّ ذلك، يا هيبياس. لا، لا أظنّ بشكل مؤكّد، إذا كان ذلك هو الجواب الذي أعطيته له؛ أعتقد بأنّ اعتداءه سيكون اعتداءً مبرَّراً.

هيبياس: بما أن هذا الرأي هو رأيك الخاص، حسناً، فإنّني أعتقد هكذا أيضاً.

سقراط: لكن هل سأستمرّ في إيضاح أنّ ذلك الجواب سيبرّر الهجوم عليّ، في رأيي الخاص؟ أو أنّك أنت ستعتدي عليّ أيضاً بدون محاكمة، وترفض سماعي؟

هيبياس: لا؛ إنّ رفضاً كهذا سيكون رفضاً خاطئاً إلى حدٍّ فظيع. لكن ماذا عندك لتقول؟

سقراط: إنّني سأستمرّ على المخطّط عينه مثلما كنت للحظة مضت، متظاهراً بأنّي هذا الشخص لكنّي لن أستعمل معك الكلمات ذات النوع الهجومي، الكلمات المغايرة لكل ما هو طبيعيّ أو نموذجيّ، من نوع الكلمات التي سيستخدمها معي. سيقول هو، وإنّني لمتأكّد من ذلك، سيقول « هل تتصوّر يا سقراط، بأنّك تستحقّ الجلْدَ بعد أن غنّيت بهذا الشكل القبيح وبدون تناغم، قصيدةً مليئة بالعواطف الجيّاشة وبحماسة، قصيدة طويلة وغير متّصلة بالموضوع وذلك جواباً على السؤال الذي سُئلته؟ ». سأقول له، « ماذا تعني؟ » وسيجيبني، « ماذا أعني؟ ألست بقادرٍ على أن تتذكر بأنّي سألتك بخصوص الجمال ذاته، بشأن ذلك الذي يعطي الصفة المميّزة لكون كل شيء جميلاً، والذي يضاف إليه هذا الجمال: إلى الحجر والخشب، والإنسان، والله، ولكلّ عملٍ، وكلّ فرعٍ من فروع العلم؟ إنّني أسأل، يا سيّدي، ما هو الجمال بذاته. وبرغم كل صراخي فإنّني لا أستطيع جعلك تسمعني؛ يمكن أن تكون حجراً جالساً بجانبي، حجَر وحيّ حقيقياً بدون أذنين ولا دماغ ». ألن تكون ساخطاً، يا هيبياس، إذا ما كنت لأجيبه برعب: « لكن هذا هو ما أعلنه هيبياس، برغم أنّني ألححت عليه في السؤال، مثلما تفعل أنت تماماً، أنّ الجمال هو لذلك الذي يكون جميلاً أبداً ولكلّ شخص ». بصراحة، ألن تُسخِطك هذه الإجابة؟

هيبياس: إنّني متأكّد تماماً، يا سقراط، من أنّ ما عيّنته هو جميلٌ، وسيبدو هكذا جميلاً للكلّ.

سقراط: سيجيب « وهل سيكون هكذا في المستقبل؟ لأنّ الجمال، وأنا أسلّم بذلك، يكون جميلاً على الدوام »؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: وكان هو جميلاً في الماضي، أيضاً؟

هيبياس: إنّه كان جميلاً في الماضي.

سقراط: سيستمرّ في القول بعدئذ « هكذا أكّد هذا الغريب من مدينة إليس، أنّه قد كان جميلاً لأخيل أن يُدفن بعد آبائه، وكذلك كان لجدِّه آيكوس بشكل مماثل، ولأطفال الآلهة الآخرين، وللآلهة ذاتهم؟ ».

هيبياس: ما هذا؟ قل له أن يذهب إلى ـ المجد! إنَّ أسئلته هذه هي أسئلة غير موقَّرة، يا سقراط.

سقراط: إنّها ليست بالتأكيد أسئلة غير متّسمة بالاحترام بالضبط، وذلك كي تقول إنّ هذه الأشياء هي هكذا، عندما سأل شخص آخر ما هذا السؤال؟

هيبياس: حسناً، لا على الأرجح.

سقراط: سيقول هو بعدئذ وبشكل محتمل: « إنّك أنت الذي تؤكّد أنّ الجميل يكون جميلاً على الدوام ولكلّ شخص كي يدفن آباءَه وأنّ يدفنه أبناؤه. ألا يشمل « كلّ شخص » هرقل وكلُّ الأشخاص الآخرين الذين ذُكروا منذ لحظة مضت؟ ».

هيبياس: لم أعنِ شمولَ الآلهة.

سقراط: « ولا الأبطال أيضاً، على ما يبدو ».

هيبياس: ليس إذا كانوا أطفال آلهة.

سقراط: « لكن إن لم يكونوا؟ ».

هيبياس: بالتأكيد، ذلك ما أعنيه.

سقراط: « يظهر الآن من محاورتك إذن أنّ القَدَر الذي كان رهيباً وعاقّاً ومخزياً لتانتالوس وداردانوس وزيثوس هو جميلٌ لبيلوبس والأبطال الآخرين ذوي الأنساب المتشابهة؟ ».

هيبياس: أتصوّر ذلك.

سقراط: سيواصل القول: « تتصوّر أنت إذن، بشكل معاكس لما قلته لتوّك الآن تماماً، وهو أن يدفن الشخص آباءَه، وأن يدفنه أطفاله، يكون خزياً بعض المرات ولبعض الأشخاص؛ ويبدو مستحيلاً أكثر من أيّ وقت مضى، من أنّه سيصبح أو يكون هذا شيئاً جميلاً لأيّ شخص. وهكذا فإنّ هذا التعريف يلاقي المصير عينه كتلك التعريفات التي بحثناها سابقاً: العذراء والإناء، حتى أنّ هذا التعريف يُعتبر إخفاقاً لسخفه وغرابته لأنّه يقدّم لنا ما هو جميل لبعض الرجال، وليس لبعضهم الآخر. ولا تقدر، يا سقراط، على أن تجيبني هذا اليوم بالذات على السؤال الذي سألتك إيّاه: الجمال، ما هو؟ » إنّه سيرميني بهذه التوابيخ وبغيرها ببعض العدل، إذا أعطيته هذا الجواب. إنه تحدث معي بالجزء الأكبر من كلامه وفقاً لهذه الطريقة؛ لكنّه سألني بعض المرات، وكأنه يعرض عليّ ذلك، بسبب شفقته عليّ لضعف خبرتي ولقلة علمي، سألني إذا ما كنت أعتقد أنّ الجمال يكون كذا وكذا؛ أو أنه يمكن أن يكون على موضوع ما آخر ـ مهما يمكن أن يعتقد بشأنه، وما نبحثه الآن.

هيبياس: ماذا تعني، يا سقراط.؟

سقراط: إنّني سأوضح لك، « يا نبيلي سقراط »، يقول هو، « لا تُعطِ أجوبة من ذلك النوع، وفي تلك الطريقة ـ إنّها أجوبة ساذجة وسخيفة، سهلٌ تمزيقها إلى قطع خرقاء؛ لكن تأمّل هذا الاقتراح. رأينا في واحد من إجاباتنا السابقة منذ وقت قليل، وعبَّرنا عن الفكرة و هي أن الجميل أو غير الجميل يكون وفقاً لما يُركَّز في وضع مناسب؛ وكذلك مع كلّ شيء آخر يمكن أن تضاف إليه هذه الكفاءَة بشكل مماثل. وبعدُ إعتبر هذه الملاءَمة وتأمّل ملياً الطبيعة العامة للتناسب، وآنظر إذا أمكن أن لا يكون هذا التناسب هو

الجمال ». إنّني لمعتادٌ الموافقة على هكذا أحداسٍ بشكل ثابت، لأنّي لا أستطيع أن أفتكر بأيّ شيء آخر لأقوله؛ لكن، هل تعتقد أنّ المناسب يكون جميلاً؟

هيبياس: بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: دعنا نتأمّل ملياً، ونتأكّد بأن ليس هناك خدعة.

هيبياس: يجب أن نفعل ذلك.

سقراط: تعالَ إذن. هل نعرّف المناسب بأنّه ذلك الذي يسبّب بوجوده الأشياء التي ستصبح حاضرة فيه كي تظهر جميلة؛ أو أنّه يسبّبها لتكون جميلة، أو أنه لا يدع حدوث كلا الشيئين؟

هيبياس: إنّه برأيي الخاص، هو ذلك الذي يسبّب ظهور جمال الأشياء. كمثال، يمكن لإنسان أن يكون شكلاً يستحقّ السخرية، لكنّه عندما يتدثّر بالثياب أو ينتعل الأحذية التي تناسبه جيّداً، فإنه يبدو إنساناً أجمل.

سقراط: لكن حينئذ إذا جعل المناسب الأشياء أكثر جمالاً ممّا هي بحقّ، فإنّ هذا المناسب يكون نوعاً من أنواع الاحتيال فيما يتعلّق بالجمال، ولن يكون ذلك الذي نبحث عنه، فهل يكون؟ أتصوّر بأنّنا كنا باحثين عن ذلك الذي تكون كلّ الأشياء الجميلة جميلة بواسطته، مشبهاً لذلك الذي تكون كلّ الأشياء الكبيرة كبيرة بواسطته، أعني، الإفراط الذي بسببه تكون كلّ الأشياء الكبيرة كبيرة. ويجب أن تكون كبيرة بالتأكيد إذا أسرفتْ وتجاوزتْ، حتّى إنْ لم تبدُ هكذا. نسأل نحن عن الجمال بشكل مماثل، الذي تكون كلّ الأشياء الجميلة جميلة بسببه سواء إذا بدت هكذا أو لم تبدُ ـ ماذا يمكن أن يكون هذا؟ لا يمكن أن يكون ذلك المناسب، لأنّه بناءً على وجهة نظرك الخاصّة، فإنّ هذا يجعل الأشياء تظهر أكثر جمالاً ممّا هي، ولا يتركها تبدو كما هي في الحقيقة. يجب علينا أن نتأمّل ملياً ذلك الذي يجمّل الأشياء، كما قلت

لتوّي الآن، سوَاء إذا بدا هكذا أو لم يبدُ، ونحاول أن نعرِّفه. إنّ هذا هو ما نبحث عنه، إذا ما كنّا نتطلّع إلى الجمال.

هيبياس: لكن، يا سقراط، إن المناسب يسبّب الأشياءِ لتكون ولتظهر جميلة في نفس الوقت، عندما يكون موجوداً.

سقراط: إذن فإنّه لمستحيلٌ للأشياء التي تكون جميلة أن لا تبدو جميلة في الحقيقة، إذ وفقاً للفرضية المقترحة فإنّ الذي يجعلها تظهر جميلة يكون موجوداً فيها.

هيبياس: إنّه لمستحيل.

سقراط: إنّ الاستنتاج حينئذ، يا هيبياس، أنّ كلّ الاصطلاحات الموطَّدة، وأنّ جميع الممارسات التي هي جميلة في الواقع تُعتبر وكأنها جميلة بكلّ الرجال، وتظهر لهم هكذا على الدوام. أو هل أنّنا نقدّر العكس بالضبط، وهو أنّ الجهل بها يكون جهلاً عامّاً وشائعاً، وأنّ هذه تكون الرئيسة لكلّ أهداف ومقاصد النزاع والقتال، بين الأفراد والدول على حدّ سواء؟

هيبياس: أعتقد أنّ الرأي الأخير هو الرأي الصحيح، حيث ينتشر الجهل.

سقراط: لن يكون هكذا، إذا أضيف لها مظهر الجمال؛ وسيضاف إليها مظهر الجمال هذا إذا كان المناسب جميلاً وسبّبها لأن تبدو، ولأن تكون جميلة أيضاً بالإضافة إلى ذلك. يتبع هذا إذا كان المناسب ذلك الذي يسبّب جمال الأشياء في الحقيقة، حينئذ سيكون ذلك الجمال الذي نبحث عنه، لكن يبقى أنّه لن يكون ذلك الذي يسبّب جمالها؛ إذا كان ذلك الذي يسبّب جمال الأشياء يكون المناسب، على الجانب الآخر. إنّ ذلك الذي نبحث عنه يجعل الأشياء جميلة، لكنّ السبب عينه لا يمكنه أبداً أن يجعل الأشياء تبدو، وتكون إمّا جميلة أو أيّ شيء آخر على السواء. إنّ لدينا هذين الخيارين. هل المناسب هو ذلك الذي يسبّب جمال الأشياء، أو أنّه ذلك الذي يسبّبها كي تكون هكذا؟

هيبياس: أعتقد أنّ الخيار الأوّل هو الخيار الصحيح.

سقراط: يا لطيف! إذن فإنّ فرصة اكتشاف ما هو الجميل في الحقيقة انسلّت من بين أصابعنا وتلاشت، بما أنّ المناسب ثبت أنّه يكون شيئاً ما غيراً من الجميل.

هيبياس: ما كان عليّ أن أتصوّره أبداً، يا سقراط، بناء على كلمتي!

سقراط: لكن يبقى، يا صديقي، ألاّ تجعلنا نتوقّف عن المحاولة مع ذلك؛ إذ لم يزل عندي نوع من الأمل وهو أن طبيعة الجمال سوف تكشف نفسها.

هيبياس: نعم حقاً، إنّها ليست صعبة كي تُكتشف. إنّني لمتأكّد من أنّي إذا اعتزلت إلى مكانٍ ما واختليت بنفسي لفترة قصيرة وتأمّلت ذلك مليّاً، فإنّني أستطيع حينها أن أعرّفها لك بدقّةٍ هي الأسمى.

سقراط: يا هيبياس، يا هيبياس، لا تتبجّح. تعرف أنت ما هي المتاعب التي سببتها لنا سابقاً، وأخشى من أنّه يمكنها أن تغضب منا وتولّي الأدبار بتصميم أكثر من أيّ وقت مضى. لكن أيّة سفاسف أتفوّه بها الآن؛ افترض، أنّك ستكتشفها بسهولة عندما تختلي مرّة لوحدك. يبقى، أنّي أستعطفك بجدّية أكثر، أن تكتشفها معي هنا؛ أو إذا سرَّك، دعنا نبحث عنها معاً كما كنا فاعلين حتى الآن. وإذا وجدناها، فحسنٌ وخيرٌ؛ وإنْ لم نجدها، فأتصوّر بأنّي سأستسلم لقدري، وسترحل أنت وتكتشفها بكلّ سهولة. طبعاً، إذا وجدناها الآن، فأنت لن تتضايق بالتساؤلات التي أوجّهها لك عن طبيعة اكتشافك الجديد. وهكذا أنظر إلى فهمك للجمال بنفسه من فضلك. أمّا انا فإنّني أعرّفه بمثَل ـ صلِّ، اعطني انتباهك الكلّي وأوقفني إذا تكلّمت هراء ـ حسناً، دعنا نفترض أنّه ما يكن نافعاً يكن جميلاً. إنّ مبرّرات افتراضي هي كما يلي: نحن لا نقول إنّ العينين جميلتان عندما تبدوان غير قادرتين على البصر؛ بل نفعل ذلك حينما تمتلكان تلك القدرة وتكونان نافعتين للرّؤيا. هل هذا صحيح؟

هيبياس: نعم.

سقراط: ونقول بشكل مماثل إنّ الجسد كلّه مصنوع بجمال، مرّاتٍ للركض، ومرّاتٍ للمصارعة؛ ونتكلّم بالطريقة عينها عن كلّ الحيوانات، ونستعمل الكلمة « جميل »، للحصان الجميل، أو للدّيك، أو لطائر السمّان، ولكلّ الأوعية، ولكلّ وسائل النقل على اليابسة وفي البحر معاً: البواخر التجارية، والمراكب الحربية، وكلّ آلات الموسيقى وأدوات الفنّ بشكل عامّ، وإن أحببت فللإجراءات القوانين أيضاً، إنّنا نستعمل الكلمة « جميل » عملياً لكلّ هذه الاشياء بالأسلوب عينه. نأخذ كمعيارٍ للحكم في كلّ حالة، نأخذ البناء الطبيعيّ أو الصنعة أو شكل نموذج التشريع. ومهما يكن نافعاً فإنّنا نسميه نحن جميلاً، وجميلاً في ذلك الخصوص الذي يكون فيه نافعاً؛ وندعو القبيح ذلك الذي يكون عديم النفع في كلّ هذه النواحي. أليست وجهة النظر هذه هي وجهة نظرك أيضاً، يا هيبياس؟

هيبياس: نعم، إنّها لكذلك.

سقراط: إذن نحن محقّون الآن في التأكيد على أنّ النافع هو الجميل بشكلٍ رفيع الشأن.

هيبياس: إنّنا لمحقّون.

سقراط: وإنّ الذي لديه القوة كي ينجز هدفه المحدَّد يكون نافعاً للغرض الذي يمتلك القوّة كي ينجزه، وأنّ الذي يكون بدون تلك القوة هو غير نافع؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّ القوّة شيء جميل، والافتقار لها بشاعة؟

هيبياس: هذا كثيرٌ جدّاً. إنّ لدينا برهاناً لتلك الحقيقة من الحياة العامّة، وهذا مصدر واحد من بين العديد من المصادر الأخرى، لأنّ القوة هي الشيء الأكثر جمالاً من بين كلّ الأشياء، خاصّة في الشؤون السياسية بشكل عامّ، وفي

داخل مدينة الإنسان الخاصّة، والافتقار لهذه القوة هو الأكثر قبحاً وخزياً.

سقراط: جيّد! ألا يتبع بعدئذ ـ عاقبة خطيرة ـ وهي أنّ الحكمة هي الأكثر جمالاً، والجهل هو الأكثر خزياً وعاراً من كل الأشياء؟

هيبياس: ماذا تعتقد، يا سقراط؟

سقراط: دقيقة هدوء، يا صديقي العزيز؛ إنّ لديَّ شكوكاً بشأن الخطّ الذي تبنّيناه الآن.

هيبياس: لماذا هذه الشكوك مرّة ثانية؟ إنّ محاورتك تقدّمت هذه المرّة بشكل ممتاز؟

سقراط: كنت أرغب لو أنّها كذلك؛ لكن دعنا نتأمّل معاً هذه النقطة الرئيسة. هل يستطيع إنسان أن يقوم بعمل شيء ما لا يمتلك المعرفة ولا أدنى قدرٍ من القوّة كي يفعله؟

هيبياس: لا بالطبع؛ كيف يستطيع أن يفعل ما لم يمتلك له القوة كي يقوم به؟

سقراط: إذن فإنّ أولئك الذين يجدون طريقة ويعملون الشرّ لا إراديًّا بسبب خطأ ما ـ بالتأكيد إنّهم لن يفعلوا أشياء كهذه لو لم تكن لديهم القوّة كي يقوموا بها؟

هيبياس: لا بوضوح.

سقراط: وأولئك الذين يمتلكون القوّة كي يفعلوا شيئاً يفعلونه بواسطة القوّة، وليس لكونهم عاجزين بالطبع؟

هيبياس: لا بالتأكيد.

سقراط: إنّ أولئك الذين يفعلون ما يفعلون، كلّهم لديهم القوة كي يفعلوه.

هيبياس: نعم.

سقراط: ويُفعل الشر بوفرة أكثر بكثير ممّا يُفعل الخير من قِبَلِ كلّ الرجال بدءاً من سنّ الطفولة وصعوداً، الرجال الذين يخطئون لا إرادياً.

هيبياس: إنّها لكذلك.

سقراط: حسناً إذن، هل نقول بأنّ هذه قوّة، وأنّ هذه أشياء نافعة ـ أعني أيّة أشياء نافعة لعمل بعض الشرّ ـ هل نقول بأنّ هذه الأشياء هي جميلة، أو أنّها بعيدة جدّاً من كونها كذلك؟

هيبياس: إنّها بعيدة جدّاً من كونها كذلك، في رأيي.

سقراط: يبدو إذن أنّ القويّ والنافع ليسا الجمال الذي نريد.

هيبياس: إنّهما يكونان، يا سقراط، إذا كانا قويّين للخير، ونافعين لمقاصد كهذه.

سقراط: تبقى نظريّةُ أنّ ذلك الذي يكون قويّاً ونافعاً يكون جميلاً بدون مواصفات، وهذه النظرية تلاشت وآضمحلّت. هل تتصوّر، على كل حال، أنّ الذي كنا نفكّر في قوله هو أنّ الجمال هو ذلك النافع والقوي بغرضٍ خيّرٍ ما؟

هيبياس: أعتقد ذلك.

سقراط: لكن هذا يكون مساوياً لـ« المفيد » أليس كذلك؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: وهكذا وصلنا إلى استنتاج أنّ الأجسام الجميلة، وأنّ قوانين الحياة الجميلة، وأنّ كلّ الأشياء الجميلة التي ذكرناها لتوّنا الآن، هي جميلة لأنّها مفيدة؟

هيبياس: بجلاء.

سقراط: يبدو إذن كما لو أنّ الجمال هو المفيد، يا هيبياس؟

هيبياس: بدون شكّ.

سقراط: وبعدُ فإنّ المفيد هو ذلك الذي ينتج خيراً؟

هيبياس: نعم.

سقراط: وأنّ الذي ينتج يكون مطابقاً للسبب؟

هيبياس: إنّه كذلك.

سقراط: إذن فإنّ المفيد هو سبب الخير؟

هيبياس: إنّه لكذلك.

سقراط: لكن، يا هيبياس، فإنّ السبب وذلك الذي يكون هو السبب هما شيئان مختلفان بكلّ تأكيد لأنّ السبب يمكن أن يكون بالكاد السبب للسبب. أنظر لِمَا أقول بهذه الطريقة. عُرّف السبب بأنّه للشيءُ الذي ينتج، أليس هذا تعريفه؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: وإنّ الذي ينتج بنتج الذي يكون آتياً إلى الوجود فقط؛ إنّه لا ينتج ذلك الذي ينتج؟

هيبياس: إنّه هكذا.

سقراط: وإنّ الذي يأتي إلى الوجود؛ وذلك الذي ينتجه، هما شيئان اثنان مختلفان؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ السبب لا يكون السبب للسبب، بل لذلك الذي يكون آتياً إلى الوجود بواسطته.

هيبياس: بدون ريب.

سقراط: إذا كان الجمال سبب الخير إذن، فسيُحضر الخير إلى الوجود بالجمال حينئذ؛ وسيبدو أنّنا نكرّس أنفسنا لملاحقة الحكمة وكلّ الأشياء الجميلة الأخرى بسبب أنّ إنتاجها وذريّتها، الخير، يكون جديراً بالتفاني والإخلاص؛ ويبدو من استكشافاتنا وكأنّ الجمال هو نوع من الأب للخير على سبيل المجاز.

هيبياس: بالتأكيد، أنت تتكلّم جيداً، يا سقراط.

سقراط: ألست أقول هذا جيّداً أيضاً، وهو أنّ الأب ليس ابنه، ولا الابن أباه؟

هيبياس: حسناً تماماً.

سقراط: وأنّ السبب ليس ذلك الذي يحضر إلى الوجود، ولا العكس بالعكس؟
هيبياس: صدقاً.
سقراط: إذن فالأكثر تأكيداً، يا سيّدي الصالح، أنّ الجمال لا يكون خيراً ولا الخير جمالاً. هل تعتقد بأنّ ذلك يكون ممكناً بعد بحثنا؟
هيبياس: لا، إنّني لا أفعل ذلك بكلّ التأكيد الأكثر.
سقراط: إذن هل يسرّنا ذلك، وهل نحن مستعدّون لنقول إنّ الجميل ليس خيراً، ولا جميلاً؟
هيبياس: لا بالتأكيد الأكثر؛ إنّه لا يسرّني على الإطلاق.
سقراط: إنّني أوافق بالتأكيد الأكثر يا هيبياس؛ وتسرّني بالشكل الأقلّ أيٌّ من النظريات الأخرى التي بحثناها.
هيبياس: محتمل جداً.
سقراط: إذن يبدو وكأنّ وجهة النظر التي اعتقدنا، منذ فترة خلت، أنّها النتيجة الأفضل لمباحثاتنا، أنّها وجهة النظر الّتي تقول إنّ المفيد، والنافع، والقوّة كي تنتج شيئاً ما خيّراً يكون جميلاً، هي وجهة نظر خاطئة؛ لكنّها تكون، إذا أمكن، عرضة للسخرية أكثر من تلك التعريفات الأوّليّة التي كانت العذراء هي الجميلة طبقاً لها، وهكذا فإنّها كانت تابعاً للأشياء الأخرى.
هيبياس: على ما يبدو.
سقراط: أمّا فيما يتعلّق بي، يا هيبياس، فإنّني لا أعرف أين أدور، وإنّي في ضياعٍ كامل، هل عندك أي شيء لتقوله؟
هيبياس: ليس في هذه اللّحظة؛ لكن كما قلت منذ فترة قصيرة مضت، أشعر بأنّي متأكّد، ولسوف أكتشف طريقة بعد بعض التأمّل المليّ.
سقراط: لكنّني لا أشعر بأنّي أستطيع أن أتأخّر كي تصدر تأمّلك. إنّني مشتاق لهذه المعرفة لهذا السبب؛ وأتخيّل بأنّي عثرت على شيءٍ ما حقّاً بطريق

الصدفة. تعال الآن: إذا كنا سنقول بأنّ ذلك الذي نستمتع به - لا أعني بأني أشمل كلّ الملذّات، بل تلك التي نستمتع بها من خلال حاسّتي السمع والبصر - إذا كنّا سنقول بأنّ هذا يكون جميلاً، كيف سنكون محظوظين في كفاحنا؟ إنّ المخلوقات الإنسانية الجميلة، وكلّ الأعمال التزيينيّة، والصور، وفنّ اللُّدُن، إنّ هذه الأعمال كلها تبهجنا عندما نراها إذا كانت جميلة بالتأكيد. وأقول، إنّ لدى الأصوات الجميلة، والموسيقى ككلّ، والمحادثات، والقصص الخياليّة، إنّ لدى هذه كلّها التأثير عينه علينا. وهكذا إذا ما كنّا سنجيب هذا الشخص الصاخب فإنّنا سنقول له: « يا سيّدي الجدير بالاحترام، إنّ الجمال هو الشيء المفرح الذي يأتي بواسطة حاسّتي السمع والبصر »، ألا تتصوّر بأنّنا سنوقف صَخَبه؟

هيبياس: أتصوّر، يا سقراط، بأنّه صار لدينا تعريف جيد للجمال أخيراً.

سقراط: حسناً هل ستقول عندئذ بأنّ هذه الممارسات التي هي جميلة، وهذه القوانين، هل ستقول إنّها جميلة لأنها تعطي اللّذّة بواسطة حاستي البصر والسمع، أو أنّها تكون في فئة أخرى؟

هيبياس: لربّما أمكن هذه الحالات أن تفلت من رَجُلنا.

سقراط: لا، يا هيبياس، إنّها لن تفلت من الإنسان بالتأكيد. والذي سأكون خجولاً جدّاً لو يُمسَك به متكلّماً بسفاسف ذرائعيّة.

هيبياس: من تعني؟

سقراط: أعني إبن سوفرنيسكوس(٣٤)، الذي لن يسمح لي بعد اليوم بأن أجازف بهذه التأكيدات في حين أنّها ليست تأكيدات مستكشَفة بأكثر من أن أؤكّد ما لا أعرف كما لو أنّني عرفتها.

هيبياس: حسناً، والآن بما أنّك طرحت النقطة للمناقشة، يجب عليَّ أن أقول بأنّني أعتقد أنّ هذا السؤال بشأن القوانين يكون سؤالاً على أساس مختلف.

سقراط: بلطفٍ، يا هيبياس؛ يمكننا أن نتصوّر تماماً جدّاً بأنّنا نرى طريقنا بوضوح، حينما وقعنا في الصعوبة عينها بشأن الجمال كتلك التي أُمسِكنا بها للحظةٍ مضت.

هيبياس: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: إن هذا هو الذي يخطر على بالي، يمكن أن يكون هناك شيء ما فيه. إنّ مسائل القانون والممارسة هذه لربّما يمكن إثباتها، بعد كلّ شيء. أنّها تكون ضمن نطاق المدارك الحسيّة للسمع والبصر؛ على كلّ حال، دعنا نتمسّك بهذا العرض بثبات، وهو أنّ السارّ الذي يأتي بواسطة هاتين الحاسّتين يكون الجميل، تاركين السؤال بشأن القوانين جانباً بالإجمال. لكن إذا سألَنا شخصٌ كالذي أشرت إليه سابقاً، أو سألنا أيّ شخص آخر: « لماذا، يا هيبياس وسقراط، لماذا اخترتما من داخل النوع للسّارّ ذلك الذي يكون مُرضياً في الطريقة التي تؤكد أنّها هي الجميل، في حين أنكما تنكران الدّلالة للجميل لذلك الذي يكون سارّاً وفقاً للحواسّ الأخرى، يعني، الحواسّ، التي لها علاقة بالغذاء، والشراب، والجماع، وكل الأشياء الأخرى كهذه؟ أو هل أنتما تنكران أنّ هذه الأشياء هي سارّة، وتدّعيان بأنّه لا يوجد مسرّة في أشياء كهذه مهما كانت، أو في أيّ شيء آخر ما عدا البصر والسمع؟ » فماذا سنقول؟

هيبياس: سنجيب بوضوح أنّ هذه الأشياء الأخرى تقدّم مسرّات كبيرة جدّاً أيضاً.

سقراط: سيقول هو: « لماذا إذن، أنتما تقصيان هذه الدلالة وترفضان أن تسمحا لها بالجمال عندما تكون هي مسرّات ليس بأقلّ شأناً من المسرّات الأخرى »؟ سنجيب على ذلك: « لأنّ كلّ شخص سيسخر منا إنْ قلنا إنّه ليس شيئاً سارّاً أن تأكل، بل هو شيء جميل؛ وفيما يتعلّق بالجماع، فإنّ كلّ واحد سيجادل ضدّنا بأنّه الشيء الأكثر مسرّة، في حين أنّنا نعترف بأنّه يجب

الاستمتاع به فقط حيث لا يوجد أحدٌ كي يرى ذلك، لأنّه منظر معيبٌ ومثير للإشمئزاز ». عندما نقول هذا، يا هيبياس، فإنّه سيردّ على ما قلناه بشكل محتمل ويقول: « إنّني أفهمكما أيضاً بأنّكما كنتما وما زلتما خجلين في قولكما بأنّ هذه الملذّات هي جميلة، لأنّ هذه الفكرة ليست هي الفكرة العامّة. لكنّ سؤالي كان، ما هو الجميل، وليس ما يظنّه العدد الكبير من الرجال أنّه يكون ». أتصوّر بأنّنا سنقرّر فرضيّتنا الأصليّة مرّة ثانية. « في رأينا أنّ جزء اللذّة الذي يأتي بواسطة حاسّتي البصر والسمع هو جميل » ومع ذلك، هل تستطيع أن تقترح أيّة طريقة أخرى للتعامل مع السؤال، أو أن تضيف أيّ شيء على ذلك الجواب؟

هيبياس: بما أنّ المحاورة تتوقّف الآن، فإنّه لواجب علينا أن نعطي ذلك الجواب، وذلك الجواب فقط.

سقراط: « رائع »، سيجيب هو، « إذا كان السارّ، ذلك الذي يأتي بواسطة حاسّتي البصر والسمع جميلاً، ألا يكون جليّاً أنّ أيّ شيء مُرضٍ خارج تلك الفئة لا يمكنه أن يكون جميلاً »؟ فهل سنتّفق على هذا؟

هيبياس: نعم.

سقراط: سيواصل القول: « إذن أيكون ذلك الذي يكون سارّاً بواسطة حاسّة البصر، وبواسطة حاسّة السمع، أو أيكون ذلك الذي يكون سارّاً بواسطة حاسّة السمع، يكون سارّاً بواسطة حاسّة السمع وبواسطة حاسّة البصر »؟ سنجيبه: « لا، على الإطلاق؛ إنّ السارّ الذي يأتي بواسطة كلا الحاستين لن يكون سارّاً بواسطتهما أو من خلالهما معاً بكلّ تأكيد - يبدو أنّ ذلك هو معناك. إنّ عرضنا للقضيّة كان ذلك، إمّا واحدٌ من هذين الشيئين السارّين سيكون جميلاً بنفسه تماماً، أو سيكون كلاهما معاً أيضاً ». هل سيكون هذا جوابنا؟

هيبياس: بكلّ تأكيد.

سقراط: « حسناً، إذن »، سيقول هو، « هل يختلف أيّ شيء سارٌ مهما كان، عن أيّ شيء سارٌ آخر فيما يتعلق بمسرّته؟ ليس السؤال ما إذا كان أيّ سرور خاصّ أكبر أو أصغر، أو أنّه يوجد في درجة أعلى أو أسفل، بل ما إذا أمكن أن يكون هناك فرق بين الملذّات في هذا المنحى الخاص، وما إذا أمكن أن يكون أحدهما لذّة، والآخر ليس كذلك؟ » لا نعتقد نحن هكذا، هل نفعل ذلك؟

هيبياس: لا.

سقراط: سيواصل القول: « يتبع أنّك اخترت هاتين اللذّتين من بين اللذّات الأخرى لسببٍ آخر ما مغايرٍ لكونهما لذّتين. بما أن هناك بعض الاختلاف بينهما وبين الملذّات الأخرى، فأنت رأيت فيهما كليهما نوعيّة ما قادرة على تزويد مقياسٍ تحكم عليهما بواسطته أنّهما جميلتان لأنّ اللذّة التي تأتي بواسطة حاسّة البصر، أسلّم بها، أنّها ليست جميلة فقط بسبب أنها تأتي بواسطة اللّذّة الأخرى، اللّذّة التي تأتي بواسطة حاسة السمع، لن تكون لذّة جميلة أبداً. إنّها لن تكون اللّذة التي تأتي بواسطة حاسّة البصر بشكل مؤكّد ». هل سنجيب أنّ استنتاجه هو استنتاج صحيح؟

هيبياس: نعم.

سقراط: مرّة ثانية، « أليست اللذّة، التي تأتي بواسطة حاسّة السمع لذّة جميلة، لأنّها تكون بواسطة حاسّة السمع؛ إذْ مرّة أخرى، إن اللذّة التي تأتي بواسطة حاسّة البصر لن تكون لذّة جميلة أبداً في تلك الحالة لأنها لا تكون لذّة بواسطة حاسّة السمع بشكل ثابت ». هل ستوافق على أنّه يحاور بشكل صحيح؟

هيبياس: إنّه يفعل.

سقراط: « لكنّ اللذتين تكونان كلاهما جميلتين، وأنت تثبت ذلك؟ » أليس كذلك؟

هيبياس: بلى.

سقراط: « إذن فإنّ اللّذتين يمتلكان شيئاً ما متطابقاً يجعلهما لذّتين جميلتين، إنّهما يمتلكان نوعيّة عامة تختصّ بهما كليهما بشكل مشترك وبكلّ منهما على انفراد، وإلاّ فإنّهما لا يستطيعان كلاهما أن يكونا جميلين كزوجين، ولا يستطيع كلٌّ منهما فعل ذلك بشكل منفصل أيضاً، إنّني أسلّم بهذا الواقع»؟ أجبني وكأنّك كنت تجيبه.

هيبياس: أجيب بأنّ ما تقوله هو رأيي أيضاً.

سقراط: إذاً كانت هاتان اللذّتان كلتاهما مشروطتين كزوجين في الطريقة عينها. لكن ولا واحدة منها تكون مشروطة هكذا على انفراد، فهما لا تقدران على أن تكونا جميلتين بسبب هذه الحالة الخاصة؟

هيبياس: وكيف يمكن أن يكون هذا ممكناً، يا سقراط، وهو أنّه عندما لم تكن ولا واحدة منهما قد كانت مشروطة على انفراد في طريقة ما - أيّة طريقة تحبّ أن تصوّر بشأنها - علاوة على ذلك فإنّهما كليهما كزوجين يجب أن تكونا مشروطتين بالطريقة التي لم تكن ولا واحدة منهما قد كانت مشروطة على انفراد.

سقراط: هل تعتقد أنّ هذا شيء مستحيل؟

هيبياس: إنّني أفعل. ليس لكوني غير مُلِمٍّ بطبيعة الموضوع أو بالمصطلحات الفنية لبحثنا الحاضر.

سقراط: جميل جدّاً، يا هيبياس. لكنّي لا أزال أتخيّل أني لربّما لا أزال أرى بالمصادفة مثالاً لِمَا تقول بأنّه يكون شيئاً مستحيلاً، ولو أنّه يمكنني أن لا أرى أيّ شيء حقاً.

هيبياس: إنّها ليست حالة « مصادفة »؛ إنك ترى، خطأً، هدفاً تمَّ وصفُهُ جيداً.

سقراط: حقاً، إنّ أمثلة عديدة كهذه نشأت في عين عقلي. غير أنّي، رغم أنني لم أكسب درهماً بسببها، لم أثق بها بسبب أني أراها، في حين أنّها لا تظهر لك وأنت الذي كسبت في تلك الطريقة أكثر مّما كسبه أي شخص آخر حيّ. ويا صديقي، إنّي لمتأمّل مليّاً ما إذا كنت لاعباً معي وتنوي مخادعتي عن قصد وتصميم. هكذا أراها بوضوح وفي أعدادٍ كتلك.

هيبياس: لا أحد سيعرف أفضل منك إذا ما كنت لاعباً معك أو لاّ، عندما ابتدأت بوصف رؤاك هذه؛ إنّ وصفك لها سيكون سفاسف صِرفة. إنّك لن تجدنا كلينا مشروطين معاً أبداً في طريقة الذي لم يكن قد إشتُرِط فيهَا بشكل منفصل.

سقراط: ما هذا، يا هيبياس؟ ربّما تتكلّم شيئاً معقولاً وأنا لا أدرك ما تعنيه. لكن من فضلك دعني أشرح ما أعنيه بوضوح أكثر. يبدو لي أن هناك صفاتٍ مميّزة لا يمكنها أن تخصّ، ولا تخصّ الآن، كلاًّ منّا على انفراد، بل يمكن أن تخصّنا كلينا معاً؛ وبشكل معكوس، هناك صفات مميّزة هي التي نحن مؤهلان لها، لكن لا أحد منّا مؤهلٌ لها بشكل انفرادي.

هيبياس: هناك سخافات هنا حقّاً، يا سقراط، وهي أكثر هولاً من تلك السخافات لجوابك الذي أعطيته منذ فترة قصيرة مضت. تأمّل فقط؛ إذا كنا كلانا رجلين عادلين، ألا يكون كلّ واحد منّا عادلاً بمفرده؟ إذا كان كلٌّ واحد منا ظالماً، ألا نكون كلانا هكذا؟ إذا كنا كلانا جيّدين، ألا يكَون كلّ منا جيّداً أيضاً؟ أو إذا كنا كلينا تَعِبَين، أو مجروحَيْن، أو مضروبَيْن، أو مشروطَيْن بأية طريقة أخرى، ألا يجب أن نكون كلانا مشروطين كزوجين في تلك الطريقة جينئذٍ؟ وبشكل مماثل إذا كّنا كلانا مصنوعَيْن مَن الذهب، أو الفضّة، أو العاج، أو إذا فضّلتَ، كنا حكماء أو نبلاء، أو ممجّدين، أو، كنّا

رجالاً مسنّين أو فتياناً، أو كانت لنا أية ميزة إنسانية أخرى تحب أن تذكرها، ألا يجب أن يتبع بشكل محتوم أنّ كلاً منا يكون ذلك الشيء عينه؟

سقراط: الأكثر تأكيداً.

هيبياس: ألا ترى أنت، يا سقراط، أنّ الحقيقة هي أنّك، أنت نفسك، لا تعتبر الأشياء وكأنها كاملة، وكذلك لا يفعل أولئك الذين تتحدّث معهم بشكل اعتيادي. أنت تختبر الجمال وتختبر كلّ فكرة عامة، بتناولها بشكل منفصل وبتحليلها تحليلاً عقلياً، وتكون النتيجة أنّك تخفق في أن تعي أهميّة واستمراريّة المواد التي تتألّف الحقيقة منها. وبعدُ فإنّ هذا الإخفاق قد مضى هكذا بعيداً كي تتصّور بأنّه يوجد شيء ما، توجد صفة مميزة أو طبيعة جوهرية، تختصّ باثنتين منهما معاً لكن ليس بكلّ منهما على انفراد، أو بشكل عكسيّ تختصّ بكلّ منهما على انفراد لكن ليس بالاثنتين معاً. إنّ هذه الحالة هي الحالة العقلية التي انخفضت لها أنت وأصدقاؤك - كم هي جامحة، وسطحيّة، وغبيّة، وغير مفهومة هذه الحالة!

سقراط: هكذا يكون أكثرنا نحن الفانين، يا هيبياس. إنّ الإنسان يفعل ما يقدر عليه، وليس ما يرغبه ويتمنّاه، وفقاً للمثل المُستشهد به غالباً. على كل حال، إنّ نصحك وتحذيرك يقدّمان لنا مساعدة كبيرة. ولتوّي الآن، وقبل لومك وتذكيرك بغباوتنا في هذه المسائل، فإنّ لديّ بعض الأفكار الأبعد بشأنها التي لربما يمكنني أن أوضحها لك - أو هل سأمتنع عن ذلك؟

هيبياس: إنّني أعرف ما أنت ذاهب لتقوله، يا سقراط؛ أعرف عقلية كلّ مدرسة علماء الجدل، لكن قل ما عندك، إذا فضّلت ذلك.

سقراط: حسناً، إنّي أؤثر فعل ذلك. قبل أن قلت ما قلته، يا صديقي المبجّل، كنّا غير مثقّفين كي نتمسّك بالرأي وهو أنّ كلاً منا نحن الإثنين، أنت وأنا، نكون واحداً، لكن إنْ أُخِذنا معاً، لا نستطيع أن نكون ذلك الذي يكونه

كلٌّ منا على انفراد لأنّنا نحن اثنان وليس واحداً. هكذا كانت حماقتنا. وبعدُ، فإنّنا تعلّمنا منك، على كلّ حال، تعلّمنا أنّنا إذا كنا اثنين معاً، يجب أن يكون كلٌّ منا اثنين على انفرادٍ أيضاً، وإذا كان كلٌّ منا واحداً، فهكذا ينبغي أن نكون كلانا؛ إذ بناء على النظرية المستمرّة للحقيقة طبقاً لهيبياس لا يمكنها أن تكون من نوع آخر. فمهما يكن الموجودان الإثنان معاً، فإنّ كلاً منهما يكون على انفراد، ومهما يكن كلٌّ منهما، يكون كلاهما. إنّي أجلس هنا، مثبّتاً بك في هذا الاعتقاد. لكن ذكّرني، يا هيبياس، هل أنت وأنا كلانا واحد، أو هل أنك أنت اثنان، وأنا اثنان؟

هيبياس: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: إنّني أعني ما أقوله بالضبط؛ إنّك أرعبتني بحديثك السهل، لأنّك تغضب مني كلّما اعتقدت بأنّك أنجزت غاية وجيهة. ومع ذلك، دعني أسألك هذا السؤال: أليس كلٌّ منّا نحن الاثنين واحداً، ممتلكاً الخاصيّة لكوننا واحداً؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: إذن إذا كان كلٌّ منا واحداً، يكون كلٌّ منا رقماً مفرداً؛ وأنت تتمسّك بأنّ كلاً منا هو رقم مفرد، أليس كذلك؟

هيبياس: إنّني أفعل.

سقراط: أنكون كلانا معاً رقماً مفرداً، كوننا اثنين؟

هيبياس: مستحيل.

سقراط: سيكون كلانا معاً رقماً مزدوجاً.

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: بما أنّنا كلينا معاً نكون رقماً مزدوجاً عندئذ، هل يتبع أنّ كلاً منا يكون رقماً مزدوجاً، كلاً على انفراد؟

هيبياس: لا بالتأكيد.

سقراط: إنّه ليس شيئاً محتوماً بشكل مطلق إذن، كما قلت لتوّك الآن، وهو أنّ كل فرد يجب أن يكون ما نكونه كلانا معاً، وأننا كلينا يجب أن نكون ما يكونه كلٌّ منا؟

هيبياس: ليس في حالاتٍ كهذه، لكنّه ليس شيئاً محتوماً في نوع الحالة التي ذكرتها سابقاً.

سقراط: إنّ ذلك يفي بالغرض، يا هيبياس؛ حتّى تلك الإجابة يجب قبولها، ما دام قد تمّ الاعتراف بأنّها تكون هكذا بعض المرّات، ولا تكون في المرات الأخرى. إنْ استعدت نقطة البداية لمحادثتنا، فستتذكر بأنّي حاورت بأنّ الملذّات التي تأتي بواسطة حاسّة البصر والسمع هي ملذّات جميلة ليس لأن كلاً منها كان هكذا مشروطاً كي يكون جميلاً، لكن ليس كلاهما معاً، ولا بسبب أنهما كلتيهما كانتا مشروطتين معاً بشكل مماثل، لكن ليس كلاً منهما على انفراد؛ إنّهما كانتا جميلتين بفضل شيء ما يحدّدهما كليهما معاً وكلاً منهما على انفراد أيضاً. وظننت وفقاً لذلك أنّهما إذا كانتا كلتاهما معاً جميلتين، فيجب أن تكونا جميلتين بسبب صفة جوهريّة تختصّ بهما كلتيهما وليس لصفة تكون ناقصة في واحدتهما أو في الأخرى. وإنّي لا أزال أعتقد ذلك. لكن إبدأ كما بدأت من البداية. إذا كانت اللذّة التي تأتي بواسطة حاسّة البصر واللذّة التي تأتي بواسطة حاسّة السمع، إذا كانتا كلاهما جميلتان معاً وكذلك كانت كلٌّ منها على انفراد، ألا يخصّ ذلك الذي يجعلهما كلتيهما جميلتين معاً وكلاً منهما على انفراد؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: إذن هل تستطيعان أن تكونا جميلتين بسبب أن كلاً منهما وأنّ كليهما معاً تكونان ملذات؟ أليس كلّ الملذّات الأخرى جميلة بناءً على هذا التفسير بهذا المقدار تماماً، لأنّك إذا ما كنت تتذكر، اعترفت بأنها ملذّات مثل تلك التي ذكرناها تماماً؟

هيبياس: بالتأكيد، نعم إنّني أتذكّر.

سقراط: إنّ هذه الملذّات الخاصّة كانت معيّنة، على كلّ حال، كي تكون جميلة لأنّها أتت بواسطة حاسّتي السمع والبصر.

هيبياس: نعم، كان ذلك هو البسط لموضوع القضية.

سقراط: والآن تأمّل مليّاً إذا ما كنت محقاً في هذه النقطة الرئيسيّة. طبقاً لتذكّري، قيل انّ الجزء من مقولة السّارّ كان جميلاً - ليس كلُّ سارٍّ « سارّاً » بل ذلك الذي يأتي بواسطة حاستي البصر والسمع أو من خلالهما.

هيبياس: إنّ ذلك لصحيح.

سقراط: وهذه النوعيّة تخصّهما كليهما معاً لكن ليس لكلّ منهما على انفراد، أليس كذلك؟ وكما قلنا في السابق، فإنّ كلاً منهما لا يأتي من خلال، أو بواسطة الحاستين كلتيهما على انفراد؛ إنّهما كليهما معاً يأتيان بواسطتهما كليهما لكن ليس كلٌّ منهما على انفراد. أيكون ذلك هكذا؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ كلاً منهما لا يكون جميلاً على انفراد بذلك الذي لا يخصّ كلاً منهما « لأنّ ذلك الذي يكون لكليهما لا يخصّ كلاً منهما »؛ ويتبع ذلك وهو أنّه بينما يمكننا أن نقول من فرضيّاتنا المتّفق عليها إنّ كليهما معاً يكونان جميلين بحق، أفلا يمكننا أن نقولها عن كلّ واحد منهما على انفراد. أليس هذا هو الاستنتاج الضروريّ؟

هيبياس: يظهر هكذا.

سقراط: هل ستقول إنّهما كليهما معاً يكونان جميلين، لكن ليس كلاً منهما؟

هيبياس: إنّني لا أرى اعتراضاً.

سقراط: إنّني أرى اعتراضاً، يا صديقي. لقد كان لدينا أمثلة بكلّ تأكيد عن الخاصيّات الفرديّة في هكذا طريقة، وهي أنها إذا اختصّت بالاثنتين معاً فإنّها

تختصّ بكلٍّ منها على انفرادٍ أيضاً، وإذا اختصّت بكلٍّ منها، فإنّها تختصّ بهما كليهما حينئذ - إنّها كلّ الخاصيّات التي فصّلتها أنت.

هيبياس: نعم.

سقراط: لكن على الجانب الآخر فإنّ تلك الخاصيّات التي حدَّدتها أنا لم تؤدِّ ذلك الغرض؛ وكان المفهوم بين تلك الخاصيّات « كلٌّ » والمفهوم « كلاهما ». أليس ذلك صحيحاً؟

هيبياس: نعم.

سقراط: لأيّة فئة، يا هيبياس، تعتقد أنت أنّ الجميل يخصّ؟ هل يخصّ تلك الفئة التي ذكرت؟ أن أكون أنا قوياً وأن تكون أنت هكذا أيضاً؟ وإن كنّا هكذا، فإنّ كلاً منا يكون قوياً، وإذا كنت أنا عادلاً وأنت عادل أيضاً، فإنّ كلاً منا يكون عادلاً، وإن كنّا كلانا، فيكون كلّ منا على انفراد. وفي الطريقة عينها، إن كنت أنا جميلاً وكنت أنت أيضاً، فهل نكون كلانا جميلين. وإذا كنّا كلانا، فإنّ كلاً منا على انفراد يكون كذلك؟ أوَ هل يمكن أن يطبَّق المبدأ عينه عملياً كما هو في علم الحساب؟ كمثال عندما يمكن أن يكون المركبان الاثنان للأعداد المزدوجة مفرداً كلاً بمفرده، لكنه يمكن أن يكون مزدوَجاً أيضاً؛ ومرّة ثانية، عندما تؤخذ الكميّات التي تكون صمّاء كلاً بمفردها يمكن أن تكون إمّا مُنْطَقَةً أو صمّاء إن أُخِذَت معاً. وهناك أمثلة أخرى لا تحصى كهذه، كما قلت لك بأنّها تحدث في فكري حقّاً. ففي أيّة فئة تضع أنت الجمال؟ هل تتبنّى وجهة النظر عينها عنها كما أفعل أنا؟ تبدو لي أنها سخرية فاضحة كي تتمسّك بأنّه حينما نكون كلانا جميلين معاً، فلا يكون كلٌّ منا هكذا على انفراد، أو أنَّ كلاً منا يكون جميلاً على انفراد لكن لا نكون كلانا معاً، أو أيّ شيء آخر من هذا النوع. هل تصطفي خياري، أو الخيار الآخر؟

هيبياس: أصطفي خيارك.

سقراط: حقيقيّ تماماً، إذا رغبنا في أن نبقى على تساؤل أبعد؛ إذ لو كانت هذه الفئة تتضمّن الجمال، فلا يمكن التأكيد بعد اليوم وهو أنّ السارّ الذي يأتي بواسطة حاسّتي البصر والسمع يكون جميلاً؛ إنّ الوصف « الذي يأتي بواسطة حاسّتي السمع والبصر » يجعل كليهما معاً جميلاً لكن ليس كلاً منهما على انفراد ـ والذي كان شيئاً مستحيلاً، كما أعتقدت أنا، وكما أعتقدت أنت أيضاً.

هيبياس: نعم، إنّنا تصوّرنا الشيء عينه.

سقراط: إذن إنّه لمستحيل أن يكون السارّ الذي يأتي بواسطة حاسّتي البصر والسمع جميلاً، بما أنّه عندما ساويناه بالجمال لم يبرز عن ذلك إلاّ نتيجة مستحيلة.

هيبياس: هكذا تماماً.

سقراط: سيقول سائلي: « والآن إبدأ مرّة ثانية من البداية بما أنّك أخطأت العلامة هذه المرّة. ما هو طبقاً لك هذا « الجميل » الذي يختصّ بكلتا هاتين اللذّتين، وللسبب الذي من أجله رفعت قدرهما فوق كلّ الأشياء الأخرى ودعوتهما جميلتين؟ تصوّر يا هيبياس، بأنّنا ملزمون بالإجابة أن هذه هي الملذات الأكثر التي لا تؤذي وهي الأفضل من كلّ الملذات. إنّهما هكذا كليهما مأخوذتين معاً وكلٌّ منهما بمفردها. هل تستطيع أن تقترح أيّ سببٍ آخر تكون هي لأجله أسمى من الملذّات الأخرى؟

هيبياس: لا شيء مطلقاً؛ إنّها هي الملذّات الأفضل بحقّ.

سقراط: سيقول: « إنّ هذا التعريف إذن هو تعريفك للجمال؛ إنّك تعرّفه باللذّة النافعة ». سأجيبه أنا: « على ما يبدو، وما هو تعريفك أنت؟ ».

هيبياس: وهذا هو تعريفي أيضاً.

سقراط: سيواصل القول: « حسناً إذن، أليس النافع ذلك الذي ينتج الخير. وذلك

الذي ينتج وذلك الذي يكون منتجاً أظهرا منذ فترة قصيرة مضت على أنّهما مختلفان، وهكذا فإنّ محادثتك انتهت في المحادثة السابقة، أليس كذلك؟ إنّ الخيّر لا يمكنه أن يكون جميلاً، ولا الجميل خيّراً، إن لم يكن الاثنان متطابقين أحدهما مع الآخر ». سنجيبه: « أن لا شيء يكون أكثر تأكيداً، هذا إذا كنّا أمناء وصادقين فيما نقول؛ لا يمكن إيجاد أيّ تبرير للاعتراض على الحقيقة ».

هيبياس: لكن يجب أن أسألك، يا سقراط، ماذا تفترض أن يكون جوهر هذا كلّه؟ إنّه يكون كما قلت منذ فترة قصيرة مضت، كَشْط وسحْب المحاورة، تلك المحاورةُ التي قُطِّعت إرَباً؛ وما يكون الأكثر جمالاً ونفاسة كلاهما هي المقدرة كي تنتج حديثاً بليغاً وجميلاً لمحكمة عدل أو لاجتماع مجلس شورى، ولكي تغادر المكان بأعظم الجوائز، وهي إنقاذك وإنقاذ أصدقائك وما تملك. هذه إذن هي الأشياء التي يجب على كل إنسانٍ أن يتمسّك بها بقوة، وأن يتخلّى عن كلّ هذه المحاورات التافهة التي تخصّك ، إلاَّ إذا رغب في أن يَعُدَّ نفسه غبيّاً لأن يشغلها بها، كما كنا فاعلين الآن، أي يشغلها بسفاسف عديمة النفع أو القيمة.

سقراط: إنّك، يا عزيزي هيبياس، محظوظٌ وسعيد لأنّك تعرف أيّ طريق يجب أن يسلكه الإنسان في الحياة، وأكثر من ذلك فإنّك واثق بالنجاح ـ هكذا تخبرني. إنّني، على كلّ حال، معرَّض لِمَا يبدو أن يكون خطأً سيّئاً وفوق الطبيعة. إنّي أتعجّب بشأن الحيرة اللامتناهية، وعندما أعرب عن حيرتي أمامكم أيّها الرجال الحكماء، فإنّكم تستديرون عليَّ وتهاجمونني بعنف على نحوٍ متكرر، وتعاملونني معاملة سيّئة حالما أوضح المأزق الذي أتخبّط فيه. إنّكم تقولون جميعكم، يا هيبياس، كم هي غبيّة وتافهة وعديمة القيمة تلك المسائل التي أشغل نفسي بها! لكن عندما أكون مقتنعاً بكم بدوري وأردِّد

ما تقولونه لي بالضبط، وهو أن قمّة الامتياز هي المقدرة على إنتاج حديث بليغ وجميل وأن تنتصروا يومياً في محاكم القانون وفي الجمعيّات الأخرى، فإنّكم تسمُّونني بكلّ نوع من أنواع الأسماء وبعض الحاضرين، بما في ذلك الإنسان الذي يستنطقني بصورة خاصّة. إنّه شخص قريب مني جداً بالنَّسب ويشاركني السكن عينه، وعندما أذهب إلى البيت ويسمعني أتفوّه بهذه الآراء يسألني إذا ما كان عليَّ أن أستحي من وقاحتي في التحدّث بشأن طريقة الحياة الجميلة، ويستمرّ سائلاً: « وبرغم ذلك، كيف تستطيع أن تعرف أنَّ هذه الأحاديث هي أحاديث جميلة أو أنها عكس ذلك ». وينطبق الشيء عينه على أيِّ عمل مهما كان « عندما لا تمتلك معرفة عن الجمال؟ وطالما بقيت على ما أنت عليه، ألا تعتقد أن موتك سيكون أفضل؟ ». إنّها قسمتي ونصيبي، ألا ترى، أنكم تشتمونني وتلعنونني أيها الأسياد بشكل مماثل، وذلك ما يفعله بي هو أيضاً. أفترض، على كلّ حال، أنّه يجب الصبر على كلّ هذا؛ يمكنني أن أحصل على خيرٍ ما منه إذا تحمّلت ما يصدر عنه ـ أشياء غريبة حدثت، ولا أظنّ حقّاً، يا هيبياس، بأنّني حصلت على خيرٍ ما من محادثتي معكما أنتما الاثنين. أعتقد الآن بأنّي أعجب إعجاباً عظيماً بالمثل القائل، « ما هو جميل صعب ».

محاورة هيبياس الصغرى

الفضيلة والمعرفة

افكار المحاروة الرئيسيَّة

إنّ هيبياس السوفسطائي لديه الفطرة السليمة مثل زميله بروتاغوراس، فهو عندما يحاور مستشهِداً بمقاطع من الإلياذة لهوميروس كي يدعم وجهة نظره، والتي ذكر فيها الشاعر أن آخيل هو أشجع اليونانيين، وأوديسيوس هو أعقلهم، فإنّما يفعل ذلك لثقته بأنّه يعرف ما عناه هوميروس في ملحمته هذه. لكن يهزمه علمُ منطق سقراط الجدليّ الذي لا يُغلب، والذي يتظاهر بتبيان أنّ آخيل ليس صادقاً فيما يقول، وأن لا تناقض ذاتياً مشابهاً عند أوديسيوس. يردّ هيبياس على ذلك بقوله، بأنّ آخيل يتكلّم زيفاً عن غير عمد، في حين أن أوديسيوس يفعل عكس ذلك. لكن هل الأفضل أن ترتكب الخطأ عن قصد أو عن غير قصد، يا سقراط؟ يجيب سقراط معتمداً على القياس التمثيليّ للفنون، يجيب بالتأكيد على الخيار الأوّل، أي أنّ فعلك الخطأ عن قصد هو الشيء الأفضل، بينما يتمسّك هيبياس بالخيار الثاني...

كلّ هذا يُفهم في نفسيّة أفلاطون، الذي هو بعيد جدّاً عن جعل سقراط يحاور إلى جانب الحقيقة دائماً. إنّ زيادة التفسير والشرح الموجودين عند هوميروس، اللذين جاءا بطريقة هجائية، هما أيضاً في نفسيّة أفلاطون. إنَّ ردَّ الشعر إلى علم الجدل يكون أكثر سخافة من إرجاع علم الكلام إلى علم المنطق، وهذا ينطوي على مغالطة كبيرة بشكلٍ متساوٍ. لقد وُجد متعقّلون في الأزمنة الغابرة كما في العصور الحديثة، لم يستطيعوا أن يعترفوا قطّ بصحّة طبعة الكتاب الطبيعيّ لشعر هوميروس، أو لأيّ كتاب آخر قرؤوه.

تُذكرّنا محاورة سقراط هنا بالتأويل الذي أعطاه عن سايمونايدس في محاورة بروتاغوراس، حيث يميّز اللاترابط المنطقي الواضح والتناقضات في كلام وأعمال آخيل، وكذلك العبارة الموهمة للصحّة والأشياء النهائية وهي: « أنّ الذي يكون حقيقيّاً يكون أيضاً باطلاً ». وتذكّرنا هذه المحاورة كذلك بالأشياء العقليّة المشابهة في الكتاب الأوّل من جمهورية أفلاطون. إنّ تلك التناقضات التي يكتشفها سقراط في كلمات آخيل هي تناقضات كبيرة، ولربّما كانت مثل تلك التناقضات التي اكتشفها بعض الانفصاليّين المحدثين في القصائد الهوميريّة.

وأخيراً بما أنّ سقراط قد أوقع هيبياس السوفسطائي في أشراك الاختياريّ واللااختياري، فإنّه يُجبَر هو نفسه على أن يعترف بأنّه يهيم في المتاهة عينها؛ إنّه يخلق عن نفسه ذلك التفكير الذي سيجده عنه الآخرين. ولا يتعجّب من وقوعه في الحرج هذا، لكنّه ينشده في ما يكون عليه هيبياس من حيرة، ويصبح سقراط مدركاً خطورة الوضع، عندما لا يستطيع إنسان مثله أن يذهب إلى الحكماء ويتعلّم منهم بعد اليوم.

محاورة هيبياس الصغرى

الفضيلة والمعرفة

اشخاص المحاورة

يوديكوس سقراط

هيبياس

يوديكوس: لماذا أنت صامت، يا سقراط، بعد العرض الرائع الذي قدّمه هيبياس؟ لِمَ لا تنقض كلماته إذا بدا لك أنّه قد كان مخطئاً في أيّة نقطة رئيسيّة منها، أو الانضمام إلينا في مدحه والإطراء عليه؟ هناك السبب الأكثر وجاهة الذي يجب أن تتكلّم من أجله، لأنّنا الآن بمفردنا، أمّا الحاضرون فقد قيّدهم أولئك الذين يمكن أن يطالبوا بحقّ كي يأخذوا دوراً في مباحثة فلسفيّة.

سقراط: إنّني سأحبّ كثيراً، يا يوديكوس، أن أسأل هيبياس عن معنى ما قاله لتوّه بشأن هوميروس. سمعت أباك، أبيمانتوس، يعلن أن إلياذة هوميروس هي قصيدة أجمل من الأوديسة في الدرجة عينها التي كان بها آخيل رجلاً أفضل من أوديسيوس؛ سيقول أن أوديسيوس هو الشخصية الرئيسة في واحدة منها وأنّ آخيل هو الشخصيّة الأخرى. وبعدُ، فإنّني أحبّ أن أعرف، إذا لم يكن عند هيبياس أيّ اعتراض على إخباري، ماذا يتصوّر هو بخصوص هذين البطلين، وأيٌّ منهما يؤكّد هو أنّه الأفضل. لقد أخبرنا من قبل في سياق عرضه للأشياء العديدة عن أنواعٍ مختلفة بشأن هوميروس والشعراء الكثر الآخرين.

يوديكوس: إنّني متأكّد من أنّ هيبياس سيكون سعيداً لإجابتك على أيّ شيء تحبّ أن تسأله بشأنه. أخبرني، يا هيبياس، إذا سألك سقراط سؤالاً، فهل ستجيبه عليه؟

هيبياس: حقّاً، يا يوديكوس، سأكون متناقضاً مع نفسي بغرابة إنْ رفضت إجابة سقراط على أسئلته، في حين أنّني أعلن بشكل متواصل في كلّ مهرجانٍ أولومبي، عند ذهابي من بيتي في مدينة إليس إلى معبد أولومبيا، حيث كان كلُّ الهيلينيين مجتمعين، وهناك أعلن عن عزمي على إنجاز أيٍّ من العروض التي هيأتها، وأن أجيب على أيّة أسئلة يطرحها أيّ شخص.

سقراط: حقاً، يا هيبياس، تلزمك التهنئة، إذا كان لديك في كلّ مهرجان أولومبي رأي مشجع عن حكمتك الخاصّة عندما تصعد إلى المعبد. إنّي أشكّ إذا ما كان أيّ بطل قويّ العضلات جسوراً وواثقاً من نفسه في تقديم جسده للقتال والصراع في أوليمبيا، كما تكون أنت في عرض فكرك.

هيبياس: وإنّ لهذا سبباً وجيهاً، يا سقراط؛ لأنّي منذ اليوم الذي تسجّلت في قوائم الأولومبياد بادىء ذي بدء، لم أجد إنساناً أسمى منّي في أيّ شيء على الإطلاق.(٣٥)

سقراط: يا لها من مفخرة، يا هيبياس، هل ستكون شهرة حكمتك بحسب مدينة إليس وبحسب والديك! لكن لنعد إلى صلب الموضوع: ماذا قلت عن أوديسيوس وآخيل؟ أيهما أفضل؟ وفي أيّ خاصيّة يتفوّق واحدهما على الآخر؟ لأنّك عندما قدمت عرضك وكان هناك مجموعة من الحاضرين في الغرفة، لم أستطع أن أتبعك برغم ذلك، ولم أرغب في أن أسألك ما عنيت، لأنّ جمهوراً غفيراً من الناس كان حاضراً، وكنت أخشى من أنّ السؤال يمكن أن يعوق عرضك للموضوع. لكن الآن لا يوجد العديد منا على النحو المشار إليه، ويأمرني صديقي يوديكوس بطرح الأسئلة. أتمنّى أن تخبرني ماذا

قلت بشأن هذين البطلين الاثنين، كي أتمكّن أن أفهم بجلاء؟ وكيف ميَّزتهما؟

هيبياس: سأكون في غاية السرور، يا سقراط، في توضيح وجهة نظري هنا أكثر ممّا أستطيعه في المكان العامّ بخصوص هذين البطلين، وبشأن الأبطال الآخرين أيضاً. لذلك أقول إنّ هوميروس قصد أن يكون آخيل هو أشجع الرجال الذين ذهبوا إلى طروادة، ونيستور هو الأعقل، وأوديسيوس هو الأمكر.

سقراط: أوه يا هيبياس النادر، هل ستكون هكذا جيّداً كي لا تضحك، إن وجدت صعوبة في متابعة ما تقول، وأنْ تردّد ذلك مرّات عديدة؟ أجبني من فضلك بعطف ولطف.

هيبياس: سأكون خجلاً من نفسي بشكل كبير، يا سقراط، إن لم أستطع، وأنا أعلّم هذه المواضيع للآخرين وأتقاضى مالاً على ذلك، سأكون خجلاً إن لم أستطع إجابتك بأسلوب مهذّب ومقبول، عندما تسألني.

سقراط: شكراً لك. الحقيقة هي أنّني أبدو مستوعباً ما عنيته عندما قلت إنّ الشاعر قصد أن يكون آخيل أشجع الرجال، وعنى هو أيضاً أن يكون نيستور الأعقل؛ لكنّك عندما قلت بأنّه عنى أن يكون أوديسيوس الأمكر، يجب عليّ أن أعترف بأنّي لم أستطع فهم ما قلت. هل ستخبرني ما تعنيه، وحينئذ لسوف أفهمك بشكل أفضل. ألم يجعل هوميروس آخيل مراوغاً؟

هيبياس: لا بالتأكيد، يا سقراط، إنّه الأكثر أمانة واستقامة من الجنس البشريّ كلّه، وحينما يقدّمهم هوميروس متكلّمين بعضهم مع بعض في المقطع المسمّى بالصلوات(٣٦)، يُفترض آخيل بالشاعر أنّه يقول لأوديسيوس:

« يا آبن لايرتز «LAERTES»(٣٧) النابت من السماء، يا أوديسيوس الحاذق، إنّني سأقول الكلمة التي قصدت أن أُنفّذها عمليّاً بكلّ وضوح، والتي أعتقد أنّها ستكون كلمة منجزة، لأنّي أكرهه مثلما أكره بوابات الموت الذي

يخبّىء فكرة في صدره وينطق بأخرى. لكنّني سأقول عن ذلك الذي سيكون متمماً ».

وبعدُ، فإنه يعين أخلاق، هذين الرجلين في هذه المقاطع بكل جلاء؛ إنه يبيّن آخيل بأنه صادق وبسيط، وأن أوديسيوس ماكر ومزيّف لأنه يفترض آخيل بأنه يخاطب أوديسيوس في هذه الأسطر.

سقراط: والآن، يا هيبياس، أعتقد بأنّي أفهم معناك عندما تقول إنّ أوديسيوس ماكر. يظهر أنّك تعني أنّه كاذب؟

هيبياس. هكذا بالضبط، يا سقراط؛ إنّه خُلُقُ أوديسيوس، كما يصوِّره هوميروس في مقاطع عدَّة من الإلياذة والأوديسة كلتيهما.

سقراط: ويجب أن نفترض أن هوميروس عنى أن الإنسان الحقيقيّ ليس الشيء نفسه كالرجل الكاذب.

هيبياس: طبعاً، يا سقراط.

سقراط: وهل هذا الرأي رأيك الخاصّ، يا هيبياس؟

هيبياس: بدون ريب، إنّه سيكون شيئاً شاذّاً إن لم يكن هكذا.

سقراط: حسناً إذن، بما أنّه لا يمكن أن نسأل هوميروس ما عناه بهذه المقاطع الشعريّة، دعنا نتركه وشأنه؛ لكن بما أنّك تبدي استعداداً لتؤيّد قضيته، وأنّ رأيك يتّفق وما تعلنه أنه رأيه، فهل ستجيب بالنيابة عن نفسك وعنه؟

هيبياس: سأفعل ذلك، إسأل أيّ شيء تحبّ باختصار.

سقراط: هل تصنف أنت الكاذب أو المزيف بالمريض مثل الأشخاص الذين لا يمتلكون القوّة كي يفعلوا الأشياء، أو أنّك تصنّفه بين أولئك الذين لديهم القوة كي يقوموا بفعل الأشياء؟

هيبياس: عليّ أن أقول إنّهم يمتلكون القوة كي يفعلوا أشياء عديدة، ولكي يخدعوا الجنس البشريّ على وجه التخصيص.

سقراط: إذن، طبقاً لك، كلاهما يكونان قويّين وماكرين أليسا كذلك؟

هيبياس: نعم.

سقراط: وهل يكونان ماكرين، ويخدعان بسبب بساطتهما وغباوتهما، أو بسبب حذقهما وبسبب نوعٍ محدَّدٍ لذكائهما؟

هيبياس: بسبب ذكائهما وحذقهما، بالتأكيد الأكثر.

سقراط: افترض بأنهما أذكياء إذن؟

هيبياس: إنّهما لكذلك ـ جداً.

سقراط: وإذا كانا ذكيين، فهل هما يعرفان ما يفعلان أم لا؟

هيبياس: طبعاً، إنّهما يعرفان ما يفعلان جيّداً جداً. هذا ما يجعلهما مولَعين بأذى الآخرين.

سقراط: وممتلكَين هذه المعرفة، هل هما جاهلان، أو هل هما عاقلان؟

هيبياس: عاقلان بكلّ تأكيد، على الأقلّ، بقدر ما يستطيعان أن يخدعا.

سقراط: قف، ودعنا نتذكّر ما أنت قائل؛ ألا تقول بأن الكَذَبَة يكونون أقوياء وأذكياء وعارفين وعقلاء في تلك الأشياء التي يكونون كاذبين بشأنها؟

هيبياس: لتكن متأكداً.

سقراط: ويختلف الصادق من الكاذب ـ إنّ الصادق والكاذب يناقض أحدهما الآخر تماماً.

هيبياس: تلك هي وجهة نظري.

سقراط: إذن، طبقاً لوجهة نظرك سيبدو أنّ الكَذَبَة يجب تصنيفهم في طبقة الأقوياء والحكماء؟

هيبياس: بكل تأكيد.

سقراط: وعندما تقول أنت بأنّ الكَذَبَة أقوياء وحكماء في الأشياء التي هم كاذبون بشأنها، هل تعني أنّهم يمتلكون الحكمة والقوة كي يتكلّموا باطلاً؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ الإنسان الذي ليست لديه القوّة كي يتكلّم باطلاً ويكون جاهلاً، لا يمكن أن يكون كاذباً؟

هيبياس: إنّك لمحقّ.

سقراط: وكل إنسان يمتلك قوّة يقوم بذلك الذي يرغبه في الوقت الذي يتمنّاه. إنّني لا أتكلم عن أيّة حالة خاصة يكون فيها الإنسان مريضاً ويمنعه المرض من الكلام، أو عن أيّ شيء آخر من ذلك النوع، لكنّي أتكلّم بشكل عام، كما يمكنني أن أقول بأنّك قادر على أن تكتب اسمي عندما تحبّ. ألن تسمي الذي يستطيع القيام بذلك إنساناً قادراً؟

هيبياس: نعم.

سقراط: وقل لي، يا هيبياس، ألست أنت حاسباً وعالماً حاذقاً في علم الحساب؟

هيبياس: نعم، يا سقراط، إنّني هكذا بكلّ تأكيد.

سقراط: وإذا ما كان شخص ما ليسألك ما هو مجموع الرقم ثلاثة مضروباً بالرقم سبعمائة، فإنّك ستخبره الإجابة الصحيحة في لحظة، إذا سرّك ذلك؟

هيبياس: إنّني سأفعل بدون ريب.

سقراط: أليس ذلك لأنّك أعقل الرجال وأقدرهم في هذه المسائل؟

هيبياس: نعم.

سقراط: وكونك أعقل الرجال وأقدرهم في مسائل الحساب هذه، ألست أنت الأفضل كذلك؟

هيبياس: لتكن متأكداً، يا سقراط، أنّني الأفضل

سقراط: إذا كان طلب الحقيقة واجباً بخصوص هذه المسائل، فإنّك ستكون الأكثر قدرة على الإخبار عنها، أليس كذلك؟

هيبياس: سأدّعي ذلك.

سقراط: وهل تستطيع أن تتكلّم تزييفاتٍ بشأنها جيّداً بالشكل عينه؟ يجب عليَّ أن أستعطفك، يا هيبياس، كي تجيبني بالصراحة والشهامة نفسهما اللتين وُصِفت بهما حتى الآن. إذا ما كان شخص ما سيسألك ما هو مجموع العدد ثلاثة مضروباً بالعدد سبعمائة، ألن تكون المخبر الأفضل والأكثر إستقامة أو متساوقاً للأكاذيب بشأن هذه المسائل عينها، إذا أردت أن تخبر أكاذيب، وكذلك أن لا تعطي الجواب الحقيقيّ قطّ؟ هل سيكون الرجل الجاهل أقدر كي يقول الأكاذيب في مسائل الحساب أكثر مّما ستكون عليه أنت، إذا اخترت ذلك؟ ألن يتلعثم ويخطىء عند الحقيقة بجهله تكراراً برغم أنّه أراد أن يخبر كذبة، في حين أنّك أنت الإنسان العاقل، إذا أردت أنّ تقول كذبة فإنّك ستكذب دائماً وبشكل متّسق؟

هيبياس: نعم؛ إنّك لمحقّ تماماً.

سقراط: هل يخبر الرجل المزيَّف أكاذيب بشأن الأشياء الأخرى، لكنّه لا يخبرها بخصوص العدد، أو حينما يكون مهيَّأً لعمليةٍ حسابية؟

هيبياس: لتكن متأكداً؛ إنّه سيخبر العديد من الأكاذيب بشأن العدد كما يخبرها بخصوص الأشياء الأخرى.

سقراط: إذن هل يمكننا أن نفترض أبعد من ذلك، يا هيبياس، أنّ هناك رجالاً كاذبين بشأن الحساب والعدد؟

هيبياس: نعم.

سقراط: مَن يمكن أن يكونوا هم؟ لأنّك اعترفت من قبلُ بأنّ من يكون كاذباً يجب أن يمتلك القدرة كي يكون كاذباً؛ قلت أنت، كما ستتذكّر، بأنّ من يكون غير قادرٍ على أن يكون كاذباً لا يمكنه أبداً أن يصبح كاذباً؟

هيبياس: نعم، أتذكّر أنه قيل هكذا.

سقراط: أولم تبيِّن أنت نفسك أنّك الأقدر على الكلام بتضليل وزيف بشأن الحساب؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّ الشخص نفسه يكون قادراً على أن يتكلّم بالحقّ وبالكذب كليهما بشأن الحساب؟ وذلك الشخص هو مَن يكون كفؤاً في الحساب ـ عالم الحساب؟

هيبياس: نعم.

سقراط: من الذي يُكتشف إذن، يا هيبياس، ليكون كاذباً في علم الحساب؟ أليس هو الرجل الكفؤ في ذلك؟ لأنّ الإنسان الصالح هو الإنسان القادر، وهو الإنسان الحقيقيّ؟

هيبياس: بوضوح.

سقراط: ألا ترى حينئذ، أنّ الرجل نفسه يكون كاذباً وصادقاً أيضاً بشأن هذه المسائل؟ والإنسان الصادق لا يكون أفضل من الرجل الكاذب بمثقال ذرّة لأنّ الشيء نفسه يكون معه حقّاً وليس الضدّ بالتحديد، كما كنت متصوّراً لتوّك الآن؟

هيبياس: يبدو، أنّه ليس هكذا في ذلك المثل.

سقراط: هل سنتفحّص أمثلة أخرى؟

هيبياس: بالتأكيد، إن كنت ميّالاً لذلك.

سقراط: ألستَ أنت بارعاً في علم الهندسة أيضاً؟

هيبياس: إنّني لكذلك.

سقراط: حسناً، أوَلا يثبت الشيء عينه في ذلك العلم أيضاً؟ ألا يكون الشخص نفسه الأفضل قدرة على أن يتكلّم بالكذب أو أن يتكلّم بالصدق بشأن الرسوم التخطيطيّة؛ ويكون هو ـ عالم الهندسة؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إنّه هو وليس شخصاً آخر كفؤ فيها؟

هيبياس: نعم، إنّه يكون هو لا شخصاً آخر.

سقراط: إذن فإنّ عالم الهندسة الكفؤ والعاقل يمتلك هذه القوّة المضاعفة بالدرجة الأعلى؛ وإذا ما وُجد رجل هو كاذب بشأن الرسوم البيانيّة، فسيكون هو الرجل الكفؤ لأنّه هو القادر على أن يكون كاذباً؛ في حين أنّ الرجل السيِّء يكون غير قادرٍ على ذلك، ولا يستطيع أن يصبح كاذباً لهذا السبب، وهذا ما تمّ الاعتراف به.

هيبياس: صدقاً.

سقراط: مرّة ثانية ـ دعنا نختبر حالة ثالثة، إنّها حالة عالِم النجوم، وتدّعي أنت مرّة ثانية، يا هيبياس، أنّك لا تزال الأمهر فيها ممّا تقدَّم طرحه من مواضيع ـ ألا تقول ذلك؟

هيبياس: نعم، إنّني أفعل.

سقراط: أوَ لاَ يثبت الشيء عينه عن علم النجوم؟

هيبياس: من المحتمل.

سقراط: وفي علم النجوم أيضاً، إذا كان أيّ رجلٍ قادراً على أن يتكلّم كَذباً فإنّه سيكون عالم النجوم الكفؤ ـ وليس الإنسان الذي يكون غير قَادرٍ على أن يتكلم بالكذب، لأنّه لا يمتلك المعرفة.

هيبياس: لا بوضوح.

سقراط: إذن ففي علم النجوم أيضاً، سيكون الرجل نفسه صادقاً وكاذباً؟

هيبياس: يبدو أنّ ذلك صحيح.

سقراط: وبعدُ، يا هيبياس، تأمّل السؤال مليّاً بشكل واسع بشأن كلّ العلوم، وانظر إذا ما كان المبدأ عينه يثبت على الدوام. أعرف بأنّك أعقل الرجال في الفنون الأكثر وجوداً، كما سمعتك تتباهى في الساحة العامة على طاولات مبدّليّ الدراهم، عندما كنت تعرض كنوز حكمتك العظيمة والتي تُحسدُ

عليها؛ وكما قلتُ مرّة واحدة، حينما ذهبت إلى الألعاب الأولومبيّة، إنَّ كلّ ما امتلكته بنفسك كان من صنعك الخاصّ. ابتدأت بخاتمك، الذي صنعته أنت، وقلت بأنّك تستطيع أن تحفر على الخواتم. وكان لديك خَتْم آخر من صنعك الخاصّ أيضاً، ومكشطة للجلد وقارورة زيت صنعتهما بنفسك؛ قلت إنّك صنعت أيضاً الأحذية التي كنت تنتعلها، والعباءَة المحاكة والجلباب القصير اللذين كنت تلبسهما؛ لكنّ الذي بدا لكلّ شخص أنّه الشيء الأكثر غرابة والبرهان على الفنّ المفرد الفريد، كانت المِنطَقَة لجلبابك، والتي قلتَ أنّها كانت جميلة والأكثر كلفة مثل النسيج الفارسي، وهي من صنعك أيضاً؛ بالإضافة إلى ذلك، فإنّك أخبرتنا بأنك أحضرت معك قصائدك الحماسيّة، والمأساويّة، والغنائيّة، مثلما جلبت كتاباتك النثريّة المتعدّدة الأنواع؛ وقلت إنّ براعتك كانت متفوّقة في الفنون التي ذكرتها لتوّي، وكذلك في القواعد والمبادىء الحقيقيّة للإيقاع والتناسق وضبط الإملاء. وإذا تذكّرت صحيحاً، فإنّه كان هناك العديد من الإنجازات العظيمة الأخرى التي تفوّقت بها. إنّني نسيت أن أذكر نظامك في فنّ تقوية الذاكرة، والذي تعتبره كمجدٍ خاصٍّ بك، وأجرؤ على القول بأنّي نسيت العديد من الأشياء الأخرى. لكنّي كما كنت قائلاً أُنظر لفنونك الخاصة فقط ـ وهناك الوفرة منها ـ وانظر إلى تلك الفنون الأخرى؛ وأخبرني، وليكن لديك اعتبار للاعترافات التي قدّمناها سويّة، أخبرني إذا ما اكتشفت أيّ فرع من فروع الفنّ أو أيّ نوعٍ من أنواع الحكمة المنفَّذ ببراعة، أو أيّ اسمٍ تستعمله يكون فيه الإنسان الصادق والإنسان الكاذب مختلفين ولا يكونان الشيء عينه. أخبرني، إن استطعت، عن أيٍّ منهما. لكنّك لا تقدر على ذلك.

هيبياس: ليس قبل التفكير مليّاً، يا سقراط.

سقراط: لا ولن يساعدك التفكير مليّاً، يا هيبياس، كما أعتقد؛ لكن إذا كنت محقّاً، تذكّر ما ستكون العاقبة.

هيبياس: إنّني لا أعرف ما تعنيه، يا سقراط.

سقراط: ربّما لأنّك لا تستعمل نظام فنّ تقوية الذاكرة الخاصّ بك - بوضوح إنّك تعتقد بأنّ هذه فرصة مناسبة له؛ لكنّني سوف أذكّرك. ألم تقل بأنّ آخيل كان إنساناً صادقاً، وأنّ أوديسيوس كان رجلاً كاذباً وماكراً؟

هيبياس: إنّي فعلت.

سقراط: وبعدُ هل تتصوّر أنّ الشخص نفسه قد أصبح كاذباً وصادقاً أيضاً؟ إذا كان أوديسيوس كاذباً فإنّه كان صادقاً أيضاً، وإن كان آخيل صادقاً فإنّه كان كاذباً أيضاً، وهكذا فإنّ الرجلين الاثنين ليسا مختلفين أو متناقضين، بل متشابهان.

هيبياس: أوه يا سقراط، إنّك تحيك شباك المحاورة على الدوام، وتختار أكثر النقاط الرئيسيّة صعوبة، وتركز على التفاصيل بدلاً من التشبّث بالمسألة قيد البحث ككلّ. تعال الآن، سأشرح لك، إذا سمحت لي، وسأوضح لك بالعديد من البراهين المقنعة، أنّ هوميروس قد جعل من آخيل إنساناً أفضل من أوديسيوس، وجعله إنساناً صادقاً أيضاً، وأنّه خلق من الرجال الآخرين رجالاً ماكرين، اجترحوا العديد من الأكاذيب، وهم أدنى مستوىً من آخيل. وإذا سرّك بعدئذ، فإنّك ستؤلّف خطاباً على الجانب الآخر، كي تبرهن أنّ أوديسيوس هو إنسان أفضل؛ ويمكن لهذا أن يُقارن بالذي يخصّني، وستعرف الجماعة الحاضرة معنا حينئذ أيّاً منا هو المتكلّم الأفضل.

سقراط: أوه يا هيبياس، إنّني لا أشكّ بأنّك أعقل مني. لكن لديَّ طريقة في المحاورة. عندما يقول شخص آخر أيّ شيء، فإنّني أعطيه انتباهاً أقرب، خاصّة إذا بدا المتكلّم أنّه إنسان حكيم. وبما أنّ لديَّ رغبة ملحّة كي أفهم، فإنّي أسأله، وأختبر وأحلّل وأضع ما يقوله معاً، ليتسنّى لي الفهم. إنّني لا أستنطقه، أو أشغل وأزعج نفسي بكلماته. ويمكنك أن تعرف بواسطة هذا

مَن هم الذين أعتبرهم رجالاً حكماء، لأنك سوف ترى أنّي عندما أتحدث مع إنسان حكيم، فإنّني يقظٌ جدّاً لِما يقوله. أطرحِ عليه أسئلة، كي يمكنني أن أتعلّم منه وأتحسّن به. ولا أستطيع إلاّ أنِ أشير في حين كنت تتكلّم أنت، أنّك عندما تلوت المقاطع الشعرية، كما حاورت، تلك المقاطع التي يهاجم آخيل فيها أوديسيوس وكأنّه مخادع، فإنّك يجب أن تكون مخطئاً بشكل غريب، لأنّ أوديسيوس الرجل المخادع، لم يُكتشف أنّه أخبر كذبة قط؛ لكنّ آخيل وُجِد أنّه ماكرٌ بناءً على تبيينك، وأنّه يتكلّم ببُطل وزيفٍ على كلِّ حال؛ ذلك لأنّه تفوّه بادىء ذي بدء بهذه الكلمات، التي ردّدتها لتوّك الآن.

« إنّني لأكرهه مثلما أكره بوابات الموت الذي يخفي في قلبه فكرة ما وينطق بأخرى ».

ويقول هو حينئذ، بعد بقليل، بأنّه لن يتحرّك بأيّ إقناع من أوديسيوس وأغاميمنون، ولن يبقى في طروادة؛ بل يقول:

« غداً، حينما أقدّم تضحيات إلى زيوس وإلى كلّ الآلهة، بما أنّني حمّلتُ بواخري جيداً، سأسحبها إلى أسفل، إلى الأعماق؛ وبعدئذ أنت سترى، إذا كان لديك عقل، وإن كانت أشياء كهذه مّما تهتمّ به، فإنّ بواخري ستبحر في الصباح الباكر فوق مضيق الدردنيل الكثير السمك، ورجالي يكدّون مستعملين المجذاف بشوق، وفي اليوم الثالث سوف أصل إلى فثيا المخصبة ».

وقبل ذلك، عندما كان يشتم أغاميمنون، قال:

« والآن إلى فثيا سأذهب، بما أنّ العودة إلى البيت في البواخر المنقاريّة الشكل هي أفضل بشكل بعيد، لا ولست ميّالاً للبقاء هنا في الخزي، وجمع الثروة والغنى لك ».

لكن مع أنّه في تلك المناسبة، وفي حضور الجيش كلّه، تكلّم بهذه الطريقة،

وتكلّم في المناسبة الأخرى لرفاقه، ويبدو أنّه لم يكن لديه أيّ تجهيزٍ أو محاولة كي يبحر بالبواخر إلى أسفل، وكأنّ لديه القصد الأقل للإبحار إلى بلده؛ هكذا كان غير معتبر الحقيقة بنبل. والآن، يا هيبياس، فإنّني طرحت عليك السؤال في الأصل لأنّي شككتُ فيما يتعلّق بالبطلين الاثنين أيّهما كان يقصدُ الشاعر أنّه الشاعر الأفضل، ولأنّي تصوّرت أنهما كليهما كان متفوقين، وأنّه سيكون من الصعب تقرير أيّهما كان الأفضل، ليس فيما يخصّ الحقيقة والباطل، بل فيما يخصّ الفضيلة بشكل عامّ، لأنّهما، حتى في مسألة قول الحقيقة هذه، كثيراً، هما على قدم المساواة.

هيبياس: أنت مخطىء هناك، يا سقراط؛ إذ بقدر ما يتكلّم آخيل بزيف، فإنّ هذا التكلّم بزيف يكون غير متعمّد. إنّه مجبر، رُغم إرادته، على البقاء وإنقاذ الجيش من محنته. لكن عندما يتكلّم أوديسيوس بالكذب، فإنّه يكون كذّاباً بإختياره وعن عمد.

سقراط: إنّك تقلّده، يا عزيزي هيبياس، وأنت تخدعني.

هيبياس: لا بالتأكيد، يا سقراط؛ ما الذي جعلك تقول ذلك؟ وماذا تعني؟

سقراط: لأنّك تقول بأنّ آخيل لا يتكلّم كذباً عن قصد، في حين أنّه ليس متبجّحاً حسب وصف هوميروس له فقط، بل إنّه كان بارعاً وماكراً، وأظهر أنه كذلك واثقٌ من الحصول على الأفضل من أوديسيوس بالكذب غير المكتَشف وبالمزاعم الباطلة، وذلك كي يجرؤ على أن يناقض نفسه أمام أوديسيوس الذي لم يكتشفه. على كلّ حال فهو لا ينظر على أنّه قال أيّ شيء سيدلُّ ضمناً على أنّه أدرك زيفه.

هيبياس: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: ألم تلاحظ أنّه بعد أن أخبر أوديسيوس بأنّه سيبحر بعيداً مع طلوع الفجر الباكر، روى لأجاكس قصّةً مغايرة لهذا تماماً؟

هيبياس: أين ذلك؟

سقراط: حيث يقول:

« إنّني لن أعطي أيّ اهتمامٍ للحرب الدمويّة إلى أن يأتي برايم[٣٨] المولع بالحرب، يا هيكتور اللّامع، إلى أن يأتي إلى الخيَم والبواخر التي تخصّ الميرموديين، ذابحاً اللّاغورسيين، حارقاً البواخر بالنار؟ وبقرب خيمتي والباخرة السوداء، اشتبهت بأنّ هيكتور، بالرّغم من أنّه مشتاق للمعركة، لن يبقى مكتوف الأيدي برغم ذلك ».

وبعدُ، هل تتصوّر حقّاً، يا هيبياس، أنّ ابن ثيتيس[٣٩] الذي كان تلميذ تشايرون الصّوفي العالِم، هل تتصوّر أنه كان لديه ذاكرة سيّئة، إذ إنّه بعد أن هاجم الكذَبة بعنف وبالعبارات الأكثر تهجّماً وللحظة سبقت فقط، يقول لأوديسيوس بأنّه سيبحر بعيداً، ويقول إنّ على أجاكس أن يبقى؟ ألا تعتقد أنت بالأحرى أنّه كان يعدُّ مصيدة لأوديسيوس الذي اعتبره وكأنّه مغفّل قديم، متوقّعاً أن يُهزم بفنون أوديسيوس الخاصة المخادعة وبزيفه؟

هيبياس: لا، إنّني لا أتّفق معك، يا سقراط؛ لكنّني أعتقد أنّ آخيل أُغريَ أو استُحِثَّ ليقول شيئاً واحداً لأجاكس، إذ إنّه قال شيئاً آخر لأوديسيوس، بحسب رقّة قلبه؛ في حين أنّ أوديسيوس، سواء إذا تكلّم بالباطل أو بالصدق، فإنّه يتكلّم بقصدٍ شرّيرٍ على الدوام.

سقراط: إذن سيظهر أوديسيوس أنّه أفضل من آخيل بعد كلّ هذا؟

هيبياس: لا بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: لماذا، ألم يُبيِّن الكذَبةُ الاختياريّون كي تُوهِّم أنت الآن أنّهم أفضل من الكذبة اللاإختياريين؟

هيبياس: يا سقراط، كيف يستطيع أولئك، الذين هم ظالمون عمداً، والذين يفعلون الأذى المتعمَّد اختيارياً، كيف يستطيعون أن يكونوا أفضل من أولئك الذين

يخطئون ويفعلون الأذى لا إرادياً؟ هناك عذر كبير بالتأكيد، أو مبرّرٌ كي يُخلق رجلٌ يخبر بالكذب أو الباطل أو يلحق الأذى أو أيّ نوع من الضرر بالآخرين، من الجهل. وتكون القوانين أكثر صرامة بوضوح وببعد كبير على أولئك الذين يكذبون أو يفعلون الشرّ عمداً، أكثر منها على أولئك الذين يقومون بالشرّ لا إرادياً.

سقراط: أنت ترى، يا هيبياس، كما أخبرتك من قبلُ؛ كيف أنّني ملحاح في طرح الأسئلة على الرجال الحكماء. وأعتقد أنّ هذه هي النقطة الرئيسيّة الجيّدة الخاصّة بي فقط، من بين نقاط أخرى سيّئة؛ إذ حيث تكون الأشياء مختصّة بشيء، فإنّني أرتبك وأتخبّط[٤٠]. إنّ عجزي يبرهن لي بالحقيقة، إذ إنّني عندما أقابل واحداً منكم أنتم المشهورين بالحكمة، والذي يشهد لحكمته الهيلينيون كلهم، أُرى أنّني لا أعرف شيئاً. ولو تكلّمت بشكلٍ عامّ، فقد كان لديَّ الرأي عينه بالكاد، بشأن أيّ شيء تمتلكه، وأيّ برهان عن جهلي يمكن أن يكون أعظم من أنّي أختلف عن الرجال الحكماء. لكنّني أمتلك ميزةً واحدة مفردة خيِّرة، هي إنقاذي وخلاصي؛ وهي أنّي لا أستحي أن أتعلّم، وأن أسأل وأستقصي، وأقِرّ بالجميل جدّاً لأولئك الذين يجيبونني، ولن أتوانى قطّ أن أهبهم شكري وامتناني. وعندما أتعلّم شيئاً فلن أنكر أبداً أو أتنكّر لالتزاماتي وتعهّداتي، أو أتظاهر أنّ الدرس الّذي تلقّيته كان من اكتشافي الخاصّ؛ لكنّني أمتدح وأثني على حكمةِ مَن علّمني وأُعلن وأُنادي صراحة بما تعلّمت منه. وبعدُ فإنّني لا أستطيع أن أوافق على ما تقوله، بل أختلف مع ذلك بشكل قويّ. حسناً، أعرف بأنّ هذه الغلطة هي غلطتي. إنّني هكذا كما أنا، وأرغب بعدم المطالبة بأيّ شيء أكثر. إنّ رأيي، يا هيبياس، معاكسٌ جدّاً لِمَا تقول لأنّني أؤكّد أنّ أولئك الذين يؤذون أو يظلمون الجنس البشريّ، ويتكلّمون كذباً ويخدعون، ويخطئون عمداً، هم

أفضل ببعيد من أولئك الذين يفعلون الخطأ لا إرادياً. إنّني من الرأي المضادّ، بعض المرّات، على كل حال لأنّني منحرفٌ في أفكاري عن الطريق الصحيح كليّة بشأن هذه المسألة. إنّها حالة تسبّبت بالجهل بشكل جليّ. ويحدث أن أكون في أزمة لحدّ الآن تماماً بسبب الفوضى الخاصّة بي، والتي مفادها أنّ أولئك الذين يخطئون عمداً يبدون لي أفضل من أولئك الذين يخطئون لا إرادياً. إنّ حالتي الفكريّة الحاضرة ناشئةٌ من محاورتنا السابقة، والتي جعلتني أميل إلى الاعتقاد بأنّ أولئك الذين يفعلون الخطأ بشكل عامّ لا إرادياً هم أسوأ من أولئك الذين يقومون به عن قصد، ولذلك فإنّي آمل أنّك ستكون جيّداً معي، وأن لا ترفض أن تداويني ممّا أنا فيه لأنّك ستقدّم لي منفعة أكبر بكثير إذا شفيتَ روحي من الجهل، ممّا لو قمت بشفاء جسدي من المرض. يجب أن أخبرك مسبقاً، على كلّ حال، أنّك إذا ألّفت خطبة طويلة لي فلن تشفيني بذلك، لأنّي لن أكون قادراً على أن أتبعك؛ لكن إنْ أجبتني، كما فعلت لتوّك الآن، فإنّك ستؤدّي لي مقداراً عظيماً من الخير، وأنا لا أعتقد بأنّك ستكون الرّجل السيّىء. إنّ لديَّ مطلباً عليك أيضاً، أوه يا ابنَ أيمانتوس، لأنّك حثثتني على أن أحادث هيبياس؛ والآن إذا لم يجبني هيبياس، فيجب عليك أن تستعطفه بالنيابة عنّي.

يوديكوس: لكنّني لا أعتقد، يا سقراط، بأنّ هيبياس سيحتاج لأيّ توسّل منّي؛ لأنّه قال من قبلُ بأنّه لن يهرب من أيّ رجل يسأله. ـ ألم تقل هكذا، يا هيبياس؟

هيبياس: نعم، إنّي فعلت؛ لكن، يا يوديكوس، فإنّ سقراط مزعج في المحاورة، وإذا ما أمكنني أن أقول كذلك فهو مولع بالعَبَث واللعب(٤١).

سقراط: يا هيبياس الممتاز، إنّي لست كذلك عن قصد « إنْ كنت، فستظهرني كي أكون إنساناً عاقلاً وسيّداً في الخداع، كما ستوافق على ذلك »، لكنّي أفعل هذا عن غير قصد، ولهذا السبب يجب أن تعفو وتصفح عنّي؛ لأنّ

من يكون مولَعاً بالعبث واللّعب، كما تقول، يستحقّ المغفرة له والصفح عنه.

يوديكوس: نعم، يا هيبياس، إفعل كما يقول. ومن أجلنا، ولكي تتمكّن من أن لا تناقض مهنتك أيضاً، أجب على أيّ سؤال يسألك إيّاه سقراط.

هيبياس: سأجيب، كما تطلب منّي؛ وآسألني أنت أيّ شيءٍ تحبّه.

سقراط: إنّني لراغب جداً، يا هيبياس، في اختبار وتفحّص هذا السؤال، فيما يتعلق بالذي يكون أفضل ـ أولئك الذين يخطئون عمداً أو عن غير قصد؟ أعتقد، بأنّ هذا السؤال يُستطاع اختباره بهذه الطريقة. أجبني من فضلك: ستعترف أنت، ألن تفعل ذلك، ستعترف بأنّه يوجد عدّاؤون كفوؤون؟

هيبياس: نعم.

سقراط: ويوجد عدّاؤون سيّئون؟

هيبياس: نعم.

سقراط: والذي يركض جيّداً يكون عدّاءً كفؤاً، ومن يعدو عدواً سيّئاً هو عدّاء سيء؟.

هيبياس: حقيقي تماماً.

سقراط: والذي يعدو ببطء يركض ركضاً سيّئاً، والذي يجري بسرعة يجري جرياً جيّداً؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ السرعة في السباق وفي الجري جيدة، والبطء نوعيّة سيّئة فيهما؟

هيبياس: لتكن متأكداً.

سقراط: أيٌّ من الإثنين يكون عدّاءً أفضل؟ هل هو الذي يجري ببطء عمداً، أو هو الذي يجري ببطء لا إراديّاً؟

هيبياس: إنّه الذي يركض ببطء عمداً.

سقراط: أليس الركض ضرباً أو نوعاً من أنواع الفعل؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: وإذا كان الركض نوعاً من أنواع الفعل، فهو ضرب من ضروب العمل؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ من يعدو بسوء يقوم بعمل سيّىء وضارٌ بالسمعة في السباق؟

هيبياس: نعم؟ إنّه عمل سيِّىء بدون ريب.

سقراط: ويركض بسوء، مَن يركض ببطء؟

هيبياس: نعم.

سقراط: والعدَّاء الكفؤ يقوم بهذا العمل السيِّىء والضارّ بالسمعة عمداً، والعدَّاء السيِّىء يقوم به عن غير قصد؟

هيبياس: يجب أن يستنتج ذلك.

سقراط: إذن ففي السباق إنَّ من يقوم بأعمالٍ سيّئة عن غير قصد، يكون أسوأ ممّن يفعلها عمداً؟

هيبياس: نعم، في السّباق.

سقراط: حسناً؛ لكن في حلبة المصارعة ـ أيٌّ يكون المصارع الأفضل، مَنْ يسقط عمداً أو مَنْ يسقط عن غير عمد؟

هيبياس: هو الذي يسقط عمداً، بدون شك.

سقراط: وهل السقوط في مباراة المصارعة أكثر ضرراً وأسوأ بالسمعة من رمي الآخر أرضاً؟

هيبياس: السقوط.

سقراط: إذن فإنّ من يقوم بأعمال سيّئة وضارّة بالسّمعة في مبارزة مصارعة عمداً أيضاً، يكون أفضل من المصارع الذي يؤدِّيها لا إراديّاً؟

هيبياس: يبدو أنّ هذه هي الحقيقة.

سقراط: وماذا ستقول أنت عن أيّة تمارين جسديَّة أخرى ـ أليس من يمتلك بنيةً

جسديَّةً أفضل قادراً على أن يؤدِّي الأعمال لذلك الذي يكون قوياً ولذلك الذي يكون ضعيفاً على حدّ سواء ـ لذلك الذي يكون جميلاً ولذلك الذي يكون قبيحاً؟ وهكذا فإنّه هو الذي يقوم بأعمال سيّئة بالجسد. فالذي يمتلك بنيةً جسديَّة أفضل يفعلها عمداً، والذي يمتلك البنية الجسديّة الأسوأ يؤدِّيها لا طوعيّاً.

هيبياس: نعم، يظهر أنّ ذلك حقيقي بشأن القوّة.

سقراط: وماذا تقول عن الرشاقة أو التناسق الجسديّ، يا هيبياس؟ أليس الذي إتخذ شكلاً بشكل أفضل، أليس قادراً على أن يتّخذ أشكالاً وأوضاعاً سيّئة وقبيحة عن قصد، كما يكون الذي اتّخذ الشكل الأسوأ قادراً على أن يتّخذه لا إراديّاً؟

هيبياس: حقاً.

سقراط: إذن فإنّ البشاعة الإراديَّة تأتي من إمتياز الهيكل الجسديّ، والبشاعة اللاّطوعية تأتي من الخلل في هذا الهيكل؟

هيبياس: صدقاً.

سقراط: وماذا ستقول أنت عن الصوّت اللاّموسيقيّ؛ هل ستفضّل الصوت الذي يكون خارج التناغم الموسيقيّ عمداً أو الذي يكون خارجاً لا إراديّاً؟

هيبياس: أفضِّل ذلك الذي يكون خارج هذا التناغم عمداً.

سقراط: إنّ الصوت اللاّطوعي هو أسوأ الإثنين.

هيبياس: نعم.

سقراط: وهل ستفضِّل أن تختار الخيرات أو الشرور؟

هيبياس: الخيرات.

سقراط: وهل ستفضِّل أن تمتلك قدمين ضعيفتين طوعيّاً أو لا إراديّاً؟

هيبياس: أفضِّل القدمين الضعيفتين طوعيّاً.

سقراط: لكن أليس الضّعف خللاً أو تشوّهاً في القدمين؟

هيبياس: نعم.

سقراط: وهل ستفضّل على الدوام أن تمتلك عينين يمكنك أن تطرفهما عمداً وأن ترى بهما بنقص، أو عينين ستطرفهما لا إراديّاً؟

هيبياس: إنّني سأفضّل العينين اللتين تطرفان عمداً.

سقراط: إذن فإنّك تعتبر أجزاء جسدك الخاص بك تلك التي تعمل بسوء عمداً، أفضل من تلك الأجزاء التي تفعل بسوءٍ لا إراديّاً؟

هيبياس: نعم، بالتأكيد. إنّها كذلك في حالات كهذه التي تذكرها.

سقراط: ألا يثبت الشيء عينه عن الأذنين، المنخرين، الفم، وعن كل هذه الجوارح ـ تلك التي تعمل سيّئاً لا إراديّاً لن يرغبها أحد، لكونها ناقصةً؛ أمّا تلك التي تعمل سيّئاً عمداً فسيرغبها الرّجال لكونها صالحة؟

هيبياس: أوافق.

سقراط: وماذا ستقول عن الأدوات ـ أيٌّ نوعٍ منها هو الأفضل كي تعمل به: تلك التي يعمل بها الإنسان سيّئاً عن قصد أو لا إراديّاً؟ كمثال، هل يكون أفضل لإنسانٍ أن يمتلك دفّة سيدير بها مقود السفينة بشكل سيّىء، عمداً أو لا إراديّاً؟

هيبياس: الأفضل هو المقود الذي يدير به السفينة بشكل سيِّىء طوعياً.

سقراط: ألا يثبت الشيء عينه عن القوس وعن العود، عن الناي وعن كلّ الأشياء الأخرى؟

هيبياس: حقيقيّ جداً.

سقراط: وهل ستفضّل أن تمتلك حصاناً له مزاج يمكنك أن تمتطيه بسوء عمداً أو لا إراديّاً؟

هيبياس: أفضِّل أن يكون لديَّ حصان أستطيع امتطاءَه بسوء عمداً.

سقراط: إنّ ذلك الحصان سيكون حصاناً أفضل؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إذن فإنك مع الحصان ذي المزاج الأفضل، ستُنتج أعمالاً رديئة عمداً؛ وستنتج مع الحصان ذي المزاج السيِّىء أعمالاً سيّئة لا طوعيّاً؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: وسيكون ذلك صحيحاً عن الكلب، أو عن أيّ حيوان آخر؟

هيبياس: نعم.

سقراط: وتأمَّل الآن البراعة الإنسانيّة: هل الأفضل أن تملك عقل رامي السهام الذي يخطىء العلامة عن قصد، أو ذلك الذي يخطىء المرمى لا إراديّاً؟

هيبياس: عقل الذي يخطىء المرمى عمداً.

سقراط: إنّ هذا العقل سيكون العقل المفضَّل لأغراض رمي السهام؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ العقل الذي يخطىء لا طوعيّاً يكون عقلاً أسوأ من العقل الذي يخطىء عمداً؟

هيبياس: نعم، بالتأكيد، إنّه لكذلك في استعمال القوس.

سقراط: وماذا ستقول أنت عن فنّ الطبّ - أليس العقل الذي يسبب الأذى للجسم عمداً، هو العقل المتّصل بفنّ الشفاء؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إذن ففي فنّ الطبّ يكون العمل الإختياري الطوعيّ أفضل من العمل اللّاإختياريّ؟

هيبياس: نعم.

سقراط: حسناً، وفي العزف على العود والعزف على القيثارة، وفي كلّ الفنون والعلوم، أليس ذلك العقل هو العقل الأفضل الذي يفعل اختياريّاً ما يكون

سيئاً ومضّراً بالسمعة، ويُفضي إلى الخطأ، أوَ لاَ يكون العقل الأسوأ ذلك العقل الذي يؤدِّيها هكذا لا إرادياً؟

هيبياس: إنّ ذلك لواضح.

سقراط: وماذا ستقول أنت عن أخلاق العبيد؟ ألن تفضِّل امتلاك أولئك الذين يفعلون الخطأ اختيارياً، ويقعون في الغلط، أليسوا هم أفضل في أغلاطهم من أولئك الذين يرتكبونها لا إرادياً؟

هيبياس: نعم.

سقراط: وهل ستكون عقولنا أفضل إذا فعلت الخطأ وارتكبت الأغلاط اختيارياً، أو لاطوعيّاً؟

هيبياس: أوه يا سقراط، إنّه سيكون شيئاً فظيعاً إذا كان أولئك الذين يفعلون الخطأ اختياريّاً هم أفضل من أولئك الذين يقومون بالخطأ لا إراديّاً!

سقراط: ويبدو أنّ هذا الاستنتاج برغم ذلك هو الاستنتاج الوحيد.

هيبياس: إنّني لا أظنّ هكذا.

سقراط: لكنّني أتصوّر، يا هيبياس، أنّك فعلت. من فضلك أجبني مرّة أخرى: أليس العدل قوّة أو علماً أو كليهما؟ ألاَ يجب أن يكون العدل واحداً من هذين الشيئين، مهما يحدث؟

هيبياس: نعم.

سقراط: لكن إذا كان العدل قوّة الروح، إذن فإنّ الروح التي تمتلك القوة الأعظم تكون الروح الأكثر عدلاً أيضاً؛ لأنّ ذلك الذي لديه القوة الأعظم، يا صديقي الصالح، قد برهنّا وأثبتنا أنّه هو الأفضل.

هيبياس: نعم، إنّه قد تمّ برهانه.

سقراط: وإذا كان العدل علماً، ستكون الروح الأعدل هي الروح الأعقل حينئذ، وستكون الروح الأكثر جهلاً الروح الأكثر ظلماً؟

هيبياس: نعم.

سقراط: لكن إذا كان العدل قوّة وعلماً أيضاً ـ ألن تكون عندئذ الروح التي تمتلك العلم والقوة كليهما هي الروح الأكثر عدلاً، والروح التي تكون أكثر جهلاً هي الروح الأكثر ظلماً؟ ألا يجب أن يكون هذا هكذا؟

هيبياس: على ما يبدو.

سقراط: أو لم يتمّ تبيين أنّ الروح التي تمتلك قوّة أعظم ولديها الحكمة تكون روحاً أفضل أيضاً، وهي الروح القادرة على أن تفعل الخير والشرّ كليهما في كلّ نوعٍ من أنواع العمل؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: إنّ روحاً كهذه إذن، عندما تفعل شرّاً، تفعله اختيارياً بقوّة وفنّ ـ وهذان الشيئان مفردان أو مجتمعان هما عناصر العدل؟

هيبياس: يبدو أنّ هذا يكون حقيقياً.

سقراط: ولتفعل الظلم يعني أن تقوم بعمل الشرّ، وكي لا تفعل الظلم يعني أن تفعل خيراً؟

هيبياس: نعم.

سقراط: ولهذا السبب فإنّ الروح الأفضل والأقدر عندما تفعل الخطأ ستقوم به اختيارياً، وأمّا الروح الشريرة فتفعله لا إرادياً؟

هيبياس: على ما يبدو.

سقراط: والإنسان الخيّر هو الذي يمتلك الروح الخيّرة، والرجل الشرّير هو الذي يمتلك الروح الشريرة؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ خاصيّة الإنسان الخيّر أن يفعل اختيارياً، وخاصيّة الرجل الشرّير أن يقوم بها لا طوعيّاً، إذا كان الإنسان الصالح هو الإنسان الذي يمتلك الروح الخيّرة؟

هيبياس: هو الذي يمتلكها بدون ريب.

سقراط: إذن، يا هيبياس، إنّ الذي يفعل الخطأ اختيارياً ويقوم بالأشياء المخزية، إن وُجد هكذا إنسان، يجب أن يكون الإنسان الصالح؟

هيبياس: لا أستطيع أن أتّفق معك هناك.

سقراط: ولا أقدر على أن أتّفق مع نفسي، يا هيبياس؛ وبرغم ذلك يبدو أنّ هذا هو الاستنتاج الذي ينبغي أن نتبعه من محاورتنا، بقدر ما يمكننا أن نرى في الوقت الحاضر. وكما كنت قائلاً من قبلُ، فإنّني أنحرف عن السبيل الصحيح، وكوني مرتبكاً، أغيّر رأيي على الدوام. وبعدُ، إذا ما ضللت أنا أو ضلّ أيّ إنسان عاديٌّ آخر عن الطريق القويم وهِمْنا في ارتباكنا، فإنّ ذلك ليس شيئاً مفاجئاً. لكنّكم أنتم، أيّها الرجال الحكماء، إن كنتم هائمين على وجهكم أيضاً ولا نستطيع نحن حتى أن نأتي إليكم ونرتاح من تطوافنا وتيهنا، فستصبح القضيّة خطيرة لنا ولكم بشكل جدّي.

محاورة السيبيادس الأوّل

افكار المحاورة الرئيسية

بدأ سقراط المحاورة قائلاً: إنّ سبب صمتي، يا السيبيادس، وعدم تكلّمي معك منذ وقت طويل، هو أنني كنت معوّقاً بقوة أكثر من قوّة إنسانية، والتي سأوضح لك طبيعتها يوماً ما. لكنّي الآن سأتحدّث معك بكلّ حريّة، خاصّة عن تلك القوة الشخصيّة الأسمى التي تمتلك، وأنت الذي لا ينقصك شيء، فلك المواهب الطبيعيّة الاستثنائية الرائعة، ابتداءً بالجسد وانتهاءً بالروح، وأنت من أسرةٍ مرموقةٍ عالية النسب من جهة الأب والأمّ كليهما. وما حارسك والوصيّ عليك إلا بركليس، وهو الحاكم الذي يمتلك سلطة واسعة، ويستطيع أن يفعل ما يريد في هيلاس كلّها، وكذلك في العديد من الأمم القويّة الغريبة. ولقد سمعت عنك منذ مدَّة بأنّك ستقف أمام الجمعية العموميّة الأثينية، وستبرهن لهم على أنّك جدير بالتكريم أكثر من بركليس، أو من أيّ إنسان آخر وُجد على هذه الأرض، وستكون لك بعد ذلك القوّة الأعظم ليس بيننا فقط، بل ستتعدّى قوّتُك هذه بلادَنا لتصل إلى أمم البربر التي تشاركنا السكن في هذه القارّة، بل ستصل إلى العالم أجمع. لكن ما سأقوله لك هو أنّك لا تقدر على إنجاز خططك هذه بدون مساعدتي، لأنّ لي من القوة ما يجعلني أعتقد بذلك. ولهذا السبب منعني الله من أن أتكلّم معك. وسأبرهن لك بأنّ قوّتي العليا المتفوّقة هذه لا يستطيع على تحويلها لك أيّ وصيّ أو قريب سواي، كون الله هو الذي يساعدني.

إنّ السؤال الأوّل الذي سأطرحه عليك، هو إذا كنت تعرف المسألة التي أنت ذاهب لتنصح الأثينيين بشأنها؟ وإنْ كنت تعرف أيّ شيء سوى الذي تعلّمته من الآخرين أو الذي اكتشفته بنفسك؟ أو إذا كنت ستتعلّم أيّ شيء أبداً؟ نعم،

يا سقراط، إنّ ذلك ما أنا مزمع القيام به. لكن طبقاً لذاكرتي، يا السيبيادس، إنّ ما تعرفه وما تعلّمته هو فنون الكتابة، فنّ العزف على العود، فنّ المصارعة، وهذا هو كل شيء. إذن، ماذا ستعلّم الأثينيين؟ وأنت تعرف أنّ الإنسان يكون كفؤاً للنصح بشأن أيّ شيء، ليس لأنّ لديه الثروة والقوّة وجمال الجسد، بل لأنّه يمتلك المعرفة. لكنّي سأنصحهم بشأنٍ يخصّهم وهم يهتمّون به، يا سقراط. أعني التداول بشؤون الحرب والسلام، وكيف ينبغي عليهم سلوكهما، وبأيّة طريقة. لكنّني أفترض، يا السيبيادس، أنّ ذلك الذي يكون صحيحاً هو الذي أُنجز طبقاً للفنّ المناسب بأفضل السُّبُل. أوَلا ينبغي عليك هنا أن تحقّق في طبيعة العادل والظالم والعدل والظلم، قبل التطرّق إلى شؤون الحرب والسلام؟ أوَلا يجب أن تعرف ذلك بادىء ذي بدء. إنّ هاتين المسألتين هما موضوع خلاف بين أبناء الجنس البشريّ منذ أن وجدوا، بل هي القضية الأكثر جدالاً. ولهذا السبب ينشأ صراع بينهم وتُشنّ الحروب، وكيف يمكنك تعليم ذلك، يا سقراط، عندما لا تعرف أيّ شيء عنه؟ ولم تتألّم كي تتعلمه؟ أستطيع القول، يا صديقي، بأنّ ذلك ما هو إلا اختلال عقليّ محض.

إنّ الأثينيين وبقيّة الهيلينيين، يا السيبيادس، لا يتداولون بما هو الأكثر عدلاً وظلماً على الغالب، بل يأخذون بعين الاعتبار أنّ طريقة العمل ستكون الأكثر مناسبة، كما قلت. لكن ألا تعرف بأن هناك فرقاً بين العدل والمناسب، وتعترف أنت بأنّك لا تعرف ما هو العدل ولا المناسب كذلك. لكنّك تعترف أنّ العادلين هم الأخيار وهم المناسبون، وهم الذين يعملون بشرف؛ وأنّ الأعمال العادلة هي الأعمال المناسبة، وما ارتباكك بشأنها فيما مضى إلاّ لأنّك كنت جاهلاً بها. ولا يرتبك ولا يرتكب الأخطاء أولئك الذين يعرفون، ولا الأشخاص الذين لا يعرفون، بل أولئك الذين لا يعرفون ويتصورون أنّهم يعرفون فقط. وهذا الجهل هو من النوع المعيب والفاضح، وهو سبب الشقاء والأذى، وهو الأكثر شرّاً ومهانة، ويفعل السوء

ويؤدّي بالبشر إلى القضايا الأكثر خطراً. وهذه الحالة ليست حالتك فقط، يا السيبيادس، بل إنّها حالة أكثر رجال دولنا، ما عدا قلّة منهم.

والآن ما هي تصميماتك للمستقبل، يا السيبيادسُ الجميل؟ هل تريد أن تبقى كما أنت، أو أنّك ستقاسي بعض الآلام من أجل نفسك كي تعرف؟

سأفعل ذلك بمساعدتك، يا سقراط.

لا تقل بمساعدتي، بل يلزمك أن تسمع وتقتنع بالآية المحفورة في معبد دلفي « إعرف نفسك » وذلك برعاية الفنّ الذي يمكن لإنسانٍ أن يرعى به نفسه، ويجعلها أفضل، وهو معرفة من نحن؟ ودعنا الآن نكتشف الطبيعة الحقيقيّة للنفس، وذلك سيعطينا الفرصة لمعرفة ماذا نكون نحن. إنّ الإنسان لا يكون الشيء نفسه مثل جسمه الخاصّ به، بل هو المستخدم للجسد. ولا يمكن أن يكون المستخدم للجسد غيراً من الروح التي تحكمه وهو التابع لها. وأقدر على أن أقول لك بصدق إنّ الإنسان لا يكون غيراً من روح، والروح هي الإنسان، ونحن نتكلّم مع بعضنا، أي الروح تتكلّم مع الروح. ولهذا السبب، فإنّ منْ يأمر إنساناً كي يعرف نفسه، يريد منه أن يعرف روحه. وإذا كان على الروح أن تعرف نفسها، يا عزيزي السيبيادس، ينبغي أن ننظر إلى الروح، وبخاصّة في ذلك الجزء من الروح حيث تقطن فضيلتها. وما فضيلة الروح إلا الحكمة والمعرفة وهما الأكثر إلهيّة فيها، وهذا الجزء من الروح شبيه بالله. إنّ مَن ينظر في هذا وفي النوع كلّه للأشياء الإلهيّة، وينظر إلى الله وإلى الحكمة، سيكون الأكثر احتمالاً لأن يعرف نفسه.

يمكننا القول إذن، بعد هذه المحاورة التي أجريناها، أنّه كما أن المرايا أصدق وأصفى وأسطع من المرآة الموجودة داخل العين، هكذا هو الله بطبيعته أطهر وأشعّ مرآة من الجزء الأكثر امتيازاً لأرواحنا الخاصّة. ولهذا السبب، فإنّنا في تطلّعنا إلى الله سنستعمل المرآة الأجمل والأنقى للروح الإنسانية وفضيلتها، وسنرى بالشكل الأفضل بواسطة وسائل كهذه ونتوصّل لنعرف أنفسنا. والإنسان الذي لا يعرف

نفسه سيكون جاهلاً بالأشياء التي تخصّه وتخصّ الآخرين، ولن يعرف شؤون الدولة، ولهذا لا يمكنه أن يكون رجل دولة، أو رجل إدارة، وستحلّ التعاسة بالذين يعمل لهم وبه وبالدولة كلّها. أمّا إذا سعدت المدن بالعدل والحكمة، فإنّها لا تريد أسواراً، ولا سفناً حربية، أو أحواضاً لها، أو أعداداً مسلّحة وأعتدة حربيّة، أو أحجاماً، بل تحتاج للفضيلة فقط، وهذا ما ينبغي عليك ويلزمك أن تمتلكه قبل أن تنصح الأثينيين وتتكلّم في جمعيتهم العموميّة. وسترضي الله بهذا وتعمل بخير وصدقٍ وصلاح، وأنا سأضمن سعادتك، وإلاّ فلن تكون إنساناً حرّاً بل عبداً لنزواتك وشهواتك وجهلك. وتقدر على الهروب من حالتك الحاضرة هذه بمساعدة الله، يا السيبيادس، وستكون أنت سيّدي ومعلّمي عندئذ.

يحوم شك كبير حول صحة هذه المحاورة، اذ يعتقد البعض انها ليست من عمل أفلاطون استناداً إلى أن الشكل والتركيب والمحتوى يختلف عن المحاورات الاخرى. ويعتقد البعض الآخر انها من أعمال أفلاطون المتأخرة، بينما يقول آخرون انها من عمل سواه ولربما قام بوضعها مقلد ما هو بعد جيل من وفاة أفلاطون.

ويعارض كبير مترجمي محاورات أفلاطون المفكر البريطاني جويت هذا الشك حول صحة المحاورة ويؤكد انها من الأعمال التي وضعها الفيلسوف اليوناني في أواخر حياته.

محاورة السيبيادس الأول

اشخاص المحاورة

السيبيادس سقراط

سقراط: أجرؤ على القول بأنّه يمكنك أن تتعجّب أن تجد، أوه يا ابن كلينياس، وأنا محبوبك الأوّل، أنني لم أكلمك منذ سنين عديدة، في حين أنّ بقية الناس أرهقوك باهتمامهم وعنايتهم، وأكون أنا آخر مَن يتكلّم معك من محبّيك. إنّ سبب صمتي هو أنّ قوّة أكثر من قوّة إنسانية، أعاقتني عن الكلام وسأوضح لك طبيعتها يوماً ما. لكنّ هذه الأعاقة قد أُزيلت الآن، ولهذا السبب فإنّي حاضر هنا الآن بنفسي أمامك، وإنّ لديَّ آمالاً كبيرة بأنّها لن تحدث عرقلة مشابهة مرّة أخرى. في غضون ذلك، لاحظت أنّ كبرياءَك قد كان أكثر بكثير من كبرياء المعجبين بك؛ إنّهم كانوا عديدين ومقدامين، لكنّهم هربوا منك جميعهم، وأُخضِعوا بقوّة تلك الشخصية الأسمى التي لديك، ولم يبقَ منهم أحد. إنّني لجاهز كي أُوضح لك سبب قلّة احترامك لهم. تعتقد أنت أنّك لست بحاجة لهم أو لأيّ رجلٍ آخر، إذ لا ينقصك شيء وأنت صاحب المواهب الطبيعيّة الرائعة الاستثناء، ابتداءً بالجسد، وانتهاء بالروح. ففي المقام الأوّل، أنت تقول بنفسك إنّك أطول المواطنين وأجملهم، ويمكن أن يرى هذا كلّ شخص له عينان سليمتان على أنّه شيء حقيقيّ. وفي المقام الثاني، إنّك أنبلهم كلهم، وأنت من أسرة مرموقة عالية النسب من جهة الأب والأمّ كليهما، وتحدّرت من إحدى العائلات الأكثر امتيازاً في دولتك، والتي هي الأعظم في هيلاس كلّها. ولك العديد من

الأصدقاء والأنسباء من النوع الأفضل الذين يستطيعون مساعدتك عندما تكون بحاجة للمساعدة؛ وهناك قريب واحد لك ذو سلطة واسعة، هو أكثر قرباً من جميع الباقين، عنيت به بركليس بن اكسانثيبوس، الذي تركه لك أبوك حارساً ووصياً عليك وفعل كذلك على أخيك، وهو الذي يستطيع أن يفعل كما يحلو له ليس في هذه المدينة فقط، بل في هيلاس كلّها، وبين العديد من الأمم القويّة الغريبة. أكثر من ذلك، إنّك ثريّ؛ لكنّني سوف أضيف أنّك تقدّر نفسك فوق ممتلكاتك اعتزازك بعد أن قهرت محبّيك، وهم اعترفوا بأنّك أبرع منهم كلّهم، وأنّك أنت أدركت هذه الأشياء ولاحظتها جميعاً. وبعدُ فإنّني أعرف بأنّك تتعجّب لماذا لا أحرِّر نفسي من محبوبي، وماذا آمل أن أربح بالبقاء بعدما هرب الآخرون.

السيبيادس: لربّما، يا سقراط، إنّك لست عالماً بأنّك في طليعة من أفكّر بهم تماماً؛ قصدت أن آتي إليك أوّلاً وأسألك السؤال المحدَّد عينه - ماذا تريد منّي؟ وما هو باعثك على إزعاجي، وإيجادك غرضاً لمجيئك دائماً وأينما أكون؟(٤٢) إنّني أتعجّب حقّاً ماذا تعني، وأحبّ أن أعرف ذلك بشكل كبير.

سقراط: إذن إنْ رغبت أن تعرف، كما تقول، فإنّني أفترض بأنك ستكون مستعداً لأن تسمع. ويمكنني أن أعتبر نفسي أنني أتكلم إلى مستمعٍ سيثبت ولن يولّي الأدبار؟

السيبيادس: بالتأكيد، دعني أسمع.

سقراط: من الأفضل لك أن تكون حذراً، لأنّه يمكنني أن أكون غير مستعدٍّ جداً لأن أنتهي كما قد بدأت حتى الآن على الأرجح.

السيبيادس: تقدّم، يا رجلي الصالح، وإنّني سأستمع.

سقراط: إنّني سأتقدّم؛ وبرغم ذلك فإنه ليس من السهل على المحبوب أن يدنو من واحدٍ لا يكون ميّالاً كي يستسلم لأحبّائه(٤٣). إنّي سأبذل جهداً، وأخبرك

ما عنيت: يا محبوبي السيبيادس، إنّ الذي كنت أحبّ أن أعترف به بصعوبة، وأنّني كنت سأموت منذ وقت طويل مضى، وكأنّي متملّق نفسي، وذلك إن رأيتك محبّاً لأشيائك الجيّدة، أو أعتقد بأنّك يجب أن تمضي الوقت في الاستمتاع بها. لكنّني سوف أكشف عن أفكارك الأخرى، التي تحتفظ بها لنفسك، وستعرف وفقاً لها بأنّ عينيّ كانت عليك على الدوام. إفترض أنّ إلهاً ما أتى إليك في هذه اللحظة وقال: يا السيبيادس، أيّهما تفضّل: أن تحيا على ما لديك الآن، أو أن تموت في لحظة لا تتاح لك فيها الفرصة كي تحقّق أيّ اكتسابٍ أبعد من ذلك؟ أعتقد يقيناً بأنّك ستختار الموت. وسأخبرك بالأمل الذي تعيش به أنت في الوقت الحاضر: قبل عدّة أيّامٍ خلت، اعتقدت أنت بأنّك ستقف أمام الجمعية العمومية الأثينيّة، وستبرهن لهم بأنّك إنسان جدير بالتكريم أكثر من بركليس، أو أكثر من أي إنسان آخر وُجد على هذه الأرض. وبعد برهنتك لِمَا تقول، فإنّك سوف تكون لديك القوّة والسلطة الأعظم في الدولة. وحينما تكتسب القوة الأعظم بيننا، فستذهب إلى الدولة الهيلينيّة الأخرى، وليس إلى الهيلينيين فقط، بل ستذهب إلى كلّ البربر الذين يقطنون القارّة عينها معنا. وإذا ما قال لك هذا الإله ذاته مرّة ثانية: هنا في أوروبا يكون مركز إمبراطوريتك، ويجب عليك أنِ لا تجتازها إلى قارّة آسيا أو أن تتدخّل في الشؤون الآسيوية، فإنّي لا أعتقد بأنّك ستختار الحياة وفق هذه الشروط. لكنّ العالم كلّه، كما يمكنني أن أقول، يجب أن يمتلىء بقوّتك وباسمك. أعتقد بأنّك تتصوّر أنّ الرجلين الوحيدين اللذين لهما قيمة في التاريخ كلّه هما سيروس وكسرككس (أحشورَش). أعرف بأنّ آمالك هي أن تكون هكذا - إنّي لا أخمّن فقط - وأنت بالاحتمال المحدَّد، تعرف بأنّني أتكلّم الحقيقة، ستجيبني قائلاً: حسناً، يا سقراط، لكن ما هي علاقة آمالي بالإيضاح الذي وعدت

به؟ ويكون هذا ما أنا ذاهب لأخبرك عنه، يا ابن كلينياس وداينوماش الحلو. الإيضاح هو، أنّ كلّ خططك لا يمكن إنجازها بدون مساعدتي. هكذا تكون القوّة العظيمة التي أعتقد بأنّي أمتلكها فوقك، وفوق ما يتعلّق بك؛ وأتصوّر بأنّ هذا هو السبب الذي من أجله منعني الله من أن أحادثك حتى الآن، وإنّني قد توقّعت إذناً منه لزمنٍ طويل لأنّه، كما تأمل أنت أن تبرهن قيمتك الخاصة المتفوّقة للدولة، هكذا فإنّني كلّي أملٌ بأنّه سوف تكون لديّ قوّة عليا عليك، وفي أن أكون قادراً على أن أبرهن قوّتي المتفوّقة هذه، وفي أن أريك أن لا الوصيّ، ولا النسيب، ولا أيّ شخص آخر سواي قادر على أن يمنحك القوّة التي ترغب، كون الله مساعدي. عندما كنت أفتى من الآن(٤٤) ولم تكن ممتلئاً بهذه المطامح العالية، كنت أنا أضيّع وقتي ولهذا السبب، وكما أتصوّر وأدرك، فإنّ الله أمرني أن لا أتحادث معك. لكنه الآن دعاني كي أتكلّم، وأنت الآن ميّالٌ لأن تستمع.

السيبيادس: لماذا، يا سقراط! والآن بما أنّك بدأت الكلام، فإنّك تبدو لي مخلوقاً أكثر غرابة منه عندما تبعتني هنا وهناك بصمت، مع أنّك بدوت غريباً جدّاً عند ذلك. وسواء أظننت بكلّ هذا أو لم تفعل، فتلك هي مسألة يظهر أنّك قد اتخذت قراراً بشأنها، ولهذا السبب لن يكون لإنكاري أيّ تأثير عليك. على كلٍ فقد جعلت أنت من أهدافي أهدافاً إلهيّة بشكل كامل. فلماذا تكون مساعدتك ضروريّة على إنجازها؟ هل تقدر أن تقول لي لماذا؟

سقراط: أتريد أن تعرف إذا ما كنت أستطيع أن أؤلّف خطاباً طويلاً، خطاباً من النوع الذي تعوّدت على سماعه؟ لكن هذه الطريقة ليست طريقتي. تصوّر، على كل حال، أنني قادر أن أبرهن لك حقيقة ما أقول، إذا ما كنت ستمنحني معروفاً صغيراً.

السيبيادس: نعم، إنْ كان المعروف الذي تعنيه ليس مزعجاً.

سقراط: هل ستكون متكدِّراً في امتلاكك أسئلة كي تجيب عليها؟

السيبيادس: لا على الإطلاق.

سقراط: من فضلك أن تجيب إذن.

السيبيادس: اسألني.

سقراط: هل يمكنني أن أفترض بأنّك تمتلك المقاصد التي أعزوها إليك؟

السيبيادس: إنّني سأمنحك أيّ شيء تحبّه، على أمل أن أسمع ما لديك كي تقوله لي.

سقراط: أتعني إذن، كما كنت قائلاً، أن تقدم نفسك في فترة قصيرة متقمصاً شخصية الناصح للأثينيين؟ وافترض أنّك عندما تكون معتلياً المقْدِس، أجذبك أنا بالكُمّ وأقول، يا السيبيادس، أنت ارتقيت هذا المكان كي تنصح الأثينيين - هل تعرف المسألة التي أنت ذاهب كي تتداول بشأنها؟ كيف ستجيبني؟

السيبيادس: عليَّ أن أجيبك، بأنّي كنت ذاهباً لأنصحهم بشأن القضيّة التي أعرفها أكثر ممّا يعرفون.

سقراط: إذن فإنّك تكون ناصحاً كفؤاً بخصوص الأشياء التي تعرفها؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: وهل تعرف أيّ شيء سوى ما تعلّمته من الآخرين، أو ما اكتشفته بنفسك؟

السيبيادس: إنّ هذا كلّ شيء، طبعاً.

سقراط: وهل ستتعلّم أبداً أو تكتشف أيّ شيء، إذا لم تكن مستعدّاً إمّا لأن تتعلّم من الآخرين أو لأن تُحقّق ذلك بنفسك؟

السيبيادس: لن أتعلّم بدون ذلك.

سقراط: وهل كنت مستعدّاً كي تتعلّم وتتحرّى ما تفترض أنّك عرفته؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: إذن مضى زمنٌ على ظنك بأنّك لم تعرف ما تعرفه الآن؟

السيبيادس: بدون شك.

سقراط: أتصوّر بأنّي أعرف جيّداً وبشكلٍ مقبول المدى الذي وصلته في مكتسباتك ويجب أن تخبرني إنْ نسيت أيّاً منها. وطبقاً لذاكرتي، فقد تعلّمتَ فنون الكتابة، وفنّ العزف على العود، وفنّ المصارعة؛ أمّا الناي فلم تتعلّم العزف عليه أبداً. هذه هي مجموعة إنجازاتك، إلاّ إذا كنت قد اكتسبت شيئاً لم أعرف به، والذي أتصوّر أنه كان ممكناً بصعوبة، ما دمت لم تستطع الخروج من بيتك، لا بالنهار ولا باللّيل، بدون أن أراك.

السيبيادس: نعم، ذلك هو كلّ ما تعلّمته.

سقراط: وهل أنت ذاهب كي تقف في الجمعية الأثينيّة العامة وتنصح الأثينيين بشأت الكتابة؟

السيبيادس: لا، حقاً.

سقراط: أو بشأن لمس العود؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: والأثينيون ليسوا في عادة التداول بشأن المصارعة في الجمعية العمومية؟

السيبيادس: لا، بالكاد.

سقراط: إذن ما هو التشاور الذي تقترح أنت أن تنصحهم فيه؟ إنه ليس بشأن البناء بالتأكيد؟

السيبيادس: لا.

سقراط: لأنّ البنّاء سيكون ناصحاً أفضل؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: ولا حتّى عندما يبحثون في الألوهيّة؟

السيبيادس: لا.

سقراط: سينصح العرّاف بشأن ذلك أفضل ممّا ستنصح به أنت مرّة ثانية؟

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: سواء إذا كان هو صغيراً أو كبيراً، كان منظره سيئاً أو وسيماً، نبيلاً أو سافلاً ـ لا فرق في ذلك؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: وسواء إذا كان مستشارهم غنيّاً أو فقيراً، فتلك مسألة لن تخلق أيّ فرق للأثينيين عندما يتداولون بشأن صحّة المواطنين. إنّهم يحتاجون للطبيب؟

السيبيادس: طبعاً.

سقراط: إذن ما هو موضوع مباحثتك التي ستبرّر وقوفك أمام الأثينيين ونصحهم؟

السيبيادس: إنّها ستكون متعلقة بما يخصّهم ويهتمون به، يا سقراط.

سقراط: تعني بخصوص بناء السفن، كمثال، عندما يكون السؤال المطروح عن نوع السفن التي سيبنونها؟

السيبيادس: لا، لا ينبغي عليّ أن أنصحهم بشأن ذلك.

سقراط: أفترض، بأنّك لا تفهم فنّ بناءِ السفن: ـ أيكون هذا هو السبب؟

السيبيادس: إنّه هو السبب.

سقراط: إذن ماذا تعني بقولك « بشأن الذي يخصّهم ويهتمّون به »؟

السيبيادس: أعني التداول بشأن الحرب، يا سقراط، أو بخصوص السلام، أو من أجل أي اهتمامِ آخر من اهتمامات الدولة.

سقراط: تعني، عندما يتداولون مع الذين يجب أن يصنعوا السلام، ومع الذين ينبغي عليهم أن يشنُّوا الحرب، وبأيّة طريقة سيقومون بذلك؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وفي أي وقتٍ يكونصنع السلم أو شنّ الحرب أفضل؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: ومقدار الوقت الأفضل لذلك؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: لكن إفترض أنّ الأثينيين يتباحثون مع مَنْ، وكيف يعدُّون للمصارعة أو للملاكمة، هل ستكون أنت، أو سيّد الألعاب الرياضيّة مستشاراً أفضل لهم؟

السيبيادس: إنّه سيّد الألعاب الرياضية، بوضوح.

سقراط: وهل تستطيع أن تخبرني على أيّة أسس سيقرّر ما يقرّره سيّد الألعاب الرياضية، ومع من ينازل أو لا ينازل في الحلبات، ومتى وكيف؟ لنأخذ مثالاً على ذلك: ألن يقول أن عليهم أن ينازلوا المصارعين الأفضل؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وبالمقدار الذي يكون أفضل؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: مرّة ثانية؛ يجب على المغنّي أن يصاحب أغنيته بالعزف بعض المرّات، بالعود وبالرقص؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: عندما يكون فِعْلُ ذلك شيئاً جيّداً؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وبمقدار ما يكون حسناً؟

السيبيادس: هكذا تماماً.

سقراط: وبما أنّك تتكلّم عن الامتياز أو الفنّ الأفضل في المصارعة، وعن الامتياز في العزف بمصاحبة العود، سأرغب منك أن تخبرني ما هو هذا الأخير - إنّ الامتياز في المصارعة أسمّيه أنا الألعاب الرياضيّة، وأريد أن أعرف ماذا تدعو أنت الامتياز الآخر؟

السيبيادس: إنّني لا أفهمك.

سقراط: إذن حاول أن تفعل كما أفعل لأنّ جوابي كان مرتكزاً على الفكرة العامّة للتصحيح، وإنّي أفترض أن ذلك الذي يكون صحيحاً هو الذي أُنجز طبقاً للفنّ المناسب؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: أليس الفنّ الذي تكلّمتُ عنه هو فنّ الألعاب الرياضية؟

السيبيادس: نعم، بالتأكيد.

سقراط: وسمّيت الإمتياز في المصارعة ألعاباً رياضيّة؟

السيبيادس: إنّك فعلت.

سقراط: وكنتُ محقّاً؟

السيبيادس: أتصوّر ذلك.

سقراط: حسناً، وبعدُ، - إنّ البراعة في الحوار هي إنجاز يجب عليك أن تكتسبه. دعني أطلب إليك أن تخبرني أوّلاً، ما هو ذلك الفنّ الذي هو العزف والغناء، والخطو في الرقص المتناسب الأجزاء؟ قل لي، ما هو إسم الكلّ؟ أعتقد بأنّك يجب أن تكون قادراً على أن تخبرني؟

السيبيادس: إنّني لا أستطيع حقاً.

سقراط: إذن دعني أطرح المسألة بطريقة أخرى: ماذا تسمّي الآلهات اللواتي هن حاميات الفنّ؟

السيبيادس: أتعني آلهات الشعر والفنّ والجمال، يا سقراط؟

سقراط: نعم، إنه لكذلك؛ وما هو اسم الفنّ الذي يدعى بعدهنّ؟

السيبيادس: أفترض أنّك تعني الموسيقى.

سقراط: نعم، إنّ هذا هو ما أعنيه؛ وماذا تكون الصحّة في فنّ الموسيقى؟ بما أنّني أعطيتك درساً للضبط والتصحيح في فنّ التمارين الرياضيّة، فأيّ إسم

ستهب أنت للتصحيح عينه في هذه الحالة؟ كيف يجب أن ينفذ ذلك؟

السيبيادس: أفترض بأن أعطيه إسماً موسيقياً.

سقراط: جيّد جداً؛ والآن قل لي أيّ إسم ستعطي للامتياز في إدارة الحرب، أو في حياة السلم؛ كما كان ال « موسيقي » الإسم الأكثر امتيازاً، أو كان الأكثر « لاعباً رياضياً » الإسم الأكثر امتيازاً، أخبرني، أيّ إسمٍ ستهب في هذه الحالة التامة إلى الأكثر امتيازاً؟

السيبيادس: لكنّني لا أستطيع أن أخبرك بذلك.

سقراط: لكنّك إذا قدَّمت ضحيَّة إلى الآخر وقلت له إنّ هذا الغذاء الذي أعطيك هو أفضل من ذلك الغذاء الذي تأخذه، في هذا الوقت وبهذه الكميّة، وأجابك: ماذا تعني، يا السيبيادس، بالكلمة « أفضل »؟ ألن تتملّكك صعوبة في الإجابة على سؤاله أنّك عنيت بها « أكثر نفعاً للصحة »، برغم أنّك لا تدَّعي بأنّك طبيب، ومع ذلك عندما يكون الموضوع الذي تعلن أن لديك معرفة فيه واحداً، والذي أنت على استعداد كي تقف وتنصح به وكأنّك عرفت، ألست بمستحٍ، حينما تسأل، وتكون غير قادرٍ على أن تجيب على السؤال؟ ألن يظهر ذلك خزياً وعاراً؟

السيبيادس: جداً.

سقراط: جسناً، إذن، تأمّل الكفاح مليّاً كي توضح ما معنى كلمة « أفضل »، عندما تستعمل للعيش في سلام والذهاب إلى الحرب بالطريقة عينها، عندما يستعملها أولئك ضدّ الذين يجب على كل شخص أن يحاربهم؟ فإلاَم تشير هذه الكلمة؟

السيبيادس: إنّني لا أستطيع أن أجد جواباً لذلك.

سقراط: لكنّك تعرف بالتأكيد ما هي الاتهامات التي نحضرها بعضنا ضدّ بعض عندما نصل إلى حافة إعلان الحرب، وأيّ إسم نعطيها؟

السيبيادس: نعم، أعرفها بالتأكيد؛ نقول إنّ الخداع أو العنف يُستخدم فيها، أو إنّنا نكون مغشوشين.

سقراط: قف! نحن نتذمّر عندما نقاسي من هذه المعاملة، لكن كيف نعاني منها؟ ما هو التمييز الذي نرسمه بين مقاساتها بطريقة واحدة وبأخرى؟ حاول أن تخبرني.

السيبيادس: هل تعني بكلمة « كيف » يا سقراط، ما قاسينا من هذه الأشياء بعدل أو بظلم؟

سقراط: بالضبط.

السيبيادس: لا يمكن أن يكون هناك فرق كبير بين العدل والظلم.

سقراط: وهل ستنصح الأثينيين بالذهاب إلى الحرب مع رجالٍ عادلين أو مع الرجال الظالمين؟

السيبيادس: إنّ هذا السؤال سؤال محرج؛ لأنّه بدون ريب، حتى إنْ لم ينوِ شخص الذهاب إلى الحرب مع الرجال الذين يفعلون ما يفعلونه بعدل، فلن يعترف أحدٌ بما قام به.

سقراط: لأنّ عمله هذا سيكون عملاً غير قانونيّ، بدون شك؟

السيبيادس: إنّه ليس عملاً قانونيّاً ولا مشرّفاً.

سقراط: إذاً أنت أيضاً، سوف تلقي خطاباً عن هذه المبادىء؟

السيبيادس: بدون ريب.

سقراط: ما هي تلك الكلمة إذن « أفضل » والتي سألتك بشأنها؟ ما هي في الذهاب أو في عدم الذهاب إلى الحرب مع أولئك أو ضد الذين يجب أو لا يجب أن نذهب معهم، وعندما ينبغي أو لا ينبغي أن نذهب معهم إلى الحرب؟ ألا يكون هذا شيئاً مماثلاً للعدل؟

السيبيادس: يبدو أنّه لكذلك.

العادل من الظالم؟ ومن هو؟ أتمنّى أن تخبرني كي أتمكّن من الذهاب إ
لأتعلّم منه - إنّك ستعرّفني به.

السيبيادس: إنّك لساخرٌ، يا سقراط.

سقراط: لا، حقاً؛ إنّني أعلن برزانة وأؤكّد لك بالله لصداقتنا المشتركة، بالذي
الأقلّ ميلاً للتخلي عنه، أنّي لست كما تقول. قل لي، إذن، من هو ه
المثقّف، إذ ما وُجد؟

السيبيادس: لكن لربّما لا يوجد؛ ألا يمكنني أن أصل إلى معرفة العادل والظ
بطريقة أخرى؟

سقراط: نعم، إن قدرت على اكتشافها.

السيبيادس: لكن ألا تظنّ أنت بأنّي أستطيع أن أكتشفها؟

سقراط: إنّي لمتأكّد تماماً أنّه يمكنك ذلك، إذا سألت بشأنها؟

السيبيادس: أما ظننت أنا ذلك منذ وقت مضى؟

سقراط: جيّد جداً؛ هل تستطيع أن تخبرني إذن كم مضى من طويل وقت منذ
تصوّرت أنك لم تعرف طبيعة العادل والظالم؟ ماذا ستقول عن سنةٍ مضت
هل كنت حينئذ في حالة من الجهل واعية وتساؤليّة؟ أو هل ظننت أنّ
عرفت؟ من فضلك أن تجيب بصدق، كي لا يصبح بحثنا بحثاً غير مجدٍ.

السيبيادس: حسناً، ظننت أنّني عرفت.

سقراط: ومنذ سنتين خلتا، وثلاث سنوات مضت، وأربع سنوات انقضت، ه
عرفت خلالها الشيء عينه؟

السيبيادس: إنّي فعلت.

السيبيادس: ولماذا أنت متأكّد؟

سقراط: لأنّني سمعتك غالباً تتكلّم عندما كنت طفلاً، سمعتك في بيت معلمك أو في أماكن أخرى، ورأيتك تلعب النرد أو لعبة ما أخرى في أماكن أخرى مع الأولاد، ولم تتردّد أبداً بشأن طبيعة العادل والظالم، بل كنت واثقاً جدّاً - كنت تصرخ وتصيح أنّ أحد الأولاد الذين كنت تلعب معهم كان محتالاً ومخادعاً، وأنّه قد غشّك، أليس ذلك صحيحاً؟

السيبيادس: لكن ماذا عليّ أن أفعل، يا سقراط، عندما يخدعني أيّ شخص؟

سقراط: وكيف تستطيع أن تقول: « وماذا عليّ أن أفعل؟ » إنْ لم تعرف في هذا الوقت إذا حاق بك الظلم بادىء ذي بدء؟

السيبيادس: كن متأكداً أنّني عرفت؛ إنّي لدارٍ تماماً بأني خُدِعت.

سقراط: إذن أنت حتّى عندما كنت طفلاً افترضت أنّك تعرف طبيعة العادل والظالم؟

السيبيادس: بالتأكيد؛ وإنّني عرفت آنئذ.

سقراط: وفي أيّ وقت اكتشفتهما؟ بالتأكيد، ليس حينما ظننت أنّك عرفتهما؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: متى تصوّرت أنّك كنت جاهلاً؟ إذا اعتبرت وتأمّلت ملياً فإنّك ستجد أنّه لم يكن وقت كهذا قط.

السيبيادس: حقّاً، يا سقراط، لا أستطيع أن أقول.

سقراط: إذن فإنّك لم تعرفهما بالاكتشاف؟

السيبيادس: لا، بوضوح.

السيبيادس: افترض بأني كنت مخطئاً في الإجابة التي عرضتها عن عدل أستاذي
لهما، أنّي حقّاً تعلّمتهما بالطريقة عينها التي تعلم بها الناس الآخرون

سقراط: هكذا قلت أنت قبلاً، ويلزمني أن أسأل مرّة ثانية، مِمَّن تعلّمتهما؟ صلٌ قل لي.

السيبيادس: تعلّمتهما من الناس العديدين، من الكثرة.

سقراط: هل ستحتمي بهم؟ إنّني لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك لمعلّميك.

السيبيادس: ماذا، أليسوا هم بقادرين على تعليمهما؟

سقراط: لا يستطيعون أن يعلموك كيف تلعب الداما، والتي هي، كما ستعترف أنت بذلك [ألن تفعل؟]، مسألة أصغر بكثير من العدل.

السيبيادس: نعم.

سقراط: وهل العاجزون عن تعليم شيء تافهٍ يستطيعون تعليم شيء مهمّ؟

السيبيادس: أظنّ أنهم يستطيعون. على كل حال، إنّهم يقدرون على أن يعلّمو أشياء عديدة أكثر أهميّة بكثير من لعبة الداما.

سقراط: أيّة أشياء؟

السيبيادس: لماذا؟ كمثال، إنّني تعلّمت التكلّم باللّغة اليونانية، ولا أقدر على أن أقول من كان معلّمي، ولا لمن عليّ أن أنسب معرفتي باللغة اليونانيّة، إن لم يكن لأولئك المعلّمين الذين لا يصلحون لشيء، كما تسمّيهم.

سقراط: لماذا، نعم، يا صديقي؛ إنّ الكثرة هم معلّمون كفؤون للّغة اليونانيّة، وبعضٌ من تثقيفهم في هذا المنحى يمكن الثناء عليه بعدل.

السيبيادس: لماذا ذلك؟

سقراط: لماذا، لأنّهم، فى ذلك، يمتلكون النوعيّات التى يجب أن تكون لدى

سقراط: لماذا؟ أنت تعرف أنّ أولئك الذين يتعهّدون تعليم موضوع ما يجب أن يعرفوه بأنفسهم أولاً.

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: وإذ عرفوه، يجب أن يتّفقوا معاً وأن لا يختلفوا.

السيبيادس: نعم.

سقراط: وإنْ اختلفوا، فهل ستقول إنّهم عرفوه؟

السيبيادس: لا.

سقراط: إذن كيف يستطيعون أن يعلّموا موضوعاً كهذا؟

السيبيادس: إنّهم لا يقدرون.

سقراط: حسناً، لكن هل تتصوّر أنّ الكثرة ستختلف بشأن طبيعة الأخشاب والأحجار؟ أليسوا بمنتفعين إذا سألتهم ما هي تلك؟ أو لن يهرعوا لإحضار الشيء عينه، عندما يريدون قطعة من الخشب أو الحجر؟ وهكذا يفعلون في كلّ الحالات المشابهة التي أشتبه أنّها شبيهة جدّاً بما تعنيه بمعرفتك حول تكلم اللّغة اليونانيّة.

السيبيادس: حقاً.

سقراط: هذه هي المسائل التي يتّفقون بشأنها بعضهم مع بعض ومع أنفسهم، كما كنا قائلين، وذلك كأفراد؛ لا ولا تختلف الدول بعضها مع بعض، مستعملاً بعضُها كلمة وبعضُها الآخر كلمة مغايرة؟

السيبيادس: إنّها لا تكون إلاّ هكذا.

سقراط: إذن فإنّها حالة طبيعية تماماً إن كانوا هم معلّمين جيّدين لتلك الأشياء.

السيبيادس: أجل.

سقراط: لكن إذا أردنا أن لا نعرف ماذا يشبه الرجال، وماذا تشبه الأحصنة فقط بل أيّاً من الرجال أو الأحصنة له قوّة الجري، فهل لا يزال العديدُ قادرين على أن يخبرونا ذلك؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: ولديك أنت برهان كافٍ على أنّهم لا يعرفون هذه الأشياء وأنهم ليسوا معلمين حقيقيّين لها لأنّهم لا يتّفقون بشأنها قط؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وافترض أنّنا تشوّقنا ليس لمعرفة ماذا يشبه الرجال فقط، بل ماذا يشبه الرجال الأصحّاء أو المرضى - فهل ستكون الأكثرية قادرةً عليّ أن تعلّمنا؟

السيبيادس: إنّهم لا يستطيعون.

سقراط: وستأخذ بعين الاعتبار هذا كبرهان على أنّهم كانوا أساتذة سيّئين لهذه المسائل، إذا رأيتهم في شقاقٍ بشأنها؟

السيبيادس: سأفعل ذلك.

سقراط: حسناً، لكن هل تكون الكثرة متّفقة مع نفسها، أو مع بعضها بعضاً بشأن العدل أو الظلم الذي يخصّ الرجال والأشياء؟

السيبيادس: لا بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: أليس هناك موضوع يختلفون بشأنه أكثر من هذا الموضوع؟

السيبيادس: لا.

سقراط: لا أفترض أنّك رأيت أو سمعت عن رجال يتخاصمون بشأن القواعد الصحّيّة والمرض إلى حدّ إعلان الحرب وقتل بعضهم بعضاً من أجلها؟

الإلياذة والأوديسة؟

السيبيادس: لتكن متأكداً، يا سقراط.

سقراط: إنّ موضوع حوارهم هو الخلاف بخصوص العادل والظالم في تلك القصائد.

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: ذلك الخلاف الذي سبّب كل المعارك والموت للطروادين والأكيفيين، والموت للمدَّعين على بينيلوب[٤٥] في صراعهم مع أوديسيوس.

السيبيادس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وعندما سقط الأثينيون واللاقيداميونيون والبويوتيون صرعى في تانجارا، وبعدها في معركة كورونيا التي لقي فيها أبوك كلينياس حتفه، فإن السبب الوحيد لكلّ هذه المعارك، ولِمَا ألحقت بالبشر من موت، كان الخلاف بشأن العدل والظلم.

السيبيادس: حقيقيّ جداً.

سقراط: وهل يمكن القول بأنّ الرجال يعرفون ذلك الذي يختلفون بعنفٍ بخصوصه وهم جاهزون كي يتصارعوا حتى الموت بسببه؟

السيبيادس: لا بوضوح.

سقراط: ومع ذلك فإنّ أولئك الذين تسمح لهم أن يكونوا هكذا جهلة هم معلّمو مَنْ تلجأ أنت إليهم؟

السيبيادس: حقيقي تماماً.

سقراط: لكن كيف يمكنك أن تطالب أو تدَّعي بأنّك تعرف طبيعة العدل والظلم

سقراط: أنظر، مرّة ثانية، كيف تتكلّم بعدم دقة، يا السيبيادس!

السيبيادس: في أيّ منحى؟

سقراط: في قولي بأنّني أقول ذلك.

السيبيادس: هل قلت أنا ذلك، إذن؟

سقراط: نعم.

السيبيادس: كيف كان ذلك؟

سقراط: دعني أوضح. إفترض أنّني سألتك أيُّ العددين هو الأكبر، الإثنان الواحد؛ فإنّك سوف تجيب العدد « اثنان »؟

السيبيادس: سأجيب كما تقول.

سقراط: وبكم يكون العدد « إثنين » كبيراً؟

السيبيادس: بواحد.

سقراط: أيٌّ منا يقول الآن إنّ الإثنين يكون واحداً أكثر من الواحد؟

السيبيادس: أقول أنا.

سقراط: ألم أسأل أنا، وأنت أجبت على السؤال؟

السيبيادس: بلى.

سقراط: من المتكلّم إذن؟ أأنا الذي أضع السؤال، أم أنت الذي تجيبني؟

السيبيادس: أنا.

سقراط: أو إفترض بأنّي أنا أسأل وأنت تخبرني عن الحروف التي يتألّف منها إ سقراط، فأيٌّ منّا هو المتكلّم؟

السيبيادس: أنا.

سقراط: ألست أنا السائل من البداية إلى النهاية؟

لسيبيادس: نعم.

سقراط: أنت المجيب؟

لسيبيادس: هكذا تماماً.

سقراط: أيٌّ منا كان المتكلّم إذن؟

لسيبيادس: الاستنتاج، يا سقراط، أنّني كنت أنا المتكلّم.

سقراط: ألن يقول شخص ما إنّ السيبيادس، ابن كلينياس الجميل، بما أنّه لم يفهم عن العادل والظالم، بل ظنّ أنّه يفهم، ألن يقول هذا الشخص إنّك كنت ذاهباً إلى الجمعية العموميّة كي تنصح الأثينيين بما لم يعرفوه؟ ألن يُقال هذا؟

لسيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: إذن، يا السيبيادس، يمكن إيضاح النتيجة بلغة يوريبايدس. أعتقد أنّك سمعت هذا كلّه « من نفسك، وليس مني » وأنّني لست الملام عن ذلك. على كلّ حال، إنّ ما قلته كان حقيقة. حقاً، يا رفيقي العزيز، إنّ التصميم الذي فكّرت به بتروٍّ، لتعليم ما لا تعرف والذي لم تعانِ الألم لتتعلّمه، إنّ هذا التصميم هو اختلال عقلي محض.

لسيبيادس: لكنّني أظنّ، يا سقراط، أنّ الأثينيّن وبقية الهيلينيين لا يتداولون غالباً بما يكون الأكثر عدلاً وظلماً لأنّهم يرون صعوبة فيهما، ولهذا السبب فهم يتركونهما وشأنهما، ويعتبرون أنّ أيّة طريقة للعمل ستكون الطريقة الأكثر ملاءَمة لأن هناك فرقاً بين العدل والمناسب. إنّ العديد من الأشخاص ارتكبوا أخطاءً عظيمة وانتفعوا بظلمهم؛ وآخرون فعلوا ما هو حقّ ولم يصلوا إلى أيّ...

أو لِمَ يكون كذلك؟

السيبيادس: لِم لا، يا سقراط؟ ـ لكنّك لن تسألني مرّة أخرى ممّن تعلّمت هذا، أو كيف اكتشفته بنفسي.

سقراط: ما هذه الطريقة التي لديك! عندما تخطىء ويمكن نقض هذا الخطأ بمحاورة سابقة، فإنّك تصّر على أن تُنقض نقضاً جديداً ومختلفاً؛ أمّا المحاورة القديمة فهي ثوب أخرق لن تتدثّر به مرّة ثانية، لكنّ شخصاً ما يجب أن يحيك لك ثوباً آخر يكون ثوباً نظيفاً وجديداً. والآن فإنّني لن آخذ بعين الاعتبار خطوتك هذه، ولسوف أسألك مرّة أخرى: أين تعلّمت، وكيف تعرف طبيعة المناسب، ومن هو معلّمك؟ إنّني أشمل كلّ هذا في سؤال واحد وستكون أنت الآن في الصعوبة السابقة بشكلٍ بيِّن، ولن تكون قادراً على التظاهر بأنّك تعرف المناسب، إمّا لأنّك تعلّمته، أو لأنّك اكتشفته بنفسك. لكن بما أنّني أتصوّر وأدرك بأنّك لطيف، وتكره أن تتذوّق المحاورة المبتذلة، فإنّي لن أتساءَل أبعد من ذلك عن معرفتك بما هو مناسب، وما هو غير مناسب لأثينا، ورجوتك بكلّ بساطة أن تقول لماذا لا توضح وتشرح سواء إذا كان العدل والتناسب هما الشيء عينه أو أنّهما مختلفان؟ وإذا أحببت يمكنك أن تختبرني كما اختبرتك. وإذا فضّلت، يمكنك أن تواصل المباحثة بنفسك.

السيبيادس: لكنّني لست متأكّداً، يا سقراط، إذا كنت قادرًا على أن أبحث المسألة معك.

السيبيادس: تصوَّر إذن، يا صديقي العزيز، أنّني الرجل العادي والإكليسي، لأنّ في إكليسيا[٤٦] أيضاً، يجب عليك أن تقنع الرجال كلاً بمفرده.

وأن يقنع رجال الجمعية العمومية، بالأشياء التي يعرفها؟ يستطيع عالم الصَّرف والنّحو، كمثال، أن يقنع شخصاً واحداً بشأن الحروف، وبإمكانه أن يقنع كثيرين.

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: أولن يقنِع الشخص نفسه شخصاً واحداً ورجالاً كثيرين، بشأن العدد؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وسيكون هذا مَن يعرف بالأرقام، أو عالِم الحساب؟

السيبيادس: حقيقيٌ تماماً.

سقراط: أوَلا تقدر أنت على أن تقنع إنساناً واحداً بشأن ذلك الذي تستطيع أن تقنع به العديدين؟

السيبيادس: أفترض ذلك.

سقراط: وذلك الذي تقدر على أن تقنع به هو ما تعرفه بوضوح؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: والفرق الوحيد بين الشخص الذي يحاور في السرّ كما نفعل نحن الآن، والخطيب الذي يخاطب الشعب، الفرق الوحيد هو أنّ الشخص يقصد أن يقنع عدداً، والآخر أن يقنع فرداً واحداً بخصوص الأشياء عينها؟

السيبيادس: أفترض ذلك.

سقراط: حسناً، إذن، بما أنّ الشخص نفسه الذي يستطيع إقناع الجماهير يقدر على إقناع الأفراد، مارس فنّك عليَّ، وبرهن لي أن العادل لا يكون المناسب على الدوام.

السيبيادس: إنّك تنتهك القواعد والأصول، يا سقراط.

سقراط: أجب على سؤالي، هذا كل شيء.

السيبيادس: لا، إنّني سأحبّ منك أن تكون أنت المتكلّم.

سقراط: ماذا؟ ألا تريد وترغب أن تكون مقتنعاً بشكل تامّ؟

السيبيادس: إنّني أرغب وأريد بالتأكيد.

سقراط: وهل تستطيع أن تكون مقتنعاً أفضل من إدانتك من فمك؟

السيبيادس: لا أظنّ.

سقراط: إذن فإنّك ستجيب، وإذا لم تسمع الكلمات، وهي أنّ العادل هو المناسب ناطقةً بها شفتاك، فلن تصدق أيّ إنسان آخر أبداً مرّة ثانية.

السيبيادس: إنّني لا أريد، لكنّني سأجيبك، وأنا لا أرى كيف يمكن أن أتعرّض لأ أذى.

سقراط: يا لها من نبوءة صادقة! دعني أبدأ إذن بسؤالك إذا ما كنت تسمح ب العادل يكون ملائماً بعض المرّات ولا يكون في بعضها الآخر؟

السيبيادس: أجل.

سقراط: ويكون شريفاً بعض المرات وغير شريف في بعضها الآخر.

السيبيادس: ماذا تعني؟

سقراط: إنّي أسألك إن كنت قد عرفت شخصاً فعل ما كان عاراً وكان مع ذلا عادلاً؟

السيبيادس: أبداً.

سقراط: وتكون الأشياء العادلة شريفة؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وهل تكون بعض الأشياء الشريفة خيّرة؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: تعني في الحالات التالية: في وقت الحرب، عندما يُجرَح الرجال أو يلاقون حتفهم في إنقاذ رفيقهم أو قريبهم، في حين أنّ الآخرين الذين أهملوا واجبهم في الإنقاذ هربوا بأمان؟

السيبيادس: بالضبط.

سقراط: وإنّه لعمل شريف أن تنقذ الآخرين. هذا في ما يتعلّق بمحاولة إنقاذ أولئك الذين ينبغي إنقاذهم، فهل هذه شجاعة؟

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: لكنّه يكون عملاً سيّئاً فيما يتعلق بالموت والجروح؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وتكون الشجاعة التي ظهرت في الإنقاذ شيئاً واحداً، ويكون الموت شيئاً آخر.

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: إذن إنّه ليس في المنحى عينه أن يكون إنقاذ الواحد لصديقه شريفاً، وأن هذا يكون شرّاً؟

السيبيادس: حقاً.

سقراط: إذن تأمّل سؤالاً مشابها: إذا لم يكن العمل خيراً في الجهة عينها التي يكون العمل فيها شريفاً ـ لأنّك اعترفت أنّ الشجاعة التي أبديت في عملية الإنقاذ هي شريفة؟ ـ فهل هذه الشجاعة هي خير أو شر؟ أنظر في المسألة هكذا: أيّهما ستفضّل أن تختار، الخير أو الشر؟

بجرّد منها بالشكل الأقل؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: وماذا ستقول عن الشجاعة؟ لقاء أيّ ثمن ستكون مستعدّاً للتخلّي عنها؟

السيبيادس: سأفضّل الموت على أن أكون جباناً.

سقراط: إذن فأنت ترى أنّ الجبن هو أسوأ الشرور؟

السيبيادس: إنّني أفعل.

سقراط: أفترض، أنّه سيّىء كالموت؟

السيبيادس: أجل.

سقراط: والحياة والشجاعة هما الشيئان المضادّان لأقصى حدّ للموت والجبن؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وهما أكثر اثنين تحب امتلاكهما وتتمنّى أن تحوز مضادّاتهما بأقلّ قدر؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: هل هذا لأنّك تظنّ أنّ الحياة والشجاعة هما الأفضل، والموت والجبن هـ الأسوأ؟

السيبيادس: إنّها لكذلك.

سقراط: إذن أنت تعدّ الشجاعة بين الخيرات الرئيسة، وتعدّ الموت بين الشرو الرئيسة؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وسمّيتَ إنقاذ الصديق في المعركة عملاً شريفاً، لأنّ الشجاعة، التي هِ صفة جيّدة، أُظهرت أنّها كذلك في العمل والفعل؟

السيبيادس: لقد فعلت.

سقراط: إذن فأنت يجب أن تصف عملاً كهذا كما يلي: إذا دعوته شرّاً لأن نتيجته السوء، يلزمك أن تسمّيه خيراً بخصوص الخير الذي يكون النتيجة؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: هل يكون شريفاً حينئذ بقدر ما يكون خيِّراً، وعاراً بقدر ما يكون شرّاً؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: إذن، حينما تقول إنّ الذهاب لمساعدة الصديق في المعركة هو عمل شريف ويكون شرّاً برغم ذلك، فإنّ هذا القول يساوي القول بأنّ هذا العمل يكون عملاً خيِّراً وسيّئاً مع ذلك؟

السيبيادس: أعتقد بأنّك محقّ، يا سقراط.

سقراط: من هنا فإنّ لا شيء شريفاً، يُعتبر كأنّه شريف، يكون شرّاً؟ ولا أيّ شيءٍ سافل يعتبر كأنّه منحطّ يكون خيراً؟

السيبيادس: لا، على ما يبدو.

سقراط: أنظر إلى المسألة مرّة أخرى مع ذلك في أضواءٍ أبعد: إنّ الذي يعمل بشرف يعمل جيّداً أيضاً، أليس كذلك؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: والذين يعملون جيداً يكونون سعداء؟

السيبيادس: طبعاً.

سقراط: إنّهم سعداء لأنهم يحصلون على الأشياء الخيِّرة؟

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: وينالون الأشياء الخيِّرة بالعمل الجيد وبشرف؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: ويكون فعل خير لهذا شريفاً؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: إذن ومرّة أخرى فإنّ الخيّر والشريف وُجِد أنّهما متماثلان؟

السيبيادس: يبدو هكذا.

سقراط: إذن كلّ شيء نجد أنه شريف سنجد أنّه خيّر أيضاً، على الأقل إن ثبتت هذه المحاورة؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: وهل الأخيار مناسبون أو لا؟

السيبيادس: مناسبون.

سقراط: هل تتذكّر اعترافاتنا بشأن العدل؟

السيبيادس: نعم؛ إذا لم أكن مخطئاً، قلنا إنّ أولئك الذين عملوا بعدل لا شكّ أنّهم عملوا بشرفٍ أيضاً.

سقراط: وبما أنّهم يعملون بشرف فهم ينجزون ما يكون خيراً؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: ونعتقد أنّ الأخيار مناسبون؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: إذن، يا السيبيادس، إنّ الأعمال العادلة هي أعمال مناسبة؟

السيبيادس: يجب أن أستنتج ذلك.

سقراط: وأبرهن كلّ هذا بناءً لما تنطق به لأنّني أنا أسأل وأنت تجيب.

السيبيادس: يجب أن أعترف أنّها حقيقة.

سقراط: وباعترافك أنّ العدل هو الشيء نفسه مثل المناسب، ألست مستعداً [دعني

السيبيادس: إنّني أعلن بجديّة، يا سقراط، أنّني لا أعرف ما أقول. حقّاً يقيناً، أنّني في حالة غريبة، لأنّك عندما تطرح عليّ الأسئلة فإنّ أفكاراً مختلفة تتوارى بلحظاتٍ متلاحقة.

سقراط: ألا تدري بطبيعة هذا الإرباك، يا صديقي؟

السيبيادس: إنّني لا أفعل حقاً.

سقراط: هل تفترض أنّه إذا ما سألك شخص إن كانت لك عينان أو ثلاثة، أو يدان أو أربعة، أو أيّ شيء من ذلك النوع، فستكون حينئذٍ في أفكار مختلفة بلحظات متلاحقة؟

السيبيادس: بدأت أشكّ في نفسي، لكنّني لا أزال غير مفترِضٍ بأنّني يجب أن أفعل ذلك.

سقراط: أنت لن تشعر بأيّ شكّ؛ ولهذا السبب ـ لأنّك ستعرف؟

السيبيادس: أفترض ذلك.

سقراط: ولهذا السبب فأنت تناقض نفسك اختيارياً في أيّ موضوع عندما تكون جاهلاً بذلك الموضوع، إنّ هذا الجلي؟

السيبيادس: محتمل جداً.

سقراط: وإن كنت مرتبكاً في الإجابة بشأن العادل والظالم، الشريف والخسيس، الخيّر والشرير، المناسب وغير المناسب، فما سبب ذلك إلاّ أنّك جاهلٌ بها، ولهذا فأنت تكون في حيرة. أليس هذا واضحاً؟

السيبيادس: أوافق.

سقراط: لكن هل هذه الحالة هي نفسها على الدوام؟ يرتبك إنسان بالضرورة بشأن

سقراط: وهل تعرف كيف ترتقي إلى السماء؟

السيبيادس: لا، بدون ريب.

سقراط: وهل يكون حكمك مرتبكاً في هذه الحالة أيضاً؟

السيبيادس: لا.

سقراط: هل تعرف سبباً لذلك، أو هل سأخبرك؟

السيبيادس: أخبرني.

سقراط: السبب هو، يا صديقي، أنّك في هذه الحالة لا تتصوّر أنك تعرف عند
لا تعرف بحقّ.

السيبيادس: هناك مرّة ثانية، ماذا تعني؟

سقراط: أنظر في الموضوع معي، هل تحتار بشأن الأشياء التي تجهلها وتدر
بجهلك؟ تعرف، كمثال، أنّك لا تعرف أيّ شيء عن تحضير الطعام؟

السيبيادس: حقيقي جداً.

سقراط: وهل تربك نفسك بخصوص تحضير الطعام أو أنّك ستترك ذلك لشخص
ما يفهم هذا الفنّ؟

السيبيادس: أفعل الآخر.

سقراط: أو إنْ كنت في رحلة، هل ستأخذ بعين الاعتبار إذا ما كانت دقّة السفي
تجذَب إلى الداخل أو إلى الخارج، مربكاً نفسك بجهلك، أو أنّك سترا
ذلك لمرشد وقائد السفينة وتجلس أنت في مكانك؟

السيبيادس: إنّ ذلك العمل سيكون من اختصاص قائد السفينة.

سقراط: إذن فإنّك لن تتحيّر بشأن ما لا تعرف إنْ أدركت بأنّك لا تعرف ذلك؟

السيبيادس: لا أتصوّر.

سقراط: أفترض أنّنا بدأنا العمل حينما نرى بأنّنا نعرف ما نحن فاعلون؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: لكن عندما لا يتصوّر الناس أنّهم يعرفون، فإنّهم يعهدون بعملهم للآخرين؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وهكذا فإنّ هناك نوعاً من الأشخاص الجهلة الذين لا يرتكبون الأخطاء في الحياة لأنّهم يثقون بالآخرين بشأن الأشياء التي يجهلونها.

السيبيادس: حقاً.

سقراط: من هم الأشخاص الذين يرتكبون الأخطاء؟ لا يمكن أن يكونوا أولئك الذين يعرفون بالطبع؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: لكن إن لم يرتكب الأخطاء أولئك الذين يعرفون، ولا الأشخاص الذين لا يعرفون، يبقى هناك فقط أولئك الذين لا يعرفون وهم يعتقدون أنّهم يعرفون؟

السيبيادس: نعم، يبقى أولئك فقط.

سقراط: إذن هذا الجهل هو جهل من النوع المعيب الفاضح، وهو سبب الشقاق والأذى.

السيبيادس: نعم.

سقراط: هذا النوع من الجهل هو الجهل الأكثر شقاقاً وشرّاً والأكثر معابةً عندما يجب أن يؤدّي ويفعل القضايا الأعظم؟

السيبيادس: إنّه ذلك بيعد كبير.

سقراط: وهل تستطيع أن تسمّي مسائلَ أعظم من إسم العادل، والشريف، والخيّر،

السيبيادس: نعم.

سقراط: لكنّك إن كنت متحيّراً، حينئذ، كما أظهرت المحاورة السابقة، فإنّك تكون جاهلاً بالقضايا الأعظم فقط، بل إن كونك جاهلاً بها يجعلك تتو أنّك تعرفها.

السيبيادس: أخشى أن تكون محقّاً فيما تقول.

سقراط: والآن أنظر ما حدث لك، يا السيبيادس! إنّي أحبّ أن أتكلّم بصعوبة حالتك السيّئة، لكن بما أنّنا لوحدنا فسأفعل: يا صديقي العزيز، إنّك شغو بالجهل ومتعلّق به وهو جهلٌ من النوع الأكثر خزياً، وبه أُدِنْتَ، وليس ب بل من فمك الخاصّ وبهذه المحاورة بالذات. ولهذا السبب فإنّك تند بسرعة إلى فنّ السياسة وعلمها قبل أن تكون متعلّماً. وحالتك هذه لا تُع حالة مفردة، لأنّه يمكنني أن أقول الشيء عينه عن أكثر رجال دولنا، ما ع قلّة منهم، شاملاً لربّما وصيّك وحارسك، بركليس.

السيبيادس: نعم، يا سقراط، ويقال عن بركليس أنّه لم يحصل على حكمته بض الطبيعة، بل إنّه عاشر وصَحِب العديد العديد من الفلاسفة. إنه اختا بيثوكلايدس، كمثال، وعاشر أناكسوغوراس، وهو يرافق دامون في حي المتقدّمة، على أمل أن يكسب الحكمة.

سقراط: جيّد جداً؛ لكن هل عرفت إنساناً عاقلاً في الشيء الذي لم يكن بقا على أن ينقل حكمته الخاصّة؟ كمثال، إنّ الذي علّمك الحروف لم يـ عاقلاً فقط، بل جعلك أنت وكلّ شخص من الآخرين الذي أحبّه جعلكم حكماء.

السيبيادس: نعم.

السيبيادس: حقّاً.

سقراط: وسيفعل بأسلوب مشابه سيّد ومعلّم القيثارة والألعاب الرياضيّة؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: عندما يستطيع شخص أن يشير إلى الآخرين الذين نَقَل إليهم المعرفة، فإنّه يعطي برهاناً ممتازاً بذلك على فهمه الخاصّ لأيّة قضيّة؟

السيبيادس: إني أوافق.

سقراط: حسناً. وهل تستطيع أن تسمّي أيّاً من الأشخاص الذين جعلهم بركليس حكماء؟ هل بادر إلى جعل ولديه حكماء؟

السيبيادس: لكن، يا سقراط، إن كان وَلَدا بركليس الاثنان ساذجَين، فما علاقة ذلك بالقضيّة قيد البحث؟

سقراط: حسناً، لكن هل جعل أخاك كلينياس، عاقلاً؟

السيبيادس: إنْ كان كلينياس رجلاً مجنوناً، وكان وَلَدا بركليس الاثنان ساذجين، فلا نفع في التكلّم معهم.

سقراط: لكن إذا كان كلينياس رجلاً مجنوناً، وكان وَلَدا بركليس الاثنان ساذجين، فهل هي خطيئتك إذا تركك كما أنت؟

السيبيادس: أعتقد بأنّ الملامة تقع عليَّ لأنّني لم أستمع له.

سقراط: لكن هل سمعت عن أيّ أثيني أو أيٍّ غريب آخر، عبداً كان أو حرّاً، يُنظر إليه على أنّه كَبُرَ رجلاً وأصبح أحكم في عشرة بركليس ـ كما يمكنني أن أستشهد ببيثادوروس بن ايسولوخوس، وبكالياس بن كالياديس، اللذين كبُرا رجلين عاقلين في صحبة زينون، واللذين دفع كلٌّ منهما حقّاً ما مجموعه مئة ميناس كي يزيد من حكمتهما وشهرتهما؟

السيبيادس: إنّني لم أسمع عن أيّ شخص قطّ بالتأكيد.

سقراط: حسناً، وما هي تصميماتك للمستقبل؟ هل تعني وتقصد أن تبقى كما أنت، أو هل ستقاسي بعض الآلام من أجل نفسك؟

السيبيادس: سأفعل ذلك بمساعدتك، يا سقراط. وحقاً، فإنّني عندما أسمعك تتكلّم، فإن حقيقة ما تقوله تؤثّر في دخلية نفسي. وأنا أتّفق معك بالكليّة، لأنّ رجال دولنا كلّهم، ما عدا قلّة منهم يبدو أنّهم غير مثقفين تماماً.

سقراط: ما هو الاستنتاج؟

السيبيادس: لماذا، إذا كانوا هم متعلّمين، فسيكونون لاعبين رياضيين مدرّبين، ومن يعتزم على مباراتهم يجب أن تكون لديه المعرفة والخبرة عندما يقاربهم. لكن الآن، بما أنّهم أصبحوا سياسيّين بدون أي تدريب خاصّ، فلماذا ينبغي عليّ معاناة العناء للتعلّم والتمرّن؟ إنّني أعرف جيّداً بأنّ القضية لو كانت قضيّة مواهب طبيعيّة فإنّي سوف أحصل على الأفضل منهم.

سقراط: يا صديقي العزيز، يا لها من عاطفة! وكم هي عاطفة غير جديرة بشكلك النبيل وبمنزلتك الرفيعة!

السيبيادس: ماذا تعني، يا سقراط، ولماذا تقول ذلك؟

سقراط: إنّني أحزن عندما أفكّر بك، وبإخلاصي لك.

السيبيادس: بماذا؟

سقراط: بتوهّمك أنّ المباراة التي تدخل فيها تكون مباراة مع الأناس هنا.

السيبيادس: لماذا، هل هناك أناسٌ اخرون هناك؟

سقراط: وهل ذلك السؤال هو السؤال الذي يجب أن يسأله شخص يعتزّ بروحه العالية؟

السيبيادس: لا، يا سقراط.

سقراط: وافترض أنّك عزمت على أن تقود سفينة إلى العمل، هل ستكون قانعاً إذا كنت المرشد الأفضل على متنها؟ ألن تفضّل أن تُعنى بعواملك المضادّة الحقيقيّة في حين تعترف بأنّك تمتلك هذه الدرجة من الامتياز، ولا أن تعتني برفاقك المقاتلين؟ يلزمك أن تكون فوق هؤلاء الآخرين إلى هذا الحدّ، ذلك

كي لا يجرؤون حتّى على أن يكونوا منافسين لك؛ وكون الذين اعترفت بهم هم أقلّ شأناً وأهميّة، فإنّهم سيقومون بمعركة من أجلك ضد أعدائك. إنّ ذلك النوع هو نوع التفوّق الذي يجب عليك أن تحقّقه. هذا إنْ اعتزمت على أن تنجز أيّ عمل نبيل جدير بك وبالدولة؟

السيبيادس: وهذا هو ما أنوي فعله.

سقراط: حقّاً يقيناً، إذن، إنّ لديك سبباً ممتازاً كي تكون قانعاً، إن كنت أفضل من الجنود؛ ولست بحاجة لأن تنظر بعيداً إلى القادة العسكريين الأعداء وتراقبهم عند القيام بتدريبك، وترى ما إذا ستكون متفوّقاً عليهم.

السيبيادس: عمّن تتكلّم، يا سقراط؟

سقراط: لماذا، تعرف أنت بالتأكيد بأنّ مدينتنا تذهب إلى الحرب الآن وبعد ذلك ضدّ اللاقيدايمونيين وضدّ الملك الكبير.

السيبيادس: حقيقي بما فيه الكفاية.

سقراط: وإذا قصدت أن تكون حاكم هذه المدينة، فهل ستكون محقّاً في اعتبار أنّ اللاقيدايمونيين وملوك الفرس كانوا منافسيك الحقيقيين؟

السيبيادس: أعتقد بأنّك محقّ.

سقراط: أوه لا، يا صديقي، إنّني مخطىء تماماً، وأعتقد أنّه يجب عليك أن تعطي انتباهك إلى مايدياس مربّي طيور السمّان وإلى الآخرين الذين يشبهونه، والذين يديرون سياساتنا، الذين يمكنك، بواسطتهم، أن تبقى ترى قصّة شَعْر العبد، كما تعلّق النساء على ذلك، وهم الذين قُصّت عقولهم كما قُصّ شعر رؤوسهم كالعبيد؛ ويأتوننا بسخريتهم الهمجيّة ليتملّقونا وليس ليحكمونا. أقول لهؤلاء، عليكم أن تراقبوا وتفحصوا، وعندئذ فأنتم لن تكونوا بحاجة لإزعاج أنفسكم بشأن سلوككم اللائق كي تكافحوا في معترك نبيل كهذا. ليس، من سبب يفرض عليكم أن تَتعلّموا ما يلزم تعلّمه،

أو أن تمارسوا ما يجب ممارسته، وعندما تكونون جاهزين بشكل كامل فقط أدخلوا العمل السياسي.

السيبيادس: أعتقد، يا سقراط، بأنّك محقّ فيما تقول؛ وعلى كل حال، فلا أعتقد أنّ قادة إسبرطة العسكريّين أو أن الملك العظيم يختلفون عن أيّ شخص آخر.

سقراط: لكن، يا صديقي، تأمّل ملياً أيَّ نوعٍ من الاعتقاد هو هذا الاعتقاد.

السيبيادس: ماذا سأتأمّل؟

سقراط: في المقام الأوّل، هل ستبدي عناية أكثر بنفسك بشكل محتمل، إن كنت في خشية منهم، وتتصوّر بأنّهم مرعبون، أو إذا كنت غيراً من ذلك؟

السيبيادس: إنْ تصوّرت بأنّهم مرعبون، بوضوح.

سقراط: وهل تظنّ بأنّ ذلك سيلحق بك أي أذى إنْ أبديت عناية بنفسك؟

السيبيادس: لا، إنّني سأنتفع به بشكل كبير.

سقراط: وهذه نقطة مهمّة جداً تبرهن أن فكرتك هي فكرة سيئة.

السيبيادس: حقاً.

سقراط: في المكان الثاني، ألا يُحتمل أن يكون ما تقوله زيفاً؟

السيبيادس: كيف ذلك؟

سقراط: دعني أسألك إذا ما كانت أفضل الطبائع توجد في السلالات أو الأجناس النبيلة أو أنها غير موجودة في تلك الأجناس؟

السيبيادس: إنّها موجودة في السلالات النبيلة بوضوح.

سقراط: أليس أولئك المولودون نبلاء كاملين في الفضيلة، على شرط أن يتلقّوا تنشئة جيّدة أيضاً؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: إذن دعني أقارن مواضينا بمواضي اللاقيدايمونيين وملوك الفرس؛ هل هم

أدنى منّا في أصلهم ونسبهم؟ ألم نسمع أنّ السابقين تحدَّروا من هركليس، وأنّ اللاحقين تحدَّروا من الأكايين(٤٧) وأنّ سلالتي هركليس والأكايين ترجعان إلى برسيوس بن زيوس؟

السيبيادس: لماذا، وهكذا فإنّ سلالتي تعود إلى يوريسايس، وأن يوريسايس يعود إلى زيوس!

سقراط: وهكذا، يا أيّها النبيل السيبيادس، فإنّ سلالتي تعود إلى دايدالوس، وهو يعود إلى هيفياستوس بن زيوس، لكنّنا أدنى منهم، بالرّغم من كل هذا، لأنّهم تحدَّروا « من زيوس »، من سلالة نسب من الملوك - إمّا من ملوك آرغوس ولاقيدايمونيا، أو من ملوك بلاد فارس. إنّها بلاد امتلكها المتحدّرون من الأكايين على الدوام، بجانب كونهم، خلال أزمنة متعدّدة، ملوكاً على آسيا، كما هم الآن؛ مع أنّنا وآباءَنا لم نكن إلا أشخاصاً عاديّين. كم ستبدو مضحكاً إنْ كنت ستقوم بعرض أسلافك وأسلاف سالاميس من جزيرة يوريسايس، أو جزيرة آيجينا التي يسكنها آيكوس ولا يزال وهو الأقدم، أقول كم ستبدو مضحكاً إن عرضت كل هؤلاء أمام ارتاحشيروس بن أحشورش الملك الفارسي. عليك أن تأخذ بعين الاعتبار أنّنا أقلّ أهمية منهم في فخامة نسبنا وفي مميزاتنا الأخرى. ألم تراقب أبداً كم يتمتّع ملوك إسبرطة بالمكارم العظيمة؟ إنّ زوجاتهم هي تحت حراسة القضاة الإسبرطيين، الخمسة، الذين هم موظفون عامون ويقومون بحراستهنّ كي يحفظوا نقاوة الدم الهيراقليدي قدر المستطاع. ولا يزال الفرق أعظم بين الفرس. إذ لا أحد يبدي شكّاً أنّ أمير بلاد فارس يمكن أن يكون أيّ شخص سوى الملك. هكذا هي الهيبة التي تطوّق شخصية الملكة، ذلك أنّ أيّ حارس آخر لا لزوم له. وحينما يولد وريث المملكة، فإنّ كلّ رعايا الملك يولِمُون، ويُحفظ يوم مولده بعدئذ كيوم عطلة ووقت تضحية في كلّ قارة آسيا؛ مع أنّك كمّا ولدتَ وولدتُ

أنا، يا السيبيادس، فإنّ الجيران بالكاد عرفوا عن الحدث المهمّ، كما يقول الشاعر الهزليّ. بعد ولادة الطفل الملكيّ، ترعاه، ليس مربّية أطفال لا تصلح لأيّ شيء، بل توكل رعايته لأفضل الخصيان الملكيّين الذين يكلّفون به، وخاصّة بصوغ وتشكيلٍ جيد لأطرافه، كي يمكنه أن يكون في أحسن هيئةٍ وقوامٍ ممكنين كونهما من المستلزمات، ولهذا فهم يبقون في مجدٍ عظيم. وعندما يصبح عمر الأمير الفتيّ سبع سنين، يوضع فوق حصانٍ ويؤخذ إلى معلّم ركوب الخيل، ويبدأ بالذّهاب إلى الصيد. وفي سنّ الرابعة عشرة يُسلَّم إلى أسياد التعليم الملكيّ، كما يُسمّون، وهؤلاء هم أربعة رجال مختارين، مشهورين بأنّهم أفضل الفرس في سنٍّ محدَّدة. واحدهم هو الأعقل، والثاني الأعدل، والثالث الأكثر اعتدالاً، والرابع الأكثر بسالة. يثقّفه الأول في مجوسيّة زوروستر(٤٨) بن هورومازوس، وهذه الثقافة هي عبادة الآلهة، ويعلّمه أيضاً واجبات منصبه الملكيّ. أمّا الثاني، الأعدل، فيعلّمه أن يتكلّم الصدق على الدوام. وأمّا الثالث، أو الأكثر اعتدالاً، فيمنعه من السماح لأيّة لذّة أن تسيطر عليه، كي يمكنه أن يتعوّد على أن يكون إنساناً حرّاً وملكاً بحقّ، سيّد نفسه وليس عبداً لها؛ ويدرّبه الرّجل الأكثر بسالة على أن يكون شجاعاً وأن لا يخاف، قائلاً له إنّه إذا خشي شيئاً فيجب أن يعتبر نفسه عبداً. ومع أنّ بركليس أعطاك، يا السيبيادس، زوبيروس التراقيّ كمعلّم، وهو عبدٌ له قام بكلّ أعماله الأخرى، يمكنني أن أُسهب في عناية وتعليم منافسيك، لكنّ ذلك سيكون شيئاً مملاً؛ وما قلته نموذج كافٍ للّذي لم يُقل بعد. غير أنّه عليّ أن أعلّق فقط، بطريقة المقارنة، فأقول لا أحد يعتني بشأن ولادتك أو العناية بك أو تعليمك، أو، يمكنني أن أقول، لا يفعل أحد ذلك بخصوص أيّ يونانيّ آخر، إلاّ إذا كان لديه محبٌّ يسهر عليه. وإن ألقيت نظرةً على الغنى، والترف، والثياب التي تجرّ على الأرض بذيولها، المضمّخة

بالعطر الزكيّ الرائحة، جماهير الحاضرين، وكل البسالات الفارسيّة الأخرى، إذا فعلت ذلك، فلسوف تستحي عندما تتبيَّن دونيّتك الخاصّة بالمقارنة بهم؛ أو إذا نظرت في الاعتدال والرّخاء والكياسة والنفس الأبديّة والشجاعة والصبر وحبّ الكدح والرغبة في المجد والطموح للاقيدايمونيين - سترى أنّك لست إلاّ طفلاً في كلّ هذه النواحي بالمقارنة بهم. حتّى في مسائل الغنى، إن كنت تقدِّر نفسك على أساس ذلك، فما ينبغي عليَّ حينها إلاّ أن أكشف لك كيف تقف حيالها. وإذا كوّنت تقديراً عن غنى اللاقيدايمونيين، فإنّك سوف تبصر أنّ ممتلكاتنا تقلّ بشكل بعيد عمّا يمتلكون. لا أحد هنا يستطيع أن ينافسهم لا في اتّساع وخصوبة إقليمهم أو إقليم الميسينيان، أو في عدد عبيدهم، وخاصة الهيلوطيين(٤٩) أو بما يحوزون من خيل، أو من الحيوانات التي تتغذّى على المراعي الميسينيّة. لكنّني قلت ما الكفاية فيه عن هذا: أمّا فيما يخصّ الذهب والفضّة، فإنّ منها في لاقيدايمونا أكثر من بقيّة هيلاس كلّها، إذ خلال عدة عصور قد تدفّق الذهب إليها من العالم الهيلينيّ كلّه، ومن العالم البربريّ على الغالب أيضاً، ولم يخرج منها على الإطلاق، كما قال الثعلب للأسد في أسطورة آيسوب، « إنّ آثار أقدام أولئك الداخلين متميّزة بما فيه الكفاية »؛ لكن من رأى قطّ آثار المال خارجة من لاقيدايمونا؟ ولهذا السبب يمكنك أن تستنتج بأمان أنّ ساكنيها هم أغنى الهيلينيّين بالذهب والفضّة، وأنّ ملوكهم هم أغنى الجميع، لأنّهم يمتلكون حصّة أكثر من تلك الأشياء، ويحوزون ضريبة خاصّة أيضاً مدفوعة لهم وهي ضريبة وفيرة. ومع ذلك فإنّ الغنى الإسبرطي، مع أنّه غنيّ عظيم بالمقارنة مع غنى الهيلينيين الآخرين، فيبدو وكأنه لا شيء بالمقارنة مع ما يمتلكه الفرس وملوكهم. لماذا أقول هذا، لأن شخصاً يمكن تصديقه أخبرني بأنّه ذهب إلى الملك، ومرَّ خلال قطعة من الارض واسعة وممتازة بشكل كبير، وممتدّة بما

يُقارن بيوم سفر على وجه التقريب، وهي التي يسمّيها الشعب هناك في الريف حزام المملكة، ويدعوها الآخرون، قناعها؛ وأفصَحَ لي هو عن مقاطعات أخرى متعدّدة وجميلة وخصبة، خصّصت لتجميل الملكة، وسُمّيت بأسماء أثوابها المتعدّدة. والآن، لا أقدر إلاّ أن أتصوّر بنفسي إنْ ذهب شخص ما إلى أميستريز، زوجة أحشورش، وقال لها، أن أحد الدينوماقيين لا تساوى خزانة ثيابه خمسين ميناس ـ وسيكون ذلك الرقم أكثر من قيمتها بكثير ـ وكان لديها ولد امتلك قطعة أرض مساحتها ثلاثمائة أكر في أركيا، وكانت نيته أن يشعل حرباً مع ابنك ـ ألن تتساءَل هي عن الذي يثق به هذا الألسيبيادس للنجاح في النزاع؟ ستقول لنفسها « لا شكّ أنّه يعتمد على تدريبه وحكمته. وأن هذه الأشياء هي للأشياء التي يقدرها الأثينيون فقط ». وإذا سَمِعَت بأنّ السيبيادس هذا الذي يقوم بالمحاولة ليس له من العمر عشرين سنة حتى الآن، وهو غير متعلّم بشكل تامّ، وحينما يخبره محبّه بأنه ينبغي عليه أن يحصل على التعليم والتمرين بادىء ذي بدء، وأن يذهب ويحارب الملك بعدئذ، فإنّ هذا الالسيبيادس يرفض ذلك، ويقول إنّه كفؤ بما فيه الكفاية كما هو الآن، ألن تكون هي مشدوهة، وتسأل، « هل على ذلك إذن، يتّكل الفتى؟ » وإذا أجبنا: إنّه يعوّل على جماله، وقامته، ومواهبه العقليّة، ستظنّ بأنّنا كنا مجانين، يا السيبيادس، عندما تقارن الفوائد التي تمتلكها أنت مع ما لدى شعبها الخاصّ. وإنّني أعتقد بأنّه حتى لامبيدو، ابنة ليوتيكيدز، زوجة ارخيداموس وأم أجيس، والذين كانوا كلّهم ملوكاً، أعتقد بأنّها سيمتلكها الشعور عينه عندما تقوم بمقارنة مماثلة؛ وإن كنت ستوجّه تفكيرك ضدّ ابنها، في حالتك الحاضرة الغارقة بالجهل، فإنّها ستكون مذهولة بشكلٍ مماثل. لكن كم هو عار علينا، أنّه يجب أن لا يكون لدينا فكرة سامية عن ذلك الذي نحتاجه ليكون فينا، مثلما تمتلك زوجات أعدائنا

وأمّهاتهم عن النوعيات التي يحتاجونها في مهاجميهم! أوه يا صديقي، إقتنع بما أقول، واسمع الكلام المنقوش في معبد دلفي « إعرف نفسك » - إنّ الرجال الذين تتصوّرهم ليسوا أعداءنا، بل إنّ هؤلاء الملوك هم أخصامنا، ونحن نستطيع أن نقهرهم بالآلام والبراعة. وإنْ أنت أخفقت في النوعيّات التي تحتاجها، فإنّك ستفشل أيضاً في أن تصبح شهيراً بين الهيلينيّين والبربر، وهذا ما يبدو أنك تتوق له أكثر ممّا يرغب أيّ شخص آخر في أيّ شيء قطّ.

السيبيادس: إنّني أصدّقك بالكليّة؛ لكن ما هو نوع الآلام التي أحتاجها، يا سقراط؟ هل تقدر أن تخبرني؟

سقراط: نعم، إنّي أستطيع؛ لكنّنا يجب أن نتشاور معاً بخصوص الأسلوب الذي يمكن أن نكون كلانا الأكثر تحسّناً فيه. لأنّ ما أقوله لك .الآن عن الحاجة إلى التعليم ينطبق عليّ مثلما ينطبق عليك؛ هناك نقطة واحدة فقط أبزُّك فيها.

السيبيادس: ما هي تلك النقطة؟

سقراط: إنّ لديَّ وصيّاً أفضل وأعقل من حارسك، بريكلس.

السيبيادس: من هو، يا سقراط؟

سقراط: إنه الله، يا السيبيادس، الذي لم يسمح لي، حتّى اليوم بالحديث معك؛ وهو الذي ألهمني أن أعتقد أنّه من خلالي فقط سيصبح إسمك لامعاً.

السيبيادس: إنّك تسخر، يا سقراط.

سقراط: ربّما؛ على كل حال، إنّني محقّ في القول بأنّ كل الرجال يحتاجون للآلام والعناية بشكل كبير، وأنت وأنا نحتاجهما قبل كلّ الرجال.

السيبيادس: إنّك لست مخطئاً كثيراً بشأني.

سقراط: ولست كذلك بشأن نفسي بالتأكيد.

السيبيادس: لكن ما الذي نستطيع فعله؟

سقراط: يجب أن لا يكون هناك تردّد أو جبن، يا صديقي.

السيبيادس: إنّ ذلك لن يليق بنا، يا سقراط.

سقراط: لا، حقاً، ويلزمنا أن نتشاور معاً. والآن قل لي: ألا نقول نحن بأنّنا نتوق لنكون أخياراً قدر الإمكان؟

السيبيادس: إنّنا نفعل.

سقراط: في أي نوع من أنواع الفضيلة؟

السيبيادس: في فضيلة الرجال الأخيار، بوضوح.

سقراط: الرجال الذين يكونون أخياراً في ماذا؟

السيبيادس: أولئك الذين يكونون أخياراً في إدارة الشؤون بوضوح.

سقراط: أيّ نوع من الشؤون؟ هل هي شؤون الفروسية؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: لأنّه يلزمنا أن نطلب المساعدة من الفوارس؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: حسناً؛ هل هي شؤون الملاحة؟

السيبيادس: لا.

سقراط: لأنّه يلزمنا أن نلجأ إلى الملاّحين بشأنها؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: ما هي الشؤون إذن؟ ومَن يقوم بها؟

السيبيادس: إنّها الشؤون التي تشغل الأسياد الأثينيين.

سقراط: وعندما تتحدّث عن الأسياد، هل تعني العقلاء أو الأغبياء؟

السيبيادس: أعني الأسياد العقلاء.

سقراط: ويكون الإنسان صالحاً فيما يخصّ ذلك الذي هو حكيمٌ فيه؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: ويكون شريراً فيما يخص ذلك الذي هو غبيٌ فيه؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: إنّ صانع الأحذية، كمثال، هو عاقل فيما يخصّ صناعة الأحذية؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: إذن، فإنّه جيد فيها؟

السيبيادس: إنّه لكذلك.

سقراط. لكنّه غبيّ فيما يخصّ صناعة الأثواب؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: إذن فإنّه سيّء في ذلك؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: إذن بناءً على هذه النظريّة للقضية يكون الإنسان نفسه صالحاً وسيّئاً؟

السيبيادس: بوضوح.

سقراط: لكنّك هل ستقول إنّ الصالحين والسيئين هم الشيء عينه؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: من ستسمّي الأخيار إذن؟

السيبيادس: أقصد بالأخيار أولئك الذين يقدرون على أن يحكموا في المدينة.

سقراط: ليس أن يحكموا على الأحصنة، بالتأكيد.

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: بل على الرجال؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: عندما يكونون مرضى؟

السيبيادس: لا.

سقراط: أو حين يكونون في رحلة؟

السيبيادس: لا.

سقراط: أو عندما يجنون المحاصيل؟

السيبيادس: لا.

سقراط: عندما يكونون فاعلين شيئاً أو غير فاعلين شيئاً؟

السيبيادس: عليَّ أن أقول، عندما يكونون فاعلين شيئاً ما.

سقراط: أتمنى أن توضح لي ما هو هذا الشيء ال « ما ».

السيبيادس: عندما يتعاملون مع بعضهم البعض، ويستفيدون من خدمات بعضهم البعض، كما نفعل نحن المواطنين في حياتنا اليومية.

سقراط: إنّ أولئك الذين تتكلّم عنهم يحكمون فوق الرجال الذين ينتفعون من خدمات الرجال الآخرين.

السيبيادس: نعم.

سقراط: هل يحكمون هم فوق الرجال المفردين الذين يعطون الوقت للمجذّفين؟

السيبيادس: لا، إنّهم ليسوا كذلك.

سقراط: سيكون هذا العمل عمل مرشد السفينة؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: لكن ربّما تعني أنّهم يحكمون فوق العازفين على الناي، الذين يقودون المغنّين ويستعملون خدمات الراقصين؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: إنّ ذلك العمل سيكون عمل معلم مجموعة المغنّين؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: إذن ما معنى أن تكون قادراً على أن تتحكّم فوق الرجال الذين يستخدمون الرجال الآخرين؟

السيبيادس: أعني بأنّهم يحكمون فوق الرجال الذين يمتلكون حقوق المواطنيّة المشتركة، والتعامل مع بعضهم البعض.

سقراط: وما هو هذا الفنّ؟ إفترض بأنّي أسألك مرّة ثانية، كما فعلت لتوّي الآن، أيّ فنٍّ يجعل الرجال يعرفون كيف يحكمون فوق رفاقهم البحّارة، كيف ستجيب؟

السيبيادس: إنّه فنّ مرشد السفينة.

سقراط: وإن أمكنني وعدت إلى مثالٍ آخر حديث، لسألتك، أيّ فنٍّ يجعلهم قادرين على أن يحكموا رفاقهم المغنين؟

السيبيادس: إنّه فنّ معلم مجموعة المغنين الذي ذكرته منذ فترة قصيرة.

سقراط: وماذا تسمّي الفنّ الذي يجعل الإنسان قادراً على أن يحكم فوق رفاقه المواطنين؟

السيبيادس: عليّ أن أقول، المشورة الصالحة، يا سقراط.

سقراط: ومع ذلك فأنت لن تدعو فنّ مرشد السفينة مشورة سيئة؟

السيبيادس: لا.

سقراط: بل تدعوه مشورة صالحة؟

السيبيادس: نعم، ذلك ما ينبغي عليّ قوله - مشورة صالحة هدفها حفظ سلامة الرحّالة.

سقراط: حقاً، وماذا تكون غاية تلك المشورة الصالحة الأُخرى التي تتكلّم عنها؟

السيبيادس: إنّ قصدها وغايتها هي النّظام الأفضل وحفظ سلامة المدينة.

سقراط: وماذا يكون ذلك الذي غيابه أو حضوره يصون نظام المدينة؟ إفترض أنّك كنت ستسألني، ماهو ذلك الذي حضوره أو غيابه يقي نظام الجسم؟ عليّ أن أجيب، أنّه الحضور للصحّة والغياب للمرض. فهل ستقول أنت الشيء عينه؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وإن سألتني السؤال عينه بشأن العينين، يجب عليّ أن أجيب بالطريقة عينها، أنّه الحضور للبصر والغياب للعمى؛ أو بخصوص الأذنين، يلزمني أن أقول، أنّهما تحسّنا وكانا في حالة أفضل، عندما كان الصمم غائباً، وكان السمع موجوداً بهما.

السيبيادس: حقاً.

سقراط: وماذا ستقول عن دولة « مدينة »؟ ما هو ذلك الذي بحضوره أو بغيابه تتحسّن الدولة وتكون مدارة ومنظّمة بشكل أفضل؟

السيبيادس: عليّ أن أقول، يا سقراط، الحضور للصداقة والغياب للكراهية والانقسام.

سقراط: وهل تعني بالصداقة الاتفاق أو الخلاف؟

السيبيادس: أعني الاتفاق.

سقراط: ماذا يكون الفنّ الذي يجعل المدن تتّفق بشأن الأعداد؟

السيبيادس: فنّ الحساب.

سقراط: والأفراد الخاصين؟

السيبيادس: الشيء عينه.

سقراط: ويتّفق كل فرد مع نفسه؟

السيبيادس: الشيء عينه.

سقراط: وما هو ذلك الفنّ الذي يجعل كلاً منّا يتّفق مع نفسه بخصوص الطول المقارَن للباع والمكعّب؟ أليس ذلك الفن هو فنّ القياس؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: إنّ الأفراد متفقون بعضهم مع بعض بشأن هذا؛ وكذلك الدول بشكل مماثل؟

السيبيادس: أجل.

سقراط: ويثبتُ الشيء عينه عن الوزن؟

السيبيادس: حقاً.

سقراط: لكن ما هو الاتفاق الآخر الذي تتكلّم عنه، وبشأن ماذا؟ أيّ فنّ يمكنه أن يعطي هذا الاتفاق؟ وهل ذلك الذي يمنح هذا الفنّ إلى الدولة يهبه إلى الفرد أيضاً، هكذا كي يجعله منسجماً مع نفسه ومع الآخرين؟

السيبيادس: عليَّ أن أفترض ذلك.

سقراط: لكن ما هي طبيعة الاتفاق؟ أجب ولا تَهِن.

السيبيادس: أعتقد بأني أودّ أن أقول يجب أن توجد هكذا صداقة واتفاق مثلما يوجد بيّن الأب العطوف والأمّ الرؤوم وأولادهما، أو بين الزوج وزوجته.

سقراط: لكن هل يستطيع الرجل، يا السيبيادس، أن يتّفق مع المرأة فيما يخص غزل الصوف الذي تفهمه هي وهو لا يدركه؟

السيبيادس: لا، بحقّ.

سقراط: ولا تتملكه أيّة حاجة لذلك، لأنّ الغزل هو براعة أنثويّة؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وهل ستتّفق امرأة مع رجل بشأن الأسلحة، ذلك الشأن الذي لم تتعلّمه قطّ؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: أفترض بأنّك ستعتبر استعمال السلاح كأنه إنجاز مذكّر؟

السيبيادس: سأعتبره كذلك.

سقراط: إذن، وبناءً على وجهة نظرك، فإنّ بعض الدراسات مناسب للنساء، وبعضها للرجال؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: إذن فليس هناك اتّفاق بين الرجال والنساء في هذه الأشياء على الأقل؟

السيبيادس: لا، لا يوجد.

سقراط: ولا يمكن أن توجد صداقة، إنْ كانت الصداقة اتفاقاً، كما قلت؟

السيبيادس: لا على ما يبدو.

سقراط: إذن فإنّ النساء لا يحببهنّ الرجالُ بقدر ما هنَّ يفعلنَ عملهنَّ الخاص؟

السيبيادس: لا أفترض هذا.

سقراط: ولا الرجال بالنساء بقدر ما هم يفعلون عملهم؟

السيبيادس: لا.

سقراط: ولا تُدار الدول جيّداً، إلاّ بقدر ما يقوم الأفراد بعملهم الخاصّ؟

السيبيادس: عليَّ أن أتصوّر، يا سقراط، أنّ العكس هو الصحيح(٥٠).

سقراط: ماذا! هل تعني أنّ الدول تدار جيّداً عندما تكون الصداقة غائبة، والتي يضمن حضورها فقط نظامها الجيّد وحده، كما كنا قائلين؟

السيبيادس: لكن يلزمني أن أقول إنّ هناك صداقة بين الرجال والنساء، لهذا السبب بالتحديد وهو أنّ الفريقين كلاهما يقومان بعملهما الخاصّ، كلٌّ حسب وروده.

سقراط: إنّ ذلك القول لم تورده قبلاً؛ وماذا تعني بالتأكيد الآن عندما تقول إنّ الصداقة توجد حيث لا يوجد اتفاق؟ كيف يمكن أن يوجد اتفاق بشأن المسائل التي يعرفها فريق واحد، والتي يجهلها الفريق الآخر؟

السيبيادس: مستحيل.

سقراط: وعندما يؤدِّي الأفراد عملهم الخاصّ، هل هم يفعلون ما يكون عادلاً أو ظالماً؟

السيبيادس: إنّهم يفعلون ما يكون عادلاً بدون ريب.

سقراط: وهكذا عندما يفعل الأفراد ما يكون عادلاً في الدولة، فإنّ ذلك لا ينتج صداقة بينهم؟

السيبيادس: أعتقد بأنّه ينبغي أن ينتج ذلك، يا سقراط.

سقراط: إذن ماذا تعني بهذه الصداقة أو الاتفاق الذي يلزمنا أن نكون حكماء فيه وحصفاء، كي يمكننا أن نكون رجالاً أخياراً؟ إنّني لا أستطيع أن أدرك أين يوجد أو بين من؛ وطبقاً لك فإنّه يمكن للأشخاص أنفسهم أن يكون لديهم بعض مرّات، وأن لا يحوزوه مرّات أخرى.

السيبيادس: لكن، حقاً، يا سقراط، إنّني لا أعرف ما أقول؛ وإنّي كنت لوقتٍ قصير مضى غير واعٍ لنفسي، وكنت في أكثر الحالات خزياً.

سقراط: على كلّ حال، ابتهج، إذا اكتشفت عجزك في سنّ الخمسين لأنّك بعده ستكون مسنّاً جداً، وزمن العناية بنفسك قد ولّى حينه. لكنّ سنّك الآن هي السنّ المناسبة التي يجب أن يتمّ هذا الاكتشاف فيها.

السيبيادس: إذا استطعت أن أتحسّن بالإجابة، فسأجيب.

سقراط: وقبل كلّ شيء، كي لا يمكننا أن نُخدع بالمظاهر في حالةٍ كهذه، متوهّمين، ربما أنّنا نقوم بالعناية بأنفسنا في حين لا نفعل ذلك، وما هو المعنى لإنسانٍ يقول بالعناية بنفسه؟ ومتى يؤدّي هو هذه العناية؟ هل يقوم بها عندما يقوم بالعناية بما يخصّه؟

السيبيادس: عليَّ أن أتصوّر ذلك.

سقراط: متى يقوم الإنسان بالعناية بقدميه؟ ألاَ يهتمّ بهما عندما يعتني بذلك الذي يخصّ قدميه؟

السيبيادس: إنّني لا أفهم.

سقراط: دعني أتناول شيئاً ما يخصّ اليدين؛ كمثال ألا يخصّ الخاتم الإصبع، ولا يخصّ أيّ جزء آخر من أجزاء الجسد الإنسانيّ؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: ويخصّ الحذاء القدم بأسلوبٍ مماثل.

السيبيادس: نعم.

سقراط: وتخصّ الأثواب والأسرّة بقيّة الجسم أيضاً؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وعندما نهتمّ بأحذيتنا، ألا نقوم بالعناية بأقدامنا؟

السيبيادس: إنّني لا أفهمك، يا سقراط.

سقراط: لكنّك سوف تعترف، يا السيبيادس، أنّ القيام بالعناية المناسبة بشيء هو التعبير الصحيح؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وتعني القيام بالرعاية المناسبة التحسّن؟

السيبيادس: أجل.

سقراط: وما هو الفنّ الذي يحسّن أحذيتنا؟

السيبيادس: إنّه صناعة الأحذية.

سقراط: إذن فإنّنا نهتمّ بأحذيتنا بواسطة صناعة الأحذية؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وهل نعتني بأقدامنا بصناعة الأحذية، أو بفنّ آخر يحسّن الأقدام؟

السيبيادس: بفنّ آخر.

سقراط: ويحسّن الأقدام الفنّ عينه الذي يحسّن بقية الجسم؟

السيبيادس: عليّ أن أقول ذلك.

سقراط: الذي هو التمارين الرياضية؟

السيبيادس: بدون ريب.

سقراط: إذن فإنّنا نهتمّ بأيدينا بالألعاب الرياضيّة، لكنّنا نرعى بفنّ حفر الخواتم ذلك الذي يخصّ أيدينا؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: ونعتني بالجسد بواسطة التمارين الرياضيّة، لكن بهكذا فنون كتلك التي للحياكة نقدّم الرعاية لأشياء الجسد؟

السيبيادس: بوضوح.

سقراط: إذن فإنّ الفنّ الذي يرعى كلّ شيء يختلف عن ذلك الفنّ الذي يهتم بخاصّيّات كلّ شيء؟

السيبيادس: حقّاً.

سقراط: إذن ليس صحيحاً أنّه في رعاية ما يخصّك، تهتمّ أنت بنفسك؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: لأنّه يبدو، أنّ الفنّ الذي يمكن لإنسانٍ أن يعتني بنفسه بواسطته، لا يكون الشيء عينه كالفنّ الذي يمكنه بواسطته أن يهتم بخاصياته؟

السيبيادس: لا بوضوح.

سقراط: وبعدُ دعني أسألك سؤالاً، ما هو الفنّ الذي نرعى أنفسنا بواسطته؟

السيبيادس: لا أستطيع القول.

سقراط: على كل حال، لقد تمَّ الاعتراف بما بحثناه، وهو أنّ الفنّ الذي خلق أياً من ممتلكاتنا ليس واحداً، بل إنّه الذي يجعل أنفسنا أفضل؟

السيبيادس: حقاً.

سقراط: لكن هل اعترفنا قط أيُّ فنٍّ يجعل الحذاء أفضل، إذا لم نعرف الحذاء؟

السيبيادس: مستحيل.

سقراط: ولم نكن لنعرف أيُّ فنٍّ يجعل الخاتم أفضل، إذا لم نعرف الخاتم؟

السيبيادس: إنّ ذلك لحقيقي.

سقراط: وهل عرفنا قطّ أيُّ فنّ يجعل الإنسان إنساناً أفضل، إنْ لم نعرف من نحن؟

السيبيادس: مستحيل.

سقراط: وإذا كانت معرفة النفس هكذا شيئاً سهلاً، فهل يجوز أن يُستَخَفَّ بمَنْ حفر الآية على المعبد في دلفي؟ أو هل تكون معرفة النفس شيئاً صعباً، وهي التي لا يستطيع نيلها إلاّ القليل؟

السيبيادس: أتخيّل بعض المرات، يا سقراط، أنّ أيَّ شخص يمكنه أن يعرف نفسه؛ وهذا العمل الشاقّ يبدو لي صعباً جدّاً مرّاتٍ أخرى.

سقراط: لكن إذا كان هذا العمل سهلاً أو كان صعباً، يا السيبيادس، يبقى أنّه لا يوجد أيّ طريق آخر، وهو معرفة من نحن ويمكننا حينها أن نعرف كيف نرعى أنفسنا، لكن ما دمنا هكذا جهلة فإنّنا لن نعرف ذلك أبداً.

السيبيادس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

سقراط: حسناً، إذن، دعنا نرى بأية طريقة نستطيع نحن أن نكتشف الطبيعة الحقيقيّة للنفس. إنّ ذلك سيتيح لنا فرصة لنكتشف من نحن، والذي لن نعرفه بطريقة أخرى أبداً.

السيبيادس: إنّك تقول صدقاً.

سقراط: تعالَ الآن، إنّني ألتمس منك العون، قل لي مع من تتناقش أنت؟ مع من سواي؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: كما إنّني أتناقشُ معك؟

السيبيادس: أجل.

سقراط: بمعنى أنّني، أنا، سقراط، أتكلّم؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وأنّ السيبيادس يستمع لي؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وأنا أستعمل الكلمات في حديثي؟

السيبيادس: بدون ريب.

سقراط: وأفترض أنّ الكلام واستعمال الكلمات له المعنى عينه؟

السيبيادس: لتكن متأكداً.

سقراط: ولا يكون المستعمِل الشيء عينه كالذي يستعمل؟

السيبيادس: ماذا تعني؟

سقراط: إنّني سأوضح. يستعمل صانع الأحذية الآلة القاطعة، كمثال، ويستعمل السكّين المنحني، والأدوات الأخرى للقطع.

السيبيادس: نعم.

سقراط: لكنّ الأدوات ليست الشيء عينه كالإنسان الذي يقطع، والذي يستعمل الأدوات؟

السيبيادس: لا طبعاً.

سقراط: وفي الطريقة عينها فإنّ آلات القيثارة تكون مميّزة عن القيثارة عينها؟

السيبيادس: إنّها لكذلك.

سقراط: وبعدُ فإنّ السؤال الذي سألته كان إذا ما تصوّرت أنّ المستعمِل يكون متبايناً عن ذلك الشيء الذي يستعمل؟

السيبيادس: إنّني أفعل.

سقراط: إذن ماذا سنقول نحن عن صانع الحذاء؟ هل يقطع هو بأدواته فقط أو بيديه؟

السيبيادس: إنّه يقطع بيديه أيضاً.

سقراط: إنّه يستخدم يديه أيضاً؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وهل يستخدم عينيه في قصّ الجلد؟

السيبيادس: إنّه يفعل.

سقراط: واعترفنا نحن أنّ المستعمِل لا يكون الشيء نفسه مع الأشياء التي يستخدمها؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ صانع الحذاء والقيثارة مميّزان عن الأيدي والعيون التي يستخدمانها؟

السيبيادس: بوضوح.

سقراط: أوَلا يستخدم إنسانٌ الجسد كلّه؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: ورأينا أنّ ذلك الذي يستخدمه يكون غيراً من ذلك الذي يُستخْدَم؟

السيبيادس: حقاً.

سقراط: إذن فإنّ أحداً لا يكون الشيء نفسه كجسمه الخاص؟

السيبيادس: إنّ ذلك هو الاستنتاج.

سقراط: ما هو الإنسان، حينئذ؟

السيبيادس: لا أستطيع القول.

سقراط: لا، تقدر أن تقول أنّه المستعمِل للجسد؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: والمستخدم للجسد لا يمكن أن يكون غيراً من الروح؟

السيبيادس: نعم، الروح.

سقراط: وهي تحكم الجسد؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: دعني أضع تأكيداً، أعتقد، بأنّه سيُعتَرَفُ به بشكل عالميّ.

السيبيادس: ما هو؟

سقراط: الإنسان واحد من أشياء ثلاثة.

السيبيادس: ما هي؟

سقراط: الروح، والجسد، أو كلاهما معاً يؤلفان الكل.

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: لكن ألم نقل إنّ المبدأ الحقيقيّ الحاكم للجسم هو الإنسان؟

السيبيادس: نعم، إنّنا فعلنا.

سقراط: وهل يحكم الجسم فوق نفسه؟

السيبيادس: لا، بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّه لا يكون المبدأ الذي نبحث عنه؟

السيبيادس: يبدو أنّه ليس كذلك.

سقراط: لكن هل يمكننا أن نقول إنَّ اتّحادهما، أي الإثنين، يحكم فوق الجسد وبالتالي فإنّ هذا يكون الإنسان؟

السيبيادس: محتمل جداً.

سقراط: إنّه الأكثر بعداً عن الاحتمال من كلّ الأشياء؛ إذ لو كان عضو من العضوين الإثنين تابعاً، فإنّ هذين العضوين الإثنين متحدين لا يمكنهما أن يحكما على وجه الاحتمال.

السيبيادس: حقاً.

سقراط: لكن ما دام لا الجسد، ولا اتّحاد العضوين الإثنين، يكون الإنسان، يجب أن يكون الاستنتاج إمّا أنّ الإنسان لا يمتلك وجوداً حقيقيّاً، أو أنّ الإنسان لا يكون غيراً من روح؟

السيبيادس: هكذا تماماً.

سقراط: هل يُحتاج لأيّ شيء أكثر كي يعطيك برهاناً على أنّ الروح هي الإنسان؟

السيبيادس: لا بالتأكيد، أعتقد أنّ البرهان كافٍ تماماً.

سقراط: وإذا كان البرهان برهاناً كافياً، وبرغم أنّه ليس برهاناً كاملاً، فسنكون قانعين؛ أنّ برهاناً أكثر دقّة سيفي بالغرض عندما نكتشف ذلك الذي قادنا كي نسقط، مخافة أن يكون التساؤل مطوّلاً أكثر من اللازم.

السيبيادس: ماذا كان ذلك؟

سقراط: ما عنيتُ، عندما قلت إنّ طبيعة النفس يجب اعتبارها في المقام الأول، لكن الآن بدلاً من أن نتأمّل مليّاً طبيعة النفس بشكل عامّ، فقد تأملنا طبيعة الوجود والفرد، ولربّما كان هذا كافياً؛ إذ لا يوجد شيء بالتأكيد يمكن أن يدعى أنفسنا بشكلٍ مناسب غيراً من الروح؟

السيبيادس: لا يوجد أيّ شيء.

سقراط: يمكننا إذن أن ندرك أو نتصوّر بأنّنا أنت وأنا نتحادث مع بعضنا بعضاً، الروح مع الروح؟

السيبيادس: حقيقيّ جداً.

سقراط: وهذا ما قلته من قبلُ تماماً ـ بأنّي أنا، سقراط، لا أتكلّم أو أتحاور مع وجه السيبيادس، بل مع السيبيادس الحقيقيّ؛ أو بكلمات أخرى مع روحه.

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: إذن فإنّ مَن يأمر إنساناً كي يعرف نفسه، سيريد منه أن يعرف روحه؟

السيبيادس: يبدو هذا حقيقياً.

سقراط: إنَّ مَنْ تمتدّ معرفته إلى جزءٍ ما من جسده فقط، فإنّه يعرف ممتلكاته، لكنّه لا يعرف نفسه؟

السيبيادس: إنّه لا يفعل.

سقراط: أمّا المزارعون والحِرَفيّون الآخرون فإنّهم لا يزالون أقلّ معرفةً بأنفسهم، لأنّهم يبدون بأنهم لا يعرفون حتّى ممتلكاتهم. وعند أخذها بعين الاعتبار فيما يتعلّق بالفنون التي يزاولون، فإنّها كذلك أُقصِيَتْ بعيداً من معرفتهم

لأنّها تعرف فقط ممتلكات الجسد التي تسهر على رعاية هذا الجسد.

السيبيادس: إن ذلك لحقيقيّ.

سقراط: إذا كان الاعتدال هو معرفة النفس حينئذ، فلا أحد منهم يكون معتدلاً فيما يتعلّق بفنه؟

السيبيادس: انني لا اوافق.

سقراط: وهذا هو السبب الذي من أجله تُعتبر فنونهم فنوناً مبتذلة، وهي ليست من بين الدراسات المناسبة لإنسانٍ صالح.

السيبيادس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: مرّة ثانية، فإنّ مَنْ يعتزُّ بجسده لا يعتز بنفسه، بل بما يخصُّه؟

السيبيادس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

سقراط: لكنّ الذي يعتزّ بماله، لا يعتزّ بنفسه ولا بممتلكاته، بل يكونه مع ذلك في مرحلةٍ مقصيّةٍ بعيداً من نفسه؟

السيبيادس: إنّني أوافق.

سقراط: إذن فإنّ محصّل المال انقطع بحقٍّ عن أن يكون مشغولاً باهتماماته الخاصة؟

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: وإذا ما وقع إنسانٌ بحبّ شخص السيبيادس، فإنّه لا يحبّ السيبيادس، بل إحدى ممتلكات السيبيادس؟

السيبيادس: حقاً.

سقراط: لكنّ مَنْ يحب روحك يكون محبّك الحقيقي؟

السيبيادس: إنّ هذا الاستنتاج هو الاستنتاج الصحيح.

سقراط: إنّ الذي يحبّ الجسد يرحل عندما تذبل أزهار الشباب؟

السيبيادس: حقاً.

سقراط: لكن الذي يحبّ الروح لا يرحل، طالما بقيت الروح تقتفي آثار الفضيلة.

السيبيادس: نعم.

سقراط: وإنّي محبٌ مَنْ لا يرحل، بل يبقى معك، حينما تتجاوز مرحلة الفتوّة فيما بعد، وبعد أن يبتعد عنك الباقون؟

السيبيادس: نعم، يا سقراط، وأنت تقوم بعمل جيّد في تلك المسألة، وآمل أنّك ستبقى.

سقراط: إذن ينبغي عليك أن تحاول وتنظر بأفضل ما تستطيع.

السيبيادس: إنّي سأفعل.

سقراط: الحقيقة أنّ هناك حباً واحداً لالسيبيادس بن كلينياس: يبدو أنه لم يكن هناك أي محبّ آخر، ولا هو موجد الآن، وإنّ هذا المحبّ الجديرٌ بالحبّ ـ سقراط بن سوفرونيسكوس وفايناريت.

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: أو لمْ تقل أنت، بأنّي إذا لم أتكلّم بادىء ذي بدء فإنّك كنت على وشك أن تأتي إليّ، وأن تسألني لماذا أبقى أنا الوحيد؟

السيبيادس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

سقراط: وكان سبب ذلك أنّني أحببتك من أجلك بشكل خاصّ، في حين أنّ الرجال الآخرين يحبّون ما يخصّك؛ وأمّا جمالك الذي ليس لك، فإنّه يذوي ويذبل، تماماً كما تكون نفسك الحقيقيّة مبتدئة بتفتّح الأكمام. وأنا لن أهجرك على الإطلاق، إنْ لم تُفسَد وتُشوَّه من قِبَل الشّعب الأثينيّ، لأنّ الخطر الذي أخافه أكثر هو أنّك ستصبح محبوباً من قِبَل الناس وأنّهم سيفسدونك. العديدُ من الأثينيين النبلاء قد دُمِّروا بهذه الطريقة، لأنّ ديموس الذي يخصّ الملك الأثيني ذا القلب الكبير إيريكثيوس هو ذو محيّا جميلٍ. لكن يجب عليك أن تراه عارياً، من أجل ذلك تذكر التحذير الذي أعطيته لك.

السيبيادس: أيّ تحذير؟

سقراط: تدرَّب بنفسك، يا صديقي الحلو، في العلم الذي يجب أن تعرفه، قبل أن تدخل معترك السياسات، وحينئذ فإنّك سوف تمتلك الترياق الذي سيقيك الأذى.

السيبيادس: نصيحة جيّدة، يا سقراط، لكنّني أرغب منك أن توضح لي بأيّة طريقة نستطيع نحن أن نعتني بأنفسنا بالشكل الأفضل.

سقراط: ألم تحقّق تقدّماً في هذا؟ لأنّنا اتّفقنا بشكل جيّد نوعاً لِمَا نكونه نحن، على كلّ حال، ولا خطرَ بعد اليوم كما خفنا لمرّةٍ من أنّه يمكن أن نمضي مخطئين في هذا، وأن لا نهتمّ بأنفسنا بدون وعي، بل بشيء ما ليس أنفسنا.

السيبيادس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

سقراط: تالياً، لقد تمَّ الاتفاق على أنّه يلزمنا أن نرعى الروح، وأن نتطلّع إلى ذلك.

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: تاركين الاهتمام بأجسادنا وبممتلكاتنا الأخرى للغير؟

السيبيادس: جيّد جدّاً.

سقراط: لكن، بأية طريقة نقدر أن نعرف الروح بالشكل الأكثر وضوحاً؟ لأنّنا إذا عرفناها كما تبدو حينئذ، فإنّنا سنعرف أنفسنا. هل نستطيع أن نجهل المعنى الممتاز للآية المحفورة في معبد دلفي، والتي كنّا نتكلّم عنها منذ برهة فقط؟

السيبيادس: ماذا في أفكارك، يا سقراط؟

سقراط: سأقول لك ما الذي اشتبهت بأنه المعنى والمبدأ لهذه الآية المحفورة هناك. دعني آخذ إيضاحاً من حاسّة البصر، والذي أتصوّر بأنّه المثل الوحيد الملائم لقصدي.

السيبيادس: ماذا تعني؟

سقراط: تأمّل مليّاً، إن قال لك شخص ما إنَّ العين « ترى نفسها » مثلما يمكنك أن تقول لإنسانٍ « إعرف نفسك »، كيف تفترض أن تكون الطبيعة والمعنى في هذا الخصوص؟ إنّ ذلك بالتأكيد هو أنّ العين يجب أن تنظر إلى ذلك الذي سترى فيه نفسها؟

السيبيادس: بوضوح.

سقراط: هل نستطيع أن نتصوّر أيّة أهداف، في النظر بالذي نشاهده ليس لما هو فقط بل لأننا نرى فيه أنفسنا في الوقت عينه؟

السيبيادس: بجلاء يا سقراط، إنّها المرايا وما شابه.

سقراط: حقيقيّ تماماً، والآن، أليس هناك شيء ما من طبيعة المرآة حاضراً في العين التي نرى؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: ألم تلاحظ أبداً أنّ وجه الشخص المتطلّع في عين الشخص الآخر يكون معكوساً كما تعكسه المرآة، ويوجد في العضو البصري الذي يكون فوقه في الاتّجاه المضادّ، والذي يسمّى البؤبؤ، يوجد نوع من الصورة للشخص الناظر؟

السيبيادس: إنّ هذا لحقيقيّ تماماً.

سقراط: إذن فإنّ العين، المتطلّعة في عين أخرى، وفي ذلك الشيء الذي يكون الأكثر كمالاً في العين، والذي هو أداة الرؤية، فهل سترى هذه العين نفسها هناك؟

السيبيادس: يبدو أنّه كذلك.

سقراط: لكنّها إذا تطلّعت في أيّ شيء آخر إمّا في إنسانٍ أو في العالم، ما عدا الذي يشبه هذا، فإنّها لن ترى نفسها؟

السيبيادس: حقيقي جداً.

سقراط: إذن إنْ كانت العين ترى نفسها، فيجب أن تنظر إلى العين، وفي

ذلك الجزء من العين حيث البصر الذي هو القوّة التي تقطن فيها العين.

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: وإذا كانت الروح، يا عزيزي السيبيادس، تعرف نفسها ألا ينبغي أن تنظر إلى الروح، وبخاصّة إلى ذلك الجزء من الروح حيث تقطن فضيلتها، وهذه الفضيلة هي الحكمة، أو إلى أيّ شيء آخر يشبه هذا؟

السيبيادس: إنّني أوافق، يا سقراط.

سقراط: وهل نعرف نحن أيّ جزء من أرواحنا أكثر إلهيةً من ذلك الجزء الذي على الحكمة والمعرفة أن تعملا به؟

السيبيادس: لا يوجد غيره.

سقراط: إذن جزء الروح هذا هو الجزء الذي يشبه الله، وهو الذي ينظر إلى هذا الجزء وإلى نوع الأشياء الإلهيّة كلّه، في الله وفي الحكمة؛ إنّ مَن يفعل ذلك سيكون الأكثر احتمالاً لأن يعرف نفسه.

السيبيادس: على ما يبدو.

سقراط: هل يمكننا أن نقول عندئذ، بأنّه كما أن المرايا أصدق وأصفى وأسطع من المرآة داخل العين، هكذا هو الله بطبيعته أطهر وأشعّ مرآة من الجزء الأكثر امتيازاً لأرواحنا الخاصة؟

السيبيادس: نعم، أرى أنّه يمكننا قول ذلك.

سقراط: ولهذا السبب فإنّنا بتطلّعنا إلى الله سنستعمل المرآة الأجمل والأنقى للروح الإنسانيّة وفضيلتها؛ وبهكذا وسائل سنرى ونتوصّل لنعرف أنفسنا بالشكل الأفضل.

السيبيادس: نعم.

سقراط: واتّفقنا على أنّ معرفة النفس حكمة؟

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: لكنّنا إذا لم نمتلك معرفة نفس ولا حكمة، هل نستطيع أن نعرف خيرنا الخاصّ وشرّنا؟

السيبيادس: كيف يمكن لذلك أن يكون، يا سقراط؟

سقراط: تعني أنّك إنْ لم تعرف السيبيادس، فلا إمكانية في معرفة أنَّ ما يخصّ السيبادس كان له حقّاً؟

السيبيادس: إنّه سيكون شيئاً مستحيلاً تماماً.

سقراط: ولا يلزم أن نعرف بأنّنا كنّا الأشخاص الذين إختصّ بهم أيّ شيء، إذا لم نعرف أنفسنا؟

السيبيادس: كيف نستطيع ذلك؟

سقراط: وإذا لم نعرف ممتلكاتنا الخاصّة فلا يجب أن نعرف ممتلكات ممتلكاتنا؟

السيبيادس: لا بوضوح.

سقراط: إذن لم نكن محقّين بالإجمال في الإعتراف لتوّنا بأنّ إنساناً واحداً يمكنه أن يعرف ما يخصّه، وأن يعرف آخر ما يخصّ ممتلكاته، مع أنّه لا يعرف نفسه. يبدو أنّ الحقيقة هي أنّ إدراك النفس، وأشياء النفس، والأشياء التي تخصّ أشياء النفس، هي عمل الإنسان نفسه، والفنّ عينه.

السيبيادس: يمكن الإفتراض لهذا القدر.

سقراط: والذي لا يعرف الأشياء التي تخصّ نفسه، سيكون جاهلاً بالأشياء التي تخصّ الآخرين بطريقة مماثلة؟

السيبيادس: حقيقي جداً.

سقراط: وإنْ لم يعرف هو شؤون الآخرين، فلن يعرف شؤون الدول؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّ إنساناً كهذا لا يستطيع أبداً أن يكون رجل دولة؟

السيبيادس: إنّه لا يقدر.

سقراط: ولا يمكنه أن يكون رجل إدارة؟

السيبيادس: لا يستطيع.

سقراط: إنّه لا يعرف ماذا يفعل؟

السيبيادس: لن يعرف.

سقراط: أوَلن يقع الجاهلُ في الخطأ؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: وإنْ سقط هو في الغلط ألن يخفق في قدرته العامة والخاصّة كليهما؟

السيبيادس: نعم، حقاً.

سقراط: وإن أخفق في ذلك، ألن يكون رجلاً تعيساً؟

السيبيادس: تعيساً جداً.

سقراط: وماذا سيحلّ بأولئك الذين يعمل لهم؟

السيبيادس: سيكونون بائسين أيضاً.

سقراط: إذن فإنّ من لا يكون حكيماً وخيِّراً لا يستطيع أن يكون سعيداً؟

السيبيادس: إنّه لا يقدر على ذلك.

سقراط: إنّ الأشرار هم التعساء إذن؟

السيبيادس: جداً، جداً.

سقراط: وإنْ هكذا، فإنّ الذي يتخلّص من تعاسته ليس هو الذي اكتسب المال، بل إنّه هو الذي نال الحكمة؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وإذا كانت المدن سعيدةً حينئذ، فإنّها لا تحتاج أسواراً ولا سفناً حربية أو أحواضاً لها، أو أعداداً وأعتدة حربيّة، أو حجماً. إنّها لا تحتاج كلّ هذا، يا السيبيادس، بدون فضيلة(٥١)؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: لكن هل يستطيع إنسان أن يعطي ذلك الذي لا يمتلكه؟

السيبيادس: مستحيل.

سقراط: إذن فإنك أنت أو أي شخص آخر يبغي أن يحكم وبشرف، ليس على نفسه وعلى الأشياء التي تخصّه فقط، بل على الدولة والأشياء التي تخصّ الدولة، فما يجب عليكما في المقام الأول إلاّ أن تكسبا الفضيلة لنفسيكما؟

السيبيادس: إنّ هذا لحقيقي.

سقراط: إذن لهذا السبب لا يلزمك أن تنال القوة والسلطة لنفسك كي تقوم بأيّ شيء تحبّه، ولا أن تفعل الدولة لنفسها كذلك، بل يجب عليكما أن تحصلا على العدل والحكمة؟

السيبيادس: بوضوح.

سقراط: إذا عملتما، أنت والدولة، بحكمة وعدل، فإنّكما ستعملان بأسلوبٍ مرضٍ لله؟

السيبيادس: يبدو ذلك.

سقراط: ولنعد إلى ما قلناه سابقاً، إذا فعلت فإنّك ستعمل برؤيا من يكون شعشعانيّاً وإلهياً؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: علاوة على ذلك، فإنّك سترى وتعرف نفسك والخيرات التي تخصّك بالنظر في تلك المرآة؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وهكذا ستعمل بحقّ وجودة؟

السيبيادس: أجل.

سقراط: وفي تلك الحالة، سأكون أنا أيضاً الضامن لسعادتك؟

السيبيادس: إنّني أقبل الضمانة.

سقراط: لكنّك إذا عملت بجورٍ وإثم، وتحوّلت عينك إلى الظلام والإلحاد، عندئذ كونك في الظلام والجهل بنفسك، فإنّك ستعمل أعمال الظلام بشكل محتمل.

السيبيادس: ممكن جدّاً.

سقراط: لأنّه إذا كانت لدى إنسان قوة، يا عزيزي السيبيادس، كي يفعل ما يحبّ غير أنه لا يحوز فهماً، فماذا ستكون النتيجة بالإحتمال، إمّا كفردٍ أو بالنسبة للدولة؟ كمثال، إذا كان هو مريضاً ويقدرِ على أن يفعل ما يحبّ، غير ممتلك حكمة الطبيب وعقله، لديه، علاوة على ذلك، قوّة إستبدادية، ولا أحد يجرؤ على أن يؤنّبه ـ فماذا سيحدث له؟ ألن يحوز على قوامٍ مدمَّر بشكل محتمل؟

السيبيادس: إنّ ذلك لحقيقي.

سقراط: أو مرّة ثانية، إن كان لدى إنسان السلطة كي يفعل ما يرغبه في باخرة، وليس له أيّ فهم أو براعة في علم الملاحة، فهل ترى ما سيحلّ به وبرفاقه البحّارة؟

السيبيادس: نعم؛ إنّني أرى أنّهم سيهلكون جميعاً.

سقراط: وفي نمطٍ مماثل فإنّه في دولةٍ، ومتى كانت هناك قوّة أو سلطة تفتقر للفضيلة، ألن تنشأ البليّة والمحنة كنتيجة لذلك؟

السيبيادس: إنّ ذلك سيكون شيئاً حتمياً.

سقراط: يجب أن لا يكون هدف الأفراد أو الدول إذن، يا عزيزي السيبيادس، القوّة الطاغية المستبدّة، بل يجب أن تكون الفضيلة هدف الجميع، إذا ما طلبوا السعادة.

السيبيادس: إن ذلك لحقيقيّ.

سقراط: وقبل أن يمتلكوا الفضيلة، يجب أن يقودهم مَنْ هو أسمى وأعلى مقاماً، فذلك أفضل للرجال والأطفال على حدّ سواء؟

السيبيادس: إنّ ذلك لجليّ.

سقراط: والأفضل هو الأنبل أيضاً؟

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: والأنبل هو الأنسب؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّ العبوديّة مناسبة أكثر للرجل الشرير لأنّها أفضل له؟

السيبيادس: حقاً.

سقراط: إذن فإنّ الرذيلة مناسبة للعبد فقط؟

السيبيادس: بوضوح.

سقراط: والفضيلة تلائم الإنسان الحرّ؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: و، أوه يا صديقي، أوَلا يجب تفادي حالة العبد هذه؟

السيبيادس: بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: وهل أنت مدركٌ حالتك الخاصّة؟ وهل تعرف إن كنت أنت إنساناً حرّاً أو لا؟

السيبيادس: أتصوّر أنّني مدرك جدّاً حالتي الخاصّة حقاً.

سقراط: وهل تعرف كيف تخرج من حالتك الحاضرة، والتي لا أحب حتى أنّ أسمّيها عندما أنسبها إلى الجمال؟

السيبيادس: نعم، إنّني أفعل.

سقراط: كيف؟

السيبيادس: بمساعدتك، يا سقراط.

سقراط: إنّ ذلك لم يتمّ قوله جيداً، يا السيبيادس.

السيبيادس: ماذا كان يجب عليّ أنّ أقول؟

سقراط: بمساعدة الله.

السيبيادس: إنني أوافق، وأقول أيضاً، إنّ علاقاتنا ستكون علاقات معكوسة على الأرجح. يجب عليّ من الآن وصاعداً أن أتبعك كما تبعتني، سأكون أنا المرافِق، وستكون أنت سيّدي ومعلمي.

سقراط: أوه، إنّ هذا الشيء نادر! إنّ حبّي أنتج حبّاً جديداً؛ وهكذا بما أنني أحبّ طائر اللقلاق فسأكون مدلّلاً بالمخلوق المجنّح الذي أحضرته إلى الوجود.

السيبيادس: إنّه شيء غريب، لكنّه حقيقيّ؛ وسأبدأ من الآن فصاعداً بشأن العدل.

سقراط: وإنّي لآمل بأنّك ستصرّ على هذا؛ مع أنّ لديّ تخوّفات، ليس لأنّني أشكّ فيك، بل لأنّني أرى قوّة الدولة التي يمكن أن تكون قوية كبيرة جداً يصعب علينا احتمالها كلينا.

محاورة مينيكسينوس

اشخاص المحاورة

سقراط مينيكسينوس

سقراط: متى أتيت أنت، يا مينيكسينوس؟ هل أتيت من الساحة العامة؟

مينيكسينوس: نعم، يا سقراط؛ إنّني كنت في مجلس الشورى.

سقراط: وماذا يمكنك أن تكون فاعلاً في مجلس الشورى؟ وبرغم ذلك فإنّني بالكاد أحتاج لطرح هذا السؤال عليك، لأنّني أرى أنّك واثقٌ من نفسك، لأنّك وصلت إلى نهاية التعليم والفلسفة، وكان لديك كفاية منهما ولا تزال ترتقي صُعُداً إلى أشياء أعلى من ذلك. ومع أنّك فتيّ لهذا المركز على الأصحّ، فأنت عازم على أن تحكمنا نحن الرجال المسنّين، وما ذلك ألاّ لكي تحافظ على تقليد عائلتك، هذا التقليد الذي قدّم لنا شخصاً ما رعانا بعطفٍ على الدوام.

مينيكسينوس: نعم، يا سقراط، إنّني سأتبوأ المركز بكلّ حبور، هذا إنْ سمحتَ لي ونصحتني بفعل ذلك، لكن ليس إذا فكّرت عكسه. ذهبت هذا اليوم، على كلّ حال، إلى قاعة الاجتماع لمجلس الشورى لأنّني سمعت بأنّ هذا المجلس كان على وشك أن يختار الشخص الذي سيرثي المتوفّين. أتعرف بأنّ هناك مأتماً عامّاً في هذا الوقت؟

سقراط: نعم، إنّني أعرف. ومن اختاروا للقيام بذلك؟

مينيكسينوس: لم يختاروا أحداً؛ إنّهم أجّلوا الانتخاب حتّى يوم غد، غير أنّي أعتقد بأنّهم سيختارون إمّا أرخيوس أو ديون.

سقراط: أوه يا مينيكسينوس! إنّ الموت في المعركة شيء نبيل من وجوه متعدّدة. والإنسان المتوفّى هناك يقام له مأتم جيّد ونفيس، بالرغم من أنّه ربما كان فقيراً. وحتّى إنْ لم يكن صالحاً، فإنّ الثناء ينهال عليه بسخاء؛ وخطابٌ متقن قد يلقيه عليه رجلٌ ذو حكمة حضّر ما عليه أن يقوله منذ وقت طويل مضى. إنّ المتكلّمين يطرون ما فعل وما لم يؤدّه أصلاً ـ هذا هو جمال خطبهم ـ وهم بعملهم هذا يسلبون منّا الروح بكلماتهم المزخرفة؛ إنّهم يمدحون المدينة في شكل ممكن تصوّره، وهم يطرون أولئك الذين يتوفّون في الحرب، ويتذكرون كلّ أسلافنا الذين سبقونا في الحياة. وهم يثنون علينا كذلك نحن الذين لا نزال على قيد الحياة، إلى أن أشعر أنّني ارتفعت بتمجيدهم تماماً، وأتوقّف مستمعاً لكلماتهم، يا مينيكسينوس، وأمسي مسحوراً بها، وأتصوّر نفسي أصبحت إنساناً أعظم وأنبل وأسمى ممّا كنت قبلاً. وإذا كان هناك أغرابٌ، كما يحدث غالباً، يصطحبونني إلى مكان إلقاء الخطب، فإنّني أصير مبجّلاً أكثر في سلوكي نحوهم بشكل مفاجىء. وهُمْ، هكذا يبدو لي، يختبرون شعوراً مقابلاً للإعجاب بي، وبعظمة المدينة، التي تظهر لهم، عندما يكونون تحت تأثير المتكلم، أكثر روعة ممّا بدت عليه في أيّ وقت مضى. إنّ هذا الشعور بالكرامة يستمّر فيَّ لأكثر من أيّام ثلاثة، ولا أعود إلى رشدي وأعرف أين أنا إلا في اليوم الرابع أو الخامس. في الوقت نفسه، فإنّه من المبالغة أن أقول، بأنني قد عشت في الجزر المباركة. هذا هو فنّ خطبائنا، وبأسلوب كهذا تبقى أصوات كلماتهم مدوّية في أذنيَّ.

مينيكسينوس: إنّك تسخر من الخطباء على الدوام، يا سقراط؛ على كلّ حال، إنّني ميّال في هذا الوقت لكي أتصوّر بأنّ المتكلّم الذي اختير لن يجد عمله الشاقّ هذا سهلاً، لأنّه استُدعي كي يتكلّم في لحظة إنذار، وسيكون مجبراً على أن يرتجل خطابه ارتجالاً تقريباً.

سقراط: لكن لماذا، يا صديقي، لن يكون لديه الكثير ليقوله؟ إنّ كلّ عالم كلام يمتلك خطباً جاهزة التأليف، وليس هناك أيّ صعوبة في ارتجال هذا النوع من العمل. وإذا كان الخطيب يثني على الأثينيين بين البيلوبونيين، أو العكس بالعكس، فيجب عليه أن يكون خطيباً كفؤاً يستطيع أن ينجح ويحصل على مثل هذا التقدير. لكنّه ليس شيئاً عظيماً لإنسانٍ أن يفوز بالإطراء عندما يكون مكافحاً للحصول على الشهرة بين الأشخاص الذين يثني عليهم بالتحديد.

مينيكسينوس: ألا تعتقد ذلك، يا سقراط.

سقراط: لا، بالتأكيد.

مينيكسينوس: هل تعتقد بأنّك تقدر على أن تتكلّم إن اقتضت الضرورة ذلك، وإنْ كان مجلس الشورى سيختارك أنت؟

سقراط: أمّا أن تكون لي القدرة على الكلام فهذه ليست أعجوبة كبيرة، يا مينيكسينوس، باعتبار أنَّ لديَّ معلمة ممتازة في فنّ الخطابة، وهي التي خلقت جمعاً كهذا من المتكلّمين البارعين، وأذكر واحداً منهم الذي كان أفضل الهيلينيين - بركليس بن اكسانثيبوس.

مينيكسينوس: ومن هي؟ أفترض بأنّك تعني أسباسيا؟

سقراط: نعم، هذا صحيح؛ وكان لديّ بجانبها كونوس ميتروبيوس، كمعلّم، وهو كان سيّدي ومعلّمي في فنّ الموسيقى، مثلما كانت هي في فنّ الخطابة. وإنّ إنساناً تلقّى تعليماً كهذا ليس غريباً أن يكون متكلّماً كاملاً؛ حتّى أنّ تلميذاً لمعلّمين دونيين للذين علّموني، يقول، كمثال، إنّ واحداً ممن تعلّموا فنّ الموسيقى على يدي لامبروس، والخطابة على يدي انتيفون الرامنوسي، يقول إنّه يمكنه أن يخلق شخصية إذا كان سيثني على الأثينيين بين الأثينيين.

مينيكسينوس: وماذا بإمكانك أن تقول إذا كان عليك أن تتكلّم؟

سقراط: الأكثر ترجيحاً، لا شيء من ذكائي الخاصّ؛ لكنّني سمعت أسباسيا البارحة تؤلف خطاباً يرثي المتوفّين أنفسهم. فهي قد أخبرت، كما كنت قائلاً، بأنّ الأثينيين كانوا في طريقهم لاختيار خطيب، وردّدت هي لي الخطاب عينه الذي كان على الخطيب أن يلقيه ارتجالياً بشكلٍ جزئيّ، ومن أفكار سابقة بشكلٍ آخر، واضعاً معاً مقتطفاتٍ من مرثاةٍ ألقاها بركليس وتركها خلفه. لكنّني، كما أعتقد، هي التي ألّفتها.

مينيكسينوس: وهل تستطيع أن تذكر ما قالته أسباسيا.

سقراط: يجب علي أن أكون قادراً على ذلك، لأنّني حفظتها منها عن ظهر قلب، وكانت هي جاهزة لأن تضربني كلما نسيت شيئاً ما منها.

مينيكسينوس: لماذا لا تكرّر إذن ما قالته؟

سقراط: لأنّني أخشى من احتمال غضب معلّمتي عليّ إن اعلنت خطابها.

مينيكسينوس: لا، يا سقراط، دعنا نحوز الخطاب، سواء أكان هذا الخطاب لأسباسيا أو لأيّ شخص آخر، لا فرق. آمل بأنّك سوف تتفضّل عليّ بهذا الجميل.

سقراط: لكنّني أخشى من أنّك ستخسر منّي إنْ واصلت ألعاب الفتيان في سنٍّ متقدمة.

مينيكسينوس: إنّ ما أبغيه هو من نوع مختلف جدّاً، يا سقراط. دعنا نمتلك الخطاب مهما كلّف الأمر.

سقراط: إنّ لديَّ ميلاً كهذا لأمُنَّ عليك بما عندي صدقاً، وإنّك إنْ أمرتني بالرقص عارياً فما عليَّ أن أرفض ذلك، لأنّنا نحن الإثنين وحيدان. إستمع إذن: إذا تذكّرتُ جيداً، ابتدأت هي الكلام كما يلي، ابتدأته بذكر المتوفّين:(٥٢)

هناك تقدمة إجلالٍ للمآثر وللكلمات. إنّ المغادرين كان لديهم أُولاها بشكلٍ مسبق، وعند رحيلهم في سفرهم المكتوب إصطحبتهم الدولة وأصدقاؤهم في

طريقهم إليه؛ تبقى كلمات الإجلال كي تعطى لهم، كما يجب أن تكون ملائمة أو وافية بالمرام ومعيّنة بالقانون. إنّ الكلمات النبيلة هي كلمات تذكاريّة وتاج للأعمال السامية، تلك الكلمات التي يمنحها المستمعون للقائمين بها. إنّ الكلمة ضروريّة ومطلوبة، تلك الكلمة التي تثني على المتوفّين كما ينبغي وبلطف، وتنصح الأحياء خاصّةً الأخوة والمتحدّرين من الراحلين على أن يقلّدوا فضائلهم، ومؤاسية آباءَهم وأمّهاتهم ومنقذيهم، إنْ وجدوا، الذين يحدث اتّفاقاً أنْ يكونوا أحياء من الجيل السابق. أيُّ نوع من الكلمة ستكون هذه الكلمة، وكيف سنبدأ بالمدائح لهؤلاء الرجال الشجعان على نحوٍ صحيح؟ هُمُ أبهجوا أصدقاءَهم ببسالتهم، وقبلوا موتهم على سبيل المبادلة لإنقاذ الأحياء. وأعتقد بأنّنا يجب أن نثني عليهم في النظام الذي جعلتهم فيه الطبيعة صالحين، وهُم كانوا أخياراً لأنّهم تحدّروا من آباءٍ أخيار. لذلك دعنا نمدح أوّلاً، وقبل كلّ شيء، جودة ولادتهم؛ ثانياً، تنشئتهم وتعليمهم، ودعنا نبيّن بعدئذ كم كانت أعمالهم نبيلة، وكم هي جديرة بولادتهم وتربيتهم.

أمّا فيما يخصّ ولادتهم، فإنّ أسلافهم لم يكونوا غرباء، ولم يكن المتحدرون منهم المقيمين فقط، الذين أتى أباؤهم من بلاد أخرى؛ بل هم أطفال الأرض، الذين قطنوا وعاشوا في أرضهم، وليست البلاد التي ربّتهم مثل البلاد الثانية، خالةً لأطفالها، بل إنّها أمّهم الحقيقيّة. هي حملتهم وأرضعتهم وتلقّتهم، وهُم يستريحون في حضنها الآن. إنّها مناسبة وافية بالمرام وصحيحة، لذلك، إذا بدأنا نحن بتمجيد الأرض التي هي أمّهم، فستكون تلك طريقة مناسبة لتكريم ولادتهم النبيلة.

إنّ البلاد جديرة بالثناء، ليس منّا فقط، بل من كلّ الجنس البشري. أوّلاً، وقبل كل شيء كونها عزيزة على الآلهة، إنّ هذا تمّ البرهان عليه بالنضال

والكفاح الذي تقوم به الآلهة فيما يتعلّق بها. بادىء ذي بدء يجب أن يمدح الجنس البشريُّ كلّه البلادَ التي يثني عليها الآلهة؛ أمَّا الثناء الثاني الذي يمكنها أن تطالب به بعدل، فهو أنّه في الوقت الذي كانت الأرض كلّها مُخرجةً ومكوّنة الحيوانات المتعدّدة، الأليفة منها والبريّة، فإنّ هذه الأرض أمّنا كانت حرّة ونقيّة من الحيوانات الغريبة الشكل والمتوحّشة، واختارت من بين كلّ الحيوانات الإنسان وجاءت به إلى الحياة، هذا الإنسان الأسمى من كلّ الحيوانات فهماً، وهو الوحيد الذي يمتلك عدلاً ودينا. البرهان الكبير على أنها ولّدت أسلافنا العامّين الذين رحلوا، هو أنها قدّمت وسائل الدّعم لذريّتها. إذ كما أنّ المرأة تبرهن عن أمومتها بإعطاء الحليب لصغارها « التي لا تمتلك نافورة حليب ليست أماً »، هكذا برهنت أمّنا الأرض أنّها هي أمّ الرجال، لأنّها أثمرت وحدها في تلك الأيّام، وقبل كلّ شيء، القمح والشعير للغذاء الإنساني، وهما الطعام الأفضل والأنبل للإنسان الذي اعتبرته نسلها الحقيقي. وهذه البراهين براهين صادقة بل هي أصدق للأمومة في بلاد منها في آمرأة، لأنّ المرأة في حملها وولادتها ليست سوى تقليدٍ للأرض، وليس العكس. وأمّا عن فاكهة الأرض فإنّها أعطت منها مدداً وافراً، ليس لها بشكل خاصّ فقط، بل أعطته للآخرين أيضاً؛ وبعدئذ جعلت الزيتون ينبت وأن يكون هديّة لأطفالها، وأن يساعدهم في كدحهم. وعندما حضنتهم وربّتهم إلى أن أصبحوا رجالاً، منحتهم آلهة كي يكونوا حكّاماً لهم ومعلمين. وهؤلاء الآلهة معروفة أسماؤهم جيداً، ويجب أن نتركهم وأن لا نتكلّم عنهم بهذه المناسبة. إنّ هؤلاء الآلهة هم الذين نظّموا حياتنا، وعلّمونا. أنّهم قاموا بذلك للرّجال قبل كلّ شيء وأرشدتهم في فنون تجهيز حاجاتنا اليوميّة، وهدونا إلى اكتساب واستعمال الأسلحة للدفاع عن بلادنا. هكذا وُلد أسلافنا الراحلين، وهكذا تعلّموا ثمّ عاشوا وشكّلوا حكومة

لأنفسهم، والتي يجب عليّ أن أحيي ذكراها بشكل مختصر، لأنّ الحكومة هي غذاء ورعاية الرجال ـ حكومة حكيمة للرجال الأخيار، وحكومة غبيّة للرجال الأشرار. ويلزم أن أبيّن أنّ أسلافنا درّبتهم حكومة عاقلة، ولهذا السبب كانوا أخياراً، ويكون معاصرونا أخياراً أيضاً، والذي يُفترض أن يكون أصدقاؤنا الراحلون بينهم كذلك. إنّ حكومتنا كانت حكومة أرستقراطيّة، قبلئذ كما هي الآن، منذ ذلك الزمن إلى زمننا هذا، والكلام بشكل عامّ ـ إنّ هذا الشكل من أشكال الحكومة الذي تَسمّى بأسماء مختلفة، طبقاً لأهواء الرجال. وسمّي هذا الشكل حكومة ديموقراطية بعض الوقت، لكنّه شكل لحكومة أرستقراطية أو حكومة الأفضل في الواقع، والذي حاز على موافقة العديد من الناس. لقد كان لدينا ملوك على الدوام، وصلوا إلى الحكم بالوراثة بادىء ذي بدء ومن ثمّ بالانتخاب. وتكون السلطة بأيدي الشعب على وجه الإجمال، هذا الشعب الذي وزّع المناصب في فترات منفصلة وأعطى القوة لأولئك الذين يظهر أنّهم الأكثر أهليّة لها. ولم يُرفض إنسان ليحكم من الضعف أو العَوَز أو غموض الأصل، ولا أنْ يكرّم بسبب المضادّات لذلك، كما هي الحالة في الدول الأخرى، لكن هناك مبدأ واحداً ـ وهو أنّ مَنْ يظهر عاقلاً وخيّراً يكون حاكماً ومديراً للدولة. إنّ العنصر الأساسيّ لحكومتنا هذه هو المساواة في المولد، لأنّ الدول الأخرى تؤلّف من كلّ الرجال وحالاتهم غير المتساوية ولهذا السبب فإنّ حكوماتهم هي حكومات غير متساوية مثل الحكومات الاستبداديّة والأوليغاركيّة التي فيها حزبان اثنان، يعتبران بعضهما بعضاً كعبيد وأسياد. لكنّنا نحن ومواطنونا أخوة، كلنا أبناء أمّ واحدة، ولا نعتقد بأنّها فكرةٌ صالحة أو جيّدة أن نكون أسياداً أو خدماً، يخدم واحدنا الآخر، بل تجبرنا المساواة الطبيعيّة للولادة أن ننشد المساواة الشرعيّة، وأن لا نعترف بأيّ تفوق إلاّ في صيت الفضيلة والحكمة.

هكذا فإنّ كون آبائنا، وهؤلاء أخوتنا أيضاً، كونهم ولدوا بنبل وتلقّوا تنشئة بكلّ حريّة، فإنّهم قد أدّوا العديد من الأعمال والمآثر النبيلة بمقدرتهم الخاصة والعامّة كليهما وهي شهيرة في العالم كلّه. إنّها كانت مآثر الرجال الذين تصوّروا أنّه يجب أن يحاربوا ضدّ الهيلينيّين لصالح الهيلينيين من أجل الحريّة، وضدّ البربر لمصلحة هيلاس كلّها. إنّ الوقت سيخذلني لو حاولت أن أخبر عن جدارة دفاعهم عن بلادهم ضدّ يومولبوس والأمازونيين وحتّى الغزاة المتأخّرين، أو لدفاع الأرغوسيّين ضدّ القدمونيين، أو لدفاع الهيراقليديّين ضدّ الأرغوسيين. بجانب ذلك، فإنّ الشعراء أعلنوا مجدهم في أغنية بشكل مسبق، أعلنوها لكلّ الجنس البشريّ. ولهذا السبب فإنّ أيّ إحياءٍ لذكراهم ولذكرى مآثرهم في مقاطع نثريّة يمكن أن نحاول إحياءها، سيحتفظ بالمركز الثاني. إنّهم حازوا على جائزتهم بشكل مسبق، ولن أقول أيّ شيء أكثر مما قلته عنهم؛ لكن هناك مآثر أخرى نفيسة لم يؤدّها أي شاعر بكفاءة، وما زال يلفّها النسيان. إنّني ملزمٌ في خلق تذكرة مشرّفة عن هذه المآثر، وسأناشد الآخرين أن يغنّوها في قصيدة من الشعر الغنائيّ أيضاً، وفي أغانٍ من نوعٍ آخر، وبأسلوبٍ لائقٍ بالممثّلين. وسأخبر باديء ذي بدء، كيف أنّ الفرس، وهم أسياد آسيا، كانوا يستعبدون أوروبا، وكيف أنّ أبناء هذه الأرض، الذين كانوا أباءنا، أوقفوهم عند حدّهم وكبحوا جماحهم. سأتكلّم عن هذا أوّلاً، وأثني على بسالتهم كما يكون لائقاً ومناسباً. إنّ الذي سيقدرهم على نحو صحيح يجب أن يركّز تفكيره في ذلك الوقت، حينما كانت آسيا كلّها خاضعة لملك بلاد فارس الثالث. إنّ الملك الأوّل، سيروس، حرّر الفرس ببسالته، وهم كانوا مواطني بلده، واستعبد الميديّين الذين كانوا أسيادهم، ومن ثمّ سيطر على بقيّة آسيا، وإلى أبعد من حدود مصر. وأتى ولده بعده، الذي سيطر على الجزء الذي يمكن الوصول إليه من مصر وليبيا.

أمّا الملك الفارسيّ الثالث فهو داريوس الذي وسّع حدود أراضي الامبراطورية حتّى وصل إلى سكيثيا، وهو الذي ضبط البحر والجزر بأسطوله العظيم، ولم يتجرّأ أحد قطُّ على أن يكون مساوياً له. وكانت عقول كلّ الرجال مفتنّةً به - فإنّ الأمم التي أخضعتها قوّة الفرس هي عديدة وجبّارة ومولعة بالحرب. وبعدُ فإنّ داريوس اختلق نزاعاً معنا ومع الأريتيريين، إذْ قال، بأننا تآمرنا ضدّ سارديس، وأرسل خمسمائة ألف رجل في سفن نقل الجند والقوارب الحربيّة، وجهّز ثلاثمائة باخرة حربية، وكان يقود هذه الحملة الجنرال داتيس، وأخبره الملك بأن يحضر الأريتيريين والأثينيين إليه، إذا ما رغب في أن يبقي رأسه على كتفيه. أبحر هو باتّجاه الأريتيريين، الذين اشتهروا بأنّهم الأكثر محبّة للحرب من بين الهيلينيين في ذلك الوقت، وكانوا كثيري العدد، لكنّه أخضعهم جميعاً في أيام ثلاثة. وعندما تغلّب عليهم، ولكي لا يتمكن أحد منهم من الهرب، فتش البلاد كلّها بهذا الأسلوب: أتى جنوده إلى حدود أريتريا وانتشروا من البحر إلى البحر، شبكوا أيديهم معاً ومرّوا خلال البلاد كلّها، وذلك كي يمكنهم أن يكونوا قادرين على أن يخبروا الملك بأن لا أحد من السكان قد استطاع الهرب. ثم ذهبوا من أريتريا إلى ماراثون بقصدٍ مماثل، متوقّعين أن يقيّدوا الأثينيين في نير الضرورة عينه الذي أوثقوا فيه الأريتيريين. وبعدَ أن نفّذوا نصف غرضهم، كانوا جاهدين في محاولة أن ينفّذوا النصف الآخر، ولم يتجرّأ أحد من الهيلينيين على أن يساعد الأريتيريين أو الأثينيين حينها، ما عدا اللاقيدايمونيين، وهُمُ وصلوا بعد يومٍ من بدء المعركة؛ لكن الباقين كانوا مذعورين صامتين، وكانوا سعداء جداً لهروبهم من الحدث الجلل لبعض الوقت. ومَنْ يتجلَّ لعقله ذلك النزاع فسيعرف أيّ نوع من الرجال كان أولئك الذين تلقّوا الهجوم في ماراثون، وهُمُ الذين هذّبوا كبرياء أسيا كلّها، وعلّموا الرجال الآخرين بادىء ذي بدء

بالانتصار الذي أحرزوه على البربر، علّموهم أنّ القوّة الفارسيّة لم يكن صعباً قهرها، لكنّ ذلك الحشد من الرجال والكثرة من الأغنياء جنحوا إلى الاستبسال على قدم المساواة. وإنّني أؤكد بأنّ أولئك الرجال ليسوا آباءَنا فقط بل هُمُ آباء الحريّة وآباء حريّاتنا وحريّات الذين يقطنون على هذه القارّة كلها، لأنّ ذلك كان هو العمل الذي تذكّره الأثينيون الهيلينيون وتطلعوا إليه عندما غامروا في الحرب من أجل سلامتهم في المعارك التي استعر أوارها كنتيجة للغزو الفارسيّ: هُمُ أصبحوا رفاق الرجال في ماراثون. ولهم، ولهذا السبب، أخصّ تفوّقهم في البسالة في خطابي هذا. أمّا المكان الثاني فهو لأولئك الذين حاربوا وتغلّبوا على الفرس في معارك البحر في سالاميس وأرتيميسيام؛ ويمكن لأي إنسانٍ أن يقول عنهم أشياء كثيرة ـ عن الهجومات التي ثبتوا بوجهها من البحر والبرّ، وكيف أنّهم صدّوها وحطّموا عنفوانها. وسأذكر فقط فعلهم ذاك الذي يبدو لي أنّه العمل الأنبل، والذي تلا معركة ماراثون، وكان العمل الأقرب بعدها أنّ الرجال في ماراثون أبانوا للهيلينيّين فقط أنّ البربر يمكن أن يُصدُّوا ويُهزموا على الأرض، الكثرة بالقلّة؛ لكن لم يكن هناك برهان على استطاعة إلحاق الهزيمة بهم في البحر، حيث أنّ الفرس هنا ساد صيتهم. أنّهم لا يقهرون في التعداد والثروة والمهارة والقوّة. إنّ هذا المجد هو مجد الرجال الذين حاربوا في البحر، وهو أنّهم بدّدوا الرعب الثاني الذي تملّك الأثينيين حتى الآن وأزالوه. وهكذا فإنّ الخوف من التفوّق العدديّ، سواء في البواخر أو الرجال لم يعد له وجود. ولذلك فإنّ الجنود في ماراثون والبحّارة في سالاميس أصبحوا المدرّسين العسكريّين لهيلاس؛ قسم منهم عوّد الهيلينيّين وعلمهم على أن لا يخافوا البربر في البحر، والآخر أن لا يخشوهم في البرّ. أما معركة بلاطيا فهي تأتي ثالثةً في الترتيب، وذلك لشدّة بسالة المقاتلين، ولإنقاذ هيلاس. وبعدُ فإنّ

اللاقيدايمونيين اشتركوا في الكِفاح تماماً مثلما اشترك فيه الأثينيّون. كانوا كلّهم متّحدين في النزاع الذي هو أعظم وأفظع النزاعات جميعها؛ ومن أجل ذلك فإنّ فضائلهم ستُتذكَّر ويُحتفل بها في الأزمنة القادمة، مثلما نحتفل بها نحن الآن. لكن في فترة متأخّرة فإنّ العديد من المدن الهيلينية كانت لا تزال منحازة إلى البربر، وكان هناك تقرير بأنّ الملك العظيم استعدّ لتكرار محاولة غزوه للهيلينيّين. ولهذا السبب فإنّ العدل يتطلّب منّا وجوب التفكير دائماً بأولئك الذي توّجوا عمل إنقاذنا للبلاد وجهودنا السابقة، وشتّتوا كلّ البربر من البحر وأزالوهم. إنّ هؤلاء كانوا الرجال الذين حاربوا بجانب البحر في نهر اليوريميدون، والذين ذهبوا في الحملة على قبرص، وأبحروا إلى مصر واندفعوا إلى الأماكن الأخرى. وينبغي علينا أن نتذكّرهم مقرّين بجميلهم لأنّهم أجبروا الملك من خوفه على نفسه لأن يتطلّع لسلامته الخاصّة بدلاً من أن يتآمر على تدمير هيلاس.

وهكذا فإنّ الحرب ضدّ البربر حسمتها المدينةُ كلّها نهائياً وبالنيابة الخاصة عنها، ولأجل رجالها، ثمّ كان هناك سلام واحتفظت مدينتنا بالشرف. وعندئذ، بما أنّ الرخاء الاقتصاديّ يجعل الرجال غيارى، نجحت غيرتها هناك، والغيرة تسبّب الحسد، ولذلك فإنّها تورّطت في حرب مع الهيلينيّين ضدّ إرادتها. عند نشوب الحرب، فإنّ مواطنينا، بما أنهم يحاربون من أجل حريّة البويوتيين، نازلوا اللاقيداموينيين في تاناجرا، لكنّ النتيجة كان مشكوكاً فيها، لكنّها قُرِّرت بالاشتباك الذي تلا، إذ عندما غادر اللّاقيدايمونيّون أرض المعركة، تاركين الأنصار الذين ساعدوهم، فإنّ رجال بلادنا افتتحوا أوينوفيتا في اليوم الثالث بعد موقعة تاناجرا، وأعادوا بحقّ أولئك الذين كانوا قد أُبعدوا عن الوطن ظلماً وعدواناً. إنّهم كانوا الأوائل، بعد الحرب الفارسيّة، الذين حاربوا بالنيابة عن الحريّة في مساعدة الهيلينيّين ضدّ الهيلينيّين؛ وهُمْ

كانوا رجالاً بواسل، وحرَّروا أولئك الذين ساعدوهم. وكانوا الأوائل أيضاً الذين دُفنوا في هذا القبر بتكريم واحترام من الدولة. حدثت حربٌ طاحنة بعد ذلك، انضمَّ إليها كلّ الهيلينيين، ودُمرَّت فيها بلادنا. إنّ هذا الفعل لفعلٌ متَّسمٌ بالعقوق الفاضح. وبعدَ أن هزمهم رجال بلادنا في المواجهة البحريَّة أسروا قادتهم الإسبرطيين، في سافاجايا. وفي حين أمكنهم أن يدمِّروهم، إلا أنّهم أبقوا على أرواحهم وأعادوهم إلى بلدهم، وعقدوا سلاماً معهم، معتبرين أنّه يجب عليهم محاربة رجال بلدهم الرّفاق، إلى أن يحرزوا النصر عليهم فقط، ولم يدمِّروا مصالح هيلاس المشتركة بسبب الغضب الخاصّ للمدينة أما البربر فيجب أن يحاربونهم حتّى الموت. إنّهم لجديرون بالثناء هُمُ الذين شنُّوا هذه الحرب أيضاً، وهم هنا دُفنِوا؛ لأنّهم برهنوا، إذا كان أيّ شخص شاكّ في بسالة الأثينيين المتفوّقة في الحرب السابقة التي جرت مع البربر، برهنوا بعملهم المجيد أنّ شكوكهم ليس لها أيّ أساس - مبيّنين لهيلاس بانتصارهم في الحرب الأهليّة، والتي أخضعوا فيها الدول الهيلينيّة الرئيسيّة، مبيّنين لها أنّهم يستطيعون من غير مساعدة أن يخضعوا أولئك الذين قد تحالفوا معهم في الحرب ضدّ البربر. تبعت هذه الأحداث حرب ثالثة بعد أن أُعلِن السلام، تلك الحرب غير المتوقّعة والرهيبة، والتي فقد فيها العديد من الرجال الشجعان أرواحهم ودُفنوا - والكثير منهم حازوا على النصر في جزيرة صقلية، حيث امتطوا أمواج البحار كي يحاربوا من أجل حريّات الليونتيين، والذين ألزموا لهم أنفسهم بالأيامين؛ لكنّ المدينة كانت غير قادرة على مساعدتهم بسبب بُعد المسافة، وهم خسروا المعركة وانتابتهم المحن. إنّ أعداءَهم بالتحديد ومعارضيهم كان عندهم الكثير ليقولوه عنهم ثناءً على بسالتهم واعتدالهم أكثر ممّا يقوله الأصدقاء عادة. إنّ الكثيرين سقطوا في الاشتباكات التي دارت في هيليسبونت، بعد أن أسروا بواخر

الأعداء الحربيّة كلّها في يومٍ واحد، وهزموهم في النزالات البحريّة الأُخرى. وما أسمّيه طبيعة الحرب غير المتوقّعة والرهيبة، هو أنّ الهيلينيين الآخرين، في حقدهم المفرط على المدينة، سيدخلون في مفاوضات مع ألدّ أعدائهم، أعني به ملك الفرس، الذي أخرجناه من بلادنا نحن وهم معاً مهزوماً مدحوراً - هُم أرجعوه إلى بلادنا بدوننا مرّة ثانية، وجعلوا البربر ضدّ الهيلينيين. كلّ الحشد الذي يخصّ الهيلينيين والبربر، كان متّحداً ضد مدينة أثينا. وحينئذ تألّقت قوّة مدينتنا وبسالتها. إفترض أعداؤها أنّ الحرب أنهكتها وأنّ قواتنا البحريّة كانت محاصرة في ميتلين، غير أن المواطنين أنفسهم ركبوا متن السفن، وتقدّموا إلى إنقاذ القوّة المحاصرة بستّين باخرة أخرى، واعترف كلّ الرجال ببسالتهم آنئذ، لأنّهم تغلّبوا على أعدائهم وأنقذوا أصدقاءَهم. وبرغم ذلك فإنّهم تُرِكوا بقَدَرٍ ما ليهلكوا في البحر، ولهذا السبب لم يُدفنوا هنا. هُم ستظلّ ذكراهم إلى الأبد وسيكرّمون، لأننا لم ننتصر بسبب بسالتهم فقط في معركة البحر، بل إنّهم هم الذين قرّروا مجرى الحرب ونتيجتها، وبسببهم نالت المدينة سمعتها على أنّها مدينة لا تُقهر. وبرغم ذلك فإنّ الجنس البشريّ كلّه هاجمهم. إنّ صيت المدينة هذا كان صيتاً حقيقيّاً، وما الهزيمة التي حلّت بنا إلاّ من خلال نزاعاتنا الخاصّة وبسببها نحن لم يهزمنا الآخرون قط، ولم نزل حتى اليوم غير مغلوبين، بل كنّا نحن قاهري أنفسنا، وقاسينا مرارة الهزيمة على أيدينا. بعد هذه المعارك كان هناك هدوء وسلام في الخارج؛ لكنّ نار الصراع تأججت في الداخل، وإنْ كان الرجال قد كُتبت عليهم الحرب الأهليّة، فلا أحد استطاع أن يرغب في أن تكون هذه المدينة قد كُتِبَ عليها أن تعاني الفوضى في شكل ألطف. كم هو بهيج وطبيعيّ، وكم هو غير متشابه ما توقّعته بقيّة هيلاس، إنّه كان إنهاء النزاع لأولئك الذين أتوا من البيرايوس وأولئك الذين جاؤوا من المدينة؛ بأيّ اعتدال

نظّموا الحرب ضدّ الطغاة في اليوسيس! وكان سببُ هذه اللطافة رابطةَ الدم الحقيقيّة التي خلقت بينهم صداقة كصداقة الأقرباء، صداقة صحيحة في المأثرة وليس في الكلام فقط. ويجب علينا نحن أن نتذكّر أولئك الذين سقطوا بيد بعضهم البعض حينئذ، وفي مناسبات كهذه يجب أن نصلح بينهم بالأضاحي والصلوات، « لأنّنا لا نستطيع أن نفعل أكثر من ذلك »، مصلّين لأولئك الذين يفوقونهم قوّة، كي يمكنهم أن يتوافقوا كما نكون نحن. فهُمْ لم يهاجم بعضهم بعضاً نتيجة الخبثِ أو تعمّد الأذى أو العدواة، بل لأنّهم كانوا قليلي الحظّ. وهكذا كانت الحقيقة التي شاهدناها بأنفسنا، نحن المتحدرين وإياهم من سلالة واحدة، وتلقّينا ومنحنا العفو لما فعلناه بشكل مشترك ولما قاسيناه. كان بعد هذا الذي حدث سلام كامل، وحازت المدينة الراحة؛ وكان شعورها أنّها صفحت عن البربر الذين قاست الأمرّيْن على أيديهم بشكل عسير، وقابلت الأذى بمثله بشكل صارم. لكن سخطها كان منصبّاً على عقوق الهيلينيين، فذلك أنها تذكّرت كيف أنّهم تلقّوا الخير منها وبادلوها الشرّ، إذ أنّهم ضمُّوا جهودهم إلى جهود البربر، وجرّدوها من البواخر التي حفظت ممتلكاتهم من السقوط والهزيمة. لقد فكّرتْ أنّها لن تدافع عن الهيلينيّين بعد اليوم، إذ ما استعبد بعضهم بعضاً أو استعبدهم البربر وفعلت طبقاً لذلك. كان هذا الشعور شعورنا، في حين أنّ اللاقيدايمونيين اعتقدوا أنّنا إذا سقطنا، ونحن أبطال الحرية، فإنّ عملهم كان مخطّطاً له كي يستعبدوا بقيّة الهيلينيّين. ولماذا يجب عليَّ أن أقول أكثر ممّا قلته؟ إنّ الأحداث التي أتكلّم عنها لم يمض عليها كثير وقت ونستطيع أن نتذكّر جميعاً كيف أنّ الشعوب الرئيسيّة لهيلاس كانت شعوباً يائسة، الأرغوسيين والبيوتيين والكورينثيين، نستطيع أن نتذكّر كيف أتوا ينشدون مساعدتنا. أما الأعجوبة الأكبر، فهي أنّ الملك الفارسي نفسه أُجبر على ضرورة كهذه كي

يغيّر رأيه، إذ أنّ إنقاذه سيأتي من هذه المدينة وليس من أيّة مدينة أخرى، وهي التي كان طموحه أن يبيدها.

وإذا رغب شخص بأن يسوق اتّهاماً ما تستحقّه مدينتنا، فإنّه سوف يجد اتّهاماً واحداً فقط يمكنه أن يلحّ عليه بعدل، وهو أنّ مدينتنا دائماً رحيمة جدّاً وواعدة جدّاً للجانب الأضعف. ولم تكن قادرة في هذا المثال على أن توقِف أو تحتفظ بقرارها رفض مساعدة مَن يؤذيها عندما يكونون مستعبدين، بل كانت تخفّف آلامهم. ولقد أرسلت لهم مساعدة في الواقع، وأنقذت الهيلينيين من نير العبوديّة، وكانوا أحراراً بعد ذلك في محاولتهم استعباد أنفسهم، في حين أنها رفضت أن تعطي مساعدة الدولة إلى الملك العظيم نفسه، لأنّها لا تقدر أن تنسى تذكارات ماراثون وسالاميس وبلاطايا. لكنّها سمحت للمنفيّين والمتطوّعين أن يساعدوه وكانوا هم منقذيه بقبول عامّ. إنّها هي نفسها دخلت الحرب عندما أُجبرت على ذلك، وبنت الأسوار والبواخر الحربيّة، وحاربت مع اللاقيدايمونيين بالنيابة عن الباريانيين. وبعدُ فإنّه لخوفه من مدينتنا ورغبته في أن يقف بمعزلٍ عنها، وعندما رأى أن اللاقيدايمونيّين يزدادون سأماً في حرب البحر، سألنا، كثمنٍ لتحالفه معنا ومع الحلفاء الآخرين، سألنا أن نتخلّى له عن الهيلينيّين في آسيا، والذين سلّمهم له اللاقيدايمونيّون فيما مضى، معتقداً أنّه إذا رفضنا هذا العرض، يمكنه أن يتظاهر بالتحوّل عنا حينئذ. لكنّه كان مخطئاً بشأن الحلفاء الآخرين، إذ أنّ الكورينثيين والأرغوسيين والبيوتونيين والدول الأخرى كانت مستعدّة تماماً لأن تدع الهيلينيين في آسيا يذهبون إليه، وأقسموا واتّفقوا على ذلك، إذا دفع لهم مالاً مقابل ذلك. وكنّا نحن الوحيدين الذين رفضنا التخلي عنهم، وأقسمنا الأيمان كتصميم على عزمنا لِمَا قلناه. هكذا كان النبل الطبيعي لهذه المدينة، وكانت نفسيّة الحريّة سليمة وصحيّة بيننا إلى هذا الحد. إنّ الفطريّين

لا يحبّون البرابرة، ونحن هيلينيون أنقياء، وليس لدينا أي اختلاط بهم. إنّنا لسنا مثل الكثرة الآخرين، المتحدّرين من بيلوبس أو قدموس أو أوداناوس المصريّ، وهؤلاء كلّهم برابرة بالطبيعة، ومع ذلك فإنّ الناس يحسبونهم هيلينيّين ويسكنون في أوساطنا. إنّنا كلّنا هيلينيون أصفياء، غير مشوبين بأيّ عنصر بربريّ، ولهذا السبب فإنّ طرائق الأجانب المملوءَة بالكراهية قد نفذت بشكل صِرْف إلى حياة المدينة الدمويّة. وهكذا عُزِلنا مرّة ثانية، لأنّنا لم نكن على استعداد لأن نكون مذنبين في عمل دنيء وعاقّ بالتخلي عن الهيلينيّين في آسيا وتركهم للبرابرة. وكنا نحن في الحالة عينها كما عندما كنا مخضَعين قبلاً، لكنّنا، بتأييد السّماء، أدرنا كلّ شيء بشكل أفضل، لأنّنا أنهينا الحرب بدون خسارة بواخرنا الحربية أو مستعمراتنا أو تدمير أسوارنا. إنّ العدو كان مسروراً جدّاً فقط بأن يكون في حِلٍّ منّا. ومع ذلك فإنّنا فقدنا في هذه الحرب العديد من الرجال الشجعان، هكذا كان أولئك الذين خرّوا صرعى في معركة كورينثي بسبب وعورة الأرض، أو بسبب الخيانة في الليخايوم. كان أولئك الرجال رجالاً شجعاناً أيضاً أنقذوا الملك الفارسيّ، وشتّتوا اللاقيدايمونيين في معارك البحر. إنّني أذكّرك بهم، ويجب عليك أن تمجّدهم وتحيي ذكراهم معي، وأن تؤدّي التكريم تخليداً لهم.

هذه هي أعمال الرجال الذين دُفنوا هنا، والرجال الآخرين الذين تُوفّوا من أجل أن تحيا بلادهم؛ إنّني تحدّثت عنهم بأشياء مجيدة ومتعدّدة، وما يزال لديّ أشياء أكثر تمجيداً من سابقاتها سأخبر عنها. لن تكفي أيام وليالٍ طوال كي أحكي عنها كلها. دعها لا تُنسى، ودع كلّ إنسان أن يذكّر أحفاده أنّهم هم جنود أيضاً، وهم الذين يجب عليهم أن لا يغادروا صفوف أسلافهم، أو أن يتخلّفوا عن غيرهم بسبب جبنهم. حتّى هكذا فإنّني أحضّكم هذا اليوم، وفي الزمن المستقبليّ كلّه، وسأستمرّ في تذكيركم

ونصحكم كلما التقيت أيّاً منكم، أوه يا أبناء الأبطال، وذلك كي تجاهدوا لتكونوا أشجع الرجال. وأعتقد بأنّه يجب عليّ الآن أن أردّد الرسالة التي رغب آباؤكم منّا أن نعطيها لكم وأنتم الذين من نجا منهم، عندما ذهبوا إلى المعركة، كي تحفظوها في حالة حدوث أيّ شيء لهم. إنّني سأخبركم ما سمعتهم يقولون، وما سيسرُّهم قوله، إذا كان لديهم كلام في ذلك. ويجب عليكم أن تتصوّروا أنّكم تسمعونهم قائلين ما أردّده لكم الآن:

« يا أبنائي، برهنت الأحداث أنّ آباءكم رجال شجعان إذ كان بإمكاننا أن نعيش بشكل مخزٍ، لكنّنا فضّلنا أن نموت بشرف بدلاً من أن نجلب العار لكم ولأطفالكم، وبدلاً من أن نلحق العار بآبائنا وأجدادنا؛ معتبرين أنّ الحياة ليست لشخصٍ وجودُه إهانةٌ لذريّته، وأنّ الآلهة والرجال ليسوا صدوقين لشخصٍ كهذا، سواء أكان على الأرض أو بعد الموت في العالم السفليّ. تذكّروا كلماتنا، إذن، ودعوا الفضيلة تبلغكم هدفكم مهما يكن هدفنا وقصدنا، واعرفوا أنّ كلّ الممتلكات والملاحقات، بدون الفضيلة، مخزية وسيئة. إنّ الغنى لا يجلب الشرف لمالكه، إذا كان جباناً؛ وثروة شخص كهذا تخصّ الآخرين، ولا تخصّه أبداً. والجمال والقوّة في الجسم، عندما تكونان في رجل دنيء وجبان، لا يبدوان مناسبين، بل عكس ذلك، إنّهما يجعلان مالكهما أكثر وضوحاً، ويُظهران جبنه بجلاء. وكلّ المعارف، عندما تُفصل من العدل والفضيلة تبدو مكراً وليست حكمة؛ في حين أن عليكم أن تجعلوا هدفكم الأوّل والأخير والدائم والمستغرق انتباهكم، ليس أن تتفوّقوا علينا بالسمعة الحسنة فقط، إن أمكنكم ذلك، بل لتبزُّوا، في جميعها، كلّ أسلافكم. واعرفوا أنّه إذا تجاوزكم أحد في الفضيلة قطّ فهذا سيجلب لنا الخجل. لكن إنْ تخطيتموهم أنتم في ذلك فسيكون هذا ينبوع سعادتنا. وسنكون مهزومين على الأرجح، وستكونون أنتم المنتصرين في المباراة بشكل

محتمل، هذا إذا عرفتم كيف تنظِّمون حيواتكم كي لا تسيئوا إلى سمعة أسلافكم الحسنة ولا تضيعوها، عارفين أن لا شيء هو أكثر عاراً لإنسانٍ يحترم نفسه من أن لا يكون مكرَّماً، ليس من أجل شخصه الخاصّ، بل بسبب سمعة أسلافه الجيّدة. إنّ تكريم الآباء هو كنز ثمين جميل ونبيل لأجيالهم القادمة كلّها، ولكي يكون لديكم كنز الغنى والشرف، ولكي لا تتركوا شيئاً لخلفائكم، إذ ليس لديكم مال ولا صيت ممّا يخصُّكم، فإنّ هذا سافل ومخزٍ بشكل مماثل. وإنْ أنتم اتبعتم مداركنا العقلية، فإنّنا ستتلقّاكم كأصدقاء، عندما تحضركم ساعة قدركم إلى هنا. لكنّكم إذا أهملتم كلماتنا وكنتم ممّن لحق بهم الخزي في حيواتهم، فلا أحد سيرحّب بكم أو يستقبلكم». هذه هي الرسالة التي ستوجَّه إلى أطفالنا.

« بعضنا مازال آباؤهم وأمهاتهم أحياء. ونحن نريدكم أن تحثّوهم على تحمّل الفاجعة بسهولة قدر الإمكان، إنْ هي وقعت عليهم؛ لا تشاطروهم الأسى، لأنّ لديهم ما يكفيهم من الأحزان، ولن يحتاجوا لأيّ شخص كي يثيرها. نرغب منكم أن تواسوهم وتشفوا جراحهم، بتذكيرهم أنّ الآلهة سمعوا الجزء الرئيسيّ من صلواتهم؛ فهم لم يصلُّوا ليمكن لأطفالهم أن يعيشوا إلى الأبد، بل كي يتمكّنوا من أن يكونوا شجعاناً وشهيرين، وإنّ هذا هو الخير الأكبر الذي نالوه. لا يمكن لإنسانٍ فانٍ أن يتوقّع امتلاك كلّ شيء في حياته، وأن يصبح كلّ شيء طبقاً لإرادته؛ وهم إذا تحمّلوا بلاياهم بشجاعة، سيُعتبرون آباءً شجعان بحقّ لأبناء بواسل بصدق. لكنّهم إذا أفسحوا مجالاً لأحزانهم كي تتمكّن منهم، فإمّا سيُشتبه بأنّهم ليسوا آباءَنا، أو أنّنا لسنا مثلما يعلن مادحونا. لا تَدَعُوا هذين الخيارين الاثنين يحدثان، لكن دعوهم بالأحرى أن يكونوا مادحينا الحقيقيّين والرئيسيين، الذين يبيّنون في حياتهم أنهم رجالٌ صادقون. يبدو أنّ القول القديم، « لا شيء كثيراً جداً »، يبدو أنّه موجود،

وأنه وجد حقّاً، وقيل عن حق. عندما يبقى كلّ ذلك الذي يحتاجه إنسان لسعادته، أو كلّه تقريباً، وعندما لا يكون الإنسان متروكاً في ترقّبٍ قَلِقٍ على الرجال الآخرين، أو متغيّرٍ مع تقلّب خطّهم، فإنّ هذا الإنسان يعيش حياة منظّمة نحو الأفضل. إنّه الإنسان المعتدل والشجاع والحكيم، وعندما تأتي ثرواته وتذهب، وعندما يرزق بأطفال أو يفقدهم، عند كل هذا، فإنّه سيذكر المثل القائل: « لا تبتهج ولا تحزن أكثر ممّا ينبغي »، لأنه إن فعل ذلك فهو يعتمد على نفسه. هكذا نريد نحن أن يكون آباؤنا، ونعتقد بأنّهم كما نريد. ونحن نقدّم أنفسنا الآن، غير مستائين أو خائفين أكثر ممّا يلزم، إن كان مقدّراً لنا أن نموت في هذا الوقت. ونستعطف آباءنا وأمّهاتنا أن يستبقوا على هذا الشعور خلال حياتهم المستقبليّة، وليكونوا متأكّدين من أنّهم بحزنهم ونواحهم لن يجعلونا مسرورين. لكن إذا كان لدى المتوفّين أيّة معرفة عن الأحياء، فإنّهم سيثيرون استياءنا الأكثر بجعل أنفسنا تعساء وبإدخال محنهم ومآسيهم إلى قلوبهم بشكل كثير جداً. وستسرّنا بالشكل الأكثر إنْ هُمْ تحمّلوا ما فقدوه بسهولة ولطف واعتدال. إنّ حياتنا ستمتلك النهاية الأنبل المجازة لإنسان، ويلزمها أن تكون نهاية ممجَّدَة بدل أن تكون نهاية يملأها النحيب. وإذا وجّهوا عقولهم للعناية بزوجاتنا وأطفالنا، وتنشئتهم فإنّهم سينسون تعاستهم وبلاياهم بأقرب فرصة، ويعيشون بطريقة أفضل وأنبل، ونحن نقبلها بشكل مضاعف.

« إنّ هذا هو ما يلزم أن نقوله لعائلاتنا. ولكي نقرّر ذلك علينا أن نقول: إعتنوا بآبائنا وأبنائنا، عزّزوا المتقدّمين في السنّ من آبائنا باستحقاق، وربُّوا أبناءَكم في الطريق الصحيح. لكنّنا نعرف بأنّ عائلاتنا ستعتني بهم من غير إكراه، ولا تحتاج لأيّ حضٍّ أو نصحٍ منّا ».

هذه هي رسالة المتوفين يا أيها الأبناء والآباء، التي أمرونا أن نبلغكم إياها،

والتي أُطلقها بأقصى جديّة. إنّني ألتمس منكم باسمهم، باسم الأطفال، أن تقلّدوا آباءكم. وأنتم أيّها الآباء أن تبتهجوا جيداً بشأن أنفسكم؛ لأنّنا نحن سوف نعضد أعماركم، ونعتني بكم في الحياة العامّة والخاصّة كليهما وفي أيّ مكان يمكن لأيّ شخصٍ منا أن يقابل واحداً من آباء المتوفّين. أمّا الرعاية التي تظهرها المدينة، فأنتم تعرفونها بأنفسكم؛ إنّها أوجدت تدبيراً احتياطيّاً بالقانون فيما يخصّ آباء وأطفال أولئك الذين يتوفون في الحرب. إنّ السلطة الأعلى مؤتمنة على وجوب المراقبة فوق كلّ المواطنين الآخرين بشكل خاصّ، وهُم سيُرون أنّ الآباء والأمّهات لن يخطئء أحدٌ بحقّهم. تشارك المدينة نفسها في تعليم الأطفال، متمنّيةً وراغبة قدر الإمكان أن لا يشعروا باليُتم، وهي ستكون الأب والأمّ لهم ما داموا أطفالاً، وعند وصولهم إلى مرحلة الرجولة فإنّ المدينة تنظّمهم في تسليح كامل وترسلهم للمطالبة بما هو واجب الأداء وتذكّرهم بالطرائق التي اتّبعها آباؤهم بشكل جديد، ومن ثمّ تضع بين أيديهم الوسائل لحفظ فضائل آبائهم. وإكراماً للفأل بالخير، فإنّها ستريد منهم أن يبدؤوا، قبل كلّ شيء، بحكم بيوتهم الخاصّة منظّمين من حيث القوّة الجسديّة ومتمنطقين بسلاح آبائهم. وكما أنّها لم تنقطع عن تكريم وتبجيل المتوفّين، محتفلة بشعائرهم وطقوسهم الدينية كلّ سنة، وهي شعائر وطقوس يشترك الجميع فيها وتصبح ملكاً لكلّ فرد. بالإضافة إلى هذا، فإنّ المدينة تقيم المباريات الرياضيّة وألعاب الفروسيّة، وكذلك تحيي المهرجانات الموسيقية من كلّ نوع. إنّها بالنسبة للمتوفّين بمثابة إبن ووريث، ولأبنائهم بمثابة الأب، ولآبائهم المسنّين بمنزلة الوصيّ - راعيةً إياهم ومعتنية بهم دائماً وأبداً. آخذين بعين الاعتبار كلّ هذا، فما يجب عليكم إلاّ أن تتحمّلوا كارثتكم بلطف أكثر لأنّكم إن فعلتم ذلك فستكونون محبين أكثر للمتوفين، وللأحياء أيضاً، وستُشفون بالشكل الأكثر سهولة وستبرؤون. وبعدُ

فإنّكم إذا انتحبتم أنتم وانتحب الجميع على الموتى في شكل عامّ طبقاً للقانون، فاذهبوا في سبيلكم.

إنّك سمعت، يا مينيكسينوس، خطاب أسباسيا الميليسيّة.

مينيكسينوس: حقّاً، يا سقراط، إنّني معجب بأسباسيا تلك، التي مع أنّها امرأة فقط، استطاعت أن تؤلّف خطاباً كهذا؛ يجب أن تكون تلك المرأة امرأة نادرة.

سقراط: حسناً، إنْ كنتَ ميّالاً إلى الشكّ في ذلك، فيمكنك أن تأتي معي لتسمعها بنفسك.

مينيكسينوس: إنّني قابلت أسباسيا غالباً، يا سقراط، وأعرفها كيف هي.

سقراط: حسناً، ألست معجباً بها، ألست مقرّاً بجميلها لهذا الخطاب الرائع؟

مينيكسينوس: نعم، يا سقراط، إنّني مقرّ بجميلها أو بجميل الشخص الذي نقله إليك أيّاً كان ذلك الشخص، وإنّي لشاكر أيضاً الشخص الذي ألقاه على مسمعي، شاكراً له هذا ولكثير غيره.

سقراط: جيد جداً. لكن يجب عليك أن تكون حذراً وأن لا تُغرِّرَ بي؛ وبعدئذ فإنّني سأردِّد لك في وقت مستقبلي العديد من خطبها السياسية الممتازة الأخرى.

مينيكسينوس: لا تخف، دعني أسمعها فقط، وإنّني سأحفظ السرّ.

سقراط: إذن، فإنّني سأحافظ على وعدي لك.

محاورة كريشياس

اشخاص المحاورة

كريشياس هيرموكرايتس

طيماوس سقراط

طيماوس: ما أسعدني، يا سقراط، لأنّني وصلت إلى هنا أخيراً، ويمكنني أن أرتاح الآن بعد رحلة طويلة، كما يرتاح المسافر التَعِب! وأصلّي لله، الذي وُجد منذ بدء الزمن، والذي قد كشف ما بي الآن، إليه أصلّي كي يمنح كلماتي إمكانية البقاء بقدر ما قبلت بحقّ وبقدر ما هي مقبولة له. لكن إنْ قلت أيّ شيء خطأً عن غير قصد، فإنّني أصلّي ليفرض عليّ عقوبة عادلة، والجزاء العادل للّذي لا يخطىء هو أنّه يجب أن يوجَّه توجيهاً صحيحاً. وبما أنّني أرغب أن أتكلّم بصدق في المستقبل فيما يخصّ نشوء الآلهة، فإنني أصلّي له أن يعطيني المعرفة التي هي الأكمل والأفضل من كلّ الأدوية. وبعدُ ما دمتُ قد قدّمت إليه صلاتي، فإنّني أوجّه محاورتي إلى كريشياس الذي سيتكلّم بعد ذلك مباشرة حسب اتفاقنا[٥٣].

كريشياس: وأنا أقبل هذه الثقة، يا طيماوس، وكما قلت أنت، بادىء ذي بدء، بأنّك كنت ذاهباً لتتكلّم عن مسائل سامية، وتوسّلت أنّ بعض الصّبر يمكن أن يبيَّن لك، وأنا أسأل أيضاً عن الصبر عينه أو عن شيء أكبر منه، وهو ما أنا على وشك أن أقوله. وبرغم أني أعرف جيّداً بأنّ طلبي يمكن أن يكون طلباً طموحاً وجافّاً إلى حدّ ما، لكن يجب أن أقدّمه مع ذلك. وهل يمكن لأيّ إنسان ذي إدراك أن ينكر بأنّك تكلّمت جيّداً؟ أستطيع المحاولة لأظهر

بأنّه يلزمني أن تكون لديَّ مهلة أكثر ممّا لديك، لأنّ الموضوع الذي سأتناوله هو موضوع أكثر صعوبة. وإنّي سأحاور لأبدو متكلّما مفوّهاً للرجال عن الآلهة، وهذا أسهل بيعيد من الحديث جيّداً عن الرجال للرجال لأنّ قلّة الخبرة والجهل المطبق لمستمعيه بشأن أيّ موضوع هما مساعدان كبيران للّذي عليه أن يتحدّث عنه، ونعرف كم نحن جهلة فيما يخصّ الآلهة. لكنّني سأحبّ أن أجعل معناي أوضح، إذا ما تابعتني. إنّ كلّ الذي قاله أيّ واحد منّا يمكن أن يكون تقليداً وتصويراً فقط. وإذا تأمّلنا شبه الأجسام الإلهية والإنسانيّة، والدرجات المختلفة للتشابه الذي يحتاجه المشاهد من الرسّام اليدوي طبقاً لصعوبة عمله الشاقّ، إذا تأمّلنا ذلك مليّاً، فسنرى أنّنا نقنع بالفنّان القادر على أن يقلّد الأرض وجبالها إذا رسمها وبأيّة درجة فعل ذلك، وكذلك إنْ رسم الأنهار، والأخشاب، والعالم، والأشياء الموجودة والمتحرّكة في ذلك المكان. وأبعد من ذلك، بما أنّنا لا نعرف شيئاً دقيقاً بشأن مسائل كهذه فنحن لا نتفحص ولا نحلّل الرسم هذا. إنّ كلّ الذي يُحتاج له ليس إلاّ نوعاً من أنواع الغموض، وأسلوباً خادعاً لتتبّع هذه المسائل. لكن عندما يحاول شخص أن يرسم الشكل الإنسانيّ نكتشف نحن الخلل فيه بسرعة، وتجعلنا معرفتنا المألوفة قضاةً صارمين على أيّ شخص لا يرسم أيّة خاصيّة من خواصّ التشابه. ويمكننا أن نلاحظ الشيء عينه أنّه يحدث في المحادثة؛ نكون نحن مقتنعين بصورة إلهية وبالأشياء السماوية التي لها شبه صغير جدّاً بها، لكنّنا نكون أكثر دقّة في نقدنا للأشياء الإنسانيّة الفانية. وهكذا إنْ لم أستطع أن أعبّر عن معناي في هذه اللحظة من لحظات الكلام، فيلزمك أن تعذرني، آخذين بعين الاعتبار أنّ تشكيل تشبيهات مستحسنة للأشياء الإنسانيّة هو عكس السهل. هذا هو ما أريد أن أقوله وأقترحه عليك، وأن أستعطفك في الوقت عينه، يا سقراط، أن أُمنح

مهلة أطول لأقول ما أنا على وشك أن أتحدّث بشأنه. وإنّني آمل منك أن تكون مستعداً لتهب لي هذا المعروف، إنْ كنتُ محقاً في طلبي هذا.

سقراط: إنّنا سنمنحك طلبك بالتأكيد، يا كريشياس، وإنّنا سنهب الشيء عينه لهيرموكرايتس بشكل متوقّع، تماما كما أنّنا سنخوّلك وطيماوس هذا الشأن؛ ليس لديَّ شكٌّ بأنّه عندما يأتي دوره بعد فترة ليست ببعيدة، فإنّه سيتقدّم بالطلب عينه الذي تقدّمت أنت به. إذن ولكي يمكنه أن يجهّز نفسه ببداية حيّة، ولئلاّ يُجبر على أن يقول الأشياء عينها مرّات ومرّات، دعه يفهم أنّ المهلة المعطاة له مُدِّدت سلفاً وبشكل مسبق. والآن، يا صديقي كريشياس، فإنّي سأعلن لك حكم الحاضرين. هم يرون أنّ المؤلّف الأخير كان ناجحاً بشكل رائع، وأنّك سوف تحتاج أنت إلى مهلة ذات مقدارٍ كبير من الوقت قبل أن تصبح قادراً على أن تملأ مكانه.

هيرموكرايتس: إنّ الإنذار، يا سقراط، الذي وجهته إليه، يجب أن آخذه لنفسي أيضاً. لكن تذكّر، يا كريشياس، أنّ القلب الضعيف المتردِّد لم يرفع ميدالية حتّى الآن قطّ؛ ولهذا السبب يجب عليك أن تذهب وتشرع في المحاورة كالرجل. تضرّع إلى أبوللو، أوّلاً، ومن ثم إلى آلهات الشعر، ودعنا بعدئذ نسمعك تعلن الثناءات وتبيّن الفضائل لمواطني بلدك القدامى.

كريشياس: يا صديقي، هيرموكرايتس، أنت يا من جلست أخيراً وبقربك رجل آخر جالس أمامك، ألم تهن عزيمتك لحدّ الآن؟ إنّ ثقل الحالة سوف يُكشف لك قريباً، وإنّي أقبل حضّك وعظتك وتشجيعك في غضون ذلك. لكن مع توسّلي إلى الآلهة والآهات التي ذكرت، سأتوسّل بشكل خاصّ إلى إلهة التذكّر. إنّ كلّ الجزء المهمّ من محادثتي يعتمد على تأييدها ورعايتها؛ وإذا استطعت أن أتذكّر وأروي الكفاية مّما قاله الكهنة وأحضره صولون إلى هنا، فإنّني لا أشكّ بأنّي سأقنع الحاضرين بما يتطلّبون. وبعدُ، فإنّي سأتقدّم، ولن أختلق أعذاراً أكثر من ذلك.

دعوني أبدأ بإبداء ملاحظة قبل كلّ شيء. تسعة آلاف سنة مضت، هي مجموع السنين التي انصرمت منذ الحرب التي قيل إنّها حدثت واستعر أوارها بين أولئك الذين سكنوا خارج أعمدة هرقل وجميع الذين قطنوا داخلها؛ وإنّي في سبيلي لأصف هذه الحرب. لقد أُعلنت مدينة أثينا أنّها قائدة المحاربين على هذا الجانب وحسمت أمر الصراع بالحرب، أمّا المحاربون على الجانب الآخر فكانوا ملوك أطلنتيس الذين يصدرون الأمر لقادتهم. تلك الجزيرة التي وجدت مرّة، كما قلت، والتي كان امتدادها أكبر من امتداد ليبيا وآسيا، وأصبحت بعد أن أغرقها الزلزال حاجزاً من الوحل يتعذّر اجتيازه على أولئك الذين يقومون بالرحلات من هناك، ويحاولون اجتياز المحيط الذي يقع ما وراءه. إنَّ تقدّم التاريخ سيكشف عن أمم البربر المتعددة والعائلات الهيلينية التي وجدت يومها، كما تظهر على المسرح بالتتابع؛ لكنّني يجب أن أصف قبل كلّ شيء أثينيّي ذلك اليوم، وأصف أعداءهم الذين نازلوهم في المعارك، وكذلك القوى الشخصيّة وحكومَتَي المملكتين الإثنتين بعدئذ.

في الأيّام السالفة، وزع الآلهة الأرض كلّها بينهم بالتحصيص. لم يكن هناك نزاع؛ إنّك لا تستطيع حقّاً أن تفترض أنّ الآلهة لم يعرفوا ما كان مناسباً امتلاكه لكلّ منهم، أو لم يعرفوا هذا، فإنّهم سيحاولون أن يحصلوا لأنفسهم على ذلك الذي يخصّ الآخرين بالنزاع أو التنافس بأكثر ما يناسبهم. هُم جميعاً حصلوا على ما يريدون بالتقسيم العادل، وأهّلوا مناطقهم الخاصّة؛ وعندما جعلوها عامرة بالسكان فإنّهم عُنوا بنا نحن، بصغارهم وبما يملكون، مثلما يعتني الرّعاة بقطيعهم، عدا أنهم لم يستعملوا الضرب أو القوّة الجسدية فقط، بل إنّهم حكمونا مثلما يدير القباطنة مقود السفينة. وهذه طريقة سهلة لإرشاد الحيوانات، ممسكين أرواحنا بضابط

الإقناع طبقاً لمسرّتهم الخاصّة. وهكذا هُم هُدوا المخلوقات الفانية كلّها. وبعدُ فإنّ الآلهة المختلفة كان لهم حصص في الأماكن المتباينة التي وضعوها في نظام. إنّ هيفياستوس وأثينا، اللذين كانا أخاً وأختاً، وتحدّرا من الأب نفسه، لديهما طبيعة مشتركة، وكونهما متَّحدَين في حبّ الفلسفة والفنّ أيضاً، حصص كلاهما على هذه القطعة المشتركة من الأرض والتي كانت مهيَّأة للحكمة والفضيلة بشكلٍ طبيعيّ. لقد غرسا هناك أطفالاً شجعان من الأرض، ووضعا في عقولهم نظام الحكومة؛ وكانت أسماؤهم محفوظة، لكنّ أعمالهم اختفت بسبب تدمير أولئك الذين تلقّوا العرف أو العادة، وبانقضاء الأجيال. إذ عندما نجا العديد من الناس، كما قلت قبل الآن، كان هؤلاء الناجون هم الذين اتّخذوا من الجبال سكناً لهم؛ وكانوا جهلة بفنّ الكتابة، وسمعوا بأسماء رؤساء الأرض فقط، لكنّهم قليلاً ما سمعوا بشأن أعمالهم. إنّ الأسماء تلك كانوا على استعدادٍ كافٍ ليطلقوها على أطفالهم؛ لكنّهم عرفوا فضائل وقوانين من سبقهم بالعادات الغامضة فقط. وبما أنّهم وأطفالهم كانت تعوزهم ضرورات الحياة لأجيالٍ عدَّة، فإنّهم وجَّهوا اهتمامهم لتجهيز ما يحتاجون إليه، وعنها تحدّثوا، وأهملوا الأحداث التي وقعت في الأزمنة التي طواها الماضي؛ ذلك لأنّ علم الأساطير والتحقيق في العصور القديمة وجد طريقه إلى مصاحبة الترف والرخاء عندما يرون أنّ بعض مواطنيهم قد أمدُّوا أنفسهم بضرورات الحياة، لكن ليس قبل ذلك. وهذا هو السبب الذي من أجله قد تمّ صون أسماء القدماء لنا ولكن لم تُحفظ أعمالهم. أستنتج هذا لأنّ صولون قال إنّ الكهنة ذكروا في قصّتهم عن تلك الحرب أكثر الأسماء التي سُجِّلت قبل زمن تيسيوس. ذكروا أسماء مثل إسم سيكروبس، ايريخثيوس، اريخثونيوس، وارسيختون؛ وذكروا أسماء النساء في شكلٍ مماثل كذلك. بالإضافة إلى هذا، بما أنّ الملاحقات العسكريّة كان يشترك فيها

الرجال والنساء، فإنّ الرجال في تلك الأيّام، وفي تطابق مع العرف في ذلك العصر، أقاموا تمثالاً ونصباً للآلهة في تمنطقهم بالسلاح الكامل، لتكون شهادة على أنّ كل الحيوانات التي تجتمع معاً، الذكور مثل الإناث، يمكنها إذا رغبت، أن تمارس الامتياز الذي هو امتياز نموذجي لنوعهم بشكل مشترك.

وبعدُ فإنّ البلاد كانت تسكنها طبقات متعدّدة من المواطنين في تلك الأيام. كان هناك الصنّاع الماهرون، والمزارعون، وكانت هناك طبقة من المحاربين أيضاً إدَّخرها في الأصل رجال إلهيّون. وقطن الآخرون بأنفسهم، وامتلكوا كلّ الأشياء التي تخصّ التربية والتعليم؛ ولم يكن لدى أيّ واحد منهم أيّ شيء يخصّه، بل اعتبروا كلّ الذي حازوا عليه وكأنه ملكيّة مشتركة. ولم يطالبوا أن يتلقّوا من المواطنين الآخرين أيّ شيء أكثر من غذائهم الضروريّ: لقد زاولوا الملاحقات كلّها التي وصفناها البارحة كتلك التي تخصّ حماتنا المتصوَّرين، وأمّا فيما يخصّ البلاد فلقد قال الكهنة المصريّون ما لا يكون محتملاً فقط بل ما يكون حقيقيّاً بشكل جليّ، وهو أنّ الحدود كانت معيّنةً في البرزخ في تلك الأيّام، وأنّها امتدت في اتّجاه القارّة إلى ما بعد مرتفعات سيثايرون والبارنيس؛ ونزل خطّ الحدود في اتجاه البحر، شاملاً منطقة أوربوس باتّجاه اليمين، وكان الحدّ الفاصل ناحية اليسار نهر أسوبوس. إنّ تلك الأرض كانت الأفضل في العالم، ولهذا السبب فإنّها كانت قادرة على دعم جيش ضخم، معفىً من العمل في الأرض هذه. حتى أنّ بقيّة أتيكا الموجودة الآن يمكن مقارنتها بأيّة مقاطعة في العالم لتنوّع وامتياز فواكهها ولمناسبة مراعيها لكلّ نوع من أنواع الحيوان. كيف سأتمكّن من أن أبرهن عما أقول؟ وبأيّة وجهة نظر يمكن أن تُسمّى تلك البقعة من الأرض التي كانت آنئذ؟ إنّ البلاد كلّها هي نتوء طويل من اليابسة فقط، ممتدٌّ إلى مسافة

بعيدة في البحر وبعيدة عن بقية القارّة، في حين أنّ البحر المحيط عميقٌ في كلّ مكان على الشاطىء المجاور. حدث العديد من الطوفانات خلال هذه السنوات التسعة آلاف، لأنّ هذا هو عدد السنين التي انقضت على الزمن الذي أتحدّث عنه؛ ولم يوجد أثناء ذلك الزمن كلّه قطّ، وخلال العديد من المتغيّرات التي وقعت، لم يوجد أيّ تراكم هامّ للتربة التي تنحدر من الجبال، كما يحدث في الأماكن الأخرى. لكنّ التربة هذه سقطت من كلّ اتّجاه وغرقت ولم يُرَ لها أثر. والنتيجة، أنّ هناك بقايا عظام الجسم المتهدم فقط في المقارنة التي كانت عندئذ، مثلما هي الحالة في الجزر الصغيرة. فإنّ كلّ الأجزاء الأغنى والأنعم من التربة فسدت، والهيكليّة المجرّدة للأرض تُركت. لكن في حالةِ البلاد البدائيّة، فإنّ جبالها كانت قمماً عالية مغطاة بالتراب، وأمّا سهول فيليوس، كما أسميناها، فكانت ممتلئة بالأرض الغنية المعطاء، وكانت الجبال مغطّاة بوفرة كبيرة من الأشجار للأخشاب. ولا تزال آثار الأخيرة باقية، إذ مع أنّ بعض الجبال تقدّم الآن قوتاً للنّحل فقط، فإنّه لا تزال هناك، ليس منذ زمن طويل جدّاً، قممٌ كثيفة الغابات قُطِعت منها أخشاب تنمو هناك، وكانت من الضخامة بحيث تغطّي أكبر سقوف البيوت. ووجدت الأشجار العديدة السّامقة الأخرى، التي تمّ غرسها وحملت الغذاء الوافر للقطعان. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ الأرض جنت المنفعة من سقوط الأمطار السنويّة، وليس كما هي الآن فاقدة الماء الذي ينهمر تاركاً الأرض الجرداء، ذاهباً إلى البحر، بل كان لديها إمدادات غزيرة في كلّ مكان، وكانت تختزن الماء في التربة الصلصاليّة القريبة، ومن ثمّ تطلقه في التجاويف والجداول الّتي امتصّته من القمم، موفّرة لكلّ مكان نوافير غزيرة من المياه وأنهاراً متدفّقة، والتي لا تزال مراقبتها ممكنة حيث أُقيمت التماثيل المقدّسة في الأماكن التي وُجدت النافورات فيها. وهذا يثبت حقيقة ما أقول.

هكذا كانت حالة البلاد الطبيعيّة التي حُرِثت أرضها، كما يمكننا أن نعتقد جيداً، وأشرف على حراثتها مزارعون حقيقيون، جعلوا من الزراعة عملاً لهم، وكانوا محبوبين ومكرَّمين، وذوي طبيعة نبيلة، وكان لديهم التربة الأفضل في العالم، وغزارة من المياه، وعالياً، في السماء، مناخ معتدل بشكلٍ ممتاز. وبعدُ فإنّ المدينة كانت مرتّبة على هذا النحو في تلك الأيّام. ففي تلك الأيّام لم تكن الأكروبوليس « قلعة أثينا » كما هي الآن. والحقيقة هي أنّ الأمطار الزائدة أزالت التربة في ليلة واحدة وتركت الصخور المعرّاة مكانها؛ وحدثت زلازل في الوقت عينه، ووقع الغمر أو الإغراق غير العادي بعدئذ، الذي كان الطوفان الثالث قبل الدمار الكبير الذي حلَّ بديكاليون. لكنّ قمّة الأكروبوليس امتدَّت في الأزمان البدائية إلى الأريدانوس والأيليسيوس، وشملت البنيكس من جهة، والليكابتيوس كتخمٍ على جهة البنيكس المقابلة، وكانت كلّها مغطّاة بالتربة، وسوِّيت بأعلى قمة في المكان، ما عدا مكانٍ واحد أو مكانين. وسكن الحرفيّون خارج الأكروبوليس وتحت جهات القمة. وهكذا كانت حالة المزارعين الذين يحرثون الأرض بالقرب من المكان. أمّا الطبقة المحاربة فقد سكنت حول معابد أثينا وهيفياستوس على القمّة، تلك الطبقة التي فعلت أكثر من ذلك عندما طوَّقت وحصرت نفسها بسياج مفرد مثلما تُسيَّج جُنينة البيت الواحد. وسكنوا هم على الجانب الشماليّ بشكل مشترك، وأقاموا قاعات الاجتماع الكبيرة وحجرات الأكل للشتاء، وكان لديهم كلّ الأبنية التي احتاجوها لحياتهم المشتركة، بجانب المعابد. لكنّهم لم يُحلُّوا أجسادهم بالذهب والفضّة لأنّهم لم يستعملوها لأيّ غرض؛ وهم سلكوا الطريقة الوسطى بين المنّة والتفاخر أو المباهاة، وبنوا البيوت المتواضعة التي تربَّى فيها أولادهم وأحفادهم إلى سنٍ متقدّمة، وسلّموها إلى الآخرين الذين كانوا يشبهونهم، وكان الشيء عينه متَّبعاً على

الدوام. لكنّهم تركوا جنائنهم وألعابهم الرياضيّة وحجرات الأكل في فصل الصيف، واستعملوا الجهة الجنوبيّة من القمّة للغرض عينه. وهناك ينبوع ماء حيث هو الاكروبوليس الآن، والذي عطّله الزلزال، ولم يترك منه سوى جداول صغيرة لا تزال موجودة في المنطقة المجاورة. لكنّ الينبوع المائي هذا في تلك الأيّام أعطى مدداً غزيراً من الحياة للجميع، وكانت حرارته مناسبة في فصلي الصيف والشتاء. هكذا كانت طريقة سكنهم، كونهم حماة مواطنيهم الذين يخصّونهم وكانوا قادة الهيلينيّين بالعدد عينه من الرجال والنساء خلال الزمن كلّه، كونه العدد الذي يقدرون بواسطته على إنجاز الخدمة العسكريّة بشكل مسبق، أو الذي لا يزالون ينجزونها به - بمعنى، أنّ العدد هو حوالى العشرين ألفاً. هكذا كان الأثينيون الغابرون، وعلى غرار هذا الأسلوب أداروا مدينتهم وأرضهم على نحو صحيح، وكذلك فعلوا ببقية هيلاس. لقد كانوا يفوقون كلّ أوربا وآسيا بجمال أشخاصهم وبفضائل أرواحهم المتعددة، وكانوا هم الأكثر ألمعيّةً من كلّ الرجال الذين عاشوا في تلك الأيّام. وبعد ذلك، إنْ لم أنسَ ما سمعته حينما كنت طفلاً، فإنّني سأنقل لكم أخلاق وأصل أخصامهم. إنّ الأصدقاء يجب عليهم أن لا يحتفظوا بالقصص لأنفسهم، بل ينبغي أن تكون مُلْكاً مشتركاً.

ومع ذلك، وقبل أن أتقدّم أبعد من ذلك في سرد القصّة، يلزمني أن أحذّركم، بأنّه يجب عليكم أن تسمعوا بأسماءٍ هيلينية أُطلقت على الغرباء. سأخبركم سبب هذا: إنّ صولون، الذي قصد أن يستعمل القصّة لقصيدته، حقّق في معنى الأسماء، ووجد أنّ المصريّين المتأخّرين ترجموها إلى لغتهم الخاصّة حين تسجيلها، واستعادوا معنى الأسماء المتعدّدة عند نسخها ثم ترجموها إلى لغتنا مرّة ثانية. إنّ أجدادي لديهم الكتابة الأصلية لها، والتي لا تزال في ملكيّتي وعهدتي، وقمت بدرسها بعناية عندما كنت طفلاً.

ولذلك إنْ سمعتم بأسماء كتلك التي تُستعمل في هذه البلاد، فما عليكم أن تنشدهوا، لأنّني أُخبِرت كيف وضعت قيد الاستعمال. إنّ القصة، التي تعرّضت لتطويل كبير، ابتدأت كما يلي:

إنني علّقت قبلاً بالكلام عن توزيع الحصص للآلهة، وهو أنّهم قسّموا الأرض كلّها إلى أجزاء مختلفة الاتّساع، وأقاموا لأنفسهم معابد ودشّنوها بالأضاحي، وأنجب بوسايدون الأطفال بواسطة امرأة بشريّة، متلقياً قطعة أرض كي تكون ملكه وهي جزيرة أطلانتيس، وأسكنهم في جزء من الجزيرة هذه، والتي سأصفها. كان هناك سهل باتّجاه البحر، في نقطةٍ وسطٍ نزولاً بطول الجزيرة كلها، والذي قيل عنه إنّه أجمل السهول وأكثرها خصباً. وبقرب السهل، وفي وسط الجزيرة أيضاً لمسافة حوالى خمسين ستاديا، كان هناك جبلٌ لم يكن عالياً في أيّة جهة من جهاته. سكن في هذا الجبل واحد من رجال تلك البلاد البدائيّين الفانين، كان اسمه إيفينور، وكان له زوجة إسمها ليوسيبي، وكان لهما ابنة فقط كان اسمها كلايتو. وصلت العذراء هذه إلى الصّفة النسويّة في ذلك الحين، عندما توفّي أبوها وأمّها. وقع بوسايدون في حبّها وضاجعها، وخرق الأرض ثم طوّق القّمة التي سكنت فيها من كلّ جانب، جاعلاً مناطق من البحر والأرض أكبر وأصغر مساحة، مطوّقاً بعضها بعضاً. كانت هناك ثلاث مناطق من الماء واثنتان من الأرض، التي خرطها مثلما يُخرط الخشب بمخرطة، كلٌّ منها يمتلك محيطاً بعده متساوٍ من المركز في كل اتّجاه، وذلك كي لا يتمكّن أيّ رجل من دخول الجزيرة؛ لأنّ البواخر والرحلات لم تكن موجودة حتى ذلك الوقت. وهو نفسه، كونه إلهاً، لم يجد صعوبة في خلق ترتيبات خاصّة لوسط الجزيرة، فأخرج نبعين إثنين من تحت الأرض، واحداً منها للماء الحارّ وآخر للبارد، وأحدث كلّ أنواع الغذاء كي ينمو بوفرة من الأرض. وأنجب أيضاً وربّى

خمسة أزواج من الأطفال الذكور التوائم؛ وبعد أن قسّم جزيرة أطلانتيس إلى عشرة أقسام، أعطى للتوأم الأوّل الذي وُلِد مكان سكن أمه، أعطاه الحصّة المحيطة بالسكن، التي كانت الأكبر والأفضل، وجعله ملكاً على الباقين. وخلق من الآخرين أمراء، وأعطاهم السلطة كي يحكموا على الرجال الآخرين، مع مقاطعة كبيرة. سمّى الأكبر سنّاً أطلس، الذي كان أوّل ملك؛ وسمّيت باسمه الجزيرة بأكملها والمحيط أطلنتيك. أعطى لأخويه التوأمين، اللذين وُلدا بعده، قطعة أرضهما في أقصى الجزيرة باتّجاه أعمدة هرقل، في مواجهة البلاد التي تدعى الآن منطقة «غِيْدس» في ذلك الجزء من العالم، ومنحها الإسم الذي هو في اللغة الهيلينية يوميلوس، وفي لغة البلاد التي سمّيت باسمه، غاديروس، وسمّى أحد التوأمين مفيريس، ودعا الآخر إيفايمون. وأطلق إسم مينسيوس على الزوج الثالث الأكبر سنّاً من التوأمين، ومنح إسم أوثوختون إلى الزوج الذي تلا الثالث. وسمّى الأكبر سناً من الزوج الرابع للتوأمين أزايس، وسمى الأفتى ديابريس. كان كلّ هؤلاء والمتحدّرون منهم لعدّة أجيال، كانوا الساكنين والحاكمين لغطّاسي الجزر في البحر المكشوف. وكما قد قيل أيضاً، فإنّهم أمسكوا بالحكم في جهتنا على البلاد داخل أعمدة هرقل إلى حدود مصر وتيرهينايا. وبعدُ فإنّ أطلس كما كان لديه عائلة كريمة متعدّدة الأفراد، أبقوا على المملكة، والتي سلّمها الأخ الأكبر إلى من هو أصغر منه لأجيال عديدة؛ وكانوا يمتلكون مقداراً من الثروة التي لم تكن لدي أيّ من الملوك والحكام من قبل، وليس من المحتمل أن يمتلكها أبداً أيّ شخص مرّة ثانية، وكانوا مجهّزين بكلّ شيء يحتاجونه في المدينة والرّيف على حد سواء. إذ بسبب كبر إمبراطوريتهم واتساعها فإنّ أشياء عديدة أُحضِرت لهم من البلدان الأجنبيّة، وقدّمت الجزيرة نفسها أكثر مما احتاجره لاستعماله في الحياة. في المقام الأوّل حفروا في الأرض عميقاً

واستخرجوا كلّ ما وجدوه هناك، الجامد منه والسائل والذي لم يبق منه إلا الإسم، وكان يومها شيئاً أكثر من إسم، وحُفِر الأوريخالكوم خارج الأرض في أجزاء متعددّة من الجزيرة، كونه أكثر نفاسة من أيّ شيء آخر في تلك الأيّام ما عدا الذهب. ووُجدت الأخشاب بغزارة لعمل النجارين، وإعالة كافية للحيوانات الأليفة والبريّة. بالإضافة إلى ذلك كان هناك عدد كبير من الفيلة في الجزيرة؛ إذ كما وُجد احتياط من كلّ أنواع الحيوانات الأخرى، تلك التي تعيش في الجبال وفي السهول، وأيضاً تلك التي تعيش في البحيرات والمستنقعات والأنهار، كان هناك احتياط للحيوان الذي هو الأكبر والأكثر شراهة من جميع الحيوانات. ومهما وُجد الآن في الأرض من الأشياء العطرة أيضاً، سواء إذا كانت جذوراً، أو أعشاباً، أو أخشاباً، أو عطورات استُقطرت من الفواكه والأزهار، فإنّ الذي وُجد من كلّ هذه الأشياء فإنّما نما وازدهر في تلك الأرض. كانت هناك أيضاً الفاكهة التي تتقبّل الحراثة، من النوعين الجافّين كليهما، اللذين أُعطيا لنا للتغذية وأيّ نوعٍ آخر نستعمله للأكل - إنّنا نسمّيهما بالإسم المشترك للحبوب. وكانت هناك الفواكه التي لها قشرة صلبة، وتقدم شراباً ولحوما ومراهم، ومخزون جيّد من الكستناء وما شابه، والتي تمدّنا باللذّة والسلوى. ووجدت الفواكه التي تُفسَد إنْ احتُفظ بها، وكانت هناك الأنواع السارّة من الحلوى، التي نسلّي بها أنفسنا بعد الغذاء، عندما نكون تعبين من الأكل - كلّ هذه الأشياء أثمرتها الجزيرة المقدّسة التي شاهدت نور الشمس. إنّها أثمرتها جميلة ورائعة وغير محدودة في الوفرة. إنّ الأرض جهّزت القاطنين هناك بنعمٍ كهذه وبحريَّة؛ في حين أنّهم استمروا في بناء وتشييد معابدهم وقصورهم وموانئهم وأحواض سفنهم، ونظّموا البلاد كلّها بالطريقة التالية:

أقاموا الجسور فوق المقاطعات البحريّة قبل كلّ شيء فأحاطت بالولايات الأم

الغابرة، مشيّدين طريقاً من القصر الملكي وإليه. وبنوا القصر بالتحديد في مكان سكن الإله وحيث يقطن أسلافهم، والذي استمرّوا في زخرفته في الأجيال المتعاقبة، وبزَّ كلّ ملك منهم الملك الآخر الذي قضى قبله إلى أقصى قوّته في ذلك العمل، إلى أن جعلوا هذا البناء معجزة بالنظر لحجمه وجماله. وحفروا ابتداءً من البحر قناة بعرض ثلاثمائة قدم بعمق مائة وبطول خمسين ستاديا، وأنجزوها إلى النطاق الأكثر بعداً، محدثين ممرّاً من البحر صعوداً إليها، وأصبح هذا الممرّ ميناءً، تاركين ثغرة كافية كي تمكّن المراكب الأكبر لتجد مدخلاً فيه. بالإضافة إلى ذلك فإنّهم قسّموا على الجسور مناطق من الأرض التي جزّأت مناطق البحر، تاركين متّسعاً لسفينة ذات مجاذيف ثلاثة كي تخرج من منطقة إلى أخرى، وغطّوا الأقنية وذلك كي يسمحوا بإيجاد طريق تحتيّة للبواخر لأنّ الحفافي كانت مرتفعة فوق الماء بشكل لا بأس به. وبعدُ فإنّ أكبر المناطق التي كان فيها الممرّ منفصلاً عن البحر كان عرضها ثلاث ستاديات؛ لكنّ المنطقتين التاليتين، إحداهما مائية، وأخرى من اليابسة، كان عرضهما ستاديومين اثنتين. أمّا التي أحاطت بالجزيرة في الوسط فكان عرضها ستاديوم واحدة. والجزيرة التي أُقيم عليها القصر كان قطرها خمس ستاديات. يشمل هذا كلّه المناطق والجسر، والتي كانت سدس الاستوديوم في العرض، وكانت محاطة بجدار صخريّ من كلّ جانب، مركّزين الأبراج والبوّابات على الجسور حيث كان يتداخل البحر في البرّ. أمّا الحجر الذي كان يُستخدم في العمل فإنّهم استخرجوه من مقلعٍ تحت الجزيرة في الوسط، ومن تحت المناطق الأخرى، على الجانب الداخليّ والجانب الخارجيّ أيضاً. وكان نوعٌ منه أبيض، وآخر أسود، وثالث أحمر. وإذ كانوا يقلعونه، جوّفوا أحواض السفن في الوقت عينه، جوّفوها في الداخل بشكل مضاعف، مشكّلين سقوفاً من الصخور الطبيعيّة في

عملهم هذا. كانت بعض أبنيتهم أبنية بسيطة، لكنّهم وضعوا حجارة مختلفة في تشييد الأبنية الأخرى، منوّعين ألوانها كي تسرّ النظر، ولتكون مصدر بهجة طبيعيّة. وأما محيط الحائط كلّه، الذي امتدَّ دائرياً إلى المنطقة الأبعد، فقد غطّوه بطبقة من النحاس الأصغر، وغطّوا محيط الحائط المجاور بطبقة من القصدير. وأمّا محيط الحائط الثالث، الذي طوّق الحصن فإنهم أضاؤوه بالنور الأحمر من الأوريخالكوم «ORICHALCUM». وبُنيت قصور الحصن الداخلية على هذا النحو: كُرّس المعبد المقدَّس في الوسط لكِلايتو وبوسايدون، الذي بقي متعذّراً بلوغه، وكان هذا المعبد المقدّس محاطاً بسياجٍ من الذهب؛ كانت هذه البقعة هي المكان حيث تصوَّرت عائلة الأمراء العشرة وحيث رأى أفرادها النور. وهناك أحضر الشعب فواكه الأرض في وقتها سنوياً من كلّ الأقسام العشرة، كي تكون تقدمة لكلٍّ من هؤلاء الأمراء العشرة. كان هناك معبد بوسايدون الخاصّ الذي كان طوله ستوديوم، وعرضه نصف طوله، وكان علوه متناسباً، وكان له مظهر بربري غريب. وغطّوا كلّ مظهر المعبد الخارجيّ بالفضّة، ما عدا الأبراج التي غطّوها بالذهب. وكان سقف المعبد من الداخل مصنوعاً من العاج، مشغولاً بالذّهب والفضة والأوريخالكوم في كلّ مكان بشكل مدهش؛ وغطّوا كلّ أجزاء الأقسام الأخرى، الحيطان والأعمدة والأرض، غطّوها بالأوريخالكوم، وركّزوا في المعبد تماثيل من الذهب. هناك كان الإله ذاته واقفا في عربة ـ عربة ذات ستّة أحصنة مجنّحة ـ ومن هكذا حجم تمكّن كل حصان من ملامسة سقف البناء برأسه؛ ووُجد حوله مئة ناريدة[٥٤] راكبا على الدولفينات. إنّ رجال تلك الأيّام ظنّوا أنّ هذا العدد كان مطابقاً لها. وكانت هناك أيضاً صورٌ أخرى كُرّست لأشخاص مخصوصين في داخل هذا المعبد. ووُضِعت حول المعبد من الخارج تماثيل من الذهب لكلّ مَنْ كان

مُعدّاً من بين الملوك العشرة، تماثيل لهم ولزوجاتهم بالتساوي، وكان هناك العديد من التقديمات الكبيرة الأخرى، قدّمها الملوك وخواص الأشخاص الذين أتوا من المدينة نفسها ومن المدن الغريبة التي سيطروا عليها. لم يكن هناك مذبح أيضاً يتطابق في الحجم والصَّنعَة لهذه الفخامة. وأمّا القصور فإنّها تنطبق على عظمة المملكة وعلى مجد المعبد في أسلوب مماثل.

وفي المقام التالي، كانت لديهم ينابيع، أحدها مياهه باردة والآخر مياه حارّة تتدفّق بغزارة ورشاقة؛ وكان النبعان مهيَّأين للاستعمال بشكل رائع بسبب صفائهما وامتياز مياههما. وبنوا الأبنية حولهما وغرسوا الأشجار المناسبة، وصنعوا الأحواض أيضاً، بعضها مكشوف للسماء، والبعض الآخر تغطيه السقوف، وذلك كي تُستعمل في فصل الشتاء كحمّامات حارّة؛ وكانت هناك حمامات الملوك، وحمّامات الأشخاص الخاصّين، التي أُبقيت منفصلة. وكانت هناك حمامات منعزلة للنساء، وللأحصنة والقطعان، وأعطوا لكلّ منها ما كان مناسباً له من الزينة. وحملوا بعض الماء الفائض عن حاجاتهم إلى أيكة بوسايدون، حيث كانت تنمو كلّ أنواع الأشجار الشامخة الجميلة، بسبب امتياز التربة، في حين أنّ ما تبقّى من المياه نُقِل بواسطة أقنيةٍ لجرّ المياه على طول الجسور التي للدوائر الخارجية. وكان هناك العديد من المعابد التي بُنيت وكُرّست للآلهة المتعدّدة. وبُنيت أيضاً الجنائن وأماكن التمارين الرياضيّة، بعضُها للرجال، وبعضها الآخر للأحصنة، بُنيت في كلا الجزيرتين الإثنتين المتشكلتين من المناطق. ووُضع في وسط المنطقة الأكبر منهما، مضمارٌ منفصل عرضه ستوديوم، وتُرِك يمتدّ طولاً حول الجزيرة كلّها، كي تتسابق الأحصنة فيه. وكان هناك أيضاً حرسٌ للأحصنة في فسحات للحرس الرئيسية، في حين أنَّ مَنْ حاز منهم الثقة الأكبر عُيِّنوا ليبقوا يقظين في المنطقة الأصغر التي كانت أقرب إلى الأكروبوليس؛ بينما كان لدى الأكثر

ثقةً من الجميع بيوت قُدِّمت لهم داخل المعقل، قرب أشخاص الملك. كانت أحواض السفن ممتلئة بالسفن ذات المجاذيف الثلاثة والمخازن البحريّة، وكان كلّ شيءٍ جاهزاً للاستعمال تماماً. والآن نكتفي بهذا القدر عن تصميم القصر الملكيّ.

لنترك القصر ولنمرَّ من خلال الموانىء الثلاثة، ولنصل إلى سورٍ يبتدىء في البحر ويمتدّ حول المكان. كان هذا السور طويلاً لمسافة خمسين ستاديا عند أكبر منطقة أو ميناء في كل ناحية، وطوّق الجميع، وتلاقت نهاياته في مدخل القناة التي قادت إلى البحر. امتلأت المساحة هذه كلّها بالسكّان بشكل كثيف. وكانت القناة والموانىء الأكبر ممتلئة بالقوارب والتجّار الآتين من كلّ الأنحاء، الذين أبقوا على استمراريّة ضجيج الأصوات الإنسانية بسبب كثرة عددهم، وصمّوا الآذان بالجلبة والهذر ليلاً نهاراً ومن كلّ نوع.

لقد وصفت المدينة وما يحيط بالقصر القديم حسب كلمات صولون على وجه التقريب. وبعدُ يجب أن أجهد كي أعرض لكم طبيعة وترتيب باقي الأرض. قال إنّ البلاد كلّها كانت شامخة العلوّ وشديدة الانحدار بجانب البحر؛ لكنّها كانت مسطّحة وسهلة قرب وحول المدينة التي كانت من جانبها محاطة بالجبال التي هبطت نحو البحر. كانت الأرض ملساء ومستوية، وذات شكل مستطيل، وامتدّت لثلاثة آلاف ستاديا في اتّجاه واحد. إنّ هذا الجزء من الجزيرة كان متّجهاً نحو الجنوب، وكان محميّاً من الناحية الشمالية. كانت الجبال مشهورة لكثرتها وحجمها وجمالها، أكثر بكثير من تلك الجبال التي لا تزال باقية، وكان على قممها العديد من القرى الغنيّة أيضاً ويقطنها أهل الرّيف. وكانت فيها الأنهار، والبحيرات، والمروج المتعدّدة التي زوّدت كلّ حيوان بالغذاء الكافي، البرّي منه والأليف. وكان على الجبال أيضاً الأخشاب الكثيرة المتعدّدة الأنواع، والمتوفّرة لكلّ نوعٍ من أنواع العمل.

سأصف السهل الآن، الذي شكلته الطبيعة وعمّال الملوك منذ أجيال متعدّدة خلال العصور الطويلة. كان الجزء الأكبر منه مستطيل الشكل بالطبيعة، وقد جُعِل منتَظَماً بالحفرة المطوّقة حيث انتهى بالخطّ المستقيم. إنّ عمق، وعرض، وطول هذه الحفرة أشياء لا تُصدَّق، وأعطت انطباعاً أنّ العمل لهكذا امتداد، بالإضافة لأشياء أخرى متعددة، لا يمكن أن يكون عملاً اصطناعياً أبداً. وعليّ أن أقول ما قد أُخبِرت به برغم ذلك. إنّها كانت محفورة إلى عمق مئة قدم، وكان عرضها ستوديوم في كلّ مكان، وكانت محمولة حول السهل كله، وكان طولها عشرة آلاف ستاديا. وتلقّت الجداول التي هبطت من الجبال مجتمعةً مخترقةً السهل وملتقيةً في المدينة، ثم حُوّلت هناك إلى البحر. وأبعد من ذلك، فلقد فُصِلت منها أقنية مستقيمة عرضها مئة قدم عبر السهل في الداخل بشكل مماثل، وحُوّلت إلى الحفرة مرّة ثانية، تلك الحفرة التي تقود إلى البحر. كانت هذه الأقنية ذات فسحات من مئة ستاديا، وهُمُ جلبوا الأخشاب من الجبال إلى المدينة بواسطتها، ونقلوا فواكه الأرض في بواخر، مجتازين الممرّات بالعرض من قناةٍ إلى أخرى، ومن ثمَّ إلى المدينة. وجمعوا فواكه الأرض مرّتين في السنة ـ يساندهم مطر السماء في فصل الشتاء، وفي فصل الصيف المياه التي زوّدتهم بها اليابسة، عندما وضعوا قيد الاستعمال جداول من الأقنية للريّ.

ومن جهة السكّان، فإنّ كلّ قطعة من الأرض في السهل كان على ساكنيها أن يجدوا قائداً للرجال الذين كانوا مؤهَّلين للخدمة العسكريّة، وكانت مساحة هذه القطعة عشر ستاديات من كلّ جانب، وكان العدد الإجمالي لكلّ قطعة ستين ألفاً. كانت هناك كثرة كبيرة من القاطنين على الجبال وفي بقيّة البلاد أيضاً، والذين كانوا موزّعين وسط قطع الأرض هذه وكان لهم قادة عُيِّنوا عليهم طبقاً لمناطقهم وقراهم، وكانوا هم بحاجة إلى قائدٍ كي

يجهّز للحرب سدس حصّة العربات الحربيّة، وذلك كي يتمّ له جمع عشرة آلاف عربة حربيّة بشكل تامّ. وكان لكل عربة حصانان ورِكاب وزوجان من الأحصنة بدون عربة، يرافقها فارس يستطيع أن يحارب راجلاً ويحمل مجنّاً صغيراً، وبحوزته عربة وقفت خلف الرجل الذي يحمل السلاح كي ترشد الحصانين. وكان ملزماً أيضاً بأن يقدّم جنديين مدجّجين بالسلاح الثقيل وكذلك قاذفين للسّهام، وجنديّين يحملان المقلاع، وثلاثة رجال من راشقي الحجارة، وثلاثة من حاملي الرماح الذين كانوا مسلّحين تسليحاً خفيفاً، وأربعة بحّارة كي يجهّزوا ما تمامه ألف ومائتا باخرة. هكذا كان النظام العسكريّ للمدينة الملكيّة. أمّا نظام الحكومات التسع الأخرى فإنّه كان نظاماً متنوّعاً، وسيكون شيئاً مرهقاً أن أعدّ تبايناتهم المتعدّدة من جديد. وفيما يخصّ المراكز والكرامات، فكان نظام ترتيبها منذ البدء كالآتي: كلٌّ من الملوك العشرة في مقاطعته الخاصّة وفي مدينته، تحكّم تماماً بالمواطنين، وفي أكثر الأحايين، بالقوانين، معاقباً وقاتلاً أيّ شخص يريد. وبعدُ فإنّ نظام الأسبقية بينهم وبين أقربائهم المشتركين نُظّم بأوامر بوسايدون التي سلّمها لهم. إنّ هذه القوانين نسقها الملوك الأوَل على أعمدة أوريخالكوم، التي رُكّزت في وسط الجزيرة، في معبد بوسايدون، حيث كان يتجمّع الملوك معاً كل سنة خامسة وسادسة بالتناوب، ومنحت هذه القوانين تكريماً متساوياً للعدد المفرد والمزدوج. وعندما اجتمعوا معاً تبادلوا الرأي بشأن مصالحهم المشتركة، وتحقّقوا إنْ كان أيّ شخص انتهك القانون في أيّ شيء، وأصدروا حكماً عنه. وقبل إصدار هذا الحكم تعهّدوا لبعضهم البعض على هذا النحو: كانت هناك الثيران التي وُجدت في معبد بوسايدون، وكون الملوك العشرة تُركوا لوحدهم في المعبد، وبعد أن قدّموا صلوات لله كي يتمكّنوا من أسر الضحيّة التي كانت مقبولة له، بعد أن فعلوا ذلك، اصطادوا

الثيران بدون أسلحة، لكن بالعصي والأشراك. أمّا الثور الذي التقطوه فقد قادوه إلى العمود وقطعوا رقبته من أعلاها، وذلك كي يسقط الدمّ على النقش المقدَّس. وبعدُ فإنّ ما نُقِش على العمود بجانب القوانين، نُقِش مستحضِراً اللّعنات العظام على العاصين. ولهذا السبب، بعد أن ذبحوا الثور بالأسلوب المعتاد، تقدّموا ليحرقوا أطرافه فملؤوا طاسة بالنبيذ ورموا فيها كتلة من الدم لكل منهم؛ أمّا بقية الضحيّة فقد رموها في النار، بعد أن طهَّروا العمود من كلّ جانب. وبعدئذ سكبوا ما في الطاسة في فناجين ذهبيَّة، وصبّوا السائل على النار، وأقسموا بأنّهم سيحكمون طبقاً للقوانين الموجودة على العمود، وسيعاقِبون من ينتهكها في أيّة نقطة عن سابق تصوّر. ولن يُسيئوا مستقبلاً، إنْ استطاعوا، أو يفعلوا ضدّ ما كُتب على العمود، ولن يأمروا الآخرين، أو يطيعوا أيّ حاكم يأمرهم أن يفعلوا بشكل مخالف لِمَا سُطِّر في قوانين أبيهم بوسايدون. كانت هذه هي الصلاة التي قدَّمها كلّ منهم لنفسه وللمتحدّرين منهم. وفي الوقت عينه بعد أن شربوا ما في الكأس وكرّسوا الكأس الذي شربوه في معبد الإله، وبعد أن تجرّعوه وأشبعوا رغباتهم، وعندما حلَّ بهم السّكْر، وبردت النار حول التضحية، ارتدى كل منهم الثوب اللّازورديّ الأجمل وجلسوا على الأرض ليلاً ثم تلقّوا وأصدروا الحكم فوق جذوات التضحيات التي أقسموا بها، ثم أخمدوا النار كلّها حول المعبد، هذا إذا كان لأحدهم أيّ اتّهام كي يحضره ضد أيّ واحد منهم. وعندما أصدروا حكماً، كتبوا العقوبات على لوحاتٍ ذهبيّة عند طلوع ضوء النهار، وكرّسوها مع ثيابهم كي تكون أشياء يتم تذكرها على الدّوام.

كانت هناك عدة قوانين خاصّة منقوشة حول المعابد طالت الملوك العديدين، لكنّ الأكثر أهميّة منها كنت ما يلي: لم يُسمح لهم بشهر السلاح ضدّ

بعضهم، وكان عليهم جميعاً أن يأتوا لنجدة بعضهم إن حاول أيّ شخصٍ في أيّ مدينة من مدنهم أن يقلب البيت الملكيّ، وكان عليهم مثلما فعل أسلافهم أن يتداولوا بشأن الحرب والقضايا الأخرى معاً، واهبين السيادة إلى المتحدّرين من أطلس، ولم يكن للملك أن يحوز سلطة الحياة والموت فوق أيٍّ من أقربائه إلاّ إذا تلقّى قبولاً من أكثريّة الملوك العشرة.

هكذا كانت السلطة الواسعة التي وطّدها الإله في جزيرة أطلنتيس المفقودة، ووجّه هذه السلطة ضدّ أرضنا بعد ذلك للأسباب التالية، كما يخبرنا العرف والتقليد: كان أجدادنا يطيعون القوانين لعدّة أجيال، طلما بقيت فيهم الطبيعة الإلهية، وطالما ظلوا ميّالين نحو الإله، وهم الذين كانوا ذريّته؛ فهُمْ امتلكوا الحقيقة وكانت لهم النفوس العظيمة في كلّ طريقة، موحّدين اللّطف مع الحكمة في كلّ إمكانيات الحياة، وفي علاقاتهم بعضهم مع بعض. إنّهم احتقروا كلّ شيء إلاّ الفضيلة، لا يهتمّون إلا قليلاً بحالة حياتهم الحاضرة، ويستخفّون بامتلاك الذهب والأشياء الأُخرى، والتي بدت لهم عبئاً ثقيلاً فقط عليهم. ولم يُسكرهم الترف، ولا جرّدهم الغنى من ضبط أنفسهم وأهوائها؛ بل كانوا متّسمين بالاعتدال والرّصانة، ورأوا بوضوح أنّ كلّ هذه الخيرات تزداد بالفضيلة ومصادقة بعضهم بعضاً، في حين رأوا أنّهم إذا اعتبروا واحترموا الغنى والترف وتركوا الخيرات الأخرى فسيضلُّون ضلالاً مبيناً. بهكذا تأمّلات عقليّة وباستمراريّة الطبيعة الإلهية فيهم، فإنّ النوعيّات التي وصفناها نمت في نفوسهم وازدادت بينهم، لكن عندما ابتدأ الجزء الإلهيّ يخبو ويتضاءَل، وأصبح يخفّ جدّاً، وكثيراً جدّاً بالمزيج الفاني، وكانت الطبيعة الإنسانية لها اليد العليا عليهم، وتصرّفوا عندئذٍ بشكل غير لائق كونهم غير قادرين على أن يتحمّلوا قَدَرهم، ومن ثمّ ازدادوا مذقاً لمن له عينان لترى، وبدأ قدرهم ينحطُّ بشكل جليّ لأنّهم فقدوا أجمل وأثمن

عطاياهم. لكنهم بدوا لأولئك الذين لا يملكون عيوناً لترى السعادة الحقيقية بدوا ممجّدين ومباركين في الوقت الذي أفسدهم الطموح والقوّة الباطلة. إنّ زيوس، إله الآلهة، الذي يحكم طبقاً للقانون، والذي يقدر على أن يرى في أشياء كهذه، مدركاً أنّ جنساً كريماً شريفاً كان في مأزق حرج ومحزن، وراغباً في أن ينزل العقاب عليهم كي يمكنهم أن يتطهّروا ويتهذّبوا ويتحسّنوا، جمع الآلهة كلهم في مسكنهم الأقدس، والمركّز في وسط العالم، وشاهد كلّ الأشياء المخلوقة، ودعاهم معاً حينئذ، وقال لهم ما يلي:

هوامش

(١) او: «لان عملية الكلام هي واحدة من عمليات تخصيص الاسماء». «المعرّب».

(٢) «الحقيقة» كان العنوان لكتاب بروتاغوراس.

(٣) المرجع الالياذة «القمة التي يسمّيها الرجال باتيا ويسميها الخالدون ضريح ميرينا الرياضية».

(٤) الالياذة «المعرّب».

(٥) «انصاف الآلهة» كلمة تُستعمل يونانياً كونها متوسطة بين الله والانسان.

(٦) الشاعر هيسيود، الاعمال والايام.

(٧) الالياذة. والأم تيثيس ابنة يورانوس وزوجة اوقيانوس في الاسطورة اليونانية

(٨) المرجع، الجمهورية.

(٩) يبدو انه يوجد خطأ في المخطوطات.

(١٠) كراتيلوس

(١١) الدوريانز، شعب غزا بلاد الاغريق حوالي القرن ١٢ ق.م. واستقر في دوريس ولاكونيا من بلاد اليونان

(١٢) كراتيوس

(١٣) الالياذة

(١٤) وكما ورد في محاورة طيماوس، حيث ان اليوم يشتق من النور اللطيف.

(١٥) الاشارة الى مقطع سابق من هذه المحاورة

(١٦) او، «وتقود بشكل متين الى اخطاء من حجم كبير».

(١٧) الاشارة الى بروتاغوراس

(١٨) الاشارة الى الجمهورية

(١٩) الاشارة إلى كتاب السياسة لارسطو

(٢٠) الاشارة الى كتاب السياسة لارسطو

(٢٥) الاشارة الى جورجياس «المعرب».

(٢٦) الاشارة الى مقطع سابق من هذه المحاورة

(٢٧) الساطير اله من آلهة الغابات عند الاغريق، له ذيل وأذنا فرس، وكان يتميز بولعه الشديد بالقع والعربدة، وبانغماسه في الملذات.

(٢٨) الاشارة الى كتاب السياسة لارسطو

(٢٩) السيرانة واحدة من مجموعات كائنة اسطورية «عند الاغريق» لها رؤوس نسوة واجساد طيور، كـ تسحر الملاّحين بغنائها فتقودهم موارد الهلاك. «المعرب».

(٣٠) الاشارة الى مسرحية اريسطو فاينز، الضباب.

(٣١) الاشارة الى محاورة جورجياس.

(٣٢) الاشارة الى محاورة هيبياس الاصغر.

(٣٣) كانت الـ choes تساوي حوالي ستة باينتات Pints في اليونان القديمة.

(٣٤) انه سقراط نفسه.

(٣٥) الاشارة الى محاورة جورجياس

(٣٦) الاشارة الى الالياذة

(٣٧) اي انه اوديسيوس في الاسطورة اليونانية

(٣٨) برايم في الاسطورة اليونانية، آخر ملوك طروادة الذي حكم اثناء حرب طروادة، وهو اب هيكتور با

(٣٩) ثيتيس في مجموعة الاساطير اليونانية هي ام اخيل، وواحدة من بنات نيريوس الخمسين

(٤٠) الاشارة الى محاورة فيدون

(٤١) الاشارة الى محاورة جورجياس، والجمهورية

(٤٢) الاشارة الى محاورة سيمبوزيوم

(٤٣) الاشارة الى محاورة سيمبوزيوم وما يليها

(٤٤) الاشارة الى محاورة سيمبوزيوم

(٤٥) بنلوبي، الزوجة الأمينة لِوليسيس والتي حُوكمت من قبل مدّعين أثناء غيابه والتي [illegible]

(٤٦) الإكليسيا، في الدول اليونانية الغابرة، الجمعية العمومية للمواطنين اليونانيين التي تبحث في الأغراض السياسية.

(٤٧) أكايا، مقاطعة في بلاد اليونان القديمة، هكذا استخدم الكلمة هوميروس. يُظن أنّ الأكايين هاجروا من شمالي مقاطعة الدانوب إلى اليونان في سنة ١٣٠٠ ق.م.

(٤٨) زورروستر أو زرادشتا، مؤسّس الديانة الفارسية القديمة، الزرادشتية، في القرن السادس والسابع قبل الميلاد.

(٤٩) الهيلوطيوين، شعب سكن لاقوينا في اليونان القديمة، ثم استعبدهم الإسبرطيون.

(٥٠) الإشارة إلى الجمهورية وما يلي.

(٥١) الاشارة الى كتاب السياسة لارسطو

(٥٢) الاشارة الى اعمال ثيوسيدايدس

(٥٣) الاشارة الى محاورة طيماوس

(٥٤) الناريدة، واحدة من حوريّات البحر زعمت الاسطورة الاغريقية انهنّ بنات اله البحر نيريوس، «المعرب»

أفلاطون

المحاورات الكاملة

المجلد الخامس

محاورة فيدروس
محاورة ثياثيوس
محاورة فيليبوس
محاورة طيماوس

نقلها إلى العربية
شوقي داود تمراز

الأهلية للنشر والتوزيع

بيروت ١٩٩٤
إصدار: الأهلية للنشر والتوزيع
بيروت - الحمراء، بناية الدورادو
ص.ب.: ١١٣٥٤٣٣ - هاتف: ٥٤١٥٧٠

المحتويات

محاورة فيدروس

أفكار المحاورة الرئيسيّة

يلتقي سقراط فيدروس، الآتي من بيت ليسياس بن سيفالوس، ويسأله إلى أين يذهب، فيردّ عليه بأنه ذاهب ليتمشى خارج السور. يقول له سقراط: أفترض أن ليسياس روى على مسمعك مقالةً ذات متعة بالغة. يجيبه ليسياس، أنّه سيقصّها عليه إذا كان عنده متسع من الوقت كي يصحبه حيث يسير. يبدأ فيدروس الكلام، بأنّ قصّته من النّوع الذي يحبّه سقراط، وأنّ الحبّ هو الموضوع الذي تحدّث عنه ليسياس، إنّه حبّ بحسب صياغة ما، وليسياس كتب عن شابّ وسيم لم يُغْوِهِ محبٌّ، وبرهن أنّ اللاّمحبّ يجب أن يُقبلَ بدلاً من المحب بشكلٍ بارع، وكانت هذه الغاية هي هدف المحادثة.

أجابه سقراط: إنّي توّاق لأسمع المحادثة كلّها، حتى ولو مشيت الطريق بطولِهِ إلى ميغارا. لكن ينبغي أن تبيِّن ما تخبّئه تحت عباءَتك، يا فيدروس، وأظنّ بأنّها المخطوطة التي تتكلّم عنها، بل هي المحادثة الحقيقيّة عينها؛ لذلك دعنا نختار المكان المناسب الذي سنجلس فيه. أعتقد بأنّه سيكون بمحاذاة نهر إيسيلوس، تحت تلك الشجرة الباسقة، حيث الظلّ الظليل والنسيمات العذاب، وحيث العشب الأخضر الطريّ الذي بوسعنا أن نتمدّد عليه.

وهكذا، وبعد أن وصلنا إلى هذا المكان التاريخي، الذي لم آتِ إليه قطّ، ولم أذهب إلى أيّ مكان آخر تقريباً خارج مدينة أثينا، وسبب ذلك أنّي إنسانٌ محبٌّ للمعرفة، والرجال الذين يسكنون في المدينة وليس الأحجار أو الأشجار، يا فيدروس، هم معلّميّ. لكنّك استطعت أن تخرجني منها، عندما أغريتني بالمحادثة التي تحملها تحت عباءَتك.

أخرج فيدروس المخطوطة من تحت عباءته وبدأ يقرأ. كان ما احتوت عليه، أنّ اللامحبّ يجب أن يُقبل بدلاً من المحبّ، لأنه أكثر عقلانيّة، أكثر انسجاماً، أكثر صبراً، أكثر صداقة، أكثر إخلاصاً، أقلّ ريبةً، أقلّ أذيّةً، أقلّ تباهياً، أقلّ افتتاناً ولأنّ هناك أكثر عدداً من اللامحبين. وكذلك بسبب أشياء أخرى كثيرة ومتعددة، هي خالية من المعنى كما هي سابقاتها على حدٍّ سواء. إنّ فيدروس كان مأسوراً بجمال المكان وزمانه، وكان مفتوناً بامتياز المحادثة التي قدَّمها، وكذلك بروعة لغتها بشكلٍ خاصّ وذلك عندما قال: إنّي لا أعتقد بأنّ أيّ هيليني يقدر على أن يتكلّم أكثر ممّا قلته عن اللامحبّ والمحبّ، أو أن يطرح موضوعاً أفضل من الموضوع الذي طرحته. لهذا أسألك، يا سقراط، أن تعطيني رأيك الحقيقي بشأنه.

أجابه سقراط: وهل يتوقّع أحد منّي ومنك أن نثني على عواطف المؤلّف، أو على وضوح وكمال وإنجاز، ومباراة اللغة فقط؟ يساورني الشكّ في إمكانيّة الدفاع عن محادثتك، وأعقّب على ما ورد فيها أنّ ليسياس ردَّد ما قاله مرّتين أو ثلاث مرّات، ويبدو أن ليسياس يتباهى جذلاً، لقدرته على أن يقول الشيء عينه جيّداً بطريقتين مختلفتين. وإنّي لمتأكّد، يا فيدروس، بأنّني سمعت حديثاً عن الحبّ أفضل بكثير من الحديث الذي قدّمته لي، ولربّما كان لسابهو الجميل، أو لأناكريون الحكيم، أو لكاتب نثريّ آخر.

أصرَّ فيدروس على سقراط، أن يردّد له ما سمعه، وإذا كان ذلك أفضل من القصّة التي تلاها هو عليه، فإنّه يَعِده بأن يقيم له نصباً ذهبياً في معبد دلفي كبيراً كالحياة. بل إنّه هدَّد سقراط، إنْ لم يروِ له حديثاً أفضل من حديث ليسياس فسيمنعه من مغادرة المكان، وأقسم بأنّه لن يروي أيّ حديث لأيّ مؤلفٍ أبداً مرّة ثانية.

بدأ سقراط حديثه بدعوة آلهات الغناء والشعر والفنون والعلوم كي يساعدنه في سرد ما سيقوله. إفترض سقراط، وجود صبيٍّ جميل في زمنٍ مضى، وكان هذا الصبيٍّ شابّاً وسيماً ولديه العديد من المحبّين، وكان أحدهم جذّاباً وهو الذي تعقّب

الفتى الذي لم يبادله الحبّ، لكنّه أحبّه أكثر ممّا أحبّ الآخرين حقاً. وذات يوم خاطبه بقوله، إنه يلزمه أن يقبل اللامحبّ بدلاً من المحبّ. أمّا كلماته فكانت على الشكل التالي:

« إنّ كل النصائح الخيّرة تبدأ بالطريقة عينها، ويجب على كُلّ إنسانٍ أن يعرف ما ينصح بشأنه، وإلاّ فإنّ نصيحته لن تصل إلى أيّ شيء. غير أنّ أكثر الناس لا يعرفون شيئاً عن جوهر طبيعة الأشياء ولذلك يقعون في التناقض لفرط جهلهم. وينبغي على كلّ إنسانٍ أن لا يقع في هذا الخطأ العظيم. وإذا ما كنّا سنفضّل المحبّ أو اللامحبّ، يا فيدروس، فيلزمنا أن نتّفق على تعريف طبيعة وقوة الحبّ، وأن نلتزم بما يُحتكم إليه، ويجب أن نسأل كذلك، إذا ما كان الحبُّ يجلبُ فائدة أو ضرراً لمن يقع فيه.

هناك مبدآن اثنان في كلٍّ واحد منا وهما يقوداننا حيث يشاءان. أحدهما هو الرغبة الطبيعيّة للّذة، وأما الآخر فهو رأي مكتسب يتوق إلى الأفضل. وهذان المبدآن يكونان في تناسق بعض المرات مع بعضهما بعضاً، ومن ثمّ فهما في حالة حرب. عندما تحكم فينا الرغبة، التي هي خلو من العقل، وتجرّنا إلى اللذّة، قوّة سوء الحكم تلك تدعى إفراطاً. والإفراط له أسماء عدّة، ويُسمّى من يمتلكه باسم ليس شريفاً ولا جديراً بالاعتبار. فلذّة الأكل والرغبات الأخرى، كمثال، تسمى نَهَماً، والذي يمتلكها يدعى شرِهاً. وتجعل رغبة الشراب الاستبدادية متملّكها ينحدر إليها انحداراً، وهذا النوع هو نوع مسيطر على الإنسان. أمّا النوع الثاني فتسمى حكومته العدل، وذلك عندما يقودنا الرأي بمساعدة العقل إلى الأفضل، ويبرهن على أنّ الأفضل هو أسمى وأعلى. والحبّ ينشأ من تلك الرغبة اللاعقلانيّة التي تُخضع ميل الرأي نحو الحق. وهذه الرغبة بالتمتع بالجمال، وخاصّة الجمال الشخصيّ، تحملها الرغبات التي تكون من أصلها وطبيعتها التي تخصّها ـ أقول، إنّ تلك الرغبة الأبرز تُعزّز وتُدعّم، وتتلقى إسماً من هذه القوّة بالتحديد، وهذا الإسم يدعى

الحبّ، والآن، ماذا تقولُ عنّي، يا فيدروس، هل تعتبرني ملهماً مثلما أبدو لنفسي؟

نعم، يا سقراط، إنّك لكذلك.

إستمِع إليّ في صمتٍ إذن، فالمكان مقدسٌ بكلّ تأكيد، ولا تتعجّب إذا ظهرت في جنون إلهي أثناء حديثي. لهذا أقول، بأنّنا عرفنا طبيعة الموضوع الذي نحن بصدده، لكن دعنا نحقّق الآن في النفع أو الضرر اللذين من الممكن انبثاقهما من المحبّ أو من اللاّمحبّ. إنّ الذي يكون ضحيّة شهواته وعبد لذته، سيرغب طبعاً في أن يجعل محبوبه مقبولاً له قدر الإمكان. وبعدُ فإنّ الذي يمتلك عقلاً مريضاً يقبل أيّ شيءٍ لا يتعارض معه، لكنّ ذلك الذي يكون مُساوياً له أو متفوّقاً فهو مكروه منه؛ ولهذا السبب فإنّ المحبّ لن يطيق أيّ تفوقٍ أو تساوٍ من جانب محبوبه، مهما كان هذا، أكان ذلك طبيعياً في محبوبه أو مغروساً فيه غرساً. وبرغم ذلك فإنّه لن يمنع نفسه من أن يكون غيوراً، وسيحاول منع محبوبه من منافع المجتمع التي ستجعل منه إنساناً، لكنّه بفعلته هذه سيسبّب له أذىً كبيراً، وخاصّة بتحوّله عن ذلك المجتمع الذي سيمنحه الحكمة، وسيُجبر على طرح الفلسفة الإلهيّة عنه، من خوفه المفرط خشيّة أن يصبح محتقراً في عينيه، وليس هناك أذىً أكبر من هذا الأذى الذي يقدر على أن يلحقه بنفسه.

دعنا ننظر تالياً، كيف أنّ الذي يكون سيّده وقانونه في الحياة اللّذة وليس الخير، دعنا ننظر إليه كيف سيقي جسد خادمه ويدرّبه. ألن يختار محبوبه الرقيق بدلاً من الثابت والقويّ؟ المحبوب الذي ترعرع في منازل صيفيّة بدلاً من الذي عاش تحت الشمس الساطعة، الغريب عن ممارسات الرجولة والكَدح، المعتاد على نظام الحِمية السّهل والدالّ على الترف، بدلاً من امتلاكه أشكال الصحّة التي لها الحلية الحيويّة المزخرفة الألوان، والدالّة على راحة الجسد. أقول لك بأنّ شخصاً كهذا سيورث القلق لأصدقائه ولمحبّه في الحرب أيضاً، أو في أيّة أزمة من أزمات الحياة، ولن يكون الرعب لأعدائه بكلّ تأكيد.

لنترك هذه النقطة الواضحة، ولنخبر عن الفائدة أو الخسارة التي سيتلقّاها المحبوب من وصاية محبّه عليه ومن عشرته له. إن المحبّ سيكون الشخص الأوّل الذي يرى ما سيكون واضحاً لكلّ الرجال بشكلٍ كافٍ، وهو الذي يرغب في تجريدِ محبوبه من تلك الأشياء الأعزّ والأكثر ملاءَمة له، ومن أغلى وأقدس ممتلكاته، كالأب، الأم، الأقرباء، والأصدقاء. سيكون جذلاً لرؤيته محروماً من كلّ الذي يظنّهُ أنّه يمكن أن يكون معوّقا أو محسّناً لما يريده منه. وسيلقي نظرة حاسدة حتّى على ما يمتلكه من ذهب وفضّة أو حتى على ممتلكاته الأخرى، وسيحبّ له أن يكون بدون زوجة وأطفال، وبدون بيت أيضاً، وسيريد أن يحقّق مواصلة رغباته الأنانيّة لمدة طويلة قدر ما يستطيع. وبعدئذ فإنّ طرائقه لا تكون متناسقة وسارّة، وتكون العلاقة بين المحبّ ومحبوبه مقيّدة قدر الإمكان. وبمعزلٍ عن تشابههما، فهو كبير السنّ وأمّا محبّه فيكون فتياً، ولن يتركه لا في الليل ولا في النهار إن استطاع ذلك. إنّ الضرورة وحُمّة الرغبة تحثّه على المتابعة لبلوغ مرامه. لذلك، فإنّه يبتهج عندما يسيطر عليه. لكن ماذا تكون اللذة او المواساة التي يستطيع المحبوب أن يتلقّاها كلَّ هذا الوقت؟ ألا يلزمه أن لا يشعر بأقصى الإشمئزاز حينما ينظر إلى وجهٍ خبا منه سحر الشباب، كما بهت اللون من كلِّ أجزاء شخص المحبّ حقاً. إن كان ذكر أشياء كهذه غير مستحسن، فسيكون أكثر سوءاً كي يتمّ فرضها على من سيلتقي معهم يومياً. إنّ المحبّ يُراقبه كلُّ شخص بحسد، ويسمع الثناءَات في غير موضعها، ويعيب وينتقد المدح غير الملائم من إنسانٍ صاحٍ وغير ثمِلٍ، وتصبح هذه كلُّها مثيرةً للإشمئزاز عندما يكون الشخص سكران. وعندما ينقطع حبه يصبح عدوّاً خؤوناً له وهو الذي أمطره بأيمانه وتعهداته سابقاً. إنّ وقت الجزاء قد حان، وهو الآن خادم لسيِّدٍ آخر. وبعدُ فإنّ الحكمة والاعتدال أصبحا سيّديهِ الحميمين. لكنّ المحبوب لم يكتشف التغيير الذي أخذ مكانه في المحبّ، وعندما يستعيد ذكرياته وأعماله السابقة، وليست عنده الشجاعة كي يعترف بالحقيقة، ولا

يدري كيف سيفي بوعوده السابقة، وبما أنّه الآن كبر سنّاً وأصبح حكيماً ومعتدلاً، فإنّه لا يريد أن يفعل كما فعل سابقاً. ويسلّم نفسه مجدّداً إلى مخلوق كئيب، كافر، حسود، سيّىء الطبع، مؤذٍ لوضعه الاجتماعي، ضارٌّ لصحته، ولا يزال أكثر إيذاءً لتهذيب عقله، ذلك العقل الذي يكرمه الآلهة والرجال على حدّ سواء.

تأمّل هذا ملياً، أيّها الشاب الوسيم، وآعرف بأنّه ليس هناك عطف حقيقي في صداقة المحبّ؛ إنّ لديه شهوةً ومتطلّباتٍ كي يشبعها على حسابك، وكما قيل: مثلما تحبُّ الذئابُ الحملانَ هكذا يحبّ المحبّونَ محبّيهم ».

والآن نكتفي بهذا. ولن أتكلّم عن اللاّمحب لأنّ حصافتي قد أخضعتها الآلهات العذارى الجميلات. وسأترك القصّة لمصيرها المحتوم وأجتاز النهر وأعود إلى البيت.

قال فيدروس: ليس الآن، يا سقراط، بل سنعود معاً عند انقضاء حرّ النهار. إنّ شمس الظهير في كبد السماء، وسنتناقش مجدّداً ونعود قبيل مغيب الشمس.

حسناً، يا فيدروس، عندما كنت سأجتاز النهر منعتني الإشارة الإلهيّة المعتادة في حياتي من فعل ذلك، وسمعت صوتاً يهمس في أُذنيَّ بأنّني كنت مذنباً بالعقوق فيما قلته، ولا يجب أن أولّي الأدبار إلاّ عندما أُقدِّم كفّارة لِمَا وقعت به. ولهذا لا أستطيع إلاّ أن أُطيع الله. إنّ خطابك، يا فيدروس، كان خطاباً مروّعاً، وجعلتني أتفوّهُ بخطاب سيّىء مثله، وخطابي كان سخيفاً ولا يتّسم بالتقوى. ويجب عليَّ أن أطهّر نفسي ممّا وقعت فيه.

إنّ كلمتي كانت باطلة وزائفة، عندما قلت إنّ المحبوب يجب أن يقبل اللامحبّ عندما يمكنه أن يمتلك المحبّ، لأنّ الأوّل يكون سليم العقل، والآخر مجنوناً. يمكن أن يكون ذلك إذا كان الجنون شرّاً بكلّ بساطة؛ لكن يوجد جنونٌ هو هبة إلهيّة، هو مصدر للنّعم الأكثر سموّاً والتي تُمنح للرجال. فالنبوّة هي جنون، يشهد بذلك ما أنعمته النبيّة في معبد دلفي والكاهنات في معبد دودونا على

هيلاس كلّها. وهذا النوع من الجنون هو أسمى من العقل السليم، لأنّ أحدهما ذو أصل إنسانيٍّ فقط، لكنّ الآخر إلهيّ. أمّا النوع الثاني من الجنون حيث نشأ الطاعون والبلايا الأقوى في عائلات محدّدة، بسبب جرمٍ دمويٍّ قديم ما، فقد أنقذتهم الآلهة بالصلوات والطقوس الدينيّة، وباستعمال التطهيرات والأسرار المقدّسة، وتمّت وقايتهم من الشرّ المستقبلي والشرّ الحاضر. والنوع الثالث من الجنون هو جنون أولئك الذين تمتلكهم آلهاتُ الشعر والعلوم والفنون والغناء اللواتي استحوذن على الروح المرهفة الطاهرة، ألهمْنها بجنون مؤقّت. ويوجد العديد من المآثر الأخرى النبيلة التي نشأت من الجنون الملهم. لذلك، لا تدع الأفكار المجرّدة لهذه الأشياء أنْ تخيفنا، وأن لا نخاف عندما تقول محاورة إنّ الصديق المعتدل يجب اختياره بدلاً من الصديق الملهم، بل دع الذي يقول ذلك يبيِّن أنّ الحبّ لا ترسله الآلهة للمحبّ أو المحبوب من أجل أيّ صلاح؛ وإن استطاع أن يفعل ذلك سنسمح له بحمل غصن الغار. وسنبرهن نحن له أنّ جنون الحبّ هو بركات ونِعَمُ السماء الأعظم. لكن دعنا نمحّص الميول والأعمال التي تخصّ الروح قبل كلّ شيء، الإلهيّة منها والإنسانيّة، ونحاول تأكيد الحقيقة بشأنها، وسيكون برهاننا على ذلك كما يلي:

إنّ الروح خالدة خلال وجودها كلّه، لأنّ ما يكون أبداً في حركة هو خالد؛ لكنّ ذلك الذي يحرّك الآخر ويكون متحرّكاً بالآخر، فإنّه بانقطاعه عن الحركة يتوقّف عن الحياة أيضاً. إنّ المتحرك بذاته فقط لا يتوقّف عن الحركة قطّ، لأنّه لا يستطيع أن يغادر نفسه، ويكون هو مصدر وبداية الحركة لكلّ ذلك المتحرّك بالإضافة إليه. وبعدُ، فإنّ البداية تكون غير مولودة، لأنّ ذلك الذي يكون متولّداً يجب أن يمتلك بداية، لكنّ هذه نفسها لا تستطيع أن تكون متولّدة من أيّ شيء، لأنّها إذا كانت معتمدةً على شيء ما، فإنّ المتولّد لن يأتي من بداية عندئذ. لكن بما أنّ الروح غير مولودة، فيجب أن تكون غير قابلة للفناء، إذ لو كانت البداية

فانيةً بالتأكيد، فإنّها لا تقدر على أن تأتي إلى الوجود من أيّ مصدر آخر حينئذ، ولا أن تصلح كبداية للأشياء الأخرى. وهكذا فإنّني برهنت أنَّ المتحرّك بذاته هو بداية الحركة، وهذا لا يمكن أن يكون إمّا فانياً أو مولوداً، وإلاّ فإنّ السماوات جميعها وكلّ ما أُبدِع سينهار ويتوقّف عن الحركة، ولن يولد مرّة ثانية لافتقاره لكلّ قوّةٍ من قوى الحركة. لكن بما أنّ المتحرّك بذاته تمّ إعطاء البرهان بشأنه أنّه خالد، فإنّ الذي يثبت أنَّ هذا هو المعنى وجوهر الروح بالتحديد ولن يُوضع في الإرباك، لأنّ كلَّ جسمٍ يكون متحركاً من الخارج يكون بدون روح، لكنّ ما يتحرّك بنفسه من الداخل يكون حيّاً، ويُعتبر استعمالنا للكلمات واضحاً عن ماذا تكون طبيعة الروح، والّتي تكون غير مولودة وخالدة وأزليّة.

والآن سأصف شكلها ضمن نطاق الفهم الإنسانيّ. دعنا نقارن الروح بزوجين مجنّحين من الأحصنة، وقد أنضمّ سائق العربة لهما في وحدةٍ طبيعيّة. وبعدُ، فإن أحصنة وسائقي عربات الآلهة كلها نبيلة وذات أصل شريف. لكنّ تلك الّتي للسّلالات الأخرى مختلطة. وسائق العربة يقود حصانين أحدهما نبيل وذو محتدٍ شريف، والحصان الآخر وضيع المولد وذو تنشئة حقيرة. وسأوضح لك بأيّة طريقة يختلف المخلوق الفاني عن الخالد. إنّ الروح في وحدتها الكاملة تمتلك العنايةَ من المخلوق اللاّحيّ في كلّ مكان، وتعبُر السّماء كلّها باديةً في أشكال غطّاسين، وتحلّق صُعداً عندما تكون كاملة ومجنّحة، وتنظّم العالم بأجمعه، في حين أنّ الروح الناقصة تستقرُّ على الأرض الصلبة أخيراً فاقدة جناحيها وتتدلّى في طيرانها، وتجد هناك بيتاً، وتتلقّى هيكلاً يبدو أنّه يتحرّك ذُاتيّاً، لكنّه متحرّكٌ بقوتها حقاً؛ وتدعى هذه التسوية للروح والجسد مخلوقاً حيّاً وفانياً. دع ما قلناه يكون، على كل حال، كما يشاء الله، وأن يُتكَلّم بقبولٍ ورضىً منه. ولنسأل الآن لماذا فقدت الروح جناحيها!

إنّ الجناح هو العنصر الجسمانيّ الأكثر مجانسةً للإلهي، والذي يميل بالطبيعة

كي يحلّق صُعداً ويحمل ذلك الذي يجذب إلى أسفل، يحمله إلى المنطقة العليا، التي هي مسكن الآلهة. والإلهي هو الجمال، الحكمة، الخير، وما شابه، وبهذه يتغذّى جناح الروح وينمو بسرعة. لكنّه عندما يتغذّى على الشرّ والغباء وما هو مضادّ للخير يتبدّد ويفسد. إنّ الأرواح التي تتبع الله بأفضل طريقة وتكون الأشبه به، ترفع رأس سائق العربة إلى العالم الخارجيّ، وتُحمل دائريّاً بانتظام؛ في حين أنّ الروح الأخرى ترتفع وتهبط، وترى، وتخفق في أن ترى مرّة ثانية بسبب جموح الجياد. أمّا الأرواح الأخرى فهي متشوّقة للعالم الآخر وتتعقّبه، لكن بما أنّها غير قويّة بما فيه الكفاية، فهي تُحمل دائريّاً تحت السطح، ويطأ بعضُها بعضاً لفرط سرعتها، وبسبب ذلك عمّت الفوضى بينها وتكسّرت أجنحتها، لعدم حصولها على أسرار الوجود الحقيقيّ، ولأنّها تغذّت على الرأي و« المظهر ».

ويوجد قانون القضاء والقدر، وهو أنّ الروح التي تنال أيّ رؤيا للحقيقة في رفقةٍ مع إله، تصان من الأذى حتى الفترة التالية، وإن كسبت هذا على الدوام فلن يلحقها أذىً بشكل دائم. لكنّها عندما تكون غير قادرة على المتابعة، وتخفق في مشاهدة الحقيقة، وتغرق تحت وطأة الحمل المضاعف من النسيان والرذيلة بسبب حدثٍ سيّىءٍ ما، ويسقط جناحاها منها وتقع على الأرض، يقضي القانون حينئذ بأنّ هذه الروح سوف تنتقل عند ولادتها الأولى إلى إنسان وليس إلى أيّ حيوان آخر. وستوضع الروح التي رأت الحقيقة الأكثر في البذرة التي سينبثق منها فيلسوف أو فنّان، أو طبيعة موسيقية ومحبّة لشيء ما. أمّا تلك الروح التي رأت الحقيقة في درجة ثانية فسوف تكون ملِكاً أو قائداً حربياً، وستكون الروح من الصنف الثالث رجلاً سياسيّاً، أو اقتصادياً، أو تاجراً، وستكون الروح الرابعة روحاً محبّةً للأعمال الرياضيّة الشاقة، أو طبيباً، وستحيا الروح الخامسة حياة نبيٍّ أو حياة كاهن؛ وستُخصّص للروح السادسة شخصيّة شاعرٍ أو فنانٍ مقلّدٍ ما، وستحيا الروح السابعة حياة الحرفي أو المزارع، والروح الثامنة حياة السوفسطائي أو الدهماوي، والتاسعة

حياة المستبدّ. وتكون هذه الحالات حالات اختبار، والذي يفعل فيها ويعمل بحقّ يتحسّن، ومَنْ يؤدِّ أعمالاً آثمة يفسدْ نصيبه.

يجب أن تنقضي عشرة آلاف سنة قبل أن تستطيع روح كلِّ شخصٍ العودة إلى المكان الذي أتت منه، لأنّها لا تقدر على أن تنمّي جناحيها بأقلّ من هذه المدّة، باستثناء روح الفيلسوف فقط، البريئة والصادقة، أو روح المحبّ الذي اهتدى بالفلسفة. لكنّ الأرواح الأخرى تتلقّى حكماً عندما تنتهي حيواتها الأولى، ويذهب بعضها بعد إصدار الحكم عليها إلى بيوت التصحيح التي تكون تحت الأرض، وتُعاقب. ولهذا أقول، إنّ عقل الفيلسوف وحده يمتلك أجنحة. وهذا هو العدل، لأنّ الفيلسوف يكون دائم الإلتصاق في تذكّرٍ لتلك الأشياء التي يقطن الله فيها، وذلك طبقاً لحدودِ قدراته، وفي مشاهدةٍ لذلك يكون هو ما يكون. ومَنْ يوظّف هذه الذكريات، على نحوٍ صحيح، يَكُنِ المطّلع أبداً والخبير في الأسرار الدينيّة التامّة، ويصبح وحده كاملاً بحقّ. لكنّه عندما ينسى المنافع الأرضيّة، وينتشي فيما يكون إلهياً، يعتبره السوقة مجنوناً ويوبّخونه؛ وهم لا يشاهدون بأنّه إلهي.

إنّني تكلّمت لهذا الحدّ عن النوع الرابع والأخير من أنواعِ الجنون، ذلك النوع الذي يُنسب لمن ينتشي في التذكّر للجمال الحقيقيّ، حينما يرى جمال الأرض. إنّه يشبه طائراً يصفّق بجناحيه وينظر عالياً ولا يبدي اهتماماً بالعالم السفليّ، ولهذا السبب يُعتقد بأنّه مجنون. ولقد أبَنْتُ أنَّ هذا الإلهام هو الإلهام الأنبل والأسمى، وأصل ومنبع كلّ ما هو رفيع وسامٍ لمن يمتلكه أو يشارك فيه. والذي يحبّ الجميل يُسمّى محبّاً لأنّه يشاطر فيه. وهناك قلّة تذهب إلى الرموز وترى فيها الحقائق، وتراها بصعوبة فقط، غير أنّ الجمال يمكن رؤيته، مضيئاً بشعشعانيّة، يمكن أن يراه كل مَن كانوا مع تلك العصبة السعيدة ـ وما هم إلاّ نحن الفلاسفة، الذين اطّلعنا على السرّ الذي يمكن أن يكون السرّ الأكثر قداسةً بحقّ. ومثلما رأينا الجمال ساطعاً هناك في صحبة مع الأشكال السماويّة، رأيناه هنا بإتياننا إلى الأرض أيضاً،

متألّقاً في صفاء، من خلال منفذ الحواسّ الأقوى والأنقى، لأنّ البصر هو الحاسّة الأكثر نفاذاً من بقيّة حواسّنا الجسديَّة؛ ومع ذلك فإنّ الحكمة لا تُرى بواسطته. وحينما يفكّر إنسان بسميّه الأرضيّ، ولا يخشى من مشاهدة الجمال الإلهي، فإنّه يكرّس نفسه للذّة، ويندفع بعنف ليتمتع ويلد كالبهيمة الوحشيَّة، وينسجم مع الإفراط في الشهوات، ولا يخاف أو يخجل من ملاحقة اللذة في انتهاكٍ للطبيعة. لكنّ الذي يكون اطلاعه وتكريسه حديثاً، والذي شاهد العديد من المفاخر في العالم الآخر، فإنّه ينشده عندما يرى أيَّ شخص ممتلكاً وجهاً أو شكلاً شبيهاً بالله، والذي يكون تعبيراً عن الجمال الإلهي، وتسري فيه رعشة وينتشر فوقه الرعب القديم، ويبجّل محبوبه حينئذ بعد التطلّع إلى وجهه وكأنّه إله. وإنْ لم يخشَ من أن يُظن به أنّه رجل مجنون بكلّ ما في الكلمة من معنى، سيضحّي هو لمحبوبه وكأنّه صورة إله. وعند تحديقه به يُرطّب الجناح ويُدفّأ، وتذوب الأُجزاء التي نما الجناح خارجها، ويبدأ بالازدياد والنموّ من الجذر فصاعداً، ويمتدّ النموّ تحت الروح كلّها. ويلاقي جمالُ المحبوب عينيها وتتلقّى حركة الدفء المحسوس للجزئيات الصغيرة جداً التي تتدفق نحوها، ولهذا السبب دعوت هذه الأشياء عاطفة، وتنتعش الروح وتصبح دافئة بها، وتنقطع من ألمها بالفرح بعدئذ. لكنّها عندما تفترق عن محبوبها وتشحّ رطوبتها فإنّ الثقوب التي ينبثق منها الجناح تسدّ وتجفّ، وتعترض سبيل نموّه، ممّا يسبّب لها الألم، وتصبح في ضيق وتهيّج كبيرين، ولا تستطيع عند جنونها أن تنام في الليل ولا أن تقطن في مكانها بالنهار. وكلما تصوّرت أنّها سترى الواحد الجميل، فإلى هناك تستحثّ الخطى في توقها إليه، وعندما تراه، وتغسل نفسها في مياه الجمال، فإنّ تقييدها سيُحلّ وستنتعش، ولن تتعرّض لوخزات وآلام، وتكون هذه الملذات أحلى الملذّات جميعاً. وهذا هو السبب الذي من أجله لن تهجر روح المحبّ واحدها الجميل أبداً، الذي تقدّره فوق الجميع. إنّ هذا المحبّ نسي الأخوة والأم والرّفاق، وازدرى بقواعد الحياة وما يناسب هذه

الحياة. وتسمّى حالة الرجل هذه حباً، يا فيدروس، ولها إسم بين الآلهة، وقد تكلّم عنها هوميروس في شعره.

وبعدُ، فإنّ المحبّ الذي يلازم زيوس يكون أفضل قدرةً كي يحمل الإله المجنّح. ويرغب في أتباع زيوس لكي يمتلك محبوبهم روحاً كروحه. ولهذا السبب فهم ينشدون شخصاً ما ذا طبيعة فلسفيّة وملكيّة، وعندما يجدونه ويحبّونه، فإنّهم يفعلون كلّ ما يقدرون عليه كي يعزّزوا طبيعة كهذه فيه. ويفعل كذلك أتباع هيرا وأبوللو، الذين لا يؤمنون بمشاعر الحسد والغيرة نحو محبوبهم، بل يفعلون أقصى جهودهم كي يخلقوا فيه الشبه الأعظم لأنفسهم ولله الذي يمجّدون، وتكون أمنية المحبّ الملهم إلى محبوبه جميلة هكذا وتسبّب السعادة القصوى.

لقد قَسّمتُ كلّ روح إلى ثلاثة أقسام في بداية هذه القصّة، اثنان منها لهما شكل أحصنة، ويشبه الثالث سائق العربة، وقلت إنّ واحداً من الحصانين طيّب والآخر رديء. والحصان على اليد اليمنى مستقيم ومصنوع على نحو نظيف، له عنق سامق، وأنف أعقف، لونه أبيض، وعيناه سوداوان، يحبّ الشرف مع التواضع والاعتدال، وهو رفيقٌ للرأي الحقّ، وليس بحاجةٍ لمسّ السوط، بل إنّه يُرشَدُ بالكلمة والنصح فقط. أمّا الحصان الآخر فهو حيوان ملتوٍ ويتحرّك بتثاقل. إنّه ذو رقبة غليظة قصيرة، وجهه مسطّح وذو لون أسود، عيناه رماديّتا اللون ومظهرهما أحمر كالدم؛ وهو أليفُ الغطرسة والتكبّر، له أذنان ذات شعرٍ أشعث وأصمّ، يذعن للصوت والمهماز بصعوبة. وعندما يشاهد سائق العربة رؤيا الحبّ، وتشعر روحه بالدفء من خلال الحواسّ، ويمتلىء بالوخز والمداعبة، فإنّ الجواد المطيع يمتنع عن القفز على المحبوب حينها، كما يكون تحت حكم الحياء دائماً؛ لكنّ الجواد الآخر، الغافل عن وخزات وضربات السوط، يندفع بسرعة بالغة ويهرب، ويسبب بعمله هذا لرفيقه ولسائق العربة كلّ نوعٍ من أنواع العناد والحرَج. وأخيراً، وبعد صراعات عديدة، إتّبع الجواد الجلف إرادة سائق العربة وأضحى أليفاً ومتواضعاً، وعندما رأى

الأوّل الجميل، كان جاهزاً لأن يموت من الخوف، وتبعت روح المحبّ، تبعت المحبوب من الخوف في اتّضاعٍ وتُقىً. وبعدَ كلّ الذي حدث أدرك الجوادان أنّ سعادتهما تتوقّف على كبح جماح نفسيهما. وإنِ انتصرت عناصر العقل الأفضل التي تهدي للنظام والفلسفة، فإنّهما سيمضيان حياتهما في السعادة والتناسق، ويكون لهما النصر في ثلاثة من الانتصارات السماويّة، ولا يقدر التهذيب الإنساني أو الإلهام الإلهي أن يمنحا أيّة نعمة للإنسان أكبر من هذه النعمة، ويعيشان في النور على الدوام. وعندما يحين الوقت الذي سيتلقّيان فيه أجنحة، فإنهما يمتلكان ريش الطائر بسبب حبّهما.

وهكذا، يا عزيزي آيروس، إعترفت علناً بخطأي، ودفعت ما يتوجّب عليّ جيّداً وبعدل، قدر ما أستطيع، وأُجبرت على استعمال التشابيه الشعريّة، لأنّ فيدروس ألحّ على حيازتها. وبعدُ، تغاضَ عمّا مضى وتقبّل الحاضر، وكن لطيفاً معي وشفوقاً عليّ، ولا تحرمني من حاسّة البصر، بسبب غضبك، أو أن تأخذ مني فنّ الحبّ الذي أعطيتني إيّاه، بل هبني إمكانيّة أن أكون مكرّماً في عيني الجميل مع ذلك. وإنْ قال فيدروس، أو قلت أنا أيّ شيء بذيء في أحاديثنا السابقة، فانحُ بالائمة ليسياس، الذي هو أبو المولود، ودعنا لا نمتلك أكثر من نتاجه. مُرْهُ أن يدرس الفلسفة، وحينئذ فإنّ محبّةُ فيدروس لن يتردّد بين رأيين بعدَ اليوم، بل سيكرّس نفسه للحبّ والمحادثات الفلسفيّة بشكل كامل.

قال فيدروس: إنّني أنضمُّ إليك، يا سقراط، وأدهشني الخطاب الثاني الذي ألّفته والذي كان أجمل من الخطاب الأوّل ببعدٍ كبير، وأشكّ بأنّ ليسياس يقدر على مبارزتك بذلك. ويمكن لشعورٍ بالكبرياء أن يحثّه للانقطاع عن كتابة الأحاديث والخطب بعد الذي قلته.

أعتقد، يا فيدروس، أنّك مخطىء فيما تقول. وكيف يمكن لصديقك أن يخاف من ضوضاء صغيرة كهذه. وليس هناك من شيء يولع به رجالنا السياسيون

مثل كتابة الخطابات وتوريثها للأجيال القادمة كلّها. وتكون طريقة خطيبنا في تأليف الخطابات طريقةً لتمجيد نفسه، ويعرض حكمته الخاصّة للمعجبين به في كلامٍ طويلٍ وممل. وعندما يمتلك الملك أو الخطيب القوّة، مثل تلك القوة التي حازها ليغاركوس، أو صولون، أو داريوس، ألا تنظر إليه الأجيال القادمة عندما ترى تأليفاته، أو ألا ينظر هو إلى نفسه مادام حيّا لحدّ الآن، بأنّه مساوٍ للآلهة؟ ولذلك فهم لا يؤنّبون ليسياس لكونه مؤلّف خطب، لأنّ أيّ شخص يرى بأنّه لا عار في الحقيقة المجرّدة للكتابة، وأفترض أنَّ العار يبدأ عندما لا يتكلّم الإنسان أو يكتب جيّداً، بل إذا فعل ذلك بسوء.

دعنا، يا فيدروس، نتحدّث وسط هذا الجوّ المليء بالعبق والجمال الذي يلفّنا، وسنبحث في قواعد الكتابة والإملاء، كما اقترحنا. لذلك أقول، إنّه قبل أن يُستطاع إيجاد أيّ سؤال عن امتياز الحديث، يجب أن يكون عقل المتكلّم مجهّزاً بمعرفة حقيقة القضيّة التي تُستخدم في محاكم العدل أو في أيّ مكان آخر، وعليه أن يمتلك فلسفة صحيحة إذا حاول أن يبحث بأيٍّ موضوع على نحوٍ سليم، وينبغي أن لا تكون كالخطابة التي تستخدم في محاكم العدل والجمعيّات العامة فقط، وعن كلِّ الأشياء الصغيرة منها والكبيرة. وإن لم يفهم الخطيب الطبيعة الحقيقيّة لكلِّ شيء، فإنّه لن يكون فنّاناً بارعاً في جعل الانطلاق التدريجيّ من الحقيقة إلى ما هو المضادّ للحقيقة، والذي يتأثّر بمساعدة المتشابهات، أو في تفادي هذا حينما يكون في موقف دفاعيّ. وهكذا فإنّ « فنّ الخطابة » الذي يعرضُه رجلٌ يجهل الحقيقة ويتبع المظاهر، سيكون فنّه فنّاً من نوع مضحك، بل إنّه لن يكون فنّاً على الإطلاق. ولنبدأ البحث عن ذلك في خطاب ليسياس الذي تحمله، وفي كلامي الذي تفوّهت به.

إنّه لواضح لكلّ شخص بأنّنا نتّفق بشأن بعض الأشياء، في حين أنّنا نتباين في أفكارنا بخصوص الأشياء الأخرى. كمثال، عندما يتكلّم أيّ إنسان عن الحديد

والفضّة، فإنّ الشيء عينه يكون حاضراً في عقول الجميع، لكن حينما يكون الكلام عن العدل والخير، تنشأ الفوارق والنزاعات. ويجب على مَنْ يرغب في شرح فنّ الخطابة، أن يُوجد تقسيماً منظّماً لها، وأن يكتشف الصّفة المميّزة لكلّ صنف منها، ويلزمه في المقام الثاني أن يمتلك عينين ثاقبتين لمراقبة خواصّ الأمور. وبعدُ، فلأيٍّ من الصنفين يخصّ الحبّ، أإلى الصّنف المثير للنقاش، أو للآخر الذي لا يجادل؟ إنّه من النوع الأوّل بجلاء. ولهذا، فإنّ خطاب ليسياس طرح النقاط الّتي تتعلّق بالموضوع كيفما اتّفق، ولم تكن هناك أيّة قاعدة لها. والخطابان كانا غير متشابهين، فإنّ أحدهما يجادل أنّ المحبّ، والآخر أنّ اللامحبّ، يجب أن يتمّ قبوله. وكما قيل فإنّ الحبّ جنون، وهناك نوعان منه، أحدهما يُحدثه العجز الإنسانيّ، والآخر عِتْقٌ إلهيّ للروح من نير العادة والعرف. وإنّي أحبّ عمليات التقسيم والتعميم هذه، لأنّها ساعدتني على الكلام والتفكير، وإن وجدت الإنسان القادر على أن يرى « واحداً وكثرة » في الطبيعة، فهو الذي أتّبعه، وأسير على خطاه وكأنّه كان إلهياً، وأسمّي الذين يمتلكون هذا الفنّ علماء جدل حتّى اليوم، وأقول بأنّهم رجال ملكيّون. وتحتاج كلّ الفنون العظيمة إلى بحثٍ وتأمّل سامٍ ومليّ بشأن حقائق الطبيعة. ومن هنا يأتي السموّ الفكريّ وكمال الإنجاز الإنساني. إنّ نهج الخطابة التقليديّ هو مثل ذلك النهج الذي يحضّ على الطبّ، لأن علم الطبّ يجب أن يعرّف طبيعة الجسم، وأن تعرّف الخطابة طبيعة الروح، وذلك باستخدام الكلمات والتدريب. ولا يستطيع أحد أن يعرِف طبيعة الروح بعقلانيّة إن لم يعرِف طبيعة العالم، وحتّى طبيعة الجسد لا يمكن الوقوف عليها بدون ذلك النوع من التحقيق، وهذا هو ما فعله أبقراط. والخطيب الذي يعلّم البلاغة بطريقة علميّة، سيوضح طبيعة ذلك الكائن الذي يوجّه حديثه إليه بشكل خاصّ، وأتصوّر أنّ هذا الكائن هو الروح، وهو يتوخّى وينشد إحداث الإقناع فيها. وعليه أن يصف طبيعتها لكي يرى ما إذا كانت واحدة والشيء عينه، أو أنّها مثل الجسد متعدّدة الأشكال؛

وذلك ما ينبغي أن نسمّيه تبيّن طبيعة الروح. وسيشرح هو تالياً الطريقة التي تفعل فيها والتي يُفعل عليها. لهذا أقول؛ إنّه ما لم يقدّر إنسان ويأخذ بعين الإعتبار الصفات المتعدّدة لمستمعيه وما لم يكن قادراً على أن يقسّم كلّ الأشياء إلى أصناف، وأن يفهم كلّ واحدة منها تحت أفكار مفردة، فإنّه لن يكون خطيباً بارعاً حتى ضمن نطاق حدود القوّة الإنسانيّة، وهذا الحذق لن يدركه إنسان بدون مقدار كبير من الضّيق، الذي ينبغي أن يتحمّله الإنسان الخيّر، وأن يقول ما يكون مقبولاً عند الله، وأن يعمل ما يرضيه دائماً بقدر ما يكمن فيه من قوّة، وأن يحاول إرضاء أسياده الأخيار والنبلاء. وبعدُ، يا فيدروس، فإنّنا قد كشفنا بما قلناه عن فنّ الكلام الحقيقيّ والكلام المزيّف.

سأخبرك الآن قصّة عن إله مصريٍّ شهير وقديم عاش في المدينة المصريّة نوكراتيس، إسمه توت، وهو الذي اخترع العديد من الفنون مثل فنّ الحساب وأجزائه وعلمي الهندسة والنجوم، ولعبتي النرد والداما. غير أنّ اكتشافه العظيم كان استعمال الحروف. وأقول، إنّ الكلمة الحقيقية هي كلمة عقلانيّة محفورة في روح المتعلّم، التي تقدر أن تدافع عن نفسها، وتعرف مع مَن تتكلّم، ومع مَن تكون صامتة.

تعني، يا سقراط، أنّها كلمة المعرفة الحيّة التي تمتلك روحاً، والتي لا تكون الكلمة المكتوبة لها أكثر من صورة كما ينبغي؟

نعم، إنّني أعني ذلك، يا فيدروس، لكنّ ملاحقة عالم الجدل أنبل بكثير، وهو الذي وجد الروح المتجانسة بمساعدة العلم، يبذر ويغرس في ذلك المكان، يغرس تلك الكلمات التي تستطيع الدفاع عن نفسها وعن غارسها، وهي ليست كلمات عقيمة، بل إنّ فيها بذرة ربّاها الآخرون في تربةٍ مختلفة وتُصيّر خالدة، جاعلة مالكها سعيداً إلى أقصى مدىً للسعادة الإنسانيّة.

وإلى أن يعرف إنسان حقيقة البنود أو النقاط المتعددة التي يكتبها أو يتكلّمها،

وإلى أن يكون قادراً على أن يعرّفها مرّة ثانية حتى لا يمكن أن تقسّم أبعد من ذلك، وإلى أن يكون هو قادراً على أن يميّز طبيعة الروح في أسلوب مماثل، ويكتشف الصّيغ المتعددة للحديث الذي يُختار للطبائع المختلفة، وأن يرتّبها ويعدّها في طريقة كهذه كي يمكن أن يوجّه الحديث البسيط إلى الطبيعة الأبسط، وأن يوجّه الحديث المعقّد إلى الطبيعة الأكثر تعقيداً بأساليب متعدّدة ومتنوّعة - أقول، إلى أن يُنجز هذا كلّه، فلن يكون الإنسان قادراً على أن يدبّر المحاورات طبقاً لقواعد القانون، بقدر ما تسمح لها طبائعها كي تكون خاضعة للفنّ، إمّا بغرض التعليم أو الإقناع. بل يجب على الإنسان أن يعرِف طبيعة العدل والظلم، والخير والشرّ، وأن يكون قادراً على أن يميّز الحلم من الحقيقة. ويكون هذا الإنسان إنساناً من النوع الحقيقيّ، وسوف نصلّي، أنت وأنا، يا فيدروس، كي نصبح شبيهَيْن به. وسنسمّي من يقوم بهذا العمل الشريف محبّاً للحكمة أو الفلسفة.

وأخيراً، يجب أن نصلّي للآلهة المحلّيين في ختام مناظرتنا.

« أيّها المحبوب پان، وكلّكم أنتم أيّها الآلهة الآخرون الذين يلازمون هذا المكان، أعطوني الجمال في داخل الروح. ويمكن لداخل الإنسان وخارجه أن يكون منسجماً ومتّحداً، يمكنني أن أعتبر وأعتقد أنّ العاقل هو الغني، ويمكنني أن أمتلك كميّة كهذه من الذهب كالتي يمكن لإنسان معتدل امتلاكها وهو فقط يستطيع أن يقدّم ويحمل ».

إسأل الشيء عينه لي، يا سقراط، فالأصدقاء يجب أن يمتلكوا كلّ الأشياء مشتركة.

محاورة فيدروس

أشخاص المحاورة

سقراط فيدروس

المشهد: تحت شجرة باسقة، بجانب ضفّتي نهر إيليسوس.

سقراط: يا عزيزي فيدروس، من أين أتيت، وإلى أين أنت ذاهب؟

فيدروس: لقد أتيت من بيت ليسياس بن سيفالوس، وها أنا ذاهب لأتمشّى خارج السور، لأنّي جلست مع ليسياس الصباح كلّه؛ وبناءً لنصحية صديقنا المشترك أكيومينوس فإنّي أسير في موازاة الطريق بدلاً من السير حول حلبات السباق. قال لي إنّ الجري هنا أقلّ تعباً.

سقراط: إنّه لمحقّ، أفترض أنّ ليسياس كان في المدينة إذن؟

فيدروس: نعم، إنّه كان مقيماً مع أبيكرايتس، هنا في بيت موريخوس، ذلك البيت القريب من معبد زيوس الأولومبي.

سقراط: وكيف أكرم وفادتك؟ أيمكنني أن أكون مخطئاً في الافتراض أنّ ليسياس أسمعك مقالة ذات متعة بالغة؟

فيدروس: إنّك ستسمعها، إن استطعت قضاء وقتك برفقتي.

سقراط: وهل تشكّ في أنّي سأعتبر المحادثة عنك وعن ليسياس « شيئاً ذا أهميّة أكبر »، كما يمكنني أن أقول في كلمات بيندار، « أعلى من أيّ عمل »؟

فيدروس: وهل ستواصل المسير؟

سقراط: وهل ستستمرّ في سرد القصّة؟

فيدروس: إنّ قصّتي، يا سقراط، هي قصّة من النوع الذي تحبّه، لأنّ الحبّ كان

الموضوع الذي شغل أفكارنا ـ حبٌّ وفقاً لصياغة ما: إنّ ليسياس كتب عن شابّ وسيم كان مغويّاً، لكن ليس بمحبّ؛ وكانت هذه هي الغاية والقصد. وبرهن بشكلٍ بارعٍ أنّ اللامحبّ يجب أن يُقبل بدلاً من المحبّ.

سقراط: أوه إنّ ذلك لنبيل منه! أرغب في أنّه سيقول الإنسان الفقير بدلاً من الغنيّ، والمسنّ بدلاً من الفتيّ؛ سيواجه حينئذ حالتي وحالة العديد من الرجال؛ إنّ كلماته هذه ستكون منعشة تماماً، وسيكون هو محسناً عامّاً. من جهتي، إنّي توّاق لسماع حديثه، حتى لو مشيتُ الطريق كله إلى ميغارا، وحينما تصل إلى السور عُدْ كما ذهبت، مثلما يأمر هيروديكوس بذلك، بدون أن تدخل، وأنا سأبقى برفقتك.

فيدروس: ماذا تعني، يا سقراطي الصالح؟ كيف تستطيع أنْ تتصوّر أنَّ ذاكرتي التي تعوزها الممارسة يمكنها أن تفعل العدل لأيّ عملٍ مدروس، والذي صرف عليه عالِمُ الكلام للزمن الأعظم وقتاً طويلاً في تأليفه. إنّي لا أقدر على ذلك حقّاً؛ سأفضّل موهبة كهذه على مبلغٍ كبير من المال.

سقراط: أعتقد بأنّي أعرف فيدروس كما أعرف نفسي تقريباً، ليس لمرّةٍ واحدة فقط، بل لمرّاتٍ ومرّات؛ أصرَّ هو على سماع الحديث مرّات عديدة كثيرة، وكان ليسياس مستعدّاً كثيراً كي يرضيه؛ وأخيراً، عندما لم يكن أيّ شيء ليقوم بالفعل هذا، أمسك بالكتاب، ونظر في ما أراد أن يرى الأكثر منه، وهذا ما جعله منهمكاً طيلة الصباح. وعندما أخذ التعب منه مأخذاً لأنّه قضى وقته جالساً، خرج من مكانه كي يمشي ابتغاء النزهة. وبالكلب، ليس حتّى كما أعتقد! تعلّم الحديث كلّه عن ظهر قلب بكلّ بساطة، إلا إذا كان هذا الحديث طويلاً بشكلٍ غير اعتياديّ، وبدأ هو بالسير خارج السور كي يتمكّن من التمرّن على درسه. رأى هناك محبّاً محدّداً للمحادثة، كان عنده ضعف مشابه لذلك؛ رأى هذا وابتهج، وفكّر عندها قائلاً: « إنّه سيكون

لديّ شريك في متعتي البالغة اللذّة » ثم دعاه كي يأخذ زمام المبادرة. لكنّه حينما استعطف محبّ المحادثة في أن يردِّد القصّة له، أبدى كبرياء مصطنعة وقال: « لا إنّني لا أستطيع ذلك » وكأنّه لم يكن توّاقاً لفعلِ ذلك؛ مع أنّه إنْ رفض الاستماع له، فسيُجبر هو به على أن يستمع وقتها أو بعده سواء رغب في هذا أم لم يرغب. ولهذا السبب مُرْهُ، يا فيدروس، أن يفعل ما سيؤدِّيه قريباً سواء أأُمِر القيام بذلك أو بعكسه.

فيدروس: أرى بأنّك لن تدعني أتكلّم بأسلوب ما أو بنمطٍ آخر مهما كلّف الأمر؛ وفي الحقيقة فإنّ تصميمي الأفضل هو أن أتكلّم بأحسن ما أقدر عليه.

سقراط: إنّك تحكم على نيّتي وقصدي بصحّة تامّة.

فيدروس: سأفعل ما أقول؛ لكنْ صَدِّقني، يا سقراط، إنّي لم أتعلّم الكلمات المحدَّدة ـ أوه لا لم أحفظها عن ظهر قلب. وبرغم ذلك، فإنّ لديَّ فكرة عامّة عمّا قاله، وسأعطيك خلاصة للنقاط الرئيسيّة التي تَبَاين فيها المحبّ من اللامحبّ. دعني أبدأ من البداية.

سقراط: نعم، يا صديقي الحلو؛ لكنّك يجب أن تبيِّن قبل كل شيء ما تخبّئه في يدك اليسرى تحت عباءَتك، لأنّي، كما أشْتبه، أعتقد بأنّ تلك المخطوطة، هي المحادثة الحقيقيّة. وبعدُ، بما أنّ حبّي لك كبير، فأنا لا أريدك أن تفترض بأنّي ذاهب كي أستخدم ذاكرتك على حسابي، إذا كان ليسياس نفسه هنا.

فيدروس: يكفي ما قلته؛ أرى الآن بأنّه ليس لديَّ أمل في ممارسة فنّي عليك. لكن إن كنت سأقرأ لك ما بحوزتي، ففي أيِّ مكان يسرُّك الجلوس؟

سقراط: دعنا نستدير جانباً ونذهب بمحاذاة نهر ايليسيوس، وسنجلس في بقعة ما هادئة.

فيدروس: إنّني محظوظ لأنني لم ألبس صندلي. وبما أنّك في حالةٍ شبيهةٍ بحالتي، فأنا أعتقد بأنه يمكننا أن نسير بجانب الجدول ونبرّد أقدامنا في الماء. ستكون

هذه الطريقة الأسهل في منتصف النهار وفصل الصيف، وكذلك فإنّها ستبعث فينا المسرّة.

سقراط: واصل سيرك، وابحث عن مكانٍ نستطيع الجلوس فيه.

فيدروس: هل ترى تلك الشجرة الباسقة الأطول من الشجرات التي حولها في تلك المسافة؟

سقراط: نعم.

فيدروس: هناك الظلّ والنسيمات العذاب، والعشب حيث يمكننا إمّا أن نجلس أو نتمدّد.

سقراط: تقدّم إلى الأمام.

فيدروس: سأحبّ أن أعرف، يا سقراط، إذا ما كان هذا تقريباً هو المكان الذي قيل إنّ بورياس[١] قد حمل أوريثيا من ضفّتي نهر إيليسيوس؟

سقراط: هذا هو العرف.

فيدروس: وهل هذه هي البقعة بالضبط؟ إنّ الجدول هنا ممتعٌ صافٍ ورائق؛ أستطيع التخيّل أنّه يمكن أن تكون هناك عذارى تلهو في المكان القريب.

سقراط: أعتقد أن البقعة ليست هنا بالضبط بل حوالى مسافة ربع ميل في المكان المنخفض، حيث تقدر على أن تجتاز إلى مزار آغرا[٢]. وأعتقد أنّ هناك نوعاً من المحراب لبورياس في ذلك المكان.

فيدروس: إنّني لم ألاحظ هذا أبداً؛ لكنّني ألتمس منك أن تقول لي، يا سقراط، هل تصدّق هذه القصّة؟

سقراط: إنّ الحكيم يشكّ، يا فيدروس، وما يجب عليّ أن أكون فريداً إنْ شككتُ مثل الحكماء أيضاً. يمكنني أن أمتلك إيضاحاً عقليّاً إنْ قلت إنّ أوريثيا كانت تلعب مع فاراماسيا عندما حملتها عاصفة الريح فوق الصخور المجاورة. وكون هذا هو أسلوب موتها، قيل إن بورياس نقلها وأبعدها. يوجد

تناقض بخصوص الموقع مع ذلك؛ وطبقاً لرواية أخرى للقصّة فإنّها أُخذت من آريوباغوس، وليس من هذا المكان. وبعدُ فإنّني أعترف تماماً بأن تلك الاستعارات جميلة جدّاً. لكن لا يلزمه أن يُحسد مَن كان عليه اختراعها. إنّه سيحتاج لكثير من العمل الشاقّ والبراعة، وينبغي عليه أن يثابر على ذلك وأن يعيد تأهيل هيبوسانتروس وخيمراس الملحّ. أمّا غورغونز GORGONS(٣) والأحصنة المجنحة فجرت مسرعة، وكذلك فعلت الطبائع الأخرى العجيبة التي لا تُحصى ولا تصدَّق. وإن كان هو شكوكياً بشأنها، وسيُسر بتصغيرها الواحدة بعد الأُخرى إلى قواعد الاحتمال، فإنّ هذا النوع من الفلسفة اللاّمهذبة سيستغرق مقداراً كبيراً من الوقت. وبعدُ فإنّي ليس لديَّ وقتُ فراغٍ لتحقيقات كهذه؛ هل سأخبرك لماذا؟ ينبغي عليَّ أن أعرف نفسي، كما تقول الآية المحفورة في معبد دلفي؛ ولكي أكون فضوليّاً بشأن ذلك الذي لا يخصّني، في حين لا زلت أجهل نفسي التي هي بين جنبيّ، وذلك مدعاة للسخرية. ولهذا السبب فإنّي أقول وداعاً لكلّ هذا؛ إنّ الرأي العامّ بخصوصها يكفيني. لأنّني لا أريد أن أعرف بشأن هذا، كما كنت قائلاً، بل أن أعرف نفسي. إني مخلوقٌ أكثر تعقيداً مضخّم بالعاطفة أكثر ممّا هو عليه التيفو TYPHO، أو أيّ مخلوق آخر من نوع ألطف وأبسط، وبما أنّني ممتلكاً بنعمة إلهية، فطبيعتي خلوٌ من الكبرياء والتكبّر. لكن دعني أسألك في غضون ذلك، يا صديقي: ألم نصل إلى الشجرة الوارفة الظلال حيث المكان الذي قدتنا إليه؟

فيدروس: نعم، هذه هي الشجرة.

سقراط: أُقسم بهيرا(٤)، أنّه مكان مريح جميل، ممتلىء بأصداء فصل الصيف وعبَقه. ها هي تلك الشجرة الباسقة العالية الفروع المنتشرة الأُغصان، وكذلك الـANGUS CASTUS(٥) شامخة ومتعنقدة، في تفتحها الكامل

وشذاها العطر. والنُّهير الذي ينساب تحتها يمنح القدمين البرودة البهيجة. إنّ هذا المكان هو المكان المقدَّس الذي يجب أن يخصّ أخيل ونيمفيس، وذلك باحتكامنا إلى الزينات والصور الطبيعية الموجودة فيه. كم هي عليلة هذه النسيمات هنا: إنّها هكذا عذبة. وأمّا في الهواء فهناك الصوت العالي النغمة الشبيه بما يحدث في فصل الصيف، والذي ينطبق على ما تفعله مجموعة أزياز الحصاد التي تنشد ألحاناً. لكن الأعظم سحراً منها جميعاً هو العشب الأخضر الطريّ. إنّه يشبه المخدَّة التي تحتضن الرأس بلطف. يا عزيزي فيدروس، إنّك كنت مرشداً رائعاً.

فيدروس: المخلوق الذي لا يُستطاع سبر أغواره هو أنت، يا سقراط؛ عندما تكون في الريف فإنّك تشبه غريباً ما يقوده مرشدٌ في تجواله، كما تقول. ألم تجتز تلك الحدود أبداً إلى أماكن أخرى؟ أعتقد بأنّك لم تجازف قطّ بالذهاب خارج بوابات السور على الأصحّ.

سقراط: عليّ طلبُ العفو والغفران منك، يا صديقي العزيز. إنّني محبّ للمعرفة، والرجال الذين يسكنون في المدينة هم معلميّ، وليس الأشجار والأحجار. ومع ذلك فإنّي أعتقد حقّاً بأنّك وجدت دوراً ما ستخرجني بواسطته من المدينة، شأني في ذلك شأن الحيوان الجائع الذي لُوِّحَ له بغصن أخضر طريٍّ أو بسلّة من الفواكه الناضجة. وأنت يمكنك أن تحملني على أن أتبعك حول أتيكا كلّها، وفوق العالم الواسع، إذا ما أمسكت أمامي كتاباً بطريقة مماثلة. وبعدُ بما أنّني وصلت إلى هنا، فإنّني عزمت على أن أتمدّد حيث نحن، واختر أنت الوضع الذي تستطيع أن تقرأ بواسطته بأفضل طريقة. إبدأ.

فيدروس: إسمع إذن. « تعرف أنت كيف تقف المسائل معي؛ وكيف يمكنني أن أرتّب هذا الشأن لمنفعتنا معاً، كما أتصوّر. وأؤكد بأنّه لا ينبغي أن أخفق في إيضاح قضيّتي، فأنا لست محبّك: لأنّ المحبين يندمون على الحنان الذي

أبدوه لِمَن يحبّون عندما تتوقّف عاطفتهم، لكنّ الذين لا يحبّون والمطلقي الحرية والذين لا إكراه عليهم فلا يأتيهم وقت الندم على الإطلاق؛ إنّهم يمنحون فوائدهم طبقاً لمقياس قدرتهم وإمكانيتهم، وبالطريقة الّتي تفضي لمصلحتهم الخاصة بالشكل الأكثر. إنّ المحبين إذن يعتبرون مرّة ثانية كيف أنّهم أهملوا شؤونهم الخاصّة بسبب حبّهم وقدّموا خدمة للآخرين. وعند تقديمهم لتلك الفوائد، مضافاً لها العناء الذي تحمّلوه، إعتقدوا بأنّهم كانوا أوفياء جدّاً نحو المحبوب. لكنّ اللاّمحبّ لا يمتلك تذكارات معذّبة كهذه؛ إنّه ليس لديه مشاكل كي يضيفها له أو اعتذارات كي يخترع. وكونه متخلّصاً من كلّ هذه الشرور والمحن، فلماذا لا يفعل الشيء الذي سيسرّ المحبوب بحريّة، كما يفترض؟ إنْ قلت أنت إنّ المحبّ يكون تقديره أكثر، لأنه يُظنُّ أنّ حبه أعظم، فهو على استعداد لأن يقول ويفعل ما يكرهه الرجال الآخرون، كي يَسُرَّ محبوبه؛ ـ وإن كان ذلك صحيحاً، فما هو سوى برهانٍ على أنّه سيفضّل أيّ حبّ مستقبليٍّ على حبّه الحاضر، وسيؤذي محبوبه القديم في متعة حبّه الجديد. وكيف يستطيع إنسان، في قضية كهذه ذات أهميّة لا تحدُّ، كيف يستطيع أن يكون محقّاً في ائتمان نفسه إلى شخص ابتُلي بعلةٍ لن يحاول أن يشفيها أي شخص ذو خبرة، لأن المريض نفسه يعترف بأنّه ليس في وعيه التام الصحيح، ويؤكّد بأنّه مخطىء في تفكيره، لكنّه يقول إنّه ليس قادراً على أن يكبح جماح نفسه؟ وإنْ عاد هو إلى إدراكه المتّزن، فهل سيتصوّر قطّ أنّ الرغبات تلك التي تلقّاها حينما كان عقله في خبلٍ كانت صالحة؟ مرّة ثانية، فان هناك عدداً أكثر من اللامحبّين بدل المحبّين، وسيكون الخيار أرحب، وستكون أنت قادراً على أن تجد بينهم شخصاً يكون جديراً بصداقتك على الأرجح. إذا كنت تخشى الرأي العامّ، وستتفادى الاكتشاف واللوم، فإنّ المحبّ الذي سيتصوّر دائماً أنّ

الرجال الآخرين هم منافسون له كما يكون هو منافساً لهم بكل الأحتمالات، إنّ المحب هذا سيتباهى لواحد ما في خلفائه، وسيقوم باستعراضٍ لهم بشكل علنيّ للاعتداد بنفسه؛ - إنّه يريد أن يعرف الآخرون أنّ جهده لم يذهب هدراً. لكنّ اللامحبّ يكون أكثر من سيّدٍ خاصّ به، وهو راغب في خير حقيقيّ، وليس في رأي الجنس البشريّ. مرّة ثانية، فإنّ المحبّ يمكن أن يُلاحظ أو يُرى متعقِّباً المحبوب « إنّ هذه المهنة هي مهنته المنتظمة »، وفي أيّ مكان تتمّ مراقبتهما وهما يتبادلان كلمتين، قد يُظنُّ أنّهما يلتقيان لشأن ما من أمور الحبّ لِمَا مضى أو في تأمّلٍ لها؛ غير أنّ اللامحبّين يتقابلون، ولا يسأل أحد منهم السبب لذلك، لأنّ الناس يعرفون أنّ حديث بعضهم إلى البعض شيء طبيعي، سواء أكان الباعث هو للصداقة أو لمجرّد اللذة. مرّة أخرى، إن كنت تخشى تقلُّب الصداقة، خذ بعين الاعتبار أنّه يُمكن أن يكون بؤساً متبادلاً في أيّة حالة أخرى؛ لكن الآن، عندما تعطي ما هو الأكثر نفاسة عندك، فأنت ستكون الخاسر الأكبر. ولهذا السبب، سوف يكون لديك سبب أكثر في كونك خائفاً من المحبوب، لأنّ مصادر إغاظته متعدّدة، وهو يتوهّم أنّ كلّ شخص يتآمر أو يتكتّل ضدّه على الدوام. ومن أجل ذلك فإنّه يحرّم أو يمنع محبوبه من الاجتماع بالآخرين. وهو لن يجعلك في علاقة حميمة مع الأثرياء، خشية أنْ يزايدوا عليه بغناهم، أو مع الرجال المتعلّمين مخافة أن يتغلبوا عليه بفهمهم. وهو يكون خائفاً من تأثير أيّ شخصٍ مساوٍ له يمتلك أيّة أفضلية أخرى فوق نفسه. وإن استطاع هو أن يجعلك مكروهاً منهم، فإنّك ستُترك بدون صديق في العالم؛ أو إذا امتلكت إدراكاً أكثر من أن تستجيب لرغبته، وذلك من اعتبارك لمصلحتك الخاصّة، فما عليك إلاّ أن تتخاصم معه حينها. لكنّ أولئك الذين هم غير محبين، والذين يكون نجاحهم في الحبّ جائزة جدارتهم، فلن

يكونوا غيارى من رفاق محبوبهم، وسيكرهون بالأحرى أولئك الذين يرفضون أن يكونوا عشراءه، ظنّا منهم أنَّ محبوبهم يُهمله الآخرون وينفعه السابقون. وهكذا فإنّ الشأن في هذه الحالة هو أن يجلب حبّاً أكثر بكثير ممّا يجلبه الكره على الأرجح. إنّ العديد من المحبّين أيضاً أحبّوا الشخص الفتيّ قبل أن يعرفوا أخلاقه أو أن يَخْبَروا أوضاعه وحالاته؛ وهكذا فهم لا يستطيعون أن يتأكّدوا سواء إذا ما كانوا سيستمرون في أن يكونوا أصدقاءه، عندما تخبو عواطفهم وتضعف نزعاتهم؛ في حين أنّ الصداقة لا تقلّلُها المنحُ الموهوبة، في حالة اللامحبين الذين هم أصدقاء على الدوام. غير أنّ تذكر هذه العطايا تبقى معهم، وتكون علامة هامة للأشياء الجيّدة بدون نهاية. أقول أبعد من ذلك وهو أنّك ستتحسّن بي أكثر ممّا تتحسّن بالمحبّ على الأرجح. هُمْ يثنون على كلماتك وأعمالك بطريقة خاطئة؛ يفعلون هذا جزئياً، لأنّهم يخافون أن يجرحوا مشاعرك، ولأنّ حكمهم أضعفته العاطفة أو الشهوة أيضاً. هكذا هي الأعمال التي يعرضها الحبّ: إنّه يجعل الأشياء مؤلمة للّذين خابت آمالهم والذين لا يسبّبون آلاماً للآخرين؛ يلزم المحبّ الناجح أن يمدح الذي ينبغي أن لا يمنحه اللذّة، ولذلك فإنّ المحبوب يُرثى لحاله بدل أن يكون موضع حسد. لكن إن استمعت لي، في المقام الأوّل، فإنّي لن أعتبر متعتك الحاضرة بشكل مجرّد، وذلك لعلاقتي معك، بل إنّني سأقدرعلى منفعتك المستقبليّة، كونها لم يكن الحبّ سيّدها، بل كان سيّدي سيّداً لها. لا ولم أكره كرهاً عنيفاً لأسباب تافهة، بل إنّه عندما يكون السبب عظيماً، فإني أُبعِد الحنق ببطء، سأعفو وأصفح عن الاعتداءات اللامتعمّدة. وأما الأخرى المقصودة فسأحاول منعها؛ لأنّ هذه هي علامات الصداقة التي ستبقى وتدوم. هل ستعتقد أنّ المحبّ يستطيع أن يكون صديقاً ثابتاً فقط؟ خذ بعين الاعتبار: ـ إن كان هذا صحيحاً فإنّنا سنضع قيمة

صغيرة على أبنائنا، أو على آبائنا، أو أمّهاتنا؛ لا ولن يكون لدينا أصدقاء أوفياء على الإطلاق، لأنّ حبّنا لهم لا ينشأ من العاطفة، بل من المرافقات الأخرىَ. وأبعد من ذلك، إنْ وجب علينا أن نمطر المنن والهبات على أولئك الذين يكونون الملتمسين الأكثر تشوّقاً له، ـ يلزمنا طبقاً لهذا المبدأ، أن نفعل الخير بشكل دائم، ليس للأكثر فضيلة، بل للأكثر احتياجاً؛ لأنّهم هم الأشخاص الذين سيكونون الأكثر ارتياحاً ممّا هم فيه، وسيكونون الأكثر إقراراً بالجميل لذلك. وحينما تولم يلزمك أن لا تدعو أصدقاءَك، بل الفقراء المعدمين ذوي الأرواح الخالية، لأنهم سيحبونك، ويصغون لك، وسيأتون لقرب أبوابك، وسيكونون الأفضل انشراحاً ومسرّة، والأكثر اعترافاً بالفضل، ويتمنون أن تحل عليك النعم الكثيرة. ومع ذلك فإنّه لا يلزمك أن تسدي المعروف لأولئك الذين يحيطونك بالصلوات، بل لأولئك الذين هم الأفضل قدرة على أن يكافئوك؛ حتّى ولا لأولئك الذين يستمتعون بزهرة شبابك بل لأولئك الذين يثابرون على إشراكك فيما يملكون أثناء تقدّمك في السنّ؛ ولا لأولئك الذين، بسبب نجاحهم، سيفاخرون الآخرين في نجاحهم بتباهٍ وغرور، بل لأولئك الذين سيكونون متواضعين ولا يخبرون القصص عنك؛ ولا لأولئك الذين يهتمّون بك للحظةٍ فقط، بل لأولئك الذين سيستمرّون أصدقاءَك مدى الحياة؛ ولا لأولئك الذين سيفتعلون خصاماً معك عندما تنتهي عاطفتهم ونزوتهم، بل على الأصح لأولئك الذين سيبيّنون فضيلتهم الخاصّة، حينما تركك سحر الشباب وفتنته. تذكّر ما قلت، وتأمّل هذه النقطة الرئيسيّة الأبعد: الأصدقاء يذكّرون بالمحبّ تحت فكرة أنّ طريقة الحياة هذه سيّئة، لكن لم يلم أحد من أقربائه غير المحب برغم ذلك أبداً، أو تصوّر أنه نُصِح نصحاً سيئاً بشأن مصالحه الخاصة.

« لربما ستسألني إن كنت أقترح اتّهام كلّ لامحبّ. أجيب على ذلك بأنّه

حتّى المحبّ سينصحك كي تكون ميّالاً نحو كلّ المحبّين، لأنّ المعروف غير المميّز يكون أقل تقديراً بالمتقبّل العقلانيّ، والمستور الأقلّ به الذي سيهرب من لوم وتوبيخ العالم. وبعدُ فإنّ الحبّ يجب أن يكون لمنفعة الطرفين كليهما، وليس لأذيّة أيّ منهما ».

« أعتقد أنّني قلت ما فيه الكفاية؛ لكن إن كان هناك شيء أكثر ترغب إبداءَ الرأي فيه، أو يحتاج أن يُقدَّم، فاسألني وسأجيبك ».

والآن ماذا تعتقد، يا سقراط؟ أليس الحديث ممتازاً، والأكثر روعة في مسألة اللغة بشكل خاصّ؟

سقراط: نعم، إنّه رائع تماماً؛ وتأثيره عليّ سلب لبّي، وهذا ما أدين لك به، يا فيدروس، ولاحظت أنك، بينما كنت تقرأه، كنت في ابتهاجٍ غامر، واتّبعت أنا مثالك لأنّني تصوّرت أنك أكثر خبرة منّي في هذه المسائل، وأصبحت ملهماً بجنونٍ مثلك، يا عزيزي الإلهي.

فيدروس: حقاً، هل أنت مسرور لتكون مرحاً؟

سقراط: هل تعني أنّني غير جادّ فيما أقول؟

فيدروس: لا تتكلّم بهذه الطريقة الآن، يا سقراط، لكن اعطني رأيك الحقيقيّ؛ إنّني أناشدك بزيوس، إله الصداقة، بأن تقول لي إن كنت تظنّ بأن أيّ هيليني يمكنه أن يتكلّم أكثر أو يقول أفضل في الموضوع عينه؟

سقراط: حسناً، لكن هل يُتوقّع منك ومنّي أن نثني على عواطف المؤلّف، أو على وضوح، وكمال، وإنجاز، ومباراة اللّغة فقط؟ وفيما يتعلّق بالقسم الأوّل فإنّي أسلّم طوعيّاً لحكمك الأفضل، لأنّي لست جديراً بإبداء رأي بشأنه؛ وبما أنّني اعتنيت بالقضيّة المحتفِلة بالأسلوب على حساب الفكر، وكنت شاكّاً إذا ما أمكن الدفاع عنها حتى بليسياس نفسه؛ تصوّرت ، مع أنّني أتكلّم تحت التصحيح، تصوّرت أنّه ردّد نفسه مرّتين أو ثلاث مرّات، إمّا بسبب افتقارة

للطلاقة في الكلام عن موضوع فردٍ بتفصيل تام، أو بسبب الحاجة للاهتمام في موضوع كهذا. وظهر لي أنّه يجذل بتباهٍ في تبيين كيف يستطيع أن يقول الشيء عينه جيّداً بطريقتين مختلفتين.

فيدروس: سفاسف، يا سقراط؛ إنّ ما تسمّيه تكراراً كان الميزة الاستثنائية لحديثه، لأنّه لم يُسقِط أيّ موضوع سمح به الموضوع المطروح بحقّ، وإنّني لا أظنّ أيّ شخصٍ يقدر على أن يتكلم أفضل أو أكثر بشكل شامل.

سقراط: لا أستطيع أن أوافق على ما تقول هناك. إنّ الحكماء الغابرين، نساءً ورجالاً، الذين تكلموا أو كتبوا عن هذه الأشياء سيثورون في حُكمٍ ضدّي، إنْ وافقت معك من لين الجانب.

فيدروس: ما هي، وأين سمعت أيّ حديث أفْضل من هذا الحديث؟

سقراط: إنّني متأكّد بأنّي سمعت؛ لكنّي لا أتذكّر ممّن سمعت في هذه اللحظة، لربّما سمعت من سابهو الجميل، أو من أناكريون الحكيم، أو ربّما سمعته من كاتب نثريّ. أيُّ أساسٍ لديَّ لقول ما أقوله؟ لماذا، لأنّي أتصوّر بأنّ صدري ملآن، وأنّني أقدر على جعل الكلام الآخر جيّداً مثلما هو كلام ليسياس، ومختلفاً كذلك. وبعد فإنّني متأكّد بأنّ هذا الاختراع لا يخصّني، والذي أُدرك جيّداً بأنّي لا أعرف عنه شيئاً. لذلك فأنا أستطيع فقط أن أستنتج بأنّني كنت ممتلئاً من خلال الأذنين، مثل الإبريق، ومن مياه الآخرين، وبرغم ذلك فإنّي نسيت، من غبائي، كيف حدث هذا في الواقع، ومَنْ الذي أخبرني.

فيدروس: إنّ ذلك لعظيم: ـ لكن لا تهتمّ بكيفية سماع المحادثة أو ممّن سمعتها. دع ذلك يكون سرّاً لا يُفشى حتّى عند إلحاحي الشديد في هذا. إعطني وعداً فقط، كما تقول، لأن تؤلّف خطاباً آخر أفضل، مساوياً لخطاب ليسياس بطوله وجديداً بشكل تامّ، وعن الموضوع عينه؛ وإنّني سأعدك، مثل

الحكّام التسعة، بأن أقيم نصباً ذهبيّاً في معبد دلفي، ليس لنفسي فقط، بل لك أيضاً، وسيكون نصباً كبيراً كالحياة.

سقراط: إنّك لصديق عزيز، ذو نزعة ذهبيّة حقّاً، هذا إن افترضت أنني أعني أنّ ليسياس قد أخطأ العلامة أو القصد تماماً، وأنّي أستطيع أن أؤلّف خطاباً ستُستثنى منه كلّ هذه المحاورات. سيقول أسوأ المؤلفين شيئاً ما يكون على نحوٍ وثيق الصّلة بالموضوع. مَن يقدرُ على أن يتكلم عن طريقتك هذه، كمثال، بدون الثناء على تعقّل اللامحبّ ولوم طيش المحبّ؟ إنّ هذه الأشياء هي الأشياء المألوفة للموضوع الذي يجب أن يأتي « إذ ما هي الأشياء الأخرى الموجودة كي تُقال؟ » والتي ينبغي السماح لها والتغاضي عنها. إنّ الفضيلة تكون في ترتيبها فقط، لأنّه لا يمكن أن يوجد شيء منها مُخترع. لكنّك عندما تترك الأشياء المعتادة، يمكن أن يوجد شيء ما في الأصل عندئذ.

فيدروس: أعترف بأن هناك سبباً فيما تقول، وسأكون أنا معتدلاً أيضاً، وسأسمح لك في أن تبدأ بالمقدمة المنطقيّة وهي أنّ المحبّ يكون أكثر اضطّراباً في حصافته من اللامحبّ. هذا إن أَلّفت فيما بقي خطاباً أطول وأفضل من خطاب ليسياس، وإن استخدمت المحاورات الأخرى. سأقول مرّة ثانية حينئذ، إنّه سيكون لديك تمثال من الذهب المطروق، وستأخذ مكانك بضخامة.

سقراط: كم يكون المحبُّ جادّاً بشكل عميق جدّاً، ولأنّني أضع إصبعاً فوق حُبّه وذلك كي أعذبه! وهكذا، يا فيدروس، فإنّك تتصوّر حقّاً بأنّي سأتحسّن، مستمدّاً هذا التحسّن من براعة ليسياس؟

فيدروس: أحرجتني هناك مثلما أحرجتك، ويجب عليك أن تتكلّم تماماً « كأفضل ما تتمكّن من ذلك ». لا تدعنا نتبادل الكلام كأنّنا في مهزلة، أو تجبرني على أن أقول لك ما قلته لي، « إنّني أعرف سقراط كما أعرف نفسي،

وكان هو عازماً على أن يتكلّم، لكنّه اصطنع الكبرياء ». أريدك أن تتأمّل بالأحرى أنّنا لن نتحرك من هذا المكان حتّى تبوح لي بسريرة نفسك عن الحديث. فنحن هنا وحيدان، وأنت تعرف بأنّي الأقوى والأفتى منك، تذكّر ذلك جيّداً: وتأمّل مليّاً لهذا السبب، ولا تجبرني على استعمال القوّة.

سقراط: لكن؛ يا فيدروس الحلو، كم سأكون مضحكاً إذا باريت ليسياس في حديث مرتجل! إنّه سيّدٌ في فنّه، أمّا أنا فإنسان غير متعلّم.

فيدروس: إنّك ترى كيف تقف المسائل. ولهذا السبب لا تدع وجود ادّعاءات أكثر ممّا ذُكر؛ لأنّني أعرف حقّاً الكلمة التي لا تقاوم.

سقراط: لا تقلها إذن.

فيدروس: نعم، لكنّني سأفعل؛ وستكون كلمتي هذه قَسَماً. « إنّي أقول، أو إنني أقسم على الأصحّ » ـ لكن أيُّ إله سيكون شاهداً على قَسَمي؟ ـ « أقسم بهذه الشجرة الباسقة بالتحديد، إنْ لم تكرّر الحديث هنا في وجه هذه الشجرة الباسقة بالتحديد، لن أتلو أو أقرّر لك أيّ حديث لأي مؤلف أبداً مرّة ثانية ».

سقراط: أيّها الوغد! إنّني غُلبت على أمري؛ إنّ الإنسان الفقير المحبّ للحديث ليس لديه أيّ شيء ليقوله.

فيدروس: لماذا لا تزال عند خِدَعِك إذن؟

سقراط: إنّني لست ذاهباً لأمارس أية خدعة الآن لأنك أدّيت قسماً، إذ لا أقدر أن أسمح لنفسي أن تقاسي الحرمان.

فيدروس: تقدَّم.

سقراط: هل سأخبرك ماذا سأفعل؟

فيدروس: ماذا؟

سقراط: سأزيح القناع عن وجهي وأعدو بسرعة قدر ما أستطيع أثناء المحاورة، لأنّني إنْ رأيتك سأشعر بالخجل ولن أعرف ما أقول.

فيدروس: واصل الكلام فقط، ويمكنك أن تفعل أيّ شيء يسرّك.

سقراط: تعالَيْنَ، أوه أنتنَّ يا آلهات الغناء والشعر والعلوم والفنون، سواء إذا تلقيتنَّ اسمكنَّ ليجايا « النغمة الموسيقية » من شخصية أنغامكنَّ، أو لأن السلالة الليغوريانية هي سلالة موسيقيّة. ساعِدْني، أوه ساعدني في سرد القصة التي يرغب مني صديقي الصالح أن أكرّرها هنا، كي يتمكّن صديقه، الذي يعتبره حكيماً على الدوام، من أن يبدو له أنه الآن أعقل من أيّ وقتٍ مضى على الإطلاق.

كان هناك صبيٌّ جميلٌ في زمن مضى، وإذا تكلّمت بشكل مناسب أكثر، كان هناك شابّ؛ إنّه كان شابّاً وسيماً وكان لديه العديد من المحبّين الكثر. وكان أحدهم جذّاباً، فتعقّب الفتى الذي لم يحبّه، لكنّه أحبّه أكثر من أي واحدٍ آخر؛ وعندما كان يوجّه كلامه له ذات يوم، استخدم هذه العبارة بالتحديد ـ إنّه يلزمه أن يقبل اللاّمحبّ بدلاً من المحبّ؛ وكانت كلماته على الشكل التالي: ـ

« تبدأ كلّ النصائح الخيّرة بالطريقة عينها؛ يجب على الإنسان أن يعرف الشيء الذي ينصح بشأنه، وإلاّ فإن نصيحته ستصل إلى لا شيء. لكنّ أكثر الناس لا يدركون جهلهم بجوهر طبيعة الأشياء، ولم يبلغوا إلى الفهم في البداية لأنّهم يظنّون بأنّهم يعرفون، وينتهون، كما يمكن توقّعهم، في مناقضة بعضهم البعض ومناقضة أنفسهم. وبعدُ ينبغي عليَّ وعليك أن لا نكون مذنبين في هذا الخطأ الأساسي الذي ندين الآخرين بوقوعهم فيه. لكن بما أنّ سؤالنا هو ما إذا كان يُفضَّل المحبّ أو اللامحبّ، دعنا نتّفق على تعريف طبيعة وقوّة الحبّ قبل كلّ شيء، وأن نبقي أعيننا على التعريف ونقبل بهذا الاحتكام. دعنا نتساءَل أيضاً إذا ما كان الحب يجلب فائدة أو ضرراً.

« يرى كلٌّ شخص أنّ الحبّ رغبة؛ ونعرف نحن أنّه حتّى اللامحبّون يتمنّون الجمال؟ دعنا نلاحظ بعناية أن هناك مبدآن اثنان هاديان في كل واحد منا، وهما اللذان يقوداننا حيث يشاءان. أحدهما هو الرغبة الطبيعيّة للّذة، والآخر هو رأي مكتسبٌ يتوق إلى الأفضل؛ وهذان المبدآن الاثنان يكونان في تناسق وتناسب بعض المرات، ومن ثمّ فهما في حالة حرب، ويتغلّب المبدأ الأوّل أحياناً، والثاني مرة أخرى. وعندما يقودنا الرأي بمساعدة العقل إلى الأفضل، ويبرهن على أنه أسمى، فإنّ حكومته تسمى العدل؛ لكن عندما تتحكّم فينا الرغبة التي هي خلو من العقل، وتجرّنا إلى اللذّة، فتلك القوة لسوء الحكم تدعى إفراطاً. وبعدُ فإنّ الإفراط له أسماء متعدّدة، كونه مؤلّفاً من عدّة أعضاء وأشكال، ويعطي أيٌّ من هذه الأشكال اسمه الخاصّ إلى المتملّك حينما يُوسَم بالتحديد. إنّه إسم ليس شريفاً ولا جديراً بالإكبار. إن رغبة الأكل والرغبات الأخرى، كمثال، التي تحصل على الأفضل من السبب الأعلى، تسمى نَهَماً، ويدعى الذي يمتلكها شرِهاً. إنّ رغبة الشرب الاستبداديّة، التي تجعل المتملّك لها ينحدر إليها، هذه الرغبة لها إسم واضح جدّاً فقط، ويمكن أن يوجد شكّ ضئيل بأيٍّ إسم ستدعى الشهية إلى العائلة عينها؛ ـ إنّه سيكون الإسم لذلك الذي يحدث أن يكون مسيطراً. وبعدُ فإنّني أعتقد بأنّك ستدرك مغزى حديثي؛ لكن بما أنّ كلّ كلمة محكيّة هي إلى حد ما أوضح من الكلمات غير المحكيّة، فمن الأفضل لي أن أقول أيضاً إنّ الرغبة اللاعقلانيّة التي تُخضع ميل الرأي نحو الحق، وتُحمل إلى التمتّع بالجمال، وخاصّة الجمال الشخصيّ، تُحمل بالرغبات التي تكون من أصلها وطبيعتها التي تخصُّها ـ أقول، إنّ تلك الرغبة الأبرز، التي تُخضعها القيادة وقُوّة الشهوة، إنّ تلك الرغبة تُعزّز وتُدعَّم، وتتلقى إسماً من هذه القوة بالتحديد، وهو الذي يُدعى حباً ».

والآن، يا عزيزي فيدروس، سأتوقّف لحظةً لأسألك هل تعتقدني ملهَماً، مثلما أبدو لنفسي؟

فيدروس: نعم، يا سقراط، يبدو أنّك تمتلك تدفّقاً فريداً جداً من الكلمات.

سقراط: إستمع إليّ إذن، في صمت؛ لأنّ المكان مقدسٌ بكلّ تأكيد؛ ولذا فلا يلزمك أن تتعجّب، إذا ظهرت في جنونٍ إلهي أثناء تقدّمي في الحديث، فأنا متهيّئ للدخول إلى الكلام الحماسي الآن.

فيدروس: لا شيء يمكنه أن يكون أفضل.

سقراط: إنّ المسؤولية تقع عليك، لكن إستمع لما سيلي، ولربّما يمكن تجنّب المناسب؛ إنّ الكلّ يكون في أيديهم عالياً. سأواصل قول ما أقوله لفتاي. إسمع: -

وهكذا، يا صديقي، نحن أعلنّا وعرّفنا طبيعة الموضوع، ومع احتفاظنا بالتعريف في فكرنا، دعنا نحقّق الآن في أيّة مصلحة أو ضرر يمكن أن ينبثقا من المحبّ أو اللامحبّ إلى مَن يقبل بتقدّمهما.

إنّ الذي سيكون ويكون ضحيّة شهواته وعبَد لذّته سيرغب طبعاً في أن يجعل محبوبه مقبولاً له قدر الإمكان. وبعدُ فإنّ مَن يمتلك عقلاً مريضاً يساويه أو يفوقه فهو مكروه منه؛ ولهذا السبب فإنّ المحبّ لن يطيق أيّ تفوّق أو تساوٍ من جانب محبوبه، إنّه يوظّف نفسه في تقليله إلى الدونيّة على الدوام. ويكون الجاهل الأقلّ شأناً وأهميّة من العاقل، والجبان من الشجاع، والبطيء في الكلام من المتكلّم، والبليد من الحاذق. إنّ تلك الأشياء تكون قاتمة، أو حتّى أقتم من هذه، إنها الشوائب العقلية الّتي سيبتهج بها المحبّ عندما تُغرس بالطبيعة؛ والّتي يجب أن يجد وسيلة كي يغرسها في محبوبه بطريقة أخرى، إن لم يتجرَّد هو من فرحه السريع الزوال. لكن لا يمكنه منع نفسه من أن يكون غيوراً حينئذ، وسيحرم محبوبه من منافع المجتمع التي هي الأكثر اتجاهاً لتخلق منه إنساناً، والمسبّب له بهذا

التصرف أذىً عظيماً؛ وهي ضارّة له بشكل خاصّ إذ تُحوِّله عن ذلك المجتمع الذي كان سيعطيه الحكمة. يعني، سيكون هو مُجبراً على طرح الفلسفة الإلهيّة عنه لخوفه المفرط، وخشية أن يصبح محتقراً في عينيه؛ وليس هناك أذىً أكبر من هذا الأذى الذي يقدر على أن يُلحقه بنفسه. سيجد وسيلة كي يصيِّر محبوبه جاهلاً بشكل كامل، وسيُعنى به في كلِّ شيء؛ سيكون هو البهجة لقلب محبّه، والبلاء لنفسه. يقيناً، أنّ المحبّ حارس مفيد وزميل له في كل ذلك الذي يناسب عقله.

دعنا نرى تالياً كيف أنّ الذي يكون سيّده وقانونه في الحياة هي اللذّة وليس الخير، دعنا ننظر إليه كيف سيقي ويدرِّب جسد خادمه. ألن يختار هو محبوبه الذي يكون رقيقاً بدلاً من الآخر الثابت والقويّ؟ الواحد الذي ترعرع في منازل صيفيّة ظليلة وليس تحت حرّ الشمس الساطعة، الغريب عن ممارسات الرجولة والكدح، المعتاد على نظام الحمية السهل والدالّ على الترف، بدل امتلاكه أشكال الصحّة الممتلكة حلية الحيوية المزخرفة الألوان، وراحة الجسد؟ - هكذا تكون الحياة كما يمكن لشخص أن يستطيع تخيّلها والتي لست بحاجة لأن أشرحها بتفصيل تامّ. لكن يمكنني أن أوجز كلّ ذلك الذي عليّ أن أقوله بكلمة، وأمشي. سيشكل شخص كهذا القَلَقَ لأصدقائه ولمحبّه في الحرب أيضاً، أو في أية أزمة كبرى من أزمات الحياة، ولن يشكل الرعب لأعدائه بكلّ تأكيد.

ولنترك هذه النقطة الرئيسية الواضحة، ودعنا نخبر عن الفائدة أو الخسارة التي سيتلقاها المحبوب من الوصاية عليه في مسائل خاصيّته ومن العشرة لمحبّه. إنّ هذه النقطة هي النقطة الرئيسيّة التالية التي يجب اعتبارها. سيكون المحبّ الشخصَ الأوّل الذي يرى حقّاً ما الذي سيكون واضحاً لكلّ الرجال بشكلٍ كافٍ، وهو أنّه يرغب قبل كلّ شيء أن يجرِّد محبوبه من تلك

الأشياء الأعزّ على قلبه والأكثر ملاءمةً وإعداداً له، وحتى من أغلى وأقدس ما يملكه، الأب، الأم، الأقرباء، والأصدقاء - إنه سيفرح لرؤيته محروماً من كلّ الذي يظنّ أنّه يمكن أن يكون معوّقات أو محسّنات لضدّها الأكثر حلاوة؛ إنّه سينظر بحسدٍ حتّى على ما يمتلكه من ذهب وفضّة أو من ممتلكاته الأخرى، لأنّ هذه الممتلكات ستجعله ضحيةً، سهل القبول والانقياد حين الإمساك به. ولهذا السبب فإنّ المحبّ يكون غاضباً لأنّه يملكها بالضرورة ويبتهج لفقدها. وسيحب له أن يكون بدون زوجة، بدون أطفال، وبدون بيت أيضاً، وإن أطول مدّة يقضيها بدون هذه الأشياء هي المدّة الأفضل، لأنّ ما يرغبه هو مواصلة تحقيق رغباته الأنانيّة لمدة طويلة قدر المستطاع.

يوجد نوع من الحيوانات، مثل المتزلّفين، الذين يكونون عبثيّين وخطرين بما فيه الكفاية، وبرغم ذلك فإنّ الطبيعة مزجت لذّةً ورشاقةً مؤقّتة في تركيبهم. يمكنك أن تقول إنّ المومس هي حيوان مؤذٍ، وأن تستنكر العديد من مخلوقات كهذه وتستهجن الكثير من ممارساتها، ومع ذلك فإنّها تكون سارّةً لوقت محدّد جداً. لكنّ المحبّ ليس مؤذياً لحبّه فقط؛ بل إنّه رفيق غير ملائم بشكل قصيٍّ أيضاً. يقول المثل القديم « الطيور ذوات الريش المتشابه يألف بعضُها بعضاً »، وافترض أنّ التساوي في العمر ينزع بها للملذّات عينها. والتشابه يستدعي الصداقة. ويمكنك أن تحوز من هذا حتى أكثر من كفاية مع ذلك. يقال إنّ التقييد أو الإكراه هو ثقيل الوطأة أيضاً على كلّ الرجال في كل الأوقات. لكنّ العلاقة بين المحبّ ومحبوبه، بمعزل عن عدم تشابههما، تكون مقيّدة قدر الإمكان. إنّ المحبّ يكون كبير السنّ ومحبوبه فتيّاً، وهو لن يتركه لا في النهار ولا في اللّيل إن استطاع ذلك. إنّ الضرورة وحُمّةَ الرغبة يحثّانه على المتابعة لبلوغ الهدف، وتغريه اللذّة التي يتلقّاها من

الرؤية، والسمع، واللّمس، بل إنّه يلاحظه في كلّ طريقة. ولذلك فإنّه يبتهج عندما يسيطر عليه ويكون له سيّداً. لكن ما هي اللذّة أو المواساة التي يستطيع المحبوب أن يتلقّاها كلّ هذا الوقت؟ ألا يلزمه ألاًّ يشعر بأقصى الاشمئزاز حينما ينظر إلى وجهٍ خبا منه سحر الشباب، كما بهت من كلّ شخص المحبّ حقاً؟ إن كان ذِكْر أشياء كهذه غير مستحسن ومؤذياً، فإنّها تكون أكثر سوءاً إن فُرضت على الاتصال اليومي مع مَن سيلتقي معهم. إنّ المحب يُراقَب ويُحرس بحسد من كلّ شيء ومن كلّ شخص، وعليه أن يسمع ثناءات في غير موضعها ومبالغاً فيها عن نفسه، وأن يعيب وينتقد المدح غير الملائم بشكلٍ مماثل، والذي يكون مفرطاً فهو عندما يكون الإنسان صاحياً وغير ثمِل، لكن حينما يكون سكران فإنها حالةٌ تصبح مثيرة للاشمئزاز كما أنّها لا تطاق، لصراحتها المرهقة وغير المقيّدة. ولا يكون المحبّ عبثيّاً وغير سارٍّ في حين يستمرّ حبّه، لكن عندما ينقطع حبّه يصبح عدوّاً خؤوناً للمحبوب وهو الذي أمطره بأيمانه وتعهّداته وصلواته ووعوده، ومع ذلك فهو يقدر بصعوبة على أن يقنعه بعد إلحاح كي يحتمل ملل عشرته حتّى من بواعث مصلحيّة. إنّ وقت الجزاء حان، وهو الآن خادم لسيّد آخر. وبعدُ فإنّ الحكمة والاعتدال هما سيّداه الحميمان، بدلاً من الحبّ والصبابة والهيام، غير أنّ المحبوب لم يكتشف التغيير الذي أخذ مكانه في المحبّ؛ وعندما يسأل مقابلاً لذلك ويتذكّر الأقوال والأعمال السالفة، فإنّه يعتقد أنه يكون متكلّماً للشخص نفسه وللآخر، وليس عنده الشجاعة كي يعترف بالحقيقة، وغير عارفٍ كيف سيفي بقَسَمِهِ ووعوده التي قطعها تحت تأثير الحماقة، وبما أنّ المحبوب كبُر الآن وهو حكيم ومعتدل، لا يريد أن يفعل كما فعل أو أن يكون كما كان سابقاً. وهكذا فإنّه يولّي الأدبار ويُكره على أن يقصّر في أداءِ واجبه؛ إنّ صَدَف المحارة قد سقط نحو

الأعلى على الجانب الآخر، إنّه غيَّر الملاحقة مستبدلاً إيّاها بالهرب، في حين أُخبر الآخر على أن يتبعه بعاطفة وولع ولعنة، غير عارفٍ بأنّه ما وجب عليه منذ البدء أن يقبل محبّاً مخبولاً بدلاً من محبّ مدرك واعٍ. وهكذا فإنّه في إحداثه لاختيار كهذا كان مسلّماً نفسه لمخلوق كافر، كئيب، حسود، سيّىء الطبع، مؤذٍ لوضعه الاجتماعي، ضارٌ لصحّته الجسدية، ولا يزال أكثر إيذاءً لتهذيب عقله، والذي لا يوجد ولن يكون أيّ شيء أبداً أكثر تكريماً منه في نظر الآلهة والرجال كليهما. تأمَّل هذا، أيّها الشابّ الوسيم، واعرف بأنّه لا يوجد عطف حقيقي في صداقة المحبّ: إنّ لديه شهوة ومتطلبات ليشبعها على حسابك:

مثلما تحبّ الذئاب الحملان هكذا يحبّ المحبّون محبّيهم.

وبما أنّني أخبرتك لهذا الحدّ، فإني أتكلّم بأسلوب نثريّ. ولهذا السبب فمن الأفضل أن أضع حدّاً لذلك وأكتفي بما قلته لك.

فيدروس: تصوّرت أنّك لا تزال في منتصف الطريق وأنّك كنت في طريقك لتؤلّف خطاباً مشابهاً بشأن كلّ المنافع والأفضليّات لقبول اللاّمحبّ. لماذا لم تتقدّم لطرح ذلك؟

سقراط: ألم تلاحظ بساطتك أنّني خرجت من الكلام الحماسي إلى الكلام البطوليّ، عندما تفوّهت بنقدٍ للمحبّ فقط؟ وإن كنت سأضيف ثناءَات اللامحبّ فماذا سيصير لي؟ ألم تدرك أنّ حصافتي قد أخضعتها نيمفس(٦) بشكل واضح، وهن اللاتي كشفنني لهنّ بشكل عبثي؟ ولهذا السبب فإنّني سأضيف فقط أنّ اللامحبّ يمتلك كلّ الأفضليّات التي يُتّهم فيها المحبّ بكونه ناقصاً. وبعدُ فلن أقول أكثر ممّا قلت؛ لأنّ ما قلته كان كافياً. وتاركاً القصة لمصيرها المحتوم، سأجتاز النهر وأعِدُّ أفضل ما أقدر عليه في طريق عودتي إلى البيت، خشية أن تُنزِل بي أسوأ شيء تريده.

فيدروس: لن تعود الآن، يا سقراط؛ قبل انقضاء حرّ النهار؛ ألا ترى أن الوقت هو وقت الظهر تقريباً؟ إنّ شمس الظهيرة في كبد السماء، كما يقول الناس، في الهاجرة. دعنا نبقَ هنا على الأصحّ ونتحدّث ونناقش الذي قلناه، ونعود عندما ينحسر الحرّ بعدئذ.

سقراط: إنّ محبّتك للمحادثة، يا فيدروس، هي فوق مستوى البشر، إنّها مدهشة بكلّ بساطة. ولا أعتقد بأنّ أيّ شخص من معاصريك ألّف أحاديث بطريقة أو بأخرى، وأجبر الآخرين على أن يقوموا بتأليف أحاديث متساوية في العدد سواك. سأستثني سيمياس الطيبي، لكنّ الباقين ما هم إلاّ خلفك وهم مقصرون عن اللّحاق بك في هذا المجال. وبعد فإنّني لا أعتقد حقاً بأنّك كنت سبب الأحاديث الأخرى، والتي يلزمني أن أعلنها.

فيدروس: إنّ تلك الأخبار أخبار سارّة. لكن ماذا تعني؟

سقراط: أعني أنني عندما كنت على وشك أن أجتاز الجدول فإنّ الإشارة المعتادة أُعطيت لي، - إنّها تلك الإشارة التي تمنع على الدوام، ولكنّها لا تأمرني قطّ بفعل أيّ شيء كنت مزمعاً القيام به؛ وتصوّرت بأنّي سمعت صوتاً، صوتاً هاتفاً في أذنيّ بأنّني كنت مذنباً بالعقوق، ويجب أن لا أولّي الأدبار إلاّ عند تقديم كفّارة لِمَا وقعت به. وبعدُ فإنّني إلهيٌّ، ومع هذا فلست إلهيّاً جيّداً، لكنّي أمتلك ديانة كافية لاستخدامي الخاصّ، مثلما يمكنك أن تقول عن متهجّيء سيّيء - إنّ تهجئته كفاية له؛ وأنا أدرك الآن خطئي بوضوح. أوه يا صديقي، كم هي نبويّة تلك الروح الانسانيّة! كان لديَّ نوع من الريبة لبعض وقتٍ مضى، بينما كنت لا أزال أتكلّم معك، ومثل أيبيكوس IBYCUS « كنت قلقاً؛ خفت أنّه يمكنني شراء الشرف من الرجال بثمن الإثم ضد الآلهة ». والآن فإنّي أدرك غلطتي.

فيدروس: أيّة غلطة؟

سقراط: إنّ الخطاب الذي أحضره معك كان خطاباً مروّعاً، وجعلتني أتفوّه بواحدٍ سيّيء مثله.

فيدروس: كيف ذلك؟

سقراط: أقول بأنّه كان خطاباً سخيفاً إلى حدّ ما، خطاباً لا يتّسم بالتقوى؛ أيمكن لأيّ شيء أن يكون أكثر إخافة؟

فيدروس: لا شيء، إذا كان الخطاب كما تصف حقاً.

سقراط: حسناً، أو ليسَ أيروس إبن أفروديت، وهو إله كذلك؟

فيدروس: هكذا يقول الرجال.

سقراط: لكنّ ذلك لم يعترف به ليسياس في حديثه، ولم تعترف بهِ أنت في ذلك الخطاب الآخر الذي انتزعته من شفتيّ بسحر ساحر. لأنّ الحبّ إن كان إلهياً، وهو كذلك بكلّ تأكيد ـ فلا يمكنه أن يكون شرّاً. ومع ذلك فإنّ هذا هو الخطأ في كلا الخطابين. كانت هناك بساطة بشأنهما أيضاً وهي التي كانت مجدَّدة القوى؛ ولم يكن فيهما حقيقة أو أمانة. وبرغم ذلك فهما تظاهرا ليكونا شيئاً ما، متأمّلَينِ النجاح في خداع أقزام الأرض وكسب شهرة بينهم. ومن أجل ذلك يلزمني أن أتطهّر. وإنّي أفتكر بتطهير قديم غابرٍ للخطأ الأسطوري الذي كان مبتكراً، ولن يكون هذا التطهير عن طريق هوميروس، لأنه لم يمتلك الذكاء أبداً كي يكتشف سبب عماه، بل الذي استنبط ذلك هو ستاسيخوروس، الذي كان فيلسوفاً وعرف سبب وجوب ذلك؛ ولهذا السبب، فإنّ هوميروس عندما فقد عينيه، كانت تلك هي العقوبة التي أُنزلت عليه لشتمه هيلين الجميلة، وأما هو فطهَّر نفسه في الحال. وكان التطهير اعترافاً علنياً منه بالخطأ، والذي بدأ هكذا:

إنّها باطلة تلك الكلمة التي تخصّني ـ الحقيقة هي أنّك لم تركب متن سفنٍ جيّدة التنضيد، ولم تذهب إلى حصن طروادة قطّ.

وعندما أتمَّ قصيدته، المسمَّاة « الاعتراف علناً بالخطأ »، فإنّ بصره عاد إليه في الحال. وبعدُ فإنّني سأكون أعقل من ستاسيخوروس أو هوميروس كليهما، وسأحثّ الخطى في هذا الاتجاه كي أجعل اعترافي العلنيّ بالخطأ لشتمي الحبّ قبل أن أقاسي نتيجة ما أقدمت عليه. وهذا ما سأحاوله، ليس مثلما فعلت قبلاً، متستراً ومستحياً، بل سأفعل ذلك بجبهة باسلة ومشرعة.

فيدروس: لا يمكن أن أقبل شيئاً أكثر من أن أسمعك تقول هكذا.

سقراط: فكِّر فقط، يا صديقي الصالح، أيّ نطق أبيْنَ في الحديثين الإثنين، وهو يحتاج إلى الدقة والرهافة؛ أعني نطق الحديث الذي يخصني، وذلك الذي تلوته أنت من الكتاب. ألن يتصوّر أيّ شخص كان هو نفسه نبيلاً وذا طبيعة لطيفة، وأحبَّ أو كان محبّاً أبداً لطبيعة مثل طبيعته، وعندما نخبره عن الأسباب التافهة لغيرة المحبين، وعن أحقادهم المفرطة، وعن الأذيّات التي يقومون بها نحو محبّيهم، أقول، ألن يتصوّر أنّ أفكارنا عن الحبّ أُخذت من بعض البحّارة الذين يلازمون شخصاً ما، والمعروف عنهم أنّ أخلاقهم ليست جيّدة ـ إنّه لن يعترف أبداً بعدالة نقدنا بالتأكيد؟

فيدروس: بوسعي أن أقول لا، يا سقراط.

سقراط: لذلك، ولأنّني أستحي عند ذكر فكر هذا الشخص، وأيضاً لأنّني خائف من الحبّ نفسه، فأنا أرغب في أن أغسل الصمغ الموجود في أذنيَّ بالماء المتدفّق من هذا النبع؛ وسأستشير ليسياس كي لا يتأخّر، بل أن يكتب محادثة أخرى ستبرهن أنّ المحب يجب أن يكون مقبولاً بدلاً من اللامحبّ.

فيدروس: كن متأكّداً أنه سيُقبل. ستتكلّم أنت عن ثناءات المحبّ وسأُجبِر أنا ليسياس كي يكتب محادثة أخرى في الموضوع عينه.

سقراط: إنّك ستكون صادقاً لطبيعتك في ذلك، ولهذا السبب فإنني أصدّقك.

فيدروس: تكلّم، ولا تخف.

سقراط: لكن أين الشابّ الجميل الذي كنت تخاطبه قبلاً، ومن يجب أن يستمع الآن؛ وخشية من أنه لن يسمعني، يلزمه أن يقبل اللامحبّ قبل أن يعرف ما هو فاعل؟

فيدروس: إنه في متناول اليد، وجاهز لخدمتك على الدوام.

سقراط: إعرف إذن، أيّها الشاب الوسيم، أنّ الحديث السابق كان كلمة فيدروس بن بيثوكليس من مقاطعة ميرهينا. وهذا الكلام الذي أنا على وشك أن أنطق به هو الاعتراف علناً بالخطأ، الاعتراف أُوجّهُ لستاسيخوروس بن يوفيموس، الذي أتى من بلدة هيميرا، وتأثيره كالتالي: « كانت كلمتي باطلة وزائفة » وهي أنّ المحبوب يجب أن يقبل اللامحبّ عندما يمكنه أن يمتلك المحبّ، لأنّ أحدهما يكون سليم العقل، والآخر مجنونا. يمكن أن يكون هذا كذلك إذا كان الجنون شرّاً بكلّ بساطة. لكنّ هناك جنوناً أيضاً هو هبة إلهيّة، وهو مصدر ومنبع النّعم الأكثر سموّاً الممنوحة للرجال. فالنبوّة جنون، وقد أنعمت النبيّة في معبد دلفي والكاهنات في معبد دودونا حينما كنّ خارج مداركهن، أنعمن كلّهنّ بفوائد عظيمة على هيلاس، في الحياة العامّة والخاصّة كليهما، لكنهنّ عندما كنّ في مداركهنّ لم يعطينَ سوى القليل منها أو لم يعطينَ شيئاً. وباستطاعتي أن أقول لك أيضاً كيف أن سيبيل والأشخاص الملهمين الآخرين، أعطوا للكثيرين تلميحاً وتصريحاً عن المستقبل هو الذي أنقذهم من السقوط. لكنّها ستكون محاولة مملّة كي أتكلّم عمّا يعرفه كلّ شخص.

سيكون هناك سبب أكثر في الاحتكام إلى مخترعي الأسماء الغابرين[٧]، الذين لم يربطوا النبوّةالتي تتكهّن بالمستقبل وهي فنّ من الفنون الأنبل، أقول، لم يربطوها بالجنون أو أسموا كليهما بالإسم عينه إذا هم اعتبروا أنّ الجنون خزيّ وعارٌ. لا شك أنهم ظنوا بأنّه كان هناك جنون

ملهم وكان شيئاً نبيلاً؛ لأن الكلمتين الإثنتين μανική, و μανтική هما الشيء عينه بحقّ، والحرف τ هي إدخال حديث وغير ممتع قط. وعُزِّز هذا بالإسم الذي أعطوه إلى التحقيق العقلاني لأحداث المستقبل، سواء إذا أُلِّف ذلك بمساعدة الطيور أو بإشارات أخرى، وهذا بقدر ما يكون فنّاً، هو الذي جَهَّز الفكر الإنساني من الملكة العقلية المتعقّلة νοῦς والحقائق ἱστορία فإنّهم سمّوها أصلاً οἰονοιστική. غير أنَّ الكلمة تغيّرت أخيراً وجُعلت كلمة جهوريّة بالإدخال الحديث لكلمة أوميغا -οἰωνι وكلمة οἰωνιστική وفي تناسب، بما أنّ النبوّة μαντική تكون أكثر كمالاً وجلالاً من الكهانة في الإسم والحقيقة كليهما، وفي التناسب عينه. وكما يشهد القدماء، فإنّ الجنون أسمى من العقل السليم σωφροσύνη لأنّ أحدهما ذو أصل إنساني فقط، بينما الآخر إلهي. مرّة ثانية، فإنّ هناك حيث وُلِد الطاعون والبلايا الأقوى في عائلات محدَّدة، بسبب جرمٍ دمويّ قديم ما، هناك يكون الجنون مُلهماً ومتلِكاً أولئك الذين تعيَّن قدرهم، هناك وُجد الإنقاذ والنجاة لهم ملتمِسين العون من الصلوات والطقوس الدينيّة. والإنسان الذي تعلَّم من ثمَّ استعمال التطهيرات والأسرار المقدّسة، والذي يحوز جزءاً ما من هذه الهبة، فإنّها وَقَتْهُ من الشرّ المستقبليّ كما حَمَته من الشرّ الحاضر، وزوَّدته بعتقٍ من فاجعته الحاضرة إلى الواحد الذي امتلكها بحق، والذي يكون خارج عقله في حينه. أمّا النوع الثالث فهو جنون أولئك الذين تمتلكهم آلهات الشعر والعلوم والفنون والغناء، اللواتي استحوذن على الروح المرهفة الطاهرة، وألهمنَ جنوناً مؤقّتاً هناك، موقظات الشعر الغنائي وكل الأنواع الشعرية الأخرى، وبهذا فهنَّ حلَّينَ الأعمال التي لا تُعدّ ولا تحصى للأبطال الغابرين وذلك لتعليم الأجيال القادمة كلّها. لكن الذي لا يمتلك مسّاً من جنون آلهات الشعر والعلوم والفنون والغناء في روحه، يأتي إلى

الباب ويتصوّر بأنّه سيدخل إلى المعبد بمساعدة الفن ـ أقول: إنه لم يُمنح حقّ الدخول إليه وبالتالي لشعرِهِ؛ واختفى الرجل السليم العقل وهو ليس في أيّ مكان عندما دخل في مباراة مع الرجل المجنون.

يمكنني أن أُخبِر عن مآثر أخرى نبيلة وعديدة نشأت من الجنون الملهم. ولذلك، لا تدع الأفكار المجرّدة لهذه الأشياء تخيفنا، ودعنا لا نخشى أو نرتبك من المحاورة التي تقول إنّ الصديق المعتدل يجب اختياره بدلاً من الصديق الملهم. بل دع الذي يقول ذلك أن يبيّن أيضاً أنّ الحبّ لا ترسله الآلهة للمحبّ أو المحبوب لأجل أيّ صلاح؛ وإن استطاع أن يفعل هكذا فسنسمح له بحمل غصن الغار. ونحن يلزمنا، من جانبنا، أن نبرهن في جوابنا له أنّ جنون الحبّ هو بركات ونعمُ السماء الأعظم، وسيكون هذا البرهان هو الوحيد الذي سيعترف بصحّته العاقل، وسيجحده مدَّعي الفهم. لكن دعنا قبل كلّ شيء، أن نمحّص ميول وأعمال الروح، الإلهيّة منها والإنسانيّة، ونحاول تأكيد الحقيقة بشأنها. إن بداية برهاننا هي كما يلي: الروح تكون خالدة خلال وجودها كلّه، لأنّ ما يكون أبداً في حركة يكون خالداً. لكن الذي يحرّك الآخر ويكون متحرّكاً بالآخر، فإنّه في انقطاعه عن الحركة يتوقّف عن الحياة أيضاً. إنّ المتحرّك بذاته فقط لا يتوقّف عن الحركة أبداً، ما دام لا يستطيع أن يغادر نفسه، ويكون هو مصدر أو أصل وبداية الحركة لكلّ ذلك المتحرّك بالإضافة إليه. وبعدُ، فإنّ البداية تكون غير مولودة، لأنّ ما هو مولود يجب أن يمتلك بداية. لكن لا تستطيع هذه نفسها أن تكون متولّدة من أيّ شيء، لأنّها إذا كانت معتمدة على شيء ما، فإنّ المولود لن يأتي من بداية حينئذ. لكن بما أنّ الروح هي غير مولودة، فيجب أن تكون غير قابلة للتدمير، لأنّ البداية إذا كانت مدمَّرة بالتأكيد، فإنّها لا تستطيع أن تأتي إلى الوجود بنفسها من أيّ مصدر عندئذ، ولا أن

تصلح كبداية للأشياء الأخرى. وهكذا فلا شك أنَّ المتحرّك بذاته يكون بداية الحركة؛ ولا يمكن هذا أن يكون إمَّا مدمَّراً أو مولوداً، وإلاَّ فإن السماوات جميعها وكلّ ما خُلق سينهار ويتوقّف عن الحركة، ولن يولد مرّة ثانية لافتقاره لكلّ قوّة من قوى الحركة. لكن حيث أنّ المتحرّك بذاته تمَّ إعطاء البرهان بشأنه أنه يكون خالداً، فإنّ الذي يثبت أنّ هذا هو المعنى وجوهر الروح بالتحديد ولن يوضع في الإرباك. لأنّ كلّ جسم يكون متحركاً من الخارج يكون بدون روح، لكن ما يكون متحركاً بنفسه من الداخل يكون حيّاً، ويُعتبر استخدامنا للكلمات بشأن طبيعة الروح واضحاً. لكن إذا كان هذا صحيحاً وهو أنّ الروح تكون مماثلة للمتحرّك بذاته، فيجب أن يلي بالضرورة أنّ الروح تكون غير مولودة وخالدة. كفاية عن أزليتها وخلودها. دعنا ننطلق إلى وصف شكلها.

تبيان طبيعة الروح الحقيقية سيكون موضوعاً ذا محادثة واسعة وأكثر مما يمكن تخيّله، لكن يمكن إعطاء صورة له في محادثة أقصر ضمن نطاق فهم الإنسان، دعنا نتكلم بهذه الطريقة إذن. دع الروح تُقارن بزوجين من الأحصنة مجنحين، وانضمَّ لهما سائق العربة في وحدة طبيعيّة. وبعدُ، فإنّ أحصنة وسائقي عربات الآلهة كلها نبيلة وذات أصل شريف. لكن تلك التي للسلالات الأخرى تكون مختلطة. يلزمك أن تعرف، بادىء ذي بدء، أنّ سائق العربة يسوق حصانين اثنين؛ وتالياً فإنّ واحداً من هذين الحصانين نبيل وذو محتدٍ شريف، والحصان الآخر وضيع المولد وذو تنشئة حقيرة؛ وهكذا فإنّ إدارة العربة الإنسانية لا يمكن أن تكون سوى عمل شاق وصعب ومقلق. إنّي سأجهد كي أوضح لك بأية طريقة يختلف المخلوق الفاني عن الخالد. إنّ الروح في وحدتها الكاملة تمتلك العناية من المخلوق اللاحيّ في كلّ مكان، وتعبر السّماء كلّها بادية في أشكال غطّاسين - وهي عندما

تكون مجنّحة وكاملة بالتمام فإنّها تحلّق صعداً، وتنظّم العالم بأجمعه؛ في حين أنّ الروح الناقصة تستقرّ على الأرض الصلبة أخيراً فاقدة جناحيها وتتدلّى في طيرانها - وواجدةً بيتاً لها هناك، فإنّها تتلقى هيكلاً يبدو أنّه يتحرّك ذاتياً، لكنّه يكون متحرّكاً بقوّتها حقاً؛ وتدعى هذه التسوية للروح والجسد مخلوقاً حيّاً وفانياً. لأنّه لا يمكن أن يكون اتحاد كهذا مُصدَّقاً عن الخالد بعقلانيّة؛ برغم أنّه يتوهّم، أنّه لم يرَ ولم يعرف طبيعة الله، يمكنه أن يتصوّر مخلوقاً خالداً ممتلكاً جسماً وروحاً معاً، متحدين طوال الزمن كلّه أيضاً. على كل حال، دع ذلك كما يشاء الله، وأن يُتكلَّم بقبولٍ ورِضاً منه. والآن دعنا نسأل عن السبب الذي من أجله فقدت الروح جناحيها!

إنّ الجناح هو العنصر الجسماني الذي هو العنصر الأكثر مجانسة للإلهي، والذي يميل بالطبيعة إلى التحليق صُعُداً وحَمْلِ ما يُجذب إلى أسفل، إلى المنطقة العليا، التي هي مسكن الآلهة. إنّ الإلهي هو الجْمال، الحكمة، الخير، وما شابه. وبهذه يتغذّى جناح الروح، وينمو بسرعة؛ لكن عندما يتغذّى على الشرّ والغباء، وما يكون مضاداً للخير، يتبدَّد ويفسد. إنّ زيوس، السيّد العظيم، الممسك بأعنَّة العربة المجنَّحة، يهدي إلى الطريق في السماء، وينظّم الجميع ويعتني بهم؛ ويتبعه هناك صفّ الآلهة وأنصاف الآلهة، منتظمين في اثنتي عشرة عصبة. أمّا هيستيا فإنّها تقيم وحدها في موطنٍ في بيت السماء؛ ويتقدّم بقية الآلهة الذين افتُرضوا أنّهم من بين الاثني عشر الأميريين، يتقدّمون في نظامهم المقرَّر. هُمُ رأوا العديد من المناظر السعيدة في السماء الداخليّة، وهناك الكثير من الطرق جيئة وذهاباً في موازاة تلك الطرق التي تسلكها الآلهة المباركة. وكلّ واحد منهم يقوم بعمله الخاصّ؛ ويمكنه أن يتبع من يشاء ويتمكّن، لأنّ الغيرة والحسد ليس لهما محل في الكورس الإلهي. لكنّهما عندما يذهبان إلى وليمة أو احتفال، فإنّهما يحرّكان الثقل إلى ذروة

قبة السماء الزرقاء حينئذ، وأمّا عربات الآلهة فهي تمرّ بسرعةٍ في اتزانٍ متساوٍ؛ لكنّ العربات الأخرى تجري بتثاقل، لأنّ الجواد الرديء يمضي بعسر، مرهقاً بسيره سائق العربة عندما لا يتمّ تدريبه بشكل كامل: هذه الساعة هي ساعة الكرْبِ والصراع الأكثر إفراطاً للروح. إنّ الخالدين، عندما يكونون في نهاية طريقهم، يرحلون ويقفون خارج حدود السماء. إنّ دوران السماء يحملهم معه، وهم يرون الأشياء التي ليست في هذا النطاق. لكن عن السماء التي تكون فوق السماوات، فأيّ شاعر أرضيّ غنّى أو سيغني لها بجدارة؟ إنّ هذه السماء شبيهة بما سأصف؛ إذ يجب عليّ أن أجرؤ وأتكلّم الحقيقة، عندما تكون هذه الحقيقة موضوع بحثي. هناك يسكن الموجود بالذات الذي تختصّ به المعرفة الحقيقية، العديم اللون، الذي لا شكل له، ذو الجوهر الذي لا يدرك بالحواسّ، المرئي والمُدرك بالعقل فقط، هادي الروح وقبطانها. إنّ الفكر الإلهي، كونه مغذىً على الفكر والمعرفة الصافية والذكاء، وإن كل روحٍ قادرة على تلقي الغذاء المناسب لها، تفرح لرؤية الحقيقة مرّة ثانية، بعد طول وقت كهذا، وتمتلىء وتصبح جذلة بتحليقها فوق الحقيقة، إلى أن تحضرها دورة العالم دائرياً مرة ثانية إلى المكان عينه. وهي ترى العدل، والاعتدال، والمعرفة المطلقة في دورانها، ولا تشاهد ذلك الذي يختصّ بالصيرورة، ولا ذلك الذي يوجد في أشكال متنوّعة، في واحدة من تلك المناطق، أو في مناطق أخرى نسميها، نحن الرجال، حقيقية، بل إنّ المعرفة الحقيقية تكون حاضرة حيث يكون الموجود الحقيقيّ. ومشاهدة الموجودات الحقيقية الأخرى في أسلوب مماثل ومتمتّعة بها، فإنّها تمرّ تحتياً إلى داخل السماوات وتعود إلى بيتها، وهناك يعطيها سائق العربة الذي وضع أحصنته في الاصطبل، يعطيها طعاماً طيّب المذاق لتأكل، وسائلا حلواً لتشرب.

تلك هي حياة الآلهة. لكنّ الأرواح الأخرى، تلك التي تتبع الله بأفضل طريقة، وتكون الأكثر شبهاً به، فإنّها ترفع رأس سائق العربة إلى العالم الخارجي، وتُحمل دائرياً بانتظام، وبما أن الجياد تقلقها حقاً فهي تشاهد الموجود الحقيقيّ بصعوبة؛ في حين أنّ الروح الأخرى ترتفع وتهبط، وترى، وتخفق في الرؤية مرّة أخرى بسبب جموح الجياد. إنّ بقية الأرواح هي أيضاً متشوقة للعالم العلويّ وتتعقّبه كلّها، لكن لأنها غير قويّة بما فيه الكفاية فإنها تُحمل دائرياً تحت السطح، ويطأ بعضها بعضاً لأنّها تندفع بسرعة قوية، وتجاهد كلّ واحدة منها لتكون السابقة في اندفاعها هذا. وبسبب ذلك عمّت الفوضى، وتصبّب منها العرق، لبذلها أقصى ما تملك من جهد؛ العديد منها قد وهت قوته أو تكسرت أجنحته بسبب قيادة سائقي العربات السيّئة، ويبتعد بعضها عن بعض بعد العناء الذي لا طائل تحته، لعدم حصولها على أسرار الوجود الحقيقيّ، ولأنّها تغذّت على الرأي أو « المظهر ». وأمّا السبب الذي تبدي الأرواح من أجله توقها لتشاهد الحقيقة البسيطة الواضحة فهو الوجود منتجعها هناك، ذلك المنتجع الذي يتلاءم مع الجزء الأسمى للروح؛ وبهذا يتغذّى الجناح الذي ترتفع به الروح. هناك قانون القضاء والقدر، وهو أنّ الروح التي تنال أيّة رؤيا للحقيقة في رفقة مع إله، تصان من الأذى حتّى الفترة التالية، وإن كسبت هذا على الدوام فلم يلحقها أذىً على الإطلاق. لكنّها عندما تكون غير قادرة على المتابعة، وتخفق لتشاهد الحقيقة، وتغرق تحت الحمل المضاعف من النسيان والرذيلة بسبب حدث سيِّىء ما، ويسقط جناحاها منها وتقع على الأرض، يقضي القانون عندئذ بأنّ هذه الروح ستنتقل عند ولادتها الأولى، ليس إلى أيّ حيوان آخر، بل إلى إنسانٍ فقط. وستوضع الروح التي رأت الحقيقة الأكثر، ستوضع في البذرة التي سينبثق منها فيلسوف، أو فنّان، أو طبيعة موسيقية

ومُحِبَّة لشيء ما. إنّ تلك الروح التي رأت الحقيقة في درجة ثانية ستكون مِلِكاً صالحاً أو رئيساً حربيّاً؛ وستكون الروح من الصنف الثالث سياسيّاً، أو رجلاً اقتصادياً، أو تاجراً؛ وستكون الروح الرابعة محبّة للأعمال الرياضيّة الشاقّة، أو طبيباً؛ وستحيا الروح الخامسة حياة النبيّ أو الكاهن؛ وسيخصّص للسادسة شخصية شاعر أو فنان مقلّدٍ ما آخر؛ أمّا الروح السابعة فستُخصَّص لها حياة الحرفيّ أو المزارع؛ وحياة السوفسطائي أو الدهماوي للروح الثامنة، وإلى الروح التاسعة فحياة المستبدّ؛ إنّ هذه الحالات كلّها هي حالات اختبار، ويتحسّن من يفعل فيها بحقّ، ومَن يؤدُّ أعمالاً آثمة يفسدْ نصيبه.

يجب أن تنقضي عشرة آلاف سنة قبل أن تستطيع روح كلّ شخص العودة إلى المكان الذي أتت منه، لأنّها لا تقدر على أن تنمّي جناحيها بأقلّ من هذه المدّة باستثناء روح فيلسوف فقط، بريئة وصادقة، أو روح محب اهتدى بالفلسفة. وتُعطى هذه الأرواح أجنحة عندما تدور هذه المدّة الثالثة، وإذا اختارت هذه الحياة ثلاث مرات على التوالي، وتهرب في نهاية الثلاثة آلاف سنة، لكنّ الأرواح الأخرى تتلقّى حكماً عندما تنتهي حيواتها الأولى، ويذهب بعضها بعد إصدار الحكم عليه إلى بيوت التصحيح التي تكون تحت الأرض، وتُعاقب، وأمّا الأرواح الأخرى فتذهب إلى مكان ما في السماء حيث تولد سامية بالعدل، وتعيش هناك بأسلوب جدير بالحياة التي عاشتها عندما كانت في شكل الرجال، وتصل الارواح كلّها في السنة الألفيّة إلى مكان حيث يجب أن ترسم قدرها وتختار حياتها الثانية، ويمكنها أن تأخذ أيّة حياة تسرها. وبعد فإنّه يمكن لروح رجل أن تنتقل إلى حياة حيوان، أو أنّ الذي كان رجلاً لمرّة يعود ثانية من الحيوان إلى الشكل الإنساني. لكنّ الروح التي لم ترَ الحقيقة أبداً لن تنتقل إلى الشكل الإنساني. لأنّ الإنسان يجب أن يمتلك ذكاءً بما يسمّى الفكرة أو المثال، إنّه وحدة جُمِّعَت بالعقل

معاً من الخواص المتعدّدة للإدراك. إنّ هذا هو تذكّر تلك الأشياء التي رأتها روحنا لمرّة عند متابعتها الله ـ وذلك حينما رفعت رأسها عالياً نحو الوجود الحقّ بدون اعتبار لذلك الذي ندعوه مولوداً. ولهذا السبب فإنّ عقل الفيلسوف وحده يمتلك أجنحة؛ وهذا عدل، لأنّ الفيلسوف دائم الالتصاق في تذكّر لتلك الأشياء التي يقطن فيها الله، طبقاً لحدود قدراته، وفي مشاهدة لذلك يكون هو ما يكون. ومَنْ يوظفْ هذه الذكريات على نحو صحيح، يكُن المطَّلع أبداً والخبير في الأسرار الدينيّة التامّة ويصبح هو وحده كاملاً بحقّ. لكنّه عندما ينسى المنافع الأرضيّة وينتشي في الإلهي، يعتبره السوقَة مجنوناً ويوبّخونه؛ وهم لا يرون بأنّه إلهي.

لقد تكلّمت إلى هذا الحدّ عن النوع الرابع والأخير من الجنون، الذي يُنسب لمن ينتشي بتذكرّ الجمال الحقيقيّ، حينما يرى جمال الأرض؛ يحب أن يطير بعيداً، غير أنّه لا يستطيع ذلك؛ إنّه يشبه طائراً يصفّق بجناحيه وينظر عالياً ولا يبدي اهتماماً بالعالم السّفليّ، ولهذا السبب فهو يُظنُّ أنّه مجنون. لقد أوضحتُ أنّ هذا الإلهام هو الأنبل والأسمى وهو أصل ومنبع كل ما هو سامٍ لمَن يمتلكه أو يشارك فيه. أقول، إنّي أوضحتُه هكذا من بين كلّ الإلهامات، وأنّ من يحبّ الجميل يُسمَّى محبّاً لأنّه يشارك فيه. إذ كما قد قيل سابقاً، بأنّ كلّ روح إنسانٍ تشاهد الوجود الحقيقيّ في طريق الطبيعة، فإن هذا هو الشرط لإنتقالها إلى شكل إنسان. لكنّ كلّ الأرواح لا تتذكّر أشياء العالم الآخر بسهولة، ولربّما شاهدتها لوقت قصير فقط، أو ربّما كانت قليلة الحظّ في قدرها الأرضي، وربّما فقدت ذاكرتها للأشياء المقدسة التي رأتها لمرّة، حيث إنّ قلوبها استدارت إلى الإثم والشرّ بسبب تأثير فاسد ما. القلّة منها تحتفظ بتذكّر كافٍ لها؛ وهي عندما ترى هنا أيّ صورةٍ لذلك العالم الآخر، فإنّها تنتشي غاية النشوة، لكنّها تكون جاهلة بما يعنيه هذا

الجَذَل، لأنّها لا تعي أو تدرك بوضوح. ولأنّه ليس هناك تألّق في نماذجنا الأرضية للعدل أو الاعتدال أو لتلك الأشياء الأخرى التي تكون ثمينة للأرواح والتي تُرى من خلال الزجاج بكلل؛ وقلّة هم الذين يذهبون إلى الرموز ويرون الحقائق فيها، بل إنّهم يرونها بصعوبة فقط. غير أنّ الجمال يمكن رؤيته، مضيئاً بشعشعانيّة، يمكن أن يراه كلّ الذين كانوا مع تلك العصبة السعيدة، إنّها نحن الفلاسفة التابعين لموكب زيوس، والآخرين التابعين للآلهة الأخرى؛ ورأينا نحن وقتها الرؤيا السارّة وكنّا مطّلعين على سرٍّ مقدَّس يمكن أن يُسمَّى السرَّ الأكثر قداسةً بحقّ، واحتفلنا به في حالتنا الطاهرة، قبل أن تكون لدينا أيّة خبرة عن الشرور التالية، احتفلنا به عندما مُنحنا حقّ الدخول إلى مشهد كلّ ما يظهر بدون توقّع، طاهرين، بسطاء، هادئين، وسعداء، ورأينا ذلك الجمال مضيئاً في نور صافٍ، وكنّا نحن طهرة ولم نكن مدَّخرين في ذلك الجَدَث الحيّ الذي نحمله هنا وهناك. والآن، فإنّنا مسجونون في الجسد، مثلما تُسجن المحارة في صدفتها. دعني أتريّث في إحياء ذكرى المناظر التي انقضت.

لكن فيما يخصّ الجمال، أكرّر بأنّنا رأيناه ساطعاً هناك في صحبةٍ من الأشكال السماويّة، وبمجيئنا إلى الأرض رأيناه هنا أيضاً، متألّقاً في صفاء من خلال منفذ الحواسّ الأنقى، لأنّ البصر هو الحاسّة الأكثر نفاذاً من بقية حواسّنا الجسديّة؛ ومع ذلك فإنّ الحكمة لا تُرى به. إنّ فتنة هذا الجمال ستُنقل إن كان للجمال رسم منظور، وأمّا الأفكار الأخرى فستكون فاتنة على حدّ سواء، إن كان لديها نسخة مطابقة. لكن هذا يكون أفضلية الجمال، وكونه الأفتن والأبهج فهو الأكثر وضوحاً للبصر أيضاً. وبعدُ فإنّ مَنْ لا يكون مكرَّساً ومطَّلِعاً بطريقة جديدة أو الذي أصبح مُفسَداً، لا يرتفع خارج هذا العالم بسهولة إلى منظر الجمال الحقيقي في العالم الآخر، وحينما

يفكّر مليّاً بسميّه الأرضي، وبدل أن يحسّ بالخشية عند مشاهدته له، فإنّه يكرّس نفسه للّذة، ويندفع كالبهيمة الوحشيّة بعنفٍ ليتمتّع ويلد. إنّه ينسجم مع الإفراط في الشهوات، ولا يخاف أو يستحي من ملاحقة اللذّة في انتهاكٍ للطبيعة. لكنّ الذي يكون اطّلاعه وتكريسه حديثاً، والذي كان المشاهد للعديد من المفاخر في العالم الآخر، إن شخصاً كهذا يَنْشَدِهُ عندما يرى أيّ شخص ممتلكاً وجهاً أو شكلاً شبيهاً بالله، وهو يكون تعبيراً عن الجمال الإلهي، وتسري من خلاله رعشة في بداية الأمر، وينتشر فوقه الرعب القديم مرّة أخرى؛ وحينئذ يبجّل محبوبه بعد التطلّع إلى وجهه كأنّه إله، وإن لم يخشَ من أن يُظنَّ به أنّه رجل مجنون بكل ما في الكلمة من معنى فسيضحّي لمحبوبه كما لو أنّه صورة إله؛ وبعدئذ وفيما هو يحدّق فيه يتولّد لديه نوع من ردّة الفعل، وتتحوّل الرعشة إلى حرارة وعَرَقٍ غير مألوفَين؛ إذ كما يتلقى هو تدفّق الجمال من خلال العينين، فإنّ الجناح يُرطَّب وهو يُدفأ، وتذوب الأجزاء التي نما الجناح خارجها، والتي كانت مغلقة وقاسية حتى الآن ومنعت الجناح من البروز، وبما أنّ الغذاء يجري فوقه، فإنّ الحدّ الأسفل للجناح يبدأ بالازدياد والنموّ من الجذر فصاعداً، ويمتدّ النمو تحت الروح كلّها ـ لأنّ الكلّ كان مجنّحاً مرّة. وأثناء هذه العملية فإنّ الروح بمجملها تكون في حالة غليان وفوران كليّ ـ ويمكن مقارنتها بالتهيج والصعوبة اللذين يحدثان للّثة وقت خلع الأسنان ـ إنّها تفور وتمتلك شعوراً بالاضطراب والدغدغة، لكن عندما تبدأ الروح بنموّ الأجنحة بطريق مشابهة، فإنّ جمال المحبوب يلاقي عينيها وتتلقّى هي حركة الدفء المحسوس للجزئيات الصغيرة جدّاً التي تتدفّق نحوها، ولهذا السبب دُعيت عاطفة، وتنتعش الروح وتصبح دافئة بالعاطفة، وتنقطع من ألمها بالفرح بعدئذ. لكنّها حينما تفترق عن محبوبها وتشحّ رطوبتها، فإنّ ثقوب الممرّ التي يطلع منها

الجناح تجفّ وتنسدّ حينئذ، وتعترض هذه الحالة بزرة الجناح التي أوقفتها العاطفة، والتي تنبض كما تنبض الخفقات بالشريان. تثقب الفتحة التي تكون الأقرب لها، إلى أن تكون الروح مخترقة ومخبّلة ومملوءة بالألم أخيراً، وتكون مبتهجة في تذكّر الجمال مرّة ثانية، ومن هذين الواقعين معاً فإنّ الروح تُضطّهدُ بسبب غرابة حالتها، وتكون في ضيقٍ وتهيّج عظيمين، ولا تستطيع عند جنونها أن تنام في الليل ولا أن تقطن في مكانها أثناء النهار. وكلّما ظنّت أنّها سترى الواحد الجميل، فإلى هناك تستحثّ الخطى في توقها إليه. وعندما تراه، وتغسل نفسها في مياه الجمال، فإنّها تتحلّل من قيودها، وتنتعش، ولن يصيبها وخزات وآلام، وتكون هذه الملذات أحلى الملذّات جميعاً في ذلك الوقت، وهذا هو السبب الذي من أجله لن تهجر روح المحبّ واحده الجميل أبداً الذي يقدره أكثر من الجميع؛ إنّه نسي الأمّ والأخوة والرفاق، ولا يفكر في إهمال وفقد ملكيته أبداً. إنّه يزدري بالقواعد وما يكون مناسباً للحياة الآن، والتي اعتزّ وفاخر بها سابقاً، وهو جاهز لأن يهجع مثل الخادم، وفي أيّ مكان يُسمح له فيه بذلك، وبأقرب مكان من واحده الذي يرغب فيه والذي يكون هدفَ عبادته، والطبيب الوحيد الذي يقدر على تلطيف ألمه العظيم. وهذه الحالة يسميها الرجال حباً، يا عزيزي الشاب المتخيّل الذي أتحدّث إليه، وهذا الحبّ له إسم بين الآلهة يمكنك أن تميل للهزء به، بسبب بساطتك. هناك سطران اثنان في كتابات هوميروس مشكوك نسبتهما إليه يرد الإسم فيهما. إنّ واحداً من هذين السطرين شائن، وليس عروضياً على الجملة. وهما كما يلي:

الفانون يدعونه حبّاً مهتاجاً،
لكنّ الخالدين يسمّونه الحبّ المجنّح،
لأنّ نموّ الجناحين يكون ضرورة له.

يمكنك أن تصدّق هذا، ويمكنك أن لا تصدقه إنْ لم تحبّ، على كلّ حال فإنّ مأزق المحبّين وسببه هما مثلما وصفت.

وبعدُ فإنّ المحبّ الذي يؤخذ ليكون ملازما لزيوس، يكون أفضل قدرة كي يحمل الإله المجنّح، ويستطيع تحمُّل الأعباء الأكثر ثقلاً. لكنّ مرافقي ورفاق آريس، الذين شكّلوا دائرة في مجموعته، يتوهمون عندما يكونون تحت تأثير الحب بأنه قد أُسيء إليهم بالمطلق، وهم على استعداد لأن يقتلوا ويضعوا نهاية لأنفسهم ولأحبّائهم. والذي دخل في بطانة أيّ إلهٍ آخر فإنّه يمجّده ويقلّده بقدر ما يستطيع، وما دام هو غير مُفسَد؛ ويتصرّف وفق طريقة إلهه بعلاقاته مع محبوبه ومع بقية العالم خلال المدّة الأولى لوجوده الدنيويّ. يختار كلّ شخص حبّه من أصناف الجمال طبقاً لشخصيته وأخلاقه، ويجعل هذا إلهه، ويصوغه ويزيّنه كنوع من الصورة أو الشخصيّة التي عليه أن يجثو أمامها ويعبدها. يرغب أتباع زيوس لزوم أن يمتلك محبوبهم روحاً كروحه؛ ولهذا السبب فهم ينشدون شخصاً ما ذا طبيعة فلسفيّة وملكيّة، وعندما يجدونه ويحبّونه، فإنّهم يفعلون كلّ ما يقدرون عليه كي يعزّزوا طبيعة كهذه فيه. وإن لم يكن لديهم خبرة في ترتيب كهذا حتّى الآن، فإنّهم يتعلّمون من أيّ شخص قادرٍ على تعليمهم، ويتبعون أنفسهم بالطريقة عينها. ويعانون أقلّ صعوبة في إيجاد طبيعة الإله الذي يخصُّهم بأنفسهم لأنهم قد أُجبروا على أن يحدِّقوا فيه بحدّة. إنّ تذكُّرهم يلتصق به، وإنه يمتلكهم، ويتلقّون منه شخصيتهم وأخلاقهم ونزعتهم، بقدر ما يستطيع الإنسان أن يشارك الله. إنّهم يعزون الأشياء التي تخصّ إلههم إلى محبوبهم، لذلك فهم يحبّونه أكثر فأكثر، وإن كسبوا إلهاماً من زيوس، مثل نيمفيس الباخوسي، فإنّهم سيصبّون نافورتهم الخاصّة فوقه. وكلهم أملٌ أن يجعلوه شبيهاً بإلههم الخاصّ قدرِ الإمكان، لكن أتباع هيرا ينشدون الحبّ الملكي، وحين يجدونه

فإنّهم يفعلون معه الشيء عينه تماماً. وفي أسلوب مماثل فإنّ أتباع أبوللو وأتباع كلّ إله آخر، السائرين في طرائق إلههم، يجدُّون في طلب الحبّ، الذي سيكون محدَثاً مثل الحبّ الذي يخدمون، وعندما يجدونه، فهم أنفسهم يقلّدون إلههم، ويُقنِعُونَ حبّهم بأن يقوم بالشيء عينه، ويثقفونه في منهج وطبيعة الله بالقدر الذي يستطيعه كلّ واحد منهم، لأنّهم لا يفكرون بمشاعر الحسد والغيرة نحو محبوبهم، بل يفعلون أقصى جهودهم كي يخلقوا فيه الشبه الأعظم لأنفسهم ولله الذي يمجّدون. وهكذا تكون أمنية المحبّ الملهم نحو محبوبه جميلة وتسبب له منتهى السعادة، وكذلك الاطّلاع على أسرار الحبّ الحقيقي التي تحدثت عنها. هذا إن أُسِرَ هو بالمحبّ وأصبح هدفهم نافذ المفعول. وبعدُ فإنّ المحبّ يؤخذ أسيراً بالطريقة التالية:

لقد قسّمت في بداية هذه القصّة كلّ روح إلى أقسام ثلاثة - إثنان منها لهما شكل أحصنة والجزء الثالث مثل سائق العربة؛ ويمكن لهذا التقسيم أن يبقى. قلت إنّ واحداً من الحصانين طيّب، والآخر رديء، لكنّني لم أوضح حتى الآن أين تكمن الجودة أو الفساد لكليهما، وسوف أتقدّم لشرح ذلك. الحصان الأيمن مستقيم ومصنوع على نحو نظيف. له عنق سامق وأنف أعقف، لونه أبيض، وعيناه سوداوان. إنّه ذلك الذي يحبّ الشرف مع التواضع والاعتدال، ورفيق الرأي الحقّ، وهو ليس بحاجة لمسّ السوط، بل إنّه يهتدي بالكلمة والنصح فقط. أمّا الحصان الآخر فإنّه حيوان ملتوٍ ومتحرّك بتثاقل. إنّ لديه رقبة غليظة قصيرة، وجهه مسطّح أسود اللون، بعينين رماديتي اللون ومظهر أحمر كالدم؛ وهو حليف الغطرسة والتكبّر، أذناه صمّاوان، شعرهما أشعث، يذعن للسوط والمهماز بصعوبة. وبعدُ فإنّ سائق العربة حينما يشاهد رؤيا الحبّ، وتشعر روحه بالدفء من خلال الحواسّ بشكل كامل، ويمتلىء بالوخز والمداعبة، والجواد المطيع يمتنع عن

القفز على محبوبه حينها كما دائماً تحت حكم الحياء؛ لكنّ ِالجواد الآخر، الغافل عن الوخزات وضربات السوط، يندفع بسرعة بالغة ويهرب، وهو بعمله هذا يسبب لرفيقه ولسائق العربة كلّ نوع من أنواع العناء والحرج، الذي يجبره على أن يقترب من المحبوب وأن يتذكّر أفراح الحبّ، وهما يضادانه بادىء ذي بدء ولا يُستحثان على أن يرتكبا أعمالاً محرّمة ورهيبة، لكنّهما يذعنان أخيراً ليقوما بفعل ما يأمرهما به، عندما يصر على إزعاجهم وتعذيبهم. وبعدُ فإنّهما يكونان في مأزق حرج ويريان جمال المحبوب المضيء، والذي عندما يراه سائق العربة فإنّ ذاكرته تنشدُّ إلى الجمال الحقيقيّ، الذي يشاهده في رفقةٍ مع التواضع مثل صورة وُضِعت على قاعدة تمثالٍ مقدّس، يراها هو، لكنّه يكون خائفاً ويسقط إلى الخلف في افتتان، ويجبره سقوطه على أن يسحب الأعنّة إلى الخلف بعنف كي يرد الجوادين كليهما على عقبيهما، أحدهما مطيع وغير معاند، أما الآخر الجامح العنيد فشموسٌ جدّاً، وعند تراجعهما إلى الوراء قليلاً، فإنّ أحدهما يكون قد ساده الحياء والذهول، واغتسلت روحه كلّها بالعرق، لكنّ الآخر، عندما زال ألمه الذي قاساه من اللجام والسوط، استطاع أن يتنفّس بصعوبة، وامتلأ بالحنق والخزي، اللذين أغدقهما على سائق العربة وعلى الجواد الآخر رفيقه، لافتقاره للشجاعة والرجولة، معلناً أنّهما كانا زائفين وغادرين بالاتفاق ومذنبين بتخلّيهما عنه. وهما رفضا مرّة ثانية، وحثّهما هو على الاستمرار مرّة أخرى وسيخضع لصلواتهما بشقّ النفس ذلك كي يتأجل حتّى وقت آخر. وعندما أتت الساعة المحدَّدة، تظاهرا وكأنّهما كانا ناسيين، وهو ذكّرهما، محارباً لهما وصاهلاً بوجهيهما، وجارّاً لهما، إلى أن أجبرهما أخيراً على أن يقتربا مرّة أخرى من الأفكار عينها التي قصدها. وعندما كانا بجواره طأطأ رأسه ورفع ذيله، ثمّ عضّ سائق العربة وسحبه نحوه بدون حياء. حينئذ فإنّ سائق

العربة هذا كان في أسوأ حالاته، وسقط إلى الخلف مثل المتسابق عند الحاجز، وأخرج السائق الجزء الموجود في فم الجواد المتوحش، أخرجه بالتواءٍ لا يزال أكثر عنفاً، وغسل لسان الجواد وفكّيه الاعتسافيين بالدماء، وأجبَر ساقيه ووركيه أن يلتصقا بالأرض وعاقبه بقوّة وقسوة. وحينما حدث هذا مرّات عديدة وانقطع هذا الجواد الجلف عن طريقته الوحشيّة، أضحى أليفاً ومتواضعاً، واتّبع إرادة سائق العربة، وعندما رأى الواحد الجميل كان جاهزاً لأن يموت من الخوف. وتبعت روح المحبّ من هذا الوقت فصاعداً، تبعت المحبوب من الخوف في اتّضاعٍ وتقى.

وهكذا فإنّ المحبوب تلقّى، مثل الله، كلّ خدمة ملكيّة وصادقة من محبّه، إنّها ليست خدمة في المظهر بل إنّها في الحقيقة، كون نفسه ذات طبيعة صدوقة للمعجب به. وإنْ خجل في الأيّام السابقة كي يسيطر على انفعاله سيطرة تامّة ويصرف محبّه، لأنّ رفاقه الشباب أو الآخرين أخبروه بافتراء أنّ الخزي سيحلق به. وبعدُ بما أنّ السنين تقدّمت، فإنّه أُجبر على أن يتقبّله في المشاركة بالسنّ والوقت المحدَّدين. إنّ القَدَر الذي أوجب على أنّه لن تكون هناك صداقة بين الأشرار، أوجب أيضاً على أنه ستكون صداقة بين الأخيار على الدوام. وعندما تلقّاه المحبوب وتقبّله في المشاركة والمودة، كان منشدهاً تماماً في شعور المحبّ الودّي؛ وأدرك وأقرّ بأنّ الصديق الملهَم يساوي كلّ الأصدقاء أو الأقرباء الآخرين؛ وليس فيهم أيّ شيء من الصداقة جدير بأن يُقارَنَ بهذا. وعندما يستمرّ شعوره ذاك ويكون هو أقرب إليه ويتقبّله بسرور، في التمارين الرياضيّة، وفي أوقات اللّقاءات الأخرى، حينئذ فإنّ نافورة ذلك الجدول، والتي سمّاها زيوس الرغبة عندما وقع في حبّ غانيميد، تدفّقت فوق المحبّ، ودخل إلى روحه بعض دفقها، وخرج منها بعضه مرّة ثانية عند امتلائها. ومثلما يرتدّ الصدى أو النسيم عن الصخور الملساء ويعود من حيث

أتى، هكذا يفعل دفق من الجمال، ماراً من خلال العينين اللتين تكونان نافذتي الروح، ويرجع إلى الواحد الجميل، ثمّ يصل إلى هناك منشّطاً ممرّات الجناحين، مُندّيها بالماء، وباعثاً فيها النمو، ومالئاً روح المحبوب بالحبّ أيضاً. وهكذا يحبّ هو، لكنّه لا يعرف ماذا؛ إنّه لا يفهم ولا يستطيع إيضاح حالته الخاصّة. يظهر أنّه التقط عدوى العمى من الآخرين. إنّ المحبّ هو مرآته التي يرى بها نفسه، لكنّه غير دارٍ بهذا. وعندما يكون مع المحبّ يتخلّص الإثنان من آلامهما. غير أنّه حينما يكون بعيداً عنه يشتاق إليه كما أنّه يُشتاق له، ويمتلك صورة الحبّ، لأنّ الحبّ ساكن في صدره، الذي يسمّيه ويعتقد أنّه ليس حبّاً بل صداقة فقط، وما رغبته أو توقه إلاّ رغبة الآخرين. يريد أن يرى محبّه، يلمسه، يقبّله، ويعانقه، ولربّما تكون رغبته قد اكتملت لكن ليس بعد ذلك بوقت طويل، وعندما يتقابلان، فإنّ جواد المحبّ الغشوم عنده كلمة يقولها لسائق العربة، سيحبّ هو أن يمتلك لذّة قليلة في مقابل الكثير من الآلام، لكنّ حصان المحبوب الوحشيّ لا يتفوّه ببنت شفة، لأنّه يكون متفجّراً بالعاطفة التي لم يفهمها؛ - إنّه يرمي سلاحه حول المحبّ ويعانقه كصديقه الأعزّ. وحينما يكونان جنباً إلى جنب، فإنّه يكون في حالة لا يستطيع فيها أن يرفض أيّ شيء للمحبّ، إنْ سأله، برغم أنّ رفيقه الجواد الآخر وسائق العربة يعارضانه بمحاورات الخجل والتعقّل. بعد هذا فإنّ سعادتهما تتوقّف على كبح جماح نفسيهما؛ وإن انتصرت عناصر العقل الأفضل التي تهدي للنظام والفلسفة، فإنهما سيمضيان حياتهما هنا في السعادة والتناسق - وسيّدا أنفسهما ومنظماها، - مستبعدين عناصر الروح الفاسدة ومعتقين عناصرها الفاضلة. وعندما تأتي النهاية، فهما خفيفان ومجنّحان للطيران، قد انتصرا في واحدة أو ثلاثة من الانتصارات السماوية أو الأولومبيّة الحقيقيّة، ولا يستطيع التهذيب الإنساني ولا الإلهام الإلهي أن

يمنحا للإنسان نعمةً أكبر من هذه النعمة. وإن تركا الفلسفة، على الجانب الآخر، وسلكا طريق الحياة الأدنى للطموح، عندئذ لربّما يأخذ الحيوانان الوحشيان الروحين الإثنتين عندما تكونان مجردتين من الحماية ويحضرانهما معاً، بعد احتسائهما الخمر أو في ساعة طيش أخرى. وهما ينجزان هذه الرغبة من قلبيهما، والتي يعتبرها الجميع نعمة، وعند تمتّعهما بهذه الرغبة لمرّة واحدة فهما يستمرّان في الاستمتاع بها، ونادراً ما يفعلان هذا برغم ذلك، لأنّهما لا يمتلكان المصادقة على هذا من الروح ككلّ. إنّهما يكونان أعزّاء أيضاً، لكنّهما ليسا هكذا عزيزين كالآخرين، وهما يعيشان لبعضهما بعضاً أثناء وقت حبّهم وبعده، يعتبران أنّهما أعطيا وأخذا من بعضهما بعضاً العهود الأكثر قداسة، ولا يمكنهما أن ينقضاها ويقع بينهما العداء. وأخيراً فإنّهما يخرجان من الجسم بدون أجنحة، لكنّهما متشوقان للارتفاع عالياً. وهكذا فإنّهما لا يحصلان على جائزة وضيعة للحبّ والجنون. إنّ أولئك الذين ابتدأوا الحجّ نحو السماء يمكنهم ألا يرجعوا إلى الظلام مرّة ثانية وإلى الرحلة تحت الأرض، بل هم يعيشون في النور على الدوام، رفاقاً سعداء في حجّهم. وعندما يحين الوقت الذي سينالون أجنحة فيه فإنّهم يمتلكون ريش الطائر بسبب حبّهم.

هكذا تكون عظيمة تلك البركات والنعم السماويّة التي ستمنحها لكم صداقة المحبّ، يا فتياني، في حين أنّ مودّة اللامحبّ، المزيفة بالتعقّل الدنيوي، والتي لها طرائق دنيويّة وضئيلة لإعطاء المنافع، وستلد في أرواحكم تلك النوعيات المبتذلة التي يهلّل لها العامّة، وسترسلكم بخفّة ورشاقة حول الأرض خلال مدّةٍ تعدادُها تسعة آلاف سنة، وتترككم أغبياء في العالم السفلي.

وهكذا، يا عزيزي إيروس، فإنّني اعترفت علناً بخطئي ودفعت ما يتوجّب

عليّ جيّداً وبعدل قدر ما أستطيع؛ وأكثر من ذلك، وخاصة في مسألة التشابيه الشعريّة التي أُجبرت على استعمالها، لأنّ فيدروس ألحّ على حيازتها. وبعدُ تغاضَ عمّا مضى وتقبّل الحاضر، وكن لطيفاً معي وشفوقاً عليّ، ولا تحرمني من حاسّة بصري بسبب غضبك، ولا تأخذ منّي فنّ الحبّ الذي أعطيتني إيّاه، بل هبنيه كي يمكنني أن أكون مكرّماً في عيني الجميل مع ذلك. وإن قال فيدروس أو قلت أنا أيّ شيء بذيء في أحاديثنا السابقة، لُمْ ليسياس، الذي هو أب للطفل، ودعنا لا نمتلك أكثر من نِتاجه. مُرْهُ أن يدرس الفلسفة، مثل أخيه بوليمارخوس؛ وعندئذ فإنّ محبّه فيدروس لن يتردّد بين رأيين بعد اليوم، بل إنّه سيكرّس نفسه للحب والمحادثات الفلسفيّة بشكل كامل.

فيدروس: إنّني أنضمّ إلى الصلاة، يا سقراط، وأقول معك، إن كان هذا لخيري، يمكن لكلماتك أن تتحقّق. لكنّني كنت منشدهاً في هذا الخطاب الثاني لزمن طويل، ذلك الخطاب الذي ألّفته والذي كان أجمل من الخطاب الأوّل بكثير، وابتدأت أخشى من أنْ أفقد نزوة ليسياس أو تصوّره، وسيظهر هو أليفاً بالمقارنة، حتى إن كان مستعدّاً لأن يضع خطاباً أجود وأطول من خطابك في الميدان، وهذا ما أشكّ في حصوله، لأنّه تلقّى شتيمةً من أحد رجالكم السياسيين منذ وقت حديث جداً لهذا السبب بالتحديد؛ وسمّاه « كاتب حديث » مرّة ثانية وثالثة. وهكذا فإنّ شعوراً بالكبرياء يمكن أن يحثّه على الانقطاع عن كتابة الأحاديث والخطب.

سقراط: ما هذه الفكرة المضحكة جدّاً! لكنّني أظن يا رجلي الفتيّ، أنّك مخطىء كثيراً بما تقوله عن صديقك إن تصورت بأنّه يكون خائفاً من ضوضاء صغيرة؛ ولربّما، كنت تظنّ أنّ مهاجِمَهُ عنى بملاحظته هذه وكأنها لومٌ أو تأنيب؟

فيدروس: ظننت، يا سقراط، أنّه عنى ذلك. وأنّك لدارٍ بدون شك أنّ رجال الدولة الأعظم والأكثر تأثيراً يخجلون من كتابة خُطَبٍ وترك التأليفات المكتوبة الأخرى، خشية أن تسمّيهم الأجيال القادمة كلّها سوفسطائيين.

سقراط: يبدو أنّك غير دارٍ، يا فيدروس، بأنّ « المرفَق الحلو طعمه(٨) » كما يقول المثل هو ذراع النيل الطويل حقاً. وتظهر أنت أنك غير دارٍ بشكل متساوٍ حقيقة، وهو أنّ هذا المرفَق الخاصّ بهم يكون ذراعاً طويلاً أيضاً. إذ لا شيء يُولع به رجالنا السياسيون مثل كتابة الخُطب وتوريثها لكلّ الأجيال القادمة. يمكنك أن ترى كم يكون حبُّهم للثناء متّقداً، وهم يصدرون الكتابة بأسماء معجبيهم المحلّيين.

فيدروس: ماذا تعني؟ إنّني لاأفهم.

سقراط: لماذا، ألا تعرف أنّه عندما يكتب رجل السياسة، يبدأ بأسماء المُطْرِين عليه.

فيدروس: كيف ذلك؟

سقراط: لماذا، يبدأ هو بهذه الطريقة: « لتكن مشرَّعة بمجلس الشيوخ، بالشعب، أو بكليهما، بناءً على اقتراح شخص محدَّد » وهذه الطريقة هي طريقة مؤلفنا الجليلة والتمجيدية لوصف نفسه. إنّه يتقدم بعد هذا التمهيد فقط، كي يعرض حكمته الخاصّة للمعجبين به والتي تكون غالباً في تأليف طويلٍ وممل. والآن ليس ذلك النوع من هذا الشيء إلا قطعة تأليف إعتياديَّة؟

فيدروس: حقاً.

سقراط: وإنْ تمَّ التصديق على هذه القطعة نهائياً، فإنّ المؤلف يترك المدرَّج في بهجةٍ بالغة الذّروة عندئذ. لكن إذا رفْضت وانتهى هو من خطابه المكتوب وأعلن أنّه كان مؤلِّفاً قليل البراعة، فإن الفاجعة حينئذ ستحيق به وبحزبه.

فيدروس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: إنّهم يكونون بعيدين عن هذا الاحتقار إلى هذا الحدّ، أو على الأصحّ فإنّهم يقدِّرون ممارسة الكتابة بسموّ.

فيدروس: بدون شكّ.

سقراط: وعندما يمتلك الملك أو الخطيب القوة، مثلما حازها ليغاركوس أو صولون أو داريوس، عندما يمتلك قوّة نيل خلود السلطة في الدولة، ألا تظنه الأجيال عندما ترى تأليفاته، أو ألا يظنّ هو نفسه، أنه مساوٍ للآلهة، مع أنّه ما زال حيّاً حتى الآن؟

فيدروس: حقيقي جداً.

سقراط: أتظن إذن أنَّ أيّ شخص من هذه الطبقة، مهما يكن مطبوعاً على الشرّ، أتظنّ أنه يؤنِّب ليسياس لكونه مؤلفاً بكلّ بساطة؟

فيدروس: ليس بناءً على وجهة نظرك؛ لأنّه طبقاً لك سيُقذف بالذمّ بناءً على مهنته الخاصّة المفضّلة.

سقراط: يمكن لأيّ شخص أن يرى بأنّه لا عارَ في الحقيقة المجرَّدة للكتابة.

فيدروس: لا بالتأكيد.

سقراط: أفترض أنَّ العار يبدأ عندما لا يتكلّم الإنسان أو يكتب جيّداً، بل إذا فعل ذلك بسوء.

فيدروس: بوضوح.

سقراط: وما هو الجيّد والسيِّىء - هل نحتاج نحن لسؤال ليسياس، أو أي شاعرٍ أو خطيبٍ آخر، كتب أو سيكتب عملاً سياسياً أو أي عملٍ آخر، في وزنٍ شعريّ أو خارجه، أكان هو شاعراً أو كاتباً نثريّاً، أقول، هل نحتاجه كي يعلّمنا هذا؟

فيدروس: أنحتاج نحن لذلك؟ إذن لماذا يجب أن يعيش إنسانٌ إن لم يكن للملذّات الحديث؟ يلزمه أن لا يعيش بقصد تلك الملذّات التي لها آلامٌ سابقة كشرطٍ لها بكلّ تأكيد، كما تمتلك ذلك كلّ الملذّات الجسديّة على وجه التقريب، ولهذا السبب فإنّ هذه الملذّات تسمّى ملذات استعباديّة ووضيعة بحقّ.

سقراط: هناك وقت كافٍ كي نتحادث. وأعتقد أنّ الجنادب تسقسق وفقاً لأسلوبها في حرّ الشمس فوق رؤوسنا، ويحاكي بعضُها بعضاً وتنظر فينا إلى تحت. ماذا ستقول إن رأتنا، مثل العديد من الناس، لا يحدث بعضنا بعضاً، بل نهجع في وسط النهار، تسكّننا أصواتها، ونعجز عن التفكير؟ ألن يكون لديها الحقّ كي تسخر منا وتهزأ بنا؟ يمكنها أن تتصوَّر أنّنا كنا عبيداً، أتوا كي يرتاحوا في مكان منتجعهم، مثل النعاج المستلقية على الأرض عند الظُهر حول البئر. لكنّها إن رأتنا متحادثين، ومبحرين أمامها مثل الأُويسيوس، غير راغبين في الإصغاء لأصواتها الفاتنة، لربّما يمكنها أن تهبنا، من احترامها لنا، العطايا التي تلقّتها من الآلهة لتضفيها على الرجال.

فيدروس: أيّة هباتٍ تعني؟ إنّني لم أسمع عن أيّ منها.

سقراط: إنّ محباً للموسيقى مثلك لا أشك أنّه سمع قصّة الجنادب بالتأكيد،التي قيل فيها إنّها كانت مخلوقات إنسانية في زمنٍ قبل زمن آلهات الشعر والفنّ والعلوم والغناء. وحينما أتت هذه الآلهات وغنَّت ظهرت أنّها كانت مفتنةً بالبهجة. وبما أنّها غنَّت على الدوام، لم تفكِّر أبداً بالأكل والشرب، حتى ماتت أخيراً في نسيانها. والآن فهي تحيا مرّة ثانية في الجنادب التي لا تحتاج إلى التغذية، وذلك كهبةٍ خاصّة من تلك الآلهات، لكنّها كانت مغنّية منذ ساعة ولادتها بلا انقطاع، ولم تأكل أو تشرب قط. وعندما ماتت فإنّها ذهبت وأخبرت آلهات الشعر والفنّ والعلوم والغناء في السماء، أخبرتهن أيٌّ منّا يكرِّم واحدة منهنّ أو يكرِّم الأخريات. إنّها فازت بحبّ الرقص للتقرير الذي قدَّمته الراقصات عنها؛ وظفرت بحبّ إيراتو[٩] للمحبّين، وبحبّ الآلهات الأخرى اللواتي قدمت لهنّ تبجيلاً، طبقاً للطرائق المتعدّدة لتكريمهنّ وتعظيمهنّ، وأعدَّت تقريراً رفعته، إلى كاليوب[١٠] أكبر الآلهات سنّاً، وإلى يورانيا[١١] التي تأتي الثانية في كِبَر السنّ. إنّها أعدَّت هذا التقرير عن أولئك

الذين مجّدوا الموسيقى لنوعيّتها، وأمضوا حيواتهم في الفلسفة، لأنّ هؤلاء هنَّ الآلهات المختصّات بالسماوات وبالتعقّل الإلهي كما الإنساني بشكلٍ رئيسي، ويمتلكنَ النطق الأحلى. يجب علينا إذن أن نتحدث دائماً وأن لا ننام في وسط النهار لأسباب عديدة.

فيدروس: دعنا نتحدث.

سقراط: هل سنبحث في قواعد الكتابة والكلام كما اقترحنا؟

فيدروس: جيّد جداً.

سقراط: قبل القدرة على إيجاد أيّ سؤال عن امتياز الحديث، ألا يجب أن يكون عقل المتكلّم مجهّزاً بمعرفة حقيقة القضيّة التي سيتكلّم بشأنها؟

فيدروس: وبرغم ذلك، يا سقراط، فإنّني سمعت أنّ الذي سيكون خطيباً ليس بحاجة لأن يدرس العدل الحقيقيّ، بل، على الأرجح هو بحاجة لدراسة ذلك الذي يصدّقه الكثيرون الذين يجلسون لإعطاء الحكم فقط؛ وليس باستحسان الأخيار أو الأشراف الحقيقيين، بل بإعطاء رأيٍ بخصوصها فحسب، ذلك أنّ تلك الملاحقة تأتي من الرأي وليس من الحقيقة.

سقراط: « إنّ كلمات العاقل لا يمكن وضعها جانباً »؛ لأنّ فيها شيئاً ما بالاحتمال. ولهذا السبب فإنّ معنى هذا القول لا ينبغي إسقاطه بتهوّر.

فيدروس: حقيقي جداً.

سقراط: دعنا نطرح المسألة هكذا: إفترض أنّني رغبت بإقناعك في شراء حصان والذهاب الى الحروب. ولم يعرف أحد منا ماذا يشبه الحصان الذي اشتريته، لكنّه حدَثَ أنّني أعرف هذا القدر بشأنه، وهو أن فيدروس اعتقد أنَّ الحصان من الحيوانات الأليفة ويمتلك الأذنين الأطول.

فيدروس: إنّ ذلك سيكون مضحكاً.

سقراط: لا، ليس حتى الآن. إفترض أيضاً، بما أنّني أقنعتك بهذا في جديّة رزينة،

ذهبت وألّفت خطاباً في تكريم حمارٍ، مسمّياً إيّاه حصاناً، وقائلاً إنّ هذا الحيوان لا يقوَّم بالمال- تماماً كي يُمتلك للاستخدام المنزليّ والأعمال الحربيّة، وأنّه بإمكانك أن تجلس على ظهره وتقاتل، وأنّه سيحمل أمتعةً، بالإضافة إلى منافعه الأخرى.

فيدروس: كم يكون ذلك مضحكاً؟

سقراط: مضحك! نعم؛ لكن أليس صديق مضحكٌ بأفضل من عدوٍّ ماكر؟

فيدروس: بالتأكيد.

سقراط: وبدلاً من وضع الخطيب لحمارٍ في مكان الحصان، يضع الخير مكان الشرّ، كونه جاهلاً بطبيعتهما الحقيقية مثلما تكون المدينة التي يفرض رأيه عليها جاهلة أيضاً؛ وبما أنّه درس أفكار الأكثرية، فإنّه يقنعهم بزيفٍ ليس بشأن « ظلّ الحمار »، الذي يخلطه بظل الحصان، بل بخصوص الخير الذي يخلطه بالشر ويحثّهم على فعله ـ ماذا سيكون المحصول الذي ستجمعه الخطابة بعد بذر الحبوب على الأرجح؟

فيدروس: سيكون ذلك المحصول عكس الخير.

سقراط: لكن لربّما أنّنا أسأنا معاملة الخطابة بقسوة، ويمكنها أن تجيب: ما هذه السفاسف المدهشة التي تتكلّمان! وكأنّني أصررت على أنّ الجهل بالحقيقة هو شيء لازب للّذي يتعلّم كي يتكلّم! ومهما كانت نصيحتي قيّمة، وجب عليَّ أن أقول له كي يصل إلى الحقيقة أوّلاً، وأن يفهمني بعدئذ. وفي الوقت عينه فإنّني أؤكّد بجسارة أنّ المعرفة المجرَّدة للحقيقة لن تمنحك فنّ الإقناع بدون مساعدتي.

فيدروس: هناك سبب في دفاع السيّدة عن نفسها.

سقراط: حقيقيّ تماماً؛ ذلك إن كانت المحاورات الأخرى التي بقيت لكي تُعرض تحمل شهادتها فقط بأنّها تكون فنّاً بالمطلق. لكنّني أبدو أنّي أسمعها مرتّبة

نفسها على الجانب المضادّ، ومعلنةً أنّ تلك السيّدة تتكلّم باطلاً، وأنّ الخطابة هي مجرّد طريقة محدَّدة تجري على وتيرة واحدة، وليست فنّاً. عجباً! يظهر إسبرطيّ ويقول: إنّه لا يوجد ولن يوجد فنّ حقيقيّ للكلام الذي يكون منفصلاً عن الحقيقة.

فيدروس: يجب استدعاء هؤلاء الشهود، يا سقراط. أحضرهم كي نتمكّن من فحصهم.

سقراط: أخرجوا، أيّها الأطفال الوسيمون، واقنعوا فيدروس الذي هو أبو جمالات مماثلة، أقنعوه بأنّه لن يكون قادراً أبداً على الكلام على نحوٍ سليم في أيّ موضوع إلاّ إذا امتلك فلسفة صحيحة، وعلى فيدروس أن يجيبكم.

فيدروس: إطرح السؤال.

سقراط: أليست الخطابة، مأخوذةً بشكل عامٍّ، أليست فنّاً عالميّاً لسبي العقل بالمحاورات التي لا تستخدم في محاكم العدل والجمعيّات العامّة فقط، بل تُستخدم في البيوت الخاصّة أيضاً، والتي لها علاقة بكلّ الأشياء، الصغير منها والكبير، والتي إن استخدمت بجودة وصلاح، فهي مقدَّرة بشكلٍ متساوٍ، سواء إذا كان موضوعها موضوعاً جديّاً أو تافهاً - إنّ ذلك هو ما سمعته؟

فيدروس: لا، ليس ذلك مطلقاً؛ عليّ أن أقول على الأصح إنّ الفنّ هذا قيل بأنّه معروض شفاهاً وكتابة في الدعاوى القضائية، وفي التكلّم في الجمعيّات العامّة - ولم أسمع بأنّه امتدّ إلى نطاق أكثر من ذلك بشكل واسع.

سقراط: أفترض إذن بأنّك سمعت خطابة نيستور وأوديسيوس، والتي ألقياها في ساعات راحتهما حينما كانا في طروادة، ولم تسمع الخطابة التي ألقاها بالاميديس أبداً.

فيدروس: لا تقل أكثر ممّا قلته عن نيستور وأوديسيوس، إلاّ إذا كان جورجياس

نيستور الذي يخصّك، وكان ثراسيماخوس أو ثيودوروس أويسيوس، الخاصّ بك أيضاً.

سقراط: لربما يكون ذلك ما عنيت. لكن دعنا نتركهم وشأنهم. وهل ستخبرني، بدلاً من ذلك، ماذا يفعل المدَّعي والمدَّعى عليه في محكمة القانون ـ ألا يكونان متنافسين ومتجادلين؟

فيدروس: هكذا بالضبط.

سقراط: إنّهما يفعلان ذلك بشأن العادل والظالم ـ إن تلك القضية هي موضوع النقاش؟

فيدروس: نعم.

سقراط: وبوسع أستاذ جامعيّ أن يظهر لنفس الأشخاص ن الشيء نفسه عادل في وقتٍ ما، وظالم في وقت آخر، إذا مال هو لفعل ذلك؟

فيدروس: بالضبط.

سقراط: وبطريقة مماثلة فإنّه عندما يتكلّم في الجمعية العموميّة، سيجعل الأشياء عينها تبدو صالحة للمدينة في وقت ما، وأنّها رديئة في وقتٍ آخر؟

فيدروس: إنّ ذلك لحقيقي.

سقراط: ألم نسمع نحن عن البالاميدي الإيليائي « زينون »، ألم نسمع عنه أنّ فنّه في الكلام قادر على أن يجعل الأشياء عينها تظهر لسامعيه متشابهة وغير متشابهة، واحدة ومتعددة، في حركة وفي سكون؟

فيدروس: حقيقي جداً.

سقراط: إنّ فنّ المناظرة إذن، لا يقتصر على المحاكم والجمعيّات العموميّة، بل إنه واحد وهو الشيء عينه في كلّ استعمال من استعمالات اللغة. إنه هذا الفن، إن وُجد فنّ كهذا الذي سيكون الشخص قادراً بواسطته على أن يجد شبهاً لكلّ شيء يمكن أن يكون له شبيه، وأن يُبرز المتشابهات والمظاهر الكاذبة التي يستعملها الآخرون ويسلّط عليها الضوء.

فيدروس: ماذا تعني؟

سقراط: أعتقد أنّ الحقيقة ستظهر إذا سألنا هذا السؤال: متى تتوفر فرصة أكبر للخداع ـ أعندما يكون الفرق أكبر أو أصغر؟

فيدروس: عندما يكون الفرق صغيراً.

سقراط: وستكون أنت أقلّ احتمالاً كي تُكتشف في مرورك تدريجياً إلى الطرف الآخر؟

فيدروس: طبعاً.

سقراط: والذي سيخدع الآخرين إذن، ولن يُخدع، يجب أن يعرف الشبَهات والاختلافات الحقيقية للأشياء بالضبط؟

فيدروس: يجب عليه ذلك.

سقراط: لكنّه إذا كان جاهلاً بالطبيعة الحقيقيّة لأيّ موضوع، فكيف يمكنه أن يكتشف الدرجة الأكبر أو الأصغر للشبه في الأشياء الأخرى إلى ذلك الذي يكون جاهلاً له بالفرضيَّة؟

فيدروس: إنّه لا يستطيع.

سقراط: وبعدُ فإنّ الرجال عندما يكونون مخدوعين وتكون أفكارهم متباينة مع الحقائق، فواضح أن الخطأ ينساب إلى الداخل من خلال المتشابهات؟

فيدروس: نعم. إنّ تلك هي الطريقة.

سقراط: إذن إنْ لم يكن خطيبنا قد فهم الطبيعة الحقيقية لكلّ شيء، فإنّه لن يكون فنّاناً بارعاً في جعل الانطلاق التدريجيّ من الحقيقة إلى المضادّ للحقيقة، متأثراً بمساعدة المتشابهات، أو في تفادي هذا حينما يكون هو في موقف دفاعي.

فيدروس: إنّه لن يكون.

سقراط: وهكذا فإنّ « فنّ الخطابة » الذي يعرضه رجل كونه جاهلاً بالحقيقة

والذي تبع المظاهر، سيكون فنّاً من نوعٍ مضحك، ولن يكون فنّاً على الإطلاق؟

فيدروس: يمكن أن يكون هذا متوقّعاً.

سقراط: هل سأفترض أن نبحث عن أمثلة للفنّ وعَوَزِ الفنّ، طبقاً لفكرتنا عنها، وذلك في خطاب ليسياس الذي تمتلكه في يدك، وفي كلامي الخاصّ الذي تفوّهت به؟

فيدروس: لا يمكن لشيء أن يكون أفضل؛ وأظنّ حقاً أنّ محاورتك السابقة قد كانت مجرَّدة أيضاً وتحتاج إلى التوضيح.

سقراط: نعم؛ ويُتفق في أن يُزوِّدَ الخطابان الإثنان بمثال جيّد جداً للطريقة التي تمكِّن المتكلّم الذي يعرف الحقيقة من أن يسلب قلوب مستمعيه بها، بدون أيّ غرض خطير. إنّني أعزو هذه القطعة من الحظّ السعيد إلى الآلهة المحليّين؛ ولربّما إلى نبيّات آلهات الشعر والفنّ والعلوم والغناء اللواتي يغنّين فوق رؤوسنا كي يمكنهنَّ نقل وَحْيِهنّ إليّ. لأنّني لا أتصوّر بأنّ لدي أيَّ فنّ خطابيّ خاصّ بي.

فيدروس: مُنحت؛ إذا ستُسرُّ في مواصلة ما تقوله فقط.

سقراط: إفترض أن تقرأ لي الكلمات الأولى من خطاب ليسياس.

فيدروس: « تعرف أنت كيف تقف المسألة معي، وكيف يمكن أن يُرتَّب هذا الشأن، كما أتصوّر، لمصلحتنا معاً. وإنّي لمتأكّد بأنّه لا ينبغي عليَّ أن أفشل في التماسي، لأنّي لست محبّك، ولأنّ المحبّين يندمون ».

سقراط: كفاية: ـ هل سأشير أنا إلى الخطأ والافتقار إلى الفنّ في هذه الكلمات؟

فيدروس: نعم.

سقراط: يكون هذا واضحاً لكلّ شخص على الأقلّ، بأنّنا نتّفق بشأن بعض أشياءٍ كتلك، في حين أنّنا نتباين في أفكارنا بخصوص الأشياء الأخرى.

فيدروس: أعتقد بأنّني أفهمك؛ لكن هل ستوضح نفسك أكثر؟

سقراط: حينما يتكلّم أيّ شخص عن الحديد والفضّة، ألا يكون الشيء عينه حاضراً في عقول الجميع؟

فيدروس: بالتأكيد.

سقراط: لكن عندما يتكلّم أيّ شخص عن العدل والخير فإنّنا نتفرّق ونكون في نزاعٍ بعضنا مع بعض ومع أنفسنا؟

فيدروس: بالضبط.

سقراط: إذن فنحن نتّفق في بعض الأشياء، لكنّنا لا نتّفق في الأشياء الأخرى؟

فيدروس: إنّ ذلك لحقيقي.

سقراط: في أيّ الأشياء نُخدع على الأرجح، وفي أيّها تمتلك الخطابة القوة الأكبر؟

فيدروس: في النوع العرضة للشكّ، بوضوح.

سقراط: يجب على الذي يرغب في أن يكون شارح فنّ الخطابة إذن، يجب عليه أن يوجد تقسيماً مُنَظّماً لها قبل أيّ شيء آخر، وأن يكتشف الصّفة المميّزة لكلّ صنف منها، أعني الأشياء التي تخصُّ العدد الكبير من الرجال والتي يختلفون بشأنها بالضرورة، والأشياء التي تختصّ بوفاقهم؟

فيدروس: إنّ مَنْ سيوجد تمييزاً كهذا سيمتلك مبدأً ممتازاً.

سقراط: نعم؛ ويلزمه في المقام الثاني أن يمتلك عينين ثاقبتين لمراقبة خواصّ الأمور، وأن لا يرتكب غلطة عند الإشارة إلى واحد من هذين الصنفين في الموضوع الذي يقصد التكلّم عنه.

فيدروس: بدون ريب.

سقراط: وبعدُ فلأيٍّ من الصنفين يخصّ الحبّ - أإلى الصنف المثير للنقاش، أم إلى الصنف الذي لا يجادِل؟

فيدروس: إلى الصنف المثير للنقاش، بوضوح؛ لأنّه إن لم يكن ذلك هكذا، فهل

تعتقد بأنّه قد كان مباحاً أن تقول ما قلته، وهو أنّ الحب يكون شراً للمحبّ والمحبوب معاً، ولتقول فيما بعد إنّه هو الخير الأعظم المحتمل أو الممكن؟

سقراط: ممتاز. لكن هل ستخبرني إذا ما عرَّفت الحبّ في بداية حديثي؟ ولأنّني كنت في ابتهاجٍ غامر، فلذلك لا أقدر على التذكّر جيداً.

فيدروس: نعم، حقاً؛ لقد فعلت ذلك، ولا خطأ.

سقراط: إذن فإنّني أدرك أن بيمفيس من أخيل وپان بن هرمس، اللذين ألهماني، كانا أفضل خطابةً من ليسياس بن سيفالوس ببعدٍ كبير. واحسرتاه! ما أقلّ شأنه أمامهما. لكن لربّما كنت مخطئاً، ولم يَضْرٌ ليسياس في بداية حديثه عن محبّه على افتراضنا أنّ الحبّ ليكون شيئاً ما، أو على الافتراض الآخر الذي توهّمه أنّه يكون. وفيما يتعلق بخصوص هذه الفكرة، صاغ هو وشكّل بقية محادثته. إفترض أنّنا نقرأ بدايتها مرة ثانية.

فيدروس: إذا سرَّك ذلك؛ لكنّك لن تجد فيها ما تريد.

سقراط: إقرأ، ذلك كي يمكنني التبصّر في كلماته الدقيقة.

فيدروس: « تعرف أنت كيف تقف المسائل معي، وكيف يمكن أن يُرتَّب هذا الشأن لمصلحة كلينا، كما أتصوّر؛ وأثبت بأنّي لا ينبغي أن أفشل في التماسي، لأنّي لست محبّك، فالمحبّون يندمون على المنن والألطاف التي أبدوها، عندما تتوقّف وتنقطع عاطفتهم ».

سقراط: يظهر هو هنا أنّه قام بنقيض ما يجب عليه فعله؛ لأنّه ابتدأ من النهاية، ويكون سابحاً على ظهره إلى المكان الذي بدأ منه أثناء الطوفان. إنّ مخاطبته الشابّ الوسيم ابتدأت حيث كان سينتهي المحبّ. ألست محقّاً فيما أقول، يا فيدروس الحلو؟

فيدروس: نعم، حقّاً، يا سقراط؛ إنّه يتبدىء عند النهاية.

سقراط: إذن وفيما يتعلّق بنقاط الموضوع الأخرى ـ أليست مطروحة كيفما اتفق؟ وهل لها أيّة قاعدة؟ لماذا يجب أن تلي نقطة الموضوع التالية النقطة الآتية في نظام، أو أيّة نقطة لموضوع آخر؟ إنّني لا أستطيع أن أحول دون التوهّم في جهلي بأنّه كتب بسرعة ومن غير تردّد ما خطر له تماماً وبكلّ جسارة، لكنّي أجرؤ على القول بأنّك سوف تميّز ضرورة الخطابة في تعاقب الأجزاء المتعددة لتأليف خطابه؟

فيدروس: إنّ لديك رأياً حسناً عني أكثر مّما ينبغي إنْ تصوّرت بأنّي أمتلك أيّ تبصّرٍ كهذا في قواعد تأليفه.

سقراط: على كل حال، فأنت ستسمح بأنّه يجب لكلّ محادثة أن تكون مخلوقاً حيّاً، لها جسم ورأس وقدمان خاصّان بها. يجب أن يُتَّخذ لها وسط، بداية، ونهاية لبعضها وللكل؟

فيدروس: بالتأكيد.

سقراط: أيمكن أن يقال هذا عن محادثة صديقك؟ أنظر إذا ما كنت تستطيع أن تجد أيّ تسلسلٍ منطقيّ في كلماته أكثر من الكلمة القصيرة التي قال البعض أنّها حُفِرتْ على ضريح ميداس الفريجي.

فيدروس: وما هو الشيء غير العاديّ الجدير بالملاحظة الموجود في تلك الكلمة القصيرة؟

سقراط: إنّها كما يلي: ـ

إنّني عذراء من البرونز وأتمدّد على ضريح ميدياس؛
مادام المطر يهطل والأشجار الطويلة تنمو،
ما دمت على هذه البقعة بجانب ضريحه المحزن،
سأعلن للمارّين من هنا أنّ ميدياس يرقد في أسفلها.

وبعدُ فإنّ هذا الشعر المقفّى سواء وقع بيتٌ منه أوّلاً أو أتى أخيراً، فذلك لا يخلق فرقاً، كما ستدرك.

فيدروس: إنّك تسخر من خطابنا، يا سقراط.

سقراط: حسناً، إنّني لن أقول أكثر بشأن خطاب صديقك خشية أن أُسيىء إليك؛ وأعتقد رغم ذلك أنّه بإمكاني أن أجهّز العديد من الأمثلة الأخرى على ما ينبغي للإنسان أن يتفاداه على الأصحّ. لكنّني سوف أتقدّم إلى الخطابات الأخرى التي تعتبر مثيرة لذكريات طلاّب الخطابة أيضاً، كما أعتقد.

فيدروس: في أية طريقة؟

سقراط: إنّ الخطابين، كما تتذكّر، كانا غير متشابهين؛ أحدهما يقول إنّ المحب يجب أن يَتمَّ قبوله والآخر يقول بل اللامحبّ.

فيدروس: وبرجولة حقاً.

سقراط: عليك أن تقول على الأصحّ « بجنون » وكان الجنون الحوار الخاصّ بهما، لأنّ « الحبّ جنون » كما قلت.

فيدروس: نعم.

سقراط: وهناك نوعان من الجنون، واحد منه يحدثه العجز الإنساني، والآخر عتق إلهيّ للروح من نير العادة والعرف.

فيدروس: صدقاً.

سقراط: كان الجنون الإلهي مقسّماً إلى أجزاء أصغر هي أربعة أنواع: نبويّ، تكريسيّ، شعريّ، وجنسيّ، ممتلكاً أربعة آلهة مترئّسة فوقها. كان النوع الأول إلهاماً من أبوللو، والثاني من ديونيسيوس، والثالث من آلهات الشعر والفنّ والعلوم والغناء، والرابع من أفروديايت وإيروس. تكلّمنا في وصف النوع الأخير من أنواع الجنون، والذي قيل عنه إنّه النوع الأفضل أيضاً. تكلّمنا عن تأثير الحبّ في استعارةٍ أو تشبيه، والذي أدخلنا إليه أسطورة موثوقة وحقيقة ممكنة الاحتمال، برغم أنّها مخطئة بشكل جزئيّ، والتي كانت أيضاً ترتيلة في تكريم الحب الذي هو سيدك وسيدي أيضاً، يا فيدروس، وهو حارس

الأطفال الجميلين، ونحن غنَّينا له الترتيلة في لحنٍ مناسب مقدَّس ومُهيب.

فيدروس: أعرف بأنّي شعرت بلذّة عظيمة عند الاستماع إليك.

سقراط: دعنا نأخذ هذا المثال وندوِّن كيف أنّ التحوّل صيغ من اللوم إلى الثناء.

فيدروس: ماذا تعني؟

سقراط: أعني أنَّ التأليف كان مازحاً في الأغلب. وبرغم ذلك فإنّه كان متضمّناً مبدأين اثنين في هذه الصور الذهنيّة الاتفاقية التي نكون بنت ساعتها. وهذان المبدآن هما عن القوة التي يجب أن نحبّ وصفها في اصطلاحات تقنيّة، إنْ أمكن ذلك.

فيدروس: ما هما هذان المبدآن؟

سقراط: المبدأ الأول هو فحص وتقييم الخواصّ المبعثرة، التي تهدي إلى فهمها في فكرة واحدة؛ كما في تعريفنا للحبّ سواء إذا كان هذا التعريف صحيحاً أو خطأً، فإنّه أعطى المحادثة وضوحاً واتّساقاً بكلّ تأكيد. كان على المتكلّم أن يعرِّف أفكاره المتعدّدة وهكذا يجعل معناه جليّاً.

فيدروس: وما هو المبدأ الآخر، يا سقراط؟

سقراط: أمّا المبدأ الثاني، فهو التقسيم إلى أصناف طبقاً للتشكيل الطبيعيّ، حيث يكون المفْصِل، بدون تقسيم أيّ جزء، مثلما يمكن لنحاتٍ سيّيءٍ أن يفعل، تماماً مثلما افتُرِضَ حديثانا نحن الاثنين أنهما صيغة مفردة للاّعقلانيّة بشكل متشابه، قبل كلّ شيء. وحينئذ، مثلما يمكن للجسد الذي من كونه واحداً يصبح اثنين ويمكن تقسيمه إلى جانبٍ أيمن وجانبٍ أيسر، كلّ منهما له أجزاء على اليمين وأجزاء على الشمال من الإسم عينه ـ تقدَّم المتحاَ ث في خطابنا الأوّل وفق هذا الأسلوب، تقدَّم ليقسِّم أجزاء الجانب الأيسر ولم يكفَّ عن ذلك إلى أن وجد فيها شراً أو حباً ذا يد يسرى وشتمه بعدل، في حين أن المحادثة الأخرى قادتنا إلى الجنون الذي تمدَّد على الجانب الأيمن.

إنّ هذه المحادثة وجدت حبّاً آخر، له الإسم عينه أيضاً، لكنّه إلهي، والذي عَرَضه المتكلّم أمامنا واستحسنه وأكّد أنّه المسبّب للمنافع الأعظم.

فيدروس: الأكثر حقيقة.

سقراط: إنّني محبٌّ كبير لعلميات التقسيم والتعميم هذه؛ إنّها ساعدتني على الكلام والتفكّر. وإنْ وجدتُ أيَّ إنسانٍ قادرٍ على أن يرى « واحداً وعديداً في الطبيعة، فهو الذي سأتبعه وأسير على خطاه وكأنّه كان إلهاً ». وأمّا أولئك الذين يمتلكون هذا الفنّ، فإنّني اعتدت على أن أسمّيهم علماء جدل حتى اليوم؛ غير أنَّ الله يعرف ما إذا كان هذا الإسم صحيحاً أو لا. لكن عليَّ أن أحبَّ الآن معرفة ما هو الإسم الذي ستمنحه لهم أنت وليسياس، وسواء إذا أمكن أن يكون فنّ الخطابة الشهير هذا هو الذي يعلّمه ثراسيماخوس والآخرون ويزاولونه أم لا؟ إنّهم متكلّمون حاذقون بدون شكّ، وينقلون حذقهم لأيّ شخص يريد ويرغب أن يجلّهم ويكرّمهم، كما يجلّ الملوك ويقدّرهم.

فيدروس: نعم، إنّهم رجال ملكيّون؛ لكنّهم لا يمتلكون أيّة براعة في تلك العمليات التي تسمّيها عمليات جدليّة، في رأيي، وأنت تدعوها ذلك بحقّ: - يبقى أنّنا لا نزال في ظلمة بخصوص الخطابة.

سقراط: ماذا تعني؟ أيمكن لأيّ شيء ذي قيمة أن يُورَدَ تحت قواعد فنيّة، وأن يُنقذ بهذه العمليّات؟ على كلّ حال، يجب أن لا يُزدرى بك وبي، وعلينا أن نحاول قول ما هو الجزء الباقي من الخطابة.

فيدروس: هناك مقدار كبير ليتمّ إيجاده في كتب الخطابة بكلّ تأكيد.

سقراط: نعم؛ شكراً لك لتذكيرك إيّاي: - هناك التصدير المبيِّن كيف يجب أن يبتدىء الكلام، إذا تذكّرت ذلك جيداً. إنّ هذا هو ما تعنيه - النقاط الدقيقة والسمات الأنيقة للفنّ؟

فيدروس: نعم.

سقراط: أتبع حقائق البَسط إذن، وبناء على ذلك، الشواهد؛ ثالثاً، البراهين؛ رابعاً، الاحتمالات الواجب الإتيان بها. إنّ واضع الكلمة البيزنطي العظيم يتكلّم أيضاً، إذا لم أكن مخطئاً، إنّه يتكلّم عن الإثبات والإثبات الأبعد.

فيدروس: تعني ثيودوروس الممتاز.

سقراط: نعم؛ وهو يُخبر كيف سيُدار النقض أو النقض الأبعد، سواء إذا كان في الاتهام أو الدفاع. يجب عليّ أن أقدّم أيضاً باريان اللامع، ايفينوس، الذي اخترع التعريض أو التملّق والثناءات غير المباشرة بادىء ذي بدء؛ واخترع اللّوم غير المباشر أيضاً، الذي وضعه هذا الرجل، طبقاً للبعض، في قطع نثريَّة كي يساعد الذاكرة. وهل « سأُخرس النسيان وأُودِعَهُ » لتيسياس وجورجياس، اللذين ليسا جاهلين أن الاحتمال أسمى من الحقيقة، واللذين جعلا الصغير يظهر كبيراً والكبير صغيراً بقوّة فصاحتهما، واللذين أخفيا الجديد في أنماطٍ قديمة، والأساليب القديمة في الحديثة منها، واكتشفا طريقةً للكلام في كلّ موضوع إمّا باختصار أو في تطويلٍ لامتناهٍ. إنّني أتذكّر بروديكوس ضاحكاً عندما أخبرته عن هذا. قال هو إنّه اكتشف القاعدة الحقيقيّة للقانون، وهي أنّ الخطاب يجب أن لا يكون طويلاً ولا قصيراً، بل ذا حدٍّ مناسب.

فيدروس: حسناً فعل، بروديكوس.

سقراط: ولا أستطيع أن أُهمل هيبياس، لأنّني أتصوّر أنّ هذا المعاون من مدينة إليس سوف يصوّت معه.

فيدروس: نعم.

سقراط: وهناك بولس أيضاً، الذي يمتلك كنوزاً من الـDIPLASIOLOGY والـ GNOMOLOGY والـ EIKONOMOLOGY[١٢]، والذي يُعلّم الأسماء التي يجعله ليسمانيوس فيها حاضراً، والتي أعطوها لمعاناً برّاقاً.

فيدروس: ألم يكن لدى بروتاغوراس شيئاً ما من النوع عينه؟

سقراط: نعم، كانت لديه قواعد لتصحيح البيان والمدارك المتعدّدة الجميلة الأخرى؛ لأنّ « مآسي إنسانٍ فقير مسنّ »، أو أيّة حالة محزنة أخرى، لا أحد يكون أفضل فيها من العملاق الخالقيدوني(١٣). يستطيع هو أن يضع مجموعة من الشعب بكاملها في عاطفة مشبوبة ويخرجها من واحدة منها مرّة ثانية بسحره الكلامي العظيم. وهو من الدرجة الأولى في اختراع أو إعداد أيّ نوعٍ من أنواع تشويه السمعة بناءً على أيّة دوافع أو بدونها. يتّفقون كلّهم على التأكيد أنّ الخطاب يجب أن ينتهي في إعادة مختصرة للنقاط الأساسيّة، ومع ذلك فهم لا يتّفقون جميعاً على استعمال الكلمة عينها.

فيدروس: تعني أنّه يجب أن يكون تلخيصاً للمحاورات كي تذكّر المستمعين بها؟

سقراط: إنّني قلت الآن كل ما عليَّ قوله في فنّ الخطابة: فهل عندك أيّ شيء تضيفه؟

فيدروس: ليس الكثير؛ لا شيء بذي أهميّة.

سقراط: أترك كلامهم ودعنا نحضر الصور البلاغيّة التي ذكرناها، دعنا نسلّط الضّوء عليها، ونسأل: لأيّ مدًى، ومتى تمتلك هي قوّة الفنّ؟

فيدروس: إنّ لها قوّة وسلطة عظيمة في اللقاءات العامّة.

سقراط: وهكذا فإنّ لها ذلك. لكن يلزمني أن أعرف إذا ما كنت تمتلك الشعور عينه مثلما أمتلكه بخصوص الخطباء؟ يبدو لي أنّ هناك ثقوباً كبيرة وعديدة في نسيجهم.

فيدروس: إعطِ مثالاً.

سقراط: سأفعل. إفترض أنّ شخصاً يأتي إلى صديقك أريكسيماخوس، أو إلى أبيه اكيومينوس، ويقول له: « إنّني أعرف كيف ستستعمل العقاقير التي ستكون إمّا ذات تأثير يبعث الحرارة أو البرودة في الجسم، وأستطيع أن أمنح التقيؤ

للمريض أو أستخدم التطهير، وكلّ أنواع هذه الأشياء، ولمعرفتي كل هذا، فإنّني أطالب أن أكون طبيباً ولأخلق أطبّاء أيضاً بنقل هذه المعرفة إلى الآخرين »، ماذا ستفترض أنّهم يقولون؟

فيدروس: سيكونون متأكّدين من سؤالِه إذا ما كان يعرف أيضاً « لمن » سيعطي هو كلّ نوع من أنواع المعالجة، و« متى » و« كم ».

سقراط: وافترض أنّه أجاب: « لا؛ إنّني لا أعرف شيئاً عن كلّ ذلك؛ أتوقّع من الشخص الذي تعلّم ما عليّ أن أُعلّم ليكون قادراً على أن يؤدّي هذه الأشياء بنفسه ».

فيدروس: سيقولون إجابةً على ذلك، إنّه يكون رجلاً مجنوناً أو مدَّعياً للعلم الذي يتوهّم أنّه يكون طبيباً لأنّه قرأ شيئاً ما في كتاب، أو لأنّه زلّ بإعطاء وصفةٍ أو وصفتين، برغم أنّه لم يمتلك أيّ فهم حقيقي لفنّ الطبّ.

سقراط: وافترض أنّ شخصاً أتى إلى سوفوكليس أو إلى يوريبايدس وقال لهما إنّه يعرف كيف يؤلّف خطاباً طويلاً جدّاً بشأن مسألة صغيرة، وخطاباً قصيراً بخصوص قضية كبيرة، وخطاباً ملؤه الحزن أيضاً، أو خطاباً مرعباً أو مهدّداً ومتوعّداً، أو أيّ نوع آخر من أنواع الكلام. ويتوهّم هو في تعليم هذا أنّه يعلّم فنّ المأساة -

فيدروس: هُمْ سيسخرون منه أيضاً بكلّ تأكيد إنْ توهّم أنَّ المأساة تكون أيّ شيءٍ سوى ترتيب هذه العناصر في أسلوب يكون مناسباً لبعضها أو إلى الكلّ.

سقراط: غير أنّني لا أفترض بأنّهم سيكونون وقحين أو اعتسافيّين نحوه. ألن يعاملوه كما يعامل موسيقيٌّ إنساناً مؤلّف ألحانٍ لأنّه يعرف كيف يعيّن درجة النغمة الموسيقية الأعلى منها والأسفل؛ ويحدث أن يلتقي هكذا شخص فإنّه لن يقول له بفظاظة، « يا غبيّ، إنّك لمجنون! » لكنّه سيجيب، مثل عالِم الموسيقى، في نبرةِ صوتٍ لطيفة متناسقة ومنسجمة: « يا صديقي الخيِّر، إنّ

الذي سيكون مؤلِّف ألحان يجب أن يعرف هذا بالتأكيد، ومع ذلك فإنّ الشخص الذي لم يتخطَّ درجتك في المعرفة يمكن أن لا يفهم أيّ شيء عن التناسق والانسجام، لأنّك تعرف وحدك الخطوات التمهيديّة الضرورية للتناسق وتناسب الألحان وليس التناسق أو تناسب الألحان عينه ».

فيدروس: حقيقي جداً.

سقراط: أو لن يقول سوفوكليس(١٤) عن عرض مدَّعي كاتب المأساة، إنَّ هذه ليست مأساة بل هي الخطوات التمهيديَّة للمأساة، أو لن يقول اكيومينوس الشيء عينه عن فنّ الطبّ لمدَّعي هذا الفنّ؟

فيدروس: حقيقي تماماً.

سقراط: وإذا سمع ادراستوس(١٥) المعسول أو بريكلس عن هذه الفنون الرائعة، فماذا سيقولان عن كلّ الأسماء الصعبة التي قد جهدنا لتسليط الضوء عليها مثل BRACHYLOGIES والإسم EIKONOLOGIES؟ وبدلاً من أن يغضبا ويستعملا نعوتاً ازدرائيّة، كما فعلنا، أنا وأنت، إلى مؤلّفي فنون خياليّة كهذه، فإنّ حكمتهم الأسمى ستؤنّبنا على الأصحّ، مثلما ستعنّفهم. إنّهما سيقولان: « ليكن عندكما القليل من الصبر، يا فيدروس وسقراط؛ ويجب عليكما أن لا تنفعلا مع أولئك الذين يكونون غير قادرين على أن يعرّفوا طبيعة الخطابة بسبب بعض افتقارهم للبراعة الجدليّة » وافترض بناءً على ذلك أنّهم وجدوا الفنّ عندما درسوا الخطوات التمهيديّة الضروريّة فقط، وتوهّموا في تعليمهم هذه الخطوات للآخرين، توهّموا أنّهم قد علّموهم فنّ الخطابة بمجمله؛ لكن فيما يتعلّق باستخدام هذه الأنماط من الكلام في أسلوبٍ مقنع، أو جعل التأليف كلاًّ، ـ هم يعتبرون هذا وكأنه شيء سهل، وعلى مريديهم أن يكونوا قادرين على أن يمدّوا أنفسهم به.

فيدروس: أعترف تماماً، يا سقراط، بأنّ فنّ الخطابة الذي يعلّمه أولئك الرجال

والذي عنه يكتبون هو كما تصف. إنّني أتّفق معك في ذلك. لكنّني أبقى راغباً أن أعرف أين وكيف يُكتسب فنّ الخطابة والإقناع الحقيقيين.

سقراط: إنّ الكمال الذي نحتاجه من الخطيب الذي أتمَّ مهنته يكون، أو يجب أن يكون على الأصحّ، مثل كلِّ كمالٍ لأيّ شيء آخر، إنّه كمالٌ تعطيه الطبيعة بشكل جزئيّ، ويمكن أن يُساعدَهُ الفنّ أيضاً. وإذا كانت لديك القوّة الطبيعيّة وأضفت إليها المعرفة والممارسة، فإنّك ستكون متكلّماً مميَّزاً؛ وإن قصَّرت في أيٍّ من هذين الشرطين، فإنّك ستكون ناقصاً بذلك المدى. لكنّ فنّ الخطابة، بقدر ما يوجد فنّ كهذا، لا يقع في اتّجاه ليسياس او ثراسيماخوس.

فيدروس: أتصوّر أن بريكلس قد أنجز ما لم ينجزه كل الخطباء.

سقراط: إنّ كلّ الفنون العظيمة تحتاج إلى بحثٍ وتأمّلٍ سامٍ مليءٍ بشأن حقائق الطبيعة؛ ومن هنا يأتي السموّ الفكري وكمال الإنجاز. وكانت هذه، كما أتصوّر، هي النوعيّة التي اكتسبها بريكلس من صلته بأناكساغوراس الذي حدث أن عرفه، بالإضافة إلى مواهبه الطبيعيّة. كان مصبوغاً بالفلسفة الأسمى، ونال معرفة العقل وما هو نقيض العقل، اللذين كانا موضعَي أناكساغوراس المفضَّلين، ومن ثمَّ فإنّه استعمل ما لاءَم غرضه لفنّ الكلام.

فيدروس: أوضح ما تعنيه.

سقراط: إنّ نهج الخطابة التقليديّ هو مثل ذلك النهج الذي يختصّ بعلم الطبّ.

فيدروس: كيف يذلك؟

سقراط: لماذا، بسبب أنّ علم الطبّ يجب أن يعرّف طبيعة الجسم، وينبغي أن تعرّف الخطابة طبيعة الروح ـ إن أردنا أن نتقدّم به تقدماً علمياً لا تجريبياً، وأن نمنح الصحّة والقوة في الحالة الأولى بإعطاء الدواء، وأن نغرس الإيمان الراسخ والإقناع أو الفضيلة التي نرغب في الحالة الأخرى، وذلك باستخدام الكلمات والتدريب.

فيدروس: أتصوّر بأنّك محقّ في ذلك، يا سقراط.

سقراط: وهل تعتقد بأنّك تستطيع أن تعرف طبيعة الروح بعقلانيّة بدون أن تعرف طبيعة العالم؟

فيدروس: إن كان أبقراط الاسكليبيادي موضع ثقة، فإنّه لا يمكن أن تُفهم حتى طبيعة الجسد بدون ذلك النوع من التحقيق.

سقراط: نعم، يا صديقي، إنّه كان محقّاً: يبقى، أنّنا يجب أن لا نقتنع باسم أبقراط، بل أن نفحص ونرى ما إذا كان السبب العقليّ يعطي أيّ دعم لهذا العرض.

فيدروس: نعم، إنّني أوافق.

سقراط: تأمّل ملياً إذن أيّ استنتاج حقيقيّ يقوله أبقراط عن الطبيعة. ألا يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار، بادىء ذي بدء، في فحصنا لطبيعة أيّ شيء، سواء إذا كان ذلك الشيء الذي نرغب امتلاكه وأن نضيفه إلى الأشياء الأخرى، كالمعرفة ذات الخبرة، سواء إذا كانت هذه المعرفة شيئاً بسيطاً أو أنها متعددة الأشكال، وإذا كانت بسيطة، أن نحقّق بعدئذ أيّة قوة لديها من الفعل ولكونها مفعولاً عليها فيما يتعلّق بالأشياء الأخرى، وإذا كانت متعددة الأشكال، فلأن نرقّم هذه الأشكال؛ ونستوثق في حالة واحدة من حالاتها أوّلاً، ومن ثمّ في حالاتها كلّها، نستوثق ماذا تكون تلك القوّة للفعل أو لكونه مفعولاً على الّتي تجعل كلاًّ منها وجميعها ما تكون؟

فيدروس: يمكنك أن تكون محقّاً جدّاً فيما تقوله، يا سقراط.

سقراط: إنّ الطريقة التي تبدأ بدون تحليل شأنها شأن الرجل الأعمى الذي يتلمّس طريقه. وبرغم ذلك، فإنّ من يكون فنّاناً لا يلزمه أن يعترف ويسلم بمقارنة نفسه مع الأعمى والأصمّ. إنّ الخطيب الذي يكون تعليمه للبلاغة تعليماً علمياً، سيوضح طبيعة ذلك الكائن الذي يوجّه حديثه إليه بشكلٍ خاصّ؛ وأتصوّر أنّ هذا الكائن هو الروح.

فيدروس: بالتأكيد.

سقراط: إنّ جهده الكليّ سيوجَّه إلى الروح؛ لأنّه ينشد ويتوخّى أن ينتج الإقناع فيها.

فيدروس: نعم.

سقراط: إذن وبوضوح، فإنّ ثراسيماخوس أو أيّ شخص آخر يعلِّم الخطابة بجديَّة كأنّها فنّ، سيعطي أوّلاً وصفاً لطبيعة الروح؛ وسيجعلنا قادرين أن نرى إذا ما كانت الروح واحدة والشيء عينه، أو أنّها متعدّدة الأشكال مثل الجسد. وذلك ما يلزمنا أن نسمِّيه تبيين طبيعة الروح.

فيدروس: بالضبط.

سقراط: وسيشرح هو ثانياً، الطريقة التي تفعل الروح فيها والطريقة التي يُفعل عليها.

فيدروس: حقاً.

سقراط: ثالثاً، بعد أن صنَّف مَن يعلِّم الخطابة كلا الخطابين وعقول الرجال، وأنواعها وتأثيراتها، فإنّه سيتقدَّم لإلقاء نظرة عامّة ويقيِّم كلّ الأسباب، ويُظهر أيّ نوع من الروح يقتنع وأيّها لا يقتنع بإقرار واحدتها بالمقارنة مع الأخرى، وذلك بأيّة صيغة خاصة من صيغ الحوار، ومن أيّة ضرورة عرضيَّة.

فيدروس: يبدو أنّ هذا هو أسلوبنا للتقدّم، بشكل مثالي.

سقراط: نعم، إنّ تلك الطريقة هي الطريقة الحقيقية والوحيدة، التي يمكن بواسطتها إيضاح أيّ موضوع أو أن يُعالَج بقواعد الفنّ، سواء إذا كان ذلك في الكلام أو الكتابة. غير أنَّ مؤلفي كتيّباتنا الكلاميَّة والذين جثوت على أقدامهم، يخفون طبيعة الروح بمكر، مع أنهم يعرفونها جيّداً تماماً. ونحن لا يمكننا أن نعترف بأنّهم يكتبون بقواعد فنٍّ، حتّى يتبنّوا طريقتنا وأسلوبنا في الكلام والكتابة.

فيدروس: وما هي طريقتك؟

سقراط: إنّني لا أستطيع أن أعطيك التفاصيل الدقيقة؛ غير أنّي جاهز كي أخبرك بشكل عامّ، بقدر ما يمكنني من قوّة، كيف يجب على إنسانٍ ما أن يتقدّم طبقاً لقواعد فنيّة.

فيدروس: دعني أسمع.

سقراط: بما أنّ قوّة الكلام تكون هاديةً للروح، فإنّ مَن يقترح أن يصبح خطيباً، يجب أن يعرف أيّة صيغ « أو أجزاء » تمتلك الروح. إنّها تكون متعددة - وهي من كذا وكذا نوعاً، ومنها ينبثق رجال من كذا وكذا نوعاً. عندما يكون هذا التحليل منتهياً، ينبغي عليه أن يعدِّد أنواع الأحاديث تباعاً وأن يقرّر صفة وأسلوب كلٍّ منها. وبعدُ فإنّ كذا وكذا شخصاً يُقنعون بسهولة بهذا العمل وبواسطة هذا النوع من الكلام لهذا السبب؛ وإن أشخاصاً آخرين صعبٌ إقناعهم بسبب ذلك.

بعد أن يحصل شخص ما على فهمٍ عقلانيّ كافٍ لهذه النقاط الرئيسيّة، يجب عليه، إذا كان يرغب في نيل أيّة منفعة عمليّة من تدريبه النظري، أن يفهم بسرعة وبالإدراك العقليّ الصيغَ والأشكال المتعدّدة حينما يراها في محيط الحياة والعمل. أخيراً، عندما يوثق به ويُعتَمد عليه في الحكم على أيّ نوع من الإنسان يمكن إقناعه وبأية وسائل، وأيضاً يقيّم شخصيّة الرجل الفرد الذي يقابل، ويصرّح لنفسه: « إنّ هذا هو الإنسان، وهذه هي أخلاقه، الذي سمعت البحث عنه سابقاً ». الإنسان كونه موجوداً في الجسد الآن - « ولكي أقنعه بهذه الطريقة، ينبغي عليّ أن أستعمل هذه المحاورات لهذا الأسلوب »؛ عندما يكون هو حاذقاً وخبيراً في كلّ هذا « غير ناسٍ الحكم في الوقت الصحيح للبدء بالكلام والتوقّف عنه، وكذلك اختيار المناسبات الصالحة أو السيّئة لاستعمال الأقوال البليغة، الاستغاثات المثيرة

للشفقة، المظاهر الحسيَّة، وكل صيغ الكلام الأخرى التي تعلَّمها »، عندئذ، وليس غير ذلك، يمكن القول إنّ الفنّ قد أُنجز وبلغ تمامه. لكن إنْ أخفق إنسانٌ في أيٍّ من هذه النقاط الرئيسيَّة، سواء إذا كان المتكلم كمتكلّم، كمعلمٍ، أو ككاتب، ويدَّعي أنه يتكلّم وفقاً لقواعد القانون برغم ذلك، فإنّ الشخص سيكون مخوَّلاً أن لا يصدّقه: حسناً، سيقول كاتبنا، ومؤلّف الكلام، سيقولان هل ستقبلان بهذا التفسير لفنّ الخطابة، يا فيدروس وسقراط؛ أو إذا تخلّيتما عن هذا، فهل ستسمحان أن توصفَ الخطابة بأنها فن؟

فيدروس: إنّني أشكّ في إيجاد أيّ بديل آخر، يا سقراط، لكن يبدو أنّ العمل الشاقّ يكون ضخماً.

سقراط: حقيقيّ تماماً؛ ولهذا السبب دعنا نتأمّل ملياً جميع محاوراتنا بشكل جليّ، ونرى إذا ما كنا نستطيع أن نجد طريقاً أقصر وأسهل. لا فائدة في سلوك طريقٍ طويلٍ، وعرٍ، ملتوٍ، إذا كان هناك طريق آخر أسهل وأقصر. وإنّني لأرغب منك في أن تحاول وتتذكّر إن كنت قد سمعت من ليسياس أو من أي شخص آخر أيّ شيء يمكن أن يقدِّم خدمة لنا.

فيدروس: إن كانت المحاولة ستنفع، يمكنني أن أحاول عندئذ؛ لكنّني لا أستطيع أن أفكّر بأيّ شيء في هذه اللحظة.

سقراط: إفترض أنّني أخبرك شيئاً ما سمعته من بعض طلاّب هذا الموضوع.

فيدروس: بالتأكيد.

سقراط: ألا يمكن « أن يطالب الذئب بالاستماع للحجّة » كما يقول المثل؟

فيدروس: هل تقول ما يمكن أن يقال له؟

سقراط: حسناً إذن، يقولون إنّه لا نفع في منح هذه القضايا ثقة كبرى، ولا في الذهاب بشكل دائري، إلى أن تصل للمبادىء الأولى. لأنّني كما قلت في

البدء، عندما تكون القضية عن العدل والخير، أو يكون السؤال سؤالاً يهتمّ به الرجال، حول من يكون عادلاً وخيِّراً، إمَّا بالطبيعة أو بالعادة، والذي سيكون خطيباً حاذقاً لا تتملّكه حاجة للحقيقة، لأنّ الرجال لا يهتمّون بالحقيقة حرفياً في محاكم القانون، بل إنّهم يهتمّون بالإقناع فقط: ويكون اهتمامهم هذا مرتكزاً على الترجيح أو الاحتمال، ومَن كان عليه أن يكون خطيباً بارعاً سيمنح اهتمامه الكليّ لهذا السبب. ويقولون أيضاً بأن هناك حالات يجب أن تُحفظ فيها الحقائق الفعليَّة، إن كانت هي حقائق محتملة. ويلزم إخبار الترجيحات، إمَّا في الاتّهام أو الدفاع، وأنّه يجب على الخطيب أن يحتفظ بالترجيح في فكرته عند الكلام على الدوام، وأن يقول وداعاً للحقيقة. ويُقال إنّ مراقبة هذه القاعدة أثناء الكلام، تجهّز الفنّ كلّه.

فيدروس: إنّ ذلك ما يقوله أساتذة الخطابة حقّاً، يا سقراط. إنّني لم أنسَ أنّنا اقتربنا من بحث هذه المسألة بشكل مختصر سابقاً(١٦)، وهم يهتمّون بهذه النقطة الرئيسيَّة بشكل كامل.

سقراط: أجرؤ على القول بأنّك مطّلعٌ تمام الاطّلاع على نظريات تيسياس بشكل كامل. وبعدُ فإنّ بحوزتنا شيئاً واحداً أكثر يجب أن نسأله. ألا يعرّف هو الأرجح أو المحتمل على أنه ذلك الذي تؤمن به الأكثرية من الناس؟

فيدروس: إنّه يفعل ذلك بدون ريب.

سقراط: أعتقد بأنّه يمتلك حجّة حاذقة وصريحة من هذا النوع: ـ يفترض هو أنّ رجلاً ضعيفاً وشجاعاً انقضّ على رجل قويٍّ وجبان، وسلب منه معطفه أو شيئاً ما غير ذلك؛ ثم سيقَ إلى المحكمة بعد ذلك، ويقول تيسياس لكلا الفريقين حينئذ بأنّ عليهما أن يكذبا: ينبغي على الجبان أن يقول إنّه هُوجِم مِن قِبَلِ أكثر من رجل واحد؛ وعلى الآخر أن يثبت أنه كان وحيداً. ويجب أن يحاور هكذا: « كيف يستطيع رجل ضعيف مثلي أن يهاجم رجلاً قويّاً

مثله؟ ». لن يريد المشتكي أن يعترف بجبنه الخاصّ، ولذلك سيخترع كذبة ما أخرى، سيكسب خصمه فرصة لنقض ما قاله كنتيجة لها. وهناك وسائل أخرى من النوع عينه التي لها مكان في الترتيب. ألست محقّاً، يا فيدروس؟

فيدروس: بدون ريب.

سقراط: باركني، ما هذا الفنّ السرّيّ المدهش الذي اكتشفه تيسياس أو أيّ سيّد آخر، في أيّ اسم أو بلادٍ يبتهج لها هو. هل سنقول له كلمة أو لا نقول؟

فيدروس: ماذا سنقول له؟

سقراط: دعنا نخبره، أنّنا قلنا قبل أن يظهر، إنَّ الاحتمال الّذي يتكلّم عنه كان ناشئاً في عقول الكثيرين وفقاً لشَبَهِ الحقيقة، وإنّنا كنّا متأكّدين لتوّنا أنّ مَنْ عرف الحقيقة، سيعرف الأفضل كيف يكتشف صورها على الدوام. وإن كان لديه أيّ شيء ليقوله بشأن فنّ الكلام فينبغي أن نسمعه؛ لكن إن لم يمتلك أيّ شيء، فنحن قانعون بوجهة النظر التي تمَّ إيضاحها حديثاً، وما لم يقدِّر إنسان الصفات المتعدّدة لمستمعيه ويكون قادراً على أن يقسّم كلّ الأشياء إلى أصناف وأن يفهم كلّ واحدٍ من هذه الأصناف تحت أفكار مفردة، فإنّه لن يكون خطيباً بارعاً، حتّى ضمن نطاق حدود القوّة الإنسانيّة. وهذا الحذق الإنساني لن يدركه أحد بدون مقدارٍ كبير من الضّيق، الذي ينبغي أن يتحمّله الإنسان الخيِّر، ليس بقصد التكلّم والفعل أمام الرجال، بل لكي يمكنه أن يكون قادراً على أن يقول ما هو مقبول عند الله وأن يعمل دائماً ما يرضيه بقدر ما يكمن ذلك فيه؛ لأن هناك قولاً للرجال الأعقل منا، وهو أنّه يجب على الإنسان ذي الفهم أن لا يحاول مسرّة رفاقه الخدم « على الأقلّ لا ينبغي أن يكون هذا هدفه الأوّل » لكن أن يحاول إرضاء أسياده الأخيار والنبلاء. ولهذا السبب إذا كان الطريق طويلاً وغير مباشر، يا تيسياس، لا تتعجّب في هذا، إذ حيث تكون الغاية عظيمة، فهناك يمكننا

أن نسلك الطريق الأطول، لكن ليس لغاياتٍ أقلّ شأناً كغاياتك. على كلّ حال فإنّ مناظرتنا تقول، حتى هذه الغايات هي الغايات الأفضل ضماناً وكأنّها النتيجة المنطقيّة لأهدافٍ أسمى.

فيدروس: أعتقد، يا سقراط، أن هذا يكون مدهشاً، إن كان عمله ممكنا فقط.

سقراط: لكن بشرط أن يكون هدف الشخص شريفاً، وهكذا هو كلّ نجاح سيّىء يمكن أن ينشأ نتيجة لذلك.

فيدروس: حقاً.

سقراط: يبدو أنّ ما قلناه عن فنّ الكلام الحقيقيّ والمزيّف كان كافياً.

فيدروس: بالتأكيد.

سقراط: لكن هناك شيئاً ما يجب أن يقال أيضاً عن مناسبة الكتابة وعدم مناسبتها.

فيدروس: نعم.

سقراط: هل تعرف كيف تستطيع أن تتكلّم أو تفعل بشأن الخطابة بالأسلوب الذي سيقبله الله؟

فيدروس: لا، حقاً. هل تعرف أنت؟

سقراط: إنّني سمعت عن عادة من عادات القدماء، وسواء أكانت هذه العادة حقيقية أم لا فهم يعرفون فقط؛ مع أنّنا إذا وجدنا الحقيقة بأنفسنا، فهل تظنّ بأنّه يجب علينا أن نهتم كثيراً بآراء الرجال؟

فيدروس: إنّ أسئلتك لا تحتاج إلى جواب؛ لكن أخبرني عما قلت إنّك سمعته بكلّ بساطة؟

سقراط: كان هناك إله شهير قديم في المدينة المصريّة نوكراتيس اسمه توت؛ وكرّس له الطائر الذي سُمّي ايبيس. وكان هذا الإله هو مخترع العديد من الفنون، مثل فنّ الحساب وأجزائه، وعلم الهندسة، كما أنّه اخترع لعبة الداما والنرد، لكن اكتشافه العظيم كان استعمال الحروف. وبعدُ فإنّ « الله » ثاموس كان

ملك بلاد مصر جميعها في تلك الأيّام، وسكن في تلك المدينة العظيمة لمصر العليا التي يسميها الهيلينيون طيبة المصريَّة، وسمّوا الله ذاته آمون. أتى توت إلى آمون وأراه اختراعاته، رغبة منه أن يسمح للمصريين الآخرين أن ينتفعوا بها؛ ثم عدَّدها له، وحقق ثاموس بشأن فوائدها المتعدّدة، وأثنى على بعضها ونقد البعض الآخر، كما أنّه وافق على بعضها ورفض البعض الآخر. إنني بحاجةٍ لطويل وقت لأردّد كلّ ما قاله ثاموس لتوت في الثناء أو اللوم على الفنون المختلفة. لكنّهما عندما وصلا إلى الحروف، قال توت، يا أيّها الملك، هناك دراسة هنا ستجعل المصريين أعقل وتهبهم ذاكرات أفضل؛ إنّها دراسة نوعيّة للذاكرة والذكاء كليهما. أجاب ثاموس: يا توت الأكثر إخلاصاً، إنّ المصدر أو المخترع للفنّ ليس القاضي الأفضل لفائدة أو عدم فائدة اختراعاته للذين يستعملونها على الدوام. ولقد قدتم في هذا المثل أطفالكم الذين يخصّونكم وذلك من حبّكم الأبويّ لهم، قد توهمتم، يا من أنتم أصل الحروف ومنشأها، كي تنسبوا لها نوعية لا تستطيعون امتلاكها؛ لأنّ هذا الاكتشاف الذي يخصّكم سيخلق نسياناً في أرواح المتعلّمين، لأنهم لن يستخدموا ذاكرتهم. إنّهم سيثقون بالحروف الأبجدية الخارجية المكتوبة ولن يتذكّروا بأنفسهم. وهكذا فإنّ النوعيّة التي اكتشفتموها لا تساعد على الذاكرة، بل على التذكّر. وفيما يتعلّق بالحكمة، فإنّها السمعة الحسنة، وليست الحقيقة. ذلك ما يجب عليكم أن تقدّموه لأولئك الذين يتعلّمون منكم. إنّهم سمعوا وسيسمعون أشياء عديدة، ولم يتلقّوا أيّ تعليم برغم ذلك؛ سيبدون أنّهم كلّيّو المعرفة ولن يعرفوا أيّ شيء بشكل عام؛ إنّهم سيكونون جماعة متعبة، لم تنل الحكمة، بل كسبت مظهرها فقط.

فيدروس: نعم، يا سقراط، تستطيع أنت أن تخترع قصصاً عن مصر، أو عن أيّة بلادٍ أخرى.

سقراط: في معبد دودونا عُرْفٌ، وهو أنّ شجر السنديان هو الذي أعطى النطق النبويّ بادىء ذي- بدء. إعتبر الرجال الغابرون، وهم أبسط منكم بكثير، يا أيها الرجال الشبّان المحنّكون، اعتبروا أنّهم إنْ سمعوا الحقيقة حتّى من « شجر السنديان أو الصخر » فذلك كفاية لهم؛ في حين تبدون أنكم لا تعتبرون سواء إذا كان الشيء حقيقياً، أوْ لا، بل من يكون المتكلّم ومن أيّة بلاد أتت القصّة.

فيدروس: إنّني أعترف بعدالة توبيخك؛ وأؤمن بأنّ الإنسان الطيبي محقّ في فكرته بشأن الحروف.

سقراط: إنّه سيكون شخصاً بسيطاً جدّاً، وغريباً عن الوحي الإلهي لثاموس وآمون تماماً، من سيفترض أنّه ترك « فنّه » في الكتابة أو مَن سيقبل إرثاً كهذا على أمل أنّ الكلمة المكتوبة سوف تعطي أيّ شيء مفهوم أو مؤكّد؛ أو من اعتبر أنّ الكتابة يمكن أن تكون أيّ شيء أكثر من تذكيرٍ لشخصٍ عرف الموضوع مسبقاً.

فيدروس: إنّ ذلك هو الأكثر حقيقة.

سقراط: لا أستطيع إلاّ أن أشعر، يا فيدروس، بأنّ الكتابة تمتلك خطأ خطيراً واحداً تشترك فيه مع الرسم باليد. إنّ إبداعات الرسّام اليدوي لها وضع الحياة الجسماني، وبرغم ذلك فإذا ما طرحت على الرسامين اليدويين سؤالاً فإنّهم سيحتفظون بصمتٍ رزين. ويمكن قول الشيء عينه عن الكتب. ستتصوّر أنت أنّها امتلكت فهماً، لكنّك إن احتجت لأيّ إيضاحٍ عن شيء ما قد قيل، فإنّها ستحتفظ بمعنى واحد لا يتغيّر، وعند كتابتها لمرّة على الورق فإنّها تتعثّر في أيّ مكان، وتكون كلها سواء، بين أولئك الذين يفهمونها وبين الغرباء، ولا يعرفون لمن سيجيبون ولمن لن يجيبوا؛ وأنّها عُوملت بقسوة وشُتِمت، وهي ليس لديها آباء كي يحموها، لأنّ الكتاب لا يستطيع أن يحمي نفسه أو يدافع عنها.

فيدروس: إنّ ذلك هو الأكثر حقيقة.

سقراط: أليس هناك نوع آخر من أنواع الكلمة أو الكلام أفضل بكثير من هذا النوع، وله من القوّة ما هو أعظم وأبعد ـ إنّه ابن العائلة نفسها، لكنّه وُلد بشكل قانوني؟

فيدروس: ماذا تعني، وما هو أصله ومنشأه؟

سقراط: أعني كلمة عقليّة محفورة في روح المتعلّم، التي تقدر على أن تدافع عن نفسها، وتعرف مع مَنْ تتكلّم، ومع من تكون صامتة.

فيدروس: تعني كلمة المعرفة الحيَّة التي تمتلك روحاً، والتي ليست الكلمة المكتوبة بأكثر من صورةٍ لها كما ينبغي؟

سقراط: نعم، إنّ ذلك هو ما أعنيه بالطبع. وبعدُ هل يمكن السماح لي أن أسألك سؤالاً؟ هل سيأخذ المزارع، الذي يكون رجلاً ذا إدراك، هل سيأخذ البذور التي يقدِّرها والتي يريدها أن تحمل غلالاً، ويزرعها أثناء حرّ فصل الصيف برزانة جديّة، يزرعها في جنينة ما لأدونيس، كي يبتهج عندما يراها تنعم بالجمال خلال ثمانية أيّام؟ إنّه سيفعل هكذا على الأقلّ، إن لم يكن له أيّ فعل على الإطلاق، سيفعله بقصد التسلية وللعَرْض. لكنّه عندما يكون في جديَّة تامّة فإنّه يوظف فنّه الزراعي ويبذر تلك البذور في الأرض المناسبة، ويكون قانعاً إن نمت هذه البذور ووصلت إلى الكمال في ثمانية شهور؟

فيدروس: نعم، يا سقراط، ستكون تلك طريقته في بذرها عندما يكون جادّاً؛ ويمكنه أن يفعل بطريقة أخرى للأسباب التي تعطيها.

سقراط: وهل نقدر أن نفترض أنَّ من يعرف العادل والخيِّر والشريف يمتلك فهماً أقلّ ممّا يمتلكه المزارع بشأن بذوره الخاصة به؟

فيدروس: لا بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّه لن يميل لـ« كتابة » أفكاره « على الماء » بالقلم والحبر بشكل

جديّ، زارعاً الكلمات التي لا تستطيع أن تتكلّم بأنفسها ولا أن تعلّم الحقيقة للآخرين على نحوٍ ملائم.

: لا، إنّ هذا ليس محتملاً.

سقراط: لا، إنّ هذا ليس مرجّحاً - إنّه لن يبذر ويغرس في جنينة الحروف، بل سيفعل ذلك فقط بقصد الاستجمام والتسلية. إنّه سيكتبها كمذكراتٍ كي تُدَّخر وتُكتنز ضدّ النسيان للشيخوخة، سيكتبها بنفسه أو سيكتبها أيّ إنسان آخر يسلك الطريق عينه. إنّه سيفرح بمشاهدة نموّها الغضّ؛ وبينما يعيش الآخرون بملذات الموائد وما شابه، يكون هذا هو سلواه التي أمضى فيها أيامه.

فيدروس: إنّها سلوى نبيلة، يا سقراط، كما أنّ التسلية الأخرى سافلة، إنّها تسلية الإنسان بأن يستطيع التمتع بالحديث الجادّ، ويمكنه أن يتكلّم بمرح عن العدل وما شابه.

سقراط: صدقاً، يا فيدروس. لكنّ الملاحقة الجديّة لعالِم الجدل تكون أنبل بكثير، وهو الذي وجد الروح المتجانسة بمساعدة العلم، يبذر ويغرس الكلمات في ذلك المكان، يغرس تلك الكلمات التي تقدر على الدفاع عن نفسها وعن غارسها، وهي ليست كلمات عقيمة، بل إنّ فيها بذرة ربّاها الآخرون في تربة مختلفة وتُصيِّر خالدة، جاعلة مالكها سعيداً لأقصى مدىً تبلغه السعادة الإنسانيّة.

فيدروس: إنّ ذلك أنبل بكثير، بالتأكيد.

سقراط: وبعدُ، يا فيدروس، بما أنّنا اتّفقنا على هذا أخيراً، فيمكننا أن نقرّر السؤال الأصليّ.

فيدروس: أيَّ سؤال كان ذلك؟

سقراط: أعني تلك المسائل، التي سلكناها طريقاً إلى هنا في محاولةِ حلّها. إنّنا

رغبنا في أن نفحص النقد الذي رمينا ليسياس به لخطابه العلميّ المكتوب، وأن نميِّز الخطاب المؤلَّف بالفنّ من ذلك الذي يؤلَّف بدونه. وأتصوّر أنّنا ميَّزنا الآنَ الخطاب الفنّي من ضدّه وبشكلٍ جيّدٍ جداً.

فيدروس: نعم، إنّني تصورت ذلك، لكنّي أتمنّى أن تردّد لي ما قيل.

سقراط: إلى أن يعرف إنسانٌ حقيقة البنود أو النقاط الرئيسيّة المتعدّدة التي يكتبها أو يتكلّمها، وإلى أن يكون قادراً على أن يعرّفها مرّة ثانية ويقسّمها حتى لا يمكن أن تقسَّم أبعد من ذلك؛ وإلى أن يكون هُو قادراً على أن يميِّز طبيعة الروح بأسلوب مماثل، وأن يكتشف الصِّيَغ المتعدّدة للحديث الذي يُختار للطبائع المختلفة، وأن يرتِّبها ويَعدَّها في طريقة كهذه كي يمكن لشكل الحديث البسيط أن يُوجَّه إلى الطبيعة الأبسط، وأن يُوجَّه الشكل المعقَّد إلى الطبيعة الأكثر تعقيداً، بأساليب متعدّدة ومتنوّعة ـ أقول، إلى أن يُنجز كلّ هذا، فلن يكون أيّ إنسانٍ قادراً على أن يدبِّر المحاورات طبقاً لقواعد القانون، بقدر ما تسمح طبائع تلك المحاورات كي تكون خاضعة للفنّ، إمّا لغرض التعليم أو الإقناع؛ ـ تلك هي النظرية التي ذُكرت ضمناً في كلّ المحاورة السابقة.

فيدروس: نعم، كانت تلك وجهة نظرنا بدون ريب.

سقراط: ثانياً، كي ننتقد الذي مرَّ في الكلام أو كتابة الأحاديث، ومتى يمكن نقدها بحقّ أو بخطأ ـ أفلم تبيِّن محاورتنا المتقدّمة ذلك؟

فيدروس: بيَّنت ماذا؟

سقراط: بيَّنت أنّه سواء اقترح ليسياس أو أيّ كاتب آخر كان أو سيكون، وسواء كان إنساناً خاصاً أو رجل دولة، وسواء اقترح قوانين وأصبح المؤلف لبحث سياسيّ، متوهّماً أن هناك أيّة ثقة ووضوح كبير في عمله، والحقيقة أنّه بكتابته هكذا إنّما يجلب العار له، مهما يمكن أن يقوله الرجال. لأنّه كي لا

تعرف طبيعة العدل والظلم، والخير والشرّ، وكي لا تكون قادراً على أن تميّز الحلم من الحقيقة، لا يمكن أن يكون ذلك سوى عار للذي فعله في الحقيقة، حتّى ولو أنّه نال إطراء واستحسان العالم كلّه.

فيدروس: بدون ريب.

سقراط: لكنّ الذي يحسب أنّه يوجد في الكلمة المكتوبة، مهما كان موضوعها، يحسب أنّه يوجد كثير من الذي ليس جدّياً بالضرورة، وأن لا محادثة جديرة بالدراسة التي كُتبت أبداً شعراً أو نثراً لحدّ الآن، وأنّ المحادثات الشفهيّة ليست بأفضل منها، إنْ هي أُلقيت بقصد الإقناع وليس لها أيّة فكرة للنقد أو التعليم، مثل تلاوات الرّواة المحترفين للقصائد الملحميَّة. ومَنْ يظنّ أنّه حتّى أفضلُ الكتابات ما هو سوى مذكّرة لأولئك الذين يعرفون، وأنّ هذه المحادثات لُقِّنت في مبادىء وقواعد العدل والخير والنبالة فقط، وأنّها عُلِّمت ونقلت شفهياً بغرض التعليم وقصد حفرها في الروح، وهي الطريقة الحقيقية للكتابة، وفيها الوضوح والكمال والجديَّة. وإنّ مبادىء وقواعد كهذه يجب اعتبارها خاصّة بالإنسان وهي نتاجه الشرعيّ؛ كونها، في المقام الأول، الكلمة التي وجدها في صميمه الخاصّ؛ وثانياً، كونها الأخ والمتحدّرة من أصله وأقارب فكرته والتي قد غرسها في أرواح الآخرين كما ينبغي؛ يعتني هو بها وليس بأيّ شيء آخر ـ إنّ هذا هو الإنسان ذو النوع الحقيقي؛ وسوف نصلي أنت وأنا، يا فيدروس، كي نصبح شبيهين به.

فيدروس: إنّ هذه هي أمنيتي وصلاتي بالتأكيد الأكثر.

سقراط: وبعدُ فإنّ الدور تمّ إلى النهاية؛ وكفاية ما قيل عن الخطابة. إذهب واخبر ليسياس أنّنا ذهبنا إلى نافورة ومدرسة نيمفيس، وأنّهنّ أمَرْنَنا أن نبلّغه رسالة، وكذلك إلى مؤلفي الأحاديث الآخرين ـ نبلّغها إلى هوميروس وكتّاب القصائد الآخرين، سواء ابتدأت بالموسيقى أو لم تبتدىء؛ وإلى صولون

والآخرين الذين ألّفوا كتابات على شكل أحاديث سياسيّة وهي التي سيسمونها قوانين ـ علينا أن نقول لهم جميعاً إنْ كانت تآليفهم مؤسَّسة على معرفة الحقيقة، وإنْ كانوا يستطيعون الدفاع عنها أو إثباتها بالبرهان، عند وضعها في الاختبار، بواسطة المحاورات الحكيّة، التي تترك كتاباتها ضئيلة القيمة إن قُورنت بها، عندئذ يجب تسميتهم، ليس شعراء، خطباء، ومشرّعي قوانين فقط، بل إنّهم لجديرون باسمٍ أسمى من تلك الأسماء، إسم يتناسب مع ملاحقتهم الجديّة في الحياة.

فيدروس: أيّ إسم سوف تخصّص لهم؟

سقراط: لا يمكنني أن أسميهم حكماء؛ لأنّ هذا الإسم اسم عظيم يخصّ الله فقط؛ إنّ لقبهم الملائم والمعتدل هو محبو الحكمة أو فلاسفة.

فيدروس: إنّه إسم مناسب جدّاً.

سقراط: والذي لا يستطيع أن يرتفع فوق تصانيفه وتآليفه، التي قد عدَّدها وجزّأها لوقتٍ مضى، مضيفاً بعضها ومقصياً بعضها الآخر، يمكن أن يسمَّى شاعراً أو مؤلّفاً للحديث أو سانّاً للقانون بعدل.

فيدروس: بالتأكيد.

سقراط: والآن إذهب واخبر هذا لرفيقك.

فيدروس: لكن هناك واحد من أصدقائك يجب أن لا يُنسى.

سقراط: من هو؟

فيدروس: إنّه ايسوقراطس الجميل: ـ أيّة رسالة سوف ترسل إليه، وكيف سنصفه؟

سقراط: إنّ ايسوقراطس لا يزال فتىً، يا فيدروس؛ غير أنّني على استعداد لأن أجازف بنبوءَة تخصّه.

فيدروس: ماذا ستكون نبوءَتك؟

سقراط: أتصوّر أنّه يمتلك عبقريّة تحلّق فوق خطب ليسياس، وأنّ شخصيته سُبِكت

في شكل أجمل. وفي الواقع لن أفاجأ، عندما يكبر في السنّ، إذا أصبح متفوّقاً على كلّ الخطباء السابقين في نوع الكلام الذي يحاوله الآن، جاعلاً إيّاهم يبدون مجرّد أطفال. لا ولن أفاجأ إنْ وجد هو هذا غير كاف، بل إنّه يُدفع بباعثٍ ما أكثر إلهيّة إلى الأشياء التي لا تزال أسمى. فهو يمتلك عنصراً للفلسفة في طبيعته. إنّ هذه الرسالة هي رسالة الآلهة الساكنة في هذا المكان، والّتي سوف أوجّهها بنفسي إلى محبوبي ايسوقراطس؛ واعطِ أنت الرسالة الأخرى إلى ليسياس الذي يخصّك.

فيدروس: سأفعل؛ والآن بما أنّ الحرارة خفَّت حدّتُها دعنا نغادر هذا المكان.

سقراط: ألا يجب علينا أن نؤدي قبل كلّ شيء صلاة للآلهة المحلّيين؟

فيدروس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: أيّها المحبوب پان، وكلّكم أنتم أيّها الآلهة الآخرون الذين يلازمون هذا المكان، أعطوني الجمال في داخل الروح. ويمكن لداخل وخارج الإنسان أن يكونا منسجمين ومتحدين؛ يمكنني أن أعتبر وأعتقد أنَّ العاقل هو الغني؛ ويمكنني أن أمتلك كميّة كهذه من الذهب كتلك التي يمكن لإنسانٍ معتدل أن يقدِّم ويحمل. هل هناك شيء آخر؟ أتصوّر، أنّ الصلاة هذه كفاية لي.

فيدروس: أطلب الشيء عينه لي، فالأصدقاء ينبغي أن تكون كلّ الأشياء مشتركة بينهم.

سقراط: دعنا نذهب.

محاورة ثياتيتوس

أفكار المحاورة الرئيسيَّة

أتى تربسيون من الرّيف لمقابلة اقليدس في مدينة أثينا، وبحث عنه في الساحة العامة، لكنّه لم يجده هناك. ثمّ يتقابلان صدفة في مكان ما، ويخبر اقليدس تربسيون، أنّه رأى ثياتيتوس الذي جُرح في إحدى المعارك في كورنثيا، كانت جراحه بليغة، وكان متألّماً من مرض الديزنطاريا الذي تفشى بين أفراد الجيشِ آنذاك. يقولُ تربسيون إنّ فقدَه سيكون خسارة كبرى للجميع، ويعقّب اقليدس على ذلك أنّه شخص نبيل جدّاً، وهكذا كان سلوكه وشجاعته الرائعة اللذين أبداهما في المعركة التي خاضها بالتحديد. وكذلك، فإنّه يتذكّر ثناء سقراط عليه، وأنّ الأخير رآه قبل أن يفارق الحياة بفترة قصيرة، وأجرى محادثة معه وهي جديرة بأن تُذكر. إنّها المحادثة التي ردَّدها له عندما أتى إلى أثينا، وكان شديد الإعجاب بذكائه، وقال بأنّه سيكون إنساناً عظيماً لو بقي على قيد الحياة.

يسأل تربسيون: وما هي تلك المحادثة، يا اقليدس، وهل تستطيع أن تردِّدها على مسمعي؟

لا ليس بطريقة مرتجلة، غير أنّي دوَّنت ملاحظات عنها عندما وصلت إلى البيت، وكنت أسأل سقراط بشأن كلّ نقطة أساسيَّة نسيتها، وأدصّحها عند عودتي. والآن فإنّ المحادثة مكتوبة على الورق على نحو وثيق. دعنا ندخل إلى البيت، وسيقرأ الخادم المحادثة لنا. وأخبرك بأن سقراط هو الإنسان الذي تحادث مع الأشخاص المذكورين فيها. دخلا إلى البيت بعدئذ، وبدأ الخادم بقراءتها.

في البدء، يسأل سقراط ثيودورس، إذا ما كان هناك علماء أو فلاسفة صاعدون في علمهم، قائلاً: وأريد منك أن تخبرني عن أفضلهم ومَن يتبعون.

لكنّي أرى أن الكثرة الساحقة منهم تلتفّ حولك، يا ثيودورس، وهم في ذلك محقّون، فأنت بارع في علم الهندسة، ومميَّزٌ في الطرائق الأخرى. هل تعرف من هو الأسمى منهم والأبرع والاستثنائي؟

يجيب ثيودورس: هناك شخص أثينيّ فتيٌّ في غاية الذكاء، يشبه سقراط في تقاسيم وجهه، له أنف أفطس وعينان جاحظتان، إسمه ثياتيتوس، ويمتلك سرعة فهم منقطعة النظير، وهو لطيف إلى أبعد الحدود، شجاع، فيه تتّحد النوعيّات السامية العالية، ويتحرّك بثبات وسلاسة في معارج المعرفة والتحقيق. إنّه يشبه نهراً من الزيت الذي يتدفّق بهدوء، وذلك يضفي على إنسانيته الشيء الكثير. وبعدُ فإنّه قادم إلى هنا وسأقدّمه لك كي تتعرّف إليه. أنظر، إنّه الآتي بين الأشخاص القادمين إلينا، وسأدعوه للجلوس بجانبك. تعال، يا ثياتيتوس، إجلس بجانب سقراط، إنه ينتظرك.

إجلس بقربي، يا ثياتيتوس، كي أرى انعكاس نفسي في وجهك، فثيودورس يقول بأنّنا متشابهان، ومع ذلك، فلو أمسك كلٌّ منا القيثارة بيديه، وقال بأنّهما تمّت دوْزَنتُهما بالنغمة عينها، هل سنقبل كلمته في الحال، أو أنّه ينبغي علينا أن نسأل ما إذا كان الذي قال ذلك هو موسيقي أوْ لا؟ وهكذا بالنسبة إلى كلّ الأشياء الأخرى في كلّ علم. لكنّه إذا أطرى على الحكمة أو الفضيلة التي هي المنح الروحيّة لكلٍّ منا، فإنّ من يسمع هذا الثناء سيرغب في أن يفحص الممدوح بشكل طبيعي. والآن، فإنّ هذا هو الوقت المناسب، يا عزيزي ثياتيتوس، كي أجري الاختبار، ولك كي تظهر نفسك، وسبب ذلك أنّ ثيودورس أثنى على العديد من المواطنين والغرباء أمامي، لكنّه لم يمدح أيّ شخص قطّ مثل مدحه لك، وأعتقد بأنّه كان جادّاً فيما قاله. لا تكن خجولاً لذلك، وَفِ بوعدك، بل أجبني على السؤال الأوّل الذي سأطرحه عليك. سأسألك، في المقام الأوّل، إن كنت قد تعلّمت شيئاً ما من علم الهندسة على يدي ثيودورس.

أجل، يا سقراط، لقد تعلّمت علم الفلك، وعلم التناسب، وعلم الحساب أيضاً.

أوليس التعلّم ازدياداً أعقل بشأن ذلك الذي تتعلّمه، وأنّ بالحكمة يكون الحكماء حكماء، وهل يختلف ذلك عن الحكمة في أيّة طريقة؟ أوليس الرجال حكماء في ذلك الذي يعرفونه؟ إن كان ذلك هكذا فإنّ الحكمة والمعرفة هما شيء واحد، يا ثياتيتوس. وهنا تكمن الصعوبة التي لا أستطيع أن أحلّها طبقاً لاقتناعي. ما هي المعرفة؟ وهل تقدر أن تجيب على هذا السؤال الذي يحيّرني؟ إنّي أطرح هذا السؤال عليك مثلما أطرحه على ثيودورس، ونحن لسنا إلاّ باحثين عن الحقيقة بشكل مطلق. وبما أنّ ثيودورس يرغب منك، وأنت الشابّ الفتيّ، أن تجيب على هذا السؤال، فليس لك أن تخالف أمراً يصدر عن إنسان عاقل. تشجّع إذن، وقل ما تفكّر به وبنبل.

أرى، يا سقراط، أنّ العلوم التي تعلّمتها من ثيودورس، كعلم الهندسة، وكلّ العلوم الأخرى التي ذكرتها لك، بما فيها علم فنّ الاسكافيّة والصناعات والحِرف اليدوية الأخرى، أرى، أنّ كل هذه العلوم هي معرفة.

يا صديقي، إنّ نبل وسخاء طبيعتك تجعلك تعطي أشياء متعدّدة ومختلفة، عندما أسألك عن شيء واحد بسيط. لكن، يا عزيزي ثياتيتوس، أنا لم أسألك عن مواضيع المعرفة، ولا عن أشكال عددها، بل نريد كلانا أن نعرف طبيعة المعرفة تجريديّاً. سأقدّم لك بعض الشرح. إفترض أن شخصاً يسألك، ما هو الطين؟ فهل ستجيبه، هناك طين للقدور، وطين لصانعي الآجرّ ولمنتجي الأفران؛ ألن يكون هذا الجواب مضحكاً؟ وكيف نستطيع أن نجيب على سؤال عن إسم شيء ما إنْ لم نعرف ما هو ذلك الشيء؟ وبطريقة مماثلة، فإنّ الإنسان الذي لا يعرف ماذا تمثّل « المعرفة » لا يمكنه أن يفهم شبه الجملة « معرفة صناعة الأحذية ». وعندما يُسأل إنسان، ما هي المعرفة؟ فسيكون شيئاً مضحكاً إن أعطى هو اسم فنٍّ ما كإجابة

على السؤال؛ لأنّ إجابته « معرفة عن هذا أو ذلك » ليست إجابة على السؤال المطروح. كمثال، عندما يسألنا شخص، ما هو الطين، فإنّ الجواب الحقيقي على هذا السؤال هو أنّ الطين تراب مبلَّلٌ بالماء، وأيّ نوع آخر من أنواع الطين لا يكون وثيق الصلة بالموضوع.

نعم، يا سقراط، إنّ ثيودورس كتب لنا شيئاً ما شبيهاً بذلك بشأن الجذور التربيعيَّة، مثل أضلاع المربَّعين اللذين تبلغ مساحتهما ثلاثة أو خمسة أقدام، مبيِّناً أنّهما غير متناظِرَي القياس بالوحدة؛ واستعار هو الأمثلة الأخرى للجذور إلى أن بلغ جذر المساحة المساوية لسبعة عشر قدماً، لكنّه توقّف هناك لسبب ما أو لآخر. وبعدُ بما أن هناك عدداً لا يُحصى من الجذور التربيعيَّة، خطر في بالنا أن نحاول ونجد وصفاً مشتركاً لها، ينطبق عليها جميعاً. لهذا السبب قسّمنا كل الأعداد إلى صنفين: الصنف الأوّل، تلك الأعداد التي رُكِّبت من عوامل متساوية مضروبٌ بعضها ببعض، والتي شبَّهناها بالأشكال المربّعة، وسمَّيناها أشكالاً مربَّعة أو متساوية الأضلاع؛ وكانت تلك الأعداد صنفاً واحداً. أمّا الصنف الثاني، فإنّه يشمل الأعداد المتوسطة كالعددين ثلاثة وخمسة، وكلّ عدد رُكِّب من عوامل غير متساوية، إمَّا من أعداد أكبر مضروبة بأقلّ، أو من أعداد أقلّ مضروبة بالأكبر. وعند النظر إليه كشكل، فإنّه يكون محتوىً في أضلاع غير متساوية؛ لقد شبَّهنا كلّ هذه الأعداد بأشكال مستطيلة، وسمَّيناها أعداداً مستطيلة. أمّا الخطوط والأضلاع التي لدى مربعاتها الأعداد المتساوية الأضلاع المسطَّحة، فدعوناها أطوالاً، وسمَّينا الخطوط التي تكون مربعاتها مساوية للأعداد المستطيلة، سميناها قوىً أو جذوراً. وأمّا السبب لكون اسمها الأخير كما هو، فلأنها متناظرة القياس مع سابقاتها في مساحة مربَّعاتها وليس في المقياس الطولي. ولقد أتممنا التمييز عينه بين المجسّمات.

قال سقراط: ممتاز، ممتاز، يا أولادي! أحسب أنّكم لجديرون بثناءات ثيودورس، وأنّي لمتيقن بأنّه يشهد فيكم شهادة حقّ.

نعم، نعم، يا سقراط، لكنّي غير قادر على أن أعطيك جواباً بشأن المعرفة مشابهاً لهذه الإجابة التي قدّمناها بخصوص الطول والجذر.

إنّ سبب ذلك، يا ثياتيتوس، هو أنّ اكتشاف طبيعة المعرفة قضية من القضايا العظيمة، إنّها واحدة من القضايا التي سترهق كواهل الرجال العظماء، بل الرجال الصفوة في الكمال. لذلك تشجّع وآفعلْ أفضل ما تقدر عليه كي تتأكّد من طبيعة المعرفة الحقيقية مثلما تكون متأكّداً من الأشياء الأخرى. وأعتقد بأنّ لديك شيئاً ما في داخلك ستحضره إلى الوجود، وأنا آبنُ أمٍّ قابلةٍ اسمها فايناريت، وهي شجاعة وذات بنية قويّة، وأمارس المهنة عينها. هي تحضر أطفالاً إلى العالم، وأنا أولّد الرجال، وأُعنى بأرواحهم عندما يكونون مرهقين وقلقين، ولا أهتمّ بأجسادهم. وأمّا قمّة نجاحي في فنّي فهو الاختبار الكامل، سواء أكانت الأفكار التي يبرزها عقل الإنسان الفتيّ خصبة وحقيقيّة، أو مزيّفة وميتة. والله أجبرني على أن أكون قابلة، وأنا لست حكيماً، وليس لديّ أيّ شيء لأظهره. هذا الشيء الذي هو اختراع أو إبداع روحيّ، بل إنّه لأولئك الذين يتحادثون معي، إنْ أنعم الله عليهم بذلك. وإذا سمحت لي الإشارة الإلهيّة، فإنّي أرحّب بهم وأستقبلهم وأحاول إنقاذهم. تعالَ إليّ أنت إذن، أنا ابن القابلة، وآبذلْ أقصى جهدك كي تجيب على الأسئلة التي سأطرحها عليك. قل لي، يا ثياتيتوس، مرّة ثانية، قل لي من البداية، ما هي المعرفة؟ وستكون قادراً على الإجابة إن شاء الله.

أقول لك، يا سقراط، إنّ المعرفة هي إدراك حسّي بكلّ بساطة.

إنّه قول شجاع، يا ولدي، وهذا القول هو لبروتاغوراس. إنّه يقول بشكل أوضح « الإنسان مقياس كلّ الأشياء، إنّه مقياس لوجود الأشياء التي تكون، ومقياس لوجود الأشياء التي لا تكون ». يعني بقوله هذا، أنّ الأشياء تكون كما تظهر لك، وتكون لي كما تبدو لي، وأنّنا أنت وأنا رجلان. دعنا نحاول فهم ما يعنيه: خذ مثلاً على ذلك؛ فالريح عينها عندما تهبّ من كلّ صوب، يمكن لواحدٍ

منّا أن يشعر بالبرد وأن لا يشعر به الآخر، ويمكن لواحدٍ منّا أن يشعر بالبرد بشكل طفيف وأن لا يشعر به الآخر. وهل يمكننا أن نقول في هذه الحالة، كما قال بروتاغوراس، إنّ الريح تكون باردة لمن يكون بارداً، وإنّها ليست هكذا لمن لا يكون بارداً. سأشرح لك وأخبرك عن محاورة سامية تعلن أن لا شيء في العالم يكون واحداً بنفسه، أو يمكن أن يدعى هذا أو من هذا النوع، وأنّ كلّ الأشياء التي نعلن أنّها تكون تأتي إلى الوجود من الحركة والتغيير ومن المزج بعضها مع بعض. وإن وجب التكلّم بشكل غير صحيح، فإنّه لا يوجد وجود على الإطلاق، بل توجد صيرورة دائمة ومستمرّة. يتّفق معك في هذا الطّرح الفلاسفةُ أمثال بروتاغوراس ما عدا بارميندس. أخصّ بالذكر منهم هيراقليطس، ايمبادوقلوس والبقيّة الباقية منهم، مثل الشاعر الهزلي ابيخارموس وهو أمير هذا النوع من الشّعر، وهوميروس أمير الشعر المأساويّ الذي يقول إنّ كلَّ الأشياء هي نتاج التغيّر المتواصل أو السيلان الدائم ونتاج الحركة. وهم يعنون بذلك أنّ الحركة.هي أصل ما يسمّى بالوجود والصيرورة، والسكون أصل اللاوجود والدمار. وتولّدت النار بادىء ذي بدء من الحركة الموضعيّة والاحتكاك، وهذان هما أصل النار. وتكون الحركة جيّدة للروح والجسد كليهما، كما يكون السكون سيّئاً لهما. ويقول هوميروس في أحد أعماله، يقول إنّه ما دامت الشمس والسماوات تدور في أفلاكها، فإنّ كلّ الأشياء الإنسانية والإلهية تكون وتُصان، لكن إذا قُيّدت وتوقّفت عن الحركة، فسيكون كلّ شيء مدمَّراً، وستُقلب الموجودات كلُّها رأساً على عقب.

لهذا أقول، ردّاً عليهم، إنّنا عندما نقارن ستّ مكعبات بأربعة، نقول إنها « أكثر » وإنها « مرّة ونصف » مثل ذلك العدد. وعندما نقارنها باثني عشر مكعباً، فإنّها تكون « أقلّ » وإنّها « نصف » ذلك العدد، وأيّة طريقة أخرى للكلام غير مقبولة. وإذا سألنا بروتاغوراس إن كان يمكن لأيّ شيء أن يصبح أكبر أو أكثر إنْ لم يحصل على ذلك بالزيادة. ونحن نقول، بأنّه لا شيء يستطيع أن يصبح أكبر

أو أصغر، لا في الحجم ولا في العدد، في حين يبقى مساوياً لنفسه، وأنّه بدون الجمع أو الطرح ليس هناك زيادة أو نقصان لأيّ شيء بل هناك مساواة فقط. وإنّه لواضح بكلّ تأكيد أنّ الذي لم يكن قبلاً لا يمكن أن يكون فيما بعد، بدون الصيرورة أو أنّه قد صار. وهذه الحقائق البديهية الثلاث تتحارب في عقولنا بعضُها مع بعض، كما هي حالة المكعّبات. وأنا من جانبي سأساعدك على اكتشاف « الحقيقة » المخبّأة لرجلٍ شهير ولمدرسة ممتازة كمدرسة بروتاغوراس. أنظر حولك إذن ترَ أن لا أحد من الذين لم يطّلعوا على الأسرار المقدّسة يستطيع أن يسمع ما نقول. وبعدُ فإنّني أعني بالذين لم يطّلعوا على تلك الأسرار الناسَ الذين يتصوّرون أنّ أيّ شيء يكون، باستثناء الذين يستطيعون أن يمسكوه بأيديهم، والذين لا يجيزون الاستطاعة للعمل أو للتولّد أو لأيّ شيء مرئيّ، لا يجيزون لها إمكانية امتلاكها وجوداً حقيقياً، وهم عكس الأخوة الذين أنا على وشك كشف أسرارهم السرّيّة المقدّسة لك، إنّهم أكثر براعة منهم ببعد كبير. ومبدأهم الأوّل هو أنّ الكلّ يكون حركة، ولا شيء آخر يوجد أو يبقى؛ إنّها الحركة التي تمتلك شكلين: الشكل الأوّل فاعل والثاني منفعل وكلاهما لا نهائيّ في العدد. وتولّد من احتكاكهما وتولّدهما نتاجٌ غير محدود في العدد، ممتلكاً شكلا مزدوجاً، الشيء المدرك بالحسّ، وإحساساً سيبين معه على الدّوام، واللّذيْن يُخلقان معه في اللحظة عينها. إنّ الإحساسات لها أسماء متعدّدة مثل البصر، الشمّ، الحرارة والبرودة. وهناك إحساسات الملذّات أيضاً، الألم، الرغبة، الخوف، والعديد من الإحساسات الكثيرة الأخرى التي تمتلك أسماء، والتي لا أسماء لها. وكلّ منها يمتلك مادّته الحاسّة؛ كلّ نوع من أنواع البصر له نوع مطابق من أنواع اللون، وكل صنف من أصناف السمع يمتلك ضرباً مطابقاً من ضروب الصوت، وهناك أشياء حاسّة ملائمة لكلّ أنماط الإحساس. هل تلاحظ، يا ثياتيتوس، تأثيرات هذه الرواية على المناظرة السابقة؟

سأحاول أن أنهي هذه القصّة لك، باختصار ما قلته، وهو أنّ هذه الأشياء جميعاً تكون في حركة من نوعين، أبطأ وأسرع. الحركة الأولى تكون حركة في المكان عينه، وأمّا الحركة الثانية فحركة من مكان إلى آخر. دعنا نستعمل هذا لِمَا يخصّ الإحساس فنقول: عندما تتقابل العين والهدف المناسب معاً، ويهبان الولادة إلى البياض، ويتماثل الإحساس معهما من حيث الطبيعة، حينئذ وفي حين يكون البصر متدفّقاً من العين، فإنّ البياض ينشأ من الشيء الذي يوحّد في إنتاج اللون. وهكذا تكون العين ممتلئة بالرؤية، وترى ولا تصبح البصر بحقّ، بل تصبح عيناً رائية؛ ويكون الشيء الذي اتّحد ليشكّل اللون ممتلئاً بالبياض، ولا يصبح بياضاً بل شيئاً أبيض. ويكون هذا حقيقياً عن كلّ الأشياء المحسوسة، الصّلب منها، الحارّ، وما شابه، والتي يجب اعتبارها كأنّها لا تمتلك وجوداً مطلقاً، بل كأنّها متولّدة بالحركة في اتّصالها بعضها مع البعض. وكما يقولون، فإنّ الفاعل والمنفعل لا يكونان تصوّراً جديراً بالثقة أثناء انفصالهما، ولا يمتلك الفاعل وجوداً ما لم يتّحد مع المنفعل، وبالمقابل فإنّ المنفعل لا يمتلك وجوداً إلى أن يتّحد مع الفاعل. وذلك الذي يصبح فاعلاً بالوحدة مع شيء ما، فإنّه يكون متحوّلاً إلى منفعل بالالتقاء مع شيء آخر. وينشأ من كلّ هذه التأمّلات تفكير عام وهو أنّه ليس هناك شيء واحد موجود بذاته، بل إنّ كلّ شيء يكون صائراً في اتّصال. ويجب أن يكون الموجود مبطلاً تماماً. وبرغم ذلك فإنّنا مجبرون على أن نستبقي استعمالنا لذلك الاصطلاح حتّى في هذا البحث. غير أنّ هؤلاء الرجال الحكماء يخبروننا بأنّه يجب أن لا نسمح للكلمة « شيء ما » أو « خاصّ بشيء ما » أو « لي » أو « هذا » أو « ذلك » أو أيّ إسم آخر ينعت الأشياء بالتوقّف، بل يجب أن نتكلّم عنها كصيرورة. ومَنْ يثبتها ويجعلها غير متحرّكة فإنّ نقضه سهل تحقيقه. وهذا ما ستكون عليه طريقة كلامهم عن الخواصّ وعن الكلّ. ويعبّرون هم عن الكلّ بكلمة « رجل » أو « حجر » أو أيّ اسم آخر لحيوانٍ أو صنف. أليست

هذه التأمّلات حلوة المذاق كالعسل، ألاَ تحبّ أن تتذوّقها بفمك، يا ثياتيتوس؟

وبما أنّك تقول إنّك لا تفقه ما أعنيه، سأسألك سؤالاً مرّة ثانية. هل ترى أنّه ليس هناك شيء كالوجود الخيّر والجميل وهكذا دواليك، بل هناك صيرورة؟ وهناك اعتبار يمكن إثارته بخصوص الأحلام والأمراض، وبشأن الجنون بشكل خاصّ، وكذلك بشأن الأشياء الخادعة للسمع والبصر أو للحواسّ الأخرى، وتعرف أنت أنّ النظرية التي قد عيّنتها في كلّ هذه الحالات، تعرف أنّها تبدو ناقصة ومنقوضة بشكل جليّ، ما دمنا نمتلك في الأحلام والأشياء الخادعة إدراكات زائفة، وأننا أبعد ما نكون عن القول بأنّ كلّ شيء يظهر لأيّ إنسانٍ يكون. وينبغي علينا على الأصحّ أن نقول بأن لا شيء يظهر يكون. وأيّة مناظرة بقيت عندئذ لمن يثبت أو يتمسّك بالقول، بأنّ المعرفة هي إدراك حسّيّ، أو أنّ الحقيقة تكون لكلّ إنسان كما تظهر له لتكون بحقّ. وأمّا بخصوص اليقظة والحلم فكيف تستطيع أن تقرّر، يا ثياتيتوس؛ إذا ما كنّا نائمين في هذه اللحظة، وأنّ أفكارنا هي حلم؟ أو إذا ما كنّا مستيقظين ومتكلّمين بعضنا مع بعض في حالة يقظة؟ وهكذا، فإنّك ترى أنّ الشكّ بشأن حقيقة الإحساس يثار بسهولة، بما أنّه يمكن إيجاد شكّ، سواء إذا كنا في يقظة أو في حلم. ومثلما يكون وقتنا مقسّماً بين اليقظة والحلم بشكلٍ متساوٍ، كذلك الروح تناضل في كلا الميدانين كي تثبت أنّ الأفكار التي تكون حاضرة لعقولنا في الوقت عينه تكون حقيقة النّصف الأوّل، وحقيقة النّصف الآخر خلال نصف حيواتنا الأخرى، ونحن واثقون منهما كليهما بشكلٍ متساوٍ. ويمكن أن يقال الشيء عينه عن الاضطرابات وعن الجنُون. وإذا حدث حينئذ أيّ شيء كي يصبح شبيهاً أو غير شبيه بنفسه أو بالآخرين، فإنّنا، في حالة كونه شبيهاً، سنقول إنّه يكون صائراً الشيء عينه، وفي حالة كونه غير متشابه فإنّه الآخر. سأعطيك مثلاً لتقريب ما أعنيه إلى فهمك. هناك سقراط المعافى وسقراط المريض، فهل هما متشابهان أو

غير متشابهين؛ وهكذا، فإنّنا نقول الشيء عينه عن سقراط المستيقظ والنائم، وسيلي ذلك أنّ كلّ شيء يكون فاعلاً بالطبيعة، سيجد منفعلاً مختلفاً في سقراط، طبقاً لِمَا يكون عليه من الصحّة والمرض. وعندما أتناول جرعة من النبيذ في حالة مرضي سيصبح هذا شيئاً مرّاً يتذوّقه لساني، لكنّه يكون حلو المذاق لذيذ الطعم عندما أكون معافىً، وسيميّز لساني ذلك في كلتا الحالتين. لذلك أقول، لا يمكن وجود هكذا شيء كالمدْرِك عن طريق الحواسّ، أو اللاّمدرِك لأيّ شيء؛ وأنّ الشيء سواء إذا أصبح حلواً، مراً، أو من أيّة نوعيّة أخرى، يجب أن يمتلك علاقة بالمميّز أو المدرِك. لا يمكن أن يصير حلواً أي شيء ليس حلواً لأيّ شخص. والاستنتاج أنّنا نحن (الفاعل والمنفعل) نكون أو نضبح في علاقة ببعضنا بعضاً. هناك قانون يربطنا معاً، لكنّه لا يربطنا بأيٍّ وجود آخر، ولا يربط كلاً منّا بنفسه، ولهذا السبب فإنّنا نقدر على أن نكون مرتبطين بعضنا ببعض فقط. وهكذا فإنّه سواء فضّل شخص أن يقول إنّ شيئاً يكون أو إنّه يصبح، يجب عليه أن يقول إنّه يكون أو يصبح إلى أو لمن أو في علاقة بشيء ما آخر. ينبغي عليه أن لا يقول أو أن يسمح لأيٍّ شخص آخر أن يقول، إنّ أيّ شيء يكون أو يصبح على نحوٍ قاطع. وإذا كان ذلك الذي يفعل عليَّ له علاقة بي وليس بأيٍّ شخص آخر، فإنّي أكون أنا المدرِك أو المميّز له وليس أيّ شخص آخر، ويكون إدراكي الحسيّ حقيقياً لي، كونه غير منفصل عن « كينونتي » الخاصّة. وكما يقول بروتاغوراس، أكون الحكَم للّذي يكون لي والذي لا يكون، ولا أستطيع أن أخفق في إدراك الوجود أو الصيرورة، ولا من معرفة الذي أُدرِكه أو أتصوّره. وبالتالي فهذا ما يقول به بروتاغوراس في كلامه أنّ الإنسان هو مقياس كلِّ الأشياء، وهذا هو ما عناه هوميروس وهيراقليطس وغيرهما. ثم جئت أنت لتقول ما أكّدوه، وهذا هو طفلك الذي وُلِد جديداً بمساعدتي. ولكن يلزمنا أن نرى إن كان هذا المولود الجديد مخلوقاً جديراً بالتنشئة، أو أنّه بيضةٌ فاسدةٌ وشيء زائف فقط.

قال ثيودورس، مقاطعاً: قل لي، يا سقراط، قل لي بآسم السماء، ما الذي يمكن أن يقال دحضاً لكلّ هذا؟

سأخبرك، يا ثيودورس، ما يدهشني في رفيقك بروتاغوراس. إنّني مسحور بتعليمه، وهو أنّ ما يظهر لكلّ شخص يكون. لكنّي أتعجّب لأنّه لم يبدأ كتابه عن الحقيقة بإعلان أنّ الخنزير أو الكلب الذي يشبه وجهه وجه القرد، أو أيّ مخلوق آخر غريب الشكل الذي يمتلك إحساساً يكون مقياس كلّ الأشياء، لكان بإمكاننا عندئذ أن نقول عنه إنّه ليس أكثر ذكاء من فرخ الضفدع. وإذا كان الحُكْمُ الذي يشكله كلّ إنسان منّا، أثناء الإحساس، حقيقياً له، ولا يستطيع أيّ إنسان أن يميّز مشاعر الآخرين أفضل مما يميّزها هو، أو أنّه يمتلك أيّ حقّ أسمى كي يقرّر إذا ما كان رأيه حقيقياً أو مزيّفاً، بل يكون كلّ إنسان القاضي المنفرد لنفسه، وأنّ كلّ شيء يعطي به حكماً يكون حكمه صادقاً وصحيحاً. فلماذا، يا صديقي، يجب أن يُفضَّل بروتاغوراس لتبوُّؤ مركز الحكمة والتعليم، ويستحقّ أن يُدفع له بسخاء لقاء ذلك، ويلزمنا نحن الرجال المطبقي الجهل أن نذهب إليه ونتعلّم منه، إذا كان كلّ إنسان المقياسَ لحكمته الخاصّة به. ألا يلزم أن يكون بروتاغوراس مربكاً ومهيِّجاً العامّة في كلّ هذا؟ ولا أقول أيّ شيء عن المأزق المضحك الذي أظن أنَّ فنّ توليد الرجال الخاصّ بي وفنّ علم الجدل اللّذين وُضِعا فيه، لأنّ محاولة مراقبة ودحض الأفكار أو الآراء التي للآخرين، ستكون نموذجاً مِلاً ومنكَراً من نماذج الغباء، إذا كان ما يخصّ كلّ إنسان حقيقياً له. ويجب أن تكون هذه هي الحالة إنْ كانت « حقيقة بروتاغوراس هي الحقيقة الحقَّة ».

إنّ الرجل كان صديقاً لي، يا سقراط، ولا أقدر أن أنقضهُ بشفتَيّ. فضّل وحاور ثياتيتوس مرّة ثانية، ويبدو أنّه يجيب على أسئلتك بطريقة جيّدة.

ما هو عزيز عليك، يا ثيودورس، لا يثير استيائي، ولهذا السبب سأعود إلى ثياتيتوس الحكيم. قل لي، يا ثياتيتوس، ألا تستغرق في العجب، مثلي، عندما تجد

أنّك ارتفعت إلى مستوى أعقل الرجال وبشكل مفاجيء، أو إلى مستوى الآلهة حقّاً، لأنّك ستفترض أنّ مقياس بروتاغوراس ينطبق على الآلهة كما ينطبق على الرجال؟ ألم يقل هو في كتابه: إنّني لا أعرف شيئاً عن الآلهة وإذا ما كانت موجودة أو غير موجودة، ولا كيف صورتها. وافترض أنّ بروتاغوراس يقول لنا: وأنتم الآن تجتمعون وتحاضرون بشأنها، أو تتحدّثون بخصوص السبب لكون الإنسان قد أُسقِط من رتبته إلى مستوى البهائم، غير أنّكم لا تقدّمون لكلّ ما تتقوّلونه كلمة برهان واحدة، أو تعطون تعليلاً له. إنّ كلّ ما تردّدونه في مقالاتكم ما هو إلا احتمال. وبرغم ذلك، فمن الأفضل لكم ولثيودورس أن تتأمّلوا مليّاً، إذا ما كنتم ميّالين للاعتراف بالمقارنات المحتملة والمعقولة في مسائل لها أهميّة كهذه، وهي أنّ أيّ عالِم آخر يناظر من الاحتمال في علم الهندسة لن يساوي آصاً واحداً. لذلك، سننظر نحن في المسألة بطريقة أخرى، وسنسأل إن كان الإحساس هو الشيء عينه كالمعرفة أوْ لا؟ كمثال، هل سنعترف بأنّنا نعرف حالاً كل ما ندركه بالبصر أو السمع؟ وهل سنقول، بما أنّنا لم نتعلّم، إنّنا لا نسمع لغة الأغراب عندما يتكلّمون معنا، أو أنّنا سنقول إنّنا نسمع، ولهذا السبب نعرف ما يقولون؟ أو هل سنقول مرّة ثانية، إنّنا لا نرى الحروف عند تطلّعنا في الحروف التي لا نفهمها، أو هل سنثبت أنّه يجب علينا أن نعرفها عندما نراها؟

قال ثياتيتوس: سنقول، يا سقراط، إنّنا نعرف ما نراه وما نسمعه عنها حقّاً ـ بمعنى أنّنا نرى ومن ثمّ نعرف صورة الحروف ولونها، ونحن نعرف ونسمع ارتفاع أو انخفاض الصّوت؛ لكنّنا لا ندرك بالبصر والسمع، ولهذا السبب فإنّنا لا نعرف ذلك الذي يعلمه علماء الصَّرف والنحو والمفسرون بشأنها.

لكن هناك صعوبة أخرى تعترضنا، يا ثياتيتوس، وإذا قال شخص ما، هل يستطيع الإنسان الذي عرف أيّ شيء أبداً، والذي لا يزال يحتفظ بذكرى لذلك الذي يعرفه، هل يستطيع أن لا يعرف ذلك الذي يتذكّره في الوقت الذي يتذكّر؟

بمعنى هل يستطيع الإنسان الّذي تعلّم والّذي يتذكّر أن يخفق في أن يعرف؟ وهل يقدر إنسان أن يتذكّر بذلك الذي رآه، حتى لو أغلق عينيه، أو أنّه سينسى عندئذ؟ وبما أنّ استنتاج هذه الأسئلة هو أنّ الإنسان الذي عرف شيئا ما، ولو ًنّه لا يزال يتذكّره، لا يمكن أن يعرفه لأنّه لا يراه. لقد أثبتنا أنّ هذه النظريّة نظريّة خاطئة إلى حدٍّ فظيع. وهكذا فإنّ التأكيد على أنّ الإدراك الحسيّ والمعرفة هما شيء واحد، يبدو أنّه يتضمّن نتيجة مستحيلة. لذلك يجب أن نعود ونسأل سؤالنا الأصليّ، ما هي المعرفة؟

وقبل أن تجيبني على سؤالي عليَّ أن أصحّح خطأً وقعنا فيه. لقد سألْنا هذا السؤال لتوِّنا الآن، وهو إذا ما كان الإنسان الذي تعلَّم وتذكّر يقدر على أن يعجز كي يعرف، وأَظهرنا أنّ الشخص الذي رأى يمكنه أن يتذكّر عندما تكون عيناه مغلقتين ولا يستطيع أن يرى، وحينئذ يقدر على أن يتذكّر وأن لا يعرف في الوقت عينه. لكنّ هذا يكون مستحيلاً. وهكذا فإنّ الاختلاق البروتاغوري وصل إلى لا شيء، شأنه في ذلك شأن ما آدّعيته أيضا، وأنت الذي دافعت عن أنّ المعرفة تكون مثل الإدراك الحسّيّ. وبرغم ذلك، فإنّني سآتي لنجدتك ونجدة بروتاغوراس وأقول: إذا لم يُعْنَ الشخص بمعاني المصطلحات كما يتمّ استعمالها في المناظرات بشكل عامّ، يمكنه أن يتورّط حتّى في مفارقات أعظم من هذه. لهذا السبب سأسألك هذا السؤال: هل يستطيع الإنسان نفسه أن يعرف وأن لا يعرف أيضاً ذلك الذي لا يعرفه؟

أجيبك، يا سقراط، أنّه لا يقدر فعل ذلك.

بل إنّه يقدر، يا ثياتيتوس، إذا ثبَّت أنّ الرؤية تكون معرفة، مثلا عندما تكون مسجوناً في بئر، ويغلق خصمك إحدى عينيك بيده، ويسألك إذا ما كنت تستطيع أن ترى معطفك بالعين التي أغلقها، فكيف ستجيب هذا الإنسان الجواب المتعذّر اجتنابه؟

سأجيبه، « أنّني لا أرى معطفي بتلك العين المغلقة بل أراه بالعين الأخرى ».

إذن فأنت ترى ولا ترى الشيء عينه في الوقت نفسه، يا ثياتيتوس؟

نعم، أفعل ذلك في معنى محدّد.

سيجيبك هو: إنّني لا أسألك أو آمرك كي تجيب في أيّ معنى تعرف أنت، بل إذا ما كنت تعرف ذلك الذي لا تعرف. لقد تمّت البرهنة أنّك ترى ذلك الذي لا تراه، واعترفتَ مسبقاً أنّ الرؤية معرفة، وأنّ عدم الرؤية ليس معرفة. أتركك الآن كي تستدلّ على الاستنتاج.

إنّ الإستنتاج يكون مناقضا لِمَا أكّدتُه أنا، يا سقراط.

لكن ماذا إذا واصل خصمك توجيه أسئلة أخرى إليك، وسألك إذا ما كنت تستطيع أن تمتلك معرفة حادّة وكليلة، وإذا ما كنت تستطيع أن تعرف ما هو قريب، لكنّك لا تعرف ما هو بعيد ولمسافة محدَّدة، أو أنّك تعرف الشيء عينه بحدَّة أكثر أو أقلّ، وسيسألك أسئلة كهذه بدون نهاية. أعتقد بأنّك ستسألني: لكن كيف سيعزّز بروتاغوراس موقعه، وهل سأجيب لأجله؟ إنّني سأفعل ذلك، وإذا كان بروتاغوراس موجوداً فإنّه سيكرّر كلّ الأشياء التي قد جادلنا فيها بالنيابة عنه، وسيقول: إنّ سقراط الفاضل يسأل الولد الصغير، إذا ما كان الإنسان نفسه يستطيع أن يتذكّر حالاً وأن لا يعرف الشيء عينه، وعندما يقول الولد لا، لأنّه يكون مُتعباً ومُرهقاً وغير قادرٍ على أن يرى الآتي، يظهر بأنّه يتصوّر أنّه أوقعني في السخرية. وهل تفترض، يا سقراط المبدِّد وقتك، هل تفترض أنّ أيّ شخص سيعترف بأنّ التذكّر الذي يحوزه إنسان عن انطباع مَضى، هل تفترض أنّ هذا الانطباع سيكون مشابهاً لذلك الذي اختبره أحياناً؟ إنّك لا تفعل ذلك بالتأكيد. أو هل سيتردّد في الاعتراف بأنّ الإنسان نفسه يمكنه أن يعرف وأن لا يعرف الشيء عينه؟ وهل سيمنح تصديقاً قطّ للقول المعلن، وهو أنّ الشخص الذي يكون صائراً غير متشابهٍ يكون الشيء عينه مثلما كان قبل أن يصبح غير متشابه؟ أوْ هل سيعترف هو على

الأصحّ أنّ إنساناً يكون واحداً على الإطلاق، وليس متعدّداً وغير محدود مثلما تكون التغييرات التي تأخذ مكانها فيه؟ وهل يجب علينا أن نتكلّم كلاماً مبرمجاً كي نحترس ضدّ النقد الدقيق لكلماتِ كلٍّ منا؟ لا، يا سيّدي الصالح، إفحص وجهة نظري بنفسية أكثر كرماً، وإمّا بيِّن، إنْ استطعت، أنَّ إحساساتنا ليست خاصّة بكل فرد، أو إذا اعترفت بأنها تكون هكذا، إعطِ برهاناً على أنّ هذا لا يشمل العاقبة، وهي أنّ المظهر يصبح، أو إذا كنت ستحوز الكلمة « يكون » فإنّه « يكون » إلى الفرد فقط. أمّا فيما يتعلّق بكلامك عن السعادين والخنازير الضخمة، فأنت إنّما تعلّم سامعيك أن يسخروا من كتاباتي، وأنا لا أقول إلا إنّه في حين يكون كلّ منا مقياس الوجود واللاوجود، يمكن لإنسان واحد أن يكون أفضل ألف مرّة من الإنسان الآخر، وذلك من الحقيقة عينها وهي أنّ الأشياء المختلفة تكون وتظهر له. وإنّني لبعيد جداً من أن أقول إنّ الحكمة والإنسان الحكيم لا يمتلكان وجوداً. وأمّا تعريفي للإنسان العاقل أنه الواحد الذي يختار أيّاً منّا الذي يظهر له الشرّ، ويكون، وبتغيير الشرّ هذا يجعل الخير يظهر ويكون له البديل عنه. وإنّي أستعطفك مرّة ثانية أن لا تؤكد على أنّ كلماتي تعني ما قلته أنت عنها أخيراً، بل أن تدرك معناها كما سأوضحها لك. تذكَّر ما قيل سابقاً، وهو أنّ الغذاء يظهر أنّه مرٌّ للمريض وهو كذلك، ويظهر عكس ذلك للرجل المعافى وهو كذلك. وبعدُ فإنّني لا أستطيع أن أتصوّر أنّ واحداً من هؤلاء الرجال يستطيع أن يكون أو يجب أن يُجعَلَ أعقل من الرجال الآخرين. لا ولا تقدر أنت أن تسمّي رجلاً واحداً مريضاً، غبيّاً، لأنّه يمتلك انطباعاً مفرداً عمّا يحسّ به، وتقول أنت إنّ الرجل المعافى يكون عاقلاً لأنّ لديه انطباعاً مختلفاً. لكن يمكن القول إنّ الحالة الواحدة تحتاج لأن تتحوّل إلى الحالة الأخرى، وأن تتحوّل الحالة الأسوأ إلى الحالة الأفضل. وهكذا يجب أن يُسبّب التحسين في التعليم، وينبغي على السوفسطائي أن يُنجز التغيير الذي يحدثه الطبيب بمساعدة العقاقير الطبيّة، ينبغي عليه أن يتمّمه

هو بالكلمات. وليس بجعل أيّ شخصٍ الشخصَ الآخرَ لأن يفكر بحقٍ قط، والذي فكّر باطلاً فيما مضى، إذ لا أحد يقدر على أن يفكّر فيما لا يكون، أو أن يفكّر بأيٍّ شيء مغاير لذلك الذي يشعر به، وأنّ الشعور الحاضر يكون حقيقيّاً على الدوام. لكن عندما يمتلك الرجال ذوي العقلية الدونيّة أفكاراً من طبيعة واحدة، فإنّي أتصوّر أنَّ العقل الخيِّر سبَّب لهم غالباً حيازة أفكار جيّدة، وأُثبت أنّ هذه المظاهر التي يسمّيها قليلو الخبرة جيّدة، أثبت أنها هي الأفضل فقط، وأنّها ليست أصحّ من المظاهر الأخرى. ولا أُسمّي الرجال العقلاء فراخ ضفادع، بل إنّني بعيد جدّاً عن هذه الأفكار، وأدعوهم « أطبّاء » و« مزارعين » حيث يكون المعنيّ هو الجسم الإنساني والنبات. والمزارعون أيضاً يزيلون الإحساسات السيِّئة من النباتات المريضة ويغرسون فيها الإحساسات الصالحة والمعافاة؛ والخطباء الحكماء والصالحون، يُوجِدون الخير بدلاً من الشرّ كي يبدو عدلاً للدّول، لأنّ أيّ شيء يظهر لكلّ دولة أنّه عادل وصالح، يكون عادلاً وصالحاً لها، ما دام يُعتبر كذلك. وأنّ ما يفعله الإنسان الحكيم يسبّب ظهور الخير ويكون حقيقياً لكلٍّ منهما بدلاً من الشرّ. وفي أسلوب مماثل فإنّ السوفسطائي الذي يقدر أن يدرِّب تلامذته بهذه النفسيَّة يكون إنساناً حكيماً، ويستحقّ بالمقابل أن يتقاضى مبلغاً كبيراً. وهكذا فإنّي أقول القولين كليهما، وهما أنّ بعض الرجال يكونون أعقل من البعض الآخر، وأن لا أحد منهم يفكِّر باطلاً وبزيف، وأنت يجب عليك أن تتحمّل كي تكون مقياساً، سواء أردت ذلك أم لم تُرِدْ. وتقف المناظرة ثابتة على هذه الأسس. وإذا أردت، يا سقراط، يمكنك أن تقلب هذه المناظرة رأساً على عقب بمناظرة منبثقة من مبدأ مضادّ، أو أن تطرح الأسئلة عليّ. إنّها الطريقة التي لن يعترض عليها أيّ إنسان ذي إدراك وذكاء، وإنّي أستعطفك أن تطرح أسئلة عادلة، لأن هناك تناقضاً كبيراً إذا تابعت مناقشتك بأسلوبك الكلاميّ. إنّ لديك حماسة للفضيلة، وبرغم ذلك فأنت تعطي عرضاً مستديماً عن الظلم في المناظرة التي تبحث فيها. إنّه لمن الظلم عندما لا

يتحادث الشخص في جدل ومناقشة خطيرة بشكل مختلف، وإذا أمكن للمجادل أن يوقع خصمه في الشباك كما يحلو له غالباً، وأن يهزأ به بعد ذلك. لكنّ عالِم الجدل سيكون جادّاً في بحثه، ويصحّح المشترك معه في الحوار عندما يكون التصحيح ضروريّاً، ويخبره عن الأخطاء التي وقع فيها بسبب أخطائه الخاصّة، أو تلك التي قامت بها الجماعة التي أبقاها للحوار مسبقاً. فإذا فعلت أنت هكذا، سيضع رفيقك اللوم على نفسه لتشوّشه وارتباكه ولن يضعه عليك، بل إنّه سيكره نفسه ويهرب منها إلى الفلسفة. أنصحك أن لا تشجّع نفسك في هذا الاتجاه الجدليّ المثير للخلاف، بل أن تكتشف ما نعنيه حقاً عندما نقول إنّ كلّ الأشياء تكون في حركة وإنّ ما يبدو لكلّ فرد ولكلّ دولة، يكون، عليك أن تكتشف ذلك بنفسيّة صدوقة ومتجانسة، وبذلك تخدم الناس جميعاً.

هذه هي المساعدة الطفيفة التي أقدر على أن أقدّمها لصديقك القديم، يا ثيودورس، ولو أنّه كان حيّاً، فإنّه كان سيساعد نفسه بأسلوب أكثر روعة من هذا الأسلوب.

إنّك لمازحٌ، يا سقراط، ودفاعك هذا كان الدفاع الأكثر بسالةً من أيّ دفاع آخر حقاً.

وأعتقد، يا ثيودورس، أنّك لاحظت أنّ بروتاغوراس أمرنا بأن نكون جديين، مثلما كان نصُّه نصاً جدياً وهو « أنّ الإنسان هو مقياس كلّ الأشياء ». وأريد منك أن تدافع عن صديقك مثلما تولّيت أنا الدفاع عنه، وأن لا تنجرف عن موقعك هذا، وإذا ما رغبت بتفضيل الرسوم التخطيطيّة كمقياس، أو إذا ما كان كلّ الرجال حكَماً مساوياً لك، وكافين بأنفسهم في علم النجوم وعلم الهندسة، وفي فروع المعرفة الأخرى التي يُفترض أن تتفوّق عليهم فيها.

إنّ الذي يجلس بجانبك، يا سقراط، لن يتفادى كونه مجذوباً إلى مناظرة معك، وأنت تطبّق القاعدة اللاقيدايمونيّة التي تقول، « إخلع ثيابك أو اترك المكان ».

إنّك لن تسمح لأيّ شخص يقترب منك بالرحيل إلى أن تنْزع ثيابه، ويُجبر بهذه الطريقة على أن يجرّب منازلتك في مناظرة.

بما أنّك قبلت طلبي الاشتراك فيها، دعنا نحصل في أقلّ كلمات ممكنة على المبدأ الأساسيّ للاتفاق. إنّ كلمات صديقك بروتاغوراس هي « إنّ ما يظهر لإنسان، يكون له ». وسنقول له: ألسنا، يا بروتاغوراس، متفوّهين برأي الإنسان، أو برأي كلّ الجنس البشريّ على الأصح؟ ألسنا فاعلين ذلك عندما نقول إنّ كلّ شخص يحسب نفسه أعقل من الرجال الآخرين في بعض الأشياء، وإنّه أدنى منهم في بعضها الآخر؟ ففي ساعة الخطر والحرب وأزمات المرض، ألا يتطلّع الرجال لأولئك الذين في السلطة كما لو أنّهم آلهة، ويتوقّعون الإنقاذ والخلاص بهم وعلى أيديهم، لأنّهم يتفوّقون عليهم بالمعرفة فقط؟ أليس العالم ممتلئاً برجالٍ يبحثون عن الأسياد ذوي الحرف والمعلمين والحاكمين للرجال والحيوانات على حدٍّ سواء؟ ويبحثون عن الرجال الآخرين الذين يحسبون أنّهم قادرون على أن يعلّموا وأن يحكموا؟ وبعدُ، فإنّ في كلّ هذا دلالة ضمنيّة على أنَّ الجهل والحكمة فاشيان بينهم، برأيهم الخاصّ على الأقلّ، ويفترضون هم أنّ الحكمة هي فكرة صحيحة، والجهل رأيٌ خاطىء، وكيف ستريدنا حينئذ، يا بروتاغوراس، أن نتعامل مع المناظرة؟ هل سنقول إنَّ آراء الرجال تكون صحيحة دائماً، أو إنّها تكون صحيحة بعض المرات وخاطئة في المرات الأخرى؟ وتكون النتيجة الشيء عينه في كلٍّ من الحالتين، وإنّ آراءَهم لا تكون صحيحة على الدوام، بل إنّها تكون صحيحة بعض المرات وخاطئة في المرات الأخرى. فماذا تقول أنت نفسك بشأن هذا، يا ثيودورس؟، هل تفترض بأنّك وبروتاغوراس ستؤكّدان أن لا شخص يعتبر الآخر جاهلاً أو مخطئاً في رأيه؟

إنّ هذا الشيء لا يُصدَّق، يا سقراط.

لكنّ هذا الشيء المنافي للعقل تضمَّن في الفرضية أنّ الإنسان هو مقياس لكلّ

الأشياء. وعندما يعترفُ بما أوردناه من مقدّمات منطقيَّة، فإنّه يعترف بحقيقة رأي الذين يعتقدون أنّ رأيه الخاصّ خاطىء، لأنّه يعترف بأنّ آراء كلّ الرجال صحيحة. وعليه أن يجيز حينئذ، أنّ رأيه الخاصّ خاطىء، إذا اعترف بأنّ رأي أولئك الذين يتصوّرون أنه مخطىء هو رأي صحيح. في حين أنّ الموجودين على الجانب الآخر لا يعترفون بأنّهم يتكلّمون خطأ، ويوافق هو على أنّ هذا الرأي هو صحيح أيضاً، كما يمكن أن يُستنتج من كتاباته. وعندئذ سيجيز أنّ خصمه يمتلك رأياً صحيحاً، سيجيز أن ليس الكلب ولا أيّ رجل عاديّ هو المقياس لأيّ شيء لم يتعلّمه. ولذلك، وكون الحقيقة التي تخصّ بروتاغوراس مشكوكاً بها من الجميع، فلن تكون حقيقيّة لنفسه ولا لأيٍّ شخص آخر.

أتصوّر، يا سقراط، أنّنا نوجّه صديقنا القديم وجهةً صعبة جداً.

بما أنّنا نحبّ الحقيقة، يا ثيودورس، قبل محبّتنا لأيّ شيء آخر، دعنا نتأمّل في علم السياسات. ففي حين يؤكّد أتباع بروتاغوراس أنّ العادل والظالم والشريف والوضيع، يؤكدون أنّهم يكونون لكلّ دولة في الحقيقة مثلما تحسبهم الدولة وتجعلهم قانونيّين، وأن لا فرد ولا دولة تكون أعقل من الأخرى في تحديد هذه القضايا. وبسبب ذلك ستدبّ الفوضى في قضايا التشريع، والعدل والظلم، والتقوى والعقوق. وسيخطر للذهن سؤال جديد أكثر خطراً من السؤال الأوّل. وهذا السؤال هو: كم يكون الفرق كبيراً بين الفيلسوف الذي يهمّه الوصول إلى الحقيقة والالتزام بها، وبين المحامي الذي يشبه السوفسطائي شبهاً عظيماً؟ وحكّامنا يشبهون المحامي والسوفسطائي في كلّ وجه من أوجه حياتهم، ولا نقدر على أن نسمّيهم رجال دول. إنّ الفيلسوف يوجّه بحثه الأهمّ لاستقصاء جوهر الإنسان، ويشغل نفسه في التحقيق بالمناسب لطبيعة كهذه كي تفعل أو تقاسي خلافاً لأيّة طبيعة أخرى.

وأحبّ أن أقرّر، يا ثيودورس، أنّ الشرور لا يمكن أن تضمحلّ قط، إذ يجب أن يبقى شيء معادٍ ومخاصم للخير على الدوام. وبما أنّ الشرور ليس لها محل بين

الآلهة في السماء، فإنّها تحوم حول المخلوق الفاني بالضرورة، وفي هذه الكرة الأرضيَّة. في حين أنّه يجب علينا أن نهرب بسرعة من الأرض إلى السماء وبقدر ما نستطيع؛ ولكي نهرب يعني أن نصبح مثل الله، بقدر ما يكون هذا ممكناً. ولنصبح مثل الله، يعني أن نصير تقاةً، عادلين، وحكماء. والحقيقة أنّ الله ليس جائراً بأيّة طريقة على الإطلاق، بل إنّه قويم كامل، وأكثرنا استقامة وصلاحاً هو الأكثر شبهاً به. وهنا يظهر الحذق الحقيقيّ للإنسان، ويظهر عدمه وافتقاره للرجولة أيضاً. ومعرفة هذا هي الحكمة الحقيقيّة والفضيلة، والجهل بها غباء ورذيلة. وكلّ الأنواع الأخرى لِمَا يمكن أن يبين أنّه حكمة أو حذق، مثل حكمة السياسيين، أو حكمة الفنون، فإنّها كلّها أنواع فظّة ومبتذلة. وهؤلاء سيكون عقابهم عقاباً لا يُستطاع الهرب أو التخلّص منه، ومكانهم لن يكون مكان الطاهرين البررة بعد الموت، وسيعيشون هنا على الأرض في شبهٍ لأنفسهم الشريرة أبداً، ومع أصدقاء أشرار. وعندما يسمعون ما نقول لهم فسيبدون أنّهم يستمعون إلى حديث البُلَهاء وذلك من مكرهم. وعندما يظهرون أنّهم يفكرون سرّاً بشأن كرههم للفلسفة، يزداد سخطهم على أنفسهم أخيراً وبشكل غريب، إذا كان لديهم الشجاعة للإصغاء إلى المناظرة وعدم هربهم من سماعها. إنّ خطابهم أو علم كلامهم يتلاشى، ويصبحون عاجزين كالأطفال. كفى من هذه الاستطرادات، وسنعود إلى محاورتنا الأصليَّة الآن.

سنعود إلى سؤال بروتاغوراس، أو أحد أتباعه، سنقول له: هل الإنسان هو مقياس كلّ الاشياء، كما تعلن؟ هل هو مقياس الأبيض منها، الثقيل، الخفيف، وكل صنف من أصنافها؟ كون هذا الانسان يمتلك المعيار لها في نفسه، وعندما يتصوّر أنّ الأشياء تكون مثلما يختبرها لتكون، فإنّه يؤمن بما يكون ويكون حقيقيّاً لنفسه. وسنقول له، ماذا عن الأحداث المستقبليَّة، يا بروتاغوراس، وهل يمتلك كلّ إنسان مقياس هذه الأحداث داخل نفسه أيضاً؟ لنأخذ الحرارة، كمثال، حينما

يتصوّر إنسانٌ عاديّ أنّ الحمّى ستزوره، وأنّ هذا النوع من الحرارة قادم إليه، ويتصوّر شخصٍ آخر عكس ذلك، وهذا الشخص طبيب، وسيبرهن أنَّ رأيه عن المستقبل أصحّ من رأي الشخص العادي. فهل يكون كلاهما محقّاً؟ إنّ هذا الإنسان سيحوز الحرارة والحمّى كليهما في حكمه، ولكن ليس في حكم الطبيب، وسيعرف الموسيقي في تأليف الموسيقى أفضل ممّا يعرفه المدرّب فيها، وما سيعتقده هذا المعلم نفسه أنّه يكون تآلفاً للألحان أو عكس ذلك. والحقّ يقال، وسنردّ على بروتاغوراس أنّ الإنسان الأعقل هو المقياس وليس أيّ إنسان آخر. ولنبحث بشكل أعمق بما قاله ثياتيتوس حينما ماثل الإدراك الحسيّ والمعرفة. لذلك دعنا نقترب من هذه النظرية أكثر ونعطي حقيقة السّيلان العالمي الدائم طابعاً مميّزاً. فالمعركة الدائرة بشأنها ليست معركة صغيرة، ولا المشتركون فيها قلّة. إنّ النُحْلة منتشرة في منطقة آيونيا، وأتباع هيراقليطس هناك هم الفرقة الأكثر تأييداً لهذا التعليم والأقوى عزيمة، لكنّك إذا سألت واحداً منهم عمّا يعتقدونه، فإنّه يستخرج أقوالاً مقتضبة وغامضة من جعبته ويطلقها في وجهك كالسهام. وإذا تساءلت عن سبب ما قاله، فإنّه سيرميك ببعض الكلمات الأخرى ذات الشفار الجديدة، ولن يحرز تقدّماً بواسطة أيّ منها. وينصَبُّ اهتمامهم الكبير جميعاً في عدم السماح لأيّ مبدأ موطّد أن يترسّخ في مناظراتهم أو أفكارهم، متصوّرين كما أعتقد، أنّ مبدأً كهذا سيكون ثابتاً، لأنّهم في حرب دائمة مع الثوابت، ويفعلون كلّ ما يقدرون عليه كي يدفعوها خارجاً وفي كلّ مكان. وبما أنّهم في خلاف مع أنفسهم، فلن تحصل من هؤلاء الرجال على إقناع بالحجّة والمنطق حينئذ أبداً، ولا تقدر على كسب ذلك بإرادتهم أو خارجاً عنها. لذلك، يجب علينا أن نخرج السؤال من أيديهم، ونحلّله بأنفسنا وكأنّنا نقوم بتحليل مسألة هندسيّة.

يقول بارمينيدس، ميليسيوس، وأتباعهما، بل يؤكّدون أنّ كلّ الوجود هو واحد ومتمتع باكتفاءٍ ذاتيّ، وليس له مكان يتحرّك فيه. فماذا نفعل مع كلّ هؤلاء

الناس؟ لقد وصلنا إلى وسط المقاتلين لا شعورياً، وإذا لم نستطع حماية تراجعنا، فإنّنا سندفع ثمن تهوّرنا عقاباً. والآن فأيّ الرأيين سنقبل به؟ دعنا نتفحّص ما سنقوله بشكل شامل كي نكمل المناظرة. عندما يؤكّد بروتاغوراس وأتباعه أنّ كلّ الأشياء هي في حركة، فهل يعنون أن هناك نوعاً واحداً من الحركة فقط، أو أن هناك نوعين منهما، كما أعتقد أنا، وذلك عندما يتغيّر شيء من مكان إلى آخر، أو يدور في المكان عينه؟

سيقول بروتاغوراس وأتباعه إنّ كلّ الأشياء تكون متحرّكة من كلتا الطريقتين، يا سقراط.

نعم، سيقولون ذلك، لأنّهم إن لم يفعلوا، فما عليهم إلا أن يقولوا بأنّ الأشياء عينها تكون في حركة وسكون. وليس هناك حقيقة أكثر في قوله إنّ كلّ الأشياء تكون في حركة، من أنّ كلّ الأشياء تكون في سكون، وإنْ كانت كلّ الأشياء في حركة، فإنّها ستمتلك كلّ نوع من أنواع الحركة حينئذ. ولنتأمّل نقطة رئيسيّة: ألم نفهمهم أنّهم أوضحوا أنّ توليد الحرارة، البياض، أو أيّ شيء آخر من هذا النوع هو حركة؟ حركة تأخذ مكانها في وقت الإدراك الحسّيّ بين الفاعل والمنفعل، وحيث ينقطع المنفعل أن يكون قوّة مدرِكة بواسطتها ويصبح مدرَكاً، ويصبح الفاعل بدلاً من النوعية.

وبالتالي يجب علينا أن لا ننسى طرح السؤال الذي يهمنا عليهم، وهو: هل كلّ الأشياء في حركة وتغيّر متواصل وهي تتحرّك في مكان وتكون متغيّرة أيضاً. وإذا تحرّكت في مكان ولم تتغيَّر، فسوف نكون قادرين على أن نقول ما هي طبيعة الأشياء التي هي في حركة وسيلان دائم. والآن، بما أنّه حتّى لا الأبيض يستمرّ في التدفّق أبيض، ويكون البياض عينه سيلاناً دائماً أو تغييراً متواصلاً يتحوّل إلى لون آخر، ولا يبقى ثابتاً، فهل يمكن استعمال الإسم لأيّ لون على الإطلاق بصدق؟ وهكذا بالنسبة للبصر، السمع، وبقية الحواسّ. وإذا كان الإحساس معرفة،

فإنّنا عندما سُئلنا ما هي المعرفة، لم نُجِبْ على هذا السؤال بأكثر ممّا أجبنا، ماذا لا تكون المعرفة؟ ولكي نساعدهم يمكن أن أقترح عليهم عبارة « ليس على هذا النحو » بدلاً من « هكذا » و« ليس هكذا »، والتي يمكن أن تلائمهم أفضل ملاءَمة كونها عبارة غامضة وغير دقيقة. وهكذا فإنّنا أقمنا البرهان على أنّ الإنسان العاقل يكون مقياساً فقط، ولا يمكن بعد هذا التوضيح أن نسمح بأن تكون المعرفة إدراكاً حسيّاً، بناءً على الفرضيَّة التي تقول بالسَّيلان الدائم.

قال ثيودورس هنا: وبعدُ، يا سقراط، بما أنّ المناظرة بشأن تعليم بروتاغوراس قد أُكمِلت، فإنّني معفيّ من الإجابة بعدئذ، وهذا ما اتّفقنا عليه.

أجابه ثياتيتوس: لا، يا ثيودورس، ليس قبل أن تبحث أنت وسقراط في تعليم أولئك الذين يقولون إنّ الأشياء ساكنة.

استطرد ثيودورس قائلاً: أُدعُ سقراط إلى مناظرة، أُدع الفرسان إلى السهل المكشوف، إفعل ذلك بل اسأله ما تريد، وهو سيجيبك.

أخاف، يا ثيودروس، من أنّي لن أكون قادراً على أن أستجيب لالتماس ثياتيتوس، قال سقراط. وسبب ذلك أنّ لديَّ نوعاً من المهابة نحو ميليسيوس والآخرين الذين يقولون إنّ « الكلّ يكون واحداً وساكناً ». ولا أستطيع أن أقترب من بارميندس القائد الرائع المبجّل بنفسيَّة لا تليق به. وأخشى ما أخشاه هو أن لا نفهم كلماته، وأن لا نفقه ما عناه، وأخاف أن تختفي المعرفة عن البصر لكثرة المدعوّين. ويجب عليَّ أن أحاول إنقاذ ثياتيتوس من تصوّراته بشأن المعرفة بواسطة فنّي المولِّد، كما أواصل البحث في ما يقوله بارميندس.

أجبتني سابقاً، يا ثياتيتوس، أنّ المعرفة هي إدراك حسّيّ. وإذا سألك أيّ شخص بماذا يرى إنسان اللونين الأسود والأبيض، وبماذا يسمع الأصوات العالية والخفيضة؟ فإنّك ستجيبه، « سيرى بواسطة العينين » و« يسمع بواسطة الأذنين ». وأقول لك، إنّ الاستعمال الحرّ للكلمات والمقاطع اللفظيَّة هو صفة مميَّزة من صفات

التعليم الحرّ، وذلك بدلاً من تدوينها بإيجاز دقيق، ويكون المضادّ لذلك تحذلقاً. أليست الأعضاء التي بواسطتها ندرك حسيّاً الحارّ، الصلب، الخفيف، والحلو المذاق، أليست أعضاء الجسد؟ أوَليس لكلّ عضو وظيفة خاصة به؟ والآن قل لي، ما هي القوة التي تميّز الخواصّ العالميّة، ليس في الأشياء المحسوسة بل في الأشياء كلّها التي تسمّى وجوداً ولاوجوداً. أليست الروح هي التي تقوم بذلك؟ أوليست الإحساسات البسيطة التي تصل إلى الروح بواسطة الجسد تُعطى للرجال أثناء الولادة، وتعطى للحيوانات بالطبيعة؟ لكنّ انعكاساتها على الوجود واستعمالها تُكتسب بواسطة التعليم والخبرة الطويلة ببطء وصعوبة، إذا ما اكتُسبت قطّ. وهل يستطيع أن يصل إلى الحقيقة إنسان أخفق في نيل الوجود؟ مَنْ يَقْصُر عن فهم حقيقة أي شيء، هل يستطيع أن يمتلك معرفة بشأن ذلك الشيء؟ إذن، المعرفة لا تكمن في تأثيرات الحواسّ، بل في الاستنتاج من المقدّمات المنطقيّة بشأنها، ويمكن نيل الحقيقة والوجود في ذلك فقط، وليس في التأثير الحسّي المجرَّد. وبعد كلّ ما أوردناه من هذه المقدّمات المنطقية والبراهين العقلية فإنّ المعرفة تختلف عن الإدراك الحسّي بالتمييز الأكثر. وبما أنّ هدفنا هو اكتشاف السؤال عن ماهيّة المعرفة والإجابة عليه، أطلب منك مرّة ثانية، يا ثياتيتوس، أن تجيبني على هذا السؤال.

سأجازف لأؤكّد لك، يا سقراط، أنَّ المعرفة هي رأي صحيح، وإذا ثبت بطلان هذا التعريف بعدئذ، يجب عليّ أن أهيّئ جواباً آخر.

أحبّ طريقتك هذه في الإجابة والتي لا تردُّد فيها، يا ثياتيتوس. لكن هل تقول إنّ هناك نوعين من الرأي، أحدهما صحيح والآخر زائف؟ وهل تعرّف أنت المعرفة أنها رأي صحيح؟ لكن ألا يجب أن نقول، إنَّ من يمتلك رأياً، يلزمه إما أن يعرف أو أن لا يعرف ذلك الذي يشير إليه؟ وأكثر من ذلك، فإنّ مَنْ يعرف، لا يستطيع أن لا يعرف، ومن لا يعرف، لا يمكنه أن يعرف الشيء الواحد والشيء عينه؟ وماذا سنقول حينئذ، عندما يمتلك إنسان رأياً زائفاً؟ هل يتصوّر أنّ الذي

يعرفه هو شيء ما غير الذي يعرفه؟ وبما أنّه يعرف كليهما، هل يكون هو جاهلاً لكليهما في الوقت عينه؟ لكن لربّما يعتقد هو بشيءٍ ما لا يعرفه، وكأنّه شيء ما غير الذي لا يعرفه؟ كمثال، لا يعرف هو سقراط ولا ثياتيتوس، وبرغم ذلك فهو يتوهّم أنّ ثياتيتوس هو سقراط، أو أنّ سقراط هو ثياتيتوس، لكنّه يستطيع أن يفترض بكلّ تأكيد الشيء الذي يعرفه ليكون الشيء « ما » الذي لا يعرفه، أو الشيء الذي لا يعرفه ليكون الشيء الذي يعرفه؟ وكيف يُشكّل الرأي الزائف إذن؟ لأنّه إذا كانت كلّ الأشياء معروفة أو غير معروفة، لا يمكن أن يوجد رأي لا يمكن إدراكه تحت هذا الخيار؛ ولا يمكننا أن نجد ضمنه مجالاً للرأي الزائف. إفترض أنّنا أزلنا هذا الرأي من منطقة المعرفة واللامعرفة، إلى منطقة الوجود واللاوجود، وقلنا إنّ الحقيقة البسيطة هي أنّ مَن يفكّر في الموضوع الذي لا يكون، سيفكّر بما يكون زائفاً بالضرورة، مهما كانت حالة تفكيره في الوجوه الأخرى؟ وافترض أنّ هذا لا يكون محتملاً، أفليس ممكناً أن يفكّر أيّ شخص بذلك الذي لا يكون، إمّا كمادّةٍ موجودةٍ بذاتها أو كمحمولٍ لشيء ما آخر؟ والاستنتاج هو أنْ لا وجود للرأي الزائف فينا. وسأسألك، ألا ينبغي للعقل، أو للقوّة التي تضع الأشياء في غير موضعها، ألا ينبغي لذلك العقل أن يكون لديه تصوّر إمّا للشيئين أو لأحدهما، وأعني بالتصوّر المحادثة التي تجريها الروح مع نفسها في التأمّل بأيّ شيء، وتسأل أسئلة بنفسها وتجيب عليها مؤكّدة لها ونافية. وعند موافقتها على ما أقرّته أخيراً والذي لا يتملّكها شكّ فيه، فإنّ هذا ما يدعى رأيها. لذلك أقول، إنّه كي تشكّل رأياً معناه أن تتكلّم، وأنّ الرأي هو كلمة محكيّة، عندما يقولها المرء لنفسه وبصمت. لكنّك هل تتذكّر قائلاً لنفسك، إنّ النبيل يكون سافلاً، والظالم عادلاً، والرقم المفرد رقماً مزدوجاً حتّى في وقت نومك؟

لم أجازف بقول هذا أو التفكير به، يا سقراط.

لكن إذا كان التفكير تكلّماً لذات الشخص، فلا أحد يفكّر ويتكلّم عن شيئين

اثنين، ويدركهما معاً في روحه، أو سيقول ويفكّر أنّ أحدهما هو الآخر. إذن، لا يستطيع أيّ شخص امتلاك إمّا كلا الشيئين أو حيازة واحد منهما في فكره، لا يستطيع أن يفكّر بأنّ أحدهما هو الآخر. ولهذا السبب، فإنّ مَن يؤكد أنّ الرأي الزائف هو بدعة فهو يتكلّم سفاسف، إذ لا يمكن للرأي الزائف أن يوجد في هذا بأكثر ممّا يوجد في الطريقتين السالفتين.

دعنا نعود إلى الوراء الآن لنتفحّص بعض ما طرحناه من أفكار. أتصوّر أنّنا كنا مخطئين بإنكار أنَّ إنساناً يستطيع أن يتصوّر ما عرفه على أنه ما لم يعرفه، وأن هناك طريقة تكون فيها محادثة كهذه ممكنة. وبما أنّ هدفنا وغايتنا أنْ نختبر كلّ مناظرة من جميع وجوهها، قل لي إذن، هل كنت محقّاً في القول، يا ثياتيتوس، إنّه يمكنك أن تتعلّم شيئاً لم تعرفه في وقت ما؟ أريدك أن تتصوّر، أنّ في فكر الإنسان قالباً من الشمع، ذا أحجام وأنواع مختلفة في الرجال المتباينين، وحينما نرغب في أن نتذكّر شيئاً رأيناه أو سمعناه، أو تذكّرناه في أفكارنا، فإنّنا نبقي الشمع على مقربة من الإدراكات الحسّيّة والأفكار، ونتلقّى الانطباع عنها في تلك المادّة مثلما نتلقّاه من ختم دائريّ، وأنّنا نتذكّر ونعرف ما يُطبع طالما بقيت الصورة، لكنّها عندما تُمحى، ولا يستطاع نيلها، فإنّنا ننسى ولا نعرف حينئذ. وعندما يمتلك شخص هذه المعرفة، ويتأمّل شيئاً ما يراه ويسمعه، ألا يمكن أن ينشأ الرأي الزائف، وذلك حينما يفكّر بما يعرف ليكون وليكون ما لا يعرفه مرات أخرى. لقد كنّا على خطأ عندما صرّحنا قبلاً بإمكانية حدوث هذا.

لذلك، يجب عليَّ أن أبدأ بشرح ثلاث حالات تستثني بشكل مطلق، وعلى نحوٍ قاطع، إمكانيّة الرأي الزائف، وكذلك ثلاث حالات أخرى تؤكّد إمكانيّة حدوثه. وبعدُ، فإن شرحتها كلّها لك شرحاً وافياً، يا ثياتيتوس، واقتنعت أنت بما ورد بها من حججٍ منطقيّة، فإنّي سأعلّل لك بحجّة منطقيّة أكثر ما يقوله الرجال عن جوهر الحقيقة والخطأ. عندما يكون الشمع في روح أيّ شخص عميقاً ووافراً،

وناعماً وملطَّفاً بشكل كامل، حينئذ، فإنّ الانطباعات التي تمرّ من خلال الحواس وتغور في قلب الروح، أقول، إنّ كون هذه الروح روحاً نقيَّة وصافية ولها عمق كافٍ من الشمع، فإنّها تبقى أيضاً، وإنّ عقولاً مثل هذه العقول تتعلّم بسهولة وتستبقي ما تعلّمته بسهولة كذلك، وهي غير معرَّضة كي تُربك بصمات الحواسّ، بل إنّها تمتلك الأفكار الحقيقيّة. ولحيازتها الانطباعات الصافية ذات الخير العميم، فهي تستطيع أن تقول « ما هي هذه الانطباعات » وبسرعة؛ أي أنّها توزّعها على أماكنها المناسبة على قالب الشمع هذا. وإنَّ رجالاً كهؤلاء يُدعون عقلاء، وهكذا ينشأ الرأي الصحيح.

لكن عندما يكون قلب أيّ شخص فظّاً، أو قذراً وذا شمع غير نقيّ، أو أنّ شمعه طريّ أو صلب جداً، فإن هناك خللاً متطابقاً في العقل حينئذ. إنّ القلب الطريَّ شمعُه يكون صالحاً عند التعليم، لكنّه عرضة للنّسيان، والقلب الصّلبُ شمعُه يكون عكس ذلك. أمّا القلوب الفظّة والقاسية والحازمة، أو تلك التي تمتلك مزيجاً أرضيّاً أو كثيباً في تركيبها، فإنّها تحوز الانطباعات غير المميَّزة، كما هو الشمع الصلب أيضاً، لأنه لا عمق فيه. وكذلك فإنّ الشمع الطريّ يكون غير واضح أيضاً، لأنّ انطباعاته تشوَّش وتُمحى بسهولة. ومع ذلك فإنّ عدم الوضوح يكون أكبر عندما تحتشد الانطباعات كلّها معاً في روح صغيرة، ليس لها متّسع فسيح. تكون تلك الطبائع المعرضة للرأي الزائف، لأنّها عندما ترى أو تسمع أو تفكّر بأيِّ شيء، فإنّها تكون بطيئة في عزو الأشياء الصحيحة للانطباعات الصحيحة، وتربكها في غبائها، وتكون عرضة لأن ترى وتسمع وتفكّر بطريقة خاطئة. وهكذا ينشأ الرأي الزائف.

مع هذا، يا ثياتيتوس، فإنّي لا أعرف ماذا سأجيب شخصاً إذا سألني هذا السؤال: أوه، يا سقراط، سيقول هو، هل اكتشفت أنت حقّاً أنّ الرأي الزائف لا ينشأ بمقارنة الإدراكات الحسيّة بعضها ببعض، ولا ينشأ في الفكرة، بل ينشأ من

وصل الفكرة بالإدراك الحسّيّ؟ سأجيبه على سؤاله، بنعم، وأعطيه مثالاً وهو أنّ الإنسان الذي يفكّر فقط ولا نراه، لا يمكن أن يشوّش مع الحصان الذي لا نراه أو نلمسه، بل بالذي نتصوّره ولا ندركه بالحسّ. سيواصل هو سائلاً: حسناً إذن، إنّ الرقم أحد عشر، والذي يُفتكر به فقط، طبقاً للمناظرة، لا يمكن الظنّ أنّه عددٌ غير صحيح أبداً قياساً بالرقم إثني عشر، الذي يُفتكر به فقط، فكيف سنجيبه؟

عليَّ أن أقول، يا سقراط، إنّ الخطأ يمكن أن ينشأ على الأرجح بين الرقم أحد عشر أو اثني عشر المرئي أو المستعمل، لكنّه لا يمكن أن ينشأ خطأ مماثل بين الرقم أحد عشر أو اثني عشر الذي يكون في الفكر.

لكن ألا تظنّ، يا ثياتيتوس، أنَّ أحداً لم يضع في ذهنه الخاص الرقمين خمسة وسبعة أبداً، وأعني الرقم خمسة وسبعة في المجرَّد، والتي تكون مدوَّنة على القالب الشمعي، والذي يُعتبر الرأي الزائف أنه مستحيل فيها؟ ـ ألم يسأل إنسان نفسه أبداً كم يكون حاصل هذه الأرقام عند جمعها معاً، ويجيب بأنّه أحد عشر، في حين يتصوّر الآخر بأنّ حاصلها اثنا عشر. أو هل يتفق الكلّ في التفكير والقول بأنّ حاصلها يكون اثني عشر؟ والآن دعنا نوضح ماذا تشبه الكلمة « لتعرف »، بل سأجازف وأقول ماذا يكون العارف والمعرفة. يوضح العارفون الكلمة « لتعرف » وكأنّها تعني « كي تحوز معرفة » أو « كي تمتلك أو تقتني معرفة » وهناك فرق كبير بين « الامتلاك » و« الاقتناء »، وأعطيت أمثلة على ذلك. وبما أنّنا أوجدنا تمييزاً واضحاً بين اقتناء المعرفة وامتلاكها أو استخدامها، فإنّنا نؤكد أنّ إنساناً لا يمكن أن لا يقتني ذلك الذي يقتنيه؛ ولهذا السبب، لا يقدر أن لا يعرف ذلك الذي يعرفه بأيّة حال، بل إنّه يمكنه أن يحصل على الرأي الزائف بشأنه.

لكن كيف يمكن لإبدال معرفة بأخرى أن يصبح رأياً زائفاً؟ بل كيف يقدر إنسان يمتلك معرفة بخصوص أيّ شيء في المقام الأوّل، كيف يقدر أن يكون جاهلاً بشأن ذلك الشيء الذي يعرفه، ليس بسبب الجهل، بل بسبب معرفته

الخاصّة؟ ومرّة ثانية، ألا يكون شيئاً مضحكاً إلى أقصى حدٍّ أنَّ عليه أنْ يفترض شيئاً ما آخر ليكون هذا، وهذا ليكون شيئاً آخر، وبامتلاكه للمعرفة، حاضرة معه في فكره، ما يزالَ لا يعرف شيئاً ويكون جاهلاً بكلّ الأشياء؟ وباستطاعتك أن تجادل أيضاً، يا ثياتيتوس، أنّ الجهل يمكن أن يجعل الإنسان يعرف، ويجعله العمى يرى، كما أنّ المعرفة تستطيع أن تجعله جاهلاً.

غير أنّ عالِمَ الجدل يُبيِّن لنا أنّنا مخطئون في البحث عن الرأي الزائف، قبل أن نعرف ما هي المعرفة. لهذا سنسأل أنفسنا، مرّة أخرى، ما هي المعرفة؟

لقد قلنا سابقاً، يا سقراط، إنّ المعرفة هي رأي صحيح؛ والرأي الصحيح لا يخطىء بالتأكيد. والنتائج التي تليه نبيلة وخيِّرة كلّها.

لكن ألا يوجد فرق بين مهنة الخطباء والمحامين الذين يقنعون الرجال بفنّهم، غير أنّهم لا يتولّون تعليمهم بل جعلهم يمتلكون رأياً، في حين أنّ القضاة يعطون الرأي الصحيح مع المعرفة بشأن القضايا؟

سمعت شخصاً يقول، يا سقراط، إنّ الرأي الصحيح المتّحد مع السبب كان معرفة، لكنّ الرأي الذي لا يمتلك سبباً كان خارج نطاق المعرفة، وأنّ تلك الأشياء التي لا تعليلَ عقليّا لها ليست معروفة.

إنّني حلمت حلماً، يا ثياتيتوس، وسمعت في حلمي أنّ الحروف البدائيّة أو العناصر التي تركّبنا منها، أنت وأنا وكلّ الأشياء، لا تمتلك سبباً أو تعليلاً، بل يُستطاع تسميتها فقط، لأنّها لا تمتلك أيّ شيء سوى الإسم؛ في حين أنّ الأشياء التي تُركَّب منها، وكما تكون مركّبة أنفسها، فإنّها تُعرَّف بتركيب الأسماء، لأنّ التركيب هو جوهر التعريف. ويكون هذا عمل المقاطع اللفظيّة أو المركّبات منها وتُفهم بالرأي الصحيح. وعندما يصوغ شخص رأياً صحيحاً عن أيّ شيء بدون تعليل عقليّ، فإنّه لا يمتلك معرفة. لكنّه عندما يضيف له تعليلاً عقليّاً فإنّه يكون متكاملاً في المعرفة، بل يكون معرفة. لكن لا تزال هناك نقطة رئيسية واحدة لا

تقنعني تماماً، وهي أنّ العناصر أو الحروف تكون غير معروفة، لكنّ المقاطع اللفظيّة تكون عكس ذلك. بمعنى، أنّنا نقدر على تعريف الحرفين SO من إسمي، لكن كيف نستطيع أن نعرّف حرف الSاو ال O وحدهما؟ إنّي أقول، إذا كان المقطع اللفظيّ أو الحرفيّ مجموعاً ويمتلك أجزاء عدّة أو له حروف، فيجب أن يكون مفهوماً وواضحاً حينئذ، لأن الأجزاء كلّها معترف بها على أنّها الشيء عينه كالمجموع. لكن إذا كان المقطع اللفظيّ واحداً وغير منقسم، فستكون المقاطع اللفظيّة والحروف حينئذ متشابهة غير معرّفة وغير معروفة للسبب عينه. لهذا لا يمكننا أن نتّفق مع رأي مَنْ يقول إنّ المقطع اللفظيّ يمكن معرفته وتعليله، لكن لا يُستطاع معرفة وإيضاح الحروف.

وبالمقابل إذا جادلنا إذن، مبتدئين من الحروف والمقاطع اللفظيّة التي لدينا الخبرة عنها وانتقلنا إلى المركّبات والبسائط، فلسوف نقول إنّ الحروف أو العناصر البسيطة كصنف، تكون معروفة أكثر من المقاطع اللفظيّة بوضوح، وهي لازبة إلى المعرفة التامّة أكثر بكثير من أيّ موضوع آخر. ومن يقل غير ذلك فإنّه سيتكلّم سفاسف بكلّ تأكيد.

دعنا نوضح « التعليل » في معانٍ ثلاثة.

إنّه أوّلاً إيضاح فكرةٍ لشخصٍ بواسطة الصوت مع الأفعال والأسماء، متصوّراً أنّه رأي في المجرى الذي ينساب من الشفاه، وكأنّه ينساب منعكساً في مرآة أو على سطح الماء. ثانياً، إذا لم يُولد الشخص أصمّ أو أبكمَ، فإنّه عندما يمتلك رأياً صحيحاً بشأن أيّ شيء سيمتلك التعليل الصحيح أيضاً وليس بمعزلٍ عن المعرفة. ثالثاً، عندما يُسأل عن طبيعة ذلك الشيء، ينبغي أن يكون قادراً على إجابة سائله بإعطاء العناصر لذلك الشيء. وأكّدنا حين الاجتهاد الذي قمنا به بعدئذ، يا ثياتيتوس، أكّدنا أنّ هناك شيئاً كالرأي الصحيح المتّحد مع التعليل أو التعريف، الذي يجب أن يبقى غير مسمّىً معرفة، إلاّ إذا امتلك شخص ما القدرة كي يخبر

عن الرمز أو الإشارة للفارق الذي يميّز الشيء من كلّ الأشياء الأخرى. وهذا ينبغي أن يكون منطبعاً في ذهنه.

وهكذا، يا ثياتيتوس، وصلنا إلى الاستنتاج النهائيّ أخيراً، وهو أنّ المعرفة ليست إدراكاً حسيّاً ولا رأياً صحيحاً، ولا تعريفاً وتعليلاً ملازماً ومضافاً إلى الرأي الصحيح مع ذلك. وهل أنت لا تزال في إرهاق وكدح، يا صديقي العزيز، أو أنّك ابتكرت كلّ ذلك الذي لديك وقلت ما قلته بشأن المعرفة؟ أوَلا يبيّن فنّي أنّك ولّدت لا شيء، وأنّ نتاج مقدرتك العقلية ليس جديراً بأن يبتكر شيئاً؟ إنّ هذه هي حدود فنّي، ولا أستطيع الذهاب أبعد من ذلك، ولا أعرف البتّة عن الأشياء التي يعرفها الرجال العظماء المشهورون. إنّي تسلّمت منصب القابلة من الله، مثل أمّي؛ هي تولّد النساء، وأنا أقوم بتوليد الرجال بالروح، لكنّهم يجب أن يكونوا شبّاناً ونبلاء وجميلين.

محاورة ثياتيتوس

أشخاص المحاورة

سقراط ثيودورس

ثياتيتوس.

يتقابل اقليدس وتربسيون أمام بيت الأوّل في ميغارا؛ ثم يدخلان البيت، ويقرأ المحاورة لهما الخادم الموجود فيه.

اقليدس: هل وصلت لتوّك الآن من الريف، يا تربسيون؟

تربسيون: لا، لقد أتيت منذ بعض الوقت. كنت أبحث عنك في الساحة العامّة، وتعجبت لأنّني لم أستطع أن أجدك هناك.

اقليدس: غير أنّي لم أكن في المدينة.

تربسيون: أين كنت إذن؟

اقليدس: عندما كنت نازلاً من الميناء، قابلت ثياتيتوس - إنّه كان محمولاً إلى أثينا عند رجوعه جريحاً بعد تأديته الخدمة العسكرية في كورنثيا.

تربسيون: أكان حيّاً أم ميتاً؟

اقليدس: لقد كان حيّاً بصعوبة، إذ أنّه قد جُرح جراحاً بليغة؛ لكنّه كان يتألم من المرض الذي تفشّى بين أفراد الجيش أكثر ممّا تألّم من جراحه.

تربسيون: تعني مرض الديزنطاريا؟

اقليدس: نعم.

تربسيون: واحسرتاه! أيّة خسارة كبرى ستحلّ بنا إن فقدناه!

اقليدس: نعم، يا تربسيون، إنّه شخص نبيل؛ لقد سمعت اليوم الثناء السامي من

بعض الناس على السلوك الرائع الذي أبداه في هذه المعركة بالتحديد.

تربسيون: لا عجب في ذلك؛ إنّي سأكون منشدهاً بالأحرى في سماع أيّ شيء آخر عنه يعاكس ذلك. لكن لماذا واصل سيره، بدلاً من أن يتوقّف في ميغارا؟

اقليدس: أراد أن يصل إلى البيت، برغم أنّي توسّلت إليه ونصحته بالبقاء هنا، غير أنّه لم يستمع لي. وهكذا سمحت له بمتابعة طريقه، وقفلت عائداً من حيث أتيت، وتذكّرت حينئذ ما قاله سقراط عنه، وتصوّرت كيف أنّ هذا قد أُنجز بشكل رائع، مثل كلّ تأكيداته السابقة. أعتقد بأنّ سقراط رآه قبل أن يموت بفترة قصيرة، عندما كان ثياتيتوس لا يزال فتىً، وأجرى معه محادثة جديرة بأن تُذكر، تلك المحادثة التي ردَّدها سقراط على مسمعي عندما أتى إلى أثينا؛ وكان شديد الإعجاب بذكائه، وقال بأنّه سيكون إنساناً عظيماً بالتأكيد الأكثر، إن بقي على قيد الحياة.

تربسيون: إنّ هذا التنبؤ قد أُنجز بدون ريب؛ لكن ماذا كانت المحادثة؟ هل تستطيع أن تقول لي؟

اقليدس: لا، إنّني أستطيع سردها بطريقة مرتجلة حقاً؛ لكنّي دوّنت ملاحظات عنها حالما وصلت إلى البيت. ملأتُ هذه الملاحظات من الذاكرة، كاتباً إيّاها في وقت فراغي؛ وكلّما ذهبت إلى مدينة أثينا، كنت أسأل سقراط بشأن أيّة نقطة أساسيّة نسيتها، وأصحّحها عند عودتي. وهكذا فإنّني أمتلك المحادثة كلّها مكتوبة على الورق على نحوٍ وثيق.

تربسيون: إنّي أتذكّر ما تقول ـ أنت أخبرتني إيّاه، وكنت عازما أن أسألك لتريني الكتابة على الدوام؛ لكنني أجّلت القيام بذلك. والآن، لماذا لا تقرأها من البداية إلى النهاية؟ ـ ما دمنا وصلنا لتوّنا الآن من الريف، سأحبّ كثيراً أن أرتاح بعد عناء ومشقّة السفر.

اقليدس: وسأكون أنا أيضاً سعيداً جدّاً بقضاء وقت من الراحة، لأنّني سرت برفقة ثياتيتوس حتّى مدينة أرينيوم. دعنا ندخل إذن، وسيقرأ الخادم المحادثة لنا، في حين نخلد نحن للهدوء.

تربسيون: جيّد جداً.

اقليدس: إنّ المخطوطة موجودة هنا، يا تربسيون؛ يمكنني أن ألاحظ بأنّني قدّمت سقراط، ليس كراوٍ للمحادثة لي، بل وكأنّه متحادث مع الأشخاص الذين ذكرهم بشكل حقيقيّ، وهم ثيودورس عالم الهندسة « من مدينة سيرين » وثياتيتوس. لأجل سلاسة سردها أسقطت من المحادثة، الكلمات الحِواريّة هذه، مثل « إنّني قلت » و« إنّني لاحظت » التي استعملها عندما تكلّم عن نفسه، وحذفت مرّة ثانية الكلمات « وافق هو » أو « لمْ يوافق » في الإجابة، وذلك خشية أن يكون ترديد هذه الكلمات مزعجاً.

تربسيون: حقيقي تماماً، يا اقليدس.

اقليدس: وبعدُ، يا ولدي، يمكنك أن تأخذ المخطوطة وتقرأ.

[بدأ خادم اقليدس بالقراءة.]

سقراط: لو أبديت اهتماماً كافياً بشأن التورينيين، يا ثيودورس لسألتك إذا ما كان يوجد علماء هندسة صاعدون أو أي فلاسفة في ذلك الجزء من العالم، غير أنّني أولي اهتماماً أكثر لشبابنا الأثيني. وسأفضّل بالأحرى أن أعرف مَنْ مِنْ بينهم سيؤدي عمله جيّداً على الأرجح. راقبتهم بنفسي قدر ما أستطيع، واستعلمت عن أيّ شخص هم يتبعون، وأرى أنّ الكثرة الساحقة منهم تلتفّ حولك، وأنهم في هذا لمحقّون، وذلك من اعتباري لسموّك في علم الهندسة وفي الطرائف الأخرى المميّزة. قل لي إذن، إذا كنت قابلت أيّ شخص يعتبر استثنائياً بالمطلق.

ثيودورس: نعم، يا سقراط، إنّني أصبحت ملمّاً بشخصٍ أثيني فتيٍّ رائع جدّاً، وهو

الذي أودعه إليك أيضاً وهو جدير بعنايتك. إذا كان هو جمالاً، يلزمني أن أخاف إنْ أثنيت عليه، خشية من أنّه سيفترض بأنّي وقعت في حبّه، لكنّه ليس جمالاً، ويلزمك أنْ لا تغتاظ إنْ قلت بأنّه يشبهك تماماً. فهو يمتلك أنفاً أفطس، وعينين جاحظتين وبرغم ذلك فإنّ قسمات الوجه هذه هي أقلّ ظهوراً فيه ممّا هي فيك. وما دام لا يمتلك أيّة مفاتن ذاتيّة جسدية، يمكنني أن أقول بحريّة، بأنّي لم أعرف قطّ أيّ شخص يضاهيه في مواهبه الطبيعيّة، من بين كلّ معارفي الشخصيّين وهم كُثر جدّاً. إنّ ثياتيتوس يمتلك سرعة فهم وهذه ميزة منقطعة النظير فيه تقريباً، وهو لطيف إلى أبعد حدّ، وهو أكثر الرجال شجاعة أيضاً. هناك اتّحاد للنوعيّات فيه كتلك التي لم أرَها في أيّ شخص آخر، وبالكاد أتصوّر أنّها ممكنة الوجود في غيره؛ لأنّ هؤلاء الذين يشبهونه، يمتلكون قدرات عقليّة سريعة وجاهزة وهم ذوو ذاكرة قويّة، ولديهم أمزجة سريعة أيضاً بشكل عامّ. إنّهم بواخر بدون ثقل الموازنة، وينطلقون بحريّة وبحركة مفاجئة هنا وهناك، وهم مجانين بدل أن يكونوا شجعاناً. أمّا النوع الأثبت منهم، عندما يُلزمون بمواجهة الدرس، فيبرهنون أنّهم أغبياء ولا يستطيعون أن يتذكروا، في حين أنه هو يتحرّك بكلّ ثبات وسلاسة ونجاح في معارج المعرفة والتحقيق؛ وإنّه لممتلىء لطفاً، مثل نهرٍ من الزيت يتدفّق بسكون. إنّ ذلك لرائع في عمره.

سقراط: إنّها أخبار جيّدة؛ إبن من هو؟

ثيودورس: نسيت اسم أبيه، لكنّ الفتى نفسه في وسط أولئك الرجال القادمين نحونا؛ إنّه ورفاقه كانوا يمسحون أجسادهم بالزيت « على سبيل التكريس » خارج المبنى الكبير، ويبدو الآن أنّهم انتهوا من ذلك، ويتّجهون إلى هنا. تطلّع بهم وانظر ما إذا كنت تعرفه.

سقراط: أعرف الفتى، لكنّي لا أعرف اسمه؛ إنّه ابن اوفرونيوس من سونيان، الذي

كان هو أيضاً إنساناً رفيع المقام، وهو مثل ولده، وذلك طبقاً لوصفك له. أعتقد بأنّه ترك وراءه ثروة ضخمة.

ثيودورس: إنّ اسمه ثياتيتوس، يا سقراط، لكنّي أتصوّر على الأصحّ بأنّ ملكيّته اختفت على أيدي القيمين عليها؛ ولم يَحُدَّ ذلك من سخائه المدهش.

سقراط: يجب أن يكون شخصاً ممتازاً؛ أطلب إليه أن يأتي ويجلس بجانبي.

ثيودورس: سأفعل ذلك. تعالَ إلى هنا، يا ثياتيتوس، واجلس بجانب سقراط.

سقراط: مهما كلّف الأمر، يا ثياتيتوس، إجلس بقربي ليتسنّى لي أن أرى انعكاس نفسي في وجهك. فثيودورس يقول بأنّنا متشابهان؛ ومع ذلك فإنّه إذا أمسك كلٌّ منا قيثارة بيديه، وقال بأنّ القيثارتين دُوزِنَتا بالنغمة عينها، هل سنقبل كلمته في الحال، أو أنّه ينبغي علينا أن نسأل ما إذا كان الذي قال ذلك هو موسيقيّ أو أنّه ليس كذلك؟

ثياتيتوس: يجب أن نسأل هذا السؤال.

سقراط: وإنْ وجدنا أنّه كان كذلك، يلزمنا أن نقبل كلمته، وإنْ لا، فلا؟

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: وإن كان هذا الشبه المفترض لوجهينا مسألة ذات أهميّة لنا، يلزمنا أن نحقّق، سواء إذا كان الذي قال إنّنا متشابهان، رسّاماً يدوياً أم لا؟

ثياتيتوس: يلزمنا أن نفعل هذا بالتأكيد.

سقراط: وهل ثيودورس رسّام يدويّ؟

ثياتيتوس: لم أسمع بأنّه مارس هذه المهنة.

سقراط: وهل هو عالم بالهندسة؟

ثياتيتوس: طبعاً إنّه لكذلك، يا سقراط.

سقراط: وهل هو فلكي وعالم بالحساب وموسيقي وإنسان متعلّم بشكل عام؟

ثياتيتوس: أتصوّر ذلك.

سقراط: إنْ علّق هو على التشابه في شخصينا إذن، إمّا بطريقة الثناء أو الذمّ، فما من سبب خاص يلزمنا من أجله أن نصغي إليه؟

ثياتيتوس: عليَّ أن أقول لا.

سقراط: لكنّه إن أطرى على الفضيلة أو الحكمة التي هي المِنَح النفسيّة لكلّ منا، فإنّ من يسمع الثناء حينئذ سيرغب في أن يفحص الممدوح بشكل طبيعيّ؛ وسيكون مستعدّاً لأن يُظهر نفسه مرّة ثانية.

ثياتيتوس: حقيقي جداً، يا سقراط.

سقراط: إذن الوقت الآن لي، يا عزيزي ثياتيتوس، كي أختبر، ولك كي تظهر نفسك. بما أنّ ثيودورس أثنى على العديد من المواطنين والغرباء أمامي، ولم أسمعه قطّ يمدح أيّ شخص مثلما مدحك.

ثياتيتوس: إنّني مسرور جدّاً لسماع ما تقول؛ لكن ماذا إن كان قال ما قاله على سبيل المزاح فقط؟

سقراط: لا، إنّ ثيودورس ليس من عادته المزاح؛ ولا يمكنني أن أسمح لك بأن تؤمن بادّعاءٍ كهذا. وإن فعلت ذلك، فيلزمه أن يقسم بما تكلّم به؛ ونحن متأكّدون بشكل كامل أنّه ما من شخص يستطيع أن يطعن فيما قاله. لا تكن خجولاً إذن بل فِ بوعدك واحرص على العمل بما تتفوّه به.

ثياتيتوس: أفترض بأنّه يجب عليَّ تأدية هذا، إن رغبت أنت فيه.

سقراط: عليَّ أن أسألك أوّلاً ماذا تعلّمت من ثيودورس؛ لربّما شيئاً ما من علم الهندسة؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: وتعلّمت منه علم الفلك والتناسب والحساب؟

ثياتيتوس: إنّني أبذل جهداً فيها، على الأقلّ.

سقراط: وهذا ما أفعله أنا، يا صديقي، آملاً بأن أتعلّم منه، أو من أيّ شخص يبدو

أنّه يفهم هذه الأشياء. وإنّني اكتسبت فيها معرفة جيّدة تماماً بشكل عامّ. ولكن هناك صعوبة صغيرة وهي التي أريدك والجماعة الحاضرة هنا أن تساعدوني في البحث والتحقيق فيها. هل ستجيبني على سؤال: « أليس التعلّم ازدياداً أعقل بشأن ذلك الذي تتعلّمه؟ »

ثياتيتوس: طبعاً.

سقراط: وافترض أنَّ بالحكمة يكون الحكماء حكماء.

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: وهل يكون ذلك مختلفاً عن المعرفة في أيّة طريقة؟

ثياتيتوس: ماذا؟

سقراط: الحكمة؛ ألا يكون الرجال حكماء في ذلك الذي يعرفون؟

ثياتيتوس: إنّهم لكذلك بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّ الحكمة والمعرفة شيء واحد؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: هنا تكمن الصعوبة التي لا أستطيع حلَّها طبقاً لاقتناعي: ما هي المعرفة؟ هل نقدر أن نجيب على هذا السؤال؟ فماذا تقول أنت؟ أيٌّ منّا سيتكلّم أوّلاً؟ ومَن يخفق في كلامه سيجلس حيث هو، وسيكون الحمار، كما يقول الأولاد، عندما يلعبون لعبة الكرة. وسيكون مَلِكُنا مَن يُخرج كلّ منافسيه في اللعبة بدون أن يقع في الخطأ، وسيكون له الحقّ في طرح أيّة أسئلة بدون عوائق والتي يريدها لنا ... لِمَ لا أتلقّى منكم جواباً؟ آمل، يا ثيودورس، ألا أكون مغرَّراً باللاتهذيب بسبب حبّي للمحادثة؟ أريد منكم فقط جعلنا نتكلّم مع بعضنا وأن نكون ودودين واجتماعيين.

ثيودورس: عكس اللاتهذيب، يا سقراط! لكنّني سأفضّل أن تسأل واحداً من الرفاق الفتيان. وفي الواقع أنا لست معتاداً على نمط محادثتك، وأنا متقدّم في السنّ

كثيراً كي أتعلّم؛ سيكون الشباب أكثر تناسباً لذلك، وهم سيتحسّنون أكثر ممّا سأتحسّن أنا. وإنّه لقول صحيح أنّ الشباب هو السنّ الملائمة للتحسّن والتقدّم. وهكذا بما أنك أوجدت بداية مع ثياتيتوس، سأنصحك بالاستمرار معه وأن لا تدعه يترك ذلك.

سقراط: هل تسمع، يا ثياتيتوس، ما يقوله ثيودورس؟ أعتقد بأنّك لن تحبّ أن تعصيه، لا ولن يكون شيئاً محقّاً للرجل الأفتى أن يخالف أمراً كهذا صدر من إنسانٍ عاقل. تشجّع إذن، وقل بنبل ما هي المعرفة حسب اعتقادك؟

ثياتيتوس: حسناً، يا سقراط، سأجيب كما أمرتني أنت وكما حثّني هو على ذلك؛ وإذا وقعت في الخطأ، فإنّكما ستصحّحاني بدون شكّ.

سقراط: سنفعل، إن استطعنا.

ثياتيتوس: أعتقد إذن، أنّ العلوم التي تعلّمتها من ثيودورس - كعلم الهندسة، وكذلك تلك التي ذكرتها لتوّك الآن - هي معرفة. وسأضمّن كذلك فنّ الاسكافيّة والصناعات اليدويّة الأخرى. إنّ هذه الفنون كلّ منها على حدة، وجميعها، هي ما عنى بالمعرفة تماماً.

سقراط: كفاية، يا صديقي! إنّ نبل وسخاء طبيعتك تجعلك تعطي أشياء متعدّدة ومختلفة، عندما يكون سؤالي عن شيء واحد بسيط.

ثياتيتوس: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: ربّما لا شيء. سأقول، على كلّ حال، ما أعتقد أنّه معناي: عندما تتكلّم عن الإسكافيّة، فأنت تعني معرفة صناعة الأحذية؟

ثياتيتوس: هكذا تماماً.

سقراط: وعندما تتكلّم عن النّجارة فإنّك تعني معرفة صناعة الأدوات الخشبيّة؟

ثياتيتوس: إنّني أفعل.

سقراط: وفي كلتا الحالتين، إذن، فإنّ ما تعرّفه هو الموضوع المعروف؟

ثياتيتوس: صدقاً.

سقراط: لكنّ تلك النقطة، يا ثياتيتوس، لم تكن نقطة سؤالي الأساسيَّة. نحن لم نسأل عن مواضيع المعرفة، ولا عن أشكال عددها مع ذلك، لأنّنا لم نعزم على عدِّها، بل أردنا أن نعرف طبيعة المعرفة تجريديّاً. ألست محقّاً فيما أقول؟

ثياتيتوس: إنّك محقّ تماماً.

سقراط: دعني أقدّم لك شرحاً: إفترض أنّ شخصاً سأل عن شيء ما عاديٍّ وواضح جداً ـ كمثال، ما هو الطين؟ وأجبناه نحن، أنّ هناك طيناً للقدور، وطيناً لصانعي الأفران، وطيناً لمنتجي الآجرّ؛ ألن تكون إجابتنا إجابة مضحكة؟

ثياتيتوس: نعم، لربّما.

سقراط: سيوجد شيء سخيف في الافتراض، في المقام الأوّل. إنَّ من يسأل السؤال سيفهم من جوابنا معنى « الطين » لمجرّد أنّنا أضفنا « الفكرة للصناع »، أو لأيّ صنّاع آخرين. كيف يستطيع إنسان أن يفهم اسم أيّ شيء، عندما لا يعرف ما هو ذلك الشيء؟

ثياتيتوس: إنّه لا يقدر.

سقراط: وبطريقة مماثلة، فالإنسان الذي لا يعرف ماذا تمثِّل « المعرفة »، لا يمكنه أن يفهم شبه الجملة « معرفة صناعة الأحذية »؟

ثياتيتوس: لا، إنّه لا يستطيع.

سقراط: ولهذا السبب فإنّ الإنسان نفسه لن يفهم الاسم « الأسكفة »، أو اسم أيّ فنّ آخر؟

ثياتيتوس: لا.

سقراط: وعندما يُسأل إنسانٌ ما هي المعرفة، فسيكون شيئاً مضحكاً إن أعطى اسم

فنٍّ ما كإجابةٍ على السؤال؛ لأنّ إجابته « معرفة عن هذا أو ذلك » ليست إجابة على السؤال الذي طُرِح.

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: علاوة على ذلك، فإنّه كان بإمكانه أن يجيب على السؤال بكلّ سهولة وباختصار، لكنّه راح بإجابته يدور دورانا هائلاً. كمثال، عندما يُسأل بشأن الطين، كان بإمكانه أن يعطي الجواب البسيط ولربّما الجواب المبتذل، وهو أنّ الطين هو تراب مبلّل بالماء - إنّ أيّ نوع من أنواع الطين ليس وثيق الصلة بالموضوع.

ثياتيتوس: نعم، يا سقراط، لا صعوبة في طرحك هذا السؤال مثلما فعلت. إنّك تعني بهذا شيئاً ما كالذي خطر في بالي وبال صديقنا هنا، إن لم أكن مخطئاً، وما سميُّك سقراط، إلاّ واضع هذا المعنى في المحادثة الحديثة.

سقراط: وماذا كان ذلك، يا ثياتيتوس؟

ثياتيتوس: كتب لنا ثيودورس شيئاً ما بشأن الجذور التربيعيّة، مثل أضلاع المربَّعين اللّذين تبلغ مساحتهما ثلاثة أو خمسة أقدام، مبيّنا أنّهما غير متناظِرَي القياس بالوحدة. واستعار الأمثلة الأخرى للجذور إلى أن بلغ جذر المساحة المساوية لسبعة عشر قدماً، لكنّه توقّف هناك لسبب ما أو لآخر. وبعدُ بما أن هناك عدداً لا يُحصى من هكذا جذور تربيعيّة، خطر في بالنا أن نحاول ونجد لها وصفاً مشتركاً ينطبق عليها جميعاً.

سقراط: وهل وجدتم هذا الوصف المشترك؟

ثياتيتوس: أحسب أنّنا وجدناه؛ لكنّني أريد أن أعرف رأيك بشأنه.

سقراط: دعني أسمع.

ثياتيتوس: لقد قسّمنا كلّ الأعداد إلى صنفين: الصنف الأوّل هو تلك الأعداد التي رُكّبت من عوامل متساوية مضروب بعضها ببعض، والتي شبّهناها بالأشكال

المربَّعة وسمَّيناها أشكالاً مربَّعة أو متساوية الأضلاع: كانت تلك صنفاً أوّل.

سقراط: جيّد جداً.

ثياتيتوس: أمّا الصنف الثاني، فيشمل الأعداد المتوسّطة، كالعددين ثلاثة وخمسة، وكذلك كل رقم آخر رُكِّب من عوامل غير متساوية، إمَّا من أعداد أكبر مضروبة بأقلّ، أو من أعداد أقلّ مضروبة بالأكبر، وعند النظر إليه كشكل، فإنّه يكون محتوىً في أضلاع غير متساوية؛ إنّنا شبَّهنا كلّ هذه الأعداد بأشكال مستطيلة، وسمَّيناها أعداداً مستطيلة.

سقراط: ممتاز؛ وماذا يتبع؟

ثياتيتوس: أمّا الخطوط، أو الأضلاع التي تمتلك مربعاتها الأعداد المتساوية الأضلاع المسطَّحة، فدعوناها أطوالاً؛ وسمَّينا خطوط الأعداد المستطيلة المتساوية المربّعات، سمَّيناها بالقوى أو الجذور، والسبب لكون اسمها الأخير كما هو، فلأنّها متناظرة القياس مع سابقاتها في مساحة مربّعاتها وليس في المقياس الطولي. ولقد أتممنا التمييز عينه بين المجسمات.

سقراط: ممتاز، يا أولادي؛ أحسب أنّكم تسوِّغون ثناءات ثيودورس بشكل تامّ، وإنّي لمتيقن أنه لا يشهد زوراً إن أطرى عليكم.

ثياتيتوس: لكنّني غير قادر، يا سقراط، أن أعطيك جواباً بشأن المعرفة مشابهاً لهذه الإجابة التي قدّمناها بخصوص الطول والجذر، والذي يبدو أنّه الجواب الذي تريد؛ ولذلك فإنّ ثيودورس ما هو إلا خادع بعد كلّ ما حصل.

سقراط: حسناً، لكن إذا مدحك شخص ما في العَدْوِ، وقال بأنّه لم يلقَ أبداً مثيلاً لك بين الأولاد، وتغلَّب عليك رجل فتيٌّ في سباقٍ بعد ذلك، وكان هذا متسابقاً عظيماً، فهل سيكون الثناء هذا حقيقياً بدَرجة أقلّ؟

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

سقراط: وهل يكون اكتشاف طبيعة المعرفة هكذا قضيّة صغيرة، كما قلت أنا لتوّي

الآن؟ أليست هذه القضيّة واحدة من القضايا التي سترهق قوى الرجال الكاملين في كلّ طريقة؟

ثياتيتوس: نعم، حقاً، إنّهم الرجال الذين كانوا صفوة الكمال.

سقراط: حسناً إذن، تشجّع وابتهج؛ ولا تقل إنّ ثيودورس أخطأ بحقّك، بل افعل أفضل ما تقدر عليه كي تثبّت وتتأكّد من طبيعة المعرفة الحقيقية، مثلما تفعل ببقية الأشياء الأخرى.

ثياتيتوس: إنّني لمشتاق بما فيه الكفاية، يا سقراط، كي أفعل ذلك إن كان هذا سيبرز الحقيقة إلى النور.

سقراط: تعالَ إذن، إنّك كنت على الطريق الصحيح لتوّك الآن؛ ولتكن إجابتك عن المعرفة كالنموذج الذي أعطيته بشأن الجذور، ومثلما أدركتها وعرّفتها كلّها في صنف واحد، حاول وأحضر أنواع المعرفة المتعدّدة تحت تعريف موحّد.

ثياتيتوس: أستطيع أن أؤكّد لك، يا سقراط، أنّني حاولت البحث فيها غالباً، عندما أُحضِر لي تقرير الأسئلة التي طرحتها؛ غير أنّني لا أقدر على إقناع نفسي بأنّ لديَّ جواباً مقنعاً لأعطيه بشأنها. ولم أسمع بأيّ شخص منح الجواب الذي تريد؛ ومع ذلك لم أستطع التخلّص من قلقي بخصوص هذه المسألة.

سقراط: إنّ هذه وخزات الآلام المجهدة، يا عزيزي ثياتيتوس؛ إنّ لديك في الداخل شيئاً ما ستحضره إلى الوجود.

ثياتيتوس: إنّني لا أعرف، يا سقراط؛ بل أعبّر عمّا أشعر به فقط.

سقراط: أوَ لم تسمع أبداً، يا أيّها الساذج، بأنّني ابن قابلةٍ شجاعة وذات نية قويّة تدعى فايناريت؟

ثياتيتوس: نعم، لقد سمعت بها.

سقراط: وأني أنا نفسي أمارس الصّنعة عينها؟

ثياتيتوس: لا، أبداً.

سقراط: دعني أخبرك بأنّني أقوم بهذا العمل برغم ذلك، يا صديقي؛ لكن عليك أن لا تبوح بالسرّ، إذ إنّ العالم كلّه لم يكتشفني بشكل عامّ، وإنّني أغرب المخلوقات وأبعث البلبلة في عقول الرجال. ألم تسمع بذلك أبداً أيضاً؟

ثياتيتوس: نعم، سمعت بذلك.

سقراط: هل سأقول لك ما سبب هذا؟

ثياتيتوس: مهما كلف الأمر.

سقراط: تذكّر عمل القابلات كلّه، وسترى حينئذ معناي بشكل أفضل: لن تمارس امرأة مهنة توليد النساء الأخريات، كما أعتقد بأنك دارٍ بذلك، لن تمارس هذه المهنة، إلاّ إذا كانت من النساء اللواتي انقطعن عن الولادة، وليست من النساء اللاتي لا يزلن ينجبن الأطفال.

ثياتيتوس: نعم، إنّني أعرف ذلك.

سقراط: وقيل إنّ أرتيميس كانت مسؤولة عن هذا، لأنّها لم تكن أمّاً، وبرغم ذلك فهي إلٰهة التوليد، وهي لم تستطع السماح للعاقرات بمزاولة مهنة توليد النساء حقاً، لأنّ الطبيعة الإنسانيّة لا يمكنها أن تعرف أسرار الفنّ هذا بدون خبرة. لكن ارتيميس اختارت لهذه المهمّة تلك النساء اللواتي هنَّ مسنّات جداً ولا يلدن، تكريماً لمشابهتهنَّ بها.

ثياتيتوس: أجرؤ على قول هذا.

سقراط: أجسر أن أقول أيضاً، أو بالأحرى فإنّني متأكّد منه وهو أنّ القابلات يعرفن مَنْ مِنَ النساء يكنَّ حوامل ومَنْ هنَّ عكس ذلك. إنّهنَّ يعرفنَ هذا أفضل من النساء الأخريات.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

سقراط: وهنَّ قادرات على أن يثرنَ وخزات الألم وأن يلطّفنها ساعة يَشَأْنَ، وذلك

باستعمال العقاقير والرقيّات. إنّهنّ يستطعنَ أن يجعلن أولئك النساء اللواتي يعانين صعوبة في الحمل أن يحملن، وإن ظننَّ أنّها مُناسِبَة فهنّ يتمكّنَّ من خنق الجنين في الرحم.

ثياتيتوس: إنّهنّ يستطعنَ ذلك.

سقراط: ألم تلاحظ أبداً أنّهنّ الأكثر براعة بإيجاد الزيجات، ويمتلكن معرفة تامّة عن الاتحادات التي تنتج نوعاً شجاعاً على الأرجح؟

ثياتيتوس: لا، لا أستطيع أن أقول بأنّني عرفتها.

سقراط: ودعني أخبرك أنّ هذا هو اعتدادهنّ الأعظم بأنفسهن، أكثر من زهوهنّ بقطع الحبل السرّي. وإنْ أنت تأمّلت مليّاً، فلسوف ترى أنّ الفنّ عينه الذي يحرث الأرض ويجمع فاكهتها، سيعرف الأكثر على الأرجح في أيّة تربة سيودِع الأغراس المتعدّدة أو البذور.

ثياتيتوس: نعم، إنّه الفنّ عينه.

سقراط: وهل تفترض أنّ فنون الزرع والحصاد تكون مختلفة مع النساء؟

ثياتيتوس: عليّ أن لا أحسب ذلك.

سقراط: لا بالتأكيد؛ لكنّ القابلات هنّ نساء جديرات بالاحترام اللواتي يمتلكن خُلقاً يفتقدنه، ولذلك فإنّهنّ يتجنّبن هذا الفرع من مهنتهنّ، لأنّهنّ يخفن أن يدعينَ قوّادات، هذا الاسم الذي يطلق على النساء اللواتي يزاوجن الرجل والمرأة بطريقة غير شرعية وغير علميّة؛ ومع ذلك فإنّ القابلة الحقيقية هي أيضاً صانعة الزيجات الصحيحة فقط.

ثياتيتوس: بوضوح.

سقراط: هكذا تكون القابلات، اللواتي يكون عملهنّ الشاقّ واحداً من الأعمال الهامة جداً، غير أنّه ليس عملاً مهمّاً كعملي؛ لأنّ النساء لا يحضرنَ إلى العالم أطفالاً حقيقيّين مرّة واحدة، وأطفالاً مزيّفين مرة أخرى والذين لا يمكن

تمييزهم عن سابقيهم؛ لأنّهنّ إن فعلن ذلك، فإن حسن التمييز للولادة الحقيقيّة والمزيّفة سيكون قمّة إنجاز فنّ توليد النساء ـ هل ستعتقد أنّ ما أقوله صحيح؟

ثياتيتوس: إنّني سأفعل حقاً.

سقراط: حسناً، إنّ فنّ قبالتي مثل فنّهنّ في أكثر نواحيه. لكنّه يختلف. فأنا أولّد الرجال وليس النّساء، وأُعنى بأرواحهم عندما يكونون في إرهاق وقلق، ولا أهتمّ بأجسادهم. وأمّا قمة نجاح فنّي فهي في الاختبار الكامل سواء إذا ما كانت الأفكار التي يبرزها عقل الإنسان الفتيّ مزيّفة وميتة، أو خصبة وحقيقية. وهنا فإنّني أُشبِهُ القابلات مرّة ثانية لكوني فارغاً من الحكمة. وأمّا اللوم الذي يوجّه ضدّي غالباً، وهو أنّني أطرح الأسئلة على الآخرين وليس لديَّ الذكاء للحكم بخصوص أيّ موضوع، فإنّه لوم عادل جدّاً ـ وسبب ذلك هو أنّ الله أجبرني على أن أكون قابلة، لكنّه لم يسمح لي بالإنجاب. ولست، أنا نفسي، حكيماً بشكل خاصّ، لا وليس لدي أيّ شيء لأظهره والذي هو الاختراع أو الولادة لروحي. بل إنّه لأولئك الذين يتحادثون معي. يبدو بعضهم أنّه غبيّ بالمطلق في البداية، ويحقّقون كلّهم تقدّماً مذهلاً عند نضوج تعارفنا على بعضنا بعضاً، إنْ أنعم الله عليهم بهذا؛ ويكون هذا هو رأيهم الخاصّ مثلما يكون رأي الآخرين بشأن هذا الموضوع. وإنّه لواضح جداً بأنّهم لم يتعلّموا منّي أيّ شيء أبداً. إنّ العديد من الاكتشافات الجميلة التي يحضرونها إلى الوجود هي من صنعهم، لكنّهم يدينون لي ولله بولادتها. وأمّا البرهان على ما أقول فهو تلاشيء نسبة الفضل كلّه لأنفسهم والسخف بي، وهو ما ظنّه بي العديد منهم بسبب الجهل والمروق، ويحدث هذا التغيير إمّا طوعاً أو تحت تأثير الآخرين. وهم لم يفقدوا الأطفال الذين أنجبتهم مسبقاً بالتربية السقيمة، لكنّهم خنقوا أيّ شيء آخر كان فيهم

بالأفكار السيّئة، كونهم مولعين بالكذب وبالأشياء الأخرى الزائفة أكثر من محبّتهم للحقيقة؛ وانتهوا برؤية أنفسهم أخيراً، مثلما شاهدهم الآخرون، أنّهم أغبياء كبار. أحدهم هو اريستايدس بن ليسيماخوس، وهناك عديد آخرون غيرهم. إنّ المتهرّبين من أداء واجبهم يعودون إليّ غالباً، ويستعطفونني كي أعاشرهم مرّة ثانية ـ إنّهم كانوا جاهزين كي يأتوا إليّ جاثين على رُكبهم ـ وإذا سمحت الإشارة الإلٰهيّة فإنّني أرحّب بهم. ولم تكن الحالة هكذا دائماً، ولكن عندما أستقبلهم يبدأون بالتحسّن. إنّ وخزات الألم التي يستطيع فتّي أن يثيرها ويُسكّنها في أولئك الذين يعاشرونني رهيبة، وهي شبيهة بوخزات الألم التي تتعرّض لها النسوة أثناء وضعهنّ؛ أمّا هم فإنّهم ممتلئون بالحيرة والعذاب ليلاً نهاراً واللّذين هما أسوأ من ذلك الذي تتعرّض له النساء. هذا كل شيء عنهم. وهناك آخرون، يا ثياتيتوس، يأتون إليّ في حالة حمل بوضوح؛ وبما أنّني أعرف أنّهم ليسوا بحاجة لفنّي فإنّني أنتزع منهم بالملاطفة الموافقة على الزواج من شخص ما، وأستطيع أن أخبرهم بعون الله مَنْ يفعل لهم الخير بشكل عام. إنّني وهبت العديد منهم لبروديكوس، ومنحت الآخرين إلى الحكماء الملهمين الآخرين. وأخبرك هذه القصّة الطويلة، يا صديقي ثياتيتوس، لأنّي أشتبه بأنّك في قلق وضَنَك، كما تحسب ذلك أنت نفسك ـ وعظيم ببعض الفهم. تعالَ إليّ إذن أنا ابن القابلة وأنا لكذلك، وابذل أقصى جهدك للإجابة على الأسئلة التي سأطرحها عليك. وإن أنا أزلت أو تخلّيت عن مولودك الأوّل، بسبب أنّني اكتشفت بعد الفحص والتدقيق أنّ الحَمْل الذي أبرزته إلى الوجود ما هو إلاّ صورة زائفة لا جدوى منها، فلا تخاصمني لهذا، مثلما تفعل النساء عندما يؤخذ منهنّ مولودهنّ الأوّل. وأنا الذي عرفت بعضاً من الرجال الذين كانوا مستعدّين أن يعضّوني حقاً عندما أجرّدهم من حماقتهم العزيزة عليهم؛ إنّهم لم

يدركوا بأنّني فعلت ذلك من شعور وديّ نحوهم، ولم يعرفوا بأن ما من إلٰهٍ يكون عدوّاً لإنسان - إنّ هذا لم يكن ضمن نطاق أفكارهم؛ لا ولست أنا عدوّهم في كلّ هذا، بل أؤكّد أنّه عملٌ لا يتّسم بالتقوى إنْ أُثبت ما هو مزيف وباطل، أو إذا أُخمدت الحقيقة. قل لي مرّة ثانية، يا ثياتيتوس، قل لي من البداية « ما هي المعرفة » ولا تقل لي بأنّك لا تستطيع أن تجيب على هذا السؤال. تصرّف مثلما يتصرف الرجل وإن شاء الله ستكون قادراً على الإجابة.

ثياتيتوس: يجب عليّ أن أخجل على كلّ حال، يا سقراط، إنْ لم أحاول وأفعل أفضل ما أقدر عليه، بعد كلّ هذا الحضّ والنصح. وبعدُ، فإنّ من يعرف أيّ شيء يدرك ما يعرف، وبقدر ما أستطيع أن أرى في الوقت الحاضر، فإنّ المعرفة هي إدراك حسّي بكلّ بساطة.

سقراط: قول شجاع، يا ولدي. إنّ هذه هي الطريقة التي يجب أن توضح بها حقيقة رأيك. والآن، دعنا نفحص معاً إدراكك هذا، ونرى إذا ما كان خصيباً أو أنّه مجرّد بيضة فاسدة: تقول أنت إنَّ المعرفة هي إدراك حسّيّ؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: حسناً، إنّك أنقذت نفسك من تعليم مهمّ جداً بشأن المعرفة؛ إنّ هذا الرأي هو رأي بروتاغوراس حقاً، مع أنّ لديه طريقة أخرى لإيضاح الفكرة عينها. يقول « إنّ الإنسان هو مقياس كلّ الأشياء، إنّه المقياس لوجود الأشياء التي تكون، ومقياس للاوجود الأشياء التي لا تكون »: إنّك قرأت هذه العبارة في أعماله؟

ثياتيتوس: أوه نعم، قرأتها مراراً.

سقراط: ألا يقول « أو يعني » أنّ الأشياء تكون لك مثلما تظهر لك، وتكون لي كما تبدو لي، وأنّنا أنت وأنا رجلان؟

ثياتيتوس: نعم، إنّه يقول ذلك.

سقراط: إنّ رجلاً حكيماً مثله لا يتكلّم سفاسف على الأرجح. دعنا نحاول فهمه: خذ مثلاً، إنّ الريح عينها تهبّ من كل صوب، وبرغم ذلك فإنّ واحداً منّا يمكن أن يشعر بالبرد وأن لا يشعر الآخر به، ويمكن لواحد منا أن يشعر بالبرد بشكل طفيف وأن لا يشعر به الآخر؟

ثياتيتوس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وبعدُ أتكون الريح باردة في هكذا وقت أم لا، ليس بالنسبة لنا بل على نحوٍ قاطع؛ أو هل يمكننا أن نقول، كما قال بروتاغوراس، إنّ الريح تكون باردة لمن يكون بارداً، أو إنّها ليست كذلك لمن لا يكون بارداً؟

ثياتيتوس: أفترض الرأي الأخير.

سقراط: وعلاوة على ذلك، فإنّ الريح تظهر كذلك لكلّ منهما؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: « وتظهر له » تعني الشيء عينه مثلما « يُدرِك هو بالحسّ ».

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: إذن فإنّ الظهور للعيان والإدراك بالحسّ يتطابقان في حالة الحرّ والبرد، وفي حالات أخرى مشابهة. لأنّنا يجب أن نسلّم بأنّهما يكونان لكلّ إنسان كما يدركهما بالحسّ فقط مثلما يكونان حقاً.

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ الإدراك الحسّي يكون في وجودٍ على الدوام، وكونه الشيء عينه كالمعرفة فهو لا يخطىء؟

ثياتيتوس: بوضوح.

سقراط: باسم النعم الإلٰهيّة، كم كان بروتاغوراس رجلاً حكيما وكليّ القدرة! لقد تفوّه بهذه الأشياء للجمهور العامّ في مثلٍ رمزيّ ذي مغزىً أخلاقي، مثلما

فعلتَ أنت وأنا، لكنّه أخبر الحقيقة « حقيقة »[١٧] إلى أتباعه سرّاً.

ثياتيتوس: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: سأشرح لك وأُخبرك عن محاورة سامية، محاورة تعلن أن لا شيء في العالم يكون واحداً بنفسه، أو يمكن أن يُدعى هذا بحق أو من هذا النوع؛ لكن إذا سمّي أيّ شيء كبيراً فسيظهر أنّه صغير أيضاً، وإنْ دعي ثقيلاً فسيبدو خفيفاً، وهكذا دواليك. ليس هناك شيء واحد، لا هذا، ولا ذلك. وإنّ كلّ تلك الأشياء التي نعلن أنّها تكون تأتي إلى الوجود من الحركة، والتغيير، ومن المزج مع بعضها بعضاً. وإن وجب التكلّم بشكل غير صحيح، فإنّه لا يوجد وجود على الإطلاق، بل توجد صيرورة دائمة ومستمرّة. يمكن افتراض أنّ كلّ الفلاسفة المتعاقبين اتّفقوا معك في هذا، يا بروتاغوراس، ما عدا بارميندس، أخصّ بالذكر منهم هيراقليطس، ايمبادوقلوس وبقيّة الفلاسفة. وهكذا يمكن أنّهم فعلوا فعل الأسياد العظماء لنوعي الشعر الهزلي والمأساوي، أيْ أوجدوه ـ هناك ايبخارموس، أمير الشعر الهزليّ، وهوميروس أمير الشعر المأساويّ؛ وعندما يغنّي الأخير عن:

المحيط حيث نشأت الآلهة، والأم تيثوس،

ألا يعني أنّ كلّ الأشياء تكون نتاج التغيّر المتواصل أو السيلان الدائم ونتاج الحركة؟

ثياتيتوس: أحسب ذلك.

سقراط: ومَنْ يستطيع حمل السلاح ضدّ جيش عظيم كهذا قائده هوميروس بدون أن يتعرّض للهزء؟

ثياتيتوس: من يستطيع فعل ذلك حقاً؟

سقراط: نعم، يا ثياتيتوس: لأنّ هناك بعض البراهين الأخرى المقنعة وهي أنّ الحركة هي أصل ما يسمّى بالوجود والصيرورة والسكون للاوجود والدمار. لقد

ولدت النار والحرارة بادىء ذي بدء من الحركة الموضعيّة والاحتكاك، اللذين يمكن افتراضهما أنّهما أصْلا كلّ الأشياء وحارساها، وهما شكلا الحركة في المعنى الأوسع والأشمل. أليسا كلاهما أصل النار؟

ثياتيتوس: إنّهما لكذلك.

سقراط: ومرّة ثانية فإنّ جنس الحيوانات يكون متولّداً بالطريقة عينها؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: ألاَ تُفسَد بنية الجسد بالراحة والكسل، غير أنّها تُحفظ بالحركة والتمارين الرياضية لوقت طويل؟

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: وماذا عن السلوك العقليّ؟ ألا تكتسبه الروح وتحتفظ به بالعلم، وتتحسّن بذلك بشكل عامّ؟ إنّها تقوم بهذا بالدراسة والانتباه والاهتمام « وتكون هذه الأفعال حركات »، مع أنّها تبقى جاهلة وعرضة للنسيان من خلال الراحة والسكون، وتنسى أيّ شيء تعلمته، وهذا الذي يكون في الروح، يعني الغباء والحماقة أو الافتقار للتدريب العقليّ ما دام سببه الراحة.

ثياتيتوس: صدقاً.

سقراط: إنّ الحركة جيّدة، والسكون سيّىء، للروح والجسد على حدّ سواء.

ثياتيتوس: يبدو هكذا.

سقراط: هل أحتاج للمتابعة فأذكر السكون العديم النَفَس، وما شابه السكون الذي يبدد ويفسد، في حين أنّ الريح والعاصفة يحفظان ويقيان الموجودات. ويمكنني أن أورد المناظرة الرئيسيّة من بين كلّ المناظرات، والتي تكون السّلّة الذهبيّة في أعمال هوميروس، ويعني بها الشمس، مشيراً بذلك أنّها ما دامت الشمس والسماوات تدور في أفلاكها، فإنّ كلّ الأشياء الإنسانيّة والإلٰهيّة تكون وتُحفظ، لكن إذا قُيِّدت وتوقّفت حركتها، فسيكون كلّ شيء مدمَّراً، وكما يقال، فإنه سيُقلب رأساً على عقب.

ثياتيتوس: أعتقد، يا سقراط، أنّك أوضحت مغناه بحقّ.

سقراط: دعنا إذن نستعمل تعليمه بهذا الأسلوب، يا صديقي الصالح، وأن نطبّقه على البصر قبل كلّ شيء. أليس ما تسمّيه أنت لوناً أبيض، ألا يكون في عينيك، أو ليس هو شيئاً مميّزاً يوجد خارجهما؟ ولا يجب عليك أن تخصّص له أيّ مكان؛ لأنّه إذا امتلك موضعاً، فإنّه سيكون، ويكون في سكون، ولن يكون في عملية صيرورة.

ثياتيتوس: ما هو اللّون إذن؟

سقراط: دعنا ننفّذ المبدأ الذي أكّدناه لتوّنا، وأنّه لا وجود للشيء الذي يكون بذاته «PER SE»ويكون واحداً، ولسوف نرى حينئذ أنّ اللون الأبيض، الأسود، وكل لونٍ آخر، لسوف نرى أنّه يحدث خارج العين مقابلاً الحركة المناسبة، وأنّ اللون الذي نعزو له « الوجود » لا يكون العامل الفاعل والمنفعل في كلّ حالة، بل يكون شيئاً ما هو الذي يصبح بينهما، ويكون متميزاً في كل مدرك؛ لأنّك لن تثبت أنّ الألوان المتعدّدة تبدو لكلب أو لأيّ حيوان مهما يكن، مثلما تبدو لك؟

ثياتيتوس: إنّني لبعيد جداً عن ذلك.

سقراط: أو أنّ أيّ شيء يظهر لك أنّه الشيء عينه كما يبدو لإنسانٍ آخر؟ وهل أنت مقتنع بهذا وبهكذا تعمّق؟ أو على الأصحّ ألن يكون حقيقياً أنّ الشيء عينه لا يظهر لك أبداً أنّه الشيء عينه بالضبط، لأنك لست أنت الشيء عينه بالضبط؟

ثياتيتوس: إنّي لمقتنع بالرأي الأخير.

سقراط: وإن كان ذلك الذي أقارن نفسي به في الحجم، أو الذي أدركه باللمس، إن كان ذلك كبيراً أو أبيض أو حارّاً، فلا يستطيع أن يصبح مختلفاً بمجرّد الاحتكاك بمادة أخرى، في حين أنّ طبيعته الخاصّة لم تتغيّر في أيّة طريقة

على الإطلاق؛ ولا يمكن جعلها مختلفة مرّة ثانية بأيّ تقريب أو تأثير لأيّ شيء آخر إن كانت المادّة المقارَنة أو المدرَكة كبيرة أو بيضاء أو حارّة، بينما لم تتغيّر طبيعتَها الخاصّة. والحقيقة هي أنّنا نسمح لأنفسنا بالانقياد إلى التناقضات الأكثر سخرية وعجباً في طريقة كلامنا العادية، مثلما سيلاحظ هذا بروتاغوراس وكلّ الذين اختاروا خطّ مناظرته.

ثياتيتوس: كيف؟ ومن أيّ نوع تعني؟

سقراط: سيوضح مثالٌ صغيرٌ ما أعنيه بشكل كافٍ؛ عندما نقارن ستّة مكعبات بأربعة، نقول إنّها « أكثر » وإنها « مرّة ونصف » مثل ذلك العدد؛ وعندما نقارنها باثني عشر مكعّباً فإنّها تكون « أقلّ » وإنها « نصف » ذلك العدد من المكعّبات؛ وكل طريقة أخرى للكلام ليست مقبولة.

ثياتيتوس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: حسناً، إفترض إذن أنّ بروتاغوراس أو أيّ شخص آخر يسأل إن كان بإمكان أي شيء أن يصبح أكبر أو أكثر إن لم يحصل على ذلك بالزيادة، فكيف ستجيبه، يا ثياتيتوس؟

ثياتيتوس: عليّ أن أجيبه بـ« لا »، يا سقراط، إن كنت سأصرّح بما يجول في فكري بشأن السؤال الأخير، لكنّني إنْ فكّرت بسؤالي السابق، ستُلزمني الاستقامة بأن أقول « نعم ».

سقراط: ممتاز! ممتاز! إنّك تكلّمت كما يتكلّم الأشخاص الموحى لهم، يا ولدي! وإذا أجبت بـ« نعم » فستكون هناك حجّة مقنعة ليوريبايدس؛ وسيكون لساننا غير مقتنع بما قيل، وليس عقلنا.

ثياتيتوس: حقيقي جداً.

سقراط: إنّ السوفسطائيين الأصليين، الذين يعرفون كلّ الذي يمكن معرفته عن العقل، ويجادلون بسبب وفرة ذكائهم فقط، سوف يكون لديهم حفلة

مصارعة منتظمة فوق هذا، ولسوف ينقدون مناظراتهم نقداً لاذعاً على نحو متّصلٍ وبجودة. لكننا، أنت وأنا، اللذين لا تمتلك أيّة أهداف مهنيّة، نرغب فقط في رؤية ما هي العلاقة المشتركة لهذه المبادىء أو المعتقدات الأسا..ة، ـ وإذا ما كانت متماسكة مع بعضها بعضاً أو أنّها متناقضة.

ثياتيتوس: نعم، ستكون تلك أمنيتي بكلّ تأكيد.

سقراط: وإنّها أمنيتي لكذلك. لكن بما أنّ هذا هو شعورنا، وهناك وقت كافٍ للبحث، فلِمَ لا نعيد النظر ونفحص أفكارنا الخاصّة بهدوء وصبر، ولِمَ لا نختبر بالكامل ونرى ماذا تكون فينا هذه المظاهر بحق؟ وإذا لم أكن مخطئاً فإنّنا سنصف هذه المظاهر كالتالي. ـ أوّلاً، لا شيء يستطيع أن يصبح أكبر أو أصغر، لا في الحجم ولا العدد، في حين يبقى مساوياً لنفسه ـ إنّك ستوافق على هذا؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: ثانياً، إنّه بدون الجمع أو الطرح لا توجد زيادة أو نقصان لأيّ شيء، بل هناك مساواة فقط.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

سقراط: ثالثاً، إنّه لواضح بكلّ تأكيد أنّ الذي لم يكن قبلاً لا يمكن أن يكون فيما بعدُ، بدون الصيرورة أو أنّه قد صار؟

ثياتيتوس: نعم، إنّها تبدو هكذا.

سقراط: إنّ هذه الحقائق البديهيّة الثلاث يحارب بعضُها بعضاً في عقولنا، إذا لم أكن مخطئاً، كما في حالة المكعّبات، أو مرّة ثانية، كما هي في الحالة التي أُورِدها ـ إنْ قلتُ أنا، وأنا ذو القامة المحدَّدة الطول وأطول منك، أنت الذي لا تزال فتياً، إن قلت إنّه ليس بإمكاني أن أكون هكذا طويلاً ضمن سنة، بدون أيّ زيادة أو نقصان في علوّ قامتي ـ ليس لأنّه يلزمني أن أخسر بعض

طولي، بل لأنّك ازددت أنت طولاً. إنّني أكون حينئذ في هكذا حالة ما لم أكنه مرّة قبلاً، ومع ذلك فإنّي لم أصبح؛ لأنّني لم أستطع أن أصبح بدون الصيرورة، ولا يمكنني أن أصبح أصغر. بدون فقدان بعضٍ من علوّ قامتي. وأقدر على أن أعطيك عشرة آلاف مثال عن تناقضات مشابهة إذا ما اعترفنا بها على الإطلاق. أعتقد بأنّك تتابعني بانتباه، يا ثياتيتوس؛ لأنّي أشتبه بأنّك سمعت عن إثارة هذه الأسئلة قبل الآن؟

ثياتيتوس: نعم، يا سقراط، وتتملّكني الدهشة حينما أفكّر بها؛ بالله إنّني لكذلك! وأريد أن أعرف منك ماذا تعني بالذي تقوله. وهناك أوقات يصاب رأسي أثناءَها بدوار تماماً عندما أفكّر فيها مليّاً.

سقراط: إنّني أرى، يا عزيزي ثياتيتوس، بأنّ ثيودورس كان لديه تبصّر حقيقي في طبيعتك عندما قال بأنّك كنت فيلسوفاً. لأنّ التعجّب أو الانشداه هو شعور الفيلسوف، وتبدأ الفلسفة به. إنّ ثيودورس لم يكن اختصاصياً سيّئاً بعلم الأنساب الذي قال إن أيريس « رسولة السماء » هي طفلة توماس « التعجّب ». لكن هل بدأت ترى ما هو تعليل هذا الإرباك بناءً على الفرضيّة التي تنسبها لبروتاغوراس؟

ثياتيتوس: لم أستطع رؤيته لحدّ الآن.

سقراط: إذن فإنّك ستكون ملزماً نحوي إنْ ساعدتك كي أكتشف « الحقيقة » المخبّأة لرجلٍ شهير أو لمدرسة ممتازة؟

ثياتيتوس: لتكن متأكّداً، إنّني سأكون ملزماً نحوك كثيراً جداً.

سقراط: أنظر حولك، إذن، وتَرَ أن لا أحد من الذين لم يطّلعوا على الأسرار المقدّسة يكون مستمعاً لِمَا نقول. وبعدُ فإنّني أعني بالذين لم يطّلعوا على الأسرار المقدّسة الناس الذين يعتقدون أن لا شيء يكون باستثناء الذي يستطيعون أن يمسكوه بأيديهم، والذين لا يجيزون الاستطاعة للعمل أو

للتولّد أو لأيِّ شيء مرئيّ، لا يجيزون لها إمكانية امتلاكها وجوداً حقيقياً.

ثياتيتوس: حقّاً، يا سقراط، إنّهم هم أنفسهم نوع من الرجال الصُّلب القساة جداً.

سقراط: نعم، يا ولدي، إنّهم برابرة خارجيّون. أمّا الأخوة الذين أنا على وشك كشف أسرارهم السريَّة المقدَّسة لك، فإنّهم أكثر براعة ببعدٍ كبير، ومبدأهم الأوّل أنّ الكلّ يكون حركة، ويُفترض أن تعتمد على هذا كلّ التأثيرات التي تكلّمنا عنها لتوّنا الآن. الكلّ يكون حركة، ولا شيء آخر يوجد أو يبقى. إنّها الحركة التي تمتلك شكلين، الشكل الأوّل فاعل والثاني منفعل، وكلاهما لا نهائيّ في العدد، وتولَّد من اتحادهما المدرَكُ بالحسّ، والإحساسُ الذي سيبين معه على الدّوام، ويُخلقان معه في اللحظة عينها. والإحساسات لها أسماؤها المتعدّدة مثل البصر، السمع، الشمّ، الحرارة والبرودة. هناك إحساسات الملذّات أيضاً، الألم، الرغبة، الخوف، والعديد من الإحساسات الكثيرة الأخرى التي تمتلك أسماء، وكذلك الإحساسات التي لا أسماء لها؛ ويمتلك كلّ منها مادّته الحاسَّة؛ كلّ نوع من أنواع البصر له نوع مطابق من أنواع اللون، وكل صنف من أصناف السمع يمتلك ضرباً مطابقاً من ضروب الصّوت، وهناك أشياء حاسَّة ملائمة لكلّ أنماط الإحساس. هل ترى، يا ثياتيتوس، تأثيرات هذه الرواية على المناظرة السابقة؟

ثياتيتوس: إنّني أراها حقاً.

سقراط: إصغِ إليَّ إذن، وسأحاول أن أنهي القصة التي بدأتها. إنّ فحوى كل ما قلته هو أنّ هذه الأشياء جميعها تكون في حركة، كما كنت قائلاً، وأنّ هذه الحركة تكون حركة من نوعين: أبطأ وأسرع؛ والعناصر الأبطأ لها حركاتها في المكان عينه ومن جهة الأشياء التي بقربها، وهكذا توجد هي. لكن ما يكون موجوداً يكون أسرع لأنّه يُحمل جيئة وذهاباً، وأمّا حركته فتكون من مكان إلى مكان. دعنا نستعمل هذا لِمَا يخصّ الإحساس

فنقول: - عندما تتقابل العين والهدف المناسب معاً، ويهبان الولادة إلى البياض ويتماثل الإحساس معهما من حيث الطبيعة، والذي لا يُستطاع إعطاؤه بأيّ واحد منهما سائداً في مكان آخر، عندئذ، وفي حين يكون البصر متدفّقاً من العين، فإنّ البياض ينشأ من الشيء الذي يوحّد في إنتاج اللّون. وهكذا تكون العين ممتلئة بالرؤية، وترى بحقّ، ولا تصبح البصر، بل تصبح عيناً رائية؛ ويكون الشيء الذي اتّحد ليشكّل اللون، يكون ذلك الشيء ممتلئاً بالبياض، ولا يصبح بياضاً بل يصبح شيئاً أبيض، سواء إذا كان هذا الشيء خشباً أو حجراً أو مهما يمكن أن يكون ذلك الشيء الذي يحدث ليكون قد اصطبغ باللون الأبيض، ويكون هذا حقيقياً عن كلّ الأشياء المحسوسة، الصلب منها، الحارّ، وما شابه، والتي يجب اعتبارها كأنّها لا تمتلك أيّ وجود مطلق بشكل مماثل، كما كنت قائلاً، بل وكأنّها كلّها أو مهما يمكن أن يكون نوعها، كأنّها متولّدة بالحركة في اتّصالها بعضها مع بعض. وكما يقولون، فإنّ الفاعل والمنفعل لا يكونان تصوّراً جديراً بالثقة أثناء وجودهما في انفصال. والفاعل لا يمتلك وجوداً ما لم يتّحد مع المنفعل. وبالمقابل فإنّ المنفعل لا يمتلك وجوداً إلى أن يتّحد مع الفاعل. وذلك الذي يصبح فاعلاً بالوحدة مع شيء ما، فإنّه يكون متحوّلاً إلى منفعل بالالتقاء مع شيء ما آخر. وينشأ من كلّ هذه الاعتبارات أو التأمّلات، كما قلت في البداية، نشأ منها انعكاس أو تفكير عام، وهو أنّه لا يوجد شيء واحد موجود بذاته؛ بل إنَّ كلّ شيء يكون صائراً في اتّصال. ويجب أن يكون الموجود مُبطلاً تماماً. وبرغم ذلك فإنّنا مجبرون على أن نستبقي استعمالنا لهذا الاصطلاح حتّى في هذا البحث. غير أنَّ هؤلاء الرجال الحكماء يخبروننا بأنّنا يجب أن لا نسمح لا للكلمة « شيء ما »، ولا « خاصّ بشيء ما »، ولا « لي »، ولا « هذا »، ولا « ذلك »، ولا أيّ

اسم آخر الذي سيُحضر الأشياء إلى توقّف، بل يجب أن نتكلّم عنها كصيرورة، مثلما تفرض الطبيعة، ككونها مصنوعة، ككونها مدمّرة، ومتغيرة، والذي يحاول أن يثبّتها ويجعلها غير متحرّكة فإنّ نقضه سهلٌ تحقيقه، وينبغي أن تكون هذه الطريقة طريقة الكلام، ليس عن الخاصّ فقط بل عن المجموع أو الكلّ. أمّا ذلك المجموع أو الكلّ فيُعبَّر عنه بالكلمة « رجل، أو « حجر » أو أيّ اسمٍ لحيوانٍ أو لصنف. أوه يا ثياتيتوس، أليست هذه التأمّلات حلوة كالعسل؟ أوَلا تحبّ أن تتذوّقها بفمك؟

ثياتيتوس: إنّني لا أعرف ما تقوله، يا سقراط؛ فأنا لا أستطيع أن أميّز حقّاً سواء إن كنت مبدياً رأيك الخاص أو مريداً إغرائي كي أتكلّم بحريّة.

سقراط: لقد نسيت، يا صديقي، بأنّني جاهل ولا أدّعي بأنّ هذه النظريات هي ملك لي؛ وأنت الشخص المرهق بثقلها الكادح فيها، ولست أنا سوى القابلة العاقرة. ولهذا السبب فإنّني أخفّف آلامك، وأقدّم لك الشيء الجيّد الصالح الواحد تلو الآخر، كي يمكنك تذوّقها جميعاً، وآمل بأن أتمكّن من مساعدتك أخيراً في أنْ تسلّط الضوء على رأيك الخاصّ. وعندما يتمّ ذلك، فإنّنا سنقرّر حينئذ إذا ما كان الذي ولّدته بيضة فاسدة أو حقيقة حيّة. ولهذا السبب أبقِ على نفسك في حالة جيدة، وأجبني مثلما يجيب الرجل وبما تفتكر به.

ثياتيتوس: إسألني.

سقراط: سأسألك مرّة ثانية، إذن: أيكون هذا الرأي رأيك وهو بأنّه لا يوجد شيء كالموجود الخيّر والجميل وهكذا دواليك، بل توجد صيرورة؟

ثياتيتوس: عندما أسمعك متحدثاً في هذا النمط، فإنّني أعتقد بأن هناك مقداراً عظيماً فيما تقول، وإنّي لجاهز تماماً كي أوافق عليه.

سقراط: دعنا لا نترك المناظرة قبل أن ننهيها، إذ ما يزال هناك اعتراض يجب

اعتباره ويمكن إثارته بخصوص الأحلام والأمراض، وبشأن الجنون بشكل خاصّ، وكذلك بشأن الأشياء الخادعة للسمع والبصر، أو الحواسّ الأخرى. فأنت تعرف أنّ النظرية التي قد عيّنتها في كلّ الحالات تبدو أنّها منقوضة بشكل جليّ، بما أنّنا نمتلك في الأحلام وفي الأشياء الخادعة إدراكات أو تصرفات زائفة بكلّ تأكيد؛ وأنّنا أبعد ما نكون عن القول بأنّ كلّ شيء يظهر لأيّ إنسان يكون، وينبغي علينا بالأصحّ أن نقول بأنّ لا شيء يظهر يكون.

ثياتيتوس: حقيقيّ جداً، يا سقراط.

سقراط: لكن، يا ولدي أيّة مناظرة بقيت بعدئذ لِمَنْ يثبت أوْ يتمسّك بأنّ المعرفة هي إدراك حسّيّ، أو أنّ الحقيقة تكون لكلّ إنسان مثلما تظهر له لتكون بحقّ؟

ثياتيتوس: أخاف أن أقول، يا سقراط، بأنه ليس لديّ أيّ شيء لأجيب، ولأنّك وبّختني لتوّك الآن لتقديمي هذا العذر. غير أنّني لا أستطيع الشروع في المجادلة بكلّ تأكيد وأقول إنّ الرجال المجانين أو الحالمين لا يفتكرون بزيف عندما يتصوّرون أنّ بعضهم يكون آلهة، ويستطيع بعضهم الآخر أن يطير، وأنّهم يسبحون في الهواء عند نومهم.

سقراط: هل ترى سؤالاً آخر يمكن طرحه بشأن هذه الظاهرة، وممّا يجدر ذكره بشأن الحلم واليقظة؟

ثياتيتوس: أيّ سؤال؟

سقراط: إنّه السؤال الذي أفتكر بأنك سمعتَ أشخاصاً يطرحونه غالباً: كيف تستطيع أن تقرر إذا ما كنا نائمين في هذه اللحظة، وأنّ كلّ أفكارنا تكون حلماً؛ أو إذا كنّا مستيقظين، ومتكلمين بعضنا مع بعض في حالة يقظة؟

ثياتيتوس: حقاً، يا سقراط، إنّني لا أعرف كيف يُستطاع تقرير ذلك، لأنّ الحقائق

تتطابق في كلتا الحالتين بالضبط؛ وليس هناك صعوبة في الافتراض أنّنا كنا متكلّمين بعضنا مع بعض في كلّ هذه المحادثة في حلم. ونحن عندما نكون في هذه الحالة نبدو أنّنا نقصُّ أحلاماً. إنَّ تشابه الحالتين الاثنتين شيء مذهل تماماً.

سقراط: ترى أنت إذن، أنَّ الشكّ بشأن حقيقة الإحساس يثار بسهولة، بما أنّه يمكن إيجاد شكّ سواء إذا كنا مستيقظين أو حالمين. ومثلما يكون وقتنا مقسّماً بشكل متساوٍ بين اليقظة والحلم، فإنّ الروح تناضل في كلا الميدانين كي تثبت أنّ الأفكار التي تكون حاضرة لعقولنا في الوقت عينه تكون أفكاراً حقيقيّة؛ ونؤكّد أثناء نصف حيواتنا حقيقة النصف الأوّل، وحقيقة النصف الآخر أثناء نصف حيواتنا الأخرى، ونحن واثقون منهما كليهما بشكلٍ متساوٍ.

ثياتيتوس: الأكثر حقيقة.

سقراط: أوَلا يمكن أن يُقال الشيء عينه عن الجنون والاضطرابات الأخرى؟ إنّ الفرق الوحيد هو أنّ الأوقات أو الأزمنة ليست متساوية.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: وهل ستقرّر الحقيقة أو الباطل بدوام الزمن؟

ثياتيتوس: سيكون ذلك مضحكاً في طرائق متعدّدة.

سقراط: لكن هل تستطيع، بأيّة وسائط أخرى، أن تقرّر أيّاً من هذه الآراء يكون رأياً حقيقياً؟

ثياتيتوس: لا أعتقد بأنّني أقدر على ذلك.

سقراط: إستمع، إذن، إلى الإيضاح عن الحقائق عينها، الذي يمكن إعطاؤه بإبطال المظهر. سيسألون هم، كما أتصوّر: عندما يكون شيء واحد مختلفاً، فهل يمكنه أن يحوز أيّة قوّة بالاشتراك مع ذلك الشيء الآخر؟ ولاحظ،

يا ثياتيتوس، أنّ الكلمة « آخر » لا تعني « آخر جزئياً » بل تعني « آخر كليّاً ».

ثياتيتوس: بالتأكيد، وواضعاً السؤال كما تفعل، فإنّ ذلك الذي يكون آخر كليّاً لا يستطيع أن يَكون الشيء عينه لا في قوته ولا في أيّة طريقة أخرى.

سقراط: ويجب الاعتراف بأنّه يكون غير متشابه لهذا السبب؟

ثياتيتوس: صدقاً.

سقراط: إذا حدث أيّ شيء حينئذ كي يصبح شبيهاً أو غير شبيه بنفسه أو بالآخرين، فإنّنا سنقول في حين أنه يصبح شبيهاً فإنّه يكون صائراً الشيء عينه، وبينما يصبح غير متشابه، فإنّه يكون الآخر.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: ألم نقل إنّ هناك عدّة فاعلين وإنّهم غير محدودين في العدد، وكذلك قلنا بالنسبة إلى المنفعلين؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: وإنّ كلاً من هؤلاء أيضاً سينتج ذريّة لا تكون الشيء عينه بل مختلفة، وإنّهم مع شريك مغاير؟

ثياتيتوس: بدون ريب.

سقراط: دعنا نأخذك أنت أو أنا، أو أي شخص آخر كمثال: هناك سقراط المعافى، وسقراط المريض ـ هل هما متشابهان أو غير متشابهين؟

ثياتيتوس: تعني أنت مقارنة سقراط المعافى ككلّ، بسقراط المريض تماماً؟

سقراط: بالضبط؛ إنّ هذا هو ما أعنيه.

ثياتيتوس: أجيب بأنّهما غير متشابهين.

سقراط: وإنْ كانا غير متشابهين، فإنّهما يكونان غيراً أيضاً؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: أو لن تقول الشيء عينه عن سقراط النائم والمستيقظ، أو عن أيّة حالة أخرى من الحالات التي ذكرناها؟

ثياتيتوس: عليَّ أن أقول ذلك.

سقراط: سيتبع أنّ كلّ شيء يكون فاعلاً بالطبيعة، سيجد منفعلاً مختلفاً في سقراط، طبقاً لِمَا يكون عليه من التحسّن أو المرض؟

ثياتيتوس: طبعاً.

سقراط: وأنا الذي أكون الفاعل، وذلك الذي يكون المنفعل، سنُحدث شيئاً ما متبايناً في كلٍّ من الحالتين الاثنتين؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: إنّ النبيذ الذي أشربه عندما أكون معافىً، يظهر لي حلو المذاق لذيذ الطعم؟

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: لأنّ الفاعل والمنفعل، طبقاً لتصوّرنا المعترف به، يتقابلان معاً وينتجان حلاوة وإدراكاً حسياً للطعم الحلو الذي يكون في حركة متزامنة، ويجعل الإدراك الحسيّ الذي يأتي من الفاعل، يجعل اللسان مميِّزاً لها. أمّا نوعية الحلاوة التي تنشأ من ذلك وتكون متحرّكة حول النبيذ هنا وهناك، فإنّها تجعل النبيذ ليكون وليظهر حلواً للّسان السليم.

ثياتيتوس: بالتأكيد؛ لقد اعترفنا بذلك مسبقاً.

سقراط: لكن عندما أكون مريضاً، فإنّ النبيذ يفعل على شخص آخر ومختلف بادىء ذي بدء؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: مرّة ثانية، إذن، فإنّ تركيب جرعة النبيذ، وسقراط الذي يكون مريضاً، يُحدثان نتيجة مختلفة تماماً. هي إحساس المرارة في اللسان، وحركة المرارة في وحول النبيذ الذي لا يصبح مرارة بل شيئاً مرّاً ما. تماما مثلما لا أصير أنا نفسي الإدراك الحسّيّ بل المميِّز لذلك؟

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: ليس هناك شيء آخر سأحوزه أبداً، له الإدراك الحسّي عينه، لأنّ الشيء الآخر سيعطي إدراكاً حسيّاً آخر، وسيجعل المميّز له غيراً ومختلفاً؛ ولا يقدر ذلك الشيء الذي يؤثر فيّ، أن ينتج الشيء عينه، عندما يلتقي بفاعلٍ آخر، أو أن يصبح متشابهاً، لأنّ ذلك سيحدث نتيجة مختلفة أيضاً من فاعلٍ ثانٍ، ويصير مغايراً.

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: ولا أستطيع أن أمتلك هذا الإحساس بنفسي، ولا يستطيع الشيء أن يحوز هذه النوعية بنفسه.

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

سقراط: وإنّه لضروري إن شئت أن أصبح مدركاً أو مميّزاً أن أتصل بشيء - لا يمكن وجود هكذا شيء كالمدرك عن طريق الحواسّ واللاّمدرِك لأيّ شيء. وأنّ الشيء سواء إذا أصبح حلواً، مرّاً، أو من أيّة نوعيّة أخرى، يجب أن يمتلك علاقة بالمميّز أو المدرِك. لا شيء يمكن أن يصير حلواً وهو ليس حلواً لأيّ شخص.

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّ الاستنتاج هو أنّنا نحن « الفاعل والمنفعل » نكون أو نصبح في علاقة بعضنا ببعض. هناك قانون يربطنا معاً، لكنّه لا يربطنا بأيّ وجود آخر، ولا يربط كلاً منّا بنفسه. ولهذا السبب فإنّنا نقدر على أن نكون مرتبطين بعضنا ببعض فقط. وهكذا فإنّه سواء إذا فضّل شخص أن يقول إنّ شيئاً يكون أو إنّه يصبح، يجب عليه أن يقول إنّه يكون أو يصبح إلى أو مَنْ أو في علاقة بشيء ما آخر. ينبغي عليه أن لا يقول أو أنْ يسمح لأيِّ شخص آخر أن يقول إنّ أيّ شيء يكون أو يصبح على نحو قاطع. هذا هو استنتاج الفكرة التي أوضحناها.

ثياتيتوس: حقيقيّ جداً، يا سقراط.

سقراط: إذن، إذا كان ذلك الذي يفعل عليَّ له علاقة بي وليس بأيّ شخص آخر، فإنّني أكون أنا المدرِك أو المميِّز له وليس أي شخص آخر؟

ثياتيتوس: طبعاً.

سقراط: إذن فإنّ إدراكي الحسّي يكون حقيقيّاً لي، كونه غير منفصل عن « كينونتي » الخاصّة. وكما يقول بروتاغوراس، إنّني أكون الحَكَم للّذي يكون لي والذي لا يكون.

ثياتيتوس: إنّني أفترض هكذا.

سقراط: كيف أستطيع إذن، بما أنّني لا أخطىء أبداً، وبما أنَّ عقلي لا يزال في إدراك الوجود أو الصيرورة، كيف أستطيع أن أخفق في معرفة ذلك الذي أدركه أو أتصوّره؟

ثياتيتوس: إنّك لا تستطيع.

سقراط: إذن فإنّك كنت محقّاً تماماً في التأكيد على أنّ المعرفة هي إدراك حسّي فقط؛ ويُثبت المعنى أنّه يكون الشيء عينه في النهاية، سواء إذا كان هذا ما عناه هوميروس وهيراقليطس، وكلّ تلك الجماعة. ويقول أحدهم إنّ الكلّ يكون حركة وسيلاناً دائماً، أو إنّه سواء ما عناه الحكيم الكبير بروتاغوراس بقوله إنّ الإنسان هو مقياس كلّ الأشياء؛ أو ما عناه ثياتيتوس عندما قال: إنَّ بإعطاء هذه المقدمات المنطقيّة فالمعرفة تكون إدراكاً حسيّاً. ألست محقّاً، يا ثياتيتوس، وهل يمكننا أن نقارن هذا بالطفل المولود جديداً الذي وهبته الولادة بمساعدتي؟ فماذا تقول؟

ثياتيتوس: لا أستطيع إلاَّ أن أوافقك على ما تقول، يا سقراط.

سقراط: يكون هذا هو المولود إذن، مهما يمكن أن يصبح، والذي أحضرناه إلى العالم بصعوبة. وبعدُ فإنّه قد وُلِد، ويجب علينا أن نطوف البيت معه، ونرى

أنّه إذا كان مخلوقاً جديراً بالتنشئة، أو أنّه بيضة فاسدة فقط وشيء زائف. أيكون هو ليربّى في أيّة حال، وأن لا نتخلّى عنه؟ أو أنّك ستتحمّل رؤيته مُمتَحَناً، وأن لا تقع تحت أيّ تأثير عاطفي إنْ سلبتك أنا مولودك البِكْر؟

ثيودورس: إنّ ثياتيتوس لن يغضب، لأنّه ذو طبيعة جيّدة جداً. لكن قل لي، يا سقراط، قل لي باسم السماء، ما الذي يمكن أن يقال دحضاً لكلّ هذا؟

سقراط: أنت محبّ للنظريات، يا ثيودورس، وتتوهّم الآن بكل براءة أنّك كِيْس ممتليء بها، وأستطيع أن أُخرج من هذا الكيس واحدتها والتي ستطيح بسابقتها. لكنك لا ترى أنّ أيّاً من هذه النظريات تصدر عنّي في الواقع، بل إنّها تصدر من الشيء الذي يتكلّم معي. إنّني أعرف فقط كيف أستخلصها من حكمة الغير، وأن أتلقاها بنفسيّة عادلة. والآن لن أقول أيّ شيء، بل سوف أكافح كي أستخرج شيئاً ما من صديقنا الفتيّ.

ثيودورس: إفعل كما تقول، يا سقراط؛ فإنّك محقّ تماماً.

سقراط: هل سأخبرك، يا ثيودورس، ما يدهشني في رفيقك بروتاغوراس؟

ثيودورس: ما هو؟

سقراط: إنّني مسحور بتعاليمه وتعليمه، وهو أنّ ما يظهر إلى كل شخص يكون، لكنّي أتعجب لأنه لم يبدأ كتابه عن الحقيقة بإعلان أنّ الخنزير أو الكلب الذي يشبه وجهه وجه القرد، أو أيّ مخلوق ما آخر غريب الشكل ويمتلك إحساساً يكون مقياس كلّ الأشياء. كان بإمكانه أن يبيّن حينئذ احتقاراً مهمّاً لرأينا عنه بإخبارنا في البدء أنّه بينما كنا نبجّله كإلهٍ لحكمته، يبدو أنّه ليس بأكثر ذكاء من فرخ الضفدع، بغضّ النظر عن رفاقه الرجال. ألن تقول هكذا، يا ثيودورس؟ وإذا كان الحُكْمُ الذي يشكّله كلّ إنسان من خلال الإحساس حقيقيّاً له، ولا يستطيع أيّ إنسان إمّا أن يميّز مشاعر الآخرين أفضل ممّا يميّزها هو، أو أنّه يمتلك أيّ حقّ أسمى كي يقرّر إذا ما كان رأيه

حقيقياً أو مزيّفاً، بل يكون كلّ إنسان القاضي المنفرد لنفسه، كما كرّرنا ذلك مرّات عديدة، وإنّ كلّ شيء يعطي به حُكما يكون حكماً صادقاً وصحيحاً، فلِمَ، يا صَديقي، يجب أن يفضّل بروتاغوراس ليجلس في مكان الحكمة والتعليم، ويستحقّ أن يُدفع له جيّداً لقاء ذلك، ويلزمنا، نحن الأشخاص التامّي الجهل، أن نذهب إليه، إذا كان كلّ إنسان هو المقياس لحكمته الخاصّة به؟ ألا يلزم أن يكون بروتاغوراس مربكاً ومهيّماً العامّة في هذا كلّه؟ إنّني لا أقول أيّ شيء عن المأزَق المضحك الذي أعتقد أنّ فنّ توليد الرجال الخاص بي وفنّ علم الجدل وُضِعا فيه؛ لأنّ المحاولة التي نحاولها لمراقبة أو دحض بعض الأفكار أو الآراء التي للآخرين سيكون نموذجاً مملاً ومنكراً للغباء. إن كان لكلّ إنسان ما يخصّه حقيقياً؛ ويجب أن تكون هذه الحالة إن كانت هي « حقيقة بروتاغوراس »، يجب أن تكون هي « الحقيقة الحقّة ». وإذا لم يكن الفيلسوف مسليّاً نفسه بشكل مجرّد بإعطاء الوحي من مقام كتابه.

ثيودورس: إنّ بروتاغوارس كان صديقاً لي، يا سقراط، كما قلت أنت، ولهذا السبب فإنّني لا أستطيع نقضه بشفتيّ، ولا أقدر على أن أضادّك عندما أتّفق معك. تفضّل إذن، وحاور ثياتيتوس مرّة ثانية فهو يبدو أنّه يجيب على أسئلتك بطريقة جيدة.

سقراط: إذا كنت ستذهب إلى قاعة المصارعة في لاقيدامونيا، يا ثياتيتوس، فسيكون لك الحقّ في أن تلقي نظرة على المتصارعين العراة، وبعضهم شكله هزيل، هذا إن لم تخلع ملابسك وتعطيهم فرصة للحكم على شخصك.

ثيودورس: لِمَ لا، يا سقراط، إن سمحوا لي بأن أبقى كمشاهد، كما تصورت، بأنّك ستفعل، وذلك نظراً لسنّي وصلابة بنيتي؛ دع شاباً فتيّاً أكثر مطواعيّة يحاول مباراتك، ولا تجرّني إلى حجرة الألعاب الرياضيّة.

سقراط: إنّ ما يكون عزيزاً عليك، يا ثيودورس، ليس مما يثير استيائي، كما يقول المثل، ولهذا السبب فإنّني سأعود إلى ثياتيتوس الحكيم: قل لي، يا ثياتيتوس، استنتاجاً لما قلتَ، ألا تستغرق في التعجّب، مثلي، عندما تجد أنّك، وبشكل مفاجىء، ارتفعت إلى مستوى أعقل الرجال، أو إلى مستوى الآلهة حقاً؟ لأنّك ستفترض أنّ مقياس بروتاغوراس ينطبق على الآلهة كما ينطبق على الرجال؟

ثياتيتوس: سأفعل بكلّ تأكيد، وأعترف لك، يا سقراط، بأنّي ضعت في التعجّب، وبينما كنّا منهمكين في استخراج معنى النظرية وهي أنّه ما يظهر لكل إنسان يكون حقيقيّاً له، فإنّني كنت مقتنعاً تماماً، لكن وجه الأشياء تغيَّر الآن.

سقراط: لماذا، يا ولدي العزيز، أنت فتيّ، ولهذا السبب فإنّ أُذنك ستلتقط الكلام بسرعة وسيتأثّر عقلك بالمناظرات الشعبيّة. إنّ بروتاغوراس، أو أي شخصٍ آخر يتكلّم بالنيابة عنه، سيقول، جواباً على ذلك بدون شكّ: يا أيّها الناس الصالحون، مسنّين وفتيةً، إنّكم تجتمعون وتحاضرون، وتُدخلون الآلهة في خُطبكم، والتي أُبعِدَ وجودها أو عدمه من كتاباتي وكلامي(١٨)، أو إنّكم تتحدّثون بشأن السبب لكون الإنسان قد أُسقِط من رتبته إلى مستوى البهائم، وتلك هي المناظرة التي يتكلّم بها الكثرة من الناس، غير أنّكم لا تقدّمون لكل ما تتقولونه كلمة برهان واحدة أو تعطون تعليلاً له. إنّ كل ما تورِدونَهُ في مقولاتكم ما هو سوى احتمال، وبرغم ذلك فمن الأفضل لكم ولثيودورس بكلّ تأكيد أن تتأمّلوا مليّاً إذا كنتم ميّالين للاعتراف بالمقارنات المحتملة والمعقولة في مسائل لها هكذا أهميّة. والذي يناظر من الاحتمال في علم الهندسة أو أيّ عالم آخر بالحساب، لن يساوي آصاً واحداً.

ثياتيتوس: لكن لا أنت ولا نحن، يا سقراط، سنكون مقتنعين بمناظرات كهذه.

سقراط: إذن فإنّك أنت وثيودورس تعنيان أنّه يجب علينا أن ننظر إلى المسألة بطريقة أخرى؟

ثياتيتوس: نعم، بطريقة أخرى تماماً.

سقراط: سنسأل إذا ما يكون الإحساس الشيء عينه كالمعرفة أو لا يكون؛ لأنّ هذه النقطة كانت النقطة الرئيسيّة في مناظرتنا، وبقصد هذا فإنّنا أثرنا العديد من تلك الأسئلة الغريبة، « ألم نفعل ذلك؟ ».

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: هل سنعترف بأنّنا نعرف حالاً كلّ ما ندركه بواسطة البصر أو السمع؟ كمثال، هل سنقول بما أنّنا لم نتعلّم، فإنّنا لا نسمع لغة الأغراب عندما يتكلّمون معنا؟ أو أننا سنقول بأنّنا نسمع ولهذا السبب نعرف ما يقولونه؟ أو مرّة ثانية، هل سنقول بأننا لا نرى الحروف عند تطلّعنا في الحروف التي لا نفهمها؟ أو هل سنثبّت أنّه يجب أن نعرفها عندما نراها؟

ثياتيتوس: سنقول، يا سقراط، بأنّنا نعرف ما نراه منها وما نسمع عنها حقاً ـ بمعنى أنّنا نرى ومن ثم نعرف صورة ولون الحروف، ونحن نسمع ونعرف ارتفاع أو انخفاض الصوت؛ لكنّنا لا ندرك بالبصر والسمع، ولهذا السبب فإنّنا لا نعرف. ذلك الذي يعلمه علماء النحو والصّرف والمفسّرون لهما.

سقراط: ممتاز، يا ثياتيتوس، ولن يكون تنازعٌ بخصوص هذا؛ لأنّني أريدك أن تنمو وتكبر؛ لكن تطلّع! هناك صعوبة أخرى ستعترضنا، ويجب عليك أن تنصحنا كيف سنصدها ونتغلّب عليها.

ثياتيتوس: وما هي هذه الصعوبة؟

سقراط: سيقول شخص ما، هل يستطيع الإنسان الذي عرف أيّ شيء أبداً، والذي لا يزال يحتفظ بذكرى لذلك الذي يعرفه، هل يستطيع أن لا يعرف ذلك الذي يتذكّره في الوقت عندما يتذكّر؟ أخشى أن تكون طريقتي مملّة

لطرح سؤال بسيط، والذي يكون فقط، سواء إن استطاع الإنسان الذي تعلَّم والذي يتذكَّر أن يخفق في أن يعرف؟

ثياتيتوس: مستحيل، ياسقراط؛ إنّ الافتراض هو افتراض غير سويّ؟

سقراط: هل أتكلّم بإسفاف، إذن؟ فكِّر: أليست الرؤية إدراكاً حسيَّاً، أليس البصرُ إدراكاً حسيَّاً؟

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: وإذا ثبت تعريفنا الحديث، فإنّ كلّ إنسانٍ يعرف ذلك الذي رآه؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: وبعدُ، فإنّك ستعترف بأن هناك شيئاً كالذاكرة؟

سقراط: نعم.

سقراط: أتكون هذه الذاكرة عن شيء ما أو عن لا شيء؟

ثياتيتوس: إنّها عن شيء ما، بالتأكيد.

سقراط: يكون ذلك عن الأشياء المتَعَلَّمة والمدرَكة حسيَّاً؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: يتذكّر إنسان غالباً ذلك الذي رآه؟

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: حتّى إنْ أغلق عينيه؟ أو أنه سينسى حينئذ؟

ثياتيتوس: مَنْ سيجرؤ أن يقول ذلك، يا سقراط؟

سقراط: لكنّنا يجب أن نقول ذلك، إن كانت المناظرة السابقة ستُصان؟

ثياتيتوس: ماذا تعني؟ إنّني لست متأكّداً تماماً من أنّني أفهم ما تقول، ومع ذلك فإنّ لديَّ اشتباهاً قويّاً بأنّك محقّ فيه.

سقراط: وهكذا: فإنّ من يَرَ يعرفْ ذلك الذي يراه، كما تقول؛ لأنّنا اعترفنا بأنّ الإدراك الحسيّ والبصر والمعرفة هي الشيء عينه.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: لكنّ الذي رأى، ويمتلك معرفة عن ذلك الذي رآه، يتذكّر عندما يطبق عينيه ذلك الذي لا يراه بعد الآن.

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: لكنّ الرؤية هي معرفة، ولهذا السبب فإنّ عدم الرؤية ليسَ معرفة؟

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: نستنتج إذن، أنّ الإنسان الذي نال معرفة شيءٍ ما، ولو أنّه لا يزال يتذكّر هذا، لا يمكن أن يعرفه بما أنّه لا يراه؛ ولقد أثبتنا ذلك بأنّه نظرية خاطئة إلى حدٍّ فظيع.

ثياتيتوس: الأكثر حقيقة.

سقراط: وهكذا إذن، فإنّ التأكيد على أنّ الإدراك الحسيّ والمعرفة هما شيء واحد، يبدو أنّه يتضمّن نتيجة مستحيلة.

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: يظهر أنّه يجب علينا أن نعود إلى سؤالنا الأصليّ، ما هي المعرفة؟ لكن قف، يا ثياتيتوس، أيّ شيء نقترح نحن كي نقوم به؟

ثياتيتوس: بشأن ماذا؟

سقراط: إنّنا قفزنا بعيداً عن المناظرة وصحنا صيحة الظفر، مثلما يفعل الديك الذي لا يساوي شروى نقير، بدون أن نحوز على النصر.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

سقراط: إنّنا كنّا مقتنعين على غرار أسلوب المتنازعين بمجرّد اتّساقٍ كلامي، وكنا مسرورين جدّاً إذ استطعنا أن نكسب ميزة بهذه الطريقة. وبرغم ذلك فإنّنا ادّعينا بأنّنا لسنا مجرّد جدليّين، بل فلاسفة. أشتبه بأنّنا وقعنا في الخطأ الذي تقع فيه تلك الطبقة من الأشخاص الحاذقين بدون أن ندري.

ثياتيتوس: إنّني لا أفهم ما تعنيه.

سقراط: سأحاول أن أوضح لك ذلك إذن. لقد طرحنا السؤال لتوّنا الآن، وهو إذا كان الإنسان الذي تعلّم وتذكّر يقدرَ أن يعرف، وأبنّا أنّ الشخص الذي رأى يمكنه أن يتذكّر عندما تكون عيناه مغلقتين ولا يستطيع أن يرى، وحينئذ يقدر على أن يتذكّر في الوقت عينه وأن لا يعرف؛ لكنّ هذا مستحيل. وهكذا فإنّ الاختلاق البروتاغوري وصل إلى لا شيء، شأنه في ذلك شأن ما ادّعيته أيضاً، وأنت الذي دافعت عن أنّ المعرفة تكون مثل الإدراك الحسيّ.

ثياتيتوس: يبدو هكذا.

سقراط: وبرغم ذلك، يا صديقي، فإنّني أشتبه على الأصح، بأنّه لو كان بروتاغوراس حيّاً، وهو الذي كان أبا المولود الأوّل من الطفلين الاثنين، فإنّه سيكون لديه مقدار عظيم كي يقول بالنيابة عنهما. لكنّ بروتاغوراس ميتٌ الآن، ونحن نهين طفله اليتيم، وحتّى الحماة الذين تركهم خلفه، والذين يُعتبر صديقنا ثيودورس واحداً منهم. فإنّهم غير مستعدّين لتقديم أية مساعدة، ولذلك فإنّي أفترض بأنّه يجب علينا أن نتبنّى قضيته بأنفسنا وأن نرى أنّ العدل قد تحقّق.

ثيودورس: لا يا سقراط، لستُ ممّن تصفهم بالحماة، بل إنّه كالياس بن هيبونيكوس على الأصحّ وهو وصيّه وحامي حماه. ومن جهتي فإنّني تحوّلت بسرعة كبيرة من مجردات علم الجدل إلى علم الهندسة. على كلّ حال، فسأكون شاكراً لك حسن صنيعك إذا ساعدتني.

سقراط: جيّد جداً، يا ثيودورس؛ وسترى كيف آتي لنجدتك حالاً. إن لم يُعْنَ الشخص بمعاني المصطلحات كما يتم استعمالها في المناظرات بشكلٍ عامّ، يمكنه أن يتورّط حتى في مفارقاتٍ أعظم من هذه حينئذ. هل سأوضح هذه القضيّة لك أوْ لثياتيتوس؟

ثيودورس: لكلينا، ودع الأفتى يجيب؛ وهو ستيعرّض لعارٍ أقلّ إن هُزِم وخاب فأله.

سقراط: دعني أسألك الآن إذن سؤالاً مرعباً على هذا النحو: هل يستطيع الإنسان نفسه أن يعرف وأن لا يعرف أيضاً ما لا يعرفه؟

ثيودورس: كيف سنجيب، ياثياتيتوس؟

ثياتيتوس: عليَّ أن أقول، إنّه لا يقدر.

سقراط: إنه يقدر، إذا ثبّت أنّ الرؤية هي معرفة. عندما تكون مسجوناً في بئر، كما يمكن أن يحدث، ويغلق خصمك الواثق من نفسه إحدى عينيك بيديه، ويسألك إذا ما كنت تستطيع أن ترى معطفك بالعين التي أغلقها. فكيف ستجيب هذا الإنسان الجواب المتعذّر اجتنابه؟

ثياتيتوس: عليَّ أن أجيبه « إنّني لا أرى معطفي بتلك العين بل بالعين الأخرى ».

سقراط: إذن فأنت ترى ولا ترى الشيء عينه في الوقت نفسه؟

ثياتيتوس: نعم، في معنى محدَّد.

سقراط: سيجيب هو، لا شيء من ذلك؛ إنّني لا أسألك أو آمرك كي تجيب في أيّ معنى تعرف أنت، بل إذا ما كنت تعرف ذلك الذي لا تعرف. لقد تمت البرهنة أنّك ترى ذلك الذي لا تراه؛ واعترفت أنت مسبقاً أنّ الرؤية هي معرفة، وأنّ عدم الرؤية ليس معرفة. أتركك الآن كي تستدلّ على الاستنتاج.

ثياتيتوس: نعم؛ إنّ الاستنتاج مناقض لتأكيدي.

سقراط: نعم، يا أعجوبتي. ومن الممكن أن يكون هناك أشياء أسوأ مختبّأة لك في المخزن مع ذلك، إذا واصل خصمك السؤال وسألك إن كنت تستطيع أن تعرف ما هو قريب لكن لا تعرف ما هو بعيد لمسافةٍ ما، أو أن تعرف الشيء عينه بحدّة أكثر أو أقلّ، وهكذا أسئلة بدون نهاية. تلك هي الأسئلة التي يمكن أن يوجهها إليك مرتزقٌ مسلحٌ تسليحاً خفيفاً. يجادل من أجل

الدفع. إنّه يتربص بك منتظراً ما ستجيب، وعندما أخذت موقعك مؤكداً أنّ الإحساس والمعرفة هما الشيء عينه، فإنّه سينقضٌّ عليك عند سماعه هذا الكلام مهاجماً حاسّة السمع، حاسة الشمّ، وكلّ الحواسّ الأخرى. وسيواصل هجومه هذا إلى أن يأخذك أسيراً، وذلك من حسدك وإعجابك بحكمته. وحالما يطبق عليك بشباكه، فإنّك لن تهرب إلى أن تصل إلى فهم بشأن المبلغ الذي يجب أن تدفعه كفدية لإطلاق سراحك. حسناً، أنت تسأل، وكيف سيعزّز بروتاغوراس موقعه؟ هل سأجيب لأجله؟

ثياتيتوس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: إنّه سيكرّر كلّ تلك الأشياء التي قد جادلنا بها نيابة عنه، وعندئذ فإنّه سيقبل عرضنا بازدراء، ويقول: - إنّ سقراط الفاضل يسأل الولد الصغير، إذا ما كان الإنسان نفسه يستطيع أن يتذكّر حالاً ولا يعرف الشيء عينه، وعندما يقول الولد كلاّ، لأنّه يكون مضطّرباً وغير قادر على أن يرى ما هو الآتي، يظهر بأنّه يتصوّر أنّه أوقعني في السخريّة. إنّ ذلك لحقيقي. أوه يا سقراط المبدّد وقتك، وهو أنّك عندما تطرح أسئلة بشأن أيّ توكيد أؤكّده، ويجد الشخص المسؤول نفسه متعثراً، ذلك إنْ أجاب كما يجب عليّ أن أفعل، وأصبح منقوضاً عندئذ، لكن إذا أجاب بشيء ما مغاير، فإنّه يكون مدحوضاً ولست أنا. وهل تفترض حقّاً قبل كل شيء أن أيّ شخص سيعترف بأنّ التذكّر الذي يحوزه إنسان عن انطباعٍ مضى، هل تفترض أنّ هذا الانطباع سيكون مشابهاً لذلك الذي اختبره أحياناً؟ إنّك لا تفترض هذا بالتأكيد. أو هل سيتردّد في الاعتراف بأن الإنسان نفسه يمكنه أن يعرف وأن لا يعرف الشيء عينه؟ أو، أنّه إذا كان خائفاً من هذا الاعتراف، فهل سيمنح تصديقاً قطّ للقول المعلن وهو أنّ الشخص الذي يكون صائراً غير متشابه يكون الشيء عينه مثلما كان قبل أن يصبح غير متشابه؟ أو هل

سيعترف هو على الأصح أنَّ إنساناً يكون واحداً على الإطلاق، وليس متعدّداً وغير محدود مثلما تكون التغييرات التي تأخذ مكانها فيه؟ لكن هل يجب علينا أن نتكلّم كلاماً مبرمجاً كي نحترس ضدّ النقد الدقيق لكلمات كلٍّ منّا؟ لا يا سيّدي الصالح، سيقول هو، إفحص وجهة نظري عينها بنفسيةٍ أكثر كرماً. وإمّا بيّن، إنْ استطعت، أنَّ إحساساتنا ليست خاصّة بكلّ فرد، أو إذا اعترفت بأنّها تكون هكذا، إعطِ برهاناً على أنَّ هذا لا يشمل العاقبة وهي أنّ المظهر يصبح، أو إذا ستحوز الكلمة « يكون » فإنّه « يكون » إلى الفرد فقط. وأمّا فيما يتعلّق بكلامك عن الخنازير والسعادين الضخمة، فأنت نفسك لا تتصرّف إلاّ مثلما يتصرّف الخنزير، وأنت تعلّم سامعيك كي يسخروا من كتاباتي بالأسلوب الجاهل عينه، لكنّ هذا ليس موضع فخرٍ لك. فأنا أعلن أنّ الحقيقة هي كما كتبت، وهي أنّه في حين يكون كلّ منّا مقياس الوجود واللاوجود، يمكن لإنسانٍ واحد أن يكون ألف مرّة أفضل من الإنسان الآخر وذلك من الحقيقة عينها وهي أنّ الأشياء المختلفة تكون وتظهر له. وإنّني لبعيد جدّاً عن قول إنّ الحكمة والإنسان الحكيم لا يمتلك وجوداً. غير أنّ تعريفي للإنسان العاقل هو بالضبط أنّه ذلك الذي يختار أيّاً من الذي يظهر الشرّ له، ويكون، وبتغييره يجعل الخير يظهر ويكون له البديل عنه. وإنني أستعطفك مرّة ثانية أن لا تؤكّد أنّ كلماتي تعني ما قلته عنها أخيراً، بل أن تدرك معناها مثلما سأوضحها لك. تذكّر ما قد قيل سابقاً، ـ إنّ الغذاء يظهر أنّه مُرّ للرجل المريض وهو كذلك، ويظهر ويكون العكس للرجل المُعافى. وبعدُ فإنّني لا أستطيع أن أتصوّر أنّ واحداً من هؤلاء الرجال يستطيع أن يكون أو يجب أن يُجعَل أعقل من الآخرين؛ ولا تقدر على أن تسمّي الرجل المريض غبيّاً لأنّه يمتلك انطباعاً واحداً. وتقول إنّ الرجل المعافى يكون عاقلاً لأنّ لديه انطباعاً مختلفاً، لكن يمكن القول إنّ الحالة

الواحدة تحتاج أن تتحوّل إلى الحالة الأخرى، والحالة الأسوأ إلى الحالة الأفضل، وهكذا يجب أن يُسبّب التحسين في التعليم، وينبغي على السوفسطائيّ أن ينجز بالكلمات التغيير الذي يحدثه الطبيب بمساعدة العقاقير الطبيّة، وليس إنْ جَعَل أيَّ شخص الشخص الآخر لأن يفكر بحقّ قطّ، والذي فكّر باطلاً فيما مضى. إذ لا أحد يستطيع أن يفكّر بما لا يكون، أو أنْ يفكّر بأيّ شيء مغاير لذلك الذي يشعر به؛ وأنّ الشعور الحاضر يكون شعوراً حقيقياً دائماً، لكن عندما يمتلك الرجال ذوو العقليّة الدونيّة أفكاراً من طبيعة واحدة، فإنّني أتصوّر أنّ العقل الخيّر سبّب لهم غالباً حيازة أفكارٍ جيدة. وأثبت أنّ هذه المظاهر هي التي يسمّيها قليلو الخبرة جيّدة، أثبت أنها الأفضل فقط، وأنّها ليست أصح من المظاهر الأخرى. وأنّني لا أسمّي الرجال العقلاء فراخ ضفادع، أوه يا عزيزي سقراط؛ إنّني لبعيد جدّاً عن أفكارٍ كهذه. بل أدعوهم « أطباء » و« مزارعين » حيث يكون المعنى هو الجسم الإنساني والنبات ـ لأنّ المزارعين أيضاً يزيلون الإحساسات السيّئة من النباتات المريضة ويغرسون فيها الإحساسات الجيّدة والمعافاة. والخطباء الحكماء والصالحون، يوجدون الخير بدلاً من الشرّ كي يبدو عدلاً إلى الدول؛ لأنّ أيّ شيء يظهر لكلّ دولة ليكون عادلاً وصالحاً يكون عادلاً وجيّداً لها، ما دام يُعتبر أنّه هكذا. وما يفعله الإنسان الحكيم يكون ليسبب ظهور الخير وليكون حقيقياً، لكلٍّ منهما بدلاً من الشرّ. وفي أسلوب مماثل فإنّ السوفسطائي الذي يقدر على أن يدرّب تلامذته في هذه النفسيّة يكون إنساناً حكيماً، ويستحقّ أن يتقاضى كثيراً بالمقابل. وهكذا فإنّني أقول القولين لكلهيما وهما أنّ بعض الرجال يكونون أعقل من البعض الآخر، وأنّ لا أحد منهم يفكّر تفكيراً باطلاً. وأنت يجب عليك أن تتحمّل كي تكون مقياساً سواء أردت ذلك أم لم تُرِدْ، وتقف المناظرة ثابتة على هذه الأسس،

والتي يمكنك أن تقلبها رأساً على عقّب إن شئت ذلك، يا سقراط، يمكنك أن تفعل ذلك بمناظرة منبثقة من مبدأ مضادّ، أو إذا أردت يمكنك أن تطرح الأسئلة عليَّ - إنّها طريقة لن يعترض عليها أي إنسان ذي إدراك وذكاء، بل إنّ ما سيحدث هو عكس ذلك تماماً. لكن يجب عليَّ أن أستعطفك بطرح أسئلة عادلة، لأن هناك تناقضاً عظيماً إذا تابعت محاورتك في أسلوبك الكلاميّ. إنّك متحمّس للفضيلة، وبرغم ذلك فأنت تقدم عرضاً مستديماً للظلم في المناظرة التي تبحثها. إنّه لمن الظلم عندما لا يتحادث الشخص بشكل مختلف في جدل ومناقشة خطيرة. إنّه لمِنَ الظلم أنْ يُمكِنَ للمجادل أن يوقِعَ خصمه في الشباك كما يحلو له غالباً، وأن يهزأ به بعد ذلك. غير أنَّ عالِمَ الجدل سيكون جادّاً في بحثه، ويصحِّح المشترِك معه في الحوار عندما يكون التصحيح ضروريّاً، ويخبره عن الأخطاء التي وقع فيها بسبب أخطائه، أو تلك التي قامت بها الجماعة التي أبقاها للحوار مسبقاً. فإذا فعلت هكذا، سيضع رفيقك اللوم على نفسه لتشوّشه وارتباكه، ولنْ يضعه عليك. إنّه سيتبعك ويحبّك، وسيكره نفسه، وسيهرب منها إلى الفلسفة، كي يمكنه أن يصبح مختلفاً وأن يتخلّص من نفسه السابقة. لكنّ الطريقة والأسلوب الآخر للمناظرة، اللذين يمارسهما العديد من البشر، سيكون لهما التأثير المعاكس عليه. وعندما يكبر فإنّه سيكره الفلسفة بدلاً من أن يتوجّه إليها. إنّي سأنصحك لهذا السبب، كما قلت سابقاً، أنْ لا تشجّع نفسك في هذا الاتجاه الجدليّ المثير للخلاف، بل أن تكتشف ما تعنيه حقاً عندما نقول إنَّ كلّ الأشياء تكون في حركة. وإنّ ما يبدو لكلّ فرد ولكل دولة يكون. عليك أن تكتشف ذلك بنفسيّة صدوقة ومتجانسة. إنّك ستعتبر في هذا الأسلوب سواء أكانت المعرفة والإحساس الشيء عينه أو مختلفين، لكنّك لن تناظر كما كنت فاعلاً لتوّك الآن، من الاستعمال المألوف للأسماء

والكلمات، والتي سيسيء استعمالها العامّة من الناس في كلّ أنواع الطرائق، مسببين إرباكاً غير محدود بعضهم لبعض. هكذا تكون المساعدة الطفيفة جداً، يا ثيودورس، التي أنا قادر على أن أقدّمها لصديقك القديم. ولو أنه كان على قيد الحياة، لكان ساعد نفسه بأسلوب كلاميّ أكثر روعة من هذا الأسلوب ببعدٍ كبير.

ثيودورس: إنّك لمازح، يا سقراط. إنّ دفاعك عنه قد كان الأكثر بسالة من أيّ دفاع حقاً.

سقراط: شكراً، أيّها الصديق؛ وإنّي لآمل بأنّك لا حظت أنّ بروتاغوراس أمرنا أن نكون جديّين، مثلما كان النصُّ نصّاً جديّاً، وهو أنّ « الإنسان هو مقياس كلّ الأشياء ». ووبّخنا هو بأن جعل وسيط المحادثة صبيّاً، وقال إنّ جبن الصبيّ كان مسبّباً كي يُخبر ضدّ مناظرته؛ وأعلن أيضاً أنّه أوجد طرفةً عنه.

ثيودورس: كيف يمكنني أن أخفق في ملاحظة كلّ هذا، يا سقراط؟

سقراط: حسناً، وهل سنفعل كما يقول؟

ثيودورس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: لكن إذا احترمنا رغباته، وتبنّينا المناظرة وسألنا وأجبنا بعضنا بعضاً بكلّ جديّة، فإنّك ترى أنّ بقيتنا ليست شيئاً سوى صِبْيَةٍ. ولا نستطيع أن نهرب من التّهمة بأيّة طريقة، وأنّنا في تحليلنا لفرضيته نهزل مع الصِبْيَة لا غير.

ثيودورس: حسناً، لكن أليس ثياتيتوس هو الشخص الأفضل قدرة على أن يتبع التحقيق الفلسفيّ أكثر من العديد من الرجال الكبار الذين طالت لحاهم؟

سقراط: نعم، يا ثيودورس، لكنّه ليس أفضل منك. ولهذا السبب أريدك أن تتصوّر من فضلك بأنّي لا أدافع عن صديقك المغادر بكلّ الوسائل التي في حوزتي، وأن لا تفعل أنت ذلك بالمثل على الإطلاق. لا تنحرف عن موقعك، على كلّ حال، يا رجلي الصالح، إلى أن نعرف إذا ما كنت ستفضّل الرسوم

التخطيطيّة كمقياس، أو سواء إذا ما يكون كلّ الرجال حَكَماً مساوياً لك، وكافين بأنفسهم في علم النجوم وعلم الهندسة، وفي فروع المعرفة الأخرى التي يُفترض أن تتفوّق عليهم فيها.

ثيودورس: إنّ الذي يجلس بجانبك، يا سقراط، لن يتفادى الانجذاب إلى مناظرة معك؛ وعندما قلت لتوّي الآن بأنّك ستعذرني وأن لا تجبرني على خلع ملابسي والقتال، مثلما يفعل اللاقيدايمونيون، عندما قلت ذلك فلم أكن متكلّماً إلا سفاسف ـ عليّ أن أقارنك بـ« سكيرون[١٩] » الذي كان يرمي المسافرين من أعالي الصخور. والقاعدة اللاقدايمونية هي « إخلع ثيابك أو اترك المكان ». لكنّك تبدو طائفاً حول عملك مستعملاً أسلوب اناتيوس[٢٠] أكثر من أيّ أسلوب آخر. إنّك لن تسمح لأيّ شخص يقترب منك بالرحيل إلى أن تنزع ثيابه. بهذه الطريقة تجبره على أن يجرّب منازلتك في مناظرة.

سقراط: إنّك وصفت فيما قلته ببراعة ودقّة طبيعة شكواي، يا ثيودورس، لكنّني أكثر مشاكسة حتّى من العمالقة القدامى، لأنّي قابلت عدداً من الأبطال لا نهاية لهم، العديد منهم مثل هرقل، والكثرة مثل ثيسيوس، وكانت كلماتهم جبّارة جدّاً وأسالت دمي. وهذا التمرين القاسي الذي قاموا به يلازمني على الدوام، وهو الذي يلهمني كنوبة انفعال. حاول أن تغازلني إذن، من فضلك، وستفعل لنفسك ولي خيراً إنْ أدّيت ذلك.

ثيودورس: إنّي أوافق على ما تقول؛ قُدْني حيث تشاء، فأنا أعرف بأنّك مثل القضاء والقدر ولا يستطيع إنسان أن يفلتَ من أيّة مناظرة يمكنك أن تحيكها له. لكنّني لست ميّالاً للإذعان إلى تدقيقك أبعد ممّا تقترح.

سقراط: إنّ ذلك سيكون كافياً؛ واتخذ الآن عناية خاصّة كي لا نعرّض أنفسنا للتوبيخ مرّة ثانية إذا ما تكلّمنا كما يتكلّم الأطفال.

ثيودورس: سأفعل أفضل ما أقدر عليه كي أتجنّب الوقوع في ذلك الخطأ.

سقراط: دعنا نعود إلى اعتراضنا السابق، في المقام الأوّل، ونرى إذا ما كنا محقّين في اللوم وأخذ موقع الهجوم في المناظرة على أساس أنّها تجعل كلّ إنسان مكتفياً ذاتياً بالحكمة، والذي اعترف بروتاغوراس بناءً عليه أنّه وُجِد الأفضل والأسوأ، وأنّ البعض كانوا الحكماء المتفوقين على الآخرين، كما قال هو، وفيما يتعلّق بهذا.

ثيودورس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: لو أنّ بروتاغوراس كان حيّاً بيننا وأجاب عن نفسه، بدلاً من أن نجيب نحن بالنيابة عنه، لا حاجة بنا لمراجعة أو تدعيم المناظرة. لكن بما أنّه ليس موجوداً معنا، ويمكن لشخصٍ ما أن يتّهمنا بالكلام بدون تفويض من جانبه، أفليس من الأفضل أن نتوصّل إلى اتفاقٍ أوضح بشأن ما يعنيه، لأنّ مقداراً كبيراً مما نهتمّ به يمكن أن يكون في خطر.

ثيودورس: حقاً.

سقراط: دعنا نحصل إذن، ليس من خلال أيّ شخص آخر أو بواسطته، بل من خلال عرضه الخاصّ، بأقلّ كلمات ممكنة، دعنا نحصل على المبدأ الأساسي للاتفاق.

ثيودورس: بأيّة طريقة؟

سقراط: بهذه الطريقة: إنّ كلماته التي قرّرها هي « أنّ ما يظهر إلى إنسان، يكون له ».

ثيودورس: نعم، إنّه يقول هكذا.

سقراط: ألسنا، يا بروتاغوراس، متفوّهين برأي الإنسان، أو برأي كلّ الجنس البشري على الأصح، ألسنا فاعلين ذلك عندما نقول إنّ كلّ شخص يحسب نفسه أعقل من الرجال الآخرين في بعض الأشياء، وإنّه أدنى منهم في بعضها الآخر؟ ففي ساعة الخطر، عندما يحاطون بمخاطر الحرب، أو البحر، أو

أزمات المرض، ألا يتطلّع الرجال لأولئك الذين في السلطة كما لو أنّهم آلهة، وليتوقّعوا الإنقاذ بواسطتهم والخلاص على أيديهم، لأنّهم يتفوّقون عليهم في المعرفة فقط؟ أليس العالم ممتلئاً برجالٍ يبحثون عن الأسياد ذوي الحِرَف والمعلّمين والحاكمين في الرجال والحيوانات على حدٍّ سواء؟ ويبحثون أيضاً عن الرجال الآخرين الذين يحسبون أنهم قادرون على أن يعلّموا وعلى أن يحكموا؟ وبعدُ، فإنّ في كلّ هذا دلالة ضمنيّة على أنّ الجهل والحكمة موجودان بينهم، برأيهم الخاص على الأقل.

ثيودورس: بالتأكيد.

سقراط: ويفترضون هم أنّ الحكمة هي فكرة صحيحة، وأنّ الجهل رأي خاطىء.

ثيودورس: بالضبط.

سقراط: كيف ستريدنا، عندئذ، يا بروتاغوراس، أن نتعامل مع المناظرة؟ هل سنقول إنّ آراء الرجال تكون صحيحة دائماً، أو إنّها تكون صحيحة بعض المرات وخاطئة في المرّات الأخرى؟ وتكون النتيجة الشيء عينه في كلٍّ من الحالتين، وإنّ آراءَهم لا تكون صحيحة على الدوام، بل إنّها تكون صحيحة بعض المرات وخاطئة في المرات الأخرى. وأخبرني، يا ثيودورس، هل تفترض بأنّك أنت نفسك، أو أيّا من أتباع بروتاغوراس الآخرين، هل تفترض بأنّكم ستؤكّدون أن لا شخص يعتبر الآخر جاهلاً أو مخطئاً في رأيه؟

ثيودورس: إنّ هذا شيء لا يُصدَّق، يا سقراط.

سقراط: ومع ذلك فإنّ هذا الشيء المنافي للعقل تمّ تَضمينُه في الفرضيّة التي تعلن أنّ الإنسان هو مقياس لكلّ الأشياء.

ثيودورس: كيف ذلك؟

سقراط: لماذا، أفترض أنك تقرّر في فكرك الخاصّ أنّ شيئاً ما يكون حقيقياً، وتعلن لي رأيك عن ذلك. دعنا نفترض، كما يجادل هو، أنّ هذا يكون حقيقياً

لك. وبعدُ، إن كان هذا كذلك، يجب عليك أن تقول إمّا أنّ البقيّة منّا لا يمكنهم أن يكونوا قضاة لحكمك هذا، أو أنّنا نحكم عليك بأنّك تمتلك رأياً صحيحاً على الدوام. لكن ألاَ يوجد آلاف مؤلّفة ممّن يشهرون السلاح ضدّك ولهم رأي وحكم مضادّ، كلّما شكّلت أنت حُكماً، معتبرين أنّك تصدر حكماً خاطئاً؟

ثيودورس: بلى، حقّاً، يا سقراط، هناك آلاف وعشرة آلاف منهم، كما يقول هوميروس، الذين يعطونني عالماً من المشاكل.

سقراط: حسناً، لكن هل سنؤكّد أنّ ما تحسبه أنت يكون صحيحاً لك وخطأً إلى الآلاف العشرة الآخرين؟

ثيودورس: لا يبدو أنّ أيّ استنتاج آخر يكون ممكناً.

سقراط: وماذا بشأن بروتاغوراس نفسه؟ إنْ لم يفكّر هو ولا الكثرة، كما أنّهم لا يفكّرون حقاً، أنّ الإنسان هو مقياس كلّ الأشياء، ألا يجب أن يلي ذلك أنّ الحقيقة التي كتبها بروتاغوراس لن تكون صحيحة لأيّ شخص؟ لكنّه إذا تصوّر هذا هو نفسه، في حين أنّ الكثرة لا تتّفق معه فيما يقول، فما يجب عليك إلاّ أن تبدأ بالإجازة أنّها مهما تكن النسبة للكثرة والتي تكون أكثر من واحد، فإنّ حقيقته في تلك النسبة ليست حقيقيّة أكثر ممّا تكون حقيقيّة.

ثيودورس: إنّ ذلك سيلي إذا افترضنا أنَّ الحقيقة تتنوّع تبعاً لرأي الفرد.

سقراط: فضلاً عن ذلك، فإنّ المزحة الأفضل هي، أنّه يعترف بحقيقة رأي الذين يعتقدون أنّ رأيه الخاصّ هو رأي خاطىء، لأنّه يعترف بأنّ آراء كلّ الرجال صحيحة.

ثيودورس: بدون ريب.

سقراط: عليه أن يجيز حينئذ، بأنّ رأيه الخاصّ هو رأي خاطىء، إذا اعترف هو بأنّ رأي أولئك الذين يفتكرون بأنّه مخطىء يكون صحيحاً؟

ثيودورس: طبعاً.

سقراط: في حين أنّ الذين يكونون على الجانب الآخر لا يعترفون بأنّهم يتكلّمون خطأً؟

ثيودورس: إنّهم لا يعترفون.

سقراط: ويوافق هو على أنّ هذا الرأي هو رأي صحيحٌ أيضاً، كما يمكن أن يُستنتج من كتاباته.

ثيودورس: يبدو هكذا.

سقراط: إذن فإنّ أبناء الجنس البشريّ كلهم، مبتدئين بيروتاغوراس، سيؤكّدون « أو على الأصحّ، عليّ أن أقول إن بروتاغوراس سيجيز، عندما يسلّم بأنّ خصمه يمتلك رأياً صحيحاً » أقول، إنّ بروتاغوراس نفسه سيجيز أنّه لا الكلب ولا أيّ رجل عاديّ آخر هو المقياس لأيّ شيء لم يتعلّمه ـ ألستُ محقّاً؟

ثيودورس: نعم.

سقراط: وما دامت الحقيقة التي تخصّ بروتاغوراس مشكوكاً بها من الجميع، فلن تكون حقيقيّة لنفسه ولا لأيّ شخص آخر.

ثيودورس: أعتقد، يا سقراط، بأنّنا نوجّه صديقنا القديم وجهةً صعبة جداً.

سقراط: غير أنّني لا أعرف بأنّنا نتخطّى الحقيقة. ويمكن توقّعه أنّه أعقل ممّا نكون بدون شكّ، بما أنّه أكبر منّا سنّاً. وإذا أمكنه فقط أن يُخرج رأسه من العالم السفليّ تماماً، فإنّه سيهزمنا مرّة ثانية وثالثة. أنا لأنّني أتكلّم بإسفاف وأنت لموافقتك على ذلك، ثم عاد إلى تحت الأرض بأسرع من لمح البصر. لكن بما أنّه ليس في متناول اليد، فما يجب علينا إلاّ أن نستعمل قدراتنا على أفضل وجه وكما تكون، وأن نتكلّم ما يظهر حقيقياً وصحيحاً. هناك شيء واحد لا يستطيع أن ينكره أحد، وهو أنّ هناك فوارق كبيرة في أفهام الرجال.

ثيودورس: إنّني أتّفق معك في ذلك الرأي.

سقراط: ألا يمكن أن يُوجد أساس ثابت بالترجيح الأكثر في التمييز الذي عيّنّاه بالنيابة عن بروتاغوراس، أعني، أنّ كلّ الإحساسات الأكثر، مثل الحارّ، الجافّ، الحلو الطعم، وكلّ تلك الأصناف الأخرى، تكون كما تظهر فقط. إذا كان، على كلّ حال، السموّ في الرأي مسموحاً به على الإطلاق، ينبغي علينا أن نجيزه من جهة الصحّة أو المرض بكلّ تأكيد، لأنّ كلّ امرأة أو طفل، أو مخلوق حيّ لا يكون لديهم هكذا معرفة بما يفضي إلى الصحّة كي يمكنهم شفاء أنفسهم.

ثيودورس: إنّني أوافق تماماً على ما تقول.

سقراط: أو دعنا نتأمّل ملياً في علم السياسات مرّة ثانية. ففي حين يؤكّد أتباع بروتاغوراس أنّ العادل والظالم، الشريف والوضيع، التقيّ والعاقّ، يكونون لكل دولة في الحقيقة مثلما تحسبهم الدولة وجعلهم قانونيّين، وأنّه لا فرد ولا دولة تكون أعقل من الأخرى في تعريف هذه القضايا وتحديدها. يبقى أنّهم لن يفكّروا أنّ في تحديد ما يكون أو لا يكون مناسباً للمجتمع هو أنّ دولة واحدة تكون أعقل وأنّ مستشاراً واحداً يكون أفضل من المستشار الآخر - سيجازفون بصعوبة كي يؤكّدوا، أنّ ما تشرّعه مدينة معتقِدةً أنّه ملائمٌ سيكون ملائماً بحقّ على الدوام. لكن في الحالة الأخرى، أعني عندما يتكلّمون عن العدل والظلم، التقوى والعقوق، فإنّهم يكونون واثقين أنّ هذه الأشياء ليس لها أيّ وجود أو جوهر في الطبيعة خاصٌ بها - والحقيقة هي أنّ الذي يُتّفق عليه في وقت الاتفاق وطالما يدوم هذا الاتفاق يكون؛ وهذه الفلسفة هي فلسفة العديدين الذين لا يعبّرون عن موافقتهم على ما يقوله بروتاغوراس. وينشأ هنا سؤال جديد، يا ثيودورس، والذي يكاد يكون سؤالاً أكثر خطراً من السؤال الأخير.

ثيودورس: حسناً، يا سقراط، إنّ لدينا متّسعاً من الوقت.

سقراط: إنّ ذلك لحقيقيّ، وملاحظتك تعيدّ إلى ذاكرتي المراقبة التي قمت بها غالباً، وهي أنّ أولئك الذين أمضوا وقتاً طويلاً عند أيّ نوع من أنواع الفلسفة يكونون مرتبكين عندما يضطرون للظهور والكلام في المحكمة، وهذه ليست مفاجأة.

ثيودورس: ماذا تعني؟

سقراط: أعني أنّ أولئك الذين تدرّبوا في الفلسفة والملاحقات الحرّة لا يشبهون أولئك الذين قد طافوا في المحاكم القانونيّة منذ شبابهم وصاعداً، وفي أماكن أخرى مشابهة.

ثيودورس: وبماذا يُشاهد الفرق؟

سقراط: إنّه يُرى في وقت الفراغ الذي تتكلّم أثناءه، والذي يستطيع الإنسان الحرّ أن يأمر به على الدوام. يُظهِر هو كلامه خارجاً وقت السلام، ويكون مثل أنفسنا، إنّه يتجوّل من موضوع إلى آخر بملء إرادته، وينتقل من الموضوع الثاني إلى الثالث، وإن استولى عليه الحبّ وتملّكته الرغبة، فإنّه يبدأ مرّة ثانية؛ إنّ هدفه الوحيد هو الحصول على الحقيقة وإدراكها. لكنّ المحامي لا يمكنه أن يتكلّم في وقت الفراغ. هناك ماء الساعة المائيّة الذي يقوده، ولا يُسمح له أن يُسهب في الكلام ساعة يشاء. وهناك خصمه الذي يراقبه بانتباه، والذي يلقي نظرة عجلى بشكل مألوف على مختصرٍ للنقاط الأساسيّة التي لا يُسمح له أن ينحرف عنها. إنّه لخادم، ويتنازع بشأن رفيقه الخادم أمام سيّده بشكل متواصل، الذي يكون جالساً، والقضيّة بين يديه؛ ولا تكون المحاكمة بشأن مسألة غير هامّة، بل إنّها تخصّه ذاتيّاً على الدوام؛ وغالباً ما يكون السباق لإنقاذ حياته. ولقد كانت العاقبة أنّه أصبح حاذقاً ثاقب الفكر وذكيّاً؛ وتعلّم كيف يتملّق سيّده بالكلمة ويتفضّل عليه بالفعل والمأثرة. غير

أنّ روحه تكون فقيرة وآثمة. ولقد حرمته حالته التي كانت حالة عبدٍ منذ شبابه وصاعداً، حرمته من التطوّر والاستقامة والاستقلاليّة؛ وفاجأته الأخطار والمخاوف على حين غرّة في سنواته المبكرة، والتي كانت كثيرة جداً فيما يتعلّق بصدقه وأمانته، عندما كانت رقّة الشباب غير متساوية بهما، وقد أُكره على السّير في الطرق الملتوية، ومارس الخداع والانتقام منذ البدء، وأصبح مقوّماً ومعوجاً. وهكذا أُخرج من مرحلة الشباب إلى سنّ الرجولة، بدون أن يمتلك سلامة وصحّة. ويكون الآن سيّداً في الحكمة، كما يحسب. هكذا هم هؤلاء الرجال، يا ثيودورس. هل ستحوز الوصف الدقيق لصورة الفيلسوف، الذي هو أخٌ لنا ورفيق؛ أو أنّنا سنعود إلى مناظرتنا التي بدأناها؟ لا تدعنا نسيىء استعمال حريّة الاستطراد التي نطالب بها؟

ثيودورس: لا، يا سقراط، ليس قبل الانتهاء ممّا نحن باحثون فيه، لأنّك قلت بحقّ إنّنا نخصّ الأخوّة التي هي حرّة، ولسنا بخدّام المناظرة؛ بل إنّ المناظرة هي خادمة لنا، وعليها أن تنتظر وقت فراغنا. ومن يكون قاضينا؟ وأين هم المشاهدون الذين لهم حق في لومنا أو التحكّم فينا، كما يمكنه أن يفعل بالشعراء؟

سقراط: إذن، بما أنّ هذه هي رغبتك، فإنّني سأصف القادة؛ إذ لا نفع في التكلّم بشأن أولئك الذين يلاحقون الفلسفة بنفسيّة دنيئة. إنّ قادتنا في المقام الأوّل لم يعرفوا طرقهم إلى الساحة العامة «AGORA» من سني شبابهم فصاعداً، أو إلى مكان التقاضي أو إلى مجلس الشورى، أو إلى أيّة جمعيّة سياسيّة عامة. إنّهم لم يروا ولم يسمعوا قوانين الدولة المكتوبة أو المتلوّة، أو المراسيم والأحكام القضائية كما تدعى. إنّ التلهّف على المعاشرات السياسيّة بقصد بلوغ وكسب المناصب ـ النوادي، والولوج في الولائم، والعربدة بصحبة الفتيات العازفات على الناي، إنّ كلّ هذه الأشياء لم تدخل حتّى في

أحلامهم. وسواء إذا كان شخص ما في المدينة من ذوي الولادة الجيّدة أو الدنيئة، وما الخزي الذي يمكن أن يتحدّر لأيّ شخص من أسلافه ذكوراً كانوا أو اناثاً، فإنّها مسائل لا يعرف عنها الفيلسوف شيئاً أكثر ممّا يستطيع أن ...ر، وكما يقولون كم يحتوي المحيط من البابينات ماءً. ولا يكون الف سوف خَجِلاً لجهله بذلك. فهو لا يترفّع عن هذا كي يتمكن من كسب الشهرة؛ لكنّ الحقيقة هي أنّ شكله الخارجي يكون في المدينة فقط، ويأنف عقله عند تأمّله في كلّ هذه الأشياء منها، ويترفّع عنها وكأنّها تافهة وليست أشياء جديرة بالاعتبار. بل إنّه يسمو في كلّ مكان - ولنستعمل تعبير الشاعر بيندار - « إنّه يفكّر فيما تحت الأرض، وما وراء السماء مرّة ثانية » ماسحاً الأولى ومقيِّماً الثانية وسابراً لطبيعة العالم بأجمعه ولكلّ شيء في تمامه، لكنّه غير هابطٍ إلى أيّ شيء يكون في متناول اليد.

ثيودورس: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: إنّني سأوضح معناي، يا ثيودورس، بالملاحظة الساخرة التي قيل إنّ الوصيفة التراقيّة الذكيّة الحاذقة أطلقتها عن طاليس، وهو أنّه كان توّاقاً لمعرفة ما يجري في السماء، وأنّه لم يستطع أن يرى ماذا كان أمام قدميه. إنّ هذه الملاحظة الساخرة قابلة للاستعمال على كلّ الفلاسفة على حدّ سواء. إنّ الفيلسوف يجهل ره الملاصق له في السكن بشكل تامّ؛ إنّه جاهل، ليس بما يقوم به ذلك الجار فقط، بل إنّه يعرّف بصعوبة إذا كان إنساناً أو حيواناً. إنّ الفيلسوف يبحث ويستقصي في جوهر الإنسان، ويشغل نفسه في التحقيق بالذي يكون مناسباً لهكذا طبيعة كي تفعل أو تقاسي خلافاً لأيّة طبيعة أخرى؛ أعتقد بأنّك تفهمني، يا ثيودورس؟

ثيودورس: إنّني أفهمك، وإنّ ما تقوله صحيح.

سقراط: وهكذا، يا صديقي، إنّ الفيلسوف عندما يظهر في كلّ مناسبة سواء إذا

كانت خاصّة أو عامّة، كما قلت بادىء ذي بدء، وخاصّة في محاكم القانون أو في أيّ مكان يلزمه أن يتكلّم فيه عن الأشياء التي عند قدميه وأمام عينيه، فإنّه ليس أضحوكة عند-الوصيفات التراقيات الذكيّات فقط، بل أضحوكة الجمهور بشكل عامّ. إنه يكون ساقطاً في الحفر وفي كلّ نوع من أنواع الكوارث بسبب عدم خبرته. إنّ حَرَجَه في ذلك يكون مخيفاً، ويعطي انطباعاً عن الحماقة التامّة. وحينما يُشتم، فإنّه لا يمتلك أيّ شيء شخصيّ كي يقوله جواباً على لطائف أخصامه، لأنّه لا يعرف بفضائح أيّ شخص ولا بأعماله المخزية، وهي لا تهمّه من قريب أو بعيد؛ ولهذا السبب فإنّهم يسخرون منه لخجله وجبنه. وعندما يتمّ الثناء على الآخرين أو يمجّدون هم أنفسهم، فإنّ ضحكه غير المتكلّف، والذي لا يحاول أن يخفيه، يجرّ عليه صفة البلاهة بكلّ ما في الكلمة من معنى. وحينما يسمع بمدح طاغية أو ملك، فإنّه يتوهّم أو يظنّ بأنّه يكون مستمعاً إلى ثناءات القيّم على قطيع من الحيوانات، إلى مربٍّ للخنازير، أو راعٍ للأغنام، أو لربّما الأبقار، الذي يُهنّأ على كمية الحليب التي يأخذها منها؛ ويعطي ملاحظة أنّ المخلوق الذي يُعنى به، والذي يستخرج منه الثروة يكون ذا طبيعة أقلّ سهولة للانقياد والترويض وأكثر مكراً. ويلاحظ هو مرّة ثانية عندئذ، أنّ الرجل العظيم يكون ذا سلوكٍ سيّىءٍ بالضرورة وغير متعلّمٍ مثله مثل أيّ راعٍ - لأنّه لا يمتلك أيّ وقت للفراغ، وهو محاطٌ بسورٍ هو حظيرته الجبليّة. إنّ فيلسوفنا عندما يسمع بمالكي الأراضي العديدين الذين يمتلكون عشرة آلاف هكتار وأكثر، يعتبر أنّ هذا شيئاً تافهاً، لأنّه قد اعتاد على أن يفكّر بالأرض كلها. وعندما يطلق الناس ثناءات على العائلة، ويقولون بأنّ شخصاً ما يكون سيّداً لأنّ باستطاعته أن يبيّن سبعة أجيال من الأسلاف الأغنياء، يعتقد هو بأنّ أفكارهم العاطفية تنمّ عن رؤيا غبيّة وضيّقة الأفق في أولئك الذين يتفوّهون بها،

والذين ليسوا متعلّمين بما فيه الكفاية للنظر في الكلّ على الدوام، ولا أن يعتبروا ويتأمّلوا مليّاً أنّ كلّ إنسانٍ قد كان لديه آلاف وعشرة آلاف من الأسلاف، وقد كان بينهم العديد الذي لا يحصى من الأغنياء والفقراء، الملوك والعبيد، الهيلينيين والبربر. وعندما يعتدُّ الناس بأنفسهم لامتلاكهم سلالة نسب تعود إلى خمسة وعشرين سلفاً، والتي ترجع في أصلها إلى هرقل بن امفيتريون، فهو لا يستطيع أن يفهم فقرهم وعوزهم للأفكار والمُثُل، ولماذا هم غير قادرين على أن يحسبوا أن امفيتريون كان لديه خمسة وعشرون سلفاً، ويمكن أنّهم قد كانوا أيّ شخص، وأنّ هذا الشخص كان كما صنعه الحظّ، وأنّه كان لديه خمسون منه، وهكذا دواليك؟ وهو يسلي نفسه بفكرة أنّهم لا يتمكّنون من أن يحسبوا، ويُفتكر أنّ قليلاً من علم الحساب سينقذهم من غرورهم وتفاهتهم. وبعدُ، فإنّ فيلسوفنا يكون موضع سخرية من السوقة والعاميّة في كلّ هذه الحالات، لظنّهم أنّه يحتقرهم جزئياً، وأيضاً بسبب جهله بالذي أمامه وحيرته على الدوام.

ثيودورس: إنّ ذلك لحقيقي، يا سقراط.

سقراط: لكن، أوه يا صديقي. إنّ فيلسوفنا عندما يسحب الآخر إلى الملأ الأعلى، ويخرجه مما يلذّ له ومن ردوده على المدَّعين عليه إلى التفكّر مليّاً في العدل والظلم بطبائعهما الخاصّة، وفي تباينهما بعضهما عن بعض وعن كلّ الأشياء الأخرى، أو في اختلافهما عن الأشياء المبتذلة بشأن السعادة للملك أو للرجل الثريّ، يسحبه إلى التأمّل مليّاً في الحكومة، وفي سعادة الإنسان وشقائه بشكل عامّ - يتأمّل فيها ما هي، وكيف يجب على الإنسان أن يكسب واحدة ويتفادى الأخرى - عندما يُستدعى ذلك العقل الضيّق، الحادّ، الشرعيّ قليلاً، عندما يُستدعى إلى الحساب بشأن كلّ هذا، فإنّه يمنح الفيلسوف ثأره؛ لأنّه يكون مصاباً بالدوار بسبب العلوّ الذي يتدلّى منه. فهو

لا يبالي في الفضاء، والذي يكون خبرة غريبة له، كونه مُرغَماً وضائعاً ومتمتماً كلمات غير سليمة، ويُسخر منه، ليس من قِبَل الوصيفات التراقيات أو أيّ أشخاص جهلةٍ آخرين، لأنّهم لا يمتلكون عيوناً كي ترى الوضع، بل يُسخر منه من قِبَل كلّ رجل لم يُرَبَّ تربية عبد. هكذا تكون الشخصيتان الاثنتان، يا ثيودورس: واحدة للإنسان الحرّ، الذي قد دُرِّب في أجواء الحريّة وعلى مهل، والذي تسمّيه فيلسوفاً، وهو الذي لا نستطيع أن نلومه لأنّه يبدو بسيطاً ولا أهميّة له عندما يلزمه أن ينجز بعض الأعمال الحقيرة الشاقّة، مثل تكديس ثياب النوم، أو إعطاء نكهةٍ إلى مرق التوابل أو التزلّف في الكلام. وأمّا الصنف الآخر من الرجال فهو الذي يكون قادراً على أن يقوم بكلّ هذه الأنواع من الخدمة ببراعة وإتقان، لكنّه لا يعرف كيف يلبس رداءَه كما يفعل السيّد. ويستطيع أن يرتّل بموسيقى المحادثة تلك الحياة التي يحياها الخالدون ورجال السماء المباركون يستطيع أن يفعل هذا أقلّ من فعلهِ ذلك بكثير.

ثيودورس: إنْ استطعت أن تقنع فقط كلّ شخص مثلما تقنعني بحقيقة كلماتك، يا سقراط، فسيكون هناك سلام أكثر وشرور أقلّ بين الرجال.

سقراط: لا يمكن أن تضمحلّ الشرور أبداً؛ إذ يجب أن يبقى هناك شيء معادٍ ومخاصم للخير على الدوام. بما أنّ الشرور ليس لها محلّ بين الآلهة في السماء، فإنّها تحوم حول المخلوق الفاني بالضرورة، وعلى هذه الكرة الأرضيّة، في حين أنّه يجب علينا أن نهرب بسرعة من الأرض إلى السماء وبقدر ما نستطيع. ولكي نهرب يعني أن نصبح مثل الله، بقدر ما يكون هذا ممكناً. ولنصبح مثل الله، يعني أن نصير تقاة، عادلين، وحكماء. لكن يا صديقي، لا تقدر أنت أن تقنع الجنس البشريّ بسهولة بأنّه يجب عليهم أن يلاحقوا الفضيلة أو يتفادوا الرذيلة، ليس لمجرّد أن يتمكن الإنسان من الظهور بمظهر

الخير، وهذا سبب يعطيه العالم، وليس هذا السبب في رأيي إلاّ ترديداً لخرافة فقط، خرافة ردّدتها زوجات طاعنات في السنّ. في حين أنّ الحقيقة هي أنّ الله ليس جائراً بأية طريقة على الإطلاق، بل إنّه قويم كامل، وأكثرنا استقامة وصلاحاً هو الأكثر شبهاً به. ويُرى هنا الحذق الحقيقيّ للإنسان، ويُشاهد عدمه وعوزه للرجولة أيضاً. ولتعرف هذا فإنّه هو الحكمة الحقيقيّة والفضيلة، والجهل به هو الغباء والرذيلة الواضحين. أمّا كلّ الأنواع الأخرى لِمَا يمكن أن يبين أنّه حكمة أو حذقٌ، مثل حكمة السياسيين، أو حكمة الفنون، فإنّها جميعاً أنواع فظّةٌ ومبتذلة. إنّ الرجل الآثم، أو الرجل القاتل ومرتكب الأعمال غير التقيّة، كان من الأفضل له ببعد كبير أن لا يشجّع في الوهم أو الأحدوعة بأنّ احتياله وخبثه هو شيء حاذق. إنّ الرجال يبتهجون في خجلهم بغباء - يتوهّمون أنّهم يسمعون الآخرين يقولون عنهم: « إنّ هؤلاء الأشخاص ليسوا مجرّد أشخاص لا يصلحون لشيء، مجرّد أعباءٍ على الأرض، بل يجب أن يكون الأشخاص رجالاً مثلهم ممّن يعتزم على أن يعيش في الدولة بأمان ». دعنا نقول لهم بأنّهم يكونون غيراً ممّا يتصوّرون وفي حقيقة أكثر لأنّهم لا يعرفونها؛ فهم لا يعرفون عقاب الظلم، والذي يلزمهم أن يعرفوه فوق معرفتهم لكلّ الأشياء - وليس العقاب الجلْد والموت كما يفترضون، والذي يهرب منه فاعلو الشرّ، بل هو عقاب لا يستطيعون الهروب منه.

ثيودورس: وما هو ذلك؟

سقراط: هناك نموذجان اثنان موضوعان أمامهم: أحدهما إلهي وأكثر سعادة، والآخر ملحد وأكثر بؤساً وتعاسة، لكنّهم لا يرونهما، أو يتصوّرون بغبائهم المطلق وخَبَلهم أنّهم ينمون مثل واحدهما وليس مثل الآخر، بسبب أفعالهم الشيطانيّة. وأمّا قصاصهم فحياة يحيونها تنطبق على النموذج الذي ينشؤون

عليه. وإذا قلنا لهم، إنّهم ما لم يتخلّصوا من مكرهم، فإنّ مكانهم لن يكون مكان الطاهرين البررة بعد الموت، وسيعيشون هنا على الأرض أبداً في شَبَهٍ لأنفسهم الشريرة، ومع أصدقاء أشرار - وعندما يسمعون ما نقول لهم فسيبدون مستمعين إلى حديث البلهاء من مكرهم.

ثيودورس: حقيقيّ جدّاً، يا سقراط.

سقراط: حقيقيّ كثيراً، يا صديقي، كما أعرف ذلك جيداً. هناك شيء غريب واحد في حالتهم، على كلّ حال: عندما يبدون أنّهم يفكّرون سرّاً بشأن كرههم للفلسفة يزداد سخطهم على أنفسهم أخيراً وبشكل غريب، إذا كانت لديهم الشجاعة كي يصغوا إلى المناظرة وأن لا يهربوا من سماعها. إنّ خطابتهم أو علم كلامهم يتلاشى، ويصبحون عاجزين كالأطفال. إنّ هذه الاستطرادات يجب أن نكفّ عنها الآن في الحال. أو إنْ لم نفعل ذلك فإنّها ستغمرنا، وتغرق المناظرة الأصليّة، والتي سنعود لها الآن، إذا سرّك ذلك.

ثيودورس: سأفضل امتلاك الاستطرادات من جانبي، يا سقراط، لأنّي أستطيع أن أتتبّعها في سنّي بشكل أسهل؛ لكن إذا رغبت دعنا نعود للمناظرة.

سقراط: ألم نصل إلى النقطة الرئيسيّة التي يتدفّق منها الأنصار الدائمون، والذين يقولون إنّ الأشياء تظهر كما هي لكلّ شخص، وأكّدوا ذلك بكل جرأة في كلّ مكان، كذلك في مثال العدل الخاصّ، وفي القوانين المحليّة التي أَمرت الدولة بها والتي ظُنّ أنّها عدلٌ، أكّدوا أنّها كانت عادلة للدولة التي فرضتها، في حين كان مفعُولها سارياً. لكن فيما يتعلق بالخير، فلم يكن لدى أيّ شخص بعد الجرأة والبسالة للنضال من أجل أيّ قوانين محليّة شرّعتها الدولة لأنّها ظُنّت بأنّها ذات نفع لها؛ إنّ الذي قال ذلك سيكون متلاعباً بالاسم « خير » ولن يمسّ السؤال الحقيقي - إنّ عمله هذا سيكون تهكّماً، ألن يكون كذلك؟

ثيودورس: سيكون بدون ريب.

سقراط: على هذا الشخص أن لا يتكلّم عن الاسم، بل أن يتأمّل ملياً الشيء الذي من أجله يرمز هذا الاسم.

ثيودورس: حقاً.

سقراط: ومهما يكن استعمال الاصطلاح، فإنّ الخير أو المناسب هو هدف التشريع، وبقدر ما تستطيع الدولة أن تمتلك رأياً، فإنّها تفرض كلّ القوانين بغرض الملاءمة الأفضل. هل يقدر التشريع أن تكون لديه أيّة غاية أخرى؟

ثيودورس: لا بالتأكيد.

سقراط: لكن هل يمكن نيل الهدف على الدوام؟ ألا تحدث الأخطاء غالباً؟

ثيودورس: نعم، أعتقد أن هناك أخطاء.

سقراط: ستكون إمكانية وقوع الأخطاء وإدراكها واضحةً، إذا وضعنا نحن السؤال بشأن النوع كلّه الذي يقع تحته المناسب. إنّ النوع كلّه له علاقة بالمستقبل، وتُقرّ القوانين بحجّة أنّها ستكون نافعة لزمنٍ مستقبلي.

ثيودورس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: إفترض الآن، أنّنا نسأل بروتاغوراس سؤالاً، أو أنّنا نسأل واحداً من أتباعه: سنقول له، أوه يا بروتاغوراس، إنّ الإنسان هو مقياس كلّ الأشياء، كما تعلن - الأبيض منها، الثقيل، الخفيف، وكذلك كلّ صنف من أصنافها، بسبب أنّ هذا الإنسان يمتلك المعيار لها في نفسه. وعندما يظنّ أنّ الأشياء تكون كما يختبرها لتكون، فإنّه يؤمن بما يكون ويكون حقيقيّاً لنفسه. أليس هذا كذلك؟

ثيودورس: نعم.

سقراط: وماذا الآن عن الأحداث المستقبليّة، يا بروتاغوراس؟ سنقول له. هل يمتلك كلّ إنسان مقياس هذه داخل نفسه أيضاً؟ كمثال، لنأخذ حالة الحرارة:

حينما يعتقد إنسان عادي أنّ الحمّى ستزوره، وأنّ هذا النوع من الحرارة قادم إليه، ويعتقد شخص آخر عكس ذلك، وهذا طبيب، سيبرهن أنّ رأيه عن المستقبل هو الرأي الأصحّ، فهل يكون كلاهما محقّاً في رأيه؟ إنّ هذا الإنسان سيحوز الحرارة والحمّى كليهما في حكمه، ولكن ليس في حكم الطبيب؟

ثيودورس: سيكون ذلك مضحكاً.

سقراط: ويكون مربّي الكرمة قاضياً أفضل فيما يتعلّق بحلاوة أو جفاف المحصول الذي لم يتمّ جمعه بعدُ. سيكون قاضياً أفضل من عازف القيثار، إذا لم أكن مخطئاً؟

ثيودورس: بالتأكيد.

سقراط: وسيعرف الموسيقي في التأليف الموسيقي أفضل ممّا يعرفه المعلّم المدرّب وما سيراه هذا المعلّم نفسه أنّه متآلفٌ للألحان أو عكس ذلك؟

ثيودورس: طبعاً.

سقراط: وسيكون الطاهي قاضياً أفضل من الضيف الذي ليس طاهياً. سيكون قاضياً أفضل عن اللذّة التي ستنشأ من الغذاء الذي هو في طور الإعداد. ونحن لا نجادل عن لذّة الوقت الحاضر أو الماضي. إنّ السؤال المطروح هو إذا ما كان كلّ شخص بنفسه القاضي الأفضل لذلك الذي سيبدو أنّه يكون وسيكون له مستقبلاً؟ ألن تخمّن أنت، يا بروتاغوراس، أفضل ممّا يخمّنه أيّ شخص آخر، أيّة محاورات ستقنع أيّ شخص منّا في محكمة العدل؟

ثيودورس: بالتأكيد، يا سقراط، اعتاد هو على أن يدّعي ويصرّح بالأسلوب الأقوى، أنّه كان الأسمى من كلّ الرجال في هذا المنحى.

سقراط: لتكن متأكّداً، يا صديق: أنّه من كان سيدفع مقداراً كبيراً من المال لامتياز التكلّم معه، إنْ أقنع زائريه بأنّ لا نبيّ ولا أيّ شخص آخر كان قادراً على

أن يحكم أفضل ما سيكون ويظهر أنّه يكون في المستقبل من أنّه يقدر عليه كل شخص بنفسه؟

ثيودورس: من كان سيفعل ذلك حقاً؟

سقراط: أمّا الآن فإنّ التشريع والملاءمة تخصّ المستقبل كلّها. وسيعترف كلّ شخص بتلك الحالات، أي أنّها ينبغي أن تخفق غالباً في الوصول إلى منافعها الأعلى في إقرار القوانين.

ثيودورس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: يمكننا إذن أن نجادل ضدّ معلمك بعدل، وينبغي عليه أن يعترف بأنّ هناك إنساناً أعقل من الآخر، وأنّ الأعقل هو المقياس. لكنّي أنا الذي لا أعرف شيئاً، لست ملزماً على الإطلاق كي أقبل بالتكريم الذي فرضه عليّ فرضاً المدافعُ عن بروتاغوراس لتوّه الآن، وهو أنّني سأكون أو لا أكون مقياساً لأيّ شيء.

ثيودورس: إنّ هذا أفضل نقضٍ له، يا سقراط؛ وبرغم ذلك فإنّنا أمسكنا به أيضاً عندما يعزو الحقيقة لآراء الآخرين، الذين يصفون رأيه الخاصّ بالكذبة المباشرة.

سقراط: هناك عدّة طرائق، يا ثيودورس، يمكن بواسطتها نقض التعليم الذي يقول إنّ كلّ رأي لكلّ إنسان هو رأي حقيقيّ، لكن هناك صعوبة أكثر لنبرهن أنّ حالات الشعور، الموجودة في إنسانٍ، والتي تنبثق منها الإحساسات والآراء طبقاً لتلك الحالات، هناك صعوبة لنبرهن، كما قلنا، أنّها ليست حقيقيّة بعض المرّات. ولقد تكلّمتُ سفاسف بشأنها على الأرجح. إنّ الإغارة عليها يمكن أن تكون غير ناجحة. وأمّا أولئك الذين يقولون بأنّ هناك دليلاً واضحاً عليها، وأنّها قضايا معرفة، يمكن أن يكونوا محقّين على الأرجح. وفي تلك الحالة فإن ثياتيتوس لم يكن بعيداً من النقطة المطروحة على بساط

البحث حيثما ماثل الإدراك الحسيّ والمعرفة؛ ولهذا السبب دعنا نقترب أكثر، كما يرغب المدافع عن بروتاغوراس، ونعطي حقيقة السيلان الدائم العالميّ طابعاً مميّزاً. هل هذه النظرية سليمة أو أنها ليست كذلك؟ إنّ المعركة الدائرة بشأنها ليست صغيرة، وليس المشتركون فيها قلّة على كلّ حال.

ثيودورس: إنّها ليست حرباً صغيرة حقّاً، لأنّ النِّحْلَةَ تخطو بها خطوات سريعة في منطقة آيونيا. وأتباع هيراقليطس هناك هم الفرقة الأكثر تأييداً لهذا التعليم والأقوى عزيمة.

سقراط: إنّنا الأكثر التزاماً، يا عزيزي ثيودورس، كي نتفحّص السؤال من الأساس كما أعلنوه هم أنفسهم.

ثيودورس: إنّنا ملزمون بهذا بدون ريب. أمّا بشأن تأمّلات هيراقليطس، والقديمة قِدَمَ هوميروس، كما تقول أنت، أو حتّى أقدم منه، فإنّ الأفسيين أنفسهم، الذين يعلنون أنّهم يعرفونها، ليسوا سوى مجانين بكلّ ما في الكلمة من معنى. ولا تستطيع أنت أن تتكلّم بهذا الموضوع معهم، لأنّه طبقاً لِمَا جاء في نصّ كتبهم، فإنّها تكون في حركة على الدوام. لكن بشأن إمعان النظر في المناظرة أو السؤال، والسؤال والإجابة التامّة بالمقابل، فإنّهم لا يستطيعون أن يقوموا بأيّ شيء أكثر ممّا يقدرون على الهرب؛ أو على الأصحّ، فإنّ عزيمة هؤلاء الأشخاص ليس لديها أيّة ذرّة من الراحة فيهم، ويكون هذا أكثر ممّا تستطيع أن توضحه قوى الرفض الأعظم. وإذا سألت أيّاً منهم سؤالاً، فإنّه يستخرج أقوالاً مقتضبة وغامضة، يستخرجها من جعبته ويطلقها في وجهك كالسهام. وإذا تساءلت عن سبب ما قاله، فإنّه سيرميك ببعض الكلمات الأخرى ذات الشفار الصقيلة، ولن يحرز تقدّماً بأيّ منها، ولا هي ستفعل ذلك مع بعضها البعض. إنّ اهتمامهم الكبير ينصبُّ على عدم السماح لأيّ مبدأ موطّد أن يترسّخ في مناظرتهم أو في أفكارهم، متصوّرين

كما أتخيّل، أنَّ مبدأ كهذا سيكون ثابتاً لأنّهم في حرب مستعرة مع الثوابت، ويفعلون كلّ ما يقدرون عليه كي يدفعوها خارجاً وفي كل مكان.

سقراط: أفترض، يا ثيودورس، أنّك رأيتهم عندما كانوا يتحاربون فقط، ولم تمكث معهم زمن السلم. فهم ليسوا أصدقاءَك؛ وينقلون مبادئهم عن السلام وقت الراحة فقط، وكما أتخيّل، فهم ينقلونها لأتباعهم الذين يريدون أن يجعلوهم مثل أنفسهم.

ثيودورس: أتباعهم! يا سيدي الصالح، إنّهم لا يملكون أيّاً منهم. إنّ رجالاً من نوعهم ليسوا أتباعاً لبعضهم البعض، بل هم يكبرون بمشيئتهم الخاصّة الحلوة الطعم، ويكسبون أفكارهم الموحى بها في أيّ مكان، والكلّ منهم يقول عن جاره بأنّه لا يعرف شيئاً. ولن تستطيع أن تحصل من هؤلاء الرجال أبداً على إقناع بالحجّة، والمنطق حينئذ، كما كنت ذاهباً لأقول، لن تستطيع كسب ذلك سواء أكان هذا بإرادتهم أو بدونها. يجب علينا أن نُخرج السؤال من بين أيديهم، ونحلّله بأنفسنا، وكأنّنا نحلّل مسألة هندسيّة.

سقراط: حقيقيّ تماماً أيضاً؛ لكن بما أنّنا وصلنا إلى المسألة المذكورة آنفاً، ألم نسمع نحن من القدماء، الذين أخفوا حكمتهم عن الكثيرين في صور شعريّة، ألم نسمعهم يقولون إنّ الأوقيانوس[٢١] Oceanes والتيتانات Tethys[٢٢] التي هي جداول، هي أصل كلّ الأشياء، وأن لا شيء يكون ثابتاً؟ وبعدُ فإنّ المحدَثين أعلنوا بحكمتهم السامية الشيء عينه بشكل علنيّ، وقالوا إنّ الإسكافيّ يمكنه أن يسمع وأن يتعلّم منهم أيضاً، وأن لا يتصوّر بغباوة بعد الآن أنَّ بعض الأشياء تكون ثابتة والأخرى متحرّكة ـ وبما أنّه تعلّم أنّ الكلّ يكون متحركاً، فإنّه سيمجّد أساتذته كما ينبغي. لكنّني نسيت تقريباً التعليم المعاكس، يا ثيودورس، والذي يقول:

بقي الوجود وحده غير متحرّك، الذي هو الإسم للكلّ.

إنّ هذه اللغة هي لغة بارميندس وميليسيوس، وأتباعهما الذين يؤكّدون بجسارة أنَّ الوجود كلّه واحد ومتمتع باكتفاءٍ ذاتيّ، وليس له مكان يتحرّك فيه. ماذا سنفعل نحن، يا صديق، مع كلّ هؤلاء الناس؛ لقد وصلنا إلى بين المقاتلين لا شعوريّاً، لأنّنا تقدّمنا خطوة خطوة، وما لم نستطع حماية تراجعنا، فسندفع ثمن تهوّرنا عقاباً، شأننا شأن اللاعبين في معهد المصارعة الذين وقعوا ضمن الحلبة وكان نصيبهم أنْ جذَبَهُم الفريقان المتصارعان باتجاهات مختلفة. وإنّي أتصوّر أنه لهذا السبب كان من الأفضل لنا أن نبدأ باعتبار أنّ أولئك بادروا بالكلام قائلين، « النهر ـ الآلهة » وإذا وجدنا أيّة حقيقة فيما قالوه، فإنّنا سوف نساعدهم كي يجرُّونا نحوهم، ونحاول أن نبتعد عن الآخرين، لكن إذا ظهر أنَّ مشايعي « الكلّ » يتكلّمون بحقيقة أكثر، فإنّنا سنهرب من الجماعة التي سوف تحرّك الذي لا يتحرّك، ونلجأ لهم. وإذا وجدنا أنَّ لا أحد منهما لديه أيّ شيء معقول ليقوله، سنكون في موقع مضحك، ولدينا كثير من الغرور برأينا الضعيف الخاصّ بنا، في حين أنّنا نرفض رأي القدماء والرجال المشهورين. أوه يا ثيودورس، هل تتصوّر أن هناك أيّ نفع في الإكمال عندما يكون الخطر هكذا عظيماً؟

ثيودورس: لا، يا سقراط، إنْ لم نتفحّص ما سيقوله الجانبان بشكل شامل فذلك سيكون شيئاً لا يطاق تماماً.

سقراط: يجب أن نختبر ما نقوله إذن، وبما أنّك متشوق لإكمال المناظرة، يا من كنت ممانعاً في البدء بها، يظهر أنّ السؤال الذي سنبدأ به هو طبيعة الحركة. ماذا يعني هذان الرجلان عندما يقولان إنّ كلّ الأشياء تكون في حركة؟ يعني، هل يؤكدان أن هناك نوعاً واحداً من الحركة فقط، أو أن هناك نوعين منها، كما أعتقد أنا؟ يسعدني أن أعرف رأيك بشأن هذه النقطة الأساسيّة بالإضافة إلى رأيي الخاصّ، ولربّما أخطأت. يجب عليّ أن أخطىء

بحضورك. قل لي، إذن، عندما يتغيّر شيء من مكانٍ إلى آخر، أو عندما يدور في المكان-عينه، أليس ذلك هو ما يسمى حركة؟

ثيودورس: نعم.

سقراط: إنّ لدينا هنا إذن نوعاً واحداً من الحركة. لكن عند بقاء الشيء في البقعة عينها فإنّه يكبر، أو يصبح أسود من كونه أبيض، أو أصلب من كونه ليّناً، أو أنّه يُخضَع لأي تغيير. ألا يمكن أن يدعى هذا حركة من نوع آخر وبشكل مناسب.

ثيودورس: أعتقد بأنّه ينبغي أن يدعى هكذا.

سقراط: هناك هذان النوعان للحركة إذن، « تغيير »، و« حركة في المكان ».

ثيودورس: إنّك لمحقّ.

سقراط: والآن، بما أنّنا قمنا بهذا التمييز، دعنا نقدّم أنفسنا لأولئك الذين يقولون إن الكل حركة ونسألهم إذا ما كانت كل الأشياء لها نوعان اثنان من الحركة طبقاً لهم، وأنها تتغيّر كما تتحرّك في المكان، أو أنّ شيئاً واحداً يكون متحركاً في كلا الطريقتين، وأنّ الآخر يتحرّك في واحدة منها فقط؟

ثيودورس: إنّني لا أعرف بماذا أجيب، حقاً؛ لكنّي أرى أنّهم سيقولون إنّ كلّ الأشياء تكون متحرّكة في كلتا الطريقتين.

سقراط: نعم، يا رفيق؛ لأنّهم إنْ لم يقولوا ذلك، فما عليهم إلاّ أن يقولوا بأنّ الأشياء عينها تكون في حركة وسكون، وليس هناك حقيقة أكثر في القول إنّ كل الأشياء تكون في حركة، من أنّ كلّ الأشياء تكون في سكون.

ثيودورس: لتكن متأكّداً.

سقراط: وإن كانت الأشياء كلها في حركة، وأن لا شيء هو خلو من الحركة، فإنّ كلّ الأشياء ينبغي أن تمتلك كلّ نوع من أنواع الحركة إذن؟

ثيودورس: الأكثر حقيقة.

سقراط: إعتبر نقطة رئيسيَّة أيضاً: ألم نفهمهم أنّهم أوضحوا توليد الحرارة، البياض، أو أي شيء آخر؟ ألم نفهمهم أنّهم أوضحوها بأسلوبٍ ما كما يلي: ألم يقولوا هم إنّ كلا من هذين الشيئين هو حركة تأخذ مكانها في وقت الإدراك الحسّيّ بين الفاعل والمنفعل، وينقطع المنفعل عن أن يكون قوّة مدرِكة بواسطتها ويصبح مدركاً، ويصبح الفاعل «A Quale» بدلاً من النوعيّة؟ أشتبه بأنّ النوعيّة يمكنها أن تظهر على أنها اصطلاح غريب وغير مألوف لك، وأنّك لا تفهم العبارة العامّة. وسآخذ حينئذ أمثلة خاصّة كي يسهل فهمها: أعني أنّ القوّة المنتجة أو الفاعلة لا تصبح حرارة أو بياضاً، بل تصبح حارّاً أو أبيض، وشبيهة بالأشياء الأخرى. وينبغي عليّ أن أردِّد ما قلته قبلاً، وهو أن هذا الفاعل أو المنفعل، أو أي شيء آخر في العالم، لا يستطيع أن يكون في عزلة، بل إنّ هذه الأشياء عندما تأتي معاً وتؤكّد الإحساسات وأشياءَها المدرَكة بالحواس، فإنّ الواحد يصبح شيئاً من نوعيّة محدَّدة، ويصبح الآخر مُدرَكاً. إنّك تتذكّر ذلك؟

ثيودورس: طبعاً.

سقراط: يمكننا أن نترك التفاصيل لنظريّتهم بدون أن نتفحّصها. لكن ينبغي علينا أن لا ننسى أن نطرح عليهم السؤال الذي نهتمّ به والذي يخصّنا فقط: هل تكون كلّ الأشياء في حركة وتغيّر متواصل؟

ثيودورس: سيجيبون بنعم.

سقراط: وهي متحرّكة في كلا الاتجاهين اللّذين ميّزناهما: يعني، أنّها تتحرّك في مكان وتكون متغيّرة أيضاً؟

ثيودورس: طبعاً، إذا قدّر للحركة أن تكون تامّة وكاملة.

سقراط: إذا تحرّكت الأشياء في كلّ مكان ولم تتغيّر، فإنّنا سوف نكون قادرين على أن نقول ما هي طبيعة الأشياء التي تكون في حركة وسيلان دائمين؟

ثيودورس: بالضبط.

سقراط: أمّا الآن، بما أنّه حتى الأبيض لا يستمرّ في تدفّقه أبيض، ويكون البياض نفسه سيلاناً دائماً أو تغييراً يتحوّل إلى لون آخر، ولا يُدرَك متوقّفا ثابتاً أبداً، فهل يمكن استعمال الإسم بصدق لأيّ لون على الإطلاق؟

ثيودورس: كيف يكون ذلك ممكناً، يا سقراط، إمّا في هذه الحالة، أو في أيّة حالة من نوعية أخرى - إنّنا في حين نستعمل الكلمة يفلت منّا الشيء في السيلان الدائم؟

سقراط: وماذا ستقول عن المدارك الحسيّة، مثل البصر والسمع، أو أيّ نوع آخر من أنواع الحواسّ؟ هل هناك أيّ توقّف في عمل النظر والسمع؟

ثيودورس: لا، بالتأكيد، إذا كانت كلّ الأشياء في حركة.

سقراط: يجب أن لا نتكلّم عن السمع إذن بأكثر ممّا نتكلّم عن الرؤية، ولا أن نتكلّم عن أيّة حاسّة أخرى أكثر ممّا نتكلّم عن اللاحواسّ، إذا شاركت كلّ الأشياء في كلّ نوع من أنواع الحركة؟

ثيودورس: لا بالتأكيد.

سقراط: ومع ذلك فإنّ الإحساس هو معرفة. إنّ هذا ما سبق أن قاله ثياتيتوس وأنا على الأقلّ.

ثيودورس: حقيقي تماماً.

سقراط: إذن فإنّنا عندما سُئلنا ما هي المعرفة، لم نُجب ما هي المعرفة بأكثر ممّا أجبنا بماذا لا تكون المعرفة؟

ثيودورس: أفترض أنْ لا.

سقراط: النتيجة هنا نتيجة جيدة. لقد صحّحنا جوابنا الأوّل توقاً منّا لنبرهن أنّ لا شيء يكون ساكناً وهكذا أنقذنا هذا الجواب. لكنّ الواضح الآن أن لا شيء يكون ساكناً، وأنّ كلّ جواب على أي سؤال أو موضوع يكون صحيحاً

بشكل متساوٍ. يمكنك أن تقول إنّ شيئاً يكون أو لا يكون هكذا؛ أو إذا فضّلت أن تقولِ « يصبح » هكذا؛ وإذا قلنا « يصبح »، فإنّنا لن نعيق ذلك حينئذ بكلماتٍ معبِّرة عن السكون.

ثيودورس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: نعم، يا ثيودورس، إلا في قولنا « هكذا » و« ليس هكذا ». لكن يجب عليك أن لا تستعمل الكلمة « هكذا »، لأنّه لا حركةَ في « هكذا » أو في « ليس هكذا ». إنّ مؤكّدي التعليم هذا ليس لديهم أيّة كلمة يستطيعون بواسطتها إيضاح أنفسهم لحدّ الآن، وينبغي عليهم أن يكسبوا لغة جديدة كي يفعلوا ذلك. يمكنني أن أقترح لهم عبارة « ليس على هذا النحو »، والتي يمكن أن تكون أكثر ملاءمةً لهم ما دامت غامضة وغير دقيقة بشكل تامّ.

ثيودورس: نعم، إنّ ذلك هو أسلوب الكلام الذي سيناسبهم تماماً.

سقراط: وهكذا، يا ثيودورس، فلقد أقدمنا على فعل ما قمنا به مع صديقك بدون الموافقة على تعليمه، وهو أنّ الإنسان هو مقياس كل الأشياء ـ إنّ الإنسان العاقل هو مقياس فقط. ولا يمكن أن نسمح بأنّ المعرفة هي إدراك حسّيّ، على الأقل بناءً على الفرضيّة التي تقول بالسيلان الدائم؛ لكن لربّما كان صديقنا ثياتيتوس يقصد بها معنىً آخر.

ثيودورس: جيّد جداً، يا سقراط؛ والآن بما أنّ المناظرة بشأن تعليم بروتاغوراس قد أُكملت، لذلك فإنّني معفىً من الإجابة، لأنّ هذا هو ما اتفقنا عليه.

ثياتيتوس: لا، يا ثيودورس، ليس حتّى تبحث أنت وسقراط في تعليم أولئك الذين يقولون إنّ كلّ الأشياء تكون ساكنة، كما اقترحت.

ثيودورس: لا ينبغي عليك، ياثياتيتوس، أيها الفتى المحتال أن تحرّض الأكبر منك سنّاً على أن ينكثوا بوعودهم، بل يجب أن تعدّ العدّة كي تجيب على أسئلة سقراط في بقية المناظرة.

ثياتيتوس: نعم، إذا رغب هو بذلك؛ لكنّي أفضّل أن أسمع بشأن انعليم عن السكون.

ثيودورس: أدعُ سقراط إلى مناظرة ـ أدعُ الفرسان إلى السهل المكشوف. إفعل ذلك بل اسأله ما تريد، وهو سيجيبك.

سقراط: إنّني خائف مع ذلك، يا ثيودورس، من عدمِ قدرتي على الاستجابة لالتماس ثياتيتوس.

ثيودورس: لن تستجيب! ولأيّ سبب؟

سقراط: السبب هو أنّ لديَّ نوعاً من المهابة؛ إنّها ليست كثيرة نحو ميليسيوس والآخرين الذين يقولون إنّ « الكلّ يكون واحداً وساكناً » مثلما هي هذه المهابة للقائد العظيم نفسه، بارميندس، الذي يمكن أن يدعى باللغة الهوميريّة، قائداً مبجّلاً ومرعباً. إنّني سأخجل من التقرب منه بنفسيّة لا تليق به. لقد قابلته عندما كان رجلاً مسنّاً، وكنت مجرّد فتىً حديث السنّ، وظهر لي أنّه يمتلك عمقاً عقليّاً مجيداً، وأخشى ما أخشاه أن لا نستطيع فهم كلماته، وأن نبقى أبعد من فهم معناه؛ وفوق كل شيء فأنا أخاف من أنّه يمكن لطبيعة المعرفة، التي هي الموضوع الرئيسيّ لنقاشنا، أخاف أن يحجبها عن الأبصار الضيوفُ غير المدعوين الذين سيأتون متدفّقين على وليمة محادثتنا. هذا إن سمحنا لهم بالدخول ـ وبجانب ذلك، فإنّ السؤال الذي يثار الآن هو ذو مدىً عظيم، وسيُعامل بشكل غير عادل إذا اعتُبِر مجرّد موضوع فرعيّ. لكن إذا تمّ التعامل معه بشكل مناسب وتفصيلٍ تامّ، فإنّه سيطرح السؤال الآخر عن المعرفة، سيطرحه في الظلّ. لا يمكن السماح للواحد ولا للآخر لذلك؛ بل يجب عليّ أن أحاول ذلك مستخدماً فنّي المولِّد لإنقاذ ثياتيتوس من تصوّراته بشأن المعرفة.

ثياتيتوس: حسناً جدّاً؛ إفعل هكذا إنْ شئت.

سقراط: إذن، يا ثياتيتوس، خذ الآن فكرة أخرى عن الموضوع: لقد أجبتَ بأنّ المعرفة هي إدراك حسيّ؟

ثياتيتوس: لقد فعلت.

سقراط: وإذا سألك أيّ شخص: بماذا يرى إنسان اللونين الأبيض والأسود؟ وبماذا يسمع الأصوات العالية والخفيضة؟ إنك ستقول، إذا لم أكن مخطئاً، « سيرى بالعينين ويسمع بالأذنين ».

ثياتيتوس: يلزمني أن أقول ذلك.

سقراط: إنّ الاستخدام الحرّ للكلمات والمقاطع اللفظيّة هو صفة مميّزة للتعليم الحرّ، بدلاً من التدوين بإيجازٍ دقيق، ويكون المضادّ لذلك تحذلقاً. غير أنّ الدقّة ضرورية بعض المرات، وأعتقد بأنّ الجواب الذي أعطيته لتوّك عرضة للاتهام بعدم الدقّة والنقص، لأنّ الأكثر صحّة هو أنِ تقول، إنّنا نرى أو نسمع بالعينين والأذنين، أو بواسطة العينين وبواسطة الأذنين.

ثياتيتوس: عليّ أن أقول « بواسطة » بدلاً من أن أقول « بِ »، يا سقراط.

سقراط: نعم، يا ولدي، إذ لا أحد يستطيع أن يفترض أنّ في كلّ منّا عدداً موضوعاً من الحواسّ غير المرتبطة، كما تكون في نوع من حصان طرواديّ، والتي لا تلتقي كلّها في طبيعة واحدة ما. لنقل الروح أو مهما يكن الاسم الذي يسرّنا أن ندعوها به. التي تكون هي الأدوات والتي نتلقّى نحن أشياء الحسّ بواسطتها.

ثياتيتوس: إنّني أتّفق معك في ذلك الرأي.

سقراط: إنّ السبب الذي من أجله أنا دقيق هكذا، هو أنّني أريد أن أعرف إذا ما كنا، عندما ندرك عن طريق الحواسّ اللون الأسود والأبيض ندركهما بواسطة العينين. ومرّة ثانية، عندما ندرك النوعيات الأخرى بواسطة الأعضاء الأخرى، أريد أن أعرف أنّنا إذا ما كنّا لا ندركها عن طريق الحواسّ بالجزء الواحد

وعينه من أنفسنا؛ وسواء إذا ما سئلت، تستطيع أن تعزو كلّ إدراكات حسيّة كهذه إلى الجسد. لربّما كان من الأفضل لي، على كلّ حال، أن أسمح لك بالإجابة بنفسك وأن لا أتدخّل في ذلك. قل لي، إذن، أليست الأعضاء التي ندرك حسيّاً بواسطتها الحارّ والصلب والخفيف والحلو المذاق، أليست أعضاء أو جوارح الجسد؟

ثياتيتوس: إنّها كذلك، بدون ريب.

سقراط: ولسوف تعترف بأنّ ما تدركه حسيّاً بواسطة قوّة جسدية فإنّك لا تستطيع أن تدركه حسيّاً بواسطة القوّة الأخرى؛ إنّ أشياء السمع، كمثال، لا يمكن أن تُدرك حسيّاً بواسطة البصر، وأشياء البصر لا تدرك بواسطة السمع؟

ثياتيتوس: لا بالطبع.

سقراط: وإذا كانت لديك أيّة فكرة بشأن أيٍّ منهما، فإنّ هذا الإدراك الحسيّ لا يمكن أن يأتي إليك، لا بواسطة أحد العضوين ولا بواسطة العضو الآخر؟

ثياتيتوس: لا يمكنه.

سقراط: وماذا بخصوص الأصوات والألوان؟ يمكنك أن تتأمّل مليّاً أنّ كليهما يكون في المقام الأوّل.

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: وأنّ كلا منهما يكون مختلفاً عن الآخر، وكذلك الشيء عينه مع نفسه؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: وأنّ كليهما يكون اثنين، وأنّ كلاً منهما يكون واحداً؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: يمكنك أن تراقب أيضاً إذا ما كان يشبه بعضهما بعضاً أو لا؟

ثياتيتوس: أجرؤ قول ذلك.

سقراط: لكن بواسطة ماذا تُدرِك كلّ هذا بشأنهما؟ فأنت لا تستطيع أن تدرك لا بواسطة السمع ولا حتىّ بواسطة الرؤية ذلك الذي يمتلكانه مشتركاً. دعني أعطيك إيضاحاً بخصوص النقطة الرئيسيّة التي هي قيد البحث: إذا كان هناك أيّ معنى في السؤال، سواء إذا كانت الأصوات والألوان مالحة أو أنها ليست كذلك، فأنت ستكون قادراً على أن تخبرني أيّة قوّة ستأخذ هذا السؤال بعين الاعتبار. إنّها لن تكون حاسّة السمع أو البصر بل حاسّة ما أخرى.

ثياتيتوس: إنّها قوّة الذوق، بالتأكيد.

سقراط: جيّد جداً، والآن قل لي ما هي القوّة التي تميّز الخواصّ العالمية، ليس في الأشياء المحسوسة بل في الأشياء كلّها، مثل تلك التي تسمّى وجوداً ولاوجوداً، ومثل تلك الأشياء الأخرى التي كنا نسأل عنها لتوّنا ـ أيّة أعضاء ستعزو لها الإدراك الحسيّ لهذه الأشياء بالقوّة المناسبة فينا؟

ثياتيتوس: إنّك لمفكّر بالوجود واللاوجود، المتشابه وغير المتشابه، التماثل والاختلاف، وأيضاً بالوحدة وأيّ عدد آخر يحدث في حكمنا عن الأشياء. وينطبق سؤالك على الأعداد المفردة والمزدوجة وعلى التصوّرات الحسابية الأخرى بشكل واضح ـ قل لي بواسطة أيّ عضو جسدي تدرك الروح هذه الأشياء؟

سقراط: إنّك تتبعني بشكل ممتاز، يا ثياتيتوس؛ إنّ هذا السؤال هو ما أطرحه.

ثياتيتوس: لا أستطيع الإجابة عليه حقاً، يا سقراط؛ وفكرتي هي فقط أنّ هذه الأشياء ليس لديها عضو منفصل وغيرّ من أشياء الحسّ، لكنّ العقل بقوّته الخاصّة، يتأمّل ملياً خواصّ كهذه في كلّ الأشياء.

سقراط: إنّك لجميل، يا ثياتيتوس، ولست بشعاً، كما كان ثيودورس قائلاً، لأنّ مَن يتفوّه بالجمال هو جميل وخيّر. وبجانب كونك جميلاً فإنّك أدّيت لي

عملاً متّسماً بالودّ في عتقي من محادثة طويلة جداً، إذا اعتقدت بأنّ الروح تعاين بعض الأشياء بنفسها وتعاين الأشياء الأخرى بواسطة أعضاء الجسد. إنّ هذا الرأي هو رأيي الخاص، وأريدك أن توافقني على ذلك.

ثياتيتوس: إنّي أعتقد ذلك حقاً.

سقراط: ولأيّ نوع ستعزو الوجود؟ إنّ هذه الفكرة هي الفكرة الأكثر شموليّة من كلّ أفكارنا.

ثياتيتوس: عليَّ القول إنّني أنسب هذا لذلك النوع الذي تتوق له الروح كي تعرف نفسها.

سقراط: وهل ستقول هذا أيضاً عن الشبيه وغير الشبيه، عن الشيء عينه والغير؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: وهل ستقول الشيء عينه عن النبيل والسافل، وعن الخيِّر والشرير؟

ثياتيتوس: أتصوّر أنّ هذه الأمثة هي أيضاً بين الأمثلة الرئيسيَّة لتلك المصطلحات النسبيَّة التي تدرك الروح طبيعتها بمقارنة الأشياء الماضية والحاضرة بالأشياء المستقبليَّة في نفسها.

سقراط: توقفّ! ألا تدرك الروحُ صلابةَ ما هو صلب باللمس، وتدرك رخاوةَ ما هو رخو باللمس وبشكلٍ متساوٍ؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: لكنّ وجودها، أعني الحقيقة بأنّها تكون، ويضادّ بعضها بضعاً، والوجود لهذا التضادّ « دعني أكرّر هذا الاصطلاح » فإنّ الروح نفسها تناضل كي تقرِّر لأجلنا بواسطة تنقيحها ومقارنتها؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: إنّ الإحساسات البسيطة التي تصل إلى الروح بواسطة الجسد تعطى للرجال أثناء الولادة، وتعطى للحيوانات بالطبيعة. لكنّ انعكاساتها على

الوجود واستعمالها تُكتسب بواسطة التعليم والخبرة الطويلة ببطء وصعوبة، إذا ما اكتُسبت قط.

ثياتيتوس: بدون ريب.

سقراط: وهل يستطيع إنسان أخفق في نيل الوجود أن يصل إلى الحقيقة؟

ثياتيتوس: مستحيل.

سقراط: وهل يقدر من يقصِّر عن فهم حقيقة أي شيء أن يمتلك معرفة بشأن ذلك الشيء؟

ثياتيتوس: لا يمكنه ذلك.

سقراط: إذن فإنّ المعرفة لا تكمن في تأثيرات الحواسّ، بل إنّها تكمن في الاستنتاج من المقدمات المنطقية بشأنها. ويمكن نيل الحقيقية والوجود في ذلك فقط، وليس في التأثير المجرّد.

ثياتيتوس: بوضوح.

سقراط: وهل ستسمّي العمليتين الاثنتين بالإسم عينه، عندما يكون بينهما فرق كبيرٌ كهذا؟

ثياتيتوس: وأيّ إسم ستُعطي للرؤية، للسمع، للشم، وكون الشيء بارداً أو حارّاً؟

ثياتيتوس: عليَّ أن أُسمّيها كلّها إدراكاً عن طريق الحواسّ - أيّ إسم آخر يمكن أن أعطي لها؟

سقراط: سيكون الإدراك عن طريق، أبو بواسطة الحواسّ، الإسم الجمعيّ لها؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: وكما نقول، فإنّ ذلك الإسم ليس لديه أيّ دور في نيل أو كسب الحقيقة، بما أنّه لا يبلغ إلى الوجود؟

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

سقراط: ولذلك فإنّه لا يصل إلى المعرفة؟

ثياتيتوس: لا.

سقراط: إذن فإنّ الإدراك الحسيّ، يا ثياتيتوس، لا يمكن أن يكون الشيء عينه كالمعرفة أبداً؟

ثياتيتوس: لا بوضوح، يا سقراط؛ ولقد برهنّا الآن أنّ المعرفة قد كانت مختلفة عن الإدراك الحسيّ بالتمييز الأكثر.

سقراط: لكنّ الهدف الأصلي لبحثنا كان اكتشاف ماهيّة المعرفة بدلاً ممّا لا يكون على الأصح. ولقد حققنا بعض التقدّم في الوقت عينه، لأنّنا لا نبحث عن المعرفة في الإدراك الحسيّ بعد الآن على الإطلاق، بل إنّنا نبحث عنها في تلك العمليّة الأخرى، مهما يمكن تسميتها، والتي يكون فيها العقل وحده مشغولاً في الوجود.

ثياتيتوس: ويدعى ذلك تفكيراً أو إبداء رأي يا سقراط، إذا لم أكن مخطئاً؟

سقراط: إنّك تعي ما أعنيه بحقّ. وبعدُ، يا صديقي، من فضلك أن تبدأ في هذه النقطة الرئيسيَّة مرَّة ثانية. وبما أنّك قد مسحت من ذاكرتك كلّ ما تقدَّم من بحث، أنظر إذا وصلت إلى أيّ رأي بشأن ما نبحث، وقل مرّة أخرى ما هي المعرفة.

ثياتيتوس: لا أستطيع أن أقول، يا سقراط، بأنّ كلّ الآراء هي معرفة، لأنّه يمكن أن يكون هناك رأي باطل؛ لكنّني سوف أجازف لأؤكّد أنّ المعرفة هي رأي صحيح. دع هذا يكون جوابي إذن؛ وإذا ثبت بطلانه حينئذ يجب علينا أن نهيِّىء جواباً آخر.

سقراط: إنّ تلك الطريقة هي الطريقة التي يجب أن تجيب بها، يا ثياتيتوس، وليس بالطريقة السابقة المتردّدة، إذ لو كنّا بواسل فلسوف نكسب واحدة من فائدتين اثنتين: إمّا أنّنا سنجد ما نبحث عنه، أو أنّنا سنكون أقلّ كي نفتكر بأنّنا نعرف ما لا نعرف على الأرجح ـ وسنكافأ في كلتا الحالتين بغزارة.

وبعدُ، فماذا تقول أنت؟ هل هناك نوعان من الرأي، أحدهما صحيح والآخر مزيَّف؟ وهَل تعرِّف أنت المعرفة بأنّها الرأي الصحيح؟

ثياتيتوس: نعم، إنّني أفعل ذلك طبقاً لنظريّتي الحاضرة.

سقراط: بقي شيء جدير ببذل الجهد كي نستأنف المحادثة الملامِسَة للرأي.

ثياتيتوس: إلاَم تشير؟

سقراط: هناك نقطة رئيسيَّة تقلقني، مثلما أقلقتني في السابق غالباً. إنّ محادثتي مع نفسي أو مع الآخرين أربكتني جدّاً بشأن طبيعة أو أصل الخبرة العقلية التي أشير إليها.

ثياتيتوس: صلِّ، قل ما هي؟

سقراط: كيف يستطيع إنسان أن يكوّن رأياً زائفاً. لكنّني أشك حتى الآن في إذا ما كان علينا أن نترك هذا السؤال أو أن نفحصه بأسلوبٍ آخر غير الأسلوب الذي اعتدنا عليه منذ وقت قصير مضى.

ثياتيتوس: إبتدىء مرّة ثانية، يا سقراط ـ على الأقلّ إذا تصوّرت وجود الضرورة الأقل هزالة لفعل هذا، ألم تعقّبا قائلَيْن أنت وثيودورس لتوّكما الآن وبحقّ تامّ، وهو أنّه يمكننا أن نأخذ وقتنا في هذا النوع من أنواع المباحثات.

سقراط: إنّك لمحقّ تماماً فيما تقول. ولربّما لن يكون هناك أذىً في أن نعيد ترتيب خُطانا ونبدأ من جديد. والقليل الذي تمَّ فعله بجودة يكون أفضل من المقدار الكبير الذي أُنجز بشكل ناقص.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: حسناً، وما هي الصعوبة، ألا نتكلّم نحن عن الرأي الباطل أو المزيَّف، ونقول بأنّ إنساناً يحمل رأياً مزيّفاً وأنّ الآخر يحمل رأياً حقيقياً، وكأن هناك تمييزاً طبيعيّاً بينهما؟

ثياتيتوس: هذا ما نقوله بكلّ تأكيد.

سقراط: ونستطيع أن نقول على الأقلّ إنّ كلّ الأشياء، وكلّ شيء بمفرده يكون إمّا معروفاً أو غير معروف. إنّي أدَعُ خارج الفحص الإدراكات المتوسّطة للتعليم والنسيان. أوليس لها أيّ شأن تقوم به فيما يتعلّق بسؤالنا الحاضر؟

ثياتيتوس: ما من شك، يا سقراط، بأنّه ليس هناك أيّ خيار آخر سوى معرفة شيء أو جهله، إذا أُقصيت هذه الأشياء خارج البحث.

سقراط: وبما أنّ هذه النقطة الرئيسيّة تقرّرت الآن، ألا يجب علينا القول إنّ من يمتلك رأياً، يلزمه إمّا أن يعرف ما يشير إليه برأيه أو لا يعرفه؟

ثياتيتوس: يلزمه ذلك.

سقراط: أكثر من ذلك، فإنّ من يعرف، لا يستطيع أن لا يعرف، ومن لا يعرف، لا يمكنه أن يعرف الشيء الواحد والشيء عينه؟

ثياتيتوس: طبعاً.

سقراط: وماذا سنقول حينئذ؟ عندما يمتلك إنسان رأياً مزيّفاً فهل يتصوّر هو أنّ الذي يعرفه ليكون شيئاً ما غير الذي يعرفه، وأنّه عارف بكليهما، فهل يكون هو جاهلاً بهما كليهما في الوقت عينه؟

ثياتيتوس: إنّ ذلك مستحيل، يا سقراط.

سقراط: لكن لربّما يفكّر هو بشيء ما لا يعرفه وكأنّه شيء ما غير الذي لا يعرفه. كمثال، لا يعرف هو سقراط ولا ثياتيتوس، وبرغم ذلك فإنّه يتوهّم أنّ ثياتيتوس هو سقراط، أو أنّ سقراط هو ثياتيتوس؟

ثياتيتوس: كيف يستطيع ذلك؟

سقراط: لكنّه لا يستطيع أن يفترض بكلّ تأكيد شيئاً ما يعرفه ليكون شيئاً ما لا يعرفه، أو الشيء الذي لا يعرفه ليكون الشيء الذي يعرفه.

ثياتيتوس: سيكون ذلك مرعباً.

سقراط: كيف يشكّل الرأي الزائف إذن؟ إذ لو كانت كلّ الأشياء معروفة أو غير

معروفة، فلا يمكن أن يوجد رأي لا يمكن إدراكه تحت هذا الخيار؛ ولا نستطيع نحن أن نجد في ضمنه مجالاً للرأي الزائف.

ثياتيتوس: الأكثر حقيقة.

سقراط: إفترض أنّنا نحّينا هذا الرأي من منطقة المعرفة واللامعرفة، إلى منطقة الوجود واللاوجود.

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

سقراط: ألا يمكننا أن نشتبه بأنّ الحقيقة البسيطة هي أنَّ من يفكّر في أيّ موضوع لا يكون، سيفكر بما هو زائف بالضرورة، مهما كانت حالة تفكيره في الوجوه الأخرى؟

ثياتيتوس: إنّ ذلك ليس غير محتمل مرّة ثانية، يا سقراط.

سقراط: إفترض إذن أنّ شخصاً ما يقول لنا، يا ثياتيتوس: أليس ممكناً لأيّ شخص، مثلما تقول أنت الآن، أن يفكّر بذلك الذي لا يكون، إمّا كمادّة موجودة بذاتها أو كمحمولٍ لشيء ما آخر؟ وافترض أنّنا نجيب، « نعم، إنّه يستطيع، حينما يفكر في فكره بما ليس حقيقياً »، إنّ ذلك الجواب سيكون جوابنا له.

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: لكن هل هناك أيّ مثيل لهذا؟

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

سقراط: هل يقدر إنسان أن يرى شيئاً ما ولا يرى أيّ شيء برغم ذلك؟

ثياتيتوس: مستحيل.

سقراط: لكنّه إذا رأى أيّ شيء واحد، فإنّه يرى شيئاً ما موجوداً. هل تفترض أنّ ما يكون واحداً يكون ليوجد أبداً بين الأشياء التي لا توجد؟

ثياتيتوس: لا أفترض ذلك.

سقراط: والذي يرى شيئاً واحداً ما، فإنّه يرى شيئاً ما كائناً؟

ثياتيتوس: بوضوح.

سقراط: والذي يسمع أيّ شيء، فإنّه يسمع شيئاً ما واحداً، شيئاً ما كائناً؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: والذي يلمس أيّ شيء، فإنّه يلمس شيئاً ما يكون واحداً ولهذا السبب يكون؟

ثياتيتوس: إنّ ذلك حقيقي مرة ثانية.

سقراط: أوَليس الذي يفكر، يفكر بشيء واحد ما؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: أوَليس الذي يفكّر بشيء واحد ما، يفكّر بشيء ما كائن؟

ثياتيتوس: إنّني أوافق.

سقراط: إذن فإنّ مَن يفكر بذلك الذي لا يكون يفكّر بلا شيء؟

ثياتيتوس: لا بجلاء.

سقراط: والذي لا يفكّر بأيّ شيء، لا يفكّر على الإطلاق؟

ثياتيتوس: يبدو ذلك واضحاً.

سقراط: إذن لا أحد يقدر على أن يفكّر بذلك الذي لا يكون، إمّا كمادة موجودة بذاتها أو كمحمولٍ في شيءٍ ما آخر؟

ثياتيتوس: لا بوضوح.

سقراط: التفكير بزيف إذن مختلفٌ عن التفكير بذلك الذي لا يكون؟

ثياتيتوس: إنّه يبدو هكذا.

سقراط: إذن فإنّ الرأي الزائف لا يمتلك وجوداً فنياً، لا في هذه الطريقة، ولا في تلك الطريقة التي اخترناها منذ وقت قصير.

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

سقراط: لكنْ ألا يمكن أن يكون ما يلي هو الوصف لِمَا نعبّر عنه أو نوضحه بهذا الإسم؟

ثياتيتوس: ماذا؟

سقراط: ألا يمكننا أن نفترض أنّ الرأي الزائف أو التفكير هو نوع من الهرطقة؛ يمكن لإنسان أن يُحدِثَ تبادلاً في فكره، ويقول إنّ شيئاً واحداً حقيقياً يكون شيئاً حقيقيّاً آخر، لأنّه هكذا يفكّر بذلك الذي يكون على الدوام، لكنّه يضع شيئاً مكان شيء آخر، ولأنّه يفتقد هدف تفكيره، يمكن أن يقال عنه بأنّه يمتلك رأياً زائفاً.

ثياتيتوس: تبدو لي الآن أنّك نطقت بالحقيقة الدقيقة. عندما يضع إنسان السافل في مكان النبيل، أو أنّه يضع النبيل في مكان السافل، فإنّه يمتلك رأياً زائفاً حينئذ.

سقراط: إنّني أرى، يا ثياتيتوس، بأنّ خوفك قد تلاشى، وأنّك تبدأ الاستخفاف بي.

ثياتيتوس: ما الذي دعاك لقول ذلك؟

سقراط: أنت ترى، إذا لم أكن مخطئاً، بأنّ « زيفك الحقيقيّ » في مأمنٍ من النقد، وبأنّني لن أسأل أبداً، سواء أكان موجوداً السريع الذي يكون بطيئاً، أو الثقيل الذي يكون خفيفاً، أو أي شيء مناقض لذاته، الذي يعمل ليس طبقاً لطبيعته الخاصّة، بل طبقاً لطبيعة ما يضادّه. لكنّني لن أصرَّ على هذا، لأنّي لا أرغب في تثبيط همّتك من غير ضرورة. وهكذا فأنت قانع بأنّ الرأي الزائف هو هرطقة، أو أنّه التفكير بشيء ما آخر؟

ثياتيتوس: إنّني لكذلك.

سقراط: يمكن للفكر إذن أن يدرك شيئاً واحداً كما يدرك الشيء الآخر، طبقاً لوجهة نظرك؟

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: لكن ألا ينبغي للعقل، أو للقوّة المفكِّرة، التي تضع الأشياء في غير

موضعها، ألا ينبغي أن يكون لذلك العقل تصوّر إمّا للشيئين كليهما أو لأحدهما؟

ثياتيتوس: بالتأكيد، يلزم أنّ يكون هذا إمّا معاً أو في تعاقب.

سقراط: جيّد جداً، وهل تعني بالتصوّر الشيء عينه الذي أعنيه؟

ثياتيتوس: وما هو ذلك؟

سقراط: أعني المحادثة التي تجريها الروح مع نفسها في التأمّل بأيّ شيء. إنّني أتكلّم عمّا أفهمه بجهدٍ كبير؛ لكنّ الروح عندما تفتكر تظهر لي أنّها تتكلّم بعدل ـ تسأل أسئلة بنفسها وتجيب عليها، مؤكّدة وناكرة إيّاها. وعندما تصل إلى قرار بشأنها، إمّا بالتدريج أو بدافعٍ مفاجىء، وأنّها وافقت على ما أقرّته أخيراً ولا يتملّكها شكّ فيه، فإنّ هذا ما يدعى رأيها. أقول حينئذ، إنّه كي تشكّل رأياً هو أن تتكلّم، وأنّ الرأي هو كلمة محكيّة أو منطوقة ـ أعني بقولي هذا قول المرء لنفسه وبصمت، وليس جهاراً أو لشخصٍ آخر: فماذا ترى أنت؟

ثياتيتوس: إنّني أوافق.

سقراط: إذن فإنّ أيّ شخص عندما يفكّر بشيء كأنه شيء آخر، فإنّه يكون قائلاً لنفسه إنّ شيئاً ما يكون شيئاً آخر؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: لكن ألا تتذكّر قائلاً لنفسك أبداً إنّ النبيل يكون سافلاً بالتأكيد، أو إنّ الظالم يكون عادلاً، أو بكلمة، هل حاولت إقناع نفسك قطّ بأنّ شيئاً واحداً يكون شيئاً آخر؟ لا، ألم تفعل ذلك حتى أثناء نومك، هل جازفت لتقول لنفسك أبداً إنّ الرقم المفرد يكون رقماً مزدوجاً بدون شكّ، أو أيّ شيء آخر من هذا النوع؟

سقراط: لم أجازف بذلك أبداً.

سقراط: وهل تفترض أنّ أي إنسان آخر، يكون في إدراكاته أو بدونها، هل تفترض أنه حاول بشكل جديّ أن يقنع نفسه أنّ الثور هو حصان، أو أنّ الاثنين هما واحد؟

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

سقراط: لكن إذا كان التفكير تكلّماً لذات الشخص، فلا أحد يفكّر ويتكلّم عن شيئين اثنين، ويدركهما معاً في روحه. لا أحد من هؤلاء سيقول ويفكّر أنّ الواحد يكون الآخر منهما. وينبغي أن أضيف بأنّ من الأفضل لك أيضاً أن تدع الكلمة « غيراً » لوحدها. كمثال، أن لا تصرّ على أن « الواحد » و« الغير » هما الشيء عينه ». أعني، أن لا شخص يفكّر بأنّ النبيل يكون السافل، أو يكون أي شيء من ذلك النوع.

ثياتيتوس: إنّي سأتخطّى الكلمة « الغير » يا سقراط؛ وإنّي أوافق على ما تقول.

سقراط: إذا ما امتلك إنسان كلتا الكلمتين في أفكاره، فإنّه لا يستطيع أن يفتكر أنّ الواحدة منهما تكون الأُخرى.

ثياتيتوس: يبدو هكذا.

سقراط: ولا إذا امتلك واحدتهما في فكره فقط ولم يمتلك الأخرى، فهل سيفتكر قطّ أنّ تلك الفكرة هي الفكرة الأُخرى؟

ثياتيتوس: حقاً؛ لأنّه يجب علينا أن نفترض بأنّه يدرك تلك الفكرة التي ليست في أفكاره على الإطلاق.

سقراط: إذن فإنّ أيّ شخص يمتلك إمّا كلا الشيئين أو واحداً منهما في فكره، لا يستطيع أن يفتكر بأنّ أحدهما هو الآخر. ولهذا السبب، فإنّ مَن يؤكّد أنّ الرأي الزائف هو بدعة فهو يتكلّم سفاسف، إذ لا يمكن للرأي الزائف أن يوجد في هذا، بأكثر ممّا يوجد في الطريقتين السالفتين.

ثياتيتوس: لا.

سقراط: لكن إن لم تَبِنْ هذه التجربة على أنّها تجربة حقيقية، يا ثياتيتوس، فإنّنا سوف نُقاد إلى العديد من السخافات.

ثياتيتوس: ما هي تلك السخافات؟

سقراط: إنّني لن أقول لك ما هي حتى أسعى لتأمُّل القضية مليّاً من كلّ وجهة نظر، لأنّي سأكون خجلاً من أنفسنا إذا قادنا ارتباكنا للاعتراف بالعواقب المخجلة التي تكلّمت عنها. لكنّنا إذا وجدنا الحلّ، وابتعدنا عنه، يمكننا أن نعتبره وكأنّه صعوبات الآخرين فقط، ولن تلازمنا السخريّة. وعلى الجانب الآخر، إن أخفقنا بشكل مطلق، فيجب، كما أفترض أن نكون متواضعين، وأن نسمح للمناظرة بأن تدوسنا تحت الأقدام، مثلما يطأ البحّارُ المسافر الذي يمرض في السفينة بقدميه، وأن تفعل أيّ شيء بنا. إسمع إذن، بينما أخبرك كيف آمل أن أجد طريقة للتخلّص من حَرَجنا.

ثياتيتوس: دعني أسمع.

سقراط: أعتقد بأنّنا كنا مخطئين في إنكار أنّ إنساناً يستطيع أن يتصوّر ما عرفه، على أنّه ما لم يعرفه؛ وأنّ هناك طريقة فيها هكذا ممكنة كهذه.

ثياتيتوس: تعني، كما اشتبهت عندما أبدينا هذا الإنكار، تعني أنّه يمكنني أن أعرف سقراط، وأن أرى من مسافة شخصاً ما لا أعرفه، وأن أفترض أنّه سقراط الذي أعرفه ـ إنّ المخادعة ستحدث حينئذ؟

سقراط: لكن ألم نتخلَّ عن هذا الافتراض لأنّه يتضمّن ذلك الشيء المنافي للعقل وهو أنّه يجب علينا أن نعرف وأن لا نعرف الأشياء التي لا نعرفها؟

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: دعنا نتأكّد في شكل آخر، ذلك التأكيد الذي يمكنه أو لا يمكنه أن يحوز نتيجة فرضية. لكن بما أننا في ضيق كبير، فيجب على كلّ مناظرة أن تُقلَب وأن يتمّ اختبارها من عدّة وجوه. قل لي إذن، إذا كنت محقّاً في القول بأنّه يمكنك أن تتعلّم شيئاً لم تعرفه في وقت ما.

ثياتيتوس: يمكنك بكلّ تأكيد.

سقراط: وآخر وآخر.

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: أريدك أن تتصوّر إذن، أنّ في فكر الإنسان قالباً من الشمع، ذا أحجام مختلفة في الرجال المتباينين؛ إنّه أصلب، أرطب وهو أقلّ أو أكثر صفاء في واحدهم ممّا هو في الشخص الآخر، وهو ذو نوعية وسط في بعضهم.

ثياتيتوس: إنّني أرى.

سقراط: دعنا نقول إنّ هذا اللوح هو هبة الذاكرة، إنّه أم آلهات الغناء والشعر والعلوم والفنون؛ وإنّنا حينما نرغب أن نتذكّر أيّ شيء رأيناه أو سمعناه، أو تذكّرناه في أفكارنا، فإنّنا نبقي الشمع على مقربة من الإدراكات الحسيّة والأفكار، ونتلقّى في تلك المادة الانطباع عنها مثلما نتلقاه من ختم دائريّ. وإنّنا نتذكّر ونعرف ما يُطبع طالما بقيت الصورة. لكنّها عندما تُمحى، أو لا يستطاع كسبها، فإنّنا ننسى ولا نعرف حينئذ.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

سقراط: والآن، عندما يمتلك شخص هذه المعرفة، ويتأمّل مليّاً شيئاً ما يراه أو يسمعه، ألا يمكن أن ينشأ الرأي الزائف بالأسلوب التالي؟

ثياتيتوس: بأي أسلوب؟

سقراط: عندما يفكّر بما يعرف، ليكون ما يعرفه بعض المرات، وليكون ما لا يعرفه مرات أخرى. إنّنا كنا على خطأ قبلاً عندما صرّحنا بإمكانية حدوث هذا؟

ثياتيتوس: وكيف ستصلح هذا التقرير السابق؟

سقراط: يجب أن أبدأ بتدوين قائمة للحالات المستحيلة التي يجب أن تُستثنى.

١ـ لا يستطيع أحدٌ أن يفكّر أنّ شيئاً واحداً يكون آخر عندما لا يدرك هو واحداً منهما، لكنّه يمتلك التذكّر أو الختم لكليهما في فكره. ولا يمكن أن يحدث

الخطأ عن شيء واحد بالنسبة إلى الشيء الآخر، عندما يعرف شيئاً واحداً فقط ولا يعرف، وليس لديه انطباع عن الشيء الآخر. ولا يستطيع هو أن يفكّر أنَّ الشيء الذي لا يعرفه هو شيء آخر لا يعرفه، أو أنّ ذلك الذي لا يعرفه هو ما يعرفه.

٢- ولا يكون الشيء الواحد الذي يدركه شيئاً آخر يدركه، أو يكون ذلك الشيء الـ« ما » الذي يدركه شيئاً ما لم يدركه؛ أو يكون ذلك الشيء الـ« ما » الذي لم يدركه شيئاً ما آخر لم يدركه؛ أو يكون ذلك الشيء الـ« ما » الذي لم يدركه شيئاً ما يدركه.

٣- ولا يقدر هو، مرّة ثانية، أن يفتكر أنَّ ما يعرفه ويدركه، ويمتلك الانطباع عنه متطابقاً مع الإحساس، لا يقدر على أن يفتكر بأنّه يكون شيئاً ما آخر يعرفه ويدركه، والذي يمتلك الانطباع عنه متطابقاً مع الإحساس؛ ولا تزال هذه الحالة الأخيرة، إذا أمكنَ، أكثر قابليّة لعدم التصديق من الحالات الأخرى.

٤- ولا يستطيع هو أن يفتكر أنّ شيئاً ما يعرفه ويدركه، ويمتلك عنه الذكرى في نظام جيّد، ولا يستطيع أن يفتكر بأنّه يكوْن شيئاً ما آخر يعرفه. ولا يستطيع هو أن يفكّر، إذا كان فكره مجهَّزاً هكذا، بأن يكون شيءٌ يعرفه ويدركه شيئاً ما آخر يدركه؛ أو أنْ يكون شيءٌ ما لا يعرفه ولا يدركه - ولا يستطيع أن يفترض هو مرّة ثانية، أنّ شيئاً لا يعرفه ولا يدركه يكون الشيء عينه كالشيء الآخر الذي يعرفه؛ أو أنَّ شيئاً لا يعرفه ولا يدركه يكون شيئاً آخر لا يدركه: كلّ هذه الأشياء تستثني إمكانية الرأي المزيّف بشكل مطلق وعلى نحو قاطع، وإذا بقيت أيّة حالات أخرى، فإنّها الحالات التي تلي.

ثياتيتوس: ما هي؟ إذا أخبرتني، لربّما يمكنني أن أفهمك بشكل أفضل؛ لكنّي غير قادر الآن على متابعتك.

قراط: يمكن لشخص أن يفكر أنّ أشياء ما يعرفها، أو يدركها ولا يعرفها، هي

أشياء ما أخرى يعرفها ولا يدركها؛ أو أنّ أشياء ما أخرى يعرفها ويدركها، تكون أشياء أخرى يعرفها ويدركها.

ثياتيتوس: إنّني أفهمك أقلّ من أيّ وقت مضى الآن.

سقراط: إسمعني مرّة ثانية، إذن: ـ أنا أعرف ثيودورس، وأتذكر في فكري الخاصّ أيّ نوع من الرجال هو، وأي نوع من الأشخاص هو ثياتيتوس، وأراهما في وقت واحد، ولا أراهما في وقت آخر، وألمسهُما بعض الأوقات، ولا ألمسهُما في الأوقات الأخرى، ويمكنني أن أسمعهما في وقت واحد أو أدركهما بطريقة أخرى ما، وأستطيع أن أدركك في وقت آخر، لكنّني لا أزال أتذكّرك، وأعرفك في فكري الخاصّ.

ثياتيتوس: حقيقيّ جداً.

سقراط: إذن، وقبل كلّ شيء، أريدك أن تفهم أنَّ إنساناً يمكنه أو لا يمكنه أن يدرك ذلك الذي يعرفه بشكل محسوس.

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: وأنّ الذي لا يعرفه لن يُدرِك به بعض المرات وسيُدرَك بعض المرات ويُدرَك فقط.

ثياتيتوس: إنّ ذلك حقيقي أيضاً.

سقراط: دعنا نرى إذا ما كان باستطاعتك أن تتبعني بشكل أفضل. يقدر سقراط أن يميّز ثيودورس وثياتيتوس، لكنّه لا يرى أيّاً منهما، ولا يدركهما بأيّة طريقة أخرى؛ لذلك لا يستطيع بأيّة إمكانية أن يتصوّر في تفكيره الخاصّ أنَّ ثياتيتوس هو ثيودورس، ألست محقاً فيما أقول؟

ثياتيتوس: إنّك محقّ تماماً.

سقراط: إذن فإنّ تلك الحالة الأولى كانت الحالة التي تكلّمت عنها؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: وكانت الحالة الثانية، أنّي أعرف أحدكما ولا أعرف الآخر، ولا أدرك بالحس كليكما، فلا أستطيع أبداً أن أتصوّر أنّ الذي أعرفه ليكون هو الذي لا أعرفه.

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: وفي الحالة الثالثة، فإنّي لا أعرف ولا أدرك بالحس كليكما. لا أستطيع أن أتصوّر بأن أحدكما الذي لا أعرفه هو الآخر الذي لا أعرفه. إنّني لا أحتاج لإعادة بيان الحالات المستثناة مرّة ثانية، والتي لا أقدر على أن أشكل فيها رأياً زائفاً بشأنك وشأن ثيودورس، إمّا حينما أعرف كليكما، أو عندما أجهل كليكما، أو عندما أعرف واحدكما ولا أعرف الآخر. وينطبق الشيء عينه على الإدراك. هل تفهمني؟

ثياتيتوس: إنّي أفهمك.

سقراط: والإمكانية الوحيدة للرأي الخاطىء هي عند معرفتي لك ولثيودورس، وقد انطبع كلاكما على القالب الشمعي كما ينطبع الختم، لكنّي أرى كليكما بشكل غير تامّ عن بعد، فإنّي توّاق لأنسب الانطباع الصحيح للذاكرة إلى الانطباع المرئيّ، لكي أناسب هذا إلى سِمَتِه الخاصّة، ولأجل أن يتمكّن هذا التمييز أن يأخذ مكانه. لكنّي إذا أخفقت وحوّلتها واضعاً القدم في الحذاء الذي لا يلائمه، بمعنى، أني أضع الرؤية لكليكما في الانطباع الخاطىء، أو إذا أخطأ عقلي، مثلما يحدث للبصر في المرآة، البصر الذي تحوّل من اليمين إلى اليسار، إذا أخطأ عقلي هذا بسببٍ ذي تأثير مشابه، عندئذ فإنّ « الهرطقة » والرأي الزائف ينشآن كنتيجة.

ثياتيتوس: نعم، يا سقراط، إنّك وصفت طبيعة الرأي بدقّة رائعة.

سقراط: أو مرّة ثانية، عندما أعرف كليكما، وأدرك حسيّاً مثلما أعرف واحداً منكما، لكنّي لا أعرف الآخر، ولا تنسجم معرفتي له مع الإدراك الحسيّ؛ تلك الحالة التي وضعتها لتوّي الآن والتي لم تفهمها.

ثياتيتوس: لا، إنّني لم أفهمها.

سقراط: أعني، أنّه عندما يعرف شخص ويدرك واحداً منكما بالحسّ، وتتطابق معرفته مع إدراكه الحسيّ، فإنّه لن يتصوّره أبداً على أنه شخص ما آخر ذلك الذي يعرفه ويدركه بالحسّ، والمعرفة التي تتطابق مع إدراكه الحسّي؛ لأنّ تلك الحالة هي الحالة المفترضة.

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: لكنّ هناك إسقاطاً لحالة أبعد، يمكن أن ينشأ فيها الرأي الزائف كما نقول الآن، عند معرفتي لكليكما أو مشاهدتي لكما، أو امتلاكي إدراكاً حسيّاً ما آخر لكليكما، فإنّني أخفق في الإمساك بالختم فوق الإحساس المتماثل وقبالته، وأخطىء العلامة وأبتعد عنها كثيراً، شأني في ذلك شأن الرامي غير الحاذق؛ وهذا يسمى بهتاناً أو زيفاً.

ثياتيتوس: نعم؛ إنّه يدعى هكذا بحقّ.

سقراط: ولذلك، عندما يكون الإحساس حاضراً لواحد من الأختام أو الانطباعات لكنّه لا يلازم الآخر، ويناسب العقل ختم الإدراك الحسيّ الغائب على الإدراك الحسيّ الحاضر، فإنّ العقل يُخدع في أيّة حالة من هذا النوع. وبكلمة، إن كانت وجهة نظرنا سليمة، فإنّه لا يمكن أن يكون هناك خطأ أو خداع بشأن الأشياء التي لا يعرفها إنسان ولم يدركها بالحسّ قطّ، بل يحدث ذلك في الأشياء التي تُعرف وتدرك بالحسّ فقط. إنّ الرأي يدور ويتلوّى بشكل لولبيّ في هذه الحالات وحدها، ويصبح رأياً حقيقياً وزائفاً بالتعاقب - إنّه يصبح رأياً حقيقياً عندما تقابل أختام وانطباعات الحسّ المستقيم والمضادّ، ويصبح رأياً زائفاً عندما تنحرف هذه الأختام والانطباعات وتكون ملتوية.

ثياتيتوس: أو لم يُقَلْ ما قيل بنبلٍ، يا سقراط؟

سقراط: بنبل! نعم؛ لكن انتظر قليلاً واسمع الإيضاح، وستقول ما تقوله حينئذ بحجّة منطقيّة أكثر؛ إنّه لشيء نبيل أن تفكّر بصدق، ولكنه شيءٌ سافلٌ أن تخدع.

ثياتيتوس: بدون شك.

سقراط: ويقول الرجال إن أصل الحقيقة والخطأ كما يلي: عندما يكون الشمع في روح أيّ شخصٍ عميقاً ووافراً، وناعماً وملَطَّفاً بشكل كامل، حينئذ فإنّ الانطباعات التي تمرّ من خلال الحواسّ وتغور في قلب الروح، كما يقول هوميروس في مَثَلٍ من أمثاله، وكان يريد تمثيل شَبَه الروح بالشمع، أقول إنّ كون هذه الروح روحاً صافية ونقيّة، ولديها عمق كافٍ من الشمع، فإنّها تبقى أيضاً؛ وإنّ عقولاً مثل هذه العقول تتعلّم بسهولة وتستبقي ما تعلّمته بسهولة كذلك، وتكون غير معرَّضةٍ لإرباك بصمات الحواسّ، بل إنّها تمتلك الأفكار الحقيقيّة. وبامتلاكها الانطباعات الصافية ذات الحيّز الفسيح، فهي تستطيع أن تقول « ما هي هذه الانطباعات » وبسرعة؛ أي أنّها توزّعها إلى أماكنها المناسبة على قالب الشمع هذا. إنّ رجالاً كهؤلاء يُدعون عقلاء. فهل توافق على ما أقول؟

ثياتيتوس: إنّي أوافق عليه بالكامل.

سقراط: لكن عندما يكون قلب أيّ شخص فظاً، إنّ هذه النوعية يأمر بها كلّ الشعراء الحكماء - أو حينما يكون هذا القلب قذراً وذا شمع غير نقيّ، أو أنّ شمعه يكون طرياً أو صلباً جدّاً، فإنّه يحدث خلل متطابق في العقل حينئذ. إنّ القلب الطريَّ شمعُه يكون صالحاً عند التعليم، لكنّه عرضة كي ينسى، والقلب الصلب شمعه يكون عكس ذلك. أمّا القلوب الفظّة والقاسية والحازمة، أو تلك التي تمتلك مزيجاً أرضيّاً أو كثيباً في تركيبها، فإنّها تحوز الانطباعات غير المميّزة، كما يكون الشمع الصلب أيضاً، إذ لا عمق فيه.

وكذلك فإنّ الشمع الطريّ يكون غير واضح أيضاً، لأنّ انطباعاته تشوَّش وتُمحى بسهولة. ومع ذلك فإنّ عدم الوضوح يكون أكبر عندما تحتشد الانطباعات كلّها معاً في روح صغيرة لا تمتلك متّسعاً فسيحاً. إنّ تلك الطبائع هي الطبائع المعرَّضة للرأي الزائف، لأنّها عندما ترى أو تسمع أو تفتكر بأيّ شيء، فإنّها تكـن بطيئة في عزو الأشياء الصحيحة إلى الانطباعات الصحيحة، وتربكها في غبائها، وتكون عرضة لترى وتسمع وتفكّر بطريقة خاطئة.

ثياتيتوس: لا يستطيع إنسان أن يقول أيّ شيء أصدق من ذلك، يا سقراط.

سقراط: يمكننا أن نعترف الآن إذن بوجود الرأي الزائف فينا؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: وبوجود الرأي الصحيح أيضاً؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: لقد برهنّا بشكل كامل أخيراً، وبدون أيّ شكّ أن هناك هذين النوعين من الرأي؟

ثياتيتوس: بدون شك.

سقراط: واحسرتاه، يا ثياتيتوس، أيّ مخلوق متعب هو الإنسان المولَع بالكلام!

ثياتيتوس: ما الذي جعلك تتكلّم هكذا؟

سقراط: لأنّي مثبَّط الهمة بسبب غبائي الخاصّ وثرثرتي المملّة؛ وأيّ تعبير آخر سيصف عادة الإنسان الذي يجادل دائماً على جوانب السؤال كلّه؟

ثياتيتوس: لكن ما الذي ثبّط همّتك هكذا؟

سقراط: إنّي لست مثبَّط العزيمة فقط، بل في يأس قاطع؛ لأنّي لا أعرف بماذا سأجيب إذا سألني أيّ شخص قائلاً: أوه، يا سقراط، هل اكتشفت أنت حقاً أنّ الرأي الزائف لا ينشأ لا في مقارنة الإدراكات الحسيّة بعضها

بيعض، ولا في الفكرة، بل إنّه ينشأ في وصل الفكرة بالإدراك الحسيّ؟ سأقول نعم، جواباً على سؤاله، مع رضا الشخص الذي تصور أنّه اكتشف اكتشافاً نبيلاً.

ثياتيتوس: إنّي لا أرى سبباً لخجلنا بشرحنا وعرضنا للمسألة، يا سقراط.

سقراط: سيقول: تعني أنت أنّ الإنسان الذي نفكّر به فقط ولا نراه، لا يمكن أن يشوَّش مع الحصان الذي لا نراه أو نلمسه،بل بالذي نفكر به ولا ندركه بالحسّ؟ سأجيبه أعتقد أنّ ذلك هو ما أعنيه.

ثياتيتوس: حقيقي تماماً.

سقراط: سيقول: حسناً إذن، فإنّ الرقم أحد عشر، طبقاً للمناظرة، والذي يتمّ التفكير به فقط، لا يمكن الظنّ أنّه رقم غير صحيح قطّ قياساً بالرقم إثني عشر، الذي يُفتكر به فقط؛ كيف ستجيبه؟

ثياتيتوس: ينبغي أن أقول له بأنّ الخطأ يمكن أن ينشأ جدّاً على الأرجح بين الرقم أحد عشر أو إثني عشر المرئي أو المستعمل، لكن لا يمكن أن ينشأ خطأ مماثل بين الرقم أحد عشر أو إثني عشر الذي يكون في الفكر.

سقراط: لكن ألا تظن أنّ أحداً لم يضع أمام فكره الخاص الرقمين خمسة وسبعة قطّ؟ إنّني لا أعني خمسة أو سبعة رجال أو أيّة أشياء أخرى كهذه، بل أعني الرقم خمسة أو سبعة في المجرّد، والتي تكون مدوَّنة على القالب الشمعي، والتي يُعتبر الرأي الزائف أنه مستحيل فيها؛ ألم يسأل إنسان نفسه أبداً ما هو حاصل هذه الأرقام عند جمعها معاً، ويجيب بأنّه أحد عشر، في حين يتصوّر الآخر بأنّ حاصلها يكون إثني عشر، أو هل يتّفق الكلّ في التفكير والقول بأنّ حاصلها هو اثْنا عشر؟

ثياتيتوس: إنّ الكثيرين منهم لن يعتقدوا بأنّ حاصلها هو أحد عشر بالتأكيد، وتبقى إمكانية الخطأ في الأعداد الأعلى أكبر؛ لأنّي أفترض بأنّك تتكلّم عن الأعداد بشكل عامّ.

سقراط: بالضبط؛ وأريدك أن تتأمّل إذا ما كان هذا لا يدل ضمناً على أنّ الرقم أحد عشر في القالب الشمعيّ يُفترض أنّه الرقم الأحد عشر؟

ثياتيتوس: نعم، يبدو أنّ هذه هي الحالة.

سقراط: ألا يعني ذلك أنّنا نرجع إلى معضلتنا القديمة عندئذ؟ لأنّ مَنْ يقع في خطأ كهذا يفتكر هو بشيء واحد يعرفه ليكون شيئاً آخر يعرفه؛ لكنّ هذا كان مستحيلاً، كما قلنا، وأعطينا برهاناً لا يُنقض على عدم وجود الرأي الزائف، لأنّه إذا كان غير ذلك فإنّ الشخص نفسه سيعرف بشكل محتوم ولا يعرف الشيء عينه في الوقت نفسه.

ثياتيتوس: إنّ ما تقوله هو الأكثر حقيقة.

سقراط: لا يمكن أن يوضح الرأي الزائف كارتباكٍ للتفكير والإحساس حينئذ، لأنّنا لم نستطع في تلك الحالة أن نكون مخطئين بشأن التصوّرات الفكريّة الصافية؛ وهكذا فإنّنا ملزمون لنقول، إمّا أنّ الرأي الزائف غير موجود، أو أنّ إنساناً يمكنه أن لا يعرف ذلك الذي يعرفه؛ أيّ خيار تفضّل؟

ثياتيتوس: إنّ تقرير ذلك صعب، يا سقراط.

سقراط: ومع ذلك فإنّ المناظرة ستعترف بكلا الافتراضين بنُدرة. لكن، بما أنّ ذكاءَنا على وشك أن ينفد، أفترض أنّنا نفعل شيئاً مخزياً؟

ثياتيتوس: ما هو؟

سقراط: دعنا نحاول إيضاح ماذا تشبه الكلمة « لتعرف ».

ثياتيتوس: ولماذا سيكون ذلك مخزياً؟

سقراط: يبدو أنّك لا تدري بأنّ بحثنا بمجمله قد كان بحثاً بشأن المعرفة منذ البداية، والتي يُفترض أنّنا لا نعرف طبيعتها؟

ثياتيتوس: لا، بل إنّني أدري ذلك جيّداً.

سقراط: أليسَ شيئاً مخزياً أن لا نعرف ما هي المعرفة، وذلك كي نوضح الفعل

« لتعرف »؟ الحقيقة، يا ثياتيتوس، أنّنا كنّا مصابين باللاطهارة المنطقية منذ زمن بعيد. لقد ردّدنا الكلمتين « نحن نعرف » و« لا نعرف » و« نحن نمتلك أو لا نمتلك علماً أو معرفة ». إنّنا ردَّدنا هذه الكلمات آلاف المرات، كما لو أنّنا نستطيع أن نفهم ما نحن قائلون بعضنا لبعض، حتّى ونحن جهلة بشأن المعرفة؛ وأنّنا لا نزال نقدر على استعمالها عندما تُجرَّد من المعرفة أو العلم.

ثياتيتوس: لكنّك إذا تفاديت هذه التعابير، يا سقراط، فكيف ستجادل قطّ على الإطلاق؟

سقراط: لا أستطيع القيام بذلك، كوني الإنسان الذي أكون. إنّ الحالة ستختلف إذا كنت بطلاً حقيقيّاً في علم الجدل. ويا ليت شخصاً كهذا يكون حاضراً! لأنّه كان سيخبرنا كيف نتفادى استخدام هذه العبارات؛ وفي الوقت عينه فإنّه لمْ يكن ليصفح عن الأخطاء الموجودة فيَّ وفيك والتي أشرت إليها سابقاً. لكنّي، مشاهداً أنّنا لسنا ذوي ذكاء خارق، فهل سأجازف وأقول ما هو العارف أو المعرفة؟ لأنّي أعتقد بأنّ المحاولة يمكن أن تكون جديرة للقيام بها؟

ثياتيتوس: جازف إذن مهما كلّف الأمر، ولن يخطّئك أحد لاستعمالك العبارات الممنوعة.

سقراط: إنّك سمعت الإيضاح العادي للفعل « لتعرف »؟

ثياتيتوس: أعتقد ذلك، لكنّي لا أتذكّره في هذه اللحظة.

سقراط: إنّهم يوضحون الكلمة « لتعرف » كأنّها تعني « كي تحوز معرفة ».

ثياتيتوس: حقّاً.

سقراط: أقترح بأن ندخل عليها تغييراً طفيفاً، ونقول « كي تمتلك أو تقتني » معرفة.

ثياتيتوس: كيف يختلف التعريفان كلاهما؟

سقراط: ربّما لا يكون فيهما تباين؛ لكن يبقى أنّني أريد منك أن تسمع وجهة نظري، لتتمكن من مساعدتي على اختبارها.

ثياتيتوس: سأفعل ذلك إن استطعت.

سقراط: سأحاول أن أميّز « الامتلاك » من « الاقتناء ». كمثال، يمكن لإنسان أن يشتري ويُبقي تحت سيطرته ثوباً لا يلبسه؛ ويجب علينا أن نقول عندئذ، بأنّه لا يمتلك، بل يقتني الثوب.

ثياتيتوس: هذا التعبير سيكون التعبير الصحيح.

سقراط: حسناً، ألا يمكن لإنسانٍ أن « يقتني » ومع ذلك لا « يمتلك » معرفة المعنى الذي أتكلّم به؟ كما يمكنك أن تفترض أن إنساناً اصطاد الطيور البريّة ـ الحمائم أو أيّة أنواع أخرى من الطيور ـ وأنّه يحتفظ بها في قفصٍ كبير بناه في بيته. يمكننا أن نقول عنه في معنى واحد بأنّه امتلك تلك الطيور على الدوام لأنّه يقتنيها. ألا يمكننا قول ذلك؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: ومع ذلك فهو لا يمتلك أيّاً منها، في معنى آخر؛ بل إنّها موجودة في قبضته ويمتلكها تحت سيطرته أسيرة ولا تقدر على الهرب، ويستطيع أن يأخذها حيث يشاء. ويمكنه أن يصطاد أيّ طير يحلو له اصطياده، ثم يطلق سراحه، ويمكنه أن يفعل هكذا غالباً مثلما يحلو له.

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: إنّنا أوجدنا فيما تقدم من أفكار إذن، أوجدنا نوعاً من اللوحة الشمعيّة في الفكر، وهكذا دعنا نفترض الآن بأنّ هناك في فكر كلّ رجل منّا قفصاً كبيراً لكلّ أنواع الطيور، بعضها يتجمّع معاً بمعزل عن الطيور الأخرى، وبعضها الآخر في تجمعات صغيرة، وتكون الطيور الأخرى منفردة، وهي تطير في أيّ مكان وفي كلّ مكان.

ثياتيتوس: دعنا نتصوّر وجود قفص كهذا ـ وماذا سيلي؟

سقراط: يمكننا أن نفترض أنّ الطيور هي أنواع من أنواع المعرفة، وأنّنا عندما كنا أطفالاً كان هذا الوعاء فارغاً؛ وكلّما حصل واحتجز إنسان في هذا السياج نوعاً من أنواع المعرفة، يمكن القول عنه إنّه تعلّم أو اكتشف الشيء الذي هو موضوع المعرفة.

ثياتيتوس: مُنحت.

سقراط: وأبعد من ذلك، عندما يرغب أيّ شخص أن يُمسك بأيٍّ من هذه المعارف أو العلوم، وبعد أن نالها، ثمّ تركها مرّة ثانية، فكيف سيعبّر عن نفسه؟ هل سيصف « الإمساك » بها و« الامتلاك » الأصليّ بالكلمات عينها؟ إنّني سأجعل معناي أوضح بمثال: ـ أتعترف أنت بأنّ هناك فنّاً حسابيّاً؟

ثياتيتوس: لتكن متأكّداً.

سقراط: تصوّر هذا وكأنّه محاولة كي نقبض على معرفة كلّ صنف من أصناف المعرفة للأعداد المفردة والمزدوجة.

ثياتيتوس: إنّني أتبعك.

سقراط: وإذا لم أكن مخطئاً، بما أنّ عالم الحساب يستخدم هذا الفنّ فإنّه يمتلك التصوّرات والإدراكات للأعداد في حوزته ويستطيع أن ينقلها إلى الآخرين.

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: وعند نقلها يمكن القول عنه إنّه يعلّمها، وعند تلقّيه تعليمها، وحين امتلاكه لها في اقتنائه إيّاها داخل القفص الوارد ذكره، يمكن القول عنه إنّه يعرفها أيضاً.

ثياتيتوس: بالضبط.

سقراط: إصغِ إلى ما يلي: ألا يجب على عالم الحساب الكامل في المعرفة، أن يعرف كلّ الأعداد لأنّه يمتلك علم الأعداد جميعاً في فكره؟

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: ويستطيع أن يحسب الأعداد المجرّدة في رأسه، أو الأشياء التي تكون قابلة لأن تُحصى حوله؟

ثياتيتوس: إنّه يقدر على ذلك بالطبع.

سقراط: ولكي يحسب يكون قادراً أن يقدِّر كم يساوي هكذا وهكذا عدد ببساطة؟

ثياتيتوس: حقيقي جدّاً.

سقراط: وهكذا فهو يبدو أنه باحث في شيء ما يعرفه، وكما أنّه لا يعرفه، لأنّنا اعترفنا مسبقاً بأنّه يعرف الأعداد كلّها؛ إنّك سمعت بهذه الأسئلة المحيِّرة.

ثياتيتوس: لقد سمعت.

سقراط: ألا يمكننا أن نقتفي أثر صورة الحمائم، ونقول إنّ التعقّب في أثر المعرفة يكون ذا نوعين؟ النوع الأول سابق للاقتناء من أجل الاقتناء، والنوع الآخر من أجل الأخذ والإمساك بالأيدي ذلك الذي يُقتنى مسبقاً. وهكذا فإنّ إنساناً تعلّم وعرف شيئاً ما منذ وقت طويل، فإنّ بإمكانه أن يستردّ ويُمسِك بالمعرفة التي اقتناها منذ زمن بعيد.

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: وهذا ما دعاني لأسأل كيف يجب أن يُتكلَّم عندما يبدأ عالم الحساب بالعدّ، أو حينما يشرع عالم النحو بالقراءة. هل سنقول، إنّ كلاً منهما، برغم أنّه يعرف، فإنّه يعود إلى نفسه في مناسبة كهذه كي يتعلّم ما عرفه سابقاً؟

ثياتيتوس: إنّه لمضحك جدّاً أن نقول ذلك، يا سقراط.

سقراط: هل سنقول إذن إنّه يكون ذاهباً كي يقرأ أو يعُدَّ ما لا يعرف، رغم اعترافنا بأنّه يعرف الحروف والأعداد جميعها؟

ثياتيتوس: إنّ ذلك سيكون شيئاً سخيفاً مرّة ثانية.

سقراط: هل سنقول إذن بأنّنا لا نهتّم بأيّ شيء بشأن الأسماء المجرّدة - يمكن لأيّ شخص أن يلوي ويبرم الكلمات « عارفاً » و« متعلّماً » في أية طريقة يحبها، لكن بما أنّنا أوجدنا تمييزاً واضحاً بين اقتناء المعرفة وامتلاكها أو استخدامها، فإنّنا نؤكّد أنّ إنساناً ليس بمقدوره أن لا يقتني ذلك الذي يقتنيه. ولهذا السبب لا يقدر إنسان على أن لا يعرف ذلك الذي يعرفه بأيّة حال، بل إنّه يمكنه أن يحصل على الرأي الزائف بشأنه؛ فهو يمكنه أن يمتلك المعرفة، ليس لهذا الشيء المحدَّد، بل لشيء ما آخر. وعندما تكون الأعداد المختلفة وأشكال المعرفة مرفرفة في القفص الكبير، ويرغب إنسان في أن يلتقط نوعاً محدّداً من أنواع المعرفة خارج المخزن العامّ، يمكنه أن يقبض على الشيء الخطأ بالغلط. وهكذا يمكنه كذلك أن يعتقد بأنّ الرقم أحد عشر يكون اثني عشر، ويمسك بالحمامة المطوّقة التي امتلكها في فكره، كما كانت عندما أراد الإمساك بالحمامة.

ثياتيتوس: إنّ هذا الإيضاح إيضاح عقلانيّ جداً.

سقراط: لكنّه عندما يقبض على الذي يريده، فإنّه لن يُخدَع، ويمتلك رأياً عن الذي يكون؛ وهكذا يمكن للرأي الصحيح والزائف أن يوجدا كلاهما، واختفت الصعوبات التي نشأت في السابق. أجرؤ على القول بأنّك توافقني، ألا تفعل ذلك؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: وهكذا فإنّنا تخلّصنا من صعوبتنا وهي أنّ الإنسان لا يعرف ما يعرفه؛ لأنّنا لم نُجبر على الوصول إلى الاستنتاج بأنّه لا يقتني ما يقتنيه، سواء إذا خُدع أو لم يُخدع. ومع ذلك فإنّني أخشى أنّ صعوبة أكبر من التي نواجهها تطلّ برأسها من النافذة.

ثياتيتوس: ما هي؟

سقراط: كيف يمكن لإبدال معرفةٍ بأخرى أن يصبح رأياً زائفاً؟

ثياتيتوس: ماذا تعني؟

سقراط: كيف يستطيع الإنسان الذي يمتلك معرفة بخصوص أيّ شيء، في المقام الأول، كيف يستطيع أن يكون جاهلاً بما يعرفه، ليس بسبب الجهل، بل بسبب معرفته الخاصّة؟ ومرّة ثانية، أليس شيئاً مضحكاً إلى أقصى حد أنّ عليه أن يفترض شيئاً آخر ليكون هذا، وهذا ليكون شيئاً آخر؛ ـ وبامتلاكه المعرفة الحاضرة معه في فكره، لم يزل لا يعرف شيئاً ويكون جاهلاً بكلّ الأشياء؟ باستطاعتك أن تجادل أيضاً أنّ الجهل يمكن أن يجعل الإنسان يعرف، ويجعله العمى يرى، كما أنّ المعرفة تقدر على أن تجعله جاهلاً.

ثياتيتوس: لربّما كنّا مخطئين، يا سقراط، في جعل أشكال المعرفة طيورنا فقط؛ في حين أنّه يجب علينا أن نمتلك أشكالاً للجهل أيضاً، مرفرفة في الفكر معاً، وحينئذ فإنّ الذي نشد التقاط إحداها يمكنه القبض على شكل من أشكال المعرفة بعض المرات، وعلى شكل من أشكال الجهل كذلك؛ وهكذا فهو سيحوز رأياً زائفاً من الجهل، لكنّه سيمتلك رأياً حقيقياً واحداً من المعرفة، بخصوص الشيء عينه.

سقراط: لا أستطيع إلاّ أن أثني عليك، يا ثياتيتوس، ومع ذلك يجب عليَّ أن أستعطفك كي تتأمّل كلماتك. دعنا نمنح ما تقول ـ إذن، وطبقاً لك، فإنّ من يستحوذ على الجهل سيمتلك رأياً مزيفاً أو زائفاً ـ هل أنا محقّ فيما أقول؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: إنّه لن يفكّر بأنّه يمتلك رأياً زائفاً بالتأكيد؟

ثياتيتوس: لا، طبعاً.

سقراط: سيفكّر بأنّ رأيه حقيقيّ، وسيتوهّم بأنّه يعرف الأشياء التي قد خُدِع بشأنها؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: سيعتقد عندئذ بأنّه قبض على المعرفة وليس على الجهل؟

ثياتيتوس: بوضوح.

سقراط: وهكذا، فإنّنا بعد أن قطعنا طريقاً دائريّاً طويلاً، ها نحن مرة ثانية وجهاً لوجه مع صعوبتنا الأصليّة. إنّ بطل علم الجدل سيردّ علينا رداً سريعاً وحاسماً ويقول ضاحكاً: « أوه يا أصدقائي الممتازين، إذا عرف إنسان عيّنة الجهل وعيّنة المعرفة أيضاً، فهل يستطيع أن يتصوّر أنّ التي يعرفها هي النموذج الآخر الذي يعرفه؟ أو إذا لم يعرف هو أيّاً منهما، فهل يقدر أنْ يتصوّر أَنَّ النموذج الذي لا يعرفه هو نموذج غير النموذج الذي لا يعرفه؟ أو، إذا عرف هو نموذجاً واحداً ولم يعرف النموذج الآخر، هل يستطيع هو أن يتصوّر أنَّ العيّنة التي يعرفها لتكون التي لم يعرفها؟ أو لتكون العيّنة التي لم يعرفها تلك التي يعرفها؟ أو هل سنتقدّم لتخبرني بأن هناك معارف أخرى تعرف أنواع المعرفة والجهل، وهي التي يحتفظ بها مالكها في أقفاص كبيرة أخرى ما، أو أنّها محفورة على قوالب شمعيّة طبقاً لتصوّراتك الغبيّة، والتي يمكن القول عنه إنّه يعرفها في حين يقتنيها، برغم أنّه لا يمتلكها قيد الاستعمال في فكره؟ وهكذا، فإنّك ستُجبر على أن تدور وتدور في دائرة ثابتة، ولن تحقّق أيّ تقدم ». فبماذا نجيبه على قوله هذا، يا ثياتيتوس؟

ثياتيتوس: إنّني لا أعرف ما سنقوله حقّاً، يا سقراط.

سقراط: أليست تأنيباته عادلة، أوَ لا تبيِّن المحاورة بحقّ أنّنا مخطئون في البحث عن الرأي الزائف قبل أن نعرف ماهية المعرفة؛ يجب أن يؤكّد ذلك قبل كلّ شيء، وتؤكّد بعدئذ طبيعة الرأي الزائف؟

ثياتيتوس: لا أستطيع سوى الموافقة على ما تقول، يا سقراط، إلى المدى الذي وصلنا إليه في بحثنا لحدّ الآن.

سقراط: إذن، ومرّة ثانية، ماذا سنقول عن ماهية المعرفة؟ ونحن لن نفقد الأمل في إيجاد ذلك؟

ثياتيتوس: إنّني لن أفقد الأمل ولن تخورَ عزيمتي، إذا بقيت أنت صامداً، بالتأكيد.

سقراط: أيُّ تعريفٍ سيكون الأكثر استقامة مع آرائنا السابقة؟

ثياتيتوس: لا أستطيع أن أفكّر بأيّ تعريف جديد سوى ما أعطيناه سابقاً، يا سقراط.

سقراط: وما هو؟

ثياتيتوس: قلنا سابقاً إنّ المعرفة هي رأي صحيح. والرأي الصحيح لا يخطىء بالتأكيد، والنتائج التي تليه كلّها نبيلة وخيِّرة.

سقراط: قيل ذلك، يا ثياتيتوس، وسيُري الاختبار « من هو الذي يدلّ على الطريق إلى النهر ». ولربّما إنْ تقدّمنا في البحث، أن نتعثّر فوق الشيء الذي نبحث عنه؛ لكن إذا بقينا حيث نحن، فلا شيء سيظهر إلى النور.

ثياتيتوس: حقيقي جداً. دعنا نتقدّم إلى الأمام ونحاول.

سقراط: إنّ القافلة ستصل إلى غايتها قريباً لأنّ المهنة كلّها تكون ضدنا.

ثياتيتوس: كيف يكون ذلك، وأيّة مهنة تعني؟

سقراط: أعني مهنة الأشخاص الحكماء العظام الذين يُسمّون خطباء ومحامين. إنّ هؤلاء يُقنعون الرجال بفنّهم ويجعلونهم يفكّرون بأيّ شيء يحبّونه، لكنّهم لا يتولّون تعليمهم. هل تتصوّر أن هناك أيّ معلمين حاذقين كهؤلاء في العالم، ولكي يكونوا قادرين على نقل الحقيقة الكاملة بشأن الأعمال الماضية للسرقات أو أعمال العنف، على نقلها إلى الرجال الذين لم يكونوا شهوداً، بينما يكون الماء القليل متدفّقاً في الساعة المائيّة؟

ثياتيتوس: إنّهم يستطيعون إقناعهم فقط، ليس بالتأكيد.

سقراط: أو لن تقول إنّ إقناعهم هو بجعلهم يمتلكون رأياً؟

ثياتيتوس: لتكن متأكّداً.

سقراط: متى إذن، يكون القضاة مقتنعين بشأن القضايا بعدل، تلك القضايا التي تستطيع أن تعرفَها برؤياها فقط، وليس بأيّة طريقة أخرى، وهم ينالون الرأي الصحيح بخصوصها عند الحكم عليها هكذا ومن التقرير النظريّ. إنّهم يحكمون بدون معرفة، وبرغم ذلك يكونون مقتنعين بحقّ، إن هم حكموا عليها جيّداً.

ثياتيتوس: بدون ريب.

سقراط: وبرغم ذلك، يا صديقي، إنْ كان الرأيَ الصحيح والمعرفة هما الشيء عينه في المحاكم القانونيّة، فإنّ القاضي الكامل لا يستطيع أن يحكم بالحقّ بدون معرفة. ولهذا السبب يجب أن أستنتج بأنّهما ليسا الشيء عينه.

ثياتيتوس: هناك، يا سقراط، التمييز الذي سمعت أنّه وجده شخص آخر، لكنّي نسيت ذلك التمييز. قال هو إنّ الرأي الصحيح، متحداً مع السبب، هو معرفة، غير أنّ الرأي الذي لا يمتلك سبباً كان خارج نطاق المعرفة؛ وتلك الأشياء التي ليس فيها تعليل عقلي ليست معروفة ـ ذلك هو التعبير المفرد الذي استعمله ـ وقال إنّ الأشياء التي تمتلك سبباً أو تعليلاً تكون معروفة.

سقراط: ممتاز؛ لكن كيف ميّز بين الأشياء التي تكون والتي لا تكون « معروفة » حينئذ؟ أرغب منك أن تردِّد لي ما قال، وسأعرف عندئذ إذا ما كنت أنت وأنا قد سمعنا القصّة عينها.

ثياتيتوس: لا أعرف إذا ما كان باستطاعتي أن أتذكّرها. لكن إذا ما كان سيخبرني إيّاها، أعتقد بأنّني أقدر على أن أتبعه.

سقراط: دعني أقدّم لك إذن حلماً مقابل حلم: ـ افتكرتُ بأنّي حلمت حلماً، وسمعت في حلمي أنّ الحروف البدائية أو العناصر التي رُكّبنا منها أنت وأنا

والتي رُكِّبت منها كلّ الأشياء الأخرى، سمعت أنّها لا تمتلك سبباً أو تعليلاً، وتستطيع أنت أن تسمّي كلا منها إفرادياً، لكن لا يمكن تأكيد أو إنكار رأي محمول عنها، لأنّ الوجود يكون متضمَّناً في الحالة الواحدة، واللاوجود في الحالة الأخرى بشكل مسبق، والذي لا يجب إضافة أيّ منهما، إذا عنيت عن هذا أو ذلك الشيء بنفسه على حدة. ينبغي أن لا يسمّى « نفسه »، أو « ذلك »، أو « كلاً »، أو « وحده » أو « هذا » أو ما شابه. لأنّ هذه الأوصاف تنتشر في كلّ مكان وتنطبق على كلّ الأشياء، لكنّها تكون متميّزة عنها؛ في حين أنّه إذا كان مستطاعاً وصف العناصر الأولى، وكان لها تعريف خاص بها، فسيُتكَلَّمُ عنها بمعزلٍ عن كلّ التعريفات الأخرى. لكن لا يمكن أن تحدَّد واحدة من هذه العناصر الأولى؛ بل يُستطاع تسميتها فقط، لأنّها لا تمتلك أيّ شيء سوى الإسم، في حين أنّ الأشياء التي تُركَّب منها، وكما تكون مركّبة أنفسها، فإنّها تعرّف بتركيب الأسماء، لأنّ التركيب هو جوهر التعريف. وهكذا، فإنّ العناصر أو الحروف هي أهداف الإدراك الحسيّ فقط، ولا يُستطاع تعريفها أو معرفتها. لكنّ المقاطع اللفظيّة أو المركّبات منه تُعرف ويُستطاع إيضاحها وتُفهم بالرأي الصحيح. ولذلك فإنّ أيّ شخص عندما يصوغ رأياً صحيحاً عن أيّ شيء بدون تعليل عقليّ، يمكنك أن تقول عندئذ بأنّ فكره يكون متمرّناً بحقّ، لكنّه لا يمتلك معرفة؛ لأنّ منْ لا يستطيع أن يعطي ويتلقّى سبباً للشيء، لا تكون لديه معرفة عن ذلك الشيء، لكنّه عندما يضيف له تعليلاً عقليّاً، فإنّه يكون متكاملاً في المعرفة ويمكنه أن يكون كلّ ما قد أنكرته عليه. هل كان ذلك هو الشكل الذي ظهر لك الحلم فيه؟

ثياتيتوس: بالضبط.

سقراط: وتسمح أنت وتؤكّد القول إنّ الرأي الصحيح المتّحد مع التعريف أو التعليل العقليّ هو معرفة؟

ثياتيتوس: بالضبط.

سقراط: يمكننا أن نعتبر أنّه أمر مفروغ منه إذن، يا ثياتيتوس، وهو أنّنا وجدنا اليوم، وفي هذا الأسلوب المعتاد، وجدنا الحقيقة التي لم يقدر على إيجادها العديد من الرجال الحكماء في الأزمنة السابقة والذين عاشوا عمراً مديداً؟

ثياتيتوس: إنّني لمقتنع بهذا العرض الحاضر على كلّ حال، يا سقراط.

سقراط: إنّ هذا العرض هو العرض الذي يكون صحيحاً بالاحتمال ـ إذ كيف يمكن أن تكون هناك معرفة منفصلة عن التعريف والرأي الصحيح؟ ومع ذلك هناك نقطة رئيسيّة واحدة فيما قد قيل وهي لا تقنعني تماماً.

ثياتيتوس: ما هي هذه النقطة؟

سقراط: إنّها ربّما أكثر الأفكار براعةً: إنّ العناصر أو الحروف تكون غير معروفة، لكن المقاطع اللفظيّة تكون معروفة.

ثياتيتوس: وهل كان ذلك خطأً؟

سقراط: سنعرف عما قريب لأنّ لدينا كرهائن الأمثلة التي استخدمها موجد المناظرة نفسه.

ثياتيتوس: أيّة رهائن؟

سقراط: إنّها حروف الأبجدية ومقاطعها اللفظيّة. إنَّ الذي أعطى هذا السبب استنتج منطقيّاً من هذه الأشياء، ألم يفعل ذلك؟

ثياتيتوس: نعم؛ إنّه فعل.

سقراط: دعنا نأخذها ونضعها في التجربة، أو بالأحرى، دعنا نختبر أنفسنا: هل كانت تلك الطريقة هي الطريقة التي تعلّمنا بواسطتها الحروف، وقبل كلّ شيء، هل حقيقيّ أنّ تلك المقاطع اللفظيّة تمتلك تعريفاً. لكنّ تلك الحروف لا تمتلك أيّ تعريف.

ثياتيتوس: أتصوّر ذلك.

سقراط: أنا أتصوّر ذلك أيضاً؛ وافترض أنّ شخصاً ما يسألك أن تتهجّأ المقطع اللفظيّ الأول لإسمي: ـ يقول هو لك، يا ثياتيتوس، ما هو ال س ق؟

ثياتيتوس: عليّ أنْ أجيب أنّه حرفا س و ق.

سقراط: إنّ ذلك التعريف هو التعريف الذي ستعطيه للمقطع اللفظيّ.

ثياتيتوس: عليّ أن أفعل ذلك.

سقراط: أتمنّى أن تعطيني تعريفاً مشابهاً للحرف س.

ثياتيتوس: لكن كيف يستطيع أيّ شخص، يا سقراط، أن يتحدّث عن عناصر العنصر؟ أستطيع أن أعطي جواباً لذلك فأقول، إنّ الحرف س هو حرف ساكن. إنّه مجرّد صوت، مثلما يهسُّ اللسان. أمّا الحرف ب، وأكثر الحروف الأخرى، فإنّها ليست حروفاً صوتية ولا أصواتاً مرّة ثانية. وهكذا يمكن أن يقال بالحقيقة الأكثر إنّ الحروف غير معرّفة. حتى أنّ الحروف الأكثر وضوحاً منها، والتي هي الحروف السبعة الليّنة، لها صوت فقط، لكنّها لا تمتلك تعريفاً على الإطلاق.

سقراط: أفترض إذن، يا صديقي، بأنّنا كنا محقّين في تقرير فكرتنا بشأن المعرفة لحدّ الآن؟

ثياتيتوس: نعم؛ أعتقد أننا كنّا كذلك.

سقراط: حسناً، لكن هل كنّا محقّين في التأكيد بأنّ المقاطع اللفظيّة يمكن أن تُعرَف، أمّا الحروف فلا؟

ثياتيتوس: إنّي أتصوّر ذلك.

سقراط: وهل تعني بالمقطع اللفظي الحرفين الاثنين بكلّ بساطة؟ أو إذا وُجدت حروف أكثر من ذلك، فهل تعني بها كلّها، أو الشيء الذي ينبثق من تركيبها بشكل مفرد؟

ثياتيتوس: يلزمني أن أقول بأنّنا نعني كلّ الحروف.

سقراط: خُذ حالة الحرفين الاثنين س و ق اللذين يشكّلان المقطع الحرفيّ لإسمي؛ ألا يلزم الذي يَعرِف المقطع الحرفي أن يَعرِف كليهما؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: يعرف هو الحرفين ال س وال ق؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: لكن هل يستطيع هو أن يكون جاهلاً لها إفرادياً وغير عارف بكلّ منها، ويعرفها معاً برغم ذلك؟

ثياتيتوس: إنّ افتراضاً كهذا يعتبر افتراضاً رهيباً، يا سقراط، وغير ذي معنى.

سقراط: لكنّه إن لم يستطع أن يعرف كلاً منها بدون معرفة كلّ منها، فإنّه إن كان عليه أن يعرف المقطع اللفظي قطّ حينئذ، يجب عليه أن يعرف الحروف الأولى. وهكذا فإنّ هذه النظرية الجميلة ستكون قادرة على أن تأخذ شكل جناحين وتفلت منا.

ثياتيتوس: نعم، وستفعل ذلك بخفّة مدهشة.

سقراط: نعم، ذلك أنّنا لم نراقب ما يجري جيّدا. لربّما وجب علينا أن نؤكّد أنّ المقطع اللفظي ليس الحروف، بل إنّه كينونة واحدة مفردة مشكّلاً منها على الأصحّ، متميّزاً عن الحروف، وله شكله الخاص المميّز.

ثياتيتوس: حقيقيّ جداً؛ وإنّها لفكرة قابلة للتطبيق أكثر من الفكرة الأخرى على الأرجح.

سقراط: كن حذراً، دعنا لا نكون جبناء وأن لا نكشف عن فكرة عظيمة وجليلة.

ثياتيتوس: لا حقّاً.

سقراط: دعنا نفترض إذن، وكما تقول الآن، أنّ الحرف اللفظيّ يكون شكلاً بسيطاً ناشئاً من التركيبات المتعدّدة للعناصر المتناسقة ـ تركيبات الحروف أو تركيبات أية عناصر أخرى.

ثياتيتوس: جيّد جداً.

سقراط: ولا يجب أن يكون لديه أجزاء.

ثياتيتوس: لماذا؟

سقراط: لأنّ ذلك الذي له أجزاء يجب أن يكون كلاً للأجزاء كلّها. أو هل ستقول إنّ الكلّ أيضاً يكون فكرة مفردة مختلفاً عن كلّ الأجزاء، برغم أنّه متشكل من الأجزاء؟

ثياتيتوس: عليّ أن أقول ذلك.

سقراط: وهل ستقول إنّ الكلّ والمجموع هما الشيء عينه، أو أنهّما مختلفان؟

ثياتيتوس: إنّني لست متأكّداً من هذا، لكن بما أنّك تريدني أن أجيبك في الحال، فإنّي سأجازف بالإجابة. أقول بأنّهما مختلفان.

سقراط: إنّي أستحسن استعدادك لذلك، يا ثياتيتوس، لكن يجب أن آخذ وقتاً لأفكّر إذا ما كنت أستحسن إجابتك بشكلٍ متساوٍ.

ثياتيتوس: نعم؛ إنّ الجواب هو الغاية.

سقراط: طبقاً لهذه النظرية الجديدة، فإنّ المجموع يختلف عن الكلّ؟

ثياتيتوس: أجل.

سقراط: حسناً، لكن هل هناك فرق بين الكلّ « في صيغة الجمع » والكلّ « في صيغة المفرد »؟ خذ حالة العدد عندما نقول نحن واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستّة؛ أو عندما نقول مرتين ثلاثة، أو ثلاث مرّات اثنين، أو أربعة واثنين، أو ثلاثة واثنين وواحد، فهل نتكلّم نحن عن أعداد بعينها أو عن أعداد متباينة؟

ثياتيتوس: إنّنا نتكلّم عن أعداد بعينها.

سقراط: يعني أنّنا نتكلّم عن العدد ستّة؟

ثياتيتوس: أجل.

سقراط: ونتكلّم في كلّ نموذج من نماذج الإيضاح عن العدد ستّة كلّه؟

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: ومرّة ثانية، فإنّنا حينما نتكلّم عن الكلّ « في صيغة الجمع »، ألا نوضح شيئاً واحداً كليّاً؟

ثياتيتوس: طبعاً.

سقراط: ونعني به العدد ستّة.

ثياتيتوس: أجل.

سقراط: إذن فإنّ المعنى يكون الشيء عينه في حالة الأشياء التي تقاس بالعدد على الأقلّ، وذلك سواء إذا أعلنّا الكلّ في صيغة المفرد أو في صيغة الجمع؟

ثياتيتوس: يبدو هكذا.

سقراط: مرّة ثانية، فإنّ عدد والأكْر(٢٣)، والأكْر هما الشيء عينه. أليس كذلك؟

ثياتيتوس: أجل.

سقراط: وإنّ عدد الأستديوم(٢٤) هو الأستديموم في نمط مماثل.

ثياتيتوس: أجل.

سقراط: ويكون الجيش عدد الجيش. وفي كل الحالات المماثلة، فإنّ العدد كلّه لأيّ شيء هو الشيء كلّه؟

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: ويكون العدد لكل واحد الأجزاء لكلّ واحد؟

ثياتيتوس: حقاً بالضبط.

سقراط: إذن فإنّ الأشياء العديدة بما أنّها تمتلك أجزاء فإنّها تكون مشكَّلَةً من الأجزاء؟

ثياتيتوس: على ما يبدو.

سقراط: لكن تمّ الاعتراف أنّ كلّ الأجزاء لتكون الكلّ، إذا اعتبرنا العدد الكليّ كأنّه الكلّ؟

ثياتيتوس: صدقاً.

سقراط: إذن فإنّ المجموع لا يكون مؤلّفاً من أجزاء، لأنّه سيكون الكلّ، إذا كان مؤلّفاً من كلّ الأجزاء؟

ثياتيتوس: إنّ ذلك هو الاستنتاج.

سقراط: لكن هل يكون الجزء جزءاً لأيّ شيء إلا للمجموع؟

ثياتيتوس: نعم، إنّه يكون للمجموع.

سقراط: إنّك دافعت دفاعاً باسلاً، يا ثياتيتوس، وبرغم ذلك ألا يكون الكلّ ذلك الذي لا يكون محتاجاً لشيء؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: أولا يكون المجموع في نمطٍ مماثل ذلك الذي لا يكون غائباً منه أيّ عامل من أيّ نوع؟ لكن ذلك الشكل الذي يكون غائباً منه أيّ شيء لا يكون مجموعاً ولا كلاًّ؛ وإن كانا بحاجة في أيّ شيء، فإنّما يفقدان طبيعتهما الكليّة بشكل متساوٍ.

ثياتيتوس: أعتقد الآن أنه لا فرق بين المجموع والكلّ.

سقراط: لكن ألم نقل إنّ الشيء عندما يمتلك أجزاء، فإنّ كلّ الأجزاء ستكون مجموعاً وكلاًّ؟

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: إذن، وكما كنت قائلاً فيما مضى، ألا يجب أن يكون الاختيار هو إمّا أنّ المقطع اللفظيّ ليس الحروف، وحينئذ فإنّ الحروف ليست أجزاءً من المقطع اللفظي، أو أنّ المقطع اللفظي سيكون الشيء عينه مع الحروف، وسيكون معروفاً معها لهذا السبب بشكلٍ متساوٍ؟

ثياتيتوس: إنّك لمحقّ.

سقراط: ولكي نتفادى هذا، فإنّنا نفترض المقطع اللفظيّ ليكون مختلفاً عن الحروف؟

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: لكن إذا لم تكن الحروف أجزاء المقاطع اللفظيّة، فهل تستطيع أن تخبرني عن أيّ الأُجزاء الأخرى من المقاطع اللفظيّة التي لا تكون حروفاً؟

ثياتيتوس: لا، لا أستطيع فعل ذلك حقّاً، يا سقراط؛ لأنّني إذا اعترفت بوجود الأجزاء في المقطع اللفظيّ، فإنّي سأكون مضحكاً إنْ تخلّيت عن الحروف وبحثت عن أجزاء أخرى غيرها.

سقراط: حقيقيّ تماماً، يا ثياتيتوس، ولهذا السبب فإنّ المقطع اللفظيّ يجب أن يكون شكلاً غير قابل للانقسام بكلّ تأكيد، طبقاً لتصوّرنا الحاضر؟

ثياتيتوس: يبدو هكذا.

سقراط: لكن هل تتذكّر، يا صديقي، أنّنا اعترفنا منذ برهة قصيرة فقط ووافقنا على بسط القضية، وهي أنّه لا يمكن أن يكون هناك تعريف للعناصر الأولى التي تتركّب منها كلّ الأشياء الأخرى، إذ عندما يؤخذ كلٌّ منها بنفسه فإنّها تكون غير مركّبة، ولا يمكن لشخصٍ أن يعزو لها كلمتي « وجود » أو « هذه »، لأنّها تكون كلمتين غريبتين وغير مناسبتين. ولهذا السبب فإنّ الكلمات أو العناصر كانت غير معرّفة وغير معروفة؟

ثياتيتوس: إني أتذكّر.

سقراط: أوليس هذا أيضاً هو السبب الذي تكون من أجله تلك الكلمات كلمات بسيطة وغير منقسمة؟ لا أستطيع أن أرى سبباً آخر.

ثياتيتوس: يبدو أنّه لا يوجد سبب آخر.

سقراط: أليس المقطع اللفظي إذن في الحالة عينها مثلما تكون العناصر أو الحروف، إنْ لم يمتلك أجزاء ويكون شكلاً واحداً؟

ثياتيتوس: لتكن متأكّداً.

سقراط: إذا كان المقطع اللفظيّ مجموعاً ويمتلك أجزاء متعدّدة أوْ لَهُ حروف،

فيجب أن يكون مفهوماً وواضحاً عندئذ، أن تكون الأجزاء الشيء عينه كالمجموع، بما أنّ الأجزاء معترف بها كلّها أنّها كذلك.

ثياتيتوس: صدقاً.

سقراط: لكن إذا كان المقطع اللفظيّ واحداً وغير منقسم، فستكون المقاطع اللفظيّة حينئذ متشابهة غير معرّفة وغير معروفة، وللسبب عينه؟

ثياتيتوس: لا أستطيع إنكار ذلك.

سقراط: إنّنا لا نستطيع أن نتّفق، لهذا السبب، مع رأي من يقول إنّ المقطع اللفظيّ يمكن معرفته وتعليله، لكن ليس معرفة وتعليل الحروف.

ثياتيتوس: لا بالتأكيد، إذا أمكننا أن نثق بالمناظرة.

سقراط: حسناً، لكن ألست ميّالاً بشكل متساوٍ كي لا نتّفق معه، حينما تتذكّر خبرتك الخاصّة في تعلّمك القراءَة؟

ثياتيتوس: أيّة خبرة؟

سقراط: لماذا، ألم تبقَ تحاول في التعليم كي تميّز الحروف المنفصلة بالعين والأذن كليهما، كي لا ترتبك بوضعها عندما تسمعها منطوقةً أو مكتوبة؟

ثياتيتوس: حقيقيّ جداً.

سقراط: وهل يكون تعليم عازف القيثار تامّاً ما لم يقدر أن يخبر أيَّ وَتَرٍ يفي بغرض النغمة الموسيقية الخاصّة، وتكون النغمات الموسيقيّة عناصر أو حروف الموسيقى، كما سيجيز كلّ شخص ذلك؟

ثياتيتوس: بالضبط.

سقراط: إذا جادلنا إذن، مبتدئين من الحروف والمقاطع اللفظيّة التي لدينا الخبرة عنها وانتقلنا إلى البسائط والمركّبات، فسوف نقول، إنّ الحروف أو العناصر البسيطة كصنف، تكون معروفة أكثر من المقاطع اللفظيّة بوضوح وهي لازبة للمعرفة التامّة أكثر بكثير من أيّ موضوع آخر. وإذا قال شخص ما إنّ

المقطع اللفظيّ يكون معروفاً وإنّ الحرف غير معروف، فإنّنا سنعتبر أنّه يتكلّم سفاسف إمّا عن قصد أو عن غير قصد؟

ثياتيتوس: بالضبط.

سقراط: وهناك يمكن إعطاء براهين أخرى عن اعتقاده، إذا لم أكن مخطئاً. لكن لا تدع أبصارنا تزيغ عن رؤية السؤال الذي نواجهه في بحثنا عنها، هذا السؤال الذي هو معنى تصريحنا. وهو أنّ الرأي الصحيح مع التعريف المنطقيّ أو التعليل هو الصيغة الأكثر كمالاً من صيغ المعرفة.

ثياتيتوس: يجب أن نلح في طلب السؤال هذا.

سقراط: حسناً، وماذا يعني من أوجد هذا التصريح بالعبارة « تعليل »؟ أعتقد بأنّ لدينا اختياراً لمعاني ثلاثة.

ثياتيتوس: ما هي؟

سقراط: في المقام الأوّل، يمكن أن يكون المعنى إيضاح فكرة لشخص بواسطة الصوت مع الأفعال والأسماء، ويكون هذا المعنى متصَوَّراً رأياً في المجرى الذي ينساب من الشفاه، وكأنّه ينساب منعكساً في مرآة أو على سطح الماء. ألا يظهر هذا لك أنّه نوع واحد من أنواع التعليل؟

ثياتيتوس: بالتأكيد؛ إنّ من يوضح فكرته هكذا، يُقال إنّه يوضح نفسه.

سقراط: لكن عندئذ، فإنّ كلّ شخص لم يولد أصَمَّ وأبكمَ يكون قادراً الآن أو غداً كي يوضح ما يتصوّره عن أيّ شيء؛ وإذا كان هذا كذلك، فإنّ أولئك كلّهم الذين يمتلكون رأياً صحيحاً بشأن أيّ شيء سيمتلكون التعليل الصحيح أيضاً. ولن تجد الرأي الصحيح بمعزلٍ عن المعرفة.

ثياتيتوس: صدقاً.

سقراط: دعنا لا ندين لهذا السبب وبطيش من أعطى هذا التعليل للمعرفة، ندينه بكلمة منطوقة ولا معنى لها؛ إذ ربما لم يقصد قول هذا، لكن عندما يُسأل

شخص عن ماهية طبيعة أيّ شيء، ينبغي أن يكون قادراً على إجابة سائله بإعطاء عناصر ذلك الشيء.

ثياتيتوس: كمثالٍ، يا سقراط....؟

سقراط: كمثال، عندما يقول هيسيود إنّ العربة مصنوعة من مئة لوحٍ خشبيّ ثقيل. وبعدُ، فلا أنت ولا أنا بإمكاننا أن نصف كلاً من هذه الألواح الخشبيّة منفردة؛ لكن إذا سأل أيّ شخص ما هي العربة، علينا أن نكون قانعين إذا أجبنا، أنَّ العربة تتألّف من عجلاتٍ، محاور، هيكل، أُطُر، ومِقْرَن.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: وسيضحك خصمنا علينا بشكل محتمل، تماماً كما لو زعمنا أنّنا علماء في علم النحو وإذا أعطينا تعليلاً نحوياً لاسم ثياتيتوس. وبرغم ذلك فنحن نقدر على أن نخبر عن المقاطع اللفظيّة وليس عن الحروف في إسمك. يمكننا أن نتمسّك بالرأي الصحيح ونخلق بيانا صحيحاً؛ لكنّه سيطالب قائلاً، إنّ المعرفة لا تُنال إلا بضمّها مع الرأي الصحيح. هناك قائمة للعناصر التي يتألّف منها أيّ شيء، كما أعتقد أنّ ذلك قد تمّ التعليق عليه سابقاً.

ثياتيتوس: لقد فعلنا هذا.

سقراط: ويمكنه أن يطالب بالطريقة عينها فيقول: إنّا عندما كنّا نمتلك رأياً صحيحاً بشكل مجرّد عن العربة، فإنّ الرجل الذي يستطيع أن يصف ماهيتها بتعداد الألواح المئة الخشبيّة الثقيلة، يضيف تعليلاً منطقيّاً إلى الرأي الصحيح، وبدلاً من امتلاكه للرأي يحوز فنّاً ومعرفة بطبيعة العربة، وهو في ذلك يصل إلى المجموع من خلال العناصر.

ثياتيتوس: أوَلا نتّفق نحن مع وجهة النظر تلك، يا سقراط؟

سقراط: أخبرني، يا صديقي، إذا ما كانت وجهة النظر لك - وحتى لو اعترفت بتحليل كلّ الأشياء إلى عناصرها كون هذا التعليل المنطقيّ تعليلاً لها، وأنّ

اعتبارها في مقاطع لفظيّة أو تركيبات أكبر لها كون ذلك لا عقلانيّاً ولا منطقياً - وهكذا فإنّنا نستطيع أن نتساءَل ونحقّق إذا ما كانت وجهة النظر هذه صحيحة.

ثياتيتوس: إنّي أعترف بذلك حقاً.

سقراط: حسناً، وهل تتصوّر أنّ إنساناً يمتلك معرفة عن أيّ عنصر لذلك الإنسان الذي يؤكّد في وقت ما وينكر في وقت آخر ذلك العنصر لشيء ما، أو الذي يتصوّر أنّ الشيء عينه يكون مركّباً من عناصر متباينة في أزمان مختلفة؟

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

سقراط: أوَلا تتذكّر أنّ هذا حدث غالباً في حالتك وفي حالات الآخرين، حدث قبلاً في عملية تعلّمكم القراءَة؟

ثياتيتوس: تعني أنّنا نضع غالباً الحروف المختلفة في المقاطع اللفظيّة عينها، وأنّنا أعطينا الحرف عينه بعض المرات للمقطع اللفظيّ المناسب، وأعطيناه للمقطع اللفظيّ الخطأ مرات أخرى.

سقراط: نعم.

ثياتيتوس: لتكن متأكّداً؛ إنّني أتذكّر بالكامل، وإنّي لبعيد جداً عن افتراض أنَّ الذين يكونون في هذه الحالة يمتلكون معرفة.

سقراط: عندما يكتب الشخص الذي وصل إلى هذه الدرجة من التعليم، عندما يكتب اسم ثياتيتوس، يعتقد بأنّه يجب عليه أن يكتب وأنْ لا يكتب الحرفين THوحرف الـ E؛ لكنّه يعني، مرة ثانية، لأن يكتب اسم THEODOROS، يعتقد بأنّه يجب عليه أن يكتب وأن لا يكتب الحرف Tوالحرف E - هل نستطيع أن نفترض بأنّه يعرف المقاطع اللفظيّة الأولى لاسميكما الإثنين؟

ثياتيتوس: إعترفنا سابقاً بأنّ شخصاً كهذا لم يصل إلى المعرفة بعد.

سقراط: ويمكنه أن يسرد اسمك في نمط مماثل بدون أن يعرف المقاطع اللفظيّة الثانية والثالثة والرابعة منه؟

ثياتيتوس: يمكنه أن يفعل ذلك.

سقراط: وفي تلك الحالة، فإنّه عند كتابته المقاطع اللفظيّة في نظام، وبما أنّه يستطيع تعداد الحروف كلّها فإنّه سوف يكون كاتباً اسم «THEATETUS» برأي صحيح؟

ثياتيتوس: بوضوح.

سقراط: لكن رغم أنّنا اعترفنا بأنّه يمتلك رأياً صحيحاً، فهو سوف لا يزال باقياً بدون معرفة.

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: وبرغم ذلك فإنّه سيمتلك تعليلاً، بالإضافة إلى امتلاكه الرأي الصحيح، لأنّه عرف طريقة عندما كتب بواسطة الحروف. ونحن نعترف بأنّ هذا تعليل.

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: هناك شيء كهذا إذن، يا صديقي، مثل الرأي الصحيح متّحداً مع التعريف أو التعليل، الذي يجب أن يبقى غير مسمّى معرفة.

ثياتيتوس: سيبدو هكذا.

سقراط: وما توهّمناه أنّه تعريف تامّ للمعرفة يكون حلماً فقط. لكن لربّما كان من الأفضل لنا أن لا نقول ذلك حتى الآن، إذ أليس هناك ثلاثة معانٍ لِ « التعليل »، أحدها الذي يجب أن يتبنّاه من يؤكّد أن المعرفة هي رأي صحيح مضموم أو متّحد مع التعليل المنطقي، كما قلنا؟ ويمكن أن يُوجد شخص ما على الأرجح لا يفضّل هذا التبنّي بل يفضل تبنّياً ثالثاً.

ثياتيتوس: إن تذكرتك هي تذكرة عادلة؛ لكن لا يزال هناك معنىً واحد، كان

المعنى الأوّل الصورة أو تعبير الفكر في الكلام؛ أمّا المعنى الثاني فهو الذي تمّ ذكره منذ برهة، وهو أنّ الطريق هو الطريق للوصول إلى المجموع بتعداد العناصر. لكن ما هو المعنى الثالث؟

سقراط: إنّ ذلك هو الذي يحدث للعديد من الناس: ـ القدرة لتخبر عن الرمز أو الإشارة للفارق الذي يميّز الشيء الذي نحن بصدد بحثه من كلّ الأشياء الأخرى.

ثياتيتوس: هل تستطيع أن تعطيني مثالاً لتعريف كهذا؟

سقراط: كمثال، وفي حالة الشمس، أعتقد بأنّك ستكون قانعاً بهذا العرض الذي سأقدّمه لك عندما أقول، إنّ الشمس أسطع الأجسام بل أسطع الأجرام السماوية التي تدور حول الأرض.

ثياتيتوس: بالتأكيد.

سقراط: هل تفهم لماذا ذلك: ـ إنّ السبب، كما قلنا لتوّنا الآن، هو أنّك إذا حصلت على الفارق والصفة المميّزة لكلّ شيء، كما يؤكّد العديد من الأشخاص، فإنّك ستضمن تعليله. لكن بينما تُمسِك بالنوعيّة العاديّة الشائعة وليس بالنوعية المميّزة، فإنّ تعليلك سيتّصل بكلّ الأشياء التي تخصّ هذه النوعية العادية.

ثياتيتوس: إنّني أفهمك، وإنّه لمن الصحيح في حكمي أن نسمّي هذا تعريفاً « أو تعليلاً ».

سقراط: لكن مَن يمتلك رأياً صحيحاً بشأن أيّ شيء يستطيع أن يكتشف الفارق الذي يميّزه من الأشياء الأخرى، وسيصل إلى أن يعرف ذلك الذي امتلك عنه رأياً فقط.

ثياتيتوس: نعم؛ إنّ ذلك هو ما نؤكّده.

سقراط: وبرغم ذلك، يا ثياتيتوس، ونتيجة لدراسةٍ أقرب، فإنّني أجد نفسي مخيّب

الأمل تماماً. إنّ الصورة التي تظهر من مسافة قريبة وغير سيئة، أصبحت الآن غامضة بشكل كامل.

ثياتيتوس: نعم؛ ماذا تعني؟

سقراط: سأسعى لأشرح لك ما أعنيه. سأفترض أنّي أمتلك عنك رأياً صحيحاً، وإذا أضفت إلى هذا تعريفاً لك، فإنّي أمتلك معرفة. لكن إذا لم أفعل ذلك، فإنّ لديَّ رأياً فقط.

ثياتيتوس: نعم.

سقراط: افترضنا أن التعريف هو تعليل الفارق الذي لك.

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: لكنّني عندما امتلكت رأياً فقط، فإنّه لم يكن لديَّ تصور لصفاتك المميّزة.

ثياتيتوس: لا أفترض ذلك.

سقراط: يجب أنّي تصوّرت حينئذ طبيعةً ما عاديّة أو شائعة لا تخصّك بأكثر ممّا تخصّ الآخرين.

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: أخبرني، الآن - كيف أستطيع أن أشكّل حُكماً عنك في تلك الحالة بأكثر من أن أشكّل حكماً عن أيّ شخص آخر؟ إفترض أنّي أتصوّر أنّ ثياتيتوس إنسان يمتلك أنفاً، وعينين وفماً، وأنّ كلّ عضو من أعضائه الأخرى هو على نحوٍ من الكمال، فكيف يمكن لهذا التصوّر أن يجعلني قادراً على أن أميّز ثياتيتوس من ثيودورس، أو من شخص بربريّ خارجيّ؟

ثياتيتوس: كيف يمكنه ذلك حقاً.

سقراط: وإذا كان لديَّ تصوُّر أبعد عنك، ليس مثل امتلاكك للأنف والعينين، بل مثل امتلاكك لأنفٍ أفطس ولعينين جاحظتين، فهل يلزمني أن أمتلك فكرة عنك بعد الآن بأكثر ممّا أمتلكها عن نفسي وعن الآخرين الذين يشبهونك؟

ثياتيتوس: لا بالتأكيد.

سقراط: لا أستطيع أن أمتلك تصوّراً لثياتيتوس بالتأكيد ما لم يترك أنفك الأفطس صورة منطبعة في ذهني مختلفة عن كلّ الأنوف الفطس الأخرى التي رأيتها في حياتي قطّ، وإلى أن تمتلك خواصّك الأخرى تمييزاً مشابهاً؛ وهكذا فإنّي عندما اقابلك غداً فإنّ الرأي الصّحيح سيُستردّ إلى الذهن؟

ثياتيتوس: الأكثر حقيقة.

سقراط: يتضمّن الرأي الصحيح أيضاً إذن القدرة على فهم الفوارق بين الأشياء؟

ثياتيتوس: بوضوح.

سقراط: أيّ معنى سيبقى حينئذ، للسبب أو التعليل الذي قلنا بوجوب إضافته إلى الرأي الصحيح؟ إذا كان المعنى أنّنا يجب أن نشكّل رأياً إضافياً بالطريقة التي يختلف أو يتباين فيها شيء ما عن الشيء الآخر، إذا كان المعنى هو كذلك فإنّ الإقتراح يكون مضحكاً.

ثياتيتوس: كيف ذلك؟

سقراط: إنّنا مدعوّون لتكوين الرأي الصحيح من الفوارق التي تميّز الواحد عن الآخر، وهذا الرأي هو الذي كوّنّاه لتوّنا سابقاً. وهكذا فنحن ندور في حلقة مفرغة؛ ـ إنّ دوران المِدَقّة، أو دوران أيّة آلة أخرى، في الدوائر عينها، أقول، إنّ هذا الدوران لا يساوي شيئاً بالمقارنة مع شرط أساسيّ كهذا الشرط. ويمكن وصفنا بحقّ مثل وصف الأعمى الذي يقود أعمى؛ لأنّنا إذا أضفنا تلك الأشياء التي نمتلكها سابقاً، وذلك كي يمكننا أن نتعلّم ما تصورناه قبلاً، إنّ هذا يكون مثل الروح الجاهلة بالمطلق.

ثياتيتوس: قل لي؛ ما الذي نحن في صدد قوله، لتوّنا الآن، عندما تسأل هذا السؤال؟

سقراط: إذا كانت المناظرة استخدمت الكلمة « التعرف » في الكلام عن إضافة

التعريف، ولم « تكوّن رأياً » عن الفارق فحسب، فإنّ هذا سيكون التعريف الأكثر وعداً من كلّ التعريفات السابقة عن المعرفة والذي سيصل إلى نهاية مناسبة، لأنّ « لتعرف » معناه « لتنال المعرفة » بكلّ تأكيد.

ثياتيتوس: حقاً.

سقراط: وهكذا، عندما يُطرح السؤال ما هي المعرفة؟ فإنّ هذه المناظرة العادلة ستجيب « الرأي الصحيح مع المعرفة ». إنّ ذلك يكون معرفة عن الفارق، لأنّه يكون إضافة التعريف، كما تؤكّد المناظرة.

ثياتيتوس: يبدو أنّ ذلك صحيح.

سقراط: لكن كم هو غباء بالمطلق، عندما نسأل ما هي المعرفة، وجوب أن يكون الجواب رأياً صحيحاً مع المعرفة، سواء إذا كان هذا الجواب عن الفارق أو عن أيّ شيء آخر! وهكذا، يا ثياتيتوس، فإنّ المعرفة ليست إدراكاً حسيّاً ولا رأياً صحيحاً، ولا تعريفاً وتعليلاً ملازماً للرأي الصحيح مع ذلك؟

ثياتيتوس: لا أفترض ذلك.

سقراط: أما تزال في إرهاقٍ وكدح، يا صديقي العزيز، أو أنّك أحضرت للولادة كلّ الذي بحوزتك لتقوله بشأن المعرفة؟

ثياتيتوس: إنّي متأكّد، يا سقراط، بأنّك استخرجت منّي مقداراً كبيراً جداً من الكلام أكثر بكثير ممّا كان عندي.

سقراط: أوَلا يبين فنّي بأنّك ولّدت لا شيء، وأنّ نتاج مقدرتك العقليّة ليس جديراً بأن تلِدَ شيئاً؟

ثياتيتوس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: لكن إذا وجب عليك، يا ثياتيتوس، أن تفكّر من جديد، فمن الأفضل لك أن تُبقي على البحث الحاضر، وإنْ لم تُرِد ذلك، فإنّك ستكون أكثر رزانة وتواضعاً ولطفاً نحو الرجال الآخرين، وستكون حيياً جدّاً كي تتوهّم بأنّك

تعرف ما لا تعرف. إنّ هذه هي حدود فنّي، وأنا لا أستطيع الذهاب أبعد من ذلك، ولا أعرف البتّة عن الأشياء التي يعرفها الرجال العظام المشهورون، أو أنّني عرفت عنها في هذا الزمن أو في العصور الماضية. لقد تسلّمت منصب القابلة من الله، مثل أمّي: هي تولّد النساء، وأنا أولّد الرجال؛ لكنّهم يجب أن يكونوا شبّاناً ونبلاء وجميلين.

وبعدُ، عليَّ أن أذهب إلى رواق الملك آرخون، حيث عليَّ أن أقابل ميليتوس وأواجة تهمته، آمل أن أراك في ذلك المكان غداً صباحاً، يا ثيودورس.

محاورة فيليبوس

أفكار المحاورة الرئيسيّة

يعرض سقراط موقفه لبروتارخوس وموقف نظيره فيليبوس كي يحكم بينهما. فالأخير يؤكّد أنَّ المتعة واللذّة، والنوع الإحساسيّ المجانس لهما، يؤكّد أنّها جيّدة لكلّ مخلوق حيّ، في حين يثبت سقراط أنّ الحكمة والفهم والتذكّر وأشقاءها، كالرأي الصحيح والتعقّل الحقّ، أفضل من اللذّة لبني الإنسان.

يقول سقراط، يجب أن أوافقك، يا بروتارخوس، لنعيّن حالة وترتيباً ما للروح، يجعلان كلّ الرجال سعداء. نعرف نحن أنّ اللذّة متشعبة الجوانب، وعلينا أن نتأمّل مليّاً ما هي طبيعتها. إنّ المسرف يمتلك لذّة في إسرافه، والمعتدل في اعتداله، والغبيّ بأوهامه وآماله السخيفة، والإنسان الحكيم في حكمته. فهل كل هذه الملذّات المتضادة متشابهة، كلاً بمفردها؟ نعرف نحن أنَّ اللون الأسود ليس غير مشابه للّون الأبيض فقط، بل إنّه مضادّ له بشكل مطلق. لهذا يجب علينا أن لا نعتمد على المناظرة التي ستبرهن وحدةَ أكثريّةِ المضادّات تطرّفاً، لأنّنا سنجد معارضة مشابهة بين الملذّات، وهي غير متشابهة كما تكون، وسنطبق عليها محمولاً جديداً، لأنّنا نقول إنّ كلّ الأشياء السارّة جيّدة، ولا مناظرة هناك كي تُري أنّ السارّ لا يكون سارّاً. وفي حين نقول إنّ أكثر الملذّات سيئة، برغم أنّ هناك بعضاً منها جيّداً أيضاً، فإنّك تسمّيها أنت جيّدة على قدم المساواة، يا بروتارخوس، وتكون في الوقت عينه، مجبراً على الاعتراف بأنّها غير متشابهة، إذا أُكرِهت على ذلك. وهكذا ينبغي عليك أن تخبرنا ما هي النوعيّة المتطابقة الموجودة في الملذّات الجيّدة والسيّئة، والتي تجعلك تصفها كلّها كأنّها ملذّات صالحة؟

سأل بروتارخوس، هل تعتقد، يا سقراط، أنّ أيّ شخص يؤكّد أنّ اللذة هي

الخير، هل تعتقد أنّه سيجيز الفكرة التي تثبت أنّ بعض الملذات صالحة والأخرى سيئة؟

أجابه سقراط: لكن لربّما ستعترف، يا بروتارخوس، بأنّها تكون مختلفة بعضها عن بعض، وأنّها متضادّة بعض المرات. ودعنا لا نخفي أو نتكتّم على الفوارق بين مناظرتي ومناظرتك، بل اسمح لنا أن نسلّط الضوء عليهما على أمل أنّه بالإمكان أن يبيّنا إذا ما كانت اللذة لتدعى خيراً، أو إذا ما تدعى الحكمة بهذا الاسم، أو أنّ نوعية ما ثالثة لها الأسبقية في هذا المجال. وتذكّر أنّه يجب على كلّ منا أن يحارب من أجل الحقيقة. واسمح لنا أن نحوز فهماً أكثر تحديداً للمبدأ الذي يكون الرجال في حَرَج بشأنه على الدوام؛ وهو المبدأ القائل إنّ الواحد يجب أن يكون كثرة أو الكثرة واحداً. وعندما لا ينتمي الواحد إلى صنف الأشياء التي تولد وتفنى، وعندما تكون الوحدة من هذه الطبيعة المتماسكة، فهناك موافقة عالميّة على أنّه لا حاجة لاختبارها بالمناظرة. لكن عندما يُحقَّقُ التأكيد أنّ إنساناً يكون واحداً، أو أن الثور يكون واحداً، أو الجمال واحداً، أو الخير واحداً، وتحاول أن تقسّمها، فإنّ ذلك يُوجِد جدلاً ونزاعاً. لذلك، يلزمنا أن نفترض أنَّ أيّاً من وحدات كهذه تكون، وتمتلك وجوداً حقيقياً. ومن ثمّ كيف أنّ كلّ وحدة مفردة، كونها الشيء عينه على الدوام، وغير قادرة لا على التولّد ولا على الدّمار، كيف أنّها تكون برغم ذلك، أو أنّها تشارك في الوجود، ويبقى هناك السؤال عندئذ عن وجودها في لا نهاية عالم التولّد، سواء إذا وجب علينا أن نتصوّر أنّها تبدو وتصبح كثرة، أو أنّها لا تزال كاملة وبرغم هذا تكون منقسمة على نفسها. سيبدو أنّ الافتراض الأخير هو أكثر الافتراضات استحالةً. إذ كيف يستطيع واحد والشيء عينه أن يكون في واحد وفي أشياء عديدة في الوقت نفسه.

دعنا نبدأ إذن بحلّ هذه الأسئلة، يا سقراط.

نقول نحن، يا بروتارخوس، إنّ الواحد والكثرة يصبحان متماثلين في

افتراضاتنا، وإنّهما ينتقلان من مكانٍ إلى مكانٍ معاً الآن، وكما فعلا في الزمن الماضي، وهما يفعلان ذلك في كلّ جملة ملفوظة. وهذا الاتحاد لا ينقطع ولن ينقطع بينهما قطّ، وليس وليد الآن، بل هو نوعية دائمة من الافتراضات عينها التي لا تصبح قديمة أبداً، كما أعتقد. وهناك طريقة يمكننا أن نهتدي بواسطتها ونبدّد هذا الارتباك، وهذه الطريقة هي هبة السماء التي أتصوّر أنّ الآلهة قذفتها بين الرجال بيدَيْ بروميثيوس الجديد، وأشعل تألّقاً من النور بعد ذلك. والغابرون الذين كانوا أفاضلنا وأقرب إلى الآلهة منّا، أعطوا هذا العرف، وهو أنه مهما كانت الأشياء التي هي لتكون فإنّها متألّفة من واحد وكثرة، وتمتلك الشيء المحدود واللامتناهي مغروساً فيها. مشاهدين إذن أنَّ نظام الكون يكون هكذا، يجب علينا أن نبدأ بوضع فكرة واحدة في كلّ تحقيق عن ذلك الذي يكون موضوع هذا التحقيق، وسنجد هذه الوحدة في كلّ شيء. وحين إيجادنا لها يمكننا أن نتقدّم تالياً لنبحث عن وحدتين، إذا وجدت هاتان الوحدتان، وإنْ لم توجدا، سنبحث عن ثلاث وحدات حينئذ أو عن عدد آخر ما منها، مقسّمين كلاً من هذه الوحدات إلى أجزاء صغيرة، إلى أن تُرى الوحدة التي بدأنا بتقسيمها أخيراً كي لا تكون واحدة فقط وكثرة غير متناهية، بل لتكون محددة في العدد أيضاً. يجب أن لا يقاسي غير المحدود كي يدنو من الكثرة إلى أن يكون قد اكتُشِف مجمل عدد الأنواع المتوسّطة بين الوحدة واللاتناهي؛ يمكننا عندها، وعندها فقط، أن نرتاح من القسمة، ونقدر على السماح لها أن تهبط في اللاتناهي، بدون أن نزعج أنفسنا بشأن الأفراد اللانهائيين. إنّ هذه هي الطريقة التي يجب أن نأخذها بعين الاعتبار، كما قلت، وأن نعلّمها وننقلها بعضنا لبعض، وهي الطريقة التي سلّمتنا إيّاها الآلهة. لكنّ معاصرينا الحكماء هم إمّا سريعون كثيراً أو بطيئون كثيراً لتصوّر التعدّد في الوحدة. ولعدم امتلاكهم منهجاً، فإنّهم يجعلون واحدها وكثيرها كيفما اتّفق، وينتقلون من الوحدة إلى اللامتناهي في الحال. أمّا المراحل الوسط فإنّها لا تخطر

في بالهم على الإطلاق. وأكرّر أنّ هذا المنهج هو ما يخلق الفرق بين الفنّ المجرّد للجدال وبين علم الجدل الحقيقيّ.

إنّني أفهم ما تقوله جزئيّاً، يا سقراط، لذلك سأطلب إليك أن توضح معناك بجلاء أكثر.

يمكنني أن أشرح ما أعنيه بواسطة حروف الألف باء والتي تعلّمتها عندما كنت طفلاً، يا بروتارخوس، فأقول، إنّ الصوت الذي يمرّ من خلال الشفتين يكون واحداً ولا متناهياً مع ذلك، سواء أكان هذا للفرد أو لجميع الرجال. وبرغم ذلك فإنّنا لا نكون كاملين في فنّ الكلام بمعرفة ما إذا كان ذلك الصوت واحداً أو لا متناهياً. لكنّ معرفة العدد وطبيعة الأصوات هي ما يجعل إنساناً عالماً في علم الصرف والنحو، وهكذا في كلّ العلوم. وعندما تتعلّم هذه القواعد بشأنها، فإنّك ستمتلك البراعة التقنيّة. ويمكن أن يقال عنك إنّك تفهم أيّ موضوع آخر، حين حيازتك الإدراك المماثل عينه. لكنّ اللامتناهي للأنواع واللامتناهي للأشخاص الموجود في كلّ منها، يخلق حالة من الجهل اللامتناهي في كلّ منا عندما لا يتمّ تصنيفها، وهو الذي لا يبحث عن العدد في أيّ شيء. فلن يُبحث عنه نفسه ولن يُعدَّ ويحسب في عدد الرجال الشهيرين. وقلت سابقاً إنَّ مَنْ يبتدىء بأيَّة وحدة مفردة، يجب عليه أن لا يتقدّم من ذلك إلى اللامتناهي، بل إلى الرقم المحدَّد. وأقول الآن عكس ذلك تماماً، وهو أنّ الذي عليه أن يبتدىء باللامتناهي يلزمه أن لا يقفز إلى الوحدة، بل ينبغي عليه أن يفحص عن عددٍ ما يمثّل نوعيّة محدَّدة، وهكذا ينتهي خارج الكلّ في واحد. ودعنا الآن نعُود لتوضيح مبدئِنا لحالة الحروف.

إن إلهاً ما أو إنساناً إلهياً، يقال إنّه كان توت في الأسطورة المصريّة، يقال إنّ هذا الإله لاحظ أنَّ الصوت الإنساني كان لا متناهياً، وميّز في هذه اللانهاية عدداً محدداً من الحروف اللينة، ولاحظ بعدئذ الحروف التي لها صوت، لكنّها لم تكن

حروفاً ليّنة نقيّة بل « حروفاً شبه ليّنة ». وراقب أنّ هذه الحروف موجودة في عددٍ محدَّد أيضاً؛ وميّز أخيراً صنفاً ثالثاً من الحروف التي نسمّيها الآن حروفاً صامتة، والتي تكون بدون صوت وضجّة، وقسّم هذه الحروف، وبشكلٍ مماثل قسّم الأصناف التي للحروف الليّنة وللحروف شبه اللينة، قسّمها إلى أصوات مفردة، وأخبر عن أعدادها، وأعطى لكلٍّ منها ولجميعها إسم الحروف. ولاحظ أن أحداً منا لا يستطيع أن يتعلم أيّ صنف منها إفرادياً ولا أن يتعلّمها جميعاً، وفي اعتباره لهذا الرباط المشترك الذي يوحّدها إلى درجة ما، نسب لها كلّها فنّاً مفرداً، وسمّى هذا الفنّ علم الصرف والنحو أو علم الحروف.

قال فيليبوس: سأسألك، يا سقراط، ما شأن هذا الذي قلته بالمناظرة القائمة؟

ألم نبدأ، يا فيليبوس، بالتحقيق في أهلية وجدارة المقارنة للذّة والحكمة؟ والسؤال الدقيق الذي يلزمنا أن نجد جواباً له هو، كيف أنّ لهما جنساً واحداً وأنواعاً كثيرة، ولا تكونان غير متناهيتين في الحال، وأيّ عدد يُعزى إلى كلّ منهما قبل أن تنتقلا إلى اللامتناهي.

قال بروتارخوس: إنّ سقراط يسألك، يا فيليبوس، إذا كانت أنواع من الملذات موجودة أم لا، إذا فهمته بشكل جيد. ويسأل ما هو عددها وطبيعتها، ويسأل الشيء عينه عن الحكمة.

أجاب سقراط: إنّ ما تقوله هو الأكثر حقيقة، يا ابن كلينياس، وأبانت المحاورة السابقة أنّنا إذا لم نكن قادرين على أن نخبر عن أنواع كُلّ شيء يمتلك وحدة، تشابهاً، وتماثلاً، أو أن نكشف عن مضادّاتها، فلن يكون أيّ واحد منّا له أي نفع أبداً في أيّ تحقيق، حتّى ولو كان صغيراً. وإنّي لأتذكّر سماع محادثات محدَّدة منذ أمد بعيد بشأن اللذّة والحكمة، وسواء كنت مستيقظاً أو في حلم فإنّني لا أستطيع الكشف عن ذلك. إنّها كانت إلى الحدّ الذي أكّد أن إحداهما أو الأخرى ليستا الخير، بل كان الخير شيئاً ما ثالثاً، مختلفاً عنهُما وأفضل منهما كليهما. وإذا

استطاع هذا الشيء الثالث أن يركّز في الحال وبشكل واضح، فإنّ اللذّة ستخسر الانتصار، لأنّ الخير سينقطع عن أن يكون متطابقاً معها، وستتوقّف أيّة حاجة لتمييز أنواع الملذّات. واسمح لي أن أسألك، هل يكون الخير ليُرتّب كشيءٍ تامّ أو كشيء غير تامّ؟ وهل يكون كافياً؟ وبما أنه لكذلك، فلا يستطيع أحد أن يفكّر أنّ الموجودات التي تمتلك فهماً أو إدراكاً للخير تفتّش عنه، وتكون مشتاقة كي تلتقطه وتحبسه حولها، ولا تهتمّ بالحصول على أيّ شيء لا يكون مصحوباً بالخير.

دعنا الآن نفصل حياة اللذّة عن حياة الحكمة، وأن لا يكون هناك حكمة في حياة اللذّة، ولا أن تكون أيّة لذة في حياة الحكمة، إذ لو كان كلّ منهما الخير الرئيس، فلا يمكن افتراضهما أنّهما يفتقران لأيّ شيء، لكن إذا تبيّن أنّ واحداً منهما يحتاج لأيّ شيء فلا يمكنه أن يكون الخير الرئيس حقاً.

لذلك سأسألك، يا بروتارخوس، إذا عشت حياتك كلّها في التمتّع بالملذّات الأعظم، غير أنّك لم تمتلك عقلاً، ولا تذكّراً، ولا معرفة، ولا رأياً صحيحاً، فإنّك ستكون جاهلاً بالمطلق، في المقام الأوّل، إن كنت مسروراً، أو عكس ذلك، لأنّك ستكون خالياً من الفهم بشكل كامل. وبشكل مماثل، فإنّك إذا لم تمتلك تذكّراً، فلن تتذكّر أنّك كنت مسروراً قطّ، ولن يبقى معك التذكّر الأقلّ للذّة التي تشعر بها في أيّ وقت. وإذا لم يكن لديك رأي صحيح فلن تفتكر أنّك كنت ملتذّاً عندما كنت هكذا؛ وإنّ لم تكن لديك قوّة حسابيّة فلن تكون قادراً على أن تحسب الملذات، وحياتك لن تكون حياة إنسان، بل إنّها تكون حياة المحار والحلزون، أو حياة أيّ مخلوق برّي « يعيش » محبوساً في صَدَفة. هل تستطيع هذه الحياة أن تكون غيراً من ذلك؟ وهل ستختار أنت هكذا حياة؟ وبما أنّك لا تقبل بهذا النوع من الحياة، دعنا نتبنّى حياة العقل ونفحصها بالدور.

إنّ الشيء الذي أريد أن أعرفه هو إذا ما كان أيّ شخص سيوافق على أن يعيش ممتلكاً الحكمة والتعقّل والمعرفة والتذكّر لكلّ الأشياء، لكنّه غير ممتلك أيّ

إدراك للّذة أو للألم، قليلهما أو كثيرهما، ويكون غير متأثّر بهذه الملذّات والمشاعر المشابهة بشكل كامل؟ وماذا ستقول، يا بروتارخوس، عن وحدة اللذّة والعقل مع الحكمة؟

أعتقد بأنّ الجميع سيختارون الحياة الثالثة، يا سقراط، بدلاً من كلتا الحياتين الأخريين وفي إضافةٍ لهما بكلّ تأكيد.

إذن، لا يمكن أن يكون هناك شكّ الآن، يا بروتارخوس، بأنّ كلتا الحياتين لا تمتلكان الخير، لأنّ الحياة التي امتلكته كانت وستكون كافية وكاملة ومرغوباً فيها من قِبَل كلّ النبات والحيوان. إذا كانت قادرة على أن تُفضي حيواتها كلّها إلى النشاط المختار، وإذا اختار أيّ واحد منا أيّة حالة أخرى، فإنّ اختياره لا يكون من خلال إرادته، بل من خلال الجهل أو من ضرورة ما تعيسة. وبعدُ، ألم أبيِّن لك بشكلٍ كافٍ أنّ آلهة فيليبوس لا تُعتبر متطابقة مع الخير؟

أجاب فيليبوس: وليس « عقلك » هو الخير كذلك، يا سقراط.

لربّما، يا فيليبوس، لربما، لكنّ العقل الحقيقيّ، الذي هو العقل الإلهي أيضاً، فإنّه غير ذلك ببعد كبير. لكنّنا يجب أن نصل إلى فهمٍ ما بشأن المكان الثاني، لأنّه يمكنك أن تؤكّد أنّ اللذّة، وأثبت أنا أن العقل هو سبب الحياة المختلطة. لكن يمكن تصوّر واحد منهما ليكون سبب الخير، وباستطاعتي أن أقول إنّ هذا العنصر هو أكثر مجانسة ومماثلة للعقل منه للذّة، وإذا كان هذا حقيقياً، فلا يُستطاع القول إنّ اللذّة تشارك حقاً إمّا في المكان الأوّل أو في المكان الثاني، ولا يمكنها حتّى أن تصل إلى المكان الثالث، إذا أمكنني أن أثق بعقلي الخاصّ. ولكي نوضح ذلك دعنا نقسّم كلّ الأشياء الموجودة إلى نوعين اثنين، أو بالأحرى إلى ثلاثة أنواع. قلنا سابقاً إنّ الله أظهر عنصراً محدّداً للوجود، وعنصراً لا متناهياً أيضاً. دعنا نفترض هذين المبدأين، ونفترض نوعاً ثالثاً مركّباً منهما، ومن ثمّ يجب أن نجد السبب الذي يكون المبدآن الاثنان ممتزجين بواسطته ويكون هو نوعاً رابعاً، وسنترك النوع

الخامس لبحثٍ مستقبليّ. دعنا نضع ثلاثة من الأصناف، أو الأنواع الأربعة على حدة، دعنا نخضعها للفحص والتدقيق، وأن نختار اثنين منها بعدئذ، ودع كل صنفٍ أوّل أن يُعاين وكأنّه كثرة، وذلك في حالة القسمة والتشتّت، وأن نسعى بعدئذ كي نوحّدهما مرّة ثانية، ونفتكر كيف أنّ كلاً منهما بلغ ليكون واحداً وكثرة لكليهما.

ولإيضاح ذلك أقول، إنّ الصنفين اللذين ذكرتهما قبلاً هما الشيء عينه، أحدهما محدود، والآخر متناهٍ. وسأبيّن أنّ اللامتناهي يكون متعدداً في معنى محدَّد، ويمكنني أن أبحث في المحدود فيما بعد. وعندما تتحدّث أنت عن الأكثر حرارة والأكثر برودة، فهل تتصوّر أيّ حدّ أقصى لتلك النوعيّات؟ ألا يمنعها الأكثر والأقلّ، اللذين يقطنان في طبيعتها بالتحديد، ألا يمنعانها من امتلاك أيّة غاية؟ إذ لو كانت لهما غاية، فإنّ الأكثر والأقلّ سيمتلكان غاية أو نهاية أنفسهما. ويذكّرني سؤالك بأنّ تعبيراً كهذا مثل « بشكل استثنائي » والعبارة « بشكل طفيف » يذكّرني أنّ هاتين العبارتين لهما الأهميّة عينها مثل ما للعبارتين أكثر وأقلّ من أهميّة؛ لأنّهما كلّما حدَثا، فإنّهما لا يسمحان بوجود النوعيّة. وكما قلت سابقاً، إذا لم تختفِ النوعيّة والقياس، وسُمِح لهما بالولوج في مجال الأكثر والأقلّ وفي مجال المقارنات الأخرى، فإنّ الأشياء التي ذكرتها أخيراً ستخرج من ميدانها الخاصّ بها. وعندما تُدخَل النوعيّة المحدَّدة لمرّة واحدة، فلا يمكن أن توجد العبارتان « أكثر حرارة » أو « أكثر برودة »، لأنّ هاتين العبارتين تكونان متقدّمتين على الدوام، ولا تكونان في مقام واحد. غير أنّ النوعيّة المحدَّدة تكون ساكنة، ولا تتقدّم، ويبرهن ذلك أنّ المقارنات مثل الأكثر حرارة والأكثر برودة يُصنَّفان في نوع اللامتناهي. أمّا كلّ الأشياء التي لا تقبل بالأكثر أو الأقلّ بل تقبل بأضدادهما، كالمساواة، والمتساوي، أو المضاعف، أو أيّة نسبة أخرى لعدد إلى عدد ولقياس إلى قياس، يمكننا أن نحسب كلّ هذه الأشياء في صنف الحدّ الأقصى والمتناهي.

والآن أيّة طبيعة سننسب إلى النوع الثالث أو المركّب يا بروتارخوس؟ أعتقد بأنّ إلهاً ما أيّدنا، لذلك سنواصل البحث بقوة. أعني أنّ المتضادّات المختلفة، عندما يُخلط معها صنف المتناهي، فإنّ كلاً منها يعطي ولادة لشيء ما جديد. كمثال، حين يكون العالي والمنخفض، السريع والبطيء في علم الموسيقى، حين يكون لا متناهياً أو غير محدود، ألا يُدخل المتناهي إضافة المبادىء التي وردت قبلاً، ويتمّم صياغة الموسيقى كلّها؟ وعندما يسود البارد والحارّ مرّة ثانية، ألا يأخذ إدخالهما الإفراط أو غير المحدود بعيداً، ويُحِلُّ محلّهما الاعتدال والتناسب؟ أوَليس من المزج المتشابه للمتناهي واللامتناهي، تأتي الفصول وكلّ مباهج الحياة؟ ونقدر نحن أن نورد عشرات الأمثلة كشواهد على ما أقول. وكما قلنا، يا بروتارخوس، إنّه لم يكن لدى المتناهي تقسيمات عدّة، واعترفنا أنّه يكون واحداً بالطبيعة. وعندما أتكلّم عن صنف ثالث، فإنّي أشمل أيّ مولود لهذه تحت اسم واحد، كونه ولادة في الوجود الحقيقيّ، متأثراً بالقياس الذي أدخله المحدود.

وفي بحثنا عن الصنف الرابع يجب أن نسأل هذا السؤال: ألا يأتي إلى الوجود كلّ شيء يأتي إلى الوجود؟ أليس الفاعل الشيء نفسه كالسبب في كلّ شيء ما عدا الاسم؟ ويمكن أن يدعى الفاعل والسبب واحداً بحقّ، ويمكن أن يقال الشيء عينه عن المنفعل والتأثير، وإنّهما يتباينان في الإسم فقط. أمّا الفاعل أو السبب فإنّه يقود دائماً بالطبيعة، والمنفعل أو التأثير يتبعه بالطبيعة، ولهذا السبب فإنّ السبب أو ما يكون تابعاً له في التولّد والنشوء لا يكون الشيء عينه، بل إنّه مختلف. أليست كلّ الأشياء التي وُلِدت، والأشياء التي وُلِدت منها، أليست هذه الأصناف الثلاثة التي تكلّمنا عنها سابقاً مجهّزة؟ وقد برهنّا أن مبدعها ومسبّبها يكون مميّزاً عنها وبشكل مقنع . ويمكن أن نسمّيه مبدأً رابعاً لهذا السبب. وبعد أن عرفنا هذه الأصناف الأربعة، أفلم نكن محقّين سواء إذا كان المكان الثاني خاصّاً باللذّة أو الحكمة؟ وعندما وصلنا إلى هذه النقطة الرئيسية في البحث، أليس من

الأفضل لنا أن نكون قادرين على أن نقرر بشأن المكان الأوّل والثاني، الذي كان موضوع الجدل الأساس؟

قلنا سابقاً إنّ الحياة المختلطة للّذة والحكمة هي الحياة المنتظرة، وتُنسب الطبيعة لهذه الحياة إلى الصنف الممزوج أو الثالث، لكن ماذا سنقول عن حياتك، يا فيليبوس، التي هي كلّها حياة حلوة المذاق، وفي أيّ صنفٍ من الأصناف المنوّه عنها يجب أن تُوضع؟ أَوَلا تختصّ اللذّة والألم بالصنف الذي يقبل بالأكثر والأقلّ؟ وبما أنّ الألم يكون شرّاً بالتمام، فإنّ اللامتناهي لا يستطيع أن يكون ذلك العنصر الذي يضفي على اللذّة درجة ما من الخير. وبما أنّك اعترفت أنت وبروتارخوس، أنّ اللّذة والألم من طبيعة اللامتناهي، ففي أيّ صنف من الأصناف المذكورة سابقاً نقدر أن نضع الحكمة والمعرفة والعقل بدون كلامٍ ينمّ عن عدم الوقار؟ ودعنا نكون حذرين، فالخطر سيكون جديًّاً إذا أخطأنا في هذه النقطة الرئيسيّة. وبما أنّكما أحجمتما عن الجواب، يا بروتارخوس وفيليبوس، وطلبتما منّي الردّ، لذلك أقول: إنّ الفلاسفة كلّهم يؤكّدون بصوت واحد أنّ العقل هو ملك السماء وملك الأرض، وهو الذي ينظّم الأشياء كلّها، التي لم تُترك لهداية الجنون والصدفة، بل إنّ العقل هو الجدير بمظهر العالم، وبمظهر الشمس، والقمر، والنجوم، وبدائرة السماوات جميعها، ولم يقولوا كما قال غيرهم إنّ الكلّ يكون تشوّشاً وفوضى. ونرى نحن أنّ العناصر التي تدخل في طبيعة أجسام كلّ الحيوانات هي النار، الماء، الهواء، والتراب. لكنّنا سنسأل، سنسأل عن الشيء الذي تجب ملاحظته بشأن كلٍّ من هذه العناصر، فأقول: هناك نار في داخلنا، وكذلك في الكون، لكن أليست نارنا صغيرة وضعيفة وحقيرة، لكنّ النار في العالم مدهشة في الكميّة والجمال؟ وهل تتغذّى وتتولّد وتزداد هذه النار منَ النار التي فينا، أو أنّ النار التي فينا وفي الحيوانات الأخرى، تعتمد على النار الكونيّة؟ وينطبق هذا على العناصر الثلاثة الأخرى. وعندما رأينا تلك العناصر التي تتكلّم عنها مجتمعة في واحد، ألم

نسمّها جسماً؟ ألا يمتلك جسمنا روحاً؟ ومن أين تأتي تلك الروح، يا عزيزي بروتارخوس، إلا إذا امتلك جسم هذا الكون روحاً تحتوي عناصرَ مثل تلك العناصر الموجودة في أجسامنا لكنّها أجمل في كلّ طريقة؟ هل يمكن أن يكون لها أيّ منشأ أو مصدر آخر؟

ونحن لا نستطيع أن نتصوّر بكلّ تأكيد أنّ هذه الأصناف الأربعة موجودة في كلّ الأشياء، وهذه الأصناف هي المتناهي، اللامتناهي، تركيب الصنفين الاثنين، والسبب. أمّا الصنف الرابع فهو المسؤول عن المنافع الأكبر بين الجنس البشريّ، وهو الذي يعطي أرواحاً لأجسادنا، ويهب الفنّ للإدارة الذاتية، ولشفاء المرض، وهو يعمل بطرائق أخرى كي يداوي وينظّم، إلى حد أنّه يُنادى به وكأنّه حكمة في كلّ مجال. ولا يمكن أن توجد الحكمة والعقل بدون الروح. ونقول بكلّ صدق إنّ العقل يحكم الكون، وإنّه أصل وسبب ذلك النوع الذي ضمّنّا فيه أسباب كُلّ الأشياء. والصنف الرابع الذي تحدّثنا عنه يخصّه دون سواه. أمّا اللذّة فتكون لامتناهية وتنتمي إلى صنفٍ لم يكن له، ولن يكون له في نفسه بداية، أو وسط، أو نهاية تخصّه أبداً.

لذلك، يجب علينا أن نختبر تالياً في أيّ موضوع يقعان، وتحت أيّة حالات ينشآن. سنبدأ باختبار اللذّة، بما أنّ نوعها قد وقع تحت الاختبار بادىء ذي بدء؛ ومع ذلك فإنّ اللذّة لا يمكن فحصها بمعزل من الألم بحق. إنّ مصدر اللذّة والألم هو من الصنف المختلط، وهو الصنف الذي وضعناه في قائمة الأصناف الأربعة. لهذا أقول، إنّ التناسب أو العودة إلى الطبيعة هو منشأ اللذّة. ولنأخذ مثلاً، أنّ الجوع تحلّل وألم، والأكل امتلاء ولذّة، والعطش تدمير وألم، لكنّ تأثير الرطوبة التي تملأ المكان الجافّ ثانية هو لذة، والانفصال والانحلال الذي تسبّبت به الحرارة يكون مؤلماً، واستعادة الحالة الطبيعية والابتراد سارة، والتجمّد اللاطبيعي للرطوبة في الحيوان هو ألم، والعملية الطبيعية للتحلّل وعودة العناصر إلى حالتها الأصلية هي

لذة. ولنفترض أنّ الألم ينشأ بوصفه نتيجة للانحلال، وأنّ اللذّة تنشأ من إعادة التناسب. دعنا نسأل الآن ماذا سيكون شرط الكائنات المفعمة بالحيويّة والنشاط التي لا تكون في عملية الإعادة أو الانحلال. وماذا تقول أنت، يا بروتارخوس، عن اختيار إنسان لحياة الحكمة، ألا تعتقد أنّه عند مقارنة الحيوات بعضها ببعض، لم يتصَوَّر أنّ أيّة درجة للذّة، سواء إذا كانت كبيرة أو صغيرة، لم يتصوَّر أنّها ضرورية لمن اختار حياة التفكير والحكمة، ومَنْ يعرف أنّ مَنْ سيحيا بدون لذّة، لا تكون هذه الحياةُ الحياةَ الأكثر إلهيّةً من كلّ الحيوات الأخرى؟ ويكون صنف الملذات الأخرى التي سبق ذكرها، صنفاً عقليّاً صافياً، وهو مستمدٌّ من الذاكرة بشكل كامل. ودعني أحلّل الذاكرة، أو على الأصحّ نفاذ البصيرة التي تكون سابقة للذاكرة ومتقدّمة عليها. هناك نوازع الجسد التي أُخمدت قبل وصولها إلى الروح، وتَركِها غيرَ متأثّرة بها، وهناك نوازع أخرى تتذبذب خلال الروح والجسد وتضفي هزّة على كليهما وعلى كلّ واحد منهما. ويمكن القول إنّ الروح تكون غافلة عن الحالة الأولى لكنّها لا تغفل عن الثانية. وعندما أقول إنّ الروح تكون غافلة، فأنا لا أعني نسياناً بالمعنى الحرفي للكلمة، بل إنّها لا تدري بها، وسيدعى الاتحاد أو المشاركة للجسم في شعور وحركة واحدة، سيدعى وعياً أو إدراكاً بشكل مناسب، وهذا ما نعني به إدراكاً حسيّاً، ومن ثمّ يمكن أن نصف الذاكرة بأنّها حفظ الإحساس. وعندما تستردّ الروح بقوّتها الخاصّة التي لم يساعدها فيها أحد، أقول، عندما تستردّ الروح شعوراً ما اختبرته مسبقاً في رفقتها مع الجسد، فإنّ هذا هو ما نسمّيه التذكّر، ومرّة ثانية، عندما تستعيد الروح الذاكرة المفقودة لإدراكٍ حسيٍّ أو لمعرفة ما، عندما تستعيدهما ذهنياً ومنفردة بنفسها، فإنّ الاستعادة في كلّ هكذا حالات تدعى التذكّر.

هناك أشياء كثيرة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في بحث منشأ اللذّة وكلّ مزاجاتها، وينبغي علينا أن نقرّر طبيعة ومركز الرغبة حقّاً قبل تحقيق أيّ تقدّم في

مجال آخر. ألم نضع الجوع، والعطش، وما شابه في صنف الرغبات؟ وبما أنّها متباينة برغم ذلك، فأيّة طبيعة مشتركة نمتلك نحن في وجهة نظرنا عندما نسمّيها تحت إسم مفرد؟ وماذا نعني نحن عندما نقول « يعطش الإنسان »؟ أليس العطش رغبة لسدّ النقص بالشرب؟ ومع هذا فإنّ مَنْ يرغب بذلك يرغب بسدّ النقص، ويجب أن يكون هناك شيء ما في الإنسان العطشان يعي سدّ النقص بطريقة ما. ولا يمكن أن يكون الجسم ذلك الشيء، لأنّه يُفترض أن يكون خالياً. الخيار الوحيد الباقي هو أنّ الروح تدرك سدّ النقص بمساعدة الذاكرة، كما يكون ذلك واضحاً. والنتيجة هي أنّه لا يوجد هكذا شيء كرغبة الجسد. ولقد برهنت المحاورة أنّ الذاكرة هي القوّة التي تجذبنا نحو أهدف الرغبة، وتبرهن أيضاً أنّ البواعث والرغبات والمبدأ المحرّك للحيوان كلّها تمتلك أصلها في الروح. وهناك في الإنسان حالة وسط حينما يكون في معاناة حقيقيّة ويتذكّر الملذّات السابقة برغم ذلك، والتي إنْ عادت فقط فإنّها ستريحه؛ لكنّه لا يحوزها لحد الآن. ودعنا نسأل، يا بروتارخوس، سواء إذا وجب أن نقول إنّ الملذات والآلام التي تكلّمنا عنها حقيقية أو زائفة، أو إنّ بعضها حقيقي والبعض الآخر زائف. لهذا السبب، نقول، بما أن هناك رأياً صحيحاً ورأياً زائفاً، فهناك فرق كبير بين تلك اللذّة التي تترافق مع الرأي الصحيح والمعرفة، وبين تلك اللذّة التي توجد فينا جميعاً مترافقة مع الزيف والجهل، ومع الرأي الحق والرأي الزائف.

سأعطي تصويراً لهذا، إنّ الذاكرة والقدرة على الفهم تلتقيان، وتبدوان لي أنّهما وشعورهما المتلازم تقريباً تكتسبان الكلمات في الروح. وعندما يُكتب الشعور المطبوع بصدق، حينئذ يُشكّلُ الرأي الصحيح والافتراضات الصحيحة في داخلنا نتيجة عملهما، لكن حينما يكتب الكاتب بزيف في داخلنا، فإنّ النتيجة تكون زائفة. إنّ الانسان العادل والتقيّ والخيّر هو صديق الآلهة، والرجل الظالم والسيّء هو عكس ذلك بالمطلق، والرجال كلهم ممتلئون بالآمال. ويمكننا القول، إنّ الأخيار،

كونهم أصدقاء الآلهة، يمتلكون الصورة الحقيقية حاضرة لهم، وإنّ الأشرار يمتلكون الصور الزائفة. والأشرار يمتلكون الملذّات مرسومة في أوهامهم وتخيّلاتهم، مثلما يمتلكون الخير، غير أنّي أفترض أنّها ملذات زائفة، والأشرار يفرحون بالملذات الزائفة بشكل عامّ، ويبتهج الأخيار بالملذّات الحقيقية. لذلك، هناك ملذات زائفة بناءً على وجهة النظر هذه، وهذه الملذات الموجودة في أرواح الرجال هي تقليد للملذّات الحقيقيّة وهي مضحِكة لسخفها، وهناك آلام من صنف مشابه.

بعد أن أثبتنا هذه الحقائق البرهانية اليقينية بالمقدمات المنطقية، دعنا نرى تالياً اذا كان بإمكاننا مشاهدة الملذات والآلام موجودة وظاهرة في المخلوقات الحيّة في اتّجاهٍ آخر، والتي لا تزال أكثر زيفاً من هذه الملذات والآلام التي تحدّثنا عنها. لقد ردَّدت غالباً أنّ الآلام والأوجاع والمعاناة وعدم الطمأنينة من كلّ نوع، ردَّدت أنّها تنشأ من فساد الطبيعة الذي تسبّبه التحجّرات، والتحليلات، والاكتظاظات، والتفريغات، وتنشأ بالنموّ والفساد أيضاً. واتفقنا، يا بروتارخوس، على أنّ إعادة الحالة الطبيعيّة هي اللذّة. لكن دعْنا الآن نتفحّص فاصلاً زمنياً لا يختبرُ الجسدُ فيه أيّاً من هذه التحوّلات، ويمكننا أن نفترض عندئذ أن هناك ثلاث حيوات، واحدة سارّة، واحدة مؤلمة، وحياة ثالثة ليست سارّة ولا مؤلمة. لكن هل سنلتزم بوجهة النظر التي تقول إنّ هناك ثلاث حيوات، أو إن هناك حياتين فقط . الأولى حالة ألم، الذي هو شرّ، والأخرى انقطاع الالم، الذي هو خير بنفسه، وتسمّى هذه الحالة حالة سارّة. إنّنا نطرح هذه الأسئلة لأن هناك أشخاصاً محدَّدين يُعدُّون ليكونوا معلّمين وأسياداً في الفلسفة الطبيعيّة، وينكرون وجود اللذّة بالذات، وهي ما تسمّيه مدرسة فيليبوس نفسها، إنّ اللذّة ليست سوى إلغاء الألم. وهؤلاء الأشخاص سيبدؤون من البداية ويسألوننا إذا ما كنا نريد أن نعرف طبيعة أية نوعيّة، مثل الصلابة، التي يجب أن يكون اكتشافها أكثر احتمالاً بالبحث في الأشياء الصلبة، بدلاً من أن نبحث في الأشياء الأقلّ صلابة. وبشكل مماثل، إذا

أردنا أن نشاهد الطبيعة الحقيقية للملذّات كصنف، ينبغي أن لا نبحث في الملذّات الأكثر خفّة، بل في الملذّات الأكثر تطرّفاً والأكثر اتّقاداً، والتي هي الملذّات الجسديّة. وهل نشعر أنّها أعظم عندما نكون مرضى أو عندما نكون أصحّاء؟

إنّنا نشعر بها عندما نكون أصحّاء، يا سقراط، وبشكل أعظم.

حسناً، يا بروتارخوس، لكن أليست الملذات التي تَسبقها الرغباتُ هي الملذات الأكثر حدّة؟ أوَلسنا محقّين عندما نقول، إنّه إذا رغب شخص في أن يرى الملذات الأعظم لا ينبغي أن يذهب ويبحث في الملذات الأعظم هذه في حالة الصحّة بل في حالة المرض، وعليك أن تميّز هنا ما تقول: لا تتصوّر أنّني أعني بسؤالي إذا ما كان أولئك المرضى جداً يمتلكون ملذّات أكثر من أولئك الأصحّاء، بل إفهم بأنّي أتكلّم عن مقدار اللذّة. أريد أن أعرف أين توجد الملذات الأكثر عنفاً، لأنّنا، كما قلت لك، يلزمنا أن نكتشف ما هي اللذّة، وماذا يعني بها أولئك الذين ينكرون وجودها بالذات. أو لا تشاهد، يا بروتارخوس، الملذّات الأكثر عنفاً وإفراطاً، ألا تراها في الخلاعة والفسق أكثر ممّا تشاهدها في الاعتدال؟ وبما أنّك توافق على ذلك، سأقول، إنّ الملذات الأعظم ستوجد بوضوح في حالةٍ ما للروح والجسد فاسدة وآثمة، ولا توجد في حالة فاضلة، وستوجد الآلام الأكبر في الحالة الأولى أيضاً. وماذا ستقول عن الملذّات الناشئة عن الحِكّة، أو عن أيّة أمراض مزمنة بالحكّ؟ وباسم السماء، ماذا سيُسمّى هذا الشعور الذي يُبعث فينا من جرّاء ذلك؟ هل سيُدعى لذة أو ألماً؟

عليّ أن أقول إنّه يدعى خليطاً خسيساً من نوع ما، يا سقراط.

من الأفضل إذن، أن نواصل تحليل عائلة الملذّات هذه، يا بروتارخوس، فنقول: هناك أمزجة ما بشأن الجسم، وهي للجسم فقط، وهناك أمزجة أخرى بخصوص الروح، وهي في الروح فقط، وهناك أمزجة أخرى فيما يتعلق باللذّة مع الألم، وهي مشتركة للروح والجسد كليهما والتي تدعى في حالتها المركّبة ملذّات بعض المرات،

وتدعى آلاماً مرّات أخرى، وهناك نوع آخر من الملذات التي تختلط بالآلام، وهو الاتحاد الذي يختبر العقل فيه المشاعر العقليّة الصافية، في حالات كحالات الغضب، الخوف، الرغبة، الحزن، الحبّ، المنافسة، الحسد، وما شابه ذلك. وهذه الآلام هي آلام تخصّ الروح. وتتذكّر أنت، يا بروتارخوس، كيف تمتزج الملذات بالآلام في النحيب وعندما يفقد امرؤٌ أحد أعزائه كالأب والأم والأخ، ألا تتذكّر كيف أنّ المشاهدين يبتسمون من خلال دموعهم حين منظر المأساة؟ ألا تشعر بأنّ الروح تختبر الشعور المختلط للّذة والألم حتّى في المأساة؟ أولاَ تسمّي الحسد ألماً من آلام الروح؟

إنّ الشيء المضحك هو باختصار الاسم المحدَّد الذي يُستعمل ليصف الشكل الأثيم لعادةٍ محدَّدة، وليصف الإثم بشكل عامّ، إنّه ذلك النوع هو الأكثر خلافاً واختلافاً مع النقش المنحوت في معبد دلفي وهو « اعرف نفسك »، وعكسه ونقيضه هو أن « لا تعرف نفسك ». وهناك ثلاث طرائق يمكن تبيين جهل الإنسان لنفسه بواسطتها؛ إنّها بشأن المال في المقام الأوّل. يمكن للجاهل أن يتصوّر أنّه أغنى ممّا هو، سيتوهّم ثانياً أنّه أطول وأجمل ممّا هو أيضاً، أو أنّه سيتخيَّل أنّه يمتلك أفضليَّة أخرى يمتلكها شخص ما والتي ليست لديه حقاً. والعدد الأكبر من الناس بكلّ تأكيد، يخطئون بشأن الصنف الثالث من الخيرات وبشكل أبعد، تلك الخيرات، التي تخصّ الروح. يتصوّرون أنفسهم أنهم رجالٌ أفضل ممّا هم بكثير.

أوليست الحكمة هي الفضيلة الوحيدة التي يطالب بها الجنس البشريّ دائماً من بين كلّ الفضائل؟ وترفع فيهم النفس التنافسيَّة والخداع الكاذب للحكمة بالشكل الأكثر، ألا يمكن أن نسمّي هذه الحالة حالة سيّئة وشريرة بحقّ؟ دعنا نرى مزيج الملذات والآلام في الجسد الذي هو لذّة جائرة وألم غير عادل. كمثال، اتفقنا أوّلاً أنّ مصدر اللذّة التي نشعر بها عند وقوع البلايا بأصدقائنا هو حسد وهو يختلط بالألم. ودلّت المناظرة ضمناً على أن هناك وحدات متآلفة للذّة والألم في

النُّواح، وفي المأساة والملهاة، ليس على المسرح فقط، بل على مسرح الحياة الإنسانية الأكبر. وكذلك في الحالات الأخرى التي ليس لها حصر.

يجب أن تأخذ الملذات غير المختلطة دورها بعد الملذات المختلطة. إنّ هذا النظام هو النظام الضروريّ والطبيعيّ. لذلك أقول، إن هناك ملذات توجد فقط ولا تكون، وهناك ملذّات أخرى تمتلك قوّة عظيمة وتظهر بأشكال متعدّدة، وهي متمازجة بالآلام مع ذلك، وتكون تسكينات للصراع العنيف والكرْب، للجسم والعقل كليهما. وأنا لا أتّفق مع الذين يؤكّدون الرأي القائل إنّ كلّ الملذات هي توقّف الألم، لكنّي أستخدمها كشواهد.

إنّ الملذات الحقيقية هي الملذّات التي يمنحها جمالُ أشكال الخطوط المستقيمة والدوائر، والأشكال المسطّحة أو المجسّمة التي تشكّل منها باستدارة المخارط، والمساطر، وبمقاييس الزوايا. وأؤكّد أنّ هذه الأشياء لا تكون جميلة بشكل نسبيّ فقط، مثل بقية الأشياء الأخرى، بل إنّها تكون جميلة بشكل أزليّ وبشكل مطلق، وهي تمتلك ملذّات متميّزة، غير شبيهة بملذّات الحكّ تماماً. هناك جمال في الألوان التي تكون من الصفة عينها، ولها ملذّات مشابهة. وعندما تكون الأصوات لطيفة وجليّة، ولها نبرة صافية، فإنّها تكون جميلة بشكل مطلق، وتمتلك ملذّات طبيعيّة من الصفة عينها. أمّا ملذّات الشمّ فإنّها من نوع أقلّ سماويّة، لكنّها في امتلاكها للألم الممزوج غير الضروريّ، وفي الأسلوب الذي يتمّ الشعور بالمتعة بها، والشخص الذي يشعر بها، فإنّني أعتبرها مشابهة للملذّات الأخرى في كلّ هذا. ويمكن إضافة ملذات المعرفة إلى هذه الملذّات، إذا لم يسبقها جوعٌ للمعرفة، ولا ألم يسبّبه النسيان. وملذّات المعرفة هذه تكون غير ممزوجة بالألم. وهي ليست الملذّات التي تخصّ الكثرة، بل إنّها تخصّ القلائل جداً. إنّ الملذات غير الطاهرة، يا بروتارخوس، والتي تكون في خانة الإفراط ليس لها قياس. لكن الملذّات التي لا تكون في الخانة عينها تمتلك قياساً. وأعطيك مثلاً عن الملذّات الطاهرة بنقاء اللون.

أليس اللون الأبيض الأنقى هو اللون الأصدق والأكثر جمالاً، وليس اللوّن الأكثر أو الأضخم في الحجم؟ وهكذا تكون بالنسبة إلى اللذة.

أوَلم نسمع نحن أنّ اللذة هي تولُّد على الدوام، وأنّها لا وجود حقيقياً لها؟ ألا يُعلِّمُ هذه العقيدة فلاسفة حاذقون محدَّدون؟ ألا يجب أن نشكر لهم حسن صنيعهم؟ سأشرح لك ما يعنونه بقولهم هذا. افترض أن هناك طبيعتين إحداهما موجودة بذاتها، والأخرى تفتقر لشيء ما على الدوام، الأولى ملكيَّة أبداً والأخرى وضيعة. وهناك مبدآن اثنان في الحياة، أحدهما تولُّد كلّ الأشياء، المبدأ الآخر هو الوجود. وهل سنقول إنّ التولّد يكون من أجل الوجود، أو أنّ الوجود يكون من أجل التولّد؟ وهل تعتقد، يا بروتارخوس، أنّ علم بناء السفن يكون من أجل السفن، أو أنّ السفن تكون من أجل علم بناء السفن؟ وينطبق هذا على كلّ الحالات الأخرى بشكل مماثل، وأنت تطلب مني إجابة على سؤالي فأقول: إنّ كلّ الأشياء الوسيليَّة، العلاجيَّة، والماديَّة، معطاة لنا من أجل التولد والنشوء، وإنّ كلّ التولّد يكون من أجل وجودٍ أو جوهر هامّ أو ذا صلة به، وإنّ كلّ التولّد بمجمله يكون متعلّقاً بالوجود كله. ولهذا السبب يجب أن تكون اللذّة من أجل مخلوق ما، كونها تولّداً، والذي فُعِلَ من أجله شيء ما آخر، فينبغي وضعه في صنف ما آخر، يا صديقي الصالح. لذلك ستوضع اللذّة حينئذ وبحقّ في صنف ما آخر غيراً من الخير، كونها تولّداً.

وبعدُ، بما أنّنا أخضعنا اللذة لكلّ نوع من أنواع الاختبار، دعنا نبتعد عن أن نكون مستغنين عن الفكر والمعرفة أيضاً؛ بل اسمح لنا أن نقرع معدنهما بشجاعة، ونرى إذا كان هناك أيّ خللٍ في أيّ جزء منه، إلى أن نكتشف أيّة طبيعة من طبائعه هي الأنقى، ويمكن عندئذ إحضار العناصر الأصدق من اللذّة والمعرفة كليهما للحكم عليها. لذلك أقول، إنّ المعرفة لها جزآن اثنان، أحدهما إنتاجي، والآخر تعليمي. وإذا أُقصي علم الحساب، فنّ القياس، والأوزان من أيّ فنّ إنتاجي، فإنّ

الذي يبقى فيها لن يكون كثيراً. وستكون الفنون الباقية فنوناً حدسيَّة فقط. ويكون علم الموسيقى، كمثال، ممتلئاً من هذه الملاحظات التجريبيَّة. وسيوجد الشيء عينه كي يصحّ عن علم الطبّ، وعلم الزراعة، وعلم إدارة السفن، وقيادة الجيوش. أمّا فنّ البناء الذي يَستخدم العدد والأقيسة والأدوات، فإنّه يصل بمساعدتها إلى درجة أعظم من الدقّة أكثر ممّا يصله أيّ فنّ آخر، لأن البنّاء لديه مسطرة، مخرطة، بيكار، والآلة الأكثر حذقاً لجعل الخشب مستقيماً. وهذا البنّاء يستعملها في بناء السفن، البيوت، وفي فروع فنّ النجارة الأخرى.

إنّنا سنقسّم الفنون التي تكلّمنا عنها إلى نوعين اثنين. فالفنون مثل فنّ الموسيقى، تكون أقلّ دقّة في نتائجها، والنوع الأخير وهو النوع الأكثر دقّة منها جميعاً هو فنّ الحساب والفنون الشقيقة للوزن والقياس. وعلم الحساب ذو نوعين اثنين، النوع الأوّل شعبيّ، والآخر فلسفيّ. هناك فرق بين فنّ القياس الذي يُستخدم في البناء، وبين فنّ الهندسة الفلسفيَّة. هناك فرق عظيم في فنّ المعرفة الذي يلاحقه الفلاسفة، وفي الذي يلاحقه غير الفلاسفة، وإنّ هذا الفرق عظيم، لذلك نقول، إنّ العلوم الحسابيَّة والهندسيَّة تتفوّق على كلّ العلوم الأخرى بشكل بعيد، وإنّ فروعها المفعمة بحيويَّة ونشاط الدفع الفلسفي النقي هي أسمى في الدقّة والحقيقة لمقاييسها وأعدادها بشكل مطلق.

هناك فنّانِ اثنان لعلم الحساب، وفنّان لعلم القياس، وبرغم كلّ الذي شرحناه، يا بروتارخوس، فإنّ علم الجدل سيرفض الاعتراف بنا إنْ لم نمنحه المكان الأوّل. وإنّي لمتأكّد أنّ كلّ الرجال الذين يمتلكون ذرّة من الذكاء، سيقرّون بأنّ المعرفة الأصدق من المعارف كلّها ببعد كبير، والتي تمتلك الصفاء والدقّة، ولديها المقدار الأكبر من الحقيقة والإدراك لها، والمعرفة التي تنهمك في تعقّب الوجود الأزليّ تكون من خصائص علم الجدل. لهذا دعنا نقول، إنّ الثابت والطاهر والحقيقيّ وغير المشوب بأيَّة شائبة، يكون ذا علاقة بالأشياء الأزليَّة، وغير المتغيرة، وغير

الممتزجة، أو إذا لم يكن هذا، فإنّه يكون ذا علاقة على أيّة حال بالأشياء الأكثر قرابة له وصلة به، وإنّ كلّ الأشياء الأخرى يجب أن تُوضع في الصنف الثاني أو الصنف الوضيع.

ودعنا نسأل: أليس العقل والحكمة هما الإسمين اللذين يجب أن يكرّما التكريم الأكثر؟ ولهذا السبب يمكن أن يقال عن هذين الإسمين إنّ لديهما الاستخدام الأكثر حقيقة ودقّة عندما يكون العقل مشغولاً في التأمل المليّ للوجود الحقيقي، وهذان الإسمان هما الإسمان المنافسان للّذّة. أمّا فيما يخصّ المزج فإنّ مقوّماته هنا هي اللذة والحكمة. ولنعد قليلاً إلى الوراء وإلى ما قاله فيليببوس تحديداً. يقول فيليبوس، إنّ اللذّة هي الغاية الحقيقيّة لكلّ المخلوقات الحيّة، والتي يجب أن تهدف هذه المخلوقات لها جميعاً. ويقول أكثر من ذلك، يقول إنّها الخير الرئيس من بين الخيرات كلّها، وإنّ الإسمين الاثنين « الخير » و« السارّ » يُعطيان لشيء واحد ولطبيعة واحدة بشكل صحيح. لكنّي أنكر هذا بقوّة، وأقول ما هو إضافة على ذلك، وهو أنّ هذين الإسمين يكونان اسمين اثنين في الأسماء كما يكونان في الطبيعة. وأقول إنّ الحكمة تشترك في الخير أكثر من اشتراكها في اللذّة. لكنّ هناك نقطة أخرى سأضيفها إلى ما قلته، وهي أنّ الخير دائماً وفي كلّ مكان وفي كلّ الأشياء يمتلك الكفاية الأكثر كمالاً، وليس بحاجة لأيّ شيء آخر قطّ. ولقد أوجدنا فصلاً تخيليّاً عن اللذّة والحكمة، وخصّصنا حياة متميّزة لكلّ منهما، وهكذا فإنّ اللذّة أُقصيت بالجملة عن الحكمة، وفي أسلوب مماثل، فإنّ الحكمة لم يعد لها أيّ دور في اللذّة أيّاً كانت.

علينا أن نؤكّد طبيعة الخير أكثر أو أقلّ دقّة، كي يمكننا أن نخصّص المكان الثاني كما ينبغي. لذلك سنبحث عنه في الحياة الممزوجة، وسيكون لدينا أمل كبير في إيجاده هناك. سنصلي لديونيسوس ولهيفياستوس، أو لأيّ إله كان يشرف على احتفال المزج في الوقت عينه. قل لي، هل سننجح بالاحتمال الأكثر ترجيحاً، إذا

مزجنا كلّ نوع من أنواع اللذّة مع كلّ نوع من أنواع الحكمة؟ وبعد النقاش، وبناء على طلبك، يا بروتارخوس، إفترض أنّني أفسح مجالاً، ومثل البوّاب الذي يدفعه الغوغاء ويقهرونه، أفتحُ الباب على مصراعيه، وأترك المعرفة من كلّ نوع تتدفّق إلى الداخل، ويختلط النقيّ بغير النقيّ. وها إنّي قد سمحت لها بالدخول، يجب أن أعود إلى نافورة اللذّة، لكنّنا لن نسمح لها بالامتزاج مثلما سمحنا لأنواع المعرفة بالتدفّق الى الداخل، وسندع الملذّات الضرورية تمرّ أوّلاً وينبغي أن نمزج الملذّات الضرورية هذه معاً.

لقد تمّ الاعتراف بأنّ معرفة الفنون بريئة ونافعة على الدوام. وإذا قلنا عن المذات إنّها كلّها صالحة وبريئة لنا كلّنا في كلّ الأوقات في أسلوب مماثل، يجب أن ندعها تمتزج كلّها. ولنسأل بنات اللذّة والحكمة بنفسها، سنقول لهنّ: أخبرننا، أوه يا حبيباتنا ـ هل سندعوكنَّ لذّات أو سنسميكنَّ باسم آخر ما؟ هل ستفضّلن أن تُجِبْنَ بالحكمة أو بدونها؟ وسيجبنَ هنَّ، كما قلنا سابقاً: « ليس جيّداً لأيّ صنف مفرد أن يُترك صافياً ومنعزلاً بنفسه؛ وليس ممكناً أن يكون معاً. وإذا كنّا لنخلق مقارنات لصنف واحد بالصنف الآخر ونختار واحداً منهما، فليس هناك رفيق أفضل من معرفة الأشياء بشكلٍ عامّ، واختيار المعرفة التامّة، إذا أمكن ذلك، عن كلّ من أنفسنا في كلّ ناحية بشكل شامل وكامل. وسيكون جوابنا لهنّ: ـ أنتنَّ تكلمتنَّ جيّداً في ذلك، يا سقراط.

إفسح لنا مجالاً الآن كي نعود لاستجواب الحكمة والعقل، ونقول لهما: ـ هل ستحبّان امتلاك الملذّات في المزيج؟ وسيجيبان: أيّة ملذات تعني، يا سقراط؟ وسنجيبهما: هل ترغبان أن تمتلكا الملذات الأعظم والأكثر اتقاداً لرفاقكما بالإضافة إلى امتلاك الملذات الحقيقية؟ سيجيبان: « لماذا، وكيف نستطيع أن نفعل ذلك؟ » مشاهدين أنّها أصل عشرات آلاف المعوقات التي تمنعنا من الوصول إلى الخير. إنها ترهق أرواح الرجال بجنونها وهي التي تمنعنا من الوصول إلى الوجود والتي هي

مسكن لنا. إنّها تعوّقنا من الوصول إلى الوجود، وهي الدمار للأطفال الذين يولدون لنا بشكل عامّ، مسبّبة نسيانهم واللامبالاة بهم؛ لكن الملذّات الحقيقية والنقيّة، التي تتكلّم عنها، فيمكنك أن تعتبر أنّها من فصيلتنا، وكذلك تلك الملذّات التي تصاحب الصحّة والاعتدال، والتي تكون مثل الآلهة تمتلك في موكبها كلّ فضيلة كي تتبعها حيثما تذهب ـ امزج هذه الملذّات، يا سقراط، ولا تمزج الملذّات الأخرى. سنفتقر كثيراً للإدراك في أيّ شخص يرغب في أن يرى المزيج العادل الجميل والتناسق التامّ، ولكي يجد فيه الشيء الذي هو الخير الأسمى في الإنسان وفي العالم، وليؤلّه الشيء الذي هو الصورة الحقيقية للخير ـ شخص كهذا سيفتقر كثيراً لسماحه للملذّات التي تكون في صحبة الغباء والرذيلة على الدوام أن تمتزج مع العقل في الكأس هذه.

وأعقّب على ذلك، يا بروتارخوس، فأقول: ما لم تدخل الحقيقة في التركيب، فلا شيء يستطيع أن يُخلق أو يُوجد بحقّ، ويمكنني أن أقارن هذه المحاورة بقانونٍ روحيّ، يؤدّي إلى إحداث قانون عادل على الجسم الحيّ. سنواصل السؤال عند اكتشافنا للسبب الرئيسي الذي من أجله تكون حالة كهذه محبوبة من الجميع بشكل شامل، سنواصل السؤال إذا ما كانت هذه الطبيعة الكليّة للوجود أكثر مجانسة للّذة أو للعقل. يعرف كلّ إنسانٍ أنّ أيّ عَوَزٍ للاعتدال والتناسق في أيّ مزيج، مهما وجب أن يكون مميتاً للعناصر التي يتركّب منها المزيج وليكون مميتاً للمزيج عينه بالضرورة على الدوام، والذي لا يكون مزيجاً حينئذ، بل إنّه يكون خليطاً مشوّشاً ومضطّرباً يجلب الفوضى الصّرفة على مقتنيه.

وبعدُ فإنّ قوّة الخير تقاعدت إلى منطقة الجميل؛ لأنّ الاعتدال والتناسق يكونان جمالاً وفضيلة فوق العالم أجمع. ويمكننا الآن أن نلتقط غنيمتنا الثلاثية. إنّ الجمال، التناسق، والحقيقية هي أفكار ثلاث، وباستطاعتنا أن نعتبر هذه الأفكار المختارة معاً كسبب للمزيج مفرداً، وأن ننظر إليه على أنّه جيّد بسبب إدخال

الحقيقة فيه. وبما أنّنا وصلنا إلى هذه المرحلة المتقدّمة من البحث، يا بروتارخوس، فإنّ أيّ إنسان يقدر على أن يقرر جيّداً بما فيه الكفاية، إذا ما كانت اللذّة أو الحكمة أكثر مماثلة للخير الأسمى، وأكثر تمجيداً بين الآلهة والرجال. إذن، وبسبب موافقتك المطلقة على هذه النتيجة فإنّك ستعلن في كلّ مكان، بالكلمة المنطوقة للمجموعة التي تقابلها، وبالرسل الذين يحملون الأنباء طولاً وعرضاً، ستعلن أنّ اللذّة ليست أولى المقتنيات، ولا حتى الثانية، لكنّ الطبيعة الأزليّة قد وُجدت في الاعتدال، والتوسّط، والمناسب، وما شابهها. ويحتوي الصنف الثاني المتناسق والجميل والكامل أو الكافي. وإذا حسبنا العقل والحكمة في الصنف الثالث فلن نكون مخطئين أبداً. والخيرات التي أكّدنا أنّها تختصّ بالروح بشكل خاصّ، سنضعها في الصنف الرابع والملذّات غير المؤلمة والتي حدّدناها سابقاً، تأتي في الصنف الخامس. والآن، وكما يقول أورفيوس « مع الجيل السادس يتوقّف مجد أغنيتي » لذلك، سنلخّص ونؤكّد الذي قلناه مرّة ثانية. يثبت فيليبوس أنّ اللذّة هي الخير على الدوام وبشكل مطلق، وقلت أنا إنّ العقل كان ذلك. لكن بالرغم من أنّه يجب عليهما كليهما التخلّي عن حقهما الصالح شيء آخر، فإنّ العقل يكون عشرة آلاف مرّة أقرب وأكثر مماثلة لطبيعة المنتصر من اللذّة التي ستصنّف في المكان الخامس.

لكنّها لن تُصنّف في المكان الأوّل أبداً. كلاّ، حتى ولو أعلنت الثيران والأحصنة وكلّ الحيوانات في العالم أنّها كذلك. وبما أنّكم تصادقون على ما قلته، فهل ستدَعونني أذهب الآن؟

هناك القليل الباقي الذي لم نقله لحدّ الآن، يا سقراط، وسأذكّرك به. وإنّي لمتأكّد من أنّك لن تكون أوّل من يهرب من إجراء محاورة.

محاورة فيليبوس

أشخاص المحاورة

سقراط بروتارخوس

فيليبوس

سقراط: راقب طبيعة موقفي، يا بروتارخوس، ذلك الموقف الذي تعدّ نفسك كي تأخذه من فيليبوس، راقب أيضاً ما هو الموقف الآخر الذي أدافع عنه وأصونه، والذي إن كنتَ لا تستحسنه فستنكره وتناقضه، هل سنلخّص لك الموقفين؟

بروتارخوس: مهما كلَّف الأمر.

سقراط: قال فيليبوس، إنّ المتعة واللذّة والبهجة والنوع الإحساسي المجانس لها، قال إنّها جيّدة لكلّ مخلوق حيّ، في حين أؤكّد أنا أنّها عكس ما يطرحه، بل أُثبت أنّ الحكمة والفهم والتذكرّ وأشقاءها، كالرأي الصحيح والتعقّل الحق، أثبت أنّ هذه كلّها هي أفضل الأشياء، ومرغوبة أكثر من اللذّة لكلّ القادرين على أن يشاركوا فيها. وأقول إنّ اقتناءَها من قِبَل كل هؤلاء الذين يكونون أو سيكونون أبداً، أقول إنّ اقتناءهم لها هو الشيء الأكثر نفعاً في العالم. ألم أعطِ عرضاً جيّداً لوجهتي المناظرتين، يا فيليبوس؟

فيليبوس: لا يمكن لشيء آخر أن يكون أعدل، يا سقراط.

سقراط: وهل تقبل، يا بروتارخوس، بالموقف الذي يُخصَّصُ لك؟

بروتارخوس: لا أستطيع أن أفعل غير ذلك، بما أنّ فيليبوس الجميل الذي يخصّنا قد غادر ساحة القتال.

سقراط: إنّ الحقيقة بشأن هذه القضايا يجب أن يتمّ إثباتها بكلّ تأكيد، ومهما كلّف الأمر.

بروتارخوس: بدون ريب.

سقراط: هل سنتّفق على ما هو أبعد من ذلك ـ

بروتارخوس: سنتّفق على ماذا؟

سقراط: سنتّفق على أنّه يجب عليَّ وعليك الآن أن نحاول تعيين حالةٍ وترتيبٍ ما للروح، ليصبح كلّ الرجال سعداء.

بروتارخوس: نعم، مهما كلّف الأمر.

سقراط: وتقول أنت إنّ اللذّة، وأقول أنا إنّ الحكمة هي تلك الحالة.

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: وماذا إذا كانت هناك حالة ثالثة، أفضل من الحالتين اللتين ذكرناهما؟ سنُهزم كلانا حينئذ ـ ألن نكون هكذا؟ لكن إذا أصبحت هذه الحياة، التي يُستطاع الاعتماد عليها كي تجعل الرجال سعداء، إذا أُصبحت أكثر مماثلة للّذة منها للحكمة، يمكن لحياة اللذّة أن تبقى ممتلكة الأفضليّة على حياة الحكمة.

بروتارخوس: صدقاً.

سقراط: أو افترض أنّ الحياة الأفضل هي أكثر ارتباطاً بالحكمة على وجه التقريب، فإنّ الحكمة ستنتصر، وستهزم اللذة؛ ـ هل ستوافق على هذا؟

بروتارخوس: بدون ريب.

سقراط: وماذا تقول، يا فيليبوس؟

فيليبوس: إنّي أقول، وسأقول على الدوام، إنَّ اللذّة ستكون المنتصرة بسهولة. لكنّك يجب أن تقرّر ذلك بنفسك، يا بروتارخوس.

بروتارخوس: لقد سلّمت المناظرة إليَّ، يا فيليبوس، وليس لك الحقّ في أن تعقد اتفاقاً مع سقراط بعد الآن أو لا تعقد.

فيليبوس: حقيقيّ بما فيه الكفاية، وأعلن بموجب ذلك أنّي غير مقيَّدٍ بالبحث، وأستدعي إلٰهة اللذّة لتشهد على ما أقول.

بروتارخوس: يمكنك أن تحتكم لنا؛ سنكون نحن الشهود على كلماتك أيضاً. وبعدُ، يا سقراط، سواء إذا كان فيليبوس مسروراً أوْ لا، فإنّنا سنتقدّم في المناظرة.

سقراط: دعنا نبدأ بالإلهة ذاتها إذن، والتي يقول فيليبوس إنّها تدعى أفروديت، لكنّ اسمها الحقيقي هو اللذة.

بروتارخوس: جيّد جداً.

سقراط: إنّ الرهبة التي أشعر بها نحو الآلهة على الدوام، يا بروتارخوس، هي أكثر من رهبة إنسانيّة ـ إنّها تتجاوز كل المخاوف. والآن فإنّي لن أرتكب ذنباً بحق أفروديت إن سمّيتها بطريقة خاطئة، دعها تُدعى ما تريد. لكنّي أعرف أنّ اللذة تكون متشعّبة الجوانب، ويجب أن نبدأ بها، كما قلت لتوّي، وأن نتأمّل ملياً ماهيّة طبيعتها. إنّها تمتلك اسماً واحداً. ولهذا السبب فإنّك ستتصوّر أنّها تكون واحدة؛ ومع ذلك فإنّها تأخذ الأشكال الأكثر تعدّداً وحتى غير المتشابهة. إذْ ألسنا نقول إنّ المسرف يمتلك لذّة، وإنّ المعتدل يمتلك لذّة في اعتداله بالتحديد ـ إنّ الغبيّ يكون مسروراً عندما يمتلىء بالأوهام والآمال السخيفة، وإنّ الإنسان الحكيم يمتلك لذّة في حكمته؟ وكم سيكون الشخص غبيّاً ومضحكاً إذا أكّد أنّ كلّ هذه اللذّات المتضادّة متشابهة كل واحدة بمفردها!

بروتارخوس: لماذا، يا سقراط، إنّها متضادّة بقدر ما تنبثق من أصول متضادة، لكنها ليست متضادة في نفسها. إذ أليس من الواجب أن تكون اللذة من بين كلّ الأشياء الأكثر شبهاً باللذّة بشكل مطلق؟ بمعنى أنّها تشبه نفسها؟

سقراط: نعم، يا صديقي الصالح، إنّها مثلما يكون اللون شبيهاً باللون تماماً؛ ـ بقدر

ما تكون الألوان ألواناً، لا فرق بينها، وبرغم ذلك فنحن نعرف تماماً أنّ اللون الأسود ليس غير مشابه للّون الأبيض، بل إنه مضادّ له بشكل مطلق. أو، مرّة ثانية، مثلما يكون الشكل شبيهاً بالشكل، لأنّ الأشكال جميعها تكون متضمَّنةً تحت صنف واحد؛ وبرغم ذلك فإنّ بعض الأشكال الخاصّة يُضادّ أحدها الآخر بشكل مطلق، ويُظهِر باقيها تنوّعاً غير محدود. ويمكننا أن نجد أمثلة متشابهة في الأشياء المتعدّدة الأخرى. لذلك لا تعتمد على هذه المناظرة، التي ستذهب لبرهنة وحدة أكثرية المتضادّات تطرّفاً، وأشتبه بأنّنا سنجد معارضة مشابهة بين الملذّات.

بروتارخوس: على الأرجح جدّاً؛ لكن كيف سيُبطِلُ هذا القول المناظرة التي نجريها؟

سقراط: لماذا، سأجيب لأنّها غير متشابهة كما تكون، فإنّك ستطبّق عليها محمولاً جديداً، ما دمت تقول إنّ كلّ الأشياء اللذيذة أو السارّة تكون جيدة. وبعدُ فإنّه لا يمكن أن تكون هناك مناظرة كي تبيّن أنّ السارّ لا يكون سارّاً؛ لكن في حين نقول نحن إنّ أكثر الملذات تكون سيئة، برغم أنّ بعضاً منها جيّدٌ أيضاً، فأنت تسمّيها كلّها جيّدة على قدم المساواة، وتكون مجبراً في الوقت عينه، إذا أُكرهت، على الاعتراف بأنّها غير متشابهة. وهكذا يجب عليك أن تخبرنا ما هي النوعيّة المتطابقة الموجودة في الملذّات الصالحة والسيئة على قدم المساواة، والتي تجعلك تصنّفها كلّها كأنّها ملذّات جيّدة.

بروتارخوس: ماذا تعني، يا سقراط؟ هل تتصوّر أنّ أيّ شخص يؤكّد أنّ اللذّة تكون الخير، هل تتصوّر أنّه سيجيز فكرة أنّ بعض الملذات تكون صالحة والأخرى سيئة؟

سقراط: لكن لربّما ستعترفُ بأنّها مختلفة عن بعضها البعض، وأنّها متضادّة بعض المرات؟

بروتارخوس: ليس بقدر ما تكون ملذّات.

سقراط: إنّ ذلك عودة إلى الموقف السابق، يا بروتارخوس، وهكذا يجب علينا أن نقول « هل سنفعل ذلك؟ ». لا فرق في الملذات، بل إنّها متشابهة كلّها؛ وأما الأمثلة التي تمّ إيرادها منذ برهة فلم تنفذ إلى عقولنا الكليلة، بل إنّنا وقعنا في الحالة الأضعف وفي التعقّلات المنطقيّة الأكثر انعداماً للخبرة، وتكلّمنا مثلما يتكلّمون.

بروتارخوس: ماذا تعني؟

سقراط: لماذا، إنّني أعني أنّه يمكنني أن أتبع مثالك إذا أحببت، وذلك دفاعاً عن النفس، وأستطيع أن أؤكّد بجسارة أنّ الشيئين الاثنين الأكثر لا تشابهاً هما الأكثر تشابهاً بشكل مطلق، وستكون النتيجة أننا، أنت وأنا، سنثبت أنّنا غير محترفين في فنّ المحادثة تماماً؛ وستُنسف المناظرة من أساسها وتضيع. إفترض أنّنا نعود لبداية المحاورة، ونرجع إلى موقعنا الأوّل مثلما يفعل المتصارعون؛ لربّما يمكننا أن يفهم أحدنا الآخر حينئذ.

بروتارخوس: ماذا تعني؟

سقراط: هل ستسألني السؤال الذي سأطرحه على نفسي، يا بروتارخوس؟

بروتارخوس: أيُّ سؤال؟

سقراط: إسألني إذا ما كانت الحكمة والعلم والتعقل، وكلّ تلك النوعيّات الأخرى التي أكّدت أنا أنّها صالحة حينما سألتني عن طبيعة الخير، إسألني إذا ما كانت هذه النوعيّات في الحالة عينها مع الملذّات التي تتكلّم عنها.

بروتارخوس: ماذا تعني؟

سقراط: إنّ العلوم صنف كثير العدد، وستُوجَد أنّها تُحضِر فوارق كبيرة. لكن حتّى إذا اعترفت بأنّها متضادّة مثلما هي مختلفة كالملذات، فهل سأستحقّ اسم عالِم الجدل وأكون جديراً به، إن قلت « كما قلت أنت عن الملذات » إذ لا فرق بين علمٍ وآخر، وذلك كي أتفادى هذه الصعوبة؛ ألن تنهار المناظرة

وتتلاشى مثل أسطورة منسيّة، برغم أنّه يمكننا أن ننقذ أنفسنا من الغرق في التمسّك بفكرة خاطئة؟

بروتارخوس: يمكن أن لا يحدث لنا شيء من هذا سوى الحريّة! ومع ذلك فإنّني أحبّ العدل المنصف الذي أستخدمه لكلا المناظرتين. دعنا نفترض إذن، أنّ هناك ملذّات عديدة ومتشعّبة، وكذلك علوماً متعدّدة ومختلفة.

سقراط: ودعنا لا نخفي أو نتكلّم، يا بروتارخوس، على الفوارق بين مناظرتي ومناظرتك؛ بل اسمح لنا أن نسلّط الضّوء عليهما على أمل أنّه بالإمكان أن يبيّنا إذا ما كانت اللذّة لتُدعى خيراً، وذلك في عملية اختبارنا لكلا المحاوتين، أو إذا ما كانت الحكمة تدعى بهذا الإسم، أو أنّ نوعيّة ما ثالثة لها الأسبقيّة في هذا المجال؛ ونحن لا نتبارى الآن بكلّ بساطة كي تسود وجهة نظري على وجهة نظرك والعكس بالعكس، لكنّني أسلّم بأن من الواجب علينا أن نسعى من أجل الحقيقة.

بروتارخوس: يجب أن نفعل ذلك بالتأكيد.

سقراط: دعنا نحوز فهماً أكثر تحديداً إذن، وأن نوطّد القاعدة أو المبدأ الذي ترتكز عليه المناظرة.

بروتارخوس: أي مبدأ؟

سقراط: إنّه المبدأ الذي يكون كلّ الرجال في حَرَجٍ بشأنه على الدوام، ويكون بعض الرجال هكذا ضدّ إرادتهم ولبعض الوقت.

بروتارخوس: تكلم بشكل أوضح.

سقراط: المبدأ الذي ظهر لتوّه، والذي هو معجزة الطبيعة؛ وهو أنّ الواحد يجب أن يكون كثرة أو الكثرة واحداً. إنّهما لفرضيّتان رائعتان. وهذا ما يؤكّد أنهما كليهما عرضة للهجوم بدون ريب.

بروتارخوس: هل تعني، أنّه عندما يقول شخص بأنّي أنا « بروتارخوس » أكون

واحداً وكثرة أيضاً بالطبيعة، وهو يقسّم مفرد « أنا » إلى عدة مفردات، حتى أنّه يضادّها ككبيرة وصغيرة، خفيفة وثقيلة، وفي عشرة آلاف طريقة أخرى؟

سقراط: إنّ تلك الأشياء، يا بروتارخوس، هي المفارقات الشائعة والمعترف بها بشأن الواحد والكثرة، والذي يسمح لي أن أقول إنَّ كلّ شخص وافق في هذا الوقت كي يصرف النظر عنها وكأنّها مفارقات سخيفة وواضحة وغير مرغوب فيها، حسب طريقة التفكير الحقيقية؛ ولم يظهر أيّ تأييد لذلك اللّغز الآخر، والذي يستخدمه شخص كي يجادل في أنّ شيئاً يكون مقسّماً إلى أطرافٍ وأجزاء، ويجعل خصمه يعترف بأنها تشكّل كلّها جميعاً الشكل الواحد الأصليّ. ومن ثمّ فإنّه يسخر منه وكأنه واحد اعترف بشيء مرعبٍ ما. وهذا الاعتراف هو أنّ الواحد يكون كثرة وغير محدود، وأنّ الكثرة تكون واحداً فقط.

بروتارخوس: لكن يا سقراط، ما هي تلك الأعاجيب الأخرى المتّصلة بهذا الموضوع الذي لم يصبح شائعاً ومعترفاً به لحدّ الآن، كما تلمّح بذلك؟

سقراط: عندما لا ينتمي الواحد إلى صنف الأشياء التي تُولَد وتفنى، يا ولدي، كما في المثل الذي أعطيناه، إذ في تلك الحالات، وحينما تكون الوحدة من هذه الطبيعة المتماسكة فإن هناك موافقة عالمية على أنه لا حاجة لاختبارها بالمناظرة، كما كنت قائلاً. لكن عندما يُحقّق التأكيد أنّ إنساناً يكون واحداً، أو أن الثّور يكون واحداً، أو الجمال واحداً، أو الخير واحداً، وتحاول تقسيمها فإنّ ذلك يولّد جدلاً ونزاعاً.

بروتارخوس: جدل من أيّ نوع؟

سقراط: إنّه جدل، في المقام الأوّل، سواء إذا وجب علينا أن نفترض أنَّ أيّاً من هكذا وحدات تكون، وتمتلك وجوداً حقيقياً، وبعدئذ كيف أنّ كلّ وحدة

مفردة، كونها الشيء عينه على الدوام، وغير قادرة إمّا على التولّد أو الدمار، كيف أنّها تكون برغم ذلك، أو أنّها تشارك في الوجود. ويبقى هناك السؤال عندئذ عن وجودها في لا نهاية عالم التولّد، سواء إذا وجب علينا أن نتصوّر أنّها تبدّد وتصبح كثرة، أو أنّها لا تزال كاملة وبرغم هذا تكون منقسمة على نفسها. وسيبدو أنّ الافتراض الأخير هو أكبر الافتراضات استحالةً، إذ كيف يستطيع واحد والشيء عينه أن يكون في واحد وفي أشياء عديدة في الوقت عينه؟ إنّ هذه هي الصعوبة الحقيقيّة التي تواجهنا، يا بروتارخوس، ويكون هذا الواحد والكثرة اللذين يتّصلان بها؛ وكما تكون أيضاً منشأ وأصل الارتباك الأعظم إن تمّ الحكم بشأنها خطأً على نحو حاسم. كذلك يكون الحكم الصحيح عنها أعظم كسب ممكن.

بروتارخوس: دعنا نبدأ إذن بحلّ هذه الأسئلة، يا سقراط.

سقراط: إنّ هذا هو ما يجب عليَّ أن أرغب فيه.

بروتارخوس: وإنّي لمتأكّد بأنّ كلّ أصدقائي الآخرين سيكونون جذلين لسماع بحث هذه الأسئلة. إنّ فيليبوس ليس ميّالاً للتحرّك من هنا لحسن حظّنا، ومن الأفضل لنا أن لا نثيره بالأسئلة.

سقراط: جيّد، وأين سنبدأ هذه المعركة العظيمة والمتعدّدة الأنواع، والتي فيها نقاط رئيسيّة كهذه قيد البحث؟ هل سنبدأ كذلك؟

بروتارخوس: كيف سنبدأ؟

سقراط: نحن نقول إنّ الواحد والكثرة يصبحان متماثلين في افتراضاتنا، إنّهما ينتقلان الآن معاً من مكان إلى مكان، كما كانا في الزمن الماضي. إنّهما يفعلان ذلك في كلّ جملة ملفوظة. وهذا الاتّحاد بينهما لن ينقطع قط، ولا يكون مبتدِئاً الآن، بل يكون نوعيّة دائمة من الافتراضات نفسها التي لا تصبح قديمة أبداً، كما أعتقد. غير أنّ أيّ إنسان فتيّ، عندما يتذوّق هذه

اللطائف بادىء ذي بدء، فإنّه يفرح لتذوّقها ويتوهّم أنّه وجد كنزاً من الحكمة. وفي حماسته الأولى لا يترك أيّ حجر من كثرة غبطته، أو على الأصحّ فإنّه لا يدع فكرةً بدون أن يقلبها رأساً على عقب. وبعد أن يجمع الكثرة إلى الواحد، يجبلهما معاً، والآن ينشرهما ويقسمهما. إنّه يربك نفسه قبل كلّ شيء وفوق كلّ شيء، ويتقدّم بعدئذ كي يحيِّر جيرانه، سواء أكانوا أكبر منه سنّاً أو أقلّ، أو مجايليه ـ إنّ هذا لا يشكّل فرقاً؛ وهو لا يستثني أباً ولا أمّاً من ذلك. ليس هناك مخلوق إنسانيّ يمتلك أذنين يكون في مأمنٍ منه، حتّى أنّ كلبه لا يسلم منه. وليس لدى البربر أيّة فرصة للهرب من اعتدائه، هذا إذا وُجِدَ مفسّرٌ يستطيع أن يشرح أقواله لهم فقط.

بروتارخوس: آخذين بعين الاعتبار، يا سقراط، كم يكون عددنا، ونحن رجال شبّان، ألا خطر من أنّه يمكن أن نهاجمك ومعنا فيليبوس بعنف، إنْ أنت أسأت معاملتنا؟ إنّنا نفهم ما تعنيه، لكن أليست هناك تعويذة يمكننا أن نبدّد كلّ هذا الارتباك بواسطتها، وإنّها الطريقة الأكثر امتيازاً في الحقيقة؟ وإذا وجدت هذه الطريقة فإنّنا نأمل منك أن تهدينا إليها، وسنقوم نحن بأفضل ما نقدر عليه كي نتبعك، لأنّ التحقيق والبحث المشغولين فيها، يا سقراط، ليسا بدون أهميّة أبداً.

سقراط: إنّه يكون عكس اللامهمّ، يا أولادي، كما يسمّيكم فيليبوس، ولا توجد طريقة ولن توجد طريقة أفضل من طريقتي الخاصّة الفضلى أبداً، تلك الطريقة التي هجرتني مسبقاً برغم ذلك، وتركتني بائساً ساعة الضّيق.

بروتارخوس: قل لنا ما هي؟

سقراط: إنّها طريقة يمكن أن تظهر بسهولة، لكنّها ليست سهلة التطبيق بأيّة حال. إنّها أصل كلّ الاكتشافات في الفنون.

بروتارخوس: أخبرنا ما هي.

سقراط: إنّها هبة السماء التي أتصوّر أنَّ الآلهة قذفتها بين الرجال على يَدَيْ بروميثيوس الجديد، وأشعل تألّقاً من النور بعد ذلك. الغابرون الذين كانوا أفاضلنا وأقرب إلى الآلهة منّا، أعطونا هذا العرف، وهو أن كل الأشياء الكائنة متألّفة من واحد وكثرة، وتمتلك الشيء المحدود واللامتناهي مغروساً فيها. آخذين باعتبارنا عندئذ أنّ نظام الكون هو هكذا، يجب علينا نحن أيضاً أن نبدأ بوضع فكرة واحدة في كلّ تحقيق عن ذلك الذي يكون موضوع هذا التحقيق، وسنجد هذه الوحدة في كلّ شيء. ويمكننا عندما نجدها أن نتقدّم تالياً لنبحث عن وحدتين، إذا وجدت هاتان الوحدتان، وإنْ لم توجدا، سنبحث عندئذ عن ثلاث وحدات أو عن عدد آخر ما منها، مقسّمين كلاً من هذه الوحدات إلى أجزاء صغيرة، إلى أن تُرى الوحدة التي بدأنا بتقسيمها أخيراً كي لا تكون واحدة فقط وكثرة وغير متناهية، بل لتكون محدَّدة في العدد أيضاً. لا يجب أن يقاسي غير المحدود كي يدنو من الكثرة إلى أن يكون قد اكتُشِف مجمل عدد الأنواع المتوسّطة بين الوحدة واللامتناهي، ـ يمكننا عندئذ وليس إلاّ عندئذ، يمكننا أن نرتاح من القسمة. ويمكننا السماح لها أن تهبط في اللاتناهي، بدون أن نزعج أنفسنا بشأن الأفراد اللانهائيين. إنّ هذه الطريقة هي الطريقة التي يجب أن نأخذها بعين الاعتبار، كما قلتُ، وأن يُعلِّمها بعضُنا لبعض. وهي الطريقة التي سلَّمتنا إيّاها الآلهة. لكنّ رجال زمننا الحكماء، يكونون إمّا سريعين كثيراً أو بطيئين كثيراً لتصوّر التعدّد في الوحدة. ولعدم امتلاكهم منهجاً فإنّهم يجعلون واحدها وكثيرها كيفما اتّفق، وينتقلون من الوحدة إلى اللامتناهي في الحال. أمّا المراحل الوسط فإنّها لا تخطر في بالهم على الإطلاق. وأكرّر أنّ هذا هو ما يخلق الفرق بين الفنّ المجرَّد للجدال وبين علم الجدل الحقيقي.

بروتارخوس: أعتقد بأنّي أفهم ما تقوله جزئياً، يا سقراط، لكن يجب أن أطلب إليك إيضاح معناك بصفاءٍ أكثر في الجزء الآخر.

سقراط: يمكنني أن أشرحَ ما أعنيه بواسطة حروف الألِفباء، يا بروتارخوس، والتي تعلمتها أنت عندما كنت طفلاً.

بروتارخوس: كيف تزوّدنا هذه الحروف بالتوضيح والشرح؟

سقراط: إنّ الصوت الذي يمر من خلال الشفتين يكون واحداً ولامتناهياً مع ذلك، سواء إذا كان هذا الصوت للفرد أو لجميع الرجال.

بروتارخوس: حقيقيّ جداً.

سقراط: وبرغم ذلك فإنّنا لسنا كاملين في فنّ الكلام لمعرفةِ ما إذا كان ذلك الصوت واحداً أو لامتناهياً. لكنّ معرفة العدد وطبيعة الأصوات هي ما يجعل إنساناً عالِماً في علم الصرف والنحو.

بروتارخوس: حقيقي تماماً.

سقراط: والمعرفة التي تجعل إنساناً عالماً في علم الموسيقى هي من النوع عينه.

بروتارخوس: كيف يكون ذلك؟

سقراط: إنّ الصوت يكون واحداً في علم الموسيقى مثلما هو في علم الصرف والنحو.

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: وهناك نغمة موسيقية أعلى وأخرى أدنى، ونغمة ذات درجة متساوية: أيمكننا أن نؤكّد ذلك لهذا الحد؟

بروتارخوس: نعم.

سقراط: لكنّك لن تكون موسيقياً حقيقياً إذا كان هذا كلّ الذي عرفته؛ ومع ذلك فإنّك إنْ لم تعرف هذا فلن تعرف أيّ شيء في علم الموسيقى تقريباً؟

بروتارخوس: لن أعرف شيئاً.

سقراط: لكنّك عندما تعلّمت أيّ الأصوات تكون عالية وأيها منخفضة، وتعلّمت العدد وطبيعة الفواصل وحدودها أو اتّساقها، والأنظمة المركّبة منها التي اكتشفها آباؤنا والتي سلّمونا إيّاها، نحن أسلافهم، فإنّهم سلّموها إياها تحت اسم تآلف الألحان؛ وعندما تعلّمت أيضاً كيف تظهر التأثيرات المتشابهة وتصبح في حركات الأجسام، التي حينما تقاس بالأعداد، يجب أن تدعى إيقاعات وأقيسة، كما يقولون. وهم يخبروننا أنّه يجب علينا أن نطبّق المبدأ عينه على كلّ شخص وعلى الكثرة. أقول، إنّك عندما تتعلّم كلّ هذا حينئذ، يا صديقي العزيز، فإنّك ستمتلك البراعة التقنيّة، ويمكن أن يقال عنك إنّك تفهم أيّ موضوع آخر، حين حيازتك الإدراك المماثل عنه. لكنّ اللامتناهي للأنواع واللامتناهي للأشخاص الموجود في كلّ منها، يخلق حالة من الجهل اللامتناهي في كلّ منا، عندما لا يتمّ تصنيفها. والذي لا يبحث في العدد وعنه في أيّ شيء، فلن يُبحث عنه نفسه ولن يُعدَّ ويُحسب في عدد الرجال المشهورين.

بروتارخوس: أعتقد أنّ ما يقوله سقراط الآن ممتاز، يا فيليبوس.

فيليبوس: أنا أتصوّر هذا أيضاً، لكن كيف تؤثّر كلماته هذه فينا وفي المناظرة؟

سقراط: إنّ فيليبوس لمحقّ في سؤالنا ذلك، يا بروتارخوس.

بروتارخوس: إنّه يكون كذلك حقّاً، ويجب أن تجيبه أنت، يا سقراط.

سقراط: سأفعل؛ لكن يجب أن تسمح لي بأن أقدّم ملاحظة بشأن هذه المسائل أوّلاً. لقد قلت إنّ من يبتدىء بأيّة وحدة مفردة، ينبغي عليه أن لا يتقدّم من تلك إلى اللامتناهي، بل إلى العدد المحدَّد، وأقول الآن عكس ذلك تماماً، وهو أنّ الذي عليه أن يبتدىء باللامتناهي يلزمه أن لا يقفز إلى الوحدة، بل ينبغي عليه أن يفحص عن عددٍ ما يمثّل نوعيّة محدَّدة. وهكذا ينتهي خارج الكلّ في واحد. وبعدُ دعنا نعود لتوضيح مبدئنا لحالة الحروف.

بروتارخوس: ماذا تعني؟

سقراط: إنّ إلهاً ما أو إنساناً إلهياً، يُقال إنّه كان توت في الأسطورة المصريّة، هذا الإله لاحظ أنّ الصوت الإنساني كان لامتناهياً، وميّز في هذه اللانهاية عدداً محدّداً من الحروف اللينة، ولاحظ بعدئذ الحروف التي لها صوت، لكنّها لم تكن حروفاً لينة نقيّة « كمثال حروف شبه ليّنة »، توجد هذه الحروف في رقم محدّد أيضاً. وميّز هو أخيراً صنفاً ثالثاً من الحروف التي نسمّيها الآن حروفاً صامتة، والتي تكون بدون صوت وضجّة، وقسّم هذه الحروف، وقسّم الأصناف الأخرى للحروف الليّنة والحروف شبه اللينة بشكل مماثل، قسّمها إلى أصوات مفردة، وأخبر عن أعدادها، وأعطى لكلّ منها ولجميعها إسم الحروف؛ وراقب أنّ لا أحد منّا يستطيع أن يتعلّم أيَّ صنف منها إفرادياً ولا أن يتعلّمها جميعاً، ونسب لها كلّها فنّاً مفرداً، من اعتباره لهذا الربّاط المشترك الذي يوحّدها إلى درجة ما، وسمّى هذا الفنّ علم الصرف والنحو أو علم الحروف.

فيليبوس: إنّ التوضيح، يا بروتارخوس، ساعدني في فهم البيان الأصليّ، غير أنّي لا أزال أشعر بالخلل الذي شكوت منه لتوّي الآن.

سقراط: هل أنت ذاهب لتسأل، يا فيليبوس، ما شأن هذا بالمناظرة القائمة؟

فيليبوس: نعم، إنّ هذا هو السؤال الذي طالما قد سألناه أنا وبروتارخوس.

سقراط: إنّك وصلت مسبقاً إلى تأكيد الجواب على السؤال الذي طالما انتظرتماه، كما تقولان.

فيليبوس: كيف ذلك؟

سقراط: ألم نبدأ بالتحقيق في أهليّة وجدارة المقارنة للذّة والحكمة؟

فيليبوس: بدون ريب.

سقراط: ونؤكّد نحن أنّ كلّ واحدة منها تكون واحدة.

فيليبوس: حقاً.

سقراط: والسؤال الدقيق الذي ترغب المناقشة السابقة في أن تجد له جواباً، هو، كيف أنّهما تكونان واحدة وكثرة أيضاً « كمثال، كيف أنّ لهما جنساً واحداً وأنواعاً كثيرة »، ولا تكونان لا متناهيتين في الحال، وأيّ عدد من الأنواع يُعزى إلى كلّ منهما قبل أن تنتقلا إلى اللامتناهي.

بروتارخوس: إنّ هذا السؤال خطير جدّاً، يا فيليبوس، استدرجنا إليه سقراط ببراعة. واعتبر من فضلك أيٌّ منّا سيجيبه عليه. يمكن أن يكون هناك شيء ما مضحك في كوني غير قادر على إجابته، ولذلك فإنّي أفرض عليك القيام بهذا العمل الشاقّ. لكن إذا لم يكن أحدنا قادراً على إجابته، فإنّي أعتقد أنّ النتيجة ستكون أكثر إضحاكاً. دعنا نأخذ بعين الاعتبار إذن، ماذا سنفعل بشأن ذلك: إنّ سقراط يسأل إذا ما كانت هناك أنواع من الملذات أوْ لا، إذا فهمته بشكل جيّد، ويسأل ما هو عددها وطبيعتها، ويسأل الشيء عينه عن الحكمة.

سقراط: إنّ ما تقوله هو الأكثر حقيقة، أوه يا ابن كالياس؛ وأبانت المحاورة السابقة أنّنا إذا لم نكن قادرين أن نخبر عن الأنواع لكلّ شيء يمتلك وحدة، تشابهاً، وتماثلاً، أو أن نكشف عن مضاداتها، فلن يكون أيّ واحد منا له أيّ نفعٍ أبداً في أيّ تحقيق حتّى ولو كان صغيراً.

بروتارخوس: يبدو أنّ ما تقوله قريب جداً من الحقيقة، يا سقراط. سيكون الإنسان العاقل سعيداً إذا عرف كلّ شيء، والشيء التالي الأفضل له عليه أن يعرف نفسه. لماذا أقول هذا في هذه اللحظة بالذات؟ إنّي سأخبرك توّاً. أنت منحتنا هذه الفرصة للتحادث معك، يا سقراط، وأنت جاهز لتساعدنا في تقرير ما هي أفضل المقتنيات الإنسانيّة، إذ عندما قال فيليبوس إنّ اللذّة والبهجة والمتعة وما شابهها كانت الخير الرئيس، أجبت أنت بالنفي، نافياً، أنّ تلك الأشياء

هي الخير، بل أن الخير صنف آخر من أصناف الخيْرات. ونحن نذكّر أنفسنا بما قلته بشكل مستمرّ ومناسب جداً، وذلك كي لا ننسى فحص الرأيين الاثنين ومقارنتهما. وهذه الخيرات المصنَّفة وكأنّها أسمى من اللذة في رأيك، وأنّها الأهداف الحقيقية التي سيتعقّبها الإنسان، إنّ هذه الخيرات هي العقل، المعرفة، الفهم، الفنّ، وكل ذلك الذي يكون مجانساً لها. إنّ وجهتي النظر تَيْنِك كانتا متضادّتين. ونحن هدّدناك بشكل مداعبة أنّه يجب أن لا يُسمح لك بالذهاب إلى البيت إلى أن يتم تحديد وتقرير السؤال؛ ووافقت أنت على ما قلنا، ووضعت نفسك في تصرّفنا. وبعدُ، إنّ ما قد أعطي بعدل لا يمكن إعادته، كما يقول الأطفال، إنقطع إذن عن مواجهتنا بهذه الطريقة.

سقراط: بأيّة طريقة؟

فيليبوس: لا تربكنا، ولا تواصل طرح الأسئلة التي لا نستطيع الإجابة عليها. دعنا نتصوّر أنّ الحيرة لنا جميعاً لن نضع حدّاً لمحاورتنا وبحثنا. لكن إذا كنّا غير قادرين على الإجابة، فأجب أنت، كما وعدتنا بذلك. خذ بعين الاعتبار إذن، سواء إذا كانت اللذة والمعرفة ستقتسمان طبقاً لأنواعهما، أو أنه يمكنك أن تجعل المسألة تنهار، إذا كنت قادراً ومريداً أن تجد أسلوباً آخر ما لحلّ خلافنا.

سقراط: إذا قلت ذلك، فليس لديّ أيّ شيء كي أدركه، لأنّ الكلمات « إذا شئت » تطرد كلّ خوفي. وأكثر من ذلك، يبدو أنّ الله أعاد إلى ذهني شيئاً ما.

فيليبوس: ما هو ذلك؟

سقراط: أتذكّر أنّي سمعت محادثات محدَّدة منذ أمدٍ بعيد بشأن اللذة والحكمة، وسواء إذا كنت مستيقظاً أو في حلم، فإنّي لا أستطيع الكشف عن ذلك. إنّها كانت إلى حدّ اعتبار أن لا أولاهما ولا الأخرى هي الخير، بل إن الخير

شيء ما ثالث، مختلف عنهما، وأفضل منهما كليهما. وإذا استطاع هذا الشيء الثالث أن يُركِّز في الحال وبشكل واضح، فإنّ اللذّة ستخسر الانتصار، لأنّ الخير سينقطع عن أن يكون متطابقاً معها. هل أنا محقّ فيما أقول؟

بروتارخوس: نعم.

سقراط: وستنقطع عن أن تكون هناك أيّة حاجة لتمييز أنواع الملذّات، كما أكون ميّالاً للاعتقاد. لكنّ هذا سيظهر بوضوح أكثر عند تقدّمنا في البحث.

بروتارخوس: ممتاز، يا سقراط؛ صلِّ، واصل كلامك كما تقترح.

سقراط: لكن دعنا، بادىء ذي بدء، نتّفق على بعض النقاط الرئيسيّة القليلة.

بروتارخوس: وما هي تلك النقاط؟

سقراط: هل يكون الخير ليرتَّب كشيء تامّ أو كشيء غير تامّ؟

بروتارخوس: إنّه الأكثر كمالاً وتماماً من كلّ الأشياء، يا سقراط.

سقراط: وهل يكون الخير كافياً؟

بروتارخوس: نعم، بالتأكيد، وإنّه لكذلك في درجة يفوق بها كلّ الأشياء الأخرى.

سقراط: ولا يستطيع أحد أن ينكر أنَّ كلّ الموجودات التي تمتلك فهماً أو إدراكاً للخير تفتّش عنه، وتكون مشتاقة كي تلتقطه وتلبسه حولها، ولا تهتمّ بالحصول على أيّ شيء لا يكون مصحوباً بالخير.

بروتارخوس: إنّ ذلك ممّا لا يُنكَر.

سقراط: دعنا نفصُل الآن حياة اللذّة عن حياة الحكمة، وأن نعيد النظر لفحصها.

بروتارخوس: ماذا تعني؟

سقراط: دع أن لا يكون هناك حكمة في حياة اللذّة، ولا أن تكون أيّة لذّة في حياة الحكمة، إذ لو كان كلّ منهما الخير الرئيس، فلا يمكن افتراضهما أنهما يفتقران لأيّ شيء. لكن إذا تبيَّن أنَّ واحداً منهما يحتاج لأيّ شيء، فلا

يمكنه أن يكون الخير الرئيس حقاً.

بروتارخوس: لا يمكنه حقاً.

سقراط: وهل ستكون أنت نفسك تجربتنا لهاتين الحياتين؟

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: أجب إذن.

بروتارخوس: إسأل.

سقراط: هل ستفضل، يا بروتارخوس، أن تعيش حياتك الطويلة كلّها في التمتّع بالملذات الأعظم؟

بروتارخوس: عليّ أن أفضل ذلك بدون ريب.

سقراط: هل ستأخذ بعين الاعتبار أن هناك شيئاً ما يزال غائباً عنك إذا امتلكت اللذّة التامّة؟

بروتارخوس: لا بالتأكيد.

سقراط: تأمّل مليّاً؛ ألا تشعر بأنّك تحتاج للحكمة والفهم والتدبر، وللنوعيات المشابهة؟

بروتارخوس: لماذا يجب عليّ أن أشعر بذلك، فعند امتلاكي للذّة ينبغي أن أمتلك كلّ الأشياء.

سقراط: وما دمت تحيا كذلك فإنّك ستتمتّع بالملذّات الأعظم أثناء حياتك على الدوام؟

بروتارخوس: يلزمني ذلك.

سقراط: لكن إذا لم تمتلك عقلاً، ولا تذكّراً، ولا معرفة، ولا رأياً صحيحاً، فإنّك في المقام الأوّل ستجهل مطلقا ما إذا كنت مسروراً أو عكس ذلك، لأنّك ستكون خالياً من الفهم بشكل كامل.

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: وبشكل مماثل، فإنّك إنْ لم تمتلك تذكّراً فلن تتذكّر أنّك كنت مسروراً قطّ، ولن يبقى معك التذكّر الأقلّ للّذة التي تشعر بها في أيّ وقت. وإنْ لم يكن لديك رأي صحيح فلن تتصوّر أنّك كنت ملتذّاً عندما كنت هكذا. وإن لم تكن لديك قوّة حسابيّة فلن تكون قادراً على أن تحسب الملذات، وحياتك لن تكون حياة إنسان، بل حياة المحار والحلزون، أو حياة أيّ مخلوق بحريّ « يعيش » محبوساً في صدفة. هل تستطيع هذه الحياة أن تكون غيراً من ذلك؟

بروتارخوس: لا.

سقراط: وهل ستختار حياة كهذه؟

بروتارخوس: لا أستطيع أن أجيبك، يا سقراط، إنّ المناظرة قد سلبتني قوّة الكلام.

سقراط: يجب أن لا نَهُن ونضعف؛ ـ دعنا الآن نتبنّى حياة العقل وأن نفحصها بالدور.

بروتارخوس: وما هي حياة العقل هذه؟

سقراط: أريد أن أعرف إذا ما كان أيّ شخص سيوافق على أن يعيش ممتلكاً الحكمة والعقل والمعرفة والتذكّر لكلّ الأشياء، لكنّه غير ممتلكٍ أيّ إدراك للّذة أو الألم قليلها وكثيرها، ويكون غير متأثّر بهذه الملذات والمشاعر المشابهة بشكل كامل.

بروتارخوس: يبدو أني لست راغباً في الحالتين كلتيهما، يا سقراط، ولن يختارهما شخص آخر على الأرجح، كما أتصوّر.

سقراط: وماذا ستقول، يا بروتارخوس، عن هاتين الحياتين مندمجتين كلتيهما في حياة واحدة، أو لحياة واحدة خُلقت من اتّحادِ هاتين الحياتين؟

بروتارخوس: بمعنى وحدة اللذّة والعقل مع الحكمة؟

سقراط: نعم، هذه هي الحياة التي أعنيها.

بروتارخوس: لا يمكن أن يكون هناك اختلاف في الرأي، وهو أنَّ لا البعض فقط بل الكلّ سيختارون هذه الحياة الثالثة بكلّ تأكيد بدلاً من كلتا الحالتين الأخريين، وفي إضافة لهما.

سقراط: لكن هل ترى العاقبة؟

بروتارخوس: إنّني أفعل، لتكن متأكّداً. والعاقبة هي أنّ حياتين من الحيوات الثلاث التي قد اقترحت ليستا كافيتين ولا مرغوباً فيهما للإنسان أو للحيوان.

سقراط: لا مجال للشك الآن بأنّ كلتا الحياتين لا تمتلكان الخير، لأنّ الحياة التي امتلكته كانت وستكون كافية وكاملة ومرغوباً فيها من قِبَلِ كُلّ النبات والحيوان، إذا كانت قادرة على أن تقضي حيواتها كلّها في النشاط المختار. وإن آختار أيّ واحد منّا أيّة حياة أخرى، فإنّه قد اختار حياة معاكسة لطبيعة الحياة المرغوب فيها بحقّ، وليس بإرادته الحرّة الخاصّة، بل إنّه قد اختارها بواسطة الجهل ومن خلاله أو من ضرورة ما تعيسة.

بروتارخوس: يبدو أنّ هذه هي الحقيقة بالتأكيد.

سقراط: وبعدُ أَلَمْ أبيّن الآن بشكلٍ كافٍ أنَّ إلهة فيليبوس ليست معتبرةً وكأنّها متطابقة مع الخير؟

فيليبوس: ولا يكون « عقلك » هو الخير كذلك، يا سقراط، لأنّه سيكون معرضاً للاعتراضات عينها.

سقراط: لربّما، يا فيليبوس، لربّما يمكنك أن تكون محقّاً في قول ما تقوله عن « عقلي ». لكنّ العقل الحقيقيّ، الذي هو العقل الإلهيّ أيضاً، فإنّه غير ذلك ببعد كبير. على كلّ حال، إنّني لن أطالب بالمكان الأوّل للعقل في الوقت الحاضر كأنّه مقابل الحياة المختلطة. لكنّنا يجب أن نصل إلى فهمٍ ما بشأن المكان الثاني. يمكنك أن تؤكّد أنت أنّ اللذّة، وأثبت أنا أنّ العقل هو سبب الحياة المختلطة؛ وفي تلك الحالة وبرغم أنّ أيّاً منهما ليس هو الخير، فيمكن

تصوّر واحد منهما ليكون سبب الخير. ويمكنني أن أتقدّم لأجادل أيضاً في مضادة ما يقوله فيليبوس، وهو أنّ العنصر الذي يجعل هذه الحياة المختلطة مرغوباً فيها وجيّدة، أنّ هذا العنصر هو أكثر مجانسة ومماثلة للعقل منه للّذة. وإن كان هذا حقيقياً، فلا يُستطاع القول إنّ اللذة تشارك حقّاً، إمّا في المكان الأوّل أو في المكان الثاني، ولا يمكنها أن تصل حتّى إلى المكان الثالث، إذا أمكنني أن أثق بعقلي الخاصّ.

بروتارخوس: يظهر لي أنّ اللذّة قد بدأت بالانحدار، حقّاً، يا سقراط؛ وذلك في كفاحها لنيل غصن الغار. إنّ المناظرة قد سدّدت لها ضربة قويّة وألقت سلاحها مستسلمة. ويجب أن أقول إنّ العقل كان سيكبو أيضاً. ويمكن أن يُظنّ لهذا السبب أنّه يبيّن تعقّلاً وحذراً لعدم وضعه طلباً مشابهاً لهذا الطلب. وإذا جُرّدت اللذة، ليس من المكان الأول، بل من المكان الثاني فقط، فإنّها ستُصاب بالضرر في عقول المعجبين بها بشكل مرعب، وحتّى لهم فإنّها لن تبقى على مظهرها الجميل مثلما كانت قبلاً.

سقراط: حسناً، لكن أليس من الأفضل أن نتركها وشأنها الآن، وأن لا ننسب لها الألم باستعمال الفحص الحاسم، ونكتشفها بشكل نهائي.

بروتارخوس: سفاسف، يا سقراط.

سقراط: لماذا؟ ألأنّني قلت إنّ من الأفضل لنا أن لا ننسب لها الألم الذي يكون مستحيلاً؟

بروتارخوس: نعم، وأكثر من ذلك، بسبب أنّك لا تبدو عالماً بأنّ أحداً منا سيدعك تذهب إلى البيت قبل أن تنهي المناظرة.

سقراط: يا للسّماوات! يا بروتارخوس، إنّ هذا العمل سيكون عملاً مملاً، وليس سهلاً على الإطلاق في الوقت الحاضر. لأنّ في ذهابي إلى حربٍ لأجل العقل، الذي يتطلّع لنيل الجائزة الثانية، يلزمني أن أمتلك أسلحة من صنع آخر،

وكذلك غير تلك التي استعملتها قبلاً. على كلّ حال، فإنّ بعضها القديم سوف يؤدّي عمله مرّة ثانية. وهل يجب عليَّ أن أنهي المناظرة حينئذ؟

بروتارخوس: يجب عليك أن تنهيها بالطبع.

سقراط: دعنا نكون شديدي الحرص جدّاً في وضع الأساس.

بروتارخوس: ماذا تعني؟

سقراط: دعنا نقسّم كلّ الأشياء الموجودة إلى نوعين اثنين، أو بالأحرى إلى ثلاثة أنواع، إذا كنت لا تعترض على ذلك.

بروتارخوس: على أيّة قاعدة ستجري القسمة؟

سقراط: دعنا نأخذ بعض أفكارنا الحديثة العهد.

بروتارخوس: أيّها ستأخذ؟

سقراط: ألم نقل إنّ الله أظهر عنصراً محدوداً للوجود، وأوجد عنصراً لا متناهياً أيضاً؟

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: دعنا نفترض هذين المبدأين الاثنين، وأن نفترض نوعاً ثالثاً أيضاً، مركّباً منهما؛ لكنّني أخشى أن أكون غير بارع بشكل مضحك، في عمليّات القسمة والعدّ هذه.

بروتارخوس: ماذا تعني، يا صديقي الصالح؟

سقراط: أقول إنّنا لا نزال بحاجة لإيجاد نوع رابع.

بروتارخوس: وماذا سيكون ذلك النوع؟

سقراط: يجب أن نجد السبب الذي يمتزج بواسطة المبدأين الاثنين، وأن نضيف هذا كنوع رابع إلى الأنواع الثلاثة الأخرى.

بروتارخوس: وهل ستحتّ أن تمتلك نوعاً أو سبباً خامساً للحلّ مثلما تمتلك سبباً للتأليف والتركيب؟

سقراط: لا أعتقد أنّني أحبّ ذلك في الوقت الحاضر؛ غير أنّني أريد نوعاً خامساً في زمن مستقبليّ ما، إنْ سمحت لي بامتلاكه.

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: دعنا نضع ثلاثةً من الأصناف الأربعة على حدة للفحص والتدقيق، في المقام الأوّل، ودعنا نختار اثنين منها بعدئذ. دع كل صنفٍ مفردٍ يُعايَن وكأنّه كثرة، وذلك في حالة القسمة والتشتّت؛ واسمح لنا أن نكافح بعدئذ كي نوحّدهما مرّة ثانية، ونتصوّر كيف أنّ كلاًّ منهما بلغ ليكون واحداً وكثرة كليهما.

بروتارخوس: إذا أوضحت لي إيضاحاً أكثر بشأنها، فلربّما يمكنني أن أقدر على متابعتك.

سقراط: حسناً، إنّ الصنفين اللذين ذكرتهما قبلاً هما الشيء عينه، أحدهما محدود، والآخر لا متناهٍ. سأبيِّن باديء ذي بدء أنّ اللامتناهي يكون متعدّداً في معنى محدَّد، ويمكن أن يُبحث المحدود فيما بعدُ.

بروتارخوس: أوافقك على ما تقول.

سقراط: وبعدُ خذ بعين الاعتبار ما سنبحثه جيّداً لأنّ السؤال الذي لفت انتباهك هو سؤال صعب ولا يُنكر. عندما تتكلّم أنت عن الأكثر حرارة والأكثر برودة، فهل تتصوّر أيَّ حدٍ أقصى لتلك النوعيّات؟ ألا يمنعها الأكثر والأقلّ، الذي يكمن في طبيعتها بالتحديد، ألا يمنعها من امتلاك أيّة غاية أو نهاية؟ إذ لو كان لديها غاية، فإنّ الأكثر والأقلّ سيمتلكان غاية أنفسهما.

بروتارخوس: إنّ هذا هو الأكثر حقيقة.

سقراط: لا يدخل أبداً إلى الأكثر حرارة والأكثر برودة، أكثر وأقلّ، كما نقول.

بروتارخوس: نعم.

سقراط: تقول المحاورة إذن، إنّه لا نهاية لهما قطّ، وكونهما لا نهائيتين، يجب أن تكونا لا متناهيتين أيضاً.

بروتارخوس: نعم، يا سقراط، إنّ ما تقوله حقيقيّ بشكل استثنائي.

سقراط نعم، يا عزيزي بروتارخوس، ويذكرني سؤالك بأنّ تعبيراً كهذا مثل « بشكل استثنائي » والعبارة « بشكل طفيف » اللذين تفوّهت بهما لتوّك، يذكرني هذا السؤال بأنّ لهما الأهميّة عينها مثل ما للعبارتين أكثر وأقلّ من أهميّة؛ لأنّهما كلّما حدَثا، فإنّهما لا يسمحان بوجود النوعيّة - إنّهما يدخلان درجاتٍ إلى الأعمال على الدوام، منشئين مقارنة للأكثر أو الأقلّ إفراطاً أو للأكثر أو الأقلّ طفافيّة. والنوعية تختفي في كلّ خلقٍ للأكثر والأقلّ. لأنّه، كما كنت قائلاً لتوّي، إذا لم تختف النوعيّة والقياس، بل سُمِحَ لهما بالولوج في مجال الأكثر والأقلّ، وفي مجال المقارنات الأخرى، فإنّ الأشياء التي ذكرتها أخيراً ستُخرَج من ميدانها الخاصّ بها. وعندما تُدخَلُ النوعيّة المحدَّدة لمرة واحدة، فلا يمكن أن توجد العبارتان « أكثر حرارة » أو « أكثر برودة » بعد اليوم « لأنّ هاتين العبارتين تكونان متقدمتين على الدوام، ولا تكونان في مقام واحد ». غير أنّ النوعيّة المحدَّدة تكون ساكنة، وانقطعت عن التقدّم. ويبرهن ذلك أنّ المقارنات، مثل الأكثر حرارة والأكثر برودة يصنَّفان في صنف اللامتناهي.

بروتارخوس: إنّ ملاحظتك لها شَبَهُ الحقيقة بالتأكيد، يا سقراط؛ لكنّ هذه المواضيع تتبُّعُها صعب في بادىء الأمر، كما قلتُ. أعتقد أنّي إذا استطعت سماع المناظرة، وإن أنت ردَّدتها لي مرّة أو مرّتين، يمكن أن يكون هناك اتفاق جوهريّ ومتين بيننا على كلّ حال.

سقراط: نعم، وسأحاول إشباع رغبتك. لكن بما أنّني أفضِّل أن أضيّع الوقت في تعداد الخواصّ التي ليس لها نهاية، دعني أعرف إذا كان يمكنني أن أفترض وكأنها إشارة للامتناهي.

بروتارخوس: ماذا؟

سقراط: أريد أن أعرف هل من الممكن أن تُعزى هكذا أشياء مثلما تظهر لنا كي

تُقبل بالأكثر أو الأقلّ، أو التي يشار إليها بالكلمات، مثل « بشكل استثنائي » و« بشكل طفيف » و« بشكل مفرط » وما شابهها، أريد أن أعرف منك إذا كان من الممكن أن لا تُنسب هذه إلى صنف اللامتناهي ، الذي هو وحدتها، لأنّ كلّ الأشياء التي كانت مقسّمة ومشتّتة، كما تمّ التأكيد عليها في المناظرة السابقة، يجب إحضارها معاً، وأن تمتلك علامة أو ختماً لطبيعة واحدة ما موضوعاً عليها، إذا أمكن ذلك ـ هل تتذكّر؟

بروتارخوس: نعم.

سقراط: وأعتقد أنّ الأشياء التي لا تقبل بالأكثر أو الأقلّ، بل تقبل بأضدادهما، بمعنى، وقبل كلّ شيء، المساواة والتساوي، أو مرّة ثانية، المضاعف، أو أيّة نسبة أخرى لعددٍ إلى عددٍ ولقياسٍ إلى قياس ـ أعتقد أنّ كلّ هذه الأشياء يمكننا أن نحسبها في صنف الحدّ الأقصى والمتناهي. فماذا تقول؟

بروتارخوس: ممتاز، يا سقراط.

سقراط: والآن أيّة طبيعة سننسب إلى النوع الثالث أو المركّب؟

بروتارخوس: أعتقد أنّ عليك أن تقول لي ذلك.

سقراط: بل إنّ الله سيخبرك هذا على الأصحّ، إذا ما كان هناك إله ما سيستمع إلى صلواتي.

بروتارخوس: قدّم صلاة، وفكّر بعدئذ.

سقراط: إنّي لأفكّر وأعتقد، يا بروتارخوس، بأنّ إلهاً ما أيّدنا.

بروتارخوس: ماذا تعني وما برهانُك على ما تقول؟

سقراط: سأخبرك، واستمع لكلماتي.

بروتارخوس: واصل.

سقراط: ألم نتكلّم عن الأكثر حرارة وبرودة لتوّنا؟

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: أضف لهما الأكثر جفافاً، الأكثر رطوبة، الأكثر، الأقلّ، الأسرع، الأبطأ، الأكبر، الأصغر، وكلّ الذي قد اعتبرناه وكأنّه طبيعة مفردة في المحاورة التي تقدّمت، معترفين بالأكثر والأقلّ كذلك.

بروتارخوس: تعني في صنف اللامتناهي.

سقراط: نعم؛ والآن امزج هذا مع الآخر.

بروتارخوس: ما هو الآخر؟

سقراط: إنّه صنف المتناهي الذي يجب أن نحضره معاً كما فعلنا مع اللامتناهي؛ لكنّه سيصل إلى الشيء عينه إذا فعلنا هكذا الآن؛ ـ لأنّه في عملية إحضار العناصر كلها للخلط معاً، فإنّ طبيعة العنصر الثاني سيتمّ اكتشافها.

بروتارخوس: كيف ذلك، وماذا تعني بهذا العنصر؟

سقراط: إنّه صنف المتساوي والمضاعف، وأيّ صنف يُوجِد تسويةَ المتضادّات، ويخلق وحدةً وتناسباً بين العناصر المختلفة بإدخال العدد.

بروتارخوس: إنّني أفهم؛ يبدو لي أنّك تعني أنَّ المتضادات المختلفة، عندما تخلط معها صنف المتناهي، فإنّ كلاً منها يعطي ولادة لشيء ما جديد.

سقراط: نعم، إنّ هذا هو ما أعني.

بروتارخوس: واصل.

سقراط: ألا تعطي المشاركة الصحيحة في المتناهي الصحّة؟ في المرض، كمثال؟

بروتارخوس: نعم، بدون ريب.

سقراط: وفي حين يكون العالي والمنخفض، المسرع والبطيء لا متناهياً أو غير محدود، ألا يُدخل المتناهي إضافة المبادىء التي وردت قبلاً، ويتمّم صياغة الموسيقى كلّها؟

بروتارخوس: نعم، بكلّ تأكيد.

سقراط: وعندما يسود البارد والحار مرّة ثانية، ألا يأخذ إدخالهما الإفراط أو غير المحدود بعيداً، ويولج مكانهما الاعتدال والتناسب.

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: ومن المزج المتشابه للمتناهي واللامتناهي تأتي الفصول، وكلّ مباهج الحياة؟

بروتارخوس: الأكثر حقيقة.

سقراط: إنّني أسقط عشرة آلاف الأشياء الأخرى، مثل الجمال والصحّة والقوّة الجسديّة، وجمالات الروح المتعدّدة وكمالاتها السامية. أوه يا جميلي فيليبوس، أعتقد أنّ إلهة التناسب، عندما شاهدت الإفراط والعبث والخداع في كلّ الأشياء، ورأت أنّه لا حدّ للملذّات وأن كل امرىء قد أطلق العنان لأهوائه ورغباته وشهواته، استنبطت حدود القانون والنظام اللذين أخمدتها بهما، كما يقول فيليبوس، أو مثلما أؤكّد أنا أنّ هذه الإلهة حرّرتها. فماذا تتصوّر أنت، يا بروتارخوس؟

بروتارخوس: إنّ طرائقها قريبة من عقلي وتفكيري، يا سقراط.

سقراط: ستلاحظ أنت أنّي تكلّمت عن أصناف ثلاثة؟

بروتارخوس: نعم، أظن بأنّني أفهمك: تعني أنّ اللامتناهي يكون صنفاً بادىء ذي بدء، وأنّ المتناهي يكون صنفاً ثانياً للموجودات؛ لكن ماذا ستجعل الصنف الثالث؟ فإنّي لست متأكّداً لحدّ الآن.

سقراط: ذلك لأنّ الصنف الثالث هذا هو التنوّع المدهش الكثير عليك والذي لا تقدر على تحمّله، يا صديقي العزيز. لكنّك لم تواجه هذه الصعوبة مع اللامتناهي الذي شمل أصنافاً عدّة، لأنّها كلّها كانت مدموغة بطابع الأكثر والأقلّ، ولهذا السبب فإنّها ظهرت واحدة.

بروتارخوس: صدقاً.

سقراط: ولم يكن لدى المحدود أو المتناهي تقسيمات عدَّة، واعترفنا نحن بسرعة به ليكون واحداً بالطبيعة؟.

بروتارخوس: نعم.

سقراط: نعم، حقاً؛ وحينما تكلمت أنا عن الصنف الثالث، أفهمني أنّي أشمل تحت اسم واحد أيّ مولود لهذا، كونه ولادة في الوجود الحقيقي، متأثراً بالقياس الذي أدخله المحدود.

بروتارخوس: إنّني أفهم.

سقراط: يبقى أن هناك صنفاً رابعاً يجب التحقيق فيه، كما قلنا، ويجب عليك أن تساعدني في هذا البحث والتحقيق؛ إذ أليس كل شيء يأتي إلى هذا الوجود إنما يأتي بواسطة سبب بالضرورة.

بروتارخوس: نعم، بالتأكيد؛ إذ كيف يمكن وجود أيّ شيء بدون سبب؟

سقراط: أليس فاعل الشيء نفسه كالسبب وفي كل شيء ما عدا الإسم؟ يمكن أن يدعى الفاعل والسبب واحداً بحقّ.

بروتارخوس: حقيقي جداً.

سقراط: ويمكن أن يقال الشيء عينه عن المنفعل أو التأثير. سنجد نحن أنّهما يتباينان أيضاً، كما قلت لتوّي، وفي الاسم فقط ـ ألن نجد ذلك؟

بروتارخوس: سنجده.

سقراط: إنّ الفاعل أو السبب يقود دائماً بالطبيعة، والمنفعل أو التأثير يتبعه بالطبيعة أيضاً؟

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّ السبب أو ما يكون تابعاً له في التولّد والنشوء لا يكون الشيء عينه، بل إنه يكون مختلفاً؟

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: ألا تجهّز الأشياء التي وَلَّدت، والأشياء التي وُلِدت منها، ألا تجهّز كلّ هذه الأصناف الثلاثة؟

بروتارخوس: نعم.

سقراط: ومبدعها ومسبّبها قد تم البرهان أنّه مميّز عنها وبشكل مقنع، ويمكنه أن يدعى مبدأً رابعاً لهذا السبب؟

بروتارخوس: دعنا نسمّيه ذلك.

سقراط: حقيقيّ جداً؛ لكن بما أنّنا ميّزنا الأصناف الأربعة، أعتقد أنّ من الأفضل لنا أن نعيد تجديد ذاكرتنا بواسطة تلخيص كلّ منها بنظام.

بروتارخوس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: إذن فإنّي أسمّي الصنف الأول اللامتناهي أو غير المحدود؛ وأسمّي الثاني المتناهي أو المحدود؛ ثم يلي الصنف الثالث بعدئذ. إنّه الكائن الذي يأتي إلى الوجود بمزج هذه العناصر، وإني أتصور بأنّني سأكون مخطئاً جداً في الكلام عن سبب المزج والنشوء كصنف رابع.

بروتارخوس: لا بالتأكيد.

سقراط: والآن ما هو السؤال التالي، وكيف وصلنا إلى هنا؟ ألم نكن محققين سواء إذا كان المكان الثاني خاصاً باللذة أو الحكمة؟

بروتارخوس: لقد فعلنا ذلك.

سقراط: وبعدُ، بما أنّنا قرّرنا هذه النقاط الرئيسيّة، أليس من الأفضل لنا أن نكون قادرين على أن نقرّر بشأن المكان الأوّل والثاني، اللذين كانا موضوع الجدل الأساس؟

بروتارخوس: أجرؤ على قول ذلك.

سقراط: قلنا، إذا كنت تتذكر، إنَّ الحياة المختلطة للّذة والحكمة هي الحياة المنتصرة ـ ألم نقل ذلك؟

بروتارخوس: قلنا هذا صدقاً.

سقراط: وأتصوّر أنّنا نرى ما هي طبيعة هذه الحياة ولأيّ صنف يجب أن تُنسب؟

بروتارخوس: ما وراء الشكّ.

سقراط: إنّ هذه تكون متضمّنة في الصنف الممزوج أو الثالث؛ الذي لا يكون مؤلفاً من أيٍّ من الجزأين المقوّمين الخاصّين الاثنين، لكن من كلّ العناصر للامتناهي، مقيّدة بالمتناهي، ويمكن أن يقال عنها لهذا السبب إنّها تشمل الحياة المنتصرة بحقّ.

بروتارخوس: الأكثر حقيقة.

سقراط: وماذا سنقول، يا فيليبوس، عن حياتك التي تكون كلّها حلوة المذاق؛ وفي أيّ صنف من الأصناف المنوّه عنها يجب أن تُوضع؟

فيليبوس: دعني أسمع.

سقراط: هل تمتلك اللذة والألم حدّاً، أو أنّهما يخصّان النوع الذي يقبل بالأكثر والأقلّ؟

فيليبوس: إنّهما يختصّان بالصنف الذي يقبل بالأكثر، يا سقراط؛ لأنّ اللذّة لن تكون صالحة بالتمام إنْ لم تكن لا متناهية في النوعية والدرجة.

سقراط: ولكن الألم هو شرٌّ بالتمام، يا فيليبوس. ولهذا السبب فإنّ اللامتناهي لا يستطيع أن يكون ذلك العنصر الذي يضفي على اللذّة درجة ما من الخير. لكن إذا أحببتما أن تعترفا الآن أنّ الألم واللذة هما من طبيعة اللامتناهي، ففي أيّ صنف من الأصناف المنوّه عنها نقدر نحن على أن نضع الحكمة والمعرفة والعقل بدون كلام ينمّ عن عدم الوقار؟ أوه يا بروتارخوس وفيليبوس. دعنا نكون حذرين، لأنّني أعتقد أنّ الخطر سيكون جديّاً إذا أخطأنا في هذه النقطة الرئيسيّة.

فيليبوس: إنّك تعظّم أهميّة إلهك المفضّل، يا سقراط.

سقراط: وتكون أنت أيضاً ممجِّداً إلهتك المفضَّلة، يا صديقي، لكن يبقى أنّي يجب أن أستعطفك كِي تجيبني على هذا السؤال.

بروتارخوس: إنّ سقراط محقّ جدّاً، يا فيليبوس، ويجب علينا أن نسلِّم له أنفسنا.

فيليبوس: أوَلم تقترح أنت، يا بروتارخوس، الإجابة بدلاً مني؟

بروتارخوس: فعلت ذلك بدون ريب؛ لكنّني الآن في مأزق كبير، ويجب عليَّ أن أتوسّل إليك، يا سقراط، كي تكون الناطق باسمنا، ولن نقول حينئذ أيّ شيء خطأ أو قليل الاحترام عن المفضَّل عنك.

سقراط: ينبغي أن أطيعك، يا بروتارخوس؛ لا، وليس العمل الشاقّ الذي تفرضه عليَّ عملاً صعباً، لكنّني هل أربكتُك برزانتي الممازحة حقاً، كما يشير فيليبوس إلى ذلك، وهذا عندما سألتك السؤال لأيّ نوع يتبع العقل والمعرفة؟

بروتارخوس: إنّك أربكتني حقاً، يا سقراط.

سقراط: وبرغم ذلك فإنّ الجواب على السؤال سهل بما أنّ الفلاسفة كلّهم يؤكّدون بصوت واحد أنّ العقل هو ملك السماء والأرض - في الواقع إنّهم يمجّدون أنفسهم، ولربّما هم محقّون. لكن يلزمني أن أحبّ لأضع في الاعتبار نوع العقل بشكل أكثر تماماً، إذا كنت لا تعترض على ذلك.

فيليبوس: أسلك طريقتك الخاصّة، يا سقراط، ولا يهمّك تطويل البحث؛ فإنّنا لن نتعب من الحديث معك.

سقراط: جيّد جداً؛ دعنا نبدأ إذن، يا بروتارخوس، بطرح سؤال.

بروتارخوس: أيّ سؤال؟

سقراط: السؤال عما إذ كان هذا الذي يدعونه الكون متروكاً لهداية الجنون والصدفة بشكل مختلط، أو أنّه على العكس من ذلك، وكما أعلن الآخرون قبلنا، أنّه نُظِّم وحُكِم بذكاء رائع وبحكمة.

بروتارخوس: إنّ كلا التأكيدين متباعدان أحدهما عن الآخر، يا سقراط اللامع، لأنّ

ذلك الذي قلته لتوّك الآن يبدو أنّه ادّعاءٌ لحقوق الله، لكنّ التأكيد الآخر الذي يقول إنّ العقل ينظم الأشياء كلّها، فإنّه جديرٌ بمظهر العالم، والشمس، والقمر، والنجوم، وبدائرة السماوات جميعها. ولن أقول أو أتصوّر شيئاً غير هذا على الإطلاق.

سقراط: هل سنتفق مع أسلافنا في التأكيد على هذه العقيدة؟ وهذا لا يكون مجرّد إعادة تأكيد أفكار الآخرين، بدون أن نعرّض أنفسنا للمخاطر، ـ لكن هل سنشارك في الخطر، ونأخذ دورنا في اللوم الذي ينتظرنا، عندما يعلن مفكر متقدّم أنّ الكلّ يكون تشوشاً وفوضى؟

بروتارخوس: إنّ تلك الرغبة ستكون رغبتنا بكلّ تأكيد.

سقراط: من فضلك أن تأخذ بعين الاعتبار الآن المرحلة التالية من مراحل المناظرة.

بروتارخوس: دعني أسمع.

سقراط: نحن نرى أنّ العناصر التي تدخل في طبيعة أجسام كلّ الحيوانات هي النار، الماء، الهواء، وهناك « أرض » حاضرة في المزيج، كما يصرخ البحّار الذي ضربته العاصفة.

بروتارخوس: إنّها مقارنة ملائمة لأنّ العاصفة تتجمّع فوقنا بحقّ، وما نحن إلا عند نهاية ذكائنا.

سقراط: هناك شيء ما يجب ملاحظته بشأن كلٍّ من هذه العناصر.

بروتارخوس: ما هو هذا الشيء؟

سقراط: هناك جزءٌ صغير لكلّ منها فينا فقط، وذلك الجزء هو النوع الدنيء، ولا يكون صافياً بأيّة طريقة، أو أنّ له أيّة قوّة جديرة بطبيعته. إنّ مثالاً واحداً سيبرهن هذا عنها كلّها. هناك نار في داخلنا، وهناك نار في الكون كذلك.

بروتارخوس: صدقاً.

سقراط: أوليست نارنا صغيرة وضعيفة وحقيرة؟ لكن النار في العالم مدهشة في الكمّية والجمال، وفي كلّ قوة تمتلكها النار؟

بروتارخوس: الأكثر حقيقة.

سقراط: وهل النّار التي في العالم تتغذى وتتولّد وتزداد بالنّار التي فينا، أو هل إن النار الموجودة فيّ وفيك، وفي الحيوانات الأخرى، تعتمد على النار الكونيّة؟

بروتارخوس: إنّ هذا السؤال لا يستحقّ جواباً عليه.

سقراط: صحيح؛ وستقول أنت الشيء عينه، إذا لم أكن مخطئاً، ستقول الشيء عينه عن الأرض التي في الحيوانات، والأرض التي في الكون، وستعطي جواباً مشابهاً بشأن كلّ العناصر الأخرى؟

بروتارخوس: لماذا، كيف يمكن لأيّ إنسان يعطي جواباً آخر، أن يُعتبر إنساناً ذا إدراك؟

سقراط: لا أعتقد أنّه يمكن اعتباره كذلك ـ لكن واصل سيرك إلى المرحلة التالية. عندما رأينا تلك العناصر التي كنّا قد تكلّمنا عنها مجتمعة في واحدة، ألم نسمّها جسماً؟

بروتارخوس: فعلنا ذلك.

سقراط: ويمكن أن يقال الشيء عينه عن الكون بوصفه نظاماً متناغماً، ويمكن اعتباره جسماً للسبب عينه، لأنه صُنِع من العناصر عينها.

بروتارخوس: حقيقيّ جداً.

سقراط: لكن هل جسمنا يتغذّى بهذا الجسم بشكلٍ كامل، أو هل هذا الجسم يتغذّى بجسمنا، ومن ثم يستمدّ أو يمتلك تلك التأثيرات التي تكلّمنا عنها لتوّنا؟

بروتارخوس: إنّ ذلك السؤال لا يستحقّ الإجابة عليه، يا سقراط، مرّة ثانية.

سقراط: حسناً، قل لي، أيكون هذا السؤال جديراً بأن يُسأل؟

بروتارخوس: أيّ سؤال؟

سقراط: ألا يمكن القول بأنّ جسمنا يمتلك روحاً؟

بروتارخوس: بوضوح.

سقراط: ومن أين تأتي تلك الروح، يا عزيزي بروتارخوس، إلاّ إذا امتلك جسم هذا الكون روحاً تحتوي عناصرَ مثل تلك العناصر التي في أجسامنا، لكنّها تكون أجمل في كلّ طريقة؟ هل يمكن أن يكون لها أيّ منشأ أو مصدر آخر؟

بروتارخوس: إنّ هذا المصدر هو المصدر الوحيد، يا سقراط، بوضوح.

سقراط: لماذا، نعم، يا بروتارخوس؛ ونحن لا نستطيع أن نتصوّر بكلّ تأكيد أنّ الأصناف الأربعة موجودة في كلّ الأشياء، وهذه الأصناف هي المتناهي، اللامتناهي، مزيج الصنفين الاثنين، والسبب. والصنف الرابع هو المسؤول عن المنافع الأكبر بين أبناء الجنس البشري، وهو الذي يعطي أرواحاً لأجسادنا، ويهب الفنّ للإدارة الذاتيّة، ولشفاء المرض، ويعمل بطرائق أخرى كي يداوي وينظّم، إلى حد أنّه ينادى به وكأنّه حكمة في كلّ مجال ـ أقول، إنّنا لا نستطيع أن نتصوّر أنّه حيث توجد العناصر عينها، في السماء كلّها وفي مقاطعات السماء الكبرى، لا نستطيع أن نتصوّر أنّها أجمل وأنقى فقط، ولا أن نقول إنّ السبب عينه لم ينظّم الأشياء الأنبل والأجمل في ذلك العالم الأعلى؟

بروتارخوس: إنّ افتراضاً كهذا هو افتراض لا عقلاني.

سقراط: إذا تمّ إنكار هذا إذن، ألا ينبغي أن نكون حكماء في تبنّي وجهة النظر الأخرى ونثبت أن هناك في العالم لامتناهياً عظيماً ومتناهياً ملائماً، وهما اللذان تكلّمنا عنهما غالباً، مثلما هناك سبب موجّهٌ وسلطته سلطة ثانويّة، وهو الذي ينظّم ويرتّب السنين والفصول والشهور، ويمكن أن يسمّى حكمة وعقلاً بعدل؟

بروتارخوس: بالعدل الأكثر.

سقراط: ولا يمكن أن تكون الحكمة والعقل بدون روح؟

بروتارخوس: لا بالتأكيد.

سقراط: أوَلن تقول إنّ هناك في طبيعة زيوس الإلهيّة روحَ وعقلَ ملك، لأنّ فيه قوّةَ السبب؟ وإنّ الآلهة الآخرين يمتلكون الخصائص الأخرى، والتي يَسُرُّهم أن يسمُّوا بها؟

بروتارخوس: حقيقيّ جداً.

سقراط: لا تفترض إذن أنّنا تفوّهنا هذه الكلمات بطيش؟ أوه يا بروتارخوس، إنها في تناسق مع شهادة أولئك الذين قالوا في الزمن السالف إنّ العقل يحكم الكون.

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: وهي تُعَدُّ جواباً على تحقيقي وتساؤلي؟ وتدلّ هذه الكلمات ضمناً على أنّ العقل هو الأصل والسبب لذلك النوع الذي ضمَّنّا فيه أسباب كلّ الأشياء؛ وأعتقد أنّك حزت على جوابي الآن.

بروتارخوس: إنّني أمتلكته حقاً، وبرغم ذلك فإنّي لم ألاحظ أنّك أجبتني.

سقراط: إنّ الطرفة تجدِّد القوى بعض المرات، يا بروتارخوس، عندما تعترض العمل الشاقّ.

بروتارخوس: حقيقي تماماً.

سقراط: أعتقد، يا صديقي، أنّنا بيّنّا الآن الصنف الرابع الذي يخصّ العقل بشكل واضح جدّاً، وبيّنا قوّة العقل كذلك.

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: واكتشفنا الصنف الذي يخصّ اللذّة منذ أمدٍ بعيد.

بروتارخوس: نعم.

سقراط: ودعنا نتذكّر عن كلا الصنفين أيضاً: «١» أنّ العقل كان مماثلاً للسبب

ولهذه الفصيلة؛ و«٢» أنّ اللذّة لا متناهية وتنتمي إلى صنفٍ لا بداية له ولا وسط ولا نهاية.

بروتارخوس: يلزمني أن أكون متأكّداً كي أتذكّر.

سقراط: يجب علينا أن نختبر تالياً في أيّ موضوع يقعان وتحت أيّة حالة ينشآن. وسنبدأ الاختبار في اللذة، بما أنّ نوعها قد وقع تحت هذا الاختبار بادىء ذي بدء. ومع ذلك فإنّ اللذة لا يمكن فحصها بمعزل من الألم بحقّ.

بروتارخوس: إذا كان هذا هو الطريق، فدعنا نسلكه.

سقراط: إنّني أتساءَل عمّا إذا ما كنت تتّفق معي بخصوص مصدر اللذة والألم.

بروتارخوس: ماذا تعني؟

سقراط: أعني أنّ مكانهما الطبيعيّ هو في الصنف المختلط.

بروتارخوس: وهل ستخبرني مرّة ثانية، يا عزيزي سقراط، أيٌّ من الصنفين المذكورين آنفاً هو الصنف المختلط؟

سقراط: سأفعل، يا صديقي الجيّد، وأفضل ما أقدر عليه.

بروتارخوس: جيّد جدّاً.

سقراط: دعنا نفهم الصنف المختلط إذن ليكون ذلك الصنف الذي وضعناه ثالثاً في قائمة الأصناف الأربعة.

بروتارخوس: إنّه الصنف الذي تلا اللامتناهي والمتناهي. وفي المكان الذي صنّفت فيه الصحّة، والتناسب، إذا لم أكن مخطئاً.

سقراط: ممتاز؛ وبعد فهل ستعطيني أفضل انتباهك من فضلك؟

بروتارخوس: واصل؛ إنّني مصغٍ لك.

سقراط: أقول بأنّ التناسب عندما يتلاشى في الحَيوانات، يحصل انحلال لحالتها الطبيعيّة ولنشوء الألم كليهما أثناء وقت كهذا.

بروتارخوس: إنّ ذلك لمحتمل جداً.

سقراط: وتكون إعادة التناسب والعودة إلى الطبيعة منشأ اللذة، إذا سُمِح لي أن أستعمل الكلمات الأقلّ والأقصر بشأن قضايا اللحظة الأعظم.

بروتارخوس: أعتقد أنّك محقّ، يا سقراط، لكن هل ستحاول أن تكون أوضح قليلاً؟

سقراط: ألا تجهّز الظاهرة الجليّة واليوميّة التوضيح الأكثر سهولة؟

بروتارخوس: أيّة ظاهرة تعني؟

سقراط: الجوع، كمثال، إنّه تحلُّلٌ وألم؟

بروتارخوس: حقّاً.

سقراط: في حين أنّ الأكل هو الامتلاءُ ثانيةً وهو لذة؟

بروتارخوس: نعم.

سقراط: إنّ العطش هو تدمير وألمٌ مرّة ثانية، لكنّ تأثير الرطوبة التي تملأ المكان الجافّ ثانية هو لذّة. أمّا الانفصال والانحلال الذي تتسبّب به الحرارة فيكون مؤلماً، مرّة أخرى، واستعادة الحالة الطبيعيّة والابتراد شيء سارّ ولذيذ.

بروتارخوس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: والتجمد اللاّطبيعي للرطوبة في الحيوان هو ألم، والعملية الطبيعيّة للتحلّل وعودة العناصر إلى حالتها الأصليّة، هذه العمليّة هي لذّة. ألا يبدو لك أنّ الافتراض العامّ يثبت، أنّه عندما يُدمَّر الاتحاد الطبيعيّ للمتناهي واللامتناهي في الكائن الحاسّ، ويكون هذا الدمار ألماً، كما لاحظت من قبلُ، وأنّ العملية أو عودة كلّ الأشياء إلى طبائعها الخاصة تكون لذة.

بروتارخوس: مُنِحت. إنّ ما تقوله يمتلك حقيقة عامّة.

سقراط: لدينا هنا نوع واحد من الملذّات والآلام ناشىء في عمليتين اثنتين على التوالي هما اللتان وصفناهما.

بروتارخوس: جيّد.

سقراط: دعنا نفترض تالياً أن هناك في الروح نفسها أملاً سالفاً للذّة الذي يكون حلو الطعم ومنعشاً، ويوجد توقّعاً للألم، مخيفاً ومقلقاً.

بروتارخوس: نعم؛ إنّ هذا النوع هو نوع آخر من الملذات والآلام يخصّ الروح، وهو بمعزلٍ عن الجسم، ويُفتح بواسطة التوقّع.

سقراط: صحيح؛ فالملذّات إذا كانت نقيّة في تحليلنا لهذه الأنواع، حسب افتراضنا، كونها غير مشوبة بالآلام ولا الآلام باللذّة، يبدو لي أنّنا سنرى بوضوح بعد هذا التحليل، إذا ما كان صنف اللذّة كلّه مرغوباً به، أو سواء إذا كانت هذه النوعية للرغبة بمجملها لا تنسب إلى الأنواع الأخرى التي ذكرناها. وسواء إذا لم تكن اللذّة والألم، مثل الحرارة والبرودة، وكذلك الأشياء الأخرى من النوع عينه، سواء إذا ما كانت مرغوبة بعض المرات وغير مرغوبة في المرات الأخرى، كونها ليست صالحة في أنفسها، بل إنّها تفسح مجالاً لطبيعة الخير في بعض الأمثلة فقط.

بروتارخوس: تقول أنت بحق إنّ هذا المسار هو المسار الذي يجب أن يسلكه التحقيق.

سقراط: حسناً إذن، لنفترض أنّ الألم ينشأ بوصفه نتيجة للانحلال، وأنّ اللذّة تنشأ من إعادة التناسب، دعنا نسأل الآن ماذا سيكون شرط الكائنات المفعمة بالحيويّة والنشاط التي لا تكون في عملية الإعادة أو الانحلال. وماذا تقول عن العقل. إنّني أسأل عمّا إذا كان الحيوان الذي هو في تلك الحالة قادراً على أن يمتلك أيّ شعور باللذّة أو الألم بشكل محتمل، صغيراً كان هذا الشعور أو كبيراً؟

بروتارخوس: لا بالتأكيد.

سقراط: إذن، فإنّ لدينا حالة ثالثة هنا، على الحالة التي تخصّ اللذّة والألم وفوقها.

بروتارخوس: حقيقي جداً.

سقراط: ولا تنسَ أن هناك حالة كهذه، وستُحدث هذه الحالة فرقاً كبيراً في حكمنا عن اللذّة، سواء إذا تذكرنا هذا أو لم نتذكره. وسأحبّ أن أقول كلمات قليلة بشأنها.

بروتارخوس: ماذا عندك لتقول؟

سقراط: لماذا، تعرف أنت أنّه إذا اختار إنسان حياة الحكمة، فإنّه لن يكون هناك السبب الذي من أجله لن يعيش هذا الإنسان في هذه الحالة المحايدة.

بروتارخوس: تعني أنّه لا يمكن أن يحيا إمّا مبتهجاً أو حزيناً.

سقراط: نعم؛ وإذا تذكّرت حقاً، فإنّنا عندما قارنّا الحيوات بعضها ببعض، لم يُنظر إلى أيّة درجة من درجات اللذّة، سواء إذا كانت كبيرة أو صغيرة، على أنّها ضرورية لمن اختار حياة التفكير والحكمة.

بروتارخوس: إنّنا قلنا هكذا، نعم، وبكلّ تأكيد.

سقراط: إذن فإنّ إنساناً كهذا، سيحيا بدون لذّة. ومن يعرف إنْ لم تكن هذه الحياة حياة أكثر إلهية من كلّ الحيوات الأخرى، إذا أمكن؟

بروتارخوس: حقاً، إنّ الآلهة لا يمكن افتراضهم أنّهم يمتلكون الابتهاج أو الحزن.

سقراط: لا بالتأكيد ـ سيكون هناك عدم تناسب كبير في افتراض كلا الخيارين. لكن هذه هي النقطة الرئيسيّة التي يمكننا أن نأخذها بعين الاعتبار فيما بعدُ إذا كانت وثيقة الصلة بالمناظرة في أيّة طريقة، وسنضعها نحن في حساب العقل حين مباراتها لنيل المكان الثاني، إذا وجب عليها أن تتخلّى عن مكانها الأول.

بروتارخوس: هكذا بالضبط.

سقراط: ويكون صنف الملذات الأخرى، والذي كما قلنا عنه سابقاً، صنفاً عقليّاً بشكلٍ صافٍ، وهو مستمَدٌّ من الذاكرة بشكل كامل.

بروتارخوس: ماذا تعني؟

سقراط: يجب عليَّ أن أحلِّل الذاكرة قبل كلّ شيء، أو على الأصحّ نفاذ البصيرة التي تكون سابقة للذاكرة ومتقدّمة عليها، إذا ما كان سيُفسَّر موضوع محادثتنا بشكل مناسب قطّ.

بروتارخوس: كيف ستواصل ذلك؟

سقراط: دعنا نصوِّر نوازع الجسد التي أُخمِدت قبل أن تصل إلى الروح، وتركها غير متأثّرة بها، وأن نصوِّر مرّة ثانية النوازع الأخرى التي تتذبذب خلال الروح والجسد، وتضفي هزّة على كليهما وعلى كلّ واحد منهما.

بروتارخوس: مُنِحت.

سقراط: ويمكن القول بحقّ، إنّ الروح تكون غافلة عن الأولى لكنها غير غافلة عن الثانية.

بروتارخوس: حقيقي تماماً.

سقراط: عندما أقول إنّ الروح تكون غافلة، فلا تفترض بأنّي أعني هنا نسياناً في المعنى الحرفي للكلمة، لأنّ النسيان هو المخرج للذاكرة التي لم تدخل الروح في هذه الحالة لحتّى الآن. ولكي نتكلّم عن فقدان ذلك الذي ليس موجوداً الآن، ولم يوجد قطّ، فإنّ ذلك تناقض صريح. هل تفهم معناي؟

بروتارخوس: نعم.

سقراط: كن جيّداً إذن هكذا كي تغيِّر المصطلحات.

بروتارخوس: كيف سأغيِّرها؟

سقراط: بدلاً من قولك نسيان الروح، عندما تصف الحالة التي تكون هي فيها غير متأثرة بصدمات الجسد، قل لادراية أو لاوعي الروح أو لاإدراكها.

بروتارخوس: إنّني أعي ما تقول.

سقراط: وسيُدعى الاتحاد أو المشاركة للروح والجسم في شعور وحركة واحدة، سيُدعى وعياً أو إدراكاً بشكل مناسب.

بروتارخوس: الأكثر حقيقة.

سقراط: نعرف نحن الآن إذن معنى كلمة إدراك حسي.

بروتارخوس: نعم.

سقراط: ومن ثمّ يمكن أن تُوصف الذاكرة بحقّ أنّها حفظ الإحساس.

بروتارخوس: صحيح.

سقراط: لكن ألم نميّز نحن التذكّر من الذاكرة؟

بروتارخوس: أعتقد أنّنا فعلنا ذلك.

سقراط: وعندما تستردّ الروح بقوّتها الخاصة التي لم يساعدها أحد فيها، أقول عندما تستردّ شعوراً ما اختبرته مسبقاً في رفقتها مع الجسد، أليس هذا ما نسميّه التذكّر؟

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: ومرة ثانية عندما تستعيد الروح الذاكرة المفقودة لإدراك حِسّيٍّ أو لمعرفة ما، عندما تستعيدها ذهنياً ومنفردة بنفسها، فإنّ الاستعادة في كلّ هكذا حالات تدعى التذكّر؟

بروتارخوس: حقيقيّ جداً.

سقراط: هناك سبب من أجله أقول كلّ هذا.

بروتارخوس: ما هو؟

سقراط: أريد أن أصل إلى الفكرة الأوضح الممكنة عن اللذّة والرغبة كما هما في العقل فقط، بمعزلٍ عن الجسد، وسيساعدنا التحليل السابق لتبيان طبيعة كلّ منهما.

بروتارخوس: دعنا نتقدم الآن إذن إلى النقطة الرئيسيّة التالية، يا سقراط.

سقراط: هناك أشياء كثيرة يجب أخذها بعين الاعتبار بدون ريب وذلك في بحث منشأ اللذّة وكلّ مزاجاتها، ويجب علينا أنّ نقرّر طبيعة الرغبة ومركزها قبل تحقيق أيّ تقدّم في مجال آخر.

بروتارخوس: نعم؛ دعنا نقرّر ذلك، لأنّنا لن نخسر شيئاً.

سقراط: لا، يا بروتارخوس، إنّنا سنفقد اللغز بالتأكيد إذا وجدنا الجواب.

بروتارخوس: إنّه لردٌّ عادل، لكن دعنا نواصل بحثنا.

سقراط: ألم نضع الجوع، العطش، وما شابه في صنف الرغبات؟

بروتارخوس: بدون ريب.

سقراط: وهذه الرغبات متباينة برغم ذلك. وأيّة طبيعة مشتركة نمتلك نحن في وجهة نظرنا عندما نسمّيها تحت إسم مفرد؟

بروتارخوس: بالسماوات، يا سقراط، إنّ الإجابة على هذا السؤال ليست سهلة. لكن يجب أن نَجِدَ له جواباً؟

سقراط: دعنا نعود إلى أمثلتنا السابقة إذن.

بروتارخوس: من أين سنبدأ؟

سقراط: هل نعني أيّ شيء عندما نقول « يعطش الإنسان »؟

بروتارخوس: نعم.

سقراط: نعني أنه « يكون فارغاً »؟

بروتارخوس: طبعاً.

سقراط: أوليس العطش رغبة؟

بروتارخوس: نعم إنّه رغبة للشرب.

سقراط: هل ستقول رغبة للشرب، أو لسدّ النقص بالشرب؟

بروتارخوس: عليّ أن أقول، لسدّ النقص بالشرب.

سقراط: إذن فإن من يكون فارغاً يرغب، كما سيظهر، المضادّ للذي يختبره؛ فهو يكون فارغاً ويرغب في الامتلاء.

بروتارخوس: هكذا بوضوح.

سقراط: لكن كيف يستطيع إنسان يكون فارغاً للمرّة الأولى، كيف يستطيع أن

يصل، إما بالإدراك الحسّي أو الذاكرة إلى أيّ فهمٍ لسدّ النقص الذي لا يمتلك عنه خبرة ماضية أو حاضرة؟

بروتارخوس: مستحيل.

سقراط: ومع ذلك فإنّ مَن يرغب، يرغب شيئاً ما بالتأكيد؟

بروتارخوس: طبعاً.

سقراط: إنّه لا يرغب ذلك الذي يختبره. فهو يختبر العطش، ويكون العطش، فراغاً؛ بل إنّه يرغب بسدّ النقص.

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: يجب أن يكون هناك شيء ما إذن في الإنسان العطشان هو الذي يعي سدّ النقص بطريقة ما؟

بروتارخوس: يجب أن يوجد.

سقراط: ولا يمكن أن يكون الجسم ذلك الشيء، لأنّ الجسم يُفترض أن يكون خالياً.

بروتارخوس: نعم.

سقراط: إنّ الخيار الوحيد الباقي هو أنّ الروح تدرك سدّ النقص بمساعدة الذاكرة، كما هو واضح، إذ لا مجال لوجود طريقة أخرى غير هذه الطريقة؟

بروتارخوس: لا أقدر أن أتصوّر وجود أيّة طريقة أخرى.

سقراط: لكن هل ترى العاقبة؟

بروتارخوس: ما هي؟

سقراط: العاقبة هي أنّه ليس هناك هكذا شيء كرغبة الجسد.

بروتارخوس: لِمَ لاَ؟

سقراط: لماذا؟ لأنّ المناظرة تبيّن أنّ كفاح كلّ حيوان يكون عكس حالته الجسديّة.

بروتارخوس: أجل.

سقراط: ويبرهن الدافع الذي يدفعه إلى المضادّ الذي يختبره، يبرهن أنّه يمتلك ذاكرة للحالة المضادّة.

بروتارخوس: صدقاً.

سقراط: وبما أنّ المحاورة قد برهنت أنّ الذاكرة هي القوة التي تجذبنا نحو أهداف الرغبة، فإنّها تبرهن أيضاً أنّ البواعث والرغبات والمبدأ المحرّك للحيوان كلّها تمتلك أصلها في الروح.

بروتارخوس: الأكثر صدقاً.

سقراط: لن تسمح المناظرة بالقول إنّ أجسامنا إمّا تجوع أو تعطش أو تمتلك أيّ اختبار مشابه.

بروتارخوس: الأكثر صحة.

سقراط: دعني أورِد ملاحظة أبعد من ذلك، تظهر المناظرة لي أنّها تدلّ ضمناً على أن هناك نوعاً من الحياة التي تكمن في هذه التأثيرات.

بروتارخوس: عن أيّة تأثيرات، وعن أيّ نوع من أنواع الحياة، تتكلّم؟

سقراط: إنّي أتكلم عن كون الجسم خالياً أو سادّاً للنقص، وعن كلّ الذي يتّصل بالإبقاء على المخلوقات الحيّة ودمارها. كما أتكلّم عن الألم الذي يتمّ الشعور به في واحدة من هذه الحالات وعن اللذة التي تليه.

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: وماذا ستقول عن الحالة الوسط؟

بروتارخوس: ماذا تعني بـ« الوسط »؟

سقراط: أعني أنّه حينما يكون شخص في معاناة حقيقية ويتذكّر الملذات السابقة برغم ذلك، والتي لو عادت فقط فإنّها ستريحه؛ لكنّه لا يحوزها حتّى الآد ألا يمكننا أن نقول عنه، إنّه يكون في حالةٍ وسط؟

بروتارخوس: بدون ريب.

سقراط: هل ستقول إنّه كان مسروراً أو متألّماً بالكامل؟

بروتارخوس: لا، عليَّ أن أقول إنّه يعاني أَلَمين اثنين. هناك في جسده الخبرة الحقيقيّة للألم، وهناك في روحه رغبة شديد وشيء متوقّع.

سقراط: ماذا تعني، يا بروتارخوس، بالألَمين الاثنين؟ ألا يمكن لإنسانٍ فارغ أن يكون لديه أمل واضح في وقت واحد لكونه ممتلئاً، وأن يكون في يأسٍ في وقت آخر؟

بروتارخوس: حقيقيّ جداً.

سقراط: أوَلا يمتلك هو لذّة الذاكرة عندما يأمل بالامتلاء وبرغم أنّه يكون فارغاً؟ ألا يكون هو في ألمٍ في الوقت عينه؟

بروتارخوس: بدون ريب.

سقراط: إذن فإنّ الإنسان والحيوانات الأخرى تمتلك اللذة والألم كليهما في الوقت عينه؟

بروتارخوس: أفترض ذلك.

سقراط: لكن عندما يكون إنسان فارغاً وليس لديه أيّ أمل بالامتلاء، فسيكون هناك ضعف الخبرة للألم. إنّك لاحظت هذا واستنتجت أنّ الخبرة المضاعفة كانت الحالة المفردة الممكنة.

بروتارخوس: حقيقي تماماً، يا سقراط.

سقراط: هل التحقيق في هاتين الحالتين للشعور، هل سيجعل مناسبة لطرح سؤالٍ جديد؟

بروتارخوس: أيّ سؤال؟

سقراط: سواء إذا وجب أن نقول إنَّ الملذات والآلام التي تكلّمنا عنها هي حقيقية أو زائفة، أو إنّ بعضها حقيقي والآخر زائف.

بروتارخوس: لكن كيف يمكن أن يكون هناك ملذّات وآلام زائفة، يا سقراط؟

سقراط: وكيف يمكن أن تكون هناك مخاوف حقيقيّة وزائفة، يا بروتارخوس؟ أو

كيف يمكن أن تكون هناك توقّعات حقيقية وزائفة، أو آراء حقيقية وزائفة؟

بروتارخوس: أوافق على وجود آراء حقيقيّة وزائفة، لكنّي لا أوافق على الأشياء الأخرى.

سقراط: ماذا تعني؟ أخشى أنّنا سنثير تحقيقاً خطيراً جداً بشأن ذلك.

بروتارخوس: إنّني أوافق على ما تقول.

سقراط: وبرغم ذلك، يا ولدي، ولأنّك واحد من أولاد فيليبوس، فإنّ النقطة الأساسيّة التي يجب النظر فيها مليّاً هي إذا ما كان التحقيق وثيق الصلة بموضوع المناظرة السابقة.

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: ولا يمكن السماح لمحادثة مملّة أو غير وثيقة الصّلة بالموضوع أن تجري. وما يقال يجب أن يكون وثيق الصلة بالموضوع.

بروتارخوس: صحيح.

سقراط: إنّني أتعجّب من السؤال الذي نشأ الآن، فما هو موقفك؟ هل تنكر أنّ بعض الملذات يكون زائفاً، وبعضها يكون حقيقيّاً؟

بروتارخوس: إنّني أنكر ذلك، لتكن متأكّداً.

سقراط: هل تقول إن أحداً بدا أنّه ليبتهج قطّ ولم يبتهج برغم ذلك، أو بدا أنّه يشعر بالألم ولم يشعر به مع ذلك، وأسأل عن النائم أو المستيقظ، المجنون أو المجذوب كذلك؟

بروتارخوس: وهكذا فإنّنا قد اعتدنا كلّنا على الإمساك بسقراط.

سقراط: لكن هل كنت محقّاً في ذلك؟ هل سنتساءَل عن حقيقة رأيك؟

بروتارخوس: أعتقد أنّه يجب عليك أن تفعل هذا.

سقراط: دعنا إذن نطرح السؤال بعبارات أكثر دقّة، تلك العبارات التي نشأت بشأن اللذة والرأي. هل هناك شيء كالرأي؟

بروتارخوس: نعم.

سقراط: وهل هناك شيء كاللذة؟

بروتارخوس: نعم.

سقراط: وهل هناك شيء كهدفٍ للرأي؟

بروتارخوس: لا شكّ في ذلك.

سقراط: وهدف ذلك الذي يكون مسروراً فيه يستمدّ لذّة؟

بروتارخوس: حقيقي تماماً.

سقراط: وليس هناك فرق، سواء إذا كان الرأي صواباً أو خطأً؛ بل إنّه سيبقى رأياً؟

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: والذي التذَّ، سواء إذا التذّ أو لم يلتذّ بشكل صحيح، فإنّه سيمتلك شعوراً حقيقياً باللذّة؟

بروتارخوس: نعم؛ إنّ ما تقوله حقيقي تماماً.

سقراط: كيف يستطيع الرأي أن يكون رأياً حقيقياً وزائفاً إذن، وأن تكون اللذة لذّة حقيقيّة فقط، برغم أنّ اللذة والرأي يكونان حقيقيين بشكلٍ متساوٍ؟

بروتارخوس: نعم، هذا هو السؤال.

سقراط: تعني أنّ الرأي يقبل الحقيقة والزيف، ومن ثمَّ لا يصبح مجرَّد رأي، بل يصبح رأياً ذا نوعيّة محدّدة. وهذا ما تعتقد أنه يجب أن يتم فحصه؟

بروتارخوس: نعم.

سقراط: وأبعد من ذلك، فإنّنا إذا اعترفنا بوجود النوعيّات في الأشياء الأخرى، لكنّنا نعتقد أنّ اللذة والألم هما شيئان بسيطان وخاليان من النوعيّة، إذا فعلنا ذلك، فيجب أن نتّفق على أسباب هذا.

بروتارخوس: بوضوح.

سقراط: لكن ليس من الصعب أن نكتشف أنّ اللذّة والألم بالإضافة إلى الرأي

تمتلك نوعيّات، لأنّها تكون كبيرة وصغيرة، ولها درجات متنوّعة من الحدّة، وكما قلنا حقاً منذ أمد بعيد.

بروتارخوس: حقيقي تماماً.

سقراط: وإذا أُرفق السوء بأيٍّ منها، يا بروتارخوس، فيجب أن نتكلّم حينئذ عن رأي سيِّىء ولذّة سيئة؟

بروتارخوس: حقيقيّ جدّاً، يا سقراط.

سقراط: وإذا أُرفق الصواب بأيٍّ منها، أفلا يجب أن نتكلّم عن رأي صحيح أو لذّة صحيحة بأسلوبٍ مماثل عن عكس الصحيح؟

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: وإذا كان الذي ارتُئِيَ خطأً، ألا يمكننا أن نقول إنّ الرأي صحيح كونه رأياً خطأً، أو أنه رُئِيَ خطأً.

بروتارخوس: بدون ريب.

سقراط: وإذا رأينا لذّة أو ألماً يخطىء فيما يتعلّق بهدفه، فهل سنسمّي ذلك صحيحاً أو جيداً، أو هل سندعوه بأيّ اسم شريف آخر؟

بروتارخوس: ليس إذا كانت اللذّة غير صحيحة. كيف يمكننا أن نسمّيها باسمٍ شريف؟

سقراط: وتبدو اللذة غالباً أنّها تلازم الرأي الذي لا يكون رأياً حقيقياً، بل رأياً زائفاً بكلّ تأكيد.

بروتارخوس: إنّها تفعل بدون ريب، وكما كنا قائلين، يا سقراط، فإنّ الرأي يكون رأياً زائفاً في تلك الحالة، لكن لا أحد يقدر على أن يسمي اللذة الحقيقية لذة زائفة.

سقراط: كيف تسرع للدفاع عن اللذّة بشوق يا بروتارخوس!

بروتارخوس: لا، يا سقراط، إنّني أردّد ما أسمعه فقط.

سقراط: أليس هناك فرق، يا صديقي، بين تلك اللذة التي تترافق مع الرأي الصحيح والمعرفة، وبين تلك اللذة التي توجد فينا جميعاً مترافقة مع الزيف والجهل؟

بروتارخوس: ينبغي أن يوجد فرق بينهما.

سقراط: دعنا نواصل الآن التفكير ملياً في هذا الفرق.

بروتارخوس: قدني، وسوف أتبعك.

سقراط: حسناً، إنّ وجهة نظري هي إذن ـ

بروتارخوس: ألسنا متفقين على أن هناك شيئاً كالزيف، وهناك شيئاً كالرأي الحقّ أيضاً؟

بروتارخوس: نعم.

سقراط: واللذة والألم لازمان لهما كنتيجة طبيعيّة لهذين المبدأين غالباً، كما قلت لتوّي ـ أعني للرأي الحقّ والزائف.

بروتارخوس: حقيقي جداً.

سقراط: أوَلا ينشأ الرأي والنضال كي تشكّل رأياً؟ ألا ينشآن من الذاكرة والقدرة على الفهم؟

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: هل يمكننا أن نتصوّر أن العملية هي شيء ما من هذه الطبيعة؟

بروتارخوس: من أيّة طبيعة؟

سقراط: يمكن أن يُرى الشيء غالباً من مسافة بصورة غير واضحة تماماً، ويمكن للرأي أن يقرّر ماذا يكون ذلك الشيء الذي يراه.

بروتارخوس: على الأرجح جداً.

سقراط: يبدأ هو في استجواب نفسه عاجلاً.

بروتارخوس: بأيّ أسلوب؟

سقراط: يسأل هو نفسه: « ما هو ذلك الذي يظهر واقفاً بجانب الصخرة تحت الشجرة؟ ». إنّ هذا هو السؤال الذي يُفترض أنّه يضعه لنفسه عندما يرى مظهراً كهذا.

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: والذي يمكن أن يخمّن له الإجابة الصحيحة، قائلاً وكأنّه يهمس لنفسه: « إنّه يكون إنساناً ».

بروتارخوس: جيّد جداً.

سقراط: أو يمكنه أن يُضلَّلَ، معتقداً أنّه يكون شكلاً صنعه راعٍ ما، ويسميه خيالاً.

بروتارخوس: نعم.

سقراط: وإذا كان لديه رفيق، فإنّه يكرّر فكرته له في أصوات واضحة، وما كان رأياً قبلاً، أصبح فرضية الآن.

بروتارخوس: بوضوح.

سقراط: لكنّه إذا كان سائراً لوحده عندما تحدث له هذه الأفكار، فلا يمكنه أن يحتفظ بها في فكره لوقتٍ جدير بالاعتبار غير متكرّر الحدوث.

بروتارخوس: حقيقي جداً.

سقراط: حسناً، إنّني أتساءَل الآن إذا ما كنت ستوافق على تعليلي لهذه الظاهرة.

بروتارخوس: ما هو تعليلك؟

سقراط: أعتقد أنّ الروح هي مثل كتابٍ في وقتٍ كهذا.

بروتارخوس: كيف ذلك؟

سقراط: إنّ الذاكرة والقدرة على الفهم تلتقيان، وتبدوان لي أنّهما وشعورهما الملازم تكتبب الكلمات في الروح تقريباً. وعندما يُكتب الشعور المطبوع بصدق، يُشكِّل الرأي الصحيح والافتراضات الصحيحة في داخلنا نتيجة عملهما حينئذ ـ لكن عندما يكتب الكاتب في داخلنا بزيف، فإنّ النتيجة تكون زائفة.

بروتارخوس: إنّي أوافق على ما تقول وأقبل بتوضيحك.

سقراط: ينبغي عليّ أن أدلّ أيضاً على ما تفضّله لفنّانٍ آخر يكون منشغلاً في تجاويف الروح في الوقت عينه.

بروتارخوس: من هو؟

سقراط: إنّه الرسام باليد، الذي قام بعمله بعد الكاتب، ورسم صوراً في الروح للأشياء التي وصفها.

بروتارخوس: لكن متى وكيف فعل هو هذا؟

سقراط: عندما يرى إنسان في فكره صور المواضيع لها، بجانب تلقيّه من البصر أو من حاسّة ما أخرى آراءً وتوضيحات محدّدة؛ ـ أليست هذه ظاهرة عقليّة شائعة جدّاً؟

بروتارخوس: بدون ريب.

سقراط: وتنطبق الصور على الآراء الحقيقية وتكون الكلمات صحيحة، وتنطبق على الآراء الزائفة وتكون الكلمات مضلّلة، أليس كذلك؟

بروتارخوس: إنّها لكذلك.

سقراط: إنّ كنّا محقّين فيما نقوله لهذا الحدّ، فإنّه ينشأ هناك سؤال أبعد.

بروتارخوس: ما هو هذا السؤال؟

سقراط: إنّه يكون سواء إذا كنّا نختبر الشعور الذي أتكلّم عنه فيما يتعلّق بالحاضر والماضي فقط، أو فيما يتعلّق بالماضي أيضاً.

بروتارخوس: عليّ أن أقول إنّنا نختبره فيما يتعلّق بكلّ الأوقات على قدم المساواة.

سقراط: ألم نصف سابقاً الملذات العقلية النقيّة والألم، ألم نصفها وكأنّها توقعات للملذات الجسديّة في بعض الحالات؛ والتي يمكن أن نستنتج منها أنّ الملذات التوقعيّة والآلام هي خبرة عابرة وذات علاقة بالمستقبل؟

بروتارخوس: الأكثر صدقاً.

سقراط: وهل تنطبق كلّ تلك الكتابات والتصويرات التي أحدثناها، كما قلنا منذ برهة قصيرة مضت، هل تنطبق على الماضي والحاضر أيضاً، ولا تنطبق على المستقبل؟

بروتارخوس: إنّها تنطبق على المستقبل وكثيراً جدّاً.

سقراط: عندما تقول « كثيراً جدّاً » تعني أنّ كلّ هذه التصويرات هي آمال بشأن المستقبل، وأنّ الجنس البشريّ يكون ممتلئاً بالآمال في كلّ مرحلة من مراحل وجوده؟

بروتارخوس: بالضبط.

سقراط: أجبني على سؤالٍ آخر.

بروتارخوس: أيّ سؤال؟

سقراط: إن الانسان العادل والتقيّ والخيّر هو صديق الآلهة؛ أليس كذلك؟

بروتارخوس: إنّه كذلك بالتأكيد.

سقراط: والرجل الظالم والسّيِّىء عكس ذلك بالمطلق؟

بروتارخوس: صدقاً.

سقراط: والرجال كلّهم ممتلئون بالآمال، كما قلنا لتوّنا؟

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: وهذه الآمال، كما تدعى، هي فرضيات توجد في عقل كلٍّ منا.

بروتارخوس: نعم.

سقراط: وهناك، علاوة على ذلك، الانطباعات الذهنية مرسومة فينا. يمكن لإنسانٍ أن يكون لديه غالباً فكرة عن كميّة كبيرة من الذهب، وعن الملذات التي تليها، ويمكن أن يكون في الصورة شبه لنفسه مبتهجاً بحظه السعيد بشكل استثنائي.

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: أوَلا يمكننا أن نقول إنّ الأخيار، كونهم أصدقاء الآلهة، يمتلكون الصورة الحقيقية حاضرة لهم، ويمتلك الأشرار الصور الزائفة؟

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: إنّ الأشرار يمتلكون أيضاً الملذّات مرسومة في أوهامهم وتخيّلاتهم، مثلما يمتلكون الخير؛ لكنّني أفترض أنها ملذات زائفة.

بروتارخوس: إنّها لكذلك.

سقراط: إنّ الأشرار يفرحون بالملذات الزائفة إذن بشكل عام، ويبتهج الأخيار بالملذات الحقيقية؟

بروتارخوس: بدون شك.

سقراط: أوَلم نُجِزِ القول إنّ الإنسان الذي امتلك رأياً على الإطلاق امتلك رأياً حقيقيّاً، لكنّه امتلكه على الغالب بشأن الأشياء التي لم يكن لها وجود إمّا في الماضي أو الحاضر، أو المستقبل؟

بروتارخوس: حقيقي تماماً.

سقراط: وكان هذا مصدر الرأي الزائف وإبدائه؛ ألست محقّاً في قولي هذا؟

بروتارخوس: نعم.

سقراط: أوَلا يجب أن نعزو للّذة والألم صفةً حقيقيّة مشابهة لكنّها صفة خادعة؟

بروتارخوس: كيف تعني؟

سقراط: أعني رُبّ إنسان يمتلك لذّة حقيقية، وهو إنسان يسرّ بأيّ شيء أو كيفما اتفق، لكنّ القول بأنّه يمكنه أن يكون مسروراً بخصوص الأشياء التي لا تمتلك والتي لم يكن لها أيّ وجود حقيقيّ قطّ؛ فإنّ هذه لا توجد غالباً حقّاً على الأرجح، ولربّما لا توجد في الغالبية الأكثر من الرجال.

بروتارخوس: نعم، يا سقراط، إنّ ذلك لا يمكن إنكارهُ مرّة ثانية.

سقراط: أوَلا يمكن قول الشيء عينه بشأن الخوف والغضب وما شابههما؛ أليست هذه الأشياء زائفة على الغالب؟

بروتارخوس: إنّها هكذا تماماً.

سقراط: وهل تستطيع الآراء أن تكون صالحة أو سيّئة إلا بقدر ما تكون حقيقية وزائفة؟

بروتارخوس: لا يمكنها أن تكون بأيّة طريقة أخرى.

سقراط: ولا يمكن تصوّر أن الملذّات تكون سيّئة إلا بقدر ما تكون زائفة؟

بروتارخوس: لا، يا سقراط، إنّ ذلك عكس الحقيقة تماماً، إذ لا أحد سيسمّي الملذات والآلام سيّئة لكونها زائفة، بل إنّه سيسمّيها ذلك بسبب فسادٍ ما آخر عظيم، هي عرضة له.

سقراط: حسناً، إنّنا سنتكلّم عن الملذات الفاسدة والمسبّبة بالفساد فيما بعدُ، إذا حرصنا على مواصلة التحقيق. وسأبيّن في الوقت الحاضر على الأصحّ، وبمناظرة أخرى أن هناك العديد من الملذّات الزائفة حاضرة أو آتية إلى الوجود فينا، لأنّ هذا يمكن أن يساعدنا في قرارنا النهائي.

بروتارخوس: حقيقيّ جداً، بمعنى، إذا وجدت هكذا ملذّات.

سقراط: أعتقد أنها توجد، يا بروتارخوس، غير أنّ هذا الرأي يجب أن يؤكّد جيداً، وأن لا يستند إلى مجرّد إثبات.

بروتارخوس: جيّد جدّاً.

سقراط: دعنا نقترب من هذه المناظرة الجديدة ونمسك بها الآن إذن، مثلما يفعل المصارعون.

بروتارخوس: واصل.

سقراط: أثبتنا منذ وقت طويل مضى، أنّ الرغبات توجد فينا، كما تدعى، وأنّ الجسم يتأثّر حينئذ بشكلٍ منعزلٍ عن الروح وبانفرادٍ عنها ـ هل تتذكّر؟

بروتارخوس: نعم، أتذكّر أنّك قلت ذلك.

سقراط: وافترضنا أنّ الروح ترغب ما يضادّ حالة الجسد، في حين أنّ الجسد كان مصدر أيّة لذّة أو ألم اختبرهما.

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: يمكنك أن تستنتج الآن إذن ما سيحدث في حالات كهذه.

بروتارخوس: ماذا سأستنتج؟

سقراط: ستستنتج أنّ الملذّات والآلام تكون موجودة في حالات كهذهِ معاً وفي وقت واحد؛ وأنّ المدارك الحسيَّة لها تكون موجودة جنباً إلى جنب، كما تمَّ تبيين ذلِك سابقاً، برغم أنّها متضادَّة.

بروتارخوس: بوضوح.

سقراط: وهناك نقطة رئيسيَّة أخرى اتفقنا بشأنها.

بروتارخوس: ما هي؟

سقراط: إنّ اللذّة والألم يقبلان كلاهما بالأكثر والأقلّ، وإنّهما من صنف اللامتناهي.

بروتارخوس: قلنا ذلك بكلّ تأكيد.

سقراط: لكن كيف نستطيع أن نحكم حكماً صحيحاً عليهما؟

بروتارخوس: أوضح، في أيّ خصوص؟

سقراط: إذا كانت نيّتنا أن نحكم عن أهميتهما المقارَنَة وحدَّتهما، على أن نقيس اللذّة مقابل الألم، والألم مقابل الألم، واللذّة مقابل اللذّة ـ

بروتارخوس: نعم، إنّ هذه هي نيّتنا، وإنّ هذا هو ما نرغبه عندما نحكم في أهمّيتهما.

سقراط: حسناً، خذ حالة البصر. إذا حجب القرب أو المسافة تناسبات الأجرام الحقيقيَّة، وجعلتنا نرتئي بشكل زائف، ألن نجد الصورة الخادعة عينها حادثة في حالة الملذات والآلام؟

بروتارخوس: نعم، يا سقراط، ونجدها في درجة أكبر بكثير في هذه الحالة.

سقراط: إنّ ما تقوله الآن هو عكس ما قلناه منذ فترة قصيرة مضت إذن.

بروتارخوس: وماذا قلنا؟

سقراط: قلنا إنّ الآراء كانت حقيقية وزائفة، وإنّها مُفسِدَةٌ للملذّات والآلام بزيفها الخاصّ بها.

بروتارخوس: حقيقيّ جداً.

سقراط: لكنها الآن هي الملذات التي قيل إنّها حقيقية وزائفة لأنّها تُشاهَدُ من مسافات مختلفة، وتُخضع للمقارنة؛ تظهر الملذات لتكون أعظم وأكثر عنفاً واتقاداً عندما تُوضع جنباً إلى جنب مع الآلام، وعندما توضع الآلام جنباً إلى جنب مع الملذّات.

بروتارخوس: بالتأكيد، وللأسباب التي ذكرتها.

سقراط: وافترض أنّك تفصل عن الملذات والآلام العنصر الذي يجعلها تبدو أكثر أو أقلّ ممّا هي في الحقيقة: ستعترف بأنّ هذا العنصر هو عنصر خادع، ولن تقول أبداً إنّ الإفراط أو الخلل المتطابق مع اللذّة أو الألم يكون واقعياً وحقيقياً.

بروتارخوس: لن أقول ذلك أبداً.

سقراط: دعنا نرى تالياً إذا كان يمكننا أن لا نشاهد الملذات والآلام موجودة وظاهرة في المخلوقات الحيّة في اتّجاهٍ آخر، والتي لا تزال أكثر زيفاً من هذه التي تحدّثنا عنها.

بروتارخوس: ما هي، وكيف سنجدها؟

سقراط: إذا لم أكن مخطئاً، فلقد ردّدت غالباً أنّ الآلام والأوجاع والمعاناة وعدم الطمأنينة من كلّ نوع، ردّدتُ أنّها تنشأ من فساد الطبيعة الذي تسبّبه التحجّرات، والتحلّلات، والاكتظاظات، والتفريغات، وتنشأ بالنموّ والفساد أيضاً.

بروتارخوس: نعم، إنّ ذلك قد قيل غالباً.

سقراط: واتّفقنا أيضاً على أنّ إعادة الحالة الطبيعية هي اللذة؟

بروتارخوس: صحيح.

سقراط: لكن دعنا نفترض الآن فاصلاً زمنياً لا يختبر الجسد فيه أيّاً من هذه التحوّلات.

بروتارخوس: متى يمكن أن يكون ذلك، يا سقراط؟

سقراط: إنّ سؤالك، يا بروتارخوس، لا يساعد المناظرة.

بروتارخوس: لِمَ لا، يا سقراط؟

سقراط: لأنّه لا يمنعني من أن أردِّد سؤالي.

بروتارخوس: وما هو سؤالك؟

سقراط: لماذا، يا بروتارخوس، بما أنّك لا تعترف بأنّ هناك فترة فاصلة، يمكنني أن أسأل ما هي العاقبة الضروريّة إذا كانت هناك عاقبة.

بروتارخوس: تعني، ماذا سيحدث إذا لم يتغيّر الجسم إمّا للخير أو للشرّ؟

سقراط: نعم.

بروتارخوس: لماذا يجب عليَّ أن أفترض حينئذ، يا سقراط، عدم وجود لذّة أو ألم.

سقراط: جيّد جدّاً؛ لكن إذا لم أكن مخطئاً، فإنّك ستؤكّد بشكل محتمل أنّه يجب علينا أن نختبر واحدة منهما على الدوام. إنّ ذلك ما يقوله لنا الحكماء؛ يقولون إنّ كلّ الأشياء تكون متدفقة صعوداً ونزولاً دائماً.

بروتارخوس: نعم، وكلماتهم ليست ذات مُستندٍ وضيع.

سقراط: طبعاً، لأنّهم ليسوا ذوي سلطانٍ عاديٍّ، وسأحب أن أتفادى الوطأة العظمى لمناظرتهم. هل سأخبرك كيف سأهرب منهم؟ وستكون أنت رفيقي في فراري.

بروتارخوس: كيف؟

سقراط: سنقول لهم: « جيّد، لكن هل نحن، أو الأشياء الحيّة بشكل عامّ، ندرك

ما يحدث لنا ـ كمثال، ندرك نموّنا، وما شابه ذلك؟ ألسنا نحن، على العكس من ذلك؛ غير مدرِكَين لهذه الظاهرة وللظواهر الأخرى المشابهة تقريباً بشكلٍ تامّ؟ ». يجب أن تجيب لأجلهم.

بروتارخوس: إنّ الخيار الآخر هو الخيار الصحيح.

سقراط: لم نكن محقّين إذن عندما قلنا لتوّنا، إنّ الحركات الصاعدة والهابطة تسبّب الملذات والآلام؟

بروتارخوس: حقّاً.

سقراط: ستكون طريقة أفضل وأكثر ترفّعاً عن نقد الكلام ـ

بروتارخوس: ماذا ستكون؟

سقراط: إذا قلنا إنّ التغييرات الكبيرة تنتج الملذّات والآلام، لكنّ التغييرات المعتدلة والأقلّ من ذلك لا تفعل أيّاً منها.

بروتارخوس: إنّ ذلك الأسلوب هو الأسلوب الأكثر صحّة في الكلام، يا سقراط.

سقراط: لكن إذا كان هذا صحيحاً، فإنّ الحياة التي كنت أشرت إليها لتوّي ستظهر مرّة ثانية.

بروتارخوس: أيّة حياة؟

سقراط: الحياة التي أكّدنا أنّها خلو من الألم والفرح.

بروتارخوس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: يمكننا أن نفترض عندئذ أن هناك ثلاث حيوات: واحدة سارّة، واحدة مؤلمة، وحياة ثالثة لا مؤلمة ولا سارّة. فماذا تقول أنت؟

بروتارخوس: يجب عليّ أن أقول كما تقول، أي أنّ هناك ثلاث حيوات منها.

سقراط: لكن إذا كان ذلك صحيحاً، فإنّ ما هو نقيضٌ للألم لن يكون الشيء عينه مع اللذّة.

بروتارخوس: لا، بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّك عندما تسمع شخصاً يقول: لأَنْ تعيش بدون ألمٍ على الدوام فذلك هو الشيء الأكثر مسرّة من كلّ الأشياء، فماذا ستفهم ممّا يعنيه بهذا البيان؟

بروتارخوس: أعتقد أنّه ينبغي أن يعني باللذّة ما يكوِن نقيضاً للألم.

سقراط: دعنا نأخذ واحداً من أشياء ثلاثة؛ أو افترض أنّنا نقوم قليلاً بعمليّة تزيين ونسمّي الأوّل ذهباً، والثاني فضّةً، وشيء ثالث لا هو ذهب ولا فضة.

بروتارخوس: جيّد جداً.

سقراط: وبعدُ، هل يستطيع الشيء الذي ليس ذهباً ولا فضة أن يكون واحداً منهما؟

بروتارخوس: مستحيل.

سقراط: ليس بأكثر ممّا تستطيع تلك الحياة المحايدة أو الوسط أن يُتكلّم عنها بصحّة أو بعقلانيّة، أو أن يُنظر إليها وكأنها حياة سارّة أو مؤلمة.

بروتارخوس: لا بالتأكيد.

سقراط: ومع ذلك، يا صديقي، هناك أشخاص يقولون ويتصوّرون هكذا، وكما تعرف.

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: وهل يعتقدون أنّهم يمتلكون اللذّة عندما يتحرّرون من الألم؟

بروتارخوس: إنّهم يقولون هكذا.

سقراط: وهل يجب عليهم أن يعتقدوا، أو هم لا يقولون إنّهم يمتلكون لذّة.

بروتارخوس: لا أفترض هذا.

سقراط: ومع ذلك إذا كانت اللذّة ونقيض الألم من طبائع مميّزة، فإنّهم يكونون مخطئين في قولهم هذا.

بروتارخوس: لكنّهما من طبائع مميّزة بدون شك.

سقراط: إذن هل سنلتزم بوجهة النظر التي تقول إنّها أشياء ثلاثة، كما قلنا لتوّنا، أو إنّها شيئان اثنان فقط - إحداهما حالة ألم، وهذا شرّ، والأخرى انقطاع الألم، وهذا خير بنفسه، وتدعى هذه الحالة حالة سارّة؟

بروتارخوس: لكن لماذا نسأل هذا السؤال بأيّة حال، يا سقراط؟ إنّني لا أرى سبباً لذلك.

سقراط: هل يمكن أن تكون أنت الذي لا ترى السبب، يا بروتارخوس، ألم تسمع عن أعداءٍ محدَّدين لصديقنا فيليبوس؟

بروتارخوس: ومن يمكن أن يكون هؤلاء الأعداء؟

سقراط: إنّهم أشخاص محدَّدون يُعَدُّون ليكونوا معلّمين وأسياداً في الفلسفة الطبيعيَّة، وينكرون وجود اللذة بالذات.

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: يقولون إنّ ما تسمِّيه مدرسة فيليبوس للملذات، ما هي كلّها سوى إلغاء الألم.

بروتارخوس: وهل ستجبرنا على الاتفاق معهم فيما يقولون، يا سقراط؟

سقراط: لماذا؟ لا، بل إنّني سأستخدمهم على الأصحّ كنوع من الأنواع الإلهيّة الذين يتنبؤون بالحقيقة، ولا يفعلون ذلك بقواعد فنيّة، بل بتعارضٍ ذي مقدرةٍ طبيعيّة، وبمقتٍ صارم هو الذي تمتلكه الطبيعة النبيلة لسلطة اللذّة، والذين يعتقدون أن لا شيء سليماً فيها، والذين يعلنون أنّ تأثيرها المعنوي هو فتنة وليس لذّة. إنّ هذا هو الاستخدام الذي يمكنك أن تستخلصه منهم. وعندما تنجز الأخذ بعين الاعتبار لأسس كرههم المختلفة، فإنّك ستسمع منّي ما أعتبر أنّه الملذات الحقيقة. وبما أنّنا اختبرنا طبيعة اللذة هذه ومن وجهتي النظر كليهما، فإنّنا سنحضرها للحكم عليها.

بروتارخوس: إنّ هذا الكلام كلام جيّد.

سقراط: دعنا إذن ندخل في تحالف مع هؤلاء الفلاسفة وأن نتبعهم في مسلكهم لِمَا يكرهون. أتصوّر أنّهم سيقولون شيئاً ما من هذا النوع؛ سيبدؤون من البداية، ويسألوننا إذا ما كنا نريد أن نعرف طبيعة أيّة نوعيّة، مثل الصلابة، ويجب أن يكون اكتشافها أكثر احتمالاً بالبحث في الأشياء الأصلب، بدلاً من أن نبحث في الأشياء الأقلّ صلابة. إنّك ستجيب، يا بروتارخوس، على أسئلة هؤلاء الأسياد الصارمين كما تجيب على أسئلتي.

بروتارخوس: مهما كلف الأمر، إنّني سأجيبهم قائلاً لهم إنّه يجب عليكم أن تبحثوا في الأمثلة الأعظم.

سقراط: إذا أردنا إذن أن نشاهد الطبيعة الحقيقة للملذات كصنف، ينبغي علينا أن لا نبحث في الملذات الأكثر خفّة، بل أن نبحث في الملذات الأكثر تطرّفاً والأكثر اتّقاداً؟

بروتارخوس: سيوافق كلّ شخص على اقتراحك.

سقراط: وتكون الأمثلة الواضحة عن الملذات الأعظم هي الملذات الجسديّة، كما قلنا غالباً؟

بروتارخوس: بدون ريب.

سقراط: وهل نشعر بها لتكون أو تصبح أعظم عندما نكون مرضى أو عندما نكون أصحّاء؟ ويلزمنا هنا أن نكون حذرين في جوابنا، وإلاّ وقعنا في كارثة. ولربّما يمكننا أن نُغرى كي نجيب « عندما نكون أصحّاء ».

بروتارخوس: نعم، إنّ هذا الجواب هو الجواب الطبيعي.

سقراط: حسناً، لكن أليست الملذات التي تسبقها الرغبات الأكثر حدّة، أليست هذه الملذات هي الملذات الأكثر حدّة كذلك؟

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: أوَلا يشعر الناس الذين تصيبهم الحمّى، أو الذين يُصابون بأيّ مرضٍ مماثل،

أوَلا يشعرون بالبرد أو العطش أو بالتأثيرات الجسديّة الأخرى بشكل أكثر حدّة؟ ألست محقّاً عندما أقول إنّهم يعرفون بالرغبات الأعمق، ويتمتّعون باللذة الأعظم بواسطة إشباع حاجتهم؟

بروتارخوس: إنّ هذا القول هو قول واضح حالما يُقال.

سقراط: حسناً، أولسنا محقّين إذن عندما نقول، إنّه إذا رغب شخص في أن يرى الملذات الأعظم فلا ينبغي أن يذهب وأن يبحث في حالة الصحّة، بل في حالة المرض؟ ويلزمك هنا أن تميّز ما تقول: لا تتصوّر أنّي أعني سؤال ما إذا كان أولئك الذين هم مرضى جداً يمتلكون ملذّات أكثر من أولئك المعافين، بل أفهم أنّي أتكلّم عن مقدار اللذة. أريد أن أعرف أين توجد الملذات الأكثر عنفاً، إذ، كما قلت، يجب علينا أن نكتشف ما هي اللذة، وماذا يعني باللذّة أولئك الذين ينكرون وجودها بالذات.

بروتارخوس: أعتقد أنّي أتبعك.

سقراط: سيكون لديك فرصة أفضل لتبيين ما إذا فعلت ذلك أو لم تفعله، يا بروتارخوس. أجبني الآن، وأخبرني إذا ما كنت ترى، لن أقول إنّك ترى أكثر، بل إنّك ترى أكثر الملذات عنفاً وإفراطاً في الخلاعة والفسق أكثر ممّا تراها في الاعتدال؟ تأمّل ما أقوله مليّاً قبل أن تتكلّم.

بروتارخوس: إنّني أفهمك، وأرى أنّ هناك فرقاً كبيراً بينهما. إن المعتدلين يكبحون جماح شهواتهم متبعين قول الإنسان الحكيم المأثور « ليس أكثر ممّا ينبغي أبداً » هذا القول الذي يرتكز إلى قاعدة. لكنّ الإفراط في اللذّة يسيطر على عقول الأغبياء ويصبح الفاسقون والعبثيون مجانين، ويجعلهم الإفراط في اللذّة يصرخون عالياً بسرورٍ شديد.

سقراط: جيّد جدّاً، وإذا كان هذا صحيحاً، فإنّ الملذات الأعظم ستوجد بوضوح في حالةٍ ما للروح والجسد، حالة فاسدة وآثمة وليس في حالة فاضلة قطّ، وستوجد الآلام الأكثر في الحالة الأولى أيضاً.

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: أوّلا يجب علينا أن نختار بعضاً من هذه الحالات للفحص والاختبار، وأن نرى ما الذي يجعلها الحالات الأعظم؟

بروتارخوس: ينبغي أن نفعل ذلك بدون ريب.

سقراط: خذ حالة الملذّات التي تنشأ من اضطرابات محدَّدة.

بروتارخوس: أيّة اضطرابات؟

سقراط: إنّها الملذات ذات الاضطرابات غير اللائقة، والتي يمقتها أصدقاؤنا الصارمون بشكل مطلق.

بروتارخوس: أيّة ملذات؟

سقراط: كمثال، تلك الملذات التي تبعث الارتياح من الحِكّة أو من أيّة أمراض مزمنة بالحكّ، وهو العلاج الوحيد الذي يحتاجه إنسان لذلك. وباسم السماء ماذا سيُسمّى هذا الشعور الذي يُبعث فينا من جرّاء ذلك؟ هل سيُدعى لذة أو ألماً؟

بروتارخوس: عليّ أن أقول إنّه سيدعى خليطاً خسيساً من نوع ما، يا سقراط.

سقراط: إنّني لم أصدِّر المناظرة، أوه يا بروتارخوس، مع أيّة إشارة شخصيّة إلى فيليبوس، بل لأنّنا لن نكون قادرين أبداً على أن نقرِّر النقطة الرئيسيّة قيد البحث بدون مراقبة هذه الملذّات والأخرى المشابهة لها.

بروتارخوس: من الأفضل لنا إذن أن نواصل تحليل عائلة الملذات هذه.

سقراط: تعني تحليل الملذات المختلطة بالأُلم؟

بروتارخوس: بالضبط.

سقراط: هناك أمزجة ما تكون بخصوص الجسم، وهي في الجسم فقط، وهناك أمزجة أخرى بشأن الروح، وهي في الروح فقط. وهناك أمزجة أخرى بخصوص اللذة مع الألم، وهي مشتركة للروح والجسد كليهما، والتي تدعى في حالتها المركّبة بعض المرات ملذات وتدعى آلاماً مرّات أخرى.

بروتارخوس: كيف يكون ذلك؟

سقراط: عندما يختبر إنسان الشعورين المضادين الاثنين، في إعادةِ أو في فوضى الطبيعة. كمثال، عندما يكون إنسان بارداً ويصبح حاراً، أو مرّة ثانية، عندما لا يكون حاراً ويصبح بارداً، ويريد هو أن يمتلك واحدها ويتخلّص من الآخر؛ ـ إن الحلو الطعم يحوز طعماً مرّاً، كما يقول المثل الشائع، والحالتان الاثنتان تمسكان به بإحكام وتثيرانه ومن ثمّ تقودانه مع الوقت إلى الخبل العقلي.

بروتارخوس: إنّ هذا الوصف للطبيعة هو وصف حقيقيّ.

سقراط: وتكون الآلام والملذات متساوية بعض المرات في هذه الأنواع من الأمزجة، ويسيطر واحدها أو يسيطر الآخر على بعضها.

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: ولقد أعطينا مثالاً عن الحكّ للحالات التي يتخطّى الألم فيها اللذّة، والتي تكلّمنا عنها لتوّنا، وأحدثنا مثل هذا الشعور. فعندما يكون العنصر المهتاج والمثار في الأجزاء الداخليّة، وعندما يريح الفرك والحركة السطح الخارجي فقط، ولا يصلان إلى الأجزاء المتأثّرة باللذّة والألم، فإنّ الرجال لا يوقدون النار بعملهم هذا، ويغيّرون هذا بعدئذ إلى الحرارة المعاكسة نتيجة يأسهم؛ ويعني هذا أنّهم يكسبون اللذة الجامحة بعض المرّات، ويحصلون على الإدراكات الحسيّة المضادة للذّة والألم في الأجزاء الداخلية والخارجيّة مرات أخرى. وبعدُ فإنّ أيّاً من الإدراك الحسيّ الذي يسود، يكون تأثيره ناشئاً عن الفصل القسريّ للذي يكون متّحداً، أو لاتّحاد ما يكون منفصلاً، ولتجاوزٍ ناشىءٍ عن اللذّة والألم.

بروتارخوس: هكذا تماماً.

سقراط: إنّ عنصر اللذّة يسود في الإنسان بعض المرّات، في حين أنّ الاتجاه الخفّي

البسيط للألم يجعله يستشعر وخزاً خفيفاً، ويُسبّب التهيج اللطيف. ولكن إيلاج اللذّة الأكثر عِظَماً تخلق إثارة فيه، - حتى أنّه يقفز من شدة الفرح، وهو يتّخذ كلّ نوع من أنواع الوضع الجسماني، ويتغيّر إلى ألوان متعدّدة بكلّ أسلوب، ويتلهّف للشيء التافه، ويكون منشدها تماماً، ويتفوّه بعلامات التعجّب الأكثر لا عقلانيّة.

بروتارخوس: نعم، إنّه يفعل ذلك حقاً.

سقراط: سيقول عن نفسه، وسيقول عنه الآخرون، إنّه يتحرّق شوقاً لهذه المباهج. وأكثر ما يكون انغماساً فيها وغير واعٍ بما يحدث له، أكثر ما يتعقبها بحماسٍ في كلّ وقت وكلّ طريقة. ويعلن صراحة أنّها هي أعظم الملذّات جميعاً. ويخمّن أنّ الذي يعيش في المتعة الأكثر استقراراً وثباتاً منها، يخمّن أنّه أسعد بني البشر جميعاً.

بروتارخوس: إنّ ذلك الوصف هو وصف حقيقي جداً لآراء الأكثرية بشأن الملذات، يا سقراط.

سقراط: نعم، يا بروتارخوس، إنّ هذا القول هو قول حقيقي تماماً عن هكذا ملذات مختلطة وكما تنشأ من الإدراكات الحسيّة المشتركة الخارجة والداخلة في الجسد. وهناك حالات أيضاً يسهم العقل فيها بعنصر مضادّ للجسد، سواء إذا كان هذا العنصر لذّةً أو ألماً، ويتّحد العنصران ليشكّلا مزيجاً واحداً. لقد دوّنت ملاحظة فيما يختصّ بهذا، وهي أنّ الإنسان عندما يكون فارغاً يرغب في أن يمتلىء، وأن أمله في المستقبل يكون سارّاً، وأمّا خلوّه فيكون مؤلماً. لكنّني يجب أن أضيف الآن ذلك الذي أسقطته قبلاً، وهو أنّ اللذّة والألم يندمجان في واحد في كلّ هذه الانفعالات. وفي انفعالات مشابهة يكون الجسم والعقل فيها متضادّين « وهي عديدة لا تحصى ».

بروتارخوس: أعتقد أنّك محقّ فيما تقوله تماماً.

سقراط: لا يزال هناك نوع واحد آخر باقٍ لاختلاط الملذات والآلام.

بروتارخوس: وما هو هذا النوع؟

سقراط: إنّه الاتحاد الذي يختبر العقل فيه المشاعر العقليّة الصافية غالباً، كما قلنا سابقاً.

بروتارخوس: ماذا تعني؟

سقراط: لماذا، ألم نتكلّم نحن عن الغضب، الخوف، الرغبة، الحزن، الحبّ، المنافسة، الحسد، وما شابه، ألم نتكلّم عنها كآلام وكأنّها تخصّ الروح فقط؟

بروتارخوس: نعم.

سقراط: أولن نجدها ملأى بالملذات الأكثر انشداهاً أيضاً؟ هل أحتاج لتذكيرك بالغضب

« الذي يهيّج حتّى الإنسان العاقل ليمارس العنف،

ويكون أشد حلاوة من العسل ومن قرص العسل؟ »

وتتذكّر أنت كيف تمتزج الملذات بالآلام في النحيب وفي مَنْ يفقد أحد أعزّائه كالأب والأمّ والأخ؟

بروتارخوس: نعم، هناك رابط طبيعيّ بينهما.

سقراط: وتتذكّر أنت أيضاً كيف أنّ المشاهدين يتسمون من خلال دموعهم عند منظر المأساة؟

بروتارخوس: إنّني أتذكّر ذلك بالتأكيد.

سقراط: وهل أنت دارٍ أنّ الروح تختبر الشعور المختلط للّذة والألم حتّى في الملهاة؟

بروتارخوس: إنّني أفهم ما تعنيه تماماً.

سقراط: أعترف، يا بروتارخوس، أنّ هناك صعوبة ما في تمييز وإدراك خليط المشاعر هذا في الملهاة.

بروتارخوس: أعتقد أن هناك صعوبة كهذه.

سقراط: وبقدر ما يكون غموض الحالة أكبر، بقدر ما تكون الرغبة في اختبارها أكبر، لأنَّ الصعوبة في اكتشاف الحالات الأخرى للملذات والآلام المختلطة ستكون أقلّ.

بروتارخوس: واصل.

سقراط: إنّني ذكرت الحسد لتوّي؛ ألن تسمّي ذلك ألماً للروح؟

بروتارخوس: نعم.

سقراط: ومع ذلك فإنّ الرجل الحسود يجد شيئاً ما في بلايا جيرانه التي يُسَرُّ بها. إنّ ذلك لواضح؟

بروتارخوس: بدون ريب.

سقراط: والجهل وما يسمّى بالفظاظة، هما شرّ بكلّ تأكيد؟

بروتارخوس: لتكن متأكّداً.

سقراط: تعلَّم من هذه الاعتبارات كي تعرف طبيعة الشيء المضحك.

بروتارخوس: فسِّر ما تعنيه.

سقراط: إنّ الشيء المضحك هو باختصار الإسم المحدَّد الذي يُستعمل ليصف الشكل الأثيم لعادةٍ محدَّدة؛ وللإثم بشكل عامّ، إنّه ذلك النوع هو الأكثر خلافاً واختلافاً مع النقش المنحوت في معبد دلفي.

بروتارخوس: تعني، يا سقراط، النقش الذي يصرِّح أنْ « اعرف نفسك ».

سقراط: أعني ذلك؛ وعكسه ونقيضه هو أنْ « لا تعرف نفسك ».

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: وبعدُ، يا بروتارخوس، حاول أن تقسّم هذه الأشياء إلى أقسام ثلاثة.

بروتارخوس: إنّني خائف حقّاً من عدم قدرتي على تقسيمها.

سقراط: هل تعني أنّه يجب عليّ أن أضع التقسيم لأجلك؟

بروتارخوس: نعم، وما هو أكثر من ذلك، إنّي أستعطفك أن تفعل ذلك.

سقراط: أليس هناك ثلاث طرائق يمكن تبيين جهل الانسان لنفسه بواسطتها؟

بروتارخوس: وما هي؟

سقراط: إنّها بشأن المال، في المقام الأوّل. يمكن للجاهل أن يتصوَّر نفسه أنّه أغنى مّما هو.

بروتارخوس: نعم، إنّ هذا خطأ شائع.

سقراط: ويبقى أنّه سيتوهّم على الغالب بأنّه أطول وأجمل مّما يكون، أو أنّه يمتلك أفضليّة أخرى تكون لشخص ما وليست لديه حقّاً.

بروتارخوس: طبعاً.

سقراط: وبرغم ذلك فإنّ العدد الأكبر من الناس يخطىء بشأن الصنف الثالث من الخيرات بكلّ تأكيد وبشكل أبعد، تلك الخيرات التي تخصّ الروح. يتصوّرون هم أنّهم رجال أفضل مّما هم بكثير.

بروتارخوس: نعم، إنّ هذا الوهم هو الوهم الأكثر شموليّة ببعدٍ كبير.

سقراط: أليست الحكمة هي الفضيلة الوحيدة التي يطالب بها الجنس البشريّ على الدوام من بين كلّ الفضائل، والتي ترفع فيهم النفس التنافسيّة والخداع الكاذب للحكمة بالشكل الأكثر؟

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: ألا يمكن أن تسمّى هذه الحالة حالةً سيئة وشريرة بحقّ؟

بروتارخوس: إنّها شريرة جدّاً.

سقراط: لكن ينبغي علينا أن نوجد قسمة ثنائية أيضاً، يا بروتارخوس، إذا كنا سنرى في النوع الطفولي من أنواع الحسد مزيجاً مفرداً للّذّة والألم. ما هي خطوتنا التالية إذن؟ إنّ كلّ الأغبياء الذين يستضيفون هذا الخداع الكاذب، يمكن أن يقسّموا بالطبع إلى صنفين اثنين، مثل بقية الجنس البشريّ أحدهما يمتلك القوة والقدرة، والآخر لديه عكس ذلك.

بروتارخوس: بدون ريب.

سقراط: دع هذا إذن يكون قاعدة القسمة. يمكن أن نسمّي منهم أولئك الضعفاء وغير القادرين على أن يثأروا لأنفسهم، عندما يسخر الآخرون منهم، يمكن أن نسمّي هذا الصنف الصنف المضحك. غير أنّ أولئك الذين يمتلكون القوة ويستطيعون الدفاع عن أنفسهم، يمكن وصفهم بواقعية أكثر إذا قلنا إنّهم مرعبون ومكروهون، لأنّ الجهل في الجبّار مكروه ومرعب، لأنّه يضرّ الآخرين في الحقيقة وفي الخيال كليهما. لكن يمكن تخمين أو تقدير الجهل الواهن، ويكون هذا الجهل مضحكاً في الحقيقة.

بروتارخوس: إنّ هذا حقيقيّ جداً، لكنّني لست أرى أين يكون مزيج الملذات والآلام لحد الآن.

سقراط: حسناً، دعنا نختبر طبيعة الحسد إذن.

بروتارخوس: واصل.

سقراط: أليس الحسد لذّة جائرة، وهو ألم غير عادلٍ أيضاً؟

بروتارخوس: الأكثر حقيقة.

سقراط: لا يوجد شيء يتّسِم بالحسد أو الخطأ في الفرح عند حلول المصائب بالأعداء؟

بروتارخوس: لا بالتأكيد.

سقراط: وشعورك بالفرح بدلاً من شعورك بالأسى عند حلول المصائب بأصدقائنا، أليس ذلك الشعور شعوراً خاطئاً؟

بروتارخوس: بدون شك.

سقراط: ألم نقل إنّ الجهل كان شرّاً على الدوام؟

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: وأمّا عن أنواع التصوّرات الباطلة في أصدقائنا والتي عدّدناها فتصوّر

الجمال الخاطىء، وتصوّر الحكمة، وتصوّر الغنى، فإنّها تكون مضحكة إذا كانت ضعيفة، وبغيضة عندما تكون قويّة. ألاَ يمكننا أن نقول، كما قلتُ من قبلُ، إنّ أصدقاءَنا الذين يكونون في حالة العقل هذه هم مضحكون بكلّ بساطة، عندما لا يؤذون الغير؟

بروتارخوس: إنّهم لمضحكون.

سقراط: أو لم نعترف بحالة العقل هذه بأنّها بليّة، مثل الجهل كلّه؟

بروتارخوس: بدون ريب.

سقراط: وهل نشعر بالألم أو اللذّة عند سخريتنا منها؟

بروتارخوس: إنّنا نشعر بالألم بوضوح.

سقراط: واتّفقنا على أنّ مصدر هذه اللذّة التي نشعر بها عند وقوع البلايا بأصدقائنا، هو الحسد؟

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: تبيّن المحاورة إذن أنّنا عندما نضحك على غباوة أصدقائنا فإنّ اللذّة حين اختلاطها بالحسد تختلط بالألم، لأنّنا كنّا قد اعترفنا أنّ الحسد هو ألم عقليّ، والسخرية سارّة؛ ونحن نحسد في مناسباتٍ كهذه ونضحك في اللحظة عينها.

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: وتدلّ المناظرة ضمناً على أن هناك وحدات متآلفة للذّة والألم في النُواح، وفي المأساة والملهاة، ليس على المسرح فقط، بل على مسرح الحياة الإنسانيّة الأكبر؛ وهكذا في الحالات الأخرى التي ليس لها حصر.

بروتارخوس: إنّني لا أرى كيف يستطيع أيّ شخص أن ينكر ما تقوله، يا سقراط، يمكنه أن يكون توّاقاً على كلّ حال لتأكيد الرأي المعاكس لرأيك.

سقراط: إنّي ذكرت، الرغبة، الأسى، الخوف، الحبّ، المنافسة، الحسد، والانفعالات

الأخرى، إنّي ذكرتها كأمثلة يجب أن نجد فيها مزيجاً للعنصرين الاثنين اللذين يُذكران هكذا غالباً؛ ألم أفعل ذلك؟

بروتارخوس: نعم.

سقراط: يمكننا أنْ نلاحظ أنَّ استنتاجاتنا كان لديها إشارة ضمنيّة حتى الآن إلى الأسى والحسد والغضب فقط.

بروتارخوس: إنّني أرى.

سقراط: لا تزال هناك حالات أخرى عديدة إذن؟

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: ولماذا برأيك لفتّ نظرك إلى الامتزاج الذي يأخذ مكانه في الملهاة؟ لماذا فعلت ذلك إن لم يكن لأقنعك بأنّ لا صعوبة في تبيين الطبيعة الممتزجة للخوف والحبّ والتأثيرات المشابهة. واعتقدت عندما أعطيتك التوضيح، أنّك ستدعني وشأني، وأنّك اعترفت كحقيقة عامة بأنّ الجسد بدون الروح، وأنّ الروح بدون الجسد، وكذلك إذا اتحدا، أقول، إنك اعترفت بأنّهما قابلان بكلّ أنواع الاختلاطات للملذّات والآلام؛ وهكذا فإنّ أيّ بحث أبعد من ذلك لن يكون ضرورياً. وبعدُ فإنّي أريد أن أعرف إذا ما كان بإمكاني مغادرة المكان، أو أنّك ستبقيني هنا حتى منتصف الليل؟ أتخيّل بأنّني سأحصل على إطلاق سراحي بدون كلمات كثيرة؛ - إذا وعدتك بأن أعطيك تقريراً عن كلّ هذه الحالات غداً. غير أنّي سأفضّل أن أُبحر في اتجاه آخر في الوقت الحاضر، وأشرع في البحث عن قضايا أخرى تنتظر الحسم، قبل أن يُعطى الحكم الذي يأمر فيليبوس بالبتِّ به.

بروتارخوس: جيّد جدّاً، يا سقراط؛ أسلك طريقتك الخاصّة فيما بقي من القضايا.

سقراط: على الملذّات غير المختلطة أن تأخذ دورها بعد الملذّات المختلطة إذن؛ إنّ هذا النظام هو النظام الطبيعيّ والضروريّ.

بروتارخوس: ممتاز.

سقراط: سأكافح كي أعيّن هذه الملذات إذن، كلاً بدورها. وأنا لا أتّفق مع الذين يؤكّدون الرأي القائل إنّ كلّ الملذات هي توقّف الألم، لكنّني أستخدمها كشهود، كما قلت، أي أنّ هناك ملذات تبدو فقط ولا تكون، وهناك ملذات أخرى مرّة ثانية تمتلك قوّة عظيمة وتظهر في أشكال متعددة، ومع ذلك فهي متمازجة مع الآلام، وتكون تسكينات للصراع العنيف والكرب، للجسم والعقل كليهما.

بروتارخوس: أيّة ملذّات سنكون محقّين في اعتبارها ملذّات حقيقية، يا سقراط؟

سقراط: إنّ الملذات الحقيقية هي تلك الملذات التي يمنحها جمال اللون والشكل، وأكثر تلك الملذات هي التي تنشأ من الروائح. وأيضاً تلك الملذات التي للصّوت مرّة ثانية، وبشكل عامّ تلك الملذات التي يكون التوق لها غير مؤلم وبدون وعي، وتلك التي يكون الاستمتاع بها واضحاً للحسّ وساراً وغير مشوبٍ بالألم.

بروتارخوس: يجب أن أسألك مرة ثانية، ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: إنّ معناي ليس واضحاً بكلّ تأكيد، وسأسعى لأكون أوضح. إنّني لا أعني بجمال الشكل جمال الحيوانات أو الصور، والذي سيتصوّر العديد أنّه ما أعني. لكنّ المناظرة تقول، إفهمني أنّي أعني بقولي هذا الخطوط المستقيمة والدوائر، والأشكال المسطّحة أو المجسّمة التي تُشكّل منها باستدارة المخارط والمساطر وبمقاييس الزوايا؛ وأؤكّد أنّ هذه ليست جميلة بشكل نسبيّ فقط، مثل الأشياء الأخرى، بل إنّها جميلة بشكل أزليّ وبشكل مطلق، وهي تمتلك ملذات متميّزة، غير شبيهة بملذات الحكّ تماماً، وهناك ألوان تكون من الصفة عينها، ولها ملذات مشابهة. هل تفهم معناي الآن؟

بروتارخوس: أحاول أن أفهم، يا سقراط، وآمل منك أن تحاول توضيح معناك.

سقراط: عندما تكون الأصوات لطيفة وجليّة، ولها نبرة مفردة صافية، أعني عندئذ لا تكون جميلة بشكل نسبيّ بل إنّها جميلة بشكل مطلق، وتمتلك ملذات طبيعيّة من الصفة عينها.

بروتارخوس: نعم، هناك ملذّات كهذه.

سقراط: إنّ ملذات الشمّ تكون من نوعٍ أقلّ سماويّة، لكنّها في امتلاكها للألم الممزوج غير الضروريّ، وفي الأسلوب الذي يتمّ الشعور بالمتعة بواسطته، والشخص الذي يشعر بها، فإنّي أعتبرها في كلّ هذا مشابهةً للملذّات الأخرى. هناك إذن نوعان من ملذّاتنا غير الممزوجة.

بروتارخوس: إنّي أفهم ما تعني.

سقراط: يمكن إضافة ملذات المعرفة إلى هذه الملذات، إذا لم يسبقها جوع للمعرفة ولا ألمٌ يُسبّبه هذا الجوع.

بروتارخوس: وتكون هذه هي الحالة.

سقراط: لكن إذا أصبح إنسان طافحاً بالمعرفة ثم فقد هذه المعرفة أخيراً بسبب النسيان، فهل يبدو لك فقدان معرفته أنّه يستتبع أيّ ألم كنتيجة لا بد منها؟

بروتارخوس: ليس بالطبيعة، لكن يمكن أن تكون هناك أوقات للتأمّل المليّ، عندما يشعر هذا الإنسان بالحزن حين يفقد معرفته.

سقراط: نعم، يا صديقي، لكنّنا نعدِّد الإدراكات الحسيّة الطبيعيّة فقط في الوقت الحاضر، وليس لها أيّة علاقة بالتأمّل المليّ.

بروتارخوس: إنّك محقّ في تلك الحالة، محقّ بقولك إنّ فقدان المعرفة لا يصاحبه ألم.

سقراط: إنّ ملذّات المعرفة هذه تكون غير ممتزجة بالألم إذن؛ وهي ليست ملذّات الكثرة بل القلائل جدّاً من الناس.

بروتارخوس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وبعدُ، بما أنّنا فصلنا الملذات الطاهرة وتلك التي يمكن أن تسمّى غير طاهرة بعدل، دعنا نضيف إلى وصفنا لها وصفاً أبعد، فنقول، إنّ الملذات التي تكون في خانة الإفراط ليس لها قياس، لكن تلك الملذات التي لا تكون في الخانة عينها تمتلك قياساً. وسنكون محقّين في نسبة الكثير والمفرط، سواء إذا كانا أكثر أو أقلّ تكراراً، سنكون محقّينَ في نسبتهما إلى صنف اللامتناهي، وإلى الأكثر والأقلّ، اللذين يتدفّقان من خلال الجسد والروح على قدم المساواة. وسننسب الملذّات الأخرى إلى الصنف الذي يمتلك قياساً.

بروتارخوس: حقيقي تماماً، يا سقراط.

سقراط: هناك شيء ما لا بدّ من أخذه بعين الاعتبار بشأن الملذات مع ذلك.

بروتارخوس: ما هو؟

سقراط: عندما تتكلّم أنت عن الطهارة والبساطة، أو عن الإفراط، الوفرة، الكِبَر والكفاية، ففي أيّة علاقة تقف هذه الاصطلاحات بُعداً من الحقيقة؟

بروتارخوس: لماذا تسأل هذا السؤال، يا سقراط؟

سقراط: لأنّني أرغب أن أختبر اللذّة والمعرفة بكلّ طريقة ممكنة، يا بروتارخوس، وإذا وُجد عنصر طاهر وعنصر غير طاهر في كلّ منهما، لأستطيع إحضار العنصر الطاهر للحكم عليه، وسيكون الحكم عليهما من قِبَلي وقِبلِك ومن قِبَلِنا كلّنا أكثر سهولة.

بروتارخوس: الأكثر حقيقة.

سقراط: دعنا نحقّق في كلّ الأنواع الطاهرة؛ مختارين مثلاً مفرداً بادىء ذي بدء للأخذ بعين الاعتبار.

بروتارخوس: أيّ مثل سننتقي؟

سقراط: إفترض أنّنا نأخذ مَثَل البياض قبل كلّ شيء.

بروتارخوس: جيّد جداً.

سقراط: كيف يمكن أن يكون هناك نقاء في البياض، وما هو النقاء؟ هل الأنقى هو ذلك الأكبر أو الأكثر في النوعيّة، أو أنه ذلك الأكثر خلاصاً وحريّة من أي خليط للألوان الأخرى؟

بروتارخوس: إنّه ذلك الأكثر خلاصاً وحريّة بوضوح.

سقراط: حقاً، يا بروتارخوس؛ وهكذا فإنّ اللون الأبيض الأنقى يجب أن يُعتبر اللون الأصدق والأكثر جمالاً، وليس الأكثر أو الأضخم في الحجم.

بروتارخوس: صحيح.

سقراط: وسنكون محقّين تماماً في القول إنَّ اللون الأبيض النقيّ قليلاً هو أكثر بياضاً وجمالاً وصحة من الكميّة الكبيرة الممزوجة؟

بروتارخوس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: لا حاجة لإيراد العديد من الأمثلة المشابهة لتوضيح المناظرة بشأن اللذة. إنّ مثلاً واحداً كهذا كافٍ كي يبرهن لنا أنّ اللذّة الصغيرة، أو أنّ مقداراً صغيراً من اللذة، إذا كانت هذه اللذّة صافية وغير مشوبة بالألم، أقول، إنّ هذه اللذة أكثر مسرّةً وصدقاً وعدلاً من اللذة العظيمة أو من مقدار كبير من لذة نوع آخر.

بروتارخوس: بالتأكيد، والمثل الذي أعطيته كافٍ تماماً.

سقراط: لكن ماذا تقول بشأن سؤال آخر: ـ ألم نسمع أنَّ اللذة هي تولّد على الدوام، وأن ليس لها وجود حقيقي؟ ألا يعلّم هذه العقيدة فلاسفة حاذقون محدَّدون، ألا يجب أن نشكر لهم حسن صنيعهم؟

بروتارخوس: ماذا تعني؟

سقراط: سأشرح ما أعنيه لك، يا عزيزي بروتارخوس، ماذا يعنون بطرح السؤال.

بروتارخوس: إسأل، وسوف أجيبك على سؤالك.

سقراط: إفترض أن هناك طبيعتين، إحداهما موجودة بذاتها، والأخرى تفتقر لشيء ما على الدوام.

بروتارخوس: وأيّ نوع من الطبائع هما؟

سقراط: إنّ إحداهما مَلكيّة أبداً، والأخرى وضيعة.

بروتارخوس: إنّك تتكلّم بالألغاز.

سقراط: لقد رأيتَ صلاتٍ غراميّةً جيّدة وعادلة، ورأيتَ محبّين شجعان لها أيضاً.

بروتارخوس: عليّ أن أصدّق ذلك.

سقراط: إبحث في العالم عن مصطلحين اثنين يشبهان هذين الاثنين، ويكونان موجودين في كلّ مكان.

بروتارخوس: ومع ذلك يجب عليّ أن أقول لك للمرّة الثالثة، كن أكثر وضوحاً، يا سقراط.

سقراط: لا صعوبة في هذا، يا بروتارخوس، إنّ المناظرة هي في طور اللهو فقط، وتلمّح إلى أن شيئاً ما يكون بقصد شيء ما آخر « النسبيّات »، وأنّ الأشياء الأخرى هي الغايات التي يساعدها الصنف السالف الذكر « الحقائق المطلقة ».

بروتارخوس: إنّ تكرار كلماتك المتعدّدة جعلني أفهم ببطء.

سقراط: وعندما تتواصل المناظرة، يا ولدي، أجرؤ على القول إنّ المعنى سيصبح أوضح.

بروتارخوس: من المحتمل جدّاً.

سقراط: هناك مبدآن جديدان اثنان.

بروتارخوس: ما هما؟

سقراط: أحدهما هو تولُّد كلّ الأشياء، والآخر هو الوجود.

بروتارخوس: إنّي أقبل منك بالتولّد والوجود كليهما عن طيب نفس.

سقراط: حقيقيّ جداً. وهل ستقول إنّ التولّد يكون من أجل الوجود، أو أن الوجود يكون من أجل التولّد؟

بروتارخوس: تريد أن تعرف إذا ما كان ذلك الذي يدعى وجوداً مساعداً للتولّد في جوهره.

سقراط: نعم.

بروتارخوس: قل لي، إنّي أتوسّل إليك، قل لي إذا ما كان هذا هو السؤال الذي تسأله: هل تعتقد، يا بروتارخوس، أنّ علم بناء السفن يكون من أجل السفن، أو أنّ السفن تكون من أجل علم بناء السفن، وينطبق هذا على كلّ الحالات الأخرى بشكل مماثل؟

سقراط: إنّ هذا السؤال هو سؤالي بالضبط.

بروتارخوس: لماذا لا تجيب نفسك بنفسك، يا سقراط؟

سقراط: ليس لديَّ أيّ اعتراض على فعل ذلك، لكن ينبغي عليك أن تأخذ دورك في المحاورة.

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: جوابي هو أنّ كلّ الأشياء الوسيليّة، العلاجيّة، الماديَّة، تُعطى لنا من أجل التولّد والنشوء؛ وأنّ كلّ التولّد هو ذو صلةٍ بوجودٍ أو جوهرٍ هامّ أو من أجله؛ وأنّ التولّد بمجمله يكون متعلّقاً بالوجود كلّه.

بروتارخوس: بكلّ تأكيد.

سقراط: يجب أن تكون اللذّة إذن من أجل مخلوق ما، كونها تولّداً؟

بروتارخوس: صدقاً.

سقراط: وذلك الذي فُعل من أجله شيء ما آخر، ينبغي أن يُوضع في صنف الخير. وأمّا ذلك الذي فُعل من أجل شيء ما آخر، فيجب وضعه في صنفٍ ما آخر، يا صديقي الصالح.

بروتارخوس: الأكثر دقّة.

سقراط: ستوضع اللذّة حينئذ وبحقّ في صنف آخر ما غير الخير كونها تولّداً؟

بروتارخوس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: إذن، وكما قلت في البداية، يجب أن نكون شاكرين جدّاً لمن أشار إلى أنّ اللذّة كانت تولّداً فقط، وليس لها وجود حقيقيّ على الإطلاق؛ وهو نفسه الذي يسخر بوضوح من الفكرة التي تشير إلى أنّ اللذّة جيّدة.

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: وهو نفسه سيهزأ بدون ريب من أولئك الذين يجعلون التولّد غايتهم الأسمى.

بروتارخوس: عمّن تتكلّم، وماذا تعني؟

سقراط: إنّني أتكلّم عن أولئك الذين يُسَرّون عندما يُشْفَون من الجوع أو العطش أو من أيّ خللٍ آخر بعملية ما للتولّد. ويبتهج هؤلاء بهذه العمليّة لأنّها لذّة؛ ويقولون إنّهم لن يرغبوا في أن يعيشوا بدون هذه المشاعر الحسيَّة وبعض المشاعر الأخرى المشابهة التي يمكن ذكرها.

بروتارخوس: يبدو أنّ هذا ما يفكرون به بدون ريب.

سقراط: ألمْ يتمّ الاعتراف بأنّ الدمار هو ضدّ التولّد وبشكل عالميّ؟

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: إنَّ من يختار ذلك إذن، فإنّه سيختار التولّد والدمار بدل اختياره النوع الثالث من أنواع الحياة، الذي ليس فيه لا لذّة ولا ألم، كما قلنا، بل فيه الأفكار الأنقى الممكنة.

بروتارخوس: إنَّ مَنْ يجعلنا نعتقد بأنّ اللذّة خير يتورّط في مساخر عظيمة، يا سقراط.

سقراط: إنّها لمساخر عظيمة حقاً؛ وهناك مساخر أخرى أعظم منها برغم ذلك.

بروتارخوس: ما هي؟

سقراط: ليس هناك سخرية في المجادلة أنّه لا شيء خيِّراً أو نبيلاً في الجسم، أو في أيّ شيء آخر، بل المجادلة أنَّ الخير يكون في الروح فقط، وأنّ خير الروح الوحيد هو اللذة، وأنّ الشجاعة أو الاعتدال أو الفهم، أو أيّ خير روحيّ آخر، ليس خيراً في الحقيقة؟ - أليس هناك مهزلة أبعد من ذلك في كوننا مجبرين لنقول إنَّ من لديه شعور بالألم وليس باللذّة، فإنّ هذا الشعور يكون سيّئاً لمن يقاسيه في وقته، حتّى برغم أنّه يكون أفضل الرجال. ومرّة ثانية، فإنّ من يكون لديه شعور باللذّة، بقدر ما يكون مسروراً في الوقت حين يكون مسروراً فيه، فإنّه يتفوّق في تلك الدرجة من الفضيلة.

بروتارخوس: لا شيء يمكنه أن يكون أكثر لاعقلانيّة من كلّ هذا، يا سقراط.

سقراط: وبعدُ، بما أنّنا أخضعنا اللذّة لكلّ نوع من أنواع الاختبار، دعنا لا نبدو مستغنين عن الفكرة والمعرفة أيضاً؛ دعنا نقرع معدنهما بشجاعة، ونرى إذا كان هناك أيّ خللٍ في أيّ جزء منه، إلى أن نكتشف أيّة طبيعة من طبائعه هي الأنقى، ويمكن عندئذ إحضار العناصر الأصدق من عناصر اللذّة والمعرفة كليهما للحكم عليها.

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: وفي الفنون الإنتاجيّة أو الحرفيّة، ألا يكون جزء واحد منها أكثر صلة بالمعرفة، والجزء الآخر أقلّ صلة بها؟ أولاَ يمكن أن يُعتبر أحد الجزأين وكأنّه الأنقى، والجزء الآخر كأنّه الأكثر دنساً؟

بروتارخوس: بدون ريب.

سقراط: دعنا نفصل العناصر الأسمى أو المسيطرة في كلٍّ منها.

بروتارخوس: ما هي هذه العناصر، وكيف تفصلها؟

سقراط: أعني إذا أُقْصِيَ علم الحساب، فنّ القياس، والأوزان، من أيّ فنّ، فإنّ الباقي فيها لن يكون كثيراً.

بروتارخوس: لن يكون كثيراً، بكلّ تأكيد.

سقراط: إنّ الفنون الباقية ستكون فنوناً حدسيّة فقط، والاستخدام الأفضل للحواس الذي تعطيه الخبرة والمراس بمساعدة قوّة محدّدة للتخمين، الذي يسمّى فنّاً بشكل عامّ، ويتمّم بالعناية والآلام.

بوتارخوس: ليس بأكثر من ذلك، بكلّ تأكيد.

سقراط: إنّ علم الموسيقى، كمثال، يمتلىء بهذه الملاحظات التجريبيّة؛ لأنّ الأصوات تكون متناسقة ليس بالقياس، بل بالحدس فقط. إنّ موسيقى الناي تحاول دائماً أن تخمّن درجة النغم لكلّ علامة موسيقية مهتزّة، وتكون ممزوجة لهذا السبب بكثير من الذي يحوم حوله الشكّ ويمتلك قليلاً من الذي يكون مؤكّداً.

بروتارخوس: الأكثر حقيقة.

سقراط: وسيوجد الشيْء عينه صحيحاً عن علم الطبّ وعلم الزراعة وعلم إدراة السفن وقيادة الجيوش.

بروتارخوس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: إنّ فنّ البناء، على الجانب الآخر، الذي يستخدم العدد والأقيسة والأدوات، إنّ هذا الفنّ يصل بمساعدتها إلى درجة أعظم من الدقّة أكثر مّما يصله أيّ فنّ آخر.

بروتارخوس: كيف يكون ذلك؟

سقراط: إنّ البنّاء لديه مسطرة، مخرطة، بيكار، والآلة الأكثر حذقاً لجعل الخشب مستقيماً. إنّ هذا البنّاء يستعملها في بناء السفن وبناء البيوت، وفي فروع فن النجارة الأخرى.

بروتارخوس: حقيقيّ جدّاً، يا سقراط.

سقراط: إذن، دعنا الآن نقسّم الفنون التي كنّا نتكلّم عنها، دعنا نقسّمها إلى

نوعين اثنين ـ إنّ الفنون، مثل فنّ الموسيقى، هي أقل دقّة في نتائجها، وتلك الفنون التي تشبه فنّ النجارة هي أكثر دقّة.

بروتارخوس: دعنا نوجد هذه القسمة.

سقراط: أمّا عن الصنف الأخير، فإنّ أكثره دقّة منها جميعاً هو تلك الفنون التي تكلّمنا عنها لتوّنا وكأنّها فنون رئيسيّة.

بروتارخوس: أرى أنّ ما تعنيه هو فنّ الحساب، والفنون الشقيقة للوزن والقياس.

سقراط: إنّني أعني ذلك بكل تأكيد يا بروتارخوس، لكن أليست هذه الفنون فنوناً متميزّة في نوعين اثنين؟

بروتارخوس: ما هما هذان النوعان؟

سقراط: إنّ علم الحساب ذو نوعين اثنين، في المقام الأول، أحدهما شعبي، والآخر فلسفي.

بروتارخوس: كيف ستميّزهما؟

سقراط: هناك فرق كبير بينهما، يا بروتارخوس. إنّ بعض علماء الحساب يحسبون وحدات غير متساوية، كمثال، جيشين، ثورين، شيئين اثنين كبيرين جدّاً أو صغيرين جدّاً. أمّا الجهة التي تعارضهم فيؤكّد أصحابها أنّ كلّ وحدة في عشرة آلاف يجب أنّ تكون الشيء عينه مثلما تكون كلّ وحدة أخرى.

بروتارخوس: هناك فرق كبير بدون شكّ، وكما تقول، بين مريدي العلوم. ويمكن الافتراض بعقلانيّة أن يكون هناك نوعان اثنان من أنواع علم الحساب.

سقراط: ومتى نقارن فنّ القياس الذي يُستخدم في البناء بالهندسة الفلسفيّة، أو نقارن فنّ الحساب الإحصائي الذي يُستخدم في التجارة بالحساب الدقيق، هل سنقول عن كلٍّ من الزوجين إنّهما واحد أو اثنين؟

بروتارخوس: إني أرى أنّهما يكونان اثنين، كلٌّ بمفرده، بناءً على تناظر الأشياء التي سبقت.

سقراط: صحيح؛ لكن هل تفهم لماذا بحثت أنا هذا الموضوع؟

بروتارخوس: أتصوّر ذلك، غير أنّي سأحبّ منك أن تخبرني السبب.

سقراط: لقد بحثت المناظرة عن شَبَهٍ للذّة منذ البدء، وعن شَبَهٍ حقيقيّ لذلك المقصد الأصليّ، ولقد واصلت المناظرة السؤال إذا ما كان نوع واحد من أنواع المعرفة أنقى من النوع الآخر، مثلما يكون نوع واحد من أنواع اللذّة أنقى من النوع الآخر.

بروتارخوس: تلك كانت النيّة بوضوح.

سقراط: أولم تبيّن المناظرة فيما تقدّم من البحث، أنّ الفنون تمتلك مقاطعات مختلفة، وأنّ هذه الفنون تتنوّع في درجات حقيقتها؟

بروتارخوس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: أوَلم تدلّ المناظِرة لتوّها الآن على فنّ خاصّ باصطلاحٍ عامّ، جاعلةً إيّانا نعتقد في وحدة ذلك الفنّ؟ ومرّة ثانية بعدئذ، وكأنّها متكلّمة عن شيئين اثنين مختلفين، تتقدّم لتحقّق إذا كان الفنّ، سواء كما يلاحقه الفلاسفة، أو كما يلاحقه اللافلاسفة، يمتلك أكثر من الثقة والصفاء؟

بروتارخوس: إنّ ذلك السؤال هو الذي تطرحه المناظرة بالتحديد.

سقراط: وكيف سنجيب على هذا السؤال، يا بروتارخوس؟

بروتارخوس: أوه يا سقراط، إنّنا وصلنا إلى النقطة التي يكون فرق النقاء فيها في نوعين مختلفين من أنواع المعرفة، وإنّه لفرق عظيم.

سقراط: سيكون الجواب أسهل حينئذ.

بروتارخوس: بالتأكيد. ودعنا نقول إجابةً على هذا، إنّ العلوم الحسابيّة والهندسيّة تتفوّق على كلّ العلوم الأخرى بشكل بعيد؛ وإنّ فروعها المفعمة بحيوية ونشاط الدفع الفلسفي النقيّ هي أسمى في الدقّة والحقيقة فيما يتعلّق بمقاييسها وأعدادها بشكل مطلق.

سقراط: إنّ هذا حكمك عنها إذن؛ وهذا هو الجواب الذي سنعطيه لكلّ معلّمي فنّ إساءة التفسير، بناء على سلطتك.

بروتارخوس: أيّ جواب؟

سقراط: هناك فنّانِ اثنان لعلم الحساب، وفنّانِ لعلم القياس؛ وهناك فنون متعدّدة أخرى أيضاً تمتلك هذه الطبيعة المضاعفة بأسلوب مماثل، ومع ذلك فإنّ لها إسماً واحداً.

بروتارخوس: دعنا نعيد هذا الجواب بيسالة إلى المعلمين الذين تتكلّم عنهم، يا سقراط، وأن نتمنّى لهم حظاً سعيداً.

سقراط: لقد شرحنا ما نسمّي الفنون الأكثر دقّة أو شرحنا العلوم.

بروتارخوس: جيّد جداً.

سقراط: وبرغم هذا، يا بروتارخوس، فإنّ علم الجدل سيرفض الاعتراف بنا، إنْ لم نمنحه المكانة الأولى.

بروتارخوس: صلّ، ما هو علم الجدل؟

سقراط: سيدرك كلّ شخص ما ندعوه هنا بذلك الإسم بوضوح. إنّي لمتأكّد أنّ كلّ الرجال الذين يمتلكون ذرّة من الذكاء سيقرّون أنّ المعرفة التي لها علاقة بالوجود والحقيقة، والشيء عينه والثابت، هي المعرفة الأصدق من المعارف كلّها ببعد كبير. لكن كيف ستقرّر هذا السؤال، يا بروتارخوس؟

بروتارخوس: إنّي سمعت جورجياس يؤكّد غالباً، ياسقراط، أنّ فنّ الإقناع يبزُّ المعارف الأخرى جميعاً. وكما يقول هو، فإنّ هذا الفنّ أفضلها ببعد كبير، لأنّ كلّ الأشياء الأخرى تخضع له، ولا تفعل ذلك بالإكراه، بل بإرادتها الحرّة الخاصّة. وبعدُ، فإنّي لا أحبّ أن أجد نفسي على الجانب المضادّ لا للّذي يخصك ولا للّذي يخصّه.

سقراط: أعتقد أنّك كنت ستقول « في المعسكر المضاد » إنْ لم تستحِ من قولك هذا؟

بروتارخوس: قلْ ما يحلو لك.

سقراط: وهل أمكنني أن أقودك إلى سوء الفهم؟

بروتارخوس: كيف؟

سقراط: يا عزيزي بروتارخوس، إنّني لم أسأل أبداً أيّة فنون أو علوم هي العلوم الأعظم أو الأفضل أو الأنفع، بل سألت أيّها يمتلك الصفاء والدقّة، ويمتلك المقدار الأكبر من الحقيقة، مهما تكن هذه الفنون والعلوم متواضعة ونفعها قليلاً. وأمّا فيما يخصّ جورجياس، فإنّك إذا لم تُفكر أنَّ فنه يحوز الأفضلية في نفع الجنس البشريّ، إذا لم تفعل ذلك فلن يخاصمك عندما تقول إنّ الدراسة التي أتكلّم عنها هي أسمى دراسة على وجه التخصيص للحقيقة الجوهريّة؛ تماماً كما عند مقارنة الألوان البيضاء، إذ يقال عن البياض القليل، إذا كان هذا القليل نقيّاً فقط، يقال عنه إنّه أسمى في الواقع من حجمٍ كبير لبياضٍ غير نقي. وبعدُ دعنا لا نعطي أفضل انتباهنا ولا أن نتأمّل جيّداً الاستخدام المقارَن للعلوم أو لمكانتها المرموقة، بل نعطيه للقوّة أو الملكة العقلية التي تمتلكها الروح في محبّة الحقيقة، إذا وُجد شيء كهذا، وكذلك لعمل كلّ الأشياء من أجلها. دعنا نبحث في عنصر التفكير النقيّ وفي الذكاء، وسنكون قادرين حينئذ على أن نقول سواء إذا كان العلم الذي قد تكلّمت عنه هو العلم الأكثر اقتناءً لهذه الملكة العقلية على الأرجح، أو أن هناك ملكة عقلية أخرى لديها مطالب أسمى.

بروتارخوس: حسناً، إنّني فكّرت مليّاً، وأستطيع أن أتصوّر بصعوبة أنَّ أيّ علم أو فنّ آخر لديه إدراك أقوى للحقيقة من هذا العلم.

سقراط: هل تقول هذا لأنك تلاحظ أنّ الفنون بشكل عامّ، وأنّ تلك الفنون المشغولة بها تبدي استعمالاً للرأي، وأنّها منشغلة بالتحقيق في قضايا الرأي بشكل كلّيّ؟ حتى أنَّ مَنْ يفترض نفسه منشغلاً بالطبيعة فإنّه يكون منهمكاً

بأشياء هذا العالم في الواقع: كيف خُلق، كيف يفعل، وكيف يكون منفعلاً. أليس هذا النوع من التحقيق هو التحقيق الذي يقضي حياته فيه؟

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: إنّه لا يكون منهمكاً في تعقّب الوجود الأزليّ، بل ينهمك بشأن الأشياء التي تكون صائرة، أو بخصوص الأشياء التي ستصبح أو أصبحت.

بروتارخوس: حقيقيّ جداً.

سقراط: وهل نستطيع أن نقول إنّ أيّاً من هذه الأشياء التي لم تثبت ولن تتوطّد، والتي لا تترشّح في اللحظة الحاضرة، هل نستطيع أن نقول إنّها تصبح أكيدة قطّ عندما يتمّ الحكم عليها بقياس الحقيقة الدقيقة؟

بروتارخوس: مستحيل.

سقراط: كيف يقدر أيّ شيء مرشّح أن يُعنى بذلك الذي ليس لديه ثبات؟

بروتارخوس: كيف يقدر على ذلك حقاً؟

سقراط: إذن فإنّ العقل والعلم عندما يوظّفان بشأن أشياء كهذه متغيّرة فلن ينالا الحقيقة الأسمى؟

بروتارخوس: عليّ أنّ لا أتصوّر ذلك.

سقراط: وبعدُ دعنا نقول وداعاً، بل وداعاً طويلاً، لك أو لي أو لفيليبوس أو لجورجياس، ونثير نقطة أساسيّة مفردة بالنيابة عن المناظرة.

بروتارخوس: أيّة نقطة؟

سقراط: دعنا نقول إنّ الثابت والطاهر والحقيقيّ وغير المشوب بأيّة شائبة هو ذو علاقة بالأشياء الأزليّة وغير المتغيرة وغير الممتزجة، أو إنْ لم يكن هذا، فإنّه ذو علاقة على أيّة حال بالأشياء الأكثر قرابة لها وصلة بها. وإنّ كلّ الأشياء الأخرى يجب أن تُوضع في الصنف الثاني أو الصنف الوضيع.

بروتارخوس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وماذا عن الأسماء التي تعبّر عن الإدراك، ألا يجب أن يُعطى أجملها لأجمل الأشياء؟

بروتارخوس: إنّ ذلك لطبيعيّ.

سقراط: أليس العقل والحكمة هما الإسمان اللذان يجب أن يُكرّما التكريم الأكثر؟

بروتارخوس: نعم.

سقراط: ولهذا السبب يمكن أن يقال عن هذين الإسمين إنّ لديهما الاستخدام الأكثر حقيقة ودقّة عندما يكون العقل مشغولاً في التأمّل المليّ للوجود الحقيقي؟

بروتارخوس: بدون ريب.

سقراط: وهذان الإسمان اللذان أوردتهما، هما الإسمان المنافسان للّذة؟

بروتارخوس: حقيقيّ جداً، يا سقراط.

سقراط: وفي المقام التالي، وأمّا فيما يخصّ المزج فتكون مقوماته هنا اللذّة والحكمة، ويمكن مقارنتنا بفنانَين يمتلكان موادهما جاهزة بأيديهما.

بروتارخوس: نعم.

سقراط: وبعد يجب علينا أن نبدأ بمزجهما.

بروتارخوس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: لكن أليس من الأفضل لنا أن نحوز كلمة تمهيديّة وأن ننشّط ذاكرتنا؟

بروتارخوس: عن ماذا؟

سقراط: عن ذلك الذي ذكرته لتوّي، وحسناً ما ورد في المثل، وهو أنّنا ينبغي أن نردّد ذلك الخيّر مرّتين وحتّى ثلاث مرّات.

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: حسناً إذن، أستحلفك بزيوس، دعنا نواصل المحاورة، وسأخلق ما أعتقد أنّه خلاصة جيّدة للمناظرة.

بروتارخوس: دعني أسمع.

سقراط: يقول فيليبوس إنّ اللذّة هي الغاية الحقيقية لكلّ المخلوقات الحيّة والتي يجب أن تهدف لها جميعاً، ويقول أكثر من ذلك، يقول إنّها هي الخير الرئيس من بين الخيرات كلّها، وإنّ الإسمين الإثنين « الخير » و« السارّ » يُعطيان لشيء واحد ولطبيعة واحدة بشكل صحيح. [يبدأ سقراط بإنكار هذا، على الجانب الآخر، ويقول ما هو إضافة على ذلك، وهو أنّ هذين الإسمين هما إسمان اثنان في الأسماء كما هما في الطبيعة، ويقول إنّ الحكمة تشترك في الخير أكثر من اشتراك اللذّة فيها]. أليس هذا ما قلناه يا بروتارخوس أم لا؟

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: هل هناك نقطة رئيسيّة إضافة على تلك التي سلّمنا بها أم لا؟

بروتارخوس: ما هي؟

سقراط: إنّ الخير يختلف عن كلّ الأشياء الأخرى.

بروتارخوس: في أيّ خصوص؟

سقراط: في أنّ الوجود الذي يقتني الخير دائماً وفي كلّ مكان وفي كلّ الأشياء يمتلك الكفاية الأكثر تماماً وليس بحاجة لأيّ شيء آخر قطّ.

بروتارخوس: بالضبط.

سقراط: ألمْ نكافح كي نخلق فصلاً تخيّلياً للحكمة واللذّة، مخصّصين لكلّ منهما حياة مميّزة؟ وهكذا فإنّ اللذّة أُقصيت بالجملة عن الحكمة. وفي أسلوب مماثل فإنّ الحكمة لم يعد لها أيّ دورٍ في اللذّة أيّاً كانت.

بروتارخوس: لقد فعلنا ذلك.

سقراط: وهل افتكرنا أنّ أحدهما سيكون كافياً بمفرده؟

بروتارخوس: لا بالتأكيد.

سقراط: وإذا أخطأنا في أيّة نقطة رئيسيّة، دع أيّ شخص يشاء أن يستأنف

التحقيق عندئذ مرّة ثانية وأن يقوِّم هذا الخطأ. ولنفترض أنّ الذكرى والحكمة والمعرفة والرأي الصحيح تخصّ الصنف عينه، دعه يعتبر إن كانت لديه الرغبة في أن يقتني اللذّة، أو أن ينال، ـ ولن أقول اللذّة، مهما كانت وافرة وحادّة، إذا لم يكن لديه إدراك حسي حقيقي بأنّه مسرور بها، ولا أيّ وعي بما يشعر به، ولا أيّ تذكّر، مهما كان سريع الانقضاء للشعور بها، ـ لكن هل سيرغب هو أن يمتلك أيّ شيء على الإطلاق إذا كانت تعوزه هذه الملكات العقليّة؟ وإنّني أسأله السؤال عينه عن الحكمة. هل تستطيع أن تتصوّر أنّ أيّ شخص يختار لنفسه امتلاك الحكمة كلّها خالية من اللذّة بشكل مطلق، بدلاً من امتلاكه لها بدرجة محدّدة من اللذّة، أو أن يحوز اللذّة كلّها مجرّدة من الحكمة بدلاً من امتلاكه لها بدرجة محدّدة من الحكمة؟

بروتارخوس: لا بالتأكيد، يا سقراط؛ لكن لماذا تردّد أسئلة كهذه بعد الآن؟

سقراط: إذن فإنّ الخير التامّ والكامل والمفضّل عالمياً لا يمكن أن يكون واحداً منها بأيّة حال.

بروتارخوس: مستحيل.

سقراط: وبعدُ يجب علينا أن نؤكّد طبيعة الخير أكثر أو أقلّ دقّة، كي يمكننا أن نخصّص المكان الثاني كما ينبغي، مثلما قلنا؟

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: ألم نجد طريقاً يهدينا إلى الخير؟

بروتارخوس: أيّ طريق؟

سقراط: لنفترض أنّك وجدتَ إنساناً، وأنّك استطعت أن تكتشف في أيّ بيت يعيش، ألن تكون هذه الخطوة خطوة كبيرة نحو اكتشاف الإنسان نفسه؟

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: وبعدُ، فإنّ العقل يعلن لنا، كما أعلن في بداية محاورتنا أنّه ينبغي علينا أن نبحث عن الخير، ليس في الحياة الصِّرْفة بل في الحياة الممزوجة.

بروتارخوس: صدقاً.

سقراط: هناك أمل أكبر لإيجاد ذلك الذي نبحث عنه في الحياة الممزوجة جيّداً بدلاً من الحياة التي تكون عكس ذلك.

بروتارخوس: هناك أمل أكبر بكثير.

سقراط: إذن، دعنا الآن نمزج، يا بروتارخوس، وأن نصلي لديونيسوس أو لهيفياستوس، أو لأيّ إلهٍ كان، يشرف على احتفال المزج في الوقت عينه.

بروتارخوس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: ألسنا نحن حاملي الكأس؟ وهنا نافورتان اثنتان تتدفقان إلى جانبنا: إحداهما نافورة اللذّة، والتي يمكن أن نشبّه بنافورة من العسل؛ والأخرى نافورة الحكمة، وهي جرعة متّسِمةٌ بالاعتدال والجدّ وضبط النفس والتي لا يمتزج بها أيّ نبيذ، لكنّها ذات ماء عَقُول لكنه ماء صحّيّ، وينبغي علينا أن نسعى لنصنع من هاتين النافورتين الخليط الممكن الأكثر جمالاً من كلّ الامتزاجات.

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: قل لي بادىء ذي بدء: هل سننجح بالاحتمال الأكثر ترجيحاً إذا مزجنا كلّ نوع من أنواع اللذّة مع كلّ نوع من أنواع الحكمة؟

بروتارخوس: لربما أمكننا أن ننجح.

سقراط: لكنّني أخشى المخاطرة، وأعتقد بأنّني أقدر على أن أبيِّن تخطيطاً أسلم.

بروتارخوس: وما هو؟

سقراط: لقد افترضنا أنّ إحدى اللذات أصدق من الأخرى؛ وأنّ أحد الفنون أكثر دقّة من الآخر.

بروتارخوس: بكلّ تأكيد.

سقراط: وافترضنا أن هناك فرقاً في العلوم؛ لأنّ بعضها يُعتبر الزائل والهالك، وبعضها يُعتبر الدائم، الأبديّ الثابت والذي لا يفنى. وعندما حكمنا على العلوم الأخيرة بمقياس الحقيقة، كما تصوّرنا، فإنها كانت أصدق من العلوم السابقة.

بروتارخوس: حقيقيّ تماماً وصحيح.

سقراط: إذا كان علينا بعدئذ أن نبدأ بمزج جزء من كلّ صنف يمتلك الحقيقة الأكثر، أفلن يكفي اتّحادها كي يهبنا الحيوات الأبدع والأجمل من الحيوات جميعاً، أو هل سنبقى بحاجة لبعض العناصر من نوعٍ آخر؟

بروتارخوس: أعتقد أنّه يلزمنا أن نفعل ما تقترح.

سقراط: دعنا نفترض إنساناً يفهم طبيعة العدل، وأنّ له من قوّة التعقل قوةً ليست وضيعة إذا قيست بفهمه؛ وأكثر من ذلك، لندعه يحوز الإدراك عينه لكلّ الأشياء.

بروتارخوس: سنفترض إنساناً كهذا.

سقراط: هل سيمتلك هذا الإنسان معرفة كافية إذا كان ملمّاً بدائرة وعالم الألوهية فقط، ولا يعرف أيّ شيء عن عالمنا ومجالنا الإنساني، إلى حد أنّه لا يعرف في عملية البناء أو في أيّة عملية أخرى، لا يعرف إذا ما كان ممسكاً بمسطرةٍ مستقيمة أو بدائرة؟

بروتارخوس: إنّ المعرفة التي تكون فوق مستوى البشر فقط، يا سقراط، تكون مُضحِكةً للإنسان.

سقراط: ماذا تعني؟ هل تعني أنك ستضع في الكأس الفنّ الممزوج واللانقيّ والذي هو للشك، والذي يستخدم القياس الزائف والدائرة الباطلة والكاذبة؟

بروتارخوس: نعم، يجب أن نفعل ذلك، إذا ما كان أيّ واحد منا مصمّماً على أن يجد طريقه إلى البيت.

سقراط: وهل أنا لأضمِّن فنّ الموسيقى، والذي قلتَ عنه لتوِّي، إنه ممتلىء بالعمل التخمينيّ والتقليد، ويفتقر للنقاء؟

بروتارخوس: نعم، يجب أن تفعل ذلك، وإذا ما كان على حياة الإنسان أن تكون حياة على الإطلاق.

سقراط: حسناً إذن، افترض أنّني أفسح مجالاً لذلك، ومثل البوّاب الذي يدفعه الغوغاء ويقهرونه، وافتح الباب على مصراعيه، ودع المعرفة من كلّ نوع تتدفق إلى الداخل، ويختلط النقيّ منها بغير النقيّ.

بروتارخوس: لا أعرف، يا سقراط، أنّه سيحدث ضرر كبير من حيازتها كلّها، إذا امتلكت النوع الأوّل منها فقط.

سقراط: حسناً إذن، هل سأدعها تدخل كلّها إلى ما يسمّيه هوميروس شعرياً « التقاء المياه »؟

بروتارخوس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: ها إني قد سمحت لها بالدخول، والآن يلزمني أن أعود إلى نافورة اللذّة. نحن لم يُسمح لنا أن نبدأ بخلط أجزائهما كليهما في جدولٍ مفرد طبقاً لنيتنا الأصليّة؛ لكنّ حبنا للمعرفة كلّها أَجبرنا على السماح للعلوم بمجملها لتتدفّق إلى الداخل معاً قبل دخول الملذات.

بروتارخوس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وبعدُ لقد. حصلنا على الوقت الذي يجب أن تتأمّل مليّاً أثناءه بشأن الملذّات أيضاً، وإذا ما كنا سندعها تمرّ كلّها في الحال بأسلوب مماثل، أو أنّنا سنسمح للملذّات الحقيقية أن تمرّ أوّلاً.

بروتارخوس: إنّ طريقة السماح للملذات الحقيقية بالمرور أوّلاً هي الطريقة الأسلم ببعد كبير.

سقراط: دعها تتدفّق إذن؛ وبعدُ، إذا كانت هناك أية ملذات ضروريّة، مثلما هناك فنون وعلوم ضروريّة، أفلا يجب أن نمزجها؟

بروتارخوس: نعم؛ ينبغي أن يُسمح للملذات الضرورية أن تُمزج بكلّ تأكيد.

سقراط: لقد تمَّ الاعتراف بأنّ معرفة الفنون بريئة ونافعة على الدوام؛ وإذا قلنا عن الملذات إنّها صالحة كلّها وبريئة لنا كلّنا في كلّ الأوقات في أسلوب مماثل، فيلزم أن ندعها تمتزج جميعها؟

بروتارخوس: ماذا سنقول بشأنها، وأيّة طريقة سنسلك؟

سقراط: لا تسألني، يا بروتارخوس؛ بل إسأل بنات اللذّة والحكمة نفسها.

بروتارخوس: كيف؟

سقراط: أخبرننا، أوه يا حبيباتنا: هل سندعوكنّ لذات أو سنسميكنّ باسم آخر؟ هل ستفضلنَ أن تحيين بالحكمة أو بدونها؟ إنّني أرى أنّهنّ سيجبنَ كما يلي:

بروتارخوس: كيف سيجبْن؟

سقراط: إنّهنّ سيجبن، كما قلنا سابقاً: « ليس جيّداً لأيّ صنفٍ مفرد أن يُترك صافياً ومنعزلاً بنفسه؛ وليس ممكناً أن يكون معاً. وإذا كان علينا خلق مقارنات لصنف واحدٍ بالصنف الآخر ونختار واحداً منهما، فليس هناك رفيق أفضل من معرفة الأشياء بشكل عامّ، ومن اختيار المعرفة التامّة، إذا أمكن ذلك، اختيارها عن كلٍّ من أنفسنا في كلّ ناحية بشكل مماثل ».

بروتارخوس: وسيكون جوابنا لهن: ـ أنتنَّ تكلمتنَّ جيّداً في ذلك.

سقراط: حقيقي جداً، ودعنا نعود الآن ونستجوب الحكمة والعقل ونقول لهما: ـ هل ستحبّان امتلاك الملذّات في المزيج؟ وسيجيبان: « أيّة ملذات تعني؟ »

بروتارخوس: مرجّح بما فيه الكفاية.

سقراط: سنستأنف حكايتنا ذات المغزى الأخلاقيّ ونقول لهما: ـ هل ترغبان امتلاك الملذّات الأعظم والأكثر اتقاداً لرفاقكما بالإضافة إلى الملذات الحقيقية؟ سيقولان: « لماذا، يا سقراط، كيف نستطيع أن نفعل ذلك؟ آخذين بعين الاعتبار أنها أصل عشرات الآلاف من المعوّقات التي تمنعنا من الوصول

إلى الخير؛ إنّها ترهق أرواح الرجال بجنونها والتي هي مسكن لنا. إنّها تعوّقنا من الوصول إلى الوجود، وهي الدمار للأطفال الذين يولدون لنا بشكل عامّ، مسبّبة لهم النسيان واللامبالاة. لكن الملذات الحقيقيّة والنقيّة، التي تتكلّم عنها، فيمكنك أن تعتبرها من فصيلتنا، وأيضاً تلك الملذّات التي تصاحب الصحّة والاعتدال، والتي تكون، مثل الآلهة، ولديها في موكبها كلّ فضيلة كي تتبعها حيثما تذهب ـ أُمزج هذه الملذات ولا تمزج الملذات الأخرى؛ سيكون هناك حاجة ماسّة للإدراك في أيّ شخص يرغب في أن يرى المزيج العادل الجميل والتناسق التامّ، وليجد فيه ما هو الخير الأسمى في الإنسان وفي العالم، وليؤلّه الذي هو الصورة الحقيقية للخير ـ ستكون هناك حاجة كبيرة عنده لسماحه للملذّات، التي تكون في صحبة الغباء والرذيلة على الدوام، أن تمتزج مع العقل في الكأس هذه » ـ أليس هذا جواباً منطقيّاً جداً ومناسباً صنعه العقل بالنيابة الخاصّة عنه، كما بالنيابة عن الذاكرة والرأي الصحيح كليهما؟

بروتارخوس: الأكثر تأكيداً.

سقراط: ويجب أن يكون هناك شيء ما كي نضيفه لِمَا قلناه، والذي هو الجزء المقوّم في كلّ خليط.

بروتارخوس: وما هو ذلك؟

سقراط: ما لم تدخل الحقيقة في التركيب، فلا شيء يستطيع أن يُخلق أو يُوجد بحقّ.

بروتارخوس: مستحيل.

سقراط: مستحيل تماماً. وبعدُ يجب أن تخبرني أنت وفيليبوس إذا ما كان أيّ شيء يحتاجه المزيج. وطريقتي في التفكير تقول إنّ المناظرة قد أُكملت الآن، ويمكن أن تُقارن بقانونٍ روحيّ، يؤدّي إلى إحداث قانون عادل على الجسم الحيّ.

سقراط: ماذا يوجد في المزيج إذن مما هو الأكثر قيمة، وما هو السبب الرئيس
الذي من أجله تكون حالةٌ كهذه محبوبةً بالجميع بشكل شامل؟ ع
اكتشافنا لها سنواصل السؤال عمّا إذا كانت هذه الطبيعة الكليّة الوجود أك
مجانَسة للّذة أو للعقل؟

بروتارخوس: حقيقيّ تماماً؛ سنكون قادرين على أن نعطي حكماً في تلك الطري
بشكلٍ أفضل.

سقراط: ولا صعوبة في مشاهدة السبب الذي يصيّر أيّ مزيج إمّا من القي
الأسمى، أو أن لا قيمة له على الإطلاق.

بروتارخوس: ماذا تعني؟

سقراط: إنّ كلّ إنسان يعرف ما أعنيه.

بروتارخوس: ماذا؟

سقراط: يعرف هو أنَّ أيَّ افتقار للاعتدال والتناسق في أي مزيج مهما وجب أ
يكون مميتاً، بالضرورة وعلى الدوام، للعناصر التي يركّب منها المزيج وكذلك
للمزيج عينه، والذي لا يكون مزيجاً حينئذ بل إنّه يكون خليطاً مشوش
ومضطرباً يجلب الفوضى الصّرفة على مقتنيه.

بروتارخوس: الأكثر حقيقة.

سقراط: وبعدُ فإنّ قوّة الخير ركنت إلى منطقة الجميل؛ لأنّ الاعتدال والتناسق هم
جمال وفضيلة فوق العالم أجمع.

بروتارخوس: صدقاً.

سقراط: وقلنا نحن أيضاً إنّ الحقيقة كانت لتشكّل عنصراً في المزيج.

بروتارخوس: بدون ريب.

ويمكننا أن نعتبر هذه الأفكار المختارة معاً كسبب مفردٍ للمزيج، وأن ننظر
كونه جيّداً بسبب إدخالها فيه.
بروتارخوس: حقيقيّ تماماً.
سقراط: وبعدُ، يا بروتارخوس، فإنّ أيّ إنسان يستطيع أن يقرّر جيّداً بما
الكفاية، إذا ما كانت اللذّة أو الحكمة أكثر مماثلة للخير الأسمى، و
تمجيداً بين الآلهة والرجال.
بروتارخوس: بوضوح، وبرغم ذلك فلربّما يمكن ملاحقة المناظرة إلى النهاية.
سقراط: يجب أن نأخذ كلاًّ منهما على حدة في علاقتهما باللذة والعقل، و
رأينا فوقهما إذ ينبغي علينا أن نرى لأيٍّ من الاثنين هي الأكثر مجانسة
بمفرده.
بروتارخوس: تتكلّم أنت عن الجمال، الحقيقة، والاعتدال؟
سقراط: نعم، يا بروتارخوس، خذ الحقيقة أوّلاً، وبعد مرورها عاين العقل، الحق
اللذّة، ثم توقّف لمدةٍ وجد إجابة لنفسك بنفسك، - سواء أكانت اللذ
العقل أكثر مجانسة للحقيقة.
بروتارخوس: لا حاجة للتوقف، لأنّ الفرق بينهما واضح. إنّ اللذّة هي الد
الأفّاك المتنوّع في العالم. ويُقال إنّ في ملذّات الحبّ التي تظهر على
الملذّات الأعظم، يقال إنّ الآلهة تبرّر الحنث باليمين لأنّ الملذّات، شأنها
الأطفال، لا تمتلك الذرّة الأصغر من العقل والمنطق فيها. في حين أنّ ال
هو إمّا الشيء عينه كالحقيقة، أو أنّه الأكثر شبهاً بها، ويكون الأص
كذلك.
سقراط: هل سنعتبر الاعتدال تالياً، بأسلوب مماثل، ونسأل إذا ما كانت اللذة تم

شيء يمكنه أن يكون أكثر إفراطاً من ملذات اللذة، ولا شيء يمكنه أن يكون في انسجام مع الاعتدال أكثر مّما يكونه العقل والمعرفة.

سقراط: جيّد جداً؛ لكن لا يزال هناك الاختبار الثالث. هل يمتلك العقل حصّة أعظم في الجمال ممّا تمتلكه اللذّة، وهل العقل أو اللذة هما الأجمل والأعدل من الاثنين؟

بروتارخوس: لم يرَ أحدٌ أبداً إمّا حالماً ومستيقظاً، يا سقراط، ولم يتصوّر أحد أن العقل والحكمة يكونان في صفرٍ منها على نحو غير ملائم، لم يرَ أحدٌ ولم يتصوّر ذلك في أيّ وقت، لا في الماضي، ولا الحاضر، ولا المستقبل.

سقراط: صحيح.

بروتارخوس: لكنّنا عندما نرى شخصاً ما منغمساً في الملذات، ولربّما في أعظمها، فإنّ طبيعة هذا العمل المضحكة والمخزية تجعلنا خجولين. وهكذا فإنّنا نخفي هذه الأعمال عن ناظرنا، ونودعها في الظلمة، اعتقاداً منّا أنّها يجب أن لا تسلّط عليها الأضواء.

سقراط: إذن، فإنّك ستعلن في كلّ مكان، يا بروتارخوس، بالكلمة، أنّ اللذّة ليست الأولى من المقتنيات، وليست حتى الثانية، لكن الطبيعة الأزليّة موجودة في الاعتدال، والتوسّط، والمناسب، وما شابهها.

بروتارخوس: نعم، يبدو أنّ ذلك هو نتيجة ما قيل الآن.

سقراط: ويحتوي الصنف الثاني المتناسق والجميل والكامل أو الكافي، وكلّ ذلك الذي يكون من هذا الفصيل.

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: وإذا حسبتَ أنت العقل والحكمة في الصنف الثالث، فإنّك لن تكون

سقراط: ألن نضع في الصنف الرابع الخيرات التي اعتقدنا أنها تتعلق بالروح
بشكل خاصّ ـ كالعلوم والفنون والآراء الصحيحة؟ تأتي هذه بعد الصنف الثالث، وتشكل الصنف الرابع، بما أنها تكون أكثر مجانسة للخير من مجانستها للذّة بشكل أكيد.

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: أمّا الملذّات غير المؤلمة والتي حدّدناها سابقاً فتأتي في الصنف الخامس كونها ملذّات الروح النقيّة نفسها، كما سمّيناها، وهي التي يصطحب بعضها العلوم، ويصطحب بعضها الحواسّ.

بروتارخوس: لربمّا.

سقراط: والآن، وكما يقول أروفيوس:

« مع الجيل السادس يتوقّف مجد أغنيتي »

دعنا نضع نهاية هنا، عند الجائزة السادسة؛ وكلّ الذي يبقى يجب أن يضع التاج على رأس بحثنا.

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: دعنا بعدئذ نلخص ونؤكّد ما قد قيل مرّة ثانية، وهكذا مقدّمين السائل المراق الثالث إلى زيوس المخلّص.

بروتارخوس: كيف.

سقراط: يؤكّد فيليبوس أنّ اللذّة هي الخير على الدوام وبشكل مطلق.

بروتارخوس: أفهم أنّ هذا السائل الثالث المراق، يا سقراط، الذي تكلّمت عنه أفهم أنّه عنى إعادة مختصرة للنقاط الرئيسية في هذه المناظرة.

سقراط: نعم، لكن استمع إلى العاقبة؛ لاقتناعي بما قد قلته الآن لتوّي، ولشعوري

من قِبَلِ آلاف الآخرين، أكّدت أنا أنّ العقل كان أفضل بكثير وأكثر امتيازاً من اللذّة كعنصرٍ من عناصر الحياة.

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: لكن لشكّي أن هناك أشياء أخرى كانت أفضل أيضاً، واصلت قولي إنّه إذا كان هناك أيّ شيء أفضل من كليهما، فإنّي سأطالب بالمكان الثاني للعقل فوق اللذّة حينئذ، وستخسر اللذّة المكان الثاني والأول أيضاً.

بروتارخوس: إنّك فعلت ذلك.

سقراط: لا شيء يمكن أن يكون تبيينه أكثر إقناعاً من الطبيعة التي لا يلفُّها الإقناع لكلّ منهما.

بروتارخوس: حقيقيّ جداً.

سقراط: إنّ المطالب التي تعلنها اللذة والعقل كلاهما على أنّهما الخير المطلق قد ثبت بطلانها في هذه المناظرة، لأنّهما كليهما يفتقران للاكتفاء الذاتّي وكذلك للوفاء بالمراد والتمام.

بروتارخوس: الأكثر حقيقة.

سقراط: لكن برغم أنه يجب عليهما كليهما أن يتخليا عن حقّهما لصالحِ شيء آخر، فإنّ العقل يكون عشرة آلاف مرّة أقرب وأكثر مماثلة لطبيعة المنتصر من اللذّة.

بروتارخوس: بالتأكيد.

سقراط: وطبقاً للحكم الذي أُعطِي الآن، ستُصنَّف اللذة في المكان الخامس.

بروتارخوس: حقاً.

سقراط: لكنّها لن تُصنَّف في المكان الأوّل. لا، حتّى ولو أعلنت الثيران والأحصنة وكلّ الحيوانات في العالم أنّها هكذا؛ - وبرغم ذلك فإنّ العديدين الذين نثق بهم مثلما يثق الإلهيّون في الطيور، إنّهم يقرّرون ويعزمون تأكيداً أن الملذّات

تؤلّف خير الحياة، ويعتبرون شهوات الحيوانات دليلاً أسلم من العاطفة والحبّ لإيحاءات التأمّلات الفلسفيّة.

بروتارخوس: وبعدُ، يا سقراط، نخبرك أنّ حقيقة ما قد قلته تم التصديق عليها بحكمنا جميعاً.

سقراط: وهل ستدعني أذهب؟

بروتارخوس: هناك القليل الذي لم نقله لحدّ الآن، وسأذكّرك به. وإنّي لمتأكّد أنّك لن تكون أوّل من يهرب من محاورة.

محاورة طيماوس

افكار المحاورة الرئيسيّة

هذه المحاورة الهامة في التكوين والوجود، بدأت باجتماع أربعة متحاورين هم سقراط، طيماوس، كريشياس، وهيرموكراتيس، وتغيّب شخص واحد، كان وصوله منتَظراً، ومنَعَهُ مرضُه من القيام بذلك. يسأل سقراط طيماوس بعدئذ قائلاً: هل تتذكّر، يا طيماوس، ماذا كانت النقاط الرئيسيّة التي تكلّمتم عنها البارحة عند عقدكم المناظرة؟ أجابه طيماوس، نعم، إنّنا نتذكّر بعضها، أمّا البعض الآخر فنسيناه ونأمل أن تذكّرنا به من فضلك. قال له سقراط: سأفعل ذلك، بالتأكيد. إنّ موضوع محادثتي الرئيس نهار البارحة كان عن إنشاء الدولة وظهورها إلى الوجود بشكل كامل، وبدأنا أثناءَه بفصل المزارعين والحرفيّين من طبقة المدافعين عنها. وعندما أعطينا لكلّ شخص الوظيفة الوحيدة والفن المستقلّ المناسبين لطبيعته، فإنّنا تكلّمنا عن الذين نوينا أن يكونوا مقاتلينا الذين سيحرسون الدولة ضد هجمات الداخل والخارج، وشدّدنا على أن لا يمتلكوا أيّة وظيفة أخرى، وأن يحكموا بالرحمة على رعاياهم، وبالقسوة على أعدائهم أثناء المعارك. وقلنا إنّ الحماة يجب أن يكونوا موهوبين بالحساسية البالغة بدرجة سامية في الحقلين العاطفي والفلسفي، ويجب أن يتعلّموا الموسيقى ويتدرّبوا على الألعاب الرياضية وعلى كلّ فرع من فروع المعرفة المناسب لهم. وينبغي عليهم أن يزدروا الذهب والفضّة، وأن لا يمتلكوا أيّ شيء خاصّ بهم، وأن يعيشوا حياة بسيطة، وينفقوا المال بشكل مشترك، وأن يمارسوا الفضيلة بدون انقطاع، والتي ستكون سعيهم الفريد.

لا، ونحن لم ننسَ النساء، وأعلنّا أنّ طبائعهنّ يجب أن تُنمّى بالتدريب بشكل متناسق، مساوية لتلك الطبائع التي يمتلكها الرجال. وحدّدنا كيف سيتمّ إنجابهنّ

الأطفال، وكيف ستكون حياتهنّ الاجتماعية مع الرجال، وكيف ستتمّ القرانات، وكيف سيتمّ تعليمهم جميعاً، وكيفَ سنقدّر الموهوبين منهم. أعتقد أنّ هذه هي المواضيع التي طرحناها البارحة، يا طيماوس. ولكنّي سأخبرك ما هو شعوري الخاصّ بشأن الدولة التي وصفناها. وبعدُ، فإنّي، يا كريشياس وهيرموكراتيس، لمدرك أنّي لن أكون قادراً أبداً على تمجيد المدينة ومواطنيها بأسلوب مناسب. ولم يكن وضع الشعراء، الحاضرين منهم والغابرين، بأفضل من وضعي، ولا أعني بقولي هذا الحط من أقدارهم، لكن يستطيع كلّ شخص أن يرى أنّهم ليسوا سوى قبيلة من قبائل المقلّدين. وإنّي لمتيقّنٌ أنّ السوفسطائيين يمتلكون وفرة من الكلمات الشجاعة والنزوات الجميلة، وأخشى أن يخفقوا في فهمهم للفلاسفة ورجال الدول. وهكذا فإن الناس الذين من نوعكم هم الأشخاص الوحيدون الباقون المناسبون بالطبيعة والتعليم، وذلك كي يأخذوا دوراً في علم السياسات وعلم الفلسفة، وأعني طيماوس، كريشياس، وهيرموكراتيس. وعندما أردتم منّي أن أصف الدولة نهار البارحة قبلت ما رغبتموه بسرعة، لأني على علم، بأنكم لو أردتم، فإنّه لا أحد أفضل منكم وأكثر جدارة بإدارة المحاورة بزخم. وعلمت بأنّكم اتفقتم على تكريم وفادتي اليوم، كما أكرمت وفادتكم، بمأدبة تباحثية. ولن تجدوا إنساناً مستعدّاً أكثر منّي للمأدبة الموعودة.

أجاب هيرموكراتيس: ونحن لا تنقصنا الحماسة لفعل ذلك. وسيردّد لنا كريشياس البحث الذي أجريناه عن العرف أو التقليد. قال كريشياس: إنّي سأفعل ذلك، إذا صادق طيماوس عليه، وهو شريك لنا. وبما أنّ طيماوس فعل هذا، آمل منك أن تستمع لقصّتي، يا سقراط، بل آمل منكم ذلك جميعاً. ورغم أنّها قصّة غريبة، لكنّها قصّة حقيقيّة بدون ريب. إنّ صولون صادق وشهد عليها، وهو الذي كان أعقل الحكماء السبعة. قال صولون: كانت هناك منذ القدم أعمال عظيمة ومدهشة للمدينة الأثينية، والتي لفّها النسيان خلال انقضاء الزمن ودمارا الجنس

البشريّ. سأخبركم عن قصّة عالميّة قديمة سمعتها من رجل مسنّ، وكان لي من العمر يومها عشر سنوات. وبعدُ، فإنّ ذلك اليوم كان يوم تسجيل الفتيان، والذي وهب آباؤنا أثناءه الجوائز لحصص التدريس، طبقاً للعادة المتَّبعة. وألقينا نحن الأولاد قصائد الشعراء العديدين، وغنّى الكثير منا قصائد صولون، الذي كان أعقل الرجال وأنبل الشعراء، ولو أنّه أنهى القصّة التي أحضرها معه من مصر، ولو أنه لم يُجبر على الانكباب على القضايا الأخرى بسبب النزاعات الحربيّة والمشاكل التي وجدها ناشطة ومثارة في بلده عندما عاد إليها، لولا هذا كلّه، فإنّه قد كان رجلاً شهيراً في رأيي، كما كان هوميروس وهيسيود، أو كما كان أيّ شاعرٍ آخر. أمّا القصّة التي أحضرها معه من مصر، فقد حكت عن أعظم الأعمال التي قام بها الأثينيون أبداً، لكنّها لم تصل لنا خلال العصور بسبب انقضاء الزمن وهلاك الفاعلين.

قال صولون: هناك في الدلتا المصريّة منطقة محدَّدة تدعى سايس، وتسمّى المدينة العظيمة بهذا الإسم أيضاً، وهي المدينة التي أتى منها الملك أماسيس. وكانت إلهة المواطنين هناك تدعى نايث NEITH ويؤكّد المصريّون أنّها الإلهة نفسها التي يدعوها الهيلينيون أثينا. ذهب صولون إلى تلك المدينة الهامّة، واستُقبِل هناك بالترحاب والتمجيد العظيمين؛ وسأل كهنتها الذين كانوا الكهنة الأكثر حذقاً في قضايا كهذه تتعلّق بالعصور الغابرة، واكتشف أن لا هو ولا أيّ شخص من الهيلينيين الآخرين عرفوا شيئاً جديراً بالتنويه بشأن الأزمنة القديمة. وقال أحد الكهنة، وكان متقدماً جدّاً في السنّ، قال، أوه يا صولون، إنّكم أيّها الهيلينيون لستم سوى أطفال، وليس بينكم إنسانٌ مسنّ واحد. أعني، إنكم كلّكم فتيان في الفكر والعقل، ليس عندكم رأي قديم أُنزل بينكم بالتقليد والعُرف الغابر، وليس عندكم علم عتّقه الدهر. أمّا سبب ذلك، فهو الدمار الذي حلَّ بالجنس البشري وسيحلّ به، وأعظم دمار هو ذلك الدمار الذي أحدثته قوى النار والماء، ووقعت الدمارات الأقلّ لأسباب أخرى لا تُحصى. لكنّ النار تعرّض لها أولئك الذين

يسكنون على قمم الجبال، أكثر من أولئك الذين يقطنون بجانب الأنهار أو على شاطىء البحر. وأمّا نحن في مصر، فإنّ إنسياب النّيل يَقينا من هذه النكبة. إنّ هذا النهر هو منقذنا الذي لا يخطىء قطّ. ومهما حدث في بلادك أو في بلادنا، أو في أيّة منطقة أخرى من مناطق العالم تصلنا أخبارها، فإنّ القدماء منّا يقومون بتدوين الأعمال الرائعة التي تمّ إنجازها والتي نحتفظ بها في هياكلنا، في حين أنّكم أنتم والأمم الأخرى، حالما تبدؤون تجهيز أنفسكم بالحروف وبمستلزمات الحياة المتحضرة الأخرى، وبعد الفترة الفاصلة الاعتيادية، فإنّ الدّفق يأتي منسكباً من السماء على الأرض مثل الوباء، ويترك منكم أولئك الذين يكونون خلواً من الحروف ومن التعليم فقط. وهكذا فإنّكم ستبدؤون بتعلّم كلّ شيء من جديد مثل الأطفال. لذلك أنتم لا تعرفون أيَّ شيء عما حدث في العصور الغابرة، لأنّ أسلافكم لم يتركوا خلفهم كلمة مكتوبة، خاصّة عن مدينتكم العظيمة أثينا التي قيل إنّها كانت المدينة الأفضل حكماً، والتي أنجزت أميز المآثر، وكان عندها أجمل دستور وُجد تحت قبّة السماء. أقول لك، يا صولون، إنّ الآلهة أنشأت مدينتكم قبل أن تُوجد مدينتنا بآلاف السنين، والتي تعود إلى ثمانية آلاف سنة خلت. وإذا قارنّا قوانيننا بقوانينكم، فسنجد أنّ العديد من قوانيننا هي النسخة المطابقة لقوانينكم. ونقول هذا عن البنية الاجتماعية، وعن نظام التعليم والاعتقاد بالآلهة. لقد أظهرت مدينتكم بسالة منقطعة النظير عند تصدّيها لقوّة أطلنطيس، تلك الجزيرة التي كانت قائمة قبالة أعمدة هرقل في المحيط الأطلسي، والتي حاولت غزو مصر وغزو بلادكم. لكنّ مدينتكم أثينا، أوقفت هذه القوة الغازية وهزمتها، وردّت الغزاة على أعقابهم خاسرين. وفي يوم واحد وليلة من ليالي السوء غرق كلّ رجالك الحربيين في الأرض جمعاً، واختفت جزيرة أطلنطيس في أعماق البحر بشكل كامل.

هذه باختصار هي القصّة التي سمعها كريشياس المسنّ من صولون، يا سقراط،

ولا أدري إن كانت قصّة مناسبة للقصد أو أنّنا سنبحث عن قصّة أخرى بدلاً منها. كان قصدنا أن يتكلّم طيماوس أوّلاً، وهو الإنسان الأكثر براعة في علم النجوم، وهو الذي جعل التحقيق في طبيعة العالم دراسته الخاصّة. ولهذا كان عليه أن يبدأ بإيضاح نشوء العالم نزولاً إلى إبداع الإنسان.

قال سقراط. أرى أنّي سأتلقّى متعة عقلية بالغة كاملة وباهرة بدوري. وبعدُ، إفترض، يا طيماوس؛ أنّك ستتكلّم لاحقاً بعد أن تعرّج على الآلهة في حينه.

أجاب طيماوس قائلاً: إنّ كلّ الرجال الذين يمتلكون درجةً من الإحساس الصادق، يا سقراط، يناشدون الآلهة على الدوام عند بداية أيّ عمل، سواء كان هذا العمل كبيراً أو صغيراً. ونحن أيضاً الذين سنتحدّث عن طبيعة الكون كيف أُبدع، وإنْ لم نجرّد من حصافتنا بشكل تامّ، يجب علينا أن نتضرّع للآلهة كي يساعدونا، وأن نصلّي لتتمكّن كلماتنا أن تكون مقبولة لديهم قبل كل شيء، ومن ثمّ لدينا كنتيجة لذلك. ينبغي أن نوجد تمييزاً في حكمي، بادىء ذي بدء، ونسأل عندئذ، ما هو ذلك الذي يكون على الدوام ولا يمتلك صيرورة؟ وما هو ذلك الذي يكون صائراً على الدوام ولا يكون أبداً؟ إنّ ذلك الذي يدرك بالعقل والاستنتاج المنطقي يكون في الحالة عينها بشكل دائم؛ لكنّ ذلك الذي يُتصوَّر بالرأي وبمساعدة الحواسّ وبدون أيّ استنتاج منطقيّ، يكون في عملية الصيرورة والفناء، ولا يكون في الحقيقة أبداً. وبعدُ، فإنّ كلّ شيء يصبح أو يُخلق يجب أن يُخلق بسببٍ ما بالضرورة، إذ لا شيء يستطيع أن يُخلق بدون سبب. إنّ عمل الخالق، كلّما نظر هو إلى اللامتغير وصاغ طبيعة عمله على غرار النموذج اللامتبدل، إنّ عمله هذا يجب أن يُصنَع جميلاً وتامّاً بالضرورة. لكنّه عندما ينظر إلى المخلوق فقط، ويستخدم المثال المخلوق، فإنّ عمله لا يكون عملاً جميلاً ولا تامّاً. لذلك أسأل: هل كان العالم في وجود على الدوام وبدون بداية؟ أوه أنّه أُبدِع، وكانت له بداية؟ وأجيب على ذلك، بأنّه مخلوق، كونه مرئيّاً ملموساً وله

جسم، ولهذا السبب فإنّه مُدرَك بالحسّ، وكلّ الأشياء المحسوسة تُدرك بالرأي والحسّ تكون في عملية التكوين وهي مكوَّنة. وذلك الذي يكون مُبدَعاً، يجب بالضرورة أن يكون مُبدَعاً سبب، كما نؤكّد. لكنّ الله تقدّس وتعالى صانع هذا الكون كلّه يكون إيجاده منقضياً، وحتّى لو وجدناه. فلكي نخبر عنه كلّ الرجال فهذا هو المستحيل بعينه. وعندما صنع الصانع العالم فأيّ النماذج امتلكها في رؤيته؟ هل كان لديه النموذج اللامتغير، أو ذلك النموذج الذي يكون مُبدَعاً؟ إذا كان العالم جميلاً حقّاً والصانع خيِّراً، فذلك واضح لأنّه اهتمّ بذلك الذي يكون أزليّاً، لأنّ العالم هو أجمل المخلوقات وهو أفضل الأسباب. وكونه مبدَعاً بهذه الطريقة، فإنّ العالم قد صِيغ في شَبَهٍ لذلك الذي يُدرَك بالاستنتاج المنطقيّ والعقل ويكون لا متغيّراً، ويجب أن يكون نسخة عن شيء ما. وبعدُ فإنّه لمن الأهميّة بمكان وجوب أن تكون بداية كل شيء وفقاً للطبيعة. وفي تكلُّمِنا عن النسخة والأصل يمكننا أن نفترض أنَّ الكلمات تكون مجانسة للمسألة التي تصفها تلك الكلمات. وعندما تتّصل الكلمات بالأبديّ والدائم والمفهوم، ينبغي أن تكون كلمات أزليّة وراسخة، وغير قابلة للدّحض ولا تُقهر بقدر ما تسمح به طبيعتها. كما يكون الوجود للصيرورة هكذا تكون الحقيقة للاعتقاد. وإذا لم نكن قادرين على أن نعطي أفكاراً دقيقة ومتماسكة فيما يتعلّق بالآلهة ونشوء الكون، فلا تكن منشدهاً، يا سقراط، وكفاية إنْ أوردنا ترجيحات فقط؛ لأنّه يجب علينا أن نتذكّر أنّنا جميعاً رجال فانون، وينبغي أن نقبل القصّة المحتملة وأن لا نحقّق أبعد من ذلك.

سأخبرك لماذا صنع المبدع العليّ هذا العالم من التولّد. إنّه كان خيِّراً، والخيِّر لا يمكنه أن يغار من أيّ شيء على الإطلاق. ولذلك فإنّه رغب أن تكون كلّ الأشياء شبيهة به على قدر استطاعتها. والله شاء أن تكون الأشياء كلّها صالحة، وأن لا يكون أيّ شيء سيئاً. وعندما وجد أنَّ الدنيا المنظورة كلّها متحرّكة في نمطٍ شاذٍّ

ومضطرب، أوجد النظام خارج الفوضى. والمبدع المتعالي وهو يتأمّل الأشياء المرئية بالطبيعة، وجد أنّه لا يمكن لمخلوق غير عاقل، مأخوذاً ككلّ، لا يمكنه أبداً أن يكون أجمل وأعدل من المخلوق العاقل، مأخوذاً ككلّ، ولا يستطيع العقل أن يكون موجوداً في أيّ شيء خالٍ من الروح. ولهذا السبب، فإنّ الخالق جلّ جلاله عندما صاغ الكون، وضع العقل في الروح ووضع الروح في الجسم. ويمكننا أن نقول، مستخدمين لغة الترجيح، إنّ العالم أتى إلى الوجود، مخلوقاً حيّاً موهوباً بالروح والعقل بالعناية الإلهية صدقاً. دعنا نفترض أنّ العالم هو صورة ذلك الكلّ بالتحديد، الذي تعتبر الحيوانات كلّها جزءاً منه، لأنّ أصل الكون يحتوي في نفسه كلّ الموجودات التي يدركها العقل، تماماً كما يشمل هذا العالم كلّ المخلوقات المرئيّة الأخرى. وبما أنّ المعبود عَزَمَ على أن يجعل هذا العالم مثل الموجودات الأجمل والأكثر كمالاً والتي يدركها العقل، صاغ حيواناً مرئيّاً واحداً مشتملاً في داخل نفسه كلّ الحيوانات الأخرى ذات الطبيعة الواحدة. ويجب أن يكون العالم عالماً واحداً وليس عالمين اثنين وعدّة عوالم لامتناهية؛ بل يوجد وسيوجد أبداً سماء واحدة مُبدَعة ومخلوقة فريدة.

وبعدُ فإنّ ذلك الذي أُبدِع هو ماديّ بالضرورة، وهو مرئيّ وملموس. ولا شيء يكون مرئيّاً حيث لا يوجد نار، أو ملموساً إذا كان لا يمتلك صلابة، ولا شيء يكون صلباً بدون أرض. ومن أجل ذلك فإنّ الله المتعالي خلق جسم الكون في بدء الإبداع ليتألّف من النار ومن التراب. لكن لا يستطاع وضع شيئين اثنين معاً بشكل صحيح بدون شيء ثالث. وبما أنّ العالم ينبغي أن يكون صلباً، وبما أنّ الأجسام الصلبة تكون متضامّة بحدّين اثنين على الدوام، فإنّ المهيمن وضع الماء والهواء في الوسط بين النار والتراب، وأنشأها كي تحوز النسبة عينها على قدر الإمكان، وهكذا أوثق ووضع معاً سماءً مرئية وملموسة. ولهذه الأسباب ومن تلك العناصر الأربعة عدداً، أُبدِع جسم العالم، وكان جسماً منسجماً بالتناسب، ولذلك

فإنّه يمتلك نفسيّة الصداقة. وبما أنّه قد وُفّق مع نفسه، فإنّه كان سرمديّاً وغير قابل للفكاك بيد أيٍّ آخر غير الذي صاغه وشكّله. ولهذا السبب، وعلى هذه الأسس فإنّ الله العلاّم صنع العالم كلاً واحداً، وكلّ جزء من أجزائه كامل، وغير معرّض للهرم. وبعد، بحسب ما خلق الله الحيوان الذي أبدع ليشمل داخل نفسه كلّ الحيوانات، فإنّ الشكل الكرويّ سيكون شكلاً مناسباً كي يتضمّن بداخله كلّ الأشكال الأخرى. لذلك فإنّ الله المنزّه صنع العالم في شكل كرة، مستديراً كاستدارة العجلة، أطرافه متساوية البعد من المركز في كلّ اتجاه، العالم الأكثر كمالاً والأكثر شَبَهاً بنفسه من كلّ الأشكال الأخرى. ولم تكن له حاجة للعينين ولا للأذنين ولا للجوارح كلّها، ولا لكلّ جهاز المشي؛ لكن للحركة التي ناسبت شكله الكرويّ، كون هذا الشكل هو الأكثر ملاءمة للعقل والفهم من بين الأشكال السبعة، وصُنِع العالم كي يتحرّك بالطريقة عينها وعلى البقعة عينها. ثم أمدّه الله بجسم كامل وتامّ، مشكّلٍ من الأجسام الكاملة، ووضع الروح في المركز.

إنّ الله علت كلمته لم يصنع الروح بعد الجسم، بل صنعها قبله وسابقة له في الأصل والامتياز لتكون الحاكمة له والسيّدة، وليكون لها تابعاً. وخلق هذا الكون دائرة متحرّكة في دائرة، وممتلكاً للأهداف التي فصّلناها. أمّا الروح فإنّه صنعها من العناصر التالية وعلى هذا النحو: ركّب من الموجود الذي لا ينقسم ولا يتحوّل، ومن ذلك الموجود الذي وُزّع بين الأجسام، ركّب نوعاً ثالثاً من الموجود الوسط، وفعل ذلك مع الشيء عينه ومع المختلف، مازجاً معاً النوع الذي لا ينقسم لكلّ منها مع النوع الذي وُزّع في الأجسام. ثم مزج العناصر الثلاثة كلّها في شكل واحد، وخلق منها طبيعة واحدة. وقسّم هذا الكلّ إلى عدّة أجزاء كما كان مناسباً. وواصل الله التقسيم بهذا الأسلوب: أقصى جزءاً واحداً من الكلّ قبل كلّ شيء «١» وفصل جزءاً ثانياً كان ضعف الجزء الأوّل «٢»، وأقصى جزءاً ثالثاً كان قدر الجزء الثاني وثلاث مرّات قدر الأول «٣»، وأخذ بعدئذ جزءاً رابعاً كان

ضعفي قدر الثاني «٤»، وأخذ جزءاً خامساً كان ثلاثة أضعاف قدر الثالث «٩» وأخذ جزءاً سادساً كان ثماني مرات قدر الأول «٨»، وأخذ جزءاً سابعاً كان سبعاً وعشرين مرة قدر الأوّل «٢٧». وبعد هذا ملأ الله الخبير الفترات الفاصلة المضاعفة، « كمثال، بين الأعداد ١، ٢، ٤، ٨» وكذلك الفترات الفاصلة المضاعَفة ثلاث مرات « كمثال، بين الأعداد ١، ٣، ٩، ٢٧»، إلى أن وُجد في كلّ فترة فاصلة نوعان من أنواع الوسائط، كمثال ١/٣ ٤و ٢. وحيث وُجدت فترات فاصلة للرقم ٣/٢ و٤/٣ و٨/٩، فإنّ الله ملأ كُلّ الفترات الفاصلة للعدد ٣/٤ مع العدد الفاصل ٨/٩، تاركاً كسراً باقياً. وكان الفاصل الذي عبَّر عنه هذا الكسر، كان في نسبة الرقم ٢٥٦ إلى الرقم ٢٤٣. ومن ثمَّ قسَّم الله الجبّار هذا المركّب كلّه بالطول إلى جزأين اثنين، مثلما يكون الحرف x ، وحناهما في شكل دائريّ، يدوران متّسقين على المحور عينه. وجعل أحدهما الدائرة الخارجية وجعل الآخر الدائرة الداخلية. وقسَّم الباري الكريم الحركة الداخلية في أماكن ستّة، وأحدث سبع دوائر غير متساوية لها فتراتها الفاصلة في نسب اثنين وثلاثة، وأحدث الكواكب الثلاثة لتتحرّك بسرعة متساوية وهي: الشمس، عطارد، والزهرة. وأمّا الكواكب الأربعة الباقية فإنّه جعلها تدور بسرعة غير متساوية بسرعة الكواكب الثلاثة وسرعة بعضها البعض بل بسرعةٍ متّسقةٍ واجبةِ الأداء. وهذه الكواكب السبعة هي أربع: القمر، زحل، المرّيخ، والمشتري.

إنّ الخالق ، عندما صاغ الروح طبقاً لإرادته، ورتّب في داخلها الكون الفاني، وأحضر الاثنين معاً، ووحّدهما مركزاً إلى مركز، وبُثّت الروح في كلّ مكان من المركز إلى محيط السماء، ليكون جسم السماء مرئياً، والروح غير منظورة، وتشارك في العقل والتناغم، وكونها مصنوعة بأفضل الطبائع الأزليّة، فإنّها تكون أفضل الأشياء المبدَعة. وعندما يكون العقل محوّماً حول العالم الحسيّ وتكون الدائرة للمختلف متحرّكة بحقّ، ويضفي هذا العقل خصوصيات الحسّ على الروح كلّها،

عندما يتمّ ذلك، تنشأ حينئذ الآراء والاعتقادات الأكيدة المؤكّدة. لكن عندما يكون العقل متعلّقاً بالمعقول، يُنجَز حينها الفهم وتتمّ المعرفة بالضرورة. وإذا أكّد أيّ شخص أنّ هذين الشيئين يوجدان غيراً من وجودهما في الروح، فإنّه سيقول ما هو عكس الحقيقة بالضبط.

عندما رأى الأب والخالق أنّ المخلوق الذي صنعه متحرّك وحيّ ابتهج، وعزم في فرحته وبهجته أن يجعل النسخة أكثر شبهاً بالنسخة الأصليّة. وحينما وضع السماء في نظام، فإنّه صنع هذه الصورة خالدة لكنّها متحرّكة طبقاً للعدد، في حين أنّ الأزليّة نفسها استراحت في الوحدة، ونحن نسمّي هذه الصورة زمناً. إذ لم تكن هناك أيّام وليالٍ وشهور وسُنون قبل أن تبدع السماء، لكنّ الله عندما بنى السماء خلقها كلّها. وكلمة « يكون » هي الكلمة الوحيدة التي تُنسب إليه بشكل لائق ومناسب، أمّا كلمتا « كان » و« سيكون » فيجب تكلّمهما عن الصيرورة في الزمن، لأنّهما تكونان حركات. لكنّ ذلك الذي يكون الشيء عينه بشكل ثابت إلى الأبد لا يستطيع أن يكون أكبر سنّاً أو أفتى بالزمن. ولا يمكن القول إنّه أتى إلى الوجود في الماضي، أو إنّه يأتي إلى الوجود الآن، أو إنّه سيأتي إلى الوجود في المستقبل. إنّ هذه الأشكال هي أشكال الزمن، التي تقلّد الخلود وتدور محوريّاً طبقاً لقانون العدد.

الزمن والسماء إذن، أتيا إلى الوجود في اللحظة عينها، وشُكّلت السماء على غرار نموذج الطبيعة الخالدة، والسماء المبدَعة قد كانت، وتكون، وستكون في كلّ زمن. هكذا كان عقل وتفكير الله في خلق الزمن. وهو أبدع الشمس والقمر والكواكب الخمسة الأخرى كي يميّز ويحفظ أعداد الزمن، ووضع كلاً منها في مداره، بعضها يدور في مدارٍ أوسع، وبعضها في مدارٍ أكثر اتّساعاً. وتلك التي تدور في مدار أوسع، تدور في مدارها ببطء أكثر. ولكي يمكن إيجاد مقياس مرئيّ لسرعتها وبطئها النسبي عند تقدّمها في وجهة سيرها الثامنة، فإنّ الله أوقد ناراً،

هي ما نسميه نحن الآن الشمس، وذلك في المدار الثاني من الأرض لهذه المدارات، وذلك كي يمكنه أن يهب نوراً للسماء كلّها، ولكي تتمكّن الحيوانات أن تشترك في العدد بالقدر الذي تعزم عليه الطبيعة، ولكي نتعلّم الحساب من دوران الشيء عينه ومن دوران المشابه. هكذا إذن خلق الليل والنهار، وأُتمَّ الشهر عندما أكمل القمر دورته وتخطى الشمس، وأتمّ السنة عندما أنجزت الشمس دورتها الخاصّة بها.

أمّا الجنس البشريّ، مع استثناءٍ نادرٍ ما، فلم يلاحظ مُدَدَ النجوم الأخرى، ولم يمتلك أيّة أسماء لها، ولم يقِسْها بمقابلة بعضها ببعض بمساعدة علم العدد. ومن ثمّ يمكن القول بصعوبة إنّ الجنس البشريّ عرف تجوُّلَها في السماء، كونها تمتلك رقماً ضخماً وكونها مدهشة لتنوّعها، وهي تسبب الزمن. وبرغم ذلك فلا صعوبة في رؤية أنّ الرقم الكامل للزمن يُتمّ السنة الكاملة عندما تُنجز كل الدورات الثماني معاً. وأوجد الباري الحكيم أربعة أنواع من الحيوانات، أحدها السلالة السّماويّة للآلهة، والنوع الآخر هو سلالة الطيور التي اتخذت الهواء طريقاً لها، والنوع الثالث هو النوع المائيّ. أمّا النوع الرابع والأخير فهو النوع الراجل ومخلوقات الأرض. لكن الأنواع السماوية والإلهية، خلقها المبدع تعالى من النار، وذلك كي يمكنها أن تكون أسطع الأشياء كلّها وأجملها منظراً للمشاهدين. وأعطى الخالق حركتين لكلٍّ منها. ولهذا السبب خُلقت النجوم الثوابت لكي تكون حيوانات إلهيّة أزليّة. أمّا الأرض التي هي أمُّنا، المتماسكة حول القطب الممتدّ من جانب الكون إلى جانبه الآخر، فإنّ الباري القدير صاغها لتكون الحارث والمخترع للّيل والنهار، وهي أوّل وأقدم الآلهة التي تكون في داخل السماء. كفاية عن الذي قيل بشأن طبيعة الآلهة المخلوقة والمنظورة، ولنضع حدّاً له.

ولنعرف أو نخبر عن أصل الألوهيات الأخرى، فإنّ ذلك وراء إدراكنا، ويجب أن نقبل أعراف وتقاليد رجال الأزمنة الغابرة الذين يؤكّدون أنّهم ذريّة الآلهة. أمّا

الروح، وبسبب كلّ التأثيرات والشروحات التي قدّمناها، فإنّها عندما تُعَلّب في جسمٍ فانٍ الآن، كما في البداية، تكون بدون فهمٍ في بادىء الأمر، لكن حينما يُلغى تدفّق النمو والتغذية، وعندما تسكن سُبُل الروح وتسلك في طريقها الخاصّ بها وتصبح أرسخ حين مرور الزمن، فإنّ الدوائر المتعدّدة تعود إلى شكلها الطبيعي حينئذ، وتصحّح دوراتها، وتسمّي الشيء عينه والآخر بأسمائها الحقيقيّة، وتجعل مقتنيها مخلوقاً عقلانياً. وإذا توحّدت في مقتنيها أيّة تغذية أو تعليم حقيقيّ، فإنّه ينال الامتلاء والصحّة اللذين يكسبهما الإنسان الكامل، ويهرب من أسوأ الأمراض كلّها. لكنّه إذا أهمل التعليم فإنّه يسير سيراً أعرج إلى نهاية حياته، ويعود إلى العالم السفليّ ناقصاً وغير صالح لأيّ شيء.

وسنطرح الآن الموضوع الذي يتضمّن تحقيقاً تمهيديّاً في ولادة الجسم وأعضائه، وكيف أُبدِعَت الروح. إنّ الآلهة، بادىء ذي بدء إذن، مقلدين الشكل الكرويّ للكون، حصروا السبيلين الاثنين الإلهيّين في جسم كرويّ، أعني ذلك الذي نصطلح على تسميته الرأس، كونه الجزء الأكثر ألوهيّة منا وسيّد كل ما فينا. ولهذا أعطى الآلهة كلّ الأعضاء الأخرى للجسد لتكون خادمة له. واخترع الآلهة العينين كي تمنح الضوء، والدفق للرؤية كلّها، الذي ينشر الحركات للّتي تلامِس أو للذي يلامسها فوق الجسم كلّه، إلى أن يصل إلى الروح، مسبّباً ذلك الإدراك الحسّي الذي نسمّيه البصر. أمّا الموجود الوحيد الذي يستطيع أن يمتلك عقلاً بشكل مناسب فهو الروح اللامرئية، في حين أنّ النار والماء والأرض والهواء كلّها أجسام مرئيّة. إنّ محبّ العقل والمعرفة يجب أن يستكشف أسباب الطبيعة العقلانية قبل كلّ شيء، ويستكشف ثانياً تلك الأشياء التي تُجبَر على تحريك الأشياء الأخرى كونها متحرّكة بها. وهذا ما ينبغي أن نفعله نحن أيضاً. يلزمنا أن نعترف بكلا النوعين من الأسباب، لكن يجب علينا أن نوجد تمييزاً بين تلك الأنواع التي تُمنح العقل وتكون صانعة الأشياء الجميلة والخيّرة، وتلك المحرومة من الفهم وتنتج آثاراً

تصادفيّة وبدون نظام أو تصميم. إنّ البصر، في رأيي، هو مصدر النفع الأعظم لبني البشر، إذ لولاه ما كان باستطاعتنا أن نشاهد النجوم أبداً، ولا الشمس، ولا السماء، لا، ولم يكن باستطاعتنا التكلّم عن الكون بأيّة كلمات أو التفوّه بها. أما الآن، فإنّ رؤية اللّيل والنهار، والشهور ودورات السنين، خلقت العدد، وأعطتنا تصوّراً عن الزمن، ومنحتنا القوّة كي نحقّق بشأن طبيعة الكون. واستمددنا الفلسفة من هذا الينبوع، والذي ليس هناك خير أكبر منه أعطته الآلهة أو ستعطيه للإنسان الفاني. وتأتي تالياً في الأهميّة حاسّة السمع.

سأعود إلى البداية، وأحاول أن أتكلّم عن كلّ شيء وعن الكلّ مرّة ثانية، وسأتوجّه بدعائي إلى الله عند بدء حديثي. إنّ هذه البداية لبحثنا الجديد عن الكون تحتاج إلى تقسيم أكمل من التقسيم السابق. إنّنا أوجدنا سابقاً صنفين اثنين من التقسيم، ويجب أن نكشف النقاب عن نوع ثالث، هذا النوع الذي يكون تعليله صعباً ويُرى بضعف. إنّ النوع الجديد من الوجود هو الوعاء، وهو متعهّد كلّ الولادات إلى حدّ ما. ودعني أثير الأسئلة الآن بشأن النار والعناصر الأخرى، وأن أقرّر ما هو كل منها. نرى نحن، في المقام الأوّل، أنّ ما نسمّيه ماءً لتوّنا الآن، يصبح حجراً وتراباً بالتكثيف؛ ويتحوّل هذا العنصر عينه إلى بخار وهواء، عند إذابته وتشتيته؛ ويحدث الهواء الغيم والسديم عندما يتراكم ويتكثّف، ويأتي من هذه الأشياء الماء المتدفّق، حينما يصبح مضغوطاً أو متكثّفاً أكثر، ويأتي من الماء التراب والأحجار مرّة أخرى. وهكذا يبدو النشوء أنه منقول من عنصر إلى العنصر الآخر في دائرة. وبما أنّ هذه العناصر تتغيّر على الدوام، فلا يمكن لأيّ شخص أن يؤكد أنّ أيّاً منها يكون شيئاً واحداً بدلاً من أن يكون الشيء الآخر. ويلزمنا أن نفهم الطبائع الثلاث لعملية التغيير في الوقت الحاضر. إنّ الطبيعة الأولى هي تلك الطبيعة التي تكون في عملية النشوء؛ والثانية، تلك التي يأخذ النشوء فيها مكانه؛ والثالثة، هي التي ينشأ منها الشيء الذي يكون صورة أو شَبَهاً ومنتجاً بشكل

طبيعيّ. ويمكننا أن نشبّه المبدأ المستَقبِل بالأم، والأصل والمصدر بالأب، والطبيعة المتوسطة بالطفل. ويمكننا أن نقول أبعد من ذلك، وهو أنّ النسخة إذا كانت لتتّخذ كلّ شكل من أشكال التنوّع، فإنّ المادة التي تصاغ منها النسخة لن تكون معدَّة كما ينبغي حينئذ، ما لم تكن عديمة الصورة، ومتحرّرة من الأثر القوي لأيّ شكل من تلك الأشكال التي ستتلقاه من الخارج بعدئذ. لأنّ المادّة إذا كانت مثل أيّ شكل من الأشكال الحادثة على نحو غير متوقّع، حينئذ، كلّما انطبعت على سطحها أيٌّ من الطبيعة المضادّة أو المتباينة بشكل كلّي، فإنّها ستقبل الانطباع بشكل سيِّيء. وهكذا يجب أن يفعل صانعو العطورات وأولئك الراغبون بطبع الأشكال على المواد الطريَّة. لهذا السبب، فإنّ الأمّ ووعاء كلّ الأشياء المخلوقة والمرئيّة، وفي أيّة طريقة محسوسة، لا تكون لتدعى التراب، أو الهواء، أو النار، أو الماء، بل يكون هذا الوعاء مخلوقاً غير مرئيّ ولا شكل له يتلقى كلّ الأشياء ويشارك بطريقة سريَّة ما فيما يتعلّق بالمدرك بالعقل، ويكون المخلوق الأكثر إبهاماً.

لهذا أقول: إنّني أؤكّد أنّ العقل والرأي الحقّ هما متمايزان لأنّهما يمتلكان أصلاً مميّزاً وطبيعتين مختلفتين، إحداهما مغروسة فينا بالتثقيف والأخرى بالإقناع. إحداهما تكون متلازمة بالعقل الحقيقيّ على الدوام، وتكون الأخرى بدون العقل. وأخيراً يمكن القول، إنّ كلّ إنسان يشارك في الرأي الحقّ، لكنّ العقل هو خاصيّة الآلهة وعددٍ قليل جدّاً من الرجال. إنّ الطبيعة الأولى التي تكلّمت عنها أوّلاً هي الوجود، الفضاء، النشوء، وهي وُجدت بطرائق ثلاث قبل وجود السماء، والموجد نثر العناصر الأكثر لا تشابهاً بعيداً جدّاً بعضها عن البعض، وأجبر العناصر الأكثر تشابهاً على التماسّ القريب. وصاغها الله جلّ مجده وفقاً للشكل والعدد، وصنعها أجمل صناعة وأفضلها قدر الإمكان. أمّا الشكل الذي اعتمده الباري العلاّم في صناعتها فكان شكل المثلّثات. وكان المثلث الأكثر جمالاً منها كلّها، هو ذلك المثلّث الذي يكون الشكلان المضاعفان له مثلثاً ثالثاً الذي هو المثلث المتوازي

الأضلاع. وسأشرح شرحاً مفصّلاً وافياً كيفية بناء هذه المثلثات وأبين أعدادها، وسأفعل ذلك مع بقيّة الأشكال الهندسيّة.

وبعدُ، فإنّنا نعزو إلى الأرض الشكل المكعَّب، وننسب إلى الماء ذلك الشكل الواحد من الأشكال الباقية الذي يكون الأقلّ تحرّكاً، والشكل الأكثر حركة منه إلى النار، والشكل المتوسّط في الحجم إلى الهواء، والهرم يكون الشكل المجسَّم الذي هو العنصر الأصليّ وبذرة النار. إنّنا نتصوّر أنّ كلّ هذه العناصر صغيرة جدّاً لدرجة أنّنا لا نقدر على رؤية ذرّة مفردة من هذه الأنواع الأربعة التي علّلناها بسبب صغرها. لكن عند تراكم عديدها معاً فإنّ تكتّلها يُرى. أمّا نِسَب أعدادها، حركاتها، وخواصّها الأخرى، فإنّ الله تمّمها ونسّقها في كلّ مكان بنسبة واجبة الأداء، وبقدر ما سمحت به الضرورة أو أعطت موافقتها عليه.

نستنتج ممّا قلناه بشأن العناصر، أنّ التراب حينما يقابل النار ويُحلَّل بحدَّته، فإنّه يُحمل هنا وهناك، إلى أن تتقابل أجزاؤه معاً وتتآلف بشكل مشترك، وتصبح أرضاً، ولا تستطيع أن تأخذ أيّ شكل آخر أبداً. لكن عندما يُقسَّم الماء بالنار أو بالهواء، فإنّه يمكنه أن يصبح جزءاً واحداً ناراً وجزأين هواءً عند إعادة تشكيله. وتصبح كتلة واحدة مقسَّمة من الهواء كتلتين من نار، مرّة ثانية، عندما يُحتوى جسم صغير من النار في جسم أكبر من الهواء أو الماء أو التراب، ويكون كلاهما متحرّكاً، وتُنهك النار المكافحة ويُوضع حدّ لها، حينئذ فإنّ كُتْلَتَي النار تشكّلان كتلةً واحدة من الهواء. وعندما يُنهك الهواء ويُجزّأ إلى قطع صغيرة، فإنّ جزأين ونصفاً من الهواء تُكثّف إلى جزء واحد من الماء. وبداعي هذه التأثيرات وغيرها التي أوضحناها، تكون كلّ الأشياء مغيِّرة مكانها، إذ بسبب الحركة التي للإناء أو الوعاء المستقبِل يوزِّع الحجم من كلّ صنف في مكانه المناسب. لكنّ تلك الأشياء التي تصبح غير شبيهة بنفسها وشبيهة بالأشياء الأخرى، تُعجَّل بواسطة الاهتزاز إلى مكان الأشياء التي تصبح فيه متشابهة. لكنّ الأنواع الثانوية من الأجسام التي

تُتضمَّن في الأنواع الأعظم، فإنّها تُعزى إلى التنوّعات في بناء المثلثين الأصليين الاثنين.

نؤكّد فيما يتعلّق بالحركة والسكون، أنّه ما لم يصل شخص إلى فهم بشأن الطبيعة وحالات السكون والحركة، فسيلاقي صعوبات جمّة حين البحث بشأنهما. لهذا أقول إنّ الحركة لا توجد أبداً في الذي يكون مُنتَظَماً، ولا شيء يتحرّك بدون محرّك، ولا يوجد محرّك إلاّ إذا وُجد شيء ما يستطيع أن يتحرّك، ولا يمكن للحركة أن توجد حيث يكون كلّ من هذين الشيئين مفقوداً. إنّنا نعزو السكون إلى الانتظام والحركة إلى افتقار الانتظام، ونؤكّد أنّ الأشياء عندما تُقسّم على غرار أنواعها، لا تتوقّف عن الولوج بعضها في بعض كي تغيّر مكانها. إنّ العناصر الأربعة كلّها تكون مشتَمَلةً في دورة الكون، وكون هذه العناصر دائريّة ولديها ميل لتصبح معاً، فإنّها تضغط كلّ شيء ولن تسمح بترك أي مكان فارغاً. لهذا السبب، تخترق النار كلّ مكان فوق كلّ الأشياء، ويأتي الهواء تالياً، لكونه تالياً في تخلخل العناصر. ويخترق العنصران الاثنان الآخران بأسلوب مماثل طبقاً لدرجات تخلخلهما.

يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار وجود الأنواع المتباينة من النار. فهناك اللّهب، وهناك العناصر الغازيّة الثقيلة الناشئة عنه والتي لا تحترق بل تهب النور للعيون فقط، وهناك بقايا النار التي تُرى في جذوةٍ حمراء حارّة بعد إخماد اللهب. هناك فوارق مشابهة في الهواء، ويسمى الجزء الأكثر صفاء منه الأثير، ويدعى الأكثر كثافة سديماً وظلاماً، وهناك أنواع متعدّدة أخرى بدون أسماء تنبثق من التباين في المثلثات. أمّا الماء فيتألّف من نوعين، وينشأ الذهب والألماس والنحاس والصدأ من التفاعلات الكيميائية بين النار والهواء والماء. سأوجز كيف يُشكّل البَرَد، والجليد، والثلج، والندى، والصقيع، والعصارات في الطبيعة، وكذلك التحوّلات الكيميائية لهذه العناصر الأربعة، وإن كانت هذه التحوّلات تأخذ مجراها بالقسر أو بشكل طبيعي.

وينبغي أن نبحث الآن في أصل اللّحم، أو ذلك الجزء من الروح الذي يفنى. لذلك فإنّنا سنفترض مقدّماً وجود الجسم والروح كما فعلنا من قبلُ. وسنحقّق في تأثيرات الجسم بادىء ذي بدء، وكيف تحدث اللذّة والألم، وسنتحدّث عن عمل اللسان الذي هو عضو حاسّة الذوق، وعمل عضو الشمّ، والأذن، وكيف تؤدي هذه الأعضاء كلّ وظائفها في نظام جميل، وسنتطرّق إلىٰ الكلام عن الألوان وأنواعها وتأثيراتها، وسنوضح الألوان الأساسيّة منها، ثمّ كيفية مزجها بعضها ببعض لاستحداث اللون الذي نريده منها. لكنّنا نقول بهذا الصّدد إنّ الذي سيحاول التحقق من صحّة كلّ هذا الاختبار، سينسى فرق الطبيعة الإلهيّة والطبيعة الإنسانية، لأنّ الله وحده يمتلك المعرفة والقوّة أيضاً القادرتين على مزج عدّة أشياء في شيء واحد، وعلى أنّ يحلِّل الواحد إلى عدة أشياء مرّة ثانية. لكنْ لا إنسان يبقى أبداً ولا يكون قادراً على أن ينجز العمليّة الواحدة أو الأخرى.

إنّ هذه العناصر الأربعة هي العناصر التي وجدت بالضرورة، والتي ربطها المبدع بالذهن معه، وهي العناصر الأفضل والأجمل من كلّ الأشياء. عندما أبدع الله استنبط الخير في كل إبداعاته، لذلك يمكننا أن نميِّز نوعين اثنين من الأسباب، أحدهما إلهيّ والآخر ضروريّ. ويمكننا أن نبحث عن السبب الإلهي في كلّ الأشياء، بقدر ما تسمح به طبيعتنا، قصد الحياة المباركة؛ غير أنّ البحث في النوع الضروريّ قصد الإلهي فقط فهو ما نصبو إليه، آخذين بعين الاعتبار أنّه بدون هذين النوعين، وعند عزلنا عنهما، فإنّ هذه الأشياء الأعلى التي نرنو إليها لا يمكن أن تدرك أو يُستطاع تلقّيها أو أن نشارك فيها بأيّة طريقة.

كما قلت في البدء، عندما كانت كلّ الأشياء في فوضى واضطراب، أبدع الله كلّ شيء، ووهبها كلّ الأقيسة والتناغم الذي يمكنها أن تتلقّاه قدر الإمكان. وفي تلك الأيّام لم يمتلك أيّ شيء أيَّ اتّساقٍ إلاَّ بالعَرَض، ولم يستحقّ أيُّ عنصر من العناصر أن يعطى إسماً. الخالق تعالى وضع كلّ هذه العناصر في انتظام، وبنى

منها الكون الذي كان حيواناً مفرداً متضمِّناً في نفسه كلّ الحيوانات الأخرى، الفانية منها والخالدة. وبعدُ، فإنّ الإلهي كان هو ذاته مبدِعه، غير أنّ خلق الفاني سلَّمه إلى عَقِبه. ومقلّدوه، تلقّوا منه المبدأ الخالد للروح؛ وشرعوا بصياغة جسمٍ فانٍ حول هذه الروح، وصنعوه ليكون المركبة لها، وبنوا داخل الجسد روحاً من طبيعة أخرى كانت فانية، وعرضة للتأثيرات والانفعالات الأخرى المرعبة التي لا تُقاوم. كانت اللذّة التي هي الدافع الأكثر للشرّ والمحرّضة عليه، كانت قبل هذه التأثيرات كلّها، ثم كان بعدئذ الألم الذي يعوق الخير ويردع عنه، وجاء بعدهما التهوّر والخوف المستشاران الأحمقان؛ ثم الغضب الصعب تهدئته، والأمل السهل تضليله، ثم مزجوا كلّ هذه الأشياء بالإدراك اللاعقلاني وبالحبّ الجسور كلّه طبقاً للقوانين الضرورية. وهكذا صاغوا الإنسان، وعلّبوا الروح الفانية في جزء من القفص الصدريّ، ووُضِعَ القلب في مكان الحارس الذي هو عقدة الأوردة والعروق ونافورة الدمّ الذي يتدفّق من خلال الأطراف كلّها، وزرعوا الرئتين كدعامة له. أما الجزء الآخر من أجزاء الروح الذي يرغب اللحم والشراب والأشياء الأخرى التي يحتاجها بسبب طبيعة الجسد، فإنّهم وضعوه بين الحجاب الحاجز وتخم السرّة، واستنبط الله الكبد كي يمكن لقوّة التفكير التي تنبثق من العقل، أن تنعكس مثلما تنعكس الأشياء في المرآة والتي تتلقّى الأشياء وتعيد صورها إلى البصر. أمّا الحلاوة الطبيعية للكبد، فإنّها تصحِّح كلّ الأشياء وتجعلها في نظام أحسن ولطيفة وحرّة، وتصيِّر قسم الروح الذي يقيم حول الكبد سعيداً وفرحاً، ولكي يزاول النبوءة في النوم. والكبد هذا هو المركز الذي يمكنه أن يعطي التصريحات النبويّة. أمّا الطّحال فبني قصد إبقاء الكبد نقيّاً ونظيفاً، وهو مثل المنديل، جاهز ومستعد وفي متناول اليد كي ينظِّف المرآة.

صُنِعت العظام واللحم من أجل نخاع العظم، وهو أربطة الحياة التي توحِّد الروح مع الجسد، ونخاع العظم هو الجذر والأساس للجنس الإنساني. إنّ الله صنع

نخاع العظم كي يكون البذرة العالمية لكلّ نوعٍ فانٍ، وفي هذه البذرة زرع وعلّب الأرواح حينئذ. أمّا ذلك القسم من نخاع العظم الذي سمَّاه الدماغ، والذي كان يتلقّى البذرة الإلٰهيّة، مثلما يتلقّى الحقل حبّة القمح، فإنّ الله جلّ شأنه وزّعها حالاً بأشكال مستديرة وممدَّدة وسمَّاها كلّها بآسم « نخاع العظم »، وأوثق بهذه الأربطة الروح كلّها، كما توثق الباخرة بالمرساة. ثم واصل الله العمل كي يصوغ هيكل الجسد كلّه، مشيّداً لنخاع العظم غطاءً كاملاً من العظام قبل كلّ شيء. واستنبط الله تعالى الأعصاب واللّحم، إلى حد أن ربط كلّ الأعضاء معاً بالأعصاب، كي يمكنه أن يجعل الجسد قادراً على الانثناء والتمدّد، في حين أنّ اللّحم يحميه من الحرارة والبرد والرطوبة. ثم صاغ الجلد والألياف عندئذ.

وبعدُ، فإنّ كلّ أعضاء الحيوان الفاني أصبحت معاً، وبما أنّ ضرورة حياته تألّفت من النار والنَّفَس وتبدَّدت بالتحلّل والفصد، استنبطت الآلهة علاجاً لهذا السبب. أمّا الدّم فهو السائل الذي يغذّي اللحم والجسم كلّه، وهو يتألّف من بعض أقسام الغذاء الذي نتناوله. وكما قلنا، هناك طبائع أربعة يتألف الجسم منها، وهي التراب والنار والماء والهواء، وأيّ خلل أو إفراط غير طبيعيّ لهذه الطبائع، أو أيّ تغيير لأيٍّ منها من مكانها الخاصّ بها إلى مكان آخر، أو أيّ عدم نظام أو فوضى مشابهة، فذلك ما يسبب الاضطرابات والأمراض. وإنّي سأتولّى إيضاح ذلك بالتفصيل. وأسوأ حالات المرض تكون عندما يعتلّ نخاع العظم، إمّا من الإفراط أو من الخلَل. لكنّ اضطرابات وعلل الروح تأتي من الجنون والجهل، وكذلك من الإفراط في الملذّات والآلام. غير أنّ المعالجة الأمثل التي نستطيع أن نقي العقل والجسم بها تكون بحماية العقل من الجهل الذي هو أكبر أمراض الروح. وينبغي علينا أن لا نحرّك الجسم بدون الروح أو الروح بدون الجسم. وهكذا فإنّهما سيكونان يقظين أحدهما ضد الآخر، ومتعافيين ومتوازيين. ويلزمنا أن نمارس الألعاب الرياضيّة البسيطة لنقي الجسم من الأمراض. وعند اهتمامنا بصياغة الجسد، يجب

أن تنقل إلى الروح حركاتها المناسبة بالمقابل، وأن نكرِّس أنفسنا للفنون والفلسفة كلّها، إذا ما كنّا جديرين بأن نُسمّى عادلين بحقّ وأخياراً بصدق. ونرى لزاماً علينا أن نسوس الأمراض بالحِميّة، وأن لا نثير عدوّاً سيِّىء الطبع بالأدوية، لأنّ الأمراض يجب ألا تثار بالدواء، إلا إذا كانت خطيرة جداً. إنّ كلّ فرد يأتي إلى الوجود يمتلك أجلاً محدَّداً من الحياة، وتصاغ المثلثات فينا كي تبقى لمدّة معيَّنة بشكل رئيسيّ، ما وراء النطاق الذي لا يستطيع إنسان إطالة حياته أبداً.

يلزمنا أن نأخذ بعين الاعتبار أنّ الله أعطى الجزء الرئيسيّ للروح الإنسانية كي يكون الجزء الألوهي في كلّ شخص، كون ذلك هو الجزء الذي يسكن في قمّة الجسد. وبقدر ما نكون نحن غرسة غير ذات نشوء أرضي بل ذات نشوء إلهي، فإنّ الله القدير رفعنا عن الأرض إلى أشقّائنا الذين هم في السماء. ونقول ما نقوله في هذا بصدق؛ لأنّ القوّة الإلهيَّة فصلت الرأس مؤقّتاً وكذلك قاعدتنا عن ذلك المكان حيث بدأ نشوء الروح أوّلاً. وهكذا فإنّ الجسد كلّه كان منتصباً. إنّ واحدنا الذي قد جدَّ في حبّ المعرفة والحكمة الحقيقيّة، واستخدم أفكاراً خالدة وإلهيّة، وإذا وصل إلى الحقيقة، بقدر ما تكون الطبيعة الإنسانية قادرة على المشاركة في الخلود، إذا فعل كلّ هذا، ينبغي أن يكون هو خالداً بكلّ ما في الكلمة من معنى. وطالما أنّه يعزّ السلطة الإلهيَّة، ويمتلك الإلهيّة في داخله تامّة النظام، فإنّه سيكون سعيداً على نحو استثنائيّ وفريد.

وهكذا فإنّ تصميمنا الأصليّ فيما يتعلّق بالكون نزولاً إلى إبداع الإنسان قد أُتِمَّ، بقدر ما يسمح الموضوع بالإيجاز. ويمكننا القول الآن إنّ بحثنا بشأن طبيعة الكون ككلّ قد وصل إلى نهايته. إنّ هذا العالم، متلقياً وشاملاً تمامه وكماله من الحيوانات الخالدة والفانية، صُيِّر هكذا حيواناً متطوّراً محتوياً الطبائع المرئيّة. إنّه صورة الله المدرَك بالعقل، عالم محسوس، هو الأعظم والأفضل، وهو الأكثر جمالاً وكمالاً؛ كونه لا شيء غيراً من هذه السّماء الواحدة الوحيدة المسبَّبة.

محاورة طيماوس

اشخاص المحاورة

سقراط طيماوس
كريشياس هيرموكرايتس

سقراط: واحد، اثنان، ثلاثة. لكن أين هو الشخص الرابع، يا عزيزي طيماوس، من بين أولئك الأشخاص الذين كانوا ضيوفاً عندي نهار البارحة والذين يجب أن يشتركوا معي في المناظرة اليوم؟

طيماوس: إنّه كان مريضاً، يا سقراط؛ ولولا ذلك لما تغيب عن هذا الاجتماع.

سقراط: بما أنّه لن يأتي إذن، ينبغي عليك وعلى الاثنين الآخرين أن تملؤوا مكانه.

طيماوس: سنفعل ذلك بالتأكيد، وسنقوم بأقصى ما نستطيع كي لا نخيّب أملك؛ ولأنّك أكرمت وفادتنا نهار البارحة بسخاء، فإنّ أولئك الباقين منّا يلزمهم أن يكونوا جذلين جدّاً ليعيدوا لك حسن ضيافتك.

سقراط: هل تتذكّر ماذا كانت النقاط الرئيسية التي كنتم بحاجة للكلام عنها؟

طيماوس: إنّنا نتذكّر بعضها، وأنت ستكون هنا لتذكّرنا بما نسيناه؛ أو على الأصحّ إن لم نسبّب إزعاجاً لك، فإنّك ستلخّصها كلّها باختصار، وستكون النقاط الهامة منها أكثر ثباتاً في ذاكرتنا بشكلٍ راسخ عندئذ.

سقراط: سأفعل ذلك، لتكن متأكّداً. إنّ موضوع محادثتي الرئيسي نهار البارحة كان عن الدولة: كيف أُنشئت؟ ومن أيّ المواطنين شُكِّلت كي تصير الأكثر كمالاً على الأرجح؟

طيماوس: نعم، يا سقراط؛ وما قلته عنها كان قريباً جدّاً من تفكيرنا.

سقراط: ألم نبدأ بفصل المزارعين والحرفيّين من طبقة المدافعين عن الدولة؟

طيماوس: نعم.

سقراط: وعندما أعطينا لكلّ شخص تلك الوظيفة المفردة والفنّ المستقلّ اللذين كانا مناسبين لطبيعته، فإنّنا تكلّمنا عن أولئك الذين قصدنا أن يكونوا مقاتلينا، وقلنا إنّهم يجب أن يكونوا حراس المدينة ضدّ الهجمات التي تتعرّض لها الدولة من الداخل وكذلك من خارج الحدود، وأن لا يمتلكوا أيّة وظيفة أخرى. وعليهم أن يكونوا رحماء في الحكم على رعاياهم، والذين هم أصدقاؤهم بالطبيعة، لكن جبّارين على أعدائهم، حينما يلتقونهم في المعركة.

طيماوس: بالضبط.

سقراط: وقلنا، إذا لم أكن مخطئاً، إنّ الحماة يجب أن يكونوا موهوبين بالحساسيّة البالغة بدرجة سامية في كلا الحقلين العاطفي والفلسفي؛ وإنّه ينبغي عليهم بعدئذ أن يكونوا لطفاء مع أصدقائهم وقساة على أعدائهم.

طيماوس: بالتأكيد.

سقراط: وماذا قلنا عن تعليمهم؟ ألم نتطرّق إلى وجوب تدريبهم على الألعاب الرياضية وعلى علم الموسيقى، وعلى كلّ نوع آخر من أنواع المعرفة الذي يناسبهم؟

طيماوس: حقيقيّ جداً.

سقراط: وكونهم مدرَّبين هكذا فما كان عليهم أن يعتبروا الذهب أو الفضّة أو أيّ شيء آخر ملكاً خاصّاً بهم؛ بل يجب عليهم أن يكونوا كالجنود المستأجرين، يقبضون رواتبهم لقاء حراستهم من أولئك الذين قاموا على حمايتهم ـ ولا يلزم أن يكون ما يقبضونه أكثر ممّا يكفي الرجال كي يعيشوا حياة بسيطة؛ وينبغي عليهم أن ينفقوا المال بشكل مشترك، وأن يعيشوا معاً في الممارسة المتواصلة للفضيلة التي يلزم أن تكون سعيهم الفريد.

طيماوس: هذا قد قيل أيضاً.

سقراط: لا، ونحن لم ننسَ النساء، اللواتي أعلنّا أنّ طبائعهن يجب أن تُنمّى بالتدريب وبشكل متناسق، مساوية لتلك الطبائع التي يمتلكها الرجال. وقلنا إنّ سعيهنّ ينبغي أن يخصّص لهنَّ في زمن الحرب وأثناء حياتهنَّ الاعتيادية على حدّ سواء.

طيماوس: إنّ ذلك كان كما تقول، مرّة ثانية.

سقراط: وماذا بشأن إنجاب الأطفال؟ أو على الأصحّ ألم يكن هذا الاقتراح اقتراحاً استثنائياً كي يُنتسى؟ قلنا إنّه يجب علينا أن تكون كلّ الزوجات والأطفال مُشترَكيْن، ليس بهدف أن لا يعرف شخص طفله الخاصّ به فقط، بل يلزمهم أن يتصوّروا أنّهم كانوا كلّهم عائلة واحدة؛ فأولئك الذين كانوا ضمن عمرٍ محدّدٍ مناسب وجب أن يكونوا أخواناً وأخوات، وأولئك الذين كانوا أكبر سنّاً آباءً وأجداداً. أمّا أولئك الأفتى من الاثنين فأطفال وأحفاد.

طيماوس: نعم، وكما تقول، فإنّ الاقتراح سهلٌ تذكّره.

سقراط: وهل تتذكّر أيضاً أنّنا قلنا، بقصد ضمان النسل الأفضل على قدر استطاعتنا، قلنا، إنّه يجب على الحاكم الرئيس، ذكراً كان أم انثى، أن يجد وسيلة بالسرّ، وذلك باستخدام مجموعة محدّدة من الأشخاص، كي يرتّبوا لقاءً زواجياً، وذلك كي يتمكنّ الصالحون والسيئون من كلا الجنسين من الاقتران بأشباههم؛ ولا يلزم أن ينشأ خصام فيما بينهم بشأن هذا الموضوع، لأنّهم سيتصوّرون أنّ الاتّحاد كان مجرّد حادث، وأنه من عمل القدر.

طيماوس: إنّني أتذكّر ذلك.

سقراط: وتتذكّر أنت كيف قلنا إنّ الأطفال ذوي الآباء الصالحين وجب تعليمهم، وأن يُشتّت الأطفال السيئون بين المواطنين الوضيعين سرّاً. وخلال نموّ الجميع يجب على الحكام أن ينتبهوا، وأن يُرقّوا من تحت أولئك الأهل بالجدارة كلّ

بدوره، وذلك كي يأخذوا أماكن أولئك الذين هم بينهم والذين لا يستحقون ينزلون لأخذ أماكن الذين صعدوا.

طيماوس: حقاً.

سقراط: هل أعطيتك الآن إذن كلّ مواضيع بحثنا نهار البارحة؟ أو هل هناك أيّ شيء أكثر، يا عزيزي طيماوس، نسيناه أو أسقطناه؟

طيماوس: لم تغفل أيّ شيء، يا سقراط؛ إنّ البحث كان كما أوردته تماماً.

سقراط: سأحبّ أن أخبرك، قبل أن نتقدّم أبعد من ذلك في بحثنا، كيف أشعر بشأن الدولة التي وصفناها. يمكنني أن أقارن نفسي بالشخص الذي لدى مشاهدته الحيوانات الجميلة التي أبدعها فنّ الرسّام اليدويّ، والتي ما تزال الأفضل، والحيوانات حيّة لكنّها ساكنة، أحب أن أقارن نفسي بذلك الشخص الذي استولت عليه رغبة رؤيتها متحرّكة، أو مشاهدتها متورطة في صراعٍ أو نزاعٍ ما، يظهر أنّ شكلها مناسب له. إنّ هذا هو شعوري بخصوص الدولة التي قد وصفناها. هناك خلاف تقاسيه المدن كلّها، وسأرغب في سماع شخص ما يخبر عن مدينتنا وهي تخوض صراعاً ضدّ جاراتها، وكيف أنّها خاضت حرباً في نمطٍ ملائم، وأنها عندما كانت تخوض غمارها كيف أنّها أبانت بعظمة أعمالها وبشهامة كلماتها في التعامل مع المدن الأخرى، أبانت نتيجة جديرة بتمرينها وثقافتها. وبعدُ فإنّي، يا كريشياس وهيرموكرايتس، لمدرِك بأنّي لن أكون قادراً أبداً على أن أمجّد المدينة ومواطنيها بطريقة مناسبة، ولست بمنشدهٍ لعجزي الخاصّ. وإنّ انشداهي هو، على الأصحّ، أنّ الشعراء المعاصرين والماضين منهم ليسوا في وضع أفضل ـ وعندما أقول ذلك لا أقصد أنّ أنتقص من أقدارهم. لكن يستطيع كلّ شخص أن يرى أنّهم ليسوا سوى قبيلة من المقلّدين، وأنّهم سيقلدون تقليداً أفضل وأكثر سهولة الحياةَ التي

قد نشأوا فيها؛ في حين أنّ الذي يكون وراء مدى ثقافة الإنسان، سيجده المقلّد صعباً كي يبرزه إلى حيِّز العمل، ويبقى الأصعب من ذلك إحضاره في لغةٍ على نحوٍ وافٍ بالمراد. إنّني لعالِمٌ بأنّ السوفسطائيين يمتلكون وفرة من الكلمات الشجاعة والنزوات الجميلة، لكنّني أخشى من أن كونهم متجولين من مدينة إلى أخرى، وبما أنّهم ليس لديهم مساكن خاصّة بهم، أخشى أنهم ربّما يخفقون في فهمهم للفلاسفة ورجال الدول، ويمكن أن لا يعرفوا ماذا يفعلون وماذا يقولون في زمن الحرب. وهكذا فإنّ الناس الذين من صنفكم هم الأشخاص الوحيدون الباقون المناسبون بالطبيعة والتعليم لأن يأخذوا دوراً في علم السياسة وعلم الفلسفة كليهما. هنا طيماوس، من لوكريس في إيطاليا، المدينة التي لديها قوانين رائعة، وهو نفسه الإنسان الذي يتساوى في غناه وفي مرتبته الاجتماعيّة بأيٍّ من رفاقه المواطنين؛ وهو الذي شغل المناصب الأكثر أهميّة وشرفاً في دولته الخاصّة به، وكما أعتقد، فإنّه تبوّأ قمم الفلسفة كلّها؛ وهنا كريشياس، الذي يعرفه كلّ أثيني، إنّه ليس مبتدئاً في المسائل التي تكلّمت عنها. وأمّا فيما يتعلّق بهيرموكرايتس، فإنّي لمتأكّد ممّا قاله العديد من الشهود من أنَّ عبقريّته وثقافته يؤهّلانه ليأخذ دوراً في أيّ تأمّلٍ من هذا النوع. ولهذا السبب فإنّني عندما رأيت أنّكم تريدونني أن أصف تشكيل الدولة نهار البارحة، قبلت ما أردتموه بشكل سريع، كوني على علمٍ جيّد جدّاً، أنّكم لو أردتم فقط، فلا أحد هو أجدر منكم بحمل المحاورة وإدارتها بزخم، وأنّكم أنتم عندما شغلتم مدينتنا في حرب مناسبة، يمكنكم بأفضل ممّا يستطيعه كلّ الرجال أن تعرضوا لعب دورها المناسب فيها. وعندما أنهيت عملي الشاقّ، فرضت عليكم بدوري العمل المنهك الآخر. إنّكم تشاورتم معاً واتّفقتم على إكرام وفادتي اليوم، كما

أكرمت وفادتكم، بمأدبة تباحثية. إنّني هنا الآن في نظامٍ مهرجانّي، ولا يمكن لإنسانٍ أن يكون أكثر استعداداً منّي للمأدبة الموعودة.

هيرموكرايتس: ونحن لن نفتقر للحماسة، يا سقراط، كما يقول طيماوس، ولا عذر لعدم الاستجابة لالتماسنا. ونحن حالما وصلنا البارحة إلى غرفة الاستقبال التي يمتلكها كريشياس، الذي نقيم معه سوياً، أو على الأصحّ عندما كنا في طريقنا إلى هناك، تحدّثنا بهذه القضيّة، وقد أخْبَرَنا هو عن التقليد الذي أرغب منك، يا كريشياس، أن تردِّده لسقراط، وهكذا كي يتمكنّ من مساعدتنا في الحكم عليه، إذا ما كان سيفي باحتياجاته أو أنّه عكس ذلك.

كريشياس: سأفعل هذا، إذا صادق عليه طيماوس الذي هو شريكنا في المحاورة.

طيماوس: إنّني أصادق عليه وأستحسنه تماماً.

كريشياس: إسمع قصّةً يا سقراط. وبرغم أنّها قصّة غريبة لكنّها حقيقيَّة بدون ريب، إذا إنّ صولون صادق وشهد عليها، وهو الذي كان أعقل الحكماء السبعة. إنّه كان قريباً وصديقاً عزيزاً لجدّي الكبير، دروبايدس، كما يقول هو نفسه في الغديد من مقاطع شعره. وتلا القصة على كريشياس، جدّي، الذي تذكَّرها وردَّدها لنا. قال: كانت هناك منذ القدم أعمال عظيمة ومدهشة للمدينة الأثينيّة، لفَّها النسيان بمرور الزمن ودمار الجنس البشريّ، وكان واحدٌ من هذه الأعمال أعظم من كلّ الأعمال الباقية بشكل خاص. إنّني سأتلو هذا الآن، وسيكون أثراً باقياً ممّا يناسب إقرارنا بالفضل لكم، وإنّه لترتيلة ثناء حقيقية وجديرة بالآلهة، في يوم عيدهم هذا.

سقراط: جيّد جدّاً، ما هو هذا العمل الشهير الغابر للأثينيين، الذي أعلنه كريشياس، بناءً على شهادة صولون، وقال إنّه ليس مجرَّد أسطورة، بل هو حقيقة حقّة؟

كريشياس: سأخبرك قصّة عالميّة قديمة سمعتها من رجل مسنّ؛ لأنّ كريشياس يوم

رَواها كان في التسعين من عمره تقريباً، كما يقول، وكان عمري عشر سنوات. وبعدُ فإنّ ذلك اليوم كان يوم « أباتريا » الذي يُسمَّى يوم تسجيل الفتيان، والذي وهب آباؤنا أثناءَه الجوائز لحصص التدريس طبقاً للعادة المتَّبعة، وألقينا، نحن الأولاد، قصائد للشعراء العديدين، وغنَّى الكثير منا قصائد صولون، والتي كانت ما تزال تحتفظ بطريقة جيّدة في ذلك الوقت. حينئذ قال شخص من رجال قبيلتنا في معرض حكمه على صولون، إمّا لأنّه فكّر بذلك أو لكي يسرّ كريشياس، قال إنّ صولون لم يكن أعقل الرجال فقط، بل إنّه كان أنبل الشعراء أيضاً. وكما أتذكّر جيّداً جدّاً، فإنّ الرجل المسنّ، أشرق محيّاه بالبهجة عند سماعه هذا وقال: نعم، يا أميناندر، لو جعل صولون الشعر عمله في الحياة فقط، مثل بقيّة الشعراء، ولو أنّه أنهى القصّة التي أحضرها معه من مصر، ولو أنه لم يُجبَر على الانصراف إلى القضايا الأخرى بسبب النزاعات الحزبيّة والمشاكل التي وجدها ناشطة ومثارة في بلده عندما عاد إليها، لولا كلّ هذا، لكان في رأيي رجلاً شهيراً مثلما كان هوميروس وهيسيود، أو مثل أيّ شاعر آخر.

اميناندر: وماذا كانت القصّة، يا كريشياس؟

كريشياس: إنّها قصّة تحكي عن أعظم الأعمال التي قام بها الأثينيون أبداً، لكنّها لم تصل لنا خلال العصور بسبب مرور الزمن وهلاك الفاعلين.

قال الآخر: أخبرنا عن القصة بمجملها، وكيف وممّن سمع صولون هذا التعليم الحقيقي؟

أجاب كريشياس: هناك في الدلتا المصريَّة، عند الرأس الذي يتوزّع فيه نهر النيل، هناك منطقة محدَّدة تدعى منطقة سايسSais المدينة العظيمة في تلك المنطقة تُسمّى مدينة سايس أيضاً، وهي المدينة التي أتى منها الملك أماسيسAmasis. إنّ المواطنين هناك كان لهم إلهة، تدعى نايثNeith في اللسان المصري.

ويؤكّد المصريون أنّها الإلهة نفسها التي يدعوها الهيلينيون أثينا. إنّهم كانوا محبّين كباراً للأثينيين، ويقولون إنّهم يتقرّبون بهم في طريقة ما. إنّ صولون أتى إلى هذه المدينة، واستُقبل هناك بالترحاب والتمجيد العظيم. وسأل كهنتها الذين كانوا الأكثر حذقاً في قضايا كهذه، وفيما يتعلّق بالعصور القديمة، واكتشف أن لا هو ولا أيٌّ من الهيلينيين الآخرين عرفوا أيّ شيء جدير بالتنويه بشأن الأزمنة الغابرة. وعند مناسبة واحدة، وبما أنّه رغب في اجتذابهم ليتكلّموا عن العصور المنصرمة، ابتدأ بالإخبار عن الأشياء الأكثر قِدَماً في جزئنا هذا من العالم ـ ابتدأ بالتكلّم عن فورونيوس Phoroneos، الذي يدعى « الإنسان الأوّل »، وعن نيوب Niobe؛ وعن إنقاذ ديوكاليون Deucalion وبيرها Pyrhaبعد الطوفان، وتتبّع أصل المتحدّرين منهم. وعند تقديره للتواريخ، حاول أن يحصي كم من السنين مضى حين وقعت هذه الأحداث التي تكلّم عنها. وعليه، فإنّ واحداً من الكهنة، وكان متقدّماً جدّاً في السنّ، قال: أوه يا صولون، إنّكم أيّها الهيلينيون لستم سوى أطفال، وليس بينكم إنسان مسنّ واحد. سأله صولون بدوره ماذا عنى بقوله هذا. أجابه الكاهن، أعني أنّكم كلّكم فتيان في العقل والفكر، وليس هناك رأي قديم أُنزل بينكم بالتقليد والعرف الغابر، وليس عندكم علم عتيق في الدهر. وسأخبرك لماذا حصل ذلك. لقد حصل الدّمار الكبير المتعدّد للجنس البشريّ وسيحصل مرة ثانية، وهذا الدّمار ناشيء عن أسباب عديدة؛ وأعظمها قد أحدثته قوى النار والماء. وأمّا الدمارات الأخرى الأقل فتكاً فقد حدثت نتيجة أسباب أُخرى لا تحصى. هناك قصّة، والتي حتى صنتموها أنتم، وهي أنّ فايثون Phaethon، بن هيليوس Helios، بما أنّه شدَّ الحصانين وربطهما إلى عربة أبيه، ولأنه لم يكن قادراً على أن يسوقهما في الطريق الذي ساقهما به والده، أشعل كلّ الذي كان على سطح الأرض، وهلك هو نفسه بصاعقة.

وبعدُ فإنّ هذا القول يأخذ شكل الأسطورة، لكنّه يدلّ في الحقيقة على الميل الزاوي للأجسام التي تتحرّك في السماوات حول الأرض، ويدلّ على الحريق الهائل للأشياء فوق الأرض، الذي يتكرّر بعد فترات فاصلة طويلة. وفي أوقات كهذه فإنّ أولئك الذين يعيشون على قمم الجبال وفي الأماكن الجافّة والعالية، هم أكثر عرضة للهلاك من أولئك الذين يقطنون بجانب الأنهار أو على شاطىء البحر. وأمّا نحن في مصر فإنّ تدفّق النيل يَقِينَا من هذه النكبة. إنّ هذا النهر هو منقذنا الذي لا يخطىء قطّ. وعلى الجانب الآخر، عندما طهَّرت الآلهة الأرض بطوفانٍ من المياه، فإنّ مَنْ أُنقِذ في بلدك كانوا رعاة القطعان والكهنة الذي سكنوا قمم الجبال، لكن أمثالك الذين عاشوا في المدن فقد حملتهم الأنهار بطوفانها إلى البحر، بينما في هذه الأرض لم يسقط المطر من السماء على الحقول لا حينها ولا في أيّ وقت آخر، بل كان يصعد من أسفلٍ إلىٰ أعلى على الدوام. وأمّا التفسير الذي تحتفظ به التقاليد فإنّه أكثر التفسيرات الأخرى قِدَماً. والحقيقة هي أنّه حيثما يشتدّ صقيع الشتاء أو تشتد شمس الصيف الحارّة، فإنّهما لا يمنعان بقاء الجنس البشري بأعدادٍ كبيرة بعض المرات، أو في أعدادٍ أقلّ مرّات أخرى. ومهما حدث في بلادك أو في بلادنا أو في أيّة منطقة أخرى من مناطق العالم التي تصلنا أخبارها - وإذا كانت هناك أيّة أعمال نبيلة أو عظيمة أُنجزت بأيّة طريقة أخرى رائعة، فإنّ تلك الأعمال يقوم القدماء منّا بكتابتها وتدوينها، ونحتفظ بها في هياكلنا، في حين أنّكم أنتم والأمم الأخرى، حالما تبدؤون تجهيز أنفسكم بالحروف وبمستلزمات الحياة المتحضرة الأخرى، وبعد الفترة الفاصلة الاعتياديّة، فإنّ الدفق يأتي منسكباً من السماء على الأرض مثل الوباء، ويترك منكم أولئك الذين يكونون خلواً من الحروف ومن التعليم فقط. وهكذا فإنكم ستبدؤون بتعلّم كلّ شيء من جديد مثل الأطفال، ولا

تعرفون أيّ شيء عمّا حدث في العصور الغابرة، لا بيننا ولا بين أنفسكم. وأمّا فيما يختصّ بعلم أنسابكم تلك والتي عدَّدتها لنا لتوّك، يا صولون، فإنّها ليست بأحسن من قصص الأطفال. ففي المقام الأوّل أنت تتذكر طوفاناً واحداً فقط، لكن حصل العديد منها سابقاً. وفي المقام الثاني، أنتم لا تعرفون أنه قد سكن في أرضكم سابقاً أعدل وأنبل سلالة للإنسان عاشت على سطح الأرض قطّ، وأنّكم وسكان مدينتكم كلّها تحدّرتم من ذريَّةٍ أو بقيّةٍ صغيرة من بقاياهم التي نجت من تلك الأحداث. وهذا ليس معلوماً عندكم لأنّ الناجين من ذلك الدمار ماتوا منذ أجيالٍ عديدة، ولم يتركوا خلفهم كلمة مكتوبة. إذ مرّ زمن، يا صولون، قبل زمن الطوفان الأعظم منها كلها، يوم كانت المدينة التي تسمى الآن أثينا منشغلة في حرب مع الدول الأخرى، وكانت أفضل المدن كلّها حكماً بكل طريقة، وقيل إنّها أنجزت أكثر المآثر ميزةً وإنّه كان لديها دستور أفضل من الدساتير الأخرى الموجودة تحت قبّة السماء، والتي يرويها التقليد لنا. تعجّب صولون من كلماته، وطلب من الكاهن بجديَّة أن يخبره عن هؤلاء المواطنين السابقين بالضبط وبنظام. قال الكاهن: أرحّب بك، يا صولون، لأُسمعك ما تريد عنها من أجلك ومن أجل مدينتك، وفوق كلّ شيء، من أجل الإلهة التي هي النصير المشترك والأصل والمعلّمة لمدينتينا كليهما. إنّ هذه الإلهة أنشأت مدينتكم قبل أن تنشىء مدينتنا بآلاف السنين، متلقّية من الأرض ومن هيفياستوس أصل ذريتكم، وهي أوجدت مدينتنا فيما بعدُ، والمدوّن دستورها في سجلاّتنا المقدسة على أنّه يعود إلى ثمانية آلاف سنة خلت. وعند معالجتي لموضوع مواطنيكم منذ تسعة آلاف سنة مضت، فإنّي سأخبرك باختصار عن قوانينهم وعن أعمالهم الأكثر شهرة. وأمّا فيما يتعلّق بالتفاصيل الدقيقة عن الجميع فإنّني سأفحصها بدقّة بعدئذ في السجلات المقدسة عينها

في وقت راحتنا. وإذا قارنت هذه القوانين بالتحديد مع قوانيننا فإنّك ستجد أنّ العديد من قوانيننا هي النسخة المطابقة لِمَا عندنا منها وكما كانت في الأزمنة الغابرة. هناك هيئة الكهنة، في المقام الأوّل، المنفصلين عن كلّ الهيئات الأخرى، وهناك الصّنّاع الماهرون تالياً، الذين يستعملون حِرَفهم المتعدّدة بأنفسهم ولا يختلطون؛ وهناك طبقة الرعاة والصيادين أيضاً، مثلما هناك طبقة المزارعين. وستلاحظ أيضاً أنّ المحاربين في مصر مميّزون من كلّ الطبقات الأخرى، ويُلْزِمُهم القانون بتكريس أنفسهم للمساعي العسكريّة بشكل كليّ. وأكثر من ذلك، فإنّ الأسلحة التي يحملونها هي التروس والحراب، إنّها نوع من المعدّات التي علّمت الإلهة طريقة استعمالها قبل أن تعلّم أيّاً من الآسيويّين. مثلما علّمتكم أنتم قبل أنْ تعلّم أحداً في الجزء الذي تسكنونه من العالم. هل تلاحظون فيما يخصّ الحكمة بعدئذ؟ هل تلاحظون كيف أنّ قانوننا منذ الأزل أقام دراسةً لنظام الأشياء كلّها، باسطاً هذه الدراسة حتى إلى النبوّة وعلم الطبّ الذي يهب الصحّة، مستخرجاً من هذه العناصر الإلهية الشيء الذي كان أكثر الأشياء ضرورة للحياة الإنسانيّة، ومضيفاً إليها كلّ نوع من أنواع المعرفة كان مجانساً لها. إنّ كلّ هذا النظام وهذه الترتيبات منحتها لكم الآلهة بادىء ذي بدء عند تأسيسكم لمدينتكم؛ واختارت لها تلك البقعة من الأرض التي ولدت عليها، لأنّها رأت أنّ تلك حالة الفصول الوسطى البهيجة في تلك الأرض ستُبرِز أحكم الرجال. لذلك فإنّ الإلهة، التي كانت محبّة للحرب والحكمة على حدّ سواء، اختارت واستوطنت تلك البقعة قبل كلّ شيء، والتي كانت البقعة الأكثر احتمالاً لإنتاج أكثر الرجال شبهاً بنفسها. وهناك سكنتم أنتم، ولديكم قوانين كهذه وحتّى قوانين أفضل منها، وبززتم الجنس البشريّ كلّه بكلّ فضيلة، وأصبحتم أطفال وحواريّي الآلهة.

إن الكثير من المآثر الرائعة العظيمة دوّنت لدولتكم في تواريخنا. لكنّ واحداً منها يتخطّى كلّ المآثر الباقية في المجد والبسالة. وتخبرنا هذه التواريخ أنّ قوّة جبارة لا تُغاظ قامت بحملةٍ ضدّ أوروبا كلّها، وهي التي وضعت مدينتنا حدّاً لها. إنّ هذه القوة انبثقت من المحيط الأطلسيّ، لأنّ المحيط هذا كان صالحاً للملاحة في تلك الأيّام؛ وكانت هناك جزيرة قائمة قبالة المضائق التي سمّيتموها بأعمدة هرقل. إنّ الجزيرة هذه كانت أوسع من ليبيا وآسيا مجتمعتين معاً، وكانت الطريق للجزر الأخرى، ويمكنكم أن تمرّوا منها إلى القارة المواجهة كلّها والتي تحيط بالمحيط الحقيقيّ، لأنّ هذا البحر الموجود داخل مضائق هرقل هو مرفأ فقط، له مدخل ضيّق. لكنّ البحر الآخر هو البحر الحقيقي، والأرض التي تحيط به من كلّ جانب، يمكن أن تدعى القارّة اللاّمحدودة بالحقيقة الأكثر. وبعدُ فقد وجدت في جزيرة أطلنتيس هذه أمبراطورية عظيمة ومدهشة حكمت الجزيرة كلها وكذلك الجزائر الأخرى المتعدّدة، وحكمت أجزاء من القارة عينها. وعلاوة على ذلك، فإنّ رجال جزيرة أطلنتيس أَخضعوا أجزاء من ليبيا داخل أعمدة هرقل حتّى حدود مصر، ومن أوروبا حتى حدود تيرهينيا. إنّ هذه القوّة الضخمة تجمّعت في قوّة واحدة، وسعت لإخضاع بلادنا وبلادكم والمنطقة كلّها التي تقع داخل المضائق بالضربة القاضية؛ وعندها، يا صولون، فإنّ بلادكم تألّق نجمها في الامتياز لفضيلتها وقوّتها بين الجنس البشريّ كلّه. إنها كانت مجلّية في الشجاعة والبراعة العسكريّة، وكانت قائدة الهلينيين. وعندما خانتها باقي المدن، واضطرّت من ثم للوقوف وحيدةً في الساح، وبعد أن تحمّلت أقصى درجات الخطر، حين ذلك هزمت الغزاة وردّتهم على أعقابهم خاسرين، وَوَقَتْ من العبودية المدن التي لم تكن قد استعبدت بعدُ، وحرّرت بشهامة وسخاء كلّ الباقين منّا الذين قطنوا داخل أعمدة هرقل. لكن وقعت زلازل

عنيفة وفيضانات فيما بعدُ، وغرق في يوم واحدٍ وليلة من ليالي السوء كلّ رجالك الحربيين في الأرض جمعاً، وكذلك اختفت جزيرة أطلنتيس في أعماق البحر. ولهذا السبب فإنّ البحر متعذر إجتيازه ولا يُنفذ إليه في تلك الأجزاء، لأنّ هناك وحول ضحلة في الطريق؛ سبّبها انخساف الجزيرة.

لقد أخبرتك باختصار، ياسقراط، ما سمعه كريشياس المسنّ من صولون والذي يتعلّق بنا. وعندما تكلّمت البارحة عن مدينتك ومواطنيك، فإنّ القصّة التي قد كرّرتها لك تذكّرتها، وعلّقت بذهول كيف أنّها توافقت مع قصّة صولون بتزامنٍ وتطابقٍ سرّيّ ما في كلّ نقطة تقريباً. غير أنّني لم أحبّ أن أتكلّم في هذه اللحظة. واعتقدت أنّه بسبب الزمن الطويل الذي انقضى، ولأنّني نسيت الكثير جداً من هذه القصّة، اعتقدت أنّه يجب عليّ قبل كلّ شيء أن أراجعها في فكري، وسأتكلّم عنها بعدئذ. وهكذا فإنّي وافقت على التماسك نهار البارحة بسرعة، آخذاً بعين الاعتبار أنّ الصعوبة الرئيسيّة في هذه الحالات كلّها تكمن في إيجاد قصّة مناسبة لغرضنا، وأنّه يجب علينا أن نُزوِّد جيداً جداً بقصّةٍ كتلك.

ولهذا السّبب، وكما أخبرك هيرموكرايتس، فإنّي أبلغت القصّة لرفاقي كما تذكّرتها. وبعد أن تركتهم استعدتها كلّها تقريباً أثناء الليل. حقاً، وكما يقال غالباً، فإنّ الدروس التي تلقّيناها أثناء طفولتنا تعطي انطباعاً مذهلاً عن ذاكرتنا، وأنا لست متأكّداً من أنّي أستطيع تذكّر المحادثة كلّها التي جرت البارحة، لكنّني سأكون أكثر انشداهاً إذا نسيت أيّاً من هذه الأشياء التي سمعتها منذ زمن بعيدٍ مضى. إنّني استمعت لهذه القصّة في ذلك الوقت باهتمام طفوليّ، وكان هو جاهزاً جدّاً ليعلّمني، وسألته مرّة ثانية وثالثة كي يعيد كلماته. وهكذا فإنّ هذه الكلمات طُبعت في ذاكرتي مثلما تُطبع الصورة التي لا تُمحى ولا تُزال بسهولة. وحالما طلع ضوء النهار، أعدتها

لرفاقي كي يكون لهم شيء ما ليقولوه، كما لي أنا. وبعدُ، يا سقراط، فلكي أضع حدّاً لمقدّمتي وتصديري، فأنا على استعدادٍ لأخبرك القصّة بكاملها. إنّي لن أقدّم لك النقاط العامّة منها فقط، بل سأقدّم المواضيع الخاصّة كما أخبروني إيّاها. إنّ المدينة ومواطنيها التي وصفتها لنا نهار البارحة في قصّة خياليّة، سوف ننقلها نحن إلى العالم الحقيقيّ، وهذه المدينة ستكون مدينة أثينا الغابرة، والمواطنون الذين تخيّلتهم، سنفترض أنّهم أسلافنا الحقيقيون الذين تحدّث الكاهن عنهم. إنّهم سيتوافقون بشكل تامّ، ولن يكون هناك تنافر أو تناقض في القول بإنّ مواطني جمهوريتك هم هؤلاء الأثينيون الغابرون. دعنا نقسّم الموضوع بيننا، ونناضل كلّنا معاً طبقاً لمقدرتنا وبرشاقة لإنجاز هذا العمل الشاقّ الذي فرضته علينا. تأمّل مليّاً إذن، يا سقراط، إذا كانت هذه القصّة مناسبة للقصد، أو أنّنا سنبحث عن قصّة أخرى ما بدلاً منها.

سقراط: وأيّة قصّة أخرى نقدر أن نجدها، يا كريشياس، أفضل من هذه القصّة، وهي القصّة الطبيعيّة والمناسبة لاحتفال الآلهة، ولديها أفضلية كبيرة جداً لأنها قصّة حقيقيّة وليست خياليّة؟ كيف وأين سنجد قصّة أخرى إن تخلّينا عنها؟ إنّنا لا نستطيع فعل ذلك، ولهذا السبب يجب عليك أن تخبرني إيّاها، وحظّاً سعيداً لك؛ وسأرتاح أنا بدوري الآن وأستمع إليك لأنني قمت بمهمتي البارحة خير قيام.

كريشياس: دعني أواصل كي أشرح لك، يا سقراط، النظام الذي رتّبنا به حفلتنا. كان قصدنا أن يتكلّم طيماوس أوّلاً، وهو الإنسان الأكثر براعة في علم النجوم بيننا، ولقد جعل التحقيق في طبيعة العالم دراسته الخاصة، ولهذا كان عليه أن يبدأ بإيضاح نشوء العالم نزولاً إلى إبداع الإنسان. وسأتلقّى الرجال الذين أوجدهم بعد ذلك، والذين استفاد بعضهم بالتعليم الممتاز الذي

منحتهم إيّاه؛ سنحضرهم بعدئذ، في تطابق مع قصّة صولون، ومع قانونه بشكلٍ متساوٍ، وسنحضرهم إلى المحكمة ونجعلهم مواطنين، كما لو أنّهم كانوا أولئك الأثينيين الذين أنقذهم السجلّ المصريّ المقدّس من طيّ النسيان، وسنتكلّم عنهم من ذلك الحين فصاعداً كما نتكلّم عن الأثينيين ورفاقنا في المواطنيّة.

سقراط: أرى أنّي أتلقّى بدوري متعة عقلية بالغة كاملة وباهرة. وبعدُ، فإنّني أفترض أنّك ستتكلّم عن ذلك لاحقاً، يا طيماوس، بعد أن تعرّج على الآلهة في حينه.

طيماوس: إنّ كلّ الرجال الذين يمتلكون درجة من الإحساس الصادق، يا سقراط، يناشدون الإله على الدوام عند بداية كلّ عمل، سواء إذا كان هذا العمل كبيراً أو صغيراً، ونحن أيضاً الذاهبين للحديث عن طبيعة الكون، كيف أُبدِع وكيف يوجد بدون إبداع، وإذا لم نكن مجرّدين من حصافتنا بشكل تامّ، فيجب علينا أن نتضرّع لمساعدة الآلهة والآلهات، وأن نصلّي كي يمكن لكلماتنا أن تلقى القبول لديهم قبل كلّ شيء ولدينا كنتيجة لذلك. دع هذا يكون ابتهالنا للآلهة، وأضيف لذلك الابتهال نصحاً وعظة لنفسي كي أتكلّم بأسلوب كالذي سيكون الأسلوب الأكثر وضوحاً لك، والذي سيكون الأكثر انسجاماً مع نيّتي الخاصّة.

يجب علينا، بادىء ذي بدء، أن نوجد تمييزاً في حكمي، وأن نسأل بعدئذ، ما هو ذلك الذي يكون على الدوام ولا يمتلك صيرورة. وما هو ذلك الذي يكون صائراً على الدوام ولا يكون أبداً؟ إنّ ذلك الذي يُدرَك بالعقل والاستنتاج المنطقي يكون في الحالة عينها على الدوام، لكن ذلك الذي يتصوّر بالرّأي وبمساعدة الحواسّ وبدون أيّ استنتاج منطقيّ يكون في عملية الصيرورة والفناء، ولا يكون في الحقيقة أبداً. وبعدُ فإنّ كلّ شيء يصبح أو

يكون مخلوقاً يجب أن يُخلق بسبب ما بالضرورة. إذ لا شيء يستطيع أن يُخلق بدون سبب. إنّ عمل الخالق، حينما ينظر إلى اللامتغيّر ويصيغ شكل طبيعة عمله على غرار النموذج اللامتبدل، إنّ هذا العمل يجب أن يُصنع جميلاً وتامّاً بالضرورة؛ لكنّ الخالق عندما ينظر إلى المخلوق فقط، ويستخدم المثال المخلوق، فإنّ عمله لا يكون جميلاً ولا تامّاً. هل كانت السماء أو كان العالم حينئذ، سواء إذا سُمّيَا بهذا الإسم أو بأيّ إسم مناسب آخر - لنعتبر أنَّ الإسم شيء مفروغ منه، فإنّي أسأل سؤالاً يجب أن يُسأل في بداية التحقيق بشأن أيّ شيء، وأقول، هل كان العالم في وجود على الدوام وبدون بداية؟ أو أنّه أُبدع، وكانت له بداية؟ أجيب على ذلك، بأنّه مخلوق، كونه مرئيّاً ملموساً وله جسم، ولهذا السبب فإنّه مدرَك بالحسّ. وكلّ الأشياء المحسوسة تدرك بالرأي والحسّ وتكون في عمليّة التكوين وهي مكوَّنة. وبعدُ فإنّ ذلك الذي يكون مُبدَعاً، يجب بالضرورة أن يكون مُبدَعاً بسبب، كما نؤكّد نحن هذا. لكنّ الله تقدّس وتعالى الصانع لهذا الكون كلّه يكون إيجاده مقضيّاً؛ وحتى لو وجدناه، فمن المستحيل أن نخبر كل الرجال عنه. إنّ هذا السؤال يجب أن نسأله عن العالم على كلّ حال: عندما صنع الصانع العالم فأيّ النماذج كانت في رؤيته: هل كان لديه النموذج اللامتغير، أو ذلك النموذج المُبدَع؟ إذا كان العالم جميلاً حقّاً والصانع خيّراً، فذلك واضح إذ يجب أنّه اهتمّ بذلك الأزلي؛ لكن إذا كان الذي لا يُستطاع قوله بدون تجديف حقيقيّاً، فإنّه اهتمّ بالمثال المخلوق عندئذ، سيرى كلّ شخص لزوم أنّه اهتمّ بالنموذج الأزليّ، لأنّ العالم هو أجمل المخلوقات، وهو أفضل الأسباب. وكون هذا العالم مُبدَعاً بهذه الطريقة، فإنّه قد صيغ في شبهٍ لذلك الذي يكون مدرَكاً بالاستنتاج المنطقيّ والعقل ويكون لامتغيراً، ويجب أن يكون لهذا السبب بالضرورة. وإذا تمّ الاعتراف

بما نقول، ينبغي أن يكون نسخة عن شيء ما. وبعدُ فإنّه لَمِنَ الأهميّة بمكان وجوب أن تكون بدايةُ كلِّ شيء وفقاً للطبيعة. وفي تكلّمنا عن النسخة والأصل، يمكننا أن نفترض أنّ الكلمات تكون مجانسة للمسألة التي تصفها تلك الكلمات؛ وعندما تتّصل الكلمات بالأبديّ والدائم والمفهوم، فينبغي أن تكون ازليّة وراسخة، غير قابلة للدّحض ولا تُقهر بقدر ما تسمح به طبيعتها - ولا شيء أقلّ من ذلك. لكنّها عندما تكون عن النسخة أو الشَبَه فقط وليس عن الأشياء الأزليّة عينها، فإنّها تحتاج إلى أن تكون ملائمة ومماثلة للكلمات السابقة: كما يكون الوجود للصيرورة، هكذا تكون الحقيقة للاعتقاد. وإذا لم نكن بقادرين على أن نعطي أفكاراً دقيقة ومتماسكة بعضها مع بعض بشكل كامل وفي كلّ ناحية من نواحيها، يا سقراط، وسط الآراء المتعدّدة بشأن الآلهة ونشوء الكون، إن لم نكن بقادرين على ذلك، فلا تكن منشدهاً. وكفاية أنّنا أوردنا ترجيحات مثل أيّة ترجيحات أخرى، لأنّه يجب علينا أن نتذكّر بأنّي، أنا المتكلم، وأنتم القضاة، يجب أن نتذكّر بأنّنا جميعاً رجالٌ فانون، وينبغي أن نقبل القصّة المحتملة وأن لا نحقّق أبعد من ذلك.

سقراط: ممتاز، يا طيماوس؛ وسنفعل ما تأمرنا به بالضبط. إنّ الاستهلال رائع، وإنّنا لنقبل به سريعاً - هل يمكننا أن نستعطفك لنتقدّم إلى أوجه؟

طيماوس: دعني أخبرك إذن لماذا صنع المبدع هذا العالم من التولّد. إنّه كان خيّراً، والخيّر لا يمكنه أن يغار من أيّ شيء على الإطلاق. وكونه متحرّراً من الغيرة، فإنّه رغب أن تكون كلّ الأشياء شبيهة به قدر استطاعتها. إنّ هذا هو أصل الإبداع وأصل العالم في المعنى الأصدق. كما أنّنا سنقوم بعمل جيّد في اعتقادنا بناءً على شهادة الرجال الحكماء: الله شاء أن تكون الأشياء كلّها صالحة وأن لا يكون أيّ شيء سيئاً، بالقدر الذي أمكن نيل ذلك.

وهكذا، واجداً أيضاً أنّ الدنيا المنظورة كلّها ليست ساكنة، بل متحرّكة في نمطٍ شاذٍّ ومضطرب، فإنّه أوجد النظام خارج الفوضى، آخذاً بعين الاعتبار أنّ هذا الواقع كان أفضل من الواقع الآخر في كلّ طريقة. وبعدُ فإنّ المآثر الأفضل لا يمكنها أن تكون أو أنّها قد كانت غيراً من المآثر الأجمل. والمبدع، متأمّلاً ملياً الأشياء المرئية بالطبيعة، وجد أن مخلوقاً غيرَ عاقل، مأخوذاً ككلّ، لا يمكنه أبداً أن يكون أجمل أو أعدل من المخلوق العاقل، مأخوذاً ككلّ؛ ومرّة ثانية فإنّ ذلك العقل لا يستطيع أن يكون موجوداً في أيّ شيء هو خلو من الروح، ولذلك السبب، فإنّه عندما كان يصنع الكون، وضع العقل في الروح، ووضع الروح في الجسم، وذلك كي يتمكّن أن يكون مبدع العمل الذي كان العمل الأجمل والأفضل بالطبيعة. ويمكننا أن نقول، مستخدمين لغة الترجيح، إنّ العالم أتى إلى الوجود مخلوقاً حيّاً موهوباً بالروح والعقل من قِبَل العناية الإلهيّة صدقاً.

ما دام هذا القول مفترضاً، فدعنا نتقدّم إلى المرحلة التالية ونسأل: شبهَ أيّ حيوانٍ صنع المبدع العالم؟ إنّه لشيء حقير أن نشبّهه بأيّة طبيعة توجد كجزءٍ فقط؛ إذ لا شيء يستطيع أن يكون جميلاً إذا كان يشبه أيّ شيء ناقص. بل دعنا نفترض أنّ العالم هو صورة ذلك الكلّ بالتحديد، التي تكون كلّ الحيوانات، الإفرادي منها والمتشكّلة في قبائل على حد سواء، دعنا نفترض أن تكون جزءاً منه، لأنّ أصل الكون يحتوي في نفسه كلّ الموجودات المدرَكة بالعقل، تماماً مثلما يشمل هذا العالم كلّ المخلوقات المرئيّة الأخرى. وبما أنّ المعبود جلَّ شأنه عزم على أن يجعل هذا العالم مثل الموجودات الأجمل والأكثر كمالاً والمدرَكة بالعقل، صاغ حيواناً مرئيّاً واحداً يشتمل داخل نفسه على كلّ الحيوانات الأخرى ذوات الطبيعة الواحدة. هل نحن محقّون في القول إن هناك عالماً واحداً، أو إنّ هناك عوالم متعدّدة ولا حصر

لها؟ يجب أن يكون هناك عالم واحد، إن كانت النسخة المبدَعَة لِتنسجم مع النسخة الأصليّة، لأنّ تلك النسخة التي تِتضمّن كلّ المخلوقات المدرَكَة بالعقل لا يمكنها أن تمتلك نسخة ثانية أو رفيقة لها. وفي تلك الحالة ستكون هناك حاجة لموجود حيّ آخر يشتمل عليهما كليهما، وهما سيكونان أجزاءً له، وسيقال بحقّ أكثر إنَّ الشبه لا يشبههما، بل يشبه تلك النسخة الأخرى التي تضمّنتهما. ولكي يمكن أن يكون العالم مفرداً، مثل الحيوان الكامل، فإنّ المبدِع لم يبدع عالمين اثنين أو عدّة عوالم لا متناهية، بل يوجد وسيوجد أبداً سماء واحدة مُبدَعَة ومخلوقة فريدة.

وبعدُ فإنّ ذلك الذي أُبدع هو ماديّ بالضرورة، وهو مرئيّ وملموس. ولا شيء يكون مرئياً حيث لا توجد نار، أو ملموساً لا يمتلك صلابة، ولا شيء يكون صلباً بدون أرض. ومن أجل ذلك، فإنّ الله المتعالي خلق جسم الكون في بدء الإبداع ليتألّف من النار ومن التراب. لكن لا يُستطاع وضع شيئين اثنين معاً بدون شيء ثالث بشكل صحيح. يجب أن يكون هناك رباط ما من الاتّحاد بينهما. والرباط الأجمل والأنسب هو ذاك الذي يُحدث الاندماج الأكثر تماماً من نفسه ومن الأشياء التي يجمعها؛ ويكون الاتّساق والانسجام مُقرّاً به كي يؤثّر في اتّحادٍ كهذا. ومتى كان هناك عدد وسط في أيّة أعداد ثلاثة، سواء إذا كان العدد مكعّباً أو مربّعاً، يكون الحدّ الأخير له ما يكون الحدّ الأول له. ومرّة ثانية، عندما يكون العدد الوسط للحدّ الأوّل مثلما يكون الحدّ الأخير للعدد الوسط، ـ حينئذ فإنّ العدد الوسط يصبح عدداً أوّل وعدداً أخيراً، ويصبح العددان الأول والأخير عددين وسطيّين، وتأتي كلّ هذه الأعداد الثلاثة لتكون الشيء عينه بالضرورة. وبما أنّها أصبحت الشيء عينه بعضها مع بعض فستكون كلّها عدداً واحداً. ولو أنّ الهيكل الكوني قد أُبدِعَ سطحاً فقط وليس له عمق، فإنّ الوسط المفرد

سيفي بالغرض كي يوثّق نفسه والحدود الأخرى معاً؛ لكن الآن، بما أنّ العالَم ينبغي أن يكون صلباً، وبما أنّ الأجسام الصلبة تكون متضامّة على الدوام ليس بحدٍّ واحدٍ بل بحدَّين اثنين، فإنّ الله المهيمن وضع الماء والهواء في الوسط بين النار والتراب، وأنشأها كي تحوز النسبة عينها على قدر الإمكان « مثلما تكون النار للهواء هكذا يكون الهواء للماء، ومثلما يكون الهواء للماء هكذا يكون الماء للتراب ». وهكذا فإنّه أوثق ووضع معاً سماءً مرئيّة وملموسة. ولهذه الأسباب ومن تلك العناصر التي تكون أربعة في العدد، أُبدِع جسم العالَم، وكان منسجماً بالتناسب، ولذلك فإنّه يمتلك نفسيّة الصداقة؛ وبما أنّه قد وُفِّق مع نفسه فإنّه كان سرمديّاً وغير قابل للفكاك بيدِ أيٍّ آخر غير الذي صاغه وشكّله.

وبعدُ فإنّ خلق العالم استحوذ على كلٍّ من العناصر الأربعة جميعها؛ لأنّ الخالق تعالى ركّب العالم من النار كلّها ومن الماء كلّه ومن الهواء كلّه ومن التراب كلّه، ولم يترك أيّ جزء لأيٍّ منها ولا أيّة قوّة لها خارجاً. كان قصده، في المقام الأوّل، وجوب كون الحيوان كلاً كاملاً وذا أجزاء تامّة على قدر الإمكان؛ ثانياً، يجب أن يكون واحداً، غير تارك أيّ شيء باقٍ يمكن أن يُبدعَ منه عالم آخر كهذا العالم. ويلزم أن يكون متحرّراً من كبر السنّ أيضاً وغير معرّض للمرض. آخذاً بعين الاعتبار أنّه إذا أحاط الحرّ والبرد والقوى العاتية الأخرى بالأجسام وهاجمتها من الخارج، فإنّها تحلّلها قبل أوانها، وأنّه بإحضار الأمراض وكبر السنّ فوقها، سيجعلها تضعف وتتبدّد ـ ولهذا السبب، وعلى هذه الأسس، فإنّ الله العلاّم صنع العالم واحداً كُلاً، له كل جزء كامل، وكونه تامّاً وغير معرّض للهرم والمرض من أجل ذلك. ووهب الله للعالم الشكل الذي كان مناسباً وطبيعيّاً له أيضاً. وبعدُ بحسب ما خلق الله الحيوان الذي كان ليشمل داخل نفسه الحيوانات

كلّها، فإنّ ذلك الشكل سيكون مناسباً كي يتضمّن بداخله كلّ الأشكال الأخرى. لذلك صنع الله العالمَ في شكل كرة، مستديراً كاستدارة العجلة، أطرافه متساوية البعد عن المركز في كلّ اتّجاه، الأكثر كمالاً والأكثر شبهاً بنفسه من كلّ الأشكال الأخرى. إنّ الله أنهى عمله هذا، جاعلاً السطح أملس كلّه ولأسباب عديدة. ففي المقام الأوّل، ولأنّ المخلوق الحيّ لا تتملّكه حاجة للعينين فليس هناك أيّ شيءٍ باقٍ خارج هذا العالم كي يُرى؛ ولا حاجة له للأذنين حيث لم يكن هناك أيّ شيء يُسمع، وليس هناك هواء محيط كي يُتنفَّس؛ ولم يكن هناك أيّ استخدام للجوارح التي بمساعدتها يمكنه أن يتلقّى غذاءَه أو أن يتخلّص مما هضمه سابقاً، لأنه لم يكن هناك أيّ شيء يخرج منه أو يدخل إليه: إذ لم يكن هناك أيّ شيء بجانبه. وأمّا ما يخصّ تصميمه فإنّه خُلق هكذا، وزوّدته فضلاته التي تخصّه بالغذاء، وكلّ الذي فعله أو عاناه أخذ مكانه فيه وبنفسه لأنّ الخالق العظيم تصوّر أنّ الكائن الذي كان مكتفياً ذاتياً سيكون أكثر امتيازاً ببعدٍ كبير من ذلك الذي افتقر لأيّ شيء. وبما أنّه لم تتملّكه أيّة حاجة ليأخذ أيّ شيء أو لأن يدافع عن نفسه ضدّ أيّ شخص، فإنّ المبدِع لم يَرَ بأنّه من الضروريّ أن يهبه يدين. ولم تكن له حاجة للقدمين، ولا لكلّ جهاز المشي. لكنّ الحركة التي ناسبت شكله الكرويّ الذي خُصِّص له هي الحركة الدائرية، لأن هذا الشكل هو الأكثر ملاءَمة للعقل والفهم من بين الأشكال السبعة كلّها. وقد صُنِع كي يتحرّك بالطريقة عينها وعلى البقعة عينها، دائراً في دائرة داخل حدوده الخاصّة به. أمّا كلّ الحركات الستّ الأخرى فإنّها أُبعدت عنه وسُلبت منه. وهو قد خلِق كي لا يشترك في انحرافاتها. وبما أنّ هذه الحركة الدائريّة لم تحتج إلى قدمين، فإنّ العالم خُلِق بدون رجلين وبدون قدمين.

هكذا صمّمَ الإله الأزليّ بخصوص الإله الذي كان ليكون؛ إنّه صنع تصميمه ناعماً صقيلاً ومستوياً ممتلكاً سطحاً متساوي البعد عن المركز في كلّ اتجاه، وأمدّه بجسم كامل وتامّ، ومشكّلاً من الأجسام الكاملة. ووضع الروح في المركز التي نشرها في كلّ مكان من الجسد، جاعلاً إيّاها المحيط الخارجيّ له؛ وخلق هو الكون دائرة متحرّكة في دائرة، واحداً ومنفرداً. ومع ذلك فإنّه قادر على أن يتحدّث مع نفسه بسبب امتيازه، ولا يحتاج لأيّة صداقة أخرى أو لمن يعرفه معرفة شخصيّة. وممتلكاً هذه الأهداف في تصوّره فإنّه أبدع العالم إلهاً مباركاً.

وبعدُ فإنّ الله جلّ مجده لم يصنع الروح بعد الجسم، برغم أنّنا نتكلّم عنهما في هذا النظام؛ لأنّه عندما وضعهما معاً قرّر ألاّ يسمح قطّ بوجوب أن يُحكم الأكبر سناً من قِبَل الأصغر. لكنّ هذه الطريقة طريقة جزافية للكلام وهي التي نستعملها، لأنّنا نحن أنفسنا تحت سلطان المصادفة أيضاً بطريقة أو بأخرى. في حين أنّ الله الخبير صنع الروح في الأصل والامتياز سابقة للجسم وأقدم منه، لتكون حاكمته وسيّدته، وصُنِع الجسم ليكون التابع لها. وصنعها هو من العناصر التالية وعلى هذا النحو: ركّب من الموجود غير القابل للانقسام وغير المتحول، من ذلك النوع من الموجود الذي وُزِّع بين الأجسام، ركّب نوعاً ثالثاً من الموجود الوسط. وفعل ذلك مع الشيء عينه ومع المختلف، مازجاً معاً النوع الذي لا ينقسم لكلّ منها مع النوع الذي وُزِّع في الأجسام، ومزج العناصر الثلاثة كلّها بعدئذٍ في شكلٍ واحد، ضاغطاً بالقوّة الطبيعة اللاممانعة والانطوائيّة للمختلف في الشيء عينه. إنّ الله المتعالي عندما مزجها مع « النوع الوسط » للموجود، وخلق من الطبائع الثلاثة طبيعة واحدة، قسّم هذا الكل مرّة ثانية إلى عدّة أجزاء كما كان مناسباً، وكلّ جزء كونه مزيجاً من الشيء عينه، المختلف، والموجود. ثم

واصل الله التقسيم وفق هذا الأسلوب: قبل كلّ شيء، أقصى الله جزءاً واحداً من الكلّ «١» ، وفَصَل جزءاً ثانياً كان ضعف الجزء الأول بعدئذ. «٢»، وأقصى بعدئذ جزءاً ثالثاً كان قدر الجزء الثاني مرّة ثانية وثلاث مرات قدر الأوّل. «٣»، وأخذ عندئذ جزءاً رابعاً كان ضعفي قدر الثاني، «٤» وأخذ جزءاً خامساً كان ثلاثة أضعاف قدر الثالث، «٩» وأخذ جزءاً سادساً كان ثماني مرات قدر الأوّل، «٨» وأخذ جزءاً سابعاً كان سبعاً وعشرين مرة قدر الأوّل، «٢٧» وبعد هذا ملأ الله الجليل الفترات الفاصلة المضاعفة « كمثال بين الأعداد ١،٢،٤، ٨»، والفترات الفاصلة المضاعفة ثلاث مرّات « كمثال بين الأعداد ١،٣،٩، ٢٧»، عازلاً مع ذلك الأقسام الأخرى من المزيج واضعاً إيّاها في الفترات الفاصلة، وهكذا إلى أن وُجِد في كل فترة فاصلة نوعان من الوسائط، أحدهما سابق ومسبوق بالأجزاء المتساوية لأطرافه « كمثال ١، ٤/٣، ٢، الذي هو العدد الوسط ٤/٣ ثلث العدد ١ أكثر من العدد واحد، وثلث العدد اثنين أقلّ من اثنين ». وأمّا النوع الآخر كونه نوعاً من الأعداد الوسط فيتجاوز ويكون متجاوَزاً برقم متساوٍ[٢٥]. حيث وُجدت فترات فاصلة للرقم ٢/١ و٤/٣ و٨/٩، وهذه الأعداد التي أُوجدت بالحدود الواصلة في الفترات الفاصلة السابقة، فإنّ الله ملأ كلّ الفترات الفاصلة للعدد ٣/٤ مع الفاصل للعدد ٨/٩، تاركاً كسراً باقياً؛ وكان الفاصل الذي عبّر عنه هذا الكسر، كان في نسبة الرقم ٢٥٦ إلى الرقم ٢٤٣[٢٦]. وهكذا فإنّ المزيج جميعه الذي فصل عنه هذه الأجزاء استُنزِف به كلّه. أمّا هذا المركَّب كلّه فإنّ المبدِع قسّمه بالطول إلى جزأين اثنين وصلهما أحدهما بالآخر في المركز مثل الحرف X، ومن ثمّ حناهما إلى شكل دائريّ، واصِلَهما بنفسيهما وأحدهما بالآخر عند النقطة المقابلة لنقطة التقائهما الأصليّة؛ وشاملهما في دوران متّسق على المحور عينه، فإنّ الله الممجّد جعل

الواحد منهما الدائرة الخارجيّة وجعل الآخر الدائرة الداخلية. والآن فإنّه سمّى حركة الدائرة الخارجيّة الحركة للشيء عينه، وسمّى حركة الدائرة الداخليّة الحركة التي للآخر أو الحركة المتنوّعة[٢٧]. وحمل الحركة للشيء عينه، حملها دائريّاً بالجانب إلى اليمين، والحركة التي للفرق بالجانب إلى اليسار بشكل مائل[٢٨]. وأعطى الله سلطاناً للحركة التي للشيء عينه والمتشابه، لأنّه ترك هاتين الحركتين مفردتين وغير مقسمتين؛ غير أنّ الباري الكريم قسّم الحركة الداخلية في أماكن ستّة وأحدث سبع دوائر غير متساوية لها فتراتها الفاصلة بنسب اثنين وثلاثة، ثلاث لكلّ منها، وأمر المدارات بأن تواصل دورانها في اتّجاه مضادّ بعضها لبعض؛ وأحدث الكواكب الثلاثة كي تتحرّك بسرعة متساوية وهي: « الشمس، عطارد، والزهرة » وأمّا الكواكب الأربعة الباقية فإنّه جعلها تدور بسرعةٍ غير مساوية لسرعة الكواكب الثلاثة وسرعة بعضها بعضاً، بل بسرعةٍ متّسقة واجبة الأداء، وهذه الكواكب الأربعة هي: « القمر، زحل، المرّيخ، والمشتري ».

وبعدُ فإنّ الخالق صاغ الروح طبقاً لإرادته، ورتّب في داخلها الكون الفاني، وأحضر الاثنين معاً، ووحّدهما مركزاً إلى مركز. وبثّت الروح في كلّ مكان. فمن المركز إلى محيط السماء، التي تكون غلافاً خارجياً أيضاً، دائرة بنفسها في نفسها، وبذلك مبتدئة بداية لا تتوقّف أبداً ومبقية على الحياة العقليّة طوال الزمن كلّه. إنّ جسم السماء مرئيٌّ، لكنّ الروح غير منظورة، وتشارك في العقل والتناغم، وكونها مصنوعة بأفضل الطبائع العقليّة والأزليّة، فإنّها تكون أفضل الأشياء المبدَعة، ولأنّها مركّبة من الشيء عينه ومن المختلف ومن الموجود، وهذه الأشياء الثلاثة، تكون مقسّمة ومتّحدة في تناسب واجب الأداء، وتعود إلى نفسها في دورانها. والروح عندما تلامس أيّ شيء يمتلك وجوداً، سواء إذا كان مفرّقاً في أجزاء أو غير مقسّم، فإنّها

تُنشَط بواسطة كلّ قواها. لتعلن الشيء عينه[٦] أو المختلف لذلك الشيء ولآخر ما؛ وبأيّ الأفراد تتّصل، وبماذا تتأثّر، وفي أيّة طريقة وكيف وأين، في عالم النشوء وفي العالم الثابت الوجود على حدّ سواء. وعندما يستمرّ العقل، الذي يعمل بحقيقة متساوية، سواء إذا كان عمله في الدائرة التي للمختلف أو للشيء عينه ـ عندما يستمرّ هذا العقل ضابطاً لطريقته المندفعة إلى الأمام في سكون صامت في كون الجسم الكرويّ المتحرّك بنفسه ـ أقول، عندما يكون العقل محوّماً حول العالم الحسّيّ وعندما تكون الدائرة للمختلف متحرّكة بحقّ ويضفي هذا العقل خصوصيّات الحسّ على الروح كلّها، تنشأ حينئذ الآراء والاعتقادات الأكيدة المؤكّدة. لكن حينما يكون العقل متعلّقاً بالمعقول، وتعلن ذلك دائرة الشيء عينه المتحرّكة بهدوء، ينجز حينها الفهم وتتمّ المعرفة بالضرورة. وإذا أكّد أيّ شخص أنّ هذين الشيئين الاثنين يوجدان غيراً من وجودهما في الروح، فإنّه سيقول ما هو عكس الحقيقة بالضبط.

إن الأب والخالق، عندما رأى المخلوق الذي صنعه متحرّكاً وحيّاً، وهو الصورة المخلوقة بالآلهة الأزليين، عندما رأى الأب هذا ابتهج، وعزم في فرحه وبهجته على أن يصنع النسخة أكثر شبهاً بالنسخة الأصليّة. وبما أنّ هذا المخلوق كان مخلوقاً حيّاً باقياً، فإنّ الباري قصد أن يجعل العالم أزليّاً بالقدر الذي يمكنه أن يكون. وبعدُ فإنّ طبيعة الموجود المثالي كانت أزليّة، لكن كي تُمنَح هذه الصفة المميّزة إلى مخلوقٍ في كمالها فإنّه كان شيئاً مستحيلاً، ومن أجل ذلك فإنّ الخالق صمّم على أن يمتلك صورة متحرّكة للأبديّة. وعندما وضع السماء في نظام، فإنّه صنع هذه الصورة خالدة لكنّها متحرّكة طبقاً للعدد، في حين أنّ الأزليّة نفسها استراحت في الوحدة؛ ونسمّي نحن هذه الصورة زمناً. لأنّه لم يكن هناك أيّام وليالٍ وشهور وسُنون قبل أن تُبدَعَ

السماء، لكنّه عندما بنى السماء فإنّه خلقها أيضاً. إنّ هذه كلّها كانت أجزاء من الزمن، وخلق الله الماضي .والحاضر نوعين من أنواع الزمن اللذين ننقلهما إلى الوجود الأزليّ بدون وعي لكن بخطأ، لأنّنا نقول إنّه « كان »، أو « يكون »، أو « سيكون »، لكنّ الحقيقة هي أنّ الكلمة « يكون » هي الكلمة الوحيدة التي تنسب إليه بشكل مناسب، وأنّ الكلمتين « كان » و « سيكون » هما الكلمتان اللتان يجب تكلّمهما عن الصيرورة في الزمن، لأنّهما حركات. لكنّ ذلك الذي يكون الشيء عينه إلى الأبد بشكل ثابت، لا يستطيع أن يكون أكبر سنّاً أو أفتى بالزمن؛ ولا يمكن القول إنّه أتى إلى الوجود في الماضي، أو إنّه يأتي إلى الوجود الآن، أو إنّه سيأتي إلى الوجود في المستقبل. وهو ليس عرضة لأيّ حالة من هذه الحالات على الإطلاق، تلك الحالات التي تؤثّر في الأشياء المتحرّكة والحاسّة والتي يكون النشوء أو التولّد سببها. إنّ هذه الأشياء هي أشكال الزمن التي تقلّد الخلود وتدور محوريّاً طبقاً لقانون العدد. وأكثر من ذلك، فإنّنا حينما نقول إنّ الذي أصبح يكون مصبحاً، وإنّ الذي سيصبح يكون على وشك أن يصبح، وإنّ اللاأزليّ يكون لا أزليّاً، ـ إنّ كل هذه الصيغ هي صيغ غير دقيقة للتعبير. لكنّ هذا الموضوع كلّه لربّما سيكون بحثه مناسباً في مناسبة أخرى.

إنّ الزمن والسماء إذن، أتيا إلى الوجود في اللحظة عينها، وبما أنّهما خُلقا معاً، وإذا وُجدا ليكون أيّ دمار لهما قط، فذلك كي يمكنهما أن يفنيا معاً. وشُكّلت السماء وفق نموذج الطبيعة الخالدة، وذلك كي يمكنها أن تشابه هذا قدر الإمكان؛ لأنّ النموذج يوجد منذ الأزل، والسماء المبدَعَةُ قد كانت، وتكون، وستكون في كلّ زمن. هكذا كان عقل وتفكير الممجّد في خلق الزمن. وهو أبدع الشمس والقمر والنجوم الخمسة الأخرى، التي تسمى الكواكب، أبدعها كي يميّز ويحفظ أعداد الزمن. وعندما أوجد أجسامها

المتعدّدة، وضعها في مداراتٍ كانت دائرة فيها دائرة الجسم الآخر، وضعها سبعة نجوم في سبعة مدارات. أوجد القمر في المدار الأقرب من الأرض بادىء ذي بدء، وأُوجدت الشمس بعد ذلك، في المدار الثاني فوق الأرض. أتت بعدئذ نجمة الصباح والنجمة التي قيل إنّها مكرّسة لهرمس، وهما النجمتان المتحركتان في مدارين وتمتلكان سرعة متساوية مع سرعة الشمس، لكن في جهة معاكسة. وهذا هو السبب الذي من أجله تتجاوز الشمس وهرمس والزهرة بعضها بعضاً، وهي متجاوزة بعضها بعضاً بشكل منظّم. ولكي نعدِّد الأماكن التي خصَّصها الله لها، برغم أنّها قضيّة ثانويّة، فإنّها ستّسبب مشاكل أكثر ممّا أعطته القضايا الرئيسيَّة. ويمكننا أن نأخذ هذه المشاكل بعين الاعتبار في وقت مستقبليّ تستحقّه، عندما يكون لدينا وقت للراحة، لكن ليس في الوقت الحاضر.

والآن، فإنّ كلّ نجم من النجوم كان ضرورياً لخلق الزمن عندما يصل إلى مداره المناسِب. وعندما تصبح كلّها مخلوقات حيّة لها أجسام موثقة بسلاسل حيويَّة، واكتشفت عملها الشاقّ المعيَّن لها، وهو التحرّك في الحركة المتنوعة التي هي حركة مائلة وتمرّ من خلال الحركة التي للشيء عينه وتُحكم بها، عند ذلك فإنّها تدور في مدار أوسع وبعضها في مدار أقلّ اتّساعاً ـ وتلك التي تدور في مدار أقلّ اتساعاً تدور في مدارها أسرع من النجوم الأخرى، وتلك التي تدور في مدار أوسع تدور في مدارها ببطء أكثر. وبعدُ وبسبب حركة الشيء عينه، فإنّ تلك النجوم التي دارت في مدارها بسرعة أكثر ظهر أنّ تلك النجوم التي تحرّكت ببطء أقل قد تجاوزتها برغم أنّها تخطّتها بحقّ، لأنّ حركة الشيء عينه جعلتها تدور كلّها في دوران لولبيّ. ولأنّ بعضها سار في طريق وبعضها في طريق آخر، فإنّ تلك الكواكب التي تراجعت بالبطء الأكثر من الفلك الذي للشيء عينه، والتي

كانت الأسرع، أقول إنّ تلك الكواكب بدت لتتبعها بشكل هو الأكثر قرباً. ولكي يمكن إيجاد مقياس مرئيّ ما لسرعتها وبطئها النسبيّ عند تقدّمها في وجهة سيرها الثامنة، فإنّ الله أوقد ناراً، هي التي نسميها نحن الآن الشمس، وذلك في المدار الثاني من الأرض لهذه المدارات، وذلك كي يمكنه أن يهب نوراً للسماء كلّها. ولكي تتمكنّ الحيوانات أن تشترك في العدد، بالقدر الذي تعزم عليه الطبيعة، ولكي تتعلّم علم الحساب من دوران الشيء عينه ومن دوران المشابه. هكذا إذن، ولهذا السبب خُلق الليل والنهار، كونهما مدّة الدورة الواحدة الأكثر عقلانيّة، وأُتمَّ الشهر عندما أكمل القمر دورته وتخطى الشمس، وأُتمت السنة عندما أُنجزت الشمس دورتها الخاصة. إنّ الجنس البشريّ مع استثناء نادرٍ ما، لم يلاحظ مُدَدَ النجوم الأخرى، ولم يمتلك أيّة أسماء لها، ولم يقسها بمقابلة بعضها مع البعض الآخر بمساعدة العدد. ومن ثمّ يمكن القول بصعوبة إنّ الجنس البشريّ عرف تجوالها في السماء. وكونها تمتلك رقماً ضخماً وهي مدهشة لتنوّعها، وهي تسبّب الزمن، وبرغم ذلك فليس هناك صعوبة في رؤية أنّ الرقم الكامل للزمن يُتِمُّ السنة الكاملة عندما تنجز كلّ الدورات الثماني معاً وتصل إلى تمامها في الزمن عينه، كونها تمتلك الدرجات النسبيّة للسرعة، وتقاس بدورة الشيء عينه والمتحرّك المتساوي في الحركة، وفق هذا الأسلوب. ولهذه الأسباب، أتت إلى الوجود بحيث إنّها تلقّت الحركة العكسية في رحلتها السماوية، وذلك كي يمكن للسماء المُبدعَة أن تكون شبيهة بالحيوان الكامل والعاقل إلى النهاية، بتقليد طبيعته الأزلية.

لهذا البعد وحتى ولادة الزمن صُنِع الكون المخلوق في شبهٍ للأصل. لكن بقدر ما لم تكن الحيوانات كلها متضمّنة في ذلك المكان لحدّ الآن، كانت لا تزال غير متشابهة. ولهذا السبب فإنّ الباري الكريم واصل عمله كي

يصوغ هذا الكون وفق طبيعة النموذج في هذه النقطة الرئيسيّة المتبقية. وبعدُ فإنّه مثلما يتلقّى العقل الأفكار أو الصور الذهنية لطبيعةٍ أو لعددٍ محدَّد في الحيوان المثالي، رأى الله العلي أنّ هذا الحيوان المخلوق يجب أن يمتلك صوراً ذهنية عن الطبيعة والرقم المتشابهين. هناك أربعة أنواع كهذه؛ أحدها هو السلالة السماويّة للآلهة؛ والنوع الآخر هو سلالة الطيور التي طريقها في الهواء؛ والنوع الثالث هو النوع المائيّ؛ أمّا الرابع فهو النوع الراجل ومخلوقات الأرض. لكنّ الأنواع السماويّة والإلهيّة، فإنّ المبدع تعالى خلق القسم الأكبر منها من النار، وذلك كي يمكنها أن تكون أسطع الأشياء كلّها وأجملها منظراً للمشاهدين، وصاغها وفق شَبَهِ الكون وفي شكل دائرة، وجعلها تتبع حركة العاقل والأسمى، ووزّعها فوق محيط السماء كلّه، الذي كان ليكون الكون الحقيقي أو العالم البهيّ المجيد المتلألىء بها في طول السماء وعرضها. وأعطى الخالق الجليل حركتين اثنتين لكلّ منها: الأولى، حركة على البقعة عينها وعلى غرار الأسلوب عينه، التي استمرّت بواسطتها أبداً كي تفكّر بالأفكار عينها بشأن الأشياء نفسها، في الاتجاه عينه بشكل متساوق؛ والحركة الثانية حركة نحو الأمام، التي ضبطت بواسطة حركة الشيء عينه والمتشابه. لكنّها لم تتأثّر بالحركات الخمس الأخرى كي يمكن لكلٍّ منها أن تنال الكمال الأسمى. ولهذا السبب خُلقت النجوم الثوابت، لكي تكون حيوانات إلهيّة أزليّة، ساكنة أبداً ودائرة وفق النمط عينه وعلى البقعة عينها، وخُلقت النجوم الأخرى التي تعكس حركاتها وتكون عرضة للانحرافات من هذا النوع، خُلقت هذه النجوم بالأسلوب الذي تمّ وصفه سابقاً. والأرض، التي هي أُمُّنا المتماسكة حول القطب الممتدّ من جانب الكون إلى جانبه الآخر، فإنّ الباري الكامل صاغها لتكون الحارس والمخترع للّيل والنهار، وهي أوّل وأقدم الآلهة التي تكون في داخل السماء. ستكون

المحاولة محاولة غير مجدية لأخبر عن كلّ أشكالها الدائرة في المدار السماويّ وكأنّها في حلقة رقص، ولأخبر عن وضعها بعضها إلى جانب بعض، ولكي أقول أيّاً من هذه الآلهة يتقابل في اقترانه، وأيّاً منها يكون في موقع مضادّ، وفي أيّ نظام تأتي خلف وقبل بعضها بعضاً، ومتى يحدث خسوفها وكسوفها لبصرنا وتعود للظهور مرّة أخرى، ويُنشر الرعب والتصريحات عن المستقبل لأولئك الذين لا يستطيعون أن يحسبوا حركاتها - إن محاولتي للإخبار عن كلّ هذا بدون بيان مرئيّ للنظام السماويّ ستكون محاولة مرهقة بدون جدوى. ونكتفي بهذه المقدمة. والآن دعنا نترك ما قيل بشأن طبيعة الآلهة المخلوقة والمنظورة ونضع حدّاً له.

إن معرفة أصل الألوهيّات الأخرى أو الإخبار عنها هو شيء ما وراء إدراكنا، ويجب أن نقبل أعراف وتقاليد رجال الأزمنة الغابرة الذين يؤكّدون أنّهم عرفوا بكلّ تأكيد أسلافهم الخاصين بهم. وكيف نستطيع أن نشكّ بكلمة أطفال الآلهة؟ برغم ذلك فإنّهم لا يعطون براهين محتملة أو مؤكّدة بشأن ذلك. يبقى، وكما يعلنون أنّهم يتكلّمون عن الذي أخذ مكانه في عائلتهم الخاصّة بهم، ويلزمنا أن نعمل وفقاً للعادة وأن نصدّقهم. وبهذا الأسلوب إذن، وطبقاً لهم، يجب أن يُستَلَم علم الأنساب لهذه الآلهة وأن يُنشر.

إنّ أوقيانوس وتيثوسن كانا طفلي الأرض والسماء. ومن هذين الطفلين تحدَّر فورسيس وكرونوس وريا RHEA وتحدَّر كلّ هذا الجيل. ومن كرونوس وريا تحدَّر زيوس وهيرا، وتحدّر كلّ أولئك الذين قيل إنّهم إخوانهما وأخواتهما، وكذلك الآخرون الذين كانوا أطفال هؤلاء.

وبعدُ، عندما أتوا كلّهم إلى الوجود، أولئك الذين ظهروا في دورانهم كما أولئك الآلهة الآخرون على حدّ سواء، الذين هم ذوو طبيعة أكثر انكفاءً، فإنّ خالق الكون جلّ مجده خاطبهم بهذه الكلمات: « يا أيّها الآلهة،

ويا أطفال الآلهة، يا من أنتم عملي الذي أتممته، ويا من أنا صانعكم وأبوكم، إنّ إبداعاتي هي إبداعات سرمديَّة، إن شئتُ ذلك. إنّ كلّ الذي يكون محتوماً يمكن أن لا يتمّ، غير أنّ المخلوق الشرّير سيرغب وحده أن لا يتمّم ذلك الذي يكون متناسقاً وسعيداً. ومن أجل ذلك، وبما أنّكم لستم سوى مخلوقات، فأنتم لستم خالدين وسرمديّين بكلّ ما في الكلمة من معنى، لا ولستم معرَّضين لقدر الموت، ولكم في مشيئتي وثاق أعظم وأقوى من وثاق الذين كنتم مرتبطين معهم وقت ولادتكم. والآن استمعوا إلى وصيّتي وتعليمي: - ما زاا هناك ثلاث قبائل من المخلوقات الفانية ستولد، وبدونها لن يكون الكون مكتمِلا، لأنّها لن تحتوي كلّ نوع من أنواع الحيوان الذي يجب أن تحتويه، إذا لزم أن تكون كاملة. على الجانب الآخر، فإنّهم إذا خُلقوا بواسطتي وتلقّوا الحياة على يَدَيّ، فإنّهم سيكونون على قدم المساواة مع الآلهة. إذن ولكي يمكنهم أن يكونوا فانين، ولكي يمكن لهذا الكون أن يكون كوناً حقيقياً، الجؤوا أنتم أنفسكم إلى شكل الحيوانات، طبقاً لطبائعكم، مقلّدين القوّة التي أبنتها في إبداعي لكم. إنّ قسماً منهم لجدير بأن يحمل اسم الخالد، ذلك الإسم الذي يدعى إلهيَّاً وهو المبدأ الهادي لأولئك المستعدين أن يتبعوا العدل ويتبعوكم - إنّني سأزرع بنفسي بذر ذلك الجزء الإلهي. وبما أنّني قد ابتدأت، فإنّني سأسلّم العمل لكم. وانسجوا أنتم بعدئذ الفاني مع الخالد، واخلقوا ولِدوا المخلوقات الحيَّة، واعطوهم الغذاء، وسبّبوا لهم النمو، وتلقوهم في الموت مرة ثانية ».

هكذا تكلّم المبدع العظيم، ومرّة ثانية صبَّ العناصر الباقية في الفنجان الذي مزج فيه روح الكون سابقاً، ومزجها جميعاً بالأسلوب عينه تقريباً. وهذه العناصر لم تكن نقية كما كانت سابقاً، بل إنّها كانت مشوبة إلى الدرجة الثانية والثالثة. وبما أنّ المبدع صنعها قسّم المزيج كلّه إلى أرواح عددها مساوٍ

لعدد النجوم، وخصَّص كلّ روحٍ لنجم؛ وعندما ركّزها كما يرتكز السائق في العربة، فإنّه أراها طبيعة الكون، وأعلن لها قوانين القضاء والقدر، في تطابق لولادتها الأولى التي ستكون واحدة والشيء عينه لجميعها؛ لا أحد منها سيقاسي ضرراً على يديه. وهي كانت لتحاك في أدوات الزمن التي هيّأت لها كلاً بمفردها، ولكي تأتي إلى الوجود الحيوانات الأكثر ديانة من الحيوانات كلّها، وبما أنّ الطبيعة الإنسانية كانت من نوعين اثنين، فإنّ السلالة الأسمى كانت من هكذا وهكذا صفة، وستدعى إنساناً فيما بعدُ. والآن، عندما وجب غرسها في أجسام بالضرورة، وبما أنّها كسبت أو خسرت جزءاً ما من مادتها الجسديّة على الدوام، فسيكون ضرورياً لها في المقام الأوّل حينئذ، وجوب أن تمتلك فيها كلّها قدرة واحدة حاسّة وتكون الشيء عينه، منبثقة من الانطباعات التي لا تُقاوم. وفي المقام الثاني يلزمها أن تمتلك حبّاً، الذي تمتلك فيه اللذة والألم؛ وكذلك الخوف والغضب، والمشاعر التي تكون مجانسة أو معاكسة لها؛ وإن قهرتها فإنها ستحيا على نحو صحيح، وإنْ قُهرت بها، فستُقهر على نحو سيّىء. إنّ مَنْ عاش جيداً أثناء وقته المخصَّص له، عليه أن يعود ويقطن في نجمه الأصليّ، وسيمتلك هناك وجوداً مباركاً وملائماً. لكنّه إذا أخفق في الوصول إلى هذا، فإنّه سيتحوّل إلى امرأة. وإن لم يكفّ عن فعل الشرّ، في حالة وجوده تلك، فإنّه سيتحوّل إلى شخصٍ وحشيّ ما بشكل متواصل، الذي يكون شبَهَهُ في الطبيعة الشريرة التي اكتسبها، ولن ينقطع من عناءاته وتحوّلاته إلى أن ساعد دورانُ الشيء عينه والمشابه بداخله، ساعد رسمَ نظام الجماهير المشاغبة للتعاظمات الأخيرة، المصنوعة من النار والهواء والماء والأرض وبهذا الانتصار للعقل فوق اللاعقلانيّ عاد هو إلى شكله الأوّل وحالته الأفضل. وبعدَ أن أعطى كلّ هذه القوانين لمخلوقاته، وذلك كي يمكنه أن يكون بريئاً من الشرّ

المستقبلي في أيٍّ منها، فإنّ الخالق تعالى زرع بعضها في الأرض، وبعضها في القمر، وبعضها في أدوات الزمن الأخرى. وحين زرعها سلَّم للآلهة الأفتى صياغة أجسامها الفانية، ورغب منهم أن يجهزوا الذي كان لا يزال ينقص الروح الإنسانية. وصَنع الخالق كلّ هذه الإضافات المناسبة، كي يحكم فوقها، وكي يرشد الحيوان الفاني بالأسلوب الأفضل الذي يستطيعونه، ولكي يحوّل عنه كلّ شيء إلاّ الشرور المنزلة بالنفس ذاتياً.

عندما صنع الخالق كلّ هذه التقديرات الإلهيّة بقي هو في طبيعته الخاصّة المعتادة، وسمع أطفاله وكانوا مطيعين لكلمة أبيهم، ومتلقّين منه المبدأ الخالد للمخلوق الفاني، استعاروا أجزاء من النار، والتراب، والماء، والهواء، استعاروها من العالم في تقليد لخالقهم الخاصّ جلّ مجده، والتي وجب أن تجدَّد، بعدئذ أخذ أطفالُه هذه الأجزاءَ ولحموها معاً، ليس بالسلاسل غير الفانية التي وثّقوا بها أنفسهم، بل بأوتادٍ قليلة صغيرة جدّاً من الصعب أن يراها أحد، خالقين من كلّ هذه العناصر الأربعة كل جسد منفصل، وموثقين وُجهات الروح الخالدة في جسمٍ كان في حالة تدفّق وانقضاء مستمّرين. وبعدُ فإنّ هذه الوُجهات احتُجزت كأنّها في نهرٍ فسيح، لم تتغلّب ولم تُغلب، بل كانت مسرعة ومسبوقة جيئة وذهاباً، هكذا كي يتحرّك الحيوان بمجمله ويرتقي، بدون نظامٍ على كلّ حال وبدون عقلانيّة وكيفا اتّفق ويميناً ويساراً، وتحت وفوق، وفي كلّ الجهات الستّ. ومثلما كان تقدّم وتقهقر الفيضان الذي قدَّم الغذاء، هكذا كانت التأثيرات التي أحدثها الاحتكاك الخارجيّ عظيمة وسببت اضطراباً أكبر لا يزال ـ عندما تقابل الجسم لأيّ شخص ووصل إلى صدام مع نار خارجية ما، أو مع الأرض الصلبة أو الماء المنزلق، أو احتُجز في العاصفة المحمولة على الهواء، وحُمِلَت الحركات المسبَّبة بأيٍّ من هذه الدفعات القويّة خلال الجسم إلى الروح. إنّ كلّ هذه الأفكار

تلقَّت الإسم العامّ « الأحاسيس »، ولا تزال تحتفظ بهذا الإسم، وخلقت هذه الأحاسيس في ذلك الوقت حركة قويّة وعظيمة في الحقيقة؛ ومتّحدةً مع الجدول المتدفّق باستمرار في إثارة وهزّ سُبُلِ الروح بعنف، فإنّها أوقفت حركةَ الشيء عينه تماماً بتيّارها المضادّ، وأعاقتها عن السيادة والتقدّم. وهكذا فإنّها أقلقت الطبيعة للغير أو المختلف، إلى حدّ أنّ الفواصل الثلاثة المضاعفة [كمثال، الفواصل بين الأعداد ١، ٣، ٩، ٢٧، معاً مع الحدود الوسط وأدوات الربط التي يُعبَّر عنها بالنسب لِ ٢:٣، و ٣:٤، و ٩: ٨] إنّ هذه الأعداد والنّسب، برغم أنّها لا تستطيع أن تكون غير منجزةٍ بشكلٍ كامل إلاّ بمن يوحّدها، أقول إنّ هذه الأعداد والنّسب شُوِّهت ولُوِيت بها بعنف في كلّ نوع من أنواع الطرائق، وحُطِّمت الدوائر واضطربت بكلّ أسلوب ممكن، إلى حدّ أنّها عندما تتحرّك فإنّها كانت متعثرة ومفكّكة إلى قطع، وكانت متحرّكة بشكل لاعقلانيّ، مرّة في الاتجاه المعاكس، وبشكل منحرفٍ مرّة ثانية بعدئذ، ومن ثمّ رأساً على عقب، كما يمكنك أن تتخيّل شخصاً مقلوباً رأساً على عقب، رأسه مستند على الأرض وقدماه صاعدتان قبالة شيء ما في الهواء. وعندما يكون هو في وضع كهذا، يتوهّم هو والمتفرجون عليه على حد سواء أنّ جانبه اليمين هو اليسار، وأنّ اليسار هو اليمين، إذن عندما تختبر الروح هذه التأثيرات والتأثيرات المشابهة لها بقوة، وإذا دخلت حركات الروح في اتّصال مع شيء ما خارجي، إمّا من صنف الشيء عينه أو من صنف الغير، فإنّهم يتكلّمون عن الشيء عينه أو الغير في الأسلوب المغاير جدّاً للحقيقة، وتصبح هذه الحركات حركات خادعة وسخيفة، وليس فيها طريقة أو دوران يمتلك قوّة هادية أو مرشدة. وإذا دخلت أيّة أحاسيس من الخارج بعنف وسحبت خلفها مركب أو وعاء الروح كلّه، فإنّ سُبُلَ الروح تُقهر حقّاً حينئذ، برغم أنّها تبدو قاهرة.

وبسبب كلّ هذه التأثيرات، فإنّ الروح عندما تُصَندَقُ في جسمٍ فانٍ، الآن، كما في البداية، تكون بدون فهم في بادىء الأمر؛ لكن حينما يُلغى تدفّق النموّ والتغذية، وعندما تسكن سبل الروح وتسلك طريقها الخاصّ بها وتصبح أرسخ عند مرور الزمن، حينئذ فإن الدوائر المتعدّدة تعود إلى شكلها الطبيعيّ، وتُصحِّحُ دوراتها، وتُسمّي الشيء عينه والآخر بأسمائهما الحقيقية، وتجعل مقتنيها مخلوقاً عقلانيّاً. وإذا توحّدت في مقتنيها أيّة تغذية أو تعليم حقيقيّ، فإنّه ينال الامتلاء والصحّة اللذين للإنسان الكامل، ويهرب من أسوأ الأمراض كلّها، لكنّه إذا أهمل التعليم فإنّه يسير سيراً أعرج إلى نهاية حياته، ويعود إلى العالم السفليّ ناقصاً وغير صالح لأيّ شيء. إنّ هذا هو الطور الأخير على أيّة حال. لكن يجب علينا في الوقت الحاضر أن نتعامل مع الموضوع المطروح أمامنا بشكلٍ أكثر دقّة، الموضوع الذي يتضمّن تحقيقاً تمهيديّاً في ولادة الجسم وأعضائه، وكيف أُبدِعَت الروح، - لأيّ سبب وبأيّة عناية من الآلهة؛ وملتزمين الاحتمال بثبات، يجب أن نتابع طريقنا.

إنّ الآلهة، بادىء ذي بدء إذن، مقلّدين الشكل الكرويّ للكون، حصروا السبيلين الإلهيين الاثنين في جسم كرويّ، أعني، الذي يُصطلح على تسميته بالرأس الآن، كونه الجزء الأكثر ألوهيّة فينا وسيّد كل ما فينا. ولهذا أعطى الآلهة كلّ الأعضاء الأخرى لتكون خادمته عندما وضعوا الجسم معاً، آخذين بعين الاعتبار أنّه يجب أن يشارك في كلّ نوع من أنواع الحركة. ولكي يستطيع أن يتحاشى الوقوع على الأرض حول وبين الأماكن المرتفعة والعميقة، بل كي يمكنه أن يكون قادراً على أن يجتاز الأُولى ويخرج من الأخرى، فإنّ الآلهة جهّزوا الجسم كي يكون مركبته ووسائل تحرّكه؛ والذي امتلك طولاً وكان مجهَّزاً بأربعة أطراف مبسوطة ومرنة بناءً على ذلك. الله جلّ مجده اخترع هذه كي تكون وسائل الحركة التي يستطيع الجسم أن

يأخذها سنداً له ويجد بها دعامة، وهكذا كي يمكنه أن يمرّ خلال الأماكن كلّها، حاملاً إلى أعلى مكان السكن للجزء الأكثر قداسة وألوهيّة منّا. هكذا كان أصل الرجلين واليدين اللتين أُلصِقتا بكلّ إنسانٍ لهذا السبب. والآلهة، معتبرين أنّ الجزء الأمامي للإنسان هو أكثر تبجيلاً وأكثر تناسباً كي يأمر ممّا هو عليه الجزء المعوّق، فإنّها أوجدتنا كي نتحرّك إلى الأمام أكثر. ومن أجل ذلك فإنّ الإنسان يجب أن يمتلك قسمه الأمامي غير مشابهٍ ومميّزاً من بقيّة جسده. وهكذا ففي مركب الرأس، يجب أن يضع الآلهة وجهاً قبل كلّ شيء والذي فيه أولجوا الأعضاء كي تقدّم يد العون في كلّ الأشياء إلى تدبير الروح. والآلهة عيّنوا هذا القسم، الذي يمتلك السلطة، ليكون السند الطبيعيّ. ومن الأعضاء الحاسّة اختُرِعت العينان بادىء ذي بدء كي تهب الضوء. والمبدأ الذي غُرِستا طبقاً له كان كما يلي: أعطت الآلهة لهما مقداراً من النار لا لتحترقا، بل لتعطيا نوراً لطيفاً. والآلهة صاغتهما من مادّةٍ مجانسة لنور الحياة اليوميّة. وأمّا النار النقيّة الموجودة في داخلنا والمتصلة بهما فإنّ الآلهة أوجدتها لتتدفّق من خلال العينين في دفقٍ ناعم كثيف، ضاغطة العين كلّها، وخاصة الجزء المركزيّ منها. وهكذا فإنّ هذه النار أبقت خارجها كلّ شيء ذي طبيعة أخشن، وسُمِحَ أن يمر هذا العنصر النقيّ فقط. عندئذ فإنّ الشَبيه وقع على شبيهه، والتحما، ويكون الجسد الواحد مصاغاً بالإلفة الطبيعية في انسجام الرؤيا، حيثما الضوء الذي يهبط من الداخل يلتقي مع الشيء الخارجيّ. ودفق الرؤيا كلّه كونه متأثّراً بمزيّة التشابه، فإنّه ينشر الحركات للّتي تلامِس أو للّذي يلامِسها فوق الجسم كلّه، إلى أن يصل إلى الروح، مسبّباً ذلك الإدراك الحسيّ الذي نسمّيه البصر. لكن عندما يحلّ الظلام، ويرحل الضوء الخارجيّ والشقيق، حينئذ فإنّ دفق الرؤيا يُقطع؛ لأنّ انتشاره في عنصرٍ غير شبيهٍ يغيّره ويخمده، كونه لم يعد بعد اليوم ذا

طبيعة واحدة مع الجوّ المحيط الذي أصبح مجرّداً من النار الآن: وهكذا فإنّ العينين لا تريان بعد اليوم، ونشعر نحن بأنّنا ميالون للنوم. إذ عندما تُغلق جفون العينين، التي اخترعتها الآلهة لوقاية البصر، فإنّها تبقي على النار الداخلية، وقوّة النار تنشر وتسوّي الحركات الداخليّة. وعندما تُجعل هذه الحركات الداخليّة متساوية توجِد راحة، وعندما تعمّق الراحة، يستبدّ بنا النوم ونادراً ما تعكّر صفوه الأحلام؛ لكن حيث لا تزال أيّة حركات باقية، طبقاً لطبيعتها ومكانها، فإنّها تُحدث في داخلنا رؤىً متطابقة في الأحلام، تلك الأحلام التي نتذكّرها عندما نستيقظ إلى العالم الخارجيّ. والآن فما مِن صعوبة في فهم إحداث الصور في المرايا وفي كلّ السطوح الناعمة والصافية. لأنّ من مشاركة النيران الداخلية والخارجية، ومرّة ثانية من اتّحادها ومن تحوّلاتها المتعدّدة عندما تلتقي في المرآة، فإنّ هذه المظاهر تنشأ بالضرورة، وذلك عندما تلتحم النار من الوجه مع النار من العين على السطح المشرق والناعم، ويبدو الجانب الأيمن أيسر والجانب الأيسر أيمن لأنّ الإشعاعات المرئيّة تحتكّ بالإشعاعات المقذوفة بواسطة الشيء بأسلوبٍ معاكس للطريقة المعتادة للالتقاء. لكنّ الأيمن يظهر أيمن، والأيسر أيسر، حينما يكون موضع أحد الإثنين المحدِثين ضوءاً، معكوساً. ويحدث هذا عندما تكون المرآة مقعّرة ويطرد سطحها الناعم التدفّق الأيمن للرؤيا، يطرده إلى الجانب الأيسر، ويطرد الأيسر إلى الجانب الأيمن. أو إذا أُديرت المرآة عمودياً، حينئذ فإنّ التقعّر يجعل الهدوء يظهر ليكون كلّه رأساً على عقب، وتُدفع الإشعاعات السفليّة إلى أعلى والإشعاعات العلوية إلى أسفل.

إنّ كلّ هذه الأشياء تعتبر من بين الأسباب الثانويّة والتعاونيّة التي استخدمها الله كخَدَمِهِ، منفّذاً الفكرة الأفضل قدر الإمكان. ولم يفتكر الرجال أنّها أسباب ثانوية، بل افتكروا أنّها الأسباب الأولى لكلّ الأشياء، لأنّها تجمّد

وتحمّي، وتقلّص وتمدّد، وتفعل الأفعال المشابهة. لكنّها ليست هكذا، لأنها غير قادرة على التعقّل أو الفكر. إنّ الموجودَ الوحيد الذي يستطيع أن يمتلك عقلاً بشكل مناسب هو الروح اللامرئية، في حين أنّ النار والماء، والأرض والهواء، كلّها أجسام مرئيّة. إنّ محبّ العقل والمعرفة يجب أن يستكشف أسباب الطبيعة العقلانيّة قبل كلّ شيء، وثانياً أن يستكشف تلك الأشياء التي تُجْبَر على تحريك الأشياء الأخرى، كونها متحرّكة بها. وهذا ما ينبغي أن نفعله نحن أيضاً. يلزمنا أن نعترف بكلا النوعين من الأسباب، لكن يجب علينا أن نوجد تمييزاً بين تلك الأنواع التي تُمنَح بالعقل وتكون صانعة الأشياء الجميلة والخيّرة، وتلك الأشياء المحرومة من الفهم وتنتج آثاراً تصادفيّة بدون نظام أو تصميم. لقد قيل ما فيه الكفاية عن الأسباب الثانويّة أو التعاونية مِن أسباب البصر التي تساعد بمنح العينين القوة التي تقتنيانها الآن. وبسبب ذلك فإنّني سأتقدّم الآن للكلام عن الاستخدام والغاية الأسمى اللذين من أجلهما أعطاهما الله لنا. إنّ البصر في رأيي هو مصدر النفع الأعظم لبني البشر. إذ بدونه ما كان باستطاعتنا أن نشاهد النجوم أبداً، ولا أن نرى الشمس، ولا السماء، لا ولا كان بإمكاننا التكلّم عن الكون بأيّة كلمات أو التفوّه بها. أمّا الآن فرؤية النهار والليل، والشهور ودوران السنين، خلقت العدد وأعطتنا تصوّراً عن الزمن، والقوة كي نحقّق بشأن طبيعة الكون؛ واستمددنا الفلسفة من هذا الينبوع، والذي ليس هناك خير أكبر منه أعطته الآلهة أو ستعطيه للإنسان الفاني، هذه النعمة هي أعظم نِعَم البصر. ولماذا سأتكلّم عن النّعم الأقلّ أهميّة؟ حتّى الإنسان العاديّ فإنّه إذا - رِم منها سيندب خسارته، لكن نواحه سيكون عبثاً. دعني أتكلّم لهذا الحدّ على كلّ حال لأقول: الله تقدَّس اسمه اخترع البصر وأعطانا إياه إلى النهاية كي يمكننا أن نشاهد سُبُل الفكر في السماء، ونطبقها عملياً على طرائق فكرنا

الخاصّة بنا المماثلة لها، الطرائق اللامشوّشة على الطرائق المشوَّشة، وبما أنّنا نحن متعلّموها ومشاركون في الحقيقة الطبيعيَّة للسبب، فيمكننا أن نقلّد سُبُلَ الله المطلقة التي لا تخطىء، وأن ننظِّم أهواءَنا وأوهامنا الخاصّة. ويمكن أن يؤكّد الحديث عينه عن حاسّة السمع. إنّ هذه الحاسة أعطتها الآلهة للغاية عينها ولسبب مشابه، وهي الغاية المبدئيّة للكلام، حيث إنّها الغاية الأكثر إسهاماً في جهدٍ مشترك. فضلاً عن ذلك، فإنّ هذا المقدار من الموسيقى مُنِحَ لنا بقصد الإيقاع أو التناسب، وتمّ اختياره لتمام وضبط الصوت ولحاسّة السمع، والإيقاع الذي يمتلك حركات مماثلة لدورات أرواحنا، لا يُعتبر بالمريد الذكيّ لإلاهات الشعر والغناء والعلوم والفنون كأنّه ممنوح من قِبَلِهِنّ بقصد اللذّة اللاعقلانية، والذي يُحسب ليكون الغرض منها في يومنا هذا، لكن بما أنّنا عنينا تصحيح أيّ تنافرٍ أمكن نشوؤهُ في طرائق الروح، فإنّه كان حليفنا في إحضارها إلى الإيقاع والتناسب والاتفاق مع نفسها؛ وأعطي الإيقاع من قِبَلِهِنّ وأعطي التناغم للسبب عينه، وبسبب الطرق غير المنتظمة التي تعوزها الرشاقة والجمال والتي تسود بين الجنس البشريّ بشكلٍ عامّ، ولكي تساعدنَا ضدّها.

حتّى هذه النقطة الرئيسية فيما قد قلناه، ما عدا استثناءَات صغيرة، فإنّ الأعمال الفكريَّة قد أُميط اللّثام عنها. وبعدُ ينبغي علينا في بحثنا أن نضع بجانبها الأشياء التي تأتي إلى الوجود من خلال الضرورة - لأنّ الإبداع لهذا العالم هو العمل الموحّد للضرورة والعقل. إنّ العقل، وهو القوّة الحاكمة، أقنع الضرورة كي تحضر الجزء الأكبر للأشياء المبدَعة إلى الكمال؛ وهكذا وعلى غرار هذا النموذج كان العالم مُبْدَعاً في البدء من خلال الضرورة التي جُعلت تابعة للعقل. لكن إذا كان شخص سيخبر عن الطريقة التي أُنجز فيها هذا العمل بحقّ، يجب عليه أن يضمِّن السبب المتغيِّر أيضاً. ومن أجل

ذلك، ينبغي علينا أن نعود مرّة ثانية ونجد بداية أخرى مناسبة كما وجدناها بشأن القضايا السابقة. وهكذا سنجدها بخصوص هذه القضايا أيضاً. لماذا علينا أن نأخذ بعين الاعتبار طبيعة النار، والماء، والهواء، والتراب، مثل أنّها كانت سابقة لخلق السماء، وما الذي حدث لها في هذه الحالة السالفة؛ إذ لا أحد قد علّل الأسلوب في نشوئها لحدّ الآن، لكنّنا نتكلّم عن النار والبقيّة الباقية منها، كما يعرف طبيعتها الرجال من خلالهم. ونؤكّد نحن بايراد الحجّة والدليل أنّها هي المبادىء الأولى والحروف أو العناصر للكلّ، عندما لا يمكن مقارنتها بإنسانٍ له أيّ إدراك وبعقلانيّة. لا يمكن مقارنتها حتّى بالمقاطع اللفظيّة أو المركّبات الأولى. واسمح لي أن أقول لهذا الحدّ: إنّني لن أتكلّم الآن عن المبدأ الأوّل أو المبادىء الأولى لكلّ الأشياء، أو مهما يكن الإسم الذي ستُدعى به، لهذا السبب؛ لأنّه لشيءٌ صعبٌ أن أُبيِّن رأيي طبقاً لطريقة المحادثة التي استخدمناها في الوقت الحاضر. لا تتصوَّر، أكثر ممّا أستطيع أن أُعِدَّ نفسي لتصوّره، إنّني سأكون محقّاً في الأخذ على عاتقي القيام بعمل شاقٍّ صعبٍ وعظيم كهذا. ومتذكّراً ما قلته في البدء عن الاحتمال، فإنّي سأفعل أفضل ما أقدر عليه كي أعطي تعليلاً مرجّحاً كأيّ تعليلٍ آخر قدَّمته، ـ أو أكثر ترجيحاً على الأصحّ، وسأعود إلى البداية أولاً وأحاول أن أتكلّم عن كلّ شيء وعن الكلّ. مرّة ثانية إذن، وعند بدء حديثي، سأتوجّه بدعائي إلى الله، وأستعطفه كي يكون منقذنا من تحقيق غريب وغير مألوف، وأن يحضرنا إلى حمى الترجيح. وهكذا دعنا نبدأ مرّة ثانية.

هذه البداية الجديدة لبحثنا عن الكون، تحتاج لتقسيم أكمل من التقسيم السابق؛ لأنّنا أوجدنا حينها صنفين اثنين، ويجب أن نكشف النقاب عن صنفٍ ثالثٍ الآن. إنّ هذين النوعين الاثنين قد وفيا بالغرض لبحثنا السابق: أحدهما الذي افترضناه، كان نموذجاً واضحاً والشيء عينه على الدوام؛

وكان ثانيهما تقليد النموذج فقط، مُنشأً ومرئيّاً. هناك نوع ثالث أيضاً لم نميّزه في ذلك الوقت، متصورين أنّ النوعين الاثنين سيكونان كافيين. أمّا الآن فيبدو أنّ المناظرة تحتاج إلى ذلك، وأنّه يجب علينا أن نوضح بالكلمات نوعاً آخر تعليله صعب ويُرى بضعف. أيّة طبيعة سنعزو لهذا النوع الجديد من الوجود؟ نجيب على هذا السؤال، أنّ هذا النوع الجديد هو الوعاء، والمتعهّد لكلّ الولادات إلى حدٍّ ما. إنّني نطقت الحقيقة في قولي هذا؛ لكن يجب عليّ أن أعبّر عن مكنونات نفسي في لغة أوضح، وسيكون هذا العمل عملاً شاقّاً جهيداً لعدّة أسباب، وبشكل خاصّ لأنّني يجب أن أثير أسئلة بادىء ذي بدء فيما يتعلّق بالنار والعناصر الأخرى، وأن أقرّر ما هو كلّ منها. ولكي أقول، مع أيّ احتمال أو أيّة ثقة، أيّها ينبغي أن يسمّى ماءً بدلاً من أن يُسمّى ناراً، وأيّها ينبغي أن يدعى بأيّ منها كلّها أو بأيّ إسم من أسمائها، إنّ هذه المسألة مسألة صعبة. كيف سنقرّر هذه النقطة الرئيسيّة إذن، وأيّة أسئلة يمكن إثارتها بشأن العناصر بشكل عادل؟

نحن نرى، في المقام الأوّل، أنّ ما نسمّيه لتوّنا الآن ماءً، أفترض أنّه يصبح حجراً أو تراباً بالتكثيف، ويتحوّل هذا العنصر عينه إلى بخار وهواء، عند إذابته وتشتيته. ومرّة أخرى، فإنّ الهواء عندما يتراكم ويتكثّف، يحدث الغيم والسديم. ويأتي من هذا الماء المتدفق، حينما يبقى مضغوطاً أو متكثّفاً أكثر، يأتي من الماء التراب والأحجار مرّة أخرى. وهكذا يبدو أنّ النشوء يكون منقولاً من عنصرٍ واحدٍ إلى العنصر الآخر في دائرة. هكذا إذن، وبما أنّ العناصر المتعدّدة لا تقدّم نفسها في الشكل عينه أبداً، فكيف يستطيع أيّ شخصٍ أن يمتلك الثّقة ليؤكّد بشكلٍ قاطع أنّ أيّاً منها، مهما يمكن أن يكون، يكون شيئاً واحداً بدلاً من أن يكون شيئاً آخر؟ لا أحد يقدر على ذلك. لكن الخطّة الأكثر أماناً تقضي أن نتكلّم عنها كما يلي: إنّ أيّ شيء

نراه ليكون متغيراً بشكل متواصل، وكمثال، النار، يجب علينا أن لا نسميها « هذا » أو « ذلك » بل أن نقول على الأصح إنّه يكون « من هكذا طبيعة »؛ ولا تدعنا نتكلّم عن الماء كأنّه « هذا » بل كأنّه « هكذا ». ولا ينبغي أن ندلّ ضمناً على أنّه يوجد أيّ ثبات في أيٍّ من تلك الأشياء التي نعيّنها باستخدام الكلمات « هذا » و « ذلك »، مفترضين أنفسنا أنّنا نعني شيئاً ما باستخدام تلك الوسيلة، لأنّ تلك العناصر هي مادة متطايرة أيضاً كي تُحتجز في أيّة تعبير مثل « هذا » و « ذلك » أو « متصّلة بهذا »، أو بأيّ أسلوب آخر من أساليب الكلام يصوِّرها كأنّها ثابتة. ينبغي علينا أن لا نستعمل كلمة « هذا » لأيٍّ منها، بل علينا أن نستعمل الكلمة « هكذا » على الأصح، التي تعبّر عن المبدأ المشابه دائراً في كلٍّ منها وفيها جميعاً؛ كمثال، يجب أن يدعى « ناراً » ذلك الذي يكون من هكذا طبيعة على الدوام، وكذلك كلّ شيء يمتلك نشوءاً. إنّ ذلك الذي تنمو فيه العناصر على التوالي، وتظهر، وتفسد، إنّ ذلك وحده يكون ليدعى بالإسم « هذا » أو « ذلك ». لكن ذلك الذي يكون من طبيعة محدَّدة، حارّاً أو أبيض، أو من أيّ شيء يقبل بالنوعيّات المتضادّة، وبكلّ الأشياء التي تُركّب منها، إنّ هذه الأشياء يجب أن لا تسمّى بهذه الأسماء. دعني أجد محاولة أخرى لأشرح معناي بشكل أكثر وضوحاً. إفترض أنّ شخصاً كان ليخترع كلّ أنواع الأشكال من الذهب وأن يجد صياغة كلّ منها في كلّ الذهب الباقي على الدوام، ويأتي شخص ما ويشير إلى أحدها ويسأل ما هي. ويكون الجواب على هذا السؤال أنّها تكون ذهباً، وهو الجواب الأكثر أماناً وحقيقة ببعد كبير؛ ولا يدعو هذا الشخص المثلّث أو أيّة أشكال أخرى صِيغت بواسطة الذهب، لا يدعوها « هذه » وكأنّها تمتلك وجوداً، بما أنّها تكون في عمليّة تغيير في حين يكون هو مؤكّداً الجزم بكلامه عنها؛ لكن إذا كان

السائل مستعدّاً لاختيار التعبير المأمون وغير المحدّد « هكذا »، فسنكون قانعين بهذا التعبير. وتنطبق المناظرة عينها على الطبيعة العالمية التي تتلقّى كلّ الأجسام - يجب أن تدعى تلك الطبيعة بالشيء عينه على الدوام؛ لأنّها بقدر ما تتلقّى الأشياء كلّها دائماً، فإنّها لا ترحل عن طبيعتها التي تخصّها على الإطلاق، ولا تتّخذ شكلاً مثل الشكل الذي لأيٍّ من الأشياء التي تدخل فيها قطّ، لا في أيّة طريقة، ولا في أيّ زمان. إنّها تكون المتقبّلة الطبيعيّة لكلّ الانطباعات، وتُنشَّط وتعطى شكلاً بها، وتظهر مختلفة من وقت إلى وقت بسببها. لكن الأشكال التي تدخل إليها وتخرج منها تكون شبيهة بالحقائق الأزليّة، مصاغة على غرار نماذجها بأسلوب رائع تكتنفه الأسرار والذي سنحقّق فيه فيما بعدُ. لكنّنا يجب أن نفهم الطبائع الثلاث في الوقت الحاضر: الطبيعة الأولى، تلك التي تكون في عملية النشوء؛ الثانية، تلك التي يأخذ النشوء فيها مكانه؛ والثالثة، تلك التي ينشأ منها الشيء الذي يكون شَبَهاً أو صورة منتجَةً بشكل طبيعي. ويمكننا أن نشبّه المبدأ المستقبِل بالأمّ، والأصل أو المصدر بالأب، والطبيعة المتوسّطة بالطفل؛ ويمكننا أن نقول أبعد من ذلك، أنّ النسخة إذا كانت لتتّخذ أيَّ شكلٍ من أشكال التنوّع، فإنّ المادّة التي تصاغ النسخة منها لن تكون معدَّة كما ينبغي حينئذ، ما لم تكن عديمة الصورة، ومتحرّرة من الأثر القويّ لأيٍّ من تلك الأشكال التي ستتلقّاها من الخارج بعدئذ. لأنّ المادة إذا كانت مثل أيّ شكل من أشكال الحادثة على نحو غير متوقّع، حينئذ كلّما طُبع على سطحها أيٌّ من الطبيعة المضادّة أو المتباينة بشكل كلّيّ، فإنّها ستقبل الانطباع بشكل سيّىء، لأنّها ستتطفّل على شكلها الخاصّ بها. لذلك، فإنّ الذي يكون ليتلقّى كل الأشياء ينبغي أن لا يمتلك شكلاً. وكما في صنع العطورات فإن صانعيها يخترعون وسيلة لكي تكون المادة السائلة التي

ستتلقّى الشذا بادىء ذي بدء لا رائحة لها قدر الإمكان؛ أو مثل أولئك الذين يرغبون بطبع الأشكال على المواد الطريّة والذين لا يسمحون لأيٍّ من الانطباعات السالفة بالبقاء، بل يبدؤون بجعل السطح مستوياً وأملس قدر الإمكان. وفي الطريقة عينها فإنّ ذلك الذي يكون كي يتلقّى الصور لكلّ الموجودات الأزليّة إلى الأبد ومن خلال مداه كلّه يجب أن يكون خالياً من أيّ شكل خاصّ. ومن أجل ذلك فإنّ الأمّ والوعاء لكلّ الأشياء المخلوقة والمرئيّة وفي أيّة طريقة محسوسة، لا يكون ليُدعى التراب، أو الهواء، أو النار، أو الماء، أو أيّاً من تركيباتها، أو أيّاً من العناصر التي تشتقّ منها هذه الأشياء، بل يكون مخلوقاً غير مرئيّ ولا شكل له يتلقّى كلّ الأشياء ويشارك في طريقة سرّيّة ما فيما يتعلّق بالمدرَك بالعقل، ويكون الأكثر إبهاماً. لن نكون بعيدين عن الخطأ في قولنا هذا؛ بقدر ما نستطيع الوصول إلى معرفة عنه من التأمّلات السابقة. على كلّ حال، يمكننا أن نقول بحقّ إنّ النار هي ذلك الجزء من طبيعته الذي يؤجّج من وقت إلى آخر، والماء هو الذي يُرطِّب، وأنّ المادة تصبح أرضاً وهواء، بقدر ما تتلقّى الانطباعات منه.

دعنا نأخذ بعين الاعتبار هذا السؤال بدقّة أكثر. هل هناك أيّة نارٍ موجودةٍ بذاتها؟ وهل توجد كلّ تلك الأشياء التي نسمّيها موجودة بذاتها؟ أو هل تكون تلك الأشياء التي نراها، أو نحسّ بها في طريقة ما بواسطة أعضاء الجسم، هل تكون هذه موجودة بحقّ، ولا شيء أيّاً كان بجانبها يوجَد؟ وهل تكون تلك الأشكال الواضحة، التي اعتدنا على أن نتكلّم عنها، هل تكون لا شيء على الإطلاق، بل إسماً فقط؟ هنا يكون السؤال الذي يجب أن لانتركه بغير فحص وغير تحديد، ولا يجب أن نؤكّد بثقة أيضاً أنّه لا يمكن أن يكون قرار بشأنه. لا، ولا ينبغي أن ندُسَّ في محادثتنا الطويلة الحاضرة استطراداً طويلاً بشكلٍ

متساوٍ، لكن إذا كان ممكناً أن نبيِّن مبدأً عظيماً بكلمات قليلة، فإنّ هذا هو ما نريده تماماً.

وهكذا فإنّني أعلن وجهة نظري: إذا كان العقل والرأي الحقّ صنفين متميّزين، أقول حينئذ إنَّ هذه الأفكار الموجودة بذاتها التي لا تدرك بالحسّ، أقول إنّها توجد بالتأكيد، وتدرك بالعقل فقط. على كل حال، إذا كان ما يقوله البعض من أنَّ الرأي الحقّ لا يختلف عن العقل في أيّة طريقة، حينئذ فإنّ كلّ شيء نتلقاه بواسطة الجسد يجب اعتباره وكأنّه الشيء الأكثر حقيقة وتأكيداً. لكن ينبغي علينا أن نؤكّد أنّهما يكونان متمايزين، لأنّهما يمتلكان أصلاً مميّزاً وهما ذات طبيعتين مختلفتين، إحداهما مغروسة فينا بالتثقيف، والأخرى بالإقناع؛ إحداهما تكون متلازمة مع العقل الحقيقيّ على الدوام، والأخرى بدون العقل؛ إحداهما لا يمكن أن تُقهر بالإقناع، غير أنَّ الأخرى يمكنها ذلك. وأخيراً، يمكن القول إنّ كلّ إنسان يشارك في الرأي الحقّ، لكنّ العقل هو خاصيّة الآلهة وعددٍ قليل جدّاً من الرجال. يلزمنا لذلك أن نعترف أيضاً بأنّ نوعاً واحداً للوجود هو الشكل الذي يكون الشيء عينه على الدوام، غير مخلوق وغير مدمَّر، غير متلقٍّ أيّ شيء إلى نفسه من الخارج أبداً، ولا يكون ذاته ذاهباً إلى أيّ شكلٍ آخر، بل إنّه غير مرئيّ وغير مدرك بأيّة حاسّة، والذي يُمنح التأمّل فيه للعقل فقط. وهناك طبيعة أخرى من الإسم عينه معه، ومشابهة له، مدركة بالحسّ، مخلوقة، في حركة على الدوام، ممسيةً في مكان ومتلاشيةً خارج المكان مرّة أخرى، والتي تدرك بالرأي مع الحسّ بشكلٍ متّحد. وهناك طبيعة ثالثة، هي الفضاء، وهي خالدة، ولا يُسمح لها بالفناء، وتجهّز بيتاً لكلّ الأشياء المخلوقة، وتُدرَك عندما تكون كلّ الأشياء غائبة، وبنوع من العقل الزائف، وتكون حقيقيّة بصعوبة. وهذه الطبيعة نشاهدها كأنّها في حُلُمٍ. إنّنا نقول عن الوجود كلّه إنّه يجب

أن يكون بالضرورة في مكان ما ويشغل حيّزاً، لكنّ ذلك الذي لا يكون لا في السماء ولا على الأرض لا يمتلك وجوداً. أمّا عن الأشياء هذه والأشياء الأخرى من النوع عينه، المتّصلة بالحقيقة والحقيقة اليَقِظَةِ للطبيعة، فإنّنا نمتلك هذا الإحساس الشبيه بالحلم فقط، ونكون غير قادرين على أن نتخلّص من النوم ونقرّر الحقيقة بشأنها. لأنّ الصورة شُكِّلَتْ على غرار الحقيقة، وبما أنّ الحقيقة لا تخصّها، والتي توجد أبداً كخيالٍ سريع الزوال لصورة ما أخرى، فيجب الاستدلال أنّها تكون في صورة أخرى « كمثال في الفضاء » مُمسِكةً الوجود بطريقة ما أو بأخرى، أو أنّه لا يمكنها أن تكون على الإطلاق. لكنّ العقل الحقيقي والدقيق، الصائن لطبيعة الوجود الحقيقيّ، يؤكّد أنّه في حين يكون الشيئان الاثنان « كمثال الصورة والفضاء »، حين يكونان مختلفين، فإنّهما لا يستطيعان أن يوجد أحدهما في الآخر وأن يكون واحداً هكذا واثنين في الوقت عينه.

وهكذا فإنّني أعطيت نتيجة أفكاري بدقّة، وحكمي هو أنّ هذه الأشياء الثلاثة: الوجود، الفضاء، والنشوء، وُجدت في طرائق ثلاث قبل وجود السماء. وأنّ مربّية النَّشْء، المرطَّبة بالماء والمُضرَمَة بالنار، والمستقبِلَة لشكلي الأرض والهواء، والمختبرة التأثيرات التي تلازم هذه، أوجَدَت تشكيلة غريبة من المظاهر. وكونها ممتلئة بالقوى التي لم تكن متشابهة ولا متوازنة بشكل متساوٍ، فإنّ كلّ هذه الأشياء لم تكن في أيّ قسمٍ من أقسام أجسامها في حالة توازن، بل كانت متأرجحة هنا وهناك، ومهتزةً بها، وهزَّتها بحركتها مرّة ثانية؛ وحينما تحرّكت العناصر فُصِلَت وحُمِلَت بشكل متواصل، بعضها بطريقة، وبعضها بطريقة أخرى، مثلما يُهزُّ القمح ويذرّى بالمراوح، وعندما تُستعمل الأدوات الأخرى في درس الذرّة، فإنّ الجسيمات القريبة والثقيلة تُحمَل بعيداً وتستقرّ في جهة واحدة، وتستقرّ الجسيمات المتقلقلة والخفيفة في

جهة أخرى. وفي هذا الأسلوب هُزَّت الأنواع أو العناصر الأربعة حينئذ بالمركَب المستقبِل، المتحرك مثل آلة التذرية، والذي نثر العناصر الأكثر تشابهاً بعيداً جدّاً عن بعضها بعضاً، وأجبر العناصر الأكثر تشابهاً على التماسّ القريب. ومن أجل ذلك فإنّ العناصر المتنوّعة امتلكت أماكنها المميَّزة أيضاً قبل أن ترتّب كما رُتِّبت لصياغة الكون. وفي البدء، على كلّ حال، فإنّها كانت كلّها بدون عقل وقياس. لكن عندما ابتدأ العالم ببلوغ حالة النظام، فإنّ النار والماء والتراب والهواء أبانت حقّاً آثاراً خافتة عن نفسها، وكانت في حالةٍ كهذه بكلّ ما في الكلمة من معنى، مثلما يمكن لشخصٍ أن يتوقّعها حيثما يكون الله غائباً. أقول، إنّ طبائعها كونها هكذا، فإنّ الله جلّ جلاله صاغها وفقاً للشكل والعدد. دعنا نؤكّد بشكل متين أنَّ كلّ الذي نقوله وهو أنّ الله صنعها الصناعة الأجمل والأفضل قدر الإمكان، وصنعها خارجاً عن الأشياء التي ليست جميلة ولا خيِّرة. وبعدُ فإنّني سأجهد لأبيِّن لك تنظيمها أو ميلها ونشوءَها بواسطة مناظرة غير مألوفة، والتي أنا مجبر على أن أستخدمها؛ لكنّني أعتقد أنّكم ستكونون قادرين على متابعتي، لأنّ تعليمكم جعلكم معتادين على أساليب العلم.

في المقام الأوّل، إذن، وكما هو واضح للجميع، فإنّ النار والتراب والماء والهواء كانت أجساماً، واقتنى كلّ نوع من أنواع الجسم حجماً، ووجب على كلّ حجمٍ أن يكون محاطاً بالسطوح ضرورة. ورُكِّب كلّ سطحٍ مستقيمٍ من المثلّثات. وكانت كلّ المثلّثات من نوعين اثنين في الأصل، والتي صُنِعت كلاها من زاوية مستقيمة ومن زاويتين حادَّتين. وكان لدى أحدها عند كلٍّ من الحدّين نصف الزاوية المستقيمة مقسومة، والممتلكة لضلعين متساويين، بينما كانت الزاوية المستقيمة في المثلث الآخر مقسّمة إلى أجزاء غير متساوية، ممتلكة أضلاعاً متساوية، في حين أنّ الزاوية المستقيمة الأخرى

كانت مقسَّمةً إلى أجزاء غير متساوية، ولها أضلاع غير متساوية. نفترض هذه إذن، أنّها متقدّمة بمجموعة مؤتلفة ممكنة مع الإثبات والبرهان، نفترض أنّها هي العناصر الأصليّة للنار وللأجسام الأخرى. لكنّ المبادىء التي تكون سابقة لهذه فإنّ الله الجبّار وحده يعرفها، ويعرفها من الرجال مَنْ يكون صديقاً لله. يجب علينا أن نقرّر تالياً ما هي الأجسام الأربعة الأكثر جمالاً التي يُستطاع تأليفها وتركيبها، والتي لا يشبه بعضها بعضاً. ومع ذلك فإنّها تكون قادرة في بعض الحالات على الانحلال بعضها في بعض، وبما أنّنا قد اكتشفنا ما اكتشفناه لهذا الحدّ، فإنّنا سنعرف الأصل الحقيقيّ للأرض والنار وللعناصر المتناسبة والمتوسّطة، لأنّنا لن نكون عازمين على أن نسمح بأن هناك أيّة أنواع مميّزة للأجسام المرئيّة أجمل من هذه الأجسام. ولذلك ينبغي أن نكافح لبناء الأشكال الأربعة للأجسام التي تتفوّق في الجمال، وأن نحصل على الحقّ لنقول إنّنا أدركنا طبائعها بشكلٍ كافٍ. وبعدُ فإنّه من المثلّثين الاثنين، امتلك المثلّث المتساوي الساقين شكلاً واحداً؛ وامتلك المثلّث غير المتساوي الأضلاع عدداً غير محدَّد من الأشكال. وينبغي أن نختار من العدد غير المحدد المثلّثات الأكثر جمالاً مرّة ثانية، ذلك إذا ما كنّا لنتقدّم في نظامٍ متّسق. أيّ شخصٍ يستطيع أن يشير إلى أشكالٍ أكثر جمالاً من الأشكال التي اخترناها لبناء هذه الأجسام فإنه سيحمل سَعَف النخل، ليس كعدوٍّ، بل كصديق. والآن، فإنّ المثلث الذي نؤكّد أنّه هو المثلث الأكثر جمالاً من بين المثلّثات كلّها « ولا نحتاج للكلام عن المثلّثات الأخرى » هو ذلك المثلّث الذي يكون الشكلان المضاعفان له مثلثاً ثالثاً الذي هو المثلّث المتوازي الأضلاع؛ وسيكون السبب لهذا موضوعاً طويلاً كي نخبر عنه، وهو الذي سيدحض ما نقول، ويبيّن أنّنا مخطئون، يمكنه أن يطالب بانتصارٍ ودود. دعنا نختار إذن المثلّثين الاثنين اللذين قد شُيِّدت منهما النار والعناصر

الأخرى، أحدها المثلّث المتوازي الأضلاع، والآخر المثلث الذي يمتلك المربّع للضلع الأطول مساوياً لثلاث مرات المربّع للضلعَ الأقلّ.

وبعدُ فقد آن الأوان لتعليل ما قيل قبلاً بشكلٍ مبهم: هناك خطأ في تصوّر أنّ كلّ العناصر الأربعة يمكن أن تولَد بواسطة وفي بعضها بعضاً؛ أقول، إنّ هذه الفرضيّة كانت فرضيّة خاطئة. لأنّه تولّد من المثلّثات التي اخترناها أنواع أربعة - ثلاثة أنواع من النوع الذي يمتلك الأضلاع غير المتساوية؛ أمّا المثلث الرابع وحده فإنّه يتشكّل من المثلثات المتساوية الأضلاع. ومن هنا فإنّ هذه المثلّثات لا يمكنها كلّها أن تُحلَّل بعضها في بعض، لوجود عدد كبير من الأجسام الصغيرة كونها مجمّعة في أجسام قليلة جدّاً أو على العكس من ذلك. لكنّ ثلاثة من المثلّثات هذه يمكنها أن تُحلَّل وتُركَّب، لأنّها تنشأ كلّها من جسم واحد، وعندما تُقطَّع الأجسام الأكبر وتأخذ أشكالها الخاصّة المناسبة، أو، مرّة ثانية، فإنّ الأجسام الصغيرة جدّاً عندما تتلاشى في مثلّثاتها، بعددها الإجماليّ، تستطيع أن تشكّل كتلة كبيرة واحدة من نوع آخر. إنّ قولنا يصل إلى هذا الحدّ عن مرورها بعضها في بعض. عليَّ أن أتكلّم الآن عن أنواعها المتعدّدة، وأن نبيّن من أيّة مجموعة مؤتلفة من الأعداد تُشكَّل كلّ منها. إنّ البناء الأوّل سيكون البناء الأسهل والأصغر، ويكون عنصره ذلك المثلث الذي يمتلك وتره ضعف الضلع الأقلّ. وعندما يُضمُّ هذان المثلّثان الاثنان عند الخطّ القطريّ، ويُكرَّر هذا الضمُّ مرات ثلاثاً، وتوقِفُ المثلّثات خطوطها القطريّة وأضلاعها الأقصر على النقطة عينها كمركز، عندما يُفعل ذلك، فإنّ مثلّثاً منفرداً متساوي الأضلاع يشكَّل من مثلّثات ستّة. وإذا وُضِعت معاً أربعة مثلّثات متساوية الأضلاع، فإنّها تشكّل من كل ثلاث زوايا مستوية زاوية مجسّمة، كونها تلك الزاوية الأكثر قرباً إلى الأكثر انفراجاً من الزوايا المسطّحة. وينشأ من تركيب هذه الزوايا الأربع الشكل

المجسّم الأوّل الذي يوزِّع الدائرة كلّها التي تكون مرسومة فيه، يوزّعها في أجزاء متساوية ومتشابهة. أمّا الأنواع الثانية من المجسّمات فإنّها تتشكّل من المثلّثات عينها التي تتّحد كمثلّثات ثمانية متساوية الأضلاع وتشكّل زاوية مجسمّة واحدة من أربع زوايا مسطّحة، ومن الزوايا الستّ تلك يكون الجسم الثاني متمّماً، والجسم الثاني يصنع من مئة وعشرين عنصراً من العناصر المثلّثة، مشكّلاً اثنتي عشرة زاوية مجسمّة، كلّ منها مشتملة على خمسة مثلثات متساوية الأضلاع، تمتلك معاً عشرين قاعدة، يكون كلّ منها مثلّثاً متساوي الأضلاع. إنّ أحد العناصر، « وهو المثلّث الذي يمتلك أوتاره ضعف الضلع الأقلّ » بما أنّه أنتج هذه الأشكال، لا يُنتج أيّة أشكال بعد الآن. غير أنّ المثلّث المتساوي الأضلاع أَنتج الشكل الأوّلي الرابع، المؤلّف من أربعة مثلثات كهذه، واصلاً زواياها الأربع في مركز، ومشكلاً شكلاً رباعيّ الأضلاع متساويها. إن ستةً من هذه الأشكال متّحدة بعضها مع بعض تشكّل ثماني زوايا مجسمّة، كل منها مصنوع بتجميع الزوايا الثلاث القائمة المسطّحة. .وأمّا شكل الجسم المؤلّف هكذا فهو شكل مكعب، يمتلك ستّ قواعد مسطّحة رباعيّة الزوايا. هناك تركيب خامس مع ذلك استخدمه الله في رسم الكون مع أشكال الحيوانات.

في أخذنا بعين الاعتبار للنّوع الثالث من أنواع الحواسّ وهو السمع، يجب أن نتكلّم عن الأسباب التي ينشأ فيها. يمكننا الافتراض بشكل عامّ أنّ الصوت ليكون ضربة تمرّ من خلال الأذنين، ويُنقل بوسائط الهواء، المخّ، والدمّ، إلى الروح وأنّ السمع يكون ذبذبة لهذه الضربة التي تبدأ في الرأس وتنتهي في منطقة الكبد. إنّ الصوت الذي يتحرّك بسرعة يكون حادّاً، والصوت الذي يتحرّك ببطء، يكون خفيضاً، والصوت الذي يكون منتظماً يكون مطّرِداً ورقيقاً، وعكسه يكون أجشّ. ويكون حجمٌ كبيرٌ من الصوت

عالياً، وحجم صغير من الصوت يكون عكس ذلك. يجب أن أتكلّم بعدئذ فيما يتعلّق بتناغم الصوت.

هناك صنف رابع من الأشياء المحسوسة، والتي لها أنواع صعبة التحليل، ويجب تمييزها الآن. إنّ هذه الأنواع تُسمى ألواناً، وهذا الإسم هو الإسم الشائع لها، وتكون هي توهجاً يفيض بكلّ نوع من أنواع الجسم، ويمتلك ذرّات تتطابق مع حاسّة البصر. لقد تحدّثت سابقاً، فيما تقدّم، عن الأسباب التي تولِّد البصر، وفي هذا المكان سيكون شيئاً طبيعيّاً وملائماً أن نعطي نظريّة عقليّة عن الألوان.

أمّا بشأن الذرّات الآتية من الأجسام الأخرى التي تقع على البصر، فإنّ بعضها يكون أصغر وبعضها أكبر، وبعضها يكون متساوياً بأجزاء البصر نفسه. وتلك الذرّات التي تكون متساوية لا تدرك بالحسّ، وندعوها ذرّات شفّافة. ويحدث الأكبر منها انقباضاً، والأصغر تمدّداً في حاسّة البصر، ممارِسةً قوةً مجانسة لتلك القوّة التي تمتلكها الأجسام الحارّة والباردة على اللّحم، أو ما للأجسام الزامّة للأنسجة الحيّة على اللسان، أو ما لتلك الأجسام المسخّنة التي نسمّيها أجساماً مستدقّة الرأس. يكون اللونان الأبيض والأسود ذوي تأثيرات متشابهة على الانقباض والتمدّد في المجال الآخر. ولهذا السبب فإنّهما يمتلكان مظهرين مختلفين. لذلك يجب علينا أن نسمّي اللون الأبيض ذلك اللون الذي يمدّد الإشعاع البصريّ، وعكس هذا اللون هو اللون الأسود. هناك أيضاً حركة أسرع لنوعٍ مختلفٍ من أنواع النار التي تقدح الإشعاع للبصر إلى أن تصل إلى العينين، شاقّاً طريقه بالقوّة خلال ممرّاته ومذيباً لها، مُحدثاً منها اتّحاداً للنار والماء الذي ندعوه دموعاً، كونه ناراً مضادّة تأتي لها من ناحية مضادّة ـ إنّ النار الداخليّة تلتمع فجأة مثل البرق، والنار الخارجيّة تجد طريقاً في الداخل وتُخمَد في الرطوبة، وتولِّد كلّ أنواع

الألوان بواسطة المزيج. ويدعى هذا التفاعل تفاعلاً باهراً ومتألّقاً، ويسمى الشيء الذي يحدثه نيّراً ولامعاً. هناك نوع آخر من أنواع النار يكون نوعاً وسطاً، ويصل ويختلط برطوبة العين وبدون لمعان؛ وفي هذا، فإنّ النار الممتزجة بالإشعاع الذي للرطوبة ينتج لوناً أحمر مثل لون الدم، والذي نمنحه إسم اللون الأحمر. ويعطي تدرُّج اللون الساطع الممزوج باللّون الأحمر والأبيض، يعطي اللّون المسمّى الأسمر المحمّر. إنّ قانون التناسب، على كلّ حال، والذي تُشكِّل الألوان المتعدّدة طبقاً له، حتى لو عرفه إنسان فإنّه سيكون غبيّاً في الإفصاح عنه، لأنّه لا يستطيع أن يعطي أيّ سبب ضروريّ، ولا أيّ تعليل ممكن أو محتمل له حقّاً. مرّة ثانية، إنّ اللون الأحمر عندما يمتزج باللون الأسود وباللون الأبيض، يصبح لوناً أرجوانياً، لكنّه يصبح لوناً بنيّاً مصفرّاً عندما تُحرق الألوان وتُمزج أيضاً، ويكون اللون الأسود ممزوجاً معها أكثر بشكل تامّ. ويتمّ إنتاج اللون المتوهِّج باتّحاد اللونين الأسمر المحمَّر والقاتم، واللون القاتم يتمّ بمزج اللون الأسود واللون الأبيض، وأمّا اللون الأصفر الباهت فيتمّ بواسطة مزج اللون الأبيض واللون الأسمر المحمَّر. ويصبح اللون الأبيض والزاهي عندما يتقابلان ويقعان على اللون الأسود الكامل، يصبحان لوناً أزرق قاتماً. وعندما يمتزج اللون الأزرق القاتم مع اللون الأبيض، فإنّ لوناً أزرق فاتحاً يتشكّل. كما يخلق اللون المتوهِّج الممزوج مع اللون الأسود اللون الأخضر الكرّاثي[٢٩]. لن تكون هناك صعوبة في رؤية كيف وبواسطة أيّة أمزجة تشتقّ الألوان من هذه الأشياء وأنّها تُصنع من قواعد الاحتمال. على كلّ حال، إنّ الذي سيحاول التحقّق من صحّة كلّ هذا بالاختبار، سينسى فرق الطبيعة الإلهيّة والإنسانيّة، إنّ الله وحده يمتلك المعرفة والقوة أيضاً القادرتين على مزج عدة أشياء في شيء واحد، وعلى أن يُحلِّل الشيء الواحد إلى عدّة أشياء مرّة ثانية، لكن ليس من إنسانٍ قدر أو

سيقدر على أن ينجز العمليّة الواحدة أو الأخرى.

إنّ هذه العناصر هي العناصر التي وجدت حينئذ بالضرورة، والتي ربطها المبدع جلَّ وعلا بالذهن معه، وهي العناصر الأفضل والأجمل من كلّ الأشياء، عندما أبدع هو الله الأكثر كمالاً الموجود بذاته، مستخدماً الأسباب الضروريّة كخدمٍ له في إتمام عمله، لكنّه نفسه كان مستنبطاً الخير في كلّ ما أبدع. لذلك يمكننا أن نميّز نوعين اثنين من الأسباب، أحدهما إلهي والآخر ضروري، ويمكننا أن نبحث عن السبب الإلهي في كلّ الأشياء، بقدر ما تسمح به طبيعتنا، بقصد الحياة المباركة. لكنّ البحث في النوع الضروريّ بقصد الإلهي فقط هو البحث الذي نصبو إليه، آخذين بعين الاعتبار أنّه بدون هذين النوعين وعند عزلنا عنهما، فإنّ هذه الأشياء الأعلى التي نرنو إليها لا يمكن أن تُدرك أو يُستطاع تلقّيها أو أن نشارك فيها بأيّة طريقة.

لنشاهد إذن، أنّنا هيّأنا الآن لاستخدامنا الأنواع المتعدّدة من الأسباب التي هي المادة التي يجب علينا أن ننسج بحثنا منها، تماماً مثلما يكون الخشب المادّة التي يستعملها النجّار في صناعته. دعنا نرجع إلى بداية مناظرتنا لتسجيل كلمات قليلة، ونعود مسرعين إلى النقطة الرئيسيّة التي عرضناها على نحوٍ منتظم والتي سرنا بها في طريقنا هناك. يمكننا أن نحاول حينئذ ونتوِّج قصّتنا بخاتمة مناسبة.

كما قلت في البدء، عندما كانت كلّ الأشياء في فوضى واضطرابٍ، فإنّ الله أبدع كلّ شيء فيما يتعلّق بنفس ذلك الشيء، وكلّ الأشياء فيما يتعلّق ببعضها بعضاً، ووهبها كلّ الأقيسة والتناغم التي يمكنها أن تتلقّاها قدر الإمكان. وفي تلك الأيّام لم يمتلك شيء ما أيّ اتّساقٍ إلا بالعَرَض، لا ولم يكن هناك أيّ شيء يستحقّ أن يدعى بالأسماء التي نستخدمها ـ كمثال، النار، الماء، وأسماء العناصر الباقية. الخالق تعالى وضع كلّ هذه العناصر في

انتظام، وبنى منها الكون، الذي كان حيواناً مفرداً متضمّناً في نفسه كلّ الحيوانات الأخرى، الفانية منها والخالدة. وبعدُ فإنّ الإلهي، كان هو ذاته مبدعه، غير أنّ خلق الفاني سلَّمه إلى عَقِبِه. ومقلّدوه، وقد تلقّوا منه المبدأ الخالد للروح؛ وحول هذه الرّوح شرعوا بصياغة جسدٍ فانٍ، وصنعوه ليكون مركَبَة الروح. وبنوا داخل الجسد روحاً من طبيعة أخرى كانت فانية، وعرضة للتأثيرات والانفعالات المرعبة التي لا تُقاوَم. وكانت قبل هذه التأثيرات كلّها، اللذّة، الدافع الأكبر للشرّ والمحرّض عليه؛ ثمّ كان الألم بعدئذ، الذي يقف عائقاً دون الخير ويردع عنه. وكان بعدهما التهوّر والخوف، المستشاران الاثنان الأحمقان؛ الغضب الصّعب تهدئته، والأمل السهل تضليله؛ - إنّهم مزجوا هذه الأشياء بالإدراك العقلانيّ وبالحبّ الجسور كلّه طبقاً للقوانين الضروريّة، وهكذا صاغوا الإنسان. لذلك، ولخوفهم من تدنس الإلهيّ بأكثر ممّا كان لا سبيل إلى اجتنابه بشكل مطلق، فإنّهم منحوا للطبيعة الفانية مسكناً منفصلاً في قسمٍ آخر من أقسام الجسم، واضعين العنق بينها لتكون البرزخ والحدّ أو التخم، الذي بنوه بين الرأس والصدر، كي يبقوهما بعيدين أحدهما عن الآخر. وفي الصدر، وفي ما يسمى القفص الصدريّ، علّبوا الروح الفانية. وبما أنّ أحد جزأي هذه الروح كان سامياً والجزء الآخر دوناً فإنّهم قسّموا تجويف القفص الصدري إلى قمسين اثنين، مثلما هي شقق السكن التي للنساء والرجال مقسّمة في البيوت، ووضعوا الحجاب الحاجز ليكون جداراً للفصل بينهما. ووطّدوا ذلك الجزء من الروح الدونيّة التي وُهبَتْ الشجاعة والرغبة الجنسيّة والحبّ التنافسيّ، ووطّدوها بشكل أقرب إلى الرأس، في طريق وسط بين الحجاب الحاجز والعنق، كون هذا الرأس مطيعاً لقانون العقل ويمكنه أن يشترك معه في ضبط وكبح جماح الرغبات عندما لا تكون مُشيئة بعد اليوم كي تطيع كلمة العقل الصادرة من

المغْفِل بكلّ طيبة خاطر.

أمّا القلب، عقدة الأوردة والعروق ونافورة الدّم، الذي يتدفّق خلال الأطراف كلّها، فإنّه وُضع في مكان الحارس، ذلك عندما تثور قوّة الرغبة الجنسيّة بالعقل مسبّبةً إظهاراً لأيّ خطإٍ مغير عليها من الخارج، أو كونها عاملة بالرغبات الداخلية على نحو رديء، فإنّ القوّة كلّها للشعور في الجسم، متلقيّة هذه الأوامر والتهديدات، يمكنها أن تطيع وتتبع من خلال كلّ دورةٍ ومجازٍ بسرعة، وهكذا تسمح للمبدأ الأفضل امتلاك الأمر فيها جميعاً. لكنّ الآلهة، عارفين مقدّماً أنّ خفقان القلب في توقّع الخطر وفي إثارة الرغبة الجنسيّة يجب أن يسبّب تورّمها وأن تصبح ملتهبة، صاغوا وزرعوا الرئتين كدعم للقلب، واللتين كانتا لينتين وفاقدتين للدم، في المقام الأوّل، وامتلكتا ثقوباً في الداخل مثل مسامّ الإسفنج أيضاً، كي تتمكّنا من إعطاء البرودة وقوّة التنفس وتلطيف الحرارة بتلقّي النَفَس والشراب، من أجل ذلك بتروا الأقنية الهوائيّة الموصلة إلى الرئتين، ووضعوا الرئتين حول القلب كنبعٍ مترقرق، وذلك عندما كانت الرغبة الجنسيّة منتشرة في الداخل، فإنّ القلب، الخافق مقابل جسدٍ مطواع، يمكنه أن يكون مبرّداً ويقاسي معاناة أقلّ. وهكذا يمكنه أن يصبح جاهزاً أكثر للاشتراك مع الرغبة الجنسيّة أو الهوى في خدمة العقل.

أمّا جزء الروح الذي يرغب اللّحم والشراب والأشياء الأخرى التي يحتاجها بسبب طبيعة الجسد، فإنّهم وضعوه بين الحجاب الحاجز وتخم السُرَّة، مستنبطين نوعاً من أنواع المِذْوَد الذي يغذي الجسم في هذه المنطقة كلّها، وهناك يوثقونه تحتيّاً كما يُوثق حيوان بري قيّده إنسانٌ بالسلاسل، ويجب إطعامه إذا ما كان ليبقى. إنّهم عيّنوا مكان هذا المخلوق السفليّ هنا كي يمكنه أن يُغذّى عند المِذْوَد بشكل دائم، جاعلين مسكنه بالقدر الذي يمكن

أن يكون قريباً من حجرة الاستقبال، مسبِّبين ضجّةً وشغباً قليلاً على قدر الإمكان، ومجيزين للجزء الأفضل أن ينصح بهدوء لخير الكلّ وخير الفرد. وعارفين أنّ هذا المبدأ في إنسان لن يدرك العقل، حتّى إذا وصل إلى درجة ما من القدرة على الفهم فإنّه لن يهتم بالأفكار العقليّة أبداً، بل إنّه سيُقاد بالأشباح والأطياف بشكل خاصّ ليل نهار؛ ومصمّماً على أن يجعل هذا الضعف لخدمة الغاية بالتحديد، فإنّ الله ضمَّ له الكبد، ووضعه في البيت ذي الطبيعة الأدنى، مستنبِطاً له أن يكون صلباً وناعماً، وصافياً وحلو المذاق، ويلزمه أن يمتلك نوعيّة مرّة أيضاً، كي يمكن لقوّة التفكير التي تنبثق عن العقل أن تنعكس مثلما تنعكس الأشياء في المرآة والتي تتلقّى شَبَه الأشياء وتعيد صورها إلى البصر. وهكذا يصبح بالإمكان أن تصيب الرغبات بالذعر عندما تضع قيد الاستعمال الجزء المرّ من الكبد المماثل لها. وهذه الرغبات تأتي مهدِّدة وغازية، وناشرة هذه المادّة المرّة خلال الكبد كلّه بسرعة، وتنتج ألواناً مثل الصفراء. وبتقليصها لكلّ جزء من أجزائه تجعله متجعّداً وخشناً. وفاتلة مكانها الحقيقيّ بعنف، ومثنيّة بقوّة الفِلقَةَ ومغلقةً وموصدةً الأوعية الدمويّة والصمّامات، فإنّها تسبّب ألماً واشمئزازاً. يحدث العكس عندما تصوِّر بعض أفكار الفهم الموحاة اللطيفة مفاهيم ذات صفة مضادّة، وتهدِّىء الصفرة والمرارة برفضها إثارة أو لمس الطبيعة المضادة لنفسها، بل بوضع حلاة الكبد الطبيعية قيد الاستعمال. وهكذا فإنّ أفكار الفهم هذه تُصحّح كلّ الأشياء وتجعلها في نظام أحسنٍ ولطيفة وحرّة، وتصيِّر قسم الروح الذي يقيم حول الكبد سعيداً وفرحاً، ممكّنة له أن يقضي الليل في سلام، وأن يزاول النبوءَة في النوم، لأنّه يمتلك حصّة في الفكر والعقل. إنّ مبدعي وجودنا، متذكّرين أمر أبيهم عندما دعاهم لخلق الجنس البشريّ من الجودة قدر ما يستطيعون، ذلك كي يتمكّنوا من تصحيح أقسام جسمنا الوضيعة وجعلها

تصل إلى قياسٍ للحقيقة، فإنّهم وضعوا في الكبد مركز النبوءة. وهذا برهان على أنّ الله أعطى فنّ النبوءة ليس للحكمة، بل لغباء الإنسان، لا إنسان يصل إلى الحقيقة النبويّة والوحي، عندما يكون في عقله؛ بل عندما يتلقّى الكلمة الموحى بها. فإمّا أن يكون ذكاؤه مأسوراً في النوم، أو أنّه يكون مخبّلاً باضطرابٍ أو اقتناء من نوع ما. إنّ الذي سيفهم ما يتذكّره ممّا قد قيل، سواء إذا كان في حُلُمٍ أو حينما يكون مستيقظاً بالطبيعة النبويّة والملهمة، أو أنّه سيقرّر بسببِ المعنى لكلّ ما يظهر له والذي رآه، وأيّة دلالات أخرى يعطونها لهذا الإنسان أو ذاك، من الخير والشرّ، ماضياً كان ذلك، أو حاضراً، أو مستقبلاً، إنّ الذي سيفهم ذلك يجب أن يستعيد قواه العقليّة قبل كلّ شيء. لكنّه، في حين يستمرّ مخبّلاً، فإنّه لا يستطيع أن يحكم على الرؤى التي يراها أو على الكلمات التي يتفوّه بها. إنّ القول الغابر هو قول حقيقي جدّاً إذ يؤكّد « أنّ الإنسان الذي يمتلك قدراته العقليّة يستطيع أن يعمل أو يحكم بخصوص نفسه وبشأن شؤونه الخاصّة فقط ». ولهذا السبب فإنّه لمن المألوف أن يُعيِّن مؤوّلون أو مفسّرون قضاةً عن الوحي الحقيقيّ. إنّ بعض الأشخاص يدعونهم أنبياء، كونهم عمياناً عن الحقيقة وهم شارحو أقوالٍ ورؤىً مظلمة فقط، ولا ينبغي أن يُدعوا أنبياء على الإطلاق، بل مفسّري النبوءَة.

تلك هي طبيعة الكبد، الذي يكون مركّزاً كما وصفنا كي يمكنه أن يعطي التصريحات النبويّة، وتكون هذه التصريحات أوضح أثناء حياة كلّ فرد، لكنّ الكبد يصبح مظلماً بعد وفاته، وينقل وحياً إلهيّاً مبهماً جدّاً كي يتمّ فهمه. أمّا العضو المجاور « الطحال » فإنّه واقع على الجانب الأيسر من الجسم، وبُنِيَ بقصد إبقاء الكبد نقيّاً ونظيفاً؛ إنّه مثل المنديل، جاهز ومستعدّ وفي متناول اليد لتنظيف المرآة. ومن ثمّ، عندما تنشأ أيّة لا طهارة في منطقة

الكبد بسبب اضطراب الجسد، فإنّ طبيعة الطحال المتمتّعة بحريّة نسبيّة في الحركة، والمركّب من أنسجة فارغة وخالية من الدمّ، أقول إنّ هذه الطبيعة تتلقّى كلّ اللاطهارات وتبدّدها. وعندما يمتلىء الطحال بهذه المادّة غير النظيفة، فإنّه ينتفخ ويتقيّح. لكن عندما يُطهَّر الجسد مرّة ثانية يتقلّص ويستقرّ في المكان عينه مثلما كان سابقاً.

أمّا فيما يتعلّق بالروح، وبخصوص أيّ جزءٍ منها يكون فانياً وأيّها إلهي، وكيف ولماذا يكونان منفصلين، وفي أيّة مجموعة هما مركّزان إذا قبل الله بأنّنا تكلّمنا الحقيقة بما قلناه سابقاً، حينئذ، وليس إلاّ حينئذ، يمكننا أن نكون واثقين. يبقى، أنّنا نستطيع التأكيد أنّ ما قد قلناه يكون مرجّحاً، وسيكون أكثر ترجيحاً بالتحقيق فيه. دعنا نفترض ما افترضناه إلى هذا الحدّ.

إنّ إبداع البقيّة الباقية من الجسم يلي بعد ذلك في نظام، ويمكننا أن نحقّق في هذا بأسلوب مماثل. ويظهر أنّه مناسب جداً أن يُصاغ الجسد طبق المبادىء الآتية:

إنّ خالقي جنسنا كانوا على علمٍ بأنّنا سنكون مسرفين في المأكل والمشرب وتناول مقدارٍ كبيرٍ منهما أكثر ممّا هو ضروريّ ومناسب لنا، بسبب شرهنا. ولكي لا يقدر المرض على تدميرنا بسرعة حينئذ، وخشية أن تُباد سلالتنا الفانية بدون أن تنجز وتحقّق غايتها ـ فالآلهة عزموا على تجهيزنا ضدّ ذلك. لهذا أوجدوا ما يسمّى بالبطن كي يكون وعاءً للطعام والشراب الزائدين، وصاغوا التلافيف للأمعاء الدقيقة، هكذا لكي يتسنّى منع الغذاء من المرور بسرعة خلال الجسد ويجبره على أن يحتاج لغذاءٍ أكثر، وبالتالي ليسبّب نهماً لا يمكن إشباعه، وهكذا يجعل الجنس كلّه عدوّاً للفلسفة والثقافة، ومتمرّداً ضدّ العنصر الأكثر ألوهيّة في داخلنا.

إنّ العظام واللحم، وأجزاءنا الداخلية الأخرى تمّ صنعها كما يلي: كان المبدأ

الأوّل لإيجادها كلّها نخاع العظم. إنّ أربطة الحياة التي توحّد الروح مع الجسد صُنِعت هناك بسرعة، لتكون هي الجذر والأساس للجنس الإنسانيّ. أُبدِع نخاع العظم نفسه من الموادّ الأخرى: الله أخذ هكذا موادٌّ للمثلثات الرئيسية كما كانت مستقيمة وناعمة، وكُيِّفت هذه المواد كي تُحدث ناراً وماءً وهواء وتراباً في كمال أسمى وأعلى - أقول، إنّ الله تقدّس اسمه، فصل هذه العناصر من أنواعها، وخلطها في مقدار مناسب مع بعضها البعض، وصنع نخاع العظم منها كي يكون البذرة العالميّة لكلّ نوعٍ فانٍ. وفي هذه البذرة زرع وعلّب الأرواح حينئذ، وأعطى لنخاع العظام في التوزيع الأصليّ، أعطاه أشكالاً متعدّدة ومتنوّعة مثلما كانت ستتلقّاه أنواع الأرواح المختلفة بعدئذ. أمّا ذلك القسم من نخاع العظم، الذي سمّاه الدماغ والذي كان ليتلقّى البذرة الإلهيّة مثلما يتلقّى الحقل بذرة القمح، فإنّه صنعه مستديراً في كلّ اتّجاه، عازماً على أنّه عندما يُتمّم الحيوان، وجوب تسمية الوعاء الذي يحتوي هذه المادّة بالرأس؛ لكنّ ذلك القسم الذي صُمّم لاحتواء البقيّة الباقية والجزء الفاني من الروح، فإنّ الله جلّ شأنه وزّعها في أشكالٍ مستديرة وممدّدة حالاً، وسمّاها كلّها بالإسم « نخاع العظم »؛ وأوثق بهذا أربطة الروح كلّها، كما توثق الباخرة بالمرساة، ثم واصل فصاغ حوله هيكل الجسد كلّه، مشيّداً لنخاع العظم غطاءً كاملاً من العظام، قبل كلّ شيء.

الله جلّ جلاله ركّب العظام بالطريقة التالية: بما أنّه نخل تراباً نقيّاً وناعماً عجن هذا التراب وبلّله بنخاع العظم، ووضعه بعد ذلك في النار وفي الماء. ومن ثمّ وضعه في النار مرّة ثانية وفي الماء مرّة أخرى - وبهذه الطريقة وبنقلٍ متكرّرٍ من أحد العناصر إلى الآخر، فإنّ الله صنعه غير قابل للذوبان بأيٍّ منها. وصاغ الله العليّ من هذا، كما في مخرطة، صاغ كرة من العظام،

التي وضعها حول الدماغ، وترك في هذه الكرة فتحة ضيقة. وصاغ حول نخاع عظم الرقبة والظهر فقرات وضعها بعضها تحت بعض مثل محاور، مبتدئة بالرأس وممتدّة خلال الجذع كلّه. راغباً هكذا بحفظ البذرة كلّها، فإنّ الله المعظّم طوّقها في صندوق شبيه بالحجر، مولجاً مفاصِل، ومستخدِماً في صياغتها قوّة الأجزاء الأخرى أو المتنوّعة كطبيعة وسط، كي تستطيع أن تمتلك حركةً وانثناءً. ومرّة ثانية بعدئذ، آخذاً بعين الاعتبار أنّ العظم سيكون هشّاً جدّاً ولا ينثني، وعند تحميته وتبريده مرّة ثانية فإنّه سيصاب بالغرغرينا قريباً ويدمّر البذرة في الداخل ـ وبما أنّ الله جلّ شأنه كان لديه هذا في القصد، فإنّه استنبط الأعصاب واللّحم، إلى حدّ ربط كلّ الأعضاء بالأعصاب معاً، التي سمحت بذلك لكونها متمدّدة ومسترخية حول الفقرات، كي يمكنه جعل الجسد قادراً على الانثناء والتمدّد، بينما سيخدم اللّحم كحماية ضدّ حرّ الصيف وبرد الشتاء، وضدّ الخريف أيضاً، مطواعاً بلين وسهولة للأجسام الأخرى، مثل مطواعية ولين المواد المصنوعة من اللبّاد، ومحتوياً في نفسه رطوبة حارّة تنتشر صيفاً في كلّ اتجاه وتجعل السطح نديّاً، وستضفي هذه الرطوبة برودة طبيعيّة على الجسد كلّه. ومرّة ثانية وفي فصل الشتاء، ستشكّل هذه الحرارة الداخليّة دفاعاً مقبولاً ضدّ الصقيع الذي يحيط به ويهاجمه من الخارج. والله الذي صوّرنا،آخذاً هذه الأشياء كلّها بعين الاعتبار، مزج تراباً مع النار والماء؛ ودمجها معاً وشكّل منها لحماً طريّاً ونضراً ذا عصارة كثيرة، وموجداً خميرة من الحامض والملح فيه

أمّا فيما يخصّ الأعصاب، فإنّ الله جلّ شأنه صنعها من خليط من اللحم والعظم غير المختمر، ملطّفاً إيّاها كي تكون في حالة وسط، وأعطاها اللّون الأصفر. وفي حين أن الأعصاب تمتلك طبيعة أشدّ وأكثر لزاجة ممّا للّحم، لكنّها تمتلك طبيعة أطرى وأرطب ممّا للعظم، فإنّ الله غطّى بهذه الأعصاب

العظام ونخاع العظم، رابطاً إيّاها معاً بالأعصاب،٩ومغطّيها كلّها بغطاءٍ فوقي من اللّحم بعدئذ. أمّا العظام الأكثر حياة وإحيساساً، فإنّ الله طوّقها بالطبقة الأكثر رقّة من اللحم، وطوّق تلك العظام التي امتلكت الحياة الأقلّ في داخلها، طوّقها باللحم الأسمك والأكثر صلابة. وهكذا فإنّ الله علت كلمته وضع غطاءً رقيقاً من اللّحم مرّة ثانية على مفاصل العظام، حيث أوحى العقل أنّه لا يحتاج بأكثر منه، وذلك كي لا يمكنه أن يتعارض مع انثناء أجسامنا وجعلها غير عمليّة بسبب عسرة تحرّكها. وكي لا يمكنه أيضاً أن يدمّر الإحساس بسبب صلابته، لكونه مكتظّاً ومضغوطاً ومجدولاً معاً، ولكي يُضعف الذاكرة ويجعل حدّة الذهن كسولة ومتبلّدة. ومن أجل ذلك أيضاً، فإنّ الفخذين والساقين والوركين، وعظام الذراعين والساعدين، والأجزاء الأخرى التي ليست لها مفاصل، والعظام الداخليّة، إنّ هذه الأعضاء كلّها هي خلو من العقل ندرة الروح في نخاعها العظمي - وهي كلّها مجهزّة باللحم بشكل أو بآخر، لكن مثل الأعضاء التي تمتلك عقلاً فيها، فإنّها ذات لحمٍ أقلّ، ما عدا الأعضاء حيث أوجد الخالق تعالى جزءاً ما من اللّحم كليّة كي يعطي إحساساً كاللّسان مثلاً. لكنّ هذه الأعضاء ليست حالتها هي الحالة العامة. إنّ الطبيعة التي أتت إلى الوجود ونمت فينا بقانون الضرورة، لا تقبل بتركيب عظم صلبٍ وكثير من اللحم مع إحساسٍ حادّ. وأكثر من أيّ جزء آخر، فإنّ هيكل الرأس سيمتلكها إذا ما مُكّنت من التواجد. أمّا الجنس البشريّ، بما أنّه لم يمتلك رأساً قويّاً ولحميّاً وعصبيّاً، فإنّه اذا فعل ذلك كان سيحوز حياةً أطول بمرتين أو مرات عديدة من الحياة التي لديه الآن، وكان سيحوز أيضاً حياة أكثر صحّة ومتحرّرة من الألم. لكن خالقينا، آخذين بعين الاعتبار أنّهم إذا ما كانوا ليوجدوا ذريّة أطول عمراً وأسوأ، أو ذرية أفضل وأقصر عمراً، إنّ خالقينا وصلوا إلى استنتاج أنّ كلّ

شخص يجب أن يفضّل حياة أقصر امتداداً، وهي الأفضل، على حياة أطول امتداداً وهي الأسوأ. ولهذا السبب فإنّهم غطّوا الرأس بعظم رقيق، لكنّهم لم يغطّوه باللحم والأعصاب، بما أنّه لم يكن لديه مفاصل. وهكذا فإنّ الرأس أُضيف للجسد وهو أكثر حكمة وإحساساً من بقيّة الجسم، لكنّ وجوده ضعيفاً في كلّ إنسان كثير أيضاً. ولهذه الأسباب، وبهذا الأسلوب، فإنّ الله المتعالي وضع الأعصاب في أطراف الرأس، وفي دائرة حول العنق، وغرّاها معاً بعنصرٍ من عناصر مادّة متشابهة، وأوثق أطراف عظام الفكّين بها تحت الوجه، ونشر الأعصاب الأخرى خلال الجسد كلّه، موثِقاً العضو بالعضو. إنّ صائغينا شكّلوا الفم، كما هو مرتّب الآن، شكّلوه ممتلكاً أسناناً ولساناً وشفتين بقصد ما هو ضروري وصالح، مستنبطين الطريقة الداخليّة للأغراض الضروريّة، والطريقة الخارجية لأفضل الأغراض، لأنّ الذي يدخل في الجسد ويهب الغذاء له يكون ضرورياً. لكنّ نهر الكلام الذي يتدفّق خارج إنسانٍ ويخدم العقل والذكاء هو الأجمل والأنبل من كلّ الأنهار. يبقى أن الرأس لا يمكن أن يكون قفصاً مجرّداً من العظام، بسبب شدّة الحرّ والبرد في الفصول المختلفة، ولا يمكن السماح له أن يكون مغطّىً بشكل كامل مع ذلك، وأن يصبح هكذا بليداً عديم الإحساس بسبب إفراط النموّ المتزايد للّحم. إنّ الطبيعة اللحميّة لم تجفّ منه بشكل كامل، بل إنّ نوعاً كبيراً من أنواع القشرَة فُرّق وبقي حيث هو، والذي نسمّيه الجلد الآن. وتلاقى هذا الجلد ونما بمساعدة الرطوبة الدماغيّة، وأصبح غلاف الرأس الدائريّ. وأمّا الرطوبة التي نشأت من تحت خطوط الاتّصال بين الأجزاء المتجاورة، فإنّها لَطَّفت وختمت الجلد فوق أعلى الجمجمة، مشكّلةً نوعاً من الأنشوطة هناك. إنّ تنوّع خطوط الإتّصال المتجاورة في الإنسان سُبّبت بقوّة المسالك التي للغذاء داخل الروح. وكانت خطوط الاتّصال هذه أكثر عدداً إذا كان

الصراع أقلّ عنفاً، والقوّة الإلهيّة ثقّبت هذا الجلد بالنار في كلّ جهة، وجعلت الرطوبة تنبعث هكذا خارج الثّقوب التي صُنِعت، وخرج السائل والحرارة اللذين كانا نقيين، وكذلك الجزء الممزوج الذي ركّب من المادة عينها التي تركّب منها الجلد، وكان له من الدقّة مساوية لِما للثقوب، وكان متولّداً بموجةٍ من الاهتياج الخاصّة به وممتدّاً بعيداً جدّاً خارج الرأس. لكنّ كونه بطيئاً جدّاً في الهرب، فإنّه رُدَّ إلى مكانه بواسطة الهواء الخارجيّ، وتجمّع تحت الجلد، حيث تجذّر. وهكذا فإنّ الشعر انبثق في الجلد، كونه مجانساً له لأنّه يشبه خيوط الجلد المدبوغ، لكنّه صُيِّر أقسى وأقرب بسبب ضغط البرد الذي ضغطت به كلّ شعرة وبُرِّدت به، حين كانت في عمليّة فصلها عن الجلد. ومن أجل ذلك فإنّ الخالق تعالى صاغ الرأس أشْعَرَ مستخدماً الأسباب التي ذكرتها، ومتأمّلاً مليّاً أيضاً أنّه بدلاً من اللّحم احتاج الدماغ إلى الشعر ليكون غطاءً أو حارساً خفيفاً له، والذي سيعطي ظلاً في الصيف ووقاءً في الشتاء، وفي الوقت عينه فإنّه لن يعوّق سرعتنا في الإدراك. ومن تركيب العصب، الجلد، والعظم، في بناء الإصبع، انبثق هناك مركّب مثلّث وهو الذي عندما يجفّف يأخذ شكل جلدٍ واحدٍ صلب مشاركاً في كلّ الطبائع الثلاث، وصُنع بواسطة هذه الأسباب الثانويّة، لكنّه صُمِّم بعقلٍ هو السبب الأصليّ مع نظرةٍ إلى المستقبل. إنّ خالقينا عرفوا جيّداً أنّ النساء والحيوانات الأخرى ستُصاغ من قِبَل الرجال يوماً ما، وهم عرفوا أيضاً أن العديد من الحيوانات ستحتاج استعمال الأظافر لأغراضٍ متعدّدة؛ ولذلك فإنّهم صاغوا في الرجال عند بداية إبداعهم لهم بَداءَة الأظافر، ولهذا الغرض ولهذه الأسباب سبّبوا الجلد، الشعر، والأظافر كي تنمو عند نهاية الأطراف.

وبعدُ فإنّ كلّ أجزاء وأعضاء الحيوان الفاني أصبحت معاً. وبما أنّ ضرورة

حياته تألفّت من النار والنَّفَسْ، وأنّها تبدّدت بالتحلل والفصد، لهذا السبب، استنبطت الآلهة العلاج التالي: مزجت الآلهة طبيعة مجانسة لطبيعة الإنسان تلك بأشكال وأحاسيس أخرى، وهكذا أوجدت نوعاً آخر من أنواع الحيوان. وهذه الأنواع هي الأشجار والنباتات والبذور التي قد تحسَّنت بالحراثة وهي مؤهَّلة بيننا الآن. وكان هناك في غابر الأيّام الأنواع البريَّة منها فقط، التي هي أقدم من الأنواع المؤهَّلة. إنّ كلّ ذلك الذي يشارك في الحياة يمكن أن يُدعى مخلوقاً حيّاً بحقّ، والحيوان الذي نتكلّم عنه الآن يشارك في النوع الثالث من أنواع الروح التي يقال إنّها مركَّزة بين الحجاب الحاجز والسُّرَّة، وليس لها أيّ جزء في الرأي أو التعقّل أو العقل، بل في مشاعر اللذّة والألم والرغبات التي تلازمها فقط. وهذه الطبيعة تكون في حالة منفعلة على الدوام، ولا تُمنح طبيعة ذات قوّة للدوران حول محورها في نفسها وحولَها، طاردة الحركة من الخارج ومستخدمة حركتها الخاصّة بها، بطريقة كتلك كي تراقب وتتأمّل مليّاً أيّاً من اهتماماتها وشؤونها الخاصّة بها. لذلك فإنّها تحيا ولا تختلف عن المخلوقات الحيَّة. غير أنّها تكون مثبّتة ومجذَّرة في البقعة عينها، ولا تمتلك أيّة قوّة من قوى التحرّك الذاتيّ.

والآن بعد أنّ أوجَدَتِ القوى الأعظم كلّ هذه الطبائع كي تكون غذاءً لنا نحن ذوي الطبيعة الأدنى، فإنّ هذه القوى الأعظم شقَّت أقنية مختلفة خلال الجسم مثلما تشقُّ الأقنية خلال الحديقة، ذلك كي يمكن للجسم أن يُسقى من الجدول المتدفّق. وفي المقام الأوّل، فإنّ هذه القوى الأعظم شقّت قناتين اثنتين مخبّأتين أو شرايين في أسفل الظّهر حيث يتّصل الجلد واللحم، واللتين قدَّمتا حلاً للجانب الأيمن والجانب الأيسر من الجسم كلّ بمفرده. وجعلت هاتين القناتين تتدلّيان على طول العمود الفقريّ، كي تمتلكا جوهر النشوء أو التولّد بينهما، حيث كان احتمال نجاحها وازدهارها أكثر إمكانيّة،

ولكي يستطيع الجدول النازل من أعلى إلى أسفل أن يسري بحريَّة إلى الأجزاء الأخرى، ويرويها. وفي المقام الأوّل، فإنّ القوى الأعظم قسَّمت العروق حول الرأس، وبعد أن حبكتها أرسلتها إلى الجهات المتضادّة. وتلك العروق الآتية من الجانب الأيمن أرسلتها إلى الجانب الأيسر من الجسم، وحوَّلت العروق الآتية من الجانب الأيسر نحو الجانب الأيمن، وهكذا كي تتمكّن ومعها الجلد من تشكيل رباط يثبت الرأس بالجسم، لأنّ قمّة الجمجمة لم تطوَّق بالأعصاب. وأيضاً كي تتمكّن الأحاسيس من كلا الجانبين من التوزّع فوق الجسد كلّه. وبعدئذ، فإنّ القوى الأعظم أمرت المسالك المائيّة أن تُرتَّب في الجسد بالأسلوب الذي سأصفه تالياً والذي سيكون فهمه أكثر سهولة إذا ابتدأنا بالاعتراف بأنّ كلّ الأشياء المركَّبة من أجزاء أقلّ تحتفظ بالأجزاء الأكثر، لكنّ تلك الأجزاء المركَّبة من أجزاء أكثر لا تستطيع أن تحتفظ بالأجزاء الأقلّ. وبعدُ فإنّ من بين كلّ الطبائع تمتلك النار الأجزاء الأصغر، ولذلك فإنها تخترق من خلال عناصر التراب والماء والهواء وتركيباتها، ولا يستطيع أيّ شيء إيقافها. وينطبق المبدأ عينه على بطن الإنسان؛ لأنّه عندما يدخل فيه اللحم والشراب، فإنّه يحتفظ بهما، غير أنّه لا يستطيع أن يحتفظ بالهواء والنار لأنّ الذرّات التي يتألّفان منها أصغر من بنائه الخاصّ به.

ولهذا السبب، فإنّ الله المهيمن استخدم هذه العناصر بقصد توزيع الرطوبة من البطن إلى الأوردة، حائكاً لشبكة من النار والهواء معاً مثل الشَرَك المجدول من أغصانٍ لصيد السمك، وله عند مدخله شركان اثنان أقلّ منه. وبنى الله الممجّد واحداً من هذين الشركين بفتحتين ومن الشركين الأقلّ مدَّد أوتاراً منتشرة حول أطراف الشبكة كلّها. وصنع الله داخل الشبكة كلّها الشركين من نار، لكنّ الشركين الأقلّ مع تجويفاتهما صنعهما من

الهواء. وأخذ الله الهيكل ونشره فوق الحيوان المصاغ، نشره جديداً في النمط التالي: ـ سمح الله للشَّرَكين الأقلّ بالمرور في الفم؛ وأوجد هناك اثنين منهما، ودلَّى أحدهما بواسطة أقنية الهواء إلى الرئتين، ودلّى الآخر بجانب أقنية الهواء إلى البطن، وقسَّم الشَّرَكَ السابق إلى شعبتين اثنتين، جعل كلاًّ منهما تمرّ خارجاً عند أقنية المنخرين. وهكذا عندما لم يكن الطريق مفتوحاً من خلال الفم، فإنّ جداول الفم مُلِئت من خلال الأنف أيضاً. إن الله غلَّف الأجزاء المجوَّفة من الجسم بالتجويف الآخر « كمثال، غلَّفها بالشَّرَك الأكبر » وهو جعلَ كلّ هذا كي يتدفّق الهواء إلى الشَّرَك الأقل في وقت واحد بلطفٍ تامّ، لأنّ هذه الأجزاء كانت مركَّبةً من الهواء، وسبَّب الله في وقت آخر الشَرَك الأقلّ كي يسيل عائداً مرَّة ثانية. وصنع الله الشبكة كي يجد طريقاً داخلاً وخارجاً من خلال ثقوب الجسد، وسلكت إشعاعات النار المثبتة بإحكام في الداخل، سلكتْ ممرّ الهواء في كلا الطريقين، ولم تنقطع في أيّ وقت أبداً طالما بقي الموجود الفاني متماسكاً معاً. نؤكّد أنّ هذه العملية أعطاها المسمّي إسم الشهيق والزفير، وأخذت كلّ هذه الحركة مكاناً، الفاعلة منها والمنفعلة، كي يكون الجسم ملطَّفاً بالماء ومبرَّداً، ولكي يتمكّن من أن يتلقّى الغذاء والحياة؛ لأنّه عندما يكون التنفّس داخلاً في الرئتين وخارجاً منهما، وتتبعه النار التي تكون موثقة في الداخل بإحكام، وتكون متحركة أبداً وحالاً جيئة وذهاباً، فإنّ هذه النار تدخل من خلال البطن وتصل إلى اللّحم والشراب، وتحلّلهما، وتقسّمهما إلى أقسام صغيرة، وتوجههما من خلال الأقنية حيث تسري في الجسم، وتضخهما كما تُضخُّ المياه من النافورة إلى أقنية الأوردة، وتجعل جدول الأوردة يتدفّق من خلال الجسم كما تتدفّق من خلال قناة.

وبعدُ فإنّ مَنْ يتأمّل كلّ هذا مليّاً كما ينبغي، يحقّق ما إذا كانت العوالم

لتكون معتبرة وكأنّها غير محدَّدة أو محدَّدة في العدد. إنّ شخصاً كهذا سيكون ذا رأي وهو أنّ صفة غير محدوديّتها تكون صفة مميّزة للعقل غير المحدَّد وللعقل الجاهل بشكل سيّىء. على كلّ حال، فإنّ من يثير السؤال سواء إذا كانت هذه الأشكال معتبرةً كأنّها شكل واحد أو خمسة أشكال بحقّ، إنّ مَنْ يثير هذا السؤال يتّخذ موقعاً أكثر عقلانيّة. ومُناظِراً من موقع الترجيح والاحتمال فإنّني أرى أنّها تكون شكلاً واحداً؛ وسيكون الغير من رأي آخر، معتبرين السؤال من وجهة نظر أخرى. لكن دعنا نترك هذا التحقيق ونتقدّم لتوزيع الأشكال الأوّليّة، والتي قد أُبدِعت في فكرةِ الآن، دعنا نوزّعها بين العناصر الأربعة.

دعنا نعزو إلى الأرض إذن الشكل المكعَّب. إنّ الأرض هي الشكل الأكثر ثباتاً من الأشكال الأربعة والأكثر لدنةً من كلّ الأجسام، والجسم الذي يمتلك القواعد الأكثر ثباتاً يجب أن يكون ضرورة من طبيعة كهذه. وبعدُ، ففيما يتعلّق بالمثلّثات التي افترضناها في البدء، فإنّ تلك المثلّثات التي تمتلك ضلعين اثنين متساويين تكون مركَّزة بالطبيعة بشكل أكثر ثباتاً من تلك المثلّثات التي تمتلك ضلعين غير متساويين، ومن الأشكال المركَّبة التي تكون مشكَّلة من كليهما، لكنّ الشكل الرباعيّ ذا الأضلاع المتساوية يمتلك قواعد أكثر ثباتاً بالضرورة من المثلّث المتساوي الأضلاع، يمتلك ذلك في الكلّ وفي الأجزاء كليهما. لهذا، فإنّنا في عزونا هذا الشكل لشكل الأرض، نتقيّد بالاحتمال، وننسب إلى الماء ذلك الشكل الواحد من الأشكال الباقية الذي هو الأقل تحرّكاً؛ والشكل الأكثر حركة منها إلى النار؛ وإلى الهواء الشكل الذي يكون في الوسط. ننسب نحن إلى النار الجسم الأصغر أيضاً، والجسم الأعظم إلى الماء، والجسم المتوسّط في الحجم إلى الهواء. ومرّة ثانية، فإنّنا نعزو الجسم الأكثر حدّةً إلى النار، والجسم التالي في حدّته إلى الماء، والجسم

الثالث إلى الهواء. ومن كلّ هذه العناصر، فإنّ تلك التي تمتلك القواعد الأقلّ يجب أن تكون الأكثر تحرّكاً بالضرورة، لأنّها ينبغي أن تكون العناصر الأكثر حدّة والخارقة في كلّ طريقة، ويلزم أن تكون الأخفّ أيضاً لكونها متألّفةً من العدد الأصغر للذرّات الدقيقة المتشابهة. وأمّا الجسم الثاني فإنّه يمتلك صفاتٍ مميّزة متشابهة في درجة ثانية. والجسم الثالث يمتلكها في درجة ثالثة. دع ذلك يكون متّفقاً عليه إذن، طبقاً للعقل الدقيق للاحتمال على حدّ سواء، وهو أنّ الهرم هو المجسّم الذي هو العنصر الأصليّ وبذرة النار؛ ودعنا ننسب العنصر الذي كان تالياً في النظام إلى نشؤ الهواء، والثالث إلى الماء. يجب أن نتصوّر كلّ هذه العناصر لتكون صغيرة جدّاً إلى حدّ أنّنا لا نقدر على رؤية ذرّة مفردة من هذه الأنواع الأربعة بسبب صغرها؛ لكن عند تراكم عديدها معاً فإنّ تكتّلها يكون تكتّلاً مرئيّاً. أمّا نِسَب أعدادها، حركاتها، وخواصّها الأخرى، فإنّ الله في كلّ مكان، تمّمها ونسّقها في نسبة واجبة الأداء، بقدر ما سمحت به الضرورة أو أعطت موافقتها عليه.

من كلّ الذي قد قلناه لتوّنا بشأن العناصر أو الأنواع فإنّ الاستنتاج الأكثر ترجيحاً هو كما يلي: إنَّ الأرض، حينما تقابل النار وتُحلَّل بحدّتها، سواء إذا أخذ الانحلال مكانه في النار نفسها أو لربّما في كتلة ما من كتل الهواء أو الماء، فإنّها تُحمل هنا وهناك، إلى أن تتقابل أجزاؤها معاً وتتآلف بشكل مشترك، وتصبح أرضاً مرّة ثانية؛ لأنّها لا تستطيع أن تأخذ أيّ شكل آخر أبداً. لكن عندما يُقسّم الماء بالنار أو بالهواء، يمكنه أن يصبح جزءاً واحداً ناراً وجزأين هواءً عند إعادة تشكيله؛ وتصبح كتلة واحدة مقسّمة من الهواء، تصبح كتلتين من نار، مرّة ثانية، عندما يُحتوى جسمٌ صغير من النار في جسم أكبر من الهواء أو الماء أو الأرض؛ ويكون كلاهما متحرّكاً،

وتُنهَك النار المكافِحَةُ ويوضع لها حَدٌّ، حينئذ فإنّ كتلتي النار تشكّلان كتلة واحدة من الهواء؛ وعندما يُنهك الهواء ويُجزأ إلى قطع صغيرة، فإنّ جزأين ونصفاً منه تُكثف إلى جزء واحد من الماء. دعنا نأخذ المسألة بعين الاعتبار بطريقة أخرى. عندما يُوثق واحدٌ من العناصر الأخرى بالنار، ويكون مجزّأً بحدّة حدوده وجوانبه، فإنّه يلتحم مع النار، وينقطع ليكون مجزّأً به بعد الآن. إذ لا عنصر يكون واحداً والشيء عينه مع نفسه يمكنه أن يتغيّر بالعنصُر الآخر أو يحوّله العنصر الآخر من النوع عينه وفي الحالة عينها. لكن طالما بقيت العناصر الأخرى، ويستمرّ الانحلال، مرّة ثانية، وعندما تُحصر الذرّات الصغيرة القليلة في ذرّاتٍ متعدّدة أكبر منها، وتكون في عمليّة تحلّل واندراس، فإنّها تتوقّف فقط عن ميلها إلى الاندراس عندما تقبل بالتحوّل إلى الطبيعة الفاتحة، وتصبح النار هواء والهواء ماءً. لكن إذا مضت الأجسام من النوع الآخر وهاجمتها « كمثال الذرّات الصغيرة »، فإنّ الأجسام الأخيرة تستمرّ لتكون متحلّلة إلى أن تُحدِث هروبها إلى عناصرها الشقيقة الخاصّة بها، كونها مجبرة للعودة والتشتّت بشكل تامّ، وإلاّ فإنّها ستبقى حيث هي وتقطن مع العناصر الأخرى المنتصرة عليها وتصبح واحدة من كونها عناصر متعدّدة، لكونها مقهورة ومستوعَبَة بالقوّة المنتصرة. وبداعي هذه التأثيرات، تكون كلّ الأشياء مغيّرة مكانها، إذ بسبب حركة الإناءِ المستقبِلِ يوزَّع الحجم من كلّ صنفٍ في مكانه المناسب؛ لكنّ تلك الأشياء التي تصبح غير شبيهة بنفسها وشبيهة بالأشياء الأخرى، تعجّل سيرها إلى مكان الأشياء بواسطة الاهتزاز الذي تصبح فيه متشابهة.

وبعدُ فإنّ كلّ الأجسام الأولى وغير المختلطة تُنتَج بأسبابٍ كهذه، وأمّا فيما يخصّ الأنواع الثانويّة، التي تكون متضمَّنَةً في الأنواع الأعظم، فإنّها تُعزى إلى التنوّعات في بناء المثلثين الأصليّين الإثنين. لأن كلا البناءَيْن لم يُنتِجا

المثلّث ذا الحجم الواحد فقط في الأصل، لكنّهما سينتجان مثلّثات بعضها أصغر وبعضها أكبر، وهناك أحجام عديدة منها، مثلما هناك أنواع للعناصر الأربعة. لهذا السبب فإنّ الأجسام عندما تُمزج مع نفسها وبعضها مع بعض يحصل منها تنوّع لا نهائيّ، والذي يجب على هؤلاء الذين سيصلون إلى الحقيقة المحتملة للطبيعة أن يتأمّلوه مليّاً كما ينبغي.

ما لم يصل شخص إلى فهمٍ بشأن طبيعة وحالات السكون والحركة، فإنّه سيلاقي صعوبات جمّة في البحث الذي يلي. لقد قيل شيء ما عن هذه القضية مسبقاً، ويبقى شيء ما أكثر ممّا قيل ليقال، وهو أنّ الحركة لا توجد في الذي يكون مُنتظَماً قطّ، إذ إنه لصعبٌ، بل إنه لمستحيل حقّاً أن تتصوّر أنّ أيّ شيء يستطيع أن يكون متحرّكاً بدون محرّك، وأنه لمستحيل، بشكلٍ متساوٍ أن تتصوّر أنه يمكن أن يكون هناك محرّك إلاّ إذا وُجد شيء ما يستطيع أن يتحرّك؛ ـ لا يمكن للحركة أن توجد حيث يكون كلّ من هذين الشيئين مفقوداً، ولكي يكون هذا منتَظَماً فإنّه يكون شيئاً مستحيلاً؛ لذلك ينبغي أن نعزو السكون إلى الانتظام، والحركة إلى فقد الانتظام. وبعدُ فإنّ عدم المساواة هو السبب للطبيعة التي تكون ناقصة في الانتظام؛ ولقد وصفنا الأصل لهذا سابقاً. لكن لا تزال هناك نقطة رئيسيّة للبحث أيضاً ـ لماذا عندما تُقسَّم الأشياء على غرار أنواعها، لماذا لا تتوقّف عن الولوج بعضها في بعض كي تغيّر مكانها؟ وهذا ما سنتقدّم إليه الآن كي نعلّله. إنّ كلّ العناصر الأربعة تكون مشتمَلةً في دورة الكون، وكون هذه العناصر دائريّة وتمتلك ميلاً لتصبح معاً، فإنّها تضغط كلّ شيء ولا تسمح لأيّ مكان بأن يبقى فارغاً. لذلك، فإنّ النار فوق كلّ الأشياء تخترق كلّ مكان، ويأتي الهواء تالياً، ككونه تالياً في تخلخل العناصر. ويخترق العنصران الإثنان الآخران بأسلوبٍ مماثل طبقاً لدرجات تخلخلهما. إنّ تلك الأشياء التي تؤلّف

من الذرّات الأكبر تمتلك الخلاء الأعظم في تركيباتها، وتلك الأشياءُ المؤلّفة من الذرّات الأصغر تمتلك الخلاء الأصغر. يدفع التقلّص المسبَّب بالضغط الذرّات الأصغر، يدفعها إلى فُرُجات الذرّات الأكبر. وهكذا، عندما توضع الأجزاء الأصغر جنباً إلى جنب مع الأجزاء الأكبر، فإنّ الذرّات الأقلّ تقسّم الذرّات الأكثر وتوحّد الذرّات الأكثر الذرّات الأقلّ، وتُحمل كلّ العناصر صعوداً ونزولاً وهنا وهناك باتّجاه أماكنها الخاصّة؛ لأنّ كلّ تغيير في حجم كلٍّ منها يبدّل أماكنها في الفضاء. وتولّد هذه الأسباب تفاوتاً يُحافظ عليه دائماً، ويخلق حركة دائمة للعناصر في كلّ زمن بشكل متواصل.

يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار في المقام التالي أن هناك أنواعاً مختلفة من النار. هناك اللهب أولاً، كمثال؛ وهناك ثانياً تلك العناصر الغازيّة الثقيلة الناشئة عنه والتي لا تحترق بل تهب النور للعيون فقط؛ ثالثاً، هناك بقايا النار التي تُرى في جذوة حمراء حارّة بعد إخماد اللهب. هناك فوارق مشابهة في الهواء الذي يسمّى الجزء الأكثر صفاءً منه الأثير، ويدعى النوع الأكثر كثافة سديماً وظلاماً؛ وهناك أنواع متعدّدة أخرى بدون أسماء تنبثق من التباين في المثلّثات. يقبل الماء في المقام الأوّل بالقسمة إلى نوعين: أحدهما سائل والآخر مذاب أو مصهور. ويؤلّف النوع السائل من ذرّات صغيرة وغير متساوية من الماء؛ ويحرّك نفسه ويتحرّك بالأجسام الأخرى بسبب افتقاره للنظام والانتظام ولشكل ذرّاته؛ في حين أنّ النوع المنصهر يكون أكثر ثباتاً من النوع الآخر، كونه متشكّلاً من ذرّات كبيرة ومتّسقة، ويكون ثقيلاً ومتضامّاً بسبب انتظامه. لكن عندما تدخل النار وتحلّل الذرّات وتدمّر الانتظام، فإنّه يمتلك قابليّة أعظم للتحرّك. وبما أنّه يصبح سائلاً يندفع بقوّة بواسطة الهواء المجاور وينتشر فوق الأرض. ويسمّى هذا الانحلال للكتل المجسّمة انصهاراً، ويدعى انتشارها الخارجيّ فوق الأرض تدفّقاً. مرّة ثانية،

فإنّ النار عندما تخرج من المادّة المنصهرة، فإنها لا تتحوّل إلى فراغ، بل تتحوّل إلى الهواء المجاور؛ وأمّا الهواء الذي يُستبدل فيُجبِر السّائل والكتلة التي لا تزال متحرّكة، يجبرها على الانتقال معاً إلى المكان الذي كانت تشغله النار، ويوحّدها معاً. وهكذا فإنّ الكتلة المضغوطة تستعيد اطّرادها، وتكون في وحدة مع نفسها مرّة ثانية، لأنّ النار التي كانت المسبّب لهذا التباين قد تقهقرت. وتدعى مغادرة النار هذه تبريداً، ويدعى الإمساء الذي يليه معاً تحجّراً. ومن كلّ الأنواع المسمّاة مصهورة، فإنّ ذلك النوع الذي يكون الأكثف والذي يصاغ من الأجزاء الأكثر دقّة والأكثر اتساقاً، إنّ ذلك النوع هو الأكثر نفاسة للاقتناء ويدعى ذهباً، وهو النوع الذي يُصلَّد بالترشُّح من خلال الصخر. إنّ هذا النوع يكون فريداً في نوعه، ويمتلك لوناً أصفر متألّق اللمعان، ويسمى انبجاساً من الذهب، والذي يكون هكذا كثيفاً، كي يكون صلباً جدّاً ويأخذ لوناً أسود، يسمى ألماساً. هناك نوع آخر أيضاً يمتلك أجزاء شبيهة بالذهب تقريباً الذي توجد منه أنواع متعدّدة. إنّ هذا النوع يكون أكثف من الذهب، ويحتوي على جزء صغير ودقيق من الأرض، ويكون أصلب لهذا السبب، وهو مع ذلك أخفّ بسبب الفُرُجات الكبيرة التي يمتلكها بداخله. وهذه المادّة، التي تكون واحدة من الأنواع المشِعّة والكثيفة للماء، فإنّها عندما تصلَّب تُدعى نحاساً. هناك أُشابة من الأرض ممتزجة معه، والتي عندما يصبح جُزآها قديميْن وتكون مفكّكة، تُظهر نفسها بشكل منفصل وتدعى صدأً. أمّا الظاهرة الباقية من النوع عينه فلا صعوبة في الاستنباط بشأنها بطريقة الترجيحات. يمكن لإنسانٍ بعض المرّات أن يضع التفكّر بشأن الأشياء الأزليّة جانباً، وأن يعمل بهمّة ونشاط من أجل الاستجمام كي يتأمّل حقائق النشوء التي تكون مرجّحة فقط. وهكذا فإنّه سيكسب لذّة ولن يندم عليها، وسيؤمّن لنفسه تسلية عاقلة ومعتدلة ما دام

حيّاً. دعنا نمنح لأنفسنا هذا التساهل، وأن ندرس بدقّةٍ الاحتمالات المتعلّقة بالمواضيع عينها التي تلي بعد ذلك مباشرة في نظام.

إنّ الماء الذي يمتزج بالنار، بالقدر الذي يكون دقيقاً وسائلاً « يسمّى هكذا كونه بسبب حركته والطريقة التي يطوي بها الأرض طيّاً » ويكون خفيفاً، لأنّ عناصره الأساسيّة تتراجع وتكون أقلّ ثباتاً من تلك العناصر التي للأرض، وتصبح أكثر اتّساقاً حينما تُفصل عن النّار والهواء ويتمّ عزلها، وتكون مضغوطة في نفسها بانكفائها؛ وإذا كان التكثيف عظيماً جدّاً، فإنّ الماء فوق الأرض يصبح بَرَدَاً، لكنّه يصبح على الأرض جليداً؛ وأمّا ذلك الذي يُجمَّد بدرجة أقلّ ويكون نصف جامدٍ فقط، فإنّه يُسمّى ثلجاً عندما يكون فوق الأرض وعندما يكون على الأرض ويكثّف بالندى، فإنّه يُدعى صقيعاً. هناك بعدئذ الأنواع التي لا تحصى من الماء التي قد مُزج بعضها مع بعض والتي تُستقطر بواسطة النباتات التي تنمو في الأرض؛ ويدعى هذا الصنف كلّه باسم عصاراتٍ أو نُسُوغ. ويخلق هذا المزيج غير المتساوي من هذه السوائل أنواعاً متعددة، ويكون أكثرها بدون إسم، لكنّ أربعة أنواع منها وهي ذات طبيعة ناريّة، فإنّها تكون متميّزة وتمتلك أسماءً. هناك النبيذ بادىء ذي بدء الذي يدفىء الروح كما أنّه ينشر الدّفء في الجسم؛ ثانياً، هناك الطبيعة الزيتيّة، التي تكون رقيقة وتقسّم الأشعة المرئيّة، وتكون مضيئة ومشعّة وذات مظهر متلألىء لهذا السبب، شاملة القار، عصير القُندس والتوت، الزيت نفسه، والأشياء الأخرى ذات النوع المشابه؛ ثالثاً، هناك صنف من المواد التي تمدّد الأجزاء المنكمشة من الفم، إلى أن تعود هذه الأجزاء إلى حالتها الطبيعيّة. وبسبب هذه الصفة المميّزة فإنّه يُحدث الحلاوة في الفم - إنّ هذه الأصناف تكون مشتمَلَةً تحت الإسم العامّ للعسل. وأخيراً، هناك طبيعة خفيفة رقيقة، تختلف عن كلّ السوائل، وتمتلك نوعيّة

حارقة وتحلّل اللحم وتسمّى حامض النبات. وفيما يخصّ أنواع الأرض، فإنّ تلك التي ترشح من خلال الماء تتحوّل إلى صخرٍ بالطريقة التالية: ـ إنّ الماء الذي يختلط مع التراب ويُجزّأ في عملية التحويل إلى هواء ويأخذ هذا الشكل، إنّ هذا الماء يصعد إلى مكانه الخاصّ به. لكن بما أنّه لا يوجد خلاء محيط يدفع الهواء المجاور بعيداً، فإنه يُردُّ هواءً ثقيلاً. وحينما يُستبدَل، كونه منهمراً حول كتلة التراب، فإنّه يضغط بقوّة ويدفعها إلى الفضاء الخالي الذي نشأ منه الهواء الجديد؛ وحينما يُضغط التراب بالهواء في وحدةٍ غير قابلة للانحلال مع الماء يُصبح حجراً. ويكون النوع الأصفى ذلك الذي يُصنع من أجزاء متساوية ومتشابهة ويكون نوعاً شفّافاً. وأمّا ذلك النوع الذي يمتلك النوعيات المضادّة فيكون نوعاً رديئاً. لكن عندما يُسحب كلّ الجزء المائيّ بالنار فجأة، فإنّ مادةً أكثر سرعة للانكسار تُشكّل، تلك المادّة التي نمنحها إسم صناعة الفخّار. يمكن للرطوبة أن تبقى بعض المرّات، ويصبح التراب الذي تمّ صهره بالنار حجراً محدّداً ذا لونٍ أسود عندما يبرد. يمكن أن يحدث انفصالٌ مشابه للماء الذي قد اختلط بوفرة في مادّتين اثنتين مؤلّفتين من ذرّات أدقّ وذات طبيعة مالحة، ويشكّل من إحدى هاتين المادتين حينئذ جسم نصف صلب، قابل للذوبان في الماء، يسمّى أحدها كربونات الصوديوم، الذي يستعمل في إزالة الزيت والتراب، ويدعى الآخر ملحاً، الذي يتناسق هكذا جيّداً في التركيب السارّ لحاسّة الذوق، وتكون هذه المادة مادّة عزيزة على الآلهة، كما يشهد الناموس بذلك. إنّ المركّبين من التراب والهواء غير قابلين للحلّ بواسطة الماء، بل النار فقط، وهذا هو السبب: ـ لا النار ولا الهواء يذيبان كتل التراب؛ لأنّ ذرّاتهما، كونهما أصغر من الفرُجات في بنيتها، تمتلك متّسعاً وافراً كي تتحرّك بدون أن تفتح طريقها بالقوّة من خلال تجزئة ذرّاته. وهكذا فإنّهما يتركان التراب غير

مذاب وغير قابل للإذابة. غير أنّ ذرّات الماء التي تكون أكبر، تشقّ طريقها بالقوّة، وتحلّل التراب وتذيبه. في حين أنّ التراب عندما لا يوحّد بالقوة فإنّه يُحلَّل بالماء فقط، لكنّه حينما يوحَّد فلا شيء يحلّله سوى النار لأنّ هذا الجسم هو الجسم الوحيد الذي يقدر أن يجد له ممرّاً ينفذ منه. إنّ تماسك الماء، مرّة ثانية، لا يُحلَّل إلاّ بالنار فقط حينما يكون قويّاً جدّاً، لكنّه عندما يكون ضعيفاً يُحلَّل إمّا بالهواء أو النار حينئذ. إنّ الهواء يدخل في الفُرُجات، أمّا النار فإنّها تنفذ حتّى إلى المثلثات. لكن لا شيء يستطيع أن يحلّل الهواء، عندما يُكثَّف بقوّة، والذي لا يستطيع الوصول إلى العناصر أو المثلّثات؛ أو إذا لم يكن الهواء مكثفاً بقوّة، فإنّ النار تقدر على تحليله فقط عندئذ. أمّا فيما يخصّ الأجسام المؤلّفة من التراب والماء، وفي حين يشغل الماء الفُرُجات الخالية من التراب فيهما الذي يُضغط بالقوة، فإنّ ذرّات الماء التي تقترب منهما، وبما أنّها لا تجد مدخلاً، تتدفّق حول الكتلة كلّها وتتركها غير متحلّلة. لكنّ ذرات النار تدخل في الفُرُجات التي للماء وتفعل النار بالماء ما يفعله الماء بالتراب. إنّ هكذا ذرّات هي الأسباب الوحيدة لإسالة الجسم المركّب من التراب والماء وتمييعه. وبعدُ فإنّ هذه الأجسام ذات نوعيْن اثنين، بعضُها مثل الزجاج، ومثل النوع الحجريّ القابل للإنصهار اللذين يمتلكان ماءً أقلّ ممّا يمتلكان تراباً؛ وعلى الجانب الآخر، فإنّ المواد ذات الطبيعة الشمعيّة واللّزجة تمتلك ماءً أكثر وهو الذي يدخل في تركيبها.
إنّني بيّنت أصناف الأجسام المتنوّعة كما تُشكَّل بهيئاتها وتركيباتها وتغيّراتها بعضها في بعض، ويجب أن أكافح الآن لكشف تأثيراتها وأسباب تلك التأثيرات . في المقام الأوّل، إنّ الأجسام التي وصفتها هي أشياء مدركة بالحواسّ. لكنّنا لم نأخذ بعد بعين الاعتبار أصل اللحم، أو ما يخصّ اللحم، أو ذلك الجزء من الروح الذي هو جزءٌ فانٍ. ولا يمكن أن تُعلَّل هذه الأشياء

على نحوٍ وافٍ بالمراد، بدون أن نفسّر أيضاً التأثيرات التي تختصّ بالإحساس، ولا نقدر على شرح الأخير بدون السابق. وبرغم ذلك فإنّنا إنْ حاولنا تعليلها معاً فإنّ ذلك لعملٌ صعبٌ على الأرجح؛ ولذلك السبب يجب أن نفترض الواحد باديء ذي بدء أو أن نفترض الآخر، ونفحص طبيعة افتراضنا بعدئذ، كي يمكن للتأثيرات أن تتبع بشكل منظّم عندئذ على غرار العناصر. لهذا دعنا نفترض مقدّماً وجود الجسم والروح.

دعنا نحقّق ماذا نعني بقولنا إنّ النار تكون حارة؛ ويمكننا أن نتصوّر بشأن هذه عن القوّة المقسّمة أو القاطعة التي تمارسُها على أجسامنا. لكنّنا نشعر أنّ النار تكون حادَّةً. ويمكن أن نأخذ بعين الاعتبار أيضاً دقّة الأُضلاعِ، وحدّة الزوايا، وصغر الذرّات، وسرعة الحركة التي تمتلكها: ـ كلّ هذه العوامل تجعل فعل النار فعلاً عنيفاً وحادّاً، إلى حدّ أنّها تقطع أيّ شيء يقابلها. وعلينا أن لا ننسى أنّ أصل شكل النار « كمثال الهرم »، إنّ هذا الشكل يمتلك، أكثر من أيّ شكل آخر، القوة القاسِمة التي تقطع أجسامنا إلى قطعٍ صغيرة. وهكذا فإنّها تُنتِج التأثير الذي نسمّيه حرارة بشكل طبيعيّ؛ ومن ثم أصل الإسم θερμός, κέρμα وبعدُ، فإنّ الضدّ لهذا يكون واضحاً بشكلٍ كافٍ؛ ولن نخفق في أن نصفه برغم ذلك لأنّ الذرّات الأكبر للرطوبة التي تحيط بالجسد، الداخلة فيه والطاردة للذرّات الأقلّ، غير قادرة أن تحتلّ مكانها. إنّ هذه الذرّات تضغط على المبدأ الرطب فينا، وكون هذا الشكل غير متساوٍ ومشوّشاً، يُجبر بالذرّات الأكبر إلى حالة من الراحة، والتي تكون ناشئة عن الاستواء والضغط. لكنّ الأشياء التي تُختصر عكس الطبيعة فإنّها تكون في حربٍ وفقاً للطبيعة، وتجبر نفسها على الابتعاد بعضها عن البعض الآخر؛ ويُعطى لهذه الحرب والاضطراب العنيف إسم الرجفة والارتعاد، ويدعى التأثير بكامله وسبب هذا التأثير بَرْداً عنيفاً،

ويدعى ناعماً الذي يحدث لهذا اللحم؛ وتُدعى الأشياء أشياء عنيفة وناعمة بالنسبة إلى بعضها البعض أيضاً. إنّ الذي يذعن يمتلك عنصراً أساسياً ضعيفاً؛ لكنّ ذلك الذي يرتكز على قواعد رباعيّة الزوايا فإنّه وُضِعَ بثباتٍ ويختصّ بالصنف الذي يبدي المقاومة الأعظم. وهكذا يفعل أيضاً ذلك الذي يكون الأكثر تضامّاً وهو الأكثر صداً لهذا السبب. إنّ طبيعة الخفيف والثقيل ستُفهم بالطريقة الأفضل عند اختبارها في تسلسلٍ منطقيٍّ لأفكارنا عن فوق وتحت. ومن الخطأ تماماً أنْ نفترض أنَّ الكون مقسم إلى منطقتين اثنتين، منفصلتين إحداهما عن الأخرى ومتضادتين، واحدة سفلى تتّجه كلّ الأشياء نحوها وتمتلك أيّ حجم، وأخرى عليا تصعد لها كلّ الأشياء رغم إرادتها. وبما أنّ الكون هو في شكل الكرة، فإنّ كلّ أطرافه تكون متساوية، كونها متساوية البعد عن المركز. ويجب اعتبار المركز أنّه الذي يكون متساوي البعد عنها، كأنّه المضادّ لها كلّها بشكلٍ متساوٍ. هكذا هي طبيعة العالم، وعندما يقول شخص إنَّ أيّاً من هذه النقاط الرئيسيّة تكون فوق وتحت، ألا يمكن أن يُتّهم باستخدام عبارة غير مناسبة؟ إنّ مركز العالم لا يمكن أن يُدعى بحقّ لا فوق ولا تحت، بل يكون المركز ولا شيء آخر. ولا يكون المحيط المركز، ولا يمتلك في أيّ جزء من نفسه علاقة مختلفة بالمركز من تلك التي يمتلكها في أيّ جزءٍ من الأجزاء المضادّة. حقّاً كيف يستطيع شخص أن يعطي له أسماء تدلّ على التضادّ ضمناً بصدق، عندما يكون متشابهاً في كلّ اتجاه؟ لأنّه إذا كان هناك أيّ جسم صلبٍ في توازن عند المركز الذي للكون، فلن يكون هناك أيّ شيء يجرّه إلى هذا الطَرَفِ بدلاً من جرّه إلى ذلك الطَرَف، لأنّ هذين الطرفين متشابهان بشكلٍ كامل. وإذا ما سار شخص حول العالم في دائرة فإنّه سيتكلّم غالباً عن النقطة عينها كفوق وتحت، حين وقوفه على الأجزاء الواقعة في الجهة المقابلة من الكرة

الأرضيّة لموقعه السابق؛ لأنّه، وكما كنت قائلاً لتوّي الآن، لتتكلّم عن الكلّ الذي يكون في شكل كرة كأنّ له جزءاً واحداً فوق وآخر تحت، فإنّ مَنْ يتفوّه بهذا لا يشبه إنساناً ذي إدراك. إنّ السبب في استخدام هذه الأسماء، والحالات التي تُستخدم تحتها من قِبَلِنا في تقسيم السماوات، يمكن توضيحها بالفرضيّة التالية: - إذا كان شخص ليقف في ذلك الجزء من أجزاء الكون الذي يكون المكان المخصّص للنار، وحيث توجد الكتلة العظيمة للنار التي تحتشد حولها الأجسام الناريّة - أقول، إذا ما كان هذا الشخص ليصعد إلى هناك، وكانت له القوّة كي يفعل هذا، ولكي يفصل ذرّات النار ويضعها في موازين ويزينها، وحين رفعه الميزان، كان ليجذب النار بقوّة نحو العنصر غير المتجانس للهواء، فسيكون واضحاً جدّاً أنّه سيجبر الكتلة الأصغر بأكثر سهولة من إجباره الكتلة الأكبر؛ لأنّه عندما يُرفع شيئان اثنان بواحدة وبالقوّة عينها في وقت واحد، فإنّ الجسم الأصغر يجب أن يذعن للقوّة الأعلى بالضرورة وبمقاومةٍ أقلّ من الجسم الأكبر، ويُدعى الجسم الأكبر ثقيلاً ويقال إنّه يميل إلى أسفل، ويُدعى الجسم الأصغر خفيفاً ويُقال إنّه يميل نحو الأعلى. ويمكن أن نكتشف أنفسنا نحن الذين نكون فوق الأرض فاعلين الشيء عينه بالضبط. إنّنا نفصل الطبائع الأرضيّة غالباً، ونفصل الأرض عينها بعض المرّات، ونجذبها إلى عنصرٍ هوائيّ غير متجانس بالقوّة ومعاكسٍ للطبيعة، ويكون كلاهما ملتصقين بعناصرهما الشقيقة. لكنّ ذلك الذي يكون أصغر يذعن للدفع الذي نمنحه نحو العنصر غير المتشابه بسهولة أكثر من الأكبر. وهكذا فنحن نسمّي السابق خفيفاً، وندعو المكان الذي يُكره على الاتجاه نحوه أعلى، وأمّا الحالة المعاكسة والمكان المعاكس فندعوهُ ثقيلاً وتحت على التوالي: وبعدُ فإنّ علاقات هذه الأشياء يجب أن تتباين بالضرورة، لأنّ الكتل الرئيسيّة للعناصر المختلفة تحتفظ بمواقع متضادّة؛ إنّ

ذلك الذي يكون خفيفاً، ثقيلاً، تحت أو فوق في مكان واحد، سيوجد ليكون ويصبح معاكساً ومستعرضاً ومختلفاً في كل طريقة وفيما يتعلق بذلك الذي يكون خفيفاً، ثقيلاً، تحت أو فوق في مكان مضادّ. ويجب أن يؤخذ هذا بعين الاعتبار بشأن هذه الأشياء كلّها: - إنّ الميل في بعض الحالات لكلٍّ منها نحو عنصرها الشقيق يجعل الجسم الذي يتحرّك ثقيلاً، والمكان الذي تتّجه الحركة نحوه تحتاً، لكنّ الأشياء التي تمتلك ميلاً مضادّاً فإنّنا نسمّيها باسم معاكس. تلك الأسباب هي الأسباب التي نعزوها لهذه الظاهرة. وفيما يختصّ بالناعم والخشن، فإنّ أيّ شخص يراهما يستطيع أن يفسّر للآخرين الأسباب التي تَخصُّهما. إنّ الخشونة هي صلابة ممزوجة مع اللاقياسيّة، وتُسبّب النعومة بالتأثير المتّصل للاتّساق والكثافة.

إنّ التأثيرات الأكثر أهميّة التي تخصّ الجسد بمجمله هي الباقية وهي التي يجب أن نأخذها بعين الاعتبار، - يعني، سبب اللذّة والألم في المدارك الحسيّة التي تحدّثت عنها، وكذلكَ في كلّ الأشياء الأخرى التي تدرك بالحسّ من خلال الجسم وبواسطته، وتمتلك كلها اللذّات والآلام الملازمة لها. دعنا نتخيّل أسباب كلّ تأثير، سواء إذا كان للحسّ أو لم يكن، دعنا نتخيّله أنّه من الطبيعة التالية، متذكّرين أنّنا ميّزنا سابقاً بين الطبيعة التي تكون سهلة التحرّك، وبين التي يكون تحريكها صعباً. إنّ هذا الاتّجاه هو الاتّجاه الذي يجب أن نفتّش فيه عن الغنيمة التي نقصد الاستحواذ عليها. إنّ جسماً يكون ذا طبيعة سهلة لتتحرّك، حال تلقّيه مقداراً من الضغط مهما كان طفيفاً، فإنّ هذا الضغط ينشر الحركة في كلّ اتّجاه وفي دائرة، وتتّصل الأجزاء بعضها ببعض، حتى تصل إلى منشأ العقل أخيراً، وهي تدلّ على نوعيّة الفاعل. لكنّ جسماً ذا نوعٍ معاكس يتلقّى المقدار من الضغط فحسب، ولا يثير أيّاً من الأجزاء المجاورة، كونه ثابتاً، وغير مبسوطٍ إلى

المنطقة المحيطة؛ وبما أنّ الأجزاء لا توزِّع المقدار الأصليّ من الضغط إلى الاجزاء الأخرى، فإنّها لا تمتلك أيّ تأثير للحركة على الحيوان كلّه، ولهذا السبب فهي لا تسبّب أيّ تأثير على المنفعل. ويكون هذا حقيقيّاً بخصوص العظام والشَّعر والأجزاء الأخرى الأكثر أرضيّة من الجسم الإنساني؛ في حين أنّ ما قد قيل آنفاً يتّصل بالبصر والسمع بشكل رئيسيّ، لأنّهما يمتلكان فيهما المقدار الأعظم من النار ومن الهواء. وبعدُ يجب علينا أن نعتبر ما نعتبره عن اللذّة بهذه الطريقة. إنّ مقداراً من الضغط مُحدَثاً فينا عكس الطبيعة وعنيفاً يكون مؤلِماً، إذا كان فجائيّاً. ومرّة ثانية، فإنّ المُفاجىء يكون لذيذاً عند عودته إلى الطبيعة؛ لكنّ العودة اللطيفة والتدريجيّة تكون غيرَ مدرَكةٍ بالحسّ والعكس بالعكس. وعلى الجانب الآخر فإنّ المقدار من الضغط للحاسة الذي يُحدَث بسهولة، يتمّ الشعور به باليسر الأكثر لكنّه لا يُصحب باللذّة أو الألم. هكذا، وكمثال، تكون تأثيرات البصر، والتي كما قلنا آنفاً، تكون جسماً متّحداً مع جسمنا في وقت النهار. إنّ القطع والحرق والتأثيرات الأخرى التي تُحدث للنظر، لا تعطي ألماً، ولا تكون هناك لذّة عندما يعود البصر إلى حالته الطبيعيّة، ومع ذلك فإنّ الإدراكات الحسيّة الصافية والقويّة تنشأ من كلّ تأثير بصريّ، سواء إذا كانت العين منفعلة على الإطلاق في فصل واتّحاد الإشعاع البصريّ من جديد. لكنّ الاجسام المتشكلة من ذرات أكبر تذعن للفاعل مع الصراع فقط؛ وحينئذ فإنّها تضفي حركاتها على الكل وتسبّب اللذّة والألم - تسبّب الألم حين تحوّلها عن حالاتها الطبيعيّة، واللذّة عند رجوعها إليها. أمّا الأشياء التي تختبر انسحاباتٍ وإخلاءَاتٍ لطبيعتها، وامتلاءَاتٍ كبيرة ومفاجئة من جديد، فإنّها تخفق في إدراك الإخلاء عن طريق الحواسّ، لكنّها تكون مدرِكةً للامتلاء عن هذا الطريق؛ وهكذا فإنّها لا تسبّب أيّ ألم، لكنها تُحدِث اللذّة الأكبر للجزء

الفاني من الروح، مثلما يكون بيّناً في حالة العطور. غير أنّ الأشياء التي تتغيّر بشكلٍ مفاجيء وسريع، وتعود إلى طبيعتها الخاصّة تدريجياً وبصعوبة فقط، فإنّها تتلك تأثيرات مضادّة للتأثيرات السابقة في كلّ طريقة، كما يكون - ... في حالة الحرق والبتر للجسد.

وهكذا فإنّنا بحثنا في التأثيرات العامّة للجسد بمجمله، وفي أسماء الفواعل التي تحدثها. والآن فإنّني سأحاول الكلام عن تأثيرات الأجزاء الخاصّة وأسبابها وعواملها، قدر ما أستطيع. دعني أوضح في المقام الأوّل الشيء الذي أُسقِط عندما كنا نتكلّم عن العصارات، فيما يخصّ التأثيرات الخاصّة باللسان. إنّ هذه التأثيرات أيضاً، مثل أكثر التأثيرات الأخرى، تظهر على أنّها مسبَّبة بانقباضات وتمدّداتٍ محدَّدة، لكن لديها بجانب ذلك خشونة ونعومة أكثر ممّا يوجد في التأثيرات الأخرى؛ إذ كلّما تدخل الذرّات الأرضيّة في الوُريدات الصغيرة التي هي الأدوات الاختباريّة للّسان، تصل هذه الذرّات إلى القلب، وتقع على ما هو رطب من أجزاء اللّحم المرهفة - إذ ذاك، وعند تحلُّلها فإنّها تقلّص وتجفّف الوريدات القليلة، وتزمّ الأنسجة الحيّة إذا كانت أخشن، لكن إن لم تكن هكذا خشنة، تكون جافّة فقط. إنّ هذه الذرّات التي تفعل فعلها على هذه العروق الدقيقة كمادّةٍ مطهِّرة، وتطهّر سطح اللّسان بمجمله، فإنّها إذا فعلت ذلك بشكل مفرط، وبالتالي إذا تخطّت المألوف، بمعنى أن تستنفد جزءاً ما من اللّحم نفسه، مثلما يفعل البوتاس وكربونات السوديوم، إذا فعلت ذلك، فإنّها تسمّى كلّها مرّة. غير أنّ الذرّات التي تكون ناقصة في نوعيّة القلويّة، والتي تطهّر بشكلٍ معتدلٍ فقط، تسمّى أملاحاً، وهي ليس لديها مرارة أو خشونة، وتعتبر مقبولة بالأحرى بدلاً من اعتبارها غير ذلك. أمّا الأجسام التي تشترك في النعومة وتُجعل ناعمة بحرارة الفم، والتي تكون مصابة بالتهاب، فإنّها تجعل الأشياء

التي تعطيها الحرارة ملتهبة بدورها مرّة ثانية. أمّا الأجسام التي تكون هكذا خفيفة إلى حدّ أنّها تُحمل إلى أعلى إلى حواسّ الرأس وتقطع كلّ الذي يعترض طريقها، فتدعى أجساماً مستدقّة الرأس بسبب هذه النوعيّات التي فيها. هناك ذرّات أخرى، هي التي نُقّيت بالتعفّن سابقاً، وهي تدخل في العروق الدقيقة الضيّقة. وكونها متّسقةً مع ذرّات التراب والهواء الموجودة هناك على نحوٍ وافٍ، فإنّها تجعلها تدور بعضها حول بعض، وهكذا تشكّل تجويفات محيطة بالذرات التي دخلت ـ وتلك الأوعية المائيّة للهواء تكون أجساماً كرويّة مجوّفة من الماء « لأنّ طبقة رقيقة جدّاً من الرطوبة، أرضيّة بعض المرّات، وصافيةً مرّاتٍ أخرى، تكون منتشرة حول الهواء ». وتلك الطبقات الصافية منها تكون شفافة وتدعى فقّاعات، في حين أنّ تلك المؤلّفة من سائل ترابيّ، يكون في حالة إثارة عامّة وفوران، يقال إنّها تغلي أو تتخمّر؛ ـ ويدعى سبب كلّ هذه الانفعالات حامضاً أو مادّة حمضيّة. وهناك التأثير المضادّ الناشيء عن سبب معاكس، عندما تُغمر كتلةُ للذرّات الداخلة في رطوبة الفم، فإنّها تتجانس مع اللّسان، وتصقل وتلطّف وتزيّت فوق الخشونة، وترخّي الأجزاء التي تقلّصت بشكل غير طبيعيّ، وتقلّص الأجزاء المتراخية، وترتّبها كلّها طبقاً لطبائعها؛ ـ إنّ ذلك النوع من معالجة التأثيرات العنيفة يكون لذيذاً وسائغاً لكلّ إنسان، وله الإسم الحلو الطّعم. لكن كفاية من هذا.

إنّ عضو الشمّ لا يقبل بتباينات من هذا التّوع؛ لأنّ كلّ حواسّ الشمّ هي ذوات طبيعة متشكّلة نصفيّاً، ولا يكون عنصر كهذا مناسباً لامتلاك أيّ شمّ. إنّ العروق حول الأنف ضيّقة جدّاً لتسمح للتّراب والهواء بالدخول، وواسعة جدّاً كي تعوق النار والهواء؛ ولهذا السبب فلا أحد يتلقّى الشمّ لأيٍّ منها. لكنّ الروائح تنشأ عن الأجسام التي تكون رطبة، أو عفنة، أو

مائعة، أو متبخّرة، وتُدرَك حسيّاً في الحالة الوسط فقط، عندما يكون الماء متغيّراً إلى هواء والهواء إلى ماء؛ وتكون كلّها إمّا بخاراً أو سديماً. وذلك الذي يتحوّل من هواء إلى ماء يكون سديماً، وذلك الذي يتحوّل من ماءٍ إلى هواء يكون بخاراً. ومن ثمّ فإنّ كلّ الروائح تكون أرقّ من الماء وأسمك من الهواء. والبرهان على ذلك هو أنّه عندما يكون هناك أيّ عائق يعيق التنفّس، ويسحَب إنسان نَفسَه إلى الداخل بالقوّة، حينئذ، فلا رائحة ترشح إلى الداخل، لكنّ الذي يُدخَل هو الهواء بدون رائحة. وهكذا فإنّ نوع الروائح ليس له إسم، وهي لا تمتلك أنواعاً عديدة أو محدّدة وبسيطة؛ بل إنّها تكون متميّزة كأنّها مؤلمة أو سارّة فقط، أحدها يثير ويزعج الفجوة كلّها المركّزة بين الرأس والسُرّة، والآخر لديه تأثير ملطف، ويعيد هذه المنطقة عينها إلى حالة مقبولة وطبيعيّة.

دعنا نأخذ ظاهرة التنفّس بعين الاعتبار مرّة ثانية، ونحقّق في الأسباب التي سبّبته وما هي. إنّ الأسباب هذه هي كما يلي: - مع ملاحظتنا أنّه لا يوجد هكذا شيء كالخلاء الذي يستطيع أيٌّ من تلك الأشياء التي تتحرّك أن يدخله، ويكون النَّفَس محمولاً منا وبنا إلى الهواء الخارجيّ، فإنّ النقطة الرئيسيّة التالية هي، مثلما سيكون واضحاً لكلّ شخص، هي أنّ هذا النَّفَس لا يدخل في حيّزٍ فارغ، بل إنّه يدفع جاره خارج مكانه، وذلك الذي يندفع خارجاً يدفع جاره خارجاً بدورِهِ. وبهذه الطريقة فإنّ كلّ شيء يأتي دائريّاً أخيراً لذلك المكان الذي يخرجِ النَّفَسُ منه بالضرورة، ويدخل من هناك، ويملأ الحيّز الخالي بتتبّعه للنَّفَس؛ وتستمرُّ العملية مثل دوران العَجَلة، لأنّه لا يمكن أن يكون هناك شيء كالخلاء. وهكذا فإنّ مُقدَّم الرئتين أيضاً، عندما يقذف النَّفَس، فإنّه يزوّد بالهواء مرّة ثانية، وذلك الهواء الذي يحيط بالجسد والذي يدخل فيه من خلال ثقوب اللّحم ويُدفع إلى الأمام دائريّاً في دائرة.

ومرّة ثانية، إنّ الهواء الذي أبعد وخرج من خلال الجسد، أجبَر النَّفَس على الدخول من خلال مسلك الفم والمنخرين. وبعدُ فإنّ أصل هذه الحركة يمكن افتراضها أنها تكون كما يلي: إنّ الجزء الأكثر حرارة في داخل كلّ حيوان هو ذلك الذي يكون حول الدّم والأوردة؛ إنّه يكون في طريقة نافورة داخليّة من نار، التي قارناها بشبكةٍ من الشَّرَك، كونه محاكاً كلّه من نار وممتدّاً خلال وسط الجسم، في حين أنّ الأجزاء الخارجية تتألّف من الهواء. ويجب علينا الآن أن نعترف أنّ الحرارة تتقدّم نحو الخارج بشكلٍ طبيعيّ إلى مكانها الخاصّ بها وإلى عناصرها الشقيقة. وكما أن هناك مخرجين اثنين للحرارة، أحدهما خارج من خلال الجسم، والآخر من خلال الفم والمنخرين، فإنّ هذه الحرارة عندما تتحرّك نحو أحدهما، تدفع الهواء دائريّاً في الآخر، وذلك الذي يُدفع دائريّاً يقع في النار ويصبح حارّاً، وذلك الذي ينتشر يكون بارداً. لكن عندما تغيّر الحرارة مكانها وتصبح الذرّات في المدخل الآخر أكثر حرارة بالتدريج، فإنّ الهواء الأكثر حرارة المنحدر في تلك الناحية يُحمل نحو عنصره الطبيعيّ، وتدفع النار الهواء دائريّاً بواسطة الهواء الآخر. وكون هذا الهواء متأثراً بالطريقة عينها، وناقلاً الاندفاع عينه، تسيطر حركة دائريّة جيئة وذهاباً وتُسبّب بالعمليّة المضاعفة التي نسمّيها نحن الشهيق والزفير.

إنّ ظاهرة المعالجة بالحجامة الطبيّة « كاسات الهواء » وبلع الشراب وقذف الأجسام، سواء إذا أُفرِغت في الهواء أو دُحرِجت على طول الأرض، يجب التحقيق فيها على القاعدة عينها؛ وكذلك الأصوات السريعة والبطيئة التي تظهر عالية ومنخفضة، والتي تكون متنافرة وصاخبة بعض المرات بسبب عدم تناسقها، وتبدو من ثمّ متناغمة مرّة ثانية بسبب تساوي الحركات التي تثار فينا. عندما تبدأ حركات الأصوات الأسرع السابقة في التوقّف مؤقتاً وتكون الاثنتان متساويتين، فإنّ الأصوات الأبطأ تتخطّى الأصوات الأسرع وتسيّرها

حينئذ. وعندما تتجاوزها فإنّها لا تُدخِل عنوةً حركة جديدة ومتضاربة، لكنّها تُحدث بدايات الحركات الأبطأ التي تعوِّض عن الحركات الأسرع حينما تزول، وهكذا مسبِّبةً صياغة مختلطةً مفردةً من الأصوات العالية والمنخفضة. التي تنشأ اللذّة منها والتي يشعر حتّى الأحمق بها، كونها تقليداً للإيقاع والتناغم الإلهيّ في الحركات الفانية. أكثر من ذلك، وفيما يخصّ انسياب المياه، فإنّ حدوث الصاعقة والأعاجيب التي نلاحظها بشأن تجاذب الكهرمان وأحجار الهيراكلين ـ أليس هناك أيّ إفتتانٍ في أيّة حالة من هذه الحالات؟؛ لكن من يحقّق بصدق، سيجد ظاهرة رائعة تُعزى لحالاتٍ محدَّدة، ـ في عدم وجود الخلاء، وحقيقة أنّ الأشياء تدفع بعضها دائريّاً وتغيّر مكانها، مارّة إلى أماكنها المحدَّدة على التوالي وذلك عندما تُقسَّم أو حينما تُركَّب.

هكذا هي طبيعة الزفير وهكذا تكون أسبابه، كما قد رأينا، ـ إنّه الموضوع الذي نشأ فيه هذا البحث. إنّ النار تقطِّع الغذاء وبتتبعه للنَّفَس يمرِّر في الداخل. النار والنَّفَس يحدثان معاً ويملآن العروق، وبارتفاعهما خارج البطن يجعلان أجزاء الغذاء المقطَّعة تتدفّق فيها. وهكذا فإنّ أقنية الغذاء تبقى جارية خلال الجسد بمجمله في كلّ الحيوانات. وأمّا الشتلات النباتية الطازجة من الموادّ الشقيقة، سواء إذا كانت أثمار التربة أو أعشاب الحقول، التي غرسها الله الكريم لتكون غذاءنا اليومي، أمّا هذه النباتات فإنّها اكتسبت كلّ نوع من أنواع الألوان بسبب تمازجها. غير أنّ اللون الأحمر هو اللون الأكثر انتشاراً منها. إنّه نوعية أُوجِدت بفعل القطع التي تكون للنار وبالدمغة التي يسببها على المادّة الرطبة؛ ومن ثمّ فإنّ السائل الذي يدور في الجسم يمتلك لوناً كاللون الذي وصفناه، وهذا السائل نفسه نسمّيه نحن الدّم الذي يغذّي اللحم والجسم كلّه، ومن أجل ذلك فإنّ الأجزاء كلّها تلطّف وتملأ الأمكنة الخالية.

وبعدُ فإنّ عملية الامتلاء والتفريغ تتأثّر وفقاً لأسلوب الحركة العالميّة التي تُجذب بها كلّ المواد الشقيقة بعضها نحو بعض. لأنّ العناصر الخارجيّة التي تحيط بنا تفرض علينا استهلاك الغذاء على الدوام، وتوزّع وتبعث الشبيه إلى شبيهه؛ مثلما تكون محتواة في نوعٍ من السماء، إنّ هذه الذرّات تُجبر على تقليد حركة الكون. ولهذا السبب، فإنّ كلّ جزءٍ من الأجزاء المقسّمة فينا، كونه محمولاً إلى طبيعته الشقيقة، يملأ الخلاء ثانية. عندما يكون ما يؤخذ منّا أكثر من الذي يدخل فينا، فإنّنا نتلف حينها، لكن عندما يكون ما يؤخذ منا أقلّ، فإنّنا ننمو ونزداد. إنّ هيكل المخلوق كلّه يمتلك المثلثات جديدة من كلّ نوع، عندما يكون المخلوق فتيّاً، ويمكن أن يُقارن بسفينة مسطّحة القعر تكون خارج المخزون تماماً. إنّ هذه المثلّثات تكون مثبتة بإحكام، وبرغم ذلك، فإنّ الكتلة كلّها تكون ناعمة ورقيقة، كونها مصاغةً من نخاع العظم ومغذّاةً على الحليب. وبعدُ فإنّ المثلّثات التي يتألّف منها اللحم والشراب عندما تدخل من الخارج، وتشمل الجسم كلّه، كونها أقدم وأضعف من المثلّثات الموجودة هناك سابقاً، فإنّ هيكل الجسم يحصل على الأفضل منها ومثلّثاته الأجَدُّ تقطّعها إرَباً، وهكذا ينمو الحيوان ويصبح كبيراً، كونه مغذًّى بذرّاتٍ وافرة العدد متشابهة. لكن عندما تكون جذور المثلثات غير مربوطة بإحكام لأنّها أُخضِعت لعديدٍ من الصراعات مع أشياء عديدة في دورة الزمن، لذلك فإنّها لم تعد قادرة بعد اليوم أن تقطّع وتمثّل بالطعام الذي يدخل إلى الجسم، لكنّ هذه المثلّثات نفسها تقسّم بسهولة بواسطة الأجسام التي تدخل فيها. إنّ كلّ حيوان ينهك ويفسد بهذه الطريقة، ويدعى هذا التأثير الشيخوخة. وأخيراً، فإنّ الأربطة التي تتوحّد بها مثلّثات نخاع العظم لا تستمرّ ولا تصمد بعد اليوم، وتُفرّق بعنصر الوجود، وهي بدورها تفكّك أربطة الروح، والروح هذه تطير بعيداً بفرح، لحصولها على العتق. لأنّ ذلك

الذي يأخذ مكانه طبقاً للطبيعة يكون سارّاً، لكنّ ذلك الذي يكون معاكساً للطبيعة يكون مؤلماً. وهكذا فإنّ الموت إذا كان سببه المرض أو الجروح، يكون مؤلماً وعنيفاً؛ لكنّ ذلك النوع من الموت الذي يأتي مع سنّ الشيخوخة ويفي دين الطبيعة يكون أسهل الوفيّات، ويترافق مع اللذّة بدلاً من ترافقه مع الألم.

وبعدُ فإنّ أي شخص يستطيع أن يرى من أين تنشأ الأمراض. هناك طبائع أربعة يتألف الجسم منها، وهي التراب والنار والماء والهواء، وإنّ أيّ خللٍ أو إفراطٍ غير طبيعيّ من هذه الطبائع، أو أيّ تغيير لأيٍّ منها من مكانها الخاصّ بها إلى مكان آخر، أو ـ بما أنّ هناك أكثر من نوع واحد للنار أو للعناصر الأخرى ـ أقول، إنّ التولّي لأيٍّ من هذه الطبائع على النحو الخطأ، أو أيّ عدم نظام أو فوضى مشابهة، تسبّب الاضطرابات والأمراض. إذ حينما يُحدَث أو يتغير أيٌّ منها في أسلوبٍ مضادّ للطبيعة، فإنّ الأجزاء التي كانت باردة سابقاً تصبح حارّة، وتلك التي كانت جافّة تصبح رطبة، ويصبح الخفيف ثقيلاً، والثقيل خفيفاً؛ ويحدث كلّ نوع من أنواع التبدّل والتغيير. إذ، وكما نؤكّد يستطيع شيء أن يبقى الشيء عينه مع نفسه فقط، كاملاً وسليماً، عندما يضاف الشيء عينه إليه، أو يُسقط منه، في الصلة عينها وفي الأسلوب عينه وفي نسبة واجبة الأداء. إنّ أيّ شيء يأتي أو يذهب بعيداً في مخالفةٍ لهذه القوانين يسبب كلّ نوع من أنواع التبدل ويحدث أمراضاً وفسادات لا متناهية. وبعدُ هناك صنفٌ ثانٍ من أصناف البناءات الذي يكون طبيعيّاً أيضاً، ويقدم هذا الصنف فرصة ثانية في مراقبة الأمراض للذي سيفهمها. إذ لمّا كان نخاع العظم والعظم واللحم والأعصاب مركّبة من العناصر الأربعة، والدم مركّب منها أيضاً بطريقة مماثلة، ولو أنّ هذا الدّم رُكّب بطريقة أخرى، لمّا كان ذلك هكذا، فإنّ أكثر الأمراض تنشأ في

الطريقة التي وصفتها. لكنّ أسوأ الأمراض كلّها يدين عنفها إلى حقيقة أنّ نشوء هذه الموادّ يبدأ في نظام خاطىء؛ وهي تدمَّر بعدئذ. أمَّا النظام الطبيعي فهو أنّ اللحم والأعصاب ينبغي أن تُصنع من الدم، وأن تُصنع الأعصاب من الألياف المجانسة لها، وأن يُصنع اللحم من الكتل التي تشكّل عندما تكون الألياف منفصلة. أمّا المادّة اللزجة والغنيّة التي تأتي من الأعصاب واللحم، لا تكون وظيفتها أنّها تغرّي اللحم بالعظام فقط، بل هي تغذّي وتضفي النموّ على العظم الذي يحيط بنخاع العظم. وهناك جزء باقٍ هو المؤلّف من النوع الأنقى والأنعم والأكثر زيتيّة من أنواع المثلثات، الذي يرشح من خلال المادّة الصلبة للعظام، والذي يقطر منها كما يقطر النّدى ويرطّب ويلطّف نخاع العظم. والآن عندما تأخذ كلّ عملية مكاناً في هذا النظام، تُنتج الصحّة بشكل عام، وعندما يحدث العكس يتفشّى المرض. لأنّ اللحم عندما يصبح منحلاً ويعيد المادة الفاسدة إلى العروق، حينئذ، فإنّ كميّة زائدة من الدم من أنواع مختلفة، المختلطة بالهواء في العروق، الممتلكة ألواناً مرقّشة وخاصيّات مرّة ونوعيّات حامضة ومالحة، إنّ هذه الكميّة تحتوي على كلّ نوعٍ من أنواع الصفراء والمصل والبلغم. بما أنّ كلّ الأشياء تسير في الطريق الخطأ؛ وبما أنّها أصبحت فاسدة، فإنّها تفسد الدّم نفسه بادىء ذي بدء، وتتوقّف عن إعطاء الغذاء إلى الجسم والمحمول بالعروق في كلّ اتّجاه، ولا تصون نظام سيرها الطبيعيّ بعد اليوم، بل إنّها تكون في حرب مع نفسها، لأنّها لا تتلقّى أيّ خير من بعضها، وتكون معادية لبنية الجسم الثابتة كلّها، والتي تفسدها وتحلّلها. إنّ الجزء الأقدم من الجسم الذي تفسده، كونه صعب الانحلال، يصبح أسود من الاحتراق الطويل، ويصبح مرّاً من كونه متآكلاً في كلّ مكان، ويؤذي كلّ جزء من أجزاء الجسم الذي لم يفسد بعد. وبعض المرّات، عندما يُطرد العنصر المرّ بعيداً من

الجسم، فإنّ الجزء الأسود يتّخذ مادّة حمضيّة تأخذ مكان المادّة المرّة؛ وفي المرّات الأخرى فإنّ المادّة المرّة، كونها ملوّنة بالدم، فهي تمتلك لوناً أكثر احمراراً؛ وعندما تمتزج هذه المادة مع اللون الأسود تأخذ لون العشب الأخضر. ومرّة ثانية، فإن اللون الأسمر المحمر يمتزج بالمادة المرّة عندما يتحلل اللحم الجديد بالنار التي تحيط باللهب الداخليّ - ولربّما عيّن لكلّ هذه الأعراض طبيب ما، أو بالأحرى فيلسوف، يمتلك قوّة الرّؤية في الأشياء العديدة غير المتشابهة، أقول، لربّما عيَّن طبيعة واحدة تستحقّ إسماً، إنّ هذا الإسم هو إسم عامّ هو الصفراء. لكنّ الأنواع الأخرى من أنواع الصفراء تُميَّز بألوانها بشكلٍ منوَّع. وفيما يتعلّق بمصل الدم، إنّه ذلك النوع الذي يكون الجزء المائيّ من الدم البسيط، لكنّ ذلك الجزء الذي يكون قاتماً، وتكون المادّة الصفراء الحامضة منه ضارّة، عند مزجها بقوّة الحرارة مع أيّة مادّة مالحة، وتدعى البلغم الحامض عندئذ. مرّة ثانية، إنّ المادّة التي تتشكّل بتسييل اللّحم الجديد والطريّ عندما يكون الهواء موجوداً، والتي إذا ضُخّت وغُطّيت بسائل كي تشكّل فقاقيع هي المادّة التي لا تُرى نظراً لصغر حجمها كلاً بمفردها، لكنّها عندما تُجمَّع تكون ذات حجم مرئيّ، وتمتلك لوناً أبيض ناشئاً من ولادة الزّبَد - إنّ كلّ تحلّلات اللّحم الطريّ هذه التي تتمازج مع النفس نسمّيها بلغماً أبيض. لكنّنا ندعو ثفالة البلغم المتشكّل جديداً عرقاً ودموعاً؛ بالإضافة إلى كلّ شيء من ذلك النوع الذي يتحوّل الجسم فيه كلّ يوم. والآن فإنّ كلّ هذه الأشياء تصبح أسباباً للمرض، عندما لا يزخر الدّم مرّة ثانية بالغذاء والشراب بطريقة طبيعيّة، بل يكسب حجماً من أصول وينابيع مضادّة في مخالفة لقوانين الطبيعة. لذلك، عندما تُقطَّع أجزاء اللحم المتعدّدة بالمرض، لكنّ أساسها يبقى في الوقت عينه، فإنّ قوّة الفوضى تمتلك نصف قوّتها فقط، لأنّها تكون قادرة على استعادة

عافيتها. لكن عندما يتفشّى المرض بذلك الذي يربط اللّحم بالعظام، ولا يغذّي الدّم المتدفّق منه العظام ولا تربط الأعصاب اللحم، وبدل أن يكون اللّحم زيتيّاً وناعماً ولزجاً يصبح خشناً ومالحاً وجافّاً بسبب الحميّة السيّئة، حينئذ فإنّ المادّة كلّها المُفسَدَة هكذا تتفتّت تحت اللحم والأعصاب، وتنفصل عن العظم، وتتلاشى الأجزاء اللّحميّة عن قاعدتها وتترك الأعصاب عارية وممتلئة بماءٍ شديد الملوحة، ويدخل اللحم في دوران الدم مرّة ثانية، ويجعل الاضطرابات المذكورة سابقاً أكبر ممّا كانت. وإذا كانت هذه التأثيرات الجسديّة عسيرة، فإنّ الاضطرابات السابقة تبقى أسوأ منها؛ لكن هذا يأخذ مكانه عندما لا يحصل العظم نفسه على تنفّس كافٍ بسبب كثافة اللحم، بل إنّه يصبح متعفّناً وحارّاً وغنغرينياً ولا يتلقّى غذاء، وتُعكس العمليّة الطبيعيّة، وتتحوّل العظام المتعفّنة إلى الطعام، والطعام إلى لحم، واللّحم المنقسم إلى دمٍ مرّة ثانية بسبب كلّ العلل التي يمكن أن تُحدث أشياء أكثر خبثاً وسموماً من تلك التي ذُكِرت. لكنّ الحالة الأسوأ من الحالات كلّها تكون عندما يعتلّ نخاع العظم، إمّا من الإفراط أو من الخلل؛ ويكون هذا سبب كلّ الاضطربات العظيمة والأكثر هلاكاً، التي تُعكس فيها طريقة الجسم كلّه.

هناك صنف ثالث من أصناف الأمراض التي يمكن تصوّرها وكأنّها تنشأ من طرائق ثلاث. إنّها تحدث بالريح بعض المرّات وبالبلغم والصفراء مرّات أخرى، عندما تُسدُّ الرئة بسبب الزّكام وتصبح مسالكها غير حرّة، وهي التي تكون وعاء الهواء في الجسم، لذلك فإنّ واحدة منها تتعطّل. في حين أنّ الهواء يدخل كثيراً جدّاً من خلال الرئة الأخرى، لهذا السبب فإنّ الأجزاء التي لا تتجدّد بالهواء تتلف عندئذ، في حين أنّ زيادة الهواء في الأجزاء الأخرى، الشاقّ طريقه بالقوّة من خلال الأوردة يشوّهها، وبتحليله للجسد

يُحصَر في وسطه ويحتلّ الحجاب الحاجز. وهكذا فإنّ العديد من الأمراض المؤلمة تنشأ، يصحبها عرق غزير. وغالباً عندما يُحلَّل اللحم في الجسم، ينشأ الريح في الداخل ويصبح غير قادرٍ على الخروج، ويكون هذا الريح مصدراً للألم تماماً مثلما يكون الهواء الآتي من الخارج. لكنّ أعظم الآلام التي يشعر بها المريض تكون حينما ينتشر الهواء حول أعصاب وعروق الكتفين، ويجعلها متورِّمة. وهكذا فإنّ هذا الهواء يفتل أوتار الأعصاب الكبيرة التي تتّصل بهما إلى الخلف. وهذه الاضطرابات تدعى الكزاز وتدعى Opisthotonus، بسبب التوتّر الذي يصاحبها. إنّ الشفاء من هذه الأمراض صعب؛ وتُعطى الراحة ويُخفَّف التوتّر في أكثر الحالات بالحمّى التي تتبع. وبرغم أنّ البلغم الأبيض يكون خطيراً عندما يُحتجز في الداخل بسبب فقاقيع الهواء، فإنّه يستطيع أن يتّصل بالهواء الخارجيّ مع ذلك، ويكون أقلّ قساوة، وهو يغيّر لون الجسم فقط، محدثاً طفحاً جلديّاً حرشفيّاً وأمراضاً مماثلة. وعندما يُمتزج بالصفراء القاتمة ويُنشر حول مسالك الرأس، الذي هو الجزء الأكثر ألوهيّة فينا، فإن هذا الهجوم إذا أتى أثناء النوم لا يكون هكذا قاسياً؛ لكنّه عندما يغير بعنف على أولئك الذين يكونون مستيقظين فإنه لمن الصعب التخلّص منه. وكون هذا المرض تأثيراً من الجزء المقدّس، فإنّه يُدعى مقدَّساً بالعدل الأكثر. ويكون الحامض والبلغم المالح مرّة ثانية أصلاً لكل تلك الأمراض التي تأخذ شكل التهاب القناة التنفسيّة المصحوب بإفرازات مفرطة. غير أنّ لها عدّة أسماء لأنّ الأماكن التي تنساب إليها تكون مضاعفة.

تأتي التهابات الجسم من الحروق والتهيّجات، وتبتدىء كلّها في الصفراء. عندما تجد الصفراء وسيلة التفريغ، فإنّها تغلي وتطلق كلّ أنواع الأورام الخبيثة؛ لكنّها حينما تُحبس في الداخل تنشىء العديد من الأمراض الالتهابيّة،

وفوق كلّ ذلك عندما تمتزج .بالدّم النقيّ، بما أنّها تحلّ محلّ الأنسجة العضليّة حينئذ التي تكون مبعثرة حول الدّم وفيه ومصمّمة لتحافظ على توازن المخلخل والكثيف، وذلك كي لا يمكن للدّم أن يكون مسيّلاً بالحرارة كي لا ينضح من ثقوب الجسم، ولا أن يصبح كثيفاً جدّاً مرّة ثانية ومن ثمّ يجد صعوبة في الدوران خلال العروق. إنّ الأنسجة العضليّة مؤلفة هكذا لتحافظ على هذا التوازن والاتّساق؛ وإذا أحضرها أيّ شخص كلّها معاً عندما يكون الدّم جامداً وفي حالة التبريد، حينئذ، فإنّ الدّم الذي يبقى يصبح سائلاً، لكنّه إذا تُرك وشأنه، فإنّه يُخثّر قريباً بسبب البرد المحيط به. إنّ الأنسجة العضليّة لها من القوّة فوق ما للدّم، أمّا الصفراء التي تكون دماً مُوهَناً، والتي من كونها لحماً، تُحلَّل في الدّم مرّة ثانية، وتُخثَّر بقوّة الأنسجة العضليّة حين التدفّق الأوّل للدّم الداخل شيئاً فشيئاً، حارّاً وسائلاً؛ وهكذا متخثّرة ومسبّبة كي تبرد، تحدث في الجسم برداً داخليّاً وارتعاداً. وعندما تدخل الصفراء هذه بفيضانٍ أكثر وتقهر الأنسجة العضليّة بحرارتها وتحوّلها بغليانها إلى الفوضى، وإذا كان لديها كفاية من القوّة كي تحتفظ بسيادتها، إذا حدث كلّ ذلك، فإنّ الصفراء تخترق نخاع العظم وتحرق ما يمكن أن يسمى بحبال الروح، وتعتقها بإطلاق سراحها. لكن عندما لا يكون هناك الكثير منها، وبرغم أنّ الجسم المصاب بالهزال يبقى متماسكاً، فإنّ الصفراء نفسها تُقهَر، وإمّا تُفصَّدُ من الجسد كلّه، أو أنّها تُدفَع من خلال العروق إلى البطن الأسفل أو الأعلى، وتُطرَدُ من الجسم مثلما يُطرَد المبعد من دولة حلّت بها حرب أهليّة؛ لذلك ينشأ الإسهال والديزنطاريا، وكلّ تلك الاضطرابات والفوضى. وعندما تعتلّ بنية الجسم بزيادة النار، فإنّ الذي سيُنتج يكون حرارة وحمّى متواصلتين. وعندما يكون السبب زيادة من الهواء، فإنّ الحمّى ستكون يوميّة حينئذ، وحينما يكون زيادة من الماء، الذي هو مادّة أكثر

ركوداً من النار والهواء كليهما، فإنّ الحمّى تكون ثلثيّة عندئذ. وحينما يكون السبب زيادة من التراب الذي هو المادة الأكثر ركوداً من المواد الأربع، والذي يُزال بعيداً في فترة رباعيّة، تكون النتيجة حمّى رباعيّة، والتي لا يُستطاع التخلّص منها إلاّ بصعوبة.

هكذا هو النمط الذي تنشأ عنه أمراض الجسم. أمّا اضطرابات وعلل الروح، التي تعتمد على الجسد، فإنّها تنشأ كما يلي: يجب أن نعترف بأنّ مرض العقل هو افتقار للفهم؛ وهناك نوعان اثنان من هذا المرض لسلامة العقل وهما الجنون والجهل. ومهما تكن الحالة التي يختبر الإنسان أيّاً منهما، فإنّ تلك الحالة يمكن أن تُدعى مرضاً. يجب اعتبار الإفراط في الآلام والملذّات وبعدل، يجب اعتبارها كأنّها أعظم الأمراض التي تتعرّض لها الروح، لأنّ الإنسان الذي يكون في فرح عظيم أو في ألم كبير، وفي شوقه اللاعقلانيّ للوصول إلى أحدهما وتفادي الآخر، إنّ هذا الإنسان لا يقدر أن يرى أو يسمع أيّ شيء بصدق، بل إنّه يكون مجنوناً، ويكون في الوقت نفسه غير قادر على أيّ اشتراك في العقل بشكل مطلق. إنّ من يمتلك المنِيّ حول النخاع الشوكي وافراً وفائضاً جداً، مثل شجرة مثقلة بالفاكهة ولديها العديد من الأمراض المبرحة، والذي يكون مخبّلاً في الجزء الأكبر من حياته، لأن ملذّاته وآلامه تكون عظيمة جدّاً؛ إنّ مَنْ يكون هكذا حاله فإنّ روحه تُصيَّر غبيّة ومشوّشة بواسطة جسده. وبرغم ذلك لا يُعتبر كشخص ممروض، بل كرجل يكون سيّئاً باختيار، وذلك هو الخطأ. الحقيقة أنّ الإفراط الجنسيّ هو مرض للروح وهو ناشيء عن الرطوبة والسيولة بشكلٍ رئيسيّ، اللذين يُنتجان في واحدٍ من العناصر بسبب التماسك المتقلقل للعظام. وبشكل عامّ، فإنّ كلّ ذلك الذي يُدعى غُلْمَة اللذة ويُعتبر خِزياً تحت فكرة أنّ الخبيث يفعل الخطأ باختياره، إنّ هذه القضيّة ليست مسألة عارٍ بعدل. إذ لا إنسان يكون

سيّئاً باختياره، لكنّ السيّىء يصبح سيّئاً بسبب النزعة المريضة للجسم، وبسبب التعليم الرديء، وبسبب الأشياء التي تكون مكروهة بكلّ إنسانٍ وتحدث له ضدّ إرادته. وفي نمطٍ مماثل وفي حالة الألم، فإنّ الروح تقاسي شرّاً أكثر ممّا يقاسيه الجسم، إذ حيث تطوف الحموضة والبلغم المالح والأخلاط الأخرى المرّة منها والصفراويّة في الجسم، ولا تجد خروجاً منه أو مهرباً، بل إنّها تميل للبقاء في داخله، ويختلط بخارها الخاصّ بها مع حركات الروح ويمتزج معها، عندما يحدث ذلك، فإنّه ينتج كلّ نوع من أنواع الأمراض، قليلها أو كثيرها، وفي كلّ درجة من درجات الحدّة. وكون هذه الأخلاط منقولة إلى أماكن الروح الثلاثة، وأيّما شيء يمكن أن يغير عليها على التوالي، فإنّ هذه الأخلاط تخلق أنواعاً لا متناهية من حدّة وسوء المزاج والسوداء، من التسرّع والجبن، ومن النسيان والغباء أيضاً. وأبعد من ذلك، فإنّه عندما يُضاف إلى بنية الجسم السيّئة هذه أشكال الحكومة السيّئة، ويُنطق بمحادثات رديئة في السرّ كما في العلن، ولا يُعطى أيّ نوع من أنواع التعليم في سنّ الشباب كي يُشفي هذه الشرور، حينئذ، فإنّنا جميعاً نكون أشراراً. نصبح كذلك بسببين اثنين يكونان ما وراء سيطرتنا بشكل تامّ، وفي تلك الحالات يجب أن يُلام الغارسون على الأصحّ، بدلاً من إلقاء اللّوم على الأغراس، وعلى مَنْ يعلّم بدلاً من الذين يتعلّمون، لكن مهما كان ذلك، يجب علينا أن نكافح بالتعليم قدر ما نستطيع، وكذلك بالإقناع وبالعلم، كي نتفادى الرذيلة وننال الفضيلة. إنّ هذا الموضوع هو جزء من موضوع آخر، على كلّ حال.

هناك تحقيق متشابه فيما يتعلّق بأسلوب المعالجة التي يجب وقاية العقل والجسم بها، وكذلك بشأن الذي يكون ملائماً وصحيحاً والذي يجب أن أقول عنه كلمة بالمقابل. إنّه يكون أكثر كواجب علينا أن نتكلم عن الخير

بدلاً من التكلّم عن الشرّ، إنّ كلّ شيء يكون خيّراً يكون عادلاً وجميلاً، ولا يكون العادل بدون التناسق، والحيوان الذي يكون عادلاً يجب أن يمتلك اتّساقاً مناسباً. وبعدُ فإنّنا نتلقّى تناسقات وتناسبات بشأنها، لكنّنا لا نعطي أيّ انتباه للأسمى والأعظم، إذ لا يوجد تناسب أو تفاوت أكثر تسبيباً للصحّة والمرض، والفضيلة والرذيلة، من الذي يكون بين الروح والجسم نفسيهما. وعلى كلّ حال، فإنّ الذي لا نتلقّاه ولا نتأمّله مليّاً وهو أنّه عندما يكون الهيكل هيكلاً صغيراً أو ضعيفَ العربة لروحٍ عظيمة وجبّارة، أو بالعكس، حينئذ، فإنّ الحيوان كلّه لا يكون عادلاً أو جميلاً، لأنّه يفتقر إلى الشيء الأكثر أهميّة من كلّ التناسقات. لكنّ التناسق المناسب للعقل والجسم هو الأبهج والأجمل من المناظر كلّها لمن يمتلك عيوناً لترى. تماماً كما يكون جسم الذي يمتلك ساقاً طويلة جدّاً، أو الذي يكون غير متناسق في وجهةٍ ما أخرى، ويكون هذا المنظر منظراً غير سارّ، وأيضاً عندما يؤدي شخص حصّته من العمل، ويكون عمله موجِعاً ويقوم بإجهادات غير سارّة، ويتعثّر غالباً بسبب افتقاره للتناسب، ويكون هذا سبباً لشرور لا متناهية لنفسه الخاصّة به - ونحن يجب أن نتصوّر ما نتصوّره عن الطبيعة المزدوجة للذي ندعوه بالمخلوق الحيّ في نمطٍ مماثل. وعندما تكون في هذا التركيب روح متّقدة لها من القوّة أكثر ممّا للجسم، أقول، إنّ تلك الروح تُحدِث اضطراباً عظيماً وتملأ الطبيعة الداخليّة للإنسان كلّها بالشّغب. وعندما تشتاق هذه الروح لتعقّب نوع ما من أنواع التعليم أو الدرس، فإنّها تسبّب الضياع، ومرّة ثانية، فإنّه عندما ينشأ التعلّم والجدال في الشيء الخاصّ والعامّ، وكذلك في النزاعات والخلافات، فإنّها تلهب وتحلّل هيكل الإنسان المركّب وتولج فيه الزكام. إن طبيعة هذه الظاهرة لا تُفهم من قِبَل أكثر أساتذة الطبّ الذين ينسبونها إلى ما يكون مضادّاً للسبب الحقيقيّ. ومرّة ثانية، عندما يتّحد

جسم كبير وقويّ جداً للروح بعقل صغير وضعيف، حينئذ، فإنّه بقدر ما توجد رغبتان اثنتان طبيعيتان لإنسان، - إحداهما للغذاء من أجل الجسم، وأخرى للحكمة من أجل الجزء الإلهيّ منا، أقول عندئذ، إنّ حركات اللذّة الأقوى، كاسبة وزائدة قوّتها بالطريقة الأفضل، غير أنّها جاعلة الروح بليدة وغبيّة وناسية، لهذا، فإنّها تحدث لها الجهل الذي هو أعظم الأمراض على الإطلاق. هناك حماية واحدة ضدّ كلا النوعين من أنواع اللاتناسب: - ينبغي علينا أن لا نحرّك الجسم بدون الروح أو الروح بدون الجسم، وهكذا فإنّهما سيكونان يقظين أحدهما ضد الآخر، ويكونان متعافيين ومتوازيين جيداً ولهذا السبب فإن عالم الحساب أو أيّ عالِم آخر أفكاره ممتصة جداً في تعقّبٍ عقلانيٍّ ما، إنّ هذا العالِمَ يجب أن يسمح لجسده أيضاً كي يحصل على التمرين الواجب الأداء، وأن يمارس الألعاب الرياضيّة. والذي يهتمّ بصياغة الجسد، يجب أن ينقل إلى الروح حركاتها المناسبة بالمقابل، وينبغي أن يكرّس نفسه للفنون والفلسفة كلّها، إذا كان سيستحق أن يُسمّى عادلاً بحقّ، وخيّراً بصدق. ويجب أن نعالج الأقسام المنفصلة بالطريقة عينها، في تقليدٍ لنموذج الكون، إذ مثلما يُسخَّن الجسد ويُبرَّدُ في الداخل بالعناصر التي تدخل إليه أيضاً، ويُجفَّف ويُرطَّب بالأشياء الخارجية مرّة ثانية، وتُختبر هذه الأشياء والتأثيرات المشابهة للحركة من كلا النوعين، فالنتيجة تكون أنّ الجسم إذا استسلم للحركة، عندما يكون في حالة هدوء، يُقهر ويُدمَّر، لكن إذا لم يسمح أيّ شخص للجسم كي يكون غير فعّالٍ أبداً، في تقليد لذلك الذي نسمّيه الأمّ المرضعة وممرّضة الكون، بل يُسبب هذا الجسم الحركات والاهتياجات على الدوام من خلال مداه كلّه، التي تشكل دفاعاً طبيعيّاً ضدّ الحركات الأخرى الداخليّة منها والخارجيّة، وتنقّص بالتمرين المعتدل كي تنظم الذرّات والتأثيرات الداخلية منها والخارجيّة التي تطوف حول الجسم

طبقاً لصلاتها، كما قلنا مسبقاً عندما تكلّمنا عن العالم، أقول، إنّ هذا الشخص لن يسمح للعدوّ أن يقابل العدوّ كي يثير حروباً وشغباً في الجسم، بل إنّه سيضع الصديق بجانب الصديق، وذلك كي يخلق الصحّة. وبعدُ فإنّ كلّ الحركات الأفضل التي تُسبَّب في شيء بنفسه، تكون الأكثر مجانسة لحركة الفكر وحركة الكون. لكن الحركات التي سبّبها الآخرون لا تكون حركات جيدة، وتكون الأسوأ منها كلّها تلك الحركات التي تحرّك الجسم، عندما يكون في هدوء، تحرّكه في أجزاء منه فقط وبقوّة خارجيّة ما. ومن أجل ذلك فمن بين كلّ الأساليب الأفضل لتطهير وتوحيد الجسم مرّة ثانية تكون الألعاب الرياضية؛ وأمّا الأساليب الأفضل التالية فهي الحركة الطامية؛ كما هي في الإبحار أو في شكل آخر من أشكال التفريغ الذي لا يكون مرهِقاً. ويمكن أن تكون الحركة الثالثة ذات نفع في حالة الضرورة القصوى. لكن لا إنسان ذا إدراكٍ سيختار أيّ حركة من الحركات الأخرى، أعني المعالجة المسهّلة التي يستعملها الأطبّاء، لأنّ الأمراض يجب أن لا تثار بالدواء إلاّ إذا كانت أمراضاً خطيرة جداً، بما أنّ كلّ شكل من أشكال المرض يكون مجانساً للمخلوق الحيّ إلى درجة ما، هذا المخلوق الذي يمتلك هيكله المعقَّد أجلاً محدّداً من الحياة. إذ ليس الجنس كلّه فقط، بل كلّ فرد ـ ما عدا الحوادث المفاجئة المحتومة ـ يأتي إلى العالم وله مدّة من الحياة محدَّدة، وتكون المثلّثات فينا مصاغة بقوّة كي تبقى لمدَّةٍ محدَّدة بشكل رئيسيّ، ما وراء النطاق الذي لا يستطيع إنسان أن يطيل أمد حياته. ويثبت هذا أيضاً عن تكوين الأمراض؛ وإذا حاول أيّ شخص أن يخفّف الأمراض ويخضعها بالدواء من غير اعتبار للوقت المحدَّد، فإنّه يفاقمها ويضاعفها فقط. لذلك، يجب علينا أن نسوسها بالحميّة، بقدر ما يستطيع إنسان أن يوفّر الوقت، وأن لا يثير عدوّاً سيِّىء الطبع بالأدوية.

كفاية عن الحيوان المركّب، وعن الجسم الذي يكون جزءاً منه، وعن الأسلوب الذي يمكن لإنسانٍ أن يدرِّب وأن يتدرَّب بنفسه لكي يعيش حياة طبقاً للعقل بالشكل الأكثر. ونحن يجب علينا فوق وقبل كلّ شيء أن نحتاط من أنَّ العنصر الذي سندرّبه سيكون العنصر الأعدل والأفضل فينا تهيّؤاً لهذا الغرض. إنّ دقيقة بحثٍ عن هذا الموضوع ستكون عملاً شاقّاً وخطيراً. لكنّني إن كنت سأعطي موجزاً فقط، مثلما فعلت قبلاً، فيمكن أن يُلخَّص الموضوع بشكل غير مناسب كما يلي:

غالباً ما قدّمت ملاحظة أن هناك ثلاثة من أنواع الروح مقيمة في داخلنا، كلّ واحد منها يمتلك حركات، ويجب عليَّ أن أكرِّر الآن بالكلمات الأقلّ إمكاناً ما قلته، إنّ جزءاً واحداً منها يجب أن يصبح ضعيفاً جدّاً بالضرورة، إذا بقي غير ناشطٍ ومنقطع عن حركته الطبيعيّة. لكن ذلك الجزء الذي يُدرَّب ويُمرَّن، فإنّه قويّ جداً. لذلك ينبغي أن نحاذر من أنّ حركات الروح المختلفة يجب أن تكون حركات في اتّساقٍ مناسب.

ويلزمنا أن نأخذ بعين الاعتبار أنّ الله جلَّ مجده أعطى الجزء الرئيسيّ للروح الإنسانية كي يكون الجزء الألوهي في كل شخص، كون ذلك الجزء هو الذي يسكن في قمّة الجسم، كما نقول، وبقدر ما نكون نحن غرسة إلهيّة ليست ذات نشوء أرضيّ بل ذات نشوء إلهيّ، فإنّ الله القدير يرفعنا عن الأرض إلى أشقّائنا الذين يكونون في السماء. ونقول ما نقوله بصدق في هذا، لأنّ القوّة الإلهيّة فصلت الرأس وقاعدتنا مؤقتاً عن ذلك المكان حيث بدأ نشوء الروح أوّلاً، وهكذا فإنّه وضع الجسد كلّه منتصباً. عندما يكون إنسان منهمكاً في التوق الشديد للرغبة والطموح على الدوام، ويكون مكافحاً لإشباع لذّته ورغبته بشوق، فإنّ كلّ أفكاره يجب أن تكون أفكاراً مهلكة، وأن تصبح هكذا كلّها معاً بقدر ما يكون ذلك ممكناً، ويجب أن

يكون صاحبها فانياً بكلّ ذرّة من ذرّاته، لأنّه عزّز الجزء الفاني منه. لكنّ الإنسان الذي قد كان جادّاً في حبّ المعرفة والحكمة الحقيقيّة، والذي استخدم فكره وذكاءه أكثر من أيّ جزء آخر فيه، هو الذي يجب أن يمتلك أفكاراً خالدة وإلهيّة، إذا وصل إلى الحقيقة. وبقدر ما تكون الطبيعة الإنسانيّة قادرة على المشاركة في الخلود، ينبغي أن يكون هو خالداً بكلّ ما في الكلمة من معنى. وطالما يعزّ هو السلطة الإلهيّة، ويمتلك الإلهيّة بداخله في نظام تامّ، فإنّه سيكون سعيداً على نحو استثنائيّ وفريد. وبعدُ فإنّ هناك طريقة واحدة لتولّي رعاية الأشياء، وهذه الطريقة هدفها أن تعطي لكلّ شيء الغذاء والحركة التي تكون طبيعيّة له. إنّ الحركات التي تكون مماثلة للمبدأ الإلهيّ في داخلنا بشكل طبيعيّ هي الأفكار ودورات الكون. ويلزم كلّ إنسان أن يتبع هذه الأفكار والحركات، وبتعلّمه لتناغم وتناسب حركات الكون، يجب عليه أن يصحّح سُبُل الرأس التي أُفسِدت عند ولادتنا، وينبغي أن يشبّه تفكير المخلوق إلى الفكر، مجدّداً طبيعته الأصليّة، وعند تشبيهه لها يمكنه أن يصل إلى تلك الحياة الأفضل التي وضعتها الآلهة أمام الجنس البشريّ، للزمن الحاضر والمستقبليّ على حدّ سواء.

وهكذا فإنّ تصميمنا الأصليّ فيما يتعلّق بالبحث بشأن الكون نزولاً إلى إبداع الإنسان قد أُتمّ تقريباً، بقدر ما يسمح الموضوع بالإيجاز. ومناظرتنا ستدرك تناسقاً مناسباً في نمطٍ مماثل. ويمكن تقديم الملاحظات التالية عن موضوع الحيوانات بعدئذ. وأمّا عن الرجال الذين أتوا إلى العالم، فإنّ أولئك الذين كانوا جبناء منهم أو عاشوا حيوات آثمة، يمكن افتراضهم بالعقل أنّهم تحوّلوا إلى طبيعة النّساء في الولادة الثانية. وكان هذا هو السبب الذي من أجله أبدعت الآلهة فينا رغبة الاتّصال الجنسيّ في ذلك الوقت، مستنبطين في الرجل مادّة واحدة مفعمة بالحيويّة والنشاط، وفي المرأة مادّة أخرى، تلك

المادتان اللتان صاغتهما بالطريقة التالية على التوالي. وهكذا صاغت الآلهة مخرج الشراب الذي مرّت السوائل بواسطته من خلال الرئة إلى الكليتين والمثانة، التي تلقّتها وقذفتها بواسطة ضغط الهواء حينئذ، لكي تتغلغل في جسم نخاع العظم، التي مرّت من الرأس في موازاة العنق ومن خلال الظهر، والتي سمّيناها المنيّ في البحث السابق. والمنيّ الممتلكة للحياة، والمصبحة موهوبة بالتنفّس، تنتج في ذلك الجزء الذي يتنفّس رغبة مفعمة بالحياة للانبعاث، وهكذا يُخلق فينا حبّ الإنجاب. ومن أجل ذلك أيضاً فإنّ عضو الذكورة في الرجال وقد أصبح متمرّداً ومستبدّاً، مثل حيوان عاصٍ للعقل، ومخبّلٍ بوخز الشهوة، يسعى للحصول على السيطرة المطلقة؛ وتكون الحالة عينها مع الذي يسمّى رحم المرأة أو مادّة النسيج البيخَلَويّة للنساء. إنّ الحيوان بداخله يكون توّاقاً لإنجاب الأطفال، وعند بقائه عقيماً لوقت طويلٍ ممتدٍّ ما وراء زمنه المناسب، يصبح ساخطاً وغاضباً، ومتلوياً في كلّ ناحية خلال الجسد. لهذا، فإنّه يغلق بذلك ممرّات التنفس، وبإعاقته لعمليّة التنفّس هذه، يدفع بها إلى أقصى درجات الانفعال أو الألم، مسبّباً كلّ نوع من أنواع الأمراض، إلى أن تُستخرج الرغبة وتزرع في الرحم حيوانات غير مرئيّة بسبب صغرها، كما تُزرع البذرة في الحقل، وكذلك لأنها لا شكل لها. وتُفصل هذه الحيوانات مرّة ثانية وتنضج في الداخل، وتخرج بعدئذ إلى النور بشكل نهائيّ، وهكذا فإنّ ولادة الحيوان تكون متمّمة.

هكذا خُلقت النسَاء والجنس الأنثوي بشكل عامّ. لكن جنس الطيور صيغ خارج الرّجال الأبرياء الطائشين، الذين تصوّروا ببساطتهم، وبرغم أنّ الدليل الأنقى للأشياء العالية كان ليتمّ الحصول عليه بواسطة البصر؛ وهؤلاء غُيِّر تركيبهم وحُوِّلوا إلى طيور، ونبت على أجسادهم الريش بدلاً من الشعر. ومرة ثانية أتى جنس الحيوانات البريّة الراجلة الذي لم يمتلك فلسفة في أيّ فكر من فكره، ولم يتأمل مليّاً بشأن طبيعة السماوات على الإطلاق، لأنّه

كفّ عن استعمال سُبُل الرأس، ولكنه تبع هداية تلك الأجزاء للروح والتي تكون في الصدر. ونتيجة لهذه العادات الموجودة فيه فإنّ قوائمه الأماميّة ورؤوسهِ استندت على الأرض التي تُجذب نحوها بصلةٍ طبيعيّة. وكانت تيجان رؤوسه مطوَّلة بكلّ نوع وكلّ شكل، والتي سُحِقت في طرائق الروح بسبب إهماله. وكان هذا هو السبب الذي من أجله خُلِقَت الحيوانات ذات الأرجل الأربع والكثيرة الأقدام. ووهب الله العليّ الأكثر فقدانا للحسّ منها، وهبها الأكثر دعماً وذلك كي يمكنها أن تكون أكثر انجذاباً إلى الأرض. وصنع الأكثر غباءً منها، الحيوانات التي دبَّت على الأرض بشكل كامل ولم تعد لها أيّة حاجة للأقدام بعد اليوم، صنعها بدون أقدام كي تزحف على الأرض. أمّا الصنف الرابع فكان صنف قاطني المياه: صُنعت هذه الأصناف من خارج الأصناف الأكثر انعداماً للحسّ وأكثرها جهلاً مطبقاً، والتي لم يفكِّر محوّلوها بأنّها جديرة بأيّ تنفّسٍ نقيّ بعد اليوم لأنّها امتلكت روحاً صُنِعت غير طاهرة بكلّ نوع من أنواع الخطيئة. وبدلاً من إعطائها مادّة الهواء رقيقة وصافية، فإنّهم منحوها البحر العميق الموحل ليكون مادّة تنفسها. ومن ثمّ نشأ جنس الأسماك والمحارات، والحيوانات المائيّة الأخرى، التي تلقَّت المساكن الأكثر بُعداً كعقاب لجهلها الهمجيّ. إنّ هذه القوانين هي القوانين التي تحوَّلت الحيوانات إلى بعضها بعضاً بواسطتها، والآن، مثلما كانت في السابق، فإنّها تبدَّلت عندما خسرت أو كسبت الحكمة والغباء.

يمكننا أن نقول الآن إنّ بحثنا بشأن طبيعة الكون وصل إلى نهايته. إنّ هذا العالم، متلقّياً وشاملاً تمامه وكماله من الحيوانات الخالدة والفانية، صُيِّر هكذا حيواناً منظوراً محتوياً الطبائع المرئيّة. إنّه صورة الله المدرَك بالعقل، عالم محسوس، هو الأعظم والأفضل، وهو الأكثر جمالاً وكمالاً؛ كونه لا شيء غيراً من هذه السماء الواحدة الوحيدة المسبَّبة.

الهوامش

(١) بورياس هو اله الريح الشمالية في الأسطورة اليونانية. « المعرّب ».

(٢) آغرا، مقاطعة في الهند، وتوجد مدينة فيها شهيرة بمقام تاج محل، ومن المحتمل وجود ما يماثلها في اليونان القديمة. « المعرّب ».

(٣) غورغونز في الأساطير اليونانية، أي في الأخوات الثلاث ذات الشعر الشبيه بالأفاعي، إنه شعر مرعب بحيث إذا لامسه إنسان تحوّل إلى حجر. « المعرّب ».

(٤) هيرا، ملكة السماء في الأساطير الاغريقية، وأخت وزوجة زيوس، وإلهة النساء والزواج. « المعرّب ».

(٥) ان كلمة ANGUS بمفردها تعني إله الحب في الأساطير اليونانية. لكن كلمتي ANGUS CASTUS يمكن ان تعني شجرة إله الحب. « المعرّب »

(٦) نيمفس في الأساطير اليونانية والرومانية مجموعة من الإلاهات ذوات الطبائع الثانوية مصوَّرة كعذارى جميلات عائشات في الأنهار، على الجبال، والأشجار. « المعرّب »

(٧) إشارة إلى محاورة كراتيلوس.

(٨) إن هذا المثل يشبه المثل القائل « العنب يكون حامضاً » ويُستعمل للملذات التي لا يمكن الحصول عليها، يعني بها الأشياء الحلوة، مثل المِرْفق، والتي لا يمكن الوصول إليها بالفم، واللذة الموعودة تصبح وكأنها شأن طويل ومرهق. « المعرّب »

(٩) إيراتو إلهة الشعر الغنائي وحب الشعر في الأسطورة اليونانية. « المعرّب ».

(١٠) كاليوب إلهة الشعر الملحمي والفصاحة، في الأسطورة اليونانية. « المعرّب ».

(١١) يورانيا إلهة علم النجوم. في الاسطورة اليونانية، ويُنسب هذا الاسم إلى أفروديت. « المعرّب »

(١٤) الإشارة إلى مقطع سابق من هذه المحاورة.

(١٥) سوفوكليس كاتب مأساة يوناني عاش في سنة ٤٩٦- ٤٠٦ قبل الميلاد. « المعرّب »

(١٦) الإشارة إلى مقطع سابق من هذه المحاورة.

(١٧) انه تلميح وإشارة ضمنيّة إلى كتاب بروتاغوراس، يحمل هذا العنوان. « المعرّب ».

(١٨) يقول بروتاغوراس في أعماله: « أمّا عن الآلهة فإنني لا أستطيع أن أشعر إن كانت موجودة أو غير موجودة بالتأكيد، ولا أقدر على القول كيف صورتها؛ لأن هناك أشياء عديدة تعيق هذه المعرفة، منها غموض الموضوع وقصر الحياة الإنسانيّة » « المعرّب ».

(١٩) سكيرون كان لصاً يُرغم من يسرق بضاعتهم على أن يغسلوا قدميه في البحر، ثم يركلهم فيه ليموتوا غرقاً. « المعرّب ».

(٢٠) أناتيوس يكون ابن الأرض في الأساطير اليونانية، وهو عملاق يقوى ويكبر كلما لمس الأرض امّه، وكان يرغم الناس على منازلته فيقتلهم، حتى أُمكن البطل هرقل أن يقصيه بعيداً عن الأرض ويقضي عليه « المعرّب ».

(٢١) OCEANUS في الأسطورة اليونانية، تيتان الذي كان إله البحر قبل بوسايدون وأب. « المعرّب » OCEANDIS (٢)

(٢٢) في الأسطورة اليونانية، التيتان هي ابنة يورانوس، وزوجة أوقيانوس. والأوقيانوس هو الجدول العظيم الخارجي الذي يفترض أنه يطوّق الأرض. « المعرّب ».

(٢٣) الأكر، مقياس للمساحة يساوي ٤٨٤٠ ياردة مربعة أو نحو أربعة آلاف متر مربع. « المعرّب ».

(٢٤) الأستديوم، وحدة اغريقيّة قديمة من وحدات الطول « تتراوح بين ٦٠٧ و ٧٣٨ قدماً انكليزياً » « المعرّب ».

(٢٥) كمثال ١و ٣/٤ و ٢/٣ و ٢ و ٨/٣ و ٣ و ٤ و ١٦/٣، ٦، ٨ و ١، ٣/٢، ٢، ٣، ٩/٢، ٦، ٩، ٢٧/٢، ١٨، ٢٧

(٢٦) ٢٤٣: ٢٥٦:: ٨١/٦٤: ٤/٢:: ٢٤٣/١٢٨: ٢:: ٨١/٣٢: ٨/٣:: ٢٤٣/٦٤: ٤:: ٨١/١٦: ٣/ ١٦:: ٢٤٣/٣٢: ٨

(٢٧) ان الحركة للشيء عينه والحركة المتنوعة، تُوضّح في هذا التغاير الجديد، توضّح الحركات التي للنجوم السماوية الثوابت وللكواكب السيارة المختلفة على التوالي، ولا يلزم أن يُخلط بين الشيء عينه والفرق اللذين ذُكرا قبلاً منذ فترة قصيرة.

(٢٨) كمثال، يُفترض أن الحركة التي للشكل المستطيل لتكون مرسومة في الدائرة للشيء عينه. « المعرِّب ».

(٢٩) الكرّاث نوع من أنواع النبات الذي يشفي من مرض ما. « المعرِّب ».

أفلاطون

المحاورات الكاملة

أفلاطون

المحاورات الكاملة

المجلد السادس

محاورة النواميس

نقلها إلى العربيّة
شوقي داود تمراز

الأهلية للنشر والتوزيع

بيروت ١٩٩٤
إصدار: الأهلية للنشر والتوزيع
بيروت - الحمراء، بناية الدورادو
ص.ب.: ١١٣٥٤٣٣ - هاتف: ٥٤١٥٧

المحتويات

محاورة النواميس

الكتاب الاول

افكار الكتاب الرئيسية

يشترك في محاورة النواميس المهمة هذه أربعة أشخاص: الأثيني الغريب، كريتي، لاقيدايموني، واسبرطي.

يبدأ الأثيني بسؤال كلينياس وميغيلوس إذا كان الذي شرّع لهما قوانينهما في كريت ولاقيدايمونيا هو إنسان أو إله، ويجيب كلاهما أن الذي شرّع لهما قوانينهما هو إله بكلّ تأكيد، ويسألهما: لماذا قضى القانون في بلديكما بأن يكون لديكما وجبات طعام وتمارين رياضية مشتركة وأن تتمنطقوا بالسلاح؟ ويجيبان أنّ كلّ الأنظمة التي أوجدتها قوانينهما كانت بقصد الحرب، والحرب تلزمها الشجاعة، التي هي جزء واحد من أجزاء الفضيلة. لكن دعونا نعتبر الآن المبادىء الطبيعية للحقّ والخطأ في القوانين، والمشرّع الحقّ يجب أن يسنّ القوانين بقصد الأفضل على الدوام، والحرب ليست الشيء الأفضل في الحياة الإنسانية، بل إنّ السلام هو الشيء الأفضل بيعد كبير.

ويسأل الأثيني: أليس من الأفضل أن يتّحد العدل والاعتدال والحكمة مع الشجاعة، وهذا يكون أكمل من أن يتحلّى الإنسان وتتجمّل الدول بالشجاعة فقط؟ أوليس العدل الكامل أعظم فضيلة وأسمى من الشجاعة؟ والمشرّع الحقّ عندما يسنّ قانوناً ينبغي أن تكون لديه الفضائل كلّها وليس جزءاً واحداً منها، وما المركز الذي تحتلّه الشجاعة سوى المركز الرابع بين الفضائل، وليس كما قضى قانونكما أن يكون لها المركز الأوّل.

إنّ كلّ القوانين يجب أن توجد لسبب، والسبب أنّها تتمّم هدف القوانين، والهدف هو جعل الذين يستخدمونها سعداء، وهي تمنح مستخدميها كلّ نوع من

أنواع الخيرات. وبعدُ فإنّ الخيرات نوعان اثنان: هناك خيرات إلهيّة وهناك خيرات إنسانية، والخيرات الثانية تتعلّق بالخيرات الأولى التي هي المصدر. وإذا لم يمتلك إنسان الخيرات الأكثر فلن يكون لديه أيٌّ منها. إنّ الحكمة هي القائد وهي الرئيس الأعلى لنوع الخيرات الإلهيّة. ويتبع الاعتدال، وينبثق العدل من اتّحاد هذين الخيرين مع الشجاعة، والشجاعة هي الرابعة في ميزان الفضيلة. ويجب أن ينظّم المشرّع علاقات الجماعة بعضها مع البعض الآخر، وأن يثيبهم إذا ساروا على الطريق المستقيم، ويعاقبهم إذا أخطأوا. وينبغي عليه أن يأخذ بعين الاعتبار الملذّات والآلام التي تنشأ بينهم في كلّ الحالات، وعليه أن يعلّمهم ما هو الخير والشرّ، وأين يوجد العدل والظلم في كلّ الاتفاقات التي يبرمونها في ما بينهم. إنّ اللذّة والألم هما النافورتان اللتان تسمح لهما الطبيعة بالتدفّق، والذي ينهل منهما، في كل زمان ومكان وبقدر ما يجب، يكون سعيداً، والذي ينغمس فيهما ويطلق لهما العنان بجهل وفي الوقت الخطأ يكون عكس الإنسان السعيد. نحن نقول إنّ كلّ لقاءات الجنس البشري، مهما كان نوعها، يجب أن يكون لها قائد، والقائد ينبغي أن يكون إنساناً يفهم المجتمع، لأنّ واجبه يقضي عليه أن يصون مشاعر الصداقة بينهم. ويلزمه أن يكون عاقلاً وغير مدمن على الخمر ليكون سيّداً على الصاحبين والقاصفين، وإذا كان عكس ذلك فإنّه سيدمّر كلّ شيء. وعلينا أن نعتني، يا كلينياس وميغيلوس، بالتعليم لأنّ التعليم يجعل الرجال أخياراً، والرجال الأخيار يعملون بنبل في كلّ مناسبة. ونحن نؤكّد أنّ الموسيقى هي جزء من أجزاء التعليم، والتعليم يجب أن يبدأ من سنّ الطفولة فصاعداً وكلٌّ حسب كفاءته. إنّ الجزء الأهم من أجزاء التعليم الصحيح يبتدىء في بيت الحضانة، ويلزم أن تُهدى روح الطفل في لَعِبِه إلى حبّ ذلك النوع من أنواع الامتياز الذي يجب أن يكون كاملاً. ونحن نؤكّد أنّ الرجال الذين يقدرون أن يحكموا أنفسهم هم رجال أخيار، وأمّا الرجال الأشرار فعكس ذلك. وسنمنع شرب الخمر في دولتنا لأنّ الخمر

يزيد الملذّات والآلام، والشهوات والهوى ويضاعفها، وينقص نفاذ البصيرة والذاكرة، والرأي الصحيح والتعقّل، وهكذا فإنّ المرء لا يستطيع السيطرة على نفسه. دعنا نتذكّر أن هناك شيئين يجب أن يهذّبا ويتعهّدا العناية بالروح، الأُول هو الشجاعة الأعظم، والثاني هو الخوف الأعظم. وأخيراً فإنّ ما يجب علينا عمله هو معرفة طبائع وعادات أرواح الرجال، وهذه المعرفة ستكون ذات المنفعة الأعظم في ذلك الفنّ الذي لديه إدارتهم، وهذا الفنّ هو فنّ العلوم السياسية.

نقول ختاماً إنّ الله لم يكن يقصد ما قلتماه، يا كلينياس وميغيلوس، إنّه كان قصده عندما شرّع في دولتيكما وهو توجّهه في تشريعه نحو الشجاعة فقط.

ونود ان نشير الى اننا استعملنا في محاورة النواميس كلمتي النواميس والقوانين على انها تحمل المعنى نفسه مع ميلنا الى استعمال كلمة قوانين. اما وقد استعملت المراجع العربية القديمة والحديثة كلمة نواميس فكان لا بد من استعمالها هنا.

محاورة النواميس

الكتاب الاول

اشخاص المحاورة

غريب أثيني   كلينياس
ميغيلوس الكريتي   شخص من لاقيدايمونيا

الغريب الأثيني: أخبروني، أيّها الغرباء هل واضع قوانينكم هو إله أم إنسان؟

كلينياس: إلهٌ، أيّها الغريب، بالحقيقة المطلقة إله. يُقال إنّه قد كان زيوس بيننا نحن الكريتيين، لكن في لاقيدايمونيا، التي أتى منها صديقنا الموجود هنا، أعتقد بأنّهم سيقولون إنّ أبوللو هو مشرّع قوانينهم: ألاَ يقولون ذلك، يا ميغيلوس؟

ميغيلوس: بالتأكيد.

الأثيني: وهل تعتقد، يا كلينياس، كما يخبرنا هوميروس، أنّ مينوس كان يذهب كلّ تسع سنين ليحادث مولاه الأوليمبي، وأنّه أوحى إليه أن يَسُنّ قوانين مدنكم؟

كلينياس: نعم، إن هذا العُرف هو عرفنا؛ وكان أخوه رادامانثوس، الذي آسمُهُ مألوف بالنسبة إليك، وهو يُعدُّ أنه كان أعدل الرجال جميعاً، ونحن الكريتيين نرى أنّه قد كسب هذه المكانة المرموقة من إدارته الصحيحة للعدل عندما كان حيّاً.

الأثيني: نعم، وإنّها كانت مكانة مرموقة، جديرة بابن زيوس. وبما أنّك وميغيلوس قد تدرّبتما في هذه المؤسسات، أجرؤ على القول بأنّكما لن تكونا غير

مستعدّين للاشتراك في مباحثة عن حكومتيكما وقوانينكما. من ناحيتنا يمكننا أن نمضي الوقت في الحديث عنها بكلّ سرور، وأُخبرت أنّ المسافة من كفوسوس إلى كهف وهيكل زيوس هي مسافة جديرة بالاعتبار، وهناك أماكن ظليلة تحت الأشجار السامقة بدون شكّ، وهي ستحمينا من حرارة هذه الشمس المحرقة. وبما أنّنا لسنا فتياناً، يمكننا أن نتوقّف غالباً للراحة تحتها، ونقطع الرحلة كلّها بدون عناء وصعوبة، ممضين الوقت بالمحادثة.

كلينياس: نعم، أيّها الغريب، وإذا تقدّمنا إلى الأمام فإنّنا سنصل إلى أيكات السرو، التي ارتفاعها وجمالها نادران حقاً، وهناك المروج الخضراء، التي بإمكاننا أن نضطجع عليها ونتحادث.

الاثيني: جيّد جداً.

كلينياس: جيّد جداً، حقاً؛ ويبقى ما هو أفضل عندما نراها. دعنا نستحثّ الخطى نحوها بابتهاج.

الاثنيني: إنّني لعلى استعداد. وبادىء ذي بدء، أريد أن أعرف لماذا قضى القانون أنّه سيكون لديكم وجبات طعام وتمارين رياضيّة مشتركة، وأن تتمنطقوا بالسّلاح.

كلينياس: أعتقد، أيّها الغريب، أنّ هدف مؤسّساتنا سهل الفهم لكل شخص. أَمعِن النظر في ميزة بلادنا: إنّ كريت ليست كتساليا، أرضاً منبسطة فسيحة؛ ولهذا السبب فإنّهم يعتمدون على الفوارس في تساليا، ونحن لدينا العدّاؤون ـ إنّ عدم استواء الأرض في بلادنا يجعلنا نتبنّى الحركة على الأقدام بشكل أكثر. لكن، إذا كان لدينا العدّاؤون فيجب أن نمتلك أسلحة خفيفة ـ لا أحد يستطيع حمل أسلحة ثقيلة عند السير السريع، وفي هذه الحالة فإنّ الأقواس والسّهام هي أسلحة مناسب حملها بسبب خفّتها. وبعدُ فإنّ كلّ هذه الأنظمة قد أُوجدت بقصد الحرب، ويبدو لي أنّ المشرّع اهتمّ

بهذا في كلّ ترتيباته التي أقامها ـ إنّ وجبات الطعام العامّة قد أقامها لسبب مشابه، إذا لم أكن مخطئاً، لأنّه رأى أنّه في حين كان المواطنون في أرض المعركة، فإنّ طبيعة الحالة أجبرتهم على تناول وجبات طعامهم معاً من أجل حمايتهم المشتركة. يبدو لي أنّ المشرّع رأى أنّ العالم غبي لأنّه لم يدرك أنّ الرجال جميعهم هم في حالة حرب بعضهم مع البعض الآخر على الدّوام؛ وإذا كانوا كذلك فلا بدّ من وجود وجبات الطعام المشتركة، وأن يتمّ تعيين أشخاص محدَّدين تحت إرشاد الآخرين بشكل منتظم كي يحموا الجيش، إذا ما استمرّوا في حالة السلام. إنّ ما يصطلح الرجال على تسميته السلام بشكل عامّ سيقول عنه المشرّع إنّه إسم فقط. في الحقيقة إنّ كلّ مدينة تكون في حالة حرب طبيعيّة بعضها مع البعض الآخر، وهذه الحالة لا تُعلن بالرُّسُل أو السفراء، بل إنّها أبديّة مستمرّة. وإذا ما أمعنت النظر عن كثب، ستجد أنّ هذا كان القصد الذي رمى إليه المشرّع الكريتي. إنّ كلّ المؤسّسات، العامّة منها والخاصّة، نظّمها بقصد الحرب؛ وفي هذه النفسية عنانا أن نحفظها وأن نصونها. إنّه كان تحت انطباع أن لا مقتنيات أو مؤسسات تكون ذات قيمة لمن يُهزم في أرض المعركة؛ لأنّ كلّ الأشياء الجيّدة التي تكون في حوزة المقهور ستنتقل إلى أيدي الفاتحين الغزاة.

الأثيني: تبدو لي، أيّها الغريب، أنّك قد تدرّبت بشكل كامل في المؤسّسات الكريتيّة، وأنّك أُخبرت جيّداً بشأنها. هل ستطلعني بشكل أوضح قليلاً ما هو مبدأ وقاعدة الحكومة التي ستخطّط لها وتعلنها؟ يبدو أنّك تتخيّل أنّ الدولة المحكومة جيّداً يجب أن تكون منظّمة على النحو المشار إليه كي تفتتح كلّ الدول الأخرى في الحرب. هل أنا محقّ في افتراض أنّ هذا هو ما عنيت؟

كلينياس: بالتأكيد، وسيوافق معي صديقنا اللاقيذايموني، إذا لم أكن مخطئاً.

ميغيلوس: لماذا، يا صديقي الصالح، كيف يمكن لأيّ لاقيدايموني أن يقول أيّ شيء آخر؟

الأثيني: وهل الذي تقوله قابل للتطبيق في الدول أو في القرى أيضاً؟

كلينياس: لكليهما بالطريقة عينها.

الأثيني: إنّ الحالة هي الشيء عينه؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: وهل ستوجد الحرب عينها في القرية، عائلة تحارب عائلة، وفردٌ يحارب فرداً؟

كلينياس: الشيء عينه.

الأثيني: وهل سيتصوّر كلّ إنسان أنّه عدوّ نفسه؟ فماذا ستقول؟

كلينياس: أوه أيّها الأثيني الغريب، إنّني لن أدعوك قاطن أتيكا. يبدو أنّك تستحقّ بالأحرى أن تُسمّى على غرار الإلهة نفسها، لأنّك تعود إلى القواعد والمبادىء الأولى ـ إنّك ألقيت ضوءاً على المحاورة، وستكون الآن أقدر على فهم ما قلته لتوّي ـ إنّ الرجال كلّهم هم أعداء بعضهم لبعض بشكل علنّي، وإنّ كلّ إنسانٍ عدوّ نفسه بشكل سرّي.

الأثنيني: ماذا تعني، يا سيّدي الصالح؟

كلينياس: ... علاوة على ذلك، هناك نصر وهناك هزيمة، ـ الانتصارات الأولى والأفضل والهزائم الأحطّ والأسوأ، ـ التي يفوز بها أو يتكبّدها إنسان ليس على يديه بل على أيدي الآخرين؛ وهذا يبيّن أن هناك حرباً مستعرة الأوار ومستمرّة ضدّ أنفسنا وداخل كلّ شخص منّا.

الأثيني: دعنا الآن نعكس نظام المحاورة آخذين بعين الاعتبار أنّ كلّ فرد يكون إمّا سموّه الخاصّ أو دونه الخاصّ، فهل باستطاعتنا القول إنّ المبدأ عينه موجود في البيت، القرية، والدولة؟

كلينياس: تعني أنّ كلاً منهما يقدّم مثالاً إمّا لسموّ أو لدونيّة نفسه؟

الأثيني: نعم.

كلينياس: إنّك لمحقّ تماماً في سؤالك، لأنّ هناك نزاعاً كهذا بكلّ تأكيد، وفي الدول فوق الجميع. والدولة التي يحرز فيها المواطنون الأفاضل نصراً على الغوغائيين وفوق الطبقات الوضيعة يمكن أن يقال عنها بحقّ إنّها أفضل من نفسها، ويمكن أن يُثنى عليها بعدل، حيثما أُحرز هكذا نصر، أو وقع عليها اللّوم في الحالة المضادّة.

الأثيني: سواء إذا قُهِر الأفضل بالأسوأ أبداً حقّاً. فهذا سؤال يحتاج لبحث أكثر، ولهذا السبب يمكن أن يُترك جانباً في الوقت الحاضر. لكنّني الآن أفهم معناك تماماً عندما تقول إنّ المواطنين الذين يكونون من السلالة عينها ويعيشون في المدن نفسها يمكن أن يتآمروا بظلم، وبما أنّ لديهم التفوّق العدديّ يمكن أن يقهروا ويستعبدوا الأشخاص القلّة العادلين. وعندما يسيطرون، يمكن أن تدعى الدولة دونيتها الخاصة بحقّ ولهذا السبب سيّئة، وعندما يُهزمون تدعى سموّها الخاص، ولهذا السبب دولة صالحة.

كلينياس: إنّ ملاحظتك، أيّها الغريب، هي عبارة موهِمة للتناقض، وبرغم ذلك فنحن لا نستطيع إنكارها بأيّة حال.

الأثيني: توجد هنا حالة أخرى لأخذها بعين الاعتبار، - يمكن أن يكون هناك عدّة أخوة في عائلة، أخوة هم ذرية زوج فرد؛ ويمكن أن تكون أكثرية هذه العائلة ظالمة بشكل محتمل جدّاً، ويمكن أن يكون العادلون فيها أقليّة.

كلينياس: ممكن جدّاً.

الأثيني: ويجب علينا أن لا نتابع السؤال بحرفيته سواء إذا كان ليقال عن هذه العائلة والأسرة بحقّ إنّها تُظهر دونيّة نفسها عندما يسود العنصر الأدنى، وإنّها تُبيِّن سموّاً عندما تُقهر. ونحن الآن لا نأخذ بعين الاعتبار ما يمكن أو

لا يمكن أن تكون الطريقة المناسبة أو المألوفة للكلام، لكنّنا نأخذ بعين الاعتبار المبادىء أو القواعد الطبيعيّة للحقّ والخطأ في القوانين.

كلينياس: إنّ ما تقوله، أيّها الغريب، هو القول الأكثر صدقاً.

ميغيلوس: ممتاز تماماً، في رأيي، القدر الذي وصلنا إليه في بحثنا.

الأثيني: مرّة ثانية، ألاَ يمكن أن يكون هناك قاضٍ فوق هؤلاء الأخوة الذين تكلّمنا عنهم؟

كلينياس: بكلّ تأكيد.

الأثيني: وبعدُ أيُّ قاضٍ سيكون القاضي الفاضل؟ هل هو الذي يدمّر الأشرار ويعيّن الأخيار كي يحكموا أنفسهم، أو الذي، وهو يسمح للأخيار أن يحكموا، يدع الأشرار يعيشون، ويجعلهم يخضعون طوعاً؟ أو الشخص الثالث الذي أفترض أنّه يمكن أن يُوضع قاضياً في ميزان الامتياز، والذي وجد أنّ العائلة مخبّلة، لم يدمّر أيّ شخص منها فقط، بل إنّه وفّقهم بعضهم ببعض في ما بعد إلى الأبد، وأعطاهم القوانين التي راقبوها بشكل مشترك، وكان قادراً على أن يبقيهم أصدقاء؟

كلينياس: إنّ القاضي الأخير سيكون أفضل نوعاً من القاضي والمشرّع ببعد كبير.

الأثيني: ومع ذلك فإنّ هدف كلّ القوانين التي أعطاها سيكون عكس الحرب.

كلينياس: حقيقيّ جداً.

الأثيني: وهل الذي ينشىء الدولة وينظّم حياة الإنسان ستكون الحرب الخارجية هدفاً له، أو ذلك النوع من الحرب الداخلية المسمّاة حرباً أهليّة، والتي لا أحد يحبّ أن تقع في دولته الخاصّة، إذا ما استطاع منعها، وعند حدوثها، فإنّ كلّ شخص سيرغب بإيقافها في أقرب وقت ممكن.

كلينياس: سيكون لديه الهدف الأخير في فكره بشكل رئيسي.

الأثيني: وهل سيفضّل وجوب إنهاء هذه الحرب الأهليّة بتدمير أحد الفرقاء،

وبانتصار الفريق الآخر، أو بوجوب إعادة توطيد السلام والصداقة بينهما، وأنَّ كونهما سوِّيا نزاعهما، فيجب عليهما أن يصرفا اهتمامهما للأعداء الخارجيّين؟

كلينياس: سيفضّل كلّ شخص الخيار الأخير في حالة دولته الخاصّة.

الأثيني: أوليست هذه الرغبة رغبة المشرّع أيضاً؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: أوَلن يسُنَّ كلّ شخص القوانين بقصد الأفضل على الدوام؟

كلينياس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: لكنّ الحرب ليست الشيء المفضَّل، سواء إذا كانت حرباً خارجيّة أو حرباً أهليّة، والحاجة لكليهما يجب أن تُستنكر. لكن ينبغي أن يحلَّ السلام بين الناس بعضهم البعض، أن يحلَّ الوداد، لأنّهما أفضل. ولا يُعتبر نصر الدولة على نفسها كأنّه شيء جيّد حقّاً، بل يجب اعتباره كضرورة. يمكن لإنسان أن يقول أيضاً إنَّ الجسم كان في الحالة الأفضل عند المرض وتطهيره بالعقاقير الطبيّة، ناسياً أن هناك حالة للجسم أيضاً لا تحتاج إلى تطهير. وفي أسلوب مماثل لا أحد يستطيع أن يكون رجل دولة حقاً، سواء إذا قصد في تحقيق السعادة للفرد أو للدولة، الذي يتطلّع فقط، أو يتطلّع قبل كلّ شيء، إلى الصراع الخارجيّ. لا ولن يكون مشرّعاً أبداً ذلك الذي ينظّم السلام بقصد الحرب، وليس الحرب قصد السلام.

كلينياس: أفترض أن هناك حقيقة في ملاحظتك تلك، أيّها الغريب؛ ومع ذلك فإنّني سأكون مخطئاً بشكل عظيم إنْ لم تكن الحرب الهدف الكليّ والقصد لمؤسّساتنا الخاصة، وما أقوله عنّا أقوله عن اللاقيدايمونيين.

الأثيني: أجرؤ على القول، لكن ليس هناك سبب من أجله يجب أن يُخاصِم بعضُنا بعضاً بشأن المشرّعين وبشكل فظّ، بدل أن نسألهم بلطف، لنشاهد أنّنا وهم

نكون جادّين في ما نقول بشكل متساوٍ. إتبعني من فضلك ولاحق المحاورة عن كثب: باديء ذي بدء فإنّني سأقدّم تيرتايوس، المولود أثينياً، لكنّه مواطن اسبرطي أيضاً، والذي كان أكثر الرجال شوقاً للحرب. حسناً، يقول هو، [أنا لا أعتني، أنا لا أهتمّ، بشأن أيّ إنسان]، حتى إذا كان أغنى الرجال، واقتنى كلّ خير تقريباً [وأعطى قائمة كاملة لها، إن لم يكن هو مقاتلاً شجاعاً في كلّ الأوقات]. أتصوّر أنّك سمعت قصائده أيضاً؛ أمّا صديقنا اللاقيدايمونيّ فإنّه سمع منها أكثر من الكفاية بوجه الاحتمال.

ميغيلوس: حقيقيّ تماماً.

كلينياس: تعالَ الآن ودعنا ننضمُّ كلنا طارحين هذا السؤال عن تيرتايوس: أوه يا أيّها الشاعر الأكثر ألوهيّة، سنقول له، إنّ الثناء الممتاز الذي أغدقته على أولئك الذين يتفوّقون في الحرب يدلّ بشكل تامّ على أنك عاقل وصالح، وإنّي وميغيلوس وكلينياس من كنوسوس نتّفق معك بشكل كامل، كما أعتقد. لكن ينبغي علينا أن نتأكّد تماماً من أنّنا نتكلّم عن الرجال أنفسهم. أخبرنا إذن، هل تتّفق معنا في التفكير بأن هناك نوعين من الحروب، أو ماذا ستقول؟ إنّ إنساناً أدنى مقاماً من تيرتايوس لن تكون لديه أيّة صعوبة في الإجابة الصادقة تماماً، وهي أنّ الحروب ذات نوعين: إحداها التي تدعى عالمياً حرباً أهليّة، وهي أسوأ كلّ الحروب، كما قلنا لتوّنا. والحرب الأخرى، كما يلزمنا أن نعترف، والتي تتصارع أثناءَها مع الأمم الأخرى ذات السلالات المختلفة، هذه الحرب ما هي إلاّ شكل ألطف بكثير من الحرب الأهليّة.

كلينياس: بالتأكيد، إنّها ألطف ببعد كبير.

الأثيني: حسناً، وبعدُ، عندما تمدح أو تلوم حرباً بهذا الأسلوب الرفيع، فمن تمدح أنت ومن تلوم، ولأيٍّ نوع من أنواع الحرب تشير؟ أفترض أنّك يجب أن

تعني الحرب الخارجيّة، إذا حكمت أنا من تعابيرك التي تقول فيها إنّك تمقت تلك الحرب بشدَّة. [الذين يرفضون أن يتطلّعوا فوق حقولٍ من الدم، ولن يقتربوا من أعدائهم ويشنّون عليهم هجوماً عسكرياً]. ونحن سنواصل الكلام قائلين له بالطبع ـ أنت، يا تيرتايوس، تثني على أولئك الذين ميّزوا أنفسهم في الحرب الخارجيّة مع الأغراب، كما يبدو، ويجب عليه أن يعترف بهذا.

كلينياس: بوضوح.

الأثيني: إنّهم لرجال صالحون؛ لكنّنا نقول إنّه لا يزال هناك رجال أصلح تكشَّفت فضيلتهم في أعظم المعارك جميعها. ونحن لدينا شاعر أيضاً سنستدعيه كشاهد، إنه ثيوجينيس، وهو مواطنٌ ميغاري يقطن في صقليّة:

يقول هو: « يا سيرنوس، إنّ مَنْ يكون مؤمناً بالشجار الأهليّ لجدير بالإجلال ويساوي ثقله ذهباً وفضة ».

وهذا مقطع أفضل كثيراً، كما نؤكّد، من المقطع الآخر في نوع من أنواع الحرب الأكثر صعوبة، ويكون كثيراً في الدرجة عينها عندما يتّحد العدل والاعتدال والحكمة مع الشجاعة، وهذه أفضل من الشجاعة فقط. إن الإنسان لا يستطيع أن يكون وفيّاً بالعهد وصالحاً في النزال الأهليّ بدون امتلاكه كلّ الفضائل. لكن في الحرب التي يتكلّم عنها تيرتايوس، فإنّ عديداً من الجنود المرتزقة سيتّخذون موقفه ويكونون على استعداد للموت في موقعهم. ومع ذلك فإنّهم تقريباً وبدون استثناء وقحون وظالمون بشكل عامّ. إنّهم رجال عنيفون لأنهم أكثر بني الإنسان حماقةً. إنّك ستسأل ما هو الاستنتاج، وما الذي أحاول جاهداً أنْ أبرهنه: أؤكّد أنّ المشرّع الإلهيّ لكريت، مثل كلّ مشرّع آخر جدير بالاعتبار، سيكون لديه اعتبار واحترام في تشريع القوانين دائماً وفوق كلّ الأشياء لأعظم فضيلة؛ وهي طبقاً

لثيوجينيس، ولاء ووفاء في ساعة الخطر، ويمكن أن يقال عنها إنّها العدل الكامل. في حين أنَّ الفضيلة التي يثني عليها تيرتايوس بسموٍّ هي فضيلة كافية جدّاً، وقد مدحها الشاعر في الوقت الصحيح، ومع ذلك يمكن القول إنّها تحتلّ المرتبة الرابعة في مكان الكرامة[1].

كلينياس: أيّها الغريب، أعتقد أنّنا نتزل من قدر مشرِّعنا الملهم إلى رتبةٍ دون مركزه السامي بكثير.

الأثيني: لا، أعتقد أنّنا لم نحطّ من قدره بل من أقدار أنفسنا، إذا تصوّرنا أنّ ليغارغوس ومينوس وضعا قوانين في كلٍّ من لاقيدايمون وكريت قصد الحرب بشكل رئيسيّ.

كلينياس: ماذا يجب أن نقول إذن؟

الأثيني: أيّة حقيقة وأيّ عدلٍ يُتطلبان منّا، إذا لم أكن مخطئاً، عندما نتكلّم لأجل الامتياز الإلهيّ؟ ذلك أنّ المشرِّع عندما سنّ قوانينه لم يكن لديه في رؤيته جزء واحد فقط، وهذا الجزء هو الجزء الأدنى من الفضيلة، بل كانت لديه الفضيلة كلّها. ورغب في أن يستنبط أنواعاً من القوانين تطابق أنواع الفضيلة، ليس بالطريقة التي يخلق فيها المخترعون العصريون للقوانين أنواعها، لأنّهم هم يحقّقون في القوانين ويقدّمونها كلّما شعروا أنهم يفتقرون لها، ورجل واحد منهم لديه نوع من القوانين بشأن توزيع الحصص والورثة، وآخر بخصوص الاعتداءات، وغيرهم بشأن عشرة آلافٍ من القضايا الأخرى. لكنّنا نؤكّد أنّ الطريقة الصحيحة للتفحّص في القوانين تكون بمباشرة العمل كما فعلنا نحن الآن؛ وإنّني أُعجبت بنفسيّة بيانك التفسيريّ. فأنت كنت محقّاً تماماً عندما بدأت بالفضيلة، وبقولك إنّ هذا القصد كان هدف واضع القانون، لكنّني تصوّرت أنّك إتّبعتَ طريقة خاطئة عندما أضفت أنّ كلّ شرائعه كانت لديها رؤيا لجزءٍ واحد منها فقط، وللجزء الأقلّ من الفضيلة،

وهذا الكلام يستجمع ملاحقاتي اللاّحقة. هل ستسمح لي إذن أن أوضح كيف أحببت أن أَسمعكَ شارحاً القضيَّة؟

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: كان يجب عليك أن تقول، أيّها الغريب - إنّ القوانين الكريتية هي قوانين شهيرة بين الهيلنيين لسبب؛ والسبب أنّها تتمّم هدف القوانين، والهدف هو جعل الذين يستخدمونها سعداء. وهذه القوانين تمنح كلّ نوع من أنواع الخير لمستخدميها. وبعدُ فإنّ الخيرات نوعان: هناك خيرات إنسانية وهناك خيرات إلهيّة، والخيرات الإنسانية تتعلّق بالخيرات الإلهيَّة، والحالة التي تصلها الخيرات الأكثر، تحتاج للخيرات الأقلّ في الوقت عينه، أو، إذا لم تمتلك الخيرات الأكثر، فلن يكون لديك كلا الخيرات. ومن الخيرات الأقلّ تأتي الصحّة أوّلاً، والجمال ثانياً، والقوة الجسديّة ثالثاً، وتتضمّن هذه القوّة الجسديّة السرعة في العدو وخفّة الحركة بشكل عامّ. والثروة هي الخير الرابع، وهذا الإله « بلوتوس » ليس إلهاً أعمى بل هو إله حادُّ النظر، إذا ما كانت لديه الحكمة التي لرفيقه فقط. إن الحكمة هي القائد وهي الرئيس لنوع الخيرات الالهية، ويتبع الاعتدال تالياً؛ وينبثق العدل من اتّحاد هذين الخيرين مع الشجاعة، والشجاعة هي الرابعة في ميزان الفضيلة. إنّ كلّ هذه الخيرات تحتلّ مكان الصدارة بين الخيرات الأخرى، وهذا هو النظام الذي يجب على المشرّع أن يضعها فيه، وبعده سيفرض البقيّة من أوامره على المواطنين بقصد هذه الخيرات. إنّ الإنسانيين يهتمّون بالإلهيّ، ويهتمّ الإلهيون بقائدهم العقل. سيتّصل بعضٌ من أوامر هذا المشرّع بالزواج الذي سيقيمه المواطنون بعضهم مع بعض، وستتّصل بعدئذ بإنجاب الأطفال وتعليمهم، الذكور منهم والإناث على حدّ سواء. إنّ واجب المشرّع سيكون رعاية المواطنين، في شبابهم وفي شيخوختهم، وفي كلّ زمن من أزمنة الحياة. وواجبه أن ينزل بهم العقاب

ويقدّم لهم الجوائز. وفي إشارة إلى علاقاتهم مع بعضهم البعض، يجب أن يأخذ بعين الاعتبار الآلام والملذّات والرغبات، والإتقاد لكل أهوائها، وينبغي أن يبقى يقظاً فوقها، وأن يلومهم ويثني عليهم بحقّ وبواسطة القوانين أنفسها. أيضاً في ما يتعلّق بالغضب والرّعب، وتشوّشات الروح التي تنشأ من البلايا الأخرى، والتّحرر منها الذي يجلب الازدهار، والخيرات والتجارب التي تأتي إلى الرجال في أوقات مرضهم، أو في أوقات الحرب، أو الفقر، أو في الحالات المضادّة لهذه الأشياء. يجب على المشرّع في كلّ هذه الحالات أن يعزم وأن يُعلّم ما هو الخير والشرّ لكلّ حالة من هذه الحالات. وفي المقام الثاني، يلزم أن يكون المشرّع يقظاً لكيفية حصول المواطنين على مالهم وفي أيّة طريقة يتمّ إنفاقه، وعليه أن يراقب بعناية إبرام الاتفاقات المتبادلة وفكّها، سواء إذا كانت اتفاقات اختياريّة أو بالإكراه. ينبغي عليه أن ينظّم كلّ هذا بالأسلوب الذي يراه مناسباً، وأن يعتبر أين يوجد العدل كما الظلم أو أين توجد الحاجة للعدل في تعاملات المواطنين المتعدّدة مع بعضهم البعض. وعليه أن يكرّم ويشرّف أولئك الذين يحترمون القانون، وأن يفرض غرامات محدّدة على أولئك الذين لا يطيعونه، إلى أن يتمّ فحص وتنقيح كلّ مظهرٍ من مظاهر الحياة المدنيّة. ولقد حان وقت اعتبار الطقوس الجنائزيّة وتكريم المتوفّين، وسيعيّن المشرّع عند فحص أعماله حماةً كي يشرفوا على هذه الأشياء ويترأّسوا تحقيقها - إنّ بعض هذه الأشياء يجرى بالذكاء، ويجري بعضها الآخرى بالرأي الحقّ فقط، وحينئذ فإنّ العقل سيربط كلّ هذه الأوامر معاً ويبين أنّها في تناسق مع الاعتدال والعدل، وليس مع الغنى أو الطموح. هذه هي النفسيّة، أيّها الغريب، التي رغبت وأرغب منك أن تلاحق الموضوع وتتعقّبه بواسطتها. وإنّي لأريد أن أعرف طبيعة كلّ هذه الأشياء، وكيف هي مرتبة ومنظّمة في قوانين زيوس، كما تسمّى، وفي تلك

القوانين التي تخصّ أبوللو البيثي، اللذين استشهد بهما كلٌّ من مينوس وليغارغوس، وكيف تمَّ اكتشاف نظام أمرها بعينيه، وذلك من لديه الخبرة في القوانين وصياغتها، تلك الخبرة التي تمَّ اكتسابها إمّا بالدرس أو بالعادة، برغم أنّها بعيدة جدّاً عن كونها بيّنة بنفسها لبقيّة الجنس البشريّ كأنفسنا.

كلينياس: كيف سنواصل المسيرة، أيّها الغريب؟

الأثيني: أعتقد بأنّه يجب علينا أن نبدأ مرّة ثانية كما فعلنا سابقاً، وأن نعتبر بادىء ذي بدء التمارين التي تغرس الشجاعة، وبعدئذ سنستمرّ في المسيرة ونبحث شكلاً من فضيلة أخرى ومن فضيلة ثانية حينئذ، إذا ما سرّك ذلك. دعنا نحاول جعل فحصنا الأوّل يفيد كنموذج للكلّ، ونحن سنمضي وقتنا على الطريق بهذه الأبحاث وما شابهها. وعند انتهائنا من البحث في كلّ الفضائل، فإنّنا سنبيّن، بنعمة الله، أنّ المؤسسات والقوانين التي تكلّمت عنها تتطلّع إلى الفضيلة.

ميغيلوس: جيّد جدّاً، وأفترض أنّك تنتقد هذا المادح لزيوس وقوانين كريت بادىء ذي بدء.

الأثيني: سأحاول أن أنتقدك وأنتقد نفسي، كما أنتقده، لأنّ المحاورة تكون اهتماماً عامّاً وشاملاً وشأناً قيّماً: قل لي، ألم يتمّ اختراع لعبة السيسيتيا Syssitia أوّلاً، والألعاب الرياضيّة ثانياً، ألم يخترعهما مشرّع قوانينكم لغرض الحرب؟

ميغيلوس: أجل.

الأثيني: وما الذي يأتي ثالثاً، وما الرابع؟ أعتقد أنّ هذا النوع من أنواع العدّ للأجزاء التي يجب أن يُعمل به في البحث بكلّ فضيلة، أعتقد أن لا فرق سواء إذا سمّينا الأجزاء أجزاء أو مهما كانت مسمّاة، شريطة أن يكون المعنى جليّاً.

ميغيلوس: إذن فإنّني سأجيب أنا، أو سيجيب أيّ لاقيدايموني آخر أنّ الصيد هو الجزء الثالث في النظام.

الأثيني: دعنا نرى إذا استطعنا أن نكتشف ما الذي يأتي رابعاً وخامساً.

ميغيلوس: أعتقد بأنّني أستطيع الوصول إلى بُعدِ الجزء الرابع، الذي هو تحمّل الألم المتكرّر الحدوث، والذي نعْرضه نحن الاسبرطيين في قتال محدَّد: اليد باليد، وأيضاً في السرقة مع أمل الحصول على ضربٍ محقَّق. هناك أيضاً ما يسمَّى Crypteia أو الخدمة السريّة، التي يُظهر فيها الإنسان صبراً مدهشاً رائعاً. إنّ شعبنا يطوف طول البلاد وعرضها ليل نهار، وحتّى أنّهم يسيرون في الشتاء حفاة الأقدام، وبدون أَسِرّة ليناموا عليها، وعليهم أن يعتنوا بأنفسهم أثناء ذلك. إنّه لرائعٌ الجلَد والصبر الذي يبديه مواطنونا في تمارينهم الرياضية وهم عراة، يناضلون ضدّ حرارة الصيف المحرقة القاسية. وهناك عدّة تمارين مشابهة أيضاً، وسيكون الكلام عنها كلّها بالتفصيل شيئاً لا نهاية له.

الأثيني: ممتاز، أوه أيّها اللاقيدايمونيّ الغريب. لكن كيف يجب علينا أن نعرِّف الشجاعة؟ هل ينبغي اعتبارها وكأنّها قتال ضدّ الخوف والآلام فقط، أو أنّها قتال ضدّ الرغبات والملذّات، وضدّ التملّق؟ أيُّها يستخدم هكذا قوّة هائلة، كي يجعل قلوب حتى أكثر المواطنين احتراماً تذوب كالشمع؟

ميغيلوس: عليّ أن أقول الخيار الأخير.

الأثيني: في ما سبق وتكلّمناه، كما ستتذكّر جيّداً، تحدَّث صديقنا الكنوسي عن إنسانٍ أو مدنيّة أقلّ شأناً من نفسها: ألم تقل ذلك، يا كلينياس؟

كلينياس: لقد فعلت.

الأثيني: وبعد، أي إنسان هو أقلّ شأناً من نفسه في المعنى السيّيء؟ هل هو الإنسان الذي يُقهر بالألم أو ذلك الذي يُهزمُ باللذّة؟

كلينياس: إنّه المعنى الأخير، في رأيي، من غير ريب، وعندما نتكلّم عن إنسانٍ أقلّ شأناً من نفسه في معنى مخزٍ، أعتقد أنّنا نعني كلّنا الإنسان الذي هُزم باللذّة بدلاً من الإنسان الذي قُهِر بالألم.

الأثيني: لكنّ المشرّعين في كريت ولاقيدايمونيا لم يشرّعوا لشجاعة عرجاء تسير على رِجلٍ واحدة بالتأكيد، قادرةٍ على أن تواجه الهجومات التي تأتيها من الجهة اليسرى، لكنّها واهنة ضدّ التملّقات الماكرة التي تأتيها من الجهة اليمنى؟

كلينياس: عليّ أن أقول، إنّها يجب أن تكون قادرة كي تواجه الهجومين كليهما.

الأثيني: دعني أسأل مرّة ثانية إذن، أيّة مؤسسات لديكما في كل من دولتيكما، تهب نزوعاً نحو الملذّات، ولا تتفاداها؟ إنّ الآلام، كما وجدنا، لا تتفاداها مؤسّساتكم وقوانينكم، بل إنّها تنصّب شخصاً في وسطها، وتجبره أو تغريه بإمكانيّة الحصول على الجوائز كي تنال الأفضل منها عند تطبيقها. فأين يمكن إيجاد أمرٍ بشأن اللذّة مشابهٍ لذلك الأمر بخصوص الألم في قوانينكم؟ أخبرني ماذا يوجد من هذه الطبيعة بينكم؟ وما الذي يجعل مواطنيكم شجعاناً بواسل بشكلٍ متساوٍ وضدّ اللذّة والألم، وأرفع مقاماً وأسمى من الأعداء الذين يكونون الأكثر خطراً ويكون مسكنهم الأكثر قرباً؟

ميغيلوس: إنّني كنت قادراً على إخبارك، أيّها الغريب، عن العديد من القوانين التي وُجّهت ضد الألم، لكنّني لا أعرف بأنّني أستطيع أن أشير لأيّة مهمّة عظيمة أو جليّة لقوانين مشابهة تهتمّ باللذّة. هناك على كل حال، التدابير الاحتياطيّة التي يمكنني أن أذكرها.

كلينياس: لا ولا أقدر أن أبيّن أيّ شيء من هذا النوع يكون مساوياً له في القوانين الكريتيّة على الإطلاق وبشكل بارز.

الأثيني: لا عجب في ذلك، يا أصدقائي الأعزاء، وإذا أمكن لأحدنا في بحثه واستقصائه عن الحقّ والخير، كما يكون هذا محتملاً جدّاً، إذا أمكنه أن يُلزَمَ كي ينتقد قوانين الآخرين، فعندها يجب علينا أن لا نتضايق ولا نغتاظ، بل أن نتقبّل بكرم وعطف ما يدلي به الآخرون من رأي.

كلينياس: إنّك لمحقٌّ تماماً في ما تقول، أيّها الأثيني الغريب، وسنفعل كما تصرِّح.

الأثيني: لا ضرورة لوجود أيّ شعورٍ ساخطٍ غاضب في زمن حياتنا، يا كلينياس.

كلينياس: لا بالتأكيد.

الأثيني: إنني لن أقرِّر في الوقت الحاضر سواء إذا كان الذي يدين السياسات الكريتية أو اللاقيدايمونية محقّاً أو مخطئاً في عمله. لكنّي أعتقد أنّ باستطاعتي القول أفضل من كليكما عمّا يقوله العديد بشأنها. ولنفترض أنّ لديكم قوانين جيّدة ومعقولة، فإنّ القانون الأفضل فيها سيكون قانون منع أيّ رجلٍ من الرجال الفتيان كي يتحقّقوا أيّها صحيح وأيّها باطل، لكنّهم يجب أن يوافقوا بفمٍ واحد وصوتٍ واحد جميعاً على أنّ القوانين كلّها جيّدة، لأنّها أتت من الله، وأيّ شخص يقول العكس لن يستمع أحد لما يقوله. لكنّ إنساناً مسنّاً يلاحظ أيّ خللٍ في قوانينكم يمكنه أن يُبلِغ ملاحظته إلى حاكمٍ أو إلى مجايليه عندما لا يكون أيّ شابٍّ فتيٍّ موجوداً.

كلينياس: هكذا بالضبط، أيّها الغريب؛ وتبدو لي مثل الإلهيّ تماماً، برغم أنّك لست هناك في كلّ مرّة، وتظهر لي أيضاً أنّك تصيب المعنى الذي يقصده المشرِّع، وأنّك تقول القول الأكثر صدقاً وحقّاً.

الأثيني: وبما أنّه ليس هنا أي شابّ فتيّ حاضر، وبما أنّ المشرِّع أعطى الرجال المسنّين إذناً حرّاً، فليس هناك عدم ملاءمة في بحثنا هذه القضايا بالتحديد الآن ونحن منفردون بأنفسنا.

كلينياس: صدقاً. ولهذا السبب يمكنك أن تكون حرّاً كما تحبّ وكما ترغب في إدانتك قوانيننا، إذ لا عار في معرفة ما هو خطأ، والذي يتلقّى ما قيل بنفسيّة كريمة وصدوقة، سيكون الأفضل لأجلها كلّها.

الأثيني: جيّد جدّاً، على كلّ حال، إنّني ليس في نيّتي أن أقول أيّ شيء بحقّ قوانينكم إلى أن أتفحّصها طبقاً لمقدرتي الأفضل، غير أنّني عازم على إثارة

شكّ بشأنها. إنّكم أنتم الأناس الوحيدون الذين نعرفهم فقط، سواء كانوا يونانيين أو برابرة، والذين أمرهم المشرّع بمحاذرة كلّ الملذّات العظيمة واللّهو وعدم محاذاتها قطّ. في حين أنّه في مسألة الآلام والخوف التي قد بحثناها لتوّنا، اعتقد هو أنّ الذين تجنّبوا الآلام والخوف والإجهاد دائماً ومنذ طفولتهم، فإنّهم عندما أُجبروا على مواجهتها سيهربون من أولئك الذين تصلّدوا بها واخشوشنوا، وسوف يصبحون رعاياهم. وبعدُ فإنّه وجب على المشرّع أن يأخذ بعين الاعتبار أن هذا الشيء كان شيئاً حقيقيّاً عن اللذّة؛ ووجب عليه أن يقول لنفسه إنّه إذا كان مواطنونا منذ شبابهم فصاعداً غير مطّلعين أو غير ملمّين بالملذات الأعظم، وغير معتادين على أن يصبروا ويتحمّلوا إغراءَات اللذة، وإنهم لم يُدفعوا أبداً بعقل ما هو شرّ، فإنّ الشعور الحلو الطعم باللذّة سوف يقهرهم تماماً مثلما أَذلَّ الطبقة السابقة. وهم في حالة أخرى، وحتّى في أسلوب أسوأ، سيكونون عبيداً لأولئك الذين يقدرون أن يتحمّلوا وسط الملذّات، والذين يكون تعليمهم كاملاً في هذا المنحى. فهم، كونهم أسوأ كلّ الجنس البشريّ غالباً، فإن نصف أرواحهم سيكون مستعبداً، والنصف الآخر حرّاً. ولن يكونوا جديرين بأن يُدعَوا في المعنى الحقيقي رجالاً، ولا رجالاً أحراراً. قل لي إذا ما كنت تصادق على كلماتي.

كلينياس: عند سماعي الأوّل لها، يبدو أنّ ما تقوله هو الحقيقة؛ لكن الإستعجال في الوصول إلى نهاية بشأن هكذا قضايا مهمّة هو شيء صبيانيّ وبسيط.

الأثيني: إفترضنا، يا كلينياس وميغيلوس، أنّنا أخذنا بعين الاعتبار الفضيلة التي تتبع تالياً تلك الفضائل التي عزمنا على أن نبحثها « لأنّ الاعتدال يأتي بعد الشجاعة »، فأيّة مؤسّسات سنجدها تتعلّق بالاعتدال، إمّا في كريت أو لاقيدامونيا، الدولتين اللتين تتفوّقان على أيّة دولة اعتياديّة، وهما مثل مؤسّساتكم العسكرية؟

ميغيلوس: إنّ هذا السؤال ليس سؤالاً سهلاً جوابه. يبقى أنّه يجب عليّ أن أقول إنّ الوجبات الغذائيّة المشتركة والتمارين الرياضية قد إستُنبطت بشكل ممتاز لتعزيز الاعتدال والشجاعة كليهما.

الأثيني: يبدو أن هناك صعوبة، أيّها الغريب، في ما يختصّ بالدول، وهي في جعل الكلمات والحقائق تتوافق إلى حدٍّ يُستطاع معها إيجاد ما لا يدور بشأنها من نزاع أو جدال. وكما في الجسم الإنسانيّ، فإنّ الحِمْيَةَ التي تسبّب الخير من ناحية تسبّب الأذى من ناحية أخرى؛ ونحن نستطيع أن نقول بصعوبة إنّ أيّة طريقة للمعالجة تُتّخذ لقانونٍ خاصّ تفعل الفعل عينه. وبعدُ فإنّ التمارين الرياضية ووجبات الطعام المشتركة تسبّب مقداراً كبيراً من الخير، وبرغم ذلك فإنّها تكون مصدر الشرّ في الاضطرابات الأهليّة، كما هو ظاهر في حالة الميليسيين، والبيوتان، والشباب الثيري. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ هذه المؤسّسات القانونيّة يبدو أنّها أظهرت ميلاً للحطّ من قدر العادة الغابرة والطبيعيّة في ما يتعلّق بالمتعة الجنسيّة تحت المستوى، ليس مستوى الإنسان، بل مستوى البهائم أيضاً. إنّ الاتّهام يمكن إحضاره بعدلٍ ضد مدنكم فوق كلّ المدن الأخرى، ويكون هذا شيئاً حقيقيّاً عن أكثر الدول التي ترعى التمارين الرياضيّة بشكل خاصّ. وسواء إذا وجب اعتبار هذه القضايا بشكل مزاح أو بشكل جدّيّ، فإنّني أعتقد أنّ اللذّة يجب أن تُعتبر لذّة طبيعية تنشأ من الاتّصال الجنسيّ بين الرجال والنساء لأجل الإنجاب، لكنّ ذلك الاتّصال الجنسيّ بين الرجال والرجال، وبين النساء والنساء، هو اتصال متعارض مع الطبيعة. وتلك المحاولة الجسورة ناشئة في الأصل عن شهوة غير مكبوحة الجماح. إنّ الكريتيين أُدينوا دائماً بأنّهم اخترعوا قصّة جانديمي وزيوس لأنّهم أرادوا أن يبرّروا أنفسهم في المتعة التي يحصّلونها عن طريق الملذّات غير الطبيعيّة مستندين إلى ممارسة الإله الذي يعتقدون أنّه قد كان مشرّع

قوانينهم. لنترك القصة، ولنراقب أنّ أيّ تأمّل بشأن القوانين يدور بخصوص اللذة والألم بشكل تامّ. وذلك في الدول والأفراد على حد سواء: هاتان هما النافورتان اللتان تسمح لهما الطبيعة بالتدفّق، والذي ينهل منهما، في أي زمان ومكان، وبقدر ما يجب، يكون سعيداً. ويصحّ هذا عن الرجال والحيوانات، عن الأفراد كما عن الدول؛ والذي ينغمس فيهما ويطلق لهما العنان بجهلٍ وفي الوقت الخطأ، يكون عكس الإنسان السعيد.

ميغيلوس: أَعترف، أيّها الغريب، بأنّ كلماتك قد تمّ عرضها بجودة، ولديّ صعوبة في معرفة ما أقوله جواباً لك، لكنّني لا أزال أعتقد أنّ المشرّع الإسبرطي كان محقّاً تماماً في منع اللذّة، وإنّي سوف أترك الدفاع عن القوانين الكريتيّة لصديقي الكونسيان. غير أنّ قوانين اسبرطة، بقدر ما تتصل باللذة، تبدو لي أنّها القوانين الأفضل في العالم، لأنّ ذلك الذي يقود الجنس البشري بشكل عامّ إلى اللذّة والفسق، ولكلّ نوع من أنواع الحماقة، فإنّ القانون الإسبرطيّ أزاله وتخلّص منه. ولن تجد، لا في الريف ولا في المدن التي تسيطر عليها اسبرطة، لن تجد قصفاً ولا عربدة، ولا الدوافع المحرّضة على اللذّة التي تصاحبها والعديدة من كلّ نوع؛ وأيّ شخص يلقى سكيراً ومتمرّداً، فإنّه سيُنزل به العقاب الأكثر صرامة في الحال، ولن ندعه طليقاً تحت أيّة ذريعة أو إدّعاء، حتّى في وقت احتفال ديونيسياك. ومع ذلك فإنّني لاحظت أنّ هذا ممكن الحدوث عند قيامكم بالمسرحيات « على العربة » كما تُسمّى. لكن بين ساكني مستعمراتنا التارينتاين فإنّني رأيت المدينة كلّها سكرى في احتفال ديونيسياك، غير أنّه لا شيء من هذا النوع حدث بيننا.

الأثيني: أوه أيّها اللاقيدايموني الغريب، إنّ هذه الأعياد جديرة بالاعتبار والثناء حيث هناك نفس الاحتمال والجلّد، لكنّها أعياد حمقاء ولا معنى لها حقّاً عندما لا يضبطها ضابط ولا يردعها رادع. ولكي أنتقم ممّا قلته، فإنّ أثينياً

عليه أن يشير فقط إلى الفجور والانحراف الخلقيّ الموجودين بين نسائكم. هناك جواب واحد على كلّ تلك الاتهامات، سواء إذا أُحضرت ضدّ التارنتاين، أو ضدّها، أو ضدّكم، إنّه الجواب الذي يُحلُّ أو يُبرىء المزاولة في سؤال من عدم مناسبة. حينما يُعبِّر غريب عن دهشته في وحدة أو في خصوصيّة ما يرى، فإنّ أيّ مواطن قاطن في المدينة سيجيبه على سؤاله بشكل طبيعيّ قائلاً: لا تنشده، أوه أيّها الغريب؛ إنّ هذه العادة عادتنا، ويمكنك أن تحوز عادة أخرى ما بشكل محتمل جدّاً بخصوص الأشياء عينها. وبعدُ فإنّنا لا نتكلّم، يا أصدقائي بشأن الرجال بشكل عامّ، بل إنّنا نتكلّم بشأن الجدارة أو الميزة والخلل أو الشوائب عند الذين سنُّوا قوانينكم أنفسهم. دعونا نتباحث إذن بتفصيل تامّ أكثر قليلاً عن السّكْرِ أو الثَّمَل، الذي هو موضوع مهم جدّاً، وهذا الموضوع سيرهق حسن التمييز وحصافةِ المشرّع بشكل جدّي. إنّني لا أتكلّم عن شرب النبيذ أو عدم شربه مطلقاً، بل أتكلّم عن السّكْر عينه. هل نحن لنتبع عادة السكيثيين، والفارسيين، والقرطجنيين، والكلتيين، والأيبيريين، والتراقيين، الذين هم أمم محبّة للحرب، أو أنّنا سنتّبع عادة أهل بلدكم، لأنّهم هم، كما تقولون، امتنعوا عن الشراب نهائياً وبالإجمال؟ لكنّ السكيثيين والتراقيين يشربون النبيذ غير الممزوج، رجالاً ونساءً، وكذلك هم يسكبون النبيذ على ثيابهم، ويعتقدون أنّ هذا المجتمع هو مجتمع سعيد ومجيد وكذلك قوانينه. أمّا الفارسيون فإنهم يندفعون أيضاً إلى مزاولات أخرى أكثر ترفاً وأنتم ترفضونها، غير أنّ لديهم اعتدالاً فيها أكثر ممّا لدى التراقيين والسكيثيين.

ميغيلوس: أوه، يا أفضل الرجال، يجب علينا أن نمتشق السلاح بأيدينا، وأن نجعل كلّ هذه الأمم هاربة منا خوفاً ورعباً.

الأثيني: لا، يا صديقي الصّالح، لا تقل ذلك؛ لقد وُجد كما أنّه سيوجد على

الدوام طيران وملاحقة اللذين لا يمكن إعطاء رقم عنهما، ولهذا السبب فإنّنا لا نقدر أن نقول إنّ النصر أو الهزيمة في المعركة يعطيان أكثر من برهان مشكوكٍ فيه عن الخير أو الشرّ للقوانين أو للمؤسّسات القانونية، إذ عندما تُخضِعُ الدول الأكبر وتستعبد الدول الأصغر منها، مثلما فعل السيراقيون باللوقرانيين، فَمَنِ الشعب الذي يظهر أنّه الشعب المحكوم جيّداً في ذلك الجزء من العالم. أو كما فعل الأثينيون بالسينيين « وهناك عشرة آلاف دليل آخر عن نوع الشيء عينه »، إنّ كلّ ما قلته لا يدخل في صميم الموضوع. دعنا نجهد على الأصحّ لصياغة خاتمة بشأن كلّ قانون بعينه، وأن لا نقول شيئاً عن الانتصارات والهزائم في الوقت الحاضر. دعنا نقول فقط إنّ هكذا عادة هي عادة شريفة، وأن الأخرى ليست كذلك. واسمح لي بادىء ذي بدء أن أخبرك كيف يجب أن يُقيِّم الخير والشرّ في ما يتعلّق بهذه القضايا المحدَّدة.

ميغيلوس: ماذا تعني؟

الأثيني: يبدو لي أنّ كلّ أولئك الذين يكونون جاهزين في لحظة إنذار لإدنة أو للثناء على أيّة ممارسة تكون قضيّة مطروحة قيد البحث، يبدو لي أنّهم يتقدّمون بالطريقة الخطأ. يمكنك أن تفترض شخصاً مادحاً القمح كأنّه نوع جيّد من أنواع الغذاء، ومن ثمّ يلوم شخص آخر القمح في الحال، حتّى بدون أن يحقق في تأثيره أو استعماله، وفي أيّة طريقة، أو لمن سيُعطى، أو بماذا، أو في أيّة حالة وكيف يجب أن يُعطى القمح. وذلك ما نفعله نحن الآن في هذا البحث تماماً. وعند ذكرنا القريب لكلمة سِكْر، فإنّ واحداً منا يكون جاهزاً بثنائه ومديحه والجانب الآخر بلومه وتقريعه، وهذا العمل مضحك. إنّ الجانبين كليهما يقدّمان شواهدهما والمصادقين على ما يقولون، ويعتقد بعضنا أنّنا نتكلّم بسلطانٍ ومستنَد لأنّ لدينا العديد من الشواهد على

ما نقول. وأمّا الآخرون فلأنّهم يرون أولئك الممتنعين عن الشراب يُهزمون في المعركة، وهذا ما ننقضه مرّة ثانية بعد الجدل الشديد. وبعدُ فإنّني لا أستطيع أن أقول بأنّي سأقتنع إذا تابعنا بحث كلّ القوانين الباقية بالطريقة عينها. وأمّا بشأن هذه النقطة الرئيسيّة عينها تحديداً، أي السّكْر، فإنّني سأحبّ أن أتكلّم بطريقة مختلفة، أؤمن أنّها الطريقة الصحيحة، إذ لو كان العدد هو المقياس، أفلا تكون أعداد لا تحصى فوقِ أعداد لا تحصى من الأمم جاهزة لتجادل بعنف النقطة الرئيسيّة هذه معكما، أنتما المنتميّيْن إلى مدينتين فقط؟

ميغيلوس: إنّني سأرحّب بحبورٍ بأيّة طريقة للتحقيق تكون طريقة صحيحة.

الأثيني: دعني أطرح القضية هكذا: إفترض أنّ شخصاً يمدح العناية بالماعز، ويقول إنّ امتلاك هذه المخلوقات عينها مصدر ربح كبير، وحينئذ فإنّ شخصاً آخر ما رأى الماعز تتغذّى في أماكن محروثة وهي بدون راعٍ، وتسبب الأذى لتلك الحقول، إنّ هذا الشخص أدان الماعز أو أيّ حيوان آخر ليس لديه راعٍ، أو أنّ لديه راعياً سيّئاً، فهل هناك أيّ معنى أو أيّ عدل في هكذا إدانة؟

ميغيلوس: لا بالتأكيد.

الأثيني: وهل يحتاج القبطان لمعرفة بحريّة كي يكون قبطاناً بارعاً وكفوءاً، سواء إذا كان هو عليل بحرٍ أوْ لاَ؟ فماذا تقول؟

ميغيلوس: أقول إنّه لا يكون قبطاناً كفوءاً، إذا كان عرضةً لمرض البحر، برغم أنّه يمتلك براعة بحريّة.

الأثيني: وماذا ستقول عن قائد جيشٍ؟ هل سيكون قائداً قادراً فحسب لأنّ لديه براعة عسكريّة في حين أنه عندما يأتي الخطر، يمرض ويسكر من الخوف إذا كان جباناً؟

ميغيلوس: مستحيل.

الأثيني: وماذا لو كان، بالإضافة إلى جبنه، لا يمتلك براعة؟

ميغيلوس: إنه شخص شقيّ، لا يصلح قائداً عسكرياً للرجال بل يصلح قائداً للنساء المسنّات.

الأثيني: وماذا ستقول عن الشخص الذي يلوم أو يمدح أيّ نوع من أنواع الاجتماع الذي يُقصد بالطبيعة كي يُكوّن له قائداً أو حاكماً، ويكون جيّداً بما فيه الكفاية عند تولّيه الرئاسة؟ إنّ الناقد على كلّ حال لم يرَ أبداً المجتمع مجتمعاً معاً فيْ وليمة منظّمة تحت توجيه الرئيس، بل رآه بدون حاكم أو رآه يحاكم سيّىء على الدوام ـ عندما يثني المراقبون على هذه الطبقة لاجتماعات كهذه أو يلومونها، فهل سنفترض أنّ ما يقولونه ذو قيمة؟

ميغيلوس: لا بالتأكيد، إذا لم يروا أو لم يحضروا في هكذا اجتماع أبداً عندما يُنظّم بجودة.

الأثيني: تأمّل مليّاً، المآدب والمستمتعين عليها بالطعام والشراب، ألا يمكن أن يقال عنها إنّها تشكّل نوعاً من أنواع اللقاء أو الاجتماع؟

ميغيلوس: طبعاً.

الأثيني: وهل رأى أيّ شخص أبداً أنّ هذا النوع من أنواع الاجتماع المَرِح نُظّم بجودة؟ طبعاً ستجيبني بأنّك لم تَرَها أبداً، لأنّها ليس اجتماعات مألوفة أو قانونية في بلدك، لكنّنيْ التقيت صدفة بمن أقامها وحضرتها في أماكن مختلفة. وبالإضافة إلى ذلك فإنّني حقّقت فيها وتساءَلت عنها أنّى ذهبت، كما يمكنني أن أقول، ولم أرَ أبداً أو أسمع بأيِّ نوعٍ منها أُدير بشكل صحيح أو مناسب. يمكن لهذه الاجتماعات أن تكون كذلك في بعضٍ قليلٍ من خصائصها، لكنّها كانت اجتماعات خاطئة كليّاً بشكل عامّ.

كلينياس: ماذا تعني أيّها الغريب، بهذه الملاحظة؟ أوضح لنا، لأنّنا نحن، كما تقول، ولقلّة خبرتنا في هذه القضايا، يمكن أن لا نعرف عنها بشكل محتمل جدّاً، حتّى إذا قابلناها صدفة أو بغير صدفة، قل لنا ما هو الصحيح والخطأ في مجتمعاتٍ وفي اجتماعات كهذه.

الأثيني: إنّه ملائم بما فيه الكفاية كي أبدأ بذلك، دعني أحاول أن أكون معلّمك: ستعترف أنتَ، ألن تفعل ذلك، ستعترف أنَّ كلّ لقاءات الجنس البشري، مهما كان نوعها، يجب أن يكون لها قائد؟

كلينياس: سأعترف بذلك بدون ريب.

الأثيني: ونحن قلنا لتوّنا الآن، إنّ الرجال عندما يكونون في حربٍ يجب أن يكونوا رجالاً بواسل؟

كلينياس: لقد فعلنا.

الأثيني: إنّ الإنسان الشجاع سيكون أقلّ خشية من الرجل الجبان كي تقلقه هذه المخاوف على الأرجح.

كلينياس: إنّ ذلك لحقيقيّ مرّة ثانية.

الأثيني: وإذا وُجدت إمكانيّة امتلاك قائد عسكريّ لجيشٍ ما وهو لا يعرف الخوف بالمطلق وهو قائد رابط الجأش، أفلن نعيّنه قائداً لهذا الجيش مهما كلّف الأمر؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وبعدُ، على كلّ حال، فنحن لا نتكلّم عن قائد جيشٍ سيأمر جيشاً عندما يقابل عدوٌّ عدوّاً في زمن الحرب، بل إنّنا نتكلّم عن القائد الذي سينظّم الاجتماعات التي هي من نوعٍ آخر، وذلك عندما يقابل صديق صديقه زمن السلم.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: وإذا رافق ذلك النوع من أنواع الاجتماعات السّكْر والخمور، فإنّه سيكون عرضة لأن يكون اجتماعاً صاخباً.

كلينياس: إنّه عكس الاجتماع الهادىء، بالتأكيد.

الأثيني: في المقام الأوّل، إذن، فإنّ المعربدين كما الجنود سيحتاجون لقائد.

كلينياس: لتكن متأكّداً، إذ لا رجال يحتاجون لشيء أكثر.

الأثيني: ويجب علينا نحن، إذا أمكن، أن نجهّزهم ونقدّم لهم حاكماً هادئاً؟

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: ويجب أن يكون إنساناً يفهم المجتمع، لأنّ واجبه يقضي عليه أن يصون مشاعر الصداقة الموجودة بين المجموعة في ذلك الوقت، وأن يزيدها باستخدامه لهذه الفرصة مستقبلاً.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: أفلا ينبغي علينا أن نعيّن إنساناً غير مدمن على الخمر وعاقلاً كي يكون سيّداً على الصاخبين والقاصفين؟ لأنّه إذا كان حاكم المدمنين على الخمر فتىً وسكيراً، ولم يكن عاقلاً زيادة، فإنّه سينقذُ بحظّ خاصٍّ جيّدٍ ما فقط من ارتكابِ شرٍّ عظيم ما.

كلينياس: إنّه سيكون حظّاً جيّداً فريداً ذلك الذي سينقذه.

الأثيني: والآن إفترض أنّ اتّحادات كهذه شُكّلت بأفضل طريقة ممكنة في الدولة، وأنّ شخصاً ما يلوم الحقيقة عينها لوجودها ـ يمكن أن يكون محقّاً في لومه على الأرجح. لكنّه إذا لام الممارسة التي يرى أنّها سيّئة الإدارة بشكل كبير، يظهر في المقام الأوّل أنّه لا يكون عالماً بسوء هذه الإدارة، وأنّه لا يدري أيضاً أنّ كلّ شيء تمّ فعله بهذه الطريقة سيثبت في النهاية أنّه يكون فعلاً خاطئاً، لأنّه إنّما تمّ فعله بدون مناظرة الحاكم العاقل والمتّزن. ألا ترى أنّ القبطان السكّير أو الحاكم السكّير من أيّ نوع سوف يدمّر الباخرة، العربة، الجيش ـ سيدمّر أيّ شيء يقف في طريقه، باختصار؟

كلينياس: إنّ الملاحظة الأخيرة التي أبديتها هي ملاحظة حقيقيّة جدّاً، أيّها الغريب، وإنّني لأرى بوضوح تامّ منفعة الجيش الذي لديه قائد بارع وصالح ـ إنّه سيؤمّن النصر لأتباعه في الحرب، والنصر يكون منفعة كبيرة جدّاً؛ ويكون

هذا في ما يخصّ الأشياء الأخرى كذلك. لكنّني لا أرى أيّة منفعة مشابهة سيكسبها إمّا الأفراد أو الدول من الإدارة البارعة والصالحة لوجبة طعام. وأريد منك أن تخبرني ماذا سيكون الخير العميم الواضح الأثر، مفترضين أنّ هذا الأمر الذي يخصّ الشراب يكون موطّداً كما ينبغي.

الأثيني: إذا قصدت السؤال عن أيّ خير عظيم سينشأ للدولة من التدريب الصحيح لشابّ فرد، أو لمجموعة مفردة من المغنّين، ـ عندما يُطرح السؤال بذلك الشكل، فلا يمكننا أن ننكر أنّ الخير لا يكون خيراً عظيماً في أيّة دلالة خاصّة، لكنّك إذا سألت ما هو الخير للتعليم بشكل عامّ، فإنّ الجواب يكون جواباً سهلاً ـ وهو أنّ التعليم يجعل الرجال أخياراً، وأنّ الرجال الأخيار يعملون بنبلٍ في كلّ مناسبة، ويقهرون أعداءهم في المعركة أيضاً. إنّ التعليم يهب النصر بكلّ تأكيد، برغم أنّ النصر يُنتج نسيان التعليم بعض المرّات، إنّ العديد من الدول إستحوذت عليها الغطرسة والعجرفة من الانتصار في الحرب، وهذه الغطرسة ولّدت في أفرادها شروراً لا تُحصى. وكثيراً من الانتصارات قد كانت وستكون انتصارات انتحاريّة للمنتصرين، لكنّ التعليم لا يكون انتحاريّاً أبداً.

كلينياس: يبدو أنّك تدلّ ضمناً، يا صديقي، على أنّ الاجتماعات المرحة، عندما تُنظّم بطريقة صحيحة، فإنّها تكون عنصراً مهمّاً من عناصر التعليم.

الأثيني: إنّني أفعل ذلك بكلّ تأكيد.

كلينياس: وهل تستطيع أن تبيّن أنّ ما قد قلته هو قول صادق؟

الأثيني: لتكن متأكّداً بشكل قاطع ومطلق بحقيقة القضايا قيد البحث والتي هناك آراء متعدّدة بشأنها، فإنّما هذا شيء يخصّ الآلهة وحدهم وتُنسب إليهم ولا تُعطى لإنسان، أيّها الغريب. لكنّني سأكون سعيداً جدّاً في أن أقول لك ما أعتقد، خاصّة ما دمنا نقترح الآن أن ندخل في مباحثة خاصّة بالقوانين وبالمؤسّسات القانونية.

كلينياس: إنّ رأيك، أيّها الغريب، بشأن الأسئلة التي تُطرح الآن، هو الرأي الذي نريد سماعه بشكل دقيق.

الأثيني: جيّد جداً، سأحاول إيجاد طريقة لتوضيح معناي، وأنت ستحاول أن تكون لديك هبة فهم هذا المعنى، لكن دعني أهيّىء دفاعاً بادىء ذي بدء. إنّ المواطن الأثيني يُعدُّ من بين كلّ الهيلينيين أنّه متكلّم عظيم، في حين أنّ اسبارطة مشهورة بالبسالة، والكريتيون لديهم إدراك وحصافة أكثر ممّا لديهم من كلمات. وبعدُ فإنّني أخشى الظهور كي استنبط محادثة طويلة جدّاً من موادٌ صغيرة جداً. إنّ شرب الخمر يمكن أن يبدو حقّاً مسألة طفيفة لا تُذكر، ومع ذلك فإنّها واحدة من المسائل التي لا يمكن أن تُنظَّم طبقاً للطبيعة بشكل صحيح، وبدون مبادىء وقواعد موسيقيّة صحيحة. وهذه القواعد والمبادىء ضروريّة لأيّة معالجة. واضحة المعالم أو مقنعة في هذا الموضوع. ومرّة ثانية فإنّ الموسيقى تمتدّ إلى التعليم بشكل عامّ، وهناك الكثير كي يقال بشأن كلّ هذه المواضيع الهامة. ماذا سنقول إذن لترك هذه المسائل في الوقت الحاضر والانتقال إلى سؤال ما آخر عن القانون؟

ميغيلوس: أوه، أيّها الأثيني الغريب، دعني أقول لك شيئاً لربّما لا تعرفه، وهو أنّ عائلتنا هي البروكسينوس لدولتك، وأشعر بعطف نحو بلدهم الآخر، وهذا الشعور قد كان شعوراً خاصّاً بي بكل تأكيد، أستطيع أن أتذكر جيداً من أيام صباي، كيف، ومتى يمدح أي لاقيدايمونيّ الأثينيين أو يلومهم. هم اعتادوا على أن يقولوا لي: « أُنظر يا ميغيلوس، كيف عاملتك دولتك بسوء أو بجودة »، كما يمكن للحالة أن تكون. وبما أنّني التزمت أن أخوض معارككم ضدّ الذين يحاولون الانتقاص من أقداركم عندما سمعت مهاجميكم يعنفون، فإنّني أصبحت متعلّقاً بكم بحرارة، وإنّي لأحبّ أن أسمع اللّسان الأثيني يصدح، وأنّ القول العامّ لقول صحيح، وهو أنّ الأثيني

الصالح هو أكثر من إنسان صالح عاديّ، لأنّه هو الإنسان الوحيد الذي يكون صالحاً بحريّة وصدق وبواسطة الإلهام الإلهيّ لطبيعته الخاصّة. وهذه الطبيعة ليست طبيعة مصطنعة، لذلك كن متأكّداً من أنّني سأحبّ سماعك تتكلّم بقدر ما يسرّك.

كلينياس: نعم، أيّها الغريب، وعندما تسمعني أتكلّم، قل بجسارة ما يجول في أفكارك، دعني أذكّرك بالرابط الذي يوحّدكم مع جزيرة كريت. لا شكّ أنّك سمعت قصّة النبيّ أيمينايدس، الذي كان نبيّاً من عائلتي، وأتى إلى أثينا قبل وقوع الحرب الفارسيّة بعشر سنين، طبقاً لاستجابة وسيط الوحي، وقدّم تضحيات محدَّدة أمر بها الله. كان الأثينيون ينتابهم الخوف من الغزو الفارسي في ذلك الزمن، وقال هو إنّ الفارسيّين لن يغزوكم قبل عشر سنين، وإنّهم عندما يأتون فسيرتدّون على أعقابهم مرّة ثانية بدون أن يحقّقوا أهدافهم، وسيقاسون مصائب أعظم من تلك التي أنزلوها بكم. في ذلك الزمن شكّل أسلافنا روابط عميقة للضيافة معكم. إنّ الصداقة التي كانت تربط آبائي بكم تعود إلى أزمنة موغلة في القِدَم.

الأثيني: تعني أنّك جاهز تماماً لتسمعني، وأنا جاهز أيضاً لكي أنجز عملاً شاقّاً ومستحيلاً قدر ما أستطيع، والذي سأحاول إكماله برغم ذلك. دعني أعرّف طبيعة وقوّة التعليم في مستهلّ هذه المباحثة، لأنّ هذه الطريقة هي الطريقة التي يجب أن تتحرّك محاورتنا بواسطتها إلى الأمام، إلى الله ديونيسوس.

كلينياس: دعنا نتقدّم، إذا سرّك ذلك.

الأثيني: حسناً، إذن، إذا أخبرتك ما هي أفكاري عن التعليم، هل ستعتبر إذا ما كانت ستقنعك أوْ لا؟

كلينياس: دعنا نسمع.

الأثيني: طبقاً لتصوّري، إنّ الشخص الذي سيكون جيّداً في أيّ شيء يجب أن

يمارس ويطبّق عملياً ذلك الشيء منذ فتوّته فصاعداً، وذلك في الحقلين الجدّي والهزلي كليهما وفي فروعهما المتعدّدة. كمثال، إنّ مَنْ عليه أن يكون بنّاءً جيّداً، يجب أن يبتدىء لاعباً ببناء بيوت الأطفال، وذلك الذي سيكون مزارعاً كفوّاً عليه أن يتسلّى في حقول الحراثة، وأولئك الذين يهتمّون بالتعليم يجب أن يجهّزوهم عند فتوّتهم بالأدوات الصوريّة. إنّهم سيتعلّمون مسبقاً المعرفة التي سيحتاجونها في ما بعدُ لفنّهم. كمثال، يجب على النجّار المستقبليّ أن يتعلّم القياس واستخدام الخطّ في العمل؛ وعلى المقاتل المستقبليّ أن يتعلّم الفروسيّة أو بعض التمارين الأخرى للتسلية. وينبغي على المعلّم أن يكافح كي يوجّه، بمساعدة التسلية، نزعات الأطفال وملذّاتهم، إلى هدفهم النهائيّ في الحياة. إنّ الجزء الأهمّ من أجزاء التعليم هو التدريب الصحيح في بيت الحضانة، ويجب أن تُوجّه روح الطفل في لَعِبه إلى حبّ ذلك النوع من أنواع الامتياز، الذي عندما ينمو فيه إلى سنّ الرجولة، ينبغي أن يكون امتيازاً كاملاً. هل تتّفق معي إلى هذا الحدّ؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: دعنا إذن نترك معنى التعليم غامضاً ومعرّفاً على نحو ناقص. وفي الوقت الحاضر، عندما نتكلّم نحن بلغة الإطراء واللّوم بشأن تربية كلّ شخص، فإنّنا نسمّي إنساناً ما متعلّماً وآخر غير متعلّم، برغم أنّ الإنسان غير المتعلّم يمكن أن يكون متعلّماً جدّاً، بعض المرّات، لمستلزمات تاجر المبيع بالتجزئة، أو لمتطلبات قبطان باخرة، وما شابه ذلك. إنّنا لا نتكلّم عن التعليم في هذا المعنى الأضيق، بل نتكلّم عن ذلك التعليم الآخر في الفضيلة من الفتوّة فصاعداً. التعليم الذي يجعل الإنسان مشتاقاً لتعقّب الكمال المثاليّ للمواطنيّة، ويعلّم المواطن كيف سيحكم بحقّ وكيف سيطيع بصدق. إنّ هذا التعليم فقط هو التعليم الذي يستحقّ اسمه، بناءً على وجهة نظرنا. أمّا

بقية أنواع التدريب التي تهدف إلى اكتساب الثروة أو تهدف إلى إنماء القوّة الجسديّة، أو إلى مجرّد الحذق بمعزلٍ عن الإدراك والعدل، إنّ هذه الأنواع من التدريب هي أنواع سافلة، وأفق تفكيرها ضيّق، وليست جديرة بأن تدعى تعليماً على الإطلاق. لكن اسمح لنا أن لا نتخاصم بشأن الكلمة، شريطة أن يثبت الافتراض الذي اعتُبِرَ افتراضاً جيّداً. وبحسب سلامة العقل والذكاء، فإنّ أولئك الذين يُسمّون متعلّمين يصبحون رجالاً أخياراً بشكلٍ عامّ. ولا يجب أن ننظر باستخفاف إلى التعليم، الذي هو أقلّ شيء وأجمل شيء يمكن للرجال الأفضل أن يمتلكوه قطّ، وهو الذي يقدر على الإصلاح، برغم أنّه عرضة لسلوك طريق خاطئة. وعمل الإصلاح هذا هو الشغل العظيم لكلّ إنسان ما دام حيّاً.

كلينياس: جيّد جداً، ونحن نتّفق معك بشكل كامل.

الأثيني: واتّفقنا نحن قبلاً على أنّ الرجال الذين يقدرون أن يحكموا أنفسهم هم رجال أخيار، وأمّا الرجال الأشرار فلا.

كلينياس: إنّك لمحقّ تماماً.

الأثيني: دعني أتقدّم الآن، إن استطعت، لتفسير هذا الموضوع عينه إلى مدىً أبعد بواسطة مثل توضيحيّ، سأقدّمه لك.

كلينياس: إبدأ بذلك.

الأثيني: ألاَ تعتبرون أنّ كلّ واحد منا هو شخص واحد؟

كلينياس: بلى.

الأثيني: وكلٌّ منا لديه في صدره مستشاران اثنان، كلّ منهما غبيّ ومضادّ للآخر أيضاً ، الأوّل ندعوه لذة، والثاني ألماً.

كلينياس: بالضبط.

الأثيني: هناك آراء بشأن المستقبل أيضاً، تمتلك الاسم العامّ للتوقّعات؛ واسمها المحدد

هو الخوف، عندما يكون التوقّع ألماً والألم عندما يكون التوقّع لذّة. وأبعد من ذلك هناك تأمّل مليّ بشأن الخير أو الشرّ لهما، وعندما يُجسَّد هذا في الدولة يدعى قانوناً.

كلينياس: إنّني قادر على أن أتبعك بصعوبة. تقدّم، على كلّ حال، كما لو كنت فاعلاً أنا ذلك.

ميغيلوس: إنّني في حالة مشابهة.

الأثينيّ: دعنا ننظر في القضيّة هكذا: ألاَ يمكن أن نتصوّر أنّ كلاً منا مخلوق حيّ ليكون دمية للآلهة، إمّا أنّه الشيء الذي يلهون به فقط، أو أنّه خُلق لغرض؟ ولأيٍّ من الشيئين وُجد فنحن لا نقدر أن نعرف ذلك بكلّ تأكيد ـ لكنّنا نعرف أنّ هذه التأثيرات أو العوامل فينا تكون مثل الأوتار أو الخيطان التي تسحبنا في اتجاهات مختلفة ومتضادّة، وإلى أعمال متناقضة. وفي هذا يكمن الفرق بين الفضيلة والرذيلة، وطبقاً للمحاورة هناك وترٌ بين هذه الأوتار يجب أن يُمسِك به كلُّ واحد منّا وأن لا يدعه يفلت منه، بل عليه أن يسحب به عكس كلّ الأوتار الباقية. وهذا الوتر هو الوتر المقدّس والذهبيّ للعقل، ونحن نسمّيه القانون العام للدولة. إذ بقدر ما يكون العقل جميلاً ولطيفاً، وغير عنيف، فإنّ حكمه يجب أن يحتاج امتلاك وزراء ليساعدوا المبدأ الذهبيّ في هزم المبادىء الأخرى والتغلّب عليها. وهكذا فإنّ افتراض أو مغزى القصّة بشأن كوننا دُمىً لم يكن قد فُقد، ومعنى التعبير « أسمى أو أدنى من إنسانٍ لنفسه » سيصبح معنىً أوضح. والفرد الواصل إلى العقل الصحيح في هذه القضية لسحب خيطان الدمية، سيحيا طبقاً لقواعدها، في حين أنّ المدينة، متلقّية الشيء عينه من إلهٍ أو من شخص يمتلك معرفة بهذه الأشياء، يجب عليها أن تجسّدها في قانون، كي يكون هاديها في تعامُلها مع نفسها ومع الدول الأخرى. بهذه الطريقة سنميّز

الفضيلة والرذيلة بشكل أكثر وضوحاً. وعندما يصبحان واضحين، فإنّ التعليم والمؤسّسات الأخرى ستصبح أكثر جلاءً بشكل مماثل، وبخاصّة ذلك السؤال عن التسلية المولعة بالقصف من شراب وطعام، والتي يمكن أن تبدو، لربّما، أنها قد كانت قضيّة تافهة، والتي قد استنزفت العديد من الكلمات بشكل أكثر ممّا كان ضروريّاً. لكن يمكن أنّها قد انتهت لتكون قضيّة غير جديرة بالاعتبار.

كلينياس: جيّد جدّاً، دعنا نواصل البحث بالتحقيق الذي سيقودنا إلى هدفنا الحالي.

الأثيني: تعالَ الآن، إفترض أنّنا سنعطي هذه الدمية شراباً من شرابنا، فما التأثير الذي سيقع عليها؟

كلينياس: ماذا لديك من تصوّر لتسأل ذلك السؤال؟

الأثيني: لا شيء حتى الآن، لكنّني أسأل بشكل عامّ، عندما تُحضر الدمية إلى الشراب، فأيّ نوع من أنواع النتائج سيتبع على الأرجح، سأحاول إيضاح معناي بشكل أصفى: إن ما أسأله الآن هو هذا: هل شرب النبيذ سيضاعف الملذات والآلام، والشهوات والهوى، ويزيدها؟

كلينياس: كثيراً جدّاً.

الأثيني: وهل يضاعف النبيذ نفاذ البصيرة والذاكرة والرأي والتعقل ويزيدها؟ ألا تهجر هذه النوعيّات الإنسان إذا أصبح مشبعاً بالشراب؟

كلينياس: نعم، إنّها تهجره بالكامل.

الأثيني: ألا يعود إلى الحالة الروحيّة التي كان فيها عندما كان طفلاً؟

كلينياس: إنّه لكذلك.

الأثيني: إذن فإنّه سيكون في ذلك الوقت أقلّ سيطرة على نفسه وأقل ضبطاً لها.

كلينياس: السيطرة الأقلّ.

الأثيني: أولن يكون هو في المأزق الأكثر تعاسةً وبؤساً؟

كلينياس: الأكثر تعاسة.

الأثيني: إذن فإنّ الإنسان المسنّ لا يصبح وحده طفلاً لمرّة ثانية بل السّكّير أيضاً؟

كلينياس: حسناً قيل، أيّها الغريب.

الأثيني: هل هناك أيّة محاورة ستبرهن لنا أنّنا يجب أن نشجّع تذوّق الشراب بدلاً من بذل كلّ ما نستطيع كي نتفاداه؟

كلينياس: أفترض أن هناك محاورة كهذه، إنّك قلت لتوّك الآن، على أيّة حال، بأنّك كنت مستعدّاً لإثبات عقيدة كهذه.

الأثيني: حقّاً، إنّني قلت ذلك، وأنا لا أزال عند قولي وجاهزاً لأفعل ذلك، مشاهداً أنكّما أعلنتما بأنّكما قلقان لسماع قولي.

كلينياس: لتكن متأكّداً أنّنا لكذلك، إذا كان هذا لغرابة العبارة الموهمة للتناقض التي تؤكّد أنّ إنساناً يجب أن يغوص بالانحلال الخلقيّ طوعاً.

الأثيني: هل تتكلّم أنت عن الروح؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: وماذا ستقول عن الجسد، يا صديقي؟ ألن تتعجّب من أيّ شخص عندما يجلب التشوّه، الهزال، البشاعة، والتداعي على نفسه طوعاً؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: ومع ذلك فعندما يذهب إنسان إلى عيادة الطبيب طوعاً، ويتناول الدواء، ألن يدرك تماماً أنّه في وقت قريب، ولعدّة أيّام بعدها، أنّه سيكون في حالة جسديّة سيفضّل الموت على أن يقبلها كحالة دائمة لحياته؟ أوَلا نعرف أنّ أولئك الذين يأتون إلى مبنى الألعاب الرياضية لإجراء التمارين، ألا نعرف أنّهم سيخفّضُون إلى حالة من حالات الضعف في البدء؟

كلينياس: نعم، إنّ كلّ هذا معروف جيّداً.

الأثيني: وهم يذهبون طوعاً أيضاً من أجل المنفعة اللاحقة؟

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: ويمكننا أن نتصوّر أنّ هذا شيء حقيقيّ عن التمارين الأخرى بالطريقة عينها؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: ويمكن أخذ الفكرة عينها عن الزمن الماضي لشرب النبيذ، إذا كنّا محقّين في افتراض أنّ تأثير الخير عينه يتبع؟

كلينياس: لتكن متأكداً.

الأثيني: إذا ثبت أنّ نهماً كهذا للطعام وقصفاً للشراب يؤمّن فائدة مساوية في أهميتها لتلك التي تهبها الألعاب الرياضية، فإنّ هذا النّهم والقصف المعربد سيكون مفضّلاً على التمارين الرياضيّة المجرّدة في طبيعته بالذات، بقدر ما يكون غير مصاحب للألم.

كلينياس: صدقاً، لكنّني أعتقد بالكاد أنّنا سنكون قادرين على اكتشاف أيّة منافع كي تُشتمدّ منها.

الأثيني: إنّ هذا هو ما يجب علينا أن نحاول تبيينه. ودعني أسألك سؤالاً: ألا نميّز نحن نوعين اثنين من أنواع الخوف، مختلفين جدّاً؟

كلينياس: وما هما؟

الأثيني: هناك خوف من شرٍّ متوقّع.

كلينياس: أجل.

الأثيني: وهناك الخوف من السمعة السيّئة. إنّنا نخاف أن يُظنّ بنا السوء لأننا نفعل أو نقول شيئاً ما مخزياً، هو الذي نصطلح نحن والرجال كلّهم على تسميته بالعيب.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: إنّ هذين الشيئين هما نوعان اثنان من أنواع الخوف، كما أسميتهما؛

أحدهما يكون ضدّ الألم والآخر ضدّ الخوف، وكذلك الضدّ اللّذات الأعظم والأكثر تعداداً أيضاً.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: أوَلا يُعتبر المشرّع وكلّ شخص يصلح لأيّ شيء، ألاَ يُعتبر أنّه الأكبر إجلالاً وتكريماً؟ وهذا ما يسمّيه المشرّع مُهابة، ويسمي الثقة بالنفس التي تكون عكس ذلك إهانة؛ ويعتبر الأخيرة شرّاً عظيماً للأفراد والدول على حدّ سواء، على الدوام؟

كلينياس: حقاً.

الأثيني: أوَلا يقينا هذا النوع من أنواع الخطأ في طرائق عديدة ومهمّة؟ ما هو الذي يهب لنا النصر والضمانة في الحرب بكلّ تأكيد؟ هناك شيئان اثنان يهبان الانتصار: الثقة بالنفس أمام الأعداء، والخوف من العار أمام الأصدقاء.

كلينياس: إنّهما موجودان.

الأثيني: يجب على كلّ فردٍ منّا أن يكون خائفاً وجسوراً أيضاً، وأمّا لماذا يجب أن نكون هكذا فلقد تقرّر الآن.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وعندما نريد أن نجعل أيّ شخص عديم الخوف، فإنّنا نحضره وجهاً لوجه مع تخوّفات عدّة، ونصيّره هكذا بمساعدة القانون.

كلينياس: بوضوح.

الأثيني: وعندما نريد أن نجعله خائفاً بصدق، ألا يجب علينا أن نقوده إلى ملذّات مخزية، وأنّ ندرّبه على امتشاق السلاح ضدّها ليهزمها ويتغلّب عليها؟ أو أنّ هذا المبدأ ينطبق على الشجاعة فقط، ويجب على الذي سيكون كاملاً في البسالة أن يحارب أخلاقه الطبيعيّة الخاصّة ويهزمها ـ وبما أنّه يكون غير متدرّبٍ وغير خبير في نزاعاتٍ كهذه، فإنّه لن يكون نصف الرجل الذي

يمكن أنّه قد كان ذلك ـ وهل نحن لنفترض أنّ أخلاقه تكون غيراً مّما هي مع الاعتدال وبه، وأنّ الذي لم يتحارب مع الخزي والإغراءَات الآثمة لملذّاته وشَبَقِه، ولم يهزمها، في الجدّ وفي اللعب، بالكلمة، والمأثرة، والفنّ، هل نحن لنفترض أنّ الذي لم يقم بهذا خير قيام سيبقى معتدلاً بشكل تامّ؟

كلينياس: إنّها لفرضيّة حدوثها هو الأقل إحتمالاً.

الأثيني: إفترض أنّ إلهاً ما أعطى جرعة خوف للرجال، وأنّ الأكثر ما يتناولها إنسان يعتبر نفسه عند كلّ جرعة كأنّه الأكثر سوءَ حظّ من أيّ طفل، وأنّه في خوف من كلّ شيءٍ حادثٍ أو على وشك أن يحدث له. وأخيراً فإنّ الإنسان الأكثر شجاعة فَقَد حضوره العقليّ لوقت ما، ومن ثمّ عاد إلى نفسه مرّة أخرى عندما تخلّص من تأثير الجرعة.

كلينياس: لكن هل عُرِفت هكذا جرعة، أيّها الغريب، بين الرجال؟.

الأثيني: لا، لكن إذا وُجدت، ألا يمكن لجرعة كهذه لو استُعملت أن تنفع المشرّع كتجربةٍ لشجاعته؟ ألاَ يمكننا أن نذهب إليه ونقول له: « أوه أيّها المشرّع، سواء إذا سننْتَ قانوناً للكريتيين، أو لأيّة دولة أخرى، أفلن تحبّ أن يكون لديك وسيلة اختبار للشجاعة والجبن عند مواطنيك؟ ».

كلينياس: « عليّ أن أرغب ذلك »، وسيكون هذا الجواب جواب كلّ شخص.

الأثيني: « وستفضّل بالأحرى أن يكون لديك وسيلة اختبارٍ ومحكٌ ليس فيها أيّة مخاطرة وأيّ خطر كبيرٍ بل عكس ذلك؟ ».

كلينياس: يمكن أن يوافق أيّ شخص على هذا الافتراض بشكل مضمون.

الأثيني: « ولكي تجد نفعاً في الجرعة » فإنّك سوف تختبر مواطنيك وتقودهم وسط هذه الأهوال المتصوّرة، وتعرف متى يفعل عليهم تأثير الخوف هذا، وتجبرهم أن يكونوا عديمي الخوف، محذّراً لهم وناصحاً، لكنّك تهين أيّ شخص لن يقتنع بما قلته كي يكون كما أمرته في كلّ ناحية. وإذا اجتاز

الاختبار جيّداً أو بشكل رجوليّ، ستدعه يذهب سالماً؛ لكنّه إنْ أخفق فيه، ستنزل العقاب الصّارم به؟ أو أنّك ستمتنع عن استعمال الجرعة بالكليّة، برغم أنّك لا تمتلك أيّ شكوى ضدّه.

كلينياس: إنّه سيكون متأكّداً من استعمال الجرعة، أيّها الغريب.

الأثيني: إنّ هذا الأسلوب سيكون أسلوب اختبارٍ وتدريب وهو أسلوب سهل بشكل مدهش بالمقارنة مع تلك الأساليب قيد الاستعمال، ويمكن استخدامه لشخصٍ مفرد، أو لأشخاصٍ قلائل، أو لأيٍّ عددٍ من الأشخاص حقّاً. وسيفعل فعلاً جيّداً مع الذي جهّز نفسه بجرعة واحدة فقط، وهذه الجرعة يمكنها أن تنقذه من مشاكل لا نهاية لها، سواء إذا فضّل أن يكون منفرداً بنفسه وفي وحدة، وكافح هناك في خوفه، لأنّه خجل أن يراه إنسان حتّى يتمّ كماله، أو أنّه وثق بقوة طبيعته الخاصّة وعاداته. وأعتقد أنّه قد تأدب وتهذّب بشكلٍ كافٍ، ولم يتردّد عن تدريب نفسه في صحبة أيّ عدد آخر من الشاربين، وأن يعرض قوّته في قهر التغيير الذي لا يُقاوم والذي سببته الجرعةُ ـ وكون فضيلته هكذا، وهي أنّه لم ينحدر قطّ إلى أيّ موقع غير لائق، بل كان هو نفسه على الدوام، وغادر قبل أن يبلغ الكأس النهائيّ، وذلك خشية أن تقهره الجرعة مثلما قهرت كلّ الرجال الآخرين.

كلينياس: نعم، أيّها الغريب، يمكنه في تلك الحالة الأخيرة أيضاً أن يبيّن ضبطاً للنفس بشكلٍ متساوٍ.

الأثيني: دعنا نعود إلى المشرّع، ونقول له: « حسناً، يا أيّها المشرّع، هناك جرعة خوف كهذه بكلّ تأكيد، تلقّاها الإنسان إمّا من الآلهة، أو أنّه اكتشفها بنفسه، لأنّ السحر ليس له مكان على لوحتنا ولا على لائحتنا. لكن هل هناك أيّة جرعة يمكن أن تخدم كتجربة للبسالة الزائدة الحدّ وللتباهي المفرط الأحمق؟ ».

كلينياس: أفترض أنّه سيقول نعم ـ يعني أنّ النبيذ يكون هكذا جرعة.

الأثيني: ألا يكون تأثير هذا ضدّ التأثير الذي يحدثه الشيء الآخر تماماً؟ عندما يشرب إنسان النبيذ فإنّه يشعر بالسرور مع نفسه على نحوٍ أفضل، وكلّما تناول منه أكثر امتلأ بالآمال الشّجاعة بشكل تامّ، وتغرّه قوّته. وأخيراً فإنّ حبل لسانه يرتخي، ويتوهّم نفسه أنّه إنسان عاقل. إنّه يُنَزِّعُ بالتمرّد على القانون، ولا يمتلك خشيةً أو احتراماً أكثر، ويكون جاهزاً ليفعل أو يقول أيّ شيء. أعتقد بأنّ كلّ شخص سيعترف بحقيقة وصفنا له.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وبعدُ، دعنا نتذكّر، كما كنا قائلين، أنّ هناك شيئين اثنين يجب أن يُهذّبا ويتعهّدا العناية بالروح: الأوّل هو الشجاعة الأعظم، والثاني هو الخوف الأعظم ـ

كلينياس: وهما الشيئان اللذان قلت عنهما إنّهما ميزتان للمهابة، إذا لم أكن مخطئاً.

الأثيني: شكراً لك على تذكيرك لي. لكن دعنا نتأمّل ملياً، بما أنّ عادة الشجاعة واللاخوف يجب التدرّب عليهما وسط المخاوف، دعنا نتأمّل ملياً إذا لم يكن واجباً أن يتمّ تدريب النوعيّة المضادّة بين المضادّات.

كلينياس: تلك هي الحالة بالاحتمال.

الأثيني: هناك أوقات وأحيان نكون فيها بالطبيعة جسورين وشُجعانَ بشكل عامّ. وبعدُ فإنّه ينبغي علينا أن ندرّب أنفسنا في هذه الفرص كي نتحرّر من الصفاقة وقلّة الحياء قدر الإمكان، ولنكون خائفين من أن نقول أو نقاسي أو نفعل أيّ شيء يكون سافلاً.

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: أليست اللحظات التي نميل فيها لنكون جسورين وبلا حياء لحظات كهذه

عندما نكون تحت تأثير الحبّ، الكبرياء، الجهل، الجشع، والجبن؟ أو عندما تجعلنا الثروة، الجمال، القوّة الجسديّة، وكلّ الأعمال الشمِلة للذّة، عندما تجعلنا جميعها مجانين؟ ماذا يكون الشيء المهيّأ والمتكيّف والمكيّف أفضل من استعمال النبيذ احتفالاً، في المقام الأوّل كي يُختبر، وفي المقام الثاني كي يدرِّب أخلاق الإنسان، إذا ما وجب أخذ العناية في استعماله؟ ماذا يوجد غيرهُ أقلّ كلفة، أو أكثر براءة؟ لكن اعتبر أيّة مخاطرة تكون الأكبر: هل ستفضِّل أن تختبر إنساناً ذا طبيعة نكدة المزاج ومتوحّشة، طبيعة هي المصدر لعشرة آلاف عمل ظالم، هل ستفضِّل أن تختبره بعقد صفقات معه مُخاطراً فيها بنفسك، أو بجعله شريكاً لك في احتفال ديونيسوس؟ أو هل ستأتمن على زوجتك، إذا أردت أن تستخدم وسيلة الاختبار، هل ستأتمن عليها رجلاً نزّاعاً في الانغماس الجنسي، أو هل ستأتمنه على أولادك أو بناتك، مخاطراً بأعزّ ما لديك لتكوّن فكرة عن حالة روحه؟ يمكنني أن أذكر لك حالات لا تحصى، ستكون منفعة الحصول على معرفة الأخلاق بائنةً في المزاح، وبدون أن تدفع من أجلها غالياً وأنت تجرّبها. وإنّني لأعتقد إمّا أنّ كريتياً، أو أنّ شخصاً آخر سيشكّك في أن اختباراً كهذا هو اختبار جيّد وعادل، اختبار آمَنُ، أقلُّ كلفةً، وأسرع من أيّ اختبار آخر.

كلينياس: إنّ ذلك لحقيقيّ بكلّ تأكيد.

الأثيني: وستكون هذه المعرفة لطبائع وعادات أرواح الرجال، ستكون ذات المنفعة الأعظم في ذلك الفنّ الذي يمتلك إدارتهم.ـ وذلك الفنّ هو فنّ العلوم السياسية، إذا لم أكن مخطئاً.

كلينياس: هكذا بالضبط.

محاورة النواميس

الكتاب الثاني

افكار الكتاب الرئيسية

يقول الأثيني: يجب علينا أن نتبصّر في الطبيعة الإنسانيّة وأن نعرف بأيّة طريقة وكيف يجب أن نكسب من عمل كهذا. ولنتذكّر أنّ مذهبنا للتعليم الصحيح هو التنظيم الواجب الأداء للعلاقات المولعة بالقصف والشراب والطعام مع الأصدقاء، وأنّ اللذّة والألم هما النافورتان اللتان أُحضرت تحتهما الفضيلة والرذيلة أصلاً. أمّا الحكمة والآراء الحقيقيّة الراسخة فإنّ الإنسان الذي ينالهما يكون سعيداً، وإنّ من يقتنيهما ويقتني البركات التي تحتويهما يكون إنساناً كاملاً. وسندخل في تعليمنا الرقص والغناء اللذين سيولّدان التآلف والتناغم والتناسق في الروح والجسم وذلك بغية الخير الكلي. وسنعتمد في هذا على جمال العدد وجمال الشكل، وما الأعداد والألحان التي تعبّر عن فضيلة الروح والجسم أو عن صور الفضيلة، ما هي كلّها إلاّ جيّدة بدون استثناء، أمّا الأشياء التي تعبّر عن الرذيلة فإنّها أشياء عكس الخير. وينبغي علينا أن نحدّد عمل الشعراء في ما يتعلّق بطريقة الإيقاع أو اللحن أو الكلمات. إنّ امتياز الموسيقى يجب أن يقاس باللذّة التي يجب أن لا تكون لأشخاص تصادميين، وأجمل الموسيقى هي تلك الموسيقى التي تبهج الإنسان الواحد الذي يكون متفوّقاً في العلم والفضيلة. إنّ القضاة يجب أن يكونوا رجالاً ذوي أخلاق، لأنّهم سيحتاجون إلى الحكمة ولا يزالون بحاجة إلى شجاعة أعظم، وهي قولهم للحق في كلّ مكان وكلّ مجال. ولنقل مرّة ثانية إنّ التعليم هو إجبار وإرشاد الشباب

نحو العقل الحقّ الذي يؤكّده القانون، والذي وافق عليه أكبر الرجال سنّاً وأفضلهم على أنّه عقل صحيح حقّاً.

إنّ الخيرات التي تتكلّم عنها الكثرة من الناس، وهي الصحّة، الجمال، الثروة وما شابه ليست خيرات حقّاً. ونحن نقول إنّ الخيرات الحقيقية هي العدل والحكمة والاعتدال والشجاعة، والحياة الأكثر عدلاً هي الحياة الأكثر مَسَرّة، وأمّا الحياة الظالمة فهي الحياة الأكثر سفالة وفساداً وانحطاطاً. إن جوقاتنا الموسيقية كلّها ستغنّي للشباب ولأرواح الأطفال المرهفة، مدرجةً في كلّ ألحانها وأغانيها الأفكار النبيلة، وهي أنّ الحياة التي يعتبرها الآلهة الحياة الأسعد تكون الحياة الأفضل أيضاً. أمّا الآلتان الموسيقيتان اللتان يجب أن نستعملهما فهما القيثارة والناي، وكلّ لحن يكون لحناً صحيحاً عندما يمتلك إيقاعاً ووزناً شعريّاً مناسبين، ويكون لحناً خاطئاً عندما يمتلكهما بشكل غير مناسب.

قلنا إنّ الموسيقى هي صحّة الصوت التي تصل إلى الروح وتعلّمها، وإنّ الرقص هو حركة الجسم عندما يُعتبر كتسلية، لكنّه عندما يُلاحق ويمتدّ بقصد الامتياز للجسم، فيمكن أن يسمّى هذا التمرين العلمي رياضة بدنيّة. أمّا شرب النبيذ فينبغي أن يكون محدّداً بقانون صارم خاصّة للقادة، للقضاة، للحكّام، لرجال الفكر، لرجال السياسة، وللعبيد، وزراعة الكرمة ينبغي أن لا تكون في أرضنا وسنسنّ قانوناً واضحاً بشأن ذلك.

محاورة النواميس

الكتاب الثاني

الغريب الأثيني: وبعدُ فإنّه ينبغي علينا أن نأخذ بعين الاعتبار إذا ما كان التبصّر في الطبيعة الإنسانية هو الفائدة الوحيدة المشتقّة من الجرعات المنظّمة تنظيماً جيّداً، أو إذا ما وجدت منافع أخرى كبيرة وكثيرة كي نرغب امتلاكها. يبدو أنّ المحاورة تدلّ ضمناً على أن هناك منافع كهذه، لكن كيف وبأيّة طريقة يجب كسبها والحصول عليها، فإنّ هذا ينبغي أن يُعتبر بشكلٍ يقظ، أو أنّه يمكننا أن نقع في الخطأ.

كلينياس: تقدّم.

الأثيني: دعني أتذكّر مذهبنا للتعليم الصحيح مرّة ثانية، الذي يعتمد التنظيم الواجب الأداء للعلاقات المولعة بالقصف وبتناول الطعام والشراب مع الأصدقاء.

كلينياس: إنّك تتكلّم بشكل رائع على الأصحّ.

الأثيني: أؤكّد أنّ اللذة والألم هما المدركات الحسيّة الأولى للأطفال، وأقول إنّهما الشكلان اللذان أُحضِرت تحتهما أصلاً الفضيلة والرذيلة لهم. أمّا في ما يخصّ الحكمة والآراء الحقيقيّة الراسخة، فسيكون الإنسان الذي ينالها إنساناً سعيداً، حتّى وإن تقدّمت به السنّ؛ ويمكن أن نقول إنّ من يقتنيها ويقتني البركات التي تحتويها يكون إنساناً كاملاً. وبعدُ فإنّني أعني بالتعليم ذلك التدريب الذي يُعطى للقدرات الطبيعيّة للفضيلة في الأطفال بواسطة العادات المناسبة ـ وعندما تُغرس اللذّة، الصداقة، الألم، والكره في الأرواح بشكل صحيح، الأرواح التي لا تكون قادرة على فهم طبيعتها حتى الآن، والتي

يجدونها بعد أن يبلغوا سنّ الرشد، فإنّهم سيكونون في تآلفٍ وتوافق معها. وهذا التآلف والتوافق للروح، مأخوذاً ككلّ، هو الفضيلة. لكنّ التدريب الخاصّ في ما يتعلّق باللذّة والألم، الذي يقودك دائماً لتكره الذيَ يجب أنْ تكرهه، وأن تحبّ الذي يجب أن تحبّه، من بداية الحياة إلى نهايتها، يمكن أن يتمّ فصله؛ وفي تصوّري، سيدعى هذا تعليماً بحقّ.

كلينياس: أعتقد، أيّها الغريب، أنّك محقّ تماماً في كلّ الذي قلته وتقوله بشأن التعليم.

الأثيني: إنّني مبتهج لسماع تحقيقك معي في ما أقول: إنّ فرع معرفة اللذّة والألم هو مبدأ التعليم حقاً، عندما يُنظَّم بجودة، لكنّه قد تعرّض للوهن والفساد غالباً في الحياة الإنسانيّة. والآلهة، وقد أخذتهم الشفقة على جنسنا من الكدح الذي خُلِقَ كي يقاسيه، عيّنوا احتفالات مقدَّسة، بدًّل الرجال أثناءَها الراحة بالعمل الشاقّ. وبما أنّ الآلهة أعطوهم آلهة الشّعر والفنّ والغناء وأبوللو قائد آلهة الشعر والفنّ والغناء، وديونيسوس، فذلك كي يكونوا رفاقاً لهم في قصفهم المَرِح الصّاخبِ، ولكي يمكن لهذه الاحتفالات أن تنقذ من الانحلال والتفسُّخ الخلقيّ، ولكي يشارك الرجال في التغذية النفسيّة برفقة الآلهة. بودّي أن أعرف إذا ما كان القول العامّ هو قول حقيقي عن الطبيعة في رأينا أو ليس كذلك. لأنّ الرجال يقولون إنّ الفتيان من كلّ المخلوقات لا يمكنهم أن يكونوا هادئين لا في أجسامهم ولا في أصواتهم؛ إنّهم يريدون أن يتحركوا وأن يصرخوا عالياً على الدوام، يقفز بعضهم مَرِحاً، ويطفح باللهو واللعب والمرح والفرح في شيء ما، ويطلق بعضهم كلّ نوع من أنواع الصراخ. لكن بما أنّ الحيوانات ليس لديها تصوّر للنظام أو الفوضى في حركاتها، يعني، للتناغم أو التآلف والتناسق، كما تُسمّى، لنا نحن الآلهة، الذين، كما نقول، قد تمّ تعييننا كي نكون رفاقاً لكم في الرقص، وأعطينا

الإدراك اللّذيذ للتآلف والتناغم والتناسق، وهكذا فإنّهم سيحثّوننا للحياة وفيها، ونحن نتبعهم، شابكين الأيدي معاً في الرقص وفي الغناء. وهم يدعون هذه الأشياء مجموعات المغنّين أو الراقصين، وهذا الاصطلاح هو اصطلاح معبّر عن الابتهاج بشكل طبيعيّ. هل سنبدأ، إذن، بالاعتراف أنّ التعليم أُعطي بواسطة أبوللو بادىء ذي بدء، وبواسطة آلهات الفنّ والشعر والعلوم والغناء؟ فماذا تقول؟

كلينياس: إنّني أصادق على ما تقول.

الأثيني: ويكون اللاّمتعلم هو الذي لم يتمّ تدريبه في الجوقة الغنائيّة الراقصة، والمتعلّم هو الذي قد تمّ تدريبه جيّداً؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وتُشكّل الجوقة من جزأين اثنين، الرقص والغناء؟

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: إذن فإنّ المتعلّم جيّداً سيكون قادراً على أن يغني ويرقص جيّداً؟

كلينياس: أفترض أنّه سيفعل.

الأثيني: دعنا نرى، ماذا نقول نحن؟

كلينياس: ماذا؟

الأثيني: إنّ الذي يرقص جيّداً أو يغني جيّداً، ألا يجب أن نضيف أنّه يغنّي ما يكون خيراً ويرقص ما يكون خيراً؟

كلينياس: دعنا نضيف ذلك.

الأثيني: سنفترض نحن أنّه يعرف الخير ليكون خيّراً، والسّيّىء ليكون سيّئاً، وأنّه يستخدمهما طبقاً لذلك. والآن من يكون أفضل تدريباً في الرقص وفي الموسيقى؟ أهو الذي يقدر على أن يحرّك جسمه ويستعمل صوته في ما يفهمه أنه الأسلوب الصحيح، لكنّه لا يمتلك بهجةً في الخير أو كرهاً للشرّ؟

أو الذي يكون محقّاً بشكل نادر في الإيماء والصوت وفي الفهم، لكنّه يكون محقّاً في إدراكه للّذّة والألم ويرحب بالذي يكون خيراً، ويتضايق في ما يكون شرّاً.

كلينياس: هناك فرق كبير، أيّها الغريب، في نوعي التعليم الاثنين.

الأثيني: إذا عرفنا نحن الثلاثة ماذا يكون خيّراً في الغناء والرقص فإننا نعرف عندئذٍ بحق من الذي يكون متعلّماً ومَنْ يكون غير متعلّم. لكنّنا إذا لم نعرف ذلك، فلن نعرف بالتأكيد أين تكمن الوقاية للتعليم وفيه، أو سواء إذا وجدت هذه الوقاية أم لم توجد.

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: دعنا نتبع الرائحة كالكلاب، ونستمرّ في تعقّب جمال العدد، واللحن، والغناء، والرقص، وإذا هربت منّا كلها، فلا فائدة ترتجى في التحدّث بشأن التعليم الحقيقيّ، سواء إذا كان هذا التعليم للهيلينيين أو للبربر.

كلينياس: نعم.

الأثيني: والآن ماذا نعني بجمال الشكل، أو باللّحن الجميل؟ فهل عندما تكون الروح الشريفة غارقة في الاضطّرابات والمشاكل، وعندما تكون الروح الجبانة في حالة مشابهة، هل ستستخدمان الأعداد والإيماءات عينها، أو تعطيان نطقاً للأصوات عينها؟

كلينياس: كيف تستطيعان ذلك، عندما يختلف لون وجهيهما بالتحديد؟

الأثيني: جيّد، يا صديقي، يمكن أن ألاحظ في انتقالي، على كلّ حال، أن هناك في الموسيقى أعداداً بكلّ تأكيد وهناك ألحاناً. وتختصّ الموسيقى بتآلف الأنغام والألحان، وهكذا يمكنك أن تتكلّم عن اللحن أو العدد أنّه يملك « لوناً جيّداً »، كما يفعل أسياد الجوقات الموسيقيّة. ومع أنّه ليس مسموحاً به، فيمكنك أن تتكّلم عن الألحان أو الأعداد للشجاع وللجبان برغم ذلك،

مادحاً أحدهما وذاماً الآخر. ولا تكن مملاً، بل دعنا نقول إنّ الأعداد والألحان التي تعبّر عن الفضيلة للروح والجسم، أو عن صور الفضيلة، دعنا نقول إنّها كلّها أشياء جيّدة بدون استثناء. أمّا تلك الأشياء التي تعبّر عن الرذيلة فإنّها أشياء عكس الخير.

كلينياس: إنّ اقتراحك هو اقتراح ممتاز، ودعنا نجيب أنّ هذه الأشياء تكون هكذا.

الأثيني: مرّة ثانية، هل نبتهج كلّنا بكلّ نوعٍ من أنواع الرقص بشكلٍ متساوٍ؟

كلينياس: إنّنا غير ذلك ببعيد.

الأثيني: ما الذي يضلّلنا إذن؟ أليست الأشياء الجميلة هي الشيء عينه لنا جميعاً، أو هل تكون هي جميلة في أنفسها، لكن ليس في رأينا عنها؟ لا أحد سيعترف أنّ تلك الأشكال من أشكال الرذيلة في الرقص تكون أكثر جمالاً من أشكال الفضيلة، أو أنّ هذا الشخص نفسه يبتهج في أشكال الرذيلة، ويبتهج الآخرون في تأمّل شخصيّةٍ أو صفة أخرى. وبرغم ذلك فإنّ أكثر الأشخاص يقولون إنّ الموسيقى تعطي اللذّة والمسرّة لأرواحنا. لكنّ هذا التعبير يكون تعبيراً تجديفيّاً ولا يُطاق؛ هناك حساب معقول أو مقبول ظاهريّاً عن التضليل على كلّ حال.

كلينياس: ماذا؟

الأثيني: إنّ تكييف الفنّ يكون بحسب أخلاق الرجال، والحركات الجوقويّة هي تقليدات للأساليب. ويطوف الممثّلون على كلّ الأعمال والمصادفات المتنوّعة للحياة بتصوير خصائصها والتنكّر البيئيّ فيها؛ وهؤلاء الذين تلائمهم الكلمات أو الأغاني، أو الرقصات، إمّا بالطبيعة أو بالعادة أو بكليهما، لا يمكنهم إلاّ أن يشعروا باللذة فيها أو أن يصادقوا عليها، وهم يسمّونها أشياء جميلة. لكنّ أولئك الذين تكون طبائعهم، أو طرائقهم، أو عاداتهم غير ملائمةٍ لها، فلا يستطيعون أن يبتهجوا بها أو يستحسنونها، ويدعونها سافلة.

مرّة ثانية، هناك آخرون طبائعهم طبائع جيّدة وعاداتهم عادات خاطئة، أو آخرون عاداتهم عادات جيّدة وطبائعهم طبائع خاطئة، وهم يثنون على شيء واحد، لكنّهم يلتذّون ويُسرّون بالآخر. وهُمْ يقولون إنّ كلّ هذه التقليدات هي تقليدات سارّة، لكنّها ليست تقليدات جيّدة وصالحة، ويستحون من الرقص والغناء بالأسلوب الأحطّ، في وجود أولئك الذين يعتقدون بأنّهم عقلاء، وبالطريقة التي ستبيّن أو تعيّن المصادقة المدروسة عليهما. وبرغم ذلك، فإنّ لديهم لذّةً سريّةً فيها.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: وهل يُسبِّبُ أيُّ أذىً لمحبّي الرقصات الآثمة والشرّيرة أو إلى محبّي الأغاني، أو هل يُفعل أيّ خير للمصادقين على النوع المضادّ من أنواع اللذّة؟

كلينياس: أعتقد أن هناك شيئاً مثل ذلك.

الأثيني: كلمة « أعتقد » ليست الكلمة التي يجب قولها، بل إنّني سأقول على الأصح « إنّني لمتأكّد ». إذ ألا يجب أن يكون لدى تلك الرقصات والأغاني التأثير عينه، تماماً مثلما يصطحب إنسان أو يعاشر أشخاصاً سيّئين، يحبّهم ويصادق على ما يفعلون بدل أن يكرههم. وإذا أدانهم فما ذلك إلا لعبٌ لأنَّ لديه شكّاً في شرّهم. وفي تلك الحالة، فإنّ مَنْ يفتنّ بلذّة هذه الرقصات والأغاني سيصبح بدون شكّ مثل أولئك الذين يأخذ اللذّة منهم، برغم أنّه يستحي أن يثني عليهم، وهذه النتيجة هي نتيجة مؤكّدة تماماً؛ وأيّ خير أعظم أو أيّ شرّ يستطيع أن يتحمّله مخلوق إنسانيّ أكثر من ذلك؟

كلينياس: لا أعرف أيّاً منها.

الأثيني: إذن ففي المدينة التي لديها قوانين جديدة، أو التي ستكون لديها في أزمان مستقبليّة، ونحن، حاملين في الفكر التعليم والتسلية اللذين تعطيهما الموسيقى، هل نستطيع الافتراض أنّ الشعراء يجب السماح لهم أن يعلّموا

في الرقص -أيّ شيء يحبّونه هم أنفسهم، بطريقة الإيقاع، أو اللحن، أو الكلمات؟ هل نستطيع السماح لهم بتعليمها للأطفال الفتيان الذين لآبائهم حالة روحيّة جيّدة؟ وهل ينبغي أن يدرّب الشاعر جوقته كما يسرّه بدون اهتمام بالفضيلة أو الرذيلة؟

كلينياس: إنَّ هذا الشيء غير معقولٍ تماماً، ولا يمكن اعتباره قطعاً.

الأثيني: ويمكنَ أن يفعل الشاعر هذا الشيء في أيّة دولة تقريباً ما عدا الدولة المصريّة.

كلينياس: وما هي القوانين بشأن الموسيقى والرقص في مصر؟

الأثيني: إنّك ستتعجّب عندما أخبرك عنها. يبدو أنّ المصريين أقرّوا المبدأ بالذات منذ زمنٍ بعيدٍ، ذلك المبدأ الذي نتكلّم عنه ـ وهو أنّ مواطنيهم الفتيان يجب أن يعوّدوا على أنماط وضروب الفضيلة. إنّهم حدّدوا هذه الأنماط والضروب، وعرضوا نماذجها في معابدهم، ولم يُسمح لأيّ رسام يدويّ ولا لأيّ فنّان تمثيليّ أن يجدّد فيها، أو أن يترك الأشكال التقليديّة ويخترع أشكال جديدة. وإلى هذه الأيّام بالتحديد، لا يُسمح بأيّ تغيير لا في هذه الفنون، ولا في الموسيقى على الإطلاق. وإنّك لتجد أنَّ أعمالهم الفنيّة ترسم باليد أو تُزيَّن بالنحت في الأشكال عينها التي كانت لديهم منذ عشرة آلاف سنة ـ إنّ ما أقوله هو قول حقيقيٌّ حرفيّاً ولا مبالغة فيه ـ إنّ رسمهم الذي رسموه باليد قديماً ليس أفضل أو أسوأ بمثقال ذرّة من عمل اليوم، بل إنّه صُنِع بالمهارة عينها.

كلينياس: كم هو غير عاديّ هذا العمل!

الأثيني: عليَّ أن أقول، كم هو شبيه بعمل رجل الدولة، كم هو جدير بالمشرّع!. إنّني أعرف أنّ أشياء أخرى ليست هكذا جيّدة في مصر. لكن ما أقوله لك بشأن الموسيقى هو قول حقيقي ويستحقّ أخذه بعين الاعتبار، لأنّه يبيّن أنَّ

المشرِّع يمكنه أن يوجد ألحاناً تمتلك حقيقة وصحّة طبيعيّة بدون أيّ خوف من الإخفاق. ولكي يتمّم عمل ذلك، على كلّ حال، يجب أن يكون هذا العمل عمل الله، أو عمل شخص إلهيّ. ففي مصر لديهم عرف وهو أنّ تراتيلهم وأناشيدهم القديمة التي حُفِظت لأزمان عديدة هي التأليف التي ألّفتها الإلهة إيسيس. ولهذا السبب، وكما قلت، إذا استطاع شخص أن يجد الألحان الطبيعيّة أبداً بأيّة طريقة، فيمكنه أن يجسّدها بكلّ ثقة بالنفس في شكل محدَّد وشرعيّ. إنّ حبّ الشيء الجديد أو غير المألوف الذي ينشأ من اللذّة في الجديد وفي القديم المملّ، لم تكن لديه القوّة الكافية لإفساد الأغنية والرقص المقدّسين، بحجّة أنّهما أصبحا قديمين. على كلّ حال، فإنّهما بعيدان جدّاً عن كونهما مُفسَدَين في مصر.

كلينياس: يبدو أنّ محاورتك تبرهن على ما ترمي إليه.

الأثيني: ألا يمكننا أن نقول، وكلّنا ثقة بالنفس، إنّ استخدام الموسيقى الحقيقيّ واستخدام المهرجانات الكورسيّة هو كما يلي: إنّنا نفرح عندما نعتقد أنّنا ننجح، وثانية فإنّنا نعتقد أنّنا ننجح عندما نمرح؟

كلينياس: بالضبط.

الأثيني: وعند حبورنا في حظّنا السعيد، فإنّنا نكون غير قادرين على أن نبقى هادئين؟

كلينياس: حقّاً.

الأثيني: إنّ رجالنا الفتيان يقطعون صمتهم في الرقص وفي الغناء، ونحن الأكبر منهم سنّاً، نعتبر أنّنا نملأ دورنا في الحياة عندما ننظر إليهم. وبما أنّنا فقدنا سرعة خاطرنا، فنحن نبتهج في لعبهم وفي عملهم السارّ، لأنّنا نحبّ أن نفكّر بأنفسنا السابقة وما كنّا عليه. ومن ثمّ نقيم مبارزات لأولئك الذين يقدرون على أنّ يوقظوا فينا تذكار فتوّتنا وشبابنا.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: وهل هو شيء بدون معنى كليّةً أن نقول، كما يفعل عامة الناسّ بشأن الاحتفالات، أن نقول إنّه يجب أن يُعتبر الأعقل في الرجال، والظافر بسَعَف النخل، من يعطينا المقدار الأكبر من اللذّة والطرب؟ إذ في مناسبات كهذه، وعندما يكون الطرب النظام اليوميّ، ألا ينبغي أن يُكرَّم هو التكريم الأكثر، وكما قلت، أن يحمل سَعَف النخل، هذا السَّعَف الذي يهب الطرب الأكثر للعدد الأعظم من الناس؟ وبعدُ هل طريقة الكلام والعمل هذه هي الطريقة الحقيقية؟

كلينياس: من الممكن.

الأثيني: لكن، يا صديقي العزيز، دعنا نميّز بين الحالات المختلفة، ولا نستعجل إصدار الحكم. سيكون هناك طريقة واحدة من طرائق عديدة لأخذ السؤال بعين الاعتبار، وهو أن نتصوّر احتفالاً فيه كلّ نوع من أنواع التسلية، يشمل الألعاب الرياضيّة، الموسيقيّة، والمباريات الفروسيّة، المواطنون أخذوا أماكنهم، الجوائز قدّمت لمستحقّيها، وأُصدِر البلاغ وهو أنّ أيّ شخص يحبّ أن يُدخل اسمه في القوائم يمكنه فعل ذلك، وأنّ من يعطي اللذّة الأكثر للمتفرجين سيحمل سَعَف النخل. يجب ألاّ يكون هناك ترتيب خاصّ بشأن أسلوب ذلك؛ بل إنّ الأكثر نجاحاً في توفير اللذّة يجب أن ينال لقب البطولة، وأن يُعتبر المرشّح الأفضل مرحاً ومسرّة. فماذا ستكون نتيجة تصريحٍ كهذا على الأرجح؟

كلينياس: بأيّة طريقة؟

الأثيني: ستكون هناك عروضات عديدة ومتنوّعة. سيعرض إنسان، كهوميروس، أثراً أدبيّاً زاخراً بالانفعال العاطفيّ، وسيعرض آخر حفلة موسيقيّة على العود، وسيعرض غيره عملاً مأساويّاً، وآخر عملاً ملهاويّاً. ولن يكون هناك أيّ

شيء مدهش في شخص ما إن استطاع كسب الجائزة بواسطة عرض مسرحيّةٍ للدمى. إفترض أنّ هؤلاء المتنافسين يتقابلون، وليس هؤلاء فقط، بل العديد الآخرون منهم كذلك. هل تستطيع أن تقول لي مَنْ يجب أن يكون المتنصر؟

كلينياس: إنّني لا أستطيع أن أرى كيف يمكن لأيّ شخص أن يجيبك على ذلك، أو أن يتظاهر بأنّه لا يعرف، إلاّ إذا سمع بأذنيه قول المتنافسين العديدين. إنّ السؤال لمضحك.

الأثيني: حسناً، إذن، إن لم يستطع أحد منكما أن يجيب، فهل سأجيب أنا على السؤال الذي تعتبره مضحكاً؟

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: لو كان مَن يقرّر الإجابة على هذا السؤال أطفالاً صغاراً جدّاً فإنّهم سيقرّرون لصالح مسرحيّة الدمى.

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: وسيدافع الأطفال الأكبر سنّاً عن الملهاة؛ أما النّساء المتعلّمات، الرجال الشباب، والناس بشكل عامّ فسيحّبذون المأساة.

كلينياس: محتمل جدّاً.

الأثيني: وأعتقد بأنّنا نحن الرجال المسنّين ستكون لدينا اللذّة الأعظم في سماع الراوي المحترف للقصائد الملحميّة يسرد الالياذة والأوذيسة جيّداً، أو أن يروي قصيدة واحدة من القصائد الهيسيودية، وستعطى له الغلبة الساحقة. لكن، من سيكون المنتصر حقّاً؟ ذلك هو السؤال.

كلينياس: نعم.

الأثيني: بوضوح يجب أن تعلن أنت وأعلن أنا أنَّ أنَّ أولئك الذين نحكم، نحن الرجال المسنّين بفوزهم، سيكونون هم المنتصرين، لأنّ طرائقنا أفضل ببعد كبير من تلك الطرائق الموجودة في العالم في الوقت الحاضر.

كلينياس: بكلّ تأكيد.

الأثيني: إلى هذا الحدّ ينبغي عليّ أن أتّفق مع الكثرة، وهو أنّ امتياز الموسيقى يجب أن يُقاس باللذّة، لكنّ اللذّة يجب أن لا تكون لأشخاص تصادفيّن. إنّ أجمل الموسيقى هي تلك الموسيقى التي تبهج الإنسان الواحد المتفوّق في العلم والفضيلة. ولهذا السبب فإنّ القضاة يجب أن يكونوا رجالاً ذوي أخلاق، لأنّهم سيحتاجون إلى الحكمة ولا يزالون بحاجة إلى شجاعة أعظم، ينبغي على القاضي الحقّ أنّ لا يسحب أفكاره الموحاة من مسرح الأحداث، ولا يجب أن يفقد رباطة جأشه بواسطة صخب الكثرة وعجزه الخاصّ. ولا، عندما يعرف الحقيقة، يلزمه أن يلفظ حكماً كاذباً بطيش من خلال الجبن وقلّة الرجولة، وذلك بالشفاه عينها تحديداً التي ناشد الآلهة بها تماماً قبل أن يقاضي. إنّه لا يكون جالساً حيث هو كتابع للمسرح، بل كمعلّم في موقعه الخاصّ، ويجب عليه أن يكون عدوّاً لكلّ سمسرة فحشٍ تؤدّي إلى مسرّة المتفرجين. إنّ العادة القديمة العامّة لهيلاس كانت عكس العادة السائدة الآن في إيطاليا وصقلية، حيث الحكم متروك لجماعة المتفرّجين، الذين يقرّرون مَنْ المنتصر برفع الأيدي. لكن هذه العادة قد أدّت إلى دمار الشعراء أنفسهم؛ لأنّهم تعوّدوا أن يؤلّفوا أشعارهم كي يشبعوا الميل السّيّىء لقضاتهم، وتكون النتيجة أن المتفرّجين يعلّمون أنفسهم. وقد كانت هذه العادة خراب المسرح أيضاً. كان يجب عليهم أن يكون بحوزتهم أشخاص وُضعوا أمامهم أفضل من ذواتهم، وهكذا يتلقّون لذّة أسمى. لكن بما أنّهم هم القيّمون على ما يفعلون فعكس النتيجة يلي. أيّ استنتاج ينبغي استخلاصه من كلّ هذا؟ هل سأخبرك عنه؟

كلينياس: ماذا؟

الأثيني: إنّ الاستنتاج الذي توصّلنا إليه للمرّة الثالثة أو الرابعة هو هذا: التعليم هو

إجبار وإرشاد الشباب نحو ذلك العقل الحقّ، الذي يؤكّده القانون، والذي وافق عليه أكبر الرجال سنّاً وأفضلهم، على أنّه عقل صحيح حقّاً. إذن، ولكي لا يمكن لروح الطفل أن تُعَوَّدَ على أن تشعر بالمرح أو بالأسى بأسلوب مختلف عن الذي يقرّه القانون، ومخالفٍ لأولئك الذين يطيعون القانون، بل يمكنهم بالأحرى أن يتبعوه ويبتهجوا ويحزنوا للأشياء عينها كما يفعل الكبار في السنّ - لذلك أقول، لكي تحصل على هذا التأثير، يبدو أنّ الترانيم قد تمَّ اختراعها، وهي ترانيم تسحر حقّاً، ولقد صمّمت لتغرس ذلك الإيقاع الذي تكلّمنا عنه. ولأنّ عقل الطفل غير قادر على التدريب الجدّي أو الخطير، فإنّ هذه الترانيم سمّيت ألعاباً وأغاني، وشُكّلت في تمثيليّة، تماماً كما عندما يكون الرجال مرضى ومعتلّي الأجسام، فإنّ الساهرين على صحّتهم يعطونهم حمية نافعة للصحّة بشكل لحوم وشراب سارّ ولذيذ، لكنّهم يقدمون لهم حمية غير نافعة للصحّة من الأشياء السيّئة، وذلك كي يمكنهم أن يتعلّموا ما يجب بشأنها، ولكي يحبّوا أحدها، ويكرهوا الآخر. وبشكل مماثل فإنّ المشرّع الحقيقيّ سيُقنع الآخرين، وإن لم يتيسّر إقناعهم، سيجبر الشاعر على أن يعبّر، وكما يجب، بالكلمات النبيلة والجميلة، أن يعبّر عن الشخصيات في أوزانه الشعريّة، وعن الموسيقى في ألحانِه، الموسيقى التي تخصّ الرجال المعتدلين والأشاوس وفي كل طريقة.

كلينياس: لكن هل تتصوّر بحقّ، أيّها الغريب، أنّ هذه الطريقة هي الطريقة التي يؤلّف الشعراء فيها قصائدهم هذه الأيّام الحاضرة بشكل عامّ؟ بقدر ما أستطيع أن أراقب فليس هناك تنظيمات كتلك التي تتكلّم عنها، ما عدا تنظيماتنا وتنظيمات اللاقيدايمونيين. أمّا في الأماكن الأخرى فإنّهم يدخلون الأشياء غير المألوفة في الرقص وفي الموسيقى على الدّوام، لكنّهم لا يدخلونها تحت أيّة سلطة للقانون بشكل عامّ، بل لإثارة الملذّات التي لا يحكمها

القانون. وهذه الملذّات أبعد ما تكون عن التوازن والخضوع لقواعد ومبادىء، مثلما تكون تلك الملذات التي للمصريّين حسب تقديرك، والتي ليس لديها استقامة وثبات.

الأثيني: إنّ ما تقوله هو القول الأكثر حقيقة، يا كلينياس، وإنّي أجرؤ على القول بأنّني قد أكون عبّرت عمّا يعتلج في نفسي بشكل مبهم. وهكذا قدتك لتتصور بأنّني تكلّمت عن حالة ما للأشياء حقيقيّة وموجودة، في حين انني قلت فقط ما هي التنظيمات التي سأحبّ أن تكون لديّ بخصوص الموسيقى؛ ومن ثمّ فقد حصل سوء فهم لِمَا قصدته من جانبك. إنّ الشرور عندما تذهب بعيداً في غيّها وتصبح داءً عضالاً، فإنّ العمل الشاقّ لإدانتها لا يكون عملاً سارّاً على الإطلاق، وبرغم ذلك فإنّه لعمل ضروريّ في بعض الحالات. لكن بما أنّنا لا نختلف في ما نصبو إليه في الحقيقة، فهل ستدعني أسألك إذا كنت تعتبر أنّ مؤسّساتٍ كهذه سائدةٌ أكثر بين الكريتيين واللاقيدايمونيين مّما هي سائدة بين الهيلينيين الآخرين؟

كلينياس: إنّها لكذلك بكلّ تأكيد.

الأثيني: وإذا كانت هذه المؤسسات القانونية لتمتد إلى الهيلينيين الآخرين، فهل ستحدث تحسّناً على الحالة الحاضرة للأشياء؟

كلينياس: إنّها ستُحدِث تحسّناً كبيراً جدّاً، إذا كانت العادات التي تسود بينهم كتلك العادات التي تسود بيننا وبين اللاقيدايمونيين، والتي يجب لها أن تسود، كما قلت لتوّك الآن.

الأثيني: دعنا نرى إذا ما كان يفهم أحدنا الآخر ـ أليست مبادىء وقواعد التعليم والموسيقى التي تنتشر بينكم هي كالتالي: أنتم تجبرون شعراءَكم ليقولوا إنّ الإنسان الخيّر هو إنسان محظوظ وسعيد، إذا كان معتدلاً وعادلاً، وهذا يكون شيئاً حقيقياً سواء إذا كان هو كبيراً وقوي الجسم أو صغيره وهزيله،

وسواء إذا كان غنيّاً أو فقيراً. وعلى الجانب الآخر، فإنّه إذا كان لديه غنىً مفرط كالذي لدى سينيراس وميداس، وكان غير عادلٍ، فإنّه لبائسٌ وحقيرٌ ويعيش في تعاسة دائمة؟ وكما يقول الشاعر صادقاً: « أنا لا أغنّي، أنا لا أهتمّ به »، الذي ينجز كلّ ما هو نبيل، إذا لم يكن العدل تاج ما يعمل دع الذي « يقترب ويمدّ كلا يديه ضدّ أعدائه »، دعه يكون إنساناً عادلاً. لكن إذا كان ظالماً، فإنّني لن أسمح له « أن ينظر بهدوء فوق الموت الملطّخ بالدم »، ولا أن يتخطّى بسرعة « البورياس التراقي »(٢)، ولا تدعه يمتلك أيّ شيء صالح. إنّ الخَيرات التي تتكلّم عنها الكثرة من الناس ليست خيرات حقّاً: الأولى في القائمة الصحّة، الثانية الجمال، الثالثة الثروة، وتأتي بعدئذ الأشياء الأخرى التي لا يحويها حصر. كمثال، كي يكون لديك عينان حادّتا البصر، أو أذنان سريعتا السمع، وبشكلٍ عامّ كي تمتلك كلّ الحواسّ كاملة؛ أو ثانية، لتكون طاغية مستبدّاً ولتفعل كما يحلو لك. وما السّعادة واكتمالها النهائيّ إلاّ أن تنال كلّ شيء، وعند كسبك لها تصبح خالداً حالاً. لكن أنت وأنا نقول، إنّه في حين تكون كلّ هذه الأشياء أفضل المقتنيات للعادل والتقيّ، فإنّها تكون كلّها الشرور الأعظم للظالم، بما في ذلك الثروة، إذ، في الحقيقة، ليكون لك بصر، وسمع، واستخدام لكلّ الحواس، أو لكي تحيا بدون العدل والفضيلة على الإطلاق، حتّى وإن كان رجلاً غنيّاً في كل ما يُسمّى بخيرات الحظّ، فما ذلك إلاّ الشرور الأعظم، إذا كانت الحياة أزليّة. لكنّها لن تكون هكذا عظيمة، إذا ما عاش الرجل الشرّير لفترة زمنيّة قصيرة جداً. هذه هي الحقائق التي ستتبعها، إذا لم أكن مخطئاً، أو تُجبر شعراءكم على النطق بها بصحبة الإيقاع والوزن الشعريّ المناسب، وفي هذه الجمالات يجب عليهم أن يدرّبوا شبابكم وفتيانكم. ألستُ محقّاً في ما أقول؟ إنّني أعلن بكلّ وضوح وصراحة أنّ الشرور، كما

تُسمَّى، ما هي إلاّ خيرات للظالم، وما هي سوى شرور للعادل فقط، وتلك الخيرات هي خيرات للخيِّر بحق، لكنها شرور للشرير. دعني أسأل ثانية، هل نتّفق أنت وأنا بشأن هذا القول؟

كلينياس: أعتقد بأنّنا نتّفق بشكل جزئي، ونتعارض بشكل جزئيّ أيضاً.

الأثيني: عندما يكون لدى إنسانٍ صحّةٌ وثروة وحكم استبداديٌّ دائماً، وعندما يكون هو متفوّقاً في القوّة الجسديّة والشجاعة، ولديه هبة الخلود، وليس لديه أيٌّ من الأشياء المسمَّاة شروراً والتي توازن هذه الخيرات، بل يمتلك فقط الظلم والغطرسة في طبيعته الخاصّة - أشتبه بأنّك لن تكون مستعداً للاعتقاد بأنّ شخصاً كهذا يكون شقيّاً بدلاً من أن يكون سعيداً.

كلينياس: إنّ هذا لحقيقيّ تماماً.

الأثيني: ثانية، إفترِض أنّ هذا الإنسان يكون باسلاً قويّ الجسد وجميله وغنيّاً، ويفعل طوال حياته الخاصّة كلّ ما يحب، يبقى، أنّه إذا كان آثماً ومتغطرساً، أفلن يتّفق كلٌّ منكما على أنّه بالضرورة، سيحيا بحقارة؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: ويعيش هو حياة شريرة أيضاً؟

كلينياس: إنّني لا أميل لمنحك ذلك.

الأثيني: ألَنْ يعيش هو بألمٍ وضدّ منفعته الخاصّة؟

كلينياس: كيف يمكنني أن أقول ذلك؟

الأثيني: كيف! إذن هل يمكن للسماء أن تجعلنا بعقلٍ مفكّر واحد، لأنّنا الآن بعقلين اثنين؟ إنّ حقيقة ما أقوله، يا عزيزي كلينياس، واضحة لي وسهلة مثل حقيقة وجود كريت جزيرةً في البحر. وإذا كنت مشرّعاً فإنّني سأجعل الشعراء وكلّ المواطنين يتكلّمون في هذا الأسلوب؛ وسأُنزل أشدّ العقوبات على أيّ شخص في الأرض كلّها سيجرؤ على القول بأنّ هناك رجالاً أشراراً

يحيون حيوات سارّة، أو الذي يقول إنّ النافع والرابح يكون شيئاً، وإنّ العادل يكون شيئاً آخر. وهناك قضايا متعدّدة أخرى يجب عليّ أن أجعل الكريتيين واللاقيدايمونيين يتكلّمون بشأنها في نمط مختلف في هذا الزمن، ويمكنني أن أقول حقّاً، في هذا العالم بشكل عامّ. وأخبروني، يا أصدقائي الأخيار، أخبروني بزيوس وأبوللو، إذا ما كنت لأسأل هذين الإلهين أنفسهما من كان مشرّعو قوانينكم، ـ أليست الحياة الأكثر عدلاً هي الحياة الأكثر مسرّةً أيضاً؟ أو هل هناك حياتان، إحداهما هي الحياة الأعدل والأخرى هي الحياة الأسرّ؟ ـ وأجاباني بأن هناك حياتين. وعليه فإنّني أواصل السؤال، « وستكون هذه الطريقة الطريقة الصحيحة لمتابعة التحقيق »، أيُّهم يكون الأسعد: أأولئك الذين يعيشون الحياة الأعدل، أم أولئك الذين يحيون الحياة الأسرّ؟ ـ إنّ ذلك الجواب سيكون جواباً غريباً جدّاً، والذي لا أحبّ أن أضعه في فم الآلهة. إنّ الكلمات ستأتي بشكل أكثر تناسباً من شفاه المشرّعين والآباء، ولهذا السبب فإنّني سأكرّر أسئلتي السابقة وأسأل أحدهم، وأفترضه يقول ثانية إنّ الذي يعيش الحياة الأسرّ هو الإنسان الأسعد، وسأردّ على ذلك قائلاً: ـ أوه يا أبي، ألم ترغبني أن أحيا حياة سعيدة قدر الإمكان؟ وبرغم ذلك فإنك لم تنقطع عن القول قطّ إنّه يجب عليّ أن أحيا بعدل قدر الإمكان. وبعدُ، فإنّ الذي سنّ القانون هنا، سواء إذا كان مشرّعاً أو أباً، سيكون في مأزق وسيسعى عبثاً كي يكون متساوياً مع نفسه. لكنّه إذا أعلن أنّ الحياة الأعدل هي الحياة الأسعد أيضاً، فإنّ كلّ مَنْ يسمعه سيتساءَل، إن لم أكن مخطئاً، ويقول: ما هو ذلك المبدأ النبيل وذاك الخير في الحياة اللذان يوافق القانون عليهما، واللذان يكونان أسمى من اللذة؟ إذ أيّ خير يستطيع الإنسان العادل أن يمتلكه ويكون منفصلاً عن اللذّة؟ هل سنقول إنّه المجد والشهرة، آتيَيْنِ من الآلهة ومن الرجال، وبرغم أنّهما جيّدين

ونبيلين، فهما غير سارّين برغم ذلك، لكنّهم سارّان بشكل شائن؟ سنجيب، لا بالتأكيد، يا أيّها المشرّع الحلو المذاق. أو هل سنقول إنّ الامتناع عن عمل الخطأ، وكون اضمحلال الفعل الخطأ، يكون شيئاً خيّراً وشريفاً، برغم أنّهما لا لذّة فيهما، وأنّ الفعل الخطأ يكون سارّاً، لكنّه شرٌّ وسفالة؟

كلينياس: مستحيل.

الأثيني: إنّ الفكرة التي تعتبر أنّ السارّ والعادل والخيّر والنبيل لديها ميلٌ دينيٌّ وأخلاقيّ ممتاز. وأمّا الفكرة المضادّة فهي الفكرة الأكثر خلافاً ومفارقة مع ترتيبات المشرّع، وتكون غير شهيرة في رأيه؛ إذ لا أحد، إذا ما استطاع، سيتمّ إقناعه بفعل ذلك الذي يسبّب له ألماً أكثر ممّا يمنحه لذّة. لكن بما أنّ التوقّعات المتباعدة تكون عرضة لجعلنا مشوّشي الذهن، خاصّة في سنّ الطفولة، فإنّ المشرّع سيحاول إزالة الظلمة وعرض الحقيقة. إنّه سيقنع المواطنين، بطريقة ما أو بأخرى، سيقنعهم بالعادات والثناءات والكلمات بإنّ العادل والظالم هما خادعان وواهمان، مَثَلهما في ذلك مثل التصوير اليدوي. وسيقنعهم أنّ الظلم، الذي يبدو أنّه مضادّ للعادل، عندما يفكّر فيه مليّاً الرجل الظالم والسيّىء يبدو ساراً، ويبدو العادل أكثر مقتاً. لكنّ هذا القول يكون العكس تماماً لمظهريهما من وجهة نظر الإنسان العادل.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: وأيّهما يمكن افتراضه أنّه الأصدق حكماً، الرجل الذي يمتلك الروح الأسفل والأدنى، أو الإنسان الذي يمتلك الروح الأفضل؟

كلينياس: بالتأكيد، إنّه الإنسان الذي يمتلك الروح الأفضل.

الأثيني: إذن فإنّ الحياة الظالمة لا ينبغي أن تكون أكثر سفالة وانحطاطاً وفساداً فقط، بل يجب أن تكون في الحقيقة أكثر كراهيّة من الحياة العادلة والتقيّة.

كلينياس: يبدو أنّ ما قلته يدلّ ضمناً على المحاورة الحاضرة.

الأثيني: ولنفترض حتّى أنّ ما قلته كان قولاً مختلفاً، وليس كما برهنت المحاورة. يبقى أنّ المشرّع الذي يستحقّ أيّ شيء ذي قيمة، إذا جازف أن يقول كذبة للشباب أبداً وذلك من أجل خيرهم، فلا يمكنه أن يخترع كذبة بيضاء أكثر نفعاً من هذه، أو كذبة أخرى سيكون لديها تأثير أفضل في جعلهم يفعلون ما يكون صحيحاً وحقّاً، ليس بالإكراه بل طوعاً واختياراً.

كلينياس: إنّ الحقيقة شيء نبيل وأزليّ، أيّها الغريب، لكنّ درسك الذي أعطيته هو واحد من الدروس التي سيقتنع بها الرجال بصعوبة، « وهو أنّ حياة الظالم هي حياة كريهة ».

الأثيني: ومع ذلك فإنّ قصّة قدموس الصيدوني، التي ليست قصّة بعيدة الاحتمال، قد صدّقها الناس بسرعة، وكذلك صدّقوا القصص العديدة الأخرى.

كلينياس: ما هي القصّة؟

الأثيني: إنّها قصّة الرجال المسلّحين الذين انبثقوا من زرع الأسنان أرضاً، والتي يمكن للمشرّع أن يأخذها كبرهان على أنّه يستطيع أن يقنع عقول الشباب بأيّ شيء. وهكذا فإنّ المشرّع عليه أن يتأمّل مليّاً وأن يكتشف فقط أيّ اعتقاد سيكون الاعتقاد الأكبر لمنفعة العموم، وعليه بعدئذ أن يستخدم كلّ عزيمته كي يجعل الجماعة تتلفّظ بالكلمة الواحدة عينها في أغانيها وقصصها ومحادثاتها مهما امتدّت بأفرادها الحياة. لكن إذا كنت لا تتّفق معي في ما أقول، فليس هناك أي سبب لنتجادل من أجله مع الجانب الآخر.

كلينياس: إنّني لا أرى أنّ أيّة محاورة يمكن أن يجريها كلٌّ منا بعكس ما تقوله أنت الآن.

الأثيني: إنّ الاقتراح التالي الذي عليّ أن أقدمه لك، هو أنّ جوقاتنا الموسيقية الثلاث كلّها ستغنّي للشباب ولأرواح الأطفال المرهفة، مُسمعةً في كل ألحانها وأغانيها الأفكار النبيلة التي تكلّمنا عنها سابقاً، أو التي على وشك

أن نتكلّم عنها؛ وستكون خلاصتها، أنّ الحياة التي يعتبرها الآلهة الحياة الأسعد هي الحياة الأفضل أيضاً. وهكذا فإنّنا كلينا سنؤكّد ما هو الأكثر حقيقة بدون ريب، وستكون عقول شبابنا الرفاق أكثر احتمالاً في تلقي كلماتنا هذه من تلقّيها أيّة كلمات أخرى يمكن أن نوجهها لهم.

كلينياس: إنّني أصادق على ما تقول.

الأثيني: سندخل في نظامهم الطبيعيّ بادىء ذي بدء، سندخل جوقة المنشدين لآلهات الشعر والفنّ والعلوم والغناء، مؤلّفة من الأطفال الذين سيغنّون التعليم السماوي الموضوع للمدينة كلّها على نحو مفعم بالحيوية. ستلي بعد ذلك جوقة المنشدين المؤلّفة من الرجال الشباب تحت سنّ الثلاثين، الذين سيناشدون الله باين «Paean» كي يشهد على حقيقة كلماتهم. وسيصلّون إليه ليكون رؤوفاً بالشباب وأن يغيّر ما في قلوبهم. ثالثاً، إنّ جوقة الرجال المسنّين، الذين تبدأ أعمارهم من سنّ الثلاثين إلى سنّ الستّين، سيغنّون أيضاً. يبقى أولئك المسنّون الذين ليس بمقدروهم الغناء، لكنّهم سوف يروون القصص، موضحين الفضائل عينها، كما تصدر بصوت وسيط الوحي.

كلينياس: من هم الذين سيؤلفون الجوقة الثالثة، أيّها الغريب؟ لأنّني لا أفهم بشكل واضح ماذا تعني لتقول بشأنهم.

الأثيني: ومع ذلك فإنّ كلّ الذي قد قلته قيل من أجلهم.

كلينياس: هل ستحاول أن تكون أوضح قليلاً؟

الأثيني: إنّني تكلّمت عند ابتداء حديثي، كما ستتذكّر، تكلّمت عن الطبيعة المتّقدة للمخلوقات الشابّة. قلت حينها إنّهم ليسوا بقادرين على أن يبقوا هادئين لا في العضو ولا في الصوت، وإنّهم يصرخون ويقفزون هنا وهناك بأسلوب غير نظاميّ؛ وليس باستطاعة أيّ حيوان آخر الوصول إلى فهم النظام في هذين الشيئين الاثنين، لكنّ الإنسان وحده استطاع فعل ذلك. وبعدُ فإنّ

نظام الحركة يُسمّى إيقاعاً، ويُدعى النظام الصوتيّ الذي يمتزج فيه الصوت العالي والخفيض كما ينبغي، يدعى تناغماً أو تآلف ألحان، ويدعى كلاهما معاً أغنية كورسيَّة. وقلت إنّ الآلهة كانت لديهم شفقة علينا، وأعطونا أبوللو وآلهات الشعر والعلوم والفنّ والغناء، كي يكونوا رفاقاً لنا في اللّعب وقادة في الرقص، وكان ديونيسوس الثالث، كما أجرؤ على القول، وأنت ستتذكّر ذلك.

كلينياس: إنّني أتذكّر تماماً.

الأثيني: تكلّمت إلى هذا الحدّ عن جوقة أبوللو الموسيقية وعن آلهات الشعر والعلوم والفنون والغناء، وتكلّمت عن الجوقة الموسيقيَّة الثالثة الباقية التي يجب أن تُسمّى باسم ديونيوس.

كلينياس: كيف يكون ذلك؟ هناك شيء غريب ما، عند السماع الأوّل لها على كلّ حال، في كورس ديونيسوس، ذي الرجال المسنّين، إذا عنيت أنّ أولئك الذين يكونون فوق سنّ الثلاثين، ويمكن أن يكونوا في سنّ الخمسين، أو أنّهم في سنّ الخمسين حتّى سنّ الستّين، إذا عنيت أن يرقصوا في حفلة تكريميَّة.

الأثيني: حقيقيّ جدّاً، ولهذا السبب يجب أن نبيِّن أنّ هناك سبباً جوهريّاً للاقتراح.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: هل اتفقنا إلى هذا الحدّ؟

كلينياس: بشأن ماذا؟

الأثيني: إنّ كلّ كبير وصغير، كلّ عبد وحر، من كلا الجنسين، ومن المدينة كلّها، يجب أن لا ينقطعوا عن افتتان أنفسهم بالألحان والأغاني التي تكلّمنا عنها. وينبغي أن يكون كلّ نوع من أنواع التغيير والتنويع لها كي يُزال تأثير الشيء عينه. هكذا كي يمكن للمغنين دائماً أن يتلقّوا اللذّة منَ تراتيلها، ولكي يمكنهم أن لا يسأموا منها أبداً.

كلينياس: سيوافق كلّ شخص على ما تقول.

الأثيني: أين سيكون إذن لدى ذلك الجزء الأفضل من مدينتنا، بسبب كِبَر السنّ والعقل والفهم، أين سيكون لديه التأثير الأعظم، وسينشد ويغني هذه الأغاني والأناشيد الأجمل بهكذا طريقة كتلك الطريقة التي ستؤدّي الخير الأعظم؟ هل سنكون هكذا أغبياء كي نهمل هذا التنظيم الذي يمكنه أن يؤثر تأثيراً حاسماً وقاطعاً في جعل الأغاني الأغاني الأكثر جمالاً ونفعاً؟

كلينياس: لكنّنا لا نقدر أن نهملها، هكذا تقول المحاضرة.

الأثيني: كيف يمكننا إذن أن ننفذ قصدنا بلباقة وحسن ذوق؟ هل ستكون هذه ألطريقة هي الطريقة الّتي سننفّذه بواسطتها؟

كلينياس: ماذا؟

الأثيني: عندما يتقدّم الإنسان في السنّ، فإنّه يخاف ويمانع في أن يغنيّ - ولا تكون لديه لذّة في إدانة الشيء الخاص به. وإذا ما استُعمِل الإكراهُ ضدّه، فإنّه سيستحي أكثر وأكثر، وسيزداد أكثر كبراً في السنّ وأكثر حكمةً وعقلاً، أليس هذا صحيحاً؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: حسناً، أولن يستحي هو مع ذلك وبشكل أكثر إذا ما وجب عليه أن يقف ويغنّي على المسرح للمتفرجين من كلا الجنسين؟ وبالإضافة إلى هذا عندما يُطلب منه أن يفعل هذا، مثلما يفعل المنشدون في الجوقات. الموسيقيّة الذين يكافحون لنيل الجوائز، والذين قد تمّ تدريبهم على يدي سيّد في الغناء، أقول، عندما يُطلب منه أن يفعل هذا، فإنّه سيصبح عاجزاً وجائعاً. عند هذا، فإنّ شعور الخجل والإزعاج سيسيطر عليه بكلّ تأكيد، والذي سيجعله غير مستعدّ جدّاً كي يؤدّي هذا العمل.

كلينياس: بدون شكّ.

الأثيني: كيف سنعيد الطمأنينة إليه إذن، ونجعله يغنّي؟ هل سنبدأ بسنّ قانون يقضي بأنّ الأولاد لن يتذوّقوا النبيذ على الإطلاق إلى أن يبلغوا سنّ الثامنة عشرة؟ إنّنا سنخبرهم أنّ النار يجب أن لا تُصبّ فوق النار، سواء إذا كانت هذه النار في الجسد أو في الروح، وبذلك حتّى يحين ذهابهم إلى العمل - هذه هي الحيطة والوقاية التي ينبغي أخذها ضدّ الشباب السريعي الاهتياج. يمكنهم أن يتذوقّوا النبيذ بعد ذلك باعتدال حتّى بلوغهم سنّ الثلاثين. لكن حين يكون الإنسان فتيّاً يجب عليه أن يمتنع كليّاً عن السّكر والثّمَل وعن شرب النبيذ بإفراط، وعندما يصل إلى سنّ الأربعين أخيراً، وبعد أن يكون قد تناول الغداء في وليمة مشتركة، يمكنه أن لا يطلب حضور الآلهة الأخرى فقط، بل أن يطلب حضور ديونيسوس فوق الكلّ. يمكنه أن يطلب حضورهم إلى الطقس الدينيّ السرّيّ وإلى الاحتفال الذي يقيمه الرجال المتقدّمون في السنّ، مستخدماً حينها النبيذ الذي أُعطي للرجال كي يخفّف عنهم نَكَد كبر السنّ. وهكذا فنحن يمكننا أن نجدّد شبابنا في هذه المرحلة من مراحل عمرنا، وأن ننسى أحزاننا، ولكي يمكن لطبيعة الروح أن تصبح مثل الحديث المذوّب في النار، كي يمكنها أن تصبح ألطف وأن يخفّف عنها كبر السنّ ضغطه، في المقام الأوّل، ألن يكون أيُّ شخصٍ ليِّنِ العريكة ولطيفٍ، ألن يكون أكثرَ استعداداً وأقلَّ خجلاً في أن يغني؟ إنّني لا أقول بأنّه سيغني أمام جمهور ضخم، بل أمام جماعة معتدلة الحضور عدداً. لا وليس بين الأغراب مع ذلك، بل بين عشرائه ورفاقه، وكما قلنا غالباً، ليُرتّل وينشد، ويسحر ويفتن الألباب.

كلينياس: إنّه سيكون أكثر استعداداً كي يقوم بذلك ببعد كبير.

الأثيني: لن تكون هناك أيّة لامناسبة في استخدامنا طريقة كهذه لإقناعهم كي ينضمّوا لنا في الغناء.

كلينياس: لا على الإطلاق.

الأثيني: وأيّة أغنية سيغنون وأيّ لحنٍ سيلحنون. وبأيّة ترتيلة سيسبحون آلهات الشعر والعلوم والفن والغناء؟ إنّ الموسيقى يجب أن تكون ذات نوع جيّد مناسب لهم.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وأيّة أغنية وأيّ لحن يكون ملائماً للأبطال؟ هل سيغنّون هم أغنيّة ويلحّنون لحناً كورسيّاً؟

كلينياس: بحقّ، أيّها الغريب، فنحن الكريتيّون واللاقيدايمونيّون لا نعرف أغنية أخرى ولا لحناً آخر غير ذلك الذي تعلّمناه وآعتدنا على غنائه في جوقتنا الموسيقيّة.

الأثيني: أجرؤ أن أقول، أنتم لم تكتسبوا معرفة نوع الأغنية الأكثر جمالاً في طريقة حياتكم العسكريّة التي صُمّمت على غرار حياة المعسكرات، وليست شبيهة بحياة الذين قطنوا المدن، وأنتم لديكم رجالكم الشبّان يأتلفون ويأكلون معاً كما يفعل الفتيان الأغرار العديمي الخبرة. لا أحد منكم سيأخذ الفتى الغرّ هذا بعيداً عن أترابه ضدّ إرادته، سيسحبه هائجاً ومزبداً، ويهبه فرصة كي يعدّ نفسه ليحضر وحيداً، وأن يسكنه ويسترضيه ويدلّك جسده، ويرى أن لا شيء يفتقر إليه في تعليمه الذي لن يخلق منه جنديّاً صالحاً فقط، بل حاكماً للدولة وللمدن أيضاً. إنّ شخصاً كهذا، كما قلنا في البدء، سيكون مقاتلاً أعظم من المقاتل الذي يغنّي له تيرتايوس؛ وهو سيمجّد الشجاعة في كلّ مكان، لكنّه سيمجّدها كرابعة في مقياس الفضائل، وليس على أساس أنها الجزء الأوّل من أجزائها، إمّا في الأفراد أو في المدن.

كلينياس: يبدو أنّك تنقص من قدر مشرّعي قوانيننا بطريقة أو بأخرى مرّة ثانية، أيّها الغريب.

الأثيني: لا أفعل ذلك عن قصد، إذا ما فعلته على الإطلاق، يا صديقي الصالح. لكن دعنا نتبع إلى هناك، إلى حيث تقودنا المحاورة. إذ لو كان هناك لحنٌ ما لأغنية أكثر جمالاً من ذلك الذي تعدّه الجوقات الموسيقية والمسارح العامّة حقّاً، فإنّي لأحبّ أن أنقله إليك وأُفصح لك عنه، وكذلك لأولئك الذين يخجلون من هذه الألحان التي لديهم، كما قلت قبلاً، والذين يريدون أن يمتلكوا الأفضل منها.

كلينياس: بكلّ تأكيد.

الأثيني: عندما تمتلك الأشياء سحراً ملازماً لها، إمّا أن يكون هذا السحر بالتحديد الشيء الأفضل فيها، أو أنّها توجد سلامة أو فائدة ما مقتناة فيها. كمثال، عليّ أن أقول إنّ الأكل والشرب واستخدام الغذاء بشكل عامّ، كلّ هذا يمتلك سحراً ملازماً له نسمّيه لذّة. لكنّ هذه السلامة وهذه المنفعة هي صحّة الأشياء المقدَّمة لنا تماماً، والتي هي سلامتها الحقيقية.

كلينياس: هكذا تماماً.

الأثيني: وهكذا، عليّ أن أقول أيضاً إنّ المعلّم لديه سحر ملازم له هو اللذّة، لكنّ السالم والنافع، الصالح والنبيل، هذه الصفات هي النوعيّات التي تعطيها إيّاها الحقيقة.

كلينياس: بالضبط.

الأثيني: وهكذا في الفنون التقليديّة، إذا نجح العاملون بها في خلق المشابهات، وكانت هذه متلازمة باللذّة، أفلا يمكن أن يقال عن أعمالهم إنّها تمتلك سحراً؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: لكنّ التناسبات التامّة، سواء إذا كانت للنوعيّة أو للكمّية، وليس اللذّة، فإن هذه التناسبات سوف تهب مالكيها الحقيقة أو السلامة، متكلّمين بشكل عامّ.

كلينياس: أجل.

الأثيني: إذن فإنّ تلك الأشياء يمكن الحكم عليها فقط وبحقّ بواسطة مقياس اللذّة، الذي لا يخلق أو يُمدُّ منفعة أو حقيقة أو شَبَهاً. ولا يسبّب أيّة نوعيّة ضارّة على الجانب الآخر، بل هناك كليّة لأجل السحر الملازم له. ويكون الاصطلاح « اللذّة » منطبقاً عليه بالشكل الأكثر مناسبة عندما تكون هذه النوعيّات الأخرى غائبة.

كلينياس: إنّك تتكلّم عن اللذّة التي لا تؤذي، أليس كذلك؟

الأثيني: نعم، وإنّي أدعو هذه اللذّة تسلية، عندما لا تسبب الأذى ولا الخير في أيّة درجة تستحقّ الكلام عنها.

كلينياس: حقيقيّ جداً.

الأثيني: إذن، إذا كانت هذه هي مبادئنا، فيجب علينا أن نتثبت من أنّ التقليد لا يتمّ الحكم عليه بواسطة اللذّة والرأي الزائف، وأنّ هذا يكون شيئاً حقيقياً بشأن المساواة كلّها، لأنّ المتساوي لا يكون متساوياً ولا المتناسق متناسقاً، لأنّ شخصاً ما يفكّر بشيء ما أو يحبّ شيئاً ما، بل سيتمّ الحكم عليها بواسطة مقياس الحقيقة، وليس بأيّ مقياس آخر أيّاً كان.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: أولم نعتبر الموسيقى كلّها كأنّها تمثيليّة ومقلّدة؟

كلينياش: بدون ريب.

الأثيني: إذن، عندما يقول أيّ شخص إنّ الموسيقى ينبغي الحكم عليها باللذّة، فإنّ تعليمه لا يمكن السماح له بالبقاء. وإذا وُجدت أيّة موسيقى تكون اللذّة ميزانها، لا ينبغي البحث عن هكذا موسيقى أو اعتبارها مالكة أيّ امتياز حقيقيّ، بل البحث والاعتبار يجب إعطاؤهما لذلك النوع الآخر من الموسيقى التي تكون تقليداً للخير وتحمل شَبَهاً لأصلها.

كلينياس: حقيقيّ جدّاً.

الأثيني: وأولئك الذين يبحثون عن النوع الأفضل من أنواع الأغاني والموسيقى يلزمهم أن لا يبحثوا عن ذلك الذي يكون سارّاً، بل عن ذلك الذي يكون حقيقيّاً. وحقيقة التقليد، كما قلنا، تكمن في إرجاع الشيء المقلّد إلى الكمية والنوعيّة.

كلينياس: بكلّ تأكيد.

الأثيني: وسيعترف كلّ شخص أنّ التأليفات الموسيقية كلّها هي تقليد وتمثيل. أفلن يوافق كلّ الشعراء والمتفرجين والممثلين على هذا؟

كلينياس: إنّهم سيوافقون.

الأثيني: بالتأكيد إنّ مَنْ سيحكم بصحّة إذن يجب أن يعرف ما هو كلّ تأليف؛ إذ لو لم يعرف ما هي صفة ومعنى القطعة، وماذا تصوّر في الحقيقة، فإنّه لن يميّز أبداً إذا ما كان القصد قصداً صحيحاً أو خاطئاً.

كلينياس: لا بالتأكيد.

الأثيني: والذي لا يعرف ما هو حقيقيّ، هل سيقدر أن يميّز بين الذي يكون خيّراً وشريّراً؟ إنّ تعبيري ليس تعبيراً واضحاً، لكن لربّما ستفهمني بشكل أفضل إذا طرحت القضيّة بطريقة أخرى.

كلينياس: كيف؟

الأثيني: هناك عشرة آلاف نوع من المتشابهات التي ندركها بواسطة البصر؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: حتّى في حالتها، هل يقدر الذي لا يعرف ما هو الهدف الدقيق الذي يُقلَّد، هل يقدر أبداً أن يعرف إذا ما كان الشَبَه منفَّذاً بشكل صادق؟ أعني، كمثال، سواء إذا كان تمثالاً لديه التناسق والتناسب الجسديّ، ولديه الحالة الحقيقيّة للأجزاء، وكيف تتاطبق وتتداخل الأجزاء مع بعضها بعضاً في نظام

واجب الأداء، وتفعل كذلك ألوانها وبنياتها، أو سواء إذا كانت هذه كلّها مشوّشة الإنجاز، هل ترى، أنّ أيّ شخص يقدر أن يعرف بشأن هذا، الشخص الذي لا يعرف ما هو الحيوان الذي تمّ تقليده؟

كلينياس: مستحيل.

الأثيني: لكن حتى إذا عرفنا أنّ الشيء المصوَّر أو المنحوت هو إنسان تلقّى على يدي الفنان كلّ أجزائه المناسبة وألوانه وأشكاله، هل سنعرف لهذا السبب حالاً، وضرورة، إذا ما كان العمل جميلاً أو مشوّه الجمال في أيّة ناحية من نواحيه؟

كلينياس: إذا كان هذا حقيقيّاً، أيّها الغريب، فما يجب علينا كلّنا تقريباً إلاّ أن نكون قضاة في الجمال.

الأثيني: حقيقيّ تماماً؛ أوّلا يمكننا القول إنّ الذي يجب أن يكون قاضياً كفؤاً في كلّ شيء مقلَّد، سواء كان في الرسم، الموسيقى، أو في أيّ فنّ آخر، ألاّ ينبغي أن يقتني أشياء ثلاثة؟ يلزمه أن يعرف ما هو التقليد في المقام الأوّل، يلزمه ثانياً أن يعرف أنّ ذلك يكون تقليداً صادقاً، وثالثاً أنّه قد تمّ تنفيذه جيّداً بالكلمات والألحان والأوزان الشعريّة أو في الإيقاعات؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: لا تدعنا نهون إذن في بحث الصعوبات الخاصّة للموسيقى. إنّ الموسيقى يُحتفل بها أكثر من أيّ نوع آخر من أنواع التقليد. ولهذا السبب فإنّها تحتاج للرعاية والاهتمام الأعظم منها كلّها. لأنّ الإنسان إذا ارتكب غلطة هنا، يمكن أن يُسبِّب الضرر الأكبر لنفسه بالترحيب بالميول السيّئة، ويمكن أن يكون الخطأ صعباً تمييزه هنا جدّاً، لأنّ الشعراء هم فنانون لكنّهم أقلّ شأناً وأدنى رتبة في الشخصيّة والأخلاق ممّا هي عليه آلهات الشّعر والعلوم والفنّ والغناء أنفسهن، اللّواتي لن يقعن في خطأ رهيب إذ يعزون إلى

كلمات الرجال ترنيم النساء وأغنيتهنّ. كلا ولن يُضفْنَ على الأوزان الشعرية للعبيد وللرجال ذوي النوعيّة الأسفل بعد دمج الألحان مع إيماءات الرّجال الأحرار؛ ولا إذا ابتدأت بالألحان والإيماءات للرجال الأحرار، سيعزون لها لحناً أو كلمات ذات صفات مضادّة. كلا ولن يمزجنَ الأصوات الإنسانية ضجيج الحيوانات وتلك التي للرجال والآلات، ومع كلّ نوع آخر من أنواع الضوضاء، وكأنّها كانت كلّها واحدة. لكنّ الشعراء الإنسانيين يكونون مغرمين بإدخال هذا النوع من المزيج المتنافر، وهكذا يجعلون أنفسهم سخريّةً في عيون أولئك. وكما يقول أورفيوس، « يكونون ناضجين للذّة الحقيقية ». إنّ الرجال ذوي الخبرة يرون هذا الارتباك كلّه. وبرغم ذلك فإنّ الشعراء يستمرّون ويخلقون دماراً أبعد، وذلك بفصل الوزن الشعريّ وعدد الرقص عن اللحن أو اتّساق الأصوات، ملحّنين الكلمات وفقاً لوزن الألحان، وفاصلين اتّساق الأصوات والإيقاع عن الكلمات أيضاً، مستعملين القيثارة أو الناي وحدهما. إذ عندما لا توجد كلمات، فإنّه يكون شيئاً صعباً تمييز المعنى لاتّساق الأصوات والإيقاع، أو لرؤية أي موضوع له قيمة وهم يقلّدونه. ويجب أن نعترف، أنّ كلّ هذا النوع من أنواع الأشياء، الذي يهدف إلى السرعة والنعومة والضوضاء البهيجة فقط، والذي يستخدمون فيه القيثارة والناي ليس كمجرد قطعتين موسيقيتين مصاحبتين للرقص والغناء، فيجب أن نعترف أنّ كلّ هذا هو شيء رديء وتافه بشكل مفرط. إنّ استعمال القيثارة والناي كليهما، عندما لا يُصاحبان، يقود هذا الاستعمال إلى كلّ نوعٍ من أنواع الشذوذيّة والمخادعة. إنّ كل هذا يكون شيئاً معقولاً ومنطقيّاً بما فيه الكفاية. لكنّنا نعتبر الآن كيف أن منشدينا في الكورس، الذي تترواح أعمارهم بين الثلاثين والخمسين، ويمكن أن تكون منّهم فوق الخمسين، كيف أنّهم لن يستخدموا آلهات الشعر والعلوم والفنون والغناء، بل

يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار كيف يجب عليهم أن يستخدموهم. وأمّا الاعتبار هذا الذي ألححنا عليه فيبدو أنّه يبيّن أنّ هؤلاء المغنين في الكورس البالغة أعمارهم خمسين سنة والذين يجب أن يغنّوا، سيحتاجون إلى تدريب أفضل من التدريب الكورسيّ المجرّد. هُمُ تلزمهم الحاجة كي يكون لديهم إدراك سريع ومعرفة باتّساق الأصوات والإيقاعات؛ وإلاّ، فكيف يمكنهم أن يعرفوا قطّ سواء إذا وجب لاتّساق الصوّت أنْ يُغَنّى بالأسلوب الدوريني، أو بحسب الوزن الشعريّ الذي خصّصه له الشاعر؟

كلينياس: إنّهم لا يقدرون بكلّ جلاء.

الأثيني: إنّ الكثرة من الناس لمضحكة في تخيّل أنّهم يعرفون ماذا في الإيقاع والوزن الشعريّ المناسب، وماذا ليس فيه، عندما يجبرون على الغناء على الناي بواسطة القوّة وحدها، وأن يتدخّلوا في شؤون الوزن الشعريّ الذي ليس من شأنهم. لم يخطر في بالهم أبداً أنّهم جهلة فيما يعملون. وبعدُ فإنّ كلّ لحنٍ يكون لحناً صحيحاً عندما يمتلك إيقاعاً ووزناً شعريّاً مناسباً، ويكون لحناً خاطئاً عندما يمتلكهما بشكل غير مناسب.

كلينياس: إنّ هذا هو الشيء الأكثر تأكيداً.

الأثيني: لكن هل يستطيع إنسان لا يعرف شيئاً، كما قلنا، هل يستطيع أن يعرف أنّ الشيء هو شيء حقيقيّ؟

كلينياس: مستحيل.

الأثيني: الآن إذن، كما سيبدو، فإنّنا واجدون الاكتشاف وهو أنّ المغنّين في كورسنا المعيّنين جديداً، والذين ندعوهم بموجب هذا القانون، برغم أنّهم أسياد أنفسهم، وهم المجبرون على الغناء، أنّ هؤلاء المغنّين يجب أن يكونوا معلّمين إلى هكذا مدى وذلك كي يقدروا على متابعة درجات الإيقاع والعلامات الموسيقيّة للأغنية، ولكي يمكنهم أن يفحصوا تآلف الألحان

والإيقاعات، وليكونوا قادرين على اختيار ما يناسب الرجال من أعمارهم وأخلاقهم وصفاتهم كي يقوموا بالغناء. ويمكنهم أن يغنّوا الأغنيات بحضورهم، وأن يمتلكوا اللذّة البريئة من تمثلهم الخاصّ بهم، وأن يُهْدُوا الرجال الشباب كي يتلقّوا الفضائل الأخلاقية مع الترحيب الحارّ الذي يستحقّون. وبما أنّهم تلقّوا تدريباً كهذا، فإنّهم سينالون معرفة أكثر دقّة من المعرفة التي تهبط على الكثرة من الناس العاديّين، أو حتى من الشعراء أنفسهم. إنّ الشارع لا يحتاج إلى النقطة الرئيسية الثانية، أعني سواء إذا كان التقليد صحيحاً أو غير صحيح، وبرغم ذلك فإنّه يستطيع أن يعرف بالكاد قوانين الألحان والإيقاع. لكنّ ناقدينا يجب عليهم أن يَعرفوا هذه الأشياء الثلاثة كلّها، وذلك كي يمكنهم أن يختاروا الأفضل، إذ لو كان هذا غيراً من ذلك فإنّهم لن يتمكّنوا أبداً من سحر أرواح الشباب الفتيان بطريقة الفضيلة. وبعدُ فإنّ التصميم الأصليّ للمحاورة الذي قصد أن يبيّن أنّنا كنا عقلاء في إعطائنا الدعم لجوقة ديونيسوس الموسيقيّة، إنّ هذا التصميم قد تمّ إنجازه بالقدرة الأفضل التي نمتلك. ودعنا نرى الآن إذا ما كنّا محقّين في ما قلناه. عليّ أن أتخيّل أنّ الاجتماع الخاصّ بالشراب يجب أن يصبح أكثر وأكثر شغباً وصخباً عندما يستمّر الشراب ويتواصل على الأرجح. ستكون الحالة هكذا، كما قلنا في البدء.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: إنّ كلّ إنسان لديه أكثر من سموّ طبيعي. فقلبه يكون فَرِحاً في ثناياه، وسيقول أيّ شيء ولن يكبحه أيّ شخص في هكذا وقت. وهو يتوهّم أنّه يقدر على أن يحكم فوق نفسه وفوق الجنس البشريّ برمّته.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: ألم نقل إنّ أرواح الشاربين تصبح في مناسبات كهذه مثل الحديد المحمّى

في النار، وتصبح ألين وأفتى، وتُقَوْلَبُ مِن قِبَلِ الذي يعرف كيف يعلّمها ويصيغها بشكل سهل، تماماً مثلما كانت فتيّة، وإن الذي يصوغها هو نفسه الذي وصف لها الوصفات أيّام فتوّتها، أعني، المشّرع الخيّر. وهذا المشرّع هو الذي يجب أن يسنَّ قوانين الوليمة، التي عندما يكون إنسان واثقاً من نفسه حينها، ويكون جسوراً، وصفيقاً، وغير مستعدٌ لانتظار دوره ويمتلك حصّته من الصّمت والكلام، والشارب والموسيقى، أقول، إنّ إنساناً كهذا، سوف يغيّر شخصيته وأخلاقه عكس ما تكون عند سَنّ قوانين الوليمة هذه. إنّ قوانين كهذه بما أنّها ستغرس فيه عدلاً وخوفاً نبيلاً، وهما سيمتشقان السلاح ضدّ الغطرسة، كون ذلك الخوف الذي غرس فيه خوفاً إلهيّاً وهو الذي أسميناه مهابة وخجلاً.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: وحماة هذه القوانين والأخوة العمّال معهم هُمُ القادة الهادئون المتّزنون للشاربين. وهناك صعوبة كبيرة بدون مساعدتهم في الحرب ضدّ الشراب، أكبر من الصعوبة التي توجد في الحرب ضدّ الأعداء، عندما لا يكون آمر الجيش نفسه هادئاً، والذي لا يبدي استعداداً لإطاعتهم. ولا يطيع آمري الولائم الديونيسيكيّة الذين تزيد أعمارهم عن سنّ الستّين، فإنّه سيقاسي خزياً كما يقاسيه أولئك الذين يتمرّدون على القادة العسكريين، أو حتّى سيقاسي عاراً أعظم من ذلك.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: إذن، إذا نُظِّم الشراب والسلوى بهذه الطريقة، أفلن يتحسّن الرفاق لقاصفينا؟ إنّهم سينصرفون بعدها أصدقاء أفضل ممّا كانوا، وليس كما هم الآن، أعداء. إنّ علاقتهم بعضهم ببعض ستنظّم بالقانون وبمراقبة هذا القانون، وسوف يكون المتّزنون هم القادة للسكّيرين والثملين.

كلينياس: أعتقد بذلك أيضاً، إذا ما نُظِّم الشراب كما تقترح.

الأثيني: دعنا لا ندين إذن بكلّ بساطة هبة ديونيسوس وكأنّها هبة سيّئة وغير مناسبة كيَ تتلقّاها الدولة. إنّ النبيذ له امتيازات عديدة، إحداها المتفوقة، التي ليس هناك أيّة صعوبة في التكلّم بشأنها للكثرة، خشية عدم إدراكهم وعدم فهمهم لما قيل.

كلينياس: إلامَ تشير.

الأثيني: هناك عُرْفٌ أو قصّة، طافت حول العالم، وهي أنّ ديونيسوس سُرقت منه حصافته وفطنته بواسطة زوجة أبيه هيرا؛ ولأنه يريد ثأراً أثار اللفّات الباخوسيّة والرّقص والجنون في الآخرين. ولهذا السبب فإنّه أعطى الرجال نبيذاً. إنّ أعرافاً كهذه خاصّة بالآلهة أتركها لأولئك الذين يظنّون أنّه يمكن أن يتمّ النطق عنها بشكل مضمون وأكيد. أعرف الآن أن أي حيوان لا يكون مدركاً وناضجاً عند الولادة لا يكون كامل الذكاء والعقل. وأنّه في الفترة المتوسّطة، التي لم يكتسب فيها إدراكه الخاصّ المناسب، يثور ويغضب ويزأر بدون نظام أو منطق. وعندما ينتصب على ساقيه ولو لمرّة واحدة، فإنّه يقفز هنا وهناك بدون نظام أو منطق أيضاً. ولقد قلنا عن هذا الأسلوب، كما ستتذكّر، قلنا عنه إنّه أصل الموسيقى وأصل الألعاب الرياضية.

كلينياس: إنّني أتذكّر، لتكن متأكّداً.

الأثيني: أولم نقل إنّ إدراك الإيقاع والوزن الشعريّ نشأ من هذه البداية بيننا، وإنّ أبوللو وآلهات الشعر والعلوم والفنون والغناء وديونيسوس كأهم الآلهة الذين وجب علينا أن نشكرهم لهذا؟

كلينياس: بدون ريب.

الأثيني: إنّ القصة الأخرى تدلّ ضمناً على أنّ النبيذ أُعطي للإنسان خارج الثأر ومنه، ولكي يجعله مجنوناً. لكنّ تعليمنا الحالي وعقيدتنا عكس ذلك. تقول

إنّ النبيذ أعطي للإنسان كبلسم،ولكي يغرس الاعتدال في الروح والصحّة والقوّة الجسديّة في الجسم.

الأثيني: يمكن الآن إذن اعتبار أنّه قد تمّ بحث نصف الموضوع، فهل سنتقدّم لبحث نصفه الآخر؟

كليتياس: ما هو النصف الآخر، وكيف ستقسّم الموضوع؟

الأثيني: إنّ فنّ الكورس كلّه هو التعليم بمجمله حسب وجهة نظرنا أيضاً؛ وفي هذا الفنّ، فإنّ الأوزان الشعريّة والإيقاعات تشكّل الجزء الذي له علاقة بالصوت.

كلينياس: نعم.

الأثيني: إنّ حركة الجسم لديها إيقاع مع حركة الصوت بشكلٍ مشترك. لكنّ الإيماء يكون مميّزاً لها، في حين أنّ الأغنية تكون حركة الصوت بشكل بسيط.

كلينياس: الأكثر حقيقة.

الأثيني: وجازفنا إذ سمّينا الموسيقى ضجّة الصوت التي تصل إلى الروح وتعلّمها.

كلينياس: وكنّا محقّين في ما قلناه.

الأثيني: وسمّينا الرقص حركة الجسم، عندما يُعتبر كتسلية، لكنّه عندما يُلاحق ويمتدّ بقصد الامتياز للجسم، يمكن أن يسمى هذا التمرين العلمي رياضة بدنيّة.

كلينياس: بوضوح.

الأثيني: إنّ الموسيقى، التي كانت نصف الفنّ الكورسي، يمكن القول إنّه قد تمّ بحثها بشكل كامل، هل سنتقدّم إلى النصف الآخر أمْ لاَ؟ فماذا سترغب؟

كلينياس: يا صديقي الصالح، عندما تتكلّم مع كريتيّ ولاقيدايمونيّ، وبما أنّنا بحثنا في الموسيقى ولم نبحث في الألعاب الرياضيّة، فأيّ جواب سيوجده كلٌّ منا على بحث كهذا بشكل محتمل؟

الأثيني: إنّه الجواب المحتوى في سؤالكما: إنّني لأفهم وأقبل ما تقولانه ليس كجوابٍ فقط، بل كأمرٍ نتقدّم منه لبحث التمارين الرياضية.

كلينياس: إنّك تفهمني تماماً؛ إفعل كما تقول.

كلينياس: سأفعل ذلك، ولن تكون هناك أيّة صعوبة في التكلّم إليكما بوضوح بشأن الموضوع الذي تطّلعان عليه بشكل جيّد أكثر من اطّلاعكما على الموسيقى.

كلينياس: لا صعوبة في ذلك.

الأثيني: أليس أصل الألعاب الرياضية، كي يتمّ البحث عنه أيضاً، في الميل للحركة السريعة الموجودة في الحيوانات كلّها؟ وبما أنّ الإنسان قد تيسّر له فهم الإيقاع أو الوزن الشعريّ، كما قلنا، فقد أبدع واخترع الرقص واللّحن أو اتّساق الأصوات. بعث وأيقظ الإيقاع أو الوزن الشعري وشكّل اتحادهما الفنّ الكورسيّ.

كلينياس: جيّداً جدّاً.

الأثيني: ولقد تمّ بحث جزء واحد من هذا الموضوع بشكل مسبق، ولا يزال هناك جزء آخر يجب بحثه.

كلينياس: بالضّبط.

الأثيني: إنّ لديّ كلمة نهائيّة أضيفها إلى بحثي بادىء ذي بدء بشأن الشراب، إذا سمحت لي أن أفعل ذلك.

كلينياس: ماذا لديك أكثر ممّا يلزم أن تقوله.

الأثيني: يلزمني أن أقول إنّه إذا عَنَت مدينةٌ بشكل جديّ أن تقرّ مزاولة الشراب تحت أيّ تنظيم وبقصد تنفيذ الاعتدال، وبأسلوب مماثل، وعلى المبدأ عينه، إذا سمحت للملذّات الأخرى، عازمة ومخططة أن تكون الغلبة للاعتدال عليها، يمكن استخدامها لها كلّها بهذه الطريقة. لكن إذا جعلت الدولة

الشراب تسلية فقط، وأنّ كلّ من يحبّ يمكنه أن يشرب متى يحبّ، ومع مَن يحبّ، وأن يضيف إلى هذا أيّ انغماس ذاتيّ آخر، فإنّني لن أوافق قطعاً أو أسمح بوجوب مزاولة الشراب في هذه المدينة ومن قِبَلِ هذا الإنسان. وسأذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، أبعد ممّا ذهب إليه الكريتيون واللاقيدايمونيّون، وإنّني لميّال إلى قانون القرطجنيين على الأصحّ، وهو أنّه لا يجب السماح لأحد أن يتذوّق النبيذ على الإطلاق في حين يدير حملة، إجتماعية كانت أو عسكريّة أو سياسية، أو عندما يشترك فيها. بل ينبغي عليه أن يشرب الماء أثناء ذلك الوقت كلّه. وأنّه لا يجب أن يشرب النبيذ عبدٌ في المدينة، ذكراً كان أو أنثى، ولا يلزم للحكّام ولا للقضاة أن يشربوه خلال مدّة حكمهم، ولا يجب أن يتناوله القباطنة الذين يقودون المراكب، ولا القضاة حين يؤدّون واجباتهم على الإطلاق؛ ولا أحد ممّن يستعدّ لعقد مشاورة أو مؤتمر ذي أهميّة وبشأن قضايا رفيعة المستوى. ولا يجب أن يشربوه أثناء النهار، ما لم يكن استعماله بقصد التدريب أو كدواء، ولا يجب أن يشربوه أثناء الليل ثانية، عندما يرغب أي شخص، رجلاً كان أو امرأة، أن يلد أطفالاً. هناك حالات أخرى لا يحدّها حصر وتوجب على أولئك الذين يمتلكون فهماً وقوانين صالحة أن لا يشربوا النبيذ. وهكذا إذا كان ما أقوله صحيحاً فلا مدينة ستحتاج إلى كروم عنب. إنّ زراعته وطريقة حياتها ستتبع قانوناً ونظاماً محدّداً بشكل عام، وسيكون تعهّدهم لزراعة الكرمة الشيء الأكثر محدوديّة والأقلّ شيوعاً لأعمالهم ووظائفهم، وسيكون هذا، أيّها الغريب، إكليل مباحثتي بشأن النبيذ، إذا وافقت على ما قلته.

كلينياس: إنّنا نوافق عليه، وما تقوله ممتاز، أيّها الغريب.

محاورة النواميس

الكتاب الثالث

افكار الكتاب الرئيسية

يقول الأثيني: لنسأل ما هو أصل الحكومة، وكيف تتقدّم الدول وتتحوّل نحو الخير أو نحو الشرّ؟ ولنسأل ما هو سبب تغيير الحكومات وسقوط الدول كذلك؟ عندما حدث الطوفان العظيم فإنّ قلّةً من النّاس والحيوانات قد حُفِظتْ، واختفت إلى حدّ ما أساليب الزراعة والصناعة والفنون والعلوم، ثمّ حصل التقدّم بعد ذلك شيئاً فشيئاً في هذه المجالات. ولم يكن الجنس البشريّ فقيراً جدّاً ولا غنيّاً في تلك الأيّام، والمجتمع الذي لا يعاني عَوَزاً ولا يمتلك غنىً ستكون لديه المبادىء الأنبل على الدوام، وليس فيه غطرسة أو ظلم، ولا أيّة نزاعات ولا حسد، ولهذا السبب فإنّ الناس كانوا أخياراً، ولم تكن لديهم الحصافة كي يفرّقوا بين الزيف والحقّ، ولم يكن لديهم مشرعون كذلك. أمّا من حيث الحكومة فكان يقوم بينهم ما يسمّى حكومة اللورديّة بشكل عامّ، لكن لم يكن لديهم مجالس شورى ولا محاكم عدل ولا أحكام. وابتدأت الحكومة بينهم بسلطة الأب والأمّ. ثمّ بدأوا بعد ذلك بمعرفة الفنون وبناء المدن وإقامة المستعمرات. وكانت مدينة إيليوم ولاقيدايمون واسبرطة وكريت وغيرها من المدن هي التي شنّت الحرب على طروادة. وبعدُ لنرى أي استيطان من هذه الاستيطانات جيّد وأيها سيّىء ودعنا نستشف منها القوانين التي تنقذ المدن، والأخرى التي تدمّرها.

أتى المشرّع ليسن قوانين جديدة ويعلن حقيقة تسير الجماعة بهديها. ثم وقع الخلاف بيننا وبين الامبراطورية الأشورية وكان ما كان. ونحن نقول إن هناك رغبة

واحدة مشتركة لكلّ الجنس البشري، وهي أن تصبح كلّ الأشياء الإنسانية وأن تحدث في تطابق مع روح الإنسان، وهو يصلّي لتحقيقها. وما على المشرّع هنا ورجل الدولة إلاّ أن يصدرا القوانين بقصد الحكمة وليس بقصد الحرب، وما سبب سقوط الدول وزوالها إلاّ جهل حكّامها بالشؤون الإنسانية الأكثر أهميّة، ولتفسّخ سكّانها وحكّامها الخلقي وانحرافهم الجنسيّ. وأقول إنّ الجهل الأعظم يكون عندما يكره إنسان ذلك الذي يعتقد أنّه خير ونبل، وبرغم ذلك يحبّ ويتقبّل بكلّ سرور ذلك الذي يعرف أنّه شرّ وإثم.

إنّ هذا التضارب وعدم الوفاق بين مفهوم اللذّة وحكم العقل في الروح هو الجهل الأسوأ والجهل الأعظم لأنّه يؤثّر في الجزء الرئيسيّ من الروح الإنسانية. وعندما تضادّ الروح المعرفة، أو الرأي، أو العقل، وهذه هي أسيادها الطبيعيون، فذلك ما أسمّيه غباء، تماماً مثلما يحدث في الدولة عندما ترفض الكثرة إطاعة حكّامها وإطاعة القوانين، أو مثلما يحدث في الفرد، عندما تستقر التفكيرات الواضحة العادلة في الروح ولا تفعل الخير برغم ذلك، بل تفعل عكس الخير بالأحرى. ويمكننا أن نقول بحقّ إنّ التناسقات والانسجامات الأنبل والأعظم هي الحكمة الأعظم، ولهذا فإنّ من يحيا طبقاً للعقل يكون شريكاً فيها، في حين أنّ الذي يكون خلواً من العقل يدمّر بيته، وهو الضدّ بالتحديد لمن ينقذ الدولة، ويجهل الحكمة السياسيّة بشكل كليّ. والقانون يقول إنّ الحاكم سيكون الأب والأمّ والأجداد، ويجب أن يحكم الأنبلُ الأحقرَ، والأكبرُ سنّاً الأفتى منه، وأن يحكم الأسيادُ العبيدَ، والأقوى الأضعفَ. أمّا أعظم هذه المبادىء كلّها فهو أنّ العاقل يجب أن يقود ويأمر، وأنّ الجاهل يتبع ويطيع. والمبدأ الأخير يقضي بأنّ الذي يقع عليه رأي الأكثرية يكون حاكماً، وينبغي أنْ يطيع الجميعُ القوانينَ. وعلى المشرّع أن يراقب التوسّط والاعتدال في كلّ شيء، وأنّ يوجّه تفكيره نحو الصداقة والحكمة والحرية. هناك نوعان اثنان رئيسيّان من أنواع الحكومات تصدر عنهما كلّ

الحكومات الأخرى، وهما الحكومة الملكيّة والديموقراطية، ويجب مزج هذين النوعين من أنواع الحكومات كي نحصل على حكومة صالحة. ولنأخذ عبرة بما حدث لفارس التي تبنّت الحكومة الملكيّة وتبنّينا نحن الديموقراطية. إنّ الدولة التي ستكون دولة آمنة وسعيدة بقدر ما تسمح به الطبيعة الإنسانية، يجب أن توضع فيها خيرات الروح أوّلاً، وأن تكون هذه الخيرات هي الأعلى في الميزان، وأن يكون الاعتدال حالتها على الدوام، وأن يُنسب المكان الثاني لخيرات الجسد، والثالث للمال والممتلكات. فإذا فعلت الدولة عكس ذلك فإنّها تفعل شيئاً غير مقدّس وغير وطنيّ وستزول. وعلى المشرّع أن يمتلك أشياء ثلاثة في القصد والهدف: أوّلاً، أنّ المدينة التي يشرّع لها يجب أن تكون مدينة حرّة؛ ثانياً، ينبغي أن تكون في وحدة مع نفسها؛ ثالثاً، يلزمها أن يكون لديها فهم وعلم. وعلى هذا الأساس الثابت المتين سنبدأ تشييد بنية الدولة الجديدة.

محاورة النواميس

الكتاب الثالث

الغريب الأثيني: كفاية مّما قيل. وماذا، بعدئذ، كي يتمّ اعتباره كأنّه أصل الحكومة؟ ألن يمكن لإنسانٍ أن يحكم عنه بالشكل الأفضل من وجهة النظر التي يمكنه أن يرى فيها تقدّم الدول وتحوّلاتها إذا كانا إلى الخير أم إلى الشرّ؟

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: أعني أنّه يمكنه مراقبتها من وجهة نظر الزمن، وأن يلاحظ التغييرات التي تأخذ مكانها فيها خلال العصور اللامتناهية.

كلينياس: كيف ذلك؟

الأثيني: لماذا، هل تعتقد بأنّك تقدر أن تحسب الزمن الذي انقضى منذ وُجدت الدّول ومنذ كان الرجال فيها مواطنين؟

كلينياس: أقدر بصعوبة.

الأثيني: لكنّك متأكّد أنّه يجب أن يكون زمناً طويلاً ولا يمكن عدُّه.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: أوَلم يبرز إلى الوجود آلافٌ وآلافٌ من المدن -أثناء هذه الحقبة، كما أنّ مدناً عديدة زالت ودُمِّرت؟ أولم يكن لدى كلّ مدينة منها كلّ شكل من أشكال الحكومات مرّات ومرّات عديدة، تنمو الآن بشكل أكبر، وبعدئذ بشكل أصغر، ومن ثمّ تتحسّن أو تهبط ثانية.

كلينياس: لتكن متأكداً.

الأثيني: دعنا نسعى لتوضيح سبب هذه التغييرات؛ لأنّ هذا سيوضح بشكل محتمل الأصل الأوّل وتطوّر أشكال الحكومات.

كلينياس: جيّد جداً. إنّك ستسعى لنقل أفكارك إلينا، وسنبذل نحن جهداً لفهمك.

الأثيني: هل تعتقد أن هناك أيّة حقيقة في التقاليد الغابرة؟

كلينياس: أيّة تقاليدَ؟

الأثيني: إنّها تقاليد التدمير المتعدّد الذي حاق بالجنس البشريّ والذي سبّبته الطوفانات والأوبئة الطاعونيّة، ووسائل أخرى متعدّدة، وكذلك عن إنقاذ البقيّة الباقية منهم؟

كلينياس: إنّ كلّ شخص ميال لتصديقها.

الأثيني: دعنا نأخذ واحدة منها، تلك التي سبّبها الطوفان الشهير.

كلينياس: وماذا سنلاحظ بشأنها؟

الأثيني: أعني أنّ أولئك الذين هربوا يومها هم الرّعاة في قمم الجبال. إنّ مقادير قليلة من الجنس الإنساني تمّ حفظها على قمم الجبال تلك.

كلينياس: بوضوح.

الأثيني: هؤلاء الناجون كانوا بالضرورة غير ملمين بالفنون والأدوات المتنوّعة التي تمّ اقتراحها ليستخدمها سكان المدن بواسطة المنفعة أو الطموح، ومع كلّ الأخطاء التي يقومون بها بعضهم ضدّ البعض الآخر.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: دعنا نفترض إذن، أنّ المدن في الأراضي المنبسطة وعلى شاطىء البحر دُمِّرت كليّة في ذلك الزمن.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: ألن تكون كلّ الأدوات قد فُنيت حينئذ، وأختفى كلّ اختراع آخر ممتاز من العلوم السياسيّة أو من أيّ نوع آخر من أنواع الحكمة بشكل كليّ؟ تأمّل مليّاً، يا صديقي، أنّه إذا استمرّت هذه الأشياء على الدوام كما هي منظّمة في الوقت الحاضر، فلن تكون هناك أيّة إمكانيّة لتحقيق أيّ اكتشاف جديد حتّى في الخاصيّة الأقلّ.

كلينياس: يجب علينا أن نفترض بشكل واضح أنّ الفنون كانت غير معروفة خلال عشرة آلاف مرّة لعشرة آلاف سنة. وليس أكثر من ألفٍ أو ألفي سنة انقضت منذ اكتشافات دايدالوس، أورفيوس، وبالاميدس، منذ أن اخترع مارسياس وأوليمبوس الموسيقى، واخترع أمفيون القيثارة، ـ هذا ولن أتكلّم عن اختراعات أخرى لا يحدّها حصر والتي لم تكن سوى اختراع البارحة.

الأثيني: هل نسيت، يا كلينياس، إسم الصديق الذي هو صديق البارحة حقاً؟

كلينياس: أفترض أنّك تعني ابيمينايدس؟

الأثيني: إنّ الاسم، يا صديقي، لن يُغفل أو يقفز فوق رؤوس الجنس البشريّ كلّه بواسطة اختراعاته؛ وهو نفّذ بالممارسة، كما نعلن، ما وعظ به هيسيود الشاعر القديم فقط(٣).

كلينياس: نعم، وذلك طبقاً لعرفنا.

الأثيني: بعد الدمار العظيم، ألاَ يمكننا أن نفترض أنّ حالة الإنسان كانت شيئاً ما من هذا النوع: في بداية الأشياء كانت هناك صحراء مخيفة لامتناهية وأرض شاسعة الامتداد. والناجي الوحيد من عالم الحيوان هو قطيع أو قطيعان من الثيران، ويمكن وجود بضع عنزات، وكلّ هذه الحيوانات كانت غير كافية أبداً كي تبقي على الرعاة الذين يهتمّون بها أيضاً؟

كلينياس: حقاً.

الأثيني: وأمّا ما يخصّ المدن أو الحكومات أو التشريعات التي نتحدّث عنها الآن، هل تفترض أنّهم استطاعوا أن يتذكّروا ما يتعلّق بها على الإطلاق؟

كلينياس: لا شيء أيّاً كان.

الأثيني: أوَلم ينشأ خارج حالات الأشياء هذه كلّ ذلك الذي نكونه ونمتلكه الآن: المدن والحكومات، الفنون والقوانين، ومقدار عظيم من الرذيلة ومقدار عظيم من الفضيلة؟

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: لماذا، يا صديقي الصالح، كيف يمكننا أن نفترض بشكل محتمل أنّ أولئك لم يعرفوا أيّ شيء عن كلّ الخير وكلّ الشرّ للمدن، كيف يمكننا افتراض أنّهم استطاعوا أن يصلوا إلى تطوّرها الكامل، سواء إذا كان هذا التطوّر نحو الفضيلة أو الرذيلة؟

كلينياس: إنّني أفهم معناك، وإنّك لمحقّ تماماً في ما تقول.

الأثيني: لكن، بما أنّ الزمن تقدّم والجنس تكاثر، فإنّ العالم أصبح ما هو عليه الآن.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: وبدون شكّ فإنّ التغيير لم يُوجد كله في لحظة بل حدث شيئاً فشيئاً، خلال حقبة طويلة من الزمن.

كلينياس: إنّه لافتراض محتمل بشكل عال.

الأثيني: في البدء، لم يكن لديهم خوف طبيعي خطر ببالهم وهو الذي منعهم من الهبوط من الأعالي إلى الأرض المنبسطة.

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: إنّ قلّة الناجين في ذلك الوقت كانت ستجعلهم كلّهم أكثر رغبة في رؤية بعضهم بعضاً، لكن وسائط السفر حينئذٍ، سواء بواسطة البحر أو البرّ قد فُقدت بشكل تامّ تقريباً، كما يمكنني أن أقول، وذلك مع فقدان الفنّ. وكانت هناك صعوبة كبيرة في الاتّصال ببعضهم البعض، لأنّ الحديد والبرونز والمعادن الأخرى كلّها كانت مختلطة معاً بغير نظام واختفت في الشواش، ولم تكن هناك إمكانية كي يُستخلص المعدن الخام منها. وكان لديهم بالكاد أيّة وسيلة لقطع الأخشاب، حتى إذا افترضت أنّ بعض الأدوات يمكن أنّها قد حُفظت في الجبال، وجب أنّها بليت واختفت من الوجود، ولن يوجد الشيء الكثير منها إلى أن تمّ إحياء فنّ علم المعادن مرّة ثانية.

كلينياس: لم يُستطع إيجاد ذلك.

الأثيني: ما عدد الأجيال التي انقضت حتى أمكن الوصول إلى هذا؟

كلينياس: ليس العديد من الأجيال، بوضوح.

الأثيني: أثناء هذه الفترة، ولبعض الزمن في ما بعد، فإنّ كلّ الفنون التي تحتاج إلى الحديد والبرونز وما شابه ستختفي.

كلينياس: بدون ريب.

الأثيني: إنّ الشِّقاقَ والحرب أُخمدا في تلك الأيّام، ولأسباب عديدة.

كلينياس: كيف كان ذلك؟

الأثيني: في المقام الأوّل، إنّ هلاك هؤلاء الرجال البدائيين سيخلق فيهم شعوراً من العاطفة والوداد نحو بعضهم البعض. وثانياً لن تكون لديهم فرصة للنزاع بشأن مورد رزقهم، فهم سيمتلكون مراعي وافرة، إلاّ بادىء الأمر، وفي بعض الحالات الخاصّة، وسيحصلون من أرضهم الغنيّة بالمراعي على الجزء الأكبر من غذائهم في العصر البدائيّ، وسيكون لديهم الكثير من الحليب واللحم. بالإضافة إلى ذلك فهم سوف يدبّرون غذاء آخر بواسطة الصيد، ولن يكون غذاء حقيراً لا في الكميّة ولا في النوعية. وسيكون لديهم وفرة من الثياب، الأسرَّة، أماكن السكن، ومن الأوعية القادرة على تحمّل حرارة النار أو عكس ذلك. إنّ فنون اللدائن والحياكة لا تحتاج لاستعمال الحديد؛ ولقد وهب الله هذين الفنّين الاثنين للإنسان كي يمدّه بكلّ هذه الأشياء، وذلك، عندما يُخفِّض ما لديه إلى أقصى درجة، فإنّ الجنس البشريّ يمكنه أن يبقى في ازدياد ونموّ. ومن ثم فإنّ أبناء الجنس البشريّ في هذه الأيّام لم يكونوا فقراء جدّاً؛ لا ولم تكن الفاقة سبب الخلاف بينهم، ولم يستطيعوا أن يكونوا أغنياء، لأنهم لا يمتلكون ذهباً ولا فضّة. هكذا كانت حالتهم في ذلك الزمن. والمجتمع الذي لا يمتلك عَوَزاً ولا غنىً ستكون لديه المبادىء

الأنبل على الدوام. وليس فيه غطرسة أو ظلم، ولا أيّة نزاعات أو حسد. ولهذا السبب كانوا أخياراً ثانية، وأيضاً لأنّهم كانوا في حالة ما يُسمّى بساطة العقل. وعندما أُخبِروا عن الخير والشرّ، اعتقدوا لبساطتهم، أنّ الذي سمعوا عنه أنّه الخير هو الحقيقة تحديداً ولهذا مارسوه. لم يكن لدى أحدهم الحصافة كي يشتبه بشيء آخر للزيف أو الباطل كما يفعل الرجال الآن لكن الّذي سمعوه بشأن الآلهة والرجال اعتقدوه أنّه القول الحقّ، وعاشوا طبقاً لذلك. ولهذا السبب كانوا كما وصفناهم في كلّ جهة من الجهات.

كلينياس: إنّ ما تقوله ينسجم مع أفكاري تماماً، ومع أفكار أصدقائي الموجودين هنا أيضاً.

الأثيني: أفلن تكون أجيال عديدة عائشة في أسلوب بسيط من أساليب الحياة، ولربّما كانت أساليب بدائيّة مع ذلك، وتكون تلك الأجيال أكثر جهلاً بالفنون بشكل عام، وبشكل خاصّ بتلك الفنون التي تخصّ الأرض أو الحرب البحريّة، وبالفنون الأخرى فوق ذلك، والتي تُسمّى في المدن ممارسات قانونيّة وشرعيّة ونزاعات حزبيّة، شاملة كلّ الطرائق الممكن تصوُّرها لأذى الناس بعضهم بعضاً بالكلمة والفعل. وبرغم أنّ هذه الفنون أقلّ قيمة وشأناً لأولئك الذين عاشوا قبل الطوفان، أو لرجال يومنا الحاضر في هذه النواحي، أقول، أليست هذه الفنون فنوناً أكثر بساطة وشرفاً، وأيضاً أكثر اعتدالاً وأكثر عدلاً بشكلٍ كامل؟ إنّ السبب قد تمّ شرحه بشكل مسبق.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: أرغب منك أن تفهم أنّ ما تقدّم، وما هو على وشك أن يلي، قد قيل، وسيتمّ قوله بقصد توضيح حاجة الرجال للقوانين في ذلك العصر، ومَنْ كان مشرِّع قوانينهم.

كلينياس: وهكذا فإنّ ما قلته إلى هذا الحدّ قد قيل بشكلٍ جيّد جدّاً.

الأثيني: إنّهم لم يستطيعوا ولا أرادوا أن يكون لديهم مشرّعون حتّى الآن؛ لا شيء من ذلك كان موجوداً في أيّامهم على الأرجح. وحتّى الحروف كان يفتقر لمعرفتها أولئك الذين ولدوا في ذلك العصر. إنّهم عاشوا بعادات وتقاليد أسلافهم.

كلينياس: من المحتمل.

الأثيني: لكن كان هناك شكل من أشكال الحكومات سابقاً يدعى حكومة اللورديّة بشكل عامّ، إذا لم أكن مخطئاً. وهذه الحكومة لا تزال قائمة في أماكن عدّة بين الهيلينيين والبربر على حد سواء(٤)، وهي الحكومة التي أعلن هوميروس أنّها سادت بين السيكلوب(٥)، عندما قال: « هم لا يمتلكون مجالس شورى ولا أحكاماً، لكنّهم يقطنون كهوفاً مجوّفة في قمم الجبال العالية، وكلّ شخص منهم يسنّ قانوناً لزوجته وأطفاله، ولا يشغلون أنفسهم بشأن بعضهم بعضاً »(٦).

كلينياس: يبدو أنّ هذا الشاعر، شاعرك فاتن. لقد قرأت له بعض المقاطع الأخرى التي نظمها وهي مقاطع حاذقة، لكنّي لا أعرف الكثير عنه، لأنّ الشعراء الغرباء قليلاً ما تُقرأ أعمالهم بين الكريتيين.

ميغيلوس: لكنّهم موجودون في لاقيدايمونيا، ويظهر أنّه أميرهم جميعاً. على كلّ حال، إنّ أسلوب الحياة الذي يصفه ليس أسلوب حياةٍ إسبرطي، بل إنّه آيوني على الأصحّ. ويبدو أنّه يعزّز ما تذكره، عندما يتتبع الدولة الغابرة للجنس البشريّ وصولاً إلى نظام البربريّة بمساعدة العادة والعرف.

الأثيني: نعم، إنّه يتتبّعها ويثبت ذلك. ويمكننا نحن أن نقبل شهادته على حقيقة أنّ حكومات كهذه تنشأ بعض المرّات.

كلينياس: يمكننا فعل ذلك.

الأثيني: أوَلم تتشكّل دول كهذه من رجال قد انتشروا في مستوطنات وعائلات

مفردة بسبب الفاقة التي صاحبت الدمار؟ أوَلم يحكم الأكبر سنّاً حينها بينهم، لأنّ الحكومة ابتدأت معهم في سلطة الأب والأمّ، وهم تبعوها، مثلما تفعل أسراب الطيور، مشكّلين فرقة واحدة تحت حكم وسيادة آبائهم البطريركيّين، وحكمهم هذا هو الحكم الأكثر عدلاً من كلّ السيادات الأخرى؟

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: بعد هذا الذي حدث أتوا معاً بأعداد كبيرة، وزادوا من حجم مدنهم، وعمدوا إلى إحياء الزراعة، مبتدئين بها على سفوح الجبال قبل كلّ شيء، وصنعوا بل وأقاموا سياجاً من الأسوار غير المترابطة وأعمالاً دفاعية أخرى، كي يبقوا الحيوانات المفترسة بعيدة عنهم، وهكذا أوجدوا مستوطنة مشتركة مفردة كبيرة.

كلينياس: نعم، يمكننا أن نفترض ذلك على الأقلّ.

الأثيني: هناك شيء آخر سيحدث بشكل محتمل.

كلينياس: ما هو؟

الأثيني: عندما ازداد عدد هؤلاء القاطنين أكثر ممّا كانوا عليه، فإنّ كلّ مجموعة من مجموعات العدد الأصليّ سوف تبقى حيّة ضمن المجموعات الأكثر عدداً. وستكون كلّ عائلة تحت سلطة الأكبر سنّاً فيها. وبداعي انفصالهم بعضهم عن البعض الآخر، ستتشكّل لديهم عادات غريبة في الأشياء الإلهيّة والإنسانية، تلك العادات التي تلقوها من آبائهم العديدين الذين أشرفوا على تعليمهم. وهذه العادات ستجنح بهم نحو النظام، هذا عندما يكون لدى الآباء عنصر النظام في طبائعهم، وسيميلون نحو الشجاعة أيضاً، عندما يمتلك الآباء عنصر الشجاعة في طبائعهم. وهم سيَسِمُونَ أطفالهم وأطفال أطفالهم بسِمَتهم الخاصّة بهم. وكما قلنا سوف يسلكون الطريق عينها في المجتمعات الأخرى، ممتلكين قوانينهم الخاصّة بهم بشكل مسبق.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وكلّ إنسان يحبّ قوانينه الخاصّة به الحبّ الأفضل بدون ريب، لكنّه لا يحب قوانين الآخرين بالدرجة عينها.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: يبدو إذن أنّنا تعثّرنا وزللنا في بدايات التشريع الآن.

كلينياس: بالضبط.

الأثيني: ستكون الخطوة القادمة في بحثنا هي أنّ هؤلاء الأشخاص الذين اجتمعوا معاً، سيختارون بعض الحكام، الذين سيتفحّصون القوانين التي تخصّهم جميعاً، وسيحضرون بشكل علنيّ تلك القوانين التي يصادقون عليها، سيحضرونها للرؤساء الذي يقودون القبائل. وهؤلاء الرؤساء هم ملوكهم إلى حدّ ما، تاركين لهم مجال اختيار القوانين التي يعتقدون أنّها القوانين الأفضل. وهؤلاء الأشخاص سيدعون أنفسهم مشرّعين، وهم سيُعينون الحكام، مشكّلين نوعاً من أنواع الحكم الأرستقراطي، أو لربّما من أنواع الحكم الملكيّ، وذلك من السلالات أو اللوردات الحاكمة. وسيعيشونْ في هذه الحالة المتبدّلة من حالات الحكومة.

كلينياس: نعم، إنّ هذا النظام سيكون النظام الطبيعيّ للأشياء.

الأثيني: دعنا نتكلّم الآن إذن عن النوع الثالث من أنواع الحكومات الذي تتزامن فيه كلّ أشكال وحالات الدول والمدن.

كلينياس: ما هو ذلك النوع؟

الأثيني؛ في الحقيقة إنّه النوع الذي يعيّنه هوميروس في شعره كأنّه يتبع النظام الثاني، وينشأ هذا النظام الثاني، عندما يقول هوميروس، إنّ داردانوس وجد داردانيا:

« لأنّ ايليوم المقدّسة لم تكن مبنيّة حتى الآن على الأرض المنبسطة لتكون

مدينة الرجال المتكلّمين؛ بل سكنوا على سفح آيدا ذات النافورات المتعدّدة »[٧].

إنّ هوميروسِ ينطق كلمات الله وكلمات الطبيعة في هذه المقاطع الشعريَّة، وفي ما قاله عن الصقالبة حقاً. والشعراء هم سلالة إلهيّة، ويبلغون الحقيقة غالباً في أغانيهم، بمساعدة ومِنَنِ آلهات الشعر والعلوم والفنون والغناء.

كلينياس: أجل.

الأثيني: دعنا نتقدّم في بحثنا الآن لننهي بقيّة قصّتنا، والتي يمكنها أن توضح تصميمنا المقترح في درجة ما. فهل سنفعل ذلك؟

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: إنّ إيليوم بُنيت عندما نزل الرجال من أعالي الجبال، بنيت في سهل منبسط وفسيح، على نوعٍ من أكمة قليلة الارتفاع، تسقيها أنهار عديدة هبطت من آيدا.

كلينياس: هكذا هو العرف.

الأثيني: ويجب أن نفترض أنّ هذا الحدث أخذ مكانه لعدّة أجيال خلت بعد الطوفان.

كلينياس: نعم، لا شك أن أجيالاً عديدة قد انقضت.

الأثيني: إنّ نسياناً غريباً للدّمار السابق سيبدو حدثاً بالنسبة لهم، عندما وضعوا وبنوا مدينتهم تحت الجداول العديدة بالتحديد، تلك الجداول التي جرت من الأعالي الجبليّة، لا ولم يثقوا بالقمم الجبليّة العالية كضمانة لسكناهم.

كلينياس: يبدو أنّ فاصلة زمنية طويلة انقضت بين الحدثين بوضوح.

الأثيني: وعندما بدأ عدد السكان بالزيادة، فإنّ مدناً أخرى متعدّدة بدأ سكناها.

كلينياس: بدون شكّ.

الأثيني: إنّ هذه المدن شنّت حرباً ضدّ طروادة، بالبحر كما بالبرّ، لأنّ الرجال ما عادوا يخافون البحر في ذلك الوقت.

كلينياس: بجلاء.

الأثيني: وبقي الآكاييون يحاربون عشر سنين إلى أن أسقطوا طروادة.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: وأثناء السنين العشر التي كان الأكاييون Achaens يحاصرون إيليوم أثناءها، وقعت بيوت المحاصَرين في مأزق حرج. ثار شبابهم؛ وعند رجوع جنودهم إلى مدنهم الخاصّة وإلى عائلاتهم، فإنّهم لم يستقبلوهم بشكل لائق، كما ينبغي أن يفعلوا، وكانت عاقبة ذلك موت العديد منهم، قتلاً، ونفياً، وتشريداً. أمّا النفي فأتى لاحقاً تحت إسم جديد هو: لا آكايين بعد اليوم، وإنما دوريّون. والإسم الأخير مشتقّ من إسم دوريوس، لأنّه كان هو الذي جمعهم معاً ولمّ شملهم. أمّا بقية القصّة فإنّكم أيها اللاقيديمونيون، أنتم الذين أخبرتموها كجزء من تاريخ اسبرطة.

ميغيلوس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: وهكذا، فإنّ المحاورة بعد الاستطراد من المواضيع الأصليّة عن القوانين إلى الموسيقى وفترات الشراب، إنّ هذه المحاورة عادت إلى النقطة عينها بالعناية الإلهيّة، وأحضرت لنا مِقْبضاً آخر للتمسّك بها. ووصلنا إلى مستوطنة لاقيدايمونيا، وهي مستوطنة سليمة ومستقرّة، كما تصفها. وهكذا فإنّها الأخت المؤسَّسة في جزيرة كريت. ونحنُ الأفضل للاستطراد كُلاًّ، لأنّنا مررنا بالبحث خلال حكومات ومستوطنات متنوّعة، وكنّا حضوراً عند تأسيس الدّولة الأولى، الثانية، والثالثة، تلك الدول التي أعقب بعضُها بعضاً في زمن لا نهائيّ. وبعدُ فإنّها تبدو في الأفق دولة رابعة أو أَمَة كانت في طور الاستيطان لمرّة والتي لم تزل تواصل استيطانها هذا لهذا الوقت. وإذا قدرنا أن نتبصّر أيّ استيطان هو أفضل أو أسوأ هذه الاستيطانات الأربع، وأن نستشفّ ما هي القوانين الإنقاذيّة والقوانين التدميريّة للمدن، وما

التغييرات التي ستجعل الدولة سعيدة، أوه يا ميغيلوس وكلينياس، إذا قدرنا على ذلك، فما يجب علينا سوى فعل ذلك الآن، إلاّ إذا كان لدينا خطأ ما كي نجد ما نبحث عنه في البحث السابق.

ميغيلوس: إذا وعدنا إله ما، أيّها الغريب، في أنّ تحقيقنا الجديد بشأن التشريع سيكون تحقيقاً صالحاً ومعافىً مثلما هو تشريعنا الحاضر، فإنّني سأسير في طريق بعيدة كي أسمع تشريعاً آخر كهذا، ولسوف أتصوّر أنّ هذا الطريق طريق طويل كطول اليوم الذي نحن فيه - ونحن الآن نقترب من أطول أيام السنة - أقول، إذا كان هذا الطريق كذلك فكم عليّ على الأصح أن أعتبره قصيراً لبحثٍ كالذي نحن فيه؟

الأثيني: أفترض إذن أنّه يجب عليّ أن آخذ هذا الموضوع بعين الاعتبار.

ميغيلوس: بكلّ تأكيد.

الأثيني: دعنا نضع أنفسنا في هذه اللحظة بالتفكير عندما كان اللاقيدايمونيّون والآرغوسيّون والميسينيون وبقيّة البيلوبونيّين، عندما كانوا جميعاً يرزحون تحت عبوديّة كاملة يقودها أسلافكم، يا ميغيلوس. إنّ إنجازاتهم التالية، كما تخبرنا الأسطورة، كانت تقسيم جيشهم إلى فرق ثلاث، والاستيطان في مدن ثلاث أيضاً وهي: آرغوس، ميسينا، ولاقيدايمونيا.

ميغيلوس: صدقاً.

الأثيني: وكان تيمينوس ملك مدينة آرغوس، كريسفونتس ملك مدينة ميسينا، بروكليس ويوريسينتس ملكي لاقيدايمونيا.

ميغيلوس: بدون ريب.

الأثيني: وأقسم رجال ذلك اليوم كلّهم اليمين لهؤلاء الملوك أنّهم سيساعدونهم إذا ما هدّم أيّ شخص ممالكهم.

ميغيلوس: حقّاً.

الأثيني: لكن هل يُستطاع تدمير مملكة، أو هل تمّ تدمير أيّ شكل آخر من أشكال الحكومات قطّ بواسطة أيّ شخص سوى الحاكمين أنفسهم؟ كلاّ حقاً، يزيوس، إنّه لم يتمّ ذلك. وهل نسينا ما قيل مسبقاً ومنذ مدّة ليست بعيد؟

ميغيلوس: لا، لم ننسَه.

الأثيني: أوَلا يمكننا أن نؤكّد أبعد من ذلك الذي ذكرناه حينئذ؟ لأنّنا توصّلنا نحن إلى الحقائق التي أرجعتنا إلى المبدأ الأساسي مرّة ثانية. وهكذا فإنّنا في استئنافنا البحث من جديد، لن نحقّق بشأن فكرة فارغة المحتوى، بل بخصوص أحداث جرت في الحقيقة. إنّ الحالة كانت كما يلي: ثلاثة أبطال ملكيين أقسموا يميناً لمدن ثلاث، مدن كانت حكومتها ملكيّة، وأقسمت المدن الثلاث للملوك الثلاثة، على أنّ الحكام والمحكومين على حدّ سواء سيَحكمون ويُحكمون طبقاً للقوانين المسنونة حينها والتي كانت قوانين عامّة لهم جميعاً. ووعد الحكّام أنّه كلّما تقدّم الوقت والسلالة المحكومة، فإنّهم لن يجعلوا حكمهم حكماً اعتباطيّاً. وقال المحكومون إنّه إذا راقب حاكموهم هذه القواعد والحالات، فلن يدمّروا أو يسمحوا للآخرين بتدمير هذه الممالك. كان على الملوك أن يساعدوا الملوك والشعوب عند تعرّضهم للأذى، وكان على الشعوب أن تساعد الشعوب والملوك بطريقة مماثلة. أليست هذه هي الحقيقة؟

ميغيلوس: نعم.

الأثيني: وأمّا الدول الثلاث التي أعطيت لها هذه القوانين، سواء إذا كان ملوكها هم الذين سنّوها أو سنّها ملوك آخرون، فإنّ هذه الدول كان لديها، ولهذا السبب، الضمانة الأعظم للإبقاء على قوانينها ومجتمعاتها وصيانتها.

ميغيلوس: أيّة ضمانة؟

الأثيني: ضمانة أن تأتي الدولتان الاثنتان الأخريان لتسعفها ضدّ تمرّد الدولة الثالثة.

ميغيلوس: حقاً.

الأثيني: قال العديد من الأشخاص إنّ المشرّعين يجب أن يفرضوا قوانين كهذه، كما ستكون جماهير الشعب جاهزة كي تتلقّاها. لكنّ هذا يكون تماماً مثلما لو كان شخص ليأمر أسياد ومدرّبي الألعاب الرياضية أو الأطباء بشفاء طلاّبهم أو مرضاهم بطريقة مماثلة ومقبولة.

ميغيلوس: بالضبط.

الأثيني: هناك فائدة أخرى أيضاً اقتناها الرجال تلك الأيام، وهي التي خفّفت من أعباء العمل الشاقّ لتنفيذ القوانين.

ميغيلوس: أيّة فائدة؟

الأثيني: إنّ مشرّعي تلك الأيّام، عندما ساووا في ملكيّة الأرض، نجوا من الاتّهام الكبير الذي ينشأ في التشريع بشكل عامّ، إذا حاول شخص أن يعيق اقتناء الأرض، أو أن يبطل الدّين، لأنّه يرى أنّه بدون هذا الإصلاح لن توجد أيّة مساواة حقيقيّة قطعاً. وبعدُ، عندما يحاول المشرّع أن يخلق تنظيماً جديداً لهكذا قضايا بشكل عامّ، فإنّ كلّ شخص يقابله بالصراخ، قائلاً: « إنّ عليه أن يُفسد نظام الفوائد المكتسبة »، معلنا باللعنات أنّه يُدخل قوانين تتعلّق بالأراضي وتلغي الديون، حتّى يكون الإنسان عند نهاية حصافته، في حين أن لا أحد يستطيع أن يتخاصم مع الدوريّين لتوزيعهم الأراضي. لم يكن هناك أيّ شيء يعوقهم عن فعل ذلك. وفي ما يخصّ الدّين، لم يكن لديهم أيّ شيء جدير بالاعتبار أو ثابت في القِدَم.

ميغيلوس: حقيقيّ جداً.

الأثيني: لكن، يا أصدقائي الطيّبين، لماذا أصبح الاستيطان والتشريع في بلادهم هكذا رديئاً إذن؟

ميغيلوس: ماذا تعني، ولماذا تلومهم؟

الأثيني: كانت هناك ثلاث ممالك، إثنتان منها أفسدتا مجتمعيهما الأصليين وقوانينهما، وأمّا المملكة الوحيدة التي بقيت فكانت مملكة اسبرطة فقط.

ميغيلوس: إنّ السؤال الذي تسأله لا يمكن الإجابة عليه بسهولة.

الأثيني: وبرغم ذلك يجب الإجابة عليه عندما نحقّق بشأن القوانين. وكون هذا لعبة التسلية لرجالنا الرّزينين القدماء، التي نُمضي الطريق لهواً وتسلية بواسطتها، كما قلت عندما شرّعنا بادىء ذي بدء ونحن نمضي في رحلتنا.

ميغيلوس: بالتأكيد، وينبغي علينا أن نكتشف لماذا كان هذا.

الأثيني: أيّة قوانين تستحقّ اهتمامنا أكثر من تلك القوانين التي نظّمت مدناً كهذه؟ أو أيّة استيطانات للدّول هي أعظم أو أكثر شهرة؟

ميغيلوس: لا أعرف أيّاً غيرها.

الأثيني: هل نستطيع أنْ نشكّ بأنّ أسلافنا لم يقصدوا من سنّ هذه القوانين حماية بيلوبونيسوس فقط، بل حماية كلّ الهيلينيّين، في حال تعرّضوا لهجوم البربر؟ لأنّ القاطنين في المنطقة الغربية من ايليوم، عندما أثاروا جرب طروادة بغطرستهم، اعتمدوا على قوّة الأشوريّين وامبراطورية نينوى، التي لا تزال قائمة والتي كان لديها هيبة عظيمة. وخاف الشعب في تلك الأيّام وحدة الامبراطورية الأشوريّة كما نخاف نحن الملك العظيم الآن. وكان الاستيلاء الثاني على طروادة تعدّياً خطيراً ضدّهم، لأنّ طروادة كانت قطعة وجزءاً من الأمبراطوريّة الأشوريّة. ولكي نقابل الخطر ونتصدّى له وزّعنا الجيش الواحد بين المدن الثلاث بقيادة الأخوة الملكيّين، أبناء هرقل. إنّ هذه الأداة كانت أداة جيّدة، كما يبدو، وكان التنظيم تنظيماً أفضل ببعد كبير من ذلك الذي أُعِدَّ أثناء الحملة على طروادة. إذ، بادىء ذي بدء، كان لدى الشعب في تلك الأيّام، كما تصوّروا، قادة أفضل في الهرقليين ممّا لدى البلوبونيين، واعتبروا في المقام الثاني، أنّ جيشهم كان جيشاً متفوّقاً في الشجاعة على

الجيش الذي ذهب للحرب ضدّ طروادة. ورغم أنّ الأخير أخضع الطرواديّين، فإنّهم هم أنفسهم قد أخضعهم الهرقليّون ـ تماماً كما أَخضَع الدوريون الآكايين. أفلا يمكننا أن نفترض أنّ هذا القصد هو القصد الذي صاغ رجال تلك الأيّام قوانين دولهم بواسطته؟

ميغيلوس: حقيقيّ جداً.

الأثيني: أولن يكون الرجال الذين شاركوا في العديد من الأخطار مع بعضهم بعضاً، والذين حكمتهم سلالة مفردة من الأخوة الملكيّين والذين قبلوا نصيحة الكهنة، وبشكل خاصّ نصيحة أبوللو الدلفي، أقول، أولن يعتقد هؤلاء أنّ دولاً كهذه ستؤسّس بشكل ثابت وأزليّ؟

ميغيلوس: طبعاً إنّهم سيعتقدون ذلك.

الأثيني: ومع ذلك فإنّ هذه المجتمعات، التي علّلت الأنفس بتوقّعات هكذا عظيمة منها، يبدو أنّها تلاشت كلّها بسرعة، ما عدا ذلك الجزء الصغير منها والذي لا يزال باقياً في أرضكم، كما قلت سابقاً. وهذا الجزء الثالث لم ينقطع عن الحرب أبداً ضدّ الجزأين الآخرين إلى هذا اليوم؛ في حين أنّه لو تمّ تنفيذ الفكرة الأصليّة، ووافق الكلّ على أن يكونوا واحداً ووحدة، فإنّ قوّتهم سيكون بإمكانها أن تكون قوّة لا تُقهر حرباً.

ميغيلوس: بدون شكّ.

الأثيني: لكن ماذا كان سبب خراب هذا الاتّحاد المجيد؟ هذا هو الموضوع الجدير بالاعتبار جيّداً.

ميغيلوس: بالتأكيد، لا أحد سيجد أبداً أمثلة أكثر لفتاً للنظر من القوانين والحكومات كونها المنقذ أو المدمّر لهذه المنافع الكبيرة والعظيمة. أقول، لا أحد سيجدها أكثر ممّا تكون مقدّمة له هنا.

الأثيني: إذن فإنّنا نبدو أنّنا الآن وصلنا والسعادة تغمرنا إلى السؤال الحقيقيّ والمهمّ.

ميغيلوس: حقيقيّ جداً.

الأثيني: هل لاحظت قطّ، يا صديقي الصوفيّ، أنّ كلّ الرجال وأنّنا نحن أنفسنا في هذه اللحظة، هل لاحظت أنّ الكلّ يتوهّمون أنّهم يرون شيئاً ما جميلاً يمكنه أنْ يحدث أعاجيب إذا ما عزف شخص ما كيف سيستخدمه بطريقة صحيحة ما فقط. ومع ذلك فإنّ هذا الأسلوب للبحث في الأشياء يمكن أن يبيّن أنّه أسلوب خاطىء بعد كل هذا البحث، وأنّه لا يطابق الطبيعة، لا في حالتنا الخاصّة ولا في أيّة حالة أخرى؟

ميغيلوس: إلامَ تشير أنت، وماذا تعني؟

الأثيني: إنّني فكّرت بإعجابي الخاصّ بالحملة الهرقليّة المنوّه عنها سابقاً، تلك الحملة التي ليس هناك أنبل منها، والتي يمكن أنّها حقّقت للهيلينيّين هكذا نتائج باهرة، إذا ما استُخدمت بطريقة صحيحة فقط؛ وكنت بذلك ضاحكاً على نفسي تماماً.

ميغيلوس: لكن ألم تكن عاقلاً ومحقّاً في الكلام الذي تفوّهت به، أولم نكن نحن كذلك في المصادقة على ما قلته؟

الأثيني: لربّما، وبرغم ذلك فإنّني لا أستطيع إلاّ أن أراقب أنّ أيّ شخص يرى أيّ شيء عظيم أو قويّ يعتريه الشعور حالاً وهو: « إذا ما عرف مالكه كيف سيستعمل ما يقتنيه بنبل، كم سيكون هو سعيداً، وكم ستكون النتائج التي سينجزها مدهشة! ».

ميغيلوس: أولن يُبرّر في ذلك؟

الأثيني: تأمّل مليّاً، في أيّة وجهة نظر يبدو هذا النوع من الثناء عادلاً: أوّلاً، في الإشارة إلى السؤال قيد البحث: إذا عرف القادة العسكريّون آنئذ كيف سيرتّبون جيشهم بشكل مناسب، كيف كانوا سيصلون إلى النجاح. ألا يجب أن تكون هذه الطريقة هي الطريقة التي إتّبعوا؟ ولو فعلوا لكانوا

أوثقوهم معاً بشكل متماسك وحفظوهم إلى الأبد، ووهبوهم الحرية والسلطة فوق اللذّة، مجتمعتين مع قوة الفعل في العالم أجمع، الهيلينيّ منه والبربريّ، مهما رغبوا هم أو رغب المتحدّرون منهم بذلك. ألا يمكن للرجال أن يثنوا عليهم بسبب هكذا هدف وقصد؟

ميغيلوس: إنّهم سيفعلون حقّاً.

الأثيني: حسناً، وبعدُ، ألا تبيّن المحاورة أنّ هناك رغبة واحدة مشتركة لكلّ الجنس الإنساني؟

ميغيلوس: وما هي؟

الأثيني: إنّها الرغبة التي يمتلكها إنسان، إذا أمكن، من أن تصبح كلّ الأشياء، الأشياء الإنسانيّة، على أيّة حال، وأن تحدث في تطابق مع رغبة روحه؟

ميغيلوس: بالتأكيد.

الأثيني: وبما أنّه يمتلك هذه الرغبة على الدوام، وفي كلّ وقت من أوقات الحياة، في الشباب، في زمن الرجولة، وفي سنّ الشيخوخة، فإنّه لا يستطيع إلاّ أن يصلّي من أجل تحقيقها.

ميغيلوس: بدون شك.

الأثيني: ونحن ننضمّ إلى أصدقائنا في صلواتهم، ونطلب لهم ما يطلبونه لأنفسهم.

ميغيلوس: إنّنا نفعل.

الأثيني: عزيزاً يكون الابن إلى الأب ـ الشابّ إلى المسنّ.

ميغيلوس: طبعاً.

الأثيني: ومع ذلك فغالباً ما يصلّي الابن كي يحصل على الأشياء التي يصلّي الأب كي لا يحصل عليها ابنه.

ميغيلوس: تعني أنّه عندما يكون الإبن فتيّاً أو أحمق؟

الأثيني: نعم، أو عندما يصلّي الأب في خَرَف الشيخوخة أو حرارة الشباب وليس

لديه أيّ فهم للحقّ والعدل، ومع ذلك يصلّي بحماسة تحت تأثير تلك المشاعر المجانسة لمشاعر ثيسيوس عندما لعن هيبوليتوس السّيّيء الحظّ. هل تتصوّر أنّ الإبن الذي لديه فهم للحقّ والعدل، سينضمّ إلى صلوات أبيه؟

ميغيلوس: أفهم أنّك تعني أنّ على الإنسان ألاّ يرغب أو ألاّ يكون في عجلة من أمره لامتلاك كلّ الأشياء طبقاً لرغبته، مع أنّ رغباته تتواصل كي تكون في خلاف مع عقله. لكنّ كلّ دولة وكلّ فرد يجب أن يصلّ ويناضل للحصول على الحكمة.

الأثيني: نعم، وإنّني أتذكّر، وستتذكر أنت ما قلته في البدء، وهو أنّ رجل الدولة والمشرّع يجب أن يُصدرا القوانين بقصد الحكمة؛ في حين أنّك جادلت أنّ المشرّع الصالح ينبغي أن ينظّمها كلّها بقصد الحرب. وأجبتك على هذا بأنّ هناك فضائل أربعاً. لكن بناء على وجهة نظرك فإنّ واحدة منها فقط كانت هدف التشريع. في حين أنّه يلزمك أن تعتبر الفضائل كلّها، خاصّة، تلك الفضائل التي تأتي أوّلاً، وتكون القائدة لكلّ الفضائل الباقية، أعني الحكمة والعقل والرأي، والتي لديها النزوع والرغبة في سلسلتها. وبعدُ فإنّ المحاورة تعود إلى النقطة الرئيسيّة عينها، وأقول مرّة أخرى وفي مزاح إذا أحببت، أو إذا أحببت ففي جدّيّة، أقول، إنّ صلاة الأحمق ملآنة خطراً؛ الأحمق عليه أن يصلّي على الأصحّ ليتمكنّ من الحصول على نقيض ما يصلّي له. وإذا أحببت بالأحرى أن تتلقّى كلماتي في شكل جدّي، فإنّني لعلى استعداد لجعلك تقبل بها. وأشتبه بأنّك ستجد، كما قلت مسبقاً، أنّ الجبن لم يكن سبب دمار الملوك وتخطيطهم بمجمله، لا ولم يكن جهلهم بالقضايا العسكريّة، لا من جانب الحكّام ولا من جانب المحكومين؛ بل إنّ سوء حظّهم كان سببه تفسّخهم الخلقّي وانحرافهم الجنسيّ، وخاصّة لجهلهم بالشؤون الإنسانيّة الأكثر أهميّة. تلك كانت ولا تزال إذن، وستكون الحالة

على الدوام. كما أنّني سأسعى، إذا ما سمحت لي، لأصف لك وأوضح قدر استطاعتي من هم أصدقائي، وذلك أثناء المحاروة.

كلينياس: صلِّ، واصل حديثك، أيّها الغريب. فالمدائح مزعجة، لكنّنا نحن سنبيِّن ونُظهر، ليس بالكلمة بل بالمأثرة، كيف أنّنا نقدِّر كلماتك، ونحن سنعطيها انتباهنا الأفضل. وتلك الطريقة هي الطريقة التي يبيِّن فيها الإنسان الحرّ استسحانه الأفضل لها، أو عدم استحسانه.

ميغيلوس: ممتاز، يا كلينياس، دعنا نفعل ما تقول.

كلينياس: مهما كلّف الأمر، إذا شاءت السماء، واصل، واصل.

الأثيني: حسناً، سأواصل كلامي بأسلوب الأفكار عينه إذن، فأقول إنّ الجهل الأعظم كان خراب القوّة الدوريَّة، وأنّه الآن، كما آنئذ، الجهل هو الخراب والدمار. وإذا كان هذا القول صحيحاً وحقيقيّاً، فما على المُشرّع إلاّ أن يسعى لغرس الحكمة في الدول، وطرح الجهل والتخلّص منه بأقصى قوّة يمتلكها.

كلينياس: إنّ ذلك لواضح.

الأثيني: إعتبر الآن إذن ما هو الجهل الأكبر في الحقيقة، سأحبّ أن أعرف إذا ما كنت ستتّفق معي أنت وميغيلوس في الذي أوشك أن أقوله؛ لأنّ رأيي هو...

كلينياس: ماذا؟

الأثيني: رأيي أنّ الجهل الأعظم يكون عندما يكره إنسان ذلك الذي يعتقد أنّه خير ونبل، وبرغم ذلك فهو يحبّ ويتقبّل بسرور ذلك الذي يعرف أنّه شر وإثم. إنّ هذا التضارب وعدم الوفاق بين مفهوم اللذّة وحكم العقل في الروح هو الجهل الأسوأ، في رأيي؛ وهو الجهل الأعظم أيضاً لأنّه يؤثّر في الجزء الرئيسي من الروح الإنسانيّة. إنّ المبدأ الذي يشعر باللذّة والألم في الفرد

شبيه بالجزء الرئيسيّ أو الجماهيريّ في الدولة، وعندما تضادّ الروح المعرفة، أو الرأي، أو العقل، التي هي أسيادها الطبيعيّة، فذلك ما أسمّيه غباء، تماماً مثلما يحدث في الدولة عندما ترفض الكثرة إطاعة حكامها وإطاعة القوانين. أو ثانية، مثلما يحدث في الفرد، عندما يمتلك التفكيرات الواضحة والعادلة مسكنها في الروح، وبرغم ذلك لا تفعل أيّ خير، بل تفعل عكس الخير على الأصح. إنّني أسمّي كلّ هذه الحالات الجهل الأكبر، سواء أكانت في الأفراد أو في الدول. إنّك ستفهم، أيّها الغريب، أنّي أتكلّم عن شيء ما مختلفٍ عن الجهل لرجال الصناعات اليدوية.

كلينياس: نعم، يا صديقي، إنّنا نفهم ما تعني ونوافق عليه.

الأثيني: دعنا إذن، نعلن ونؤكّد في المقام الأوّل أنّ المواطن الذي لا يعرف هذه الأشياء يجب أن لا يمتلك أبداً أيّ نوع من أنواع السلطة المعهود بها إليه. يجب أن يُوسَم بسمة الجهل والجهلاء، برغم أنه يكون متضلّعاً في الحساب وبارعاً في كلّ نوع من أنواع الإنجازات، ويعمل ببراعة عقلية. ويجب أن يدعى الأضداد عقلاء، رغم أنّهم، وكما يصفهم المثل القائل، لا يعرفون كيف يقرؤون ولا كيف يَسبَحون؛ ولهم يجب أن تودع السلطة، مثلما تودع للرجال ذوي الفهم والإدراك. إذ، أوه يا أصدقائي، كيف يمكن أن يكون الأثر أو الشبح الأقل للحكمة حيث لا يكون الإيقاع والانسجام؟ إنّ الحكمة لا يوجد منها أيّ شيء حيث لا يوجدان. لكن يمكن أن يقال بحقّ إنّ التناسقات والانسجامات الأنبل والأعظم هي الحكمة الأعظم. ولهذا فإنّ مَنْ يحيا طبقاً للعقل يكون شريكاً فيها، في حين أنّ الذي يكون خلواً من العقل يدمّر بيته وهو الضدّ بالتحديد لمن ينقذ الدولة: إنه يجهل الحكمة السياسيّة بشكل كليّ. دعنا نضع هذا كحجر أساسٍ لما نقول، وكما قلت ذلك من قبلُ.

كلينياس: دع هذا الحجر الأساس يتمّ وضعه.

الأثيني: أفترض أنّه يجب أن يكون هناك حكام ومحكومون في الدول؟

كلينياس: بكلّ تأكيد.

الأثيني: وما هي المبادىء والقواعد التي يجب أن يحكم الرجال على أساسها وأن يطيعوا القوانين في المدن، سواء إذا كانت مدناً كبيرة أو صغيرة؟ وكذلك هي الحال في العائلات بشكل مماثل. فما هي هذه المبادىء، وكم عددها؟ ألاَ يوجد مطلب واحد للسلطة يكون مطلباً عادلاً على الدوام؟ إنّه سلطة الآباء والأمّهات وسلطة الأجداد الأُوَل كي يسودوا ذريّتهم بشكل عامّ.

كلينياس: هناك مطلب كهذا.

الأثيني: يلي تالياً المبدأ الذي يقول إنّ الأنبل يجب أن يحكم الأحقر؛ وثالثاً، يجب أن يحكم الأكبر سنّاً الأفتى والأفتى ينبغي أن يطيع.

كلينياس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: ورابعاً، ينبغي أن يُحكم العبيد، وأن يَحكم أسيادُهم؟

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: خامساً، يأتي المبدأ الذي يقول إنّ الأقوى سيَحكم، وإنّ الأضعف سيُحكم، إذا لم أكن مخطئاً؟

كلينياس: يجب أن لا يُعصى هذا المبدأ.

الأثيني: نعم، وإنّه المبدأ الذي يسود بين المخلوقات كلّها بشكل واسع جدّاً، وهو يتطابق مع الطبيعة، كما قال مرّة بيندار شاعر طيبة. وأمّا المبدأ السادس فهو أعظم المبادىء كلّها، وهو أنّ العاقل يجب أن يقود ويأمر، والجاهل ينبغي أن يتبع ويطيع. ومع ذلك، أوه يا أيها البيندار الأكثر عقلاً وحكمة، كما يلزمني أن أجيبه، إنّ هذا القول ليس قولاً معاكساً للطبيعة بكلّ تأكيد، بل إنّه طبقاً للطبيعة، كونه حكم القانون فوق الرعيّة، وليس حكماً بالإكراه.

كلينياس: الأكثر حقيقة

الأثيني: هناك نوع سابع من أنواع الحكم الذي تكافئه الأكثرية وتعزه الآلهة وله علامة من علامات الحظّ السعيد، وهو الذي يقع عليه رأي الأكثرية ليكون حاكماً. وأمّا الذي يخفق في الحصول على هذا الرأي فيبتعد عن الحكم ويتبع، ونؤكّد نحن أنّ هذا الشيء هو شيء عادل تماماً.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: « الآن إذن »، كما سنقول مازحين لأيٍّ من أولئك الذين يتولّون أمر سنّ القوانين باستخفاف، « أنتم ترون، أيّها المشرّعون، قواعد الحكومة ومبادئها، وترون كم هي عديدة ومتنوّعة، وأن بعضها يضادّ بعضها الآخر بشكل طبيعيّ. إنّنا اكتشفنا هناك رأس نافورة للتحريض على الفتنة والعصيان، والتي يجب عليكم أن تولوها أمر عنايتكم باهتمام. وبادىء ذي بدء، فإنّنا سنطلب إليكم أن تتأمّلوا مليّاً معنا، كيف وبأيّة وجهة نظر انتهك ملوك آرغوس وميسين هذه القواعد التي تشكّل مبادىء أساسيّة من مبادئنا، وأهلكوا أنفسهم وحطّموا القوة الهيلينية العظمى الشهيرة في ذلك الزمن القديم أيضاً. أفلم يكن ذلك لأنّهم لم يعرفوا كيف تكلّم هيسيود بحكمة وتعقّل عندما قال إنّ النصف يكون أكثر من الكلّ غالباً؟ بما معناه أنّك عندما تأخذ الكلّ فسيكون ذلك شيئاً خطيراً، أما أخذ النّصف فتلك هي الطريقة الآمنة والمعتدلة. إذن فان الطريقة الاعتدالية والأفضل أفضل من الطريقة المفرطة أو الطريقة الأسوأ ».

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: وهل يمكننا أن نفترض أنّ هذه النفس المفرطة تكون أكثر هلاكاً عندما تُوجد بين الملوك أكثر ممّا توجد بين الشعوب؟

كلينياس: الشيء الأكثر احتمالاً هو أنّ الجهل سيكون فوضى خاصّة عندما يسود ويتفشّى بين الملوك، لأنّ الملوك يقودون ويحيون حياة بذخ.

الأثيني: أوليس شيئاً ملموساً أنّ هدف الملوك الأساسي لذلك الزمان كان الحصول على الأفضل من القوانين المشتَرَعَة، وأنّهم فقدوا التناسق الذي اتّفقوا عليه بالكلمة والقَسَم أن يرسّخوه؟ إنّ هذا الافتقار للتناسق يمكن أنّه كان لديه مظهر الحكمة، لكنّه كان الجهل الأكبر، كما تؤكّد الحقيقة، وقلب الأمبراطورية كلّها رأساً على عقب بشكل مطلق بواسطة التنافر والنزاع القاسي.

كلينياس: محتمل جدّاً.

الأثيني: جيّد؛ وأيّة مقاييس يجب أن يتّخذها المشرّع في ذلك الزمان كي يتفادى هذه الكارثة؟ ليس هناك حكمة عظيمة في أن نعرف حقاً، ولا صعوبة عظيمة في أن نخبر ذلك، بعد أن حدث الشرّ المستطير. لكن كي نتنبّأ بالعلاج في ذلك الوقت فإنّ ذلك كان يلزمه رأسٌ تملأه الحكمة أكثر ممّا تملأ رؤوسنا.

ميغيلوس: ماذا تعني؟

الأثيني: إنّ أيّ شخص ينظر في ما حدث معكم أيّها اللاقيدايمونيّون، يا ميغيلوس، يمكنه أن يعرف بكلّ سهولة، ويمكنه أن يقول ما كان يجب أن يُفعل في ذلك الزمان.

ميغيلوس: تكلّم بوضوح وصراحة أكثر.

الأثيني: لا شيء يمكن أن يكون أكثر جلاء من الملاحظة التي أنا على وشك أن أبديها.

ميغيلوس: وما هي الملاحظة؟

الأثيني: الملاحظة هي أنه إذا أعطى أيّ شخص قوّة كبرى لأيّ شيء، قوّة واسعة أكثر ممّا ينبغي تجعل القارب يبحر، وأيضاً إذا أعطى غذاءً للجسم أكثر ممّا ينبغي، وسلطة للعقل أكثر ممّا ينبغي، ولن يراقب التوسط والاعتدال، فإنّ كلّ

شيء سينقلب حينها رأساً على عقب، وينقاد الإنسان في الإفراط العابث المطلَق العِنان، ينقاد في إحدى الحالتين إلى الفوضى الشاملة، وفي الحالة الأخرى إلى الظلم الذي هو وليد الإفراط. أعني يا صديقي العزيز، أنّه ليس هناك إنسان، فتيّ وغير مسؤول، قادر على أن يتحمّل إغراء السلطة الاستبدادية. إذ لا أحد يستطيع إلاّ أن يصبح ممتلئاً بالغباء، تحت حالات كهذه، هذا الغباء الذي يُعتبر المرض الأسوأ. أقول لا أحد إذا كان كذلك سيكرهه أصدقاؤه الأقرب والأعلى، وعندما يحدث هذا فإنّ مملكته تصبح مملكة مقوَّضة الدعائم، وستتلاشى كلّ قوّته وتغادره، وستكون المملكة محتاجة إلى مشرِّع كبير ليعرف التوسّط والاعتدال، وأن ينتبه للخطر. وبقدر ما نستطيع أن نخمّن الآن ماذا حدث في هكذا مسافة من مسافات الزمن، كانت الأحداث كما يلي...

ميغيلوس: ماذا؟

الأثيني: إنّ إلهاً، حَرَس اسبارطة، وقد استشرف ما في المستقبل، أعطاكم عائلتين من عائلات الملوك بدلاً من عائلة واحدة. وهكذا أحضركم أكثر إلى داخل حدود الاعتدال. في المقام الثاني، فإنّ حكمة إنسانيّة ما ممزوجة بالقوّة الإلهيّة، مراقبة أنّ تكوين حكومتكم كان تكويناً لا يزال شديداً ومُثاراً. إنّ هذه الحكمة الإنسانيّة لطّفت قوّتكم الجسديّة الموروثة وكبرياء مولدكم، مع الاعتدال الذي أتى مع الدهر، جاعلة قوّة شبابكم في سنّ الثامنة والعشرين قوّة متساوية مع تلك القوّة التي لدى الملوك، وذلك في القضايا الأكثر أهميّة. لكن منقذكم الثالث، مدركاً أنّ حكومتكم كانت لا تزال حكومة ممتلئة بالغرور ومزبدة، وبما أنّه رغب في أن يكبح جماحها نصّب القضاة الاسبرطيين الخمسة الذين جعل قوّتهم تعادل قوّة الحكّام المنتخبين بالأكثرية. وبهذا التنظيم للمنصب الملكيّ، كون هذا المنصب مؤلّفاً من العناصر اليمينيّة

والمعتدلة بشكلٍ وافٍ، تمت وقايته وحفظه، وكان وسيلة الإبقاء على كلّ المناصب الباقية. ومنذ ذلك الحين، إذا ما وُجد المشرّعون الأصليون فقط، تيمينوس، كريسفونتيس، ومعاصروهم، وبالقدر الذي يتعلّق بهم فإنّه حتى ولا الجزء من تشريع أريستوديموس قد أمكن الحفاظ عليه، أقول هذا لأن المشرّعين لم تكن لديهم الخبرة في التشريع، أو أنّهم لم يتصوّروا بالتأكيد أنّ الأيامين سوف تلطّف النفسيّة الشابّة الممنوحة سلطة يمكن أن تُحوَّل إلى حكم طغاة مستبدّين. وبعدُ فإنّ الله علّمنا أيَّ نوع من أنواع الحكومة كان أو سيكون أزلياً وباقياً، وليس هناك حكمة في الحكم على الأمور بعد الحَدَث، كما قلت سابقاً، ولا صعوبة في التعلّم من المثال الذي وقع بشكل مسبق. لكن إذا استطاع أيّ شخص أن يرى كلّ هذا في ذلك الوقت، وكان قادراً على أن يجعل حكومات الملكيّات الثلاث حكومات معتدلة وأن يوحّدها في حكومة واحدة، لأمكنه أن ينقذ كلّ القوانين الممتازة التي تمّ تصوّرها حينئذ، ولم تكن لتجرؤ حتّى القوّة الفارسيّة المسلّحة ولا غيرها أن تهاجمنا، أو أن تعتبر هيلاس كقوّةٍ يُستخفّ بها.

كلينياس: حقّاً.

الأثيني: وكان لنا فضل صغير، يا كلينياس، في هزمها، ولم يكن العار في أن الفاتحين لم يسجّلوا انتصارات باهرة في البرّ وفي البحر كليهما. بل إنّ الذي جلب العار في رأيي، وقبل كلّ شيء، هو الحالة التي جرت فيها هذه الحرب، حين كانت مدينة واحدة من المدن الثلاث تحارب بالنيابة عن هيلاس كلّها، وكانت المدينتان الباقيتان غير صالحتين لأيّ شيء بشكل مطلق، بل إنّ واحدة منها سعّرت حرباً عارمة وضروساً ضدّ لاقيدايمونيا. وهكذا فإنّها مُنعت من تقديم المساعدات، في حين أنّ مدينة آرغوس، التي كانت لديها الصدارة وقت التوزيع، فإنّ المساعدة طُلبت منها في طرد الغزاة

البربر، لم تستجب للنداء ولم تقدّم المساعدة. أشياء كثيرة يمكن أن تقال عن هيلاس في ما يتعلّق بتلك الحرب التي هي حرب بعيدة كلّ البعد عن أن تكون حرباً مشرّفة. لا، حقّاً، وهل يمكن أن نقول بصدق إنّ هيلاس طردت الغزاة، والحقيقة تشهد أن الأثينيين واللاقيدايمونيين لم يعملوا معاً بانسجام، ولم يتفادوا النير الوشيك الوقوع ليطوّق رقابهم حرباً. إنّ قبائل هيلاس كلّها كانت مندمجة في تشوّش وممزوجة به مع بعضها البعض، فالبربر سيختلطون بالهيلينيين والهيلينيون بالبربر، تماماً كما هي الأمم التي تخضع للقوّة الفارسية الآن بسبب الانفصالات والاندماجات اللاطبيعيّة لها، وتماماً كما تكون مشتّتة ومبعثرة وتعيش حياة شقيّة. إنّ هذه هي التأنيبات، يا كلينياس وميغيلوس، التي يجب علينا أن نوجدها ضدّ رجال دولنا وضدّ المشرّعين الماضين منهم والحاضرين، كما يُسمّون، إذا أردنا أن نحلّل أسباب إخفاقهم، وأن نكتشف ما هي الأشياء الأخرى التي وجب القيام بها من أجل ذلك. لقد قلنا لتوّنا الآن، وكمثال، إنّه ينبغي أن لا توجد سلطات عظيمة وغير ممزوجة، وورد هذا القول تحت فكرة أنّ دولة يجب أن تكون دولة حرّة وحكيمة ومتناسقة، وأن مشرّعنا عليه أن يشرّع قصد الوصول إلى هذه الغاية. لا ولا يوجد أيّ سبب كي ننشده ونفاجأ في افتراضنا المتواصل للأهداف أو الأغراض التي نمد المشرّع بها، والتي تبدو أنها ليست الشيء عينه على الدوام، بل ينبغي علينا أن نعتبر متى نقول إنّ الاعتدال يجب أن يكون القصد من وراء تشريعه، أو أن تكون الحكمة، أو أن تكون الصداقة هي القصد والهدف. إنّ كل هذه الأهداف هي أهداف للشيء عينه في الحقيقة؛ وإن كانت المنوّعات هي هكذا في أساليب التعبير، فلا يجب أن تزعجنا على الإطلاق.

كلينياس: دعنا نبدأ المحاورة من جديد بالنفسية تلك. وبعدُ، ففي ما يتعلّق بالصداقة

والحكمة والحريّة، أخبرنا بماذا كنت تفكّر عندما كنت على وشك أن تقول إنَّ المشرِّع يجب أن يوجّه فكره نحوها؟

الأثيني: إستمع إليّ إذن. هناك شكلان من أشكال أُمّات الدول، يمكن القول إنَّ الدول الأخرى تصدر عنهما. ويمكن أن يقال إنَّ إحداها ملكيّة والأخرى ديموقراطيّة. إنّ الفارسيّين يمتلكون الشكل الأسمى من الملكيّة، ونمتلك نحن الشكل الآخر، وكل أشكال الدول الأخرى هي تنوّعات لهذه، كما قلت سابقاً. وبعدُ، إذا كنت أنت لتمتلك الحريّة وامتزاج الصداقة مع الحكمة، فيلزمك أن يكون لديك الشكلان كلاهما من أشكال الحكومات هذه بِقَدْرٍ. وتعلن المناظرة بشكل علنيّ وقاطع أنّه لا يمكن لأيّة مدينة أن تُحكم جيّداً إذا لم يتمّ تشكيلها من هذين الشكلين كليهما.

كلينياس: مستحيل.

الأثيني: ليس أُولاها، بما أنّها أُلصقت على وجه الحصر وإلى حد بعيد بالملكيّة، ولا الأخرى بما أنها أُلصقت بالحريّة بشكل مماثل، وراقبت الاعتدال. لكنّ دولكما اللاقونية والكريتية، لديها الكثير منها، وكانت الحالة هي عينها مع الأثينيين والفارسيّين في الأزمان الغابرة، لكنّ لديهم الأقلّ منها الآن. هل سأقول لك لماذا؟

كلينياس: مهما كلّف الأمر، إذا ما كان ذلك سيُعنى بإيضاح موضوعنا.

الأثيني: إسمع إذن: منذ زمن كان لدى الفرس دولة أكثر من الدولة الوسط بين العبودية والحريّة. ففي حكم سيروس كان الفرس رجالاً أحراراً وكانوا سادة الشعوب العديدة أيضاً. أعطى الحكام حصّة من الحريّة لتابعيهم. وكونهم عوملوا كمتساوين مع الحكّام، فإنّ الجنود كانوا على علاقات طيّبة مع قادتهم العسكريّين، وأظهروا أنّهم أكثر استعداداً للتضحية ساعة الخطر. وإذا وُجد أيّ إنسان حكيم بينهم، قادر على أن يبدي مشورة صالحة، فإنّه كان

ينقل حكمته إلى الشعب كافّة لأنّ الملك لم يكن غيوراً، بل منح شعبه حريّة الكلام كاملة، وأعطى تقديره وتكريمه لأولئك الذين يستطيعون أن ينصحوه في أيّة قضيّة. وأصبحت الأمّة الفارسيّة ممتلئة بالاحترام، لأن الحرية والصداقة والمشاركة العقلية وجدت بين المواطنين.

كلينياس: يبدو أنّ هذه هي الحالة التي سادت بكلّ تأكيد.

الأثيني: كيف فُقدت هذه الميزة تحت حكم قمبيز إذن، ومن ثمّ تمت استعادتها في عهد سيروس؟ هل سأحاول أن أتنبّأ؟

كلينياس: إنّ التحقيق له صلة بموضوع بحثنا، بدون شكّ.

الأثيني: أتصوّر أنّ سيروس، برغم أنّه كان قائداً عسكريّاً وطنيّاً، لم يعطِ اهتمامه للتعليم قطّ، ولم يُعِرِ اهتماماً لنظام أسرته.

كلينياس: ما الذي جعلك تقول هذا؟

الأثيني: أعتقد أنّه كان جندياً منذ فتوّته فصاعداً، وعهد بتربية أطفاله إلى النساء؛ ولقد ربيّنهم منذ طفولتهم وكأنهم ثروة كبيرة، وكانوا مباركين بشكل مسبق، ولم يحتاجوا لأيّة بركات أكثر. وبما أن النساء ظننَّ أنّهنَّ امتلكن كلّ ما هو ضروريّ للسعادة فإنّهنَّ لم يمنعن أيّ شخص من أن يعارضهنَّ في أيّة طريقة قط، بل أجبروا كلّ شخص على أن يكيل الثناء والمديح لكل الذي قلنه أو فعلنه، هكذا كانت الطريقة التي ربّينهم على أساسها.

كلينياس: إنّه لتعليم باهر ورائع حقّاً.

الأثيني: إنّ تعليماً كهذا هو مثل التعليم الذي كانت تعطيه النساء على الأرجح، خاصّة الأميرات اللواتي أصبحن غنيّاتٍ حديثاً، وفي غياب الرجال أيضاً، أولئك الرجال الذين كانوا منهمكين في الحروب والأخطار، ولم يكن لديهم وقت للاعتناء بهم.

كلينياس: وماذا تتوقّع؟

الأثيني: إنّ آباءَهم امتلكوا مقتنيات من القطعان والأغنام، والكثير من جماهير الرجال وقطعان الحيوانات الأخرى؛ لكنّهم لم يعتبروا أنّ أولئك الذين كانوا على وشك تسليمها لهم، لم يعتبروا أنهم لم يكونوا مدرّبين في طلبه الخاصّ هذا، الذي كان طلباً فارسيّاً. إنّ الفرس شعب رعاة، أبناء أرض وعرة، أرض هي أمّ عابسة، كما أنها أمّ مناسبة لإنتاج سلالة قويّة، سلالة قادرة على أن تعيش في الهواء الطلق، وقادرة على أن تستمرّ بدون نوم وأن تحارب أيضاً، إذا ما احتاجت لذلك[٨]. إنّ الملك الفارسيّ لم يلاحظ أنّ أبناءَه تدرّبوا بشكل مختلف، وبواسطة ما يسمى المباركة لكونهم ملكيّين ولأنّهم تعلموا بالطريقة الميديّة بواسطة النساء والخصاة الذين قادوهم ليصيروا كالناس الذين تربّوا بطريقة غير تأنيبيّة. وهكذا، فإنّ أبناء سيروس تسلّموا حكم المملكة بعد موته، تسلّموها وهي تعج بالبذخ والفسق، وذبح الابنُ الأوّل الآخرَ لأنّه لم يستطع أن يتحمّل منافساً له. وبعد ذلك، فإنّ الذابح نفسه، الذي أفقده النبيذ والغلظة رشده، فقد مملكته بسبب تسلّط الميديين والخصاة عليها، كما سَمّاه، من استخفّ بغباء قمبيز.

كلينياس: هكذا جرت القصّة، وتلك هي الحقائق بشكل ممكن.

الأثيني: نعم؛ ويقول العرف إنّ الأمبراطوريّة عادت إلى الفرس بواسطة داريوس والرؤساء السبعة.

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: دعنا ندوِّن باقي القصّة. لاحظ أنّ داريوس لم يكن ابن ملك، ولم يتلقّ تعليماً باذخاً. وعندما وصل إلى العرش، كونه واحداً من الرؤساء السبعة، قسّم البلاد إلى مقاطعات سبع، ولا تزال هناك آثارٌ باقية، ولوَ أنّها وهميّة، من خلال هذا الترتيب الذي اختطّه. لقد سنّ قانوناً على أساس المبدأ مدخلاً المساواة العالميّة فيه وفي نظام الدولة، وجسّد في قوانينه توطيد الجزية التي

وعد بها سايروس. وهكذا فإنّه خلق شعوراً من الصداقة والتنظيم ذي المصالح المشتركة بين الفرس جميعاً. ومن ثمّ فإنّه ألصقهم به بل ألصق الشعب الفارسيّ كلّه بهبات المال والهدايا. لذا فإنّ جيوشه اكتسبت له بلداناً بمساحة تلك البلدان التي تركها سايروس خَلْفه، وفعلوا ذلك بكلّ حبور. لكنّ داريوس خَلَفَهُ ابنُه أحشوروش، وتربّى هذا الابن في الرّخاء الملكيّ ذي الأسلوب الناعم ثانية. أفلا يمكننا أن نقول لداريوس بالعدل الأكثر: « أوه يا داريوس، كيف توصّلت لإنجاب هذا الابن أحشوروش بالطريقة عينها ألتي ربّى فيها سايروس قمبيز، ولم ترَ خطأه القاتل ». فأحشوروش، كونه إبداع التعليم عينه، لاقى المصير نفسه الذي لقيه قمبيز، ومن ذلك الوقت إلى وقتنا هذا لم يُوجد قطّ أيّ ملك عظيم بين الفرس، برغم أنّهم كلّهم كانوا ملوكاً عظاماً. ولا يجب أن يُنسب انحلالهم إلى محض الصدفة، كما تمّ إثبات ذلك؛ لكنّ السبب هو الحياة السيّئة على الأصحّ التي يعيشها أبناء الأشخاص ذوي الغنى الفاحش والملكيّين بشكل عامّ. إذ لن يكون هناك صبيّ أو رجل سواء كان فتيّاً أو مسنّاً، متفوّقاً في الفضيلة، ممّن قد تلقّى تعليماً كهذا. لذلك أقول إنّ هذا هو ما يجب على المشرّع أن يأخذه بعين الاعتبار، والذي يجب علينا أن نأخذه بعين الاعتبار في هذه اللحظة أيضاً. يمكن أن نثني عليكم، أوه أيّها اللاقيدايمونيون بعدل، فأنتم في ذلك لا تعطون تكريماً خاصّاً أو تعليماً خاصّاً في الغنى بدلاً من إعطائه في الفقر، أو في الملكيّ بدلاً من المنزلة الاجتماعية، حيث لم يأمر المشرّع الإلهيّ والملهم بإعطائه في الأصل. لا إنسان ينبغي أن يحوز شرف السبق في دولة لأنّه يبزّ الآخرين غنىً، أكثر ممّا يحوزه بسبب أنّه سريع العدو خطىً أو جميلٌ قويُّ الجسم شديدُه، ما لم يمتلك فضيلة ما فيه. لا ولا حتّى إذا امتلك فضيلة، ما لم يمتلك هذه الفضيلة الخاصّة للاعتدال.

ميغيلوس: ماذا تعني، أيّها الغريب؟

الأثيني: أفترض أنّ الشجاعة جزء من الفضيلة؟

ميغيلوس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: إسمع الآن إذن واصدر الحكم بنفسك: هل تحبّ أن يكون لدى رفيق نزيلك أو الجار يقطن بقربك، هل تحبّ أن يكون لديهما إنسان شجاع جدّاً، وليس له سيطرة على نفسه؟

ميغيلوس: لا قدّرت السماء!

الأثيني: أو لفنّانٍ حاذقٍ في مهنته، لكنّه فنّان شرّير وخبيث؟

ميغيلوس: لا بالتأكيد.

الأثيني: والعدل لا ينمو بمعزل عن الاعتدال؟

ميغيلوس: مستحيل.

الأثيني: بأكثر من إنساننا العاقل النموذجيّ الذي عرضناه ممتلكاً للذّاته وآلامه متماثلة بالعقل الحقيقي ومتطابقةً معه، والتي يمكن أن تكون مفرطة.

ميغيلوس: لا.

الأثيني: هناك اعتبار أبعد متعلّق بالجائزة المستحقّة وغير المستحقّة للتكريمات في الدولة؟

ميغيلوس: وما هو؟

الأثيني: أحبّ أن أعرف إذا كان اعتدال بدون الفضائل الأخرى، يوجد منفرداً في روح إنسانٍ، كي يُمدح أو يُلام بحقّ؟

ميغيلوس: لا أستطيع القول.

الأثيني: إنّ هذا الجواب هو الجواب الصحيح، إذ مهما كان الجواب المنتقى الذي اخترته، أعتقد أنّك كنت ستختاره بطريقة خاطئة.

ميغيلوس: إنّك لمحظوظ.

الأثيني: جيّد جدّاً، إنّها نوعيّة هي مجرّد ملحق للأشياء التي يمكن الثناء عليها أو لومها، ولا تستحقّ أيّ تعبير آخر عن الرأي، بل هي الأفضل عند التغاضي عنها بصمت.

ميغيلوس: إنّك تتكلّم عن الاعتدال.

الأثيني: نعم، لكنّ التكلّم عن الفضائل الأخرى، كتلك التي تمتلك هذه النوعيّة، فهي ذات المنفعة الأكثر أيضاً، وستكون الأكثر استحقاقاً للتكريم، وكذلك الفضائل التالية التي تكون نافعة في الدرجة التالية أيضاً. وهكذا فإنّ كلّ واحدة منها ستُكرّم طبقاً لنظام منتظمْ حقّاً.

ميغيلوس: حقاً.

الأثيني: أوَلا يجب على المشرّع أن يقرّر هذه الأنواع؟

ميغيلوس: ينبغي أن يفعل ذلك بالتأكيد.

الأثيني: إفترض أنّنا نترك له تنظيم التفاصيل. لكنّ تقسيم القوانين العام طبقاً لأهميتها، تقسيمها إلى نوع أوّلٍ وثانٍ وثالث، فيجب علينا، نحن محبيّ القوانين، أن نجدها ونرتبها.

ميغيلوس: جيّد جدّاً.

الأثيني: نحن نؤكّد إذن، أنّ الدولة التي ستكون دولة آمنة وسعيدة، بقدر ما تسمح به الطبيعة الإنسانية، يجب أن تضع التكريم حيث يجب والإهانة حيث تلزم بالطريقة الصحيحة. والطريقة الصحيحة هي أن توضع خيرات الروح أولاً، وأن تكون الأعلى في الميزان وإنه لأمر مفروغ منه إنّ الاعتدال يلزم أن يكون حالتها على الدوام، وأن يُنسب المكان الثاني لخيرات الجسد. وأمّا المنزلة الثالثة فللمال والممتلكات. وإذا تخلّت أيّة دولة أو مشرّع عن هذه القاعدة بإعطاء المال منزلة الشرف، أو إذا آثرت ذلك الذي لا يدوم في أيّة طريقة حقّاً، أفلا يمكننا أن نقول إنّها، هي أو هو، تفعل شيئاً غير مقدّس وغير وطنيّ؟

ميغيلوس: نعم، دع هذا يُعلن بشكل واضح.

الأثيني: إنّ اعتبار الحكومات الفارسيّة المتعاقبة في محاورتنا قادنا إلى هكذا بُعدٍ كي نُسهب فيها، لقد علّقنا أنّ الفارسيّين ازدادوا بشكل أسوأ وأسوأ. وأكّدنا السبب لهذا عندما قلنا إنّهم قد قلّلوا من حريّة الشعب الفارسيّ، وأدخلوا الكثير من الحكم المطلق، وهكذا فإنّهم دمّروا الصداقة والشعور المشترك الذي يربطّ ما بين المجتمعات. وعندما ينتهي هذان الشيئان، فإنّ الحكام لا يحكمون بالنيابة عن رعاياهم أو بالنيابة عن شعبهم بعد اليوم، بل إنّهم يحكمون عن أنفسهم. وإذا ما تصوّروا أنّهم يستطيعون كسب أيّة فائدة لأنفسهم مهما صغرت، فما يؤدّون بذلك إلاّ دماراً شاملاً للمدن، ويوقدون ناراً ويسبّبون إقفاراً بين السلالات الصّديقة. وكما يكرهون هم بشكل فظّ ورهيب. هكذا هم مكروهون؛ وعندما يريدون من الشعب أن يحارب لهم ومن أجلهم، لا يجدون شعوراً مشتركاً وإرادة جامعة كي يخاطر الشعب بحياة أبنائه نيابة عنهم. إنّ أعدادهم الضخمة التي لا يحدّها حصر هي عديمة الفائدة على أرض المعركة. وهم يعتقدون أنّ خلاصهم يتوقّف ويعتمد على استخدام الجنود المرتزقة وعلى الغرباء. ولا يمكنهم إلا أن يكونوا أغبياء، ذلك ما داموا يعلنون ويظهرون بأعمالهم أنّ الفوارق العاديّة للصواب والخطأ التي تطبّق في الدولة هي فوارق تافهة، عند مقارنتها بالذّهب والفضة.

ميغيلوس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: وبعدُ فإنّ ما قلناه يعتبر كافياً عن الفارسيّين، وعن الإدارة السيّئة لحكومتهم الحاضرة التي سببها التطرّف في العبوديّة وحكم الطّغاة المطلق بينهم.

ميغيلوس: جيّد.

الأثيني: يجب علينا أن ننتقل تالياً إلى معاينة الحكومة الأتيكية بأسلوب مماثل، وأن نبيّن من هذا الفحص الدّقيق أنّ الحريّة أساسيّة، وأنّ غياب كلّ السلطة

السامية ليست بأيِّ معنى من المعاني جيّدة. كذلك لا تكون الحكومة التي يتمّ اختيارها بواسطة الرسميّين المختارين، سوى حكومة محدودة بشكل مناسب. وتلك الحكومة كانت قائمة وموجودة، بل إنّها كانت أساس بنية مجتمعنا الأثيني الغابر عندما قام الفرس بهجومهم على هيلاس في ذلك الزمان، أو، فلنتكلّم بشكل أكثر صحّة، عندما قاموا بذلك الهجوم على قارّة أوروبا كلّها. لقد كان على أرض هيلاس أربع طبقات منظّمة طبقاً لإحصاء الممتلكات الرسميّ، وكان الوقار والمهابة ملكتنا وسيّدتنا، وجعلانا مريدين ومستعدّين للحياة في طاعة القوانين التي سادت حينئذ. إنّ اتساع وامتداد رقعة القوّات المسلحة الفارسيّة في البحر وعلى البرّ أيضاً سبّب إرهاباً لا عون له، ذلك الإرهاب الذي جعلنا خدماً لحكّامنا ولقوانيننا بشكل أكثر وأكثر طاعة. وبسبب كلّ هذه الأشياء فإنّ الانسجام الاستثنائي ساد بيننا. كان هذا قبل عشر سنين من الالتحام البحريّ الدامي الذي خضناه ضدّ الفرس في معركة سالاميس. أتى داتيس، قائداً ومتقدّماً الحشد الذي أعدُّوه بقيادة داريوس، ذلك الحشد الذي وُجّه ضد الأثينيين والأريثيريين أيضاً وخاصّة وأعطيت الأوامر لجيش الفرس كي يحملوهم أسرى، وكان على داريوس أن ينفّذ هذه الأوامر تحت تهديد ألم الموت. وبعدُ فإنّ داتيس وأعداده الضخمة أصبحوا أسياد أريتيريا بشكل تامّ وفي وقت قصير، وأُرسل تقرير مخيف إلى أثينا بعد ذلك يقول إنّه لم ينجُ أيّ أريتيري من قبضة داريوس؛ لأنّ جنود داتيس شبكوا أيديهم معاً وأحكموا الطوق حول أريتيريا. وكان لهذا التقرير صدىً مرعباً على كلّ الهيلينيين سواء أكان مستنداً على أساس سليم أو غير سليم، لكنّ وقعه كان أشدّ قسوة على الأثينيين. وعلى عجل أرسل الأثينيون رُسلاً في كلّ ناحية، لكنّ أحداً لم يكن مستعدّاً للمجيء لانقاذهم، ما عدا اللاقيدايمونيين. واللاقيدايمونيون وصلوا متأخّرين يوماً واحداً من بدء

معركة ماراثون، إمّا لأنّهم كانوا مشغولين بالحرب الميسينية التي كانت نارها تستعر، أو بسبب شيء ما آخر لم نكن على علم به. وبعد فترة، وصلت الأخبار عن استعدادات ضخمة تجري على قدم وساق، وعن تهديدات لا تُحصى أتت من الملك نفسه. وبعدئذ، حين مرور الزمن، وصلتنا إشاعة بأنّ داريوس قد مات، وأنّ ابنه الذي كان فتياً وعجولاً استلم العرش من بعده، وكان مصرّاً على تنفيذ مخطّطه. كان الاثينيون يعيشون تحت انطباع أن الحملة كلها كانت موجهة ضدهم، كنتيجة حتميّة لمعركة ماراثون؛ خاصّة لأنّهم سمعوا عن بناء الجسر فوق هيليسبونت، وحفر القناة في آثوس، وحشد البواخر هناك. لكلّ هذه العوامل مجتمعة اعتبر الأثينيون أن إنقاذهم لن يتيسّر لا بحراً ولا برّاً، إذ لم يكن هناك أحد ليقدم تلك المساعدة. وتذكّروا أنّه في الحملة الأولى، عندما دمّر الفرس أريتيريا، لم يأتِ أحد لمساعدة شعبها، ولم يجازف أحد في إقامة حلف معها بسبب الخطر المتوقّع. لقد تصوّروا أنّ ذلك الذي جرى يحدث ثانية، في البرّ على الأقلّ. ولا حتّى عندما نظروا إلى البحر وما عليه، استطاعوا هم يلمحوا أيّ أمل للإنقاذ؛ لأنّهم هوجموا بأكثر من ألف قارب وسفينة حربيّة، وبقيت فرصة واحدة للأمان، إنّها فرصة طفيفة ويائسة حقاً، لكنّها كانت الفرصة الوحيدة المتبقية. رأوا أنّ الانتصار الذي حقّقوه في مناسبة سابقة كان كسباً لهم لكنّه كان انتصاراً قريباً من الاستحالة. وبما أنّهم انتشوا بهذا الأمل، وجدوا أنّ ملاذهم الوحيد كان في اعتمادهم على أنفسهم وثقتهم بالآلهة. كلّ هذه العوامل مجتمعة خلقت فيهم النفسيّة الصدوقة؛ كان هناك خوف اللحظة المتوقّعة الحدوث، وسيطر عليهم ذات الخوف الأعلى الذي كسبوه بطاعتهم للقوانين الغابرة، والتي سمّيتها مهابة ووقاراً عدّة مرات في مقدّمة هذا البحث، هذه القوانين التي يجب أن يخدمها الإنسان الصالح، التي يعتبر

الرجل الجبان مستقلاً عنها وعديم الخوف منها. وإذا لم يشعر الشعب بهذا الخوف، فإنّهم لم يتّحدوا أبداً كي يدافعوا عن معابدهم، عن أماكنهم المقدّسة، عن أجداث أجدادهم، وعن بلادهم، بل عن كلّ شيء كان قريباً لهم وعزيزاً عليهم، مثلما فعلوا. وكان كلّ منهم قد سلك طريقه الخاصّ به، وكانوا سيبقون مشتّتين ومبعثرين.

ميغيلوس: إنّ كلماتك، أيّها الأثيني، هي كلمات حقيقيّة وجديرة بك وببلادك.

الأثيني: إنّها كلمات حقيقيّة، يا ميغيلوس؛ ويمكنني أن أتكلّم إليك عن أعمال تلك الأيّام، يا مَنْ ورثت الفضائل التي تمسّك بها أسلافك. وأريدك وكلينياس أن تعتبرا إذا ما كانت كلماتي لها الوقع والتأثير على المشرّع؛ وأنا لا أتكلّم وأبحث من أجل لذّة الكلام فقط، بل إنّما أفعل ذلك من أجل المحاورة. دوّن من فضلك أنّ الخبرة التي كانت لدينا ولدى اللاقيدايمونيّين وكذلك ما يمتلكه الفرس، إنّ هذه الخبرة كانت هي عينها في معنى محدّد؛ لأنّهما مثلما قادوا شعوبهما إلى عبوديّة مطلقة، هكذا نحن قدنا شعبنا إلى حرّيّة كاملة. وبعدُ كيف ستتقدّم؟ لاحظ أنّ محاورتنا السابقة كانت مقرّرة جيّداً كي ترينا هذا، في معنىً ما.

ميغيلوس: حقّاً، لكنّي أرغب منك أن تعطيني إيضاحاً كاملاً لِمَا تقول.

الأثيني: إنّني سأفعل. لم تكن الجماهير تحت سلطة القوانين الغابرة، يا أصدقائي، لم تكن السيّدة كما هي الآن، بل كانت الخادمة المطيعة للقوانين.

ميغيلوس: أيّة قوانين تعني؟

الأثيني: دعنا نتكلّم في المقام الأوّل عن القوانين بشأن الموسيقى، موسيقى كتلك التي كانت موجودة حينئذ؛ وذلك كي نتمكّن من تتبّع النموّ والزيادة المفرطة للحريّة منذ البداية. وبعدُ فإنّ الموسيقى كانت مقسّمة بيننا في وقتٍ ممعنٍ في القدم، كانت مقسّمة إلى أنواع وأساليب محدّدة. تضمّن نوع منها صلوات

للآلهة، تلك الصوات التي سمّيت تراتيل؛ وكان هناك نوع آخر ومضادّ لهذه دعي نحيباً، واصطُلح على تسمية نوع آخر أناشيد الشكر، وأعتقد أنّ آخر سُمّي احتفالاً بميلاد ديونيسوس، ودُعي « شعراً حماسياً ». واستعملوا الكلمة الحقيقة « قانون » أو ناموس، استعملوها لنوع آخر من أنواع الأغنية، وأضافوا إلى هذا النوع الاصطلاح «Cithaeroedic». إنّ كلّ هذه الأنواع وأنواعاً غيرها كانت أنواعاً مميّزة كما ينبغي، ولم يُسمح للممثّلين فيها أن يخلطوا بين نوع من أنواع الموسيقى وبين الأنواع الأخرى. أمّا السلطة التي قرّرت الحكم وأعطته، والتي عاقبت العُصاة، فلم تُعبّر في الهسيس، ولا في الصّراخ الأكثر لا موسيقياً للكثرة، كما يتمّ فعله في أيّامنا هذه، ولا في التصفيق والربت بالأيدي. لكنّ قادة الفرق الموسيقية والتعليم العامّ ألحّوا بإصرار على أنّ المشاهدين يجب أن يستمعوا إلى الأنغام بصمتٍ وإلى النهاية؛ وأُبقي عليهم صامتين وهادئين بواسطة إلماعٍ بالعصا الموسيقيّة. هكذا كان النظام الصالح الذي كانت الجماهير على استعداد لمراقبته وإطاعته؛ ولم يكن أحد منهم ليتجرّأ على أن يعطي حكماً بالصراخ الضاجّ. وبعد أن استمرّ الزمن في الدوران، فإنّ الشعراء أنفسهم أولجوا حكم الابتداع المبتذل والفوضويّ. إنّهم كانوا رجالاً أذكياء، لكن لم يكن لديهم تصوّر عمّا هو عادل وشرعيّ في الموسيقى. وهكذا فإنّهم إتّقدوا بالبدع تماماً مثلما يفعل الباخوسيون المعربدون، وتملكتهم المباهج الجامحة ـ لقد خلطوا النحيب بالتراتيل، ومزجوا أناشيد الشكر والتسابيح بالقصائد المليئة بالعواطف الجيّاشة؛ مقلّدين أصوات الناي والعود، وخالقين بذلك ارتباكاً عامّاً واحداً، ومؤكّدين بشكل جاهل أنّ الموسيقى لا حقيقة فيها. وسواء إذا كانت صالحة أو طالحة يمكن الحكم عليها فقط وبحقّ بلذّة وسرور المستمعين[٩]. وبتأليف هكذا أعمال فاسقة، وإضافة كلمات فاسقة لها شبيهة بها، فإنّهم أثاروا وألهبوا الجماهير بالفوضى والوقاحة،

وجعلوهم يتوهّمون أنهم يستطيعون الحكم بأنفسهم بشأن اللحن والأغنية. وبهذه الطريقة فإنّ المسارح أصبحت ضاجّة بالأصوات بعد أن كانت صامتة، وكأنّه كان للمستعمين فهم للصّالح والطالح في الموسيقى والشعر. وبدلاً من نموّ الأرستقراطيّة فإنّ نوعاً آخر من أنواع الثيوقراطيّة «Theatrocracy» بدأ في النموّ[١٠]. إذ لو كانت قد وُجدت ديموقراطيّة في الموسيقى فقط، مؤلّفة من رجال أحرار، لما تمَّ فعل أيِّ عمل ضارٍّ ومؤذ. لكن نشأ في الموسيقى منذ البدء الخداع العامّ بالمعرفة غير المحدودة والفوضى الشاملة، وأتت الحرّية تابعة بعد ذلك، وتوهّم الرجال أنّهم يعرفون ما لا يعرفون. لم يكن لديهم أيّ خوف بعد اليوم، وغياب الخوف يولّد الوقاحة. إذ ما هي هذه الوقاحة التي هي هكذا شيء شرّير وسيّىء، ما هي سوى الرفض المتغطرس لاعتبار الرأي للأفضل بسبب نوع الحرّيّة الذي هو فوق الحرية الجريئة؟

ميغيلوس: حقيقيّ جدّاً.

الأثيني: كنتيجة منطقيّة لهذه الحرية يجب أن تأتي الحرّيّة الأخرى، جرية عصيان الحكّام[١١]، وتأتي بعدئذ محاولة الهروب من توجيه ونصح الأب والأمّ وكبار السنّ. وعند الاقتراب من النهاية، يأتي الهرب من سيطرة القوانين أيضاً. وفي النهاية بالتحديد يوجد الازدراء بالأيمان والتعهّدات، وعدم الاعتبار المطلق للآلهة - هنا هم يعرضون ويقلّدون الطبيعة القديمة التي تُدعى بالتيتانيّة، ويلتقون في النقطة عينها مع التيتانيين عندما تمرّدوا وثاروا ضدّ الله وقادوا حياة لا نهاية لسيّئاتها وشرورها. لكن لماذا قلت أنا كلّ هذا الذي قلته؟ إنّني أسأل ذلك، لأنّ المناظرة يجب أن تُجذب جذباً من وقت لآخر، ولا ينبغي السماح لها بالهروب، بل يلزم أن تُوقَفَ وتُكبحَ باللّجام والسوط، وحينئذ فلن نقع على أقفيتنا، كما يقول المثل الشائع الذكر. دعنا إذن أن نسأل السؤال ثانية، إلى أيّة غاية قد تمَّ كلّ هذا الذي قيل؟

ميغيلوس: جيّد جداً.

الأثيني: إنّ هذا قيل إذن، قصد...

ميغيلوس: قصد ماذا؟

الأثيني: أكّدنا أنّ مشرّع القوانين يجب أن يمتلك أشياء ثلاثة في القصد والهدف: أوّلاً، إنّ المدينة التي يشرّع لها يجب أن تكون مدينة حرّة؛ وثانياً، ينبغي أن تكون في وحدة مع نفسها؛ وثالثاً، يلزم أن تمتلك فهماً. إنّ هذه المبادىء الثلاثة كانت مبادئنا، ألم تكن كذلك؟

ميغيلوس: إنّها كانت، بدون ريب.

الأثيني: لقد اخترنا نوعين من أنواع الحكومات قصد هذا الهدف، إحداها هي الأكثر طغياناً، والأخرى هي الأكثر حرية. وبعدُ فإنّنا نأخذ الآن بعين الاعتبار أيٌّ منهما هو النوع أو الشكل الصحيح: لقد أخذنا مكان الوسط في كلتا الحالتين، للحالة الاستبداديّة في الأولى، وللحالة الحرّة في الأخرى، ورأينا أنّهما وصلتا إلى الكمال في النوع الوسط. لكنّهما عندما حُملتا إلى التطرّف في كلا الاتجاهين، فإنّ أيّاً من الدولتين لم تكسب أيّ شيء من هذا التطرّف، بل كان الكاسب الأكبر العبوديّة أو الفجور.

ميغيلوس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: وكان هذا هو السبب الذي دعانا إلى اعتبار ترسيخ واستيطان الجيش الدوريّ، والمدينة التي بناها دارادانوس على سفح الجبال، ونقل المدن إلى شاطىء البحر، وذكرنا الرجال الأوائل الذين نجوا من الفيضان. إنّ كلّ ذلك تمّ البحث فيه سابقاً بشأن الموسيقى والشراب، وقيل ما سبق قوله قصد رؤية كيف يمكن لدولة أن تدار بالشكل الأفضل، وكيف يمكن للفرد أن ينظّم حياته الخاصّة بالشكل الأفضل أيضاً. وبعدُ، يا ميغيلوس وكلينياس، كيف نستطيع نحن أن نقدّم البرهان على قيمة كلماتنا التي نتفوّه بها؟

كلينياس: أيّها الغريب، أعتقد أنّني أرى كيف يمكن الحصول على برهان ذي قيمة لدغمها. إنّ هذا البحث، بحثنا، يبدو لي أنّه قد كان محظوظاً بشكل فريد، وهذا ما أريده له تماماً في هذه اللحظة بالذات. والذي يبشّر بالنجاح الأكثر له أنّكما دخلتما في طريقتي، ولسوف أخبركما ما حدث لي؛ وأعتبر أنّ التزامن هذا هو نوع من أنواع الفأل. إنّ الجزء الأكبر من ساكني جزيرة كريت يُعِدُّون العُدّة لإقامة مستعمرة جديدة، وهم عهدوا بإدراتها وتسيير شؤونها إلى الكنوسيّين؛ وعهدوا بإدارة الحكومة الكنوسية لي ولتسعة آخرين. ورغبوا منّا أن نعطيهم أيّة قوانين تسرّنا، سواء استُمِدَّتْ هذه القوانين من الكريتيين أو من أيّة بلاد أخرى. وهم لا يعارضون إذا كانت هذه القوانين قوانّين غريبة إنْ كانت قوانين أفضل. إذن إمنحني هذه المنّة التي هي كسبٌ لك أيضاً: دعنا نختار وننتقي ممّا قد قيل، ودعنا نتصوّر بعدئذ دولة سنفترض أنفسنا موجديها الأصليين والأوائل. هكذا سوف نتقدّم في تحقيقنا، ويمكنني في الوقت عينه أن أمتلك استخدام البنية التي تشيّد، البينة التي تكون في مرحلة التأمّل والدراسة.

الأثيني: إنّها أخبار جيّدة، يا كلينياس؛ إذا لم يعترض ميغيلوس على ذلك. يمكنك أن تتأكّد أنّني سأقوم بفعل كلّ شيء يرضيك ويسرّك.

كلينياس: شكراً لك.

ميغيلوس: وهكذا أشكرك أنا، أيّها الغريب.

كلينياس: ممتاز، وبعدُ دعنا نبدأ بتشييد بنية الدولة.

محاورة النواميس

الكتاب الرابع

أفكار الكتاب الرئيسية

يقول الأثيني: دعنا نسأل أين سيكون موقع المدينة وما اسمها، وهل ستكون على شاطيء البحر أو داخل البلاد. إنّها ستكون مدينة تصدّر وتستورد حاجياتها، وستكون في داخل البلاد، وسيكون لديها اكتفاءٌ ذاتيّ تقريباً. أمّا النواميس فستكون كلّها نواميس جيّدة بقدر ما تقصد وتميل إلى إعلاء شأن الفضيلة. أمّا ناموسكما، يا كلينياس وميغيلوس، فإنّه اهتمّ بجزءٍ واحد منها وهو الشجاعة، كما تتذكّران. لكن نحن سنشرّع للفضيلة كلّها وقصدنا الجمال والكمال. وعلينا أن نهتمّ ببناء أسطول بحريّ عظيم، وببناء جيش قويّ كي نحمي الدولة من أيّ فاتح ونصدّ الغزاة. وسنشرّع في بناء المستعمرات خارج الدولة وذلك لئلاّ يزيد عدد السكان عن العدد الذي نعتبره عدداً مقدّساً وهو ٥٠٤٠ [5040] عائلة، ودعنا نتذكّر أن هناك عنصراً مهماً من عناصر الصداقة المشتركة وذلك في وحدة السّلالة، في اللغة، في القوانين، في المعابد المشتركة، الطقوس الدينية، وشعائر العبادة. ونؤكّد نحن أنّ الله يحكم على كلّ الأشياء، وأنّ الصدفة والفرصة تتعاونان معه في حكومة الشؤون الإنسانيّة، ويجب أن يوجد الفنّ فيها أيضاً. ونثبت أنّ الحاكم الحقّ يجب أن يمتلك حكمة وعدلاً واعتدالاً وشجاعة كي يكون سعيداً ويجعل الدولة على هذا المثال. ونعلن أنّه عندما تتزامن وتتوافق القوة الأسمى في إنسان مع الحكمة والاعتدال الأعظم، حينئذ فإنّ القوانين الأفضل والمجتمعات الأحسن تأتي إلى الوجود، لكنّها لا تأتي بأيّة طريقة أخرى. ودعنا نتضرّع إلى الله عند ترسيخ

بناء دولتنا، بأنّ يسمع تضرّعنا ويصفح عنّا، ويأتي ويضع الدولة والقوانين في نظام. وسيكون نظامنا نظاماً ملكيّاً أرستوقراطياً، وستدوم دولتنا مدى الحياة، وسيحكم فيها أنصاف آلهة، كي يقام العدل على أسس ثابتة ويحلّ السلام. وأرى أنّ الدولة التي يكون القانون فيها فوق الحكّام، ويكون الحكّام فيها أدنى من القانون، أرى أنّ تلك الدولة سيتمّ حفظها وصونها وتحظى بكلّ مباركة من الآلهة. ونؤكّد مرة ثالثة ورابعة أنّ مَنْ سيكون سعيداً فإلى العدل يتوجّه وبه يتمسّك بثبات، وسيتبعه في صحبة مع التواضع والنظام كلّه. لكن الذي سيشمخ تكبّراً أو غطرسة، أو يتيه عجباً بالغنى أو المنزلة الرفيعة، أو بالجمال، وهو الذي يكون فتيّاً وغبيّاً ويمتلك روحاً شهوانيّة ممتلئة عجرفة ويظنّ أنه ليست لديه حاجة لأيّ هادٍ أو حاكم بل إنّه يقدر على أن يهدي ويرشد الآخرين بنفسه، إنّ شخصاً كهذا تخلّى الله عنه وهجره، وهكذا فإنّه سيدمّر نفسه وتدمّر عائلته ومدينته معه. إذن إنّ الحياة التي يقبلها الله، ويصبح الرجال الذين يحيونها من أتباعه هي الحياة الصحيحة والحقيقية. وينبغي أن يكرم الأولاد آباءَهم طالما هم أحياء وحتّى بعد وفاتهم. وعلى الإنسان أن يقيم علاقات صداقة طيّبة مع أقربائه وأصدقائه ورفاقه في الوطن في تناسق تامّ مع الفضيلة.

وكما نرى فإنّ المشرّع يشفينا من الفوضى والاعتلال الجسديّ بالعلاجات الأكثر لطفاً، مثلما يفعل الطبيب الحقيقيّ عندما يشفي المريض. وسيضع المشرّع القوانين التي تتعلّق بالزواج والعلاقات الزوجية. وعلى الرجل أن يتزوّج بين سنّ الثلاثين والخامسة والثلاثين، وإلاّ سيتعرّض لفقد بعض امتيازاته وسيُعاقب. وبما أنّه ينبغي أن يكون لكلّ قانون تصدير واستهلال فنحن يجب علينا أن نضع تصديراً واستهلالاً لقانوننا الذي نرسمه الآن. وسأبدأ بالكلام عن كلّ ذلك الذي يتعلّق بأرواح وأجسام وممتلكات المواطنين، وفي ما يتعلّق بمهنهم وتسلياتهم كذلك. وهكذا نصل إلى طبيعة التعليم، بالقدر الذي يكمن فينا. وستلي هذه الموضوعات في نظام تامّ.

محاورة النواميس

الكتاب الرابع

الأثيني الغريب: وبعدُ، ماذا ستكون هذه المدينة؟ إنّني لا أعني السؤال عمّا سيكون إسم المكان فيما بعدُ؛ إنّ ذلك يمكن أن يُقرَّر بمصادفة الموضع أو الاستيطان الأصلّي: نهرٌ أو نافورة يمكن أن يعطي أو يصدر مرسوم الإسم للمدينة الجديدة المستحدثة. لكنّي لا أعرف أين يكون الموقع، أيكون مجاوراً للبحر أو في الداخل.

كلينياس: عليَّ أن أتصوّر، أيّها الغريب، أنّ المدينة التي نتكلّم عنها تبعد عن البحر حوالى الثمانين الستاديا(١٢).

الأثيني: وهل توجد موانىء على الساحل؟

كلينياس: عليَّ أن أتصوّر وجود موانىء ممتازة، ليس هناك موانىء أحسن منها.

الأثيني: واحسرتاه! أيّ مشهد يكون هذا! وهل تكون البلاد المحيطة بها بلاداً منتجة، أو أنّها بحاجة للاستيراد؟

كلينياس: إنّها بالكاد تحتاج أيّ شيء.

الأثيني: وهل هناك أيّة دولة مجاورة لها؟

كلينياس: ليس هناك أيّة دولة، وهذا هو السبب الذي من أجله اخترنا المكان. كانت هناك هجرة للقاطنين في الأيّام الغابرة، والمنطقة قد أُقفرت منذ زمن سحيق.

الأثيني: وهل يمتلك المكان نسبة جيّدة من التلال، السهول، والأخشاب؟

كلينياس: إنّه كباقي جزيرة كريت في ذلك.

الأثيني: تعني أن هناك صخوراً أكثر ممّا يوجد سهول؟

كلينياس: بالضبط.

الأثيني: إذن، هناك أمل محتمل في أن يكون مواطنوكم مواطنين أفاضل. وأنتم كنتم تقيمون على شاطىء البحر، وكنتم مجهزين بموانىء جيّدة، وكانت بلادكم بلاداً مصدِّرة بدل أن تكون بلاداً مستوردة، لكن كانت الحاجة ماسّة لوجود منقذٍ جبّار، ولوجود مشرّعين هم أكثر من مشرّعين فانين، إذا ما كنتم لتمتلكوا فرصة للاحتفاظ بدولتكم ووقايتها من الانحلال والتفسّخ ومن التعقيدات المسلكيّة[١٣]. لكنّ هناك راحة وفسحة في المسافة الممتدّة ثمانين ستاديا؛ وبرغم أنّ البحر لا يزال قريباً جدّاً من مدينتكم، خاصّة إذا كانت الموانىء صالحة هكذا، كما تقول، يبقى كيف يمكن أن نقنع بذلك. إنّ البحر يكون رفيقاً يوميّاً وسارّاً بما فيه الكفاية، لكنّه حقاً يحوز نوعيّة مذقة ومياهه مالحة قليلاً. وبسببه تمتلىء الشوارع بالتجار وأصحاب الحوانيت، وهو الذي يسبّب طرائق غير مؤكّدةٍ ثقتها وغير مخلصةٍ في أرواح الرجال، وهؤلاء يجعلون الدولة غير صدوقة وغير مؤمّنة لِمَا يخصّها ولِمَا يخصّ مواطنيها، ويخصّ بقيّة الأمم الأخرى أيضاً. هناك مأساة في إنتاج الدولة لكل الأشياء في داخلها لهذا السبب؛ ومع ذلك، وبسبب وعُورَة الأرض، فهي لا تقدّم أيّ شيء بوفرة كبيرة. لكن لو وجدت الوفرة لأمكن أن توجد تجارة وتصدير، وعائدات كبيرة من الذهب والفضة والتي كما يمكننا أن نؤكّد بكلّ ثقة، أنّ لها النتائج الأكثر تدميراً على الدولة من كلّ الأشياء التي هدفُها نيلُ العدل واكتسابُ العواطف النبيلة. لقد قلنا هذا الكلام في مباحثتنا السابقة، إذا كنت تتذكّر.

كلينياس: إنّني أتذكّر، وأرى أنّنا كنا محقّين في ما قلناه.

الأثيني: حسناً، لكن دعني أسأل، كيف تزوّد البلاد باحتياجاتها لبناء السفن؟

كلينياس: ليس هناك تنّوبٌ ذو أهمية، ولا صنوبر، ولا كثير من شجر السرو؛

وستجد القليل من حجارة الرّحى التي تنزع قشرة الصنوبر، أو من المسحاج التي يستخدمها بنّاؤو السفن على الدوام ويحتاجونها لبناء جوف السفن.

الأثيني: إنّ هذه الأشياء هي ذات منافع طبيعيّة أيضاً.

كلينياس: لماذا؟

الأثيني: لأنّه يجب على أيّ مدينة ألا تكون قادرة على تقليد أعدائها في ما يكون مؤذياً.

كلينياس: كيف يؤثّر ذلك على أيّة قضيّة من القضايا التي تكلّمنا عنها؟

الأثيني: تذكّر، يا صديقي الصالح، ما قلته في البدء بشأن القوانين الكريتيّة، وإنّها تعتني بشيء واحد فقط، وكان هذا الشيء هو الحرب، كما اتّفقنا على ذلك. وأجبت أنا حينئذ أنّ هكذا قوانين هي قوانين جيدة، بقدر ما تقصد وتميل إلى إعلاء شأن الفضيلة، لكنها في ما تهدف إليه فإنّها اعتبرت واهتمّت بجزء واحد منها فقط، ولم تهتمّ بالفضيلة كلّها، ولهذا السبب فإنّني لم أصادق على هذه القوانين. وبعدُ، فإنّني آمل بأنّك ستتبعني وتراقبني بدورك إذا ما كنت أشرّع لأيّ شيء آخر سوى الفضيلة، أو جزء واحد منها فقط. إنّني أعتبر أنّ المشرّع الحقّ، مثله مثل رامي السهام، يهدف فقط إلى ذلك الذي يلازمه جمال أزليّ وثابت على الدوام، ويسقط كلّ ما عداه بل يسقط كلّ شيء آخر، سواء إذا كان هذا الشيء غنىً أو أيّة فائدة أخرى، عندما تُفصل عن الفضيلة. لقد قلت إنّ تقليد الأعداء هو شيء سيّىء وفكّرت بالحالة التي أرهِقَ بها الناس الساكنون على شاطىء البحر نتيجة غارات أعدائهم المتكرّرة، مثلما أرهق مينوس الأثينيين « إنّني لا أريد أن أتكلّم رغبة في التذكير بمظالم ماضية »؛ لكنّ مينوس كان حاكماً بحريّاً عملاقاً، كما نعرف، وأجبر سكان أتيكا على دفع جزية سنويّة قاسية له. وفي تلك الأيّام لم يكن لديهم بواخر حربيّة كالتي لديهم الآن، ولهذا

السبب لم يقدروا على بنائها حالاً. ومن ثمّ فإنّهم لم يستطيعوا أن يتعلّموا كيفية تقليد أعدائهم في البحر، وأن يصحبوا هم أنفسهم بحّارة بهذه الطريقة، وأن يطردوا أعداءَهم بشكل مباشر. كان من الأفضل لهم أن يفقدوا أكثر من السبعة الشباب الذين فقدوهم خلال مرار عديدة، من أن يُطرد الجنود المسلّحون بالأسلحة الثقيلة بشكل سهل. وهل كان عليهم أن يصبحوا بحّارة، وأن يتعوّدوا القفز والتمارين العسكرية على الشاطىء، وأن يأتوا عائدين ركضاً إلى بواخرهم، أو كان عليهم أن يتوهّموا أنه لا عار في عدم انتظار هجوم العدو وأن يموتوا ببسالة؟ أو أن يضعوا مقدّماً العديد من الاعتذارات الجاهزة سلفاً لإنسانٍ رمى سلاحه ولجأ بنفسه هارباً، الشيء الذي « لا يكون شيئاً مخزياً »؟ وهم يقولون هذا الذي يقولونه في أوقات محدّدة. إنّ هذه اللغة هي لغة الحرب البحريّة، وهي أيّ شيء سوى أنّها جديرة بالثناء غير العاديّ، ونحن لا ينبغي علينا أن نعلّم أجيالنا عادات سيّئة، وأقلّ من الجميع إلى الجزء الأفضل من مواطنينا. يمكنك أن تتعلّم الشرّ من تمرين كهذا في أشعار هوميروس، المقدَّم بها أوديسيوس، والذي وبّخ أغاممنون لأنه رغب أن يُنزل البواخر إلى البحر عندما كان الطرواديّون يضغطون بقوّة على الآكايين. وغضب منه، وقال في قصيدته: « أنت يا من أمرتِ بجرّ البواخر المنضّدة جيّداً إلى البحر، في الوقت الذي كانت المعركة في أوج وقعها، ذلك كي يمكن لصلوات الطرواديين أن تتمّم أكثر برغم ذلك، وأن يقع الدمار الشامل علينا لأنّ الآكايين لن يثبتوا في المعركة عندما تُسحب البواخر إلى البحر، بل إنّهم سيتطلّعون إلى الوراء ويتوقّفون عن النضال. وفي ذلك الزمان فإنّ المشورة التي أعطيتها ستبرهن أنّها مشورة مؤذية ومدمّرة ».

أنت ترى أنّ هوميروس عرف السفن القديمة الثلاثية المجاذيف الموجودة على سطح البحر والمجاورة للرجال المتحاربين، ترى أنّه عرفها على أنها شيء

سيّىء؟ يمكن للأسود أن يتم تدريبها للهرب من قطيع الغزلان بتلك الطريقة. أكثر من ذلك فإنّ القوى البحريّة التي تدين بسلامتها لمناعة الأسطول، لا تعطي تكريماً لذلك النوع من أنواع الحروب التي تكون الأكثر أهليّة لها لأنّ من يدين بسلامته للقبطان والقائد العسكريّ البارز، والمجذّف البارع، وعلى الأصح لكلّ نوع من أنواع الرجال الوضيعين، فإنّه لا يستطيع أن يعطي التكريم للّذي يستحقّ وينبغي أن يُعطى التكريم له بشكل حقيقيّ. لكن كيف يمكن لدولة أن تكون في حالة صحيحة لا يمكنها ولا تقدر على أن تكافىء وتكرّم الشرف بعدل؟

كلينياس: أعترف أنّ ذلك يمكن تحقيقه بصعوبة؛ ومع ذلك أيّها الغريب، فإنّنا نحن الكّريتيين المعتادون على القول إنّ معركة سالاميس كانت معركة إنقاذ هيلاس كلّها.

الأثيني: لماذا، نعم؛ وإنّ هذا الرأي شائع بشكل واسع بين الهيلينيين والبربر، لكنّ ميغيلوس وأنا نقول بالأحرى إنّ معركة ماراثون كانت البداية، وكانت معركة بلاطايا النهاية والإتمام، وكانت معركة التحرير العظيم، وهاتان المعركتان جعلتا الهيلينيين في وضع أفضل على الأرض. في حين أنّ المعركتين البحريتين في سالاميس وارتميزيوم ـ لأنّه يمكنني أن أضعها معاً أيضاً ـ لم تجعلا موقعهم أفضل ممّا كان عليه، وذلك إذا أمكنني أن أقول هكذا بدون اعتداء في ما يخصّ المعركتين اللتين ساعدتا على إنقاذنا. وأقول ذلك كي أقيّم صلاح الدولة. ونحن هنا لنأخذ بعين الاعتبار وضع البلاد ونظام القوانين، معتبرين أيضاً أن مجرد صيانة واستمرارية حياة ليستا الشيء الأكثر شرفاً للرجال، كما تظنّ العامّة، بل إنّها ديمومة وبقاء الحياة الأفضل، ما دمنا أحياء. والملاحظة هذه نبديها مرّة ثانية بعد أن أشرنا إليها سابقاً، إذا لم أكن مخطئاً.

كلينياس: نعم.

الأثيني: يجب علينا أن نسأل إذن، إذا ما كنّا نسلك الطريقة التي اعترفنا أنّها الطريقة الأفضل لترسيخ وتوطيد الدول وسنّ شرائعها.

كلينياس: إنّها الطريقة الأفضل بيعد كبير.

الأثيني: والآن دعني أواصل المحاورة وأسأل سؤالاً آخر: مَنْ سيكون المستعمرون الذين سيبنون المستعمرات؟ هل يمكن أن يأتي شخص من خارج كريت كلّها؟ وهل الفكرة هي أنّ السكان في الدول المتعدّدة يكونون كثراً جدّاً لوسائل البقاء والعيش؟ إنّي أفترض أنّك لست مستعدّاً لترسل دعوة عامة لأيّ هيليني يجب أن يأتي. ومع ذلك فإنّني ألاحظ أنّ مستوطني بلادكم أتوا من آرغوس وآيجينا ومن أجزاء هيلاس الأخرى. قل لي إذن، من أين تلقّيتم مددكم في مغامرتكم الحاضرة؟

كلينياس: إنّ مددنا من الرجال جاء من كريت كلّها. وأمّا عن بقية هيلاس، فسيكون البيلوبونيز هم الأكثر قبولاً، إذ كما تلاحظ حقاً هناك كريتيون ذوي أصلٍ آرغوسي. أمّا الجنس الكريتي فهو الجنس الذي يمتلك الأخلاق والصفة الأعلى في الوقت الحاضر، وهذا الجنس هو جنس الغورتينيان «Gortynian» وهذه السّلالة أتت من غورتين في البيلوبونيسوس.

الأثيني: إنّ المدن تجد التوطين أسهل في بعض الوجوه إذا كان مستعمروها ذوي سلالة واحدة، مثل أسراب النحل التي انطلقت من بلاد مفردة. أمّا عندما يغادر الأصدقاء أصدقاءَهم، بسبب ضغط ما في السكان أو لأيّة ضرورة أخرى مشابهة، أو حينما يُجبر جزء من سكان الدولة على هجرة أماكنهم بسبب الشقاق والنزاعات، عندئذ فإنّ مدناً بكاملها آثرت الهرب حين سقوطها في الحرب بيد قوىً أعظم منها شأناً. إنّ هذا الشيء الذي يعود بالفائدة على المستعمر أو المشرّع في طريقة واحدة، على أيّة حال، يخلق

صعوبة في وجهة نظر أخرى. هناك عنصر من عناصر الصداقة في وحدة السلالة المشتركة، وفي اللغة، وفي القوانين، وفي المعابد المشتركة وفي الطقوس الدينيّة وشعائر العبادة. غير أنّ المستعمرات التي تكون من هذا النوع المتجانس تكون عرضة لإبداء معارضة ضدّ أيّة قوانين، أو ضدّ أيّ شكل من أشكال الدساتير المختلفة عمّا لديها في بلادها. ومع ذلك فإنّ سوء قوانينهم التي تخصّهم لربّما كانت سبب النزاع والشقاق اللذين سادا بينهم. وبرغم هذا فإنّهم من قوّة العادة سيُسرُّون بأن يحتفظوا ويحفظوا التقاليد التي كانت سبب دمارهم تحديداً. وأمّا قائد المستعمرة، الذي شرَّع قوانينهم، فيجدهم متمرّدين ومزعجين. على الجانب الآخر، فإنّ احتشاد السكان المتعدّدين يمكنهم أن يكونوا أكثر ميلاً للاستماع إلى قوانين جديدة. لكن حينئذ، فلكي تجعلهم متوحّدين ويعملون بانسجام، كما يقولون عن الأحصنة في هذا المنحى، فإنّ هذا العمل يكون عملاً شاقّاً، ويحتاج إكماله سنوات. ومع ذلك ليس هناك شيء يميل أكثر إلى تحسين الجنس البشريّ من المشرّع والاستيطان بكلّ تأكيد.

كلينياس: لا شكّ في ذلك؛ لكنّني أحبّ أن أعرف لماذا تقول هذا.

الأثيني: يا صديقي الصالح، أخشى أن تقودني طريقة تأمّلاتي لأقول شيئاً ما يُنقص من قدر المشرِّعين. لكن إذا كانت الكلمة تخدم الهدف، فلا يمكن أن يوجد أذىً في ما نقول. ومع ذلك، لا لزوم للقلق، وأعتقد أنّ المبدأ عينه ينطبق على كلّ الأشياء الإنسانيّة بشكلٍ متساوٍ؟

كلينياس: إلامَ تشير؟

الأثيني: كنت على وشك أن أقول إنّ الإنسان لا يشرِّع أبداً، لكن المصادفات من كل نوع، هي التي تشرِّع لنا في كلّ نوع من أنواع الطرائق. إنّ عنف الحرب وحاجة الفاقة صعبان وهما اللذان يقلبان الحكومات ويغيّران القوانين.

ولقد سبّبت قوّة المرض أداة التجديدات في الدولة غالباً، وذلك حيث تفشّى الطاعون، وحيث حلّ تعاقبٌ للفصول السيّئة المتّصلة خلال عدّة سنين. إنّ أيّ شخص يرى كلّ هذا، يهرع إلى استخلاص النتيجة التي تكلّمت عنها بشكل طبيعيّ، وهي أنّ الفاني لا يشرّع في أيّ شيء، بل الصدفة هي كلّ شيء تقريباً في الشؤون الإنسانيّة. ويمكن أن يقال هذا عن فنون البحّار، وعن الملاّح، وعن الطبيب، وعن القائد العسكريّ، ويمكن أن يُرى أنه قيل جيّداً. ومع ذلك هناك شيء آخر يمكن أن يقال عنها جميعاً بحقيقة متساوية.

كلينياس: ما هو ذلك الشيء؟

الأثيني: إنّ الله يحكم كلّ الأشياء، وإنّ الصدفة والفرصة تتعاونان معه في حكومة الشؤون الإنسانية. هناك على كلّ حال، وجهة نظر ثالثة وأقلّ تطرفاً، وهي أنّ الفنّ يجب أن يكون فيها أيضاً. وينبغي عليّ أن أقول إنّ العاصفة إذا هبّت يلزم أن يكون هناك نفع كبير بكلّ تأكيد إذا استطاع فنّ الملاّح استخدام الفرصة التي يقدّمها في البحر. هل ستوافق على ما أقول؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: أوّلا يصحّ المبدأ المشابه على المشرّع كما يصحّ على الأشياء الأخرى، حتّى لو افترضنا أنّ كلّ الشروط المحليّة هي شروط مؤاتية يُحتاج لها لسعادة المستعمرة، وبرغم ذلك فإنّ المشرّع الحقيقيّ يجب أن يظهر على المشهد من وقت لآخر؟

كلينياس: الأكثر حقيقة.

الأثيني: إنّ الفنان سيكون قادراً في كلّ حالة للصلاة لكي يحصل على بعض الشروط، وإذا مُنحت هذه الشروط بالصدفة، فسيكون بحاجة لممارسة فنّه حينئذ؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وكلّ الفنانين الآخرين الذين ذكرناهم لتوّنا آنفاً، إذا ما أُمروا بأن يقدّم كلٌّ منهم صَلاتَه الخاصّة، فإنّه سيفعل ذلك؟

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: وسيفعل المشرّع الشيء المماثل؟

كلينياس: أعتقد بأنّه سيفعل.

الأثيني: سنقول له: « تعالَ، أيّها المشرّع، ما هي الشروط التي تحتاجها في دولة قبل أن تستطيع تنظيمها؟ ».

كلينياس: كيف ينبغي أن يجيب على هذا السؤال؟

الأثيني: هل ترغب منّي أن أعطي جواباً بالنيابة عنه؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: إنّه سيقول: « اعطني دولة يحكمها طاغية ودع الطاغية يكون فتىً ويمتلك ذاكرة جيّدة، دعه يكون سريع التعلّم وذا طبيعة شجاعة ونبيلة. دعه يمتلك تلك النوعيّة، كما قلت سابقاً، التي تكون الرفيقة غير المنفصلة عن كلّ أجزاء الفضيلة الأخرى، إذا كان هناك أيّ خير فيها ».

كلينياس: أفترض، يا ميغيلوس، أنّ هذه الفضيلة الرفيقة التي يتكلّم الغريب عنها، يجب أن تكون الاعتدال.

الأثيني: نعم، يا كلينياس، إنّه الاعتدال في المعنى المبتذل، وليس الاعتدال في اللغة المفروضة والمبالغ فيها لبعض الفلاسفة والتي تطابق التعقّل والحكمة. لكن ذلك الاعتدال الذي يكون الهبة الطبيعيّة للأطفال والحيوانات، الذين يعيش بعضهم بعفّة وبعضهم بدونها، لكنّهم حينما عُزلوا، كما قلنا، كانوا يساوون شيئاً بالكاد تخميناً في قائمة الخيرات. أعتقد بأنّك ينبغي أن تفهم معناي.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: إذن فإنّ طاغيتنا يجب أن يمتلك هذه الخيرات كما يمتلك النوعيّات الأخرى، إذا ما كانت الدولة ليتمّ نيلها بالطريقة الأفضل وفي الوقت الأقصر لشكل الحكومة الذي هو الشكل الأكثر إفضاءً إلى السعادة؛ إذا لم يكن ولن يكون هناك طريقة أفضل وأسرع لتأسيس حكومة منها بواسطة الحكم الاستبداديّ.

كلينياس: بأيّة محاورة ممكنة يستطيع أيّ إنسان أن يقنع نفسه بهكذا مبدأ رهيب، أيّها الغريب؟

الأثيني: لا صعوبة، يا كلينياس، في رؤية ما هو متطابق مع نظام الطبيعة؟

كلينياس: هل ستعتبره أمراً مفروغاً منه، كما تقول، وهو أن طاغية فتيّ، معتدلاً، سريعاً عند التعلّم، ممتلكاً ذاكرة جيّدة، شجاعاً، هل ستعتبر أنّه ذو طبيعة نبيلة؟

الأثيني: نعم؛ ويجب أن تضيف الحظّ إلى ما قلته. وينبغي أن يكون حظّه السعيد معاصراً للمشرّع العظيم، وأن تُحضر فرصة ما سعيدة كلّ ما قلناه عنه معاً. وعند إتمام هذا، فإنّ الله فعل كلّ ما لم يفعله لدولة قطّ يرغب أن تكون دولة مزدهرة بشكل متفوّق. وفعل هو الأفضل في المرتبة الثانية لدولة فيها حاكمان اثنان كهذا، وفعل الأفضل في المرتبة الثالثة لدولة فيها ثلاثة حاكمين. وتزداد الصعوبة مع الزيادة هذه، وتضمحلّ مع تلاشي الأرقام الكثيرة.

كلينياس: أفترض أنّك تعني أن الحكومة الأفضل يُحدثها حكم الطغاة، وينشئها مشرّع شديد البراعة وطاغٍ منظّم، وإنّ التغيير من هكذا حكم استبداديّ إلى شكل حكومة كاملة يأخذ مكانه بالشكل الأكثر سهولة، وبالشكل الأقلّ سهولة عندما يأخذ التغيير مكانه من النظام الأوليغاركي. وبالدرجة الثالثة عندما يأخذ التغيير مكانه من النظام الديموقراطيّ. أليس هذا معناك؟

الأثيني: ليس هكذا. إنّني أعني على الأصحّ أنّ التغيير يوجد بالشكل الأفضل من خارج النظام الاستبداديّ، وثانياً، من خارج النظام الملكيّ، وثالثاً، من خارج نوع ما من النظام الديموقراطيّ: ورابعاً، يأتي النظام الأوليغاركي في المقدرة على التحسين، ذلك النظام الذي لديه الصعوبة الأكبر في قبول تغيير كهذا، لأنّ الحكومة تكون في أيدي عدد من الحاكمين. أفترض أن المشرِّع يكون ذا نوع حقيقيّ بالطبيعة، وأنّ قوّته الجسديّة تتّحد مع تلك القوة التي يمتلكها الرجال الرؤساء في الدول. وعندما يكون عنصر الحكم صغيراً عدديّاً، ويكون في الوقت عينه قويّاً جدّاً، مثلما يكون في النظام الاستبدادي، فإنّ التغيير هناك يكون التغيير الأسهل والأكثر سرعة بشكل محتمل.

كلينياس: كيف؟ إنّني لا أفهم.

الأثيني: ومع ذلك فإنّي كرّرت ما أقوله عدّة مرّات، لكنّي أفترض أنّك لم ترَ مدينة يحكمها مستبدّ أبداً؟

كلينياس: لا، ولا أستطيع أن أقول إنّ لديَّ رغبة كبيرة برؤية واحدة منها.

الأثيني: وبرغم ذلك، فإنّها حيث تكون الاستبداديّة، يمكنك أن ترى بالتأكيد ذلك الذي أتكلّم عنه.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: أعني أنّه يمكنك أن ترى الطاغي، بدون أيّ حَرَج، وفي وقت ليس بالطويل، يمكنك أن تراه، إذا رغب. إنّه يستطيع أن يغيّر أساليب الدولة، وما يلزمه لفعل ذلك إلاّ أن يذهب باتّجاه الفضيلة أو الرذيلة، أيّاً منها يفضِّل، وهو سيعيِّن بنفسه وبالمثَل خطوط تصرّفه وسلوكه، مكافئاً بعض الأعمال ومثنياً عليها، ومستنكراً الأعمال الأخرى، ومهيناً أولئك الذين لا يطيعون أوامره.

كلينياس: لكن كيف نستطيع تصوّر أنّ المواطنين بشكل عامّ سوف يتبعون المثال

الموضوع لهم في الحال؛ وكيف يقدر الطاغي على امتلاك قوّة الإقناع هذه وإجبارهم على فعل ما يريد؟

كلينياس: لا تدعوا أحداً يقنعنا، يا أصدقائي. هناك طريقة أسرع وأسهل تستطيع الدولة بواسطتها أن تغيِّر قوانينها عندما يقود الحكّام هذا التغيير. إنّ تغييراً كهذا لم ولن يمرّ ويتمّ قطّ بأيّة طريقة أخرى، ويكون تغييراً ناجحاً في مسار الزمن بشكل نادر. لكنّه عندما يصل إلى أوجه، فإنّ عشرة آلاف بركة أو على الأصح كلّ البركات ستتبع.

كلينياس: عمَّ تتكلّم أنت؟

الأثيني: إنّ الصعوبة هي في أن تجد الحبّ الإلهي لقوانين معتدلة وعادلة موجودة في أيّ شكل من أشكال الحكومات القويّة، سواء كان ذلك في الشكل الملكيّ، أو في الغنى الأوليغاركي، أو في الولادة والمنشأ. يمكنك أن تأمل أيضاً في إيجاد شخصية نيستور(١٤) ثانيةً، الذي يقال عنه إنّه فاقَ كلّ الرجال بالقوّة الكلاميّة، وقيل أكثر عن اعتداله أيضاً، كان هذا في زمان طروادة طبقاً للعرف. أمّا في أيّامنا هذه فلا يوجد أيّ شيء من هذا النوع. لكن إذا ما أتى أو سيأتي أيّ إنسانٍ إلى الوجود، أو أنّه يكون بيننا الآن، فمبارك هو ومباركون هم الذي يسمعون الكلمات العاقلة التي تنساب من شفتيه. ويمكن أن يقال هذا عن القوّة بشكل عامّ. وعندما تتزامن وتتوافق القوّة الأسمى في إنسانٍ مع الحكمة والاعتدال الأعظم، حينئذ فإنّ القوانين الأفضل والمجتمعات الأحسن تأتي إلى الوجود؛ لكنّها لا تأتي بأيّة طريقة أخرى. ودع الذي قلته يُعتبر وكأنّه نوع من أنواع الأساطير أو الوحي الإلهيّ المقدّس، ودع هذا القول يكون برهاننا، وهو أنّه من وجهة نظر واحدة، يمكن أن توجد صعوبة لمدينة في امتلاك قوانين جيدة، لكن هناك وجهة نظر أخرى لا يمكن لشيء أن يتأثّر بها بشكل أسهل أو أقرب، فامنح افتراضنا هذا.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: دعنا نحاول أن نسلّي أنفسنا، نحن الأولاد المسنّين، وأن نصوغ بالكلمات القوانين التي تلائم دولتك.

كلينياس: دعنا إذن أن نتضرّع إلى الله عند ترسيخ بناء دولتنا؛ رجاء أن يسمع تضرّعنا ويصفح عنا، ويأتي ويضع الدولة والقوانين في نظام!

كلينياس: رجاء أن يأتي!

الأثيني: لكن أيّ شكل من أشكال الحكومات نسعى لكي نهب المدينة؟

كلينياس: قل لنا ماذا تعني بشكل أكثر وضوحاً. هل تعني شكلاً ديموقراطياً ما، أو شكلاً أوليغاركياً، أو ملكيّاً؟ إنّنا لا نقدر على افتراض أنّك ستشمل الشكل الاستبداديّ؟

الأثيني: أيّ واحد منكما سيخبرني إلى أيّ نوع من أنواع الحكومات هذه يجب أن ننسب شكل حكومته الخاصّة؟

ميغيلوس: هل يجب عليّ أن أجيبك أوّلاً، بما أنّني الأكبر سنّاً؟

كلينياس: لربّما يلزمك ذلك.

ميغيلوس: ومع ذلك، أيّها الغريب، أتصوّر أنّني لا أستطيع أن أقول بدون تفكير أكثر، وماذا سأسمّي الحكومة اللاّقيدايمونية، فهي تبدو لي أنّها تشبه شكل الحكومة الاستبداديّة، ـ إنّ قوّة قضاتنا الخمسة الذين لديهم قوة الملوك، قوتهم هي قوّة استبداديّة بشكل رائع. وتبدو لي بعض المرات أنّها المدينة الأكثر ديموقراطيّة من كلّ المدن الأخرى. ومن يستطع أن ينكر عقليّاً ومنطقياً أنّها تكون شكلاً أرستقراطياً[١٥]؟ ولدينا ملكيّة أيضاً تدوم مدى الحياة، ويقول عنها الجنس البشريّ كلّه لا نحن فقط، يقولون عنها إنّها النظام الملكيّ الأكثر قِدَماً من كلّ الأنظمة الملكيّة. ولهذا السبب، عندما أسأل سؤالاً بشكل مفاجىء، فإنّني لا أستطيع القول بشكل دقيق أيّ شكل من أشكال الحكومات هي اسبرطة.

كلينياس: إنّ لديّ الصعوبة عينها، يا ميغيلوس، لأنّني لا أشعر بالثقة بالنفس في أن تكون حكومةُ كونسوس واجدةً من تلك الحكومات التي نتكلّم عنها.

الأثيني: سبب هذا، يا صديقيّ الممتازَين، هو أنّكما تملكان حكومتين، لكن الدول التي تكلّمنا عنها الآن هي مجرّد تجمّعات للرجال الساكنين في المدن والذين يكوّنون المرؤوسين والخدم لجزء من دولتهم الخاصّة بهم. وسُمّيت كلّ مدينة من مدنهم على غرار القوّة المسيطرة. وهذه المدن ليست حكومات على الإطلاق. لكن إذا ما سُمّيت الدول على غرار حكّامها، فإنّ الدولة الحقيقيّة يجب أن تدعى باسم الله الذي يحكم فوق الرجال الحكماء.

كلينياس: ومن هو هذا الله؟

الأثيني: هل يمكنني أن استخدم الخرافة ذات المغزى إلى حدٍّ ما، على أمل أن أكون قادراً على الأجابة على سؤالك؟ هل سأفعل ذلك؟

كلينياس: إفعله، مهما كلّف الأمر.

الأثيني: في العالم البدائي، ولزمنٍ طويل مضى قبل أن توجَد المدن التي وصفنا ترتيبها، قيل إنّه وُجد في عصر كرونوس حكم وحياة مباركين، والدول المتمتعة بنظامها الأحسن هي نسخة عنهما[١٦].

كلينياس: إنّها لضرورةٌ حتميّة أن نسمع ما تقوله بشأن ذلك.

الأثيني: إنّني أتّفق معك؛ ولهذا السبب أدخلت الموضوع هذا في بحثنا.

كلينياس: ذلك هو الأكثر مناسبة. وبما أنّ القصّة تدخل في صميم الموضوع، فإنّك ستقوم بعمل جيد بإعطائنا القصّة كاملة.

الأثيني: سأفعل كما تقترح. هناك عرف عن الحياة السعيدة للجنس البشريّ أيّام كانت كلّ الأشياء وافرة وكثيرة. وقيل عن هذا السبب إنّها كانت كما يلي: عرف كرونوس ما أعلنّاه نحن أنفسنا، وهو أن لا طبيعة إنسانية غَرستها القوّة السامية تقدر على تنظيم الشؤون الإنسانية دون أن تفيض بالغطرسة

والخطأ. وقاده ذلك التأمّل العميق إلى أن لا يعيّن رجالاً في الحكم بل أن ينصّب أنصاف آلهة، سلالتهم أعلى وأكثر إلهيّة. نصّب أنصاف الآلهة ليكونوا الملوك والحكام لمدننا، وفعل هو هذا مثلما نفعل نحن مع قطعان الأغنام والحيوانات الأليفة الأخرى. ونحن لا نعيّن ثيراناً كي يكونوا أسياداً على الثيران، أو ماعزاً على الماعز؛ بل إنّنا نكوّن سلالة سامية، ونحكم فوق أنفسنا. إنّ الله بطريقة مماثلة، وحبّاً منه للجنس البشريّ نصّب علينا أنصاف الآلهة الذين هم ذوو سلالة سامية. وهم بسهولة كبيرة وسرور نفسيّ، وليس بأقلّ من ذلك بهجة لنا، اعتنوا بنا ووهبونا السلام والمهابة والنظام والعدل غير الواهن ولا الشحيح أبداً. وبهذا فإنّهم جعلوا طوائف الرجال سعيدة ومتّحدة. ويعلن هذا التقليد أو العرف، الذي هو عرف حقيقي، يعلن أنّ المدن التي يحكمها إنسان فانٍ ولا يحكمها الله لن تكون بمنأى من الشرور والكدح. يبقى أنّه يجب علينا أن نعمل كلّ الذي نقدر عليه كي نقلّد الحياة التي يقال إنّها كانت أيّام كرونوس. وبقدر ما يقطن مبدأ الخلود فينا، فإليه يجب أن نولي آذاناً صاغية، في الحياتين العامّة والخاصّة، وأن ننظّم مدننا وبيوتنا طبقاً للقانون. ونعني بالاصطلاح المحدَّد « قانون »، تصنيف العقل. لكن إذا كان لشخص، أو لدى نظام أوليغاركي، أو نظام ديموقراطيّ، روح توّاقةٌ للملذات والرغبات وتريد التشبع منها، وبرغم ذلك فإنها لا تستبقي على أيّ منها، وستبتلي بفوضى لا نهاية لها وبشَرَهٍ دائم. وهذه النفس الشرّيرة بما أنها داست القوانين بادىء ذي بدء، وأصبحت السيّدة إمّا للدولة أو للفرد، حينئذ، وكما قلت، فإنّ الإنقاذ يكون شيئاً ميؤوساً منه. وبعدُ، يا كلينياس، يجب علينا أن نعتبر إذا ما كنتم ستقبلون قصتي هذه أم لا.

كلينياس: إنّنا سنقبلها بكلّ تأكيد.

الأثيني: إنّك لعالم، ألست كذلك، إنّك لعالمٌ بالقول الذي يؤكّد أن هناك أشكالاً متعدّدة من القوانين كما هناك حكومات. ونحن قد ذكرنا مسبقاً كل أشكال الحكومات التي تمّ الاعتراف بها بشكل عامّ. وبعدُ فإنّه ينبغي عليك أن تعتبر هذه القضيّة وكأنّها قضيّة في درجة أولى من الأهميّة، لأنّ الذي وُجد ليكون مقياس العدل والظلم هو النقطة الأساسيّة موضوع النقاش ثانيةً. يقول الرجال إنّ القانون ينبغي أن لا يُعتبر أنّه الفضيلة العسكرية، أو أنّه الفضيلة بشكل عامّ، بل ينبغي أن يُعتبر مصالح الشكل الموطّد من أشكال الحكومات، تلك الحكومات التي يمكنها أن تحكم إلى الأبد، والتي لن تُقلب أو تسقط قطّ؛ وهذا ما يتصوّرونه أنّه الطريقة الأفضل للتعبير عن التعريف الطبيعي للعدل.

كلينياس: كيف؟

الأثيني: يقولون إنّ العدل ليس إلاّ فائدة الأقوى(١٧).

كلينياس: تكلّم بشكل أوضح.

الأثيني: سأفعل - يقولون: « إنّ السلطة الحاكمة بالتأكيد تسنّ القوانين التي تمتلك سلطة في أيّة دولة؟ ».

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: سيضيفون قائلين: « حسناً، وهل تفترض أنّ النظام الاستبداديّ أو النظام الديموقراطيّ، أو أيّة قوّة فاتحة أخرى، هل تفترض أنها لا تجعل من ديمومة السلطة التي تقتنيها الهدف الأوّل أو المبدأ الأساسيّ في قوانينها؟ ».

كلينياس: كيف يمكن أن يكون لديها أيّ شيء آخر؟

الأثيني: « وكلّ مَنْ ينتهك هذه القوانين يُعاقب كأنّه فاعلٌ للشرّ، يعاقبه المشرّع أو الدولة التي تسمّي القوانين قوانين عادلة ».

كلينياس: طبيعي.

الأثيني: « إنّ هذا الأسلوب والشكل إذن، هما الأسلوب والشكل اللذين يوجد بهما العدل ».

كلينياس: بالتأكيد، إذا ما كانوا هم محقّين في وجهة نظرهم.

الأثيني: لماذا، نعم، إنّ هذا المبدأ هو واحدٌ من المبادىء الزائفة للحكومة التي نشير إليها.

كلينياس: أيّة حكومة تعني؟

الأثيني: أعني أولئك الذين اختبرناهم عندما تكلّمنا عن الذي يجب أن يحكم الآخر. ألم نصل إلى استنتاج أنّ الآباء ينبغي أن يحكموا أطفالهم، والمسنون الأفتى، والنبلاء محتداً الحقيرين؟ وهناك عدّة مبادىء، إن كنت تتذكّر، ولكنّها ليست مبادىء ثابتة على الدوام. إنّ أحد هذه المبادىء بالتحديد هو مبدأ القوّة، ووجدنا نحن أنّ بيندار، وفي تطابق مع ما قال إنّه كان شيئاً طبيعيّاً، « برّر » العنف.

كلينياس: نعم، إنّني أتذكّر.

الأثيني: تأمّل مليّاً إذن، إلى مَنْ ستُوكِل دولتنا. إن وُجد ذلك الشيء الذي حدث مرات بدون حصر في الدول ـ

كلينياس: أيّ شيء؟

الأثيني: إنّه الشيء الذي حدث عندما كانت هناك منافسة للوصول إلى السلطة. وأولئك الذين كانت لهم اليد العليا والكلمة الفصل احتكروا السلطة الحكوميّة بالكامل، كما أنّهم رفضوا كلّ مشاركة للحزب المنهزم والمتحدّرين منه ـ لقد عاشوا يحترس بعضهم من بعضهم. وأمّا الطبقة الحاكمة، فإنها في خشية مستمرّة من أن شخصاً ما سيتذكّر الأخطاء السالفة وسيثور ضدّهم ويأتي إلى الحكم. وبعدُ، وطبقاً لوجهة نظرنا، فإنّ حكومات كهذه ليست دولاً على الإطلاق، لا وليست قوانين صالحة تلك التي تُقرُّ ما تُقره لصالح

الطبقات المعنيّة وليس لصالح الدولة كلّها وحزبها. إنّ الدول التي تمتلك قوانين أو ناموساً كهذا ليست دولاً على الإطلاق بل إنها أحزاب، وتلك الأحزاب لها أفكارها عن العدل التي هي أفكار بدون معنى بكلّ بساطة. إنّني أقول هذا، لأنّني على استعداد لأؤكّد أنّه ينبغي علينا أن لا نعهد بالحكومة في دولتك لأيّ شخص لأنه غني، أو لأنّه يمتلك أيّة أفضلية أخرى، مثل القوة الجسديّة، أو المنزلة الرفيعة، أو الولادة ثانية. لكنّ الأكثر طاعة لقوانين الدولة هو الذي سيحمل سَعَف النخل، وسيُعطى المركز الأوّل ووزارة الآلهة الرئيسيّة لمن ينتصر في الدرجة الأولى؛ وسيُعطى المركز الثاني لمن يحمل سَعَف النخل الثاني، وعلى القاعدة عينها ستُخصَّص كلّ المناصب لأولئك الذين يأتون تالياً في نظام. وعندما أسمّي أنا الحكام خدّاماً أو أسمّيهم وزراء الناموس، فإنّني أهبهم هذا الإسم ليس بقصد شيء جديد وغير مألوف، بل لأنّني أعتقد بكلّ تأكيد أنّه، بناءً على هكذا خدمة أو وزارة، يتوقّف ويعتمد صلاح الدولة أو سوؤها، لأنّ تلك الدولة التي يكون القانون فيها مرؤوساً وتابعاً وليس لديه أيّة سلطة، فإنّني أتصوّر أنّ تلك الدولة تكون على شفا الهدم والخراب. لكنّي أرى أنّ الدولة التي يكون القانون فيها فوق الحكّام، ويكون الحكّام فيها أدنى من القانون، أرى أنّ تلك الدولة سوف يتمّ حفظها وتُصان، وتمتلك كلّ مباركة يقدر الآلهة على تقديمها لها.

كلينياس: حقّاً، أيّها الغريب، إنّك ترى برؤيا العمر الحاذقة.

الأثيني: لماذا نعم، إنّ كلّ إنسان عندما يكون فتيّاً، فإنّه يمتلك تلك الرؤيا في زمنها الأكلّ والأكثر تبلّداً، لكن عندما يتقدّم في العمر ففي زمنها الأحذق والأبرع يراها.

كلينياس: حقيقيّ جداً.

الأثيني: وبعدُ، فما هي الخطوة المقبلة؟ ألا يمكننا افتراض أنّ المستعمرين وصلوا، وأن نتقدّم لنوجّه كلامنا لهم؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: نقول لهم: « أيّها الأصدقاء، إنّ الله، كما يعلن العرف القديم، ممسكاً بيديه البداية، الوسط، والنهاية لكلّ الذي يكون، فإنّه يسافر طبقاً لطبيعته في خطّ مستقيم نحو إتمام غايته، العدل رافقه على الدوام، وهو الذي يجازي أولئك الذي يقصّرون في تطبيق العدل الإلهيّ. إنّ مَنْ سيكون سعيداً فإلى العدل سيتوجّه وبه يتمسّك سريعاً، وسيتبعه في صحبة مع التواضع والنظام كلّه؛ لكنّ الذي سيشمخ تكبّراً وغطرسة، أو يتيه عجباً بالغنى أو المنزلة الرفيعة، أو بالجمال، وهو الذي يكون فتيّاً وغبياً ويمتلك روحاً شهوانيّة ممتلئةً بالعجرفة، ويظن أنّه لا يحتاج لأيّ هادٍ أو حاكم، بل إنّه يقدر على أن يهدي ويرشد الآخرين بنفسه، أقول عن شخص كهذا، إنّ الله هجره وتخلّى عنه، ولأن الله تخلّى عنه. فإنّه يأخذ له الآخرين الذين هم على شاكلته، ويثب وثباً من الاهتياج والانفعال، رامياً بكلّ شيء في المتاهات والغموض، ويظنّه الكثيرون رجلاً عظيماً، لكنّه يدفع الغرامة قصاصاً في وقت قصير ولا يستطيع العدل إلاّ المصادقة عليها. ومن ثمّ فإنّه يُدمَّر كليّاً، وتُدمَّر عائلته ومدينته معه. وهكذا، مشاهدين أنّ الأشياء الإنسانيّة تهلك بهذا الشكل، فماذا ينبغي على إنسان عاقل أن يفعل ويفكر، أو أن يفكّر ولا يفعل؟ ».

كلينياس: على كلّ إنسان أن يعزم على أن يكون واحداً من أتباع الله، ولا شكّ في ذلك.

الأثيني: « إذن أيّة حياة تكون مقبولة عند الله، ويصبح الرجال الذين يحيونها من أتباعه؟ إنّها حياة واحدة فقط، عُبِّر عنها لمرّة وكان هذا التعبير هو القول الفصل، وذلك في القول القديم القائل إنّ « الشبيه يتّفق مع شبيهه، والقياس

مع قياسه ». لكنّ الأشياء التي لا تمتلك مقياساً لا تتّفق لا مع أنفسها ولا مع الأشياء التي لديها. وبعدُ فإنّ الله يجب أن يكون لنا المقياس لكلّ الأشياء، وليس الإنسان.(١٨) وكما يقول الرجال بشكل عامّ « بروتاغوراس »: إنّ الكلمات تكون كلمات أكثر حقيقة عنه، والذي سيكون عزيزاً إلى الله يجب أن يكون مثله وكما يكون متزّراً هنا، بقدر ما يكون ممكناً. ومن أجل ذلك فإنّ الإنسان المعتدل هو صديق لله، لأنّه يكون شبيهاً به. وأمّا الرجل غير المعتدل والظالم فيكون غير شبيه به، وغيراً منه. وينطبق الشيء عينه على الأشياء الأخرى؛ وهذا هو الاستنتاج الذي هو أيضاً أصدق الأقوال وأنبلها. ولكي يقدّم الإنسان الخيّر التضحية للآلهة ويعقد محادثة معهم بواسطة الصلوات والتقديمات وكلّ نوع من أنواع الخدمة، فإنّ هذا هو أفضل الأشياء وأنبلها، وهو الشيء الأكثر إفضاءً إلى حياة سعيدة أيضاً، ومناسباً وملائماً جداً. لكن مع الرجل السيّء والشرير فإن عكس هذا يكون صحيحاً لأنّ الرجل السيّء يمتلك روحاً نجسة، في حين أنّ الروح الخيّرة هي روح نقيّة؛ ومن الشخص الملوّث، لا يستطيع الإنسان الخيّر أو الله أن يتلقّى الهبات بدون خطأ أو أن يقوم بعمل غير مناسب. لذلك فإنّ الآثمين يضيّعون الكثير من خدماتهم التي يقدّمونها للآلهة تضييعاً، لكنّ هذه الخدمات عندما يقدّمها أي إنسان تقيّ، فإنّ خدمة كهذه هي الخدمة الأكثر قبولاً بهم. إنّ هذه العلامة هي العلامة التي يجب أن نقصد إليها ونسدّد الهدف نحوها، لكن أيّة أسلحة سنستعمل وكيف سنوجّه تلك الأسلحة؟ في المقام الأوّل، نؤكّد أنّ الشرف يجب أن يُعطى تالياً بعد إعطائه للآلهة الأولومبيّة وآلهة الدولة، يجب أن يُعطى للآلهة تحتيّاً. ينبغي أن يتلقّوا كلّ شيء تكريميّ في أعداد مزدوجة، من الخيار الثاني، ومن البشير بالسوء. في حين أنّ الأرقام المفردة، والخيار الأوّل، والأشياء البشيرة بالحظّ، تُعطى للآلهة فوقيّاً، بواسطة الذي

سيصيب علامة التُقى بحقّ. وتالياً بعد هؤلاء الآلهة سيقدّم الإنسان العاقل خدمة إلى أنصاف الآلهة أو الأرواح المقدّسة، وإلى الأبطال بعدئذ، وسيلي بعدهم الآلهة الخاصّة أو السلفيّون الذين يُعبدون كما يصف القانون في الأماكن المخصّصة والمكرّسة لعبادتهم.يأتي بعد ذلك تكريم الآباء الأحياء، والذين ينبغي علينا أن نفيهم الديون الأولى والأعظم والأقدم، كما يكون مناسباً، معتبرين أنّ كلّ الذي يمتلكه إنسان يختصّ بأولئك الذين نَشّؤوه ربّوه، وإنّ عليه أن يعمل كلّ ما يستطيع ليمدّ يد العون لهما، بادىء ذي بدء، بممتلكاته، ثانياً في شخصه، وثالثاً بروحه، وذلك مقابل العناية التي لا نهاية لها والتعب المضني اللذين منحوهما له منذ زمن قديم، أيّام طفولته. وهذا ما يجب عليه أن يعيد دفعها الآن لهما عندما يتقدّمان في السنّ ووقت الحاجة الماسّة التي يتعرّضان لها. وينبغي عليه أن لا يتفوّه بكلمة قطّ طيلة زمن حياته، أو أنّه قد تفوّه بها، كلمة غير لائقة بهما ولهما؛ فالقصاص يكون الأكثر صرامة وقسوة للكلمات الخفيفة والمنطلقة بسرعة من الأفواه. إنّ نيميس، رسول العدل، تمّ تعيينه لمراقبة وحراسة كل هذه القضايا. وعندما يكون الأبوان غاضبين ويريدان التعبير عن شعورهما بالكلمة والعمل، يجب أن يُفسح لهما المجال؛ لأنّ الأب الذي يرى أنّ ولده قد حاف وجار عليه، يمكن أن يكون، ويُتوقّع أن يغضب جدّاً بشكل منطقيّ. وأمّا عند وفاة الأبوين، فإنّ إقامة المأتم المعتدل لهما هو الأفضل، فلا يتجاوز النفقة المعتادة، لا ولا يَقصُرُ مع ذلك عن التكريم المعتاد والذي أدّته الأجيال السالفة لآبائها. ودع الإنسان لا ينسى تقديم الإجلال السنويّ في تكريم المتوفيّن، مكرّماً إياهم بشكل رئيسيّ بأن لا يغفل عن أيّ شيء يفضي إلى تذكّرهم الثابت والمستمرّ، واهباً جزءاً معقولاً من ثروته للمتوفّين. وعندما نفعل ذلك، ونحيا بهذه الطريقة، فإنّنا سنتلقّى جائزتنا من الآلهة ومن أولئك الذين هم أعلى منا

[كمثال أنصاف الآلهة]. وسنقضي أيّامنا بجزئها الأكبر آملين بالخير. وكيف ينبغي على إنسانٍ أن ينظّم ما يتعلّق بالمتحدّرين منه وبأقربائه وبأصدقائه وبرفاقه في الوطن، وكذلك ما يتعلّق بطقوس الضيافة التي علّمتها السماء، وكذلك العلاقات الداخليّة التي تنشأ خارج كلّ هذه الواجبات، وذلك قَصْدَ التزيين والتنظيم المرتَّب لحياته الخاصّة. أقول، إنّنا سننجز كلّ هذه الأشياء وننجز القوانين، كما واصلنا بحثنا بشأنها، سننجزها بالإقناع جزئيّاً، وجزئيّاً عندما لا تذعن الطبائع للإقتناع بالعرف والتقليد فإنّنا سوف نؤدبها بالقوّة والحقّ. وهكذا سنجعل دولتنا سعيدة ومزدهرة، إذا ما تعاون الآلهة معنا لتحقيق ذلك. لكن إذا ما وجب أن يُقال، وما ينبغي قوله بالمشرّع الذي يفكّر بالطريقة التي فكّر بها، وإذا ما قيل بالشكل القانونيّ، فإنّه سيكون خارج المكان. أعتقد بأنّ المشرّع يمكنه أن يعطي مثالاً عن التعليم والتثقيف عن نفسه وعن أولئك الذين يشرّع لهم؛ وحينئذ عندما ينهي كلّ الخطوات التمهيديّة يمكنه أن يتقدّم إلى العمل التشريعيّ، بقدر ما يتمكّن من ذلك. وبعد، ماذا سيكون شكل استهلالات كهذه؟ يمكن أن توجد صعوبة في إضافتها ووصفها كلّها تحت شكل مفرد، لكنّني أعتقد بأنّنا يمكن أن نحصل على فكرةٍ ما عنها إذا استطعنا أن نضمن شيئاً واحداً.

كلينياس: وما هو ذلك؟

الأثيني: سأرغب أن يكون المواطنون كلّهم مقتنعين بالفضيلة بالشكل الجاهز قدر الإمكان؛ إنّ هذا سيكون هدف المشرّع في كلّ قوانينه التي سيشرّعها بكلّ تأكيد.

كلينياس: بدون ريب.

الأثيني: يبدو لي الاقتراح ذا قيمة ما؛ وأعتقد أن شخصاً سيصغي بلطف أكثر وبإرادة خيّرة إلى المدارك الحسيّة التي يوجهها إليه المشرّع عندما لا تكون

روحه جاهزة بالكليّة كي تتلقّاها. حتّى أنّ شيئاً قليلاً تمّ فعله بالطريقة التوفيقيّة لكسب ما تسمعه أذناه، والذي هو شيء جدير بالتملّك. وليس هناك ميل كبير أو جاهزيّة من جانب الجنس البشري كي يُجعلوا أخياراً، أو أخياراً بسرعة وقدر الإمكان. والحالة التي يتخبّط فيها العديدون تبرهن حكمة هيسيود، الذي يقول إنّ الطريق إلى الأذى والشرّ تكون طريقاً سهلة جدّاً ويمكن اجتيازها بدون عناء وعَرَق لأنّها طريق قصيرة جدّاً جدّاً:

« لكن أمام الفضيلة وضع الآلهة الخالدون عَرَق العمل الشاقّ،
والطريق إلى هناك منحدرة وطويلة، ووعرة في البدء،
لكنّك عندما تصل إلى القمّة، وبرغم الصعوبة التي واجهتك قبلاً،
فإنّ هذه الطريق تصبح سهلة بعدئذ »[١٩].

كلينياس: نعم، والشاعر يتكلّم جيّداً بكلّ تأكيد.

الأثيني: حقيقيّ جدّاً، وبعدُ دعني أخبرك عن التأثير الذي تركه فيَّ الحديث الذي سبق.

كلينياس: واصل، واصل.

الأثيني: إفترض أنّنا نعقد اجتماعاً تباحثيّاً مع المشرّع، ونقول له: « أوه، أيّها المشرّع، تكلّم، إذا عرفت ما يجب علينا قوله أو فعله فأنت تستطيع أن تخبره بكلّ تأكيد ».

كلينياس: إنّه يستطيع بالطبع.

الأثيني: « ألم نسمعك تقول للتوّ[٢٠]، إنّ المشرّع لا ينبغي عليه أن يسمح للشعراء بأن يفعلوا ما يحبّون؟ لذلك فهم لن يعرفوا ما انطوت عليه كلماتهم ضدّ القوانين التي تؤذي الدولة.

كلينياس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

الأثيني: ألاَ يمكننا أن نجيبه بالنيابة عن الشعراء وبشكل عادل؟

كلينياس: أيّ جواب سنعطيه.

الأثيني: سنجيبه أنّ الشاعر، طبقاً للعرف الذي ساد بيننا أبداً، والذي قبل به كلّ الرجال، إنّ هذا الشاعر عندما يجلس على المِنْصَبِ الثلاثي القوائم لآلهات الشعر والفنّ والغناء والعلوم، لا يكون في عقله الصحيح. إنّه مثل النافورة، يسمح لكلّ ما يأتي إلى الداخل أن ينساب خارجاً بحريّة. ولكون فنّ الشاعر فنّاً مقلّداً، فإنّه يُجبر عادة على أن يقدِّم الرجال ذوي النزعات المتضادّة، ويقوده هذا العمل إلى مناقضة، ولا يستطيع هو أن يُخبر إذا ما كانت هناك حقيقة في شيء واحد قاله أكثر مما هي في الشيء الآخر. لكنّ هذه الحالة لا تكون في القانون، فالمشرِّع، يجب عليه أن لا يعطي قاعدتين اثنتين بشأن الشيء عينه، بل أن يعطي قاعدة واحدة. خذ مثالاً على ذلك مِن الذي قد قلته لتوّك. هناك نوع أوّل من أنواع المآتم الثلاثة، وهو نوع متطرّف إلى حدّ بعيد، بينما النوع الثاني شحيح جداً، والنّوع الثالث في وسط بين النوعين الاثنين. واخترت أنت النوع الأخير بدون مؤهِّل، وطلبته وصدّقت عليه. لكن إذا كان لديَّ زوجة غنيّة بشكل لا يصدَّق، وأمرتني أن أرثيها، ووصفت كيفيّة رثائي لها في قصيدة، فإنّني سأثني على النوع المتطرّف منها. وأمّا الرجل الفقير البائس الذي ليس لديه الكثير من المال لينفق في هذا المجال، فسيستحسن النوع البخيل منها. والإنسان ذو الوسائط المعتدلة الذي هو نفسه إنسان معتدل، سيثني على مراسم الدفن المعتدلة. والآن فأنت في المقدرة التشريعيّة ينبغي عليك أن لا تقول « مراسم دفن معتدلة » بشكل مجرّد، بل يجب أن تحدِّد وتعرّف ما هو الاعتدال، وكم يكون؛ وما لم تحدِّدها أنت وتعرّفها، فلا يلزمك أن تفترض أنّك تتكلّم لغة يمكن أن تصبح قانوناً.

كلينياس: لا بالتأكيد.

الأثيني: ألا يجب أن يكون لدى مشرّعينا تصدير لهذه القوانين، بل ليقول، حالاً، إفعل هذا، إمتنع عن فعل ذلك ـ وبعدئذ يثبت العقاب في شكل رعب In Terrorem، لكي يستمرّ بتشريع قانون آخر دون أن يقدّم كلمة نصح قطّ أو عظةً لأولئك الذين يشرّع لهم، على طريقة بعض الأطبّاء. ويمكنني أن أذكّرك ببعض الأطباء، الذين لدى قسم منهم طريقة ألطف لشفاء مرضاهم، في حين أنّ لدى بعضهم الآخر طريقة خشنة وتنقصها الدارية. وكما يسأل الأطفال الطبيب ليكون لطيفاً في التعامل معهم، هكذا سنسأل نحن المشرّع كي يشفينا من الفوضى والاعتدال الجسديّ بالعلاجات الأكثر لطفاً. والذي أعني قوله هو أنّه بجانب الأطبّاء هناك خدم الأطبّاء الذين يُلقبون بالأطباء.

كلينياس: حقيقيّ جداً.

الأثيني: وسواء أكان هؤلاء عبيداً أو أحراراً فلا فرق في ذلك، إذا اكتسبوا معرفتهم بعلم الطب عن طريق مراقبة أسيادهم ومراقبتهم، هذا بالاعتماد على التجربة وليس طبقاً للطريقة الطبيعيّة في التعليم المناسبة للرجال الأحرار، والذين تعلّموا الطِبّ بطريقة علميّة ونقلوها إلى أبنائهم بشكل علميّ. إنّك تعلم بأن هناك نوعين من الأطبّاء.

كلينياس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: أوَلم تراقب أبداً أنّ هناك نوعين من المرضى في الدول، أي هناك عبيد وأحرار؛ وأنّ الأطباء العبيد يطوفون ويشفون العبيد، أو ينتظرونهم في المستوصفات ـ إنّ أصحاب المهن من هذا النوع لا يتكلّمون أبداً مع مرضاهم بشكل منفرد، أو يَدَعوهم يتكلّمون بشأن شكاواهم الخاصّة. إنّ الطبيب العبد يصف ما تقترحه الخبرة أو الحنكة المجرّدة، وكأنّ لديه معرفة بعلم الطبّ، وعندما يعطي أوامره، مثلما يفعل السيّد المستبدّ، فإنّه يهرع إلى خادم ما آخر مريض بثقة متساوية، وهكذا يريح نفسه من العناية ببعض

مرضاه. لكنّ الطبيب الآخر، الذي يكون إنساناً حرّاً، فيسهر على راحة مرضاه ويطبق مهنته على الرجال الأحرار؛ ومن ثمّ يُرجع تحقيقاته إلى زمنٍ بعيد، ويبحث في طبيعة العلّة؛ إنّه يدخل في مناقشة مع المريض ومع أصدقائه، ويحصل حالاً على معلومات من الإنسان المريض ويعلّمه أيضاً بقدر ما يستطيع ذلك. وهو لن يصف له أيّ شيء حتى يقنعه به بادىء ذي بدء. وأخيراً فإنّه عندما يحضر المريض تحت تأثيراته الإقناعيّة أكثر وأكثر ويضعه على الطريق الصحيح المؤدّي به إلى الصحّة يحاول أن ينجز له علاجاً. وبعدُ فأيّ الطريقتين هي الطريقة الأفضل للتقدّم في علم الطبّ وفي التدريب؛ في الطبيب وفي المدرّب؟ هل الأفضل هو مَنْ ينجز غاياته بطريقة مضاعفة، أو هو الذي يعمل بطريقة واحدة، وذلك بالطريقة الأخشن والأحطّ شأناً؟

كلينياس: يلزمني أن أقول، أيّها الغريب، إنّ الطريقة المضاعفة هي الطريقة الأفضل.

الأثيني: هل ستحبّ أن ترى مثالاً عن الطريقة المضاعفة والمفردة في التشريع؟

كلينياس: سأحبّ أن أرى ذلك بدون ريب.

الأثيني: ماذا يكون قانوننا الأوّل؟ أولن يبدأ مشرّعنا بإيجاد أنظمة للدول بشأن الولادات بعد مراقبته لنظام الطبيعة؟

كلينياس: إنّه سيفعل.

الأثيني: وفي كلّ الدول فإنّ ولادة الأطفال تعود إلى الرابطة الزوجيّة؟

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: وطبقاً للنظام الحقيقيّ، فإنّ القوانين المتعلّقة بالزواج يجب أن تكون تلك القوانين التي تُقرَّر وتُعتمد في كلّ دولة بادىء ذي بدء؟

كلينياس: هكذا تماماً.

الأثيني: دعني أعطي قانون الزواج في شكل بسيط إذن، ويمكن أن يسري كما

يلي: سيتزوّج الرجل بين سنّ الثلاثين والخامسة والثلاثين، أو، إذا لم يفعل ذلك، سوف يدفع مقداراً من الغرامة تحدّدها الدولة، أو أنّه سيتعرّض لفقد بعض امتيازاته. إنّ هذا القانون سيكون قانوناً بسيطاً بشأن الزواج. أمّا القانون المضاعف فسيسري كما يلي: سيتزوّج الرجل بين الثلاثين والخامسة والثلاثين، آخذين بعين الاعتبار أنّ السلالة الإنسانيّة تشترك في الخلود إلى حدٍّ ما، ذلك الخلود الذي يميل كلّ إنسان ليرغبه بالطبيعة إلى الحدّ الأقصى لأنّ رغبة كلّ إنسان هي أن يتمكّن من أن يصبح شهيراً، وأن لا يتمدّد في القبر بدون اسم؛ وهذه الرغبة هي الحبّ الوحيد للإستمرارية. وبعدُ فإنّ الجنس البشريّ يكون مماثلاً تاريخاً أو ديمومةً في كلّ عصر، وهو الجنس المتدفّق أبداً، وسيتدفّق أبداً في مسار الزمن ودورانه. وهكذا فإنّه يكون جنساً باقياً وخالداً لأنّ الناس يتركون خلفهم أحفادهم، ويبقى الجنس واحداً والشيء عينه، ويشترك في الخلود بواسطة الذريّة والتوليد. وأمّا أن يُجرَّد إنسان من هذه الهبة، كالذي لن يمتلك زوجة وأطفالاً بشكل اختياري، فإنّ هذا العمل يكون عملاً غير مقدّس. ومَنْ يطع القوانين سيكون حرّاً، ولن يدفع أيّة غرامة؛ لكن الذي يعاند ولا يطيع، ولا يتزوّج عند وصوله إلى سنّ الخامسة والثلاثين، فسوف يدفع غرامة سنويّة ذات قيمة محدَّدة، وذلك لئلا يتصوّر أنّ عزوبته تجلب له سهولة وربحاً، وهو لن يشارك في التكريمات التي يقدّمها الشبّان للمسنّين في الدولة.

دعنا نقارن الآن شكلي القانونين، ولسوف تقدر على الوصول إلى حكم بشأن أيّة قوانين أخرى، سواء إذا وجب أن تكون هذه القوانين قوانين مضاعفة التطويل حتى عندما تكون القوانين الأقصر، لأنّها ينبغي أن تقنع مثلما يجب أن تهدِّد، أو سواء إذا وجب أن تهدِّد فقطِ وتكون قوانين نصفية التطويل.

ميغيلوس: إنّ القوانين الأقصر، أيّها الغريب، ستكون أكثر قرباً وفي تطابق مع العرف اللاقيدايموني، برغم أنّني من جهتي، إذا ما سألني شخص عمّا أفضّله أنا في الدولة، فسأقرّر بكلّ تأكيد أن أكون بجانب القوانين الأطول. وسأبغي سنّ كلّ قانون على غرار النموذج عينه، إذا ما أعطيت لي الحرية في الاختيار، لكنّني أظن أن كلينياس هو الشخص الذي يجب استشارته لأنّ الدولة التي على وشك أن تستخدم هذه القوانين هي دولته.

كلينياس: شكراً لك، يا ميغيلوس: إنّني أقبل بجوابك.

الأثيني: سواء إذا كانت الكلمات لتكون في المجرّد كلمات قليلة أو كثيرة، فإنّ هذا السؤال هو سؤال غبي جدّاً. إنّ الشكل الأفضل للقوانين، وليس الشكل الأقصر، يجب أن يُصادق عليه، ولا ينبغي اعتبار الشكل الأطول على الإطلاق. ومن شَكْلَي القانون الذي تلوناه، فإنّ أحدهما لا يكون صالحاً مرّتين في المنفعة العمليّة مثلما يكون الشكل الآخر فقط: لكنّ الحالة تكون شبيهة بتلك الحالة للنوعين الاثنين من الأطباء، واللّذين ذكرتهما لتوّي. ومع ذلك فإنّ المشرّعين لا يبدون أبداً أنهم أخذوا بعين الاعتبار أنّ لديهم وسيلتين يمكن أن يستخدمهما المشرّع، وهاتان الوسيلتان هما الإقناع والقوّة، إذ في التعامل مع الكثرة الوقحة والجاهلة، يستخدمون الوسيلة الواحدة فقط إلى أبعد ما يستطيعون استخدامها. إنّهم لا يمزجون الإقناع مع الإكراه، بل يستخدمون القوّة صافية وبسيطة. بالإضافة إلى ذلك، هناك نقطة رئيسيّة ثالثة، أيّها الأصدقاء ذوو الطعم الحلو المذاق، وهذه النقطة هي التي يجب اعتبارها في قوانيننا الموجودة، لكن لا أحد يفعل ذلك أبداً.

كلينياس: وما هي النقطة الرئيسيّة هذه؟

الأثيني: إنّها النقطة التي انبعثت، بفضل الله ونعمته، من بحثنا السابق. لقد تكلّمنا كلّ هذا الوقت منذ طلوع الفجر الباكر إلى وقت الظهر عن القوانين، لكنّنا

الآن فقط، وبما أنّنا وصلنا إلى هذا المنتجع الرائع، فإنّنا بدأنا بنشر قوانيننا، وما سبق ذلك كان استهلالاً فقط، لماذا أذكر هذا؟ إنّي أُذكره لهذا السبب: أذكره لأنّ كلّ المباحثات والتمارين المعبَّر عنها بالألفاظ لديها استهلالات ولديها مفاتحات، وهي نوعٌ من أنواع البدايات المنجزة ببراعة، والتي قُصِد منها مساعدة الأسلوب الذي يجب أن يتمّ إنجازه. إنّ مقاييس أو بحور الشعر الغنائي والموسيقي من كل نوع آخر، تمتلك مقدّمات موسيقية صيغت بعناية فائقة ورائعة. لكن عن الأسلوب الأحقّ والأسمى للقانون وعلم السياسات، فإنّ أحداً لم يتفوّه بأيّة استهلالات لها حتى الآن قطّ، لا ولم يؤلّف أو ينشر أحد أيّاً منها، وكأن هذا الشيء لم يوجد في الطبيعة. في حين أنّ مباحثتنا الحاضرة تُظهر لي أن هناك شيئاً كهذا. إنّ هذه القوانين المضاعفة، التي تكلّمنا عنها، ليست هكذا قوانين مضاعفة بالضبط، بل إنّها قوانين ذات جزأين إثنين: الجزء القانوني والاستهلال للقانون. أمّا الأمر الاعتباطي الذي قورن بأوامر الطبيب، تلك الأوامر التي وصفناها كأنّها نوع الأوامر الأقلّ شأناً بل الوضيعة، فإنّ القانون كان واضحاً وبسيطاً بشأنها. وأمّا الأوامر التي تقدّمتها والتي وصفها صديقنا هنا كأنّها أوامر واعظة وناصحة فقط، فإنّها كانت في الحقيقة وبرغم ذلك، أوامر عظة ونصح وتحذير، وكانت مشابهة لتمهيد البحث أيضاً. أتصوّر أنّ كلّ هذه اللغة التوفيقية التي تفوّه بها المشرّع في تصدير القانون، قُصِد بها خلقُ شعور وديٍّ نحو الأشخاص الموجّهة لهم، وذلك كي يمكنه، بسبب هذا الشعور الودي، أن يتلقّى أمره بشكل مدرك وواع، يعني، القانون أو الناموس. ولذلك، فإنّ الطريقة التي تكلّمت بها، يمكن وصفها بشكل أكثر صحّة أنّها تمهيدٌ للقانون أكثر منها قضيّة له. وينبغي عليّ أن أتقدّم أبعد من ذلك كي أُلاحظ أن المشرّع لكل هذه القوانين، ولكل قانون بشكل منفصل، يجب أن يحدّد تصديراً؛ ينبغي عليه أن يتذكّر كيف أنّ

الفرق سيكون كبيراً بينها، طبقاً لما تمتلك أو لا تمتلك من تصديرات كهذه، كما هي في الحالة التي قدّمناها سابقاً.

كلينياس: إذاً ما سألني المشرّع عن رأيي فلسوفِ يشرّع بالشكل الذي تنصح به.

الأثيني: أظن أنك محقّ تماماً في ما تقول، يا كلينياس، وذلك في التأكيد على أنّ كلّ القوانين لديها تصديرات، وأنّه أثناء كلّ هذا العمل التشريعي فإنّ كلّ قانونٍ مفرد ينبغي أن يكون لديه تصدير في البداية. لأنّ ذلك الذي سيلي سيكون الشيء الأكثر أهميّة، ويُوجِد الفرق كلّه سواء أتذكّرنا التصديرات أم لم نتذكّرها بكلّ وضوح. وبرغم ذلك فإنّه سيكون خطأً في احتياجنا لكلّ تلك القوانين، سواء أكانت صغيرة أو كبيرة على حدّ سواء، وفي أنّها يجب أن يكون لديها تصديرات من النوع عينه، أكثر ممّا يكون لدى كلّ الأغاني أو كلّ الأحاديث. ومع أنّها يمكن أن تكون تصديرات طبيعيّة للجميع، فإنّها لا تكون ضرورية على الدوام. وأمّا إذا كانت لتُستخدم أو لا تُستخدم فيلزم أن تُترك في كلّ حالة إلى حكم المتلكّم أو إلى حكم الموسيقى، أو، في الحالة الحاضرة، فينبغي تركها للمشرّع.

كلينياس: أظن أنّ ذلك هو الشيء الأكثر صحّة وصدقاً. وبعدُ دعنا نعود إلى المناظرة بدون تأخير، أيّها الغريب، وكما يقول الناس في التسلية، دعنا نوجد بداية ثانية بل بداية حسنة، إذا سرّك ذلك، هذا على أساس المبادىء التي اتممنا وضعها، والتي لم نفكر باعتبارها قبلاً كتصدير أبداً، لكنّ التي يمكننا أن نجعلها تصديراً الآن، وأن لا نعتبرها موضوعات تصادفية للمحادثة بشكل مجرّد. دعنا نعترف أنّنا بدأنا التصدير إذن. أمّا بشأن تمجيد الآلهة واحترام الآباء، فلقد قلنا الكثير عنهما سابقاً؛ ويمكننا أن نتقدّم إلى الموضوعات التي تلي في نظام، حتّى تعتبر أنت أنّ التصدير تامٌّ؛ وبعد ذلك فإنّك ستفحص القوانين عينها بدقّة.

الأثيني: أفهم أنك تعني أنّنا أوجدنا تصديراً كافياً بشأن الآلهة وأنصاف الآلهة، وبشأن الآباء الأحياء منهم والمتوفين. والآن ستريد منّا أن نسلّط الضوء على بقية الموضوع.

كلينياس: بالضبط.

الأثيني: إنّني سأحاول بعد هذا، كما هو مناسب من أجل مصلحتنا كلّنا، أنا المتكلّم، وأنتم المستمعين، سأحاول أن أقدّر كلّ ذلك الذي يتعلّق بالأرواح والأجسام وممتلكات المواطنين؛ وفي ما يتعلّق بمهنهم وتسلياتهم كذلك، وهكذا نصل إلى طبيعة التعليم، بالقدر الذي يكمن فينا. إنّ هذه الموضوعات إذن هي الموضوعات التي تلي في نظام.

كلينياس: جيّد جدّاً.

محاورة النواميس

الكتاب الخامس

افكار الكتاب الرئيسية

وبعدُ فإنّي أؤكّد أنّ كلّ الأشياء التي يمتلكها إنسان، وتتلو الآلهة، تكون روحه الأكثر ألوهيّة والأكثر ممّا يخصّه بشكل حقيقيّ. هناك في كلّ إنسان جزآن اثنان، الأوّل هو الأفضل والأسمى الذي يحكم، والثاني هو الأسوأ والأحطّ قيمة الذي يخدم. وينبغي على كلّ إنسان أن يمجّد روحه كما يجب. والشرف والتمجيد والتكريم هي أشياء إلهيّة، ولا شيءَ شريّراً يكون شريفاً، وما تكريم الروح إلاّ السير على هدي الفضيلة وطرح الرذيلة. ويجب على الإنسان أن يبحث عن الخير الرئيس وأن يجده ويجعله له مقطناً وموئلاً. وعلينا أن نكرّم الغرباء في دولتنا وأن نقدّم لهم ضيافة حسنة، وأن نسمعهم أحلى الكلمات وألطفها. إنّ الحقيقة هي الخير الرئيس لكلّ الأشياء الخيّرة، للآلهة وللرجال على حدّ سواء. والذي سيكون مباركاً وسعيداً ينبغي عليه أن يشارك في الحقيقة منذ البدء، وذلك كي يمكنه أن يحيا إنساناً صادقاً طيلة حياته. ويجب علينا أن نرسي قواعد السلوك والتعاليم الأخلاقيّة العالية، يا كلينياس وميغيلوس. ويلزم على الإنسان أن لا يفرِط في الضحك ولا في البكاء. إنّ الحياة المفرطة حياة قاسية ومتهوّرة في كلّ شيء، وفيها آلام عنيفة وملذات قاسية، ولها رغبات متّقدة ومثيرة، ولها محبّات مجنونة بشكل مطلق؛ في حين أنّ الحياة المعتدلة حياة لطيفة ولديها رغبات متّزنة ومحبّات غير مجنونة. والحياة المعتدلة والشُّجاعة والعاقلة والصحّية تتفوّق على الحيوات الجبانة والغبيّة والمفرطة والمريضة. وهي أسمى منها ببعد كبير جمالاً واستقامة وامتيازاً

وشهرة. لذلك نقول إنّ الذين سيرتقون المناصب العليا في الدولة يجب عليهم أن يكونوا مميَّزين حقاً في كلّ حالة، وغيراً من أولئك الذين قد تمّ اختبارهم بواسطة التعليم السيِّىء وبشكل هزيل. وعلينا أن نقسّم الأرض بين المواطنين بشكل عادل وأن نمنع الديون لأنّها منشأ النزاع الخطير على الدوام. وعلينا أن نعتبر أن الفاقة هي الزيادة في الرغبات الإنسانية وليس في إنقاص ممتلكات الإنسان. وهذا العمل هو بداية إنقاذ الدولة، وعلى هذا الأساس والنظام السياسيّ سنبني قواعد دولتنا.

وكما قلنا فإنّ عدد مواطني مدينتنا لن يتجاوزز الـ ٥٠٤٠ [5040] عائلة، وسيكون هذاالعدد عدداً مناسباً، وسيكون هؤلاء مالكي الأرض وحماتها ومستغلّيها. وعلى كلّ مشرّعٍ أن يعرف مقداراً من علم الحساب، وذلك ليتسنى له أن يخبر أيّ عدد هو العدد الأكثر نفعاً لكلّ المدن على الأرجح. وعلى المشرّع أن لا يغيّر أيّ شيء في ما يتعلّق بالدِّين الذي صادق عليه وسيط الوحي في معبد دلفي، أو معبد دودونا، أو الله آمون، أو صادق عليه أيّ عرف قديم وبأيّة طريقة، سواء إذا كان بواسطة الظهورات أو بواسطة أيّة كلمة أوحت بها السماء. أمّا الشكل الأسمى للدولة وللحكومة وللقانون فهو الشكل الذي يسود فيه القول الغابر المأثور: « الأصدقاء يشتركون في ملكيّة كلّ الأشياء ». ولا يستطيع إنسان أن يبني دولة أصدق أو أفضل أو أكثر رفعة في الفضيلة من الدولة التي نقترحها. وسواء إذا حكم هذه الدولة آلهة أو حكمها أبناء آلهة، كما قلنا، فإنّ الرجال القاطنين فيها والذين سيحيون وفق هذه الطريقة هم السعداء حقّاً، وستكون دولتهم أقرب دولة للخلود. وعلى المواطنين أن يعتنوا بالأرض لأنّها أمّهم الحقيقيّة، وهي تعطيهم الخيرات. وسيعتنون بها أكثر ممّا تعتني الأمّ بأطفالها. لأنّها إلهةٌ لهم وملكة. كما وأنّنا يجب أن نلغي اقتناء الذهب والفضة، وسنسمح باقتناء النقد المعدني من أجل تسهيل التعامل بين المواطنين. ولن يُدفع المال كمهر في الزواج على الإطلاق، ولا أحد سيودع المال مع شخص آخر لا يثق به كصديق، لا ولن يرابي بماله. ولا

يمكن لأحد أن يكون غنيّاً جدّاً وخيّراً جدّاً في الوقت عينه، ولا ينبغي أن نروّج في مدينتنا أية تجارة مبتذلة تدار بواسطة قرض المال. والروح والجسم لا يمكن أن يساويا شيئاً بدون التعليم والألعاب الرياضيّة، وسنقسّم المواطنين إلى أربعة أقسام. ولن يكون بينهم غنيّ مفرط ولا فقر مدقع، بل إنّ الطريقة الوسطى ستسود. وسنقسّم البلاد إلى اثني عشر جزءاً تتلاءم واحتياجات المواطنين. وسنبني المدينة بشكل دائريّ قصد النقاء وسهولة الدفاع عنها. وينبغي علينا أن نوجد نظاماً للمقاييس والأوزان، وأن نشدّد على تعليم الحساب ونظام العدد، إذا لا أداة مفردة من أدوات تعليم الشباب لها من القوّة العظيمة مثلما يكون لدراسة علم الحساب، وذلك في ما يختصّ بالاقتصاد المحليّ وبعلوم السياسة والفنون. وعلينا أن نعرف مدى تأثير المناخ والغذاء على الروح والجسم.

محاورة النواميس

الكتاب الخامس

الأثيني: اسمعوا، كلّكم يا من سمعتم لتوّكم سرد النواميس بشأن الآلهة، وبخصوص أجدادنا: اسمعوا أنّ كلّ الأشياء التي يمتلكها إنسان، وتتلو الآلهة، تكون روحه الأكثر ألوهيّة والأكثر ممّا يخصّه بشكل حقيقيّ. وبعدُ هناك في كلّ إنسان جزآن اثنان: الجزء الأفضل والأسمى الذي يحكم، والجزء الأسوأ والأحطّ قيمة الذي يخدم. وأمّا الجزء الحاكم فيه فيُفضّل على الجزء التابع بشكل دائم. ومن أجل ذلك فإنّني لمحقّ في دعوة كلّ شخص بعد الآلهة، أسيادنا، وأولئك الذين يتبعونهم بإنتظام « كمثال أنصاف الآلهة »، إنّني لمحقّ في دعوتهم جميعاً كي يمجّد كلٌّ منهم روحه الخاصّة التي يبدو أنّ كلّ شخص يمجّدها، لكن لا أحد يمجّدها كما يجب. إنّ الشرف والتكريم والتمجيد أشياء إلهيّة، ولا شيء شرّيراً يكون شريفاً. ومن يظنّ أنّه يستطيع تمجيد روحه بالكلمة أو الهديّة، أو أيّ نوع من أنواع المنح، بدون جعلها أفضل بالطريقة التي يبدو أنّه يكرّمها بها، لكنّه لا يكرّمها بذلك على الإطلاق، كمثال، يتوهّم كلّ شخص في سِني صباه بالتحديد، يتوهمّ أن باستطاعته معرفة كلّ شيء، ويظنّ أنّه يمجّد روحه ويكرمها بالثناء عليها، ويكون مستعدّاً جدّاً لتركها تفعل ما تحبّ، لكنّني أعني أنه في فعله هذا يؤذي روحه، ويكون بعيداً جدّاً عن تكريمها، في حين أنّه يجب عليه، في رأينا، أن يمجّدها ويكرمها بعد تكريم الآلهة فقط. مرّة ثانية، عندما يظنّ إنسان أنّ الآخرين هم الذي يُلامون، وليس هو، وذلك للأخطاء التي ارتكبها من وقت لآخر وللآثام العظيمة العديدة التي حدثت له على التالي،

ويتوهّم نفسه أنّه معفيّ وبريء من هذه الكبائر على الدوام، أقول، إنّ هذا الشخص يظنّ أنّه يمجّد روحه في حين أنّ عكس ذلك هو الحقيقة حتماً، إنّه يجلب لها الأذى حقّاً. وعندما يستخفّ بالكلمة وتصديق المشرّع، فإنّه يشبع رغباته بإطلاق العنان لها، وعندئذ يكون بعيداً جدّاً عن تكريمها مرّة ثانية. وحينما لا يتحمّل إلى النهاية المشقّات والمخاوف والأحزان والآلام التي يصادق المشرّع عليها، بل يفسح لها المجال كي تفعل فعلها، حينئذ، فإنّه بالإذعان لها لا يكرّم ولا يمجّد روحه، بل إنّه بكل هكذا سلوك يجعلها شائنةً ومخزية. لا ولا عندما يظنّ أنّ حياةً بأيّ ثمن هي حياة جيّدة وبذلك يكرّمها، لكنّه برغم ذلك يحقرها ثانية؛ لأنّ الروح عندما تفكّر بأنّ العالم السفليّ كلّه عالم شرّ وإثم، فإنّه يذعن لها ولا يعلّمها أو يقنعها أو يقاومها، وأن عليها أن تعلم أنّ عالم الآلهة السفليّ يمكن أن يكون أعظم الخيرات كلّها، بدلاً من أن يكون كلّه شروراً. مرّة ثانية، إنّ أيّ شخص عندما يفضّل الجمال على الفضيلة، فهل يكون ذلك سوى الإهانة الحقيقية والمطلقة للروح؟ لأنّ تفضيلاً كهذا يدلّ ضمناً على أنّ الجسم يكون أكثر تبجيلاً من الروح؛ وهذا المفهوم مفهوم خاطىء وباطل بحدّ ذاته، إذ ليس هناك شيءٌ ذو ولادة ترابيّة أكثرَ تعظيماً وتكريماً من الشيء السماويّ. والذي يظنّ غيراً من ذلك عن الروح فإنّه ليس لديه أيّة فكرة عن مدى نجاسة تقييمه لهذا الاقتناء الرائع بشكل عظيم. لا ولا، مرّة ثانية، حينما يكون شخص مستعدّاً أو غير مستعد أن يكسب أرباحاً غير مشروعة، فهل يكرّم روحه بالهدايا؟ إنّ هذا التفكير غير ذلك ببعد كبير. إنّه يبيع مجدها وشرفها بقطعة صغيرة من الذهب، لكنّ كلّ الذهب الذي يكون تحت الأرض أو فوقها ليس كافياً ليبادل بالفضيلة. وبكلمة مختصرة، يمكنني أن أقول إنّ الذي لا يقدّر السافل والشرير، الخيّر والنبيل، طبقاً لمقياس المشرّع، ويمتنع في كلّ طريقة ممكنة عن

الأول·ويمارس الآخر إلى أقصى درجة من درجات قوته، إنّه لا يعرف أنّه في كلّ هذه الوجوه والنواحي إنّما يسيء معاملة روحه بالشكل الأكثر بشاعة وخزياً، هذه الروح التي هي الجزء الأكثر ألوهيّة لإنسان. لا أحد، كما يمكنني أن أقول، يعتبر أبداً ذلك الذي يعلن أنّه العقاب الأعظم لعمل الشرّ، أعني، كي ينمو ويكبر في شَبَهٍ للرجال الأشرار، والنمو والكبر مثلهم يعني أن يهرب من المحادثة مع الأخيار، وأن يقطع صلاته بهم، وأن ينشقّ عنهم ويتبع الأشرار ويصاحبهم. ومن ينخرط بالأشرار يجب أن يفعل ويعاني ما يفعله ويقاسيه هكذا رجال وما يقوله بعضهم لبعض بالطبيعة. إنّها معاناة غير عادلة بل هي عقوبة لهم. إنّ العدل والعادل هما شيئان نبيلان، في حين أنّ العقابَ هو المعاناة التي تنتظر الظلم والظالمين. وسواء إذا هرب إنسان من هذا أو صبر عليه فإنّه يكون شقيّاً. أمّا في الحالة الأولى، فلأنّه ليس مشفياً؛ وفي الثانية، فإنّه يهلك ليكون بالإمكان إنقاذ بقيّة الجنس البشريّ. ولأتكلّم بشكل عامّ فأقول، إنّ موضع اعتزازنا ومجدنا هو في أن نتبع الأحسن وأن نحسّن الأسوأ، الأسوأ الذي يكون قابلاً للتحسين بقدر ما يمكن ذلك.

ومن بين كلّ المقتنيات الإنسانيّة، فإنّ الروح هي بالطبيعة الأكثر ميلاً لتفادي الشرّ والبحث عن الخير الرئيس وإيجاده، ذلك الخير الرئيس الذي عندما يجده إنسان، فما عليه إلاّ أن يختاره موئلاً له ومقطناً خلال البقيّة من حياته. ومن أجل ذلك فإنّ الروح تكون الثانية أيضاً « أوتكون التالية إلى الله » في التمجيد والتكريم. وثالثاً، كما سيدرك كلّ شخص، يأتي التكريم للجسد في نظام طبيعيّ. وبما أنّنا عزمنا على هذا وقرّرناه، ينبغي علينا تالياً أن نأخذ بعين الاعتبار أنّ هناك تكريماً للجسم، وأنّ بعض التكريمات يكون حقيقياً وبعضها الآخر مزيفاً ومزوّراً. ولكي نعزم على أيّها يكون كذلك فهذا عمل المشرّع. وأشتبه أنّ المشرّع سيصرّح أنّها تكون كما يلي: يجب أن لا

يُعطى التكريم للجسم الجميل أو للقوي بنيةً أو للسريع عَدْواً أو للطويل قامةً، أو إلى الجسم السليم صحّةً. « ومع ذلك فإنّ الكثيرين يمكن أن يفكروا بطريقة غير ذلك »، أكثر ممّا يفتكرون بأضدادها، لكنّ الحالات الوسط لكلّ هذه العادات هي العادات الأضمن والأكثر اعتدالاً ببعد كبير؛ لأنّ الحالة المتطرّفة تجعل الروح متبجّحة ومتغطرسة، وتجعلها الأخرى جِلفةً وسافلة. ويؤدّي المال، والممتلكات، والامتيازات كلّها إلى النغمة عينها. إنّ الإفراط في أيّ شيء من هذه الأشياء يميل ليكون مصدراً من مصادر الكراهيّة والانقسامات بين الدول والأفراد. وأمّا الخلل فيها فيكون سبباً للعبودية بشكل عامّ. ولهذا السبب، فإنّني لا أريد أن يُغرم أيّ شخص بتكديس الثروات من أجل أطفاله، وذلك كي يتركهم أغنياء قدر الإمكان. لأنّ اقتناء الثروة الكبرى عديم القيمة، إمّا لهم أو للدولة. إنّ حالة الشباب المتحرّرة من التملّق، لا تحتاج إلى حاجات الحياة في الوقت عينه، وهذه الحالة هي الحالة الأفضل والأكثر تناسقاً كونها في انسجام وتوافق مع طبيعتنا، وهي التي تجعل الحياة الحياة الأكثر تحرّراً من الحزن بشكل تامّ. دع الآباء إذن، لا يورّثون أطفالهم أكداساً مكدّسة من المال، بل يورّثونهم النفس المهابة والمبجّلة. إنّنا نتوهّم حقّاً أنّ أطفالنا سوف يرثون المهابة منا، إذا وبّخناهم عندما يُبدون إفتقارهم لتلك المهابة. غير أنّ هذه النوعية لا تُنقل لهم بالأسلوب الحاضر للتذكير والتحذير حقّاً، هذا الأسلوب الذي يقول لهم إنّ الشباب يجب أن يكونوا تبجيليّين على الدوام. والمشرّع الواعي المدرك سيحضّ الأكبر سنّاً على الأصحّ كي ينصحوا الأفتى منهم. وفوق كلّ شيء أن يهتموا وينتبهوا ألاّ يرى الإنسان الشابّ أو يسمع أحدهم يقوم بعمل أو يقول أيّ شيء مخزٍ ومعيب؛ لأنّه حيث لا يكون لدى الرجال المسنّين خجل، فهناك سيكون الرجال الشبّان الأكثر خلوا من الوقار بكلّ تأكيد. إنّ

الطريقة الأفضل لتدريب الشباب هي أن تدرب نفسك عليها في الوقت عينه؛ وهي أن لا تحثّهم ولا تنصحهم، بل أن تنفّذ أنت حثّك ونصحك على نفسك مراساً ومزاولة بشكل عمليّ على الدوام. إنّ مَنْ يكرّم أنسباءَه ويبجّل أولئك الذي يشترك معهم في تكريم الآلهة، ويكونون من فصيلة الدّم عينه ومن العائلة نفسها، يمكنه أن يتوقّع أنّ الآلهة الذين يشرفون على الجيل تنشئةً وتعليماً، سيكونون صفوحين عنه متسامحين معه، ولسوف يحيُّون نسله. والذي يعتبر أنّ الخدمات التي يقدِّمها له أصدقاؤه والأقربون، أعظم وأكثر أهميّة ممّا يعتبرونها هم أنفسهم، وأنّ مِنَنهُ الخاصّة التي يقدّمها لهم هي أقلّ من تلك التي يقدّمون، إنّ شخصاً كهذا سيمتلك شعورهم الودّيّ في العلاقة الحياتية. ويكون هو الأفضل بكلّ تأكيد وببعد كبير في علاقاته بالدولة وبرفاقه المواطنين، مَنْ يرغب بكسب سَعَف النخل بطاعته لقوانين بلاده بدلاً من أن يحرز نصراً في أيّة ألعاب أولومبيّة على الأصحّ، أو في أيّ انتصار زمن السلم أو زمن الحرب. ومَنْ مِنْ بين الجنس البشري كلّه، يكون هو الشخص المحسوب أنّه أطاعها بالشكل الأفضل أثناء حياته كلّها. أمّا في علاقاته بالغرباء، فإنّ الإنسان عليه أن يعتبر أنَّ الاتفاقية هي الشيء الأكثر قداسة، وأنّ كلّ هموم وأخطاء الغرباء تكون أكثر اعتماداً على حماية الله بشكل مباشر من الأخطاء المرتكبة بحقّ المواطنين؛ لأنّ الغريب، بما أنه لا أقارب له ولا أصدقاء، فهو يستحقّ الشفقة من الآلهة والرجال. ومن أجل ذلك أيضاً، فإنّ الذي يكون أكثر قدرة على الثأر هو الأكثر حماسةً لدعواه؛ ومَن يكون أكثر قدرةً كي يفعل هكذا من العبقريّ وإله الغريب، الذي يتبع في موكب زيوس، إله الغرباء؟ ولهذا السبب، فإنّ مَنْ يمتلك ومضة احتراس فيه، سيفعل أفضل ما يقدر عليه كي يُمضي الحياة بدون أن يرتكب ذنباً ضدّ الغرباء. وبشأن الاعتداءات المرتكبة، سواء إذا كانت ضدّ الغرباء أو ضِدَّ

مواطني البلاد، فإنّ تلك التي تُرتكب ضدّ المتضرّعين إلى الله هي الاعتداءات الأعظم. لأنّ الله الذي شهد على الاتّفاق المبرم مع المتضرّع عليه، يصبح بطريقة خاصّة الحارسَ الذي يحرس المُعَاني، والمعَاني هذا لن يعاني بدون أن يثأر بكلّ تأكيد.

وهكذا فإنّنا وصفنا بشكل عادل الطريقة التي يستعملها إنسان بشأن أبويه، وبشأن نفسه، وبشأن شؤونه الخاصّة؛ وفي ما يتعلّق بالدولة، وبأصدقائه، وأقربائه، وفي ما يخصّ رجال بلاده، وفي ما يخصّ الغرباء على حدّ سواء. إنّنا سنعتبر الآن أيّ أسلوب يجب أن يتّخذه الإنسان الذي يستطيع أن يمضي حياته كلّها بالشكل الأفضل في ما يختصّ بتلك الأشياء الأخرى التي ليست مسائل قانونيّة، بل إنّها مسائل ثناءٍ ولومٍ فقط؛ ثناءٍ ولومٍ بها يتعلّم الإنسان ويتثقّف، وتجعله أكثر قابليّة وانقياداً للقوانين التي توشك أن تُفرَض.

إنّ الحقيقة هي رئيس كل الأشياء الخيّرة، للآلهة وللرجال معاً. والذي سيكون مباركاً وسعيداً، ينبغي عليه أن يشارك في الحقيقة منذ البدء، وذلك ليتسنّى له يحيا إنساناً صادقاً أطول وقت ممكن طيلة حياته، لأنّه يمكن أن يوثق به حينئذ، وحينئذ فقط؛ لكن لا يمكن الوثوق بمن يحبّ الباطل المتعمَّد. وأمّا الذي يحبّ الباطل اللاإختياري فهو غبيّ. إنّ كلا الحالتين حالتان غير مرغوب فيهما جدّاً، لأنّ الغبيّ غير الجدير بالثقة والجاهل ليس لهما أصدقاء، وعندما يتقدّم الزمن يصبح هو معروفاً، ويدّخر لنفسه ويخزّن العزلة في سنّ نكد المزاج عندما تأخذ الحياة في التضاؤل والنقصان. وهكذا، فإنّه سواء أكان أطفاله وأصدقاؤه أحياء أو أمواتاً، فإنه ينعزل بشكلٍ متساوٍ. إنّ الذي لا يظلم يستحقّ الشرف والتكريم، ويستحقّ أكثر من ضعفي الشرف والتكريم إذا لم يفعل الظلم بنفسه وحسب، لكنّه يمنع الآخرين من القيام به. يمكن أن يُعدَّ الأوّل كإنسانٍ واحد، أمّا الثاني فيساوي عدّة رجالٍ،

لأنّه يخبر الحكام عن ظلم الآخرين. ومع ذلك فإنّ التقدير الأكثر سُمُواً يكون لمن يتعاون مع الحكّام في تصحيح المواطنين بالقدر الذي يستطيعه ـ إنّه سيشهر المواطن العظيم والكامل، وسيحمل سَعَف النخل للفضيلة. يمكن أن يُمنح الثناء عينه بخصوص الاعتدال والحكمة، وكلّ الخيرات الأخرى التي يمكن نقلها للآخرين، كما يمكن أن يكسبها إنسان بنفسه. إنّ مَن ينقلها سوف يتمّ تكريمه كإنسان الرجال، وهو الذي يكون مستعدّاً لفعل ذلك، لكنّه لا يقدر على فعله مع هذا، يمكن السماح له بأخذ المكان الثاني. لكنّ الذي يحسد ولا يسمح للآخرين بشكل اختياري بالمشاركة في أيّ خير بطريقة صدوقة، فإنّه يستحقّ الذمّ. إنّ الخير الذي يقتنيه، على كلّ حال، لن يقلِّل من قيمته قطّ بسبب اقتنائه بل ينبغي علينا أن نناله بأقصى قوّةٍ لدينا. دع كل إنسان إذن، يجاهد لينال جائزة الفضيلة، ودع الحسد يمّحي، لأنّ الطبيعة غير الحسودة تزيد في عظمة الدّول ـ والذي لا يحسد يتبارى في السلالة الإنسانيّة، ولا ينسف الشهرة العادلة لأيّ إنسان. لكنّ الرجل الحسود الذي يعتقد أنّه يستطيع الحصول على الأفضل بتشويه سمعة الآخرين والافتراء عليهم، إنّ هذا الرجل يكون أقلّ نشاطاً وفعاليّة في تعقّب الفضيلة الحقيقيّة، ويصغّر منافسيه إلى درجة اليأس بالافتراء عليهم وقذفهم بالظلم، وهكذا فإنّه يدخل المدينة كلّها إلى الحلبة وهي غير مدربة على مزاولة الفضيلة. ويضعِف وينقّص عظمتها بقدر ما تكمن فيه. وبعدُ فإنّ كلّ إنسان ينبغي عليه أن يكون شجاعاً، لكنّه يجب أن يكون لطيفاً أيضاً. ومن الأعمال القاسية، أو التي يمكن شفاؤُها بصعوبة، أو لا يمكن شفاؤها كليّةً، من الأعمال القاسية تلك التي تعرّض لها إنسان من قبل الآخرين والتي تكون أعمالاً ظالمة، فإنّ إنساناً يمكن أن يهرب منها بالقتال وبالدفاع عن نفسه وبقهرها فقط، وبأن لا ينقطع أبداً عن معاقبة مَنْ يفتعلها. والإنسان

الذي لا تكون نفسيته نبيلة وشجاعة، لا يقدر على إنجاز كلّ ذلك. وفيما يختصّ بأعمال أولئك الذين يفعلون الشرّ، لكنّ شرّهم يكون قابلاً للشفاء، دعنا نتذكّر، في المقام الأوّل، أنّ الرجل الظالم لا يكون ظالماً بمشيئته، إذ لا إنسان سيختار بمشيئته حيازة الشرور الأعظم، والأقلّ من الكلّ في الجزء الأكثر تكريماً وجلالاً من نفسه. ولا أحد سوف يقبل أو يسمح باستمرار الشرور الأعظم في الروح إذن، التي تكون وتعتبر حقاً الأكثر جلالاً وتكريماً من قبل كل الرجال، لا أحد سيقبل بذلك إذا استطاع. إنّ الآثم والشرّير يستحقّان الشفقة ويُرثى لهما في أيّة حال، ويقدر شخص أن يتحمّل السماح كما الشفقة على الذي يكون قابلاً للشفاء، وأن يحجم ويهدّىء غضب شخص، كي لا يصل إلى مرحلة الغضب الشديد، مثل المرأة، وأن يُلطّف الشعور غير الودّيّ فيه. لكن جامات حنقنا الشديد ستصبّ على الذي يكون غير قادر على الإصلاح والصلاح ويكون شرّيراً بالكامل. ومن أجل ذلك فإنّني أقول إنّ الرجال الأخيار يجب أن يكونوا إمّا لطفاء أو غاضبين، حينما تقتضي الظروف ذلك.

من بين الشرور كلّها فإنّ الشرّ الأعظم هو الذي يكون متأصّلاً في أرواح أكثريّة الرجال. أمّا الشرور التي يتغاضى عنها الإنسان في نفسه ولا يصحّحها على الإطلاق، أعني بذلك الشرور التي يُعبّر عنها في التعبير القائل « إنّ كل إنسان هو صديق نفسه وينبغي عليه أن يكون كذلك ». في حين أنّ الإفراط في حبّ النفس هو في الحقيقة منشأ ومصدر كل التعدّيات في كلّ إنسان، لأنّ المحبّ يكون أعمى بشأن الحبيب، وهكذا فإنّه يحكم على العادل خطأ، ويحكم على الخيّر والشريف كذلك، ويعتقد بأنّه يجب عليه أن يفضّل نفسه دائماً بدل تفضيل الحقيقة. لكن الإنسان العظيم والذي سيكون كذلك يلزمه أن لا يعتبر نفسه أو مصالحه، بل أن يعتبر ما يكون

عادلاً، سواء إذا كان فعل العدل يخصّه أو يخصّ الآخرين. وبسبب الخطأ عينه فإنّ الرجال مدفوعون ليتوهّموا أنّ جهلهم الخاصّ هو حكمة، وهكذا فإنّ مَنْ يمكن القول عنهم إنّهم لا يعرفون شيئاً بحقّ، يظنّون أنّنا نعرف كلّ شيء، ولأنّنا لن نسمح للآخرين أن يفعلوا لنا في ما لا نعرف، فإنّنا مجبرون على القيام بالعمل بأنفسنا وبطريقة خاطئة. ومن أجل ذلك دع كلّ إنسان يتفادى حبّ النفس المفرط، ودعه يتبع الإنسان الأفضل من نفسه على الدوام، وأن لا يسمح للحياء المزيّف كي يعترض طريقه.

هناك قواعد للسلوك وتعاليم أخلاقية ثانوية أيضاً والتي يتمّ تكرارها غالباً، وهذه القواعد هي قواعد مفيدة تماماً. إنّ الإنسان ينبغي عليه أن يتذكّرها ويذكّر نفسه بها، لأنّ الجدول عندما يتدفق خارجاً، يجب أن يتدفّق الماء إلى الداخل أيضاً، والتذكّر يتدفّق إلى الداخل في حين أن الحكمة تغادر. لهذا السبب فإنّني أقول إنّ الإنسان يلزمه أن يحجم عن الإفراط في الضحك أو في البكاء، ويلزمه أن يحثّ جاره على فعل الشيء عينه. يجب عليه أن يحجب حزنه المفرط أو فرحه المفرط، وأن ينشد التصرّف بشكل مناسبٍ ولائق، وذلك سواء إذا لازمه حظّه السعيد القرين، أو عارضته الآلهة في بعض مشاريعه، وذلك عند أزمة حظّه وقدره، حينما يبدو أنّه يتسلّق الأماكن المرتفعة ويجري بسهولة في المنحدرات، يبقى أنّ بإمكانه أن يأمل أبداً، وفي حالة الرجال الأخيار، يأمل أنّ الله سوف يُخفِّض بنِعَمِهِ الخاصّة أيّة بلايا ستلحق بهم في المستقبل، وإنّ الشرور الحاضرة سيحوّلها هو لِمَا هو أفضل منها. وأمّا فيما يخصّ الخيرات المضادّة للشرور هذه، فلن يعتريه الشكّ بأنّها ستضاف إليها، وأنّ الجميع سيكونون محظوظين بإضافتها. هكذا يجب أن تكون آمال الرجال، وهكذا ينبغي أن تكون المواعظ والتحذيرات التي يذكّرون بعضهم بعضاً بها؛ هم لا يضيعون فرصة أبداً في سبيل أداء

ذلك، بل إنهم يذكرون أنفسهم بشكل استثنائيّ ويذكرون الآخرين بكلّ هذه الأشياء، في وقت الدعابة والجدّ كليهما.

لقد قلنا وبحثنا بما فيه الكفاية عن القضايا الإلهيّة الآن، وذلك فيما يتعلّق بالممارسات التي يجب أن يتّبعها الرجال، وفيما يتعلّق بنوع الأشخاص الذين ينبغي أن يمارسوها إفراديّاً. لكنّنا لم نتكلّم عن الأشياء الإنسانيّة حتى الآن، ونحن يلزمنا أن نفعل ذلك، لأنّنا إلى الرجال نتحدّث وليس إلى الآلهة. إنّ الملذّات والرغبات والآلام جزء من الطبيعة الإنسانيّة، وبها يجب أن يتعلّق كلّ إنسانٍ فانٍ وعليها ينبغي أن يعتمد ضرورة بالشوق الأكثر تلهّفاً عليها ولها. ولهذا السبب يلزمنا أن نثني على الحياة الأنبل، ليس الحياة التي تكون الأجمل في المظهر، بل ككونها واحدة، التي إذا ما تذوّقها .إنسان فقط فلن يهجرها ويتخلّى عنها ما دام شابّاً، وهو سيجد أنّها تتفوّق في الشيء الذي نرغبه .كلّنا بالتحديد، أعني في امتلاك مقدارٍ عظيم من اللذّة والألم أقلّ أثناء الحياة كلّها. وسيكون هذا واضحاً وجليّاً، إذا ما كان لدى إنسان تذوّق حقيقيّ لها. كم ستتمّ رؤية ذلك بسرعة وبشكل صافٍ، لكن لنسأل، ما هو التذوّق الحقيقيّ؟ إنّ ذلك يجب أن نعلمه من المحاورة ـ والنقطة الرئيسيّة هي ما يكون متطابقاً مع الطبيعة، وما ليس في تطابق وتناسب معها. وينبغي أن تتمّ مقارنة الحياة الأولى بالحياة الأخرى، الحياة الأكثر لذّة مع الحياة الأكثر ألماً، على غرار هذا الأسلوب: إنّنا نرغب في امتلاك اللذّة، لكنّنا لا نرغب ولا نختار الألم؛ أمّا الحالة المحايدة فنحن على استعداد لنأخذها بالمقايضة، ليس مقايضة اللذّة بل مقايضة الألم. ونتمنّى أيضاً ألماً أقلّ ولذّة أكثر، لكنّنا لا نتمنّى اللذّة الأقلّ والألم الأكثر. ونحن لا نستطيع المجازفة بتأكيد أنّنا نتمنّى توازناً متساوياً لكليهما. وكلّ هذه الأشياء تختلف أو لا تختلف في كلّ ظرف أو مناسبة للاختيار، رقماً ومقداراً وكثافة ومساواة. وكذلك في

مضادّاتها عندما يتمّ اعتبارها أهدافاً للرغبة. وهكذا كون النظام ضروريّ للأشياء، فإنّنا نرغب بتلك الحياة التي فيها العديد من العناصر الكثيرة والكبيرة للذّة والألم الحادَّين، والتي تكون الملذّات فيها مفرطة وحادّة، ولا نتمنّى الحياة التي تتخطّى المضادّات فيها، لا ولا نرغب ثانية الحياة التي تكون عناصر الحياتين الاثنتين فيها صغيرة وقليلة وواهنة، ويتخطّى الألم فيها كلّ ما عداه. وينبغي أن تكون الحياة التي تتوازن فيها اللذّة والألم بشكلٍ متساوٍ، ينبغي أن نعتبرها على المبدأ عينه الذي اعتبرناها به سابقاً. وبقدر ما تفوق الحيوات الأخرى في ما نحبّ، فإنّنا نفضّلها عليها؛ وبقدر ما تفوقها أيضاً في ما نكره، فإنّنا لا نفضلها أبداً. إنّ كلّ حيوات الرجال يجب أن نعتبرها كأنّها موثقة في هاتين الحياتين، وكذلك يلزمنا أن نأخذ بعين الاعتبار أيّ نوع من أنواع الحيوات نرغب بالطبيعة. وإذا رغبنا بأيّة حيوات أخرى، فإنّني أقول إنّنا نتمنّاها بسبب جهلٍ ما فقط وبعدم خبرةٍ عن الحيوات الموجودة بشكل حقيقي.

وبعدُ، أيّة حيوات هي تلك الحيوات، وكم حياة فيها؟ وبما أنّنا بحثنا وتقصّينا ورأينا أهداف الإرادة والرغبة وأضدادهما، وبما أنّنا أوجدنا قوانين منها، فإنّني أقول إن الإنسان لا يمكنه أن يحيا بالطريقة الأسعد الممكنة، حينما يختار الحياة الأسرّ والأفضل والأنبل. دعنا نقول إنّ الحياة المعتدلة هي حياة ذات نوع واحد من الحياة، ونقول إنّ الحياة العقليّة حياة أخرى، وإنّ الحياة الشجاعة حياة غيرهما، وإنّ الحياة الصحيّة حياة غير الحيوات الثلاث السابقة. ودعنا نضع حيوات مضادّة لهذه الحيوات الأربع، الحياة الغبيّة، الحياة الجبانة، الحياة المفرطة، والحياة المرضة. إنّ الذي يعرف الحياة المعتدلة سيصفها كأنّها الحياة اللطيفة في كلّ الأشياء، لديها آلام لطيفة وملذّات لطيفة، ولديها رغبات متّزنة ومحبّات غير مجنونة، في حين أنّ الحياة المفرطة

هي حياة متهوّرة في كلّ شيء، ولديها آلام عنيفة وملذّات قاسية، ولها رغبات متّقدة ومثيرة، ولها محبّات مجنونة بشكل مطلق. أمّا في الحياة المعتدلة فإنّ الملذات تفوق الآلام، لكن في الحياة المفرطة فإنّ الآلام تفوق الملذات كثرةً وعدداً وتكراراً. ومن ثمّ فإنّ واحدة من هاتين الحياتين هي أكثر لذّة والأخرى أكثر ألماً بشكل طبيعيّ وبشكل ضروريّ، والذي يعيش بشكلٍ سارّ لا يمكنه أن يختار العيش بإفراط، على الأرجح. وإذا كان هذا القول حقيقياً، فالاستنتاج بشكل واضح هو أنّ لا إنسان يكون مفرطاً اختيارياً؛ بل إنّ الكثرة الساحقة من الرجال ينقصهم الاعتدال في حيواتهم، إمّا بسبب الجهل أو لافتقارهم للسيطرة على النفس، أو كليهما. ويثبت الشيء عينه عن الحياة السقيمة والصحيّة. إنّ كلتا الحياتين لديهما ملذّات وآلام، لكن في الحياة الصحيّة تتفوّق اللذّة على الألم، ويحدث عكس ذلك في الحياة السقيمة. وبعدُ فإنّ قصدنا من اختيار الحيوات ليس أن يتفوّق الألم فيما نختاره، وأيّة حياة لا يتفوّق الألم فيها فإنّنا قررنا أن نسمّيها الحياة الكثيرة اللذّة. ويجب علينا القول إنّ الحياة المعتدلة تمتلك عناصر اللذّة والألم كليهما بشكل أقلّ تكراراً وأصغر وأضأل من الحياة المفرطة، وتمتلكها الحياة العاقلة أكثر من الحياة الغبيّة، والحياة الشجاعة أكثر من الحياة الجبانة. إنّ كلّ زوج منها يتفوّق في اللذّة ويتفوّق الزوج الآخر منها في الألم، فتتخطّى الحياة العاقلة الحياة الغبيّة، والحياة الشجاعة الحياة الجبانة. وهكذا فإنّ أحد صنفي الحيوات يتفوّق على الصنف الآخر في اللذّة. إنّ الحياة المعتدلة والشجاعة والعاقلة والصحيّة تتفوّق على الحيوات الجبانة والغبيّة والمفرطة. ولنتكلّم بشكل عامّ، فنقول، إنّ الحيوات التي تمتلك أيّة فضيلة، سواء إذا كانت روحيّة أو جسديّة، هي حيوات ألذُّ من الحيوات الرذيلة، وهي أسمى ببعد كبير جمالاً واستقامة وامتيازاً وشهرةً، وتيسر لمن يحيا في تطابق معها

وبها أن يكون إنساناً أسعد بشكل لامتناهٍ من الرجل الذي يعيش عكس هذه الحيوات.

لقد قلنا كفايةً عن التمهيد وفيه. وبعدُ فإنّ القوانين ستلي ذلك. أو لأتكلّم بشكل أكثر صحّةً، فإنّ الذي سيلي هو موجز لها. وكما في حالة النسيج أو في حالة أيّة نسيج آخر، فإنّ السّداة واللحمة لا يمكن صنعهما من المواد عينها[٢١]، لكنّ مادة الغلاف أو السّداة أسمى بالضرورة ككونها أقوى، ولها صفة محدّدة من صفات المتانة، في حين أنّ اللحمة أنعم ولها درجة مناسبة من المرونة. وفي أسلوب مماثل فإنّ أولئك الذين سيرتقون المناصب العليا في الدول، يجب عليهم أن يكونوا مميّزين حقّاً في كلّ حالة غير أولئك الذين قد اختُبروا بواسطة التعليم بشكل هزيل. وهناك جزآن اثنان من أجزاء الدستور في الدولة، أحدهما خلق المناصب، والآخر خلق القوانين التي تُخصَّص لها كي تُدار.

لكن قبل كلّ هذا، يأتي الاعتبار التالي: إنّ الراعي أو المعتني بالقطيع، أو مولّد الأحصنة أو ما شابه، فإنّه عندما يتلقّى الحيوانات التي تمّ وضعها، لا يبدأ بتدريبها قبل أن يتمّ تطهيرها أولاً بالطريقة التي تناسب مجتمع الحيوانات. إنّه سيقسّم الحيوانات السليمة صحّة والسقيمة، وسيفصل الصنف الجيّد عن الصنف الرديء، وسيبعد النسل السقيم والسيّىء الذي تمّ إنجابه إلى الأسراب الأخرى من القطعان، ويتولّى العناية بالباقي منها. وعندما يتأمّل مليّاً أنّ هذه الأعمال الصعبة ستكون أعمالاً غير مجدية، ولن تؤثّر على أرواح أو أجسام أولئك الذين تكون طبيعتهم وتربيتهم السيّئة قد فسدتا، وأنّه سيشمل دمارها الطبيعة الصافية والسليمة لوجود كلّ حيوان آخر، إذا ما أُهملت هذه الأعمال تنقيةً وتصفيةً. وبعدُ فإنّ حالة الحيوانات الأخرى لا تكون مهمة هكذا، إنّها جديرة بالإدخال لأجل التوضيح فقط، لكنّ الذي يتع لى

بالإنسان هو ذو الأهميّة الأسمى والأعلى، وينبغي على المشرّع أن يُوجد تحقيقات، ويعيّن ما يكون مناسباً لكلّ شخص بطريقة الصفاء والنقاء ويفعل ذلك لكلّ جزء آخر. خذ، كمثال، صفاء ونقاء المدينة. هناك تطهيرات عديدة بعضها أسهل، وبعضها الآخر أكثر صعوبة، وبعضها، والأفضل فيها والأكثر صعوبة هو المشرّع، إذا كان طاغيةً وحاكماً مطلقاً أيضاً، يمكنه أن يكون قادراً على التأثير. لكنّ المشرّع الذي لا يكون حاكماً مطلقاً أو طاغية، فإنّه يقيم حكومة جديدة وقوانين جديدة، حتّى إذا حاول أن يطبّق التطهيرات الألطف، يمكنه أن يتصوّر نفسه سعيداً إذا استطاع إتمام عمله. إنّ التطهير ذا النوع الأفضل هو تطهير مؤلم شأنه شأن العلاجات المماثلة في الطبّ. إنّها تتضمّن عقاباً مؤلماً ومحقّاً وتحكم بالموت أو النفي في المحاولة الأخيرة. ونحن في هذه الطريقة نتخلّص من المذنبين الكبار الذين يتعذّر شفاؤهم والذين يكونون الأعظم أذيّة للدولة كلّها. لكنّ الطريقة الألطف للتنقية هي كما يلي: عندما يبدي الرجال الذين لا يساوون شيئاً والذين يفتقرون للغذاء، عندما يبدون ميلاً ليتبعوا قادتهم في هجوم يشنّونه على ممتلكات الأغنياء؛ فإنّ هؤلاء، الذين يعتبرون الطاعون الطبيعيّ للدولة، يبعدهم المشرّع بطريقة حُبّيّة لأبعد ما يستطيع، ويسمّى هذا الطرد لهم مستعمرة بتعبير لطيف. ويجب على كلّ مشرّع أن يفعل هذا في البداية بشكل أو بآخر. أمّا في حالتنا الخاصّة، فإنّنا نحتاج إلى جهدٍ قليل بشكل خاصّ. إذ لا حاجة لابتكار أيّة مستعمرة أو انفصالٍ نقائيّ تحت الحالات التي تُوضع فيها. لكن كما أنّه يجب علينا أن نشهد ونُعنى بالمياه عندما تتدفّق جداول عديدة معاً ومن ينابيع عدّة، سواء أكانت ينابيع أو سيولاً هابطة من الجبال إلى بحيرة واحدة، أقول إنّه يجب علينا أن نشهد ونُعنى بأن تكون هذه المياهُ المندمجة كلّها في نهر واحد نقيّة وصافية بشكل تامّ.

ولكي نُحدث هذا التأثير ينبغي علينا أن نضخّ ونسحب ونحوّل اللاطهارات وكلّ شيء نجس. فهكذا في كلّ تنظيم سياسيّ يمكن أن يوجد مشاكل وأخطار. لكن، بما أنّنا نرى أنّنا نتحادث ولا نفعل، دعنا نفترض أن اختيارنا تامٌّ، وتصوّر الطهارة المرغوب فيها صارت ملكاً لنا. بما أنّنا اقتربنا مماسّةً بالرجال الأشرار الذين يريدون أن ينضمُّوا ويكونوا مواطنين في دولتنا، فإنّنا سنمنعهم من المجيء، هذا بعد أن فحصناهم وجربناهم بكلّ نوع من أنواع الإقناع ولوقتٍ كافٍ، لكنّنا سوف نتلقّى الأخيار بأقصى قدرتنا كأصدقاء وبسواعد وقلوب مفتوحة.

يجب أن لا يُنسى قسم آخر من أقسام الحظّ السعيد، التي كانت لدى المستعمر الهيراقليديّة، والتي هي مستعمرتنا أيضاً. وبما أنّنا تخلّصنا من تقسيم الأرض وإبطال الديون، لأنّ هذين الشيئين هم منشأ النزاع الخطير على الدوام، فإنّ المدينة التي تُقاد بالضرورة لإصدار قوانين بخصوص قضايا كهذه، لا يمكنها لا السماح للطرائق القديمة المتّبعة بالاستمرار، ولا المجازفة بتغييرها مع ذلك. ينبغي علينا أن نتلمّس العون من الصلوات ونجعلها سبيلاً لنا، إذا جاز التعبير، ونأمل بإمكان إحداث تغيير طفيف فيها مع مرور الزمن وذلك بشكل حذر. ويمكن لهكذا تغيير أن يتمّ إنجازه بهذه الطريقة: بما أنّنا متعهّدو التغيير، ينبغي أن يكون هناك بعض الذين يمتلكون أرضاً شاسعة المساحة وفيرة العدد، وبما أنّ لديهم العديد من الدائنين، فإنّهم على استعداد أن يتقاسموا الحياة مع أولئك المحتاجين، بنفسيّة لطيفة، مرجئين مالهم وواهبين ما عندهم بعض المرات، مستمرّين في مسلك الاعتدال بثبات، معتبرين أنّ الفاقة هي الزيادة في رغبات الإنسان وليس في إنقاص ممتلكاته. لأنّ هذا العمل هو بداية إنقاذ الدولة، وعلى هذه القواعد الثابتة يمكن بناؤُها بعد ذلك، مهما يكن النظام السياسيّ مناسباً وفق هذه الظروف. لكن إذا أُسّس

التغيير على مبدأ غير سليم وغير متين، فإنّ إدارة الدولة مستقبلياً ستكون مملوءة بالصعوبات. إنّ هذا هو الخطر الذي تخلّصنا منه، كما أقول، ومع ذلك فمن الأفضل أن نتحدّث كيف يمكننا أن نفعل ذلك إذا لم نستطع التخلّص منه. ويمكننا أن نجازف ونؤكّد الآن أنّه لا يمكن استنباط أيّة طريقة أخرى يمكن استنباطها، سواء أكانت طريقة ضيّقة المسلك أو فسيحته، لكنّها حرّيّة وتحرّر من الجشع وإحساس بالعدل وفهم له ـ ولسوف تُبنى مدينتنا على هذه الصخرة. ولا ينبغي أن يكون هناك خصام بين مواطنينا بشأن الملكيّة والممتلكات. وإذا وُجد أيّ نزاع طويل الأمد بينهم، فالمشرّع الذي يمتلك أيّة درجة من درجات الحسّ والفهم، سوف يتقدّم خطوة واحدة في تنظيم الدولة إلى أن تتمّ تسوية هذه النزاعات. لكن لمن أعطاهم الله، كما وهبنا لنا، ليكونوا المؤجِدِيْنَ لدولة جديدة حرّة من العداوة حتى الآن، فلكي يخلقوا المشاحنات والبغضاء بواسطة شكل توزيع الأراضي والبيوت، لعمري فإنّ هذا سيكون غباء ومكراً فوق مستوى البشر.

كيف يمكننا إذن أن نرتّب توزيع الأراضي بشكل صحيح؟ في المقام الأوّل، إنّ عدد المواطنين يجب أن يتمّ تقريره، وكذلك تقرير عدد وحجم التقسيمات التي سيتمّ تشكيلها بها وتقسيمها فيها. ولسوف توزّع الأراضي والبيوت حينئذ بالقسطاس والعدل بأقصى ما نقدر عليه. إنّ عدد المواطنين يمكن تخمينه بشكل مقنع فيما يتعلّق بخصوص المقاطعة التي سيسكنونها وبخصوص الدول المجاورة لها. إنّ المقاطعة هذه ينبغي أن تكون كافية للمساعدة على استمرار نوع محدّد من القاطنين عليها في طريقة حياة معتدلة، ولا يُحتاج لأكثر من ذلك. وسيكون عدد المواطنين عدداً كافياً للدفاع عن أنفسهم ضدّ الظلم الذي يتعرّضون له من جيرانهم، وكذلك كافياً لتقديم مساعدة إلى هؤلاء الجيران عندما يحيق بهم الأذى. وبما أنّنا

أخذنا بعد الدراسة مسحاً كافياً لمقاطعتهم ومقاطعة جيرانهم، فإنّنا سنقرّر حدودها عمليّاً ونظريّاً. وبعدُ، دعنا نتقدّم إلى المشرّع وقصدنا أن نُتِمّ بشكل كامل الشكل والمخطّط التمهيديّ لدولتنا. إنّ عدد مواطنينا سيكون خمسة آلاف وأربعين مواطناً، وسيكون هذا العدد عدداً مناسباً، وسيكون هؤلاء المالكين للأرض وحماة الحصص. وستوزَّع البيوت وتُقسَّم الأراضي بالطريقة عينها، وذلك كي يمكن لكلّ إنسان أن يوازي لقطعة الأرض الممسوحة وللبناء المقام عليها. دع هذا العدد كلّه يقسّم إلى جزأين اثنين بادىء ذي بدء، ثمّ إلى أجزاء ثلاثة بعدئذ، وأن يكون العدد عينه قابلاً للقسمة إلى أربعة أو خمسة أجزاء بعدئذ، أو لأيّ عدد من الأجزاء صعوداً إلى عشرة أجزاء. على كل مشرّع أن يعرف مقداراً من علم الحساب وذلك ليستطيع أن يخبر أيّ عدد هو العدد الأكثر نفعاً لكلّ المدن على الأرجح. إنّ العدد بمجمله يمتلك كلّ قسمة ممكنة، ويمكن تقسيم العدد خمسة آلاف وأربعين بتسعٍ وخمسين مقسوماً عليه بالضبط، ويمكن لعشرة من هذا المقسوم عليه أن تواصل القسمة بدون فاصلة من واحد إلى عشرة. إنّ هذا الشيء سوف يقدم أعداداً للحرب والسلام، ولكلّ الاتفاقيات والتعاملات، بما في ذلك الضرائب وتقسيمات الأرض. إنّ هذه الممتلكات المرقّمة عدديّاً يجب أن يتمّ تأكيدها أثناء فترة الراحة من قِبَل أولئك الموثّقين بالقانون والمهيّئين لمعرفتها. وهذه الممتلكات المرقّمة عددياً تكون حقيقيّة، وينبغي إعلانها عند تأسيس المدينة، وذلك قصد إتمام استعمالها. وسواء أأقام المشرّع دولة جديدة أو جدَّد دولة قديمة ومنهارة، فإنّه في ما يتعلّق بالآلهة والهياكل، الهياكل التي يجب أن يتمّ بناؤها في كلّ مدينة، والآلهة أو أنصاف الآلهة التي ينبغي أن تدعى باسمها أقول، إذا كان المشرّع إنساناً ذا إدراك، فإنّه لن يحدث تغييراً في أيّ شيء صادق عليه وسيط الوحي في معبد دلفي، أو معبد دودونا، أو الله

آمون، أو أيّ عرف قديم وفي أيّ أسلوب، سواء إذا كان بواسطة الظهورات أو بواسطة أيّة كلمات أوحت بها السماء، في طاعة للذي ثبّت الجنس البشريّ لهم التضحيات، في صلة مع الطقوس السريَّة الدينية، التي إمَّا أنَّها أُنشئت حالاً، أو أنّها استُمِدَّت من تيرهينيا Tyrheniaأو من قبرص Cyprus، أو من أيّ مكان آخر، وعلى أساس الأعراف التي كرّسوا بها الوحي الإلهيّ والصور الذهنية والمذابح والهياكل، والتي قسّموا بواسطتها الممتلكات المقدسة لكلّ منهم. إنّ الجزء الأقلّ من كلّ هذه الأجزاء يجب أن لا يعيق المشرّع تحقيقه، بل ينبغي عليه أن يخصّص إلهاً ما للمناطق المتعدّدة، أو أن يخصّص لها نصف إله، أو بطلاً، ويجب أن يعطي في توزيع الأرض لهؤلاء، بادىء ذي بدء، مقاطعتهم المختارة وكلّ الأشياء المناسبة، كي يتمكنّ الساكنون في المناطق المتعدّدة من اللقاء في أوقات محدّدة، ولكي يتمكّنوا من سدّ حاجاتهم المختلفة بسهولة، ومن تكريم بعضهم البعض بالتضحيات، وأن يصبحوا أصدقاء ورفاقاً. إذ ليس في الدولة خير أعظم من أن يكون المواطنون يعرف بعضهم بعضاً. وعندما لا يسود النور بل يسود الظلام والجهل بينهم في معرفة بعضهم أخلاق بعض، فلا أحد منهم سيتلقّى التكريم الذي يستحقّه، أو السلطة أو العدل الذي يكون مهيّأً له بحقّ. ومن أجل ذلك، فإنّ كلّ إنسان في كلّ دولة، يجب أن يهتمّ قبل كلّ شيء بأن لا يمتلك أيّ غش أو خداع في نفسه، بل ينبغي عليه أن يكون صادقاً وبسيطاً على الدوام، وأن لا يحتال عليه أيّ شخص خدَّاع وغادر.

إنّ تحرّكنا التالي في تسليتنا الشرعية سوف يثير انشداهاً عندما يُذكر للمرّة الأولى على الأرجح، مثل سحب الحجر من الخطّ المقدَّس في لعبة الداما، كون الحركة حركة غير عاديّة. ومع ذلك إذا ما تأمّل إنسان المسألة مليّاً ووزنها بكلّ عناية، فسيرى أنّ مدينتنا نُظّمت بطريقة، إن لم تكن الأفضل،

فإنّها الطريقة الأقرب من الأفضل. لربّما استطاع إنسان ما أن يصادق على هذا الشكل، لأنّه يتصوّر بأنّ مجتمعاً كهذا قد تهيّأ تهيئة سيّئة بمشرّع ليس لديه سلطة مطلقة. والحقيقة هي أنّ هناك ثلاثة أشكال من أشكال الحكومات، هناك الشكل الأفضل، والشكل الثاني الأفضل، والشكل الثالث الأفضل، التي ذكرناها لتوّنا، ونترك للحاكم بعدئذ اختيار التوطين وإقامة السكن. لنتتبّع هذه الطريقة في الحالة الحاضرة. دعنا نتكلّم عن الدول التي تكون الأولى، الثانية، والثالثة في الامتياز على التوالي، وسنترك الخيار عندئذ لكلينياس، أو لأيّ شخص آخر يمكن أن يكون من واجبه إيجاد خيار مماثل بين الدساتير والمجتمعات في ما بعدُ، والذي يمكنه أن يرغب في إعطاء دولته هيئة ما تكون مناسبة له يُصادق عليها في بلاده.

إنّ الشكل الأسمى والأوّل للدولة وللحكومة وللقانون هو الشكل الذي يسود فيه القول الغابر بالشكل الأوسع، القول الذي يؤكّد أنّ « الأصدقاء يمتلكون كلّ الأشياء مشتركة ». وسواء إذا وُجدت هذه المشاركة للنساء والأطفال والممتلكات في أيّ مكان الآن، أو إنّها ستوجد أبداً، والتي ستُلغى فيها الخصوصية والفردية من الحياة بشكل مطلق، وكذلك الأشياء الخاصّة بالطبيعة، مثل العيون والآذان والأيدي، وقد أصبحت كلّها مشتركة، وبطريقة ما ترى وتسمع وتفعل بشكل مشترك، ويبدي الرجال كلّهم إما ثناءً أو لوماً، ويشعرون بالسرور والحزن في المناسبات عينها، فدع القوانين تكون تلك القوانين التي توحّد المدينة إلى أقصى غاية. وأقول إنّ أيّ إنسان يفعل بناءً على أيّ مبدأ آخر، فلن يبني دولة، دولة أصدق أو أفضل أو أكثر رفعة في الفضيلة(٢٢). وسواء إذا حكم دولة كهذه آلهة أو حكمها أبناء آلهة، واحد منهم أو أكثر من واحد، فإنّ الرجال القاطنين هناك والذين سيحيون بهذه الطريقة هم السعداء. ولهذا السبب، ينبغي علينا أن ننظر إليها كنموذج

للدولة، ويَلزمنا أن نلتصق بها، وأن ننشد واحدة تكون شبيهة بها بكلّ عزمنا. إنّ الدولة التي تكون في متناول أيدينا الآن، عندما توجد، فستكون الدولة الأقرب إلى الخلود، وستكون الدولة الأولى فقط التي ستتبوّأ المركز الثاني الأفضل، وبنعمة الله سوف نتمّم الدولة الثالثة بعد ذلك. وسنبدأ بالكلام عن طبيعة وأصل الدولة الثانية الأفضل.

دع المواطنين يوزّعون الأرض والبيوت حالاً، ولا يحرثون الأرض بشكل مشترك، لأنّ جماعة من الرجال الأخيار يتخطّون أصلهم وتنشئتهم وتعليمهم المقترح. لكن في إيجاد التوزيع، دع المالكين المتعددين يشعرون بأنّ قطعة أرضهم المحدَّدة تخصّ المدينة كلّها؛ آخذين بعين الاعتبار أنّ الأرض هي أمّهم الحقيقيّة، فدعهم يُعنون بها باهتمام، أكثر ممّا تُعنى الأم بأطفالها. إنّ الأرض إلهة لهم وملكة، وهم رعاياها الفانون. يجب عليهم أيضاً أن يضمروا الشعور عينه نحو الآلهة وأنصاف آلهة بلادهم. ولكي يمكن أن يستمرّ التوزيع ويبقى موجوداً على الدوام، ينبغي عليهم أن يعتبروا الاحتفاظ بعدد العائلات الحالي أيضاً، وأن لا يزيدوها أو ينقصوها عدداً. ويمكن ضمان ذلك لكلّ مدينة بالأسلوب الحالي: دع مقتني قطعة الأرض المحددة يترك واحداً من أطفاله يحبّه بالشكل الأفضل، ودع واحداً فقط يكون وريث مسكنه، ويكون خَلَفه في واجب خدمة آلهة الدولة والعائلة. وكذلك يتولّى أمر العناية بأعضاء العائلة الأحياء كما الأعضاء الذين غادروا العائلة عندما أصبح هو وريثها الشرعيّ. لكن في ما يتعلّق بأطفاله الآخرين، إذا كان لديه أكثر من طفل واحد، فإنّه سيقدّم الإناث في الزواج طبقاً للقانون الذي يُسنّ فيما بعدُ، وسيوزّع الذكور كأبناءٍ لأولئك المواطنين الذين ليس لديهم أطفال، ويكونون راغبين بهم على هذا الأساس. وإذا لم يوجد مثل هؤلاء المواطنين، وإذا كان لدى الأفراد المحدّدين كثيراً من الأطفال، ذكوراً كانوا أو إناثاً، أو

قلّة قليلة منهم، كما في حالة النساء العاقرات، إذا كان هذا فدع هيئة القضاة التي أوجدناها والمكونة من الرجال الأسمى والأكثر شرفاً، دعهم يبتّون في كلّ هذه الحالات ويقرّرون ماذا سيُفعل بالفائض أو الناقص منهم، ودعهم يستنبطون أساليب في أنّ العدد ٥٠٤٠ بيتاً سيبقى نفسه على الدوام. وهناك طرائق عدّة لتنظيم الأعداد، لأنّ الذين يكون التوليد بينهم فيّاضاً يمكن أن يمتنعوا عنه(٢٣). وعلى الجانب الآخر يمكن أن تؤخذ عناية خاصّة لزيادة عدد الولادات بإعطاء الجوائز وبوضع علامات خاصّة مميّزة، أو يمكننا أن نقابل الشرّ بواسطة الرجال المسنّين الذي ينصحون ويوبّخون الشباب. ونستطيع أن ننال هدفنا بهذه الطريقة. وإذا كانت هناك أيّة صعوبة كبيرة جدّاً بعد كلّ الذي خطّطنا له بشأن الاحتفاظ المتساوي بعدد البيوت الـ ٥٠٤٠، وإذا كان هناك زيادة كبيرة في عدد المواطنين سببه الحبّ الكبير لأولئك الذين يحيون معاً، ونكون نحن حينها عند نهاية صبرنا، فلا تزال الوسيلة القديمة التي نذكرها غالباً وهي إنشاء مستعمرة خارجيّة جديدة، تلك المستعمرة التي ستُخصّص الأصدقاء معنا، والتي ستتألّف من أشخاص مناسبين. على الجانب الآخر، إذا أتت موجة تحمل وباء المرض أو بلاء الحرب، وأصبح القاطنون أقلّ بكثير من العدد المحدَّد بسبب الفقد موتاً، فلا ينبغي علينا أن نُدخل مواطنين وُلدوا وتعلّموا بطريقة غير شرعيّة ومزوَّرة، إذا أمكننا تفادي ذلك. لكن يُقال حتّى الله لا يقدر على أن يحارب ضدّ الضرورة.

ومن أجل ذلك دعنا نفترض أنّ « محاورتنا السامية » هذه تخاطبنا بالعبارات التالية: يا أيّها الرجال الأفضل، لا تنقطعوا عن تمجيد وتكريم التشابه والتساوي والشيء عينه والاتّفاق طبقاً للطبيعة، لا تنقطعوا عن تمجيدها فيما يتعلّق بالعدد وبكلّ نوعيّة خيِّرة ونبيلة. وبعدُ راقبوا العددَ

المذكور آنفاً ٥٠٤٠ فوق كلّ شيء طيلة الحياة كلّها، وفي المقام الثاني، لا تنقصوا من قدر النِّسب الصغيرة والمعتدلة للوراثات التي تلقيتموها في التوزيع، لا تنقصوا من قدرها بشرائها وبيعها بعضكم لبعض، لأنّكم إذا فعلتم ذلك فلا الله سيكون صديقكم، وهو الذي وهبكم قطعة الأرض المحدَّدة، ولا المشرِّع حينئذ. وحقّاً فإنّ الناموس يعلن للذين يعصونه أنّ هذه هي الشروط التي يمكن أن تأخذوا قطعة الأرض بواسطتها أوْ لا. وفي المقام الأوّل، فإنّ الأرض مكرّسة للآلهة كما أُخبِر الناموس بذلك، وفي المقام الثاني، فإنّ الكهنة والكاهنات سوف يقدّمون صلوات إضافة للتضحية الأولى، والثانية، وحتى الثالثة. والذي يشتري أو يبيع البيوت أو الأُراضي التي تلقّاها، يمكن أن يقاسي العقاب الذي يستحقّه. وأمّا صلواتهم هذه فسيكتبونها في المعابد على ألواح من خشب السرو، وذلك من أجل أن تتعلّم الأجيال القادمة كلّها. علاوة على ذلك فإنّهم سيضعون حراسة فوق هذه الأشياء كلّها، التي يمكن أن تتمّ رقابتها. إنّ هيئة الحكّام ذات العيون الأدقّ بصراً وبصيرة ستظلّ يقظة لئلا تُخرق أو تُنتهك هذه الأوامر، وإذا أمكن اكتشاف الفاعلين فلسوف يُعاقبون وكأنّ ما قاموا به إعتداءات ضدّ القوانين وضدّ الله. كم تكون فائدة أوامر كهذه كبيرة على كلّ تلك المدن، والتي ستطيعها وسُتدار طبقاً بها. لا رجل شرّيراً يستطيع أن يعرف قط، كما يقول المثل القديم؛ بل إنّ الإنسان الذي يعرف هو إنسان ذو خبرة وعادات جيّدة. ولن تكون هناك فرصة كبيرة لتحصيل المال في نظام لهكذا أشياء. لا يجب على إنسان أن يمارس مهنة حقيرة تكون السوقيّة فيها مسألة توبيخ للإنسان الحرّ، ولا أن يُسمح له بالقيام بها؛ ولا أحد سيريد أبداً اكتساب الثروات بوسائل كهذه.

وأبعد من ذلك، فإنّ القانون يفرض أن لا يُسمح لإنسان خاصّ بإقتناء

الذهب والفضّة، بل سيُسمح له باقتناء النقد المعدنيّ للإستعمال اليوميّ، ذلك النقد الذي يُعتبر ضروريّاً تقريباً في التعامل مع الحرفيّين، ولأجل الدفع للمستأجرين، سواء أكانوا عبيداً أو مهاجرين، وسيدفع لهم أولئك الأشخاص الذين يحتاجون لخدمتهم. لذلك فإنّ مواطنينا، وكما نقول، ينبغي أن يكون لديهم نقد معدنيّ للتداول فيما بينهم، لكنّه لا يُقبل به بين بقيّة الجنس البشريّ، وذلك بقصد البعثات والرحلات إلى الأراضي الأخرى، على كلّ حال. وينبغي على الدولة أيضاً أن تقتني عملة هيلينيّة مشتركة للسفارات، أو لأيّة مناسبة أخرى يمكن أن تنشأ من إرسال رُسُل إلى الخارج. وإذا وجب على إنسان خاصٍّ أن يذهب إلى خارج البلاد قطّ، عليه أن يمتلك موافقة الحكام وبعدها يذهب، وإذا ما كان لديه دراهم غريبة باقية معه حين عودته، فعليه أن يعطي الفائض منها للخزينة، وأن يتلقّى ما يعادلها مِن العملة المحليّة. وإذا اكتُشف أنّه يخصّص الدراهم الغريبة لغرض معين خاصّ به، فيجب أن تُصادر. والذي يعرف عنها ولا يخبر المسؤولين عن طريقة تخصيصها فلندعه يتعرّض للّعنات والخزي، ومعه الرجل الذي أحضر هذه الدراهم بشكلٍ متساوٍ، ودعه يُغرَّم بمقدار من المال لا يقلّ عن المال الغريب الذي أحضره إلى البلاد. أمّا في الزواج وفي الزواج المقابل، فلا أحد سوف يعطي أو يتلقّى أيّ مَهْرٍ على الإطلاق، ولا أحد سيودع المال مع شخص آخر لا يثق به كصديق، لا ولن يرابي بماله. وأمّا المستدين فلا ينبغي أن يرزح تحت أيّ تعهّد أو سند كي يعيد دفع المال المستدان إمّا كمصدر ربح أو كفائض. إنّ هذه الممارسات هي الممارسات الأفضل. يمكن لأيّ شخص يقارنها مع المبدأ والقصد الأوّل للدولة أن يرى ذلك. إنّ قصد رجل الدولة العاقل وتصميمه، كما نؤكّد، ليس كما يعلنه العديدون أنّه هدف المشرّع الصالح، بمعنى، أنّ الدولة التي ينصح من أجل مصالحها الحقيقيّة ينبغي أن تكون عظيمة وغنيّة

أيضاً، ويجب أن تقتني الذهب والفضة، وأن تمتلك الامبراطورية الأعظم برّاً وبحراً. هُمْ يتصوّرون أن هذ هو الهدف الحقيقيّ للمشرّع، مضيفين في الوقت عينه، وبشكل متناقض، أنّ المشرّع الحقيقيّ يرغب في امتلاك المدينة الأفضل والأسعد إمكانيّة. لكنّهم لا يرون أنّ بعض هذه الأشياء ممكن، وبعضها مستحيل، وبشكل عامّ، فإنّ المواطنِ الخيِّر، يجب أن يكون سعيداً. ويمكن للمشرّع أن يرغب في جعله كذلك؛ لكن لا يمكن لأحد أن يكون غنيّاً جداً وخيِّراً جدّاً في الوقت عينه، ليس على الأقلّ، بالمعنى الذي يتكلّم العديدون فيه عن الغنى. لأنّ المعني بـ « الغنيّ » هو الأقليّة من الناس الذين يمتلكون الأشياء الأنفس، برغم أنّ مالكها يمكن أن يكون رجلاً محتالاً تماماً. وإذا كان هذا حقيقيّاً، فإنّني لن أجزم بالتعليم القائل إنّ الرجل الغنيّ سيكون سعيداً، لكن ينبغي أن يكون خيِّراً وغنيّاً أيضاً. أمّا أن يكون خيِّراً بدرجة عالية وغنيّاً بدرجة عالية في الوقت عينه، فلا يمكنه أن يكون. إنّ شخصاً ما سيسأل، لِمَاذا لا يكون كذلك؟ ونحن سنجيب، أنّ هذا لن يكون كذلك، بسبب الأشياء المكتسبة التي تأتي من مصادر عادلة أو ظالمة بشكلٍ لا يتّسم بالإفراط، وهذه الأشياء هي ضعفُ تلك التي تأتي من مصادر عادلة فقط. وأمّا المجموع كلّه الذي يُنفق إمّا بشكل شريف أو بشكلٍ مخزٍ، فإنّه يكون الضّعف في العِظَم لذلك المجموع الذي ينفق بشكل شريف وفي سبيل أغراض شريفة. وهكذا، فإنّ الشخص إذا كسب ضعفاً وأنفق نصفاً، فلا يمكن للإنسان الآخر الذي يكون في الحالة المضادّة والذي يكون إنساناً خيِّراً، لا يمكنه أن يكون أغنى منه بأيّة حال. إنّ الإنسان الأوّل، وأنا أتكلّم هنا عن الموفِّر وليس عن الذي ينفق ماله، لا يكون سيّئاً على الدوام؛ ويمكنه حقّاً أن يكون إنساناً خيِّراً أبداً، لأنّ الذي يتلقّى المال ظلماً كما يتلقّاه بعدل، ولا ينفقه لا بالظلم ولا بالعدل، فسيكون رجلاً غنيّاً إذا ما اقتصد في

الإنفاق فقط. وعلى الجانب الآخر، فإنّ الرجل السيّيء مطلقاً يكون خليعاً ومبذّراً بشكل عامّ، ولهذا السبب يكون رجلاً فقيراً جدّاً. في حين أنّ الذي ينفق ماله في سبيل أهداف نبيلة، ويكسب الغنى بوسائل عادلة فقط، فإنّه يستطيع أن يكون غنيّاً استثنائياً بصعوبة، بأكثر ممّا يستطيع أن يكون فقيراً جدّاً. إنّ تصريحنا هذا تصريح حقيقي إذن، وهو أنّ الأغنياء جدّاً لا يكونون أخياراً، وإذا لم يكونوا أخياراً فإنّهم ليسوا سعداء.

لكن قصد قانوننا هو أنّه ينبغي على مواطنينا أن يكونوا سعداء بقدر ما يمكنهم أن يكونوا كذلك، وأن يكونوا صدوقين بعضهم لبعض أيضاً بقدر ما يمكن أن يكونوا. إنّ الرجال الموجودين ضمن إطار القضاء مع بعضهم البعض، والذين يتمّ ارتكاب العديد من الأخطاء بينهم، إنّ رجالاً كهؤلاء لا يمكنهم أن يكونوا أصدقاء بعضهم لبعض، بل إنّ الذين يكونون أصدقاء بعضهم لبعض، فهم أولئك الذين تكون الجرائم والدعاوى القضائيّة قليلة وطفيفة بينهم. ولهذا السبب نقول إنّ الذهب والفضّة ينبغي أن لا يُسمح لهما بالرواج في المدينة، لا ولا الكثير من التجارة ذات النوع المبتذل التي تُدار بواسطة قرض المال، أو بواسطة تربية الأنواع الحقيرة من المواشي؛ بل تربية النوع الذي ينتج الزراعة، وبالقدر الذي لن يجبرنا في تعقّبنا إيّاه على إهمال ذلك في سبيل الذي يكون الغنى بسببه، أعني، الروح والجسم اللذين لا يمكن أن يساويا شيئاً بدون التعليم وبدون الألعاب الرياضية. ولذلك، وكما قلنا ليس لمرّة واحدة بل لعدّة مرات، فإنّ الاهتمام بالغنى ينبغي أن يحوز المكان الأخير في تفكيرنا. وهناك ثلاثة أشياء في الكلّ يهتمّ الإنسان بها؛ وعندما يُعتبر الاهتمام بشأن حيازة المال بشكل صحيح، فإنّه يكون ثالثها والأدنى قيمة. ويأتي الاهتمام بالجسم في وسط الطريق، وأمّا الروح، فإنّ الاهتمام بها يكون أوّلاً وقبل كلّ اهتمام. والحالة التي وصفناها قد

شُكّلت بطريقة صحيحة، إذا أقامت الكرامات والتكريمات طبقاً لهذا المقياس، لكن إذا تمّ تفضيل الصحّة في أيّ من النواميس التي سنّاها على الاعتدال، أو تمّ تفضيل الغنى على الصحّة والعادات المعتدلة، فإنّ ذلك الناموس ينبغي أن يكون ناموساً خاطئاً بشكل جليّ. ومن أجل ذلك أيضاً، يجب على المشرّع، أن يسأل نفسه هذا السؤال غالباً: « ماذا أريد ؟ » وهل « أبلغ قصدي ومرادي، أو أني أخطىء العلامة والهدف؟ » وبهذه الطريقة، وبها فقط، يمكنه أن يبرّىء نفسه ويعتق الآخرين من عمل المشرّع.

دع الذي تُفردُ له حصّة ما من الأرض يُبقي عليها طبقاً للشروط التي ذكرناها.

سيكون شيئاً جيّداً أن يأتي كلّ رجل إلى المستعمرة ولديه كلّ شيء متساوٍ، لكن لنلاحظ أنّ هذا الشيء ليس ممكناً، وسيكون لدى إنسان واحد مقتنيات أكثر من المقتنيات التي يمتلكها الآخر. ولعدّة أسباب وبشكل خاصّ لكي نصون المساواة في أزمات الدولة الخاصّة، فإنّ أهليّة الملكيّة ينبغي أن تكون غير متساوية، وذلك أملاً بإمكانية أن تتناسب المناصب والتخصيصات والتوزيعات على مقدار ثروة كلّ شخص، وليس على مقدار فضيلة أسلافه أو فضيلة نفسه فحسب. لا ولا مع ذلك على مقدار قوّته البدنيّة وجماله الشخصيّ، بل على مقياس غناه وفقره أيضاً. وهكذا، وبواسطة قانون اللامساواة، الذي هو قانون التناسب أيضاً، فإنّ الشخص سيتلقّى التكريمات والمناصب بشكل متساوٍ قدر الإمكان، ولن تكون هناك مشاحنات ولا خلافات. وبعدُ فإلى أيّة غاية ينبغي أن توجد أربعة مقاييس مختلفة مخصّصة طبقاً لمقدار الملكيّة: يجب أن توجد طبقة أولى وثانية وثالثة ورابعة سيُوضع المواطنون فيها، وهُمُ سيُدعون بهذه الأسماء أو بأسماء مشابهة. يمكنهم أن يستمرّوا في الرتبة عينها، أو أن ينتقلوا إلى رتبة أخرى في أيّة حالة فردية،

وذلك عندما يصبحون أغنى بعد أن كانوا أكثر فقراً، أو أكثر فقراً بعد أن كانوا أغنى. إنّ شكل القانون الذي يجب عليَّ أن أقترحه وكأنّه النتيجة الطبيعية سيكون كما يلي: في الدولة التي ترغب في الإنقاذ من الكوارث الأعظم، والكوارث ليست شقاقاً، بل حيرة واضطراب عقلي على الأصحّ؛ في دولة كهذه، يجب أن لا يوجد بين المواطنين لا الفاقة المدقعة ولا الغنى المفرط ثانية، لأنّ كليهما هما المسبّبان لهذين الشرّين. وبعدُ فإنّ المشرّع يلزمه أن يقرّر ماذا سيكون حدّ الفاقة أو الغنى. دع حدّ الفاقة يكون قيمة قطعة الأرض المحدَّدة، وهذه يجب أن تُحفظ ويُحتفظ بها. لا ولن يسمح أيّ حاكم، ولا أيّ شخص آخر يتوق عقب سمعة الفضيلة كي يكون مُفسَدَاً بأيّة حالة. ويعطي المشرّع هذا كمقياس، وهو سيسمح لإنسان أن يكسب مقداراً مضاعفاً من هذا أو مقداراً أكبر بثلاث مرّات أو أربع[٢٤]، لكن إذا كان لدى شخص ثروة أعظم، سواء إذا وجدها، أو أنها أُعطيت له، أو حصل عليها في عمله، أو كسبها بضربة حظّ مفرطة بالقياس المتعارف عليه، فإنّه إذا وهب الزيادة التي حصل عليها للدولة وللآلهة الذين هم حماة الدولة، إنّه إذا فعل ذلك، فلن يتعرّض لأيّة عقوبة أو لفقدان السمعة الحسنة. لكنّه إذا عصى قانوننا هذا، فإنّ أيّ شخص يحبّ يمكنه أن يخبر عنه وضدّه ويتلقّى نصف كمية الزيادة المفرطة من ممتلكاته الخاصّة، وأمّا النصف الآخر الباقي من الزيادة المفرطة فيسختصّ بالآلهة. ودع كلّ ما يقتنيه إنسان، ما عدا قيمة الأرض المحدّدة له، دعه يسجّله أمام الحكّام بشكل علنيّ، هؤلاء الحكام الذي يعينهم القانون. وهكذا فإنّ كلّ الدعاوى بشأن المال يمكنها أن تكون دعاوى سهلة وبسيطة للغاية.

إنّ الشيء التالي الذي يجب تسجيله وملاحظته بعناية، هو أنّ المدينة يجب أن يتمّ اختيار مكانها وسط البلاد بشكل قريب وعلى قدر الإمكان.

يجب علينا أن نختار مكاناً يتوفر فيه ما يكون مناسباً لبناء المدينة، ويمكن أن يتمّ تصوّر هذا ووصفه بكلّ سهولة. سنقسّم الدولة إلى اثنتي عشرة قطعة بعدئذ، مقيمين معابد لهيستيا، لزيوس ولأثينا، وذلك في بقعة سندعوها الأكروبوليس Acropolis، وسنحيطها بسور مستدير، جاعلين قسمة المدينة والبلاد كلّها شعاعية من هذه النقطة. إنّ القطع الاثنتي عشرة سوف تتساوى بواسطة الشرط وهو أنّ تلك القطع ذات الأرض الخصبة ستكون أصغر، في حين أنّ تلك القطع ذات النوعية الأسوأ ستكون أكبر. أمّا عدد قطع الأرض فسيكون ٥٠٤٠ قطعة، وستُقسّم كلّ قطعة منها إلى قطعتين اثنتين، وستُركّب كلّ حصة من جزأين اثنين، واحدة من الأرض قرب المدينة والأرض الأخرى على مسافة منها. إنّ هذا الترتيب سيُوضع موضع التنفيذ بالطريقة التالية: سيضاف الجزء الذي يكون قرب المدينة إلى ذلك الجزء الذي يحاذي الحدود، ويشكّل هذا الجزء قطعة محدّدة واحدة. وأمّا القطعة التي تلي في القرب فستضاف إلى قطعة الأرض التالية في البعد؛ وهكذا سنتمّم عملنا في الأرض الباقية. علاوة على ذلك، ففي قطعتي الأرض المحدّدتين سوف تتمّ القاعدة عينها للمساواة في تقسيم الأرض، وينبغي إثبات ذلك. وسوف يتمّ التعويض عن رداءة الأرض وجودتها بتعويض أكثر أو أقلّ. وسيقسّم المشرّع المواطنين إلى اثني عشر جزءاً، وسيرتّب بقية ممتلكاتهم، على قدر الإمكان، كي يشكّل اثني عشر جزءاً متساوياً؛ ويجب أن يتمّ تسجيل الأجزاء جميعاً. وبعدَ ذلك، فإنّ الهيئة الحاكمة سوف تخصّص قطع الأرض المحدّدة الإثنتي عشرة للآلهة الإثني عشر، وستسمّيها باسم كلٍّ منهم، وتُخصّص لكلّ إله أجزاؤه المتعدّدة، وتدعى القبائل على غرار أسمائها. وهم سيوزّعون التقسيمات الإثنتي عشرة للمدينة بالطريقة عينها التي قسّموا بها البلاد إدارياً، وسيحوز كلّ إنسان

مسكنين اثنين، واحداً في وسط البلاد، والآخر عند طرفها. وبعدُ فنكتفي بهذا القدر عن أسلوب التوطين.

والآن يجب علينا مهما كلّف الأمر أن نعتبر أنّه لا يمكن أن يكون هكذا تعاون والتقاء سعيد للحالات كالتعاون واللقاء اللذين وصفناهما. لا ولا يمكن أن تتزامن وتتطابق كلّ الأشياء كما يُراد لها. إنّ الذين لن يقوموا بأيّ اعتداء في نمطٍ كهذا من أنماط الحياة معاً، وسوف يصبّرون ويتحمّلون حياتهم بطولها كي تكون ممتلكاتهم محدَّدة بشكل معتدل، ولكي ينجبوا الأطفال وفقاً لقوانيننا المحليّة، وسوف يسمحون لأنفسهم بالتجرّد من الذهب ومن الأشياء الأخرى التي سيمنعها المشرّع بكلّ تأكيد، كما هو واضح من هذه التشريعات. وسيصبرون على ما هو أبعد من ذلك، وهي حالة الأرض مع المدينة المقامة في الوسط والساكنون ملتفّون حولها بشكل دائريّ، إنّ كلّ هذه الأشياء تكون كما لو أنَّ المشرّع يخبر عن أحلامه، أو يصنع مدينة ومواطنين من شمع. هناك حقيقة في هذه الأهداف التي نصبو إليها، ولذلك يجب على كلّ شخص أن يتقبّل بملء قلبه ما أنا ذاهب لأقوله. سيظهر المشرّع مرّة ثانية ويخاطبنا حينئذ قائلاً: « أوه يا أصدقائي، لا تفترضوني جاهلاً بأنّ هناك درجة محدّدة للحقيقة في كلماتكم؛ لكنّي أرى أنّ مَنْ يعرض نموذجاً لذلك الذي يهدف إليه، وفي القضايا التي ليست قضايا الحاضر بل المستقبل، إنّي أرى أنّه ينبغي أن لا يقصّر عن القضايا الأجمل والأحقّ. أمّا إذا وجد أنَّ أيّ جزء من هذا العمل يستحيل تحقيقه، فينبغي عليه أن يتفاداه وأن لا ينفذّه. لكن ينبغي عليه أن يجاهد كي ينفّذ ذلك الأقرب والأكثر نسباً إليه. يجب أن تسمح للمشرّع بأن يتمّم تصميمه، وعند إتمامه، يلزمك أن تنضمَّ معه في اعتبار أيّ جزء من تشريعه يكون ملائماً وأيّهُ سيثير معارضة ضدّه؛ بالتأكيد، إنّ الفنّان الذي يُعتبر جديراً بأيّ

تقدير على الإطلاق، ينبغي أن يكون عمله متساوق الأجزاء على الدوام ».

وبما أنّنا قرّرنا أنّ الدولة سيتمّ تقسيمها إلى اثني عشر جزءاً، دعنا نرى الآن في أيّة طريقة يمكن أن يُنجز هذا القرار. ليس هناك صعوبة في إدراك أنّ الأجزاء الإثني عشر تقبل بالعدد الأكثر من التقسيمات لتلك التي تشملها، أو في رؤية للأعداد الأخرى التي تكون أعداداً مترابطة معها منطقياً، والتي تُحدث منها صعوداً إلى العدد ٥٠٤٠؛ وهكذا فإنّ القانون يجب أن ينظّم فروع القبائل ووحدات التقسيمات الإداريّة والقرى، والرتب العسكرية والتحرّكات أيضاً، والقطع النقديّة والمقاييس الجافّة منها والسائلة، وأنّ ينظّم الأوزان، وذلك كي تكون كلّها متناسبة ومتّفقة بعضها مع البعض. ولا ينبغي علينا أن نخشى ظهور الأشياء المتّسمة بالاهتمام الدقيق بالتفاصيل، إذا أمرَ القانون بأنّ كلّ الأوعية التي يقتنيها إنسان ينبغي أن يكون لها مقياس مشترك، عندما نعتبر بشكل عامّ أنّ تقسيمات الأعداد وتنوّعاتها لها استعمال في كلّ التنوعات القابلة لذلك. ويتم هذا في أنفسها وكمقاييس للارتفاع والعمق كليهما، وفي كلّ الأصوات، وفي الحركات، كما في تلك الحركات التي تواصل تحرّكها في جهة مستقيمة والتي تتّجه صعوداً ونزولاً، وكما في تلك الحركات التي تدور على محورها. على المشرّع أن يعتبر كلّ هذه الأشياء وأن يأمر المواطنين، بقدر ما يكون ذلك ممكناً، أن لا يزيغ بصرهم عن النظام العدديّ. فما من أداةٍ مفردة من أدوات تعليم الشباب لها من القوّة العظيمة مثلما لدراسة علم الحساب، وذلك في ما يختصّ بالاقتصاد المحليّ وبعلوم السياسة وفي الفنون. وفوق كلّ ذلك فإنّ علم الحساب يحرّك بسرعة من يكون ميّالاً إلى النوم وبليداً بالطبيعة، ويجعله سريع التعلّم أيضاً، قويّ الذاكرة، داهيةً، ومُسَاعداً بفنّ إلهيّ فإنّه يحقّق تقدّماً ما وراء قواه الطبيعية تماماً[٢٤]. إنّ كلّ هذه الأشياء ستكون أدوات

ممتازة ومناسبة من أدوات التعليم، إذا استطاع المشرّع أن يتخلّص من الخِسّة واشتهاء ما ليس ملكه وذلك من أرواح الرجال بواسطة القوانين والتشريعات الأخرى فقط. وهكذا يمكنهم استعمالها بشكل مناسب ولخيرهم الخاصّ. لكن إذا لم يستطع المشرّع فعل ذلك، فإنّه سيخلق فيهم عن غير قصد، وبدل الحكمة، سيخلق فيهم عادة الخداع التي يمكن مراقبة الميل السيّىء لها في الفينيقيّين والمصريّين، وفي السلالات الأخرى، وذلك بواسطة السوقيّة العامّة لِمَا يتعقّبون ويكتسبون. سواء إذا كان السببُ في ذلك مشرّعاً غير جدير بالتقدير، أو إعاقةً من عوائق الحظ أو عوائق الطبيعة. ونحن يجب أن لا نخفق في المراقبة، أوه يا ميغيلوس وكلينياس، أن هناك فرقاً في الأماكن، وأنّ بعضها ينجب رجالاً أفضل وتنجب الأماكن الأخرى رجالاً أسوأ، وينبغي علينا أن نشرّع وفق ذلك. إنّ بعض الأمكنة عرضة لتأثيرات غريبة ومهلكة، وذلك بسبب الرياح المتنوّعة والحرارة العنيفة، وبعضها بسبب المياه، أو من صفة الغذاء مرّة ثانية الذي تعطيه الأرض، والذي لا يؤثّر على أجسام الرجال فقط خيراً أو شرّاً، بل ينتج نتائج مشابهة في أرواحهم. وفي كلّ نوعيّات كهذه فإنّ تلك البقع تفوق تلك التي يوجد فيها إلهام إلهيّ، والتي عيّن فيها أنصاف الآلهة أرضهم المحدّدة، وتكون مبشّرة بالخير وليست معاكسة للقاطنين عليها. إنّ المشرّع سوف يشرف على كلّ هذه القضايا، إذا كان لديه أيّ إدراك، بقدر ما يستطيعه الرجال. ولسوف يصيغ قوانينه طبقاً لذلك. وهذا ما يجب عليك أن تفعله، يا كلينياس، وينبغي أن توجّه تفكيرك إلى قضايا من هذا النوع، بما أنّك في طريقك لاستعمار بلاد جديدة.

كلينياس: إنّ كلماتك، أيّها الأثيني الغريب، كلمات ممتازة، وسأفعل كما تقول.

محاورة النواميس

الكتاب السادس

افكار الكتاب الرئيسية

يقول الأثيني: وبما أنّنا انتهينا من الخطوات التمهيديّة لبناء الدولة، سنتقدّم إلى تعيين الهيئات القضائيّة ونوضح أسلوب تأسيسها. والذي سيتعيّنون في السلطة الحاكمة هم وعائلاتهم، عليهم أن يعطوا برهاناً مقنعاً على ماهيّتهم كُلاًّ بمفرده، وذلك منذ شبابهم فصاعداً حتى وقت الانتخاب. ويجب أن يكونوا قد تدرّبوا وفق عادات ومسلكيّات القانون، وأن يكونوا متعلّمين جدّاً. وينبغي أن نختار حماة القانون بالعناية الأعظم قبل كلّ شيء، وسيشترك الجميع في اختيار وانتخاب السلطات القضائية الحاكمة، وسيتمّ عقد الانتخاب في أيّ معبد من معابد الدولة الذي يُعتبر معبداً جليلاً. ولن يتبوّأ حامي القانون منصباً لمدّة تزيد عن العشرين سنة، وأن لا يكون عمره أقلّ من خمسين سنة حين انتخابه. وإذا تمّ انتخابه عند بلوغه الستين من العمر، فإنّه سيتبوّأ مركزه لعشر سنوات فقط. وعلينا أن ننتخب القادة العسكريّين، وهؤلاء يجب أن يكون لديهم مساعدون، ضباط، وجنرالات فوارس، وضباط لفرق المشاة أي قادة ألوية وعمداء. وسيتمّ كذلك انتخاب الحكّام والرؤساء ومجلس الشورى، وسيعقد حماة القانون اجتماعاً للجمعيّة العموميّة على أرض مقدّسة لهذا الغرض. وسيتألّف مجلس الشورى من ٣٦٠ عضواً، وسيكون هذا العدد مناسباً للانقسام إلى أجزاء أصغر. وصيغة الانتخاب التي وصفناها تكون وسطاً بين الملكيّة والديموقراطيّة، وستكون المساواة شعاراً لنا لأنّ المساواة تخلق الصداقة. وينبغي علينا أن نراقب الدولة على بحر

السياسات العاصف، تماماً مثلما نراقب الباخرة في عرض البحر ونصونها ليل نهار.

وبعد أن قسّمنا البلاد إلى اثني عشر قسماً، ووضعنا رئيساً على كلّ قسم، يجب علينا الآن أن نعيّن مشرفين على شوارع المدينة، وبيوتها، وبناياتها، ومرافئها، وساحاتها العامّة، وينابيعها، ومقاطعاتها الخاصّة المقدّسة، وهياكلها، وما شابه ذلك. ويجب أن يكون هناك كهنة وكاهنات وخدم للهياكل. وسيتمّ انتخاب الكهنة بالأغلبية، وسيسلم انتخابهم إلى الله ذاته. ومن يحصل منهم على الأغلبية سيجتاز امتحاناً دقيقاً وذلك في ما يتعلّق بسلامة جسده وصحّة مولده الشرعيّ. وعليه أن يبيّن أنّ عائلته تامّة النقاء، غير ملطّخة بجرائم القتل أو بأيّ عمل مماثل لا يتّسم بالتقوى، وأن يكون أبواه قد عاشا حياة مماثلة غير ملطّخة بما يشين ويعيب. وسندع كلّ شيء يكون له حارساً قدر الإمكان. وسيتمّ تحصين البلاد تحصيناً قويّاً لمنع الأعداء من إختراقها مهما كان. وعلينا أن نتذكّر القاعدة العالميّة التي تقول، إنّ الذي لا يكون خادماً جيدّاً لن يكون حاكماً جيّداً. وينبغي على الإنسان أن يعتزّ بنفسه حين الخدمة الجيّدة أكثر ممّا يعتزّ ويتباهى حين القيادة الجيّدة، وسيهتمّ حماتنا اهتماماً بالغاً بالنظام والتثقيف في مكان الألعاب الرياضيّة وفي المدارس، وسيهتمّون بإحياء كلّ فروع العلم من موسيقى وعلوم ورياضة. ويمكن للناموس الذي نسنه أن يتغيّر إذا وافقت الهيئات القضائية ووافق الشعب كلّه ووافق الكهنة على ذلك. وكما قلنا سابقاً، يجب أن يتمّ الزواج وفق أعلى درجات الفضيلة والتناسق، ولا ينبغي أن يكون الغنى أبداً هو الهدف الذي نسعى إليه في الزواج. ولنؤكّد أن السكر هو عمل غير مناسب على الدوام، وهو خطِر جدّاً عندما يكون إنسان منهمكاً في مهمّة الزواج، إذ في مرحلة كهذه يجب على العريس والعروس أن يُسَخِّرا كل مقدرتهما العقلية لهذه المرحلة. وينبغي عليهما أن يأخذا العناية القصوى ليمكن لذريّتهما أن تولد معقولة، متضامّة وصلبة، هادئة ومركّبة بشكل مناسب. إن

السكّير يكون منحرفاً عن السبيل القويم كليّاً في كلّ أعماله، ويكون خارجاً عن نفسه في الروح والجسم كليهما، وسينجب ذريّة غير متوازنة وغير جديرة بالثقة على الأرجح، ولا يمكن أن يُتوَقَّع منها أن تسير سيراً مستقيماً لا في الجسم ولا في الفكر. وسيحيا العروسان بعد الزواج في استقلالية تامّة، يزورهما آباؤهما وأصدقاؤهما والأقربون. ونحن نشدّد على ألاّ نبني سوراً من الأحجار حول المدينة بغرض حمايتها، والسور الذي يجب أن يُبنى هو من الرجال المتمنطقين بالسّلاح واللابسين الخوذات والدروع. ونقول إنّ أمن المواطنين وسلامتهم لا يتمّان ببناء البوّابات الحديدية والأسوار المنيعة، بل يتمّان بيقظتهم وسهرهم وكدحهم وتفاهمهم. أرى أنّ كلّ الأشياء بين الرجال تعتمد على حاجات ورغبات ثلاث، غايتها الفضيلة، وهي الأكل والشرب اللذان يبدآن عند الولادة؛ أمّا الحاجة الثالثة فهي الأعظم والأكثر حدّة. إنّها النار التي تثير اللذّة الجنسيّة، والتي توقد في كلّ الرجال أصناف العبث والاستهتار والجنون. وهذه الأشياء الفوضويّة الثلاثة يجب أن نقهرها بالمبادىء الثلاثة العظيمة وهي الخوف والقانون والعقل الحقّ، وأن نغيّر اتّجاهها من الاتّجاه الألذّ إلى الاتّجاه الأفضل. وسنعاقب مَنْ لا يطيع القانون ونثيبُ المطيع والذي يهتدي بهديه. وينبغي أن يتمّ عقد قران الفتاة بين سنّ السادسة عشرة وسن العشرين كأبعد مدى. وسندع المرأة تتساوى بالرجل وترتقي المناصب في سنّ الأربعين، وأن يرتقيه الرجل في سنّ الثلاثين. وسيكون الرجل مؤهّلاً للخدمة العسكرية من سنّ العشرين إلى سنّ الستين. أمّا المرأة فستؤدّي هذه الخدمة بعد أن تكون قد أنجبت وربّت الأطفال صعوداً إلى سنّ الخمسين، وأمام ناظريها اعتبار لما هو ممكن ومناسب للفرد في هذا الحقل.

محاورة النواميس

الكتاب السادس

الأثيني الغريب: وبعدُ فما دمنا قد أوجدنا نهاية للخطوات التمهيديّة، فإنّنا ستتقدّم إلى تعيين الهيئات القضائيّة.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: هناك جزآن اثنان في تنظيم الدولة: الأوّل، عدد الهيئات القضائيّة وطريقة إنشائها؛ وثانياً، فإنّها عند إنشائها يجب أن تُجهَّز بالقوانين المناسبة طبيعةً وعدداً لكلٍّ منها ثانية. لكن قبل انتخاب الهيئات القضائيّة دعنا نتوقّف قليلاً ونقول كلمة في موضعها بشأن انتخابها.

كلينياس: ماذا لديك لتقول؟

الأثيني: هذا ما يجب عليَّ قوله: يستطيع كلّ شخص أن يرى، وهو برغم أنّ عمل المشرّع هو المسألة الأكثر أهميّة، ومع ذلك فإنّ مدينة منظّمة تنظيماً جيّداً إذا أضافت إلى قوانين صالحة مراكز غير مناسبة، فليس معنى ذلك أنّه لا نفع في امتلاك القوانين الجيّدة فقط، ليس فقط أنّها ستكون قوانين مضحكة وعديمة القيمة، بل إنّها ستكون الضّرر العامّ الأكبر، ومن المحتمل أن ينشأ الشرّ منها كنتيجة حتميّة.

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: دعنا نراقب الآن إذن، يا صديقي، ماذا سيحدث في ناموس دولتنا العتيدة. في المقام الأوّل، إنّ أولئك الذين يُعيّنون في السلطة الحاكمة هم وعائلاتهم كما ينبغي، ستعترف بأنّه يجب عليهم أن يُعطوا برهاناً مقنعاً عن ماهيّتهم كلٌّ بمفرده، وذلك منذ شبابهم فصاعداً أي إلى وقت الانتخاب؛ وفي المقام

الثاني؛ فإنّ أولئك الذين يجب أن ينتخبوا ينبغي أن يكونوا قد تدرّبوا وفق عادات ومسلكيات القانون، وأن يكونوا متعلّمين جيّداً، وذلك ليتمكنوا من امتلاك حكم صحيح على الأشياء، وكذلك ليقدروا على اختيار أو رفض الرجال الذين يصادقون عليهم أو لا يصادقون، مثلما يكون هؤلاء جديرين بالأولى أو الثانية. لكن كيف نستطيع أن نتصوّر أنّ أولئك الذين يُحضرون معاً للمّرة الأولى، سوف يتحاشون الوقوع في أخطاء اختيار السلطة الحاكمة؟

كلينياس: مستحيل.

الأثيني: لكن عند بدء المباراة لمرّة واحدة، يقولون، إنّ الاعتذارات لن تجدي نفعاً. سأخبرك ،عندئذ. ما ينبغي عليك وعلينا عمله. بما أنّك، ومعك تسعة آخرون، كما أخبرتني، أبديتم استعداداً لإقامة الدولة الجديدة بالنيابة عن شعب جزيرة كريت، وأردتم أن أساعدكم بواسطة اختراع الروح الرومانتيكيّة الحاضرة، أو بواسطة القصة النثرية ذات الطابع البطوليّ. ولا يجب عليَّ بالتأكيد أن أترك القصّة تهيم بدون رأس في كلّ أرجاء العالم ـ إنّ الحيوان المخيف الشكل الذي لا رأس له هو شيء بشع هكذا.

كلينياس: ممتاز، أيّها الغريب.

الأثيني: نعم، وسأكون صالحاً كصلاح كلماتي.

كلينياس: دعنا نفعل كما تقترح مهما كلّف الأمر.

الأثيني: إنّ ذلك ما سيكون، بعناية الله وهديه، إذا سمح لي بذلك تقدّم السنّ فقط.

كلينياس: لكن الله سيكون كريماً وشفوقاً.

الأثيني: نعم، وتحت هداية الله ورعايته دعنا نتأمّل ملياً نقطة رئيسيّة أبعد.

كلينياس: ما هي هذه النقطة؟

الأثيني: دعنا نتذكّر أيّ إبداع مجنون وجسور تكون مدينتنا هذه؟

كلينياس: بماذا فكّرت عندما قلت ذلك؟

الأثيني: فكّرت بالأسلوب الحرّ والسهل الذي أقمناه، وهو أنّ المستعمرين القليلي الخبرة سوف يتلقّون قوانيننا. وبعدُ فإن إنساناً لا يحتاج لأن يكون عاقلاً جدّاً، يا كلينياس، وذلك كي يرى أن لا أحد يستطيع أن يتلقّى القوانين عند عبئها الثقيل الأوّل بسهولة. لكنّنا إذا استطعنا أن ننتظر كيفما اتّفق، إلى أن يأخذ أولئك الذين قد صُبغوا بها منذ طفولتهم، والذين قد تغذّوا بها، وأصبحوا متعوّدين عليها، أقول، إلى أن يأخذ أولئك دوراً في الانتخابات العامّة للدولة، وأقول ثانية، إذا أمكن إنجاز هذا، وإنجازه حقّاً بأيّة طريقة أو وسيلة، حينئذ، فإنّني أعتقد بأنّه سيكون هناك خطر طفيف جدّاً على دولة تدرّبت هكذا، عند نهاية ذلك الوقت، وما أَلِفته لم يصبح بعدُ ثابتاً ودائماً.

كلينياس: إنّها لفرضيّة معقولة.

الأثيني: دعنا نتصوّر مخرجاً من صعوبتنا إذن، إذا استطعنا ذلك. إنّي أؤكّد، يا كلينياس، أنّ الكنوسيّين، فوق كلّ الكريتيين الآخرين، لا ينبغي أن يقتنعوا بإطلاق كلّ مهمّتهم نحو المستعمرة بشكل ظاهر للعيان. بل يجب عليهم أن يتحمّلوا الألم لأقصى حدوده كي يوطّدوا المناصب التي أوجدوها بادىء ذي بدء، وذلك بالطريقة الأفضل والأكثر تأكيداً، وينطبق هذا على اختيار حماة الناموس فوق الجميع، والذين يجب اختيارهم بالعناية الأعظم قبل كلّ شيء، أمّا الآخرون فشأنهم أقلّ أهميّة.

كلينياس: أيّ أسلوب يمكننا أن نستنبط لانتخابهم؟

الأثيني: ستكون هذه الطريقة هي الطريقة التي سأخاطبهم بها: سأقول لهم، أيّها الأبناء الكريتيون، بقدر ما لدى الكنوسيّين من حقّ التقدّم والصدارة على الدول الأخرى، فإنّهم يجب أن يختاروا مجموعة مؤلّفة من سبع وثلاثين

مجموعةً، على غرار أولئك الذين انضمُّوا لهذه المستوطنة، تسعة عشر منهم كونهم مأخوذين من المستوطنين والباقون من مواطني كنوسوس. وسوف يبدأ الكنوسيّون بإيجاد مستعمرتكم من المجموعة الثانية، وستكون أنت واحداً من الثمانية عشر، وستصبح مواطناً لدولة جديدة. وإذا لم تستطيعوا إقناع أنفسكم بالذهاب، فإنّ الكنوسيين يمكن أن يستخدموا العنف قليلاً ليعيِّنوكم بعدل.

كلينياس: أيّها الغريب، لماذا لا تأخذ أنت وميغيلوس دوراً في مدينتنا الجديدة؟

الأثيني: أوه، يا كلينياس، إنّ أثينا لمتكبّرة، واسبرطة أيضاً، وهما قطعتا شوطاً بعيداً في هذا المجال. لكنّكم أنتم والمستعمرين الآخرين بشكل مماثل مركَّزون في أماكنكم، كما تصف وبشكل مناسب. إنّني تكلّمت عن الطريقة التي يمكن أن يكون المواطنون الجدد فيها مدبَّرين بالشكل الأفضل وفق الحالات الحاضرة. لكن إذا استمرّت المدينة في الوجود إلى ما بعد الأجيال المتعاقبة، فدع الانتخاب يكون بهذه الطريقة. كلّ الجنود الخيّالة وجنود المشاة الذين كانوا في الخدمة العسكرية أو شهدوها في الأعمار المناسبة، وعندما كانوا مناسبين للانضمام إليها كلٌّ بمفرده(٢٥)، كلّ هؤلاء سيتمّ اشتراكهم في انتخاب السلطات القضائيّة الحاكمة. وسيتمّ عقد الانتخاب في أيّ معبد من معابد الدولة يُعتبر معبداً جليلاً، وسيدلي كلّ شخص بصوته في محراب الله، كاتباً على لوحٍ اسم الشخص الذي يصوّت له، ذاكراً اسم أبيه واسم قبيلته واسم دائرته الانتخابية، وسوف يكتب على جانب اللّوحة اسمه بأسلوب مماثل. يمكن لأيّ شخص يرغب أن يأخذ أيّة لوحة يتصوّر أنّها لم تُملأ جيّداً أو بالشكل المناسب، وأن يعرضها في الساحة العامة لوقت ليس أقل من ثلاثين يوماً. إنّ اللوحات التي تمَّ تقويمها لتكون اللوحات الأولى، حتى رقم الثلاثمائة، ستريها السلطات القضائيّة الحاكمة للمدينة كلّها،

وسيختار المواطنون المرشحين الذين يفضّلونهم من هذه اللوحات بطريقة مماثلة. وسيُعرض الاختيار الثاني للرقم مائة، على المواطنين مرّة ثانية. وفي الاختيار الثالث، دع أيّ شخص يحب أن يختار الذي يسرّه من العدد مئة، مارّاً بين أطراف الضحايا. ودعهم يختارون للهيئة القضائية الحاكمة ويعلنون نجاح السبعة والثلاثين الذين لديهم العدد الأكبر من الأصوات. لكن مَنْ سينظّم لنا في المستعمرة، يا كلينياس وميغيلوس، كلّ هذه القضايا من قضايا الهيئة القضائيّة الحاكمة، ويدقق فيها كذلك؟ إذا تأمّلنا مليّاً، فإنّنا سنرى أنّ المدن في طور البناء، مثل مدينتنا، يجب أن يكون لديها أشخاص كهؤلاء لا يستطيعون مهما حدث أن يُنتخبوا قبل أن تكون هناك هيئة قضائيّة حاكمة. ومع ذلك يجب أن يتمّ انتخابهم بطريقة ما، وهم لن يكونوا رجالاً وضيعين، بل هم أفضل ما يمكن وجوده من رجال. وكما يقول المثل « إنّ البداية الجيّدة نصف العمل »، « أو أن تبتدىء جيّداً »، وهذه ممّا يثني عليه الجميع. وفي رأيي البداية الجيّدة هي مقدار كبير أكثر من نصف العمل، لكن أحداً لم يُثنِ عليها بما فيه الكفاية.

كلينياس: هذا حقيقيّ تماماً.

الأثيني: دعنا نعترف بالصعوبة إذن، وأن لا نخفق في جعلها واضحة وجليّة لعقولنا، وكيفية إنجاز ذلك. هناك اقتراح واحد فقط يجب عليّ تقديمه، وهذا الاقتراح ضروري ومناسب حسب الحالات التي أتممنا بحثها.

كلينياس: وما هو هذا الاقتراح؟

الأثيني: أؤكّد أنّ هذه المستعمرة التي تخصّنا لديها أمٌّ وأبٌ مختلفان عن الدولة المستعمِرة. حسناً، إنّني أعرف أنّ المستعمرات العديدة قد كانت، وستكون، في عداوة مع آبائها. لكن في الأيّام الممعنة في القِدَم فإنّ الطّفل يُحِبُّ ويُحَبُّ، كما يحدث في كلّ عائلة. حتى إذا أتى وقت متأخّر عندما تُحلُّ

الروابط هذه، يبقى أنّ الطفل يحب آباءه وهما يبادلانه المحبّة، ويلجأ إلى أقربائه لحمايته، ويجد فيهم حلفاءه الطبيعيين الوحيدين وقت الحاجة، وذلك عندما يكون فتياً جدّاً ليحمي نفسه ويصونها. هذا الشعور الأبويّ موجود عند الكنوسيين بشكل مسبق، وبسبب عنايتهم بالمدينة الجديدة ورعايتهم لها، هناك شعور من جانبها نحو كنوسوس. وإنّي أكرِّر ما قد قلته - إذ ليس هناك ضرر في ترديد الشيء الصالح، وهو أنّ الكنوسيين ينبغي أن يتّخذوا مصلحة مشتركة في كلّ هذه القضايا، وأن يختاروا المستعمرين الأقدم والأفضل، بقدر ما يستطيعون، طبقاً للعدد الذي لا يقلّ عن مائة، ولندع وجود مائة آخرين من المستعمرين أنفسهم. وأقول، إنّه يجب على هؤلاء عند وصولهم، أن يشتركوا بعناية في وجوب تعيين الهيئات القضائيّة الحاكمة طبقاً للقانون، وينبغي عليهم عند تعيينهم أن يجتازوا إمتحاناً دقيقاً. وعندما يتمّ إنجاز هذا، فإنّ الكنوسيين سيعودون إلى البلاد وستقوم المدينة بأفضل ما تقدر عليه لوقايتها وسعادتها. سأريد من السبعة والثلاثين الآن، وخلال الزمن المستقبلي كلّه أن يتمّموا واجباتهم. في المقام الأوّل، دعهم يحمون القانون؛ وثانياً يتولون حماية المسجّلين الذين يسجّل كلّ واحد منهم أمام الهيئة القضائيّة كميّة ممتلكاته، ما عدا أربع مينات مسموح بها لكلّ مواطن من الدرجة الأولى، وثلاث مينات لمواطن الدرجة الثانية، واثنتين لمواطني الثالثة، ومينا واحدة لمواطني الرابعة. وإذا ازدرى شخص ما بالقوانين قصد الربح، من أجل اقتناء شيء لم يتمّ تسجيله، فدع كلّ ذلك الذي يمتلكه زيادة يُصادَر. بالإضافة إلى ذلك، دعه يتعرّض لحالة هي عكس الحالة المشرّفة أو المحظوظة بالسعادة. دع مَن يشاء أن يقاضيه بتهمة حبّ الربح الخسيس، وأن يواصل اتّهامه له أمام حماة القانون. وإذا أُدين، دعه يفقد حصّته من المقتنيات العامّة. وعندما يكون هناك أيّ توزيع عامّ لأيّ شيء، فدعه لا يمتلك شيئاً

سوى قطعة أرضه الأصليّة المحدَّدة. ودع اسمه يُدوّن كرجل مُدان مهما طال أمد حياته. وبوسع أيّ شخص أن يسرد اعتداءاته في المكان الذي يرغب. إنّ حامي الناموس لن يتبوّأ منصباً لمدّةٍ تزيد عن عشرين سنة، ويجب أن لا يكون عمره أقلّ من خمسين سنة عند انتخابه. وإذا تمّ انتخابه عند بلوغه الستّين من العمر، فإنّه سيتبوّأ مركزاً لعشر سنوات فقط. وبناءً على المبدأ عينه، ينبغي عليه أن لا يتصوّر أنّه سيُسمح له أن يتبوّأ مركزاً مهمّاً كهذا، أي كحامٍ للناموس بعد بلوغه سنّ السبعين، إذا ما عاش لفترة كهذه.

إنّ هذه النواميس المحليّة الثلاثة الأولى هي نواميس حماة الناموس، وعندما يتقدّم عمل المشرّع، فإنّ كلّ ناموس بالمقابل سوف يخصِّص لهم واجباتهم المستقبليّة. وبعدُ يمكننا أن نواصل ما نعمل له للكلام عن انتخاب الموظفين الآخرين في الدولة، لأنّه يجب انتخاب القادة العسكريّين. وهؤلاء ينبغي أن يكون لديهم مساعدون، ضباط، وجنرالات فوارس، وضباط لفرق المشاة، سيُدعون بأسمائهم الشعبيّة المحبّبة حقّاً، قادة ألوية وعمداء. إنّ حماة الناموس سيقترحون كقادة عسكريّين، رجالاً من أبناء المدينة، وسيُهَيِّيء أولئك الذين يكونون أو قد كانوا في سنّ مناسبة للخدمة العسكريّة، سيهيئون نخبة من الشباب المقترحين لذلك. وإذا لم يتمّ اقتراح أيّ شخص ممّن يُعتقد به أنّه أفضل من الشخص الذي اختاروه، دعهم يسمون أيّ شخص يفضّلونه ليحلّ محلّ شخص آخر. وكذلك، يؤدّي قَسَماً بأن يكون أفضل، وأن يقترحوه كبديل، وسيتمّ قبول أيّ انسان صادقوا عليه بالتصويت في الاختيار النهائيّ. وسيتمّ تعيين الأشخاص الثلاثة الذين حصلوا على العدد الأكبر من الأصوات، سيتمّ تعيينهم قادة عسكريين ومراقبين على الشؤون العسكريّة بعد اجتيازهم امتحاناً دقيقاً بشكل مسبق، مثل الفحص الدقيق الذي اجتازه حماة الناموس. ودع القادة العسكريين المنتخبين بهذه الطريقة يقترحون اثني

عشر قائد لواء، من كلّ قبيلة واحد. وهناك حقّ لاقتراح مضادّ تماماً مثلما هي الحالة في انتخاب القادة العسكريّين. وسيأخذ القرار والتصويت مكانهما بالطريقة عينها. وإلى أن يتمّ انتخاب الحكّام والرؤساء The Prytanes ومجلس الشورى، إلى أن يتمّ ذلك فإنّ حماة الناموس سيعقدون اجتماعاً للجمعيّة العموميّة على أرض مقدّسة، الأرض الأكثر مناسبة لهذا الغرض. وسيضعون المحاربين الأثينيين المشاة المدجّجين بالسلاح هم بأنفسهم وكذلك الفرسان، وسيضعون في الفرقة الثالثة بقيّة جنود الجيش كلّه. يجب على الجميع أن يصوّتوا لقادة الجيش [وللكولونات الفرسان]، لكنّ قادة الألوية ينبغي أن يصوّت لهم أولئك الذين يحملون الدروع « كمثال، المحاربين المشاة المدجّجين بالسلاح ». دع جماعة الفرسان Phylarchs[٢٦] تختار القادة العسكريّين لكنّ قادة الفرق الخفيفة تسليحاً، أو الرّماة، أو أيّة فرقة أخرى من فرق الجيش، كلّ هؤلاء سوف يعيّنهم قادة الجيش أنفسهم. يبقى تعيين ضبّاط الفرسان فقط: وهؤلاء سوف يتمّ اقتراح تعيينهم من قبل الأشخاص الذين اقترحوا تعيين قادة الجيش، وسيُنظّم الانتخاب والاقتراح المضادّ للمرشّحين الآخرين بالطريقة عينها مثلما كانت الحالة في تنصيب قادة الجيش. ودع الفرسان يصوتون وأن تراقب كتيبة المشاة هذا العمل أثناء الانتخاب. وأمّا الاثنان اللذان حصلا على العدد الأكبر أثناء التصويت فسيكونان قائدين لكلّ الفرسان. يمكن أن ينشأ جدل بشأن التصويت مرّة أو مرّتين، لكن إذا نشأ جدل للمرّة الثالثة، فإنّ الضباط الذين يشرفون على الانتخابات المتعدّدة سيقرّرون ذلك بالتصويت.

إنّ مجلس الشورى سيتألف من ١٢×٣٠ (12x30) عضواً، والعدد ٣٦٠ (360)سيكون عدداً مناسباً للانقسام إلى أجزاء أصغر. وإذا قسّمنا العدد إلى أربعة أجزاء، وكلّ جزء يتألّف من العدد تسعين، فإنّنا نحصل على تسعين

عضواً في المجلس لكلّ طبقة. وبادىء ذي بدء، كلّ المواطنين سيختارون مرشّحين من الطبقة الأولى؛ إنّهم سيُجبرون على التصويت، وإذا لم يفعلوا، فسوف يُغرَّمون كما ينبغي. وعند إتمام اختيار المرشّحين، سيسجّلهم شخص ما، وسيكون هذا العمل عمل اليوم الأوّل. وفي اليوم التالي، سيتمّ اختيار المرشحين من الطبقة الثانية بالطريقة عينها ووفق الحالات عينها، كما كانت الحال عليه في اليوم السابق. وأمّا في اليوم الثالث فالاختيار سيتمّ من الطبقة الثالثة، ويمكن لأيّ شخص أن يدلي بصوته أثناءه إذا رغب. وستُجبر الطبقات الثلاث الأولى على التصويت، لكنّ الطبقة الرابعة والأدنى لن تُجبر على فعل أيّ شيء، ولن يُعاقب أيّ عضو من أعضائها إذا لم يصوّت. وفي اليوم الرابع سيتّم اختيار المرشّحين من الطبقة الرابعة والأصغر؛ وسيختارهم الجميع، لكنّ الذي يكون من الطبقة الرابعة لن يقاسي أيّة عقوبة، وكذلك الذي يكون من الطبقة الثالثة إذا لم يشأ أن يصوّت لأحد. لكن الذي يكون من الطبقة الأولى أو الثانية سيُعاقب إذا لم يصوّت؛ وأمّا الذي يكون من الطبقة الثانية فسيدفع غرامة مقدارها ثلاثة أضعاف الغرامة التي اقتضى فرضها في البداية. والذي من الطبقة الأولى سيدفع غرامة مقدارها أربعة أضعاف. وسوف ينشر الحكام في اليوم الخامس الأسماء التي تمّ تدوينها، وذلك كي يراها المواطنون جميعاً. وسيختار كلّ إنسان منهم، وتحت العذاب إن لم يفعل ذلك، سيختار مقاساة العقاب. وحينما يختار المواطنون مئة وثمانين شخصاً من كلّ طبقة، فإنّهم سيختارون نصفهم بالأكثرية بعدئذ، وسيجتاز هؤلاء اختباراً دقيقاً، وسيشكّلون مجلس الشورى السنويّ.

إنّ صيغة الانتخاب التي تمّ وصفها هي صيغة وسط بين الملكيّة والديموقراطية، وعلى الدولة أن تراقب حالة وسطاً كهذه على الدوام. إنّ الخدم والأسياد لا يمكنهم أن يكونوا أصدقاء أبداً، وكذلك الأخيار والأشرار،

لأنّهم أعلنوا أنّ لديهم امتيازات متساوية فحسب؛ إذ لغير المتساوين يصبح المتساوون غير متساوين، إذا لم يتوافقوا بواسطة القياس. والمدن ممتلئة بالتحريضات على الفتنة والعصيان، بسبب المساْواة، وبسبب عدم المساواة كذلك. إنّ القول القديم القائل « المساواة تخلق الصداقة »، هو قول سعيد وحقيقي أيضاً. لكن هناك غموضاً وارتباكاً في أيّ نوع من أنواع المساواة ينمّ القصد عنه، إذ هناك نوعان من أنواع المساواة مسمّيان بالاسم عينه. لكنّهما في الحقيقة متضادان في عدّة وجوه تقريباً. يمكن لأية دولة أو لأي مشرّع تقديم أحدهما في توزيع التكريمات بدون صعوبة، أعني التكريمات التي للمقياس، للوزن، وللعدد، التي يثبتها المشرّع بالأكثرية. لكنّ هناك مساواة أخرى، أفضل وأسمى، ولا تميَّز بسهولة. هذا الحكم هو حكم زيوس، لكنّه حكم يفيد قليلاً بين الرجال، وهذا القليل، على كلّ حال، هو مصدر الخير الأعظم للأفراد وللدول لأنّه يعطي للأكبر أكثر ويعطي للأدنى أقلّ، ويهب وفقاً لطبيعة كلٍّ منهما. وفوق كلّ شيء، يمنح تكريماً أكبر للفضيلة الأكبر على الدوام، وللفضيلة الأقلّ تكريماً أقل، ويعطي لأيّ منهما حسب الفضيلة والتعليم وفق مقياسهما الخاصّ بهما. وهذا هو العدل، وهو المبدأ الحقيقي للدول أبداً والذي يجب أن نهدف إليه، وأن ننظِّم الدولة الجديدة طبقاً لهذه القاعدة التي تمّ وضعها الآن. وإذا ما وُجدت أيّة مدينة فيما بعد، فعلى المشرّع أن يتطلّع لها ويمعن النظر فيها، - وأن لا يفعل ذلك لمنافع الطّغاة مفردهم وكثرتهم، أو إلى سلطة الشعب، بل أن يقوم بذلك في سبيل العدل على الدوام، والذي، كما قلت عنه، هو توزيع المساواة الطبيعيّة بين اللامتساوين في كلّ حالة. لكنّ هناك أوقاتاً تُجبر كلّ دولة فيها على استعمال الكلمات: « عادل »، « متساوٍ » في معنىً يأتي الثاني رتبةً، وتفعل ذلك على أمل التخلّص من الشقاقات بدرجة ما. إنّ الأسهم غير العادية في

الممتلكات والانغماس الذاتي هما خرقان لحكم الناموس التامّ والدقيق، وهذا هو السبب الذي من أجله نكون مُلزمين لاستعمال المساواة على العدد الوافر من الأشخاص، وذلك كي نتحاشى سخط الشعب. وهكذا فإنّنا نتضرّع إلى الله والحظّ السعيد في صلواتنا، ونتوسّلهما ليرشدا العدد الوافر من الناس على أمل تحقيق العدل الأسمى. ولهذا السبب، وبرغم أنّنا مجبرون على استخدام هاتين المساواتين، فإنّنا يجب أن نستخدمهما في ذلك الذي يدخل فيه أحد عناصر المصادفة ونادراً قدر المستطاع.

وهكذا، يا أصدقائي، وللأسباب التي ذكرناها، ينبغي على أي دولة أن تفعل الذي تطيقه والذي ينقذها. لكن كما أن الباخرة المبحرة في عرض البحر يجب مراقبتها وصيانتها ليل نهار، كذلك يجب مراقبة الدولة بالطريقة عينها، على بحر السياسات الخارجية العاصف، الذي تتعرض فيه الدولة لكلّ أنواع الهجومات الغادرة. ولهذا يجب على الحكام أن يشبكوا الأيدي معاً، من الصباح إلى المساء، ومن المساء إلى الصباح، وأن يفعل ذلك الحراس مع الحراس، متلاقين وواثقين بعضهم بالبعض في تتابع أبديّ. وبعد فإنّ الأكثريّة لا يمكنها أبداً أن تؤدّي واجبها من هذا النوع بمثل ما تؤدّيه بأيّ شيء كالقوّة والمقدرة. علاوة على ذلك، فإنّ العدد الأكبر من أعضاء مجلس الشيوخ يجب أن يُتركوا أثناء القسم الأكبر من السنة لتنظيم اهتماماتهم ببيوتهم الخاصّة. ولهذا يجب تنظيمهم في اثني عشر جزءاً متطابقة مع الأشهر الاثني عشر، وعليهم أن يجهّزوا حماةً للدولة، وسيكون كلّ قسم منهم لشهر بمفرده. ويجب على هؤلاء الحماة أن يكون عملهم في متناول اليد وجاهزاً، وعليهم أن يتلقّوا أيّ غريب أو مواطن يأتي إليهم، سواء إذا كان لديه معلومات، أو يطرح سؤالاً سألته مدينة أخرى، فيجب على مدينتنا أن تجيب عليه، أو إذا ما سألته مدينتنا للمدن الأخرى، فيجب أن يتلقّى له

جواباً بالمقابل، أو ثانية، عندما يكون هناك احتمال قويّ بقيام الاضطرابات السياسيّة والاجتماعيّة الداخليّة، والمتوقّع حدوثها بشكل أو بآخر على الدوام، فإنّهم سيمنعون وقوعها، إذا استطاعوا؛ أو إذا وقعت بشكل مسبق، فإنّهم لن يضيّعوا وقتاً في إخبار المدينة عنها، وعليهم أن يشفوا المدينة من السوء حينئذ. ومن أجل ذلك أيضاً، فإنّ هذه المجموعة التي تشرف على مقدرات الدولة يجب أن يكون لها ضبط وتوجيه جمعيّاتها العموميّة على الدوام، وأن تكون لها قدرة حلّ العاديّة منها وغير العاديّة. إنّ كلّ هذه الأشياء ينبغي أن تُنظَّم بالقسم الثاني عشر من مجلس الشورى، هذا القسم الذي يجب أن يكون يقظاً مع الضبّاط الآخرين في الدولة خلال جزء واحد من أجزاء السنة.

هكذا ستُنظَّم المدينة بعدل. وبعدُ فمن الذي يشرف على البلاد، وماذا سيكون ترتيب ذلك؟ لقد رأينا أن المدينة جميعها والبلاد كلّها تمّ تقسيمها إلى اثني عشر جزءاً، أفلا ينبغي أن يتم تعيين مشرفين على شوارع المدينة، وعلى بيوتها، وبناياتها، وموانئها، وساحتها العامّة، وينابيعها، ومقاطعاتها الخاصّة المقدّسة، وهياكلها، وما شابه؟

كلينياس: يجب عمل ذلك بالتأكيد.

الأثيني: دعنا نفترض، إذن، أنّه يجب إيجاد خدم للهياكل، وإيجاد كهنة وكاهنات. ينبغي إيجاد مشرفين على الطرقات والبنايات، ومشرفين يعتنون بالرجال، لئلا يقوموا بأيّ أذى، وسيعتنون بالبهائم كذلك داخل محيط المدينة وفي ضواحيها. وهكذا فإنّ ثلاثة أنواع من الضباط يجب تعيينهم، لتُجهزَّ المدينة طبقاً لاحتياجاتها. إنّ أولئك الذين سيعتنون بالمدينة سيُدعون أمناء المدينة؛ وأولئك المعتنون بالساحة العامة سيُسمَّون أمناء الساحة العامّة؛ وأولئك الذين يعتنون بالهياكل سيُدعون كهنة. إنّ أولئك الذين يتبوّأون

المناصب الوراثية ككهنة أو كاهنات لن يتمّ إزعاجهم. لكن إذا وُجدت أقلية منهم أو لم توجد في هذه الحالة، كما قد يحدث هذا عند تأسيس المدينة الجديدة، فإنّ الكهنة والكاهنات سوف يُعيّنون ليكونوا خدم الآلهة الذين لا خدم لهم. إنّ بعض ضبّاطنا سيُنتخبون، وسيُعيَّن الآخرون بالأكثريّة، أولئك الذين يكونون من الشعب وأولئك الذين لا يكونون منه، مختلطين بأسلوب صداقة وفي كلّ مكان من أمكنة المدينة، وذلك كي يتسنّى لها أن يكون تفكيرها واحداً قدر الإمكان. أمّا في ما يتعلّق بالكهنة، فسيتمّ تعيينهم بالأغلبيّة، وفي هذه الطريقة فإنّ انتخابهم سيُسلَّم لله ذاته وذلك ليفعل ما يرضيه. ومَنْ يحصل منهم على الأغلبيّة سوف يجتاز امتحاناً دقيقاً، بادىء ذي بدء، وذلك فيما يتعلّق بسلامة جسده وصحّة مولده الشرعيّ؛ وفي المقام الثاني، لكي يبيِّن أنّه من عائلة تامّة النقاء، غير ملطخة بَجرائم القتل، أو بأيّ عمل مماثل لا يتّسم بالتقوى في شخصه الخاصّ. وكذلك في أن يكون أبواه قد عاشا حياة مماثلة غير ملطّخة بما يشين ويعيب. وبعدُ فإنّ قوانين كلّ الأشياء الإلهيّة يجب أن يتم إحضارها من معبد دلفي، وأن يُعيَّن المسؤولون عنها الذين ستُستخدم كلّ هذه الأشياء وفق توجيههم. إنّ ولاية الكهانة يجب أن تكون لمدّة سنة من الزمن على الدوام وأن لا تزيد عن تلك المدّة. ومن سينجز أعمال المنصب المقدس كما ينبغي، وطبقاً لقوانين الدين، يجب أن لا يقلّ عمره عن ستّين سنة. إنّ القوانين ستكون هي عينها بشأن الكاهنات. أمّا فيما يتعلّق بالمؤوّلين، فسوف يتمّ تعيينهم على هذا النحو: دع القبائل الإثنتي عشرة تُوزَّع إلى أربع مجموعات، ودع كلّ مجموعة تنتخب أربعة أشخاص، شخصاً من كلّ قبيلة داخل المجموعة، ولمرّات ثلاث، ودع الثلاثة الذين حصلوا على العدد الأكبر من الأصوات « من خارج الإثنتي عشرة قبيلة المعينين بكلّ مجموعة » دعهم يذهبون إلى

معبد دلفي بعد أن اجتازوا امتحاناً دقيقاً، وتسعة في الكلّ، وذلك كي يمكن لله أن يعيد واحداً من كلّ ثلاثة. إنّ عمرهم سيكون العمر عينه الذي لدى الكهنة. وأمّا الفحص الدقيق الذي سيمرّون به فسيُجرى بالطريقة عينها. ودعهم يكونون مؤوّلين طيلة الحياة. وعندما يتوفّى أحدهم، دع القبائل الأربع، تختار شخصاً آخر من قبيلة الفقيد. بالإضافة إلى ذلك، يجب وجود أمناء الخزينة، بجانب الكهنة والمؤوّلين، الذين سيتولّون شأن ممتلكات الهياكل المتعدّدة، وشؤون الأراضي والمقاطعات المقدّسة، وسيكون لديهم سلطة على ما تنتج من محاصيل وعلى تأجيرها. وسيُختار ثلاثة منهم من الطبقات الأعلى للهياكل الأعظم، وسيتمّ اختيار اثنين منهم للهياكل الأصغر، وواحد للهياكل الأقلّ شأناً منها. أمّا أسلوب انتخابهم والتدقيق فيه فسيكون على غرار أسلوب انتخاب قادة الجيش. وسيكون هذا النظام نظام الهياكل.

دع كلّ شيء يكون له حارس قدر الإمكان. ودع الدفاع عن المدينة يتعهّد به قادة الجيش، وقائد العربات، وقائد الفرسان، والـ «Phylarchs»، والأمناء على المدينة، وعلى الساحة العامّة. دع كلّ هؤلاء يفعلون ذلك حينما يتمّ انتخابهم. أمّا الدفاع عن البلاد فسيتمّ تجهيزه على الشكل التالي: إنّ الأرض كلّها وُزّعت مسبقاً اثني عشر جزءاً متساوياً قدر الإمكان. ودع القبيلة المخصّصة للقسمة تُجهّز للمدينة خمسة أمناء وقادة للحراسة سنويّاً، ودع كلّ مجموعة من خمسة أعضاء تكون لها سلطة انتقاء اثني عشر رجلاً آخرين من شباب قبيلتهم الخاصّة. وهؤلاء لن يكونوا دون الخامسة والعشرين وفوق الثلاثين، ويُخصَّص لهم كلٌّ بمفرده المناطق المختلفة كلّ شهر، لكي يتمكنوا جميعهم من اكتساب المعرفة والخبرة عن البلاد كلّها. أمّا مدّة خدمة الآمرين والحرّاس فستستمر أثناء السنتين الاثنتين، وبعد أن تخصّص مواقعهم يذهبون من مكان إلى مكان في نظام مرتب، جاعلين دورة انطلاقهم تبتدىء

من اليسار إلى اليمين كما يرشدهم آمرهم إلى ذلك. » وعندما أتكلّم عن ذهابهم يميناً، فإنّني أعني أنّ عليهم أن يذهبوا باتّجاه الشرق. وحين ابتداء السنة الثانية، ليس لكي يتأتّى للحرّاس معرفة البلاد فقط وفي أيّ فصل من فصول السنة على قدر الإمكان، بل لكي يتمكّنوا من الحصول على أسلوب الخبرة الذي تتأثّر به الأماكن المختلفة في فصول السنة المتباينة. وبعدئذ سوف يقودهم آمروهم باتّجاه اليسار مرّة ثانية. ومن مكان إلى مكان بالتتالي، حتى يتمّوا سنتهم الثانية، وفي السنة الثالثة يتمّ اختيار أمناء المدينة وآمري حرّاس البلاد، خمسة منهم لكلّ قسم من أقسامها، وهم الذين سيكونون المشرفين على العصبة المؤلّفة من اثني عشر شخصاً. وحين وجودهم في الخدمة في كلّ موقع، فإنّ انتباههم سيوجّه إلى النقاط الرئيسيّة التالية: في المقام الأوّل، سيرون أنّ البلاد محميّة جيّداً في وجه الأعداء. سيحفرون الخنادق ويقيمون التحصينات كلّما احتاجوا لعمل ذلك. وقدر ما يستطيعون فإنّهم سيبعدون بواسطة التحصينات ما يضمره الأعداء من شرّ للبلاد، وذلك كي يمنعوهم من تحقيق ما ينوون. وسيستخدمون البهائم لحمل الأثقال، والعمّال الذين سيجدونهم حيث هم لهذا الغرض. وهذه ستكون أدواتهم التي سيشرفون عليها، وذلك بأخذهم بعيداً قدر الإمكان، في الوقت الذي لا يشغلهم فيه شاغل عن عملهم المعتاد المنظّم، وسيجعلون كلّ جزء من أجزاء البلاد ممّا يتعذّر وصول الأعداء إليه، ويجعلونه عكس ذلك للأصدقاء[٢٧]. وسيكون للإنسان وللبهائم التي تحمل الأثقال ولقطعان الماشية طرقات، وسيهتمّون بجعل هذه الطرقات خالية من العوائق والتنقل عليها سهل قدر الإمكان. وسيتجهزون استعداداً لهطول الأمطار لئلاّ تسبب الأذى للأرض بدل الخير، وكذلك حين هبوطها من مرتفعات الجبال وسقوطها في الأوَدية الصغيرة الضيّقة. وسيحتفظون بالزيادة عن طريق حفر أقنية الريّ ومَصَارف المياه،

وذلك لتتمكّن الأودية من تلقيّ كميات المياه الهاطلة من السماء وتمتصّها. وكذلك يجب عليهم أن يقيموا نوافير جداول في الحقول والمقاطعات التي تقع تحت مسيل هذه المياه. وبهذا يمكنهم أن يجهّزوا حتّى الأماكن الجافة بوفرةٍ من المياه الصالحة. إنّ نوافير المياه، سواء أكانت من الأنهار أو من الينابيع، ستزيّن المزارع والأبنية بالجمال. ودعهم يجرون المياه في أقنية خفيّة تحت الأرض، ويجعلون كلّ الأشياء تفيض عطاءً. وإذا كان هناك أيكة مقدسة، أو منطقة مخصّصة في الجوار، فإنّهم سيجرّون الماء إلى الهياكل الحقيقيّة التي تخصّ الآلهة. وهكذا سيجمّلونها في كلّ فصول السنة. وسيقيم الشباب في كلّ مكان من هذه الأمكنة الألعاب الرياضية بأنفسهم، وسيبنون حمّامات ساخنة للعجزة، واضعين بجانبها وفرة من الحطب اليابس، وذلك لمنفعة أولئك الذين تعتريهم الأمراض المزمنة - هناك سيتلقّى الجسد الريفيّ المُرهق، الذي أتعبه الكدح، استقبالاً حارّاً، أفضل بكثير من الاستقبال الذي سيتلقّاه على يدي طبيب غير حكيم.

إنّ هذه الأبنية وغيرها من الأعمال المماثلة ستكون نافعة وتزيّن الأماكن القائمة عليها، وستؤمّن تسلية سارّة لروّادها، لكنّها ستكون وظيفة خطيرة أيضاً. إنّ الأمناء الستّين سيحرسون أقسامها المتعدّدة، ليس في ما يتعلّق بالأعداء فقط، بل بعين يقظة على المتظاهرين بالصداقة أيضاً. وعندما ينشأ خصام بين الجيران والمواطنين، ويؤذي شخص غيره سواء إذا كان عبداً أو رجلاً حرّاً، عند قيام ذلك، دع الأمناء الخمسة حينها يقررون ما سيفعلونه بشأن المسائل الصغيرة بناء على سلطتهم الخاصّة. لكن حيث يتعلّق الإتّهام بقضايا أكبر ضدّ الآخرين، فإنّ الأمناء السبعة عشر المؤلّفين من الخمسة والاثني عشر رجلاً، سيقرّرون ويبتّون في الاتهامات التي يسوقها إنسان ضد غيره والتي لا تزيد قيمتها عن ثلاث مينات. إنّ كلّ قاضٍ وكلّ حاكم

سيكون ملزماً بتقديم حساب عن سلوكه في منصبه، ما عدا أولئك الذين يكونون كالملوك، ولهم القرار الفصل والنهائي. بالإضافة إلى ذلك، وفيما يختصّ بالأمناء المنوّه عنهم في البلاد، إذا سبّبوا الأذى لأولئك الذين هم في عهدتهم ورعايتهم، سواء إذا كان هذا الأذى ارتكب بفرض أعمال شاقّة غير متساوية، أو بمحاولة الاستئثار بمنتوجات الأرض أو أدوات الزراعة بدون أخذ موافقتهم، وأيضاً إذا ما تلقّوا أيّ شيء بطريقة الرشوة، أو إذا قرّروا أحكاماً ظالمة، إذا فعلوا كلّ ذلك فليس لهم إلا الإهانة علناً لإذعانهم وخضوعهم لتأثير التملّق والمداهنة. وأمّا فيما يتعلّق بأيّ عمل خاطىء أكبر من ذلك الذي يتمّ فعله للقاطنين في البلاد، إذا كانت قيمته مينا Mina واحدة، فدعهم يقبلون بقرار القرويّين في الحيّ المجاور. لكن في الدعاوى ذات الحجم الكبير، أو في الحالة الأقلّ شأناً إذا رفضوا الإذعان، وهم على ثقة أنّ نقلهم الشهريّ إلى جزء آخر من أجزاء البلاد سوف يمكّنهم من الهرب، في حالات كهذه على الطرف الذي تلقّى الأذى أن يتقدّم بدعواه إلى محكمة العدل العامّة. وإذا حصل على حكم يمكنه أن ينتزع من المدّعى عليه، الذي رفض الخضوع، قصاصاً مضاعفاً.

إنّ أمناء ومراقبي البلاد سيتناولون وجبات الطعام في مواقعهم المتعدّدة بشكل مشترك، وذلك أثناء خدمتهم في السنتين المخصّصتين لهم، وسيعيشون معاً. والذي يتغيّب منهم عن وجبات الطعام المشتركة هذه، أو يهجع، حتّى إذا فعل ذلك ليوم واحد فقط أو لليلة، وما لم يكن فعل ذلك بناءً على أوامر قادته، أو بسبب الضرورة القصوى، وإذا اتّهمه الخمسة وحفروا اسمه في الساحة العامة لأنه لم يحفظ الحراسة المنوطة به، إذا فعل ذلك فسوف يُعتبر أنّه غرّر المدينة، بقدر ما يكمن ذلك في قوّته، ويجب أن يُهان ويُضرب ضرباً موجعاً من قبل أيّ شخص يقابله ويكون على استعداد

لمعاقبته. وإذا ارتكب أيّ قائد عسكري من قادة الجيش عملاً شاذّاً كهذا، فإنّ جماعة الستين بكاملها ستولي هذا الأمر عنايتها. ومن يطّلع على اعتداء كهذا، ولم يجلب من قام به إلى المحاكمة، فسيكون قابلاً للحكم عليه بالنواميس عينها مثلما يتمّ فعله بالمعتدي نفسه، وسيدفع غرامة ثقيلة الوطأة، ولن يكون قادراً على قيادة الشباب أبداً. إنّ حماة القانون يجب أن يكونوا مفتّشين يقظين لهذه القضايا، وإلاّ سيمنعون أو يعاقبون المعتدين. ينبغي على كلّ إنسان أن يتذكّر القاعدة العالميّة، وهي أنّ الذي لا يكون خادماً جيّداً لن يكون حاكماً جيّداً. ينبغي على الإنسان أن يعتزّ بنفسه حين الخدمة الجيّدة أكثر ممّا يتباهى ويعتزّ أثناء القيادة الجيّدة: أوّلاً عند خدمة النواميس، التي هي خدمة للآلهة أيضاً، وفي المقام الثاني أثناء خدمة الرجال القدماء الكرماء المكرمين في زمن فتوّته. علاوة على ذلك، فإنّ غذاءه اليوميّ ينبغي أن يكون بسيطاً ومتواضعاً أثناء السنتين اللتين يكون فيهما أميناً على البلاد. وعندما يتمّ اختيار الرجال الاثني عشر، دعهم يتقابلون والرجال الخمسة معاً ويقررون أنّهم سيكونون خدمهم الخاصّين، وهم مثل الخدَم لن يكون لديهم عبيد وخدم آخرون لاستخدامهم الخاصّ، ولن يستخدموا أولئك القرويّين والمزارعين لمنفعتهم الخاصّة، بل للخدمة العامّة فقط. وبشكل عامّ يجب عليهم أن يعقدوا النيّة على العيش المستقلّ بأنفسهم، وأن يكونوا خدماً بعضهم لبعض ولأنفسهم. وأبعد من ذلك، عليهم أن يكونوا تحت السلاح وأن يلقوا نظرة عامّة شاملة على البلاد كلّها في كلّ فصول السنة صيفاً وشتاء على قدم المساواة. وهكذا فإنّهم سيبقون يقظين دوماً ويعرفون تماماً كلّ موضع في البلاد. ليس هناك نوع من أنواع المعلومات أكثر أهميّة من معرفة الإنسان الدقيقة لبلاده، ولهذا السبب كما لأسباب أكثر شيوعاً للمسرّة والمنفعة أيضاً، فإنّ الشباب يجب إقناعهم بالصيد بصحبة كلابهم

وأن يمارسوا الأنواع الأخرى من الرياضة. إنّ الخدمة التي يُعهد لهم بها في هذه العملية يمكن أن تسمّى البوليس السرّي أو أمناء البلاد. والإسم هذا لا يعني كثيراً، لكنّ كلّ شخص يهمّه أمن الدولة قلبياً سوف يستخدم أقصى كدّه واجتهاده في هذه الخدمة.

بعد أن تكلّمنا عن أمناء البلاد، ينبغي علينا أن نتكلّم عن أمناء الساحة العامّة وأمناء المدينة. لقد كان عدد أمناء البلاد ستين، وسيكون عدد أمناء المدينة ثلاثة، وسيقسّمون أجزاء المدينة الاثني عشر إلى ثلاثة أقسام. وهم مثل سابقيهم سيهتمّون بالطرقات، وبالطرقات العامّة المختلفة التي تسهّل الوصول من أطراف البلاد إلى المدينة، وسيهتمّون بالأبنية وذلك ليتمّ بناؤها طبقاً للقانون. وسيعتنون أيضاً بالمياه التي يحفظها حراس الموارد، والتي ينقلونها لهم. ويجب أخذ العناية الفائقة كي تصلهم بواسطة النوافير نقيّة وغزيرة، ولكي تضفي جمالاً ومنفعة على المدينة. إنّ هؤلاء الرجال يجب أن يكونوا ذوي تأثير، وأن يهتمّوا بمصلحة العموم وخيرهم. أيّ إنسان بوسعه أن يقترح أيّ شخص يحبّه من الطبقة الأسمى كأمين للمدينة. وعندما يتمّ الاقتراع، ويخفّض عدد الناجحين إلى ستّة هم الذين حصلوا على أعلى عدد من الأصوات، حينئذ، على الضباط المنتخبين أن يختاروا بالأكثرية ثلاثة من الستّة الذين تمّ انتخابهم. وعندما يجتازون تدقيقاً عامّاً يحتلّون المنصب طبقاً للقوانين التي تمّ سنّها لهم.

بعد ذلك، يتمّ انتخاب أمناء الساحة العامّة بطريقة مماثلة، وذلك من خارج الطبقة الأولى والثانية، ويجب أن يكونوا خمسة: يجب أن يُنتخب عشرة بادىء ذي بدء، ثم يتمّ اختيار خمسة من العشرة بالأكثرية. وهؤلاء سيُعلنون حكّاماً بعد أن يجتازوا فحصاً دقيقاً. إنّ كلّ شخص سيدلي بصوته لكلّ شخص مرشّح، والذي لن يدلي بصوته فإنّه سيُغرّم خمسين دراخما، إذا ما

تمّ إبلاغ القضاة عنه وسيُعتبر مواطناً سيّئاً. على كل شخص أن يذهب إلى الجمعية العامة وإلى مجلس الشورى العام، وسيكون الذهاب إجبارياً لمواطني الطبقتين الأولى والثانية، وسيُغرَّمون بعشرة دراخمات إذا ما وُجد أنّهم لم يتجاوبوا عند طرح أسمائهم في الجمعية العامّة. لكنّ الذهاب لن يكون إجبارياً لمواطني الطبقتين الثالثة والرابعة، ولن يتعرّضوا لدفع أيّة غرامة إذا لم يذهبوا، إلاّ إذا أمر الحكّام بذهاب الجميع للإدلاء بأصواتهم، وذلك نظراً لضرورةٍ ما قصوى. إنّ أمناء الساحة العامّة سيراقبون الأمر المحدَّد بالناموس للساحة العامّة، وسيتولّون أمر الاهتمام بالهياكل والنافورات الموجودة في الساحة العامّة، وسيسعون أن لا يؤذي أحد أيّ شيء فيها، ويعاقبون من يقوم بذلك ضرباً بالسياط وتقييداً، إذا كان عبداً أو غريباً. لكن إذا كان مواطناً أساء التصرّف بهذه الطريقة، فلديهم السلطة لمعاقبته وتغريمه ما مقداره مئة دراخما، وإذا وافق أمناء المدينة على أن تُضاعف عليه هذه القيمة فليدفعها كما يرتؤون. ولأمناء المدينة سلطة مشابهة لفرض العقوبات والغرامات في مقاطعتهم. ويُسمح لهم أن يفرضوا الغرامات بواسطة سلطتهم الخاصّة، صعوداً إلى مينا واحدة، أو إلى اثنتين وذلك بموافقة أمناء الساحة العامّة.

في المقام الثاني، فمن المناسب، تعيين مرشدين للموسيقى والألعاب الرياضية، نوعين لكلّ منهما ـ التعليم هو النوع الأوّل من أنواع العمل، وأمّا التعليم الآخر فهو الإشراف على المباريات. وفي حديثنا عن التعليم، فالناموس يعني أن نتكلّم عن أولئك الذين بيدهم العناية بالنظام والتثقيف في مكان الألعاب الرياضيّة وفي المدارس، وفي الذهاب إلى المدارس، وإلى الأبنية المدرسيّة للصبيان والبنات. وفي حديثنا عن المباريات، فإنّ القانون يشير إلى القضاة في الألعاب الرياضية وفي الموسيقى. وهذان يقسمان إلى نوعين،

الأوّل له شأنه وعمله في الموسيقى، والآخر في الألعاب الرياضيّة. والشخص الذي يقاضي في المباريات التي يقيمها الرجال ألعاباً رياضيّة، سوف يقاضي بشأن الأحصنة. لكن في الموسيقى سيكون هناك طاقم واحد من القضاة في الغناء المنفرد، وفي التقليد - أعني للرّواة المحترفين للقصائد الملحميّة، للاّعبين على القيثارة، للعازفين على الناي، وما شابههما من الآلات الموسيقية، سيكون هناك طاقم آخر من القضاة سيقاضي في الغناء الكورسي. وقبل كلّ شيء، يجب علينا أن نختار مرشدين لجوقات الصبيان الموسيقيّة، ولجوقات الرجال، ولجوقات العذارى اللواتي سيتبعنَ في تسلية الرقص، وفي تنظيماتنا الموسيقية الأخرى. سيكون مرشد واحد كافياً للكوارس الموسيقية، وينبغي أن يكون دون الأربعين. إنّ مرشد الكوارس الموسيقية ومديرها سيُنتخب بالطريقة التالية: الأشخاص الذين يهتمون بقضايا كهذه عليهم الذهاب إلى الاجتماعات بشكل عام، ويُغرّمون بالمال إذا لم يذهبوا. « إنّ حماة الناموس سيحكمون على أخطائهم »، لكنّ أولئك الذين لا يهتمّون بقضايا كهذه فلن يُجبروا على فعل ذلك. إنّ أيّ ناخب يمكنه أن يقترح شخصاً ما يفهم الموسيقى كمرشد، وبعد التدقيق يمكن أن يوقفه أولئك الذين يقولون إنّه لا يمتلك مهارة، وأولئك الذين يقولون إنه يمتلك مثل هذه المهارة في الجانب الآخر يمكنهم الدفاع عنه. يجب أن يتمّ انتخاب عشرة مرشدين بالتصويت، والذي يقع عليه الاختيار من العشرة المنتخبين يجب أن يجتاز امتحاناً دقيقاً، وأن يقود الكوارس الموسيقية لسنة طبقاً للناموس. وبطريقة مماثلة فإنّ المتنافس الذي يفوز بالأكثرية يكون قائد الرقص المنفرد للموسيقى المنظّمة ولمدّة سنة. والذي سيُنتخب هكذا سيوزّع الجوائز على القضاة. وفي المقام التالي، ينبغي علينا أن نختار القضاة في مباريات الأحصنة والرجال. وهؤلاء سيتمّ اختيارهم من طبقتي المواطنين الثالثة والثانية، وسيُجبر مواطنو الطبقات الثلاث

الأولى على الذهاب إلى الانتخاب، لكنّ أبناء الطبقات الأدنى يمكنهم البقاء بعيداً عنه والإفلات من العقاب. ويجب أن يوجد ثلاثة من العشرين الذين اختيروا سابقاً وأن يُنتخبوا بالأكثريّة، ويجب أن يكون لديهم أيضاً صوت المخبرين ومصادقتهم. لكن إذا رُفض أيّ شخص في الامتحان الدقيق عند أيّ اقتراع أو اتّخاذ قرار حاسم، فسيتمّ اختيار الآخرين بالطريقة عينها، ثم يتعرّضون لامتحان دقيق مماثل.

يبقى تعيين وزير تعليم الشباب، الذكور منهم والإناث. وهنا، يمكن للناموس أن يحتاط جيّداً من وجود وزير واحد كهذا، ويجب أن يكون عمره خمسين سنة، وأن يكون له أطفال شرعيون، من الذكور والإناث كليهما بالأفضليّة، ومهما تكن الظروف، بهذه الطريقة أو بطريقة أخرى. والذي يتمّ انتخابه، والذي يَنتخِب، يجب أن يعتبرا أنّ من بين كلّ المناصب في الدولة العظيمة فإنّ هذا المنصب أعظمها؛ لأن الانطلاقة الأولى لأيّة نبتة، وإذا ما بدأت جيّداً، فإنّ لها التأثير الأكبر في مساعدتها لتنال امتيازها الطبيعيّ التامّ النموّ. وما أقوله ليس حقيقياً عن النباتات فقط، بل عن الحيوانات المفترس منها والأليف، وعن الرجال أيضاً. إنّ الإنسان كما نقول، هو حيوان أليف، أو متحضّر على كلّ حال، فإنّه يحتاج لتعليم مناسب ولطبيعة محظوظة. حينئذ سيصبح الحيوان الأكثر إلهيّة والأكثر تحضّراً من بين كلّ الحيوانات(٢٧). لكنّه إذا كان تعليمه ناقصاً وسيئاً فهو المخلوق الأكثر فظاظة وهمجيّة من بين كلّ المخلوقات الأرضيّة. ومن أجل ذلك يجب على المشرّع أن لا يسمح لتعليم الأطفال أن يصبح قضيّة ثانوية أو عرضيّة. في المقام الأوّل، إن مَنْ سيكون بعيد النظر بشأنها وبشكل صحيح، يجب أن يعنى ويهتمّ أوّلاً بأن يُنتخب الأفضل من المواطنين بكل طريقة. وهذا الذي سيقوم المشرّع بأقصى ما يمكنه القيام به كي يُنصّبه حارساً

ومراقباً ومفتّشاً. من أجل هذه الغاية، ينبغي على كلّ الهيئات القضائيّة، ما عدا أعضاء مجلس الشورى والـ Prytanes، عليهم أن يذهبوا إلى معبد أبوللو، وأن ينتخبوا بالاقتراع الذي يعتقد حماة الناموس كلٌّ بمفرده منهم أنّه الأفضل في الإشراف على التعليم. ومَنْ يحصل على أكبر عدد من الأصوات، وبعد أن يجتاز امتحاناً دقيقاً على يدي كلّ الهيئة القضائيّة التي انتخبته، ما عدا حماة الناموس، بعد ذلك سوف يتسنّم منصبه لمدة خمس سنوات. وأمّا في السنة الخامسة فدع لشخص آخر مختار أن يحتلّ هذا المنصب وبطريقة مماثلة.

إذا توفّي أيّ شخص خلال تسنّمه منصباً عامّاً، وقبل انتهاء مدّة ولايته بأكثر من ثلاثين يوماً، فهؤلاء القيّمون على عمل كهذا عليهم أن ينتخبوا شخصاً آخر لملء هذا الفراغ بالطريقة المماثلة التي أشرنا إليها سابقاً. وإذا توفّي أحد الذين تعهّدوا بالائتمان على اليتامى، فعلى الأقارب من جانب الأب والأم كليهما، الذين يسكنون في البيت، بمن فيهم الأخوال والأعمام، عليهم أن يعيّنوا حارساً آخر لليتامى خلال عشرة أيّام، وإلاّ يُغرَّموا دراخما واحدة يومياً إذا أهملوا القيام بذلك.

إنّ المدينة التي ليس لديها محاكم عدل منتظمة تفقد صفة المدينة. ومرّة ثانية، إذا كان القاضي صامتاً ولا يتكلّم قطعاً في محاضر الجلسات التمهيديّة أكثر ممّا يفعل المتقاضون، كما هي الحالة في التحكيم، إذا كان كذلك فإنّه لن يقدر على أن يقرّر بعدل. ومن أجل ذلك فإنّ كثرة من القضاة لن تحكم جيّداً بسهولة، ولا يقدر القليلون منهم أن يفعلوا هذا إذا كانوا أشراراً. إنّ نقطة الخلاف الرئيسيّة بين الأطراف يجب أن تُطرح بجلاء، ولا نغالي إذا قلنا إنّ الزمن، والتروي، والفحص المتكرّر، تساهم كلّها في إيضاح الشكّ وإزالة الاشكالات بشكل كبير. لهذا السبب، على أولئك

الذين يلجؤون إلى القانون لحل مشاكلهم وخلافاتهم العالقة، عليهم وقبل كلّ شيء أن يذهبوا إلى أقاربهم وأصدقائهم الذين يعرفون المسائل المطروحة والخلافات العالقة بينهم. وإذا لم يكن المجادل قادراً على أن يحصل منهم على قرار مقنع، فعليه أن يلتمس العون من محكمة عدل أخرى، وإذا لم تستطع المحكمتان تسوية القضيّة، فعلى محكمة ثالثة أن تضع حدّاً للقضيّة.

وبعدُ فإنّ تأسيس محاكم العدل يمكن اعتبارها كاختيار للهيئات القضائيّة الحاكمة، لأنّ كلّ هيئة قضائيّة حاكمة يجب أن تكون قاضية عن أشياء ما. والقاضي، رغم أنّه ليس حاكماً، لكنّه في حالات محدَّدة حاكم مهم جدّاً في اليوم الذي يفصل فيه بدعوى. معتبرين إذن أنّ القضاة هم كالحكّام أيضاً، دعنا نقول مَنْ هم المناسبون ليكونوا قضاة، وعن ماذا سيكونون قضاة، وكم قاضياً منهم سوف يقاضي في كلّ دعوى. دع ذلك يكون كرسيّ القضاء السامي الذي يعيّنه المتقاضون لأنفسهم بشكل مشترك، مختارين أشخاصاً محدّدين بالاتفاق. وليكنْ هناك كرسيان قضائيّان آخران أحدهما للدعاوى القضائيّة الخاصّة، وذلك عندما يتّهم مواطن مواطناً آخر بالتعدّي عليه ويرغب في الحصول على قرار بذلك؛ وأمّا الكرسي الآخر فللدعاوى العامّة التي يرى مواطن ما أنّ الجمهور قد كان عرضة للأذى من قِبَل فرد، ويشاء أن يحمي المصالح العامّة. ويجب علينا أن لا ننسى ذكر كيفيّة تأهيل القضاة، ومن يجب أن يكون هؤلاء القضاة. في المقام الأوّل، يجب أن يوجد كرسيّ قضائيّ مفتوح لكلّ الأشخاص الخاصّين الذين يحاولون أن يقاضي أحدهم الآخر للمرّة الثالثة، ويجب أن يتمّ تشكيل هذا على النحو التالي: سيتقابل كلّ الضبّاط في الدولة، كما يتقابل الضبّاط السنويون الذين يتسنّمون المنصب لمدّة أطول، وفي الشهر التالي بعد انقلاب الشمس الصيفيّ، وفي اليوم الأخير لكن لمرّة في السنة، سيتقابلون في هيكل ما،

ويدعون الله ليشهد عليهم، وسيخصّصون قاضياً من كلّ هيئة قضاة ليكون حصيلتهم الأولى. مختارين في كلّ منصب القاضي الذي يبدو لهم أنّه الأفضل، والذي يعتبرون أنه سيقرّر قضايا رفاقه المواطنين على الأرجح أثناء السنة التالية بالطريقة الأحسن والأقدس، إنّ أولئك الذين اجتازوا الفحص الدقيق سيحكمون على قضايا أولئك الذين تجنّبوا المحاكم القانونيّة الأقلّ شأناً، وسيدلون بأصواتهم بشكل علنيّ. أمّا المستشارون والهيئات القضائيّة الأخرى الذين انتخبوهم، فسيُطلب منهم أن يكونوا سامعي وشهود القضايا القضائيّة. وأيّ شخص آخر يمكنه أن يحضر إذا أحبّ ذلك. إذا ما اتّهم إنسان إنساناً آخر بأنّه تعمّد إيقاع الأذى به، عليه أن يذهب إلى حماة القانون ويطرح التهمة أمامهم. والذي يُوجد مذنباً في هذه الحالة سوف يدفع العطل والضرر للفئة المتضرّرة مساوياً لنصف الأذى الذي أوقعه. لكنّه إذا ظهر أنّه يستحقّ عقاباً أكبر، فسيقرّر القضاة أيّ قصاص إضافيّ سيُنزل به، وكم ينبغي عليه أن يدفع أكثر إلى الخزينة العامّة، وإلى الفئة المدّعية.

ينبغي على الشعب أن يشارك في حكم التعديات ضدّ الدولة، إذ عندما يؤذي أيّ شخص الدولة فإنّ الكلّ يلحقهم الأذى، ويمكنهم أن يشتكوا بشكل عقلانيّ إذا لم يُسمح لهم بالمشاركة في الفصل والحكم. إنّ دعاوى قضائية كهذه يجب أن تبدأ مع الشعب وبه، والشعب يجب أن يكون له الحكم النهائيّ فيها أيضاً. لكنّ اختبارها ينبغي أن يأخذ مكانه أمام الهيئات القضائيّة الأعلى الثلاث، التي سيتّفق المدّعي والمدافع عندها. وإذا لم يستطيعوا التوصّل إلى اتّفاق بأنفسهم، فسيختار مجلس الشورى من أولئك الذين رشّحتهم كل فئة. وسيكون لدى الجميع حصّة في الدعاوى القضائيّة الخاصّة أيضاً وعلى قدر الإمكان؛ لأنّ من لا يمتلك حصّة في إدارة العدل يكون عرضة لتصوّر أنّه لا يمتلك حصة في الدولة على الإطلاق. ولهذا

السبب سوف توجد محكمة في كلّ قبيلة، وسيتمّ اختيار القضاة بالأكثرية، وسيعطي القضاة أحكامهم حالاً، ولن تؤثّر عليهم التوسّلات والاستعطافات. وسيترك الحكم النهائيّ لتلك المحكمة، التي، كما نؤكّد، قد أُسّست بالشكل الأكثر لا قابليةً للفساد والذي تقبل به الأشياء الإنسانية. ستكون هذه المحكمة محكمةً مؤسّسة لغير القادرين على أن يتخلّصوا من دعاواهم القانونيّة لا في المحاكم الخاصّة بالجيران ولا الخاصّة بالقبائل.

ستتكلّم عن محاكم القانون إلى هذا الحدّ، والتي، كما قلت، لا يمكن تعريفها بدقّة: هل هي مناصب أم لا. إنّ رسماً مجمّلاً ظاهرياً قد تم إعطاؤه عنها، ولقد قيل فيه بعض الأشياء وأُسقط بعضها الآخر. إنّ المكان الصحيح للتصريح الدقيق عن القوانين فيما يتعلّق بالدعاوى، تحت مواضيعها المحدّدة. إنّ هذا المكان الصحيح سيكون عند نهاية الهيئة القضائيّة. دعنا نتوقّعه عند النهاية إذن، لكن الآن فالتنظيمات الكاملة لتعيين الرسميين الآخرين قد تمّ إعطاؤها بعدل. ولا يمكن نيل وحدة تامّة ودقيقة بالكمال، ممتدّة إلى الكل وعن كلّ إدارة مفردة من الإدارات السياسيّة، لا يمكن نيل ذلك إلاّ بوجوب أن يكون لدى المحادثة بداية ووسط، ونهاية، وتكون محادثة كاملة في كلّ أجزائها. لكنّنا وصلنا في الوقت الحاضر إلى انتخاب القضاة، ويمكن أن يُعتبر هذا كأنّه نتيجة كافية لِمَا تقدّم. وبعدُ لا حاجة بعد اليوم لحصول أيّ تأخير أو تردّد في بدء عمل المشرّع.

كلينياس: إنّني أحبّ الذي قلته، أيّها الغريب، وأحبّ بشكل خاصّ أسلوبك في طريقة عمل البداية لبحثك الجديدة، وفي طريقة نهاية بحثك السابق.

الأثيني: إنّ التسلية العقليّة للرجال المسنّين قد سلكت السبيل المتوقّع إلى هذا الحدّ جيّداً إذن.

كلينياس: أفترض أنّك تعني تعقّبهم الجيّد والنبيل؟

الأثيني: لربّما، لكنّني أحبّ أن أعرف إذا ما كنا أنت وأنا قد اتّفقنا على شيء محدَّد؟

كلينياس: أيّ شيء محدَّد؟

الأثيني: تعرف أنت العمل الشاقّ اللامتناهي الذي ينفقه الرسّامون اليدويون على رسم صورهم - هم يضيفون الألوان دائماً أو يزيلونها ومهما يكن الاصطلاح الذي يستخدمه الرسامون، يبدون وكأنهم لن ينقطعوا عن تنقيح أعمالهم قطّ، لكي يتمّ جعلها أكثر إشراقاً وأكثر جمالاً على الدوام.

كلينياس: أعرف شيئاً ما عن هذه القضايا من تقريرٍ يشرح ذلك، رغم أنّه لم يكن لديَّ أيّ اطّلاعٍ على الفنّ.

الأثيني: لا بأس، يمكننا أن نستخدم الإيضاح على الرغم من ذلك: إفترض أنّ شخصاً ما نوى أن يرسم شخصاً باليد بالطريقة الأجمل، على أمل أن يتحسّن عمله مع مرور الزمن بدلاً من أن يُضيِّع وقته سدىً، ألا ترى أنّ كونه إنساناً فانياً، وما لم يخلّف شخصاً ما ليصحّح الأخطاء والعيوب التي سيدخلها عليها الزمن، وما لم يكن قادراً على سدّ النقص الذي تركه الفنّان فيه وهذا سيحسّن الصورة ويجعلها صورة مشرقة، أقول، إذا لم يوجد شخص كهذا فإنّ كلّ كدحه لن يدوم إلاّ وقتاً قصيراً.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: أوَليس هدف المشرّع مشابهاً؟ إنّه يرغب أن تكون قوانينه مكتوبة بكلّ الدقّة الممكنة باديء ذي بدء؛ في المقام الثاني، ومع مرور الزمن اختبر أحكامه القضائية جيّداً، أولن يجد فيها حذفاً وإسقاطاً؟ هل تتصوّر أنّه قد وُجد مشرّع أحمق كهذا لا يعرف أنّ أشياء عديدة كان إسقاطها ضرورياً، ويجب أن يصححها شخص ما جاء بعده، هذا إذا لم يفسد دستور ونظام الحكومة، بل يتحسّنان في الدولة التي أسّسها.

كلينياس: بالتأكيد، إنّ هذا النوع هو الشيء الذي سيرغبه كلّ شخص.

الأثيني: وإذا اقتنى أيّ شخص أيّة وسائل لإنجاز هذا بالكلمة والفعل، أو كانت لديه أيّة طريقة كبيرة أو صغيرة، التي يمكنه بواسطتها أن يعلّم شخصاً ليفهم كيف يمكنه أن يُبقي على القوانين ويعدّلها، فما يجب عليه إلاّ أن ينهي الذي يقوله، وأن لا يترك عمله بدون إنجاز.

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: أوَليس هذا ما يجب أن تفعله أنت وأنا في اللّحظة الحاضرة؟

كلينياس: ما الذي ينبغي علينا أن نفعله؟

الأثيني: بما أنّنا على وشك أن نسنّ النواميس، وبما أنّنا اخترنا حماتنا ليحرسوها، وأن حياتنا توشك على المغيب، وهم كما قارنّاهم بنا رجال شبّان، لهذا كلّه، ينبغي علينا أن لا نشرّع لهم فقط، بل أن نكافح لكيلا نجعلهم حماة للناموس بل مشرّعين، بقدر ما يكون هذا ممكناً.

كلينياس: بالتأكيد، إذا استطعنا فعل ذلك.

الأثيني: ينبغي علينا أن نفعل أفضل ما نستطيع، على كلّ حال.

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: سنقول لهم: أوه أيّها الأصدقاء والمنقذون لقوانينكم، هناك عدة خصوصيات سنسقطها في سَنّكم لأيّ قانون، وهذا لا يمكن الحؤول دونه في الوقت عينه، إنّنا سنفعل أقصى ما نقدر عليه لنصف ما هو مهم، وسنعطي مخطّطاً تمهيديّاً سوف تملأه أنت. سوف أشرح المبدأ الذي ستباشر العمل على أساسه. إنّ ميغيلوس وكلينياس وأنا تكلّمنا بعضنا مع بعض متناولين هذه القضايا، ونحن نرى أنّ ما تكلّمناه جيّد، ونأمل أنّكما ستفكّران مثلنا، وأن تصبحا رفيقين لنا ومُرِيدَيْن، وأن تحتفظا في فكركما بالأشياء التي يجب على المشرّع وحامي الناموس أن يحتفظا بها في فكريهما

وكذلك في رأينا الموحّد. وهناك نقطة رئيسيّة واحدة اتّفقنا بشأنها، وهي أنّ قوى الإنسان كلّها، خلال حياته، يجب أن يكرّمها في اكتساب الفضيلة المناسبة للإنسان، سواء إذا كانت هذه الفضيلة تُكتَسبُ بالدرس، أو العادة، أو بأسلوب ما من أساليب الاكتساب، أو الرغبة، أو الرأي، أو المعرفة ـ وينطبق هذا على الرجال والنساء بشكل عامّ، الكبار منهم والفتيان. إنّ هدف الكلّ يجب أن يكون كما وصفت، وأيّ شيء يعيق ينبغي على الإنسان الخيّر أن يتجاهله بشكل كليّ. وإذا أجبرته الضرورة أخيراً بشكل واضح على أن يكون طريد العدالة وخارج أرض بلاده، بدلاً من أن يحني رقبته لنير العبودية، وأن يَحكمه الأدنى منه شأناً، واضطرّ للهرب، عليه أن يختار النفي ويقاسي كلّ هذه التجارب، بدلاً من أن يقبل شكلاً آخر من أشكال الحكومات يجعل الرجال رجالاً أسوأ على الأرجح. إنّ هذه المبادىء هي مبادىء أساسيّة لنا. عليك أن تعرف كيف تثني على القوانين وتنتقدها مركّزاً عينيك على المقياس الذي ينبغي على الإنسان والمواطن أن يكونه أو لا يكونه ـ تلوم تلك القوانين التي ليست لديها السلطة لجعل المواطن مواطناً أفضل، لكنك تقبل الأخرى التي تملك تلك السلطة؛ وتتلقّاها بترحاب وبهجة وتحيا معها، مودّعاً الدساتير والنواميس والمجتمعات الأخرى التي تهدف إلى الخيرات، كما تسمّى، خيرات من نوع آخر.

دعنا نتقدّم إلى نوع آخر من أنواع النواميس، مبتدئين بأساسها في الدين. وينبغي علينا أن نعود إلى العدد ٥٠٤٠ (5040) بادىء ذي بدء ـ إنّ العدد هذا كلّه قَبِل ويقبَل العديد من التقسيمات المناسبة، وهكذا فإنّ لديه عدد القبائل التي أفترِض أنّها الجزء الإثنا عشري من المجموع، كون هذا العدد مُصاغاً بشكل صحيح من ٢١×٢٠ (20x21) ولا يقبل العدد كلّه القسمة بالعدد اثني عشر، بل إنّ عدد كلّ قبيلة يُقسم به. وبعدُ فإنّ كلّ قسم

يجب أن نعتبره هديّة مقدّسة من السماء، مماثلاً للشهور ودورة الكون[٢٨]. إنّ كلّ مدينة لديها مبدأ هاد ومقدس منحتها إياه الطبيعة، لكن في بعضها كانت القسمة وكان التوزيع أكثر صحّة ممّا هما في المدن الأخرى، وكانا أكثر قداسة وأوفر حظاً سعيداً. وفي رأينا، لا شيء يمكن أن يكون أكثر صحّة من اختيار العدد٥٠٤٠ (5040)، الذي يمكن أن يُقسّم بكلّ الأعداد من الواحد إلى الاثني العشر باستثناءِ العدد أحد عشر، وذلك يقبل بتصحيح سهل جداً؛ لأنّنا إذا تحوّلنا إلى العدد المقسوم « ٥٠٤٠» (5040) فإنّنا نقتطع عائلتين اثنتين، ويُعالج الخلل في القسمة بذلك. ويمكن أن يتمّ البرهان على صحّة هذا عندما يكون لدينا وقت فراغ. لكن في الوقت الحاضر، ولثقتنا بالتأكيد المجرّد لهذا المبدأ، دعنا نقسّم الدولة، ونخصّص لكلّ جزء منها إلٰهاً ما أو ابن إله. واسمح لنا أن نعطيها مذابح وحقوقاً دينيّة مقدسة، ودعنا نعقد اجتماعات عند المذابح للتضحية مرّتين في الشهر: اثني عشر إجتماعاً للقبائل، واثني عشر إجتماعاً للمدينة، طبقاً لتقسيماتها. سيكون الأوّل لتكريم الآلهة والآشياء الإلهيّة، والثاني لتعزيز الصداقة « والمعرفة الشخصية الأفضل »، كما هي الطريقة في التعبير. وسنشجّع كلّ نوع من أنواع الألفة بعضهم مع البعض الآخر. يجب على الشعب إن يطّلع على أولئك الذين تتكوّن العائلات منهم والذين يشتركون معاً في قضايا الزواج والمصاهرة؛ وينبغي على الإنسان أن يعتبر قضايا كهذه مهمّة تماماً، كي يتفادى الوقوع في الخطأ وعلى قدر الإمكان. ومن أجل هذا الغرض الجديّ يجب أن تقام الألعاب التي سيشترك فيها الشباب والعذارى بالرقص معاً، وأن يشاهد بعضهم بعضاً وكذل أن يُشاهَدوا عُراة، وذلك بقدر ما تسمح به الحشمة والحياء على كلا الجانبين، في السنّ المناسبة، وعند الفرصة المناسبة.

إنّ قادة الجوقات الموسيقيّة سيكونون المشرفين على هذه الألعاب والمنظّمين

لها، وسوف يشرّعون هم وحماة الناموس في القضايا التي أسقطناها، لأنّنا، كما قلنا، حيث توجد تفصيلات متعدّدة ودقيقة، فإنّ المشرّع ينبغي أن يُسقط شيئاً ما. ويجب على الضبّاط السنوّيين المتعاقبين، وكما تبيّن لهم الخبرة ما المراد وما الرغبة، يجب عليهم أن يُوجدوا ترتيبات وتحسينات سنةً بسنة، إلى أن يتمّ الشعور والإحساس بأن عادات كهذه قد تمّ إقرارها بشكلٍ كافٍ. إنّ عشر سنوات من خبرات التضحية والرقص، إذا ما امتدت لكلّ النقاط فستكون كافية تماماً، وإذا ما كان المشرّع حيّاً فسيتّصلون به؛ وإذا كان متوفّىً فإنّ الضباط المتعدّدين سيحيلون الإسقاطات التي تصل لمراقبتهم، إلى حماة الناموس. وعليهم أن يصحّحوها لتصبح كلّها كاملة، وبعد ذلك لن يطرأ عليها تغيير أكثر. وسوف يركّزون اهتمامهم ويستخدمون النواميس الجديدة مع الآخرين، تلك النواميس التي أعطاها لهم المشرّع بشكل أصليّ، ولا ينبغي أن يغيّروها إذا استطاعوا، بأيّة حال. أو إذا فاجأتهم الضرورة، فيجب أن تُستدعى الهيئات القضائيّة للتشاور، وكذلك الشعب كلّه، وينبغي أن يذهبوا إلى كهنة الآلهة كلّهم. وإذا اتّفقوا جميعهم، يمكنهم أن يغيّروا في تلك الحالة. لكن إذا لم يتّفقوا على أيّة طريقة من طرق الاتفاق، فسيسود الشخص الذي يعارض، كما يقضي الناموس.

متى تصوّر أيّ شخص تعدّى سنّ الخامسة والعشرين، أو متى تصوّره الآخرون، واعتقد نفسه أنّه وجد رابطة زواج قريبة من تفكيره، ومناسبة لإنجاب الأطفال، فعليه بالزواج إذا كان لا يزال دون الخامسة والثلاثين. لكن عليه بادىء ذي بدء أن يسمع كيف ينبغي عليه أن يَجِدَّ في طلب المناسب والملائم، إذ كما يقول كلينياس، يجب على كلّ قانون أن يكون له استهلالٌ مناسب.

كلينياس: إنّك تتذكّر في اللّحظة الصحيحة، أيّها الغريب، ولا تفوّتَ الفرصة التي تقدّمها المحاورة بقول الكلمة في موضعها.

الأثيني: أشكرك على ما تقول، ونحن سنقول لمن يولد من أبوين صالحين، أوه يا ولدي، عليك أن تقوم بزواج كهذا متى وافق العقلاء عليه. والآن فهم ينصحونك بأن تتفادى الزواج الحقير الفقير، وبألاّ ترغب في الزواج الغنيّ بشكل خاصّ؛ لكن إذا كانت الأشياء الأخرى متساوية، فهم ينصحونك بأن تكرّم الأقلّ شأناً على الدوام، وأن تقيم علاقات وروابط معهم. وهذا الشيء من أجل منفعة المدينة والعائلات المتّحدة؛ لأنّ المستوي والمتناسق يميلان إلى الفضيلة بشكل لا محدود أكثر ممّا يميلان إلى الخالص الصِّرف. والذي يُدرَك لكونه عنيداً جدّاً، ويُنقل بعيداً عن العقل في كلّ أعماله أكثر ممّا يكون مناسباً، يلزمه أن يرغب في صحبة قريب الآباء المنظمين ونسيبهم، والذي يكون من المزاج المضادّ يجب أن يبحث عن الزواج والمصاهرة المضادّة. هناك كلمة واحدة تختصّ بكلّ القرانات: كلّ شخص سوف يتبع، ليس أثر الزواج الأكثر مسرّة لنفسه، بل أثر ذلك الزواج الأكثر فائدة للدولة، لأنّ كلّ شخص يميل بالطبيعة إلى الأشبه به، بطريقة أو بأخرى، وفي هذه الطريقة تصبح المدينة كلّها غير متساوية في الملكيّة وفي النزعة والتصرّف. ومن ثمّ تنشأ في أكثريّة الدول النتائج التي نرغب حدوثها في الشكل الأقلّ تحديداً. وبعدُ، فلكي نضيف تدبيراً احتياطيّاً واضحاً إلى الناموس، وهو أنّه لا ينبغي أن يتزوّج الإنسان القويّ بُنْيَةً من العائلة القويّة بنيةً، ولا أن يتزوج الغني من عائلة غنيّة فقط، بل نقول إنّ الإنسان ذا الطبائع الأبطأ سوف يُجبر على أن يعقد قرانه على الفتاة الأسرع، والإنسان الأسرع على الفتاة الأبطأ. إذا قلنا ذلك، فيمكن للقول هذا أن يثير الغضب، كما أنه يبعث على الهزء والسخرية في عقول العديدين، لأن هناك صعوبة في إدراك أنّ المدينة يجب أن تمتزج معاً تماماً مثلما يمتزج النبيذ في الفنجان، ذلك النبيذ الذي يكون مجنوناً وحارّاً ومتّقداً، لكنّه عندما يُطهِّره إله أكثر عقلاً ورصانة، فإنّه يتلقّى

رفيقاً عادلاً ويصبح شراباً ممتازاً ومعتدلاً[٢٩]. ومع ذلك ففي ولادة الأطفال لا يقدر أحد على أن يرى أنّ النتيجة عينها تحدث. ومن أجل هذا يجب علينا أن نحاول أيضاً، ليس ضبط مسائل كهذه بالقانون، بل فتنة نفوس الرجال في الاعتقاد أنّ استواء نزعة ومزاج أطفالهم هي أكثر أهميّة من المساواة في الخطّ المفرط عندما يتزوّجون هم. والذي يرغب في زواج هدفه الغنى، ينبغي علينا أن نسعى لحمله على تغيير رغبته بالتأنيب والتوبيخ، وليس بأيّ عمل قسريّ يمليه ناموس مكتوب، على كلّ حال.

إن ما قلناه هو ما ننصح به ونحضّ عليه فيما يخصّ الزواج. ولنتذّكر ما قلناه سابقاً وهو أنّ الإنسان عليه أن يتمسّك بالخلود، وأن يخلّف أحفاده ليكونوا خدم الآلهة مكانه إلى الأبد. كلّ هذا القول وأكثر منه يمكن إيراده بحقّ، بطريقة الاستهلال وبشأن واجبات الزواج. لكن إذا لم يستمع إنسان لِمَا نقول، وبقي غير اجتماعي وغريباً بين رفاقه المواطنين، وبلغ الخامسة والثلاثين دون أن يتزوّج، فدعه يدفع غرامة سنويّة. ابن الطبقة الأعلى سيدفع مئة دراخما غرامة، وابن الطبقة الثانية سيدفع خمساً وسبعين دراخما غرامة، وابن الطبقة الثالثة ستّين دراخما غرامة، وابن الطبقة الرابعة سيدفع أربعين دراخما غرامة. والمال هذا يجب أن يُكرّس للإلهة هيرا. وأمّا الذي يدفع غرامة سنويّة فسوف يكون مَدِيناً بعشرة أضعاف القيمة التي سيحدّدها أمين صندوق الآلهة. وإذا أخفق في عمل ذلك، فسيكون مسؤولاً وسيقدّم حساباً عن المال في بيان نهائيّ كنتيجة لهذا. وأمّا الذي يرفض الزواج فلسوف يُعاقب بدفع المال كما أشرنا، وسيُجرّد من كلّ التكريمات التي يؤدّيها الفتيان للمسنين. ويجب ألاّ يطيعه أحد من الشباب الفتيان إختيارياً، وإذا ما حاول أن يعاقب أيّ شخص، فعلى كلّ شخص أن يأتي للإنقاذ وأن يدافع عن الشخص الذي تعرّض للأذى. وأمّا مَن يكون حاضراً ولا يأتي إلى الإنقاذ، فسيعلنه القانون جباناً ومواطناً سيّئاً.

لقد تكلّمت عن قسمة الزواج سابقاً؛ وأقول مرّة ثانية عن تعليم الرجال الفقراء، وهو أنّ من لا يعطي منهم في الزواج ولا يتلقّى مَهراً بسبب الفاقة، يجب أن يمتلك تعويضاً؛ لأنّ مواطني دولتنا مجهّزون بضرورات الحياة، وستكون الزوجات أقلّ عرضة ليكنّ وقحات على الأرجح، أو أن يكون الأزواج بخلاء معهنّ وخانعين لهنّ بسبب الفاقة. والذي يطيع الناموس سوف يقوم بعمل نبيل؛ لكنّ الذي يعصيه، ويعطي أو يأخذ أكثر من خمسين دراخما كثمن لثياب الزواج إذا ما كان هو من الطبقة الأدنى، أو إذا كان الثمن أكثر من مينا، أو مينا ونصف إذا كان هو من الطبقتين الثانية والثالثة، أو مينيين اثنتين إذا كان هو من الطبقة الأعلى، إذا فعل ذلك فسيكون مَديْناً للخزينة العامّة بمبلغ مشابه، وسيُكرّس ذلك الذي يُعطى ويؤخذ لهيرا وزيوس، وأمناء خزائن هؤلاء الآلهة هم الذين يحدّدون قيمة المال. وكما قيل سابقاً بشأن العازبين، وهو أنّ أمناء خزينة هيرا هم الذين يحدّدون قيمة المال الذي سيُدفع، وإلاّ دفعوا الغرامة.

إنّ الخطوبة بواسطة الأب هي خطوبة شرعية بالدرجة الأولى، وأمّا الخطوبة بواسطة الجدّ فتأتي في الدرجة الثانية، وفي الدرجة الثالثة الخطوبة التي تتم بواسطة الأخوة الذين هم من الأب نفسه وهي خطوبة شرعية كذلك. لكن إذا لم يكن أحد من هؤلاء حيّاً، فسوف تكون الخطوبة بواسطة الأمّ شرعية بطريقة مماثلة. أمّا في الحالات التي لم يسبق بمثلها كشيء مقدّر أو محتوم، فإنّ النسيب الأقرب والحماة ستكون لهم السلطة بعقد مثل هذه الخطوبة. ولنسأل ما هي الحقوق المقدّسة قبل القرانات، ما هي الأعمال المقدّسة المتعلّقة إمّا بالمستقبل، أو بالحاضر، أو بماضي القرانات. إنّ كلّ هذه الأعمال ستُحال إلى المؤوّلين، والذي يتبع نصيحتهم يمكن أن يكون قانعاً. وبما أنّهم سيماسون ويشرفون على إحتفال الزواج، فإنّ أصدقاء كلا العائلتين لن تكون

مجموعتهم أكثر من خمسة ذكور وخمس إناث، وكذلك سيحضر عدد مماثل من أعضاء العائلة لكلا الجنسين، ولن ينفق أيّ إنسان في هذا الاحتفال أكثر مّما تساعده موارده الماليّة. وسليل الطبقة الأغنى يمكنه أن ينفق مينا واحدة، وسليل الطبقة الثانية سينفق نصف مينا، وينفق في النسبة عينها كما يزيد لكلّ إحصاء رسميّ لهم. إنّ كلّ الرجال سيثنون على من يطيع الناموس؛ لكنّ الذي يعصيه سيعاقبه حماة الناموس كأنّه إنسان يفتقر للذّوق الحقيقيّ، ولم يُثقّف بنواميس أغنية الزفاف. إنّ السّكْر غير مناسب على الدوام، إلاّ أثناء احتفالات الإله الذي أعطى النبيذ، والثّمَل خطر بشكل خاصّ عندما يكون الإنسان منهمكاً في مهمّة الزواج. ففي هذه المرحلة من حياتهما يجب على العريس والعروس أن يُسخّرا كلّ مقدرتهما العقلية بشأنها. ينبغي عليهما أن يأخذا العناية القصوى لكي تكون ذريتهما معقولة. إذ مَنْ يستطيع تخمين أيّ يوم أو أيّة ليلة سوف تهبهما السماء تكاثراً بالتوالد؟ بالإضافة إلى ذلك يلزمهما أن لا ينجبا أطفالاً عندما تكون أجسامهما مشبعةً بالشَّرَاب ومنهارة بالسّكر، بل يجب أن تكون ذريتهما متضامّةً وصلبة، هادئة ومركَّبة بشكل مناسب. في حين أنّ السكّير يكون منحرفاً عن السبيل الصحيح كليّاً في كلّ أعماله، ويخرج عن طوره في الجسم والروح كليهما. لهذا السبب أيضاً فالرجل السكّير هو رجل سيّىء وغير ثابت في زرع بذرة التكاثر بالتوالد، ويكون عرضة لأنْ ينجب ذريّة غير متوازنة وغير جديرة بالثقة على الأرجح، ويُتوقّع ألاّ تسير سيراً مستقيماً لا في الجسم ولا في الفكر. ومن ثمّ فإنّ الإنسان أثناء السنة كلّها وخلال حياته بمجملها، وخاصّة عند إنجابه الأطفال، عليه أن يحاذر وأن لا يفعل عمداً ما يؤذي صحّته، أو ما يشتمل على الغطرسة والخطأ؛ لأنّه لا يقدر أن يحمي الانطباع الذي يحدثه على أرواح وأجسام ذريّته، ولئلاّ ينجب أطفالاً

وضيعي الشأن في كلّ طريقة. ينبغي على الإنسان أن يمتنع كليّاً عن ارتكاب أشياء كهذه خاصّة في يوم وليلة الزواج؛ لأنّ البداية، التي هي إله قاطن في إنسان أيضاً، تقي كلّ الأشياء، إذا اتّحدت مع الاحترام المناسب لها في كلّ فرد. والذي يتزوّج عليه أن يعتبر ما هو أبعد شأناً من ذلك، وهو أنّ بيتاً واحداً من كلّ بيتين في قطعة الأرض المحدَّدة هو المأوى وموطن النشوء الأخلاقيّ والفكريّ لفتيانه وفتياته. وأنه هناك ينبغي عليه أن يتزوّج وينشىء بيتاً لنفسه ويربّي أطفاله، تاركاً والديه. وفي الصداقة يجب أن تكون هناك درجة ما من الغربة، كي تتماسك وتتوثّق الفوارق الأخلاقيّة معاً؛ لكنّ الاتصال المفرط الذي لا يترك مكاناً للرغبة التي تلي الانفصال، يقضي على الصداقات نتيجة الشعور بالشبع التامّ. ومن أجل ذلك فإنّ إنساناً وزوجته سيتركان لأبويهما مكان سكنهما الخاصّ بهما، ويزورانهما ويستقبلانهما، وسوف ينجبان ويربّيان الأطفال، ويسلّمان مشعل الحياة من جيل إلى الجيل الآخر، ويعبدان الآلهة طبقاً للناموس إلى الأبد.

في المقام التالي، علينا أن نرى أيّ أنواع الملكية هو الأكثر ملاءمة. لا صعوبة في فهم أو في اكتساب أنواع الملكية الكثيرة، لكن هناك صعوبة كبيرة في الأشياء المتعلّقة بالعبيد. والسبب الذي من أجله نتكلّم عنهم بطريقة محقّة وبطريقة غير محقة، هو أنّ ما نقوله بشأن عبيدنا يكون متساوقاً وغير متساوق مع خبرتنا العمليّة عنهم.

ميغيلوس: إنّني لا أفهم ما تعني، أيّها الغريب.

الأثيني: لا يدهشني ذلك، يا ميغيلوس، لأنّ دولة الهيلوطيّين بين اللاقيدايمونيين هي الشكل الأكثر إثارة للجدل والنقاش للعبوديّة من بين أشكال الدول الهيلينية كلّها، وهذا الشكل من أشكال العبودية موجود بين الهيراقلوطيين الذين استعبدوا الميرياندين، وهم على وشك أن يفعلوا ذلك بالتساليين البانستايين.

عندما نراقب هذه الأمثلة وأمثلة غيرها مشابهة بعناية، فما الذي علينا عمله في ما يخصّ الملكيّة للعبيد؟ لقد دوّنت ملاحظة، بالمناسبة، تلك الملاحظة التي أثارت سؤالك بشأن ما أعنيه. الملاحظة هي كالتالي: نحن نعرف أنّ الجميع يتّفقون على أنه ينبغي علينا أن نمتلك العبيد الأفضل والأكثر ملازمة لنا الذين نستطيع الحصول عليهم. العديد من الرجال وجدوا عبيدهم أفضل من الأخوة أو من الأبناء في كلّ طريقة، وهؤلاء العبيد أنقذوا الأرواح أو الممتلكات التي تخصّ أسيادهم وتخصّ بيتهم كلّه بكلّ طريقة ممكنة، وهذه قصص معروفة جيّداً.

ميغيلوس: لتكن متأكداً.

الأثيني: لكن ألا يجب علينا أن نقول أيضاً إنّ روح العبد فاسدة بالمطلق، وإنّ الإنسان المدرك لا ينبغي له أن يثق بالعبيد؟ وإنّ أعقل شعرائنا، يقول عندما يتكلّم عن زيوس: « إنّ زيوس البعيد النظر حرم الرجال الذين أخضعهم يوم العبودية نصف الفهم ». هناك أشخاص مختلفون وضعوا هاتين الفكرتين المتباينتين عن العبيد في ذهنهم - بعضهم لا يثقون بخدمهم بشكل مطلق، وكما لو كانوا بهائم ضارية، فهم يضربونهم بالسّياط وينخسونهم بالمهماز، ويضاعفون عبوديّة أرواحهم ثلاث ورُباع عمّا كانت عليه سابقاً. وأمّا الآخرون فيفعلون عكس ذلك.

ميغيلوس: صدقاً.

كلينياس: إذن ماذا سنفعل نحن في بلادنا الخاصّة، أيّها الغريب، في ما يتعلّق بحقّ امتلاك العبيد ومعاقبتهم، مع أخذ هذه الفروقات في معاملتهم بعين الاعتبار؟

الأثيني: حسناً، يا كلينياس، لا شك أنّ الإنسان حيوان مزعج، ولهذا السبب فهو ليس سهل القياد تحديداً، وعلى الأرجح لن يصبح كذلك. عندما تحاول أن تضع موضع الاستعمال الضروريّ لتقسيم العبيد، الرجال الأحرار والأسياد،

فإنّ ذلك لشيء واضح. وهذا نموذج عسير من نماذج الأخيار، كما تبيِّن غالباً بثورات الميسينيين المتتالية، وكذلك الاضطرابات العظيمة التي حدثت في الدول التي لديها الكثير من العبيد الذين يتكلّمون اللغة عينها، والسرقات العديدة والحياة المخالفة للناموس للبانديت الإيطاليين، كما يُسمّون، إنّ الذي يتأمّل ملياً كلّ هذا يتحيَّر بشكل عام. هناك علاجان فقط، ـ إمّا أن لا يكون لدينا عبيد من بلاد واحدة، أو إذا أمكن، أن يكونوا ممّن يتكلّم اللّغة عينها[٣٠]. ففي هذه الطريقة سوف يخضعون بشكل أكثر سهولة. ثانياً، ينبغي علينا أن نُعنى بهم باهتمام أكثر، ليس اعتباراً لهم فقط، بل احتراماً لأنفسنا بشكل أكثر مع ذلك. وأمّا المعاملة الصحيحة للعبيد فهي أن تتصّرف تصرّفاً لائقاً معهم، وأن تعاملهم، إذا امكن، بعدل أكثر حتى من المعاملة التي تعامل بها الذين يتساوون معنا، لأنّ الذي يبجل العدل بالشكل الطبيعي والأصيل والصادق، ويكره الظلم، يُكتَشَفُ من خلال تعامله مع أيّة طبقة من طبقات الرجال الذين يستطيع أن يظلمهم بكلّ سهولة. والذي لم يدنّسه ويشوّهه العقوق والظلم فيما يتعلّق بطبائع وأعمال عبيده، سوف يزرع بذور الفضيلة فيهم بالشكل الأفضل؛ ويمكن أن يقال هذا بصدق عن كلّ حاكم ومولى، وعن كلّ طاغية، وعن كلّ شخص آخر لديه سلطة في ما يتعلّق بالأدنى منه شأناً. ينبغي أن يُعاقب العبيد كما يستحقّون، ويجب ألاّ يُحثُّوا على أداء واجبهم كما لو أنّهم رجال أحرار، وستجعلهم المعاملة الثانية معجبين بأنفسهم فقط. إنّ اللهجة المستخدمة مع الخادم يجب أن تكون لهجة آمرة[٣١]، وينبغي علينا أن لا نمزح معهم، سواء أكانوا ذكوراً أو إناثاً ـ إنّ هذه الطريقة المزاحية طريقة غبيّة يمتلكها الكثيرون لرفع معنويّات عبيدهم، ولجعل حياة العبوديّة أكثر قبولاً بهم وبحكامهم ومواليهم.

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: والآن فإنّ كلّ مواطن يكون مجهَّزاً بعدد مناسب من العبيد الذين يستطيعون أن يساعدوه في ما يجب عليه القيام به، وذلك قدر الإمكان، ويمكننا أن نتقدّم تالياً لنصف أماكن سكنهم.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: ما دامت المدينة جديدة وغير مسكونة حتى الآن، فيجب أن تؤخذ العناية بكلّ الأبنية، وبأسلوب تشييد كلّ منها، وكذلك بالهياكل والأسوار أيضاً. هذه القضايا، يا كلينياس، هي القضايا التي وقعت قبل القرانات بشكل مناسب. لكن بما أنّنا نتحدّث الآن، فليس هناك معارضة لتغيير الوضع، إذا ما كان لمخطَّط مشرّعنا أن يدخل حيّز التنفيذ. على كلّ حال، إنّ البيت سوف يسبق الزواج في الحدوث إذا شاء الله ذلك، وبعد هذا سنصل إلى التنظيمات بشأن الزواج؛ لكن في الوقت الحاضر فإنّنا نصف هذه القضايا في مخطّط تمهيديّ بشكل عامّ.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: يجب أن تُبنى الهياكل كلّها حول الساحة العامّة، وأن تُشاد المدينة بمجملها على التلال بشكل دائريّ لأغراض الدفاع ومن أجل النقاء. أمّا قرب الهياكل فينبغي أن تشاد أبنية الهيئات القضائيّة الحاكمة ومحاكم الناموس، وسيتلقى المدَّعى عليه والمدَّعي ما يستحق أداؤه، وستعتبر هذه الأمكنة كأنّها الأمكنة الأكثر قداسة، من ناحية لأنّها تؤدّي أشياء مقدَّسة، ومن ناحية أخرى لأنّها أماكن سكن الآلهة المقدّسة أيضاً. وسيتمّ فيها عقد جلسات الحكم، التي يمكن أن يُبتّ فيها بشأن حالات القتل والمحاكمات الأخرى للتعدّيات الخطيرة جدّاً. أمّا في ما يتعلّق بالأسوار، يا ميغيلوس، فإنّني أتّفق مع اسبارطة في التفكير على أنّه ينبغي السماح لها أن ترقد تحت الأرض ولا ينبغي علينا أن نخرجها من قبرها هذا. هناك قول شعريّ، عبّر

عمّا يريده قائله بشكل جيّد، وهو « أنّ الأسوار ينبغي أن تكون من البرونز والحديد وليس من التراب ». بجانب ذلك إنّه لشيء مضحك أن نرسل شباننا سنويّاً إلى الريف لحفر الخنادق وإقامة التحصينات وإبعاد الأعداء بإقامة القلاع ووسائل الدفاع، بحجّة أنّه غير مسموح لهم أن تطأ أقدامهم أرضنا، وحينئذ، يجب أن نبني حولنا الأسوار التي لا تُفضي إلى صحّة أبناء المدن، في المقام الأوّل ومهما كلّف الأمر؛ وتكون عرضة أيضاً لإنتاج تخنّث محدّد في عقول وأفكار السكان وفيها تشجيع للرجال على الركض إلى هناك للاختباء بدلاً من طرد أعدائهم خارجاً. وفيها تصوّر للناس أنّ أمنهم لا ينشأ من بقائهم يقظين ليل نهار، بل إنّ أمنهم وسلامتهم يتمّان بواسطة بناء الأسوار والبوّابات المنيعة. وحيئذ يمكنهم أن يناموا آمنين مطمئنّين، كما لو أنّهم لا ينوون أن يكدحوا ويكافحوا، وكما لو أنّهم لا يعرفون أيضاً أنّ الاسترخاء الحقيقيّ يأتي من الكدح والكفاح. لكنّ ذلك الاسترخاء المخزي وغطرسة العقل هما الرائدان لكفاح وكدح جديدين. لكن إذا وجب على الرجال أن يقيموا أسواراً، فما يجب إلا أن يتمّ ترتيب البيوت الخاصّة منذ البدء، وذلك كي يمكن للمدينة كلّها أن تكون سوراً واحداً، وبيوتها كلّها قادرة على الدفاع بسبب انتظامها ومساواتها نحو الشوارع. إنّ شكل المدينة كونه ذا مسكن واحد سيكون مظهره مقبولاً، وكونه محروساً بسهولة فسيكون أفضل للأمن بشكل لا حدود له. إنّ وقاية الأبنية الأصليّة ستكون من اهتمام السكان في المقام الأوّل. لكنّ أمناء المدينة سيشرفون على العمل، وعليهم أن يفرضوا غرامة على المهمِل، وعليهم أن يهتموا بالنظافة في كلّ ما يتعلّق بالمدينة، وأن لا يسمحوا للإنسان الخاصّ أن ينتهك حرمة أيّة ملكيّة عامّة، لا بالبناء ولا بالكشف عن الآثار والتنقيب فيها. وأبعد من ذلك، ينبغي عليهم أن يحتاطوا للمطر الهاطل من السماء وجعله يجري بسهولة

على الأرض. وكذلك بشأن أيّة قضيّة يمكنها أن تُدار إمّا من داخل المدينة أو من خارجها، إنّ حماة الناموس سيقرّون أيّ تشريع يبدو أنّه ضروريّ، ويجهّزون كلّ نقطة رئيسيّة أخرى يمكن أن يكون الناموس فيها ناقصاً. وبعدُ فإنّ هذه القضايا والأبنية حول الساحة العامّة، ومكان التمارين الرياضية، وأمكنة التعليم، والمسارح، هذه كلّها جاهزة وتنتظر أساتذة الجامعات والمتفرجين فلنتقدّمْ إلى المواضيع التي تلي الزواج في نظام التشريع.

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: لنفترض أنّ القرانات عقدت الآن، يا كلينياس، فإنّ أسلوب الحياة خلال سنة بعد الزواج، وقبل أن يولد الأطفال، يجب أن يكون له نظام. ففي أيّة طريقة يجب أن يعيش العريس في المدينة التي ينبغي أن تكون أسمى من المدن الأخرى؟ هذه المسألة ليس من السهل اتخاذ قرار بشأنها على الإطلاق. كان هناك بعض الصعوبات مسبقاً، لكنّ هذه الصعوبة هي أعظمها إطلاقاً، وأكثرها مثارة للخلافات. يبقى أنّني لا أستطيع أن أقول إلا ما يبدو لي صحيحاً وحقيقياً، يا كلينياس.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: إنّ مَنْ يتصوّر أنّه يستطيع أن يعطي من أجل السلوك العامّ للدولة، في حين تُترك حياة المواطنين الخاصّة لتعتني بنفسها بشكل تامّ، ومن يرى أنّ الأفراد يمكنهم أن يُمضوا النهار كما يحلو لهم، وأنّه لا ضرورة للنظام في كلّ الأشياء أقول، إنّ الذين يتخلّون عن تنظيم حيواتهم الخاصّة، ويفترضون أنّهم يعملون وفقاً للناموس في حياتهم المشتركة والعامّة، إنّ الذين يفعلون ذلك فإنّما يقعون في خطأ كبير. لماذا أبديت هذه الملاحظة؟ لقد أبديتها لأنّني على وشك أن أسنّ ناموساً جديداً، وهو أنّ العريسين ينبغي أن يعيشا عند الموائد العامّة، تماماً كما فعلا قبل الزواج. هذه الصّفة كانت صفة مميّزة

عندما حدثت للمرة الأولى في مناطقنا من العالم، يا ميغيلوس وكلينياس، ومن الممكن أنها حدثت عند وقوع حرب ما أو حين نشوء خطر آخر مشابه، سبّب إقرار الناموس. وربّما حدث ذلك في أماكن قليلة السكن، وفي أزمة الضيق، لكن بعد أن جرب الرجال ذلك وأصبحوا معتادين على الموائد المشتركة، فإنّ الخبرة أبانت أنّ المجتمع ودستوره يوفّران الأمان بشكل كبير. وفي أساليب كهذه نشأت بيننا عادة إقامة الموائد المشتركة.

كلينياس: محتمل بما فيه الكفاية.

الأثيني: قلت ربّما هناك صفة مميّزة أو غرابة وخطر في فرض عرف كهذا بادىء ذي بدء، هناك ناموس هو النتيجة الطبيعيّة لهذا، وهو ناموس ممتاز، إذا ما طبّق في أيّ مكان، لكنّه اليوم ليس مطبّقاً في أي مكان. إنّ الناموس الذي أنا على وشك التكلّم عنه لا يوصف ولا يُنفَّذ بسهولة؛ وسيكون مِثل المشرّع « منقّباً عن الصوف في النار »، كما يقول الناس، أو قائماً بأيّ عمل مستحيل وعديم الجدوى.

كلينياس: ما سبب هذا التردد المتطرّف، أيّها الغريب؟

الأثيني: إنّك ستسمع ذلك بدون إضاعة وقت لا طائل تحته. إنّ الذي يمتلك ناموساً ونظاماً في الدولة هو سبب كلّ خير. أما الفوضوي، أو المنظم بشكل سيّىء فهو غالباً خراب لما هو منظم تنظيماً جيّداً. والمحاورة تقف عند هذه النقطة الرئيسيّة. أما فيما يتّصل بكما، يا كلينياس وميغيلوس، فإنّ الموائد المشتركة للرجال هي ناموس سماوي وهو ناموس رائع كما قلت سابقاً. لكنّكما تخطئان إذا تركتما النساء غير منضبطات بالناموس. فهنّ ليس لديهنّ ناموس مشابه للموائد المشتركة في وضح النهار، وهنّ جزء من السلالة الإنسانيّة ميال بطبيعته إلى السرّية والتسلّل بسبب ضعفهنّ، أعني جنس الإناث. وهذا الجنس قد تركه المشرّع وحيداً، بلا رفاق، بشكل يدعو

لليأس، وهذا العمل خطأ كبير. ونتيجة لتقصير هذا المشرّع، فإنّ الكثير من الأشياء قد أصبحت متّسمة بانحلال بينكم. وهذه ربّما كانت أفضل بيعد كبير، لو أنها نُظِّمت بالناموس، لأنّ إهمال التنظيمات المتعلّقة بالنساء لا يمكن اعتبارها إهمالاً لنصف القضيّة بالكامل فقط(٣٢)، بل بنسبة وكأنّ طبيعة المرأة أقلّ شأناً من طبيعة الرجال من حيث القدرة على نيل الفضيلة. وفي تلك الدرجة فإنّ عاقبة إهمال كهذا هو أكثر من مرّتين في مرتبة الأهميّة. إنّ الاهتمام بهذه القضيّة، والترتيب والتنظيم بناء على المبدأ العامّ لكل قوانيننا المتعلّقة بالرجال والنساء، يفضي إلى سعادة الدولة. لكن في الوقت الحاضر، فإنّ هذه الحال هي حالة الجنس البشريّ غير السعيد. لا إنسان ذا إدراك سيجازف حتى بالكلام عن الموائد المشتركة في الأماكن وفي المدن التي لم يتمّ فيها تثبيت مثل تلك الموائد على الإطلاق. وكيف يستطيع أيّ شخص تفادي تعريض نفسه للسخرية بشكل مطلق، وهو يحاول أن يجبر النساء على أن يعرضن كيف وكم يأكلنَ وكم يشربنَ بشكل علنيّ؟ وليس هناك جنس يهاجم ويُستاء منه أكثر من هذا الجنس. لأنّ النساء معتادات على التسلّل إلى الأماكن المظلمة، وعند محاولة إخراجهنّ منها إلى النور فإنهنّ يبذلن كلّ ما في وسعهنّ ويقاومن ذلك، وسيكون هذا الشيء عملاً كثيراً جداً على المشرّع أن يقوم به. ولهذا السبب، وكما قلت سابقاً، فإنّ الرجال في أكثر الأماكن لن يطيقوا النطق بالحقيقة بدون أن يطلقوا صراخاً عظيماً عالياً، لكن لربّما يمكنهم فعل ذلك في هذه الدولة. وإذا افترضنا أنّ مباحثتنا كلّها بشأن الدولة كانت مجرّد كلام تافه، سأبرهن لك، إذا قبلت أن تسمع، أنّ هذا الناموس جيّد ومناسب. لكن إذا آثرت العكس، فسأمتنع عن تقديم هذا البرهان.

كلينياس: ليس هناك شيء ينبغي علينا أن نحبّه، أيّها الغريب، أكثر من محبّتنا سماع ما لديك لتقوله.

الأثيني: جيّد جدّاً، وليس عليك أن تُفاجأ إذا ما عدت إلى الوراء قليلاً لأنّ لدينا الكثير من الوقت للراحة، ولا شيء يمنعنا من اعتبار موضوع الناموس في كلّ وجهة نظر.

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: دعنا نعود مرّة ثانية إلى ما قلناه في البدء إذن. على كلّ إنسان أن يفهم أنّ السلالة البشريّة لا بداية لها على الإطلاق، ولن يكون لها نهاية، بل ستكون على الدوام وأنّها قد كانت؛ أو أنّها ابتدأت منذ زمن بعيد.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: حسناً، أوَلم يكن هناك نواميس مهدِّمة للدول؟ أوَلم توجد كلّ أنواع المهن، المنظَّمة منها والفوضويّة، وكذلك الرغبات المختلفة لتناول اللحم والشراب دائماً في العالم كلّه؟ أوَلم توجد كلّ أنواع التغييرات للفصول التي يمكن توقّع خضوع الحيوانات أنفسها لتغييرات عديدة خلالها؟

كلينياس: لا شكّ في ذلك.

الأثيني: أوّلاً يمكننا أن نفترض ظهور الكرمة التي لم يكن لها وجود مسبق، وكذلك ظهور شجر الزيتون وعطايا ديميتر(٣٣) وابنتها، حيث كان تريبتوليموس(٣٤) أثناءها الكاهن الوحيد؟ وقبل هؤلاء كانت هناك حيوانات تعوّدت على إبادة بعضها بعضاً مثلما تفعل الآن؟

كلينياس: حقاً.

الأثيني: مرّة ثانية، فإنّ ممارسة الرجال لتضحية بعضهم بعضاً لا تزال موجودة بين الأمم، في حين أنّنا نسمع على الجانب الآخر، عن مخلوقات إنسانية أخرى لم يجازفوا حتّى في أن يتذوّقوا لحم البقر ولم يضحّوا بأيّة حيوانات، بل قدّموا بدلاً عن ذلك، الكعك والفواكه المغمّسة بالعسل، وتقديمات نقيّة مماثلة، لكنّهم لم يقدّموا لحم الحيوانات. وامتنعوا عن تقديمها ظنّاً منهم أنّه لا

ينبغي عليهم أكلها، ولكي لا يتمكّنوا من تلطيخ مذابح الآلهة بالدم. وقيل إنّ الرجال في تلك الأيّام عاشوا نوعاً من حياة طربة سارّة، مستخدمين كلّ الأشياء التي لا حياة فيها، لكنهم امتنعوا كليّة عن أكل الأشياء الحيّة.

كلينياس: هكذا كانت العادة أو العرف الثابت، وإنّه لعرف حقيقيّ على الأرجح.

الأثيني: يمكن أن يقول لنا شخص ما ما المغزى من هذا كلّه؟

كلينياس: إنّه لسؤال وثيق الصلة جدّاً بالموضوع، أيّها الغريب.

الأثيني: ولهذا السبب فإنّني سأسعى إذ استطعت، يا كلينياس، لرسم الاستنتاج الطبيعيّ.

كلينياس: واصل.

الأثيني: أرى أنّ كلّ الأشياء بين الرجال تعتمد على ثلاث حاجات ورغبات غايتها الفضيلة، إذا ما اهتدى الرجال بها اهتداءً صحيحاً، أو عكس ذلك إذا ما اهتدوا بها خطأً. وبعدُ فإنّ هذه الحاجات هي الأكل والشرب اللذين يبدآن منذ الولادة. كلّ حيوان لديه رغبة طبيعيّة لهما، ويثار بشكل عنيف، ويثور ضدّ من يقول إنّه لا ينبغي عليه أن يشبع كلّ ملذّاته وشهواته وأن يتخلّص من كلّ الآلام التي تقابلها. أمّا الحاجة والرغبة الثالثة والأعظم والأكثر حدّة، فإنّها تبرز أخيراً، وهي النار التي تثير اللذّة الجنسيّة، والتي توقد في كلّ الرجال أصناف العبث والاستهتار والجنون. وهذه الأشياء الفوضويّة الثلاثة يجب أن نسعى لقهرها بالمبادىء الثلاثة العظيمة للخوف والناموس والعقل الحقّ؛ مغيّرين اتّجاهها من ذلك الاتجاه الذي يُدعى الاتجاه الألذّ إلى الاتجاه الأفضل، ومستخدمين آلهات الشعر والفنّ والغناء والعلوم ليخدمنّ زيادتها وتدفّقها.

ولْنعدْ إلى ما بدأناه. فلنتكلّم بعد الزواج عن ولادة الأطفال، وتغذيتهم وتعليمهم. إنّ القوانين المتعدّدة ستكون متمّمة أثناء المباحثة، ولسوف نصل

إلى الموائد المشتركة أخيراً، سواء إذا كانت هكذا اتّحادات مقتصرة على الرجال أو تمتد لتشمل النساء أيضاً. وإنّنا لسوف نرى ذلك أفضل عندما نقترب منها. ويمكننا أن نقرّر حينئذ أيّ من القوانين السابقة نحتاج له وأيّها يتقدّم عليها ويفوقها أهميّة. وكما قلت سابقاً، سنرى بتفصيل أكثر، وسنكون قادرين بشكل أفضل على سنّ القوانين المناسبة والملائمة لهنّ.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: دعنا نحتفظ بالكلمات الّتي تفوّهنا بها الآن، فربّما احتجنا إليها في ما بعد.

كلينياس: ماذا تأمرنا الآن أن نُبقي في تفكيرنا؟

الأثيني: ذلك الذي ندركه من كلمات ثلاث: الأكل أوّلاً، ثانياً الشراب، ثالثاً إثارة الحبّ.

كلينياس: لسوف نتأكّد من تذكّرها، أيّها الغريب.

الأثيني: جيّد جدّاً، دعنا نتقدّم إذن إلى الزواج الآن، وأن نعلّم الأشخاص بأيّة طريقة سوف ينجبون الأطفال وإذا لم يطيعوا تطبّق عليهم القوانين.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: ينبغي أن يعتبر العريسان أنّ عليهما أن ينتجا أفضل وأجمل عيّنات أو نماذج الأطفال التي يقدران على إنتاجها للدولة. وبعدُ فإنّ كلّ الرجال الذين يشتركون في أيّ عمل ينجحون دائماً عندما يصرفون كلّ انتباههم إلى ما يفعلون، لكنّهم عندما لا ينتبهون أو يفقدون عقولهم، فإنّهم يخفقون. ومن أجل ذلك فعلى العريس أن يهب العروس انتباهه كلّه وأن يمنحه لإنجاب الأطفال، وأن تعطي العروس انتباهها للعريس بأسلوب مماثل، وبخاصّة ما داما لم ينجبا الأطفال. والنساء اللواتي أتمن اختيارهن، عليهنّ أن يكنّ المشرفات على أمور كهذه. وليكن عددهنّ، كبيراً أو صغيراً لا فرق، وفي أيّ وقت يمكن أن تأمر به الهيئة القضائيّة، دعهنّ يجتمعن في هيكل آيليثيا[٣٥] خلال

الفصل الثالث من فصول النهار. وكونهنَّ مجتمعات هناك، دعهن يخبرن بعضهنَّ بعضاً عن أي شخص يرونه، سواء إذا كان رجلاً أو امرأة، من أولئك الذين ينجبون الأطفال، متجاهلين القوانين المحليّة المعطاة خلال فترات تضحيات الزواج وإقامة الأعياد، دع إنجاب الأطفال والإشراف على أولئك الذين ينجبونهم يتواصل ليس لأكثر من عشر سنوات، أي في الوقت الذي يكون الزواج فيه خِصْباً. لكن إذا دام الزواج أكثر من هذا الوقت بدون أن ينجب العريسان أطفالاً، فدعهما يعقدان مجلساً استشارياً مع أقربائهما ومع النساء اللواتي يشغلن منصب المشرفات وأن يطلّقا بعضهما لمنفعتهما المشتركة. وإذا نشأ أيّ نزاع، على كلّ حال، بشأن ما يكون مناسباً ولمصلحة كلّ فريق، فإنّهما سوف يختاران عشراً من حماة الناموس وأن يتقيّدوا بإذنهم وتوصياتهم. إنّ النساء اللواتي يراقبنَ هذه القضايا سوف يدخلن بيوت الفتيان ويجعلنهم يكفّون عن غبائهم وخطئهم بالتهديد مرّةً وبالتذكير والنصائح مرّة أخرى. وإذا أصرّوا على فعلهم، فعلى النساء أن يذهبنَ ويخبرنَ حماة الناموس، ولسوف يمنعهم حماة الناموس من القيام بذلك. لكن إذا لم يقدروا على منعهم أيضاً، فلسوف يطرحون هذه القضيّة أمام الشعب؛ وعليهم أن يكتبوا أسماءَهم وأن يقسموا بأنهم لا يقدرون ولا يستطيعون أن يصلحوا شخصين كهذين. والذي يكتب ذلك، وإذا لم يستطعْ أن يدين أولئك الذين حفروا اسمه في محكمة الناموس، يجب أن يُجرَّد من امتيازات المواطن بالطرائق الآتية: يجب ألا يذهب إلى الأعراس ولا إلى صلوات وأعياد الشكر بعد ولادة الأطفال. وإذا ذهب، فعلى أيّ شخص يُسَرُّ أن ينعته بعدم الحَصَانة. والأنظمة عينها يجب أن تسري على النساء أيضاً: لن يُسمح لامرأة أن تظهر خارجاً، أو أن تتلقّى التكريمات، أو أن تذهب إلى احتفالات الزواج والولادة، إذا كُتب اسمها بشكل مماثل

كأنّها تتصرّف بشكل فوضويّ ولا تستطيع أن تحصل على حكم قضائيّ. وإذا كان لدى رجل أو لدى امرأة ارتباط مع رجل أو مع امرأة أخرى لا يزالان ينجبان الأطفال، عندما كانا هما نفسيهما قد أنجبا الأطفال طبقاً للناموس، إذ فعلا ذلك، فالعقاب عينه يجب أن ينزل بهما كما يُنزل على أولئك الذين لا يزالون يمتلكون عائلة. وعند مرور وقت الإنجاب على الرجل والمرأة اللذين يمتنعان عن قضايا كهذه أن يقدّرا في أجلّ اعتبار؛ والذين لا يمتنعون عن ذلك يقدّران على عكس ذلك، بمعنى الازدراء والاستخفاف بهما. وبعدُ، إذا تصرّف الجزء الأعظم من الجنس البشريّ بشكل معتدل، فإنّ الناموس يمكن له الثبات. لكن إذا تصرفوا بفوضى، فالناموس يجب أن يوضع موضع التنفيذ، ما دام قد أُقِرّ. إنّ السنة الأولى لكلّ إنسان هي بداية حياته، ويجب أن يُكتب ذلك في الهياكل الخاصّة بآبائهم، كأنّه بداية وجود كلّ طفل، كل فرع من قبيلة. يجب أن يُنقش على حائط أبيض، بجانب اسم كل صبيّ وكلّ فتاة، يُنقش الرقم المتسلسل للحكام الأوّل «في أثينا» الذين تُحسب السنوات بواسطتهم ويُنقش بقربهم أسماء الأعضاء الأحياء في كلّ فرع من فروع القبيلة، وعندما يتوفّون فلتُمح أسماؤهم. إنّ حدّ عمر الزواج للمرأة سيكون من السادسة عشرة إلى العشرين كأبعد مدى. وأمّا للرجال فمن سنّ الثلاثين إلى الخامسة والثلاثين. ودع المرأة ترتقي المنصب في سنّ الأربعين، والرجل في سنّ الثلاثين. ودع الرجل يذهب إلى الحرب من سنّ العشرين إلى الستين، وفي ما يخصّ المرأة، إذا بدا أنّ لها أيّة حاجة للقيام بالخدمة العسكرية، فيجب أن يكون وقت خدمتها بعد أن تكون قد أنجبت وربَّت الأطفال صعوداً إلى سنّ الخمسين، وأمام ناظرها اعتبار لِمَا هو ممكن ومناسب للفرد.

محاورة النواميس

الكتاب السابع

افكار الكتاب الرئيسية

وبعدُ فإنّنا سنهتم بتعليم الأطفال الحديثي الولادة وتغذيتهم وكيف سيتمّان. مرّة ثانية، يا ميغيلوس وكلينياس، أؤكّد أنّ التعليم الصحيح هو ذلك التعليم الذي يستطيع أن ينمّي الميل نحو الجمال وامتياز العقل والجسم بالشكل الأفضل. ويجب علينا أن نعتني بالأطفال والأجنّة. فالجنين له رياضة خاصّة ينبغي أن تمارسها أمّه، وكذلك الطفل. ومن بين الأشياء التي يجب أن نوليها اهتمامنا هي أن لا ندع الطفل يسير وحيداً قبل بلوغه سنّ الثالثة، كي لا تتقوّس عظامه وتتشوّه أطرافه. وبعد ذلك فإنّ الحركة هي الأنسب لكمال أجسام الأطفال. ونؤكّد أنّ التمرين والحركة في سني الحياة المبكرة تسهم في خلق جزء واحد من أجزاء الفضيلة في الروح بشكل كبير هو الشجاعة. وعلينا أن ندرب الأطفال في الحياة الحقيقة التي لا تنشد الملذات، ولا التي تتفادى الألم، بل في الحياة التي تتقبّل حالتهما الوسط لأنّ التربية في سنّ الطفولة تتأصّل في النفس أكثر من أيّ وقت آخر. وينبغي أن نولي عناية كبيرة بالمرأة أثناء حملها، وأن يُهذّب فيها التطف والنزعة إلى عمل الخير والحنان، وأن تُمنع عن الملذّات والآلام المفرطة والعنيفة.

العلم قسمان، قسم للرياضة البدنيّة المختصة بالجسم، والقسم الآخر للموسيقى المصمّمة لتحسين الروح. وسندرّب شبابنا وفتياتنا على مختلف أنواع الأسلحة سواء بسواء. ونحن نرمي من كلّ هذه الرياضة الخير وحده. ولا أحد سيجرؤ على تغيير قوانينها وقواعدها لأنّ مَن يغيّرها يغيّر أخلاق الشباب سرّاً

ويجعل القديم مهاناً والجديد معززاً مكرّماً. وليس هناك ضرر يلحق بالدولة أشد أذىً من هذا الضرر. ولا أحد سيأثم ضدّ النماذج المقدّسة في الغناء أو الرقص، ولا ضدّ النمط العامّ بين الشباب. والذي يراقب هذا الناموس سيكون بريئاً طاهر الذيل، لكنّ الذي يعصيه سيعاقبه حماة الناموس والكهنة والكاهنات. وسيكون شيئاً مناسباً إذن أن نرتّل ونثني على الآلهة ونشفع ذلك بالصلوات، ومن ثمّ يجب علينا أن نقدّم الصلوات والثناءات لأنصاف الآلهة وللأبطال بطريقة مماثلة، صلوات وثناءات مناسبة لصفاتهم الجيدة المتعدّدة. كذلك سنكرّم الرجال الأحياء والمتوفّين وكذلك النساء. وسيشترك الرجال والنساء في كلّ الأعمال الحربيّة، تقريباً، وكذلك في كلّ الأعمال التي تخدم الشعب والدولة في مسار الطريق السويّ. وعندما يبلغ الصبيّ العاشرة من العمر فإنّه يكون قد صرف ثلاث سنوات في تعلّم الحروف، وسيمسك بالقيثارة في سنّ الثالثة عشرة أو سنّ السادسة عشرة كما تهيّأ لذلك وكما يسمح الناموس به. تبقى هناك ثلاث دراسات مناسبة للرجال الأحرار، الحساب وعلم الحساب واحدٌ منها؛ والثاني قياس الطول، قياس السطح، وقياس العمق؛ أمّا الثالث فعمله مع دوران النجوم في أفلاكها بعضها بالنسبة لبعض. وينبغي علينا أن نبحث في مسألة طبيعة العالم وفي الله الأسمى، وفي استقصاء أسباب الأشياء. ونستطيع أن نقول الآن إنّ كلّ تشريعاتنا بشأن التعليم هي تشريعات كاملة.

محاورة النواميس

الكتاب السابع

الأثيني: والآن، لنفترض أنّ الأطفال من الجنسين قد ولدوا، فسيكون شيئاً مناسباً لنا أن نهتم بتغذيتهم وتعليمهم، في المقام التالي. هذا الشيء لا يمكن تركه كليّة بدون مراقبة، ومع ذلك يُعتقد أن هذا الموضوع مناسب لما يُدرَك بالحواسّ وللنصح والتذكير على الأصحّ بدلاً من الناموس. يوجد في الحياة الخاصة عدة أشياء صغيرة لا تكون ظاهرة على الدوام، بل تنشأ من ملذات وآلام ورغبات الأفراد وبسرعة، وتجري عكس نيّة وقصد المشرّع، وتجعل أخلاق المواطنين متنوّعة وغير متشابهة. هذه الأشياء سيّئة في الدول، لأنّها بسبب صغرها وحدوثها المتكرّر، تسبّب شيئاً غير لائق وستكون هناك حاجة إلى التناسب في جعلها جزائيّة بالناموس. وإذا جُعلت جزائيّة، فهي الدمار للنواميس المكتوبة، لأنّ الجنس البشريّ يحصل على عادة انتهاك الناموس في القضايا الصغيرة بالتكرار. والنتيجة هي أنّك لا تستطيع أن تشرّع بشأنها، ويبقى أنّك تقدر على الاستمرار صامتاً بشأنها لوقت أقلّ. إنّني أتكلّم بشكل غامض إلى حدٍّ ما، لكنّني سأسعى لتسليط الضوء على بضاعتي. وأعترف بأنّ ما أقوله في الوقت الحاضر يفتقر للوضوح.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: لقد أكّدت، وآمل أن أكون محقاً في تأكيدي هذا، لقد أكّدت أنّ التعليم الصحيح يجب أن يكون ذلك التعليم الذي يستطيع أن يبيّن أنّه يميل نحو الجمال والامتياز للعقل والجسم بالشكل الأكثر.

كلينياس: بدون شكّ.

الأثيني: والأجسام الأجمل هي تلك الأجسام التي تنمو منذ الطفولة بالطريقة الأفضل والأقوم. هذا إذا عبّرنا عنها بشكل بسيط تماماً.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: أوَلاَ نلاحظ أيضاً أنّ الانطلاق الأوّل لكلّ شيء حيّ هو الشيء الأفضل والأكمل ببعدٍ كبير؟ سيؤكّد العديد من الرجال أنّ الإنسان في سنّ الخامسة والعشرين، لا يتضاعف طوله عمّا كان عليه في الخامسة من عمره.

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: حسناً أليس النمو السريع للمادة بدون تمرين كثيف ومتناسق، أليس مصدر الشرور اللانهائية في الجسم؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: وينبغي أن يقوم الجسم بالتمرين الأكثر عندما يتلقّى الغذاء الأكثر؟

كلينياس: لكن هل يلزمنا أن نفرض هذا المقدار الكبير من التمرين على أطفالنا المولودين حديثاً، أيّها الغريب؟

الأثيني: لا، بل يلزمنا أن نفرضه على أجسام الأطفال الذين لم يُولدوا بعد.

كلينياس: ماذا تعني، يا سيّدي الصالح؟ هل تعني أن نقوم بذلك أثناء عمليّة الحَمْل؟

الأثيني: بالضبط. لن يفاجئني أنّك لم تسمع بهذا النوع الغريب جدّاً من أنواع الرياضة المطبّق على مخلوقات صغيرة كهذه، والذي سأتولّى شرحه لك، برغم أنّه نوع غريب من أنواعها.

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: إنّ ممارسة هذه التمارين هو فهمها لنا بأسهل ممّا تفهمها أنت، بسبب التسليات التي تقوم بها إلى أقصى حدودها في أثينا. ولا يقوم الأولاد بها

فقط، بل إنّ الأشخاص المسنّين معتادون على العناية بطيور السُّمّان والديوك غالباً[٣٦] التي يدرّبونها كي يقاتل بعضها بعضاً. وهم بعيدون كلّ البعد عن التفكير بأنّ المبارزات التي يثيرونها بينها هي تمرين كاف. إذ بالإضافة إلى هذا، فإنّهم يطوفون بها، مثبتينها تحت إبطهم، ماسكين الطيور الأصغر بأيديهم والطيور الأكبر تحت سواعدهم، ويتمشون بها لأميال عدّة قصد تحسين صحّتها. بمعنى، ليس من أجل صحّتهم هم، بل من أجل تحسين صحّة هذه الطيور. ويبرهنون وفقاً لهذا العمل ولأيّ شخص ذي إدراك، أنّ كلّ الأجسام تنتفع بالاهتزاز والحركة، وذلك عندما تتحرّك بمشقّة، سواء إذا صدرت الحركة عنها، أو كان الإهتزاز سببها، أو على سطح البحر، أو على ظهر الحصان، أو بواسطة الأجسام الأخرى. ومهما تكن الطريقة التي يتحرّكون بها، فإنّهم هكذا يكسبون السيطرة على الغذاء والشراب، وإنّهم لقادرون على أن يضفوا الجمال والصحّة والقوّة الجسديّة على أجسامهم. لكن عندما نعرف بكلّ هذا، فماذا يلي؟ هل سنسنّ ناموساً جديداً وهو أنّ المرأة الحامل ستسير أينما تريد وتصوغ الجنين داخل الرحم كما نصوغ الشمع قبل أن يصبح قاسياً، وتلفُّ الرضيع بعد الولادة لمدّة سنتين؟ افترض أنّنا سنجبر الممرّضات، تحت طائلة عقوبة الغرامة القانونية، سنجبرهن على حمل الأطفال على الدوام في مكان ما أو في مكان آخر، سيحملنهنّ إمّا إلى الهياكل أو إلى الريف، أو إلى بيوت أقاربهم، إلى أن يتمكنوا من الوقوف جيّداً، وعليهنّ أن يحتطن لئلا تتشوّه أطرافهن بواسطة الاتّكال عليها عندما يكون هؤلاء الأطفال صغاراً جداً[٣٧]، وعليهنّ أن يواصلن حملهم حتى يبلغ الرضيع السنة الثالثة من العمر. وينبغي أن تكون الممرضات قويات وصحيحات الجسم قدر الإمكان، وينبغي أن توجد أكثر من واحدة منهنّ للقيام بأعمالهن. فهل ستكون هذه القواعد قواعد لنا، وهل سنفرض عقاباً

على مَن يهملها؟ لا، لا، إنّ العقاب الذي تكلّمنا عنه سيُنزلُ على رؤوسنا الخاصّة وهو عقاب أكثر من كافٍ.

كلينياس: أيّ عقاب؟

الأثيني: السخريّة، وصعوبة الحصول على الإناث والميول الخدماتية للممرّضات كي يستجبن لذلك.

كلينياس: إذاً فلماذا كانت هناك حاجة للكلام عن المسألة؟

الأثيني: سبب ذلك هو أنّ الأسياد والرجال الأحرار عندما يسمعون بها، سيقتنعون حقّاً بشكل مرجَّح جدّاً بأنه ما لم توجد إدارة صحيحة للأفراد في المدن، فمن الصعوبة توقّع الاستقرار الدائم في سَنّ القوانين العامة. والذي يُوجد هذا التصوّر يمكنه أن يتبنّى النواميس المذكورة آنفاً، وبتبنّيها يمكنه أن ينظِّم بيته أي دولته جيّداً وأن يكون سعيداً.

كلينياس: محتمل جدّاً بما فيه الكفاية.

الأثيني: ولهذا السبب دعنا نتقدّم مع مشرّعنا إلى أن نقرِّر التمارين التي تناسب أرواح الأطفال الفتيان بالطريقة عينها التي بدأنا بها دراسة القواعد المختصّة بأجسادهم بدقة.

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: دعنا نفترض إذن، كمبدأ أوّل فيما يتعلّق بروح وجسم المخلوقات الصغيرة جدّاً، دعنا نفترض أنّ التمرين والحركة أينما تكونان، أثناء الليل وأثناء النهار، هما جيّدان للجميع، وهم سيحتاجون لهما ما داموا فتياناً[٣٨]. يجب أن يحيا الأطفال، إذا كان هذا ممكناً، كما لو كانوا على سطح البحر ويهزّون على الدوام. إنّ هذه هي العبرة التي يمكننا أن نجنيها من خبرة الممّرضات ومن استخدام علاج الحركة في الحقوق المقدّسة للكوريانتيين بشكل مماثل. إذ عندما تريد الأمّهات أن يذهب أطفالهنّ الأرِقون إلى النوم، فإنّهنّ لا

يستخدمنَ السكون والراحة في هذا الغرض، بل على العكس، هنّ يستخدمنَ الحركة - إنّهنَّ يهززنهم بأذرعهن وهن لا يمنحنهم الصّمت، بل يغنّينَ لهم ويسحرنهم بالأغنيات الحلوة؛ تماماً بالطريقة عينها التي تفتن الكاهنة الباخوسيّة بها النساء في جنونهنّ المؤقت، باستخدام الحركة في الرقص وفي الموسيقى.

كلينياس: حسناً، أيّها الغريب، وما هو سبب ذلك؟

الأثيني: إنّ السبب لواضح وجليّ.

كلينياس: ماذا؟

الأثيني: إن الميل والنزوع عند الباخوسيين والأطفال هو إحساس بالخوف الذي ينشأ من عادة سيّئة للروح. وعندما يستخدم شخص ما الإثارة الخارجيّة لتأثيرات من هذا النوع، فإنّ الحركة الآتية من الخارج تنال الأفضلِ من التأثير المرعب الداخلي العنيف، وتنتج سلاماً وهدوءاً في الروح وتسكّن وجيب القلب الذي لا يرتاح[٣٩]، وذلك يحوز مقداراً كبيراً من الرغبة، ويرسل الأطفال إلى النوم، ويجعل الباخوسيين، برغم أنهم يبقون يقظين، يجعلهم يرقصون على أنغام المزمار بمساعدة أولئك الآلهة الذي يقدّمون لهم تضحيات مقبولة، ويحدثون فيهم عقلاً سليماً ومدركاً، يأخذ مكان شعُرِهم. ولكي أعبّر عمّا أعنيه بكلمة، فإن هناك قدراً كبيراً يجب أن يقال لصالح هذه المعالجة.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: لكن إذا كان لدى الخوف قوّة كهذه، فيجب أن نستنتج من هذه الحقائق أنّ كلّ روح كانت أليفة الخوف من سنّ الشباب فصُعُداً، فإنّها ستكون أكثر عُرضة للخوف، وسيسمح كلّ فرد بأن يعبتر أنَّ هذه الطريقة هي التي تولّد عادةَ جبنٍ وليس عادة شجاعة.

كلينياس: بدون شكّ.

الأثيني: وعلى الجانب الآخر، يمكن القول إنّ عادة التغلّب على المخاوف والأهوال التي تكتنفنا منذ شبابنا فصاعداً، يمكن القول إنّها تمرين على الشجاعة.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: ولهذا السبب يمكننا القول إنّ استخدام التمرين والحركة في سني الحياة المبكّرة، يسهم في خلق جزء واحد من أجزاء الفضيلة في الروح بشكل كبير.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: أيضاً، فإنّ الطبع المرح يمكن اعتباره وكأنّه الكثير مّما يقدر على فعله بالنّفس العالية من ناحية، وعكسه بالنفس الجبانة من ناحية أخرى.

كلينياس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: يجب علينا الآن إذن أن نسعى لنُري كيف وإلى أيّ مدى يمكننا إذا سرّنا ذلك، أن نغرس إحدى الصفتين في الشباب بدون صعوبة.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: هناك رأي شائع، وهو أنّ الترَفَ يجعل ميل الشباب ساخطاً وسريع الغضب، وتثيره الأشياء التافهة بشكل عنيف. وعلى الجانب الآخر فإنّ الهمجية المفرطة تجعل الرجال سفلاء ومُذلّين وكارهين لنوعهم. وتجعلهم أيضاً عشراء سوء وغير مرغوب فيهم.

كلينياس: لكن كيف يجب أن تعلّم الدولة أولئك الذين ما زالوا لا يفهمون لغة البلاد، وهم غير قادرين لهذا السبب على تقدير أيّ نوع من أنواع التعليم حق قدره.

الأثيني: سأخبرك كيف. إنّ كلّ حيوان حالما يولد يطلق صرخة، وهذه الحالة يتميز بها الإنسان بشكل خاصّ، ويثار بالميل للبكاء أكثر من أيّ حيوان آخر أيضاً.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: ألاَ تحكم الممرّضات بهذه الإشارات عندما يُردنَ أن يعرفنَ ماذا يرغب الرضيع؟ فعندما يُحضر أيّ شيء إلى الرضيع ويكون صامتاً، يُفترض أنه يُسرّ منه حينئذ، لكنّه حينما يبكي ويصرخ، فإنّه يكون مستاءً ممّا يجري لأنّ الدموع والصراخ هما العلامتان المشؤومتان اللتان يُظهر الأطفال بواسطتهما ما يحبون وما يكرهون. وبعدُ فإنّ الوقت الذي يمضي هكذا ليس أقلّ من ثلاث سنوات، وهذا الوقت جزء مهم جدّاً من أجزاء الحياة كي يمرّ إمّا جيداً أو سيّئاً.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: ألاَ تبدو الطبيعة الساخطة والفظّة مملوءةً بالنحيب والأحزان أكثر ممّا ينبغي أن يكون عليه الإنسان الخيّر والصالح؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: حسناً، لكن إذا أُخذت كلّ العناية الممكنة أثناء هذه السنوات الثلاث، وهي أنّ رضيعنا ينبغي أن يمتلك القليل من الحزن والخوف وبشكل عامّ القليل من الألم قدر الإمكان، أفلا يمكننا أن نتوقّع جعل روحه أكثر لطفاً وأكثر ابتهاجاً في طفولته المبكّرة؟

كلينياس: لتكن متأكّداً أيّها الغريب. وأكثر من ذلك إذا استطعنا أن نسبّب له أنواعاً من الملذّات بشكل خاصّ.

الأثيني: لا يمكنني هنا أن أتّفق مع كلينياس بعد الآن. إنّك لتدهشني! ألا تعرف أنّك إذا ربّيته بهذه الطريقة فإنّك سوف تدمّره؟ لأنّ البداية هي الجزء الأكثر حَرَجاً من أجزاء التعليم على الدوام. دعنا نرى إذا ما كنت محقّاً فيما أقول.

كلينياس: تقدّم.

الأثيني: إنّ النقطة الرئيسيّة التي نختلف بشأنها أنت وأنا هي نقطة ذات أهميّة كبيرة جدّاً، وإنّني لآمل منك، يا ميغيلوس، أن تساعد على حسم الأمور

بيننا. أنا أؤكّد أنّ الحياة الحقيقية يجب أن لا تنشد الملذّات، ولا أن تتفادى الألم، بل ينبغي أن تتقبّل الحالة الوسط[٤٠] التي تكلّمت عنها مثل اللطف والعذوبة، وهي حالة ننسبها إلى الله حقّاً بواسطة بشير وإلهام إلهيّ ما. وبعدُ، فإنّني أقول، إنّ مَنْ يكون بين الرجال إلهيّاً أيضاً يجب أن يقتفي آثار هذه العادة المعتدلة؛ يجب عليه أن لا يندفع بتهوّر في ممارسة اللذّات لأنّه إذا فعل ذلك فلن يكون حرّاً من الآلام؛ ولا ينبغي عليه أن يسمح لأيّ شخص، فتىً كان أو مسنّاً، ذكراً كان أو أنثى، أن يُعطى هكذا أكثر ممّا نعطي أنفسنا، وبشكل أقلّ من الجميع إلى الطفل الرضيع المولود جديداً، لأنّ الأخلاق في الطفولة تتأصّل في النفس أكثر من أيّ وقت آخر. لا ولا أكثر، فإنّي إذا ما خشيت أن أبدو مضحكاً، فسأقول إنّ المرأة يجب العناية بها بالاهتمام الأكثر وخاصة أثناء حملها، وينبغي أن تُمنع عن الملذّات والآلام المفرطة والعنيفة، ويلزمها أثناء ذلك الوقت أن يُهذّب فيها اللطف والنزعة إلى عمل الخير والحنان.

كلينياس: إنّك لست بحاجة لتسأل ميغيلوس، أيّها الغريب، عن أيٍّ منّا تكلّم الكلام الأكثر حقيقة. فأنا أوافق على أنّ كلّ الرجال يجب عليهم أن يتفادوا الحياة التي لا تخالطها الملذّات والآلام، وأن يتّبعوا الطريقة الوسطى على الدوام. وبما أنّك تكلّمت جيّداً، فهل يمكنني أن أضيف أنّك أُجبت جيّداً على سؤالك؟

الأثيني: نعم، لقد أجبتَ جيّداً وبكلّ الصحّة، يا كلينياس. وبعدُ دعنا نتطرّق، نحن الثلاثة إلى نقطة رئيسيّة أبعد.

كلينياس: وما هي؟

الأثيني: إنّ كلّ القضايا التي نصفها الآن تدخل تحت العنوان العام للأعراف أو العادات غير المكتوبة، وما دعته نواميس أسلافنا هما ذات طبيعة مشابهة. أمّا

الانعكاس الذي نشأ في أفكارنا أخيراً، فذلك يجعلنا لا نستطيع تسمية هذه الأشياء نواميس، ولا يمكننا إغفالها، وهذه قد تمّ تبريرها. إنّها العُرى التي توثق الدولة بمجملها، وتدخل بين النواميس المكتوبة المرسومة أو التي سترسم بعدئذ. وهي أعراف سلفيّة موغلة في القدم تماماً، وإذا نُظّمت جيّداً وجُعلت نواميس معتادة، فإنّها سوف تقي وتحمي الناموس الموجود المكتوب سابقاً، وإذا انحرفت عن الحقّ ووقعت في الفوضى، تكون حينئذ مثل دعامات البنّائين التي تنزلق من مكانها وتسبب خراباً عامّاً وشاملاً، ويجرّ الجزء الواحد منها الجزء الآخر، وتسقط البنية الفوقيّة بسبب سحب الأسس القديمة التحتيّة. فإذا تأمّلنا كلّ هذا ملياً، يا كلينياس، ينبغي عليكما أن توثقا الدولة الجديدة معاً بكل طريقة ممكنة دون أن تسقط شيئاً، صغيراً كان أو كبيراً، ممّا يسمى نواميس أو أخلاق أو ملاحقات، لأنّ المدينة توثق معاً بهذه الوسائل، وتكون هذه الأشياء أبديّة فقط حينما يعتمد بعضها على بعض. ولهذا السبب، يجب علينا ألاّ ننشده إذا وجدنا أنّ العديد من الأعراف أو العادات التافهة ظاهرياً تتدفّق وتجعل نواميسنا أكثر إمتداداً.

كلينياس: حقيقيّ تماماً، وإنّنا ميّالون للاتفاق معك.

الأثيني: إذا ما نفّذ شخص تنظيماتنا السابقة بصرامة، وجعلها هدفه الرئيسيّ، وذلك بالنسبة لما قلناه عن الرّضّع حتى بلوغهم الثالثة، إذا ما فعل ذلك، فإنّه سيفعل شيئاً كثيراً لمصلحة المخلوقات الفتيّة. لكنّ الطبيعة الصبيانيّة في سنّ الثالثة، الرابعة، الخامسة وحتى السادسة، ستحتاج للرياضة. وبعدُ فلقد حان الوقت الآن كي يتخلّص الفتى من عناده، وذلك بمعاقبته، لكن ليس إلى حدّ إهانته. أما بالنسبة للعبيد، فلا يجب علينا أن نضيف ذلك، خشية أن يصبحوا عنيدين. وينبغي مراقبة قاعدة مماثلة في حالة المولود حرّاً. إنّ الأطفال في تلك السنّ لديهم طرائق وأساليب طبيعيّة محدّدة للتسلية يكتشفونها

بأنفسهم عندما يتقابلون. وكلّ الأطفال بين الثالثة والسادسة يلزمهم أن يتقابلوا معاً في هياكل القرى، وأن تتّحد العائلات المتعدّدة في القرية على بقعة واحدة. وينبغي على الممرضات أن يراقبن سلوك الأطفال، وأن يجعلوهم يتصرّفون بلياقة ونظام. يجب أن يكونوا جميعاً خاضعين لتوجيه اثنتي عشرة قيّمةً، واحدة لكلّ مجموعة، يتم اختيارها سنويّاً من النساء المذكورات سابقاً لاختبارهنّ. « كمثال، النساء اللواتي لهنّ سلطة فوق الزواج »، واللواتي عيّنهنّ حماة الناموس. هؤلاء القيّمات سوف تختارهن النساء اللواتي لهنّ سلطة فوق الزواج، واحدة خارج كلّ قبيلة. وينبغي أن يكنّ كلّهنّ من العمر نفسه، وعلى كلٍّ منهنّ، حال تعيينها، أن تتسنّم المنصب وأن تذهب إلى الهياكل كلّ يوم، لتعاقب كلّ المعتدين العبيد أو الغرباء من كلا الجنسين، وذلك بمساعدة بعض العبيد العامّين. أمّا فيما يختصّ بالمواطنين، إذا ما جادل أحدهم بشأن العقاب، فعلى إحدى القيّمات أن تحضره أمام أمناء المدينة، وإذا لم يقع أيّ جدال فعليها أن تعاقبه بنفسها. وبعد سنّ السادسة يحين وقت انفصال الجنسين. فعلى الصبيان أن يعيشوا مع الصبيان، والبنات مع البنات بطريقة مماثلة. وبعدُ، فإنّ عليهم أن يتعلّموا جميعاً ـ يذهب الصبيان إلى معلّمي الفروسية ومعلّمي استعمال القوس، الرمح، والمقلاع، وإذا لم تعترض الفتيات فإنّ عليهنّ أن يتعلّمن ذلك أيضاً، إلى أن يعرفنَ كيف يستعملنَ هذه الأسلحة على كلّ حال، وخاصّة كيف يمسكنَ الأسلحة الثقيلة. ويمكنني أن ألاحظ أنّ الممارسة التي تسود الآن هي ممارسة يُساء فهمها تقريباً بشكل شامل.

كلينياس: بأيّ وجه؟

الأثيني: يُفترض أن تكون اليدان اليمنى واليسرى ملائمتين بشكل مختلف لاستعمالاتنا المتنوّعة لهما بالطبيعة؛ في حين أنّه لا فرق في استعمال الأقدام

أو الأطرافَ السفلى. لكن في استعمال اليدين فإنّنا لمخطئون، كما عطّل غباء الممرضات والأمّهات عمل اليدين. ورغم أنّ أطرافنا المتعدّدة متوازنة بالطبيعة، فإنّنا نخلق بينها فرقاً بالعادة السيّئة. وفي بعض الحالات فإنّ هذه الأشياء ليست بذات شأن. كمثال، عندما نمسك العود باليد اليسرى وريشة العزف باليد الميني، وإنّها لغباوة صِرْفة أن نخلق التمييز عينه في الحالات الأخرى. إن عادة السكيثيين تثبت خطأ ما نقوم به. فهم لا يمسكون القوس باليد اليسرى فقط ويلوون السهم لمن يدرّبونهم باليد اليمنى، بل إنّهم يستعملون أيّة يدٍ للغرضين كليهما. وهناك أمثلة عديدة مشابهة في قيادة العجلات وفي الأشياء الأخرى التي يمكننا أن نتعلّم منها أنّ أولئك الذين يجعلون الجانب الأيسر أضعف من الجانب الأيمن، فإنّهم يفعلون ذلك بشكل معاكس للطبيعة. وفي حالة ريشة العزف المصنوعة من قرن الحيوان فقط، وما أقوله عنها أقوله عن الأدوات المشابهة، وهي ليست بذات أهيّمة، لكنها تخلق فرقاً كبيراً، ويمكن أن تكون ذات أهميّة عظيمة بالنسبة للمقاتل الذي ينبغي عليه أن يستعمل الأسلحة الحديديّة، الأقواس، الرماح، وما شابه. وفوق كلّ ذلك، عندما يجب عليه أن يحارب بالأسلحة الثقيلة ضدّ الأسلحة الثقيلة، وهناك فرق عظيم بين الشخص الذي تعلّم والشخص الذي لم يتعلّم، وبين الشخص الذي قد تدرّب على التمارين الرياضية والشخص الذي لم يتدرب عليها. إذ مثلما يكون الشخص الحاذق تماماً في البنكراتيوم[٤١] أو الملاكمة، أو المصارعة، ولا يستطيع أن يحارب من جانبه الأيسر، ولا يعرج ولا يمشي متثاقلاً في إرتباك أو فوضى عندما يجعله خصمه يغيّر موقعه، هكذا في القتال بالأسلحة الثقيلة، ويثبت الشيء عينه في كلّ الأشياء الأخرى، إذا لم أكن مخطئاً. إنّ الذي لديه هذه القوى المضاعفة للهجوم والدفاع لا ينبغي عليه أن يتركها بأيّة حال إمّا غير مستعملة أو غير مدرّبة، إذا قدر على

ذلك. وإذا كان لدى شخص ما طبيعة جيريون أو برايريوس، فينبغي عليه أن يرمي مئة سهم مجنّح بمئة يد. وبعدُ فإنّ كلّ الهيئات القضائية، ذكوراً وإناثاً يجب عليهم أن يروا كلّ هذه الأشياء، وأن تشرف النساء على تمريض وتسلية الأطفال ويشرف الرجال على تعليمهم، كي يتمكنوا جميعهم صبيةً وبناتٍ على السواء من أن يكونوا سليمي الأيدي والأقدام، ولكي لا يتلقّوا هبات الطبيعة بالعادات السيئة، إذا استطاعوا.

التعليم قسمان: قسم للرياضة البدنيّة، التي تختصّ بالجسم، والقسم الآخر للموسيقى المصمّمة لتحسين الروح(٤٢)، والقسم الرياضي يُقسم إلى فرعين هما الرقص والمصارعة، ويقلّد نوع واحد منهما (الرقص) التلاوة الموسيقية، ويهدف إلى وقاية الكرامة والحريّة. ويهدف النوع الآخر إلى إحداث الصحّة، الرشاقة، والجمال في أعضاء وأجزاء الجسم، موفّراً الانثناء والتمدّد لكلّ منها. ولذلك فإنّ حركة متناسقة تنتشر في الجسم كلّه، وتشكّل شيئاً متمّماً ومناسباً للرقص. وأمّا فيما يختصّ بالمصارعة، فإنّ الخدع التي استنبطها انتايوس وسيريكيون في نظاميهما للمصارعة فصادرة من نفسٍ مختالة تنافسيّة، أو خدع الملاكمة التي اخترعها ايبيوس أو أميكوس وكلّها خدع غير مناسبة للحرب ولا تستحقّ أن يقال الكثير عنها. لكنّ فنّ المصارعة الذي يبني الجسم ويُبقي الرقبة والجوانب والسواعد على حريّتها، فإنّه تمرين يتطلّب نفساً ووقفة رشيقة، وهو مفيد للقوّة الجسديّة وللصحة. هذه التمارين نافعة على الدوام، ولا ينبغي إهمالها، بل يجب أن تُفرض على الأسياد وأساتذة التعليم والطلاّب، عندما نصل إلى ذلك الجزء من أجزاء التشريع. ولسوف نرغب من الشخص أن يعطي تعليماتها بحريّة، وأن يتلقّاها الآخرون بشكر وعرفان بالجميل. ولا ينبغي أن تسقط التقليدات الملائمة للحرب في جوقتنا الموسيقية مرّة ثانية. إنّكم هنا في جزيرة كريت لديكم الرقصات

المسلَّحة للكيوريت، ولدى اللاقيدايمونيين تلك الرقصات التي للديوسكوري. وبما أنّ سيّدتنا العذارء، التي تبهجها سلوى الرقص، فكّرت أنّه من غير المناسب أن تتسلّى بيدين فارغتين، فما كان منها إلاّ أن تمنطقت بثياب كاملة التسليح وأدت الرقص بهذه الملابس. ويجب على الشباب والعذارى أن يقلّدوها بكلّ طريقة، مجلّين فضل الآلهة بشكل كامل، قصد ضرورات الحرب، وينبغي عليهم أن يبتهجوا بالمناسبات كلّها. وهذه الأشياء ستكون أشياء صالحة للصبيان كذلك، وخاصة عندما يذهبون إلى الحرب، وذلك لينظّموا مواكب وتضرّعات لكلّ الآلهة في مجموعات جيّدة الترتيب والإعداد، مجموعات مسلحة يمتطي أفرادها ظهور الخيل يرقصون ويزحفون ببطء أو بسرعة، يقدّمون الصلوات للآلهة ولأبناء الآلهة، ويشاركون في المباريات، واستهلالها أيضاً، وسيحقّقون بهذه الأهداف ما يصبون إليه. إنّ هذه الأنواع من التمارين نافعة في السلام والحرب على حدّ سواء، وليس بتمارين غيرها. وهي مفيدة للدول والأشخاص بشكل مماثل. لكنّ الأعمال الشاقّة الأخرى والألعاب الرياضة وتمارين الجسد ليست جديرة بالرجال الأحرار، أوه يا ميغيلوس وكلينياس.

لقد وصفت بشكل تامّ نوع التمارين الرياضية التي قلت إنّ من الواجب وصفها بادىء ذي بدء، وإذا عرفت أنت أيّ وصف أحسن منه، أفلن تخبرنا عن أفكارك؟

كلينياس: ليس من السهل القيام بذلك، أيّها الغريب، ولا أن أضع جانباً مبادىء وقواعد هذه التمارين الرياضية أو أنطق بأحسن منها.

الأثيني: وبعدُ ينبغي علينا أن نقول ما يجب أن يُقال مع ذلك بخصوص هبات آلهات الفنّ والعلوم والشعر والغناء وبشأن أبوللو، وقبل أن نتوهّم أنّنا قلنا كلّ ما ينبغي قوله، وأنّ التمارين الرياضية بقيت بدون أن نتطرّق إليها. لكنّنا نرى

الآن أيّة نقاط رئيسيّة قد تمّ إسقاطها، ويجب أن نعلنها الآن. دعنا نتقدّم ونتكلّم عنها.

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: دعني أخبرك مرّة ثانية، برغم أنك سمعتني أقول الشيء عينه سابقاً، عن وجوب أخذ الحيطة والحذر من قِبَل المتكلّم والمستمع كليهما، بشأن أيّ شيء فريد وغير اعتياديّ، لأنّ قصّتي يخاف أن يسردها العديد من الرجال. ومع ذلك فإنّ لي من الثقة ما يجعلني أواصل ما بدأته.

كلينياس: ماذا لديك لتقول أيّها الغريب.

الأثيني: أقول إنّه لا أحد راقب في الدول بشكل عامّ أنّ سلوى الطفولة تحتاج إلى مقدار كبير من الجهد على دوام ويحتاج إلى الدوام في التشريع لأنّ الألعاب عندما تُنظّم من أجل الأطفال الذين يقومون بالألعاب، والذين يسلّون أنفسهم بالطريقة عينها، والذين يجدون مرحاً في أشياء اللّعب عينها، فإنّ دساتير الدولة الأكثر جلالاً تسمح لهذه الألعاب أن تبقى بدون إعاقة وتستمرّ. في حين أن الالعاب الرياضية إذا أُعيقت، وإذا أُدخل عليها تجديد، وإذا تغيّرت دائماً، وإذا لم يتكلّم الشباب قطّ عن أنّ لهم الميول عينها والأفكار عينها المبنيّة على الولوع في الخير والشرّ، إمّا فيما يتعلّق بشأن أجسامهم أو بأرواحهم أو بألبستهم، فإن الذي يخترع شيئاً ما جديداً وغير لائق وفي غير محلّه صوراً وألواناً وما شابه فإنّه يُبجّل تبجيلاً خاصّاً، ويمكننا أن نقول بصدق إنه لا شرّ أعظم من هذا يمكن أن يحدث في الدولة[٤٣]. لأنّ من يُغيّر الألعاب الرياضية فإنّما يغيّر بالسرّ أخلاق الشباب، ويجعل القديم مهاناً بينهم والجديد معزّزاً مكرماً. وإنّي لأؤكّد أنّه لا ضرر لكلّ الدول أعظم من هذا القول وهذا التفكير. فهل ستسمعني لأبيّن لك مدى خطورة هذا الشرّ.

كلينياس: تعني اللّوم السيِّء للشؤون المتعلّقة بثقافة العصور القديمة في الدول؟

الأثيني: بالضبط.

كلينياس: إذا تكلّمت عن ذلك فستجدنا المستعمين الذين يميلون لتلقّي ما تقوله لا بسلبيّة بل بأقصى ما يمكن من إيجابيّة.

الأثيني: عليّ أن أتوقّع ذلك.

كلينياس: واصل.

الأثيني: حسناً إذن، دعنا نصرف كلّ إنتباهنا إلى كلمات بعضنا البعض. تؤكّد المحاورة أنّ أيّ تغيير مهما يكن، ما عدا التغيير عن الشرّ، فهو التغيير الأكثر خطورة من الأشياء كلّها. إنّ هذا لحقيقيّ في حالة الفصول والرياح، وفي تدبير أجسامنا وعادات عقولنا وتفكيرنا ـ إنّه لشيء حقيقيّ عن الأشياء كلّها ما عدا الأشياء السيّئة، كما قلت قبلاً. إنّ مَن يفحص بدقّة بنية الأفراد الذي تعوّدوا أكل اللحم من أيّ نوع، أو شرب أيّ شراب، أو القيام بأيّ عمل يستطيعون الحصول عليه، هؤلاء يمكنهم أن يلاحظوا أنّهم اضطّربوا بتأثيرها بادىء ذي بدء، لكن بعد مرور الزمن، فإنّ أجسامهم تنمو متكيّفة بها، ويتعلّمون كي يعرفوا ويحبّوا التنوّع، ويكونون صحيحي الأجسام ويتمتعون ببهجة الحياة. وإذا ما قيّدوا أنفسهم فيما بعد بالحمية المثلى ثانية، فإنّهم يُصابون بالاعتلال الجسدي أولاً، ثم يعتادون على غذائهم الجديد بصعوبة. يمكننا أن نتصوّر مبدأً مشابهاً لإثبات ما يتعلّق بعقول أو أفكار الرجال وبشأن طبائع أرواحهم. فهم عندما يُربّون بنواميس محدّدة لم تغيّرها عناية إلهيّة، محدّدة خلال العصور الطويلة، لدرجة أن أحداً لا يتذكّرها أو يعرفها ولم يكونوا أبداً مختلفين عنها، أقول، عندما يُربّون بواسطتها فإنّ كلّ شخص يخاف ويستحي أن يغيّر ما تمّ تشريعه وترسيخه. يجب على المشرّع أن يجد طريقة لغرس مهابة ثقافة العصور القديمة، وسأقترح الطريقة التالية:

إنّ الناس ميّالون للتوهّم، كما قلت قبلاً، أنّه عندما تُغيّر ألعاب الأطفال لأنّها مجرّد ألعاب، بدون الالتفات إلى أنّ العواقب الأكثر خطراً والمؤذية منبثقةٌ من التغيير. وهم يستجيبونَ بكلّ استعداد مع رغبات الطفل بدلاً من ردعها، دون الانتباه إلى أنّ هؤلاء الأطفال الذين يجددون ألعابهم سيكونون مختلفين عن الجيل الأخير للأطفال عندما يكبرون ويصبحون رجالاً، وكونهم مختلفِين، سيرغبون نوعاً مختلفاً من الحياة، وتحت تأثير هذه الرغبة سيريدون مؤسّسات ونواميس تختلف عما لديهم. ولا يعي أيّ شخص منهم أنّه يتبع هناك ما سمّيته لتوي الآن الشرور الأعظم التي تفتك بالدول. إنّ التغييرات في الأنماط الجسديّة ليست شروراً خطيرة، لكنّ التغييرات المتكرّرة في الثناء واللوم على الأخلاق أو الأساليب فهي التأثيرات الأكثر تأثيراً من الجميع، وتحتاج إلى البصيرة الأعظم.

كلينياس: لتكن متأكداً.

الأثيني: وبعدُ أما زلنا نتمسّك بتأكيداتنا السابقة، من أنّ الإيقاعات والموسيقى هي تقليد للصفات الصالحة والطالحة في الرجال بشكل عامّ؟ فماذا تقول؟

كلينياس: إنّ هذا هو التعليم الحقيقيّ الذي نستطيع الاعتراف به.

الأثيني: ألا يجب علينا إذن، أن نحاول بكلّ طريقة ممكنة منع شبابنا من الرغبة حتّى في تقليد الأساليب الجديدة، إمّا في الرقص أو الأغنية؟ ولا ينبغي السماح لأيّ شخص أن يقدّم لهم أنواعاً متعدّدة من الملذّات.

كلينياس: الأكثر حقيقة.

الأثيني: هل يستطيع أحدنا أن يتصوّر أسلوباً للتأثير على هذا الهدف أفضل من ذلك الأسلوب الذي لدى المصريّين؟

كلينياس: وما هي طريقتهم؟

الأثيني: إنّهم يحيطون كلّ نوع من أنواع الرقص واللحن بهالة من القداسة.

يجب علينا أن نهتمّ بإقامة الاحتفالات حاسبين ما ينبغي أن تكون لسنة، وفي أيّ وقت، وفي تكريم أيّ آلهة، وأبناء الآلهة والأبطال الواجب تمجيدهم. وفي المقام الثاني، اختيار التراتيل الواجب أن تُغنى حين التضحيات المتعدّدة، وبأيّة رقصات يجب أن يُكرّم الاحتفال الخاصّ. إنّ هذه الأشياء ينبغي أن تُرتَّب من قِبَل أشخاص محدّدين. وحين ترتيبها، فإنّ الجمعيّة العموميّة للمواطنين يجب أن تقدّم تضحياتٍ وشراباً بحسب نصيب الآلهة الآخرين، وأن تكرس القصائد الغنائيّة للآلهة والأبطال. وإذا قدّم أيّ شخص أيّة ألحان أو رقصات أخرى لأيٍّ واحد من الآلهة، فإنّ الكهنة والكاهنات، وبالاتفاق مع حماة الناموس، سوف يبعدونه بإقرار من الدين والناموس، وإذا لم يخضع الذي يتمّ إبعاده لذلك، فسيكون عرضة خلال حياته كلّها لإقامة دعوى العقوق ضدّه من قِبَل أي شخص يحبّ ذلك.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: دعنا نتذكّر ما الذي يجب علينا عمله، من اعتبارنا لهذا الموضوع.

كلينياس: إلامَ تشير؟

الأثيني: أعني أن على أيِّ إنسان شابّ، وعلى أيّ شخص مسنّ بشكل أكثر، عندما يرى أو يسمع أيّ شيء غريب أو غير مألوف، فليس عليه الإسراع لقبول ما يوهم أنّه نقيض الحقيقة، بل عليه أن يتأمّل ملياً كالذي يكون في مكان تلتقي عنده ثلاثة طرق، ولا يعرف جيّداً أيّها طريقه، ولا أين يتّجه. قد يكون وحيداً أو يسير مع مجموعة من الأشخاص، وسيقول لنفسه ولهم « أين الطريق؟ » ولن يتحرّك إلى الأمام إلى أن يقتنع بنفسه أنه يسلك الطريق الصحيح. وهذا ما يجب علينا أن نفعله في المرحلة الحاضرة. إنّ مباحثة غريبة في موضوع الناموس ظهرت للعيان، وهي تحتاج إلى التأمّل المليّ في أقصى درجاته. ونحن في سَنّنا للناموس لا ينبغي علينا أن نكون

جاهزين للكلام بسرعة وبدون تردّد بشأن قضايا كبيرة وعظيمة كهذه، أو أن نكون واثقين من أننا نستطيع أن نقول أيّ شيء مؤكّد كلّ في لحظة.

كلينياس: الأكثر حقيقة.

الأثيني: إذن فإننا سنفسح مجالاً للتأمّل المليّ، ونقرّر متى أعطينا الموضوع الاعتبار الكافي. لكن لا يمكن أن يعيقنا شيء عن إتمام التنظيم الطبيعيّ لنواميسنا. دعنا نتقدم إلى الاستنتاج بشأنها في نظام واجب الأداء، لأنّه جائزٌ جدّاً، إذا شاء الله، كي يمكن للبيان التفسيري عندما يكتمل عنها أن يلقي ضوءاً على حيرتنا الحاضرة.

كلينياس: ممتاز، أيّها الغريب؛ دعنا نفعل كما تقترح.

الأثيني: دعنا نؤكّد العبارة الموهمة للتناقض(٤٤)، وهي أنّ ألحان الموسيقى هي نواميسنا. وهذه الأخيرة كونها الإسم الذي أعطاه القدماء للأغاني العاطفية أو الحماسيّة، فإنهم لن يعترضوا كثيراً على استعمالنا المقترح للكلمة على الأرجح. إن شخصاً ما، نائماً أو مستيقظاً، يجب أن لا يكون لديه شكٌّ حالم عن طبائعها. دع حكمنا القضائيّ يكون كما يلي: لا أحد سيأثم ضدّ النماذج المقدّسة العامّة في الغناء أو الرقص، ولا ضدّ النمط العامّ بين الشباب، بأكثر ممّا سيأثم ضدّ أيّ ناموس آخر. والذي يراقب هذا الناموس سيكون بريئاً طاهر الذيل. لكن الذي يعصيه سيعاقبه حماة الناموس والكهنة والكاهنات، كما قلتُ. إفترض أنّنا نتخيّل أنّ هذا هو ناموسنا.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: هل يستطيع أيّ شخص يسنّ نواميس كهذه أن يهرب من السخرية؟ دعنا نرى. أعتقد أنّ أماننا الوحيد سيكون في تشكيل أُطرٍ محدّدة للمؤلّفين الموسيقيين بادىء ذي بدء. إنّ إطاراً واحداً من هذه الأطر سيكون كما يلي: إذا قُدِّمت تضحية، وحُرِقت الضحايا طبقاً للناموس، أقول، إنّه إذا أمكن لأيّ

شخص ابناً كان أو أخاً، أن يقف بجانب شخص آخر عند المذبح وفوق الضحايا، ويجدِّف على الله بشكل مرعب، إذا أمكنه أن يفعل ذلك، ألن تسبِّب كلماته جَزَعاً ونذيراً بالشرّ وتوقّعاً للمصائب في ذهن أبيه وأقربائه الآخرين؟

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: وهذا العمل يأخذ مكانه تماماً في كلّ مدننا تقريباً. يقدِّم المشرِّع تضحية عامّة، ولا تأتي للاحتفال جوقة موسيقيّة واحدة بل تأتي عدة جوقات، ويأخذ المشرِّع مكاناً بعيداً قليلاً من المذبح، ويصبّ من وقت لآخر كلّ نوع من أنواع التجديف على الله، التجاديف المرعبة عن الطقوس المقدّسة، مثيراً أرواح الحاضرين بكلمات وإيقاعات وألحان يؤدي سماعها إلى الحزن الأكثر. والذي يجعل المواطنين يغرقون في البكاء في اللحظة التي تقدّم فيها المدينة تضحية، يحمل سَعَف النخل، انتصاراً. وبعدُ، أفلا يجب علينا أن نمنع ألحاناً كهذه؟ وإذا وجب على مواطنينا أن يسمعوا نواحاً كهذا، فلتكنْ حينئذ وفي يوم مقدَّس ومشؤوم جوقات موسيقيّة غريبة ومغنّون مستأجَرون مثل أولئك المستأجرين الذين يرافقون المتوفّين في المآتم، ويرتلون تراتيل كاريّة (٤٥) غير فصيحة. إنّ هذا النوع من الألحان هو النوع المناسب إذا ما كان لدينا ألحان كهذه على الإطلاق. وملابس المغنّين في المآتم يجب أن تلائم الأغاني الجنائزية، يجب ألاّ تُزيّن بالدوائر أو تحلّى بالذهب، بل أن تكون عكس ذلك. كفاية من كلّ هذا. سأسألك مرّة أخرى بكلّ بساطة إذا ما كنا سنضع مبدأً للأغنية.

كلينياس: ماذا؟

الأثيني: يجب علينا أن نتفادى كلّ كلمة من كلمات الرجال الأشرار. إن نوع الغناء الذي يحمل بشرى الخير يجب أن يُسمع في كلّ مكان وفي دولتنا

على الدوام. إنّني بالكاد أحتاج لمعرفة رأيك مرّة ثانية، بل سأفترض أنك تتفّق معي.

كلينياس: مهما كلّف الأمر؛ إنّ الناموس هذا نصادق عليه جميعاً.

الأثيني: لكن ماذا سيكون ناموسنا الموسيقيّ أو طرازنا التالي؟ ألا يجب أن نقدّم صلواتنا للآلهة عندما نضحّي؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وسيكون ناموسنا الثالث، إذا لم أكن مخطئاً، ذا مفعول على شعرائنا واعين أنّ الصلوات التي نقدّمها للآلهة هي التماسات، وستأخذ هذه الصلوات منحىً استثنائياً كي لا تسأل بواسطتها شرّاً بدل الخير عن طريق الخطأ. ولكي نقوم بهكذا صلاة سيكون شيئاً مضحكاً جدّاً بكلّ تأكيد.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: ألم نكن مقتنعين تماماً لوقتٍ قليلٍ خلا أنّ مدينتنا لا فضّة فيها ولا ذهب بلوتوس؟

كلينياس: لتكن متأكداً.

الأثيني: وماذا كان الهدف من محاورتنا كي يتم تبيينه؟ ألم ندلّ ضمناً على أنّ الشعراء ليسوا قادرين دائماً على معرفة ما هو خير وما هو شر؟ وإذا تفوّه أحدهم بصلاة خطأً بالأغنية أو بالكلمات، فإنّه سيجعل مواطنينا يصلّون عكس ما عيّناه في المسائل ذات الفحوى والشأن السامي من المسائل التي يمكن أن يُوجد بها أخطاء أقل أهميّة، كما قلت من قبلُ. هل سنقترح إذن اقتراحاً كواحد من نواميسنا ونماذجنا فيما يختصّ بآلهات الفنّ والعلوم والشعر والغناء -

كلينياس: ماذا؟ هل ستوضح الناموس بشكل أدقّ؟

الأثيني: هل سنسنّ ناموساً بأنّ الشاعر سيؤلّف شعره من شيء لا يناقض الأفكار

التي تتطابق والناموس، أو العادل، أو الجميل، أو الخيِّر، الذي سُمح لهم بالوجود في الدولة؟ ولن يُسمح له أن ينقل تأليفاته لأيّ أفراد خاصّين قبل أن يريها للقضاة المعيّنين وحماة الناموس، وحتى يقتنع بها هؤلاء الحماة والقضاة. أمّا في ما يتعلّق بالأشخاص الذين نعيّنهم ليشرّعوا نواميسنا بشأن الموسيقى وفي ما يتعلّق بمدير التعليم، فإنّ قضيتهم قد تمّت الإشارة إليها سابقاً. سأسأل مرّة ثانية إذن، مثلما سألت قبلاً أكثر من مرّة؟ هل سيكون هذا الناموس ناموساً لنا للمرّة الثالثة، وهل سيكون طرازاً، وسيكون نموذجاً؟

كلينياس: يجب أن يكون هذا ما تقول، مهما كلّف الأمر.

الأثيني: سيكون شيئاً مناسباً إذن أن نمتلك تراتيل وثناءات على الآلهة[٤٦] ممتزجة بالصلوات. وبعد الآلهة يجب أن تقدَّم الصلوات والثناءات إلى أنصاف الآلهة وإلى الأبطال بطريقة مماثلة، صلوات وثناءات مناسبة لصفاتهم ومميّزاتهم المتعدّدة.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: في المقام التالي لا إعتراض على سَنِّ ناموس يقضي أن على المواطنين الذين توفّوا والذين فعلوا الخير وقاموا بالمآثر الخلاقة، إمّا بأرواحهم أو بأجسادهم، والذين كانوا مطيعين للنواميس، يقضي أن يُقرّظوا، وسيكون هذا الناموس ناموساً مناسباً جداً.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: لكن كي نكرّم أولئك الذين لا يزالون أحياء بالترانيم والإطراءات فلن يكون شيئاً مضموناً.إنّ الإنسان ينبغي أن يمضي في مسلكه، وأن يصل إلى غاية عادلة، ولسوف نثني عليه حينئذ. ودع الثناء يُعطى للنساء كما يُعطى للرجال الذين تميّزوا بالفضيلة. أمّا نظام الغناء والرقص فسيكون على النحو التالي: هناك تاليفات موسيقية قديمة ورقصات ممتازة، وليس من العيب آن

نختار منها ما يلائم ويناسب المدينة المؤسّسة جديداً. وسيختار الحماة القضاة الذين لا يقلّ عمرهم عن خمسين سنة، والذين سيجرون الاختبار، سيضمنون أيّاً من القصائد القديمة التي يعتبرونها قصائد كافية. وأمّا القصائد التي يعتبرونها ناقصة أو غير مناسبة بالكليّة، فما عليهم إلاّ أن يرموها جانباً، أو أن يفحصوها ويصلحوها مستشيرين شعراء وموسيقيين، وموجدين استخداماً لعبقريّة الشعر، وموضحين لهم رغبات المشرّع وذلك ليتمكنوا من تنظيم الرقص، الموسيقى، وكلّ الأغاني الكورسيّة طبقاً لعقل وتفكير القضاة دون أن يسمحوا لهم بأن يغلّبوا رغباتهم وأهواءهم الفرديّة، إلاّ في قضايا قليلة ما. وبعدُ فإنّ الألحان والأنواع غير المنظّمة للموسيقى تُصنع عشرة آلاف مرّة أفضل بالتوافق مع الناموس والنظام على الدوام، وبرفض الشاعر الحلو طعماً كالعسل. إنّنا لا نعني هنا استثناء اللذّة بالكامل، وهي الصفة المميّزة للموسيقى كلّها. وإذ تربّى إنسان منذ طفولته على استعمال الموسيقى المنظّمة والبسيطة إلى أن يبلغ سنّ الرشد، فإنّه عندما يسمع الموسيقى المعاكسة يمقتها ويعتبرها جلفة ضيّقة الأفق والتفكير. لكنّه إذا تدرّب على الموسيقى الحلوة الطعم والعاديّة، فإنّه يعتبر النوع الأكثر تجهّماً منها بارداً وغير سارّ(٤٧). وهكذا، وكما قلت قبلاً، فإن الذي يسمعها لا يكسب من نوعٍ منها أكثر ممّا يكسبه من النوع الآخر. فكل منها له الأفضلية بجعل أولئك الذين يُدرَّبون عليها رجالاً أفضل، بينما يجعلهم النوع الآخر رجالاً أسوأ.

كلينياس: حقيقي تماماً.

الأثيني: مرّة ثانية يجب أن نميّز وأن نقرّر بناءً على مبدأ عامّ أيّ الأغاني يناسب النساء، وأيّها يناسب الرجال. وينبغي علينا أن نعزو لها ألحانها وإيقاعاتها المناسبة. إنّه لشيء فظيع ومروّع لتآلف الألحان كلّه أن يكون غير متآلف، أو أن يكون الإيقاع غير إيقاعيّ. وسيحدث هذا عندما يكون اللحن غير

مناسب لها. ولهذا السبب فإنّ المشرّع يجب أن يخصّص لهذه طرائقها وأنماطها أيضاً. وبعدُ فإنّ كلا الجنسين لهما ألحانهما وإيقاعاتهما التي تخصّهما بالضرورة. وتلك التي للنساء تُعيَّن بفرقها الطبيعي بشكل واضح وكافٍ. إنّ النوع الرفيع والرئيسيّ منها، وذلك الذي يميل إلى الشجاعة، يمكن أن يدعى رجوليّاً بعدل؛ لكن ذلك النوع الذي يميل إلى الاعتدال والتوسّط، فيمكن إعلانه بالناموس وبالكلام العادي أيضاً أنّه النوعية الأكثر ملاءمة للنساء. سيكون هذا إذن النظام العامّ لهما.

دعنا نتكلّم الآن عن أسلوب التعليم وعن نقله للآخرين، وعن الأشخاص الذين سيُنقل لهم، ومتى يجب أن يتمّ نقل العلم على التوالي، أو أن يُرتّب كلّ شيء بمفرده. وكما أنّ باني السفن يضع صفوف روافد القص(٤٨) في السفن، وهكذا فإنّه يرسم السفينة رسماً كفافياً، كذلك أفعل أنا. أريد أن أميّز نماذج الحياة وأن أضع روافد قَصّها طبقاً لطبيعة أرواح الرجال المختلفة، قاصداً أن أتأمّل مليّاً بأيّة وسائل وفي أيّة طرائق، يمكننا أن نقوم برحلة الحياة على النحو الأفضل بحقّ. وبعدُ فإنّ الشؤون الإنسانية بالكاد تكون جديرة بالاعتبار وبشكل جدي. وبرغم ذلك فيجب أن نكون جادّين بشأنها. إنّ ضرورة محزنة تجبرنا على القيام بذلك. وبما أنّنا وصلنا إلى هذا الحدّ من البحث، فمن الملائم لإتمام القضية، أن نستطيع إيجاد طريقة أو أسلوب مماثل لعمل ذلك. لكن ماذا أعني أنا بقولي هذا؟ يمكن أن يطرح شخص ما هذا السؤال المحدَّد، ويسأله بحقّ تماماً أيضاً.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: أقول إنّ الإنسان يجب أن يكون جديّاً بشأن قضايا خطيرة، وينبغي أن لا يكون جديّاً بخصوص قضايا غير خطيرة. وأقول إنّ الله هو القصد الطبيعي الجدير والشريف بمساعينا الأكثر جديّة والأكثر مباركة. إنّ الإنسان كما

قلت قبلاً، صنع ليكون ألعوبة الله. وهذا الشيء، إذا ما صدّقناه، هو الشيء الأفضل له. ومن أجل ذلك أيضاً يجب على كل رجلٍ وكلّ امرأة أن يسيرا بجدية على الطريق المستقيم، وأن يمضيا حياتهما في التسليات الأنبل، وأن يكونا في عقليّة وتفكير غير ما هما عليه اليوم.

كلينياس: بأيّة طريقة؟

الأثيني: في الوقت الحاضر يتصوّرون أن مساعيهم الجديَّة يجب أن تكون قصد اللهو واللعب. فهم يعتبرون الحرب مسعىً من المساعي الخطيرة، والتي يجب أنَ تُدار جيّداً من أجل السلام. لكن في الحقيقة فإنّه لا يوجد لا الآن ولا سابقاً ولا لاحقاً، لا يوجد تسلية أو تثقيف بدرجة تستحقّ الكلام عنها في الحرب، والذي نعتبره المساعي الأكثر جديَّة على كلّ حال. ولذلك، كما قلنا، يجب على كلّ واحد منا أن يحيا حياة السلام وبجودة قدر استطاعته. ولنسأل ما هي الطريقة الصحيحة للحياة؟ هل يجب علينا أن نحيا في التسليات فقط وعلى الدوام؟ إنْ هكذا، ففي أيّ نوع من أنواع التسلية؟ يلزمنا أن نحيا مضحّين، ومغنّين، وراقصين، وسيكون الإنسان قادراً بعدئذ على استعطاف الآلهة والدفاع عن نفسه ضدّ أعدائه وقهرهم في المعركة. إنّ نمط الأغنية والرقص اللذين سيستعطف الإنسان الآلهة بواسطتهما قد تمّ وصفهما، وقد شقَّت له المسالك التي ينبغي أن يتقدّم من خلالها لهذا الهدف. وهو سيسير إلى الأمام في نفسيَّة الشاعر القائل:

« يا تيليماخوس، هناك أشياء لن تجدها أنت بنفسك وفي قلبك، لكنّ أشياء أخرى سوف يقترحها الله؛ لأنّني أعتبر أنّك لم تُخلق أو تُربَّ بدون إرادة الآلهة ».

وهذه الفكرة يجب أن تكونِ فكرة خريجي جامعاتنا وينبغي عليهم أن يفكّروا بأن ما قد قيل كافٍ لهم، وأنّ أيّة أشياء أخرى سيقترحها لهم

عباقرتهم وإلههم - إنّ إلههم سوف يقول لهم لمن، ومتى، لأية آلهة ينبغي عليهم أن يضحُّوا وأن يؤدّوا رقصات على التوالي، وكيف يمكنهم أن يستعطفوا الآلهة، وأن يحيوا طبقاً لما عيّنته الطبيعة؛ كونهم دمىً متحرّكة بجزئهم الأكثر، لكنّهم يمتلكون حصّة ما قليلة من الحقيقة.

ميغيلوس: إنّ لديك رأياً وضيعاً عن الجنس البشريّ، أيّها الغريب.

الأثيني: لا، يا ميغيلوس، لا تكن منشدهاً، بل سامحني. لقد قارنتهم بالآلهة؛ وتكلّمت تحت تأثير هذا الشعور. دعنا نسلّم إذا رغبت، بأنّ الجنس الإنسانيّ يجب أن لا يُزدرى به، بل إنه جدير ببعض الاعتبار.

يتبع ذلك أن منشآت التمارين الرياضية والمدارس مفتوحة للجميع. وهذه المنشآت يجب أن تُبنى في مواقع ثلاثة وسط المدينة، وفي مواقع ثلاثة أيضاً خارج المدينة في الريف المحيط. وسيتمّ بناء مدارس للتمارين على الفروسية، ولسوف تُرتَّب أراض فسيحة بقصد الرمي بالسهام والقذائف، والتي يمكن أن يتعلمها ويتدرّب عليها الرجال الشباب، ولقد تمّ ذكر هذه الأشياء سابقاً[٤٩]. وإذا لم يكن ذكرها كافياً بشكل جليّ، فدعنا نتعامل معها بالشرح الذي يرافق سَنّ النواميس. يجب أن يكون في هذه المدارس المتعدّدة مساكن للأساتذة الذين سوف يتمّ إحضارهم من المناطق الأجنبيّة مقابل رواتب. وهؤلاء الأساتذة عليهم أن يعلّموا الذين يحضرون إلى المدارس فنّ الحرب وفنّ الموسيقى. وأمّا الأطفال فسوف يأتون سواء أَرَضِيَ آباؤهم أم لا. وسيكون التعليم مجانياً، كما يقال، وللجميع بدون استثناء بقدر الإمكان. وسيتمّ اعتبار التلاميذ وكأنّهم يخصّون الدولة بدلاً من أن يخصّوا آباءَهم. إنّ ناموسي هذا سينطبق على الإناث كما على الذكور، وهم سيؤدّون التمارين عينها. إنّي أؤكّد بدون خوف، أنّ الألعاب الرياضية والفروسية مناسبة للنساء مثلما هي مناسبة للرجال[٥٠]. إنّني لمقتنع بحقيقة هذا من

عُرفٍ قديم. وفي يومنا الحاضر يقال إنّ هناك أعداداً لا تُحصى من النساء في جوار البحر الأسود، يُدعونَ بالسوروماتايدس لا يمتطينَ ظهور الخيل مثل الرجال فقط، بل فُرض عليهنَّ استعمال الأقواس والأسلحة الأخرى مع الرجال على قدم المساواة. وإنّني أؤكّد بشكل أبعد أنّه إذا كانت هذه الأشياء ممكنة، فليس هناك ما هو أكثر إثارة للسخرية من التمرين الذين يسود في أنحاء بلادنا، وهو أنّ الرجال والنساء لا يتبعون الملاحقات عينها بكلّ ما أوتوا من قوّة وبعقلية واحدة لأنّ الحالة إذا بقيت كما هي الآن، فبدلاً من أن تكون الدولة كلاًّ لا يتجزأ تُخفَّض إلى نصف قوّتها عند استثناء النسوة(٥١). لكن يجب عليهنَّ أن يدفعن الضرائب وأن يتعرّضن للمشقّات عينها، وأيّ خطأ أعظم من هذا يمكن لأيّ مشرّع ارتكابه إذا فعل عكس ما نقول؟

كلينياس: ربّما، ومع ذلك فإنّ كثيراً مّما أكّدناه، أيّها الغريب، مناقض لأعراف الدول. يبقى، أنّه يجب السماح للمحادثة بالتقدّم، وعندما تصل المحادثة إلى كمالها ينبغي علينا أن نختار ما يبدو أنّه الأفضل. لقد تكلّمتَ بشكلٍ مناسب جدّاً، وإنّني أشعر بوخز الضمير لما قلته. أخبرني إذن ما الذي سترغب بقوله لاحقاً.

الأثيني: أرغب أن أقول، يا كلينياس، وكما قلت قبلاً، إنّ إمكانيّة تحقيق هذه الأشياء إذا لم تتم برهنته في الحقيقة، يمكن للاعتراض على المحاورة أن يجد سبيله. لكنّ الحقيقة هي كما قلت، فإنّ من يرفض الناموس ينبغي عليه أن يُوجد أرضيّة أخرى للاعتراض؛ وإذا أخفق في هذا، فإنّ عظتنا أو تحذيرنا سيبقيان ثابتين وراسخين، وهو أن النساء ينبغي عليهنَّ الاشتراك في التعليم وفي الطرائق الأخرى مع الرجال قدر المستطاع. وتأمّل مليّاً، إذا لم تشارك النساء مع الرجال في حياتهنَّ كلّها فينبغي علينا عندئذ أن نتّبع نظاماً آخر للحياة.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وأيّة ترتيبات أو تنظيماتٍ للحياة توجد في أيّ مكان وتفضّلها هذه الجماعة بدلاً من التنظيمات التي نخصّصها لها الآن؟ هل ستفضّل تلك التنظيمات التي يستخدمها التراقيون والسلالات الأخرى المتعدّدة. أن يستخدموا نساءَهم في حراثة الأرض وفي رعي قطعانهم وماشيتهم، وهنَّ يخدمنَهم كما يخدمهم العبيد؟ أو هل سنفعل كما يفعل الناس في منطقتنا هذه من العالم؟ جالبين معاً، كما تقول العبارة، كلّ ما نملكه من أشياء منقولة وغير منقولة إلى مسكن واحد، ثم نعهد بها إلى نسائنا اللواتي يكنَّ المسؤولات عن تدبيرها والإشراف عليها، واللواتي يترأسن أعمال الوشائع وفنّ الحياكة بمجمله؟ أوهل سنسلك الطريقة الوسطى، كما يفعل اللاقيدايمونيون، يا ميغيلوس، تاركين الفتيات تشارك في الألعاب الرياضية وفي الموسيقى، في حين أنّ النساء الأكبر سنّاً، اللواتي لا يستخدمن في حياكة الصوف، يكنَّ عاملات كادحاتٍ في حبك نسيج الحياة، وهذا الاستخدام ليس استخداماً تافهاً أو دنيءاً، ويكنّ عاملات ناشطات في القيام بواجباتهنَّ الخدماتية وفي عنايتهنَّ ببيوتهنَ وبتربية أطفالهن، سيقسمن وقتهنَّ بين هذه الأعمال، غير مشاركات في مشقّات الحرب وصعوباتها؟ وإذا قضت الضرورة أن يحاربن لتسلم مدينتهنَّ وعائلاتهنَّ وبشكل مغاير لما تفعله الأمازونيات(٥٢)، فإنّهنَّ لن يكنَّ قادرات على أن يشاركن في رمي السهام أو استعمال القذائف الأخرى ببراعة، أو أن يحملن الترس أو الحربة، على غرار الإلهة، أو أن يقفن بنبل من أجل بلادهنَّ عندما تكون على شفير الدمار، وأن يرمينَ الرعب في قلوب أعدائهن، إذا كان سبب ذلك أنّه تمّت مشاهدتهن في نظام متراصٍّ منضبط؟ وعائشات كما يفعلن، فإنّهنَّ لن يجرؤن قطّ على تقليد السوروماتايدز اللواتي عندما يقارنَّ بالنساء العاديّات

سيظهرن أشبه بالرجال. دع من يشاء يثني على مشرّعيكم، لكن يجب عليّ أن أقول ما أؤمن به. إنّ المشرّع ينبغي عليه أن لا يدع الجنس الأنثوي يعيش بنعومة ويبذّر الأموال وأن لا يكون لديه نظام في الحياة، في حين أنّه يبدي أقصى اهتمامه بالجنس المذكّر، ويترك نصف الحياة والسعادة تباركها، عندما يمكنّه أن يجعل الدولة كلّها سعيدة.

ميغيلوس: ماذا سنفعل، يا كلينياس؟ هل سنسمح لغريب أن يطعن في اسبارطة بهذه الطريقة؟

كلينياس: نعم، لأنّنا مثلما أعطيناه حرية الكلام يجب أن ندعه يواصل الكلام إلى أن نتمّم عمل المشرّع.

ميغيلوس: حقيقي تماماً.

الأثيني: يمكنني أن أواصل كلامي الآن إذن؟

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: ماذا سيكون نمط الحياة بين الرجال الذين يُفترض أن يكون الغذاء والكساء مجهّزاً لهم باعتدال، والذين عهدوا بمزاولة الفنون للآخرين، والذين سلّموا زراعتهم للعبيد مقابل جزء ممّا تنتجه الأرض ممّا جلب لهم عائدات تكفيهم للعيش باعتدال؟ والذين، علاوة على ذلك، لديهم موائد مشتركة يُوضع الرجال فيها على انفراد، وبقربهم الموائد المشتركة لعائلاتهم، للفتيات ولأمّهاتهم، والتي يجب أن يُعاينها الضباط يوماً- بيوم، الذكور منهم والإناث - هم سيتيقّنون من سلوك الجماعة. وهكذا إذا أخطأ أحدهم فسينبذونه. وبمقتضى هذه الموائد المشتركة فإنّ القاضي الذي يشرف عليها ومَن يحضر معه، سيكرّمون الآلهة بالسائل المُراق، الآلهة الذين كُرّس لهم ذلك النهار وتلك الليلة. وبعد انتهاء الواجب يذهبون إلى بيوتهم؟ ولنسأل أليس هناك عمل آخر لينجزه الرجال الذين نُظّمت حياتهم هكذا، أم ينبغي

على كلّ واحدٍ منهم أن يعيش ويسمن كما تعيش وتسمن البهائم؟ إنّ حياة كهذه ليست حياة نبيلة ولا شريفة، ولا يستطيع مَن يحياها أن يخفق في أن يلقى ما يستحقّ عليه دفعه؛ ولا يستحقّ البهيم المسمَّن الكسول إلا أن يُمزِّقه إرباً بهيمٌ شجاع آخر أنحله الكدح والأعمال الشاقّة. هذه التنظيمات إذا نظرنا إليها كما يجب، لن تُوضع موضع التنفيذ في الحالات الحاضرة أبداً ما دامت النساء والأطفال والبيوت وكلّ الأشياء الأخرى ملكيّةً خاصّةً للأفراد. لكنّ إذا استطعنا أن نصل إلى الشكل الثاني الأفضل لنظام الحكم، فإنّنا سوف نكون في حالة جيّدة جداً. ويبقى هناك عمل كي يتم إنجازه بواسطة رجال يحيون تحت هذا الشكل الثاني من أشكال نظام الحكم الذي هو شكل بعيد جدّاً عن أن يكون حكماً صغيراً وعديم الأهميّة، بل إنّه أعظم الأعمال كلّها، وهو المعيَّن بتوظيف الناموس الحقّ والصحيح. إنّ الحياة التي يمكن أن يقال إنها خاصة بتدريب الجسم والروح في الفضيلة بحقّ هي عبارة عن حياتين، أو أكثر من حياتين، وكأنّها حياة مليئة بالمشقة والحَرَج، مثلما تكون الملاحقة عقب الانتصارات البيثيّة والأولومبيّة(٥٣) التي تحرم الإنسان من كلّ وظيفة من وظائف الحياة. ما من عملٍ عرضيٍّ يعترض العمل الأكبر بتقديم التمرين الضروريّ مع الغذاء للجسم، وتقديم التثقيف والتعليم للروح. إنّ الليل والنهار ليسا وقتاً كافياً لإنجاز كمالهما وتحقّقهما. ولهذا السبب فإنّ الرجال الأحرار ينبغي عليهم أن يرتّبوا الطريقة التي سيصرفون وقتهم بواسطتها لهذه الغاية خلال السياق الكامل للنهار، من الصباح إلى المساء ومن المساء حتى شروق شمس النهار التالي. يمكن ألا يبدو وجود مناسبة ما في أن يقرِّر المشرِّع بدقّة التفاصيل التي لا تحصى في إدارة البيت، بما في ذلك بعض خاصيّات كواجب اليقظة عند الحماة الدائمين للمدينة كلّها. لذلك فإنّ أيّ مواطن ينبغي عليه ألاّ يستمرّ في النوم

ليلةً بكاملها، بل يجب أن يراه كلّ خدمه أنّه أوّل من يستيقظ وينهض من فراشه على الدوام ـ هذا، وسواء سُمّيتْ هذه النُظم ناموساً أو تمريناً وممارسة فقط، فإنّما يجب اعتبارها دنيئة وغير جديرة بالإنسان الحرّ، ولا ينبغي على ربّة البيت أيضاً أن توقظها خادماتُها بدل أن تكون هي أوّل المستيقظين. وإذا كان الوضع عكس ذلك فهذا شيء سافل يرتكبه العبيد، الذكور والإناث، والخدم الذكور كلّهم، وإذا أمكن هذا، فكل شخص وكل شيء في البيت. وإذا استيقظوا كلّهم باكراً، فيمكنهم جميعاً أن ينتهوا من الكثير من أعمالهم العامّة والمنزلية، مثلما يفعل الحكّام أو الهيئات القضائيّة في المدينة، ومثلما يفعل أرباب البيوت وربّاتها في بيوتهم الخاصة، وقبل بزوغ نور الشمس، ونحن لا نحتاج لكثرة النوم بالطبيعة، لا لأرواحنا ولا لأجسامنا، وهي لا تزال مناسبة لكلّ أشكال النشاطات هذه. إذ النائم لا يصلح لشيء وهو ليس بأكثر من ميت، لكن الذي نعتبره منّا والذي يقيم وزناً للحياة والعقل يبقى مستيقظاً قدر ما يستطيع، محتفظاً بقدر من الوقت للنوم بشكل مناسب للصحّة. ونحن لا نحتاج لوقت كثير من النوم إذا صيغت عادة الاعتدال بجودة ولمرّة واحدة. إنّ الرجال في موقع المسؤوليّة الذين يستيقظون أثناء الليل هم رجال يرهبهم الأشرار، سواء أكانوا أعداء أو مواطنين، ويكرّمهم ويبجّلهم العادلون والمعتدلون وهم نافعون لأنفسهم وللدولة كلّها.

إنّ الليل الذي يمرّ في نمطٍ كهذا، بالإضافة لكلّ المنافع التي ذكرتها آنفاً، يغرس نوعاً من الشجاعة في عقول المواطنين. عندما يطلع النهار، يحين وقت ذهاب الشباب إلى مدرّسيهم. وبعدُ فكما أن الأغنام وأيّة حيوانات أخرى لا يمكنها أن تحيا بغير راعٍ، فكذلك لا يترك الأطفال بدون معلمين، ولا العبيد بدون أسياد. والصبيّ من بين الحيوانات كلّها هو الأصعب انقياداً، ما دامت فيه نافورة من العقل لم يتمّ تنظيمها بعد. إنّه لحيوان ماكر وذكاؤه

حادّ، وهو الأكثر عصياناً من الحيوانات جميعاً. لذلك يجب أن يوثق بعدّة مكابح؛ ففي المقام الأوّل، عندما يهرب من أمهاته وممرّضاته يجب أن يكون تحت إدارة معلّمين بسبب طفولته وغبائه. وينبغي أن يضبطه المعلمون مرّة ثانية بوصفه إنساناً حراً، ولا يهمّ ماذا يعلّمون، ويجب أن يتمّ تنظيمه بالدراسة. لكنّه يكون عبداً أيضاً. وفيما يتعلّق بذلك فإنّ أيّ إنسان حرّ يعترضه، يمكنه أن يعاقبه ويعاقب معلّمه ومربّيه إذا ما ارتكب أحدهم خطأ. وأمّا الذي يلتقيه ولا يُنزل به العقاب الذي يستحقّه، فإنّه سوف يتعرض لأكبر الإهانات. وعلى حامي الناموس الذي هو مدير التعليم أيضاً، عليه أن يولي عنايته للذين يبلغ بهم الأمر حدّ الإهانات التي ذكرناها سابقاً، وأن يعاقبهم عندما ينبغي عقابهم، أو أن لا يعاقبهم بغير الطريقة التي يجب أن يعاقبهم بها. عليه أن يبقى منتبهاً ويعتني عناية خاصّة بتدريب أطفالنا، موجّهاً طبائعهم، محوّلاً إياهم إلى الخير طبقاً للناموس على الدوام.

لكن كيف يمكن لقانوننا أن يدرّب مدير التعليم نفسه بشكلٍ كافٍ، لأنّ كلّ شيء حتى الآن ليس كاملاً، ولم يتمّ قول أيّ شيء كافٍ أو واضح بشكل مقنع؟ وبعدُ، وعلى قدر المستطاع، يجب أن لا يُسقط القانون أيّ شيء يتعلّق به، بل عليه أن يشرح كلّ شيء، ليكون المؤوّل والمعلّم للآخرين. لقد تحدّثت عن الرقص والموسيقى والأغاني الكورسيّة سابقاً، بحيث يتمّ اختيار كلّ منها، وتكلّمت عن طريقة إصلاحها ولمن ستُكرّس.

لكنّنا لم نتكلّم بعدُ أيّها اللامع الحامي للتعليم، لم نتكلّم عن الطريقة التي يستخدمها تلاميذك لتلك الأغاني المكتوبة نثراً، رغم أنّنا أخبرناك أيّة أغانٍ عسكريّة يجب عليهم أن يتعلّموا ويستخدموا؛ أيّة أغانٍ تتعلّق بتعلّم الحروف في المقام الأوّل، وثانياً بتعلّم العزف على القيثار والحساب أيضاً. وقلنا إنّها ضرورية لهم كلّهم ليتعلموا بقدر ما يحتاجون منها من أجل الحرب، وإدارة

البيت والمدينة. ومتطلّعين إلى الموضوع عينه، يلزمهم أن يتعلّموا ما هو نافع في دوران الأجرام السماويّة: النجوم والشمس والقمر والنظم المتعدّدة المتعلّقة بهذه القضايا الضرورية للدولة كلّها - إنّني أتكلم عن ترتيبات الأيام في فترات شهرية، وعن ترتيبات الأشهر في فترات سنويّة، والتي يجب مراقبتها. كما يمكن أن يكون لتلك الفصول والتضحيات والأعياد نظامها المنتظم والطبيعيّ، ولتبقى المدينة حيّة ويقظة. فالآلهة يتلقّون تكريماتهم الواجبة الأداء، والرجال يحوزون فهماً أفضل بشأنهم. كلّ هذه الأشياء، يا صديقي، لم يعلن لك المشرّع عنها بشكلٍ كافٍ. إصْغِ إلى ما سأقوله إذن: لقد أخبرناك بدايةً أنّه لم يتمّ إخبارك عن الحروف بشكل كافٍ، والاعتراض كان على هذا الواقع، وهو أنّك لم تُعلَّم أنّ ما عنينا به المواطن المحترم هل ينبغي أن يخصّص نفسه لهذا النوع من أنواع التعليم بالتفصيل أو لا؟ وتثبت الملاحظة عينها جيّداً بشأن درس العزف على القيثار. لكنّنا نقول الآن إنّه يجب عليه أن يحضرها ويصغي إليها. إنّ الصبيّ الذي بلغ العاشرة من العمر يلزمه لتعلّم الحرف ثلاث سنوات. أمّا في سنّ الثالثة عشرة فهو الوقت المناسب له لإمساك القيثارة. ويمكنه أن يستمر في تعلّم ذلك لمدة ثلاث سنوات أخرى لا أكثر ولا أقل. وسواء أحبّ هو أو والده هذه الدراسة أم لم يحباها، فلن يُسمح له أن يمضي وقتاً أقلّ أو أكثر في تعلُّم الموسيقى ممّا يسمح القانون به. ومَن يَغصِ الناموس يجب أن يجرَّد من تلك التكريمات الممنوحة للشباب والتي سنتكلّم عنها في ما بعدُ. إسمع قبل كلّ شيء، ما يجب أن يتعلّمه الفتيان في سني حياتهم المبكرة، وما ينبغي على معلمهم أن يعلّمهم. يجب على الفتيان أن ينهمكوا بتعلّم الحروف إلى أن يتمكّنوا من القراءة والكتابة. لكن اكتساب الجمال التامّ أو سرعة الكتابة فينبغي عليهم أن يدعوها وشأنها، إذا لم تؤهّلهم طبيعتهم لاكتساب هذه الإنجازات في عدد معيّن من

السنين. أمّا في ما يتعلّق بتعلم التآليف المخصّصة للكتابة الموضوعة للقيثارة، سواء أتعلقت بالقياس أو كانت بدون تقسيمات إيقاعية، وسواء إذا كانت تآليف نثرية، كما تدعى، وليس لها أيّ إيقاع أو تآلف ألحان ـ مع الأخذ بعين الاعتبار خطورة الكتابة التي تركها لنا كتّاب هذه الطبقة المتعدّدون ـ فماذا ستفعلون بهم، أيّها الحماة الممتازون للناموس؟ أو كيف يمكن أن يوجّهكم المشرّع بشأنها؟ أعتقد أنّ المشرّع سيكون وضعه صعباً وحَرِجاً في الوقت عينه.

كلينياس: ما الذين يزعجك، أيّها الغريب، ولماذا تحتار في تفكيرك وعقلك؟

الأثيني: إنّك تطرح سؤالاً طبيعياً، يا كلينياس، ولك كما لميغيلوس، شريكاي في العمل التشريعي، لكما يجب أن أعرض الصعوبة الأكثر كما أعرض الجوانب الأسهل في هذا العمل الشاقّ أيضاً.

كلينياس: إلامَ تشير؟

الأثيني: سأخبرك. هناك صعوبة في اعتراض عدد لا يُحصى من الأفواه.

كلينياس: حسناً، أوَلم نعارض نحن الصوت الشعبيّ في العديد من التشريعات الهامّة سابقاً؟

الأثيني: إنّ ذلك لحقيقيّ تماماً، وتعني لتدلّ ضمناً على أنّ الطريق الذي نسلكه يمكن أن يكون طريقاً لا يلائم البعض، لكنّه يلائم العديد من الآخرين. وإذا لم يكن طريقاً يناسب العدد الكبير، فإنّه يلائم الأشخاص الأقلّ شأناً من الآخرين، وإنّك لتأمرني بمصاحبتهم ومزاملتهم مهما تكن المخاطر، وتأمرني أيضاً بالتقدّم على طول الطريق التشريعيّ الذي فتح بحثنا الحالي، لأكون مبتهجاً في ما سأقوم به، ولا أميل إلى اليأس على الإطلاق.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وإنّني لن أيأس، أقول حقاً، إنّ لدينا الكثير من الشعراء الذين كتبوا شعراً

سداسي التفاعيل، ثلاثي التفاعيل، وفي كل نوع من أنواع الأوزان ـ إنّ بعض شعرهم خطير، وبعضه يثير الضحك ـ ويعلن الجنس البشريّ كلّه أنّ الشباب الذي تلقّى التعليم الجيّد عليه أن يُربَّى فيه وأن يُشبَّع به. ويُصرُّ البعض على سماع هذا النوع من أنواع الشعر عن طريق إلقائه بصوتٍ عال وبشكل متواصل. ويُصرّون على أن يتعلّموه، كي يحفظوا ما يكتب الشعراء عن ظهر قلب. في حين أنّ الآخرين يختارون مقاطع مفضّلة وخطباً طويلة، ويلخّصونها بشكل وافٍ، قائلين إنّ هذه المقاطع يجب إيداعها في الذاكرة إذا ما كان على الإنسان أن يصبح خيّراً أو حكيماً بالخبرة وبتعلّم أشياء عديدة. وتريدني أنت الآن أن أقول لهم بشكل واضح بماذا هم محقّون وأين مواقع زللهم.

كلينياس: نعم، أريد منك أن تفعل ذلك.

الأثيني: لكن كيف يمكنني أن أفهمهم كلّهم بكلمة واحدة؟ هناك اتّفاق عامّ في رأيي، إذا لم أكن مخطئاً. يقول الاتفاق إنّ كلّ شاعر من هؤلاء الشعراء قال العديد من الأشياء الجيدة، كما أنّه قال العديد من الأشياء الرديئة. وإذا كان هذا صحيحاً، فإنّني أؤكّد حينئذ أنّ الكثير من التعليم يشكل خطراً على الشباب.

كلينياس: بماذا ستنصح حامي الناموس أن يفعل؟

الأثيني: في أيّة وجهة نظر؟

كلينياس: بأيّ نموذج عليه أن يسترشد في السماح للشباب بأن يتعلّموا شيئاً ما ويمنعهم أن يتعلّموا الأشياء الأخرى. لا تنفر من الإجابة.

الأثيني: يا جيّدي كلينياس، إنّني أعتقد بأنّي سعيد على الأصحّ.

كلينياس: كيف ذلك؟

الأثيني: أعتقد بأنّي لست بحاجة إلى النمودج بشكل كليّ، لأنّني عندما أتأمّل

الكلمات التي تفوّهنا بها منذ طلوع الفجر حتّى الآن، والتي ألهمتها السماء، كما أعتقد، إنّي عندما أتأمّلها فإنّها تبدو لي كالقصيدة تماماً، وأشعر بالسرور بشكل طبيعيّ لأنّ من بين كلّ المحادثات التي تعلّمتها أو سمعتها في حياتي شعراً أو نثراً، فإنّ هذه المحادثة بدت أعدلها وأكثرها ملاءمة ليسمعها الرجال الشباب. إنّي لا أستطيع أن أتصوّر أي نموذج أفضل من هذا النموذج الذي يستطيع امتلاكه حامي الناموس الذي هو مدير التعليم أيضاً. وهو لا يقدر أن يفعل أفضل من أن ينصح المعلّمين بتعليم الشباب هذه الكلمات ذات الطبيعة المشابهة. وإذا ما حدث أنه وجدها إمّا شعراً أو نثراً، أو إذا ما صادف المحادثات غير المكتوبة المماثلة لمحادثتنا، فإنّ عليه أن يقيها ويصونونها ويدوّنها كتابةً. وقبل كلّ شيء، فإنّه سيجبر الأساتذة أنفسهم على تعلّمها والمصادقة عليها. وإذا لم يفعل أيٌّ منهم ذلك، فلن يستخدمه حامي الناموس هذا. لكنّ أولئك الذين يجدهم موافقين في حكمه، سيستخدمهم وسيعهد لهم بتعليم وتثقيف الشباب. وهنا وفي ما يتعلّق بهذا فيجب على قصّتي الخياليّة هذه بشأن الحروف ومعلّميها أن يوضع لها حدّ.

كلينياس: أظنّ أيّها الغريب، أنّنا هِمنا خارج الحدود المقترحة للمحاورة. لكن سواء إذا كنا محقّين في تصوّرنا كلّه أم لا، فإنّني لا أقدر على أن أكون متأكّداً جدّاً من ذلك.

الأثيني: قد تصبح الحقيقة أوضح أيّها الغريب، عندما نصل إلى النهاية ونكمل محادثتنا كلّها بشأن النواميس، كما قلنا ذلك غالباً.

كلينياس: نعم.

الأثيني: وبعدُ بما أنّنا قمنا بما ينبغي علينا القيام به مع معلّم الحروف، فإنّ معلّم القيثارة يجب أن يتلقّى منّا الأوامر.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: أظن أنّه ينبغي علينا أن نتذكّر أبحاثنا السابقة فقط، ولسوف نستطيع أن نعطي نُظماً مناسبة تحاذي كلّ هذا الجزء من التثقيف والتعليم لأساتذة القيثارة.

كلينياس: إلامَ تشير؟

الأثيني: قلنا، إن كنت تتذكّر، إنّ المنشدين في جوقة ديونيسوس البالغين من العمر ستّين سنة كان عليهم أن يكونوا سريعين في إدراكهم للحن والتأليف الموسيقيَّيْن بشكل خاصّ، وذلك ليكون في مقدورهم التمييز بين التقليد الجيّد والسّيّىء؛ بمعنى، تقليد الروح الخيِّرة أو الشرّيرة عندما تكون تحت تأثير الانفعال، ترفض الواحد وتعارض الآخر في التراتيل والأغاني، وتفتتن روح الشباب، وتحثها على تتبّع الفضيلة ونيلها بطريقة التقليد.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: ومن أجل ذلك فإنّ المعلِّم والمتعلّم يجب أن يستعملا أصوات القيثارة، لأنّ أنغامها الموسيقيّة أوضح، والعازف الذي يعلِّم وتلميذه الذي يتعلّم يؤدِّيان علامة موسيقيّة مقابل علامة موسيقيّة في انسجام موسيقيّ. لكنّ التعقيد وتنوّع الأنغام أو العلامات الموسيقية، يظهران عندما تعطي الخيطان صوتاً واحداً أو يعطي الشاعر أو الملحّن صوتاً آخر ـ ويظهران أيضاً عندما يحدثان توافقاً للأصوات وتآلفاً للألحان التي تكون الفواصل الموسيقية فيها أقلّ وأكثر، بطيئة وسريعة، أو تكون نغماتها الموسيقية عالية أو منخفضة. أقول، عندما تكون كلّ هذه الأشياء منضمّة ومتّحدة، أو ثانية، عندما يظهران إيقاعات ذات تعقيدات متنوّعة، يكيّفانها مع نغمات القيثارة الموسيقية ـ إنّ كلّ ذلك لا يناسب الذين عليهم أن يكتسبوا معرفة سريعة ونافعة عن الموسيقى في سنين ثلاث. فالمبادىء أو القواعد تكون مربكة وتخلق صعوبة في التعليم، وينبغي على رجالنا الشباب أن يتعلّموا سريعاً. واكتساباتهم الضروريّة المجرّدة

ليست اكتسابات قليلة أو تافهة، كما سيُبيِّن ذلك في مسلك المحاورة الواجب الأداء. فعلى مدير التعليم أن يصغي إلى القواعد المختصّة بالموسيقى، تلك القواعد التي أرسينا أُسسها. أمّا في ما يتعلّق بالأغاني والكلمات عينها التي يجب أن يعلّمها أساتذة الجوقات الموسيقية ويعلمون ميزتها، فلقد وصفناها سابقاً، وقلنا حينها إنّها عندما تُكرَّس وتكيَّف مع الاحتفالات المختلفة فإنّها إنما كانت لتفيد المدن بواسطة إمتاع سكّانها بالسلوى البريئة.

كلينياس: إنّ ذلك لحقيقيّ أيضاً.

الأثيني: على الذي انتُخب مديراً للموسيقى إذن، أن يتلقّى هذه القواعد منا كأنها تحتوي الحقيقة بالذات، ويمكنه أن ينجح وأن يزدهر في منصبه! دعنا نتقدّم بعدئذ لنوطّد القواعد الأخرى بالإضافة إلى القواعد المتقدّمة التي أرسيناها بشأن الرقص وتمارين الألعاب الرياضية بشكل عامّ ومماثل. إنّ الفتيان والفتيات يجب أن يتعلّموا الرقص وممارسة تمارين الألعاب الرياضية ـ أفلا ينبغي عليهم القيام بذلك؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: يجب أن يكون للفتيان أساتذة للرقص إذن، كما ينبغي أن يكون للفتيات أستاذات أيضاً كي يتمرنَّ عليه.

كلينياس: جيّد جداً.

الأثيني: دعنا ندعو من له الاهتمام الرئيسيّ بهذا العمل مرة أُخرى، أعني، المشرف على شؤون الشباب [كمثال، مدير التعليم]. وعندما ندعوه فإنّ لديه الكثير ليفعله، إذا وجب عليه أن يتولّى مهمّة رعاية الموسيقى والألعاب الرياضية.

كلينياس: لكن كيف يتأتّى لإنسان مسنّ أن يُعنى بمهمّات عظيمة كهذه؟

الأثيني: يا صديقي، لا صعوبة في ذلك. فالناموس سمح له سابقاً وسيسمح له

باختيار من يشاء من المواطنين كمساعدين له في مهمّته هذه، ذكوراً كانوا أو إناثاً. وسيعرف هو الذين ينبغي عليه اختيارهم، وسيكون قلقاً إن وجد أيّ خطأ في ذلك. هذا من واجب إحساسه بالمسؤوليّة الملقاة على عاتقه، ومن وعيه بأهميّة منصبه، وكذلك لأنّه سيأخذ بعين الاعتبار إن كان الرجال الشباب حائزين على التربية الصالحة أو سيكونون. حينئذ، فإنّ كلّ الأشياء تسير على نحو رائع، وإلاّ، فليس بمناسبٍ أن نقول، ولن نقول ما الذي سيتبع، خشية أن يُصاب محترمو بشائرنا بالرّعب لحالة صغارنا صبياناً وفتيات. لقد قلنا أشياء كثيرة بخصوص الرقص وحركات الألعاب الرياضيّة بشكل عامّ؛ ونحن ندرج تحت اسم الألعاب الرياضية كلّ التمارين العسكريّة، مثل رمي السهام، القذف بالأسلحة الثقيلة، وكل المناورات والتطوّر العسكري، وكلّ تحرّكات الجيوش وإقامة المخيّمات العسكريّة، والقتال بالأسلحة الثقيلة، واستعمال المجنّات الخفيفة، وكل ما له علاقة بالفروسيّة. ينبغي أن يكون هناك أساتذة عامّون لتعليم كلّ هذه الأشياء، وتدفع الدولة رواتبهم. ويجب أن يكون طلاّبهم الرجال والصبيان، البنات والنساء، يجب أن يكونوا في الدولة أيضاً، وعليهم أن يعرفوا كلّ هذه الأشياء. وعندما تكون النساء فتيات يجب عليهنَّ أن يمارسنَ الرّقص بالأسلحة وفي كلّ الفنون القتاليّة كذلك. وعندما يصلنَ إلى سنّ متقدّمة ويصبحنَ نساء فينبغي عليهنَّ أن يضعنَ أنفسهنَّ في تمارين المناورات الحربيّة والتطوّر العسكريّ وفي تكتيكاتها وفنونها القتاليّة، وفي أسلوب الدفاع عن الأرض وانتزاعها من الأعداء، وكيفية امتشاق السلاح. وإذا لم يكن هناك سبب آخر، وبرغم ذلك ففي حالة تجنيد القوة العسكريّة المطلقة ووجوب مغادرتها المدينة لمواصلة التعليمات الحربيّة وقتال الأعداء خارجها، فإنّ الملزمين بحماية الشباب وبقية المدينة يمكن أن يكونوا متساوين في هذا العمل الشاقّ، رجالاً ونساء. وعلى

الجانب الآخر، عندما يأتي الأعداء من الخارج، برابرة كانوا أو هيلينيين، عندما يأتون لمحاربتنا بقوّة عظيمة، ويشنّون هجوماً صاعقاً علينا، ويجبروننا على التصدّي لهم لمنعهم من فتح المدينة، وهذا الهدف ليس مستحيل الحصول حينئذ، فإنّ العار على المدينة سيكون عظيماً إذا كانت النساء قد تَرَدّبْنَ بشكل سيّىء لا يتمكنّ معه من الحرب والدفاع عن أطفالهنّ، مثلما تفعل الطيور ضدّ أيّ مخلوق يهاجم فِراخها مهما كان عاتياً، ومثلما تستميت بقيّة الحيوانات في الدفاع عن صغارها عندما تتعرّض للخطر. وأمّا واجب النساء عند هجوم الأعداء على المدينة فهو أن يَهْرَعْنَ حالاً إلى الهياكل، ويتجمهرن هناك وفي المزارات، ويضعنْ اللوم على الطبيعة الإنسانية ويوبّخنها لأنّ الإنسان هو أكثر الحيوانات كلها جبناً.

كلينياس: إن افتقاراً للتعليم كهذا أيّها الغريب غير ملائم حدوثه في الدولة بكل تأكيد، كما أنّه سيّىء الحظ بشكل عظيم.

الأثيني: إفترض أنّنا نقرّ قانوناً لهذا المدى يقضي على النساء ألاّ يهملنَ القضايا العسكريّة، بل إنّ كلّ المواطنين، ذكوراً كانوا أو إناثاً، سوف يُعنون بها وينكبّون عليها على قدم المساواة

كلينياس: إنّني أوافق تماماً.

الأثيني: لقد تكلّمنا عن المصارعة جزئياً، لكننا لم نتكلّم عمّا أدعوه الجزء الأكثر أهمية فيها، ولا أستطيع أن أتكلّم بسهولة بدون أن أبيِّن بالإشارة والكلمة ما نعنيه في الوقت عينه. وعندما تتّحد الكلمه والفعل، وعندها فقط، فإنّنا سنشرح ما قيل بوضوح، مشيرين إلى أن المصارعة هي الأكثر شبهاً بالقتال في المعركة من بين الحركات كلّها. وينبغي التركيز عليها لهذا السبب، وليس بقصد المصارعة فقط.

كلينياس: ممتاز.

الأثيني: كفاية عن المصارعة، وسنتقدّم الآن للحديث عن حركات الجسم الأخرى. يمكن أن تدعى حركةٌ كهذه رقصاً بشكل عامّ، وهي حركة من نوعين: أحدهما، وهو الأفضل، يقلّد الشريف، والآخر، وهو الأحقر، يقلّد الدنيء. وهذان النوعان ينقسمان بدورهما. أمّا النوع الجدّي منها، فإنّ واحداً من هذين النوعين يشارك في الحرب والعمل المتحمّس، وهو تمرين للنبيل ولذي القلب الشجاع؛ لكنّ النوع الآخر يعرض روحاً معتدلة متمتّعة بالازدهار والملذّات المعتدلة. ويمكن أن يدعى هذا النوع رقصة السلام وهو كذلك. إنّ رقصة المقاتل تختلف عن رقصة السلام، ويمكن أن تسمى رقصة ذات مقطعين اثنين من مقاطع الشعر، ينشدان عند الانتصار البيروسي الذي يُنتزع بثمن باهظ جداً بحقّ. ويقلّد هذا الرقص أساليب تجنّب الضربات والقذائف عند تساقطها على طرفي النزاع كليهما، أو القذائف التي تتفجّر جانباً، أو التي تندفع وتقع في ساحة المعركة. ويقلّد كذلك الوقفات المضادّة التي تكون لتلك الأعمال، كمثال، يقلّد رمي السهام واندفاع الرماح، وكلّ أنواع الضربات المشابهة. وعندما يكون التقليد للأرواح والأجسام الشجاعة ويكون العمل مباشراً وعضليّاً، واهباً بالجزء الأكثر منه حركة مستقيمة لأطراف الجسد، أقول، إنّ هذا النوع من أنواع الحركة هو النوع الحقيقيّ، لكنّ النوع المضادّ ليس صحيحاً. إنّ الشيء الذي يجب أن نأخذه بعين الاعتبار في رقصة السلام، هو سواء إذا كان الإنسان يحمّل نفسه عبئها بشكل طبيعيّ ورشيق، وعلى طريقة الرجال الذين يمتثلون للناموس كما ينبغي. لكن قبل مواصلة البحث يجب عليّ أن أميّز الرقصة التي لا شكّ فيها من تلك الرقصة المشكوك بها. ثمّ ما هي تلك الرقصة المشكوك بها، وكيف يمكن التمييز بين الاثنتين. هناك رقصات من النوع الباخوسي والتي يقال إنّ راقصيها يقلّدون فيها السكارى، وتدعى باسم نيمفس، وبان، وسيلينسيوس،

وساتيرز. وهناك أيضاً تلك الرقصات التي تُمارس لتطهير أو لتمجيد الأسرار المقدّسة احتفالاً. إن كلّ أنواع الرقصات تلك لا يمكن تعريفها بشكل صحيح إمّا كنوع مسالم أو محبٌ للحرب، أو كأنّها حقاً تمتلك أيّ معنىً مهما كان. ويمكنني أن أظنّ أنّها توصف بحقّ كأنّها أنواع مميّزة من رقص الحرب، ومميزة عن الرقص المسالم. وهي رقصات لا تناسب المدينة على الإطلاق. ولندعها جانباً، ونتطرّق إلى رقصات الحرب والسلام، لأنّنا نهتم بهذه الرقصات بدون شكّ. وبعد فإنّ آلهات الغناء والشعر والفنون والعلوم التي لا تحبّ الحرب، والتي تكرّم الآلهة وأبناء الآلهة بالرقص، متزاملات مع شعور الرخاء، إنّ هذا الصنف يمكن تقسيمه إلى نوعين أقلّ ويمكن التعبير عن أحدهما أنّه هرب من عمل شاقّ ما أو من خطرٍ إلى الخير؛ وهذا النوع فيه ملذات أكبر. أمّا النوع الآخر فإنّه يعبّر عن الاحتفاظ بالخير وزيادة الخير السابق، والذي تكون اللذّة فيه أقلّ إثارة. وفي كلّ الحالات هذه، فإنّ كلّ إنسان يتحركّ جسمه أكثر عندما تكون اللذّة أكبر، ويتحرّك أقلّ عندما تكون اللذّة أقلّ. ومرّة ثانية، إذا كان الإنسان منظّماً أكثر وتعلم الشجاعة من ضبط النفس والنظام فإنّه يتحرّك أقلّ. لكنّه إذا كان جباناً، ولم يكن لديه أيّ تدريب أو ضبط للنفس، فإنّه يقوم بحركات أعظم وأكثر عنفاً. وبشكل عامّ فإنّه عندما يتكلّم ويغنّي لا يقدر على أن يُبقي جسده ساكناً تماماً. وهكذا فإنّ فنّ الرقص كلّه نشأ من خارج تقليد الكلمات بالإيماء. وفي هذه الأنواع المختلفة من التقليد فإن إنساناً يتحرّك بشكل منظّم، ويتحرّك آخر بشكل فوضويّ. أمّا في ما يتعلّق بالأمم الغابرة فيمكن الملاحظة أنها أعطت أسماء عديدة مطابقة للطبيعة وتستحقّ الثناء. فهناك اسم ممتاز وهبته هذه الأمم لرقصات الرجال المعتدلين في ملذاتهم في أوقات رخائهم. إنّ واهب الأسماء، أيّاً كان، خصّص لهذه الرقصات إسماً حقيقيّاً جدّاً،

وإسماً شاعريّاً وعقلانيّاً، عندما دعاها بالإيمالايا أو رقصات النظام. وهكذا فإنّه أسَّس بهذا نوعين من أنواع الرقص الأنبل، أسّس رقص الحرب الذي سمّاه الانتصار البيروسي الذي يُنتزع بثمن باهظ جداً، وأسّس رقص السلام الذي دعاه إيمالايا، أو رقص النظام، وأطلق عليهما أسماءهما المناسبة واللائقة. إنّ المشرّع يجب أن يدلّ على هذه الأشياء في خطوط عامّة، وينبغي على حامي الناموس أن يحقّق فيها وأن يتفحّصها، موحّداً الرقص مع الموسيقى، ومخصِّصاً لولائم التضحية المتعدّدة ما يناسبها. وعندما يكرّسها كلّها في نظام واجب الأداء، فإنّه لن يغيّر أيّ شيء مستقبلاً، سواء كان ذلك في الرقص أو في الموسيقى. وبعد ذلك يستمّر المواطنون والمدينة في امتلاك الملذّات عينها، كونهم متشابيهن قدر الإمكان، وسيحيون جيّداً وبسعادة.

لقد وصفتُ الرقصات التي تناسب الأجسام النبيلة والأرواح الكريمة. لكن من الضروريّ أيضاً أن نعتبر وأن نعرف الأشخاص غير الوسيمين ونعرف أفكارهم، وأن نعرف كذلك أولئك الذين قصدوا إحداث الضحك في الملهاة، ولديهم شخصيّة مضحكة هزليّة في ما يتعلّق بالأسلوب، بالغناء، بالرقص، وبالتقليدات التي تقدّمها هذه الأشياء. إنّ المدن الجدّيّة لا يمكن فهمها بدون الأشياء المضحكة الهزليّة، ولا يمكن فهم الأشياء مطلقاً بدون فهم نقضيها إذا أراد الإنسان أن يعرفهما كليهما. لكن لا يمكنه أن ينفّذهما كليهما في العمل، إذا ما وجب عليه أن يمتلك درجة من الفضيلة. ولهذا السبب بالذات يجب أن يتعلّمهما كليهما ليتفادى أن يفعل أو أن يقول شيئاً مضحكاً وخارج الموضوع نتيجة جهله ـ يلزمه أن يقود العبيد ويستأجر الغرباء كي يقلّدوا أشياء كهذه، لكن ليس عليه أن يولي اهتماماً جديّاً فيها بنفسه. ولا ينبغي أن تقاسي المرأة الحرّة أو الرجل الحرّ الآلام كي يتعلّماها؛

وينبغي أن يوجد عنصر ما للبدَع في التقليد على الدوام. هذه القواعد يجب أن توطَّد في الناموس وفي المحادثة معاً، كما تُوطَّد أنظمة وضوابط التسلية المضحكة التي تدعى ملهاة بشكل عام. وإذا جاءنا أحد الشعراء الجديين الذين يكتبون المأساة، كما يُدعون، إذا جاءنا وقال: « أيّها الغرباء، هل يمكننا الذهاب إلى مدينتكم وبلادكم أم لا؟ وهل سنحضر قصائدنا معنا »؟ فما هي إرادتكم بشأن هذه القضايا؟ كيف سنجيب الرجال الإلهيّين؟ أعتقد أن جوابنا سيكون كما يلي: يا أفضل الغرباء، إنّنا شعراء مأساة أيضاً طبقاً لمقدرتنا، وإنّ مأساتنا هي الأفضل والأنبل لأنّ دولتنا كلّها تقليد للحياة الأفضل والأنبل، والتي نؤكّد حقاً أنّها حقيقة المأساة بالذات. إنّكم شعراء ونحن أيضاً شعراء، كلانا نصنع الألحان والأغاني عينها. إنّنا متنافسون وأخصام في أنبل المسرحيّات، التي يمكن أن يتمّمها ويكمّلها الناموس الحقّ، وهذا هو أملنا. لا تتصوّروا إذن أنّنا سنسمح لكم، ولو للحظة، بإقامة مسرحكم في الساحة العامة أو بتقديم أصوات ممثليكم الجميلة، أو أن تعلو فوق أصواتنا. ولن نسمح لكم أن تخطبوا في نسائنا وأطفالنا، وفي عامة الشعب، وذلك في ما يتعلّق بنواميسنا، وبلغة غير لغتنا الخاصّة، وغالباً بلغة مضادّة جدّاً للغتنا الخاصّة. إنّ الدولة التي تعطيكم هذا الإذن هي دولة مجنونة، قبل أن تقرّر الهيئة القضائيّة الحاكمة ما إذا كان شعركم يمكن أن يُتلى ويُسرد، أو إذا كان نشره مناسباً أو غير مناسب. ومن أجل ذلك، يا أبناء وسلائل آلهات الشعر والفنّ والعلوم والغناء الناعمات، قدّموا أغانيكم للهيئات القضائية قبل كلّ شيء، ودعوهم يقارنونها بما عندنا. فإذا كانت الشيء عينه أو كانت أفضل، فإنّنا سنعطيكم جوقة غنائية، وإلاّ فلا نستطيع السماح لكم حينئذ بهذا، يا أصدقائي. هذه العادات إذن، يجب أن يبتّها القانون بشأن الرقص كلّه وبشأن تعلميه. والقضايا المتعلّقة بالعبيد يجب أن

تُفصل عن تلك القضايا التي تتعلّق بالأسياد، إذا لم يكن لديك اعتراض على ذلك.

كلينياس: لا مجال للتردّد في القبول بما تقترحه عندما تضع المسألة بهذا الشكل.

الأثيني: تبقى هناك ثلاث دراسات مناسبة للرجال الأحرار، إحداها الحساب وعلم الحساب وثانيتها قياس الطول، قياس السطح، وقياس العمق. وأما الثالثة فعملها مع دوران النجوم في أفلاكها بالنسبة لبعضها البعض. لا ينبغي على كلّ شخص أن يتحمّل مشاقّ تعلّم كلّ هذه الأشياء بأسلوب علميّ محدَّد، بل هذا عمل الأقليّة فقط. أمّا من هم هؤلاء الأقلية فإنّنا سنعيّنهم في نهاية بحثنا مستقبلاً، وسيكون تعيينهم في المكان المناسب. إنّ الجنس البشريّ بشكل عامّ ينبغي أن يتعلّم قدر ما يحتاج إذ ليس هناك معرفة يمكن القول عنها حقّاً إنّ عدم إدراكها عار وخزي. إنّ التضلّع بكل هذه الدراسات بالتفصيل ليس سهلاً حقّاً، وليس ممكناً لكلّ شخص، لكنّ فيها شيئاً ضروريّاً لا يمكن أن يُغفَل عنه، والذي ضرب المثل بخصوص الله في الأصل ربّما فكر بهذا وقصده عندما قال: « حتىّ الله ذاته لا يمكن أن يحارب ضدّ الضرورة ». لقد عنى، إذا لم أكن مخطئاً، الضرورة الإلهيّة، إذ في ما يتعلّق بالضرورات الإنسانية التي يتكلّم عنها الكثيرون، عندما يتحدّثون بهذه الطريقة، فما من شيءٍ أكثر إضحاكاً وعرضة للسخرية من استعمال للكلمات بهذا الشكل.

كلينياس: وأيّة ضرورات توجد للمعرفة، أيّها الغريب، والتي هي ضرورات إلهيّة وغير إنسانية؟

الأثيني: أتصوّر أنها هي تلك الضرورات، التي لا يمكن لمن لا يستعملها ولا يعرف عنها شيئاً على الإطلاق، لا يمكنه أن يكون إلهاً، أو نصف إله، أو بطلاً من أبطال الجنس البشريّ، وباستطاعته أن يتلقّى أيّ تفكير جديّ عنها أو أن

يتوّلى أمر العناية بها. وسيكون مختلفاً جدّاً عن الإنسان الإلهيّ مَنْ لا يقدر على أن يعدَّ واحد، اثنين، ثلاثة، أو على أن يميِّز الأعداد المفردة والمزدوجة، أو يكون غير قادر على أن يعدَّ ويحسب على الإطلاق، أو على أن يقدِّر الليل والنهار، وكذلك من لا يكون ملمّاً بدوران الشمس والقمر، وبدوران النجوم الأخرى. إنه لغباءٌ كبير أن نتصوّر أنّ كلّ هذه الأشياء ليست أجزاء ضروريّة للمعرفة، وذلك لِمَن يقصد أن يعرف أيّ شيء من الأنواع الأسمى من المعرفة(٥٤) لكن أيّ أنواع هي هذه، وكم يوجد منها، ومتى ينبغي تعلّمها، وما الذي يجب تعلّمه منها معاً. وأيها ينبغي تعلّمه كلاً بمفرده، وما العلاقة المتبادلة بينها. إنّ كل هذه الأشياء يجب فهمها في المقام الأوّل. وتمهّد هذه الأشياء الطريق كي تتمكّن من التقدّم إلى أجزاء المعرفة الأخرى. إنّ الضرورة المرسّخة هكذا في الطبيعة تجبرنا على معارضة القول الذي نقوله أنْ لا إله يكافح أو أنّه سيكافح قط.

كلينياس: أعتقد أنّ ما قلته الآن حقيقي ومقبول بالطبيعة، أيّها الغريب.

الأثيني: نعم، يا كلينياس، إنه لكذلك. لكنه لشيء صعبٌ أن يبدأ المشرِّع بهذه الدراسات، ونحن سوف نضع نظماً لهذه الدراسات في مناسبة أفضل.

كلينياس: تبدو خائفاً من جهلنا المعتاد لهذا الموضوع، أيّها الغريب، ولا سبب يمنعك من محاولة قول الحقيقية بكاملها.

الأثيني: إنني خائف جداً من الصعوبات التي تلمّح إليها، وإنّني لا أزال أكثر خوفاً من أولئك الذين يخصّصون أنفسهم لهذا النوع من أنواع المعرفة، ويخصّصونها بشكل سيّىء. إنّ الجهل الكليّ ليس شرّاً فظيعاً أو مفرطاً، وهو بعيد عن أن يكون أعظم الشرور. لكنّ الحذق الكثير جدّاً والتعليم الكثير جدّاً، المترافقين مع التربية السيّئة هما أكثر مهلكة ببعد كبير(٥٥)

الأثيني: أتصوّر أنّ كلّ الرجال الأحرار يجب عليهم أن يتعلّموا قدر ما يستطيعون

من فروع المعرفة هذه، كما يتعلّمها كلّ طفل في مصر عندما يتلقّن حروف الأبجديّة. لقد اخترعت الألعاب الحسابية في تلك البلاد ليستعملها الأطفال المجرّدون، والتي يتعلّمونها كلذّة وتسلية. وينبغي عليهم أن يوزّعوا تفاحات وأكاليل زهر، مستخدمين العدد عينه بعض المرات للعدد الأكثر من الأشخاص، وبعض المرات العدد عينه للعدد الأقلّ من الأشخاص. وهم يرتّبون الملاكمين المحترفين والمصارعين بالقرعة عندما يزدوجون معاً أو يمكثون زيادة، ويبيّنون كيف تأتي. هناك شكل آخر من أشكال تسليتهم وهو توزيع الأواني المصنوعة من الذهب بعض المرّات أو من النحاس الأصفر أو الفضّة، وما شابه، وهي تكون ممزوجة ببعضها أحياناً وتكون من معدن واحد فقط أحياناً أخرى. وكما قلت، فهم يهيّئون الأعداد لتسليتهم في استعمال مشترك، وبهذه الطريقة يجعلون ترتيب وتحركات الجيوش والحملات الحربية أكثر وضوحاً لتلاميذهم. أمّا في إدارة البيوت فإنّهم سيجعلون الشعب أكثر نفعاً لأنفسهم وأكثر انتباهاً بشكل واسع. ومرّة ثانية، فإنّهم في مقاييس الأشياء ذات الطول والعرض والعمق، يحرّروننا من ذلك الجهل الطبيعيّ لكلّ الأشياء المضحكة لسخفها والمخزية[٥٦].

كلينياس: أيّ نوع من أنواع الجهل تعني؟

الأثيني: أوه يا عزيزي كلينياس، أنا مثلك دهشت! سمعت في الحياة متأخّراً عن جهلنا بهذه المسائل. نبدو أشبه بالخنازير منّا بالرجال، وإنّني لمستحٍ تماماً، ليس بنفسي فقط، بل بكلّ الهيلينيين.

كلينياس: بشأن ماذا؟ قل لي ماذا تعني، أيّها الغريب؟

الأثيني: سأفعل، أو فإنّني سأريك بالأحرى ما أعنيه بطرح سؤال عليك وأجبني عليه من فضلك. أفترض أنّك تعرف ما هو الطول؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وتعرف ما هو العرض؟

كلينياس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: وتعرف أنّهما متمايزان، وأنّ هناك شيئاً ثالثاً هو العمق؟

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: أوَلاَ تبدو هذه الأشياء لك كلها قابلة للقياس مع أنفسها؟

كلينياس: أجل.

الأثيني: يعني أنّ الطول قابل للقياس مع الطول بشكل طبيعي، والعرض مع العرض، والعمق مع العمق بالطريقة نفسها؟

كلينياس: الأكثر تأكيداً.

الأثيني: لكن إذا لم يكن هناك سؤال ذو درجات من التأكيد واليقين، بل إنّ بعض الأشياء تكون قابلة للقياس وأخرى لا تكون، في حين أنك تظنّ أن كلّ الأشياء قابلة للقياس، فما هو موقفك في ما يختصّ بها؟

كلينياس: إنّه بعيد جدّاً عن الخير، بوضوح.

الأثيني: أمّا في ما يختصّ بالطول والعرض عندما يقارنان بالعمق، أو في ما يختص بالعرض والطول عندما يقارنان أحدهما بالآخر، أفلا يتّفق كلّ الهيلينيين أنّها قابلة للقياس بعضها مع بعض بطريقة ما؟

كلينياس: حقيقي تماماً.

الأثيني: لكنّها إذا كانت غير قابلة للقياس بشكل مطلق، وبرغم ذلك فإنّنا جميعاً نعتبرها قابلة للقياس، أفليس لدينا سبب يجعلنا نستحي من أبناء بلدنا وزملائنا؟ أوَلا يمكننا أن نقول لهم: أوه يا أفضل الهيلينيين، أليس هذا واحداً من الأشياء التي يُعتبر الجهل بها شيئاً مخزياً، ولا امتياز كبيراً في معرفتها بشكل ضئيل؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وهناك أشياء أخرى مماثلة لهذه تنبثق فيها أخطاء أخرى من العائلة عينها؟

كلينياس: وما هي؟

الأثيني: إنّها طبائع النوعيات القابلة للقياس وغير القابلة للقياس في صلتها بعضها ببعض. إنّ الإنسان الذي يصلح لأيّ شيء يجب أن يكون قادراً على تمييزها عندما يفكّر. وينبغي أن يتبارى الأشخاص المختلفون بعضهم مع بعض بطرح الأسئلة، وهذه الطريقة أفضل وأكثر لباقة ببعد كبير في تمضية وقتهم، من الطريقة المتّبعة في لعبة الداما لإنسانٍ مسنّ.

كلينياس: أجرؤ على القول. وهذه التسليات ليست غير شبيهة جدّاً بلعبة الداما.

الأثيني: وهذه الدراسات هي التي يجب أن يتعلّمها شبابنا، يا كلينياس، كما أؤكّد ذلك. فهم بريئون وليس صعباً التعامل معهم. إنّ تعلّم تلك الدراسات تسلية لهم، وهم سينفعون الدولة. وإذا كان لشخص ما تفكير آخر، فلْيقلْ ما عنده.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: إذا كانت هذه الدراسات كما نؤكّد هكذا إذن، فإنّنا سوف نضمّنها وإلا فسوف نستثنيها.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: أوَلا يمكننا، أيّها الغريب، أن نصف هذه الدراسات بأنّها ضرورية، وهكذا نسد الفجوة في نواميسنا تماماً؟ إنّ هذه الدراسات ستُعتبر تعهّداتٍ يمكن أن تجدَّد في ما بعد وأن تُنقل من الدولة، هذا إذا لم تنل إعجابنا، نحن الذين نهبها، أو إعجابكم أنتم الذين تقبلون بها.

كلينياس: إنّه لشرط عادل.

الأثيني: دعنا نرى تالياً إذا ما كنا سنقترح إدراج دراسة علم النجوم ليتعلّمها شبابنا أم لا.

كلينياس: واصل.

الأثيني: هنا تحدث ظاهرة غريبة، لا يمكن إجازتها بأيّة وجهة نظر بكلّ تأكيد.

كلينياس: إلام تشير؟

الأثيني: يقول الرجال إنّه ينبغي علينا أن لا نبحث في الله الأسمى وفي طبيعة العالم، أو أن نشغل أنفسنا في استقصاء أسباب الأشياء، وإنّ تحقيقات كهذه هي تحقيقات عامّة، في حين أن الحقيقة هي ضدّها تماماً.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: ربّما بدا لك ما أقوله ذا صفات متناقضة ظاهريّاً، ومتعارضاً مع لغة العصر الاعتيادية. لكن عندما يمتلك أيّ شخص فكرة صحيحة وحقيقيّة لصالح الدولة، ويقبلها الله بكل وجه، عندما يحدث ذلك فإنّ هذا الشخص ليس بمقدوره الامتناع عن التعبير عنها.

كلينياس: إنّ كلماتك معقولة بما فيه الكفاية؛ لكن هل سنجد فكرة صحيحة وحقيقيّة بشأن النجوم؟

الأثيني: يا أصدقائي الأخيار، كلّنا نروي الأكاذيب في هذه الساعة فيما يتعلّق بهذين الإلهين العظيمين، الشمس والقمر، إذا ما أمكنني استخدام تعبير كهذا.

كلينياس: أكاذيب من أيّة طبيعة؟

الأثيني: نقول إنّهما والنجوم الأخرى لا تلزم الطريق عينه، وندعوها كواكب سيّارة ومتجوّلة.

كلينياس: حقيقيّ تماماً، أيّها الغريب، لقد رأيت خلال حياتي نجمة الصباح ورأيت نجمة المساء والنجوم المتجوّلة الأخرى، رأيتها غير متحرّكة بطريقتها الاعتيادية، بل متجوّلة خارج طريقها بكلّ طريقة وكل أسلوب، ورأيت الشمس والقمر يتحرّكان كما نعهد كلنا.

الأثيني: هكذا تماماً، يا ميغيلوس وكلينياس، وإنّني أؤكّد أنّ مواطنينا وشبابنا يجب أن يتعلّموا ما يتعلّق بطبيعة الآلهة في السماء، بقدر ما يتمكّنون من تقديم تضحيات ويصلّون من أجلها بلغة غير دنيويّة وغير ورعة، ولئلاّ يجدفوا بشأنها.

كلينياس: إنّك لمحقّ، هناك، إذا أمكن كسب معرفة كهذه وإذا كنّا مخطئين في ما نقوله الآن، ويمكن أن نتعلّم ونتثقّف بشكل أفضل لاستعمال لغة أحسن، حينئذ فإنّي أوافقك تماماً على أنّ درجة من المعرفة كهذه تجعلنا قادرين على الكلام بصدق، يجب أن نكتسبها. وبعدُ حاول أن توضح لنا معناك كاملاً، ونحن من جانبنا سنحاول أن نفهمك.

الأثيني: هناك صعوبة ما في فهم معناي، لكنّها ليست صعوبة كبيرة جدّاً، ولا تحتاج لوقت طويل لفهمها. ولهذا فإنّي أنا البرهان؛ لأنّي لم أعرف هذه الأشياء منذ وقت طويل، ولم أعرفها في أيّام شبابي. وبرغم ذلك أستطيع أن أشرحها لك في فترة زمنيّة قصيرة، في حين أنها لو كانت صعبة لما قدرت أبداً على إيضاحها لكما، أنا المسنّ وأنتما المسنّان مثلي.

كلينياس: حقّاً، لكن ما هي هذه الدراسة التي تصفها بأنّها مدهشة ومناسبة للشباب ليتعلّموها والتي نجهلها نحن؟ حاول أن توضح لنا طبيعتها بأقصى ما تستطيعه من جلاء.

الأثيني: سأفعل ذلك. أوه أيّها الأصدقاء الأخيار، إنّ التعليم الآخر بشأن تطواف الشمس والقمر والنجوم الأخرى ليس تعليماً حقيقياً، بل إنّه عكس الحقيقة بالتحديد. إنّ كلاًّ منها يتحرّك بالطريقة عينها، ولا يتحرك، بطرق عدّة، بل إنّه يسير في طريق واحدة، هي طريق دائريّة. وأمّا التنوّع فهو ظاهريّ فقط. ونخطىء حين نفترض أنّ الأسرع منها هو الأبطأ، أو العكس، أي أنّ الأبطأ هو الأسرع. وإذا كان ما أقوله حقيقياً، فتصوّر فقط أنّه كانت لدينا الفكرة

المماثلة عينها بخصوص الأحصنة المتسابقة في الألعاب الأولومبيّة، أو بشأن الرجال الذين تباروا في السباق الطويل، ولقد خاطبنا الأسرع منهم كأنّه الأبطأ والأبطأ كأنّه الأسرع وأثنينا على المهزوم كأنّه كان المنتصر. إنّ ثناءَاتنا في تلك الحالة غير حقيقيّة ولن يقبلها المتسابقون، رغم أنّهم ليسوا سوى رجال. وبعدُ فدعنا لا نقترف الخطأ عينه بشأن الآلهة، ذلك الخطأ الذي قد كان مضحكاً جدّاً لغرابته وسخفه وكان خطأ غير صحيح في حالة الرجال. لا أقدر أن أقول إنّ ذلك هو قول مضحك لسخفه، بل إنّه يثير استياء الآلهة بخصوص الذين يجب أن نكرّر عنهم تقريراً زائفاً؟

كلينياس: إنّ كلامك هو الأكثر حقيقة، إذا كانت هذه هي الحقيقة.

الأثيني: وإذا استطعنا أن نبيّن أنّ الحقيقة هي كذلك في الواقع، فإنّ كلّ هذه القضايا حينئذ يجب تعلّمها بقدر ما يكون ذلك ضروريّاً لتفادي العقوق. لكن إذا لم نستطع فينبغي التخليّ عنها.وهذا القرار يجب أن يكون قرارنا النهائيّ.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: إنّ ما قلناه عن النواميس المتصلة بالتعليم والثقافة يكفي. لكنّ الصيد والملاحقات المشابهة تتطلّب اهتمامنا بشكل مماثل. يبدو أنّ المشرّع يفرض عليه واجبه أن يتخطّى حدود التشريع المجرّد. هنا شيء ما فوق الناموس وتحته يتأرجح بين التذكير والنصح وبين الناموس، ولقد حدث لنا في سياق محادثتنا. كمثال، هناك أشياء في تعليم الأطفال الصّغار جداً، ونؤكّد ذلك، أن هناك أشياء يجب علينا أن لا نمرّ بها وكأنّها لا تعنينا. ومع هذا فإنّ اعتبارها وكأنها قضايا ذات ناموس إيجابي يُعتبر شيئاً مضحكاً بشكل كبير. وبعدُ، فإنّ نواميسنا وهيكليّة دولتنا كلّها، بما أنّ خطوطها الكبرى قد رُسمت هكذا، فإنّ الثناء على المواطن الفاضل لا يكون ثناء تامّاً عندما

يوصف بكلّ بساطة بأنّه الشخص الذي يخدم الناموس ويطيعه بالشكل الأكثر، بل إنّ الثناء الأسمى هو ذلك الثناء الذي يُطلق عليه بوصفه المواطن الخيِّر الذي يجتاز الحياة غير مدنَّس، ومطيعاً لكلمات المشرِّع، وذلك عندما تسنّ له القوانين وحينما يُخصَّص اللوم والثناء. إنّ هذه الكلمة هي الكلمة الحقيقية التي يمكن قولها في مدح المواطن؛ وينبغي على المشرِّع الحقيقيّ أن لا يكتب نواميسه فقط، بل أن يحبك معها كلّ الأشياء التي تظهر له شريفة وغير شريفة، ويجب على المواطن الكامل أن ينشد تقويتها ليس بأقلّ من تقوية مبادىء الناموس التي تُقرُّ بالعقوبات. سأورد الموضوع الحاضر كشاهد على كلماتي، وسيوضح هذا الموضوع معناها. إنّ الصيد ذو نطاق واسع، وتنضم تحت عنوانه أشياء عديدة أخرى. فهناك صيد المخلوقات في الماء، وصيد المخلوقات في الهواء، وهناك كميّة كبيرة لصيد الحيوانات من كلّ الأنواع على الأرض، وليس صيد الحيوانات المفترسة فقط. انّ الصيد عقِب الإنسان هو صيد جدير بالاعتبار أيضاً. هناك صيد عقب الإنسان في الحرب، وهناك صيد عقِبه بطريقة الصداقة غالباً، قد يُحمد وقد يُلام. وهناك السرقة، والصيد الذي يمارسه السارقون، وذلك الذي تمارسه الجيوش بعضُها ضدّ بعض. وبعدُ فإنّ المشرِّع عند سَنّ القوانين المتعلّقة بالصيد، لا يمكنه أن يتغاضى عن ملاحظة هذه الأشياء وتدوينها، وليس بمقدوره إيجاد قوانين محليّة رادعة تضع قواعد ومعاقبات بشأنها كلِّها. فما الذي يجب على المشرِّع فعله؟ ينبغي عليه أن يثني على الصيد ويلومه بقصد ممارسة وملاحقات الشباب. وعلى الجانب الآخر، على الشابّ أن يستمع للمشرِّع وهو بكامل طاعته؛ ولا ينبغي أن يعترض طاعته لا الألم ولا اللذّة، ويجب عليه أن يعتبر أن الثناءات ووصايا المشرِّع هي مقياس عمله، بدل أن تكون العقوبات التي يفرضها الناموس. إنّ هذه الأشياء بما أنّها مقدِّمات منطقيّة

فيجب أن يليها بنظام الثناء المعتدل واللوم على الصيد. إنّ الثناء يخصّص لذلك النوع الذي سوف يجعل أرواح الشباب أفضل، واللوم على ذلك الذي له تأثير مضادّ. وبعدُ دعنا نخاطب الرجال الشباب في شكل دعاءٍ من أجل خيرهم وسعادتهم. وسنقول لهم، أيّها الأصدقاء، لا تدعوا أن يسيطر عليكم أبداً، لا رغبة ولا حبُّ الصيد في البحر، أو صيد السمك بالصنّارة، أو الإيقاع بالمخلوقات في الماء، سواء أكنتم مستيقظين أو نياماً، ولا أن يكون هذا الصيد بواسطة الكلاّبات أو صنانير الصيد. والصيد الأخير هو صيدٌ بحيلة كسولة جداً. وكلّ رغبة لصيد الرجال وللقرصنة على سطح البحر لا تَدَعوها تدخل إلى أرواحكم وتجعلكم صيادين قساة وغير خاضعين لسيطرة القانون. وأمّا في ما يتعلّق برغبة اللصوصية في المدينة أو الريف، فلا تدخل هذه الرغبة أبداً في أفكاركم الأكثر زوالاً. وعليكم ألاّ يسيطر عليكم الوهم المغري ألا وهو صيد الطيور لأنّه صيدٌ غير جدير أبداً بالرجال الأحرار. لا تدعوا كلّ هذا يدخل إلى عقل أيّ فتى. يبقى إذن صيد وحيد يمارسه رياضيّونا وهو التقاط الحيوانات عن الأرض، والذي ينام أثناءه الصيّادون بالدور ويستسلمون للكسل. إنّ هذا النوع من الصيد يجب أن لا يوصى به أكثر ممّا يُوصى بالصيد الذي يقوم أثناءَه الصيادون بفترات راحة والذي يتمّ فيه إخضاع قوّة الحيوانات المفترسة. بواسطة الشباك والأفخاخ، وليس بقوّة انتصار النفس المُجِدَّة. هكذا فقط يتمّ السماح للنوع الأفضل من أنواع الصيد - إنّه صيد الحيوانات ذوات الأربع. ويتمّ القيام به باستعمال الأحصنة والكلاب والرجال الذين يحضُّون الصيادين. وهم ينتصرون على الحيوانات بإرهاقها وصدمها وضربها بعنف وقذفها بقوّة، آخذينها بأيديهم الخاصّة. بهذا يتوقون لرجولة شبيهة بالله. إنّ الثناء واللوم اللذين يخصّصان لكلّ هذه الأشياء قد أُعلنا الآن. فعلى القانون بعد هذا أن يكون كما يلي: لا تسمح

لأيّ شخص أن يعيق هذه الأشياء عن الذين يكونون صيّادين مقدّسين، أي من متابعة الصيد أينما وحيثما يشاؤون. لكنّ الصيادين ليلاً اللذين يثقون بشباكهم وشراكهم، لن يُسمح لهم أن يصطادوا كيفما اتّفق. إنّ الطيور الموجودة في الجبال من أيّ نوع وفي الأماكن المقفرة سوف يُسمح بصيدها. لكن لن يُسمح بصيد هذه الطيور الموجودة على الأرض المحروثة وعلى الأراضي غير المحروثة المقدّسة. وأيّ شخص يلتقي بمن يقوم بمخالفة هذه النواميس سيتمّ منعه في حينه. أمّا في ما يتعلّق بالصيد في المياه، فالصيّاد يمكنه أن يصطاد في أيّ مكان ما عدا الموانىء والجداول المقدّسة أو المستنقعات أو الأحواض، شرط أن لا يلوّث المياه بسوائل سامّة. وبعدُ، يمكننا أن نقول إنّ كلّ تشريعاتنا بشأن التعليم هي تعليمات كاملة.

محاورة النواميس

الكتاب الثامن

افكار الكتاب الرئيسية

يقول الأثيني: ينبغي علينا في المرحلة التالية، وبمساعدة وسيط الوحي في معبد دلفي، أن نقيم أعياداً وأن نسنّ نواميس بشأنها، وأن نقرّر أيّة تضحيات ستكون لخير المدينة، ولأيّ آلهة سيتمّ تقديمها، ومتى وكيف؟ ونقول إنّ أولئك الذين سيحيون بسعادة يجب عليهم ألاّ يؤذي بعضهم بعضاً، وألاّ يؤذيهم الآخرون. وما من إنسان يمكنه أن يكون آمناً من الاعتداء إلاّ إذا أصبح خيِّراً بالكمال، والمدن تشبه الأفراد في هذا. إنّ المدينة إذا كانت خيِّرة تحيا بسلام، أما إذا كانت شريرة فليس لها سوى حياة حرب في الداخل والخارج. ونقول إنّ حبّ الغنى الجشِع المستمرّ مدى الحياة هو واحدٌ من الأسباب التي تمتصّ الجنس البشريّ وتمنعه من مزاولة فنون الحرب بحقّ. أمّا الحكومات الديموقراطية، الأُوليغاركية، والاستبداديّة، فليست سوى دول نزاع لأنّ أيّاً منها لا يمارس الحكم اختيارياً على رعايا اختياريّين. ونحن سندرِّب أطفالنا، شبابنا، رجالنا، ونساءنا، على كلّ نوع من أنواع الرياضة والأساليب العسكرية، ونعلّمهم الموسيقى الحقّة. ويجب أن نمنع اللواط بالمطلق ونتّخذ تدابير احتياطيّة ضدّ الحبّ غير الطبيعيّ بين الصبيان والفتيات، ضد انحرافات الذكور والإناث جنسيّاً، تلك الإنحرافات التي كان وسيكون لها تأثير سيِّىء غير محدود على الأفراد والمدن.

إنّ الصداقة التي تنشأ من المضادّات هي صداقة مرعبة وفظّة، وليس لديها رباط وثيق على الغالب، لكنّ الصداقة التي تنشأ من المتشابهات هي صداقة لطيفة

ولديها رباط وثيق ووحدوي يدوم ما دامت الحياة. ونقول إنّ الاعتدال هو توظيف الطبيعة لخير الإنسان، في المقام الأوّل، والاعتدال يمنع الرجال من ممارسة كلّ عمل وكلّ حبّ جنونيّ ومخبَّل، ويجعلهم أصدقاء أخيار لزوجاتهم. إنّ الانتصار الحقيقيّ هو الانتصار على اللذّة وقهرها، أمّا الهزيمة فهي الخضوع والإذعان لها. ويجب على مواطنينا أن لا ينحدروا إلى مستوى البهائم والطيور في علاقاتهم الجنسيّة، بل إنّ بعض الطيور لا تتزواج إلاّ في الوقت المناسب لها في الحياة وتبقى عذراء قبله، ثم تقترن معاً بحقّ وتعيش بقيّة عمرها بقداسة وبراءة، ملتزمة باتّفاقها الأصليّ بشكل ثابت.

هناك مبادىء ثلاثة إذا أطاعها شبابنا فلن يخالفوا الناموس، وهي مبدأ التقوى، مبدأ حبّ الشرف، ومبدأ رغبة الجمال في الروح وفي الجسم. وسيجرّد من حقوقه ومن امتيازاته المدنية كلّ مَن يقيم علاقات جنسيّة منافية للنبل والطبيعة. أمّا الغذاء فيمكننا أن نحصل عليه من الأرض فقط، ومشرّعنا ليس له عمل بقوانين مالكي البواخر، والتجّار، وتجّار التجزئة، وأصحاب الفنادق، ومحصّلي الضرائب، والمناجم، وقارضي المال، والفوائد المركّبة، والأشياء الأخرى التي لا تحصى، بل إنّه سيسنّ قانوناً للمزارعين والرعاة والنحّالين، وستُقسَّم الأرض، كما قلنا، تقسيماً عادلاً بين المواطنين، وستفصل محاكم العدل بشأن أيّ خلاف ينشأ بينهم، وسيُعاقب مَن لا يطيع الناموس الذي ينظم العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان. ولأنّ الماء هو العنصر الأهمّ في حياة الإنسان من حيث التغذية لذلك يجب أن تتمّ حمياته بالقانون كذلك. وسيُعاقب الذي يلوّثه أو يسرقه. وسنسنّ قانوناً خاصّاً بالصنّاع المهرة، وكما قلنا في الماضي، فإنّ كلّ شخص منهم سيقوم بعمله المحدَّد الخاصّ ويبرع فيه، ولن يقوم بعدة أعمال في وقت واحد، وهذا هو العدل الحقّ.

محاورة النواميس

الكتاب الثامن

الأثيني الغريب: ينبغي علينا في المرحلة التالية، وبمساعدة وسيط الوحي في معبد دلفي، أن نقيم أعياداً ونسنّ نواميس بشأنها، وأن نقرّر أيّة تضحيات ستكون لخير المدينة، ولأيِّ آلهة سيتمُّ تقديمها. لكنّ أوان تقديمها، وكيفيّة ذلك، فذلك يمكن أن ننظّمه نحن جزئياً.

كلينياس: تعني الأعداد ـ نعم؟

الأثيني: يجب علينا إذن أن نحدِّد العدد قبل أي شيء؛ ولندع العدد كلّه يكون ٣٦٥ ◁، واحداً لكلّ يوم. وهكذا فإنّ مشرّعاً واحداً على الأقلّ سوف يضحّي يومياً لإله ما أو لنصف إله بالنيابة عن المدينة كلّها، وعن المواطنين وممتلكاتهم. ولسوف يجتمع المفسّرون والكهنة والكاهنات والأنبياء، ولسوف يقيمون هذه الأشياء التي أسقطها المشرّع ضرورة بموافقة حماة الناموس. ويمكّنني أن أعلّق على هذا وهو أنّهم هم تحديداً الأشخاص الذين يجب عليهم أن يدوّنوا ما قد أُسقط(٥٧)، سيقول الناموس إن هناك اثني عشر عيداً دينيّاً مخصّصة للآلهة الإثني عشر الذين دُعيت القبائل المتعدّدة بأسماء على غرار أسمائهم. وكلّ واحدة من هذه القبائل سوف يضحي أفرادها كلّ شهر، وسيعيّنون جوقات موسيقيّة، وكذلك مسابقات للموسيقى والألعاب الرياضية المخصّصة لتلائم الآلهة وفصول السنة. وسيكون لديهم أعياد للنساء ومنها ما ينبغي أن يُفصل عن احتفالات الرجال، وما لا يجب فصله. وأبعد من ذلك، فهم لن يشوّشوا أو يخلطوا بين الآلهة الشيطانيّة وطقوسها وبين الآلهة التي تدعى سماويّة وطقوسها، بل إنّهم سوف يفصّلونها، مانحين

لبلوتو ما يخصّه في اثني عشر شهراً، من أعيادٍ مقدّسة له طبقاً للناموس. على الرجال الحربيّين أن لا يضمروا كراهية لإله كهذا، بل عليهم أن يكرموه وكأنه دائماً الصديق الأفضل للإنسان. إنّ ارتباط الروح والجسم ليس أفضل من حلّهما بأيّة طريقة، كما أنّي جاهز لتأكيد ذلك بشكل جديّ تماماً. أكثر من ذلك، فإنّ أولئك الذين ينظّمون قضايا كهذه بشكل صحيح، يجب عليهم أن يعتبروا أنّ مدينتنا ليس لها صنوٌ بين المدن الموجودة، لا من حيث احترام وقت الفراغ ولا من حيث إنجاز ضرورات الحياة، وأنّها مثل الفرد ينبغي أن تحيا حياة سعيدة. وألئك الذين سيحيون بسعادة عليهم أن لا يؤذي بعضهم بعضاً، ولا ينبغي أن يؤذيهم الآخرون. وإن الحصول على الشرط الأوّل ليس شيئاً صعباً، لكن هناك صعوبة كبيرة في ردّ الأذى عنهم، إذ لا إنسان يمكنه أن يكون بمأمن من الاعتداء، إلاّ إذا أصبح خيّراً بالكمال. والمدن تشبه الأفراد في هذا، لأنّ المدينة إذا كانت مدينة خيّرة تحيا بسلام، أما إذا كانت شرّيرة فتحيا حياة حرب في الداخل والخارج. لذلك يجب على المواطنين أن يمارسوا الحرب، ليس زمن الحرب، بل عندما يعيشون زمن السلم على الأصحّ. إنّ أيّة مدينة مُدرِكة ينبغي أن تنزل إلى ميدان المعركة يوماً واحداً في الشهر على الأقلّ، ولأكثر من ذلك إذا تصوّر مَنْ بيديهم زمام الأمر أنّ ذلك مناسب. وعلى المدينة أن لا تهتمّ ببرد الشتاء وقيظ الصيف عندما تقوم بذلك. وعلى سكانها أن يخرجوا بشكل جماعيّ، بما في ذلك زوجاتهم وأطفالهم، عندما يقرّر القيّمون عليها قيادة الشعب كلّه، أو أن يخرجوا في جماعات منفصلة حينما يدعونهم. وعليهم أن يجهّزوا دائماً ليتمموا إيجاد ألعاب وولائم وتضحيات، وعليهم أن يقوموا بسلسلة من المباريات العسكريّة مقلّدين فيها بشكل حيّ قدر الإمكان، الأسلوب المتّبع في المعارك الحقيقيّة. وعليهم أن يوزّعوا جوائز النصر والشجاعة على المتبارين،

مع لوم البعض ومدح البعض الآخر طبقاً للأساليب المتّبعة في المباريات وفي حياتهم كلّها. يجب تمجيد الأفضل ولوم من يعاكس ذلك. على الشعراء أن يحتفلوا بالمنتصرين، ليس جميع الشعراء بل الشاعر الذي لا يقل عمره عن خمسين سنة في المقام الأوّل. ولا يَجب أن يكون شاعراً من لم يقم بعمل نبيل أو شهير في حياته رغم الهبات الموسيقية والشاعريّة التي يتمتع بها. بل إنّ الشعراء الذين ينبغي أن يفعلوا ذلك هم الأخيار والأشراف أيضاً في الدولة، ومبدعو الأعمال النبيلة. لندع أغاني هؤلاء تشنّف الآذان، حتى لو لم تكن أغاني موسيقية جدّاً. ولندع الحكم عليها يستقّر مع مثقّف الشباب ومع بقيّة حماة الناموس، وهم الذين سيمنحونهم هذا الامتياز، وحينها سيكون هؤلاء الشعراء أحراراً في الغناء. لكنّ بقية الناس لن يكون لديهم هذه الحرية. ولن يجرؤ أحد على أن يغني الأغنية التي لم يتمّ التصديق عليها بحكم حماة النواميس، حتى لو كان لحنها أعذب من أغاني ثاميراس وأورفيوس، بل ينبغي أن يغني فقط تلك القصائد التي حُكِم بأنها مقدّسة ومخصّصة للآلهة، والتي أبدعها الرجال الأخيار والتي نالت الثناء أو اللوم، والتي اعتُبرت أنّها تؤدي هدفها بشكل عادل.

إنّ التنظيمات بشأن الحرب وبشأن حريّة الكلام في الشعر يجب أن تنطبق على الرجال والنساء بشكل متساوٍ. ينبغي على المشرّع أن يتّخذ قراراً ويناقش المسألة في ذهنه. إنّه سيسأل مَن هم مواطنيّ الذين نُظِّمت المدينة من أجلهم؟ أليسوا المتنافسين في أعظم المباريات(٥٨)؟ أوليس لديهم عدد لا يحصى من المنافسين؟ لتكن متأكداً، سيكون هذا هو الجواب الطبيعي. حسناً، لكنّنا إذا درّبنا ملاكمين، أو مصارعين، أو أيّ نوع آخر من الرياضيين فلا ينبغي أن يتقابلوا إلاّ عندما تحين ساعة المبارَزة. أوَلاً يجب أن لا نفعل شيئاً كي نعدَّ أنفسنا بممارسة التمارين الرياضية يوميّاً وبشكل سابق؟ إذا كنّا

ملاكمين فعلينا أن نتعلّم كيفية المصارعة لعدّة أيّام قبل أن ننازل خصمنا بكلّ تأكيد، وعلينا أن ندرّب أنفسنا على طريقة توجيه كلّ تلك الضربات إلى خصمنا وردّ ضرباته ساعة الصراع. ولكي نتمكنّ من تأديه ذلك بجودة والاقتراب من واقع ما نحن عازمون عليه قدر الإمكان، يلزم أن نلبس في أيدينا قفازات الملاكمة بدلاً من استخدام الأحزمة، وذلك لنتمكّن من توجيه الضربات وصدّها عن طريق التمرين عليها إلى أقصى ما في قوّتنا. وإذا كان هناك نقص في عدد المتصارعين، فإنّ سخرية الأغبياء لن تردعنا من صنم لاحياة له وممارسة ضربات ملاكمتنا عليه. أو إذا لم يكن عندنا أيّ خصم على الإطلاق، حيّ أوْ لا، أفلا يجب أن نستغل قلّة الأعداء للمناوشة فيما بيننا؟ وفي أيّ أسلوب آخر نستطيع أن ندرس أبداً فنّ الدفاع عن النفس؟

كلينياس: إنّ الطريقة التي تذكرها، أيّها الغريب، ستكون الطريقة الوحيدة فقط.

الأثيني: وهل سيكون مقاتلو مدينتنا، الذين كتب عليهم عندما تدعوهم الفرصة، أن يدخلوا في أعظم المباريات كلّها، وأن يحاربوا من أجل حيواتهم وحيوات أطفالهم وممتلكاتهم، ومن أجل المدينة كلّها، هل سيكون هؤلاء المقاتلون أسوأ تجهيزاً من الملاكمين؟ وهل سيمتنع المشرّع عن أمرهم بالذهاب والقتال، لأنّه يكون خائفاً من أنّ تمارينهم مع بعضهم البعض يمكن أن تبدو مضحكة للبعض؟ أو لن يصدر أمراً لقيام الجند بتأدية تمارين أقلّ وبدون أسلحة كلّ يوم، جاعلاً الرقص وكلّ الألعاب الرياضية تميل نحو هذه الغاية؟ أو لن يحتاج هو أيضاً لمزاولتهم بعض التمارين الرياضيّة، الكثيرة منها والقليلة، كلّ شهر على الأقلّ، وكذلك قيامهم ببعض المباريات مع الآخرين في كلّ جزء من أجزاء البلاد، مستولين على المواقع ومقيمين الكمائن ومقلّدين الحرب الحقيقيّة بكل أشكالها؟ وكذلك عليهم أن يحاربوا بقفازات الملاكمة ورشق الرماح مستخدمين أسلحة خطرة إلى حدٍ ما ومشابهة للأسلحة الحقيقيّة قدر

الإمكان، لئلا تخلو الرياضة كليّة من الخوف. بل يمكنهم أن يتعرّضوا للرعب أثناءها وأن يمتاز الشجاع من الجبان، ولكي يتمكنّ ذلك التكريم والعار اللذين خُصِّصا لهم على التوالي أن يهيّئا المدينة كلّها لنزال الحياة الحقيقيّ؟ إذا توفّي أحدهم في هذه المباريات المتّسمة بالتقليد والمحاكاة، فإنّ المقاتل لا يكون قاتلاً بالحقيقة باختياره، وسوف نجعل القاتل هذا يتطهّر من سفك الدم عند تطهيره طبقاً للناموس، آخذين بعين الاعتبار أنّه إذا توفّى رجال قلائل، فإنّ رجالاً آخرين أخياراً كالذين توفّوا سوف يولدون. لكن إذا مات الخوف، فإنّ المواطنين لن يجدوا أبداً اختياراً للطبائع الأسمى والأدنى حينئذ، ذلك الخوف الذي هو شرٌّ أعظم للدولة ببعد كبير من خسارة القليل من الرجال.

كلينياس: إنّنا لمتّفقون تماماً، أيّها الغريب، على وجوب التشريع بشأن هذه الأشياء، ومتّفقون على أنّ الدولة كلّها ينبغي أن تمارسها.

الأثيني: وما سبب ندرة الرقص والمباريات من هذا النوع في الدول، على الأقلّ ليس لأيّ مدى جدير بأن يُحكى عنها؟ هل هذا ناشىء عن جهل الجنس البشريّ وجهل مشرّعيه؟

كلينياس: لربّما.

الأثيني: لا بالتأكيد، يا كلينياس، الحلو الطعم، بل هناك سببان إثنان كافيان تماماً لتسبيب النقص.

كلينياس: ما هما؟

الأثيني: أحدهما هو حبّ الثروة، هذا الحب الذي يمتصّ الرجال بشكل كامل ولا يسمح لهم ولو لدقيقة بأن يفكّروا بأي شيء آخر سوى ممتلكاتهم الخاصّة. إنّ روح كلّ مواطن تتشبّث بحبّ الغنى ولا تستطيع أن تنكبّ على أيّ شيء سوى ربحها اليوميّ. إنّ الجنس البشريّ جاهز ليتعلّم أيّ فرع من فروع المعرفة، وأن يزاول ما يراه مناسباً لهذه الغاية. والجنس البشري يضحك

أفراده بعضهم على بعض. إنّ هذا الشيء سببٌ واحدٌ من أجله لن تكون المدينة جديّة بشأن مباريات كهذه، أو بشأن أي تعقب آخر صالح ومشرف، بل إن كلّ رجل نتيجة نهمه للذهب والفضة سوف ينزل إلى أيّ مستوى من الفن، على نحو لائق أو غير لائق، على أمل أن يصبح غنياً وهو لن يعارض القيام بأيّ عمل، مقدّس أو غير مقدّس وحتى إذا كان عملاً منحطّاً بشكل مطلق، إذا كان مثل الوحش المفترس لديه قوّة الأكل والشرب من كلّ نوع ولكلّ الأشياء، ويحصل على كلّ شيء لنفسه بأيّ طريقة لإشباع شهواته.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: هذا السبب إذن يجب أن يعتبر أحد الأسباب التي تمنع الدول من ملاحقة فنّ الحرب بأسلوب كافٍ، أو من ملاحقة أيّ هدف نبيل آخر. وهذا ما يجعل الجزء النظاميّ والمعتدل للجنس البشريّ يتحوّل إلى جزء تجاريّ، وإلى قادة للبواخر وخدم، وبعكس النوع الباسل إلى لصوص وقطّاع طرق وإلى سارقي هياكل، وإلى أشخاص عنيفين ومستبدّين. إنّ العديد من هؤلاء ليس لديهم القدرة على التغيير لكنّهم تعساء(٥٩).

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: ألا ينبغي أن يكون هؤلاء تعساء بحقّ ما دامت أرواحهم مجبرة على أن تقاسي الحياة جائعةً مشتهيةً على الدوام؟

كلينياس: إذن فإنّ هذا سببٌ واحد، أيّها الغريب، غير أنّك تحدّثت عن سبب آخر.

الأثيني: شكراً لك على تذكيرك إيّاي.

ميغيلوس: إنّ حبّ الغنى النّهم المستمرّ مدى الحياة، كما قلت، هو سبب أول يمتصّ أفراد الجنس البشريّ ويمنعهم من مزاولة فنون الحرب بحقّ. لقد سلّمنا بذلك، وبعدُ أخبرنا عن السبب الآخر؟

الأثيني: هل تتصوّر أنّني أؤخّر الإفصاح عن هذا لأني مرتبك؟

ميغيلوس: لا، لكنّنا نتصوّر أنّك قاسٍ جدّاً على طبع محبي المال، ويبدو أنّك تكنّ كرهاً فريداً لهم في البحث الحاضر.

الأثيني: إنّ هذا توبيخ عادل جدّاً، أيّها الغرباء، وسوف أتقدّم الآن إلى السبب الثاني.

كلينياس: واصل.

الأثيني: أقول إنّ الحكومات هي سبب، الحكومة الديموقراطية، الأوليغاركية، الاستبداديّة. هذا فيما يتعلّق بالذي تكلّمت عنه غالباً في البحث السابق. أو على الأصحّ فإنّ تلك الحكومات ليست حكومات، إذ لا أحد منها يمارس حكماً اختيارياً على رعايا اختياريين؛ بل يمكن أن يقال عنها إنّها دول نزاع حكومتها حكومة اختيارية، يطيع رعاياها ما هو ضدّ أرادتهم على الدوام، وينبغي عليهم أن يُجبروا على ذلك. ويخاف الحاكمُ المحكومَ ولن يسمح له، إذا استطاع، لا أن يصبح نبيلاً، ولا غنياً، ولا قوياً ولا شجاعاً، ولا محبّاً للحرب على الإطلاق[٦٠]. إنّ هذين السببين الإثنين هما علل كلّ الشرور أيضاً، وهما علل الشرور بشكل بارز أيضاً. لكن دولتنا تخلّصت منهما كليهما، لأنّ مواطنيها لديهم وقت الفراغ الأكثر، وهم ليسوا تابعين لبعضهم البعض. وما أظن أنّ هذه النواميس ستجعلهم عكس ما هم عليه محبّو المال. يمكن وبشكلٍ معقول، أن يُفترض مجتمع كهذا أنّه المجتمع الوحيد الموجود فقط الذي سيقبل التعلم الذي وصفناه، وأنّه هو الذي سيتبنّى التسليات الحربيّة التي تمّ إكمالها طبقاً لفكرتنا.

كلينياس: حقاً.

الأثيني: تالياً إذن، يجب علينا أن نتذكّر، ما يخصّ كلّ مباريات الألعاب الرياضيّة، وهو أنّ النوع الحربيّ منها يجب أن يُمارس وأن يحوز جوائز النصر. وأمّا

تلك التي ليست تسليات عسكريّة فينبغي التخليّ عنها. إنّ النوع العسكريّ منها من الأفضل أن يوصف وأن يتمّ تركيزه بواسطة الناموس بشكل تامّ. ودعنا نتكلّم بادىء ذي بدء، عن الركض والسرعة.

كلينياس: جيد جداً.

الأثيني: إنّ الميزة الأكثر عسكريّة من كلّ الميزات هي نشاط الجسد العامّ بكلّ تأكيد، سواء إذا كان هذا النشاط متمّماً بالرّجل أو باليد. إننا نحتاج لسرعة العدو لنهرب من عدوّنا أو لإلقاء القبض عليه؛ لكن النزاع بالسلاح الأبيض والقتال يحتاجان للنشاط والقوّة الجسديّة.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: ما من نوعية منها تقدر أن تكسب فعاليتها بدون سلاح.

كلينياس: كيف تستطيع بدونه؟

الأثيني: إذن فإنّ الناطق باسمنا سوف يدعو المتسابق بادىء ذي بدء، في تطابق مع التمرين السائد، وسيظهر مسلّحاً، لأنّنا لن نمنح جائزة للمتنافس غير المسلّح، وسوف يدخل أوّلاً مَنْ سيعدو في وجهة سير مفردة حاملاً السلاح. ثم يدخل مَنْ سيعدو في وجهة سير مضاعفة، ويدخل بعدها مَن سيعدو ممتطياً الحصان، ويدخل الرابع من سيعدو في وجهة سير طويلة. أمّا الخامس فسنرسله قبل الجميع حاملاً الأسلحة الأثقل، وسوف يعدو مسافة ستين ستاديا إلى هيكل مالآريس ومن ثمّ يعود، مرّة ثانية - وسنطلق عليه لقب المحارب الأثيني المدجّج بالسلاح. وهو سيعدو فوق أرض أكثر نعومة. يبقى رامي السهام، وهو سيعدو مسافة مئة ستاديا فوق الجبال بعتاده الكامل، ومن ثمّ يقطع البلاد كلّها إلى أن يصل إلى هيكل أبوللو وأرتيميس. وسيكون هذا الأمر نظام المباريات، ونحن سننتظر كلّ المتسابقين إلى أن يعودوا، وسنمنح جائزة للمنتصر.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: دعنا نفترض أنّ هناك ثلاثة أنواع من المباريات: واحدة للصبيان، وأخرى للشباب الذين لم تنبت لحيتهم بعد، وثالثة للرجال. وسنحدد ثلثي وقت المباراة للشباب، وسنعطي للصبيان نصف المدّة كلّها، وذلك سواء إذا تباروا كرماة للسهام أو كحملةٍ للسلاح الثقيل. أمّا في ما يتعلّق بالنساء، فسندع البنات اللواتي لم يبلُغنَ بعد يتبارين شبه عراةٍ في الملعب المدرَّج وفي المباريات المضاعفة والمسافات الطويلة، وندعهنَّ يتسابقن في السباقات التي تجري على الأرض عينها. أمّا البالغات من العمر ثلاثَ عشرةَ سنة وما فوق وحتى وقت زواجهن، فلسوف يواصلن الاشتراك في المباريات إذا لم تكن أعمارهنَّ قد تجاوزت العشرين، لكنّهنَّ سيُجبرن على العدو حتّى يبلغنَ سنّ الثامنة، وسينزلن إلى ميدان القتال وهن يرتدين الملابس المناسبة. ودع هذه التنظيمات تكون تنظيمات بشأن المباريات في العدو للرجال والنساء على حدّ سواء.

أمّا في ما يتعلّق بالقوّة الجسديّة، وبدلاً من المصارعة والمباريات بالسلاح الأثقل، فإنّنا سنقيم صراعات بالسلاح شخصاً ضدّ شخص، وشخصين ضدّ شخصين، وهكذا إلى أن يتصارع عشرة ضدّ عشرة. أمّا فيما يختصّ بما لا يجب أن يقاسيه إنسان أو يفعله، وإلى أيّ مدى، وذلك ليُحرز النصر فسنبحثه لاحقاً. وكما في المصارعة، فإنّ أسياد الفرّ هذا وضعوا ما هو عادل وما هو غير عادل، هكذا فعلوا في الحرب بالأسلحة. ونحن ينبغي علينا أن ندعو الحكام البارعين الذين سيتولّون حكم المباراة، والذين سيكونون مساعدينا المستشارين في عمل التشريع. وهم يقرّرون مَنْ يستحقّ أن يكون المنتصر في معارك من هذا النوع، وما الذي يُفعل أو سيُفعل له أو لها، وسيقرّرون أيّ قانون يُعرّف مَنْ ينهزم بأسلوب مماثل. وهذه النواميس المحليّة

يجب أن تنطبق على النساء والرجال إلى أن يتزوّجوا. إنّ الملاكمة والمصارعة تحتاجان شيئاً متمّماً لهما في المعركة التي تجري بالسلاح الخفيف، وسيستخدم المتبارون فيهما السهام والدروع الخفيفة والرماح، وسيتبارون برمي الأحجار مستعملين المقلاع والأيدي. وسيُسَنُّ قانون بشأنها وتُعطى الجوائز للأفضل وللذي ينفذ أوامر الناموس.

إنّنا سنشرّع ما يخصّ إقامة مباريات الأحصنة في النظام تالياً. وبعدُ فنحن لا نحتاج إلى أحصنة متعدّدة، لأنّها ليست كبيرة النفع في بلادٍ مثل جزيرة كريت، ومن ثمّ فإنّنا لن نعاني الآلام بسبب تربيتها أو بإقامة سباق لها. وما من شخص واحد بيننا يحتفظ بعربة تجرّها الخيول، وأيّ تنافس في قضايا كهذه سيكون خارج مكانه كليّة. لن يوجد أيّ إدراك أو أيّ ظلٍّ للإدراك في إقامة مباريات لا تكون على غرار نمط البلاد الطبيعيّ. ولهذا السبب فإنّنا نمنح جوائزنا للأحصنة المفردة، نعطيها للمهور التي لم تبدّل أسنانها بعد، نهبها لتلك التي تكون في حالة وسط وللأحصنة الكاملة النموّ. وهكذا فإنّ ألعابنا الفروسيّة ستنسجم مع طبيعة البلاد. وعلى الذين سيشتركون في الصراع والمنافسة أن تكون لديهم هذه القضايا متوافقة مع الناموس. وعلى قادة الفرسان العسكريين أن يقرّروا معاً بشأن كل الطرق التي تخصّ المباريات، وبشأن المتنافسين المسلّحين فيها أيضاً. لكننا ليس لدينا ما نقوله لغير المسلّحين، لا في التمارين الرياضية ولا في هذه المباريات. على الجانب الآخر، فإنّ حَمَلةَ السّهام الكريتيين أو حملة الرماح الذين يحاربون متمنطقين الدروع عل متن خيولهم، إنّ حرب هؤلاء ستكون نافعة، ولهذا السبب يمكننا أيضاً أن نعيّن مبارزة من هذا النوع كواحد من أنواع تسلياتنا. ليس من الواجب إجبار النساء أن يتنافسن لا قانونياً ولا كأوامر لا تقبل الجدل. لكنّهنّ إذا كسبنَ العادة نتيجة تدريب سابق، وكنّ قويات الأجسام بما فيه

الكفاية، وأحببن أن يشتركن في هذه المباريات فَلْيفعلنَ ذلك، بناتٍ وصبياناً على حدّ سواء، ولا أحد يستطيع لومهنّ. وهكذا فإنّ المبارزة في الألعاب الرياضيّة وطريقة التعليم قد تمّ وصفها. ولقد تكلّمنا أيضاً عن مصاعب هذه المباريات وعن التمارين اليوميّة تحت إشراف أسياد هذا الفنّ. لكن في ما يخصّ الرواة المحترفين للقصائد الملحميّة وما شابهها، وفي ما يتعلّق بمباريات الكوارس الموسيقيّة التي ستؤدّي ألعابها أثناء الولائم والأعياد، فإنّ كلّ هذه سيتمّ ترتيبها عندما تكون الشهور والأيّام والسنون معيّنة للآلهة وأنصاف الآلهة، سواء إذا عُيّنت كل ثلاث سنوات، أو كلّ خمس، أو بأيّة طريقة أو أسلوب يمكن للآلهة أن تلهم للرجال طريقة توزيعها وأداء نظامها. وفي الوقت عينه، يمكننا أن نتوقّع أنّ المباريات الموسيقية سيتمّ الاحتفال بها في دورها بأمرٍ من القضاة ومِن مرشد التعليم وحماة الناموس عندما يجتمعون معاً لهذا الغرض، وعندما يصبحون مشرّعي زمان وطبيعة وحالات المباريات الموسيقية والرقص بشكل عام. وما يجب أن يكون إفرادياً في اللّغة والأغنية، وفي مزج الإيقاع بالوزن الشعريّ والرقص، قد أعلنه المشرّع الأصليّ غالباً، وينبغي على خلفائه أن يتّبعوه جاعلين الألعاب والتضحيات تتلاءم في الوقت المناسب كما ينبغي، ويلزمهم أن يعيّنوا وقت الاحتفالات العامّة كذلك. ولن يكون من الصعب تحديد نظام متكامل لهذه الاشياء والقضايا ولن يسبّب تغييرها أيّ خير عظيم أو أي أذىً للدولة. هناك قضيّة أخرى ذات أهميّة وصعوبة، على كلّ حال، وهي تختصّ بالإله الذي سيسنّ النواميس، إذا كانت هناك إمكانيّة منه للحصول على أمرٍ بشأنها. لكن لو أخذنا بعين الاعتبار أنّ المساعدة الإلهيّة من الصعب إمتلاكها، فيبدو أنّ الحاجة ماسة لرجل شجاع يمجّد بساطة الكلام بشكل خاصّ، ويقول بغير تحفّظ ما هو الأفضل للمدينة وللمواطنين. إنّه سيأمر بما يكون صالحاً ومناسباً للدولة كلّها

وسط فساد الأرواح الإنسانيّة، وهو سيعارض ويضادّ الشهوات الأشدّ عتوّاً، لأنّه بدون مساعد بل هو الواقف وحده في الميدان والمهتدي بعقله فقط.

كلينياس: ما الذي تقوله، أيّها الغريب؟ إنّنا لا نفهم معناك حتى الآن.

الأثيني: محتمل جدّاً، إنّي سأجهد لأوضح ما أقول بشكل أكثر جلاء. عندما وصلت إلى موضوع التعليم، رأيت الشبان والصبايا يقيمون علاقات صداقة مع بعضهم بعضاً. وهناك نشأ في فكري نوع من الإدراك بشكل طبيعيّ - لم أستطع إلاّ أن أفكّر كيف ينبغي على الشخص أن يتعامل مع مدينة تربّي شبابها وشاباتها تربية جيّدة، وليس لديهم أيّ شيء يفعلونه، ولا يجتازون اختبار المشقّات الزائدة والمذلّة التي تخمد الإسراف والعبث، في الذين يكون همهّم الوحيد أثناء حياتهم كلّها هو التضحيات والأعياد والرقص. كيف سيمتنعون في دولة كهذه عن الرغبات التي تقحم العديد من الرجال والنساء في الهلاك الروحي الأبديّ؟ ومَنْ غير العقل يأمرهم بالامتناع عنها، مدّعين أنّها أعمال الناموس؟ إنّ النواميس المحليّة التي سُنَّت بشكل مسبق يمكنها أن تحصل على الأفضل من هذه الرغبات. ومنع الغنى المفرط هو ربح جدير بالاعتبار جدّاً باتجاه الاعتدال. ويفرض تعليم شبابنا بمجمله قانون الاعتدال عليهم. وأكثر من ذلك، فإنّ عين الحكّام ضرورية لمراقبة الشباب على الدوام، وأن لا تغفل عنهم على الإطلاق. إنّ هذه التدابير الاحتياطية تمارس تأثيراً منتظماً على الرغبات بشكل عامّ، بقدر ما تستطيع الوسائل الإنسانيّة التأثير على أيّ شيء. لكن كيف نقدر أن نتّخذ احتياطات ضدّ الحبّ غير الطبيعيّ للفتيان والفتيات، ولإنحرافات الذكور والإناث جنسياً، تلك الانحرافات التي كان لها تأثير غير محدود على الأفراد والمدن؟ كيف سنستنبط علاجاً وطريقة لإبعاد خطر عظيم كهذا؟ هناك صعوبة بحقّ، يا كلينياس. إنّ كريت ولاقيدايمونيا يساعدان بشكل كبير بطرائق متعدّدة

أولئك الذين يسنّون قوانين غريبة. لكن في قضايا الحبّ، وبما أنّنا نقف وحيدين، يجب أن أعترف بأنّهما ضدّنا تماماً. إذ لو كان على أيّ شخص يتبع الطبيعة أن يسنّ ناموساً وُجد قبل أيام لايوس (٦١)، معلناً أنّه ليس من الصحيح أن يلعب الذّكر دور المرأة في عملية الجماع، وموردا كبرهان على ذلك غريزة الحيوانات، إذ بين الحيوانات لا ينبغي على الذكر أن يعاشر الذكر بهذه الطريقة لأنها طريقة غير طبيعية، أقول، إنّه إذا سنّ شخص هذا القانون، فيمكنه أن يبرهن قصده، لكنّه سيكون على خلاف مع عرف وعادة دولتيكما. وأبعد من ذلك، فإنّه شيء كريه بالنسبة للمبدأ الذي نقول عنه إنّ على المشرّع أن يراقبه على الدوام. ونحن نحقّق بشكل دائم أيُّ نواميسنا يميل إلى الفضيلة وأيّها لا يفعل ذلك. وافترض أنّنا نمنح أنّ عمليات الحبّ هذه تعتبر عمليات شريفة قانوناً، أو أنّها عمليات غير مخزية على الأقلّ. ففي أيّة درجة سوف تسهم هذه العمليات في الفضيلة؟ هل ستغرس هذه الشهوات في روح المضلَّل عادة الشجاعة، أو مبدأ الاعتدال في روح المضلِّل؟ ومن سيصدّق هذا القول؟ أو بالأحرى، من الذي لا يلوم تخنّث مَنْ لا يذعن للملذّات ويكون غير قادر على أن يصمد بوجهها؟ ألن يلوم الرجال كلّهم مَنْ يقلّد المرأة كأنّه أنثويّ؟ ومن يقدر أن يفكّر بتركيز ممارسة كهذه قانونيّاً؟ بالتأكيد لا أحد سيفعل ذلك ممّن يعون الناموس الحقيقيّ. كيف يمكننا أن نبرهن أنّ ما أقوله هو القول الحقّ؟ إنّ مَن سيعتبر هذه القضايا وبشكل صحيح، يجب أن يرى طبيعة الصداقة والرغبة، وهذه التي تُدعى محبّة، فهما طبيعتان من نوعين اثنين. وينشأ من هذين النوعين نوع ثالث، له الإسم عينه. وهذا التشابه في الاسم يسبّب كلّ الصعوبة والغموض.

كلينياس: كيف يكون ذلك؟

الأثيني: يكون الشبيه عزيزاً على شبيهه في الفضيلة وكذلك المتساوي على المتساوي، ومَن لديه وفرة عزيز على من ليس لديه ذلك، برغم أنّه لا يشبهه. وعندما تصبح أيٌّ من هاتين الصداقتين صداقة مفرطة، فنحن نسمّيها حبّاً مفرطاً.

كلينياس: حقيقيٌّ جدّاً.

الأثيني: إنّ الصداقة التي تنشأ من المتضادّات هي صداقة مرعبة وفظّة، وليس لديها رباط وثيق في الغالب. لكنّ تلك الصداقة التي تنشأ من المتشابهات هي صداقة لطيفة ولديها رباط وثيق ووحدوي يدوم ما دامت الحياة. وفيما يتعلّق بالنوع المختلط الذي صُنع منهما كليهما، فهناك صعوبة في تقرير ماذا يرغب مَنْ يمتلك هذا النوع من أنواع الحبّ، بادىء ذي بدء. بالإضافة إلى ذلك، إنّ مَنْ يتوجّه توجّهات مختلفة، ولديه شكٌّ بين المبدأين الاثنين، فالمبدأ الأوّل يحضّه على أن يتمتّع بجمال الشباب، ويمنعه المبدأ الثاني من فعل ذلك. إنّ الشخص الأوّل محبٌّ للجسد، ويشتهي الجمال، وهو مثل الفاكهة الناضجة، سيُسر بإرضاء نفسه بدون أيّ اعتبار لأخلاق المحبوب. أمّا الشخص الآخر فإنّه يكبح جماح الرغبات الجسديّة ويعتبرها رغبات ثانويّة وقضيّة غير مهمّة، وعلى الأصحّ فهو يفتش ويتحرّى بدلاً من أن يحبّ، وبما أنّ روحه ترغب روح الآخر بحقّ، فهو يعتبر أن إشباع الحبّ الجسديّ حبّ خليع(٦٢). إنّه يبجل ويحترم الاعتدال والشجاعة والشهامة والحكمة، ويرغب في أن يحيا بعفاف وطهارة مع احتشام هدف عاطفته. وبعدُ فإنّ نوع الحبّ الذي صنع من الاثنين الآخرين هو ذلك النوع الذي وصفناه بأنه النوع الثالث. وإذا اعتبرنا أن هناك هذه الأنواع الثلاثة من أنواع الحبّ، فهل ينبغي أن يحرّمها الناموس كلها ويمنع وجودها بيننا؟ أليس واضحاً على الأصحّ أنّ من واجبنا أن نرغب الحبّ الفاضل، والذي يرغب المحبوب أن يمتاز به؟ أوَلا يلزمنا أن

نمنع وجود النوعين الباقيين إذا أمكن؟ فماذا تقول، أيّها الصديق ميغيلوس؟
ميغيلوس: أعتقد أنّك محقّ تماماً في ما قلته، أيّها الغريب، الآن.
الأثيني: أعرف جيّداً، يا صديقي، أنّه ينبغي عليّ أن أحظى بموافقتك، تلك الموافقة التي أتقبّلها، ولذلك ليس لديَّ حاجة لأحلّل عادتك وعرفك في بلدك أبعد من ذلك. إنّ كلينياس سوف يقتنع بمنحى موافقته في وقت آخر، ونكتفي بهذا، لنتقدم للبحث في النواميس.
ميغيلوس: جيّد جدّاً.
الأثيني: إنّني أرى طريقة لفرض الناموس عند التأمّل مليّاً، الناموس الذي يكون فرضه سهلاً في وجهة نظر ما، لكنّه صعب في وجهة نظر أخرى.
ميغيلوس: ماذا تعني؟
الأثيني: إنّنا جميعاً ندرك أنّه حتّى الرجال الأكثر عدداً في الوقت الحاضر، برغم طبائعهم الفوضويّة، متحفظون جداً بشكل صارم ودقيق عن الجماع مع الجميل. وهذا ليس عكس إرادتهم على الإطلاق، بل بإرادتهم بشكل كامل.
ميغيلوس: أيّ الحالات تعني؟
الأثيني: عندما يكون لدى أيّ شخص أخٌ جميل أو أخت جميلة، ويطبق الناموس عينه بشأن الإبن أو البنت، وهذا الناموس هو الوقاية الأكمل، إلى حدّ أنّ العلاقة الجنسيّة السّريّة أو المفتوحة لا تأخذ مكاناً بينهما أبداً، ولا تدخل فكرة كهذه في عقول أكثريتهم على الإطلاق أبداً.
ميغيلوس: حقيقيّ تماماً.
الأثيني: أوَلا تبطل كلمة صغيرة كلّ ملذات ذلك النوع؟
ميغيلوس: أيّة كلمة؟
الأثيني: الإعلان عن أنّها ملذّات عاقّة، يكرهها الله، وهي الأكثر جلباً لسوء السمعة. أوليس سبب هذا أن لا أحد قال العكس على الإطلاق، بل كلّ

شخص سمع الرجال يتكلّمون منذ طفولته المبكرة، يتكلّمون بشأنها بالطريقة عينها دائماً وفي كلّ مكان، سواء كان ذلك في الملهاة أو في لغة المأساة الأكثر رزانة؟ وعندما يقدّم الشاعر ثياستوس أو أوديب على المسرح، أو يقدّم ماكريوس مقيماً علاقة جنسيّة مع أخته، فإنّه يقدّمه، عند اكتشاف فعلته، جاهزاً لقتل نفسه كعقاب لخطيئته.

ميغيلوس: إنّك لمحقّ جدّاً في إيراد هذا العرف ذي القوة الرائعة، إن لم يغيّر عليه أبداً نَفَسٌ من أنفاس المضادّة.

الأثيني: أولست محقّاً أيضاً في القول، إنّ المشرّع الذي يريد أن يسيطر على أيّة شهوة من الشهوات التي تتغلّب على الرجال، يمكنه أن يعرف بسهولة كيف يستطيع قهرها؟ إنّه سيكرّس العرف لأخلاقهم السيّئة بين الجميع، العبيد منهم والأحرار، الرجال والأطفال، إنّه سيكرّسها في المدينة طولاً وعرضاً. تلك ستكون القاعدة الأكيدة التي يستطيع الناموس أن يرسيها.

ميغيلوس: نعم، لكن ألن ينجح هو أبداً في جعل الجنس البشريّ يستخدم اللغة عينها بشأنها؟

الأثيني: إنّ اعتراضك جيّد، لكن ألم أقل لتوّي إنّ لديّ طريقة لجعل الرجال يستخدمون الحبّ الطبيعيّ ويمتنعون عن ممارسة الحبّ خلافاً للطبيعة لئلاّ يدمّروا عمداً بذور التكاثر الإنسانيّ، أو يزرعونها في أماكن صخرية لا تتجذّر فيها. وسوف آمرهم بالامتناع أيضاً عن الزرع في أيّ حقل أنثوي تكاثري لا يرغب الشخص أن ينمو فيه ما تمّ زرعه. وبعدُ إذا تمَّ جعل الناموس دائماً إلى هذا الحدّ، وكسب سلطة كتلك التي تمنع العلاقة الجنسيّة بين الآباء والأطفال، إنّ ناموساً كهذا الذي يمتد إلى الرغبات الحسيّة الأخرى والذي يقهرها، سيكون مصدر عشرة آلاف نعمةٍ إلهية. إنّ الاعتدال معناه توظيف الطبيعة لخير الإنسان، في المقام الأوّل، ويمنع الرجال من ممارسة كلّ

حبّ جنونيّ ومخبّل، ومن كلّ زنىً ونهم في استخدام اللحم والشراب، ويجعلهم أصدقاء أخياراً لزوجاتهم. ستُنتج المنافع العديدة الأخرى التي لا تحصى إذا أمكن فرض ناموس كهذا. إنّي أستطيع أن أتصوّر شهوة شابٍّ واقفٍ في مكان قريب، يعلن عند سماعه هذا الأمر، يعلن في اصطلاحات بذيئة أنّنا نسنّ نواميس غبيّة ومستحيلة، ويملأ الدنيا صياحاً وصراخاً. ولهذا السبب أقول إنّني أعرف طريقة لسنّ ناموس وجعله أبديّاً. إنّه سهلٌ من ناحية، لكنّه الأكثر صعوبة من ناحية أخرى. ما من صعوبة في رؤية أنّ ناموساً كهذا ممكن، ورؤية الطريقة التي تتيح تحقيقه. لقد قلت إنّ الناموس هذا إذا كُرّس لمرّة فلسوف يسيطر على روح كلّ إنسان، ولسوف يرهبه ويقوده إلى الطاعة. لكنّ المسائل الآن قد وصلت إلى حدّ يبدو معه وكأن النتائج المرغوبة حينئذ لا يمكن نيلها، تماماً مثلما تُعتبر استمراريّة الدولة كلّها في ممارسة إقامة المآدب العامّة شيئاً مستحيلاً. وبرغم أنّ المآدب العامّة لا تحظى بموافقتكم جزئياً لعدم وجودها بينكم، لكنّها لا تزال تُعتبر للنساء حتّى في مدنكم كأنّها غير طبيعيّة ومستحيلة. لقد فكّرت بتمرّد القلب الإنساني عندما قلت إنّ الإرساء الثابت لهذه الأشياء بواسطة الناموس هو أمر صعب جدّاً.

ميغيلوس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: هل سأحاول أن أجد نوعاً من أنواع المحاورة المقنعة التي ستبرهن لك أنّ سنّ قوانين كهذه ممكن وليست ممّا يتعدّى الطبيعة الإنسانيّة؟

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: هل المرجّح أن يمتنع الإنسان عن ملذّات الحبّ وأن يفعل ما أُمر بشأنها، وذلك عندما يكون جسمه في حالة جيّدة، أو عندما يكون في حالة سيّئة وعديمة التدريب.

كلينياس: إنّه سيكون أكثر اعتدالاً عندما يكون مدرَّباً.

الأثيني: أوَلم نسمع عن ايكوس من تارانتوم الذي من حماسته لفنّه في الألعاب الأولومبية الأخرى، ولأنّه كان ذا نزعة رجوليّة ومعتدلة أيضاً، ألم نسمع أنّه لم يقم بأيّ اتّصال جنسيّ مع امرأة أو شاب خلال فترة تدريبه كلّها؟ وقيل الشيء عينه عن كروسون من استيلوس وعن ديوبمبوس وعن أشخاص عديدين آخرين. ومع ذلك، يا كلينياس، فإنّ هؤلاء الرجال كانوا أسوأ تعليماً في أفكارهم ممّا كان عليه مواطنو بلدك ومواطنو بلدي، وكانوا أكثر شهوانيّة في أجسادهم أيضاً.

كلينياس: لا شكّ أنّ هذه الحقيقة قد تمّ تأكيدها بشكل يقينيّ غالباً، وذلك بواسطة هؤلاء الرياضيين القدامى الذين اشتركوا في الألعاب الرياضية.

الأثيني: وهل كانت لهم الشجاعة للإمتناع عمّا اعتُبر لذّة بشكل اعتياديّ، وذلك من أجل الانتصار في المصارعة، في العدو وما شابه؟ وهل سيكون شبابنا غير قادرين على جَلَدٍ مماثل من أجل الانتصار الأنبل، الانتصار الأنبل والأسمى من كلّ الانتصارات؟ ونحن سنخبر شبابنا منذ نشأتهم فصاعداً قصصاً وأحاديث وأغاني على أمل أن نفتنهم بها ليصدقوا ما نقوله.

كلينياس: عن أيّة انتصارات تتكلّم أنت؟

الأثيني: أتكلّم عن الانتصار على اللذّة، التي إذا انتصروا عليها فسيعيشون بسعادة، لكنّهم إذا أخضعتهم فسيحيون بشقاء. وأبعد من ذلك، لا يمكننا أن نفترض أنّ خوف العقوق سوف يجعلهم قادرين على أن يقهروا ويسيطروا على ذلك الذي قهرَ الأدنى منهم كرامة وسيطر عليه.

كلينياس: أجرؤ على قول ذلك.

الأثيني: وبما أنّنا وصلنا إلى هذه النقطة الرئيسيّة في تشريعنا، وبما أنّنا وقعنا في صعوبة بسبب رذائل الجنس البشريّ، فإنّي أؤكّد أن ناموسنا سيمتدّ إلى

التعابير التالية: يجب على مواطنينا أن لا ينحدروا إلى ما دون مستوى طبيعة الطيور والبهائم بشكل عامّ، والتي ولّدت بتكاثر كبير، ومع ذلك فهي تبقى عذراء وغير متزوجة حتى سنّ الولادة والإنجاب. لكنّها عندما تصل إلى الوقت المناسب في الحياة فإنّها تقترن، ذكورها وإناثها، وترتبط معاً بحبّ وتعيش بقية عمرها بقداسة وبراءة، ملتزمة باتفاقها الأصليّ بشكل ثابت. بالتأكيد، سنقول لمواطنينا، يجب عليكم أن تكونوا أفضل من الحيوانات بكثير. لكن إذا أفسدهم الهيلينيون الآخرون أو ممارسة البربر الشائعة ورأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم عمّا يسمّى بالحبّ الحرّ سائداً بينهم في كلّ مكان وهم غير قادرين على الحصول على الأفضل من الإغراء والغواية، فإنّ حماة الناموس، الممارسين لمهن المشرعين سوف يستنبطون ناموساً ثانياً ضدّهم.

كلينياس: وأيّ ناموس ستنصحهم بإقراره إذا أخفق هذا الناموس؟

الأثيني: إنّه الناموس الذي سيلي بالطبيعة، يا كلينياس، وبكلّ وضوح.

كلينياس: وما هو ذلك؟

الأثيني: إنّ مواطنينا لا يجب أن يسمحوا أن تقوى الملذات عن طريق الانغماس فيها، بل ينبغي عليهم أن يحولوا غذاءها ووفرتها بالكدح النشط إلى أجزاء الجسد الأخرى. وسوف يحدث هذا إذا لم يُسمح للوقاحة بمزاولة الحبّ حينئذ فإنّهم سيستحون من ممارسة الجماع المتكرّر الحدوث وسيجدون أن اللذّة سيّدة مَهيبة بشكل أقل، إذا تمتّعوا بها نادراً. ولا ينبغي أن يُكتَشَفوا وهم يمارسون أيّ شيء من هذا النوع. إنّ الكتمان سيكون عملاً شريفاً، وسيقرّ بالعادة ويُسَنُّ ناموساً بالقاعدة المكتوبة. وعلى الجانب الآخر، فلسوف يُعتبر شائناً أن يُكتشف إنسان يرتكب هذا العمل، لكن ليس كي يمتنع عنه بالشكل الكامل. وسيكون هذا مقياساً ثانياً شرعيّاً للشريف والمخزي بهذه الطريقة، ومتضّمناً فكرة ثانية للحقّ. إنّ ثلاثة مبادىء ستشمل كلّ تلك

الطبائع الفاسدة التي نسمّيها طبائع أدنى من نفسها، والتي ليست إلاّ نوعاً واحداً، وهذه المبادىء الثلاثة ستجبرهم على أن لا يخالفوا النواميس.

كلينياس: ما هي هذه المبادىء الثلاثة؟

الأثيني: إنّها مبدأ التقوى، مبدأ حبّ الشرف، ومبدأ رغبة الجمال، ليس في الجسم بل في الروح. ربما هناك تطلّعات مشبوبة بالعاطفة، لكنّها هي التطلّعات الأنبل، إذا ما أمكن تحقيقها في الدول كلّها. والله المريد، يُمَكِّنُنا أن نضع موضع التنفيذ واحداً من شيئين في قضيّة الحبّ. فإمّا أن أحداً لن يجازف بمسّ أي شيء حرّ الولادة أو نبيل الطبقة باستثناء زوجته التي له، أو أن يزرع البذرة غير المكرّسة وغير الشرعية بين البغايا، أو في شهوات عقيمة وغير طبيعيّة، أو على الأقلّ، يمكننا أن نقضي كليّاً على اللواط. أمّا في ما يتعلّق بالنساء، إذا كان لدى أيّ رجل علاقة مع أيّهنّ غير اللواتي يأتين إلى بيته متزوّجات بطقوس دينيّة مكرّسة، سواء إذا اشترِينَ أو اكتُسِبنَ بأيّة طريقة أخرى، وهو يأثم ضدّهنّ علناً في مواجهة الجنس البشري كلّه، حينئذ فإنّنا سنكون محقين في سنّ ناموس لتجريده من امتيازاته وحقوقه المدنيّة واعتباره غريباً كما لو كان كذلك حقاً. هذا الناموس إذن، سواء أوجب أن يكون واحداً، أو اثنين، يجب أن يُسَنَّ في ما يخصّ الحبّ بشكل عامّ، وكذلك في ما يخصّ العلاقات الجنسيّة بين الجنسين التي تنشأ من الرغبات، سواء إذا أُطلق لهذه الرغبات العنان بشكل خاطىء أو تمّ تقييدها.

ميغيلوس: من جهتي، سوف أتلقّى هذا الناموس بسرور، أيّها الغريب. أما كلينياس فسوف يتكلم في ما يخصّه ويقول لك ما هو رأيه.

كلينياس: سأفعل ذلك، يا ميغيلوس، حينما تُعطى لي الفرصة، لكنّي أرى في الوقت الحاضر أن الأفضل لنا أن نسمح للأثيني الغريب بمواصلة شرح نواميسه.

ميغيلوس: جيّد جدّاً.

الأثيني: لقد وصلنا إلى إرساء قواعد الموائد المشتركة تقريباً، والتي يكون إرساؤها صعباً في أكثر الأمكنة، لكن لا أحد في جزيرة كريت سيفكّر بإدخال أيّة عادة أخرى. يمكن أن يُطرح سؤال بشأن طريقة إرسائها، مثلاً، سواء إذا كانت كما هي الآن في جزيرة كريت، أو مثلما هي الآن في لاقيدايمونيا. أو أن نوعاً آخر يمكن أن يكون أفضل من كليهما(٦٣)؟ والجواب على هذا السؤال يمكن اكتشافه بكلّ سهولة. لكنّ هذا الاكتشاف لن يؤدّي إلى خير عميم لأنّ النواميس في كلتا الدولتين منظمة تنظيماً جيّداً في الوقت الحاضر.

لنترك الموائد المشتركة، ولنتقدّم إلى وسائل تهيئة الغذاء. وبعدُ فإنّ وسائل الحياة في المدن يمكن الحصول عليها بطرائق عديدة ومن مصادر مختلفة، وتحديداً من مصدرين اثنين بشكل عامّ، في حين أن مدينتنا لديها مصدر واحد. إنّ أكثريّة الهيلينيين يحصلون على غذائهم من البحر والأرض، لكنّ مواطنينا يحصلون عليه من الأرض فقط، وهذا يجعل عمل المشرّع أقل صعوبة. لذلك فإنّ نصف ما يُسَنُّ من قوانين سيكون كافياً، ويمكن أن يكون أقلّ بكثير من النصف، وستكون هذه القوانين أفضل ملاءَمة للرجال الأحرار. فالمشرّع لا دخل له بقانون مالكي البواخر والتجّار وتجّار التجزئة وأصحاب الفنادق ومحصّلي الضرائب والمناجم وقارضي المال والفوائد المركّبة والأشياء الأخرى التي لا تحصى. إنّ المشرّع سيتغاضى عن كلّ هذه الأشياء، وسيسنّ قوانين للمزارعين والرعاة والنحّالين، سيسنّها للحماة والمشرفين على تنفيذها. وهو قد شرّع مسبقاً من أجل مسائل أعظم من هذه. كمثال، فهو قد شرّع لمسائل الزواج والإنجاب وتربية الأطفال وتعليمهم، وشرّع لتأسيس المراكز في الدولة. والآن يجب عليه أن يوجّه نواميسه لأولئك الذين يهيّئون الغذاء ويكدحون لتقديمه.

دعنا إذن، وقبل كلّ شيء، أن يكون لدينا نوع من النواميس تدعى نواميس المزارعين، والناموس الأوّل منها يجب أن يكون ناموس زيوس، إله الحدود. لا تدع أيّ شخص ينقل حدّه إلى أرض جاره، وإذا سكن عند أقصى الأرض فلا ينبغي أن ينتقل حدّه إلى أرض إنسانٍ غريبٍ له معه حدود مشتركة، معتبراً أنّ ذلك هو « تحرّك غير المتحرّك ». وكلّ شخص يجب أن يكون أكثر استعداداً لتحريك الصخرة الأكبر التي ليست علامة الحدود، من أن يحرك الحجر الأصغر الذي هو علامة قَسَم للصداقة والكراهية بين الجيران. لأنّ زيوس، إله العشيرة والأنسباء، هو الشاهد على المواطن، وزيوس إله الغرباء، والغرباء عندما يستثارون، أيّها الغريب، فإنّ الحروب التي يستحقّونها رهيبة. إنّ الإنسان الذي يطيع الناموس لن يعرف أبداً عواقب العصيان المميتة، لكنّ الذي يستخفّ بالناموس سوف يكون عرضة لعقوبة مضاعفة. والعقوبة الأولى تأتي من الآلهة، وأمّا الثانية فمن الناموس، لذلك لا تدع أيّ شخص ينقل حدود أرض جاره ويغيّرها بإرادته، وإذا فعل أيّ شخص ذلك، فعلى الذي سيخبر مالكي الأرض، وعلى جيرانه جميعاً أن يحضروه إلى محكمة العدل. وإذا أُدين هناك بتهمة تقسيم الأرض ثانية وذلك عن طريق السرقة أو القوة، فعلى المحكمة أن تقرّر ما يجب عليه أن يقاسيه أو يدفعه. وفي المقام الثاني، إنّ الكثير من الأذيّات الصغيرة التي يرتكبها الجيران بحقّ بعضهم البعض، يمكنها أن تسبّب عداوة عظيمة من خلال تضاعفها، ويمكنها أن تجعل المجاورة شيئاً حادّ الطعم مُرّاً وغير مقبول على الإطلاق. في حين أنّ على الإنسان أن يحرص على عدم ارتكاب أيّ اعتداء ضدّ جاره، وبشكل خاصّ انتهاك أرض هذا الجار أو التعديّ عليها. لأنّ أيّ إنسان يمكنه أن يرتكب الأذى بسهولة، لكنّه لا يستطيع أن يفعل الخير للإنسان الآخر. إنّ من يعتدي على أرض جاره، ومن ينتهك حدود

أرضه، عليه أن يصلح الضرّر. ولكي نشفيه من صفاقته ومن دناءته أيضاً، فما يجب عليه إلاّ أن يدفع ضعف الغرامة للجانب الذي تلقّى الأذى. وسيأخذ حكام البلاد علماً بهذه المسائل وبمسائل أخرى مشابهة، وسيكونون قضاة بشأنها وسيخمّنون الضرر. أمّا في الحالات الأكثر أهميّة، كما قلنا سابقاً، فإنّ العدد الكليّ منهم الخاصّ بأيّة قسمة من الأقسام الإثني عشر سيّقرّر ذلك، وسيقرّر الضباط هذا في الحالات الأقلّ أهميّة. أو إذا رعى أحدهم ماشيته في أرض جاره، فسوف يقرّر الضباط ويرون ما لحق بها من أذى ويقضون بدفع الغرامة. وإذا استولى شخص ما على أسراب نحلْ الآخرين بواسطة خداع النحل وجذبها إليه باستعمال الضجيج، فإنّه سيدفع قيمة الضرر الذي فعله. وإذا أضرم أيّ شخص النار في أخشابه الخاصّة ولم يأخذ في الحسبان ممتلكات جاره، فسوف يدفع غرامة حسب حرية القضاة في التخمين. وإذا لم يترك مسافة معقولة بين أرضه وأرض جاره عندما يغرس الغرسات، فلسوف يُعاقب طبقاً لنواميس العديد من المشرّعين التي يمكننا أن نستعملها، دون أن يكون من الضروري أن يأخذ مشرّع دولتنا العظيم بعين الاعتبار كلّ الأشياء الطفيفة التي يمكن لأيّ شخص أن يقرّرها. كمثال، انّ المزارعين كانت لديهم قوانين قديمة ممتازة بشأن المياه، وما من سبب يـ[illegible] علينا أن نقترح تغيير منوالها. يمكن لأيّ إنسان أن يسحب ماءً من رأس نبع مجرى الماء العامّ إلى أرضه الخاصّة، هذا إذا لم يقطع مياه النبع الذي يخصّ مالكاً آخر بشكل واضح؛ ويمكنه أن يأخذ الماء إلى أيّة جهة يشاء، إلاّ من خلال بيت أو معبد أو قبر. لكن يجب عليه أن يكون حريصاً على أن لا يتعدّى أذاه حدود قناة المياه هذه. وإذا كان مكان يعاني جفافاً طبيعيّاً للأرض التي تختزن ماء السماء، وتسبّب نقصاً في تزويد الماء، إذا كان هذا كذلك فله الحقّ أن يحفر أرضه الخاصة إلى أن يصل إلى طبقة

الطين، وإذا لم يجد ماءً حين وصوله إلى هذه الطبقة، فله الحقّ في أن يحصلَ على الماء من جاره، بقدر ما يحتاجه خدمُهُ للشرب. وإذا كان جاره شحٌّ في الماء أو عنده كميّة محدودة منه، فليحز منه الكميّة التي سيقررها حكّام البلاد المحليّون. وسيتلقّى هذه الكمية كلّ يوم، ويحوز الحصة المحدَّدة من الماء من جاره وفق هذه الشروط. وإذا هطلت كمية غزيرة من المياه، وسبّب مَن يعيش في الأرض المنخفضة الضرر لحارث حقل ما في الأرض المرتفعة، أو لشخص ما يشاركه في حائط، لرفضه إعطاءهم مصرفاً للمياه، أو إذا كان شخص ما يقطن على الأرض الأعلى، وترك للمياه أن تتدفّق بطيش على جاره القاطن في الأرض المنخفضة، ولم يقدرا على التوصّل إلى حلّ فيما بينهما فلمن يشاء دعوة حاكم المدينة المحلي إذا كان يعيش في المدينة، أو له أن يستدعي حاكم البلاد إذا كان يعيش في الريف، للفصل في القضيّة. ودعه يحصل على قرار بماذا يجب على كلّ منهما عمله. وأمّا الذي لن يتقيّد بهذا فسيقاسي العقوبة بسبب نكده وحقده، وسيدفع الغرامة للجهة التي لحق بها الأذى، مساوية لضعف قيمة الأذى الحاصل، وذلك لأنّه لم يذعن لقرار القضاة والحكّام.

وبعدُ فإنّ تقاسم الفواكه سوف يُرتَّب على هذه الطريقة. إنّ إلهة الخريف لديها هبتان كريمتان: إحداهما الفرح لديونيسوس الذي لا يُقاس؛ والهبة الأخرى هي التي قصدت الطبيعة تخزينها. فليكنْ هذا إذن، ناموس فواكه الخريف، إنّ الذي يتذوق فواكه الخريف العامّة أو المخزنّة، سواء أكانت عنباً أو تيناً، وذلك قبل فصل قطفها الذي يتزامن مع السّماك الرامح(٦٤)، وسواء إذا كان على أرضه الخاصّة به أو على أرض الغير، أقول، إنّ الذي يتذوّقها، دعه يدفع خمسين دراخما، وستُكرس هذه القيمة لديونيسوس. سنفرض هذه القيمة عليه إذا قطفها من أرضه الخاصّة، وسيدفع مينا واحدة إذا قطفها من

أرض جاره، وثلثي مينا إذا قطفها من أراضي الآخرين. وأمّا الذي يجمع العنب « المختار » أو يجمع التين « المختار »، كما تسمى الآن، فإنّه إذا جناها من حقله الخاصّ، فله أن يجنيها كيف ومتى يشاء؛ لكنّه إذا جناها من أرض الغير بدون تركهم لها، ففي هذه الحالة يجب أن يُعاقب دائماً طبقاً للناموس الذي يقضي بألاّ ينبغي على إنسان أن يحرّك الذي لم يضعه. وإذا لمس عبدٌ هذا النوعَ من أنواع الفاكهة، بدون موافقة مالك الأرض، فسوف يُضرب على عدد الحبّات الموجودة في الحزمة أو بعدد حبات التين الموجودة على شجرة التين. دع الغريب يشتري فاكهة الخريف « المختارة » ويمكنه أن يجمعها بعدئذ، إذا سَرّه ذلكَ. لكن إذا مرّ الغريبُ بجانب الطريق ورغب أن يأكل، فله أن يتناول العنب « المختار لنفسه ولرفيقه » الذي يتبعه بدون أن يدفعا ثمنه، وذلك كضيافة. إنّ الناموس على كلّ حال سيمنع الغرباء من المشاركة في ذلك النوع من الفواكه الذي لا يستخدم للأكل. وإذا تناولها شخصٌ جهالةً، سواء أكان سيّداً أو عبداً، فالعبد يجب أن يضرب وأن يتمّ صرف الرجل الحرّ مع النصح والتحذير، وأن يُرشد إلى تناول فواكه الخريف الأخرى التي لا تناسب صنع الزبيب والنبيذ، أو التي تُدّخر للمستقبل كالتين المجفّف. وأمّا في ما يخص الإجّاص، التفاح، الرمّان والفواكه المشابهة، فلا عار في تناولها سرّاً، لكن الذي يُلقى القبض عليه وهو دون الثلاثين من عمره، فلسوف يُضرب على نحو موجع، لكن ينبغي ألاّ يُجرح بالضرب. ولن يكون لدى أيّ إنسان حرّ حقُّ المراجعة القانونية عن ضربات كهذه. يمكن للغريب أن يشارك في أكل هذه الفواكه، كما يمكنه أن يشارك تماماً في أكل فواكه الخريف. وإذا أكل منها رجل تجاوز الثلاثين من عمره في المكان عينه، فيُسمح له بالمشاركة في كلّ فاكهة كهذه، مثلما يفعل الغريب لكن عليه أن لا يأخذ شيئاً منها إلى بيته. على كلّ حال، إذا لم يُطع

الناموس، فيجب أن يتحمّل عبء مخاطرة الإخفاق في التنافس على نيل الفضيلة، وذلك إذا دوّن أيّ شخص ملاحظة عن أعماله أمام القضاة في ذلك الوقت.

أن الماء أعظم وأهمّ عناصر التغذية في الجنائن، لكنّه عنصر سهل التلويث. فأنت لا تستطيع أن تسمّم التربة، أو الشمس، أو الهواء، التي هي عناصر أخرى من عناصر التغذية في النبات، ولا تقدر أن تحوّلها أو تسرقها. لكنّ كلّ هذه الأشياء يمكن أن تحدث في ما يختصّ بالماء بشكل محتمل جدّاً، والذي يجب أن يتمّ حمايته بالناموس. إذا أفسد أيّ شخص المياه الأخرى عمداً، سواء أكانت مياه الينابيع أو المياه المجمّعة في خزانات، إذا أفسدها بموادّ سامّة، أو بواسطة الحفر، أو بالسرقة، فللجهة التي تعرّضت للأذى أن تطرح السبب وتشرحه أمام حكّام المدينة المحليّين، وأن تطالب خطيّاً بمقدار الخسارة التي تعرّضت لها. وإذا وُجد المتّهم مذنباً بإفساد المياه بمواد مؤذية، فلن يكتفي بدفع ثمن الأذى الذي قام به فقط، بل عليه أن يطهّر مجرى المياه أو الصهريج الذي يحتويها، وذلك بالطريقة التي يأمره بها مؤوّلو النواميس.

أمّا في ما يتعلّق بجمع فواكه التربة، فلكلّ إنسان، إذا سرّه ذلك، أن يحمل ما يخصّه منها ومن أيّ مكان لا يُلحق الأذى منه بأيّ شخص، أو أن يكسب نفسه ثلاث مرات مثلما خسر جاره. وبعدُ فإنّ القضاة يجب أن يطّلعوا على هذه الأشياء، مثلما يطّلعون على كلّ الأشياء الأخرى التي يرتكب إنسان فيها الأذى عمداً للآخرين أو لممتلكاتهم، إمّا بالاحتيال أو بالقوّة. في الاستعمال الذي يقوم به في ما يخصّه من ممتلكات، يجب على الإنسان أن يطرح هذه المسائل كلّها أمام القضاة، وأن يتلقّى قيمة الضرر، مفترضاً أنّ الأذيّة لن تكون أكثر من ثلاث مينات. أو إذا كان لديه تهمة

ضدّ الغير التي تبلغ مقداراً أكبر من المال، فعليه أن يتقدم بقضيته إلى المحاكم العامّة وأن يتمّ عقاب فاعل الشرّ. لكن إذا بدا أنّ أيّاً من القضاة يحكم بالغرامات التي يفرضها بنفسيّة غير عادلة، فيجب أن يتعرّض لدفع الضعف إلى الجهة التي تعرّضت للأذى. يمكن لأيّ شخص أن يعرض الاعتداءات التي يقوم بها القضاة أمام المحاكم العامّة وبأيّة طريقة خاصّة. هناك مسائل صغيرة لا تحصى تتّصل بأساليب العقاب، بتطبيق الدعاوى، بالاستدعاءات، وبشهود الاستدعاءات. كمثال، سواء أدعت الحاجة لشاهدين اثنين للاستدعاءات، أو مهما كان عدد الشهود. إنّ كلّ هذه التفاصيل التي لا يمكن إسقاطها في التشريع، هي تفاصيل متروكة لحكمة المشرّع المتقدّم في العمر. إنّ هذه القضايا الأقلّ أهميّة، كما هي بالفعل، لجديرة بالمقارنة مع القضايا الأخرى. ويجب أن ندع النشء الجديد ينظّم هذه القضايا بالناموس، على غرار النماذج التي سبقت، وطبقاً لخبرتهم الخاصّة بنواميس كهذه في الاستخدام اليوميّ. وعندما يتمّ تنظيمها كما ينبغي فلا تدع أيّ شيء فيها يتغيّر، بل دع المواطنين يعيشون وهم ينظرون إليها على أنّها نواميس نهائيّة.

لنتكلّم الآن عن الصنّاع المهرة، ولتكنْ التنظيمات بشأنهم كما يلي: في المقام الأوّل، ليس على أيّ مواطن أو خدمه أن ينهمكوا في فنون الصناعات اليدوية. إنّ الذي يجب عليه أن يضمن ويصون النظام العامّ للدولة يمتلك فنّاً يحتاج لدراسة كثيرة ولمعارف متعدّدة الأنواع، ولا يعترف بأنّ فنّه مصنوع من مهنة ثانويّة. وبالكاد يستطيع إنسان ما ممارسة مهنتين أو فنين اثنين بشكل صحيح، أو مزاولة فنّ واحد بنفسه والإشراف على شخص آخر يزاول فنّاً ثانياً. هذا المبدأ إذن يجب أن يكون مبدأنا الأوّل في الدولة. فلا الحداد سيكون نجّاراً أيضاً، وإذا كان نجّاراً، فإنّه لن يشرف على فنّ الحداد بدلاً من الإشراف على فنّه الخاص، وذلك بحجة أنّه يشرف على عدّة خدم

يعملون له، وأنّه يُحتمل أن يُشرف عليهم بشكل أفضل لأنّ دخله سيكون أكثر ممّا يحصل عليه من فنّه. لكن دع حكّام المدينة المحليّين يجهدون في تأكيد هذا الناموس، وإذا مال أيّ مواطن إلى أيّ فنٍّ آخر بدلاً من دراسة الفضيلة، فعليهم أن يعاقبوه بالخزي والعار، إلى أن يرجعوه إلى الطريقة الصحيحة الخاصّة به. وإذا مارس أيّ غريب فنين، دعهم يؤدبونه بعقوبات السندات ودفع المال، وبالإبعاد من الدولة، ليجبروه على أن يكون شخصاً واحداً فقط وليس اثنين(٦٥).

لكنّنا عند محاذاتنا لدفعات الأجر ولعقود العمل، أو في حال سبّب شخص ما خطأً لأيٍّ مواطن، أو عندما يرتكب المواطنون الخطأ بعضهم لبعض، فعلى حكام المدينة المحليين أن يقرروا مبلغ الدفع صعوداً إلى خمسين دراخما. لكن إذا اقتضى الأمر دفع مبلغ أكبر فعلى المحاكم العامّة أن تحدِّد الغرامة طبقاً للناموس. لا تدع أيّ شخص يدفع رسماً لا على استيراد البضائع ولا على تصديرها. وأمّا في ما يختصّ بالبخور والعطورات الأخرى المشابهة المستعملة في خدمة الآلهة والتي تأتي من الخارج، وكذلك صباغ الأرجوان والصباغات الأخرى التي لا تنتجها البلاد، أو موادّ أيّ فنّ فالواجب استيرادها، وأمّا غير الضرورية، فلا ينبغي أن يستوردها أحد. ومرّة ثانية، إذا وجب على أيّ شخص أن يصدِّر أيّ شيء يريد أهل البلاد تصديره، فليكُنْ هناك مفتشون ومشرفون على كلّ هذه الأشياء يختارهم حماة الناموس، وليكونوا الأشخاص الإثني عشر الذين سيلون الأشخاص الخمسة الأعلى مقاماً في نظام. أمّا في ما يتعلّق بالأسلحة وكلّ الأدوات التي يُحتاج إليها في الأغراض العسكريّة، إذا ما كانت هناك حاجة لإيجاد أيّ فن، أو إقامة مصنع، أو تنجيم معادن، أو بناء عدد من المؤسسات المماثلة، أو تربية الحيوانات التي تستخدم في الحرب، أقول، في ما يتعلّق

بهذه كلّها فقادة الفرسان وقادة الجيوش لهم سلطة إيجادها، واستيرادها، وتصديرها. إنّ المدينة سوف تصدّرها ومن ثمّ تستوردها. وأمّا حماة الناموس فسيسنون قوانين مناسبة وجيّدة بشأنها. لكن يجب ألاّ تكون هناك تجارة تجزئة(٦٦) من أجل كسب المال لا في المدينة ولا في البلاد على الإطلاق، لا بهذه المواد ولا بأيّة مواد أخرى.

أمّا في ما يتعلّق بالغذاء وتوزيع الخضار على البلاد، فيبدو أنّ الطريقة الصحيحة والمناسبة تقريباً هي تلك الطريقة المتّبعة في جزيرة كريت. إنّ الكلّ تدعوهم الحاجة لتوزيع فواكه التربة إلى اثني عشر جزءاً، ولاستهلاكها بهذه الطريقة. دع الحصص الاثنتي عشرة [كمثال حصّة القمح والشعير، والحصص التي ستُضاف إليها بقية فواكه الأرض، كذلك الحيوانات المقرّرة للبيع في كلّ قسم من الأقسام الاثني عشر]، هذه الحصص يجب أن تُقسّم إلى حصة مناسبة، وأن تقسّم الحصّة إلى أجزاء ثلاثة: جزء منها للرجال الأحرار، وآخر لخدمهم، وآخر للصنّاع المهرة وللغرباء بشكل عامّ، وهم سيعيشون مثل بقيّة الرجال الآخرين، أو مثل الذين يَفِدون لقضاء عمل ما مع الدولة أو مع فرد من الأفراد. هذا الجزء الثالث هو الذي يُطلب بيعه من كلّ الضروريّات فقط، وأمّا من ثلثي الجزء الآخر فلا أحد سيُجبر على بيعه. والآن، كيف ستُوزّع هذه الحصص بالطريقة الأفضل؟ في المقام الأوّل، نرى بوضوح أنّ التوزيع سيكون متساوياً في وجهة نظر واحدة وغير متساوٍ في وجهة نظر أخرى.

ميغيلوس: ماذا تعني؟

الأثيني: أعني أنّ الأرض تنتج بالضرورة وتطعم أصناف الغذاء المتنوّعة، إنّها تفعل ذلك بالطريقة الفضلى بعض المرات وبالطريقة السيّئة مرات أخرى.

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: وبما أن الحالة هكذا، فلا يجب أن تكون أيّة حصّة من الحصص الثلاث أكبر من الحصتين الأخريين، ولا أن تكون تلك الحصّة المخصّصة للأسياد أو للعبيد، ولا تلك الحصّة المخصّصة للغريب. بل دع التوزيع يكون توزيعاً متساوياً ومتشابهاً للجميع. ودع المواطن، كلّ مواطن، أن يأخذ حصتيه الاثنتين ويوزعهما على العبيد والرجال الأحرار. سيفعل ذلك من لديه القوّة كي يقرّر نوعيّتها وكميّتها. وسوف نوزع الباقي بالمقياس والعدد بين الحيوانات التي يجب أن نمدّها بأسباب الحياة من الأرض، مدوّنين عددها كلّها.

في المقام الثاني، يجب على مواطنينا أن يكون لديهم بيوت منظمة ومنفصلة على نحو واف، وسيكون هذا النظام مناسباً للرجال الذين يشبهونهم. ستكون هناك اثنتا عشرة قرية صغيرة، واحدة منها في وسط كلّ قسم من الأقسام الاثني عشر، وسيقيم ساكنوها، كلّ على حدة، مكاناً تجاريّاً بادىء ذي بدء، ويبنون هياكل للآلهة وكذلك لأنصاف الآلهة الحاضرين فيها. وإذا كان هناك أيّة آلهة محليّة من مغنيسيا، أو أيّة آلهة غابرة أخرى ذات مراكز مقدسة، حُفظ ذكرها، فلهؤلاء أن يؤدُّوا تكريماتهم الغابرة. لكن هيستيا، وزيوس، وأثينا سيكون لديهم هياكل في كلّ مكان معاً ومع الله الذي يشرف على كلّ من هذه المقاطعات الاثنتي عشرة، ولسوف تكون إقامة البيوت أوّلاً حول هذه الهياكل، حيث الأرض في ارتفاعها الأعلى، لتوفّر المكان الأكثر أماناً والأكثر قابلية للدفاع عنه ولكي يعتزل فيه الحراس. وسيقيم بقيّة سكان البلاد بالطريقة التالية: إنّهم سيوجدون ثلاثة عشر تقسيماً للصنّاع المهَرَة، وسيبنون واحداً منها في المدينة، وسيقسمون هذا بدوره إلى أقسام صغيرة عددها اثني عشر قسماً مرّة ثانية، وذلك بين مقاطعات المدينة الإثنتي عشرة، وسيُوزّع باقي السّكان في البلاد

وما حولها. وسيقيم في كلّ قرية أنواع مختلفة من الصنّاع المهرة بقصد راحة المزارعين وسيشرف رئيس الضباط الأعلى للحكّام المحليّين على كلّ هذه القضايا، وسيرى كم منهم، وأيّة طبقة منهم، تحتاج لكلّ مكان، وعليه أن يؤويهم في المكان الأقل عرضةً للمضايقات بشكل محتمل، وحيث يكونون الأكثر نفعاً للمزارع. وسينظر حكام المدينة المحليون في مسائل مماثلة تحدث في المدينة.

وبعدُ فإنّ الحكّام المحليّين ينبغي أن ينظروا في تفاصيل الساحة العامّة، وعليهم أن يراقبوا الهياكل الموجودة فيها، وأن يتأكّدوا من عدم وقوع أعتداء على أحد هناك. ويجب أن يحضروا توقيع وإجراء المعاملات التي تجري بين الإنسان. ونظيره. وكونهم مفتشين عن الاعتدال والعنف فعليهم أن يؤدّبوا من يحتاج إلى التأديب. دعنا نحاذي أصناف البيع في بحثنا، وهنا عليهم أن يراقبوا بادىء ذي بدء إذا كانت الموادّ التي لدى المواطنين خاضعة للنظم المرعية الإجراء، وذلك ليتمّ بيعها إلى الغرباء إذا بيعت لهم، كما يأمر الناموس بذلك. إنّ لكلّ صنف من هذه الأصناف قانونه التالي: إن المسؤولين، مهما تكن صفتهم، وسواء أكانوا غرباء أم عبيداً، والذين لديهم العُهدَة بالنيابة عن المواطنين، سيجهّزون للغرباء الحصّة التي ستُباع لهم. وستكون هذه الحصّة الحصّة الثانية عشرة من محصول الذرة. أمّا الغريب فسيشتري الذرة للشهر كلّه، وسيشتري الحبوب الأخرى كذلك. إنّه سيشتريها في اليوم الأوّل من أيّام افتتاح السوق التجارية، وفي اليوم العاشر من أيّام الشهر سيبيع أحد الفرقاء، وسيشتري الفريق الآخر السوائل الكافية كي تبقى خلال الشهر كلّه. وفي اليوم الثالث والعشرين فإن المستعدّين لبيع الحيوانات سيبيعونها لمن يريد أن يشتري، وكذلك سيبيعون الأدوات والأشياء الأخرى التي يبيعها المزارعون » مثل الجلود وكل أنواع الثياب المحاكة منها أو

المصنوعة من اللبّاد وكلّ البضائع الأخرى من النوع عينه »، والتي يُجبر الغرباء على أن يشتروها لهم وللآخرين. أمّا في ما يختصّ بتجارة التجزئة في هذه الأشياء، سواء أكانت من الشعير أو القمح اللذين وُضِع كلٌّ منهما على حدة من أجل الوجبات والطحين، أو أيّ نوع آخر من أنواع الغذاء، أقول، لا أحد سيبيعها إلى المواطنين أو إلى مواطنيهم، ولا أحد سيشتري من المواطن. لكن دع الغريب يبيعها في سوق الغرباء التجاريّة للصنّاع الحرفيّين وعبيدهم، مستبدلها بالنبيذ والغذاء، وبواسطة التجارة التي تدعى تجارة تجزئة بشكل عام. أمّا الجزّارون فسيقدّمون للبيع أجزاءً من الحيوانات المقطّعة الأوصال إلى الغرباء، وإلى الحرفيين وخدمهم. دع أيّ غريب يحبّ أن يشتري وقوداً يوماً بيوم وبالجملة من أولئك الذين يهتمّون بها في البلاد، ودع هذا الغريب يبيع للغرباء قدر ما يسرّه وفي الوقت الذي يشاء. أمّا في ما يتعلّق بالبضائع الأخرى وبالأدوات التي يريدون بيعها على الأرجح، فإنّهم سيبيعونها في السوق التجارية العامّة أو في أيّ مكان يقرّره حماة الناموس وحكّام المدينة المحليّون. وهم سيقايضون البضائع بالمال في أمكنة كهذه، ولن يسلّف الفريقان أحدهما للآخر أمّا الذي يسلّف فيجب أن يكون قانعاً، سواء إذا حصل على ماله أو لم يحصل عليه بالمقابل، لأنّ الناموس لن يحميه في مبادلات كهذه. لكن متى تمّ شراء الملكيّة أو بيعها، وكانت أكبر من الكميّة أو القيمة أو أكثر ممّا يسمح به الناموس، والتي قد قرّرت ضمن الحدود التي يمكن لإنسان أن يزيد أو أن ينقص ممتلكاته فيها، أقول، إذا تمّ شراء هذه الملكية أو بيعها، فالزيادة يجب أن تُسجّل في سجلاّت وكتب حماة الناموس، وفي حالة النقصان فيجب محوها من السجلاّت. ويجب أن تتمّ مراقبة القانون عينه بشأن تسجيل الملكية للمواطنين. يمكن لمن يرغب أن يأتي ويسكن هنا بناءً على شروط محدّدة. فالغريب يقدر على الإقامة هنا إذا

أحب، يمكنه أن يسكن في الأرض، لكن ينبغي عليه ممارسة فنّ ما، وعليه أن لا يقيم أكثر من عشرين سنة ابتداءً من بدء إقامته، وهو لن يدفع أيّة ضرائب إقامة مؤقّتة مهما كانت صغيرة، سوى التصرّف الجيد، ولن يدفع أيّة ضرائب أخرى للشراء والبيع. لكن عند انتهاء العشرين سنة يجب عليه أن يأخذ ما يملكه معه ويغادر البلاد. وإذا صادف أنّه اكتسب شهرة خلال هذه السنين العشرين وذلك عن طريق إنجاز شيء ذي قيمة يمنحه للدولة، ويتصوّر أنّه يستطيع إقناع مجلس الشورى والجمعية العامّة، فإمّا أن يمنحوه إذناً بتأجيل مغادرة البلاد، أو السماح له بالبقاء طيلة حياته. دعه يذهب ويقنع المدينة وما يرتضيه سكّانها سيكون ساري المفعول. فأبناء البلاد، كونهم صنّاعاً مهرة، وعمرهم خمس عشرة سنة، فإن وقت إقامتهم المؤقتة يجب أن يبدأ بعد بلوغهم سنّ الخامسة عشرة، ولهم أن يبقوا لعشرين سنة، وأن يذهبوا بعدئذ حيثما يشاؤون. لكن إذا أحبّ أيّ شخص منهم البقاء في البلاد، فيمكنه أن يفعل ذلك، إن استطاع إقناع مجلس الشورى والجمعية العموميّة. وإذا غادر البلاد، فعليه أن يمحو كلّ التدوينات التي كتبها في السجلّ المحفوظ عند الحفظة.

محاورة النواميس

الكتاب التاسع

افكار الكتاب الرئيسيّة

ستأتي دعاوى الناموس بعد كلّ القضايا التي تقدّمت، ستأتي في نظام طبيعيّ، وسنشرح من يكون القضاة بشأنها. هناك معنىً للعار في التشريع، وكلّ تفاصيل الجريمة في الدولة يجب أن تنظَّم جيّداً، وستكيّف لممارسة الفضيلة، وسيُعاقب مَن ينتهك النواميس ويثاب مَن يطيعها. أمّا من يسرق المعابد فسيعاقب بمنتهى الشدّة، ولن تغتفر جريمته بل هي لعنة أبديّة متكرّرة وستُحفر على جبينه. يلي بعد ذلك التشريع الخاص بالأشياء التي تتعلّق بالآلهة، وما يتّصل بتدمير الدولة. وسيكون العدوّ الأكبر للدولة مَن يستعبد النواميس ويسخّرها لسلطة الرجال، ويُخضع المدينة للشّقاقات، ويستخدم العنف ويحرّض على الفتنة. هذا الرجل سنعتبره العدوّ الأكبر للدولة، وسنسنّ قانوناً عامّاً في ما يتعلّق بالقضاة الذين سيعطون الحكم، وطريقة إدارة الاتهامات بحقّ الذين يُحاكَمون بتهمة الخيانة. والذي يمارس العدل يشارك في الجمال والشرف بالدرجة عينها. ونقول إنّ الرجال الأشرار كلّهم يكونون أشراراً رغم إرادتهم على الدوام، والرجل الظالم إنّما يكون ظالماً ضدّ إرادته. لكنّنا سنسنّ قانوناً للظالم ونعاقبه لئلاّ يتمادى في ظلمه وكذلك الشرّير. أمّا أسباب الجرائم في الروح فهي الانفعال، اللذّة، والجهل الذي يوجد منه نوعان. وسأعرّف الظالم بأنّه عندما يستبدّ الغضب والخوف واللذّة والألم، والحسد والرغبات، عندما تستبد هذه بالروح فإنّ ما ينتج عنها يُسمّى ظلماً. لكن عندما يسود الرأيُ الفاضلُ في الروح، وينظّم حياةَ كلّ إنسان فإنّ هذا المبدأ يدعى العدل. ونحن كما سننّا نواميس تتعلّق

بالقضايا المهمّة سابقاً، سنسنّ ناموساً في ما يتعلّق بالقتل المتعمّد وغير المتعمّد ومن كلّ الانواع، وكيف سيتمّ عقاب القتلة. وسنتكلّم من ثمّ عن أسباب هذه الجرائم. نقول إنّ السبب الأعظم لهذه الجرائم هو الشهوة التي تسيطر على الروح والمحبّلة بالرغبة. وهناك الشهوة الأكثر شيوعاً حيث يحكم الهوى الأقوى والأكثر سيادة وانتشاراً بين جماهير الجنس البشريّ، أعني، حيث قوّة الغنى تخلق رغبات لا نهاية لها، ولا يمكن إشباعها أبداً لأنّها متأصّلة في نزعة طبيعيّة، وتفتقر للتعليم. إنّ الغنى هو ثالث الخيرات وليس أوّلها كما يشاع خطأً بين أبناء الجنس البشريّ عامّة. والغنى يكون من أجل الجسد، كما أنّ الجسد يكون من أجل الروح، وقد قُصد الغنى ليكون من أجلهما بالطبيعة، ولهذا السبب فإنّه دونهما، وهو الثالث في نظام الامتياز. أمّا السبب الثاني فهو الطموح، والطموح يخلق الحسد، والسبب الثالث هو الجبن والخوف غير العادل. لذلك سيتمّ إيجاد العقاب المناسب لها. ونحن سنشرّع لمن يجرح الغير مثلما شرّعنا لجرائم القتل، وسيكون تشريعنا هذا في منتهى العدل أيضاً.

محاورة النواميس

الكتاب التاسع

الأثيني: ستأتي دعاوى الناموس تالياً وبعد كلّ القضايا التي تقدّمت، ستأتي في السياق الطبيعيّ. أمّا الدعاوى التي تتعلّق بالزراعة فلقد تمّ وصفها سابقاً. لكنّ الدعاوى الأكثر أهميّة لم نتطرّق إليها بعد. وبما أنّنا ذكرناها إفرادياً تحت أسمائها الاعتيادية، فإنّنا سنتطرق إلى العقوبات التي يجب أن تفرض على كل اعتداء، وإلى القضاة الموكلين بشأنها.

كلينياس: جيّد. جدّاً.

الأثيني: هناك معنى للعار في التشريع، وسنشرحه للتوّ. فكلّ تفاصيل الجريمة في الدولة، يجب أن تُنظَّم جيّداً، كما قلنا، وستُكيَّف جيّداً لممارسة الفضيلة بشكلٍ تامّ. لنفترض أنّه سينشأ في دولة كهذه شخص ارتكب جرائم متعدّدة شائنة، كالجرائم التي تُرتكب عادة في الدول الأُخرى، وأن علينا أن نشرِّع لشخص كهذا بالحدس، وأن نهدِّده ونسنّ نواميس ضدّه إذا ما نشأ في دولتنا، وذلك كي نردعه ونعاقبه على أعماله. وأمّا فكرة أنّه سينشأ شخص كهذا في الدولة، فمن أجل ذلك قلت إنّه يكون خزياً إلى حدّ ما في التشريع. ومع علمنا أنّنا لسنا مثل المشرّعين الغابرين الذين سنُّوا نواميس للأبطال ولأبناء الآلهة، لأنهم من ذريّة الآلهة طبقاً للاعتقاد الشعبيّ، وهم الذين شرّعوا للآخرين الذين كانوا أبناء آباءٍ إلهيّين أيضاً، لكنّنا ونحن رجالٌ فقط نشرّع لأبناء الرجال. فما من تساهل في إدراك أنّ شخصاً ما من مواطنينا، يمكن أن يشبِه بذرة تعلّقت بقرن الثور، ولديه قلب قاسٍ جدّاً ولا يمكن تليينه بأكثر ممّا يُستطاع تليين البذرة بالنار. يمكن أن يوجد بين مواطنينا

أولئك الذين لا يمكن إخضاعهم بقوّة الناموس كلّها. ورغم أنّ التشريع لهم عملٌ شاقّ وعسير، فمن أجلهم سوف أعلن ناموسي الأوّل بشأن سرقة الهياكل، في حالة إذا تجرّأ شخص على ارتكاب جريمة كهذه. إنّني لا أتوقّع أو أتصوّر أنّ المواطن المتربّي تربية حسنة سيقبل بتلقّي هكذا حقنة أبداً، لكنّ خدم المواطنين، الغرباء وخدم الغرباء يمكن أن يكونوا مذنبين بارتكابهم العديد من الأعمال المتّسمة بالعقوق. وبقصد أن يتحصّنوا بشكل خاصّ، ولكن ليس ببعد نظر مع ذلك إلى ضعف الطبيعة الإنسانية بشكل عامّ، فإنّني سأعلن قانون سارقي الهياكل، المجرمين المعضولين المشابهين، وبشأن المعضولين منهم بالعار على وجه التقريب. وبما أنّنا اتّفقنا على أن نواميس كهذه يجب أن تكون ذات استهلال قصير على الدوام، يمكننا أن نتكلّم إلى المجرم الذي يجرّب الذهاب إلى الهيكل وسرقته، تحثّه رغبة ما تعذّبه ليل نهار. سنكلّمه بأقلّ ما يمكن من كلمات، كلمات فيها نصح وعظة وتحذير ونقول له: أيّها السيّد، إنّ الدافع الذي يحرّكك لسرقة المعابد ليس سوى جنون ورثه الإنسان من جرائم جنسه القديمة التي لا تغتفر، بل إنّها لعنة أبديّة متكرّرة. يجب عليك أن تحترس بكلّ ما لديك من قوّة ضدّ هذه الأشياء وسنشرح لك كيف يمكنك أن تفعل ذلك. وعندما تخطر ببالك أيٌّ من هذه الأفكار، فاذهب وكفّر عنها. إذهب إلى الهياكل متوسّلاً للآلهة الذي يتفادون الشرّ، إذهب إلى مجتمع أولئك الرجال الذين يُدعون أخياراً بينكم. اسمعهم يقولون إنّ كلّ إنسان ينبغي أن يكرّم النبيل والعادل، وحاول أنت أن تردّد هذا الكلام العظيم. أهرب من معاشرة الخبثاء أهرب منهم ولا تعد إليهم. وإذا خفت أن تضطّرب بهذه العلاجات، فحَسَنٌ وجيّد، وإلاّ، فاعترف عندئذ أنّ الموت خير لك من الحياة، ثمّ غادر.

هكذا تكون الاستهلالات التي نغنّيها لكلّ الذين تراودهم أفكار للقيام

بأعمال غير مقدّسة وغادرة، وللذي يوليها أذناً صاغية، فالناموس ليس لديه أيّ شيء يقوله. لكن للذي يتمرّد على الناموس فصرخة بصوت عالٍ عندما ينتهي الاستهلال. إنّ من يُلقى القبض عليه في ارتكاب سرقة الهياكل، إذا كان عبداً أو غريباً فسوف تُحفر أعماله الآثمة على وجهه ويديه، وسيُضرب بالسّياط مرات عديدة وفق ما يراه القضاة مناسباً، وسيُرمى عارياً ما وراء حدود البلاد. وإذا قاسى هذا العقاب فإنّه سيعود على الأرجح لعقله الصحيح ويتحسّن. ما من قصاص يرسمه الناموس مُصمّماً للشرّ، بل إنّه يُسَنُّ دائماً لجعل مَن يقاسيه أفضل أو لئلا يسوء أكثر مّما كان عليه[٦٧]. لكن إذا وجد أيّ مواطنٍ مذنباً بارتكابه خطأً كبيراً أو بما لا يصحّ ذكره، أو بما يتعلّق بالآلهة، أو بآبائه، أو بالدولة، فعلى القاضي أن يعتبره أنّه غير قابل للشفاء. إذ أنّه بعد أن تعلّم وتدرّب بشكل ممتاز منذ فتوّته فصاعداً، فإنّه لم يمتنع عن ارتكاب أعظم الجرائم[٦٨]. وسيكون عقابه الموت، وسيكون الموت أهون الشرور له. ولسوف يكون مَثَلُهُ هذا أمثولة للآخرين، إذا هلك ومات مخزيّاً وقُبر ما وراء حدود الأرض. لكنّ عائلته وأطفاله إذا امتنعوا عن سلوك طريقة أبيهم، يجب أن يحوزوا التكريم والتبجيل، وأن يُرتّب لهم الذِّكرُ الشريف وكأنّهم هربوا من الشرّ إلى الخير بنبل ورجولة. لن تصادر الدولة ممتلكات أيٍّ منهم، فممتلكات المواطنين يجب أن تتواصل وتستمرّ كما هي متساوية والشيء عينه على الدوام.

لنقترب من تحصيل الغرامات. عندما يرتكب الإنسان شيئاً يستحقّ غرامة، فلسوف يدفعها، إذا كان لديه أيّ شيء زيادة في الحصّة المخصّصة له، لكنّه لن يدفع شيئاً أكثر من ذلك. ولكي يتمّ ضمان الدقّة، فعلى حماة الناموس أن يرجعوا إلى السجلاّت، وأن يُخبروا الحقيقة بالضبط، وذلك كيلا تتحوّل أرض من الأراضي الممسوحة بوراً بسبب الافتقار للمال، لكن إذا بدا أن

شخصاً ما يستحقّ غرامة أكبر، فيجب أن يسجن عاماً، وأن يُحقَّر، ما لم يكن بعض أصدقائه مستعدّين لكفالته وتحريره بمساعدته على دفع الغرامة. ما من مجرم سوف يهرب بدون عقاب. إنّه لن يهرب حتّى إذا قام باعتداء واحد، وحتى إذا هرب من البلاد. بل إن العقاب يجب أن يكون طبقاً لِمَا يستحقّ، ألا وهو الموت، أو القيود، أو الضربات، أو تجريده من أماكن الجلوس أو الوقوف، أو الانتقال إلى هيكل ما على حدود البلاد، أو دعه يدفع غرامة، كما قلنا سابقاً. أمّا في الاتهامات الخطيرة، فدع القضاة يكونون حماة الناموس ولمحكمة مختارة بجدارة من حكام السنة الأخيرة أن تقرز ذلك. لكن كيف ستقدّم الدعاوى إلى المحكمة، كيف سيُخدم المستدعون، وما شابه ذلك، فإنّ هذه الأشياء يمكن أن تُترك إلى الجيل الأفتى من المشرّعين ليقرروا. أمّا أسلوب التصويت فيجب أن نقرّره بأنفسنا.

دع التصويت يكون علناً. لكن قبل أن يأتي المقترعون للتصويت، على القضاة أن يجلسوا في نظام الأسبقيّة على وضد المدّعي والمدّعى عليه. وجميع المواطنين الذين يقدرون على توفير الوقت عليهم أن يسمعوا ويولوا اهتماماً جديّاً للاستماع لدعاوى قضائيّة كهذه. بدايةً سوف يلقي المدّعي خطاباً واحداً، وبعدئذ سيلقي المدّعى عليه خطاباً آخر. وبعد إلقاء الخطابين سيبدأ القاضي الأكبر سنّاً باستجواب الفريقين وبعدها يقوم بالتحقيق المناسب. وبعد أن يتكلّم الأكبر سنّاً يواصل الباقون بنظام استجواب كلا الفريقين لكي يتمكّنوا من إيجاد ما فيه خلل في البنية أو الدليل ويصلحوه، سواء إذا كان لعرض القضية أو للحذف منها. ومن ليس لديه شيء ليسأله سيسلّم الاستجواب إلى الآخر. وبناءً على ما تمّ قوله، وكأنّه يفي بالغرض، فإنّ كلّ القضاة سيتّخذون القرار النهائيّ، ويضعون الكتابة على مذبح هيستيا. وفي اليوم التالي سيتقابلون ثانية، وسيطرحون أسئلتهم بطريقة مماثلة

ويدرسون الدعاوى بدقّة ويتّخذون القرار النهائيّ عند الحصول على البيّنة أو الدّليل. وعند قيامهم بذلك ثلاث مرات، وعند حيازتهم على ما فيه الكفاية من الشهود ومن البيّنات، سيدلي كلّ واحد منهم بتصويت مقدّس، وذلك بعد وعدهم لهيستيا أنّهم سيحكمون بالعدل والحقّ بأقصى قوّتهم. وهكذا فإنّهم يسيرون بالدعاوى إلى نهايتها.

بعد ذلك يأتي ما يتعلّق بالآلهة، وما يتصّل بتدمير الدولة. إنّ أيّ امرىء يستعبد النواميس، مسخّراً إيّاها لسلطة الرجال، ومخضعاً المدينة للشقاقات، مستخدماً العنف، ومثيراً التحريض على الفتنة عكس ما ينصّ عليه الناموس، إنّ ذلك المرء سنعتبره العدوّ الأكبر للدولة كلّها. لكنّ الذي لا يشترك في أحداث كهذه، وكونه واحداً من حكّام الدولة الرئيسيّين، وليست لديه معرفة بالخيانة، أو أنّ لديه معرفة بها وهو لا يتدخّل فيها بالنيابة عن الدولة بسبب جبنه، فما يجب علينا إلاّ أن نعتبره رجلاً سيّئاً على نحو وثيق. إنّ كلّ إنسان يكون جديراً بأيّ شيء سوف يخبر الحكّام، وسيحضر المتآمر إلى المحاكمة لقيامه بمحاولة عنيفة وغير شرعية لتغيير الحكومة. إنّ قضاة حالاتٍ كهذه سيقاضون مَن يقوم بها كما يقاضُون سارقي الهياكل. ومحاضر الجلسة كلّها يجب أن تدار بالطريقة عينها، وسيُدين صوت الأكثرية المدان بحكم الإعدام. لكن يجب أن تكون هناك قاعدة عامة، وهي أنّ تحقير وعقاب الأب لن يصيب الأطفال إلاّ في حالة الشخص الذي قد تعرّض أبوه، جده، وجده الأكبر لعقاب الموت. إنّ المدينة ستبعد هؤلاء الأشخاص منها مع كلّ ما يملكون، ستبعدهم إلى مدينة وبلاد أسلافهم، محتفظة فقط بكامل أرضهم المخصّصة لهم. وسيختارون من عائلات المواطنين الذين لديهم أكثر من صبيّ واحد ممن لا يقل عمره عن عشر سنين، سوف يختارون منهم عشرة صبية بالأكثريّة، وسيرشحون آباءهم أو أجدادهم من جانب الأم

أو جانب الأب. وعليهم أن يرسلوا إلى معبد دلفي الأسماءَ التي وقع الاختيار عليها، والذي يختاره الله سيثبتونه كوريث للبيت الذي وَهَن. ويمكن لهذا الوريث أن يسلك طريقاً أفضل من طريق أسلافه.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: مرّة ثانية يجب أن يكون هناك ناموس ثالث عام في ما يتعلّق بالقضاة الذين سيعطون الحكم، وبطريقة إدارة الاتّهامات ضدّ الذين يُحاكمون بتهمة الخيانة. وأمّا في ما يختصّ ببقاء أو رحيل أعقابهم، فسيكون هناك ناموس واحد للثلاثة، أعني، الخائن وسارق الهياكل والمدمّر بالعنف لنواميس الدولة. فالسارق، سواء أسرق قليلاً أو كثيراً، فالناموس واحد، والعقاب واحد للكلّ بصورة مشابهة. وفي المقام الأوّل، على السارق أن يدفع ضعف ما سرق إذا أُدين، وإذا كان يملك أكثر من الحصّة المسروقة، وإذا لم يكن لديه ذلك، فإنّه سوف يقيّد إلى أن يدفع الغرامة أو إلى أن يقنع مَن أصدر الحكم عليه أن يعفو عنه. لكن إذا أُدين شخص بسرقة ضدّ الدولة، فإنّه إذا استطاع إقناع الدولة، أو دفع ضعفي القيمة المسروقة فسيُطلق سراحه عندئذ.

كلينياس: ما الذي جعلك تقول هذا، أيّها الغريب، إنّ السرقة هي شيء واحد، سواء أخذ السارق كثيراً أو قليلاً من الأماكن المقدّسة أو الأماكن المدنية. وهذه الأشياء ليست الفوارق الوحيدة في السرقات. مشاهدين إذن أن هناك العديد من أنواع السرقات، أفلا يجب على المشرّع أن يكيّف نفسه لها، وأن يفرض غرامات مختلفة عليها بشكل كليّ.

الأثيني: ممتاز، إنّني جريت بسرعة كبيرة جدّاً، يا كلينياس، وأنت صدمتني وأرجعتني إلى الطريقة الصحيحة في الكلام. إنّك ذكّرتني بما خطر بذهني حقّاً بشكل مسبق، وهو أنّ المشرّع لم يعمل بنجاح وبشكل صحيح حتى الآن، وها نحن لدينا مثال على ذلك. هل تتذكّر الصورة التي شبّهتُ بها

الرجال الذين من أجلهم سُنَّ الناموس، ألم أشبّههم بالعبيد الذين يطبّبون العبيد؟ ويمكنك أن تتأكّد جيّداً من ذلك، وهو أنّه إذا أتى أحد أولئك الأطباء التجريبيّين الذي يمارس مهنة الطبّ بدون علم، إذا أتى هذا الشخص إلى الطبيب السيّد وتكلّم إلى مريضه السيّد، واستعمل اللغة الفلسفيّة تقريباً مبتدئاً عند بداية المرض، ومتحدّثاً بشأن طبيعة الجسم كلّه، فالطبيب السيّد سينفجر بالضحك من صميم قلبه، وسيقول، ما لدى أكثر أولئك الذين يُدعون أطباء عند نهاية كلامهم. سيقول، أيّها الغبيّ، إنّك لا تشفي الإنسان المريض، بل تعلّمه، وهو لا يريد أن يكون طبيباً، بل أن يشفى وتتحسّن صحّته.

كلينياس: أولن يكون محقّاً في ما يقول؟

الأثيني: ربّما. وهو سيقدّم ملاحظة لنا، وهي أنّ مَن يتباحث بشأن النواميس، كما نفعل نحن الآن، فإنّه يعطي المواطنين تعليماً ولا يسنّ نواميس لهم. وستكون هذه الملاحظة قولاً مُراقِباً على الأصح.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: لكنّنا نكون سعداء.

كلينياس: بماذا؟

الأثيني: إنّنا سعداء بقدر ما لا نُجبر على سنّ النواميس، لكن يمكننا أن نعتبر كلّ شكل من أشكال الحكومات، وأن نؤكّد ما هو الأفضل أو ما هو اللازب منها، وكيف يمكن لكليهما أن يوضعا موضع التنفيذ. ويمكننا أيضاً أن نختار الأفضل في هذه اللحظة بالذات، إذا أردنا أو إذا فضلنا، فاختيار الحاجة المجرّدة ـ أيّهما سنقوم به؟

كلينياس: هناك شيء ما مضحك، أيّها الغريب، في اقتراحنا لخيار كهذا، كما لو كان علينا أن نشرّع في حاجة ملحّة كبيرة ولا نستطيع تأجيل العمل إلى

الغد. لكنّنا، كما يمكنني أن أؤكّد بمنّة السماء، مثلُ جامعي الأحجار، أو المبتدئين بعمل مركّب، ونحن الذين يمكننا أن نجمع كومة من المواد وأن نختار منها وقت فراغنا ما يناسب بناءَنا الذي صمّمناه، دعنا نفترض إذن أنّنا في وقت فراغنا هذا، لا يلزمنا أن نبني، بل إنّنا مثل الرجال الذين يجهّزون المواد جزئياً على الأصحّ والذين يجمعونها معاً بشكل جزئيّ. ويمكننا أن نقول بصدق إنّ بعض نواميسنا وُضعت في أماكنها ورُكِّزت، مثما تُركَّزُ الأحجار، وإن النواميس الأخرى أُحضِرت وجُهِّزت.

الأثيني: بالتأكيد، وفي تلك الحالة فإنّ فكرتنا العامّة عن الناموس، يا كلينياس، ستكون أكثر موافقةً للطبيعة. وهناك مسألة أخرى تؤثّر على المشرّعين، ويجب أن أستعطفك لتتأمّلها بشكل جديّ.

كلينياس: وما هي؟

الأثيني: هناك كتابات عديدة في المدن، وبين هذه الكتابات هناك محادثات ألفها المشرّعون، كما ألّفها الأشخاص الآخرون.

كلينياس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: هل ستهتمّ بكتابات أولئك الآخرين على الأصحّ، كالشعراء وما شابه الذين سجّلوا نصيحتهم بشأن سلوك الحياة، سجّلوها بأشعار موزونة وغير موزونة. فهل سنهتم بهذه الكتابات ونتغاضى عن كتابات المشرّعين؟ أو أننا سنهتم بها أكثر من كلّ الكتابات؟

كلينياس: نعم، سنهتم بكتابات المشرّعين قبل كلّ الكتابات الأخرى.

الأثيني: وهل يجب على المشرّع وحده من بين الكتّاب جميعاً أن يحتفظ لنفسه برأيه بشأن الجميل، الخيِّر، والعادل، وأن لا يعلّمها ما هي، وكيف يمكن أن يلاحقها أولئك الذين يبغون السعادة؟

كلينياس: لا بالتأكيد.

الأثيني: وهل يكون عاراً على هوميروس وتيرتايوس والشعراء الآخرين، أن يذكروا في كتاباتهم مدارك حسيّة شرّيرة في ما يتعلّق بالحياة وملاحقات الرجال، لكنّها ليست عاراً على ليغارغوس وصولون والآخرين الذين كانوا مشرّعين كما كانوا كتّاباً؟ أليس من الحقّ أنّ من بين كلّ الكتابات الموجودة في المدينة، فإنّ تلك الكتابات التي تتّصل بالنواميس يجب أن تكون الكتابات الأفضل والأنبل لأبعد غاية عندما تنشرها وتقرأها؟ ألا ينبغي أن تتّفق الكتابات الأخرى معها، وإذا اختلفت، فسوف تُعتبر كتابات مضحكة؟ يجب علينا أن نعتبر إذا ما كان على نواميس الدول أن يكون لديها أخلاق الآباء المحبّين والعقلاء، بدلاً من أخلاق الطغاة والأسياد الذين يأمرون ويهدّدون، والذين يمضون بطريقهم بعد أن ينقشوا مراسيمهم التشريعيّة على الجدران. وسواء إذا وجب علينا، في تكلّمنا عن النواميس، أن لا نأخذ بالفكرة الألطف عنها التي يمكن أو لا يمكن نيلها. على كلّ حال، سوف نظهر جاهزيّتنا كي نفكر بفكرة كهذه، وأن نستعدّ للتعرّض لأيّة مخاطرة مهما تكن النتيجة. وربّما كانت النتيجة جيّدة، إذا أنعم الله علينا، فستكون كذلك.

كلينياس: ممتاز، دعنا نفعل كما تقول.

الأثيني: إنّنا سنأخذ الآن نواميسنا بعين الاعتبار، كما تقترح، وذلك في ما يتعلّق بلصوص الهياكل وكلّ أنواع السرقات والتعديات بشكل عامّ. ولا ينبغي أن نتضايق إذا شرّعنا أشياءَ ما في مسار عملنا التشريعي ولم نتوصّل إلى أشياء أخرى كي نسنّ ناموساً بشأنها. فنحن لسنا مشرّعين بعد، لكن يمكننا أن نكون كذلك قريباً. دعنا نتأمّل ملياً ما ذكرته إذا سرّك ذلك، وبالنفسية التي ذكرتها.

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: وفي ما يختصّ بالشريف والعادل، دعنا نجهد لنؤكد إلى أيّ حدٍّ نكون منسجمين مع أنفسنا، وإلى أي حَدٍّ نكون عكس ذلك، وإلى أي حدّ يكون العديد كذلك. ومَنْ الذي سنعترف له بأنّ رغبتنا تختلف على كلّ حال، وأنّنا نتّفق ونختلف بعضنا عن بعض.

كلينياس: ما هو عدم الاتساق الذي تراقبه فينا؟

الأثيني: إنّني سأجهد لأشرح لك ذلك. إذا لم أكن مخطئاً، لقد اتّفقنا كلّنا على أنّ العدل والرجال العادلين والأشياء والأعمال، كلّها جيدة. وإذا أكّد شخصٌ ما أنّ الرجال العادلين لا يزالون جميلين في ما يتّصل بامتياز عدل أفكارهم، حتّى حينما تكون أجسامهم مشوهة، فلا أحد سيقول إن هناك عدم تناسق في هذا.

كلينياس: إنّهم سيكونون محقّين تماماً.

الأثيني: لربّما، لكن دعنا نتأمّل مليّاً ما هو أبعد من ذلك. إذا كانت كلّ الأشياء عادلة وجميلة ومشرّفة، فينبغي علينا أن نشمل في الاصطلاح « كلّ » ما يقارب العدد عينه للمعاناة مثلما نشمل الأعمال.

كلينياس: وما هو الاستنتاج؟

الأثيني: الاستنتاج هو أنّ عملاً عادلاً في مشاركة العدل يشارك فاعله أيضاً في الجمال والشرف بالدرجة عينها.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: ألا يجب للمعاناة التي تشارك بمبدأ العدل الاعتراف بأنّها جميلة وشريفة بالدرجة عينها، إذا ما نُفِّذت المحاورة بشكل متناسق؟

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: لكن إذا اعترفنا أنّ المعاناة تكون عادلة ومخزية مع ذلك، وينطبق الاصطلاح « مخزية » على العدل، ألَنْ يختلف العادل والشريف؟

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: أعني شيئاً ليس صعباً فهمه. سيبدو أن النواميس التي سُنَّت سابقاً تعلن نقيض المبادىء التي نقولها بشكل مباشر.

كلينياس: النقيض لماذا؟

الأثيني: لقد شرّعنا ناموساً يقول، إذا لم أكن مخطئاً، إنّ سارق الهيكل، وعدو الناموس والنظام، يمكن أن ينفَّذ فيه حكم الإعدام. وثم واصلنا تشريعنا لنسُنّ نواميس للنشّالين ذوي الطبيعة المشابهة. لكنّنا توقّفنا فجأة لأنّنا رأينا أنّ هذه المعاناة هي معاناة لا نهائية في الدرجة والعدد، وأنّها الأكثر عدلاً والأكثر خزياً من المعاناة كلّها. وإذا كان هذا القول حقيقيّاً، أفليس العادل والشريف كلاهما الشيء عينه في وقت واحد، وأنّهما الأكثر تضاداً تماماً في وقت آخر؟

كلينياس: يبدو أنّ الحالة كذلك.

الأثيني: هل لغة الكثرة في هذا الأسلوب المتضارب واللامتناسق، تميل لإبعاد العادل والشريف بعضهما عن بعض؟

كلينياس: إنّ ما تقوله حقيقي تماماً، أيّها الغريب.

الأثيني: دعنا نرى الآن إذن، أيّها الغريب، إلى أيّ بعدٍ نحن متناسقون بشأن هذه القضايا.

كلينياس: متناسقون بماذا؟

الأثيني: أعتقد أنّني قرّرت بوضوح في الجزء السابق من هذا البحث، لكنّي إن لم أفعل ذلك، فدعني أقوم به الآن ـ

كلينياس: ماذا؟

الأثيني: سأقرّر أنّ كلّ الرجال الأشرار هم أشرار بدون إرادتهم على الدوام. وعليّ أن أتقدّم ممّا قلته لأرسم استنتاجاً أبعد من ذلك.

كلينياس: وما هو الاستنتاج؟

الأثيني: إنّ الرجل الظالم، كونه رجلاً سيئاً، فهو كذلك رغم إرادته. وبعدُ فإنّ عملاً طوعيّاً يجب فعله لا اختيارياً فذلك تناقض ومن أجل ذلك فإنّ مَن يؤكّد أنّ الظلم يكون لا اختيارياً سيبدو أنّه يقول إنّ الظالم لم يفعل الظلم رغم إرادته. إنّني أوافق أيضاً على أنّ كلّ الرجال يرتكبون الظلم رغم إرادتهم، وإذا قال شخصٌ ما كثير الخصام ومثير للجدل إنّ الرجال يكونون ظالمين رغم إرادتهم، ومع ذلك فإنّ الكثيرين يرتكبون الظلم بإرادتهم، فأنا أقبل بالعبارة السابقة، لكنّني لا أقبل بالثانية. لكن كيف أستطيع أن أتفادى عدم الانسجام مع نفسي حينئذ، إذا ما قلتما لي أنتما، يا كلينياس وميغيلوس: حسناً، أيّها الغريب، إذا كان هذا كلّ الذي تقوله، فما رأيك في تشريع مدينة ماغنيطيس؟ هل سنشرّع لها أوْ لا؟ ماذا تنصح؟ عليَّ أن أجيب، سنفعل ذلك بكلّ تأكيد. هل ستعزم وتقول أيّ الجرائم طوعيّ وأيّها ليس كذلك؟ وهل سنجعل العقوبات أكبر للأخطاء الاختيارية والجرائم وأقلّ للمرتكبة رغم الإرادة؟ أو هل سنجعل العقاب متشابهاً على الجميع، بحجة أنه لا وجود لشيء مثل الجريمة الاختيارية.

كلينياس: جيّد جدّاً أيّها الغريب، وماذا سنقول في إجابتنا على هذه الاعتراضات؟

الأثيني: إنّه لسؤال محقّ جدّاً، دعنا، في المقام الأوّل...

كلينياس: أن نفعل ماذا؟

الأثيني: دعنا نتذكّر ما قلناه سابقاً وهو أنّ أفكارنا عن العدل هي أفكار مشوّشة ومتناقضة في الدرجة الأعلى. عند قبولنا العقليّ بهذا، دعنا نتقدّم لنسأل أنفسنا مرّة ثانية اذا ما كانت لدينا طريقة تخرجنا من الصعوبة التي نحن فيها. « ألم نقرّر في أيّة وجهة نظر يختلف هذان النوعان من أنواع الفعل بعضهما عن بعض. ففي كلّ الدول وبكلّ المشرّعين مهما كانوا، قد تمّ تمييز

عملين اثنين من الأعمال، أوّلهما اختياري، والثاني إلزامي. وهُم شرّعوا بشأنهما طبقاً لذلك. لكن هل سنتكلّم هذه الكلمة فقط، كأنّها وحي من الله، ونتصرف بعدها بدون أيّ شرح أو تحقيق لما تنطوي عليه؟ هل نعني أنّنا نُسكِت النقد بقوّة الناموس؟ مستحيل أن نفعل ذلك. قبل أن نتقدّم للتشريع إذن، علينا أن نبرهن أنّهما نوعان اثنان، وأن نبرهن ما هو الفرق بينهما، وذلك عندما نفْرض الغرامة على كلّ منهما. يمكن لكلّ شخص أن يفهم اقتراحنا، وأن يكون قادراً على الحكم بطريقة ما، سواء أأُنزل العقاب على نحو ملائم أو لا.

كلينياس: إنّني أتّفق معك، أيّها الغريب، لأنّ أحد الإثنين هو أكيد: فإمّا يجب أن لا نقولَ إنّ كلّ الأفعال الظالمة هي أفعال إلزامية، أو ينبغي علينا أن نميّز بادىء ذي بدء الشيء الذي يبيّن صدق هذا التعبير.

الأثيني: إنّ خياراً واحداً من هذين الخيارين الاثنين لا مفرّ منه تماماً. ولكي لا أتكلّم عمّا أعتقد أنّه الحقيقة فذلك سيكون غير شرعيّ وغير مقدّس بالنسبة لي. لكن إذا كانت الأعمال الظالمة لا يمكن تقسيمها إلى أعمال اختياريّة وأعمال إلزامية، فما يجب عليّ إلاّ أن أسعى لأجد تمييزاً آخر ما بينهما.

كلينياس: حقيقيّ تماماً، أيّها الغريب، لا يمكن أن يوجد رأيان اثنان بيننا حول هذه النقطة الرئيسيّة.

الأثيني: تأمّل مليّاً إذن، هناك أذى من مختلف الأنواع، اقترفه بعض مواطنينا ضد بعض في علاقات الحياة. وهذه العلاقات تقدّم أمثلة كثيرة عن الأعمال الاختياريّة منها والإلزاميّة على حدّ سواء.

كلينياس: بكلّ تأكيد.

الأثيني: لا أعتقد أنّ أيّ شخص يفترض أنّ كلّ هذه الأذيّات هي أضرار وخسائر، وأنّ هذه الأضرار ذات نوعين أحدهما اختياري، والآخر إلزامي. إنّ الأذيّات

الإلزامية لكلّ الرجال متعدّدة وكبيرة تماماً كما هي الأذيّات الاختيارية(٦٩). واعتبر من فضلك، سواء إذا كنتُ محقّاً أو مخطئاً في ما أنا على وشك قوله. إنّني أنكر، يا كلينياس وميغيلوس، أنّ من يؤذي الآخر بدون إرادته يسبب له الضرر لااختيارياً، ولا ينبغي عليّ أن أشرّع بشأن فعل كهذا بحجة أنّني أشرّع للضرر اللاإختياري. لكن عليّ أن أقول بالأحرى إنّ ضرراً كهذا، سواء أكان صغيراً أو كبيراً، ليس ضرراً على الإطلاق. وعلى الجانب الآخر، إذا كنت محقّاً في القول إنّ النفع عندما يُمنح خطأً فإنّ مانحه يمكن أن يقال عنه إنّه يؤذي على الغالب. إنّي أؤكّد، يا صديقييّ، أنّ الهبة المجرّدة أو السلب المجرّد لأيّ شيء لا يمكن وصفه بأنّه عدلٌ أو ظلم. لكنّ المشرّع عليه أن يعتبر إذا ما كان أفراد الجنس البشري يسببون الخير أو الأذى بعضهم لبعض من عادةٍ وأخلاقية عادلة. إنّ المشرّع يجب أن يركز تفكيره على التمييز بين الظلم والأذى. وعندما يوجد أذى بادىء ذي بدء، عليه قدر استطاعته أن يجعل الأذى خيراً بواسطة القانون، وأن ينقذ ذلك الذي تدمّر وأن يرفع ذلك الذي يسقط وأن يجعل ذلك الذي فقد الحسّ أو نزف دماً كلاًّ لا يتجزّأ. وعندما يلطف التعويض الأذى الذي تمّ فعله، يجب على الناموس أن ينشد الانتصار على الفاعلين والمتضرّرين وذلك بنقلهم من مشاعر العداوة إلى مشاعر الصداقة على الدوام.

كلينياس: جيّد جداً.

الأثيني: ثانياً سنشرّع لِمَا يختصّ بالأذيّات الظالمة « وللأرباح أيضاً، مفترضين أنّ الظلم يحقق الكسب للإنسان المتضرّر ». يمكننا أن نشفي من هذه الأشياء الكثيرين الذين يمكنهم أن يشفوا، معتبرين أنّ هذه الأمراض أمراض روحية. وسيأخذ الشفاء من الظلم المنحى التالي.

كلينياس: أيّ منحى؟

الأثيني: عندما يرتكب شخص أيّ ظلم، صغيراً كان أو كبيراً، فإنّ الناموس سينصحه ويجبره إمّا بألاّ يرتكب مثله على الإطلاق مرّة ثانية، وإما أنّه لو ارتكبه فبدرجة أقلّ بكثير مهما تكن الظروف. وينبغي عليه أن يدفع للمتضرّر بالإضافة إلى ذلك. وسوف يهدف الناموس لجعل الإنسان يكره الظلم ويحب طبيعة العدل ولا يكرهها، سواء إذا تمّ نيل هذه الغاية بالكلمة أو الفعل، بالسرور أو بالألم، بإعطاء الامتيازات أو أخذها، بواسطة الغرامات أو الهبات، أو بأيّة طريقة أخرى مناسبة. إنّ هذا العمل سيكون العمل الأنبل للناموس تماماً. لكن إذا رأى المشرّع أيّ شخص لا يمكن شفاؤه، فأيّة غرامة أو قصاص سيعيّنه عليه الناموس؟ يعرف المشرّع تماماً أنّ رجالاً كهؤلاء لا فائدة من بقائهم على قيد الحياة، وهم يحسنون كثيراً لبقية الجنس البشري إن هم وضعوا حدّاً لحياتهم بأيديهم. وبقدر ما سيكونون مَثَلاً للآخرين لئلاّ يعتدوا، هم سيفرّجون عن المدينة بتخلّصها من مواطنين أشرار. وفي تلك الحالات، وفي حالات كهذه فقط، يجب على المشرّع أن ينزل عقاب الموت كقصاص على المعتدين.

كلينياس: يبدو أنّ ما قلته لي عقلاني تماماً، لكن هل ستمنُّ عليّ وتعرض الفرق بين الأذى والظلم بشكل أكثر وضوحاً وتشرح التعقيدات المختلفة بين الأشياء الاختيارية والإلزامية التي تدخل فيهما؟

الأثيني: سأسعى لفعل ما ترغبه. أمّا في ما يتعلّق بالروح فإلى هذا الحدّ سيُقال ما قلناه ويُسمح به بشكل عامّ، وهو أنّ أحد عناصر طبيعتها هو الانفعال الذي يمكن وصفه بأنّه حالة من حالاتها أو جزء منها. وإنّه لمن الصعب جدّاً مكافحته أو الرّضى به، وهو يقلب أشياء عديدة بالقوة اللاعقلانية رأساً على عقب.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: ولا تكون اللذّة الشيء عينه مع الانفعال، بل إنّ لديها قوّة مضادّة، تفعل إرادتها بواسطة الإقناع وقوّة الخداع في كلّ شيء.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: يمكن لإنسان أن يقول حقّاً إنّ الجهل سببٌ ثالثٌ من أسباب الجرائم. والجهل، على كلّ حال، يمكن أن يقسّمه المشرّع إلى نوعين بشكل مناسب، فهناك الجهل البسيط الذي يكون مصدر الاعتداءات الخفيفة، وهناك الجهل المضاعف الذي يُصاحَب بخداع الحكمة. ومَن يكون تحت تأثير هذا النوع الأخير يتوهّم أنّه يعرف كل شيء عن القضايا التي لا يعرف عنها شيئاً. إنّ هذا النوع الثاني من الجهل، عندما تتملّكه القوّة والمقدرة، سيعتبره المشرّع مصدر أعظم الجرائم وأرهبها، لكنّه عندما يُصاحبه الضعف، سينتج عنه أخطاء الأطفال والرجال فقط. وسيسنُّ المشرّع نواميس طبقاً لأولئك الذين يرتكبونها، وستكون هذه النواميس أرحم النواميس وألطفها.

كلينياس: إنّك لمحقّ بشكل تامّ.

الأثيني: لكنّنا نقول عن إنسان إنّه متفوّق في اللذّة والانفعال، ونقول عن آخر إنّه دونَهما، وإنّ هذا القول لحقيقيّ تماماً(٧٠).

كلينياس: بدون ريب.

الأثيني: لكن لم يُسمع أحدٌ لحدّ الآن يقول إنّ شخصاً منّا يكون متفوّقاً وإنّ الآخر يكونُ دوناً للجهل.

كلينياس: حقيقيّ جدّاً.

الأثيني: إنّنا نتكلّم عن البواعث التي تحثّنا على تنفيذ ميولها. ويمكن أن يُجرَّ الفرد بها غالباً برغم ذلك في الاتجاهات المضادّة في الوقت عينه.

كلينياس: نعم، غالباً ما يحدث ذلك.

الأثيني: وبعدُ فإنّني أستطيع أن أحدّد بوضوح وبدون غموض، ماذا أعني بالعادل

والظالم، طبقاً لفكرتي عنهما. عندما يستبدّ الغضب والخوف، واللذّة والألم، والحسد والرغبات، عندما تستبدّ كلّها بالروح، وسواء آذتها أم لا، فإنّني أسمّي هذا ظلماً. لكن عندما يسودُ الرأيُ الأفضلُ الروحَ وينظّم حياة كلّ إنسان، وأيّاً كان الجزء المفترض من الطبيعة الإنسانية، إنّ هذا الرأي يوجد ويقطن فيه، ويوجد ويقطن في الدول والأفراد أيضاً، حتى إذا أخطأ بعض المرّات، ومع ذلك فإنّ ما يتمّ فعله في تطابق معه بعد ذلك مباشرة، ويكون المبدأ الذي يطيع هذه القاعدة في الأفراد هو المبدأ الأفضل لحياة الإنسان كلّها. أقول، إنّ هذا المبدأ هو العدل وبذلك يُسمّى، رغم أنّ الأذى الذي ارتُكبَ خطأ ظنّه العديدون أنّه الظلم الإلزامي. لنتخلَّ عن سؤال الأسماء الذي نحن على وشك أن نختلف بشأنه. وبما أنّنا صوّرنا ثلاثة مصادر للخطأ مسبقاً، فيمكننا الآن أن نبدأ بتذكّرها أكثر وبشكل مفعم بالحيويّة. إن أحدها كان من النوع المؤلم الذي سسمّيناهُ الغضب والخوف.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: وهناك نوع ثانٍ مؤلّفٌ من الملذّات والرغبات، ونوع ثالث من الآمال التي وُجِّهت نحو الرأي الصحيح بشأن الأفضل. وما دام النوع الأخير مقسماً إلى ثلاثة أنواع بشكل صغير، فإنّنا نحصل الآن على خمسة مصادر للأفعال، ولسوف نسنّ نوعين من القوانين لهذه المصادر الخمسة.

كلينياس: وما هما هذان القانونان؟

الأثيني: هناك نوع واحد من الأعمال تمّ فعله بالعنف وفي وضح النهار، وهناك نوع آخر من الأعمال التي ارتُكِبَتْ فيَ الظلام وبخداعٍ سرّيّ، أو ارتُكِبَتْ بالعنف والخداع بعض المرّات. فعلى النواميس المختصّة بهذه الأنواع الأخيرة أن تجد طريقة صارمة جدّاً.

كلينياس: إنّ فعل ذلك لطبيعيّ.

الأثيني: وبعدُ دعنا نعود عن هذا الاستطراد ونكمل عمل المشرّع. لقد سَنَنّا النواميس مسبقاً بخصوص لصوص الآلهة، وبخصوص الخونة، وأيضاً بخصوص أولئك الذين يفسدون النواميس قصد تدمير الحكومة. يُحتمل أن يرتكب إنسان ما هذه الجرائم، إمّا في حالة الجنون أو تحت تأثير المرض، أو تحت تأثير الشيخوخة، أو نوبة طفولية لعوبة. إنّ إنساناً كهذا ليس أفضل من الطفل. وإذا وضحت هذه الأشياء للقضاة المنتخبين للنظر في الدعوى قضائياً، بناء على مناشدة المجرم ومحاميه، فيجب أن يُحاكم في هذه الحالة عند ارتكابه الاعتداء. إنّه سوف يدفع غرامة الأذى الذي يكون قد سبّبه للآخرين وبكلّ بساطة. لكنّه سيعفى من الغرامات الأخرى، إلاّ إذا ذبح شخصاً ما وكانت يداه مملوءتين دماً. سوف يُنْفى في هذه الحالة، لمدة سنة. وإذا عاد قبل انتهاء المدّة المحدَّدة التي عيّنها الناموس، أو حتّى إذا وطئت قدمه أرض بلده الأمّ على الإطلاق، فإنّ حماة الناموس سوف يسوقونه إلى السجن كي يقضي سجيناً ثلاث سنوات ويُطلق سراحه بعدئذ.

بما أنّنا ابتدأنا بالتحدّث عن القاتل، فعلينا أن نسعى لسَنّ نواميس بشأن كلّ نوع من أنواع القتل المختلفة، بدءاً بما يختصّ بالقتل العنيف واللاّمتعمّد. إذا قتل شخصٌ صديقاً عن غير عمد في مباراة رياضيّة وخلال الألعاب العامّة، وإذا مات هذا الصديق إمّا حين تلقّيه الضربات أو بعد ذلك، أو إذا حدثت بليّة لأيّ شخص في الحرب أو أثناء التمارين العسكريّة، أو حين المباراة الصوريّة سواء أَستُخدمت فيها الأسلحة أو لم تُستخدم، وبعد ما يتمّ تطهير القاتل طبقاً للناموس الذي أُحضر من معبد دلفي بخصوص هذه القضايا، أقول، إذا تمّ فعل كلّ هذا فإنّ القاتل سوف يُبرّأ. وهكذا ستكون الحالة بالنسبة للأطباء إذا توفّي مريضهم على أيديهم، لأنّ موته كان عكس ما قصدوه، إنّ الناموس سيعتبر الطبيب غير مذنب. وإذا ذبح شخص

شخصاً آخر بيديه، لكنّه فعل ذلك عن غير قصد، وسواء إذا فعل ذلك بغير سلاح أو كان يحمل أداة أو سهماً بيده، أو إذا قتله بإعطائه غذاءً أو شراباً، وسواء إذا فعل فعلته بيديه أو بواسطة الآخرين، فإنّه سوف يُعتبر مجرماً وسيقاسي عقوبة واحدة من العقوبات التالية: إذا قتل عبدَ الآخر، فيجب عليه أن يتخيّل أنّه مكان مالك العبد وأن يعوض عليه تلك الخسارة، أو أنّه سيدفع غرامةً تساوي قيمتها ضعفي قيمة الإنسان المتوفّ، وسيقرّر القضاة هذه القيمة. لكنّ التطهيرات يجب استخدامها بشكل أكبر وأكثر عدداً من أجل أولئك الذين ارتكبوا القتل أثناء الألعاب. أمّا ماذا ومَن سيكون المؤوِّلون الذين سيعيّنهم الله، فإنّ القضاة هم المخوّلون بإعلانهم. وإذا قتل إنسانٌ عبدَه، فإنّه سيبرأ من القتل عندما يتمّ تطهيره طبقاً للناموس. وإذا قتل إنسان إنساناً حرّاً عن غير عمد، فإنّه سيتعرّض للتطهير عينه كالذي تعرّض له من قَتَلَ العبد، لكن يجب أن لا ينسى أيضاً قصّة قديمة لديها هذا التأثير: إنّ الذي يعاني نهاية عنيفة، فإنّه ساعة موته يكون غاضباً مِمَن سبّب موته، إذا كان لديه روح الإنسان الحر في الحياة. وكونه ممتلئاً خوفاً وهلعاً بسبب نهايته العنيفة، فإنّه يصاب بالرعب ويصبح مضطرباً عندما يرى قاتله يطوف تكراراً بما اعتاد عليه. وأمّا اضطرابه هذا فإنّه ينقله بقوّة غامرة إلى القاتل وأعماله، يساعده في ذلك التذكّر المذنب للآخرين. ومن أجل ذلك يجب على القاتل أيضاً أن يخلي الطريق أمام ضحيته لمدّة سنة كاملة من الزمن، وأن لا يتواجد في أيّة بقعة كان معتاداً على زيارتها داخل البلاد. وإذا كان الميت غريباً، فإنّ القاتل سوف يظل خارج بلاد الغريب لفترة مماثلة من الزمن. إذا أطاع أيّ شخص هذا الناموس طوعيّاً فإنّ نسيب الفقيد الأقرب، وقد رأى ما حدث، ستأخذه الشفقة عليه، ويسالمه، ويلاطفه في المعاملة. لكن إذا عصى شخص هذا الناموس، أو جازف بالذهاب إلى أيٍّ من الهياكل

وضحّى غير متطهرٍ، أو لم يواصل إقامته في المنفى خلال الوقت المحدَّد، فإنّ نسيب الميّت الأقرب سيقدّم الدعوى ضدّ القاتل. وإذا أُدين القاتل، فكلّ جزء من أجزاء إدانته ستتمّ مضاعفته. وإذا لم يقدّم الدعوى النسيب الأقرب للميّت ضدّ مرتكب الجريمة، فسوف يقع التلوّث بها على رأسه. إنّ الضحيّة سوف يلقي الذنب على قريبه، ومَن لديه فكرة إقامة الدعوى ضدّه، يمكنه أن يجبره على الغياب عن بلاده لمدّة خمس سنوات، طبقاً للناموس. إذا قتل غريبٌ غريباً عن غير قصد، وكان الغريب من سكّان المدينة، فإنّ مَن يرغب يمكنه مواصلة الدعوى حتى النهاية طبقاً للقواعد عينها. وإذا كان هو غريباً كليّةً، بالإضافة إلى تطهيره، وسواء إذا ذبح هو غريباً أو غريباً ممن يدفع ضريبة، أو ذبح مواطناً، إذا فعل كلّ ذلك، فإنّه سيُبعد عن أرض الوطن التي تسود فيها نواميسنا. وإذا عاد مخالفاً ما أمر به الناموس، فعلى حماة الناموس أن يعاقبوه بالموت، وعليهم أن يسلّموا ممتلكاته، إذا كان لديه شيءٌ منها، عليهم أن يسلّموها إلى النسيب الأقرب للمتضرّر. وإذا كان لا يملك شروى نقير وأُبعد إلى الساحل رغماً عنه، فإنّه سيلبث على الشاطىء ويبلّل قدميه بماء البحر، ويرقب أقرب فرصة للإبحار. لكنّه إذا أُحضر برّاً، ولم يكن سيّد نفسه، فعلى الحاكم القاضي الذي قابله أوّلاً في المدينة أن يطلق سراحه ويرسله سالماً معافىً إلى ما وراء الحدود.

إذا ما ذبح شخصٌ إنساناً حرّاً بيديه، وإذا تمّ الفعل نتيجة هوىً جامح، ففي حالة كهذه، يجب علينا أن نبدأ بإيجاد تمييز لها. إنّ الفعل الذي تمّ عن هوى جامح، إمّا عند ارتكاب الرجال جريمة القتل فجأة وبدون قصد، وإذا سبّب هذا الفعل الموت للآخرين بالضربات وما شابه عند اللحظة الخاطفة وندم الفاعل على العمل الذي قام به بعد ذلك حالاً، أو مرّة ثانية، عندما يسعى الرجال للثأر، حين إهانتهم بالفعل والكلمة، ويقتلون شخصاً

عمداً ولا يندمون على عملهم هذا، ولهذا السبب ينبغي علينا أن نفترض أنّ جرائم القتل هذه نوعان، وكلاهما ينشآن من الهوى المفرط، ذلك الهوى المفرط أو الرغبة الجامحة التي يمكن القول إنّها وسط بين اللااختياري والإلزامي. وفي الوقت عينه، لا أحد منهما يكون شيئاً أكثر من شَبَه الخيال لكل منهما. إنّ مَن يدَّخر غضبه، ومن لا يثأر لنفسه في اللحظة عينها، لكنّه يفعل ذلك بتصميم غادر وبعد فاصل زمنيّ، فإنّ عمله هذا شبيه بالعمل الاختياري. لكنّ مَنْ لا يكتم غضبه، ويأخذ ثأره في اللحظة عينها وبدون حقد متعمّد، إنّ مَن يفعل ذلك يقترب من العمل الاضطراري. ومع ذلك فإنّ عمله هذا إذا لم يكن اضطرارياً كليّة، فهو صورة أو شَبَهٌ للعمل الاضطراري. ومن أجل ذلك توجد صعوبة في العزم بشأن جرائم القتل المرتكبة عند فورة دم، سواء إذا اعتبرها المشرّع أعمالاً متعمّدة أو غير متعمّدة جزئياً. إنّ الرأي الأفضل والأحقّ هو اعتبارها مشابهة للأعمال المتعمّدة وغير المتعمّدة فقط على التوالي، وعلينا كذلك أن نميّزها في تطابق وكأنّها ارتُكبت بتصميم وبدون سابق تصميم أيضاً. وسنجعل الغرامات أثقل على أولئك الذين يرتكبون القتل نتيجة غضب تصميم سابق، وأنّ نجعلها أخفّ على أولئك الذين لا يصمّمون على ذلك مسبقاً، بل يوقعون الأذى في اللحظة عينها. إن ما يشبه الشرّ الأعظم يجب أن يُعاقب بصرامة أكثر، وما يشبه الشرّ الأقل يُعاقب بأقلّ صرامة. هكذا سوف يكون حكم الناموس.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: دعنا نواصل ما بدأناه. إذا ذبح أيّ شخص إنساناً حرّاً بيديه، وتمّ فعل ذلك في لحظة غضب وبدون سابق تصميم، فالآثم يجب أن يقاسي في جوانب أخرى ما قاساه مرتكب القتل اللااختياري، وعليه أيضاً أن يذوق مرارة النفي سنتين، وذلك ليتعلم كيف يهذّب هواه الجامح. لكن الذي يذبح

الآخرين بسبب هواه الجامح، وعن سابق تصميم، فإنّه سيقاسي كما قاسى الآخر في وجهة ما، وسيُضاف إلى هذا نفي لثلاث سنوات بدلاً من سنتين. إنّ عقابه يجب أن يكون أطول لأنّ شهوة القتل عنده أعظم. أمّا طريقة عودتهما من النفي فستكون على هذا النحو: « وهنا فإنّ لدى الناموس بعض الصعوبة في العزم الدقيق عليه. ففي بعض الحالات إنّ القاتل الذي يحاكمه الناموس على أنّه القاتل الأسوأ يمكن أن يكون القاتل الأقلّ قسوة، والذي يحاكمه الناموس على أنّه القاتل الأقلّ سوءاً يمكن أن يكون القاتل الأسوأ حقّاً، ويمكن أنّه نفّذ القتل بطريقة أكثر وحشية. في حين أنّ القاتل الآخر يمكن أن يكون ألطف من ذلك. لكن درجات الذنب بشكل عامّ ستكون درجات كتلك التي وصفناها. يجب على حماة الناموس أن يأخذوا علماً بكلّ هذه الأشياء ». عندما ينهي القاتل نوعيْ نفيه، سوف يرسل حماة الناموس اثني عشر قاضياً إلى حدود البلاد، ويفترض أنّ هؤلاء القضاة أخبر بعضهم بعضاً بأعمال المجرمين أثناء فترات الزمن الفاصلة، وسيحكمون طبقاً للعفو والقبول، وسيلتزم القتلة بما يحكمون. لكن بعد عودتهم إلى موطنهم، إذا ارتكب أحدهم القتل ثانية في لحظة غضب فيجب أن ينفى وأن لا يعود من منفاه بعد ذلك. وإذا عاد، فيجب أن يقاسي العقاب كما قاساه الغريب في حالة مشابهة. إنّ الذي يقتل عبده سوف يخضع للتطهير، لكن إذا قتل عبدٌ عبداً آخر في لحظة غضب، فإنّه سيدفع ضعف القيمة لمالكه الذي خسره. وإذا عصى أيّ قاتل الناموسَ، ولوّث الساحة العامّة بدون أن يخضع للتطهير، أو لوّث المعابد، أو الألعاب، فيمكن لمَن يرغب أن يجلب للمحاكمة نسيبَ الرجل الميت القريب للسماح له، وأن يُحضر القاتل معه. ويُمكن أن يجبر الشخص على تعيين القصاص وأن يعانيه الآخر بدفع ضعفي الغرامات والتطهيرات، وسيتلقّى المتّهم نفسه غرامة طبقاً لِما ينصّ عليه

الناموس. إذا قتل عبدٌ سيّدَه في نوبة انفعالية، فإنّ أقارب القتيل يمكنهم أن يفعلوا به ما يسرّهم « شريطة أن لا يبقوا على حياته » وسيكونون متطهّرين. أو إذا قتل عبدٌ إنساناً حرّاً ليس سيده، فإنّ مالك العبد سيسلّمه إلى أقارب القتيل، وسيتعهّدون بأن يحكموا عليه بالموت، ويمكن أن يفعلوا ذلك بأيّة طريقة تسرّهم. وإذا قتل أحد الأبوين بالضرب المبرح ابنَهما أو ابنتَهما في لحظة هوىً جامح « وذلك حدث نادراً، لكنّه يقع بعض المرات »، أو إذا فعلا ذلك في حادثة عنف أخرى، فإنّهما سيخضعان للتطهير عينه كما جرى في الحالات السابقة. وسيتعرّضان للنفي مدّة سنواتٍ ثلاثٍ، لكن عند عودتهما من المنفى تُفصل الزوجة عن زوجها، والزوج عن زوجته، ولن ينجبا الأطفال معاً بعد الذي حدث ولا يعيشان تحت سقف واحد ولا يشتركان في الطقوس المقدّسة عينها مع أولئك الذين جرّدوهم من طفل أو من أخ. وأمّا المعاند العاقّ في حالة كهذه فيمكن لمن يرغب أن يحضره للمحاكمة متّهماً أيّاه بالعقوق. إذا قتل زوج زوجته في نوبة غضب، أو إذا قتلت الزوجة زوجها، فإنّ القاتل سيخضع للتطهير عينه، وستكون مدّة النفي ثلاث سنوات. وعندما يعود الشخص الذي ارتكب الجريمة، فيجب ألاّ يُشارك أطفاله في الطقوس المقدّسة ويجب ألاّ يجلس على الطاولة عينها معهم. وإذا لم يطع الأب أو الابن هذا الناموس فسيكون معرّضاً لجلبه للمحاكمة بتهمة العقوق وذلك من قِبَل شخص يريد القيام بذلك. إذا قتل الأخ أخته أو قتلت الأخت أخاها في نوبة غضب، فإنّهما سيعرّضان للتطهير والنفي، كما هي حالة الأبوين اللذين قتلا نسلهما. إنّهما لن يعيشا تحت سقف واحد، أو يشتركا في الطقوس المقدّسة لأولئك الذين جرّدوهم من إخوانهم، أو من أطفالهم. ومن يعاند سيكون عرضة لعقاب الناموس بعدل، الناموس الذي يختصّ بقضايا العقوق هذه. إذا كان أيّ شخص عنيفاً في انفعاله ضدّ آبائه،

وتجرّأ على قتل أحدهما في ثورة غضب، وإذا سامحه الشخص المقتول قبل أن يفارق الحياة، فالقاتل يجب أن يخضع للتطهير المخصّص للمذنبين بالقتل عمداً، وأن يفعل ما فعلوه، ولسوف يتطهّر. لكنّه إذا لم يتبرّأ من تهمته، فإنه سيكون عرضة لعقاب عدد من القوانين. إنّه سيكون عرضة لأقصى عقوبات الهجوم والعقوق وسرقة الهياكل، لأنّه سرق الحياة من أبويه. وإذا كان مستطاعاً قتل المرء مرتين أو أكثر، فسيكون من قتل أباه أو أمه في نوبة غضب، أحق الناس بذلك. كيف يستطيع فعل ذلك بين كلّ الرجال، حتّى دفاعاً عن حياته. وحتّى لو كان على وشك أن يقاسي الموت على يدي آبائه، فلا ناموس يسمح له بقتل أبيه أو أمّه اللذين هما سبب وجوده، وهذا هو من يفرض عليه المشرّع تحمّل أيّة شدة في سبيل والديه بدلاً من القيام بارتكاب هذا العمل المخزي - أقول، كيف يمكنه أن يتلقّى أيّ عقاب آخر بشكل قانوني؟ إن الموت إذن هو القصاص المخزي لمن يذبح أباه أو أمه في نوبة هوى جامحة. لكن إذا قتل أخٌ أخاه في شجار مدنيّ، أو في حالات أخرى مشابهة، وإذا كان البادىء هو المقتول، وكان القاتل في حالة دفاع عن النفس، فيجب أن يكون بريئاً من الذنب، كما لو أنّه ذبح عدوّاً. والناموس عينه يطبّق إذا قتل مواطن مواطناً آخر أو إذا قتل غريبٌ غريباً آخر، أو إذا قتل غريب مواطناً أو قتل مواطن غريباً في دفاع عن النفس. يجب أن يكون القاتل بريئاً من الذنب، بطريقة مماثلة، وهكذا في حالة إذا قتل عبدٌ عبداً آخر. لكن إذا قتل عبدٌ إنساناً حرّاً دفاعاً عن النفس، فيجب أن تطبّق عليه عقوبة من قتل أباه. فالقانون المتعلّق بإرجاء العقوبات في حالة قتل الأمّ أو الأب أو أحد الأقربين الأدنين يجب أن ينطبق على كلّ إرجاءٍ آخر بشكلٍ متساوٍ. متى يرجىء أيّ مُقاسٍ لهذه الجرائم ذنب قاتل الآخر، متى يرجئه من غير إكراه، بحجّة أن عمله كان عملاً اضطرارياً فيجب على

مرتكب العمل أن يتعرّض للتطهير وأن يُنفى لمدّة سنة وطبقاً للناموس.

لقد تكلّمنا بما فيه الكفاية عن جرائم القتل العنيفة والاضطرارية والتي إرتُكبت في لحظة انفعال.ينبغي علينا أن نتكلّم الآن عن الجرائم الإختيارية المرتكبة ظلماً ومن كلّ نوع وعن سابق إصرار وتصميم، وذلك نتيجة تأثير الملذات والرغبات والحسد.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: دعنا نتكلّم بادىء ذي بدء، قدر إمكاننا عن أنواعها المختلفة. إنّ السبب الأعظم لهذه الجرائم هي الشهوة، تلك الشهوة التي تسيطر على الروح والمجبّلة بالرغبة. وهذه الشهوة توجد بالشكل الأكثر شيوعاً حيث يحكم الهوى الذي هو الأقوى والأكثر سيادة وانتشاراً بين أفراد الجنس البشري. أعني، حيث قوّة الغنى تخلق رغبات لا نهاية لها، والتي لا يمكن إشباعها أبداً، لأنّها متأصّلة في نزعة طبيعيّة، وهي تفتقر للتعليم بشكل بائس. وسبب هذا الافتقار البائس للتعليم هو الثناء الباطل على الغنى والشائع بين الهيليينيين والبربر على حدّ سواء. إنّهم يعتبرون الغنى أوّل الخيرات وهو في الحقيقة ثالثها. وهم يُجبرون في هذه الطريقة على أجيالهم القادمة كلّها، إذ لا شيء يمكنه أن يكون أفضل وأنبل من تلك الحقيقة المتعلّقة بالغنى، والتي يجب الإفصاح عنها في جميع الدول - أعني، إنّ الغنى يكون من أجل الجسد، كما أن الجسد يكون من أجل الروح. إنّهما خيران وقد قُصِدَ الغنى ليكون من أجلهما بالطبيعة، ولهذا السبب فإنّه دونهما كليهما، وهو الثالث في نظام الامتياز. إنّ هذه المحاورة تعلّمنا أنّ الذي سيكون سعيداً ينبغي عليه أن لا ينشد الغنى، أو بالأحرى يجب عليه أن ينشد الغنى بالعدل والاعتدال، وحينئذ تنعدم جرائم القتل في الدولة، تلك الجرائم التي تحتاج لجرائم أخرى كي تزول. لكن الآن، وكما قلت قبلاً، أقول إنّ الجشع هو السبب الأوّل

والرئيسيّ ومصدر أسوأ تجارب جرائم القتل الاختياريّة. أمّا السبب الثاني فهو الطموح، والطموح يخلق الحسد، وهما رفيقان عسيران، وعسيران للرجل الحسود نفسه قبل كلّ الأشياء، وبدرجة أقلّ لرؤساء الدولة. وأمّا السبب الثالث فهو الجبن والخوف غير العادل اللذين كانا السبب المباشر للعديد من جرائم القتل. حينما يرتكب إنسان شيئاً ما ويرغب ألاّ يعرفه أيّ شخص أنّه مرتكبه أو أنّه ارتكبه، فإنّه سيقتل الذين سيخبرون عن أشياء كهذه، على الأرجح؛ هذا إذا لم يكن لديه وسائل أخرى للتخلّص منهم. وهذا القول يجب أن يقال كاستهلال، في ما يخصّ جرائم العنف بشكل عامّ، ويلزمني ألاّ أُغفِل عرفاً يصدقه العديدون بشكل لا يقبل الجدل، والذي تلقّوه من العارفين بالأسرار الإلهيّة السّريّة. يقولون هم إن أعمالاً كهذه سيُعاقَب عليها في العالم السفليّ، وأيضاً فإنّ مرتكبي الجرائم عندما يعودون إلى هذا العالم سوف يدفعون الغرامة الطبيعيّة المتوقّعة للمتضرّر وهذه الغرامة واجبة الأداء، وينهون حياتهم بأيدي الآخرين بطريقة مماثلة. وإذا اعتقد بهذا من هو على وشك أن يرتكب جريمة قتل، وإذا جُعِل بالإستهلال المجرّد يخاف عقوبة كهذه فلا حاجة لإكمال تصريح أو إعلان الناموس. لكن إذا لم يستمع أحد لما قلناه، فالناموس التالي يجب أن يُعلن وأن يُسجّل ضدّه: إنّ مَن سيذبح شخصاً من أبناء قبيلته بيديه ظلماً وعدواناً وعن سابق تصميم فإنّه سيُجرَّد من امتيازاته الشرعيّة بالدرجة الأولى، ولن يدنّس الهياكل، ولا الساحة العامّة، ولا المرافىء، ولا أيّ مكان من أماكن الاجتماعات، سواء أمنعه الرجال من ذلك أم لم يمنعوه. إنّ الناموس الذي يمثّل الدولة بمجملها يمنعه، ولسوف يواجهه ويمنعه على الدوام. وإذا لم يحاكمه ابن عمّ القتيل أو الأقرب نسباً إليه، سواء من جهة الذكر أو الأنثى، إذا لم يحاكمه عندما تجب محاكمته، ولم يعلن أنّه طريد العدالة، فإنّه يكون شريكاً في التدنيس

بالدرجة الأولى ويجلب على نفسه غضب الآلهة. حتى أن لعنة الناموس تثير أصوات الرجال ضدّه. وفي الدرجة الثانية فإنّه سيكون عرضة للتقديم للمحاكمة من قبل أيِّ شخصٍ عازمٍ على إنزال عقوبة به نيابة عن الإنسان المتوفّى. وأمّا الذي سيثأر للقتل فسيراقب كلّ التدابير الوقائية لاحتفالات الغسل، وكذلك لأيّة احتفالات أخرى يأمر بها الله في حالات من هذا النوع. وعليه أن يعلن التصريح، وأن يشرع بالعمل ويجبر القاتل على مقاساة إجراء العدل طبقاً للناموس. وبعدُ فإنّ المشرّع يمكنه أن يبيّن بسهولة أنّ هذه الأشياء يجب أن تُنجز بالصلوات والأضاحي لآلهة محدَّدة، لآلهة تختصّ بمنع جرائم القتل في الدول. لكن من هم هؤلاء الآلهة، وما هو الأسلوب الصحيح لبدء محاكمات كهذه في اعتبارٍ للدِين واجبِ أداؤه، فإنّ حماة الناموس يساعدهم في ذلك المؤوّلون والأنبياء والله هم الذين يقرّرون. وعندما يقرّرون دعهم ينفّذون المقاضاة عند الناموس. إنّ الدعوى سيكون القيّمون عليها القضاة أنفسهم الذين عُيّنوا لإتخاذ القرار في حالة لصوص الهياكل. ومن يدان بهذا الجرم يجب أن يُعاقب بالموت، وأن لا يُدفن في بلاد القتيل، لأنّ هذا العمل سيكون معيباً وعاقّاً. وإذا هرب القاتل ولم يقدِّم نفسه للمحاكمة، فيجب أن يظلّ هارباً إلى الأبد. لكنّه إذا وضع قدميه في أيّ مكان وعلى أيّ جزء من أجزاء بلاد القتيل، فأيّ قريب من أقرباء المقتول، أو أيّ مواطن يصدف أن يراه أوّلا ويقابله فله أن يقتله بسبب الإفلات من العقوبة، أو له أن يقيّده ويرسله لقضاة الحالة هذه، وذلك كي ينفّذوا به حكم الإعدام. وعلى المدّعي أن يطلب كفيلاً من الذي يحاكم. هناك ثلاثة كفلاء كافون في رأي القضاة الحكّام الذين ينظرون في الدعوى، وسوف يجهّز هؤلاء الكفلاء الثلاثة، وهم سيباشرون تقديمه عند المحاكمة. لكنّه إذا كان غير مستعدّ أو غير قادرٍ أنّ يقدم

كفلاء، حينئذ فإنّ القضاة الحكّام سيقيّدونه بالأغلال ويقدّمونه عندما يحين يوم المحاكمة.

إذا لم يرتكب إنسان جريمة القتل بيديه، بل رسم خططاً لموت الغير، وكان مسبّب الفعل في القصد والتصميم، وإذا استمرّ ساكناً في المدينة، ولم تُطهَّر روحه من إثم القتل، فسوف يُحاكم بالطريقة عينها إلاّ فيما يتعلّق بالكفلاء. وإذا وُجد مذنباً أيضاً، يمكن أن تدفن جثّته في بلاده الأصليّة بعد إعدامه. لكنّ حالته ستكون كالحالة التي تطرّقنا لها سابقاً في كلّ الجوانب الأخرى.وإذا قتل غريب مواطناً، أو قتل مواطنٌ غريباً، أو قتل عبدٌ عبداً، فلا فرق في ما يتعلّق بجريمة القتل أكانت بيد القاتل أو بواسطة تيسير الوسائل لها، إلاّ في قضيّة الوكلاء. وهذه سيحتاج لها القاتل الحقيقيّ فقط، كما قلنا سابقاً، والذي يتقدّم بالإتّهام سوف يُلزِمهم بالحضور تحت طائلة العقوبة في الوقت عينه. إذا أُدين عبدٌ بذبح حرٍّ اختيارياً بيديه أو بالوسائل الأخرى، فعلى منفّذ الإعدام العامّ أن يأخذه باتّجاه الضريح، إلى حيث يمكنه رؤية قبر القتيل. ثم يضربه ضرباً موجعاً بعدد ما يأمر به المدّعي العام. وإذا بقي على قيد الحياة بعد ذلك، فعلى المدّعي العام أن يحكم عليه بالموت. وإذا قتل أيّ شخص عبداً لا يإثم ارتكبه بل خوفاً من أن يخبر العبد عن بعض أعمال دنيئة وسيئة ارتكبها، أو من أجل سبب آخر مشابه، ففي حالة كهذه على القاتل أن يدفع غرامة جريمة قتل وكأنّه قام بها ضدّ مواطن من المواطنين. هناك أشياء أرهب وأمقت من أن تستدعي التشريع بشأنها. لكن من المستحيل أن لا يُشرَّع بخصوصها في الوقت عينه. كمثال، إذا حدثت جريمة قتل لنسيب أو قريب، إمّا تمّ ارتكابها بأيدي أقرباء أو بواسطة وسائلهم، فإنّها جريمة مكرٍ وتعمّد على نحوٍ صِرْف، وهذه الجريمة تحدث غالباً في الدول ذات النظام السّيِّىء والتعليم الدنيء. ويمكن أن تحدث حتّى

في البلاد التي لا يُتوقع حدوثها فيها. ينبغي علينا أن نردّد مرّة ثانية القصّة التي رويناها منذ مدة قصيرة مضت، على أمل أنّ الذي يسمعنا سيكون الأكثر ميلاً للامتناع مختاراً عن جرائم القتل المقيتة، ويمتنع بناءً على هذه الأسس. إنّ الأسطورة، أو القول، أو مهما يمكن أن نسميه، قد أعلنه الكهنة في الزمان الغابر. لقد أعلنوا أنّ العدل الذي يحرس ويثأر لدم الأقرباء، يتبع ناموس مقابلة الأذى بمثله، ويقضي أنَّ مَن قام بارتكاب جريمة قتل يجب بالضرورة أن يعاني ويتحمَّل عواقب فعله. إنّ مَنْ ذبح أباه سوف يُذبح هو نفسه في الوقت نفسه أو في وقت آخر، وسيقوم أطفاله بهذا العمل. وإذا ذبح أمّه فإنّه سيتّخذ طبيعة المرأة بالضرورة، وسيفقد حياته على يدي ذريته في الأجيال القادمة. لأنّه حيث تمّ تدنيس دم العائلة فما من تطهير آخر غير الذي حكمنا به، ولا يمكن أن يُغسل الدنس حتّى تؤخذ روح المجرم القاتل، التي قامت بهذا العمل الدنيء، حتى تؤخذ بروح أخرى أي بموت القاتل. بهذا العمل تخلد العائلة كلّها للسكون وتسترضى. إنّ هذه العقوبات هي عقوبات السماء، ويجب أن يُردَع الرجال بعقوبات كهذه. لكن إذا لم يتمّ ردعهم، فإنّ أيّ شخص ستدفعه أية حادثة لتجريد أبيه أو أمه أو أخوته من الحياة طوعاً وعن قصد. وله سيشرّع المشرّع الأرضي كما يلي: ستوجد التصريحات عينها بشأن الحرمان من حماية الناموس، ولسوف توجد التأكيدات عينها التي حدثت في الحالات السابقة. لكن في هذه الحالة، إذا أُدين، فإنّ خدم القضاة مع القضاة الحاكمين سيذبحونه ويرمون جثّته عارية في مكان معيَّن خارج المدينة حيث تلتقي طرقات ثلاثة. وسيمسك كلّ حاكم قاضٍ بالنيابة عن المدينة كلّها، سيسمك بحجر ويرمي به على رأس الرجل الميّت، وهكذا سينقذون المدينة من الرجس والدنس. وبعد ذلك، سيحملونه إلى حدود البلاد، ويرمونه خارجاً في العراء دون دفن طبقاً

للناموس. وماذا سيكون عقاب مَنْ يذبح أفضل صديق له من بين كلّ الرجال، كما يقولون؟ أعني المنتحر، الذي يجرّد نفسه بالعنف من حصّته المعيّنة في الحياة، لا لأنّ ناموس الدولة يحتاجه لفعل ذلك، وليس بسبب ألم ما أو مصيبةٍ محتومة نزلت عليه، ولا بحجّة أنّه عانى من عارٍ لا سبيل إلى معالجته ولا يطاق، بل هو الذي يفرض على نفسه عقاباً جائراً يفرضه نتيجة خموله أو افتقاره للرجولة. وله أيّة أعياد توجد ذات تطهير ودفن فالله يعرف. وعلى الإنسان الأقرب له أن يسأل المؤوّلين بشأنها وأن يسأل عن القوانين المتّصلة بذلك أيضاً. وعليه أن يفعل أيضاً طبقاً لوصاياها. إنّ الذين يقابلون حتفهم بهذه الطريقة سيُدفنون وحيدين، ولن يُدفن أحدٌ بجانبهم. إنهم سيُدفنون بخزي في حدود أجزاء البلاد الاثني عشر، وفي الأمكنة السبخة والمجهولة، ولن يسجّل نُصبٌ منقوش مكان دفنهم. وإذا سبّب حيوان مفترس أو أيّ حيوان آخر الموت لأيّ شخص، إلا إذا حدث شيء من ذلك النوع لمتنافِسٍ في المباريات العامّة، فإن نسيب الميت سيقوم بمحاكمة القاتل لارتكابه جريمة القتل، وإذا أُدين الحيوان المفترس فيجب أن يذبحوه، ولهم أن يرموه وراء الحدود. وإذا جرّد أيّ شيء لا حياة له إنساناً من حياته، إلاّ في حالة حدوث الصاعقة أو وقوع أيّة حركة مفاجئة مميتة أرسلتها الآلهة، سواء إذا قُتل الإنسان بوسائل لا حياة لها سقطت عليه، أو سقط عليها، حينئذ فإنّ النسيب الأقرب له سيعيّن الجار الأقرب ليكون القاضي، وبتلك الوسيلة يبرىء نفسه ويبرىء العائلة كلّها من الذنب. وسيرمي الشيء الآثم ما وراء الحدود، تماماً كما قيل بشأن الحيوانات مسبقاً.

إذا وُجد إنسان ميتاً، وكان قاتله غير معروف ولم يُكتَشف بعد بحث جاهدٍ ومتقن، فسوف يُوجد التصريح عينه كما وُجد في الحالات السابقة، كذلك التحريم عينه على القاتل. وبما أنّهم أقاموا الدعوى ضدّه، فلسوف

يعلنون في الساحة العامّة بواسطة مذيع، أنّ مَن ذبح شخصاً كهذا، ومَن أُدين بجريمة القتل لن تطأ قدماه أرض الهياكل، ولا كل أرض بلاد المغدور على الإطلاق. وإذا ما ظهر فيهما وتمّ اكتشافه فسيموت، وسيُرمى ما وراء الحدود بدون أن يُدفن. هكذا ستكون نواميس جرائم القتل مؤلفة من ناموس مفرد وحيد، ودع قضايا من هذا النوع يتمّ اعتبارها هكذا.

والآن دعنا نقول في أيّة حالات وتحت أيّة ظروف يكون القاتل بريئاً من الإثم بشكل حقيقيّ. إذا قبض إنسان على لصٍّ تسلّل ليلاً إلى بيته ليسرق، فأمسك به وقتله، أو إذا ذبح قاطعَ طريق دفاعاً عن النفس فإنّه سيكون بريئاً. وأيّ شخص يفعل العنف لامرأة حرّة أو لشابّ، فسوف يُذبح من جرّاء الإفلات من العقوبة، سيذبحه الشخص الذي وقع عليه الأذى أو أبوه أو أبوها أو أخوه أو أخوها أو أبناؤه أو أبناؤها. وإذا وجد إنسان زوجته تقاسي العنف، يمكنه أن يقتل المعتدي عليها، وأن يكون بريئاً في نظر الناموس. وإذا قتل شخصٌ شخصاً لصدّ الموت عن أبيه أو أمّه أو أطفاله أو أخوته أو زوجته الذين لم يؤذوا المعتدي، إذا فعل ذلك فإنّه يكون بريئاً بكلّ تأكيد.

سنتكلّم إلى هذا الحدّ في ما يتعلّق بتثقيف وتعليم الروح الحيّة للإنسان، والإنسان بالتثقيف والتعليم يستطيع أن يحيا، لكنّه لا يقدر على الحياة بدونهما لسوء الحظّ. وفيما يختصّ بالعقوبات التي ستُفرض للموت العنيف، فالتشريع بشأنها يجب أن ينتهي عند هذا الحدّ. لقد تكلّمنا عن تثقيف وتعليم الجسم سابقاً، وعلينا أن نتكلّم عن أعمال العنف، الاختيارية منها والاضطرارية بشكل منظّم، التي يقوم الرجال بها بعضهم ضد بعض. سنميّز هذه الأعمال قدر ما نستطيع، وذلك طبقاً لطبيعتها وعددها، وسنقرّر من العقوبات ما سيكون مناسباً لها. وهكذا نعيّن لها مكانها المناسب كذلك في سلسلة تشريعاتنا. إنّ المشرّع الأكثر فقراً في فنّه لن تكون لديه صعوبة في

تقرير أنّ الجراح والتشويه الناتج عنها، تلي حالات الموت من حيث الترتيب. الجراح يجب أن تُقسَّم كما تمّ تقسيم جرائم القتل، إلى اضطرارية تُنتج انفعالياً أو من الخوف، وكذلك المتعمّدة وعن سابق تصميم. ينبغي علينا أن نذيع بياناً ينصّ ما يلي، في ما يتعلق بهذا كلّه. يجب على الجنس البشري أن يمتلك نواميس، وأن يعمل وفقاً لها، وإلاّ فحياتهم ستكون حياة سيئة كما هي حياة الوحش المفترس[٧١]. وسبب هذا أنّ أحداً لا يقدر على معرفة ما هو الأفضل للمجتمع الإنساني، وإذا عرف فليس بقادر على الدوام أو مستعداً لفعل الأفضل. هناك صعوبة، في المقام الأوّل، في فهم أنّ فنّ علم السياسة الحقيقيّ لا يختصّ بالخير الخاصّ بل يختصّ بالخير العام. « فالخير العامّ يوثق الدول معاً، لكن الخير الخاصّ يحيِّرها ويلهيها فقط ». وفي فهم أنّ كلا الخيرين العام والخاص كما خير الأفراد والدول، فليس الخير الأعظم والذي يجب اعتباره أوّلاً وقبل كل شيء إلاّ خير الدولة وليس خير الفرد. وفي المقام الثاني، ورغم أنّ الشخص يعرف أنّ هذا القول صحيح وحقيقي نظريّاً، ومع ذلك إذا حاز هذا الشخص القوة المطلقة غير المسؤولة بعد ذلك، فإنّه لن يبقى ثابتاً على مبادئه ولن يُصرّ على اعتبار الخير العامّ كأنّه الشيء الأساسيّ في الدولة، وأنّ الخير الخاصّ شيء ثانويّ. إنّ الطبيعة الإنسانيّة ستجذبه نحو الجشع والأنانيّة، متجنّبةً الألم وممارِسةً اللذّة بدون تعقلٍ، وسوف تجعل الطبيعة هذه الأشياء في مقدّمة اهتماماتها، حاجبةً بعملها هذا ما هو الأعدل والأفضل. وبما أنّ الظلام استولى على روحه فإنّه سوف يملأها أخيراً بالشرور ومن ثمّ يملأ المدينة كلّها. إنّ الإنسان إذا خُلق هكذا موهوباً بهبةٍ إلهيّة، وذلك كي يمكنه فهم الحقيقة بشكل طبيعيّ، فإنّه لن يحتاج لحكم النواميس[٧٢]. إذ ما من ناموس أو نظام فوق المعرفة، ولا يمكن اعتبار العقل، بدون عقوق، أنّه تابعُ أيّ إنسان أو عبده، بل يجب اعتباره

سيّد الجميع على الأصحّ. إنّني أتكلّم عن العقل الحقيقيّ والحرّ وفي اقتنائه الكامل لطبيعته. لكن لا وجود لعقل كهذا في أيّ مكان، أو على الأقلّ لا يوجد بمقدارٍ وافر. ولهذا السبب ينبغي علينا أن نختار الناموس والنظام اللذين يليان الأفضل. إنّهما ينظران إلى الأشياء كما هي بجزئها الأكثر، لكنّهما غير قادرين على أن يحسبا حساباً لكلّ حالة.

إنّ سبب قولي هذا هو أنّه يجب علينا أن نقرّر الآن أيّة عقوبة ينبغي أن يتعرّض لها أو يعانيها من أنزل الأذى بالشخص الآخر أو جرحه. يمكن لكلّ إنسان أن يتخيّل أن الأسئلة التي يجب طرحها في كلّ هذه الحالات هي: ماذا جرح ذلك الشخص، أو من جرح، أو كيف، أو متى؟ فهناك حالات خاصّة لا تحصى من هذا النوع وتتنوّع من الواحدة إلى الأخرى بشكل كبير. ولكي نُيسّر لمحاكم الناموس أن تتّخذ قراراً بخصوص كلّ هذه الأشياء، أو لا تتّخذ فذلك يبدو مستحيلاً على الأرجح. هناك حالة واحدة خاصّة يجب عليهم أن يتّخذوا قراراً بشأنها في كلّ الحالات، إنّها سؤال الحقيقة. وبعدئذ فإنّ المشرّع ينبغي أن لا يسمح لها أن تتّخذ قراراً بشأن أيّة عقوبة يلزم إنزالها في أيّة حالة من هذه الحالات، بل عليه أن يتّخذ قراراً بنفسه بشأنها كلّها، الصغيرة منها والكبيرة. وهذا من ثاني المستحيلات.

كلينياس: إلامَ الإشارةُ إذن؟

الأثيني: الإشارة إلى أن بعض الأشياء يجب أن تُترك لمحاكم الناموس؛ وأمّا الأشياء الأخرى فعلى المشرّع أن يتّخذ قراراً بشأنها بنفسه.

كلينياس: وماذا ينبغي على المشرّع أن يقرّر، وماذا عليه أن يترك لمحاكم الناموس؟

الأثيني: يمكنني أن أجيب بأنّه يقدر على فعل ذلك في دولةٍ تكون محاكم الناموس فيها سيّئة وصامتة، لأنّ القضاة يكتمون آراءهم ويقرّرون الأسباب بشكل سرّي. أما الأسوأ فهو عندما يصفّقون ويصيحون مستهزئين أو مستهجنين

لذلك أو لهذا المدّعي بشكل فوضويّ وصاخب، وكأنّهم في مسرح. أقول هناك شرّ خطير جدّاً حينئذٍ سيؤثر على الدولة كلّها. إنّه لمن سوء الحظّ أن نضطرّ للتشريع لمحاكم كهذه، لكن حيث تقضي الضرورة، ينبغي على المشرّع أن يسمح لهم بتعيين الغرامات على الاعتداءات الأصغر فقط. وإذا كانت الدولة التي يشرّع لها من هذه النوعية فيجب عليه أن يأخذ المسائل الأكثر أهميّة بيديه بواسطة التدبير الاحتياطي الدقيق. لكن عندما تمتلك دولة محاكم جيّدة، ويكون القضاة فيها مدرّبين تدريباً جيّداً ومختبَرين بشكل دقيق، يمكن لتقرير العقوبات والغرامات التي ستُفرض على المذنب أن تُترك لهم مع الفائدة. ولسنا نلام إذا لم نشرّع في ما يختصّ بكلّ ذلك النوع الكبير من القضايا، والتي سيكون قضاة متفقون بشكلٍ أسوأ بكثير من قضاتنا، سيكونون قادرين على أن يقرّروا ما يناسبها، وأن يعيّنوا لكلّ اعتداء ما يجب أن يحصل عليه القاتل والمتضرّر. نحن نعتقد أنّ الذين نشرّع لهم لديهم القدرة الأفضل للحكم على ما نشرّع، ولهذا السبب يمكننا أن نترك الجزء الأكبر لهم. وفي الوقت عينه، وكما قلت سابقاً، ينبغي علينا أن نعرض للقضاة موجز شكل العقوبات التي يمكن فرضها، كما فعلنا آنفاً. وحينئذ فهم لن يخالفوا ناموس العدل. إنّ التمرين الذي عاينّاه في ما مضى، والذي نفترض الآن أنه عمل المشرّع هو تمرين ممتاز ويمكننا أن نردّده لفائدته الكبرى.

أما التشريع بشأن الجروح فيجب أن يكون في العبارات التالية: إذا كان لدى أيّ شخص القصد والنية لذبح آخر ليس عدوّاً له، فيجرحه لكنّه لا يستطيع قتله، فالشخص الذي نوى القتل لكنّه جرح الآخر فقط لا ينبغي أن يُشفق عليه. إنّه لا يستحقّ أيّ تفكير، بل يجب اعتباره قاتلاً وتلزم محاكمته بتهمة القتل. ومع احترامنا للقَدَرِ الذي مَنَّ عليه بطريقة ما، ومع

احترامنا للعناية الإلهية التي بعطفها عليه وعلى الجريح أنقذت أحدهما من الضربة القاضية، وأنقذت الآخر من القسمة البغيضة ومن الكارثة، وكشكر لتقديمه لهذا الإله، ولكي لا نعارض مشيئته، فإنّ الناموس في تلك الحالة سيخفّف عقوبة الإعدام ويجبر المعتدي على الهجرة إلى مدينة مجاورة فقط طيلة حياته، وسيبقى هناك متمتّعاً بكلّ ما يملك. أمّا إذا جُرح المتضرّر فإنّه سيقدّم تعويضاً عن الضرر الذي ألحقه به. والمحكمة هي التي تقدّر الدعوى وتقدّر قيمة التعويض. وسيتولّى الحكم القضاة أنفسهم الذين كانوا سيحكمون لو توفّي الإنسان من جراء جروحه. وإذا جرح صبيٌّ آباءَه عن قصد، أو إذا جرح خادم سيّده، فإنّ الموت سيكون عقاب الاثنين. وإذا جرح زوج زوجته، أو إذا جرحت زوجة زوجها، قصد القتل، فيجب أن يخضعا لنفي أبديّ. وإذا كان لديهما أبناء أو بنات صغار، فإنّ الحماة سيعتنون بممتلكاتهم. ويتولّون أمر العناية بالأطفال كأنّهم يتامى. وإذا كبر أولادهم فليسوا ملزمين بإعالة الآباء المنفيين، لكنّهم سيمتلكون ممتلكاتهم. أمّا الذي يتعرّض لمصيبة ولا أولاد له، فسيجتمع أقرباء الرجل المنفي معاً إلى منزلة العمومة، الذكور والإناث، وبعد عقد المشورة مع حماة الناموس والكهنة، سيعينون ٥٠٤٠ [5040]مواطناً ليكونوا ورثة البيت، آخذين بعين الاعتبار وبعلم المنطق أن أيّاً من بيوت الـ ٥٠٤٠ [5040] مواطناً لا يخصّ القاطنين أو يخصّ العائلة كلّها، بل الملكيّة الخاصّة والعامّة للدولة. وبعدُ فإنّ الدولة عليها أن ترغب بامتلاك بيوت مقدّسة وسعيدة قدر الإمكان. وإذا كان أي ساكن من سكّان البيوت غير سعيد، ووُسِمَ بالعقوق، ولم يترك المالك أيّة ذريّة وراءَه، ومات غير متزوّج أو متزوجاً بدون عقب، وقاسى عقوبة الموت كغرامة لجريمة القتل أو لجريمة أخرى ارتُكبت ضِدّ الآلهة أو ضد رفاقه المواطنين، أو إذا كان أحد المواطنين يعاني عقوبة النفي الدائم، ولا عقب له،

فإن ذلك البيت سيُطهَّر قبل كلّ شيء ويتعرّض لتكفيرٍ طبقاً للناموس. وبعدئذ دع أقارب صاحب البيت الأقربين، كما قلنا لتوّنا وكما قال حماة الناموس، دعهم يجتمعون ويأخذون بعين الاعتبار أيّة عائلة في الدولة تتمتّع بالسمعة الأعلى في الفضيلة وفي الحظّ السعيد أيضاً، وفيها عدد من الأبناء، دعهم يأخذون شخصاً واحداً من تلك العائلة ويقدمونه إلى والد أو إلى جدّ المغدور وكأنّه ابنهم. ومن أجل الفأل الحسن دعْه يُسمَّى هكذا، وذلك ليمكنه أن يكون المواصل لبقاء عائلتهم، دعه يسمّى حافظ مأواهم ووكيل طقوسهم المقدّسة مع حظّ أفضل مّما كان عليه حظّ أبيه. وعند تقديمهم هذا الابتهال، سيجعلونه وريثهم طبقاً للناموس. وسيتركون الشخص الآثم بدون إسم وبدون عقب ولا حصّة له، عندما تفاجئه كارثة كتلك الكوارث.

وبعد فإنّ حدود بعض الأشياء لا يلامس بعضها بعضاً، لكنّ هناك حالة متوسطة بين حالتين، تمنعها من الملامسة. وقلنا سابقاً إنّ الأعمال التي ارتُكِبت انفعالياً هي من هذه الطبيعة، وتأتي في حالة وسط بين الأعمال الاختيارية والأعمال اللاإختيارية. هذا الناموس يجب أن يكون ناموسنا المختصّ بالجراح الحادثة انفعالياً وعن هوى جامح. إذا أُدين شخص بذلك، فإنّه بالدرجة الأولى سيدفع قيمة الأذيّة التي ألحقها بالآخر مضاعفةً، إذا كان الجرح قابلاً للشفاء، وإذا لم يكن الجرح قابلاً للشفاء فإنّه سيدفع قيمة ما أُلحق بالشخص من أذى أربعة أضعاف، وإذا كان الجرح قابلاً للشفاء، ويسبب تشويهاً فاضحاً وكبيراً للشخص المتضرّر فإنّ الشخص المعتدي سيدفع للمتضرّر أربعة أضعاف. ومتى يجرح شخص شخصاً آخر فإنّه لا يؤذي هذا الشخص المتضرّر فقط، بل يؤذي المدينة، ويجعل الشخص الذي جرحه غير قادر على الدفاع عن بلاده ضدّ الأعداء، وعند ذلك، فإنّه سيدفع غرامة للخسارة التي استُهدِفت بها الدولة، إضافة إلى الغرامات الأخرى

المفروضة عليه. والغرامة التي ستُفرض عليه هي أن يخدم بلاده بالنيابة عن الشخص الذي ألحق الضرر به، إضافةً إلى خدمته هو لبلاده المفروضة عليه، وسيحلّ محلّه زمن الحرب. وإذا رفض ذلك، فسيكون عرضة للمحاكمة من قِبَل أيّ شخص يرغب ذلك بحجّة رفضه الخدمة هذه. أمّا تعويض الضرر، سواء إذا كان ضعفين أو ثلاثة أو أربعة، فسيحدّده القضاة الذين أدانوه. وفي أسلوب مماثل، إذا جرح أخ أخاه، فإنّ آباه وأقرباء الجنسين الألزم، بما في ذلك أبناء الأعمام من جانب الذكور أو جانب الإناث على حدّ سواء، فإنّهم سيجتمعون، وعند حكمهم على السبب، سيعهدون بقيمة الأضرار المقدّرة إلى الآباء، وذلك شيء طبيعي. وإذا نشأ خلاف حول القيمة المقدّرة فإنّ الأقربين من جهة الذكور ستكون لهم سلطة القيام بتخمين القيمة حينئذ. وإذا لم يقدروا على القيام بذلك، فإنّهم سيتركون القضيّة لحماة الناموس في النهاية. وعندما يتقدّم الأبناء باتّهامات مشابهة ضدّ آبائهم، فإنّ واجب إقرار القرار سيتعلّق بأولئك الذين تتجاوز أعمارهم الستّين سنة، والذين يمتلكون الأبناء شرعاً، لا بالتبني. وإذا أُدين أيّ شخص، فهم الذين سيقرّرون إذا ما كان يجب أن يتعرّض المدان للموت أو عكس ذلك، أو أن يقاسي عقوبة أخرى أقسى من الموت أو ليس أقلّ منه بكثير. على أيّة حال، إنّ قريب المعتدي لن يُسمَح له بأن يحكم في الدعوى، حتى ولو كان في السنّ التي فرضها الناموس. إذا جرح عبد رجلاً حرّاً بتأثير نوبة غضب، فإنّ مالك العبد سيقدّمه للجريح، وهذا يمكنه أن يفعل به ما يسرّه. أمّا إذا لم يسلّمه مالكه، فإنّه، أي مالك العبد نفسه، سيقوم بإصلاح الأذى الذي أُلحق بالإنسان الحرّ. وإذا قال أيّ شخص إنّ العبد والجريح متآمران معاً، فللمالك أن يناقش المسألة. وإذا ربح دعواه، فسيكون الإنسان الحرّ الذي تآمر مع العبد عرضةً لعمل الخطف. وإذا جرح أيّ شخص شخصاً آخر عن غير

قصد، فإنّه سيدفع نتيجة ما أوقعه من أذى، إذ لا يمكن لمشرّع أن يقدر على التحكّم بالقدر. وفي حالة كهذه سيكون القضاة هم أنفسهم كالذين تمّ تعيينهم في حالة الأبناء الذين قاضوا آباءَهم، وهم سيقدّرون قيمة الضرر الحاصل.

إنّ كلّ الأذيّات التي سبق ذكرها وكلّ نوع من أنواع التعديات تعتبر أعمال عنف. وعلى كلّ رجل، أو امرأة، أو إبن أن يعتبر أنّ كبار السنّ لهم حقّ الأفضلية على من هم دونهم سنّاً في الشرف والتكريم(٧٣). وذلك حقّ بين الآلهة والرجال أيضاً، الرجال الذين سيحيون بسعادة. لذلك فإنه لشيء أحمق تمقته الآلهة أن يُرى إنسان مسنٌّ يهاجمه الشباب ويعتدون عليه في المدينة. وإنّه لشيء معقول أن يتحمّل الشابّ بلطف ويكظم غضبه عندما يضربه الأكبر منه سنّاً، مدّخراً لنفسه التكريم عينه عندما يكبر ويصبح مسنّاً. وهذا هو الناموس الواجب تطبيقه في هذه الحالات: على كلّ شخص أن يبجّل الأكبر منه سنّاً في القول وفي العمل، وعليه أن يحترم أيّ شخص يكبره بعشرين سنة، سواء أكان ذكراً أو أنثى، معتبره أو معتبرها كأبٍ أو أمّ. وسيمتنع عن وضع يديه على أيّ شخص يقارب أن يكون له أباً أو أمّاً، وذلك احتراماً وخشية من الآلهة الذين يشرفون على الولادات. وبشكل مماثل فإنّه لن يرفع يديه بالضرب على غريب، سواء أكان يسكن المدينة قديماً أو وصلها لتوّه. إنّه لن يجازف بتصحيح شخص كهذا بالضرب، لا بالتعدّي الصارخ عليه ولا بالدفاع عن النفس. وإذا رأى أنّ غريباً ضربه بشكل لا مبرّر له، أو بسبب إهانة أنزلها به، ولذلك يجب أن يُعاقب، فما عليه في هذه الحالة إلاّ أن يأخذه إلى حكّام المدينة المحليّين. لكن عليه ألاّ يضربه، وذلك لتفادي ألاّ يرفع الغريب يده لإهانة مواطن. وعلى حكّام المدينة المحليّين أن يأخذوا المعتدي ويفحصوه، متذكرين واجبهم نحو إله الغرباء. وإذا بدا أنّ

غريباً ضرب مواطناً ظلماً فعليهم أن يجلدوه بالسوط على عدد الضربات التي ألحقها الغريب بالمواطن، وعليهم أن يقمعوا وقاحته. لكن إذا كان الغريب بريئاً فإنّهم سيهدّدون ويوبّخون الرجل الذي اعتقله، والاثنان بعد ذلك يحق لهما أن يذهبا لشأنهما. إذا ضرب شخص شخصاً من مجايليه أو أكبر قليلاً، ولا أولاد له، وسواء إذا كان مسنٌّ يضرب مسنّاً مثله أو كان شابٌّ يضرب شاباً مثله، إذا حصل ذلك، فللإنسان المضروب أن يدافع عن نفسه بالطريقة الطبيعيّة بيديه فقط وبدون استعمال السلاح. إنّ الإنسان الذي تعدّى الأربعين سنة، ويجرؤ على مقاتلة الآخر، سواء أكان هو المعتدي أو كان في حالة الدفاع عن النفس، هذا الإنسان سيُعتبر وقحاً وذا أخلاق سيئة وحقيراً. وسيُعتبر عقابه هذا عقاباً مشيناً، ولذلك فإنّه لعقابٌ مناسب له. إنّ الإنسان ذا الطبيعة المطيعة سيذعن سريعاً للعظة والتحذير هذين لكن العنيد والعاصي الذي لا يبالي بهذا الاستهلال، سيكون الناموس مستعدّاً له. إذا ضرب إنسان بقوّة إنساناً آخر يكبره بعشرين سنة أو أكثر ففي الدرجة الأولى على من يكون حاضراً، وهو ليس أفتى من المتقاتلين، ولا مساوياً لهما في السنّ، عليه أن يفصلهما وإلاّ سيُعاقب طبقاً للناموس. لكن إذا كان الشخص الحاضر مساوياً في العمر للشخص المضروب أو كان أفتى منه، فإنّه سيدافع عن الشخص المتعرّض للأذى وكأنّه يدافع عن أخٍ أو عن أبٍ أو حتّى عن قريب أكبر منه سنّاً. وأبعد من ذلك، إنّ مَن يجرؤ على أن يضرب بقوّة إنساناً مسنّاً يجب أن يُحاكم كمعتدٍ، كما قلت قبلاً. وإذا وُجد المعتدي مذنباً، فيجب أن يُحبس لمدّةٍ من الزمن لا تقل عن سنة. وإذا صادقَ القضاةُ على مدّة أطول، فإنّ قرارهم سيكون قراراً نهائيّاً لو أن غريباً أو غريباً مقيماً في البلاد ضرب شخصاً يكبزه بعشرين سنة أو أكثر، فإنّ القانون عينه سيطبّق بشأن مساعدة الواقفين قريباً من مكان العراك. والذي

يُوجَد مخططاً في قضيّة كهذه، إذا كان غريباً وغير مقيم في المدينة، فإنّه سيُلقى في السجن لمدة سنتين. وأمّا الغريب المقيم في المدينة الذي يعصي النواميس، فسيُلقى في السجن لمدة ثلاث سنوات، إلاّ إذا حدَّدت له محكمة العدل مدّة أطول. وعلى مَنْ كان حاضراً في أيٍّ من هذه الحالات ولم يساعد طبقاً للقانون، عليه أن يُعاقَب على تلكّؤه، حتّى ولو كان من الطبقة الأعلى، وذلك بدفع غرامة مينا واحدة، وبدفع خمسين دراخما إذا كان من الطبقة الثانية، وبدفع ثلاثين دراخما إذا كان من الطبقة الثالثة، وبدفع عشرين دراخما إذا كان من الطبقة الرابعة. وسيُشكِّل قادة الجيش المحكمة في حالات كهذه.

لقد صيغ الناموس من أجل الرجال الأخيار جزئياً، وذلك كي يثقّفهم ليعيشوا كأصدقاء بعضهم مع بعض، وصيغ جزئياً من أجل أولئك الذين يرفضون أن يكونوا مثقّفين ومهذّبين، ومن أجل أولئك الذين لا يمكن تلطيف نفوسهم أو إخضاعهم أو منعهم من الغرق في السوء والشرّ. هؤلاء هم الأشخاص الذين يدفعونني لقول الكلمة التي أنا على وشك أن أتفوّه بها. إنّ الناموس يُشرِّع لهم ضرورة، وعلى أمل أن تنتفي الحالة لهذه النواميس. إنّ من يجرؤ أن يضع يداً عنيفة على أبيه أو أمّه، أو على أيّ قريب أكبر منه سنّاً، ولا يتملّكه خوفٌ لا من عقاب الآلهة عالياً ولا من العقاب الذي يتكلّمون عنه في العالم السفليّ، بل ينتهك العادات الغابرة والعالمية بازدراء، وكأنّه حكيم عظيم كي يصدّقها، إنّ هذا الشخص يحتاج لمقياسٍ ما بالغ الصرامة من مقاييس منع هذا التعدي. وبعدُ فإنّ الموت ليس الشيء الأسوأ الذي يمكن أن يصيب الرجال، بل إنّ العقاب الذي يقال إنّه يلاحقهم في العالم السفلي هو الشيء الأسوأ بكثير. لكنّ القصص التي حُكيت هي القصص الأكثر حقيقة برغم ذلك، ومع ذلك فهي لا تفعل فعلها على أرواحِ

كهذه وتمنع التعدي. إذ لو كان لها أيّ تأثير لما وُجد قتلةٌ يزهقون أرواح أمّهاتهم، ولما وُجدت أيدٍ آثمة ترتفع ضدّ آبائها. ولهذا السبب فإنّ عقاب هذا العالم الذي يُنزل أثناء الحياة يجب أن لا يكون عقاباً قصيراً، إذا أمكن ذلك، وأن لا يكون أقلّ من أهوال العالم السفليّ. فناموسنا يجب أن يكون كالتالي إذن: إذا تجرّأ رجل على ضرب أبيه أو أمّه، أو جدّه لأبيه، أو جدّه لأمّه، وكان سليم العقل في الوقت عينه، فعلى أيّ شخص موجود أن يأتي للمساعدة كما قيل مسبقاً. وأمّا الغريب المقيم في المدينة أو الغريب الآتي إليها حديثاً فلسوف يُدعى إلى أخذ المكان الأوّل في الألعاب الرياضية. لكنّه إذا لم يهبّ للمساعدة فإنّه سيقاسي عقاب النّفي الدائم. وأمّا من جهة الذي لا يكون غريباً ويقيم في المدينة، إذا أتى لإنقاذ الأب أو الأم أو آبائهما، فسيُثنى عليه، وإذا لم يأتِ للإنقاذ فسيُذمّ. وإذا أتى عبدٌ للإنقاذ، فيجب أن يصبح حرّاً. وإذا لم يأتِ للإنقاذ، فيجب أن يتلقّى مئة ضربة على الوَرِك بأمرٍ من حكام الساحة العامّة المحليين. وذلك إذا حدث هذا في الساحة العامّة. لكن إذا حدث في مكان آخر من أمكنة المدينة ما وراء حدود الساحة العامّة، فإنّ أيّ حاكم من حكّام المدينة المحليين يسكن هناك سيتولّى أمر إنزال العقاب به. أمّا إذا حدث في مكان آخر من البلاد، فعلى قادة وحكام البلاد حينئذٍ أن يقوموا بذلك. وإذا حدث أن كان الساكنون في المكان عينه عند وقوع الاعتداء قرب المكان، وسواء إذا كانوا شباباً، رجالاً أو نساءً، إذا حدث ذلك فدعهم يأتون للإنقاذ وشجبِ الإعتداء وإدانتِه، على أنّه عمل عاقّ. وأمّا من لا يأتي إلى الإنقاذ فإنّه سيقع تحت لعنة زيوس إله الأقرباء والأسلاف، وذلك طبقاً للناموس. وإذا وجد أيّ شخص مذنباً بالهجوم على أبٍ، ففي المقام الأول يجب أن يختفي من المدينة ويذهب إلى البلاد، ويجب أن يمتنع عن الحضور إلى الهياكل. وإذا لم يمتنع عن ذلك،

فإنّ حكّام البلاد المحليين سيعاقبونه بالضرب، أو بأيّة طريقة تسرّهم. وإذا عاد إلى المدينة فسيُحكم عليه بالموت. وإذا شاركه أيّ إنسان حرّ في الأكل والشرب، أو كانت له أيّة علاقة معه، أو إذا قابله ولمسه بشكل متعمّد، فإنّه لن يدخل إلى الهيكل، ولا إلى الساحة العامّة، ولا إلى المدينة، إلى أن يتطهّر ممّا فعل. ينبغي عليه أن يعتبر أنّه أصبح ملطّخاً باللعنة. وإذا عصى الناموس، ولوّث المدينة والهياكل بشكل مخالف للناموس، وإذا رآه أحد الحكّام القضاة ولم يقاضِه بالتهمة، فإنّ هذه المهمّة ستكون الاتّهام الأخطر عندما يُكشف حسابه.

إذا ضرب عبدٌ إنساناً حرّاً، سواء أكان غريباً أو مواطناً، فعلى أيّ شخصٍ حاضر أن يسارع لنجدته، وإلاّ دفع الغرامة التي ذكرناها سابقاً. وعلى المتفرجين أن يساعدوا الجريح في شدّ وثاق المعتدي وإرساله إلى الشخص المتضرّر، وبعد استلامه سيكبّله، ويُنزل به العديد من الضربات كما يحلو له. لكن بما أنّه عاقبه فيجب عليه أن يسلّمه إلى سيّده طبقاً للناموس، وأن لا يجرّده من ممتلكاته. إن الناموس يجب أن يكون كالتالي: إنّ العبد الذي يضرب إنساناً حرّاً، ليس بناء على أوامر القضاة، فإنّ مالكه سيتلقّى قيداً من المضروب، وعليه أن لا يفرج عنه حتى يقنع العبد الإنسانَ الذي ضُرِبَ بأنّه ينبغي عليه أن يُفرج عنه. ويجب أن توجد النواميس عينها لكلّ حالات كهذه بشأن النساء في ما يتعلّق بهن، وبشأن الرجال والنساء في ما يتعلّق ببعضهم البعض.

محاورة النواميس

الكتاب العاشر

افكار الكتاب الرئيسية

يقول الأثيني: وبعد أن تكلّمنا عن أعمال الهجوم كلّها، دعنا نلخّص كلّ أعمال العنف في ظلّ ناموس واحد، وخاصّة أعمال الاعتداء على المقدّسات الدينية والهياكل. وإذا تفوّه أيّ شخص بكلمة غير شرعيّة، كأن يقول إنّ الآلهة غير موجودين، أو أنّهم إذا وجدوا، فهم لا يعتنون بالحياة الإنسانيّة، أو أنّه يمكن استرضاؤهم وإبعادهم عن مقاصدهم بالأضاحي والهبات والصلوات، فسنردّ على هذا الشخص بلطف ونقول له: أوه يا ولدي، إنّك حديث السنّ، وسيجعلك تقدّم الزمن تنقض العديد من الآراء التي تؤمن بها الآن. إنتظر فترة قصيرة، ولا تحاول أن تحكم على الأشياء السامية في الوقت الحاضر. والأشياء السامية هي التي تتصوّر أنها لا شيء الآن، هي التي تحكم حقّاً بشأن الآلهة وبالتالي أن تحيا حياة صالحة أو تحيا عكس ذلك. وأستطيع أن أقول إنّه ما من أحدّ تبنّى في شبابه أنّ الآلهة غير موجودين ظلّ على هذا الرأي عينه إلى أن تقدّمت به السنّ، لنناقش هذه العقيدة القديمة زمناً والتي تقول إنّ الأشياء كلّها تأتي إلى الوجود، أو إنها أتت، أو ستفعل هكذا، بعضها بواسطة الطبيعة، وبعضها بواسطة الفن، والبعض الآخر بواسطة المصادفة.

يقول أصحاب هذه العقيدة إنّ الأشياء الأعظم والأجمل هي عمل الطبيعة والمصادفة، وإنّ الأشياء الأقلّ منها شأناً هي عمل الفنّ، يعني، أنّ كلّ

العناصر: النار، الماء، الهواء والتراب موجودة كلّها بواسطة الطبيعة والمصادفة، ولا يوجدها الفن. وكذلك وجدت الأرض، الشمس، القمر، والنجوم، وخلقت السماء كلّها بهذه الطريقة وكذلك الحيوان والنبات. لكنّها لم تأتِ إلى الوجود بواسطة عمل العقل، أو بواسطة أيّ إله، أو من الفن، بل أتت كلّها بواسطة الطبيعة والمصادفة فقط، وأنّ الأشياء الأقلّ منها شأناً هي من عمل الفنّ الذي هو عمل بدائيّ واصطناعيّ، ويقولون إنّ فنّ الطبّ والزراعة والرياضة البدنيّة، وحتى علم السياسة، تتعاون مع الطبيعة. وأمّا عمل التشريع فهو عمل الفنّ ويرتكز على الفرضيات التي ليست فرضيّات حقيقيّة. ويقولون، فوق كلّ ما قالوه، إنّ الآلهة لا يوجدون بالطبيعة، بل يوجدون بواسطة الفنّ ونواميس الدول التي تكون مختلفة في أماكن مختلفة. ويقولون إنّ مبادىء العدل لا توجد في الطبيعة على الإطلاق، بل إنّ الجنس البشريّ يقتتل بشأنها ويغيّرها على الدوام. أمّا الذين يقولون ذلك فهم الشعراء والكتّاب وما يسمّون بالرجال العقلاء. لكن لنسأل: ماذا ينبغي أن يفعل المشرّع في ظلّ كلّ هذه الأفكار المدمّرة؟ نحن نقول، يا كلينياس وميغيلوس، إنّ الذين يصنعون الروح طبقاً لأفكارهم الخاصّة العاقّة، يؤكّدون أنّ كلّ ما هو السبب الأوّل للنشوء والفساد ولكلّ الأشياء ليس السّبب الأوّل بل هو السبب الأخير، ولهذا السبب وقعوا في الخطأ بشأن طبيعة الآلهة الحقيقية. يبدو أنّهم جهلة بطبيعة الروح وقوّتها، وخاصّة في ما يختصّ بأصلها. إنّهم لا يعرفون أنّ الروح تُعتبر من بين الأشياء الأوائل، وقبل كلّ الأجسام؛ وهي السبب الرئيسيّ لتغيرها ونقلها. ويجب أن تكون الأشياء النسبية للروح سابقة على تلك التي تختصّ بالجسم ضرورة. والفكرة والانتباه والعقل والفنّ والناموس ينبغي أن تسبق كلّها تلك الأشياء الصلبة والطرية والثقيلة والخفيفة. والأعمال العظيمة والأساسية، ستكون كلّها أعمال الفنّ، وستأتي الطبيعة

وأعمال الطبيعة بعدها. ونحن، متمسكين بحبل الله، سنثبت بالبرهان وجود الآلهة وخلود الروح، ونقول، إنّ الأشياء بعضها متحرك وبعضها الآخر ساكن، وإنّ هناك حركاتٍ عشراً أساسيّة ورئيسيّة. ونحن ننسبها إلى الروح ونصفها بأنّها الحركة التي تحرّك نفسها على الدوام، كما أنّها تحرّك الأشياء الأخرى فاعلة في التركيب والتحلّل، وتحرّكها بواسطة الزيادة والنقصان والولادة والفناء. وهذه الحركة هي أسمى وأفضل وأعمّ من كلّ الحركات الأخرى بعشرة آلاف مرّة. ونحن نسمي هذه القوّة المتحركة بنفسها حياة. ونحن نمتلك معرفة ثلاثيّة عن الأشياء. وهذه الأشياء الثلاثة هي الجوهر، وتحديد الجوهر، وإسم الجوهر. ونحدّد الروح بأنّها الحركة التي تحرّك نفسها، وهي الأصل الأوّل والقوّة المحرّكة لكلّ الذي كان، أو أصبح، أو سيكون، وكذلك لمضادّاتها. ونقول إنّ الروح سابقة للجسم، وإنّ الجسم هو الثاني ويأتي بعد ذلك، وإنّه مولود ليطيع الروح التي هي حاكمة. وإنّ الأشياء الروحيّة سابقة أيضاً على تلك التي للجسم. إذن، فإنّ الميّزات والتصرّفات والرغبات والتعقّلات والآراء الحقيقيّة والبصيرة والتذكّر، إنّ هذه كلّها سابقة للطول والعرض والعمق وقوّة الأجسام. ونقول إنّ الروح هي سبب الخير والشرّ ضرورة، سبب الشريف والسافل، سبب الظالم والعادل، وسبب كلّ المتناقضات الأخرى. ونقول إنّ الروح العاقلة الإلهيّة هي التي تنظّم السماوات أيضاً. وهناك روحان اثنتان، إحداهما هي مبدعة الخير وثانيتهما مبدعة الشرّ. والروح الخيّرة الأفضل تعتني بالعالم وتهديه إلى الطريق الصحيح بطوله، لكن إذ تحرّك العالم بطيش وعدم انتظام، فإنّ الروح الشريرة تقوده وتهديه. ونحن نقول، إنّ العقل والحركة الموجودين في مكان واحد يتحرّكان بالطريقة المماثلة لنظام متناسق، وطبقاً لتناسب ونظام واحد، مثل الحركة الأرضيّة. أمّا حركة النوع الآخر التي ليست حركة على غرار الطريقة عينها، ولا في

الشيء عينه، ولا حول الشيء عينه، ولا في ما يتّصل بالشيء عينه، وليست في مكان واحد، ولا في نظام واحد، ولا طبقاً لأيّة قاعدة أو تناسب؛ إنّ هذه الحركة يمكن القول إنّها تماثل الحمق والغباء. ونقول أيضاً إنّ الروح أو الأرواح الإلهيّة العاقلة الكاملة تحمل السماوات بشكل دائريّ، وتحمل الشمس والقمر والنجوم، وترتّب السنين والشهور والفصول. إنّ ما قلناه هنا كافٍ لنقض أفكار الذين ينكرون وجود الآلهة. ونقول لمن يعتقد بوجود الآلهة لكنّه لا يعتقد باهتمامهم بالشؤون الإنسانية، نقول له إنّك من حاجتك وإفتقارك لقوّة العقل والمنطق وصلت إلى اعتقادك هذا. وهذا الاعتقاد اعتقادٌ عاقّ آثم. ونؤكّد لك ولأمثالك أنّ الآلهة يهتمّون بالأشياء الصغيرة منها والكبيرة، وأنّهم أخيار بالكمال، ويعتنون بكلّ الأشياء بشكل كليّ. وسنقول لمن يعتقد أنّ الله دون العمال الإنسانيّين الذين ينهون ويكملون أعمالهم بالنسبة لبراعتهم، الصغيرة منها والكبيرة، إنّهم ينهونها بالفنّ الواحد والفن عينه. وسنقول له، إنّ الله حاكم العالم، رتّب كلّ الأشياء قصد الامتياز ووقاية الكلّ، وإنّ كلّ جزء، مهما كان بعيداً، امتلك فعلاً وانفعالاً مناسبين له. وسنقول له، إنّ الإبداع كان من أجل الكلّ، وذلك كي يمكن لحياة الكلّ أن تكون سعيدة ومباركة. وإنّ الأخيار هم السعداء أمّا الأشرار فإلى جهنم يذهبون ولبئس المصير. وسنقول له، إنّ الآلهة لا يمكن استرضاؤهم بالهدايا، وهم الذين يحمون مصالحنا الأنبل وهم الحماة الأفضل. ونحن سنحذّر الأشخاص العاقّين كلّهم أنّ عليهم أن يتركوا طرائقهم السيّئة ويتبعوا طريقة الثقات التقاة. أمّا المصرّون على عقوقهم، فلهم القصاص العسير عقاباً. كما أنّنا سنعاقب بشدّة من يستحضر أرواح الأحياء، ويقول إنّه قادر على أن يستحضر أرواح الأموات كذلك، وعقابهم سيكون الموت.

محاورة النواميس

الكتاب العاشر

الأثيني: وبعدُ بما أنّنا تكلّمنا عن أعمال الهجوم، دعنا نلخّص كلّ أعمال العنف في ظلّ ناموس واحد، هو التالي: لا أحد سيأخذ أو يحمل بعيداً أيّاً من أغراض جاره، ولن يستعمل أيّ شيء يخصّ جاره بدون موافقة المالك. إنّ هذه هي الإعتداءَات التي كانت وما زالت وستبقى أبداً مصدر كلّ الشرور المذكورة آنفاً. لكنّ الإعتداءات الأعظم منها هي إسرافات وغطرسات الشباب. وعندما ترتكَبُ ضدّ الدين فإنّها تعتبر الإعتداءات الأعظم، وهي عظيمة بشكل خاصّ عندما تنتهك الشعائر الدينيّة المقدّسة والطقوس العامّة، أو الطقوس العامة جزئيّاً التي تشارك فيها القبائل والعشائر. وهي عظيمة في الدرجة الثانية حينما تُرتكب ضدّ الشعائر المقدّسة الخاصّة والضرائح، وتكون هكذا في الدرجة الثالثة « ولكي لا نردّد الأفعال المذكورة سالفاً »، عندما تُلقى الشتيمة على الآباء. أمّا النوع الرابع من أنواع العنف فهو يحصل، وبدون اعتبار لسلطة الحكّام، عندما يؤخذ أو يُحمل بعيداً أو يُوضع قيد الاستعمال أيّ شيء يخصُّ الحكّام دون موافقتهم. والنوع الخامس يحصل عندما تتطلّب مخالفة الحقوق المدنيّة بالفرد إصلاحاً. لا بدّ من ناموس عامّ يتضمّن هذه الحالات كلّها. وقد سبق وقلنا بعبارات عامّة، ما هو عقاب تدنيس المقدّسات والمعابد، سواء أكان التدنيس احتيالياً أو بالعنف. وبعد، فعلينا أن نقرّر ما هو عقاب الذين يتصرّفون بوقاحة ضدّ الآلهة، بالكلمة أو بالفعل. لكن [illegible]نا بدايةً أن نذكرهم وننصحهم ونحذّرهم بهذه العبارات التالية: لا أحد ممّن يطيعون النواميس ويؤمنون بوجود الآلهة ارتكب أيّ عمل

غير مقدّس عمداً قط، أو تفوّه بأيّة كلمة غير شرعيّة. لكن الذي قام بفعل ذلك قد افترض واحداً من أشياء ثلاثة: إمّا أنّ الآلهة غير موجودين، وهذا الاحتمال الأوّل، وإمّا، أنّهم لو وُجدوا فلا عناية لهم بالإنسان، وإمّا، أنّه تمّ استرضاؤهم وتهدئتهم وإبعادهم عن مقاصدهم بواسطة الأضاحي والصلوات.

كلينياس: ماذا سنقول لهؤلاء الأشخاص أو ماذا سنفعل بهم؟

الأثيني: يا صديقي الصالح، دعنا نسمع أوّلاً الدعابة والمزاح الذي أشتبه بأنّهم سيتفوّهون به ضدّنا بسبب تشامخهم.

كلينياس: أيّ مزاح؟

الأثيني: سيؤلّفون خطاباً ينقصه الوقار من هذا النوع قائلين: « أوه يا سكّان أثينا، ويا سكّان اسبارطة، ويا سكّان كنوسوس، إنّكم لمحقّون في ما تقولون. إنّ بعضنا ينفي الوجود الأكيد للآلهة، في حين أنّ الآخرين، كما تقول، يرون أنّ الآلهة لا يعتنون ولا يهتمّون بنا. وأمّا الباقون، فيقولون إنّ الآلهة ينحرفون عن مسلكهم بالهبات والهدايا. والآن قلنا إن من حقّنا أن نطالب، في المسائل القانونية كما تسمح أنت بذلك، وذلك قبل أن تكون قاسياً علينا وتهدّدنا، من حقّنا أن نطالبك بمحاورتنا وإقناعنا بوجهة نظرك - عليك، أوّلاً، أن تحاول تعليمنا وأن تقنعنا بوجود آلهة، بدلائل معقولة، وأنّهم أخيار جداً كي يُستعطفوا أيضاً وأن ينحرفوا عن مسلكهم بالهدايا وبشكل جائر. إنّنا عندما نسمع أشياء كهذه، قالها عنهم مَن يُعتبرون الشعراء الأفضل، والخطباء الأفضل، والأنبياء، والكهنة الأفضل، وقالها عددٌ لا يحصى من الرجال الآخرين، فإنّ أفكار الأكثرية منّا ليست مركّزة على الامتناع عن الأفعال الآثمة والجائرة، بل على فعلها والتكفير عنها[٧٤]. عندما يعلن المشرّعون أنّهم لطفاء وليسوا قساة، نتصوّر نحن أنّه يجب عليهم أن يقنعونا قبل كلّ شيء، وأن يبيّنوا لنا وجود الآلهة، إن لم يكن بأسلوب أفضل من أسلوب الآخرين،

فبأسلوب أحقّ على أيّة حال. ومَن يعرف أنّنا لن نفعل شيئاً سوى أن نولي آذاناً صاغية لِما تقول؟ إذا كان طلبنا عادلاً، إقبل تحدّينا من فضلك ».

كلينياس: لكن هل هناك صعوبة في إثبات وجود الآلهة؟

الأثيني: كيف ستبرهن ذلك؟

كلينياس: كيف؟ في المقام الأوّل، إنّ الأرض والشمْس، والنجوم والعالم، ونظام الفصول الجميل، وتقسيمها إلى سنوات وشهور، تقدّم البرهان على وجودهم. هناك أيضاً حقيقة أنّ كلّ الهيلينيّين والبربر يعتقدون بهم.

الأثيني: أخشى، يا صديقي الحلو الطعم، رغم أنّني لن أقول إنّ هذا شيء كثير فإني أخشى قلّة الاحترام التي سيجابهنا بها المجدّفون على الأرجح. إنّك لا تفهم طبيعة تذمّرهم وتوهّمهم أنّهم يندفعون إلى العقوق طلباً للّذة الحسيّة فقط.

كلينياس: لماذا، أيّها الغريب، هل هناك سبب آخر؟

الأثيني: هناك سبب واحد، وأنتم الذين تعيشون في جو مختلف، لن تخمّنوه أبداً.

كلينياس: وما هو؟

الأثيني: إنّه نوع محزن جدّاً من أنواع الجهل يُتصوّر أنّه الحكمة الأعظم.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: هناك قصص محفوظة كتابةً في أثينا وترفض فضيلة الدولة أن تعترف بها، كما أُخبرت بذلك. إنّها تتحدّث عن الآلهة نثراً كما تتحدّث عنهم شعراً. وتخبر القصص الأقدم منها عن أصل السماوات وأصل العالم، وليس بعيداً عن بداية قصّتها تتقدّم القصص هذه لتحكي عن ولادة الآلهة، وكيف تصرّفوا بعضهم نحو بعض بعد أن ولدوا. وسواء أكان لهذه القصص تأثير سيّىء أو صالح بطرق أخرى، فلا يلزمني أن أكون قاسياً عليها لأنها قصص قديمة، لكني وأنا أنظر إليها من جهة ما يتعلّق بواجبات الأبناء نحو آبائهم،

لا أستطيع الثناء عليها، أو أتصوّر أنها قصص نافعة، أو أنّها حقيقية على الإطلاق[٧٥]. ليس لديّ أي شيء أقوله عن كلمات الغابرين، وإنّي لأرغب أن أقول عنها ما يرضي الآلهة فقط. لكن في ما يتعلّق بنشئنا الفتيّ وحكمتهم، فإنّي لا أستطيع تركهم عندما ينزعون إلى الأذى والإزعاج. لكنّي لا أفعل سوى تدوين أثر كلماتهم. عندما نتحاور، أنت وأنا، عن وجود الآلهة، متمثلين بالشمس والقمر، والنجوم، والأرض، معتبرينها مخلوقات إلهيّة، فإنّ الذين اقتنعوا بالفلاسفة الآنفي الذكر سيقولون إنّها أرض وأحجار فقط[٧٦]، ولا يمكنها أن تهتمّ بشؤون الإنسان على الإطلاق، وأنّ الدّين كلّه هو طهو كلام وكلمات واختلاق اعتقاد.

كلينياس: إنّ أستاذاً واحداً من هذا النوع، أيّها الغريب، سيكون أستاذاً سيّئاً بما فيه الكفاية، وأنت تلمّح إلى وجود العديد منهم، وهذا ما يزيد الطين بلّة.

الأثيني: حسناً إذن، فماذا سنقول أو نفعل؟ هل سنفترض أنّ شخصاً واحداً يتّهمنا بأنّنا من الرجال العاقين، وسيقول لنا كما يقول المدافعون في قضايا التشريع: إنّه لشيء مروّع أن تشرّعوا على افتراض وجود آلهة! فهل سنقوم بالدّفاع عن أنفسنا؟ أو هل سندعهم وشأنهم ونعود إلى نواميسنا خشية أن يصبح الاستهلال أطول من الناموس؟ إنّ المحادثة ستمتدّ لمسافة طويلة، إذا ما وجب علينا أن نعامل الرجل المطبوع على العقوق كما يرغبون، عارضين لهم، عند تطويلٍ ما بشكل جزئيّ، الأشياء التي يطلبون لها إيضاحاً، جاعلينهم خائفين أو غير قانعين جزئياً، ومتقدّمين إلى التشريعات الأساسيّة بعدئذ.

كلينياس: نعم، أيّها الغريب، لكنّنا لطالما ردّدنا أنّه ما من سببٍ مباشر في الوقت الحاضر يجعلنا نفضّل الاختصار على التطويل! ومن يكون « عند عَقِب أقدامنا »، كما يقول المثل ـ وإنّه لشيء جدير بالازدراء والسخرية أن نفضّل

الطريقة الأقصر على الطريقة الأفضل. إنّها لمسألة ليست صغيرة العواقب في طريقة ما أو في أخرى، أن نعطي محاورة مقنعة عن وجود آلهة، وأنّهم أخيار، وأنهم يعتبرون ويقدرون الخير أكثر ممّا يقدره الرجال. إنّ عرض هذا الاستهلال سيكون افضل نواميسنا وأنبلها كلها. ولهذا السبب، دعنا نتأمّل القضيّة بمجملها، بدون تحفّظ، بدون يأس، وبدون سرعة، ودعنا نستجمع كلّ ما لدينا من قوّة إقناع.

الأثيني: وأنا أرى جديتك في ما تقول، فإنّي سأُسَرُّ بتقديم صلاةٍ لأتمكّن من مواصلة البحث. لكن يجب عليّ أن أواصل البحث حالاً. مَن يمكنه أن يهدأ عند استدعائه ليبرهن وجود الآلهة؟ مَن يمكنه أن يتفادى كره ومقت الرجال الذين هم سبب هذا الجدل أو كانوا سببه؟ إنّي أتكلّم عن أولئك الذين لن يصدّقوا القصص التي سمعوها كأطفال رضّعٍ من أثداء أمهاتهم وممرّضاتهم، قصصاً يكررنها وقت المزاح ووقت الجدّ. إنّها قصص ساحرة سمعوها أيضاً في صلوات التضحيات مصاحبةً بالمشاهد، مشاهد وأصوات سارّة جدّاً للأطفال - وأمّا آباؤهم فقد أبدوا منتهى الجديّة بالنيابة عن أنفسهم وعن أطفالهم أثناء تقديم الأضاحي، وتكلّموا إلى الآلهة بشوق، وتضرّعوا إليهم، وكأنّهم اقتنعوا بوجودهم بشكل ثابت. وهم الذين سمعوا ورأوا، بطريقة مماثلة، السجود والابتهال الذي قدّمه الهيلينيون والبربر عند طلوع الشمس والقمر وعند غروبهما في تعاقبات الحياة كلّها. لقد فعلوا ذلك ليس لاعتقادهم بعدم وجود آلهة، بل لأنّه لا شكّ بوجودهم، ولا اشتباه أو ريبة بعدم وجودهم عندما يستخفّ الرجال بهم على أسس واقعيّة، وهم عارفون بكلّ هذه الأشياء، كما يعترف بها كلّ الذين لديهم ذرّة من العقل. وحينما يجبروننا على أن نقول ما نقوله الآن، فكيف يستطيع أيّ شخص أن يحتج بعبارات لطيفة شبيهة بما نقول، عندما نثبت

لهم بالبرهان وجود الآلهة بالذات؟ وبرغم ذلك يجب أن توجد المحاولة، لأنّه من غير اللائق أن يُجنَّ نصف الجنس البشريّ في شهوتهم لنيل اللذّة، وأن يذهب النصف الآخر في سخطهم على هؤلاء الأشخاص. إنّ خطابنا لهذه الطبائع الضالّة والمنحرفة يجب ألاّ يُتلى انفعاليّاً. لنفترض أننا نختار واحداً منهم، ونتكلّم معه بشكل منطقيّ وبلطف، كاظمين غضبنا. سنقول له: أوه يا ولدي، إنّك لفتيّ، وسيجعلك تقدّم الزمن تنقض العديد من الآراء التي تؤمن بها الآن. إنتظر فترة قصيرة، ولا تحاول أن تحكم على الأشياء الأسمى في الوقت الحاضر. إنّ الأشياء الأسمى هي تلك التي تعتقد أنّها لا شيء الآن، لتحكم حقّاً بشأن الآلهة وبالتالي أن تحيا جيّداً أو عكس ذلك. ودعني أوّلاً أعيّن لك نقطة رئيسيّة ذات أهميّة عظيمة لا يمكن أن أُخدع بشأنها. إنّك وأصدقاؤك لستم أوّل من تمسّك بهذا الرأي بشأن الآلهة. لقد وُجد أشخاص على الدوام أكثر أو أقلّ عدداً كانت لديهم الفوضى عينها. لقد عرفت العديد منهم وأستطيع أن أخبر أنّه ما من أحد كان يرى في شبابه أنّ الآلهة غير موجودين، ثابر على هذا الرأي عندما تقدّمت به السنّ. إنّ الرأيين الآخرين يستمرّان في بعض الحالات بكلّ تأكيد، لكن ليس في العديد منها. أعني، فكرة أن الآلهة موجودون، لكنّهم لا يهتمّون بالأشياء الإنسانيّة، بل إنّهم يتمّ استرضاؤهم بالأضاحي والصلوات. أمّا في ما يتعلّق بالرأي بشأن الآلهة الذي يمكن أن يصبح واضحاً لك، فإنّني أنصحك بأن تنتظر وتتأمّل مليّاً إذا كان هذا الرأي صحيحاً أو باطلاً. إسأل عن رأي الآخرين، واسأل رأي المشرّع قبل كلّ الأراء. وفي الوقت عينه كن حذراً أن لا تأثم ضدّ الآلهة. إنّ واجب المشرّع كان وسيبقى دائماً هو أن يعلّمك حقيقة هذه القضايا.

كلينياس: إنّ خطابنا، أيّها الغريب، هو خطاب ممتاز لهذا الحدّ.

الأثيني: حقيقيّ تماماً، يا ميغيلوس وكلينياس، لكنّني أخشى من أنّنا سلطنا الضوء على عقيدة غريبة بدون أن نشعر.

كلينياس: أيّة عقيدة تعني؟

الأثيني: أعني العقيدة الأعقل من العقائد كلّها، برأي الكثيرين.

كلينياس: أرغب إليك أن تتكلّم بشكل أوضح.

الأثيني: عقيدة أنّ كلّ الأشياء تأتي إلى الوجود، أو أنّها أتت، أو ستفعل ذلك. يأتي بعضها إلى الوجود بواسطة الطبيعة، وبعضها بواسطة الفنّ، والبعض بواسطة المصادفة.

كلينياس: أليس ذلك صحيحاً.

الأثيني: حسَناً، لربّما كان الفلاسفة محقين؛ على كل حال يمكننا أن نتبع مسلكهم أيضاً، وأن نفحص ماذا يعنون، وما معنى تابعيهم.

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: يقولون إنّ الأشياء الأعظم والأجمل هي عمل الطبيعة والمصادفة، وإنّ الأقلّ منها شأناً هي عمل الفنّ، وهذه الأشياء تتلقّى من الطبيعة الإبداعات الأكبر والبدائيّة. والفنّ يقولب ويصوغ كلّ تلك الأعمال الأقلّ شأناً والتي تدعى أعمالاً اصطناعيّة بشكل عامّ.

كلينياس: كيف يكون ذلك؟

الأثيني: سأشرح معناي بشكل أكثر وضوحاً. يقولون إنّ النار والماء والتراب والهواء، كلّها موجودة بواسطة الطبيعة والمصادفة. ما من واحد منها موجود بواسطة الفنّ. وأمّا في ما يتعلّق بالأجسام التي تأتي تالياً في نظام: الأرض، الشمس، القمر، والنجوم، - فإنّها خُلقت بواسطة هذه الموجودات غير الحيّة بشكل مطلق. إنّ العناصر حُرّكت كلٌّ بمفرده بالمصادفة وبقوّة ما متأصّلة بينها لألفاتٍ محدَّدة: من الحارّ مع البارد، أو من الجافّ مع الرطب، أو من

الطريّ مع الصلب، وطبقاً لكلّ الامتزاجات العرضيّة للمضادّات التي صيغت بواسطة الضرورة. بهذا الشكل وبهذه الطريقة خُلقت السماء كلّها، وخُلق كلّ ما في السماء، كما خُلقت الحيوانات وكلّ النباتات، ونشأت الفصول جميعها من هذه العناصر، لكنّها لم تأتِ عن طريق عمل العقل، كما يقولون، أو بواسطة أيّ إله، أو من الفنّ بل هذه كلّها أتت بواسطة الطبيعة والمصادفة فقط. أمّا الفنّ فإنّه نشأ بعد ذلك ومن هذه الأشياء، وكذلك الفاني والولادة الفانية، وأُحدثت في العمل صور محدَّدة وتقليدات جزئيّة جدّاً للحقيقة، ولها أُلفةٌ بعضها مع بعض، تماماً مثلما تُخلق الموسيقى والرسم باليد وكما تُخلق الفنون الوصيفة لهما وإذا وجدت أيّة فنون أخرى تنجز هدفاً جديّاً، فإنّ هذه الفنون تتعاون مع الطبيعة، كفنّ الطبّ مثلاً، وكفنّ الزراعة، وفنّ الرياضة البدنيّة. ويقولون إنّ علم السياسة يتعاون مع الطبيعة، لكن بشكل طفيف، ولديه من الفنّ أكثر ممّا لدى الفنون الأخرى. وهكذا فإنّ عمل التشريع هو عمل الفنّ بشكل كليّ، وهو مركّز على الفرضيّات التي ليست فرضيّات حقيقيّة.

كلينياس: كيف تعني؟

الأثيني: هؤلاء الناس سيقولون أوّلاً، يا صديقي، سيقولون إنّ الآلهة لا يوجدون بالطبيعة، بل يوجدون بواسطة الفنّ وبواسطة نواميس الدول التي تكون مختلفة في أماكن مختلفة، وذلك طبقاً لاتفاق مشرّعيها. وسيقولون إنّ الشريف يكون شيئاً ما بالطبيعة وشيئاً آخر بالناموس، وإنّ مبادىء العدل لا توجد في الطبيعة على الإطلاق، بل إنّ الجنس البشريّ يقتتل من أجلها ويغيّرها على الدوام. وسيقولون إنّ التغييرات التي تُعمل بالفنّ وبالناموس ليس لها أساس في الطبيعة، لكن لديها سلطة لفترة قصيرة وفي الزمن الذي أُوجدت فيه. إنّ هذه الأقوال، يا صديقي، هي أقوال الرجال العقلاء، أقوال

الشعراء والكتّاب التي تجد لها طريقاً إلى أفكار الشباب. لقد قالوا لهم إنّ الحقّ الأعلى هو القوّة، وبهذه الطريقة يقع الشباب في العقوق، متوهّمين أنّ الآلهة ليسوا وفق ما يأمرهم الناموس أن يتصوّروهم. ومن هنا تنشأ الشّقاقات. إنّ هؤلاء الفلاسفة يدعونهم ليحيوا حياة حقيقيّة طبقاً للطبيعة، يعني، أن يحيوا وقد سادوا الآخرين، ولم يخضعوا لهم(٧٧).

كلينياس: أيّة صورة مخيفة ترسمها، أيّها الغريب، هذه التي أعطيتها لتوّك! وما أعظم الأذى الذي يُنزل على الرجال الشبان هكذا وذلك لخراب الدول والعائلات على حدّ سواء.

الأثيني: حقّاً، يا كلينياس، لكن ماذا ينبغي على المشرّع أن يفعل إذن عندما يكون هذا الشرّ ذا ثبات طويل الأمد؟ هل ينبغي عليه أن يثور في الدولة فقط ويهدّد الجنس البشريّ كلّه معلناً أنّهم إذا لم يقولوا أو يعتقدوا أنّ الآلهة هي هكذا وهكذا كما يقضي الناموس « ويمكن لهذا الشيء أن يمتدّ ليشمل الشريف والعادل وكلّ الأشياء الأسمى بشكل عامّ، وكل ذلك الذي يتّصل بالفضيلة والرذيلة، وهم في هذه كلّها عليهم أن يجعلوا أعمالهم تماثل الخطّة التي أعطاهم الناموس إيّاها »، حينئذ فإنّ مَن يرفض إطاعة الناموس سيموت، أو يقاسي الجَلْدَ والاعتقال، أو الحرمان من مواطنيّته، أو يُعاقب في بعض الحالات بفقد ممتلكاته وبالنفي؟ ألا يلزمه بالأحرى عندما تسنّ نواميس للرجال، ألا يلزمه أن يسكب في كلماته نفسيّة الإقناع في الوقت عينه، وأن يُلطّف حِدّتها قدر ما يستطيع؟

كلينياس: لماذا، أيّها الغريب! إذا كان إقناع كهذا ممكناً على الإطلاق، حينئذ فإنّ أي مشرّع يمتلك شيئاً في نفسه لا ينبغي أن يتعب أبداً بإقناع الرجال، بل يجب عليه أن لا يترك أيّ شيء غير محكيّ في دعم الرأي القديم وهو وجود آلهة، وكذلك في دعم كلّ تلك الحقائق الأخرى التي ذكرتها لتوّك.

عليه أن يدعم الناموس والفنّ أيضاً، وأن يعترف أنّ كليهما موجودان بالطبيعة بشكل متشابه، وهما ليسا بأقلّ وجوداً من وجود الطبيعة، إذا كانا إبداعا العقل في تطابقٍ مع الرأي الحقّ. وهذا ما يبدو لي أنّك تؤكّده. وإنّني لميّال للاتفاق معك في هذا التفكير.

الأثيني: نعم، يا كلينياس المتحمّس، لكن أليست هذه الأشياء صعبة الفهم عندما تكلّم بها الكثرة من الناس، عدا عن أنّهم يستغرقون وقتاً طويلاً كئيباً في فعل ذلك؟

كلينياس: لماذا، أيّها الغريب، هل سنتعب الآن من التحدّث بشأن الآلهة وبشأن الأشياء الإلهيّة، ونحن الذين لم نخفق أبداً عندما يدار الشراب أو عندما تكون الموسيقى موضوع محادثتنا؟ إنّ هذا التّحقيق ستكون له آثار عظيمة مساعدة للمشرّع العقلاني، إذ إنّ النواميس عندما تُكتب لمرّة فهي تأخذ طابع الاستقرار على الدوام، ويمكن اختبارها في أيّ زمن مستقبليّ. ولهذا السبب، إذا بدت صعبة لدى سماعها أول مرّة، فلا سبب لعدم فهمها. إنّ أيّ إنسان، مهما كان غبيّاً، يقدر على أن يختبرها ويدرسها ويتأمّلها مليّاً، مرّة واثنين وثلاثاً، حتى إذا كانت مملّة فإنها نافعة. هل هناك عقل أو دين، كما يبدو لي، في أيّ إنسان يرفض تأكيد مبادئها بأقصى ما لديه من قوّة.

ميغيلوس: إنّي أحبّ ما يقوله كلينياس، أيّها الغريب.

الأثيني: نعم، يا ميغيلوس، ونحن علينا أن نفعل كما يقترح. إنّ الأحاديث العاقّة إذا لم تُنشر وتُنشر في كلّ مكان من العالم، كما أقول، فلا حاجة لأيّ إثبات لوجود الآلهة. وإذا لاحظنا أنّ هذه الأحاديث عمّت وانتشرت طولاً وعرضاً، فإنّ هكذا نقاشات نحتاج إليها للردّ على ما يقولون. ومَن ينبغي أن يأتي لنجدة أعظم النواميس عندما يقوّضها الرجال الأشرار، مَن سيفعل ذلك سوى المشرّع نفسه؟

ميغيلوس: لا يوجد بطل مناسب منهم بعدُ.

الأثيني: حسناً إذن، أخبرني، يا كلينياس، إذ عليّ أن أسألك لتكون شريكي، هل مَنْ يتكلّم بهذه الطريقة يتصوّر أنّ النار والماء والتراب والهواء هي العناصر الأولى لكلّ الأشياء(٧٨)؟ إنّه يسمّي هذه الأشياء الطبيعية، ويفترض أنّ الروح صيغت من خارجها بعد ذلك، وهذا الحدس مجرّد حدس لنا بخصوص معناه، بل إنّه هو ما يعنيه حقاً.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: إذن، وبحقّ السماء، لقد اكتشفنا مصدر هذا الرأي العقيم لكلّ أولئك الباحثين الطبيعيين. وأريدك أن تفحص جدالهم بعناية متناهية، لأنّ الفرق لن يكون صغيراً إذا استطعنا أن نبيّن أنّ أولئك الذين ينهمكون في جدالات عاقّة، والذين يقودون الآخرين على غير هدى ويضلّلونهم، أولئك يستخدمون جدالاً ضعيفاً منطقياً منذ البدء. وهذا ما أراه كذلك.

كلينياس: إنّك لمحقّ في ما تقول؛ لكنّني أحبّ أن أعرف كيف يحدث هذا.

الأثيني: أخشى أن يكون هذا جدالا شخصياً وشاذّاً.

كلينياس: لا تتردّد، أيّها الغريب؛ أرى أنّك خائف من مباحثات كهذه، مباحثات تحملك ما وراء حدود التشريع. لكن إذا لم يكن هناك أيّة طريقة أخرى لتبيين اتفاقنا في تعليل وجود الآلهة مسنداً بالنواميس الموجودة، فدعنا نسلك هذه الطريقة، يا سيّدي الصالح.

الأثيني: أفترض إذن أنّه ينبغي عليّ أن أواصل محاورتي غير الاعتياديّة. إنّ الذين يضعون الروح طبقاً لأفكارهم الخاصّة العاقّة، يؤكّدون أنّ السبب الأوّل لنشوء كل الأشياء وفسادها، ليس هو السبب الأوّل بل إنّه السبب الأخير، وأنّ ما هو السبب الأخير هو السبب الأوّل. ولهذا السبب أخطأوا بشأن طبيعة الآلهة الحقيقية.

كلينياس: يبقى أنّني لا أفهم ما تقول.

الأثيني: يبدو يا أصدقائي أنّهم كلّم جهلة بطبيعة وبقوّة الروح، خاصّة بأصلها. هُمْ لا يعرفون أنّها من بين الأشياء الأوائل، وقبل كلّ الأجسام، وهي السبب الرئيسيّ لتغييرها ونقلها. وإذا كان هذا حقيقياً، وإذا كانت الروح أقدم من الجسم، أفلا يجب أن تكون الأشياء النسبية للروح سابقة لتلك التي تختصّ بالجسم ضرورة؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: إذن فإنّ الفكرة والانتباه والعقل والفنّ والناموس سابقة كلّها على تلك الصلبة والطريّة والثقيلة والخفيفة. والأعمال العظيمة والأساسيّة وكذلك الأفعال، ستكون كلّها أعمال الفنّ. إنّها ستكون الأولى، وستأتي بعدها الطبيعة وأعمال الطبيعة، والذي هو الاصطلاح الذي يستخدمه الرجال استخداماً خطأً كي يطبّقوه عليها؛ إنّها ستتبع هذه الأشياء الأساسيّة وستكون تحت حكم الفنّ والعقل.

كلينياس: لكن لماذا تعتبر كلمة « طبيعة » كلمة خطأ؟

الأثيني: لأنّ الذين يستعملون الاصطلاح يعنون أنّ الطبيعة هي القوّة الخالقة الأولى. لكن إذا ظهر أنّ الروح هي العنصر الأساسي، وليس النار أو الهواء، حينئذ يمكن القول في المعنى الأكثر حقيقة وما يتعدّى كلّ الأشياء الأخرى، إنّ الروح توجد بالطبيعة. وسيكون هذا القول حقيقياً إذا برهنتُ أنّ الروح أقدم من الجسم، لكن ليس ذلك.

كلينياس: إنّك لمحقّ تماماً.

الأثيني: هل سنتبنّى هذه النقطة الأساسيّة إذن كنقطة ثابتة، والتي يجب أن نوجّه انتباهنا إليها؟

كلينياس: مهما كلّف الأمر.

الأثيني: دعنا نكون يقظين خشية أن تضلّلنا، نحن المسنين، هذه المحاورة الأكثر خداعاً بوسامتها الفتيّة، وأن تفلت منّا وتتّخذها مادّة للسخرية، ومن يدري سوى أنّنا يمكن أن نوجّه هدفنا نحو الأكثر، ونخفق في الحصول على الأقلّ؟ لنفترض أنّنا سنجتاز نحن الثلاثة نهراً سريع الجريان، وبما أنّني أفتى الثلاثة ولي خبرة في اجتياز الأنهار فإني آخذ على عاتقي واجب القيام بالمحاولة الأولى بنفسي. وبعد أن تركتكما على الضفة المقابلة بأمان، فما عليّ إلاّ أن أختبر إن كان أمثالكما من المسنّين يستطيعون اجتياز النهر بسهولة. وإذا كان الأمر كذلك، فإنّني سأدعوكما حينئذ لتتبعاني، وستساعدكما خبرتي في اجتياز النهر إلى الضفّة الأخرى. لكن إذا كان يتعذّر عليكما اجتياز النهر فلا خطر على أيّ شخص حينئذ إلاّ علي - ألا يبدو هذا الاقتراح عادلاً جدّاً؟ أعني أنّ المحاورة المتوقّعة صعبة جدّاً عليكما على الأرجح، إنّها خارج قدرتكما وتتعدّى مقدرتكما الجسديّة. وعلي أن أتحاشى ألاّ يخلق فيكما تيار أسئلتي طيشاً وارتباكاً فكريّاً، وأنتما اللذان لم تعتادا على الأسئلة والإجابة عليها. ولهذا السبب يمكن أن ينشأ شعور غير مستحبّ وغير مناسب. لذلك أرى أنّ عليّ، وأنّه من الأفضل، أن أطرح الأسئلة وأجيب عليها وما عليكما إلا الإستماع بأمان. وأستطيع أن أصل بالمحاورة بهذه الطريقة، إلى إكمال إثبات أنّ الروح سابقة للجسم.

كلينياس: ممتاز، أيّها الغريب، وإنيّ لآمل أن تفعل كما تقترح.

الأثيني: تعالَ إذن، وإذا ما كان لنا أن نناشد الآلهة، فلنناشدْهم بكلّ جديّة كي يأتوا لعرض وجودهم الخاصّ. وهكذا متمسّكين بثبات بحبل الله سنجازف ونجتاز أعماق المحاورة ونكتشفها. وعندما أطرح أسئلة من هذا النوع، فإنّ جوابي الأضمن سيبدو كما يلي: يقول لي شخص ما، « أيّها الغريب، هل كلّ الأشياء ساكنة ولا شيء منها في حركة، أو هل العكس هو الصحيح،

أو هل بعض الأشياء في حركة والبعض الآخر ساكن »؟ سأجيب على هذا أنّ بعض الأشياء متحرّكة والأخرى ساكنة. وسيسألون: « أوليست الأشياء التي تتحرّك تتحرّك في مكان، أوليست الأشياء الساكنة ساكنة في مكان؟ ». سأجيبهم بالتأكيد. وسيسألون: « ويتحرّك بعضها أو يسكن في مكان واحد وبعضها في أكثر من مكان؟ ». وسنردّ نحن عليهم، تعنون أنّ تلك الأشياء التي تسكن عند محورها تتحرّك في موقع واحد، تماماً مثلما يتحرّك محيط الدائرة حول الدوائر التي يقال إنّها ساكنة؟ وسيجيبون « نعم ». ونلاحظ أنّ الحركة، في الدوران حول المحور، التي تحمل دائرياً الدائرة الأكبر والدائرة الأقل حجماً في الوقت عينه، نلاحظ أنّ هذه الحركة توزّع تناسبيّاً على الدوائر الأكبر والأصغر، وتكون أكبر وأصغر بنسبة محدَّدة. وينشأ هنا عجبٌ يُظنّ أنه مستحيل، وهو أنّ الحركة عينها يجب أن تضفي السرعة والبطء بنسبة مناسبة على الدوائر الأكبر والأصغر. وسيجيبون: « حقيقيّ تماماً ». وعندما تتكلّمون عن الأجسام المتحركة في أماكن عدّة تبدون أنّكم تعنون تلك الأجسام التي تتحرّك من مكان إلى مكان آخر، ولديها مركز واحد بعض المرّات كأساس للحركة، ولديها بعض المرات أكثر من مركز واحد لأنّها تدور على محورها. وكلّما قابلت أيّ شيء، إذا كان ساكناً، فإنّها تُقسَّم به. لكنّها إذا وصلت إلى الوسط بين الأجسام التي تقترب وتتحرّك نحو البقعة عينها من اتّجاهات مضادّة، فإنّها تتّحد معها. « إنّنا نعترف بحقيقة ما تقول » وأيضاً فإنّها عندما تتّحد فهي تنمو، وعندما تُقسَّم فإنّها تتبدَّد - يعني، لنفترض أنّ تكوين كلّ منها يبقى، أو إذا أخفق ذلك البقاء، فحينئذ هناك سبب ثانٍ لانحلالها. وسيواصلون السؤال « ومتى خُلقت كلّ الأشياء وكيف؟ ». بوضوح، إنّها خُلقت عندما تلقّى المبدأ الأوّل زيادة ووصل إلى البعد الثاني، ومن عند هذا البعد وصل إلى البعد المجاور

لهذا. وحين وصوله إلى البعد الثالث يصبح ممكناً الإدارك للحسّ. إنّ كل شيء يتغيّر هكذا ويتحرّك يكون في عمليّة النشوء، ويمتلك وجوداً حقيقيّاً عندما يكون ساكناً، ويدمَّر بشكل مطلق عندما يمرّ من تلك الحالة إلى حالة أخرى. ألم نذكر لكَ الحركات التي توجد، وندركها تحت أنواعها، وقد عدَّدناها ما عدا اثنتين منها يا صديقيّ؟

كلينياس: ما هما؟

الأثيني: إنّهما الاثنتان اللتان يهتمّ بهما تحقيقنا الحاضر.

كلينياس: تكلّم بشكل أوضح.

الأثيني: أفترض أنّ تحقيقنا يشير إلى الروح؟

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: دعنا نفترض أن هناك حركةً قادرة على أن تحرّك الأشياء الأخرى، لكنّها لا تحرّك نفسها أبداً. وهذا النوع هو واحد من أنواع الحركة. ولنفترض أنّ هناك نوعاً آخر يستطيع أن يحرّك نفسه على الدوام كما أنّه يحرك الأشياء الأخرى، فاعلاً في التركيب وفي التحلّل، ويحرّكها بواسطة الزيادة والنقصان والولادة والفناء، وهذا النوع هو أيضاً نوع آخر من الأنواع المتعدّدة للحركة.

كلينياس: مُنحت لك.

الأثيني: وسنفترض أنّ النوع الذي لا يحرّك الآخر، ويتغيّر بواسطة الآخر، سنفترض أنّه النوع التاسع. وأنّ ذلك النوع الذي يغيّر نفسه والآخرين، ويتزامن مع كلّ عمل وكل انفعال، وهو المبدأ الحقيقيّ للتغير والحركة في كلّ الذي يكون، سنميل إلى تسميته النوع العاشر.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وأيّة حركة من هذه الحركات العشر يجب علينا أن نفضّل كونها الحركة الأقوى والحركة الأكثر كفؤاً؟

كلينياس: ينبغي أن أقول إنّ الحركة التي تقدر على تحريك نفسها أسمى وأفضل وأعمّ من كلّ الحركات الأخرى بعشرة آلاف مرّة(٧٩).

الأثيني: جيّد جدّاً، لكن هل يمكنني أن أقوم بتصحيحٍ واحدٍ أو بـآثنين لما قد قلته الآن؟

كلينياس: وما هما؟

الأثيني: عندما تكلمت أنا عن النوع العاشر من أنواع الحركة لم يكن ذلك صحيحاً تماماً.

كلينياس: وماذا كان الخطأ؟

الأثيني: طبقاً للنظام الحقيقيّ، فإنّ النوع العاشر كان النوع الأوّل في النشوء وفي القوّة حقّاً. يلي ذلك النوع الثاني الذي دعوناه النوع التاسع بغرابة.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: أعني هذا: عندما يغيّر شيء ما شيئاً آخر، ويغيّر هذا الشيء شيئاً آخر، فهل سيوجد أيّ عنصر متغيّر رئيسيّ مثل ذلك؟ كيف يستطيع الشيء الذي يتحرّك بواسطة الآخر أن يكون بداية التغيير؟ إنّ ذلك لمستحيل. لكن عندما يغيّر الذي يحرّك نفسه شيئاً آخر، ويحرّك هذا الشيء شيئاً آخر مرّة ثانية، وهكذا فإنّ عشرة آلاف جسم مع عشرة آلاف جسم توضع في حركة، أفلا يجب أن تكون بداية كلّ هذه الحركة تغيير المبدأ المتحرّك بنفسه(٨٠)؟

كلينياس: حقيقيّ تماماً، وإنّني أوافق على ما تقول.

الأثيني: أو، لنطرح السؤال بطريقة أخرى، ونجد الجواب بأنفسنا: إذا كانت كلّ الأشياء ساكنة في كتلة واحدة، كما يؤكّد أكثر هؤلاء الفلاسفة بجرأة، فأيّ مبدأ من المبادىء المذكورة آنفاً يجب أن يكون المبدأ الأوّل لينشأ بينها بالضرورة؟ إنّه لا شك المبدأ الذي يحرّك نفسه إذ لا يمكن أن يكون التغيير فيها ناشئاً عن أيّ سبب خارجيّ. ينبغي أن يأخذ التغيير مكانه في أنفسها

أوّلاً وعلينا حينئذٍ أن نقول إنّ الذي يحرّك نفسه، كونه أصل الحركات كلّها، وهو المبدأ الأوّل الذي ينشأ بين الأشياء الساكنة كما أنّه ينشأ بين الأشياء المتحرّكة، لذلك يجب علينا أن نقول إنّه المبدأ الأقدم والأقوى للتغيير، ونقول إنّ الذي يتغيّر بالآخر ويحرّك الآخر مع ذلك هو المبدأ الثاني.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: دعنا نطرح سؤالاً عند هذه المرحلة من مراحل المحاورة.

كلينياس: أيّ سؤال؟

الأثيني: إذا ما وجدنا هذه القوّة موجودة في أيّة مادّة أرضيّة، مائيّة، أو ناريّة، البسيطة منها والمركبة، فكيف ينبغي أن نصفها؟

كلينياس: تعني ما إذا كان يجب علينا أن نسمي هكذا قوة متحرّكة بنفسها حياة؟

الأثيني: إنّني أفعل.

كلينياس: يجب أن نفعل ذلك كلّنا بالتأكيد.

الأثيني: وعندما نرى الروح في أيّ شيء، أفلا ينبغي أن نفعل الشيء عينه ـ أفلا يلزم أن نعترف بأنّ هذه حياة؟

كلينياس: ينبغي أن نفعل ذلك.

الأثيني: وبعدُ، فإنّني ألتمس منك أن تتأمّل مليّاً، ـ أنّك ستعترف بأنّ لدينا معرفة ثلاثيّة عن الأشياء؟

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: أعني أنّنا نعرف الجوهر، وأنّنا نعرف تحديد الجوهر، ونعرف الإسم، وهذه هي الأسئلة الثلاثة. وهناك سؤالان يمكن طرحهما بخصوص أيّ شيء.

كلينياس: سؤالان اثنان؟ كيف؟

الأثيني: يمكن لشخص أن يعطي إسماً بعض المرات، وأن يسأل عن تحديده، أو يمكنه أن يعطي التحديد ويسأل عن الإسم. يمكنني أن أوضح وأشرح ما أعنيه بهذه الطريقة.

كلينياس: كيف؟

الأثيني: إنّ العدد، مثل بعض الأشياء الأخرى، قادر بطبيعته أن يُقسَّم إلى أجزاء متساوية. وعندما يُقسَّم هكذا، فإنّه يسمى « مزدوجاً ». وتحديد الإسم « مزدوج » معناه « عدد مقسَّم إلى جزأين اثنين متساويين »؟

كلينياس: حقاً

الأثيني: أعني، عندما نُسأل بشأن التحديد ونعطي الإسم، أو عندما نُسأل بشأن الإسم ونعطي التحديد، فإنّنا نتكلّم في كلا الحالتين، وسواء أعطينا إسماً وتحديداً، فإنّنا نتكلّم عن الشيء عينه، مسمّين العدد الذي يُقسَّم إلى جزأين متساويين عدداً « مزدوجاً ».

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: وما هو تحديد ذلك الشيء الذي يُسمَّى « روحاً »؟ هل نستطيع أن نتصوّر أنّه شيء آخر غير ذلك الذي تم إعطاؤه ـ الحركة التي تستطيع أن تحرّك نفسها؟

كلينياس: تعني أنّ الجوهر الذي حُدِّد على أنّه المحرّك لنفسه هو الشيء عينه مع ذلك الذي يمتلك اسم « روح »؟

الأثيني: نعم، وإذا كان هذا حقيقيّاً، أما زلنا نؤكّد أنّ هناك شيئاً ناقصاً في البرهان وهو أنّ الروح هي الأصل الأوّل والقوّة المحرّكة لكلّ ذلك الذي كان، أو أصبح، أو سيكون وكذلك لمضادّاتها، عندما أبنّا بوضوح أنّها مصدر التغيير والحركة في الأشياء كلّها؟

كلينياس: لا بالتأكيد. إنّ الروح كونها مصدر الحركة، قد أُظهرت بالشكل الأكثر إقناعاً، أنّها أقدم الأشياء كلّها.

الأثيني: أوليست تلك الحركة هي التي سبّبها الغير، بسبب الغير، لكنّها لا تمتلك أيّة قوّة للحركة الذاتية على الإطلاق قطّ، كونها في الحقيقة التغيير للجسم

غير الحيّ، ألا تُعتبر نوعاً ثانياً، أو تعتبر بأيّ عدد أدنى ربّما كنت تفضّله؟

كلينياس: بالضبط.

الأثيني: نحن محقّون إذن، ونتكلّم الحقيقة الأكثر كمالاً والمطلقة، وذلك عندما نقول إنّ الروح سابقة الجسم، وإنّ الجسم هو الثاني ويأتي بعد ذلك، وإنّه مولودٌ ليطيع الروح التي هي الحاكم؟

كلينياس: لا يمكن لشيء أن يكون أكثر حقيقة.

الأثيني: هل تتذكّر اعترافنا السابق، عندما قلنا إنّ الروح إذا كانت سابقة على الجسم، فإنّ أشياء الروح كانت سابقة على أشياء الجسم؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: إذن فإنّ الميّزات والتصرّفات، والرغبات والتعقّلات، والآراء الحقيقيّة، والبصيرة، والتذكّر، هذه كلّها سابقة للطول والعرض والعمق وقوّة الأجسام، إذا كانت الروح سابقة للجسم؟

كلينياس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: وفي المقام الثاني، أفلا يجب علينا أن نعترف ضرورةً أنّ الروح هي سبب الخير والشرّ، سبب السافل والشريف، سبب العادل والظالم، وسبب كلّ المتناقضات الأخرى، إذا افترضنا أنها سبب الأشياء كلّها؟

كلينياس: ينبغي أن نعترف بذلك.

الأثيني: وبما أنّ الروح تنظّم وتقطن الأشياء التي تتحرّك كلّها، كيفما تحرّكت، أفلا يلزم أن نقول إنّها تنظّم السماوات أيضاً؟

كلينياس: طبعاً.

الأثيني: وهل هي روح واحدةٌ أو أكثر؟ إنّها أكثر من روح ـ سأجيب عنك، على كلّ حال. ينبغي علينا أن لا نفترض أن هناك أقلّ من روحين اثنين: واحدة هي مبدعة الخير، وأخرى هي مبدعة الشرّ.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: نعم، حقيقيّ تماماً؛ الروح إذاً توجّه كلّ الأشياء في السماء والأرض والبحر بواسطة حركاتها. وتوصف هي بالعبارات: إرادة، تفكير، انتباه، تروٍّ، رأي حقيقيّ ورأي مزيّف، فرح وحزن، ثقة بالنفس، خوف، كراهية، حبّ، وحركات أخرى رئيسيّة مماثلة لهذه، والتي تتلقّى حركات ثانويّة للأشياء الماديّة وتهدي كلّ الأشياء للنموّ والفساد، للتركيب والتحلل، وللنوعيّات التي تصاحبها، كالحرّ والبرد، الثقل والخفّة، الصلب والطراوة، السواد والبياض، المرّ والحلو الطعم، وكلّ تلك النوعيّات الأخرى التي تستخدمها الروح. وبما أنّ الروح نفسها إلهة، فإنّها عندما تتلقّى العقل الإلهيّ بحقّ فهي تفرض النظام على الأشياء كلّها بحقّ ولسعادتها. لكنّها عندما تكون صاحبة الغباء، فإنّها تفعل عكس ذلك تماماً. هل سنفترض لهذا الحدّ ما افترضناه، أو أما نزال نضمر الشكوك؟

كلينياس: لا مجال للشكّ على الإطلاق.

الأثيني: هل سنقول إذن إنّها هي الروح التي توجّه وتنظّم السماء والأرض والعالم أجمع؟ - إنّ هذا هو مبدأ الحكمة والفضيلة، أو إنّه المبدأ الذي لا يمتلك حكمة ولا فضيلة؟ إفترض أنّنا نوجد سؤالاً كالتالي...

كلينياس: كيف ستجيب؟

الأثيني: إذا قلنا، يا صديقي، إنّ كلّ طريق وحركة السماء، وكلّ ذلك الذي يكون في ذلك المكان، إذا قلنا إنّ كلّ ذلك هو بالطبيعة مماثل لحركة ودوران وحساب العقل، وإنّه يتواصل بالنواميس الشقيقة، يجب علينا أن نقول حينئذ، وكما أن ذلك هو قول بسيط، فإنّ الروح الأفضل تعتني بالعالم وتهديه إلى الطريق الصحيح بطوله؟

كلينياس: حقيقي.

الأثيني: لكن إذا تحرّك العالم بطيش وعدم انتظام، فإنّ الروح الشرّيرة تقوده حينئذ؟

كلينياس: حقيقيّ مرّة ثانية.

الأثيني: ومن أيّة طبيعة تكون حركة العقل؟ ليس من السهل أن نعطي جواباً ذكياً على هذا السؤال؛ ولهذا السبب يجب عليّ أن أساعدك في صياغة جواب عليه.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: علينا ألاّ نجيب، إذن كما لو كنا ننظر إلى الشمس بشكل مستقيم ومباشر، جاعلين أنفسنا مظلمة وسط النهار(٨١)، أعني كما لو كنّا تحت انطباع أنّنا نستطيع أن نرى بالعيون الشجميّة أو أنّنا نعرف طبيعة العقل على نحو ملائم. وسيكون أكثر ضماناً لنا أن ننظر إلى الصورة فقط.

كلينياس: وماذا تعني؟

الأثيني: دعنا نختار من الحركات العشر الحركة التي تشبه العقل بشكل رئيسيّ. إنّني سأذكّرك بهذا، وسأوجد الجواب بالنيابة عنّا جميعاً حينئذ.

كلينياس: إنّ ذلك شيء ممتاز.

الأثيني: ستتذكّر بكلّ تأكيد أنّنا قلنا إنّ كلّ الأشياء إمّا ساكنة أو في حركة؟

كلينياس: إنّني أتذكّر.

الأثيني: وإنّ تلك الأشياء المتحركة كان بعضها متحركاً في مكان واحد، وكانت الأشياء الأخرى متحرّكة في أكثر من مكان؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: وما يتعلّق بهذين النوعين من الحركة، فإنّ تلك التي تتحرّك في مكان واحد يجب أن تتحرّك حول مركز مثل تحرّك العجلات المصنوعة في مخرطة، وتكون مماثلة ومشابهة بشكل كلّيّ لحركة العقل الدائريّة.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: في قولنا إنّ العقل والحركة اللذين يكونان في مكان واحد يتحرّكان بالأسلوب المماثل عينه، وفي الشيء عينه وحوله، وفي ما يتّصل بالشيء عينه، وطبقاً لتناسبٍ ونظام واحد، ويكونان مثل حركة الكرة الأرضيّة. ونحن خلقنا صورة عادلة وجميلة في قولنا هذا، والتي لا تُضعف الثقة ببراعتنا.

كلينياس: إنّ هذه الصورة تقدّم لنا سمعة حسنة ومفخرة عظيمة.

الأثيني: وأمّا الحركة من النوع الآخر التي ليست حركة على غرار الأسلوب عينه، ولا في الشيء عينه، ولا حوله، ولا في ما يتصل به، ولا تكون في مكان واحد، ولا في نظام واحد، ولا طبقاً لأيّة قاعدة أو تناسب، إنّ هذه الحركة يمكن القول إنّها تماثل الحمق والغباء.

كلينياس: إنّ هذا القول هو الأكثر حقيقة.

الأثيني: لا صعوبة إذن في أن نقرّر بشكل مميّز، بعد ما قلناه، وهو بما أنّ الروح تحمل الأشياء كلّها بشكل دائريّ، فإمّا أنّ الروح الأفضل أو عكسها يجب بالضرورة أن تحمل وتأمر وتنظّم السماء بشكل دائريّ.

كلينياس: ومعطين حكماً ممّا قد قيل، أيّها الغريب، فلا عقوق في تأكيد أنّ ما من روح سوى الروح أو الأرواح الكاملة تحمل السماوات بشكل دائريّ.

الأثيني: إنّك فهمت معناي بشكل صحيح جدّاً، يا كلينياس. وبعدُ دعني أسألك سؤالاً آخر.

كلينياس: وماذا ستسأل؟

الأثيني: إذا حملت الروح الشمس والقمر دائريّاً، وحملت النجوم الأخرى، أفلا تحمل كلّ فردٍ منها دائريّاً؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: دعنا نتكلّم عن واحد منها إذن، وستنطبق المحاورة عينها عليها كلّها.

كلينياس: أيّها ستنتقي؟

الأثيني: كلّ شخص يرى جسم الشمس، لكن لا أحد يرى روحها، ولا يرى روح أيّ جسد آخر، حيّاً كان أمَ ميتاً. ومع ذلك هناك سبب عظيم للاعتقاد بأن هذه الطبيعة التي لا تدرك بأيٍّ من حواسّنا، منتشرةٌ حولها كلّها، لكنها تُدرك بالعقل فقط. ولهذا السبب دعنا ندرك بالعقل وبالتأمّل المليء فقط النقطة الأساسية التالية.

كلينياس: وما هي تلك النقطة الأساسيّة؟

الأثيني: إذا حملت الروح الشمس دائرياً، فلن نكون مخطئين كثيراً في افتراض واحدٍ من خيارات ثلاثة.

كلينياس: وما هو هذا الخيار؟

الأثيني: هذه الروح التي تسيّر الشمس في هذا الطريق أو ذاك، إمّا أنّها تقطن داخل الجسم الدائريّ والمرئيّ، مثل الروح التي تحملنا بكلّ طريق، أو أنّها تجهّز نفسها بجسد من نار أو هواء، كما يؤكّد البعض، ومن نقطة أساسيّة ما بدون أن تدفع جسداً بجسد بشكل عنيف. أو مرّة ثالثة، إنّها تكون بدون جسد كهذا، بل تقود الشمس بقوّة استثنائية رائعة ومدهشة حقّاً.

كلينياس: نعم، بدون ريب؛ إنّ الروح فقط تستطيع أن تنظّم الأشياء كلّها بطريقة واحدة من هذه الطرائق الثلاث.

الأثيني: وروح الشمس هذه، التي هي أفضل من الشمس لهذا السبب، وسواء إذا سلكت مجراها في الشمس كما في عربة لتعطي النور للناس، أو سواء فعلت ذلك من الخارج، أو فعلته بأيّة طريقة مهما كانت، إنّ روح الشمس هذه يجب أن ينظر إليها كلّ إنسانٍ على أنّها إله.

كلينياس: نعم، يجب أن يعتبرها كلّ انسان يمتلك أقلّ ذرّةٍ من الإدراك.

الأثيني: أوّلا يجب أن نقول بطريقة مماثلة عن النجوم أيضاً، وعن القمر، وعن

السنين والشهور والفصول؟ أوّلا يجب أن نقول، بما أنّ روحاً أو أرواحاً لديها كلّ نوعٍ من أنواع الامتياز هي الأسباب لها كلّها، وإنّ تلك الأرواح هي آلهة، سواء إذا كانت موجودات حيّة وتعيش في أجسام وتنظّم السماء كلّها بهذه الطريقة، أو مهما يكن مكان وجودها وصيغته: وهل سيتحمّل الشخص الذي يعترف بكلّ هذا، هل سيتحمّل نتيجة الإنكار، وهو أنّ الأشياء كلّها مملوءة بالآلهة؟

كلينياس: لا أحد سيكون هكذا إنساناً مجنوناً، أيّها الغريب.

الأثيني: وبعدُ، يا ميغيلوس وكلينياس، دعونا نقدّم شروطاً لمن أنكر وجود الآلهة حتّى الآن، ونتركه.

كلينياس: أيّة شروط؟

الأثيني: إمّا أنّه سيثبت لنا أنّنا مخطئون في اعتبارنا الروح أصل الأشياء كلّها، ويجادل طبقاً لذلك؛ وإذا لم يكن بمقدوره أن يقول أفضل من ذلك، فيجب عليه حينئذ أن يذعن لنا وأن يعيش بقيّة حياته مؤمناً بوجود آلهة. دعنا نرى إذن، إن كان ما قلناه كافياً لأولئك الذين ينكرون وجود الآلهة أو ليس بكافٍ.

كلينياس: بالتأكيد، إنّ ما قيل فيه الكفاية تماماً، أيّها الغريب.

الأثيني: لن نقول لهم أكثر ممّا قلنا إذن، وبعدُ فسنوجّه خطابنا الآن لمن يعتقد بوجود الآلهة، لكنّه يعتقد أيضاً أنّهم لا يهتمّون بالشؤون الإنسانيّة. سنقول له: أوه أيّها الإنسان الأفضل، أنت في اعتقادك بأنّ هناك آلهة فما أنت إلاّ مُرشَدٌ بصلة ما لهم، وهذه الصلة تجذبك نحو أنسبائك وتجعلك تكرمهم وتعتقد بهم. لكن الشرّ والرجال الآثمين، في الحياة الخاصّة كما في الحياة العامّة، ليست مصائرهم ولا حياتهم سعيدة، رغم أنّ الناس يحسبونها كذلك، والتي يمجّدها الشعراء والناثرون على حدّ سواء[٨٢]. وهؤلاء كلّهم

يسحبونك من تقواك الطبيعيّة جانباً. لربّما رأيت رجالاً عاقّين وقد شاخوا، وتركوا أحفاد أحفادهم متسنّمين المناصب العليا، وهزَّ ازدهارهم إيمانك - إنّك عرفت وسمعت أو شهدت بأمّ عينك العديد من أعمال العقوق المرعبة، ورأيت رجالاً يرتكبون أعمالاً بوسائل إجراميّة كهذه الأعمال، من البدايات الصغيرة، وحتى أوج العظمة والسيادة بمتناولهم. وعندما تتأمّل كلّ هذه الأشياء مليّاً فأنت لا تحبّ أن تتّهم الآلهة بها، لأنّهم أقرباؤك. وهكذا فلأنّك تحتاج لقوّة العقل والمنطق، ولأنّك كذلك لا تريد وجود خطأ عندهم، من أجل هذا وصلت إلى الاعتقاد بأنّ الآلهة موجودون حقّاً، لكنّهم لا يفكّرون ولا يعتنون بالأشياء الإنسانيّة. وبعدُ، فإنّ رأيك الحالي الآثم لا يمكن له أن يكون أكثر عقوقاً ممّا هو عليه الآن، ونحن نستطيع، إذا أمكن ذلك، أن نستخدم المحاورات التي يمكن أن تسحر الشرّ قبل أن يصل وتبعده، وستضيف محاورة أخرى لتلك المحاورة التي وجّهناها أصلاً لمن ينكر وجود الآلهة بشكل مطلق. وهل ستجيبان أنتما، يا ميغيلوس وكلينياس، لأجل الرجل الفتيّ كما فعلتما سابقاً؟ وإذا واجهتنا أيّة عوائق في طريقنا، فإنّني سأنتزع الكلمة من أفواهكما انتزاعاً وأحملكما فوق النهر كما فعلت بكما لتوّي الآن.

كلينياس: جيّد جداً؛ إفعل كما تقول، وسنساعدك.

الأثيني: لا صعوبة ربّما، في أن نثبت له أنّ الآلهة تهتمّ بالأشياء الصغيرة، ليس بأقل بل بأكثر ممّا تهتمّ بشأن الكبيرة منها. وهو كان حاضراً وسمع ما قلناه، إنّ الآلهة أخيار بالتمام، وإنّ العناية والاهتمام بكلّ الأشياء هما الشيء الطبيعي الأكثر بالنسبة لهم بشكل كليّ.

كلينياس: لا شكّ أنّه سمع ذلك.

الأثيني: دعنا نعتبر معاً في المقام التالي ماذا نعني بهذه الفضيلة التي ننسبها لهم.

يجب أن نقول بكلّ تأكيد إنّ اعتدالك وامتلاكك العقل شيء يخصّ الفضيلة، وأمّا عكسه فيخصّ الرذيلة؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: نعم؛ والشجاعة جزء من أجزاء الفضيلة، والجبن جزء من أجزاء الرذيلة؟

كلينياس: حقّاً.

الأثيني: والأول شريف والآخر مُخزٍ؟

كلينياس: لتكن متأكّداً.

الأثيني: وأمّا الصلة بالنوع الأخسّ، إذا كانت تمتلك أيّ شيء، فهي إنّما تمتلكه مع الطبيعة الإنسانية. لكنّ الآلهة لا يمتلكون جزءاً في أيّ شيء من هذا النوع.

كلينياس: إنّ ذلك ما سيعترف به كلّ شخص ثانية.

الأثيني: لكن هل نتصوّر أنّ الإهمال والكسل والترف فضائل؟ ماذا ترى؟

كلينياس: إنّها ليست فضائل بلا جدال.

الأثيني: لكنّها تُرتَّب في النوع المناقض للفضائل؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: ولهذا السبب فإنّ مضادّاتها ستقع تحت النوع المضادّ؟

كلينياس: أجل.

الأثيني: لكن هل سنفترض أنّ الشخص الذي يمتلك كلّ هذه النوعيات الجيّدة سيكون مُترفاً ومُهملاً وكسولاً، مثل أولئك الذين يقارنهم الشعراء بذكور النحل التي لا تلدغ؟

كلينياس: وإنّ المقارنة لهي الأكثر عدلاً.

الأثيني: بالتأكيد لا يلزم افتراض أن الله طبيعة يكرهها هو نفسه؟ ـ إنّ مَن يجرؤ أن يقول هذا النوع من الأشياء يجب أن لا يُتسامح معه للحظة.

كلينياس: لا بالطبع. كيف يمكن التسامح معه؟

الأثيني: أوّلا ينبغي أن نكون مخطئين كليّة بناء على أيّ مبدأ في الثناء على أيّ شخص لديه عمل خاصّ معهود به إليه، وذلك إذا امتلك العقل الذي يهتمّ بالمسائل الكبيرة دون الصغيرة منها؟ تأمّل مليّاً؛ إنّ مَن يتصرّف بهذه الطريقة، سواء أكان إلهاً أو إنساناً، يجب أن يتصرّف من مبدأين اثنين.

كلينياس: وما هما؟

الأثيني: يجب عليه إمّا أن يتصوّر أنّ إهمال الشؤون الصغيرة ليس بذي عاقبة على الكلّ. وإذا عرف أنّ لها عاقبة وأهملها، فينبغي أن يُنسبَ إهماله إلى عدم اللامبالاة والكسل. هل هناك طريقة أخرى يمكن توضيح إهماله فيها؟ إذ من المؤكّد أنّه عندما يستحيل عليه أن يعتني بها كلّها، فلن نكون مهمِلاً إذا أخفق في العناية بهذه الأشياء صغيرها وكبيرها والتي يمكن أن تكون إلهاً أو مخلوقاً وضيعاً يفتقر للقوّة الجسديّة أو للقدرة العقليّة كي يديرها.

كلينياس: لا بالتأكيد.

الأثيني: إذن دعنا الآن نختبر المعتدين الذين يعترفون بوجود آلهة بشكل مماثل، لكن مع اختلاف في الاعتراف، والذين يعترفون بغير ذلك، فبعضهم يقول بأنّه يمكن استرضاء الآلهة، وأمّا الآخرون فيقولون إنّهم لا يهتمّون بالقضايا الصغيرة. هناك ثلاثة منّا واثنان منهم، وسنقول لهم: أوّلاً، أنتما تعترفان أنّ الآلهة يسمعون ويعرفون ويرون الأشياء كلّها، وأن لا شيء يستطيع الإفلات منهم وهذه مسألة إدراك ومعرفة. هل تعترفان بذلك؟

كلينياس: نعم.

الأثيني: وهل تعترفان أيضاً بأنّ الآلهة لديهم القوّة كلّها التي يستطيع الفانون والخالدون حيازتها؟

كلينياس: إنّهما سيعترفان بهذا أيضاً، طبعاً.

الأثيني: وبكلّ تأكيد فنحن الثلاثة وهم الاثنين ـ الجميع خمسة ـ اعترفنا أنّ الآلهة كاملون وأخيار؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: لكن إذا كانوا كما نتصوّر وجودهم، فهل يمكننا أن نفترض بالاحتمال أنّهم لا يفعلون لأنّ لهم نفسيّة مهملة وكسولة؟ لأنّ عدم النشاط فينا هو وليد الجبن، وعدم النشاط المهمل والكسل أيضاً.

كلينياس: الأكثر حقيقة.

الأثيني: ما من إلهٍ مهملٍ أبداً نتيجة عدم النشاط والإهمال إذن؟ فلا جبن فيهم؟

كلينياس: إنّ هذا لحقيقيّ تماماً.

الأثيني: إنّ الخيار الذي يبقى إذن، هو أنّ الآلهة إذا أهملوا الاهتمامات الأخفّ والأقلّ من اهتمامات العالم، فإنّهم يهملونها لأنهم يعرفون أنّه ينبغي عليهم أن لا يهتمّوا بقضايا كهذه ـ أيّ خيار آخر يوجد سوى خيار الضدّ لما يعرفون؟

كلينياس: ما من خيار آخر.

الأثيني: أوه أيّها الرجلان الأكثر امتيازاً ويا أفضل الرجال، هل أفهم أنّكما تعنيان أنّ الآلهة مهملون لأنّهم جهلة ولا يعرفون بأنّه يجب عليهم أن يعتنوا، أو أنّهم يعرفون، ومع ذلك يفعلون كما يفعل النوع الأدنى من الرجال والذين يقال عنهم إنّهم يعرفون الأفضل فإنّهم يختارون الأسوأ لأنّهم مقهورون بالملذّات والآلام؟

كلينياس: إنّ ذلك لمستحيل.

الأثيني: ألا تشترك كلّ الأشياء الإنسانية بطبيعة الروح؟ أوليس الإنسان هو الأكثر ديانة وتديّناً من الحيوانات كلّها[٨٣]؟

كلينياس: إنّ هذا لا يُنكَر أبداً.

الأثيني: ونحن نعترف أنّ كلّ المخلوقات الفانية هي ملك للآلهة، ولهم السماء كلّها أيضاً[٨٤]؟

كلينياس: بدون ريب.

الأثيني: ولهذا السبب إذا ما قال شخص إنّ هذه الأشياء ملك للآلهة صغيرها وكبيرها، وتكون في أيّة حالة من هذه الحالات، فليس من الطبيعي للآلهة المالكين لنا، والمقتنين الأكثر عناية والأفضل غاية، ليس من الطبيعي أن يهملونا ـ هناك اعتبار أهمّ من هذا الاعتبار أيضاً

كلينياس: وما هو؟

الأثيني: إنّ الحسّ والقوّة هما في نسبة معكوسة بعضهما لبعض في ما يتعلّق بسهولتهما وصعوبتهما.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: أعني أن هناك صعوبة أكبر في رؤية وسمع الصغير أكثر من رؤية وسمع الكبير. لكنّ هناك سهولة أكثر في تحريك وضبط الصغير والعناية به وبالأشياء العديمة الأهمية، من فعل ذلك بمضاداتها؟

كلينياس: صحيح.

الأثيني: إفترض أنّ طبيباً عُهد إليه العناية بشيء ما حيّ ككل؛ فإذا كان قادراً ومستعداً للانكباب على النقاط الرئيسيّة، وإهمال الأجزاء والتفاصيل، فهل ستتحسّن حالة الكلّ على يديه؟

كلينياس: لا، لن تتحسّن بلا جدال.

الأثيني: ولن تكون النتيجة أفضل مع المرشدين والقادة العسكريين، أو مع ربّات البيوت ورجال الدول، أو مع أيّة طبقة أخرى من هذه الطبقات، إذا هم أهملوا الصغير واهتمّوا بالكبير فقط. فكما يقول البنّاؤون: إنّ الحجارة الكبيرة لا تستقيم بدون دعم الحجارة الأقلّ حجماً.

كلينياس: بالطبع.

الأثيني: إذن، ليس لنا أن نعتبر الله دون العمّال البشريين الذين ينهون ويكملون

أعمالهم حسب براعتهم، الصغيرة منها والكبيرة. إنّهم ينهونها بالفنّ الواحد والفنّ عينه، وليس لنا أن نعتبر أنّ الله، وهو أعقل الكائنات، والمستعدّ والقادر على العناية، ليس لنا أن نعتبره مثل الكسول الذي لا يصلح لشيء، أو نعتبره جباناً يدير ظهرهُ للعمل ولا يبالي بالقضايا الأصغر والأسهل، بل يفعل القضايا الأكبر فقط ويعنى بها.

كلينياس: أبداً، أيّها الغريب، لا تدعنا نعترف، بشأن الآلهة، بفرضيّة عاقّة ومزيّفة.

الأثيني: أعتقد أنّنا تحاورنا الآن بما فيه الكفاية مع مَن يغتبط باتّهام الآلهة بالإهمال.

كلينياس: أجل.

الأثيني: لقد أُجبر على الاعتراف بخطئه، لكن يبدو لي أنّه لا يزال يحتاج لبعض كلمات المواساة.

كلينياس: أيّة مواساة ستقدّم له؟

الأثيني: دعنا نقول للفتى الشاب: إنّ حاكم العالم رتّب كلّ الأشياء بقصد الامتياز ووقاية الكلّ. وإنّ كلّ جزء، مهما كان بعده، إمتلك فعلاً وانفعالاً مناسبين له. وقد عيَّن فوق هذه الأشياء، نزولاً إلى الكسر الأقلّ منها، عيَّن وكلاء يشرفون عليها، وكلاءَ فعلوا ونمّقوا كمالها بدقّة متناهية. وإن جزءاً من أجزاء هذا العالم هو ملك للإنسان غير السعيد، ومهما كان هذا الجزء صغيراً فإنّه يسهم في الكلّ. ويبدو أنّك جاهل أن هذا الإبداع وكلّ إبداع آخر إنّما وُجد من أجل الكلّ، وذلك لتكون حياة الكلّ مباركة وسعيدة. ولا تدري أنت أنّك خُلقت من أجل الكلّ، وأنّ الكلّ لم يُخلق من أجلك. إنّ كلّ طبيب وكلّ فنان بارع يقوم بكلّ شيء في سبيل الكلّ، موجّهاً جهده نحو الخير العامّ، مؤدّياً عمل الجزء من أجل الكلّ، وليس عمل الكلّ من أجل الجزء. وأنت منزعجٌ لأنّك تجهل ما هو الأفضل لك في المشروع العالمي إفرادياً، بواسطة ناموس الإبداع العامّ. وبعدُ، كما أنّ الروح توحّد مع جسمٍ

واحدٍ بادىء ذي بدء، وتخضع لكلّ نوع من أنواع التغيير مع جسم آخر بعدئذ، إمّا بنفسها أو بواسطة تأثير روح أخرى، فإنّ كلّ ما يبقى للاعب اللعبة هو أنّ عليه أن يبدّل القطع وذلك بإرسال الطبيعة الأفضل إلى المكان الأفضل وإرسال الطبيعة الأسوأ إلى المكان الأسوأ. وبهذا فإنّه يخصّص لها حصّتها المناسبة.

كلينياس: بأيّة طريقة تعني؟

الأثيني: في الطريقة التي يفترض بها أن تجعل العناية بكلّ الأشياء سهلة للآلهة. إذا كان أي شخص ليصوغ أو يشكل كل الأشياء بدون اعتبار للكلّ، كمثال، إذا شكّل عنصراً حيّاً من الماءِ خارج النار، بدلاً من صياغة عدّة أشياء خارج عنصر واحد، أو صياغة عنصر واحد خارج عدّة عناصر في ترتيب منتظم واصلاً إلى الولادة الأولى أو الثانية أو الثالثة[٨٥]، إذا شكل ذلك، فإنّ التحوّل قد يصبح تحوّلاً نهائيّاً. أمّا الآن فحاكم العالم يستسهل العمل الشاقّ بشكل رائع.

كلينياس: كيف ذلك؟

الأثيني: سأشرح لك. عندما رأى الملك أنّ أعمالنا تمتلك حياة، وأنّ فيها الكثير من الفضيلة والكثير من الرذيلة، وأنّ الروح والجسم، رغم أنّهما ليسا كالآلهة خالدَين حسب المعتقد الشعبي ومع ذلك فإنّهما عندما أتيا إلى الوجود كانا غير مدمَّرين « إذ لو كان أحدهما قد دُمِّر فلا ولادة للمخلوقات الحيّة »، وعندما لاحظ الملك أنّ خير الروح خُصِّص لمنفعة الإنسان أبداً بالطبيعة، وخُصِّص الشرّ ليؤذيه، وهو، مشاهداً كلّ هذا، كافح ليضع كلّ جزء من الأجزاء وذلك ليتمكّن من موقعها، بأسهل أسلوب وأفضله، من نصرة الخير وهزيمة الشرّ في الكلّ. واستنبط الملك مخطّطاً عامّاً أوجد بواسطته مقعداً ومكاناً محدَّدين. غير أنّ صياغة النوعيّات تركها لإرادة الأفراد. إنّ كلّ

واحد منا صُنع قريباً جدّاً لما يكون عليه بنزعة رغباته وبطبيعة روحه.

كلينياس: نعم، إنّ ذلك لربما يكون صحيحاً.

الأثيني: إذن فإنّ كلّ الأشياء التي تمتلك روحاً تتغيّر، وتمتلك مبدأ التغيير في نفسها، وتتحرّك في تغيّرها طبقاً لناموسٍ ولنظام القضاء والقدر. إنّ الطبيعة التي اجتازت تغييراً أقلّ تتحرّك أقلّ وعلى سطح الأرض. لكنّ أولئك الذين قاسوا تغييراً أقلّ وأصبحوا مجرمين يغرقون في جهنّم. يعني يذهبون إلى الجحيم وإلى الأماكن الأخرى في العالم السفليّ، والذي تهلع لذكره قلوب الناس ويصورونه لأنفسهم كما في حلم وهم أحياء، وعندما يُعتقون من الجسد، ومتى تلقّت الروح خيراً أو شرّاً أكثر من طاقتها الخاصّة، ومن التأثير القويّ للآخرين فإنها عندما تشارك في الفضيلة الإلهيّة وتصبح إلهيّة، تُحمل إلى مكان آخر وأفضل، كامل القداسة. لكنّها عندما تشارك في الشرّ فإنّها تغيّر مكان حياتها أيضاً.

« إنّ هذا هو عدل الآلهة الذين يسكنون جبل أوليمبوس(٨٦) ». « أيّها الشباب والرجال الفتيان الذين تتوهّمون أن الآلهة أهملتكم »، إنّكم إذا أصبحتم أسوأ فستذهبون إلى الأرواح الأسوأ، وإذا أصبحتم أفضل فإلى الحياة الأفضل. وفي كلّ تعاقبٍ للحياة والموت ستفعلون وتقاسون ما يمكن أن يقاسيه الشبيه على يد شبيهه بشكل مناسب. إنّ هذا هو عدل السماء الذي لا سبيل لتهربوا منه لا أنتم ولا أيّ بشر آخرين، هذا العدل الذي قضى به الآلهة الحاكمون بشكل خاصّ. لهذا السبب اهتمّ بالمسألة لأنّها ستهتمّ بك بكلّ تأكيد. وإذا قلت: إنّني مخلوق صغير وأستطيع أن أنسلّ إلى أعماق الأرض، أو إنّني عالٍ وسأطير صعوداً إلى السماء، فأنت لست صغيراً ولا عالياً، بل ستدفع الجزاء المناسب، ستدفعه إمّا هنا أو في العالم السفليّ أو في مكانٍ ما قاسٍ ستُنقل إليه.

إنّ هذا هو تفسير قدر أولئك الذين رأيتهم، والذين قاموا بأعمال غير مقدّسة وقاموا بأعمال الشرّ، وكانت بداياتها صغيرة فنمت وأصبحت كبيرة جدّاً، وتوهّمتم أنتم أنّهم لشقائهم أصبحوا سعداء، ورحتم ترون في أعمالهم، كما ترون في مرآة، إهمال الآلهة للبشر، غير عارفين كيف يجعلون كلّ الأشياء تعمل معاً وتقدّم للكلّ. وتصوّر أنت، أيّها الإنسان الشجاع، أنّك لست بحاجة لتعرف هذا؟ ـ إنّ مَن لا يعرف هذا لا يستطيع أبداً أن يصيغ أيّة فكرة حقيقيّة عن السعادة أو الشقاء في الحياة، أو أن يعقد مباحثة عقليّة في ما يخصّ أيّاً منهما. وإذا نجح كلينياس وعصبتنا الموقرة في أن يثبتوا لكم جهلكم بما تقولونه بحقّ الآلهة، فإنّ الله سيساعدكم حينئذ. لكن هل ترغبون بسماع المزيد، استمعوا إذن إلى ما نقوله للخصم الثالث، مهما كانت درجة فهمكم. وأعتقد أنّنا أثبتنا وجود الآلهة بما فيه الكفاية، وأنهم يعتنون بالبشر. أمّا الفكرة الأخرى، وهي أنّهم يُسترضون بالخبثاء ويتلقّون الهدايا، إنّ هذه الفكرة هي ما يجب علينا أن لا نسلّم بها لأيّ شخص، وهي التي ينبغي على كلّ إنسان أن يدحضها بأقصى ما يستطيع من قوّة.

كلينياس: جيّد جدّاً.

الأثيني: حسناً إذن، إنّني أناشدكم بالآلهة أنفسهم أن تقولوا لي إذا كان الآلهة يُسترضون بالهدايا، فكيف يُسترضون؟ ومَن هم، وما هي طبيعتهم؟ ألا ينبغي أن يكونوا على الأقلّ حكّاماً من واجبهم أن ينظّموا وأن يحكموا السماء كلّها بلا انقطاع؟

كلينياس: حقاً.

الأثيني: وبأيّ حكّام أرضيّين يمكن أن نقارنهم، أو مَنْ سيُقارن بهم؟ كيف نستطيع أن نجد صورة الأكبر في الأصغر؟ هل هم سائقو عربة ذات حصانين

متنافسين، أو هل هم ربابنة مراكب؟ لربما يمكن مقارنتهم بقادةٍ عسكريّين، أو يمكن تشبيههم بأطباء يقدِّمون خدماتهم ضدّ الأمراض التي تؤجّج الحرب ضدّ الجسم، أو بمزارعين يراقبون تأثيرات الفصول على نموّ النبات بقلق، أو لربّما يمكن مقارنتهم برعاةِ القطعان. إن العالم، كما اعترفنا، مملوءٌ بالخيرات المتعدّدة وكذلك بالشرور، وإنّه ممتلىء بالشرور أكثر من امتلائه بالخيرات. وهناك، كما نؤكّد، شقاق أبديّ مستمرّ بيننا وهو يحتاج ليقظة مدهشة. إنّ الآلهة وأنصاف الآلهة هم حلفاؤنا في ذلك النزاع، ونحن من ممتلكاتهم. إنّ الظلم والغطرسة والغباء هي دمارنا، والعدل والاعتدال والحكمة هي خلاصنا. وهذه الصفات الأخيرة تكمن في قوّة الآلهة الحيَّة، برغم أنّ أثراً ما منها يمكن تمييزه بين الجنس البشري أحياناً. لكنّنا نعرف أنّ أرواحنا تمتلك نفوساً ظالمة تسكن على هذه الأرض، ويمكن مقارنتها بالحيوانات الوحشيّة التي تتزلّف للقيّمين عليها، سواء أكانوا كلاباً أو رعاة، أو حتى أسياداً أكثر كمالاً. وحاول أن تقنعهم أن بإمكانهم سلب مال الآخرين بالحيلة ودون التعرّض لأيّ أذى، وذلك باستعمال أسلوب المداهنة وحتى باستخدام الصلوات والرقيّات، هكذا تجري القصّة الشريرة. لكنّنا نقول إنّ هذا العمل خطيئة، والخطيئة تُدعى نَهَماً وتكون شرّاً من النوع عينه، مثل الذي يُسمّى مرضاً في الأجسام الحيَّة، أو مثل الوباء في السنوات أو في فصول السنة. أمّا في المدن والحكومات فلها إسم آخر هو الظلم.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: على كلّ حال إنّ هذه المحاورة موجّهة لشخص يرى أنّ الآلهة يتساهلون مع مرتكبي الظلم، إذا تقاسموا الغنيمة معهم. كما لو كانت الذّئاب ترمي بجزء من فريستها للكلاب، والكلاب التي استكانت لهذه العطيّة يسّرت للذّئاب تمزيق القطيع[٨٧]. أفلا ينبغي أن تكون هذه طريقة جدالنا لمن يؤكّد أنّ الآلهة يمكن استرضاؤهم بالهبات؟

كلينياس: هكذا بالضبط.

الأثيني: وبأيٍّ النوعين المذكورين سالفاً من أنواع الحماة سيُقارن إنسانٌ ما الآلهةَ بدون سخرية؟ هل سيقول إنّهم مثل الربابنة الذين تحوّلوا عن واجبهم بواسطة «شراب النبيذ وتذوّق اللحم»، وقلبوا أخيراً الباخرة والبحارة رأساً على عقب؟

كلينياس: لا بالتأكيد.

الأثيني: وليسوا بالتأكيد مثل سائقي العربات الذين يرتشون للتخلي عن النصر لسائقي العربات الأخرى؟

كلينياس: إنّ هذه صورة مخيفة عن الآلهة.

الأثيني: لا وليسوا مثل قادة الجيوش، أو الأطبّاء، أو المزارعين، أو الرعاة؛ ولن يقارنهم أحدٌ بالكلاب الذين استرضتهم الذئاب؟

كلينياس: إنّه لشيء يجب عدم التحدّث عنه.

الأثيني: وهل سنقول إنّ أولئك الذين يحمون مصالحنا الأنبل وهم الحماة الأفضل، هل سنقول إنّهم أدنى فضيلة من الكلاب، وذلك رغبةً بالهبات التي يقدّمها لهم الرجال الظالمون عقوقاً؟

كلينياس: لا بالتأكيد؛ ولا يجب أن نثبّت فكرةً كهذه، وإنّ من يتمسّك بهذا الرأي يمكن أن يُفرد ويُصنّف كما يُصنّف كلُّ الرجال العاقّين. إنّه الرأي الأخبث والأكثر عقوقاً.

الأثيني: هل التأكيدات الثلاثة إذن: أنّ الآلهة موجودون، وأنّهم يهتمّون ويعتنون بالبشر، وأنّه لا يمكن إقناعهم بارتكاب الظلم أبداً، هل عُرِضت هذه التأكيدات الآن بشكلٍ كافٍ؟ ألا يمكننا أن نقول إنّها لكذلك؟

الأثيني: إنّنا نمنحك اعترافنا الكامل بحقيقة كلماتك.

الأثيني: لقد تكلّمت بشدّة لأنّني متحمّس ضدّ الرجال الأشرار؛ وسأخبرك،

يا عزيزي كلينياس، لماذا تكلّمت هكذا. أنا لا أطيق أن يُظن أنّ للخبثاء الميزة واليد الطولى في المحاورة. هم يمكنهم أن يفعلوا ما يسرّهم ويعملوا طبقاً لتصوّراتهم المتنوّعة بشأن الآلهة؛ وهذه الحماسة جعلتني أتكلّم بمنتهى الشدّة. لكن إذا نجحنا، على الإطلاق، في إقناع الرجال بأن يكرهوا أنفسهم وأن يحبوا ما يناقضهم، فإنّ استهلال نواميسنا بشأن العقوق لم يكن كلامنا عنه عقيماً.

كلينياس: دعنا نأمل ذلك، حتى وإن أخفقنا في ذلك، فإنّ نمط محاورتنا لن يُضعف الثقة بالمشرّع.

الأثيني: وستلي المحادثة بعد الاستهلال، وستكون مؤوّلة بالناموس. إنّها ستعلن لكلّ الأشخاص العاقين أنّ عليهم أن ينبذوا طرائقهم ويتّبعوا طرائق الثقات التّقاة. وأمّا أولئك الذين يعصون، فالناموس المتعلّق بالعقوق يجب أن يكون كما يلي: إذا كان رجل مذنباً بأيّ عقوق قولاً أو فعلاً فإنّ على أيّ شخص حاضر أن يعطي معلومات عنه للمسؤولين، مساعدةً للناموس. وعلى المسؤولين الذين يتلقّون المعلومات أوّلاً أن يحضروه أمام المحكمة المقرّرة طبقاً للناموس. وإذا رفض مسؤول أن يقوم بواجبه بعد أن تلقّى المعلومات، فإنّه سيُحاكم بتهمة العقوق بشهادة أيّ شخص مستعدّ لحماية النواميس. وإذا أُدين أيّ شخص، فإنّ المحكمة ستقرّر وتقدّر عقوبة كلّ فعل عاقّ. وأشخاص مجرمون كهؤلاء يجب أن يُلقوا في السجن جميعاً. ستكون هناك سجون ثلاثة في الدولة: أحدها هو السجن العامّ في جوار الساحة العامّة لحماية الأغلبيّة من المعتدين؛ وثانيها بجوار مجلس الشورى الليليّ، وسيدعى « بيت الإصلاح »؛ وأما السجن الثالث فسيُشاد في منطقة موحشة ومقفرة في وسط البلاد، وسيدعى باسم يعبّر عن الثواب والعقاب. وبعدُ، فَإنّ الرجال يقعون في العقوق للأسباب الثلاثة، التي ذُكرت آنفاً، وينشأ من هذه

الأسباب الثلاثة نوعان من أنواع العقوق، فيصبح عددها ستة، وهي جديرة بالذِّكر والتمييز، ولا ينبغي أن يكون لها العقاب عينه. إنّ مَن لا يعتقد بالآلهة، ومع ذلك يمتلك طبيعة صالحة، ويتفادى الرجال الطالحين، ويحبّ الحقّ ويكره الخبث ولا يحبّ الظلم ويرفض أن يفعله، وكذلك الذين يعتقدون إضافةً إلى ذلك بأنّ العالم خالٍ من الآلهة، وهم مبتلون باللذّة المفرطة والألم، ويمتلكون ذاكرة جيّدة وذكاءً حاداً في الوقت عينه، إن كلا الاثنين أسوأ من الآخر. وبرغم أنّ كليهما كافران، فإنّ أحدهما يفعل الأذى أقلّ ممّا يفعله الآخر. يمكن لأحدهما أن يتكلّم بشكل فاجر عن الآلهة وعن التضحيات وعن الأيمان، ونتيجة تهكّمه على الرجال الآخرين لربّما يمكنه أن يجعلهم مثل نفسه، إذا لم يُعاقب على ذلك. لكنّ الآخر الذي يتمسك بالآراء عينها ويدعى رجلاً موهوباً، فإنّه مفعم بالحيل والخداع - إنّ رجالاً من هذا النوع. وهذه الطبقة يتّجرون بالنبوّة والشعوذة من كلّ نوع، ويأتي من طبيعتهم بعض المرات الطغاةُ والدهماويون وقادةُ الجيوش، ومفسّرو الأسرار المقدّسة الخاصّة والسوفسطائيون، كما يُسمون. إن هؤلاء كلهم يأتون بحيلهم ووسائهلم البارعة. هناك أنواع عديدة من الكافرين، لكنّ اثنين منها يحتاجهما المشرّع فقط. أحدهما هو النوع المنافق الذي تستحقّ جرائمة الموت لعدّة مرّات ومرّات، في حين أنّ النوع الآخر يحتاج إلى المواثيق والنصح والتحذير. وبطريقة مماثلة أيضاً ففكرة أنّ الآلهة لا يهتمّون بالرجال تنتج نوعين جديدين من أنواع الجرائم. وأمّا فكرة أنّه يمكن استرضاؤهم فتنتج نوعين اثنين إضافة. وإذا افترضنا وجود هذه التقسيمات، فالذين كانوا على ما هم عليه لافتقارهم للفهم فقط، وليس بسبب الحقد أو نتيجة طبيعة شريرة، فيجب أن يضعهم القاضي في بيت الإصلاح، وأن يأمر بأن يقاسوا مرارة السجن لمدّة لا تقل عن خمس سنين، وفي الوقت عينه يجب ألاّ

يتّصلوا بأيّ مواطن من المواطنين، ما عدا أعضاء مجلس الشورى الليليّ، وهؤلاء عليهم أن يحادثوهم قصد تحسين صحّة أرواحهم. وحين انتهاء مدّة سجنهم، إذا كان أيٌّ منهم ذا عقل سليم، فيجب أن يُعاد إلى الرفقة عينها التي كان بصحبتها، وإلاّ، وإذا أُدين مرّة ثانية، فالموت عقابه. أمّا في ما يتعلّق بالطبائع الشديدة البشاعة التي لا تعتقد ليس بوجود الآلهة، ولا بإهمالهم، ولا بإمكانية استرضائهم بالهبات فقط، بل إنهم إحتقاراً لكلّ الجنس البشريّ، يستحضرون أرواح الأحياء[٨٨]، ويقولون إنّهم يقدرون على استحضار أرواح الأموات، ويَعِدون بسحر الآلهة بالأضاحي والصلوات، وهم سيقلبون الأفراد والبيوت كلّها والدول رأساً على عقب بشكل مطلق من أجل الحصول على المال، إن مَن يكون مذنباً بأيّ من هذه الأشياء يجب أن تدينه محكمة العدل وأن يُعتقل طبقاً للناموس، ويرمى في السجن النائي الموجود في وسط البلاد، ولا تدع أيّ إنسان حرّ يقترب منه أبداً. أمّا حصّته المعينة من الطعام فيقدمها له حماة الناموس والعبيد العامّون. وعند موته يجب أن يُرمى ما وراء الحدود بدون دفن. وإذا ساعد في دفنه إنسانٌ حرّ فيجب أن يكون عرضة للمقاضاة بتهمة العقوق، وسيقاضيه أيّ شخص يكون على استعداد لإقامة دعوى ضدّه. لكن إذا ترك خلفه أطفالاً مناسبين كي يكونوا مواطنين، فعلى حماة اليتامى أن يعتنوا بهم، تماماً مثلما يعتنون بأيّ يتامى آخرين، ابتداءً من اليوم الذي اتُّهم به أبوهم.

يجب أن يكون هناك ناموس واحد لكلّ هذه الحالات، وهذا الناموس سيجعل الرجال أقلّ جرأةً على الاعتداء بالكلام أو بالفعل بشكل عامّ، وسيجعلهم أقلّ غباء، لأنهم لن يمارسوا الشعائر الدينيّة المناقضة للناموس. ودع هذه الصيغة تكون صيغة بسيطة من صيغ الناموس: لا أحد ينبغي أن يكون لديه شعائر دينيّة مقدّسة في بيتٍ خاصّ. وعندما سيضحّي، عليه أن

يذهب إلى الهياكل وأن يقدم هباته للكهنة والكاهنات الذين ينظرون إلى أشياء مقدّسة وطاهرة كهذه. وعليه أن يصلّي بنفسه، سائلاً أي شخص إن كان يريد الانضمام إليه في صلاته. إن سبب هذا هو أنّ الآلهة والهياكل ليس سهلاً تعيينُها، ولكي تُعيَّن الآلهة وتُقام الهياكل بشكل صحيح فهذا العمل عملٌ ألمعيٌّ عظيم. والنساء بشكل خاصّ، والرجال أيضاً، عندما يكونون مرضى أو في خطر، أو في أيّ نوع من أنواع الصعوبة، أو، مرّة ثانية، حين يصادفهم حظّ سعيد، عندما يكونون في حالة كهذه، فإنّ لديهم طريقة التقديس المناسبة، بنذرهم الأضاحي، ووعدهم ببناء المزرات للآلهة، لأنصاف الآلهة، ولأبناء الآلهة. وعندما توقظهم الأشباح والأحلام المرعبة أو يتذكّرون الأطياف، فإنّهم يجدون في المذابح والهياكل شفاءً منها. وسيملؤون كلّ بيت وكلّ قرية بها، وسيختارون لها الأماكن الطلقة، أو حيثما يمكن أنّهم تلقّوا أطيافاً كهذه. إنّ هذه الأمثلة يجب أن تهدينا لاتّباع الناموس الذي نقترحه الآن. والناموس لديه اعتبار للعاقّين أيضاً، ولن يدعهم يتوهّمون أنّهم بأدائهم لهذه الأعمال السريّة، بإقامة الهياكل وبناء المذابح في البيوت الخاصّة يمكنهم أن يسترضوا الله سرّاً وذلك بالأضاحي والصلوات، في حين أنّهم يضاعفون جرائمهم بدون حدود. إنّهم يجلبون الذنب على أنفسهم من السماء، وعلى أولئك الذين يسمحون لهم بفعل ذلك أيضاً، والذين يكونون رجالاً أفضل منهم. والعاقبة هي أنّ الدولة كلّها تجني ثمرة عقوقهم، والذي يستحقّونه، في معنى محدّد. من المؤكّد أن الله لن يلوم المشرّع الذي سيشرّع الناموس التالي: لا أحد ستكون لديه مزارات للآلهة في البيوت الخاصّة، ومن كان لديه أيٌّ منها ويؤدّي أيّة شعائر مقدّسة غير مصرّح بها علناً، مفترضين أنّ المعتدي هو رجل أو امرأة ما ليسا مذنبين بأيّة جريمة أخرى من جرائم العقوق، إنّ شخصاً كهذا سيُخبر عنه مَن يطّلع على

الحقيقة، وسيخبر حماةَ الناموس بها. وعليه أن يصدر الأوامر لهما، هو أو هي، بأن ينقلا شعائرهما الخاصّة إلى العلن. وإذا لم يتمّ إقناعهما، فعلى حماة الناموس أن ينزلوا بهما العقوبة حتّى يستجيبا. وإذا ثبت أن شخصاً أذنب بالعقوق، ليس بسبب طيش صبيانيّ لكن يمكن أن يكون رجال كبارٌ مذنبين به، فيجب أن تكون عقوبته الإعدام. وذلك سواء أقدَّم أضاحي لأيّة آلهة علناً، أو قدّمها في الشعائر السريّة الخاصّة التي أقامها. إنّ أضاحيه ملوّثة، وسواء إذا قد فُعلت الأفعال بجديّة، أو لمجرد عبث صبيانيّ، فعلى حماة الناموس أن يقرّروا ذلك، قبل أن ينقلوا القضيّة إلى محاكم العدل ويحاكموا المعتدي بالعقوق.

محاورة النواميس

الكتاب الحادي عشر

افكار الكتاب الرئيسية

يقول الأثيني: إنّنا سننظّم التعامل بين الإنسان وأخيه الإنسان بشكل مناسب، وسيكون التنظيمُ المحافظةَ على ممتلكات الفرد كلّها. وسنتمسك بالمبدأ القائل: «لا ترفع ما لم تضعه في الأرض بنفسك». وسنسنّ نواميس للبيع والشراء في دولتنا. ولا أحد سيدعو الآلهة للشهادة، وذلك عندما يمارس شخصٌ ما شيئاً زائفاً او خادعاً او غادراً بالكلمة او بالفعل. إن الأكثر كرهاً عند الآلهة هو الذي يؤدّي يميناً زائفة ولا يقيم اعتباراً للآلهة، وفي الدرجة التالية من يتقوّل الباطل في حضور الأسمى منه والأعلى مقاماً. وبعدُ فإنّ الرجال الأفضل هم الأسمى والأعلى مقاماً من الرجال الأسوأ. وبشكل عامّ فإنّ كبار السنّ هم الأسمى والأعلى مقاماً من الصغار سنّاً. ومن اجل ذلك فإنّ الآباء هم الأسمى والأعلى مقاماً من ذريّتهم. والرجال هم الأسمى والأعلى مقاماً من النساء والأطفال. وينطبق هذا على الحكّام بالنسبة للمحكومين. وسنسنّ ناموسا يمنع الغش وشهادة الزور والخداع والاحتيال وقسم اليمين كذباً. وسنحدّد بيع التجزئة الذي يؤذي الشعب عامّة، وسنمنع الربح الذي لا قيود له ولا حدود. ونحن نعدُّ تجارة التجزئة، والتجارة، وإدارة الفنادق، والحانات أموراً مخزية ونشجبها. وسنسنّ قانوناً للقضاء على الغنى والفاقة، فأحدهما يفسد روح الإنسان بالترف، في حين أن الآخر يقوده بواسطة الألم لقلّة الحياء المطلق. وسنشرف، يا ميغيلوس وكلينياس، على عقد الاتفاقات التي يتمّ التعامل بها بين الأفراد كي يكون العدل فيها شاملاً. وبعد ان سننّا ناموساً

للحرفيّين، ينبغي علينا ألاّ ننسى تلك الحرفة الخاصّة بالحرب، وسنكرم الجنود والقادة الذين استبسلوا فيها وأبلوا بلاء حسناً، وقاتلوا بنبل دفاعاً عن بلادهم. ولن ننسى اليتامى إيواءً وتنشئةً وعلماً وضمانةً اجتماعيةً وحماية. أمّا الموصي فيجب أن يترك تنظيم شأن الوصيّة للمشرّع، وهو يقسّم الإرث بين أبنائه بالتساوي، وهو سيفعل الأفضل والأعدل في هذا المجال. وكذلك سيفعل في شؤون الزواج والطلاق وتنظيم العلاقات بين الآباء وأبنائهم والرجل وزوجته. إنّ احترام الآباء وتكريمهم واجب مقدّس على الأبناء ألاّ يهملوه، وإلاّ فالخزي والعقاب، سيلحقهم عاجلاً وآجلاً. سنسنّ ناموساً لعقاب مَن يسمّم الآخرين، ولعقاب السحرة، والمشعوذين من كلّ نوع. أمّا المجانين والمتسوّلون فلن يُطلق سراحهم في المدينة بل سيبقون في بيوت أهلهم. ولن نسمح للكتّاب الهزليّين بالدخول إلى دولتنا، لأنّ المزاح والهزل يسيئان الى شخصيّتنا الإنسانية.

هناك أشياء نبيلة عديدة في الحياة الإنسانية، لكنّ الشرور ملازمة لأكثرها وهذه مقرّرة بقضاء وقدر لتتلفها وتفسدها. أوَليس العدل نبيلاً، وهو الذي كان محضّر الإنسانية حقّاً؟ كيف يمكن للمدافع عن العدل أن لا يكون إنساناً نبيلاً؟

محاورة النواميس

الكتاب الحادي عشر

الأثيني: في المقام التالي، إنَّ التعامل بين الإنسان والإنسان يحتاج إلى أن يُنظَّم بشكل مناسب. ومبدأ التعامل هذا بسيط جدّاً: إنّ الإنسان لن يلمس، إذا استطاع، ما هو ملكٌ لي، أو أن ينقل أقلّ شيء يخصّني بدون موافقتي. ويمكن أن أكون ذا عقل سليم، وأفعل للآخرين ما أحبّ أن يفعلوه لي. دعنا نتكلّم أوّلاً عن اكتشاف كنز. يمكنني أن أصلّي للآلهة لأجد الكنز الدفين الذين خبّأه في مكانٍ ما شخصٌ آخر ادّخره لنفسه ولعائلته. وبما أنّه ليس واحداً من أسلافي، فلن أنقل الكنز من مكان إلى آخر، إذا وجدته. ولا مجال للتعامل أبداً مع أولئك الذين يُسمّون إلهيين، والذين ينصحونني بانتشال الوديعة الموكولة للأرض بطريقة ما أو بأخرى. وليس عليَّ أن أكسب كثيراً لزيادة مقتنياتي إذا أخذت الجائزة هذه، مثلما يجب عليَّ أن أكبر وأنمو في العدل وفضيلة الروح إذا امتنعت عن فعل ذلك، وستكون هذه المقتنيات أفضل من مقتنياتي الأخرى وفي جزءٍ أفضل من نفسي. فامتلاك واقتناء العدل في الروح أفضل من امتلاك الغنى. ومن بين أقوال كثيرة قيلت، هناك قول حقّ هو: « لا تحرّك اللاّمتحرك ». ويمكن اعتبار هذا القول واحداً منها. ومن الأفضل لنا أن نصدّق بالعرف العامّ الذي يقول، إنّ مآثر كهذه تمنع الإنسان من أن تكون لديه عائلة. وبعدُ فإنّه كمن لا يبالي بامتلاك الأطفال ولا باعتبارٍ للمشرّع، منتشلاً ما لم يودِعْه، ولا أودعه أحد من أسلافه، وذلك بدون موافقة الوادع مخالفاً بذلك أبسط قواعد النواميس النبيلة التي لم يسنّها إنسان وضيع القدر. فلهذا الإنسان سنقول: « لا ترفع ما لم تضعه

في الأرض بنفسك ». وأقول عنه، إنّ الذي يزدري بهذين المشرّعين الاثنين، ويرفع شيئاً ليس صغيراً ممّا لم يضعه هو، بل لربّما أنه وضع كمية كبيرة من الكنز، فماذا يجب أن يقاسي هذا الرجل على أيدي الآلهة؟ الله وحده يعرف. لكنّني أريد من أوّل شخص يراه أن يذهب ويخبر حكّام المدينة المحليّين، إذا حصل الحادث في المدينة، وإذا حصل الحادث في الساحة العامّة فإنّه سيخبر حكّام البلاد المحليّين ورؤساءهم. وعند تلقّي المعلومات سترسل إلى معبد دلفي. وما أجاب الله به بشأن المال ومَن نقله، فذلك ما ستفعله المدينة طاعةً منها لوسيط الوحي. وإذا كان المخبر إنساناً حرّاً، فسيمتلك شرف العمل بحقّ. وإذا كان الذي أعطى المعلومات عبداً، فيجب أن يتحرّر، كما ينبغي على الدولة أن تعطي سيّده ثمنه وتعتقه. لكنّه إذا لم يُخبر عنه فسيُعاقب بالموت. يلي ذلك ناموسٌ مشابهٌ كما يلي، ناموس سينطبق على المسائل الكبيرة والصغيرة بشكل متساوٍ: إذا حدث أن ترك إنسان خلفه جزءاً ما من ممتلكاته، وسواء فعل ذلك عن قصد أو عن غير قصد، فالذي يمكن أن يجد هذه الممتلكات مصادفة عليه أن يتركها مكانها، آخذاً في الاعتبار أن أشياء كهذه هي في حماية آلهة الطرقات، وأنّها خُصِّصت لها بواسطة الناموس. لكن إذا تحدّى أيّ شخص الناموس وأخذ الممتلكات إلى البيت معه، وإذا كان الرجل الذي أخذه عبداً، فلمن يقابله ويكون له من العمر ثلاثون سنة له أن يجلده عدّة جلدات. وإذا كان إنساناً حرّاً، بالإضافة إلى كونه يتصوّر أنّه شخص دنيء ومستخفّ بالنواميس، فيجب أن يدفع عشرة أضعاف قيمة الثروة التي أخذها، ويجب أن يدفعها للتارك. وإذا اتّهم شخصٌ ما شخصاً آخر لامتلاكه أيّ شيءٍ يخصّه، سواء أكان قليلاً أو كثيراً، وإذا اعترف الشخص المتّهم بأنه يمتلك هذا الشيء لكنّه أنكر أنّ الملكية المتنازع عليها تخصّ المتّهِم، وإذا كانت الملكيّة مسجلة عند

القضاة الحاكمين طبقاً للناموس، فإنَّ المطالِب بها سيستدعي مقتنيها للمثول أمام القضاء، وهو سيحضرها أمام القضاة الحاكمين. وعند جلبها إلى محكمة العدل، وإذا وُجدت مسجّلة في السجلات العامة، وعُرف صاحبها فلصاحبها هذا أن يأخذها ويذهب في طريقه. وإذا كانت الممتلكات مسجّلة لشخص ما ليس حاضراً، فإنّ أيّ تأكيد كافٍ يقدّمه المطالبان بالنيابة عن الشخص الغائب مدّعيين أنّه سوف يهبها إلى أحدهما، سيأخذها مَن يملك التأكيد الكافي على أنّه وكيل عنه. لكن إذا كانت الملكيّة المودَعَة ليست مسجّلة مع القضاة الحاكمين، فلتبقَ إلى أن يحين وقت المحاكمة مع ثلاثة من أكبر القضاة الحاكمين سنّاً. وإذا كانت الوديعة حيواناً فإنّ مَنْ يخسر الدعوى يدفع للقضاة الحاكمين كلفة الاحتفاظ به. وهم سيقرّرون خلال ثلاثة أيّام.

إنّ أيّ شخص ذي عقل سليم يمكنه أن يعتقل عبده، وأن يفعل به ما يريده من تلك الأشياء التي يسمح بها الدين. ويمكنه أن يعتقل عبداً هارباً يخصّ صديقاً من أصدقائه أو أقربائه بقصد حمايته وضمانه. وإذا أبعد أيّ شخص عبداً موقوفاً، قاصداً بذلك تحريره، فإنّ الذي ينقذه سيدعه يذهب. لكنّ الذي يأخذه بعيداً، سيعطي ثلاثة تأكيدات كافية. فله إذا أعطى هذه التأكيدات، وليس بدون إعطائها، له أن يأخذه بعيداً. لكن إذا أخذه بطريقةٍ أخرى فسيُعتبر مذنباً بارتكاب عمل من أعمال العنف، وحال إدانته سيدفع غرامة مضاعفة القيمة للأضرار التي طالب بها الذي جُرِّد من ذلك العبد. أيّ شخص يمكنه أن ينقل إنساناً حرّاً بالقوّة، إذا لم يؤدِّ احتراماً أو تقديراً كافياً لمن جعله حرّاً. وبعد فإنّ الاحترام سيكون بذهاب الإنسان الحرّ ثلاث مرّات في الشهر إلى مأوى الشخص الذي حرّره، ويقدم له ما يجب عليه أن يقدّمه وبقدر ما يستطيع. وسيوافق على أن يعقد قراناً كهذا كما يوافق

عليه أسياده السالفون. ولن يسمح له أن يحوز ملكيّة أكثر ممّا لدى الشخص الذي حرّره، وما زاد على ذلك سيناله سيّده. إنّ الإنسان المحرَّر لن يبقى في الدولة أكثر من عشرين سنة، لكنّه سيذهب بعيداً مثلما يذهب الغرباء الآخرون، آخذاً كلّ ممتلكاته معه، إلاّ إذا نال موافقة القضاة الحاكمين وسيّده السابق على البقاء. إذا كان لدى الإنسان المحرَّر أو كان لدى إنسان آخر، غير غريب، إذا كانا يمتلكان أكثر ممّا هو مسجل في الإحصاء الرسميّ لدى الطبقة الوسطى، فحين انتهاء ثلاثين يوماً من اليوم الذي إبتدأت فيه هذه المدّة، فإنّه سيأخذ ما له من ملكيّة ويذهب في حال سبيله. وفي هذه الحالة لن يسمح له القضاة الحاكمون بالبقاء لفترة أطول من ذلك. وإذا عصى أيّ شخص هذا النظام، وأُحضر إلى المحكمة وأُدين، فسيطبّق فيه حكم الإعدام وستصادر ممتلكاته. إنّ الدعاوى المتعلّقة بهذه القضايا ستأخذ مكانها أمام القبائل، إلاّ إذا تخلّى المدّعي والمدّعى عليه بشكل رسميّ عن الاتهام إمّا أمام جيرانهما أو أمام القضاة الذين اختاروهم. إذا ادّعى إنسان ملكيّة حيوان أو أيّ شيء آخر، فعلى المالك أن يُرجِع إلى البائع أو إلى أيّ شخص أمين وجدير بالثقة، هذا الحيوان أو الشيء. والذي أعطاه الملكية أو حوّلها إليه بطريقةٍ شرعيّةٍ ما، سواء أكان مواطناً أو أجنبياً مقيماً إقامة مؤقّتة في المدينة لأقلّ من ثلاثين يوماً، أو إذا حوّل الملكية له غريب فلأقلّ من خمسة أشهر، الذي سيتضمَّن منتصف الشهر انقلاب الشمس الصيفي. وعندما يتمّ تبادل البضائع بالبيع والشراء، فسوف ينقلها الإنسان ويسلّمها إلى أصحابها ويأخذ ثمنها وذلك بسعر محدّدٍ في الساحة العامّة، وبهذا يكون قد انتهى من المسألة. لكنّه لن يشتري أو يبيع في أيّ مكان آخر فيه تبادل لشيء واحد من البضائع بالبضائع الأخرى، ولن يفعل ذلك على أساس شروط التسليف. وإذا وُجد تبادل لشيء واحد بالآخر بأي طريقة أو أيّ مكان، وسلّف البائع

للرجل الذي يشتري منه، فينبغي عليه أن يفعل هذا دون أن ينسى بأنّ الناموس لا يؤمّن الحماية في حالات الأشياء التي تمّ بيعها طبقاً لهذه النُظم. أمّا في ما يختصّ بالتبرّعات ثانية، فإنّه يمكن لمَن يرغب أن يطوف ويجمع التبرّعات كصديق من الأصدقاء، وإذا نشأ أيّ خلاف بشأن جمعها، فيجب عليه أن يفعل دون أن ينسى أنّ الناموس لا يؤمّن حماية في حالاتٍ كهذه. إنّ الذي يبيع أيّ شيء تفوق قيمته الخمسين دراخما سيضطر للبقاء في المدينة لعشرة أيّام، وسوف يتمّ إخبار الشاري عن بيت البائع، وذلك قصد نوع الرسوم التي يمكن أن تنشأ في حالات كهذه، وقصد التعويضات التي يسمح الناموس بها. والتعويض القانوني يجب أن يكون على هذا النحو: إذا باع رجلّ عبداً أضناه المرض من جراء حصاة في الكلية، أو تقطّر البول، أو الصرع، أو أيّة فوضى دائمة أخرى وغير قابلة للشفاء في الجسد أو العقل، ولا يقدر الإنسان العادي على تمييزها، أقول، إذا كان الشاري طبيباً أو مدرِّباً، فلا حقٌّ له في التعويض، ولا حقٌّ له في التعويض إذا أخبره البائع الحقيقة مقدَّماً. لكن إذا باع إنسان حاذق في هذه الأشياء لإنسان غير بارع، فللشاري أن يلجأ إلى رفع الدعوى للحصول على تعويض خلال ستّة شهور، إلاّ في حالة الصَرَع، وحينئذ يمكن اللجوء إلى رفع الدعوى خلال سنة. إنّ الدعوى سوف يفصل فيها ويتّخذ القرار بشأنها أطباءُ يمكن للأطراف المتنازعة أن تتّفق بشأنهم وتختار مَن تريد منهم. وإذا خسر المدافع القضية فسوف يدفع ضعف الثمن الذي تمّ البيع فيه. إذا باع شخص خاصّ لشخص خاصّ آخر مثله فسوف يكون له الحقّ في التعويض، وسيُعطى القرار كما تمّ إعطاؤه سابقاً، لكن إذا أُطلقَ سراح المدافع فيُعادُ ثمنُ العبد مالاً فقط. إذا أخبر البائع الشاري، وعرف كلّ منهما حقيقة ما جرى، فلا تعويض في حالة كهذه. لكن إذا لم يعرف المشتري الحقيقة، فلا تعويض

محقّاً عند اكتشاف ما جرى. وسوف يستقرّ القرار مع خمسة من حماة الناموس الشباب، إذا كان القرار قرار البائع وكان صاحبه عالماً بالحقيقة، فإنّه سوف يُطهِّر بيت الشاري، طبقاً لناموس المؤوّلين، وسيرجع إلى البائع ثلاثة أضعاف المبلغ الذي دُفع.

إذا بادل إنسانٌ إنساناً آخر بالمال، أو بأيّ شيء مهما كان، حيّ أو لا حياة فيه، فعليه أن يعطي ذلك ويسلِّمه صِرْفاً غير زائف طبقاً للناموس. ودعنا نضع استهلالاً بشأن كلّ نوع من أنواع الاحتيال، مثل استهلالاتنا عن النواميس الأخرى. يجب أن يعتبر كلّ إنسان أن الزنا هو صنف واحد من أصناف الزيف والخداع، وذلك في ما يتعلّق بالذي يتوق إلى قوله العديدون، في الأوقات والأماكن المناسبة التي يمكن للمزاولة فيها أن تكون مزاولة صحيحة غالباً. لكنّهم يضيّعون الفرصة، وعندما يكون الزمان والمكان غير محدَّدين وغير مفصول فيهما، ويفتقران للتحديد في لغتهما فإنّهما يسبّبان أذىً عظيم الشأن لأنفسهم وللآخرين. وبعدُ فإنّ المشرِّع ينبغي ألاّ يترك المسألة بدون حسم، بل يجب عليه أن يفرض حدّاً ما، قليلاً أو كثيراً. هذا الناموس المفروض فليكنْ كما يلي: لا أحد سوف يدعو الآلهة للشهادة، وذلك عندما يرتكب شخصٌ ما شيئاً زائفاً أو خادعاً أو غادراً، إلاّ إذا كان مَن يدعوهم هو أكثر الناس كرهاً لدى الآلهة. إن أشدّ الناس كرهاً عند الآلهة هو مَن يؤدّي يميناً زائفة، ومَن لا يقيم اعتباراً للآلهة، وفي الدرجة التالية، من يتقوّل الباطل في حضور الأسمى منه والأعلى مقاماً. وبعدُ فإنّ الرجال الأفضل هم الرجال الأسمى والأعلى مقاماً من الرجال الأسوأ، وبشكل عامّ فإنّ كبار السنّ هم الأسمى والأعلى مقاماً من الصغار سناً؛ ومن أجل ذلك فإنّ الآباء هُمُ الأسمى والأعلى مقاماً من ذريّتهم، والرجال هم الأسمى والأعلى مقاماً من النساء والأطفال. وينطبق هذا أيضاً على

الحكّام بالنسبة للمحكومين. وعلى الناس جميعاً أن يبجّلوا أيّ شخصٍ يتبوّأ أيّ مركز من مراكز السلطة، وخاصّة أولئك الذين هم في مناصب الدولة. وهذا هو السبب الذي تكلّمت من أجله بشأن هذه القضايا. إنّ مَن يغشّ في السّاحة العامّة فإنّما يقول زوراً، ويخدع، وعندما يستشهد أو يتوسّل للآلهة، طبقاً لعادات وتحذيرات حكّام الساحة العامّة المحليّين، فإنّه يحلف بدون أيّ توقير لله أو احترام للإنسان. بالتأكيد، إنّها لقاعدة ممتازة أن لا نشوِّه باستخفافٍ أسماء الآلهة، هذا إذا كان شخص مهملاً، كما هي عادة الرجال بشكل عام، إذا كان مهملاً للتقوى والطهارة في عمله الديني. لكن إذا لم يعمل الإنسان وفقاً لهذه القاعدة، فالناموس يجب أن يكون كما يلي: إنّ مَن يبيع أي شيء في الساحة العامة فلن يطلب سعرين اثنين لذلك الذي يبيعه، بل سيطلب ثمناً واحداً فقط. وإذا لم يحصل عليه، فسيبعد أغراضه المعروضة للبيع، ولن يضع لها ثمناً في ذلك اليوم لا أقلّ ولا أكثر. ويجب ألاّ يمتدح الأغراض المعروضة للبيع، ولا يقسِمَ الأيمان من أجلها. وإذا عصى شخص هذا الأمر، فإنّ أيّ مواطن موجود هناك لا يقل عمره عن الثلاثين سنة، يمكنه أن يعاقب الحالف بالضرب ويؤدّبه، لأنّه بدلاً من إطاعته للنواميس يعصيها، وسيكون حينئذ معرّضاً للاتهام بخيانتها. إذا باع إنسان أغراضاً مغشوشة وخالف هذه النظم، فإنّ مَن يعرف الحقيقة ويستطيع إثباتها، وأثبتها في حضور القضاة الحاكمين، وإذا كان عبداً أو أجنبيّاً مقيماً، فسوف يمتلك البضاعة المغشوشة. لكنّه إذا كان مواطناً، ولم يلاحق الاتّهام، فسيسمّى محتالاً، ويُعتبر أنّه سرق آلهة الساحة العامّة. وإذا برهن هو الاتّهام، فإنّه سوف يخصّص البضائع إلى آلهة الساحة العامّة. ومَن يبرهن أنّه باع أيّة بضائع مغشوشة، بالإضافة إلى خسارته البضائع عينها، فسيجلد بقسوة بالسياط، سوطاً لكلّ دراخما، طبقاً لثمن البضائع المعروضة. وسوف يعلن

المعلِن في الساحة العامّة الجرم الذي تعرّض صاحبه بسببه للضرب. إنّ حكام الساحة العامّة المحليّين وحماة الناموس سيحصلون على معلومات من الأشخاص ذوي الخبرة بالاحتيالات وأعمال الغشّ التي يقوم بها البائعون وسيكتبون خطيّاً ما يجب على البائع أن يعمله وما يجب عليه تجنّبه في كلّ حالة. ودعهم ينقشون نواميسهم على عمود في مقدّمة محكمة حكّام الساحة العامّة المحليّين، وذلك ليتسنى لهم أن يكونوا بكلّ جلاء معلّمين لأولئك الذين لديهم عمل في الساحة العامّة. لقد قلنا ما فيه الكفاية ممّا يتعلّق بحكّام المدينة المحليّين، وإذا بدا أنّ هناك نقصاً في هذا المجال، فعلى حكّام المدينة المحليين أن يتّصلوا بحماة الناموس وأن يسدُّوا الحاجة في ذلك، وعليهم كذلك أن يقيموا عموداً في محكمة حكّام المدينة المحليّين وينقشوا عليه النظم السياسيّة والثانويّة التي وُضعت لهم بشأن منصبهم.

وتأتي بعد ممارسات الغش لتجارة التجزئة. وبدايةً سنعطي كلمة نصح وتحذير وتعقّل في ما يتعلّق بهذه الممارسات، وسيلي الناموس بعد ذلك. إنّ تجارة التجزئة في المدينة لا يُقصد منها بالطبيعة أذيّة أحد، بل إنّها على العكس من ذلك تماماً. إذ هل يكون محسناً مَن يخفض اللاّتكافؤ في توزيع ولاتناسب البضائع إلى تساوٍ وإلى قياس وتناسب عامّ؟ وهذا ما تنجزه قوّة المال، ويمكن القول إنّ التجار معيّنون لهذا الغرض. إنّ المأجورين وأصحاب الحانات، وأصحاب العديد من المهن الأخرى، بعضهم كثير الحشمة والبعض الآخر قليلها ـ وكلّهم لديهم هذا الهدف بشكل متشابه؛ إنّهم ينشدون تأمين حاجاتنا ومساواة مقتنياتنا[٨٩]، دعنا نسعى لنرى إذن من وصل بتجارة التجزئة إلى هذه السمعة السيّئة، ودعنا نرى أين يكمن الخزي وعدم اللياقة فيها، وذلك ليتسنى لنا الآن أن نكبح الشرّ جزئياً بواسطة التشريع وإن لم يكن هذا الشفاء كاملاً. وإنجاز هذا ليس شيئاً سهلاً ولا هو مسألة هيّنة، بل يحتاج إلى مقدار عظيم من الفضيلة.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: يا عزيزي كلينياس، إنّ امتياز الرجال هو امتياز صغير - قد تكون الطبيعة هي التي وهبتهم نادراً، أو أنّ التعليم درّبهم تدريباً صحيحاً - مَنْ يستطيع الصمّود ويتحمّل الاعتدال ويأخذه بعين الاعتبار، عندما يغير عليه العَوَز ويذعن للرغبات، أو كيف يتسنى للرجال أن يكونوا متّزنين ويضبطوا أنفسهم وأهواءهم إذا ما أُتيح لهم ربح مقدار كبير من المال، أو كيف يفضلون الربح المعتدل على الربح الوفير؟ إن الجمهور الأعظم من الجنس البشريّ هم عكس هذا تماماً. إنّ رغباتهم غير مقيّدة، وعندما يمكنهم أن يربحوا بالاعتدال يفضّلون أن يربحوا بدون حدود؛ في حين أنّ كلّ ما يتعلّق بتجارة التجزئة، والتجارة، وإدارة الفنادق والحانات، كلّ هذه الأشياء مشجوبة ومعدودة بين الأشياء المخزية. إنّ كلّ ذلك الذي لا أثق به لا يمكن أن يكون أبداً ولن يكون، وإذا كنا لنجبر الرجال « إنّني سأجازف بقول شيء مضحك » إذا كنّا لنجبرهم على الاحتفاظ بالحانات لوقت وهم الذين يبزّون الكلّ في الفضيلة، أو كنّا لنجبرهم على أن يستمرّوا في ممارسة تجارة التجزئة، أو أن يفعلوا أيّ شيء من ذلك النوع، أو إذا أُجبرت أفضل النساء كنتيجة لقدرٍ أو ضرورة ما على اتباع دعوة مشابهة، فما يجب علينا إلاّ أن نعرف حينئذ كم تكون كلّ هذه الأشياء مقبولة وسارّة. وإذا أُديرت كلّ هذه المهن على مبادىء مستقيمة وخالية من الخطأ، فإنّنا سنمجّدها كما نمجّد الأمّ أو الممرّضة. أما الآن فالإنسان يذهب إلى الأماكن المهجورة ويبني البيوت التي لا يمكن الوصول إليها إلاّ برحلات طويلة شاقة من أجل تجارة التجزئة، والغرباء الذين يحتاجون لمكان ما للراحة مرحّباً بهم يجدونه، فيمنحهم السلام والهدوء عندما تقذفهم العاصفة، أو يظلّلهم بلطف من لهب الشمس الحارق. وعندئذ فبدلاً من أن يتصرّف معهم كأصدقاء، وأن يظهر لهم

واجبات المضيف نحو ضيوفه، فإنّه يعاملهم كأعداء وأسرى صاروا تحت رحمته، ولا يفرج عنهم إلى أن يدفعوا الفدية الأكثر ظلماً ومقتاً وابتزازاً. إنّ هذه الممارسات تجلب الخزي والعار بالنسبة لإسعاف المحتاجين في الضرّاء. وأيّة ممارسات غادرة تخفي شرّها هي هذه الممارسات؟! وعلى المشرّع دائماً أن يستنبط علاجاً لمساوىء من هذا النوع. هناك قول حقيقي قاله الأقدمون، وهو: « إنّه لمن الصعب أن تحارب عدوّين اثنين »، لكن يمكن رؤية هذا في الأمراض وفي الحالات المتعدّدة الأخرى. وأمّا في هذه الحالة فالحرب أيضاً ضدّ عدوّين اثنين - إنّهما الغنى والفاقة، أحدهما يفسد روح الإنسان بالترف، في حين أن ثانيهما يقوده بواسطة الألم إلى قلّة الحياء المطلق. وأيّ علاج تستطيع مدينة مدرِكةٌ أن تجده لمكافحة هذا المرض؟ أوّلاً يجب عليهم أن يمتلكوا أقلّ عدد ممكن من التجار؛ ثانياً ينبغي عليهم أن يخصّصوا المهنة لصنف الرجال الذين سيكون فسادهم هو الأقلّ أذىً للدولة؛ وفي المقام الثالث يلزمهم أن يستنبطوا طريقة ما يتفادون بواسطتها أن يقع أتباع هذه المهن أنفسهم بشكل سريع في عادة قلّة الحياء المطلق العِنان وفي عادة السفالة.

بعد هذا التصدير يجب أن يجرى ناموسنا كما يلي، ويمكن للحظّ السعيد أن يَمُنَّ علينا بهباته: لا مالك أرض بين المغنطيسيين الذين أحيا الله مدينتهم ووطّدها، لا أحد منهم، يعني، من بين الـ ٥٠٤٠ [5040] عائلة، سيصبح تاجر تجزئة، لا بالاختيار ولا بالإكراه؛ ولن يكون تاجراً، ولن يؤدّي أيّة خدمة للأشخاص الخاصّين إلاّ إذا خدموهم هم بشكلٍ متساوٍ، ما عدا خدمة أبيه وأمّه، وجدّته وجدّه. وعليه، بشكل عامّ، أن يخدم الأكبر منه سنّاً منَ الرجال الأحرار، والذين يخدمهم على أنّهم كذلك. وبعدُ فإنّه لمن الصعب أن نقرر بشكل دقيق الأشياء الجديرة أو غير الجديرة بالإنسان الحرّ.

لكن دع هؤلاء الذين نالوا جائزة الفضيلة أن يعطوا حكماً بشأنها طبقاً لشعورهم، أيّها الخطأ وأيّها الصواب. إنّ مَن يشارك بأيّة طريقة في تجارة التجزئة الضيّقة الأفق تفكيراً، يمكن أن يعرّض سلالته للتحقير على يد أي شخص يحبّ القيام بذلك، وأمام أولئك الذي تمّ الحكم عليهم أنّهم الأوائل في الفضيلة. وإذا ظهر أنّه يلطّخ بيت أبيه بامتهانه مهنة غير جديرة بالتقدير، فيجب أن يُرمى به في السجن لمدّة سنة وأن يمتنع عن ممارسة هذه التجارة نهائياً. إذا كرّر الاعتداد فسيُرمى به في السجن لمدة سنتين، وفي كلّ مرّة يدان بهذا الفعل يجب أن تضاعف مدّةُ سجنه. سيكون هذا ناموساً ثانياً: إنّ مَن يتعاطى عمل تجارة التجزئة يجب أن يكون إمّا أجنبيّاً مقيماً وإمّا غريباً. وسيكون الناموس التالي هكذا: على مَن يتعاطى عمل تجارة التجزئة وهو من سكّان مدينتنا، عليه أن يكون صالحاً كما يجب أو أقلّ سوءاً قدر الإمكان. إنّ حماة الناموس ينبغي عليهم أن يتذكّروا أنّهم ليسوا حماةً لأولئك الذين يمكن مراقبتهم بسهولة، والذين تمنعهم ولادتهم الصالحة وتنشئتهم الجيّدة من الخروج عن الناموس وارتكاب الشرور. لكن يبقى عليهم أن يراقبوا ويحرسوا أولئك الذين يكونون من نوع آخر، وأن يتابعوا مراقبة الحالات التي تميل بقوّة لجعل الرجال أشراراً. ولهذا السبب، وفي ما يتعلّق بالمهن المتعدّدة الأنواع لتجارة التجزئة، يعني، في ما يتعلّق منها بذلك، فسيسمح لها بالبقاء لأنّها ضروريّة تماماً للدولة - إنّ حماة الناموس يجب أن يجتمعوا بشأنها ويعقدوا مجلساً استشارياً مع الذين لديهم خبرة بالأنواع المتعدّدة لتجارة التجزئة. وذلك مثلما أمرنا سابقاً بخصوص الغشّ « وهو مسألة متّصلة بتجارة التجزئة »، وعندما يجتمعون فإنّهم سيأخذون بعين الاعتبار بعد حسم المصاريف، ما هو مقدار الربح المعتدل لتجّار التجزئة. إنّهم سوف يثبّتون كتابةً ويحافظون بشكل صارم على ما يرونه نسبة ملائمة

للربح الصحيح والمحق. إنّ هذا الربح سينظر به حكّام الساحة العامّة المحليّون، وكذلك حكّام المدينة المحليون، وحكّام البلاد المحليون. وهكذا فإنّ تجارة التجزئة ستعود بالفائدة على كلّ شخص، وستسبب أقلّ أذىً ممكن لأولئك الموجودين في الدولة وللذين يمارسونها.

عندما يعقد إنسان اتفاقيّة لا ينفذها، إلاّ إذا كانت اتفاقيّة ذات طبيعة لا يسمح بها الناموس، أو التي نقضها تصويت في الجمعية العامّة، أو التي عقدها الإنسان مرغماً دون اعتبار للعدل، أو التي مُنع من تنفيذها ضدّ إرادته بقدر غير متوقّع، إذا حصل هذا، فإنّ الفريق الآخر يمكنه أن يذهب إلى محاكم القبائل القانونيّة ومعه الناموس، بحجّة أنّ الفريق الأوّل لم ينفّذ ما اتُّفق عليه. هذا إذا لم يكن بمقدور الفريقين أن يصلوا إلى تفاهم أمام الوسطاء أو أمام جيرانهم. إنّ طبقة الحرفيّين الذين أمدُّوا الحياة الإنسانية بالفنون المكرّسة والمخصصة لهيفياستوس وأثينا؛ وهناك طبقة من الحرفيّين الذين يصونون أعمال الحرفيّين كلّها بواسطة فنون الدفاع، وهم العابدون الورعون لأريس وأثينا، واللذين خصّصت الألوهية لهما بشكل صحيح أيضاً، إنّ هؤلاء كلّهم يقضون حياتهم في خدمة بلادهم وشعبهم بشكل صحيح. بعضهم يخدمون كقادة في المعركة، وبعضهم يضع الوسائل للإيجار والعمل، ولا ينبغي عليهم أن يُخدعوا في أشياء كهذه، وذلك احتراماً منهم للآلهة الذين هم أسلافهم. إذا لم ينجز حِرَفيٌّ ما عمله في وقت محدّد بسبب الكسل، دون تبجيل الله الذي وهبه وسائل الحياة، بل يعتبر أن إلهه الخاصّ هو رفيق غنيٌّ وأنه سيتركه بسهولة، ففي المقام الأوّل، سيقاسي على يد الآلهة العقوبات، وفي المقام الثاني سيلي الناموس في نفسيّة مماثلة: عليه أن يُدين لمن تعاقد معه ثمن الأعمال التي أخفق في إتمامها، وسيعود ثانية لتنفيذها مجاناً في الوقت المتّفق عليه. عندما يتعهّد إنسان بتنفيذ عمل، فإنّ

الناموس يعطيه الأداة عينها التي أُعطيت للبائع، وهي أنّه لا يلزمه أن يحاول رفع السعر، بل عليه أن يسأل عن قيمة البضائع بكلّ بساطة. وهذا الشيء يفرضه الناموس على المتعاقد أيضاً لأنّ الحرفيّ يعْرف قيمة عمله بكلّ تأكيد. ومن أجل ذلك لا ينبغي على إنسان الفن في الدول الحرة أن يحاول فرض أيّ شيء على الأفراد الشخصيّين بمساعدة فنّه، وفرضه هذا يعتبر شيئاً خطأً بالطبيعة. ومن يتعرّض للأذى في مسألة من هذا النوع، سيكون له حقّ مقاضاة الفريق الذي ألحق الأذى به. وإذا ترك أيّ شخص العمل الذي عهد به لحرفيّ، ولم يدفع له في حينه وكما ينبغي طبقاً للاتفاق القانوني، دون اعتبار لزيوس حامي حمى المدينة ولأثينا، اللذين هما الشريكان في الدولة، وإذا قلّب أسس المجتمع رأساً على عقب من أجل بعض الربح، إذا فعل شخص كلّ هذا فلا بدّ من ناموس في حالته هذه، يبقي بإرادة الله الروابط المشتركة التي تربط الدولة ويحافظ عليها والذي لا يدفع الثمن في الوقت المتّفق عليه، وبما أنه استلم العمل في المبادلة سابقاً، يجب أن يدفع الثمن مُضاعفاً. وإذا انقضت سنة من الزمن، وبرغم أنّ الفائدة لا ينبغي أن تؤخذ على القروض، ومع ذلك فإنّ كلّ دراخما يدين بها للملتزم يجب أن يدفع عنها فائدة شهريّة مقدارها أوبول واحدة إنّ الدعاوى بشأن هذه القضايا تقرّرها وتبت بها محاكمُ القبائل.

وبالمناسبة بما أنّنا تعرّضنا لذكر الحرفيين، فلا ينبغي علينا أن ننسى تلك الحرفة التي تخصّ الحرب، والتي يكون فيها القادة العسكريّون والتقنيّون هم الحرفيين الذين يتعهّدون، مختارين أو مضطرين، بالعمل لضمان أمننا، تماماً مثلما يتعهّد الحرفيون الآخرون بالأعمال العامّة الأخرى. وإذا نفذوا كلّهم أعمالهم ونفّذوها جيّداً فإنّ الناموس لن يتعب أبداً من الثناء على الذي يهبهم هذه الكرامات التي هي جوائز عادلة تُعطى للجنديّ. لكن إذا تلقّى

أيّ شخص فائدةَ خدمةٍ نبيلة في الحرب بشكل مسبق، ولا يقوم بإعادة التكريم المتوجّب عليه، فإنّ الناموس سيلومه. يجب أن يكون الناموس هذا الجزء المقوّم من الثناء، ولن يجبر أحداً بل سينصح الغالبيّة العظمى من المواطنين على تكريم وتمجيد الرجال الشجعان الذين هم المنقذون للدولة كلّها، سواء آنقذوها بشجاعتهم أو ببراعتهم العسكريّة الأصيلة. وأقول في المقام الثاني، إنّه ينبغي عليهم تمجيدهم لأنّ أسمى وأعلى وأوّل آيات التقدير والثناء يجب أن تُعطى لأولئك الذين فاقوا كلّ الرجال في مقدرتهم على تمجيد واحترام كلمات المشرّعين الأخيار.

إنّ الجزء الأكبر من التعامل بين الإنسان والإنسان قد تمّ تنظيمه، ما عدا تلك النظم التي تتعلّق باليتامى والإشراف عليهم بواسطة حماتهم. وهذه النظم تلي تالياً في نظام، ويجب ترتيبها بطريقة ما. لكن للوصول إليها يجب أن نبدأ بالرغبات المتعلّقة بوصيّة المتوفّين، وبحالة أولئك الذين توفّوا دون أن يكتبوا وصيّتهم. عندما قلت، يا كلينياس، إنّه ينبغي علينا أن ننظّمها، كنت أفكّر بالصعوبة والارتباك اللذين تتضمّنهما التنظيمات في كلّ هذه المسائل. إنّك لا تستطيع أن تترك هذه المسائل بدون تنظيم، لأنّ الأفراد سوف يشكّلون هذه التنظيمات ويوجدونها في تفاوت واختلاف بعضها مع بعض، وستكون معارضةً للنواميس وبغيضة بالنسبة للعادات التي يمارسها الأحياء، وكذلك لعاداتهم الشخصيّة الخاصّة السابقة أيضاً. هذا إذا سُمح لشخص بتحقيق الإرادة التي يشاء بكلّ بساطة، وكانت هذه الإرادة لتفرض تأثيرها في أيّما حالة يمكن أن يصل إليها عند نهاية حياته. لأنّ أكثرنا يفقد حواسّه إلى حدّ ما، ونشعر نحن أنّنا سُحقنا عندما نفكر بأنّنا وصلنا إلى نهاية حياتنا وأنّنا على وشك أن نموت.

كلينياس: ماذا تعني، أيّها الغريب؟

الأثيني: أوه يا كلينياس، إنّ الإنسان عندما يكون على وشك أن يموت، فإنّه يصبح مخلوقاً قابلاً للطّرق والتمدّد، ويكون عرضة لاستعمال اللغة التي تسبّب مقداراً كبيراً من القلق، وتزعج المشرّع.

كلينياس: بأيّة طريقة؟

الأثيني: إنّه يريد أن يحوز السيطرة التامّة على كلّ ممتلكاته، وسيستخدم الكلمات الغضبى.

كلينياس: مثل ماذا؟

الأثيني: سيقول، أوه أيّها الآلهة، كم إنّه شيء شاذّ ورهيب ألاّ تسمحوا لي أن أعطي أو لا أعطي الأشياء التي تخصّني لمن أريد، أو أن أعطي الأقلّ منها لمَن أساء إليّ والأكثر منها لمن عاملني معاملة حسنة، والذين خبرت سوءَهم وصلاحهم أنا بنفسي زمن المرض أو عند تقدّمي في السنّ، وعرفتهم في كلّ نوع من أنواع تقرير المصير!

كلينياس: حسناً، أيّها الغريب، أوليس قوله هذا عادلاً جداً؟

الأثيني: لقد كانت طبيعة المشرّعين الغابرين سليمة في رأيي، يا كلينياس، وقد سنّوا النواميس بدون مراقبة كافية وبمعزلٍ عن الأشياء الإنسانيّة.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: أعني، يا صديقي، أنّهم خافوا تأنيب الموصّين، وهكذا فقد أقرّوا ناموساً يقضي بالسماح للإنسان أن يوزّع ملكيّته بالطريقة التي يحبّ. لكن أنت وأنا، إذا لم أكن مخطئاً، لدينا قول أفضل نوجهه إلى مواطنينا الراحلين. سنقول لهم: يا أصدقائي، إنّه لصعب عليكم، يا مخلوقات اليوم، أن تعرفوا ما لكم. وإنّه لصعب، كما يقول كاهن معبد دلفي، أن تعرفوا أنفسكم في هذه الساعة. وبعد فإنّني أعتبركم وأقدّر ما تملكون، كما يقول المشرّع، ليس كأشياء خاصّة بكم أنتم، بل كأنها تخصّ عائلتكم جميعها، في الحاضر وفي

المستقبل على حد سواء. ومع ذلك فإنّني أولي احترامي بشكل أكثر للعائلة والمقتنيات على حدّ سواء لأنّهما يخصّان الدولة. ومن أجل ذلك، إذا باغتكم شخص ما بالتملّق عندما تُطرحون على فراش المرض أو حين تتقدّم بكم السن، وأقنعَكَم أن توزّعوا ملكيّتكم بطريقة ليست الطريقة الأفضل، فإنّني لن أسمح لكم بهذا، إذا استطعت. لكنّني سأشرّع للجميع ومن أجل خير الجميع، آخذاً بعين الاعتبار ما هو الأفضل للدولة وللعائلة على حدّ سواء، مبجِّلاً، كما ينبغي عليّ، شعور الفرد بنسبة أدنى. وإنّي لآمل في أن تغادروا بسلام وحنان نحونا، كما أنّكم تسلكون الطريق التي سلكها الجنس البشريّ كلّه. ونحن سنعتني بكل ما يعنيكم بنزاهة وتجرّد، ولن نهمل واحدةً منها، إذا كان ذلك ميسوراً. هذا الاستهلال يجب أن يكون استهلالنا ومواساتنا للأحياء والمتوفّين، يا كلينياس، ودع الناموس يكون كالتالي: إنّ الذي يقوم بتوزيع ملكيّة أو تحويلها في وصيّة، وإذا كان هو أباً لعائلة، فلسوف يدرج اسم وريثه قبل كلّ شيء، أيّ واحدٍ من أبنائه يمكن أن يُعتقد أنّه مناسب لذلك. إذا أعطى أيّاً من أبنائه لشخص آخر يتبنّاه، فالتبنيّ يجب أن يُكتب خطيّاً. وإذا بقي لديه ولد لم يتمّ تبنّيه بأيّة قرعة، ويمكن توقّع إرساله خارجاً إلى أيّة مستعمرة طبقاً للناموس، فيمكن لأبيه أن يعطيه قدر ما يسرّه من بقيّة ملكيته، ما عدا الحصّة من جهة الأب وما يكون ثابتاً عليها. وإذا كان لديه أبناء آخرون، فللأب أن يوزّع بينهم الشيء الذي يوجد أكثر من قطعة الأرض أو الحصّة في هذه الأجزاء، دعه يوزّعها كما يرغب. وإذا كان لدى أحد الأبناء بيت خاص به، فلن يعطيه الأب ممّا لديه من مال، ولن يعطي مالاً لإبنةٍ مخطوبة، لكنّها إذا لم تكن مخطوبة فيمكنه أن يعطيها مالها. وإذا كان أيّ من أبنائه أو بناته لديه أو لديها قطعة أرض أخرى في البلاد، فسيتركون قطعة الأرض التي ورثوها لوريث الرجل الذي قد أوصى

ما عنده. وإذا لم يكن لدى الموصي أبناء، بل كان لديه بنات فقط، فله أن يختار الزوج الذي يريده لأيّ من بناته، وأن يورثه ويدرج اسمه كإبن له ووريث. وإذا فقد إنسان ولده، في طفولته، وقبل أن يُستطاع حسبانه بين الرجال الكبار، وسواء إذا كان هذا الطفل طفلاً له أو كان طفلاً بالتبنّي، فللموصي أن يذكر الحالة وأن يدرج اسم الإبن الذي سيكون ابنه الثاني على أمل الحظّ الأفضل. وإذا لم يكن لدى الموصيْ أطفال على الإطلاق، فيمكنه أن يختار أو يعطي لمن يُريد عشرَ ما يملك وذلك ممّا ناله. ولا لوم عليه إذا أعطى الباقي كلّه لابنه المتبنّى، وأن يجعله صديقاً له طبقاً للناموس. وإذا احتاج أبناء الرجل لحرّاس، وعندما يتوفّى الأب ويترك وصيّة معيّناً حراساً، فإنّ أولئك الحرّاس أيّاً كانوا ومهما كان عددهم، وإذا كانوا قادرين ومستعدّين أن يتعهّدوا برعاية الأطفال، فسيُعتبرون كذلك طبقاً لشروط الوصيّة. لكن إذا توفّي الرجل ولم يترك وصيّته، أو ترك وصيّة بدون أن يعيّن فيها حماةً لأطفاله، حينئذ فإنّ الأقارب الأقرب، اثنان منهم من جانب الأب واثنان من جانب الأم وواحد من أصدقاء الفقيد، ستكون لديهم سلطة الحماة الذين سيعيّنهم الناموس حماةً عندما يحتاج اليتامى لذلك. وسيتولّى العناية والرعاية باليتامى كلّهم حماة الناموس الخمسة عشر وأكبر الحماة كلّهم سنّاً، وسيقسّمون لثلاثة أقسام طبقاً لاقدميّتهم في الخدمة - وتتولّى هذا الأمر مجموعة ثلاثيّة منهم لمدّة سنة، وبعدئذ تتولّى مجموعة أخرى من ثلاثة لسنة تلي، إلى أن تكتمل دورة مدّة المجموعات الخمس. وسيستمّر هذا التنظيم على الدوام، قدر ما أمكن ذلك. إذا توفي إنسان ولم يكتب وصيته على الإطلاق، وترك أبناء يحتاجون لعناية الحماة، فإنّ هؤلاء الحماة سيسهمون في الحماية التي يمنحها الناموس. وإذا توفّي إنسان بقَدَرٍ ما غير متوقّع وترك خلفه بناتٍ، فليصفح عن المشرّع إذ أخذ بعين الاعتبار، عندما

أعطاهنّ في الزواج أخذ شرطين اثنين فقط من شروط ثلاثة، وهما قرب النسيب، وحفظ حصّة الأرض، وإسقاط الشرط الثالث الذي سيعتبره الأب بشكل طبيعيّ. إذ عندما يختار الأب ابناً واحداً لنفسه من بين كلّ المواطنين، وعندما يختار زوجاً لابنته، فإنّه سيأخذ في الحسبان أخلاق الزوج وصفته ومزاجه. أقول، إنّ الأب سيسامح المشرّع إذا لم يعتبر هذا الذي أوردناه، والذي سيكون له اعتبار مستحيل. دع الناموس المتعلّق بهذه المسائل وحيث يمكن له أن يتدخل، دعه يكون كما يلي: - إذا توفّي إنسان بدون أن يدوّن وصيّة، وترك وراءه بناتٍ، فلأخيه لجهة الأب أو لجهة الأم، والذي ليس لديه أرض، دعه يتزوّج البنت ويمتلك أرض المتوفّى. وإذا لم يكن لديه أخ، بل لديه ابن أخٍ فقط، فدعهما يتزوجان بطريقة مماثلة، إذا كانا في عمر مناسب. أمّا إذا لم يكن هناك حتّى ابن أخ، بل ابن أُخت، فدعهما يفعلان الشيء عينه. وهكذا في الدرجة الرابعة إذا وُجد أخ لأبي المتوفّى، أو في الدرجة الخامسة إذا وجد ابن أخي أبيه، أو في الدرجة السادسة، إذا كان ابن أُخت أبيه، فالأقرباء يجب أن يتمّ اعتبارهم بهذه الطريقة: إذا ترك شخص وراءه بناتٍ فإنّ القرابة ستتواصل صُعُداً من خلال الأخوة والأخوات، وأخوة وأخوات الأطفال. وستأتي قرابة الذكور أوّلاً، وبعدها تأتي قرابة الإناث من العائلة عينها. إنّ القاضي سيأخذ بعين الاعتبار ويقرّر تناسب أو عدم تناسب العمر في الزواج من هؤلاء الأشخاص. إنّه سيجري فحصاً على الذكور وهم عراة، وعلى النساء وهنّ عاريات إلى السُرّة. وإذا وُجد نقصٌ في عدد أقرباء العائلة ممتدّاً إلى حفدة الأخ، أو إلى أحفاد أبناء الجد، فيمكن للعذراء أن تختار بموافقة حماتها أيّ مواطن يكون مستعدّاً للزواج منها والذي تشاؤه. وسيكون هو وريث المتوفّى، وزوج ابنته. إنّ الحالات تختلف، ويمكن أن يحصل نقص بعض المرات في عدد الرجال، وذلك داخل حدود الدولة. وإذا

لم يكن لدى العذراء أقرباء يعيشون في المدينة، وهناك شخص ما قد أُرسِل خارجها إلى مستعمرة، وهي تميل لجعله وريث ما يقتني أبوها، وإذا كان هو واحداً من أقربائها حقّاً، فله أن يتقدّم ليأخذ قطعة الأرض طبقاً للناموس. لكن إذا لم يكن من أقاربها، وبما أنّها لا أقرباء لها داخل المدينة، وقد اختارته هي، وفوّضه الحماة بالزواج منها، فله بعد كلّ هذا أن يعود إلى البيت ويأخذ قطعة الأرض التي تخصّ المتوفّى الذي لم يكتب وصيّة. وإذا لم يكن لدى الرجل أبناء، لا ذكوراً ولا إناثاً، وتوفيّ دون أن يكتب وصيّة، فالناموس السابق يجب أن يأخذ مجراه ويثبت بشكل عامّ. ودع الرجل والمرأة يرحلان عن العائلة ويشاركان في البيت المهجور، ودع الأرض تكون خاصّة بهما بشكل مطلق. ودع الوريثة تكون أختاً في الدرجة الأولى، وأن تكون بنت الأخ في الدرجة الثانية، وأن تكون بنت الأخت في الدرجة الثالثة، وأن تكون أخت الأب في الدرجة الرابعة، وأن تكون بنت أخي الأب في الدرجة الخامسة، وأن تكون أخت الأب في الدرجة السادسة. وسوف يسكن هؤلاء مع أقاربهم الذكور، طبقاً لدرجة صلة القرابة والحقّ، كما حدث سابقاً. وبعدُ فلا ينبغي أن نخفي عن أنفسنا أنّ نواميس من هذا النوع هي عُرضة لتكون نواميس جائرة، وأنّ هناك صعوبة بعض المرات في أن يأمر المشرِّع قريب المتوفّى كي يتزوّج قريبته. قد يتبادر إلى الذهن أن المشرِّع لم يأخذ بعين الاعتبار العقبات المتعدّدة التي يمكن أن تنشأ بين الرجال في تنفيذ نواميس محليّة كهذه، لأن هناك حالات يرفض الفرقاء إطاعتها، ويكونون على استعداد لفعل أيّ شيء بدل الزواج، وذلك في حالة وجود علّة جسديّة أو عقلية ما، أو وجود خلل بين أولئك المختبئين من فكرة الزواج أو يكونون مناسبين له. يمكن أن يتوهّم الأشخاص أنّ المشرِّع لم يفكّر بهذه الحالات أبداً، لكن هؤلاء الأشخاص مخطئون، لهذا السبب دعنا نضع

تصديراً عامّاً بالنيابة عن المشرّع وبالنيابة عن رعاياه، متوسّلين الرعايا للصفح عن المشرّع، في أنّه لا يستطيع أن يعتبر في الوقت عينه حالات الأفراد المتعدّدة، إذ يلزمه أن يعتني بالسعادة والخير العامّ. وعلى الجانب الآخر أن نستعطفه للصفح عنهم إذا كانوا غير قادرين بالطبيعة على إنجاز العمل الذي فرضه عليهم نتيجة جهله بعض المرات.

كلينياس: وكيف نستطيع أن نقوم بالفعل الأكثر عدلاً بموجب هذه الحالات، أيّها الغريب.

الأثيني: لا بدّ من وجود وسطاء مختارين لمعالجة نواميس كهذه، والتعامل مع رعاياهم.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: أعني أنّه يمكن حدوث حالة يكون فيها ابن الأخ غنيّ الأب، ويكون غير مستعدّ للزواج من ابنة عمه. سيكون لديه شعور بالكبرياء، وسيرغب بالتطلّع إلى ما هو أسمى من ذلك. وهناك حالات تجبر المشرع على أن يفرض عليه الكارثة الأعظم، وتجبره على مخالفة الناموس بالمقابل، إذا احتاج لذلك. كمثال، كي يقترن بزوجة مجنونة، أو مصابة بعلّة مرعبة في الروح أو الجسد، تجعل الحياة معها لا تطاق لمن يعانيها. دع الذي تقوله إذن في ما يخصّ هذه الحالات دعه ينتظم في ناموسٍ كالتالي: إذا وَجَدَ أيُّ شخص خطأً في النواميس المشرّعة وفي ما يخصّ الوصايا، والمتعلّقة بالقضايا الأخرى وخاصّة بتلك النواميس التي تتّصل بالزواج، ويؤكد هذا الشخص أنّ المشرّع لن يجبره على طاعتها، إذا كان حيّاً وموجوداً، يعني أنّ الذين تطالبهم نواميسنا بأن يتزوّجوا أو يُعطوا في الزواج، لن يجبرهم المشرّع على أن يفعلوا أيّاً منها. لكنّ قريباً ما أو حامياً يجادل في هذا، والجواب على ذلك أنّ المشرّع ترك خمسة عشر حامياً من حماة الناموس كي يكونوا الوسطاء وآباء

اليتامى، الذكور منهم والإناث، ويجب أن يلجأ المجادلون ويلتمسوا منهم العون، وأن يقرروا بمساعدتهم أيّة قضايا من هذا النوع، ولنسلّم بأنّ قرارهم يعتبر القرار النهائيّ. لكن إذا رأى أيّ شخص أنّ هذه السلطة المعطاة لهم هي قوّة كثيرة جداً، أي سلطة حماة الناموس، فدعه يُحضر أخصامه إلى المحكمة ذات القضاة المختارين، وهناك ستُحسم النقاط الرئيسيّة التي هي موضوع الخلاف والجدل. ومن يخسر الدعوى سيُلام ويتعرّض لنقد المشرّع. وهذان اللوم والنقد سيحسّ الإنسان المدرك أنّهما غرامة أثقل بكثير من خسارة كميّة من كبيرة من المال.

وهكذا سيكون لدى الأطفال اليتامى ولادة جديدة. بعد أن تكلّمنا عن ولادتهم الأولى وتكلّمنا عن تغذيتهم وتعليمهم. وبعد ولادتهم الثانية، بعدما فقدوا آباءَهم، ينبغي علينا أن نتّخذ إجراءات تخفّف قدر الإمكان من بليّة اليتم في المقام الأوّل، نقول نحن إنّ حماة الناموس هم مشرّعون وهم آباءٌ لهم، وليسوا بأيّة حال أدنى من آبائهم الطبيعيّين. بالإضافة إلى ذلك، سيعتنون بهم سنة بسنة، وكأنّهم أقاربهم الخاصّين بهم. وقد نصحناهم ونصحنا أطفال الحماة وحذّرنا الجميع بشكل مناسب في ما يخصّ تنشئة اليتامى. ويبدو أنّنا تكلّمنا بشكل مناسب في بحثنا السابق، وذلك عندما قلنا إنّ أرواح المتوفّين لديها، حتّى بعد الوفاة، قوّة تتولّى الاهتمام بالشؤون الإنسانيّة، وهناك العديد من القصص والتقاليد بشأنها، وهي موجودة منذ زمن طويل حقاً، لكنّها قصص وتقاليد حقيقيّة. وبما أنّنا شاهدنا أنّها قديمة ومتعدّدة فيجب أن نصدّقها، ويجب أن نصدّق أيضاً واضعي النواميس التي تعلن أنّ هذه الأشياء هي أشياء حقيقية، إلاّ إذا اعتقدنا حقّاً أنّها أشياء عبثيّة. لكن إذا كانت هذه الأشياء حقّاً هكذا فإنّ الرجال في المقام الأوّل يجب أن ينتابهم الخوف من الآلهة في العلى، الذين يأخذون بعين الاعتبار وحدة

اليتامى أوّلاً، وتالياً؛ وأرواح المغادرين الذين يميلون بالطبيعة للعناية بأطفالهم الذين يخصّونهم بشكل استثنائيّ، وهم محبّون لمن يكرمهم، ولا يحبّون مَن يتصرّف بعكس ذلك، ينبغي على الرجال أن يخافوا أرواح الأحياء الذين تقدّمت بهم السنّ والذين سَمَوا شرفاً وتكريماً. وكلّما كانت المدينة منظّمة تنظيماً جيّداً ومزدهرة، فإنّ المتحدّرين فيها ومنها يتعلّقون بهم، ويعيشون سعداء. إنّ الأشخاص المسنّين يرون ويسمعون بسرعة كل ما يتعلّق بهم، وهم صفوحون متسامحون مع العادلين في إنجاز وإتمام واجباتهم، وهم الأكثر سخطاً مع الذين يؤذون اليتيم ويؤذون المتوحّدين البائسين، ناظرين إليهم على أنّهم الودائع الأنفس والأقدس. لهذه القضايا كلّها على الحامي والقاضي الحاكم أن يخصّص فكره، إذا كان لديه فكر، وعليه أن يولي اهتماماً لتنشئة وتعليم اليتامى، وأن ينشد فعل الخير لهم بكلّ طريقة ممكنة لأنّه بذلك يُوجد مأثرةً لخيره الخاصّ ولخير أطفاله. إنّ مَن يطيع القصّة التي تقدّمت الناموس، ومن لم يسبّب أيّ أذىً لليتيم لن يختبر غضب المشرّع الشديد أبداً. لكنّ الذي يعصي، ويؤذي أيّ شخصٍ حُرم الأب أو الأمّ، فإنّه سيدفع غرامة مضاعفة لتلك التي كان سيدفعها لو آذى شخصاً أبواه أحياء. أمّا في ما يخصّ اقتراب التشريع بشأن علاقة الحماة باليتامى، أو في ما يختصّ بالحكّام القضاة وإشرافهم على الحماة، فإذا لم يكونوا مثالاً للسلوك الذي ينبغي على الأطفال الرجال الأحرار أن يُربُّوا عليه في تنشئة أطفالهم الخاصّين بهم، وعن العناية بملكيّة اليتامى كالعناية بملكيّتهم الخاصة، وإذا لم يكن لديهم نواميس عادلة مصوغة بشأن هذه القضايا بالتحديد بشكل عادل، أقول، إذا لم يحدث هذا فمن الضروري سنّ نواميس لهم، بحجّة أنّهم كانوا طبقة مميّزة. ويمكننا أن نميّز ونُوجد قواعد منفصلة لحياة اليتامى، ولغير اليتامى. لكن كما يتوقّف الوضع، فإنّ حالة اليتامى معنا لا تختلف عن حالة أولئك الذين

لديهم أب وبرغم ذلك وفي ما يتعلّق بالتكريم والعار والاهتمام المعطى لهما، فإنّ الاثنين لا يوضعان في المستوى عينه عادةً. ومن أجل ذلك، حينما نقترب من التشريع عن اليتامى، فإنّ الناموس يتكلّم بلهجة خطيرة، لهجة فيها إقناع وتهديد. وهذا التهديد وكذلك التهديد التالي، ليس خارج مكانه بأيّة حال. إنّ مَن يكون حامياً ليتيم من كلا الجنسين، والذي خُصِّص له من بين حماة الناموس، الإشراف على هذه الحماية، إن هذا الحامي سيحبّ اليتيم القليل الحظّ وكأنّه طفله الخاصّ به، وسيعتني به، ويكدح من أجله، ويبذل الجهد في إدارة مقتنياته وكأنّها ملكٌ خاصّ به، بل يجب أن يكون أكثر اعتناءً وجهداً بها. دع كلّ شخص لديه اهتمام وعناية باليتيم، دعه يراقب هذا الناموس. لكن أيّ شخص يفعل عكس الناموس هذا بالنسبة لهذه القضايا، ولو كان حامياً للطفل، فيمكن أن يغرّمه القاضي الحاكم. وإذا كان هو نفسه قاضياً حاكماً، يمكن أن يحضره الحامي أمام المحكمة المؤلّفة من قضاةٍ منتخبين، وأن يعاقبه إذا أُدين وذلك بتعيين غرامة مقدارها ضعف ما أنزلته به المحكمة. وإذا ظهر الحامي لأقارب اليتيم، أو لأيّ مواطن آخر، إذا ظهر أنّه يتصرّف بإهمال أو بخيانة، فعليهم أن يحضروه أمام المحكمة عينها. ومهما كانت قيمة الضّرر الذي أنزل به، فيجب أن يدفع أربعة أضعاف ما هو، نصفه لليتيم والنصف الآخر لمن يسبب الإدانة. إذا بلغ اليتيم مرحلة التمييز والرشد، وتصوّر أنّ حماته قد استخدموه بشكل سيّئ فمن حقه، خلال خمس سنوات من نهاية الحماية أن يُسمح له بإحضارهم للمحاكمة. وإذا أدين أحدهم، فإنّ المحكمة ستقرّر ما سيدفعه أو يقاسيه. وإذا ما بدا أنّ قاضياً حاكماً أخطأ بحقّ اليتيم بالإهمال، وأدين من أجل ذلك، فالمحكمة يجب أن تقرّر ما سيقاسيه أو يدفعه لليتيم. وإذا أضيف التضليل إلى الإهمال، فيجب أن يُعزل من وظيفته كحامٍ للناموس، وأن يدفع غرامة فوق

ذلك. وعلى الدولة أن تعيّن حامياً آخر للناموس ليحكم المدينة والبلاد من مكتبه.

هناك فروق كبيرة تنشأ بين الآباء والأبناء أكثر مّما يلزم بعض المرات. فمن ناحية يرى الآباء أنّ المشرّع يجب أن يسنّ ناموساً يمكنّهم، إذا رغبوا، أن يتبرّؤوا من ابنهم بشكل قانونيّ بواسطة إعلان المذيع أو الناطق الرسمّي في وجه العالم؛ ومن ناحية ثانية يرى الأبناء أنّه يجب السماح لهم أن يقاضوا آباءَهم بتهمة الحماقة التامّة عندما يكونون مقعدين عن العمل بسبب المرض أو بسبب التقدّم في السن. إنّ هذه الأشياء تحدث في الواقع، حيث تكون طبائع الرجال سيّئة بشكل مطلق؛ لأنّها حيث تكون نصف سيّئة فقط، كمثال، إذا لم يكن الأب سيّئاً، بل كان الولد كذلك، أو عكس ذلك، فما من كارثة عظيمة تسبّب مقداراً من الكراهية كهذه. وفي حالة أخرى، فإنّ إبناً تبرّأ منه أبوه وأنكره لن ينقطع عن أن يكون مواطناً بالضّرورة، لكن في مدينتنا، التي يجب أن تكون هذه النواميس لها، ينبغي على المحروم من الإرث أو الميّزات الخاصّة أن يهاجر إلى بلاد أخرى بالضرورة، إذ لا يمكن إضافة حتّى عائلةٍ واحدة على الأسر أل ٥٠٤٠ [5040] ولهذا السبب فإنّ من يستحقّ أن يعاني هذه الأشياء لا يجب أن ينكره أبوه، وهو شخص واحد، بل يجب أن تنكره العائلة كلّها. وما حدث في هذه الحالات يجب تنظيمه بناموس كالتالي: إنّ مَن يكون في فوضى روحيّة محزنة ولديه نيّة في أن يطرد إبناً أنجبه وربّاه، أكان ذلك عدلاً أو ظلماً، إنّ هذا الشخص لن ينفّذ قصده بلامبالاة وحالاً، بل عليه قبل كلّ شيء أن يجمع أقرباءَه الذين يخصّونه، بما في ذلك أبناء أعمامه وأخواله، وبطريقة مماثلة، أقرباء ولده من جانب أمّه، وسيتّهم ولده في حُضروهم، معلناً أنّه يستحقّ أن يُنبذ من العائلة وعلى أيديهم جميعاً. وينبغي عليهم السماح للولد أن يخاطبهم بطريقة مماثلة،

وأن يبيّن لهم أنّه لا يستحقّ أن يعاني أيّاً من هذه الأشياء. وإذا أقنعهم الأب، وحصل على موافقة أكثر من نصف أقاربه، باستثناء الأب والأمّ والمعتدي نفسه، أقول، إذا حصل على موافقة أكثر من نصف أعضاء العائلة الآخرين الكبار في السنّ كلّهم، ومن كلا الجنسين، فإنّ الأب سيُسمح له إبعاد ابنه، لكن ليس إذا حصل غير ذلك. وإذا أبدى أيٌّ مواطن استعداده لتبنّي الإبن الذي تقرّر إبعاده، فلا قانون سيمنعه من تحقيق ذلك، لأنّ أخلاق الشباب عرضة لتغيرات متعدّدة في مسار حياتهم. وإذا تمّ إبعاد الولد ولم يُبد أحدٌ استعداده لتبنّيه في مدّة عشر سنين، فدع أولئك الذين لديهم الاهتمام بزيادة السكان الذين أُرسلوا للمستعمرات في الخارج، دعهم يرونه، وذلك كي يمكنه أن يكون مُعدّاً للذهاب إلى المستعمرة بشكل مناسب. وإذا جعل المرض أو السنّ أو قساوة السلوك، إذا جَعلت كلّ هذه لأشياء مجتمعة إنساناً بدون عقل وفكر، أكثر ممّا هم عليه بقيّة الناس، لكن ذلك لم يُراقبه ولم يشاهده إلاّ الذين يعيشون معه، وكونه هو سيّد ملكيّته، وهذه السيادة تجرّ خراب البيت، ويشكّ ابنه ويتردّد بشأن إظهار أن أباهُ مخبول، فالناموس يجب أن يقضي في هذه الحالة. إنّ عليه الذهاب إلى حماة الناموس قبل كلّ شيء، ويلزمه أن يخبرهم عن سوءِ حظ أبيه. وهم سينظرون في المسألة كما ينبغي، ويعقدون مجلساً استشاريّاً إذا ما كان عليهم أن يقاضوه بتهمةٍ أو لا. وإذا نصحوه أن يتقدّم بذلك، فهم سيكونون شهودَه ومحاميه. وإذا أُبعد الأب، فسيكون من الآن وصاعداً غير قادر على تنظيم المهمّة الأقلّ من مهمّات حياته. فعليه حينئذ أن يكون كالطفل قاطناً في البيت لبقية أيّامه.

وإذا كانت طباع الرجل وزوجته متضاربة وغير متناسبة فإنّ عشرة من حماة الناموس المتّصفين بالنزاهة وعدم التحيّز، وعشر من النساء اللواتي ينظّمن الزواج، هؤلاء سينظرون في المسألة. وإذا قدروا على أن يصلحوا

بينهما، فإنّهما سيصطلحان بشكل رسمّي. لكن إذا كان الانفعال والهوى يحكمان روحيهما، فسيسعى هؤلاء الحماة ليجدوا شريكاً مناسباً لكلٍّ منهما. وبعدُ فإنّهما من الصعب أن يمتلكا طبعاً لطيفاً جدّاً على الأرجح. ولهذا السبب، يجب علينا أن نسعى كي نوحّد معهما طبيعتين أعمق تفاهماً وألطف طبعاً. أمّا أولئك الذين لا يمتلكون أولاداً، أو إذا امتلكوا فقلّة فقط، وفي وقت انفصالهم، فيلزمهم أن يختاروا شركاءهم الجدد قصد إنجاب الأطفال. لكن الذين لديهم عدد كافٍ من الأطفال، سينفصلون ويتزوّجون ثانية ليتمكّنوا من أن يكون لديهم شريك يشاطرونه كبر السنّ. ولكي يتمكّن الزوجان من أن يعتنيا أحدهما بالآخر في زمن الشيخوخة، إذا توفّيت المرأة وتركت خلفها أطفالاً، ذكوراً كانوا أو إناثاً، فإنّ الناموس سينصح الزوج ولا يجبره على أن يربّي أطفاله بدون أن يُدخل إلى البيت رابّة « خالة ». لكن إذا لم يكن لديه أطفال، فسيُجبر على الزواج عندئذ لكي ينجب عدداً كافياً من الأبناء لعائلته وللدولة. وإذا توفّي رجل تاركاً خلفه عدداً كافياً من الأطفال، فإنّ أمّ هؤلاء الأطفال ستبقى معهم وتربّيهم. لكن إذا بدا أنّها أكثر شباباً لأن تحيا حياة فاضلة بدون زوج، فعلى أقربائها أن يتّصلوا بالنساء اللواتي يشرفن على الزواج، وليعملوا جميعهم معاً ما يرونه الأفضل في هذه القضايا. وإذا وُجد نقص في عدد الأطفال، فدع الاختيار يكون قصد حيازتهم؛ أي حيازة طفلين، واحد من كل جنس وسيُعتبران كافيين في نظر الناموس. عندما يُقبل طفل على أنّه ذريّة من أبوين محدّدين ويعترفان هما به، لكن هناك حاجة لقرارٍ يحدّد لأيٍّ من الأبوين يجب أن يتبع الطفل. إذا عاشرت أنثى عبدة ذكراً عبداً، أو إذا جامعت رجلاً حرّاً أو محرّراً، فإنّ النسل سوف يخصّ سيّد العبدة الأنثى على الدوام. مرّة ثانية، إذا عاشرت امرأة حرّة ذكراً عبداً، فإنّ النسل سوف يخصّ سيّد العبد. لكن

إذا وُلد الطفل من عبدة بواسطة سيّدها، أو من سيّدة بواسطة عبدها، وإذا تمّ إثبات ذلك، فإنّ ذريّة المرأة وأبيها ستُبعدها النّساء اللواتي يشرفن على الزواج إلى بلاد أخرى، وسيبعد حماة الناموس الذرّيّة التي تخصّ الرّجل ويبعدون أمّه.

ما من إله، ولا إنسان عاقل ينصح شخصاً ما بإهمال آبائه. والمحادثة التي تخصّ تكريم الوالدين وإهانتهما، فإنّ تصديراً كالتالي سيلي بشأن الخدمة للآلهة، وسيكون هذا التصدير مقدّمة مناسبة. هناك تقاليد غابرة بشأن الآلهة هي تقاليد عالميّة، وهي ذات نوعين: إنّ بعض الآلهة نراهم بأعيننا ونكرّمهم، وبعضهم الآخر نكرّم صورهم، ونقيم التماثيل لهم، ونجلُّها، رغم أنّها تماثيل لا حياة لها. ومع ذلك فنحن نتصوّر أنّ الآلهة أحياء ولديهم نيّة صادقة وعرفان بالجميل لنا بسبب ذلك. وبعدُ، فإنّ الإنسان إذا كان لديه أبٌ أو أمّ، أو أجداد، وجدات، وتم تعزيزهم في بيته لأنّهم طعنوا في السنّ، فلا تمثال يمكنه أن يكون فعّالاً في منحه ما يطلب أكثر ممّا هم عليه، أولئك القابعون في مأواه، شرط أن يعرف فقط كيف يبيّن لهم الخدمة الحقيقيّة.

كلينياس: وماذا تسمّي الصيغة الحقيقيّة للخدمة؟

الأثيني: سأخبرك عنها يا صديقي، لأنّ هذه الأشياء جديرة بالسماع.

كلينياس: واصل.

الأثيني: إنّ أويديبوس عندما أهانه أبناؤه، كما يقول العرف، سبّب لهم اللعنات التي يدّعي كلّ شخص أنّها سُمعت وصادق عليها الآلهة، وأن أمينتور سبّب اللعنات لأبنه فوينكس لغضبه الشديد عليه. وكذلك فعل ثيسيوس على هيبوليتوس، وإنّ رجالاً آخرين لا يُحصون قد استنزلوا الغضب الشديد على أطفالهم. لذلك فإنّه لواضح أنّ الآلهة استمعوا إلى لعنات الآباء وسخطهم، لأنّ لعنات الآباء، كما يجب أن تكون، جبّارة وعظيمة ضدّ أولادهم أكثر

من أيّ شيء آخر. وهل سنفترض أنّ الصلوات لأبٍ أو لأمٍّ أهانهما ابنهما، هل سنفترض أنّ الآلهة تستجيب لهذه الصلوات طبقاً للطبيعة؛ وإنّه إذا كرّم الابن الآباء، وفي بهجة قلبه تضرّع إلى الآلهة في صلواته كي يفعل لهما الخير، فهل سنفترض ثانية أنّه لن يُسمع له بشكل متساوٍ، وأنّهم لا يسعفون طلبه؟ وإلاّ، فإنّهم سيكونون أسياداً غير عادلين للخير أبداً. ونحن نؤكّد أنّ ذلك عكس طبيعتهم.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: أفلا يمكننا أن نتصوّر، كما قلت لتوّي الآن، أنّنا لا نستطيع اقتناء صورة تمجّدها الآلهة، أكثر إجلالاً من صورة أبٍ أو جدٍّ أو أمٍّ، طاعنين في السنّ؟ والذين إذا كرّمهم الإنسان، فإنّ قلب الله يبتهج، ويكون مستعداً ليستجيب صلواتهم؟ وحقّاً، إنّ صورة سلفٍ صالح هي شيء رائع، إنّها أسمى بكثير من صورةٍ لا حياة لها. لأنّ الأحياء عندما نكرّمهم، ينضمّون إلينا في صلواتنا، وعندما نهينهم، فإنّهم يستمطروننا باللّعنات؛ لكنّ الأشياء التي لا حياة لها لا تفعل أيّاً من ذلك. ولذلك، فلو عامل إنسان أباه وجده وأقاربه الآخرين المسنّين، لو عاملهم معاملة صحيحة لامتلك صوراً تفوق كلّ الصور الأخرى والتي ستوفّقه لبلوغ منّة الآلهة ورعايتهم.

كلينياس: ممتاز.

الأثيني: إنّ كلّ إنسانٍ ذي فهم يخاف ويحترم صلوات الوالدين، ويعرف جيّداً أن هذه الصلوات أنجزت وتحقّقت في أزمنة عديدة ولأشخاص كثيرين. وبعدُ فإنّ هذه الأشياء كونها منظّمة هكذا بالطبيعة، يرى الرجال الأخيار أنّها لنعمة من السماء، أن يعيش آباؤهم لعمر متقدّم ويصلوا إلى الحد الأقصى للحياة الإنسانيّة. وإذا رحلوا قبل أوانهم فإنّهم يندمون ويأسفون بعمق لفقدهم. لكنّ الرجال الأشرار يكون الآباء سبب رعبهم دائماً. لذلك على

كلّ إنسان أن يكرّم ويُمجّد بكلّ نوع من أنواع الإجلال القانونيّ أبويه اللذين يخصّانه، وعليه أن يفعل ذلك بشكل يتطابق وما تملناه لتوّنا. لكن إذا لم يكن لهذا التصدير معنىً سليم وصدىً في مسمع كلّ شخص، فلا بدّ للناموس أن يتدخل، الناموس الذي يمكن فرضه بالعبارات التالية حقّاً: إذا لم يكن شخص ما في هذه المدينة شديدَ الحرص على أبويه بشكل كافٍ، ولا يقدِّر ولايرضي في كلّ جهة رغباتهم أكثر من رغبات أبنائه ونسله الآخرين، أو حتّى رغباته الخاصة، إذا لم يفعل ذلك، فكل من لمس هذا النوع من أنواع المعاملة عليه أن يأتي بنفسه، أو يرسل شخصاً آخر ليخبر حماة الناموس الثلاثة الأكبر سنّاً، ولكي يخبر ثلاثاً من النساء اللواتي لديهنّ العناية بالزيجات؛ عليهم كلّهم أن ينظروا في المسألة ويعاقبوا الفتيان الذين ارتكبوا الشرّ بالسياط والقيود، حتّى بلوغهم سنّ الثلاثين، إذا كانوا رجالاً، وإذا كنّ نساءً فيجب أن يتعرضنَ للعقاب عينه حتّى بلوغهنّ سنّ الأربعين. لكنّهم إذا واصلوا إهمال والديهم، وهم ما يزالون يتقدّمون في ذلك السنّ، وواصل أحدهما ارتكاب الأذى بحقّ أيٍّ من الأبوين، فليُجلبا أمام المحكمة المؤلّفة من مئة عضو وعضو، مؤلّفين من كلّ أكبر المواطنين سنّاً، وإذا أُدين المعتدي، فالمحكمة يجب أن تقرّر ما يجب عليه أن يدفعه أو يقاسيه. ويمكن أن تفرض عليه أيّة غرامة يستطيع إنسان أن يدفعها ويقاسيها.

إذا كان الشخص الذي تعرّض للأذى غير قادر على أن يخبر الحكّام القضاة، فعلى أيّ إنسان حرّ يعرف حالته أن يخبرهم. وإن لم يفعل، فسيُعتبر دنيئاً، وسيتعرّض لإقامة دعوى ضدّه بسبب وقوع أضرار. وسيقيم الدعوى أيّ شخص يحب فعل ذلك. وإذا أخبر عبد عنه فلسوف يُعتق. وإذا كان هو عبداً للفريق الذي أنزل الأذى أو للّذي وقع عليه الأذى، فسيعلنه الحكّام والقضاة حرّاً. وإذا كان يخصّ أيّاً من المواطنين الآخرين، فإنّ الشعب

عامّة سيدفع الثمن للمانك بالنيابة عنه. وعلى الحكّام القضاة أن يحرصوا على ألاّ يؤذيه أحدٌ انتقاماً منه، لأنه أعطى معلومات عنه.

إنّ الحالات التي يؤذي فيها رجل رجلاً آخر بواسطة السموم التي ثبت أنّها مميتة؛ قد بحثناها سابقاً. لكن في الحالات الأخرى التي يؤذي فيها شخص شخصاً آخر عمداً وحقداً بإطعامه اللحم، أو بسقيه الشراب، أو بواسطة المراهم، فلا شيء قد أُقرّ لحدّ الآن. هناك نوعان من السموم قيد الاستعمال بين الناس، ولا يُستطاع تمييزهما بشكل جليّ. هناك النوع الذي تمّ ذكره بشكل واضح لتوّه الآن، والذي يؤذي الأجسام باستخدام الأجسام الأخرى طبقاً للناموس الطبيعيّ. هناك أيضاً النوع الآخر الذي يقنع الطبقة الأكثر جرأة بأنها تستطيع أن تسبّب الأذى بواسطة الشعوذات، والتعزيم، والعقد السحرية، كما تدعى، والتي تجعل الآخرين يعتقدون أنّها وُجدت لتؤذي بواسطة سُلْطات السحر ما وراء أيّ شكّ. وبعدُ فإنّه ليس من السهل معرفة طبيعة كل هذه الأشياء. وإذا عرف الإنسان فهو لا يستطيع أن يقنع الآخرين ليصدقوه مسبقاً. وعندما يشوّش الرجال في عقولهم عند رؤية الصور الشمعيّة الصقيلة مثبّتة إمّا على أبوابهم أو على مفارق الطرقات الثلاثة، أو على قبور آبائهم، فلا فائدة من محاولة إقناعهم بأنّه يجب عليهم أن يحتقروا و يستخفّوا بكلّ هذه الأشياء لأنّهم لا يمتلكون معرفة محدّدة عنها. لكن في ما يتعلّق بالسمّ، فينبغي علينا أن نسنّ قانوناً من جزأين اثنين، قابلاً للتطبيق على أيّة طريقة من طريقتي المحاولة الاثنتين ونحن يجب علينا أن نتوسّل إلى الناس وننصحهم ونحذرهم من اللجوء إلى ممارساتٍ كهذه، والتي يخوّفون الكثرة بواسطتها ويجرّدونهم من عقولهم. وإذا كانوا أطفالاً، فإنّهم يجبرون المشرّع والقاضي على شفاء الخوف الذي بعثه المشعوذ في قلوبهم، وأن يخبروهم في المقام الأوّل، أنّ مَن يحاول أن يسمّم أو يسحر

الآخرين لا يعرف ماذا يفعل، لا في ما يختصّ بالجسم « إلاّ إذا كانت له معرفة بالطبّ »، أو في ما يختصّ بسحره « إلاّ إذا حدث أنّه نبي أو إله ». إنّ الناموس المتعلّق بالتسميم أو بالسحر يجب أن ينصّ على ما يلي: إنّ من يستخدم السمّ ليسبّب أي أذى، ليس مميتاً، بل كي يفعله للإنسان نفسه، أو إلى خدمه، أو ليتسبّب بأيّ أذى، سواء إذا كان أذىً مميتاً أو غير مميت سيتسبّب به لقطعانه أو لأسراب نحله، وإذا كان طبيباً، وأُدين باستعمال السمّ، سيُعاقب الموت، وإذا كان شخصاً خاصّاً، فإنّ المحكمة ستقرّر ما الذي سيدفعه أو يتعرّض له. لكن الذي يبدو أنه من النوع الذي يؤذي الآخرين بالعِقد السحريّة، أو بالتعاويذ، أو بالتعزيم، أو بأيٍّ من الممارسات الأُخرى، المماثلة، فإذا كان نبيّاً أو إلهاً فيجب أن يموت. وإذا لم يكن نبيّاً وأُدين بالسّحر، فالمحكمة يجب أن تثبت ما يجب أن يدفعه أو يتعرّض له كما فعلت في الحالات السابقة.

عندما يسبّب إنسان أيّ أذى للآخر بواسطة السرقة أو أعمال العنف، فعليه أن يدفع للمتضرّر تعويضاتٍ أكبر إذا كان الأذى كبيراً، وأن يدفع تعويضات أقلّ للأذى الأقلّ. لكن في الحالات كلّها، ومهما كان نوع الأذى، فسيكون تعويض الخسارة بقدره وقيمته. إضافة إلى تعويض الخسارة، على الإنسان أن يدفع غرامة إضافيّة تأديباً له على عدوانه. إنّ الذي تسبّب بالأذى مُحرَّضاً بغباء الآخرين، وبسبب الشباب الخالي من الهموم أو بسبب مشابه، حينئذ سيدفع غرامة أخفّ. لكنّ الذي آذى الآخر بسبب غبائه هو نفسه، وعندما يُقهر باللذّة أو الألم، وفي خوفٍ جبان، أو بسبب الشهوة، أو بسبب الحسد، أو الغضب الذي لا سبيل إلى تهدئته، إذا حدث كلّ هذا فإنّ المعتدي سيتعرّض لعقابٍ أثقل. وليس لأنه سبّب الأذى، لأنّ ما فعله لا يمكن إرجاعه أبداً، بل سيكون عقابه لكي يتسنّى له في مستقبل الأيام،

ولكي يتسنّى لأولئك الذين يرونه قد صُحِّحَ، يتسنّى لهم جميعاً أن يكرهوا الظلم بشكل مطلق، أو على أيّة حال أن يلغوا أفعالهم الظالمة ويضعوا حداً لأكثرها. والناموس بما أنّه يراقب كلّ هذه الأشياء، مَثَله مَثل رامي السهام الجيّد، عليه أن يتوق إلى القياس الجديد للعقاب، وأن يتوق في كلّ الحالات إلى العقاب الذي يستحقّه المعتدي. وفي نيل هذا سيكون القاضي عاملاً رفيقاً مع المشرّع، كلما سمح له الناموس بتقرير ما ينبغي على المعتدي أن يتعرّض له أو يدفعه. وسيرسم المشرّع، مَثَلُه في ذلك مَثَل الرسام، سيرسم رسماً تخطيطيّاً تحضيريّاً للحالات التي يلزم أن يُطبَّق الناموس عليها. هذا هو ما ينبغي علينا عمله، يا ميغيلوس وكلينياس، بالطريقة الأفضل والأعدل التي نقدر عليها، متكلّمين عن العقاب وماذا يجب أن يكون لكلّ عمل من أعمال السرقة والعنف، وسانّين نواميس من النوع الذي سيهبه لنا الآلهة.

إذا كان الإنسان مجنوناً فلن يُطلق سراحه في المدينة، بل سيحتفظ به أقرباؤه في البيت بأيّة طريقة يستطيعون إبقاؤه فيها. وإذا لم يقدروا فعليهم أن يدفعوا غرامة لذلك. إنّ الذي يكون من الطبقة الأعلى سيدفع غرامة من مئة دراخما، سواء أعبداً كان أو إنساناً حرّاً. والذي يكون من الطبقة الثانية سيدفع أربعة أخماس مينا؛ والذي يكون من الطبقة الثالثة سيدفع ثلاثة أخماس مينا؛ والذي يكون من الطبقة الرابعة سيدفع خمسي مينا. وبعد فهناك أنواع عديدة من الجنون، ينشأ بعضها من المرض، وقد ذكرناها سابقاً. وهناك أنواع أخرى تبتدىء في المزاج السيّىء الانفعالي والسريع الغضب. وتزداد هذه الأنواع بالتعليم الصالح. وهذه الطبقة من طبقات الرجال ستثير غالباً عاصفة من التعسّف خارج نزاع طفيف، ستثيرها بعضها ضدّ بعض. وفي الواقع لا يجب السماح بحدوث أيّ شيء من هذا النوع في الدولة المنظّمة تنظيماً جيّداً. هذا هو إذن الناموس المتعلّق بالتعسف، والذي سيتّصل

بالحالات كلّها. لا أحد سيتحدّث بالسوء عن الآخر. وعندما يتجادل ويتخاصم إنسان مع آخر فإنّه سيعلّم ويثقف المجادل والرفاق، لكنّه سيمتنع عن التحدّث بالسوء. لأنّ من اللّعنات التي يطلقها الرجال بضعهم ضدّ بعض، ومن استعمال الألفاظ البذيئة، ومن الكلمات الخفيفة كخفّة الهواء، ومن عادة النسوة بإلقاء القذف والتشهير بعضهنّ على بعض، ومن كلّ عمل سيّيء، من هذه كلّها ينبثق الحسد وتنشأ الكراهية الأعظم. إنّ المتكلّم يشبع غضبه، والغضب عنصر من عناصر طبيعته، ويغذي حنقه بتسلية أفكاره السيّئة ويفاقم ذلك الجزء من روحه التي هُذّبت وحُضّرت بالتعليم سابقاً. إنّه يدفع غرامة قاسية لغضبه لأنّه يعيش في حالة من حالات الهمجيّة والكآبة. وفي حالات كهذه فإنّ الرجال كلّهم تقريباً يلجؤون إلى التفوّه بشيء ما مضحك ضدّ أخصامهم. وما من إنسان يكون معتاداً على السخرية من الآخر، ولا يفقد الفضيلة الجديّة كليّة، أو لا يخسر النصف الفاضل من العظمة. لذلك لا تدع أيّ شخص يتلفّظ بأيّة كلمة ساخرة في الهيكل، أو عند تقديم الأضاحي العامّة، أو في الألعاب الرياضيّة، أو في الساحة العامّة، أو في محكمة العدل، أو في أيّة جمعيّة عموميّة. وأيّ حاكمٍ قاضٍ يترأس مناسباتٍ كهذه، عليه أن يؤدّب ويعاقب المعتدي، وسيكون بريئاً طاهر الذيل. لكنّه إذا أخفق في ذلك، فلا حقّ بالمطالبة بجائزة الفضيلة، لأنّه لا يبالي ولا يهتمّ بالنواميس، ولا يفعل ما يأمر به المشرّع. وإذا إنغمس أيّ شخص في تعسّفٍ كهذا في أيّ مكان آخر، سواء إذا بدأ النزاع هو أو انتقم فقط، فأيّ شخص مسنّ يكون موجوداً، عليه أن يدعم الناموس، وأن يسيطر بالضربات على أولئك الذين ينغمسون في الانفعال أو في الغضب السريع، والذي هو شرّ عظيم آخر. وإذا لم يفعل ذلك، فعليه أن يكون عرضة لدفع الغرامة المحدّدة. ونقول نحن الآن، إنّ مَن يسـتعمل التوبيخ أو

العار ضدّ الآخرين فإنّه لا يقدر على أن يوبّخهم بدون محاولة السخرية منهم. وعندما يُفعل هذا في لحظة غضب فإنّه يكون ما نجعل منه مسألة لتوبيخه. إذن، هل نمنح للكتاب الهزليين حقّ الدخول إلى دولتنا(٩٠)، هؤلاء الكتّاب المولعين بجعل الجنس البشريّ مضحكاً، وذلك إذا حاولوا بطبيعة طيّبة أن يحوّلوا الضحك ضدّ مواطنينا؟ أو هل سنرسم علامة فارقة للجدّ والهزل، وأن نسمح للإنسان بابتداع طريقة للمزاح في الهزل بدون إثارة الغضب بشأن أيّ شيء أو أيّ شخص؟ ومع ذلك وكما قلنا، ليس إذا كان هو غاضباً ولديه غرض محدّد من المزاح. نحن سنمنع الجدّ - يعني المثبّت وغير القابل للتغيير؛ لكن لا يزال واجباً علينا أن نقول مَن الذي سيُجاز أو لا يُجاز له ناموساً استخدام الهزل البريء. إنّ الشاعر الهزلي، أو ناظم القصيدة العمبقيّة، أو ناظم القصيدة الشعريّة الغنائيّة، الهجائيّة، لن يُسمح لهم جميعاً بالسخرية من أيّ مواطن، لا بالكلمة ولا بما شابهها، ولا في حالة الغضب ولا بدونها. وإذا عصى أيّ شخص هذا، فإنّ القضاة سيطردونه من البلاد حالاً، أو سيدفع ثلاث مينات غرامة. وهذه ستكرّس لله الذي يشرف على تلك المباراة ويترأسها. إنّ الذين قد تلقّوا إذناً سيُسمح لهم أن يكتبوا الأشعار بعضهم لبعض، لكنّها ستكون قطعاً شعرية بدون غضب وفي مزاح، ولن يُسمح لهم أن يكتبوها بغضب وبجدّيّة خطيرة. إن القرار في هذه المسألة سيُترك للمشرف العام على تعليم الشباب، وما يُؤذن به، سيُسمح للكاتب أن ينتجه، وما يُرفض من قطع الشعر هذه فليس لأيّ شاعر أن يعرضه، أو أن يعلّمه لأيّ شخص آخر، أكان عبداً أو حرّاً، وذلك تحت طائلة عقوبة كونه محقّراً، وأن يُعتبر الفاعل عاصياً للناموس.

وبعد فلا ينبغي أن يُشفق على مَن يكون جائعاً، أو من يعاني من ألم جسديّ، بل يلزم فعل ذلك على مَن يكون معتدلاً، أو على مَن يمتلك

فضيلة ما أخرى، أو جزءاً من الفضيلة، وعلى من يعاني بليّة في الوقت عينه. إنّه لشيء غير عاديّ، أن ينبذ ويهجر شخص كهذا بشكل مطلق، سواء إذا كان عبداً أو حرّاً. وإذا وقع في فقر مدقع في أيّة مدينة أو حكومة منظّمة تنظيماً جيّداً بشكل ممكن احتماله. ولذلك فإنّ المشرّع يمكنه أن يسنّ ناموساً بشكل مضمون وقابلٍ للتطبيق في حالات كهذه بناءً على الشروط التالية: يمنع وجود متسولين في دولتنا؛ وإذا تسوّل أيّ شخص، قاصداً أن يكسب أسباب عيشه بواسطة صلوات لا طائل تحتها، فعلى حكّام الساحة العامّة المحليّين أن يطردوه من الساحة العامّة، وأن يطرده حكّام المدينة المحليّون من المدينة، وأن يطرده حكّام البلاد المحليّون خارج أي جزء من أجزاء البلاد إلى ما وراء الحدود، وذلك لتخلو الأرض من هذا النوع من أنواع الحيوان.

إذا آذى عبدٌ من كلا الجنسين أيّ شيء، ليس ملكاً له أو لها، وكان الشخص الذي عانى الضرر غير ملامٍ في أيّ جزء منه، وذلك بسبب عدم الخبرة، أو بسبب ممارسة غير مناسبة، إذا وقع ذلك فإنّ سيّد العبد الذي سبّب بالأذى سيلتزم بدفع التعويض كاملاً، أو يسلّم العبد الذي قام بتسبيب الأذى. لكن إذا جادل السيّد بأنّ الاتّهام نشأ بالتواطؤ بين الفريق المتضرّر والفريق الذي أوقع الأذى، بهدف الحصول على العبد. فدعه يقيم الدعوى على الشخص الذي قال إنّه قد تعرّض للأذى والضرر، بسبب سوء التصرّف. وإذا ربح التجريم، فدعه يتلقى ضعف القيمة التي عيّنتها المحكمة كثمنٍ للعبد. وإذا خسر السيّد دعواه، فدعه يقدّم ترضية عن الأذى، وأن يسلّم العبد. ولو أن حيواناً يحمل الأثقال، أو حصاناً، أو كلباً، أو أيّ حيوان آخر، آذى ملكيّة جار مالكه، فإنّ مالك الحيوان سيتحمّل نتيجة الأذى اللاحق بجاره في أسلوب مماثل.

إذا رفض إنسان أن يكون شاهداً، فإنّ مَن يريده سوف يستدعيه، ومَن

يُستدعى سيأتي إلى المحكمة للمحاكمة؛ وإذا عرف أيّ شيء وكان مستعدّاً للإدلاء بشهادته، فله أن يدلي بها، لكنّه إذا ادعّى أنّه لا يعرف شيئاً فليحلف بالإلهيّين الثلاثة زيوس، وأبوللو، وثيميس بأنّه لا يفعل، وأنّه ليس لديه أيّ شيء ليفعله بالدعوى بعد الآن. والذي استُدعي كي يدلي بشهادة ولم يستجب لمن استدعاه، فإنّه سيكون عرضة للأذى الذي ينشأ بوصفه نتيجة لعمله طبقاً للناموس. وإذا استدعى شخص أيّ شخص كشاهد وهو يقوم بعمل القاضي، فعليه أن يدلي بشهادته. لكنّه لن يدلي بصوته في الدعوى بعد ذلك. يمكن أن تدلي امرأة حرّة بشهادتها وأن ترافع أمام القضاء إذا تخطت الأربعين من عمرها، ويمكنها أن تحضر تأثيراً أو فعاليّة إذا لم يكن لها زوج. لكن إذا كان زوجها حيّاً فيُسمح لها أن تدلي بشهادتها فقط. سيُسمح لعبد من كلا الجنسين أن يعطي دليلاً وأن يرافع أمام القضاء، لكن في حالات جرائم القتل فقط؛ ويجب عليهما، العبد والعبدة، أن يُحضرا كفلاء بأنّهما سيبقيان حتّى المحاكمة بالتأكيد، فربّما اتُّهما بشهادة الزور. ويمكن لكلٍّ من الفريقين في الدعوى أن يُحضر تهمة الحنث باليمين ضدّهما، محاذين الدليل في كلّه أو في جزئه، إذا جزم هو أنّ دليلاً زائفاً قد تمّ إعطاؤه. لكنّ التهمة ينبغي أن تسبق القرار النهائيّ للدعوى. إنّ الحكام القضاة سيحتفظون بالاتّهامات للشاهد الزائف، وسيُحتفظ بها بوصاية كلا الفريقين، ويبرزها عندئذ في اليوم الذي تأخذ الدعوى ضدّ شاهد الزور مكانها. إذا أدين إنسان بشهادة الزور مرّتين، فلن يُحتاج إليه. وإذا أدين ثلاث مرات، فلن يُسمح له أن يدلي بشهادة؛ وإذا تجرّأ على أن يشهد بعد أن أُدين مرات ثلاثاً، فأي شخص يرغب يستطيع أن يخبر عنه الحكّام القضاة، وعلى الحكّام القضاة أن يسلّموه إلى المحكمة. وإذا أدين فسيُعاقب بالموت. وفي الحالة التي يظهر الدليل فيها زائفاً حقّاً، ومع ذلك فلقد أعطى

هذا الدليلُ الحقُّ لمن ربح دعواه، وأُدين أكثر من نصف الشهود، إذا حدث كلّ هذا، فإنّ القرار الذي ربحه هؤلاء السافلون سيُبطل ويُنقض، وستُعقد مباحثة ويُتّخذ قرار سواء إذا كانت الدعوى قد قُرِّرت بالدليل الزائف أو لم تُقرَّر. وأمّا في أيّ الطريقتين يمكن للقرار أن يُعطى، فإنّ الدعوى السابقة سيتمّ أخذ القرار فيها طبقاً لذلك.

هناك أشياء نبيلة عديدة في الحياة الإنسانيّة، لكن الشرور ملازمة لأكثرها وهي مقرّرة بقضاء وقدر كي تفسدها وتتلفها. أوليس العدل نبيلاً، وهو الذي يُعتبر محضِّر الإنسانية؟ كيف يمكن للمدافع عن العدل إذن أن لا يكون إنساناً نبيلاً؟ ولا يزال على هذه المهنة التي تُقدِّم لنا تحت الإسم الجميل للفنّ، لا يزال أنّها قد تشكّلت سمعة سيّئة. في المقام الأوّل، أُخبرنا نحن أنّ الناموس، بالحجج المبدعة وبمساعدة المؤيّدين، مكّن الإنسان من الانتصار في دعوى خاصّة واستثنائيّة، سواء أكانت عادلة أو غير عادلة؛ وأُخبرنا أنّ الفنّ وقوة الكلام كليهما اللذين أُفصح عنهما بتلك الوسيلة، أخبرنا أنّهما في خدمة مَن يكون مستعداً أن يدفع لهما. وبعدُ في دولتنا فإنّ هذا الذي يسمّى فنّاً، وسواء إذا كان فنّاً حقّاً أو كان خبرة ومراساً فقط خاليين ومجرّدين من أيّ فنّ، فلا يجب إذا أمكن أن يأتي إلى الوجود. أو إذا وُجد بيننا ينبغي عليه أن يستمع لطلب المشرّع ويبتعد إلى بلاد أخرى، وأن لا يتكلّم بما يناقض العدل. وإذا أطاع المعتدون فلن نقول أكثر ممّا قلناه؛ لكنّ صوت الناموس هو كما يلي للّذين يعصون: إذا ظن أيّ شخص أنّه سيفسد ويسيء استعمال قوّة العدل في عقول القضاة، وأنّه يقاضي أو يدافع بشكل غير مألوف، فدع أي شخص يحب أن يقاضيه بتهمة سوء التصّرف بالناموس وبالدفاع الكاذب المضلِّل، ودعه يُقاضى في المحكمة من قِبَل قضاة مختارين؛ وإذا أُدين فعلى المحكمة أن تقرّر ما إذا كان قد أقدم على ما فعله

حبّاً بالمال أو مشاكسةً وحبّاً للخصام. وإذا تبيّن أنّه فعل ما فعله مشاكسةً وحبّاً للخصام، فإنّ المحكمة ستعيّن وقتاً لن يُسمح له أثناءه أن يستهلّ الدعوى أو يدافع فيها. وإذا تبيّن أنّه فعل ما فعله حبّاً بالمال، وفي حالة إذا كان غريباً، فإنّه سيغادر البلاد، ولن يعود إليها أبداً تحت طائلة عقوبة الموت. لكنّه إذا كان مواطناً، فسوف يموت، لأنّه محبّ للمال، والذي تم كسبه بوسيلة دنيئة. وبشكل متساوٍ، إذا تمت مقاضاته وظهر أنه فعل ما فعله أكثر من مرّة مشاكسة وحباً للخصام، فإنّه سيموت.

محاورة النواميس

الكتاب الثاني عشر

افكار الكتاب الرئيسية

يقول الأثيني: دعنا ننظّم الآن واجب سفرائنا وعلاقاتهم بالبلاد الخارجية. ونؤكّد أنّ السرقة خِسّة، وأنّ اللصوصية صفاقة، ولا أحد من أبناء زيوس يبتهج بأعمال العنف والاحتيال، أو يمارسها. وسنسنّ قانوناً لمنع التعدّي والسرقة، وقانوناً بشأن الحملات الحربيّة. إنّ وجود الحكومة ضروريّ للإنسان، والحكومة هي التي تُهيّيء الشباب للخدمة العسكرية ولحياة الجنديّة، وسيؤدّي كلّ إنسان واجبه تجاه وطنه، ولا مكان للجبن في المواطنية الحقّة. وسنعاقب كلّ جبان وخائن، وسنثني على المواطن الشجاع. والآن سنسنُّ نواميس بخصوص المستنطقين العامّين وواجباتهم. ومنصب المستنطق العامّ هو العنصر الأكثر أهميّة في صيانة ووقاية الدول وفي انحلالها. إنّ المستنطقين العامّين هم أفضل من القضاة الحاكمين، ويتمّم واجبهم بشكل عادل وبدون لوم. حينئذ فإنّ الدولة كلّها تزدهر وتكون سعيدة.

سنسن ناموساً بشأن الغرباء واستقبالهم على أرضنا، وكم ستكون مدة إقامتهم، وكيف سنزورهم ومتى. ونحن سنقدّر الرأي العالمي العامّ بنا، ونقدّر سمعتنا بين الأمم حقّ قدرها، وهي السمعة الأحسن والأنبل للفضيلة. أمّا الرشوة فسنمنعها منعاً باتاً، ويجب أن ننظّم تحصيل الضرائب بطريقة عادلة. أمّا المحاكم القضائية فسيتمّ تنظيمها واختيار القضاة لها بشكل مناسب أيضاً. وينبغي أن نؤكّد أنّ معرفة النواميس الصالحة لديها القوّة الأعظم لتحسين روح المتعلّم من بين المعارف كلّها، وإلاّ فلا معنى لاقتناء الناموس الإلهيّ الرائع إسماً مماثلاً للعقل.

أمّا المتوفّون فسيلقون التكريم الذي يليق بكلّ واحد منهم. وينبغي أن نصدّق المشرّع عندما يقول إنّ الروح أسمى من الجسد في كلّ ناحية من النواحي، وما التوازن والتعادل في الحياة اللذين يجعلان كلّ واحد منا على ما هو عليه، ما هو إلاّ الروح فقط، وإنّ الجسد يتبعنا بشأن التشابه في كلّ منا. ولهذا السبب فإنّنا عندما نتوفّى تكون أجساد المتوفّين الظلاّل أو الرموز، كما قيل ذلك حقّاً، لأنّ الموجود الحقيقيّ والخالد لكلّ منّا والذي يُسمّى الروح يذهب بطريقه إلى الآلهة الأخرى كي يقدّم حسابه، هذا الحساب الذي يعتبر أملاً ملهماً للأخيار، لكنّه مرعب جدّاً للأشرار. ونؤكّد نحن أنّ الروح تحتوي العقل إلى جانب أشياء أخرى. ويحتوي الرأس البصر والسمع إضافة إلى الأشياء الأخرى. والعقل إذا امتزج مع الحواسّ الأنبل، وأصبح واحداً معها، يمكن أن يقال عنه إنّه نجاة الكلّ ومنقذهم بحقّ. ونقول، إذا ما كانت إقامتنا في البلاد لتكون إقامة كاملة، فيجب علينا أن نمتلك دستوراً ما، دستوراً يحدّد ما هو هدف الدولة هذا بالضبط، وسيخبرنا كيف نقدر أن نناله، وأيّ ناموس وأيّ إنسان سينصحنا للوصول إلى تلك الغاية. إنّ أيّة دولة لا تمتلك دستوراً هي دولة مجرّدة من العقل والإدراك على الأرجح، وستتقدّم في كلّ أعمالها بمحض الصدفة والاتفاق. وينبغي أن نجبر حماة دولتنا الإلهيّة على أن يدركوا، في المقام الأوّل، ما هو المبدأ الذي يُعتبر الشيء عينه في الفضائل الأربع، في الشجاعة وفي الاعتدال، في العدل وفي الحكمة. وهذا الشيء عينه كونه خيراً، ندعوه نحن بالاسم المفرد للفضيلة. إنّنا نقول الشيء عينه عن كلّ الأشياء الحيّة. إن حماة النواميس الحقيقيّين يجب أن يعرفوا الحقيقة بشأنها، وأن يكونوا قادرين على أن يشرحوها بالكلمات، وأن يضعوها موضع التنفيذ عملاً، حاكمين على ما هو جيّد وما ليس كذلك طبقاً لطبيعته. إنّ معرفة الآلهة هي

واحدة من المعارف الأنبل، ومَنْ يكنْ كسولاً وعاجزاً في هذه القضايا يجبْ رفضه وإبعاده عن الأشياء الشريفة.

وهكذا، وبعد هذا التشريع الرائع غايةً، والإلهيّ سموّاً، والكامل دقّةً، سنشرع في تأسيس دولتنا الفاضلة الحرّة السعيدة.

محاورة النواميس

الكتاب الثاني عشر

الأثيني: إذا حمل رسول أو سفير رسالة زائفة من مدينتنا إلى مدينة أخرى، أو عاد برسالة زائفة من المدينة التي أُرسل إليها، وثبت أنّه أعاد كلاماً، سواء أكان من الأصدقاء أو الأعداء، بوصفه رسولاً أو سفيراً، والكلام الذي قاله لم يقله أيٌّ منهم، إذا فعل ذلك، فيجب أن يُقاضى بتهمة مخالفة الأوامر والواجبات التي يفرضها عليه هرمس وزيوس، وذلك لقيامه بأعمال مخالفة للناموس. ويجب أن يتمّ تحديد الغرامة التي سيقاسيها أو يدفعها إذا أُدين.

إنّ السرقة خِسّة، واللصوصيّة صفاقة، ولا أحد من أبناء زيوس يبتهج بأعمال الاحتيال والعنف، أو يمارسها. لهذا السبب لا تدع أحداً ينساق في الضلالة مع الشعراء وعلماء الأساطير، إذ يقودونه إلى الاعتقاد الخاطىء بأشياء كهذه. ولا تدعه يفترض أنّه عندما يسرق إنسان أو يذنب بارتكاب أعمال عنف، لا تدعه يفترض أنّه لا يفعل أيّ شيء سافل، بل يفعل ما يأمر به الآلهة فقط. إنّ قصصاً كتلك هي قصص غير صادقة وغير محتملة. إنّ مَن يسرق أو يسلب بشكل مخالف للناموس لا يكون إلهاً ولا ابن إله على الإطلاق. ومن أجل ذلك فإنّ المشرّع ينبغي أن يُخبر عنها بشكل أفضل من الشعراء كلّهم. إنّه لسعيد ويمكنه أن يكون سعيداً للأبد مَنْ يقتنع بكلماتنا ويستمع لها، لكنّ الذي يعصيها فلسوف يقف في وجه الناموس التالي: إذا سرق رجل أيّ شيء يخصّ الشعب، سواء أكان الذي سرقه قليلاً أو كثيراً، فإنّه سيُعاقب بالعقاب عينه. إنّ مَن يسرق القليل هو كمن يسرق الكثير بالرغبة عينها، لكن بقوّة أقلّ. وإنّ مَن يأخذ كميّة أكبر ولم يودعها في أيّ

مكان، فإنّ عمله ظالمٌ بشكل كلّي. ومن أجل هذا فإنّ الناموسِ غير مطبوع على إنزال عقوبة بالشخص الأوّل أقلّ من إنزالها على الشخص الآخر بحجّة أنّ سرقته أقلّ، بل على أساس أنّ اللصّ يمكن أن يكون قابلاً للشفاء بشكل محتمل، ويمكن أن يكون عكس ذلك في حالة أخرى. إذا أدان أيّ شخص في محكمة الناموس غريباً أو عبداً بسرقة ملكيّة عامّة، فيجب على المحكمة أن تقرر العقوبة التي سيقاسيها، أو الغرامة التي سيدفعها، واضعاً نصب عينه أنه ليس قابلاً للشفاء بالاحتمال. لكنّ المواطن الذي ربِّي كما ربِّي مواطنونا، إذا وُجد مذنباً بسرقة بلاده بواسطة الاحتيال أو أعمال العنف، سواء إذا قُبض عليه عند قيامه بالعمل أوْ لا، سيُعاقب بالموت لأنّه غيرّ قابل للشفاء.

وبعدُ فإنّنا نحتاج لكثير من التفكير وللعديد من النواميس بشأن الحملات الحربيّة، وإن القاعدة العظيمة لكلّ هذا هي أنّ ما من شخص من كلا الجنسين ينبغي أن يكون بدون قائد؛ ولا يلزم لعقل أيّ شخص أن يعتاد على القيام بفعل أيّ شيء، سواء إذا كان في المزاح أو الجدّ وذلك من حافزه الخاصّ. لكن في زمن السّلم أو في زمن الحرب عليه أن يعتمد على قائده ويتبعه، حتّى في الأشياء الأقلّ كونه تحت إرشاده. كمثال، عندما يجب أن يقف أو يتحرّك، أو يتمرّن، أو يغتسل، أو يتناول وجبات طعامه، أو يستيقظ في الليل ليحرس وينقل الرسائل، عندما يُؤمر بذلك. ويلزمه في ساعة الخطر أن لا يتعقّب العدو وأن لا يتراجع إلاّ بأمرٍ من رئيسه. وبكلمة، عليه أن لا يعلّم الروح أو يعوّدها على أن تعرف أو تفهم كيف تفعل أيّ شيء بمعزلٍ عن الأشياء الأخرى. إنّ حياة كلّ الجنود يجب أن تكون دائماً، وفي كلّ الأشياء، حياة مشتركة وحياة يحيونها معاً قدر الإمكان. ما من مبدأ علميّ أعلى أو أفضل أو أكثر علميّة من هذا المبدأ وهو إحراز النصر والنجاة في الحرب. ونحن يلزمنا في وقت السلم ومنذ شبابنا فصاعداً أن نمارس هذه

العادة لقيادة الآخرين، وأن نكون مهيّئين أن ننقاد للآخرين. إنّ عدم وجود حكومة لا مكان له في حياة الإنسان أو في حياة البهائم التي تتبع الإنسان. يمكنني أن أضيف أنّ كلّ الرقص ينبغي أن يؤدّى قصد الامتياز العسكريّ، ويجب أن تُهذّب الرشاقة والخفّة من أجل الموضوع عينه، وكذلك الصبر على الحاجة للّحم والشرب، وعلى برد الشتاء وحرّ الصيف، وعلى الاضطجاع على الأرائك الخشنة. وفوق كلّ شيء، يجب أن توجّه العناية إلى عدم تعطيل ميزات الرأس والقدمين بإحاطتهما بالأغطية الغريبة العَرَضيّة، وهكذا إعاقة نموّ الشعر الطبيعي على الرأس ونمو باطن القدم لأنّهما، أي الرأس والقدمين، هما الضرورتان الملحّتان من بين أجزاء الجسم كلّه. وسواء إذا تمت حمايتهما أو لا فإنّ لهما شأناً كبيراً. إنّ أحدهما هو خادم للجسد كلّه، وأمّا الآخر فهو السيّد الذي وُضعت فيه كلّ الحواس الحاكمة بالطبيعة. فعلى الإنسان الشابّ أن يتخيّل أنّه يسمع مّما تقدم الثناءات على الحياة العسكريّة، وسيكون الناموس بشأنها كما يلي: سيخدم في الحرب مَن يكون اسمه مسجّلا على القائمة أو مَن يُعيَّن لخدمةٍ خاصّة ما. وإذا تغيّب أحدهم بسبب جبنه، وبدون إذن القائد العسكريّ، فإنّه سيُحاكم أمام القادة العسكريّين بتهمة تخلّفه عمّا هو واجب عليه بعد أن يعود الجيش إلى مراكزه، وسيكون الجنود قضاته. أمّا الجنود المسلّحون بالأسلحة الثقيلة، والفرسان، والأسلحة الأخرى من أسلحة الخدمة فسيشكّلون محاكم منفصلة. وسيُحضرون الجنود المسلحين بالأسلحة الثقيلة أمام الجنود المسلحين بالأسلحة الثقيلة، وسيُحضرون الفرسان أمام الفرسان، والجنود الآخرين أمام الجنود الآخرين نظرائهم. ومَن وُجد مذنباً فلا يُسمح له أبداً أن يشترك في مباراة أية جائزة من جوائز البسالة، أو أن يقاضي الغير بتهمة عدم الخدمة في حملة عسكريّة، أو أن يكون المتّهم في أيّة قضايا عسكريّة على الإطلاق.

فضلاً عن ذلك، فإنّ المحكمة ستقرّر أيضاً أيّة عقوبة سيعاني، أو أيّة غرامة سيدفع. وعندما تنتهي دعاوى التخلّف عن القيام بواجب الخدمة، فإنّ قادة الأنواع المتعدّدة لفرق الجنود سيعقدون اجتماعاً مرّة ثانية، وهم سيحكمون بما ستكون عليه جوائز البسالة. والذي يحبّ سيخضع للقضاء في فرع خاصّ من فروع خدمته، غير مدلٍ بأيّ شيء عن حملته العسكرية السابقة ولا مقدّمٍ أيّ برهان أو شواهد لتعزيز إفادته، بل سيتكلّم عن المناسبة الحاضرة فقط. إنّ تاج النصر سيكون إكليلاً من الزيتون الذي سيقدّمه المنتصر في هيكل أيّ إله حرب يحبّه، مضيفاً كلاماً منقوشاً لشهادة كي تبقى أثناء الحياة، وهي كتلك الجائزة التي تلقّاها شخصٌ أوّل وثانٍ وثالث. إذا ذهب أيّ شخص في حملة عسكرية، وعاد إلى البيت قبل الوقت المحدَّد، وقبل أن يأمر قادةُ الجيش بالإنسحاب من أرض المعركة، فسيُقاضى بتهمة الفرار من الجنديّة أمام الأشخاص أنفسهم الذين أخذوا علماً بالنظر في دعوى الفرار من الخدمة العسكريّة. وإذا وُجد مذنباً فستُنزل به العقوبة عينها. وبعْدُ فإنّ كلّ إنسان متورّط في دعوى يجب عليه أن يكون حذراً جدّاً من إحضار شاهد زور ضدّ أيّ شخص، عمداً أو عن غير عمد، إذا استطاع ذلك. ولقد قيل حقّاً إنّ العدل هو عذراء شريفة وجديرة بالتكريم، وإنّ الباطل يكون معارضاً بالطبيعة لتكريم العدل. إن الشاهد يجب أن يكون حذراً جدّاً من ارتكاب الإثم ضدّ العدل. كمثال، في ما يتصّل برمي السلاح - ينبغي عليه أن يميّز بين رميه حين الضرورة، وعليه أن لا يخلق منه عاراً، أو يجلب عملاً ضدّ شخص بريء ما من أجل ذلك. والتميز في هذا الوضع صعب جداً، لكنّ الناموس مع ذلك ينبغي أن يحاول تحديد الأنواع المختلفة بطريقة ما. دعني أسعى لأشرح معناي بقصّة قديمة: إذا أُحضِر باتروكلوس إلى خيمة بدون ساعديه، ثم أحيا ساعديه الأصليّين من جديد « وحدث هذا

لأشخاص لا يُعدّون » وقد قال الشعراء إنّ الساعدين أحضرتهما الآلهة إلى بيليوس كهديّة يوم زفافه عندما تزوّج من ثيتيس، وأنهما بقيا في يدي هيكتور، حينئذ فإنّ النفوس الحقيرة لذلك اليوم ربما أنّبت ابن مينيوتيوس لأنّه رمى ذراعيه. مرّة ثانية، هناك حالة الذين رُموا على شفا الكارثة وفقدوا أذرعهم، وهناك حالة الذين كانوا على اليمّ، وفي الأماكن العاصفة، وقد أغرقتهم فجأة فيضانات المياه؛ وهناك أشياء لا تعدّ ولا تحصى من هذا النوع يمكن لشخص أن يوردها بطريقة التبرير الجزئيّ وبقصد تسويغ المحنة التي تشوّه الحقائق. لهذا السبب يجب علينا أن نسعى لنقسّم، بما أوتينا من قوّة، الشرّ الأعظم والأكثر خطورة من الشرّ الأقلّ. ويمكن أن يُستنتجَ تمييز في استعمال اصطلاحات التأنيب. إنّ إنساناً لا يستحقّ أن يدعى رامي درعه على الدوام يمكن أن يدعى فاقد أسلحته فقط. لأن هناك فوارق كبيرة أو بالأحرى فوارق كليّة بين مَن يُجرَّد من سلاحه بقوّة كافية، وبين من يدع درعه تُباع. دع الناموس المتعلّق بذلك يكون كما يلي: إذا كان لدى شخص سلاحاً وباغته العدوّ ولم يستدر ويدافع عن نفسه، بل رماه طوعاً أو ألقاه بعيداً مفضِّلاً حياةً دنيئةً وهرباً سريعاً على الموت الشجاع والنبيل والمبارك ـ ففي تلك الحالة من حالات رمي السلاح، على العدل أن يأخذ مجراه. لكنّ القاضي لا ينبغي عليه أن يهمل تدوين ملاحظة عن الحالة التي ذكرت لتوّها. إنّ الرجل الشرّير يجب أن يُعاقب على الدوام على أمل أن يتحسّن، لكن ليس الإنسان القليل الحظّ، إذ لا فائدة في ذلك. وما هو العقاب المناسب لمن رمى أسلحته التي ينبغي أن تكون دفاعه الرئيسيّ؟ العُرف يقول إن كاينيوس، التسالي، غيَّره الله من امرأة إلى رجل، لكنّ الأعجوبة العكسيّة لا يمكن إحداثها الآن، أو فما من عقابٍ مناسبٍ لمن يرمي درعه أكثر من أن يُحوّل إلى امرأة(٩١).

إن تغيير الرجل إلى امرأة عمل مستحيل، ولهذا السبب دعنا نسنّ ناموساً شبيهاً بهذا الناموس تماماً وقدر ما نستطيع - إنّ مَن يحبّ حياته كثيراً جدّاً لا خطر عليه طيلة أيّام حياته، بل سيعيش إلى ما شاء الله موسوماً بميسم عار الجبن. ودع الناموس يكون بالعبارات التالية: عندما يوجد إنسان مذنب برمي سلاحه في الحرب بشكلٍ مخزٍ، فلا قائد عسكريّاً ولا ضابط في الجيش سيسمح له بالخدمة كجنديّ، أو تبوُّؤ أيّ مكان في صفوف الجند؛ وأمّا الضابط الذي يعطي الجبان أيّ مكان، فسيقاسي عقوبة يحدّدها المستنطق العامّ. وإذا كان من الطبقة الأعلى فسيدفع ألف دراخما، وإذا كان من الطبقة الثانية فسيدفع خمس مينات، وإذا كان من الطبقة الثالثة فسيدفع ثلاث مينات؛ وإذا كان من الطبقة الرابعة فسيدفع مينا واحدة. ومَنْ يوجد مذنباً بالجبن فلن يُطرد من الأخطار الخليقة بصفات الرجل الحقّ. وهذا عار مناسب لطبيعته. لكنّه سيدفع ألف دراخما إذا كان من الطبقة الأعلى، وسيدفع خمس مينات إذا كان من الطبقة الثانية، وسيدفع ثلاث مينات؛ إذا كان من الطبقة الثالثة، وسيدفع مينا واحدة، كما تقدّم، إذا كان من الطبقة الرابعة.

والآن ما هي التنظيمات التي ستناسب المستنطقين العامّين، مشاهدين أنّ بعض قضاتنا الحكّام ينتخبون بالأكثريّة ولمدّة سنة، وبعضهم يُنتخب لمدّة أطول والذين ينتخبونهم أشخاص مختارون؟ وعن حكّامٍ قضاةٍ كهؤلاء، فمَن سيكون المراقب أو المستنطق العامّ، إذا أُرهِق أيٌّ منهم بضغط مركزه، أو لعدم قدرته على دعم كرامة هذا المركز، وثبت ذنبه بأيّة ممارسة ملتوية؟ فليس من السهل أن تجد حاكماً قاضياً يتفوّق على القضاة الحكّام الآخرين في الفضيلة، لكن يبقى أنّه يجب علينا أن نسعى لاكتشاف مراقب ما أو مستنطق عامّ يكون أكثر من رجل. هناك عدّة عناصر في الحقيقة لإنحلال

الدولة، مثلما هي هذه العناصر في باخرة أيضاً أو في حيوان، وهي كلّها لديها أوتارها وعوارضها وأعصابها: طبيعة واحدة منتشرة في أماكن عدّة، وتدعى بأسماء كثيرة، وأمّا منصب المستنطق العامّ فهو العنصر الأهم في صياغه ووقاية الدول وانحلالها لأنّ المستنطقين العامّين أفضل من القضاة الحاكمين، ويتمّم واجبُهم بشكل عادل وبدون لوم، حينئذ فإنّ الدولة والبلاد كلّها تزدهر وتكون سعيدة. لكن اذا كان استجواب القضاة الحكّام محمولاً في الاتجاه الخاطيء، عندئذ، وبواسطة تراخي العدل الذي هو المبدأ الموحّد لكلّ المجتمعات، فإنّ كلّ سلطةٍ في الدولة تتمزّق إرباً بكلّ سلطة أخرى. إنّ هذه السلطات لا تميل في الاتجاه عينه بعد اليوم، بل تملأ المدينة شقاقاً وتخلق مدناً عدّة من مدينة واحدة، وتسير بكلّ المدن إلى الدمار العاجل. ومن أجل ذلك فإنّ المستجوبين العامّين يجب أن يكونوا رائعين واستثنائيّين في كلّ نوع من أنواع الفضيلة. دعنا نخترع صيغة لخلقهم، والتي تكون كما يلي: كلّ سنة، وبعد انقلاب الشمس الصيفيّ، ستجتمع المدينة كلّها في المناطق العامّة لهيليوس وأبوللو، وسيقدّمون إلى الله ثلاثة رجال من بينهم بالطريقة التالية: لن يختار كلّ مواطن نفسه، بل سيختار مواطناً آخر يعتبره الأفضل من كلّ ناحية، ولا يقلّ عمره عن خمسين سنة، ومن خارج الأشخاص المختارين الذين حصلوا على العدد الأكثر من الأصوات سيقومون باختيار أبعد حتّى يتمّ تخفيض العدد إلى النصف، إذا كان العدد مزدوجاً؛ لكن إذا لم يكن عددهم مزدوجاً، فإنّهم سيُسقِطون الشخص الذي حصل على العدد الأقلّ من الأصوات ويجعلون من الأشخاص المختارين عدداً مزدوجاً. ويتركون حينئذ النصف الذي امتلك العدد الأكبر من الأصوات. وإذا نال شخصان عدداً متساوياً من الأصوات، وبذلك يزداد العدد إلى أكثر من النصف، فإنّهم سينحّون أفتى الشخصين ويلغون الزيادة. وحينئذٍ

سيصوّتون على كلّ المرشحين، إلى أن يبقى ثلاثة منهم لديهم عددٌ غير متساوٍ من الأصوات. لكن إذا كان لدى الثلاثة، أو كان لدى اثنين منهم عدد مستاوٍ من الأصوات، فدعهم يسلّمون الانتخاب إلى القدر الجيّد والحظّ، وأن يفصلوا بواسطة الكثرة الأوّل، والثاني، والثالث. وهؤلاء سيتوّجونهم بإكليل من غصون الزيتون ويعطونهم جائزة الامتياز، ويعلنون للعالم كلّه في الوقت عينه أنّ مدينة ماغنيطيس، وبعناية الآلهة، مصونة مرّة ثانية، وأنّها تقدّم إلى الشمس وأبوللو رجالها الثلاثة الأفضل كفاكهة أولى ليكونوا تقدمة مشتركة لهم، طبقاً للناموس الغابر، طالما تنطبق حيواتهم على الحكم المصاغ عنهم. وهؤلاء سيعيّنون اثني عشر مستنطقاً عامّاً في أول اثنتي عشرة سنة من سنوات حكمهم، وأن يستمرّوا في مناصبهم إلى أن يكمل كلّ منهم الخامسة والسبعين من العمر، وسيُضاف إليهم الثلاثة المنتخبون سابقاً بعد ذلك سنويّاً. ودع هؤلاء يقسّمون كلّ الحاكميّات القضائيّة إلى اثني عشر جزءاً، وأن يختبروا المتبوّئين مراكزها بكلّ نوع من أنواع التجربة التي يمكن أن يُخضع لها الإنسان الحرّ. ودعهم يعيشون بينما يتبوّأون المنصب في منطقة مدينة هيليوس وابوللو التي تمّ اختيارهم فيها. ودع كلّ شخص يصدر حكماً عن أشياء ما كلٌّ بمفرده، وأن يصدر حكماً عن الآخرين برفقة زملائه. ودعه يضع كتابةً في الساحة العامّة بشأن كلّ حاكميّة قضائيّة، وماذا ينبغي على الحاكم القضائيّ أن يقاسيه أو يدفعه، طبقاً لقرار المستنطقين العامّين. وإذا لم يقبل أيّ حاكم قضائيّ أنّ الحكم عليه عادل، فدعه يحضر المستنطقين العامّين أمام القضاة المختارين. وإذا بُرّىء من التهمة بواسطة قرارهم، فله إذا شاء، أن يتّهم المستجوبين العامّين أنفسهم. لكنّه إذا أُدين وحكم عليه المستنطقون العامّون بالموت، فيجب أن يموت « وطبعاً يستطيع أن يموت لمرّة واحدة فقط ». لكن الغرامات الأخرى التي تقبل المضاعفة فيجب أن يقاسيها مضاعفة.

والآن دعنا نختبر المستنطقين العامّين أنفسهم؛ فما هو امتحانهم، وكيف سيُدار؟ خلال حياة هؤلاء الرجال الذين تعدّهم الدولة كلّها جديرين بجوائز الفضيلة، سيكون لهم المقعد الأوّل في الجمعيّات العموميّة كلّها، وكذلك في جميع التضحيات الهيلينيّة والبعثات المقدّسة، وفي الاحتفالات العامّة المقدّسة الأخرى التي يشتركون فيها. وسيختارون رؤساءَ كلّ بعثة مقدّسة. وهم من بين كلّ المواطنين سيكلَّلون بتاجٍ من الغار، وسيكونون كهنة أبوللو وهيليوس كلّهم، وسيكون واحدهم الذي قُضي به بادىء ذي بدء، سيكون الكاهن من بينهم المخلوق في تلك السنة كاهناً عالياً. وسيكتبون اسمه في كلّ سنة ليكون مقياساً للزّمن طالما بقيت المدينة. وأمّا بعد وفاتهم فلسوف يُكفَّنون ويُحملون إلى القبر ويُدفنون بطريقة مختلفة عن الطريقة التي يُدفن بها المواطنون الآخرون. سيكفّنون بثوبٍ أنيق أبيض كلّه، ولا نحيب فوق نعوشهم، بل ستُشكَّل جوقة موسيقيّة مؤلّفة من خمس عشرة عذراء، وكورس موسيقيّ آخر من الفتية، وسيقفان حول النعش على كلّ من الجانبين، مرتّلين الثناءَات على الكهنة الراحلين في إجابات متعاقبة، معلنين تمجيدهم اليوم بطوله. وعند الفجر فإنّ مئة من الشباب والفتيان ممن مارسوا التمارين الرياضيّة والذين سيختارهم أقرباء الراحلين، هؤلاء الشباب سيحملون النعش إلى الضريح، ويسير الرجال الشباب أوّلاً، متمنطقين زيّ المحاربين: الفرسان مع أحصنتهم، المحاربون الحاملون الأسلحة الثقيلة مع أسلحتهم، وستسير بقيّة الفرق بطريقة مماثلة. والفتية قرب النعش وفي مقدّمته سيغنون نشيدهم الوطنيّ، وستتبعهنّ العذارى، ومعهنّ النساء اللواتي اجتزن سنّ الحمل والولادة. أما الكهنة والكاهنات فيجب أن يتبعوا بعد ذلك مباشرة، رغم أنّهم لم يُمنعوا من مراسم الدفن الأخرى، إلاّ إذا منعهم كاهن الوحي البيثي من ذلك. لأنّ الدّفن هذا هو دفن حرٌّ من التدنس. وسيكون مكان

الدفن حجرةً مستطيلة حلزونيّة الشكل تحت الأرض، مبنيّة من الحجارة ذات المسامّ، والتي ستبقى أبد الدهر، وحجارتها مبسّطة وموضوعة جنباً إلى جنب. هنا سيضعون الشخص المبارك، ويُغطّون القبر بكومَة صغيرة من التراب، ويغرسون أيكة من الأشجار حولها من كل جانب ما عدا جانباً واحداً. وعلى هذا الجانب سيُسمح للقبر أن يمتدّ أبداً، ولن ترتفع هضبة صغيرة جديدة عند كلّ دفن. وكل سنة سيكون لديهم مباريات في الموسيقى وفي الألعاب الرياضيّة وفي الفروسيّة، تكريماً للمتوفّين. هذه هي التكريمات التي ستُعطى لأولئك الذين يوجدون طاهري الذيل حين الإستجواب. لكن إذا أظهر أيّ منهم شرّ الطبيعة الإنسانية، واثقاً من كون نهاية التحقيق، وبعد أن تمّ إصدار الحكم؛ إذا حدث ذلك، فدع الناموس يصدر أمراً بأنّ الذي يرغب سيقاضيه بتهمة ما. والدعوى يجب أن يُنظر فيها بالطريقة التالية: في المقام الأوّل، ستُشكّل محكمة من حماة الناموس، يضاف إليهم المستنطقون العامّون المعاينون، وسيُضاف لهم أيضاً المحكمة المختارة من القضاة. وعلى متابع الدعوى أن يطرح الاتّهام بهذا الشكل: سيقول إنّ فلاناً الفلانيّ غير جدير لا بنيل جائزة الفضيلة ولا بمنصبه. وإذا أدين المدَّعى عليه فيجب أن يجرَّد من وظيفته، ومن مراسم الدفن، ومن كل التكريمات الأخرى الممنوحة له. لكن إذا لم يحصل المدَّعي على خمس الأصوات، فيجب أن يدفع اثني عشر مينا إذا كان من الطبقة الأولى، وثماني مينات إذا كان من الطبقة الثانية، وستّ مينات إذا كان من الطبقة الثالث، ومينتين اثنتين إذا كان من الطبقة الرابعة.

إنّ قرار رادامانثوس هو قرار جيّد جدير بكلّ إعجاب، طبقاً للقصّة، لقد أدرك أن معاصريه آمنوا ولم يشكّوا قطّ بوجود آلهة. وهذا الإيمان كان اعتقاداً منطقيّاً ومعقولاً في تلك الأيّام لأنّ أكثرية الرجال كانوا أبناء الآلهة.

وطبقاً للعرف كان هو نفسه واحداً منهم. يبدو أنّه أفتكر بأن أيّ حكم لا يجب أن يصدره ويُسلِّم به لأيّ إنسان، بل للآلهة فقط. وبهذه الطريقة فإنّ الدعاوى يُبتُّ بها بسرعة وسهولة، لأنه جعل الفريقين يؤدون قَسَماً في ما يتعلّق بالنقاط الرئيسيّة التي هي قيد الجدال، وهكذا حسم المسألة بسرعة وأمان. أمّا الآن فإنّ جزءاً محدّداً من الجنس البشريّ لا يعتقد بوجود الآلهة على الإطلاق، ويتصوّر الآخرون أنّهم لا يعتنون بنا. ويرى الرّجال والأكثرية منهم، وكذلك الرجال الأسوأ، يرون أنّ تضحية صغيرة وكلمات متملّقة قليلة ستجعل الآلهة شركاءهم في اختلاس كميّة كبيرة، ويخلّصونهم من القصاص الرهيب. إنّ طريقة رادامانثوس لا تتلاءم مع احتياجات العدل بعد اليوم. وبما أنّ آراء الرجال بشأن الآلهة متغيّرة، فإنّ النواميس يجب أن تتغيّر أيضاً. ففي استهلال الدعاوى ينبغي على المشرّع العقلاني أن يلغي أيمان الفريقين من كلا الجانبين - إنّ الذي يحصل على إذنٍ كي يَحضر فعلاً يلزمه أن يدوّن الاتهامات، لكن لا ينبغي عليه أن يضيف يميناً جديدة. وينبغي على المدّعى عليه بطريقة مماثلة أن يدلي بإنكاره أمام الحكّام كتابيّاً وأن لا يحلف إذ إنه لشيء مخيف أن تعرف، عندما تكون عدّة دعاوى قضائيّة متواصلة في الدولة، إنّه لشيء مخيف أنْ تعرف أنَّ نصف الشعب تقريباً يقابل بعضه بعضاً بلا مبالاة تماماً حين الولائم العامّة وفي وجود عشراء آخرين وأقارب من الحياة الخاصّة. وإنّه لشيء مخيف أن تعرف أيضاً أنّ هذا الشعب يقسم يميناً كاذبة. إنّ الناموس يجب أن يكون إذن كما يلي: إنّ القاضي الذي يكون على وشك أن يصدر حكماً سوف يؤدّي قَسَماً، وهو الذي يختار الحاكمين في القضاء للدولة، إمّا أن يصوِّت للقَسَم أو يصوِّت على لوحة للتصويت يحضرها من هيكل، وهكذا أيضاً فإنّ قاضي الرقصات وكلّ الموسيقى والمشرفين على الألعاب الرياضية وحكّامها وفوارس المبارزات،

وبقدر ما يستطيع الرجال أن يكونوا قضاة، فلا شيء يُجنى من القَسَم الزائف. لكنّ الحالات كلّها التي يُثبّت فيها الإنكار بقَسَم ينتج عنه منفعة كبيرة بوضوح المؤدّي القسم هذا. وهذه الحالات ستقرّر بدون القَسَم الذي يؤدّيه الفريقان في الدعوى، وأمّا القضاة المشرفون على الدعوى فلن يسمحوا لأيٍّ منهما أن يقسم يميناً من أجل الإقناع، ولا أن يستنزل اللعنات عليه وعلى نفسه وسلالته، ولا أن يستخدم التضرّعات على نحو غير ملائم، أو ينتحب كالنساء. لكنّهم سيعلّمون ويتعلّمون أبداً ما هو عدل بكلمات ميمونة مبشّرة بالنجاح. والذي يفعل غير ذلك سيُفترض أنّه يتكلّم بما لا صلة له بالموضوع، وسيعيده القضاة ثانيةً إلى الموضوع قيد البحث. على الجانب الآخر، فإنّ الغرباء في تعاملهم مع الغرباء سيمتلكون القوّة كما يمتلكونها حاضراً كي يعطوا ويتلقّوا الأيمان ـ لأنّهم في الغالب، لا يشيخون في المدينة ولا يتركون صغارهم مثل أنفسهم ليكونوا الأبناء والأخلاف للأرض ـ وبهذه الطريقة أيضاً سنقرّر استهلال دعاويهم الخاصّة بعضهم مع بعض في كلّ الحالات.

عندما يعصي إنسان حرّ الدولة في مسائل ثانويّة، ليست عقوبتها الضرب بالسياط أو الحبس أو الموت، مثل الإخفاق بالحضور حين إقامة الجوقات الموسيقيّة أو المواكب أو الاستعراضات الأخرى، أو حين إجراء الخدمات العامّة، وسواء إذا كانت الاحتفالات أضاحي في زمن السلم، أو دفع المساعدات في زمن الحرب، ففي كلّ هذه الحالات، تأتي بادىء ذي بدء، ضرورة تهيئة علاج للخسارة. وأمّا أولئك الذين لن يطيعوا، فستُعطى كفالة للضباط الذين فوّضتهم المدينة وخوّلهم الناموس أن يحددوا المبلغ المتوجّب دفعه. وإذا فقدوا كفالتهم، فيجب أن تباع الأغراض التي تعهّدوا بها، ولتُعطَ الأموال للمدينة. لكن إذا وجب عليهم أن يدفعوا مبلغاً أكبر من المال،

فلسوف يفرض الحكّام في القضاء المتعدّدون، سيفرضون على العاصي غرامة مناسبة، ويحضرونه أمام المحكمة، إلى أن يكونوا مستعدّين لفعل ما أُمروا به.

وبعدُ فإنّ الدولة التي تكسب المال من حرث الأرض وزرعها فقط، وليس لديها أيّة تجارة خارجيّة، يجب عليها أن تتأمّل ماذا ستفعل بشأن الإقامة المؤقّتة لشعبها الخاصّ في البلدان الأخرى، وبشأن استقبال الغرباء في مكان آخر. يجب على المشرّع أن يتأمل هذه المسائل كلها. وسيبدأ ذلك بمحاولة إقناع الرجال على قدر استطاعته. إنّ علاقات المدن بعضها مع بعض معرّضة لتخلق تشوّشاً في الأساليب؛ فالغرباء يقتر-ون البِدَع للغرباء على الدوام. عندما تُحكم الدول بنواميس جيّدة فإنّ الخليط يسبب الضرر الأعظم الممكن وقوعه. لكن بما أنّنا شاهدنا أنّ المدن الأكثر عدداً هي عكس المنظّمة تنظيماً جيّداً، فإنّ الارتباك الذي ينشأ من استقبال الغرباء، ومن المواطنين أنفسهم الذين يهرعون للذهاب إلى المدن الأخرى، وذلك عندما يرغب أيّ شخص، شابّاً كان أو مسنّاً، بالسفر إلى أيّ مكان في الخارج وفي أيّ وقت، ولا يكون هذا العمل عملاً بذي عاقبة. على الجانب الآخر، إنّ الرفض المطلق لتلقّي الأغراب، أو السماح لمواطنينا بالذهاب إلى الاماكن الأخرى، إن هذا العمل ليس ممكناً. إنه يظهر لبقيّة العالم أنّنا قساة وغير مهذّبين. إنّ هذه الممارسة يقوم بها ويستخدمها أناس يستعملون كلمات قاسية مثل كلمة عنصرية وطرد الغرباء. ولكي ينظر إليك على أنّك إنسان جيّد أو عكس ذلك من قِبَل بقيّة العالم، فإنّ هذه المسألة ليست مسألة طفيفة أبداً. لأنّ الكثرة لا تخطىء في حكمها على مَنْ يكون سيّئاً ومن يكون صالحاً. حتّى الرجال الطالحون لديهم موهبة إلهية تُخمِّن حقاً، وكذلك العديد جدّاً من الرجال الذين ينحرفون عن الأفكار الصحيحة والأحكام للفروق بين الصالح والطالح بشكل مطلق. والكثرة الكبيرة من المدن محقّة تماماً في نصحنا

وتحذيرنا كي نقدّر السمعة الحسنة في العالم حقّ قدرها، إذ لا حقيقة أكثر أهميّة من هذه الحقيقة. إنّ الذي سيكون كاملاً .ينشد السمعة الحسنة عندما يمتلك حقيقة الخير، وليس بدونها. ويجب على مستعمراتنا الكريتيّة أن تكسب السمعة الحسنة أيضاً من الرجال الآخرين وهي السمعة الأجل والأنبل للفضيلة. وهناك كلّ سبب لتتوقّع ذلك، إذا ما تجاوبت الحقيقة مع الفكرة. إنّ مدينتنا ستكون واحدة من المدن القلائل المنظمة تنظيماً جيّداً التي تطلع عليها الشمس ويشاهدها الآلهة الآخرون. ومن أجل ذلك، ففي مسألة الرحلات إلى بلاد أخرى واستقبال الغرباء. فسنسنّ قانوناً كما يلي: في المقام الأوّل، لا يُسمحُ لأحدٍ بالذهاب إلى أيّ مكان على الإطلاق، أيْ إلى بلد غريب، إذا كان دون الأربعين من عمره. ولا أحد سيذهب إلى هناك بصفة خاصّة، بل سيذهب بصفة عامّة فقط. سيذهب كرسول أو في بعثة ديبلوماسيّة، أو في بعثة مقدّسة. إنّ الذهاب إلى الخارج في بعثة أو أثناء الحرب لا يحتاج لتعيينه بين الرحلات التي سمحت بها الدولة. فإلى أبوللو في معبد دلفي، إلى زيوس في أوليمبيا، وإلى نيمي وإلى إيسثومس، إليهم جميعاً يجب أن يُرسل المواطنون كيْ يأخذوا دوراً في الأضاحي والألعاب المخصّصة للآلهة هناك. ويجب علينا أن نرسل العدد الذي نقدر عليه منهم. وأفضل الذين نستطيع إيجادهم وأجملهم، وهم سيجعلون المدينة معروفة في اللقاءات المقدّسة زمن السلم، محققين مفخرة .تعتبر نسخة مطابقة لتلك التي تمّ تحقيقها زمن الحرب. وعندما .يأتون إلى البيت فلسوف يعلّمون الشباب أنّ بُنى الدول الأخرى هي أدنى ممّا هي عليه بنية مدينتهم. ونحن سنرسل متفرّجين من نوع آخر، إذا حصلوا على موافقة حماة المدينة، الذين وجدهم الحماة كما يعهدون، سنرسلهم للتفرّج على أعمال الرجال الآخرين أكثر قليلاً حين راحتهم. ولا قانون يمنع هؤلاء الرجال من الذهاب. إنّ مدينة لا

خبرة لها عن خير الرجال وشرّهم أو ليس لها علاقة معهم، إنّ مدينة كهذه لا يمكنها أن تكون متمدّنة بشكل تامّ أبداً، ولا تستطيع أن تحمي نواميسها وتصونها بالاعتماد على العادة فقط وبدون فهم ذكيّ لها. وهناك في العالم على الدوام رجال قلائل ملهمون تكون معرفتهم الشخصية والقرب منهم مّما لا يقدّر بثمن، وينشؤون في مدن منظّمة تنظيماً جيّداً تماماً، كما أنّهم ينشؤون في مدن سيّئة التنظيم. هؤلاء هم الذين يجب على المواطن في دولة حسنة التنظيم أن ينشدهم ويتطلّع إليهم أبداً، قاطعاً البرّ والبحر بحثاً عمّن هو غير قابل للفساد ـ وذلك ليتسنّى له أن يؤسّس نواميس ودساتير صالحة، بشكل أكثر رسوخاً في دولته التي تخصّه والتي تكون نوامسيها ودساتيرها من النموذج عينه. ولكي يمكنه أن يصلح ما يكون ناقصاً فيها. إذ بدون هذا الفحص والتحقيق فلا مدينة تستمرّ وتكون كاملة، إلاّ إذا أجري هذا الفحص بشكل جيّد.

كلينياس: كيف نستطيع أن نجري فحصاً ويكون فحصاً جيّداً؟

الأثيني: نقدر أن نديره بهذه الطريقة: في المقام الأوّل، إنّ المشاهد لن يكون دون الخمسين من عمره. يجب أن يكون إنساناً ذا سمعة حسنة، خاصّةً في الحرب، إذا ما كان ليعطي مثالاً عن حماة الناموس. لكنّه عندما يتجاوز الستين، فلن يبقى في منصبه كمتفرّج بعد اليوم، ما دام قد استمرّ في فحصه عشر سنين هي سنوات تبوّئه لمنصبه وكما يسرّه. وعند عودته إلى البيت يجب أن يذهب إلى الجمعيّة العموميّة لأولئك الذين ينقّحون القوانين. إنّ هؤلاء سيكونون هيئة مختلطة من الشباب والرجال المسنّين يفترض بهم أن يتقابلوا يوميّاً بين طلوع الفجر وبزوغ الشمس. إنّهم سيتألّفون في المقام الأوّل، من الكهنة الذين حصلوا على جوائز الفضيلة؛ وسيتألّفون، في المقام الثاني، من حماة الناموس العشرة الأكبر سناً، كونهم

مختارين. إنّ المشرف العامّ على التعليم سيكون عضواً أيضاً، كما سيكون المعيّنون كأولئك الذين قد أُعفوا من مراكزهم. وكلّ منهم سيختار رفيقاً شابّاً بين الثلاثين والأربعين من عمره، حسب اختياره. أمّا موضوع مقابلتهم وحديثهم فسيكون نواميس مدينتهم التي تخصّهم على الدوام، أو النواميس المعمول بها في أمكنة أخرى، وكذلك سيكون موضوع حديثهم أنواع المعارف ذات الأهميّة والتي ستلقي ضوءاً على الفحص، أو التي ستجعل الحاجة الموضوعة للنواميس، ستجعلها مظلمة وغير أكيدة لهم. إنّ أيّة معرفة من هذا النوع يصادق عليها المسنّون، سيتعلّمها الرجال الشباب بكلّ اجتهاد. وإذا ظهر أنّ أيّاً من أولئك الذين قد دُعوا غير جديرين، فإنّ الجمعية العموميّة كلّها ستلوم مَنْ دعاه. أمّا بقيّة المدينة فستراقب بعناية المميّزين بين الرجال الشبّان، وستكرّمهم إذا نجحوا بشكل خاصّ، لكنّها ستهينهم فوق كلّ شيء إذا ظهر أنّهم الأدنى. هذه هي الجمعيّة العموميّة التي سيذهب إليها الإنسان رأساً، الإنسان الذي زار مجتمعات الرجال الأخرى وتطلّع في دساتيرها وذلك بعد عودته إلى الوطن. وإذا اكتشف أيّ شخص لديه أيّ شيء ليقوله بشأن تشريع النواميس أو التعليم أو التنشئة، وإذا كانت لديه أيّة ملاحظات، فعليه أن يوصل اقتراحاته للجمعيّة العموميّة كلّها. وإذا بدا أنّه عاد إلى الوطن لا أفضل ولا أسوأ، فيجب أن يُثنى عليه لحماسه على كلّ حال. وإذا عاد أفضل بكثير ممّا كان، فيجب أن ينهال الثناء عليه بشكل أكثر بكثير، ليس خلال حياته فقط بل بعد وفاته أيضاً، وعلى الجمعيّة العموميّة أن تكرّمه بالأمجاد المناسبة. لكن إذا بدا أنّه قد أُفسِد عند عودته إلى الوطن، متظاهراً بالتعقّل وهو ليس كذلك، فيجب ألاّ يتّصل بأيّ شخص، سواء كان شابّاً أو مسنّاً. وإذا أصغى لنصيحة الحكّام فسيسمح له عندئذ أن يعيش كفردٍ له حياته الشخصيّة؛ وإلاّ، فيجب أن يموت، إذا أدانته

محكمة الناموس بتهمة التدخّل بالتعليم والنواميس. وإذا استحقّ العقوبة، ولم يعاقبه أحدٌ من الحكّام القضاة، فدع ذلك يُحسب كعارٍ عليهم عندما يتمّ تقرير نيل جوائز الفضيلة.

يجب أن تكون أخلاق الشخص هكذا عندما يذهب خارج البلاد، وأن يذهب وفق هذه الشروط. في المقام الثاني، إنّ الغريب الذي يأتي من خارج البلاد سيُستقبل بنفسيّة صدوقة. وبعدُ هناك أربعة أنواع من الغرباء الذين ينبغي علينا ذكرهم ـ هناك النوع الأوّل الذي يقضي الصيف كلّه. هذا النوع مثل الطيور التي تمرّ، مستعملةً الجناح في تعقّب التجارة، وطائرة فوق البحر إلى البلدان الأخرى، حتى نهاية الفصل. هذا النوع سيُستقبل في الأماكن التجاريّة والموانىء والمباني العامّة قرب المدينة لكن خارجها، سيستقبله أولئك الحكّام القضاة الذين عُيّنوا للإشراف على هذه القضايا. وهم سيعتنون بالغريب ويحذّرون منه، مهما كان، وسيتأكّدون من معاملة الغرباء بالعدل، لكن لن يُسمح لهم بالقيام بأيّة فكرة أو طريقة جديدة؛ سيعقدون مع الغرباء المحادثة الضروريّة، وستكون هذه المحادثة قصيرة قدر المستطاع. والنوع الثاني هو النوع المتفرج فقط الذي يأتي ليرى ويسمع أعياد آلهات الفنّ والشعر والغناء؛ وهذا يجب أن يمتلك السّلوى مقدَّمة له في الهياكل بواسطة أشخاص مضيافين. ويجب على كهنة ووكلاء الهياكل أن يروها ويحضروها؛ لكن ينبغي عليهم أن لا يبقوا أكثر من الوقت المعقول. دعهم يرون ويسمعون ذلك وأن يذهبوا بعيداً بعدئذ، دون أن يقاسوا الأذى أو يفعلوه. إنّ الكهنة سيكونون قضاتهم، إذا تلقّى أيّ منهم الأذى أو فعله سيدفع مبلغاً قد يصل إلى ما قيمته خمسون دراخما. لكن إذا كان الاتهام أعظم، ففي تلك الحالات ستعرض الدعوى أمام حكّام الساحة العامّة المحليين. أمّا النوع الثالث من الغرباء فهو الذي يأتي من بلاد أخرى بحثاً عن

العمل العامّ ويجب أن يُستقبَل بالتكريمات العامّة. ينبغي أن يستقبله قادة الجيش وآمرو الخيالة وجنود المشاة فقط، وسيكون لدى المضيف الذي يستضيفه، في اتحادٍ مع الـ Prytanes، سيكون لهم العناية الفريدة بما يختصّ به. هناك نوع رابع من الأشخاص ينطبق على متفرّجينا، وهؤلاء الأشخاص يأتون من بلاد أخرى لمشاهدة بلادنا. في المقام الأوّل، هذه الزيارات نادرة، وينبغي على الزائر أن يكون له من العمر خمسون سنة على الأقل؛ ويجب أن يتوق توقاً شديداً لرؤية شيء ما ثمين ونادر الوجود في الدول الأخرى، أو أن يكون لديه شيء ما يعرضه لمدينة ثانية في أسلوب مماثل. إن شخصاً كهذا يجب أن يذهب إلى أبواب العقلاء والأغنياء من تلقاء نفسه، كونه واحداً منهم. كمثال، دعه يذهب إلى بيت المشرف على التعليم، واثقاً أنّه ضيف مناسب لهكذا مُضيف، أو دعه يذهب إلى بيت شخص من الذين كسبوا جائزة الفضيلة وأن يحادثهم، وأن يتعلّم منهم ويعلّمهم. وبعد أن يرى الجميع ويسمعهم فيجب أن يرحل. وكالصديق الذي يفارق أصدقاءه، يجب أن يكرّموه بواسطة الهبات وتقدمة مناسبة من تقديمات الإجلال والاحترام. هذه هي العادات التي طبقاً لها، ستستقبل مدينتنا الغرباء جميعاً من كلا الجنسين الذين يأتون من البلاد الأخرى. ويجب عليها أن تبعث بمواطنيها ليقدموا الاحترام لزيوس إله الضيافة، وأن لا يمنعوا الغرباء من وجبات الغذاء ومن الأضاحي، تماماً كما هو سائد بين أطفال النيل، ولا يجب أن يبعدوهم بالتصريحات القاسية.

عندما يصبح إنسان كفيلاً، دعه يعطي الكفالة في شكل مميّز، معترفاً بالتعامل كلّه في وثيقة مكتوبة وفي حضور ما لا يقلّ عن ثلاثة شهود إذا كان المبلغ دون ألف دراخما، وما لا يقلّ عن خمسة شهود إذا كان المبلغ يفوق ألف دراخما. إنّ وكيل البائع غير الأمين أو غير الجدير بالثقة سيكون

هو نفسه مسؤولاً، وسيكون الوكيل والرئيس مسؤولين بشكل متساوٍ. إذا رغب شخص بالبحث عن شيء في بيتٍ آخرَ، فسيدخل عارياً، أو برداء قصير وبدون حزام، بعد أن يُقسم بالآلهة المألوفين بأنّه يتوقّع وجوده هناك. وسيبدأ بحثه عنه بعد ذلك، وسيفتح له الشخص الآخر أبواب بيته ويسمح له بتفتيش الأشياء المختومة وغير المختومة على حدّ سواء. وإذا لم يسمح شخص للباحث أن يقوم بالتفتيش، فللّذي مُنِع من ذلك أن يصحب البائع إلى حماة الناموس، ويخمّن قيمة البضائع التي يفتّش عنها، وإذا أُدين هذا الشخص فإنه سيدفع ضعفي ثمن الشيء. وإذا كان السيّد غائباً عن البيت، فإنّ ساكنيه سيَدَعونه يفتّش الممتلكات غير المختومة، وسيضع المفتّش على الملكيات المختومة ختماً فوق الختم الأصليّ، وسيعيّن من يريد ليحرسها خلال خمسة أيّام. وإذا غاب سيّد البيت لمدّة أطول عن بيته، سيأخذ المفّتش معه حكام المدينة المحليّين، وهكذا يقوم بتفتيشه، ويفتح الملكيّة المختومة منها وغير المختومة، وسيختمها مرّة ثانية بعدئذ كما كانت قبلاً بحضور أعضاء العائلة وحكّام المدينة المحليّين. هناك وقت محدّد في حالة الأشياء موضوع النزاع، والذي اقتناها خلال زمن محدّد لن يكون بعده عرضة للإزعاج. وفي ما يتعلّق بالبيوت والأراضي فلا مجال للجدال أو النزاع في هذه الدولة التي تخصّنا؛ لكن إذا امتلك انسان أيّة مقتنيات أخرى استعملها ورئيت في المدينة بشكل واضح، وشوهدت في الساحة العامّة وفي الهياكل، ولم يطالب بها أحدٌ كتابة، ويدّعي شخص أنّه كان يبحث عنها طيلة هذا الوقت، وثبت أنّ مقتنيها لم يكتم خبرها، وإذا ما استمرّ الوقت لمدّة سنة، والأغراض في حوزة الأوّل والآخر يبحث عنها، فإنّ ادّعاء الباحث عنها لن يُسمح به بعد انتهاء مدّة السنة. وإذا لم يستعمل أو يبيّن الأغراض المفقودة في السوق التجارية أو في المدينة، بل فعل ذلك في البلاد فقط، ولم يدَّعِ أحد ملكيتها

خلال خمس سنوات فإنّ المطالبة بها سوف تُلغى بعد ذلك إلى الأبد. أو إذا استعملها في المدينة لكن داخل بيته، حينئذ فالوقت المعين للمطالبة بالبضائع حينئذ سيكون ثلاث سنوات، أو ستكون مدّته عشر سنوات إذا امتلكها في البلاد سراً. وإذا امتلكها في بلاد أخرى فلا تحديد لمدّة الوقت ولا أحقيّة مكتسبة بمرور الزمن لكن صاحبها الحقيقي يمكنه أن يطالب بها متى وجدها.

إذا منع شخصٌ شخصاً آخر بالقوة من حضور المحاكمة، سواء كان الممنوع الفريق الرئيسيّ أو شهوده، وإذا كان الممنوع عبداً، سواء أكان يخصّه أو يخصّ الغير، فستكون حينها الدعوى ناقصة ولا سند قانونيّاً لها. لكن إذا كان الذي مُنع إنساناً حرّاً، إضافة إلى أنّ الدعوى ناقصة، فإنّ الشخص الآخر الذي منعه سيُحبس لمدّة سنة، وسيُحاكم بتهمة الخطف عن طريق أيّ شخص يريد القيام بذلك. وإذا منع أيّ شخص بالقوة خصماً منافساً في الألعاب الرياضيّة أو الموسيقى، أو أيّ نوع من المبارزات، إذا منعه من حضور في المبارزات فدع من له عقل يخبر القضاة المشرفين على ذلك، وهم سيحرّرون الراغب في المبارزة. وإذا لم يقدروا على فعل هذا، ونال الجائزة من منعه من المنافسة، حينئذ سيعطون جائزة النصر لمن مُنع من الاشتراك في المنافسة، وسينقشون اسمه كأنّه الفاتح، سينقشونه في أيّة هياكل يريدها. والذي يمنع الآخر لن يُسمح له أن يقوم بأيّة تقديمات في الهياكل أو بنقش أيّة أسماء تشير إلى تلك المباراة، سواء انهزم أو غَلَب. إذا اقتنى أيّ شخص شيئاً مسروقاً مع علمه بذلك، فإنّه سيتعرّض للعقوبة عينها التي يتعرّض لها السارق. وإذا استقبل إنسان رجلاً منفيّاً سيُعاقب بالموت. وعلى كلّ إنسان أن يعتبر صديق الدولة صديقه وعدوّ الدولة عدوّه. وإذا عقد أيّ شخص سلاماً أو أعلن حرباً على الآخرين لحسابه الخاصّ، وبدون إذنٍ من

الدولة، فإنّه هو، والذي تعرّض للنفي، سيتعرّضان لعقوبة الموت. وإذا أعلن جزء صغير من المدينة الحرب أو عقد السلام مع أيّة مدينة، فإنّ القادة العسكريّين سيتّهمون المسؤولين عن هذا العمل، وإذا أُدينوا ستكون عقوبتهم الموت. أمّا الذين يخدمون بلادهم فيجب عليهم أن يفعلوا ذلك بدون تلقّي الهبات، ولا عذر ولا مصادقة على القول القائل: « يجب أن يتلقّى الرجال الهبات على أنّها مكافأة الصالحين، ولكن ليس للأعمال السيّئة » إذ ليس من السهل أن تعرف ماذا نفعل ونقف ثابتين بجانب معرفتنا. إنّ الطريقة الأضمن هي أن تطيع الناموس الذي يقول: « لا تخدم من أجل الرشوة ». ومن يعصِ، إذا أدين يجب أن يموت بكلّ بساطة. أمّا في ما يختصّ بالضريبة، ولأسباب مختلفة، يجب على كلّ إنسان أن يقيّم ملكيته. وينبغي على رجال القبائل أن يُحضِروا جدولاً للمنتوج السنويّ بشكل مماثل. ينبغي أن يُحضِروه إلى حكّام البلاد المحليين، ليتسنى وضع تقييمين اثنين بهذه الطريقة. ويمكن أن يستعمل الضباط العامّون سنويّاً أيّ رأي يرونه الأفضل. يمكن أن يفضّلوا أخذ جزء محدّد من القيمة كلّها، أو أخذه من قيمة الدخل السنويّ بعد حسم ما دُفع للوجبات العامّة.

على غرار التقديمات إلى الآلهة، فإنّ الإنسان المعتدل يجب أن يراقب الاعتدال في ما يقدم. وبعدُ فإنّ الأرض وبيوت كلّ الناس مقدّسة للآلهة، ولهذا السبب لا تدع إنساناً يخصّصها للآلهة مرّة ثانية. إنّ الذهب والفضّة سواء اقتناها أشخاصٌ شخصيّون أو آقتُنيت في الهياكل، وكما في المدن الأخرى فهي مثيرة للحسد. وأمّا العاج فهو منتوج الجسم الميّت ولا يناسب التقديمات. وأمّا النحاس والحديد فهما أدوات الحرب مرّة ثانية. لكن يستطيع الإنسان أن يجلب من الخشب ما يحبّ من تقديمات، شرط أن تكون التقدمة قطعةً واحدةً. ويستطيع أن يقدّم الأحجار إلى الهياكل العامّة بطريقة

مماثلة كذلك. لا تدع إنساناً يقدّم من الأعمال المنسوجة أكثر ممّا تستطيع امرأة أن تنجزه في شهر. إنّ اللون الأبيض يناسب الآلهة، خاصّة في المنسوجات، لكنّ الصباغ يجب أن يُستخدم في حلى الحرب فقط. إنّ الهدايا الأكثر إلهية هي صور الطيور والطيور، وينبغي أن تكون ممّا يقدر على تنفيذه رسّام يدويٌّ واحد في يوم واحد. وكلّ التقديمات الأخرى يجب أن تتبع قاعدة مماثلة.

وبعد فإنّ المدينة كلّها قد قُسّمت إلى أجزاء ولقد وصفنا طبيعتها وعددها سابقاً، وسُنّت النواميس بشأن العقود الأكثر أهميّة كما كان ذلك ممكناً، وستكون الخطوة التالية إحقاق العدل فيها. إنّ أولى المحاكم ستُشكّل من قضاةٍ مختارين، يختارهم المدّعي والمدّعى عليه بشكل مشترك: إنّ هؤلاء سيُدعون وسطاء بدلاً من قضاة. وسيكون في المحكمة الثانية قضاة للقرى والقبائل في تطابق مع الاثنتي عشرة جماعة ومع قسمة الأرض بينهم. وأمام هؤلاء سيذهب المتقاضون للإدلاء بآرائهم عن الأضرار الأكبر، إذا لم تُحسم الدعوى أمام القضاة الأوّل. إنّ المدّعى عليه، إذا أُدين للمرّة الثانية، سيدفع الأضرار المذكورة في الاتهام وخُمْسَها زيادة. وإذا وجد خطأً مع قضاته وأنهم سيحاكمونه مرّة ثالثة، فله أن يتقدّم بدعواه إلى القضاة المختارين. وإذا أُدين لمرّة ثانية، فعليه أن يدفع الأضرار ونصفها مرّة ثانية. وإذا أُدين المدّعي أمام القضاة الأوائل وأصرّ على أن يذهب إلى القضاة الثواني، فإذا انتصر سيتلقّى بالإضافة إلى قيمة الأضرار أكثر من خُمس جزئها، وإذا أُدين سيدفع مبلغاً مماثلاً. لكن إذا لم يقتنع بالقرار السابق، وأصرّ على حمل الدعوى للمحكمة الثالثة، فإنّه اذا انتصر حينئذ سينال من المدّعى عليه قيمة الأضرار، كما قلت قبلاً، بالإضافة إلى نصف قيمة هذه الأضرار أيضاً. وإذا أُدين المدّعي يدفع نصف قيمة الأضرار المُطالب بها. وبعد فإنّ المهمة التي أوكلها

أكثريّة القضاة إلى المحاكم وإتمام عددها، وتعيين الخدم للحكام القضاة الآخرين، والأوقات التي يجب أن تُسمع بها الدعاوى المتعدّدة، والتصويت وفض الدعاوى، والتفاصيل الضروريّة للإجراءات القانونيّة، والوقت الذي يجب أن توضع الأجوبة فيه والذي يجب أن يظهر فيه الفريقان أيضاً ـ لقد تكلّمنا سابقاً بشأن هذه المسائل كلّها وبخصوص الأشياء الأخرى المماثلة لها. لكن لا ضرر في تكرار ما هو حق مرّتين أو ثلاث مرّات. إنّ كلّ القضايا الأقلّ والأسهل التي أغفلها المشرّع الأكبر سنّاً، يمكن للمشرّع الأفتى أن يزوّدها ويجهّزها. وستُنظّم المحاكم الشخصيّة بهذه الطريقة بشكل كافٍ، وكذلك المحاكم العامّة ومحاكم الدولة، وأيضاً تلك المحاكم التي يجب أن يستخدمها الحكّام القضاة في إدارة مكاتبهم العديدة، وهذه المحاكم موجودة في الدول الأخرى العديدة. إنّ الدساتير العديدة من هذا النوع المحترم جدّاً قد صاغها رجال أخيار. وربّما استلهمها حماة الناموس ليأخذوا ما هو ضروري لنظام دولتنا الجديدة، بعد أخذها بعين الاعتبار وتصحيحها وإخضاعها لتجربة الخبرة، حتى يبدو أنّ كلّ تفصيل فيها أُنهِي وصُفِّي بشكل مقنع، وبعدئذ مهروها بأختامهم، وجعلوها ثابتة لا تلغى لأنّهم سيستعملونها بعد ذلك إلى الأبد. أمّا في ما يختصّ بصمت القضاة والاقتصاد في الكلمات التي تنذر بالشؤم وعكس ذلك، والأفكار المختلفة بشأن العدل والخيّر والشريف الموجودة في دولتنا بالمقارنة مع الدول الأخرى، إنّ هذه الأشياء قد تمّ ذكرها بشكل جزئيّ سابقاً، وسيُذكر الجزء الآخر منها في ما بعدُ كلّما اقتربنا من نهاية بحثنا هذا. إنّ مَن سيكون قاضياً متساوياً سينظر إلى كلّ هذه القضايا بالعدل، وهو سيقتنيها مكتوبة وذلك كي يتعلّمها. لأنّ معرفة النواميس الصالحة تؤمّن القوّة الأعظم لتحسين المتعلّم من بين المعارف كلّها، وإلا فلا معنى في الناموس الإلهيّ والرائع أن يقتني إسماً

مماثلاً للعقل. وإنّ مِن بين كلّ الكلمات الأخرى، مثل الثناءات واللوم على الأفراد التي تحدث في الشعر وفي النثر أيضاً، سواء إذا كُتبت أو نُطقت في المحادثات اليوميّة، وسواء إذا تنازع الرجال بشأنها في نفسيّة جداليّة أو وافقوا عليها بضعف، كما هي الحالة عادة، مِن بين كلّ هذه الكلمات يعتبر الاختبار الأكيد هو كتابات المشرّع التي يجب على القاضي الحقّ أن يحوزها في عقله كترياق لكلّ الكلمات الأخرى. وهكذا فإنّه يجعل نفسه ويجعل المدينة تقف مستقيمة الخلُق والبنى، مدبّراً للخير ولاستمراريّة وزيادة العدل وجاعلاً الشرّ والأشرار على الجانب الآخر، يتحوّلون عن الجهل والإفراط، وعن كلّ ما هو آثم، بقدر ما يمكن لعقولهم الفاسدة الشفاء. لكنّ هؤلاء الذين انتهى نسيج حياتهم في الحقيقة، سيهبهم الموت، وهو العلاج الوحيد للأرواح في حالتهم الشقيّة تلك، كما يمكنني أن أقول ذلك مرّات ومرّات، وسيكون قضاة ورؤساء قضاة كهؤلاء جديرين بتلقّي الثناء من المدينة كلّها.

عندما تنتهي دعاوى السنة ينبغي أن تنظّم تنفيذها النواميس التالية: في المقام الأوّل، سيخصّص القاضي للفريق الذي يربح الدعوى ممتلكات الفريق الخاسر كلّها، فيما عدا الضروريّات المجرّدة. وسيتمّ التخصيص على لسان الناطق باسمه حالاً وبعد كلّ قرار في استماع حجج القضاة وفي مستهلّ الشهر التالي، بعد الشهر الذي تعقد فيه المحاكم « إلاّ إذا اقتنع رابح الدعوى بدون أن يُجبر الجانبين كليهما » في مستهلّ الشهر، فإنّ المحكمة ستتابع الدعوى وتسلّم للرابح أغراض الخاسر. لكنّهم إذا وجدوا أن الخاسر ليس لديه ما يدفعه، وأنّ المبلغ الناقص ليس أقلّ من دراخما، فإنّ الشخص المفلس لا حقّ له بالذهاب إلى الناموس مع أيّ رجل آخر إلى أن يسدّد الدين للفريق المنتصر؛ لكنّ الأشخاص الآخرين لديهم الحقّ في إقامة دعاوى ضدّه. وإذا رفض أيّ شخص أن يعترف بسلطة الذين أدانوه بعد إدانته،

فعلى الحكّام القضاة الذين جُرّدوا من سلطتهم، عليهم أن يحضروه أمام محكمة حُماة الناموس، وإذا أُدين فيجب أن يعاقبوه بالموت بوصفه مدمّراً للدولة وللنواميس كلّها.

هكذا يولد الإنسان وتتمّ تنشئته، وبهذه الطريقة ينجب أطفاله ويربّيهم، ويمتلك حصّته من التعامل مع الرجال الآخرين، ويقاسي العقاب إذا أخطأ بحقّ أيّ شخص، ويرتاح ويرضى إذا آذاه شخص آخر. وهكذا فإنّه يكبر في ظلّ حماية النواميس في وقتٍ واجب الأداء، وتأتي نهاية حياته في نظام الطبيعة. أمّا في ما يخصّ المتوفّين من كلا الجنسين، فإنّ الإحتفالات الدينية التي يمكن إقامتها بشكل مناسب، سواء إذا اختصّت بآلهة العالم السفليّ أو بآلهة هذا العالم، إنّ هذه الاحتفالات سيقرّرها المؤوّلون بسلطة مطلقة. أمّا قبورهم فلن تكون في الأماكن المناسبة للزرع والحرث، ولن يكون هناك نُصبٌ أو مبانٍ تذكاريّة في بُقعٍ كهذه، لا صغيرة منها ولا كبيرة، بل ستحتلّ هذه القبور المناطق المهيّأة لاستقبال ومواراة أجساد المتوفّين بشكل طبيعيّ وذلك بمقدار طفيف من الألم للأحياء قدر الإمكان. لا إنسان، حيّاً كان أو مُتوفّىً، سيجرّد الإنسان الحيّ من الرزق الذي تقدّمه له الأرض بشكل طبيعيّ. هذه الأرض هي أمّهم المرضعة. ولا تدع الكومة الصغيرة تتجاوز ما يستطيع إنجازه خمسة رجال في خمسة أيّام، والحجر الذي يُوضع فوق البقعة لا ينبغي أن يكون أكبر ممّا يكفي لكتابة الثناءات عليه بشأن الميّت مختصرةً في أربعة سطور بطوليّة. والمتوفى يجب ألاّ يُبقى في البيت لوقت أطول ممّا يكون كافياً للتمييز بين الإنسان المغشي عليه فقط وبين الميّت حقّاً. ولنتكلّم بشكل عامّ، فإنّ اليوم الثالث بعد حصول الوفاة سيكون الوقت المناسب لحمل الجسد إلى مثواه الأخير. وبعدُ يجب علينا أن نصدّق المشرّع عندما يخبرنا أنّ الروح أسمى من الجسد في كلّ ناحية من النواحي،

وأنّ التوازن والتعادل في الحياة اللذين يجعلان كلّ واحد منا على ما هو عليه، إنّما أصلها الروح فقط، وأنّ الجسد يتبعنا بشأن التشابه في كلّ منا. ولهذا السبب، فإنّنا عندما نتوفّى، تكون أجساد المتوفّين هي الظلال أو الرموز، كما قيل ذلك حقاً؛ لأنّ الموجود الحقيقيّ والخالد لكلّ منا والذي يُسمّى الروح، يمضي في طريقه إلى الآلهة الأخرى، وتمثل أمامهم لتقدّم حسابها ـ هذا الحساب الذي يعتبر أملاً ملهماً للأخيار، لكنّه مرعب جدّاً للأشرار، كما تخبرنا بذلك نواميس آبائنا. وهي تقول أيضاً إنّه لا يمكن عمل الكثير لمساعدة الإنسان بعد وفاته. لكنّ الإنسان الحيّ ستتمّ مساعدته كي يتسنّى له أن يكون أقدس الرجال وأعدلهم ما دام حيّاً وليتسنّى له بعد الوفاة أن لا يرتكب أخطاءً عظيمة كي يُعاقب عليها في العالَم السفليّ. وإذا كان هذا صحيحاً، فإنّ الإنسان لا ينبغي أن يُضيِّع جوهره تحت الفكرة القائلة إنّ كلّ هذا الحجم من اللحم الذي لا حياة له، والذي هو في طور الدفن، متّصلٌ بهذا الجوهر، أعني الروح. عليه أن يعتبر أن الإبن، أو الأخ، أو الإنسان الذي يحبّه، عليه أن يعتبر أنّ أيّ امرىء، كائناً من كان، والذي يرى أنّه يتمدّد في التراب، بل إنّ هؤلاء كلّهم قد ذهبوا بعيداً ليتمّموا وينجزوا نصيبهم الخاص بهم، وأنّ واجبه أن ينظّم الحاضرين بحقّ، وأن ينفق بشكل معتدل على المذابح المقامة للآلهة والتي لا حياة لها في العالم السفليّ. لكنّ المشرِّع لا ينوي أن يؤخذ الاعتدال بمعنى الخِسّة. دع الناموس يكون إذن كما يلي: إنّ النّفقة على جنازة مَن يُتوفّى من الطبقة الأعلى لن تزيد كلّها على الخمس مينات، ولن تزيد على الثلاث مينات لمَن يكون من الطبقة الثانية، ومينتين اثنتين لمَن يكون من الطبقة الثالثة، ومينا واحدة لمَن يكون من الطبقة الرابعة. وهذه النّفقة ستكون نفقة عادلة. إنّ حماة الناموس المسؤولين عن أشياء كثيرة غير هذه، يجب عليهم أن يأخذوا عناية خاصّة

بكل دور متعاقب من أدوار الحياة. وعند الدور الأخير منها، لا بدّ من وجود حارس واحد للناموس يشرف عليه، سيختاره أصدقاء الفقيد للإشراف عليه أيضاً. ويجب أن يُعطى التمجيد لمن يدير بالعدل والاعتدال ما يتعلّق بالمتوفّين ويتّصل بهم، وأن يُعطى له كذلك الخزي والتحقير إذا لم يُدر ذلك بجودة. ودع تصميم الاحتفالات الأخرى يكون في تطابق مع العادة والعرف. لكنّنا يجب أن نعطي لرجال الدولة طريقة في خواصّ محدّدة يتمّ تبنّيها عادة كناموس له. كمثال، إنّه لشيء مرعب أن يأمر رجل الدولة إنساناً بالبكاء أو الامتناع عنه على رأس المتوفّى، لكن يمكنه أن يمنع الصراخ والنحيب، وأن لا يسمح بتعدّي صوت المنتحب خارج البيت. يمكنه أن يمنع أيضاً إحضار جسد الميت إلى الشوارع المفتوحة، أو يحضر مسيرات المنتحبين إلى الشوارع، ويمكن أن يَحتاج ذلك قبل طلوع الفجر ووجوب أن يكون الناس خارج المدينة. هذه النواميس يجب أن تكون نواميسنا في ما يتعلّق بقضايا كهذه. ودع الذي يطيعها يكون حرّاً من دفع الغرامة، لكن الذي يعصيها، حتى لو كان حامياً واحداً للناموس، سيُعاقب بها كلّها بكلّ غرامة مناسبة. أمّا أساليب الدفن الأخرى، أو إنكار الدفن مرّة ثانية، الذي يجب رفضه في حالة اللصوص سارقي الهياكل، أو في حالة قتلة آبائهم أو أمّهاتهم أو أحد أقاربهم، أو ما شابه ذلك، إنّ هذه الحالات كلّها قد استُنبطت وضمّنت في النواميس المتقدّمة. وهكذا فإنّ عملنا التشريعيّ قد شارف على نهايته بشكل عادل وجميل. لكن في الحالات جميعها فإنّ النهاية لا تتوقّف على فعل شيء ما، أو نيل شيء ما، أو تأسيس شيء ما ـ إنّ النهاية سيتمّ نيلها وإكمالها بشكل نهائيّ عندما نقدّم ونجهّز لدساتيرنا الكمال والاستمراريّة الأزليّة؛ وإلى ذلك الحين فإنّ إبداعنا يظلّ ناقصاً.

كلينياس: إنّ ذلك لجيّد جدّاً، أيّها الغريب، لكنّني أرغب أن تقول لي ما هو قصد ملاحظتك بشكل أكثر وضوحاً.

الأثيني: أوه يا كلينياس، إنّ أشياء كثيرة قد قيلت جيّداً في الزمن القديم وتمّ غناؤها، ليست الألعاب المعطاة للأقدار هي الأقلّ جودة بين هذه الأشياء.

كلينياس: وما هي؟

الأثيني: قيل إنّ لاخيسيس أو واهبة الكثرة هي الأولى بينهم، وإن كلوثو أو الغزّالة هي ثانيتهم، وإنّ اتروبوس أو اللامتغيرة هي ثالثتهم، وإنّها هي الواقية والصائنة لكلّ الأشياء التي تكلّمنا عنها، وقد قورنت في شكل بالأشياء المحاكة بالنار. إنّ كليهما [كمثال، اتروبوس والنار] هما منتجا النوعيّة اللامتغيّرة. إنّني أتكلّم عن الأشياء التي لا تُعطي، لا في الدولة ولا الحكومة، الصحّة والنجاة للجسم فقط، بل تعطي الناموس، أو على الأصحّ الحفاظ على الناموس في الروح. وإذا لم أكن مخطئاً يبدو أن هذا تفتقر إليه نواميسنا. ينبغي علينا أن نرى كيف نستطيع أن نغرس فيها الطبيعة المتعذّر إلغاؤها.

كلينياس: إنّ هذا النقص لن يكون صغيراً إذا لم نستطع أن نكتشف وسائل غرس نوعيّة كهذه في كلّ ناموس من نواميسنا.

الأثيني: لكن يمكن اكتشافها بكلّ تأكيد. إنّني أرى إلى هذا الحدّ بوضوح.

كلينياس: دعنا لا نفكّر إذن بالكفّ عن القيام بذلك إلى أن ننقل هذه النوعيّة إلى نواميسنا، إذ إنّه لشيء مضحك أن نضع في النهاية أيّ شيء على قاعدة غير مستقرّة، بعد أن صرفنا جهداً وعملاً طويلاً مضنياً.

كلينياس: إنّني أصادق على اقتراحك، وأفكّر بما تفكّر به تماماً.

كلينياس: جيّد جدّاً، وبعدُ فكيف ستكون نجاة حكومتنا ونواميسنا وكيف سيتمّ إنجاز ذلك، طبقاً لك.

الأثيني: ألم نقل إنّه يجب أن يكون في مدينتنا مجلس استشاري ويجب أن يكون من هذا النوع: إنّ الحماة العشرة الأكبر سنّاً الذين يحمون الناموس، وكلّ

أولئك الذين حصلوا على جوائز الفضيلة، إنّهم جميعاً كانوا ليتقابلوا في الجمعيّة العموميّة عينها، وكان المجلس الاستشاري ليشمل أيضاً أولئك الذين زاروا البلاد الغريبة على أمل سماع شيء ما يمكن أن يكون ذا نفع في صيانة النواميس والحفاظ عليها. أمّا الذين وصلوا إلى البلاد بأمان، وبما أنّه قد تمّ اختيارهم لهذه القضايا عينها، فلقد برهنوا أنّهم جديرون بالاشتراك في الجمعيّة العموميّة. إنّ كلّ عضو من هؤلاء الأعضاء عليه أن يختار شاباً لا يقلّ عمرُه عن ثلاثين سنة، وسيحكم من الاستنتاج الأوّل إذا كان الشاب جديراً بالطبيعة والتعليم، وموحىً به إلى الآخرين بعدئذ. وإذا بدا لهم أيضاً أنّه جدير بما يُعدُّ له، ينبغي عليهم اختياره والتعاون معه؛ لكن إذا حدث العكس، فإنّ القرار الذي توصّلوا إليه يجب أن يبقى سرّاً عن عامّة المواطنين، وبشكل خاصّ وأكثر عن المرشح المرفوض. إنّ اجتماع مجلس الشورى يجب انعقاده في الصباح الباكر، في الوقت الأكثر راحة لكلّ إنسان وليس لديه أيّ عمل يقوم به، سواء إذا كان العمل عامّاً أو خاصّاً - ألم نقل شيئاً من هذا النوع قبلاً؟

كلينياس: قلناه حقّاً.

الأثيني: في عودة إلى مجلس الشورى إذن، إنّني سأقول أيضاً، إذا تركناه ليكون مرتكز الدولة وجهّزناه بكلّ شيء مناسب لطبيعته فإنّه سيقي كلّ ذلك الذي نرغب وقايته.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: هذا هو الوقت الذي أتكلّم فيه الحقيقة بكلّ جديّة.

كلينياس: قيل جيّداً، وإنّي لآمل أن تفي بما تعد به.

الأثيني: هل تعرف، يا كلينياس، أنّ كلّ شيء لديه منقذ طبيعي في كلّ ما يفعله، كما هي روح الحيوان ورأسه المنقذان الرئيسيّان؟

كلينياس: مرّة ثانية، ماذا تعني؟

الأثيني: إن وجود هذين معناه وقاية وحفظ كلّ شيء حيّ بوضوح.

كلينياس: كيف يكون ذلك؟

الأثيني: إنّ الروح تحتوي العقل إلى جانب أشياء أخرى، ويحتوي الرأسُ البصرَ والسمعَ إضافةً إلى الأشياء الأخرى؛ والعقل الممتزج مع الحواسّ الأنبل، وقد أصبح واحداً معها، يمكن أن يقال عنه إنّه نجاة الكلّ ومنقذهم بحقّ.

كلينياس: نعم هكذا تماماً.

الأثيني: نعم، حقّاً، لكن بماذا يُتَّهمُ الفكر الممتزج مع الحواسّ، وهو نجاة البواخر في العواصف، كما أنّه نجاتها في الطقس الجيّد؟ ففي الباخرة، عندما يتّحد القبطان والبحّارة بمداركهم الفكريّة مع العقل الدّليل، أفلا ينقذون أنفسهم وينقذون صناعتهم؟

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: لا نريد تقديم شروحات عديدة بشأن قضايا كهذه. أيّ هدفٍ يقترحه قائد الجيش لنفسه، أو يقترحه أيّ مستشار صحّيّ عندما نرى أنّ مقاييسه وُجّهت جيّداً؟ أفلا يهدف قائد الجيش إلى إحراز النصر والتفوّق في الحرب؟ أوَلا يهدف الطبيب ومساعدوه إلى تأمين الصحّة في الجسم؟

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: والطبيب الذي يكون جاهلاً بشأن الجسم، أي، الطبيب الذي لا يعرف ما سمّيناه الآن الصحّة، أو قائد الجيشَ الذي لا يعرف النصر، أو أيّ أشخاص آخرين جاهلين بخواصّ فنون الحرب التي ذكرناها، إذا كانوا كلّهم هكذا، فهل يُستطاع القول إنّ لديهم فهماً بخصوص أيٍّ من هذه القضايا؟

كلينياس: لا يمكن قول ذلك.

الأثيني: وماذا ستقول عن الدولة؟ إذا برهن شخص أنّه يجهل الهدف الذي ينبغي

على رجل الدولة التطلّع إليه، فهل يجب في المقام الأوّل، أن يُدعى حاكماً وأبعد من ذلك، هل سيكون قادراً على أن يقي ويصون ما لا يعرف ما الهدف منه؟

كلينياس: مستحيل.

الأثيني: ولهذا السبب، إذا ما كان على إقامتنا في البلاد أن تكون كاملة، فيجب علينا أن نمتلك دستوراً ما، دستوراً يعرف ما هو هدف الدولة هذا بالضبط، ويخبرنا عن طريقة الحصول عليه، وأيّ ناموس أو أيّ إنسان سينصحنا للوصول إلى تلك الغاية. إنّ أيّة دولة لا تمتلك دستوراً تعتبر مجرّدة من العقل والإدراك على الأرجح، وستتقدّم في كلّ أعمالها بمحض الصدفة والاتفاق.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: في أيّ جزء من الأجزاء إذن، أو في أيّة دساتير للدولة يجب أن توجد أيّة قوة حاكمة كهذه، هل نستطيع قول ذلك؟

كلينياس: إنّني لست متأكّداً تماماً، أيّها الغريب؛ لكن لديّ اشتباه بأنّك تشير إلى الجمعية العامّة التي قلت لتوّك إنّها يجب أن تجتمع في الليل.

الأثيني: إنّك تفهمني تماماً، يا كلينياس. يجب علينا أن نفترض، كما تقتضي المحاورة ضمناً، أنّ هذا المجلس الاستشاريّ يقتفي كلّ فضيلة. وبداية الفضيلة أن لا ترتكب أخطاء بتخمين عدّة أشياء، بل أن تنظر إلى شيء واحد ثابت، وأن نركّز كلّ أهدافنا على هذا.

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: سنرى الآن إذن لماذا لا يوجد شيء مدهش في انحراف الدول عن الصراط المستقيم ـ وسبب ذلك أنّ مشرّعيها لديهم أهداف متباينة؛ ولا يوجد أيّ شيء مدهش في وضع البعض كقاعدة عدلهم، وهو أنّ أشخاصاً

محدّدين يجب أن يحملوا مسؤولية الحكم في الدولة، سواء أكانوا أخياراً أو أشراراً، ويلحُّ الآخرون على وجوب أن يكون المواطنون أغنياء، غير مهتمّين أكانوا عبيداً للآخرين أو كانوا عكس ذلك. في حين يميل الآخرون إلى الحريّة ثانية، ويشرّع البعض قصد نيل الاثنين معاً. يريدون أن يكونوا أحراراً وفي الوقت عينه أسياداً للدول الأخرى. لكنّ النوع الأعقل من الرجال، كما ينظرون، إلى أنفسهم، يتطلّعون إلى كلّ هذه الأهداف وإلى أهداف أخرى مماثلة، ولا أحد منهم على وجه الحصر، يحظى بتكريمهم، وإليه تتطلع الأشياء كلّها.

كلينياس: إنّ تأكيدنا السابق سيثبت إذن، أيّها الغريب. فنحن قلنا إنّ النواميس بشكل عامّ يجب أن تتطلّع إلى شيء واحد فقط، وقيل عن هذا الشيء إنّه الفضيلة حقاً، كما اعترفنا.

الأثيني: نعم.

كلينياس: وقلنا إنّ الفضيلة أنواع أربعة؟

الأثيني: حقيقيّ تماماً.

كلينياس: وإنّ العقل هو قائد الأربعة، ويجب أن توليه الفضائل الثلاث، وكلّ الأشياء الأخرى أيضاً يجب أن توليه كلّ تقدير وتبجيل.

الأثيني: إنّك تتبعني بامتياز، يا كلينياس، وإنّي أسألك أن تتبعني إلى النهاية. لقد قلنا سابقاً إنّ عقل القبطان وعقل الطبيب والتطلّع العامّ إلى ذلك الشيء الواحد هو الذي يجب علينا أن نتطلّع إليه. والآن يمكننا أن نلتفت إلى العقل السياسيّ، ونحن كمخلوقات إنسانية سنسأل، بادىء ذي بدء، فنقول: أيّها المخلوق البديع، إلامَ تتطلّع؟ إذا كان الطبيب قادراً على أن يشرح هدفه الفرد في الحياة بوضوح، أفلا تستطيع أنت، أيّها المخلوق السامي المتسامي على كلّ المخلوقات العاقلة، كما تزعم، أفلا تستطيع أن تصف ما لَكَ؟ هل

تستطيع، يا ميغيلوس، وأنت يا كلينياس، أن تقولا بجلاء ما هو هدف العقل السياسيّ، ردّاً على التحديدات والتعريفات المتعدّدة التي أعطيتها بالنيابة عن الفنون الأخرى؟

كلينياس: إنّنا لا نستطيع، أيّها الغريب.

الأثيني: حسناً، لكن ألا يجب أن نرغب برؤيته، وأن نبحث حيث يحتمل إيجاده؟

كلينياس: كمثال، أين؟

الأثيني: كمثال، قلنا إنّ هناك أربعة أنواع من الفضيلة، وكما أنّ هناك أربعة أنواع منها، فإنّ كلّ نوع يجب أن يكون واحداً.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: وسنسمّي الأربعة كلّها ونسمي كلاً منها واحدة أيضاً؛ لأنّنا نقول إنّ الشجاعة فضيلة، وإنّ الحكمة فضيلة، ونقول الشيء عينه عن الاثنتين الأُخريين، كما لو أنها واحدة في الحقيقة لا أربع، أعني، فضيلة.

كلينياس: هكذا تماماً.

الأثيني: لا صعوبة في الرؤية بأيّة طريقة تختلف الاثنتان إحداهما عن الأخرى، وأنّهما تلقّيا اسمين اثنين. وهكذا عن البقيّة الباقية. لكن هناك صعوبة أكثر في شرح ماذا نسمي هاتين الفضيلتين والفضائل الباقية منها باسم واحد مفرد، فضيلة.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: ليس لديّ صعوبة في إيضاح ما أعنيه، دعنا نوزّع الموضوع إلى أسئلة وأجوبة.

كلينياس: مرّة ثانية، ماذا تعني؟

الأثيني: إسألني ما هو ذلك الشيء المفرد الذي أسمّيه فضيلة، وتكلّم عنه بعدئذ ثانية كأنّه اثنان، جزؤه كونه شجاعة والجزء الآخر حكمة. سأخبرك كيف

يحدث ذلك: إنّ أحدهما يختصّ بالخوف؛ وفي هذا تشترك البهائم أيضاً، ويشترك الأطفال الصغار فيه تماماً، أعني الشجاعة. إنّ المزاج الشجاع هو هبة الطبيعة وليس هبة العقل؛ لكن لولا العقل لما وجدت، ولا توجد، ولن توجد روح عاقلة وفاهمة، إنّها ذات طبيعة مختلفة.

كلينياس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

الأثيني: لقد أخبرتك الآن بأيّة طريقة توجد فضيلتان وأنّهما مختلفتان، فهل ستخبرني بالمقابل في أيّة طريقة تكونان واحدة والشيء عينه. تصوّر أنّك ستخبرني في أيّة طريقة تكون الفضائل الأربع فضيلة واحدة، وعندما تعطي دليلك، سيكون لك الحقّ في أن تسألني بدورك بأيّة طريقة تكون أربع فضائل. إذن دعنا نتقدّم لنحقّق ما إذا كانت المعرفة الحقيقية تكمن في معرفة الإسم فقط ولا تكمن في معرفة التحديد أو التعريف، وذلك في حالات الأشياء التي تمتلك إسماً وتمتلك تحديداً لها. هل يمكن للّذي ينبغي أن يكون صالحاً لأيّ شيء أن يكون جاهلاً بها جميعاً وبدون شكّ بماذا تختصّ الحقائق العظيمة والممجّدة.

كلينياس: إنّني لا أفترض ذلك.

الأثيني: وهل يوجد أيّ شيء أعظم للمشرّع والحامي الناموس، ولِمَن يرى أنّه يتفوّق على كلّ الرجال الآخرين في الفضيلة، والذي فاز بغصن غار إكليل الامتياز، هل هناك أيّ شيء أعظم من هذه النوعيّات بالتحديد والتي تكلّمنا عنها: الشجاعة، الاعتدال، الحكمة، والشجاعة؟

كلينياس: كيف يمكن أن يوجد أيّ شيء أعظم؟

الأثيني: أوّلا يجب على المؤوّلين، الأساتذة، المشرّعين، وعلى حماة المواطنين الآخرين، ألا يجب عليهم أن يبزّوا بقيّة الجنس البشريّ، وأن يبيّنوا له بالكمال مَن يرغب أن يتعلّم ويعرف ومَن يجب أن يُعاقب ويُوبَّخ ويحتاج

لهما لسوء أعماله؟ أفلا يجب عليهم أن يبيّنوا أيضاً ما هي طبيعة الفضيلة وطبيعة الرذيلة؟ أو هل سيظهر شاعرٌ ما نفسه عندما يهتدي لطريق المدينة ويدخلها، أو شخص تصادفيّ ما يتظاهر أنّه معلّم الشباب، هل سيَظهران أنّهما أفضل من الذي حاز على جائزة كلّ فضيلة؟ وهل نستطيع أن نتعجّب عندما لا يكون الحماة وافين بالمراد في الكلام أو العمل، وعندما لا يمتلكون معرفة كفؤاً بالفضيلة، هل نستطيع أن نتعجّب من أنّ المدينة كلّها، كونها غير محميّة، ستلاقي المصير المشترك الذي تلاقيه المدن في أيّامنا هذه؟

كلينياس: ما هو مغزى مقارنتك هذه، أيّها الغريب؟

الأثيني: ألا نرى أنّ المدينة هي الجسم، أليس الحماةُ الشباب الذين تمّ اختيارهم لهباتهم الطبيعيّة، أليسوا مركُزين في رأس الدولة، ولديهم أرواح تطفح بالعيون وبها يتفحّصون المدينة كلّها؟ إنّهم يبقون على يقظتهم وينقلون مداركهم إلى الذاكرة، ويخبرون الكبار في السنّ عن كلّ ما يحدث في المدينة. وأمّا الذين قارنّاهم بالعقل، قارنّاهم لأنّهم يمتلكون أفكاراً عاقلة، بمعنى أنّهم الرجال المسنّون، لأنّهم يتشاورون، ويستفيدون من الرجال الشباب كوزراء لهم، ويتبادلون النصائح ـ وفي هذه الطريقة فإنهما كليهما يقيان ويصونان الدولة كلّها بصدق. فهل هذا هو النظام الذي سنطبقه في دولتنا أم نظام آخر؟ وهل سيكون مواطنونا كلّهم متساوين في الاكتساب والبراعة، أو هل سيوجد أشخاص خاصّون بينهم تلقّوا تدريباً وتعليماً أكثر اعتناءً ممّا تلقّوه هم؟

كلينياس: لكي يكونوا متساوين، يا سيّدي الصالح، فإنّ ذلك لمستحيل.

الأثيني: يجب أن نتقدّم إذن بتدريبٍ أكثر دقّة من أيٍّ من التدريبات التي سبقت.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: أوّلا يجب أن يكون ذلك الذي نحن بحاجة إليه هو الواحد الذي أشرنا إليه لتوّنا الآن؟

كلينياس: حقيقيّ تماماً.

الأثيني: ألم نقل إنّ الحامي أو الصانع، إذا كان كاملاً في كلّ وجه، ألم نقل إنّه لا يجب عليه أن يكون قادراً على رؤية الأهداف المتعدّدة فقط، بل يلزمه أن يحثّ الخطى إلى الأمام إلى الواحد. هذا ينبغي عليه أن يعرف، وعند معرفته له، أن ينظّم الأشياء كلّها على أمل أن تتشبّه به؟

كلينياس: صدقاً.

الأثيني: وهل يستطيع أيّ شخص أن يمتلك طريقة أكثر دقّة للتأمّل المليّ لأيّ شيء، من كون الإنسان قادراً على أن يتطلّع إلى فكرة واحدة مجمّعة من أشياء عديدة ومختلفة؟

كلينياس: لربّما لا.

الأثيني: لا تقل « لربّما لا » بل قل « لا بكلّ تأكيد »، يا سيّدي الصالح، وهذا هو الجواب الصحيح. ما من طريقةٍ أصدق من هذه الطريقة اكتشفها أيُّ إنسان.

كلينياس: إنّني أنحني لسلطتك، أيّها الغريب، دعنا نتقدّم في الطريق الذي تقترح.

الأثيني: كما هو واضحٌ إذن، ينبغي علينا أن نجبر حماة دولتنا الإلهيّة أن يدركوا، في المقام الأوّل، ما هو المبدأ الذي يكون الشيء عينه في الفضائل الأربع - الشيء عينه، كما نؤكّد، في الشجاعة وفي الاعتدال، في العدل وفي الحكمة، وهذا الشيء عينه الذي كونه واحداً، ندعوه نحن كما يجب أن ندعوه، بالاسم المفرد للفضيلة. بهذا سوف نحتفظ بثبات، إذا أحببتم، يا صديقيّ، وأن لا ندعه يذهب إلى أن نتمّم إيضاح ما هو ذلك بشكل تامّ والذي نتطلّع نحن إليه، سواء إذا اعتبرناه كواحد، أو ككلّ، أو اعتبرناه كليهما، أو مهما اعتبرناه، في أيّة طريقة أخرى. هل نحن في حالة فاصلة بالاحتمال قط، إذا لم نستطع أن نخبر ما إذا كانت الفضيلة كثرة، أو أربعاً،

أو واحداً؟ إنّنا نقدر على فعل ذلك بالتأكيد إذا استشرنا أنفسنا. سنكافح بطريقة ما كي يكون لهذا المبدأ مكان بيننا. لكن إذا رأيت أن ندع المسألة وشأنها، فسنفعل.

كلينياس: يجب أن لا نفعل ذلك، أيّها الغريب، أُقسم بإله الغرباء أنّنا يجب أن لا نفعل ذلك، لأنّك تتكلّم الكلام الأكثر صدقاً في رأينا. لكن ينبغي علينا أن نعرف كيف ستنجز هدفك.

الأثيني: إنتظر قليلاً قبل أن تسأل، ودعنا، قبل كلّ شيء نتفق تماماً مع بعضنا البعض على أنّ الهدف ينبغي تحقيقه.

كلينياس: يجب أن يتحقّق ذلك بالتأكيد، إذا كنّا نستطيعه.

الأثيني: حسناً، وهل سنتمسّك بالفكرة عينها عن الخيّر والشريف؟ هل ينبغي على حُماتنا فقط أن يعرفوا أن كلاً منهم كثرة، أو كيف وفي أيّة طريقة يكونون واحداً أيضاً.

كلينياس: يجب أن يعتبروا في أيّ معنى يكونون واحداً أيضاً؟

الأثيني: وهل يجب عليهم أن يعتبروا فقط، وأن يكونوا غير قادرين على أن يوضحوا ما يفتكرون به؟

كلينياس: لا بالتأكيد، إنّ تلك الحالة هي حالة العبد.

الأثيني: أوَلا يمكن أن يقال الشيء عينه عن كلّ الأشياء الخيّرة؟ وأنّ حماة النواميس الحقيقيّين يجب أن يعرفوا حقيقية ما يتعلّق بها، وأن يكونوا قادرين على أن يشرحوها بالكلمات، وأن يضعوها موضع التنفيذ عملاً، حاكمين على ما هو جيد وما ليس كذلك، طبقاً للطبيعة؟

كلينياس: بكلّ تأكيد.

الأثيني: أليست معرفة الآلهة التي أوضحناها بحماس كبير واحدةً من أنواع المعارف الأنبل، لكي تعرف أنّهم يكونون، ولتعرف كم تكون قوّتهم عظيمة، بقدر

ما تكمن المعرفة في إنسان؟ إنّنا نعذر جماهير المواطنين بكلّ تأكيد، الذين يتبعون صوت النواميس، لكنّنا نرفض أن نقبل كحماة أيّاً من الذين لا يكافحون للحصول على كلّ بيّنة ممكنة في ما يتعلّق بالآلهة. إنّ مدينتنا ممنوع عليها وغير مسموح لها أن تختار كحامٍ للناموس، أو أن تضع في النظام لاختيار الفضيلة مَنْ لا يكون إنساناً ملهَماً، ومن لم يكافح في هذه الأشياء.

كلينياس: إنّه لعدلٌ بكلّ تأكيد. إنّ الكسول فيما يتعلّق بقضايا كهذه والعاجز يجب رفضه، ويجب إبعاد الأشياء الشريفة عنه.

الأثيني: هل نحن متأكدان أن هناك شيئين اثنين يهديان الرجال إلى الاعتقاد بالآلهة، كما أوضحنا ذلك سابقاً؟

كلينياس: وما هما؟

الأثيني: أحدهما هو المحاورة بشأن الروح، والتي ذكرت قبلاً، وهي أنّ الروح هي الأقدم والأكثر ألوهيّة من كلّ الأشياء التي تُكسبها الحركةُ النّشوءَ وتعطيها وجودَها السّرمديّ. أمّا المحاورة الأخرى فكانت عن نظام النجوم وحركتها وعن كلّ الأشياء التي نظّمت العالم تحت سلطان العقل. إذا نظر إنسان إلى العالم ليس بخفّة أو بجهل، لما وُجِد أيّ شخص كافر أبداً لم يكتشف تأثيراً مضاداً لذلك التأثير الذي يتصوّره العديدون. يعتقدون أنّ أولئك الذين يعالجون هذه القضايا بمساعدة علم النجوم وبمساعدة العلوم المتلازمة لذلك، يمكن أن يصبحوا كفرة، لأنّهم يرون، بقدر ما يستطيعون أن يروا، أنّ الأشياء تحدث بالضرورة وليس بواسطة إرادة عقليّةٍ منجزةٍ للخير.

كلينياس: لكن ما هي الحقيقة؟

الأثيني: إنّها العكس تماماً، كما قلت، عكس الرأي الذي ساد وشاع مرّة بين الرجال، وهو أنّ الشمس والنجوم بدون روح. حتّى في أيّامنا هذه يتعجّب

الرجال بشأنها، وأنّ ذلك الذي يؤكّد الآن كان حدساً يحدسه البعض الذين لديهم معرفة أكثر دقّة بشأنها - وهي أنّها إذا كانت أشياء بدون روح، ولا تمتلك عقلاً، فليس بإمكانها أن تتحرّك أبداً بدقّة عدديّة منقطعة النظير. وحتّى في ذلك الزمن فإنّ البعض تجرأ على المجازفة حادسين أنّ العقل كان منظّم الكون. لكن هؤلاء الأشخاص أنفسهم يُسيئون فهم طبيعة الرّوح مرّة ثانية، وقد تصوّروا أنّها أحدث وليست أقدم من الجسد. ومرة أخرى، قلبوا العالم، أو عليّ أن أقول إنّهم قلبوا أنفسهم على الأصحّ. إنّ الذي رأته عيونهم، والأجسام المتحرّكة في السماء، ظهر لهم أنّها كلّها ممتلئة حجارةً، وتراباً، والعديد من المواد الأخرى التي لا حياة لها ممارسين السببيّة خلال العالم كلّه. إنّ دراسات كهذه في ذلك الزمان أعطت انبعاثاً لكثير من الإلحاد والسخط الشعبيّ، وتلقّى الشعراء الفرصة ليكونوا اعتسافيين، مقارنين الفلاسفة بأنثى الكلب، وأنّهم يردّدون نباحاً عقيماً، ويتكلّمون سفاسف أخرى من النوع عينه. أمّا الآن، كما قلت، فإنّ الحالة انعكست.

كلينياس: كيف ذلك؟

الأثيني: لا إنسان يستطيع أن يكون عابداً حقيقيّاً للآلهة وهو لا يعرف هذين المبدأين الاثنين: الأوّل أنّ الروح هي أقدم كلّ الأشياء المولودة، وهي خالدة وتسود الأجسام كلّها؛ وأكثر من ذلك، وكما قلت مرّات عديدة الآن، إنّ الذي لم يفكر مليّاً بطبيعة العقل الذي قيل إنّه موجود في النجوم، وإنّ الذي لم يمرّ خلال التمرين السابق، ولم يرَ ارتباط الموسيقى بهذه الأشياء، ولم ينسّقها كلّها مع النواميس والدساتير، إنّ الذي لم يحز على كلّ هذا، لا يقدر على أن يعطي تعليلاً عن أشياء كهذه، كأنّها تمتلك عقلاً. والذي لا يقدر على أن يكتسب هذا بالإضافة إلى الفضائل العاديّة للمواطن، فإنّه يقدر بصعوبة أن يكون حاكماً صالحاً للدولة كلّها، بل يجب أن يكون تابعاً

للحكّام الآخرين. ولهذا السبب، يا كلينياس وميغيلوس، دعنا نعتبر إذا كان يمكننا أن نضيف إلى كلّ النواميس الأخرى التي بحثناها، هذا الناموس أيضاً ـ وهو أنّ الجمعية العامّة الليليّة للقضاة الحكّام، والتي شاركت أيضاً في برنامج التعليم كلّه الذي اقترحناه، إنّ هذه الجمعيّة ستكون حامياً موضوعاً طبقاً للناموس لإنقاذ الدولة. هل سنقترح هذا الاقتراح؟

كلينياس: بالتأكيد، يا صديقي الخيِّر، إنّنا سنفعل إذا كان هذا الشيء ممكناً في أيّة درجة.

الأثيني: دعنا نبذل جهداً مشتركاً لنربح هدفاً كهذا، وأنا أيضاً سأشارك في المحاولة بكلّ حبور. لقد كان لديّ الكثير من الخبرة بشأن هذه القضايا، وأخذتها بعين الاعتبار غالباً. وأجرؤ على القول إنّني سأقدر على أن أجد الآخرين الذين سيساعدونني أيضاً.

كلينياس: إنّني أوافقك، أيّها الغريب، في أنّنا يجب أن نتقدّم على طول الطريق الذي يهدينا الله للسير فيه؛ وكيف يمكننا أن نتقدّم بصدق، فهذا قد تمّ التحقيق فيه الآن واكتمل شرحه.

الأثيني: أوه يا ميغيلوس وكلينياس، إنّنا لا نستطيع أن نشرِّع بشأن هذه القضايا أكثر ممّا فعلنا إلى أنّ يُشكَّل مجلس الشورى. وعند إكمال ذلك، سنقرّر حينئذ أيّة سلطة ستكون لديهم وخاصّة بهم. لكن حتّى تنصيب وتنظيم مجلس الشورى فإنّه شيء يحتاج إلى تعليم، وقد صرفنا وقتاً مشتركاً من أجل ذلك، إذا كان هذا ليتمّ القيام به بشكل صحيح.

كلينياس: ماذا تعني، وما هو الشيء الجديد هذا؟

الأثيني: في المقام الأوّل، يجب كتابة قائمة بأسماء المناسبين للقيام بواجب الحامي وتسلّم مهامّه، وذلك بسبب سنّهم ودراستهم وميلهم وعاداتهم. في المقام الثاني، ليس من السهل عليهم أن يكتشفوا أنفسهم وما يجب أن يتعلّموا، أو

أن يصبحوا المريدين للذي قام بالاكتشاف. علاوة على ذلك، عليهم أن يكتبوا ويدوّنوا الأوقات التي يجب عليهم أن يتلقّوا الأنواع المتعدّدة للتعليم أثناءها، ومتى سيتلقّونها، إنّ هذا الشيء سيكون عبثاً لأنّ المتعلّمين أنفسهم لا يعرفون ما الذي تمّ تعليمه ولا يعرفون الفائدة منه، إلى أن تجد المعرفة التي هي نتيجة التعليم مكاناً في روح كلّ شخص. وهكذا فإنّ هذه التفاصيل، برغم أنّه لا يمكن القول إنّها تكون سرّيّة بشكل حقيقيّ، لكن القول إنّها غير قادرة على أن تكون معلنة سلفاً، لأنّها عندما تُعلن فلن يكون لها أيّ معنى.

كلينياس: ماذا يجب علينا أن نفعل إذن، في هذه الحال؟

الأثيني: كما يقول المثل، إنّ الجواب ليس سرّياً، بل هو جواب لنا كلّنا وعامّ. يجب أن نجازف بالكلّ عند فرصة الإلقاء أو الطرح، كما يقولون، ثلاث مرات ستّة أو ثلاث آصات. وإنّي لعلى استعداد أن أشاركك الخطر بالتقرير وإعلان وشرح وجهات نظري لك بشأن التعليم والتنشئة، اللذين هما السؤال الملحّ مرّة أخرى. إنّ الخطر ليس خطراً طفيفاً أو خطراً عاديّاً. وإنّني سأنصحك بشكل خاصّ، يا كلينياس، أن تنظر في القضيّة، لأنّك إذا نظّمت مدينة ماغنيطيس جيّداً، أو مهما كان الإسم الذي يمكن أن يهبها إياه الله، إذا نظّمتها جيّداً فإنّك ستحصل على المفخرة الأعظم. أو على كلّ حال سيتصوّرون أنّك الأكثر شجاعة من الرجال كلّهم في تقدير الأجيال القادمة كلّها. يا رفاقي الأعزاء، إذا استطاعت جمعيّتنا العامّة الإلهيّة هذه أن تؤسّس فقط، فسنسلّمها المدينة، لا أحد من جماعة المشرّعين الحاضرين، كما يمكنني أن أسمّيهم، سيتردّد بشأن هذا. وأمّا ما وصفناه منذ وقت قصير مضى بأنّه حلم، عندما مزجنا السبب والعقل في صورة واحدة. إنّ ذلك سيتمّ إنجازه في الحقيقة، إذا تمّ اختيار حكّامنا بكلّ عناية، وإذا تمّ تعليمهم

بشكل صحيح. وكونهم متعلّمين هكذا، وقاطنين في معقل الأرض، يمكن أن يصبحوا حماةً كاملين، لم نرَ مثلهم في حياتنا السابقة قطّ بسبب إنقاذ الفضيلة التي فيهم.

ميغيلوس: يا عزيزي كلينياس، بعد كلّ ما قيل، إمّا أن نحتجز الغريب، أو أن نجعله يشارك في وضع قواعد وأسس المدينة بالتضرّعات والابتهالات، وبكلّ أسلوب ممكن من الأساليب المعقولة، أو يجب أن نتخلّى عن هذا المشروع.

كلينياس: حقيقيّ تماماً، يا ميغيلوس، ويجب عليك أن تنضمّ إليّ لاحتجازه هنا.

ميغيلوس: إنّي سأفعل ذلك.

الهوامش

(١) كمثال، انها تأتي بعد العدل، الاعتدال، والحكمة. « المعرّب ».

(٢) البورياس، اله الشمال أو ريح الشمال في الميثيلوجيا الاغريقية، « المعرّب ».

(٣) هيسيود الاعمال والايام « المعرّب »

(٤) الاشارة إلى كتاب السياسة لارسطو

(٥) السيكلوب عملاق من جبل العمالقة ذو عين واحدة في وسط الجبين في الاساطير اليونانية، « المعرّب »

(٦) كتاب الاوديسة لهوميروس.

(٧) الاشارة إلى الالياذة.

(٨) الاشارة إلى كتاب السياسة لارسطو.

(٩) محاورة الجمهورية، الكتاب الثالث.

(١٠) الاشارة إلى كتاب السياسة، ارسطو

(١١) محاورة الجمهورية.

(١٢) مقياس بعدي: قضيب مدرَّج يُستخدم مع اداة مساحية لقياس الابعاد، « المعرّب ».

(١٣) الاشارة إلى كتاب السياسة لارسطو

(١٤) نيستور، ملك بيلوس الذي خدم في سنيه الاخيرة كمستشار لليونانيين في طروادة. « المعرّب »

(١٥) كتاب السياسة لارسطو.

(١٦) محاورة رجل الدولة لافلاطون.

(١٧) محاورة الجمهورية الكتاب الاول والكتاب الثاني.

(١٨) محاورة كراتيلوس، وإلى محاورة ثياتيتوس، وإلى محاورة بروتاغوراس من اعمال افلاطون « المعرّب ».

(١٩) كتاب الشاعر هيسيود، الأعمال والايام « المعرّب ».

(٢٠) الاشارة إلى الكتاب الثاني من هذه المحاورة وما يلي...

(٢٤) كتاب السياسة لارسطو.

(٢٥) محاورة الجمهورية.

(٢٦) لم استطع العثور على هذه الكلمة في القواميس المعتمدة. « المعرّب ».

(٢٧) كتاب السياسة.

(٢٨) كتاب السياسة لأرسطو.

(٢٩) محاورة طيماوس.

(٣٠) الإشارة إلى محاورة رجل الدولة.

(٣١) الاشارة إلى كتاب السياسة لأرسطو.

(٣٢) الاشارة إلى كتاب السياسة لارسطو.

(٣٣) الهة يونانية قديمة لخصوبة الأرض وحماية الزواج والنظام الاجتماعي، سمّاها الرومان سيريس. « المعرّب ».

(٣٤) المفضل عند ديميتر ومخترع المحراث وحامي الزراعة، موصول بالاسرار الاليوسينيّة. « المعرّب ».

(٣٥) إلهة الولادة في اليونان القديم، عرّفها الرومان باسم لوسينا. « المعرّب ».

(٣٦) محاورة الجمهورية.

(٣٧) كتاب السياسة.

(٣٨) كتاب الجمهورية.

(٣٩) خفقان القلب بسرعة وقوة « المعرّب ».

(٤٠) الاشارة إلى كتاب السياسة لأرسطو.

(٤١) مباراة رياضية اغريقية تشتمل على الملاكمة والمصارعة. « المعرّب ».

(٤٢) الإشارة إلى محاورة الجمهورية.

(٤٣) الاشارة إلى محاورة الجمهورية.

(٤٤) الاشارة إلى محاورة الجمهورية «المعرّب». ان الكلمة «تناقض» تقع على معنيين، الأول، العبارة الموهمة للتناقض، أيّ أنّها عبارة متناقضة ظاهرياً أو مناقضة للعقل ومع ذلك فإنّها قد تكون عبارة صحيحة؛

(٤٦) الاشارة إلى محاورة الجمهورية.

(٤٧) الإشارة إلى كتاب السياسة لأرسطو.

(٤٨) رافدة القصص، عارضة رئيسية أو قطعة فولاذية تمتد على طول قعر المركب. « المعرّب ».

(٤٩) الإشارة إلى هوميروس في الأوديسية وما يليها. « المعرّب ».

(٥٠) الاشارة إلى جزء سابق من هذه المحاورة. « المعرّب ».

(٥١) الاشارة إلى محاورة الجمهورية.

(٥٢) الامرأة الأمازونية امرأة من عرق خرافي من المحاربات. قالت الأساطير الإغريقية إنّهن كنّ يُقِمن قرب البحر الأسود. « المعرّب ».

(٥٣) محاوَرة الجمهورية

(٥٤) محاورة الجمهورية

(٥٥) محاورة الجمهورية.

(٥٦) محاورة الجمهورية.

(٥٧) محاورة الجمهورية.

(٥٨) محاورة الجمهورية.

(٥٩) محاورة الجمهورية الكتاب الثالث.

(٦٠) ملك طيبة، زوج جوكاستا واب اويدويبوس، قتله ابنه عن غير قصد. « المعرّب ».

(٦١) محاورة فيدروس.

(٦٢) كتاب السياسة لأرسطو.

(٦٣) السِّماك الرامح، نجم من نجوم الفلك. « المعرّب ».

(٦٤) محاورة الجمهورية، الكتاب الثالث.

(٦٥) كتاب السياسة لأرسطو.

(٦٦) محاورة بروتارغوس، ومحاورة جورجياس.

(٧١) الاشارة إلى محاورة رجل الدولة.

(٧٢) محاورة الجمهورية.

(٧٣) الاشارة إلى كتاب الجمهورية الثاني.

(٧٤) الاشارة إلى محاورة الجمهورية، الكتاب الثاني.

(٧٥) محاورة دفاع سقراط.

(٧٦) محاورة جورجياس.

(٧٧) محاورة طيماوس.

(٧٨) محاورة طيماوس.

(٧٩) محاورة فيدروس.

(٨٠) محاورة الجمهورية.

(٨١) محاورة الجمهورية، الكتاب الثاني.

(٨٢) محاورة طيماوس.

(٨٣) محاورة فيدون.

(٨٤) محاورة طيماوس.

(٨٥) هوميروس الالياذة.

(٨٦) الاشارة إلى محاورة الجمهورية الكتاب الثاني.

(٨٧) الاشارة إلى محاورة الجمهورية الكتاب الثاني.

(٨٨) كتاب السياسة لارسطو.

(٨٩) محاورة جورجياس.

(٩٠) محاورة الجمهورية الكتاب الثالث.

(٩١) محاورة طيماوس.

أفلاطون

والديانات السماوية

شوقي داود تمراز

أفلاطون والديانات السماويّة

الأهلية للنشر والتوزيع

إلى أخي الإنسان، الّذي تخلّص
من عالم الظلال، فسمت روحه
بالعلم والعمل، إلى أن لحق
بغاية الإبداع، العقل الأرفع.

بيروت ١٩٩٤
إصدار: الأهلية للنشر والتوزيع
بيروت ـ الحمراء، بناية الدورادو
ص.ب.: ١١٣٥٤٣٣- هاتف: ٣٥٤١٥٧

المحتويات

مقدمة

تخطى شعاع أفلاطون الفكري والفلسفي مجال بلاد اليونان حتى طال حضارات عديدة نشأت بعده. ففي محاوراته كلها أرسى أفلاطون أسس الحضارة الغربية وأشبع الفكر الإنساني في حقول الدين والسياسة والتشريع والمنطق وما وراء الطبيعيات.

وإذ جاءت الديانات التوحيدية من بعده لتعزز العديد من أفكاره المتعلقة بالوجود والخلق والخالق وخلود الروح، فإنه كان في هذا المجال وكأنه معبّد الطريق الذي خطته الديانات التوحيدية أمام البشرية.

لقد كان الفيلسوف نيومينوس على حق عندما قال إنّ أفلاطون هو: « موسى في ثوب يوناني ». وإذا أمعنّا التأمل في صفحات العهد القديم فإننا نجد الشبه العميق بين ما كتبه أفلاطون وبين ما تزخر به صفحات التوراة. ففي سفر الأمثال يقول سليمان الحكيم: « إذا دخلت الحكمة قلبك ولذّت المعرفة لنفسك، فالعقل يحفظك والفهم ينصرك ». ويقول: « طوبى للإنسان الذي يجد الحكمة، وللرجل الذي ينال الفهم، لأن تجارتها خير من تجارة الفضة، وربحها خير من الذهب الخالص ». ويقول: « في شفتي العاقل توجد حكمة. والعصا لظهر الناقص الفهم، الحكماء يذخرون معرفة. أمّا فهم الغبي فهلاك قريب ». ويقول: « اقتن الحق ولا تبعه والحكمة والأدب والفهم، بالحكمة يبنى البيت وبالفهم يثبت وبالمعرفة يمتلىء المخادع من كل ثروة كريمة ونفيسة ».

وكأنّي هنا بسليمان يذكر ما يقوله أفلاطون الحكيم عن الحكمة والعلم والفهم والادب في محاوراته.

أما في الإنجيل المقدّس فلقد قال القديس متّى في تطابق لما أورده أفلاطون في

محاوراته عن الحكمة والحكماء ما نصّه: « حينئذ يشبه ملكوت السموات عشر عذارى أخذن مصابيحهنّ وخرجن للقاء العريس وكان خمس منهنّ حكيمات وخمس جاهلات، أما الجاهلات فأخذن مصابيحهنّ ولم يأخذن معهنّ زيتا، وأما الحكيمات فأخذن زيتا في آنيتهنّ مع مصابيحهنّ... الخ » وكذلك جاءت نصوص مشابهة في أناجيل لوقا ومرقس ويوحنا القديسين.

أمّا القديس بولس فاستخدم في كتاباته الإنجيلية الأفكار والتعاليم الأفلاطونية بشكل واسع، خاصة عندما يخبرنا أن الأشياء التي تُرى هي أشياء فانية لكن الأشياء التي لا تُرى هي أشياء حقيقيّة أزليّة، وشرحها هذا هو صوت أفلاطوني. ويقول القديس بولس، نحن نعرف أنّه إذا حلّل بيتنا الأرضي لهذا الجسد فلنا بناية إله، بيت لم تصنعه الأيدي، أزليّ في السموات.

وإننا لنجد في القرآن الكريم الكثير من الآيات البيّنات التي تشبه الفضائل الأفلاطونيّة المجيدة، حيث يقول في سورة آل عمران: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث رسولاً من أنفسهم ليتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾. وقال في سورة التوبة: ﴿التائبون، العابدون، الحامدون، السائحون، الراكعون، الساجدون، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشّر المؤمنيين﴾. وقال في سورة النحل: ﴿ادعِ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن. إن ربّك هو أعلم بمن ضلّ سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾. وقال في سورة الإسراء: ﴿ذلك مما أوحى اليك ربّك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا﴾. وقال في سورة لقمان: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة...﴾ وقال في سورة القمر: ﴿حكمة بالغة فما تغني النذر﴾. وقال: ﴿انّ من أوتي الحكمة فقد أوتي شيئاً كثيرا﴾.

إنّ كل الذي أوردناه ما هو إلا براهين عقلية وحجج منطقيّة على أن الحكمة

والفهم والتعاليم الإنسانية والقيم الأخلاقية هي ثوابت أبديّة في كل عصر وزمان، ينقلها الأنبياء والحكماء والعلماء إلى بني البشر عبر الأجيال في صيغ ورموز جديدة، وذلك لهدايتهم إلى الحق والخير والجمال.

شوقي داود تمرز

1

آلينا على نفسنا، منذ أن بدأنا الترجمة الكاملة لمحاورات الفيلسوف أفلاطون، أن نترجم ما وسعنا ترجمته وما يتعلّق بالتراث الافلاطوني السّامي وينتمي إليه. وها نحن الآن، بعد أن انتهينا من ترجمة كلّ محاورات أفلاطون الثماني والعشرين، والتي وقعت في ستّة مجلدات، ها نحن نقدّم للمفكرين واللاهوتيين ولأساتذة وطلاب الجامعات في عالمينا العربي والإسلامي، ولكلّ مَن يرغب البحث في الفلسفة ويتوق إلى المعرفة، هذا الكتاب الذي يتضمن بعضاً مما جاء في كتاب نشره منذ سنين رئيس اساقفة وست منستر البريطانية، السيد آدم فوكس، والذي أبدى، عند كتابته له، المحاولة الجادّة لمقارنة أعمال وأفكار أفلاطون بالأعمال والأفكار التي وردت في الكتاب المقدّس، بناءً على ما نطق به السيّد المسيح، وما خطّه الرسل الكرام في العهد الجديد، وما كتبه الأنبياء في العهد القديم.

نعتقد صادقين بأنّ السيد آدم فوكس بذل جهداً قيّماً في إتمام عمله هذا، وإن كانت ترجمته من اللغة اليونانية قد جاءت غير ما قصده افلاطون، بعض المرّات، وباعترافه هو. ولقد أشار في مقدّمته إلى ذلك، وإلى الفرق الكبير بين اللّغة اليونانية والإنكليزيّة في مجال القواعد والمفردات لكلّ منهما، وإلى سعة الأولى وضعف الثانية. كما وأنّنا أشرنا إلى بعض الأخطاء التي وقع فيها المؤلّف نفسه في موضعها، وذلك عندما يستشهد بكلام بعض السوفسطائيين الذين كان يحاورهم سقراط، والذين نقض سقراط أقوالهم وأفكارهم نقضاً مبيناً. يستشهد هو بكلام السوفسطائيين هؤلاء وكأنّه كلام أفلاطون نفسه، وهذا خطأ جسيم. كنّا نودّ لو أنّ آدم فوكس تنبّه ولم يَعْزُ هذا الكلام إلاّ لأصحابه، ولم يقع في الخطأ. وكذلك فإنّ السيّد فوكس يتّهم أفلاطون بالفاشيّة، علماً أنّ الألهيّ وصاحب الأفكار المثاليّة

ومبدع الفضائل لا يمكن أن يكون فاشياً بأيّ حال من الأحوال، وهو الذي آمن بقيام جمهورية فاضلة خيِّرة تشمل سعادتها العالم أجمع ودعا لها، شأنه في ذلك شأن السيّد المسيح، الذي عندما رأى وعرف ببصيرته أسرار الناس وممالكهم وأعمالهم قال كلمته المشهورة: « إنّ مملكتي ليست من هذا العالم » وكأنّي به يبشّر بقيام مملكة أو جمهورية فاضلة سوف يرئسها هو بعد عودته المنتظرة.

لكنّ ما قيل لا يعني أبداً أنّ أعمال أفلاطون لا يمكن نقلها إلى اللغة الانكليزية بدقّةٍ وأمانة، أو أنّها لم تُنقل. وإذا قرأنا ووعينا ترجمة العلاّمة بنجامين جويت، الأستاذ الجامعي في اللغة اليونانية، أو ترجمة البروفسور تايلور وغيرها من الترجمات، إذا فعلنا ذلك، فإنّنا نجد فيها ترجمة دقيقة المعنى والمبنى، وأفكاراً رائعة كتبت على وقع أنغام موسيقى سماويّة.

والحقّ يقال فإنّ في الكتاب المقدّس العديد من المواضيع التي يمكن أن تقدَّم كمقارنة رائعة لِما جاء في محاورات أفلاطون العظيم، ولِما جاء في رسائله، والتي لم يَرِد لها ذكرٌ في ما أعطاه السيد آدم فوكس. ونترك صياغة هذا العمل الإبداعي إلى زمنٍ نكون نحن فيه قادرين على إكمال ذلك.

إنّنا نعتقد على الدوام، بأنّ الحكمة والمعرفة والفهم والاعتقاد الصحيح صفات ثابتة في كلّ زمان ومكان، وذلك منذ أن تمّ الإبداع ووجد الإنسان على هذا الكوكب الأمّ. ولقد استنبطت الحكمة هذه جميع المعتقدات الحقيقيّة والأديان، بدءاً بقصّة رفض إبليس السجود لآدم عندما أمره بارئه وخالقه بذلك، فعاند ولم يمتثل لأمر مبدعه وقال: « خلقتني من نار وخلقته من طين ». أي أنّ المادّة التي أوجدتني منها أهمّ وأسمى وأعلى من مادّته، وحصل ما حصل؛ وانتهاءً ببزوغ فجر الإسلام وتوحيده العظيم.

بما أنّ الناس خُلِقوا درجات في التفكير والعمل، كذلك هم في قبول الحكمة والحقّ واتّباعهما وفهمهما. لقد قسّم أفلاطون الحكيم الناس أربعة أنواع أو عوالم.

العالم الأوّل سمّاه عالم إدراك الظلال، وناسه يحيون حياة غير عقليّة، لا يؤمنون إلاّ بما تقدّمه الحواسّ، بما يرون ويلمسون، ولا يعملون إلاّ لها. إنّ الناس الذين يعيشون في هذا العالم لا يعرفون السعادة أبداً، بل ينهمكون في المأكول والملبوس والمشروب والمنكوح، كما يقول فيلسوف الإسلام العالمي، أبو نصر محمد الفارابي؛ لذلك فهم يحيون حياة الأنعام، بل حياتهم أشدّ من حياة الأنعام هولاً ومعصية. يتقاتلون ويترافسون ويدمي بعضهم بعضاً، ويموتون من أجل أشياء فانية لا طائل تحتها. لذلك فإنّ حياتهم يملأها الشقاء ويغمرها الأسى والحزن. ويقول أبو العلاء المعرّي، المميّز التفكير، يقول شعراً في هذا العالم:

عالمٌ حائرٌ، كطير هواءٍ، وهوافٍ تضمّها الدأماءُ
وعرانا، على الحطام، ضرابٌ، وطعانٌ في باطلٍ، ورماءُ
ولو أنّ الأنام خافوا من العقـ بى، لَمَا جارَتِ المياهَ الدماءُ

إلى أن يقول:

أجدر الناس، بالعواقب في الرحـ
ـمة، قومٌ في بَديهم رحماءُ

وكأنّي به يشير في البيت الأخير هذا إلى العوالم الثلاثة الأخيرة التي وصفها أفلاطون.

يرتقي الإنسان العاقل صُعُداً من عالم إدراك الظلال هذا إلى عالم آخر، أسماه أفلاطون عالم الاعتقاد أو الإيمان. والإنسان العاقل هذا قد تخلّص من عالم الظّلال وآلامه وأحزانه ومآسيه، فرأى ببصيرته أنّ عالم الإيمان هو العالم الذي يبدأ فيه فهم الحقّ وفيه تنشر الحكمة أنوارها. ومنه يصعد الإنسان العاقل إلى عالم آخر، كلٌّ حسب همّته، يصعد إلى عالم آخر سمّاه أفلاطون عالم الفهم أو الإدراك. وهنا يفهم الإنسان العاقل العالم وإبداعه، وقلبه يُفْعَمْ بالإيمان ويسمو بالفهم. يعرّج الإنسان العاقل من هذا العالم الجميل إلى عالم أفسح وأجمل، دعاه أفلاطون عالم المعرفة وهو أعلى العوالم وأروعها. وهذا العالم لا يصله ويحيا بنعيمه إلاّ القلّة، وما

هم سوى الطهرة الأبذال، الخاصّة، الصفوة، والنخبة من بني البشر. وفي هذه العوالم الثلاثة الأخيرة تكمن الحقيقة والسعادة، وإن كان الشعور بها وفهمها يختلف في كلّ عالمٍ منها.

قدّرنا الله على عمل الخير والإيمان بالحقّ وفهم كلمة الحكمة والمعرفة، فبها وحدها يصير الإنسان إنساناً، وبها تعمر النفوس وترتقي الأرواح الخيّرة، وبواسطتها تستمرّ الحياة الحقّة على هذا الكوكب الجميل الذي يجب نشر الخير والحق والجمال فيه. ولا بدّ يوماً من إحقاق الحقّ وتحقيق ما وعدت به الديانات كلّها.

شوقي داود تمراز

كندا، ادمنتون

في ١٢/ ٤/ ١٩٩٢

2

مقتطفات من مقدمة آدم فوكس

ليس من السهل أبداً على المفكر المسيحي أن يقرأ حتّى عشر جزءٍ من محاورات أفلاطون الذائعة الشهرة بدون أن يكتشف كمسيحي، أنّ بعض مقاطعها ذو أهميّة خاصّة. إنّ العديد من المفكرين المسيحيّين قد اهتموا بأفلاطون حقّاً، والفكرة القائلة إنّ أفلاطون يمكن أن يكون ذا خدمة جليلة لديهم تمّ تجاوزها، بل إنّ العديد من العقول المتديّنة في أدوار تأريخية كنسيّة متعدّدة قد أدركها. فالفيلسوف نيومينوس « غير مسيحي » لفت الأنظار مسبقاً، في النصف الثاني من القرن الأخير قبل المسيح، عندما قال إنّ أفلاطون هو « موسى في ثوب يوناني ». إنّ أفلاطونيّي الاسكندرية المسيحيّين في القرن الثالث، والدراسات الأفلاطونية في أكاديمية فلورنسا في القرن الخامس عشر، وأفلاطونيّي جامعة كامبردج في القرن السابع عشر، هؤلاء كلّهم يشهدون على هذه الأهميّة المتكرّرة دوريّاً. وفي الأزمنة الحديثة فإنّ لاهوتيَّيْن قادةً مثل دين إنج ورئيس الاساقفة ويليام تامبل، كلاهما كَتبا عن المسيحية الافلاطونية.

لكنّي لا أعرف أنّ أيّ شخص جمع مقاطع من محاورات أفلاطون، وخاصة تلك المقاطع التي يبدو أنّها تحتوي على لاهوت ومناقب مسيحيّة بطريقة أو بأخرى، وأنّه ترك هذه المقاطع تتكلّم عن ذلك بنفسها. ومع ذلك فإنّ هذه الطريقة يمكن أن تكون الطريقة الأفضل لتقدير الإسهام الذي يستطيع أفلاطون أن يقوم به في تزيين الدين المسيحي أو شرحه. يبدو أنّ المسيحيّة وأفلاطون يتّفقان في بعض الأماكن. إنّ أفلاطون يناظر في بعضها كما يفعل المسيحيّون بالفاعليّة عينها لكن بأسلوب مختلف، أو إنّ أفلاطون يحاول إيجاد البرهان الذي يعتبره ديناً من

المسلمّات التي ركّزت على الافتراضات العبريّة عينها. وأفلاطون يواجه المشكلة عينها بعض المرّات، ويصل إلى استنتاج مختلف. إنّه يلقي سحراً شعريّاً على الافتراضات التي تم قبولها بشكل عامّ، ويقدم عدداً من التحليلات الجديدة منها، وهو يسرد لنا الكثير من الأساطير التي تهدف التأمّلات فيها إلى الحقيقة. وأفلاطون يلقي ضوءاً على المسيحية بواسطة التغاير بعض المرات.

إنّ أعمال أفلاطون لم تُترجم إلىَ اللغة الانكليزية بنجاح، وليست ترجمتها بالأمر الممكن على ما يبدو. أوّلاً، لأنّ مصادر اللغة الانكليزية مختلفة تماماً عن مصادر اليونانية. فاللغة اليونانية لديها خمس حالات للإسم: صيغة فعل إضافية، وكذلك لحن إضافيّ، ولديها حالة للفعل. وإذا نجح المترجم في التغلّب على هذه الأشياء، يجب عليه تالياً أن يقف في وجه مجموعة يونانية مرتّبة وجميلة من أسماء الإشارة، حيث اللغة الانكليزية فقيرة جدّاً في هذا المضمار. هناك الأحرف اليونانية ثانياً، وهي أحرف مشهورة تماماً، ولم يفعل ج. د. دينيستون أيّ شيء سوى تأليف كتاب كبير عنها منذ سنين خلت. إنّ هذا العمل يعطي فارقاً دقيقاً، لا يكاد يدرك، لقوّة وضبط وصل الجمل بعضها ببعض. فاللغة اليونانية فيها، زيادة على ذلك العديد من حروف الجر التي يمكن أن تُتبع بحالتين أو ثلاث مع فروق مختلفة في المعنى، وهي تعضد نفسها لصياغة المركّبات بشكل واسع جداً.

ومن ناحية ثالثة فإنّ اللغة اليونانية دخلتها كلمات غريبة قليلة على نحو مقارَن، وعند ترجمتها فإن المصادر الرئيسيّة للغة الانكليزية لا تفي بالغرض وفاءً تامّاً. فاللغة الانكليزية تحصل على فعاليتها باستعمال كلمة مشتقّة من اللغة الأنغلوسكسونية، وعلى كلمة مشتقّة من اللغة اللاتينية تقريباً، لكن ليس تماماً كالأولى، وذلك بشكل مترادف. « كمثال، كلمات العاقبة والحاصل لسلوكك ». إنّ هذا الشيء نادر الاستعمال في الترجمة من اللغة اليونانية. حقّاً إنّه نوع من أنواع الإعاقة، لأنّ اللغة اليونانية تستخدم غالباً الكلمة عينها في سياق الكلام

المجاور حيث يجب أن نستعمل كلمات مختلفة. إنّ المحاولة التي يقوم بها منقّحو الترجمة المزخص بها لاستخدام الكلمة الانكليزية عينها في ترجمة كلمة يونانية خاصّة، ان هذه المحاولة أدّت إلى كارثة بعض المرات.

هذه الصعوبات تقف حائلاً دون ترجمة أفلاطون بأعلى دقّة ممكنة. فأفلاطون كتب أعماله في محاورات ذات نوع متألّق مثير للإعجاب، مستخدماً العديد من المصطلحات والتعديلات الموجودة في لغة الحياة اليوميّة، والتي لا بدّ أن تفلت منا إذا لم يتمّ درسها بشكل كافٍ في الواقع. لقد كتب أفلاطون عندما كان علم المنطق المنهجيّ في مراحله المبكّرة آنذاك، وغالباً برهن ما يريد برهنته بشكل بطيء بعض الشيء في صيغة القياس المنطقيّ. كمثال فقد يستغرق أفلاطون وقتاً طويلاً ليقول « إنّ الخطابة هي نوع من أنواع الإقناع، وإن الإقناع هو فنّ »[1]. إنّ نهجه التقليديّ هو نهج مسلٍّ جدّاً أغلب الأحيان، لكنّه لا يعتمد على ترديد الكلمة عينها بشكل غير نظاميّ، حيث يجب علينا أن ننوّع الكلمات. ومع ذلك فيمكن لمناظرته أن تُتلَف إذا كانت كلماتها متنوّعة. ومن بين كلمات أفلاطون الرائدة ـ الكلمات الأكثر استعمالاً وبشكل متكرّر والكلمات الأكثر جديّة ـ من بين كلماته هذه لا توجد كلمات مرادفة لها في اللغة الانكليزية. لقد أصبح نوعاً من العرف أن تُترجم كلمة dikeبـ « عدل »، وأن تُترجم كلمة kalosبـ « جميل ». لكن يمكن أن تعني كلمة dikeفي الواقع قضيّة قانون، حكم، إصدار حكم، عدل، مناقبية، حقّ، وهذه الكلمات لن تستنفد القائمة. إنّ كلمة kalosتعني الجميل بكلّ تأكيد، لكنّها تعني الخيِّر أيضاً، وتعني الشريف، وتعني المُرضي بعض المرّات، وتعني حتّى الناجح. وهذه الكلمات، بالترجمة هذه، تكون قريبة قربها للمعنى من أيّ ترجمة أخرى. وفي اللغة اليونانية لا شيء يمكن أن يكون جميلاً بدون أن يكون خيّراً، ولا شيء يكون خيّراً دون أن يكون جميلاً، تماماً كما أن فكرتنا عن المناقب تختلف عن فكرتهم.

هناك أيضاً هبة أفلاطون النموذجيّة الخاصّة به، إنّها هبة محكمة متقنة وشاعريّة، لكنّها رُسمت للشرح والإسهاب بشكل دقيق جدّاً، وهي هبة لم يبلغْها أحدٌ قطّ باجتماع هاتين النوعيّتين. إنّ جملها طويلة بشكل استثنائيّ. وهذه الجمل دُعِّمت وعزِّزت بكلّ نوعيّات اللغة وموافقاتها. أمّا الظروف فيها والصفات فهي ذات أهميّة مشابهة وقد كُدِّست بطريقة تبدو مضحكة لو استُعملت في اللغة الانكليزية. على الجانب الآخر، وفي تبادل للمحاورة، هناك في اللغة اليونانية طرائق وأساليب لا نهاية لها، وهناك درجات ذات نوعيّة تستدعي الاعتراف فيها. إنّها طرائق وأساليب للعطاء، أو للحرمان.

إنّه لمن الصعب عليّ ألاّ أخشى من أن بعض المقاطع التي قمت بترجمتها قد أخفقتُ في معرفة معناها الحقيقيّ، لكنّي فعلت أفضل ما أقدر عليه في هذا المضمار. وعندما كنت أرتبك كنت استعين غالباً بالترجمات المقبولة بكلمة أو بمقاطع من جمل.

أمّا منافع شكل المحاورات فهي متعدّدة وجوهريّة. إنّها تمكّن كلّ الأطراف من احضار السؤال بجلاء وأن يقدّموه بشكل عادل، وأن تؤدّى الاعتراضات بالطريقة الأفضل. وتلك الطريقة تسمح بتوضيح النقاط الصعبة، وبتخمين درجة الموافقة على بيانٍ تجدر الموافقة عليه بشكل طبيعيّ تماماً. وهي تجعل الشيء سهلاً ليعلن المتحاورون مادة المناقشة. أو أنّ الانتقال قد تمّ من نقطة رئيسيّة إلى نقطة أخرى. وهي تؤمّن إمكانية بَثّ البحث بدون أن ينتهي. إنّها تسمح للحديث بأن يكون جديّاً بشكل تامّ، أو بأن تجعله خفيفاً أو تهمكيّاً حسب الرغبة. وهذه الطريقة في المحاورات تعطي السحر لخطوط الفكر الأكثر صعوبة، وتهب بُعْدَ النظرِ للمسرحيّات الأكثر إنجازاً. وأفلاطون استولى على كلّ هذه المنافع بواسطة شكل محاوراته. كتب البروفسور أ. ي. تايلور عن « الهبات المثيرة لوصف وصفة المقطع الهجائيّ الظريفة، التي يتبوّأ أفلاطون فيها مكانة سامية بين أعظم أسياد المأساة والملهاة ».

على كلّ حال، يجب الإقرار بأنّ هذه العطايا الخاصّة، رغم أنّها لم تهجره، يجب الإقرار بأنّها كانت أقلّ وضوحاً، لدى انقضاء الوقت. إنّ محاورتي طيماوس والنواميس هما محاورتان تفتقران للحماسة كمحاورات.

يجب الإقرار بأنّ امتيازاً واحداً من الامتيازات الرائعة للمحاورات الأفلاطونية العظيمة هو الطريقة التي بُنيت فيها هذه المحاورات. يمكن القول إنّها تتألّف من العديد من قطع المحاورة القصار، والتي يمكن لكلّ منها أن يكون قد وقع في محاورة حقيقيّة كما تقف. آمل أن تنقل الاقتباسات الموجودة في هذا الكتاب شيئاً ما عن واقعيّة المؤلف، لكنّها لن تكون أفلاطون بالكامل. لربّما هذه الاقتباسات ستفي بالغرض كمقدّمة لكلّ محاوراته.

إنّ عقل أفلاطون عسيرٌ فهمه فهماً تاماً بالرّغم من وقاية وحفظ كلّ أعماله. لقد اُختير كفيلسوف، وهو كذلك في المعنى الذي استعمل فيه كلمة الفيلسوف هو نفسه. إنّه باحث عن الحكمة والحقيقة. لقد خصّص أفلاطون مكاناً لعلم المنطق في محاوراته، أكثر ممّا خصّص للاّهوت بكلّ تأكيد « رغم أنّه لم يهمل اللاّهوت بأيّ شكل من الأشكال »، لكنّه خصّص وقتاً للمناقبيات أكثر ممّا خصص للماورائيّات بشكلٍ متساوٍ. لقد بحث أفلاطون عن الحقيقة في الطبيعة، في الفنّ، في الأخلاق، وفي الحياة الإنسانيّة، بحثها دائماً وبشكل رئيسيّ بالأسلوب السقراطيّ في طرح الأسئلة، وقبل الأراء ووجدها غالباً آراءً باطلة، أو وجدها آراءً لم يتم البرهَان عنها على الأقلّ.

لم يظهر أفلاطون ولا في أيّة محاورة من محاوراته التي تخصّه، برغم أنّ اسمه ذكر مرّة أو مرّتين، ولذلك فإنّه لم يُعلن قطّ وبشكل واضح أنّه يعطي نظرياته الخاصّة إلاّ في الرسائل. ومع ذلك فإنّه لمن السهل الحصول من أعماله ليس على فكرة عامّة ما فقط عن الدين اليونانيّ، بل عن موقفه من هذا الدين أيضاً.

لقد كانت نزعة أفلاطون دينية. وفي كتاباته يتحوّل من كتابة « إله » إلى

كتابة « الله »، ومن كتابة « الله » الى كتابة « الآلهة ». وفي واحدة من الرسائل المنسوبة إليه، هناك جملة لافتة حيث يذكر عند بداية الرسائل الجادَّة ويضع كلمة « إله »، لكنّه يضع اسم « آلهة » عند بداية رسائله الأقلّ جديّة. هذه الكتابة تفترض أنّه اعتقد، أو أنّه اعتُقد أنّه يعتقد، باعتقاده بآلهة ثانويين إضافة إلى الاعتقاد بإله واحد. وهذا كان كذلك بدون شكّ، لكنّه لم يجعل هذه النقطة الرئيسيّة نقطة مستقيمة. يعترف أفلاطون بدون تحديد دقيق بقوّة وسلطان الله، والآلهة، والأبطال الإلهيّين، وهم رحماء وقساة في الوقت عينه. ويعترف أفلاطون بالحظ وبالخير. ونحن يجب علينا أن نقول عن إنسان كهذا، وأن نقتنع بما نقوله، أنه كان إنساناً مؤمناً على الأرجح.

على كلّ حال فإنّ أفلاطون يعلّق أهميّة سامية على استقامة الرأي. وهو قد فكرّ بالقضايا الهامّة، ورأى أنّه من الواجب علينا ان نتمسك بالاراء الحقة حيث ينبغي أن تكون. لكنْ في العالم الذي عاش فيه أفلاطون فإن الآراء الحقّة لم تكن مستوحاةً من دينٍ موحى به أو من سلطان للكنيسة. كان العقل هو القوّة الوحيدة الموجودة، وذلك لأنّ أفلاطون آمن بوجود الهدي الإلهيّ، وبخلود الروح، وبالحياة المستقبليّة والثواب والعقاب بعد الموت، وبفعالية الصلاة، وبحقّ المطالب المطلقة بالسلوك الصحيح. وجاهد أفلاطون في تبيان أنّ العقل يستودِع هذه البنود ذات الاعتقاد هذا. لذلك فإنّ اللاهوتيّين المسيحيّين قد جُذبوا غالباً إلى كتاباته، لكي يجدوا فقط أنه يُمتنع عن التعريف بها بعد كل شيء لأنّ أفلاطون ليس لاهوتياً بقدر ما هو شاعر(٢).

لو كان أفلاطون حيّاً الآن في أثينا لأمكننا أن نقبله كعضوٍ عاملٍ في الكنيسة اليونانيّة الأرثوذكسيّة، لكنّنا لا نستطيع كبت شعورنا فنقول، إنّه يمكن أن يكون أسعد في الانضمام إلى الكنيسة الكاثوليكية بسلطتها، بفلسفتها، بلاهوتها، بأخلاقها، بأعيادها، بتعريفاتها الدقيقة، وبحقّ مطالبتها أنها كنيسة عقلانية. أو أنّها

ستكون أقرب إلى الحقيقة لنقول إنّ أفلاطون قد كان منجذباً إلى النظام البابويّ بشكل أكثر، لكنّه لم يكن ليرتاح للعيش تحت سلطته بشكل كليّ. غير أنّ ذلك لا يعني أنّه قد كان بروتستنتياً جيّداً على كلّ حالّ. ومع ذلك فإنّ أفلاطون كان تطهيريّاً بكلّ تأكيد. ولربّما كان قلقاً على الأصح. أمّا بشأن التصوّف فهناك بعض الإشارات عن ذلك في كتاباته، لكنّ هذه الإشارات يمكن أن تخصّ سقراط أكثر ممّا تخصّه على الأصحّ.

إنّ القديس بولس استخدم في كتاباته الإنجيليّة الأفكار والتعاليم الأفلاطونية بشكل واسع، خاصّة عندما يخبرنا أنّ الأشياء التي تُرى هي أشياء فانية، لكنّ الأشياء التي لا تُرى هي أشياء حقيقية أزليّة. وشرحها هذا هو صوت أفلاطونيّ. ويقول القديس بولس، نحن نعرف أنّه إذا حُلّل بيتنا الأرضي لهذا الجسد فلنا بناية إله، بيت لم تصنعه الأيدي، أزليّ، في السماوات.

إن رغبة أفلاطون في أن يستودع العالم حيث رأى المجتمع في ما بدا له أنّه فوضى عظيمة، هذه الرغبة قادته إلى الإستعانة بالعقل، وحينئذ تصدّر ليتفحص علم المنطق وقواعده. وهنا قام أفلاطون بعملٍ رائدٍ في تعريف الفنون وفي الاستنتاج، وأوضح الطريق لتلميذه أرسطو الذي لا يزال علم منطقه يسود عالم اليوم. وبعدُ فإنّ الحاجة لعلم المنطق اليونانيّ هذا هي التي جعلت الدين اليهوديّ والكتاب المقدّس العبريّ غير تامّين في بعض أجزائهما، وجعلهما غير مقنعين لطريقة تفكيرنا. وهذا سبب من الأسباب التي حدَتْ بنا لنشعر بأنّ أفلاطون كان عليه أن يكون لديه شيء ما ليسهم في الدين المسيحي ذي الولادة الفلسطينية. وهذا الإسهام الأفلاطوني في هذا الحقل، ربّما امتُصّ بشكل مسبق لخدمة هذا الهدف، وقد تمّ استيعابه من قِبَل الآباء المسيحيين. غير أنّ أفلاطون هو إنسان دائم وخالد. وفي العودة إلى الينابيع والمصادر التي أطلقها فإنّنا لمتأكّدون من أنّنا سنجد فيها شيئاً ما جديداً.

وماذا بوسع إنسان أن يتصوّر أنّ إسهام أفلاطون تلخيص، أو لنَقُلْ، ماذا يمكن أن يكون إسهام المسيحي الأفلاطوني للمسيحية؟ أوّلاً وقبل كل شيء، إنّ إسهامه سيكون إدراكاً وصورة للحقيقة والعقلانيّة عن العالم غير المرئيّ. بدون ذلك لا يمكن لأيّ إنسان أن يكون أفلاطونياً. تالياً، هناك العديد من المقترحات، كمثال، إذ كيف وأين سنستعمل العقل ونطبقه، أيّ، لِما يكون ديناً موحىً به بشكل أساسيّ. ثالثاً، كتحصينات قويّة لتذكير وإيقاظ الضمير في الفرد وفي المجتمع ككلّ. رابعاً، كطريقة هي الأكثر خدمة للدين وذلك بمزج نوع من الشعر الذي ليس شعراً حقيقياً، وبمزج نوع من الفلسفة التي ليست فلسفة حقيقية، هكذا كي ننتج، ما يكون تقريباً، لكن ليس تماماً، كي ننتج لاهوتاً(٣). أمّا مَن يريد شيئاً أكثر من ذلك في أعمال أفلاطون فيجب أن يطرق باباً آخر، عندما يشاء، وحينها سيُطرح جانباً ويُردُّ بشيء ما أقلّ على الأرجح.

إنّني لم أشعر بأنّي واقع تحت أيّ تعهدّ لتفادي هذه المحاورات الأفلاطونية أو لتفادي الرسائل التي يُشتبه أنّها ليس من عمل أفلاطون نفسه. إنّ المجموعة الأفلاطونية كلّها مجموعة قويمة، قانونيّة، ومعترَف بها.

مقتطفات من محاورات أفلاطون

أ ــ الله والإبداع

	في محاورات أفلاطون	العهد القديم / الاناجيل
١ـ تمهيد	النواميس	خروج ١٠٢٠
٢ـ الألوهية ليست عرضة للتغير	ابينوميس	يعقوب: ١٧٠١
٣ـ الله لا يتغيّر	الجمهورية	رسالة إلى العبرانيّين: ٨٠١٣
٤ـ الله لا يمكن أن يكذب	الجمهورية	يوحنا: ٢٦٠١٥
٥ـ الله ليس لصاً	النواميس	رسالة إلى ٢١٠٢
٦ـ الله ليس سبب الشر	الجمهورية	تكوين: ٣١٠١
٧ـ الله مخلصنا	ثياتيتوس	أعمال الرسل: ٣١٠١٦
٨ـ الله حاكمنا	النواميس	يعقوب: ٤٠٣
٩ـ الراعي الإلهي	رجل الدولة	مزامير: ١٠٢٣
١٠ـ التأكيدات الزائفة	الجمهورية	رسالة إلى العبرانيين: ٦٠١٠
١١ـ الملاحدة	النواميس	رسالة إلى أهل تيماثوس: ٢٥٠٢
١٢ـ مذهب اللاأدريّة	طيماوس	إشعيا: ١٨٠٤٠
١٣ـ السمو الالهي	بارمنيدس	الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس: ٧٠٥
١٤ـ المثاليون والماديُّون	السوفسطائي	مزامير: ١٦٠١١٥
١٥ـ الفيلسوف يستثني الله	ثياتيتوس	رسالة إلى أهل إفسس: ١٢٠٢
١٦ـ المبدِع لا يوصف	طيماوس	مزامير: ٢٠١٠٦
١٧ـ الفلسفة الطبيعية	طيماوس	رسالة كورينثي الأولى: ٤٦٠١٥
١٨ـ الفوقطبيعي	المائدة	رسالة كورنثوس الثانية: ٢٠١٣

	في محاورات أفلاطون	العهد القديم / الاناجيل
١٩ـ عمل الله اليدويّ	السوفسطائي	رسالة إلى أهل إفسس: ١٠٠٢
٢٠ـ قصد المبدِع	طيماوس	الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي: ٢٣٠٥
٢١ـ إخفاق، وعودة		
إلى الوضع السويّ	رجل الدولة	الرسالة الثانية إلى أهل إفسس: ٥٠٤
٢٢ـ العالم الوحيد الولادة	طيماوس	أعمال الرسل: ١٥٠١٤
٢٣ـ شواش	طيماوس	تكوين: ٢٠١
٢٤ـ الكون « بوصفه	(أ) طيماوس	
نظاماً متناغماً »	جورجياس	يوحنا: ١٦٠٣
٢٥ـ أسطورة الإبداع	بروتاغوراس	تكوين: ٢٤٠١
٢٦ـ عالم ساقط	فيدون	رسالة بطرس الأولى: ٩٠٢
٢٧ـ أبناء الله	كريشياس	رسالة يوحنا الأولى: ٢٠٣
٢٨ـ كشف، رؤيا نبوية	فيدروس	رسالة يوحنا الأولى: ١٠١
٢٩ـ إنّنا نأتي بسحب من		
التألّق والمجد	فيدروس	الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس: ٣٠١٢
٣٠ـ الزمن والأبديّة	طيماوس	رسالة يوحنا الأولى: ٢٠١
٣١ـ صورة الحبّ	طيماوس	متّى: ٤٣٠١٢١
٣٢ـ ميزان الحبّ	المأدبة	اشعيا: ١٠٦
٣٣ـ استنتاج المسألة بمجملها	المأدبة	رسالة يوحنا الأولى: ٨٠٤
٣٤ـ استرخاء	طيماوس	متّى: ٣٤٠١٢١

ب ــ الإنسان وقدَرِه

	في محاورات أفلاطون	العهد القديم / الاناجيل
٣٥ـ ما هو الإنسان؟	السيبيادس الأوّل	رسالة كورنثوس الأولى: ٤٥٠١٥
٣٦ـ أصل الروح	فيليبوس	يعقوب: ١٧٠١
٣٧ـ المشاركة في الإلهي	فيدروس	رسالة بطرس الثانية: ٤٠١
٣٨ـ الأشياء التي تختصّ بالروح	النواميس	رسالة إلى أهل رومية: ٥٠٨
٣٩ـ قَدَر الروح	فيدون	رسالة كورنثوس الأولى: ١٨٠٤
٤٠ـ الحقائق التي لا يُستطاع برهنتها قطّ	فيدون	لوقا: ٤٠٥
٤١ـ الأسرار المقدّسة	فيدون	متّى: ١٤٠٢٢
٤٢ـ السعادة هنا وفي الآخرة	(أ) اينوميس	يوحنا: ٣٣٠١٦
	(ب) اينوميس	
٤٣ـ عالم أفضل بكثير، بما لا يقاس	فيدون	رسالة إلى فيلبي: ٢٣٠١
٤٤ـ لِمَ نخاف الموت؟	الدفاع	أيّوب: ٢٨٠٢٨
٤٥ـ توقّع الموت	الجمهورية	رسالة تيموثاوس الأولى: ١٩٠٦
٤٦ـ الموت لا يمكنه محاذاته	(أ) الدفاع	لوقا: ٤٠١٢
	(ب) الدفاع	
٤٧ـ لتكون أو لكي لا تكون	الدفاع	رسالة تيموثاوس الأولى: ٦٠٤
٤٨ـ ليس كل الرجال ليزولوا	فيدون	رسالة كورنثوس الأولى: ٨٠٥
٤٩ـ انتحار	فيدون	متى: ٥٠٣٠٢٧
٥٠ـ بعد هذا يوم الدينونة	النواميس	رسالة الى العبرانيين: ٢٧٠٩

	في محاورات أفلاطون	العهد القديم / الاناجيل
٥١- الضمير الحي يكون الدفاع الافضل	جورجياس	رسالة بطرس الاولى: ٢١٠٣
٥٢- المستقبل	رسالة افلاطون الثانية	رسالة إلى أهل كولوسي: ١٧٠٢
٥٣- الملاذ الثابت	ثياتيتوس	المزامير: ١٦٠١٧
٥٤- زينة الروح	فيدون	رسالة بطرس الاولى: ٣٠٣
٥٥- ثواب وعقاب	رسالة افلاطون الرابعة	رسلة بطرس الاولى: ١٧٠٣
٥٦- رؤيا يوم الدينونة	جورجياس	رسالة بطرس الاولى: ١٧٠٣ ويوحنا: ٢٩٠٥
٥٧- ثواب العادل والظالم		
(أ) في هذه الحياة	الجمهورية	يعقوب: ٦٠٥
(ب) في هذه الحياة أو في الحياة الآتية	الجمهورية	متى: ٤٣٠١٣
(ب) في الحياة الآتية	الجمهورية	متى: ٣٢٠٢٥-٣٣

ج ــ قواعد المبادىء الاخلاقية

٥٨- من يكون في الضلال؟	جورجياس	رسالة بطرس الاولى: ١٦٠٤
٥٩- القواعد الذهبية	جورجياس	متى: ٦٧٠٢٦
٦٠- التضحية بالذات	المأدبة	رسالة إلى اهل غلاطية: ٢٠٠٢
٦١- مأزق الآثم	ثياتيتوس	متى: ١٧٠٢٣
٦٢- صُنع في صورة الله	الجمهورية	تكوين: ٢٦٠١
٦٣- أصدقاء وأعداء الله	النواميس	رسالة بطرس الاولى: ١٢٠٣
٦٤- محادثتنا تكون في السماء	الجمهورية	رسالة كورنثوس الاولى: ١٠٥

	في محاورات أفلاطون	العهد القديم / الاناجيل
٦٥- تجرّد	ثياتيتوس	رسالة الى العبرانيين: ١١٠٧٢٧
٦٦- صُعُداً الطريق كله	النواميس	متى: ٧٠٣١-١٤
٦٧- الصحة تكمن في الروح	كارميدس	رسالة يوحنا الثانية: ٢
٦٨- استخدام واساءة الاستخدام	كلايتوفون	متى: ٩٠١٨
٦٩- ماذا يكون الصلاح؟	(أ) كراتيلوس	رسالة كورنثوس الثانية: ١٤٠٦
	(ب) النواميس	
٧٠- الخير يكون كل ما نحتاج إليه	فيليبوس	رسالة الى أهل رومية: ١٠٠٢
٧١- المعرفة الحقيقية	فيليبوس	رؤيا يوحنا: ٩٠١٧
٧٢- اللحم الذي تحمّل	الجمهورية	يوحنا: ٢٧٠٦
٧٣- دواء الروح	جورجياس	ارميا: ١٣٠٣٠
٧٤- الفضيلة ضد اللذة	النواميس	رسالة الى اهل رومية: ٦٠٨
٧٥- التقييم	(أ) فيليبوس	رسالة كورنثوس الاولى: ٣١٠١١٢
	(ب) النواميس	رسالة بطرس الثانية: ٥٠١
	(ت) النواميس	متى: ٢٥٠٦
٧٦- التقييم السلبي	جورجياس	رسالة الى العبرانيين: ٢٠١٢
٧٧- الغنى	النواميس	مرقس: ١٩٠٤
٧٨- الشقاق الداخلي	(أ) فيدروس	يعقوب: ١٠٤
	(ب) النواميس	
٧٩- احبّوا اعداءكم	الجمهورية	متى: ٤٣٠٥-٤٥
٨٠- جزاء، مكافأة	كريتون	الرسالة الاولى الى اهل تسالونيكي: ١٥٠٥
٨١- انه لمن الافضل ان تكون مأذياً من أن تؤذي الآخرين	جورجياس	متى: ١١٠٥-١٢

	في محاورات أفلاطون	العهد القديم / الاناجيل
٨٢ـ القصاص الشافي	جورجياس	رسالة الى العبرانيين: ١١٠١٢
٨٣ـ كي تقاسي وتموت	جورجياس	رسالة بطرس الاولى: ١٩٠٢ـ ٢٠
٨٤ـ الارادة [illegible]	رجل الدولة	اعمال الرسل: ٢١٠٣
٨٥ـ الذين يحبون خدمتهم حرية تامة	رسالة افلاطون الخامسة	رسالة الى اهل كورنثوس: ١٧٠٣
٨٦ـ اغواء	النواميس	لوقا: ٨٠١٦
٨٧ـ معرفة نقية، خالصة	فيدون	متى: ٨٠٥
٨٨ـ احترام الذات	النواميس	مرقس: ٣٦٠٨
٨٩ـ الاثم العرضي والاثم المميت	النواميس	رسالة يوحنا الاولى: ١٦٠٥ـ ١٧
٩٠ـ الجهل الكؤود	النواميس	الرسالة الاولى الى اهل كورنثوس: ٣٠٥ـ ٥
٩١ـ كلمات لا قيمة لها	النواميس	متى: ٣٦٠١٢
٩٢ـ الفم	طيماوس	مرقس: ١٥٠٧
٩٣ـ حسد	فيليبوس	الرسالة الاولى الى اهل كورنثوس: ٤٠١٣
٩٤ـ تحليل نفساني	السوفسطائي	الرسالة الثانية الى اهل كورنثوس: ٥٠١٣
٩٥ـ التعليم في الجنس	النواميس	الرسالة الثانية الى تيطس: ٧٠٢ـ ٨

د ـــ الدين والكنيسة

٩٦ـ النداء الباطني	الدفاع	الرسالة الاولى الى اهل كورنثوس: ١٦٠٩
٩٧ـ الكهنة	رجل الدولة	رؤيا يوحنا: ١٠٠٥
٩٨ـ معرفة تقليدية كهنوتية	مينون	رسالة بطرس الاولى: ١٥٠١
٩٩ـ تسابيح	النواميس	ايفيسيان: ١٩٠٥
١٠٠ـ الرسل	الجمهورية	مرقس: ٨٠٦
١٠١ـ الاناجيل	رسالة افلاطون الثانية	لوقا: ١٠١ـ ٢

	في محاورات أفلاطون	العهد القديم / الاناجيل
١٠٢ـ مَثَل الاوعية السلمية		
والاوعية الراشحة	جورجياس	متى: ٢٥٠١ـ٢
ذو المغزى الاخلاقي		
١٠٣ـ الطريق	رسالة افلاطون الرابعة	اعمال الرسل: ٢٣٠١٩
١٠٤ـ اجماع	النواميس	اعمال الرسل: ٣٢٠٤
١٠٥ـ غذاء للفكر	بروتاغوراس	يعقوب: ٢١٠١
١٠٦ـ تعقلن	فيدروس	متى: ٢٨٠١ـ ١٥
١٠٧ـ دعاية	النواميس	رسالة بطرس الأولى: ٨٠٣
١٠٨ـ القاء الاوراق لتقرير		
الامر بالقرعة	النواميس	اعمال الرسل: ٢٦٠١
١٠٩ـ الاختيار بالاكثرية	النواميس	اعمال الرسل: ٢٣٠١ـ٢٥
١١٠ـ كي لا تكون غير		
مستعد، كي لا ترغب	الجمهورية	متى: ٢٥٠٢٠ـ٢٦
١١١ـ خدمة شريفة	النواميس	متى: ٢٧٠٢٠
١١٢ـ جبل التجلي	الجمهورية	مرقس: ٢٠٩
١١٣ـ وزراء دولة	النواميس	مرقس: ٤٣٠١٠
١١٤ـ امتحانات دينية لاعضاء		
الحكومة	النواميس	رسالة الى العبرانيين: ٣٩٠١١
١١٥ـ سلطة الكنيسة	الجمهورية	رسالة الى العبرانيين: ٥٠٨
١١٦ـ تطويب	(أ) الجمهورية	الجامعة: ٧٠٤٤
	(ب) النواميس	
١١٧ـ زواج	النواميس	رسالة الى العبرانيين: ٤٠١٣

	في محاورات أفلاطون	العهد القديم / الاناجيل
١١٨ـ فاكهة الارض الطيبة	النواميس	اعمال الرسل: ١٤٠١٧
١١٩ـ رشوة	النواميس	لوقا: ٣٤٠٦ـ ٣٥
١٢٠ـ المآدب	النواميس	خروج: ٢٤٠١١
١٢١ـ حسن الضيافة	فيدروس	لوقا: ١٣٠١٤ـ ١٤
١٢٢ـ دمى الله	النواميس	متى: ١٨٠٣
١٢٣ـ صلاة:		
(أ) ـ اسم الله	كراتيلوس	رؤيا يوحنا: ١٧٠٢
(ب) ـ لماذا نصلي؟	النواميس	رسالة الى اهل رومية: ٢٦٠٨
(ج) ـ استهلال بالصلاة	طيماوس	رسالة الى اهل افسس: ١٦٠١ـ ١٧
(د) ـ حالة صلاة	النواميس	مزامير: ١٠٦٧
(هـ) ـ صلاة بين المحاضرات	كريشياس	مزامير: ١٤٠١٩ـ ١٥
(و) ـ صلاة قبل الوفاة	فيدون	اعمال الرسل: ٦٠٠٧
(ز) ـ صلاة قصيرة	فيدروس	اعمال الرسل: ١٣٠١٦
(ح) ـ صلاة افلاطون المسائية	الجمهورية	لوقا: ٢٩٠٢٤

مقاطع من محاورات افلاطون

أ ــ الله والإبداع

يا ولدي، إنّك لفتيّ، والزمن أثناء انقضائه سيجعلك تغيّر العديد من الآراء التي تتمسّك بها الآن وتتبنّى الآراء المضادّة. إنتظر حتى ذلك الحين قبل أن تصبح قاضياً لقضايا ذات أهميّة عظمى، ولقضايا أكثر أهميّة منها كلّها، ولو أنّك الآن تحسبها مجرّد لا شيء، وكذلك السؤال للتفكير تفكيراً صحيحاً بشأن الآلهة وبالتالي امتلاك حياة خيّرة، أو عكس ذلك.

النواميس

١ ــ تمهيد

النواميس: إفتتاح كلمات المحاورة.

خروج: الله تكلّم كلّ هذه الكلمات، قائلاً...

الأثيني: أخبراني، أيّها الرجلان، هل المسؤول عن توطيد قوانينكما هو إله أو إنسان؟

كلينياس الكريتي: إنه إله، يا سيّد، إله، بالتأكيد الأكثر.

٢ ــ الألوهيّة ليست عرضة للتغيُّر

أبينوميس

يعقوب: الأب للأنوار، الذي لا يكون عنده تغيير، لا ولا ظلّ دوران.

[إنّ افلاطون يساوي بين الموجود الحيّ ممتلكاً روحاً مع امتلاكه عقلاً. يعتبر أفلاطون أنّ العالم السماويّ هو عالم إلهيّ]

الأثيني: إنّ النجوم وكلّ النظام الذي تبديه للعيان، هذه النجوم تتحرّك بالطريقة عينها لأنّ هذا تقرَّر منذ الأزل، تقرّر بشكل مدهش منذ زمن طويل مضى،

والنجوم لا تغيّر تصميمها ولا تترنح، فاعلة شيئاً واحداً بعض المرّات وفاعلة غيره مرّات أخرى، متمعجةً حول السماء أو مبدِّلة دوارته. ولا شك أن هذا النظام أوحى للناس أنّها ذكيّة. لكنّه أوحى لأكثريتنا العكس تماماً. ولأنّ النجوم تقوم بالأشياء عينها وبالطريقة نفسها اعتقدنا أنّ ليس لها روح. وتبعت الأكثرية أولئك الذين كانوا مخطئين في هذا التفكير، وافترضت أنّ الإنسانيّة كانت ذكيّة وحيّة، في حين أنّ الإلهيّ كان بدون عقل، لأنّه استمرّ يعرض الحركات الثابتة اللاّمتغيرة عينها، في حين أنّ الإنسان من خلال اتصاله بالأجمل والأفضل وبالتناغم مع نفسه، يمكن أنّه وعى أنّ ذلك الذي يسير بموازاة الخطوط عينها وبالطريقة عينها وللأسباب عينها يملك عقلاً بسبب ذلك تحديداً. ويمكن أنّ الإنسان وعى أنّ النجوم من هذه الطبيعة وهي الأكثر جمالاً لتلفت النظر إليها، مشبعةً حاجات كلّ المخلوقات الحيّة عندما تؤدّي رقصات لا أجمل منها ولا أروع إلى حدٍّ استثنائي، وهي تتقدّم عند مسالكها.

ابينوميس: دعنا نقرّر إذن كيف تستطيع أنظمة كهذه أن تدور في مداراتها بدون انقطاع وبالنسبة عينها مثلما تفعل النجوم الآن، ودعنا نقرّر أيضاً أيّ كائن يقدر على جعلها تقوم بذلك. أؤكّد أنّ الله يجب أن يكون سبب هذا، ولا يمكن أن يكون هذا ممكناً بأيّة طريقة أخرى على الإطلاق. إذ لا شيء يستطيع امتلاك روح وبأي طريقة إلاّ بواسطة الله، كما أبنّا هذا. لكن عندما ينوي الله فعل ذلك، فإنّه لمن السهل عليه بشكل تامّ أن يجعل النظام كلّه، في مبدَعٍ حيٍّ بالرغم من حجمه، ومن ثمّ يضعه في الحركة وفي الطريقة التي شاء وقرّر أنّها الطريقة الأفضل. هكذا يمكننا أن نلخّص كلّ ما قلنا في بيانٍ واحدٍ فنقول: إنّ السماء والأرض والنجوم كلّها ومجمل الكتلة الكبيرة التي تُشكِّل منها، إنّ هذه كلّها تتحرّك بدقّة ضمن مدّة سنويّة دقيقة من

الشهور والأيّام، وكل ذلك الذي يحدث يفضي إلىَ خيرنا العام. وبعدُ فإنّ هذا يكون مستحيلاً ما لم يكن في كل جزء روح مشتركة، وفي كل جزء منفصلٍ منه.

٣ ـ الله ليس متغيراً

الجمهورية

رسالة الى العبرانيين: يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد.

سقراط اديامنتوس

سقراط: هل تعتقد أنّ الله ساحر ولكي يجعل ظهوره عمداً متنكر بعض المرات في شكل وفي شكلٍ آخر مرّات ثانية، مغيّراً نفسه في مناسبات كهذه، ومحوّلاً نفسه إلى أشكال متعدّدة أيضاً، وفي مناسبات أخرى عن طريق مخادعتنا وجعلنا نفترض أنّه قام بذلك؛ أو هل تعتقد أنّ الله واحد، لا متعدّد، وأنّه الأقلّ من الكلّ كي يتخلّى عن صورته؟

اديامنتوس: لا أعرف كيف سأجيب في هذه اللحظة.

سقراط: حسناً، ماذا بشأن هذا السؤال؟ إذا انفصل أيّ شيء من الصورة التي تخصّه بشكل مناسب، فإنّ التغيير هذا يجب أن يكون مفعولاً بنفسه أو بواسطة شيء ما آخر، ألا يجب أن يكون ذلك؟

اديامنتوس: نعم، ينبغي أن يكون ذلك كما تقول.

سقراط: حسناً، إنّ الذي يكون في حالة جيّدة جدّاً يكون الأقل تبدّلاً على الأرجح وأن لا يتغيَّر إلاّ بشيء آخر. كمثال، كما يتغيّر الجسم بالغذاء والشرب والعمل، أو مثلما تتغيّر النبتة بالحرارة المحرقة وبالرياح وبحوادث كهذه ـ أفليس الأصحّ عافية والأقوى بنية هو الأقل تبدّلاً؟

اديامنتوس: طبعاً.

سقراط: والروح التي هي الأقوى والأعقل، أليست الأقلّ إرباكاً وتبدّلاً بشيء ما تعانيه بالتجربة من الخارج؟

اديامنتوس: نعم.

سقراط: مرّة ثانية، وطبقاً للمحاورة عينها، افترض أنّ كلّ الأشياء المصنوعة وكلّ الأبنية والثياب هي الأقلّ تبدّلاً بالزمن وبالعوامل الأخرى عندما تُصنع جيّداً وتكون في حالة صالحة.

اديامنتوس: إنّ هذا لكذلك.

سقراط: إذن فإنّ الشيء الذي يكون في حالة مناسبة، إمّا بواسطة الطبيعة أو بواسطة الفنّ أو بهما معاً، هذا الشيء هو الأقلّ عرضة للتغيّر بأيّ شيء آخر.

اديامنتوس: يبدو هكذا.

سقراط: لكن الله وما يخصّه هو في حالة مناسبة ومميّزة بكلّ طريقة

اديامنتوس: طبعاً.

سقراط: بناءً على ذلك فإنّ الله هو الأقلّ من الجميع تعرّضاً للتبدلات العديدة.

اديامنتوس: لتكن متأكّداً، إنّه الأقلّ من الجميع.

سقراط: لكن هل سيغيّر ويبدّل ذاته إذن؟

اديامنتوس: إذا تغيّر، فذلك يكون على نحوٍ بيّن.

سقراط: حسناً إذن، هل يغيّر الله ذاته إلى الأفضل والأجمل أو إلى الأسوأ والأقلّ جمالاً من ذاته؟

اديامنتوس: يجب أن يكون التغيّير إلى الأسوأ، إذا تغيّر هو. لأنّنا لا نسمح بأن يكون الله ناقصاً في الجمال أو في الخير.

سقراط: حقيقيّ تماماً، وكونه كذلك، هل تعتقد أنّ أيّ شخص، أكان إلهاً أو إنساناً، هل تعتقد أنّه سيجعل نفسه أسوأ تلقائيّاً بأيّة طريقة؟

اديامنتوس: مستحيل.

سقراط: إذن، إنّه لمن المستحيل في ما يتعلّق بالله أن يرغب في تغيير ذاته. لكن يبدو وكأنّه كلاًّ منهما، كونه جميلاً وخيِّراً قدر المستطاع، لا يثبت أبداً في صورة منفردة تخصّه.

٤ ـ الله لا يمكن ان يكذب

الجمهورية

يوحنا: الروح الحقّ، التي تنبثق من الآب.

سقراط اديامنتوس

سقراط: إنّ الباطل الحقيقيّ لا تكرهه الآلهة فقط بل الرجال أيضاً.

اديامنتوس: يجب أن أفترض ذلك.

سقراط: لكن ماذا بشأن الباطل الكلاميّ؟ ففي أيّ الأوقات، وتحت أيّة حالات سيستحقّ أن يكون مكروهاً، مع أنّه نافع؟ أفلا يصبح الباطل الكلاميّ نافعاً ضدّ الأعداء، وضدّ أولئك الذين ندعوهم أصدقاء كذلك، عندما يحاولون أن يفعلوا بعض الأفعال الآثمة من الجنون أو الغباء؟ عندئذ فإنّ الباطل الكلاميّ يفعل بشكلٍ شافٍ كي يمنع الإثم والمرض. ونحن نفعله نافعاً في صورة مجموعة الأساطير عندما لا نعرف كيف تقف الحقيقة والباطل بشأن الماضي. نحن نجعل الحقيقة والباطل منسجمَيْن قدر المستطاع. ألسنا نفعل ذلك؟

اديامنتوس: نعم، إنّ ما تقوله هو ما يكون تماماً.

سقراط: وبعد ففي أيٍّ من هذه المواقع أو الحالات سيكون الزيف نافعاً لله؟ هل سيكذب ويخترع أسطورة من غير معرفة الماضي؟

أديامنتوس: أيّة فكرة مضحكة؟

سقراط: إذن، ليس هناك شيء بخصوص تأليف الرواية الخياليّة عن الله؟

اديامنتوس: لا ينبغي عليّ أن أتصوّر ذلك.
سقراط: لكن هل سيكذب الله خوفاً من أعدائه؟
اديامنتوس: لا بالتأكيد.
سقراط؛ حسناً، أو هل سيكذب بسبب غباء أو جنون أصدقائه؟
اديامنتوس: لكن لا الغبي ولا المجنون يكون صديق الله.
سقراط: إذن ما من شيء يدفع الله للكذب.
اديامنتوس: لا.
سقراط: إذن فإنّ النفساني والإلهي متحرّران من الباطل.
اديامنتوس: إنّهما متحرران بشكل تامّ.
سقراط: وفي الحقيقة فإنّ الله هو كمال تام وحقيقة في الكلمة والمأثرة، وهو ذاته لا يتغيّر، ولا يخدع الآخرين لا بواسطة الأطياف ولا بواسطة الكلمات او التكهنات أو البشائر، ولا فرق سواء أكان الآخرون نياماً أو مستيقظين.

[إنّ وصف مجموعة الأساطير هو وصف جدير بالانتباه. « إنّه يجعل الحقيقيّ والمزيّف يتطابقان أيضاً على قدر استطاعتنا عندما لا نعرف كيف تقف الحقيقة بشأن الماضي ». إذا كان هذا الوصف دقيقاً فيمكنه أن يخوّلنا استعمال كلمة أسطورة بالمعنى اليوناني لتعليلات الإبداع وسقوط الإنسان في سفر التكوين ٣٠١].

٥ ــ الله ليس لصاً

النواميس

الرسالة إلى أهل رومية: فأنت إذن الذي تعلّم غيرك ألست تُعلّم نفسك، الذي تكرز أن لا يُسرَق أتسرق؟

الأثيني: إنّ سرقة المال تظهر افتقاراً للتربية، واللصوصيّة تبرز الحاجة لسموّ الأخلاق. لا أحد من أبناء زيوس يبتهج أبداً لعمل المكر أو العنف أو يقترف أيّاً من الأعمال. وهكذا لا تدع أحداً يُضلّله الشعراءُ أو باعة الحبّ الآخرون ولا

تدعه يقتنع بأشياء كهذه في معنىً باطل، ولا تدعه يظنّ أنه سرق أو اقترف أيّ عملٍ من أعمال السلب بالقوّة، لا تدعه يظن أنّه لا يرتكب خطأً، بل دعه يعتبر ما يفعله الآلهة بهذا الشأن. إنّ الذي يقوم بهذه الأعمال المخزية ليس عمله صحيحاً ولا يشبه العمل الصحيح. لكنّ مَن يقترف هذه الأعمال بتلك الطريقة فليس إلهاً ولا ابن إله على الإطلاق. وعلى المشرّع أن يعرف ذلك أفضل ممّا يعرفه الشعراء كلّهم.

٦ ــ الله ليس سبب الشرّ

الجمهورية

تكوين: الله رأى كل شيء الذي صنعه، وشاهد أنه كان جيداً جداً.

سقراط اديامنتوس

سقراط: مهما يكن الله، يا اديامنتوس، يجب أن يُصوَّر في الشعر بما هو عليه طبعاً، ومتى يصفه الشاعر يجب وصفه كذلك، سواء إذا كان الوصف ملحمياً أو غنائيّاً أو مأساوياً.

اديامنتوس: نعم، ينبغي فعل ذلك.

سقراط: وبعدُ فإنّ الله خيّر، ويجب أن يُوصف بما هو، ألا ينبغي عمل ذلك؟

اديامنتوس: وماذا بعدئذ؟

سقراط: ما مِنْ خيّر يكون ضارّاً، أو هل يكون ذلك؟

اديامنتوس: لا، لا أعتقد أنّه يكون.

سقراط: حسناً إذن، أيفعل الأذى مَن لا يكون ضاراً؟

اديامنتوس: لا، طبعاً.

سقراط: لكن أيقوم بأيِّ شرٍّ من لا يؤذي؟

اديامنتوس: لا، أيضاً.

سقراط: إذن مَن لا يرتكب الشر لا يكون سبباً لأيّ شرّ، هل هو كذلك؟

اديامنتوس: كيف يمكنه أن يكون؟

سقراط: مرّة ثانية فإنّ الخيِّر يكون نافعاً.

اديامنتوس: نعم.

سقراط: والخيِّر هو سبب السعادة.

اديامنتوس: أجل.

سقراط: إذن فإنّ الخيِّر ليس سبب كلّ شيء بل إنّه سبب الأشياء الخيِّرة وليس الشرّيرة.

اديامنتوس: بالضبط.

سقراط: إذن، بما أن الله خيِّر، فليس سبب كل شيء، كما تقول أكثريّة الناس، بل هو سبب الأشياء القليلة التي تحدث للناس فقط. الله ليس السبب لأشياء عديدة، لأنّ الأشياء الجيّدة التي تحدث لنا أقلّ بكثير من الأشياء الشرّيرة. وفي ما يختصّ بالأشياء الخيِّرة فيجب علينا ألاّ نتصوّر لها مسبّباً إلا الله. لكنّنا يجب أن نبحث عن أسباب أخرى في ما يتعلّق بالشرّ وأن لا ننسبه إلى الله أبداً.

[يمكن المجادلة بأن الله إذا كان كليّ القدرة حقّاً وسبب كلّ الأشياء، حينئذ فإنّ بعض الأشياء يمكن أن تبدو جيّدة، ويمكن أن تبدو أشياء أخرى شرّيرة وسيّئة أكثر، لكن ينبغي أن تكون الأشياء كلّها جيّدة].

٧ ـ الله مخلّصنا

ثياتيتوس

أعمال الرسل: يا أيها السّادة، ماذا ينبغي أن أفعل كي أخلّص؟

سقراط: إنّنا نقول ما يعتقد به كلّ شخص عندما نؤكّد أنّه ما مِن إنسان على الإطلاق لا يتصوّر أنّه أعقل من الآخرين في أشياء ما، وأنّ الآخرين

أعقل منه في بعض الأشياء الأخرى. وهكذا ففي الخطر الجادّ المحيق، عندما يكون الرجال في كرب وأسىً أثناء الخدمة الفعلية، أو عندما يكونون على فراش المرض أو على سطح البحر، حينما يكونون كذلك فإنّ لديهم ملاذً يلتمسون العون منه، مثلما يفعلون للآلهة، أو لأولئك الذين يمتلكون زمام السلطة في هذه الحالات المختلفة، وهم يتوقّعون منهم أن يكونوا منقذيهم.

[إنّ كلمة « منقذ » هنا، تكون كتلك الكلمة عينها التي استُخدمت في التوراة اليونانية، في تعابير كهذه مثل « سيّدنا ومخلّصنا ». هذه الكلمة تقع أربعاً وعشرين مرّة في الإنجيل، وتقع الكلمة « خلاص » ستّاً وأربعين مرة].

٨ ـ السيّد حاكمنا

النواميس

يعقوب: ها هي ذي السفن أيضاً وهي سفن عظيمة بهذا المقدار وتسوقها رياح عاصفة تديرها دفّة صغيرة جدّاً إلى حيثما يشاء قَصدُ المدير.

الأثيني: الله يحكم كلّ الشؤون الإنسانية ومعه المصادفة والفرصة. وهناك عامل ثالث توجيهه وضبطه أسهل من توجيه وضبط المصادفة والفرصة، إنّه الفنّ وينبغي عليّ اعتباره نفعاً كبيراً عند هبوب العاصفة. أفلا تفعل أنت ذلك، وتحسب أنّ فنّ مدير الدفّة يجب أن يساعدنا في هذا المضمار؟

[إنّ كلمة « يحكم » الانكليزية الموجودة أعلاه تُترجم مُركّباً للكلمة اليونانية Kubernao التي اشتُقّت منها كلمة Govern أي « يحكم » الانكليزية وذلك من خلال اللغتين اللاتينية والفرنسية. إنّها تعني في الحقيقة To Steer أي، « كي توجّه، كي تقود »، ويكون فن مدير الدفّة kebernētiké في اللغة اليونانية. أنظر إلى رقم ٦٨ من هذا الكتاب لاستعمال التفسير عينه].

٩ ــ الراعي الإلهي

رجل الدولة

مزامير: الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء.

فيلسوف إيلي: الله اعتاد على أن يطعم الشعب ويعتني به بنفسه، تماماً مثلما يفعل الرجال كرعاة للحيوانات الأخرى الأقلّ شأناً منهم، وذلك كونهم حيوانات لكنّهم أكثر شبهاً بالله من الحيوانات الباقية. وعندما كان الله راعي الرجال لم يكونوا جماعة منظّمة ولم يكن لديهم أيّة ملكية شخصيّة من الزوجات والأطفال، لأنّهم جميعهم عادوا إلى الحياة خارج الأرض ولم يتذكّروا ما انقضى في ما مضى. كلّ هذه الأشياء كانت مفقودة لكنّهم امتلكوا فاكهة غير محدودة من الأشجار، وكثيراً من الموادّ الأخرى، التي لم يحصلوا عليها بواسطة الزراعة. غير أنّ الأرض أنتجتها من غير إكراه. لقد أمضوا أكثر وقتهم في الهواء الطلق بدون أن يلبسوا ثياباً أو يناموا على السُرُر. إنّ تقلّبات الطقس لم تؤذِهم، وكان لديهم أرائك ناعمة، لأنّ الحشائش نمت بوفرة فوق الأرض. يخبرونك أنّ الحياة كانت كذلك أيام حكم كرونوس.

[هذه الأشياء هي بركات حكومة الكهنة، الثيوقراطية]

١٠ ــ تاكيدات زائفة

الجمهورية

رسالة إلى العبرانيين ومزامير: بمحرقات وذبائح للخطيّة لم تُسَرَّ. بذبيحة وتقدمة لم تُسَرَّ.

أديامنتوس: يا سقراط، تقول: « إنّه لمستحيل أن تخفي الأشياء عن الآلهة أو أن تجبرهم على فعل شيء ما ». وبعدُ فإنّ الآلهة إذا كانوا غير موجودين ولا يزعجون أنفسهم بالشؤون الإنسانية، فلماذا يجب علينا أن نقلق في إخفاء الأشياء عنهم؟ لكنّهم إن كانوا موجودين ويبدون اهتماماً بالشؤون الإنسانية،

فنحن لم نعرف ولم نسمع عنهم من أيّ مصدر عدا العرف وما قاله الشعراء الذين يُعدُّون أبوّتهم من جديد. لكنّ هؤلاء الشعراء فقط هم الذين يخبروننا أنّ الآلهة هم كالذين يُستطاع إقناعهم تليين مواقفهم بالأضاحي والصلوات المهدّئة والعطايا. ونحن يجب علينا تصديق هذين الشيئين أو عدم تصديقهما. -إذا وجب علينا تصديقهما، حينئذ فإنّ الشيء الواضح هو أنّ نرتكب الخطأ ونتخلّص من العواقب بالأضاحي. إذا كنّا أفاضل، فنحن سنتفادى ألاّ تعاقبنا الآلهة بكل بساطة. لكنّنا سوف نفقد المنفعة كوننا خبثاء أيضاً. لكن إذا كنا خبثاء فنحن سنجني المنفعة، وبتقديمنا الصلوات حينما نخاف ونأثم سوف تقنع الآلهة .ونسلّم... تجيب أنت على هذا قائلاً: « لكن، بسبب ارتكاب الخطأ في هذا العالم سندفع نحن أو أحفادنا العقاب قصاصاً في العالم الآخر ». غير أنّ الإنسان الذي يقدِّر الأشياء حقّ قدرها يعتقد أنّ العنصر الغالب سيكون هنا بشكل عظيم، ألا وهو الطقوس وشعائر الموتى الدينيّة ومنفعة غفران الخطايا، وذلك كما تؤكّد أعظم المدن، وكما يثبتها لنا أبناء الآلهة، الشعراء، والأنبياء.

١١ ــ الملاحدة

القوانين

الرسالة الأولى إلى تيموثاوس: مؤدِّباً بالوداعة المقاومين عسى أن يمنحهم الله توبةً لمعرفة الحق.

الأثيني: إنّ أولئك الذين يزدرون بكلّ هذه البراهين المتعلّقة بوجودة الآلهة لا يفعلون ذلك بناء على سبب وحيد كاف، كما سيقول أيّ شخص يمتلك أيّ إدراك. لكنّ ذلك يجبرنا على أن نتكلّم كما نفعل، وكيف يمكن لأيّ شخص أن يلوم وينصح هؤلاء الناس بكلمات لطيفة حينما يبدأ تعليمهم أنّ الآلهة موجودون؟ لكن يجب علينا أن نحاول. إنّ بعضنا لن ينجز أيّ

شيء أبداً ليكون ساخطاً من فرط الشهوة للّذة. ولن يحقّق الآخرون أيّ شيء أبداً من شعور غضبهم كونهم كما وصفنا. وهكذا لندع الكلام ينساب هادئاً كما هو. أي مثل التصدير التالي الذي يجب أن ننقله لذوي الفهم الخاطيء. ودعنا نكبت شعورنا ونتكلّم بلطف، وكأنّنا نتحادث مع واحد منهم. سنقول له: « يا ولدي، إنّك لفتيّ، وانقضاء الزمن سيجعلك تغيّر العديد من الآراء التي تتمسّك بها الآن وتتبنّى الآراء المضادّة. إنتظر حتّى ذلك الحين قبل أن تصبح قاضياً في قضايا ذات أهميّة عظمى، وفي القضايا الأكثر أهميّة منها كلّها، ولو أنّك تحسبها الآن مجرّد لا شيء، والسؤال للتفكير صحيح بشأن الآلهة وبالتالي امتلاك حياة خيّرة، أو عكس ذلك ».

ولا يمكن، باديء ذي بدء، أن يُظنّ أنّي أخدعك على الأرجح إذا أخبرتك هذه الحقيقة الكبرى بشأنهم، عنيت أنّك وأصدقاءك لستم المبتدئين ولا أوّل من يتمسّك بهذا الرأي عن الآلهة. لكنّ الرجال الذين يعانون من سوى المزاج هذا يظهرون دائماً أنّهم أكثر عدداً بعض المرات وأقلّ عدداً مرّات أخرى. لكن أنا، وقد عاشرت بعضهم، أحبّ، أن أخبرك، أن لا أحد ممّن تسلّى بهذا الرأي منذ طفولته، أي أنه لا آلهة، لا أحد ثبت أبداً على حالة التفكير هذه حتى سنّ متقدمة. لكنّ موقفين آخرين يستمرّان نحو الآلهة، ليس في العديد من العقول، بل يستمّران في بعضها. توجد فكرة باديء ذي بدء، في أن هناك آلهة، لكنّهم لا يعتنون بالشؤون الإنسانية. وهناك فكرة أخرى تقول إنّ الآلهة يعتنون بهذه الشؤون، ويمكن استرضاؤهم بالأضاحي والصلوات بسهولة. إذا قبلت نصيحتي، فإنّك ستنتظر حتّى يتبلور الاعتقاد الأصفى بشأنهم، والذي يمكن أن ينشأ في عقلك على الأرجح، متأمّلاً مليّاً سواء إذا وقفت المسألة في هذا الاتجاه أو وقفت عكس. وستتحقق من

المشرِّع عنها بشكل خاصّ. ولا تجازف انطلاقاً من افتقارك للتّقى والورع نحو الآلهة كي تقرِّر ما ليس حقيقياً.

[إنّ المتكلم كان ناجحاً جدّاً بالتأكيد في كبت مشاعره وفي التكلّم بلطف. سيبرهن أنّه لربما يكون قد أثار شيئاً من الغضبُ على الأصح.

أمّا الكلمة اليونانية المترجمة « اعتقاد » في الجملة الثانية من النهاية فهي كلمة «Dogma»].

١٢ ـ اللاأدريّة، مذهب اللاأدريّة

طيماوس

اشعياءَ: فبمن تشبّهون الله وأيُّ شبَهٍ تعادلون به؟

طيماوس: لا تُفاجَأ، يا سقراط، إذا لم نكن قادرين على أن نوجد بيانات متماسكة ومتناغمة مع نفسها بشكل كامل أو تكون بيانات دقيقة على الإطلاق. وذلك فوق مدىً فسيح من المواضيع المتّصلة بالله وإبداع العالم. لكن إذا أنتجنا من هذه البيانات ما يكون محتملاً كأيِّ شيء آخر فيجب أن نكون قانعين به، دون أن ننسى أنّنا، أنا المتكلّم وأنت الحاكم، أنّنا مخلوقات إنسانيّة فقط ويجب علينا أن نقبل القصّة المحتملة بشأن هذه الأشياء وأن لا نذهب في البحث عن أيّ شيء ما وراء ذلك.

[أنظر إلى الملاحظة عند نهاية الرقم ٤ من هذا الكتاب].

١٣ـ السمو الإلهي

بارميندس

الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس: لأنّنا بالإيمان نسلك لا بالعيان.

[لقد تمَّ نقد تعليم الأفكار في الجزء الأوّل من محاورة بارميندس لأفلاطون. إنّ التعليم، ولتضعه بشكل بسيط تماماً، يُعلِّم أن هناك « أشياء » تدرك بالحواسّ وهناك الأفكار أو صور الأشياء التي تشترك فيها الأشياء الخاصّة. يُفترض أنّ هذا

التعليم يفسّر حقيقة أنّنا نستطيع أن نسمي الأشياء المختلفة بالإسم عينه. هناك عددٌ من الكراسي في العالم كمثال، كلّها مختلفة عن بعضها « وإلاً فنحن لا نقدر على أن نميّزها » لكنّها كلّها تدعى كرسيّ لأنّها تشترك في فكرة الكرسيّ. إذا قلت أنا « لديَّ فكرة أنّ الساعة هي العاشرة » فإنّني لا أستعمل فكرة الكلمة بالطريقة الأفلاطونية، لكن إذا قلتُ « ما هي الفكرة الضمنية للمأساة؟ » فإنّني أفعل ذلك، لأنّني أسأل ما هو ذلك الذي يجعل من الممكن أن نعطي إسم مأساة لأشياء كثيرة مختلفة. إنّ فكرة الخير، أو الخير المحض، هي في عالم الأفكار، في حين أنّ الأشياء الخيّرة، كما تبرز في طريقنا، هي في العالم المحيط بنا والقريب منا. إنّ عالم الأفكار هو العالم « الحقيقيّ ». يعبّر أفلاطون عن هذا بالقول إنّ الأفكار « مبسوطة في السماء ». أمّا عالمنا فيكون لكن ظلاً أو تصوّراً للعالم الحقيقي. اعترفت الفلسفات المختلفة الأنواع بوجود الآلهة، لكنّها لم تقبل بأنّهم يهتمّون بالجنس البشريّ].

بارميندس سقراط

بارميندس: إذن فإنّ الجمال والخير المحض وكلّ تلك الأفكار التي نقبلها أفكاراً حقيقية لا تكون معروفة بنا.

سقراط: يبدو أنّها تشبهها.

بارميندس: وبعدُ، فلا يزال هنا شيء ما أكثر مخافة لك. عليك أن تتأمّله ملياً.

سقراط: وما هو ذلك؟

بارميندس: إفترض أنّك ستقول، إذا وجد نوع مطلق من أنواع المعرفة، فإنّه سيكون نوعاً دقيقاً أكثر بكثير من نوع معرفتنا، وإنّ الشيء عينه يكون حقيقياً بشأن الجمال وبشأن كلّ شيء آخر.

سقراط: نعم.

بارمیندس: إذا وُجد أيّ شيء مثل الحصّة في المعرفة المحضة، ألن تسمح بأنّه لا يوجد شخص واحد الذي يقتني النوع الأدقّ من المعرفة أكثر ممّا يفعل الله؟

سقراط: يجب أن يكون هذا كذلك.

بارمیندس: إذا امتلك الله معرفة محضة إذن، فهل سيكون قادراً على أن يمتلك معرفة بما يخصّنا أيضاً؟

سقراط: لِمَ لا؟

بارمیندس: لأنّنا اتفقنا على أنّه مهما كان تأثير الأفكار، فلن يكون لها صلة بشؤوننا، ولن تكون شؤوننا ذات صلة بالأفكار، بل أنَّ كلاً من العالمين الاثنين يلتزِم بنفسه.

سقراط: نعم، اتفقنا على ذلك.

بارمیندس: إذن، إذا كانت السيطرة الأدقُّ على الأشياء وإذا كانت المعرفةُ الأكثر ضبطاً توجدان مع الله، فإنّ التوجيه الإلهيّ لا يمكنه أن يضبطنا ولا المعرفة الإلهيّة لديها معرفة بأيٍّ من شؤوننا. وبطريقة مماثلة نحن لا نحكم الآلهة بالحكومة التي نمارسها، كلا ولا نعرف أيّ شيء عن الإلهي بمعرفتنا، بينما الآلهة بواسطة المناظرة عينها، ولأنّهم آلهة فقط، فليسوا أسياداً لنا ولا يمتلكون معرفة عن نشاطات الرجال.

سقراط: لكن هذه المناظرة عينها غير عادية، إذا نزع أيّ شخص كي يجرِّد الله من المعرفة.

بارمیندس: وبرغم ذلك، يا سقراط، فإنّ الأفكار يجب أن تمتلك صعوبات عديدة أكثر بشأنهم إلى جانب هذه الصعوبات إذا سلّمنا بوجودها.

١٤ــ المثاليون والماديون

السوفسطائي

مزامير: السّمٰوات سمٰوات الربّ، أمّا الأرض فأعطاها لأطفال الرجال.

فيلسوف إيلي: يبدو أنّ هناك معركة مستمرة منتظمة بين الآلهة والعمالقة بسبب تباينهم بعضهم عن بعض في ما يختصّ بطبيعة الوجود.

ثياتيتوس: كيف ذلك؟

الإيلي: الجانب الواحد منهما يسحب كلَّ شيء في السماء وفي العالم المرئي، يسحبه إلى الأرض، قابضين بإحكام، وبشكل قاطع على الصخور والأشجار بأيديهم. وهم بتركيزهم على كلّ هذه الأشياء يؤكّدون بشكل راسخ أنّ الأشياء التي توجد وحدها هي تلك الأشياء التي يمكن الشعور بها والتي يمكن لمسها، معرّفين المادة والوجود كأنّهما الشيء عينه. وإذا قال أيّ شخص من الجانب الآخر إنّ الأشياء اللاماديَّة توجد، هم يستخفّون به كليّة ولا يريدون سماع ما يقول.

ثياتيتوس: ما هذا الوصف المرعب! لقد صادفت عدداً من هؤلاء الأشخاص مسبقاً.

الإيلي: وهكذا فإنّ أولئك الذين يتصدّون لهم في المناظرة يختارون أرضية كلامهم بعناية جيّدة في العالم اللاّمرئيّ، ويقولون بشكل مؤكد إنّ أشياء محدّدة ذات صفة عقليّة وروحية هي التي توجد حقاً. إنّهم يصنعون بالمناظرة من « مادة » أخصامهم شيئاً مفروماً وكذلك بما يسمّونه « حقيقة » ويصفونهما ليس كوجود بل كعمل مستمرّ. هناك معركة مستمرة لا تنقطع بين الجانبين بشأن هذا، يا ثياتيتوس.

ثياتيتوس: صدقاً.

[إنّ العمالقة «Gigantes» الذين سعوا لخلع الآلهة عن العرش حُسِبوا أنّهم أبناء الأرض].

١٥ ــ الفيلسوف يستثني الله

ثياتيتوس

رسالة إلى أهل إفسس: إنّكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح أجَنبيين عن رعوية إسرائيل وغرباء عن عهد الموعد لا رجاء لكم وبلا إله في العالم.

« إنّ الله في اللغة اليونانية يكون «Atheoi»

سقراط: سيقول بروتاغوراس أو شخص ما يتكلّم بالنِيابة عنه: أيّها السادة، شيباً وشبّاناً، أنتم تجلسون معاً وتتحادثون عن مواد شعبية وتحضرون الآلهة إلى محادثتكم، لكنّني أستثني السؤال عن وجودهم من كتاباتي وأحاديثي.

[قال بروتاغوراس إنّه لا يعرف إذا كان الآلهة موجودين أم لا. إنّ أشياء كثيرة وقفت في طريق المعرفة هذه. كمثال، غموض المسألة وقصر الحياة الإنسانية. إنّ بروتاغوراس هذا أكّد قائلاً: « إنّ إحضار الله في المحادثة يربك القضايا الحقيقيّة في الفلسفة ». وهذا القول أثبته العديد من الفلاسفة].

« ان الكلام الموضوع بين القوصين [ ] يعود لآدم فوكس. وهناك أحبّ أن أقول إنّ فوكس استشهد هنا بما قاله بروتاغوراس في محاورة ثياتيتوس، وكان الأحقّ والأصحّ أن يستهشد بما قاله أفلاطون في هذا المجال، وهو الذي نقض أفكار بروتاغوراس وغيره من السوفسطائيين نقضاً تامّاً، وهو الذي أكدَّ في أكثريّة محاوراته وجود الإله الصانع الخالد الأزليّ مبدع الوجود. إذن فإنّ الفيلسوف الحقيقي لا يستثني الله، وبروتاغوراس هو سوفسطائي وليس فيلسوفاً ».

١٦ ـ المبدع لا يوصف

طيماوس

مزامير: مَن يتكلّم بجبروت الربّ مَن يخبر بكلّ تسابيحه.

طيماوس: وبعدُ دعنا نسمّي العالم كلّه ـ دعنا نسمّيه نظاماً كاملاً متناغماً أو أيّ شيء آخر يُفضَّل تسميته ـ على كل حال فإنّ السؤال بشأنه هو سؤالٌ إلزامي وعلينا أن نرفعه بخصوص أيّ شيء كبداية، أعني إذا كان العالم موجوداً دائماً بدون أيّة لحظة إبداعية، أو أنّه امتلك بداية ما وقد كان مُبدَعاً. الجواب هو أنّه قد أُبدِع. لأنّه يكون عالماً مرئيّاً ملموساً ومادّيّاً،

وكلّ هذه الأشياء تُدرك بالحواسّ، والأشياء المدرَكة بواسطة الحواسّ، كونها مفهومة بفعل الملكة العقلية المميِّزة هي مترافقة مع الإدراك الحسيّ. إنّ كلّ هذه الأشياء أُبْدِعَتْ ورُتِّبَتْ لتكون مخلوقات. وأبعد من ذلك نحن نقول إنّ المخلوق يجب أن يكون مُبدَعاً بسبب ما. لكن إيجادَ الصانع وأبا العالم عملٌ شاقٌ حقاً. وإخبار الجنس البشري حين إيجاده لمرّة، فهذا العمل مستحيل.

١٧ـ الفلسفة الطبيعية

طيماوس

الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: لكن لم يكن الروحاني أوّلاً، بل ذلك الذي يكون طبيعياً وبعد ذلك الروحاني.

طيماوس: إنّه لشيء ضروري أن نميّز نوعين اثنين من أنواع السببيّة، القوانين الطبيعية، والعملية الإلهيّة، وأن نبحث عن العملية الإلهيّة في الأشياء كلّها بقصد ضمان الحياة السعيدة، بقدر ما تسمح به طبيعتنا بخصوصها. لكنّنا نحقّق في القوانين الطبيعيّة من أجل العمليّة الإلهية، حاسبين أنّنا بانفصالنا عنها لا يمكننا أنْ ندرك ونعي في الانعزال، ولا أن نفهم، ولا أن نمتلك حصّة في الحقيقة في هذه الأشياء التي ركّزنا عليها في جدٍّ حقيقيّ.

١٨ ـ الفوقطبيعي

المائدة

الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: وإن كانت لي نبوّة وأعلم جميع الأسرار وكلّ علم وإن كان لي كلّ الإيمان حتّى أنقل الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً.

[يعلن سقراط أنّه يروي محادثة جرت بينه وبين النبيّة البيثيّة تدعى ديوتيما].

سقراط: ما هو الحبّ إذن، هل هو فانٍ؟

ديوتيما: أوه لا !

سقراط: لكن ما هو إذن؟

ديوتيما: إنّه كما قلت قبلاً، شيء ما بين الفاني والخالد.

سقراط: ماذا يكون ذلك حينئذ، يا ديوتيما؟

ديوتيما: إنّه مخلوق عظيم فوقطبيعي، يا سقراط. إنّ كلّ ما هو فوقطبيعي هو شيء ما بين إلهيّ وفانٍ.

سقراط: وأيّ قوىً يمتلك؟

ديوتيما: إنّه يمتلك القوة كي يوصل وينقل إلى الآلهة الأشياء التي تخصّ الإنسان وينقل إلى الأنسان الأشياء التي تخصّ الآلهة. كمثال، الصلوات والأضاحي وهي الأشياء التي تخصّ الرجال، ووجهات وأجوبه الصلاة هي الأشياء التي تخصّ الله. إنّ الفوقطبيعي، كونه وسطاً بين الاثنين، يكمّل كليهما ويوحدهما في كلٍّ تامٍّ في ذاته. بواسطة الفوقطبيعي يعمل الفن الألوهي بمجمله، وكذلك الكهانة، معرفة التضحية التقليدية، الطقس الديني، والرقيّات، وكلّ النبوّة والسحر. إنّ الله ليس لديه اتصال مباشر مع الإنسان، لكن كلّ الأعمال، التجارة، والمحادثات بين الآلهة والرجال، سواء كانوا مستيقظين أو نياماً، إنّ هذه كلّها وسائل فوقطبيعية. إنّ الإنسان البارع في هذه الأشياء يكون إنساناً بعطايا فوق طبيعية، وبالتباين فإنّ الإنسان الذي يكون بارعاً في الفنون والأعمال اليدويّة يكون مجرّد تقنيّ. وهذه المخلوقات الفوقطبيعية تكون مخلوقات متنوّعة ومختلفة، والحبّ واحدٌ منها.

[إنّ الكلمات المترجمة هنا « فوقطبيعي » هي كلمتا Daimonikos

و Daimon اليونانيتان واللتان أتت منهما كلمتا Demonic و Demon الانكليزيتان. وهاتان الكلمتان لا تعنيان Demonic و Demon على كلّ حال، بل تعنيان شيئاً ما أكثر من ذلك مثل نصف إله ونصف إلهيّ. إنّهما تشيران إلى المخلوقات، أقلّ ممّا تشيران إلى الآلهة على الأصحّ، وتشيران أكثر ممّا تشيران إلى الأبطال. إنّ الهبات الإلهيّة ذات النوع المميّز ستقود الإنسان إلى أن يكون Daimon، أقرب ممّا تقودانه إلى أن يكون ملاكاً بعض المرّات، وإلى أن يكون شيطاناً مرّات أخرى. إنّ كلمة « الفوقطبيعي » هي ربّما الكلمة التي يمكن استخدامها بشكل متناسق أكثر أو أقلّ. وسقراط طبقاً لحسابه امتلك تصريحات سريّة محدّدة نسبها إلى نصف إله أو إلى نصف إله خاصّ. يمكننا أن نسمّي تصريحات كهذه تصريحات « فوقطبيعية » إلاّ إذا كانت كلمة فوقطبيعية كلمة خارج النمط كثيراً جدّاً بشكل تامّ].

١٩ــ عمل الله اليدوي

السوفسطائي

رسالة إلى أهل افسس: لأنّنا نحن صُنعه مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدّها لكي نسلك فيها.

[إنّ كلمة « صُنعة » هي كلمة شعر في هذا النصّ. أمّا في المقطع أدناه فإنّ كلمة « إبداعي » التي تُرجمت هي كلمة شعرية].

فيلسوف ايلي: دعنا نفترض أولاً أن هناك جزأين اثنين من فنّ الإبداع.

ثياتيتوس: وما هما؟

الايلي: أحدهما فنٌّ إلهيّ والآخر إنساني.

ثياتيتوس: إنّني لا أفهم ما تعنيه تماماً.

الايلي: إذا تذكّرنا ما قلناه في بداية بحثنا، فلقد اتفقنا على أنّ كلّ القوّة تكون إبداعيّة، وهي سبب الذي لم يوجد وسبب الآتي إلى الوجود في مسار الزمن.

ثياتيتوس: نعم إنّنا نتذكّر ذلك.

الايلي: وبعدُ فإنّ كلّ المخلوقات الحيّة التي تكون عرضة للموت، وكذلك كلّ النباتات التي تنمو على سطح الأرض من البذور ومن البصيلات، وكلّ المواد العديمة الحياة في الأرض، الذائبة منها والسائلة على حدٍّ سواء، إنّ هذه الأشياء كلّها لم توجد في وقت ما، وأتت إلى الوجود بعدئذ. هل نتّفق نحن على أنّ هذا هو نتيجة عمل الله اليدويّ ولا شيء آخر؟ أو هل نقبل بما يعتقد به أكثر الناس ويؤكدُّونه...

ثياتيتوس: ما هو ذلك.

الايلي: يعتقدون أنّ الطبيعة تهب الولادة للأشياء كلّها من سبب عفوي ما بدون مساعدة عقليّة في نموّها. أو هل نعتقد نحن ونؤكّد أنّ سبباً ومعرفة إلهيّة آتيين من الله يتعاونان مع الطبيعة في ذلك؟

ثياتيتوس: إنّني غالباً ما أحتار فكريّاً بين الرأيين الاثنين بسبب صغر سنّي. لكنّني في هذه اللحظة، بما أنني معك ولديَّ انطباع بأنك تظنّ أنّها تأتي إلى الوجود طبقاً لتصميم الله، فإنّي أتبنّى هذه النظرية أيضاً.

الايلي: قول جيد، يا ثياتيتوس، إذا اعتقدت أنّك ستأخذ جانب أولئك الذين يذهبون ليفتكروا في الوقت الحاضر غيراً ممّا نفتكر نحن. إذا افتكرت ذلك فما يجب عليَّ عندها إلاّ أن أحاول هنا الآن أن أجعلك توافقني، بواسطة المناظرة المتحدة مع الإقناع الفعال القوّي. لكنّي أتصوّر أنّ لديك طبيعة ستلصق نفسها بدون أيّة مناظرة منّي، ستلصقها بالجانب الذي تقول عنه إنّه يجذبك إليه الآن. غير أنّي ساتخلى عن المحاولة، لأنّها ستكون مضيعة للوقت. سوف أؤكّد لك أنّ ما قيل ليأتي « بواسطة الطبيعة » إنّما يأتي بواسطة عمليّة فنّ إلهي، لكن ما يبنيه الرجال ممّا يأتي « بواسطة الطبيعة » هو إنتاج فنّ إنساني، وهذا القول يعادل القول الذي يؤكّد أنّ هناك

نوعين اثنين من أنواع الفنّ الإبداعي، وهما الفنّ الإنساني والفنّ الإلهي.... إفترض أنّنا والمخلوقات الحيّة الأخرى وكلّ ما هو مركّب، النار والهواء وعناصرهما الشقيقة، افترض أنّنا نعرف أنّ كلّ هؤلاء هم ذريّة الله وصنعته، أيكون ذلك هكذا؟

٢٠ ـ قصْدُ المبدع

طيماوس

الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي: وإله السّلام نفسه يقدّسكم بالتّمام ولتُحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح.

طيماوس: حسناً، وبعدُ دعنا نقول لماذا صمّم المهندس العظيم الإبداع وأوجد هذا العالم. إنّه كان خيِّراً. ولا يوجد أي حسد بخصوص أيّ شيء في الخيِّر على الإطلاق. وهكذا كونه متحرّراً من الحسد رغب المهندسُ العظيم أن يضع كل شيء خيِّراً مثل ذاته قدر الإمكان. إذا امتلك هذه الفكرة شخص من الرجال العقلاء، مثل التفسير الأكثر حقيقة عن أصل الإبداع وأصل العالم، فإنّ هذا الشخص حصل على ما يكون صحيحاً. إنّ الله القدير رغب في أن تكون كلّ الأشياء جيّدة، ولا ينبغي أن يوجد أيّ شيء خطأ في أيّ شيء بقدر ما يكون ذلك ممكناً. والمبدع العليّ وجد أنّ العالم المرئيّ كلّه ليس في حالة سكون بل إنّه متحرّك عشوائياً وفي فوضى. المبدِع الأزليّ أحضره إلى النظام من الشّواش، متصوّراً أنّ النظام في كلّ طريقة أفضل من الخلل والاضطراب. إنّه لم يكن ولا كان مسموحاً أبداً للأكثر خيراً أن يفعل أيّ شيء ما عدا الأكثر إعجاباً. وهكذا وكما تأمّل المبدع القضية مليّاً ابتدأ بأن يجد أنّه لم يوجد شيء بدون عقل في الطبيعة المرئيّة كلّها بكلّ بساطة، هذا الشيء الذي كان ليصبح أفضل من أيّ شيء ممتلكاً عقلاً، وابتدأ الله المتعالي يجد أنّه يكون مستحيلاً أنّ أيّ شيء يجب أنْ يمتلك عقلاً بدون

امتلاكه روحاً. بناءً على قوّة هذا التأمّل المليّ ابتدأ الله الخالد ينظّم العالم بواسطة ربط العقل إلى الروح والروح إلى الجسم. وهكذا انتج ما هو الأكثر جمالاً وخيّراً بالطبيعة. لذلك وطبقاً للفكرة الأكثر احتمالاً يجب على شخص أن يقول إنّ هذا العالم، بواسطة العناية الإلهيّة وتدبير الله المتعالي، هو مخلوقٌ حيٌّ بروح وعقل حقاً.

[الله استنبط أن لا شيء يجب أن يكون ناقصاً بقدر ما يكون ذلك ممكناً. يقول أفلاطون هذا لأنّه سلّم جدلاً بأن هناك شرّاً ما متضمّناً في صلب المادة].

٢١ ـ إخفاق وعودة إلى الوضع السوي

رجل الدولة

رسالة إلى أهل افسس: الله الغنيّ في الرحمة من أجل محبّته الكبيرة التي أحبّنا بها، حتى ونحن أموات في الخطايا أحياناً

[إنّ هذا الاقتباس أُخذ من أسطورة أفلاطونية افترض فيها أنّ العالم يسير برعاية الله في اتجاه واحد لمدّة طويلة يمكن أن تكون ٣٦,٠٠٠ سنة، ويعود إلى الوراء بعدئذ في الاتجاه المضادّ بعنايته وسيطرته الخاصّة. إنّ العالم يعاني اضطراباً عظيماً عند تغيير الاتجاه، لكنّ هذا الاضطراب سرعان ما يخمد].

فيلسوف إيلي: عندما مرَّ وقت جدير بالاعتبار توقّف العالم من مخاضه وارتباكه، واستبدل الهدوء بالاضطراب، واستمرّ في مساره المعتاد في طريقة منتظمة، ولديه العناية بنفسه والسيطرة عليها وعلى كلّ الذي يوجد فيه. إنّه تذكّر بقدر ما يمكنه أن يتذكّر تعليم الأب الذي صنعه. وفي البداية أنجز هذا بشكل دقيق جداً. لكنّه أنجزه في النهاية بشكل غامض. أمّا سبب ذلك فهو أنّ المادة التي صُنع منها، هي مادّة متضمنة في صلب طبيعته منذ القدم، وذلك عندما امتلك عنصراً فوضويّاً كبيراً قبل اتخاذه النظام الذي لديه الآن. الله الجليل الذي صنعه زوّده بكلّ ما هو جميل. لكنّه حصل من حالته

السابقة على كلّ ما هو خشن وخطأ تحت السماء، ونقل إلى الحيوان المبدَع الشيء عينه. وبعدُ فإنّه عندما كان يعتني بالمخلوقات الحيّة وبمساعدة مدير الدقّة العظيم أنتج الأمراض التي لا تذكر وكذلك المنافع الكبيرة. لكن عندما انفصل العالم عنه، أثناء الزمن الذي عقب حالاً وبعد الانفصال، عند ذلك استمرّ استمراراً جيّداً في مساره. لكن بسبب مرور الزمن وحدوث النسيان كشيء غير متوقّع، فإنّ حالة الفوضى سيطرت أكثر وأكثر عليه، وازدهرت في النهاية بشكل جيّد، ووُجِد خير قليل ممزوج بمقدار عظيم من نقيضه. وصل العالم إلى نقطة كاد يدمّر نفسه ويدمّر كلّ شيء فيه. لذلك فإنّ الله القدير منحه النظام عند تلك النقطة الرئيسية، مشاهداً أنّه في ضيقٍ وجزع رهيب فما يجب أن يُدمَّر باضطرابه وأن ينتهي ويغرق في بحرٍ حيث لا شيء يمكن تحديده أو تعيين هويّته. وهنا فإنّ الله العليّ تسلّم قيادة الدقّة مرّةً ثانية، عاكساً ما كان يعمل بغير انسجام أو ما كان مفتوداً في مسار العالم السابق المنحرف عن مساره الصحيح، وأعاده إلى النظام. بما أنّ وضعه في المكان الجديد الجميل لم يجعله عرضة للفساد والموت.

٣٢ ـ العالم الوحيد الولادة

(أ) طيماوس

أعمال الرسل: الإله الحيّ الذي خلق السماء والأرض وكلّ ما فيها.

طيماوس: وبعدُ يمكننا أن نقول الآن أخيراً إنّ بحثنا بشأن العالم هو عند نهايته. لقد تلقّى هذا العالم المخلوقات الحيّة الكاملة الفانية منها والخالدة على حدٍّ سواء. إنّه وُجد كمخلوق مرئيّ شاملاً كلّ الأشياء المرئيّة، إله محدَّد مدرَك بالحواسّ، صورةً عن الله المدرَك بالعقل، إنّه عالم عظيم جَدّاً وخيِّرٌ جدّاً، عالم جميل جدّاً وكامل جدّاً. عالم وحيد الولادة منفرد وحقيقي.

[تُترجم الكلمات « صورة المدرَك بالعقل » نص طبعة أوكسفورد. وتصادق

على صحّة الكلمات هذه نصّ طبعة جديدة بشكل متساوٍ يدعهما آرشر دين وتقول: « صورة صانعها ».

إنّ الكلمة اليونانينة المترجمة « الوحيد الولادة » هي مثل الكلمة الوجودة في إنجيل يوحنا]

(ب) طيماوس

طيماوس: إنّ الله المبدِع صاغ عالماً منفرداً، مفرداً، ومتوحّداً، قادراً بواسطة فضيلته الخاصة على أن يصاحب نفسه، ولا حاجة به للآخرين، قانعاً أن يكون حميماً وصديقاً جيّداً مع نفسه، بواسطة هذه الوسائل وفي توليده فإنّ الله الأزليّ ولّد إلهاً سعيداً.

[إنّ الله الذي فعل هذا دعاه طيماوس « الله الذي يكون أبداً »]

(ج) طيماوس

طيماوس: المبدِع جلّ مجده لم يصنع عالمين اثنين، ولم يصنع عوالم لا نهاية لها، بل صنع هذا العالم الواحد الوحيد الولادة. وبما أنّ هذا العالم تمّ إبداعه بمبدعه، فهو عالمٌ باقٍ وسوف يبقيان كلاهما.

٢٣ ــ شواش

طيماوس

تكوين: وكانت الأرض خرِبة وخالية.

[إنّ فكرة أفلاطون عن التكوين تفترض مقدّماً أنّ المادّة فاعلة كقالبٍ كي تتلقّى الطبعات ذات النوعيات المختلفة التي تصنع العالم كما نعرفه].

طيماوس: إنّه ليحتاج ويجب أن يكون ذلك الذي يكون كي ينتج مرة ثانية في نفسه. إنّه يحتاج لكلّ نوع من أنواع الشيء، وينبغي أن لا يكون له أيّة علاقة بالشكل، تماماً كما هي الحالة مع المراهم، إذا كانت هذه المراهم للتعطير. وهنا فإنّ الرجال يستخدمون براعتهم لينتجوا هذه الحالة بالتحديد،

لكنّهم بادىء ذي بدء هم جميعاً يصنعون السوائل التي تكون جاهزة كي تتلقّى الروائح العديمة الرائحة قدر الإمكان. هكذا أيضاً فإنّ الذين يحاولون أن يقولبوا الأشكال في أيّة مادةٍ طريَّة، لا يسمحون لأيّ شكل بأن يكون مرئياً في المادة عينها، بل يصنعونه أملس ويجهدون لجعله ناعماً قدر الإمكان. وفي الطريقة عينها فإنّه يكون شيئاً مناسباً لذلك الذي حصل مرّة بعد أخرى على أن يتلقّى انطباعات العالم والخلود بشكل ناجح ليكون ذا طبيعة لا علاقة لها بالشكل.

٢٤ ـ الكون، « بوصفه نظاماً متناغماً »

(١) طيماوس '

يوحنا: لأنّه هكذا الله أحبَّ العالم.

طيماوس: كان كلّ شيء قبل هذ لاعقلانياً ولا يُحصى، لكن عندما تمّت محاولة ترتيب الكون، فإنّ النار والماء والتراب والهواء في البداية، برغم أنّ هذه العناصر أظهرت بعض آثار طبائعها الفرديَّة، إنّ هذه العناصر كلّها كانت في هكذا حالة تماماً كما يمكن لشخصٍ أن يتوقّع لكل شيء أن يكون في غياب الله. بما أنّ هذه العناصر كانت في هذه الحالة وضع الله فيها شكلاً قبل كلّ شيء بوسائط الهيئات والأعداد، لكي يشكّلها الله هكذا كي تكون جميلة وجيدة قدر الإمكان بعد أن لم تكن كذلك سابقاً ـ دع هذا يكون ما نؤكّده على الدوام أكثر من تأكيد أيّ شيء آخر.

جورجياس

سقراط: يبدو لي أنّه ينبغي علينا أن نحيا وعيننا مركّزة على الهدف، وأن نوجّه نشاطاتنا ونشاطات الجماعة على أن نسبّب العدل والاعتدال كي يمكنهما أن يكونا في متناول الإنسان الذي سيكون سعيداً، غير سامحين للرغبات المفرطة أن تسود أو محاولين كي نشبعها، لأنّ حياةً كهذه ستكون حياة

مريضة وطويلة حتّى السأم، وهي حياة الرجل المتقرصن بكلّ بساطة. إنّ شخصاً كهذا لن يكون صديقاً لله ولا للإنسان، إذ من المستحيل أن تحيا ذلك النوع من الحياة الأليفة الودودة. وحيث لا توجد ألفة ولا مودّة لا توجد صداقة. يخبرنا الفلاسفة، يا كليكاس، أنّ الألفة والوداد والصداقة والنظام والإفادة العلميّة والعدل هي التي توحّد السماء والأرض والآلهة والرجال، ولذلك السبب يدعو الفلاسفة العالم، يدعونه الكون بوصفه نظاماً متناغماً ومنظّماً يا أصدقائي، ولا يدعونه فوضى وعناداً.

[إنّ الكون بوصفه نظاماً متناغماً يعني الجمال تماماً مثلما يعني النظام، ويعني من ثمّ الكلمة « التجميلات ». يبدو أنّ الفيثاغوريين كانوا أوّل من استعمل هذه الكلمة للعالم، لأنّهم حسبوا أنّ تنظيم الطبيعة كان جمالها الرئيسي والأساسي بشكل محتمل].

٢٥ ـ أسطورة الإبداع

بروتاغوراس

تكوين: وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حيّة كجنسها. بهائم ودبابات ووحوش أرضٍ كجنسها، وكان كذلك.

[سُئل بروتاغوراس إذا ما كان سيعطي عرضاً عن هباته بشرحه أنّ الفضيلة تُعلَّم. يمكن لحديثه أن يكون حديثاً ذكياً على الأرجح، لكنّه من الممكن أن يكون محاكاة ساخرة بسبب ما يعتبره أفلاطون. ويعرض أفلاطون بعض خدع بروتاغوراس وبساطته المتكلّفة ووضوح فكره. على أيّة حال فإنّ القصّة عينها هي قصّة جيدة].

بروتاغوراس: إنّني لن أرفض ما تقوله يا سقراط، لكن هل سأعرض لك هباتي بسرد قصّة، وكأنّي أتكلّم إلى شباب، أو هل سأجادل من أجل قضيتي؟

إقترح العديد من الرفاق الحاضرين أنّه يجب أن يفعل بالطريقة التي يحبها. قال بروتاغوراس عندئذ: إنّ الأجمل أن أخبرك قصّة.

كانت هناك آلهة في سالف الزمان، غير أنه لم تكن هناك مخلوقات فانية. لكن عندما حان وقت إبداعهم، فإنّ الآلهة صاغوهم داخل الأرض من مزيجٍ من التراب والنار ومن أي شيء يختلط مع النار والتراب. وعندما كان الآلهة على وشك إخراجهم إلى وضح النهار، أمروا بروميثيوس أو « التدّبر » وأمروا ابيميثيوس أو « فكرة تخطر في البال في ما بعدُ » أمروهما أن يجهزانهم وأن يوزّعا عليهم القدرات المناسبة كلاً بمفرده. إستعطف ابيميثيوس بروميثيوس كي يدعه يقوم بالتوزيع طبقاً لذلك، وقال لبروميثيوس: « عندما أقوم بذلك راقب وافحص ما فعلت ». أقنع ابيميثيوس بروميثيوس وبدأ بالتوزيع. وفي غضون عملية التوزيع هذه ألصق القوّة الجسديّة بدون السرعة للبعض، وجهّز ذوي القوّة الجسديّة الأقلّ بالسرعة. أعطى للبعض وسائل الدفاع عن أنفسهم؛ إمّا البعض الآخر الذين لم يعطهم وسائل كهذه فاستنبط لهم قدرة أخرى للاحتفاظ بحيواتهم. أمّا الذين منحهم قامة صغيرة فخصّص طريقة هربهم بواسطة الطيران أو بواسطة اللجوء إلى تحت الأرض؛ لكنّ الذين صنعهم كباراً في الجسد قدّم الضمانة والسلامة لهم بواسطة تلك الحقيقة بالتحديد. قام بالتوزيع الباقي بناءً على هذه القاعدة للتعويض عن النقص أيضاً. وفي تصميمه لكلّ هذا كان هو شديد الحرص جدّاً على أنّه لا يجب أن يتعرّض أي نوعٍ للانقراض. وعندما قدّم تدابير ضدّ محاولة تدمير بعضهم بضعاً، استنبط احتياطات كي يواجهوا بواسطتها الطقس بسهولة وراحة تامة، وذلك بتغطيتهم بالشعر الكثيف وبالتخفيّ الصّعب، كفاية منها لتدفع قساوة فصل الشتاء، وقادرة أيضاً على حمايتهم من حَرّ الصيف. وعندما ذهبوا إلى حجراتهم فإنّ الشعر عينه والمخابيء عينها قدّمت أسرّةً طبيعية مناسبة لكلٍّ منهم. بعضها زوّدها بالأظلاف، وزوّد الآخرين بمخابيء قاسية لا دماء

فيها. جهّز بعضهم تالياً بنوع واحد من أنواع الغذاء، وقدّم للآخرين أنواعاً أخرى، وكذلك فعل مع البعض بإعطائهم الخضار التي تنمو على سطح الأرض، في حين أطعم البعض من فواكه الأشجار وأطعم الآخرين من جذورها. وهناك بعض آخرون كان غذاؤهم الحيواناتِ الأُخرى. ألصق بروميثيوس بالآخرين بعض الصفاتِ بامتلاك ذريّة قليلة، وذلك بتجهيزهم بشيءٍ ما لوقاية نوعهم.

لكنّ ابيميثيوس لم يكن عاقلاً بشكل كامل وبدّد كلّ موارده على الحيوانات العجماء دون الانتباه لذلك. إنّ الجنس البشريّ كان لا يزال غير مجهزٍ بها، وكان في حيرة كيف سيتدبّر أمره. وبينما كان في حيرته أتى بروميثيوس كي يتفحّص التوزيع ورأى المخلوقات الأخرى تقتني كلّ شيء بشكل مناسب، في حين أنّ الإنسان كان عارياً، لا مأوى له، لا أسِرّة لينام عليها، وأعزل من السلاح. وكان يوم ظهوره من الأرض إلى وضح النهار يكاد يصل. فوجد نفسه في حيرة وذهول بمدى غايات الوقاية التي يمكنه أن يخترعها للإنسان. سرق بروميثيوس براعة وحكمة هيفياستوس وأثينا، وبراعة النار أيضاً، بما أنه كان شيئاً مستحيلاً من أنّ براعتهما يجب أن يتضلّع فيها أيّ شخص أو أن تكون بذات فائدة بدون النار. وهكذا فإنّ الإنسان وُهب بواسطتها، أو على أيّة حال فإنّه وصل إلى اقتناء فنون الحياة. لكن لم يكن لديه فنّ العيش في مجتمعات. كان هذا الحقّ مقصوراً على زيوس. غير أنّ بروميثيوس لم يكن بمقدوره دخول الحصن حيث يقطن زيوس، إضافة إلى أنّ حرّاس زيوس كانوا حراساً مرعبين. لكن بروميثيوس دخل الحصن بدون أن يلحظه أحد، دخل إلى المسكن الذي تسكنه أثينا وهيفاستوس، حيث هذّبا وشجعا الفنون. وعند دخوله سرق براعة هيفياستوس في الفرن وسرق براعة أثينا أيضاً، وأعطاهما للبشر. ومن هذه البراعة أتت طريقة حياة الإنسان

التي لا تنضب. غير أنّ بروميثيوس أُدين بالسرقة بعد ذلك بسبب دَينة لأبيميثيوس، كما تخبرنا القصّة.

لكنّ الإنسان عندما حصل على حصّة من التراث الإلهيّ، اصبح الوحيد الذي اعترف بالآلهة قبل كلّ شيء وذلك من بين المخلوقات جميعاً بسبب صلته الروحية بالله. وبدأ الإنسان بإقامة المذابح وصور الآلهة، وبسبب براعته تالياً، وبوقت قريب، حصل على الحديث المترابط باتّساق وعلى أسماء الأشياء، واخترع البيوت والثياب، والأحذية والأسرّة، ووسائل التنمية والغذاء. وبعد هذا التجهيز، عاش البشر في الأزمنة المبكّرة في جماعات مُتفرّقة؛ ولم يكن هناك مدن زمنها. بناء على ذلك فتكت بهم الوحوش المفترسة لأنهم ضعفاء في كلّ طريقة. إنّ عملهم اليدويّ ساعدهم في الحصول على الغذاء بشكل كافٍ، لكنّ عملهم هذا لم يكن وافياً بالمراد في حربهم مع الحيوانات المفترسة، إذ لم يكن لديهم فنّ العيش في المدن بعد، وفنّ الحرب فرع من فروعه. وهكذا فهم شرعوا بالتجمّع وإيجاد المدن ليحموا أنفسهم. لكنّهم عندما التأموا معاً بدأوا يسبّبون الأذى بعضُهم لبعض، لأنّهم لم يكن لديهم فنّ العيش في المدن. ونتيجة لذلك تفرّقوا وتبعثروا وبدأوا بتدمير أنفسهم مرّة ثانية. وهكذا فإنّ زيوس خاف انقراض الجنس البشريّ بشكل كامل، فأرسل هرمس كي يحضر الاحترام والعدل ليكونا عنصري النظام في المدن وليربطا ويوحّدا المواطنين في إطار الصداقة. سأل هرمس حينئذ زيوس: على أيّ مبدأ يجب أن يعطى البشر العدل والاحترام، وقال: « هل يجب عليّ أن أوزعهما مثلما وزّعت الفنون وبالطريقة عينها؟ لقد وزّعتها كما يلي: أعطيت طبيباً واحداً لرعاية العديد من الأناس العاديين وكان هذا كافياً، وفعلت هكذا ببقيّة الفنون الأخرى. هل يجب عليّ إذن أن أوزّع العدل والاحترام بين البشر بهذه الطريقة، أو أنّني سأعطي حصّة لكلّ

شخص؟ ». قال زيوس: «أعطها لكلّ شخص، ودع الجميع يكون لديهم خصّة منها، لأنّه لا يمكن للمدن أن توجد، إذا تقاسمت العدل والاحترام قلّة من الناس، كما يفعلون بالفنون. وشرّعت قانوناً بقتل كلّ شخص اجتماعي مؤذٍ ومزعج لا يمكنه أن يتعهّد حصّته من الاحترام والعدل ». هكذا، يا سقراط، ولهذا السبب، فإنّ المجتمعات كلّها والمجتمعات الأثينية بشكل خاصّ، عندما يكون هناك بحث بشأن نوعيّة نوعٍ ما من فنّ التجارة أو بخصوص أيّ عمل يدويّ آخر، فإنّ هذه المجتمعات ترتئي أن تختار قلّة من الناس في استشاراتها. وإذا أعطى أيّ شخص رأيه من خارج هذه الأقليّة تلك فإنّهم لا يسمحون له بذلك، كما تقول ـ غير أنّي أقول بفعل هذا بشكل معقول وكافٍ؛ لكنّهم عندما يتقابلون ليبحثوا سؤالاً ما عن الفضيلة المدنية التي يجب أن تهتمّ بنفسها في كلّ مكان مع العدل وضبط النفس، عندما يفعلون ذلك فهم يصبرون على كلّ شخص بشكل معقول، بما أنّه يكون مناسباً لكلّ شخص أن يمتلك حصّة من هذه الفضيلة ـ وإلاّ فلن يمتلكوا مدناً. هذا هو سبب عدم امتلاكها، يا سقراط.

[يستمرّ بروتاغوراس ليبيّن أنّ هذا الإدراك للعدل الذي يمتلكه أيّ شخص يجب أن يُعلَّم].

« للمرّة الثانية يرتكب آدم فوكس خطأً بعرضه أفكاراً ليست لأفلاطون ولا لسقراط وذلك من محاورة بروتاغوراس ويقارنها بما جاء في الإنجيل المقدّس. إنّ هذه الأفكار المستشهد بها هي أفكار وآراء بروتاغوراس السوفسطائي التي نقضها سقراط نقضاً مبيناً، واتّخذ القرار النهائيّ من أجل تعليم الفضيلة أو عدمه في محاورة مينون عندما قال: « إنّ الفضيلة لا يمكن تعليمها بل إنّها هبة من الله لهؤلاء الذين تأتي إليهم ».

٢٦ ـ عالم ساقط

فيدون

رسالة بطرس الأولى: وأمّا أنتم فجنس مختار وكهنوت ملكوتي أمّةٌ مقدّسة شعب اقتناء لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب.

سقراط: أعتقد بأنّ العالم هو عالم كبير جدّاً وأنّ أولئك الذين يعيشون منّا بين مضيقي جبل طارق والبحر الأسود يشغلون جزءاً صغيراً منه فقط. إنّهم يعيشون حول البحر الأبيض المتوسّط كما تعيش النمل والضفادع حول الغدير. أعتقد بأنّ هناك بشراً آخرين في مكان آخر يحيون في أجزاء مشابهة، لأن هناك العديد من التجاويف حول الأرض ومن كلّ الأنواع والأشكال والأحجام، التي يتجمّع فيها الماء والضباب والهواء. لكنّ الأرض المناسبة صافية ومركّزة في السماء النقيّة التي يدعوها أكثر الناس الذين يتكلّمون بشأن أشياء كهذه بشكل منتظم، يدعونها الأثير. تكون تلك حيث هي النجوم. لكنّ الماء والضباب والهواء هي ثفالة الأثير وتتجمّع في تجاويف الأرض. وبعدُ لم نلاحظ أنّنا نحيا في هذه التجاويف بل نرى أنّنا نكون على السطح، تماماً مثلما يرى أيّ شخص يعيش في قاع البحر أنه يحيا على سطحه، وعندما رأى الشمس والنجوم من خلال الماء أمكنه أن يفترض أنّ البحر هو السماء. ومن ضعفه وعَوَزه للمغامرة لم يصل إلى القمّة قطّ، ولم ينبثق من الماء ويصعد خارجه إلى المقاطعة التي نحيا عليها، ولم يرَ كيف يكون المكان هنا أكثر صفاءً وجمالاً ممّا هو عليه في قاع البحر، ولم يسمع من أيّ شخص رأى هذا.

وبعدُ فإنّ ذلك هو ما حدث لنا تماماً. نعيش نحن في تجويف من تجاويف الأرض ونظن أنّنا على قمّتها. ونسمّي الهواء السماء، ونفترض أنّ النجوم تتحرّك خلال هذه السماء. لكنّ الحقيقة هي الشيء عينه كما هي قبلاً.

ونحن من ضعفنا وافتقارنا للمغامرة لسنا قادرين على أن نجتاز منطقتنا إلى تخوم الهواء. إذ لو اجتاز أيّ شخص إليها، أو كان لديه أجنحة وحلّق إلى هناك، كما تفعل السمكة التي تصعد إلى سطح الماء وترى عالمنا هكذا، سيصعد هو ويرى عالم الهواء العلوي. وإذا كانت طبيعته قويّة بما فيه الكفاية ليتحمل المشهد غير الاعتيادي هناك عندما يراه، فإنّه سيتعلم أنّ تلك كانت السماء في المفهوم الحقيقي، وأنّ ذلك النور هو النور الحقيقي، وما يمكننا أن نسميّه الأرض الحقيقية. إنّ الأرض هنا والصخور والمنطقة بكاملها مفسدة ومتآكلة، تماماً مثلما تكون الأشياء متآكلة بمياه البحر المالحة. لا شيء بذي قيمة ينمو في البحر ولا شيء يصل إلى الكمال بمعنى آخر، لكن حيث يوجد التراب، فإنّه يتألّف من الكهوف والرمال والوحول والمستنقعات التي لا نهاية لها، ولا تقاس بجمالات ما يحيط بنا مهما كان السبب. لكنّ العالم العلويّ سيظهر أسمى وأعلى شأناً ممّا يحيط بنا وفي درجة أكثر عظماً.

٢٧ ــ ابناء الآلهة

كريشياس

رسالة يوحنا الأولى: وبعدُ هل نحن أولاد الله ولم يظهر حتى الآن ما سنكون.

[يتكلّم كريشياس عن مواطني بلادٍ متخيّلة تدعى أطلنطيس، وهي بلا غنيّة وعصريّة جداً].

كريشياس: لأجيال عديدة خلت، وبقدر ما وفت الطبيعة الإلهية بالغرض فيهم، كانوا مطيعين للقوانين وكانوا ميّالين للآلهة الذين كانوا أنسباءَهم بعطف. إنّهم أكرموا وفادة الأفكار العظيمة الصادقة الكاملة، وعرضوا اللطافة مع الفهم الجيّد في وجه ما أحضره لهم الحظّ وفي علاقاتهم بعضهم مع بعض. بناءً على ذلك إزدروا بكل شيء ما عدا الفضيلة، ووجدوا أنّه لشيء سهل

أن يعتبروا أن تكديس الذهب واقتناء الممتلكات الأخرى وكأنّها عبءٌ عليهم تماماً. لم يكونوا ثملين بالرخاء ولم يفقدوا ضبط أنفسهم ويصلوا إلى حدّ دمارها بسبب غناهم، لكنّهم كانوا رزينين ورأوا بوضوح أنّ كلّ هذه الأشياء معزّزة ومجمَّلة بالصداقة المشتركة المتبادلة المتّحدة مع الفضيلة، لكن لكونها مطلوبة ومقدّرة بهم بشكل مفرط، تضاءلت هذه الأشياء وذهبت الصداقة معها بالطريقة عينها. من هذه الاعتبارات ولطالما كانت الطبيعة الإلهيّة قاطنةً فيهم، فإنّ هذه الأشياء الصالحة التي وصفناها قبلاً سادت فيهم أكثر فأكثر.

لكن عندما بدأ النغم الإلهيّ يضمحلّ فيهم، كونهم مشوبين بسكبٍ كبير من الفناء بشكل دائم، وكون الجانب الإنسانيّ من شخصيتهم بدأ السيادة فيهم، أصبحوا غير قادرين على دعم موقعهم، وبدأوا بنقش شكل هزيل لهم، وفي الظهور بشخصيّة سيّئة المنظر لأولئك الذين لديهم عيون كي يروهم. لذلك فقدوا كلّ الجمال من الذي كان الأكثر شرفاً وكرامة بشأنهم. لكنّهم أعطوا لأولئك الذين أصبحوا غير قادرين على رؤية الحياة التي تخلق السعادة بشكل أصيل، أعطوهم الانطباع الأكثر روعة حينئذ لكونهم جميلين ومباركين بشكل كامل، وذلك بينما كانوا حاصلين على الإثم والطموح والقوّة بكلّ ما في الكلمة من معنى.

غير أنّ زيوس، إله الآلهة، الملك الذي يحكم بالقانون، يستطيع أن يرى كلّ هذه الأشياء، ودوّن ملاحظة أنّه كان هنا شعب مقبول في مأزق يرثى له، وبما أنّه رغب في إنزال العقوبة عليهم وأنّه بتأديبه لهم يمكنه أن يعيدهم إلى طابعهم الحقيقي، لذلك جمع الآلهة كلّهم إلى بيتهم الأكثر كرامة ومهابة، البيت الموجود في وسط العالم أجمع ورأى كلّ ذلك الذي يكون جزءاً من الإبداع، وعندما جمعهم معاً قال....

[ينتهي كلام كريشياس هنا على نحوٍ مفاجىء. إنّه كلام مبتور. لا أشعر بأنّي

متأكّد على الإطلاق ممّا تعنيه الكلمات التي ترجمتها « فاقدين كلّ الجمال من الذي كان الأكثر شرفاً وكرامة بشأنهم ». إنّها لكلمات تشير بشكل حرفي تماماً إلى « مدمرين الأشياء الأكثر جمالاً من الأشياء الأكثر تكريماً وتقديراً ». من المحتمل أنّ كريشياس يعني أنّ الأشياء التي كانت الأفضل بشأنهم دمرّها غناهم الفاحش.].

٢٨ ــ كشف، رؤيا نبويّة

فيدروس

رسالة يوحنا الأولى: ذلك الذي كان من البداية، الذي سمعناه، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحيٰوة.

[إنّ الآلهة في عرباتهم وأرواح الرجال التي تبعتهم، كذلك هي في عرباتهم، إنّهم كلّهم ذاهبين في موكب دائري خلال السماء].

سقراط: إنّ السماء العليا لم يغنّ لها أيّ شاعر أرضيّ هنا أيّة أغنية تليق بها حتى الآن، ولن يغنّي لها أيّ شاعرٍ أبداً. لكن هذا يكون كيف تكون هذه السماء، لأنّه يجب عليّ أن أناضل بكلّ قوّة كي أخبر الحقيقة، خاصّة في التكلّم عن الحقيقة. إنّ الموجود الجوهري المثالي، هو الذي يكون معنياً به حقل المعرفة كلّها. إنّ هذا الموجود يحتلّ ذلك العالم، وهو بدون لون، بدون شكل، أو سطح، معروف بالعقل فقط، ذلك العقل الذي هو دليل الروح الوحيد. وبعدُ فإنّ العقل الإلهيّ، وقد شاهد أنّ الروح تتغذّى بالفكر والمعرفة غير المشوَّهَين، زيادة على تغذيتها بذكاء كلّ روح تتحمّل الآلام كي تتلقّى ما يناسبها، وشاهداً أيضاً واقع الأوان، أقول، إنّ هذا العقل الإلهيّ أحبّ الروح وبتأمّله المليّ بالحقيقة تغذّى بها وكان سعيداً إلى أن أعادت الدائرة الروح إلى حيث كانت قبلاً. لكنّها رأت في هذه الدائرة العدل

نفسه، ورأت الاعتدال، ورأت المعرفة. ليست تلك المعرفة التي تمتلك بداية، أو تكون شيئاً الآن، وشيئاً آخر بعدئذ، مثلما وُجدت هذه المعرفة في الأشياء المختلفة والتي نسمّيها حقائق في حالتنا الحاضرة، بل إنّها رأت المعرفة الحقيقيّة التي هي في تلك الحقيقة حقاً. المعرفة التي توجد في الواقع، وبشكل مماثل فإنّ الروح بما أنها شاهدت الحقائق الأخرى حقاً ومتّعت عينيها بها، دخلت هذه الروح عمق السماء مرّة ثانية ووصلت إلى بيتها، وعند وصولها، سلّم قائد العربة الحصانين إلى المدير وجهّزهما بطعام الآلهة وأعطاهما رحيقاً إلهيّاً ليشرباه كذلك.

[إنّ هذا المقطع غير شبيه بسفر الرّؤيا اليهودي بشكل مدهش].

٢٩ ــ إننا نأتي بسحب من التألّق والمجد

فيدروس

الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس: وأعرف هذا الإنسان في الجسد أو خارج الجسد لست أعلم. الله يعلم.

سقراط: إذن « يكون ذلك في الوجود السابق » إنّها مُنحت لنا لنرى الجمال شعشعانيّاً متألّقاً. إننا وبصحبةٍ مباركة على طول الطريق كلّها، تبعنا زيوس، وتبع الآخرون واحداً من الآلهة الآخرين، ورأينا مشهداً فوقطبيعياً وغير اعتيادي، وشاركنا في ما كان مسموحاً بها لنسمّيها الأسرار الأكثر مباركة من كلّ الأسرار. عندما احتفلنا بها، كنّا في حالة من الكمال والمناعة ضدّ الشرور التي كانت تنتظرنا في مرحلة لاحقة. كنا مطّلعين على رؤى الكمال، وقد تلقّنّاها. إنّها رؤىً بسيطة، هادئة، سعيدة. ورأيناها في مجدٍ نقيّ، وكنا طهرةً ولم نكن مدفونين في الذي نحمله معنا أنّى كنا ونسمّيه الجسد، والذي نحن فيه سجناء بقدر ما تكون المحارة سجينة في صَدَفتها.

٣٠ ـ الزمن والأبديّة

طيماوس

رسالة يوحنا الأولى: فإنّ الحيٰوة أُظهِرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحيٰوة الأبديّة التي كانت عند الآب وأُظهِرت لنا.

طيماوس: لكن الآب القدير الذي خلق العالم، عندما تلقّى ذلك الذي تحرّك وحيي وأصبح ليكون بهجة الآلهة الخالدين، سُرَّ وصمّم في سعادته أن يجعله أكثر شبهاً بنموذجه. ومشاهداً أنّ النموذج كان أزلياً وحيًّا، حاول أقصى ما يستطيع كي يتمّم هذا العالم على غرار النمط عينه. لكنّه كان في طبيعة النموذج كي يكون عالماً أبديّاً، ولم يكن من الممكن أن يلحق بهذه الصفة المميّزة إلى الذي أبدِع. وهكذا فإنّ الله المتعالي قرّر أن يصنع صورة متحرّكة للأزليّة. وفي مسار وضع السماوات في نظام. جعل من الأزليّة التي تثبت في الوحدة صورةً خالدةً متحرّكةً في عالم العدد. وهذه الصورة هي ما توصلنا إلى تسميته الزمن، لأنّ في عملية إبداع السماوات وصورة الأزليّة استنبط المبدع الخلاّق الأيّام والليالي والشهور والسنين أيضاً، وهي التي لم تأتِ إلى الوجود قبل أن أُبدِعت السماوات.

إنّ كلّ هذه الأشياء هي أقسام الزمن وكانت ستكون وأصبحت أنواعاً مختلفة من الزمن التي نوصلها بالوجود الأبديّ غلطاً وخطأً. نحن نتكلّم عن الذي كان ويكون وسيكون، لكنّ ذلك يخصّ الوجود فقط طبقاً لحالة البيان الحقيقي، غير أنّه يكون مناسباً لكان وسيكون كي يُستعملا لذلك الذي قد أُبدِع والذي يتحرّك خلال الزمن. إن كانا وسيكونا هما حركة، ولا يكون مناسباً أنّ الذي يكون غير قابل للتغيير والشيء عينه أن يصبح أكبر وأفتى بعمليّة الزمن أبداً، أو وجب أنّه وُجد مرّة ولم يوجد الآن، أو أنّه لن يستمرّ كي يوجد في ما بعدُ، أو أن يكون أيًّا من هذه الأشياء التي من كون أنّها

أُبدعت حقّاً ترتبط بما يخصّ تيّار الأشياء المدرَكة عن طريق الحواسّ بشكل عامّ.

[رأيت الأزليّة ليلة أمس،
كدائرة نور نقيّ ليس له نهاية،
الهدوء يشمل الكلّ، عندما كان النور شعشعانياً،
وتحته دائريّاً، الزمن، في ساعاته، أيّامه، وسنيه،
دُفع بالكرات السماوية،
مثل ظلّ فسيح متحرّك. هنري فوغان]

٣١ ــ صورة الحبّ

المائدة

نشيد الأنشاد:

أغنية سليمان: مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبّة والسيول تغمرها.

[يكرّر سقراط هنا ما قالته له ديموتيما في المحادثة، وهي النبيّة من مانتيني].

سقراط: الحبّ هو ابن الموارد والفاقة، وتتطابق كلّ حصّة لأبوّته. لأنّه يكون فقيراً دائماً في المقام الأوّل، وهو شديد البعد من كونه ناعماً وجميلاً، كما يفتكر أكثر الناس، إنّه يكون خشناً، مهمَلاً، حافياً، ولا مأوى له. هو يضطجع على أرض عراء بدون سرير يتمدّد عليه، ينام في الهواء الطلق المكشوف، في المداخل أو الشوارع، ولأنّه يحذو حذوَ أمّه فإنّ لديه حاجة لرفيق. على الجانب الآخر إنّ الحبّ يشبه أباه ولديه تصميمات بشأن كلّ ما هو جميل وخيِّر. إنّه شجاع ومنطلق وعنيف، صياد قاسٍ، ومنهمك بحَبْكِ مكيدةٍ ما، مع رغبة بالحكمة والخير حين الحصول عليهما. الحبّ يتفلسف أثناء حياته كلّها. إنّه مشعوذ مخيف وساحر، إستاذ جامعي في ما يعمل، لا يشبه هو الفاني ولا الخالد، لكنّه يكون نشيطاً وممتلئاً حيويّة في وقت واحد وفي اليوم

عينه. إنّه كذلك عندما يكون مزدهراً، يموت في وقت آخر، ويعود إلى الحياة أخيراً مرّة ثانية، بسبب أرومة أبيه التي تكمن فيه. غير أنّ موارده تتبدّد على الدوام. وهكذا فإنّ الحبّ لا يكون فقيراً أو غنياً قطّ، ويكون أيضاً في الطريق الوسط بين المعرفة والجهل. يكون ذلك ما يشبه الحبّ.

[إنّ بعض صفات الحبّ كما يتمّ وصفها هنا تتوافق مع تقديم سقراط الأفلاطوني بشكلٍ واعٍ]

٣٢ ــ ميزان الحبّ

المائدة

اشعيا: في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيّد جالساً على كرسيٍّ عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل.

ديموتيما: قالت النبيّة ديوتيما: « إنّه لضروريٌّ للحب أن يتقدّم بجودة في مهمّته، ليبدأ عندما يكون فتيّاً وينسجم مع الأشخاص الجميلين. وبادىء ذي بدء إذا أرشده هاديه إرشاداً صحيحاً، لكي يحبّ شخصاً واحداً ويجعل من ذلك الفرصة لخلق الأفكار الجميلة، يجب أن يدرك الحبّ بعدئذ أنّ الجمال في شخص واحد يكون مماثلاً للجمال في شخص آخر، وإذا كان عليه أن يتعقّب الجمال كما وُجد في نوع الأشياء، فسيكون غباء كبيراً كي يُظنّ أنّ الجمال في كلّ شخص يكون جمالاً واحداً والشيء عينه. وعند إدراكه لذلك ينبغي عليه أن يتبنّى موقف كونه محبّا للأشخاص الجميلين معاً وأن يلطّف الحبّ المفرط لأيّ شخص خاصّ كونه حبّا جديراً بالازدارء وذا قيمة ضئيلة. يجب عليه تالياً أن يظنّ أن الجمال في الروح هو أكثر نفاسة من جمال شخص إلى حد أنّه إذا كان أيّ شخص أكثر افتتاناً في الروح برغم أنّه يمكن أن يكون لديه قليل من الجمال الخارجي، فسيكون ذلك كافياً له ليحبّه ويعتني به، وكافياً كي ينتج ويعزّز هكذا محادثة ليجعل الفتى أفضل

ممّا يكون. وبالنتيجة سيكون ملزماً ليرى أنّ الجمال هناك يكون في السلوك المناقبي وفي القوانين، وأنّ كلّ جمال كهذا يكون النوع عينه، وأن يصل إلى التفكير أنّ جمال الشخص هو شيء صغير فقط. ويجب على هاديه أن يرشده من مرحلة السلوك المناقبي إلى المعرفة، كي يمكنه أن يرى الجمال بفروعه المختلفة. وبتفحّصه حقل الحبّ كله يمكنه أن لا يبقى هكذا مستَعبَداً بعد ذلك كي يكون قانعاً بمثل فردٍ من مُثُل الجمال، مثلما يتصرّف ولد وقح أو يتصرّف إنسان ما بطريقة غير لائقة. سيكون ذلك كي يضع إنسان نفسه بمستوى عبد متملّق ذليل، بمستوى حقير وتافه. لكن يلزمه أن يستدير نحو المحيط العظيم من الجمال وأن يركّز فكره على الجمالات المتعدّدة والأفكار السنيّة، وأن يحصل على الأفكار في عالم الفلسفة اللامحدود، إلى أن يرى الموجود المحصَّن والمحسَّن في هذا الخصوص. هناك نوع فريد من أنواع المعرفة، أعني معرفة الجمال التي ستصفها ديوتيما، كما قالت. حاول أن تصغي إلى ما أقول وتعطي انتباهك له جيداً، يا سقراط. إنّ الإنسان الذي يصل إلى هذه النقطة كتلميذ في مدرسة الحبّ، ويشاهد الأشياء الجميلة في نظام حقيقي، إنّ هذا الإنسان سيصل إلى الهدف الآن، ويرى فجأة ذلك المشهد غير الاعتيادي والرائع للحبّ الذي هو بطبيعته جميل؛ وسيرى في الحقيقة، يا سقراط، ذلك الذي تحمّل من أجله كلّ المشقّات السابقة. قبل كلّ شيء إنه الجمال الذي يبقى للأبد، الجمال الذي لا يأتي ويضمحلّ، الذي لا يزداد ولا يضعف. إذن إنّه لا يكون جمالاً تحت حالات ما وقبيحاً تحت حالات أخرى، بمعنى كونه جميلاً لبعض الناس وقبيحاً للآخرين. مرّة ثانية إنّ الجمال لا يحضر نفسه لسائح حبنا تحت زيّ الوجه أو اليدين أو أيّ جزء آخر من أجزاء الجسد، ولا يبدي نفسه كفكرة، ولا كحقيقة، ولا كأنّه موجود في شيء ما غيراً من نفسه، في حيوان كمثال أو في الأرض

أو في السماء أو في أيّ شيء آخر، بل إنّه يثبت أبداً كشيء في نفسه وبنفسه وفي نوع بواسطة نفسه. إنّ كلّ الآخرين الذين يكونون جميلين يشاركون فيه بهذه الطريقة وهي أنّه بينما يأتي كلّ الآخرين إلى الوجود ويكفّون عنه، هو لا يكبر ولا يقل ولا يستطيع أيّ شيء أن يؤثّر فيه على الإطلاق. بكلّ تأكيد فإنّه عندما يصعد أيّ شخص، مبتدئاً كما وصفت قبلاً، وبالطّريقة التي تكون مناسبة لكونه في الحبّ ويبدأ باكتشاف الحبّ في نفسه، عندما يفعل ذلك ستكون النهاية في متناول يده قريباً.

هذه هي إذن الطريقة التي ستتقدّم بموجبها تقدّماً صحيحاً على طول ممرّ الحبّ أو كي يقودك الغير إليها. ومبتدئاً من الجمال القريب فإنّ الإنسان يجب عليه أن يرتفع أبداً من أجل الجمال الذي يكمن ما وراء ذلك، مثله مثل الإنسان الذي يستخدم درجات السلّم كي يرتقي. هكذا يجب على الإنسان أن يرتقي أبداً من إعجابه بجمال شخص واحد إلى إعجابه بشخصين اثنين ومن إعجابه بشخصين إلى إعجابه بكلّ الأشخاص الجميلين، إلى ممارسته السّلوك الجميل. ومن ممارسته السلوك الجميل إلى التعليم الجميل، ومن ثمّ يرتقي من التعليم نهائياً إلى ذلك التعليم الخاصّ الذي لا يخبر عن شيء آخر غيراً من الجمال ذاته بالتحديد. وهكذا فهو ينتهي بمعرفة ما هو الجمال في ذاته. هناك، يا عزيزي سقراط، هناك يكون الإنسان حيّاً بحقّ في تأمّل الجمال ذاته أكثر من أيّ مكان آخر.

٣٣ ـ استنتاج المسالة بمجملها

المائدة

رسالة يوحنا الأولى: إن الله محبّة.

فيدروس: وهكذا فإنّني أقول إنّ الحبّ هو الأكثر تبجيلاً والأكثر تكريماً من الآلهة كلّهم ولديه السيادة في حصول الإنسان على الفضيلة والسعادة في الحياة والموت بشكل مشابه.

٣٤ ــ استرخاء

طيماوس

متّى: إذا خرج الروح النجسِ من الإنسان يجتاز في أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة ولا يجد.

[كان طيماوس يعالج أشياء كالذهب، البرونز والصدأ]

طيماوس: لا حاجة لتفسيرٍ مفصَّل عن مواد أخرى، إذا بحث شخص عن طريقة لإحضارها بواسطة اختراع الأساطير المناسبة بشأنها. إنّ الإنسان الذي يتوقّف عن بحث الحقائق الأزليّة بطريقة الاسترخاء، ويوجّه اهتمامه إلى أسباب الإبداع على الأرجح، إنّ إنساناً كهذا يكسب لذّة « ذلك بعد أن لا يثير الندم »، ويجهِّز نفسه بسلوى عقليّة متواضعة طيلة أيّام حياته. دعنا نتقدّم في الوقت الحاضر بموازاة هذه الخطوط.

ب ــ الإنسان وقَدَره

يجب علينا أن نفعل كلّ شيء كي نمتلك حصّتنا من الفضيلة والفهم الصالح في الحياة، لأنّ الجائزة جيدة، ولأنّ التوقّعات سامية. «فيدون»

٣٥ ــ ما هو الإنسان؟

السيبيادس الأولى

الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: هناك جسم حيواني وهناك جسم روحاني. هكذا مكتوب أيضاً. صار آدم الأوّل نفساً حيّة وآدم الأخير روحاً محيِياً.

سقراط: أعتقد أنّ لا أحد سيجادل في الفرضية التالية إذن.

السيبيادس: وما هي الفرضية تلك؟

سقراط: إنّ الإنسان واحد من أشياء ثلاثة.

السيبيادس: أيّة أشياء ثلاثة؟

سقراط: إنّه روح أو جسم أو مزيج مؤتلف من الإثنين. إنّ ذلك القول يعطي الخيار كلّه.

السيبيادس: حسناً، وماذا سيلي.

سقراط: ألم نتّفق على أنّ الذي يحكم الجسد هو الإنسان حقاً؟

السيبيادس: نعم، لقد فعلنا.

سقراط: حسناً إذن، هل يحكم الجسم نفسه؟

السيبيادس: لا، طبعاً لا.

سقراط: لأنّه يُحكم بشيء ما آخر، كما قلنا.

السيبيادس: نعم.

سقراط: لن يكّون الجسم ما نحن عنه باحثين إذن؟

السيبيادس: يبدو أنّه لا يكون.

سقراط: لكن هل إنّ مزيجاً مؤتلفاً من الروح والجسم، يحكم الجسم، وهل يكون الإنسان كذلك؟

السيبيادس: لربّما هكذا.

سقراط: لا، لا بالتأكيد. لأنّه إذا لم يشارك واحد من الاثنين في الحكم، فإنّ أيّاً منهما لا يمكن أن يحكم بأيّ أسلوب ولا بأية وسائل.

السيبيادس: يكون ذلك هكذا.

سقراط: لكن بما أنّه لا الجسم ولا المزيج المؤتلف من الجسم والروح يكون الإنسان، فإنّي أميل لأقول إنّ ما بقي ويوجد ليقال هو إمّا أنّ الإنسان لا يوجد، أو إذا وُجد، فانّه لا يكون شيئاً غيراً من روح.

السيبيادس: بالضبط.

سقراط: هل تحتاج كي أبرهن لك بشكل أكثر وضوحاً وهو أنّ الروح هي الإنسان؟

السيبيادس: لا يا عزيزي، إنّني أرى البرهان واضحاً بما فيه الكفاية.

٣٦ ــ اصل الروح

فيليبوس

رسالة يعقوب: كلّ عطية صالحة وكلّ موهبة تامّة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظلّ دوران.

[إنّ كلمتي « أرض رائية » هما في هذه القطعة طريقة فكاهية لذكر العنصر الرابع، التراب، وتضيف إلى قوة المقطع قوّة لكي تعرف أنّ الكلمة اليونانية للجسم Sôma تعني أيضاً مادّة. ولكمتي « جسم العالم » مساوية لِ « العالم المادي »].

سقراط: هل أربكتك حقّاً، يا بروتارخوس، كما قال فيليبوس، بسؤالي، وهو أيّ صنف من أصناف الأشياء يخصّ العقل والمعرفة؟

بروتارخوس: نعم إنّك فعلت ذلك بكل ما في الكلمة من معنى، يا سقراط، وكمسألة حقيقية.

سقراط: لكن الجواب سهلٌ، اتّفق الفلاسفة جميعاً وفي كلّ طريقة كليّة على أنّ العقل لنا يكون ملك السماء والأرض، ويمكن أن يكون الفلاسفة محقّين في ذلك. إذا كنت أنت مستعدّاً، دعنا ندير تحقيقنا بأيّ صنف يختصّ العقل في مدة أطول.

بروتارخوس: أسلك أيَّ طريق تحبّه، يا سقراط. لا تهتمّ بطول المدّة، ونحن لا نهتمّ بذلك بقدر ما يخصّنا. إنّنا لن نجدك إنساناً مملاً.

سقراط: جيّد. دعنا نبدأ بسؤال الأسئلة عند النقطة الرئيسية التالية.

بروتارخوس: أيّة نقطة رئيسية؟

سقراط: هل نقول إنّ قوّةً غير عاقلة وعشوائية ومصادفة مجرّدَة هي التي تضبط الأشياء كلها وتدير هذا العالم كما نسميه، أو أنّ الحقيقة هي عكس ذلك، وهي أنّ العقل أو حكمة رائعة مدهشة بالتعاون معه هي التي تهدي وتقود الأشياء جميعها، كما درج أسلافنا على القول؟

بروتارخوس: يا عزيزي سقراط، إنّ النظريتين الاثنتين ليس لديهما أيّ شيء مشترك. يبدو لي أنّ واحدة منهما هي نظرية لا أخلاقية بشكل قاطع. لكن لنقول إنّ العقل يضع النظام في الأشياء كلّها فإنّ هذا القول صحيح وكافي كي نقلّل المشهد غير الاعتيادي المتجلّي بواسطة وجود العالم وبواسطة وجود الشمس والقمر والنجوم والعالم السماويّ بأجمعه. يجب عليّ أن لا أقول قطعاً أو أظنّ بأي شيء آخر في ما يختصّ بها.

سقراط: هل أنت مستعدّ إذن ومن منطلق الاتفاق مع أسلافنا على أنّه يجب علينا أن نقول إنّ هذا يكون هكذا. وعلى أن نظن بشكل مجرّد أنّه ينبغي علينا أن نردّد نظريات وأفكار الناس الآخرين بدون التعرّض لأيّة أخطار تحيق بنا، بل يلزمنا أن نتقاسم الأخطار ونأخذ جزءاً من اللوم، وذلك عندما يقول شخص حاذق ما إنّ الأشياء كلّها لا تكون مثل ذلك بل إنّها خالية من النظام؟

بروتارخوس: إنّني مستعدّ لقبول ما تقوله طبعاً، يا سقراط.

سقراط: حسناً إذن، أنظر الآن بعناية في المناظرة بشأن القضيّة التي تواجهنا تالياً.

بروتارخوس: قل لي ما تعني مباشرة.

سقراط: بقدر ما يختصّ بالطبيعة الماديّة لكلّ المخلوقات الحيّة، نرى نحن أنّ النار والماء والهواء موجودة في تركيبها، ونرى نحن التراب أيضاً، كما يقول البحّارة في الطقس الصعب.

بروتارخوس: نعم، نفعل ذلك بكلّ تأكيد. ونحن نكون في محادثتنا الحاضرة في طقس خشن لعدم معرفتنا بما نعمل.

سقراط: تعال إذن، وتقبّل النظرية التالية بشأن كلّ هذه العناصر كما توجد فينا.

بروتارخوس: أيّة نظريّة؟

سقراط: إنّ مقدار كلّ ما هو فينا هو مقدار صغير ولا أهمية له وغير طاهر على

الإطلاق، وليست له القوّة الجسدية المتطابقة مع طبيعته. خذ واحداً منه وراقب الشيء عينه بخصوص العناصر الأربعة جميعها. كمثال، أفترض أنّ فينا ناراً، وأن في العالم ناراً.

بروتارخوس: ماذا بعدئذ؟

سقراط: إنّ جزء النار الموجود فينا هو جزء صغير وضعيف وخافت، لكنّ الجزء الموجود في العالم جزءٌ مدهش في المقدار والجمال وفي القوّة كلّها التي تقتنيها النار.

بروتارخوس: إنّ ذلك القول حقيقي.

سقراط: حسناً إذن، هل النار العالمية مُنتجة ومُبدعة ومصنوعة كي تزيد بواسطة النار الموجودة فينا، أو أنها عكس ذلك، هل ناري ونارك والنار الموجودة في كل شيء حيّ؟ هل هذه النيران تحصل على كلّ هذا من النار العالمية؟

بروتارخوس: إنّ سؤالك لا يحتاج إلى جواب.

سقراط: تماماً، وأعتقد أنّك ستقول الشيء عينه بشأن التراب الموجود فينا نحن المخلوقات المفردة، وبشأن التراب الذي يكون في العالم، وستقول الشيء عينه بخصوص كلّ العناصر الأخرى التي أسأل بخصوصها الآن. ألن تفعل ذلك؟

بروتارخوس: هل يستطيع أيّ شخص أن يبدي سؤالاً مختلفاً ويبدو أنّه لا يزال في إدراكه العقليّ الصحيح.

سقراط: لا أحد يقدر على فعل ذلك، عليّ أن أقول هذا. لكن تابع الخطوة التالية. إنّ كلّ هذه الأشياء التي تكلّمنا عنها، إذا رأيناها كلّها في شيء واحد حينئذ يجب علينا أن نسمّيها جسماً. أفلا ينبغي علينا عمل ذلك؟

بروتارخوس: ماذا بعدئذ؟

سقراط: إفترض وجود العمليّة عينها أيضاً في ما يتعلّق بما نسمّيه العالم. افترض أنّ ذلك سيكون جسماً بشكل مماثل، ما دام مؤلّفاً من الأشياء عينها.

بروتارخوس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وبعدُ هل يكون جسمنا مُنتجاً من هذا الجسم، وهل يحصل جسمنا على، ويقتني كلّ النوعيات التي نعزوها له من هذا الجسم، أو هل الطريقة عكس ذلك؟

بروتارخوس: إنّ هذا السؤال أيضاً لا يحتاج إلى جواب.

سقراط: حسناً إذن، هل النقطة الرئيسية التالية جديرة بالإجابة، أو ماذا ترى؟

بروتارخوس: وما هي؟

سقراط: ألا يجب علينا أن نقول إنّ أجسامنا تمتلك روحاً؟

بروتارخوس: بوضوح.

سقراط: ومن أين تحصل عليها، يا عزيزي بروتارخوس، ما لم يمتلك جسم العالم روحاً، وما لم يكن لديه الشيء عينه فيه في الحقيقة كما يكون في أجسامنا؟ ومع ذلك فإنّ ما يمتلكه هو أكثر جمالاً بكلّ طريقة.

بروتارخوس: يا سقراط، إنّ جسمنا لا يحصل على روحه من أيّ مكان آخر على الإطلاق.

٣٧ ـ المشاركة في الإلهيّ

فيدروس

رسالة بطرس الثانية: بمعرفة اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة.

سقراط:إنّ الإلهي جميل عاقل وخيِّر، وكلّ ما هو من ذلك النوع يكون كذلك. والروح التّواقة إليه تحيا عندئذ وتنمو بالجمال، بالحقيقة، وبالخير بشكل رئيسيّ. لكن ما يكون عكس ذلك، وما يكون فاسداً وشريراً يسبب الروح كي تذوي وتهلك بشكل مطلق.

[إنّ الذي سمّيته الروح التوّاقة هو في الأصل « الريش الطائر للروح » ـ ولربّما

يكون « الروح المحلّقة أو المرتفعة » وهذا المعنى سيكون أقرب إلى المعنى الأصليّ من المعنى السابق].

٣٨ ــ الأشياء التي تختص بالروح.

النواميس

رسالة إلى أهل رومية: فإنّ الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمّون ولكنّ الذي حسب الروح فبما للروح.

الأثيني: نتذكّر نحن طبعاً أنّنا اتفقنا سابقاً على أنّه إذا أُظهرت الروح لتكون مهمّة أكثر من الجسد، حينئذ فإنّ الأشياء التي تختصّ بالروح ستكون مهمة أكثر من الأشياء التي تختصّ بالجسد.

كلينياس: حقيقي تماماً.

الأثيني: إنّ العادات والأخلاق والأهداف النبيلة والقيم والآراء الصحيحة والأشياء الصالحة والتذكرات، إنّ هذه كلّها ستأتي قبل العلوّ المادي وقبل العرض والعمق والقوّة الجسديّة، إذا أتت الروح قبل الجسد.

كلينياس: يجب أن يكون هذا كذلك.

٣٩ ــ قَدَر الروح

فيدون

الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس: ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى بل إلى التي لا تُرى. لأنّ التي تُرى وقتيّة وأمّا التي لا تُرى فأبديّة.

سقراط

سيبيس

سقراط: لكن ماذا بشأن الروح حينئذ، الجزء غير المنظور فينا، الذي يذهب إلى مكان مثل نفسه، مكان نبيل، طاهر وغير مرئيّ - إلى العالم الذَي لا يُرى كما يمكن أن نسمّيه بحقّ - وفي حضور الله الخيِّر والعاقل، إذا شاء الآلهة،

فإنّ روحي يجب أن تذهب قريباً أيضاً، كونها من هكذا صفة وطبيعة كما تكون، فهل تكون روحنا مبعثرة ومدمَّآة بشكل مباشر وتتخلّى عن صحبة الجسد، كما يقول أكثر الرجال؟ إنّها بعيدة من هذا بشكل عظيم، يا عزيزيَّ سيمياس وسيببس، بل إنّها تكون أكثر بكثير ومثل هذا: إذا كانت روحنا طاهرة عندما تغادر الجسد فإنّها لا تحضر أي شيء من الجسد معها لأنّها لم تترافق معه إرادياً في هذه الحياة بل تفادته وأبقت نفسها إلى نفسها لأنّ ذلك كان هدفها الوحيد ـ غير أنّ هذا القول ليس إلاّ تفلسفاً في المعنى المناسب للكلمة، ويكون بحقّ دراسةً كي أموت بدون ندم، أو لا يكون ذلك دراسة كي أموت؟

سيبيس: إنّه سيكون بكل ثبات.

سقراط: لهذا السبب كون الروح مركّزة هكذا فإنّها تغادر إلى ما يكون شبيهاً بها، أي إلى اللامرئي، الإلهي، الأزلي، وإلى المكان العاقل. وعندما تصل إلى هناك تُعطى لها السعادة، لأنها تخلّصت من الخداع والغباء والخوف والشهوات غير المدجّنة والشرور الأخرى التي يبتلي الجسم بها. وكما قيل عن أولئك الذين قد اطّلعوا على الاسرار المقدّسة وولجوا فيها إنّ الروح تحيا بقيّة الزمن مع الآلهة.

٤٠ ـ الحقائق التي لا يستطاع برهنتها

فيدون

لوقا: ولما فرغ من الكلام قال لسمعان ابعد إلى العمق وألقوا شباككم للصيد.

سيمياس: « بشأن خلود الروح »، إنّ الإنسان يجب عليه أن يتبنّى طريقة واحدة من الطرائق الثلاث. ينبغي عليه إمّا أن يتعلّم كيف تقف المسألة أو أن يجدها بنفسه. أو، إذا كان ذلك مستحيلاً، يلزمه أن يحصل على التعليل الأفضل على الأقلّ للقضيّة وهو أنّ العقل الإنساني يستطيع أن يقدم كي

يدحض، وهو الشيء الأكثر صعوبة. وبما أنّ هذا العقل محمول فوق ذلك بمخاطرة، مثلما يكون محمولاً فوق الرمث، يجب عليه أن يقوم برحلة الحياة، إلاّ إذا كان ممكناً أن يسافر بشكل أكثر ضماناً وأمناً على موطىء قدم راسخ لكلمة إلهٍ ما.

٤١ ـ الأسرار المقدّسة

فيدون

متّى: لأنّ قليلين يُدعون وكثيرين يُنتخبون.

سقراط: إنّ الاعتدال والعدل والشجاعة والحكمة نفسها هي نوع من أنواع التطهير. وأولئك الذين رسّخوا الأسرار الدينية المقدّسة لا يكونوا كي يُظنّ بهم أنّهم فقراء، بل هم في الحقيقة اختتموا حقيقة ذات موقف ثابت عندما قالوا إنّ الذي يأتي إلى العالم الآخر غير مكرّس وغير مطّلع على الأسرار الدينية المقدّسة سوف يستقرّ في المستنقع الموحل. لكن من تطهّر وصفا واطّلع على الأسرار الدينية المقدّسة فسوف يسكن مع الآلهة عندما يصل إلى هناك. إذ كما يقول أولئك الذين يديرون الأسرار الدينية المقدّسة، إنّ التوّاقين للوصول كثر، لكنّ العابدين الورعين قلائل، وهؤلاء العبادون الورعون الحقيقيون هم في رأيي أولئك الذين قد كانوا تماماً الفلاسفة في المعنى المناسب.

[« إنّ التوّاقين للوصول كثر، لكنّ العابدين الحقيقيين قلة ». يظهر أنّ هذا الكلام مقطع يوناني ترجمته الحرفية ما يلي: « إنّ حاملي الصولجان يكونون كثراً، لكنّ العابدين الورعين يكونون قلّة »، يعني ذلك أنّ العديد يحملون الصولجان، ويفيد هذا أنّ مَن يحمله يكون رفيق باخوس، لكن قلّة تمتلك الجنون الباخوسي الموقّت في الحقيقة. اقترح الأستاذ الجامعي ج. بارنت ترجمة لذلك، أي، « العابدون الحقيقيون ». غير أنّ ترجمة لويب ل « ج. فولر » ترجمت هاتين الكلمتين « طقوساً

سرّية ». لقد علّق كليمان الاسكندري على الكلمتين كوثني في القرن الثالث وقال إنّها تساوي « العديد دعوا، لكنّ الأقليّة تمّ اختيارها »].

٤٢ ــ السعادة هنا وفي الآخرة

(أ) - ابينوميس

يوحنا: قد كلّمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام. في العالم سيكون لكم ضيق. ولكن ثقوا. أنا قد غلبت العالم.

الأثيني: أعتقد، يا كلينياس، بأنّك على وشك أن تسمع بياناً غريباً، ومع ذلك فإنّه ليس هكذا في وجهة واحدة بعد كلّ هذا. والبيان أنّ العديد لكونهم ووجهوا بالحياة يقدّمون الحساب عينه عنها، بمعنى أنّ الجنس البشريّ لن يكون مباركاً أو سعيداً.... وأؤكّد أنا أنّ هذا ممكن فقط لرجالٍ قلائل كي يكونوا مباركين وسعداء بل في منتهى السعادة. وفي قولي هكذا فإنّي أقيّد نفسي بهذه الحياة. لكنَّ هناك أملاً مشرقاً وهو أنّه بعد الموت يمكن لإنسانٍ أن يدخل في كلّ تلك الأشياء من أجل الذي سيكونه أي إنسان حاذق كي يحيا حياة سعيدة قدر ما يستطيع، وعندما تنتهي حياته كي يضمن الذي كان لديه في فكرته.

(ب) - ابينوميس

الأثيني: إنّ ما قلناه في البداية كان صحيحاً، وكان في الواقع بياناً حقيقياً. يعني أنّه لشيء مستحيل أن يكون الرجال سعداء بل في منتهى السعادة في المعنى الكامل، ما عدا قلّة منهم. إنّهم فقط أولئك الذين وُهبوا بسموّ المعتدلين، والذين يمتلكون حصّتهم من الفضائل الأخرى في الوقت عينه. بالإضافة إلى ذلك إنّهم الذين تلقّوا كلّ التبريكات والعطايا الإلهيّة للتعليم الصحيح، كما وصفناه سابقاً، ولذلك فهم الذين أدركوا وفهموا وأتمّوا قضاءَهم وقَدَرهم وهم السعداء.

٤٣ ــ عالم افضل بكثير، بما لا يقاس

فيدون

رسالة إلى أهل فيليبي: لي اشتهاء، أن أنطلق وأكون مع المسيح.

سقراط

سقراط: يجب أن أكون مخطئاً إذا استأت من الموت، إذا لم أعتقد عندما أموت بأنّي سأصل إلى الآلهة الآخرين الذين هم عقلاء وأخيار، وإلى الرجال الذين توفوا أيضاً وهم أفضل بكثير من الرجال الموجودين هنا. أؤكّد لكم أنّي آمل بأن أكون مع الرجال الأخيار، غير أنّي لن أثبت ذلك بشكل مطلق. أمّا أنّي سأذهب إلى الآلهة الذين سيكونون أسياداً وأخياراً، فأثبت لكم أنّه ينبغي عليَّ الجزم بشأن هذا كلّه كجزمي على أيّ شيء وبشكل قويّ. لذلك السبب أنا لا أستاء من الموت لهذا المدى عينه، لكنّ لديَّ أملاً قويّاً أنّ شيئاً ما ينتظر المتوفّين، وطبقاً للعرف القديم، شيئاً ما أفضل بكثير للأخيار ممّا هو للأشرار.

٤٤ ــ لِمَ نخاف الموت؟

ابولوجي

أيوب: وقال للإنسان هوذا مخافة الربّ هي الحكمة والحَيَدان عن الشر هم الفهم.

سقراط

سقراط: إن خوفك من الموت فإنّه لا يعادل أيّ شيء آخر غيراً من أن تفتكر أنّ شخصاً يكون عاقلاً، عندما لا بكون هكذا. وبما أنّه يكون فأنت تبدو لتعرف ما يعرفه إنسان آخر، إذ لا أحد يعرف إذا ما كان الموت ربّما هو الخير الأعظم الذي يمكن أن يحدث لإنسان. غير أنّ الرجال يخافونه وكأنّهم عرفوا جيّداً أنّه الشرّ الأعظم. وكيف يمكن أن يكون التفكير بأنّ

شخصاً يعرف ما لا يعرفه الآخر، كيف يمكن أن يكون أيّ شيء سوى شكل من أشكال الجهل الباعث على الأسى بشكل خاصّ؟ يكون هذا حيث أنّي ربّما أسمى من أكثر الناس، وإذا وجب عليّ أن أقول إنّني أعقل من أيّ شخص آخر في أي شيء سأكون أعقل في هذا الشيء. يعني، بما أنّني لا أعرف كثيراً بشأن العالم الآخر، فلا أعتقد بأنّي أعرف، لكن كي تفعل الخطأ وتعصي من هو أفضل منك، سواء إذا كان إلهاً أو إنساناً، حينئذ فإنّي أعرف أنّ هذا يكون شر وعار، ولهذا السبب أنا لن أخاف أو أتفادى ما أعرفه كليّة أبداً والذي يمكن أن يكون خيراً بدلاً من أن يكون شرّاً الذي أعرفه أنّه شرّ.

٤٥ ــ توقع الموت

الجمهورية

الرسالة الأولى إلى ثيموثاوس: مدَّخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل لكي يمسكوا بالحياة الأبديَّة.

سقراط سيفالوس

[ان سيفالوس رجل مسنّ جدّاً]

سقراط: لكن قل لي شيئاً واحداً محدَّداً، يا سيفالوس، ما هي المنفعة الأعظم التي تعتقد أنك تمتعت بها لكونك غنياً؟

سيفالوس: إنّها شيء لا ينبغي عليّ أن أقنع به العديد من الناس. أتعرف يا سقراط، أنّ شخصاً ما عندما يفتكر بأنّ يومه دنا فإنّ الخوف والقلق يخيّمان عليه وذلك بخصوص أشياء لم يفكّر بها في ما مضى؟ إنّه سخر طويلاً من القصص التي أخبرها راووها عن الجحيم، وكيف أنّ الإنسان الذي ارتكب الخطأ في هذا العالم يجب أن يدفع الثمن عقاباً في العالم الآخر. لكن هذه

الأشياء تهزّ روحه وترهقها خوفاً من أن تكون حقيقية. وينشأ هذا الخوف إمّا من ضعف السنّ أو لكون الإنسان الآن أقرب إلى العالم الآخر. فهو يراها بشكل أوضح ـ على كلّ حالٍ فإنّ هذا الإنسان يصبح ممتلئاً هواجس وإنذارات، ويبدأ يحسب ويتأمّل ملياً إن كان قد أذى أيّ شخص في حياته. حينئذ فإنّ إنساناً ما ذا نوعٍ محدّد يجد أنه ارتكب الكثير من الأخطاء في حياته، ويستيقظ تكراراً من سباته، مثلما يفعل الأطفال، ويصاب بالذعر ولا يستطيع التخلّص من شعوره المسبق بالشرّ. لكنّ الإنسان ذا النوع الآخر الذي لا يشعر بأفعال الأذى، لأنه لم يقم بها ـ إنّ هذا الإنسان لديه أمل حلوٌ « إنّه راحة عمره » كما يقول الشاعر بيندار. إنّ بيندار قال هذا الكلام بشكل رشيق كما تعرف، يا سقراط. لقد قال إنّ أيّ آمرىء يعيش حياة تقية وصالحة،

« لديه أمل حلو المذاق، إنّه راحة عمره،

أمل يرافقه ويعزّ روحه،

أمل يهدي أفكار الرجال المزدحمة

الهداية الأفضل »

إنّ كلماته هذه رائعة. وهذا الشيء هو ما أحسبه الأكثر جدارة وقيمة حين تمتلك المال، ولا أقول هذا عادّاً أنّ كلّ شخص يكون مؤهّلاً له، بل أقوله للشخص العقلاني المتعقّل، ذي المسلك الصالح. أعني أنّ امتلاك المال يسهم في ألاّ يخدع شخص شخصاً آخر بشكل كبير أو أن يكذب عليه حتى إذا كذب بشكل غير متعمّد، أو أن يكون هذا الشخص مديناً لإنسانٍ عن طريق قرض المال، وأن لا يجتاز إلى العالم الآخر مملوءاً رعباً، طبعاً. إنّ المال له العديد من الاستعمالات الأخرى. لكن عليّ أن أقول بعد اعتباري لكلّ الأشياء قيد البحث إنّ هذا هو الشيء الذي يكونه الغنى ذا الفائدة الأعظم لإنسانٍ مدرك عاقل.

٤٦ ــ الموت لا يمكنه محاذاته

(أ) ابولوجي

لوقا: ولكن أقول لكم يا أحبّائي: لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون أكثر.

سقراط: إذا لم أكن أنا نوع الإنسان الذي أقول إنّي أكون، كونوا متأكّدين أنّكم إذا قتلتموني فإنّكم لن تسبّبوا لي الأذى أكثر ممّا تسببونه لأنفسكم. ولا يستطيع ميليتوس ولا حتّى أنيتوس أن يؤذياني على الإطلاق، إنّهما لا يقدران على القيام بذلك، لأنّني أعتقد أنّ ذلك هو عكس ما هو مقضيّ وهو أنّ الإنسان الأفضل ينبغي أن يؤذيه الأسوأ والأردأ. يمكن لأحدهما ربّما أن يقتلني أو ينفيني أو أن يسلبني حقوقي المدنيّة. وربّما يمكنه هو أو أي شخص آخر أن يعتقد بأنّ هذه الأشياء هي شرور عظيمة طبعاً، لكنني لا أعتقد ذلك أبداً. أعتقد أنّ هذه الشرور العظيمة هي أن يتمّ فعل ما يفعلان، يعني، أن تحاكم وأن تقتل إنساناً ظلماً. وهكذا، يا مواطنيّ الأعزاء، إن دفاعي الحاضر بعيد من كونه دفاعاً بالنيابة عنّي، كما يمكن أن تتصوّروا. إنّ دفاعي هو دفاع بالنيابة عنكم، لخوفكم أنّكم بإدانتي يمكن أن تقترفوا خطأً بخصوص الهبة التي منحكم الله إيّاها. لأنّكم إذا قتلتموني، فلن تجدوا شخصاً آخر مثلي بهذه السهولة.

[« إنّ هبة الله التي منحكم إيّاها » هي سقراط نفسه، وذلك كي يذهب إلى الناس ويجعلهم يمتحنون أنفسهم ويعتنون بأرواحهم، أنظر رقم ٩٦ من هذه المحاورة. يقترح سقراط أنّ رجال أثينا سيرتكبون خطأً عظيماً إن تخلّصوا منه وهو النافع لهم جداً]

(ب) ابولوجي

سقراط: أظهرت بالمأثرة وليس بالكلمة أنّي لا أهتمّ بالموت مقدار أنملة « إذا

أمكنني استعمال التعبير العامّي هذا » بل كل اهتمامي هو كي لا أفعل أيّ شيء ظالم وآثم.

[إنّي أسجّل هنا مقطعاً شعريّاً مشابهاً للشاعر ميلتون، عنوان ديوانه، الفردوس المفقود الكتاب الخامس صفحة ٣٥- ٣٧، حيث يقول فيه:

« بكل هذا كان اهتمامي
كي أستمرّ مثنياً عليّ في نظر الله،
ولو أنّ قضاة العالم كلّهم كانوا عكس ذلك »].

٤٧ ـ لتكون او لكي لا تكون

(أ) الدفاع

الرسالة الثانية إلى تيموثاوس: فإنّي أنا الآن أُسكَبُ سكيباً ووقت انحلالي قد حضر.

[يوجه سقراط كلامه إلى بضع مئات من الأشخاص الذين أدانوه لتوّهم كي ينفذّ به حكم الإعدام].

سقراط: دعنا ننظر إلى ما يكون بهذه الطريقة. هناك سبب عظيم كي آمل أنّ الموت نعمة. وأن تكون ميتاً فهو شيء من شيئين اثنين. إمّا كون الموت شبيهاً بلا شيء وأنّ الإنسان الميت لا يدري بأيّ شيء، أو يكون الموت ما يقوله الناس عادة، وهو أنّه تغيير ـ رحلة الروح التي تقوم بها من هذا المكان إلى مكانٍ آخر. وبعدُ إذا كان الموت لا وعياً وكالنوم الحالم، فإنّه سيكون ربحاً مدهشاً. إذ لو انتقى أيّ شخص ليلة نام فيها مثل تلك الليلة التي لم يكن لديه فيها أيّة أحلام وقارنها بتلك الأيّام الأخرى والليالي من حياته وقال حينئذ: كم ليلةً وكم يوماً مرّ في حياته مملوءَة بالمسرّات الأكثر من مسرّات تلك الليلة. أعتقد أنّ لا الشخص العادي فقط بل ملك الفرس نفسه، أعتقد أنّه سيجد هذه الأيّام الأكثر مسرّة سهلة جداً كي يعدّها إذا

قورنت بالأيّام والليالي اللاحالمة. إذا كان الموت مثل ذلك إذن، فإنّني أدعوه ربحاً ما دام الزمن كلّه يبدو عندئذ أنّه ليس أطول من ليلة واحدة فريدة.

لكن على الجانب الآخر إذا كان الموت مثل الذهاب برحلة من هنا إلى مكانٍ آخر، وأنّ الذين يقولون إنّ كلّ أولئك الذين توفّوا هم هناك فهم يقولون صدقاً، وأيّ خير أعظم من هذا الخير يمكن أن يوجد؟ إنّ تغيير المسكن لن يكون تغييراً طفيفاً، إذ عندما يصل شخص إلى العالم الآخر فذلك الشخص تخلّص من القضاة المنتحلي الألقاب ووجد هناك أولئك القضاة الذين هم قضاة حقيقيون، القضاة الذين قيل عنهم إنّهم يمارسون القضاء هناك، ماينوس ورادامانثوس وآيكوس وتريبتوليموس، وكل أنصاف الآلهة الآخرين الذين كانوا عادلين في حيواتهم الخاصّة. أو لتكون مع الشعراء بشكل آخر، كأورفيوس وميوسايوس وهيسيود وهوميروس - وأيّ مبلغ من المال سيدفعه أيّ منكم كي يقابلهم! إنّني على استعداد كي أموت مرّات ومرّات، إذا كان هذا الذي أقوله قولاً حقيقياً، ولي على كلّ حال فإنّ الحياة وفق حالات كهذه ستكون حياة رائعة. يا له من وقت ألتقي فيه مصادفة ببلاميدس وأجاكس بن تيلامون، أو ألتقي مع أيّ رجل آخر من الرجال الغابرين الذين حوكموا بالموت ظلماً وعدواناً وبقرار خاطىء على يد أيّ رجل. عليَّ أن أُقارن خبراتي بخبراتهم، وأعتقد أنه لن يكون عملي خاطئاً إن فعلت ذلك. إنّ أفضل الوقت الذي أمضيه هو وقت طرح الأسئلة على الناس بدقّة وتلقّي إجاباتهم، وقتاً أمضيه هناك مثلما أفعله للناس هنا، وأكتشف أيّهم العاقل وأيّهم يتصوّر أنه عاقل فقط، لكنّه لا يكون كذلك. كم منكم أيّها القضاة سوف يقف كي يستجوب الرجل الذي قاد الجيش العظيم إلى طروادة أو إلى اويسيوس أو إلى سيسيغوس، أو يسأل عشرة آلاف سؤالا آخر استجواباً على أفعالٍ ما تمّ القيام بها والتي يمكن أن يذكرها

أحدهم إن كان رجلاً أو امرأة؟ أقول لكي تتحادث مع الرجال في العالم الآخر ولتكون معهم ولتطرح الأسئلة عليهم. تلك ستكون سعادة لا يمكن أن تصفها الكلمات. على كلّ حال فإنّ الناس هناك لا يقتلونك إذا تكلّمت، وسبب ذلك ليس لكونهم أسعد من الناس هنا فقط، بل لكونهم خالدين لبقيّة الزمن، على الأقلّ إذا كان ما قيل صحيحاً.

أقول لكم أنتم، يا قضاة، يجب عليكم أن تكونوا مفعمين بالأمل بشأن الموت، وأن تفكّروا بأنّ هذا الشيء حقيقي، وهو أن لا شرَّ يمكن أن يصيب الإنسان الخيِّر حيّاً كان أو ميتاً، وأنّ الآلهة لا يمكن أن يكونوا حياديّين بالنسبة لسعادته.

(ب) الدفاع

سقراط: أمّا الآن فإنّه الوقت المقرّر لنا كي نذهب، كلٌّ في طريقه، أنا لأموت وأنتم لتعيشوا. لكن أيّنا سيصبح أفضل فهذا مخبأٌ على الجميع سوى الله.

٤٨ ـ ليس كلّ الرجال ليزولوا

فيدون

الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس: فنثق ونُسرُّ بالأولى أن نتغرّب عن الجسد ونستوطن عند الربّ.

كريتون سقراط

كريتون: بأيّة طريقة سندفنك، يا سقراط؟

سقراط: كما تحبّ، يا كريتون، ذلك إن استطعت الإمساك بي ولم أهرب منك.

[وضاحكاً بهدوء ومتطلعاً بنا، قال سقراط]: أنا لا أقدر أن أقنع كريتون أني أنا الذي أحادثكم الآن، واضعاً كلّ مقطع من مقاطع المحاورة في نظام مناسب. لا أقدر أن أقنعه أني أنا سقراط الذي أفعل ذلك. وهكذا فهو

يسألني كيف سيدفنني. غير أنّي أمضيت وقتاً طويلاً في ما مضى شارحاً لكم بأنّي عندما أشرب السمّ فإنّني لن أبقى معكم بعدها، بل سوف أختفي وأذهب إلى سعادة المباركين العظيمة. لكنّي أبدو لكريتون أنّي أتكلّم كلاماً لا قيمة له قط، وذلك بطريقة لمواساتكم ومواساة نفسي أيضاً، وهكذا من فضلكم أكدّوا له عني ومن أجلي، أكّدوا له عكس التأكيد الذي أعطاه للقضاة. لقد قدَّم كفالة مشفوعة بقسم على أنّي سوف أتوقف هنا، هل ستقدّمون له كفالة مشفوعة بقسم أني لن أتوقّف هنا عندما أكون ميتاً، بل سأختفي وأذهب بعيداً، هكذا كي يمكنه أن يتثبتَّ بشكل أفضل وأن لا يحزن على ذهابي، وكأنّ شيئاً ما مخيفاً حدث لي، عندما يرى جسدي أُحرِقَ أو دُفِنَ تحت التراب. ولا تَدَعوه يقول عند الجنازة إنّه يمدّد سقراط أو إنّه يحمل سقراط إلى المقبرة أو إنّه يحفر قبر سقراط. كن متأكّداً، يا عزيزي كريتون، أنّ البيان الخاطىء ليس بياناً غير صحيح بكلّ بساطة، بل إنّه يغرس الشرَّ في الروح. يجب عليك أن تبتهج وتقول إنّ جسدي هو الذي ينبغي عليك دفنه. أدفنه بأيّة طريقة تحبّ وتحسبها الطريقة الأفضل.

٤٩ ــ انتحار

فيدون

متى: لمّا رأى يهوذا الذي أسلمه أنّه قد أُدِين ندم وردّ الثلاثين من الفضلة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ، فطرح الفضّة في الهيكل وانصرف، ثمّ مضى وخنق نفسه.

[يعطي فيدون تقريراً عن ساعات سقراط الأخيرة. إنّه سيموت عند غروب الشمس. ويتكلّم سقراط هنا إلى سيبس]

سقراط سيبس

سقراط: إنّني أتكلّم عمّا سمعته فقط. لكن ليس لديَّ اعتراض على أن أخبرك عما حدث وسمعت. حقّاً يمكن أن يكون شيئاً مناسباً جدّاً للشخص الذي

سيغادر إلى العالم الآخر قريباً كي يتأمّل هذا الحدث مليّاً ويخبر ما نفترضه أنّه شبيه بماذا. وما هو الشيء الآخر الذي يجب فعله من الآن وحتى غياب الشمس؟

سيبس: لماذا يقولون إنّه عمل غير شرعي أبداً أن يقتل المرء نفسه، يا سقراط؟ لقد سمعت فيلولوس، عندما كان يعيش معنا، سمعته يقول ما تقوله أنت الآن، وسمعت الآخرين يقولون أيضاً إنّ الشخص لا ينبغي عليه أن يضع حدّاً لحياته. لكنّي لم أسمع أيّ شخص يتكلّم عن هذا الشيء بوضوح.

سقراط: ابتهج، يا سيبس، ولربّما يمكنك أن تسمع. لعلّه سيكون شيئاً مذهلاً لك إذا كانت هذه الوصيّة وصيّة واحد بدون كفاءة، وإنّ في قضيّة الحياة أو الموت ما من سؤالٍ بشأن ما سيكون الوقت الأفضل كي يموت هذا الشخص أو ذاك، مثلما يوجد بخصوص فعل الأشياء الأخرى. لربما يصدمك هذا الشيء وكأنه شيء مذهل، وهو متى يكون أفضل للناس أن يموتوا، إذا كان ذلك خطيئة عليهم كي يمنحوا هذه الفائدة لأنفسهم، بل يجب أن ينتظروا شخصاً ما آخر ليكون المتبرّع لهم بذلك.

ردَّ عليه سيبس ضاحكاً بهدوء ومتكلّماً بلهجة بلده الخاصّة قائلاً: إنّي منشدةٌ، الله يعرف.

سقراط: حقاً إنّه يبدو شيئاً غير معقول إن وجب أن تكون الحالة هكذا. لكن الكلّ يقول الشيء عين وهو أنّه لعلّ منها سبباً ما. على كلّ حال هناك عقيدة تؤكّد في الأسرار الدينية السرّية المقدَّسة إلى حدّ أنّنا نحن الرجال نكون في سجن كما كنّا ويجب أن نعتق أنفسنا أو نهرب منه. يبدو لي أن هذه العقيدة سامية وليس سهلاً اختراقها. لكن ما أعتقد به أنّ هذا القول هو قول سليم، يا سيبس، وهل الآلهة لديهم اهتمام بنا نحن الرجال وأنّنا نحن ممتلكاتهم بقدر ما هم العبيد، أو أنك لا تعتقد ذلك؟

سيبس: إنّني اعتقد ذلك.

سقراط: حسناً إذن، إذا قتل عبدٌ من عبيدك نفسه ولم تُشر أنت برغبتك كي تدعه يموت، فإنّك ستكون غاضباً عليه، وإذا كان القصاص جاهزاً لك، ستنزل به القاص، ألن تفعل ذلك؟

سقراط: إنّ كون ذلك هكذا فإنّه ليس شيئاً عقلانيّاً أن يمكن لإنسانٍ أن يقتل نفسه، إلى أن يرسل الله له مَن يقتله، وهو الشيء الذي وقع عليّ الآن.

سيبس: إنّ ذلك يكون عدل كامل.

٥٠ ـ بعد هذا يوم الدينونة

النواميس

الرسالة إلى العبرانيّين: وكما وضع للنّاس أن يموتوا مرّة ثمّ بعد ذلك يوم الدينونة.

الأثيني: يجب علينا أن نصدّق المشرّع خاصّة عندما يقول إنّ الروح شيء مختلف بشكل كلّي عن الجسد. أمّا في الحياة الحقيقية فإنّ الذي يجعل كلّ واحد منّا ما يكونه ليس أيّ شيء سوى الروح. إنّ هذا الجسد هو مجرّد مظهر خارجي يرافق كلّ واحد منا، وعندما نموت فإنّ جثثنا تُسمى مجرّد خيالات بحقّ. لكن ما يكون كلّ منّا في الحقيقية كلاًّ بمفرده هو ما يدعى الروح الخالدة، وهي تنتقل إلى الآلهة الآخرين كي تقدّم حساباً عن نفسها. هكذا يخبرنا العرف ـ إنّ هذه الفكرة مشجعة للإنسان الخيّر، لكنّها مرعبة ومنذرة جداً للرجل الخبيث.

[إنّ الآلهة الآخرين هم الآلهة تحت الأرض. إنّ الكلمتين المترجمتين في المقطع السابق « مجرد خيالات » هما كلمة Eidolon، التي تعني في اللغة الانكليزية كلمة «Idol» »]

٥١ ــ الضمير الحي هو الدفاع الأفضل

جورجياس

رسالة بطرس الأولى: الذي مثاله يخلّصنا الآن أي المعموديّة. لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح.

[يعاكس سقراط هنا الفكرة القائلة إنّ الإنسان يمكنه أن يساعد نفسه لتفادي إدانته لأنه يكون خطيباً].

كاليكلس: هل يبدو لك إذن، يا سقراط، أنّ إنساناً يكون هكذا موقعه في المجتمع وكأنّه غير قادر على أن يساعد نفسه عندما يُحاكم، هل يبدو لك أنّ طريقة هذا الإنسان صحيحة؟

سقراط: نعم، يا كليكس، إذا اقتنى شيئاً واحداً، الشيء الذي اعترفت به أنت غالباً، أي، إذا وجب عليه مساعدة نفسه بعدم قوله أو فعله أيّ شيء خطأ بخصوص الرجال أو الآلهة. لقد اتفقنا غالباً على أن هذه الطريقة هي الطريقة السيّدة لمساعدة إنسان نفسه. على كلّ حال، إذا أدانني أيّ شخص لكوني غير قادر على تقديم هذه المساعدة لنفسي أو للآخرين، يجب عليّ أن أستحي، سواء إذا أُدنت بين جمهرة أو بين قلة من الرجال أو إذا كنت وحيداً. وإذا أدانوني بالموت لعدم قدرتي على أن أوجد هذا الادعاء، حينها سأكون مستاءً بشكل كبير. لكنّي إذا واجهت نهايتي بسبب افتقاري للخطابة وقوّتها على المداهنة والنفاق، فإنّني متأكّد من أنك ستراني أجد الموت وكأنّه سهل الحمل. لا إنسان يكون خائفاً من الموت الحقيقي. إنّه الإنسان الذي لا يُساق بالعاطفة والإنسان العديم الرجولة. إنّ الشيء الذي يخافه الإنسان هو القيام بعمل الخطأ، بما أنّه يكون الدمار النهائيّ كي يُرهق شخص روحه بالعديد من الجرائم ويذهب إلى العالم الآخر في حالة كهذه.

٥٢ ـ المستقبل

الرسالة الثانية

الرسالة إلى أهل كولوسي: التي هي ظل الأمور العتيدة وأمّا الجسد فللمسيح.

أفلاطون يخاطب ديونيسيوس

إنّي أقول كلّ هذا لأنّني أريد أن أبيّن لك أنّنا عندما نموت فإنّ الكلام كلّه بشأننا لن يكون كلاماً صامتاً بتلك الوسيلة. وهكذا يجب علينا أن نكون حذرين. برغم ذلك يبدو وكأنّ واجبنا هو أن نمتلك المستقبل في أفكارنا، مشاهدين أنّ أكثرية الشعب خانعون بقانون طبيعتهم ولا يهتمّون بذلك، في حين أنّ أكثرية الناس الأفاضل يفعلون كلّ شيء صالح كي يذكرهم الناس بالخير بعد وفاتهم. ومن هذا المنطلق فإنّي أستنتج أنّ المتوفّين يمتلكون معرفة ما في هذا العالم. إنّ الأرواح الأفضل لديها أحاسيس يقينية داخلية بأنّ هذا الاستنتاج هو كذلك، لكنّ الأرواح الأكثر حقارةً تكذّبها. غير أنّ الأحاسيس اليقينية الداخلية للأرواح الأولى لديها السلطة الأعظم.

٥٣ ـ الملاذ الثابت

ثياتيتوس

مزامير: أمّا أنا فبالبرّ أنظر وجهك. أشبع إذا استيقظت بشبهك

سقراط: لكن ليس من الممكن وجوب اختفاء الشرّ واضمحلاله، يا ثيودورس. يجب أن يوجد شيء ما في مضادة الخير على الدوام. لكنّ الشرّ لا يمكنه أن يجد مكاناً بين الآلهة. وهكذا فإنّه يحتاج لطبيعتنا الفانية المتكرّرة الوجود ويحتاج لهذا العالم. لهذا السبب ينبغي علينا أن نحاول ونهرب من ثمّ إلى العالم الآخر بكلّ ما لدينا من سرعة. ويعني الهروب من هذا أنّ نصبح شبيهين بالله قدر الإمكان. ويعني هذا الشبه بالله أن نصبح عادلين وأتقياء ـ لكن ليس بدون الحكمة ايضاً.

٥٤ ـ زينة الروج

فيدون

رسالة بطرس الأولى: ولا تكن زينتكنَّ الزينة الخارجية مِن ضَفرِ الشعر والتحليّ بالذهب ولبس الثياب. بل إنسان القلب الخفي في العديمة الفساد زينة الروح الوديعة الهادئة التي هي امام الله كثيرة الثمن.

سقراط: يمكن لإنسانٍ أن يكون مبتهجاً بشأن روحه الخاصّة إذا أدار ظهره للمذّات الجسد خلال حياته، خاصّة لحلى الجسد وزينته، واعتبرها كأنّها غريبة عنه ومغايرة له وافتكر بها أنّها تنتج نتيجة سيئة بشكل أكثر احتمالاً. في حين أنّه على الجانب الآخر كان متشوّقاً كي يعلّم ويزيّن روحه ليس بحلى غريبة ومستهجنة بل بالحلى التي تخصّها بشكل مناسب، وهي الاعتدال والعدل والشجاعة والحريّة الحقيقية. وهكذا مجهّزاً نفسه فإنّه ينتظر الرحلة إلى العالم الآخر بابتهاج. إنّها الرحلة التي يقوم بها عندما يدعوه قضاءه وقدره.

٥٥ ـ ثواب وعقاب

الرسالة الخامسة

رسالة بطرس الأولى: لأنّ تألّمكم إن شاءت مشيئة الله وأنتم صانعون خيراً أفضل منه وأنتم صانعون شرّاً.

أفلاطون يخاطب أصدقاء ديون

إذا لاحق الإنسان ما هو الأفضل لنفسه ولبلاده وعانى الشدائد من أجل ذلك، فإنّه مهما عانى منها تكون معاناته معاناة صحيحة ونبيلة بشكل تامّ. إذ لا أحد منّا خالدّ. وإذا كان أيّ شخص هكذا فإنّه سيكون سعيداً لأنّ الذي يكون بدون روح لا يوجد فيه خير ولا شرّ ذو قيمة. غير أنّ الخير والشرّ يقعان على كلّ روح سواء إذا كانت روحاً في الجسم أو خارجه. يجب علينا أن نعتقد على الدوام وبصدق بالقول المقدس الغابر الذي يخبرنا

أنّ الروح لا تموت وأنّ لديها أولئك الذين يقاضونها، وأنّها تدفع عقاباً عظيماً، حالما ينفصل أيّ شخص عن جسده. لهذا السبب يجب أن يحسب شخص أنّ المعاناة هي أخطاء عظيمة وأنّ الظلم شر أقلّ من فعله. إنّ الإنسان ذا الروح العاجزة الضعيفة والإنسان المادي لا يستمع لهذا القول. وإذا فعل، يتجنب الإحراج، أو يتخلّص منه بالضحك، كما يفتكر، شأنه شأن الحيوان المفترس. يفعل ذلك بدون أيّ شعور بالخجل على الإطلاق، ويمسك بأيّ شيء يحسبه أنّه يؤكل ويُشرب، أو يفعل هذا بواسطة تجهيز نفسه وإشباعها بتلك اللذّة الوضيعة الخسيسة التي تدعى خطأً باسم أفروديت. إنّه لأعمى ولا يرى أيّاً من أسلابه يكون مترافقاً بالإثم أو كم يكون الشرّ عظيماً الذي يترافق مع كلّ جريمة من جرائمه. وهذا الإثم يجب على هذا المجرم أن يسحبه معه أينما ذهب عندما يذهب إلى أعلى أو إلى أسفل في باطن الأرض ويقوم برحلة عودته المخزية والبائسة بشكل مطلق إلى العالم التحتيّ.

٥٦ ـ رؤيا يوم الدينونة

جورجياس

يوحنا: فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة.

[إنّ هذا المقطع لا يعطي فقط صورة عن يوم الدينونة، بل يقدّم تمييزاً واضحاً بين الإثم المميت والإثم العرضيّ].

سقراط: استمع إذن إلى قصّة جميلة، سوف تظنّ أنّها قصّة خرافيّة على ما أتوقّع، لكنّني أعتقد بأنّها قصّة حقيقيّة. أقدمها إليك كالحقيقة التي امتلكها في فكري لأخبرها.

طبقاً لما قاله هوميروس، فإنّ زيوس، بوسايدون، وبلوتو قسّموا الحكومة فيما

بينهم، عندما حصلوا عليها من أبيهم كرونوس. وبعدُ فإنّ قانوناً طُبِّق على الرجال في زمنه، ولا يزال يسود بين الآلهة إلى الأبد نزولاً إلى اليوم الحاضر ـ أي، إذا أكمل الإنسان مسيرته خلال الحياة بطريقة عادلة وورعة فإنّه سيذهب إلى الجزر المباركة عندما يتوفّى، ويعيش في سعادة تامّة بمعزل عن الشرّ. لكن الرجل ذا الحياة الخبيثة والملحدة سيذهب إلى البيت ـ السجن ذي الآلام والقصاص، هذا السجن يدعونه الجحيم. ففي زمن كرونوس، وعندما تسنَّم زيوس منصبه جديداً، حوكم الفريقان الملاحدة بينما كانا لا يزالان أحياء، حاكمهما الأناس الأحياء في اليوم عينه الذي كانت ستوافيهم المنيّة فيه. وهكذا فإنّ المحاكمات أُديرت بشكل سيّىء. لهذا السبب أتى بلوتو ورسميّوه من الجزيرة المباركة وأخبروا زيوس أنّ الرجال كانوا في طريقهم إلى أحدِ المكانين المقصودين بدون استحقاق. قال زيوس حينئذ: « لكنّني سوف أوقف ما سيحدث ». إنّ حالات المحاكمة الآن تُدار بشكل سيّىء، لأنّ المحاكَمين أُحضروا للمحاكمة بلباسهم التامّ، مشاهدين أنّ هذا تمَّ فعله في حين كانوا لا يزالون أحياء. قال هو، لأنّ العديد ممّن لديهم أرواح خبيثة وُهبوا أجساماً جميلة وولادة جيّدة وغنى، وعندما حان وقت محاكمتهم، أتى الكثير من الشهود كي يحضروا ويشهدوا على حيواتهم الفاضلة. رُعب القضاة بهذا. إلى جانب ذلك دثّروا أجسامهم بالملابس بشكل تامّ عندما كانوا جالسين على مقعد القضاة، ولديهم أرواحهم مغطّاة بالأعين والآذان وبالجسد ككلّ. إنّ كلّ هذه الأشياء اعترضت طريقهم، أيّ، كلاً حُلاهم وحُلى أولئك الذين حُوكموا. وقال زيوس، بادىء ذي بدء إذن يجب أن نعيقهم عن المعرفة المسبقة متى سيموتون. إنّهم يعرفون ذلك في الوقت الحاضر. وفي الحقيقة فإنّ بروميثيوس قد أُجبر مقدّماً على أن يوقفهم عن هذا. لكي تتمّ محاكمتهم إذن ينبغي أن تُنزع عنهم كلّ هذه الحلى وأن

يحاكموا عندما يموتون. يلزم أن يكون القاضي ميتاً أيضاً، وأن تنزع عنه حُلاه، وأن يتمّ موت الكلّ بشكل مباشر. يجب أن تتطلّع الأرواح المعرّاة على مثيلاتها، مجرّدة من كلّ أنسبائها وتاركةً خلفها كلّ زينتها، وذلك كي يمكن للمحاكمة أن تكون عادلة. وجب علي كقضيّة محقّة أن أعرف هذا قبل أن تعرفه أنت، ولقد عيّنت أولادي كي يكونوا القضاة، اثنين من آسيا هما مينوس ورادامانثوس، وواحد من أوروبا هو آيكوس. سوف يحاكم هؤلاء القضاة الثلاثة الرجال عندما يموتون في الأرض الخضرة، حيث يتشعّب الطريق، ويقود فرعاه إلى الجزر المباركة وإلى الجحيم. سوف يقاضي رادامانثوس أولئك الذين من آسيا، وسيقاضي آيكوس أولئك الذين من أوروبا. سأعطي لمينوس شرف صياغة القرار الأخير، إذا واجه القضاة الإثنان الآخران صعوبة في اتّخاذه، وذلك كي يمكن أن يكون الحكم بشأن الطريق الذي يسلكه الرجال، كي يمكن أن يكون حكماً عادلاً قدر الإمكان »

هذا ما سمعته، يا كاليكس، وأعتقد بأنّه قولٌ حقيقيّ، وأعتقد أنّ شكل القصّة هذه هو شيء ما مشابه للبزوغات التالية. يبدو لي أنّ الموت ليس أكثر من انفصال شيئين اثنين مختلفين عن بعضهما بعضاً. كلّ واحد منهما يكون في حالة ليست أكثر سوءاً من الحالة التي كان الإنسان فيها حيّاً. إنّ الجسم يعرض صفاته المادّيّة الخاصّة وتأثير المعاملة التي كانت لديه وماذا فُعل له. هكذا، كمثال، إذا كان لدى أيّ شخص جسداً كبيراً بالطبيعة، أو كان من الذين لديهم الشهيّة الكبيرة أو من كليهما، فإنّ جسده الميت سيكون جسداً كبيراً أيضاً، وسيكون كلّ شيء مثل ذلك. وإذا زاول تطويل شعره، فإنّ جسده سيكون ذا شعر طويل أيضاً، أو ثانية، إذا كان هناك شخص يتعرض لمشاكل دائمة وظهرت على جسده آثار الضرب أو السياط والجروح الأخرى التي تعرّض لها عندما كان حيّاً، فإنّ الشيء عينه سيكون ظاهراً

عندما كان ميتاً ووُلد من جديد. بالإختصار إنّ أيّ شيء أصبح ليكون ظاهراً بشكل ماديّ على الإنسان عندما كان حيّاً، أقول، إنّ كلّه أو أكثره كان مرئيّاً عليه لوقت غير قصير بعد موته.

وتبدو لي الروح كائنة بشكل مماثل. إنّ كلّ شيء يكون مرئياً في الروح عندما تجرّد من الجسد، كلّ الذي تمتلكه بالطبيعة وكلّ ذلك الذي لديها بواسطة ما تمّ فعله لها من خلال، وبواسطة أيّة أنواع خاصّة من أنواع العادة التي لدى الإنسان. وهكذا فإنّ الرجال عندما يمثلون أمام القاضي، ويمثل أولئك الآسيويون أمام رادامانثوس، فإنّ رادامانثوس يجعلهم يقفون أمامه ويُجري فحصاً لكلّ روح بمفردها، غير عارفٍ من هي. لكنّه غالباً عندما يمسك بروح الملك العظيم الفارسي أو بروح أيّ حاكم آخر ما مهما يمكن أن تكون، ولا يرى فيها أيّ شيء صحيّ، لكنه يرى أنّها قد جُعلت هلاميّة القوام وأنّها ممتلئة بالنّدبات التي تظهر عليها من جراء الحنث باليمين وأعمال الظلم التي سلكها كلّ إنسان والتي طُبعت على روحه. إنّ كلّ شيء يشوّه بالباطل والخداع، ولا شيء يكون مستقيماً بواسطة نموّها بدون الحقيقة. رأى رادامانثوس أنّه بواسطة القوّة والترف والغطرسة والعوز للتنظيم والسلوك القويم في الحياة، رأى أنّ الروح ممتلئة لا تناسباً ولا جمالاً؛ وحين رآها بعث هذه الروح إلى مكان الولادة مباشرة وبشكل مذلّ. وعند وصولها إلى هناك يجب عليها أن تتحمّل الآلام المناسبة. إنّه لمن المناسب أنّ كلّ شخص الذي يحلّ به العقاب والذي دُبِّر بشخص آخر، ينبغي على هذا الشخص إمّا أن يصبح أفضل أو أسوأ ويتحسّن بالعقاب، وأن يكون مثالاً للآخرين الذين سيشاهدون ما عاناه ويمكنهم أن يخافوا ويصبحوا أفضل ممّا كانوا عليه. هناك البعض الذين يستفيدون من القصاص ويدفعون الغرامة المطلوبة بالرجال والآلهة. تقع هذه العقوبات على أيّ شخص يذنب ليتسنّى له أن يشفى من

ذنبه. وأمّا المنفعة فهي التأثير لامتلاكهم الحزن والألم هنا وفي جهنم. لا يمكنهم أن يتخلّصوا من خبثهم بغير هذه الطريقة. لكن أولئك الخبثاء بشكل متطرّف وغير القابلين للشفاء بسبب هذا الخبث، فإنّهم يقدمون مثالاً. وهم لا يمكنهم أن يستفيدوا بعد اليوم من رؤية أنفسهم أنّهم غير قابلين للشفاء، لكنّ الآخرين يستفيدون عندما يرونهم مبتلين بمعاناة كبيرة ومحزنة ومرعبة جدّاً إلى الأبد بسبب أخطائهم. وهم في الحقيقة يقدمون مثالاً هناك في الجحيم في بيت السجن ويشاهدون التحذيرات للخبثاء كما هي، الخبثاء الذين لا ينقطعون عن الوصول إلى هناك.

إذا كان ما قاله بولس حقيقياً، فإنّ آرخيلوس هو واحد من هؤلاء الخبثاء وسيكون أيّ طاغٍ آخر من النوع عينه. أعتقد أنّ أكثر هذه الحالات سوف تُستنتج من بين الطغاة والملوك والحكّام والسياسيين. إنّ هؤلاء الناس يرتكبون آثاماً عظيمة وشرّيرة بسبب امتلاكهم للقوّة....

جورجياس

سقراط: على كلّ حال، وكما قلت سابقاً، فإنّ رادامانثوس متى يمسك بشخص كهذا، لا يعرف هو أيّ شيء عنه، ومن يكون، وإلى أيّة عائلة ينتمي أو يعرف أيّ شيء غير ذلك ما عدا أنّه خبيث. وبما أنّه لاحظ أنّه أبعده إلى الجحيم، وبما أنّه دمغه كأنّه يبدو إما قابلاً أو غير قابل للشفاء، وعندما يصل الرجل هذا إلى الجحيم فإنّه يقاسي العقاب المناسب. لكن بما أنّ رادامانثوس لاحظ بعض المرات أنّ روحاً أخرى عاشت تقيّة طيلة حياتها وجعلت الحياة رفيقة لها، الروح هذه التي لإنسان خاصّ أو لشخص ما آخر، وأذكر هنا بشكل خاصّ حالة الفيلسوف الذي أبقى على مجاله الخاصّ في حياته، والذي لم يتدخّل قطّ بشؤون الناس الآخرين، حينئذ فإنّ رادامانثوس يملأه الإعجاب به ويرسله إلى الجزيرة المباركة. ويفعل آيكوس الشيء عينه. إنّ

القاضيين كليهما لديهما قاضٍ يعمل لهما من بين القضاة، لكن عندما يجلس مينوس مشرفاً ومراقباً، فإنّ لديه صولجاناً ملكياً ذهبيّاً يخصّه، تماماً كما يقول هوميروس في الأوديسة إنّه رآه « بصولجان ذهبيّ ملكي، موزّعاً على الموتى تقادير الله ». أمّا مِن جهتي، يا كاليكس، فإنّني لمقتنع بتعليلات هذه الأشياء، وأعتبر كيف أنَّ عليَّ أن أعرض روحي على القاضي وفي أحسن حالة صحيَّة ممكنة. وهكذا فإنّني سأقول وداعاً لتقيمات الرجال العاديّين، ومستمرّاً في تطلّعي إلى الحقيقة سأحاول صدقاً أن أكون خيّراً قدر ما أستطيع. وفي هذه الحالة سأحيا، وسأموت عندما يقع عليَّ الموت.

٥٧ ــ ثواب العادل والظالم

(أ) في هذه الحياة

الجمهورية

يعقوب: حَكمتم على البارّ. قتلتموه. لا يقاومكم.

غلوكون: يجب علينا أن نمنح الرجل الظالم الكامل أن يكون مع الإنسان الأكثر عدلاً وكمالاً، وأن لا نمنعه بل نسمح له أن يقترف أعظم الأخطاء وأن يحصل لنفسه مع ذلك على صيت العدل الأعظم. وإذا عانى أيّة نكسة ينبغي عليه أن يكون قادراً على تصحيح نفسه؛ يلزمه أن يكون متكلّماً جيّداً بما فيه الكفاية كي يقنع الناس، إذا أُخبر أيّ إنسان عنه، ويلزمه أن يمتلك كلّ القوّة التي يحتاجها لتكون في متناول يده بواسطة شجاعته وقوّته وكثرة أصدقائه وممتلكاته.

وبما أنّه أتمّ رسم هذه الصورة عن نفسه، دعنا نضع الإنسان العادل بجانبه خياليّاً. انسان بسيط، يظهر لكنّه ليكون خيّراً، كما يقول الشاعر آيسخيلوس، يجب أن يجرّد من ظهوره كي يكون إنساناً هكذا، لأنّه إذا بدا الإنسان العادل كي يكون ذلك، وعندما سيكون شيئاً غير مؤكّد سواء إذا

كان عادلاً من أجل الاستقامة أو من أجل هبات التكريم وأن يوضع في الموقع المضادّ لموقع الرجل الآخر المضادّ. ففي حين أنّه لم يقم بأيّ عمل خاطىء يجب أن يمتلك الصيت الأعظم للظلم كي يمكن لاستقامته أن تنجو من الفحص بواسطة عدم خفوتها ووهنها تحت عبء الصّيت السّيء وعواقبه. لكن دعه يستمرّ ثابتاً في موقعه هذا حتّى الموت، ظاهراً أنّه يكون ظالماً كلّ حياته. لكن كونه عادلاً، دعه يعرف الاثنين « العادل والظالم » في أقصى حدود العدل والظلم، وذلك ليمكن إثبات أيّ واحد منهما كان الإنسان الأسعد.

سقراط: يا صلاحي، يا عزيزي غلوكون، كيف تجلب كلاًّ منهما بشكل نشيط وتجعلهما جاهزين لاتّخاذ القرار، وذلك كأنّك تقوم بتنظيف تمثال.

غلوكون: إنّني أفعل ذلك بحماس قدر ما أستطيع، وهذا ليس بالشيء الصعب القيام به بعد اليوم. أحسب أني سأميّز وأكمل وصف أيّ نوع من أنواع الحياة التي تنتظر كلاًّ منهما، كون كلّ واحد منهما ما يكون. دعني أعلن بوضوح الحكم عندئذ، وإذا كانت شروط الحكم قاسية على الأصحّ، تخيّل يا سقراط، أنّي لست أنا الذي أتكلم، بل أولئك الذين يثنون على الظلم في تفضيلهم إيّاه على العدل. هم سيقولون إنّ الإنسان العادل في هذا الموقع الذي يكون فيه سيُجلد، سيُعذّب بالمخلعة، سيُسجن، ستُفقأ عيناه، وفي النهاية وبعد أن يعاني كلّ هذه العذابات المختلفة سيُصلب وسيصل إلى مرحلة أنّ عليه أن يعرف بأنّ الشخص يجب أنّ لا يهدف ليكون عادلاً بل ليبدو كذلك فقط.

[ما هو جواب غلوكون؟ قد يُفاجَأ أفلاطون لجوابه لكنّه لربّما لا يكون مستاءً ليعرف أنّ الجواب المسيحي ينبغي أن يكون أنّ الإنسان العادل التامّ قد قاسى كلّ أنواع العذابات ومن ثمّ صُلب، لكنّه بعد ذلك قام في اليوم الثالث مرّة ثانية. لكنّ

أفلاطون، غير الشبيه بالمسيحيين، كان سيعتبر هذا أسطورة].

(ب) -.في هذه الحياة أو في الحياة التالية

الجمهورية

متى: سيتألّق الصالح ضياءً كتألّق الشمس.

[إقترِح في المقطع السابق أنّ الإنسان العادل سيلقى المعاملة الرهيبة. وقيل هنا عند نهاية المحاورة إنّ الرجل الظالم سيلقى هذه المعاملة في الحقيقة، في حين أنّ الإنسان العادل سوف يُغمر بالكرامات والتبجيلات].

سقراط غلوكون

سقراط: ألن نعترف أنّ كلّ شيء يكون من أجل الأفضل للإنسان الأفضل الذي يحبّه الآلهة؟ على كلّ حال وبقدر ما يخصّ الذي سيأتي من الآلهة، إلاّ إذا أصابه حادث كنتيجة لخطيئة ارتكبها في وجوده السابق.

غولكون: بالتأكيد.

سقراط: إذن يجب أن يفترض شخص أنّه إذا أصاب الفقر أو المرض إنساناً صالحاً أو إذا أصابه أيّ شيء آخر يبدو أنه محنة، يجب أن يفترض أن هذه الأشياء ستنتهي في شيءٍ خيِّر ما، إن لم يكن في هذه الحياة، فسيكون بعد الموت حينئذ. لهذا السبب فإنّ الآلهة لا يمكن أن يهملوا الإنسان الصالح قطّ، الإنسان الذي يكون مستعدّاً للمثابرة للحصول على الخير وأن يكبر شبيهاً بالله حسب طاقته الإنسانية وذلك بممارسة الفضيلة.

غلوكون: إنّه لمن المستحيل أن يكون إنسان كهذا مهملاً بشخصٍ شبيهٍ بنفسه هكذا مثلما يكون الله.

سقراط: وينبغي علينا، بناءً على ذلك، أن نستضيف الفكرة المضادّة عن الرجل الآثم؟

غلوكون: دعنا نفعل ذلك بلا جدال.

سقراط: هكذا ستكون الجائزة إذن التي سينالها الإنسان الصالح بواسطة الآلهة.

غلوكون: إنّ هذا هو ما أعتقد به على كلّ حال.

سقراط: وماذا سيهبه الرجال؟ إذا ما دوّن شخصٌ الحقيقة، أفلا يجب أن تكون الهبة كالتالي: إنّ أولئك الذين يكونون قادرين وخبثاء هم مثل الراكضين الذين يجرون جيّداً عند بدء المباراة، لكنّهم لا يفعلون ذلك عند العودة. إنّهم يتماسكون عند العدو السريع لكنّ منظرهم يكون منظراً مضحكاً في النهاية، وذلك عندما ينسحبون وقد خابت أمالهم ويصبحون في غير أماكنهم، في حين أنّ المتسابقين الأذكياء يتلقّون الجوائز ويحتلّون الأماكن الصحيحة الملائمة لهم. أليس هذا ما يحدث غالباً للرجال الصالحين المستقيمين؟ يحدث لهم ذلك عند نهاية كلّ مسعى سواء إذا قاموا هم أنفسهم به أو قاموا به بمشاركة الآخرين. وفي نهاية الحياة عينها فإنّهم يُعتبرون جيّداً بين الرجال ويكسبون جوائزهم.

غلوكون: لتكن متأكّداً.

سقراط: هل ستسمح للرجال إذن أن يقولوا عن هؤلاء الرجال الصالحين ما قلته أنت منذ فترة خلت عن الصالحين؟ إن كان هذا كذلك، فإنّي سأقول إنّ الصالحين عندما يصبحون راشدين بشكل تامّ سيتسنّمون المنصب الحكوميّ في مدينتهم إذا ما رغبوا في ذلك، وسوف يتزوّجون من العائلات التي يشاؤون، ويزوّجون بناتهم لمن يرغبون. إنّ كلّ شيء تقوله بشأن هذا النوع من الرجال أقوله بشأن الآخرين. دعنا نتكلّم الآن عن الرجال الآثمين، فأقول إنّ العديد منهم، حتّى إذا لم يتمّ كشفهم عندما يكونون فتياناً، سوف يُقبض عليهم فاعلين الآثام عند نهاية حياتهم وسيبدون سخفاء، وسيكبرون رجالاً مسنّين في الشقاء وستنزل عليهم اللعنات من قِبَل الغرباء ورفاقهم

المواطنين، كونهم قد تعرّضوا للضرب ـ ومثلما قلت سيكون الضرب قاسياً لكنّه ضرب كافٍ بحقّ ـ وذلك لكونهم قد تعذّبوا وتمّ فقء أعينهم. صدِّق نفسك كي تسمع منّي أنّهم سيقاسون كلّ الأشياء التي ذكرتها. تأمّل مليّاً إذا كنت ستعترف بما أقول.

غلوكون: سأفعل ذلك بكلّ تأكيد. إنّ ما تقوله صحيح.

سقراط: هكذا؛ إذن ستكون الجوائز والمنح والعطايا التي سيتلقّاها الإنسان الصالح من الآلهة والرجال ما دام حياً، غير حاسبٍ المنافع التي سيهبها له الصلاح والاستقامة الأخلاقية عينها.

غلوكون: إنّها ستكون جوائز جيّدة وجوائز جوهرية.

سقراط: غير أنّها كلّها هي الشيء عينه لكن بما لا يقاس في العدد أو الحجم، إذا قورنت بتلك الجوائز التي تنتظر الفاضلين والأرذال بعد الموت. ويجب عليك أن تسمع ذلك كي يمكن لكلّ إنسان منهم أن يحصل على مقياسٍ كاملٍ بما يجب أن يتمّ إخباره عنها.

غلوكون: ليس هناك الكثير منها، الذي يجب عليّ أن أجده مقبولاً لأستمع له أكثر.

[القطعة التالية هي استمرار للقطعة المدوّنة أعلاه من الجمهورية]

(ت) ـ في الحياة التالية

الجمهورية

متّى: ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميّز بعضهم من بعض كما يميّز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار.

[إنّ أسطورة إر بن ارمينيوس، هي واحدة من أساطير أفلاطون الأربعة عن يوم الدينونة. أمّا الأساطير الثلاث الأخرى فهي موجودة في محاورة جورجياس، وفي محاورة فيدون، وفي محاورة فيدروس. وهذه الأساطير الأربع أثّرت تأثيراً كبيراً

على الأفكار اللاحقة في الحياة التي توالت، بما في ذلك عقائد وأفكار المسيحيين بشأن هذا الموضوع. غير أنّ أفلاطون يؤكّد مذهب تقمّص الأرواح. وأمّا الجزء الأخير من هذه الأسطورة، وبرغم أنّه جزء جذّاب، فلقد أُسقط هنا لأنّه يتعامل مع رحلة الأرواح إلى الولادة من جديد بعد يوم القيامة. إنّ الحالات التي يمكن أن تُستخدم فيها هذه الأساطير بشكل نافع، قد أُعطيت في محاورة الجمهورية « أنظر رقم أربعة من هذا البحث »].

سقراط

سقراط: سأروي لكم قصّة إنسان شجاع يدعى، إر، بن أرمينوس، ويدعى بامفيليان بالولادة، وار توفّي في المعركة. وعندما أزيلت الأجداث من ساحتها بعد عشرة أيام، فإنّ جدثه لم يصبه الفساد غيراً من كلّ الأجداث الأخرى. وأحضر إلى البيت لدفنه، وعندما كان متمدّداً على المحرقة عاد إلى الحياة في اليوم الثاني عشر، وأخذ يحكي قصّة ما شاهده في العالم الآخر.

قال إن روحه عندما غادرت جسده قامت برحلة مع أرواح أخرى كثيرة. وصلت هذه الأرواح إلى مكان سريّ غامض حيث هناك في الأرض فتحتان قريبتان إحداها من الأخرى وهناك كذلك فتحتان عالياً في السماء مقابل الفتحتين اللتين في الأرض. ونُصِّب قضاة بين هاتين الفتحتين. وطبقاً للأحكام المختلفة فإنّ القضاة أمروا الأرواح الصالحة بالذهاب إلى الجهة اليمنى صُعُداً إلى السماء، وعلّق القضاة ملاحظات حولها وفي مقدمتها مسجّلين الحكم عليها، في حين أنّهم أمروا الأرواح الخبيثة بالذهاب إلى الجهة اليسرى ونزولاً مع ملاحظات عن كل الأعمال الآثمة التي قامت بها مسجّلة على ظهورها. وعندما وصل إرْ إلى هناك قيل إنّه كان عليه أن يقدِّم تقريراً بشأن العالم الآخر، وأعطيت له التعليمات كي يستمع وينظر إلى كلّ شيء رآه هناك. فعل ذلك، ورأى الأرواح بعد أن صعدت للحساب، رآها تغادر بواسطة إحدى الفتحتين في السماء وبواسطة إحدى الفتحتين الأخريين في

الأرض. لكنّه رأى الأرواح تصل بواسطة الفتحتين الأخريين واحدتهما في السماء والأخرى في الأرض، بعضُها آتٍ من الأرض وهو يعاني الظّمأ ويجلّله الغبار. لكنّ الأرواح الأخرى نازلة من السماء بدون أيّ تلوث أو أيّ شيء يعيب. وعند استمرارها في الوصول بدت أنّها آتية من رحلة طويلة، وكانت فرحة عندما شقّت طريقها ووصلت إلى الأرض الخضِرة واستقرّت هناك كما تستقرّ عند الاحتفال بشيء ما، وحيَّت كلّ روح من رفاقها. أمّا الأرواح التي أتت من الأرض فقد استفسرت من الأرواح الأخرى كيف كانت حالاتها في السماء، وفعلت بالمثل الأرواح التي أتت من السماء. أخبرت بعض الأرواح قصتها إلى الأرواح الأخرى باكية ومنتحبة، متذكّرة كل الأشياء التي عانتها ورأتها في رحلتها تحت الأرض ـ استغرقت الرحلة ألف سنة ـ والأرواح التي أتت من السماء أخبرت بدورها عن المسرّات وعن مناظر الجمال التي لا يمكن وصفها.

إنّ هذه الأرواح كان لديها العديد من القصص لترويها، يا غلوكون، وستأخذ روايتها وقتاً طويلاً عند قيامها بذلك. لكن على كلّ حال قال إنّ حصليتها كانت تلك وهي أنّ الأرواح دفعت مقابل ما فعلته من آثام وثمن كلّ الأذى الذي ارتكبته بحق الناس، دفعت مقابله قصاصاً وغرامة بنسبة عشر مرّات لكلّ فعل أذىً وإثم قامت به. وقام القضاة بتطبيق كلّ ذلك كل مرّة لزمن تعداده مئة سنة، إذ إن هذه المدّة كانت مدة حياة المرء على الأرض. كانت الفكرة أنّه يجب على الأرواح أن تدفع الغرامة عشر مرّات مضاعفة للخطأ الذي ارتكبته. وهكذا إذا كان أحدها مذنباً بموت العديد من الناس، عن طريق تضليلهم إمّا في السلام أو الحرب، أو لأنّها ألقت بالعديد منهم في العبودية، أو لأنّها كانت مسؤولة عن أية معاملة سيئة أخرى، فإنّه كان عليها أن تحصل على المعاناة عشر مرّات لأجل كلّ شيء

صغير مفرد قامت به. وعلى الجانب الآخر، إذا فعلت هذه الأرواح أفعالاً رحيمة لطيفة، وكانت فاضلة وتقيّة، فإنّها كانت ستكسب فضلاً وسمعة حسنة طبقاً لذلك. أمّا بشأن أولئك الذين يتوفّون عند الولادة، أو أولئك الذين عاشوا لفترة قصيرة من الزمن فإنّه أضاف إليهم شيئاً ما لكنّ هذا الشيء لا يستحقّ التدوين. أمّا أولئك الذين كانوا متحمّسين بواجبهم أو غير متحمّسين به نحو الآلهة أو نحو آبائهم، أو في ما يتعلق بقضايا الانتحار فإنّه أخبر عن الجائزة والعقاب اللذين سيحصلان عليهما بنسبة عالية.

وبعدُ، قال إرْ إنّه كان واقفاً في مكان ليس بعيداً، عندما سألت روحٌ روحاً أخرى أين كان آرديايوس العظيم. وآرديايوس هذا كان طاغية في مدينة ما من مقاطعة بامفيليا لألف سنة خلت، ولقد قتل أباه المسنّ وقتل أخاه الأكبر وقام بالعديد من الأعمال الفظيعة الأخرى، هكذا قيل عنه. لذلك فإنّ الشخص الذي سُئِل أجاب: « إنّه لم يأتِ إلى هنا، ولن يأتي. رأينا نحن السبب لذلك في واحد من المناظر المرعبة هنا. لأنّنا عندما أتينا بعد كلّ الخبرات الأخرى التي كانت لدينا قرب الفجوة وكنّا على وشك أن نبدأ رحلتنا صُعُداً، عند ذلك رآيناه ورأينا الآخرين فجأة، وكانت أكثرهم طغاةً لكنّ بعضهم كانوا أفراداً خبثاء في الحياة الخاصّة. وعندما اعتقدوا أنّهم كانوا على وشك أن يرتقوا إلى أعلى، فإنّ الفجوة لم تقبل بدخولهم، بل أحدثت صوتاً عميقاً كلّما حاول شخص من هؤلاء الناس الخبثاء الجوفيّين أن يصعد إلى أعلى، أو إذا حاول ذلك الشخص الذي لم يدفع الغرامة المترتّبة عليه بشكل مناسب. كان هناك رجال عنيفون وسريعو الغضب كي يُنظر إليهم، قد وقفوا موقف المتفرج، وعندما سمعوا الضجّة قبضوا على بعضهم وأخذوهم بعيداً حيث كانوا، لكنّهم أوثقوا أيدي وأرجل ورؤوس أرديايوس وبعض الآخرين ورموهم صرعى بضربات عنيفة وفعلوا ذلك على نحوٍ

متكرّر، وجرّوهم على طول الطريق الخارجي ومزّقوا بذلك لحمهم على شجر الزعرور، مشيرين إلى المارّة بجانب الطريق على معنى سحبهم على طول هذا الطريق، وكيف كان ذلك لكي يرموهم في جهنم « حيث العديد من الأهوال من كلّ نوع ». وقال إرْ إنّ أحد الأهوال التي رآها والذي فاق المخاوف الأخرى كلّها كان الخوف وهو أنّه عندما كان أيّ شخص على وشك أن يرتفع صعداً فإنّ الصوت المرعب يمكن أن يفاجئه، وأنّ كلّ واحد منهم ارتقى صعداً مع الشكر الجزيل إذا بقي هذا الصوت صامتاً. هكذا كانت الغرامات والعقاب، والأعمال اللطيفة المناسبة لها.

ج ـ قواعد المبادىء الأخلاقية

إنّك لمخطىء، يا سيّد، إلا إذا اعتقدت أن الإنسان، عندما يقوم بعمل، يجب عليه أن يضع نصب عينيه هذا الشيء الواحد، أعني، سواء إذا كان يفعل ما هو صحيح أو ما هو خطأ، وسواء إذا كانت أفعاله أفعال إنسانٍ خيّرٍ أو إنسانٍ آثم. «ابولوجي».

٥٨ ـ من يكون في الضلال؟

جورجياس

رسالة بطرس الأولى: ولكن إن كان يتألم كمسيحي فلا يخجل بل يمجد الله من هذا القبيل.

[قال كاليكلس إنّ سقراط كان في موقع بائس لأنّه كرّس نفسه للفلسفة بدلاً من تكريسها للخطابة، « جورجياس ». انظر رقم ٥١ من هذا البحث].

سقراط: دعنا نتأمّل ملياً ماذا تساوي الطريقة التي تعيبني بها، ودعنا نسأل إن كان من العدل أم لا أن تقول إنّي غير قادرٍ على أن أساعد نفسي أو أيّاً من أصدقائي أو أقاربي، أو أن أنقذهم من أعظم الأخطار، وتقول، لكنّي لست

بأفضل من خارجٍ على القانون ـ عند رحمة، أو رغبة، أو ولع أيّ شخص يهتم بصفعي على الأذن، وأنت تستخدم تعبيري الرياضي الخاصّ عندما تقول هذا، أو ليسلبني هذا الشخص مالي، أو ليطردني خارج المدينة، ويقتلني في النهاية. وطبقاً لما تقول، لكي أُوضع في الموقع الأكثر خزياً من كلّ المواقع.

لكن الذي أقوله ردّاً عليك هو هذا، ومع أنّه قد قيل غالباً بشكل مسبق، وليس هناك أيّ شيء كي يوقف ترديده مرّة ثانية. إنّي أرفض القول القائل إنّي إذا حصلت على صفعة لا استحقّها على الأذن فإنّها تكون شيئاً معيباً، أو لكي يُجلد جسدي أو يُسلب منّي مالي. لكن أن أُضرب وأُجلد ويُفعل بمن يخصّني كذلك بدون حقّ وأن أُختطف وأُجرّ بالعنف أو بكلمة أُخرى، أن يُفعل بي وبما يخصّني أيّ فعل خطأ فإنّ هذه الأعمال أكثر خزياً على فاعلها ممّا هي عليّ أنا الذي وقع علي فعل الخطأ.

٥٩ ـ القواعد الذهبية

جورجياس

متّى: حينئذ بصقوا في وجهه ولكموه، وآخرون لطموه.

سقراط: في مسار بحث طويل كهذا، وفي حين أنّ الآراء الأخرى قد نُقضت، فإنّ هذا البحث وحده يبقى ثابتاً. أعنّي أن فعل الخطأ يجب تفاديه بشكل أكثر عناية من أن تقاسيه من الآخرين، وأكثر من أيّ شيء آخر فإنّ الإنسان يجب أن يتحمّل الضّيق وأن لا يبدو أنّه انسان جيد وصالح بل أن يكون كذلك في حياته الخاصّة والعامّة على حدّ سواء. وأيّ شخص يصبح شرّيراً في منحىً كهذا، يجب تصحيحه. وأمّا الشيء الثاني الأفضل بعد كونك إنساناً فاضلاً هو أن تُجعل هكذا بواسطة تصحيحك وبعد دفعك الغرامة المفروضة عليك. إنّ كلّ الرضا الذاتي بخصوص أعمال الآخرين السيّئة

يجب تفاديه، سواء أكانوا قلّة أم كثرة. يجب استخدام الدفاع في كلّ المناسبات كي تعزّز العدل وتعلّي مكانته بناء على أساس هذه الخطوط. وهكذا بناءً عليها سيتمّ إنجاز كلّ شيء آخر أيضاً. إصغِ إليّ إذن وآسلك هذه الطريقة، وإذا حافظت عليها فإنّك سوف تكون سعيداً في الحياة والوفاة، كما تُظهر المحاورة. دع الناس يستخفون بك ويسخرون منك لأجل الغباء إذا أحبّوا. نعم، نعم، دعهم يضربونك بعنف وابتهج لذلك. إذ لا هلاك يمكن أن يحدث لك بسبب ما يفعلون، إذا مارست الفضيلة وكنت إنساناً خيّراً في الحقيقة.

٦٠ ـ التّضحية بالذات

المأدبة

رسالة إلى أهل غلاطية: مع المسيح صُلبتُ فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياه الآن في الجسد فإنّما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبّني وأسلم نفسه لأجلي.

فيدروس

فيدروس: علاوة على ذلك فإنّ المحبّين فقط مستعدون للموت من أجل الآخرين، ليس الرجال منهم فقط، بل النساء أيضاً. إن السيستيس، إبنة بيلياس، تقدّم دليلاً كافياً عن هذا للعالم الذي يتكلّم اليونانية وذلك دعماً لما أقول. إنّها كانت المرأة الوحيدة المستعدّة للموت من أجل زوجها، عندما كان أبواه ما يزالان حيّين. وبسبب حبها له تفوّقت عليهما بهذا المقدار في العطف وجعلتهما يبدون كغرباء لابنهما وأقاربهما وأنّهما ينتميان إليه في الاسم لا غير. وبما أنّها فعلت ذلك، فإنها ظهرت ليس للرجال فقط بل للآلهة أيضاً أنّها قامت بعمل مأثرة نبيلة كهذه. وفي إعجاب بها أعادت لها الآلهة

حياتها من جديد، برغم أنّ الآلهة لم يُعطوا ذلك إلاّ لأقلية ضئيلة من أولئك العديدين الذين قاموا بعمل الكثير من الأفعال النبيلة. إنّهم لم يعطوا امتياز استعادة أرواحهم من الجحيم. وهكذا فإنّه حتّى الآلهة يكرمون الحماسة والشجاعة في سبب الحبّ. لكن أورفيوس بن اويكروس أعادوه من الجحيم دون أن يحقق مهمته، أعادوه محضراً شبح زوجته التي أتى باحثاً عنها، لكنّهم لم يعطوه يوريدايس نفسها، لأنّه بدا أنّه يتصرّف تصرّف الجبناء. « إنّ أورفيوس كان موسيقياً طبعاً »، ولم تكن لديه الشجاعة للموت من أجل الحبّ، مثلما فعلت ألسيستيس، بل لمحاولة الوصول إلى الجحيم وهو على قيد الحياة. وهذا هو السبب الذي عاقبوه من أجله وسبّبوا له الموت على يد النساء. وأيّ حظ مغاير لحظّ آخيل، بن ثيتيس، الذي حاق به. فالآلهة اكرموا آخيل وأرسلوه إلى الجزر المباركة. ولقد أخبرت آخيل أمّه أنّه سيموت إذا قتل هيكتور، في حين أنّه إذا لم يفعل ذلك سيعوذ إلى بيته سالماً وسيتوفى بعد عمر مديد. لكنّه فضّل بشجاعة أن لا يموت من أجله بسهولة. وذلك بواسطة طرح قدره مع صديقه الكبير باتروكلوس والثأر له، بل فضّل أن يموت كما لو أنّه كان ميتاً.

[يقول فيدروس إنّ السيتيس كان شاهداً حيّاً للعالم الناطق باليونانية، لأنّ تمثيلية يوريبايدس عن قصّتها كانت تمثيلية شهيرة جدّاً. وهنا فإنّ ما قيل سُلّم به جدلاً، وهو أنّ أبا أو أمّ أيّ شخص، كونهما مسنين، يجب أن يُدركَ أنّه يمكنهما أن يوفّرا من الموت بشكل أكثر سهولة ممّا توفّر لزوجته. لقد قدّمت اسم يوريدايس هنا، لكنّ المحاورة لم تعطِ هذا الاسم حقيقة].

٦١ ــ مازق الآثم

ثياتيتوس

متّى: أيّها الجهّال والعميان أيهما أعظم: الذهب أم الذي يقدّس الذهب.

سقراط: إنّ الله ليس جائراً بأية طريقة ولا بأي أسلوب، بل إنّه مستقيم كما يجب أن تكون الاستقامة. ولا شيء أكثر شبهاً به بيننا سوى الذي يصبح مستقيماً قدر الإمكان بشكل مماثل. وسواء إذا كان الإنسان ذكياً في أيّ معنى حقيقيّ فذكاؤه يتوقّف على كونه مستقيماً. وإلاّ فإنّ وجوده ليس وجود إنسان ولا يمت إلى الإنسان بِصِلَة. وعند إدراكه لذلك فإنّ هذا حكمة وفضيلة حقيقيّة، لكنّ الجهل به هو افتقاره للتعليم. وتكون شخصية الإنسان شخصيّة سيئة بشكل مبسّط. إنّ الإنجازات الأخرى التي يبدو أنّها شكل من أشكال الذكاء والحكمة، إذا مورست بطريقة التأثير السياسي، فإنّها تكون إنجازات مبتذلة. لكن إذا مورست بطريقة الفنون والحذق اليدويّ، فإنّها تكون إنجازات وضيعة. إنّك تستطيع أن تفعل الشيء الأفضل للإنسان الصالح إلى هذا الحد، لكنّ الرجل الآثم في القول والعمل لا يمكنك الموافقة على أنّه رجل ذكي لأنه مجرّد من المبادىء الأخلاقية. بما أنّ فاعلي ذلك يبتهجون في هذا التوبيخ ويعتقدون أنّهم أُخبروا أنّهم أغبياء وثقيلون على الأرض، بل هم نوع من الناس الذين يتعهّدون بامتلاك منصب مضمون في الدولة. يجب أن تقال الحقيقة لهم، أعني أنّهم هم الأغبياء الأكثر غباءً من الجميع، وهم يعتقدون أنهم كذلك، لأنّهم يتصوّرون هذا تماماً. هم لا يعرفون الغرامة التي ستحيق بالآثم، وهي الغرامة التي يجب عليهم أن لا يجهلوها من بين الغرامات أجمع. إنّها الغرامة التي لا يحسبون ولا يفترضون حدوثها. فغرامة الجلد وعقوبة الموت يهرب الناس منها بعض المرات، رغم أنّهم مذنبون، أمّا غرامتهم هذه فمن المستحيل عليهم التملّص من دفعها.

ثيودورس: وما هي؟

سقراط: يا عزيز ثيودورس، هناك نوعان من الرجال في العالم، أحدهما إلهي مبارك بشكل سامٍ، والآخر يفتقر لكلّ ما هو إلهي وهو الأكثر شقاءً، غير أنّ هؤلاء الرجال لا يرون أنّها تكون هكذا. لكنّهم يخفقون بسبب غبائهم وعَوَزهم الشديد للإدراك، كي يلاحظوا أنّهم أصبحوا مثل ذلك النوع الواحد وغيراً من النوع الآخر بسبب أعمالهم الشريرة. هم يدفعون الغرامة من أجل هذا لأنّهم يحيون حياة تتطابق مع النوع الذي يختصّون به. وإفترض أنّنا نقول لهم: إنكم ما لم تتخلّصوا من حذقكم هذا، فإنّ ذلك المكان النقيّ من الشرّ لن يتلقّاكم عندما تموتون، في حين أنّكم في هذا العالم سوف تحيون على الدوام حياةً تتطابق مع ما أنتم أنفسكم عليه. إنّ الرجال الأشرار سينسجمون مع الرجال الأشرار ـ لماذا، إنّهم سوف يفكّرون بالضبط مثلما يفكر ذوو العقول والدهاء عندما يستمعون إلى حديثٍ ما نصفي الذكاء.

ثيودورس: إنّهم سيفعلون بكلّ تأكيد.

سقراط: إنّني أعرف ذلك جيّداً بما فيه الكفاية. لكنْ هناك شيء واحد يخصّهم. عندما يلزمهم أن يتبادلوا المناظرات مع الأفراد بشأن هذه الأفكار التي ينتقدون، فإنّهم مستعدّون للصمود لها بشجاعة ولوقت طويل، ولا يلجؤون إلى الهرب كعمليّة يلجؤون اليها. حينئذ ينتهون، وبشكل غريب كفاية إلى عدم إقناع أنفسهم بما يقولون، وتهن بلاغتهم كلّها بطريقة ما ويبدون أنّهم ليسوا بأفضل من الأطفال.

٦٢ ـ صنع على صورة الله

الجمهورية

تكوين: وقال الله نعمل الإنسان عل صورتنا كشبهنا.

[يحاول هذا المقطع من أعمال أفلاطون كي يصف الفيلسوف الصانع لمجتمع مثالي]

سقّراط: هل سيجحدنا الناس عندما نقول إنّ أيّ مدينة لا يمكن أن تزدهر أبداً إلاّ إذا كان الفنانون الذين يصوّرونها ناسخين صورتها عن الصورة الإلهيّة الأصليّة؟

أديامنتوس: إنّهم لن يعترضوا، إذا فهموا، لكن أيّ نوع من أنواع الصور تتحدّث عنه؟

سقراط: إنّهم سيأخذون مدينة وشخصيّة إنسانيّة بطريقة لوحةٍ كي يرسموا عليها. سينظفونها بادىء ذي بدء، وهذه ليست عمليّة سهلة أبداً. وإنّي لأريدك أن تعرف أنّهم بغير هذه الطريقة سيكونون غيراً من الناس الآخرين كونهم غير مستعدّين كي يكون لديهم أيّة علاقة بأيّ شيء، سواء أكان فرداً أو مدينة، ولا أن يشكّلوا قوانين، إلى أنْ يحصلوا على لوحة نظيفة، أو يقوموا هم أنفسهم لتنظيف هذه اللوحة.

أديامنتوس: وقاموا بتنظيفها بشكل كافٍ.

سقراط: وليس إلاّ حينئذ. تفترض أنت، أنّهم سوف يرسمون المجتمع في صورة كفافية؟

اديامنتوس: نعم، وماذا يلي؟

سقراط: أعتقد حينئذ، وبما أنّهم عملوا عليها، فهم سيتطلّعون إلى اتجاهين اثنين على الدوام. ففي الاتجاه الأوّل سيتطلعون إلى ما هو عادل وجميل ومعتدل وما هو كذلك، في الطبيعة، وسيتطلّعون ثانية إلى النوعيةِ عينها في الإنسان. وسوف يرسمون وفق ما رأوا. بهذه الطريقة يسلك الرجال، وهم سيوحّدون ويمزجون المتشابه في الرجال، حاصلين على الاقتراحات من الذي يدعونه هوميروس صورة وشَبَه الله مغروساً في الرجال.

[إنّ الكلمتين المتشابهتين المترجمتين « شبه الإنسان » و « شبه الله » هما

الشكل عينه. وإنّه لشيء ممتع أن تكون الكلمة الأولى كلمة رسّام باليد وأن تكون الكلمة اليونانية المرادفة لها « لون البشرة ».

ومثلما يكون العمل للبدء بإيجاد لوحة نظيفة، فلقد اقتُرح مؤخراً في محاورة الجمهورية أنّ كلّ الأشخاص البالغين الذين تجاوزا العاشرة من أعمارهم يجب إرسالهم بعيداً، ويجب إدخال الفلاسفة ليعلّموا الأطفال الذين يبقون على الخطوط الصحيحة، قصد صنع مدينة مزدهرة وشعب مزدهر. إنّ هذا الكلام يبدو قاسياً.

إنّ تعليق جايمس آدم على نهاية هذا المقطع لجدير بالتذكير به وهو في « جمهورية أفلاطون، المجلّد الثاني »، حيث يقول: « يعني أفلاطون كي يقترح أنّ الإنسان يكون حينئذ الأكثر شبهاً بالإنسان عندما يشبه الله بالشكل الأكثر »... إنّ هذا الاقتناع الأكيد الثابت عن العنصر الإلهيّ فينا يجعل طبيعتنا طبيعة إنسانيّة بشكل ضروريّ وحقيقيّ. وهذا الإقتناع يمكن الشعور به في كلّ محاورات أفلاطون تقريباً. إنّه المصدر الجوهري لكلّ مثاليّاته، الدينية وما بعد الطبيعة، وليس بأقلّ منها مثاليّاته الأخلاقيّة والسياسيّة. ويمكن اعتبارها كلّها أنّها المثاليات الأكثر نفاسة، والميراث الأكثر بقاءً الذي سلمّه أفلاطون للأجيال القادمة جميعها »]

٦٣ ــ أصدقاء وأعداء الله

النواميس

رسالة بطرس الأولى: لأنّ عيني الربّ على الأبرار وأذنيه إلى طَلَبتهم. ولكنّ وجه الربّ ضدّ فاعلي الشرّ.

كلينياس: إنّ هذا القول قولٌ واضحٌ على كلّ حال، وهو أنّ كلّ إنسان يجب عليه أن يتأمّل كيف يمكنه أن يكون واحداً من أولئك الذين يتبعون خطى الله.

الأثيني: أيّ نوع من أنواع السلوك هو السلوك الذي يختصّ بصديقٍ وبتابع ومريدٍ لله إذن؟ هناك نوع واحد فقط، إنّه النوع الذي يقول عنه قول قديم إنّه نوع

قابل للتطبيق، وفحواه أنّ المتشابهين هم أصدقاء المتشابهين حيث إنّ لديهم مقياساً مشتركاً للاعتدال. لكنّ الأشياء التي هي لا اعتدال فيها لا تكون إمّا صديقة بعضها مع بعض ولا مع الذي يكون معتدلاً. وبعدُ فإنّ الله يستطيع أن يفيدنا في الدّرجة الأولى والأعلى كمقياس لكلّ الأشياء، أكثر ممّا يقدر عليه أيّ انسان، مهما ادّعى بعضُ الناس بخصوص ذلك. وهكذا فإنّ الإنسان المستعد ليكون صديقاً مع إله كهذا يجب أن يكون واحداً كهذا نفسه بقدر ما تيسّر له قوّته. وطبقاً لهذا الحوار، فإنّ المعتدل بيننا هو صديق الله لأنّه يكون شبيهاً به، في حين أنّ الرجل غير المعتدل ليس شبيهاً بالله، بل إنّه على تباين معه. وهكذا الرجل الظالم. وتكون كلّ الصلات الأخرى المتشابهة مبنيّة على هذا الأساس عينه.

دعنا الآن نتأمّل ملياً المناظرة التالية التي نشأت ممّا قلناه، وهي المناظرة الأفضل والأصدق من المناظرات جميعها، كما أتصوّر. لكي يقدّم الإنسان الخيّر أضاحي للآلهة بشكل دائم، وليتحادث معهم في الصلاة والعطايا وفي كلّ نوع من أنواع الخدمات التي يقدّمها لهم، فإنّ هذا العمل هو شرف كبير جدّاً وعمل جيد لمن يقوم به، وهو عمل مؤثّر في تعزيز حياة سعيدة لفاعله، وهو عمل مناسب حقّاً كي يؤدّى بشكل خاصّ. لكنّ الرجل الخبيث غير طاهر في الروح، بينما يكون عكسه طاهراً. وليس من الصالح أبداً للانسان الخيّر أو لله أن يتلقى الهبات من الرجل النجس. إنّ الإزعاج الكثير الذي استخدمه الآثم لإرضاء الآلهة عديم الفائدة لهذا السبب. لكنّ العمل الذي قام به التقاة هو العمل الأكثر ملاءمة ومناسبة.

[القول الذي يؤكّد أنّ الإنسان مقياس كلّ شيء هو رأي بروتاغوراس، أنظر محاورة كراتيلوس ومحاورة ثياتيتوس]

٦٤ ــ إن محادثتنا تكون في السماء

الجمهورية

الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس: لأنّنا نعلم أنّه إن نُقض بيت خيمتنا الأرضيّ فلنا في السماوات بناءٌ من الله بيتٌ أبديٌّ لم تصنعه يدٌ.

[إنّ العنوان المدوّن أعلاه الموجود في رسالة إلى أهل فيليبي، فيه كلمة، محادثة، تُرجمت من كلمة Politea، التي هي الإسم اليوناني لمحاورة أفلاطون هذه، والتي نسمّيها الجمهورية. يقول سقراط في هذا المقطع: إنّ الإنسان العاقل سيتنبّه إلى أن روحه محسنة أكثر بكثير من تنبّهه إلى تحسين جسمه. إنّه لن ينجز أيّ عمل جيّد مؤسّسٍ على الاستيلاء والشعبيّة، بل سيركز بصره على السياسة التي في داخله. يقبل غلوكون بما يقوله سقراط ومن ثمّ يتابع سقراط كلامه قائلاً]:

سقراط غلوكون

سقراط: ومرّة ثانية، ففيما يتعلّق بالكرامات سوف يحتفظ الإنسان العاقل بوجهة النظر عينها. وسيأخذ حصّته من بعضها وسيتذوّقها بحبور، يعني من تلك الأشياء التي يعتقد أنّها ستجعله إنساناً أفضل؛ لكنّه سيتفادى الأشياء الأخرى التي يرى أنّها تضعف معنويّاته في حياته الخاصّة والعامّة على حدّ سواء.

غلوكون: إذا كانت هذه هي الأشياء التي سيعتني بها، فإنّه لن يكون مستعدّاً للمشاركة في السياسات.

سقراط: لا، لا، إنّه سيكون مستعدّاً حقّاً ليفعل ذلك في مدينته الخاصّة، لكن ربما ليس في المكان الذي نشأ فيه، إلاّ إذا قام بذلك بواسطة جزء ما من الحظّ الرائع الجيّد.

غلوكون: إنّني أفهم ما تقول، فأنت لا تعني أنّه سيشارك في السياسات في المدينة التي شارك في إيجادها، تلك المدينة التي وُضعت في عالم الفكر، أو اعتقد، على الأقلّ، بأنّها ليست في أيّ مكان على الأرض.

سقراط: لربّما، هناك نموذج لها وُضع في السماء يراها كل إنسان له عينان، وعند مشاهدته لها يصوغ الدستور في داخله على غرار العمل عينه. لكنّه لا فرق أيّاً كان، إذا وُجدت هذه المدينة في أيّ مكان أو أنّها ستوجد أبداً. إنّ هذا الإنسان العاقل سيشارك في سياسات هذه المدينة فقط وليس أية مدينة أخرى.

[أمّا أنّ دستور أو بنية دولة يتطابق مع بنية ودستور روح الفرد فتلك الفكرة هي الفكرة الأساسية لمحاورة الجمهورية. إنّ النتيجة الطبيعية، وهي أنّ بنية الروح المثالية تتطابق مع بنية مدينة « في السماء »، إنّ هذه النتيجة هي أصل وأساس مدينة الله وهي كلّ ما ترمز إليه. حيث إنّ هذه المدينة كما صوّرها أفلاطون، تختلف عن مملكة السماء التي هي في انفصال، ويبدو أنّها تبرُزُ في الإنسان الفرد. إنّ المسيحيين، رغم أنّهم ليسوا من العالم، يجب أن يكونوا خارج هذا العالم إلى الحدّ الذي تمَّ اقتراحه هنا. إنّ إنسان أفلاطون الحكيم سيكون في خطر لكونه ذكر نحل].

٦٥ ـ تجرُّد

ثياتيتوس

الرسالة إلى العبرانيين: بالإيمان ترك مصر غير خائف من غضب الملك لأنّه تشدّد كأنّ يرى مَنْ لا يُرى.

[اقتبس يوسيبوس، المفكر الدينيّ المسيحيّ والمؤرِّخ، ٢٦٣؟ - ٣٤٠م، وأسقف قيسارية من ٣١٥- ٣٤٠م اقتبس هذا المقطع ومقاطع أخرى ذات حجم ليس بالصغير ممّا تلا المقطع الأوّل وأوردها في كتابه الذي سمّاه Praeparatio Evangelia، « الكتاب العاشر، الفصل ٢٩» وأوردها مع التعليق التالي:

تقول التوراة عن الفيلسوف الوقور « إنّه جيّد للإنسان أن يتحمّل النيّر في شبابه. هو يجلس وحيداً ويبقى صامتاً، لأنّه وضع النير عليه »؛ وأمّا عن أنّ الأنبياء

يكونون أعزاء الله، فقد قيل إنّه من أجل امتياز الفلسفة فإنّ الأنبياء أمضوا وقتهم « في الصحارى والجبال والكهوف ». وما أفكارهم إلاّ على الله ومعه فقط. إستمع إلى أفلاطون وآسمع كيف أنّه ينسب شيئاً ما إلهيّاً أيضاً، ينسبه إلى نمط في الحياة كهذا، مخبراً عن الفيلسوف الكامل في المقطع التالي.

[إنّ الاقتباس المدوّن أعلاه من التوراة هو من مراثي إرميا ومن الرسالة إلى العبرانيين]

سقراط: إنّ هؤلاء الفلاسفة، منذ نشوئهم ونموّهم، لا يعرفون طريقهم إلى المدينة أو أين تكون المحاكم القانونية أو في أي مكان توجد قاعة الهيئة التشريعية أو التنفيذية أو أيّ مكان عامّ آخر للجمعية العامّة. إنّ القوانين والقرارات التي تُبحث وتُنشر لم يروها ولم يسمعوا بها. أمّا في ما يتعلّق بالجمعيّات السياسيّة والطامحة، وبالاجتماعات والولائم ونساء الليالي، كلّ هذه الأشياء لم تحدث حتّى في أحلامهم على الإطلاق ولا يشاركون فيها. وسواء أكانت ولادة شخص ما ولادة صالحة أو سافلة، وسواء أحاقت به أيّة بليّة من سلفه، وسواء أكان ذكراً أو أنثى، فإنّ كلّ ذلك لم يعيروه أيّ اهتمام. كما أنّهم لم يهتموا بمعرفة عدد الغالونات الموجودة في البحر. وهم لا يعرفون أبداً حتى أنّهم لا يعرفون على الإطلاق. إنّ الفيلسوف لا يبتعد عن معرفة ذلك كي يخلق انطباعاً بشأنه، لكنّ جسمه يكون قاطناً في المدينة فقط حقّاً، في حين أنّ فهمه يَعدُّ أنّ كلّ هذه الأشياء تافهة لا قيمة لها ويزدريها بشكل مطلق. إنّ فهمه ينتقل بسرعة من مكان إلى مكان، كما يقول الشاعر بيندار، « ينتقل من السماء إلى الأرض، معيّناً وراصداً حركات النجوم، متسائلاً ومن الأرض إلى السّماء ». ومحقّقاً عن الطبيعة وفيها كلّها بكلّ وسيلة متاحة، محقّقاً في كلّ جزء منها ومتأمّلها ملياً بنفسه، في حين أنّه لا يهبط بنفسه إلى مستوى ما هو في متناول اليد.

ثيودورس: ماذا تعني يا سقراط؟

سقراط: إنّ الفلاسفة هم مثل طاليس الذي حينما كان يدرس ويتفحّص النجوم، يا ثيودورس، وبينما كان ينظر إلى الأعالي، سقط في بئر. وقيل إنّ إنساناً حاذقاً كان يسلّي فتاة خادمة من تراقيا مزح منه أمامها لأنّه كان مصمّماً على معرفة ماذا كان في السماء، في حين أنّ الموجود أمامه وعلى مرمى قدميه غاب عن ذاكرته. وتنطبق السخرية عينها على كلّ المنهمكين في الفلسفة. لأنّه في الحقيقة لا يلاحظ شخصٌ كهذا باب جاره القريب. إنّ الفيلسوف لا يعرف ماذا يعرف جاره فقط، بل إنّه بالكاد يعرف إن كان جاره إنساناً أو مخلوقاً ما آخر. ومع ذلك إذا سألنا أيَّ إنسان يكون هو في الحقيقة وما الذي يخصّ طبيعته ويجعله غيراً من الآخرين في ما يعمل لهم وفي ما يقومون بفعله له ـ إنّ هذه يسألها فيلسوفنا على الدوام ويقضي مقداراً كبيراً من العناء محقّقاً فيها. أفترض أنّك تفهمني الآن، يا ثيودورس، أم أنّ العكس هو الصحيح؟

ثيودورس: نعم، إنّني أفهمك، وأنت محقّ في ما تقول.

سقراط: بناء على ذلك، يا صديقي، فإنّ نوع هذا الشخص كونه مع الأفراد أو مع الجماعة بشكل عام، وكما قلت في البداية، فإنّه عندما يكون في محكمة قانون أو في أيّ مكان آخر ويُجبر على أن يتكلّم بشأن الأشياء التي عند قدميه أو التي تكون أمامه تماماً، حينها يَهزأ به ليس الفتيات التراقيات فحسب بل كل إنسان آخر. إنّه يسقط في الآبار، ويقع في كلّ نوع من أنواع المواقع الحرجة لعدم خبرته. وعندما تكثر الإساءَة والظلم فليس لديه أيّ شيء يسيىء به لأيّ شخص، لأنّه لا يعرف أيّ شرّ عن أيّ شخص، لأنّه لم يهتمّ لهذه الأشياء. إنّه يجعل من نفسه شخصية مضحكة لعدم معرفته بما يفعل. وحيث تتبادل الإطراءات أو حيث يُعبَّر عن الإعجاب المشترك

بالمجتمعات فإنّ بسماته تكون بسمات ذكية بشكل واضح تماماً وهو لا يصطنعها. وهكذا يبدو أنّه ساذج. وعندما يسمع فيلسوفنا بمدح طاغية أو ملك، يعتقد أنّ هذا النوع من المديح هو نوع من أنواع مدح راعي القطيع بأغنامه، أو مربي الخنازير بخنازيره، أو مدح راعي البقر ومربيها الذي تمّت تهنئته لحصوله على كميّة كبيرة من الحليب. لكنّه يحسب أنّ الطغاة والملوك يرغبون في، ويحلبون بهيمة أكثر مكراً ودهاءً بكثير ممّا يفعله هؤلاء الرعاة بمواشيهم. ويعدُّ فيلسوفنا أنّ شخصاً منهمكاً في أشياء كهذه يصبح شخصاً متمرّداً فظّاً جاهلاً أكثر ممّا هو عليه راعي القطيع وذلك لافتقاره لوقت الفراغ، وإنّ هذا الشخص زُرب هناك في حصنه كما تُزرب الأغنام في حظائرها الجبليّة. وعندما يسمع الفيلسوف أنّ شخصاً ما لديه عشرة آلاف مقدار من الأراضي أو أكثر، وأنّه غنيٌّ بشكل رائع، يبدو هذا أنّه شيء صغير جدّاً لإنسان اعتاد على أن يفكّر في الأرض كلّها. وعندما يغنّي الناس ثناءات الأصول والأنساب ويقولون كيف تكون الولادة الجيّدة لشخص ما، لأنّه يستطيع أن ينتج أسلافاً أغنياء صُعُداً إلى الجيل السابق، عندما يفعل الناس ذلك يعتقد الفيلسوف أنّ هذا النوع من أنواع الثناء الذي يأتي من الناس البليدي الفهم والقصيري النظر، والذين لا يقدرون على النظر إلى الشيء ككلّ لافتقارهم للتعليم، ولا يستطيعون أن يتأمّلوا ملياً أنَّ كلّ شخص لديه أعداد لا تحصى من الأسلاف والأجداد كان بينهم الغنيّ والفقير، الملوك والعبيد، البرابرة واليونانيون، وكان بينهم غالباً جدّاً عشرة آلاف من الأفراد الوحيدين. يبدو للفيلسوف كلّ هذا أنه عرض غريب للأشياء التافهة في لائحة مؤلّفة من خمسة وعشرين جيلاً متباهين بأنفسهم ويعودون نسباً إلى هرقل بن امفيتريون، ومعتبراً أنّ الأجيال الخامسة والعشرين ما قبل أمفيتريون، كانت كأيٍّ شيء ما جعله الحظّ أن يكون مرّة ثانية،

وكذلك كانت الأجيال الخامسة عشرة التي قبلها. إنّ الفيلسوف يسخر منهم لكونهم غير قادرين على أن يعتبروا، وعلى أن يتخلّصوا من الباطل السخيف الذي يغمر أرواحهم. لكنّ فيلسوفنا تسخر منه الأكثريّة في كلّ هذه المواقع لكونه مستهتراً بشأن بعض الأشياء، كما يفكّرون بينما يتجاهل ما هو عند موطىء قدميه، وغير عارف ما يفعله بخصوص أيّ شيء على وجه الخصوص.

ثيودورس: إنّك تصف ما يحدث بشكل دقيق، يا سقراط

سقراط: لكن، يا صديقي، عندما يسحب الفيلسوف نفسُه شخصاً ما نحو الأعالي، ويكون ذلك الشخص مستعدّاً للارتقاء معه فوق المستوى « ففي أيّة طريقة أخطئك أو تخطئني بها؟ » أقول، عندما يرتقي معه فوق المستوى إلى التأمّل المليّ في الصلاح والسوء كما تكون في أنفسها، وماذا تكون كلٌّ منها، وفي ماذا تختلف كلّ منها عن أيّ شيء آخر أو في ما تختلف كلّ منها عن الأخرى، أو يرتقي معه فوق مستوى القول القائل « هل يكون ملكٌ ملكاً سعيداً؟ » هل يكون هو كذلك بسبب أنّه يكون غنيّاً؟ ويتأمّل مليّاً في المَلَكيَّة وفي سعادة الإنسان وشقائه بشكل عامّ، وفي ماذا تكون السعادة والشقاء، وفي أيّ أسلوب يكون أسلوباً مناسباً للطبيعة الإنسانية كي تمتلكِ الأولى وتتفادى الثانية ـ عندما تكون كلّ تلك الأشياء، ما الذي يلزم إنسان كي يحسبها أنّها تكون، حينئذ فإنّ الرجل الذي يكون صغيراً أو محتالاً وتافهاً ويحكم عليها بواسطة مزاجه الخاصّ ، إنّ هذا الرجل يعطي الفيلسوف ثأره. إنّ الفيلسوف المقيم في عليائه والناظر إلى تحت في ما بين السماء والأرض يُصابُ بالدوار لأنه غير معتاد على ذلك، ويُرعب منه متردّداً. يبدو أنّه يصطاف ويعطي فرصة للضحك، لا يعطيها للفيتات التراقيات أو لأيّ شخص غير مثقّف مثلهنّ، لأنّ الأشخاص لا يلاحظونه،

بل يعطيها لأولئك الذين رُبُّوا في الطريقة المعاكسة للطريقة التي تربّى ونشأ عليها العبيد تماماً.

[ترجم لويس كامبل الجملة المدوَّنة اعلاه هي، « يعطي الفيلسوف ثأره »]

٦٦ـ ضُعْداً الطريق كله

النواميس

متّى: ادخلوا من الباب الضيّق لأنّه واسع الباب ورحبٌ الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك. وكثيرون هم الذين يدخلون منه. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدّي إلى الحيٰواة، وقليلون هم الذين يجدونه.

الأثيني: إنّ أولئك التوّاقين ليصبحوا أخياراً وبسرعة قدر الإمكان ليس من السهل جدّاً أن يأتوا أو أن يكون عددهم وفيراً. وأكثر الناس يظهرون كم هو الشاعر هيسيود عاقل حيث يقول، إنّ الطريق إلى الخبث طريق ناعم والرحلة عليه لا تتطلّب المشقّة، كونه طريقاً قصيراً جدّاً. يقول هيسيود:

وُضعت المشقّة أمام الفضيلة،
هكذا قضي الآلهة الخالدين. الطريق
يكون خشناً ومنحدراً، ويكون قاسياً في البداية.
لكن عند الوصول إلى القمم، يتلو هناك عندئذ،
تقدُّمٌ سهلٌ على المسلك الوعر.

٦٧ ـ الصحّة تكمن في الروح

كارميدس

رسالة يوحنا الثالثة: أيّها الحبيب في كلّ شيء أروم أن تكون ناجحاً وصحيحاً كما أن نفسك ناجحة.

[يتظاهر سقراط أنّه سمع ما يلي من الشخص الذي كان طبيب زالومكسيس، ملك القوط الأُسطوري]

سقراط: إنّ ملكنا زالومكسيس هو إله، هو أخبرني ذلك، ويقول بما أنّه لا يجب عليك أن تحاول شفاء العين تماماً بدون شفاء الرأس أو شفاء الرأس بدون شفاء الروح، هكذا أيضاً لا ينبغي عليك أن تحاول شفاء الجسد بدون شفاء الروح. يقول هو إنّ ذلك هو السبب الذي من أجله فاتت الأطباء الذين لدى اليونانيين المعرفة بأكثر الأمراض. إنّهم أهملوا الكلّ عندما كان ذلك ما رجب عليهم أن يعطوه جلّ اهتمامهم وانتباههم، لأنّه كان من المستحيل وجوب أن يكون الجزء سليماً إذا لم يكن الكلّ كذلك. إنّ كلّ الشرّ وكلّ الخير الذي يصيب الجسد ويصيب الإنسان كلّه نشأ من الروح، ويتدفّق منها مندفعاً إلى الأمام، تماماً مثلما تتدفّق الدموع من الرأس إلى العينين. وهكذا فإنّ الشيء الأوّل والأكثر أهميّة هو أنْ تشفي الروح، إذا وجب أن يكون الرأس وأن تكون بقيّة الجسد في حالة جيدة.

٦٨ ـ استخدام واساءة الاستخدام

كلايتوفون

متى: وإنّ أعثرتْك عينك فاقلعها وألقِها عنك. خيرٌ لك أن تدخل الحياة أعور من أن تُلقى في جهنّم النار ولك عينان.

كلايتوفون: إنّني أعجب بك كثيراً، يا سقراط، وأثني عليك كأنّك أعجوبة عندما تقول، فيما تقوله إنّ أولئك الذين يقون أجسادهم مناسبة لكنّهم يهملون أرواحهم، فإنما هم بعملهم هذا يُهملون ما قُصد به أن يكون الحاكم، وهم ينفقون آلامهم على ما قُصد به أن يكون محكوماً. وبطريقة مماثلة فأنت عندما تقول إنّه لأفضل لأيّ شخص أن يرجىء استعمال ما لا يعرف استعماله، مثلاً، إذا لم يعرف أيّ شخص كيف يستخدم عينيه أو أذنيه أو جسده بشكل عامّ، فمن الأفضل له أن لا يرى ولا يسمع وأن لا يقوم بأيّ استخدام لجسده بدل أن يستخدم هذا الجسد كيفما اتّفق. وينطبق الشيء

عينه على الفنّ. إنّه لمن الواضح أنّ الإنسان الذي لا يعرف كيف يستعمل قيثارته، فإنّه لا يعرف كيف يستعمل قيثارة جاره. والإنسان الذي لا يستطيع أن يستعمل قيثارة الناس الآخرين، لا يمكنه أن يستعمل قيثارته الخاصة. وينطبق الشيء عينه على الأدوات والأشياء الأخرى. وتصل مناظرتك الخاصّة هذه إلى الخلاصة المهمة وهي أنّ الإنسان الذي لا يعرف كيف يستخدم روحه، فإنّه لمن الأفضل له أن يُبقي روحه هادئة وأن لا يحيا بدل أن تحيا وتعمل ما يختاره هو. لكن إذا وجب لشخص كهذا أن يحيا، فمن الأفضل له أن يكون عبداً بدل أن يكون إنساناً حرّاً. وعليه أن يسلّم إدراة الدفّة لمن يمتلكُ فهماً، إذا كان ما سيسلمه باخرةً لإنسانٍ آخر، أعني إلى الشخص الذي يعرف كيف يدير ويوجّه الرجال، والذي يكون كما تقول أنت غالباً إنّه فنّ إدارة الدول، يا سقراط.

[إنّ الكلمة اليونانية لإدارة أو توجيه هي كلمة Kubernan وهي الكلمة التي اشتُقّت منها الكلمة الانكليزية Govern أي يحكم، مع أنّها في اللغة اللاتينية كلمة Gubernare وفي اللغة الفرنسية Gouverner أنظر رقم ٨ من هذا الكتاب لاستخدام الكلمة عينها]

« استشهد السيّد آدم فوكس هنا بأحد المتكلّمين في محاورة من محاورات أفلاطون ولكنْ بالطريقة الصحيحة هذه المرّة، إذ إنّ كلايتوفون كان يسجّل ويورد أفكار أفلاطون نفسه » المعرب

٦٩ ـ ما هو الصلاح؟

(أ) - كراتيلوس

أمثال: الحكمة تصل من غاية واحدة إلى غاية أخرى بقوّة: إنّها تنظّم الأشياء كلّها بعذوبة.

سقراط: يقول شخص إنّ الصلاح شيءٌ واحد، ويقول آخر عنه قولاً آخر. يقول

شخص ما إنّ الشمس هي صلاحٌ لأنها تسير وفق طريقها الخاصّة وتوقد كلَّ الأشياء ناراً وتراقب كلّ شيء. لكن عند سماع هذا القول فإنّي أرحّب به كأنّه تعليق لا بأس به، وأخبره لشخص ما، لكن هذا الشخص يسخر منّي ويسألني إذا ما كنت أعتقد بأنه لا صلاح بين الرجال عندما تغيب الشمس. وهكذا فإنّي عندما أستعطفه كي يقول لي ما هي الشمس، يقول لي إنها نار. إن هذا القول لمن الصعب فهمه. لكنّه يواصل القول إنّه لا يعني أنّ الشمس هي نار حقيقية، بل إنّها الحرارة التي تكون في النار. لكنّ الشخص التالي يقول إنّ القول هذا كلّه يجعله يستغرق في الضحك ويقول إنّ الصلاح هو عقل، وهذا هو ما قاله أناكساغوراس. لأنّ أناكساغوراس يقول، إنّ سلطان العقل هو سلطان مطلق، وإنّه لا ينضم لأيّ شيء آخر، وهو يجتاز العالم وينظّم الأشياء كلّها. إذن، يا صديقي، أنا في ارتباك أكثر بكثير من الارتباك الذي كنت به قبلاً وذلك في جهدي أن أتعلّم بشأن الصلاح وما هو.

(ب) ـ النواميس

الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس: لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين. لأنّه أيّة خِلطة للبِرّ والإثم، وأيّة شركة للنور مع الظلمة.

الأثيني: أحبّ الآن أن أُعرّف لك بدون أيّ تكلّف ما أفكر به تماماً عن الصلاح والإثم. أسمّي أنا حكم الشهوة أو الهوى وحكم الخوف واللذّة والحزن والحسد والرغبات في الروح، أسمّيها كلّها آثاماً بكلّ تأكيد، وسواء أفَعَلتْ أيّ ضرر وأذى أم لم تفعل. لكن فكرة الأفضل، وفي أيّة طريقة تفكر مدينة أو يفكّر أفراد كي يثبتوا هذه الفكرة، فإنّي أقول عنها إنّها فكرة محقّة بشكل كامل إذا سادت في الروح ونظّمت الإنسان كلّه، حتّى إذا تعرضت لخسارة ما فذلك لا يقلّل من شأنها. إنّ العمل على هذا الخط هو عمل

مستقيم وجزء الإنسان الذي يكون عرضة لهذا التنظيم هو جزء مستقيم. وهو الشيء الأفضل في مجمل الحياة الإنسانية، حتّى لو حَسِب العديد من الناس أن هذه الخسارة ظالمة وذات نوع غير متعمَّد.

[أهميّة هذا المقطع هي تأكيده على أن الصّلاح والسّوء هما ما يكونان، مستقلَّيْن تماماً عن عواقبهما.

لقد غيَّرت ترجمة الكلمة اليونانية Esethai، والتي تُرجِمت « لتكون على وشك لتكون » والتي ليس لها أيّ معنى، غيَّرتها إلى كلمة Echesthai أي، « كي تقبض على أو تمسك بشيء »]

٧٠ ـ الخير هو كلّ ما نحتاج

فيليبوس

الرسالة إلى أهل رومية: ومجدٌ وكرامةٌ وسلامٌ لكلّ مَن يفعل الخير اليهوديّ أوّلاً ثمّ اليوناني.

سقراط: هل يمكننا أن نتّفق على هذا الآن كما اتفقنا مرّة قبلاً؟

بروتارخوس: نتّفق على ماذا؟

سقراط: نتفق على أنّ الخير سامٍ على كلّ شيء آخر بطبيعته في هذا المنحى؟

بروتارخوس: في أيّ منحى؟

سقراط: إنّه أيّاً كان المخلوق الذي يخصّه على الدوام وبالكامل وبكلّ ما في الكلمة من معنى وفي كلّ طريقة، فإنّ هذا المخلوق لا تتملّكه أيّة حاجة لأيّ شيء أبداً بعد اليوم، بل إنّه يمتلك هو كفاية بشكل مطلق. أليس حقّاً ما أقول؟

بروتارخوس: نعم، إنّه لكذلك.

٧١ ـ المعرفة الحقيقية

فيليبوس

رؤيا يوحنّا اللاهوتي: هنا العقل الذي له حكمة. الرؤوس السبعة هي سبعة جبال عليها المرأة جالسة.

سقراط: يجب أن نقول وداعاً للأفراد مثلك ومثلي ومثل جورجياس وفيليبوس وبشكل ثابت تماماً، ويلزمنا أن نخلق إعلاناً جادّاً لإيمانٍ كي نصل إلى النتيجة التالية.

بروتارخوس: لأيّة نتيجة؟

سقراط: إنّ الإنسان الأكيد والطاهر الحقيقيّ والذي لا تشوبه شائبة يهتمّ بالذي يكون أبداً والشيء عينه بدون تغيير أو مزج للعناصر الخارجية، أو بما يكون الأكثر مجانسة لذلك، لكن يجب حسبان كلّ ما عداه ثانويّاً وأقلّ شأناً.

بروتارخوس: حقيقي تماماً.

سقراط: أمّا بشأن الأسماء التي تُرفق بأشياء كهذه سيكون الشيء الأعدل والأجمل أن يُرفق الشيء الأكثر جمالاً بالأشياء الأكثر جمالاً أيضاً.

بروتارخوس: إنّ ذلك لطبيعي

سقراط: أليس العقل، أوَليست الحكمة هما الإسمان اللذان نضعهما أوّلاً؟

بروتارخوس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ هذه الأسماء ستُخصَّص بشكل صحيح ودقيق للأفكار الحقيقيّة كما هي حقّاً.

بروتارخوس: بكلّ تأكيد.

٧٢ ــ اللحم الذي تحمَّل

الجمهورية

يوحنّا: إعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحيٰوة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان لأنّ هذا الله الآب قد ختَمه.

سقراط غلوكون

سقراط: أنظر إلى ما أقول بهذه الطريقة. أليس الجوع والعطش وما شابه ذلك نقصاً في الحالة الطبيعيّة للجسم بطريقة ما؟

غلوكون: ماذا بعدئذ؟

سقراط: أليس الجهل والبَلَه نقصاً في حالة الروح بطريقة مماثلة؟

غلوكون: بكلّ تأكيد.

سقراط: إذن فإنّ مَنْ يمتلك جزءاً من الغذاء ومن يمتلك عقلاً سوف يملأ هذا النقص كلّه؟

غلوكون: كيف يمكن أن تكون ما تقوله غيراً من ذلك؟

سقراط: لكن هل يملأ النقص مَن يكون الأقلّ حقيقياً أو مَنْ يكون الأكثر حقيقياً وبشكل حقيقيّ أكثر؟

غلوكون: إنّ مَن يملأ النقص هو مَنْ يكون الأكثر حقيقياً بوضوح.

سقراط: أيٌّ من هذين النوعين الإثنين تظنّ أنّه يمتلك حصّة أعظم من الحقيقة النقيّة، هل هو النوع الذي يهتمّ بالغذاء والشرب والأطعمة الشهيَّة والتغذية بشكل عامّ، أم أنّه الصنف الذي يشكّل الحقيقة والمعرفة والعقل وكل ما يكون ممتازاً بشكل عامّ؟ أفرزها هكذا، إسأل نفسك سواء إذا كان ذلك الذي يلصق نفسه بالحقيقة وبما يكون الشيء ذاته على الدوام ولا يعرف نهاية، إسألها إذا كان يبدو لك أنّه يكون الأكثر حقيقياً، أو أنّ الذي يبدو الأكثر حقيقيّاً هو الذي يلصق نفسه بما لا يكون أبداً الشيء عينه ويكون عرضة للانقراض، ويكون هو نفسه من ذلك النوع ويوجد في الذي يكون في ذلك النوع؟

غلوكون: إنّ ذلك الذي يكون الشيء ذاته على الدوام يكون حقيقيّاً أكثر بكثير.

سقراط: قل الآن إذن سواء تكون الحقيقة لذلك الذي يكون الشيء ذاته على الدوام، قل الآن إذا كانت الحقيقة تمتلك أكثر حقيقة بشأنه ممّا تمتلك معرفة؟

غلوكون: أوه، لا.

سقراط: حسناً إذن، إنّها تمتلك أكثر واقعية ممّا تمتلك حقيقة؟

غلوكون: لا، مرّة ثانية.

سقراط: إذا وُجدت حقيقة أقلّ إذن، أفلا يوجد واقع أقل أيضاً؟

غلوكون: يجب وجود ذلك.

سقراط: إنّ كلّ الأشياء إذن التي تُعتبر أنّها نوع الشيء الذي يهتمّ بالعناية بالجسم، تُعتبر كذلك أنّها تمتلك حصّة أقلّ من الحقيقة والواقعية من ذلك النوع من أنواع الأشياء الذي يهتمّ بالعناية بالروح؟

غلوكون: إنّ الأولى تمتلك من الحقيقة حصّة أقل بكثير.

سقراط: أوَلاَ تظنّ أنّ الجسم يقع في صلة مماثلة للروح؟

غلوكون: إنّني أفعل.

سقراط: لهذا السبب فإنّ ذلك الذي يكون ممتلئاً بالأشياء التي تكون أشياء حقيقيّة أكثر ويكون حقيقياً أكثر في نفسه، إنّه يكون أكثر امتلاء من ذلك الذي يكون ممتلئاً بالأشياء التي تكون أقلّ حقيقةً وتكون هي نفسها كذلك؟

غلوكون: يجب أن تكون الأشياء هكذا كما تقول.

[يتضمّن هذا الاستنتاج ضمناً أنّ ما يكون دائماً ولا يهلك يكون أكثر امتلاءً، يعني أنّه يكون مرضياً، من الذي يكون عرضة للتغير والفناء. يدلّ إنجيل يوحنا في الأصحاح ٢٧٠٦، يدلّ على الشيء عينه].

٧٣ ــ دواء للروح

جورجياس

إرميا: لأنّه هكذا قال الربّ. كسرُك عديم الجبر وجرحك عضال. ليس من يقضي حاجتك للعصر ليس لك عقاقير رِفادة.

[أُجبر كاليكلس، وهو مكرهٌ جدّاً، على أن يعترف أنّ الخطابة يجب ألاّ تُستعمل للغايات الخاطئة].

سقراط: وبعدُ، ففيما يخصّ الروح، هل تكون هي في حالة جيّدة عندما توسم

بعلامة الافتقار للضّبط والتنظيم، أو عندما توسم بعلامة التنظيم والنظام؟

كاليكلس: أفترض أنّك تعني الصحّة والقوّة الجسديّة؟

سقراط: نعم. والآن ففي حالة الروح ما اسم النتائج التي تلي من التنظيم والنظام؟ حاول وآكتشف وآعطِ الإسم المطابق لذلك.

كاليكلس: لماذا لا تعطيه أنت يا سقراط؟

سقراط: سأفعل، إذا آثرتَ ذلك. وإذا بدا أنّي محقّ في ما أقول، يجب عليك أن تعترف بذلك. لكن إذا لم أكن هكذا، فانقضني ولا تتراجع. يبدو لي أنّ الكلمة الواحدة التي تُستخدم لتأدية الجسم لوظيفته بشكل منظّم، يبدو أنّها الكلمة هذه « معافىً » وكنتيجة لها تُنتَج الصحّة والبنية الطبيعيّة المناسبة للجسم بشكل عامّ. أليس ذلك صحيحاً؟

كاليكلس: إنّه لكذلك.

سقراط: لكنّك ستستخدم لتأدية الروح لوظيفتها بشكل منظم وانتظامي، ستستخدم لذلك كلمة « التقيّد بالقانون » وكلمة « قانون » الذي به وبواسطته ووفقاً لنصّه يصبح الناس متقيّدين بالقانون ونظاميّين: يعني ذلك الفضيلة وضبط النفس. هل توافق على ذلك؟

كاليكلس: دعها تكون كذلك.

سقراط: إذن، وبالنظر إلى الخطابي تكلّمنا عن، أنّ الذي يكون مدرَّباً بشكل مناسب، ويكون تدريبه جيّداً، إنه سيوجّه مناظرته إلى سامعيه، وكذلك ستكون كل أعماله، وبشكل مماثل فإنّ أيّة نقطة رئيسية من نقاط البحث التي يمكن أن يمنحها، أو أية نقطة أخرى لا يمكن أن يمنحها ستكون كذلك؛ وسيعني دائماً بخلق الفضيلة في الروح من أجل منفعة رفاقه المواطنين، وسيهديهم إلى كيفية استئصال الفسق والقضاء على الفجور. وكيف يمكن لضبط النفس أن يُزرع، وأن يُقتلع اللاإنضباط. وكيف يمكن

للفضيلة أن تُغرس وأن يُزال الشرّ بشكل عامّ. فهل توافق على هذا القول أم أنّك لا توافق؟

كاليكلس: إنّني أوافق.

سقراط: أيّة منفعة يمكن أن تكون موجودة، يا كاليكلس، إذا كان الجسد عليلاً وسقيماً وتعطيه الغذاء الكثير الجيّد، أو تقدّم له الشراب، أو تمنحه أيّ شيء آخر لا يجعله أفضل ممّا هو عليه، بل ما يحصل على العكس وهو أن ما تقدّمه له سيجعله أسوأ، وهذه هي حقيقة ما أقوله لك؟ أيكون هذا كذلك؟ أفترض أنّ السبب هو أنّ الإنسان لا يكسب شيئاً من حياته التي يحياها في مشقّة جسديّة. إنّها بكلّ بساطة كي تحيا حياة مزعجة، أليس هذا صحيحاً؟

كاليكلس: نعم.

سقراط: ولهذا السبب يسمح الأطبّاء لإنسان صحيح الجسم بشكل عامّ أن يشبع شهوته ويأكل قدر ما يحبّ عندما يكون جائعاً، ويشرب حينما يكون عطشان، في حين أنّهم لن يدعوا الإنسان المريض يشبع نزعاته وأهواءه أبداً. هل تتّفق مع هذا القول؟

كاليكلس: نعم، أنّني أفعل.

سقراط: ألاَ يكون المبدأ عينه صحيحاً في ما يخصّ الروح؟ فما دامت تسلك مسلكاً سيّئاً، فهي غبيّة، فوضويّة، آثمة، وفاسقة، مادامت تفعل ذلك. فإنّه لمن الضروري أن تكبح جماح رغباتها وأن لا تدعها تفعل أيّ شيء عدا ما ستسمح لها بالقيام به. هل تقبل بهذا القول أم لا؟

كالكيكلس: أقبل به.

سقراط: أفترض أنّك تفعل ذلك لأنّ هذه المعاملة أفضل للروح؟

كاليكلس: بكلّ تأكيد

سقراط: ولكي تبعدها عمّا ترغب من سيّئات هو أن تهذبها وتفرض النظام عليها؟
كاليكلس: نعم.
سقراط: إنّ التهذيب والنظام إذن هما أفضل للروح من الفوضى، وهذا هو ما فكّرت به أنت لتوّك الآن؟
كاليكلس: لا أعرف ماذا تعني، يا سقراط، إسأل شخصاً آخر غيري.

٧٤ ـ الفضيلة ضد اللذة

النواميس

الرسالة إلى أهل رومية: لأنّ اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حيٰوة وسلام.

الأثيني: إنّني أحتكم إليكما يا أيها الإنسانان الممتازان، أحتكم إليكما وأناشدكما باسم زيوس وباسم أبوللو. إنّهما الإلهان اللذان أعطيانا قوانيننا. افترضنا أنّنا سألناهما هل الحياة الأكثر فضيلة هي الحياة الأكثر لذة، أو هل هناك حياتان اثنتان مختلفتان، إحداهما هي الأكثر لذّة في الحقيقة، والأخرى هي الحياة الأكثر فضيلة. إذا قال الإلهان إنّ هناك حياتين اثنتين مختلفتين، لربّما يجب علينا أن نسألهما مرّة ثانية، وسيكون السؤال الصحيح هو أيُّ الفريقين سيكون أسعد، أهو الفريق الذي يحيا الحياة الأكثر فضيلة أو الفريق الذي يحيا الحياة الألذّ؟ إذا قالا، إنّ أولئك الذين يحيون الحياة الألذّ هم الأسعد، فإنّ بيانهم هذا سيكون بياناً غريباً جدّاً صادراً عنهما. ومن جهتي أرغب أنّه لا يجب أن يُنسب بيان كهذا إلى الآلهة، بل أن يُنسب إلى الآباء والمشرّعين على الأصحّ. ودع أسئلتي السابقة افتراضها توجّه إلى الآباء أو إلى المشرّعين، وافترض أبي أنّه يجيبني ويقول إنّ مَنْ يحيا الحياة الألذّ هو الإنسان الأسعد. عليّ أن أقول حينئذ بعد ذلك، لكن، يا أبي، ألم ترغب

لي أن أحيا حياةً أسعد قدر الإمكان، ومع ذلك فإنّك لم تتوقّف عن نصحي وتحذيري قطّ كي أحيا بالفضيلة قدر ما أستطيع. عندئذ فإنّ الإنسان الذي اتّخذ هذا الموقف، سواء إذا كان أباً أو كان مشرّعاً، سيجد هذا الموقف صعباً ليكون موقفاً متساوقاً وثابتاً، على ما أعتقد. لكنّه إذا أكّد على الجانب الآخر أنّ الحياة الأكثر فضيلة هي الحياة الأكثر سعادة، فأظنّ أنّ أيّ إنسان سمعه سيتساءَل قائلاً: أيّ توسّلٍ أعطاه ذلك السموّ للذّة التي يطري عليها ويأمر بها القانون؟ وأيّ خير سيحدث للإنسان الفاضل الذي كان متميّزاً عن اللذّة؟ أنظر، هل المجد والثناء من الآلهة شيء جميل، لكنّه يكون بغيضاً، ويعطي السّمعة المضادّة؟ سنقول له، لا إن هذا لا يفعل ذلك على الإطلاق يا عزيزي المشرّع. وبكلّ تأكيد فلكي لا تؤذي أيّ شخص ولا يؤذيك أيّ شخص فذلك ليس شيئاً مقيتاً، بل إنّه جيّد ومشرّف، ويمكن أن يكون عكسه لذيذاً، لكنّه خزي وسوء.

كلينياس: كيف يمكن أن يكون ما تقوله غيراً من ذلك؟

الأثيني: بناء على ذلك فإنّ المناظرة التي ترفض أن تفصل ما هو لذيذ عمّا هو فاضل وخيّر وشريف هي مناظرة مقنعة نحو الرغبة كي تعيش الحياة التقيّة الفاضلة، إن لم تكن لأيّ شيء آخر.

٧٥ ــ التقييم

(أ) - فيليبوس

الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: ولكن جدُّوا للمواهب الحسنى. وأيضاً أريكم طريقاً أفضل.

[تركت ثلاث كلمات غير مترجمة في نهاية الجملة الأولى لأنّها ذات معنى لا يُنفذ إليه].

سقراط: اللذّة ليست الاقتناء الأوّل ولا الثاني في الاقتناءات، لكنّ الاقتناء الأوّل

يكون متعلّقاً بالقياس وبما يقاس بطريقة ما، ؤيكونِ متعلّقاً بالسّرمديّ الخالد وبكلّ الأشياء التي يمكن لإنسان أن يحسبها أنها من تلك الطبيعة.

بروتارخوس: يبدو هكذا من محادثتنا الحاضرة.

سقراط: ويكون الاقتناء الثّاني التّناسق، الجمال، الكمال، الكفاية، وكلّ شيء من هذا النوع.

بروتارخوس: يبدو أنّ ما تقوله كذلك على كلّ حال.

سقراط: وفي ما يختصّ بالاقتناء الثالث، فحدسي هو أنّك لن تكون بعيداً عن الحقيقة إذا وضعت العقل والحكمة.

بروتارخوس: ربّما.

سقراط: أولن يكون الاقتناء الرابع ما أُثبت كأنّه الخاصّ بالروح إذن، إنّه الاقتناء الذي نسمّيه المعرفة والفنّ والرأي الصحيح. إنّها تأتي بعد الاقتناءات الثّلاثة الأولى بشكل طبيعيّ، كونها أشياء مجانسة أكثر للخير ممّا هي مجانسة للذّة؟

بروتارخوس: يمكن أن يكون ذلك.

سقراط: أمّا الاقتناء الخامس فهو ما تُحدّد كأنّه ملذّات لا تجلب آلاماً معها، يعني تلك الملذّات الروحيّة الصافية النقيّة التي تنشأ من المعرفة وينشأ بعضُها من المدارك الحسيّة - العقليّة.

بروتارخوس: ربّما.

سقراط: لكنّ اروفيوس يقول: « في الجيل السادس، تتوقّف عن تزيين المهنة » ويشبه أنّ محاورتنا قد وصلت إلى توقّف كامل عند الاختيار السّادس.

(ب) - النواميس

رسالة بطرس الثانية: ولهذا عينه وأنتم باذلون كلّ اجتهاد قدّموا في ايمانكم فضيلة وفي الفضيلة معرفة، وفي المعرفة تعفّفاً وفي التعفّف صبراً وفي الصّبر تقوى.

الأثيني: إنّ الخيرات نوعان اثنان، أحدهما إنساني والآخر إلهيّ. ينبثق الخير الأول من الخير الثاني. وإذا تلقّت مجموعة إنسانية الخير الأكبر فإنها تضمن الخير الأقلّ أيضاً، لكنّها إذا لم تتلقّ الخير الأكبر تفقد الاثنين. من الخير الأقلّ الصّحةُ المحسوبة أوّلاً، ياتي الجمال ثانياً، وتأتي القوّة الجسديّةُ للسباق ولكلّ نوع من أنواع التمارين الرياضيّة ثالثاً، ويأتي الغنى رابعاً. ليس الغنى ذو النوع الأعمى بل الغنى ذو الرؤى الواضحة الذي يترافق مع الحكمة. لكن في ما يخصّ الأشياء التي تكون إلهيّة، فإنّ الخير الأوّل والأساسيّ هو الحكمة، والخير الثاني هو روح ذات نزعة معتدلة وإدراك جيّد. هناك ثالثاً الخير المشتقّ من هذين الخيرين الأوّلين والممزوج مع الشجاعة. إنّ كلّ هذه الخيرات تحسب خيرات أسمى من الخيرات الأولى بشكل طبيعيّ، ويجب على المشرّع أن يرتبها طبقاً لذلك.

[إنّ ما يسمّيه الأثينيّون الأشياء الإلهيّة الخيّرة هي أربع فضائل رئيسيّة: الحكمة، الاعتدال، العدل والشجاعة. لاحظ كيف أنّها أُوجدت كي تمتزج واحدتها بالأخرى]

٧٦ ــ التقييمات السلبيّة

جورجياس

الرسالة إلى العبرانيّين: لذلك نحن أيضاً إذا لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا لنطرح كلّ ثقل والخطيّة المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا.

سقراط: ففي إدارة مال الإنسان هل تلاحظ أيّ شرّ غيراً من الفقر؟

بولس: لا، إنّه الفقر.

سقراط: وماذا بخصوص إدارة الجسد؟ ألا تقول إنّ شرور إدارته هي الصّحّة القّيمة والمرض والقبح وأشياء كهذه؟

بولس: نعم.

سقراط: وهل تعتقد أن هناك أيّ شرّ في الروح؟

بولس: بالتأكيد الأكثر.

سقراط: حسناً إذن، هل تسمّي هذا فعل الخطأ والجبن والجهل وما شابه ذلك؟

بولس: بالضبط.

سقراط: إذن، وبالتطابق مع هذه الأشياء الثلاثة، المال، الجسد، والروح، هل أسميت أنت ثلاثة أشياء بشأنها التي هي الشرّ، أي الفقر، المرض، وفعل الخطأ؟

بولس: نعم.

سقراط: وما هو الشرّ الأسوأ فيها؟ أليس فعل الخطأ وبشكل عامّ هو الشرّ في الروح؟

سقراط: نعم، إنّ هذا هو الشرّ الأسوأ.

٧٧ ـ الأغنياء ـ الغنى

النواميس

مرقس: وهموم هذا العالم وغرور وشهوات سائر الأشياء تدخل وتخنق الكلمة فتصير بلا ثمرة.

الأثيني: إنّ سبب الشرّ الأعظم هو الرّغبة الطاغية على الروح والتي تجعلها همجيّة بواسطة متطلّباتها ورغباتها الجامحة. ويكون هذا الشرّ في وضوحه الأكثر حيث يقع على الرجال الذين يحبّون ذلك الذي يحدث ليكون حدوثه الأكثر تكراراً والأقوى وقعاً، أعني آقتناء المال ذي العنف اللاّمحدود والذي لا يشبع، والذي يولّد عشرة آلاف انفعال وشهوة من خلال التدريب الخطأ والنزعة السيّئة. لكنّ سبب التدريب السيّىء هي الطريقة الخطأ للثناء على الغنى وذلك في الكلام العامّ الذي يدور بين اليونانيّين والبربر بشكل متشابه. إذ يحسب الناس أنّ الغنى هو الشيء الأوّل من بين الأشياء الخيّرة في الحياة، عندما يكون هو الثالث حقّاً، كي يحسبون ذلك فإنّما يؤذون الأجيال القادمة كلّها ويؤذون أنفسهم بهذا التفكير. إنّ الشيء

الأجمل والأفضل في المجتمعات كلّها هو وجوب أن تقال الحقيقة بشأن الغنى، أي أنّ الغنى يكون من أجل الجسد، ويكون الجسد من أجل الروح. بناءً على ذلك، وبما أنّ الأشياء التي من أجلها أتى الغنى إلى الوجود تكون أشياء خيّرة، فإنّ هذا الغنى سيأتي ثالثاً بعد آمتياز الجسم وامتياز الروح. سيبدو هذا التأمّل المليّ أنّه يعلّمنا أنّ الإنسان الذي يكون ليكون سعيداً يجب عليه أن لا ينشد الغنى فقط، بل ليكون غنيّاً كما سيسمح العدل والاعتدال بذلك.

٧٨ ــ الشّقاق الداخلي

(أ) - فيدروس

الرّسالة إلى أهل رومية: إذا أجد الناموس لي حينما أريد أن أفعل الحسنى أن الشرّ حاضر عندي، فإنّي أُسرُّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن. ولكنّي أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطيئة الكائن في أعضائي.

سقراط: يجب علينا أن نلاحظ الآن أنّه يوجد في كلّ واحد منا مبدأين حاكمين وقائدين نتبعهما حيثما يرشدان، الأوّل هو الرغبة الملازمة للذّة، والثاني هو الرأي المكتسب الذي يجعل الإنسان يتوق ويسعى نحو الأفضل. وهذان المبدآن يتّفقان، ويختلفان فينا بعض المرّات، ويسود أحدهما مرّة، ويتغلب فينا الآخر مرّة ثانية. عندما يقودنا الرأي بنور العقل نحو الأفضل ويفوز، فإنّ الاسم المعطى للنصر يكون اعتدالاً. لكن حينما تجذبنا الرغبة نحو اللذّة وتحكم فينا بالرّغم من العقل، فإنّ الاسم الممنوح لحكمها يكون إفراطاً. لكن الإفراط له أسماء عديدة في الحقيقة، لأنّ لديه عدّة أعضاء وتقسيمات، وأيّ واحد من هذه الأعضاء والتقسيمات يكون بارزاً فإنّه يعطي اسمه الخاصّ للشّخص الذي يمتلكه، ولا يكون هذا الاسم جميلاً ولا جديراً بالاعتبار والإكبار.

[إنّ مثال الإفراط المحدَّد الذي يستمرّ سقراط في إعطائه هو مثال النَّهَم]

(ب) ـ النواميس

يعقوب: من أين الحروب والخصومات؟ أليست من هنا من لذّاتكم المحاربة في أعضائكم؟

سقراط: ستجد أنّنا كنّا على حقّ عندما قلنا إنّ كلّ شخص في المجتمع هو عدوّ الشخص الآخر، وبشكل فردي فإنّ كلّ واحدٍ منّا هو عدوّ نفسه.

الأثيني: إنّه قول رائع، ماذا تعني؟

كلينياس: أعني، يا سيّدي، أنّ في هذا النزاع بالتحديد يكون النصر نصراً من الانتصارات الأعظم كي يتغلّب الشخص على نفسه، لكن لكي تهزم بواسطة نفسك، فهذا هو الشيء الأكثر خجلاً والأسوأ من كلّ الأشياء في الحال، وهو يدلّ على أن هناك حرباً في داخل كلٍّ منا على نفسه وضدّها.

٧٩ ـ احبُّوا اعداءكم

الجمهورية

متّى: سمعتم أنّه قيل تحبّ قريبك وتبغض عدوك. وأمّا أنا فأقول لكم أحبوا أعداءَكم باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناءَ لأبيكم الذي في السماوات. فإنّه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين. لأنّه إن أحببتم الذين يحبّونكم فأيّ أجر لكم. أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك.

[ملاحظات: (١) ـ لقد بقيتُ قريباً للّغة اليونانية على الأصحّ، وذلك كي أعرض طريقة وأسلوب أفلاطون في الكلام. إنّ الحقيقة المناقبيّة وهي أنّه يجب علينا أن نحب أعداءَنا عبَّر عنها يسوع المسيح في أسلوب عبريّ، أسلوب بَدَهيّ، شعريّ، وعقديّ، يصل أفلاطون إلى الحقيقة المنطقيّة عينها، لكن مع بعض التطويل،

وذلك لأنّ الطريقة المنطقيّة لم تكن قد تمّت صياغتُها بعد. لقد تُركت كي يتمّم أرسطو القيام بذلك.

(٢) ـ إنّ الكلمة اليونانيّة المرادفة للكلمة Just أي عادل هي كلمة Dikaios والكلمة عينها تقع في الإنجيل إحدى وثمانين مرّة، وتقع في الترجمة المرخّص بها إحدى وثلاثين مرّة. وتقع كلمة Rightious أي صالح، إحدى وأربعين مرّة، أمّا الإسم المطابق لكلمة Rightious أي صالح، فتُترجَمْ Rightiousness أي صلاح. وتكون هذه الكلمة مناسبة في أعمال أفلاطون ايضاً. لكن يكون شيئاً أكثر اعتياداً في ترجمة أفلاطون أن تقول كلمة Justice أيْ عدل. إنّها كلمة لن تحدث في الترجمة المرخّص بها للإنجيل. وجدت أنّ الكلمتين كليهما نافعتان].

سقراط

بوليمارخوس

سقراط: هل يستطيع الإنسان العادل أن يؤذي أيّ شخص بعدل على الإطلاق؟

بوليمارخوس: بكلّ تأكيد، يجب عليه أن يؤذي أولئك الذين يكونون خبثاء وأعداء له.

سقراط: لكن عندما تؤذي الأحصنة، فهل تصبح أفضل أو أسوأ؟

بوليمارخوس: تصبح أسوأ.

سقراط: تصبح أسوأ في ما يتعلّق بالنوعيات الجيّدة لكلبٍ أو لحصان؟

بوليمارخوس: لحصان.

سقراط: لكن إذا أوذيت الكلاب، فإنّها تصبح أسوأ في ما يتعلّق بالنوعية الجيّدة لكلب وليس لحصان؟

بوليمارخوس: نعم، وبشكل طبيعيّ.

سقراط: ولنستمرّ على الخطوط عينها سائرين، يا بوليمارخوس، ألا يجب علينا أن نقول إنّه عندما يؤذَى الرجال فإنّهم يصبحون أسوأ في ما يتعلّق بالنوعيّات الجيّدة لإنسان؟

بوليمارخوس: طبعاً.

سقراط: لكنّ النوعيّات الجيّدة لإنسان تتضمّن في العدل، أليس كذلك؟

بوليمارخوس: نعم، وبشكل طبيعيّ.

سقراط: والرجال الذين أوذوا ينبغي أن يصبحوا أسوأ بشكل طبيعيّ.

بوليمارخوس: يبدو هكذا.

سقراط: حسناً، وبعدُ هل يقدر الموسيقيون أن يجعلوا الناس غير موسيقيين بواسطة براعتهم في الموسيقى؟

بوليمارخوس: مستحيل.

سقراط: لكن لربّما أنّ الرجال البارعين في الفروسية يتمكّنون من جعل الفروسيين أسوأ بواسطة براعتهم في الفروسية؟

بوليمارخوس: لا.

سقراط: لكنّ العادلين إذن ـ هل يستطيعون أن يجعوا الناس غير عادلين بواسطة عدلهم؟ أو لنتكلّم بشكل عامّ، هل يقدر الأخيار على جعل الناس أشراراً بواسطة الفضيلة؟

بوليمارخوس: لا، إنّ ذلك مستحيل.

سقراط: وليس عمل الحرارة أن تجعل الأشياء باردة، بل إنّه عمل ما هو ضدّها؟

بوليمارخوس: نعم.

سقراط: وليس عمل الجفاف أن يجعل الأشياء رطبة، بل إنّه عمل ما هو ضدّه؟

بوليمارخوس: طبعاً.

سقراط: وليس عمل الخير أن يفعل الأذى، بل إنه عمل ضدّه؟

بوليمارخوس: بوضوح.

سقراط: لكنّ الإنسان العادل هو إنسان خيِّر؟

بوليمارخوس: طبعاً.

سقراط: إذن، يا بوليمارخوس، فإن عمل الإنسان العادل ليس أذيّة صديقه أو أيّ شخص آخر، بل إنّه يكون عمل ضدّه. إنّه عمل الرجل الظالم.

بوليمارخوس: تبدو لي أنّك تقول ما هو صادق وحقيقي بشكل كليّ، يا سقراط.

سقراط: حسناً إذن، إذا قال أيّ شخص إنّه لعدلٌ أن تدفع لكلّ إنسان دَينه، لكن هذا يعني في ذهنه أنّ الأذى هو الدّين من الإنسان العادل، الأذى الذي سينزله بأعدائه وسيمنح الفائدة لأصدقائه، فإنّ الرجل الذي يقول هذا لا يكون إنساناً عاقلاً، وهو لم يتكلّم الصدق. لأنّنا رأينا أنّه ليس عدلاً أن نؤذي أيّ شخص في أيّة مناسبة.

بوليمارخوس: أوافق على ما تقول.

٨٠ ـ جزاء، مكافاة

كريتون

الرّسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي: أنظروا أن لا يجازي أحدٌ أحداً عن شرٍّ بشرٍّ بل كلّ حين اتّبِعوا الخير بعضكم لبعض وللجيمع.

سقراط: على كلّ حال إنّ فعل الخطأ هو شرٌّ وخزي على الرجل الذي قام به من كلّ وجهة نظر. هل نثبت نحن هذا أو لا نثبته؟

كريتون: إنّنا نفعل.

سقراط: يجب علينا أن لا نفعل الخطأ على الإطلاق إذن.

كريتون: ينبغي علينا أن لا نفعله بكلّ تأكيد.

سقراط: لا ولا إذا فُعِل الخطأ لنا يلزمنا أن نردّه بخطأ مماثل، كما يفترض أكثر الناس، يعني، أنّه لا يلزمنا أن نقوم بفعل الخطأ على الإطلاق.

كريتون: يبدو هكذا.

سقراط: حسناً، وماذا بشأن الشرّ الآن. هل يجب على الإنسان أن يفعل الشرّ أو لا يفعله، يا كريتون؟

كريتون: أفترض أن لا أحد يلزمه أن يفعل الشرّ.

سقراط: حسناً إذن، هل صحيح أم لا، كما يقول أكثر الناس، أن نعيد فعل الشرّ عندما يعاني شخصاً منه؟

كريتون: إنه ليس صحيحاً على الإطلاق.

سقراط: أفترض لأنّ فعل الشرّ للناس ليس مختلفاً عن فعل الأذى لهم.

كريتون: حقيقيّ تماماً.

سقراط: إذن فإنّ الإنسان لا يجب أن يرد الأذى للناس ولا أن يسبّب الأذى لأيّ شخص، مهما يكن الشرّ الّذي تعرّض له على أيديهم. لكن أمعنِ النظر أنّك في اعترافك بهذا فأنت لا تعترف بشيء ما مضادّ لما تفكّر به في الحقيقة، يا كريتون. لأنّي أعتقد أنّ القلائل يتمسكون بهذا الرأي أو أنهم سيتمسكون به قطّ. وبعدُ فإنّ أولئك الذين يتمسّكون به وأولئك الذين لا يفعلون، ليس لديهم أيّ اقتناع مشترك، بل إنّه ينبغي بالضرورة أن يستخفّ واحدهم بالآخر عندما يصلون إلى معرفة استنتاجات بعضهم البعض. لهذا السبب يا كريتون، تأمّل جيّداً إذا كنت تشاركني الرأي وتتّفق معه، وإن فعلت، دعنا نبدأ محادثتنا منطلقين من هذه الأُسس، وهي أنّه ليس حقّاً أبداً ولا شيئاً صحيحاً أن تسبّب الأذى ولا أن تردّه بمثله، ولا عندما تقاسي الشرّ أن تدافع عن نفسك بفعل الشرّ في المقابل. أو هل تعارض هذا الرأي ولا تقبل أن ننطلق من هذه النقطة الرئيسيّة؟ ومن جهتي فإنّي قد اقتنعت منذ زمن بعيد بهذه الفكرة ولا أزال. لكن إذا كانت وجهة نظرك وجهةً مغايرةً قل هذا ودافع عن وجهة نظرك بالحجّة والدليل. لكن إذا التصقت بما قلته أنا سابقاً، فاستمع إلى ما يلي عندئذ.

كريتون: إنّني ألتصق برأيك وأشاطرك وجهة نظرك، يا سقراط، واصل قول ما تقول.

٨١ ــ إنه لمن الأفضل ان تكون ماذِياً من ان تؤذي الآخرين

جورجياس

متّى: طوبى لكن إذا عيَّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كلّ كلمة شريرة من أجلي كاذبين. افرحوا وتهلّلوا، لأنّ أجركم عظيم في السماوات. فإنّهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم.

[إنّ هذا المقطع الطويل جدّاً لا يؤكّد المبدأ المشابه للنفس المسيحيّة فقط، بل إنّه نموذج جيّد. أولاً: إحضار أفلاطون لسقراط مؤكّداً مفارقة. ثانياً: النقض، إنّه أسلوب منطقي يوجد تكراراً في محاورات أفلاطون. ثالثاً: الطريقة المرفّهة التي ربح فيها أفلاطون نقاط البحث الرئيسية].

سقراط: بادىء ذي بدء إذن، لكي نصل إلى نقطة البحث الرئيسيّة في الحال، هل تعتقد أنّه من الممكن لإنسان يعمل بخبث ويكون خبيثاً أن يكون سعيداً؟ إذا ظننت حقاً أنّ آرخيلوس هو خبيث لكنّه سعيد، هل نحن لنفترض أنّك تظنّ أنّ هذا هو ما تفكّر به ولا شيء آخر؟ هل نفترض ذلك؟

بولس: بكلّ تأكيد.

سقراط: لكنّي أقول إنّ ذلك مستيحل. هنا يكمن الفرق بين رأيي ورأيك. حسناً جدّاً إذن، سأسألك سؤالاً الآن، هل سيكون الرجل الخبيث سعيداً، إذا واجه الإدانة والقصاص؟

بولس: لا على الإطلاق، ففي تلك الحالة سيكون إنساناً بائساً.

سقراط: لكن إذا لم يواجه الرجل الخبيث الإدانة حينئذ، فإنّه سيكون سعيداً طبقاً لمناظرتك؟

بولس: نعم.

سقراط: لكن، طبقاً لرأيي ولما هو ذو قيمة، يا بولس، فإنّ الرجل الذي يفعل بخبث يكون شقيّاً بشكل مطلق، لكنّه يكون شقيّاً أكثر إذا فعل بخبث ولم

يدفع الغرامة ويواجه العقاب، ويكون أقلّ شقاء إذا واجه ذلك ودفعهما بواسطة الآلهة والرجال على حدّ سواء.

بولس: يا سقراط، إنّك تحاول أن تؤكّد مفارقة.

سقراط: يا صديقي، إنّي سأحاول وأجعلك تؤكّد الشيء عينه، كما أفعل أنا، لأنّ لديَّ تقديراً لك، ونحن نختلف الآن في هذا الموقع. تأمّل مليّاً ما أقوله بنفسك. قلتُ منذ فترة قصيرة مضت إنّ فعل الأذى هو شرٌّ أكبر من مقاساته.

بولس: لقد قلتَ ذلك بكلّ تأكيد

سقراط: لكنّك قلتَ أنت إن مقاساة الأذى هي الشرّ الأعظم.

بولس: أجل.

سقراط: وقلت أنا إنّ الذين يفعلون الأذى أشقياء، وأنت نقضتني.

بولس: إنّك نُقضت حقّاً.

سقراط: هكذا تفكّر، يا بولس.

بولس: وأفكّر ذلك بحقّ.

سقراط: ربّما، دعنا نواصل بحثنا. تعتقد أنت أنّ أولئك الذين يسبّبون الأذى سعداء إذا لم يدفعوا غرامة.

بولس: بالكليّة.

سقراط: لكنّني أقول إنّهم أشقياء جدّاً، لكنّهم أقلّ شقاء إذا دفعوا الغرامة. هل تريد أن تنقض ذلك أيضاً؟

بولس: إنّ نقض هذا سيكون أكثر صعوبة من نقض البيان الأخير، يا سقراط

سقراط: إنّه ليس أكثر صعوبة بل إنّه مستحيل، يا بولس، إنّ الحقيقة لا يمكن نقضها أبداً.

بولس: هل تعني أنّه إذا قُبض على إنسان متآمر ضدّ هيمنة المستبدّ وبشكل

خاطيء، وبعد أن قُبض عليه عذِّب بالمخلعة، مُثِّل به، أُحرقت عيناه، وأُرتكبت بحقّه الأنواع العديدة من الفظائع العظمى، ويرى المعاملة عينها حاقت بزوجته وأطفاله، ومن ثم صُلِب وأُحرقت جثّته في النهاية ـ هل تعني أنّه سيكون أفضل له إذا هرب حرّاً من كلّ قيد، وبما أنّه ثبّت نفسه كطاغية وحاكم للدولة يُمضي وقته فاعلاً ما يحلو له وما يحبّ، وهو موضع حسد وإعجاب المواطنين والغرباء على حدّ سواء؟ هل تقول أنت إنّه شيء مستحيل أن أنقض هذا القول قولك؟

سقراط: أنت تخوِّفني هذه المرة، يا داهيتي بولس، ولكنّك لا تنقضني أبداً. كنتَ ذاهباً كي تحضر برهاناً منذ فترة قصيرة مضبت. لكن نبّه ذاكرتي الآن بشأن نقطة رئيسيَّة قصيرة. قلَت ألم تفعل هذا؟ قلت إذا تآمر إنسان ضدّ هيمنة طاغية بشكل خاطيء؟

بولس: نعم، فعلت.

سقراط: حسناً، لا أحد من هذين الرجلين سيكون الأسعد أبداً، لا الذي ثبّت عرش الطاغية بشكل خاطيء، ولا الرجل الذي دفع الغرامة لفقدها، لأنّ أحد شقيّين لا يمكن أن يكون أسعد من الآخر ـ لكنّ الإنسان الذي هرب حرّاً من كلّ قيد وأصبح طاغية كان أكثر شقاء. ماذا، يا بولس، أنت تضحك؟ إنّ هذا الضحك نوع جديد تماماً من أنواع النقض ـ تضحك عندما يقول شخص ما شيئاً، بدل أن تنقض ما يقول.

بولس: ألا تظنّ أنّ النقض قد كان نقضاً مؤثّراً، يا سقراط، وذلك عندما تقول نوع الشيء الذي يقوله أحد؟ إسأل أيّ واحد منا، اسأله.

سقراط: أوه يا بولس، إنّني لست سياسيّاً، وبعد أن انتُخِبتُ عضواً لمجلس الشورى السّنة الأخيرة، عندما كان دور دائرتي كي تترأّس هذا المنصب، ووجب عليَّ أن أطرح المسألة للتّصويت، ظهرتُ بمظهر مضحك ولم أعرف كيف

أقوم بها. وهكذا لا تسألني الآن وضعَ السؤال لأولئك الحاضرين، لكن إذا لم يكن لديك نقض أفضل من النقض الذي سيقولونه، إفعل ما اقترحت أنا الآن لتوّي، ودعني أمتلك دوراً في النقض وأن أحاول استخدام النوع الذي أظنّ أنّي بحاجة إليه. إنّي أعرف كيف أقدّم شاهداً واحداً على ما أقول، الشاهد الذي أجري المحاورة به، في حين أنّني أدع الشواهد العديدة تذهب، وأعرف كيف أتلقّى صوتاً واحداً في حين أنّي لا أُجري مناظرة مع الأشخاص العديدين. اعتبر إذا ما كنت مستعدّاً لتأخذ دورك وتقدّم دوراً بالأجابة على ما تُسأل، رأيي أنّك وأنا وكلّ الباقين نظنّ أنّ عمل الأذى أسوأ من كونه مأذيّاً، وأن عدم دفعك الغرامة أسوأ من دفعها.

بولس: ورأيي هو أنّه لا أنا ولا أيّ شخص آخر يفكّر هكذا، إذ هل ستقبل أنت أن تكون مأذيّاً بدلاً من أن تكون آذياً؟

سقراط: نعم، وستفعل هكذا أنت وسيفعله أيّ شخص آخر.

بولس: إنّك لبعيد من هذا، أقول إنّه لا أنت ولا أي شخص آخر سيفعل ذلك.

سقراط: ستجيبني على سؤالي إذن؟

بولس: بالتأكيد الأكثر، لأنّي أتوق توقاً شديداً لأعرف ما يكون على الأرض وستقوله.

سقراط: حسناً، ولكي تعرف ما سأقوله، قل لي، كأنّي كنت واضعاً سؤالاً افتتاحيّاً تماماً، قل لي أيّ شيء يبدو لك أنّه الشيء السيّىء، يا بولس، أن تكون آذياً أو تكون مأذياً؟

بولس: إنّ الأسوأ هو أن تكون مأذيّاً في نظري.

سقراط: أجب على هذا السؤال التالي إذن، أيّهما أقبح برأيك: أن تسبّب الأذى أو تتلقّاه؟

بولس: فعل الأذى

سقراط: إذن إنّه يكون شيئاً أسوأ، إذا بدا ذلك أنّه أقبح؟

بولس: إنّه ليس كذلك على الإطلاق.

سقراط: إنّني أرى بناءً على ما تقدّم، أنّك تعتقد أنّ الجميل والخيّر، أو أنّ الشّرير والقبيح هم الشيء عينه؟

بولس: لا، إنّني لا أفعل.

سقراط: ماذا بشأن هذا إذن؟ هل تسمّي كلّ الأشياء الجميلة، كمثال، الأشياء والألوان والأشكال والأصوات والطرائق التي ينتهجها المرء نفسه، هل تسمّيها كلّها أشياء جميلة بدون مرجع لأيّ شيء آخر؟ وكمثال بادىء ذي بدء، ألا تقول أنت إنّ الأشياء تكون جميلة في ما يتعلّق بالمنفعة، طبقاً لما يكون كلّ منها نافعاً للمرء، أو تكون جميلة في ما يتعلّق باللذّة، وإذا أعطت كلّها لذّة لأولئك الذين ينظرون إليها، هل تستطيع أن تقول أيّ شيء آخر بشأن جمال شيء؟

بولس: لا، إنّني لا أقدر.

سقراط: ألا تصف الأشكال والألوان وكلّ الأشياء الأخرى بناء على الخطوط عينها، ألا تصفها كأنّها جميلة إمّا بسبب اللذّة التي تعطيها أو بسبب منفعتها، أو بسبب الشيئين معاً؟

بولس: نعم، إنّني أفعل.

سقراط: ألا يثبت الشيء عينه مع الأصوات ومع كلّ شيء متّصلٍ بالموسيقى؟

بولس: نعم.

سقراط: ويثبت مع الجمال أيضاً، بقدر ما يخصّ القوانين والطريقة التي يسلكها الناس أنفسهم، ويكون مقتصراً على ما إذا كانت القوانين والطرائق نافعة أو سارّة أو تكون الشيئين معاً.

بولس: نعم، إنّني أعتقد ذلك.

سقراط: أليس الشيء عينه كذلك مع جمال فروع العلم المختلفة؟

بولس: بكلّ تأكيد. وعلى كلّ حال فأنت تعرّف بجمال، يا سقراط، عندما تعرّف الجميل في عبارات اللذّة وما يكون خيِّراً.

سقراط: ويُعرّفُ القبيح في عبارات الأستياء وما يكون شرّاً بشكل متطابق؟

بولس: بشكل محتوم.

سقراط: إذن عندما يكون واحد من شيئين جميلين أكثر جمالاً، فإنّه يكون أكثر جمالاً لأنّه يتفوّق على الآخر في واحد من هذه الأشياء أو فيها كلّها. يعني في كونه سارّاً أو نافعاً أو الإثنين معاً.

سقراط: وحينما يكون واحد من شيئين اثنين أقبح من الآخر، فإنّه سيكون أقبح لأنّه يبزُّ الشيء الآخر في تسبيب الأستياء أو في كونه الأسوأ. أليس ذلك شيئاً محتوماً؟

بولس: نعم.

سقراط: تعالَ إذن، ماذا قلنا لتوّنا بشأن القيام بفعل الأذى وكونك مأذياً؟ ألم تقل إنّ تلقيك الأذى أسوأ لكن القيام به أقبح؟

بولس: نعم، قلت ذلك.

سقراط: لهذا السبب إذا بدا القيام بفعل الأذى أنّه أسوأ من أن تكون مأذياً، فإنّه يكون أكثر سوءاً وسيبدو أقبح لأنّه يفوق الفعلَ الآخر في السوء أو في الشرّ أو في الإثنين معاً. أليس هذا شيئاً محتوماً كذلك؟

بولس: كيف يمكنه أن يكون غيراً ممّا تقول.

سقراط: دعنا بادىء ذي بدء نتأمّل ملياً إذا كان فعل الأذى للآخرين يفوق كونك مأذياً في السوء، وسواء كان أولئك الذين يفعلون الأذى يقاسون أكثر من أولئك الذين يعانون منه.

بولس: لا يكون هذا ذلك بكلّ تأكيد، يا سقراط.

سقراط: إذن أذيتُك شخصاً ما ليست العمل الأكثر سوءاً.

بولس: لا بالتأكيد.

سقراط: إذا لم يبزّ إيذاء شخص في السوء لكونك مأذياً إذن، فإنّه لن يبزّه في السوء وفي الشرّ كليهما.

بولس: يبدو وكأنّه لا يبزّه.

سقراط: لهذا السبب يبقى الاحتمال الآخر فقط.

بولس: نعم.

سقراط: يعني أنّ فعلكَ الأذى للآخرين يفوق كونك مأذياً في الشرّ.

بولس: يبدو هكذا.

سقراط: لهذا السبب بما أنّ فعل الأذى يفوقه في الشرّ فإنّه سيكون أسوأ من كونك مأذياً.

بولس: نعم، بوضوح.

سقراط: وبعدُ، فإنّ، أكثر الرجال يعترفون، أليس كذلك، واعترفت أنت لتوّك ومنذ وقت قصير مضى أنّه أذيّتك شخصاً ما يبدو أنّها أسوأ وأقبح من أن تكون مأذياً.

بولس: نعم.

سقراط: والآن فإنّه يبدو ليكون الأسوأ.

بولس: يبدو هكذا.

سقراط: هل ستجد ما هو أسوأ وأقبح أنّه يكون مقبولاً أكثر إذن حينما وُجد منه مقدار أكثر بدلاً من وجود المقدار الأقلّ؟ لا تتردّد في الإجابة، يا بولس. إنّه لن يلحق ولن يحيق بك أيّ أذى، بل واجه المناظرة بابتهاج، مثلما ستواجه الطبيب وأجب بقول نعم أوْ لا على ما أسألك إيّاه.

بولس: لا، عليّ أن أقول إنّي لن أجده مقبولاً أكثر عندما وجد الأكثر منه.

سقراط: هل سيجده أيّ شخص آخر شيئاً مقبولاً أكثر؟
بولس: يبدو لي عكس ذلك طبقاً لكلامك العقليّ هذا.
سقراط: لقد قلتُ الحقيقة عندما أكّدتُ أنّه لا أنا ولا أنت ولا أيّ إنسان آخر سيفضّل أن يفعل الأذى للآخرين بدلاً من أن يؤذيه الآخرين، لأنّه حدث هكذا وإن فِعلَ الأذى يكن أسوأ.
بولس: يبدو أنّه لكذلك.

[عندما يقول سقراط إنّه لم يعرف كيف يضع اقتراحاً للتصويت في مجلس الشورى، فالحقيقة الحقّة أنّه رفض أن يضع اقتراحاً غير شرعيٍّ للتصويت عليه، رغم أنّه كان تحت الضغط القوي آنذاك.

إنّه لمن المستحيل أن تُقدِّم المناظرة لهذا المقطع بشكل مقنع. فالكلمات اليونانيّة التي تُرجمت هنا غالباً مثل، « لتؤذي الآخرين »، « قبيح المنظر »، « جميل »، « لذيذ » « سيِّء »، « جيّد »، « شرّير »، و «أسوأ »، إنّ هذه الكلمات لديها معانٍ مخفيّة ومتباينة لا تتطابق بالضبط مع الكلمات الانكليزيّة على الإطلاق، كما نستعمل الكلمات الانكليزية بشكل عامّ. إنّ المناظرة لم تكن لتجرى على هذه المسالك بشكل دقيق وذلك بمجادلين يتكلّمون الانكليزيّة. إنّني قمت بأفضل ما أقدر عليه كي أعطي فكرة ما عن كيف شرَّع سقراط وبولس البحث فيها.

أمّا الأرخيلوس الّذي أُشير إليه في المحاورة كان ملك مقدونيا من سنة ٤١٣- ٣٩٩ قبل المسيح. وأبقى هو على صداقته مع أثينا، ودعا يوريبايدس إلى بلاطه. أمّا مشهد محاورة جورجياس فلقد أُعِدَّ سنة ٤٠٥ قبل المسيح].

٨٢ ـ القصاص الشافي

جورجياس

الرّسالة إلى العبرانيين: ولكنّ كلّ تأديب في الحاضر لا يُرى أنّه للفرح بل للحزن. وأمّا أخيراً فيعطي الذين يتدربون به ثمر برٍّ للسلام.

سقراط بولس

سقراط: حسناً إذن، وهل وجود الإنسان بين يدي الطبيب هو شيىء سارّ، وهل يستمتع به المرضى؟
بولس: في رأيي لا.
سقراط: لكنّه شيء نافع، أليس كذلك؟
بولس: نعم.
سقراط: إنّه نافع لأنّه يعني تخلّصاً من مرض خطير، وهكذا فإنّ ذلك يعود على المريض بفائدة كي يصبر على الألم ويتحسّن.
بولس: طبعاً.
سقراط: بقدر ما يخصّ الجسم إذن، هل سيكون الإنسان أسعد إذا كان بين يدي الطبيب، أو إذا لم يكن مريضاً من البداية؟
بولس: إنّه سيكون أسعد إذا لم يكن مريضاً أبداً.
سقراط: وذلك لأنّ السعادة لا تبدو أنّها التخلّص من الألم، بل أنها كي لا تتألّم من البداية.
بولس: إنّه لكذلك.
سقراط: حسناً إذن، أيّ الاثنين هو أكثر تعاسة، الشخص المريض بجسمه أو المريض في روحه؟ الشخص الذي يكون بين يدي الطبيب ويتخلّص من المرض أو الآخر الذي لا يكون بين يدي الطبيب ويستمرّ مريضاً؟
بولس: يبدو لي أنّ الشخص الذي لا يكون بين يدي الطبيب، أنّه الأكثر تعاسة.
سقراط: أولم نرَ أن دفع الغرامة معناه التخلّص من الشرّ الأعظم، يعني من الخبث؟
بولس: اننا فعلنا.
سقراط: لأنّ دفع الغرامة يرصّن الرجال ويجعلهم أفضل، ولأنّه علاجٌ للخبث؟

بولس: نعم.

سقراط: والأسعد هو مَنْ لم يحصل على الشرّ في الروح، ما دام هذا قد أُظهر أنّه المرض الأكبر؟

بولس: إنّ وضوح ذلك لكافٍ.

سقراط: الثاني في السعادة هو الإنسان الذي تخلّص من الشرّ.

بولس: يبدو هكذا.

سقراط: وهذا هو الإنسان الذي نُصح وحُذِّر ووُبِّخ وعُنِّف ودفع الغرامة؟

بولس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ الإنسان الذي يحتفظ بالشرّ ولا يتخلّص منه يحيا الحياة الأسوأ.

بولس: يبدو هكذا.

سقراط: لكنْ أليس هذا الإنسان، كما ثبت في النهاية، هو الإنسان الذي ارتكب الأخطاء الأعظم والذي مارس الظلم الأعظم، والذي رسم خططاً كهذه كي لا يتمّ نصحه ولا توبيخه ولا أن يدفع الغرامة ولا أن يُعاقب في الطريقة عينها، التي قلت أنت عنها إنّ آرخيلوس رتَّبها وفعلها، وكذلك فعلها الطغاة الآخرون والدهماويّون والحكّام؟

بولس: يبدو هكذا.

سقراط: لأنّني أفترض، يا إنساني العزيز، أنّ هؤلاء الناس تصرّفوا بالضبط وعلى وجه التقريب كأنّه إذا كان الشخص الذي ابتلي بالأمراض الأكثر خطورة والذي لم يدفع الغرامة التي وصفها الأطباء بسبب سوء حالة جسمه ولم يخضع للعلاج، لأنّه كان خائفاً من الكيّ أو من مبضع الجرّاح، تماماً كما يخاف الطفل، لأنّ الكي والشرط يؤذيان. ألا تتّفق معي أنّ هذه هي الحالة؟

بولس: نعم، إنّني أفعل.

سقراط: يبدو أنّه يفعل ذلك لأنّه لا يعرف ما هي الصحة وما معنى أن يكون

الجسد في حالة جيّدة حقاً. ومن الذي اتفقنا عليه لتوّنا الآن، فإنّ أولئك الذين يتملّصون من الإدانة هم فاعلون شيئاً ما من النوع عينه على الأرجح، يا بولس. إنهم يرون الجانب المؤلم من هذا، لكنّهم يعمونَ عن الجانب المفيد، ولا يدركون كم تكون حالتهم أكثر تعاسة من امتلاك جسد ليس معافىً وهي كي يعيشوا الحياة مع الروح التي ليست روحاً سليمة، بل إنّها روح فاسدة، وظالمة، وشقيّة. أمّا النتيجة فهي أنهم يفعلون كلّ شيء كي يتخلّصوا من دفع الغرامة ويتخلّصوا من الشرور الأعظم وذلك بتجهيز أنفسهم بالمال والأعوان ورسم الخطط كي يكونوا ناجحين قدر الإمكان عندما يرومون إقناع الآخرين. وإذا كنّا محقّين في ما اتّفقنا عليه، يا بولس، فإنّك ترى عواقب المناظرة، ألا تفعل ذلك؟ أوهل تحبّ أن أُلخّصها لك؟

بولس: لخّصها إذا اعتقدت أنّ ذلك شيء جيّد.

سقراط: حسناً إذن، العاقبة الواحدة هي أنّ الخطأ وفعل الخطأ هما الشرّان الأعظمان.

بولس: يبدو هكذا على كلّ حال.

سقراط: والعاقبة التّالية وهي دفع الغرامة، بدت أنّها خلاص من هذا الشرّ؟

بولس: ربّما.

سقراط: لكنّ عدم دفع الغرامة معناه الاستبقاء على الشرّ؟

بولس: نعم.

سقراط: إذن إن فعل الخطأ هو ثاني الشرور في المرتبة، لكن فعل الخطأ وعدم دفع الغرامة هو أعظم الشرور كلها ويأتي الأوّل في طبيعة الأشياء.

بولس: يبدو هكذا.

سقراط: حسناً الآن، أليست هذه النقطة هي النقطة الرئيسية التي دار بشأنها جدلنا؟ ترى أنت أنّ آرخيلوس الذي ارتكب الأخطاء الأعظم ولم يدفع

الغرامة هو في حالة سعادة، في حين أنّي أرى عكس ذلك؟ أعتقد أنّه سواء كان المعني آرخيلوس أو أيّ شخص آخر يفعل الخطأ ولا يدفع الغرامة، أعتقد أنّ قسمته تكون أنّه أكثر شقاء من بقيّة الجنس البشريّ بشكل جليّ، وأعتقد أنّ الفاعل للخطأ هو أكثر شقاء من الإنسان الذي فُعل له الخطأ وبشكل دائم، وأنّ الإنسان الذي لا يدفع الغرامة يكون أكثر شقاء من الإنسان الذي دفعها. أليس هذا هو كل ما أكّدته؟

بولس: نعم.

سقراط: ألم تتمّ برهنة أنّ تأكيدي هذا هو تأكيد حقيقي إذن؟

بولس: يبدو أنّه كذلك.

٨٣ ـ كي تقاسي وتموت

جورجياس

رسالة بطرس الأولى: لأنّ هذا فضل إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل أحزاناً متألّماً بالظلم. إذ أيّ مجد هو إن كنتم تُلطمون مخطئين فتصبرون. بل إن كنتم تتألّمون عاملين الخير فتصبرون فهذا فضلٌ عند الله.

[إنّ محاورة جورجياس هي حجّة وبيّنة حقيقيّة لضمير صالح حيّ].

بولس: وكأنّك، يا سقراط، لا تقبل بالقوّة والسلطة لتفعل ما يحلو لك في المدينة بدل عدم قدرتك على فعل ذلك، وكأنّك لا تكون حسوداً عندما ترى شخصاً ما يقتل مَنْ يعتقد قتله مناسباً أو تراه يسلبه ممتلكاته أو يضعه في السجن.

سقراط: هل تعني أنّ هذا الشخص يفعل هكذا بعدل أو بظلم؟

بولس: أيّاً كان الفعل، أليس فعلاً يُحسد عليه فاعله بشكل متساوٍ؟

سقراط: أوه يا بولس، لا تتكلّم مثل هذا الكلام.

بولس: لِمَ لا؟

سقراط: لأن لا أحد يجب أن يحسد ما لا يُحسد أو يحسد الشقيّ، بل يجب عليه أن يرثي لحاله.

بولس: ماذا! أهكذا تبدو لك أنّ الحالة تكون مع الناس الذين أتكلّم عنهم؟

سقراط: هكذا بالضبط.

بولس: إذن هل يبدو لك أيّ شخص يقتل من يظنّ أنّ قتله مناسب وفعل فعله هذا بعدل، هل يبدو لك أنّه شقيّ ويُرثى لحاله؟

سقراط: لا، لكنّه لا يبدو أنّه يُحسَدُ على ما فعل.

بولس: ألم تقل أنت لتوّك الآن إنّه كان شقيّاً؟

سقراط: يا صديقي العزيز، قلت إنّ الإنسان الذي يقتل الإنسان الآخر ظلماً يكون شقيّاً ويُرثى لحاله أيضاً. لكنّ الإنسان الذي فعل ذلك بعدل لا يُحسد على ما فعل.

بولس: على كلّ حال، إفترض أنّ الرجل الذي يُقتل ظلماً هو رجل شقي ويُرثى لحاله.

سقراط: إنّه يكون هكذا أقلّ من الإنسان الذي يقتله، يا بولس، ويكون أقلّ من الإنسان المقتول، عندما يستحقّ القتل؟

بولس: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: أعني هذا، أعني أنّ فعلك الفعل ظلماً يحدث أنّه يكون أحد الشرور الأعظم.

بولس: كيف يمكن أن يكون هذا الشرُّ الشرَّ الأعظم؟ أليسَ معاملتك بظلم هي شرّ أعظم؟

سقراط: لا بالتأكيد.

بولس: هل ترغب أن تُعامَل ظلماً إذن، بدل أن تعامِل بظلم؟

سقراط: إنّني لا أرغب الاثنين، لكن إذا كان ضروريّاً إمّا أن تفعل الظّلم أو أن

تُعامَل هكذا، فما يجب عليَّ حينها إلا اختيار الفعل الأخير في تفضيل على العمل السابق.

بولس: إذن فأنت لا تقبل بمنصب الطّاغي؟

سقراط: لا، إذا عنيت ما أعنيه أنا بكوني طاغياً.

٨٤ ــ الإرادة الحرّة

رجل الدولة

أعمال الرسل: الذي ينبغي أنّ السماء تقبله إلى أزمنة ردِّ كلّ شيء التي تكلّم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسيين منذ الدهر.

فيلسوف إيليٌ: في زمن واحد هدى الله ذاته في هذا العالم عندما يتحرّك ر افقه عندما يدور. وفي زمن آخر عندما كانت الدّورات بعهدته للزّمن المحدَّد، فإنّ الله تركه لوحده وسار العالم بنفسه في الاتجاه المضادّ، كونه كما يكون مخلوقاً حيّاً تلقّى هبة الذّكاء من الله الذي صاغه في البداية. إنّ هذه الحركة المعاكسة تكون جزءاً ضرورياً من طبيعته.

[يستمرّ الفيلسوف الإيلي في شرح السّبب عندما تُرك العالم بنفسه عكس دورانه، يشرح ذلك والنجاح لا يحالفه على الأصح].

٨٥ ــ الذين تكون خدمتهم حرية تامّة

الرسالة السابقة

الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس: إن كان أحدٌ يفسد هيكل الله فسيفسده الله لأنّ هيكل الله مقدّس الذي أنتم هو.

يوجّه أفلاطون كلامه إلى أصدقاء ديون.

إنّ الخضوع المفرط والحريّة المفرطة سيّئان بشكل كامل، لكنّهما إذا كانتا في مقياس مناسب فإنّ كلاًّ منهما تكون جيّدة بشكل تامّ. أمّا الخضوع في مقياس مناسب فيعني كون الإنسان خاضعاً لله، لكن كي تكون خاضعاً

للرجال فذلك يقصي المقياس المناسب. الله هو قانون الإنسان ذي الإدراك، لكنّ قانون الإنسان الغبيّ هو اللذّة.

[هذا المقطع من رسائل أفلاطون هو في نموذج شبيه بكتاب الأمثال وبكتب أخرى تعقّليّة في التوراة العهد القديم وفي الأربعةَ عشرَ سِفراً التي تُلحق أحياناً بالعهد القديم. وهذا المقطع لا يزال يشبه ما كتبه أرسطو بشكل أكثر.

أمّا الكلمة المترجمة « خضوع » فتعني بالضبط « حالة العبد ». لكن واقع العبد في أثينا كان مغايراً جدّاً لفكرتنا الاعتيادية عن العبوديّة وكان أفضل بكثير].

٨٦ ــ إغواء

النواميس

لوقا: فمدح السيّد وكيل الظلم إذ بحكمة فعل. لأنّ أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور في جيلهم.

الأثيني: لكم وحدكم، يونانيين أو برابرة الذين أعرف عنهم، لكم أعطى المشرّع أوامر كي تبتعدوا عن الملذّات الأعظم وعن الاستجمام وأن لا تتذوّقوا حلاوتها. لكنّه في ما يخصّ الآلام والخوف ظن هو، كما كنا قائلين لتوّنا، ظنّ أنّ أيّ شخص يبتعد عنها منذ طفولته بشكل دائم، حينئذ عندما يصل إلى مرحلة الكدح والخوف والحزن التي لا يمكن تفاديها، فإنّه سيهرب من أولئك الذين قد دُرِّبوا على نمطها ويكونوا مستعبدين لها. أعتقد أنّه يجب على مشرّع القانون نفسه أن يتبنّى الموقف عينه بالنسبة للملذّات. وجب عليه أن يقول لنفسه أنّه إذا استمرّ مواطنونا على أن يكونوا بدون خبرة عن الملذّات الأعظم منذ شبابهم، إذن كونهم غير متمرّنين على الثّبات ضدّ هذه الملذّات وعلى عدم السماح لأنفسهم كي يخبروها على أن تفعل ما يكون مخزياً فإنّهم، بسبب الجذب الطبيعيّ الذي يشعرون به نحو اللذّة، سوف يمتلكون الخبرة عينها كتلك التي يمتلكها أولئك الذين قُهروا بالخوف. هم سيُستعبدون في طريقة مختلفة وبشكل أكثر خزياً حتّى من أولئك الذين

يقدرون على أن يصمدوا ضدّها وسط الملذّات، وحتّى أكثر من أولئك الذين هم أسياد طبقتهم كلّها. لكنّهم لا يكونون أخياراً على الإطلاق بعض المرّات، وستكون لديهم روح تكون مستعبدة بطريقة واحدة وحرّة في طريقة أخرى، وهم لن يكونوا قادرين على أن يُدعوا شجعاناً وأحراراً بدون كفاءَة.

[يقول الكاتب E. B. England إنّ « هذا المقطع كلّه أسلوب أفلاطوني، أي أنّه بيان تفسيريّ جميل ودقيق بشكل متفوّق ». لهذا السبب أخشى أنّ أيّة ترجمة مثل الترجمة القريبة للمعنى التي تمّت لا تستطيع أن تكون مقطعاً كمثلٍ يُحتذى في اللغة الانكليزيّة].

٧٨ ـ معرفة نقية، خالصة

فيدون

متّى: طوبى للأنقياء القلب لأنّهم يعاينون الله.

سقراط: إذا لم يكن ممكناً أن نمتلك معرفة خالصة عن أيّ شيء بينما نكون في جسدنا الشحميّ، حينها يوجد خياران اثنان، وهما إمّا أنّ المعرفة ليست ممكنة على الإطلاق أو أنّها ممكنة فقط عندما نموت، لأنّ الروح حينئذ ستكون نفسها بنفسها وخارج الجسد الشحميّ، لكن ليس قبل ذلك. وهكذا بينما نكون أحياء يبدو أنّنا سنكون أقرب إلى المعرفة، إذا لم نحتفظ بعِشرة الجسد الشحميّ وأن لا نتقاسم أيّ شيء معه على قدر الإمكان ما عدا ذلك الّذي يكون ضرورياً. ينبغي علينا أن لا نُفسد بطبيعة الجسد، بل أن نحفظ أنفسنا طاهرة منه، إلى أن يعتقنا الله ذاته. يجب علينا أن نكون طاهرين كما وصفنا وأن نتخلّص من غباوات الجسد الشحميّ أنفسنا. ينبغي أن نحبّ لنكون مع الآخرين ذوي النوع الطاهر عينه. وسنصل إلى أن نعرف بالخبرة أنّ كلّ ذلك لا يكون مدنّساً، يعني أنا أفهم أنّ كلّ ذلك هو الحقيقة لأنّه شيء مقضيّ أنّ الذي لا يكون طاهراً لن يُمسِكَ بما يكون طاهراً أو يقتنيه.

٨٨ ـ احترام الذات

النواميس

مرقس: إذ ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه؟

[هذا المقطع كلّه بشأن « تكريم الروح ». لقد استبدلت هاتين الكلمتين بأثنتين غيرهما وهما « احترام الذات ». فعلت ذلك في أماكن عديدة، بما أنّهما يكونان ما نسمّيهما، ولقد احتفظت بكلمة « الروح » في بعض الأماكن، هذه الكلمة التي تساوي كلمة « النفس » بالضبط تقريباً].

الأثيني: إنّ روح الإنسان الخاصّة هي التالية من بين مقتنياته الخاصّة بعد الآلهة أنفسهم وهي الأكثر ألوهيّة، لأنّها الأكثر ممّا يخصّ الإنسان. إنّ كلّ الرجال لديهم نوعان من الأشياء يدعونهما خاصتهم، هما الشيء الأقوى والأفضل من الأشياء كلّها الذي يحكم والشيء الأقلّ شأناً والأسوأ الذي يخدم. أمّا الذي يحكم يكون أكثر احتراماً من الذي يخدم على الدّوام. وهكذا فإنّني أهبك نصيحة جيّدة عندما أقول إنّ التالي بعد الآلهة الذي يحكم وإنّ أولئك الذين يتبعونه يجب على الإنسان أن يحترم نفسه الخاصّة. لكن لكي أقول الحقيقة، فلا أحد منّا يمتلك احتراماً للذّات مناسباً، برغم أنّه يتصوّر ذلك لأنّ الاحترام تكريم ونعمةٌ إلهية. لكن لا شيء شرّير ينبغي احترامه. إنّ مَن يعتقد أنّه يستطيع الحصول على كسب إضافيّ لاحترام الذّات بواسطة المدح والإطراء والهدايا، أو بواسطة أيّة إذعانات أخرى في حين أنّه لا يحسّن نفسه، يفترض هو أنّه يظهر احتراماً للذّات لكنّه لا يفعل هذا على الإطلاق. لنأخذ مثالاً، الولد، ففي اللحظة التي يصبح فيها رجلاً، يظنّ نفسه أنّه مؤهّل ليعرف كلّ شيء، ويفترض أنّه يظهر احتراماً للذّات بواسطة الثناء على نفسه، ويسمح لنفسه أن يفعل ما يحبّ وما يحلو له بدون أيّة هواجس. لكنّ وجهة نظرنا الحاضرة هي أنّه بفعله ذلك لا يؤذي ولا يحترم

سوى نفسه، في حين أنّه طبقاً لنا يجب عليه أن يحترم نفسه بعد آحترامه للآلهة. ولنعط مثالاً آخر. عندما يظنّ إنسان بشكل دائم أنّه ليس مسؤولاً عن أخطائه الخاصّة وليس مسؤولاً عن مصائبه الأكثر تعداداً وخطورة بل إنّ الغير هم المسؤولون عن ذلك، ويستثني نفسه من المسؤوليّة، مفترضاً بذلك أنه يظهر احتراماً للذّات، فإنّه يكون بعيد كل البعد عن هذا الاقدام. إنّه لا يفعل إلا الأذى لنفسه. وعندما يطلق العنان لنفسه بإشباعها بالملذّات عكس اتّجاه ومصادقة المشرّع، فإنّه لا يظهر احتراماً للذّات بأيّة طريقة، بل يظهر افتقاراً للاحترام بواسطة إرهاق نفسه بالشرّ والندم. مرّة ثانية وعلى الجانب الآخر فالذي لا يبدي صبراً ولا يتغلّب على المشاكل والخوف والآلام والعقبات، يكون صبره صبراً جديراً بالإطراء، بل يستسلم لها ويتراجع أمامها، حينئذ وباستسلامه وتراجعه هذا يظهر افتقاراً لاحترام الذّات. إنّه يجعل نفسه غير جديرة بالاحترام بفعله أيّاً من هذه الأشياء. مرّة ثانية فإنّ الإنسان عندما يظن أن العيش تحت تلك الحالات هو أفضل من الموت، إنّه لا يبدي احتراماً للذات، بل إنّه يظهر افتقاراً لاحترام الذّات أيضاً. إذ عندما تعتقد روحه أنّ كلّ شيء يستمرّ في العالم الآخر يكون شرّاً، فإنّه يذعن حينئذ ولا يضادّ الروح بالشرح والبرهان وأنّها لا تعرف سوى ما يمكن أن تقدّمه النشاطات الإلهيّة لنا وهي النّعم الأعظم من كلّ النعم. ومرّة ثانية، عندما يفضّل إنسان الجمال على الفضيلة، فإنّ تفضيله هذا ليس شيئاً آخر غير الافتقار الحقيقي والكلي لاحترام الروح. إنّها كذبة تلك التي تقول إنّ الجسد هو أكثر احتراماً من الروح. لا شيء ينبثق من التراب هو أكثر جدارة بالاحترام من الأشياء السامية الإلهيّة. ومن يعتقد غير ذلك عن الروح لا يدرك أيّ اقتناء رائع يهمل. ومرّة ثانية عندما يرغب أيّ شخص بالحصول على الثروة بشكل مخزٍ ومعيب، أو أنه لا يستاء من امتلاك شيء كهذا،

فإنّه لا يحترم روحه بهديّة الغنى هذه ـ إنّه يخفق كليّة كي يعي ذلك ـ إنه يتخلّص ممّا يكون ثميناً وجميلاً بخصوصها بقطعة من الذهب. إنّ كلّ الذّهب الموجود على الأرض وفي باطنها لا يقارن بالفضيلة أبداً.

ولكي أختصر الموضوع كلّه، أقول إنّ المشرّع دوّن أشياء ما في قائمته كالأشياء القبيحة والشرّيرة، ودوّن أشياء أخرى كالصالحة والجميلة. إنّ كلّ إنسان لم يعزم بكلّ وسيلة في قوّته للابتعاد عن الأشياء الأولى ويمارس الأخيرة بكلّ ما لديه من عزيمة، إذا لم يفعل كلّ إنسان ذلك فهو لا يعرف أنّه في كلّ هذا يعامل بالطريقة الأكثر تحقيراً وغير الملائمة لذلك الشيء الأكثر شبهاً بالله، وهي روحه. ولنتكلّم بشكل عامّ فأقول، لا أحد في حسبانه ما يسمّى بالإدانة لعمل الخطَأ يدخل في حسبانه الإدانة الأعظم، التي ستأتي لتشبه الرّجال الخبثاء، ومن خلال مشابهتها لهم ليتفادوا الرّجال الأخيار والمباحثة الجيدة ولكي ينفصلوا عن ذلك نهائيّاً، وليتعقّبوا الرجال الآخرين وليلتصقوا بهم ويجعلوهم عشراء لهم ورفاقاً. وبعدُ فإنّ الذين يلصقون أنفسهم برجال كهؤلاء يجب أن يفعلوا حتماً ويجب أنّهم فعلوا لهم ما يفعله رجال كهؤلاء وما يقولونه لبعضهم بعضاً بشكل طبيعيّ. إنّ خبرة كهذه ليست حكماً على ذنوبهم لأنّ الحكَم القضائيّ وما هو عدل هي أشياء نبيلة. لكنّها ثواب وعقاب، اختبرت كعاقبة لفعل الخطأ. إنّ من يتقابل مع الثّواب والعقاب ومن يفقدهما، متشابهان لوقوعهما في ورطة سيّئة، الأوّل لأنّه غير مشفيٍّ من شقائه، والثاني لأنّه هالك كي يتمّ إنقاذ العديد من الرجال الآخرين.

[يجب أن تقترح الكلمات الأخيرة للإنسان المسيحيّ تساؤلاً وتضع علامة استفهام. هل يستطيع شخص يكون هالكاً أن تعني له كلمة هالكاً « معدماً » أيضاً، هل يستطيع هذا الشخص إنقاذ العديد الآخرين الواقعين في ورطة سيّئة بشكل كليّ؟].

٨٩ ـ الإثم العَرَضي والإثم المميت

النواميس

رسالة يوحنا الأولى: إن رأى أحد أخاه يخطىء خطيَّة ليست للموت يطلب فيعطيه حيٰوة للذّين يخطئون ليس للموت. توجد خطيَّة للموت. ليس لأجل هذه أقول أن يُطلب. كل إثم هو خطيَّة وتوجد خطيَّة ليست للموت.

الأثيني: كلّ إنسان يجب أن يكون قادراً على السّخط، لكن بلطف قدر الإمكان. إذ لا طريقة للهروب من الذنوب التي يرتبكها الرجال الآخرون عندما يكون الإمساك بهؤلاء الرجال وشفاؤُهم صعبين أو أنّهم لا يشفون بشكل مطلق في الحقيقة، إلا بواسطة محاربتهم والصمود أمامهم بنجاح، وبواسطة معاقبتهم بقسوة. لكن لا أحد يستطيع القيام بذلك بدون السخط النبيل. أمّا في ما يتعلّق بالأخطاء فإنّ الرجال يقومون بما هو قابل للشفاء منها. يجب على كلّ إنسان أن يدرك بادىء ذي بدء، أنّ كلّ فعل خطأ يكون هكذا عن غير عمد. لا أحد يسبّب لنفسه أبداً وبشكل متعمّد خطأ جسيماً جدّاً في أيّ وقت، وأقلّ من هذا كلّه في ما يتعلّق بالأشياء الّتي يجلّها بالشكل الأكثر؛ والروح، كما قلنا، هي الشيء الأكثر قيمةً التي يقتنيها إنسان في الحقيقة. وبعدُ فلا أحد يقبل بالشرّ الأعظم في ما يختصّ بذلك الذي يقدّره التقدير الأكثر ويعيش حياته كلّها في تلك الحالة. إنّ الرجل الخبيث الذي يكون في هذا المأزق يرثى لحاله بشكل كامل، وإنّه لمن المسموح به أن يُكبت السّخط، وأن يكون الإنسان لطيفاً، وأن لا يفقد مزاجه ويغتاظ مثلما تفعل المرأة. لكن ينبغي على الإنسان أن يدع إنساناً آخر كي يطلق غضبه على العنيد والخبيث والعديم القبول بشكل كامل. لهذا السبب نقول نحن إنّ الإنسان الخيّر يجب أن يكون قادراً على السّخط واللّطف طبقاً لِما تطلبه المناسبة.

٩٠ ـ الجهل الكؤود

النواميس

الرّسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: فإنّي أنا كأنّي غائب بالجسد ولكن حاضر بالروح قد حكمت كأنّي حاضر في الذي فعل هذا هكذا. أن يُسلَّم هذا للشّيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الربّ يسوع.

الأثيني: المشرّع أعلنها كتابة وهي أنّ القاضي الصالح يُبقي نفسه والمجتمع مستقيمين لأنّه يقدِّم للخيِّر ديمومة وتحسيناً وصلاحاً؛ ويقدِّم للخبيث تغيّراً من الجهل والانغماس في الملذّات والجبن قدر الإمكان. وبكلمة موجزة التغيّر من كلّ ما هو غير صالح وآثم، وفي كلّ الحالات حيث يمكن للخبيث أن يُشفى من نزوات هذه الأشياء. لكن في حالة أولئك الذين تخصّهم هكذا نزوات التي لا يمكن إلغاؤها، إذا خصَّص القضاة الحكّام الموت كعلاج لترتيبات من ذلك النوع ـ إنّه لبيان يستحقّ التّرديد الدائم جيّداً ـ إذا خصّصوا الموت، حينئذ فإنّهم ورئيس جلساتهم على المقعد سوف يستحقّون الثناء من المجتمع كلّه.

٩١ ـ كلمات لا قيمة لها

النواميس

متّى: ولكن أقول لكم إنّ كلّ كلمة بطّالة يتكلّم بها النّاس سوف يُحاسبون يوم الدين.

الأثيني: هناك عقاب شديد وثقيل للكلمات التافهة والمجنَّحة لأنّ نيميس رسول العدل قد عُيِّن مراقباً على كلّ حديث من ذلك النوع.

[إنّ معنى الكلمات « المجنّحة » هو الكلمات الطّائشة وغير المتعمّدة. ونيميس هو عقوبة مشخَّصة. أمّا الكلمة « رسول » فهي كلمة Angelos، أي ملاك، وكلمة Episcopos مرادفة لكلمة « مشرف أو مراقب » أو كلمة Bishop وهي أسقف أو مطران]

٩٢ ــ الفم

طيماوس

مرقس: لا شيء من خارج الإنسان يقدر أن ينجّسه إذا دخل فيه، لكنّ الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجّسه.

طيماوس: إنّ الذين رتّبوا الفم كما هو بأسنانه ولسانه وشفتيه كان ليفعل ولا يزال يعمل عمله. وهم رتّبوه هكذا لضرورة محدَّدة ولأسباب جيّدة جداً، مستنبطين مدخلاً لما يُحتاج إليه ومخرجاً لِمَا هو صالح. لأنّ كلّ ما يدخل فيه ويقدم الغذاء للجسم يكون ضرورياً، في حين أنّ جدول الكلمات الذي ينبعثُ خارجاً ويقدم يد العون للتفكير، إنّ هذا الجدول هو الجدول الأكثر جمالاً وخيراً من الجداول كلّها.

[قال يعقوب في الأصحاح ٣ ٦٠ فاللّسان نار. عالَمَ الإثم. هكذا جُعل في أعضائنا اللّسان الذي يدنّس الجسم كلّه ويضرم دائرة الكون ويُضرم من جهنّم.

وورد في الآية ١٠ ما يلي: من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة. لا يصلح يا أخوتي أن تكون هذه الأمور هكذا].

٩٣ ــ حسد

فيليبوس

الرّسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: المحبّة تتأنّى وترفق. المحبّة لا تحسد. المحبّة لا تتفاخر ولا تنتفخ.

بروتارخوس: إنّ مزيج الملذّات والآلام ليس واضحاً لي حتى الآن.

سقراط: إذن خذ تأثير الحسد بادىء ذي بدء.

بروتارخوس: قل لي ما هو تماماً.

سقراط: افترض أنّه استياءٌ الذي يكون خطأً أيضاً، ويكون لذّة.

بروتارخوس: يجب أن يكون ذلك هكذا، لا يكون ذلك إما خطأً أو حسداً، فهل يكون؟

بروتارخوس: ما هو إذن؟

سقراط: أليس خطأ، أن نشعر بالحبور عندما نرى مصائب بدل أن نشعر بالاستياء؟

بروتارخوس: طبعاً إنّه لكذلك.

[الحقيقة أنّ الحسد هو خطأ على الدّوام].

٩٤ ـ تحلل نفساني

السوفسطائي

الرّسالة الثانية إلى أهل كورنثوس: جرّبوا أنفسكم هل أنتم في الأيمان. امتحنوا أنفسكم. أم لستم تعرفون أنفسكم أنّ يسوع المسيح هو فيكم إن لم تكونوا مرفوضين.

فيلسوف إيلي: يثبت الأطبّاء الّذين يعالجون الجسد أنّ الجسد لا يستطيع أن يستمتع بالغذاء المقدَّم له إلاّ إذا أخرج الإنسان العوائق الموجودة فيه. وبشكل مماثل فإنّ المعلّمين يتبنّون وجهة النظر عينها عن الروح، وهي أنّ الإنسان لا يمكنه أن يحصل على أيّ خير من التعليم الممنوح له إلاّ إذا استُجوب بدقّة وجعل بواسطة هذا الاستجواب الدقيق ينظر إلى نفسه بشموخ أقلّ. إنّ هذه العمليّة تنظفّه بإزالة الأفكار التي تقف في طريق تثقيفه، وتجعله يرى أنّه يعرف فقط ما لا يعرفه في الحقيقة، ولا أكثر من ذلك.

ثياتيتوس: لتكن متأكّداً، إنّ هذه الحالة هي الحالة الأفضل والأكثر وعياً كي يكون إنسان فيها.

الإيلي: لكلّ هذه الأسباب، يا ثياتيتوس، يجب التأكيد على أن الاستجواب الدّقيق للإنسان هو النموذج الأفضل والأكثر إبداعاً لنماذج وأساليب التطهير. ويجب على الإنسان أن يؤكّد أنّ الإنسان الذي لم يخضع لهذا الاستجواب، حتّى لو كان ملك الفرس نفسه، لأنّه لم يتمّ تطهيره في ما يختصّ بالذي يهمّ الأكثر بكلّ بساطة، أقول، إنّه إذا لم يخضع الإنسان

لهذا الاستجواب فإنّه يكون عديم الثقافة وغير مفحوص، تماماً حيث إنّ الإنسان الذي يكون ليكون سعيداً بحقّ يجب أن يكون الإنسان الأنقى والأكثر ملاءمة.

ثياتيتوس: بالكلية.

[يمكن لشخص أن يستبدل كلمة « استجواب دقيق » التي ليست كلمة مناسبة بشكل كامل، يمكنه أن يستبدلها بكلمة « تحليل نفسانيّ » ربّما].

٩٥ ـ التّعليم في الجنس

النواميس

الرّسالة إلى تيطس: مقدّماً في نفسك في كلّ شيء قدوةً للأعمال الحسنة ومقدّماً التعليم نقاوة ووقاراً وإخلاصاً وكلاماً صحيحاً غير ملوم لكي يُخزى المضادّ إذ ليس له شيء رديء يقوله عنكم.

[تتصدّر هذه الكلمات صعوبة مباحثة مشرّع القانون في تنظيم العلاقات الجنسيّة].

الأثيني: إنّ هذه القضية ليست قضيّة قليلة الأهميّة، لكن من الصعوبة أن تؤثر على أيّ شيء. إنّها كانت حقاً عمل الله الشاقّ، إذا ما كان ممكناً أن تنبثق التنظيمات منه. لكن بما أنّ الأشياء هي كما تكون يمكن أنّها تحتاج لإنسانٍ شجاع يكرّم البساطة في الكلام فوق كلّ شيء. يقرّر ما هو الأفضل للمجتمع وللفرد، آمراً بتحقيق ما يكون مناسباً ولائقاً للمجتمع ذي الرجال الآثمين، قائلاً كلمة لا للأهواء والرغبات الجامحة جدّاً، وهادياً الإنسان المتوحّد كي يتبع العقل فقط وأن لا يصاحب أيّ شخص آخر كي يساعده.

د ـ الدين والكنيسة

ربّما، هناك نموذج موضوع عنها في السماء لأيّ إنسان لديه عينان كي تراها. (الجمهورية)

٩٦ ـ النداء الباطني

ابولوجي

الرّسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: إذ لو كنت أبشّر فليس لي فخر إذ الضرورة موضوعة عليّ. فويل لي إن كنت لا أبشّر.

سقراط: إذا كنتم لتقولوا لي، إنّنا لن نستمع إلى ما يقوله أنيتوس في هذه المناسبة « وهو الذي يريدكم أن تقتنعوا بما يقول »، بل سندعك وشأنك، بشرط واحد على كلّ حال، وهو أنّك لن تصرف وقتك في سؤال نفسك أو في سؤال الآخرين أو أن تنهمك في الفلسفة بعد الآن. لكن إذا أمسكنا بك وأنت لا تزال فاعلاً ذلك، فسوف تموت. فما عليّ إلاّ أن أقول لكم، يا رفاقي المواطنين، إنّني أشعر بودّ نحوكم وبصداقة عميقين. غير أنّي سأطيع الله بدلاً من طاعتي لكم، ولن أنقطع عن تعقّب الفلسفة ولا عن حثّكم وتحذيركم وإعلان نفسي لأيّ شخص منكم التقيه مصادفةً وأقول له قولي الدائم، وذلك ما دمتُ حيّاً وقادراً على فعل ذلك. أقول له: « يا إنساني العزيز، إنّك لأثينيّ، مواطن لمدينة أثينا، أعظم المدن جميعاً، والأكثر شهرة بالحكمة والسلطان، ألا تستحي باعتنائك الكثير جداً بشأن اتساع مقتنياتك وبشأن المجد والشّرف، ولا تهتمّ بالأشياء العقلانيّة والحقيقة وبحالة روحك، ولا تفكّر بها على الإطلاق؟ ». وإذا جادل أي واحد منكم كلماتي هذه وقال إنّه يهتم بالأشياء الأخيرة، فإنّي لن أدعه يذهب أو أتركه على التوّ، بل سأحقّق معه وأفحصه وأدفعه إلى الزاوية، وإذا بدا لي أنّه يقتني فضيلة برغم ما يقول، سوف أُؤَنّبه لوضعه تقديراً صغيراً جداً على الأكثر نفاسة وتقديراً،

ولوضعه قيمة أعلى على ما يساوي أقلّ بكثير. سأفعل ذلك لكلّ شخص أصادفه، الشابّ منكم والمسنّ، الغريب والأثيني. لكن سأفعل ذلك لكم أكثر، أيّها الأثينيون، لأنّكم أصدقاء وأنسباء لي أكثر.

كونوا متأكّدين أنّ هذا هو أمر الله لي، وأعتقد أن لا فائدة أعظم مُنحت لكم في أثينا من فائدة طاعتي لله. وهي التي نتج عنها تطوافي المستمرّ ولم أفعل أيّ شيء سوى إقناعكم، شباباً ومسنّين على حدٍّ سواء. إقناعكم أن لا تعتنوا بأشخاصكم أو بمقتنياتكم أكثر من اعتنائكم بما يختصّ بفعل كلّ ما تستطيعون كي تحسنوا أرواحكم، وأن لا تعتنوا بالأولى إلى هذا الحدّ تقريباً في الحقيقة. أقول لكم إن الفضيلة لا تأتي من المقتنيات، بل من الفضيلة تأتي المقتنيات وكلّ النّعم الأخرى التي يستمتع بها الرجال سواء أفعلوا ذلك إفرادياً أو فعلوه بشكل مشترك.

٩٧ ــ الكهنة

رجل الدّولة

رؤيا يوحنّا اللاّهوتي: وجَعَلْتنا لآلهنا ملوكاً وكهنة فسنملك على الأرض.

[إنّ هذا المقطع من أعمال أفلاطون هو جزء من محاورة رجل الدولة حيث إنّ البحث بدأ عن الحاكم الحقيقي، أكان ملكاً أو رجل دولة. أقيم جدل أنّ الأشخاص الأكثر احتمالاً الذين يطالبون بالسلطة الملكيّة هم خدم الملوك أو وزراؤهم. طرح سؤال، لكن أيّ نوع من أنواع الخدم يمكن اعتباره حاكماً بالاحتمال؟ لقد بدأ البحث عن هذا الموضوع بنفسية لا تلين.

إنّ الكلمة Minister التي ترجمت هنا هي كلمة Diaconos اليونانية. إنّها الكلمة عينها المساوية لكلمة Deacon الانكليزية].

فيلسوف إيلي: نحن مأجورون وعمّال جاهزون أكثر كي نخدم أيّ إنسان، لكنّنا لا نجدهم واضعين مطلباً لتسنّم منصب الملك بكلّ تأكيد.

سقراط الأفتى: « إنه لا يتّصل بسمِّيه سقراط الأكبر بقرابة » كيف يمكنهم أن يفعلوا ذلك؟

فيلسوف إيلي: لكن ماذا بشأن أولئك الذين يؤدّون الخدمات التالية لنا عندما تحين الفرص؟

سقراط الأفتى: أيّة خدمة تعني ومن يقوم بها؟

فيلسوف إيلي: إنّهم قبيلة الخبراء في الشؤون العامّة والموظفون الحكوميّون الذين يصبحون خبراء جيّدين في وضع الأشياء كتابةً من خلال جعل أنفسهم نافعين غالباً في هذا المجال، وكذلك العديد من الآخرين الذين يعملون بمشقّة في الإدارة وهم بارعون جدّاً فيها ـ فماذا سنسمّيهم نحن الآن؟

سقراط الأفتى: ماذا؟ هل قلت الآن لتوّك ـ خدماً، لكنّهم ليسوا الحكّام الحقيقيين في الدولة؟

فيلسوف إيلي: لكنّي لا أعتقد أنّي كنت حالماً عندما قلت هنا سيظهر أولئك الذين سيتنافسون على السلطة السياسيّة بشكل خاصّ، ومع ذلك فالبحث عنهم في مجموعة الخدم سيبدو عملاً شاذّاً بشكل مفرط.

سقراط الأفتى: إنّه سيبدو كذلك بكلّ تأكيد.

فيلسوف إيلي: دعنا إذن نحصل على وجهة نظر أقرب عن أولئك الذين لم نتفحّصهم بعد. هناك الّذين يختصّون بالنبوّة. إنّهم يمتلكون حصّة في كلّ نوعٍ من أنواع المعرفة التي تمكِّن الإنسان من أن يمدّ يد العون إلى الآخرين. ويحسبون، كما افترض، أنّهم مفسّرو الله للإنسان.

سقراط الأفتى: نعم.

فيلسفو إيلي: وهناك الكهنة أيضاً كصنف. وهم بارعون بالعادة في تقديم الهبات منّا إلى الآلهة طبقاً لما يحبّون ويحصلون بالصّلاة لنا منهم على النِّعم. وأحسب أنّ هذين الفرعين هما فرعا الخدمات الإلهيّة.

سقراط الأفتى: يبدو أنّهما كذلك بكل تأكيد.

فيلسفو إيلي: حسناً، وبعدُ نبدو أنّنا على مسافة قريبة جدّاً ممّا نتعقب لأنّ صورة الكاهن أو المؤوّل تحضر نفسها أيضاً طافحةً بالكبرياء المناسبة ولها منظر وقور عن عظمتها ولما يكون الكهنة بخصوصه. ففي مصر ليس ممكناً للملك أن يحكم إلاّ إذا كان لديه منصب الكاهن؛ وإذا ضَمُن محدِثٌ للنِّعمة العرش من طبقة ما ينبغي عليه أن يُكرِّس لصنف الكهنوت بشكل محتمل. وأيضاً فإنّ شخصاً سيجد الأعمال القربانية الأعظم أنها واجب القادة الأعظم للدولة في العديد من أجزاء العالم اليونانيّ. إنّ القول الذي أسجّله هو قولٌ واضح بين الأثينيين كما هو عند أيّ مجتمع آخر في أيّ مكان في الواقع. هم يقولون هناك إنّ الأضاحي الأكثر الجليلة المقدّسة والتقليدية للغابرين تبدأ بالحكّام الذين يحملون لقب الملك.

٩٨ ـ معرفة تقليدية كهنوتية

مينون

رسالة بطرس الأولى: بل نظير القدّوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كلّ سيرة.

سقراط: لقد سمعت من رجال ونساء حكماء بشأن أشياء إلهيّة ـ

مينون: ماذا قالوا؛

سقراط: قالوا ما هو حقيقي ونبيل، كما ظننت.

مينون: ماذا كان القول، ومن قاله؟

سقراط: كان المتكلّمون بعض الكهنة والكهنات الذين اهتمّوا بأن يكونوا قادرين على أن يعطوا شرحاً عن الأشياء التي هي من اختصاصهم وهم المعنيّون بها. تكلّم الشاعر بيندار عن هذه القضايا أيضاً، وفعل كذلك العديد من الشعراء الذين ألهمهم الله. أمّا الذي قالوه فهو هذا: راقب إذا ظننت أنّك تتكلّم الحقيقة. يقولون إنّ روح الإنسان خالدة، وتصل إلى النهاية عند وقت ما،

يسمّونه موتاً، وتولد مرّة ثانية في وقت آخر، لكنّها لا تفنى أبداً. ولذلك السبب ينبغي على الإنسان أن يعيش حياته كلّها بطريقة تقيّة قدر المستطاع.

٩٩ ـ تسابيح

النواميس

الرّسالة إلى أهل أفسس: مكلّمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية مترنّمين ومرتّلين في قلوبكم للربّ.

الأثيني: أسأل نفسي مرّة ثانية وأسألك هذا السؤال فقط: أسأل، إذا ما كانت الصفات التالية يمكن أن تُعتبر الصفات الأولى والرئيسيّة كي تقنعنا بخصوص التسابيح.

كلينياس: ما هو ذلك؟

الأثيني: إنّه لغة العبادة، وهل يجب إيجاد نوع من التسابيح موجودةٍ ومقتنية هذه النوعيّة بشكل كامل؟ هل سأطرح سؤالي مرّة أخرى، أو أنّي سأعلن هذه الاحتياجات؟

كلينياس: نعم، أعلنها بدون مؤهّل، لأنّ هذه النظم مقبولة إجماعيّاً.

الأثيني: ماذا سيكون القانون التالي للفنّ وفقاً للّغة المناسبة؟ ألا يجب أن تكون التسابيح صلوات للآلهة الذين نقدّم لهم أضاحينا في مناسبة خاصّة؟

كلينياس: بكلّ تأكيد.

الأثيني: وافترض أنّ القانون الثالث ينبغي أن يكون أنّ الشعراء يلزمهم أن يعرفوا بأنّ الصلوات للآلهة هي توسّلات، ويلزمهم أن يستعملوا عقولهم بشكل جدّي لتفادي التوسّلات لشيء ما شرّير تحت تأثير أنهم لم يفهموا أنها توسّلات صالحة، إذ لو أُدّيت صلاة كهذه فيمكن أن تنشأ عنها حالة مضحكة.

كلينياس: نعم، وماذا يلي؟

الأثيني: أولم نقتنع بما قلناه في بحثنا لمدّة قصيرة خلت، وهو أنّ الغنى في شكل اقتناء الذهب والفضّة يجب أن لا يوجد في مدينتنا كعرف أو قانون مركّز؟

كلينياس: قلنا ذلك واقتنعنا به بكلّ تأكيد.

الأثيني: وما الذي يلزمنا أن نقول إنَّ هذا البيان يوضح؟ أليست واحدة من إيضاحاته نقطة رئيسيّة مع قبيلة الشعراء وهي أنّه ينبغي عليهم أن يعرفوا ما هو خيِّر وما ليس كذلك؟ وهكذا افترض، أنّ الشاعر عندما يؤلّف الصّلوات شعراً وتكون على المسالك الخاطئة إمّا بالكلمات أو بالموسيقى فإنّه سيجعلنا مواطنين، في قضايا ذات أهميّة عظمى، أي أنّه يصلّي عكس ما نريد. وكما قلنا إنّه ,سيكون من الصعوبة بمكان أن نجد العديد من الأخطاء أكبر من تلك الأخطاء. دعنا نؤكّد هذا إذن كقانون من قوانيننا ومن نماذج الفنّ.

كلينياس: نؤكّد ماذا؟ إشرح لي من فضلك.

الأثيني: نؤكّد أنّ الشاعر لن يؤلّف شعراً، أي شيئاً لا يتطابق مع القوانين العامّة والأعراف، والقواعد المناقبيّة، ولا يمكن أن تكون تأليفات الشعراء مبيّنة لأيّ شخص خاصّ إلى أن يراها القُضاة المعيّنون وحماة القوانين وإلى أن يصادقوا عليها. في الحقيقة إن المعينين كقضاة هم الذين قد انتخبناهم كي يسنّوا قوانين بشأن الفنّ، وبخصوص الإشراف على التعليم. حسناً إذن، وهذا السؤال هو ما سأستمر في طرحه، وهو أنّ ما قلته يجب أن يوضع لقانون ثالث ونموذج وطراز. وماذا ترى أنت؟

كلينياس: بالتأكيد، دع ذلك يوضع موضع التنفيذ. وماذا يلي؟

الأثيني: يمكن تالياً أن تُضمّ تسابيح وأغاني الثناء إلى الصلوات وأن تغنّى للآلهة بشكل مناسب. وبعد الآلهة يمكن أن توجد صلوات مناسبة مع أغاني الثناء لأنصاف الآلهة وللأبطال الإلهيّين.

كلينياس: بالتأكيد.

الأثيني: أمّا الذي سيلي ذلك حالاً فهذا القانون الذي لن يُعارَض. يعني، أنّه سيكون قانوناً مناسباً وهو أنّ كلّ المواطنين الذين قضوا بعد امتلاكهم إنجازاً جيّداً وحقّقوا مجداً لرصيدهم، سواء أكان هذا الإنجاز للجسم أو للروح وكان إنجازاً ممثلاً للقوانين، فإنّ هذا الإنجاز سيكون مواضيع الأغاني والثناءات.

كلينياس: بكلّ ثبات.

الأثيني: إنّه ليس شيئاً سالماً أن تكرم الأحياء بالأغاني والثناء والتسابيح بل يحصل ذلك فقط عندما يصل إنسان إلى نهاية حجّه بكل شرف. لكن دع هذه التمييزات تكون متاحة للرّجال والنساء بشكلٍ متساوٍ والّذين قد كانوا بارزين في الخير والصّلاح. أمّا في ما يتعلّق بالأغاني والرّقص فيجب أن تقف الأشياء كما يلي: هناك العديد من المقطوعات الموسيقيّة القديمة الجميلة ومن القصائد التي نظمها الرّجال الغابرون، وهناك الرقص كذلك وبشكل مماثل، وليس من الصعب اختيار ما يناسب وما يلائم شخصية مدينتنا منها، ولا أن نمتلك الفاحصين الذين انتخبناهم كي يقوّموا بالاختيار، والّذين يجب أن لا تقلّ أعمارهم عن الخمسين. ينبغي أن يقرروا أيّ القصائد القديمة هي قصائد ملائمة، وأيّها يعتريه النقص ولا يناسب. وعليهم أن يرفضوا بعض القصائد الأخيرة بشكل كلّيّ. وأمّا البعض الآخر فيجب عليهم أن يأخذوه بأيديهم ويعيدوا صياغته. انهم سيتّخذون الشعراء والموسيقيين مستشارين ومقيّمين لها وأن يوجدوا نفعاً واستعمالاً لمواهبهم. لكن أن لا يعتمدوا على ما يحبّه هؤلاء وما يتوهّمون أنّه الأصلح، إلا في حالة قلّة قليلة منها تماماً.

١٠٠ ــ الرسل

الجمهورية

مرقس: وأوصاهم أن لا يحملوا شيئاً للطريق غير عصا فقط. لا مُزوَداً ولا خبزاً ولا نحاساً في المنطقة.

[يجعل أفلاطون سقراط هنا يصف طريقة حياة حكّام دولته المثاليّة. إنّهم يسمّون حماة Phylakes. لكنّ النّظام هذا هو نظام عسكريٌّ لدرجة أنّهم يُسمّون ضبّاطاً، عدا أنّهم يحيون حياة أكثر قساوة من حياة بقيّة أفراد المجتمع بكثير. إنّ جزءاً ما من أجزاء الصّورة المرسومة لها يأتي من دولة إسبرطة].

سقراط

سقراط: دعنا نقول قبل كلّ شيء، أن لا أحد من حماتنا يجب أن يقتني أيّة ملكيّة خاصّة، إلاّ إذا كانت هناك ضرورة مطلقة لذلك، ولا أحد منهم ينبغي أن يمتلك أيّ محلّ للسّكن إذن أو يمتلك أيّ مخزن بآستثناء هكذا نوع بحيث يمكن أن يدخله مَن يرغب. ولكي يجهّزوا ما يحتاجون إليه يلزمهم أن يتلقّوا من المواطنين الآخرين بواسطة التّرتيب والتنظيم المقدار الذي يحتاج له الشّجعان، الرجال المنضبطون ذاتيّاً والمناسبون للحرب. وهذه الجائزة ستكون مكافأتهم لعملهم كحماة للمجتمع. ويجب أن تكون الجائزة على مدار السنة بالقدر الذي يفي بالغرض، لا أكثر. ينبغي عليهم أن يعيشوا ويتكتّلوا معاً كما لو أنّهم في خدمة فعليّة نشيطة. أمّا في ما يتعلّق بالذّهب والفضّة فيجب أن يعلموا أنّ هناك نوعاً منها إلهياً يأتي من الآلهة وهم يمتلكونه في الروح. إنّهم لا يحتاجون لذهب وفضّة الرجال، وسيكون شيئاً معاكساً ومناقضاً للدّين أن يمزجوا وينجّسوا ما يقتنون بالذّهب الذي يضمحلّ ويزول، لأنّ كثيراً من الأشياء غير المقدسة قد تُسبَّبُ بواسطة العملة المشاعة، لكنّ الذي يملكونه هو ممّا لا يمكن نيله. وهم فقط، من بين كلّ المواطنين، لا يسمح لهم أن يمسكوا ويلمسوا الذهب والفضّة، ولا حتّى أن يكونوا وإيّاهما تحت سقف واحد، ولا أن يلبسوهما كحلي وزينات، ولا أن يشربوا بالفناجين الذّهبيّة والفضّيّة. وبطريقة الحياة هذه سوف ينقذون أنفسهم وسيكونون منقذي بلادهم.

١٠١ ـ الأناجيل

الرسالة الثانية

لوقا: إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصّة في الأمور المتيقّنة عندنا، كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدّاماً للكلمة.

أفلاطون يخاطب ديونيسيوس

يبدو لي أن هناك ذلك الشيء النادر الذي يسمعونه وهو أكثر إضحاكاً في أعين العالم، ولا الذي يكون على الجانب الآخر أكثر روعة أو الأكثر إلهاماً في أعين الرّجال ذوي النزعة الجيّدة. لأنّ الذي قد تكرّر قوله غالباً وسمع بشكل دائم لسنوات عدَّة هو في النهاية شيء مطهّر مع الاستعمال الكثير، مثل الذّهب.

[إنّ أفلاطون يكتب في الحقيقة بشأن أكثر أفكاره الخاصّة المعدَّة لفئة قليلة والمفهومة من قبلها وحدها. يقول أفلاطون إنّ هذه الأفكار يجب أن لا يُفصح عنها للرجال بدون تعليم. لكنّ هذا شيء غير صحيح بالنسبة للأناجيل].

١٠٢ ـ مَثَل الأوعية السليمة والراشحة ذو المغزى الأخلاقي

جورجياس

متّى: حينئذ يشبه ملكوت السماوات عشر عذارى أخذت مصابيحهن وخرجن للقاء العريس. وكان خمسٌ منهن حكيمات وخمس جاهلات.

سقراط: تعالَ إليّ لأخبرك مثلاً ذا مغزى أخلاقي من المصدر عينه. تأمّل ملياً ما ستقول بشأن الإنسان المتمالك نفسه والإنسان غير المتمالك نفسه، إنّك ستقول شيئاً ما من هذا النّوع على التوالي. إنّهما -كانا كأنّ كل واحد منهما امتلك جراراً عديدة، وكانت تلك الجرار التي امتلكها أحدهما سليمة وملآنة. جرّة مملوءة بالنبيذ، وأخرى بالعسل، وثالثة بالحليب. وكانت جرار أخرى متعدّدة ممتلئة بأشياء مختلفة، لكنّ هذه الأشياء المختلفة كانت ذات مخزون صغير وكان كسب مخزونها صعباً وإذا أمكن الحصول عليه فبمشقّة

كبيرة. إنّ هذا الإنسان، على كلّ حال، بما أنّه ملأ أَوْعيته فهو لا يواصل جلب خمر أكثر، ولا يعطي المسألة فكرة أخرى، بل إنّ لديه تفكيراً سهلاً بشأنها. أمّا بالنسبة للرجل الثاني، وبما أنّ مخزون الإنسان الأوّل كان الحصول عليه سهلاً، لكنّه كان عكس ذلك بالنسبة للثاني، لأنّ أوعيته غير سليمة وراشحة. ولهذا فهو مجبر على أن يستمرّ في ملء هذه الأوعية ليل نهار، أو مجبر على أن يتحمّل المشقة القصوى في عمل ذلك. وبعدُ فإذا كانت حياة الرجلين هكذا على التوالي، هل ستقول إنّ حياة الرجل غير المتمالك نفسه أو حياة الإنسان المتمالك نفسه هي حياة أسعد؟ إنّي بإخباري إيّاك هذا المثل ذا المغزى الأخلاقي، هل أقنعك للموافقة على أنّ الحياة المنظمّة أفضل بكثير من الحياة الفوضويّة والمضطربة، أم أنّني لم أنجح في ذلك؟

[يجيب كاليكلس الذي وجّه سقراط له الكلمات، يجيب بأنّ كلمات سقراط هذه لم تقنعه، لأنّ الإنسان عندما يحصل على الكفاية ممّا يرغب، فإنّ لذّته في الحصول تنقطع، وبالتالي فإنّ الرجل الذي يستمرّ في الحصول على أكثر وأكثر ممّا يرغب يمتلك الحياة الأفضل، لأن لديه اللذّة المشبعة لرغباته كلّ وقت. وسقراط هنا يضع حدّاً لمناظرة كاليكلس المضاحكة].

١٠٣ ـ الطريق

الرسالة السّابعة

أعمال الرُسل: وحدث في ذلك الوقت شَغَبٌ ليس بقليل بسبب هذا الطريق.

يخاطب أفلاطون أصدقاء ديون.

إنّه لمن الضروريّ أن أشرح لكم ما هو الموضوع كلّه وما هي صفته، وكذلك مقدار المشقّة والتّعب الذي يستلزم. وإذا كان المستمع فيلسوفاً يستحقّ سماع هذا الموضوع وشرحه، وكان في صلة روحية معه من خلال، وبواسطة هبةٍ ما بُعثت من

السّماء، فإنّ هذا المستمع يعتقد بأنّه سمع عن طريقة رائعة، وأنّ عليه أن يأخذها هنا الآن، وأنّ الحياة له ليس لها قيمة كي يحياها إذا فعل غير ذلك.

١٠٤ ـ إجماع

النواميس:

أعمال الرسل: إذا لم يكن فيهم أحد محتاجاً لأنّ كلّ الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات.

الأثيني: هناك قول من جوهر الصداقة وهو أنّ « الأصدقاء يتشاركون ». سواء أكان هذا القول هكذا في أي مكان أو سيكون قط، يعني أن تكون الزوجات مشتَرَكات، الأطفال، وكل مقتنيات المرء ـ دعنا نفترض أنّ ما يسمّى « الملكيّة الخاصّة » قد أزيلت من كلّ أوجه الحياة بكلّ وسيلة، وقد رُسمت خطّة قدر الإمكان أنّ ما يكون خاصّاً بالطبيعة أصبح جزءاً من الرأسمال المشترك بطريقة ما. كمثال، العيون والآذان والأيدي، ينبغي أن تبدو أنّها ترى وتسمع وتفعل بشكل مشترك، وكذلك بقدر ما يكون ذلك ممكناً يجب أن تثني وتلوم مَنْ يستحقّ ذلك كإنسان واحد، مبتهجاً وآسفاً على الأشياء عينها. وفي النهاية فإنّ القوانين يجب أن تجعل المدينة وحدةً مفردة بقدر ما يمكن لذلك أن يكون في نطاق قوّتها ـ عندئذ وبقدر ما يخصّ تشجيع وتعزيز الأمتياز فلا أحد سيصل بعيداً ولا يسنّ قوانين ذات مستوى أفضل ولا أكثر تخصيصاً من هذا القانون. وسواء قطن العديد من الآلهة أو أبناء الآلهة مدينة كهذه، وإذا عاشوا بهذه الطريقة فإنّهم سيحيون حياة الحبور والفرح. وهكذا لا ينبغي علينا أن نتطلّع إلى نموذج مجتمع في أيّ مكان آخر بل يجب أن نتمسّك بهذا الّذي رسمناه وننشد بكلّ ما لدينا من قوّة وما أُوتينا من عزيمة أن نبني جماعة تشبه تخطيطنا قدر الإمكان.

[الفكرة القائلة إنّ مواطني هذه المدينة النموذجيّة سيكونون آلهة أو أبناء آلهة ربّما عُني بها أن تقترح أنّ قوّة ما فوقطبيعيّة يمكنها وحدها كسب ذلك.

إنّها صفة أفلاطون المميّزة وصفة كلّ الفاشيّين كي يفترضوا أنّ القوانين المناسبة تستطيع التّأثير على هذا الإجماع، في حين أن المسيحيّة ستبشر أنّ هذه المسألة هي مسألة قلب وروح، وفي هذا المفهوم يجب على المدينة أن تمتلك إلهاً وأبناء آلهة لساكنيها].

١٠٥ ـ غذاء للفكر

بروتاغوراس

رسالة يعقوب: لذلك اطرحوا كلّ نجاسة وكثرة شرّ فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلّص نفوسكم.

سقراط

سقراط: لأن هناك مخاطرةً حقاً عندما تشتري عِلماً أكثر بكثير ممّا تشتري غذاء. أنت تشتري غذاء وشراباً من الحانوتي أو من التّاجر وتستطيع أن تحملها حيث تشاء في صناديق منفصلة، وقبل أن تسمح لها بالدخول إلى جسدك بواسطة الأكل أو الشّرب تستطيع وضعها في البيت وتستدعي خبيراً كي ينصحك عمّا هو مناسبٌ لتأكله أو لتشربه وما ليس كذلك، وكم تقدر أن تستوعب منها ومتى. وهكذا فإنّه لا مخاطرة كبيرة في شرائها. غير أنّك لا تستطيع أن تحمل العلم في صندوق، بل ينبغي عليك أن تدفع الثّمن وتحمله في روحك. وأنت إمّا أُوذيت بما تعلّمته وإمّا آستفدت من ذلك.

١٠٦ ـ تعقلن

فيدروس

متّى: وفيما هما ذاهبتان إذا قوم من الحراس جاؤوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكلّ ما كان. فاجتمعوا مع الشّيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضّة كثيرة قائلين: قولوا إنّ تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام. وإذا سُمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنّين، فأخذوا الفضّة وفعلوا كما علّموهم. فشاع هذا القول عند اليهود إلى اليوم.

[إنّ مشهد المحاورة هو على ضفّة نهر صغير إسمه ايليسيوس خارج أسوار مدينة أثينا].

فيدروس: قل لي، يا سقراط، أليس هذا هو المكان الذي قيل إنّ بورياس حمل أوريثيا بعيداً من حافة نهر أيليسيوس.

سقراط: إنّ هذا ما قيل.

فيدروس: أمن هنا حدث ذلك؟ إنّ النُّهير لسارٌ حقاً بكلّ تأكيد وماؤه نقي صافٍ ومناسبٌ للهو العذارى.

سقراط: لا، ليس هذا هو المكان، بل إنّه يبعد نحو خمسمائة أو ستمائة ياردة نزولاً، حيث نجتاز النُّهير نحو معبد آغورا. هناك مذبح لبروياس على البقعة في مكانٍ ما.

فيدروس: إنّني لم ألاحظه قطّ، لكن قل لي، يا سقراط، هل تعتقد أنّ هذه القصّة حقيقيّة؟

سقراط: إذا كنت لأكذّبها، كما يفعل التلامذة الموهوبون، فما يجب عليّ أن أكون خارج الناس العاديين. ينبغي عليّ أن أتعقلن وأقول إنّ بورياس كان ريح الشمال الذي دفع أوريثيا إلى أسفل الصّخرة المجاورة عندما كانت تلهو مع فارماكيا. وهذه عندما كانت ميتة قيل إنّ ريح الشّمال هذه حملتها بعيداً، أو لربما كانت مرميّة إلى أسفل من الأريوباغوس، إذ هناك رواية بديلة تقول إنّ حادث دفعها إلى أسفل كان من ذلك المكان وليس من هذا. أمّا في ما يتعلّق بي، يا فيدروس، فأعتقد أنّ تعقلناً كهذا هو تعقلن ذو قيمة، لكنّه يحتاج إلى انسان متفوّق في البراعة ونشيط كي يقوم به، ولا يجب أن يُحسب الإنسان هذا إنساناً محظوظاً بشكل إجماليّ، إذا كان سيُحسب ذلك من أجل لا سبب غير أنّه بعد هذا يلزمه أن يشرح فكرة سينتورس، وبعدئذ تلك الفكرة التي تخصّ شيماريا. ويتبع هناك حينئذ فرقة كاملة من

الغورغنز والبيغكاسوسس والمخلوقات الغريبة الأُخرى وحشد من الفضوليّين الطبيعيّن والحيوانات المشوَّهة الخلقة. إذا لم يصدّق أيّ شخص بها فإنّه يكيِّفها إلى ما هو محتمل منها. وسيحتاج إلى كثير من وقت مع تعليمه الأخْرَقْ كي يفعل ذلك. إنّي، شخصيّاً، ليس لديّ متّسع من الوقت قطعاً للبحث فيها، وسبب ذلك، يا صديقي العزيز هو التالي: أنا لا أستطيع أن أحصل كي أعرف نفسي في تطابق مع القول المأثور المحفور في معبد دلفي، وما دمت لا أعرف ذلك، فيبدو إليَّ أنّه شيء مضحك أن أدرس ما لا يخصّني. وهكذا فإنّي أترك هذه الأشياء وشأنها، وأتبع وجهة النظر المقبولة.

[لكي تعرف اريوباغوس انظر أعمال الرسل ١٧-١٩٠. ٢٢. إنّ ضفّتي نهر أيليسيوس المنحدرتين ربّما ستكونان المكان الأكثر قابليّة للاحتمال لوقوع حادث أوريثيا.

أمّا القول المحفور في معبد دلفي فهو: Gnōthi Seauton، أي أعرف نفسك].

١٠٧ ـ دعاية

النواميس

رسالة بطرس الأولى: والنهاية كونوا جميعاً متّحدي الرأي بحسّ واحد ذوي محبّة أخوية مشفقين لطفاء.

الأثيني: إنّه لمن السهل أن تجلب الناس لتصديق القصّة الفينيقية بشأن قدموس، وهي كما تكون قصّة لا تصدَّق، وكذلك آلاف من القصص الأخرى مثيلاتها.

كلينياس: ما هي القصّة؟

الأثيني: إنّها قصّة الأسنان التي زُرعت في الأرض وكيف أنّ رجالاً مسلّحين انبثقوا منها، تلك القصة التي تقدّم للمشرّع مثلاً كبيراً لعمليّة الإقناع. إنّ أيّة محاولة لإقناع العقول الفتيّة ستكون محاولة ناجحة. وهكذا فإنّ المشرّع لا

ينبغي عليه أن يتأمّل مليّاً ويكتشف أيّ شيء سوى الذي يقنعهم بالذي سيفعل الخير الأعظم للدولة. وعند توطيده ذلك يجب عليه أن يستخدم كلّ وسيلة ممكنة ليجد كيف أنّ الكلّ لمجتمع كهذا يجب عليهم أن يقولوا ويعملوا شيئاً واحداً بشأنه إلى أقصى قوّتهم وما داموا أحياء، بدون أيّ انقطاع عن ذلك. يلزمهم أن يقولوا الخير ويفعلوه في أغانيهم وقصصهم وأحاديثهم. لكن إذا أخذت وجهة نظر أخرى، فلا اعتراض في مناظرتك على ما قلته.

كلينياس: إنّها لا تبدو هكذا، يا صديقي، وهي أنّني أستطيع أن أناظر ضدّ وجهة نظرك على الإطلاق.

١٠٨ ـ إلقاء الأوراق لتقرير الأمر بالقرعة

النواميس

أعمال الرسل: ثم ألقوا قرعتهم فوقعت القرعة على مثياس فحُسِب مع الأحد عشرَ رسولاً.

الأثيني: إنّ الطريقة السّابعة لتعيين الحكام نسمّيها الطريقة المفضلة لله وللحظّ السّعيد. إنّها الطريقة التي نحضر بها شخصاً ما إلى الأمام لتختاره الأكثرية أم لا. إذا نجح في ذلك فإنّه يحكم الآخرين، وإذا فشل في الحصول على الأكثريّة فإنّه يذهب بعيداً ويحكمه الآخرون. نقول نحن إنّ هذه الطريقة هي أعدل الطرائق كلها.

[إنّ الطرائق السبعة للحكومات هي كما يلي:

المحكوم	الحاكم
الطّفل	١ـ الآباء
الوضيعين	٢ـ النّبلاء
الأفتى	٣ـ الأكبر سناً

العبد	٤ـ السيّد
الأضعف	٥ـ الأقوى
الجاهل	٦ـ العاقل
غير المختار بالأكثرية	٧ـ المختار بالأكثرية

١٠٩ ــ الاختيار بالأكثرية وبالانتخاب

النواميس

أعمال الرسل: فأقاموا اثنين يوسف الذي يدعى بارسابا الملَّقب يوستس وميتاس. وصلّوا قائلين أيّها الربّ العارف قلوب الجميع عيِّن أنت مِن هذين من تختاره. ليأخذ قرعة هذه الخدمة والرّسالة التي تعدَّاها يهوذا ليذهب إلى مكانه.

الأثيني: إذا لم يكن هنا كهنة لأيّ معبد من المعابد أو إذا كانت هناكَ قلّة منهم فقط، كما يرجّح حدوث ذلك في استيطانٍ عند مرحلته المبكّرة، إذا حدث ذلك فيجب على الكهنة والكاهنات حينئذ أن يوطِّدوا العزم على خدمة الآلهة، وفي كلّ التّعيينات ينبغي انتخاب بعضهم. أمّا الآخرون فيتمّ اختيارهم بالأكثريّة. يجري هذا في كلّ مكان مازجين الإجراءات الدّيموقراطيّة باللاّديموقراطيّة وذلك كي يضمنوا الصداقة المشتركة والإجماع. أمّا في ما يختصّ بالكهنة فإنّ المشرِّع يعهد به إلى الله كي يرى أنّ الذي يكون سارّاً له يحدث، ولكي يسلّم القضية إلى الأجراء الإلهيّ فإنّه يختار مَن يختاره بالأكثريّة، لكنّه يواصل اختبار كلّ من ينجح، وذلك كي يضمن بادىء ذي بدء، أنّه يكون بدون شائبة وأنّه مولود ولادة حقيقيّة، ولكي يضمن بعدئذ أنّه ينبغي عليه أن يكون بعيداً قدر الإمكان من بيت غير ملوَّث، بريء من جرائم القتل ومن كلّ حوادث التعديّ ضدّ الدين من هكذا نوع، وأن يضمن أن تكون لآبائهم نوعية الحياة البريئة عينها.

[إنّه ليس واضحاً تماماً لماذا سيضمن هذا الإجراء الصداقة المشتركة

والإجماع. يقول دكتور انجلند: « إنّ ثوظيف الوسائل الدّيموقراطيّة جزئيّاً سوف تسرّ الجماهير ». إنّ أفلاطون سيكون غير مستعدٍّ كي يترك الخيار في أيدي العامّة كليّة بكلّ تأكيد].

١١٠ ــ كي لا تكون غير مستعد، كي لا ترغب

الجمهورية

متّى: فدعاهم يسوع وقال أنتم تعلمون أنّ رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلّطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم. بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً.

سقراط

غلوكون

سقراط: وهكذا فأنت وأنا سنجعل من مدينتنا واقعاً ملموساً، وليس مكاناً للأحلام مثل بقيّة المدن المتعدّدة لعالم اليوم المسكونة برجال يقاتل بعضهم بعضاً على الظّلال ويتنازعون من أجل السّلطة السياسية وكأنها خير عظيم. في حين أنّ الحقيقة هي أنّ المدينة التي سيحكمها أولئك الرجال فما هم إلاّ الأقلّ تلهُّفاً كي يحكموا المدينة التي سيكون حكمُها الحكمَ الأفضل والأقلّ انقساماً. أمّا المدينة التي لديها حاكم من النوعيّة المضادّة فستكون في الحالة المضادّة للحالة الأولى تماماً.

غلوكون: هكذا بالضبط.

١١١ ــ الخدمة الشريفة

النواميس

متّى: ومن أراد أن يكون فيكم أوّلاً فليكن لكم عبداً.

الأثيني: كلّ شخص ينبغي عليه أن يمتلك الحكم العالمي في العقل وهو أنّ مَنْ لم يكن خادماً أبداً لن يكون سيّداً أيضاً، وأنّ الإنسان يجب عليه أن يعتزّ

بنفسه عند الخدمة الجيّدة بدلاً من أن يعتزّ بها عند الحكم الجيّد، يجب أن يعتزّ بها في خدمة القانون قبل كلّ شيء، بما أنّ هذه الخدمة هي خدمة لله، وبعدئذ يجب على الأفتى أن يخدم الأكبر سنّاً ويخدم الشّريف.

[إنّ تعبير « الحكم الشريف » مأخوذ من ترجمة بنجامين جويت. لكنّ أفلاطون يقول بكلّ بساطة: « بشأن كلّ الرّجال »].

١١٢ ــ جبل التجلّي

الجمهورية

مرقس: وبعد ستّة أيّام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنّا وصعد بهم إلى جبلٍ عالٍ منفردين وحدهم. وتغيّرت هيئة أقدامهم.

[إنّه لطيّبٌ، يا سيّدي، لتكن هنا!
وبرغم ذلك يمكننا أن لا نبقى؛
لكن بما أنّك أمرتنا أن نترك القمّة
تعالَ معنا إلى السّهل المنبسط].

ج. أرميتاج رابنسون

سقراط: إنّ عملنا الشاقّ كموجدي دولة إذن، هو أن نجبر الأشخاص ذوي الموهبة الأكثر ليأتوا ويتعلّموا ما قلناه منذ فترة. وهذا القول والعمل هو أعظم الأشياء جميعها، يعني أن ترى الخير وتتمسّك به وأن يجعل الرجال معراجهم إلى هناك؛ وعندما يفعلون ذلك ويرون منه ما يكفي، يجب علينا أن نسمح لهم بما نسمح لهم به الآن.

غلوكون: ما هو ذلك إذن؟

سقراط: لكي يبقوا هناك، وأن لا يعزموا على الهبوط مرة ثانية بين المساجين ويتقاسموا المشقّات معهم ويشتركوا في نيل الجوائز، سواء إذا كانت جوائزهم ثمينة أو مبتذلة.

[بطرس في رسالته الأولى . ذهب هو وكرَّز على النفوس في السجن].

١١٣ ــ وزراء دولة

النواميس

مرقس: فلا يكون هكذا فيكم. بل مَن أراد أن يصير فيكم عظيماً يكون لكم خادماً.

الأثيني: إنّنا سنعيّن ضبّاطاً للدولة في مدينتك، ليس لأنّ أيّ شخص يكون غنياً أو لأنّ لديه مؤهلات ما من هذا النوع، مثل القوّة الجسديّة أو المنزلة الرفيعة أو المولد. لكن أيّ شخص يكون مطيعاً للقوانين الموجودة ويكسب الجائزة لذلك في المدينة، نقول له ينبغي أن يُعطى مركزٌ كهذا. يجب أن يعطى المركز الثّاني للإنسان الّذي يكسب الجائزة الثانية، وإلى أولئك الذين يأتون تالياً في نظام يُعطى كلّ مركز لاحق طبقاً لذلك. أمّا الذين يسمّون حكاماً بشكل عامّ فإنّي أسميهم الآن خدم القانون أو وزراءَه، ليس من أجل صكّ ألقاب جديدة، بل أعتقد بأنّ ضمان المدينة أو عكسه يتوقّف على هذا الشيء أكثر من أيّ شيء آخر. إنّي أرى الدمار يحوق بمدينة يكون القانون فيها ثانويّاً لا شأن له ولا سلطان. لكنّي أرى الأمن والضمان ينشآن في مدينة يكون القانون فيها سيّداً وفوق الحكام ويكون الحكّام خدماً للقانون. حينئذ فإنّ كلّ النّعم والبركات التي تعطيها الآلهة تكون من نصيب تلك المدينة.

[يبدو أنّ أفلاطون يقول بشكل معتاد تماماً إنّ وزراء الدّولة هم وزراء الله؛ راجع الرّسالة إلى أهل رومية ، حيث يقول بولس هناك إنّ الوزراء هم وزراء الله منكبّين على هذا الشيء بالذّات بشكل مستمرّ].

١١٤ ـ امتحانات دينية لأعضاء الحكومة

النواميس

الرسالة إلى العبرانيّين: فهؤلاء كلّهم مشهود لهم بالإيمان لم ينالوا الموعد.

الأثيني: أليس هذا الشيء هو الأكثر امتيازاً وهو لتعرف ذلك التعليم بشأن الآلهة، التعليم الذي بحثناه بشكل جادّ، وذلك بقدر ما يكون ممكناً لإنسان كي يتعلّمه، أعني حقيقة وجودهم والقوّة التي يتمتعون بها؛ وأن تعرف هذا التعليم فهذا يعني أن تسامح المسرى العامّ للمواطنين إذا اتّبعوا ما تقوله القوانين بشكل بسيط. لكن بكلّ تأكيد كي لا تعطي أذناً صاغية حتّى لتكون مرشّحاً لمنصب ما إلاّ إذا قام إنسان بكلّ جهد كي يبرع ويتضلّع في كلّ حقل من حقول الإيمان بالآلهة؟ ألا يعني هذا رفض إعطاء الأُذن الصاغية إلا لمستحقّيها، ألا يعني هذا أنّ لا اختيار يجب إعطاؤه لأيّ شخص لا يكون موهوباً بالطبيعة، ولا يكون مُجدّاً في هذه القضايا كحامٍ للقانون أو الذي لا يُعدُّ بين المواطنين الرائعين؟

[إنّ كلمات « الموهوب بالطبيعة، والمجدُّ » هي كلمات اقترحها الجلند].

١١٥ ـ سلطة الكنيسة

الجمهورية

الرّسالة إلى العبرانيين: الذين يخدمون شِبْهَ السّماويات وظلَّها كما أوحي إلى موسى وهو مزمِعٌ أن يصنع المسكن. لأنّه قال انظر أن تصنع كلّ شيء حسب المثال الذي أُظهر لك في الجبل.

سقراط: أيّ تشريع أبعد بقي علينا أن نشرَع به إذن. أعتقد أنه لا يزال هناك تشريع واحد، لكن لأبوللو في معبد دلفي هناك سنّ التشريع الأعظم والأفضل وأكثر التشريعات أهميّة.

أديامنتوس: أعطني مثالاً.

سقراط: إنّه إيجاد الهياكل لتقديم الأضاحي وممارسة العادات الأخرى للآلهة ولأنصاف الآلهة والأبطال؛ وبعدئذ دفن المتوفين وتقديم الخدمات الضرورية لأولئك الموجودين في العالم الآخر لكي تضمن حظوتهم. نحن لا نعرف أيّ شيء بشأن أشياء كهذه، وعندما نؤسّس مدينتنا فإنّنا لن نودعهم لأيّ شخص آخر، إذا كنّا عقلاء، ولن نوظف أيّ مرشد عدا المرشد التقليدي، وافترض أنّ أبوللو في معبد دلفي هو المرشد التقليدي للجنس البشريّ كلّه في قضايا كهذه. وهو يصدر إرشاداته من عرشه في مركز العالم.

١١٦ ــ تطويب

(أ) ـ الجمهورية

جامعة: كلّ هؤلاء مُجّدوا في أجيالهم.

سقراط: وهكذا بما أنّنا علّمنا الآخرين مثلما علّمناهم أنفسهم في تعاقب مستمرّ وثابت وتركناهم في المؤخّرة كي يأخذوا مكانهم في الدولة، فإنّ الحماة يغادرون إلى الجزر المباركة ويسكنون هناك. وتقيم الدّولة لهم النّصب وتقدّم الأضاحي بشكل رسمّي، كأنّهم إلهيّين. هذا إذا وافق إله الوحي في معبد دلفي، لكن إذا لم يوافق سنعاملهم ككائنات جميلة ومقدّسة.

(ب) ـ النواميس

الأثيني: دعنا نتكلّم بادىء ذي بدء بشأن الذين يظنّون أنّهم جديرون بالتكريمات الأسمى في الدولة كلّها ما داموا أحياء. سيمتلكون مقاعد خاصّة في كلّ جمعيّة عموميّة، وسيتم اختيار قادة كل بعثة سترسل إلى الخارج وذلك كي تشارك اليونانيين الآخرين في التّضحية أو في بعثة سفراء أو في أيّة مناسبة تتّسم بالجلال، سيتمّ اختيار القادة من بينهم. وهم سيكون لديهم الامتياز الوحيد لكونهم مزيّنين بتاج الغار، وهم سيكونون كلّهم كهنة أبوللو والشّمس، وسيكون الكاهن الأعلى لتلك السّنة من أولئك الذين يكونون

كهنة في أيّة سنة خاصّة والذي يقدَّر أنّه الكاهن الأوّل بينهم، وسيكتبون اسمه مقابل السّنة تلك ليخدم وليدل على التاريخ طالما بقيت المدينة.

وعند وفاة هؤلاء الكهنة فإنّ تكفينهم ومراسم جنازتهم ودفنهم ستكون كلّها غير ما يوعز به لبقيّة المواطنين الآخرين. فلا نحيب عندها ولا ألحان حزينة ولا عويل، بل سيحيط بالنعش فرقةٌ مؤلّفة من خمس عشرة عذراء وخمسة عشر فتىً من كلا الجانبين وسيغنّون ترتيلاً تجاوبياً في الثناء على الكهنة، سائلين الله إمطارهم بالبركات وذلك أثناء النّهار كلّه بواسطة الأغاني. وعند الفجر في اليوم التالي سيحمل النعش مئة من التلامذة إلى الدّفن. سيكون هؤلاء من الذين يختارهم أقرباء الفقيد. إنّ الفتيان الرجال الخدم المتدثّرين بملابسهم المختلفة سيتقدّمون الموكب، فالخيّالة على خيولهم، فالرّجال المتمنطقين السلاح في مدرّعاتهم، وهكذا دواليك. وسيغنّي الفتيان في المقدّمة قريباً من النّعش وحوله، سيغنّون الألحان التقليديّة. وأمّا الفتيات والنّساء قبل حملهنّ الأطفال سيسرن خلف الجنازة. سيلي هؤلاء الكهنةُ والكاهناتُ في ما يتعلّق بالضّريح النقيّ - نعم، سيقومون بذلك رغم أنّهم مُنعوا من الوصول للأضرحة الأُخرى - يعني إذا قبلت كلمة النبيّة البيثية هكذا وكانت مقبولة الشيء عينه.

أمّا مكان الدّفن فسيكون تحت مستوى الأرض مبنياً على شكل قبوٍ مصنوع من الحجر الذي تنفذ منه السوائل وغير قابل للفناء قدر الإمكان، وذلك مع مضاجع من الحجر وُضعت جنباً إلى جنب. وفيها الجوائز التي حصل عليها، وسوف يرفعون هضبة صغيرة حول مكان الدّفن، وسيغرسون أيكة من الأشجار حوله، ما عدا المكان حيث تبرز منه نهاية واحدة. وهناك يمكن للقبر أن يمتدّ في كلّ مناسبة عندما تستدعي الحاجة لقبرٍ كي يُدفن فيه كاهن جديد. وتكريماً لهم سيقيمون احتفالاً سنويّاً موسيقيّاً ممهوراً بالجوائز وكذلك سباقاً على متون الخيل وجرياً على الأقدام.

١١٧ ــ الزواج

النواميس

الرسالة إلى العبرانيين: ليكن الزواج مكرَّماً عند كلّ واحد والمضطجع غير نجس، وأمّا العاهرون والزُّناة فسيدينهم الله.

الأثيني: أمّا بشأن الزواج فهذا الكلام يجب أن يقال كأنّه غطة وتحذير بالإضافة إلى الكلام الذي قيل سابقاً. على الإنسان أن يترك أحفاده خلفه وهكذا يقدِّم خدمة لله في تعاقبٍ للشخص نفسه، وهكذا يكسب إمساكاً على العالم الذي لا يفنى.

[إنّ هذا لا يعني أنّ الآباء يكسبون حياة أبديَّة، بل يعني أنّهما بإدامة الجنس البشريّ يضمنان أن العالم سيبقى. لكنّ أفلاطون قال مسبقاً في محاورة القوانين: إنّ الزواج هو الطريقة التي قضت الطبيعة بواسطتها أنّ الإنسان يجب أن يمتلك حصّة في الخلود].

١١٨ ــ فاكهة الأرض الجيدة

ابينوميس

أعمال الرّسل: مع أنّه لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيراً يعطينا من السّماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً.

الأثيني: إنّ لدينا محاصيل والأرض خصيبة إلى حدّ أنّ هناك غذاءً لكلّ المخلوقات الحيَّة. وأمّا الريح والمطر فهما ليسا غير منتظمين ولا مفرطين. لكن إذا انقلب الطقس عكس حسابات الرجال ومال إلى إحداث أضرار في الممتلكات، فلا أحد يجب أن يلوم الله، بل ينبغي عليه أن يلوم الطبيعة الإنسانية لأنّها لم تنظِّم حياة الإنسان بشكل صحيح.

١١٩ ــ رشوة

النواميس

لوقا: وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردّوا منهم فأيّ فضل لكم. فإنّ الخطاة

أيضاً يقرضون الخطاة لكي يستردّوا منهم المِثْلَ. بل أحبّوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً فيكون أجركم عظيماً وتكونوا بني العليّ فإنّه منعم على غير الشاكرين والأشرار.

الأثيني: لا أحد ينبغي أن يودع مالاً إلا إذ كان بالدَّين، أو أن يقرضه قصد جني الفائدة، كما أنّه سيُسمح لمستعير المال أن لا يدفع عليها فائدة أو رأسمال على الإطلاق.

[فكَّر بعض المنتقدين أنّ الكلمات التي قالها القديس لوقا في إنجيله والتي تُرجمت « ترجون أن تستردّوا منهم »، فكّروا أنّ هذه الكلمات تعني في الحقيقة « لا تدخلوا اليأس لقلب أحد »، لكنّ هذه الترجمة مشكوك في صحّتها. إنّ المقطع هنا لا يحرِّم الرشوة حتّى بالضرورة « كذا ...»، إنّ أفلاطون يحرِّم الرشوة برفضه أيّة استعادة على إعطاء الدين بواسطة القانون].

١٢٠ ــ المآدب

النواميس

خروج: ولكنّه لم يمدَّ يده إلى أشراف بني إسرائيل. فرأوا الله وأكلوا وشربوا.

الأثيني: إنّ الآلهة شفقةً منهم على الجنس البشريّ، شجبوا الكدح وأصدروا أمراً بإقامة الولائم المقدّسة لهم كتغيير وفترة راحة من متاعبهم. ومنحوا إن يولِم معهم آلهات الشّعر والفنّ والعلوم والغناء كقادة لهم وكذلك فعل أبوللو وديونيسوس وذلك ليمكنهم تجديد قواهم، ولكي يمكن لغذاءٍ كهذا أن يكون خاصّاً بهم وليوجد هذا الغذاء في المآدب حيث يكون الآلهة حاضرين.

[إنّ حضور آلهات الشعر والفنّ والعلوم والغناء وحضور أبوللو وديونيسوس يمكن أخذه ليعني فقط أنّ الوليمة احتُفل بها وكان يتخلّلها شرب النبيذ والغناء، « كذا ..». غير أنّ الكلمة التي تُرجمت « غذاء » فإنّها تُرجمت غالباً وبشكل

أكثر أنّها لا تعني ذلك بل تعني « تعليم » أو تعني « تهذيب » كمثال تعني، « غذاء للرّوح »؛ لكنّ هذه الكلمةُ « غذاء » يمكن أن تشير إلى طعام الآلهة والرّحيق الإلهيّ فقط، وهما الغذاء الماديّ والشراب للآلهة].

١٢١ ـ حسن الضّيافة

فيدروس

لوقا: بل إذا صَنعت ضيافة فادعُ المساكين الجُدُع العُرج العمي. فيكون لك الطوبىَ إذ ليس لهم حتّى يكافوك. لأنّك تكافى في قيامة الأبرار.

فيدروس: علاوةً على ذلك، إذا كان من واجبنا أن نمنح الشفقة والرأفة على مَن يحتاجونها بالشكل الأكثر، فإنّه لمن المناسب في الحالات الأخرى أيضاً أن لا ننفع الأفضل بل الأكثر بؤساً والذين لا عون لهم، لأنّ هؤلاء بتخلّصهم من محن كبيرة جداً كهذه سوف يشعرون بالفضل ويقرّون بالعرفان بالجميل نحو المحسنين لهم بالشكل الأكثر. وكذلك في قضايا الضّيافة الشّخصية هناك فضيلة في الناس المحتاجين لوليمة مشبعة لأنّ هؤلاء المعدمين سيحبّون الذين يعاملونهم بالمعروف وسيتبعونهم ويأتون إلى أبوابهم ويُسرُّون جداً ويظهرون إقراراً بالجميل وعرفاناً بالفضل أكثر. وسوف يدعون لهم كي يستمطرهم الله بنِعمه وبركاته.

لكن قد لا يكون شيئاً مناسباً أن تمنح الشفقة والعطف لأولئك المُلحّين الملحفين، بل أن تمنحها لأولئك الذين لديهم القدرة الأفضل كي يعيدوا المعروف بأحسن منه، وليس أن تمنحها للمتسولين، بل لأولئك الّذين يستحقّون العمل الشاقّ الذي يقوم به الإنسان.

[نجد يسوع هنا طبقاً لما يقوله القدّيس لوقا، ونجد ليسياس طبقاً لما يقوله فيدروس، نجدهما يؤيّدان المسلك عينه، لكن في نفسيّة مختلفة].

١٢٢ ـ دمى الله

النواميس

متّى: فدعا يسوع إليه ولداً وأقامه في وسطهم. وقال: الحقّ أقول لكم إنْ لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السّماوات.

[تُرجمت الكلمة Paidia هنا، بكلمة « لعب »، ويمكن القول إنّها تعني « لعب الطّفل » حرفيّاً وبالشّكل الأكثر. وكذلك فإنّ الكلمة التي تُرجمت « تعليم » هي كالكلمة عينها أعني، كلمة Paidia].

الأثيني: أقول إنّ الإنسان يجب أن يكون جدّياً في ما هو جدّي وغير جدّي في ما لا يكون كذلك. وفي طبيعة الأشياء فإنّ الله يقي كلّ اهتمام جدّي تجعلنا السماء قادرين عليه. وفي ما يختصّ بالإنسان، لقد قلنا مسبقاً إنّه استُنبط ليكونَ دمية الله، وإنّ هذا هو الجزء الذي هو الجزء الأفضل له حقاً. وطبقاً لذلك فإنّ كلّ رجل وكلّ آمرأة يجب أن يشغلوا الحياة كلّها في لعب الألعاب الأكثر جمالاً في مضادّة للنّفسية التي يعملون بها الآن تماماً.

كلينياس: ماذا تعني؟

الأثيني: يظنّ الرجال أنّنا يجب أن نعمل كي نمتلكَ وقتاً للّعب. يظنّون هم أنّ الاهتمام في الحرب يجب تعظيمه من أجل امتلاك السّلام. لكن لم يوجد ولن يوجد أيّ لعب جدير بامتلاك الاسم، ولا يوجد أيّ تعليم كي يُستحصل عليه من الحرب. لكن كيف يمكن الحصول على هذه الأشياء كلّها. على الإنسان أن يحيا حياة السّلام جيّداً قدر ما يستطيع. لكن ما هي الطريقة الصّحيحة لفعل هذا؟ إنّها اجتياز حياة شخص لاعباً ألعاباً محدَّدة، يعني مقدِّماً أضاحي ومغنّياً وراقصاً.

[إنّ هذا المقطع ممتع جدّاً. إنّه ليس مقطعاً مسيحيّاً في الأقلّ، بل إنّه ممتلىء بأضواء جانبيّة ملقاة على المسيحيّة. يبدو أنّه مثل المقاطع المسيحيّة داعٍ للسلام،

بدون أيّة محاولة لحلّ مشكلة الحرب. إنّ كفاحه الرئيسيّ هو كفاح منطقيّ بالكاد، إذ لا يبدو أنّه يتبع ذلك، لأنّ الإنسان هو دمية الله، لذلك يجب عليه أن يلعب هو نفسه. إنّه يقترب من جعل الاقتراح الرائع أنّنا موجودون هنا كي نسلّي الله، وأنّ الله يُطرب بتقديم الأضاحي. إنّ قيمة هذا المقطع الحقيقية هي في المحاولة التي يبدو أنّه يقوم بها نحو خلق ميزان جديد للقيم].

١٢٣ ــ صلاة

(أ) اسم الله

كراتيلوس

رؤيا يوحنا اللاّهوتي: من له أذن فليسمع ما يقوله الّروح للكنائس. مَنْ يغْلِب فسأعطيه أن يأكل من المنّ المخفيّ وأعطيه حصاة بيضاء وعلى الحصاة اسم جديد مكتوب لا يعرفه أحدٌ غير الّذي يأخذ.

سقراط: لكن بشأن الآلهة وأسمائهم فنحن ليست لدينا فكرة ماذا يسمُّون أنفسهم. ومن الواضح أنّ الاسماء التي يسمّون بها أنفسهم هي الأسماء الحقيقية. لكن هناك طريقة ثانويّة لكونك محقّاً في ذلك، إنّها الطريقة المألوفة عندما نتلو صلواتنا. نقول « أيّاً كان الشّيء الأكثر الذي يبهجهم ليسموا به وفي أيّ نسب يُدعون فليكن ذلك ». هذه هي الطريقة الّتي نستخدمها في كيفيّة توجيه كلامنا لهم، ما دمنا لا نعرف طريقة أفضل منها، ويبدو لي أنّ هذه الطريقة عادة جيّدة.

[حتّى المسيحي لا يعرف آسم الله. والعديد من المسيحيين لا يمكنهم أن يعطوا جواباً إذا طرح عليهم السؤال هذا. وبرغم ذلك، إذا سئل مسيحيّ إذا كان الله هو العليّ، يمكنه أن يقول نعم لذلك. لكنّه لا يكون العليّ في الحقيقة. لقد كتب اسم الله في اللّغة العبريّة في هذا الشكل Jhun لكن بما أنّ الإسم لم يُعلن ويُلفظ قطّ فإنّ صوت الإسم تمّ نسيانه. إنّ طريقة قول العليّ للتعبير عن اسم الله

هي طريقة تقليدية، وطريقة قول الإسم Jahهي طريقة أخرى، ومع ذلك فإنّ اسم العليّ هو طريقة أخرى أيضاً.

إنّ اليونانيين القدماء، غير عارفين بما سمّى الآلهة به أنفهسم، طافوا حول الصعوبة هذه. تبدأ صلاة لزيوس في الأغاممنون لآخيل في مجلد ١ صفحة ١٦٠، تبدأ بالقول: « يا زيوس، مهما تكن أنت، إذا ما كان هذا الإله ليدعى بهذا الاسم ويكون إسماً ساراً له، فبهذا الإسم أوجّه إليه الكلام ». هناك مثال مماثل في أعمال أفلاطون، في محاورة فيليبوس وفي أعمال يوريبايدس، النساء الطرواديّات. إنّ النساء الطرواديات هي محاكاة تهكّمية ساخرة في أعمال أثينيو، كاتب الملهاة. « إنّني مدين لهذه المعلومات إلى أ. فراينكل في كتاب له تحت عنوان: أغاممنون، المجلد الثاني، صفحة ٩٩ و ١٠٠»].

(ب) لأجل ماذا يجب أن نصلّي

النواميس

الرّسالة إلى أهل رومية: وكذلك الروح أيضاً يعين ضَعْفاتنا. لأنّنا لسنا نعلم ما نصلّي لأجله كما ينبغي ولكن الروح نفسها تشفع فينا بأنّاتٍ لا ينطق بها. ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح.

الأثيني: تعال الآن، هل أبنّا نحن أنّ هناك رغبة واحدة عامّة يشترك فيها كلّ إنسان؟

ميغيلوس: أيّة رغبة؟

الأثيني: هي أنّ كلّ الأشياء المبدَعة يجب أن تكون طبقاً لحضّ الروح الخاصّة لشخص الإنسان، أو إذا لم تكن كلّ الأشياء، فتكون الأشياء التي تخصّ حياة الإنسان على كلّ حال.

ميغيلوس: حسناً.

الأثيني: حسناً إذن، إذا كان ذلك هو ما نريده جميعاً على الدوام، سواء إذا كنا

أطفالاً أو بالغين، يجب علينا أن نصلّي له بالضّرورة وبشكل متواصل. ألا ينبغي أن نفعل ذلك؟

ميغيلوس: طبعاً.

الأثيني: وأبعد من ذلك، افترض أنّه يجب علينا أن نتوحّد مع أصدقائنا في الصّلاة من أجل هذا، أيّ ذلك الذي يصلّون من أجله.

ميغيلوس: حسناً.

الأثيني: إنّ الابن عزيز على والده، والصبيّ كذلك عزيز على الرجل.

ميغيلوس. طبعاً.

الأثيني: لكن، عندما يصلّي الصبيّ كي يمكن لشيء ما أن يحدث له، فإنّ الأب يصلّي وسيصلّي للآهلة عدة مناسبات لئلا يحدث أي شيء طبقاً لما يصلّي له ولده على الإطلاق.

ميغيلوس: أنت تعني عندما يصلّي الولد وهو لا يزال فتيّاً وغبيّاً.

الأثيني: وأيضاً عندما يصلي الأب، وهو مسنّ، أو بالأحرى عندما يكون الجميع فتياناً، ولا يعرفون أيّ شيء عن ما يكون ملائماً وصحيحاً. أقول، عندما يصلّي الأب بحماس جدّاً وبعاطفة شديدة مجانسة لعاطفة ثيسيوس تجاه ابنه القليل الحظ، ابنه هيبوليتوس الذي كان على وشك أن يموت ـ لكنّ الصبيّ يعرف ما هو أفضل. هل تعتقد أنت أنّ الصبيّ عندئذ سينضمّ إلى صلوات أبيه؟

ميغيلوس: أرى ما تعنيه. أعتقد أنّك تعني أنّ ما يكون كي يُصلّى له ويُلحُّ من أجله، ليس أنْ يتبع كل شيء رغبة المرء، بل على الأصح ينبغي أن تتبع رغبة المرء عقله. وهذا ما يلزم أن تصلي له المجموعة كلّها وما يجب أن يصلّي له كلُّ واحدٍ منّا وأن يسعى سعياً حثيثاً كي يعزّزه.

الأثنيي: نعم.

(ج) ـ استهلال بالصلاة

طيماوس

الرّسالة إلى أهل أفسس: لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إيّاكم في صلواتي كي يعطيكم إله ربّنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته.

طيماوس: أعتقد أنّ كلّ الذين يمتلكون حتّى مشاركة صغيرة في الإدراك، يا سقراط، يناشدون الله على الدّوام، وذلك عند بدء أيّ عمل، أكان عملاً كبيراً أو صغيراً. وبعد فنحن عقدنا العزم على أن نبحث بشأن العالم وبخصوص السؤال كيف تمّ إبداعه، أو إذا كان ممكناً أن لا يكون العالم عمل الإبداع. إلاّ إذا كنّا مجانين تماماً، يجب علينا أن نناشد الآلهة والآلهات ونصلّي ليتسنى لنا أن نتكلم ما هو بمقتضى فكرهم، وما هو حسب فكرنا بشكل مماثل.

(د) ـ حالة صلاة

النواميس

مزامير: ليتحنّن الله علينا ويباركنا. لينر بوجهنا علينا. سِلاه.

الأثيني: دعنا نناشد الله من أجل مساعدته بشأن تنظيم المدينة. فليسمع الله لنا، وسماعه يصل إلينا في رأفته ورحمته وفي محبته العطوفة، وفي جاهزيّته كي ينضمّ في تنظيم المدينة وتشريع قوانينها.

كلينياس: فليأتِ هو حقّاً!

[آمين]

(هـ) ـ صلاة بين المحاضرات

كريشياس

مزامير: لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضيّة أمامك يا ربّ صخرتي ووليّي

طيماوس: إنّني تخلّصت من عقبة مناظرتي الطويلة، يا سقراط، وإنّي لقانع جدّاً

بهذا مثل الإنسان الذي يُسرُّ في الرّاحة بعد رحلة طويلة. وأصلّي للموجود الإلهيّ الذي أوجدته في حديثي، رغم أنّه وجد منذ وقت طويل مضى. أصلي له لكي يقينا. هكذا هي كلماتي كما أوردتها بشكل مناسب، لكن إذا كانت كلماتي مناقضة لمشيئتي فإنّي أضرب على الوتر الحسّاس في أيّ مكان، وذلك كي يعيّن الله العقوبة المناسبة. وما العقوبة الصّحيحة إلاّ أنّ مَنْ كان من هذه الكلمات خارج الانسجام والتوافق سيُعادان إليها من جديد. لهذا السبب ولكي يتسنى لنا أن نتكلّم بصحّة عن أصل الآلهة في المستقبل، فنحن نصلّي ليعطينا الله ذلك العلاج الأفضل والأكثر تأثيراً من العلاجات كلّها، أعني، المعرفة. وبما أنّنا قدّمنا صلاتنا، فإنّنا ننقل المرحلة التالية من مراحل البحث إلى كريشياس وفق ما اتفقنا عليه.

[إنّ هذا المقطع هو افتتاح لمحاورة كريشياس. أمّا الموجود الإلهيّ الذي أوجده طيماوس في محاورة طيماوس فهو العالم].

(و) ـ صلاة قبل الوفاة

فيدون

أعمال الرسل: ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم يا ربّ لا تُقِم لهم هذه الخطيّة. وإذ قال هذا رقد.

[إن الكأس التي حملها سقراط تحوي السمّ الذي بواسطته نفذّ فيه حكم الإعدام].

فايدون: في الوقت عينه فإنّ منفذّ حكم الإعدام أمسك بالكأس وأعطاها لسقراط، الذي تناولها بابتهاج تامّ بدون أي ارتعاش أو تغيّر في اللون أو المحيّا. لكنّه، وهو ينظر إلى مَن أعطاه الكأس بنظرته المحدّقة المميَّزة قال، ماذا تقول بخصوص هذا التدبير؟ هل سأصب قسماً من هذا السائل تكريماً لإله؟ هل يجب على إنسانٍ أن يفعل ذلك أو لا يفعله؟

أجاب الرّجل: يا سقراط، إنّنا نعدّ من هذا السائل ما نرى أنّه المقدار الكافي والصّحيح من الشراب.

سقراط: أفهم ذلك، لكنّ إنساناً يمكنه ويجب أن يصلي للآلهة طبعاً من أجل انتقالٍ سعيد من هذا العالم إلى العالم الآخر. وإنّي لأصلّي لذلك ويمكن أن يكون انتقالي سعيداً. وبينما كان سقراط يتلو كلماته وضع الكأس على شفتيه وشرب السّم بنشاط وبجاهزية حقيقية.

[إنّه ليس واضحاً ماذا كانت نظرة سقراط المحدِّقة المميَّزة. يقترح اليونانيون أن تكون هذه النظرة « مثل نظرة الثّور ». أمّا القاموس الانكليزي الجديد فيقول إنّ نظرة الثّور تعني، « نظرة بعينين مفتوحتين ». يفتكر بارنت أنّ المعنى هو، « بنظرة والعيون نصف مفتوحة ». يقول جويب: « نظرة بكامل عينيه ». ويقول كذلك: « نظرة مركَّزة وخارقة ». ويقول ليدل وسكوت: « نظرة عنيفة ». وما علينا نحن إلاّ أن نختار منها ما هو مناسب.

أمّا « سكب السائل تكريماً لإله » فيعني سكب قليلٍ من النبيذ على الأرض وتسميّة إمّا إله أو شخص ـ ربّما تسمية إله في هذه القرينة].

(ز) ـ صلاة قصيرة

فيدروس

أعمال الرسل: وفي يوم السّبت خرجنا إلى خارج المدينة عند نهرٍ حيث جرت العادة أن تكون صلوة فجلسنا وكنّا نكلِّم النّساء اللّواتي إجتمعن.

[قيل إنّ الصّلاة أخذت مكانها على أحد ضفتي نهر أيلوس في أثينا].

سقراط: أليس شيئاً مناسباً أن نصلّي للآلهة هنا قبل أن نغادر المكان؟

فيدروس: أيّ شيء آخر ينبغي علينا عمله؟

سقراط: أوه يا أيّها المحبوب پان وكلكم يا أيّها الآلهة الموجودون في هذا المكان، امنحوني الجمال في داخل الإنسان، وليكن كلّ الذي أقتنيه متطابقاً مع هذا

الجمال. يمكنني أن أحسب الغنّي أنّه الإنسان العاقل فقط. وليكن ذلك المخزن الذهبيّ الذي يخصّني والذي لا يستطيع سوى الإنسان المعتدل أن يجعله خاصّاً به.

هل نسأل عن أيّ شيء أكثر من هذا، يا فيدروس؟ أما بقدر ما يخصّني، فإنّ هذا الطلب هو مدى أغنيتي.

[ربّما يكون مخزن الإنسان المعتدل من الذّهب هو القناعة].

(ح) ـ صلاة أفلاطون المسائيّة

الجمهورية

لوقا: فألزماه قائلين امكث معنا لأنّه نحو المساء وقد مال النهار.

[ترجم هذا المقطع والتر بايتر في كتابه المسمّى أفلاطون والأفلاطونية، الفصل السادس، ووصفه بهذا الوصف حيث يقول: « ماذا، إنّ هذا المقطع لهو مسحة محدَّدة فيه من التصوّف الأخير لأفلاطون. ويمكننا أن نسمّيه صلاة أفلاطون المسائيّة ». إنّ ترجمته هذه هي الترجمة التي نقدّمها هنا أدناه].

سقراط: في حالة أيّ شخص مطبوع على الصحّة السليمة والاعتدال نحو نفسه، ويميل إلى النوم، وبما أنّه حرك الجزء العقلانيّ منه من الأفكار والمسائل السامية بمتعة بالغة؛ ولكونه وصل إلى الوعي الكامل، نفسه بنفسه، وبما أنّ على الجانب الآخر، لم يسلّم عنصر الرغبة فيه لا للشّهوة ولا للإفراط، كي يمكن للرغبة أن تهجع جيّداً في النهاية، وبما أنّه لم يسبّب مشاكل لذلك الجزء الأفضل فيه لا بواسطة الألم أو اللذّة، بل تركه ليعانيهما وحده بنفسه، في جوهره الصّافي، وينتظر ويرتقي نحو هدف ما، ولكي يفهم ما لا يعرفه ـ يمكن أن يكون ذلك كلّه حدثاً من أحداث الماضي، أو أنّه شيء ما يحدث الآن، أو أنه سيحدث في ما بعدُ؛ وفي أسلوب مماثل فإنّ هذا الانسان قد لطّف النزوة العدائيّة، إلى حدّ أنّه لا يقع في أيّة أفكار غضبى

ضدّ أيّ شخص، وهو لا يذهب كي يرتاح في نفسيّة قلقة، بل يرتاح مع ذينك الجزأين اللذين يكونان في سلام داخلي، ومع ذلك الجزء الثالث، حيث يتولّد العقل، الذي يكون في حركة. أعتقد أنّك تعرف أنّ الإنسان الذي يخلد لنوم من هذا النوع يحصل على إمساكٍ بالحقيقة خاصّ به، وحينئذ وأقلّ من الأشياء كلّها هناك فوضى في رؤاه التي تأتيه في الأحلام.

[إنّ الجزأين المذكورين أعلاه هما « رغبة » و « نزوة عدائية ». أمّا الجزء الثالث فهو « عقل ». إنّ هذه الترجمة كلها ذات جملة واحدة مؤلفة من ١٩٥ كلمة. أمّا الأصل كلّه فهو جملة واحدة ذات ١٢٨ كلمة، وكلّ جملة مطبوعة بالذي ترجمها وألّفها وبشكل سامٍ].

هـ أقوال مأثورة لأفلاطون.

١ ــ كريتون ، نهاية كلام المحاورة ،

دعنا نفعل بهذه الطريقة، ما دام الله يقودنا إليها.

٢ ــ كراتيلوس

الآلهة يعجبون بالنكتة

٣ ــ السوفسطائي:

في غالبية الرجال إنّ أعين الروح لا يمكنها أن تتحمّل النظر في الإلهيّ.

٤ ــ رجل الدولة

إنّ هيئة الراعي الإلهيّ أسمى من تلك التي للملك.

٥ ــ بارمنيدس

إنّ الواحد كان ويكون وسيكون، وقد أَبدِع ويكون مُبدَعاً وسيُبدَع.

٦ ــ فيليبوس

إنّ المعرفة التي تخصّ الحقيقة والحقّ والتي تكون ابداً بالطبيعة وتكون الشيء عينه كليّة، فهي النوع الأحقّ من أنواع المعرفة ببعدٍ كبير.

٧ ـ فيدروس

لا يوجد ولن يوجد أبداً أيّ شيء في الحقيقة للرجال وللآلهة بشكل متساوٍ، لا يوجد ولن يوجد أيّ شيء أكثر ثمناً من تدريب الروح.

٨ ـ مينون

إنّ الأخيار لا يكونون أخياراً بالطبيعة.

٩ ـ مينون

يبدو أنّ الفضيلة الموجودة في هؤلاء، يبدو أنها موجودة بمنحةٍ إلهيّة.

١٠ ـ هيبياس الكبرى

دعنا نعترف بأنّ العذارء الأكثر جمالاً تكون بشعة المنظر عند مقارنتها بالآلهة.

١١ـ منيكسينوس

إنّ الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يتفوّق على بقيّة الحيوانات في الفهم، وهو الواحد الوحيد الذي يكون مناقبيّاً ومتديّناً.

١٢ ـ منيكسينوس

الحكومة الصّالحة تنشيء رجالاً صالحين.

١٣ ـ الجمهورية

إنّ عالِم النجوم الحقيقيّ سيحسب أنّ السماء وما فيها قد بناها المهندس الإلهيّ بالطريقة الأكثر جمالاً التي يمكن بواسطتها أن يُشاد عملٌ كهذا.

١٤ ـ طيماوس

ما يكونه الوجود للصيروره، تكونه الحقيقة للإيمان.

١٥ ـ طيماوس

لا أحد يكون خبيثاً طوعاً.

١٦ ـ النواميس

إنّ تآلف الجسد والروح ليس أفضل بمقدار ذرّة من انفصالهما.

١٧ ــ النواميس

أمّا في ما يخصّ اعتقادك بالآلهة، فعلى الأرجح أنّ صلة روحيّة ما مع الإلهيّ تحثّك كي تكرّم مَنْ تشاطر طبيعته. ولكي تعتقد أنّه يوجد.

١٨ ــ النواميس

إنّ الإنسان هو المخلوق الأكثر مخافة لله من كلّ المخلوقات الحيّة.

١٩ ــ المائدة

الله يهندس.

[إنّ هذا القول الأخير لا يوجد في أعمال أفلاطون بل اقتبسه بلوتارخوس كقول مألوف من أقوال أفلاطون].

و ــ الروح

عند النقطة التي يبتدىء بها الكتاب العاشر من محاورة النواميس، فإنّ المشرّع على وشك أن يسنَّ قانوناً ضدّ جرائم العنف والإهانة، ويتضمّن ذلك جرائم تدنيس المقدّسات والمعابد وأعمال العقوق بشكل خاصّ. يقول المشرّع، إنّ الشفاء الأفضل من هذه الأمراض هو أن تفكر صحيحاً بشأن الآلهة، وأن تعتقد بأنّهم موجودون طبعاً بادىء ذي بدء وقبل كلّ شيء. كيف سنقنع الناس إذن، هؤلاء الناس الملحدين، أنّ الآلهة موجودون؟ ينبغي علينا الآن أن نرى تماماً ماذا يفكّر هؤلاء الناس الذين نحاول إقناعهم كي يغيّروا أفكارهم.

يقول هؤلاء الناس إن هناك ثلاثة قوى أتت الأشياء كلّها أو أنّها آتية أو أنها ستأتي إلى الوجود بواسطتها. اما أنّها أتت بواسطة قوانين الطبيعة « الفيزياء » أو بواسطة الصّدفة، أو بواسطة التصميم الفنّيّ. يقولون إنّ العناصر الطبيعية: النار، الماء، التراب، الهواء، أتت إلى الوجود بقوانين الطبيعة وبالصدفة، وليس بعمل العقل أو التصميم الفنّيّ. ويقولون إنّها بدون روح. وفي المرحلة الثانية فإنّ الفنّ أو التصميم

الفنّيّ يعمل عمله في المادّة التي تقدّمها العناصر هذه. وأمّا نتاج الفنّ فهو إمّا للإستجمام أو للإستعمال. فإذا كان نتاج الفنّ للاستجمام، فنحن نسمّيه فنوناً جميلة كالرسم اليدوي والموسيقى؛ وإذا كان النتاج أكثر جديّة، فهو ما ندعوه فنوناً تطبيقيّة كالطبّ والزّراعة، اللّذين هما أقرب إلى الطبيعة.

يقول هؤلاء الناس إنّ الآلهة هم نتاج الفن، ولا يأتون إلى الوجود بواسطة الطبيعة بل يأتون بواسطة الاصطلاح والاتّفاق. إنّهم لا يقدمون مراسيم للمناقبيّة بقولهم هذا، بل يقولون هكذا إنّ الشيء الأكثر جمالاً يكون، عندما يسود أيّ شخص بالقوة. « النواميس »

تحتاج هذه التأكيدات من قبلهم لنقض هائل، لأنّهم يقولون عكس ما هو حقيقي بالضبط. يجب علينا أن نبيّن أنّ كلّ ذلك يمتلك روحاً، ولهذا السبب فإنّ الآلهة يكونون سابقين لما لا يكون لديه روح.

نبدأ نحن بالتأمّل المليّ أنّ الأشياء كلّها إمّا أنّها تتحرك أو أنّها في سكون. هناك أنواع عديدة من الحركات، والحركة التي تكون أكثر أهميّة منها كلّها هي دوران الدائرة على مركز ثابت. لكن هناك حركة التدحرج، حركة الانزلاق، وحركة التّصادم التي لديها التأثير للاتحاد أو الإنهاك المتباعد واحدهما عن الآخر؛ هناك حركة الاتيان إلى الوجود أيضاً وحتى حركة الدّمار الشامل. « يضمّن أفلاطون حركة التغيير في فكرته عن الحركة على ما يبدو ». لكن نستطيع نحن أن ننظر إلى الحركة في طرائق مختلفة. هناك أشياء تحركها أشياء أخرى، وهناك أشياء تحرّك الأشياء الأخرى وتحرّك نفسها. إنّها تنشيء حركتها الخاصّة بها. إنّ هذه الحركة ذات المنشأ الذاتي لا شك أنّها أتت إلى الوجود أوّلاً في قائمة الحركات. إنّها التغيير الذاتي الأكثر قِدَماً والأقوى من كلّ التغييرات .

وبعدُ فنحن عندما نرى أنّ شيئاً يحرّك أو يغيّر نفسه نقول عنه إنّه شيء حي، والذي يجعل الأشياء حيّة هو ما نسميه روحاً بكلّ دقّة. وهكذا فنحن عندما نجد

حركة في المادة الخالية من الروح، يجب أن يكون هذا ناشئاً عن الحركة الفاعلة على المادّة، ولهذا السبب فإنّ الروح توجد قبل المادّة، وهي تقدر على أن تعطي المادة ما يكون واحدة من صفاتها ومميّزاتها الخاصّة، أي الحركة.

لكن ينبغي أن نسأل الآن، هل هناك روح واحدة أو هناك عدّة أرواح؟ الجواب هو أن هناك روحين على الأقلّ، الروح الخيّرة التي تضع الحركة المنظّمة في الأشياء « كما تضعها في السماوات »، وهناك الروح الشريرة التي تصنع الفوضى في ما هو فوضويّ. إنّ الروح الخيّرة لديها عقل كهادٍ لها، وهي روح حكيمة وممتلئة فضيلة. إنّ أيّ شيء يكون في حركة منتظَمة، ويكون المثال الأفضل له العجلة الدائرة على محورها الخاصّ بها، إنّ هذا الشيء يوضع في حركة بواسطة الروح الخيّرة. وهكذا فإنّ السماء كلّها والأجسام السّماويّة الدائرة في نسقٍ منتظمٍ يجب أن تتحرّك بواسطة الروح الخيّرة. وبما أنّها تشكّل نظاماً واحداً، فينبغي أن تتحرّك بواسطة روح خيّرة. إنّ الذي نراه هو الجسم « أو المادّة » للسّماوات وليس الروح. والروح إمّا أنها تكون في الجسم كما هي في أجسامنا، أو أنّ لها جسماً خاصّاً بها، جسماً من النار أو الهواء، وهي تصنع الحركة في السماوات بالتّماسّ الفعّال، أو أنّ ليس لديها جسم بل لديها قوىً خارقة. إنّ النظرية الأولى تودِع نفسها، ومنها نستخلص نظريّة أنّ العالم تقطنه الروح، وأن « كلّ الأشياء ممتلئة بالآلهة »، كما قال طاليس .

إنّ هذه المناظرة هي مناظرة شعريّة سامية، حُلّيت باللاعقليّات، وهي مناظرة بعيدة من البرهان الشديد الدّقّة لوجود الآلهة. إنّ هذه المناظرة تمت مساعدتها بالكلمة عينها Soma ما معناها « الجسد » و « المادّة » كليهما، وحلّيت بالكلمة عينها Ouranos ما معناها « السماء » و « العالم » كليهما، وحلّيت بالكلمة عينها « بروتيوس » ما معناها « السّابق في الزمن » و « السّابق في الفكرة ». إنّ هذه المناظرة تبرهن أنّ ما يمتلك روحاً يكون سابقاً على ما لا يمتلك روحاً وذلك في

القيمة أو الأهميّة، لكنّها لا تتعامل مع إمكانية أنّ المادّة التي لا حياة لها وجدت قبلاً. إنّها تعتبر أنّه لأمر مفروغٌ منه أن تكون المادة في حركة، ولربّما تذهب أبعد من ذلك وتعتبره أمراً مفروغاً منه أيضاً، « مثلما يعتبر ذلك سِفر التّكوين في العهد القديم »، وهو أنّ المادّة تقدر فقط على أن تكون نتيجة أو أثر الإرادة. يقول أفلاطون في الحقيقة، إنّه إذا كانت الروح سابقة المادة في الوجود، حينئذ فإنّ السّلوك والأخلاق والذكريات تكون سابقة الطول والعرض والعمق الماديّ.

إنّ المناظرة هذه لا يمكنها أن تطالب بفعلٍ أكثر من أن ترفع افتراضاً عن وجود الآلهة، ذلك الافتراض الذي يكون أقوى في عقل أفلاطون ممّا هو في عقلنا، لأنّه لا يعتقد أنّ الأجسام السّماوية هي آلهة في الحقيقة. لكنّها تكون أهميّة وفائدة تاريخيّة عظيمة، لأنّه على هذا الاقتراب من المسألة، وعندما صاغها أرسطو من جديد، أُوجدت البراهين من الطراز الأوّل على وجود الآلهة وذلك كما عُرضت هذه البراهين على نحو منظّم في بداية كتاب توما الأكويني المسمّى Summa Theologiae في « الجزء الأوّل، السؤال الثاني، الفقرة الثالثة ». يحضر توما الأكويني المناظرة تحت خمسة عناوين، لكنّ كلّ هذه البراهين رُكّزت على فكرة أنّنا نعزو كلّ حركة « ولذلك نعزو كلّ حياة، سيقول أفلاطون ذلك »، إنّنا نعزوها إلى الحركات الأخرى، ونعزوها أخيراً إلى الشيء الذي يُحرّك شيئاً ما غير نفسه، لكنّه يحرّك نفسه أيضاً ولا يحرّكه أيّ شيء آخر. وهذا المحرّك الأوّل، يقول توما الأكويني، إنّ العالم كلّه يقرّ ويسلم بأنّه كإله. ويعلّم توما الأكويني مناظرة مماثلة يجب امتلاكها من العلّة والمعلول، من الممكن والضروريّ، من الأكثر والأقلّ، ويعلّم مناظرة خامسة من ظهور الفنّ المنظّم أو وجود الحكومة في العالم إلى وجود الحاكم.

بعض أسماء الأعلام والأماكن، الواردة في المحاورات الكاملة

آخيل	: بطل يوناني.
آدم	: الإنسان الأوّل.
اديامنتوس	: أخ أفلاطون.
آيكوس	: قاضٍ في مثوى الأموات.
اسْخيلوس	: ٥٢٥- ٤٥٦ ق.م. شاعر وكاتب مأساة يوناني.
آغرا	: لقب للآلهة أرتيميس، الصيَّادة.
إجاكس	: ابن تيلامون، بطل يوناني.
الكستيس	: زوجة هرقل.
آيسكليبيوس	: إله الطبّ في اليونان القديم.
السيبيادس	: ٤٥٠- ٤٠٤ ق.م.، رجل دولة يوناني.
امفيتريون	: زوج السيمين.
اناكساغوراس	: ٥٠٠- ٤٦٨ ق.م.، سوفسطائي يوناني.
افروديت	: إلهة الحبّ.
أرتشيلوس	: ملك مقدونيا، ٤١٣- ٣٩٩ ق.م.
أرديايوس	: طاغية مفترض في بامفيليا.
أرسطو	: ٣٨٤- ٣٢٢ ق.م.، فيلسوف وعالم يوناني، تلميذ افلاطون
أرمينيوس	: أبو إرْ
أثينا	: إلهة يونانية.
أثيني	: المشارك في محاورة النواميس.
اثينيو	: كاتب ملهاة يوناني، القرن الثالث قبل الميلاد.

باخوس : « ديونيسوس »، إله يوناني.
بارساباس : سمي جوستوس، مسيحي مبكر
بورياس : تشخيص الريح الشمالية.
قدموس : الموجد الأسطوري لمدينة طيبة في بويوتيا.
كاليكلس : مشارك في إحدى محاورات أفلاطون، سوفسطائي يوناني.
سيبس : فيلسوف يوناني، مشارك في إحدى محاورات افلاطون.
سَنتورز : حيوان أسطوري غريب الشكل، نصفه رجل والنصف الآخر حصان.
سيفالوس : متكلّم في إحدى محاورات أفلاطون.
تشيمايرا : حيوان أسطوري مكوّن من أسد، تنّين، وعنزة.
كلينياس : مشارك في إحدى محاورات أفلاطون.
كلايتوفون : مشارك في إحدى محاورات أفلاطون.
كليمان الأسكندراني: كاهن مسيحي
كريشياس : مشارك في إحدى محاورات أفلاطون.
كريتون : صديق سقراط ومشارك في إحدى محاورات أفلاطون.
ديون : سياسي صقلي كتب إليه أفلاطون رسالة.
ديونيسوس الثاني : طاغية مدينة (سراكيوز) في صقلية. ٣٧٦ ق.م.
ديونيسوس : (باخوس)، إله ادخلت عبادته الى اليونان من الشرق.
ديوتيما : نبيّة من مانتيني.
فيلسوف إيلي : متكلم في إحدى محاورات أفلاطون.
ابيميثيوس : يجسد الفكرة التِلّويَّة.
إرْ : ابن ارمينيوس، يزور مثوى الأموات ويعود حياً.
يوريبايدس : ٤٨٠- ٤٠٦ق.م.، شاعر، وكاتب مأساة يوناني.
يوريدايدس : زوجة اورفيدس.

يوسيبوس	: من قيصارية، ٢٦٤- ٣٤٩م، مؤرّخ كنسي.
العمالقة	: جنس أسطوري أبناؤه ذوي حجم كبير.
غلوكون	: أخ أفلاطون، ومتكلّم رئيس في محاورة الجمهورية.
غورغنز	: نساء خرافيات، ذوات مظهر مرعب.
هيكتور	: بطل طروادي.
هيفياستوس	: إله النّار والحديد في اليونان القديمة.
هرقل	: رجل يونان القوي المؤلّه.
هرمس	: شاعر يوناني في القرن السابع قبل الميلاد.
هيسيود	: شاعر يوناني في القرن السابع قبل الميلاد.
هيبوليتوس	: ابن ثيسوس.
هوميروس	: شاعر ملحمي يوناني متأخر.
يعقوب	: أحد الرسل الاثني عشر.
يوحنا	: أحد الرسل الاثني عشر.
يهوذا الاسخريوطي	: أحد الاثني عشر.
كرونوس	: إبن زيوس.
لوقا	: أحد واضعي الأناجيل الأربعة.
ليسياس	: خطيب يوناني، ٤٠٠ ق.م.
متى	: يُعدُّ من الرسل الاثني عشر - أحد واضعي الاناجيل الأربعة.
ميغيلوس	: متكلّم في إحدى محاورات أفلاطون.
ميليتوس	: أحد متّهِمي سقراط، ٣٩٩ ق.م.
مينون	: أحد المتكلّمين في محاورة لأفلاطون. سمّيت المحاورة باسمه.
مينوس	: ابن زيوس، قاضٍ في مثوى الأموات والذي شرّع قوانين جزيرة كريت.

موسى : مشرِّع القوانين العبرانية.
مولسايوس : شاعر أُسطوري.
نيميسيس : شخصية الثواب والعقاب المجسَّدة.
نمرود : صياد أسطوري، جاء ذكره في سفر التكوين.
نومينيوس : فيلسوف وثني.
اوديسي : بطل ومتأمّل يوناني، ١٥٠- ٢٠٠ ب.م.
أويغروس : ملك تراقيا.
اوريثيا : ابنة أريخيثيوس، ملك أثينا.
أورفيوس : شاعر وموسيقي أسطوري.
بالاميدس : بطل يوناني في الحرب الطروادية، مميَّز في حكمته.
پان : إله الريف اليوناني.
بارميندس : فيلسوف إيلي يوناني أتى إلى أثينا سنة ٤٤٨ ق.م.
باتروكلس : بطل يوناني في حرب طروادة، صديق آخيل.
بيغاسوس : حصان مجنَّح.
بيلياس : ابن بوسايدون وأبو الكستيس.
پيرسيفون : ملكة العالم السفلي.
بطرس : رئيس الرسل الاثني عشر.
فيدون : محاور في إحدى محاورات أفلاطون. سمِّيت المحاورة باسمه.
فيدروس : محاور في إحدى محاورات أفلاطون، سمِّيت المحاورة باسمه.
فارماكيا : رفيقة أوريثيو في اللّعب.
فيليلوس : فيلسوف فيثاغوري، القرن الخامس قبل الميلاد.
پيندار : ٥١٨- ٣٤٨ ق.م. شاعر ملحمي يوناني.
أفلاطون : ٤٢٨- ٣٤٧ ق.م. فيلسوف يوناني.

بلوتارخوس	: كاتب وأستاذ يوناني في علم الأخلاق ٨٠ ب.م.
بلوتو	: إله العالم السّفلي.
بوليمارخوس	: سوفسطائي يوناني، أحد المشاركين في محاورة الجمهورية.
بولس	: سوفسطائي يوناني، أحد المشاركين في محاورة جورجياس.
بوسايدون	: إله البحر في اليونان القديم
بروميثيوس	: شخصيّة تَنبّئيّة.
بروتاغوراس	: سوفسطائي يوناني. ٤٨٠- ٤١١ ق.م.
بروتارخوس	: سوفسطائي يوناني، أحد المشاركين في إحدى محاورات أفلاطون.
رادامانثوس	: إبن زيوس، قاضٍ في مثوى الأموات.
سيمياس	: فيلسوف يوناني، أحد المتكلّمين الرئيسيّين في محاورة فيدون
سيسيفوس	: ملك كورنثيا الأسطوري
سقراط	: ٤٦٩- ٣٩٩ ق.م. فيلسوف أثيني، معلم أفلاطون.
سقراط الآفتى	: أحد المتكلمين في إحدى محاورات أفلاطون
تيلامون	: ابن أيكوس وأبو إجاكس.
طاليس الأيوني	: ٦٣٦- ٥٤٦ ق.م. أبو الفلسفة اليونانية.
ثياتيتوس	: محاور في إحدى محاورات أفلاطون، سمّيت المحاورة باسمه.
ثيودورس	: أحد المشاركين في إحدى محاورات أفلاطون.
ثيتيس	: واحدة من حوريات البحر، أم آخيل.
طيماوس	: فيلسوف فيثاغوري وأحد المشاركين الرئيسيين في محاورة طيماوس، سمّيت المحاورة باسمه
تريبتوليموس	: إله الذّرة في اليوسيس.
زالموكسيس	: ملك القوط الاسطوري.
زيوس	: رئيس الآلهة في اليوناني القديم.

اسماء الاماكن:

أريوباغوس : « قمة المريخ »، قمّة في مدينة أثينا.

آسيا : العالم الشرقي عند القدماء.

أثينا : مدينة يونانية.

اطلانتيس : جزيرة أسطورية في الغرب.

البحر الأسود : Euxine، بحر شرق البحر المتوسط.

دلفي : مركز نبي الوحي أبوللو، في اليونان القديم.

أوروبا : العالم الغربي عند القدماء.

هايدس : مثوى الأموات.

أيليسيوس : نهر صغير خارج اسوار اثينا.

أوليمبوس : جبل في شمالي اليونان. مسكَنُ الآلهة.

بامفيليا : منطقة تمتدّ على طول شاطىء آسيا الصغرى من جنوبي كيليكيا وليقيا.

اسبارطة : « لاقيدايمونيا »، المدينة الرئيسية في البيليوبونيز.

تارتاروس : المنطقة التي هي تحت الأرض.

طروادة : مدينة في الزاوية الشمالية الغربية من آسيا الصغرى، حوصرت عشر سنوات.

الهوامش

(١) دحض أفلاطون هذه النظرية في الواقع، وقال في محاورة جورجياس إنّ الخطابة ليست فنّاً على الإطلاق بل إنّها نوع من المداهنة وترتيب الكلمات. « المعرّب ».

(٢) إنّ أفلاطون شاعر إلهيّ، إنّه فيلسوف يبحث عن الحقيقة ويتوق إلى الخير المحض، ولقد دحض مراراً أقوال الشعراء المزيّفين. « المعرّب ».

(٣) أستغرب أشدّ الاستغراب كيف يمكن لهذا المزيج أن ينتج ما يقارب اللاهوت. إنّ اللاهوت الحقيقيّ يجب أن يُمزج بالفلسفة الحقيقية والشعر الحقيقيّ كي يسمو ويعلو ويخلد، « المعرّب »

